هديتك مع العدد براعم

الوعي الإسلامي

إسلامية - شهرية جامعة

العدد ٣٨٩ - السنة الرابعة والثلاثون - محرم ١٤١٩هـ - مايو ١٩٩٨م

المسلمون بين وداع قرن واستقبال قرن جديد

● الخطاب الإسلامي في ظل العولمة

في ندوة الوعي الإسلامي:

الشباب ضحية جهات ثلاث ... الأسرة والبيئة التعليمية والإعلام



تهنئة

كل عام وأنتم بخير

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
ومجلة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد
وسمو ولي عهده رئيس مجلس الوزراء

والشعب الكويتي الكريم
والأمة العربية والإسلامية

بأجمل التهاني القلبية وأطيب الأمنيات لمناسبة

حلول العام الهجري الجديد

سائلين المولى سبحانه وتعالى
أن يرحم الشهداء الأبرار
ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٨٩ - السنة الرابعة والثلاثون
محرم ١٤١٩هـ - مايو ١٩٩٨م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
BADER S. AL-QASSAR

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
عقاب يوسف
OQAB YOUSEF

المشرف الإداري والمالي
ADMINISTRATOR & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

المراسلات:
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧

مطابع السياسة - الكويت

كلمة العدد

سلسلة متصلة من الأفراح

إذا كانت الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها قد احتفلت في بداية أيام هذا الشهر بعيد الفطر المبارك... الجائزة الربانية التي أهداها الله سبحانه وتعالى لمن صاموا وقاموا واحتسبوا صومهم عند الله عز وجل: «الصوم لي وأنا أجزي به» فإن أفراح الكويت تبقى ممتدة خلال الشهر الجاري حيث تحتفل في الخامس والعشرين من فبراير بذكرى يوم الاستقلال وتحتفل أيضاً في السادس والعشرين منه كذلك بالذكرى السابعة ليوم التحرير من العدوان العراقي الغاشم الذي استباح الكويت في الثاني من أغسطس العام ١٩٩٠م، وعاث في الأرض فساداً سبعة أشهر قتلاً وحرقاً وتدميراً دون أن يراعي فيها الأخوة الإسلامية والجوار العربي

إن الأعياد والذكريات في تاريخ الأمم والشعوب محطات للمراجعة والتأمل واستخلاص الدروس والعبر حتى تتجاوز السلبيات وتنطلق من الإيجابيات نحو مزيد من التلاحم والتكافل وتنفض عن كاهلها أوراق الفرقة والتفكك وتوظف إمكاناتها توظيفاً صحيحاً في معركة البناء والتنمية وبذلك تضمن لنفسها دوراً إيجابياً وفاعلاً على الساحة الحضارية والإنسانية.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير.
- الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات: ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها)

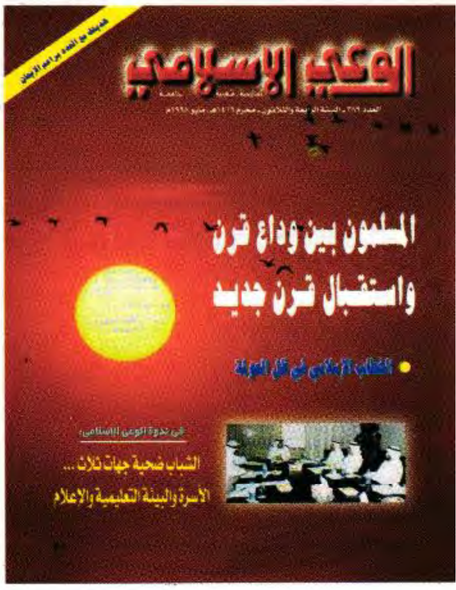
*ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا- السعودية٤ريالات- البحرين٣٠٠فلس- قطر٤ريالات- الامارات٤دراهم- سلطنة عمان٣٠٠ بيسة- الاردن٥٠٠فلس- ج.م.ع جنيه مصري واحد- السودان ٥جنيهات موريتانيا ١٢٠ اوقية-تونس دينار واحد- الجزائر ٥ دنانير- اليمن٥ ريالات- لبنان١٠٠٠ليرة- سوريا٢٠ ليرة- المغرب٦ دراهم- ليبيا ٥٠٠ مليم- اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او مايعادلهما.



في هذا العدد



تكريم حفظة القرآن الكريم

سمو أمير البلاد يكرّم الفائزين بمسابقة الكويت لحفظ القرآن الكريم ويقدم لهم الهدايا التذكارية تشجيعاً لجهودهم الخيّرة في حفظ وتدارس كتاب الله.

١٠

مؤتمر الكويت حول الطرق السريعة للمعلومات

معهد الكويت للأبحاث العلمية بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وجامعة الكويت، نظّم مؤتمر الكويت حول الطرق السريعة للمعلومات من أجل معالجة تطبيقات الطرق السريعة للمعلومات في جوانبها الإدارية والاجتماعية والتقنية وعرض الحال الراهنة والرؤية المستقبلية في الأقطار والمنظمات العربية

١٩

الخطاب الإسلامي في ظل العولمة

أمام تحديات العولمة... الخطاب الإسلامي المعاصر مازال مختلفاً بدرجة كبيرة في منهج العمل الإسلامي وأولياته وهذا يتطلب تجديد منهج الدين بثوابته ومتغيراته وتحقيق عنصري الفاعلية والإبداع.

٣٨

اقرأ في الأعداد المقبلة

التزكية الروحية للمسلم

د. محمد الزحيلي

مكانة العلوم الطبيعية في الفكر الإسلامي

د. عبدالفتاح محمد العيسوي

آخر من يدخل الجنة/ دروس في التربية والدعوة

د. محمود محمد عمارة

معالجة التضخم في ظل الاقتصاد الإسلامي

محمد عودة السلمان

البيولوجيا الجزئية وتجاذب الخلود الإنساني

د. رضا عبدالحكيم إسماعيل



حوار مع مفتي زنجبار: الشيخ حارث خلف خميس

محمود بيومي



ندوة الوعي الإسلامي: الشباب بين الواقع والطموح

١٤

العامل المهم لتحقيق التنمية في أي مجتمع يكون بالتركيز على الشباب ومن أجل هذا عقدت مجلة الوعي الإسلامي ندوتها الثانية بحضور عدد من المربين والمتخصصين والمهتمين بقضايا الشباب المعاصرة.

حوار

٢٤

الأمين العام لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا المهندس صلاح الدين الجعفراوي وحديث حول التحديات والهموم التي تواجهها الجاليات الإسلامية في الغرب

منهج ابن سينا في علاج العشق

٨٠

الحب في عصرنا الحاضر يمثل عاملاً أساسياً في الحياة النفسية وبخاصة في حياة الشباب، ترى كيف عالج ابن سينا موضوع العشق؟ وما الأسس والمبادئ التي اعتمد عليها؟

الأسرة السحنونية في القيروان

٦٤

الأسرة السحنونية في القيروان خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين أنجبت أعلاماً رفعوا راية العلم وأثروا بمؤلفاتهم الفقهية والأدبية والتاريخية والفكرية حركة الإصلاح والتجديد والاجتهاد في بلاد المغرب العربي

الفهـــرس



تعقيب وتوضيح

نشرت مجلة الوعي الإسلامي في عددها رقم ٣٨٧ الصادر في شهر (ذو القعدة ١٤١٨هـ/ مارس ١٩٩٨م) مقالاً للأستاذ الفاضل محمد سليمان ربيع، قارن فيه بين مبدأ الشورى الإسلامي، والمبدأ الديمقراطي المطبق في الغرب والذي انتشر أيضاً في بعض بلداننا العربية والإسلامية، وقد هاجم الكاتب بشدة التجربة الديمقراطية، واتهمها بالفشل والقصور دون أن يعرج على بعض الإيجابيات الموجودة فيها والتي قد تفيد المسلمين في توجههم المعاصر نحو تطبيق نظام سياسي قائم على الشورى والعدل والحرية، وأنا هنا لا أريد الدفاع عن الديمقراطية كنظام سياسي ملازم للرأسمالية وإنما أريد أن أقول أن المسلم مطالب بدراسة التجارب الإنسانية كافة والافادة من إيجابياتها ونبذ سلبياتها وصياغتها وفق هويته وتراثه، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، فهل أحد منا ينكر أن الديمقراطية تعتبر آلية حسنة من أجل منع الاستبداد من خلال مبدأ فصل السلطات وخضوع الجميع للقانون، وهل أحد منا ينكر أن الديمقراطية وسيلة فعالة لترسيخ آلية الانتقال السلمي للسلطة دون اللجوء إلى المناورات والعنف والانقلابات، وهل أحد منا ينكر أن الديمقراطية تعمل على تجذير مبدأ الرقابة المتبادلة بين السلطات، وبخاصة رقابة البرلمان على الهيئة التنفيذية وأخيراً نحن المسلمين نعتقد جازمين أن الشورى أفضل من الديمقراطية المطبقة في عالم اليوم ولكن هناك مفارقة مؤلمة بين عالم المثل وعالم الواقع، فالديمقراطية مبادئ مطبقة في عالم الواقع بينما الشورى مبادئ مغيبة والإنسان لايقتنع إلا من خلال المبادئ المطبقة في واقع الناس مهما بلغت درجة جمالها وكمالها، ومن هنا تأتي أهمية الاجتهاد من جديد من خلال العمل المؤسساتي وتطبيقاته العملية في حياة الجماعة والأمة مع القبول بالهامش الذي يعطينا حركة العمل المثمر والدؤوب ومن خلال الاحتكاك المستمر مع الشعوب الإسلامية التي أثبت التاريخ أنها تحافظ على أصالتها وتختار الإسلام عندما تعطى لها الحرية.

مسلم غيور

المجلة: نشكر الأخ صاحب الرسالة على ثقته وتفاعله مع موضوعات المجلة، ونوضح أن المجلة حين تتعرض لبعض القضايا في مقالاتها، إنما قصدها هو إثراء المجلة، لكن يُفترض أيضاً فيمن يكتب في مثل هذه المقالات أن يكون متوازناً وموضوعياً، وملماً بكل جوانب القضية التي يطرحها، ونؤكد من جديد أن ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة.

أخطاء مطبعية

لدى مطالعتي مقالي المنشور في عدد الوعي الإسلامي ٣٨٦ شوال ١٤١٨هـ في باب المرسى صفحة ٩٨ ورد في السطر الأخير من الفقرة الأولى خطأ مطبعي وصحته «فهي تحب الودود بقدر بغض اللدود» أما عن معنى اللغوب» والذي أضيف بمعرفة هيئة التحرير فهو كما تعلمون قبلي تعني: الإعياء والتعب، فالآية تقول: (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) ق/٣٨، وفي المعجم الوجيز: لغب فلان ـ لغباً ولغوباً: تعب وإعياء، فهو لاغب، هذا ولا يغرب عنا أن تلك الهنَّات هي أمور واردة مع زحمة الأعمال وكثرة الأعباء ولا تقلل أبداً من الجهد الرائع المبذول في تحرير المجلة للسمو بها دوماً إلى الأفضل.

وشكراً لكم

محمود علي عبدالرحمن مصر

مأثــورات رائعــة

أبعث إلى سيادتكم بهذه المأثورات الرائعة التي حدثت وقائعها على لسان الإمام الأعظم الفقيه علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه وأرضاه ـ.

ففي مجلس علم في مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجه أحد الجالسين سؤالاً إلى الإمام علي عن الإيمان فقال الإمام العالم الإيمان هو:

الإيمان على أربع دعائم، على الصبر واليقين، والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شُعب على الشوق والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب سارع إلى الخيرات واليقين منها على أربع شعب على تبصرة الفطنة، وتأويل الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأولين، فمن تبصّر في الفِطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين، والعدل منها على أربع شُعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم وساحة الحلم، فمن فهم علم غور العلم ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً، والجهاد منها على أربع شُعب على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر رغم أنوف المنافقين ومن صدق في المواطن قضى ما عليه وَشْني الفاسقين وغضب لله، غضب الله له وأرضاه يوم القيامة.

مصطفى إبراهيم مرسي مخيمر

علاج أزمة أمتنا

إن الطريق إلى الخروج من أزمتنا سهل ميسور حين نحزم أمرنا، ونعد عدتنا، ونغذ السير في هذا الطريق الذي يمكن أن نتبين أهم معالمه فيما يلي:

ـ إن تغيير الحال التي نحن عليها اليوم لا يمكن أن يتم دون أن نغيّر ما بأنفسنا، فهذه سنة من السنن المطردة التي فطر الله عليها أمور خلقه، كما قال تعالى: (إن الله لا يُغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد/١١.

ـ وإن تغيير ما بأنفسنا لايتم إلا أن نواجه مشكلاتنا مواجهة صادقة، لا مواربة فيها ولا أعذار، لنعرف مواطن الانحراف فنقومها، ونكشف مواضع الخلل فنصلحها، ونحدد نقاط الضعف فنقويها.

ـ يجب على المسلمين اليقظة الكاملة، والاستعداد الدؤوب لأعداء الإسلام وعلى ورثة الأنبياء ـ وهم أولى الناس بهذه اليقظة، وأحق الناس لهذا الاستعداد، وأعلمهم بهذا العداء ـ تبصير المسلمين بسهام الأعداء، وتحذيرهم منها.

ـ ولنكن على بينة من أن المضي في طريق هذه غايته، لايمكن أن يكتب له النجاح دون علم وجهد وجهاد وصبر ومصابرة، ودون إخلاص لله، وتقوى، واستعداد للتضحية.

ـ فإننا بمثل هذه العدة يمكن أن نخرج من أزمتنا بإذن الله.

محمد عباس محمد عرابي مصر

تكوين الأخلاق عند الطفل

لقد ذهب بعض المفكرين إلى أن الإنسان خلق خيّراً بطبعه، وإن الشر يجيئه من البيئة السيئة التي يعيش فيها، وذهب البعض الآخر إلى العكس من ذلك، أي إلى أن الطفل يولد شرير بطبيعته لذلك يجب الوقوف في وجه ميوله ونزعاته، وإلا ينشأ على ما فطر عليه.

والرأي الحق في هذا الصدد هو أن الطفل يجيء إلى الحياة وفيه استعداد للخير والشر، ومن عمل المربي الحكيم أن يوجهه نحو الخير والطريق المستقيم وهذا الرأي هو الذي يقبله العقل، وتعضده الملاحظة، كما يدل عليه كتاب الله حيث يقول عزّ وجلّ: (ألم نجعل له عينين. ولساناً وشفتين. وهديناه النجدين.) البلد: ٨ ـ ١٠، والنجدان هما طريق الخير والشر، ويقول أيضاً عزّ وجلّ: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) الإنسان /٣.

ولهذا يقول الإمام الغزالي، إن الصبي بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين، فإن عُوِّد الخير نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة هو ومن قام على تربيته، وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم نشأ شقياً، وكان الوزر على من كان السبب في ذلك.

وكذلك يذكر ابن خلدون في مقدمته: أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر، غير أن استعداد الطفل للخير أقوى من استعداده للشر.

ويقول علماء التربية إن العادة طبع ثان، يريدون بذلك بياناً للعادة من أثر قوى في الإنسان وقد تقوى حتى تصير طبعاً لصاحبها.

إذن العامل الحاسم في تكون الأخلاق الجميلة هو تعويد الطفل والفتى الناشئ على العادات الطيبة، ثم تثبيتها في نفسه بتكرارها حتى تصير كأنها طبع له.

والسبيل لذلك هو ما يراه من القدوة الحسنة في والديه، ومن يقومون على تنشئته وتثقيفه، وسائر من يحيطون به ويعيش بينهم.

حسين عبدالفتاح مصر

الإيثــار

إذا كان الإسلام يأمر بالكرم والإنفاق في سبيل الخير، ويعد بحسن الجزاء عليه في الدنيا وعظيم الثواب في الآخرة، فإنه قد حبب بالكرم إلى أعلى درجاته، فنشأ عنه خلق جميل وهو «الإيثار».

والإيثار خلق لانبالغ إذا قلنا إن الإسلام قد تفرد به، فلا يوجد على ما نعرف في أي نظام أخلاقي سماوي آخر، ولا نظام من صنع البشر، وهو لهذا ليس خلقاً لجميع الناس، بل للصفوة المختارة من الناس، وهو لا يندب إليه في كل حال، بل في بعض الحالات إذا لزم الأمر.

وإذا كان الكرم هو الجود ببعض ما زاد عن حاجة الإنسان مما رزقه الله، فإن الإيثار هو الجود ببعض ما يلزم لحاجته، وقد يرتفع إلى الذروة فيكون هو الجود بكل ما هو في حاجة إليه ولا يستغنى عنه بحال.

ومن هذا الضرب الأول ما رواه أبو موسى الأشعري عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد، فهم مني وأنا منهم».

ومعنى هذا أن بعضهم كان يؤثر غيره ببعض ما هو في حاجة إليه، ولذلك أثنى عليهم الرسول وقال إنهم منه وهو منهم.

حسين عبدالفتاح أحمد

براعة الإعداد والتخطيط في الهجرة المباركة

يف علمتنا الهجرة كل تلك المعاني الجليلة القيم الأصيلة التي ما انفكت تضرب أعماق شاعرنا وتنير لنا دروب الحياة، فإذا ما ناولنا الإعداد والتخطيط للهجرة كأبرز ما فاد من دروسها المتعددة، لاستنبطنا الدرر اللآلئ، بداية من انتظار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأبو بكر رضي الله عنه ستأذنه في الخروج، فيقول المصطفى صلى له عليه وسلم «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً»، فيطمع أبو بكر أن يكونه «أي يكون و» ثم ينزل جبريل عليه السلام بعدما أجمع لمشركون أمرهم على النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له: «لا تبت هذه لليلة على فراشك»، فيعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي كرَّم الله وجهه أن «نم على فراشي وتسجَّ ببردي فإنه لن يخلص يك شيء تكرهه منهم»، حتى يؤدي عن سول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس رغم كل ما تحمله من صنوف أذاهم، فآثر ردها إليهم غير مستحل لمال أو مستبيح لأمانة، واثقاً في نصر الله أن ذلك لن يُكلف علياً حياته، فذلك درس في الصدق والأمانة والتضحية والفداء، يعقبه آخر في الحب والإيثار يتجلى في نهج أبي بكر الصديق حين ابتاع راحلتين يتعهدهما بالعلف لميعاد الرحلة العطرة فاستأجر عبدالله ابن أريقط من بني الدئل بن بكر وكان مشركاً يدلهما على الطريق، فقدم أبو بكر أفضل الراحلتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأردف عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق، ومن ذلك يصح أن ينتفع المسلمون بخبرة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار والمشركين على شرط الثقة في أمانتهم، وهاكم درساً بات يُحتذى في تجنيد العيون على الأعداء، كذلك الدور الذي لعبه عبدالله بن أبي بكر حينما كان يتسمع أخبار الكفار ويُبلغها للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم لم يخل أمر الإعداد للهجرة كذلك من دور المرأة الذي ينبغي ألا يُغفل كالدور الرائع الذي قامت به أسماء بنت أبي بكر التي شقت نطاقها وجعلته عصاماً لتعلق به السفرة للنبي وصاحبه، حيث يُمكننا تجنيد المرأة للقيام بدورها الإيجابي بما يعود على المسلمين بالنفع والخير.

وهكذا بات أمر الهجرة محاطاً بسياج من الكتمان والسرية، تكتنفه تحركات واعية لم تنقصها شجاعة ولم يدخر في سبيلها جهد، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم صوب يثرب تحفظه عناية الله ضارباً أروع الأمثال في حب الوطن والانتماء للمنهج الإسلامي، يقول مخاطباً أم القرى «والله إنك لأحبُّ بلاد الله إلى الله وأحبُّ البلاد إلى نفسي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»، فداك أبي وأمي، أبا القاسم، يا رسول الله.

رضا إبراهيم محمد - مصر

مسؤولية الكلمة

' أحد ينكر منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها أن للكلمة أهمية ومسؤولية يقع عاتقها على من كلم بها فتلك الحروف والأصوات التي تنطق بها الشفاه تحدث الأعاجيب فكم من كلمة أفرحت أخرى أحزنت، وكم من كلمة انشرح لها الصدر وأنس بها الفؤاد وأحس بسببها سعة الدنيا جمالها وأخرى انقبضت لها النفس واستوحشها القلب وألقت قائلها أو سامعها في ضيق أو سنك فضاقت الدنيا على رحبها والأرض على سعتها، كم من كلمة أضحكت وأخرى أبكت وكم ن كلمة آست جروحاً وأخرى نكأت وأحدثت حروقاً إن الكلمة ليست حركات يؤديها المرء دون معور ولا يبالي لها معنى، بل إن انضباط الكلمة من سمات المؤمنين الصادقين، قال سبحانه حدّثاً بذلك (قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون).

إن المؤمن الحق يشعر بقيمة كلمته ويعرف موضعها من الحديث الذي يتحدث به فإن للكلمة سبيلا إلى الصلاح والإصلاح وأن نتقي الله ولا نقول إلا قولاً سديداً يحبه الله ورسوله فإن في غو الكلام مضرة وفي قول الحق تقوى وفوز بالجنان وحشر مع الأبرار.

إسماعيل الخطاري - الكويت

مجرد ملاحظة

ناك ملحوظة بسيطة أود أن ألفت نظركم إليها رأيتها في مجلة الوعي الإسلامي في العدد ٣٨٦ - سوال ١٤١٨هـ فبراير ١٩٩٨م، أرجو من الله عز وجل ألا تتكرر وأرجوكم أن تتقبلوا مني هذه لفتة البسيطة لأنها ضايقتني.

لاً: هناك عند بدء أي مقال أرى رسم صليب هكذا (+) وصراحة هذا لا يليق بمجلة إسلامية كون عنوانها الوعي الإسلامي هناك من الأشكال الهندسية الإسلامية الكثير الكثير وابتعدوا عن ثل هذا، فاختاروا ما شئتم من مناظر أو أي رسم من الرسومات التراثية الإسلامية، وجزاكم الله ير الجزاء وأرجو أن تقبلوا نصيحتي بصدر رحب.

محمد رمضان هاشم

هنات بسيطة

هناك بعض الملاحظات البسيطة في العدد رقم ٣٨٥ رمضان ١٤١٨هـ وهي ليست قفشة ولا تصيد أخطاء، ولكنها الغيرة الشديدة على مجلتنا الغراء، فهناك بعض الهنات البسيطة جداً وأعتقد، بل أجزم أنها أخطاء مطبعية، ففي الصفحة ٩٧ من باب الفتاوى السطر ٣٠ (قرأنا في ملجتكم - والصحيح مجلتكم. وكذلك في الصفحة ٨٦ في باب ثمرات الفكر المحرمات على النساء يقابلها غلاف كتاب دواء من القرآن والسنة.

وكذلك صيد القلم يقابلها غلاف الأدب الإسلامي

ثم داوء من القرآن والسنة يقابلها المحرمات على النساء.

بمعنى أن الغلاف لا يقابل عنوان الكتاب المذكور.

هاشم عويس

المحرر: نشكر الأخ هاشم عويس على هذه الملاحظات البسيطة ونتمنى ألا تقع المجلة في مثل هذه الأخطاء المطبعية في الأعداد اللاحقة، كما نتمنى أن تشاركنا الكتابة علّنا نستفيد من كتابتك ولا نجد فيها أي أخطاء.

الافتتاحية

الهجرة... عطاء يتجدد

مضى عام بما حمل من أفراح وأحزان، وأرباح وخسائر، وبناء وهدم، ورغم ذلك لم تتوقف مسيرة الخير... لم ينقطع فيه العطاء على كل المستويات الرسمية والشعبية، ولم يتوقف البناء رغم صعوبة وخطورة وحساسية المرحلة.... ولم يتوقف نشاط المخلصين لتحقيق أهداف الأمة الإسلامية في أن يسود الدين الذي فيه الأمن والسلام.... العالم أجمع.

وأشرق عام هجري جديد بما يحمل من آمال وطموحات وأفكار مأمولة للتغيير للأفضل.

إن حادث الهجرة بداية مرحلة جديدة في سبيل الدعوة إلى الله، بل مرحلة أساسية، في بناء المجتمع الإسلامي، وتأصيل قواعد بقائه وثباته، ونقطة انطلاق لاتساع المد الإسلامي إلى مختلف أطراف الدنيا... هذا ما تحقق ويتجدد الأمل في تحقيقه في المستقبل.

إن عملية التغير والانتقال من مرحلة إلى أخرى، ليس دائماً بالأمر الهين مهما توفرت سبل النجاح... إنها عملية ذات حساب كبير تتبدى لنا حالما نعلم رصد المشركين واليهود والمنافقين للرسول - صلى الله عليه وسلم - في نقلته هذه... حيث إنها إشارة خطر لهم، تدل على بناء مجتمع جديد محكم مترابط يصادم مجتمعهم الذي تحكمه قيم ومقاييس أرضية جاهلة... هابطة..

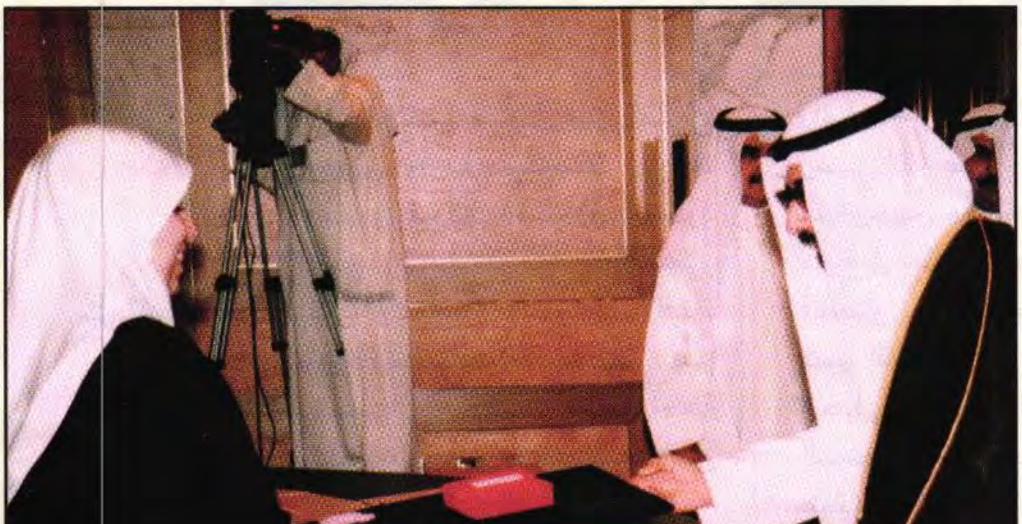
صورة الهجرة تتراءى لنا من خلال ما سطرته كتب السيرة... من إعداد محكم..... إعداد الزاد والراحلة، واتخاذ الصاحب الأمين أبي بكر الصديق رضي الله عنه.... ومبيت علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - مكانه، والاختباء بالغار، وجلب الطعام من قِبَلِ أسماء بنت أبي بكر...، وابن أبي بكر ناقل الأخبار.... وابن أبي فهيرة الذي يخفي بأغنامه آثار سير القافلة حتى المدينة المنورة.... هذا التخطيط العملي والتنفيذ الدقيق المتقن... الذي قد يعتبره البعض أمراً بسيطاً... لكنه في الحقيقة ذو دلالة عظيمة، خصوصاً إذا بني عليه بناء دولة الإسلام في المدينة المنورة بعد ذلك.

ومن المعاني العظيمة التي نستفيدها من حادثة الهجرة... هي الصبر والإيثار، والإرادة الصلبة القوية، والثبات على دين الله... واليقين بعون الله... قال تعالى: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

إنها معلم رئيسي لابد أن يتخذ منها المسلمون طريقاً صحيحاً وجدياً للعمل الإسلامي المثمر، وذلك لا يكون إلا باقتفاء أثر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فقد كانت الهجرة متنفساً سليماً، وانطلاقة رائدة، ودافعاً قوياً إلى البذل والعطاء والتضحية والفداء، إن طريقها يعطي المسلم ميلاداً جديداً إلى صفاء الإسلام ونوره الوضاء، متأملاً معاني الهجرة، متذوقاً حلاوة تلك الكلمة.... هجرة إلى الله.

الوعي الإسلامي

سمو الأمير يكرّم الفائزين بمسابقة الكويت لحفظ القرآن الكريم



● سمو الأمير يوزع الجوائز على إحدى الفائزات



● وزير العدل وزير الأوقاف والشئون الإسلامية يلقي كلمته

استقبل سمو أمير البلاد يوم السبت ٢١ ذي الحجة١٤١٨هـ الموافق ١٨/٤/١٩٩٨م وزير العدل وزير الاوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب يرافقه رئيس وأعضاء اللجنة الدائمة لمسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده حيث قدموا لسموه الفائزين في مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده لسنة ١٤١٨هجرية ١٩٩٧ ميلادية. وقد وجه وزير العدل وزير الاوقاف والشؤون الإسلامية كلمة بهذه المناسبة أعرب فيها عن عميق الشكر والعرفان لمبادرات سموه الكريمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه مثنياً على توجيهات سموه التي تعد نبراساً استضاء به القائمون على المسابقة حيث أضافوا بجهودهم الطيبة نبتاً مباركاً من ابناء الكويت ممن عمرت قلوبهم بحفظ القرآن وممن سينطلقون بدورهم في عمارة آفاق الوطن بنور القرآن الكريم.

كما وجه احد الفائزين كلمة رفع خلالها الى مقام سموه امتنانه واخوانه الفائزين للرعاية الأميرية الكريمة لهذه المسابقة الدينية المهمة والتي تعكس حرص سموه البالغ على تعلم وتعليم علوم الدين الإسلامي الحنيف ومناهله وعلى رأسها القرآن الكريم.

وقد كرمهم سموه بالهدايا التذكارية تشجيعاً لجهودهم الخيرة في حفظ وتدارس كتاب الله حاثاً إياهم على مواصلة حياتهم الدنيوية والدينية بكل تقدم ونجاح منتفعين ومترجمين لكل ما جاءت به السور والآيات الكريمة.

وقد حضر المقابلة وزير شؤون الديوان الأميري الشيخ ناصر محمد الأحمد.

الفلاح: مستوى أداء حملات الحج الكويتية ممتاز

أشاد رئيس بعثة حج وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية الدكتور عادل الفلاح بمستوى خدمات حملات الحج الكويتية لهذا الموسم ووصف أداءها وفق التقرير الأولي العام بأنه «ممتاز».

واستثنى الدكتور الفلاح ثلاث حملات فقط من بين ٦١ حملة من المستوى الجيد والممتاز في خدمة الحجاج وقال :إن الحملات الثلاث أخلت ببعض الشروط من بينها واحدة مخالفتها كبيرة دون ان يفصح عن طبيعة هذه المخالفة.

وقال إنه بعد التحقيق في المخالفات لهذه الحملات فسيصدر بحقها الجزاء الملائم مشيرا إلى أن إحدى الحملات الثلاث معرضة للوقف الموقت أو الدائم.

وفيما يتعلق بالحملات التي أدت خدمات ممتازة قال الدكتور: الفلاح انه يقام حفل سنوي يرعاه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية لتكريم هذه الحملات



● د. عادل الفلاح

وتقديم الدروع والشهادات تقديرا لجهودها وتشجيعا لها على مواصلة أدائها المتميز وأشار إلى أن التكريم الذي يتم للمستحقين له يستهدف كذلك إشعال روح المنافسة فيما بين هذه الحملات للاستمرار في أداء المستوى الممتاز لخدمة الحجاج مشيراً إلى ان ذلك هو الغاية المنشودة.

من جهة أخرى قال رئيس بعثة الأوقاف الكويتية إن أداء الحملات الكويتية وحسن تنظيمها ورعايتها لحجاجها كان مثار إعجاب الكثير من بعثات الحج العربية.

وأضاف: ان العديد من وفود البعثات قامت بزيارة لمقار الحملات واطلعت على التجربة وطلبوا نسخا من النظم واللوائح الخاصة بعمل هذه الحملات واستمعوا لشرح من المسؤولين عن الحملات بما يخص اسلوب عملهم للإفادة منها في خدمة حجاجهم وجدد الدكتور، الفلاح نصيحته للحجاج الكويتيين الذين يخرجون لاداء الفريضة خارج الحملات بأن يلتزموا بالارتباط بالحملات ليبتعدوا عن مواجهة المتاعب وحتى ينعموا بالأمان والراحة والخدمات الممتازة التي توفرها الحملات.

القسم النسائي للجاليات الإسلامية في إدارة الثقافة الإسلامية يقيم المهرجان الترفيهي

في إطار البرامج والأنشطة الثقافية الترفيهية التي تقدم لأفراد الجاليات الإسلامية،لغرس المفاهيم التربوية والإيمانية وإحياء سنة الرسول- صلى الله عليه وسلم- وذلك لاستحباب الفرح بالعيد، والإثراء الثقافي والفكري من خلال برنامج المهرجان، وإضفاء جو من الألفة والمحبة لتقوية العلاقات الأخوية.

أقام القسم النسائي للجاليات الإسلامية في إدارة الثقافة الإسلامية المهرجان الترفيهي الثالث لأكثر من (١٠٠) مشاركة من مختلف الجنسيات في ثالث أيام عيد الاضحى المبارك اعتبارا من تاريخ:١٢ ذي الحجة١٤١٨هـ الموافق:١٩٩٨/٤/٩ وقد بدأ البرنامج الساعة التاسعة صباحا واستمر حتى الخامسة مساء، حيث أقيم المهرجان في نادي رأس الأرض(في منطقة السالمية) وقد تم إعداد برنامج ثقافي وإيماني وترفيهي متكامل، تضمن فقرات ثقافية عدة لزيادة رصيدهم الثقافي والفكري وتنشيط ذاكرتهم ومعلوماتهم، وفقرة السمر الترفيهي لبث روح التنافس والتسابق، وتم طرح(مسابقة خاصة بالرحلة) لتنمية طاقاتهم وملكاتهم الذهنية. وقدمت مسابقة (لإعداد أحسن طبق) وذلك لإبراز مواهبهم الأسرية، كما تم إلقاء الدرس الإيماني للمحاضرة/خولة التوحيد بعنوان(أسباب السعادة) وبرنامج إذاعي (وفقرة الإبداع) وذلك لصقل وتشجيع مواهبهم وقدراتهم وإبرازها. والجدير بالذكر أنه تم توزيع الاستبانة الخاصة بالمهرجان لمعرفة آراء المشاركات حول فقرات البرنامج. وفي ختام المهرجان وزعت الجوائز على جميع الفائزات في المسابقات الثقافية والترفيهية، كما وزعت جوائز مسابقات السحب بالأرقام.

وزير الاوقاف يشارك في افتتاح الندوة الثامنة لقضايا الزكاة المعاصرة

تحت رعاية ولي العهد القطري الشيخ جاسم بن حمد آل ثاني، وبمشاركة ٢٣ فقيهاً وعالماً من الكويت وقطر ومختلف الدول العربية، عقدت في الدوحة خلال الفترة بين ٢٣ ـ ٢٦ ذي الحجة ١٤١٨هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٣ أبريل ١٩٩٨م الندوة الثامنة لقضايا الزكاة المعاصرة التي ينظمها بيت الزكاة الكويتي بالتعاون مع صندوق الزكاة القطري، وقد ألقى السيد وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب كلمة في افتتاح الندوة نقل خلالها تحيات وشكر دولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً إلى دولة قطر على احتضانها هذه الندوة واستضافتها للعلماء ومفكري العالم الإسلامي.

وقال الكليب إنه كان لبيت الزكاة الكويتي شرف القيام على تأسيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة في العام ١٩٨٧م بناء على التوصية الرابعة الصادرة عن مؤتمر الزكاة الأول الذي عقد في الكويت والتي نصت على تشكيل لجنة علمية من الفقهاء والمتخصصين لمعالجة الأمور المعاصرة المتعلقة بالزكاة ورفع توصياتها للجهات المعنية.

وأشار إلى أن هذه الندوة ستسهم في إحياء فريضة الزكاة وتوجيه وتطوير أساليب تطبيقها وحل إشكالاتها الفنية والميدانية وفق أحكام الشريعة الإسلامية السمحة.



● أحمد خالد الكليب

كما أوضح رئيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة الدكتور عجيل النشمي في كلمته أن من أهم روافد أموال الزكاة اليوم سواء بطريق مباشر أو غير مباشر البنوك والمصارف والشركات والمؤسسات الإسلامية.

وأشار إلى أن من واجب الدولة الساعية إلى تطبيق فريضة الزكاة وتهيئة الأجواء لتطبيق شريعة الله أن تبذل غاية جهدها وتضع خططها لتجفيف مصادر المال الخبيث وإحلال البدائل الإسلامية.

وألقى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية القطري أحمد المري كلمة أثنى فيها على التجربة الرائدة والمتقدمة لبيت الزكاة الكويتي سواء على مستوى الدراسات الفقهية المعاصرة بإنشاء اللجنة العلمية التي تضم نخبة من علماء الفقه والقانون والاقتصاد والتي تشكل هذه الندوة بعض عطائها أو على مستوى التطبيقات العلمية التي أفادت منها المؤسسات الإسلامية المماثلة بما فيها صندوق الزكاة في دولة قطر.

هذا وقد ناقشت الندوة ضمن فعالياتها ثلاث أبحاث هي: زكاة الزروع والثمار ومصرف الفقراء والمساكين، وزكاة المال العام، كما نوقشت ثلاثة أوراق عمل، الأولى حول السندات الحكومية وهل هي أموال ظاهرة أم باطنة؟ وأموال الشركات الأخرى غير الشركات المساهمة، وهل هي أموال ظاهرة أم باطنة؟ والثانية حول التكييف الشرعي لأموال مكافأة نهاية الخدمة والراتب التقاعدي في ميزانية الشركات قبل صرفها وأثره في الزكاة، والثالثة حول صور معاصرة في محاسبة الزكاة.

اتحاد طلبة الكويت يعقد المنتدى الأول للفكر والحضارة

تحت رعاية الأستاذ يوسف السميط وزير الإعلام عقد الاتحاد الوطني لطلبة الكويت بالتعاون مع مجلة الدبلوماسي خلال الفترة بين ٢٢ ـ ٢٤ ذي الحجة ١٤١٨هـ الموافق ١٩ ـ ٢١ أبريل ١٩٩٨م المنتدى الأول للفكر والحضارة، وقال الوزير السميط في كلمة ألقاها في افتتاح المنتدى أن ثورة المعلومات وتقنيات الاتصال المتطورة من المسلمات مشيراً إلى أن ما يعززه هذا من تحديات يرسخ حقيقة في غاية الأهمية لجيل الكويت الشاب على اعتاب القرن المقبل.

وأضاف: إن هذا الوضع يعني تحديات هائلة في مواجهة ظاهرة العولمة والتي تحدث خلافاً ما بين تيار يسعى لدخول العالم الجديد والانسجام معه، وتيار آخر يدعو إلى الارتداد إلى الذات بهدف تحصينها والتمسك بتراث ومنجزات الماضي، إضافة إلى محاربة ما يرى هذا التيار «بأنها محاولات للهيمنة على العقل العربي والإسلامي باستخدام ثورة التكنولوجيا والمعلومات» مذكراً بأن هذا العقل «لا يمتلك من الأسباب ما يؤهله لمجاراة العولمة وفرز تأثيراتها السلبية والايجابية بشكل يضمن عدم المساس بالثوابت والعقيدة».

وأضاف وزير الإعلام «إن العولمة والتطور اللامتكافئ لها تنطوي على تنظيم قدراتنا للنهوض بالتنوع الثقافي والإبداع والمشاركة من خلال التفاعل الفكري».

وبين أن ذلك «يجنبنا خطر خنق التجديد والإبداع ومخاطر الاحتكار والتحلل الأخلاقي وطغيان النزعة المادية الاستهلاكية».

وذكر السميط أن القرن الجديد يؤذن بمنعطفات مهمة وتغيرات كبرى لا يمكن استيعابها من دون تبنٍّ منهاج معرفي تتكامل فيه الجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية مشيراً إلى أن «الإسلام سبق معظم الشرائع الوضعية في العمل على تحرير النفس والعقل وحفّز الإنسان المسلم على العطاء والعقل على الإبداع».

وبين السميط أن هناك من يرى أن الإسلام كعقيدة وشريعة ودين جاهز لمواجهة العولمة وتأثيراتها على المجتمع المسلم في حين يرى تيار آخر أن المسلمين لا يمتلكون من الأسباب ما يمكنهم من الصمود في مثل هذه المواجهة وأن عليهم مقاومة العولمة إلى أن نمتلك الأسباب الكفيلة لحماية عقيدتنا وذاتنا وتاريخنا وثقافتنا خالصاً إلى القول «إن مواجهة العولمة لا تتم بالتراجع إلى الخلف مع ما يحمله ذلك من خطر الانزلاق في أفخاخ التقوقع والعزلة، بل من خلال التخلي عن الثقافة التي تتبنى أحادية الفكر لصالح ثقافة التعددية الفكرية والحوار حرصاً على رص صفوف كل قوى المجتمع في مواجهة التحدي وإدراك أن الإسلام سبق كل الشرائع الوضعية في الدفاع عن حقوق البشر وأمنهم وتحفيز العقل».

وحث السميط على «حوار علمي وحضاري» بعيداً عن تبادل الاتهامات بالعزلة والانغلاق والرجعية أو التكفير والإلحاد في ممارساتنا اليومية بهدف إيجاد أرضية واسعة تلتقي عليها الآراء كافة ويكون سقفها المصلحة العليا للأمة مؤكداً أن المسلمين بحاجة إلى قراءة جديدة في النصوص في ضوء ما يطرحه العصر من تحديات كي نكون قادرين على الدخول في حوار واثق مع الغرب داعياً إلى استلهام منهاج الرسول في نبذ الفكر الجاهلي المتعصب لصالح مزاج عقلي يقوم على أساس تملّك أسباب المعرفة والقوة سعياً لكيان جديد».



● جانب من إحدى جلسات الندوة

وقال: «علينا أن نوضح للعالم الفارق الكبير بين الدين والتطرف وأن نصحح مفهوم عالمية الإسلام من خلال الدخول في حوار مع الآخرين وإعادة الاعتبار لقيم الحرية والديمقراطية في الإسلام»، مشيراً إلى أن ضرورة الاعتراف بالقيم الإنسانية الشاملة والتي لا تتناقض مع الروح السائدة في حضارتنا حتى وإن لم يكن منصوصاً عليها».

وأكد السميط أن الكويت كانت على مدى تاريخها «مساهماً بارزاً» في ركب الحضارة الإنسانية ومشاركة الشعوب المحبة للسلام في رص لبنات عالم جديد تسوده المحبة والوئام والعدالة إلى أن أقدم الطامعون على محاولتهم الحاقدة، «وأد التجربة الكويتية المبشرة»، في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م، حيث طال العدوان الغادر «منابر العلم والمعرفة في الكويت بهدف تدميرها»، وأسروا العشرات «من رجال الفكر والثقافة وأصحاب القلم الذين مازالوا بعد أكثر من سبع سنوات رهائن في سجون الظلام العراقية».

وبين وزير الإعلام «عالمية حقوق الإنسان وعالمية عدم جواز احتلال أراضي الغير بالقوة وعالمية حل النزاعات بالوسائل السلمية وعالمية رفض تطوير أسلحة الدمار الشامل»، داعياً للوقوف على مضمون العالمية «لإرساء الجوانب التي تخدمنا والتصدي للجوانب السلبية كعالمية مجتمع الاستهلاك المادي والتحلل الأخلاقي والديني».

وقال: «إننا نرفض كل دعوات الحداثة والتطوير التي ترى أن كل ما يأتي من الدين هو تخلف ورجعية وتزمت»، كما جدد رفض دعوات «الانغلاق على الذات بدعوى الحفاظ على الهوية»، وطالب بالأخذ بكل تطوير يفتح لمجتمعاتنا أبواباً واسعة على مستقبل مشرق.

بدوره أكد رئيس اتحاد الطلبة هشام الشاهين على جعل العرب والمسلمين شركاء فاعلين في توجيه الحضارة العالمية مطلع القرن مع الاحتفاظ بخصوصياتهم الثقافية وهويتهم الإسلامية.

من جانبه قال رئيس تحرير مجلة الدبلوماسي الدكتور محمد الهاشمي، إن على العرب والمسلمين رفع راية حوار الثقافات والحضارات والتواصل بين العرب وغيرهم والتقبل بيقين كامل أن الله إنما جعل الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا مشيراً إلى أن أقوى العوامل التي تفرز ثقافة العنف وغلق منافذ الحوار هو النزوع للتحصن بنوع من القبلية الأيديولوجية المتعصبة وبخاصة بين قبيلتين تتناقشان في أكثر الدول العربية تحت شعاري الإسلام والعلمانية.



مجلة الوعي الإسلامي

تعقد ندوتها الثانية

الشباب بين الواقع والطموح

عقدت «الوعي الإسلامي» مساء الاثنين ٢ ذي الحجة ١٤١٨هـ الموافق ٣٠ مارس ١٩٩٨م ندوتها الثانية تحت عنوان «الشباب بين الواقع والطموح»، تحدّث فيها كل من الدكتور عبدالعزيز الدعيج عميد شؤون الطلاب في جامعة الكويت، والأستاذ الدكتور عبدالله الشيخ الأستاذ في كلية التربية - «جامعة الكويت»، والأستاذ فيصل العبدالجادر، والأستاذ فيصل الزامل - رئيس تحرير مجلة النور، وتولى السيد عبدالعزيز بدر القناعي وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية إدارة الندوة.

وقد شارك في فعاليات الندوة كل من الأستاذ بدر القصار رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي»، والدكتور عماد الدين عثمان - المستشار الإعلامي في وزارة الأوقاف، والشيخ عيسى العبيدلي مدير إدارة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والأستاذ ماجد العلي مدير إدارة مساجد محافظة الجهراء.

د. الدعيج:

خروج المرأة للعمل حقق ما يُسمى بالأمومة الغائبة

أ.د الشيخ:

يجب أن نسعى لإكساب الشباب سمات مجتمع الغد

في بداية الندوة تحدث الوكيل المساعد عبدالعزيز البدر القناعي مرحباً بالحضور داعياً الله أن يبارك هذه الندوة، مشيراً إلى أن مجلة الوعي الإسلامي تصدر منذ ٣٤ عاماً، ولم تتوقف عن الصدور إلا في فترة الاحتلال، ونوّه إلى مدى انتشار المجلة، بالإضافة إلى قنوات جديدة ستفتح في بقية الدول، وأشار السيد الوكيل إلى أن المجلة في نمو مستمر، كما أكد ثبات خط سير المجلة، من حيث مواعيد صدورها، ونسب توزيعها، وأضاف أن الوزارة ستعيد النظر في ميزانية المجلة، وستحاول رفعها من ناحية مكافآت الكتّاب الذين يرسلون مقالاتهم إلى المجلة.

وأكد الوكيل المساعد أن الإدارة تحرص على أن يكون الكتّاب من الكتّاب المعروفين والمشهود لهم بالأثر الطيب، وأضاف أن إدارة المجلة وعلى رأسها رئيس تحريرها بدر القصار والمحررون، لا يألون جهداً في سبيل نشر الوعي والثقافة الإسلاميتين، والكويت ممثلة بوزارة الأوقاف تفخر بهذا المنبر الذي يصدح بالحق لينير الدرب، وفي بداية الندوة استشهد الوكيل القناعي بكلمة لسمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح - حفظه الله - عن الشباب يقول فيها: «لذلك فإن عملية بناء الدولة الحديثة يجب أن تواكبها عملية بناء الإنسان الكويتي وإعداده لمواجهة تحديات العصر، وسيكون للشباب النصيب الأكبر من عنايتنا واهتمامنا، فكويت الغد هي كويت الشباب - رجالاً ونساء - تنهض عروقها الفتية بدم الشباب، وتنطلق إلى المستقبل الزاهر بعزيمة الشباب وخطاه الواثقة، إننا نريد لشبابنا أن ينشأوا على الكفاح والجد والخشونة، والبعد عن الترف وحب المظاهر، مقتدين بآبائهم في الطموح وشدة المراس، وعدم الاسترخاء أو التواكل».

وأضاف الوكيل القناعي، قائلاً على لسان سمو أمير البلاد في فقرة أخرى: «إننا نتطلع إلى جيل جديد مؤمن بربه ووطنه يعكف على التزود بالعلوم والمعرفة والتقنية، ويجمع بين الأخذ بأساليب العصر الحديثة، والتمسك بديننا وقيمنا، ومثلنا وأخلاقنا، ويسعى إلى إثراء حضارتنا العربية والإسلامية العريقة بانتقاء الأنفع والأرفع من ثمار الحضارات الأخرى بغير خضوع أو انقياد». وعقّب الوكيل المساعد قائلاً: إن كلمة سمو أمير البلاد هي الخطوط التي تسير عليها الندوة التي تتابع الشباب المسلم داخل الكويت وخارجها.

كما ذكر أن الندوة - قد قسمت إلى محاور عدة:



د. عبدالعزيز الدعيج



د. عبدالله الشيخ

الأستاذ العبد الجادر:

الواقع الذي نعيشه مبني على تراكمات الماضي الذي بدأ بالخلل منذ ١٩٣٦م

الجانب التربوي في حياة الشباب

فالمحور الأول هو ما يخص الجانب التربوي في حياة الشباب تحدث فيه الدكتور عبدالعزيز الدعيج، حيث شكر في بداية الندوة الأخوة في وزارة الأوقاف وبخاصة مجلة الوعي الإسلامي على تنظيم هذا اللقاء مبيناً أن الكل متفق على أن الحديث عن الشباب حديث ذو شجون وهموم في الوقت نفسه، فالشباب هم فلذات أكبادنا، فالجهود تُرصّ لهم وكذلك الماديات وتتنافس عليهم الشعوب والأمم والأوطان، فالحديث عنهم يطول خصوصاً وأن حالهم اليوم لا يسرُّ، فهم في متاهات وضياع وانحراف عن جادة الصواب وهذا أمر محزن.

ومن البدهي أننا نعيش الآن في عصر مليء بالمتناقضات والتعقيد والمتغيرات، إذ لا يخلُ مجال من المجالات المعروفة كمجال الاجتماع أو السياسة أو الفن أو العلم أو الاقتصاد، أو غير ذلك من هذه المتغيرات، ومن هذه التطورات المعقدة، لذلك يقع علينا دور كبير ومسؤولية عظيمة وهي أن نعد الإنسان الفرد القادر على التعامل مع هذه التطورات والمتغيرات الجديدة في عالم معقد، لذلك فقد أوكل للعمل التربوي بوسائطه المتعددة للتعامل مع مثل هذه القضية المهمة، ألا وهي قضية الشباب ومشاكلهم وأوضاعهم وهو همٌّ وشأنٌ ومحط اهتمام الباحثين والمختصين، اما من الناحية الرسمية، أو من الناحية الشخصية، على مستوى بقاع العالم، فكل بلد يعتبر الشباب هم ثروة طبيعية لا تنضب، وهذا مردّه إلى إحساس كل مسؤول ومرب بقيمة وأهمية الشباب.

والشباب هم طريق تحقيق التنمية الاجتماعية المنشودة ونقصد بالتنمية «هي العملية المجتمعية الواعية الموجهة نحو إيجاد تحولات في البناء الاقتصادي والاجتماعي، تكون قادرة على تنمية طاقة إنتاجية مدعمة ذاتياً تؤدي إلى تحقيق زيادة منتظمة في متوسط الدخل الحقيقي للفرد على المدى المنظور وفي الوقت نفسه تكون موجهة نحو تنمية علاقات اجتماعية وسياسية تكفل زيادة الارتباط بين المكافأة وبين كل جهد وإنتاجية».

فالعامل المهم لتحقيق التنمية بأشكالها يكون بالتركيز على الشباب فيما يتمتعون به وما يملكون من قدرات تستطيع أن تحمل هذه الرسالة والأهداف.

والأديان كلها أيضاً اهتمت بالشباب، فالحياة قبل نزول الأديان كانت مخيفة، وغير منضبطة، كانت تعتمد على سطوة التحكم والذل والإذلال للإنسان، فلما جاءت الأديان وعلى رأسها الإسلام العظيم لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وضبطتها وتعرضت لها، لذلك وضعت القيم والمبادئ الدينية وكثيراً ما وجدت آيات في القرآن

الكريم تمجد الإنسان وتحفظ كرامته وتمتدحه، وإذا كنا نتحدث عن الإنسان، فلابد ومن باب أولى أن نحفظ حقوق وكرامة الشباب ونساندهم ونوفر لهم البيئة والوسط الذي يعيشون فيه انطلاقاً من الدين الإسلامي، لذلك نتمنى على أبنائنا الشباب وعلى مستوى العالم الإسلامي أن يتحلّوا بالمثل الإسلامية، التي يتوجها الإيمان بالله، وبالنفس، وبالقيم والمبادئ، من ناحية أخرى حينما نتحدث عن الشباب لا يمكن أن يفوتنا الحديث عن مشكلات الشباب، والتي من أبرزها، صراع القيم.

صراع القيم

ونعرّف القيمة أولاً بأنها: «صعوبة التكيف والتوافق بين الشباب بصفة عامة»، فالشباب في عصرنا هذا يحيا في عالم تضطرب فيه الحقائق العقلية، وتتباين تبايناً شديداً في اتصالها المباشر، وغير المباشر بالقيم الخلقية، والمثل الإنسانية، ومن ثمَّ يحاول الفرد أن يزاوج بين عقل أجدبت عاطفته، وعاطفة تأخرت عن عقله، والقيمة هي الاستقامة، وقد جاء في القرآن الكريم (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم).

فالإنسان الذي لديه قيمة، لديه استقامة ولديه اهتمام بشيء معين ومشكلات الشباب التي تتعلق بصراع القيم تجعلهم في متاهات وانزلاقات خطرة، وبخاصة في مرحلة المراهقة التي تمتد من ١٢ سنة إلى ٣٠ سنة، حسب اختلاف الآراء، خصوصاً في مرحلة البلوغ لأنها انتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة، حيث تتغير الأفكار والميول والمعتقدات والاتجاهات والتي تكون مختلفة ومتضاربة، ومن ثم فالشباب في هذه المرحلة يعتبر في أزمة حقيقية مع ذاته، وهذا باتفاق العلماء، لذلك نحن بانتظار تحديد الوسائط التربوية المناسبة للتعامل مع هذا الصراع القيمي، ومن أهم هذه الوسائط التربوية الأسرة والبيئة التعليمية والمناهج الدراسية ووسائل الإعلام، هذه الوسائط مهمة ولكن الأسرة تأتي على رأسها، فالأسرة هي عربة الوعاء الاجتماعي أو الوعي الاجتماعي والتراث القومي والحضاري، فهي أول ما تقع عليه عينا الإنسان، فيتلقى منها اللغة والعادات، فإنشاء الإنسان الصحيح هو الدور الأكبر للأسرة، والأسرة بين مجتمع وآخر تتبدل فيها أشياء كثيرة، فقد كانت الأسرة قديماً متماسكة، ولكنها الآن تغيرت، فقد خرجت المرأة من المنزل إلى معترك الحياة لأسباب عدة، ولفترات طويلة فتحقق ما يسمى بـ «الأمومة الغائبة» وهذا ينعكس سلباً على الأبناء، وتخلي الزوج عن أدواره الأساسية وتركها للزوجة بشكل مبالغ به يسبب اضطراباً للزوجة ويضعف من دورها الأساسي أيضاً، والأسرة من المفترض أن تمدّ الشاب بالزاد الروحي وتوصّل فيه الاتجاهات والقيم للحياة المنتظرة، هذه الأسرة يمكن أن تكون محل نقد أو ثورة من الأبناء، إذا لم يجد الشاب في أسرته ضالته المنشودة، وربما ينعكس هذا إلى نزعة عدوانية ويبحث عن البديل خارج الأسرة، لأن الأسرة لم تقم بدورها الصحيح بعد أن كان يعرف أنها المكان الذي يعد حرماً مقدساً بالنسبة له في طفولته، فإذا ما حدثت فيها تغيرات لأي سبب كان كالطلاق مثلاً، بحث الشاب عن البديل، ونظر إلى هذه الأسرة بعدوانية وهذا ما نلاحظه في تزايد على مستوى الكويت والوطن العربي بشكل عام، فالجرائد والصحف ملأى بمشاكل الشباب التي تعود أسبابها إلى مشاكل الأسرة، وهذا يدعونا إلى إيجاد الوسائل والسبل لدعم الأسر والتي تعتبر لبنة مهمة في أي مجتمع وهي بحاجة لمن يساندها ويدعمها بشكل رسمي أو غير رسمي، وذلك حتى تقوم بدورها لأنها أساس المجتمع.

الاختيار الصحيح أساس الأسرة

وأردف الدكتور الدعيج قائلاً: إن أساس الأسرة يبدأ من حسن الاختيار للزوج أو الزوجة المناسبة انطلاقاً من الحرص على المجتمع، فالإنسان له دور في مجتمعه، وبه يتميز عن باقي المخلوقات، وهذه الأسرة المبنية على الاختيار الصحيح هي التي يتوافر فيها المناخ الصحيح للتربية والمستلزمات الأساسية للحياة، وأكد أن الشباب هم امتداد للطفولة، فكلما زاد حرصنا على الطفولة زاد حرصنا أكثر فأكثر على الشباب، وضمنا بذلك المجتمع الصالح، وكذلك فإن هذا الطفل مرآة عاكسة لأسرته، ولهذا كان دور الأم في المجتمع دوراً عظيماً في العملية التربوية والتي تحتاج قدراً كبيراً من الحنان والمحبة الخالصين.

كرامة الطفل

وركّز على أهمية مبدأ الثواب والعقاب في التربية، وأوضح أن العقوبة يجب أن تكون عقوبة تربوية تراعي كرامة الإنسان، فالكثير منّا - حقيقة - لا يراعي كرامة الطفل الصغير سواء أكان طالباً أم طفلاً صغيراً في الأسرة، وبين أن مبدأ احترام الطفل وإعطاءه شخصيته المميزة يجب أن تكون منذ الصغر، فإننا بهذا سنكسبه، وإن جرحنا كرامته خسرناه، وللطفل حاجات أساسية ومهمة، مثل اللعب والمرح لزاماً علينا أن نتيح له البيئة الكافية ليمارس هذا اللعب دون مبالغة لأن اللعب حاجة فسيولوجية للطفل يجب إشباعها.

الحوار مع الشباب

وانتقل الدكتور الدعيج إلى الحديث عن مبدأ الحوار مع أطفالنا وشبابنا، فذكر أن من نحاورهم من الشباب يقدّرون هذا الحوار، وهذا يعبّر عن احترامنا لمن نحاور، فهذه الأمور يجب ألا نغفل عنها، والبيئة التعليمية لاتتميز عن الأسرة إلا باتساعها.

التربية الإسلامية

وعرّج الدكتور الدعيج على الحديث عن حصص التربية الإسلامية، وشكا من قلتها وعدم ملائمة أوقاتها والمشاكل في الجامعات، حيث أكد أن المجالات الدينية في الجامعات قليلة، فهي اختيارية ولا تناسب الطلبة، كما تتنازع الطالب التيارات الغربية ليكون في صراع قيمي صعب يتخبط في جنباته مع قلة البرامج الإعلامية التربوية، ليس في الكويت فقط، بل في مصر وسورية والدول الإسلامية عامة، وأن الإعلام يجب أن يوظف توظيفاً مناسباً لقيمنا ومبادئنا، حتى لا يؤثر سلباً على أبنائنا، فأفلام العنف تؤدي إلى الإضرار بالمراهقين.

الجانب الثقافي والفكري

ثم تحدث الدكتور عبدالله الشيخ عن الجانب الثقافي والفكري في حياة الشباب فقال: إنه عندما نحدد سمات مجتمع الغد يجب أن نعمل على إكساب هؤلاء الشباب تلك السمات، فلا يجب أن يكون هناك انفصام بين المجتمع والشباب، وتمنى لو كان في الندوة بعض الشباب ليطرحوا مشاكلهم بأنفسهم ومن ثم استشهد بداية بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أن المولود يولد على الفطرة... إلخ، حيث أكد أن الأسرة هي التي تمثل الخلفية الثقافية الأساسية لهذا الطفل الذي سيكون شاب المستقبل.

وذكّرنا بقول لرونالد ريغان الذي قال: «إذا أردت أن تنزع سلاح الأمة فانزع ملامح التربية منها»، فالتربية هي الثقافة والعلم إذا اعترى كليهما أو أحدهما خللٌ ماستكون عندها سهلة الانكسار، كما أورد قولاً لأحد الألمان حين قال: «إنهم لم ينهزموا عسكرياً بقدر ما انهزموا تربوياً وثقافياً»، ولعل الأمة العربية اليوم خير دليل على ذلك، فالسلاح فيها مكدّس من كل الأصناف، لكنها من الداخل تعيش في هزيمة فكرية وثقافية، وعدّد الثقافات الغازية مثل ثقافة «الديسكو» وقال: أهي ثقافة «الجينز» أي ثقافة الملبس، أم هي ثقافة المطعم والمشرب، ولكنه شدد على أن ما يهمنا هو الثقافة التي تهتم بالعادات والتقاليد، فثقافتنا وديننا يختلفان عن ثقافات غيرنا، فهم

مثلاً لايجدون ضيراً في خروج الشاب مع فتاة ما، ولكن ديننا يحرّم هذه العلاقة، ومع هذا نلاحظ الآن أن هذه العلاقة تسرّبت إلى أبنائنا.

الاهتمام بالفكر

ودَلَفَ الدكتور الشيخ إلى الحديث عن سن المراهقة، فبيَّن أن المراهق يحب أن يُلفت النظر إليه خصوصاً من الجنس الآخر، أي البنت تلفت نظر الشاب، والشاب يلفت نظر البنت، ويبتغون وسيلة للفت الانتباه من خلال المظهر والشكل وحلاوة اللسان أو حفظ الأغاني، فَيُهْجَرُ العقل وهنا يكون دورنا لتوجه المراهق التوجيه السليم حتى يكون بنَّاءً لا هدَّاماً وليكون اهتمامه بفكره أكبر من اهتمامه بملبسه، وأكد الدكتور ضحالة ثقافة طلاب المرحلة الثانوية، وأوضح ذلك من خلال المقابلات التي تجريها معهم الجامعة، فهم عارفون بقشور الثقافة الغربية، وقال إن الحل هو في المنهج المدرسي الذي هو خريطة بناء الإنسان، والمنهج يجب أن يركز على التعليم الذاتي كما يجب أن يكون متكاملاً لا تغلّب فيه ناحية على أخرى، وبهذا نتمكن من تشكيل الثقافة المناسبة.

الجانب الاجتماعي والسلوكي

ثم تحدث فيصل العبدالجادر عن الجانب الاجتماعي والسلوكي عند الشباب، فقال:

إن المجتمع الكويتي إسلامي الهوية، فالثقافة الإسلامية هي سمة المجتمع، وتقوم مؤسسات الدولة من منطلق الهوية الإسلامية، ولذلك فالهوية الإسلامية تحظى بالدعم من الكل والإسلام هو المصدر الرئيسي للتشريع للمجتمع، هذا من المسلمات، فلماذا تؤكد الكويت في الندوات والمحاضرات والصحف وغيرها على عروبة الكويت، وقيمها الإسلامية ومبادئها وغير ذلك في كل مرة وفرصة سانحتين، هذا دليل على وجود خلل ما. رآه هؤلاء «المنتدون»، وعبروا عنه من خلال هذه التوصيات التي يجب أن يكون عليها المجتمع الكويتي والذي يكوِّن جيل الشباب أهم فئاته. عندما نطرح الأسئلة يجب أن نعود إلى الوراء، كيف حصل هذا الواقع الحاضر، الماضي يقول إن المجتمع الكويتي قبل العام ١٩٣٦م كان مجتمعاً محافظاً نظرياً وعملياً كان الإسلام على قمة هرمه، وكان موجهاً لسلوك السكان على جميع المستويات، وهذا انعكس على المنهج التعليمي الذي كان يمثله «المطوع» الذي عكس رغبة المجتمع في منهج ديني محافظ وحقق المطوع هذا الأمر فخرج الأبناء جادين متحملين للمسؤولية، خرجوا ملبين لحاجات المجتمع دينياً ودنيوياً، ومن ثم عرِّج على الفترة التي أنشئ فيها مجلس المعارف، حيث عمد المجلس إلى استجلاب المدرسين من الدول العربية، وذكر أن واقعهم كان مخالفاً للواقع الذي كان يعيشه المجتمع الكويتي آنذاك، فقد كان واقعهم ممزوجاً بثقافات غربية فرنسية وإنكليزية، بل حتى تركية، ومن ثمَّ حاول هؤلاء المدرسون أن يضعوا نظاماً تعليمياً، ولكن غاب عنهم أمران هما:

١ ـ طبيعة المجتمع الكويتي.

٢ ـ حاجات وطموحات المجتمع الكويتي.

وقال إن النظام التعليمي أو الخطة الدراسية نَحَّتْ الجانب الإسلامي في جانب ضيق وأعطت الجوانب الأخرى الأهمية الكبرى بحسن نية ومن دون قصد، فالخطة الدراسية جاءت من العراق وفلسطين وهي خطة إنكليزية جاهزة.

ففيها مثلاً التربية البدنية والتي تظهر فيها عورات الطلاب، واستعرض بنود أهم التقارير التربوية موضحاً أن الفترة من العام ١٩٣٦م إلى العام ١٩٥٦م تميزت بـ:

١ ـ هناك خلل في عدد الحصص المخصصة للقرآن الكريم والدين، فأصبحت ٣٪ من المنهج الدارسي.

٢ ـ إدخال موارد دراسية ذات أثر سلبي على سلوك الطلبة.

٣ ـ إدخال مواد منهجية التاريخ والتي غفلت عن تاريخ الكويت والتاريخ الإسلامي.

٤ ـ المواد الدراسية لا تساعد على تنمية روح الولاء.

٥ ـ المواد الدراسية لا تساعد على معرفة تاريخ البلاد وجغرافيتها.

٦ ـ أسلوب التعليم لا يساعد على بناء شخصية الطالب وإعداده للحياة.

والفترة من العام ١٩٥٦م إلى العام ١٩٨٥م كان ملاحظ فيها التالي:

١ـ المناهج الدراسية لا تزرع في عقول الشباب المبدأ السليم في أن يكونوا منتجين لا مستهلكين.

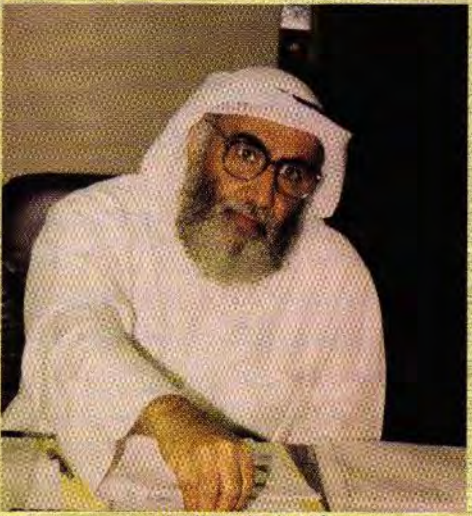
٢ ـ لا تنمي المناهج الدراسية السلوك الجماعي لدى الطلبة.

٣ ـ لا تنمي المناهج وضع المواطن إمكاناته في خدمة المثل الأخلاقية العليا.

وعن الفترة من العام ١٩٨٧م إلى العام



فيصل الزامل



فيصل العبدالجادر

الأستاذ الزامل: الصحافة لعبت دوراً كبيراً في التغريب بعرض قضايا لا أهمية لها

العبيدلي: الشباب ضحية لجهات ثلاث: الأسرة والبيئة التعليمية والإعلام

الجاري:

١ ـ ليس هناك اهتمام بزيادة شعور المتعلمين بالانتماء.

٢ ـ ليس هناك اهتمام بتكوين اتجاهات إيجابية نحو العمل المهني المنتج، ثم ذكر أسماء بعض معدي التقارير التعليمية من عرب وأجانب.

إذن هناك خلل وسلبيات مؤلمة، ثم أشاد نظرياً بمناهج التربية، ولكنه انتقد التطبيق. فالخلل هو في التطبيق، وأنحى باللائمة على المعلم وطريقة التدريس، فهو يختلف عن المجتمع قيمياً ولكنه ذكر أيضاً سلبيات المعلم الكويتي والذي غالباً ما يمتاز بالكسل واللامبالاة.

ظواهر سلوكية سلبية

وفي دراسة أعدت عن هذه المشكلة أجاب بأن سبب هذه اللامبالاة، من الشباب هو أن هناك ظواهر سلوكية سلبية ادخلت إلى الكويت، وتبناها المجتمع، وذلك لأن المجتمع الكويتي منفتح على العالم بلا «فلترة»، وبيَّنت الدراسة أن أكثر الفئات عرضة للانحراف هم الشباب في المرحلتين المتوسطة والثانوية والكثير منهم في العشرينات من أعمارهم وهذه الفئة بدأت تتقبل أنماط الحياة الغربية.

وفي تقرير آخر أعدته إدارة رعاية الأحداث جاء فيه عن ظاهرة انحراف الأحداث: «إن حالات انحراف الأحداث الذين ينتمون للمرحلة المتوسطة من التعليم العام قد احتلت المرتبة الأولى من المراحل التعليمية، وبنسبة ٧١٪ من مجموع الحالات، وأن الفئات العمرية من ١٥ إلى ١٦ سنة قد احتلت أيضاً المرتبة الأولى بنسبة ١٩٪ تقريباً، وأن نسبة الأحداث الذين يرتكبون الانحرافات الواقعة على النفس ٣٢٪.

إذن هناك انحرافات للشباب مع وجود المثل الطيبة في التعليم والأسرة والإعلام.

وفي تقرير آخر يذكر أن عدم الاتساق بين أجهزة الدولة وغياب الهوية الموحدة التي تكرس الأجهزة المختلفة تدعيمها والحفاظ عليها هي من أوسع الأبواب التي تؤدي إلى الانحراف وتنامي الجريمة.

ختاماً أوضح أن الواقع الذي نعيش فيه مبني على تراكمات الماضي، والماضي بدأ بالخلل منذ العام ١٩٣٦م.

دور الصحافة ووسائل الإعلام

ثم تابع فيصل الزامل رئيس تحرير مجلة النور الحديث عن الشباب بتعليقه على الصحافة التي لا تنشئ وضعاً بذاتها، بل تعكس أو تروّج لبعض الظواهر دون غيرها.

وقسَّم الصحافة قسمين، صحافة في مجتمع غربي، وصحافة في مجتمع عربي مقيد الحريات، أو محدود الحريات، ففي المجتمع الغربي ليس للصحافة دور في تشكيل سلوك الشباب، إنما هي أداة لتبادل المعلومات، وفي المجتمع العربي المقيد الصحافة، أداة توجيه للشباب نحو فكر معين، وأشاد بالصحافة الكويتية التي تعالج القضايا الملتهبة، وتطرح الأسئلة الصعبة.

إذن في ظل الحريات، الصحافة لها دور كبير ويمكن أن نقسّم الشباب إلى شطرين: شباب جامعي، وشباب غير جامعي.

فالشباب الجامعي مسؤول ويشكل أداة ضغط فاعلة «لوبي» وله دور، وشباب غير جامعي أخذ النمط الغربي الاستهلاكي ويمثل حزمة غربية من السلوك الاجتماعي المغاير لسلوكنا، والصحافة لعبت دوراً كبيراً في هذا التغريب من خلال عروض الأزياء التي تظهر في الصحف والتي تعكس أزياء تغاير أزياءنا، وتطرح قضايا لا أهمية لها مثل قصة الأميرة ديانا، وأكد أن الصحافة أصبحت هي في نظر الناس المقياس الذي يُظهر أهمية الفئة التي تطرح قضيتها مثل قضية المعلم والإطفائي، والبلدية، فأصبحت الصحافة وسيلة لتكريم المهن والشرائح الاجتماعية، وبيَّن إيجابيات الصحافة فقال: إن الصحافة هي صمام التنفيس للكبت الذي يمر به جيل الشباب، وكذلك فإن هناك صحافة إسلامية تخصصت في تصدير الفكر الإسلامي، وهناك أيضاً علاج لموضوع المخدرات تضطلع به بعض الصحف مثل: المدمن المجهول، والصحوة الإسلامية أفادت من صحافة التواصل مع المجتمع، بل هي قد تطور الخطاب الإسلامي، وتعرّف بالكثير من الأقلام الإسلامية، وأكد أن الصحافة هي أداة إذا أُحسن استخدامها تكون أداة مساعدة ومفيدة، أما إذا أسيء استخدامها ـ مثل قيام بعض الكتاب بمناهضة الفكر الإسلامي والشريعة ـ تكون معول هدم لشبابنا وديننا الإسلامي وختم حديثه بواقعية وجود اضطراب فكري وقيمي وعلى الصحافة إحداث سلم اجتماعي.

وعقب الدكتور عبدالعزيز الدعيج بقوله: علينا ألا نستسلم للإحباط في معالجة قضايا الشباب، حيث يجب أن نعالج هذه القضية ونتسلح بسلاح التفاؤل.

وأشار إلى أن قضية التربية في الوقت الحاضر ليست من الأولويات، فهي تأخذ جانب التوصيات غير الملزمة، ففي دراسة أوضحت أن المؤسسات الرعوية لا تولي التربية وقضاياها أهمية، فهم في شغل دائم عن هذه القضية وألح إلى أهمية استغلال علاقة الطالب بمعلمه الذي قد يكون أقرب إلى الطالب من والده أو أسرته.

وعن الصحافة طالب بعملية ضبط وتوجيه لأقلام الشباب حتى لا ينجرفوا إلى الخطأ والتجريح بدافع الحماس.

وتحدث الشيخ العبيدلي قائلاً: إن الإخوة في الندوة قد سبقوه في بحث هذا الموضوع، وإيجاد الحلول الناجعة له مبيناً أن الشباب في الوقت الحاضر تتنازعه جهات ثلاث هي: الأسرة والبيئة التعليمية ـ متمثلة في المنهج ـ والإعلام، وقال إن هذه الجهات مسؤولة مسؤولية مباشرة عن الشباب، وسبل تقويمه، وإن كان ينحي باللائمة الكبرى على الأسرة، وخص الأب بالحمل الأكبر من المسؤولية لأنه ربّ الأسرة وعليه تقع قوامتها، ولأن البيئة التعليمية والإعلام يحتاجان وقتاً طويلاً لتقويم الخلل فيهما وعليه فإن الأسرة هي الحل الأقرب والأسرع، وشدد الأستاذ العبيدلي على أهمية القدوة والتي يفتقدها شباب اليوم فقال: إن الشاب يبحث عن القدوة فلا يجدها فيتعلق بقدوة لا تناسبنا ولا تناسب قيمنا، فقدوتنا يجب أن تكون ممثلة برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ثم رجال الشرع والوالدين إن صلحا.

وأضاف السيد القناعي معقباً: إن للصحافة دوراً ريادياً في موضوع نقل القضايا وإيصالها إلى مفردات المجتمع من أب وأم وابن.

وعرّج على أسلوب علاج المشاكل بين الأب وأبنائه، فمن المعروف أن الأب يمثل قمة الهرم ورأس الأسرة، والمعالج والمسؤول، لكن جيل اليوم يرفض هذا الدور للأب إذا لم يَقْنَعْ بكلامه ـ أي كلام الأب.

فكلام الأب ليس من الضروري أن يكون سليماً، لذا يجب على الأب أن يستمع للابن ويحاوره، ويحاول إقناعه ويكسبه إلى صفِّه.

وعن موضوع التربية الدينية، قال إن الدين هو حصانة وسلامة لعقول ومفاهيم الشباب، فهو حاجة ضرورية وملحّة وليس كما يُقال ويُثار في الصحف اليوم بأن الدين سياسة يجب أن نواجهه ونحجّمه، ومن ثمَّ يجب علينا أن نفيد من الدين ونوظّفه الوظيفة الملائمة باعتباره السد المنيع الذي نحتمي به.

من ثمَّ اختتم السيد الوكيل الندوة متمنياً أن تكون مثل هذه الندوات والمحاضرات خطوة تدنينا من طريق الصلاح، ولبنة من لبنات بناء الفرد المتكامل دينياً وأخلاقياً وعلمياً. ■

تحت رعاية الشيخ/ صباح الأحمد

الكويت تنظم «مؤتمر الكويت حول الطرق السريعة للمعلومات»

كتب: د. عماد الدين عثمان

تحت رعاية الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية نظم معهد الكويت للأبحاث العلمية بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وجامعة الكويت وجهات كويتية عدة، «مؤتمر الكويت حول الطرق السريعة للمعلومات»، شارك في المؤتمر عدد كبير من المتخصصين والعلماء ومتخذي القرار على المستويين المحلي والدولي، وناقش المؤتمر عدداً من المحاور... من خلال الجلسات العلمية التي اشتملت على محاضرات باللغتين العربية والإنكليزية مع الترجمة الفورية لها.

ودعا وزير المواصلات في افتتاح المؤتمر الجهات والمؤسسات الوطنية ذات الصلة المباشرة بقطاع المعلومات إلى المبادرة بجهود جماعية لصياغة رؤية موضوعية وطنية لواقع المعلوماتية محلياً وعالمياً... وكذلك ضرورة دراسة نتائج تأثير المعلوماتية في جميع وجوه الحياة للاستفادة منها وتحديد الجوانب السلبيبة فيها وتجنبها.

كما أوضح الممثل الشخصي للأمين العام لجامعة الدول العربية الدكتور سعود عبدالعزيز الزبيدي إلى أن استشراف آفاق المستقبل يرتكز على التعليم والمعرفة مع الاستفادة من المقومات الفكرية والبشرية والمادية.

وأشار الدكتور الزبيدي إلى إيجابية أن تصبح المعرفة فرصة متاحة للجميع، يمكن من خلالها تحقيق طفرات تنموية وردم الهوة الحضارية التي تفصل بين الأمم المتقدمة والأمم النامية، وهذه الفرصة حققتها ثورة الاتصالات غير التكنولوجية الحديثة التي ساهمت في إيصال المعلومة إلى أي مكان وفي فترة زمنية قياسية.

وأضاف أن أحداث أغسطس ١٩٩٠م يجب ألا تكون عائقاً في مسيرة التقدم والتنمية، بل حافزاً للكويت لتتابع زحفها نحو الحضارة



إحدى جلسات المؤتمر.

أمين الجامعة العربية: حجم الكويت الثقافي منحها مكانة متميزة بين الأمم المتقدمة

والثقافة والديموقراطية، ويتميز هذا الزحف بأن أعطاها حجماً حضارياً يفوق حجمها الجغرافي ومكانة متميزة بين الأمم المتقدمة.

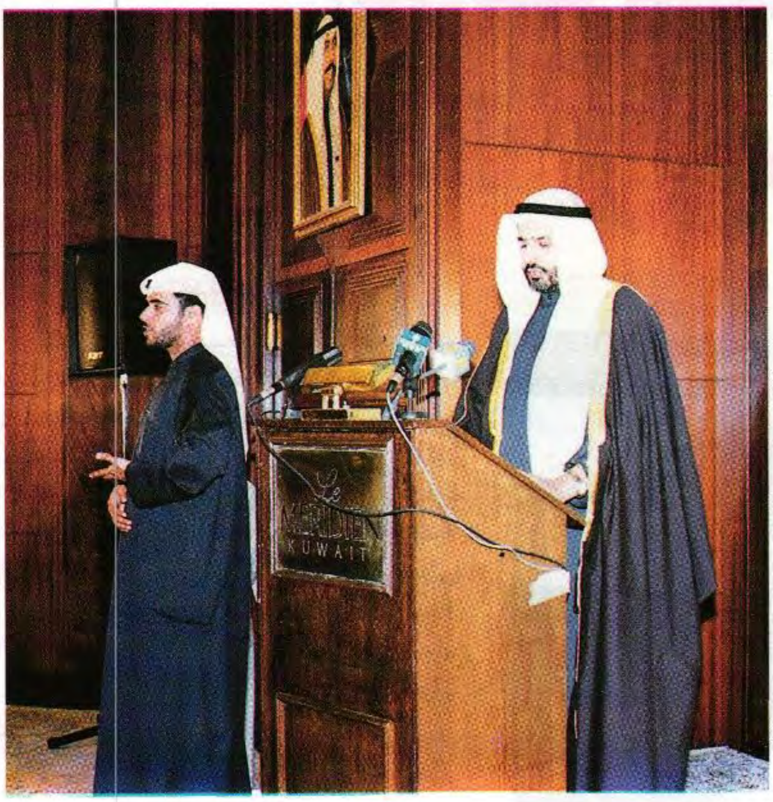
ودعا ممثل الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية الدكتور بشر مرزوق بشر إلى الإسهام في ثورة الاتصالات المتطورة، والمتلاحقة في مجال المعلومات والأخذ بكل ما هو إيجابي ومفيد للمجتمعات العربية والثقافة العربية والعقيدة الإسلامية.

وقد اشتملت فعاليات المؤتمر والتي استمرت ثلاثة أيام على الكثير من الأنشطة، شارك فيها نخبة من الشخصيات العلمية المحلية والعالمية، وقدمت فيها ٤٨ ورقة علمية من خلال عشر محاضرات رئيسية، وتسع ورقات وطنية من دولة الكويت والسعودية ودولة البحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة... إضافة إلى ٢٩ ورقة علمية من علماء ومتخصصين في مجال نقل المعلومات يمثلون أكثر من ١٥ دولة.

وقد ناقشت الأوراق المقدمة موضوعات عدة من أهمها: تطبيقات الطرق السريعة للمعلومات، الجوانب الإدارية والاجتماعية، الجوانب التقنية، بالإضافة إلى عرض الحال الراهنة والرؤية المستقبلية في الأقطار والمنظمات العربية.

وقد أقيم على هامش المؤتمر معرضاً ضم (٣٠) جناحاً عرضت لكل ما يتعلق بتقنيات الطرق السريعة للمعلومات والاتصالات.■

من أجل وقاية الشباب من تعاطي المخدرات



كتب: تمام أحمد

تحت رعاية سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح شهد فندق مريديان الكويت خلال الفترة بين ١٧ ـ ١٩ ذي القعدة ١٤١٨هـ الموافق ١٦ ـ ١٨ مارس ١٩٩٨م فعاليات المؤتمر العالمي الأول حول «دور الدين والأسرة في وقاية الشباب من المخدرات والذي نظمته الجمعية الكويتية لمكافحة المخدرات المنبثقة عن الجمعية الكويتية ـ لمكافحة التدخين والسرطان بالتعاون مع الجمعية الكويتية التطوعية النسائية لخدمة المجتمع ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي والمركز الدولي للوقاية من الإدمان في المدارس.

ولي العهد رعى افتتاح المؤتمر العالمي الأول حول دور الدين والأسرة في وقاية الشباب من تعاطي المخدرات

الوقاية من المخدرات مسؤولية جماعية

وفي الكلمة الافتتاحية التي ألقاها د. عادل الصبيح وزير الصحة نيابة عن سمو ولي العهد راعي المؤتمر أشار فيها إلى أن مشكلة المخدرات برزت كواحدة من أكبر المشاكل الاجتماعية والصحية على الصعيد العالمي، وباتت تؤرق المجتمعات وتهدد التنمية، لما لها من آثار خطيرة ليس على المتعاطي فحسب، بل على المجتمع كله، وبخاصة اللبنات الرئيسية منه، وهم الشباب عماد الأمة وأمل المستقبل، فضرر المخدرات على الفرد لم يعد موضوع خلاف أو في حاجة للاستدلال، فهي تسمم البدن وتشل العقل وتستدرج صاحبها لارتكاب المعاصي والجرائم وخيانة نفسه وأسرته ومجتمعه، وعادة ما ينتهي المدمن إلى الجنون أو السجن أو الانتحار، وبانحراف الأفراد تنحرف المجتمعات وتتخلف عن ركب الحضارة والتطور، وتفتقد أعز ما تملك من الروابط الأسرية

د. عادل الصبيح:

ضرر المخدرات على الفرد لم يعد موضوع خلاف أو في حاجة للاستدلال

والعلاقات الاجتماعية.وأكد الوزير أن للكويت دوراً متميزاً في مكافحة الإدمان على المستويين العربي والدولي، وعلى رأسها إقرار الكويت للاستراتيجيات العربية والدولية لمكافحة استعمال المخدرات والمؤثرات العقلية وتنفيذ توصياتها.

وأشار إلى أنه إزاء ذلك أولت الدولة بتوجيهات من سمو أمير البلاد وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الاهتمام الكبير لمكافحة المخدرات على كل المحاور ووفرت كل الأسباب لمكافحة هذا الداء الخطير من خلال جهود وطنية تمثلت في إنشاء اللجنة الوطنية العليا لمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية، وتشديد العقوبات على تجار السموم.

عوامل اجتماعية تساعد على تعاطي المخدرات

ثم ألقى المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لإقليم شرق المتوسط د. حسين الجزائري كلمة المنظمة التي أكد فيها أن تعاطي المخدرات بصورة عامة هو أكثر من مشكلة صحية فهو يمثل أيضاً تحدياً أخلاقياً واجتماعياً واقتصادياً سافراً وله ما له من تبعات وأبعاد وبائية وخيمة.

ونفى قدرة المرء على أن يزعم أن أي بلد أو مكان في العالم يخلو من هذا الداء، وقال إن أبسط حجة على ذلك أن واحداً من هذه المخدرات على أقل تقدير وهو التبغ موجود في كل مكان لا يكاد ينال منه تحريم ولا يقيد انتشاره حظر قانوني، وتنطبق القاعدة نفسها على المسكرات في كثير من بقاع العالم، كما أنه لا يمكن اعتبار أي قطر خالياً من العقاقير المخدرة الممنوعة أو غير المشروعة.

وأكد د. الجزائري أن المنطقة الجغرافية التي تضم إقليم شرق المتوسط تعتبر من المناطق التي تواجه تهديداً مباشراً بفعل تعاطي المخدرات ومعاقرة مجموعة كبيرة من المواد النفسانية التأثير المباحة قانوناً، كما أن إقليمنا هذا يعتبر من أهم مناطق عبور المخدرات في العالم وبالتالي فهو عرضة لنشوء وتفاقم الكثير من المشكلات الصحية والاجتماعية والاقتصادية.

وتناول د. الجزائري بعض العوامل الاجتماعية التي تسهم في التشجيع على تعاطي المخدرات، والاحتمالات الواقعية على طريق الوقاية من هذا البلاء، وأكد أن الأسرة أهم مؤسسة اجتماعية على الإطلاق، وأن أهم الجوانب الأساسية في سلوك الفرد إنما تتكون وتأخذ شكلها النهائي في إطار الأسرة، وأن الأسرة التي تحيا حياة طبيعية لا تكلف أفرادها عناء التماس الرضا من مصدر خارجي مصطنع، وهي توفر الجو الطبيعي الآمن لتبادل الأفكار وتقاسم العواطف، كما أنها تتيح لكل أفرادها فرصة تطوير مواهبهم والتعبير عن حاجاتهم، ولذلك يستحيل على أي فرد في أسرة مثالية كهذه أن يشعر بالحاجة إلى التماس الراحة في المخدرات.

الأول إنقاذ الإنسان

ثم ألقى د. عبدالرحمن العوضي رئيس اللجنة العليا للمؤتمر كلمة أشار فيها إلى دواعي تنظيم المؤتمر وبين مدلول كلمة المخدرات والوسائل التي يتبعها مروجو المخدرات، وأكد أن



د. عبدالرحمن العوضي: يجب أن نعمل على إنقاذ الإنسان وتحصينه ضد آفة المخدرات

التصدي لهذه الآفة الخبيثة والشرسة بات الشغل الشاغل لكل من يحاول إيقاف هذا المد الخطير الذي أخذ يهدد المجتمعات ويهز أركان الاستقرار الاجتماعي والأمني في جميع المجتمعات، وفي هذه المعركة نسينا الإنسان الضحية الذي أصبح سلعة تتداولها هذه الفئات المجرمة.

وأضاف إن الإنسان الضحية هو الذي يجب أن نعمل على إنقاذه وتحصينه ضد هذه الهجمة الشرسة التي يتعرض لها، وأهم مقومات هذا الإنسان هو شخصه وعلاقته الإيمانية بربه وبدينه الذي يحميه من الزلل، ومن بعد ذلك أسرته التي تتمكن من صونه وإنقاذه من براثن هؤلاء القتلة الذين استرخصوا دم الإنسان.

وأكد أن هذا الأمر يدعونا لأن نشدد على ضرورة تحصين أفراد المجتمع الإسلامي بالدين ووقايته من شرور نفسه الشريرة وتربيته التربية الإسلامية الصحيحة التي توطد علاقته بربه وإذا تمكنا من توطيد هذه العلاقة نكون قد حققنا كمال الإنسان ويكون ربه حامياً له لأن من يحتمي تحت ظله وهدايته فلا مضل له.

التوعية الأسرية ضرورة

أما رئيسة المكتب التنفيذي للمؤتمر الشيخة حصة سعد العبدالله فقد بينت أنه نظراً للتشعب في المهام التي حصلت في العالم نتيجة للتقدم الهائل في كل المجالات وما صاحب ذلك من ثورة اجتماعية شاملة فقد تولت المجتمعات الإنسانية المتحضرة نفسها بنفسها تحسس مشاكلها والتخطيط لحلها تساعدها على ذلك المؤسسات الرسمية، وبذلك يكون الدور الايجابي الرئيسي لتقدم المجتمع هو المجتمع نفسه بالدرجة الأولى وذلك بخلاف ما كانت تلتزم به الحكومات المركزية في الماضي، ومن هذا المنطلق أصبح للمؤسسات الأهلية دور بارز في تطوير المجتمع والعمل على رفاهيته، ولهذا أخذت اللجنة الكويتية لمكافحة المخدرات على عاتقها كمؤسسة أهلية تنظيم هذا المؤتمر.

وأكدت أهمية الاعتناء بالأسرة وتوعيتها لدورها المهم الذي تلعبه في حياة الناشئة والأجيال القادمة، وكيفية المحافظة على صحتهم ووظائفهم الحيوية، وإكسابهم العادات الاجتماعية المطلوبة، وكيفية تكوين العلاقات مع الآخرين وتمكين الأسرة من إشباع الحاجات الضرورية لأبنائها، وذلك يعتبر من أهم الخطوات التي يجب أن تتخذ، إذا ما أردنا مجتمعاً قوياً متماسكاً، وأجيالاً قوية لاحقة تحمل الراية من بعدها.

ومن ناحيته، استعرض المقرر العام للمؤتمر د. خالد الصالح فكرة انعقاد المؤتمر التي جاءت مصاحبة لتشكيل اللجنة الكويتية لمكافحة المخدرات والتي تمثل وجه العمل التطوعي لمواجهة أخطار آفة المخدرات في البلاد، مشيراً إلى أن الإعداد للمؤتمر أخذ مدة سنتين من

الجهود المتواصلة لكي تصل الرسالة التي يراد إيصالها من خلاله واضحة نقية ولاسيما لفئات الشباب.

أبحاث المؤتمر

في اليوم الأول للمؤتمر قدم الدكتور محمد رمضان بارة بحثاً في حكم الاتجار غير المشروع بالمخدرات في الشريعة الإسلامية والتشريعات العربية، تناول فيه مفهوم الاتجار غير المشروع بالمخدرات، وحكم القرآن الكريم في الاتجار غير المشروع، وتأييد السنة لحكم القرآن ورأي فقهاء الشريعة الإسلامية القدامى والمحدثين، ودور التشريعات العربية في منع ومكافحة الاتجار غير المشروع، ومقارنة حكم الشريعة بأحكام التشريعات الوضعية.

وقدمت رئيسة اللجنة الدينية في جمعية بيادر السلام مريم الحجي بحثاً حول الواجب الشرعي للأم والأب في وقاية الأبناء من التعاطي، وأوضحت خطورة هذه الجريمة في حق المجتمع والأفراد، كما استعرضت الدوافع التي أدت إلى انتشار مثل هذه الجرائم في مجتمعنا، وأهمها التفكك الأسري وضعف الوازع الديني والحرية غير السوية.

أما الدكتور زايد الحارثي من قسم علم النفس التربوي في جامعة الكويت فتحدث عن الدين ودوره في الوقاية والعلاج من المخدرات، وقال إنه مع تزايد واستفحال مشكلة المخدرات وتأثيراتها على الأفراد والمجتمعات والخوف من خروج هذه المشكلة عن الضبط، بل العلاج، تزايد الاهتمام بالبحث عن حلول قريبة وبعيدة لهذه المشكلة، كما وتزايد الانفاق على دراسة أسبابها



د. حسين الجزائري:
إقليم شرق المتوسط أهم مناطق عبور المخدرات في العالم!!

وطرق علاجها واستعرض بعض المؤشرات الإحصائية الحديثة عن المخدرات في دول الخليج العربي.

وفي دراسة من د. بسام الشطي، من قسم العقيدة والدعوة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت، أشارت إلى أن ظاهرة التعاطي والاتجار بالمخدرات لدى الشباب مشكلة كبيرة.

وتهدف الدراسة إلى معرفة مدى ما يعانيه المجتمع من مشكلة تعاطي المخدرات وتسليط الأضواء على الأبعاد النفسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المشكلة، وتحديد العوامل والأسباب المؤدية للإدمان عند الشباب، وتوعية المجتمع من خطر الإدمان.

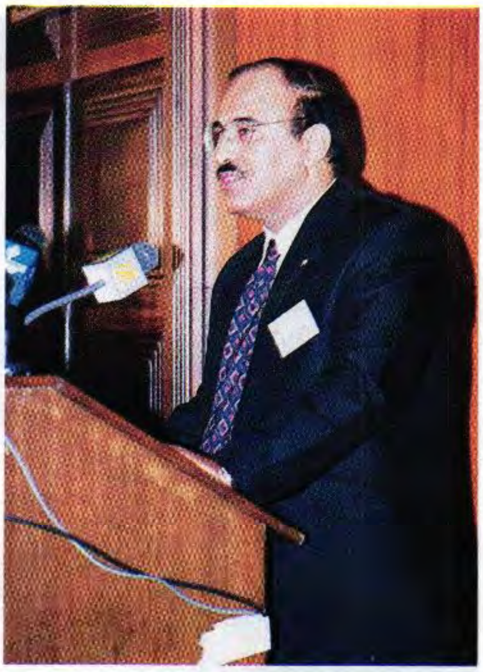
كما قدم د. محيي الدين أحمد حسين أستاذ ورئيس قسم علم النفس في كلية الآداب بجامعة القاهرة بحثاً حول الأسرة كآلية مواجهة لسلوك تعاطي المخدرات في إطار مستويات ثلاثة من الوقاية، أشار فيه إلى أن الأسرة تمثل سياقاً اجتماعياً ونفسياً على مستوى عال من الخطورة والأهمية، فهي سياق اجتماعي مهم لأنها بدورها المنشئ للأبناء ومنذ بواكير أعمارهم تشكل مصدراً للرعاية في صورها المختلفة فضلاً عن قدرتها بوصفها جماعة أولية على تحديد الآليات التي تحدد كيفية تفاعل الأبناء مع الإطار الاجتماعي العريق بملابساته ومتغيراته المختلفة، كما أنها سياق نفسي شديد الأهمية لأنها تعد أسبق السياقات الاجتماعية النافذة بتأثيرها على سلوكيات الأبناء.

من جانبه تحدث الدكتور عبدالله السيد عسكر عن الاضطرابات النفسية وعلاقتها بتعاطي المراهقين للبانغو، حيث تناول فصائل النباتات المخدرة التي شاع استخدامها تاريخياً باسم الحشيش والمعجون والكشف عن علاقة الاضطرابات النفسية بتعاطي البانغو لدى عينة من المراهقين من طلاب المدارس من الذكور، كما

يداً واحدة ضد المخدرات

وفي تظاهرة وطنية أقيمت في مرفق الجزيرة الخضراء الترفيهي في الواجهة البحرية تحت رعاية الشيخة حصة سعد العبدالله السالم الصباح، تحت شعار «يداً واحدة ضد المخدرات» وذلك يوم ١٩٩٨/٣/١٩م، حيث أقيم ماراثون رياضي وألقيت في العديد من الندوات والمحاضرات والبرامج التوعوية، وتم توزيع البروشورات وافتتح معرض توعوي شاركت فيه وزارة الداخلية، ممثلة بإدارة مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية والخمور، في الإدارة العامة للمباحث الجنائية، ولجنة «بشائر الخير» ومجموعة «المدمنون المجهولون» وجمعيات نفع عام عدة، منها الجمعية الكويتية لمكافحة التدخين والسرطان، واللجنة الكويتية لمكافحة المخدرات، وتضمنت التظاهرة الوطنية الكثير من الفعاليات والفقرات الترفيهية والترويحية والتوعوية.

وألقت الشيخة حصة كلمة -خلال التظاهرة في ختام الماراثون وبعد توزيع الجوائز على الفائزين- أشادت فيها بدعم ورعاية سمو أمير البلاد، وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، بما يحقق النجاح للجهود المبذولة في سبيل مكافحة آفة المخدرات، ووقاية المجتمع منها، وبنجاح فعاليات المؤتمر.





أكدت الدراسة نتائج الاتجاهات السيكودينامية الحديثة لتفسير الإدمان.

كما ألقى الدكتور الحسين عبدالمنعم محاضرة حول العوامل النفسية والاجتماعية المرتبطة بتعاطي المخدرات وتحدث فيها عن الإعداد لإقامة جهاز رصد الصورة المتجددة أولاً بأول مع خلاصة شديدة التركيز للنتائج التي كشفت عنها الدراسة بين طلبة مدارس الثانوية العامة والفنية «الصناعي والزراعي والتجاري» وتبين من الدراسة أن نسبة من تعاطى المخدرات الطبيعية من بين تلاميذ مدارس الثانوية العامة البنين ٩٤, ٥٪ من العينة وهؤلاء يضمون معهم كل من تعاطى هذه المواد بأي مستوى من التعاطي حتى ولو كان مرة واحدة لم تتكرر.

الشيخة حصة سعد العبدالله:
المؤسسات الأهلية لها دور بارز في تطوير المجتمع وحمايته من الآفات الاجتماعية

وفي اليوم الثاني للمؤتمر تحدثت الدكتورة بثينة المقهوي عن التدريب على المهارات العلاجية للمعتمدين على تعاطي الكحول والمخدرات كما تحدث الدكتور حمود القشعان عن أسر المدمنين وماذا يجري وكيف تعيد توازنها إضافة إلى ذلك تحدث الدكتور حمود الحطاب والدكتور عصام نوفل وربيعة الرندي عن اتجاهات طلبة المرحلة المتوسطة نحو المخدرات وكذلك تحدث الدكتور عايد الحمدان عن موقف متعاطي المخدرات من الأسرة والمجتمع في حين تحدث الدكتور سعود الضحيان والدكتور نايف المطيري عن التفهم الأسري للمريض وارتباط ذلك بعودته إلى الإدمان. وقدم د. خالد الصالح ورقة عمل بعنوان: «دور الجمعيات الأهلية في مكافحة المخدرات»، صنف من خلالها جمعيات النفع العام حسب اهتمامها بقضايا المخدرات وإبراز دور كل جمعية في وسائل التوعية والعلاج.■

توصيات المؤتمر

وفي ختام فعاليات المؤتمر أصدر المؤتمرون توصيات عدة، تتعلق بمرتكزات دينية واجتماعية ونفسية وطبية، أهمها التأكيد أهمية التوعية الدينية الصحيحة لجميع فئات المجتمع، ودور الدين في علاج حالات الإدمان، وضرورة الإفادة من تأثير الإيمان في تقوية الإرادة والمناعة لدى الإنسان.وأكد المؤتمر أهمية دور الأسرة وبخاصة الأم في بناء الشخصية السوية للأبناء وتدعيم الروابط بين أفراد الأسرة في سبيل وقاية وعلاج المدمن، إضافة إلى دور المدرسة ومؤسسات الرعاية الاجتماعية.

ودعا المشاركون إلى ضرورة التوسع في طرق العلاج النفسي، وإعداد مراكز للعلاج والتأهيل واستخدام الوسائل الجماعية في العلاج، والاهتمام بتأهيل حالات التعاطي، وتوفير الإمكانات اللازمة لجمعيات النفع العام في مجال وقاية وعلاج المدمنين.

وأصدر المؤتمر أيضاً مجموعة من التوصيات العامة، كالدعوة إلى التنسيق بين الجهات الصحية والأمنية والاجتماعية والدينية والتربوية والإعلامية، في مجال مكافحة المخدرات، ودعم جهود الجمعيات غير الحكومية.

وأكد المشاركون ضرورة التنسيق بين الجهود المحلية والعربية في مجال الوقاية من المخدرات، والإفادة من خبرات المنظمات العالمية، كبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات، ومنظمة الصحة العالمية.

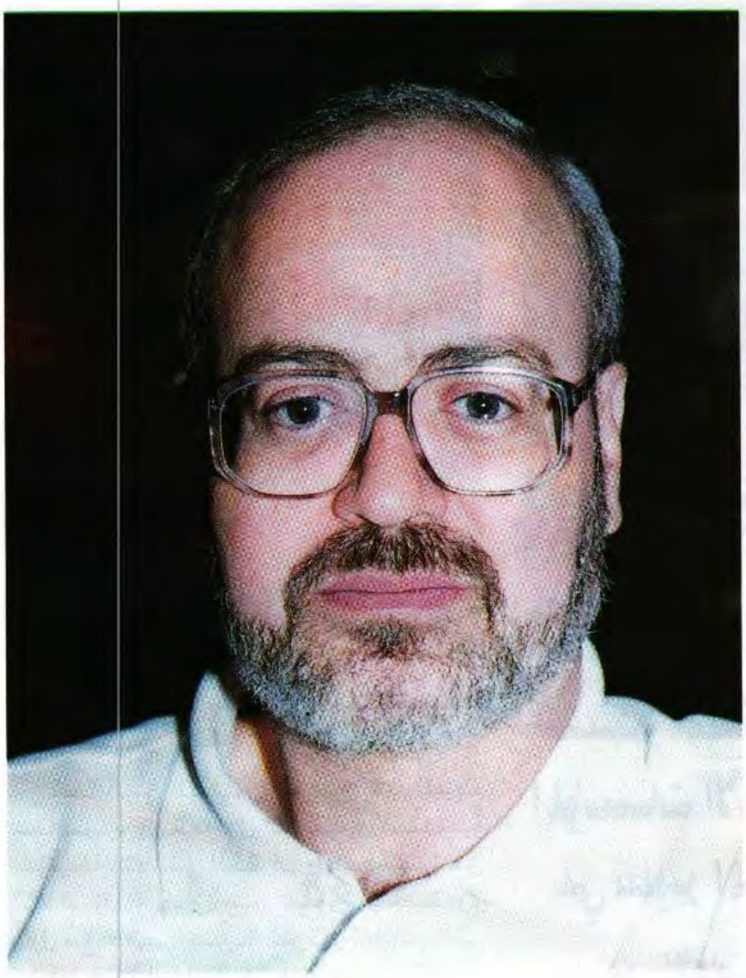
ب المؤتمر بقيام برنامج الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات بفتح مكتب إقليمي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا في القاهرة العام الماضي، ودعا الحكومات العربية للإفادة منه.

وأطلق المشاركون على البيان الختامي للمؤتمر اسم «إعلان الكويت عن دور الدين والأسرة في مكافحة المخدرات».

تحتم التحديات والهموم التي تعايشها الجاليات الإسلامية بأوروبا وضع استراتيجية للعمل الثقافي الإسلامي في الغرب لتقي أبناء الجاليات الذين يصل عددهم إلى ٣٥ مليون نسمة شر الذوبان في المجتمعات الأوروبية وتمكنهم من الدعوة الصحيحة إلى الله بحكمة وعلم وبصيرة.

والاستراتيجية الثقافية هي واحدة من أبرز القضايا التي جند اتحاد المنظمات الإسلامية بأوروبا قوته وأتباعه بيد أن هناك عقبات كثيرة تواجهها وإن لم تقض عليها.

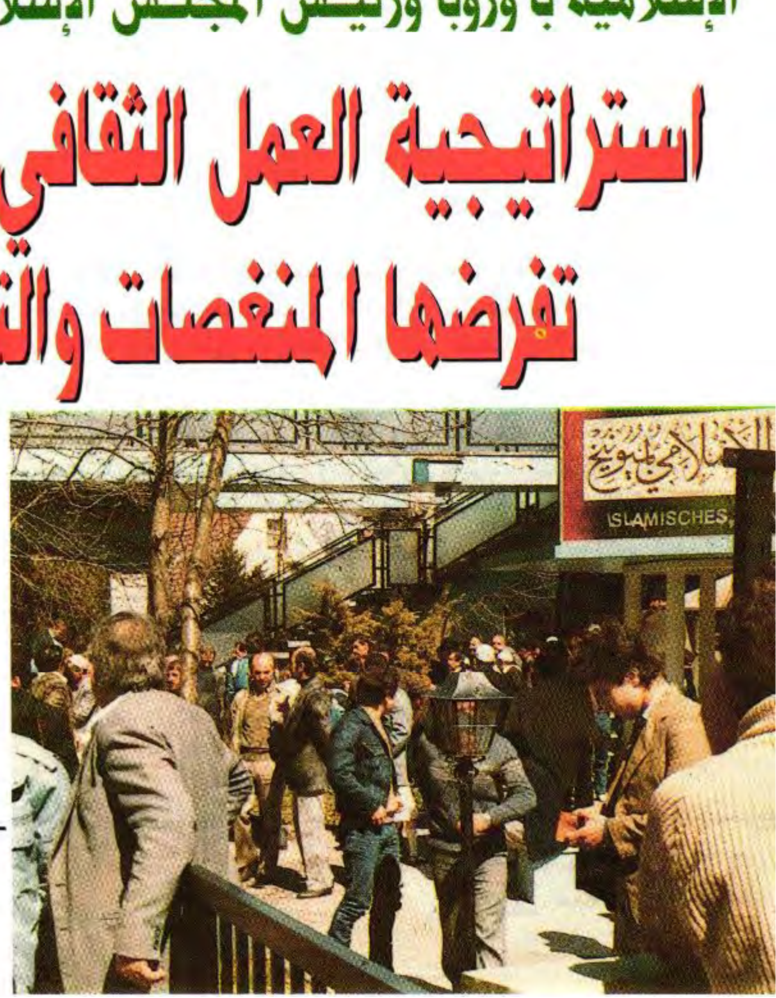
وقد التقت الوعي الإسلامي بالمهندس صلاح الدين الجعفراوي ـ أمين عام اتحاد المنظمات الإسلامية بأوروبا ورئيس المجلس الإسلامي بألمانيا ـ أثناء زيارته لدولة الإمارات لإلقاء عدد من المحاضرات حول الوجود الإسلامي بأوروبا وتحدياته وحاورناه حول استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب حيث يعد واحداً من أبرز المنادين والعاملين لتحقيقها.



المهندس صلاح الدين الجعفراوي أمين عام اتحاد المنظمات الإسلامية بأوروبا ورئيس المجلس الإسلامي بألمانيا:

استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في أوروبا ضرورة تفرضها المنغصات والتحديات التي نواجهها

الوجود الإسلامي بأوروبا ليس وجوداً طارئاً أو جاليات تستعد للرحيل بل له جذوره وتاريخه ويساهم في تنمية أوروبا



● ما تقويمكم للوجود الإسلامي في أوروبا وهل تعتقد أن هذا الوجود في حاجة إلى استراتيجية للعمل الثقافي الإسلامي؟

○ لم يعد الوجود الإسلامي في أوروبا وجوداً طارئاً أو جاليات تستعد للرحيل بعد أن انتفت الظروف المتسببة لوجودها، وذلك لاندماج هذا الوجود مع المجتمعات الأوروبية ونشوء الأجيال الإسلامية الجديدة كجزء وامتداد طبيعي لتلك المجتمعات ومع حصول الوجود الإسلامي بأوروبا على حقوقه الطبيعية فسوف يزداد تأثيره السياسي والاجتماعي والثقافي ويعزز في ذلك دخول أعداد لا بأس بها من الأوروبيين إلى الإسلام.

ونحن نعتقد أن وجود الأفكار المغلوطة والصور المشوهة عن الإسلام التي أفرزتها أحداث أوضاع متشابكة لا تمت للإسلام بصلة وكذلك الأحكام المسبقة عن الإسلام والتي زرعت وترعرعت في أذهان وعقلية كثير من الأوروبيين تضعنا في تحد حقيقي، وبخاصة إن علمنا أن بعض المسلمين بدأ يقتنع بما يبث من أناس يطعنون في الإسلام ولا يستمعون لنداء العقل أو يتبعون أسلوب الحوار وأبناء الأجيال الإسلامية القادمة هم أكثر عرضة لسيطرة وسائل الإعلام بخاصة أن الكثير منهم نشأ من زواج مسلم بأوروبية أو العكس، كما أن عوائلهم مشغولة بتأمين المورد المادي لهم وليس غرس العقيدة في نفوسهم.

وأوروبا لم تعد اليوم شرقية وغربية، بل بدأت في الاندفاع بشكل قوي تجاه الاتحاد وتنسيق المواقف ووضع استراتيجيات موحدة والوجود الإسلامي في شعوب أوروبا الشرقية أكبر وأكثر من غربها ولا يستطيع أحد أن يصفها بالجسم الغريب، كما يصفون أحياناً الوجود الإسلامي في غرب القارة حيث إنهم جزء طبيعي من هذه الشعوب ولهم امتداد تاريخي يرجع إلى عصر ما قبل الفتوحات الإسلامية لشرق أوروبا كشعوب البوماك في بلغاريا والألبان في ألبانيا وكوسوفو والطربس في مقدونيا والتاتار في بولندا وشعب تراقيا الغربية في شمال شرق اليونان وشعب البوسنة والهرسك وشعب السنجق، وهناك اليوم قبور للمسلمين في مناطق البوماك ببلغاريا تعود للقرن الثالث الهجري، وذلك يؤكد أن الإسلام لم يدخل إلى أوروبا عن طريق الجيوش الإسلامية الفاتحة في بداية الأمر، بل انتشر قبل الفتح هناك بمئات السنين، وأن للإسلام جذوراً وتاريخاً في أوروبا لا يستطيع أحد أن يتجاهله أو يتغافل عنه وهو وجود لم يظهر بعد الحرب العالمية الأولى أو الثانية، بل ممتد عبر الزمان.

ونعتقد أن الوجود والجاليات الإسلامية بأوروبا حققت إنجازات كبيرة على كل الأصعدة الثقافية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية وعلى سبيل المثال فالجالية المسلمة في فرنسا هي التي رجحت فوز جاك شيراك برئاسة فرنسا، وفي أوروبا اليوم آلاف

الشعوب الأوروبية ليست رافضة للثقافة الإسلامية بل تسعى إلى ملء الفراغ الروحي الذي تعيشه ولن تجده إلا في الإسلام

أجرى الحوار: عبدالحي محمد عبدالحي

المراكز والمؤسسات والمدارس التي تغطي حاجاتها وتنشر الإسلام كما نجحت الجاليات في بناء كيانات اقتصادية واجتماعية وثقافية وعلمية، بل رياضية تساهم في تنمية المجتمعات الأوروبية وتدعيم الصلة بين المسلمين بعضهم البعض وبين المسلمين وشعوب أوروبا والمؤكد أن الوجود الإسلامي في أوروبا وجود مؤثر وملموس، كما أن دورهم ملحوظ وواقعهم يعطي الكثير من الأمل في أن يكون لهم شأن كبير في المستقبل القريب، وذلك كله يؤكد ضرورة الاهتمام بالجاليات الإسلامية في أوروبا ودعمها مادياً ومعنوياً لنشر نور الله هناك.

● ألا تتفق معي أنه من الصعب على أوروبا قبول وجود ثقافة إسلامية على أرضها ما هو تشخيصك للعوامل التي حالت سابقاً من وضع استراتيجية موحدة للعمل الثقافي الإسلامي في أوروبا؟

○ تتعدد وتتشعب ثقافات الدول الأوروبية من حيث اختلاف المشارب وتنوع اللغة وتداخل وتزاوج الكثير من الثقافات أما الثقافة الإسلامية فتعتبر موحدة تقريباً حيث إنها تستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واجتهاد علماء المسلمين الثقاة، وبالتالي فمن اليسير وضع استراتيجية ثقافية موحدة للشعوب الإسلامية في أوروبا مهما اختلفت الجنسية أو اللغة وبخاصة أن أبناء الأجيال القادمة لهذه الشعوب سيذوب فيما بينها العائق اللغوي، حيث تصبح لغة البلد المضيف هي اللغة الأم، وكذلك انتظام الكثير من أبناء هذه الأجيال في المدارس في نهاية الأسبوع، حيث يتكلمون اللغة العربية والدين الإسلامي.

كما أن أوروبا والشعوب الأوروبية تتقبل الثقافات الواردة بشكل معقول وذلك لأربعة أسباب: أولها: أن أوروبا تقبلت في عصورها الأولى الكثير من الثقافات وأثرت تلك الثقافات في عادات بعض هذه الشعوب، وثانيها: وجود تجربة رائدة في تقبل الثقافة الإسلامية في عصر الفتوحات التي شملت الكثير من مناطق شرق وغرب أوروبا، وقرطبة منارة العلم شاهدة على ذلك، وقد حوت بين جنباتها العديد من أبناء أوروبا المظلمة آنذاك ليعودوا إلى بلدانهم محملين بنور العلم والثقافة الإسلامية، والسبب الثالث: هو الفراغ الروحي الذي خلفه زوال الحكم الشيوعي من شرق أوروبا والسبب الأخير والرابع: هو المادية التي أعيت قلوب الغربيين، وازدياد معدل الانتحار بينهم وحاجتهم إلى التلقي والتجديد.

ونرى أن هناك عوامل حالت دون وضع استراتيجية للعمل الثقافي الإسلامي في أوروبا في الفترة الماضية منها رزوح شرق القارة تحت حكم شيوعي ملحد وكافر

ينكر وجود الله فترة من الزمن وعليه كيف تستطيع الجاليات الإسلامية وضع خطة ثقافية تعتمد أساساً على الوحي بشقيه القرآن والسنة، والملاحظ أيضاً أن الوجود الإسلامي في غرب أوروبا في الفترة الماضية كان أشبه بالوجود الطارئ فمعظم أبناء الجاليات كانوا إما عمالاً أتوا إلى أوروبا لتحسين ظروفهم المادية أو شباب مضطهد في بلاده لأسباب سياسية وخرج ليوجه نشاطه ضد أنظمة حكم بلاده من الخارج أو طلاباً جاؤوا للعلم وأدى ذلك إلى تبديد طاقات الجاليات في معارك شغلها عن العمل لترسيخ وجودها وبناء لحمتها، كذلك من أبرز الأسباب التي حالت دون وضع استراتيجية للعمل الثقافي في أوروبا، الخلفيات الاستعمارية التي كانت بعض شعوب أوروبا تتعامل بها مع أبناء الجاليات الوافدة، فضلاً عن وفود تلك الجاليات إلى غرب القارة في ظروف غير طبيعية، حيث كانت ترزح بعض هذه الدول التي ينتمي إليها أبناء الجالية تحت حكم استعماري أو كانت بعض هذه الدول خارجة لتوها من حكم استعماري بالإضافة إلى أن الجاليات لم تكن قد نضجت بعد لوضع تلك الاستراتيجية كما أن الدول العربية والإسلامية بمؤسساتها لم توجه جزءاً كبيراً من طاقاتها إلى تلك الجاليات لبناء كياناتها بسبب انشغال تلك الدول بقضايا البناء الداخلي بعد الحكم الاستعماري أو إنهاء خلافاتها التي خلفها رحيل الاستعمار من رسم الحدود أو تصفية الحسابات.

● **ما الأهداف التي ينبغي أن تحققها استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب على المدى القريب والبعيد، وكيف تحققها الجاليات المسلمة في أوروبا؟**

○ لابد أن ترمي الاستراتيجية الثقافية إلى تحقيق أهداف على المدى القريب وأخرى على المدى البعيد، فأما أهداف المدى القريب فتشمل إزالة الشوائب التي علقت في أذهان بعض المسلمين عن الإسلام وإذابة الفوارق الثقافية بين الطبقات التي تتكون منها الجاليات الإسلامية في أوروبا أو على الأقل تقليلها والعمل على أن يكون الفرد المسلم عنصر بناء في المجتمع الذي يعيش فيه وإن لم يكن مجتمعاً إسلامياً بالإضافة إلى المحافظة على جوهر الثقافة الإسلامية وتحصين الجاليات الإسلامية لتمكينها من الحفاظ عليها، وتشمل أهداف المدى البعيد توحيد مفهوم الثقافة والفهم الصحيح للإسلام لدى أبناء الجاليات والمحافظة على الأجيال الإسلامية الناشئة وحمايتهم من أي تشويش قد يطرأ على فهمهم للإسلام من جراء ما تبثه بعض وسائل الإعلام غير الموضوعية وغير المنصفة، وتأكيد البند الخاص بالأقليات في ميثاق التعاون والأمن الأوروبي والذي ينص على ضرورة المحافظة على الهوية الثقافية للأقليات الدينية والعرقية، وكذلك السعي لتوحيد المناهج الدراسية والتثقيفية عن الإسلام وتنقيتها من كل ما يسيء إلى ديننا.

ستة أسباب حالت دون وضع استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في أوروبا خلال السنوات الماضية

ولتنفيذ أهداف الاستراتيجية الثقافية لابد أن نتحرك في مجالات عدة تشمل المجال الإعلامي والتربوي والنسائي، ومجال المراكز الإسلامية والطفل المسلم، فعلى الصعيد الإعلامي لابد من إنشاء قناة فضائية إسلامية تبث برامجها داخل أوروبا وبلغاتها المختلفة ورصد ما يبث في القنوات الفضائية الرئيسية غير الإسلامية وتصحيح ما قد يصدر عنها خطأ عن الإسلام سواء بعمد أو بغير عمد وإيجاد عائلات مع القنوات الفضائية الأوروبية لإعداد برامج لها عن الإسلام.

ولابد أن نكثف جهودنا في المجال التربوي على إنشاء الكثير من المدارس الإسلامية لتغطية حاجة أبناء المسلمين، حيث إن المدارس الحالية لا تغطي حاجة أكثر من ٥٪ من أبناء الجالية على مستوى أوروبا وإنشاء لجنة تربوية عليا للإشراف على البرامج التربوية التي تدرس لأبناء المسلمين كمرحلة أولى لتوحيد تلك المناهج مستقبلاً.

وعلى المراكز الثقافية والدينية الإسلامية بأوروبا أن تقيم الدورات التثقيفية للدعاة والأئمة للنهوض بمستواهم الثقافي وبخاصة أن غالبيتهم ليسوا مؤهلين للدعوة بأوروبا علمياً ولغوياً، ولابد أن تهتم المساجد بإيجاد عناصر الجذب لأبناء المسلمين بحيث لا ينفردون منها ويكونون عرضة للضياع كما هو الحال في العديد من المدن الأوروبية، حيث وصل عدد أبناء المسلمين من مرتادي السجون إلى ٥٥٪ في ألمانيا، وأكثر من ذلك في سجون كل من بلجيكا وهولندا، وأشدد على ضرورة تشجيع التنسيق والتعاون بين المؤسسات الإسلامية المختلفة وبخاصة في إعداد البرامج الثقافية للمسلمين.

أما العمل النسائي الإسلامي في أوروبا، فمازال حبيس المنازل ولم تهتم المؤسسات والمراكز الإسلامية بإعداد برامج للنهوض بالمرأة، مما أدى إلى فقدان أعداد كبيرة من الأجيال الشابة الجديدة في السجون والشوارع بعد أن غابت الأم عنهم، وللأسف فقد صدرت توصيات كثيرة من المراكز الإسلامية في أوروبا تطالب الاهتمام بالمرأة وإفساح المجال لها لتأخذ مكانتها الطبيعية في مجال العمل الإسلامي، لكن كل تلك التوصيات مازالت حبراً على ورق، ولابد أن تتخطى المراكز هذا العائق الذي يعرقل المسيرة الثقافية لأبناء المسلمين ويعطل جانباً مهماً سيكون له أثره الكبير إن أحسن توجيهه.

ونحن كجاليات لم نهتم برعاية الطفل المسلم، فلم ننشئ دور الحضانة التي تكفي لاستيعاب أبناء المسلمين رغم أن مشروع إنشاء حضانة لا يتبعه أي عبء مادي، حيث إنه مدعم من قبل المؤسسات الحكومية علاوة على الرسوم التي تحصل من أولياء الأمور، وتعجب لو تعلم أن في ألمانيا ذات الثلاثة ملايين مسلم لا يوجد إلا عدد لايتعدى أصابع اليد الواحدة من دور الحضانة وبالتالي يعلق في ذهن الأطفال العادات والتقاليد والاحتفالات غير الإسلامية في الوقت الذي يكون فيه الوالد والأم مشغولين

بتحصيل المال أو العمل ولا يستطيع المسجد أن يغطي حاجة كل أبناء المسلمين، حيث إن المساجد متعلقة بالأعباء، وهنا لابد أن نتوسع في دور الحضانة وتقوم المراكز الإسلامية باحتضان أبناء المسلمين وحث أولياء أمورهم على الاهتمام بهم دينياً.

● ما أبرز وأهم العقبات التي تواجه استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة؟

○ هناك خمسة منغصات أو أوضاع شاذة تعرقل تنفيذ استراتيجيتنا للعمل الثقافي في أوروبا أولها الفزع الأوروبي من النمو الديمغرافي للمسلمين، فتشير إحصاءات ودراسات العديد من الدول الأوروبية وبخاصة في غرب القارة أن السنوات المقبلة ستشهد انخفاضاً ملحوظاً في عدد السكان مع ارتفاع في معدل الأعمار ويتزامن هذا مع الزيادة الكبيرة في معدل مواليد الأجانب والمسلمين خاصة، وبالمقابل فإن السنوات القادمة ابتداء من القرن القادم ستشهد شيخوخة أوروبا وهذا الفزع أدى إلى تنامي النزعة العنصرية بشكل كبير ضدنا.

وثاني المنغصات هو تنامي المد العنصري على المستوى الشعبي الأوروبي، فرغم أن المجموعة الأوروبية قررت أن تجعل عام ١٩٩٧م عام محاربة العنصرية، فلم تتخذ بعض الدول الأوروبية إجراءات حاسمة وحازمة لوقف المد العنصري، فلا تزال بعض بيوت اللاجئين المسلمين تحرق، ولا يزال اضطهاد الرموز الإسلامية قائم ولا تزال بعض القوانين اللاإنسانية تسن كما لا يزال تجاهل حقوق الأقليات العرقية والدينية ومنها الإسلامية بما يتنافى مع مبادئ وحقوق الإنسان ملحوظ وبالتالي تنشغل المؤسسات الإسلامية بالمطالبة بحقوق جالياتها وكذلك صد العديد من التحرشات العنصرية ضدها.

وثالث الأوضاع الشاذة هي الصياغة الحالية المشوهة لمناهج التعليم الأوروبية، فقد أعد لفيف من الباحثين دراسة علمية تحت إشراف المرحوم الدكتور عبدالجواد فلاتوري التربوي المسلم الشهير عن صورة الإسلام في المناهج التعليمية الأوروبية اتضح منها أن معظم ما كتب عن الإسلام في المناهج المدرسية مشوه وعار عن الصحة، وبالتالي يغذي أبناء المسلمين والغرب بأفكار مغلوطة عن الإسلام، ورغم أن مجلسنا بألمانيا قام بتوزيع نسخ كثيرة من الدراسة على مكتبات المدارس فلا يزال الأمر بحاجة إلى المزيد من الضغط على المؤسسات التعليمية الرسمية الغربية لتعديل مناهجها.

أما رابع المنغصات: فهو موقف وسائل الإعلام الغربية من الإسلام فلا تزال الكثير من وسائل الإعلام تلعب دوراً كبيراً في تشويه صورة الإسلام وإشغال الجاليات والمؤسسات الإسلامية بقضايا ليس لها دخل بها من قريب أو بعيد وحصرت الجاليات في زاوية الدفاع عن قضايا لا تعتبر من قضاياها الأساسية ويأتي هذا مع

استراتيجية العمل الثقافي ترمي لتحقيق أهداف قريبة وبعيدة المدى ولابد أن تكثف الجاليات الإسلامية جهودها لإنجاحها

عدم وجود مؤسسات إعلامية إسلامية قادرة على مواجهة هذا التسلط الإعلامي غير المنصف ولنأخذ على سبيل المثال قضية الإرهاب الذي ينبذه الإسلام ويرفضه كل إنسان له ضمير حتى تلك القضية التي سعت وسائل الإعلام لربطها بالإسلام وأن الإسلام يحث على العنف والإرهاب، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تمادت هذه الجهات المشبوهة لتشوه صورة الأمة العربية والإسلامية وتصف بلداننا بالتخلف والانحطاط رغم أن ما تنعم به أوروبا من حضارة وتقدم كان بفضل الإسلام وعلماء المسلمين ولا تزال ذكرى قرطبة شاهدة على ذلك، وأذكر لك قصة تناولتها وكالات الأنباء فلعلها المرة الأولى التي يخرج فيها الدكتور عصمت عبدالمجيد أمين عام جامعة الدول العربية عن ديبلوماسيته الهادئة أمام جمهور أوروبي وعربي عريض إبان انعقاد المؤتمر الدولي للتعاون «اليورومتوسطي» الذي شهدته مدينة مرسيليا بجنوب فرنسا العام الماضي عندما طلب الكلمة ليعلق على مداخلة نائبة فرنسية تدعى فرانسوازجروستت اتهمت الإسلام بمعاداة المرأة وتكريس دونيتها بالمقارنة بالرجل، وأبدى الدكتور عبدالمجيد في بداية تعليقه اندهاشه من إصرار الغرب وأوروبا على معاداة الإسلام واعتباره العدو الأول، وقال: نحن نعتبر أنفسنا أصدقاء للغرب ولذلك نحرص على فهمه، بينما هو لم يكلف نفسه عناء فهمنا أو الاقتراب من فكرنا، وأضاف: إن الإسلام الذي تتحدث عنه النائبة ليس هو إسلامنا الصحيح، وإنما هو إسلامكم أنتم الغربيين الذي صنعتموه من محض افتراءات وأكاذيب لا علاقة لها بواقع الدين ولا بحياة المسلمين، وتساءل: لماذا لم نسمع أحدكم - معشر الأوروبيين - يتحدث عن الأصولية والتطرف عند الصرب الذين فتكوا بمسلمي البوسنة والهرسك واستباحوا لأنفسهم ما لا يقره عقل أو دين أو منطق أم أن الأصولية والتطرف والتعصب هي - في شريعتكم المفاوضة - ليست إلا من نصيب الإسلام والمسلمين فقط؟

أما خامس وآخر المنغصات: فهي الخلافات العرقية والفكرية بين الجاليات المسلمة فطبيعة تكوين الجاليات في الغرب أتت من جماعات وأفكار ومذاهب وأعراق تحمل خلافاتها وصراعاتها وقد شغلت الساحة سنوات عدة بمثل هذه الخلافات وجرت الجالية لصراعات ليس لها صالح فيها مع بعض الأنظمة بالإضافة إلى سعي بعض الأنظمة العربية أو الإسلامية لاحتواء جانب من هذه الجاليات والعمل على توجيهها لأغراض خاصة، ونعتقد أن الوعي الذي بدأ ينتشر بين صفوف أبناء الجاليات خلال السنوات القليلة الماضية ودعوة الانفتاح والحوار ومد الجسور استطاع أن يجنب الجالية المزيد من الصراعات وتبديد الطاقات والجهود ولا تزال هذه القضية تحتاج إلى المزيد من العمل من جانب حكومات الدول العربية والإسلامية وقيادات الجاليات الإسلامية في أوروبا. ■

من المعاني الخالدة للهجرة

بقلم: سعيد كامل معوض

ضاقت مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم - والفئة القليلة التي اتبعته حتى لم يعد فيها كوة يتنفس منها الإسلام، وذهبت محاولات الرسول لإقناع أهلها باتباع نور الله - الذي جاء به - كلها أدراج الرياح، ويصور ربيعة بن عباد ذلك بقوله: «رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ببصر عيني في سوق ذي المجاز يقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» ويدخل فجاجها والناس متقصفون عليه - يعني: متزاحمون حوله - فما رأيت أحداً يقول شيئاً.... وهو لا يسكت رواه أحمد في مسنده.

.. لذلك يمم الرسول الكريم شطر الطائف فعساه يجد عند أهلها ما لم يجده عند أهل مكة... لكن ما لاقاه في الطائف - كان أشد وأقسى، فقد أغرى أهل الطائف به السفهاء والصبية، يرمونه بالحجارة ويسبونه بأبشع ألفاظ السباب حتى وقف الرسول يناجي ربه مصوراً حاله التي وصل إليها - وهو الذي يهدي إلى الهدى ودين الحق -: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني! أم إلى عدو ملكته أمري؟!» متفق عليه.

وبدأ الرسول مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة: بدأ يعرض نفسه على القبائل طالباً الإيواء والنصرة قائلاً: «ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي» رواه أصحاب السنن عدا النسائي

لكنه لم يجد إلا التنطع والمكابرة والصد عن دين الله حتى كان يوم لقي الرسول نفراً من الخزرج فدعاهم إلى الإسلام فصدقوه وآمنوا به ووعدوه خيراً... ولما عاد هؤلاء النفر إلى يثرب ذكروا الرسول بين أهلها فذاع أمره، وبدأ الناس يفكرون في هذا الدين الجديد، فلما كان العام المقبل أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - اثنا عشر رجلاً فبايعوه بيعة العقبة الأولى(١).. وعاد الوفد المؤمن يصحبهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين... وفي العام التالي عاد مصعب ومعه سبعون رجلاً وامرأتان فكانت بيعة العقبة الثانية التي يقول عنها أحمد في مسنده: عن كعب بن مالك قال: «... فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبدالمطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلسنا كان العباس بن عبدالمطلب أول متكلم فقال: يا معشر الخزرج - وكانت العرب مما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها - إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عزّ من قومه ومنعة في بلده، قال: فقلنا: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال: فتكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتلا ودعا إلى الله عز وجل ورغّب في الإسلام فقال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا - كناية عن النساء - فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر قال: فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبدالأشهل فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال - يعني اليهود - حبالاً وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟! قال: فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».

وهكذا انطلقت الدعوة الإسلامية من حيز النصيحة الفردية في بيعة العقبة الأولى إلى المحالفة الحربية في بيعة العقبة الثانية، وهكذا جعل الله عز وجل لرسوله منعة وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة.

ولما اشتدت سطوة اضطهاد المشركين للمسلمين، أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى يثرب واللحاق بإخوانهم المؤمنين فيها... ولم يتبق في مكة إلا المستضعفون والمرضى والرسول وأبو بكر وعلي بن أبي طالب، وبعض الذين لهم أعمال تتصل بالهجرة!.

وحاولت قريش - بكل ما أوتيت من قوة - منع الرسول من الهجرة إلى المدينة فكانت محاولتهم قتله وتوزيع دمه بين القبائل عندما اختاروا من كل قبيلة شاباً فاجتمع أربعون شاباً حول منزله ودخلوا إلى فراشه ليجدوا علياً بن أبي طالب نائماً مكانه فرجعوا خائبين ورد الله كيدهم إلى نحورهم.

(وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال: ٣٠.

وهاجر الرسول يصحبه أبو بكر، وبوصوله إلى المدينة بدأت مرحلة جديدة من مراحل الدعوة وهي مرحلة بناء الدولة حين أصبحت المقومات اللازمة للبناء متوافرة، وتلك المقومات هي: الأرض والشعب والقيادة.... أما الأرض: فكانت يثرب - أو المدينة المنورة - وكان أول عمل قام به الرسول فيها أن بنى مسجداً جعله منتدى ودارا للمؤتمرات ومركز للاجتماعات ومنارة للإشعاع والدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف ومدرسة الدنيا والدين.

وأما الشعب: فقد كان مجموع المهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم الرسول وجعلهم وحدة واحدة قوامها الحب والإيثار والإخلاص لله ورسوله.... وأما القيادة: فقد كانت متمثلة في شخص الرسول القدوة، وقد منحه المسلمون السلطة الشاملة، فكانت سلطته تشريعية قضائية تنفيذية لأنه لا ينطق



عن الهوى إنما يبلغ عن الله عزَّ وجلَّ... اما الأمور التي لم يكن ينزل فيها الله قرآناً فقد كانت الشورى هي المعيار في تقريرها.

وبإقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة أخذ المسلمون في العمل الجاد والكفاح المستمر من أجل تأمين الدولة الناشئة فأعدوا جيشاً لصد رياح الغدر الخارجية والداخلية... وشاء الله أن يمتحن هذا الجيش القليل العدد والعدة فيدخل في السنة الثانية معركته الحقيقية الأولى ضد قوى الشرك، فكانت موقعة بدر الكبرى التي نصر الله فيها الجيش الصغير المؤمن على الجيوش الجرارة المشركة:

(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) آل عمران: ١٢٣.

وتتتابع المعارك والغزوات نشراً لراية الإسلام وتحقيقاً لعالمية الدعوة.... ولكن مكة ظلت هي الأمل المنشود والحب الذي لايهدأ.... وينظر الرسول إليها بشوق حار وحنين جارف ويقول: «والله اني لأعلم أنك أحب أرض الله إلى الله ورسوله، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت» متفق عليه.

وحقق الله ما أراد نبيه فدخل المسلمون مكة في العام الثامن دون إراقة قطرة دم واحدة، وانطلق الإسلام انطلاقته الكبرى، وفي أقل من ربع قرن دانت الجزيرة العربية كلها بالإسلام، وفتح جند الحق الإمبراطوريتين المهيمنتين على العالم - وقتئذ - فارس والروم فأصبحتا - بين ليلة وضحاها - من بلاد المسلمين.

وهكذا كانت الهجرة إلى المدينة هي نقطة البدء في نشر الإسلام في كل الربوع والأرجاء، وكانت حجر الأساس لبناء المجتمع المثالي المتكامل على أسس الهدى والفضيلة والدين الشامل الكامل الذي لا دين بعده، وبفتح مكة تحقق الهدف المنشود من الهجرة... فهل انتهت معاني الهجرة؟! يقول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا) رواه الجماعة إلا ابن ماجة.

وهكذا يتضح أن هناك معان أخرى للهجرة خالدة ما دامت الدنيا، وأول هذه المعاني: الجهاد... وللجهاد أوجه عدة منها: الجهاد في سبيل الله... قال صلى الله عليه وسلم: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» رواه النسائي.

والجهاد في سبيل الرزق: فعن مجاهد قال: «قلت لابن عمر - رضي الله عنهما - إني أريد أن أهاجر إلى الشام، قال: لا هجرة ولكن جهاد فانطلق فاعرض نفسك فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت» رواه البخاري، وجهاد النفس: يقول صلى الله عليه وسلم: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟! قال: جهاد النفس» رواه البيهقي والشجاعة في الحق: يقول صلى الله عليه وسلم: «إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، وأوجه الجهاد أوسع من أن يشملها الحصر، ولذلك كان المعنى الأسمى من معاني الهجرة الخالدة.

ومن المعاني الخالدة للهجرة - والتي يغفل عنها كثير من المسلمين - حسن الخلق: فالمسلم الصادق هو الذي يكف الأذى عن الناس، ويمتنع عن الإضرار بهم، ولا يسعى بينهم بالغيبة والنميمة أو السب والقذف واللمز، ولا يغتصب حقوق الآخرين بالقوة ولا يقتلهم أو يقاتلهم من غير حق، ولا يطلع على عوراتهم ولا يفضح أسرارهم... المسلم المهاجر هو الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، والذي أخلاقه الإحسان إلى الناس ومودته ومحبته لهم، وإيثاره إياهم بكل خير، والوقوف معهم في الشدائد والملمات وهدايتهم إلى كل خلق حميد وسلوك رشيد... قال صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» رواه البخاري وأحمد وأصحاب السنن إلا الترمذي»، وقال: «الهجرة أن تهجر السوء» رواه أحمد.

ومن أهم معاني الهجرة: الوحدة والتراحم بين المسلمين... ولقد أشرنا إلى مؤاخاة الرسول بين المهاجرين والأنصار ودمجهم في وحدة واحدة قائمة على الحب والتراحم والإيثار... مما كان له أعظم الأثر في تماسك مجتمع المدينة وقوة الدولة الإسلامية، وهذا المعنى يجب أن ننتبه إليه ونحرص عليه، لنعيد إلى العالم الإسلامي عزته التي كانت .... ونعود - كما كنا - نملك العالم، ونسوس العالمين...(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (آل عمران: ١٠٣)... (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح: ٢٩.

ولعل أبرز المعاني التي تفصح عنها الهجرة: التوبة بمعناها الشامل التي تؤدي إلى التطهر من كل ما هو قبيح والاتجاه إلى كل ما هو صحيح... والخطأ من طبيعة البشر ولذلك فتح الله أبوابه لتوبة كل مخطئ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل» رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه أبو داود والدارمي.

ومن المعاني الخالدة للهجرة: الاتجاه إلى الله بالقلب والنفس: يقول عزَّ وجلّ على لسان إبراهيم عليه السلام: (إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم) العنكبوت: ٢٦.

ولذلك ترك الشرك واللهو والجاهليات الحديثة التي وفدت إلى المسلمين مع ركب الحضارات المصنوعة الزائفة، والتي يميل الكثير منا إلى محاكاتها دون وعي أو تمحيص مما جرّ علينا الويلات القاتلة والبلاء العميم، وقد وجب علينا أن نلفظ كل البدع ونهجر كل الرذائل التي يصدرها إلينا أعداؤنا في ثياب براقة، وأغلفة لامعة فننخدع بالمظهر حتى يصفعنا الجوهر فنجد السم وقد قُدِّم إلينا في الدسم: (ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين. ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين) الذاريات: ٥٠، ٥١.

والصلاة والزكاة من المعاني الخالدة للهجرة... فالصلاة صلة بين العبد وربه، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وبذلك يصبح الفرد في سمو دائم، وطهر متواصل... والزكاة من أرقى مظاهر التكافل الاجتماعي الذي يؤدي إلى إشاعة التآلف والتراحم والعطف بين الذي يحتاج والذي يعطي، وبانتشار هذه المعاني الرائعة يقوى المجتمع ويتماسك ويعز ويزدهر... عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن إعرابياً قال: «يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة: إليك أينما كنت أو لقوم خاصة أو إلى أرض معلومة أو إذا مت انقطعت؟! قال: فسكت عنه يسيراً ثم قال: «أين السائل عن الهجرة؟ قالوا: ها هو ذا يا رسول الله، قال: الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر....» رواه أحمد.

وإجمالاً فالهجرة هي هجر كل شر، وفعل كل خير، ومع مطلع العام الهجري الجديد ندعوا الله أن يمن علينا بالرشاد والفلاح، وأن يجعل هذا العام عام عز وازدهار للإسلام والمسلمين.■

التاريخ الهجري الذي هجره أهله

بقلم: محمد السيد عامر

يدل كل مبدأ من المبادئ التي قام عليها كل من التواريخ الثلاثة الكبرى المتداولة في عالم اليوم على سمة تنفرد بها حضارة كل تاريخ من الحضارات الأخرى.

فالتاريخ الهجري مبني على مبدأ الاهتمام بالحدث الموضوعي المؤثر في حياة المجتمع الإسلامي تأثيراً مباشراً ومستمراً وهو بهذا من الدلالات الموضوعية للدين الإسلامي واستقلاله عن تأثيرات الأشخاص بحيث يحكم أقوالهم وأفعالهم ولا تحكمه أقوالهم أو تفسيراتهم.

وبني التاريخ الميلادي على الاحتفاء بالشخص وما يتعلق به مثل ميلاده وهو بهذا من دلالات تغليب الذاتية وإعطاء الأشخاص أهمية تفوق أهمية الموضوع وتجعل لرجال الدين حق تأويل النصوص المقدسة.

وبني التاريخ العبري على مبدأ افتراض اعتسافي هو بدء الخلق مع أن الله لم يشهدنا خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسنا. لم ير سيدنا عمر - رضي الله عنه - في ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، ما رأى في الهجرة من بالغ الأثر في الحضارة الإسلامية، وقد نقول نحن إن الوثنية قد ظلت سائدة بكل حماقاتها مدة الأربعين سنة بين الميلاد والمبعث، ولم تبدأ في الانحسار إلا من يوم مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بالهداية.

كما لم ير سيدنا عمر - رضي الله عنه - ما قد يتراءى لنا الآن من أن المبعث أهم من الهجرة، إذ هو مبدأ بروز الأمة الإسلامية والدولة الإسلامية والحضارة الإسلامية.

ولعلنا نعتذر عن سيدنا عمر العبقري بأن الهجرة كانت أقوى أثراً في حركة الإسلام إذ لو لم تتم لظل الإسلام حبيس شعاب مكة أمداً لم يكن يعلمه إلا الله، ويختلف التاريخ الهجري عن التاريخ الميلادي في تعاصر أقسام كل منهما، فالعصر القديم عند الغرب ينتهي بانتهاء الحضارة اليونانية الرومانية وبظهور الإسلام، ويذكرونه بكل فخر واعتزاز وبدأت النهضة الأوروبية بإحيائه، ثم انبعثت منه، ويتعاصر بدء العصر الوسيط الغربي بما فيه من تخلف في أوروبا مع ظهور الإسلام ويستمر التعاصر بين تخلف الغرب وازدهار الحضارة الإسلامية في صدر الإسلام وعصر بني أمية وصدر إمارة العباسيين، ثم يبدأ التخلف الإسلامي ويتعاصر مع التخلف الأوروبي فترة يستمر بعدها التخلف الإسلامي إلى قراره السحيق ويبدأ الصحو الأوروبي بإحياء التراث اليوناني، ويتعاصر عصر الإحياء مع فترة الانحدار إلى القرار ثم تبدأ الصحوة العربية بتبعثر دون تعثر الصحوة الأوروبية بما أريق فيها من دماء وارتكبت من مظالم، لكن أوروبا نجحت في تخطي العقبات، ولم ننجح نحن، فإن المنهج لم يتبلور إلى الآن ولما يستقم عليه سير منتظم، ومن المؤسف أن العرب في العصور الأخيرة لا يهتمون بالتاريخ العربي اهتمامهم بالتاريخ الإفرنجي في تأريخ أمورهم المعاصرة في مكاتباتهم ومواعيدهم وأبحاثهم ودراساتهم، وأن بعضاً منهم لا نستطيع تبرئته من تهمة التعمد في إثبات التأريخ الإفرنجي فيما لم يؤرخه إلا العرب وليس له مصدر إلا عند العرب، لكن الجهات الرسمية تذكر دائماً التاريخ العربي مع التاريخ الإفرنجي في مكاتباتها وتقاريرها، وقد نلاحظ بعض الفلتات في إغفال التاريخ العربي، لكنها ليست مطردة، ولا نأخذ العبرة مما يصنعه الغربيون إذ يقتصرون في تأريخهم للأمور المعاصرة بالتاريخ الإفرنجي - ولهم عذرهم في ذلك، ولكنهم لفرط منهجيتهم مع تراثهم ومع تراثنا يتعمدون الاقتصار على التاريخ الإفرنجي في الحوادث العربية سواء منها ما أرخ بوساطة أسلافهم أو ما أرخ بمعرفة العرب دون غيرهم من أحداث عربية، وما ليس عندهم فيه تأريخ يلجؤون إلى الكتب التي تشتمل على جداول مقارنة التواريخ وعندنا منها جداول إسماعيل باشا الفلكي، ويستخرجون منها التاريخ الإفرنجي لما لم يؤرخه سوى العرب وينقل عنهم مؤلفونا ومترجمونا دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع للمصادر العربية التي استقى منها الإفرنجي ما يترجمون ودون الرجوع إلى جداول مقارنة التواريخ.

التاريخ الهجري مبني على مبدأ الاهتمام بالحدث الموضوعي المؤثر في حياة المجتمع الإسلامي تأثيراً مباشراً ومستمراً

وإذا جاز لنا الاقتصار على التاريخ الإفرنجي في أمور حياتنا اليومية لارتباط المرتبات والإجازات به، فإنه لا عذر لأحد من مثقفينا في إهمال التاريخ العربي والاقتصار على التاريخ الإفرنجي فيما نسجله كتابة من أمور حياتنا ومكاتباتنا وتقاريرنا وحتى فيما لم يؤرخه إلا الإفرنج بالرجوع إلى كتب مقارنة التواريخ.

على أن الصحوة قد بدأت ونرجو أن تستمر وتنمو في قرن التاريخ العربي والإفرنجي في كل ما نكتب... وقد رأيت كثيرين يضبطون ساعاتهم المبينة للتاريخ على الشهور العربية.

هدانا الله إلى الاعتزاز المنهجي بتراثنا. ■



الهجرة درس

قد بات الكفر الغدارْ
في مكر ينسج أفكارْ
ليبيّت للهادي كيداً
كي يُطفئ نور القهارْ
هل يثبته، هل يقتله
هل يخرجه؟ هو قد حارْ
قد حاق المكرُ به سوءاً
فالمولى أخزى الكفارْ
و«عليّ» قد بات ليفدي
في حبٍّ روح المختارْ
ورسول الله يؤازره
ويصون خطاه الجبارْ

***

في مكة - والوطن الغالي
يهواه - في شوق سارْ
وضياء الحق بموكبه
هالات تغشى الأبصارْ
و«أبو بكر» في صحبته
صدِّيق يرعى الأسرارْ
مضيا، والله يعينهما
واجتازا وعراً وقفارْ
وارتادا الصعب، أمامهما
هدفٌ يتحدى الأخطارْ
والنصر تلوح بشائره
لهما إذ حلا بالغارْ
من كان الله يؤيده
لا يخشى مكر الأشرارْ

***

وبيثربَ بدرٌ عطرها
فتجلت فيها الأنوارْ
وتغنت للنور الآتي
واستبشر كل الأنصارْ
من هاجر أخوْا في حب
وتجلى أروع إيثارْ

***

والهجرة درس نقرؤه
ليرينا كيف الإصرارْ
ويرينا الحق ورايته
تعلو في كل الأمصارْ
ويرينا النصر لمن نصروا
وأطاعوا الله الغفارْ

الأستاذ الدكتور
عبدالمنعم عبدالله حسن

ذكرى الهجرة النبوية

الإســلام بــين وداع قــرن واستقبال قرن جديد

بقلم: كمال محمد مرتضى

العصر الحديث: عصر التغييرات الكثيرة والمفاجئة وبخاصة في العلم والتكنولوجيا حتى عرف هذا العصر بعصر الصناعة الثاني.

ولا يخفى على أحد ـ مسلم أو غير مسلم ـ أن ما حدث طوال تسعة عشر قرنا مضت لا يساوي ما حدث في القرن العشرين ـ ذلك لأن القرن العشرين هو عصر وصلت فيه العلوم والفنون والآداب والتكنولوجيا ووسائل الاتصال إلى أعلى مستوى من التقدم.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه أين الإسلام الآن ونحن نودع قرنا بكل ما فيه من صخب وزحام ومعارك في كل الاتجاهات وعلى جميع الجبهات ونستقبل قرنا لا ندري ماذا سيفعل الله بنا فيه؟.

فلنبدأ. أولا بالقرن العشرين.

إن ميزة هذا القرن هي «العلم» ـ والعلم كما هو معروف فرض على كل مسلم ومسلمة ـ وهو كما قال عباس العقاد: «العلم عبادة والتفكير فريضة»، ولقد سار العلم في هذا العصر في مواكبة الدين ـ وتحقق مما أخبر به القرآن منذ خمسة عشر قرنا ـ قال تعالى في سورة فصلت الآية ٥٣:

«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»، والتقدم العلمي استفاد منه المسلمون في تقدم بلادهم ـ فجميع دول الإسلام أخذت بالتكنولوجيا في مجال التعليم والصناعة والكهرباء والطاقة والزراعة بل في مجال التسليح والدفاع عن الأوطان.

ثانياً: من المظاهر الجيدة للإسلام في نهاية القرن العشرين وبالتحديد في الربع الأخير منه هو ظهور ما يعرف بالصحوة الإسلامية في كل مجالات الحياة ـ وعودة المجتمع الإسلامي إلى الإسلام وبقوة وخاصة الشباب ـ وكانت عودة النساء إلى الحجاب ظاهرة هزّت العالم بكل أرجائه ـ وكذلك الظهور القوي للفكر الإسلامي والكتاب الإسلامي والبنوك الإسلامية وكذلك الصحافة الإسلامية.

فحين تذهب لتؤدي فريضة الحج أو العمرة تجد أن أكثر الحجاج والمعتمرين من الشباب صغيري السن ـ وحين تسير في الشوارع وتعرّج لأداء الصلاة تجد أن المساجد يملؤها الشباب صغيرو السن فينشرح الصدر ويكبر الأمل في غد مشرق للإسلام.

وعن انتشار الحجاب بين الفتيات على مستوى العالم الإسلامي فحدّث ولا حرج حتى لقد وصلت هذه الظاهرة الرائعة إلى فرنسا ـ أم الحريات ـ وهناك ترتدي الفتيات المسلمات النقاب أيضا إلى جانب الحجاب.

ثالثا: الظاهرة التي نرصدها للإسلام في القرن العشرين هي سقوط الخلافة العثمانية وما كان لذلك من أثر رهيب أدى إلى تمزق الدول الإسلامية وهذا ما يريده الاستعمار، بل رأينا الدول الإسلامية وقد دخلت في حروب شديدة

المراس من أجل فكرة اخترعها المستعمر وهي التمسك بالحدود لكل دولة.

رابعاً: بلغ عدد المسلمين في نهاية القرن العشرين ما يقرب من مليار وثلاثمئة ألف مليون نسمة لكن للأسف كانوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كغثاء السيل بمعنى أنهم كم بلا كيف ذلك لأن حب الدنيا سيطر عليهم وأنساهم أنفسهم وأنساهم واجباتهم وكلنا يعلم أن الواجبات أكثر من الأوقات، وليس حب الدنيا فقط هو الذي سيطر على مسلمي العالم ولكن كراهية الموت أيضاً.

خامساً: عجز المسلمون في عصر الصناعة عن الاستغناء عن



أهل الغرب مما جعل الشيخ محمد الغزالي رحمه الله يقول: «نستقدم الخبراء ليعلمونا النظافة والسير في الشوارع ونستورد السيارات لنكتب عليها «عين الحسود فيها عود».

أين الصناعات الإسلامية؟ أين المنتجات الإسلامية التي تحارب اقتصادياً منتجات اليابان مثلاً؟

سادساً: لقد رصد الدكتور/ يوسف القرضاوي أحد المفكرين الإسلاميين بعض الحلول الإسلامية لنخرج بالإسلام إلى آفاق أرحب فقال: لننتقل من الشكل إلى الجوهر، ومن الفروع إلى الأصول ومن القول إلى العمل، ومن الجزئيات إلى الكليات ومن المختلف فيه إلى المتفق عليه، ومن النوافل إلى الفرائض ومن التنفير إلى التبشير ومن التخبط إلى التخطيط.

وحين نصح الشباب المسلم لكي يبتعد عن التطرف قال:

أوصى الشباب المسلم بأن ينزلوا إلى الناس في مواقعهم ليسهموا في تعليم الأميين حتى يقرأوا، وفي علاج المرضى حتى يصحوا، وفي تقوية المتعثرين حتى ينهضوا، وفي مساعدة المتبطلين حتى يعملوا - وفي معاونة المحتاجين حتى يكفوا - وفي توعية المتخلفين حتى يتطوروا - وفي تذكير العصاة حتى يختبئوا - وفي مطاردة المرتشين حتى يرتدعوا - وإنصاف المظلومين حتى ينتعشوا.

كما أوصى الشباب أن ينشؤوا لجاناً لمحو الأمية، وجمع الزكاة وتوزيعها ولإصلاح ذات البين، ولمحاربة الأمرض المتوطنة، ولمعالجة الإدمان على التدخين أو المسكرات أو المخدرات، ولمقاومة العادات الضارة ونشر العادات الصالحة بديلا عنها.

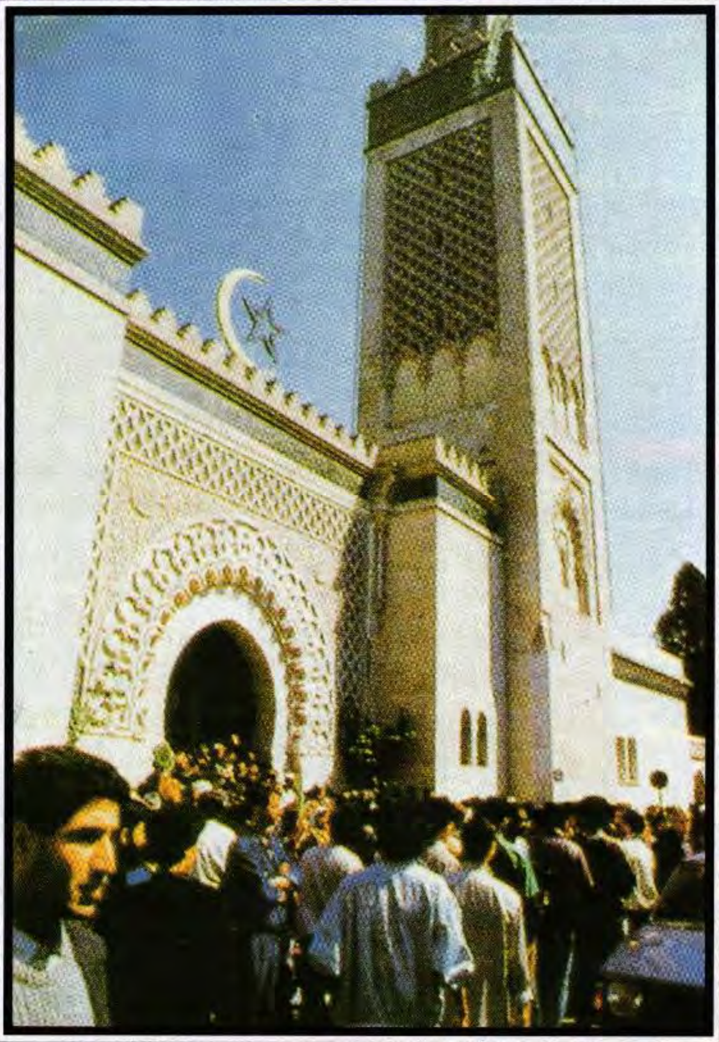
وما أكثر الميادين التي تحتاج إلى جهود الشباب وعزائم الشباب وحماس الشباب!

والظواهر الإسلامية في القرن العشرين أكثر مما نحصره هنا في سطور قليلة - وعن القرن الحادي والعشرين - وهو قرن التحدي بين الإسلام والغرب - وقد قالها ريتشارد نيكسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية «بعد انحسار الشيوعية لم يعد هناك عدو لأمريكا سوى الإسلام»، وقبل بداية القرن الحادي والعشرين نسأل أنفسنا «نحن المسلمين» سؤالا ويجب أن نجيب عليه بكل الصدق والصراحة.

من نحن؟ نحن مسلمون

إذن فلا انتصار لنا إلا بالإسلام

والمعنى أنه لا تقدم لنا ولا انتصار ولا تفوق ولا قوة في هذه الحياة إلا بالإسلام فالدين والخلق والمعاملة والعلم والزي والسلاح والأخوة والتعاون ونصرة المظلوم وإقامة الفرائض ومحاربة البدع واحترام التخصص والتيسير في أمور الدين والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وحسن الظن بالمسلمين، والكلمة الطيبة وإماطة الأذى عن الطريق ومسح دموع اليتامى وإغاثة الملهوفين وجبر كسر المكسورين، ومداواة جراح القلوب الحزينة واحترام الصغير ورحمة الكبير للصغير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تفرض على المسلم أن يتمسك بالإسلام ويطبق على نفسه الشريعة الإسلامية قبل



أن يلزم بها أحداً.

«إن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة».

إن مسؤولية المسلمين في القرن الجديد هي إطعام الجائع وإيواء المشرد وتعليم الجاهل.

وأن يتفق المسلمون على فقه جديد هو فقه الأولويات ويجب أن تتوحد جهات الفتوى في العالم الإسلامي حتى لا يقع المسلمون في شراك اختلاف العلماء والمذاهب.

إن مسألة الفخر بالماضي بالنسب إلى الأمة الإسلامية لا يكفي - صحيح إننا أصحاب مجد عظيم لكن يجب أن نصله بالمستقبل المشرق -

وفي نهاية المقال أهمس في أذن المسلمين في العالم كله وأقول:

- الإسلام ظل ألف عام يقود الدنيا حتى ترك المؤمنون عطاء الله فتخلفوا.

- الدول الكافرة تحاول بالحضارة المادية أن تشكك المسلمين في دينهم.

- لا يمكن أن نقيم بلدا بالكلام ولكن لأمة لا تقوم ولا تتقدم إلا بالقدرة. ■

فكر

العلمانيــة
معناها وتعريفها

ظهرت العلمانية كمصطلح في منتصف القرن الماضي، وتعني: دنيوياً لادينياً ويقابلها باللغة الانكليزية «secular» وبالفرنسيةseculavise أو Lainguc وهي كما ورد في معجم العلوم الاجتماعية نسبة إلى: العلم بمعنى العالم. وهو خلاف الديني أو الكهنوتي.. وهذه تفرقة مسيحية لاوجود لها في الإسلام، وأساسها وجود سلطة روحية هي سلطة الكنيسة، وسلطة مدنية هي سلطة الولاة والأمراء.

بقلم: سامي الحيتاوي

والعلمانيون يحكمون العقل دون تقيد بنصوص دينية، وكانوا في خلاف مع الكنيسة ورجال الدين وأوضح مايبدو نشاطهم في الثقافة والتعليم، وعدت الثورة الفرنسية من أكبر الحركات العلمانية (١).

وفي تعريف آخر: العلمانية: تنسب على غير قياس إلى العالم أو العالمية، وهي نظام من المبادىء والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الايمان الديني والعبادة الدينية، وهي اعتقاد بأن الدين والشؤون الاكليريكية « اللاهوتية والكنسية والرهبنة» لاينبغي ان تدخل في اعمال الدولة، وبالأخص في التعليم العام (٢) ويعرفها بعضهم بقوله:«هي النظام الذي يضع حاجزاً فاصلا بين القطاعين- الروح والزمن - وفق تعريف الفقه المسيحي، والمعاملات والعبادات حسب الفقه الاسلامي».

وأي نظام لايحترم هذا الفصل سواء ترك القطاع الزمني يطغى على القطاع الروحي، أو القطاع الروحي على القطاع الزمني لايمكن أن يسمى علمانيا(٣).

وفي تعريف اخر «العلمانية» ترجمة للكلمة اللاتينية sec-ular ومعناها في اللغات الأوروبية لاديني، ومعنى هذا ان العلمانية: هي الفكرة القائلة بانه من الممكن دراسة الإنسان والمجتمع كما تدرس الأشياء، على أساس تطبيق وسائل الدرس والملاحظة التي تمارسها العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الاجتماعية(٤) ويعرفها بعضهم بشيء من التوسع فيقول:«العلمانية هي الاسم الديني للهيومانيتية اي «الفلسفة الانسانية» في أوروبا، وتميز انتصارها بفصل الدين عن الدولة وبظهور الدولة القومية، وبإحلال القانون الوضعي، وبانحسار

وليحافظ اليهود على نسلهم من الانقراض استنبطوا وسيلتين خطيرتين هما: المال.. والذكاء

الحكم بالحق الإلهي وانتشار الحكم بالحق الطبيعي، وهو ماميز التقدم في الثيوقراطية الى الديموقراطية وبمناهضة الكهنوت، وبهجران الرهبان للاديرة، وبالتحول من حياة التأمل إلى حياة العمل، وبذبول العلوم اللاهوتية، وازدهار العلوم الوضعية» (٥).

ولعل أوضح تعريف للعلمانية هو ذاك الذي ورد في مناقشات المجلس النيابي الفرنسي لدستور ١٩٤٦/١٠/٢٧م وقد جاء فيه:

ان العلمانية هي حياد الدولة تجاه الدين. اي ان الدولة لاتلتزم باي معتقد أو دين، كما أنها لاتخص اي دين باعتراف خاص به او بعطف خاص أو بمساعدة امتيازية، ولاتقوم في الوقت نفسه بالدعوة للايمان باي دين.

فالعلمانية بايجاز هي عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للافراد، وعن شؤون الإدارة والتعليم والحكم.

غير أن هذا المفهوم للعلمانية لم يبق في هذه الحدود، بل اصبح له مع مرور الزمن عدة مفاهيم متباينة وذلك حسب طبيعة الصراع وحدته بين السلطتين الدينية والدنيوية في أوروبا، الا انها في معظمها يمكن اعتبارها ملحدة ومعادية للدين.

بداية الخطة واسبابها:

من الأمور البديهية والمعروفة.. ان اليهود في كل زمان ومكان يعملون ضد الدولة التي ينعمون بخيراتها.. ويسعدون بالأمن في ظلها.. فنجدهم يساعدون الفاتح الغازي ضد أهل البلد الذي يقيمون فيه.. ويقومون بأعمال التخريب والتجسس ضد أهل الوطن الذي يبتلى بهم. وتكرر ذلك منهم على مدار التاريخ.. وشواهد ذلك اكثر من أن تحصى.. فهم لايقدرون على الظهور باشخاصهم والجهر بعداوة من حولهم.. فيظل الحقد يتفاعل في نفوسهم وقلوبهم حتى تسنح الفرصة بقدوم طارئ، خارجي أو ازمة مستحكمة أو فتنة عارمة. فيطلون من جحورهم.. كالجراثيم الكامنة في الجسم.. تظل مختفية طالما هو قوي ومعافى.. فإذا انست فيه ضعفا ظاهرا هجمت عليه وتجمعت مرة واحدة.. واعانت الضعف والمرض على تمزيقه..

حتى ان بعض المؤرخين.. والمؤرخ «جيبون» على وجه الخصوص.. في كتابه التاريخي «انهيار وسقوط الامبراطورية الرومانية» ارجع سقوط الامبراطورية الرومانية إلى نفوذ اليهود الفاسد.. وتغلغلهم في أمور الحياة العامة.. وقد دخل اليهود أوروبا.. وبخاصة في المنطقة اليونانية قبل عهد السيد المسيح- عليه السلام- وتحدث قدماء الاغريق عن هؤلاء الغزاة الذين انتشروا بسرعة هائلة في الامبراطورية الرومانية وأوروبا الوسطى.. وقد ظهر التاجر اليهودي والفنان اليهودي وتاجر الرقيق اليهودي في الدولة الرومانية.. وتكاثروا بعد القرن الثاني للميلاد.. وكان مركزهم في العالم الروماني يزداد أهمية حتى وقت انهيار الامبراطورية.

كتبت الموسوعة اليهودية عن حال اليهود في عهد «جستنيان» تقول مانصه:

«كان اليهود يتمتعون بكامل حرياتهم الدينية وغيرها مقابل ان يقدموا للدولة كل واجبات المواطن.. كما فتحت لهم أبواب الوظائف العامة وكان هذا سببا من اسباب تغلغل اليهود كالجراد المنتشر.. مما جعل كثيراً من الكتاب يهاجمون الرومان المعاصرين لهم بمرارة.. لتساهلهم مع اليهود.. ولما بدأت الامبراطورية الرومانية في الاضمحلال.. وأخذ نجمها في الأفول وأصبحت على وشك الانهيار النهائي.. وخيمت عصور الظلام على الغرب كان اليهود يتحكمون فيما بقي من تجارة أوروبا».

تقول الموسوعة البريطانية: كانت عند اليهودي الرغبة الأكيدة في التخصص في التجارة.. وساعدهم على ذلك مؤهلاتهم الخاصة بهم من غش وربا.. فتجارة غربي اوروبا وبخاصة تجارة العبيد في العصور الأوروبية المظلمة كانت في يد اليهود وسجلات «أديرة كارولينا» كانت تشير إلى أن كلمتي :تاجر.. ويهودي تعبيران يدل احدهما على الآخر لدرجة انه اصبح من النادر لغير اليهودي ان يشتغل بالتجارة.. فقد كادت أن تكون احتكارا يهوديا.. حتى أن عملة «نقود» بولندا ورومانيا حملت في وقت من الأوقات كتابات يهودية، وهذه السيطرة على التجارة تشمل التحكم في طرق التجارة الشرقية.. ولم يكن هناك خلاص من هذه الحال الا بعد طرد اليهود من أوروبا في القرن السابق مباشرة لعصر النهضة..» وقد حصل.. وفي رأيي الخاص لن تكون هناك نهضة في العالم العربي والاسلامي.. بل لن تقوم قائمة إلا بعد طرد اليهود من بيت المقدس واكناف بيت المقدس وكل فلسطين.. وهاكم الدليل:

ففي عام ١٢١٠م قصمت الكنيسة الكاثوليكية ظهر اليهود في أوروبا في اجتماع «لاترين الرابع» وحطمتها بمجموعة من القيود لتكبح جماح احتكار اليهود التجاري.. ووضعت قيودا لإقامة اليهود مع المسيحيين ومنعتهم منعا باتا من استئجار العمال المسيحيين.. كما منعتهم من الارتباط بأنواع كثيرة من انواع النشاط التجاري.

ومع أن اجتماع «لاترين الرابع» وضع قيودا على التجارة اليهودية إلا أن ذلك لم ينه المشكلة اليهودية.. ولكن مع نهاية القرن الثالث عشر بدأت الدول الأوروبية في طرد اليهودية من بلادها دولة بعد أخرى كحل اخير لهذه المشكلة.

العلمانية هي حياد الدولة تجاه الدين كما أنها لاتخص اي دين باعتراف خاص به او بعطف خاص أو بمساعدة امتيازية

وقد خطت «انكلترا» الخطوة الأولى .. حيث طردتهم عام ١٢٩٠ في عهد ادوارد الأول.. ولم يسمح لهم بالعودة حتى عام ١٦٥٥م وتبعتها فرنسا.

فطردهم «فيليب العادل» من بلاده عام «١٣٠٦» بعد مصادرة أموالهم وثرواتهم.. وسمح للقليل بالعودة ثانية إلى فرنسا، ولكنهم طردوا ثانية عام «١٣٩٤م» ثم سمح لهم بالعودة وعلى نطاق ضيق.. واستقروا في مقاطعات بوردو، وأفيجنون، ومرسيليا، وطردوا للمرة الثالثة عام «١٦٨٢م».

وبتتابع منتظم اقتدت معظم الدولة الأوروبية بهذا العمل.. فطردتهم المجر عام «١٣٦٠» ولكنهم عادوا ثانية فطردوا منها عام «١٥٨٢م» ولم يعودوا اليها بأعداد كبيرة حتى عام «١٧٠٠» وطردوا من «تشيكوسلوفاكيا» عام «١٣٨٠» ثم عادوا ثانية بعد العام «١٥٦٢م» ثم طردتهم «ماري تريزا» عام «١٧٤٤» وطردهم «البرخت الخامس» من النمسا عام «١٤٢٠م» وطردهم «اترخت» من هولندا العام «١٤٤٤م».

وطردوا من اسبانيا عام ١٤٩٢ ومن البرتغال عام ١٤٩٨ وطردوا من بروسيا عام ١٥١٠ ومن مملكة نابلي وسردينيا في ايطاليا عام ١٥٤٠ وطردوا نهائيا من بافاريا عام ١٥٥١م ولم يسمح لليهود بدخول السويد حتى عام ١٧٨٢م ،كما لم يسمح لهم بدخول الدنمارك قبل القرن السابع عشر.. كما لم يسمح لهم بدخول النرويج قبل عام ١٨١٤م. اي انه في الفترة الواقعة بين ١٣٠٠م- ١٦٥٠م. والتي رحل اليهود فيها عن أوروبا .وبالأصح طردوا منها.. بدأ عصر النهضة الذي عم جميع أوروبا.. فقرر اليهود نتيجة لذلك الانتقام من هذه الدول المسيحية.. ولايتم لهم ذلك إلا بفصل الدين عن الدولة، فأثارت بواساطة الماسونية- مطية اليهود- الصراع الدموي بين الكنيسة والسلطة مما نتج عنه عودة البابا الى قمقمه.. والحد من سلطانه.. ثم فتحت لهم الثورة الفرنسية -الماسونية - الباب على مصراعيه.. للدخول إلى اوروبا وكتم انفاسها من جديد.. ولتأكيد هذه الحقيقة اقرأ معي- أخي القارىء- هذا المقال الذي نشرته مجلة «المعرض» البيروتية في عددها رقم «١٣٠٠» بتاريخ ١٢ حزيران عام ١٩٣٢. وأورده يوسف الحاج في كتابه هيكل سليمان ص ٥٣ تحت عنوان: كيف ينتقم اسرائيل.. جاء فيه:-

«جيوفاني بابيني كاتب ايطالي شهير.. ونقادة لاذع.. يخلط الجد بالهزل ويخرج منها الحقائق الناجعة أو المساخر المضحكة.. نشر منذ سنتين كتابا بعنوان «غوك» انتقد فيه الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في العالم.. وحاول فيه الانتصار للثقافة اللاتينية على أي ثقافة أخرى إلى ان تقول المجلة:-

وفيما يلي نعرب للقارىء، فصلا ممتعاً من هذا الكتاب ضمنه المؤلف حديثاً لفيلسوف يهودي عن اليهود.. يقول الكاتب:-

نشرت في عدة صحف الاعلان التالي:

اطلب سكرتيرا عازبا فيلسوفا يحسن عدة لغات ويحب حياة التشرد والطواف.. فما كادت الصحف تنشر لي هذا الاعلان حتى تقدم لمقابلتي ثلاثة وستون شخصا بينهم «٤٧» يهوديا.. فاخترت من بينهم اسرائيليا بدا لي أوفرهم ذكاء.. إلى ان يقول كاتب المقال: فسألته إذ جلست أحادثه قلت: ماهو السر في كون اليهود عادة قوما أذكياء وجبناء معا..؟

فأجاب: أما انهم جبناء فذلك صحيح من الوجهة الجسدية الحيوانية البحتة إلى ان يقول: منذ تشتت اليهود إلى اليوم وهم يعيشون من غير دولة ولا حكومة ولاجيش بل تراهم مبعثرين هنا وهناك.. فوق هذه الكرة الأرضية بين أناس يكرهونهم ويبغضونهم.. إلى ان يقول: وليحافظ اليهود على نسلهم من الانقراض اضطروا ان يخلقوا وسائل للدفاع عن كيانهم فاستنبطوا وسيلتين خطيرتين هما: المال.. والذكاء.

ثم يقول كاتب المقال:

لقد أراد اليهود ان يدمر كل ماهو قائم من مبادىء وعلوم ومثل عليا تقوم عليها النصرانية.. فإذا تعمقت قليلا في درس احوال العالم منذ قرن إلى اليوم.. رأيت ان الذكاء اليهودي لم يفتأ يعمل بجد ونشاط على تدمير أعز ماعندكم من معتقدات، وهدم هذه الأعمدة التي شيدتم عليها بنائكم الفكري.. اجل ماكاد اليهودي يحصل على حرية الكتابة حتى تداعت قصوركم الرجعية الروحية وأصبحت عرضة للانهيار.

خلق «الرومنتسيم» الالماني الخيال السامي.. واعاد مجد الكاثوليكية فجاء اليهودي «هاينتي» وراح يسخر من شعراء الرومنتسيم.. ويضحك من «الكثلكة».

اعتقد الناس زمنا طويلا ان السياسة والاخلاق والدين والفن هي ظواهر سامية للفكر ولاعلاقة لها قط بالبورصة وشؤون البطن. فجاء اليهودي «ماركس» وأثبت ان هذه الاشياء الخيالية انما تعيش فوق اقذار علم اقتصاد حقير.

وفي أواخر التاسع عشر كانت أوروبا تولستوي، وفرلين، ونيتشة.. وأبسن.. تفخر بانها قد بلغت من الرقي الانساني شأوا عظيما.. فجاء اليهودي «ماكس نوردو» وأثبت ان شعرائكم هم قوم معتوهون بلهاء.. وان حضارتكم قائمة على الكذب والرياء.

كان كل منا يعتقد انه انسان سالم من كل فساد وشذوذ فجاء اليهودي «فرويد» باكتشافه الشهير في شؤون الجنس وقال: بأن أكثرنا فضيلة وتقوى يخفي في أعماق كيانه رجلا فاسقا شاذا مجرما.

اعتاد الناس منذ القرون الوسطى ان يعتبروا المرأة وينظروا إليها نظرهم إلى معبود.. فجاء اليهودي «واينجر» وبرهن بالعلم أن المرأة هي أقذر مخلوق على وجه الأرض وانها بؤرة فساد.

كان المفكرون والفلاسفة يعتقدون ان الذكاء هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن الوصول على يدها للحقيقة التي هي غاية الانسان. فجاء اليهودي «برجسون» وقلب بتحاليله النابغة والدقيقة هذا المعتقد رأسا على عقب، وأثبت أن العقل يعجز عن ادراك الحقيقة.. كان الناس يعتقدون ان الديانات هي نتيجة تعاون جميل منسجم بين الله وأسمى قوى الإنسان.. فجاء اليهودي «سلامون ريناخ» واستطاع بدهائه وذكائه ان يبرهن ان الديانات هي خلاصة خرافات ومحرمات وحشية.. إلى أن يقول المقال:–

«فانت ترى أن اوروبا الأدبية هي اليوم تحت سيطرة هؤلاء النوابغ من اليهود الذين ذكرت.. وهم بالرغم من اختلاف جنسياتهم وتباعد اوطانهم انما يسعون وراء غاية واحدة مشتركة هي ان ينقضوا الحقائق القائمة «ويهدموا كل ماهو ثابت «ويحتقروا كل ماهو محترم، ويسفلوا كل ماهو عال «ويفسدوا كل ماهو طاهر.. تلك هي طلائع الانتقام اليهودي الأعظم من اليونان واللاتين والنصارى.. فان اليونان قد سخروا منّا «والرومان شتتوا شملنا، والنصارى عذبونا ونهبونا.. ونحن الضعفاء الذين لم يستطيعوا ان ينتقموا لأنفسهم بالقوة.. إنما نُسيِّر اليوم هجوما عنيفا على أركان المدنية التي خلفتها أثينا افلاطون وروما الأباطرة والبابوات.. وان انتقاما على وشك ان يتحقق.. فنحن أسياد الأسواق المالية والفكرية في العالم «نديرحركتها على مانشتهي ونريد «واليهودي يجمع في شخصه نقيضين.. فهو المستبد في ميدان الماديات «وهو الفوضوي في حقل الفكر.. وأنتم عبيدنا في ميادين الاقتصاد «وضحايانا في ساحات الفكر.. ان الشعب الذي اتهموه انه قدّم الإله قربانا يريد اليوم أي يقضي على إلهين: الذكاء والعاطفة.. ويجعلكم تسجدون وجباهكم معفرة بالتراب أما الاله الجبار: المال..»ا.هـ

> **استطاع اليهود عن طريق الماسونية.. من العودة إلى اوروبا.. والاستقرار فيها.. والتحكم في مصائر أبنائها**

وقد نقلناه على طوله ليرى المفكرون ماذا يدبر اليهود للانسانية.. وقد استطاع اليهود عن طريق اليهود وعن طريق الماسونية.. وعلى ظهور الماسونيين.. مطايا اليهود من العودة إلى اوروبا.. والاستقرار فيها.. والتحكم في مصائر أبنائها فيما بعد.. ولو رجعنا إلى تاريخ دخول الماسونية إلى هذه الدول.. لوجدناه متوافقا مع الفترة الزمنية التي سمح فيها لليهود بالعودة إلى البلاد الأوروبية بعد طردهم منها.. ويعتبر عام «١٧١٧» هو العام الذي بدأت فيه الماسونية بالانتشار في بريطانيا «ومنها انتقلت إلى معظم البلاد الأوروبية تقريبا.. ففي بريطانيا مثلا: انتخب «الدوق مونتاجو» عام ١٧٢١م استاذاً أعظم للماسونية في بريطانيا «وفي عام ١٧٣٧ انتظم «البرنس فردريك أوف ويلس» في سلك الماسونية.. وفي عام ١٧٦٧ انتخب «دوق بوفورت» لرئاسة المحافل الماسونية.

وفي سنة ١٧٩٠ انتظم في سلك الماسونية «دوق كنت» و«اغسطس فردريك» ثم «دوق سكس» ولما تُوفي «دوق كمبرلند الذي كان الاستاذ الأعظم للمحافل الماسونية في ذلك العام.. انتخب مكانه الملك جورج الرابع الذي ساعد على انتشار الماسونية.. وعمل على توحيد المحافل الماسونية البريطانية تحت رئاسة محفل واحد أطلق عليه اسم «محفل انكلترا الأكبر المتحد».

وفي عام «١٨٧٤» انتخب «ادوارد السابع» استاذا الأعظم

المحافل الماسونية في بريطانيا واستمر كذلك حتى «١٥فبراير سنة١٩٠٠» حيث انتخب «دوق كنت» استاذا أعظم عوضا عن «ادوارد السابع» الذي ارتقى عرش بريطانيا.. ومنذ ذلك التاريخ وبريطانيا - صانعة مشاكل العرب والمسلمين- مطية ذليلة وذلولة لليهود.. ومن يراجع اسماء مجلسي العموم واللوردات وأسماء الأعضاء البارزين في الوزارات البريطانية المتعاقبة والاحزاب البريطانية «الأحرار- المحافظين- العمال» يجد غالبية ذوي النفوذ من اليهود.. او الماسونيين.. وهذا هو سر عدم سماحها لاستقبال اللجنة التي شكلتها الجامعة العربية مؤخرا لشرح القضية الفلسطينية، والتي كانت تضم في عضويتها احد أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية.. بل سر موقفها من القضية الفلسطينية عموما حيث تقف دائما في صف اليهود.. وليس كما يقول البعض- عن جهل وسوء نية- لأن مصلحتها في ذلك.. بل لانها مرغمة على ذلك.. وقد صدر مؤخرا في لندن كتاب تحت عنوان «ذا برادر هوود» يلقي كاتبه مزيدا من الأضواء على أسرار وخفايا الماسونية.. ولهذا الكتاب الذي وضعه البريطاني «ستيف نايت» أهمية خاصة.. إذ انه الأول من نوعه الذي يسلط الأضواء على الماسونية البريطانية من زاوية ارتباطها المباشر بوكالة الاستخبارات السوفيتية ال«ك.ج.ب» ويعدد الكاتب الأساليب التكتيكية المبرمجة جيدا والتي مكنت ال«ك.ج.ب» من استخدام الماسونية البريطانية البالغ عدد افرادها«٧٥٠» ألف عضو.. والتي استطاعت بوساطتها إحداث العديد من الاختراقات البالغة الخطورة في صفوف وكالة الاستخبارات السرية البريطانية الملكية المعروفة بـ «الانتجلنس سرفيس».

وبتوجيه من قادة «ال.ك.ج.ب» في موسكو.. يضيف «نايت» قائلا: بأن الماسونيين البريطانيين كانوا يستعملون سلاح الابتزاز الشخصي لتوريط القادة والمسؤولين البريطانيين وإجبارهم على تأدية الخدمات المطلوبة.. إذ كانوا يعمدون إلى مراقبة الضحية لفترة طويلة بحيث يكونون ملفاً مفصلا بكل دقائق تحركاته وارتباطاته في حياته الخاصة والعامة إلى أن يتمكنوا من اقتناص الفرصة الذهبية لالتقاط وثائق صوتية أو بصرية تدين الرجل المعني.. وتهدد بإثارة فضيحة تقضي قضاء مبرما على وضعه السياسي او الاجتماعي او العائلي.. وبالتالي فإنه يتحول إلى حمل وديع رهن اشارة المسكين بعنقه.. مُهددا بالوثائق التي يملكون.

وفي كتاب «ستيفن نايت» فصل كامل مخصص للحديث عن البنية التنظيمية للماسونية البريطانية.. ليس هذا مكان بسطها.. الا انه ذكر بانها تضم عددا يناهز الثلاثة ارباع مليون عضو.. يتوزعون على عشرة الاف محفل.. «والمحفل» هو المكان الذي يلتقي فيه الماسونيون في أي بلد.. لممارسة طقوسهم ومؤامراتهم» على رأس كل محفل منها واحدة من الشخصيات الفاعلة في الحياة العامة في بريطانيا من سياسية أو ادارية أو مالية أو صناعية أو ثقافية أو حزبية.. الخ على أن أخطر مافي الكتاب.. تأكيد «نايت» على وجود قاعة خاصة في المقر المركزي بشرطة «سكوتلانديار البريطانية في لندن» مخصصة لإقامة المراسم والطقوس الماسونية الخاصة بالماسونيين والتي تعقد بصورة دورية منتظمة.

> **معظم المحافل الماسونية في العالم العربي تابعة للمحفل الاكبر البريطاني كما يؤكد على مدى الترابط بين الماسونية اليهودية العالمية.. والشيوعية العالمية.**

بل ذكر بأن «أربعة عشر» شخصا فقط من كبار قادة «اسكوتلانديار» الاثنين والخمسين مايزالون خارج الاخطبوط الماسوني اليهودي.. مما يؤكد على مدى قوة النفوذ الماسوني اليهودي في بريطانيا.. وللعلم فإن معظم المحافل الماسونية في العالم العربي تابعة للمحفل الاكبر البريطاني كما يؤكد على مدى الترابط بين الماسونية اليهودية العالمية.. والشيوعية العالمية.

أما فرنسا.. فحدّث عن الماسونية فيها ولاحرج.. فقد تأسس أول محفل ماسوني بها عام ١٧٤١م في «دنكرك» بإجازة من المحفل الاكبر الانكليزي.. وفي عام ١٧٢٥م تأسس أول محفل ماسوني في العاصمة الفرنسية باريس.. واستمر نشاطه حتى عهد «لويس الخامس عشر» الذي كافح الماسونية بكل مايملك من قوة.. لذلك شوه اليهود وأذنابهم سمعته ورموه بكل النقائص.. وكان قد أصدر منشوراً عام ١٧٣٧م منع فيه رجال حاشيته الملتحقين بالماسونية من الحضور في مجلسه. وانضم اليه البابا «الكيمندس الثاني عشر» في مكافحة الماسونية.. فأصدر في ٤ ابريل سنة ١٧٣٨ منشوراً شديد اللهجة يهدد فيه الكهنة وغيرهم بالحرمان إذا انضموا إلى تلك الجمعية المجرمة أو أخذوا يناصرونها.

واستمرت الماسونية تعمل في السر بالرغم من ملاحقة السلطات الفرنسية لها.. إلى أن قررت في عام «١٧٥٥» الانفصال عن التبعية للماسونية الانكليزية.. فأسسوا المحفل الاكبر الفرنسي تحت اسم «الشرق الأعظم».. فأخذ يشرف علي جميع المحافل الماسونية التابعة له.. ومن ضمنها بعض المحافل العاملة في العالم العربي.. واستمرت المحافل الماسونية الفرنسية تعمل في السر ويلف اعمالها الكتمان.. إلى أن تمكنوا من تفجير الثورة عام ١٧٩٨ التي هي ثورة يهودية من ألفها إلى يائها.■

الهوامش:

١-انظر معجم العلوم الاجتماعية- مادة علمانية- اليونسكو القاهرة١٩٧٥ص ٤٢٥

٢-انظر «الاسلام» في حل مشاكل المجتمعات المعاصرة ص١٢ د. محمد البهي

٣-لبنان الآخر- مؤتمر العلمانية واليهودية العربية- ص٩٨- تعليق: وائل خير.

٤-انظر سقوط العلمانية ص -١٠ انور الجندي

٥- انر مقالة د. لويس عوض- المصور المصرية- أواخر أيلول/١٩٨٣

٦- انظر العروبة والعلمانية- جوزيف مغيزل ص ١٣- بيروت

فكر اسلامي

الخطاب الإسلامي.... في ظل «العولمة»

٢

بقلم الدكتور: عبدالصبور فاضل

يقصد بكلمة الخطاب والمخاطبة في اللغة: كالمه وحادثه أي وجه إليه كلاماً ويقال خاطبه في الأمر: حدثه بشأنه، والخطاب: الكلام والرسالة، وفصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب قال تعالى في شأن سيدنا داود عليه السلام: «وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب» ص : ٢٠.

قال المفسرون: إن فصل الخطاب هنا معناه: الكلام البيِّن الذي يفهمه من يخاطب به، وقال الإمام القرطبي: هو البيان الفاصل بين الحق والباطل.

وفي آية أخرى من السورة ذاتها يقول الحق: (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب) الآية ٢٣، أي غلبني في الخصومة، وشدد عليَّ في القول وأغلظ، وهناك كلمة «الخَطْبُ» أيضاً وهي تعني: الحال والشأن، قال تعالى: (قال فما خطبكم أيها المرسلون) الذاريات: ٣١، أي ما شأنكم الخطير الذي لأجله أرسلتم أيها الملائكة الأبرار، وعلى هذا فالخطب يعني الأمر الشديد الذي يكثر فيه التخاطب.

تبادل الكلام

إذن: الخطاب ليس مجرد كلام يُقال بل هو تبادل الكلام مع الآخرين، وهو في الوقت نفسه ليس مجرد كلام يقال فحسب، بل لابد من انتظار رد فعل أو نتيجة بشأنه، والخطاب كلام معتدل ومتوازن ليس فيه اختصار مخل ولا إسهاب ممل.

وقد استعمل لفظ الخطاب في علم أصول الفقه عند تعريف الحكم الشرعي على أنه خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع، كما استخدمت ألفاظ مرادفة للفظ الخطاب في التراث العربي والإسلامي مثل: المقال والمقولة والأقاويل، ولفظ المقال في «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري يرادف لفظ الخطاب.

والخطاب في أحد تعريفاته الإجرائية هو عبارة عن: وصف المضمون الفكري الذي تشير إليه لغة فرد أو جماعة، وما يحمله هذا المضمون من رسالة إلى الآخرين، ويتضمن هذا الوصف في العادة تحليل اللغة المستعملة في الخطاب، ومدى وضوح دلالاتها عند المخاطبين، ومدى الاتساق الداخلي لأصحاب الخطاب الواحد، ومدى توافق هذا الخطاب مع المواقف العملية لأصحابه، ومستوى الاختلاف والتميز الذي يحققه هذا الخطاب عن أشكال الخطابات الأخرى.

وإذا كان البعض يرى أن المقصود بالخطاب الإسلامي ليس هو «خطاب الإسلام» ممثلاً في نصوص الوحي من القرآن والسنة، وإنما هو «خطاب الإسلاميين» في التعبير عن الرسالة

هناك فرق بين «خطاب الإسلام».... و «خطاب الإسلاميين»

دعاة «العولمة» يضعون الإسلام.... في مقدم الأخطار

التي يوجهونها إلى الآخرين في شأن من الشؤون... و«الإسلاميون» أفراداً أو جماعات من المسلمين يتميزون عن غيرهم بقراءة خاصة للإسلام ربما تختلف عن قراءة غيرهم من سائر المسلمين في وجهة نظرهم.

خطورة المفهوم

إلا أن هذا المفهوم ينطوي على فصل واضح بين الدين والدولة أو بين الدين والحياة، ومن شأنه أن يخلق أنواعاً شتى من «الإسلاميين» كل له رؤيته وفلسفته ومنهجه تجاه الأصول العامة التي أرساها الإسلام والتي يجب الأخذ بأصولها والاجتهاد في فروعها وهو ما ابتليت به الأمة الإسلامية في فترات انحسار قوتها..... فأركان الإسلام وما يتصل بها من غيبيات ليست موضع خلاف أو اجتهاد، أما الفرعيات فقد أعطى الإسلام رخصة الاجتهاد فيها للعقل الإنساني ممثلة في إعمال العقل بالبحث والنظر والاستدلال للوصول إلى الحقيقة والغاية النبيلة المجردة من كل هوى بما ينفع الناس في دنياهم وأخراهم.

خطاب غير الإسلاميين

ومن هذا المنطلق تولد خطاب «غير الإسلاميين» وهو خطاب يقول به أفراد أو جماعات لا تحب أن تنتسب إلى جماعات «الإسلاميين» ويتوزع طيف هؤلاء بدءاً بمن يدعي أنه أولى بالإسلام من الإسلاميين، ومروراً بمن لا يعي معنى الانتساب إلى الإسلام وانتهاء بمن ينكر شأن الدين جملة في القضايا العامة. وإذا كانت هذه المفاهيم أو تلك برزت على مستوى المجتمع الإسلامي، فإنها يجب أن تختلف في ظل المستجدات العالمية الراهنة، فمنذ أواخر عقد الثمانينات من هذا القرن، برزت على الساحة الدولية مصطلحات جديدة لم تلبث أن تتحول من النظرية إلى التطبيق بسرعة مذهلة. مثل «العولمة» أو «الكونية» التي انطلقت من الغرب مصحوبة بدعاية منظمة لترويجها زاد من شدتها انهيار النظام الشيوعي.

ظهور «العولمة»

وظهرت «العولمة» كمفهوم في أدبيات العلوم الاجتماعية

الجارية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغيير في مجالات مختلفة يتحاشى بعض فلاسفتها ومروجيها إدخال الدين ضمن تلك المجالات، فهم يحصرونها في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال، وأنها تقوم على أربع عمليات أساسية هي: المنافسة بين القوى العظمى، والابتكار التكنولوجي، وانتشار عولمة الإنتاج والتبادل، ثم التحديث.

ومن ثم فإن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظراً لتعدد تعريفاتها والتي تتأثر كثيراً بانحيازات الباحثين وفقاً لأيديولوجياتهم واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضاً أو قبولاً. فقد عرفها البعض بأنها: تصف وتعرف مجموعة من العمليات التي تغطي أغلب الكوكب أو التي تشيع على مستوى العالم، ومن هنا فالعولمة لها بُعد مكاني، لأن السياسة والأنشطة الاجتماعية الأخرى أصبحت تبسط رواقها على كل أنحاء المعمورة، ساعد على ذلك التقدم الهائل في وسائل الاتصال وقدرتها على اختراق الحدود من خلال الفضائيات التي حولت العالم إلى «غرفة عالية صغيرة» بدلاً من «القرية العالمية».

المحاولات النظرية

وهناك محاولة نظرية في شأن العولمة قام بها «جيمس روزناو» أحد أبرز علماء السياسة الأمريكيين حيث يرى أن مفهوم العولمة يقيم علاقات بين مستويات متعددة للتحليل، الاقتصاد، السياسة، الثقافة، الأيديولوجية، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، تداخل الصناعات عبر الحدود، انتشار أسواق التمويل، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة، ثم يستدرك قائلاً: في ظل ذلك كله فإن مهمة إيجاد صيغة مفردة تصف كل هذه الأنشطة تبدو عملية صعبة، وحتى لو تم تطوير هذا المفهوم فمن المشكوك فيه أن يتم قبوله أو استعماله بشكل أوسع.

وليس هناك أدنى شك في أن للعولمة مخاطرها بما ترمي إليه من تذويب الحضارات وصهر شعوبها في «شعب واحد» بهدف السيطرة عليها والاستيلاء على مقدراتها لضمان استمرارية «القوة العظمى الوحيدة» التي تحكم وتتحكم في العالم مما جعل كثيراً من الشعوب، بل الحكومات في الغرب نفسه تخشى هذا الخطر القادم، وترفض الاستجابة لدعواته والانخراط تحت لوائه.

هجوم أوروبا وفرنسا

فقد صاحب هذه الدعوى ظهور اتجاهات نقدية في الغرب بصفة عامة وفي أوروبا وفرنسا بصفة خاصة، تحاول فهم القوانين التي تحكم العولمة وكان من نتيجتها أن العولمة ما هي في الواقع إلا إعادة إنتاج نظام الهيمنة القديم، وتقديمه في صورة جديدة، وقد تجلى ذلك في الموقف الرافض للحزب الاشتراكي الفرنسي والذي تبلور بشكل خاص في تقرير الحزب الصادر في ٣ من إبريل ١٩٩٦م بعنوان: «العولمة وأوربا وفرنسا» متضمناً أعنف نقد للعولمة الأمريكية، وكذلك عند توقيع اتفاقية «الجات» امتنعت فرنسا وتحفظت كثير من الدول الأوروبية في البداية على البند الخاص بالمجالات الثقافية والإنتاج الإعلامي.

مفهوم «العولمة»... مازال مجهولاً في الغرب!!

الحركات النقدية في أمريكا.... تتهم «العولمة» بأنها إعادة إنتاج نظام الهيمنة القديم

الحركات الفكرية الأمريكية

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ظهرت حركات فكرية مضادة للعولمة داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، وفي الوقت ذاته تحاول هذه الحركات تقديم البديل للعولمة، وقد تمثل ذلك في الكتاب الذي أصدره كل من «جيري ماندر وادوارد سميث» عام ١٩٩٦م وعنوانه: «القضية ضد الاتحاد الكوني ونحو تحول إلى المحلية».

والحقيقة التي لا تقبل المراء أن دعاة «العولمة» يضعون الإسلام في مقدمة الأخطار التي قد تواجههم أو تقوض أركان دعوتهم في جانبها الأيديولوجي، فقد فوجئ العالم الإسلامي عقب انهيار الشيوعية التي كانت تسمى: «إمبراطورية الشر» The Evil Empire ـ بضجة في الغرب ترشح الإسلام لأن يعامل على أنه العدو الجديد والخطر الجديد الذي يواجه الغرب، وإن كانت هذه الدعاوى سبقت ذلك التاريخ منذ أمد بعيد، وكان من نتائجها الغارة الصليبية على العالم الإسلامي.

المصطلحات المتطرفة

وقد تمثلت هذه الضجة الحديثة في كتابات وبحوث ومقالات وكتب وتعليقات إعلامية من ذوي الاتجاهات المختلفة هناك، كان من نتاجها ظهور مصطلحات ومفاهيم متعصبة ومغرضة ومتطرفة في الوقت نفسه مثل: «الخطر الإسلامي» The Islamic threat و«حرب الإسلام ضد المدنية» The Islamic War Afainst Modernity، «الانتفاضة العالمية» The Global Intifada تشبيهاً بالانتفاضة الفلسطينية، والإسلام الصاعد قد يطغى على الغرب Rising Islam May overwhelm The West، ومازالوا يحاربون الصليبية Still Fighting The Crusades.

وفي المقابل هناك بعض المعتدلين الذين ينصفون الإسلام بمبادئه وقوته الروحية، ولا يجدون غضاضة في التعامل معه ومع أتباعه من خلال الحوار، ولا مانع لديهم من أن تكون الغلبة لمن يصلح للبشرية حتى ولو كان هو الإسلام.■

أهم المراجع:

١ ـ الشيخ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة.

٢ ـ السيد ياسين «العولمة بين المفهوم والعمليات التاريخية، مقال منشور بجريدة الأهرام ١٥ يناير ١٩٩٨م، التجليات المتعددة للعولمة، مقال منشور بجريدة الأهرام ٢٩/ يناير ١٩٩٨م.

٣ ـ المعجم الوجيز، القاهرة، مجمع اللغة العربية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٤ ـ عز الدين إبراهيم «دكتور» كيف نبني مستقبلنا، مقال منشور بمجلة منار الإسلام ربيع الأول ١٤١٨هـ ـ يوليو ١٩٩٧م.

٥ ـ فتحي ملكاوي «دكتور» الخطاب الحضاري الإسلامي، بحث منشور بمجلة الكلمة عدد ١٢ صيف ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.



إعمار المساجد

المساجد رايات للإسلام، وشعار للمسلمين، وزينة للمدن، ومفخرة للبلاد، وهي من شعائر الله تعالى، والله سبحانه وتعالى يقول:(ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) [الحج/٣٢]. وهي من مقدسات الدين، وتعظيمها من أفعال المتقين لله، الخاشعين بقلوبهم.

وتحتل المساجد في الشرع، وعند الناس، مكانة عالية نظرياً وعملياً، لأنها تمثل محور العمل والنشاط الإسلامي، ويكفيها منقبة أن تسمى: بيوت الله.

يقول الحق تبارك وتعالى:(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين)[التوبة/١٨].

وإعمار المساجد المقصود في الآية الكريمة يشمل أمرين: الأول إعمارها بالبناء والتشييد والاصلاح والتنوير بالمصابيح والتنظيف، والأمر الثاني: إعمارها بالعبادة وأداء وظيفتها، وتحقيق رسالتها التي شرعت من اجلها وبنيت بسببها.

بقلم:أ.د/ محمد الزحيلي

فضل المساجد

إن المساجد هي بيوت الله تعالى في الأرض، قال الله تعالى:(وأن المساجد لله، فلا تدعوا مع الله أحدا)[الجن/١٨] ويصفها ربنا سبحانه وتعالى بقوله:(في بيوت أذن الله ان ترفع، ويذكر فيها أسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله)[النور/٣٦-٣٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي عن الله تعالى:«إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زواري عُمّارها» رواه الطبراني وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:«المساجد بيوت الله تضيء لأهل السماء، كما تضيء النجوم لأهل الأرض». وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«أحبُّ البلاد إلى الله المساجد» وفي حديث مسلم المشهور «سبعة يظلهم الله في ظله... يوم لا ظل إلا ظله..،ورجل قلبه معلق بالمساجد» قال النووي رحمه الله تعالى: أي شديد الحب لها.

فضل بناء المساجد

ولهذه المعاني السابقة في فضل المساجد جاء البيان في

فضل بناء المساجد لإقامتها في الأرض، روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ببناء المساجد، ولم يقتصر الهدى النبوي على الأمر بالبناء، بل كان القدوة الأولى والأسوة الحسنة، والرائد الصادق في ذلك، وكان المثل الذي يحتذى في جميع الأزمان والأماكن في ذلك، فكان أول عمل قام به عند هجرته من مكة المكرمة أن أقام مسجد قباء على مشارف المدينة المنورة، وقبل دخوله إليها، كما كان أول عمل ينظمه ويخطط له بمجرد وصوله إلى المدينة اختيار مكان المسجد، والشروع في تشييد المسجد النبوي الشريف ليكون مصدر الهدى والنور والإشعاع للعالم حتى تقوم الساعة، وتصدر منه الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية، والتبليغ الإلهي.

ولذلك حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بناء المساجد، ورغّب في تشييدها ورعايتها فروى البخاري ومسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال:«سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله تعالى، بنى الله له بيتاً في الجنة» قال النووي رحمه الله تعالى:«أي فضل بيته في الجنة على ماسواه كفضل المسجد على غيره» وقال القرطبي: هذه المثلية ليست على ظاهرها، ولكن المعنى أنه يبني له بثوابه بناء أشرف، وأعظم، وأرفع، وروى ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«من بني لله مسجدا ،ولوكَمفْحَص قطاة ،بنى الله له بيتاً في الجنة» قال العلماء:«وخّص القطاة بالذكر لأن العرب يضربون بها المثل في الصدق».

وأثنى الله تعالى على بناة المساجد ومعمريها بصفات الايمان والعبادة والتقوى فقال تعالى:(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله، فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين)[التوبة/١٨] وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الكريمة وقال- فيما أخرجه الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان».

البناء المادي والمعنوي للمساجد

هذا في فضل بناء المساجد، وهو الشطر الأول، والآية الكريمة السابقة قالت:«إنما يعمر..» ولم تقل :«إنما يبني...» والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على البناء والإشادة والتجهيز، وإنما تابع، وبين ،وثابر على توضيح وظيفة المسجد ورسالته وان البناء ينتهي عادة بشهر أو سنة أو خمس سنوات مثلا، ولكن وظيفة المسجد ورسالته دائمة وخالدة وباقية مابقي المسجد موجوداً، وحتى لو تعطل المسجد، أو هدم، أو بلي، فإن رسالة المسجد ووظيفته لاتنقطع، ولاتنتهي، بل تواصل عملها في مسجد آخر، وحتى في أي مكان، أو بناء أو أرض، أو زاوية، وان بناء المسجد يمكن ان يقوم به شخص، أو أفراد، أو عدد محصور مهما كبر، ولكنه محدد بوقت ومقدار، ويستحيل أن يكون عاماً شاملاً للمسلمين، أما وظيفة المسجد ورسالته فعامة، وشاملة لكل الناس مهما اختلفت طبقاتهم وأعمارهم وأجناسهم، وأفكارهم، وميولهم، وانتماءاتهم، ليحظوا بفضلها، ويشاركوا في أدائها.

لذلك كان إعمار المسجد المعنوي أهم بكثير من إعماره المادي بالبناء، ومن هنا توسعت وظائف المسجد، وتنوع النشاط فيه بالمنظور الإسلامي الصحيح.

كان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هجرته من مكة المكرمة أن أقام مسجد قباء على مشارف المدينة المنورة

وظائف المسجد:

إن وظائف المسجد في الإسلام متعددة، وتحقق إنجازات مختلفة، وهذا ما أداه فعلاً في التاريخ الإسلامي، وفي ظل الحياة الإسلامية الصحيحة، ولذلك نذكر بها، ونبينها، لتعود الحياة الى المسجد فيؤدي دوره وينجز وظائفه، وأهمها:

١-اعمار المسجد بالتوحيد:

أي بتوحيد الله تعالى، وإعلان الأذان الإسلامي والشهادتين وبخاصة على الملأ مما يطرب الآذان، ويشنف الأسماع ويبهج القلوب، ويسعد النفوس وهو مايتردد عملياً، قديما وحديثا، في معظم أرجاء المعمورة، وبخاصة البلاد الإسلامية ولايدرك المرء أهمية الأذان، وإعلان التوحيد بالشهادتين، إلا إذا حرم منه في البلاد غير الإسلامية، وكذلك الأحياء المقفرة، والمدن والقرى شبه الميتة في بلاد المسلمين.

٢-إعمار المسجد بالعبادة:

وذلك بإقامة الصلوات الدائمة، من صلاة الجمعة والجماعة، والنوافل، لذلك صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال:« لاصلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد» وقال جمهور الفقهاء:تصح صلاة المرء في بيته، وحملوا الحديث على مجرد الكراهة، ونقص الكمال، ولكنهم يقرّرون فضل الصلاة في المسجد ويدعون اليها، لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فيما رواه البخاري ومسلم:« صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة» وفي رواية «بخمس وعشرين درجة» وقال عليه الصلاة والسلام، فيما رواه البخاري ومسلم ايضا«لايزال احدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه، لايمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة» وروى ابو داود والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«بشروا المشّائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» وأخرج البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« من غدا إلى المسجد او راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح» وأخرج الإمام مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه» وفي رواية لمسلم أيضا«من سره ان يلقى الله تعالى غدا مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن..» الحديث. وهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحرّق على

قوم بيوتهم، لتخلفهم عن صلاة الجماعة، كما أخرجه البخاري ومسلم.

٣- الوظيفة الاجتماعية للمساجد:

إن الصلاة صلة بين الله وعبده، وتصح في كل مكان في المعمورة«وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً» ويجوز للمسلم أن يصلي في العمل والدائرة والمحل والمصنع، والحقل والجبل، ولكن تأكدت الصلاة وغيرها في المساجد لتحقيق الأهداف الاجتماعية، للتعارف بين الناس، والتآلف بينهم، وتصافح الأيدي، وتعانق القلوب، وتفقد الاحوال، ومعرفة المرضى والفقراء والمساكين والغرباء، وأبناء السبيل والعجزة، لتقديم العون المستطاع، والكلمة الطيبة والزيارة المأجورة من الله تعالى.

ولذلك فلا يقبل أن تكون المساجد لمجرد الصلاة، كبقية المعابد، تفتح عند الأذان وتغلق بعد أداء الصلاة، بل يجب أن تبقى فيها الحركة دائمة، وتدب بها الحياة باستمرار.

٤-الإعمار الروحي للمساجد:

وذلك بالذكر الدائم، وتلاوة القرآن، من الكبار والصغار، لتكون معاهد دائمة لتحفيظ القرآن، وارتياد الأطفال، والشباب، والفتيات إليه، في أوقات متناوبة، وقد حافظت كثير من المساجد على هذه الوظيفة المقدسة، ولتبث الدعم والتأييد على المستويين الرسمي والشعبي، وكان الإقبال طيباً، والرعاية سخية من أهل الخير والبر والإحسان في تشجيع الطلاب والطالبات وتقديم العون المادي في الكتب والهدايا والمكافآت، والاحتفاء بالقراء وتلاميذهم، والاحتفال بهم، وإقامة الحفلات المشهودة للحفاظ والمتخرجين، وهذا مايجب ذكره، لقوله تعالى:(ولاتنسوا الفضل بينكم)[البقرة/٢٣٧] كما يجب التذكير به، والدعوة إليه، وتشجيعه، والإكثار منه، وتعميمه على مساجد المدن كلها، والقرى، والأمصار، ليعم النفع، وتنتشر الفائدة.

والآيات في ذلك كثيرة، والأحاديث عديدة، منها ماوراه البخاري عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه» وماوراه مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» وماوراه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«من قرأ حرفاً في كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» وروى الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم«إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب».

٥- إعمار المساجد بالعلم:

إن المسجد للعلم والتعلّم والتعليم، وانه مدرسة وجامعة، وهو المدرسة الأولى في الإسلام، وهو الجامعة الكبرى في التاريخ الإسلامي، وإن المسجد الحقيقي في نظر الإسلام هو الذي يغصّ بالعلماء والطلاب في مختلف العلوم الشرعية والدنيوية، وكانت المساجد الحيوية والأساسية والمشهورة في بلاد الاسلام تدرّس القرآن والسنة، والفقه والأصول، والعقيدة والأخلاق، والسيرة والتربية، والفرائض والمصطلح،والطب، والهندسة، والكيمياء والفيزياء، والفلك والرياضيات، والأدب والنحو، والفلسفة والمنطق، والبلاغة والشعر، والتاريخ والجغرافيا، وسائر العلوم النافعة للإنسان والبشرية في الدنيا والآخرة، وقد تخرّج في المساجد سلفنا العلماء من الأئمة والمجتهدين والفقهاء والقرّاء والمحدّثين، والخطباء والأدباء والبلغاء والشعراء، والأطباء والمهندسين، والفلاسفة والحكماء وغيرهم.

إن المساجد معاهد للإصلاح، ومناهل للعرفان، وجامعات للعلم، وكانت المساجد مقترنة، بالمدارس، ويندر انفصالهما، فما عرفت مدرسة في الإسلام إلا ومعها المسجد، وماعرف مسجد الا وفيه التعليم والتدريس، بدءاً من خطبة الجمعة، إلى دروس المواعظ والإرشاد، والتنوير والتثيقف، والتخصص في العلم حسب المستويات المتعددة، وأزمان النهضة والوعي والنور.

ولذلك يشعر الإنسان ويدرك ويحسّ بالفرق الكبير بين الدرس والتدريس، والإصغاء والتعليم في المسجد، وبين المدرسة والجامعة خارج المسجد.

وظائف المسجد في الإسلام متعددة، وتحقق إنجازات مختلفة، وهذا ما أداه فعلاً في التاريخ الإسلامي

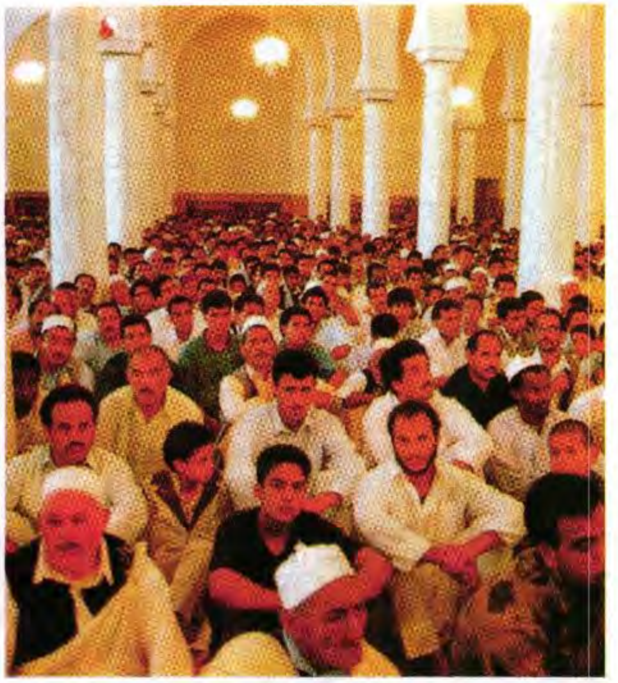
٦- الوظيفة العسكرية للمسجد:

كانت المساجد في الإسلام المركز لانطلاق الدعوة والجهاد في سبيل الله، وكانت محطّا لتربية الجنود والمقاتلين، وتنشئة الأبطال، ورفع الروح المعنوية، والاستبسال، والتذكير بالشهادة في سبيل الله، وبيان فضل الجهاد والمجاهدين وكانت تعقد فيها الرايات، وتخرج الألوية، وتنطلق جحافل الجيوش.

وإن حركات التحرير من الاستعمار، وملاقاة جيوش المحتلين كانت تقدح شرارتها في المساجد، وتتحرك باسم الله، وكان المقاتلون يتدربون على الأسلحة في المساجد تحت رعاية الإمام والخليفة والأمير والوالي، وهذاهو مافعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يتجه إلى الغزوات، ويرسل السرايا، وهو ماسجله التاريخ في البلاد الإسلامية حتى في العصور الحاضرة، وقد تخرج في المساجد - على مدار التاريخ الإسلامي- القادة والأبطال، والولاة والأمراء، الذين حققوا النصر والعزة لدينهم وأمتهم وأذاقوا الأعداء الهزائم المرة، والدروس البليغة.

٧-الوظيفة الرياضية للمسجد:

إن المساجد نواد رياضية للفتوة وبناء الأجسام، وقد كان الأحباش يتصارعون ويتدربون في المسجد، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه بالنظر اليهم، ومن ورائه أم



المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

٨-الأفراح في المساجد:

كان عقد الزواج يتم في المسجد، لاجتماع الناس وإشهادهم عليه، وإعلانه أمامهم، تنفيذا لما رواه الترمذي والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«أعلنوا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدّفوُف» وقد بدأت هذه السنة الحميدة تعود اليوم إلى المسجد ليعقد فيه عقد القران والزفاف، ويشهد الناس بناء أسرة مسلمة، ويجتمعون في بيت الله، يتلون كتاب الله، ويذكرون الله تعالى ويحظون بالتذكير والموعظة الحسنة.

٩-الوظيفة السياسية للمسجد

إن المسجد ملتقى الراعي والرعية، والحاكم والمحكوم، والمسؤول مع سائر الناس، وفيه تعلن سياسة الدولة والأمة، وتوجيهات القيادة وكانت البيعة للخليفة تعقد في المسجد، وتتم فيه الشورى والمشاورة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الوفود في مسجده الشريف، وفي خطب الجمعة والمناسبات تطرح مشاكل الناس، ومايهمهم في دينهم ودنياهم، حيث يتم التوجيه السديد، والإرشاد القويم.

١٠- الوظيفة القضائية للمسجد

كانت المساجد لحل الخلافات والمشاكل بين الناس ولفض المنازعات وفصل الخصومات، ثم كره الإمام والشافعي القضاء في المسجد خشية اللغط، وارتفاع الأصوات بالمشاحنة، ولوجود أماكن خاصة للقضاء، ودور العدل، ولكن جمهور الفقهاء قال بجواز اتخاذ المسجد مجلساً للقضاء وعدم كراهة ذلك، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، ولأن في القضاء وفصل الخصومات ورد الحقوق إلى اصحابها، وإنصاف المظلومين، والأخذ على يد الطغاة والبغاة والظالمين مصلحة مهمة وأساسية للمسلمين، والعدل أساسي في الحياة.

لا يقبل أن تكون المساجد لمجرد الصلاة بل يجب أن تبقى فيها الحركة دائمة وتدب بها الحياة باستمرار

هذه أهم وظائف المسجد التي يحقق بها رسالته ولايقتصر المسجد عليها، بل يضم كل نشاط نافع، وكل عمل خيّر، لأن المسجد- باختصار- هو مركز الحياة الإسلامية بكل مناحيها، وكأنه قطعة من الجنة أو مزرعة لها، كما أخبر الصادق المصدوق بقوله«تكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة».

وأن السر في جمع المسجد لهذه الوظائف أن الإسلام دين ودنيا، ولايفصل بينهما، ولا ينظر للدنيا نظرة منفصلة عن الدين، والله سبحانه وتعالى يقول:(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الارض إن الله لايحب المفسدين)[القصص/٧٧].

فالدنيا خاضعة لحكم الدين، والدين جاء لتحقيق مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة، كما أن الدنيا مطية للآخرة، ومزرعة للجنة.

وإذا انتقلت بعض وظائف المسجد -قديماً وحديثاً- إلى أماكن أخرى كالمدارس، ودور العدل، والثكنات العسكرية، والأندية الرياضية، وصالات الأفراح، والأماكن المخصصة للشورى والسياسة، فلا أقل من أن تشارك المساجد في ذلك، وتكون رديفاً في مختلف أنشطة الحياة، وتدريباً على الممارسة الإسلامية الممزوجة بالروحانية، والطهر، والتقوى، والصفاء، والتربية، وحب الخير والفضيلة التي يعتمدها المسجد.

وإن تم ذلك تحقق إعمار المساجد الوارد في الآية الأولى في قوله تعالى:(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)[التوبة/١٨] فتحقق لهم الهداية، وينتشر النور، ويعم الخير، ويسعد الناس في الدنيا والآخرة برضوان الله تعالى، وتحصل لهم الحياة الإسلامية الرغيدة التي يدعو إليها الدين، ويرغّب فيها الشرع، ويحرص عليها الإسلام.

والشيء الوحيد الذي يجب تنزيه المساجد عنه، وابعاده عنها هو الاشتغال بالأمور المالية البحتة، ولذلك لايجوز فيها البيع والشراء، والتجارة ونشدان الضالة، وكذلك الكلام المباح العادي، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، لأنه يشغل الناس عن الله، ويلهيهم عن ذكره، ولذلك وصف الله تعالى روّاد أحد المساجد بقوله تعالي:(لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة)[النور/٣٧] ومن فضول القول ان نقول يجب تجنيب المساجد من كل فساد وإفساد وتآمر أو تدمير، وتخريب أو مضار، لتبقى خالصة للنفع والخير، والصلاح والإصلاح، ولاتكون مأوى للعجزة والمتكاسلين والمتواكلين، ولاوكراً للكيد على الدعاة المصلحين، وسائر المسلمين ■

تنبيه الغافلين

تخيّم فترات من الظلام على حياة الأفراد والأمم يحلوا فيها الكسل وتخبوا فيها الهمم ، وتظل كثير من المفاهيم والثوابت منارات على قارعة الطريق يهتدي بها من يريد ان يفلت من هذه الحال البغيضة، وتكون بمثابة القشة التي يبحث عنها الغريق يتلمس بها النجاة، أو كنجوم السماء تدل على الطريق للسائر في الظلام. تلك المفاهيم والثوابت التي لاتتغير مادام الليل والنهار ومادامت السماوات والأرض نسيها البعض وتناساها آخرون، وحق علينا ان تتداعى الأمم علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها وفي هذه الفترة الحرجة من حياة الأمة الإسلامية وجب علينا العودة إلى تلك المفاهيم والثوابت نعيشها قولا وعملا كي نعود إلى المجد المفقود والخروج من عالم الأزمات إلى مقدم ركب الحضارة والتقدم. وعلى غرار قاعدة وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين، نعيش في هذه الأسطر القليلة مع بعض هذه المفاهيم والثوابت نذكّر النفس ونذكّر أمتنا بطريق المجد الذي غاب عنا وغبنا عنه.



بقلم:د. خالد النجار

اقتضت حكمة الله عز وجل أن تكون الدولة هي الحارس الأمين الذي يدافع عن حمى الله حتى لاينتهك

العدل روح الأمم وحياة الشعوب:

فالعدل كما يُقال أساس الملك وفي الحكمة «لعن الله قوما ضاع الحق بينهم» فما من دولة يتفشى فيها الظلم إلا ويبدز فيها الانهيار وحلت عليها عقوبة الله تعالى الذي يقول:(وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) هود/١٠٢ ولقد ذمّ الله تعالى حمية الجاهلية فلقد كان التعاون فيها على الإثم والعدوان أقرب من التعاون على البر والتقوى وكان الحلف على النصرة في الباطل قبل الحق وهاهو شاعرها يقول:

وهل أنا إلا من غزيّة إن غوت

غويت وإن ترشد غزية أرشد

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه: الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة ولهذا يروى أن «الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولاينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة» ويقول أيضا: إن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق وإن لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان مايجزي به في الآخرة. إن لله تعالى حمى هي محارمه وللعباد حقوق وواجبات وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن تكون الدولة هي الحارس الأمين الذي يدافع عن حمى الله حتى لاينتهك وهي التي تحفظ للناس حقوقهم حتى لايجور بعضهم على بعض فإذا اعتدى فرد على فرد أو فريق على فريق آخر طالته يد العدالة لأن الله يزع بالسلطان مالايزع بالقرآن. ولم يجعل

الإسلام الالتزام بالعدل أمراً خاصاً بالحكام فحسب بل أمر كل إنسان بالعدل في جميع أموره التي يزاولها سواء في ذلك مايتصل بالأسرة أو القرابة أو الجار أو غير ذلك وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» متفق عليه يقول ابن علا في شرح ذلك الحديث: أي كلكم حافظ مؤتمن ملتزم صلاح ما ائتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه.

قال الله تعالى:(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا) النساء/٥٨.

يقول القرطبي: وهذا خطاب للولاة والأمراء والحكام ويدخل في ذلك المعنى جميع الخلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا).

وقال تعالى(يأأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعلمون خبيرا) النساء/١٣٥

وقال تعالى:(يأأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون) المائدة/٨.

قال الشعبي أخذ الله عز وجل على الحكام ثلاثة أشياء أن لايتبعوا الهوى وألا يخشوا الناس ويخشوه ولا يشتروا بآياته ثمنا قليلا.

والعدل الحق لايكون إلا بتطبيق أحكام الشريعة التي تضمنت العدل كل العدل في إعطاء الحقوق لأصحابها وتنظيم العلاقات بين الناس تنظيما عادلا وإن من أكبر الظلم وأخطره أن يتعدى الحاكم على حق من حقوق الله تعالى فيقوم بالتشريع للأمة التي يرعاها وفي هذا يكون ظالما لنفسه وللرعية التي تحت يديه حيث حرمهم من عدل الله وشرعه.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس من وال أمة قلّت أو كثرت لا يعدل فيها إلا كبه الله تبارك وتعالى على وجهه في النار» رواه احمد.

ويقول« مامن أمير عشيرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لايفكه إلا العدل أو يوبقه الجور» رواه احمد

ويقول «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم» رواه مسلم.

ويقول:« من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه الله من سبع أراضين» متفق عليه.

أخذ الله عز وجل على الحكام ثلاثة أشياء أن لايتبعوا الهوى وألا يخشوا الناس ويخشوه ولا يشتروا بآياته ثمنا قليلا

وللعدل صور شتى منها القيام بمنع الظلم وإزالته عن المظلوم ومنع انتهاك حرمات الناس وحقوقهم المتعلقة بأنفسهم وأعراضهم وأموالهم وإزالة آثار التعدي الذي يقع عليهم وإعادة حقوقهم إليهم ومعاقبة المعتدى عليهم بما يستحقه من العقوبة.

ومن صوره أيضا فض المنازعات والخصومات بين المسلمين وإعطاء كل ذي حق حقه وتعين القضاة الأكفاء لتحقيق ذلك ومراعاة لحقوق أهل الذمة.

ومن صوره أيضا القيام بحق أفراد الشعب في كفالة حرياتهم وحياتهم المعاشية حتى لايكون فيهم عاجز متروك ولاضعيف مهمل ولافقير بائس ولاخائف مهدد.

ومن صوره أيضا التسوية بين الناس في المعاملة ومكافأة جهودهم بحسبها وإسناد الأعمال والوظائف لمن يستحقها وعدم المفاضلة والتمييز بينهم تبعا للهوى والمصلحة الشخصية أو غير ذلك من الأسباب غير الشرعية وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ومن ولي من أمر المسلمين شيئا فوالى رجلا لمودة أو قرابة بينهم فقد خان الله ورسوله والمسلمين).

ومن صوره أيضا ألا تتدخل مراكز الناس الاجتماعية وأنسابهم في خضوعهم لمقتضى العدل. فالشريعة الإسلامية تطبق على كل أحد لافرق في ذلك بين شريف وغيره ولا بين حاكم ومحكوم وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه البخاري.

تجانست تلك المبادىء العادلة بدماء المسلمين وعندما كانوا أهل التزام بها كوّنوا أعظم حضارة عرفت العدل في تاريخ البشرية.

اخرج ابن عساكر قال: كتب عمر بن الخطاب إلى فيروز الديملي رضي الله عنهما« أما بعد فقد بلغني أنه قد شغلك أكل اللباب بالعسل فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم على بركة الله فاغز في سبيل الله» فقدم فيروز فاستأذن على عمر رضي الله عنه فأذن له فزاحمه فتى من قريش فرفع فيروز يده فلطم أنف القرشي فدخل القرشي على عمر مستدمى فقال له عمر من فعل بك؟ قال فيروز وهو على الباب فأذن لفيروز بالدخول فدخل فقال ماهذا يافيروز؟قال ياأمير المؤمنين إنا كنا حديثي عهد بملك إنك كتبت إليّ ولم تكتب إليه وأذنت لي بالدخول ولم تأذن إليه



فأراد أن يدخل في إذني قبلي فكان مني ماقد أخبرك، قال عمر القصاص قال فيروز لابد، قال لابد ،فجثى فيروز على ركبتيه وقام الفتى ليقتص منه فقال له عمر رضي الله عنه على رسلك أيها الفتى حتى أخبرك بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وهو يقول «قتل الليلة الأسود العنسي الكذاب قتله العبد الصالح فيروز الديلمي»أفتراك مقتصا منه بعد أن سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الفتى قد عفوت عنه بعد أن أخبرتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا، فقال فيروز لعمر افترى هذا مخرجي مما صنعت إقراري له وعفوه غير مستكره قال نعم قال فيروز فأشهدك أن سيفي وفرسي وثلاثين ألفا من مالي هبة له.

إن غياب العدل في أمة وتمتع الأفراد بمزايا وحقوق دون الآخرين نذير شؤم على تلك الأمة ينشيء فيها كثيرا من السلبيات فمنها على سبيل المثال:-

أن الظلم يولّد في نفس أبناء الأمة الغل والحقد والحسد بين بعضهم بعضاً فيؤدي إلى فقد التراحم والتعاون والتآزر الذي هو كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضا وتظهر الفردية وروح الأنانية فيصبح كل فرد حريصاً على مصلحته الشخصية قبل مصلحة المجموع وينتج عن ذلك.

ظهور سلوكيات شاذة بين الأفراد من التطرف الفكري والعملي ويسهل على المرء الجنوح إلى كل ماهو بغيض فيستحل الخوض في عرض أو مال أخيه بلا وجه حق ويستمريء سفك الدماء لأدنى شبهة تحت الكثير من الدعاوى كالإصلاح والتحرير وغيرها.

هجرة النابغين من أبناء أصحاب الهمم العالية من علماء ومتخصصين ومثقفين وباحثين وغيرهم إلى أقطار أخرى يتمتعون فيها بالحرية الفكرية والعملية وينالون حقوقهم كاملة غير منقوصة وينعمون بلذة الابتكار والإبداع والعطاء ويبقى الغوغاء الذين لاهمّ لهم إلا الجري وراء الملذات والشهوات وهم أهم معاول الهدم لأي وطن فالعدل حقا روح الأمم وحياة الشعوب لا طريق إلا طريقه ولانجاح إلا به.

والعدل الحق لايكون إلا بتطبيق أحكام الشريعة التي تضمنت العدل كل العدل في إعطاء الحقوق لأصحابها

ماذا تقول لربك غدا:

روى الذهبي في تاريخ الإسلام بعد أن ذكر مشورة أبي بكر لكبار الصحابة في عزمه على تولية عمر بعده «فقال قائل ماذا تقول لربك عن استخلافك عمر وقد ترى غلظته؟ فقال أجلسوني ثم قال أبا لله تخوفوني؟ أقول استخلفت عليهم خير أهلك.

وعن الأحنف بن قيس قال كنت مع عمر بن الخطاب فلقيه رجل فقال ياأمير المؤمنين انطلق معي فأعدني على فلان فقد ظلمني فرفع درته وخفق بها رأس الرجل وقال له: تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم مقبل عليكم حتى إذا شغل بأمر من أمور المسلمين أتيتموه أعدني أعدني فانصرف الرجل غضبان آسفا فقال عمر: عليّ بالرجل فلما عاد ناوله مخفقته، جلس يحاسب نفسه ويقول: ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله وكنت ضالا فهداك الله وكنت ذليلا فأعزك الله ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربته فماذا تقول لربك غدا إذا لقيته.

وروى ابن كثير ان معاوية لما دخل على أم المؤمنين عائشة فسلم عليها من وراء حجاب وذلك بعد قتله حجرا وأصحابه قالت له: أين ذهب عنك حلمك يامعاوية حين قتلت حجرا وأصحابه فقال لها فقدته حين غاب عني من قومي مثلك يا أماه ثم قال لها فكيف بري بك ياأمة؟فقالت إنك بي لبار فقال يكفيني هذا عند الله وغدا لي ولحجر موقف بين يدي الله عز وجل. وروى ابن جرير أن معاوية جعل يغرغر بالصوت وهو يقول إن يومي بك ياحجر بن عدي لطويل قالها ثلاثاً.

ماأروع هذا الميزان الذي يزن المرء منا به أفعاله في كل وقت «ماتقول لربك غدا؟» هذا الميزان الذي بثه الإسلام في نفوس المؤمنين وربّاهم عليه فحققوا أعظم حضارة وكانوا به خير أمة أخرجت للناس.

إن وجود الإنسان في هذه الحياة هدف حدده الله له حيث يقول جل شأنه(وماخلقت والجن الإنس إلاليعبدون) الذاريات /٥٦ وبكل ماتشمله كلمة العبادة أمر الله بها الإنسان بكل مافيها من حث على الفضيلة ومجانبة الرذيلة وبكل مافيها من الأمر بالجد والإعمار في الأرض والتوكل وعدم التواكل، وبكل مافيها من طهر ونقاء ورفعة ورقي فهذا هو دوره الذي حدده الله له ورسم له المنهج لتحقيقه. فإذا أتى عليه يوم القيامة حاسبه على دوره هذا وجعل الجنة للفائزين والنار لمن اعرض وكان من

وبما كنتم تدرسون.

دخل عمر بن عبيد على الخليفة المنصور وكان الظلم في عهده قد شاع وذاع وملأ الأصقاع وفجت رائحته الكريهة تزكم الأنوف وتصدع الرؤوس وتقلق الأعصاب فما حيا ولا سلم بل قال بسم الله الرحمن الرحيم (والفجر.وليال عشر. والشفع والوتر. والليل إذا يسر. هل في ذلك قسم لذي حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذي الأوتاد. الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك صوت عذاب. إن ربك لبالمرصاد)الآيات/١-١٤ من سورة الفجر. ثم قال نعم إن ربك لبالمرصاد لمن فعل مثل فعالهم فاتق الله ياأمير المؤمنين فإن ببابك نيرانا تتأجج لايعمل فيها بكتاب الله ولابسنة رسوله وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد أخرتك أما والله لو علم عمالك أنه لايرضيك منهم إلا العدل لتقرب به إليك من لايريده فهب سليمان بن مجالد في وجه عمر بن عبيد الله يقول اسكت يابن عبيد فقد غممت أمير المؤمنين فرد عليه عمر بن عبيد بشدة قائلا ويلك يابن مجالد أما كفاك أنك خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من ينصحه اتق الله ياأمير المؤمنين فإن هؤلاء قد اتخذوك سلماإلى شهواتهم فأنت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب وإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا.

ويروى أنه لما قدم عمرو بن هبيرة إلى العراق أرسل إلى الحسن البصري والشعبي وأمر لهما ببيت فكانا فيه شهرا ونحوه ثم جاء عمرو إليهما فسلم ثم جلس معظّما لهما فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك كتب إليّ كتبا أعرف أن في إنفاذها الهلاك فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله فهل تريا لي في متابعتي إياه مخرجا فقال الحسن للشعبي أجب الأمير فتكلم الشعبي كلاما يريد به إبقاء وجهه عنده- أي يريد إرضاءه- فقال ابن هبيرة للحسن ماتقول أنت يا أبا سعيد قال أقول يابن هبيرة يوشك أن يترك بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ لايعصى الله ماأمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك. ياعمرو بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ماتعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك فيغلق به باب المغفرة دونك. ياعمرو بن هبيرة لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا عن هذه الدنيا وهي مقبلة اشد إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة . ياعمرو بن هبيرة إني أخوفك مقاماً خوفك الله عزّ وجلّ فقال(ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد)ابراهيم/١٤ ياعمر بن هبيرة إنك إن تك مع الله في طاعته كفاك يزيد بن عبد الملك وإن تك مع يزيد على معاصي الله وكلك الله إليه فبكى عمرو بن هبيرة وقام بعبرته فلما كان من الغد حتى أرسل إليهما فأدناهما



الكافرين. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه» رواه الترمذي ويقول:«مامنكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ماقدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة» متفق عليه.

وبمجرد يقين الفرد بأن الأيام إلى زوال وأنه يقدم إلى ربه فيحاسبه على عمله مجرد معايشة ذلك لهو كفيل بأن يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة فيقبل على خير يفعله ويعرض عن كل شر وتفاهة وخلود إلى الأرض حيث الرضى بالذل والهوان فطريق فلاح المؤمنين هو هذا الميزان الرباني «ماتقول لربك غدا» الذي من وزن به اعماله اهتدى ونجا. ولما فقدت أمة الإسلام هذا الميزان فقدنا طريق الفلاح وسهل علينا الفرقة والخلاف وسهل علينا حب الذات والجري وراء الملذات والرضى بسفاسف الأمور وحب الخمول فلو استشعر كل منا المقام بين يدي الله وأعددنا له جوابا لجرنا ذلك نحو النجاة التي نحن الآن في أمّس الحاجة اليها.

غياب العدل في أمة وتمتع الأفراد بمزايا وحقوق دون الآخرين نذير شؤم على تلك الأمة

يامن تمتع بالــدنياوزينتهـــا

ولاتـــنام عن اللـــذات عيناه

أفنيت عمرك فيما لست تدركه

تقول لــله ماذا حين تلقاه

كونوا ربانيين

فياعلماء الأمة كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب

وأجازهما فأكثر في جائزة الحسن وأنقص جائزة الشعبي فخرج الشعبي إلى المسجد فقال يأيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل فو الذي نفسي بيده ماعلم الحسن شيئا منه فجهلته ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه.

عندما زار السلطان العثماني عبد العزيز مصر في عهد اسماعيل باشا كان اسماعيل حفيا بالزيارة لأنها كانت جزءا من برنامجه للحصول على لقب خديوي مع امتيازات عدة في نظام الحكم بمصر وكان مع برنامج الزيارة ان يستقبل الخليفة العلماء في «السراي» ولما كانت للمقابلة السنية تقاليد منها ان ينحني الداخل إلى الأرض وغير ذلك من التقاليد السخيفة المنافية لروح الإسلام فقد كان حتما على رجال «السراي» ان يدربوا العلماء على طريقة المقابلة أياماً عدة حتى لايخطئوا في حضرة السلطان وعندما حان الموعد دخل السادة العلماء فنسوا دينهم واشتروا دنياهم وانحنوا أمام مخلوق مثلهم تلك الانحناءات وخرجوا موجهين وجوههم إلى الخليفة كما أمرهم رجال التشريفات إلا عالما واحداً وهو حسن العدوي استحضر في قلبه أن لاعزة إلا لله ودخل مرفوع الرأس كما ينبغي أن يدخل الرجال وواجه الخليفة بتحية الإسلام:السلام عليكم ياأمير المؤمنين وابتدره بالنصيحة التي ينبغي أن يتلقى بها العالم الحاكم ودعاه إلى تقوى الله والخوف من عذابه والعدل والرحمة بين رعاياه فلما انتهى سلم وخرج مرفوع الرأس وأسقط في يد الخديوي ورجال السرايا وظنوا ان الأمر كله قد انقلب عليهم وأن السلطان لابد غاضب فضائعة تلك الجهود التي بذلوا والآمال التي نسجوا ،ولكن كلمة الحق المؤمنة لاتذهب سدى فلا بد ان تصدع القلوب قوية حارة كما نبعت من مكمنها قوية حارة وهكذا كان فقال السلطان ليس عندكم إلا هذا العالم وخلع عليه دون سواه.

إن العلماء المخلصين هم أحد أركان الهيكل الحضاري للأمم التي تفقد توازنها في عالم التقدم والرقي إذا فقدت أمثال هؤلاء. يقول الغزالي في الإحياء«العلماء ثلاثة إما ملهك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا المقبلون عليها، وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه وتعالى ظاهرا وباطنا، وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه.

والعلماء والمتخصصون في كل المجالات هم أعين الأمم تقودها إلى الحق والصواب في كل أمر ولقد ضرب علماء صدر هذه الأمة أروع الأمثلة في إخلاص النصح للأمة حكاما ومحكومين فلقد علموا أن العبد إذا خاف الله أخاف الله منه كل شيء من المخلوقات وإذا لم يخف الله أخافه الله من كل شيء. وما إن بدأ العطب يدب في علماء

وجود الإنسان في هذه الحياة هدف حدده الله له حيث يقول جل شأنه(وماخلقت والجن الإنس إلاليعبدون)

الأمة حتى بدأ العطب يدب في جسدها، فصلاح الناس بصلاح العلماء وفسادهم بفساد العلماء وفي ذلك يقول الشاعر:

يامعشر القراء ياملح البلد

مايصلح الملح إذا الملح فسد

وكم عانت الأمة الإسلامية ولاتزال تعاني من علماء زينوا للناس الباطل و أولوا النصوص لتوافق شهوات الحكام والمحكومين حتى صار أفضلهم في دينه ساكتاً عن المنكر فلاينكر ولايغير ولايصدع بكلمة الحق وارتضى لنفسه العافية والتمس لها كل المعاذير.

وكم عانت الأمة الإسلامية من شحنات من الأجهزة الفاسدة والأطعمة الفاسدة والكتب الفاسدة وغير ذلك جلبها متخصصون باعوا ضمائرهم بحفنة من متاع الدنيا.

وكم عانت الأمة الإسلامية من دراسات ومناهج وأبحاث وسياسات قام عليها علماء ومتخصصون مالهم غرض إلا بث سموم الفساد في جسد الأمة وأبنائها فالله الله ياعلماء المسلمين ماهذا هو العهد الذي أخذه الله عليكم بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون.

النائمون على وجه الأرض

ربما لاتقرع بعضنا الصيحات ولاتؤثر في الآخرين النصائح فنقول لهؤلاء وهؤلاء تعالوا بنا نستعرض بعض الحقائق والأرقام لعل ذلك يوقظ فيكم ساعد الجد ونترك لهذا السبات الذي طال.

يصرح وليام بيري وزير الدفاع الأميركي في ١٣ اغسطس ١٩٩٤ فيقول ان امريكا لن تستخدم قوتها العسكرية إلا في ثلاث حالات أولها تعرض أمن إسرائيل للخطر، وثانيها ضمان تدفق البترول من الشرق الأوسط، وثالثها ضمان أمن كوريا الجنوبية يقول الدكتور مصطفى محمود: وخلاصة التصريح ان امريكا تعطي أولية مطلقة لأمن إسرائيل وتضع قدرتها العسكرية في خدمة هذا الهدف الأول هذا بالرغم من أن الميزان العسكري في المنطقة العربية مختل لصالح إسرائيل بالفعل وقد حرصت امريكا على ان يكون العتاد العسكري الإسرائيلي أكبر وأقوى وأخطر وأحدث من العتاد العسكري للدول العربية مجتمعة ثم أنها أعطت الرخصة لإسرائيل بأن يكون عندها ترسانة نووية وكيمياوية وبيولوجية وحظرت هذه الأسلحة على جميع العرب كما أنها تطوعت بتحطيم الترسانة العراقية في حرب الخليج كل هذا ومعظم الدول العربية تعاني من الأزمات الاقتصادية وتقف على باب صندوق النقد الدولي.

لم يعد العدو الإسرائيلي يحاول أن يستر حقده ولا أن

يداري كراهيته للمسلمين الذين هان شأنهم فما لبث ان خرج اليهودي باروخ غولد شتاين مع أول خيط من خيوط الفجر يحمل بندقيته الآلية ليحصد برصاصها أكثر من ثلاثمئة مسلم راكع وساجد يصلون في مسجد الخليل وكان آخر إحصاء للقتلى ستين قتيلا ومن الجرحى قرابة الثلاثمئة ولايمكن ان يكون لهذا الضابط مئة ذراع ولاخمسون إصبعا ليقتل وحده ذلك العدد ولا بد من أن أفرادا آخرين من الجيش ساعدوه وان هناك أكثر من رشاش وأكثر من بندقية كانت تحصد أرواح المصلين وهم سجود وركوع هكذا قال المذيع الألماني بالحرف معلقا على المشهد المفزع الذي أذاعه التلفاز الألماني على الهواء. إن مافعله هتلر بالأمس في اليهود يفعله اليهود اليوم بالعرب الذين فتحوا أذرعهم لفلول اليهود الهاربين من النازية وفي جولة لمذيع لـ CNN في إسرائيل يتوقف أمام شاب يهودي ليسأله مارأيك في المذبحة التي جرت في الحرم الإبراهيمي، أجاب اليهودي في برود شديد: للأسف لم يقتل رجلنا عددا كافيا من المسلمين ولكنها بداية طيبة على أ ي حال وتجمهر اليهود في بيت القاتل السفاح باروخ غولد شتاين وكانوا يتزاحمون ليلقوا على جثته نظرة وداع أخيرة وكانوا يهتفون ويتصايحون بضرورة دفن الرجل دفنا يليق بمقامه في الحرم الإبراهيم إلى جوار النبي إبراهيم ولم يكن هذا رأي رجل واحد وانما كان رأيا عاما لأحزاب وفئات مختلفة في إسرائيل وكان رأي الجيش الذي شارك في المذبحة باعتراف الصحافة الإسرائيلية. وصور السفاح معلقة على جميع واجهات المحلات في الخليل والضفة وإسرائيل، إن باروخ هو العقلية الإسرائيلية كلها.

يقول الدكتور مصطفى محمود: «وقد طالت بنا نومة أهل الكهف وطالت غيبوبتنا وسكرتنا وغفلتنا حينما بدأت مذابح المسلمين في الهند ثم في كشمير ثم في بورما قال البعض هذه مشاكل قديمة لادخل لنا فيها ولاقبل لنا بها وحينما انتقل المسلسل الدموي إلى سيرلانكا والفلبين والصومال والسودان وإرتيريا قلنا إنها نزعات قبلية وصراعات طائفية ومخاضة من الأوحال لاعلاج لها وحينما بدأت المجزرة الكبرى للمسلمين في البوسنة ورأينا أفواج الثلاثة ملايين لاجىء على شاشة التلفاز وأكوام القتلى ووجوه ضحايا الاغتصاب والأطفال المقطعي الأيدي والأرجل عاجلتنا الإذاعات الأجنبية لتقول إنها حرب إبادة عرقية لا علاقة لها بالإسلام.

بعيدا عن مبالغات الصحافة وبعيدا عن مغالطات اصحاب الهوى نسوق لكم النشرة الاقتصادية للأمريكان إكسبريس المأخوذة من تقرير الـ Euromoney الصادر بتاريخ ٦ ابريل ١٩٩٤ حيث يقول التقرير: إن اليابان تتصدر العالم في القوى الاقتصادية فهي الدولة رقم ١ وأمريكا رقم ٢ والمانيا رقم٧ وانلكترا- ٨ وسنغافورة-١٤

والعلماء والمتخصصون في كل المجالات هم أعين الأمم تقودها إلى الحق والصواب

واستراليا١٥ وايطاليا وتايوان٢٢ وهونغ كونغ٢٤ والسعودية ٢٦ واسرائيل ٢٩ واليونان٣١ وماليزيا ٣٣ وإندونيسيا٤١ والصين ٤٢ ومرشحة سنة ٩٤ للتقدم للمرتبة ٢٩ وتركيا ٤٤ وتونس ٥١ والهند ٥٥ والمغرب ٦٠ وباكستان ٦٥ والجزائر ٦٨ ومرشحة للتراجع العام ٩٤ الى المرتبة٨٩ وإيران ٧٠ ومرشحة للتقدم في ٩٤ إلى المرتبة ٦٠ والأردن ٧٣ وسوريا ٨١ ومصر ٨٥ ومرشحة للتقدم في ٩٤ الى المرتبة ٧٦ وبنغلاديش ٨٩ وليبيا ١٢٩ ولبنان ١٣١ وواضح من الجدول أن الدول الأقوى اقتصادا ليست بالضرورة هي الأكثر موارد فاليابان التي تقف على القمة هي أقل الدول موارد فليس عندها بترول ولا حديد ولافحم ومع ذلك تقدمت الجميع كما أن الدول الأفريقية وهي الأكثر موارد جاءت في ذيل المقدمة.

شغل العالم في العيد القومي الامريكي ٤ يوليو ١٩٩٧ هبوط السفينة الامريكية «البحث عن طريق على سطح المريخ بعد ان سلكت مسارا طوله ٤٦٠ مليون كيلومتر وخرجت منها عربة جوالة تسمى سوجورنر التي تعتبر احدى مفاخر الصناعة الفضائية فهي في حقيقة الأمر إنسان آلي لايزيد حجمه على سيارة صغيرة مثل لعب الأطفال وهي أول فاحص كوني يعمل بالتلامس مع السطح الذي يفحصه بل هي أول جهاز متحرك فوق كوكب يحمل أجهزة لم تستخدم من قبل فيها جهاز «آلفا بروتون» لقياس الطيف بالأشعة السينية وهو يمكّن العلماء من معرفة عناصر التكوين الكيمياوي الموجودة في تربة المريخ وقد كانت حركة الاتصال اللاسلكي تتم بين الأرض والعربة فوق سطح المريخ خلال زمن قدره عشر دقائق وتقوم السفينة بنقل هذه التعليمات الى العربة بوساطة أشعة الليزر تحت الحمراء وقد تم الاعتماد في هذه الرحلة على لفيف من العلماء الشبان البارعين في استخدام برامج الحوا سيب الآلية لابتكار تصميمات جديدة فأغلب هؤلاء العلماء لم يتعدوا الثلاثينات من أعمارهم. نسوق هذه المعلومات للذين مازالوا تحت الشجر في ظلمة السحر يهيمون في وجه القمر ■

المصادر

الجامع لأحكام القرآن القرطبي
الحسبة ابن تيميه
الإمامة العظمى عبد الله الدميجي
تاريخ الإسلام الذهبي
خلفاء الرسول خالد محمد خالد
الرسول سعيد حوى
البداية والنهاية ابن كثير
الجزاء من جنس العمل سيد العفاني
الطريق إلى جهنم مصطفى محمود
الطريق إلى المريخ سعد شعبان

دور القرآن الكريم والسنة المشرفة في البناء

لقد قدّم المسلمون على مدار التاريخ تضحيات كبيرة من دمائهم وأموالهم، ويدل على ذلك كثرة المعارك التي خاضوها بدءاً من غزوة بدر والقادسية واليرموك ومروراً بحطين وعين جالوت والزلاقة وانتهاء بفتح القسطنطينية وقرع أبواب فيينا، ويدل على ذلك أيضاً كثرة الأوقاف التي أوقفوها والتي بلغت ثلث ثروة العالم الإسلامي والتي شملت فائدتها الطفل الصغير والعبد الضعيف والدابة العجماء.

ليس من شك بأن هذه التضحيات الجلي في مجال الدماء والأموال جاءت من اغتناء المسلم النفسي الذي ساهمت عدة مصادر شرعية في بنائه، أبرزها القرآن الكريم والسنة المشرفة، وهذا ما سأوضحه في هذه الدراسة.

بقلم: غازي التوبة

دور القرآن الكريم في بناء المسلم النفسي:

تقتضي دراستنا لدور القرآن الكريم في بناء المسلم النفسي أن نتعرف على ثلاثة أمور:

الأول: كيفية تقديم الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم إلى الصحابة وإلى المسلمين من بعدهم.

الثاني: الأوصاف التي وصف بها الله ـ تعالى ـ قرآنه الكريم.

الثالث: الآثار التي يتركها القرآن الكريم.

وسأجتهد في توضيح الأمور الثلاثة وتوضيح دورها في البناء النفسي للمسلم.

الأول: كيفية تقديم الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم للمسلمين:

قدم الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم للمسلمين على أنه كلام الله تعالى، وعلى أنه وحي الله، وأنه تنزيل الله ـ عز وجل ـ فقال تعالى: (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) النمل ـ ٦.

(طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى) طه: ١ ـ ٤.

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) الكهف: ١.

وقد دارت معركة حامية حول إلهية القرآن الكريم واضطربت أقوال المشركين فقالوا عنه: سحر، قول بشر، قول كاهن، تعليم رجل أعجمي، أساطير الأولين، شعر إلخ...

وقد عرض القرآن الكريم هذه الأقوال فنقل اتهام الوليد بن المغيرة للقرآن بأنه سحر وقول بشر، فقال تعالى: (إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قُتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر) المدثر: ١٨ ـ ٢٤.

وقال تعالى: (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) الأنعام: ٢٥.

(بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو



شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) الأنبياء: ٥.

وقد رد القرآن الكريم عليهم بأن محمداً صلى الله عليه وسلم معروف لديهم، وقد صاحبهم أربعين سنة، ولقبوه بالأمين، ولم يعهدوا عليه كذباً أو خيانة، فكيف يتنكرون لحكمهم السابق ومعرفتهم القديمة، ويعبر عن ذلك بقوله «صاحبكم» فقال تعالى:

(ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى) النجم: ٢و ٣.

ثم طلب المشركون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبدل شيئاً من الآيات القرآنية، فعلمه الوحي أن يقول لهم إنني لا أستطيع أن أبدّل شيئاً منه لأنني متبع للوحي وأخاف ربي إن عصيته في أي فعل، قال تعالى:

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) يونس: ١٥و ١٦.

وكان الله ـ تعالى ـ قد أقسم في آيات أخرى على أن هذا القرآن ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن إنما هو قول الله وتنزيله سبحانه وتعالى:

(فلا أقسم بما تبصرون. وما لا تبصرون. إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين) الحاقة: ٣٨ ـ ٤٣.

وقد رد القرآن الكريم على أقوالهم المضطربة بأن تحداهم بأن يأتوا بحديث مثله أو بعشر سور مفتريات، أو بسورة مثله فقال تعالى:

(فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) (الطور: ٣٤)،، (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) (هود: ١٣ و١٤)، (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) (يونس: ٣٨و ٣٩).

هذه بعض معالم المعركة حول إلهية القرآن الكريم، فما نتائج الإيمان بإلهية القرآن الكريم؟

يولد إيمان المسلم بإلهية القرآن الكريم أمرين:

الأول: الإيمان بأن القرآن الكريم فيه الحق، قال تعالى: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين) (الزمر:٢)، (الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) الشورى: ١٧.

الثاني: الإيمان بأن القرآن الكريم فيه العلم الشامل، قال تعالى: (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) البقرة: ١٢٠، (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين) البقرة: ١٤٥.

ليس من شك بأن إيمان المسلم بإلهية القرآن الكريم وبالنتيجتين اللتين تنبثقان عن ذلك الإيمان ـ وهما: الإيمان بأن القرآن يحوي الحق الكامل والعلم الشامل، ـ ستتركان آثاراً نفسية عظيمة منها: الثقة في الحق الذي يدعو إليه، والاطمئنان إلى الطريق الذي يسير عليه.

الثاني: الأوصاف التي وصف الله ـ تعالى ـ بها القرآن الكريم:

لقد وصف الله ـ تعالى ـ القرآن الكريم بأفخم الصفات وأعلاها، وأرفعها شأواً مثل: مبين، عظيم، حكيم، مجيد، كريم، مبارك، عزيز، بشير، نذير، عليّ، وسنذكر بعض الآيات التي ورد فيها المدح السابق على سبيل المثال لا الحصر، قال تعالى: (الر تلك آيات الكتاب المبين) (يوسف: ١)، (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) الحجر: ٨٧، (يس. والقرآن الحكيم) (يس: ١ ـ ٢)، (ق والقرآن المجيد) (ق:١)، (إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون) (الواقعة: ٧٧ و ٧٨)، إلخ.....

ما الذي تبنيه الأوصاف السابقة في نفس المسلم؟ تبني تعظيم القرآن الكريم، والحرص عليه، والاهتمام به، وبخاصة أن الله ـ تعالى ـ وصف القرآن الكريم بصفات العقلاء مثل: الحكيم، الكريم، المبين.

الثالث: آثار القرآن الكريم:

لقد تحدثت آيات كثيرة عن أثر القرآن الكريم في النفوس والمجتمعات، فذكرت منها: الهدى، الرحمة، البشرى، الشفاء، النور، الخروج من

الظلمات، التقوى، إحداث الذكر للعرب، وإحداث الخشوع لقارئه، وسنذكر بعض الآيات التي تحدثت عن بعض الآثار السابقة فقد قال تعالى:

(ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (البقرة: ١ و ٢)، (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) الإسراء: ٨٢، (الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) إبراهيم: ١، إلخ....

ما الحكمة من إخبار الله ـ تعالى ـ لنا عن أثر القرآن الكريم؟

الحكمة واضحة من أجل شد المسلمين إلى الحرص على كتاب الله من خلال إدراك الأثر الذي يمكن أن يتركه القرآن في قلوبهم وعقولهم، وفي أفرادهم ومجتمعاتهم، وبالتالي: خسارتهم الهدى والرحمة والشفاء والنور عند ابتعادهم عنه.

والآن بعد أن بيّنا أوصافه التي وصفه الله ـ تعالى ـ بها، وبعد أن بيّنا آثاره في النفوس والمجتمعات، فماذا يبني الكلام السابق بشكل مجتمع عن إلهية القرآن الكريم وعن صفاته وآثاره في نفس المسلم؟

يبني الأمور التالية:

١ ـ تعظيم الله لأنه أنزل الكتاب الذي يحتوي على الحق والعلم.

٢ ـ حب الله ـ تعالى ـ لأنه أنزل القرآن الكريم الكتاب الهادي إلى الخير في الدنيا والآخرة.

٣ ـ تعظيم كتاب الله لأنه معجزة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من زاويتين: مستوى البيان الذي جاء به، والعلوم التي احتواها.

٤ ـ الخضوع لكتاب الله وتحليل حلاله، وتحريم حرامه لأنه كلام الله القادر الحكيم الخبير.

٥ ـ حب كتاب الله لأنه نور ورحمة وبشرى.

٦ ـ الأنس بكتاب الله لأنه كلام الله تعالى.

٧ ـ رجاء الثواب في تلاوة كتاب الله وأخذ الأجر على تلاوة كل حرف منه.

٨ ـ الشعور بعالمية الرسالة المنوطة بالمسلم لأن القرآن كتاب الله إلى البشر جميعهم إلى قيام الساعة، قال تعالى: (إن هو إلا ذكر للعالمين) ص: ٨٧.

٩ ـ الإحساس بهيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة لأنه كتاب الله الأخير، قال تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) المائدة: ٤٨.

دور الرسول صلى الله عليه وسلم في البناء النفسي للمسلم:

لقد كان للرسول صلى الله عليه وسلم دور عظيم في البناء النفسي للمسلم، وذلك ناتج من اتصافه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأحسن الأخلاق وأعلى الصفات، وأفضل الشمائل، فقد وصفه ـ تعالى ـ بأنه على خلق عظيم فقال تعالى:

(ن والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون. وإن لك لأجراً غير ممنون. وإنك لعلى خلق عظيم) القلم: ١ ـ ٤.

ووصفه كذلك بأنه رؤوف رحيم فقال تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) التوبة: ١٢٨.

ووصفه بالبعد عن غلظة القلب فقال تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) آل عمران: ١٥٩.

كما بين الله ـ تعالى ـ في عدة مواضع من القرآن الكريم أنه رحمة للبشرية، وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ النذير والبشير والسراج المنير، فقال تعالى:

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١٠٧، (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) الأحزاب: ٤٥و ٤٦.

إن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم السابقة كان لها دور أساسي في البناء النفسي للمسلم ويمكن أن نستشف معالمه في الأمور التالية:

١ ـ تعظيم المسلم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لأنه رسول الله الذي حمل إليهم رسالة الله ـ تعالى ـ التي لا تقدر بثمن.

٢ ـ حب المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم لحسن أخلاقه وعظيم شمائله.

٣ ـ حرص المسلم على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم والتأسي به.

٤ ـ رجاء دخول الجنة باتباع سنته وتنفيذ أوامره.

٥ ـ خوف خسارة الأجر، وحصول العذاب نتيجة الابتعاد عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد زاد في اغتناء الصحابة النفسي أخبار كثيرة نقلتها الأحاديث والآيات من مثل أنه سيكون صلى الله عليه وسلم شهيداً على الناس جميعاً يوم القيامة، وأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وأن صفته وردت في التوراة، وأنه فُضِّل على الأنبياء بستة أمور، وأنه أول من يرفع رأسه يوم القيامة، وأنه وحده الذي يتقدم للشفاعة للمؤمنين إلخ.... وسنستعرض بعضاً من هذه الآيات والأحاديث:

فقد قال تعالى: (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) النحل: ٨٩.

وقد تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن ختمه النبوة فقد نقل أبو هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» صحيح البخاري.

وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه فضل على الأنبياء بستة أمور فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فُضِّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون» صحيح مسلم.

إن المسلم عندما يسمع الأخبار السابقة عن الرسول صلى الله عليه وسلم سيزداد تعظيمه له وحبه، كما سيزداد تقديره له وتعلقه به، وسيزداد حرصه على الاقتداء والتأسي به.

الخلاصة:

لقد أغنى القرآن الكريم والسنة المشرفة بناء المسلم النفسي على مدار التاريخ، فجاء المسلم كريماً، شجاعاً، معطاء، متفتحاً، حيوياً إلخ... ومازال ذانك المصدران قادرين على إغناء البناء النفسي للمسلم في الوقت الحاضر، فعلينا أن ننهل منهما، ففي ذلك سبب لتجاوز المحنة، وفي ذلك زاد لتجاوز المشاكل والعقبات التي تواجه المسلم المعاصر ■

من كنوز السنة في التربية

إعداد الدكتور: محمد علي الهاشمي

من كنوز السنة في التربية ما رواه مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

استهل رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه بالقسم بالله تعالى، ليلفت الأنظار والأسماع إلى خطورة ما سيطرحه على السامعين من توجيهات تربوية مهمة في حياتهم الدنيا وفي الآخرة أيضاً، وإنها لتوجيهات يهتم بسماعها كل مسلم نبيه يقظ، يسعى إلى السعادة في الدنيا، وإلى الفوز بالآخرة، فكيف إذا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدِّرها بالقسم منبهاً على أهميتها وخطورتها؟

ونصغي إلى هذه التوجيهات فنراها تدور حول الإيمان والمحبة وإفشاء السلام، ساقها رسول الله مرتباً بعضها على بعض، كل واحدة تؤدي إلى الأخرى، وتكون نتيجة لها، وثمرة منبثقة عنها.

وأولاها: الإيمان رأس كل فضيلة وعمود كل خير، وأساس كل عمل صالح يدخل صاحبه الجنة، فيبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الناس لن يدخلوا الجنة حتى يتم الله عليهم نعمة الإيمان، وأن جوهرة الإيمان الغالية هذه، لن يحوزوها إلا إذا تفتحت قلوبهم على التحابب والتوادد والتقارب. وهنا يأتي الرسول الكريم بسؤال مثير مشوق عن معرفة الشيء الذي يحقق التحابب في حياة الناس ليدلهم عليه، حتى إذا تحرقت النفوس شوقاً لمعرفة ذلك الشيء الذي فيه سر التحابب والتوادد والتقارب أعلنه الرسول الكريم بقوله: «أفشوا السلام بينكم».

وبذلك أودع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرارة النفوس أهمية إفشاء السلام، وأثر ذلك الإفشاء في انفتاح القلوب، وإشاعة المحبة، وتوثيق عرى المودة.

وبذلك كان لهذا كله أثره البالغ في نفوس الصحابة الكرام الذين سمعوا هدْي الرسول الكريم غضاً طرياً، فانساب إلى قلوبهم ومشاعرهم وحياتهم، وأصبح إفشاء السلام سجية من سجاياهم الغر وخليقة من خلائقهم الحسان. فهذا عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - يغدو إلى السوق، فلا يمر على أحد إلا سلم عليه، وسئل يوماً: ما تصنع في السوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السوق؟

فقال: «إنما نغدو من أجل السلام على مَنْ لقينا».(١)

لقد أعطى الرسول - المربي العظيم قضية السلام - جانباً كبيراً من اهتمامه، وحض على إفشائه في عدد كبير من أحاديثه، ووضع للسلام قواعد، ووجه المسلمين إلى تطبيقها في حياتهم الاجتماعية، فقال:

«يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»(٢)، وفي رواية للبخاري: «والصغير على الكبير». والسلام يكون على الرجال وعلى النساء أيضاً، يشهد لذلك حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوماً، وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم»(٣)

ويكون أيضاً على الصبيان، تعويداً لهم على آداب التحية والسلام: فعن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله.(٤)

ومن قواعد السلام وآدابه في الإسلام أن يُلْقى في الليل برفق وتؤدة وخفض صوت، بحيث يسمعه اليقظان، ولا يوقظ الوسنان، وهذا ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه المقداد رضي الله عنه في حديثه الطويل، قال: «كنا نرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه من اللبن، فيجيء من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً، ويسمع اليقظان، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فسلم كما كان يسلم».(٥)

ويكون السلام عند الدخول إلى المجلس وحين القيام منه، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»(٦)

أما صيغة السلام التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة الإسلام قاطبة فهي: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، يقولها المبتدئ بالسلام هكذا بضمير الجمع، ولو كان المسلَّم عليه واحداً، ويقول المجيب: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

ولا يغني عن هذه الصيغة الشرعية الأصيلة صيغ أخرى قديمة مثل: عِمْ صباحاً، أو صيغ مستحدثة كصباح الخير التي هي ترجمة حرفية لـ (Good Morning) بالانكليزية، أو (Bon-jour) بالفرنسية، وما إلى ذلك من صيغ تفشت في مجتمع المسلمين المتخلفين عن هدي دينهم القويم. إن تحية الإسلام هذه هي التحية التي اصطفاها الله تعالى لخلقه منذ خلق آدم، علمه إياها، وأمره أن يحيِّي بها الملائكة، وأراد لذريته على مدى عصورها واختلاف أمصارها أن تتمسك بها، لما تحمل من معنى السلام، أحب شيء للإنسان في كل زمان ومكان، ولم تبق على هذه التحية الربانية الأصيلة سوى أمة الإسلام التي بقيت على الملة الحنيفية السمحة، لم تغير فيها ولم تبدل، ولم تنحرف عن هديها ولم تَمِلْ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«لما خلق الله آدم عليه السلام قال: «اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله»(٧). ومن أجل ذلك التزم بصيغتها جبريل عليه السلام حين قرأ عائشة السلام، وكذلك التزمت السيدة عائشة رضي الله عنها بصيغة الرد، كماجاء في الحديث المتفق عليه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل يقرأ عليك السلام» قالت قلت: «وعليه السلام ورحمة الله وبركاته»(٨). هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسخ القواعد الاجتماعية والآداب التربوية في نفوس المسلمين، ليجعل منهم بنياناً مرصوصاً يشد بعضه بعضاً، ويفتِّح قلوبهم على التحابب والتقارب والتلاقي، مستخدماً في ذلك شتى أساليب التربية والتعليم.■

الهوامش

١ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

٢ - متفق عليه.

٣ - رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

٤ - متفق عليه.

٥ - رواه مسلم.

٦ - رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

٧ - متفق عليه.

٨ - متفق عليه.

رهط النبي صلى الله عليه وسلم

بقلم: د. حسن عبدالغني أبو غدة

تمهيد:

رهط النبي صلى الله عليه وسلم هم: أهله وأولاده وأقرباؤه من الرجال ومن النساء، يُقال في اللغة: الرهط «بفتح الراء وسكون الهاء» جماعة الرجل وقرابته الأقربون، ومنه الآية: (ولولا رهطك لرجمناك) هود: ٩١.

ومن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم أوتي نسباً شريفاً: فجده عبدالمطلب سيد مكة، ووالده عبدالله، الذي صان شبابه من الرذائل، في وقت انتشرت فيه اللذة بين فتيان مكة، ولم يجدوا من ينكر ذلك عليهم، وأمُّه آمنة بنت وهب صاحبة الخلق والحياء والعفَّة.

يُروى أنه لـمَّا بلغت هرقل - ملك الروم - دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، أراد التعرّف إلى حقيقة أمره، فطلب رجلاً من العرب يخبره عن ذلك، فأُتِي بأبي سفيان على رأس وفد قرشي كانوا يبتغون التجارة في بلاد الروم، وكان أبو سفيان - حينذاك - خصماً لدوداً للدعوة الإسلامية، فسأله هرقل عن محمد وأسرته ونسبه، فأثنى أبو سفيان عليه خيراً، ومدح سيرته، وقال: إنه فينا ذو نسب شريف.

هذا، وقد تنوعت جهات قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وأهله إلى أنواع، هي على النحو التالي:

أولاً: أولاده: هم ثلاثة بنين وأربع بنات، كلهم من زوجته السيدة خديجة، إلا إبراهيم من السيدة مارية بنت شمعون القبطية، وقد ولدوا وعاشوا على النحو التالي:

١ - القاسم: ولد قبل النبوة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكنَّى به، فيقال له: أبو القاسم، وقد عاش القاسم حتى مشى، وتوفي في مكة وهو ابن سنتين.

٢ - زينب: هي أكبر بنات النبي صلى الله عليه وسلم، ولدت قبل البعثة بعشر سنوات، وهي أول من تزوج من بناته، تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع، وأمه هالة بنت خويلد أخت السيدة خديجة.

هاجرت زينب إلى المدينة، وبقي زوجها - في مكة - على دينه، حتى أسلم سنة ٧ هجرية وكانت أثناءها صابرة محتسبة.

وُلد لزينب ابن اسمه علي وبنت اسمها أمامة، أما علي فمات وقد ناهز البلوغ في حياة جده صلى الله عليه وسلم، وأما أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب عقب وفاة زوجته فاطمة، ولم تخلِّف أمامة أولاداً.

وقد توفيت زينب بنت رسول الله سنة ٨ للهجرة في حياة والدها، ثم توفي زوجها أبو العاص بعدها بقليل.

٣ - رقية: هي أكبر البنات بعد زينب، تزوجها ابن عمها عتبة بن أبي لهب، ثم أكرهه أبوه على طلاقها قبل دخوله بها، حينما نزل قوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب وتب)، فتزوجها عثمان بن عفان، وهاجر معها إلى المدينة، ولما همَّ المسلمون بالخروج إلى «غزوة بدر» مرضت رقية، فمكث عندها زوجها عثمان يمرضها، وحين رجع البشير بانتصار المؤمنين في «بدر» كانت قد توفيت، ولم تخلف أولاداً.

٤ - أم كلثوم: هي أصغر من رقية وأكبر من فاطمة، تزوجها ابن عمها عتيبة ابن أبي لهب - أخو عتبة زوج رقية - لكنه فعل كما فعل أخوه، فطلقها قبل الدخول بها، بأمر والده أبي لهب، ولما نزل قوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب وتب).

هاجرت أم كلثوم إلى المدينة، وتزوجها عثمان بن عفان في سنة ٣ للهجرة، وذلك بعد وفاة أختها رقية، ولهذا لقب عثمان بذي النورين، لزواجه من ابنتي النبي: رقية ثم أم كلثوم.

بقيت أم كلثوم عند عثمان حتى توفيت سنة ٩ للهجرة، ولم تلد أحداً، وقام النبي صلى الله عليه وسلم على دفنها، وكانت عيناه تدمعان لوفرة عاطفته الأبوية.

٥ - فاطمة: هي أصغر بنات النبي صلى الله عليه وسلم وأحبُّهن إليه، ولدت قبل البعثة النبوية، وهاجرت مع أخواتها إلى المدينة، تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثالثة للهجرة بعد غزوة أحد، وكان عمرها وقتئذ حوالي ثماني عشرة سنة.

روى أبو داود والنسائي عن ابن عباس أن علياً لما تزوج فاطمة أراد أن يدخل بها، فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعطيها شيئاً - يعني: يقدم لها شيئاً من المهر - فقال: يا رسول الله، ليس عندي - الآن - شيء، فقال له: أعطها درعك الحُطَمِيَّة، فأعطاها درعه ثم دخل بها، وإنما فعل ذلك، إشعاراً لها بمكانتها ورغبته في الاقتران بها.

قالت عائشة أم المؤمنين: كانت فاطمة إذا أقبلت تمشي، كأن مشيها مشي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يستقبلها قائلاً: مرحباً بابنتي، ثم يجلسها عن يمينه.

توفيت فاطمة في السنة الحادية عشرة للهجرة - بعد وفاة

أبناء النبي صلى الله عليه وسلم كلهم ماتوا قبله إلا فاطمة. ماتت بعده بستة أشهر.

والدها بستة أشهر ـ وكانت قد ولدت لعلي أبناءه: الحسن والحسن ومحسناً، وزينب وأم كلثوم، ومن الحسن والحسين تفرَّعت ذرية آل البيت رضي الله عنهم.

٦ ـ عبدالله: هو سادس أبناء النبي صلى الله عليه وسلم، ولد بعد البعثة النبوية، ويقال له: الطيب والطاهر، ومات صغيراً وهو في سنّ الرضاع.

أخرج ابن سعد وابن عساكر أنه لما مات عبدالله قال العاص بن وائل ـ أحد مشركي قريش ـ قد انقطع نسل محمد، فهو أبتر، فأنزل الله تعالى: (إنا شانئك هو الأبتر)، أي: عدوُّك هو الذي بُتر من كل خير.

٧ ـ إبراهيم: أمه مارية بنت شمعون القبطية، ولدته في سنة ٨ للهجرة، فَسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بولادته كثيراً، وحلق شعره يوم سابعه، وتصدَّق بوزنه فضة، وسمَّاه إبراهيم ـ على اسم النبي إبراهيم ـ وكان كلما رآه قبَّله وشمَّه.

عاش إبراهيم ثمانية عشر شهراً، وتوفي في سنة ١٠ للهجرة، ودفن بالبقيع وقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لفراقه، فقال له عبدالرحمن بن عوف: وأنت تبكي يا رسول الله؟ قال: إنها رحمة، وإن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربَّنا، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون.

هؤلاء هم أبناء النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ولدوا على الترتيب السابق بحسب القول الراجح، وكلهم ماتوا قبله إلا فاطمة، ماتت بعده بستة أشهر.

ثانياً: زوجاته: خصّ الله تعالى نبيه محمداً بالزواج بأكثر من أربع، ولزواجه من كل واحدة حكمة تشريعية ودواع اجتماعية، تكفَّلت ببيانها كتب خاصة بذلك.

والمتفق عليه أن عدد زوجاته اللواتي دخل بهن إحدى عشرة، اثنتان توفيتا في حياته، وهما: خديجة بنت خويلد، وزينب بن خزيمة، والتسع الباقيات توفين بعده صلى الله عليه وسلم، وجميعهن على النحو التالي:

١ ـ خديجة بنت خويلد: هي الزوجة الأولى للنبي، وأم أولاده جميعاً إلا إبراهيم، تزوجها قبل البعثة، ووقفت إلى جانبه في مراحل الدعوة، وشدّت من أزره في مكة، حتى توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين، بعد أن عاشت معه حوالي ربع قرن، كان يذكرها بخير، ويثني عليها، لما لها من أيادٍ بيضاء في طور نشأة الإسلام الأولى.

٢ ـ سودة بنت زمعة القرشية: هي من المسلمات الأوليات، كانت زوجة لابن عمها السكران بن عمرو، الذي أسلم وهاجر إلى الحبشة ومات فيها، ولم تلد له أولاداً، وعادت إلى مكة فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، بعد وفاة خديجة، عاشت حتى آخر خلافة عمر، وكانت وفاتها سنة ٢٣ للهجرة.

٣ ـ عائشة بنت أبي بكر: تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الأولى من الهجرة، ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أحبّ نسائه إليه بعد خديجة، برأها الله تعالى من كل سوء.

قيل: حملت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسقطت ولداً، ولذا تكنَّى بأم عبدالله، وكانت من أفقه النساء وأعلمهن، وكان الأكابر من الصحابة يسألونها ويستفتونها ويرجعون إليها فيما يشكل عليهم، وبخاصة في أمور النساء وأحكامهن، توفيت رضي الله عنها في سنة ٥٦ للهجرة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

٤ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب: كانت زوجة لخُنَيس بن حذافة السهمي، الذي جرح في بدر وتوفي بعدها، وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم توثيقاً للصداقة التي بينه وبين أبيها، كانت كثيرة الصلاة والصوم والصدقة، توفيت في المدينة سنة ٤٥للهجرة.

٥ ـ زينب بنت خزيمة الهلالية: استشهد زوجها عبدالله بن جحش في أحد، وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الرابعة للهجرة، لُقِّبت بأم المساكين، لعطفها عليهم وإطعامها إياهم، لم تمكث عند النبي صلى الله عليه وسلم سوى ثلاثة أشهر، حتى توفيت.

٦ ـ أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية: أبوها من مشاهير العرب وأجوادهم، تزوَّجت ابن عمها عبدالله بن عبدالأسد، وهاجر إلى الحبشة ثم المدينة، وولد لهما سلمة، وعمر وزينب ورقية، ومات زوجها متأثراً بجراحه في أحد، ودعا لها قبل موته: اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يُخزيها ولا يؤذيها، فقالت في نفسها: من هذا الذي هو خير لي من أبي سلمة؟ ثم ما لبثت أن خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبلت وتزوجها.

تميّزت بجودة الرأي وبُعد النظر وكثرة الحلم، وهي التي أشارت على النبي يوم الحديبية ـ أن ينحر هديه ويحلق رأسه، فلما رأى الصحابة أنه فعل ذلك ـ وكانوا قد احتجُّوا على شروط الصلح ـ هدأت نفوسهم وقاموا يفعلون مثل ما فعل.

تُوفيت أم سلمة بالمدينة سنة ٦٢ للهجرة، وهي آخر أمهات المؤمنين وفاة.

٧ ـ زينب بنت جحش الأسدية: هي ابنة عمة النبي، أمها أميمة بنت عبدالمطلب، كانت قوَّامة صوامة كثيرة الصدقة، تزوجها زيد بن حارثة «متبنَّى النبي صلى الله عليه وسلم» ثم اختلفا فطلقها، فتزوجها النبي بأمر الله تعالى، وذلك كإلغاء عملي لعرف الجاهلية الذي كان يمنع الرجل من تزوج زوجة متبناه، ونزل قوله تعالى: (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) الأحزاب/٣٧، توفيت زينب بالمدينة سنة ٢٠ للهجرة، وهي أول نسائه وفاة بعده.

٨ ـ جويرية بنت الحارث المصطلقية: أسر المسلمون جموعاً من أهلها، ووقعت هي في السبي، ثم أسلمت نتيجة مخالطة المسلمين، فجاء أبوها ليستردها ـ وكان سيد بني المصطلق ـ فرفضت واختارت البقاء بين المسلمين، فقدَّر لها النبي صلى الله عليه وسلم هذا الموقف، ورغب الزواج بها فوافقت، فسماها جويرية، وكان يُقال لها: برّة، وكان ذلك في العام ٦

خصّ الله تعالى نبيه محمداً بالزواج بأكثر من أربع، ولزواجه من كل واحدة حكمة تشريعية ودواع اجتماعية

للهجرة.

قالت عائشة: لما بلغ الصحابة زواج النبي بجويرية، قالوا: كيف نأسر أصهار النبي؟ فأطلقوهم، وكانوا أكثر من مئة نفس، فما كان من امرأة أعظم بركة على قومها منها.

كانت كثيرة العبادة والتسبيح والصيام، توفيت في المدينة سنة ٥٦ للهجرة.

٩ ـ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان: كُنِّيت بابنتها حبيبها من زوجها الأول عبيد الله بن جحش، الذي مات في الحبشة، فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم، فقدمت المدينة ودخل بها في سنة ٧ للهجرة.

ولما سمع أبوها أبو سفيان خبر زواج النبي بها قال ـ وهو لم يُسْلم بعد ـ هو الفحل لايجدع أنفه، وكان العرب لا يرضون عن شيء رضاهم عن زواج المرأة بالكفء ذي النجدة، وبهذا الزواج تألف النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان ـ أشد أعداء الإسلام ـ فأسلم بعد فترة.

كانت أم حبيبة قوية الإيمان، شديدة الحب لله ورسوله، كثيرة الخيرات والطاعات، توفيت في خلافة معاوية سنة ٤٤ للهجرة.

١٠ صفية بنت حيي بن أخطب: أبوها زعيم يهود بني النضير، أخذها المسلمون في السبي يوم خيبر سنة ٧ للهجرة، فأسلمت متأثرة بمخالطة المسلمين، فقال الصحابة يا رسول الله، إنها سيدة قومها، لا تصلح إلا لك، فخطبها وتزوجها.

كانت عاقلة فاضلة حليمة، كثيرة الخيرات والإحسان، تبذل المعروف لمحتاجيه، توفيت في سنة ٥٢ للهجرة.

هذا، وإلى جانب أمهات المؤمنين هؤلاء، كان للنبي الكريم أربع سَرَاري منهن: مارية بنت شمعون القبطية، وكانت بيضاء جعدة جميلة، أهداها له المقوقس ملك الإسكندرية، فأسلمت وحَسُن إسلامها، فاستسرَّها النبي الكريم في سنة ٧ للهجرة.

١١ ـ ميمونة بنت الحارث: هي خالة عبدالله بن عباس، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٧ للهجرة، وكان اسمها برَّة فسمَّاها ميمونة، كانت صالحة تقية، وصولة للرحم توفيت قرب مكة سنة ٥١ للهجرة.

ولدت له ابنه إبراهيم سنة ٨ للهجرة، عاشت حتى خلافة عمر، حيث توفيت سنة ١٦ للهجرة، فقام عمر بجمع الناس لشهود جنازتها والصلاة عليها إكراماً لها وبرَّاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقد دفنت بالبقيع.

ثالثاً: إخوته من الرضاع ليس للنبي الكريم إخوة من النسب، لابنين ولا بنات، غير أن له إخوة من الرضاع هم: عبدالله وأنيسة وجذامة «وهي الشيماء» أولاد حليمة السعدية وزوجها الحارث بن عبدالعزى، ورضع معه من حليمة أيضاً: ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وقد أسلم هؤلاء جميعاً.

كما رضع النبي الكريم من ثويبة مولاة أبي لهب، ورضع معه عمه حمزة بن عبدالمطلب وعبدالله بن عبدالأسد المخزومي «أبو سلمة» أرضعتهم ثلاثتهم ثويبة مع ابنها مسروح، وذلك قبل قدوم حليمة، وقيل: إن ثويبة قد أسلمت.

رابعاً: أعمامه: أعمامه أحد عشر من أمهات مختلفات، أكبرهم الحارث بن عبدالمطلب ومنهم: قثم، والغيداق «واسمه مصعب» وأبو طالب «عبدمناف» وأبو لهب« عبدالعزى» والمغيرة ولقبه حَجَل، وضرار، وعبدالكعبة، والزبير «أظرف فتيان قريش» والعبَّاس، وحمزة.

أدرك بعض أعمامه الإسلام، وممن دخل فيه اثنان فقط: حمزة والعباس، وكان العباس يكبر النبي بثلاث سنوات، أما حمزة فيكبره بسنتين، وهو أصغر إخوانه الأحد عشر.

خامساً: عمّاته: هن ست: صفية بنت عبدالمطلب، وهي أخت حمزة لأمه، وقد أسلمت وهاجرت، وهي أم الزبير بن العوام، توفيت في المدينة في خلافة عمر، والثانية: عاتكة بنت عبدالمطلب، وهي التي رأت في منامها ـ ليلة معركة بدر ـ أن الهزيمة ستحيق بقريش، وأن مصيبة القتل ستحل كل بيت في مكة، والقصة معروفة... وقد اختلف في إسلام عاتكة.

والعمة الثالثة: أروى، واختلف في إسلامها أيضاً، ثم برَّة، وأميمة، والبيضاء، التي كان يُقال لها: أم حكيم.

سادساً: أخواله: للنبي صلى الله عليه وسلم خالان اثنان هما: الأسود وعمير ابنا وهب، وذكر أنهما أدركا الإسلام وأسلما.

وبهذا تكتمل الصورة عن رهط النبي صلى الله عليه وسلم أولاداً وزوجات وأقرباء، وقد كان لهم نعم الناصح والموجه، وطالما دعاهم إلى الاعتماد على أعمالهم الصالحة والاعتزاز بها، لا بأنسابهم وصلتهم به وقربهم منه، أو ليس هو القائل ـ فيما رواه الشيخان ـ : يا «بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً....» وهو القائل أيضاً ـ فيما رواه مسلم وأصحاب السنن ـ : «ومن أبطأ به عمله، لم يُسْرِع به نَسَبُه»، فصلوات الله وسلامه عليه.■

المصادر:

١ ـ تفسير الدر المنثور للسيوطي.

٢ ـ الترغيب والترهيب للمنذري.

٣ ـ السيرة النبوية لابن هشام.

٤ ـ زاد المعاد لابن القيم.

٥ ـ البداية والنهاية لابن كثير.

٦ ـ الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر.

٧ ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووي.

٨ ـ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية

دراسة قرآنية

عالم الأصوات القرآني

بقلم: ابتهال محمد على البار

ما أجمل أن نفهم القرآن، وما أجمل أن ندرك جلاله وعظمته، ولا يصل المرء لهذه المرحلة حتى تزداد علومه فيستطيع أن يقدّر قيمة هذا الكتاب الجليل الذي نقلب صفحاته كل يوم دون أن ندرك أثره على الأمة الإسلامية، وكيف نقلها من ظلمات الجهل ليفتح أمامها أبواب المعرفة الفسيحة.... ومن هذه العلوم التي ارتبطت بالقرآن ارتباطاً وثيقاً علم الأصوات، وإذا أردنا أن نعرف العلاقة بين علم الأصوات والقرآن الكريم لابد لنا أن نعرف كيف يتشكل الصوت؟

تتشكل هيئة الصوت حسب تأثر الموجات الصوتية بالأجواء والأجواف المحيطة بها، وأشكالها وأحجامها وتحركاتها التي تختلف من شخص لآخر، ومن ذكر لأنثى ومن صغير لكبير وصحيح لعتل، حتى إن العلماء ينظرون إلى هيئة الصوت وكأنها بصمات الأصابع التي تعيِّن شخصية الإنسان عند أهل العلم بهذا الفن، ومن هنا يمكن معرفة سبب توتر صوت الصغير وعلوِّه، وهو قصر الحبلين الصوتيين ودقتهما، أما عندما يكبر الصغير وينمو الحبلان الصوتيان ويغلظان ويزداد طولهما ويتغير حجم الحنجرة وشكلها يغدو صوت الكبير أقل حدة وعلواً موسيقياً من صوت الصغير، وقل مثل ذلك في الفرق بين صوت المرأة وصوت الرجل، وذلك لأن حبلي المرأة الصوتيين أقصر وأدق، فلذلك نسمع صوتها أشد توتراً وعلواً، وحين يطرأ على الحبلين الصوتيين في الحالات المرضية مثلاً ما يغير شكلهما وتوترهما، يتغير تبعاً لذلك صوت المريض، فإذا ازداد التضخم أوالتورم أصيب المريض ببحة، وقد يختفي صوته وينعدم نتيجة تعطل وظيفة الحبلين الصوتيين.

وعلم التجويد المرتبط بالقرآن أشد ارتباط لا يبحث في شدة توتر الصوت «وظيفة الحبلين الصوتيين» ولا في قوته وضعفه، إنما يبحث في أوضاع اللسان أو الشفتين عند النطق بالحرف، وكذلك يبحث في صفات الحرف التي يجب أن يتصف بها عند نطقه «كالهمس والجهر...».

ولذلك نجد دراسة علماء التجويد قد ارتبطت بما سموه «اللحن الخفي» وهو: الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج والصفات، وتعد معالجتهم القراءة وتصحيح النطق بها هي السبب في اهتمامهم بالدراسات الصوتية، فقد درسوا أصوات اللغة وحددوا نطقها الصحيح، ورصدوا الانحرافات المتوقعة ليحترز الناطق منها ويتجنبها، وقد تميزت دراستهم بميزتين:

١ ـ منهج علماء التجويد منهج شامل:

ويتمثل ذلك في تلخيصهم علم التجويد في أربع نقاط:

أ ـ معرفة مخارج الحروف.

ب ـ معرفة صفاتها.

ج ـ معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن في حالة الإفراد، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة.

د ـ رياضة اللسان وكثرة التكرار، وتكون بمداومة القراءة والسماع، وهذه النقاط الأربع هي الموضوعات الأساسية في علم «الأصوات النطقي».

٢ ـ منهج علماء التجويد منهج صوتي خالص:

كان علماء التجويد دائماً من المتخصصين في علم القراءات ومن المشتغلين بعلوم القرآن، بل كان الكثير منهم لغويين ونحاة أو على جانب كبير من الثقافة اللغوية والنحوية والصرفية، ومع ذلك استطاعوا أن يرسموا حدوداً واضحة لعلم التجويد متميزة عن العلوم الأخرى، ولا سيما أن بعض تلك العلوم له ارتباط وثيق بعلم التجويد، فقد خصصوا كتباً مستقلة لبحوثهم الصوتية والتي تعرف بكتب التجويد، وبذلوا في ذلك جهوداً كبيرة لأن المباحث الصوتية كانت مبعثرة في كتب النحو والصرف والقراءات فجمعوها في كتب مستقلة غير مختلطة بما سواها من الكتب والعلوم، كما ميّز علماء التجويد أبحاثهم الصوتية بتسمية جديدة مبتكرة هي «علم التجويد» وقد ظهرت هذه التسمية في مطلع القرن الرابع الهجري.

ومن الجدير بالذكر أن علماء التجويد استعانوا بعلم التشريح وكتب الطب لتحديد أعضاء النطق، فقد نقل «الدركزلي» ـ أحد علماء التجويد ـ من بعض كتب داود بن عمر الأنطاكي، وذلك حين تكلم عن الرئة والقصبة والحلق واللسان والفلك، ولم يكتف علماء التجويد بالاستعانة بعلم التشريح فحسب، بل استعانوا أيضاً برسوم توضيحية لتوضيح مخارج الحروف وتوزيعها على أعضاء النطق، وأقدم رسم لآلة النطق عليها مخارج الحروف لابن وثيق الأندلسي المتوفى ٦٥٤هـ وهي مخطوطة بمكتبة أيا صوفيا في تركيا.

ولقد كان لعلماء التجويد السبق في ابتكار طريقة التعليم السمعية الشفهية التي تعتبر من أشهر طرق تعليم اللغات حديثاً، ففي خلال الحرب العالمية الثانية احتاجت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تعليم أكبر عدد ممكن من الجيش المهارات الشفهية للغات مختلفة في أقصر وقت ممكن، مما أدى إلى ظهور هذه الطريقة سنة ١٩٤٢م، وتميزت بالآتي:

١ ـ تنمية مقدرة الحفظ، وهذا ما كان يحدث مع أطفال المسلمين الذين تعلموا في الكتاتيب على أيدي الشيوخ.

٢ ـ لاتعطَ للطلاب قوائم بالمفرادات، بل يتعلم الطالب المفردات من سياق النص، وهذا منطبق على طريقة التعليم القديمة، فالشيخ كان يهتم بتلقين التلميذ مشافهة أكثر من اهتمامه بتفسير معاني ألفاظ القرآن.

٣ ـ كثيراً ما تستعمل الوسائل التعليمية كأشرطة التسجيل، وهو ما ينصح به الآن لتعلم التجويد، ومن المتفق عليه عند علماء اللغة وعلماء النفس أن التقليد والتلقين لهما دور فعال في اكتساب اللغة وخصوصاً لدى الأطفال.

وهكذا تنكشف لنا عبقرية هؤلاء العلماء الذين وضعوا أسس علم الأصوات قبل عشرة قرون مضت من الزمان.■

المراجع

١ ـ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دراسة دكتوراة للدكتور غانم قدوري الحمد.

٢ ـ مقدمة في علم اللغة التطبيقي، محمد خضر، وأنور نقشبندي.

٣ ـ حق التلاوة، حسني شيخ عثمان.

معركة سهل أنقرة عام ١٤٠٢م ومصير الحضارة الغربية

بقلم الدكتور: خالص جلبي

في الوقت الذي كان فيه السلطان العثماني بايزيد خان الأول يتأهب لغزو أوروبا بحملة قوامها نصف مليون جندي وذلك مع فجر القرن الخامس عشر الميلادي، تحركت عاصفة عسكرية أشد هولاً، ومن نفس العرق التركي والدين الإسلامي، وبسبب تاريخي تافه، مزمجرة من الشرق يقودها عسكري تتري مرعب خلّد اسمه في التاريخ بكل الفظاعات الممكنة «تيمور لنك»، ليحطم الطموحات العثمانية الجنينية للسيطرة على أوروبا في معركة أنقرة التي قررت مصير أوروبا في ٢٠ تموز يوليو عام ١٤٠٢م الموافق ١٩ ذي الحجة من عام ٨٠٤هـ، وليوقف المد الإسلامي، ولينقذ جنين الحضارة الغربية الذي كان قد تشكل آنذاك في أحشاء الزمن بعد أن تلقح من نطف الحضارة الإسلامية، التي كانت تودع التاريخ وتتوج ختامها بتألق الشمعة الأخير بفكر سنني متماسك هو فكر ابن خلدون، الذي أرخ لهذه المرحلة بمقابلة شخصية مع تيمورلنك الذي واصل تحطيم الشرق الأدنى ليحط الرحال أخيراً في دمشق.

هذا الارتطام الأعمى بين قوتين إسلاميتين ـ لتنجو وتولد حضارة غير إسلامية ـ هل هو مجرد مصادفة عبثية؟؟ أم عمى تاريخي؟؟

لنتأمل الواقعة تحت مبضع التاريخ!!

عندما بدأت البحث شعرت أن عليَّ استخدام أدوات معرفية للاكتشاف، أو لنقل منهجاً ينظم عملية اكتشاف التراكم المعرفي الذي حصل في الغرب والذي قصّر عنه العالم الإسلامي والذي يعاني من وطأته اليوم، وهذا القصور المعرفي ليس في الفيزياء والكيمياء، والبايولوجيا والكوسمولوجيا فحسب، بل هو أيضاً في الإدارة والاقتصاد والسياسة والثقافة والفن، ولنقل هو قصور حضاري مريع، وأمامنا عمليتان كل منهما أصعب من الأخرى، كمثل الطالب في المرحلة الابتدائية الذي تطلب منه أن يصل إلى المستوى الجامعي وليس ذلك فحسب، بل أن يكون طالباً متفوقاً له دور ريادي في فصله، وهذه هي مشكلة المشاكل في العالم الإسلامي والتي تشكل منخس التحدي الرهيب؟؟!!!

الحوادث التاريخية لايمكن أن تفهم معلقة في الهواء، فهناك علاقة جدلية بين الأحداث، والجدلية هو قانون إلهي في هذا الوجود وليس اختراعاً من ملحدين، الليل والنهار، الحزن والفرح والانفعال والفعل ... إلخ.. (وأنه هو أضحك وأبكى. وأنه هو أمات وأحيا. وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى. وأن عليه النشأة الأخرى. وأنه هو أغنى وأقنى) النجم/٤٣ ـ ٤٨.

الحوادث التاريخية لايمكن أن تفهم معلقة في الهواء. فهناك علاقة جدلية بين الأحداث

وهكذا فكل حدث هو في علاقة جدلية بما قبله وبما بعده، هو سبب لما سيأتي بعده وهو في نفس الوقت نتيجة لما قبله، والأحداث العظيمة هي تراكمات لإنجازات صغيرة، والانتصار الكبير هو تتويج للجهود الصغيرة المتراكمة عبر الزمن، بل إن الإنسان إذا أردنا إفراغه في صورة معادلة فإنه يعني ويساوي «الإنسان في لحظة = محصلة تراكمية بطيئة للحظات الجهد الواعي المتراكمة عبر وحدات الزمن قبل لحظة القياس».

وهكذا فالكون في حركة ونمو «يزيد في الخلق ما يشاء»فاطر/١، والوجود في حالة صيرورة، وكل شيء يتغير، و«كل يوم هو في شأن» الرحمن/ ٢٩، والإنسان في كل لحظة هو غيره بعد اللحظة التي سبقت، ويخطئ من يظن أن هناك توقفاً في نمو الإنسان حتى مع تقدم العمر، فالدماغ الإنساني تركيب رهيب مكون من عشرين مليارا (٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ = ٢ أمامها عشرة أصفار) من الخلايا العصبية في قشر المخ، وكل خلية مرتبطة بألف وحدة ارتباط مع بقية الخلايا العصبية، مما يجعل الدماغ الإنساني أكبر من الكون المعروف، وبالتالي فليس هناك حد لنمو وكمال الإنسان إذا تصورنا كل كسب معرفي شجرة ارتباطات عصبية، والإبداع توليدات معرفية جديدة، كما أنه ليس هناك قعر لهبوط الإنسان باعتبار تميز الإنسان وتفوقه بدماغه وليس بمخالبه، فالفيل أعظم حجماً من الإنسان، والثور أشد بأساً، والكلب أسرع في الجري، والنمر أعظم في الافتراس، والعصفور أمرس في السفاد، والقط يقتات من الطعام ما هو بمثابة السم من جلد الفئران، وحراشف الصراصير، وأقدام العناكب، (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين) التين/ ٤ و٥،

ولنتأمل تعبيرات «أحسن وتقويم» وما يعاكسه من أسفل وسافلين بصيغة النكرة فهي قوة مرفوعة إلى نفس قوتها حسب مصطلحات الرياضيات وهذا يعني أنه لا حدود للهبوط أو الارتفاع.

وحتى يمكن فهم ما «حدث في العالم» وحتى لانكون خارج التاريخ والجغرافيا؟! فلابد من اتباع منهج كشف حفريات المعرفة، والتعرف على «إضافات المعرفة الإنسانية» أو بموجب التعبير القرآني: منهج السير في الأرض لمعرفة التطورات التي حدثت (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)العنكبوت/٢٠، واكتشف ابن خلدون شيئاً هائلاً قديماً حينما وضع يده على فكرة القانون أو السنة بتتبع «كيفية خلق الأشياء»، وهكذا توصل إلى هذه الأشياء الرائعة والمتألقة والتي سماها «الحِكَم المحجوبة والقريبة» أو «تلك التي لم يفطن لها إلا الآحاد من الخليقة» مع الأخذ بعين الاعتبار أن ما كشف للآحاد يوماً، يصبح بعد حين من البديهيات للملايين؟!!، وهكذا وضع ابن خلدون مثلاً يده على قانون عمر الدول وحدّده في مائة وعشرين عاماً، على اعتبار مروره في ثلاثة أجيال وأن كل جيل أربعون سنة، والجميل إلى حد التألق هو ذلك المزج المقدس بين هذه المفاهيم التي وصل إليها والنص القرآني، فهو قد انقدح له معنى الجيل المحدد بأربعين سنة من تيه بني إسرائيل المحدد في أربعين سنة من قصة موسى وهارون مع الجموع التي هربت معه من استبداد فرعون.

وفكرة القانون أو السنة بقدر ما هي طاغية ومسيطرة في النص القرآني، بقدر ما هي غائبة في وعي المسلمين التاريخي، وبقدر ما يؤكد القرآن على أنه لن يجري المعجزات، فإن المسلمين وقعوا في مطب الخلاب السحري والمعجز، وبقدر ما وجه القرآن النظر لفهم الواقع المعقد، والكون المعجز ضمن مفهوم الآية، بقدر ما سيطر على خيال المسلمين الأسطورة والمستحيل، وبذا انفصل العالم الإسلامي عن الواقع وافترسته الخرافة، وفقد الروح العلمية، وعشق الحقيقة، واكتشف الكون ورؤية آيات الله التي لا نهاية لها ولاحدود.

والقرآن حينما أراد بناء العقل السنني، والروح الباحثة، والشوق المعرفي، والتراكم العلمي فإنه لم يتوجه إلى قوانين الفيزيولوجيا وإفراز الهورمونات، ولا إلى السنن الفيزيائية وتمدد المعادن بالحرارة وضغط السوائل وبناء الذرة «مع كل احترامه وتزكيته لمعرفة كل خفايا الكون»، ولكن كان يتوجه لمعرفة القوانين التي تنتظم حركة النفس وصيرورة المجتمعات، وقيام الدول وسقوط الحضارات وكل الآيات التي تشير إلى مفهوم «سنة الله» تأتي إما أثناء الكشف عن ميكانيزم نفسي، أو حركة المجتمع وإصابته بأمراض تماماً مثل إصابة البدن بالأمراض.

التوجه الذي مشت فيه الحضارة الغربية حتى الآن هو كشف الحقيقة خارج الإنسان

(وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذن لا يلبثون خلافك إلا قليلاً. سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلاً) الإسراء/ ٧٦ و ٧٧.

إن التوجه الذي مشت فيه الحضارة الغربية حتى الآن هو كشف الحقيقة خارج الإنسان، أي معرفة الوجود الخارجي، وهذا توجه يحمل نصف الحقيقة، ولعله النصف غير المهم، لأن أكبر مشكلة تواجه الإنسان هي ليست في علاقته بالكون، بل علاقته بأخيه الإنسان، فالكون نعيش معه في حالة سلام وتوازن منذ ٥٠٠ مليون سنة، من خلال جسدنا الذي ينتسب إلى عديدات الخلايا والذي يشكل قمة التكوين في الطبيعة، ويمثل دماغنا أعظم تجلٍ للطبيعة، وسارت العلوم في معرفة الفيزياء والكوسمولوجيا والذرة والبايولوجيا والكيمياء والطب والجيولوجيا، ولم تتوجه إلى اكتشاف أعظم قارة أي رأسنا الذي نحمله وبدأت منذ فترة قريبة في التوجه إلى هذا الحقل، حيث يعكف ٢٥٠٠ عالم في أوروبا «غير النشاط الذي سبق في اليابان وأمريكا» على معرفة عمل النفس والجهاز العصبي والروح؟؟!! ونحن لا نعرف الآن حتى جغرافيا المادة العصبية على وجه كاف، فكيف بعمل النفس من خلال الدماغ؟؟ ودماغ أينشتاين الذي تبرع به قبل موته مازال يدرس بدون معرفة سر العبقرية التي مشت فيه وتجلت بنظرية النسبية التي قلبت مفهومنا عن الزمان والمكان المطلق لنرى العالم في صورة متصل الزمان ـ المكان.

هذا الانحراف أو هذا التوجه في مسار العلوم والذي سار عشوائياً بدون أي تخطيط، جعل عالم النفس السلوكي الأمريكي «سكينر» يقول ـ بصورة لاتخلو من السخرية ـ بأن أرسطو لو دخل زماننا الحالي فإنه سيشترك بدون أي عناء في محاورات السياسيين الذين يقودون «بكل أسف» العالم الحالي، في حين يقبع المفكرون والعلماء والفلاسفة بدون أي أثر في مجريات الحياة الخطيرة، إلا أن أفلاطون وأرسطو سيسكتان كأي طالب متواضع أمام الكم المعرفي في أسرار الخلية أو أفكار النسبية وميكانيكا الكم والشيفرة الوراثية.

إن التعقيد الرهيب في فهم جدلية النفس وحركة المجتمع تخلق تحدياً ليس من السهولة الاستهانة به، فهناك تداخل رهيب من عناصر التأثير والتنافر والتجاذب، ومع هذا فإن توجه القرآن يؤكد على أن هناك شيئاً ثابتاً في الوجود، أي قوانينه وسننه التي لا تتبدل ولا تتغير، وكما ذكرنا سننه تلك التي تسيطر على النفس والمجتمع، (فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً). فالوجود مضبوط بالسنن، ولن ترفع السنة ليوضع مكانها سنة جديدة، كما أن السنة لن تغير طريقها وهي تمضي في حركتها، لن يحدث تغير لا كلي ولا جزئي، ولم يبق أمامنا إذن إلا محاولة فهم هذه السنة، وهذا يحمل في تضاعيفه تكريماً رهيباً للإنسان في أنه يستطيع فهم السنة ويتعامل معها.

ويتفرع من الفهم السابق أمر على غاية من الخطورة، وهو علاقة السنة بالفهم - بالتسخير - بالتنبؤ - بالعلم، فالعقل الإنساني يستطيع الفهم، وبذا يستطيع أن يتعامل مع الآية الكونية والنفسية والاجتماعية، وإدراك ميكانيزم عمل السنة يمنح تسخيرها أي الخدمة المجانية، والعلم هو القدرة على التنبؤ، من خلال ضبط السنة، وهو ما يطمح إليه العلماء اليوم، يقول ستيفن هوكنج في كتابه قصة قصيرة للزمان: «لقد أعدنا تعريف مهمة العلم، بكونها اكتشاف قوانين، تمكننا من التنبؤ بالأحداث ضمن الحدود التي يرسمها مبدأ الارتياب، ولكن يبقى السؤال: «كيف، أو لماذا كان اختيار القوانين والوضع الأولي للكون» وفي فترة النظام النيوتوني السابق اقترب العلماء من مفهوم، تبين فيما بعد أنه ضبابي، أي أن الكون هو بمثابة ساعة أو آلة كبيرة سوف يتم الكشف عن قوانينها والسيطرة عليها، وتبين أن الوجود أكثر خدعة وأوغل في التعقيد، وأرعب في إمكانية الإحاطة به، وأكثر هلامية من الإمساك بقوانينه، وهذا يقودنا إلى محاولة اكتشاف العلاقة بين القانون والحرية، وكان للأثر الفلسفي لميكانيكا الكم الدور البارز في إدخال فكرة الاحتمالية في فهم الوجود «مبدأ الارتياب لفيرنر هايزنبرغ وبول ديراك ونيلز بور».

ومع انبثاق المعاصرة من خلال فهم أفضل للكون - وانزياح الأسطورة، واضمحلال الخرافة وانقشاع المفاهيم غير المؤطرة والمرسخة بالقالب العلمي، وبروز علوم جديدة، واختراق فضاءات معرفية جديدة وجريئة - يجب الأخذ بعين الاعتبار أن العلم لا نهاية له وهو ينمو من خلال الإضافة والحذف وليس الإلغاء كما يخطر في ذهن البعض وإلا فهو ليس بعلم، صحيح أن التغير يعم الوجود وهو قانون إلهي أن كل يوم هو في شان، وأن الخلق في حالة زيادة، فهو كون من نوعية نامية ديناميكية، إلا أن هذا النمو والزيادة أيضاً لها قانونها الذي ينتظمها، بقي علينا أن نقترب لإدراك هذا القانون المتغير أيضاً، وأن الكون أعظم من كل ما يمكن وصفه به.

وقبل أن أجمع هذه المقدمة المهمة والضرورية في ترسيخ مفهوم السير في الأرض، حيث إن القرآن يأمرنا أن نتوجه إلى تحصيل علم هو خارجه، فالأمر بالسير هنا هو في الكون وليس في الكتاب، وإذ أغفل المسلمون هذه القواعد الذهبية من أجل إيقاد هذه النار المقدسة - النظر في الكون، وإعمال العقل لفهم سننه، والانطلاق في الاستفادة من التسخير المودع بالكمون في تضاعيفه - كانت النتيجة طبيعية أن يطويهم التاريخ ليتقدم لقيادته من هو أهل للصلاح أكثر، وهذا يجعلنا نفهم بعداً جديداً في الصلاح الذي أرادته الآية القرآنية (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأنبياء/١٠٥

من خلال هذا التأسيس لمفاهيم بعينها يمكن الآن أن نرى بنور أفضل الأحداث التاريخية كمثل: الواقعة الفظيعة التي بين أيدينا، حيث كاد جذع الشجرة العثمانية أن يقطع

التعقيد الرهيب في فهم جدلية النفس وحركة المجتمع تخلق تحدياً ليس من السهولة الاستهانة

ولما يقف على قدميه، ففي صيف عام ١٤٠٢م حصد سيف تيمورلنك أرواح عشرات الآلاف في سهل أنقرة التي لايعرف أهل العاصمة التركية اليوم عنها شيئاً، كما هو الحال في معركة العقاب التي قصمت ظهر أهل الأندلس في ١٢١٢م.

كان تيمورلنك كما وصفه المؤرخ البريطاني جون أرنولد توينبي يحب تخليد ذكراه في التاريخ بالرعب الذي لاحدود له، وبالفظاعات المروعة، وبالدماء والرؤوس المقطوعة كي يبني منها المآذن وبالطبع مقروناً باللعنات التي لا تنتهي إلى يوم الدين من المذبوحين وكتاب التاريخ ومراجعي الوقائع التاريخية كما نفعل اليوم.

قال توينبي عنه في كتابه القيم دراسة التاريخ وهو يبحث انتحارية النزعة الحربية وأنها السلاح الذي يقضي على صاحبه في النهاية «وأفظع ما ارتكبه تيمور من أفعال التدمير كان ضد شخصه، فلقد جعل اسمه خالداً بأفعال التدمير التي محت من ذهن الأخلاف كل ذكرى للأفعال التي كان يمكن أن يذكر بها ذكرى حسنة.

إن اسم تيمور لنك عند الأكثرية الساحقة، يعني شخصية عسكرية اقترفت قدراً من الفظائع طوال فترة الأربعة والعشرين عاماً من حكمه، مثلما اقترفه الملوك الآشوريون خلال مائة وعشرين سنة، إننا لنتخيل المجرم الذي سوّى مدينة اسفراين بالأرض عام ١٣٨١م، وكدس خمسة آلاف رأس بشرية في المآذن في زيري في نفس السنة، وطرح أسراه من لوريستان أحياء من أعلى المنحدرات عام ١٣٨٦، وذبح سبعين ألف شخص وجمع رؤوس القتلى في هيئة مآذن في أصفهان عام ١٣٨٧، وذبح مائة ألف أسير في دلهي عام ١٣٩٨م، ودفن أربعة آلاف جندي مسيحي أحياء من حامية سواس عقب القبض عليهم عام ١٤٠٠، وابتنى عشرين برجاً من جماجم القتلى في سوريا عامي ١٤٠٠ و١٤٠١م، إن تيمور قد جعل ذكراه تختلط في أذهان أولئك الذين يعرفونه بمثل هذه الأفعال بذكرى غيلان السهب - مثل جنكيز خان وأتيلا وأترابهما - الذين أمضى تيمور النصف الأول من حياته وأحسنه، في شن حرب جهاد ضدهم.

وإن جنون العظمة التي جعلت تيمور يُصاب بجنون التدمير، قد تحكمت فيه فكرة واحدة مدارها الإيحاء إلى مخيلة الإنسانية بإدراك قوته الحربية عن طريق الإساءة إلى البشر إساءة منكرة».

حتى الآن لم نفهم بعد المغزى التاريخي العميق لهذا الارتطام التاريخي، حتى ابن خلدون المرتعب من هذا «الغول» الذي أنزلوه بسلة من سور دمشق لمقابلته بعد أن ترك الملك المصري «الظاهر برقوق» دمشق إلى مصيرها تجاه تيمورلنك بعد أن سمع عن محاولة انقلاب ضده في مصر!! لم ينتبه - وليس بإمكانه - إلى المغزى التاريخي الذي سوف يتجلى بعد قرون، كل ما فعله ابن خلدون أنه كان حريصاً على سلامة جلده من هذا الذي اعتاد شرب الدماء، والتلذذ بقطع الرؤوس «تلك التي تملك كل واحدة

عشرين مليار خلية عصبية!!»، لذا قبّل يده، وتظاهر له بأنه ينتظره منذ فترة بعيدة، لأن المنجمين كانوا يتوقعون قدومه؟؟!! - صاحب العقل السنني الصارم ولا غرابة حيال الغيلان - من أمثال اليهودي ابن زرزر منجم الملك الأسباني ألفونسو الثامن، كذلك أعطاه دابته الممتازة - سيارة المرسيدس لتلك الأيام - حينما رأى رغبة ملك «الططر كذا!» فيها، بالإضافة إلى علب الحلوى المصرية الفاخرة لإطعامه - بالطبع - بعد أن يتذوقها ابن خلدون كيلا تكون مسمومة على عرف تلك الأيام!!، وفي النهاية يتحفنا ابن خلدون بمنظر كاريكاتوري - عاصره في حضرة تيمورلنك - عن رأيه في منصب الخلافة!! الذي يستجديه أحد الذراري من بقايا خلفاء بني العباس الذين نجوا من الذبح في قلعة دمشق من جنود تيمور!! بدعوى أن (هذه الخلافة لنا ولسلفنا وإن الحديث صح بأن الأمر لبني العباس ما بقيت الدنيا؟؟؟!!!). كان تيمورلنك أعقل من تلك المخلوقات الممسوخة فجمع له القضاة للفتوى، ولم يكن أمام ابن خلدون - الفطن في مجالس الغيلان - إلا الموافقة على ما خرج به فقهاء تيمور لنك «أن لا أحقية له في الخلافة» ولا غرابة لأن خطط تيمور لم تضم بعد إلى مشاريعها احتلال مصر، وكانت معركة أنقرة المرعبة لأقل من طلب الخليفة الدعي عندما هرب طالباً اللجوء السياسي عند بايزيد خان وأصر تيمور على إقامة الحق واسترداد الفار؟؟!

انتبه توينبي إلى طرف من المغزى التاريخي في حدين: الأول هو «ذلك أن نزعة تيمور الاستبدادية باكتساحها كل شيء وجدته في طريقها في اندفاعها الأرعن نحو دمارها نفسها، قد أوجدت فراغاً جرّ العثمانيين والصفويين في النهاية صوب ارتطام، كانت فيه الضربة القاضية على المجتمع الإيراني»، والثاني هو الأهم: «ولكن بعد ما اتخذت أفعال تيمور سبيلها على النسق التدميري المتقدم وقف تقدم الإسلام في أوراسيا إلى الأبد، بل تحول المغول والكالموك بعد ذلك بقرنين إلى المذهب اللامي من بوذية ماهايانا».

ويبدع مالك بن نبي في تعليقه على ظاهرة العمى التاريخي هذه والارتطام الحضاري ويدمج بين تحطيم قوة «طغطميش» التي كانت في طريقها لاحتلال روسيا، والتي يحللها توينبي على الشكل التالي في ظروف افتراضية «ففي ظل هذه الظروف الافتراضية: ربما تجد روسيا نفسها اليوم، داخل نطاق امبراطورية تضم نفس مساحة الاتحاد السوفييتي الحالية، ولكن مع اختلاف الأهمية، امبراطورية إيرانية تحكم فيها سمرقند موسكو، عوضاً عن أن تحكم موسكو سمرقند»، وتحطيم قوة بايزيد الأول المستعدة للانقضاض على أوروبا.

جاء في كتاب وجهة العالم الإسلامي لمؤلفه المفكر الجزائري مالك بن نبي ما يلي ص (٢٠٠ - ٢٠٣): «لقد قام تيمور لنك في الواقع بعمل لم يكن يستطيع إدراكه حتى بعد انتهائه منه، لان مغزاه التاريخي الحق لايمكن أن

اسم تيمور لنك عند الأكثرية الساحقة يعني شخصية عسكرية اقترفت قدراً من الفظائع طوال فترة الأربعة والعشرين عاماً من حكمه

يظهر إلا بعد عدة قرون، إن مسألة كهذه قد تتركنا مشدوهين بحجة أنها ذات طابع ميتافيزيقي، ولكنا لكي نعطي للأحداث تفسيراً متكاملاً - يتفق مع مضمونها كله - يجب ألا نحبس تصورنا لها في ضوء العلاقات الناتجة عن الأسباب، بل ينبغي أن نتصور الأحداث في غايتها التي انتهت إليها في التاريخ، ومن هذا الجانب قد يلزمنا أن نقلب المنهج التاريخي: فنرى الظواهر في توقعها بدلاً من أن نراها في ماضيها، ونعالجها في نتائجها لا في مباديها، فلكي نفهم ملحمة تيمورلنك ينبغي - مثلاً - أن نسأل أنفسنا: ماذا كان يمكن أن يحدث لو أتيح «لطغطاميش» أن يحتل موسكو، ومن بعدها وارسو...؟ ولو قدر لبايزيد أن ينصب رايته على أطلال فيينا، ثم على أطلال برلين....؟ لو حدث هذا لأذعنت أوروبا حتماً لصولجان الإسلام الزمني المنتصر، ولكن ألا يدفعنا هذا إلى أن نرى توقعاً مختلفاً تمام الاختلاف عما حدث فعلاً كان سيحدث في التاريخ...؟ كانت النهضة الأوروبية التي مازالت في ضمير المقادير ستنصهر في «النهضة التيمورية» ولكن هاتين النهضتين - على الرغم من عظمهما - كانتا مختلفتين، فلم يكن مغزاهما التاريخي واحداً، فلقد كانت الأولى فجراً يفيض على عبقريات جاليلو وديكارت وغيرهما، بينما كانت الأخرى شفقاً يغلف الحضارة الإسلامية لحظة أفولها، كانت إحداهما بداية نظام جديد، وكانت الأخرى نهاية نظام دارس، وما كان شيء في الأرض يستطيع أن يدفع عن العالم الليل الذي أخذ يبسط سلطانه آنئذ على البلاد الإسلامية في هدوء، فلو أن تيمورلنك كان قد اتبع دوافعه الشخصية لما استطاع شيء أن يحول دون نهاية الحضارة الإنسانية، فهناك حسب تعبير إقبال «خطة للمجموع» هي التي تكشف عن اتجاه التاريخ.

لماذا حال تيمور لنك دون قيام بايزيد وطغطاميتش بنشر الإسلام في قلب أوروبا....؟

والجواب لكي تتابع أوروبا المسيحية جهدها الحضاري الذي لم يكن العالم الإسلامي بقادر عليه منذ القرن الرابع عشر، حيث كان هناك بقية من رمق، فملحمة الامبراطور التتري تجلو غاية التاريخ، إذ كانت نتيجتها متطابقة مع استمرار سير الحضارة ودوامها، كيما تتعاقب دوراتها، ويتم الكشف الخالد عن العبقريات التي تتناوب على طريق التقدم، فإن سيف تيمورلنك هو الذي شق الطريق أمام الحضارة الغربية الوليدة وسط أخطار الغروب التي كانت تخيم على العالم الإسلامي، فهل يمكن في ظروف كهذه أن نتحدث عن نوع من «العمى»؟ وهل لا يمكن أن نرى في ذلك أمارة على نوع من التجلي العلوي وراء تصرفات تيمورلنك؟؟»اهـ.

وفي مكان غير بعيد عن سيف طغطميش جلس رجل يرقب السموات العلى «كوبرنيكوس» ليقول على خوف: إن الأرض ليست مركز الكون، بل إن الأرض ليست أكثر من تابع يدور حول الشمس، وكانت هذه العاصفة العقلية الأولى التي غيرت المصير الأوروبي برمته.■

صحيفة المنار في ذكرى مئة عام على صدورها

منهج جديد في الصحافة الإسلامية والفكر الإسلامي

أصدر محمد رشيد رضا مجلة «المنار» في القاهرة في ١٥ مارس سنة ١٨٩٨م واستمر في اصدارها حتى سنة ١٩٣٥. وخلال سنوات صدورها الطويلة أحدثت أثراً كبيراً في العالم الإسلامي حيث أنشأت مدرسة في الفكر والاصلاح الإسلامي، لها تلاميذها في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

في حديثنا عن مجلة «المنار» نقف عند ثلاث مراحل تعتبر علامات بارزة على طريقها الطويل، وتلقي ضوءاً ساطعاً على هذه المجلة منذ بدأت فكرة حتى استوت وبلغت غاية ازدهارها ونضجها.

بقلم:د. سامي عبد العزيز الكومي

المرحلة الأولى:

اللقاء التاريخي بين الشاب محمد رشيد رضا المفعم بالأمل في الاصلاح وبين مجلة «العروة الوثقى» التي كان يصدرها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده في باريس. هذا اللقاء غير فكره وغير مجرى حياته كلها، ونقله من طور إلى طور، وأقنعه بجدوى الصحافة في الاصلاح الإسلامي، وجعله يسعى إلى لقاء صاحبيها ليشارك في هذا الجهاد العظيم.

فكيف كانت حياة محمد رشيد رضا قبل لقائه بمجلة «العروة الوثقى»؟ لقد ولد محمد رشيد في القلمون إحدى قرى طرابلس الشام، وحفظ القرآن الكريم في صغره، ودرس في مدارسها على الطريقة المتبعة في ذلك الوقت في البلاد الإسلامية، وتتلمذ على أشهر شيوخها، الشيخ حسين الجسر. وكان من الكتب التي أثرت في نفسه كتاب «احياء علوم الدين» للغزالي. فمال به إلى الزهد، واشتغل منذ مطلع شبابه بالوعظ والارشاد في قريته. حتى إذا خرج متنزهاً في القرى المجاورة وجد في ذلك فرصة لإلقاء مواعظه التي يعتمد فيها على كتب المواعظ السلفية مثل كتاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر». وكانت مواعظه تنصب في الغالب، على الترغيب في العبادات والنهي عن المحرمات، والتزهيد في الدنيا، وعندما التقى بمجلة «العروة الوثقى» سنة ١٨٩٣ أحدث اللقاء تحولاً كبيراً في فكره، وفي منهجه الاصلاحي، وكان في الثامنة والعشرين من عمره، ولم يزل طالبا للعلم في طرابلس.

يقول السيد محمد رشيد رضا في الجزء الأول من كتابه «الاستاذ الإمام» مصوراً هذا الانقلاب الذي حدث له.. ثم إني رأيت في محفوظات والدى بعض نسخ «العروة الوثقى» فكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء اتصل بي فأحدث في نفسي من الهزة والانفعال، والحرارة، والاشتعال، ماقذف بي من طور إلى طور، ومن حال إلى حال. وكان الأثر الأعظم لتلك المقالات الاصلاحية الإسلامية، ويليه تأثير المقالات السياسية في المسألة المصرية، والذي علمته من نفسي ومن غيري، ومن التاريخ، انه لم يوجد لكلام عربي في هذا العصر، ولا في قرون قبله بعض ماكان لها من إصابة الوجدان من القلب، والاقناع من العقل، ولاحد للبلاغة إلا هذا.

لقد تعلم من «العروة الوثقى» كما يقول ان الإسلام ليس روحانياً أخروياً فقط، بل هو دين روحاني جسماني، أخروى دنيوي، من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض بالحق، ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل.

أمنيات كبيرة

هكذا نزعت «العروة الوثقى» رشيداً من عالمه المحدود في الإصلاح الذي يتمثل في مواعظه التي كان يلقيها في طرابلس وقراها، ووضعته في مجال الاهتمام بإصلاح أحوال المسلمين في

العالم، ومباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات. يقول رشيد رضا: أحدث لي هذا الفهم الجديد للإسلام رأياً فوق الذي كنت أراه في إرشاد المسلمين، فقد كان همي قبل ذلك محصوراً في تصحيح عقائد المسلمين، ونهيهم عن المحرمات، وحثهم على الطاعات، وتزهيدهم في الدنيا. فتعلقت نفسي بعد ذلك، بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية، والمحافظة على ملكهم، ومباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات فطفقت استعد لذلك استعداداً.

بعد هذا الأثر العظيم الذي أحدثته مجلة العروة الوثقى في نفس رشيد رضا، تمنى في قرارة نفسه ان لو استمر مسارها لإصلاح حال المسلمين، ففكر في الاتصال بصاحبيها، وكان جمال الدين الافغاني مقيماً في الآستانة بعد ان نجح السلطان عبد الحميد في وضعه في قفص من الذهب. ولكن رشيد رضا صرف النظر عن السفر إلى الآستانة لعلمه ان لا مجال هناك لتحقيق طموحه، فقرر السفر إلى مصر ليتتلمذ على الشيخ محمد عبده كما تتلمذ الشيخ محمد عبده على جمال الدين الافغاني وليحقق ما في نفسه من طموح.

المرحلة الثانية:

لقاؤه مع الشيخ محمد عبده وصدور «المنار»:

وصل رشيد رضا إلى القاهرة في ٣ يناير سنة ١٨٩٨م وفي اليوم التالي ذهب إلى زيارة الاستاذ الإمام.

وحين حضر إلى القاهرة كان مثال «العروة الوثقى» وماأحدثته في نفسه وفي نفوس المثقفين في البلاد الإسلامية من أثر ماثلاً في ذهنه. وفي لقائه بالاستاذ الإمام عرض عليه رغبته في اصدار صحيفة اسلامية.

وكأن الاستاذ الإمام أراد أن يتثبت من إصراره وصدق عزيمته فقال له: إن الناس في مصر منصرفون عن الأمور الأدبية والثقافية إلى الأمور السياسة، وأن في مصر ثلاث صحف يومية تقوم بهذا الغرض هي «المؤيد» و«المقطم» و«الأهرام» وإنك لن تستطيع ان تنافسها. فرد رشيد ان الصحيفة التي يريد أن ينشئها ليست على شاكلة هذه الصحف.

واقتنع الشيخ محمد عبده برؤية رشيد رضا في الصحيفة المأمولة ومنهجه في تحريرها. ويزيد هذا المنهج ايضاحاً في افتتاحية العدد الأول الذي صدر في ١٥ مارس سنة ١٨٩٨ فيقول: إنها صوت صارخ بلسان عربي مبين، ونداء حق يقرع مع سمع الناطقين بالضاد مسامع جميع الشرقيين، لينبههم من موت كالإغماء لكي يلحقوا بالتقدم الحديث الذي بلغته الأمم، فيقول للشرقيين.. واستولى أخوك المتيقظ «يقصد الأوروبي» على قوى الطبيعة، فقرن بين الماء والنار، وولّدهما بالبخار، واستخدم الكهرباء والنور، فاخترق بذلك الجبال، واختبر أعماق البحار، وعرف مساحة الهواء، ونفذت اشعة بصره في الكثائف، ووصلت أمواج صوته إلى مكان سحيق، فقرّب أبعاد الأرض، وجمع بين أقطارها، بل عرج بهمته للقبة الفلكية، فعرف الكواكب ومدارها، ومادتها ومقدارها.

والى جانب دعوته للمسلمين إلى مباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات، وهي الدعوة التي بثتها في نفسه «العروة الوثقى» كانت له دعوة أخرى بارزة تهدف إلى تنقية الأفكار الإسلامية من البدع والخرافات، ومن بعض اعمال المتصوفين الشديدة المغالاة والتي لا تتلاءم مع أحكام الإسلام.

المرحلة الثالثة:

بلغت فيها «المنار» النضج والاستواء في مجال الفكر والاصلاح الإسلامي، حيث أصبح لها دعاة وتلاميذ في جميع أنحاء العالم الإسلامي. ونورد شهادتين أحدهما للشيخ محمد عبده، والثانية لواحد من أشهر المستشرقين في العصر الحديث هو هاملتون جب.

في الأولى، كان الشيخ محمد عبده- على عادة زعماء الاصلاح الإسلامي في عصره- قد قام بجولة سنة ١٩٠٣م ،زار خلالها أوروبا وتونس والجزائر وصقلية لتفقد أحوال المسلمين، والالتقاء بهم، ومعرفة ادوائهم ووضع الدواء الناجع لها، وعند عودته قال في معرض حديثه عن الشيخ رشيد رضا إن الله بعث بهذا الشاب ليكون مدداً لحياتي ومزيداً من عمري. ان في نفسي أموراً كثيرة أريد أن أقولها أو أكتبها للأمة، وقد ابتليت بما شغلني عنها، وهو يقوم ببيانها الآن كما اعتقد وأريد.. فقد أنشأ لي أحزاباً، وأوجد لي تلاميذ وأصحابا.

وفي الثانية يقول المستشرق هاملتون جب وزملاؤه في كتاب «وجهة الإسلام»: ثم واصل تلاميذه- أي تلاميذ الإمام محمد عبده- ما بدأ من عمل، وهم وإن لم يبلغوا مبلغ شخصيته الباسلة، فقد حملوا مبادئه بكتاباتهم وجهودهم الشخصية إلى أجزاء العالم الإسلامي، وأثروا تأثيراً كبيراً، وبخاصة عن طريق مجلتهم الشهرية «المنار».

ومن بين الأحزاب التي ظهرت في المغرب في ذلك الوقت حزب السلفيين وهو شعبة من الحركة التي تمثلها مجلة «المنار» في القاهرة، ولذلك فهو يحتفظ بصلات وثيقة بهذه الحركة ويتمثل خطاها.

ويرجع تأثيره إلى برنامجه الذي يهدف إلى الرجوع إلى القرآن والسنة الصحيحة. وتعبّر عن هذا الحزب صحيفة «الشهاب» التي تصدر بالعربية في قسنطينة ويديرها عبد الحميد بن باديس. وهذا المثال الذي ذكره المؤلفون يمكن أن نأتي بغيره من تأثير «المنار» في بلاد أخرى، مثل أندونيسيا والملايو وغيرها من البلدان الإسلامية فلقد كانت المنار علماً للدعوة الإسلامية، ومنهجاً لمواجهة خصومها، كما أن مادتها الصحافية كانت راقية عالية القيمة، رغم ظهورها مبكرة قبل تطور إمكانات الصحافة المعاصرة ■

الأسرة السحنونية في القيروان خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين

بقلم: د. محمد أبو الأجفان

اشتهرت في مراكز المذهب المالكي أسر علمية أنجبت فقهاء خدموا هذا المذهب ونشروه، وكان لها إشعاع ثقافي باهر خلال القرن الهجري الثالث، مثل: أسرة ابن عبدالحكم بمصر، وأسرة ابن هلال بالأندلس، وآل حماد بن زيد بالعراق، والأسرة السحنونية بإفريقية التي كانت عاصمتها القيروان التي أسسها الفاتحون العرب بالجانب الشرقي من الغرب الإسلامي الذي تعرف بلاده اليوم بتونس والجزائر والمغرب مضافاً إليها قديماً الأندلس ذلك الفردوس المفقود من ربوع العالم الإسلامي.

ويهمنا هنا أن نتحدث عن الأسرة السحنونية ذات المجد العلمي بالقيروان، فقد أنجبت أعلاماً رفعوا راية العلم مدة قرن وثلث القرن، قال ابن حارث الخشني المؤرخ الشهير (ـ ٣٦١): (دام سؤدد العلم في دار سحنون نحو مائة وثلاثين عاماً من ابتداء سحنون وأخيه حبيب إلى موت ابن ابنه محمد ابن محمد بن سحنون)(١).

هي أسرة عربية أصلها من حمص ببلاد الشام، مؤسسها سعيد بن حبيب التنوخي الذي قدم إلى القيروان مع الجند واستقر بها، وهو والد عبدالسلام المشتهر بسحنون المكنى بأبي سعيد، غلب عليه لقب سحنون وهو اسم طائر حديد النظر، أطلق عليه لحدته في المسائل، وقد عرف أيضاً بسراج القيروان، ذاع صيته، وعمد بعض المؤرخين إلى جمع أخباره للترجمة له، تارة بصفة منفردة، وتارة ضمن كتب التاريخ والتراجم.

ويعد سحنون قطب هذه الأسرة العلمية وعميدها، ولد بالقيروان سنة ١٦٠هـ ونشأ بها آخذاً عن مشائخها، ثم رحل إلى المشرق فلقي أصحاب الإمام مالك بن أنس وأخذ عنهم، وبمصر أخذ عن علاّمتها عبدالرحمن بن القاسم العتقي المصري الذي صحب مالكاً بالمدينة عشرين سنة، وصار ملماً بفقه مالك وفقه أهل المدينة، عمدة في المذهب مجتهداً في مسائله.

كانت القيروان قبل سحنون تنتشر فيها عدة مذاهب تشريعية وعقدية وافدة من بلاد المشرق في عهد الولاة ثم في مطلع دولة بني الأغلب، ورحل جماعة من طلبة القيروان إلى إمام دار الهجرة، مالك بن أنس في القرن الثاني، وعادوا بثروة من فقهه وعلمه، مقتنعين بما يرجح مذهبه، وبجمعه بين عنصري الأثر والنظر في اجتهاده، وبسعة علمه بفقه أهل المدينة مهبط الوحي ودار الصحابة والتابعين الذين انتشر بينهم الهدي المحمدي وتداول بينهم جيلاً بعد جيل منذ تلقاه المسلمون الأولون عن مبلغه محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة في العهد النبوي.

وهؤلاء الطلبة القيروانيون يمثلون الرعيل الأول من الآخذين للفقه المالكي بمقره الأصلي المدينة المنورة، وقد عملوا على نشر المذهب المالكي بربوع إفريقيا باذلين الجهد الوفير في تحقيق ذلك، وتعززت جهودهم بجهود بعض المدنيين الوافدين على إفريقيا لنشر المذهب والتعريف به وبأصوله.

وبعد هؤلاء، واصلت الطبقة التي بعدهم من تلاميذهم الجهد العلمي، وكانت على اتصال بتلاميذ مالك وأصحابه، ومن أبرز أعلام هذه الطبقة الإمام سحنون عبدالسلام بن سعيد، الذي كان له دور بارز في دعم المذهب المالكي ونشره والاجتهاد في إطار أصوله التي انبنى عليها.

قال القاضي عياض (ـ ٥٤٤): «أما إفريقيا وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد ـ وابن أشرس والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات، وغيرهم ـ بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس، ولم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه، وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا، وكان بالقيروان قوم قلة في القديم أخذوا بمذهب الشافعي، ودخلها شيء من مذهب داود، ولكن الغالب عليها إذ ذاك مذهب المدينة والكوفة»(٢)

كان لأسد بن الفرات ـ المذكور أعلاه والقاضي القائد في فتح صقلية ـ كتاب فقهي جمع فيه مسائل من تلاميذ أبي حنيفة ومسائل أخذها عن مالك في رحلته المشرقية، وهذا الكتاب يسمى (الأسدية).

سمع سحنون «الأسدية» بالقيروان ثم ارتحل بها إلى مصر

كانت القيروان قبل سحنون تنتشر فيها عدة مذاهب تشريعية وعقدية وافدة من بلاد المشرق

فعرضها على ابن القاسم «وسمعها عليه، وأسقط منها ما كان يشك فيه من قول مالك وأجابه فيه على رأيه» وواصل سحنون تنقيح هذا الكتاب وتهذيبه والإضافة إليه، وجمع إلى ذلك كل ما أخذ عن ابن القاسم، فأصبح له «كتاب كبير يعرف بالمدونة الكبرى وهي التي أصبحت - بعد ذلك - معتمدة بالمدرسة المالكية بإفريقيا والمغرب والأندلس».

قال الشيرازي: «واقتصر الناس على التفقه في كتب سحنون، ونظر سحنون فيها نظراً آخر، فهذبها وبوبها ودونها وألحق فيها من خلاف كبار أصحاب مالك ما اختار ذكره، وذيل أبوابها بالحديث والآثار، إلا كتباً منها مفرقة بقيت على أصل اختلاطها في السماع. فهذه هي كتب سحنون المدونة والمختلطة، وهي أصل المذهب، المرجح روايتها على غيرها عند المغاربة، وإياها اختصر مختصروهم، وشرح شارحوهم، وبها مناظرتهم ومذاكرتهم».(٣)

كان لهذه المدونة أثر بالغ في نشر المذهب أو دراسة فقهه وقد اهتم بها علماء المغرب والأندلس، فمنهم من حفظها ومنهم من شرحها أو اختصرها أو وضع عليها الحواشي والتقاييد وانتشرت انتشاراً واسعاً، واعتبرت من أمهات المذهب المعتمدة، وكان عليها المعول، وما فيها يترجح على ما في غيرها من كتب هذا المذهب.

ولقد عرف الإمام سحنون بها وعرفت به، وانتشر لهما الذكر الحسن في المراكز التي ينتشر بها المذهب المالكي.

وشهد المؤرخون والمترجمون لسحنون بالفضل وطول الباع في الفقه وسمو الدرجة في العلم.

فهذا أبو العرب (-٣٣٣) يقول: (كان سحنون ثقة حافظاً للعلم فقيه البدن، اجتمعت فيه خلال قلَّما اجتمعت في غيره: الفقه البارع والورع الصادق، والصرامة في الحق والزهادة في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة، وكان لا يقبل من السلاطين شيئاً، وربما وصل أصحابه بثلاثين ديناراً أو نحوها، ومناقبه كثيرة)(٤).

وهذا أبو بكر المالكي (-٤٣٨) يقول: «كان مع هذا رقيق القلب، غزير الدمعة، ظاهر الخشوع متواضعاً، قليل التصنع كريم الأخلاق، حسن الأدب، سالم الصدر، شديداً على أهل البدع، لا يخاف في الله لومة لائم، انتشرت إمامته في المشرق والمغرب، وسلم له الإمامة أهل عصره، واجتمعوا على فضله وتقديمه، ومناقبه كثيرة، قد ألف فيها أبو العرب التميمي كتاباً مفرداً»(٥).

توفي الإمام سحنون عميد الأسرة السحنونية سنة ٢٤٠هـ ودفن بالقيروان ورفع راية المجد العلمي بعده بالقيروان ابنه محمد الذي كانت ولادته سنة ٢٠٢هـ، وشملته عناية أبيه ورعايته وتربيته الصالحة، فنشأ على سنن الهدي والتقى، آخذاً العلم عن أبيه الذي كان الطلبة يرحلون إليه من أنحاء المغرب والأندلس، كما أخذ عن طبقة أبيه من أعلام القيروان مثل أبي جعفر الصمادحي (-٢٢٥) وعبدالله بن أبي حسان اليحصبي (-٢٢٧)، وأبي محمد عبدالعزيز المدني، وبقي بن مخلد القرطبي (-٢٧٦) ويعقوب بن كاسب (-٢٤٠)، وكانت له رحلة مشرقية أدى خلالها فريضة الحج سنة ٢٣٥. ولقي أعلاماً وأخذ عنهم وروى عنهم الأحاديث والآثار، ورجع إلى القيروان مليء الوطاب مستفيداً.

وكانت شهرة الأسرة العلمية السحنونية قد سبقته إلى المدينة المنورة، كما تدل هذه الحادثة التي ساقها المؤرخ القيرواني الدباغ، قال: «لما وصل - أي محمد بن سحنون - إلى المدينة ودخل إلى مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم تسليماً - وجد جماعة عظيمة محلقين على شيخ وهو متكئ، لكبر سنه، وهم يتنازعون في مسألة من مسائل أمهات الأولاد، فنبههم على نكتة، فاستوى الشيخ جالساً وقررها، فزاد ابن سحنون أخرى، فقال الشيخ: من أي بلاد أنت؟ فقال: من إفريقيا، قال: من أي بلدة منها؟ قال: من القيروان، قال: ينبغي أن تكون أحد الرجلين: إما محمد بن سحنون وإما محمد بن لبدة، ابن أخي سحنون، فإن هذا التنكيت لا ينبغي أن يكون إلا من أهل دار سحنون، فقال له: أنا محمد بن سحنون، فقام إليه وصافحه وخرجوا من المسجد وجعل ابن سحنون يملي - على الشيخ بالطريق، وهو يكتب - المسألة»(٦).

وقد لمع نجم محمد بن سحنون في سماء الحضارة القيروانية، فكان من أعلامها البارزين، ورث علم أبيه وألمَّ بأقوال الإمام مالك وأصحابه، وبلغ درجة الاجتهاد في المذهب، فكان مرجحاً يختار من الأقوال تارة، ويضيف تارة أخرى، ويعلل ويوجه مراعياً في الأحكام الشرعية أن تكون مناسبة لواقع الناس محققة لمقاصد الشريعة، وقد يخالف في اجتهاده إمام المذهب أو أباه سحنون، أو سائر الأصحاب، ولإلقاء بعض الأضواء على جوانب نبوغه نسوق بعض ما حلاه به مترجموه.

يقول ابن الجزار: «كان ابن سحنون إمام عصره في مذهب أهل المدينة بالمغرب جامعاً لخلال قلَّما اجتمعت في غيره من الفقه البارع والعلم بالأثر والجدل والحديث والذب عن مذهب أهل الحجاز»(٧).

وقال ابن أبي دليم: «كان الغالب عليه الفقه والمناظرة، وكان يحسن الحجة والذب عن السنة والمذهب»(٨).

وقال يحيى بن عمر: «كان ابن سحنون من أكثر الناس حجة وألقنهم بها، وكان يناظر أباه»(٩).

وقال ابن حارث الخشني: «كان عالماً فقيهاً مبرزاً متصرفاً في الفقه والنظر ومعرفة اختلاف الناس والرد على أهل الأهواء، والذب عن مذهب مالك».(١٠)

وقال الحافظ الذهبي: «مفتي القيروان... كان إماماً مناظراً... متعظماً بالقيروان... ما خلف بعده مثله»(١١).

وقد ألف ابن سحنون في العقيدة والرد على المنحرفين من المبتدعين فيها، وفي الفقه ومناقشة بعض الفقهاء، وفي التاريخ

الطلبة القيروانيون يمثلون الرعيل الأول
من الآخذين للفقه المالكي بمقره الأصلي المدينة المنورة

والتراجم، وفي أحكام القرآن وشرح الحديث، وفي أدب الجدل والمناظرة، ومن أهم مؤلفاته كتابه الموسوم بـ«الجامع» وهو موسوعة في فنون العلم والفقه، ينقل عنه من بعده من المؤلفين مثل: عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ـ ٣٨٦).

ولا يعرف اليوم من مؤلفاته العديدة إلا كتابه «آداب المعلمين» والأجوبة الفقهية، طبع الأول أكثر من مرة وتمت دراسته بما أثبت أن صاحبه من رواد الفكر التربوي في الإسلام، ويجري تحقيق الثاني وسيظهر قريباً إن شاء الله.

وقد توفي محمد بن سحنون سنة ٢٥٦هـ على الراجح.

ومن أعلام هذه الأسرة السحنونية حبيب(١٢) بن سعيد أخو الإمام سحنون، سمع من أبي محمد عبدالله بن فروخ الفارسي (ـ١٧٦) وغيره، وكان ثقة صالحاً، روى عنه أخوه سحنون، وابن أبي حسان (ـ٢٢٩)، وابن غانم (ـ١٩٠).

ومن أعلامها محمد بن لبدة، ابن أخي سحنون، كان ذا دين وفضل ووجاهة في القيروان، وسماه الدباغ أبا جعفر أحمد وقال عنه: «كان فقيهاً ثقة جليلاً صالحاً ورعاً من أدهى الناس وأعلمهم بالفقه»(١٣).

والدباغ يتابع في هذه التسمية القاضي عياضاً الذي أفادنا أنه لما توفي محمد بن سحنون انتحب مكانه في مجلس التدريس أحمد بن لبدة(٤)، وكانت وفاة أحمد هذا سنة ٢٦١.

وممن أنجبتهم هذه الأسرة الوجيهة خديجة بنت الإمام سحنون، ذكرها سليمان بن سالم عند الكلام على ولاية أبيها القضاء فقال: «لما تمت ولاية سحنون تلقاه الناس فرأيته راكباً على دابة، ما عليه كسوة ولا قلنسوة، والكآبة في وجهه ما يتجرأ أحد يهينه، فسار حتى دخل على ابنته خديجة، وكانت من خيار الناس، فقال لها: اليوم ذبح أبوك بغير سكين، فعلم الناس قبوله للقضاء»(١٥).

كما نقل لنا القاضي عياض تحلية أبي العباس الإبياني (ـ٣٥٢) لها، وهي: «كانت خديجة بنت سحنون من أحسن النساء وأعقلهن»(١٦).

كان أخوها محمد العالم ـ سالف الذكر ـ ذا قلب عطوف ينبض شفقة، يروى أنه لما كان في قافلة رحلته بمصر سمع جارية تنتحب حسرة على فراق أبويها بإفريقيا، لأن سيدها يريد بيعها بمصر، فاشتراها وأرسلها إلى إفريقيا وقال: والله ما اشتريتها رغبة فيها ولكن لأجمع بينها وبين أبويها، لعل الله أن يجمع بيني وبين أبي، ثم تسرّاها وأولدها أولاداً، منهم أبو سعيد محمد الذي كان أبوه بسوسة عند ولادته، ورأى رؤيا صالحة قبيل ولادته، فقال صبيحتها لمن حوله: يأتيني اليوم بشير من القيروان يخبرني بأن جاريتي وضعت حملها وأتت بغلام، أسميه ـ إن شاء الله ـ باسمي وأكنيه بكنية أبي، ويكون رجلاً صالحاً، وتم ذلك، فأعتق العبد الذي بشره بولادة الغلام.(١٧)

هذا الغلام نشأ نشأة صالحة، وأصبح من علماء القيروان، سمع من تلاميذ جده سحنون الإمام، وكان أهل القيروان يحترمونه ويرون له حقاً وكان عابداً تقياً جليل القدر(١٨)، توفي سنة ٣٠٧.

هذا وقد انتسب إلى الأسرة السحنونية بالرضاع عالم آخر هو علي بن سالم الجبنياني البكري، أرضعته أم محمد بن سحنون مع ابنها محمد، وكان من أهل العلم من أصحاب محمد بن سحنون، ولي قضاء صفاقس وسائر الساحل التونسي وكان عدلاً في أحكامه غنياً موسراً، بنى جامع صفاقس وسورها.(١٩)

والملاحظ أن عميد هذه الأسرة ذات المجد التليد كان متواضعاً حريصاً على أن يكون أفرادها أتقياء لا يغرهم مجد الأسرة وعراقتها، وهذا الحوار بينه وبين ابنه محمد يؤكد ذلك: «قال محمد: قلت: يا أبت أنحن صليبة من تنوخ؟ فقال لي: وما تحتاج إلى ذلك؟ فلم أزل به حتى قال لي: نعم، وما يغني عنك ذلك من الله شيئاً إن لم تتقه»(٢٠).

هذه الأسرة العلمية تركت الأثر الخالد في تيار المذهب المالكي، وأثرت الثروة الفقهية لهذا المذهب، وكان لأعلامها مواقف اجتهاد وإصلاح وتجديد.

الهوامش:

١ ـ طبقات المالكية، لمؤلف مجهول، اللوحة ٧١ ـ مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس ـ مصور على الميكروفيلم رقم ٨٤.

٢ ـ ترتيب المدارك: ٢٥/١ و ٢٦ ط وزارة الأوقاف بالمغرب.

٣ ـ ترتيب المدارك: ٢٩٨/٣ و ٢٩٩.

٤ و ٥ ـ ترتيب المدارك: ٤٨/٤.

٦ ـ معالم الإيمان: ١٢٧/٢ ط تونس.

٧ ـ ترتيب المدارك: ٢٠٦/٤.

٨ و ٩ و ١٠ ـ ترتيب المدارك: ٢٠٥/٤.

١١ ـ العبر في خبر من غبر: ٣١/٢.

١٢ ـ طبقات المالكية، سالف الذكر: ٧٣.

١٣ ـ معالم الإيمان: ١٤٤/٢ و ١٤٥.

١٤ ـ ترتيب المدارك: ٩٥/٥.

١٥ ـ ترتيب المدارك: ٥٧/٤.

١٦ ـ ترتيب المدارك: ٢٢٢/٤.

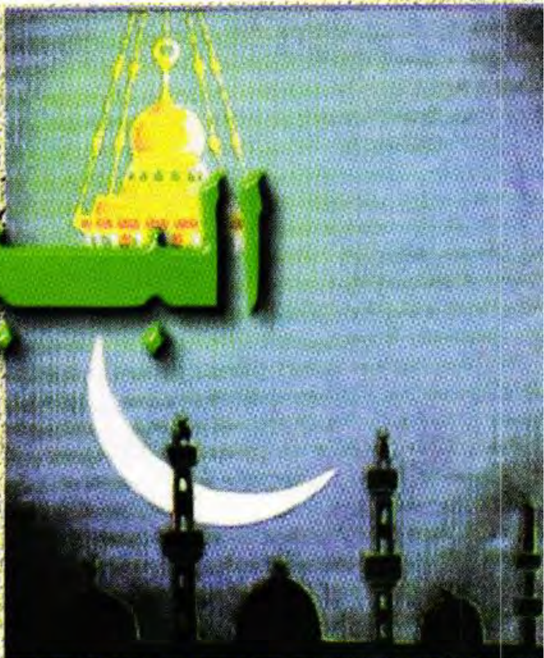
١٧ ـ معالم الإيمان: ٣٤٥/٢ و ٣٤٦.

١٨ ـ طبقات المالكية سالف الذكر: ٧٤.

١٩ ـ نزهة الأنظار، لمقديش: ١٧٣/٢ و١٧٤ و ٢٤٨ ط دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٠ ـ ترتيب المدارك: ٤٥/٤.

وشهد المؤرخون والمترجمون لسحنون بالفضل وطول الباع في الفقه وسمو الدرجة في العلم.



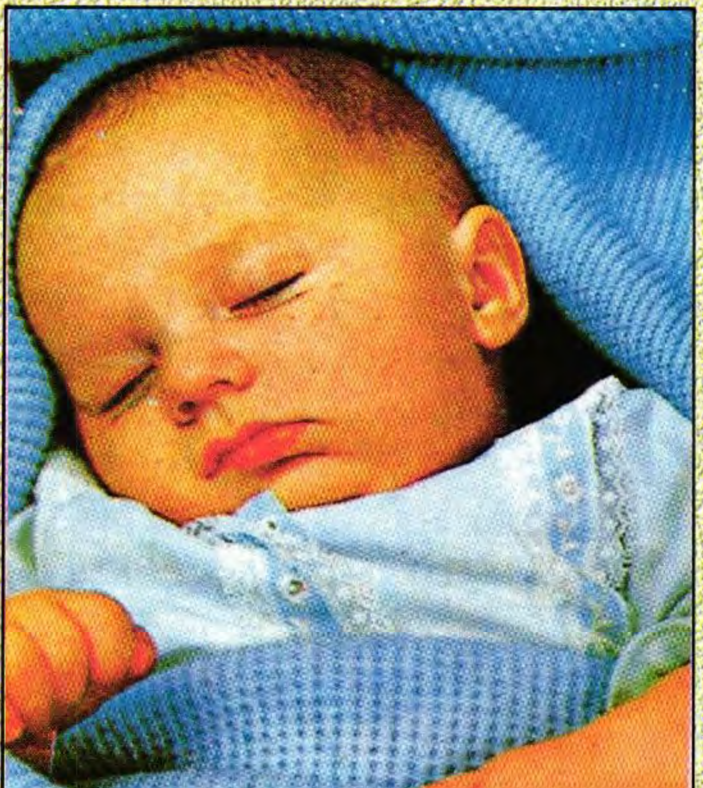
البيت المسلم

العدد ٣٨٩ - الوعي الاسلامي محرم ١٤١٩هـ - مايو ١٩٩٨م

منهج ابن سينا في علاج العشق

- يا سعادة من نظر الله إليه
- هذه هي الزوجة الصالحة
- ما احوجهما إلى رحمة الله

الحجاب صحة والتكشف مرض



المولود الجديد بماذا نستقبله ؟

لقاء الاصابع الطاهرة

في بداية عام هجري جديد

مع بداية عدد «المحرم» هنا تبدأ «الوعي الإسلامي» سنة جديدة، ومعها يبدأ« البيت المسلم» مرحلة جديدة ندعو الله تعالى أن يأخذ بيدنا فيها لنكتب مايرضيه سبحانه إنه سميع مجيب.

لقد أردنا «البيت المسلم» ملتقى لجميع أفراد الأسرة المسلمة يشاركون فيه بالكلمة ، والرأي ،والاقتراح، والخاطرة، والمقالة القصيرة، ودعونا قراءنا وقارئاتنا إلى ذلك فكانت الاستجابة طيبة جداً يشهد بها هذا الزخم من الرسائل التي تصلنا كل يوم.

ولاشك في أن استجابة قرائنا وقارئاتنا لدعوتنا تشير إلى ثقتهم بـ «البيت المسلم» ثقة نعتز بها كثيراً، وتحملنا في الوقت نفسه مسؤولية تجاه هؤلاء الأحبة الذين وثقوا بنا.

ولهذا فنحن نعدكم بأن يكون «البيت المسلم» ملبياً لكل ما تأملونه منه، وتطلبونه فيه، وترجون أن يحققه لكم، وستجدون تفاصيل هذا في أعدادنا المقبلة إن شاء الله.

ومن الأبواب التي ستحتل مكانها على صفحات «البيت المسلم» باب بعنوان «ماذا أفعل؟» وفيه ننشر رسالة قارىء أو قارئه، وتعرض هذه الرسالة مشكلة اجتماعية أو أسرية أو نفسية مع الإرشاد المناسب لها بتوفيق الله تعالى وعونه.

وعليه فإننا نرجو من قرائنا ان يكتبوا إلينا عن مشكلاتهم، أو استشاراتهم، إلى عنوان مجلة «الوعي الإسلامي» على وجه واحد من الأوراق، مع كتابة عبارة «ماذا أفعل- البيت المسلم» على مغلف الرسالة.

ولانملك أخيراً، قراءنا الكرام، إلا أن نستودعكم الله تعالى، داعينه سبحانه أن يكلأكم برعايته ، إنه خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

محمد رشيد العويد

الحجاب صحة والتكشف مرض



«عدم ملاءمة الحجاب للصحة والسلامة»!!

لم أسمع باطلاً أوضح من هذا الباطل الذي تحمله العبارة السابقة، هل تعلمون من قال تلك العبارة؟ وفي أي مناسبة؟

قالت هذه العبارة إدارة مدرسة «الترينشام غرامر» الواقعة قرب مانشستر شمال انكلترا، مبررة بها منع الفتاتين المسلمتين فاطمة وعائشة الألفي (١٥ و ١٤ سنة) من دخول مدرستهما وهما ترتديان الحجاب.

مفوض لجنة المساواة العرقية إريك سيوارد سخر من الذريعة التي اختبأت خلفها إدارة المدرسة لمداراة عنصريتها وقال إنه لا يستطيع أن يتصور لماذا اعتبرت الحجاب مشكلة للصحة والسلامة!

وقال في تصريح لصحيفة اندبندينت: إننا نود أن تعالج إدارة المدرسة الموضوع بنفسها.... وإذا لم تفعل ذلك فإن هناك إجراءات أخرى ينبغي علينا اتخاذها.

أما الفتاتان فقالتا لصحيفة «توداي» إنهما أصيبتا بصدمة بسبب إعادتهما إلى منزلهما مما جعلهما تفقدان العديد من الدروس المهمة.(١) تمنيت لو أني في تلك المدينة لأرد على إدارة المدرسة فريتها الكبيرة، كذبتها المفضوحة «عدم ملاءمة الحجاب للصحة والسلامة»؟ لأثبت لها، وعبر المجلات والصحف، ومحطات الإذاعة وقنوات التلفزيون أي شيء لا يلائم الصحة والسلامة: الحجاب أم السفور؟ الستر أم التكشف؟ الحشمة أم التبرج؟

كنت سأنقل لهم تقارير علمائهم وأبحاثهم، التقارير والأبحاث التي قام بها علماء في فرنسا عن نتائج ارتداء المرأة للملابس القصيرة، حيث أخذوا مقاييس لسيقان بعض الفتيات قبل ارتدائهن «الميني جيب» ثم أخذوا مقاييس للسيقان نفسها بعد مدة محددة من ارتدائه، فوجدوا أن هذه السيقان قد تضخمت بنسبة ٥٪ وتغير لون جلدها بنسبة ٧٪، وكيف أن السرطان الخبيث الذي يصيب الجلد، في المناطق المكشوفة من جسد المرأة، أصبح في تزايد عقب انتشار موضة الميني جب والملابس العارية والقصيرة بسبب تعرض المناطق المكشوفة لأشعة الشمس فترات طويلة على مدار السنة. لقد أكدت أبحاث العلماء أن النساء اللواتي يأخذن حمامات الشمس بالمايوه البيكيني، يتعرضن للإصابة بسرطان الجلد ١٣ ضعفاً عن النساء اللواتي يرتدين المايوه من قطعة واحدة تغطي الظهر، أفلا يعني هذا أن المرأة المحجبة أقل نساء الأرض عرضة للإصابة بسرطان الجلد... لأنها تستر جسدها كله؟!

يقول طبيب أوروبي: في جسم كل إنسان أوروبي حوالي ثلاثين ندبة، ويعود سبب وجود الندبات المرضية منها إلى أشعة الشمس، ويتحول بعضها تلقائياً إلى النوع الخبيث. ويضيف الطبيب: إن أشعة الشمس الحارة تهدم أسوار الدفاع الذاتي الموجودة داخل جسم الإنسان.

ويصف قضاء ساعات تحت أشعة الشمس بأنه أشبه بالتدخين بكثافة في مكان مغلق. ويقول إن النساء أكثر عرضة للإصابة بمرض سرطان الجلد من الرجال ومن أبرز سرطانات الجلد الخلية القاعدية، وهو الأكثر انتشاراً، وهذا النوع يهاجم الوجه والرقبة، ويشكل خطورة حقيقية على حياة المصاب إذا ما أهمل علاجه.

وهناك نوع آخر من سرطانات الجلد يطلق عليه القرحة القارضة، ويصيب الخلايا الحاملة للصبغات، وقد يصيب أي جزء من أجزاء الجسم... وإن كان ينتشر فوق أرجل السيدات.(٢) هل عُرف الآن أي شيء لا يلائم الصحة؟ أليس السفور

والتكشف والتبرج؟ أليس الحجاب خير حافظ لصحة المرأة؟ يبقى الجزء الثاني من عبارة إدارة المدرسة: «عدم ملاءمة الحجاب للسلامة»! وخير رد عليها هو في نقل إحصاءات الغرب نفسه عن ملايين جرائم الاغتصاب والاعتداء على النساء بسبب تعريهن وإثارتهن الرجال واختلاطهن بهم. تقول دراسة أمريكية: «إن جرائم الاغتصاب، وهجمات واعتداءات الغرباء، تنخفض خلال الشتاء»(٣). أليست هذه الدراسة دليلاً واضحاً على ما نقول؟ ففي الشتاء تتستر النساء تحاشياً للبرد، فلا يرى الرجال مفاتنهن، ويقل اختلاطهم بهن، وهذا ما يحققه الحجاب الإسلامي، وفصل النساء عن الرجال.

وهذا كتاب أصدرته باحثة فرنسية وعنوانه «الاغتصاب» ذكرت فيه أن ضحية الاغتصاب، في الأغلب، في مقتبل العمر، أي بين العاشرة والسابعة عشرة، أي السن التي تكون فيها الفتاة في أوج أنوثتها، وعدم حجابها يظهر هذه الأنوثة وما تحمله من فتنة تثير المغتصب وتغريه بالاعتداء على الفتاة، بينما الإسلام، بفرضه الحجاب يحمي الفتاة ويسهم في سلامتها.(٤) سنغير عبارة إدارة المدرسة ونحن مطمئنون إلى صحة هذا التغيير. سنجعل العبارة: «عدم ملاءمة التبرج والسفور للصحة والسلامة».■

الهوامش:

١ ـ وكالة الأنباء الكويتية «كونا»: ١٩٩٠/١/١٨م.

٢ ـ من أجل تحرير حقيقي للمرأة ـ محمد رشيد العويد ـ ص ١٥٠ ـ ١٥٤.

٣ ـ جريدة «الشرق الأوسط» العدد ٥١٣٠ ـ ١٤١٣/٦/٢٠هـ.

٤ ـ عبدالله باجبير ـ الشرق الأوسط ـ العدد ٤٧٥٩.

القرآن وحياة الرسول... مظلـ

الأسرة هي الوحدة الوظيفية المكونة من الزوج والزوجة والأبناء، المرتبطة برباط الدم والأهداف المشتركة وهي على هذا النحو تتأثر بالنظام الاجتماعي الشامل للمجتمع وتؤثر فيه عن طريق تفاعلها معه في قيام وظيفتها التي تتمثل اساسا في -

١- تزويد المجتمع بأعضاء صغار جدد.

٢-تهيئة فرص الحياة لهم واعدادهم للمشاركة في المجتمع

٣-تقديم الدعم الاقتصادي والاجتماعي والنفسي لأفرادها.

ولما للأسرة من أهمية في بناء المجتمعات فقد حرص الاسلام على وضع الحقوق والواجبات لكل طرف من اطراف الاسرة قاصداً بذلك حياة آمنة.. واستقرار يكفل للاسرة أن تقوم بدورها تجاه أولادها وتجاه نفسها وتجاه مجتمعها خير قيام. فعند بدء تكوين الاسرة حرص الاسلام على قيامها بأن تكون مبنية على الاختيار بكل حرية سواء للزوج او الزوجة لاختيار شريك الحياة. والاسلام قد حدد لنا مفهوم الاختيار الصحيح فهو يقوم على الدين والتقوى والخلق الصالح-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

وقال الرسول في حق النسا:(فاظفر بذات الدين تربت يداك)

وقال الله تعالى في الاثنين في سورة البقرة الآية/٢٢١:(ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بقلم: محمد عبد العزيز علي

«ماأوتي المؤمن بعد تقوى الله خيرا من امرأة صالحة إذ انظر اليها سرته وإن امرها اطاعته وان اقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله».

ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم باختيار صاحبة الدين وبين ان في ذلك الظفر والفوز والسعادة في ظل الحياة الزوجية لأن دين الزوجة سيكون صمام الأمن والسلامة إذا ماتعرضت سفينة حياتهما لخطر داخلي بسبب ماقد يكون من خلافات بينهما.. وهو ممكن الحدوث في كل اسرة او لخطر خارجي يزحف عليها بغية تحطيمها لسبب او لآخر.

ومن آيات الله أنه خلق وقدّر الأزواج من كل جنس وأوضح هذا سبحانه وتعالى للإنسان في سورة الروم الآية/٢١ فقال:(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

وأما بعد الزواج فقد حرص الاسلام على ان تكون العلاقات الاسرية قائمة على اساس متين من الحقوق والواجبات بحيث يشع هذا على جو الأسرة احتراما بين الطرفين يتيح الأمن والاستقرار فمن حق الزوجة المهر والنفقة والعدل والعفة ومن حقوق الزوج الطاعة وعدم الخروج من البيت من دون اذنه والقوامة.. وأما الحقوق للاثنين معاً المعاشرة بالمعروف والاستمتاع والنسب وحرمة المصاهرة والميراث.. وبهذه الحقوق والواجبات التي يبذلها كل طرف للآخر يتحقق الأمن الحياتي والأمن النفسي لحياة الزوجين.

حينما ننظر في حديث رسول الله صلى

ـة تحمي الأسرة

الله عليه وسلم وهو يخاطب الرجال ويوصيهم خيراً بالنساء..

(استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن اعوج مافي الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً).

نجد أن هذا الحديث يدل على ان الرجل هو المسؤول الأول عن سلامة وأمان الأسرة في الحياة الزوجية فهو لايبخس من قدر المرأة، فلقد ساوى الله بين المرأة والرجل.

قال تعالى في سورة الحجرات الآية/١٣:(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)

وأن من يرزق البنات هو الذي يرزق الذكور فهما هبة من الله..

(يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكورا) [الشورى-٤٩].

وطلب الله من رسوله في سورة محمد الآية/١٩ ان يستغفر للمؤمنات كما يستغفر للمؤمنين على قدم المساواة في قوله:(فاعلم انه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم منقلبكم ومثواكم).

واذا ماأكرم الله تعالى هذين الزوجين بأبناء وبنات فانه يفرض لهم الأمن والرعاية والتربية والتعليم والنفقة والتأديب والرفق والتوجيه والمصاحبة كما جاء في التوجيهات القرانية:-

(والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولامولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك)[البقرة/٢٣٣]

والتوجيهات النبوية قول النبي صلى الله عليه وسلم:

«لاعب ابنك سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا ثم ألق حبله على غاربه»

وفي حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

«مروا اولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر»

أما الحقوق التي حرص على وجوبها على الأبناء تجاه الأسرة حسن رعايتهما وفاء بحقوقهما وسداداً لدينهما قال تعالى:في سورة الاسراء الآية/٢٣(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا).

وقال تعالى في سورة الاسراء الآية/٢٤:(وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيرا).

فأي أمن اعظم من الذي حققه الاسلام فالعلاقة بين الأبوين والأبناء علاقة لامثيل لها فهي تتغير بنمو كل من الآباء والأبناء وقد دلت الدراسات الحديثة في موضوع التفاعل بين الآباء والأبناء انها لاتخلي مسؤولية الطفل الابن من ناتج التفاعل بينه وبين ابويه بل ان سلوكه قد يؤثر سلبا او ايجابا على العلاقة التفاعلية..

ويتضح من ذلك ان تعاليم الاسلام لكل العصور ولكل المواقف والأحداث فهو منذ اربعة عشر قرنا أويزيد قد وضع في كلمات الله واحاديث رسوله الكريم اسساً واضحة ومفهوما عن الاسرة والتفاعل الاسري.. لانه يؤمن ان الاسرة هي اللبنة الاولى في بناء اي مجتمع فإن صلحت واستقرت وأمنت.. صلح المجتمع وارتقى.. ان هذه الدراسات التي تتم في القرن العشرين انما هي تثبت بالعلم والابحاث حقائق اسلامية في التربية قد وضع الاسلام اسسها.

اما عند حدوث الانفصال فقد حثنا الله على التسامح والعفو حتى تظل الاسرة قائمة يستظل افرادها بمظلة أمنية قال تعالى في سورة النساء الآية/١٩(وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً).

فإن لم يوجد سبيل للاصلاح فلايبقى إلا الفراق ولعله خير ويجب ان يكون بمعروف واحسان كما ورد في سورة البقرة الآية-٢٢٩.(فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان).

وتحت مظلة الأمن التي نسج خيوطها الإسلام لتنعم بالعدل والحق كل مسلم ومسلمة فقد حفظ حقوق المطلقة وذلك بأن شرع لها نفقة مدة العدة ولها متعة يقدّرها القاضي على حسب يسار الزوج أو إعساره.. وينهى الإسلام عن ظلم المرأة وهجرها وتعليقها بلا زواج او طلاق.. كما ينهى ايضا عن تعدد الزوجات بلا عدل فيقول سبحانه وتعالى في سورة النساء الآية-٣:(فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة) وقوله في الآية ١٢٩ من سورة النساء:(فلاتميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة)

انها غاية العدل والحق ان يتحقق الأمن من كلمات الله وتفسيرات رسوله الكريم التي تعطي الأمن للنفس المسلمة وان تحلل كل دقائق حياتنا لما فيه الخير والصلاح لتستقيم النفوس، ويستقيم معها كل مجتمع مسلم في أمن وأمان.. لقد جاء الاسلام نظاماً كليا او منهج حياة لكل المستويات.. يتعدى حدود الزمان.■

المراجع:

١-القرآن الكريم

٢-تنمية القيم التربوية والنفسية للابناء أ.السيد احمد المخزنجي ص١٥

٣-سيكلوجية التنشئة الاجتماعية د. عبد الرحمن عيسوي ص٢٠٧

٤-التربية في الإسلام د. احمد ابراهيم مهنا ص ١٧٧-١٨١

٥- في اجتماعيات التربية د. منير المرسي سرحان



لو وصفت زوجة بأنها «صالحة» فإن أول ما يتبادر إلى ذهن المستمع أنها محافظة على صلاتها، تكثر من صلاة التطوع، تصوم رمضان وتكثر من صيام النافلة، أدت فريضة الحج وتكثر من العمرة، كثيرة ذكر الله، ملتزمة حجابها وبيتها.

وهو مفهوم غير خاطئ ـ إن شاء الله ـ لصلاح المرأة، لكنه مفهوم ناقص جداً كما نفهم من الحديث التالي للنبي صلى الله عليه وسلم، في تعريف الزوجة الصالحة:

عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أفاد المؤمن، بعد تقوى الله عز وجل، خيراً له من زوجة صالحة: إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله» رواه ابن ماجه.

ونلاحظ بوضوح أن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر أربع صفات أو أخلاق تشكل في مجموعها مفهوم صلاح الزوجة، ليس بينها كثرة صلاة أو صوم أو حج وعمرة أو ذكر لله تعالى، بل إن الصفات أو الأخلاق الأربعة مرتبطة جميعها بإرضاء الزوج وحده، من طاعة له، وتجمّل لنظره، وحفظ لماله وزوجته.

أي أن المرأة التي تصلي وتقوم الليل حتى تتورم قدماها، وتصوم حتى تكاد لا تفطر، ولا يكلُّ لسانها من تسبيح الله تعالى، ليست زوجة صالحة إن كانت تعصي زوجها، وتظهر أمامه في صورة ينفر منها، وإن لم تبرَّ قسمه، وإن لم تحفظ نفسها في غيبته، وأنفقت من ماله من غير إذنه.

وهذا المفهوم لصلاح المرأة، يؤكده ما خُلقت المرأة من أجله وهو أن تكون سكناً للرجل، بكل ما تحمله كلمة «سكن» من دلالات ومعان وأبعاد: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها» الروم: ٢١، وحتى يكون السكن صالحاً لابد من أن تتوافر فيه صفات أهمها أن يرى فيه صاحبه ما يسره، وأن يقدر على أن يحفظ فيه أهله وماله، وأن لا يقيم فيه معه من يخالفه وينازعه، وهذه هي الصفات نفسها التي أطلقها النبي صلى الله عليه وسلم على المرأة الصالحة.

إن صلاح الزوجات، وفق هذا المفهوم النبوي، يعني شيئاً عظيماً، ويحقق ـ من ثم ـ إذا اتصفت به جميع الزوجات، أهدافاً اجتماعية بعيدة وكبيرة ومفيدة.

سينصلح حال الأسرة، وينصلح معها حال الأطفال فيها، وستنخفض نسب الطلاق كثيراً وسيخرج للمجتمع رجال صالحون ونساء صالحات، وستوفر الدولة ملايين تنفقها على المحاكم والملاجئ والسجون التي أكثر من يدخلها جانحون ومجرمون يخرجون من أسر مفككة.

وأرجو، أخيراً، أن أنبه إلى أن هذا المفهوم للزوجة الصالحة لا يلغي أن تكون مقيمة لصلاتها، صائمة لشهرها، حاجة بيت ربها، مؤدية زكاة مالها... فهذا لابد منه لتكون الزوجة مسلمة.

البيت المسلم

علاقات زوجية



ما أحوجهما إلى رحمة الله

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله إليهما نظرة رحمة فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما» الجامع الصحيح رقم ١٩٧٧.

خلق الله عز وجل آدم عليه السلام، وخلق منه زوجه، قال تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) النساء:١.

وخلق حواء من آدم كان لحكمة إلهية، هي: بيان أن أصل حواء وآدم واحد فلم يميز جنس الرجال عن النساء إلا في الاستعداد والوظيفة فالمرأة إنسان خلقت لإنسان، ونفس خلقت لنفس، وشطر مكمل لشطر. وقد أولى الإسلام العلاقة بين الرجل والمرأة عناية خاصة، فلقد عُني الإسلام بتوثيق الروابط بين الرجل وامرأته، وأهم الأشياء التي تزيد العلاقة الزوجية قوة وارتباطاً هو اهتمام كل منهما بصاحبه وللاهتمام مظاهر عدة منها إدخال المرأة السرور إلى قلب زوجها، وذلك باهتمامها بالظهور أمامه بمظهر حسن، فهذه أول رسالة حب ومودة تبثها المرأة في قلب زوجها، ولها بذلك أجر من الله تعالى ويكفيها هذه الشهادة التي شهد لها بها خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، حين قال: إنها من خير نساء الأرض فقال صلى الله عليه وسلم: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» رواه النسائي.

وإذا كان الإنسان بطبيعته يعشق الجمال ويهواه وإذا ما وجد الجمال «جمال المنظر والخلق» شعر بالسكن النفسي، وارتوت عاطفته قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون). وإذا كان الرجل في حاجة لأن يرى من زوجه ما يسره فهي أيضاً في حاجة إلى أن ترى من زوجها ما يسرها، ولذا وجب على الأزواج مراعاة ذلك، ولقد كان لنا في سلفنا الصالح خير أسوة في ذلك، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إني أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين المرأة لي، ولقد خرج محمد ابن الحنفية في أحسن ثيابه ولحيته تقطر من الطيب، ولما سأله يحيى بن عبدالرحمن الحنظلي عن سبب اهتمامه هذا قال: إنه كان عند زوجه يقول: إنهن يشتهين منا ما نشتهي منهن.

ولكي تزداد العلاقة الزوجية قوة وتماسكاً يحث الرسول الكريم الزوج أن يأخذ بيد زوجه يصافحها مصافحة الزوج المحب المتهلف... المحتاج.

وهذا الحديث الشريف فيه دعوة للرجال والنساء على حد سواء إلى أن ينظر كل منهما لصاحبه نظرة حب ومودة ورحمة... لا أن يدخل الزوج بيته، وقد قطب جبينه... يعبس في وجه زوجه وأولاده.... وتأتي الزوجة هي الأخرى وقد أهملت في لبسها، وأخفت معالم أنوثتها، وتركت بيتها بلا ترتيب وتنظيم، وبذلك تتجذر الكآبة والملل في نفسيهما ولربما باءت حياتهما بالفشل فتفرق شملهما بعد اجتماع، وذهبت نفس كل منهما حسرات. ما أحوج الرجل والمرأة إلى رحمة الله ومغفرته وما أسهل الطريق لذلك فالأمر في متناول يدي كل منهما... المغفرة... والرحمة... وأن يكون من خيرة الناس «خيركم خيركم لأهله»... صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

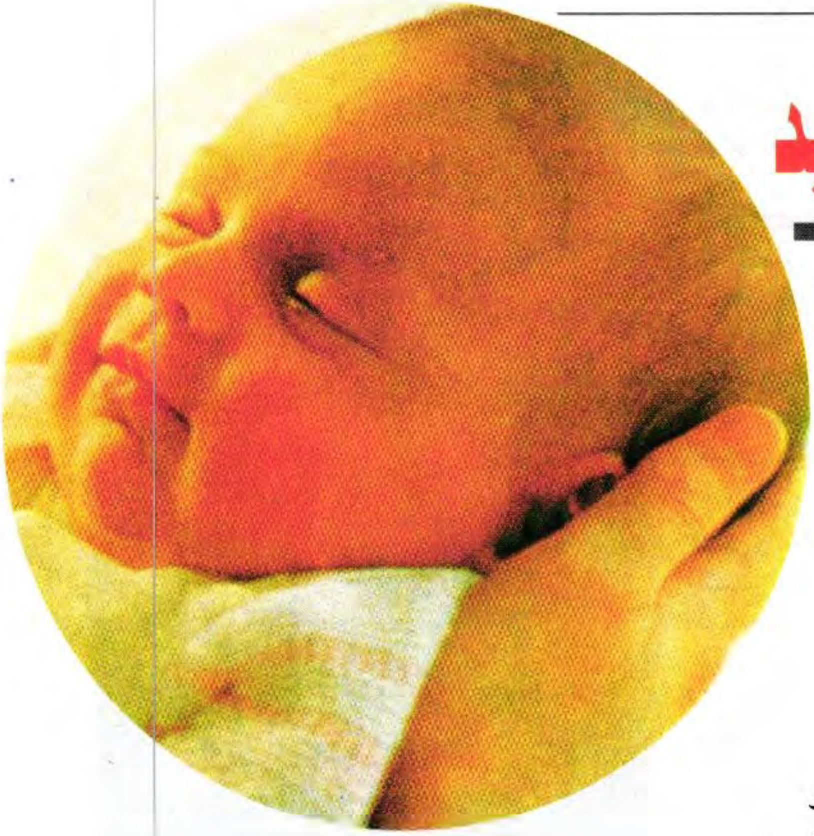
ومن هذه المعاني نلمس أن الإسلام يحافظ على الأسرة ويباركها، ويسعى إلى تقويتها، لأنها السكن الذي تنبثق منه الألفة والرحمة، ويحس فيه كلا الزوجين بذاتهما وإنسانيتهما. ■

هذا وبالله التوفيق.

أ. مسعد عبدالسميع أحمد سالم

الأولاد زينة الحياة الدنيا، وقرّة عين الإنسان في حياته، وقد خصهم الإسلام بتوجيهاته وتعاليمه، وفصّل للآباء والأمهات أساليب رعايتهم وطرق التعامل معهم منذ ولادتهم، وذلك ليجعل منهم عناصر خير، وعوامل بر،ومصادر سعادة، تسهم في تقوية المجتمع، وتعمل على ازدهاره.

المولود الجديد بماذا نستقبله؟



بقلم: د. حسن أبو غدة

ومما شرعه الإسلام عند ولادة مولود جديد مايلي:

١- تهنئة أهل المولود: وتحصل هذه بألفاظ تدل على تمني الخير والسعادة، للوالدين وللمولود الجديد، ولبقية أفراد الأسرة، ومن العبارات المأثورة في هذه المناسبة، ماروي عن الحسن البصري- وكان من كبار التابعين- أنه كان يقول للمولود له:«بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، ورزقت بره، وبلغ أشده».

ولافرق في هذه التهنئة بين المولود الذكر، والمولود الأنثى، لان القصد من التهنئة تعميق التآلف الاجتماعي، وزيادة المودة بين الأقارب والأصحاب وإظهار الفرح بالمولود الجديد.

كما أنه لابأس بما جرت به عادات الناس عند التهنئة بالولادة، من تقديم بعض الهدايا من غير إسراف ولا مخيلة، وهو يدخل في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم:« تهادوا تحابوا» رواه مالك والطبراني.

٢- الأذان والإقامة: يستحب الأذان في أذن المولود اليمنى، والإقامة في أذنه اليسرى، وذلك في أول وقت يتمكن فيه الأب أو غيره من فعل ذلك، ويكون الأذان بصوت خفيف ندي قدر الإمكان.

روى الإمام أحمد والترمذي وأبو داود: أن النبي صلى الله عليه وسلم اذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته أمه فاطمة رضي الله عنها وكان عمر بن عبد العزيز يؤذن في أذن المولود اليمنى ويقيم في يسراه.

وروى البيهقي، وابن السني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال:«من ولد له مولود، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، لم تضره أم الصبيان» وأم الصبيان صنف من الشياطين ينخسون المواليد، وإليهم اشارت أم مريم في قول الله تعالى:(وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) آل عمران/٣٦ وروى الشيخان حديثا نبوياً بهذا المعنى.

ومن فوائد هذا الأذان: أن يكون أول مايسمعه هذا المولود، كلمات النداء المشتمل على توحيد الله وتمجيده،والشهادة بالنبوة لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أن هناك فوائد أخرى ذكرها العلماء، منها: إدبار الشياطين وهروبهم عند سماع كلمات الأذان،

لأنهم يغتاظون بذلك النداء الرباني..

هذا، وليس بمستغرب وصول أثر الأذان- وبخاصة إذا كان الصوت حسناً جميلاً ندياً- إلى قلب ووعي المولود حديثا، بل تأثره به، بعد ماطلع علينا العلم الحديث، بكثير من الأمور النفسية والعضوية التي يتأثر بها الجنين وهو في بطن أمه، فكيف به وقد ولد، وجاء إلى الحياة مخلوقا تاماً من حيث الإحساس والمشاعر، ولو كان ذلك بشكل ابتدائي.

بل إن الدراسات في عالم النبات لتؤكد مدى تأثر نمو النباتات سلبا او ايجابا بالأصوات الحسنة وبالأصوات المزعجة ونحوها من الضوضاء.. هذا، وإن تشريع الإسلام للأذان الآنف ذكره ليدل على مدى اهتمامه بالمواليد الجدد ومستقبلهم، واتجاهاتهم العقائدية والسلوكية، ونموهم النفسي.

٣-تحنيك المولود: ومعناه: وضع شيء حلو الطعم كالتمرة، ودهن حنك المولود بحلاوتها وطعمها وبوساطة الإصبع حيث تحرك يميناً وشمالاً في فمه بحركة لطيفة خفيفة، حتى يستوعب الفم طعم الحلاوة.

وفائدة التحنيك:أنه يقوي عضلات الفم والحنك، بالتلمظ أو المص الذي يقوم به الطفل- مع مافيه من بساطة وبدائية.

يضاف إلى هذا ماذكره الطب الحديث من ضرورة تزويد المولود حديثاً، بنسبة محددة من غذاء حلو المذاق، تجنباً لنقص كمية السكر في الدم، ومخافة انخفاض درجة حرارة الجسم عند التعرض للجو البارد المحيط بالمولود الذي يكون -على الارجح- عاري الجسم، أو شبه عار.

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأولاد، فيبرك عليهم- أي يدعو لهم بالبركة- ويحنكهم.

وروى الشيخان عن أبي موسى الاشعري قال: ولد لي غلام، فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه ابراهيم، وحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة.

٤-تسمية المولود باسم حسن: مما شرعه الإسلام للمولود الجديد، أن يسمى باسم حسن حلو جميل، لانه سيلازمه في جميع مراحل حياته، وينادى به بين أهله وأصحابه وأولاده - لاحقا- ويستحسن ان يكون الاسم قليل الحروف سهل النطق، سلس الحفظ والنداء، روى أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: «إنكم تدعون في يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم،فأحسنوا أسماءكم».

وروى مسلم وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«أحب الاسماء إلى الله، عبد الله، وعبد الرحمن» أي :وكل مافيه معنى العبودية لله، كعبد الرحيم، وعبد الكريم.

وقد غيّر النبي صلى الله عليه وسلم بعض الاسماء القبيحة ونهى عنها، وثبت عنه أنه غيّر اسم عاصية إلى جميلة، واسم أصرم إلى زرعة، واسم حزن إلى سهل.

وسمى أبناءه: عبد الله، والقاسم، وإبراهيم، وفاطمة، وزينب، ورقية.. وأسماء أسباطه: الحسن، والحسين، وأمامة..

ويستحب تسمية المولود في اليوم السابع من ولادته، ويجوز قبل ذلك، وربما كانت الحكمة في التأخير، الرغبة في تجاوز المولود وأمه مراحل الخطر في الأسبوع الأول عقب الولادة، وربما كانت الرغبة في الاستزادة من وضوح ملامح جسم المولود- خلال أسبوعه الأول- مما يجعل اختيار الاسم له أكثر مطابقة لحاله ولهيئته وأوصافه.

٥-ذبح العقيقة: وتذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته، فإن لم يتيسر، فتفعل بعد ذلك، روى الترمذي والنسائي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل غلام مرتهن بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويحلق رأسه، ويسمى.

وهي سنة، تذبح للذكر شاتان، وللأنثى شاة، وقيل: لكل منهما شاة، ومجمل أحكامها كالأضحية، والهدف منها: إظهار الشكر لله، والفرح بين الأهل والجيران، لولادة المولود، ويعطى الفقراء منها، استذكاراً للنعمة.

٦- حلق رأس المولود: يستحب فعل ذلك في اليوم السابع، وأن يتصدق بوزن الشعر بما يتيسر من المال، روى الإمام احمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة لما ولدت الحسن:« احلقي رأسه، وتصدقي بزنة شعره فضة، على المساكين».. وكانت دراهمهم وقتئذ من الفضة.

وحكمة حلق الرأس والتصدق بوزن الشعر مالاً: أن الحلق يجدد نشاط مسامات الرأس ويقويها، أما الصدقة، فهي عبادة مالية رمزية فيها معنى الشكر لله، والتوسعة على المحتاجين لتشملهم الفرحة بهذا المولود، وإذا تصدق الواحد- الآن- بعملة بلده كان فاعلاً لمعنى السنة.

٧- ختان المولود الذكر: وهو من سنن الفطرة، وفيه من أسباب النظافة الموضعية مالايخفى، وله من الفوائد الصحية على الجسم ما أقر به العلم الحديث، روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط».

وهكذا يتضح مما تقدم مدى اهتمام الإسلام برعاية الأبناء منذ ولادتهم، اهتماماً دينياً واجتماعياً،و صحياً، ونفسياً. وصدق الله القائل:(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) البقرة/١٣٨.■

لقاء الأصابع الطاهرة

لله درك، ما أعظمك من دين رضيه الله للناس، ولله در محمد ما أعظمه صلى الله عليه وسلم من رسول أوتي جوامع الحكمة، وفجر الله على لسانه ينابيع البيان، حتى إن حديثاً قصيراً كهذا ينظم شؤون الإنسان ويحل أهم شؤونه الحياتية.

إن الإنسان ليحني رأسه خشوعاً أمام جلال هذا العلم، وحكمة هذا الدين، المرأة والرجل، قطبان حولهما تدور الحياة وبهما يعمر الكون... قطبان متجاذبان بطبيعتهما، الحنان والحزم، الرقة والخشونة، قطبان متجاذبان إذ هما مختلفان وعن تجاذبهما واندماجهما، تبزغ البراعم اليانعة لتنهل من معينهما معاً فتكتمل دورة الحياة، ولكن هذه العلاقة الخاصة بين هذين القطبين قد يكتنفها الخلل فتبدو كئيبة محزنة ويحوّل التجاذب إلى تنافر مدمر، والمحاكم الآن في شتى البلدان تعج بالقضايا، وإنك لتحزن إذ ترى أطفالاً بائسين ونساء ضائعات ورجالاً معذبين وقضاة مشغولين وظلماً يقع وجرائم ترتكب، وبحوثاً تكتب واستنتاجات تطرح.

أين أنتم من هذا الدواء الشافي في هذين السطرين الكريمين، ودعوة إلى خلفية المشهد الزوجي، ما باله الزوج وقد كان يحرص على هذه النظرة إليها وقد لا ينالها إلا بجهد ما باله يغفلها الآن، وهي بين يديه تتوق إلى هذه النظرة، ما باله وقد كان يطربها بسطور الغزل وعبارات الثناء، ما باله اليوم صامتاً كئيباً، وما بالها الزوجة وقد كانت تمكث الساعات أمام المرآة ظناً منها أنه ربما قد يجيء خاطبها، ما بالها تكتفي اليوم على اهتمامات جانبية غير عابئة بما قد يقع عليه بصره منها، ما بال عيونها التي ألهمته الشعر تفيق من نعاس إلى انشغال، أي طبيعة الإنسان في إلف النعم؟، فالإنسان كما نعلم لا يهتم كثيراً بطلوع الشمس إذ هي لا تزال كل يوم طالعة، أفلو حجبها الله عنه، فكيف سيكون اهتمامه؟

إن زهرة الحب لابد وأن تسقى بماء العناية الايماني الذي قطره لنا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وأمثاله، إن الإسلام قد ردّ للمرأة اعتبارها بهذا الحديث الشريف وأمثاله، المرأة التي ما كان لها أن يصافحها الرجل، بل كان له أن يصفعها فلا تعترض، المرأة التي لا تزال محل جدل في عصرنا هذا الذي يتطاول علينا بأنه عصر الحضارة والنور.

❖ زهرة الحب لابد وأن تسقى بماء العناية الإيماني الذي قطره لنا محمد صلى الله عليه وسلم

ألستم سادتي تقرؤون كل يوم مثل هذه الأقوال: (إن المرأة وراء ٩٠٪ من جرائم الرجل) ألستم تعرفون أن المرأة وإلى الآن مازالت تعرض في «الفاترينات» تماماً كالنفائس والأشياء ومن يدفع له أن يختار، وقديماً كانت بعض الديانات تعتبر المرأة رجساً من عمل الشيطان، المرأة التي جعلها محمد صلى الله عليه وسلم أخت الرجل وحليلته، ينظر إليها شبقاً مستمتعاً مأجوراً في الوقت نفسه، إذ الذي منحه إياها هو الله خالقها، وهو استحلها بكلمة الله، وهي على غيره حرام وهو حرام عليه هذه النظرة إن كانت في غير هذا الموضع المقدّس، موضع الزوجية والعفة وهي تنظر إليه نظرة الحب والإعجاب يتصافحان، نعم يتصافحان! أي عظمة تلك التي تجعل هذه المصافحة بمثابة العبادة التي يؤجر عليها الزوجان حتى تسقط ذنوبهما من أيديهما في الوقت الذي تجعل مصافحة الأجنبية بمثابة مسّ النار.

إن هذا الحيث الكريم يؤصل للمعاملة الزوجية الحسنة، إنه يؤصل للحب بينهما فهي نظرة الحب إذن، ونظرة الاستحسان يكلؤها الله بفيض رحمته، ويحوطها بنظرة منه غالية... وأين من ينظرون لأزواجهم نظرة الفتور والقرف من هذا الحديث، أين من لا يرون في أزواجهم إلا الجوانب السيئة.

من المؤكد أن الزوج إذن هو الذي يختار لنفسه ساعة إقدامه على الزواج، قد رأى في هذه الإنسانة كل ما يدعوه إليها، ويجعلها في عينه أفضل النساء، فهل له اليوم وقد جمعتهما الكلمة الطيبة أن يزوغ ببصره بعيداً وأن يستشعر رجولته بعيداً ويستحضر كآبته وهمومه عندما يضغط جرس الباب قادماً إلى منزله؟

إليكم يا إخوتي هذه الوصفة الطاهرة، وصفة الحب الطاهر والفطرة الطاهرة والمصافحة العبقة والحنان المكفول برحمة الله، والمتوج بتساقط الذنوب من خلال الأصابع المتشابكة.

محمد عبدالظاهر حمد . مصر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل إذا نظر إلى امرأته، ونظرت إليه، نظر الله إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما».

يا سعادة من نظر الله إليه

قال الله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)، من آيات الله الحكيمة ورحمته بعباده أن خلق للرجل المرأة، وخلق للمرأة الرجل، ليسكن كل منهما للآخر، وما أبلغ وصفه تعالى ما بين الزوجين بالسكون، فالسكون ارتياح واطمئنان وثقة وائتلاف وانسجام، وينتج من ذلك صداقة وإفضاء متبادل، كما بيَّن الله تعالى في آية أخرى بقوله: «...... وقد أفضى بعضكم إلى بعض....»، فهي علاقة روحية بين قلبين، وهي أقوى وأصدق وأدوم من المادية التي تنشأ عن البدن، فالإفضاء بين الزوجين قلبي لا جسدي فحسب، وذلك لأن التفاهم لا يكون إلا بالامتزاج الكامل والانسجام، والمرء في أشد الحاجة إلى قلب يشكو له ويطمئن إليه فلا يستحي من أن يفضي إليه بسره وما يكنّ في صدره، إذ لا شيء يربط القلب بالقلب، ويدعو إلى الائتلاف والحب، كإفضاء القلب إلى القلب، وإصغاء القلب إلى القلب، ولقد حرص الإسلام على إقامة الأسرة وبنائها على أسس وطيدة للحفاظ على العلاقة الزوجية بحسن العشرة، قال تعالى: (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)، وأكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً» رواه البخاري ومسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «خياركم خياركم لنسائهم» رواه ابن ماجه، وقرر القرآن الكريم أن العلاقة الفطرية بين الرجل والمرأة تقوم على التكامل والأنس والسكن فقال تعالى: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها)، أي ليألفها ويطمئن إليها، ولا توجد ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين.

قال تعالى: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) أي أن كلا من الزوجين يحفظ صاحبه، ويدفع عنه الأذى، ويصون أخلاقه، ويمنحه السعادة ويتبادل معه المسرة والعيشة المشتركة، ويحقق معه الآمال الواحدة، ويتحمل معه الآلام الخاصة، ويمنحه الوقاية، كما أن اللباس يحفظ البدن ويمنحه الدفء والراحة والمتعة، وإن الاستمتاع بين الرجل وامرأته لا يقصد منه قضاء الوطر وإشباع الغريزة الجنسية فحسب، وليس لمجرد قضاء حاجة آنية، وإنما الهدف الأنس والحنان وتوثيق الصلات وتلبية عواطف الأبوة والأمومة عندهما، ونمو مشاعر العطف والرحمة بينهما، ومن خلال الحديث الشريف ـ الذي نحن بصدده الآن ـ نرى تلك النسمة العطرة وروح الدفء بين الرجل وزوجته من خلال نظراتهما، ونرى جزاء ذلك الحب والرحمة من الله تعالى.

وبذلك يتحقق هدف الإسلام من إقامة أسرة محكمة تسودها الرحمة والحنان، فبمجرد أن ينظر الرجل إلى امرأته، ومجرد أن تنظر إليه، ينظر الله إليهما نظرة الرحمة التي ينالان بها السكن والدفء، فيا سعادة من نظر الله إليه، ويا لها من حياة زوجية سامية سعدت برضا الله تعالى، فإذا أخذ الزوج بكف زوجته تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما، يا لرحمة الله وعظيم فضله وثوابه، فالزوج يأتي شهوته، وينال أيضاً ثواب الله، سبحانه من ربٍّ واحد عظيم قدير كما قال صلى الله عليه وسلم: «وفي بُضع أحدكم صدقة»، فينال الزوج مغفرة الله وهو يأتي شهوته ويسكن إلى زوجته، فإذا أخذ الزوج بكف زوجته تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما، فكيف بثواب الله له إذا عفَّها وعفته وأفضى إليها وأفضت إليه فهذا الاجتماع في فراش واحد، وتكرار هذا الاجتماع كل ليلة، يثير الحنين بينهما.

وأخيراً: فإن الصورة المثالية لهذه العلاقة بين الجنسين هي الأسرة، وإن المنهج الإلهي لصلة الرجل والمرأة هي الزواج، وإن الصورة المنطقية والقانونية والتشريعية هي أحكام ربِّ العالمين التي تحقق السعادة للبشرية تحقيقاً لقوله تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون).

محمد حمدي محمد الحديدي

شهدت السنوات الأخيرة اهتماماً بالغاً بتفهم سلوكيات المستهلك، ومبررات تصرفاته والتنبؤ بها، والنظر إلى المستهلك سواء أكان رجلاً أم امرأة أم طفلاً، من خلال علاقات التأثير والتأثر، والاهتمام بالتغير الذي يحدث في سلوكياته وتحديد أسباب هذا التغير.

المرأة والاستهلاك

بقلم: د. زيد بن محمد الرماني

المرأة والرشد الاستهلاكي

قد تكون المرأة هي الركيزة الأساس في الترشيد الاستهلاكي الاقتصادي، إذا اهتمت بهذا الجانب، ولكن يلاحظ أن الرشد الاستهلاكي الاقتصادي لدى المرأة ليس بالشكل المطلوب، الذي ينبغي أن يكون عليه سلوك المرأة الرشيد، فالمناسبات كثيرة والعادات والتقاليد والروابط الاجتماعية عديدة.

وفي تحقيق صحفي حول «المرأة السعودية والرشد الاقتصادي» برزت نتائج مهمة منها: الرشد الاقتصادي للمرأة في كثير من الدول العربية ليس بالقدر الكافي، ينبغي من وسائل الإعلام أن تسهم في نشر الوعي الاستهلاكي، فبرامج محو الأمية بحاجة إلى معلومات تحث على الترشيد الاستهلاكي الاقتصادي، أشارت بعض الدراسات إلى أن ٨٨٪ من الأسر السعودية تنفق أكثر من حاجاتها الاستهلاكية.

ويمكن تحقيق الرشد الاستهلاكي الاقتصادي عن طريق نشر الوعي الاستهلاكي بين الزوجات، وتدريس مادة ترشيد الاستهلاك ضمن المواد الدراسية في مراحل مختلفة من التعليم، وعقد ندوات نسوية تتعلق بالسلوك الاستهلاكي

المرأة وظاهرة المجتمع الاستهلاكي «الاستهلاكية»

يلاحظ أن المجتمع النسوي تأثر بظاهرة المجتمع الاستهلاكي التي سادت معظم دول العالم الإسلامي، وتحول أفراد هذه الدول إلى التطلعات العارمة للثراء السريع، وإلى اللهاث وراء الكسب، من أجل استهلاك أوفر ورفاهية أفضل، والرغبة المستمرة في الشراء والمزيد منه، حتى أصبح هم أفراد هذه المجتمعات الوصول إلى مستوى المجتمع الاستهلاكي الغربي.

تقول ديبره فريدمان: «إن تبني طرق حديثة في الاستهلاك هو شكل شائع للتغير. إن شراء واستخدام الأدوات الحديثة يتطلب الاحتكاك بالقطاعات الحديثة في المجتمع، وبالتالي اكتساب أنماط سلوكية حديثة».

المرأة وظاهرة حمى الشراء «النهم الاستهلاكي»:

إن المرأة في عصرنا الحاضر تعاني ـ مثل الرجل ـ من شهوة الشراء، أو إدمان الشراء.

تقول الباحثة الاجتماعية الأمريكية باتريشيا روبرتس: «إن الإدمان على الشراء لايقل خطراً ودماراً نفسياً عن خطر الإدمان على الكحول والمخدرات». ومن ثم يجب توجيه الاهتمام إلى ظاهرة إدمان الشراء أو حمّى الشراء، يذكر بعض الباحثين أن الإدمان على الشراء يمكن أن يكون ردة فعل للكآبة والتوتر النفسي وحالات القلق، فيجد المرء المتنفس الوحيد له في الإغراق في الشراء، فقد يشتري سلعاً ليس في حاجة لها، ويلاحظ أن الرجال يشاركون النساء في رغبة الإغراق في الشراء، وقديماً قال الفاروق عمر بن الخطاب لجابر بن عبدالله رضي الله عنهم: «أكلما اشتهيت شيئاً اشتريته؟!».

المرأة وظاهرة الشراء التلقائي «النزوي»:

يغلبُ على السلوك الشرائي النسوي طابع التلقائية أو ما يسمى بالشراء النزوي، وهو شراء سلع لم تكن في ذهن المشتري قبل دخول المتجر، وقد أثبتت الدراسات أن ٦٠٪ من القرارات الشرائية قرارات نزوية.

وقد أصبح هذا النوع من الشراء عادة استهلاكية وظاهرة سلوكية شائعة، ومن تحقيق أجري حول «حمى الشراء» كانت الإجابات مؤيدة تلك الظاهرة وذلك النوع من الشراء، يقول أحدهم: «ننزل إلى السوق ونستسلم للإغراء ونشتري ما لا نحتاج إليه» ويقول آخر: «أتيت إلى السوق وليس لدي نية للشراء وخطرت على بالي أشياء فاشتريتها»، ويقول ثالث: «أشتري أشياء زائدة عن حاجتي».

المرأة وظاهرة الاستهلاك الترفي «الكمالي»:

يتصف السلوك الاستهلاكي للمرأة بأنه سلوك استهلاكي ترفي، يتم في شكل إنفاق على سلع ترفية أو كمالية، من أجل المباهاة والمفاخرة وبدافع حب الشهرة والتميز، وهذا مظهر من مظاهر البذخ والإسراف. ولذا، كان الاستهلاك الترفي إنفاقاً على سلع كمالية، وفي مناسبات غير ضرورية، يشوبه الإسراف والتبذير، بقصد التباهي وحب الظهور وتعويض نقص اجتماعي معين.

تقول بدرية المطيري في تحقيق أجري حول «هوس التسوق عند المرأة»: «هناك من النساء من يشترين أغراضاً ليست ضرورية ولا في حدود إمكاناتهن، ويدفعن بالرجال إلى دفع الكثير وفوق حدود إمكانياتهم».

المرأة وظاهرة التسوق:

لقد باتت حمى التسوق تستشري كثيراً، لأن ضغوط الشراء الدعائية، والتسابق من أجل رفع مستوى المعيشة، وتسهيلات البيع وأسلوب العرض.... كل هذه الضغوط بجانب الدوافع النفسية التي تتحكم أيضاً في الإنسان أوقعت أسرا كثيرة في شباك هذا الهوس غير الطبيعي.

وحول الدوافع التي تذهب بالمرأة إلى إدمان هوس التسوق الانفعالي، تحدثت فوزية خليل من خلال تحقيق أجري حول «هوس التسوق عند المرأة» قائلة: «إن هذا الإدمان دائماً ما يكون انفعالياً، أي يتولد في نفس الإنسان ويدفعها في لحظة عابرة تحت قوة الاندفاع التي تسيطر عليها من أجل تحقيق هذا الانفعال، وهذا يمثل عندها طريقة تعويض عن حاجات ورغبات مكبوتة، فربما كان تكديس الأطعمة والملابس وملء المنازل بالمشتريات عند بعض النساء لمعاناة عاطفية، نتيجة حرمان أو قلق أو تعاسة زوجية أو انعدام أصدقاء أو قلة حنان، وهذا الهوس أكثر شيوعاً بين النساء».

المرأة وظاهرة الإسراف والتبذير

الشائع بيننا أن المرأة أكثر إسرافاً من الرجل، سواء في ملبسها أو انفاقها، ولكن هناك من الرجال من هم أكثر إسرافاً في أموالهم وسلوكهم

ومقتنياتهم، فالأمر نسبي، ويرتبط بحجم ما يتوافر لدى الفرد من مغريات نحو الإسراف.

ويبقى السؤال المهم: أيهما أكثر إسرافاً الرجل أو المرأة أو الاثنين معاً؟

قيل: إن المرأة وحدها هي المسؤولة.

وقيل: إن الرجل وحده هو المسؤول.

والحقيقة: أن كلاً من الرجل والمرأة مسؤول، وإن كان الإسراف والتبذير أكثر في المجتمع النسوي نسبياً.

تقول صباح المالكي في تحقيق أجري حول «الإسراف هل هو داء أم دواء» تقول في معرض إجابتها على سؤال أيهما أكثر إسرافاً: «إن المرأة أكثر إسرافاً من الرجل، حيث تحتاج إلى ملابس متعددة وأدوات زينة وأدوات تجميل، واحتياجات لمنزلها، وتحب تعدد ملابس أولادها، ليكونوا في مظهر مناسب....».

المرأة وتعاليم الإسلام وقواعد النظام الاقتصادي

من المعلوم أن تعاليم الإسلام تدعو إلى الحد من المبالغة في الإنفاق، والاكتفاء بالضرورارت، كما أن الاستغناء عن الفضول والاكتفاء بالضرورارت مطلب رئيس، فللمرأة حق مثلاً في التزين بكل شيء يزيد من جمالها وأنوثتها، ولكن بلا إفراط، ووفق الضوابط الشرعية المرعية.

والإسلام يوصي بالاعتدال في ارتداء الملابس، ويكره التباهي والتكلف الزائد، ويحب البساطة وينبذ المبالغة في النفقات، ولهذا كان التوسط لُبّ الفضيلة، وهو خير الأمور.

ومن القواعد الرئيسة التي يرتكز عليها النظام الاقتصادي في الإسلام، قاعدة الوسطية، حيث لا إسراف ولا تقتير يقول تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) الإسراء/٢٩ ويقول سبحانه: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) الفرقان/ ٦٧.

ومما سبق بيانه، نختم هذه المقالة ببعض النتائج والحقائق ومنها:

١ ـ تبرز فوضى الاستهلاك بشكل واضح، حينما تبدأ الزوجة بعرض نفقاتها، لتكون النتيجة أن نفقات من السلع والمواد الغذائية تبتلع فعلاً الدخل الشهري.

٢ ـ إن رغبة الزوجة في الشراء، شراء ما تحتاجه وما لا تحتاجه، هو سبب لبعض المشكلات الزوجية.

٣ ـ يلاحظ أن الإدمان على الشراء ينتشر كثيراً بين الناس غير السعداء في حياتهم الزوجية.

٤ ـ تنتشر العقلية الاستهلاكية أو ما يعرف بالثقافة الاستهلاكية لأسباب عدة منها: حال الترف السائدة، واستيراد التقنية الغربية، والسيولة المالية.

٥ ـ يتولد من الاستهلاك غير الرشيد آثار ونتائج غير حميدة على المجتمع مثل: التبذير وعدم الاكتراث، والتفكك الاجتماعي، وإعاقة التوجيه الاجتماعي الإيجابي.■

قال رسول الله صلى عليه وسلم: «إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما».

توجيه يحمل البشرى

وصف نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم مجتمع المسلمين بأنه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وهذا البنيان كأي بنيان لابد أن يتكون من أساس وأعمدة ولبنات، ومما لا شك فيه أن الأسرة المسلمة تشكل مجموعة من اللبنات في هذا البنيان المتناسق الرائع.

وبالتالي حرص نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم على تماسك الأسرة، وتقوية رباطها، وتمتين عراها، وتحصينها من الغوائل والأمراض الاجتماعية المختلفة.

ولما كان عماد الأسرة وقوامها إنما يقوم على صلاح الزوج والزوجة، وشيوع المودة والرحمة فيما بينهما، وتوافر عناصر التجاذب والمحبة، وانتفاء منغصات التنافر والفرقة، جاءت هذه الإشارة الرائعة من رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، وكان هذا التوجيه الذي يحمل البشرى لأولئك الذين ابتغوا من وراء علاقتهم الزوجية العفاف والاستغناء بالحلال عن الحرام، وإرضاء الله سبحانه وتعالى، وتكوين أسرة تطيع الله وتلتزم بشرعه ونهج نبيه.

لقد وردت أحاديث كثيرة تحث على الألفة والمودة بين الزوج وزوجته، وتبشر بالأجر الجزيل، والثواب العظيم كل من التزم بذلك، مثل حديث: «وفي بضع أحدكم صدقة» أي مجامعته لزوجته، وحديث اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك فيها أجر، وهي لك صدقة، وغيرها.

ثم يأتي هذا الحديث الرائع ليتوج هذه العلاقة بأسمى المعاني، وأرقى الغايات.... فما أروعها من كلمات... نظرة حانية ملؤها العطف والمودة والرحمة من قبل الزوج لزوجته، أو الزوجة لزوجها تجلب رضوان الله عز وجل، وتتنزل على أثرها السكينة والطمأنينة، وتتغشى الرحمة بيت هذين الزوجين وأسرتهما، فيعم جوّ مفعم بالأمن والإيمان برد اليقين.

ما أروعها من عبارات تحمل في طياتها أسمى وأنقى أهداف التربية والرشاد.... فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما.. إنها والله بشرى لكل مسلم متزوج، ولكل مسلمة متزوجة، فالأمر يسير جداً، لاتحتاجون معه سوى وضع الأكف بالأكف، والنظر كلٌ إلى الآخر نظرة رحمة حتى تتطهر الأجساد والقلوب من درن المعاصي والآثام... فما أحوجنا لهذا الخير الميسر السهل العظيم. تلك الكلمات اليسيرة في حديث المصطفى إنما تعبر عن عظمة هذا الدين وروعته، ولو علمت أسر الملل والنحل الأخرى التي تعيش ضنكاً وبؤساً بسبب مبادئها التي لا يمكن أن ترقى إلى هذا المستوى الرائع العظيم... لو علمت هذه الأسر بهذا الخير لما تردد كثيرون في ولوج أبواب الإسلام، كي يحظوا بهذه الميزة، ويعيشوا الهناء في ظل الأسرة المسلمة السعيدة. إنه بالرغم من هذا نجد كثيرين من أبناء الإسلام يغفلون عن مثل هذا الخير، ونجد حياتهم ملوثة بالضنك والشقاء والتعاسة... ويرجع سبب ذلك لمجانبتهم طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعدم الالتزام بالشرع الحنيف، وعدم الإخلاص في العلاقة الزوجية لله سبحانه، وإدخال البيت بعض ما يفسد هذه العلاقة، وابتغاء الدنيا واللهو بها وبملذاتها عن الآخرة.... وإلا فما أسعد من التزم واتقى وجعل همه الأول رضا الله سبحانه.■

مما لاشك فيه ان الحب في عصرنا الحاضر يمثل عاملاً أساسيا في الحياة النفسية وبخاصة في حياة الشباب، وقد يسبب بعض الاضطرابات والآلام النفسية والانعكاسات الجسمية نتيجة لخبرات الحب والغرام وبخاصة تلك الخبرات الفاشلة، بل أن بعض حالات الانتحار عند الجنسين ترجع للفشل في الحب والزواج.

«منهج ابن سينا في علاج العشق»

إعداد الدكتور: عبد الفتاح العيسوي

والمعروف ان مثل هذه العاطفة يزداد أثرها في المجتمع المحافظ الذي يفرض القيود على خبرات الحب والتعاطف بين الجنسين، فمن الطبيعي ان نلمس هذه الحالات بين مرضى ابن سينا الذي يحكي لنا قصة طريفة تبدو فيها مهارته في العلاج النفسي، فيحكي ان احد أقرباء حاكم جرجان (١) كان مريضا بمرض حار الأطباء في تشخيصه، فاستدعوا له ابن سينا، فوجد المريض شابا ضباه المرض، فحبس نبضه ووضح ابن سينا يده على نبض المريض، وكلف شخصا يذكر له أسماء شوارع المدينة وطرقاتها ومحلاتها وظل هكذا حتى بلغ اسم مكان معين تحرك عنده النبض حركة عجيبة، وعند منزل معين، ثم عند اسم معين بالذات حدثت نفس الحركة في نبض المريض فعرف ابن سينا مرض الشباب بانه العشق والغرام وان شفاءه بالوصال وبالفعل تم الوصال والشفاء.

وواضح من هذه القصة استخدام ابن سينا معدل النبض لمعرفة اسم المعشوق اذا اصر العاشق على اخفائه وذلك عن طريق ذكر أسماء عدة فاذا اضطرب النبض كشف ذلك عن اسم المعشوق، ويفيد ذلك في نظر ابن سينا في العلاج (٢).

فهناك علاقة بين اسم المعشوق ومكانه وصناعته وبين معدل النبض ويقابل مثل هذا المنهج في علم النفس الآن مايعرف باسم كشاف الكذب للكشف عن كذب المتهمين في الدعاوى الجنائية ولا يختلف منهج ابن سينا الا من حيث استخدام المقياس الذي يسجل حركات النبض والاستجابة الجلدية الجلفانية وضغط الدم ونمط التنفس على رسم بياني معين.

وتلعب الشهوة في ظاهرة العشق دور العامل المساعد في نظر ابن سينا، هذا ولقد اعتبر العشق نوعا من الوساوس اي مايعرف الآن بوجود فكرة أو أفكار سمجة أو سخيفة تهبط أو تتسلط على ذهن الإنسان تسبب له الأرق والقلق وتستبد به ولايستطيع التخلص منها أو طردها عن ذهنه، وكذلك يصاحب الوساوس حالة من الشك الشديد في الحقائق المحيطة بالفرد مع شعور بتوقع حدوث الشر والخطر في كل مايذهب اليه.

> تلعب الشهوة في ظاهرة العشق دور العامل المساعد في نظر ابن سينا

وفي هذا الصدد يقول ابن سينا هذا مرض وسواس شبيه بالمالنخوليا (٣) يكون الانسان فيه قد جلبه الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل (٤) التي له ثم أعانته على ذلك شهوته (٥) ولقد اعتمد ابن سينا في تشخيص العشق على ملاحظة الاضطرابات والأعراض التي تظهر على مظهر العاشق وعلى سلوكه وشوقه ونزوع قلبه الى لقاء المحبوب، متخذا منها علامات وقرائن أو دلائل على الاصابة(٦) ومن بين هذه الأعراض ماهو جسمي أو نفسي وهي على النحو التالي:

أعراض العشق:

١-غور مقلة العين ويبسها وكبر جفونها.

٢- عدم قيام الغدد الدمعية بوظيفتها على الوجه الأكمل بحيث لايدمع المريض الا عند البقاء مع حركة مستمرة للجفون.

٣- يظهر على المريض الضعف والوهن والذبول والهزال.

٤- يصاب المريض بالاضطرابات وعدم الثبات على حالة واحدة من الفرح والغبطة الى الغم والبكاء أي التذبذب الانفعالي كأن يبكي ويضحك في آن واحد.

٥- يبدو على المريض الاضطراب في عمليتي التنفس والنبض.

ويضيف ابن سينا هذه الأعراض مستخدما المنهج الوصفي ومتخذا من جملة هذه الأعراض دليلا على الاصابة فيقول وعلامته غور العين ويبسها وعدم الدمع الا عند البكاء وحركته متصلة للجفن ضحاكة كأنه ينظر إلى شيء لذيذ ويسمح خبرا سارا أويمزح ويكون نفسه كثير الانقطاع والاسترداد، فيكون كثير الصعداء، يتغير حاله الى فرح وضحك أو الى غم وبكاء عند سماع الغزل، ولاسيما عند ذكر الهجر والنوى، وتكون جميع أعضائه ذابلة خلا العين فانها تكون مع عور مقلتها كبيرة

الجفن (٧).

هكذا ادرك ابن سينا التفاعل أو التأثير والتأثر بين الجسم والنفس، واستخدام الملاحظة الشمولية للاضطرابات السلوكية

والجسمية والعقلية والنفسية مستعينا بالأعراض في معرفة نوع الاصابة وفي التفرقة بينها وبين غيرها من أنواع الاصابات وذلك عن طريق التجربة التي كان يجربها بنفسه بل، يكررها حتى يتأكد من صحة فروضه ثم يصف العلاج، فضلا عن قيامه بما يعرف اليوم بتثبيت العوامل أثناء اجراء التجربة أو تكرارها منتظرا ماتسفر عنه تلك التجربة فيذكر ويحفظ النبض حتى اذا كان يتغير عند ذكر شيء واحد مرارا جمعت من ذلك خواص معشوقه من الاسم والحيلة والحرفة، وعرفته(٨).

❖سبل العلاج:

يلجأ ابن سينا في علاج العشق الى تنويم المريض حتى يستريح عقله من عملية التفكير، وهذه إشارة منه الى الشفاء عن طريق الراحة كما ينصح بالعلاج عن طريق الأكل المناسب وذلك مايستخدم في عصرنا الحالي في حالة الضعف البدني أو سوء التغذية (٩).

حيث يقول «وتنويمهم وتغذيتهم بالمحمودات»(١٠).

كما يلجأ ابن سينا الى إلهاء المريض عن موضوع عشقه أي شغله بأمور واهتمامات اخرى من بينها الصيد واللعب والنزهة، ويشبه هذا المنهج مايعرف في الفكر السيكولوجي الحديث بعملية التصعيد أو الإعلاء أو التسامي بدوافع الفرد وغرائزه ورغباته العدوانية والحيوانية الفجة، والتسامي بها وتصريفها عبر القنوات الشرعية والايجابية النافعة التي تمتص فائض طاقته ووقته وتبني عقله وتصقل وتنمي قدراته الجسمية والعقلية ومن ذلك الأنشطة الرياضية والرحلات الكشفية

والعلمية والثقافية، والاشتراك في مشروعات الخدمة العامة كتشجير المدن وتجميلها أو محو الأمية، كما يقترب منهج ابن سينا في خلق مجالات أخرى من الاهتمامات مايعرف اليوم باسم العلاج السلوكي ومؤداه تغير العادات السلوكية عن طريق تكوين عادات أخرى بديلة ونافعة لتحل محمل العادات السلبية وذلك حين قال «أما الصيد وأنواع اللعب والكرامات المتحددة» (١). كما فطن ابن سينا الى فكرة التعويض واشباع دوافع المريض بطريقة أخرى حيث يقول «أو يحتال في تعشيقهم غير المعشوق ممن تحله الشريعة، ثم ينقطع فكرهم عن الثاني قبل ان تستحكم »(١٢) وفكرة التعويض من المبادىء المهمة التي تستخدم في علاج الإدمان في الوقت الحاضر، فالمدخنين يمكن تدريبهم على الاقلاع عنه عن طريق التعويض بتعاطي شيء آخر كالحلوى أو اللبان أو النعناع ليحقق لهم نوعا من الإشباع وقبل استحكام العادة الجديدة منهم يقلعون عنها فيتخلصون من العادتين معا (١٣) ففي التعويض يستبدل هدف صعب المنال أو ضار بالانسان بأهداف أخرى تقع في دائرة قدرات الفرد ونافعة له ولمجتمعه، ومعنى ذلك اشغال ذهن المريض بأمور تستوعب طاقاته الجسمية والذهنية بدلا من تعاطي الأفكار السوداء واجترار المشاكل وتجسيدها وتضخيمها في خياله فالشخص الذي يفشل في الانتصار العلمي يتحول إلى الانتصار في مجال آخر كالتجارة أو الصناعة أو الفن أو الألعاب الرياضية، والمرأة التي ينقصها الجمال تلجأ إلى التحلي بالعلم والمعرفة أو الجاه والمال.

❖ اعتمد ابن سينا في تشخيص العشق على ملاحظة الأعراض التي تظهر على مظهر العاشق

كما يستخدم ابن سينا في منهجه العلاجي مايعرف في عصرنا الحالي بالعلاج عن طريق التنفير، وذلك عن طريق تقديم كل مايثير المشاعر والاتجاهات نحو النفور من صور دميمة ومذمومة ومشوهة عن المعشوق والعمل على ترسيخها في ذهن العاشق حتى ينفر منه ويبغضه فيقول:« تسليط العجائز عليه ليبغض المعشوق اليه ويذكر منه أحوالا قذرة ويحكين له أمورا منفرة ويحكين له منه الجفاء الكثير فان هذا مما يسكن كثيرا، وان كان يغري آخرين».

ومماينفع في ذلك ان تحاكي هؤلاء العجائز صور المعشوق بتشبيهات قبيحة ويمثلن أعضاء وجهه بمحاكيات مبغضة ويدمن ذلك ويسهبن فيه (١٤) وفكرة تغير عادات المريض الذهنية فكرة مستخدمة في العلاج النفسي الآن عن طريق مايعرف باسم الاشتراط واعادته التشريط، حيث تحول المثيرات المحببة الى المريض والضارة كالخمر والمخدرات الى مثير مكروه لديه تجلب له الشعور بالألم بدلا من الشعور بالسعادة، ومن ثم يقلع عنها وينفر منها ويزهد فيها(١٥).

وكذلك من المبادىء العامة في العلاج والشفاء مبدأ التدرج لأننا لانستطيع أن نغير سلوك الفرد مابين عشية وضحاها، وإنما لا بد من التدرج والتكرار في العلاج والتعلم، فلا يوجد انتقال سريع وفجائي وفي هذا الصدد يقول شيخنا الرئيس «وكذلك يمكنهن ان يجتهدن في ان ينقلن هوى العاشق الى غير ذلك المعشوق بتدريج» (١٦) كما يدرك ابن سينا الفروق الفردية بين البشر، فالناس وان تشابهوا في كثير من الاستعدادات والميول فانهم يختلفون في القدرات والمهارات ،وبعض الميول والرغبات والأذواق، ومستوى الذكاء والفهم، أو الحالة الجسمية، والخبرات السابقة (١٧) وعلى ذلك فما يصلح لعلاج فرد قد لايصلح للآخر فمثلا من الناس مايشفيه الطرب والسماع ومنهم من يزيده ذلك عشقا وغراما أو على حد

تعبير ابن سينا ومن الناس من يسليه اما الطرب أوالسماع ومنهم من يزيد في غرامه(١٨) وعلينا أن نعامل كل منهم معاملة خاصة تتفق وطبيعته.

وممالاشك فيه ان الشيخ الرئيس ابن سينا كان صادق العبودية لله سبحانه وتعالى حريصا على الوقوف عند حدود الدين والشريعة لقوله: «ثم ان لم تجد علاجا الا تدبير الجمع بينهما على وجه يحله الدين والشريعة فعلت وقد رأينا من عاودته السلامة والقوة وعاد الى لحمه(١٩).

ونلمس في منهج شيخنا أنه ينتهز كل سانحة لهداية الناس الى صراط الله المستقيم بغير اللجوء الى سلطانه عليهم في أمورهم ونهيهم وارشادهم إلى مافيه خيرهم العاجل والآجل شأن الذين يؤثرون في التربية أسلوب الإقناع على أساليب الاكراه والارغام(٢٠) كما نلاحظ إيمانه بدور الارشاد النفسي وأثره في تعديل عادات وميول ورغبات الفرد فيذكر «وان كان العاشق من العقلاء فان النصيحة والعظة».(٢١) والنصيحة او التوجيه عملية انسانية تتضمن مجموعة من الخدمات التي تقدم للفرد لمساعدته على فهم ذاته وادراك مشكلته التي يعاني منها والانتفاع بقدراته واستعداداته ومواهبه في التغلب عليها حتى يتحقق التوافق والتكيف بينه وبين بيئته التي يعيش فيها ليبلغ أقصى مايستطيع الوصول اليه من نمو وتكامل في شخصيته(٢٢).

هكذا كان للشيخ الرئيسي ابن سينا فضل السبق على المشتغلين بعلم النفس في العصر الحديث حيث قصد تغير اتجاهات المريض وميوله ورغباته مستخدما لمثل هذه الغاية أساليب متعددة تسمى في الوقت الحاضر أساليب الاقناع أو عمليات غسل المخ.

ومعنى ذلك أنه اتبع منهجا متعدد العوامل في شفاء.. مرضاه نفسيا وبدنيا ولم يقتصر على منهج واحد بعينه، وفكرة الجمع بين أكثر من منهج علاجي من الأفكار الحديثة مما لايدع مجالا للشك في فضل سبق علماء الإسلام ومفكريه على الحضارة الغربية الراهنة، فاستحقوا عن جدارة واستحقاق ان يكونوا أساتذة العالم نستحق نحن ورثة هؤلاء الافذاذ ان نفخر ولكن لايكفي موقف الفخر والمباهاة أو التباهي بالماضي الخالد وإنما يلقي هذا المجد التاريخي بمسؤولية ضخمة علينا أبناء الأمة الإسلامية والعربية بان نعيد هذه العظمة وتلك الحضارة الخالدة وان نجد لنا مكانا مرموقا تحت الشمس في عالم أصبح يتخذ من العلم منهجا وأسلوبا وسلاحا.

ابن سينا كان صادق العبودية لله حريصا على حدود الدين والشريعة

المراجع والهوامش:

١- جرجان: مدينة في ايران شرقي بحر قزوين: المنجد في اللغة والاعلام، دار الشرق، بيروت ،١٩٩٦، ص١٩٩.

٢-عبد الفتاح محمد العيسوي، تاريخ الطب النفسي عند العلماء المسلمين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٣، ص١٠٧.

٣- مالنجوليا :مرض يصيب الإنسان في صورة اضطراب ويتمثل في رد فعل اكتئابي يتميز بالتهيج وادانة الذات أولومها، وقد يحدث هذا المرض عندما يواجه الإنسان سلسلة من التغيرات الفسولوجية المرتبطة بالتدهور العقلي والبدني: عبد الرحمن عيسوي، أمراض العصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٤ ،ص٢٥٩.

٤- الشمائل: الطبع والخلق: المنجد في اللغة والاعلام، ص٤٠٣.

٥-ابن سينا، القانون في الطب، جـ٢، دار صادر، بيروت، ص٧١هـ ص٧٢.

٦- صبري جرجس، من الفراعنة الى عصر الذرة، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٩٧ ،ص٢٦.

٧- ابن سينا، مرجعه السابق،ص٧٢.

٨- المرجع السابق، ص ٧٢

٩- عبد المنعم الحفني، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي،جـ٢، القاهرة ص٣٠١.

١٠- ابن سينا، مرجعه السابق ص٧٢

١١- المرجع السابق، ص٧٢

١٢- المرجع السابق، ص٧٢

١٣-عبدالرحمن عيسوي، ابن سينا والأمراض العصبية والعقلية، مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت، العدد٨، ١٩٧٥ ،ص١٠٦.

١٤- ابن سينا مرجعه السابق، ص٧٢

١٥- عبد الرحمن عيسوي، مرجعه السابق، ص١٠٦

١٦-ابن سينا مرجعه السابق، ص٧٢

١٧- عبد اللطيف فؤاد إبراهيم، وسعد موسى أحمد، المواد الاجتماعية وتدريسها الناتج، جـ١ مكتبة نهضة مصر، القاهرة،١٩٧٤ ،ص٢٧٧.

١٨- ابن سينا، مرجعه السابق، ص٧٢.

١٩- ابن سينا، مرجعه السابق، ص٧٢.

٢٠- أحمد حسن الباقوري، أئمة يعتز بهم تاريخ الإسلام، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٢٢٦، ١٩٩٣ ،ص١٢٢.

٢١- ابن سينا، مرجعه السابق، ص٧٢

٢٢-سيد عبد الحميد موسى، الإرشاد النفسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٧٥.

في لقاء للمجلة البريطانية التي تهتم بالشؤون الإسلامية مع - أستاذ جامعي غير مسلم هو -

الدكتور فرانك فريدي، أستاذ علم الاجتماع السياسي في الجامعة البريطانية، قال فيه:

مجلة إيمباكت الدولية:

الخوف والفزع من الإسلام

لقد أصبح الإسلام يمثل في نظر الغربيين تهديداً لأسلوب حياتهم، وهو - بهذه الصورة في أذهانهم - حل محل الحرب الباردة في العقود الماضية.

حيث بدأت مخاوف الغربيين من الإسلام عندما اعتنق بعض رجال الفكر وقادته هناك الدين الإسلامي.

إن فزع الغربيين من الإسلام ليس مصدره الكراهية أو العنصرية، لكنه ردّ فعل لتماسك الإسلام وثباته واستقامته.

إن موقف الغربيين من الإسلام ليس تحيزاً وتحاملاً فحسب، بل لأنه بسبب ما يتمع به المسلمون من إيمان راسخ بمعتقداتهم وأيديولوجياتهم، حتى أصبح حالهم كمن يشيرون إلى المسلمين قائلين:

«انظروا إليهم... إنهم لا يزالون يتمسكون بعقيدتهم وتقاليدهم التي تحركهم وتميزهم عن سواهم وحولها يجتمعون... فلماذا لا نقلدهم، ونحذو حذوهم... نحن الغربيين؟

وهكذا فإن الخوف من الإسلام يرتبط بفقدان الثقة بالنفس لدى الغربيين أنفسهم.

هذه المخاطر التي تقلق الحكومات الغربية أصبحت قضايا عالمية، وستؤدي إلى مزيد من الإجراءات للتعامل مع ما يسمونه الوباء الإسلامي الجديد.

المنظمات الغربية غير الحكومية هي الأخرى تنظر إلى الإسلام وكأنه شرٌّ جديد يهدد البشرية كلها، والجماعات النسائية تعتبر الرجل المسلم أسوأ رجل في العالم، كما تدين الجماعات المهتمة بالسكان الدين الإسلامي لموقفه من موضوع تحديد النسل.

ترجمة: منصور أبو العينين

هذه «البارانويا» أو جنون الارتياب في الغرب استهدفت المسلمين بالحملات الإعلامية ضدهم، كما اضطرت الحكومات الغربية إلى تحصين الغرب بالأسلحة الحديثة والتشريعات الجديدة للتعامل مع المسلمين داخل وخارج الغرب لتهدئة مخاوف المواطن الغربي.

إذا ترك هذا الأمر دون مواجهة، سيصنف الإسلام كعدو أيديولوجي للغرب، ومصدر لإثارة الخوف وعدم الاستقرار يهدد البشر جميعاً.

وفيما يلي تفاصيل اللقاء:

● يتردد في الأوساط الإعلامية ووسائل الإعلام، وحتى بين المسؤولين الحكوميين في كل من أوروبا والولايات المتحدة أن المجتمع الغربي يتعرض حالياً لجميع أنواع التأثيرات الخطيرة والمعادية بدءاً بالأمراض الوبائية الدخيلة والغريبة غير القابلة للشفاء وانتهاء إلى طوفان اللاجئين الهاربين من دول العالم الثالث، كيف يمكن أن تلقي الضوء على هذه الظاهرة وتلخص مضمونها؟

○ تميزت البشرية طوال العصور التاريخية، منذ القِدَمْ بالشعور بالخوف من جميع الأخطار، حتى أن الناس كانوا يبالغون في تلك المخاطر، أو يتصورون أخطاراً ليس لها وجود أصلاً، أما الجديد في هذا الموضوع فهو أن مخاوف الغرب هي جزء لا يتجزأ من الحقيقة السائدة الآن، وهي ببساطة اعتقادهم بأنه لم يعد هناك شيء يمكن الثقة فيه والإيمان به، ففي الماضي، كان يمكن أن تنتابك بعض الريبة والشك، لكنك في الوقت نفسه تؤمن ببعض الأمور التي تعتقد بشرعيتها وصحتها.

أما الآن فالغرب يشك في كل شيء، ويرتاب في كل شخص، وكنتيجة لهذه الأوضاع النفسية لدى الغرب، فإن نوعية وطبيعة هذا الرعب أو الفزع الذي ينتابهم يتصف «بالرؤيوية» التي تجعله مجالاً شيقاً وممتعاً جديراً بالدراسة والتحليل.

● لعلكم توافقون معي بأن أحد أشكال هذه الهيستريا، أو الهلع، الذي ينتاب الغرب هو الخوف الشديد من الإسلام باعتباره - في نظرهم - عدواً متخفياً بينهم، المثال على ذلك هو ما نشر وما أذيع أخيراً ومفاده أن هناك عشرة ملايين مسلم يعيشون بيننا، في الغرب، متوارين هنا وهناك ولم يكن لهم وجود منذ سنوات قليلة مضت، وفي الواقع أنهم كانوا موجودين من قبل، لكن لم يكن يُشار إليهم بديانتهم كمسلمين، ولكن يشار لهم كعرب مغاربة أو جزائريين أو ماليزيين.... إلخ، لقد أصبح المسلمون يمثلون مصدر قلق وخوف بالنسبة للغربيين، إننا نقرأ يومياً عن صفات تلصق بالمسلمين، منها: الأصوليون أوالمتطرفون أو المتعصبون، وها نحن نرى، حتى ما يسمون بالليبراليين المتحررين من أمثال اتحاد الطلبة الوطني في بريطانيا يطالبون بفرض حظر على أنشطة الطلاب المسلمين في الجامعات.

ما رأيكم بهذه المواقف؟

○ هذا صحيح تماماً، لقد أصبح الإسلام

ـ ولا سيما بالصورة المبالِغة والمغالية له ـ يمثل بالدرجة الأولى تهديداً لأسلوب ونمط الحياة بالنسبة للغربيين، والإسلام ـ بهذا الشكل ـ حل محل شبح الحرب الباردة في العقود الماضية، لكنني، شخصياً، أرى أن ذلك خطأ في نظرتنا للإسلام كمجرد رمز جديد للتهديدات الخارجية للغرب، فالطبيعة الهيستيرية لمخاوف الغربيين من الإسلام تتطلب منا أن نحاول تفسير أسبابها الحقيقية وكيفية حدوثها، بدأت هذه المخاوف منذ سنوات قليلة مضت عندما قرأنا في الصحف أن بعض الغربيين قد استبدلوا دينهم المسيحي بالإسلام، وأذيعت حكايات عن قيام قادة للفكر وبعض النخبة والصفوة من المجتمع الغربي باعتناق الدين الإسلامي، لكنك عندما تنظر إلى أعدادهم ستجدها قليلة جداً، وفي الحال يتساءل المرء: كيف يمكن أن يسبب اعتناق هذا العدد القليل من الناس للإسلام هذا الاهتمام والقلق الشديدين لدى الناس؟

إنني أعتقد أن هذه المخاوف تكشف عن ديناميكية مهمة تدعو للتأمل، فالغرب ـ الذي عجز عن الثقة بنفسه، والإيمان بمؤسساته الاجتماعية كسلطة القانون والقضاء، والأسرة وديانتها ـ ينظر إلى المجتمعات أو الجاليات الأخرى والتي لاتعتبر جزءاً من المجتمع الغربي، فيرى فيهم أناساً لا يزالون يعتقدون في أشياء كان الغربيون يؤمنون ويلتزمون بها في الماضي، خذ مثلاً على ذلك: كثير من الغربيين لا يصدقون عيونهم عندما يشاهدون المساجد أيام الجمع وقد اكتظت بالمصلين بينما الذين يتوجهون للكنائس في أي يوم أحد في بريطانيا كلها لا يكادون يملأون كنيسة واحدة.

إن كثيراً من الناس ينظرون إلى هذا الموقف من الإسلام على أنه نوع من الكراهية له أو العنصرية ضده، لكنه أكثر ما يكون نوعاً من رد الفعل الشديد الذي يشبه الهلع من الإسلام بسبب ما يتصف به هذا الدين من التماسك والاستقامة والثبات مما يفتقر له الغربيون أنفسهم.

كذلك فإن هناك تناقضاً أو ازدواجية في موقف الغربيين إزاء الإسلام سببه ليس فقط التحامل والتحيز، وإنما أيضاً الحسد والغيرة من أشياء لدى المسلمين، بينما لم يعد



لها وجود في الغرب، ذلك هو الإيمان الراسخ بمعتقداتهم وأيديولوجياتهم.

لقد أصبح الأمر كما لو أن الغربيين ينظرون إلى المسلمين، ولسان حالهم يقول: «انظروا إليهم... إنهم لايزالون يتمسكون بعقيدتهم وتقاليدهم التي تحركهم وتميزهم عن سواهم وحولها يجتمعون، فلماذا لا نقلدهم ونحذو حذوهم، نحن الغربيين؟

وهكذا، فإن الخوف من الإسلام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفقدان الثقة بالنفس لدى الغربيين أنفسهم.

● تُرى... ما الدور الذي يجب أن تلعبه الدولة في الغرب إزاء ذلك؟ فكما نرى هذه الأيام، تبذل الحكومات الغربية جهوداً كبيرة للسيطرة على انتشار تلك التهديدات الخيالية واحتوائها ـ أين يقع دور الدولة في الغرب في عملية احتواء ما يسمى بالتهديدات الإسلامية؟

○ في الواقع ان الدولة، أو النظم الحكومية، في الغرب تتبع سياسة غامضة وغير واضحة في علاقاتها بالإسلام، فمن ناحية فهي تقوم بدور عنصري واضح في السيطرة على المسلمين، تتخذ أشكالاً عدة، من بينها إبعاد بعض المسلمين من أوروبا، وإن كان ذلك ينطبق أيضاً على غير الأوروبيين غير المسلمين، علاوة على ذلك

فهناك أبعاد أخرى للموضوع، فإذا وضعنا في الاعتبار ما يجري الآن في المجتمعات الغربية نجد أن هناك محاولات لإعادة التفريق بين ما هو صحيح، وما هو خاطئ، وإعادة النظر في أسلوب التقويم للتفريق بين الغث والسمين وبين الجيد والرديء، الهدف من ذلك هو تحديد أي شخص لديه أي معتقدات وتعريفه بأنه موضع شك.

وهكذا في كثير من الحالات اليوم تجد دائماً أن كلمة «متطرف» تنطبق دائماً على الإسلام والمسلمين، وبالتالي تعبّر عن أسلوب خاطئ للسلوك، نتيجة ذلك هو أنه طالما كانت تلك هي أساليب التقويم لدى هذا النوع الجديد من الليبرالية الغربية، فإن أفضل المعتقدات ألا تكون لديك أي معتقدات على الإطلاق، وهكذا فإنك كمسلم تتميز بمعتقدات عميقة الجذور، تعتبر عدواً جديداً لهذا النوع من السياسة.

محصلة ذلك، أن الدولة في الغرب تفترض أن الذين يعيشون في المجتمعات الغربية لا يتعقدون في أي شيء بشكل مبالغ فيه حسب تقديراتهم، تحاول نظم الحكم في الغرب أن تدفع الناس بشكل غير مباشر إلى ما يمكن اعتباره لا مبالاه إزاء أي معتقدات، يترتب على ذلك اعتبار من يُتهم من معتقداته بأنه يشكل تهديداً للحياة الطبيعية في المجتمع الغربي، مثل هذا الشخص يصبح

مستهدفاً من الدولة التي يعيش فيها بالغرب نتيجة لمعتقداته، ذلك هو مثال عن الليبرالية الزائفة التي تنتهجها نظم الحكم والجماعات الغربية هذه الأيام، التي تستهدف الناس وتلاحقهم طبقاً لمعتقداتهم وأساليب حياتهم، وهذا أيضاً يفسر أو يُلقي الضوء على العلاقة بين الإسلام والمسلمين من جهة، وبين نظم الحكم في الغرب في هذا الزمان.

● هناك صورة أخرى لحال الخوف التي تتفشى في الغرب الآن، سببها أن الغربيين قد أصبحوا في غفلة تامة عن أحداث التاريخ، فهذه المخاوف ترتبط بفقدان ذاكرتهم، فلم يعد الناس يتكلمون عن التاريخ، فالمؤسسات الحكومية وغير الحكومية الغربية تعطي لأنفسها الحق في التدخل في شؤون الآخرين خارج العالم الغربي، متناسين أن مثل هذه الأشكال من التدخلات «الخيرية» الاستعمارية قد انتهى زمانها، الشيء نفسه ينطبق على علاقتهم بالإسلام.

فالناس في العالم الغربي يعانون من حال ذعر، من قنبلة موقوتة إسلامية خيالية ليس لها وجود إلا في تخيلاتهم، لكنهم ينسون تاريخ علاقة الغرب مع العالم الإسلامي التي كان أساسها الاستعمار والعنصرية.

○ أعتقد أن ذلك صحيح، كما أنني أعتقد أن هناك عملية مستمرة لإعادة كتابة التاريخ، إنني لست على يقين من صحة قولك إن الغربيين قد نسوا التاريخ ولم يعودوا يتكلمون عنه، فأنا أرى أنهم يعيدون كتابته بشكل واسع، ونتيجة لذلك فإننا نعيش في عالم تم فيه تهميش عصر الاستعمار إلى أدنى حد ممكن، وأصبح الناس في الغرب ينظرون إلى ذلك العصر على أنه كان فترة قصيرة لم تترك آثاراً تذكر، كما أن الغرب يرى نفسه غير مسؤول ـ بشكل أو بآخر ـ عن أي مظالم وقعت حينذاك.

● أكاد أعتقد أن ذلك قد مهّد في الغرب لخلق مناخ للقلق وما يسمى «البارانويا» أي جنون الارتياب في كل شيء، وهي نزعة عند الناس تجعلهم شديدي الارتياب والشك في الآخرين، هذا إضافة إلى اعتماد متزايد من الناس على الدولة للتدخل، لقد استهدف المسلمون على وجه الخصوص بالحملات الإعلامية ضدهم، كما أن الحكومات الغربية تحصّن نفسها بالأسلحة الحديثة والقوانين والتشريعات الجديدة للتعامل مع المسلمين داخل العالم الغربي وخارجه لتهدئة مخاوف المواطن الغربي، فإذا استمرت هذه السياسة دون مواجهة، فماذا تعتقدون في احتمالات المستقبل وما تجيء به الأيام حول مستقبل العلاقات بين العالم الغربي والعالم غير العربي؟

○ هذا الموضوع ستكون له أبعاد داخلية وأخرى خارجية، لأن معظم القضايا التي تتم مناقشتها في الدول الغربية الآن، كبريطانيا، يتم تدويلها ونقلها إلى دول خارجية أخرى في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا وغيرها.

لعلك تلاحظ هذه الأيام انشغال المنظمات الغربية غير الحكومية في محاولة إنقاذ الأطفال الأفريقيين من إساءة معاملة مزعومة من جانب أولياء أمورهم الأفريقيين، كذلك ما يثار عن الحاجة إلى إنقاذ المرأة المسلمة من براثن الرجل المسلم طبقاً لادعاءات ومزاعم المنظمات غير الحكومية النسائية الغربية.

إن ما يحدث الآن هو أن المخاطر التي تقلق الغرب والهواجس التي تنتاب الغربيين قد تحولت إلى قضايا عالمية، لدرجة أنها أصبحت وسيلة لفرض نوع معين من الضغوط والنفوذ على المستوى العالمي، إنه نوع من النفوذ الذي لايبدو غربياً في شكله لأنه ببساطة، لا يحمل بطاقة زيارة غربية، وعلى العكس فهو يتخفّى في زيّ دولي أو غير حكومي، وإن كان الواقع يؤكد أن تلك التوجهات الفكرية الغربية ستصبح توجهات عالمية، وفي النهاية سيصبح العالم غير الغربي أكثر قلقاً وأشد اهتماماً بتلك الأمور التي تقلق الغربيين الآن.

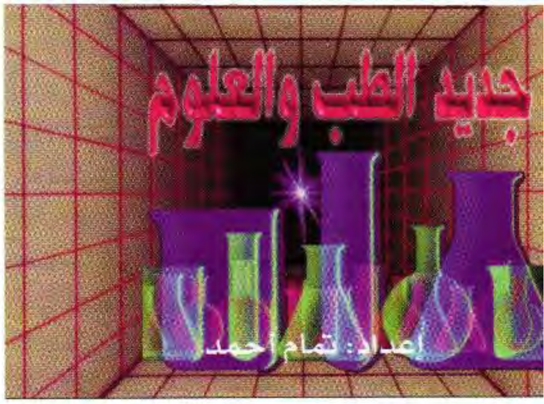
● المنظمات الغربية غير الحكومية، وحتى الحكومات الغربية تمارس أنشطة تحوطها الشكوك والريبة، ووفودها تتردد بين حين وآخر على بعض البلاد الإسلامية كالسودان ومصر، وأقل ما توصف به نشاطاتها أنها مريبة، مع أن الكثيرين لا يلاحظون ذلك، غير أنه يبدو أن هناك شبه إجماع دولي على أن الإسلام هنا هو المستهدف وأنه إجراء لما يجب أن يتم ضبطه ورصده ومراقبته وما يُقال عن كبح جماحه، بزعم أن ذلك سيكون لمصلحة الجميع، ما رأيكم؟

○ إن كل ما تكلمنا عنه الآن ينطبق على هذا التفكير وما يتعلق به، إن ما يتردد عن خوف يصل إلى حد الرعب أو الهلع أو الذعر من الإسلام عُملة رائجة في الغرب تجد صداها في العالم ليصبح هذا الفزع عالمياً كما أسلفنا، إنني أعتقد أن هذه المخاوف من الإسلام ستنتشر ـ لا محالة ـ في جميع أنحاء العالم حتى في المناطق التي يندر وجود المسلمين بها، النتيجة الحتمية لذلك ستكون اتخاذ مزيد من الإجراءات القهرية والقمعية للتعامل مع ما يسمونه الآن الطاعون أو الوباء الجديد للإسلام كما يتصوره الغربيون، وسيكون لذلك صداه في العالم كله.

أما الحكومات الغربية فسوف تستعرض عضلاتها لممارسة ضغوط لإجبار الدول الأخرى على اتخاذ إجراءات مشابهة لمواجهة الوباء المقبل، كذلك فلن يمر وقت طويل قبل أن نرى المزيد والمزيد من الحكومات الإسلامية، وقد تم إجبارها على القيام بدور الشرطي لمطاردة الإسلاميين لحفظ السلام والأمن، وللتأكد من أن العدو المسلم ـ الذي يعيش في خيالهم ـ قد تم صدّه وكبح جماحه.

أما المنظمات غير الحكومية في الغرب فليس حالها بأفضل من حال حكوماتها، لقد أدلوا بدلوهم وشاركوا بنصيب وافر في وضع صورة للإسلام يبدو فيها وكأنه شر جديد يهدد البشرية والعالم قاطبة، لقد صوّرت الجماعات النسائية الغربية الرجل المسلم بصورة يبدو فيها أمام العالم كأسوأ رجل في هذا الكون، والجماعات المهتمة بالسكان تشجب الإسلام وتدين المسلمين لموقفهم من موضوع تحديد النسل، والسلسلة تطول في هذا الصدد، وتقوم الجماعات الليبرالية التي تنتهج فكراً ليبرالياً متحرراً ـ والذين سبق الإشارة إليهم ـ بالقاسم المشترك أو العنصر الموحد بين تلك الجماعات والحكومات التي تقف للإسلام بالمرصاد، المهم أن كل ذلك يحدث من قبل نخبة المجتمع الغربي وقادة الفكر فيه ثم يمتدحهم المادحون معبرين عن إعجابهم بهم قائلين: إنهم ليبراليون متحررون يتمتعون بعقول متفتحة.

إنني أعتقد أنه إذا تُرك هذا الوضع دون مواجهة فسيصنف الإسلام في النهاية بأنه ليس مجرد عدو أيديولوجي لدود للغرب فقط، بل كمصدر لإثارة الخوف وعدم الاستقرار، يهدد كل من يعيش على هذه الأرض.■



روبوتات لجراحة القلب

عرضت شركة «كومبيوتر موشن» الأمريكية في كاليفورنيا روبوتات جديدة تسمح للجراحين بتنفيذ عمليات جراحة القلب المفتوح بشق فتحة صغيرة في الجسم لايتعدى عرضها عرض قلم الرصاص.

وقد اطلق على الروبوت - الذي تأمل الشركة بتسويقه بداية العام المقبل - اسم «زيوس» واستخدم أخيراً في عملية جراحية أجريت على بقرة، وسوف يستخدم لإجراء عملية مماثلة على جسم إنسان هذا العام.

ويزود الروبوت بثلاثة أذرع تستخدم اثنتان منها لحمل الأدوات الجراحية داخل الجسم المعالج فيما تقوم الذراع الثالثة بعمليات إدخال الناظور المزود بتقنيات إرسال الصور التي تعرض أمام الجراح.

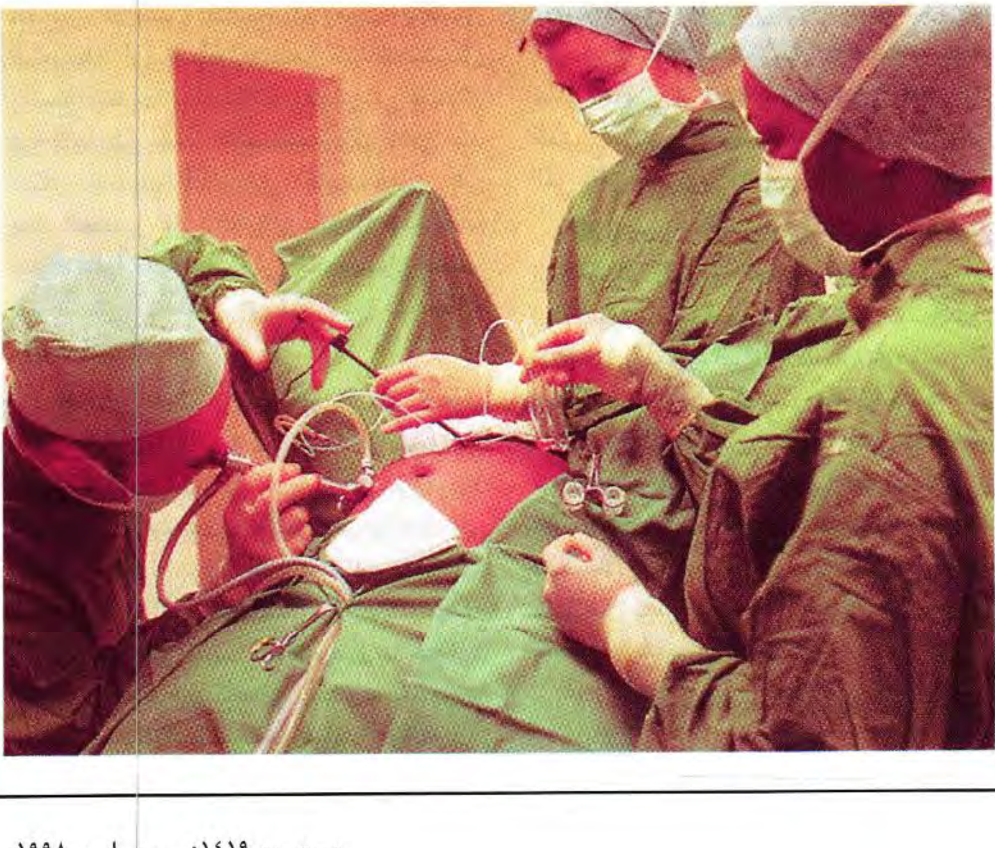
ويقول خبراء الشركة ان الروبوت سيسمح بإجراء عمليات القلب المفتوح عن طريق ثلاث فتحات تشق في جسم المريض.

وتحتاج العمليات التقليدية في العادة إلى شق فتحة بعرض ٣٠ سنتيمترا في منطقة الصدر ليتمكن الجراح من المناورة قرب القلب.

وتستعمل مع الروبوت أدوات جراحية طورت خصيصا تمتاز برقتها المتناهية ويشرف الجراح طيلة مدة اجراء العملية عليها حيث يجلس على بعد عدة أقدام من المريض ويراقب شاشة كبيرة لمتابعة مجرياتها. ويتوجه مصممو الشركة لوضع تقنيات اتصال هاتفية لأغراض إجراء العمليات بطرق «الطب الاتصالي» حيث يتمكن أطباء بعيدون من إجراء العمليات.

وتوفر تقنيات تكبير الصور فرصة أكبر للجراحين لتدقيق موقع العمليات.

كما تطور الشركة اجهزة طبية واسرَّة يمكن التحكم بها بواسطة الإدارة الصوتية. ويستفيد الجراحون في حالات العملية من هذه الاسرَّة وكذلك من أجهزة الإنارة المسلطة على المريض بتوجيه أوامر صوتية لرفعها أو زيادة شدتها عند الحاجة.



دراسة بريطانية تؤكد أن عسر القراءة والفهم وراثي

اعلن باحثون بريطانيون ان عسر القراءة والفهم خلل وراثي وان الاختبارات التي أجروها اثمرت عن عزل الجينات المسؤولة عن هذا الخلل، وذكرت صحيفة «اندبندنت» البريطانية ان فريقا من العلماء في مختبر الفيزيولوجيا في جامعة أوكسفورد اجروا ابحاثا على عينات من الحمض النووي أخذت من دم اطفال يعانون هذا الخلل ومن دم ذويهم ، وشاركت في هذه الابحاث ٩٠ عائلة.

وأكد الفريق انه نجح في عزل ثلاث جينات لها علاقة بهذا الخلل قريبة من الجينات التي تتحكم بنظام المناعة في الجسم البشري، وخلص الباحثون إلى ان عسر القراءة والفهم مرتبط بخلل في آلية حماية الجسم وناتج عن بعض الأجسام المضادة.

وأوضح رئيس الفريق البروفسور جون ستاين أن «هذا الاكتشاف يثبت ان سر القراءة والفهم وراثي».

وأشار ستاين إلى ان الباحثين يدرسون في الوقت الراهن علاجا لهذا الخلل وقال ان «العديد من المصابين بهذا الخلل يعالجون بطريقة سيئة جدا،لكننا بتنا نعرف الآن ان في الإمكان تجنيبهم الكثير من المشكلات بوساطة العلاج المبكر».

وأفاد الخبراء أن مابين خمسة وعشرة في المئة من الأطفال يعانون هذا الخلل.

نظم بمجسات على الليزر للكشف عن الأسلحة الكيميائية داخل المدن

أعلن الباحثون الأمريكيون عن تطويرهم لأجهزة جديدة صغيرة للكشف عن عوامل مواد كيمياوية سواء كانت في حالة غازية أو سائلة أو مصنوعة على شكل مساحيق. إحدى هذه الكاشفات نظم لمجسات تعمل بأشعة الليزر تستطيع رصد العوامل البيولوجية والكيمياوية بالكشف على اشارات من طيفها. وتمتلك كل مادة في العادة طيفا محددا خاصا بها.

وتستطيع المجسات تحديد المادة الكيمياوية بوساطة تحليل الموجات الضوئية التي تشعها، فيما تستخدم الكومبيوترات لوضع خطوط بيانية تحدد خصائص العناصر المؤلفة لها. وبعد مقارنة هذه الخصائص مع بصمات مختلف المواد الكيمياوية داخل مخزونات الذاكرة الالكترونية يتم التعرف نهائيا على نوع المادة.

ويقول آرت سيدلاسك الباحث في مختبرات بروكهيفين القومية ان العلماء يستطيعون دوما التعرف على المواد الكيمياوية بوساطة اطيافها، ولذلك يمكن استخدام طرق دراسة الطيف للتعرف على تلك المواد التي تستعمل في الأسلحة الكيمياوية. ولصغر حجم النظم أمكن وضعها في شاحنة صغيرة ونقلها إلى مواقع داخل المدن، ولذلك فإنها تستطيع تحديد نوع المواد الكيمياوية التي يمكن ان تتسرب او تنشر عمدا داخل الشوارع، حيث تستطيع رصدها من خلال فحص الدخان المتولد عنها أو لدى نشرها كمواد سائلة.

وقد أجريت الاختبارات بالفعل على هذه النظم، حيث استطاعت التعرف على مواد كيمياوية وضعت على الملابس خلال عملية تدريب داخل مدينة نيويورك.

ويطور الباحثون حاليا نظما مماثلة أصغر حجما يمكن حملها يدويا لكشف الأسلحة الكيمياوية.

ويذكر ان فرق التفتيش الدولية التي تنفذ اعمالها داخل العراق تستخدم نظما بتقنيات الموجات الصوتية للكشف عن الأسلحة الكيمياوية.

دراسة تؤكد امكانات الافادة من كلى المتوفين تماما

سيتمكن الأطباء من زيادة عدد الكلى المنقولة من الاشخاص المتوفين تماما لزرعها للمرضى المحتاجين اليها، بعد تأكد العلماء من إمكانات الافادة من كلى المتوفين الذين توقفت قلوبهم عن العمل اضافة إلى توقف عمل أدمغتهم. وقد ظل الاطباء حتى أمد قريب يستخدمون كلى الاشخاص الذين توقف عمل أدمغتهم لكن قلوبهم لم تتوقف عن الخفقان. وقد نشر الدكتور يونج تشو الباحث في جامعة كاليفورنيا في لوس انجليس نتائج لدراسة مفصلة أكدت إمكان الإفادة من كلى الاشخاص المتوفين الذين توقفت قلوبهم عن الخفقان.

وظهرت النتائج في تقرير نشر في مجلة «نيو انجلاند جورنال أوف ميديسين» حيث أجريت مقارنة بين ٢٢٩ من حالات زرع الكلى التي أخذت من أشخاص متوفين توقفت قلوبهم عن الخفقان مع ٨٧١٨ من الحالات المماثلة التي أخذت الكلى فيها من أشخاص لم تتوقف قلوبهم عن العمل. واشارت النتائج إلى ان ٨٣ ٪ من الحالات الجديدة لزرع الكلى قد اثبتت نجاحها بعد مرور عام على إجراء العمليات مقابل ٨٩٪ من حالات زرع الكلى من أشخاص توقف عمل الدماغ ولم يتوقف عمل القلب لديهم، وكان الاطباء في أوروبا واليابان قد بدأوا بالفعل اجراء عمليات لزرع كلى المتوفين تماما قبل نشر الدراسة، إلا ان نتائج الابحاث الأخيرة ستعزز هذه التوجهات. وحسب إحصاءات عام ١٩٩٦ فقد احتاج ٣٤ ألف أمريكي لعمليات زرع الكلى لم تتوفر منها حينذاك سوى ٨٦٠٠ كلية.

بنكرياس صناعي لمعالجة مرض السكري

يقوم العلماء البريطانيون بتطوير بنكرياس صناعي يمكن أن يلعب دوراً أساسيا في المعالجة الحديثة لداء السكري. والجهاز مصمم لزراعته في بطن المريض بحيث يفرز كميات مناسبة من الأنسولين عندما يحتاج الجسم لذلك. ونجاح هذا الجهاز سريرياً يعني ان المريض سيستغني عن الحقن الانسولينية اليومية ومشاكلها، ويمكن تنظيم سكر الدم بشكل أفضل ،وعلى المدى الطويل تكون نسبة حدوث اختلاطات السكري المعروفة أقل.

يقوم بتطوير التقنية الجديدة باحثون من جامعة «مونتفورت» في جامعة «ليستر» حيث اطلقوا على الجهاز اسم «البنكرياس الكيمياوي» وهو عبارة عن قفص هلامي مركب من مادة البوليمير، يحتوي على كمية محددة من الأنسولين. ويتركب الهلام من جزيئات خاصة مهندسة بيولوجيا حيث يسمح لجزيئات الأنسولين بالعبور من داخله إلى الوسط السائل للجسم. وكمية اطلاق الأنسولين تعتمد على معدلات السكر الموجودة قرب الحاجز الهلامي.



موسوعة المعارف الحديثة

صدر أخيراً ضمن منشورات عكاظ أول موسوعة في الثقافة العامة بالمغرب تحت عنوان«موسوعة الغلاف الحديثة» في ٢٠ مجلداً «٣٠٠٠صفحة» أشرف على إخراجها عبد القادر وساط وساهم في تحريرها باللغة العربية اكثر من ٤٠ كاتباً والموسوعة تعد مرجعاً أساسياً في مطلع القرن الواحد والعشرين حيث تضم مواضيع أساسية في مختلف مجالات المعرفة:«آداب، مشاهير، فنون، حضارات، طب، اقتصاد، علوم، تاريخ ،جغرافيا، ثقافة عامة»،

كما تضم اكثر من ٨٠٠ ملف لمقاربة المعلومات الاساسية وذلك باسلوب جميل وسلس وصور ورسوم توضيحية ومعطيات علمية وتاريخية.

إصدارات : هل سيقوى العراق على البقاء حتى العام ٢٠٠٢م

عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في «ابو ظبي» صدر كتاب «العراق في العقد المقبل» هل سيقوى على البقاء حتى العام ٢٠٠٢م وهو من تأليف غراهام فولر

فصول الكتاب: هلي سيقوى العراق على البقاء كدولة موحدة البدائل المتوقعة للنظام الذي سيأتي بعد صدام. التوقعات الاقتصادية، العراق والعالم، مضامين سياسة الولايات المتحدة الامريكية. يوحي السيناريو بأن تصفية صدام حسين ستكون على الاغلب على يد أحد المقربين منه، والمعروف عنه انه لطالما اعتبر وجود أفراد اسرته وعشيرته ضمن حدود دائرته الداخلية وفي مركز التعامل المباشر مع المسؤوليات اليومية سعياً كافيا لاقناعهم بأن سقوط صدام يعني سقوطهم ايضا -لكن هذا التعليل المنطقي ليس مقنعاً تماماً، فقد يرى أفراد عشيرته ان سقوطهم جميعاً مع صدام سيغدو أمراً محتماً اذا لم يسارعوا إلى تصفيته وان توليهم عملية اغتياله بأنفسهم هو الأمر الوحيد الذي يضمن لهم الفرصة لضبط تطور الأحداث بعد سقوطه ،ومهما يكن من أمر فإن التحليل والافتراض يوحيان بمستقبل مضطرب غير محدد الملامح للعراق. ومن المتوقع ان يبقى الجيش هو القوة الاساسية الفاصلة لحكم البلاد مهما تقلبت الظروف فيها، وبغض النظر عن الطريقة التي تتم بها تصفية ،صدام من الممكن ان يتحرك الجيش ضد الخلف الذي يتولى الانقلاب عليه كما أن هناك فرصاً كبيرة لاستعادة الجيش للسيطرة حالما يرفع الخلف العسكري أو المدني يده- ولو قليلاً- عن قيادة الجيش.

لماذا اللغة العربية؟



كتاب جديد من تأليف الدكتور عدنان علي رضا النحوي يقع في نحو ١١٦ صفحة من القطع الصغير وهذا الكتاب محاولة جادة للتنبيه من مخاطر الأعداء الذين يعسون دونما كلل أو ملل للنيل من لغتنا العربية والحط من مكانتها وإضعافها في نفوس أبنائها، وجاءت موضوعات الكتاب فيه على النحو التالي:اللغة العربية بين ماضيها وحاضرها، منزلة اللغة العربية في الاسلام، تميز اللغة العربية من سائر اللغات، حقيقة الخطر الذي يهدد الأمة المسلمة حين تضعف اللغة العربية فيها، اللغة العربية ومسؤولية المسلمين اللغة العربية ومسؤولية الدعاة المسلمين في البلاد الناطقة بغير العربية بين تاريخها وتاريخ مسيرة الرسالة الربانية.

قامت بنشر الكتاب: دار النحوي للنشر والتوزيع في الرياض- ص.ب:١٨٩١- الرمز ١١٤٤١ فاكس/٤٩٣٤٨٤٢.

الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي على مشارف القرن المقبل

أصدرت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو»

كتاب «الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي باللغات العربية والفرنسية والانكليزية وهو يتضمن الخطة التي أعدتها المنظمة واقرها مؤتمر القمة الإسلامي في دورته السادسة التي انعقدت في داكار «السنغال» في أواخر العام ١٩٩١م وهذه الاستراتيجية ترسم لأول مرة معالم الطريق امام البلدان الإسلامية في اتجاه إحداث نقلة نوعية في اساليب العمل الثقافي وادواته وطرقه وفي غاياته ومراميه وفي الدور المتميز والمهم الذي تقوم به الثقافة بمدلولها العام في التنمية الإنسانية الشاملة والمتكاملة والمتوازنة وصولاً إلى تطوير العالم الإسلامي من خلال الاداء الثقافي الذي يشمل جميع مظاهر النشاط الإنساني في مجالات الإبداع والتعبير وفي ميادين التوعية والترشيد وفي حقول التربية والتكوين وعلى المستويين التنظيري والتنفيذي ويقول الدكتور عبد العزيز التويجري المدير العام للمنظمة:

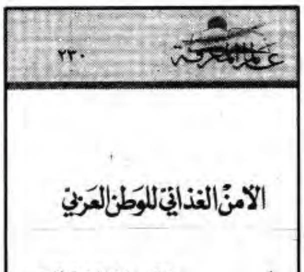
إن الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي تضع الأمة الإسلامية على أول الطريق في اتجاه تأكيد الذاتية الحضارية الإسلامية واثبات القدرة على التعامل مع الثقافات الإنسانية بمختلف تياراتها ومشاربها والتفاعل مع قضايا العصر بكل اتجاهاتها وموضوعاتها والتعايش مع الإبداعات الفكرية والأدبية والفنية والإنسانية من موقع القوة والتفوق والتميز وبذلك دخل العالم الإسلامي عصراً جديداً قوامه التخطيط للمستقبل ودراسة الحاضر وتحليل المشكلات الثقافية التي تعوق النمو الثقافي في البلدان الإسلامية.



الأمن الغذائي للوطن العربي

في سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب في الكويت صدر العدد رقم ٢٣٠/فبراير ١٩٩٨م تحت عنوان«الأمن الغذائي للوطن العربي» من تأليف الدكتور محمد السيد عبد السلام يقول المؤلف في مقدم الكتاب:

إن النظام الاقتصادي العالمي الجديد الذي يقوم على العولمة يبدو مثاراً للاختلاف بين انصار يرون انه مبشر للخير ورافضين يرون فيه مصدراً لكثير من المخاطر للدول النامية التي تنتمي البلدان العربية اليها لكن الشيء المؤكد- كما يقول المؤلف- هو ان تفادي الوطن العربي لمخاطر العولمة الاقتصادية من ناحية ومحاولة تحقيق اكبر قدر من المنافع عن طريق هذا النظام من ناحية أخرى، انما يتوقفان على مدى كفاءات الحكومات العربية وجديتها في التعامل مع النظام الاقتصادي العالمي من خلال الدراسة الواعية والتخطيط الذكي المستشرف لملامح المستقبل، ولعل الوطن العربي باستغلال ميزاته المعروفة من موقع فريد في قلب العالم جغرافياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً إلى جانب خيراته الوفيرة من اراض واموال وغيرها ،لعله يستطيع السعي المدروس لتأمين مصالحه السياسية والاقتصادية وفي طليعتها الأمن الغذائي في ظروف عالمية متغيرة توثر بشكل مباشر وغير مباشر في السوق العالمية للغذاء الذي يمثل ضرورة حيوية للشعوب كثيراً ماتستغل بوصفها سلاحاً تشهره الدول الفنية في مواجهة العالم الثالث.



الكتاب الذي صدر في (٤٠٠) صفحة يعرض في ستة فصول الظروف المحيطة بقضية الغذاء على الصعيدين العالمي والعربي من سكان وموارد طبيعية وكذلك انتاج الغذاء والفجوة الغذائية وملابسات حرية التجارة وقضايا التنمية الزراعية والتكنولوجيا الحيوية الحديثة باعتبارها مدخلاً اساسياً للارتقاء بإنتاج الغذاء ويطرح الكتاب تصوراً للاسلوب الذي يمكن تبنيه اعتماداً على تكامل المستويين القطري والقومي من اجل ان يحشد الوطن العربي كل القدرات المتاحة بما يكفل تحقيق زيادات كبيرة في انتاج الغذاء مع المحافظة على الموارد الطبيعية بهدف الوصول إلى الأمن الغذائي للوطن العربي.

أخبار ثقافية

*أصدرت وزارة التعليم البريطانية قراراً بالغاء مادة اللغة العربية بالنسبة لطلاب الجالية العربية لامتحان المستوى الأول وقد فاجأ القرار العاملين في تدريس هذه المادة بالمدارس والجامعات البريطانية خصوصاً وان الجالية العربية في تزايد مستمر.

*اختيرت مديرة جامعة الكويت الدكتورة فايزة الخرافي عضواً في مجلس جامعة الأمم المتحدة بصفتها الشخصية لمدة ست سنوات.

*حققت كتب الفقه والتراث الإسلامي أعلى المبيعات في معرض صنعاء الدولي الرابع عشر للكتاب والذي نظمته وزارة الثقافة والسياحة اليمنية أخيراً بمشاركة ١٧٥ دار نشر وطباعة عربية ومحلية.

*احتلت اللغة العربية المرتبة الثالثة بعد اللغتين الايطالية والصينية من حيث سرعة النمو بين لغات الأقليات العرقية في كندا منذ العام ١٩٩١م.

حديقة الوعي

إعداد : أحمد عبدالجبار

موعد العقل

سُئل أحد الحكماء من العرب متى عقلت؟ قال: ساعة ولدت: فأنكر عليه السامعون هذا القول، فقال لهم: لقد بكيت حين خفت، وطلبت الأكل حين جعت، وطلبت الثدي حين احتجت إليه، وسكت حين أعطيت.

موعظة

قال عمر بن عبدالعزيز لمزاحم مولاه.... إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيناً على نفسي، فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها أو فعلاً لا تحبه، فعظني عنده، وانهني عنه.

نصيحة

إياك والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً، وإذا ضجرت لم تصبر على حق.

من هدي كتاب الله

قال تعالى:

(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم). التوبة/ ٤٠

من هدي النبوة

عن الحارث بن مسلم التميمي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا صليت الصبح فقل قبل أن تكلم: (اللهم أجرني من النار) سبع مرات، فإنك إن مت من يومك ذلك كتب الله لك جواراً من النار.

وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم: (اللهم أجرني من النار) سبع مرات فإنك إن مت من ليلتك كتب الله لك جواراً من النار».

أخرجه النسائي وهذا لفظه وأبو داود عن الحارث بن مسلم عن أبيه مسلم ابن الحارث.

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أمثال شعرية

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

إذا ثارت خطوب الدهر يوماً
عليك فكن لها ثبت الجنان

الحادثات إذا ألمَّ خطوبها
فلها مساو مرة ومحاسن

العلم ينهض بالخسيس إلى العلا
والجهل يقعد بالفتى المنسوب

حياك من لم تكن ترجو تحيته
ولولا الدراهم ما حياك إنسان

احفظ الوصية

قال أنس بن مالك لمصعب بن الزبير في رجل من الأنصار:

احفظ فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنزل مصعب عن سريره، وتمرغ في التراب، ووضع خده على الأرض وقضى حاجة الأنصاري.

ثلاثة وثلاثة

ثلاثة يجب ضبطها: اللسان ـ النفس ـ الأعصاب.

وثلاثة يجب حمايتها: الدين ـ الشرف ـ الوطن.

وثلاثة يجب التخلص منها: التملق ـ الوشاية ـ التبذير.

وثلاثة يجب اجتنابها: الحسد ـ الغرور ـ كثرة المزاح.

وثلاثة محبوبة: التقوى ـ الشجاعة ـ الصراحة.

وثلاثة ممقوتة: الكذب ـ النفاق ـ الكبر.

أشجع الناس

قيل لبخيل: من أشجع الناس؟
قال: من يسمع وقع أضراس على طعامه، ولا تنشق مرارته!!

وصية

كانت العرب إذا أوفدت وافداً قالوا له:

(إياك والهيبة، فإنها الخيبة، وعليك بالفرصة فإنها مزيلة للغصة).

الثريا

العرب تسمي الثريا «النجم» اسماً علماً لها مختصاً بها دون النجوم وفي التنزيل العزيز: (والنجم إذا هوى) سورة النجم، إذ فسر بأنه قسم، اقسم الله عز وجل بالثريا، معناه: والثريا إذا سقطت، والعرب تعظم الثريا، ويكثر ذكرها في أشعارهم لأنها عندهم من نجوم الأنواء التي لا تخلف، وإذا طلعت في الشتاء اشتد البرد عند طلوعها، قال امرؤ القيس:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت
تعرض أثناء الوشاح المفصل

دروس وعبر من الهجرة

دروس الهجرة النبوية الشريفة دروس مطلوبة في كل زمان، لأن عبرها غير محصورة بالظرف التاريخي الذي وقعت فيه، وإنما هي نتيجة لعناية ربانية من جهة، ولتجربة إنسانية راقية قدوة من جهة أخرى.

- والناظر في حقيقة الهجرة النبوية الشريفة يدرك أنها لم تكن عملية هروب من الواقع، بمقدار ما كانت تحدياً له، وذلك بتجاوز المكان والتحرر من إساره لتحقيق أهداف الدعوة.

- والهجرة عملية مزدوجة الجانب: «هدم وبناء» هي هدم لقيم الجاهلية الأولى، وبناء ضخم تركز على الإنسان نفسه بتحريره من ربقة الخوف والخلود إلى الدنيا.

- ففي تطمين الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وهو في شدة الخوف والكرب وفي عجز سراقة عن الوصول إليهما، دليل على نبوة الصادق المصدوق ومثل للصدق في الثقة بالله والاطمئنان إلى نصره والاتكال عليه.

- وفي أول عمل عمله الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بناء المسجد يدلنا على أهمية المسجد في الإسلام، وأنه على مر التاريخ منطلق أهل الصلاح والخير لغمر الأرض بهداية الله ونوره.

- وفي مؤاخاة الرسول بين المهاجرين والأنصار أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية الأخلاقية البناءة، وأروع صور العدالة الاجتماعية.

- وفي الكتاب الذي عقد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الأخوة بين المهاجرين والأنصار والتعاون بين المسلمين وغيرهم جملة من الأدلة التي لاترد على أن أساس الدولة الإسلامية قائم على العدالة الاجتماعية... وأن أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو «السلم ما سالموا» وأن مبدأ الحق والعدل والتعاون على البر والتقوى والعمل لخير الناس ودفع أذى الأشرار عن المجتمع هو أبرز الشعارات التي تنادي بها دولة الإسلام.

«السيرة النبوية - دروس وعبر - بتصرف»

خير ما يُعطى العبد

قال الأحنف بن قيس حين سئل: ما خير ما يعطى العبد؟ قال: عقل غريزي، قيل: فإن لم يكن؟، قال: أدب صالح، قيل: فإن لم يكن؟ قال: قلب مرابط، قيل: فإن لم يكن؟ قال: طول الصمت، قيل فإن لم يكن؟ قال: موت حاضر!!

شهر المحرم

أحد الأشهر الأربعة الحرم فيه: تمت البيعة لسيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - سنة أربع وعشرين هجرية، واتخذه عمر - رضي الله عنه - بدءاً للتاريخ الهجري.

أسماء النبي

عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: «لي خمسة أسماء... أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ما بعده نبي» رواه الشيخان.



اتحاد سبع منظمات إسلامية كبرى في أمريكا

أعلنت منظمات إسلامية عدة رئيسية عن نقلة كبيرة في توحيد الجهود الإسلامية في أمريكا فيما يتعلق بدعم قضايا الجالية الإسلامية على المستوى السياسي في أمريكا وذلك من خلال تأسيس «مجلس التنسيق الوطني».

ويتكون المجلس من ممثلين لأهم سبع منظمات إسلامية في امريكا. وهي: الاتحاد الإسلامي الامريكي «بولاية كاليفورنيا» والذي رعى الاجتماع الأول، والمجلس الإسلامي الأمريكي«بالعاصمة واشنطن» ومجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» والمؤتمر الإسلامي الأمريكي« ولاية تكساس» والمجلس الوطني للشؤون الإسلامية «نيويورك» ومجلس الشؤون العامة للمسلمين «لوس انجلوس».

الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية «إسنا» والذي يعتبر من أهم المؤسسات العاملة في الحقل الإسلامي ويضم تحت مظلته نحو ٦٠٠ مؤسسة إسلامية محلية، شارك في المجلس بالرغم من كونه منظمة غير سياسية، لدعم عملية توحيد جهود المسلمين في أمريكا.

واتفقت المنظمات السبع على تنسيق جهودها من خلال أسس تنص على وحدة الأهداف وتقسيم العمل، وتعميم التشاور حول القضايا الأساسية. كما اتفقت المنظمات على إيجاد ميكانيكية لتبادل المعلومات.

ومثل القرار – بتأسيس المجلس – مناسبة سعيدة لأعداد كبيرة من المسلمين التي رأت فيه نقلة ضخمة لدعم جهود المسلمين في نقل قضاياهم للمستويات العليا السياسية بأمريكا. وتمت الخطوة الأولى للاتحاد في مؤتمر الاتحاد الإسلامي بأمريكا الشمالية الأخير في «شيكاغو» في اغسطس الماضي، واعلن عنه وسط تجمع عام ضم نحو ٢٠ الف مسلم في حديقة بوسط مدينة «شيكاغو» وبحضور عدد من أعضاء الكونغرس والسياسيين الامريكيين.

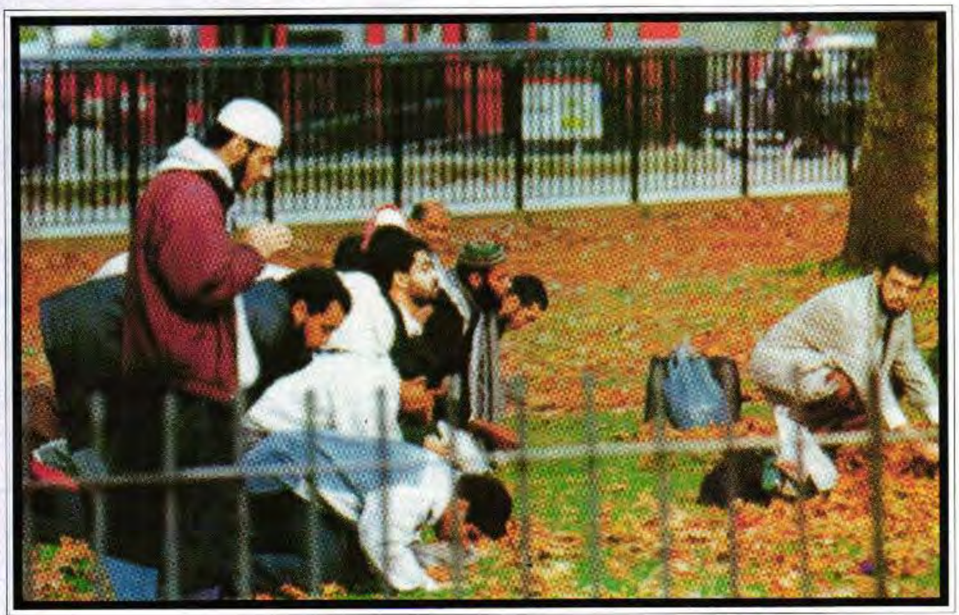
«جماعة الإمام وارث الدين محمد» التي تعتبر اكبر تجمع للمسلمين الأفرو أمريكيين «مصطلح فرض حديثا بدلا من الامريكيين السود لكون الأخير يحمل إيحاءات عنصرية» قامت بجهود في نفس الاتجاه، وذلك حين أعلن وارث الدين محمد ومجموعة من قادة الجالية المسلمة الأفرو أمريكية في اجتماع بولاية «نورث كارولينا» عن تأسيس الاتحاد من أجل حكومة فعالة.

الاتحاد الجديد يرغب في الانضمام لمجلس التنسيق الوطني، والخطوة التي لو تمت فستعتبر انجازا ضخما في تاريخ المسلمين في امريكا الشمالية، حيث يسود انفصال شبه كامل بين أنشطة المسلمين الأفرو امريكيين والمسلمين المهاجرين من خارج أمريكا أو الذين يعودون لأصل أوروبي.

وكان د. عبد الرحمن العمودي- المدير التنفيذي السابق للمجلس الإسلامي الأمريكي

أكثر من عشرين ألف ألماني اعتنقوا الإسلام

أوضح الشيخ محمد الخالد رئيس مركز ومدرسة الانصار الإسلامية في برلين ان عدد المسلمين في المانيا يصل إلي ثلاثة ملايين مسلم من أصل ثمانين مليون الماني، ونسبة المطبقين للشعائر الإسلامية ٢٥ في المئة، اما عدد المصلين ايام الجمع فيرتفع الى ٣٠ في المئة، وفي العيدين يصل الى ٤٠ في المئة من اجمالي عدد المسلمين، ويقدر عدد الذين اسلموا من الالمان بنحو ٢٠ الف مسلم تقريبا، ومعظم المسلمين هم من المهاجرين وابنائهم، من الجيل الثاني والجيل الثالث.



- قد طالب عدة مرات بمثل هذه الخطوة، قائلا: إن العمل السياسي المتمثل بالتحاور مع أعضاء الكونغرس وغيرهم من القوى السياسية في امريكا، وتذكيرهم بالثقل السياسي للمسلمين في امريكا«لكونهم يمثلون ٦ ملايين ناخب» ووضع هذا الثقل لصالح من يعمل لصالح قضايا المسلمين، طريق لابد منه لحل مشاكل المسلمين في أمريكا الشمالية.

ويضيف العمودي أنه مع نهوض العمل السياسي في امريكا في التسعينات الميلادية أدركنا بأننا جالية متنوعة «الأصول والاتجاهات» ولكن يمكننا الاستفادة من هذا التنوع لصالحنا بدلا من كونه تحديا كبيرا لنا.



١٥مليون دولار للمؤسسات التعليمية في البوسنة

ساهم البنك الإسلامي في تمويل ترميم ١٨ منشأة في البوسنة- عبارة عن ثانويات ومعاهد ومساكن للطلبة في مناطق مختلفة- باعتماد ١٥ مليون دولار. أعلن ذلك رئيس البنك د. احمد محمد علي، مشيرا إلى أن الاهتمام بالشؤون الاجتماعية يعود إلى أواسط السبعينات في وقت لم تكن فيه المؤسسات البنكية العالمية تعنى بهذا الجانب في حياة الشعوب.

وكان د. أحمد محمد علي قد حضر حفل افتتاح ثانوية الكترونيات بالعاصمة سراييفو، حيث قدم مديرها الشكر للبنك، وعبر الطلاب ورجال التعليم عن امتنانهم وتقديرهم لذلك.

وخلال زيارته للبوسنة، عقد رئيس البنك والوفد المرافق له سلسلة من اللقاءات مع المسؤولين البوسنيين، تناولت الظروف الاقتصادية وسبل تعزيز التعاون بين البنك والبوسنة.

تمويل حكومة بريطانيا للمدراس الإسلامية

ملامح الحياة العامة في بريطانيا بدأت تتغير تبعاً للمستجدات التي تشهدها التركيبة الديمغرافية للبلاد ،وتدل الاحصاءات الأخيرة على ان نسبة الاقليات ستتضاعف خلال السنوات العشرين المقبلة، لتجعل من بريطانيا مجتمعاً أوروبياً متعدد الثقافات في القرن الحادي والعشرين.

وتدرك حكومة بلير العمالية أهمية التغيير الذي تشهده بريطانيا على المستوى الثقافي،الأمر الذي يفرض عليها السعي لمواكبة المستجدات ومتابعة الوقائع، ويأتي كلام بلير الذي تحدث اخيرا عن ايمانه الكامل بان البريطانيين يستطيعون ان يبنوا وطناً يحترم التعددية في اطار الاندماج الاجتماعي ليعزز التزام حزب العمال بوعده الانتخابي المرتكز على بناء مجتمع متعدد الثقافات يدعم الجماعات الأقلية في تطوير ثقافاتها الخاصة.

ويشكل قرار الحكومة بانشاء لجنة خاصة - مسؤولة عن مستقبل بريطانيا متعددة الثقافات -خطوة غير مسبوقة تسعى من خلالها الى تقييم مدى تجاوب المؤسسات السياسية والاجتماعية مع متطلبات الجماعات العرقية المختلفة والمتعددة.

وتخطط الحكومة لمراجعة تركيبة المؤسسات السياسية مثل: مجلس اللوردات، والمجالس الاجتماعية والثقافية، لتتفق مع صورة بريطانيا الجديدة.

وفي اطار التوجهات الجديدة للحكومة البريطانية صدر قرار جديد عن وزارة التعليم والعمل يعزز التزام بلير بإعطاء المجموعات الدينية المساواة في الحياة العامة.

فبعد تحفظ دام سنوات طويلة قبلت الحكومة البريطانية مطالب مدرستين اسلاميتين في الحصول على تمويل حكومي، الأمر الذي يضعهما على قدم المساواة مع المدارس المسيحية واليهودية التي تحظى بدعم من الحكومة منذ سنوات عديدة.

ويأتي هذا القرار - الذي اتخذه وزير التعليم ديفيد بلانكت- ليكرس الى حد بعيد حقوق المسلمين الذين يبلغ عددهم نحو مليوني شخص في بريطانيا وبخاصة بعدما كانت هذه القضية العالقة تشكل خلال السنوات الماضية احدى القضايا السياسية الأكثر حساسية بالنسبة للحكومات المحافظة.

ورغم تصاعد الاجواء الاعلامية المعادية للإسلام في بريطانيا وما يسمى بـ «اسلاموفوبيا» فقد اتخذت حكومة بلير خطوة اساسية في تطبيق مبدأ المساواة للأقليات بادخالها مدرستي «اسلاميا» و«الفرقان» الابتدائيتين إلى تركيبة النظام التعليمي الحكومي.



فصول أخلاقية في الجامعات الماليزية

طالب رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد بضرورة ان تنظم الجامعات المحلية فصولا اخلاقية للحيلولة دون التأثير السلبي للتكنولوجيا. وقال إن واحدا من الاسباب التي أدت إلى الأزمة المالية والاقتصادية التي نواجهها اليوم يرجع إلى تطور التكنولوجيا حسب ماذكرته وكالة أنباء «بيرناما».

وحذر من ان التكنولوجيا دون أخلاق من شأنها أن تقود إلى نتائج مدمرة، وتحدث عن الحاجة لايجاد توازن. وأضاف أن تقدم التكنولوجيا الحديثة أوجد مجالات جديدة من الامكانات التجارية والاقتصادية، إلا أنه لسوء الحظ لم تكن مفيدة لبعض الدول ومن بينها ماليزيا.

وكرر لومه لبعض الأجانب والمستثمرين المحليين لمسؤوليتهم عن الأزمة الاقتصادية الأخيرة في جنوب شرق آسيا، ولاسيما الملياردير اليهودي «جورج سورس».

يذكر أن سورس متهم رئيسي في الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت دول جنوب شرق آسيا عن طريق المضاربة في العملة، مما أدى إلى الهبوط الحاد في أسعار عملات المنطقة، وبالتالي حدوث هزة ضخمة لما كانت تسمى دول النمور، وسبق لمهاتير محمد أن انتقد بشدة اسلوب سورس.

٦ملايين عربي جامعي والبكالوريوس شهادة البطالة

سجل التعليم العالي في كل البلدان العربية تزايداً في أعداد الطلبة المسجلين، خصوصاً بين عامي ١٩٨١و١٩٩٦، اذ تضاعف عدد الملتحقين بالجامعات ثلاث مرات ليبلغ ثلاثة ملايين ومئة ألف طالب في عام ١٩٩٦ وتتوقع المؤشرات ان يقفز عدد هؤلاء الى ستة ملايين طالب في عام ٢٠١٠.

ويعني هذا التوسع ارتفاع نسبة الملتحقين بالتعليم العالي من فئة العمر الجامعي من السكان من معدل ١٥ في المئة إلى نسبة ٢٠ في المئة.

هذه الاحصاءات وردت في دراسة قدمها الدكتور صبحي القاسم من الأردن في اطار أعمال المؤتمر الإقليمي العربي حول التعليم العالي المنعقد في بيروت بهدف الاجابة عن سؤال كبير «اي تعليم عال للعالم العربي في القرن الحادي والعشرين».

وتشير الدراسة الى ان عدد الجامعات في العالم العربي في منتصف القرن العشرين لم يكن يتجاوز العشر، ثلاث منها غير وطنية، وشهدت الخمسينات والستينات تزايداً طفيفاً في عدد هذه المؤسسات، اذ كان نموها الاجمالي في كل البلدان العربية بمعدل جامعة واحدة لكل عام تقريباً، اما مرحلة الثمانينات والتسعينات فشهدت نمواً هائلا فبلغ عدد تلك التي تم انشاؤها خلال الاعوام الـ ١٥ الأخيرة ١٠٩ جامعات اي بمعدل سبع لكل عام. وهذا يعني ان نحو ٦٢ في المئة من الجامعات العاملة في البلدان العربية الآن هي من المؤسسات الفتية، وبلغت مساهمة القطاع الخاص في تمويل مؤسسات التعليم العالي وإداراتها نسبة ٢٣ في المئة مع نهاية ١٩٩٦.

وتظهر الدراسة ايضا ان مؤسسات التعليم العالي تزود المجتعات العربية اعداداً من الخريجين تتزايد عاماً بعد عام، وقد انضم ٤٦٠ ألف خريج الى القوى العربية العاملة في عام١٩٩٥ موزعين على الشكل الآتي:



٦٦,٥ ٪ في مستوى البكالوريوس، ٢٧,٦ ٪ من خريجي المعاهد الفنية، ٤,٣ ٪ من حملة الماجستير و١,٦ ٪ من حملة الدكتوراه، ويتوقع ان ترتفع نسبة الخريجين من حملة البكالوريوس الى ٧٢٪ من مجموع خريجي التعليم العالي اعتباراً من عام ١٩٩٩.

وتشير مؤشرات القوى العاملة في عدد من البلدان العربية إلى بروز بطالة بين خريجي البكالوريوس في بعض التخصصات.



وزير داخلية فرنسا:
استيعاب كامل للمسلمين

أكد وزير الداخلية الفرنسي «جان بيار شوفنمان» رغبة حكومته في إعطاء الإسلام المكان الذي يستحقه عبر استيعابه بشكل كامل، وأوضح في رسالة إلى مسلمي فرنسا أن هذا الاستيعاب سيتم في إطار الشروط نفسها التي طبقت على الديانات الأخرى، بما يتطابق مع علمانية فرنسا وخصوصاً موجبات قانون عام ١٩٠٥م حول فصل الدين عن الدولة.

وشدد على حق المسلمين المشروع في أن تكون لهم أماكن عبادة لائقة ومناسبة، مطالباً البلديات بتعويض المسلمين الفرنسيين في هذا المجال، وتشجيعهم لعمل ذلك، إلا أنه عبر عن أسفه لأن عدم التنظيم وغياب المؤسسات التي تحمل صفة تمثيلية حقيقية للإسلام في فرنسا يسيئان إليه.

وأوضح أن فرنسا تشجع المسلمين على إيجاد الجواب المناسب لهذه المسألة الصعبة إلا أنها لا ترغب بفرض خياراتها في هذا المجال.

جدير بالذكر أنهيعيش في فرنسا حوالي ٤ ملايين مسلم ويشكل الإسلام الديانة الثانية في فرنسا بعد الكاثوليكية.

عدد سكان اليمن ١٧,٥ مليون نسمة

أعلن مجلس السكان الوطني أن عدد سكان اليمن وصل إلى ١٧,٥ مليون نسمة بمعدل نمو ٣,٧٪ سنوياً وهو من أعلى المعدلات في العالم.

وقال رئيس المجلس محمد علي الحاج إنه حسب آخر مسح أجراه المجلس فإن عدد سكان اليمن يزيد بواقع ١٨٠٠ نسمة يومياً.

وأضاف أن من المتوقع أن يصل عدد سكان اليمن إلى ٣١,٦ مليون نسمة بحلول عام ٢٠١٢م.

وحذر الحاج من كارثة حقيقية، يمكن أن يواجهها اليمن بسبب ضغط الزيادة السكانية السريعة على قطاع الخدمات.

خطة للعام ٢٠١٠م
المصابون بالإيدز تحت المليون في الصين!

أعلن وزير الصحة الصيني «تشن مين تجانغ» أن بلاده ستحاول احتواء تفشي الفيروس المسبب لمرض الإيدز وتحديد عدد المصابين به عند أقل من المليون شخص بحلول عام ٢٠١٠م.

وكانت تقارير رسمية قد تلقت عن خبراء بالصحة تقديرهم لعدد المرضى الذين يحملون الفيروس المسبب لمرض الإيدز في الصين بما يتراوح بين مائة وخمسين ألف ومائتي ألف مريض، غير أن هذه الحالات يمكن أن تكون قليلة العدد مقارنة بالمرضى الفعليين بسبب إحجام الكثير منهم على الإبلاغ عن إصابتهم أو لعدم فحصهم حيث إن الأرقام المعلنة تمثل المرضى الذين أبلغوا أو اكتشف أنهم مصابون بالمرض.

وأضاف الوزير أن السلطات تخشى من إصابة أكثر من مليون شخص بالفيروس في غضون أعوام قليلة إذا لم تتخذ الإجراءات الوقائية اللازمة خاصة فيما يتعلق بمكافحة المخدرات والسيطرة على عمليات نقل الدم وزيادة الوعي بالنسبة للأمور الجنسية التي تعتبر أهم الأوليات في المرحلة المقبلة.

وكانت السلطات الصينية قد أعلنت في نهاية أكتوبر الماضي أن ٨٣٠٣ أشخاص قد ثبت إصابتهم بالفيروس المسبب لمرض الإيدز في الصين من بينهم ٢٠٩ حالات تحول الفيروس إلى إيدز كما توفي ١١ مريضاً بالإيدز، وأشارت إلى أن ٥٤٩٥ من الحالات هي لأشخاص تعاطوا المخدرات و ٥٤٧ عن طريق الاتصالات الجنسية والبقية من خلال عمليات نقل الدم.. كما أوضحت نسبة ٧٨٪ من الضحايا من الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين عشرين وتسعة وثلاثين عاماً.

استتابة المتلفظ بالكفر

تقدم زوجان إلى لجنة الفتوى بسؤال قالت فيه الزوجة:

بينما كان زوجي يحلق ذقنه سألته إن كان يريد أن يذهب إلى دار ابن عمه لحضور العزاء، حيث تُوفي عمه، وقد أخبرته بأن يطلب إذناً من الشخص الذي يشتغل عنده بعد الظهر، فما كان منه إلا أن غضب وصار يكفر، وقال لي: اتركيني وشأني، فقلت له: طلقني فقال لي: (طالق، طالق، طالق) وبعد ذلك شتم كل منا الآخر.

وأفاد الزوج أنه نظراً لأن الحادث كان خارجاً عن إرادتي لشدة الغضب، وأنا على استعداد ألا أكرر ذلك في المستقبل، وأن ألتزم بما تقرره عليَّ لجنتكم الموقرة.

وبعد أخذ أقوال كل من الزوج والزوجة التي تبين من أقوالها أن الزوج كان كثيراً ما يتلفظ بكلمات «كفرية» وأن الطلاق الذي وقع منه في استفتائه كان بعد أن نطق بكلمات الكفر.

سألته اللجنة: هل مازلت مصمماً على ما صدر منك من عبارات «كفرية»؟ فأعلن أنه راغب في الإسلام وشهد أمامنا بالشهادتين وتعهد بأنه لن يعود إلى مثل هذا الكلام مرة أخرى.

وأفهمته اللجنة إنه إن تكرر منه ذلك أكثر من مرتين إحداهما ما تقدم، فإنه لن تقبل توبته بعد ذلك.

وقد أخبرت الزوجة إنه كثير التلفظ بأيمان الطلاق، ولا تدري عدد تلك الأيمان، والزوج لا يدري عدد ما صدر منه من أيمان الطلاق.

وبناء على ذلك قالت لجنة الإفتاء يكون قد وقعت منه طلقة واحدة رجعية، وعليه أن يكفِّر عن الأيمان التي صدرت عنه وحنث فيها، حتى يغلب على ظنه أنه قد برئت ذمته، فإن كان يستطيع - مالياً - فعليه أن يدفع عن كل يمين إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم.

وسألته اللجنة: هل ترغب في إرجاع زوجتك إلى عصمتك؟ أجاب: نعم، وقد راجعها أمامنا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء..
والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عنها..

التكلم في الصلاة

عرض على لجنة الفتوى السؤال التالي:

مصل كان في الركعة الأولى، فطُرق الباب، فأجاب المصلي على الطارق بعد طرقتين بكلمة «نعم»، وفتح له الباب، ثم عاد وأدرك الركعة الثانية في قراءة الفاتحة، ولم يُعد الركعة الأولى فهل الصلاة تامة في هذه الحال، علماً بأن المصلي عندما خرج من الركعة الأولى خرج بتسليم وعندما عاد إلى الصلاة كبر للتحريم، وما القاعدة العامة في البناء على الصلاة عند قطعها في مثل هذه الحال؟

وأجابت اللجنة بما يلي:

هذه الصلاة فاسدة لأمرين الأول خروجه منها بالتسليم، والثاني بكلامه بقوله «نعم»، وعليه أن يعيدها، أما القاعدة العامة في البناء على الصلاة عند من أجازه من الفقهاء وهم الحنفية فهي أن يسبقه حدث كرعاف، أو ناقض للوضوء غير متعمد، فيذهب للوضوء ويعود ليبني على ما صلى، شرط أن لا يأتي بمناف للصلاة، ككلام، أو كشف للعورة، أو انحراف عن القبلة، إلا لضرورة في هذا الأخير.

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ - ١٢ ظهرا ومن ٤ - ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية
٢٤٤٤٤٠٥
٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٩١٤
وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ ونرجو من الاخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت

سب الله تعالى وأثره

سأل سائل لجنة الفتوى فقال:

قمت وأنا في حال عصبية شديدة بحلف يمين بالطلاق على زوجتي بأن لا تخرج من البيت إلا بإذني ومعرفتي، وأن لا أقربها للمعاشرة دون رغبتها وموافقتها.

وذكرت الزوجة أنه سب الله تعالى، وأقر الزوج بما ذكرته زوجته من شتم الله عزَّ وجلَّ وسب الدين وقد تاب من ذلك أمام اللجنة.

وأجابت اللجنة بناء على ما تقدم من سؤال:

إن زوجته بانت منه وإذا شاء أن ترجع يكون ذلك بإذنها، ورضاها بمهر وعقد جديدين، ثم طلب الزوج أن يجدد عقده على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى صداق قدره عشرة دنانير وقبلت الزوجة منه ذلك على ما ذكر وجدد العقد.

التأمين ضد الحوادث والأخطار

عُرض على لجنة الإفتاء السؤال المقدم من جمعية تعاونية ونصه التالي:

ما حكم الإسلام في التأمين على الجمعية أو بعض فروعها ضد حوادث السرقة أو الحريق وفق قواعد التأمين السارية في بلدنا الكويت؟

أجابت اللجنة بما يلي: إذا كان التعويض الذي تدفعه شركة التأمين في حدود الضرر الفعلي فلا بأس به، أما إذا كان التعويض أكثر من الضرر الواقع فلا يصح هذا التعاقد.

أرباح الجمعيات التعاونية

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من إحدى الوزارات ونصه التالي:

يرجى التفضل بالإحاطة أن الجمعيات التعاونية تدفع للمكتتبين في أسهمها فائدة على رأس المال قدرها ٧٪ سنوياً، حيث إن بعض المكتتبين في هذه الجمعيات قد أبدى الرأي بأن هذه الفائدة تعتبر نوعاً من الربا، لذا يرجى التكرم بموافاتنا برأي لجنة الفتوى حول ما إذا كانت هذه الفائدة تعتبر ربحاً حلالاً للمكتتبين في أسهم الجمعية أم أنها تمثل نوعاً من أنواع الربا.

هذا ونرفق لكم نسخة من القانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٨م في شأن الجمعيات التعاونية ولائحته التنفيذية والنظام الأساسي النموذجي للجمعيات التعاونية. كما نفيدكم علماً بأن نسبة الـ٧٪ قيمة الفائدة على الأسهم يكون توزيعها من الأرباح، وبالطبع فإنها لا توزع في حال الخسارة، وفيما يتعلق بزيادة الأرباح عن نسبة الـ٧٪ من رأس المال، فإن أرباح الجمعية عادة ما تزيد عن هذه النسبة وهي توزع طبقاً لأحكام المادة (١٩) من اللائحة التنفيذية للقانون المشار إليه وما يزيد عن النسب الموجودة بهذه المادة فإنه يوزع على الأعضاء كعائد على المعاملات بنسبة المعاملات التي أبرمها كل منهم مع الجمعية خلال السنة المنتهية وبحد أقصى قدره ١٥٪ عن كل دينار؟

وبعد استعراض اللائحة المرفقة أجابت اللجنة بما يلي:

بالنسبة لما يوزع على المساهمين وهو ٧٪ ليس من قبيل الربا، وإنما هو جزء مقطوع من الربح يوزع على أصحاب الأسهم.

كما رأت اللجنة أنه يجب ألا يسمى هذا فائدة لئلا يلتبس على الناس أن هذا من قبيل الربا. كما اختارت اللجنة أنه ينبغي أن ينص في اللائحة على أن هذا التوزيع في هذه الصورة لا يكون إلا بعد أن تتحقق أرباح تزيد عن ٧٪ من رأس المال.

الجمع بين الصلوات

تقدم رجل إلى لجنة الفتوى بالسؤال التالي:

يقول: هناك شخص كبير في السن وقد ناهز المئة عام ويجد صعوبة في الوضوء لكل صلاة ومصاب برخاوة في البول، فهل يجوز له أن يجمع بين الصلوات كصلاة الظهر مع العصر أو صلاة المغرب مع العشاء، إما تقديماً أو تأخيراً افتوني وجزاكم الله خيراً؟

أجابت اللجنة بما يلي:

الأول لمن في مثل هذه الحال أن يجمع الجمع الصوري بأن يؤخر الظهر إلى أن يقرب وقت العصر بحيث يتوضأ ويصلي الظهر قبل دخول وقت العصر ثم يصلي العصر بعد دخول وقتها، وكذلك يفعل بالنسبة لصلاة المغرب والعشاء.

من أسباب جمع الصلاة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

نحن موظفون في شركة، هل يجوز لنا الجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، لأن الشركة لاتترك لنا مجالاً للصلاة وتفرض علينا مواصلة العمل، وكذلك لا نُعطى وقتاً في رمضان للصلاة والإفطار، أفتونا مأجورين.

أجابت اللجنة:

إذا كان واقع الحال كما هو في السؤال من أن الشركة لا تترك لهم مجالاً للصلاة وتفرض عليهم مواصلة العمل فيجوز لهم الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، ولكن إذا أمكنهم أن يصلوا فلا يجوز لهم تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها، ويستوي الحال في رمضان وفي غير رمضان.

الفتيا.. ومذاهب الهدى

بقلم: علاء الدين رمضان السيد

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه .. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع

في غرة الدعوة الإسلامية كان الحكم الأول والوحيد فيما -يخص أمور العقيدة -هو رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يفزع إليه المؤمنون إذا ما أعوزهم فهم مسألة أو تحري أمر من الأمور، وظل هذا هو الحال لدى المؤمنين:إذا اختلفوا في أمر ردوه إلى الله وإلى الرسول، ثم فتح رسول الله- صلى الله عليه وسلم- باباً رحبا وسيعاً هو باب الاجتهاد إذ أمر المؤمنين عامة باستفتاء قلوبهم مادامت القاعدة الإيمانية راسخة والخشية من الله تظلهم بظلالها وتمسح عليهم الطمأنينة بسكونها:لقد سكت الرسول- عمدا- عن أشياء، ليترك أمرها لنا تحقيقا لاستقلال المؤمن وترسيخا لدور العقل والفطنة لدى الإنسان، وليس منها ببعيد سؤال من سأل:«أوَنَحُج كل عام يارسول الله؟ وكررها، والرسول لايجيب، ثم قال صلوات الله وسلامه عليه: لو قلت نعم لَوَجَبَتْ»

بعد ذلك مضى رسول الله إلى ربه تاركا من بين الناس صنفا ضعيفا يفتقر إلى من يقوده في كل شيء حتى الرأي والفتيا، وماذاك إلا لضعف في العلم والتلقي فكانت الفتيا تؤخذ عن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ثم عمن بقي منهم بكل مصر من الأمصار كعبد الله بن العباس في مكة، وعبد الله بن عمر في المدينة، وعبد الله بن مسعود في الكوفة، وعبد الله بن عمرو بن العاص في مصر، ثم صار الناس إلى اتباع علماء الأمة المبرزين في العلوم الشرعية ولهم نصيب من رجاحة العقل يؤهلهم للاجتهاد والإمامة ،فظهرت مذاهب كثيرة اقترنت بعلماء تلك الحقبة مثل:الإمام مالك ،وسفيان الثوري ،والحسن البصري ،وأبو حنيفة والشافعي ،والأوزاعي ،والحنبلي ،والطبري ،وأبو ثور البغدادي.

وقد ساعدت كثرة تلك المذاهب على الحد من حرية الركون إلى واحد منها إذ عد أتباع بعض المذاهب ان اعتناق آراء واجتهادات مذهب آخر يعد مناوأة لهم وعدوانا عليهم لدرجة أن القتال كان ينشب بين أهل المذاهب المختلفة.

وانقضت القرون ولم يبق من تلك المذاهب «في العام٦٦٥هـ» سوى أربعة مذاهب هي أشهر ماذهب اليه العلماء ،يتفقون ولا غرو في الأصول وفي بعض الفروع، ويختلفون في القليل الذي سكت عن بعضه تخفيفا على الناس لكن الخوف لم ينقض من نفوس العامة الذين صاروا يأمنون إلى القطع بالمنع والتحريم ويتحرون الشبهات ليأمنوا بتركها ويطمئنوا إلى الزهد فيها فبعدوا عن الاجتهاد أو الميل اليه، وازداد هذا التيار وبخاصة في عصور التخلف والضعف. لكننا اليوم عدنا نتعامل مع تلك المذاهب كأنها هي الإسلام، لا على اعتبارها حصون اجتهاد وعدة مؤازرة وسلاح رأي.

والرسول الكريم يقول: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي».

وعلماؤنا رضوان الله عليهم اهتدينا بهم في كثير مما نجهل وأرشدونا فيما لو تركنا فيه فرادى لضللنا، ونحن لانتغيا النيل من مجهوداتهم هنا بل إنا نشير إليها وإلى أهميتها، فالمشكلة الكبرى الآن أن بعض الأنظمة المعرفية في كل دولة من دول العالم العربي ينتشر فيها مذهب معين: نجد أن الاهتمام العظيم والبالغ ينحصر في آثار مفكري هذا المذهب بينما يغفلون الآثار الأخرى على أهميتها، وكأن الأمر في كل مذهب أنه دين وعقيدة لاو جهة نظر وإعمال فكر واجتهاد رأي، إن القيمة الأساسية للمذاهب الإسلامية تتجلى في اجتماعها لا في النفور من واحد منها دون الآخرى، فالإسلام الحقيقي هو في القرآن الكريم والسنة، ثم جماع إجماع الأمة، ثم فتيا القلوب السليمة «استفت قلبك».

إنني من هنا أرى أن الخير كل الخير في فتح الباب فسيحا للمقارنة وبسط كل الآراء في أي مسألة لنترك للمستفتي حرية مايلائم ظروفه من آراء في مسائل الفتيا مادامت هذه الآراء نابعة من منبع له ثقله وأثره كالأئمة الأربعة.

ديتك مع العدد براعم الإيما

الوعي الإسلامي

إسلامية - شهرية - جامعة

العدد ٣٩٠ - السنة الخامسة والثلاثون - صفر ١٤١٩هـ - يونيو ١٩٩٨م

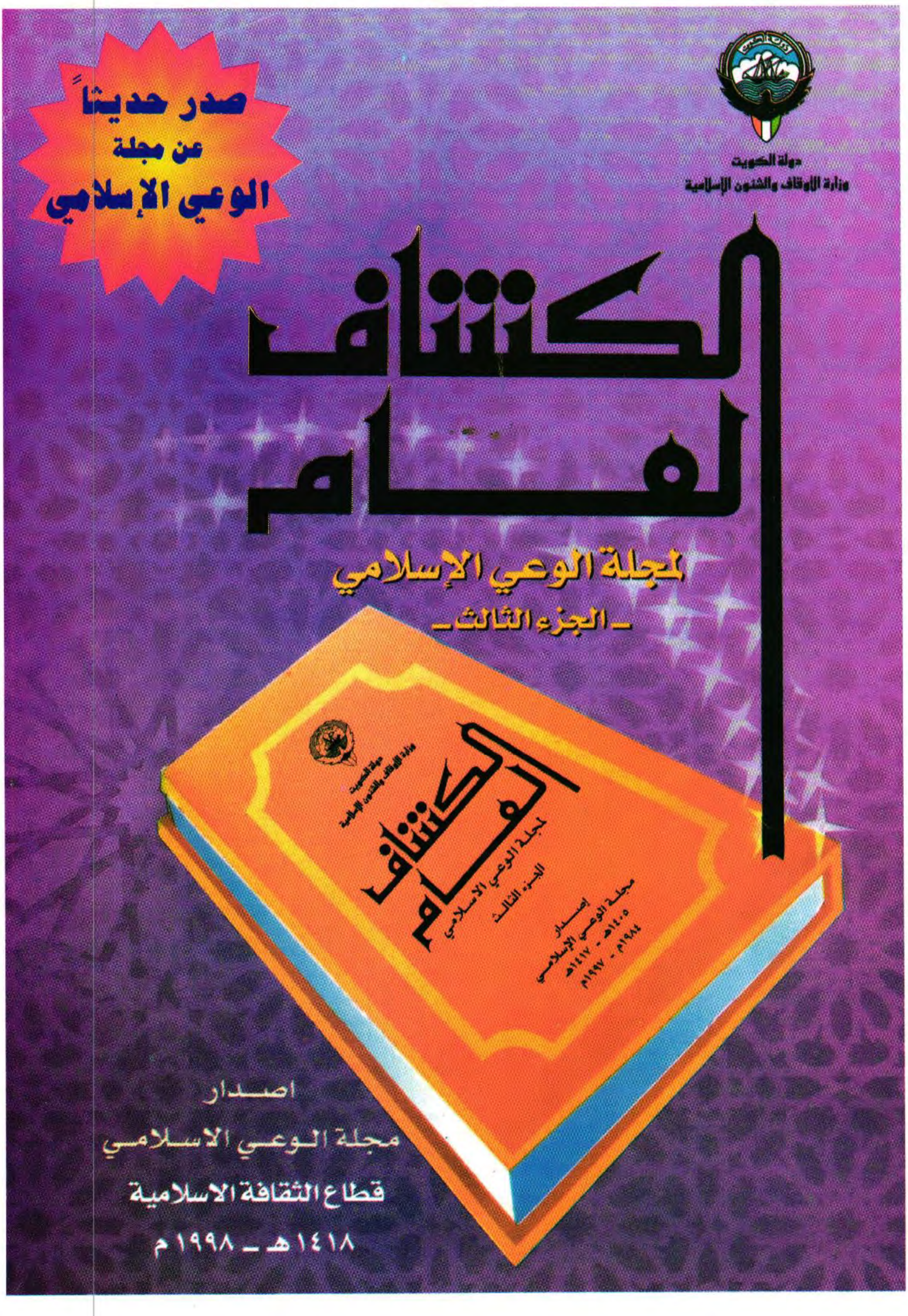


الشيخ أحمد ياسين

حماس لا تتدخل في الشئون الداخلية للدول ولا في المحاور مع دولة ضد أخرى

العدو كلما ابتلع وجبة وهضمها انفتحت شهيته لوجبة أخرى

الملتقى الثقافي الثالث لوزارة الاوقاف والشئون الإسلامية


صدر حديثاً
عن مجلة
الوعي الإسلامي
دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
الكشاف العام
لمجلة الوعي الإسلامي
- الجزء الثالث -
اصدار
مجلة الوعي الاسلامي
قطاع الثقافة الاسلامية
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٠ . السنة الخامسة والثلاثون

صفر ١٤١٩ هـ . يونيو ١٩٩٨ م

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

ظاهرة إيجابية

عزيزي القارئ الكريم ... عزيزتي القارئة الكريمة :

عندما تقوم أمة من الأمم، أو مجتمع من المجتمعات بدراسة أحواله وأوضاعه وقضاياه، ووضع النقاط على الحروف، وتلمس موضع الداء والسلبيات في الأمة تمهيداً لمعالجتها واتخاذ الجرعات المناسبة لها، عندها نقول وبكل جرأة وواقعية، إن هذا المجتمع، أو تلك الأمة قد وضعا نفسيهما في الاتجاه الصحيح نحو التقدم والرقي والازدهار.

هذا الكلام نقوله في أعقاب سلسلة من الندوات والمؤتمرات والأنشطة التي شهدتها الكويت خلال الشهر الماضي، وركزت كلها على عدد من القضايا الاجتماعية والفكرية والحضارية، مثل قضايا المرأة، والشباب، والمخدرات وغيرها.

وهذه بلا شك ظاهرة صحية وإيجابية، لهذا ستجد عزيزي القارئ في ثنايا هذا العدد تغطية شاملة لهذه الأنشطة التي تتماشى والأهداف التي تسعى المجلة لتحقيقها من أجل النهوض بالأمة وتحذيرها من المخاطر التي تتهددها، ودفعها بالاتجاه الصحيح والإيجابي لتأخذ موقعها المناسب والكريم في المسيرة الحضارية والإنسانية.... والله الموفق.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

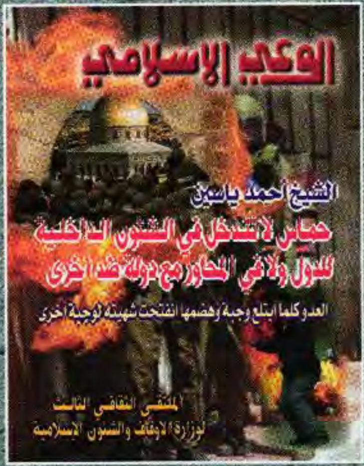
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا ـ السعودية: ٤ ريالات ـ البحرين: ٣٠٠ فلس قطر: ٤ ريالات ـ الامارات: ٤ دراهم ـ سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة الأردن: ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع: جنيه مصري واحد ـ السودان: ٥ جنيهات موريتانيا: ١٢٠ أوقية ـ تونس: دينار واحد ـ الجزائر: ٥ دنانير اليمن: ٥ ريالات ـ لبنان: ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا: ٢٠ ليرة ـ المغرب: ٦ دراهم ليبيا: ٥٠٠ مليم ـ اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع: شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد



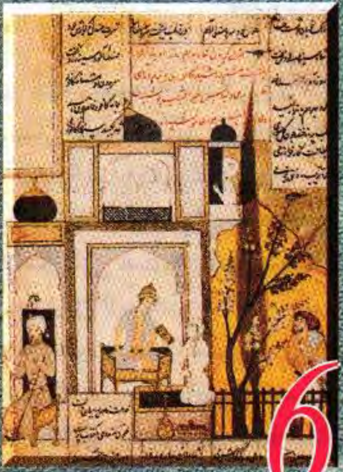
الوعي الإسلامي
الشيخ أحمد ياسين
حماس لا تتدخل في الشؤون الداخلية للدول ولا في المحاور مع دولة ضد أخرى
العدو كلما ابتلع وجبة وهضمها افتتحت شهيته لوجبة أخرى
الملتقى الثقافي الثالث لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

في الأعداد المقبلة

- حوار مع رئيس المجلس الأعلى لأئمة المساجد في ساحل العاج الشيخ أحمد تيجاني — محمود بيومي
- الأدب الإسلامي ودين الأديب ... هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً — د. جابر قميحة
- أسلوب الشيخ الغزالي في مواجهة الغزو الثقافي — إبراهيم نويري
- البيولوجيا الجزئية وتجاذب الخلود الإنساني — د. رضا رضوان
- تعدد الزوجات في ظل التشريع الإسلامي — د. أحمد الكردي
- ردود الفعل السياسية بين الانفعال والعقلانية — د. عادل الخنساء

تحقيق

معهد المخطوطات في أكاديمية العلوم



62

أربعون ألفاً من مخطوطات القرون الوسطى والوثائق التاريخية بالعربية والتركية والفارسية تحتويها خزائن معهد المخطوطات في أكاديمية العلوم الأذربيجانية في باكو العاصمة الأذربيجانية، وهذه المخطوطات كنز لا يقدر بثمن، لذا يسعى المعهد إلى جمع ونشر فهارس هذه المخطوطات ودراستها وتحليلها تحليلاً علمياً شاملاً

الفهرس



ساعات نورانية

إن الله سبحانه وتعالى قد أدرج في الإنسان عجزاً لا حد له وفقراً لا نهاية له، إظهاراً منه تعالى لمدى قدرته وعظمته، وكذلك رأفته ورحمته وقد خلق الله الإنسان في صورة يتألم فيها بما لا يحصى من الجهات، كما أنه يتلذذ فيها بما لا يحصى من الجهات، أي أن الله أعطى الصحة والعافية للإنسان، وقد يأخذها منه إن اقتضت بذلك مشيئته، فيحل مكانها ربما مرض أو ضعف وحينما يُصاب الإنسان أو يُبتلى فعليه ألا يجزع أو يقنط من رحمة الله وعطفه، بل يجب عليه الشكر والحمد حتى تتحول آلامه وأحزانه وشجونه إلى قصائد تترنم بالتسابيح والعبادة، فبقدر ألم المعاناة بقدر ما يكون الثواب والمنزلة، ولقد فضل الله بني آدم بعضهم على بعض، في المنازل والدرجات، ولكل أفضيلة لا يعلمها أو يقدرها سوى الله، واليأس والقنوط دليل الضعف ووهن العقيدة.

(ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف: ٨٧، والمصطفى ـ صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده قال الله عز وجل أكتب له صالح عمله، فإن شفاه غسله وطهره وإن قبضه غفر له ورحمه»، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها» فمنزلة الصابرين كبيرة ورفيعة والصبر لا يكون فقط في المرض والبلاء، بل معاناة الحياة اليومية ومشاكلها المستمرة والتي أصابت المواطنين بأمراض القلق والاكتئاب والحزن، وإحباطات الشباب تعد نوعاً رفيع المستوى من درجات الصبر، ومادامت الدنيا دار عمل ومحل عبادة، فكل ما يصيبنا فيها من مرض أو بلاء أو محن يمدّ العمل بقوة ويشد من أزر العبادة ولا يجوز التشكي أو القنوط من روح الله، بل التحلي بآيات الصبر والكمال والتي تحول كل ساعة من حياة البشر إلى عبادة يوم كامل وما أعظم الساعات التي تمتلئ فيها خلجات النفس بنور الإيمان والطاعة وثبات العقيدة.

إيهاب أحمد زغلول

أسس العزة والسعادة للأمة الإسلامية

عشر خصال للإيمان هي:

١ ـ تطبيق شريعة الله وسنة رسوله كاملة في دول الإسلام جميعاً، يقول تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة: ٤٤.

٢ ـ اتحاد المسلمين اتحاد دولة واحدة وبالتعاون أيضاً، يقول تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة: ٢.

٣ ـ علم نافع ينفع الإسلام والمسلمين، من تكنولوجيا وجميع وسائل العلم النافع وأيضاً علم الدين فهو الأساس، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء».

٤ ـ توجيه الأسرة والشباب المسلم إلى كتاب الله وسنة رسوله، يقول صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية»، حتى لا يكون الشباب المسلم الآن مثل شباب عبدة الشيطان.

٥ ـ خلق مستقيم وعقيدة راسخة وتقوى ويقين في الله، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً».

٦ ـ دعوة غير المسلمين إلى الإسلام بأسلوب حسن، يقول تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

٧ ـ منع جميع وسائل الفساد من تلفاز وأفلام تبث عبر الأقمار الصناعية وغيرها...

٨ ـ إعداد قوة إسلامية وإعداد أسلحة متطورة ويكون دخول الجيش في دول الإسلام واجباً للدفاع عن الإسلام والمسلمين وعن القدس في أي لحظة، يقول تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة).

٩ ـ اعتماد الدول الإسلامية على الله وحده.

١٠ ـ أن يخاف علماء وفقهاء الدين الله سبحانه وتعالى، فلا يسعون للدنيا، ويحكمون بما أنزل الله.

وائل بن رفعت يوسف محمد

الولاء للأسرة نظام رباني

«الانتماء للأسرة هو انتماء مستمد من الوحي الإلهي المنظم لحياة البشر وأهم ما يميز هذا الولاء هو التجانس بين أفراد الأسرة والرضا الكامل، والخضوع لهذا الشرع الإلهي، فالولاء للأسرة والترابط بين أفرادها هو الدين، ولقد كان الدين الإسلامي سبّاقاً في وضع أعظم الأسس التي تحمي الرابطة الأسرية والتي تحقق الترابط الأسري إذا ما أصاب هذه الرابطة أي خلل، وتقديراً من الله لدور الأسرة جعل كل ما يدخل في تكوينها آية أي شيء معجز.

لا يستطيع البشر الإتيان بمثله وإذا لحق الضعف والوهن بالرابطة الأسرية لأي سبب عارض أو دائم لحق هذا الضعف والوهن بالوطن فيقل الولاء للوطن مما يعرضه للاغتصاب والمهانة، والأسرة تصنع الرجال وتبث فيهم الروح الوطنية وحب الوطن والولاء له بعد الله سبحانه وتعالى وينعكس ذلك على الأجيال على مر العصور، ويكون الولاء للأسرة قائم ما دام أفرادها على قيد الحياة ولكل أسرة في الوطن الحق في التمتع بالحياة الكريمة النابعة من الحب والولاء، كأحد مثاليات ما يجب أن يكون.

عبدالفتاح علي محمد أحمد مصر

فكرة للتأمل

الحياء نعمة من نعم الخالق الجليل وهو رمز العفة الباقية التي يفاضل الإنسان على أساسها، وهو لابد وأن يكون قاسماً مشتركاً بين الرجال والنساء جميعاً، بيد أنه في حق النساء آكد، وأوجب لأنه صفة أصيلة راسخة بل لازمة لهن لزوم الثوب للجسد، بل أشد، وما قيمة امرأة على كوكب الأرض فرغت عن فضيلة الحياء ورغبت عنها؟! إن كل زينة تتحلى بها لا تعدل هذه الفضيلة، لأنها صفة معطاءة خيّرة تنبثق منها كل خلال الخير «فالحياء خير كله» كما جاء في الحديث، وهو منهج حياة ـ صفة أكرم ولا ألزم للمرأة من تلك الصفة، حين يصف سَيْرَ إحدى ابنتي شعيب بأنها «تمشي على استحياء» القصص: ٢٥، لم يمتدح القرآن الكريم هذه الفتاة بنجابة عقلها أو ذلاقة لسانها أو جمال خلقتها وبهاء طلعتها أو مضاء عزيمتها، وإنما امتدحها بصفة نفسية عميقة تنبع من عمق الإنسان ذاته يحدوه إليها ثوابت الدين ومكارم الأخلاق.

وآه لو أن نساء العالمين تسربلن بهذه الصفة الكريمة، واتشحن بها فيجمعن بين فضائل الدنيا ومعالم السنن، وهي ـ لعمر الله ـ صفة تتحلى بها كل امرأة فاضلة ويحبها كل رجل حر كريم يرفض الخنا، ويثور على الفحش ويكره العبث بالمواثيق الغلاظ.

علي مدني رضوان الخطيب.

استرتش!!

لقد أصبت بصدمة من هول المفاجأة، عندما طرقت مسامعي كلمات طفلة لم تتعد العاشرة من عمرها وهي تطالب أمها بشراء ما يسمى بـ «الاسترتش» لكي ترتديه وتباهي به زميلاتها!!

ولا أدري ولا أستطيع أن أجزم إن كانت هذه الطفلة طلبت شراء ذاك «الاسترتش» بناء على الرغبة في ارتدائه فعلاً، أم من باب الفضولية لكونه لفظاً جديداً على مسامعها، ولكن مهما يكن، فإن انتشار ذلك اللفظ لدرجة أن تنطق به طفلة لم تتعد العاشرة، فهذا ما أثار القلق والريبة في داخلي وجعلني أحدث نفسي ليل نهار.

لقد كنت أظن أنه مهما وصلت درجة تأثر شبابنا بالغرب في المظاهر الخليعة، فإن فتاتنا ستظل رمزاً للفتاة المسلمة المحافظة على دينها ـ والتي أصبحت تتهم اليوم بأنها فتاة رجعية، أما وقد حدث ما خيّب ظني وأقلقني وزاد همي، فإن لي أن أتساءل: هل اختفت تلك الفتاة المحافظة على دينها وشرفها من بيننا اختفاء تاماً؟! وإن كان قد حدث ذلك فما أسباب ذلك؟

بالطبع لا يستطيع أحد أن يجزم ويقول إن تلك الفتاة المحافظة قد اختفت تماماً، ولكن الشيء اللافت للنظر أنها قلت لحد يجعلنا نسميها ظاهرة.

ولكن ما السبب الرئيسي الكامن وراء تلك الظاهرة؟

هل هذه الظاهرة صورة من صورة فقدان القدوة، أم هي نتيجة امتلاك القدوة المستهترة التائهة، أم هي صدى لخواء العقل وتفاهة التفكير؟

هنا يجب أن تكون لنا وقفة فهذا كله ليس إلا صورة من الصور الغريبة التي بدأت تتسرب إلى مجتمعنا في الآونة الأخيرة والتي أصبحت ـ للأسف ـ قريبة مألوفة حتى أن العين ما عادت تستغرب رؤيتها كل يوم، بل كل ساعة.

وهنا أيضاً يجب علينا أن ندرك أن هذا كله ليس إلا مظهراً من مظاهر انقياد الشباب وراء التقليد الأعمى لمظاهر الشذوذ والجنون الغربي، فكان عاقبة ذلك التقليد الغبي ضياع شخصية شبابنا حتى أصبح ورقاً تذروه الرياح.

وعلينا أن نعرف أن السبب الرئيسي وراء ذلك كله كان ضعف الجهاز المناعي للمجتمع بعد ضياع الكثير من قيمه ومبادئه ـ قيمة بعد قيمة ومبدأ تلو مبدأ ـ حتى انفرط عقد المجتمع!!

وهكذا فإذا أردنا أن نستعيد أصالتنا وأمجادنا ـ والتي كثيراً ما نتحدث عنها ـ وأن تكون فتاتنا محافظة ملتزمة بنهج الإسلام، فعلينا استعادة تلك القيم والمبادئ التي فرّطنا فيها واشترينا بها ثمناً قليلاً، مكسباً أو منصباً أو مالاً أو جاهاً أو عرضاً زائلاً ومتاعاً فانياً من متاع هذه الدنيا.

فتحي عبدالفتاح

عذراً... إخواننا القراء والقارئات

حصل خطأ قاهر في العدد الأخير من مجلة الوعي الإسلامي محرم ١٤١٩هـ، حيث نشرت عن طريق الخطأ عند التنفيذ على جهاز الكمبيوتر كلمة منشورة في عدد سابق، مع أن كلمة الوعي لعدد الهجرة كانت معدة ومطبوعة وجاهزة للتنفيذ، لذا نعتذر لهذا الخطأ الفني غير المقصود، ونقدم لإخواننا القراء وأخواتنا القارئات كلمة الوعي التي كان من المفروض أن تنشر في عدد المحرم وعنوانها: الهجرة تغيير بالموقع لا بالموقف وهذا نص الكلمة:

الهجرة تغيير بالموقع لا بالموقف

ونحن في مطلع عام هجري جديد المتغيرات على الساحة الدولية تتسارع بشكل مذهل، والمسلمون مازالوا يعيشون على هامش الأحداث، دون أن يكون لهم رؤية فيما يجري من متغيرات طالت مناحي الحياة كافة، ومن دون استثناء، ولا شك أن هذا الموقع المتدني في أسفل السلم الحضاري - والذي وضعنا أنفسنا فيه نتيجة عوامل عدة لا مجال لذكرها هنا - يجب أن يتغير إيجابياً مع الحفاظ على الثوابت الإسلامية مقتدين في ذلك بما فعله الرسول الكريم في هجرته المباركة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، حين انتقل إلى موقع أفضل للدعوة، وأوجد مناخاً أرحب لنشرها، وأقام الدولة الإسلامية على هدي من القيم والمبادئ الإسلامية الثابتة، هذا الدرس الكبير - المستوحى من الهجرة النبوية الشريفة - يجب أن يكون رائدنا في معركة التغيير الحضاري المعاصرة.

والله من وراء القصد

الوعي الإسلامي

الحفاظ على الصحة

الصحة نعمة كبيرة أنعم الله علينا بها ولولا هذه الصحة لعجزت الأجسام عن أداء الأفعال، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حديث ابن عباس «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»، ويذكر أيضاً عن ابن عباس أن أعرابياً جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له: ما أسأل الله بعد الصلوات الخمس؟ فقال: «سل الله العافية، فأعاد عليه فقال له في الثالثة سل الله العافية في الدنيا والآخرة»، وذلك لأن العافية هي التي تشد الجسم تكسبه خير الدنيا والآخرة.

ومن حديث عبدالله بن محصن الأنصاري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم «من أصبح معافى في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه فإنما حيزت له الدنيا»، وروى أبو الدرداء أنه قال: قلت يا رسول الله لأن أعافى فأشكر أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورسول الله يحب معك العافية».

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يُقال له: ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد».

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز: (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) وقد فسرها بعض المفسرين وأهل العلم بأن النعيم هنا المراد به الصحة.

إسماعيل الخطاري الكويت

أخطاء شائعة

إخواني القراء... أخواتي القارئات

هناك بعض الأخطاء الشائعة أردت تنبيهكم إليها:

* من هذه الأخطاء كتابة كلمة الراسل بدلاً من «المرسل»، فترى كتّاب الرسائل يذيلونها بكلمة «الراسل... ويكتب كذلك على المظروف ...

والصواب أن يُقال المُرسِل لأنها اسم فاعل من الفاعل الرباعي «أرسل» فتكون كذلك.

أرسل - يُرسل - مُرسِل.

وهذا الخطأ يقع فيه كثير من الأفراد، بل بعض المؤسسات.

* ومن هذه الأخطاء قول بعض الكتَّاب «النذر اليسير»، بالذال لا بالزاي وهذا الخطأ شائع على الرغم من الفرق بين «النذر» بالذال، وهو الخطأ و«النزر» بالزاي وهو الصواب، فقد جاء في المختار الصحيح مادة «ن ذ ر» «الإنذار» الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف والاسم النذر بضمتين ومنه قوله تعالى: «فكيف كان عذابي ونُذُر» أي إنذاري والنّذير المنذر والإنذار أيضاً والنذر واحد النذور....» انتهى.

وقد جاء أيضاً في مادة «ن ز ر» النزر القليل التافه وبابه ظرف وعطاء منذور أي قليل.

وبذلك يتبين أن الصواب «النزر» بالزاي «لا «النذر» بالذال.

* ومن الأخطاء الشائعة قولهم هذا كتاب شيق، وتلك قصيدة شيقة، والصواب أن يُقال: كتاب شائق، وقصيدة شائقة، لأن كلمة شيق معناها مشتاق وهذه هي الشواهد من لغة العرب:

١ - قول الشاعر الطائي:

مَنْ مبلغ قومنا النائبين إذ شطحوا
أنَّ الفؤاد إليهم شيق ولع

٢ - قول المتنبي:

ما لاح برق أو ترنم طائر
إلا انثنيت ولي فؤاد شيق

٣ - قول شوقي:

ألقت إليك بنفسها ونفيسها
وأتتك شيقة حواها شيق

وقد استخدم الأدباء والكتّاب الأقدمون لفظة «شائق» في معناها الصحيح، حيث يقول الراغب الأصفهاني في وصف إحدى القصائد المشهورة: «هي أبيات شائقة».

وبعد، فهذا ما تيسر لي في هذا المضمار، والله نسأل أن يرفع قدر هذه اللغة وأن يعلي شأنها وأن يوفق الناطقين بها إلى السمو بها والعمل من أجلها.

محمد نجيب لطفي

الافتتاحية

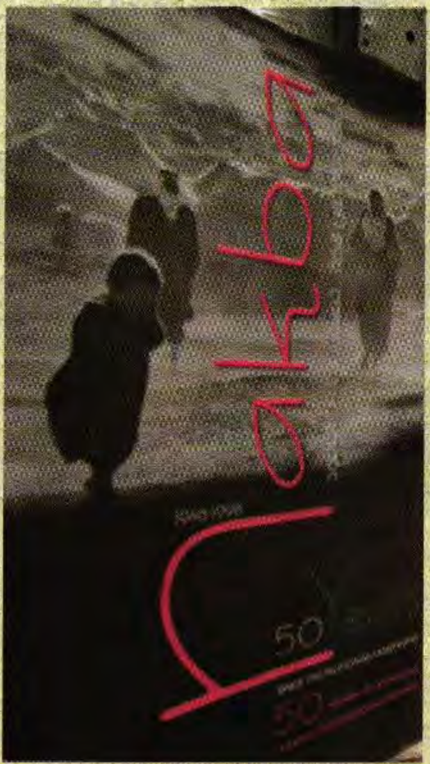
خمسون عاما من النكبة

ليس أجمل من أخذ الموعظة والعبرة من أحداث الزمان في القديم والحديث والماضي والحاضر، ولذا قيل «العاقل من اتعظ بغيره» ولعل النظر في أزمات ونكبات الأمة المتتالية يجعلنا نقف على جبل من المواعظ والعبر، فهكذا خمسون عاما من عمر أمة المسلمين تمر وكأنها المزن المثقلة بوابل المطر والغمام الاسود فمن طوفان إلى آخر أشد منه، ولولا فضل الله على الأمة في توجيهها بالثبات والصبر والتفاؤل، وأن العاقبة للمتقين، ولولا رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه من التضحية والفداء في سبيل الله إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل، ولولا كل ذلك لولت بلاد الإسلام منذ زمان بعيد!!

خمسة عقود من الزمان تمر على أمة المسلمين وهم في تشرذم وتجزئه وتباعد ومآس هنا وهناك وإنها لمسيرة ليست بالقصيرة استطاع اعداء الإسلام من خلالها تأكيد نظرية «فرق تسد» والخداع ولا تنخدع بتطبيق المثل العربي «أكلت يوم أكل الثور الابيض» ولذا فإنه من العبرة والاعتبار وأخذ الموعظة تأمل الاحداث المتسارعة في هذا التاريخ في ضوء قضاياه الخطيرة الكبيرة المؤلمة.

بداية نجد اليهود لعبوا دوراً عسيرا في حركة أخذت أبعاداً مختلفة من محاولة إقناع للسلطان عبد الحميد في تكوين وطن قومي لهم ومن ثم من الدول الاجنبية بالذات امريكا وانكلترا وفرنسا وكأنها صفقة مع انكلترا في إنشاء وطن قومي لهم عرف بصيغة وعد بلفور، وبعدها منذ نهاية الاربعينات وحتى الآن على مدى الخمسين سنة، حدثت جولات وصولات ومجازر وحرب وسلم وهدنة ومعاهدة واتفاقات انتهت قبل سنوات، ولما تنته بعد من مطالبة بتحقيق السلام ووسط هذا الركام وتلك الأمواج العاتية برز رجال حملوا الشعلة الجهادية بالدعوة إلى أن أمتنا أمة خير تصديقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم «الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة» الحديث وعليه فإنه لابد من وحدة الصف العربي ووحدة الأمة المسلمة تحت راية التوحيد الحق والعدل وان السلام يكون بإرجاع الحق إلى أهله وأنه لابد من الجهاد فهو الحل الحاسم والعلاج الناجع بالذات مع اليهود الذين لايحفظون عهداً كما وصفهم رب العزة سبحانه بقوله جلَّ وعلا: (لايرقبون فيكم إلاً ولا ذمة..)

ان تسطير ما عاناه أهل فلسطين من ألم ومعاناة وعذاب وما أحدثه بنو اسرائيل من خراب للديار والعباد ينقضون ماعاهدوا الله عليه يحتاج إلى ملاحم من القول ومجلدات من الكتابة، ولكن الخلاصة المهمة في قضية فلسطين واستردادها أنها ليست قضية شعب أعزل وإنما قضية أمة كما أنها ليست قضية أرض وإنما قضية عقيدة وهذا الفهم الذي يجب ان يعيه المسلمون في مختلف أصقاع الأرض ذلك إن فلسطين مهبط الوحي، ومنزل الأنبياء وقطعة من بلاد الشام وبلاد المسلمين مهما حاول الاعداء التزوير وتلفيق الأكاذيب، كما أن فيها الأقصى في أرض المقدس، وإن القدس مكان باركه الله سبحانه فمسجد الاقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين واذا ما أدركنا تلك المعاني ورفعنا لواء الوحدة كان هو لواء النصر والظهور واننا لمنتظرون وإن العاقبة للمتقين.



الوعي الإسلامي

مجليات

أكد سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح أن منعة الشعوب رهن بما تحققه من تقدم علمي وما يرتاده أبناؤها من آفاق المعرفة وما يكتسبونه ويطورونه من مهارات جديدة.

وأضاف سموه في كلمة له خلال رعايته حفل التخرج السنوي الموحد لخريجي جامعة الكويت للعام الجامعي ١٩٩٦م ـ ١٩٩٧م والذي أقيم يوم ١٩/١/١٤١٩هـ ـ الموافق ١٦/٥/١٩٩٨م أن النفط وحده لا يبني الحضارة ولا يؤمن استمرار الرخاء ولا يضمن السيادة والاستقلال، وإنما الذي يحقق ذلك كله هو الإنسان الكويتي المؤهل للأداء المتميز والعطاء الكفء والقادر على بناء النهضة وخوض معارك التنافس والتفوق فيها.

وفيما يلي النص الحرفي لكلمة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء.

رعى حفل التخرج السنوي الموحد لخريجي جامعة الكويت ١٩٩٦م ـ ١٩٩٧م

ولي العهد: النفط وحده لايبني الحضارة وإنما الإنسان الكويتي المؤهل للأداء المتميز



بسم الله الرحمن الرحيم

أحييكم أطيب تحية ويسعدني أن ألتقي معكم اليوم وأن أهنئكم جميعاً على ما حققتم من نجاح وأرحب بكم في ساحة العمل الوطني.

إن شعوراً فريداً خاصاً يتملكني اليوم وأنا أتحدث إليكم وأرى في وجوهكم صورة المستقبل المشرق الذي نتطلع إليه جميعاً والأمل في أن يحمل جيلكم أمانة العمل الوطني، وتسهموا بدوركم في رفع قواعد نهضة وطننا العزيز وحماية أمنه وسيادته.

لا أريد أن يكون حديثي معكم اليوم مجرد تهنئة أنتم جديرون بها وإنما مناسبة نتعرف من خلالها على حقيقة المهام التي تنتظرنا جميعاً، ونحن نستعد ـ مع العالم كله ـ لاستقبال قرن جديد، يحمل صوراً جديدة من التحدي تتطلب مواجهتها رؤية علمية دقيقة وجهداً مخططاً مدروساً، وعزيمة صادقة.

ولست في حاجة إلى أن أذكركم جميعاً بأننا نستقبل القرن الجديد ولم نكد ننفض أيدينا من معركة كبرى خاضها شعبنا ضد عدوان آثم، هدد وجود وطننا واستقلاله وحرية أبنائه، ولا تزال بعض ذيوله قائمة من حولنا، لهذا لا نملك أن تسترخي عزيمتنا، أو تغيب هذه الحقيقة عن أبصارنا، أو تختل الأولويات في نظرنا، فننشغل عن قضايانا الكبرى، بما هو دونها أهمية، وأقل منها خطراً.

الأخوة والأخوات:

إن منعة الشعوب رهن بما تحققه من تقدم علمي، وما يرتاده أبناؤها من آفاق المعرفة، وما يكتسبونه ويطورونه من مهارات جديدة، وإذا كان الله قد أفاء على أرضنا الطيبة نعماً كثيرة، يسّرت لأجيالنا المتعاقبة مستوى لائقاً من الرخاء والعيش الكريم، وأمكن بعونه وتوفيقه بناء الكويت الحديثة، التي تنعمون بخيراتها وتعتزون بالانتماء إليها، فإن النفط وحده لا يبني الحضارة، ولا يؤمن استمرار الرخاء، ولا يضمن السيادة والاستقلال وإنما الذي يحقق ذلك كله ويضمنه هو أنتم، الإنسان الكويتي المؤهل للأداء المتميز والعطاء الكفء والقادر على بناء النهضة وخوض معارك التنافس والتفوق فيها، إن الكويت ترى فيكم مصدر قوتها وتأمين مستقبلها، ولن تدخر وسعاً في سبيل تأهيلكم وتزويدكم بكل ما تحتاجونه لأداء هذه الرسالة.

الأخوة والأخوات:

إن القراءة الصحيحة للتاريخ، تكشف أن لنهضة الأمم وتفوقها شروطاً ثلاثة:

أولها: التزود المستمر بالعلم وتحصيل المعارف في غير توقف ولا اكتفاء ولا تهاون، ومن هنا فإننا ننظر إلى جامعتنا وكلياتنا ومعاهدنا ومدارسنا باعتبارها منطلقاً لمسيرة نهضتنا، وعدتنا الأولى في معركتنا ضد الجمود والتخلف، وضد كل صور الضعف الحضاري والاقتصادي والسياسي.

وثاني هذه الشروط: العمل المتواصل دونما تراخ أو تهاون أو اتكال على الآخرين، فنحن شعب صغير العدد كبير الطموح، ولا تحل هذه المعادلة الصعبة، إلا بأن نجنّد كل طاقاتنا، ونحشد كل جهودنا في اعتماد ذاتي متكامل، مؤمنين بأن الرخاء وبحبوحة العيش لا تعني ولا تبرر الكسل وفتور الهمم، والقعود عن العمل المنتج، فإن أغنى الشعوب في يومنا الحاضر، هي أكثرها عملاً وأفضلها إنتاجاً.

أما ثالث شروط النهضة والتفوق فهو تحقيق التوازن الضروري، بين المشاركة في مسيرة الشعوب، وبين الحرص على انتمائنا الوطني والقومي والديني، بما يحفظ لنا هويتنا الحضارية، وما تتميز به من قيم ومبادئ تحمي مجتمعنا من الأمراض الخلقية والانحرافات السلوكية المدمرة، التي صارت قادرة على اختراق حدود القارات والحضارات.

وإذا كان ديننا الإسلامي العظيم، قد زودنا بالقيم الإنسانية الرفيعة، والمبادئ السامية، التي حفظت لمجتمعنا تماسكه، وحددت له معايير الخطأ والصواب، فإن علينا أن نعمل على تثبيت وإشاعة الفهم الصحيح للإسلام، باعتباره دعوة عالمية للخير، ونظاماً إنسانياً موجهاً للناس جميعاً، يدعو إلى الحق ويقيم العدل وينشر السلام، وباعتباره كذلك إعلاناً عالمياً للإخوة الإنسانية... يرتفع فوق حدود الأجناس واختلاف اللغات، وإنه في جوهره دعوة لتعمير الأرض، والمحافظة على خيراتها، وتحقيق التقدم الإنساني الذي يعم الناس جميعاً... وليس دعوة للعزلة أو ردة إلى الوراء أو أداة لخلق عداء مستمر بين المسلمين وغيرهم من شعوب الأرض، أو بين بعض فئاتهم وبعضها الآخر.

إن الإسلام نهوض وتقدم، وليس جموداً أو تخلفاً... وهو سماحة ورحمة، وتخفيف عن الناس، وليس غلظة أو قسوة، أو تضييقاً على الناس، أو إشاعة للعسر والحرج في حياتهم... ونبينا العظيم - صلى الله عليه وسلم - الذي بعثه الله هدى ورحمة للعالمين ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

أبناءنا وبناتنا الخريجين

أجد لزاماً عليَّ اليوم، وأنتم تستقبلون حياتكم العملية أن أتحدث إليكم حديث الأب لأبنائه، ناصحاً ومرشداً... إن عليكم أن تتقبلوا اختلاف الرأي وتنوع الرؤية، وتدركوا أن تعدد الاجتهادات ليس خطأ، وإنما الخطأ ضيق الصدر بالآخرين، وتحويل التنافس المشروع، من وسيلة لتحقيق المصلحة العامة، واستباق الخيرات إلى سبب للتفرق والتشرذم، وافتعال الخصومات التي تصرفنا عن قضايانا الكبرى.

إن النجاح - أيها الأعزاء - لا يتحقق بالمصادفة أو بضربة حظ، بل يتحقق بالكفاءة والجد والعمل المخلص الدؤوب، من خلال الأمانة والاستقامة وإذا ما تراءى لكم في حياتكم العملية، ما تتصورون إنه مخالف لهذه الحقيقة، فتأكدوا أن ذلك لايمكن أن يستمر أو يكتب له البقاء فلا يصح إلا الصحيح، وما بني على باطل فهو باطل... هذه هي سنة الحياة، فلا تجعلوا مثل هذه الأمور إن وجدت - تفتح لليأس سبيلاً إلى نفوسكم، أو تغريكم بالتخلي عن قيمكم ومبادئكم وأخلاقكم.

واذكروا دائماً أنكم أصحاب قضية، هي قضية الكويت العادلة، وإن سلوككم - حيثما كنتم - ينعكس سلباً أو إيجاباً على قضيتكم، فاليوم إذ نواجه عدواً غادراً متربصاً على حدودنا، نحن أحوج ما نكون إلى كسب الأنصار، ومد جسور الصداقة والتعاون مع سائر الشعوب... إن آباءكم وأجدادكم ضربوا أروع الأمثلة، ليس فقط في كفاحهم وعزيمتهم ومغالبتهم الصعاب، بل أيضاً في صدقهم وأمانتهم وتواضعهم وسماحتهم وحسن تعاملهم.

أبناءنا وبناتنا الخريجين

أهنئكم مرة أخرى، وأهنئ آباءكم وأمهاتكم، الذين كانوا لكم العين الساهرة واليد الحانية وأشاركهم السعادة لنجاحكم، وأهنئ بكم الكويت أمّنا جميعاً، التي تنظر إليكم الآن بالفرحة والثقة والاعتزاز، متطلعة إلى عطائكم حين تتسلمون رايتها، كما تسلمها آباؤكم وأجدادكم من قبل، ورفعوها عالية خفاقة، وصانوها حرة أبية.

ولكم جميعاً دعائي أن يحفظكم الله، ويبارك جهودكم، وأن يحفظ على كويتنا الغالية، وحدة صفوفها وتآلف قلوبها، وأن يكون معها في مسيرة الخير التي لا تبغي إلا وجهه، وأن يأخذ بأيدينا جميعاً لما يحبه ويرضاه، ويسدد خطانا لما فيه خير ورفعة وطننا العزيز، بقيادة راعي نهضتنا حضرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه.

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ■

المعهد الديني يحتفل بمرور خمسين عاما على إنشائه





شمل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح يوم الإثنين ٢٨ محرم ١٤١٩ هـ الموافق ٢٥ مايو ١٩٩٨ م برعايته احتفال المعهد الديني بمرور خمسين عاما على انشاء التعليم الديني في دولة الكويت وقد جرى خلال الاحتفال تكريم عدد من الرواد الذين تخرجوا من المعهد منذ انشائه عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٧٥ م.

مؤتمرات

جمعية بيادر السلام النسائية عقدت مؤتمرها التربوي الأول

التحديات التربوية بين طموح الآباء وواقع الأبناء

كتب : تمام أحمد

بهدف التعرف على مرونة النظام التربوي في الإسلام وواقعيته وإلقاء الضوء على أهم التحديات التربوية التي تواجهها الأسرة الكويتية والتعرف على آثار الغزو العراقي على القيم السلوكية والتربوية في المجتمع الكويتي، وعرض أفضل الأساليب لتنمية الوعي التربوي، عقدت جمعية بيادر السلام النسائية مؤتمرها التربوي الأول في فندق «كويت ريجنسي بالاس» وذلك خلال الفترة من ١٢ ـ ١٤ محرم ١٤١٩هـ الموافق ٩ ـ ١١ مايو ١٩٩٨م وذلك تحت رعاية نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي أناب عنه وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ أحمد خالد الكليب في افتتاح فعاليات المؤتمر.

أجيال جديدة تجمع بين الأصالة والحداثة

وفي الكلمة التي ألقاها السيد الوزير أحمد الكليب في افتتاح المؤتمر، طالب بالتركيز على الجانب العملي والسلوكي مع الاهتمام بنتائج المؤتمرات التي سبق عقدها لتكملة المسيرة العالمية وأكد ضرورة ترجمة جميع اللقاءات العلمية والمؤتمرات إلى الواقع العلمي والسلوكي لكي لا يصبح مجرد نزهة فكرية.

وأشاد الكليب بحسن اختيار جمعية بيادر السلام الموضوع الذي يطرح على المؤتمر والتحديات التربوية بين طموح الآباء وواقع الأبناء والإعداد الجيد له واختيار المساهمين فيه.



● الوزير أحمد خالد الكليب

وقال إننا في حاجة إلى نهضة تربوية تستند على منطلقاتنا الإسلامية لنتعامل بنجاح مع التحديات التربوية لوضع أساس تربوي تتم من خلاله تحقيق المعادلة الصعبة المتمثلة في تنشئة أجيال جديدة تجمع بين الأصالة والحداثة وتحقيق التوازن بين الهوية الوطنية والعالمية وتتعامل بنجاح مع قضايا العصر ونظمه وأدواته مع تمسكها بذاتيتها وتحقيق أكبر قدر من الانفتاح على الحضارات الإنشائية بما لايمس أويؤثر في انتماءاتنا الحضارية.

نهضة تربوية

وركز في حديثه على أن النهضة التربوية المنشودة لن تتأتى إلا بجهود مكثفة من أهل الفكر والرأي والتخصص من الذين يجمعون بين العلم التربوي المعاصر والانتماء الفكري الإسلامي ممن تشغلهم قضايا الأمة وهمومها والتحديات التي تواجهها، وتشكل اللقاءات الفكرية التي تجمع هذه النخبة المتميزة المناخ العلمي الملائم لإقامة حوار تتبادل فيه الأفكار وتتكامل الرؤى.

وطالب بضرورة الاهتمام بدراسة التحدي الذي يواجه الآباء والمربين نتيجة الانفتاح على العالم الخارجي من دون ضوابط أو قيود بعاداته وسلوكياته وحضاراته المختلفة والمتنوعة وبثقافاته المتعددة التي لا تتفق بعضها مع ديننا الإسلامي مشيراً إلى أن هذا الانفتاح تفرضه علينا طبيعة العصر ومن المتوقع أن تزداد حدته خلال القرن المقبل وهذا يتطلب منا دراسة كيفية التعامل معه.

ودعا أهل الرأي والخبرة من علماء الوطن والمفكرين فيها وأصحاب الرأي والخبرة أن يعكفوا على دراسة أنجع وسائل التعامل مع هذا التحدي بما يحفظ للوطن والأمة هويتهما.

وقال إن المجتمع الكويتي في انتظار نتائج مؤتمر التحديات التربوية بما سيضيفه إلى لبنات البناء التربوي واجتهادات التعامل مع التحديات التربوية.

صناعة الإنسان

ومن جانب آخر تحدثت رئيسة جمعية بيادر السلام النسائية دلال العثمان فقالت إن الحديث عن التربية يعني الحديث عن فن صناعة الإنسان من الناحية الفعلية والنفسية والروحية والاجتماعية لإعداد الإنسان للقيام بدوره.

وأضافت أن التربية التي تستمد أصولها من نهج الإسلام وتواكب مسيرة البناء والعمران بروح العصر ومستجداته هي التي تصنع الإنسان القادر على بناء أسرة

ومجتمع مستقرين.

وأشارت إلى الخلل الذي أصاب القيم التربوية بسبب سرعة العصر الخارقة ما يهدد بفقدان هويتنا وأصالتنا وقالت إن الخلل التربوي يعود إلى تربية الأبناء بأسلوب قديم مضى عليه ثلاثون عاماً.

محاور المؤتمر

وخلال أيام المؤتمر الثلاثة ناقش المحاضرون والمشاركون ثلاثة محاور أولها منطلقات التربية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وطرحت من خلال هذا المحور ثلاثة أبحاث هي: التكريم الإلهي للإنسان في النظام التربوي الإسلامي، ومرونة المنهج التربوي الإسلامي وواقعيته، وأثر غياب القيم التربوية الإسلامية على بناء الفرد والمجتمع، أما في المحور الثاني للمؤتمر والذي دار حول التحديات التربوية التي يواجهها المجتمع الكويتي فطرحت أبحاث عدة أبرزها: القيم التربوية في المجتمع الكويتي بين الأصالة، والحداثة، التحديات التربوية التي تواجهها الأسرة الكويتية، الأهداف التربوية في المؤسسة التعليمية بين النظرية والتطبيق، القيم التربوية في وسائل الإعلام بين الهدم والبناء.

أما المحور الثالث الذي دار حول: سبل تطوير الوعي التربوي وتنميته فتضمن بحوث عدة أهمها: التربية الأسرية بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية، والتناقضات التربوية بين الأسرة والمدرسة والتصدي لها، والمشكلات التربوية بين الوقاية والعلاج، وأهمية تنمية الوعي التربوي لدى الوالدين وسبل تطويره.

توصيات المؤتمر

هذا وقد أصدر المؤتمر في ختام فعالياته سلسلة من التوصيات العامة والتربوية والإعلامية جاءت كالآتي:

أ ـ توصيات عامة:

١ ـ إقامة مؤتمر مستقل لدراسة منظومة القيم وتغيرها في المجتمع الكويتي وكيفية ترسيخها.

٢ ـ أن تقوم جمعية بيادر السلام بمشاركة المؤسسات التربوية، بمتابعة القضايا المثارة في المحاور الثلاثة والمساهمة الجادة في هذه القضايا مع عمل ميثاق علمي يسمى «ميثاق القيم» ويعرض على جميع المؤسسات التربوية والاجتماعية لإقراره.

٣ ـ تكاتف القطاعات المسؤولة في الدولة والمجتمع والأسرة على تأصيل الهوية الكويتية والحفاظ عليها مع عدم إغماض العين عما يجري من حولنا من تغيرات متسارعة في عصر التكنولوجيا ووسائل الاتصال والقواعد المعلوماتية المتحركة.

ب ـ توصيات تربوية:

١ ـ تلاحم المؤسسات التربوية معاً وتدعيم دور جمعيات النفع العام وتكاتف جهودها لبحث قضية جنوح الأحداث والناشئة وعدم الاقتصار على عقد المؤتمرات للتصدي إلى هذه المشكلة.

٢ ـ إنشاء مكتبات خاصة للطفل تُعنى بقصص الأطفال وتحاكي واقعه مع ضرورة تزويدها بجميع الحاجات الإعلامية والتربوية المرئية والسمعية.

٣ ـ الاهتمام باللغة العربية في مدارسنا ومؤسساتنا باعتبارها وسيلة الاتصال الصحيحة.

٤ ـ العمل على تنظيم دورات تثقيفية تربوية تزود الآباء والأمهات بالمبادئ التربوية والنفسية التي تساعدهم على معرفة خصائص الأطفال وتربيتهم في مراحل نموهم المختلفة وكيفية التعامل معهم وبشكل يمكّن الوالدين من القيام بوظائفهم كمربين.

٥ ـ قيام وزارة التربية بعمل دورات للمدرسات لاستيعاب دورهن التربوي في توجيه الأبناء إضافة إلى دورهن التعليمي.

٦ ـ إقامة المعسكرات للشباب وتوفير المشايخ والمربين المختصين.

٧ ـ التوسع في مراحل التعليم المناسبة بمقررات الثقافة العامة، ولا نعني بها المواد التي تحشد في أذهان الطلاب والطالبات وإنما نعني السعة في المعلومات العامة مصحوبة بالتعمق في الفهم ومحاولة تنمية الميول العقلية التي تدفع بصاحبها إلى البحث والاستزادة من العلم وتكسبه في الوقت نفسه القدرة على متابعة الجديد وعلى تفسير الاتجاهات ومعرفة أهدافها.

٨ ـ طرح منهجين للمدارس:

ـ في المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية وذلك بتعليم الطلبة كيفية التعامل مع الأسرة والمدرسين والمجتمع.

ـ في مرحلة التعليم العالي إضافة منهج للطلبة يبين لهم كيفية التعامل مع الأبناء باعتبارهم سيكوّنون أسراً في المستقبل.

ج ـ توصيات إعلامية:

١ ـ وضع خطة إعلامية تربوية مشتركة تتكاتف فيها جهود الإعلاميين والتربويين لتقود مسيرة الإعلام الكويتي بإرشادات تربوية، كما لابد من أن يستعان بالمختصين التربويين لمراقبة وتقييم البرامج الإعلامية.

٢ ـ أن يكون للصغار برامج يعدونها في الإذاعة والتلفاز تكون منهم وإليهم.

٣ ـ إصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأوروبية لتنقل وجهة النظر الإسلامية بشتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية.

٤ ـ تشكيل مظلة إعلامية ثقافية تنتهج مبادئ حرية التعبير تحمى ذاتيتنا الثقافية لتصحيح التصورات الخاطئة عن الإسلام وتعرضه بأسلوب تقني متطور يتناسب مع العقلية المعاصرة وإنتاج الفنون المتمثلة في المسلسلات والأفلام والبرامج والمسرحيات وذلك من خلال مختصين في علوم وفنون الصورة والحركة.

٥ ـ لابد من عمل دراسة قبل إنتاج واختيار أي برنامج في تلفاز دولة الكويت.

٦ ـ عمل استبانة للمشاهدين لاستطلاع رأيهم في أفضل وأنجع البرامج المعروضة في تلفاز الكويت.

٧ ـ خدمة الإسلام عن طريق الإنترنت وذلك بتوحيد جهود العلماء المسلمين بتزويد الإنترنت بالاجتهادات الشرعية والمعلومات الإسلامية المتفق عليها من قبل جميع الدول الإسلامية. ■

مؤتمرات

تحت رعاية سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء، احتضنت الكويت خلال الفترة ما بين ٢٩ ذو الحجة ١٤١٨هـ - ١ محرم ١٤١٩هـ الموافق ٢٦ - ١٩٩٨/٤/٢٨م المؤتمر الإقليمي الأول الذي نظمته الجمعية الكويتية لمكافحة التدخين والسرطان بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ومنظمة الصحة العالمية...

المؤتمر الإقليمي الأول لمكافحة التدخين



وزير الصحة يفتتح المؤتمر

وفي كلمة الافتتاح التي ألقاها د. عادل الصبيح وزير الصحة ووزير التربية والتعليم العالي بالوكالة نيابة عن راعي الحفل دعا إلى تعبئة الطاقات وتوحيد الجهود لإطلاق حملة واسعة تهدف إلى حماية الأطفال والشباب من الوقوع في شرك التدخين والعمل على مساعدة المدخنين للخلاص من هذه الآفة القاتلة، وحذر من خطورة انتشار ظاهرة التدخين بين طلاب المدارس التي تصل إلى نسبة ٥٢٪ وقال إن ٥٠٪ من وفيات المستشفى الصدري في الكويت تأتي بسبب سرطان الرئة الذي يعتبر التدخين عاملاً رئيسياً في حدوثه واستعرض بعدها د. الصبيح جهود الدولة في مكافحة التدخين ومنها منع الإعلانات عن التدخين وبخاصة في الأماكن العامة، وفي وسائل الإعلام الرسمية وكتابة التحذير الصحي على علب الدخان وتقييد الحد الأعلى لمحتوى الدخان من القطران والنيكوتين، وزيادة الضريبة الجمركية على الدخان بشكل متزايد وصولاً إلى نسبة ١٠٠٪ العام ٢٠٠٠م.

سكان الدول النامية ضحايا شركات التدخين

من جانبه، هاجم رئيس الجمعية الكويتية لمكافحة التدخين والسرطان الدكتور عبدالرحمن العوضي شركات التدخين التي تستهدف فئة الشباب للترويج لمنتجاتها من السجائر عبر طرق الدعاية والإعلان، وأضاف أن معظم ضحايا التدخين في العالم هم من سكان الدول النامية، وأن الإحصاءات تشير إلى أن ثلاثة ملايين ونصف المليون شخص يموتون سنوياً بسبب التدخين في العالم.

زيادة استهلاك في الشرق الأوسط

وحذر ممثل منظمة الصحة العالمية في المؤتمر الدكتور محمد الخطيب من تزايد استهلاك التبغ في منطقة الشرق الأوسط، حيث تشير الأرقام إلى زيادة الاستهلاك بأكثر من الضعفين خلال السنوات الأخيرة، وطالب الدول بسن القوانين والتشريعات اللازمة لمكافحة التدخين.

التدخين خطر على الإنسانية

أما المقرر العام للمؤتمر أنور جاسم بورحمة فأشار في كلمته إلى أن التدخين أصبح خطراً يهدد المجتمعات الإنسانية في مكوناتها الأساسية المتمثلة في الفرد والأسرة من حيث تأثيره السلبي على قدرتهم في المشاركة الفعالة في مسيرة التنمية والبناء في بلادهم نتيجة للأضرار الصحية التي ألحقها بهم، ونظراً لانتشار هذه الآفة الخطيرة وتأثيرها الضار على البيئة والمجتمع، فقد أصبحت مسؤولية مكافحتها مسؤولية جماعية ومشتركة بين مؤسسات الدولة الرسمية والشعبية كافة، لما تشكله هذه الظاهرة من خطورة على الأجيال اللاحقة التي ستتولى المسؤولية من بعدنا.

محاور المؤتمر

ناقش المؤتمر خلال فعالياته عدداً من المحاور والمواضيع المتعلقة بمكافحة التدخين،

ومنها دور الطب في مكافحته وعيادة التدخين في الكويت وعيادة التدخين في السعودية وتجربة الجمعية الكويتية لمكافحة التدخين والسرطان وبعض الملاحظات النفسية حول الإقلاع عن التدخين، وتأثير التدخين على الحامل والطفل والتجربة العمانية في المكافحة ودور التربية والإعلام في المكافحة ورأي الدين في عادة التدخين.



توصيات المؤتمر

هذا وقد أصدر المشاركون في المؤتمر في اختتام مؤتمرهم جملة من التوصيات من أبرزها:

- ضرورة السعي لإقناع المدخنين من الأطباء والمدرسين والعاملين في المجال الصحي والتربوي لكي لا يكونوا قدوة في تدخينهم، وعدم قناعتهم بمضار التدخين، حتى لا يفقد النصح والإرشاد معناه، ودعم الجمعية الكويتية لمكافحة التدخين والسرطان وبشكل خاص العيادة الخاصة بمعالجة المدخنين والجمعيات الأهلية الأخرى في مجال مكافحة التدخين وبخاصة في الدول المشاركة مع التوسع في إنشاء عيادات لمكافحة التدخين، والقيام ببحث موحد لمعرفة مدى انتشار التدخين وحجم المشكلة في جميع دول مجلس التعاون، وبقية الدول العربية الأخرى وأسبابها ورسائل القضاء عليها.



صحتك

وزير الصحة يرعى افتتاح المؤتمر الأقليمي الأول لمكافحة التدخين

د. عادل الصبيح

د. عبد الرحمن العوضي

انتشار مخيف لظاهرة التدخين بين طلاب المدارس

كما أوصى المشاركون بضرورة وضع استراتيجية معاكسة لمواجهة النشاط الإعلامي لشركات التبغ، وأكدوا أهمية دعم وزارات الصحة لجمعيات مكافحة التدخين لتمكينها من أداء رسالتها، وتكوين مجموعة من الأطباء تحت اسم «أطباء بلا تدخين» يقومون بالتعاون مع العاملين في المجال الصحي، ويتخصصون في مكافحة التدخين والتوعية بالحد من أضراره الصحية، ودعا المشاركون إلى ضرورة تأكيد توضيح الأحكام الدينية بالنسبة للمدخنين، من حيث تحريمه القاطع والاتصال بمجمع الفقه الإسلامي والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ورابطة العالم الإسلامي للنظر في مشكلة التدخين وتحريمه، وكذلك إقامة حلقة علمية وورشة عمل حول دور علماء الدين في مكافحة التدخين.

كما ناشدوا الدعاة للاهتمام بالتركيز على الدعوة إلى الابتعاد عن التدخين من خلال الخطب والوعظ في المساجد.



توصيات المؤتمر

صحتك

في ختام فعالياته:

د. العوضي يثني على المؤتمر ويشكر ضيوفه

وعلى صعيد المحور النفسي والتربوي، دعا المشاركون في المؤتمر إلى ضرورة إدخال مادة مكافحة التدخين ضمن المناهج الدراسية لتبصير الطلاب بضرره وخطورته، وأكد المشاركون ضرورة التزام أصحاب الصحف والمجلات ووسائل الإعلام المختلفة بقانون منع الإعلان عن التبغ، مع تأكيد أهمية إنشاء اتحاد عربي للجمعيات العربية غير الحكومية لمكافحة التدخين.■

تمام أحمد

مؤتمرات

اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية تعقد

المؤتمر الدولي للمساهمات الحضارية للمرأة





بقلم : ابتهال قدور

ضمن سلسلة مؤتمرات «قنوان دانية» المنبثقة عن اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية جاءت فعاليات المؤتمر الدولي للمساهمات الحضارية للمرأة لتلقي الضوء على كل مساهمة قدمت فائدة للحضارة العالمية فأثرتها سواء كانت تلك المساهمة على المستوى الاجتماعي أو الفكري أو العلمي أو الثقافي، ولكن التميز الذي أحرزه هذا المؤتمر تحقق من كونه تضمن ثلاث فعاليات في آن واحد:

١ - نسائي فكري موجه:

- يبرز عطاءات المرأة في كل موقع.

- يفعّل دورها الحضاري في كل مجال.

٢ - شبابي تدربي:

- تقدمه نخبة شبابية بتركيز كبير.

- منظمات شبابية عالمية تقدم تجربتها المتميزة.

٣ - فني حرفي حيث ضم معرضاً للفن التشكيلي.

- عرض فني يدوي.

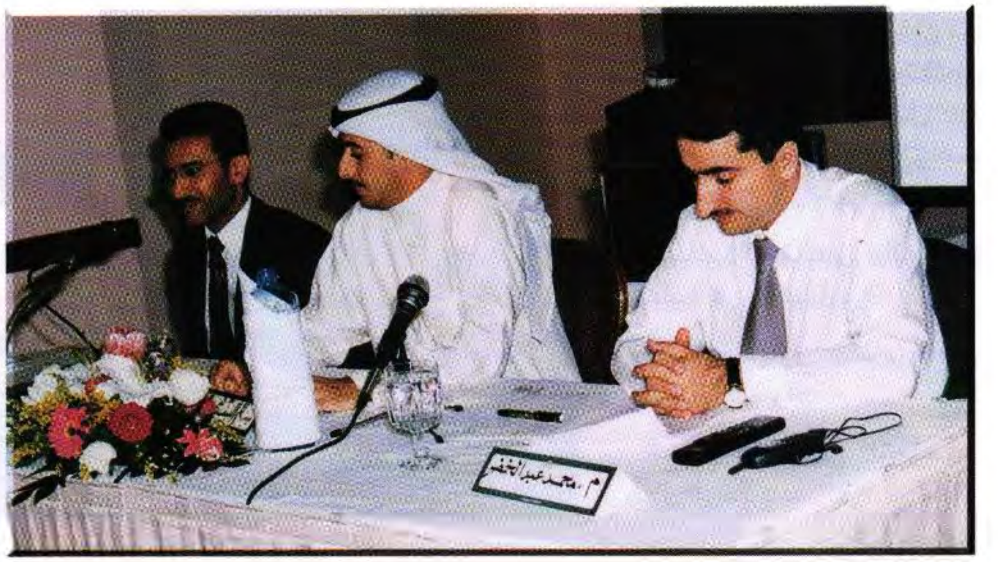
- محاضرات وحلقات نقاشية تخصصية.

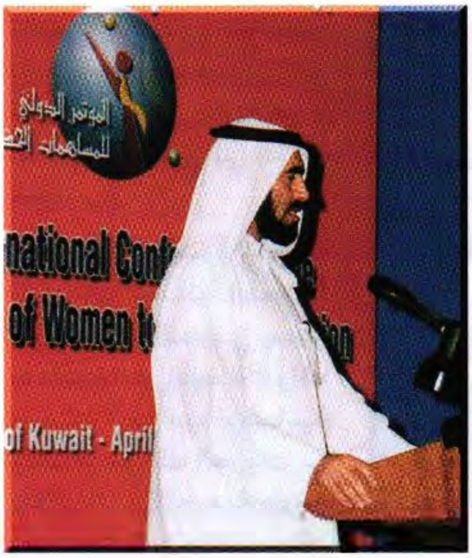
كما تميز مؤتمر المساهمات الحضارية للمرأة بأنه كسر قاعدة المحاضرة الواحدة المنفردة، إذ انعقدت المحاضرات بشكل متواز عددت أمام الحضور فرص اختيار الموضوع والمحاضر حسب الاهتمام أو التخصص.

هذا، وقد جاءت الدورة التدريبية التي قدمها د. طارق سويدان تحت عنوان منهجية التغيير لتشكل قمة التميز في هذا المؤتمر، حيث لم تعتد المؤتمرات السابقة على تقديم أو عرض دورات تدريبية ضمن فعالياتها، أما إذا ما توجت هذه الميزات الثلاث للمؤتمر بتنفيذ عملي للتوصيات، فلعله يكون نموذجاً حياً سليماً تحتذي به المؤتمرات العربية والإسلامية، إذ انه لوحظ من خلال الطرح سواء من قبل المحاضرين أو الجمهور أن الحاجة للمجتمعات لم تعد تنحصر في التنظير والاجتماع لطرح هذه النظريات وعرضها، ولكن الحاجة الماسة حقيقة هي في تحويل هذا التنظير وهذه الرؤى الفكرية إلى مجال الواقع لكي تكون فائدتها محسوسة وثمارها مجنية وإذا كان الكثير من رواد المؤتمرات السابقة قد امتنعوا عن الحضور في هذه المرة لأنهم سئموا الكلام - على حد تعبيرهم - فإن التحدي الكبير سيكون في تأكيد الإيجابية للمؤتمرات وإعادة الثقة بها وبجهود المفكرين وأصحاب الخبرات، وسيكون هذا واضحاً أكثر ما يكون عندما سيتحول الكلام إلى عمل والنظرية إلى تطبيق والخبرة إلى عبرة.

لقد كان من المقرر أن تشارك د. منى حداد يكن في هذا المهرجان الفكري في واحدة من أهم الندوات وهي المساهمات الحضارية للمرأة في الجانب السياسي، حيث إنها صاحبة تجربة في هذا المجال، إلا أنها اعتذرت عن الحضور لظروف خاصة.

جاءت الندوة الأولى «المساهمات الحضارية معايير وأصول» والتي حاضرت فيها كل من د. فاطمة خليل - رئيسة شعبة الحضارات في جامعة المغرب والأستاذة هبة رؤوف





المدرّسة المساعدة للعلوم السياسية في جامعة القاهرة، لتؤصل قضايا مهمة وتحدد معايير واضحة حول المساهمة الحضارية فخلصت المحاضرة الأولى إلى أن العمل الحضاري ورقي الحياة إنما يكونان برقي روحي أخلاقي غايته رفع مستوى الإنسان وتعميم الخير على البشرية وانتقدت استئصال العلوم الإنسانية للغيبيات من الدراسات الحضارية.

أما هبة رؤوف فقد ركزت على مفهوم الحضارة واعتبرته محايداً لا يتحمل وصفاً إيجابياً، وذكرت بأن الإسلام صنع المدينة التي هي أساس كلمة حضارة عند الغرب، ولم تصنعه المدينة... كما أن المدينة الإسلامية بدأت عالمية بسفراء وخطابات عالمية وينبغي أن تظل المدينة هي مرجع المسلمين على المستوى الحضاري.

وأكدت أن أساس الحضارة الإسلامية هي شرعة الله التي انبنت على التوحيد على خلاف الحضارات الأخرى حيث أصبح الإنسان جزءاً من الطبيعة، وخلصت إلى أن إهمال شروط الاستخلاف هو سبب لزوال الحضارات.

إجمالاً فقد كانت الندوة قيّمة على الرغم من حاجتها إلى المزيد من البحوث والمشاركات المثرية إذا ما نظرنا إلى أهمية الموضوع.

كما لوحظ اختفاء أسماء إسلامية بحثت في موضوع الحضارة وأثرت بها المكتبة الإسلامية، إلا أن هذا الإثراء لم يجاوز رفوف المكتبات على ما يبدو.

فالمحاضرة فاطمة خليل ذكرت معظم الغربيين الذين عرفوا الحضارة ولم يرد في بحثها اسم لباحث إسلامي مثل مالك بن نبي وغيره ممن بحث بجدية في مجال الحضارة وسنن تغيير النفس والمجتمع أو حتى من أولئك الذين توافقت تعريفاتهم مع التوجهات الإسلامية في بعض جوانبها كالباحث أرنولد توينبي على سبيل المثال.

أما ندوة «الرؤية المستقبلية لدور المؤسسات في إعداد المرأة لدورها الحضاري»، التي شارك فيها د. ناصر الصانع، ود. إسماعيل الشطي، ود.وليد الوهيب، فقد أشبعت وأرضت تطلعات المرأة الطامحة إلى تسلم المراكز القيادية وجاءت إيجابيتها في كون المحاضرين فيها كلهم من الرجال، فلم تعد المحاضرات في هذا السياق عملية تعاطفية من أنثى لأنثى، إنما كانت استجابة ماسة لمتطلبات حضارية اعترف بها الرجل وراح يطالب بها متجاوزاً بذلك تلك الحوارات البالية التي مازالت تجادل في جدوى مساهمة المرأة في بناء مجتمعها.

فقد كانت نقلة حضارية في مستوى الطرح، وستتحول إلى خطوة حضارية عملية إذا ما تم تنفيذ ما ذكره د. وليد الوهيب من منح حقوق المرأة في مجال العمل والاعتراف بفترة الأمومة والحضانة واعتبارها فترة إنتاج وعمل مفيدة للمجتمع لا فترة انقطاع عن العمل.

أما المحاضرات المتوازية، فقد تناولت دور المرأة في مجاوزة التحديات في المجتمعات العربية، ونماذج ومساهمات محلية في مجال المعاقين وذوي الحاجات الخاصة، والتي سلطت الضوء على الدور المتميز الذي تؤديه المرأة في هذا المجال.

ونتوقف عند ندوة «نماذج لمساهمات محلية وعالمية في المجال الإعلامي» حيث أبدى المهتمون تخوفهم من توجه الإعلام وجهة غير مسؤولة في مخاطبة المشاهد مبرزين أهمية البحث عن منهجية بديلة تهتم بالتركيز على بناء القيم الحضارية الإسلامية لدى المشاهد العربي المسلم، وإلا فإن حضارات أخرى رائدة في هذا المجال ستغزو ضمائرنا وتفكيرنا إرادياً ولا إرادياً.

تأكدت في هذه الندوة النوايا الحسنة والشعور بالدور الحضاري لدى الإعلاميين والإعلاميات إلا أن افتقاد المؤسسات الإعلامية لمناهج سليمة وأهداف توجهية واضحة تشكل عائقاً أمام الأداء الفعال للإعلام.

وكعادته أثرى د. محمد الهاشمي الحامدي المحاضرة بتجارب واقعية وتلمس بفكره مواطن جراح كثيرة وعميقة يتعرض لها الإعلام العربي طارحاً حلولاً عدة وموجهاً خطابه للمستثمرين العرب كي يوجهوا استثماراتهم إلى مجال الإعلام نظراً للضرورات الحضارية المستجدة في هذا الوقت كما دعا لتخصيص باب في الأوقاف يرعى الجانب الإعلامي أو حتى تخصيص باب من أبواب الزكاة إذا كان هناك مجال...

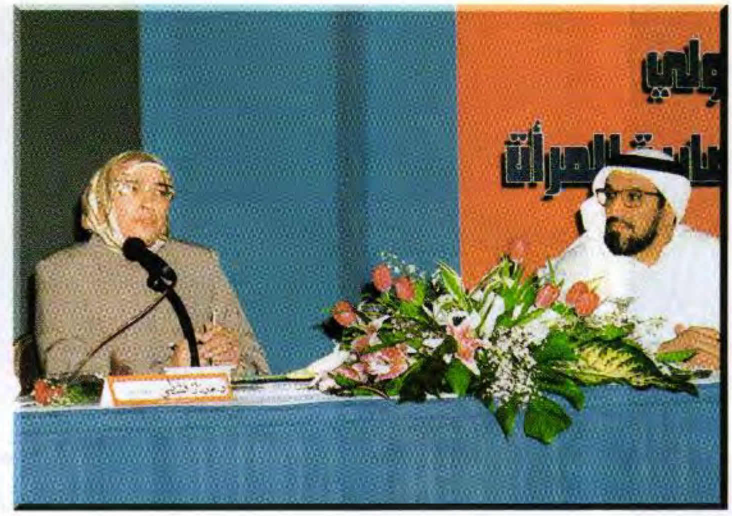
واعتبر أن التجاوب مع أفكاره يبقى منوطاً بمدى وعي المسؤولين وأصحاب القرار بالدور الإعلامي في البناء الحضاري.

وناقشت المحاضرة الخامسة «الحركات النسائية التحررية في العالم العربي ومدى مساهمتها في نهضة المرأة»، وبحثت الجوانب الإيجابية والسلبية في تلك الحركات من خلال المشاركتين هبة رؤوف، ود. فاطمة خليل وكذلك بحثت الأستاذة سوزان دوغلاس - عضوة المجلس الأعلى للتعليم في واشنطن - في المساهمات الحضارية للمرأة في المجال التعليمي وتحدثت عن المؤسس التعليمية كمعلم من معالم الحضارة وعرضت نماذج لمساهمات نسائية متعددة في المجال التعليمي.

ولم يغب عن المؤتمر دور الأسرة كقاعدة للمجتمع الحضاري، فقد خصصت لهذا الموضوع المحاضرة السابعة، حيث ناقش الحضور كيفية تهيئة الأسرة للقيام بدورها الحضاري.

على اعتبارها اللبنة الأولى التي سترسي دعائم المجتمع الإسلامي المستقر كما نوقش دور القدوة والتربية في بناء الأسرة.

وقد قدم د. بشير الرشيدي بحثاً قيّماً تناول فيه الأمومة باعتبارها مساهمة حضارية حقيقية للمرأة من حيث كونها المحضن التربوي الأول للإنسان الذي سيكون بدوره صانعاً للحضارات، وطالب بحماية الأمومة من سلبيات الحضارة الحديثة وركز على حقوق الطفل من إرضاع وحضانة لكي لا تؤذيه عملية الفصل المفاجئ عن أمه، ثم طالب الأم الكويتية بوقفة صادقة مع الذات لكي تحدد إن كانت مخلة في واجباتها الأسرية كأم وزوجة ومن ثم تتخذ القرار الحاسم الذي لا يعلي صوت العمل على صوت أمومتها، لأن تربية الأجيال والاهتمام بهم هو الدور الحضاري الأهم الذي يجدر بالمرأة أن تقوم به على أكمل وجه لكي يتحقق التكامل في المهام الحياتية بينها وبين الرجل.



هذا وقد تناولت الدكتورة آمنة فتنت من الجامعة اللبنانية في محاضرة «المرأة في مواجهة الرجل» تكامل الأدوار بين المرأة والرجل ومجالات تفوق كل منهما، وحقيقة التنافس بينهما وردت دعوات الندية التي ينادي بها البعض.

ولم يقتصر المؤتمر على المحاضرات والندوات، فقد نوقش موضوع نهضة المرأة بين المنهج الإسلامي والمنهج الليبرالي في حوار مفتوح شارك فيه جمع كبير من المشاركين من دكاترة وأساتذة ومفكرين كما شارك الحضور بفعالية في الحوار فأصبح أكثر إثراء وحيوية وأعم فائدة.

وقد تم تخصيص آخر أيام المؤتمر للحلقات النقاشية التخصصية والتي كانت عبارة عن لقاءات حوارية تجمع بين ما طرحه أهل الفكر والتنظير وما تقدم به أهل التجربة العملية وبين ما يراه أصحاب القرار والقائمون على التنفيذ في مواقع العمل للخروج بورقة توصيات يتم تحويلها بعد ذلك إلى برنامج عمل يسهم في البناء الحضاري في المجالات التالية: التعليمي الشبابي الاجتماعي الفني الإعلامي، وقد كانت الحلقات على التوازي:

دور التربية والتعليم في بناء الحضارة، الإعلام ودوره في خدمة الحضارات، كيف يعد الشباب للقيام بدورهم الحضاري، دور جمعيات النفع العام في دفع المرأة للمساهمة في بناء الحضارة، الفنون في خدمة الحضارة.

أما برنامج لجنة الناشئة فقد تمخض عن فلسفة مفادها أنه عندما تتاح للعقل فرص الاطلاع على فكر جديد، فإن من المستحيل لهذا العقل أن يتقلص إلى ما كان عليه من قبل، لذا ترجمت هذه الفلسفة في برنامج تدريبي يشمل ثلاثة جوانب:

الجانب العقائدي: فالعقيدة السليمة هي الحضارة.

الجانب المهاري: وتطوير الذات واكتساب الخبرات.

الجانب الترفيهي: التعلم من خلال الرحلات

وقد تبلورت رؤيا برنامج النشء إلى ندوتين:

«نماذج من المساهمات الحضارية» شاركت فيها منظمات شبابية من أمريكا وسويسرا وأدارها د. عدنان الشطي.

«نور الحضارة بشخصك يتقد» وتقدمت الفتيات خلالها بورقة عمل تطرح آراءهن الشخصية حول المفاهيم التالية «القناعة - المبادرة - تطوير الذات - التميز».

أما الحوار المفتوح الذي جاء تحت عنوان «معاً في بناء الحياة» فقد جاء ليعمق مفهوم: الحضارة هي الحياة ولقد أبدعت الفتيات المتدربات في عرض طموحاتهن المستقبلية وأفكارهن الخاصة واستعراض المعوقات التي تحول دون تحقيق أحلامهن وآمالهن ومن ثم التعرف على أفضل الوسائل والسبل التي يتبعنها لتخطي الصعوبات وتخطي الطموحات من خلال عرض مشكلة وطرح الحلول لها.

كما تعلمت الفتاة النقاش في «رأي والرأي المعاكس» والحجة والدليل كمظهر حضاري للحوار.

ولعله يجدر بنا الاعتراف بأن هذا المؤتمر قد شكل نقلة فكرية، يدفعنا التفاؤل إلى اعتبارها خطوة في طريق صياغة الإنسان الفعال الذي سيصنع الحضارة لأمة طال زمن بياتها.

فهل نطمح إلى اعتبار هذه الجهود بداية في عملية الصعود الحضاري التي ستوصلنا إلى رأس قرن يتجدد فيه دين هذه الأمة؟! ■

أنشطة الوزارة

تحت رعاية وزير العدل وزير الأوقاف

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تقيم الملتقى الثقافي الثالث







كتب د. عماد الدين عثمان

نظمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطاع الشؤون الثقافية - الملتقى الثقافي الثالث، والذي أشرفت عليه إدارة الثقافة الإسلامية، خلال الفترة من ١٠ - ١٣ مايو ١٩٩٨م تحت رعاية وحضور وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب صرح بذلك وكيل الوزارة المساعد للشؤون الثقافية عبدالعزيز بدر القناعي.

وأوضح الوكيل القناعي أن الهدف من الملتقى هو نشر وإحياء الثقافة الإسلامية الأصيلة. وطرحها بشكل عصري وفني وجذاب، إلى جانب إبراز دور الشؤون الثقافية في الحفاظ على الهوية الإسلامية وتوجيه طاقات الشباب والبراعم لأعمال جادة وهادفة، وترسيخ القيم والمفاهيم الإسلامية في نفوسهم وتنمية مفوم الاطلاع من خلال المسابقات.

وقام السيد الوزير أحمد الكليب بافتتاح الملتقى والمعرض الإعلامي المقام على هامش الملتقى، وقال في كلمة ألقاها نيابة عنه الوكيل المساعد للشؤون الثقافية عبدالعزيز بدر القناعي.

إنه ليسعدني أن أفتتح اليوم فعاليات الملتقى الثقافي الثالث لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الذي أتمنى له التوفيق في بلوغ أهدافه، وتوصيل رسالته، وأن تستكمل الثقافة الإسلامية بوساطته نقصاً ملحوظاً في أدواتها لتحقيق التفاعل الكامل مع الفئات كافة، ولا سيما الشباب منهم.

فإذا كانت ساحات الحوار الفكري، من خلال المؤتمرات، والندوات، واللقاءات الثقافية الفكرية، تقوم بأدوار رائدة، في بلورة الثقافة





الإسلامية، ونشرها وتعريف الناس بها، فإن الاقتصار عليها، والاكتفاء بها، وغلق الأبواب دونها، يؤدي إلى حرمان بعض الفئات من أدوات ومنابر للثقافة الإسلامية تناسبها وتلائم خصائصها، وتتجاوب مع اهتماماتها.

لذلك، فإن لهذا الملتقى الثقافي أهميته الخاصة التي لا يستمدها - فقط - من كونه أحد أدوات نشر الثقافة الإسلامية، بل إلى جوار ذلك، فإن هذا الملتقى يكتسب أهمية خاصة من طبيعة الأدوات التي يستخدمها في نشر هذه الثقافة وتعريف الناس بها.

فالمسرح أحد منابر الثقافة، وشأنه شأن أي أداة ثقافية، فكما يمكن استخدامه في نشر الثقافة الهابطة، والدعوة للأفكار المجوجة، فإنه - أيضاً - يستخدم لنشر الفكر الإسلامي السليم، والتبشير بالثقافة الهادفة، والحض على السلوكيات المستقيمة.

لذا، فإني إذ أهنئ الإخوة الأفاضل القائمين على شؤون الثقافة الإسلامية في الوزارة على هذا التجديد المحمود في أدوات نشر الثقافة الإسلامية، وأدعوهم إلى بذل مزيد من الجهد في الاستفادة بأقصى ما تسمح به الإمكانات المتاحة في تجديد وابتكار الوسائل المناسبة لكل شريحة من شرائح المجتمع، ومع توظيف كل الإمكانات العصرية في هذا المجال، والاهتمام بترجمة الثقافة الإسلامية إلى سلوكيات، والتركيز على معالجة القضايا الاجتماعية الملحة ولا سيما ما يتعلق منها بالشباب، والنأي في الأعمال المسرحية والفنية عن أسلوب الوعظ المباشر والخطابة الإنشائية مع توفير عناصر الجاذبية

الملتقى الثقافي احد ادوات نشر الثقافة الاسلامية















لها لكي لا تكون تكراراً وإعادة للوعظ والمحاضرات والندوات.

وإنني في هذه المناسبة أشكر الإخوة في قطاع الثقافة الإسلامية على هذا الإعداد الرائع للملتقى الثقافي، وأثني على جهودهم الخيّرة في هذا المجال، وأدعوهم إلى مواصلة العطاء الثقافي لتكون الثقافة الإسلامية الدرع الواقي لمجتمعنا ضد التيارات غير المرغوبة التي تحملها لنا أدوات الاتصال العصرية فضلاً عن تأثيرات العولمة وغيرها من مستجدات العصر.

ثم ألقى بعد ذلك مدير إدارة الثقافة الإسلامية إبراهيم العبيدلي رئيس اللجنة كلمة جاء فيها:

تهدف إدارة الثقافة الإسلامية من وراء إقامة هذا الملتقى الثقافي الثالث إلى:

١ - إبراز دور الوزارة في الحفاظ على الهوية الإسلامية والتعريف بأنشطة الوزارة وما تقدمه للجمهور الكريم.

٢ - نشر الثقافة الإسلامية المعتدلة وطرحها بشكل عصري وفني جذّاب.

٣ - توجيه طاقات شبابنا وبراعمنا وترسيخ القيم الإسلامية الرفيعة والمشاعر الوطنية النبيلة في نفوسهم.

٤ - تنمية جانب الثقافة والاطلاع من خلال الندوات والمسابقات والمطبوعات، والمواهب الأدبية والثقافية.

٥ - رعاية الجاليات الإسلامية وطلبة البعثات الإسلامية وإعداد المتميزين منهم ثقافياً وتربوياً لخدمة ديننا الإسلامي الحنيف.

وأضاف إن الملتقى الثقافي الثالث هو مركز انطلاقة لتحفيز المواهب الثقافية والأدبية من خلال البحث والمطالعة والشعر والكتابة، وكذلك هو تجمع للتعارف والتبادل الثقافي لنشر الثقافة الإسلامية والكلمة الهادفة.

وجاءت فعاليات الملتقى الذي استمر أربعة أيام، على النحو التالي:

اليوم الأول: كان في العرض المسرحي «أمة الخير» ثم بعد ذلك قدم منشدون من الكويت ومن الدول الشقيقة وطلبة البعثات الإسلامية ثلاث لوحات إنشادية الأولى اللوحة الإيمانية «علاقة المسلم بربه»، والثانية اللوحة الخيرية «أيادي الخير»، والثالثة اللوحة العالمية «الكويت والعالم الإسلامي» واشتمل اليوم الثاني على فعاليات اليوم الأول نفسه.

أما اليوم الثالث فقد خصص للنساء واشتمل على الكثير من الفعاليات منها: ندوة الثقافة وتنمية المجتمع وتحدثت فيها كل من الدكتورة هيفاء السنعوسي الأستاذة في جامعة الكويت، والدكتورة لولوة حمادة، والأستاذة خلود الدين.

واشتمل اليوم النسائي أيضاً على عرض براعمنا الندية وعلى الكثير من اللوحات الإنشادية - وعلى المعرض النسائي للجاليات الإسلامية.

وفي اليوم الأخير من الملتقى قام وكيل الوزارة المساعد السيد عبدالعزيز بدر القناعي بتكريم الفائزين في المسابقة الأدبية الخامسة «البحث والشعر والقصة القصيرة» وعددهم ٣٠ فائزاً، وعقدت كذلك ندوة «رسالة الفن والأدب في المجتمع» تحدث فيها كل من الأستاذ دخيل الدخيل والشيخ محمد العوضي... ثم بعد ذلك تم تكريم المشاركين في فعاليات الملتقى. ■

أنشطة الوزارة

تنظيم وتحديد اختصاصات ومهام إدارة الشؤون الإدارية بالأوقاف

أصدر وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خالد عبدالله الزير قراراً بتنظيم إدارة الشؤون الإدارية في الوزارة، وتضمن القرار الأغراض الرئيسية للإدارة، اختصاصات الإدارة، التقسيمات الداخلية للإدارة وأمر أن تكون اختصاصات كل منها كما يلي:

المادة الأولى : الأغراض الرئيسية للإدارة

- توفير احتياجات الوزارة من الموظفين، وتطبيق النظم الوظيفية عليهم، وحفظ وصيانة المستندات والسجلات والملفات العائدة لهذه النظم، وضبط حركتها.

- وضع نظام السجل العام وتنفيذ تطبيقاته.

- توفير الخدمات التي تتطلبها أعمال الوزارة.

- المادة الثانية: اختصاصات الإدارة: إعداد السياسات واللوائح المتعلقة بشؤون الموظفين

إعداد مشروع ميزانية الوظائف بالتعاون مع الجهات الأخرى المعنية.

اتخاذ إجراءات تعيين العاملين.

تولي جميع الشؤون الوظيفية للموظفين، وذلك منذ تعيينهم بالوزارة إلى حين تركهم الخدمة.

إنجاز معاملات الاستقدام والإقامة والسفر والتأشيرات للمتعاقدين مع الوزارة، ومتابعة عمليات منح، ونقل، وتجديد، وإلغاء الإقامة بالنسبة لهم.



● وكيل الوزارة خالد الزير

إعداد ملفات العاملين وحفظها وصيانتها وتحديث بياناتها.

اتخاذ الإجراءات الخاصة بمتابعة دوام العاملين واجازاتهم، ومعالجة حالات الانقطاع أو الغياب عن العمل.

وضع نظم السجل العام وتنفيذ تطبيقاته، وتسلم وتوزيع المعاملات الواردة إلى الوزارة والصادرة عنها.

إعداد وإصدار وتوزيع القرارات المتعلقة بالشؤون الوظيفية.

مراجعة القرارات الإدارية والوزارية التي تعدها الجهات الإدارية والوزارية التي تعدها الجهات المعنية للتأكد من مطابقتها للقوانين واللوائح ونظم العمل في الوزارة قبل اعتمادها.

تجميع المكاتبات والمستندات، وتصنيفها وحفظها واتخاذ الإجراءات اللازمة لتأمين سلامتها وسهولة استرجاعها عند الحاجة إليها.

الإشراف على وسائط النقل، وتوفير خدمات المواصلات، وغيرها من الخدمات التي تتطلبها أعمال الوزارة.

المادة الثالثة : التقسيمات الداخلية للإدارة واختصاصاتها

يتكون الهيكل التنظيمي للإدارة من:

مراقبة شؤون الموظفين، مراقبة الشؤون الإدارية، مراقبة السجل العام.

١ - مراقبة شؤون الموظفين:

تتكون مراقبة شؤون الموظفين من قسم التعيين، وإنهاء الخدمة، قسم الشؤون الوظيفية، قسم الاجازات والدوام، قسم سجل العاملين.

أ - قسم التعيين وإنهاء الخدمة، ويختص بما يلي:

دراسة احتياجات الوزارة من الموظفين الجدد، وإعداد مشروع ميزانية الوظائف المطلوبة بالتنسيق مع الجهات المعنية.

إجراء الدراسات حول أفضل المصادر لتوافر العمالة اللازمة، واقتراح التوصيات المناسبة بهذا الشأن.

اتخاذ إجراءات شغل الوظائف الشاغرة.

القيام بإجراءات إعادة التعيين، وتعديل أوضاع الموظفين.

موافاة الوزارة والمؤسسات المعنية بالبيانات والنماذج المقررة لمن يتم تعيينهم وفقاً للأنظمة المقررة.

تلقي طلبات ضم مدد الخدمة السابقة وطلبات استبدال المعاش ودراستها، واتخاذ الإجراءات المناسبة حيالها.

متابعة وتسجيل واتخاذ الإجراءات الخاصة بتحركات العاملين من تنقلات أو انتدابات أو إعارة أو تغيير في المسميات أو الأوضاع الوظيفية.

ب ـ قسم الشؤون الوظيفية، ويختص بما يلي:

ـ في مجال تقويم أداء العاملين:

متابعة إجراءات وتوزيع نماذج تقويم أداء العاملين على وحدات العمل في المواعيد المحددة وجمعها بعد تعبئتها.

عرض تقارير إداء العاملين على لجنة شؤون العاملين وتلقي القرارات بشأنها.

إبلاغ الموظف الحاصل على تقدير أداء بدرجة «ضعيف» بصورة من تقريره.

تلقي تظلمات العاملين الخاصة بتقارير تقويم الأداء وبحثها وإعداد تقرير عنها وعرضه على لجنة شؤون الموظفين.

متابعة تقويم أداء المعنيين الجدد خلال فترة التجربة.

ـ في مجال الأحوال الإدارية:

المتابعة الإدارية للمجازين والمبعوثين دراسياً مع كل من ديوان الخدمة المدنية ومقار دراستهم بالتنسيق مع الجهات المعنية.

المشاركة في إعداد الميزانية «الباب الأول» ومتابعة ميزانية الوظائف الشهرية.

اتخاذ إجراءات منح أو إلغاء صرف العلاوة الاجتماعية للكويتيين.

اتخاذ إجراءات الترخيص للعاملين في الوزارة للعمل لدى الغير في غير أوقات الدوام الرسمي بالتنسيق مع الجهات المعنية.

إعداد وإصدار وتوزيع الكتب والمذكرات والقرارات المتعلقة بالشؤون الوظيفية.

مراجعة القرارات الإدارية والوزارية التي تعدها الجهات المعنية في الوزارة للتأكد من مطابقتها للقوانين واللوائح المعمول بها في الوزارة.

ج ـ قسم الاجازات والدوام، ويختص بما يلي:

تلقي طلبات العاملين للحصول على أنواع الاجازات المختلفة واتخاذ الإجراءات المناسبة حيالها.

متابعة عودة المجازين في المواعيد المقررة وحالات الغياب عن العمل أو الانقطاع عنه وتطبيق أحكام القانون والنظم المعمول بها في هذا الشأن بالتنسيق مع الإدارات المعنية.

إحالة الموظفين المنقطعين عن العمل بسبب المرض إلى الجهة الطبية المختصة.

استخلاص أرصدة الموظفين من الاجازات الدورية وإخطارهم بها عند الحاجة.

د ـ قسم سجل العاملين: ويختص بما يلي:

١ ـ تطبيق نظام سجل العاملين المدنيين.

تلبية احتياجات وحدات العمل الخاصة باستخراج المعلومات الوظيفية من الأجهزة الآلية وإصدار شهادات إلى من يهمه الأمر، وطلب التقارير من ديوان الموظفين.

٢ ـ مراقبة الشؤون الإدارية: تتكون مراقبة الشؤون الإدارية من: قسم الملفات، قسم الجوازات، قسم الخدمات المساندة، قسم النقليات.

٣ ـ مراقبة السجل العام: تتكون مراقبة السجل العام من قسمي السكرتارية والطباعة والتصوير.

ندوة في الأوقاف لمناسبة الهجرة النبوية

نظمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ندوتها السنوية يوم ٣٠ ذو الحجة الموافق ١٩٩٨/٤/٢٧م لمناسبة الهجرة النبوية الشريفة. تحت رعاية وحضور وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير العدل أحمد الكليب، ووكيل وزارة الأوقاف خالد عبدالله الزير والوكلاء المساعدين.

وشارك في الندوة، التي أقيمت في مسجد الدولة الكبير عقب صلاة المغرب حول إشراقات الهجرة وتنيمة المجتمع، الاستاذان في كلية الشريعة الدكتور سيد نوح، والدكتور محمد الطبطبائي.

وتناول الدكتور سيد نوح موضوع المؤاخاة والمحبة بين أفراد المجتمع والتكافل والتعاون بين الجهات الشعبية والحكومية.

وأكد ضرورة وحدة الصف من أجل مصلحة المجتمع وتحقيق العدل والمساواة، واستلهم من دروس الهجرة النبوية الشريفة معاني الإيثار واحترام الآراء والاجتهادات وسلامة الصدر.

ومن ناحيته، استعرض الدكتور محمد الطبطبائي بعض الدروس والعبر المستفادة من الهجرة النبوية الشريفة ومنها الثقة بالله والمعية الإلهية والنصر مع الصبر، مشيراً إلى أن المهاجر هو من هجر المعاصي.



إدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف تعقد دورتها التدريبية

دور المشرف التربوي

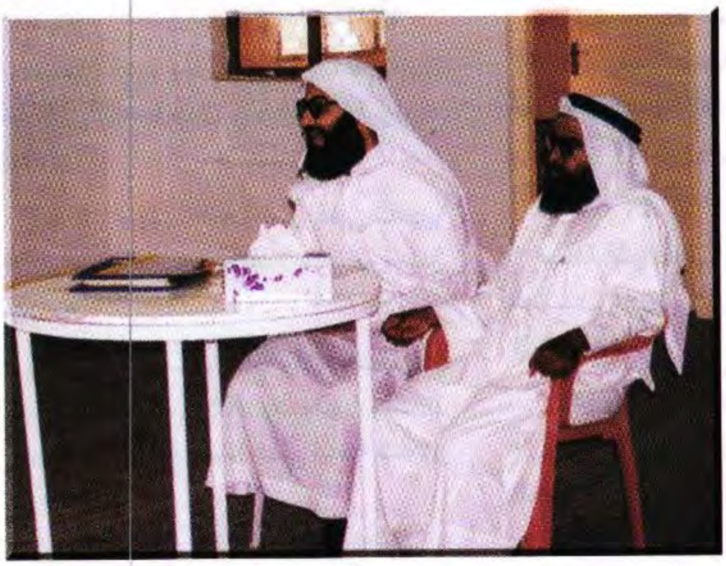
أقامت مراقبة الحلقات التابعة لإدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دورة تدريبية بعنوان «دور المشرف التربوي» وتناولت الدورة ثلاثة محاور هي:

١ ـ كيفية كسب القلوب.

٢ ـ فن التعامل.

٣ ـ كيفية التأثير على الآخرين.

وقد تمت هذه الدورة بتاريخ ١٩٩٨/٤/١٩م، وكانت خاصة بمشرفي حلقات تحفيظ القرآن الكريم في كل المحافظات وكان عدد الحاضرين ٢٥ مشرفاً، إضافة إلى بعض الموجهين والمسؤولين. بدأت الدورة بكلمة لمراقب الحلقات عبدالله السنان حث فيها المشاركين على الاجتهاد في العمل وبذل المزيد من الجهود لمواكبة التطور الحالي، وزيادة الوعي التربوي لدى مشرف الحلقة، وبعدها بدأ الدكتور مصطفى أبو السعد عرض الدورة على المشرفين حيث بدأها بالتعريف عن أهم المحاور في دور المشرف التربوي والمهام الرئيسية، وكيفية فن التعامل مع الطلبة والمحفِّظين، وحض على الاهتمام بالموهوبين، وبعدها تكلم بعض المشرفين عن مهام المشرف في الحلقة من عمل البرامج والأنشطة للطلبة والاهتمام بالحفَّاظ المتميزين، وبعد الانتهاء من الدورة قامت الإدارة بتوزيع ملفات خاصة على المشرفين تخص جانب المعلومات في الدورة الخاصة بهم.



اختتام البرنامج التدريبي للأئمة والخطباء

رعى وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حفل اختتام البرنامج التدريبي المتكامل لتطوير قدرات ومهارات الأئمة والخطباء في قطاع المساجد الذي أقامته إدارة التطوير والتدريب والذي اشتمل على عدد من البرامج التي تزيد من المهارات والقدرات للقيام بالدور التنموي في المجتمع

وقد قام السيد الوكيل في الحفل الذي أقيم يوم ٣٠ من المحرم ١٤١٩هـ ـ الموافق ١٩٩٨/٥/١٧م بتوزيع الشهادات والهدايا على المشاركين من الأئمة والخطباء.

العنقاء

شعر: محمد فهمي سند

لا تسأل التاريخ عن زمني
واسألْ عروقَ الضوءِ في وطني

لا ترتجفْ من صرخة الأبطال، لا
تبحث عن الشهداء في الكفنِ

بل سائل الرمل الذي مازال في
تسبيحه يزهو على الزمنِ

حين استفاق على ندى كفٍّ تهدْ
هدُهُ وتغسله من الدَّرنِ

حين ارتوى من قُبْلةٍ ضمته في
أحضانها كالعاشق الفَطِنِ

غسلته أدمعنا وأفئدة الهدى
فتطهَّرت بالفرض والسُّنَنِ

رمضان كبَّر للصلاة، وأنت تنـ
تظر اجتياح النار والحصُنِ

ركعتْ مع «الحاخام» أحلام النجوم
الساقطات على صدى الوَهَنِ

سجد الغرور فأيقظ النوام من
جوف الردى بترابهِ العطِنِ

«مائير» تبكي نجمة «صهيون» شار
كها أنين غروره العفنِ

وتطهَّرت «سيناء» من بعض الذئا
ب فعاد صوت النصر للأذنِ

وغدت جنودُ الحق تبني للسلا
م حديقة ريانة الغصنِ

حتى استفاق الكونُ مِنْ وهم السـ
نين على اندحار عصابة الفتنِ

■ ● ■

والآن يا عقل الوجود تجمَّعت
بؤرُ الصديد بأصلها النتنِ

فاستأثرتْ بالعالم الدموي تذْ
كي حقده بالسوط والرسنِ

أنشأتْ مظلمة فهل للعدل صوتٌ
في الوجود يعيدُ لي وطني...؟!

وأنا هنا استقبلُ الأنباء أشـ
كو للفراغ كآبة اللُّحُنِ

أبكي على نار العروبة كيف أطـ
فأها صراعُ العبدِ والوثنِ

■ ● ■

هذا هو الأقصى يُقاتلُ عن قدا
سته مغولَ البغض والإحنِ

والقدسُ تطوى حزْنها وتصيح: وا
عرباهُ إن العُربُ لم تهنِ...!

إنا هنا نحمي عروبتنا وإن
خان الجميع فنحن لم نخُنِ

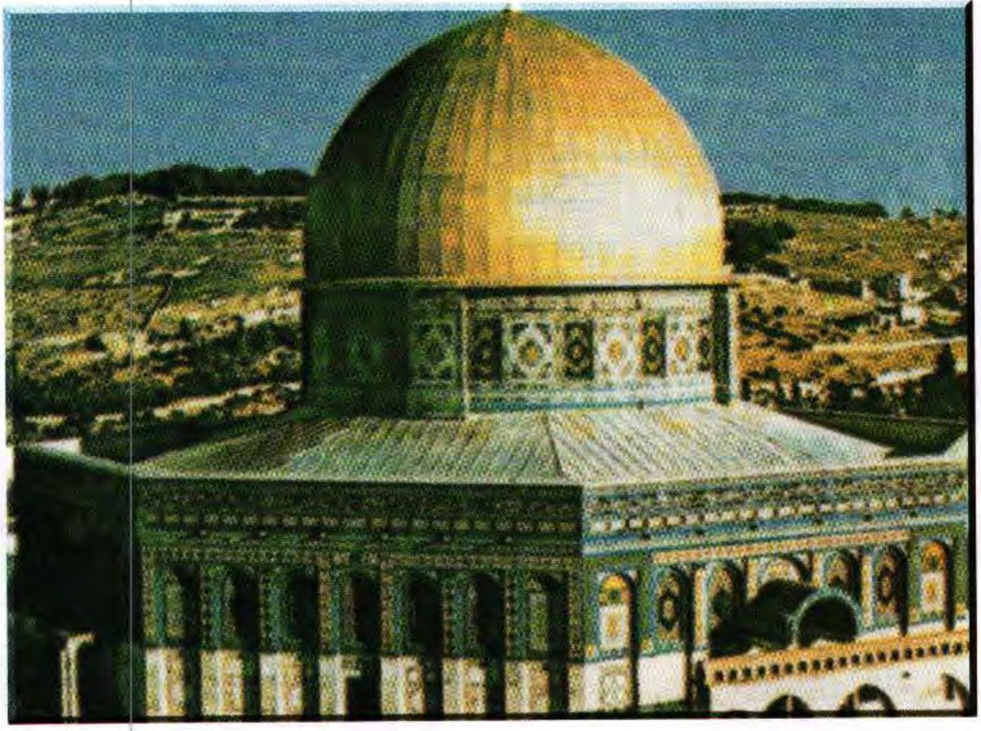
والقدس تنهض من مذابحها على
صوت الأذان بثوبها الخشنِ

عنقاء تحرقُ ريشها وتعود طا
هرة كطُهْرِ الماءِ واللبنِ

قضايا اسلامية

القدس والمسجد الأقصى ذكريات وآمال

بقلم: محمد السيد عامر



تمثل القدس ومافيها من مقدسات وعلى رأسها المسجد الاقصى ذكريات عزيزة غالية على المسلمين وستظل هذه الذكريات الى ان تعود القدس الى المسلمين فذكرى تحويل القبلة في شهر شعبان وذكرى الإسراء والمعراج في شهر رجب يعيش فيهما المسلمون ذكرى امجادهم ويتطلعون الى القدس حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إماماً بالأنبياء والمرسلين فالقدس كانت وستظل الى ان يرث الله الارض ومن عليها مدينة اسلامية عربية خالصة وستظل مدينة الصلاة والهدى ومحور القضية الفلسطينية وجوهرها وتبدأ صلة المسلمين بالقدس بالتذكير التاريخي لاهمية الأرض المباركة وتنويه القرآن ببركتها في مواضع كثيرة يقول تعالى في سورة المائدة الآية-٢١:(ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) والمراد بالارض المقدسة «بيت المقدس» ويقول تعالى في سورة الأعراف الآية-١٣٧:(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها) والمراد بالأرض التي باركنا فيها كما يقول المفسرون بلاد الشام ومباركتها لوجود القدس فيها ثم المسجد الاقصى.

فالارض المباركة هي ماحول المسجد الأقصى من بلاد الشام الأقرب وأقربها القدس، بل هي التي تحتضن المسجد الاقصى فهي البركة المباركة المقدسة وقد اكد الاسلام تقديسها بإسراء النبي صلى الله عليه وسلم اليها ومعراجة منها كما تأكدت بمجيء ابراهيم عليه السلام عليها ومن هنا كان ارتباط المسلمين بالقدس ارتباط عقيدة وايمان وقد فهم المسلمون من تلك الاشارة الى ضرورة انقاذ بيت المقدس من ايدي الرومان واعادته الى حظيرة العرب المسلمين بالاسلام فقد ورد في السيرة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قال له احد الصحابة «إني نذرت ان اصلي في بيت المقدس ان فتح الله عليك مكة وقالت ميمونة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين- يارسول الله إني جعلت على نفسي- ان فتح الله عليك مكة- ان اصلى في بيت المقدس فقال: لاتقدرين على ذلك ولكن ابعثي بزيت يستصبح لك فيه فانك اتيتيه» وفي رواية ان ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير زوجته قالت يارسول الله أفتنا في بيت المقدس؟قال هي ارض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فإن كل صلاة فيه كألف صلاة. ومن هنا نرى تعلق المسلمين بالقدس وهم يفتحون مكة حتى فتحوها، «أي القدس» وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله لمعاذ:« يامعاذ ان الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش الى الفرات رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون الى يوم القيامة فمن اختار منكم ساحلاً من السواحل في الشام او بيت المقدس فهو في جهاد الى يوم القيامة» لقد وردت الاحاديث النبوية في توكيد اسلامية القدس وعروبتها واتصال المسلمين بها وفي مكة والمدينة المنورة ذات مكانة متميزة قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من مدائن الجنة مكة والمدينة وبيت المقدس» وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري بعد ان سألة عن الصلاة في بيت المقدس افضل او في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:« صلاة في مسجدي هذا افضل من اربع صلوات ولنعم المصلى هو ارض المحشر والمنشر» وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أراد ان ينظر الى بقعة من بقع الجنة فلينظر الى بيت المقدس».

لقد استمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ماورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من مباركة القدس وادركوا لماذا أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتبه الى هرقل ملك الروم والى أمراء الشام من تطلعه الى ان تكون

القدس في حوزة الإيمان ودائرة الإسلام لذلك بدأ أبو بكر «رضي الله عنه» بتجهيز الجيوش لنشر حضارة الإسلام وتحرير القدس وسارت جيوش المسلمين إلى بلاد الشام ودارت المعارك الضارية بينهم وبين الرومان وانتصروا في المعركة الفاصلة معركة اليرموك وتوفي أبو بكر وتولى عمر الخلافة فعين أبا عبيدة قائداً على جيوش المسلمين في بلاد الشام ففتح دمشق ثم بلاد الشام ثم في سنة ١٥ للهجرة أتى الى الأردن فعسكر بها وبعث الرسل الى اهل «إيلياء» وكتب اليهم: بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة بن الجراح الى بطارقة أهل إيلياء وسكانها سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسل، أما بعد: فإنا ندعوكم إلى شهادة «أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور فإن شهدتهم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا اخواناً وان أبيتم فاقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون وان أبيتم سرت اليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ثم لاارجع عنكم ان شاء الله تعالى حتى اقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم». وكتب إلى عمر يخبره بما فتح الله عليهم فكتب اليه عمر بالموافقة والاستعانة بالله، وأبى أهل إيلياء الصلح فحاصر القدس حصاراً شديداً حتى قبلوا الصلح واشترطوا مجيء الخليفة عمر ليكتب لهم الأمان فكتب اليه ابو عبيدة واستشار عمر اصحابه فأشار عليه علي بالمسير حتى لاتضيع فرصة فتح القدس وكتب لهم الامان العمري وهو من جانب وأحد ومسمى «بالعهدة العمرية» وبذلك تم للمسلمين الاستقرار في بيت المقدس وظلوا فيها ولم يخرجوا منها وظلت القدس مهوى أفئدة المسلمين والعلماء ومقصد الخلفاء والزهاد وطلاب العلم والزائرين في كل العهود.

حتى ان بعض العلماء اعتبرها اقدس مدينة في نظر الاسلام لأنها المدينة التي ستحتضن مكة والمدينة يوم القيامة وقد حرص المسلمون على ان يبقى وجه القدس عربياً اسلامياً فأوقفوا الأوقاف فيها منذ دخولهم فيها وأنشأو المسجد الاقصى بما يشتمل عليه من قبة الصخرة» درة أبنية العالم جمالا وزخرفة وتقديسا والجامع الاقصى- ثالث مقدسات المسلمين» وذلك قبل احتلال الصليبيين لها، ولما استردها السلطان صلاح الدين الايوبي «رحمة الله» رأى هو ومن جاء بعده من الملوك والسلاطين الإكثار من المساجد والأوقاف فأوقفت معظم الاراضي الزراعية والعقارات على القدس والمسجد الاقصى كما اوقفت الأعيان والتي بلغت ٥٦ مدرسة والسبل والأروقة والقباب والصهاريج والزوايا والتكايا وغيرها وقد بلغت المساجد ٣٤ مسجداً وذلك كله في القدس القديمة في رقعة محددة مما اثبت الطابع الاسلامي عليها، وقد سكن عدد من الصحابة الكرام فيها وحرصهم على ان يدفنوا فيها نذكر منهم عبادة بن الصامت وأبا ريحانه الأزدي« مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم» وشداد بن أوس ومسعود بن أوس الانصاري وسلام بن قيس الحضرمي وعبد الله بن أم حرام الانصاري وزيارة عدد كبير من كبار الصحابة سواء أكانت في فترة الفتح ام بعدها مثل عمر بن الخطاب وأبي عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وبلال بن رباح، ان اهم مايدل على تعلق المسلمين بالقدس انهم فدوها بالمهج والأرواح وبذلوا في سبيل الحفاظ عليها كل غال ورخيص لذلك فإن المسلمين هم المؤتمنون على القدس وأحرص من يهيىء لجميع اصحاب الأديان زيارتها وإقامة شعائر دينهم فيها وقد كانوا كذلك عبر التاريخ فلم يحولوا بين احد وبين زيارة القدس فلما احتل الصليبيون القدس خربوا مقدسات المسلمين فيها وعملوا على تشوية المسجد الاقصى وحولوا الجامع الى اصطبلات واقاموا حفلات المجون وذبحوا وقتلوا المسلمين في المسجد الاقصى حتى سالت الدماء الى الركب كما يقول المؤرخون الفرنسيون ويوم فتح المسلمين القدس لم يقتلوا أحداً بغير ذنب بل حافظوا على سكانها والعهدة العمرية اكبر شاهد على ذلك- ويوم استرد صلاح الدين القدس لم يقتل أحداً سمح لمن يريد الخروج من ابناء اوروبا ان يخرج ومن اراد ان يبقى فليبق واعاد اليها معالمها وحافظ على مقدساتها بل سمح لليهود المبعدين بالعودة اليها ويالبته لم يسمح لهم فهم لايستحقون هذه النعمة لكفرهم وحافظ المسلون على القدس من بعد صلاح الدين وعمروها ووسعوها وما من سلطان إلا وله في القدس آثار وعمران وظلوا كذلك حتى جاء وعد بلفور والاستيلاء على القدس فكانت الثورات الاسلامية سن ١٩٢١م وثورة ١٩٢٩ وثورة الشيخ عز الدين القسام وثورة١٩٣٦ حتى الحروب العالمية الثانية كلها كانت تدل على تعلق المسلمين بالقدس وإيمانهم بقدسيتها وارتباطها بعقيدتهم وكم قدموا في سبيل ذلك من اموال وانفس وعرق وآلام. ومع كل هذا فالمسلمون مازالوا متعلقين بالقدس والمسجد الاقصى ويعتبرون انقاذها واجباً اسلاميا وفرضاً دينيا وانها لا تسترجع كاملة الا بالجهاد واقول الجهاد ولا استعمل كلمة النظال او القتال ولكن بالجهاد فإن شرعية الجهاد بنص القرآن الكريم وفرضية انقاذ القدس امر إلهي يشير اليه القرآن الكريم ورسول القرآن الكريم ففي القرآن الكريم يقول تعالى في سورة الاسراء الآية/٤-٨: (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً معفولاً. ثم رددنا لكم الكرةّ عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان. احسنتم احسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ماعلوا تبيراً. عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا).

لقد سلط الله عز وجل على المسلمين المستعمرين فجاسوا خلال الديار وهم من خلق الله وعباده سلطهم على المسلمين لتخاذلهم وتفرقهم فأحتل بلادهم ولكنهم بعد ذلك استقلت البلدان وكونوا الدول فرد الكرةّ لهم وأمدهم بالأموال الوفيرة وفي طليعتها النفط وازدادوا عدداً ووفرة وأصبحوا يعدون بالملايين لكنهم ظلوا في المهانة والتشرذم والضعف والفساد وتبديد الأموال فلم يحسنوا لأنفسهم بل أساءوا لها فكان الوعد الثاني والاخير في افساد اليهود فقامت دولة اسرائيل واشتدت وقويت ودخلت المسجد الاقصى وازدادت عتواً وافسدت افساداً كبيراً ومازالت كذلك.

ولكن الله تبارك وتعالى جعل لنا منفذاً تنفذ فيه الى النصر والاسترداد للمسجد الاقصى والقدس فقال تعالى(عسى ربكم أن يرحمكم).

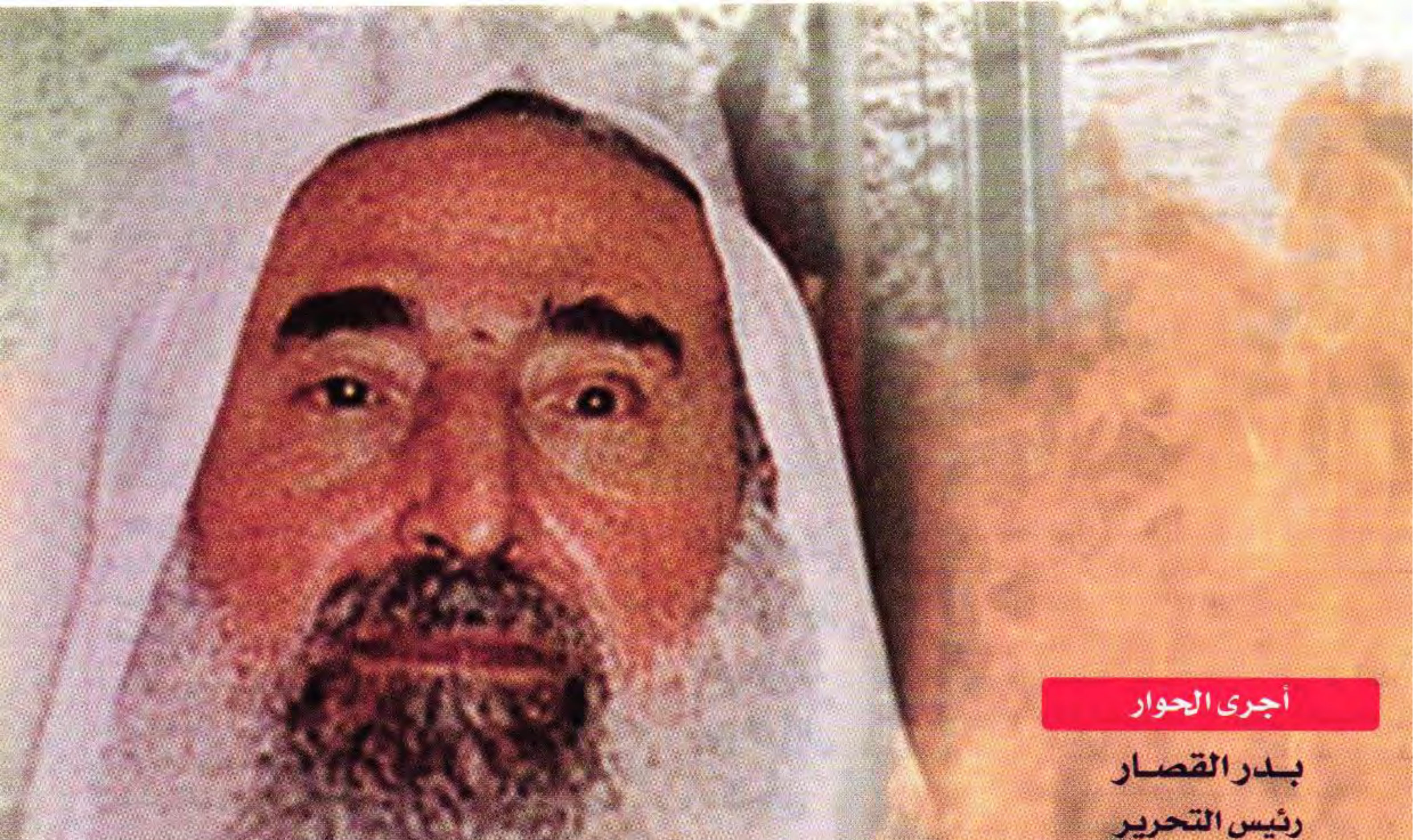
وان عدتم الى طاعة الله واعددتم للجهاد عدنا اليكم بالنصر والتوفيق واسترجاع الاقصى وانقاذ القدس وجعلنا الدائرة تدور على أعداء الله، ولايتم هذا الا بعودة حميدة الى القرآن الكريم فإذا فعلنا ذلك جاءت البشارة بالنصر ثواباً عظيماً وأعظم ثواب هو استرجاع القدس والمسجد الاقصى وانقاذ المسلمين والنصارى من كيد اليهود وقهرهم وإفسادهم وبغيهم. ■

مقابلة



الشيخ المجاهد أحمد ياسين في حوار شامل مع مجلة الوعي الإسلامي:

العدو كلما ابتلع وجبة وهضمها انفتحت شهيته لوجبة أخرى



أجرى الحوار

بدر القصار

رئيس التحرير

ومحمد سالم الصوفي

«نحن نؤمن بأن الصهاينة لايريدون السلام، كما نؤمن أننا لا يمكن أن نسترد أرضنا وحقنا من على طاولات المفاوضات وفتات الموائد ولا بد من طريق وحيد هو الجهاد والمقاومة للتغلب على هذا الاحتلال».

بهذه العبارات المشحونة بالروح الجهادية العالية والوعي الناضج المستنير بدأ شيخ الانتفاضة حديثه المستفيض الشامل مع مجلة «الوعي الإسلامي».

وللحديث مع الشيخ المجاهد أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية مذاق خاص، فهذا الرجل الذي يعاني من شلل شبه كامل وقد وصل إلى العقد السادس من عمره أو يزيد، ولا يتحرك منه سوى قلبه الكبير وعقله ولسانه الذي يجعلك تعيش هموم القضية الفلسطينية بكل أبعادها، رؤية متقدة وعقل راجح وفكر موزون يترك لدى السامع إحساساً عميقاً بصدق الرسالة والخطاب الذي يقدمه... هكذا استمعنا إليه في لقاء تناول مختلف القضايا بدءاً بجولته الحالية ومروراً بمعاناة شعبه وانتهاء بذكرياته المريرة في غياهب السجون الصهيونية.

هذا وقد أستقبل الشيخ أحمد ياسين في الكويت على المستويين الرسمي والشعبي، حيث قابل صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح، وولي العهد الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح، وعدداً من الوزراء والشخصيات ورؤساء جمعيات النفع العام، والفعاليات الاجتماعية والثقافية في البلاد.

وهذا نص المقابلة:





● بعد خروجكم من السجن قمتم بجولات شملت الكثير من البلدان وقابلتم عدداً من رؤساء وقادة الدول فما أبرز أهداف تلك الزيارات؟ وما القضايا والأمور التي تناولتها المحادثات؟ وهل وجدتم التجاوب والاهتمام المطلوب؟

○ خرجنا لهدفين: الأول: للعلاج، والثاني: للتواصل مع إخواننا في البلاد العربية والإسلامية والحمد لله كانت زياراتنا جيدة وموفقة ومثمرة ووجدنا من إخواننا في الوطن العربي والإسلامي كل عون ودعم للقضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في مواصلة جهاده وتحرير أرضه ووطنه.

● وكيف كان تجاوب المسؤولين؟

○ المسؤولون الذين قابلتهم في جميع البلاد العربية كلهم كانوا يشدون على أيدينا ويؤكدون دعمهم لحقنا وجهادنا في وطننا فلسطين ويرفضون المشروع الصهيوني على أرضنا ووطننا.

● يبذل الصهاينة جهوداً كبيرة في إبقاء السيطرة والاحتلال على ما هو عليه، كما يرسم الصهاينة مخططات لمواصلة التوسع والاحتلال فهل يمكن أن تعطونا صورة واضحة عن ملامح تلك المخططات وما استراتيجية حماس لمواجهة هذه المخططات؟

○ أولاً أقام الصهاينة دولتهم على أرضنا الفلسطينية المسلوبة في العام ١٩٤٨م وهم يفكرون دائماً في التوسع وزيادة الأرض التي يسيطرون عليها، وكانت فرصتهم الثانية في العام ١٩٦٧م النكبة الثانية التي أطاحت بكل فلسطين كما أطاحت ببعض الأراضي العربية، كسيناء والجولان والآن يسيطرون على جنوب لبنان



العدو يفكر في دولة من النيل إلى الفرات ومن الأرز إلى النخيل

حماس لا تتدخل في الشؤون الداخلية للدول ولا في المحاور مع دولة ضد أخرى

وهذا العدو كلما ابتلع وجبة وهضمها انفتحت شهيته لوجبة جديدة من الأرض العربية والوطن العربي، وبخاص أنه يفكر أن دولته ستكون من النيل إلى الفرات، ومن الأرز إلى النخيل في جنوب السعودية، هذا العدو أخذ كل شي بالقوة، سيطر على شعبنا، وشعبنا الآن إما في ظل احتلال قاهر صهيوني، وإما مشرد خارج الوطن الفلسطيني ولذلك هو لا يريد السلام، بل يريد أن يجعل من شعبن خادماً ووسيلة لخدمة مصانعه ومصالحه الاقتصادية وبعد أن تثبت سيطرته الداخلية، ينتقل إلى السيطرة على الأم العربية والإسلامية إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فهو يريد أن يستخدم الشعب الفلسطيني وسيلة للوصول إلى الوطن العربي والإسلامي لسيطرته الاقتصادية.

أما نحن، فنؤمن أن اليهود لا يريدون السلام، كما أننا مؤمنون أننا لا يمكن أن نسترد أرضنا وحقنا من على طاولات المفاوضات وفتات الموائد ولابد من الطريق الوحيد وهو الجهاد والمقاومة للتغلب على هذا الاحتلال، ولذلك إن استراتيجيتنا لمواجهة الوجود الصهيوني على أرضنا ووطننا تتمثل في نقاط ثلاث:

الأولى: مواصلة الكفاح المسلح والمقاومة ضد الاحتلال الصهيوني مع زيادتها كماً ونوعاً.

الثانية: تثبيت ودعم صمود الشعب الفلسطيني في داخل الأرض المحتلة، وذلك لايكون إلا بدعم وتأييد من الأمة العربية والإسلامية.

الثالثة: التواصل مع الدول العربية والإسلامية والعالمية لشرح قضيتنا والحصول على دعمها ودعم موقفنا في المقاومة





والجهاد ضد الاحتلال.

هذه النقاط الثلاث هي التي تضعها حركة المقاومة الإسلامية «حماس» كمبادئ وفي مخططها لمقاومة الوجود الإسرائيلي الصهيوني في أرضنا ووطننا إن شاء الله.

● ما أهم جهود حركة المقاومة الهادفة إلى المحافظة على الوجود الإسلامي في المجالات الثقافية والاجتماعية والتنموية والهوية العربية الإسلامية للشعب الفلسطيني لتعميق وعيه الإسلامي وفهمه المتوازن وتفاعله مع قضيته وقضايا العالم العربي والإسلامي؟

○ أولاً: أستطيع أن أقول إن حركة «حماس» هي حركة جهادية مقاومة للاحتلال وتهدف إلى تحرير الأرض الفلسطينية وإعادة الشعب الفلسطيني إلى أرضه ويتطلب ذلك حركة لها وجود وبعد إنساني واجتماعي على الأرض، لها مؤسسات إنسانية واجتماعية موجودة في داخل الأرض المحتلة تتمثل في وجود جمعيات خيرية تشرف على أسر الشهداء والأيتام والأرامل والفقراء والمحتاجين تشرف على إقامة رياض للأطفال ومدارس للتعليم في الأرض المحتلة وتشرف على نوادي الرياضة هناك لبناء الإنسان وبناء الفكر والعقيدة معاً، فالبناء ليس بناء الأجساد فقط، وهذه لها جمعيات ولجان زكاة مالية لتستمر في دعم مختلف الأنشطة الإنسانية والاجتماعية، ولهذا تحرص الصهيونية وإسرائيل على ضرب البنية التحتية لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، وتعني بها تلك المؤسسات التي تقوم بدورها الإنساني والاجتماعي في رعاية أسر الشهداء وأسر المعتقلين، فالأسرى في السجون الإسرائيلية عددهم من ٣ إلى ٤ آلاف أسير ومعتقل، وبذلك تحافظ حركة حماس الإسلامية على الهوية الإسلامية على الروح الإسلامية، على الوعي الإسلامي ضد مخططات التهويد ومسخ الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية لشعبنا.

أما نظرة الحركة الإسلامية لأبنائها وأجيالها في الوطن العربي فهي نظرة أخوة ونظرة تعاون، ولكنها وضعت في مخططاتها واستراتيجيتها عدم التدخل في شؤون الدول العربية وعدم الدخول في محاور مع دولة ضد أخرى أو دول ضد دول أخرى، بل التعاون مع الجميع من أجل القضية الفلسطينية.

لقد أحزنني الأبناء والزوجات والأمهات عندما قابلت أهالي الأسرى الكويتيين

وهدفنا أننا لا نريد أن نفتح معارك جانبية مع إخواننا وأهلنا، بل نريد أن نشكر من يساعدنا ونعذر من لم يساعدنا، هذا هو طريقنا مع تأكيدنا للوقوف إلى جانب الحق في كل الوطن العربي والإسلامي ضد الاحتلال، أو ضد الغزو الأجنبي، أو ضد الغزو الثقافي أو الفكري، ولا يمنعنا من أن نقدم النصح لأي دولة إذا وجدنا رأياً مناسباً لمصلحة أمتنا أو شعبنا، أما هدفنا الأساسي ألا نتدخل في شؤون أي دولة، وألا نتدخل في القضايا الداخلية، مع رفضنا للصراع الذي يجري في بعض البلاد العربية، والعنف في الداخل نرفضه، وبكل الطرق لأننا نؤكد أن العنف الداخلي لايؤدي إلا إلى مصلحة الأعداء، ولا يخدم الوطن ولا الأمة العربية ولا الإسلامية.

الكويت لها أفضال في رعاية أهلنا في الشتات والداخل

● لقد كنتم أول مسؤول فلسطيني كبير على هذا المستوى يزور دولة الكويت بعد التحرير... فما انطباعاتكم عن هذه الزيارة لبلد احتضن القضية الفلسطينية من بداياتها وما النتائج المتوخاة من الزيارة؟

● أولاً نحن جئنا للتواصل مع هذا البلد العربي الطيب الذي يشهد له التاريخ على مواقفه وجهوده ودعمه للقضية

استراتيجية حماس لمقاومة الوجود الصهيوني تقوم على نقاط ثلاث:

- الكفاح المسلح والمقاومة ضد الاحتلال الصهيوني مع زيادتها كماً ونوعاً
- تثبيت ودعم صمود الشعب الفلسطيني في داخل الأرض المحتلة وذلك لا يكون إلا بدعم وتأييد من الأمة العربية والإسلامية
- التواصل مع الدول العربية والإسلامية والعالمية لشرح قضيتنا والحصول على دعمها لموقفنا في المقاومة والجهاد ضد الاحتلال

الفلسطينية منذ نشأتها ومنذ وجودها، ومنذ أن بدأت هذه القضية على أرضنا ووطننا.

ثانياً: نحن جئنا - إن شاء الله - لتوضيح مفهوم رأينا في القضية الفلسطينية ولنسمع ما عند أهلنا وعند المسؤولين من رأيهم وموقفهم، ولنجد منهم دعماً وتأييداً لهذه القضية، ومن فضل الله وجدنا روحاً طيبة ومساندة طيبة لحقنا وقضيتنا واستمرار مقاومتنا للاحتلال حتى تتحرر الأرض والتي لايمكن أن تتحرر بالوسائل غير الجهادية وغير المقاومة وغير القتال إن شاء الله تعالى.



نحن وجدنا فعلاً الروح الطيبة من كل المسؤولين الذين قابلناهم وبخاصة ولي العهد سمو الشيخ سعد [تم اللقاء مع الشيخ أحمد ياسين قبل مقابلته لحضرة صاحب السمو الأمير] فقد وجدنا منهم كل دعم وكل تأييد لقضايانا وحقنا، وهذا البلد له أفضاله الكبرى على رعاية أهلنا في الشتات الذين يعيشون في الكويت والإحسان إليهم وفتح أبواب العمل والتعليم أمامهم فهذا الموقف من المواقف الطيبة التي تشكر عليها دولة الكويت.

● لقد قمتم بزيارة للجنة الأسرى والمرتهنين الكويتيين في السجون العراقية، فكيف كانت مشاعركم عند مقابلة المسؤولين في اللجنة وأهالي الأسرى؟

○ لقد كنت حزيناً جداً وأنا أرى الأبناء والزوجات والأمهات، وأرى هذا الألم الذي تعانيه الأسر الكويتية نتيجة لغياب الآباء والإخوة والأبناء والأزواج في السجون العراقية، وبخاصة أننا أهل وجير[ان] وأقارب ولنا لغة واحد[ة] ودين واحد، هذا شي[ء] محزن حقيقة ومؤل[م] ولذلك فقد قررت أن أقو[م] بمبادرة - إن شاء الله [-] لزيارة العراق ومحاور[ة] الأخوة هناك، على أمل أن تنجح هذه المبادرة بإذن الله - فإن نجح[ت] فمن الله، وإن فشل[ت] فمن أنفسنا، (والله غال[ب] على أمره ولكن أكث[ر] الناس لا يعلمون).

المقاومة ترتكز على ثلاث قواعد ومبادرة جديدة للأسرى الكويتيين

● هل حدثت بينكم اتصالات مع العراقيين في هذ[ا] الشأن قبل انطلاقة المبادرة؟

○ لم أتلق حتى الآن أي جواب من العراق، لأنني ل[م] أزرهم فعندما أزورهم وأجلس معهم، سأسمع منهم الرد أما قبل أن أتحدث إليهم، فليس لدي حديث عن ذلك.

● خلال وجودكم في الكويت وتواصلكم مع الفعاليات الشعبية بمختلف أقسامها .... كيف لمستم التفاعل الشعبي مع القضية الفلسطينية؟

○ لقد قابلت لجنة مقاومة التطبيع ضد إسرائيل وتفهمت موقفهم الجيد في مقاومة التطبيع وعدم رف[ع] مستوى العلاقات مع العدو، وبخاصة العلاقات الاقتصادي[ة] التي تنادي بها إسرائيل وأعوان إسرائيل، وقد وجدت م[ن] الشارع الكويتي كل الدعم والمساندة لقضيتنا وبخاص[ة] المؤسسات الإنسانية والخيرية، كل هؤلاء الناس لهم با[ع] طويل في دعم شعبنا في الداخل، وهم الآن على استعدا[د] لدعم هذا الشعب ومواصلة هذا الدعم في المستقبل - إ[ن]



من استراتيجية حماس:

- عدم التدخل في شؤون الدول العربية
- عدم الدخول في محاور دولة ضد أخرى
- الوقوف مع الحق في كل الوطن العربي والإسلامي ضد الاحتلال والغزو الأجنبي وضد الغزو الفكري والثقافي
- توجيه النصح المناسب لمصلحة أمتنا العربية والإسلامية
- رفض العنف والصراع الذي لا يخدم الوطن والأمة العربية والإسلامية



شاء الله ـ ولنا أمل كبير في أن يكون هذا الدعم متواصلاً.

وسيتبدد ما حصل أثناء حرب الخليج من ضباب وسيئات لأن شعبنا فيه الطيّبون والخيّرون، وفي شعبنا الكثير من الطيبة والتسامح والأخلاق، ولذلك لا نريد أن نعامل كل الناس معاملة واحدة، لأن الله تعالى يقول: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، وإن شاء الله تتحسن العلاقة وتزداد وتتبوأ الكويت مكانتها القديمة في دعم الشعب الفلسطيني سواء في الشتات أو في الداخل.

العنف الداخلي لا يؤدي إلا إلى مصلحة الأعداء ولا يخدم الوطن ولا الأمة العربية والإسلامية

● لقد قضيتم فترة طويلة رغم المرض والسن في غياهب السجون... فهل تذكرون لنا بعض الخواطر عن تلك الفترة؟

○ والله يا أخي أنا أقول إن السجن ظلام، والسجن هو عكس النور، وهو قيد للإنسان، وقيد لحريته، وفضل الله علينا كبير في السجن لما رأيناه من تعذيب واضطهاد ومعاملة سيئة، وحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية، فعندما يضرب الإنسان المشلول مثلي يضرب على صدره ووجهه وتشد عروقه، ويمنع من النوم أربعة أيام متتالية، فلا ينام، ويجلس على كرسي ثم يسقط على الأرض... هذا التعذيب ليس ببسيط في حياة إنسان يعيش شهوراً في الزنازين في شدة القيظ، يعيش حياة طويلة ليس فيها إلا الطعام السيئ، والعناية الطبية السيئة، والتهوية السيئة... أنا فقدت سمعي قبل أن أخرج من السجن، فقدت السمع لأنه لم تكن هناك العناية الكافية للمحافظة على الإنسان، فقد وجدت عدواً يريد أن يبقي على حياتي فقط، حتى لو فقدت كل شيء... كنت أعاني من البواسير في كل يوم أصرخ... أريد أن أعمل عملية جراحية للاستشفاء ويرفضون، فإذا فقدت السمع لا يعنيهم، وإذا فقدت البصر لا يعنيهم، المهم أن تبقى شبحاً حياً يراهنون على وجودك، والحمد لله كانت الأيام التي مضت معاناتها، وفرج الله سبحانه وتعالى وخرجت من السجن رغم أنوفهم، ورغم مغامراتهم، ورغم دسائسهم، ذلك الفضل من الله أولاً وأخيراً. ■

العدو كان يريد الإبقاء على حياتي فقط حتى لو فقدت كل شيء

أحمد ياسين في سطور

ـ الشيخ أحمد ياسين هو الزعيم الروحي لحركة المقاومة الإسلامية «حماس».

ـ ولد الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٣٨م، في قرية الجورة ـ قضاء المجدل، جنوبي مدينة غزة.

ـ عند حلول نكبة عام ١٩٤٨م، لجأ مع أسرته إلى قطاع غزة، حيث استقروا في منطقة تسمى «جورة الشمس» وعاش حياة بسيطة في بيت متواضع... بأثاث بسيط بعيداً عن زخارف الدنيا وزينتها.

ـ عمل الشيخ مدرساً للغة العربية والدين، ثم عمل خطيباً ومحدثاً في مساجد غزة، ليصبح بعد الاحتلال أشهر خطيب عرفه القطاع لقوة حجته وجسارته في الحق، ثم أصبح رئيساً للمجمع الإسلامي في غزة.

ـ اعتقل الشيخ عام ١٩٨٣م بتهمة حيازة أسلحة، والتحريض على إزالة إسرائيل من الوجود، وصدر حكم بسجنه لمدة ١٣ سنة.

ـ أفرج عنه في إطار تبادل أسرى عام ١٩٨٥م، بين سلطات الاحتلال والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، بعد أن أمضى ١١ شهراً في السجن.

ـ بعد تفجر الانتفاضة المباركة ظل الشيخ ياسين الرمز المعبر عن الصمود، والمصدر الذي يستلهم منه الشعب ـ صغيره وكبيره ـ معاني الصبر والجهاد والمقاومة.

ـ هاجمت الشرطة الإسرائيلية منزله في أواخر أغسطس ١٩٨٨م، وقامت بتفتيشه وهددته بدفعه في مقعده المتحرك عبر الحدود ونفته إلى لبنان.

ـ استدعاه قائد المنطقة الجنوبية الميجر جنرال «إسحق مردخاي» بتاريخ ١٩٨٩/١/١١م وحذره من استعمال المساجد لتحريض السكان للتظاهر ضد الاحتلال، فما كان من الشيخ أحمد ياسين إلا أن طالبه بالإفراج عن جميع المعتقلين ووقف الضرائب في الضفة والقطاع، وإصدار تعليمات للجنود بعدم استفزاز السكان المحليين.

ـ بعد تنامي حرب السكاكين واغتيال العملاء قامت سلطات الاحتلال الصهيوني باعتقال الشيخ أحمد ياسين ليلة ١٩٨٩/٥/١٨م ضمن حملة اعتقالات غاشمة شملت المئات من أبناء الشعب الفلسطيني.

ـ الشيخ أحمد ياسين مصاب بالشلل الكامل، ويعاني من العديد من الأمراض، وقد أدى سوء المعاملة التي تعرض لها الشيخ أثناء اعتقاله إلى سوء حالته الصحية، واستدعى نقله إلى المستشفى العسكري عدة مرات.

ـ أفرجت عنه السلطات الصهيونية عام ١٩٩٧م.

دروس في التربيه والدعوة

آخر من يدخل الجنة

بقلم: أ.د.محمود محمد عمارة

روى مسلم بسنده(١) عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«آخر من يدخل الجنة رجل: فهو يمشي مرة ويكبو مرة.. وتسفعه النار مرة فاذا ماجاوزها التفت إليها فقال:

تبارك الذي نجاني منك.. لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين.

فترفع له شجرة فيقول: أي رب: ادنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها. وأشرب من مائها.

فيقول الله عز وجل:

يابن آدم: لعلى إن اعطيتكها سألتني غيرها.. فيقول: لايارب.. ويعاهده ان لايسأله غيرها.

وربه يعذره. لانه يرى مالا صبر له عليه.. فيدنيه منها. فيستظل بظلها. ويشرب من مائها.

ثم ترفع له شجرة هي احسن من الأولى.. فيقول أي رب: ادنني من هذه لاشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسالك غيرها.

فيقول:

يابن آدم.. ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها.. فيقول: لعلي ان أدنيتك منها تسألني غيرها.. فيعاهده الا يسأله غيرها. وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه. فيدنيه منها. فيستظل بظلها ويشرب من مائها.

ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولتين فيقول:

أي رب أدنني من هذه لأ ستظل بظلها. وأشرب من مائها. لا أسألك غيرها.. فيقول:

يابن آدم:

ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها. قال بلى يارب هذه لا أسألك غيرها.

وربه يعذره لانه يرى مالا صبر له عليها.. فيدنيه منها.

فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة.. فيقول أي رب أدخلنيها.

لقد عرف هذا الرجل أن له رباً وأنه يغفر الذنوب جميعاً

فيقول يابن أدم: مايصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها.. قال يارب أتستهزىء بي وأنت رب العالمين. فضحك ابن مسعود فقال الا تسألوني لم أضحك فقالوا مم تضحك قال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: مم تضحك قال: من ضحك رب العالمين حين قال أي الرجل: أتستهتزىء مني وأنت رب العالمين فيقول: إني لا أستهزىء منك ولكني على ما أشاء قادر..

وفي رواية عَبيدة- هكذا في النص بفتح العين وكسر الباء- عن ابن مسعود بيان لقصة دخوله الجنة: قال هي:

اني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها. وآخر أهل الجنة دخولا الجنة:

رجل يخرج من النار حبوا. فيقول الله تبارك وتعالى له:

اذهب فادخل الجنة.

فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى.

فيرجع فيقول يارب: وجدتها ملأى.

فيقول الله تبارك وتعالى له:

أذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى.

فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها.

فيقول: أتسخر بي. أو أتضحك بي.. وأنت الملك

قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه.

فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة.

وفي رواية«... فيقال له: تمن..فيتمنى.. فيقال له: لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا.

وفي رواية أبي ذر رضى الله عنه:

«.. يؤتى به يوم القيامة فيقال:

اعرضوا عليه صغار ذنوبه. وارفعوا عنه كبارها.

فتعرض عليه صغار ذنوبه. فيقال:
عملت يوم كذا وكذا.. كذا وكذا.. وعملت يوم كذا.. كذا وكذا فيقول: نعم.. لايستطيع أن ينكر.. وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه.
فيقال له:
فإن لك مكان كل سيئة حسنة.. فيقول:
رب: قد عملت أشياء لا أراها ههنا..
فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه»
وفي رواية: فإذا انقطعت به الأماني قال الله: هو لك وعشرة أمثاله.
وفي رواية أبي سعيد الخدري رضى الله عنه:
..ثم يدخل بيته. فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين. فتقولان:
الحمد لله الذي أحياك لنا. وأحيانا لك أي خلقك لنا وخلقنا لك وجمع بيننا في هذه الدار الدائمة السرور قال: فيقول ماأعطي أحد مثل ماأعطيت.
من رحمة الله تعالى بالإنسان انه سبحانه: يبسط يده بالليل. ليتوب مسيء النهار.. ويبسط يده بالنهار. ليتوب مسيء الليل..
فاذا تصورنا أنه مامن لحظة من زمان في أي مكان.. إلا وهي من ليل أو نهار ظهر لنا ان يد الله تعالى مبسوطة دائماً أبداً.
ومن مظاهر رحمته تعالي:
أنه يستحي أن يعذب شيبة شابت في الإسلام.
ويستحي سبحانه اذا رفع المسلم يديه أن يردهما صفرا.. خائبتين.
وفي الحديث مامعناه:
ماترددت في شيء ترددي في قبض روح عبدي المؤمن: يكره الموت.. وأكره مساءته.
ولابد له من الموت!!
ولأنه تعالى هو خالق الإنسان وأعلم بضعفه.. فقد جعل سبحانه الرئاسة لملك الحسنات.. على ملك السيئات.
فاذا أذنب العبد ذنبا.. استمهل ملك السيئات ساعة لعل الهارب من طاعة ربه أن يعود من قريب!
ومع هذا كله.. يؤسفك أن يواجه الإنسان ذلك بالكنود:
إنه يركن إلى الدنيا.. وهو ... ومن هو؟
من تهدم ساعته... يومه..
ومن يهدم يومه.. شهره..

من رحمة الله تعالى بالإنسان انـه سبحانه: يبسط يده بالليل. ليتوب مسيء النهار.. ويبسط يده بالنهار. ليتوب مسيء الليل..

ومن يهدم شهره.. سنته..
ومن يحمله عمره إلى اجله.. وتحمله الحياة إلى الموت!!
أي أن الحق سبحانه وتعالى يعامل العصاة.. لابما يستحقون..
وانما: بما يليق بكماله وجلاله.
بينما الإنسان الضعيف الهزيل.. لايفعل- وفاء- مايليق به.. وانما: ينسى هذا الفيض الغامر من رحمته تعالى ومغفرته.. ثم لايتوب.. معتزا بقوته.. وبغناه..
وأين عزته وغناه من ربه وهو: العزيز الحكيم..
ثم ان ربه عليم.. حكيم.. ومع هذا يهرع الى مذاهب أرضية تفرزها أدمغة جاهلة.. جافية.. ولايلاقي في النهاية إلا سرابا.. ويبابا!
ومع هذا الكنود.. وهذا الجحود فان رحمة الله تعالى تظل تنشر ظلالها على الإنسان.. ولايحرم منها ذلك العاصي.. الوارد ذكره في الحديث.. والواقف هناك في آخر الطابور.
ولك ان تتصور طابور البشرية الطويل الطويل من المسلمين على امتداد العصور من لدن آدم عليه السلام والى أن تقوم الساعة.
ثم تخيل هذا الرجل.. في ذيل هذا الامتداد الفلكي!!
فماذا كانت ذنوبه؟
ربما كانت مثل زبد البحر..
وإلى أي حد كان أمله في دخول الجنة؟
ربما لاأمل هناك.. بينما لهب النار يسفعه ليل نهار.
ومضى الركب الميمون الى جنات تجري من تحتها الأنهار.. بينما بقى وحيدا.. طريدا.. بلا أمل.
وفجأة تداركه رحمة من ربه سبحانه.. وجاءه الإذن بالخروج من النار.. ودخول الجنة.. فكان هذا الحوار المثير؟
حوار بين من؟
بين رحمان السماوات والأرض ورحيمهما.. وهذا العبد. المذنب.. الذي تحكي صحيفة سوابقه ماينـدى له جبينه.. ولكنه بالرحمة يولد من جديد.. وعلى هذا النحو الفريد.

من دلائل العبودية

أولا: لقد عرف هذا الرجل ان له ربا.. وانه يغفر الذنوب جميعا.
وثانيا: فلما أنعم عليه تعالى بالانعتقاق من النار.. ودخول الجنة كان إحساسه بالنعمة قويا.. فهو يقول: تبارك الذي نجاني منك..

ثم يقول: لقد أعطاني الله شيئا ماأعطاه احدا.. من الأولين والآخرين.
أي ان مجرد إخراجه من النار نعمة تجعل منه اسعد رجل في العالمين..
فكيف به بعد أن زحزح عن النار وأدخل الجنة؟
لسوف يحس بنعمة: لو ذاب معها كالملح ذوبانا.. او تبخر في الجو من خشيته.. لما وفىّ ربه تعالى حقه في الشكر والعرفان.
وهو معنى دقيق يؤكد ان قلب الإنسان مهما ولغ في الطغيان ففيه بقية من الايمان.. سوف تعلن عن نفسها يوما.. ثم يتجه الكيان كله الى الله تعالى مدفوعا بعاصفة من الحب جارفة.. حب يصدر عن أسبابه الاصيلة النبيلة:
ذلك بأننا اذا كنا نحب الجمال.. فأولىَ به الله سبحانه وتعالى فهو جميل..
واذا كنا نحب الاحسان.. فأجدر بحبنا ربنا تعالى.. لانه المحسن.. حتى الى المسيء.. بل إلى من طالت رحلته مع الشيطان.. من مثل هذا الرجل.
وعندئذ.. كان هذا الحوار الذي يؤدب الله به نزعة الشدة والعنف في عباده.. لتتسع صدورهم الى المخالفين العصاة.. لانه اذا كان هذا حال الخالق مع مخلوقه.. فكيف بالمخلوق مع نظيره المخلوق؟
كيف لايمد يده إلى الغريق لينجو..
كيف لايمهد السبيل أمام العاصي.. ليقف معه على ربوة النجاة.
كيف يتلطف الخالق بالمخلوق فيحاوره.. ثم يرفض المخلوق أن يكون بينه وبين العصاة حوار.. يحاول به فهم وجهة النظر الأخرى.. فاذا لزم الامر كانت هناك تنازلات.. تقرب كل طرف من أخيه..وصولا إلى الوفاق؟
كثيرا مايقف الغرور أو الكبرياء المزيف سدا يمنع النفس من نسيان حظوظها.. ومن ثم ترى ان تنفرد بالحق وحدها.
ولاحظ قوله صلى الله عليه وسلم:
«وربه يعذره»
يعذره لانه لايستطيع ان يغالب موجات الشوق الغلابة.. وماأحرانا أن نعذر كل من أسكرته خمرة الدنيا.. فلعل في هذا الاشفاق مايفتح بصيرته المغلقة على حقيقة الطاعة.. فيعود الينا.. مشمولا برحمته تعالى.. تلك الرحمة التي نرى من آثارها على هذا العاصي الذي لم يعطه تعالى فقط مايطلبه.. بل انه ليعطيه مالايشعر بحاجته اليه: قبل ان يشعر وقبل ان يطلب!

كثيرا مايقف الغرور أو الكبرياء المزيف سدا يمنع النفس من نسيان حظوظها.. ومن ثم ترى ان تنفرد بالحق وحدها

ومن دروس التربية والدعوة
ولقد كان من الممكن ان يخرج الله تعالى ذلك الرجل من النار ويدخله الجنة في لحظة خاطفة.. وينتهي الموقف.
ولكنه صلى الله عليه وسلم يواجهنا بالمعاناة التي لاقاها.. حتي استقرّ به النوى في الجنة أخيرا هكذا كأنما هي اللقطة التصويرية البطيئة:
فهو يخرج من النار حبوا.. يغالب قسوة الموقف..
ثم هو يمشي مرة.. ويكبو أخرى.. ثم تضربه النار بلهيبها.. وأثناء ذلك.. يتنامى لديه الإحساس بمرارة ماكان فيه.. فإذا شم ريح الجنة بعد هذه المعاناة كان إحساسه بالنعمة أدق وأعمق.
ونزيد هذا المعنى ايضاحا:
كان احد العلماء من فرط حرصه على الوقت المدخر للدرس والتحصيل.. كان يفت الخبز في الماء.. ثم يلتهمه في لحظات.. بدل أن يأكله يابسا.. وفي زمن أطول.
انه يحصل فقط علي الغذاء..
أما متعة التناول.. فلا متعة هناك.. تلك المتعة التي هي من حظ ذلك الذي: يستبد به الجوع.
ثم تترامى اليه من قريب رائحة الشواء.. ثم يأتيه الطعام أرسالا.. متنوعا.. في صحبة كريمة.. يأنس بها.. ثم تتحرك الاضراس.. ويسيل اللعاب.. على مدى يطول أو يقصر.. وعلى هذا النحو يحس المرء بنعمة الطعام.. ونعمة الأكل..
أرأيت إلى الفلاح يضع البذرة في الارض ثم ينتظر بزوغها نبتا طريا؟
ماذا لو فاجأته في الصباح عودا سامقا.. مثمرا.
سوف يحصل على الثمر.. لكن متعة الانتظار.. وحلاوة الأمل في حصاد بعيد..
ورؤية النبتة الخضراء تتنامى مع الأيام.. إن في ذلك لمتعة!
وقد قالوا:
ان أنصار الملاكم.. أعدوا أنفسهم لسهرة ممتعة.. يعيشون فيها بين الأمل.. والخوف.. ولكن الملاكم هزم غريمه.. وفي الدقيقة الاولى بالضربة القاضية.. ولم تقض هذه الضربة على الغريم فقط.. ولكنها قضت على جمهور البطل.. الذي اختصر السهرة الممتعة في دقيقة واحدة.. ومن ثم .. هموا بالفتك به!!
وعلى ضوء ذلك ينبغي ان نأخذ العصاة من أبنائنا وطلابنا:

فاذا ماتورط أحدهم في ذنب:
فلابد أولا من العقاب..
لكنه ليس العقاب المدمر.. وانما هو التأديب المبقي على بقية من الحياة فيه.. تكون بذرة لاستئنافها أنظف قلبا وارشد عقلا.. لابد ان يظل مستشعرا خطورة ماكان فيه.. ليتذوق حلاوة ماصار إليه بالعفو أخيراً.
والا فان التدليل.. بالعقاب القليل.. أو بتناسي خطأه فجأة واغراقه بالحب الغامر.. بينما أشباح ذنبه ماتزال تزحم النفوس.. فذلكم هو الدلال المفسد رجولة الرجال!
وحين نتملى نحن الآن موقف الرجل.. يتخلق لدينا الانطباع
أولاً: بعمق سعادة الرجل.. ثم بمعنى الرجاء في عفو الله مهما كانت أخطاؤنا.
شرط ان تؤثر العقوبة أثرها.. عائدة بالمذنب إلى الصف.. عبدا شكوراً..
ويأخذ المربون والدعاة نصيبهم من الفائدة التي تتقاضاهم حسن التدبير في مواجهة الخطائين:
مستبعدين الاهمال.. او الدلال.. ذاكرين أبدا: أن العاصي ليس خصما لهم.. بقدر ماهو مريض يحتاج إلى اللمسة الحانية.. او يائس يتطلع إلى الامل في النجاة.
الم تروا إلى آثار رحمة الله تعالى.. مع هذا العاصي.. بل مع أشد العصاة.. كيف يتودد اليه سبحانه حين يقول الرجل:
تمن.. فيتمنى..
ثم تجيء الاجابة أضعاف اضعاف ماتمنى.. في اسلوب قمين ان يسعد الرجال.. وعلى مراحل تعطينا من دروس التربية ألا نقدم جائزة العمل دفعة.. بل متعاقبة.. فرارا من ذهاب آثارها طفرة كما جاءت طفرة:
فهو سبحانه وتعالى:
يريه شجرة ظليلة..
ثم يمتعه بمشاهدة أخرى أشد جمالا.
ولايكاد يستقر تحت ظلها حتى تلوح له شجرة أجمل من الاثنتين معا.. وينتهي ذلك كله بمنتهى الآمال جميعا وهو: الجنة..
وهكذا نتعلم: كيف يتخلق الدرس فينا رويدا.. رويدا.. فيظل في وعينا لايغيب .

مدى استجابة الأمة

ولقد كانت استجابة الأمة لهذه الرحمة عميقة..

حب الخير للغير سمة من سمات المؤمن الحق.. الذي يحب لأخيه مايحب لنفسه..

أولا: في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم.. حين يسعده المشهد فيسجل سعادته الكبرى بنجاة الرجل.. بهذه الابتسامة: المشرقة.. العريضة.. بدليل أنه صلى الله عليه وسلم ضحك.. حتى بدت نواجذه.. فهي مع إشراقها عريضة تفصح عن قوتها في قلبه.. وسريانها كماء الحياة في كيانه كله.
وكان هذا السرور بنجاة المسلم سنة متبعة تجعل حب الخير للغير سمة من سمات المؤمن الحق.. الذي يحب لأخيه مايحب لنفسه.. بقدر مايشجب التشفي من الآخرين.. وإرادة نزول الشربهم:
ونقرأ في سيرة عمر رضي الله عنه مصداق ذلك لما اشتكى الناس لعمر.. سعيد بن عامر.. قال:
اللهم ماأعرفه الا مؤمنا..
اللهم لاتخيب فراستي فيه.
فلما ظهرت براءته ابتهج وقال:
الحمد لله الذي لم يخب ظني فيه!
وتأمل موقف الصحابة رضوان الله عليهم لما نزل قوله تعالى بتحريم الخمر.. لقد فزعوا من اجل اخوانهم الذين ماتوا وكانوا يشربونها قبل التحريم.. وكيف طمأنهم الله تعالى بقوله:
(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا مااتقوا..)
ثم سألوا عن مصير من مات منهم قبل تحويل القبلة. فنزل قوله تعالى (وماكان الله ليضيع إيمانكم).
وتصور دقة الاتباع حين يروى ابن مسعود رضي الله عنه الحديث فيضحك كما ضحك صلى الله عليه وسلم.. فأرانا بذلك نموذج الالتزام بسننه صلى الله عليه وسلم التزاما لايغادر صغيرة ولاكبيرة الا وفّاها حقها..
لنذكر دائما من موقف هذا الرجل العاصي موضوع هذا الحديث:
لنذكر دروسا مازالت تلح على ذاكرتنا:
فدلال الرجل الواضح بين يدي الله تعالى..
والمتمثل في رغباته الطامحة.. مع ان صحيفة أعماله.. لاخير فيها الا خيال المآتة!
ومع ذلك.. فان ربه تعالى يسارع في هواه..
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايذكر اسم الرجل ولاصفته.. فلا تهمنا الاسماء.. ولكن همنا معلق بالعبرة.. ثم الاعتبار بما فيها من دروس.. تطوى الأسماء لتبقى المواقف.. مقاييس تزن بها أقدار الرجال.. بلاتشهير ولاتجريح! ■

تربية

تشكل التربية مهمازاً أساسيا، يمكن من خلاله رصد واقع المسلمين الحقيقي،ويراقب التصورات. ذلك أن القرآن الكريم قد تعهده الله تبارك وتعالى بالحفظ، وجعله خاتما، مخلدا، مجردا من قيود الزمان والمكان. قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر/٩. كما بعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة تكريما لهم وتكليفا وتشريفا. قال تعالى: (وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) سبأ/٢٨. وهذا التعهد الالهي للقرآن الكريم، يعتبر مصدر قيم الأمة الإسلامية، يمنحها المزيد من السكينة والاطمئنان لصحة وسلامة عالم أفكارها. كما يؤكد صدق المسؤولية، وتكليف التبعات في حمل الأمانة التي خصها الله بالعقلاء من مخلوقاته سبحانه، فكان الإنسان أهلا لهذا التشريف باعتباره المخلوق المكرّم الذي أهّله الله لحمل رسالاته، وتقبل القرآن الكريم .قال تعالى:(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر) الإسراء/٧٠. وقال: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولاً) الأحزاب/٧٢

تربية القيم في القرآن الكريم

بقلم:د. أحمد الزباخ

علاقة التكليف بالقيم القرآنية:

التكليف علامة من علامات المسؤولية، والحرية، والاختيار. فالقادر هو الذي يختار. والمريد هو الذي يختار القدرة على تبصر الحقائق، وتدبر أسرار القضايا ومن ثم نجد ان المكلف يمتلك الحس الواضح لترجمة القيم القرآنية، والتعاليم الربانية، والأفكار والتصورات إلى أفعال.

التعهد الإلهي للقيم القرآنية

ثم إن الله تبارك وتعالى لم يتعهد القرآن بالحفظ في جوانبه الدينية، والفكرية، والعقدية فقط، بل تعهده بالحفظ في البيان والتفسير حفاظا على مدلولاته لتبقى قيمه مصونة لا تتلاعب فيها مصالح العباد وأهواؤهم بالتأويل، والغلو، والتحريف. قال تعالى:(إنا علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه) القيامة/١٧-١٩.

ولذلك نجد ان معاني قيم القرآن الكريم ظلت مصونة مع بيان رسول الله المعصوم- وهو المتعارف عليه بين الدارسين بالبيان المأثور- نتيجة توافر ضابطي النقل والتوثيق لهذا البيان. مع تشكل مرجعية أساسية للفهم القرآني تجلت زيادة على التفسير والتبيين، في تطبيق مشهود لها بالخيرية. قال تعالى:(كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران/١١٠.

وبذلك تشكل مرجعية شرعية أساسية ومعيارية لشرح وبيان آي القرآن الكريم لكل العصور، وعبر كل الأزمنة، فنجد ان التوجهات الحضارية الواسعة للأمة الإسلامية، والتشكل السليم لكل تحد يواجه هذه الأمة، يجب ان يبصر اعتمادا على قيم القرآن، وهداية الوحي لضبط كل الحلول المواكبة، ورسم المسارات المتجددة. شرط عدم تجاوز المحفوظ من كتاب الله، والبيان من سنة رسول الله. ليتأكد أن الفهم والبيان من هذا المحفوظ لايقتصر على حاضر الناس إبان عصر الدعوة بل يمتد ذلك إلى زمن ماقبل الدعوة وزمن مابعدها.

فقد أكد القرآن الكريم الذي بيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم تزييف اليهود والنصارى لرسالات الله موضحاً لهم ذلك التحريف، ومبينا لهم الحقيقة، مثلهم مثل باقي الرسالات السابقة التي عبث بها الأقدمون، فانهارت بذلك أممهم نتيجة زيفهم لقيم تلك الرسالات، وقصد القرآن من ذكر ذلك لأمة الإسلام، اختبار لها، لتقوم حاضرها وتتبصر مستقبلها وتسترشد من سنن السقوط والنهوض، فيكون ذلك وقاية لها يقيها عثرات إهمال قيم التدين، الذي أصاب الأمم السابقة. قال تعالى:(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) آل عمر ان١٣٧و١٣٨. خصوصاً وان الله أراد لهذه الأمة، الزعامة،

التكليف علامة من علامات المسؤولية والحرية والاختيار

قوة الإسلام تكمن في تربية الإنسان المسلم على قيم القرآن الفاضلة

والإمامة في الدنيا والآخرة. في الدنيا الصلاح والايمان قال تعالى:(والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) العصر/١-٣.

أما في الآخرة فالشهادة على الناس قال تعالى:(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) البقرة/١٤٣. ولن يتحقق لأمة المؤمنين الوصول الى هذه الريادة إلا إذا استظلت في رحلة واقعها بقيم القرآن الكريم في جميع توجهاتها. ذلك أن القرآن الكريم الذي يلزم أمة الإسلام بمجموعة من القيم الثابتة يستهدف من خلالها سبحانه ان تكون رحلة هذه الأمة محفوفة بمظلة هذه القيم، حتى لاتزيغ عن سكة توجه القرآن الكريم، فتهلك او تسقط. ولايمكن لهذه القيم ان تظل عالقة بسلوك المسلم، وتوجهاته، إلا إذا ترعرع في أحضانها وتربى على مسالكها، لأنها الاساس الأصيل الذي يجب أن يغذي التوجه الصحيح للمسلم. وبذلك تبقى حياته من دون هذه القيم عشوائية تستهويها التوجهات الفارغة. ولن يتلذذ نغمة الحياة إلا إذا استطابت نفسه القيم المثلى للإسلام، واطربته رنات توجهها الصحيح الذي يثلج صدر المتلقي لسلوكها وكأني مع قوله صلى الله عليه وسلم:«علموا أولادكم الصلاة لسبع واضربوهم لعشر» رواه البخاري.

مميزات القيم القرآنية

فقد ارتبطت تعاليم الإسلام بقيم هذا الكون، الذي يجب ان يحتضنها المسلمون وخصوصاً وهم أهل الصلاح الذين خصهم الله بخيراته دون سواهم من بني جلدتهم، علهم يحققون التصور الأمثل للخطاب القرآني الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. قال تعالى:(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)آل عمران/١٠٤.

فقد غدا المسلم بفضل قيم القرآن السامية مميزا عما سواه في مجالات متعددة اعظمها قيمة تلك الشهادة التي انيط بها- غدا- يوم القيامة. قال تعالى:(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة/١٤٣.

إن ارتباط المسلم بقيمة الشهادة، أو الأمر بالمعروف، أو النهي عن المنكر، أو العدل... يرغمه على الارتباط بأصل كل القيم القرآنية ألا وهي العقيدة التي تعتبر من الخصائص المميزة للحضارة الإسلامية، ومن العلامات البارزة للشريعة الإسلامية.

ولايمكن للمسلمين أن يدركوا العزة لدولتهم وأمتهم إلا اذا تربوا على هذه القيم، وتشبعوا بها في تنوع مفاهيمها، وتعدد سلوكاتها، لتسمو أخلاقهم بسمو عقيدتهم.

علاقة الأخلاق بقيم القرآن

فحينما نتحدث عن القيم في القرآن ندرك أنها تعني الاخلاق الفاضلة بأصولها الإسلامية، تجليها وتؤكدها الآيات القرآنية الكريمة، لتتعزز رحلة الإنسان الصالحة. وكأن رسالة القرآن الكريم وقيمه، جاءت لإنقاذ هذا الإنسان من الانزلاق في متاهات الضياع التي تجذبه اليها توجهات شيطانية، ونزوات إبليسية، في مجالات: العلم، والسياسة، والتدين، والاقتصاد، والشغل، والتناصح.. فإذا مافقدت هذه الأشياء قيمها، وغدت صورا خادعة تزيفها أهواء الناس الجانحة أحياناً إلى السوء تغير واقع الناس، وكذلك كان. فها هو حال الأمة الإسلامية في منزلقات متنوعة يلاحقها الوهن، والضعف، ويسكنها هاجس التشتت، والتمزق والانحطاط والتخلف..

المجتمع الإسلامي وقيم القرآن الكريم

ومن هنا يمكن القول ان قوة الإسلام تكمن في قيمه، وقيمه يبرزها القرآن الكريم لذلك لزم أن نربي جيلنا على قيم القرآن حتى نوجد مجتمعا اسلاميا قويا. لأن أسباب القوة ليست في فوضى القيم، ولا في التحلل من الأخلاق، والأدبيات الإنسانية. ولا في التشكيك في المعتقدات، او في الثوابت والمثل. ولا في تقليد اوروبا، او التوجه وجهة امريكا أو الجنوح إلى منهج اليابان أو روسيا.. بل قوة الإسلام تكمن في تربية الإنسان المسلم على قيم القرآن الفاضلة. تلك القيم التي تمثلها الأصول الخالدة للإسلام، والمثل والمبادىء السامية التي جاء بها القرآن الكريم.

قيم يسجلها القضاء الشرعي السليم من داخل جلسات المحاكم،وتبرزها سلوكات المؤمنين في الشوارع، والأزقة، وداخل البيوت، والمساجد. وتجليها مناهج التربية والتعليم داخل مدرجات الجامعات، ومقاعد الدرس. كما يرينا إياها مبضع الطبيب، وقلم الصحافي، وصورة الإعلامي وموقف السياسي.

ان القيم القرآنية هي وحدها التي نستطيع بها ان نحاور سلوكنا، ونناقش افكارنا، ونرسي سفننا على أرصفة السكينة، والاطمئنان. لأنها تمنح الإنسان المسلم فضيلة الصدق، وثبات العزيمة، وصوت الحق، وجرس العدل، وبذرة المساواة، وخشوع التدين وتوبة المذنب، ورأفة الجلاد، وعشق العقيدة، وجرعة الحقيقة، ونكهة العدالة، وذوق المحبة.

وبفضل قيم القرآن نما مجتمع الصحابة وترعرع، من شتات متناحر، متناثر، متقاتل لايكاد يلتقي على غير الصراع، فإذا به أمة صلبة، قوية، تفتح وتغزو، تبني وتعمر، تنشر الهدى والسلام لتحطم أعتى قوة في عصرها.

فللقيم القرآنية إذن مواصفات مركزة ودقيقة، تسهم في إعداد الإنسان الصالح، وبالتالي المجتمع الصالح فالجيل الصالح. فلو تربى المسلم على تناولها وصار مدمنا عليها حقق هدفه وغايته.

فالتوحيد قيمة أساسية تحقق التوحد. والتوحد قوة لاتبدو قيمته إلا في إطار التوحيد. قال تعالى:(واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا)آل عمران/١٠٣.

والتقوى قيمة يلزمنا الشارع بأن نربى عليها قال تعالى:(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)الحجرات/١٣. والهداية قيمة قرآنية يجب ان يتربى عليها السالك حتى اذا ما سار على نهجها حقق ذاته (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون)البقرة/٣٨.

وقيمة العقيدة الصحيحة التي ترد كل شيء الى الله قيمة من قيم التوجه الخالص لله يعيد المؤمن بها الى جسور الثبات على الحق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، والصدق في العمل، ومباشرة ذاته في مرآة الباري سبحانه وهو يحاوره(ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم. الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ماشاء ركّبك) الانفطار/٦-٨.

(ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)ق/١٦.

جدلية العلاقة بين القيم القرآنية وواقع المسلمين

حينما أقرأ القرآن الكريم استشعر عظمة قيم هذا الكتاب المقدّس ومايحويه من كنوز وذخائر لايعكسها واقعنا الإسلامي، فسرعان مايبدو لي التنافر بين المجتمعات الإسلامية وقيم هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى ليخال لي أن الاسلام متعدد وأنا اقرأ واقع حال المسلمين فأرثي لحالهم. تطرف وتشتت، تصنّع وتمزق، نفاق وبدع... بدع زائفة تتراءى لك وأنت تحاكم الإسلام من واقع المسلمين؟ مما ينعكس سلبا على عقليات سذج الناس الذين يرون صدق الحقيقة في كل مستورد من غير بيئتنا سواء كان نظما إنسانية اجتماعية، سياسية اقتصادية، او فكرية لكن صدري يثلج حينما أعود إلى القرآن فأرى نور الحقيقة ساطعا يتلألأ بقيمه ينادى بالصلاح لتحقيق العزة التي كتبها الله لعباده (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) المنافقون/٨.

حينها استشعر واقع المسلمين الحقيقي، الذي اعتراه وهن التخلي عبر قرون عن تصورات الإسلام ومفاهيمه. ومن هنا كانت المأساة، لأن السلوك بمفرده لايسهم في الهوان، والذل، والتخلف، والتفكك، بهذا الدمار الماحق الذي غدا عليه أهل الإسلام. فتصورهم للعقيدة مذبذب، وتصورهم للعبادة مشوه، وتصورهم للقضاء والقدر مهترىء، بل إنك لتجد تغييرا ملحوظا عند المسلمين لمفاهيم: العلم،والتربية والإدارة، والاقتصاد، والفكر، والحضارة، والسياسة... غير أن الذي كان عليه السلف الصالح غير هذا، لأنه رضع من انبوب العشق في الله والحب في رسوله، فأثرى أمته عطاء غنيا، أغدق الخير على نفسه بالصلاح والتقوى، وعلى أمته باليمن والفلاح في الدنيا والآخرة.

ففي دنيا دولة السلف الصالح تتراءى للدارس قيم الاسلام وهي تتجول بين أزقة المدن الإسلامية، وحضارة مآثرها. تغتال الفقر، والحقد،والجهل، والنميمة، والبخل، والظلم، والتطرف، والانانية.. وتغرس بدائلها نظائر ناضرة تعشقها القلوب والأنفس فتتغذى بثمارها العقول والاجسام، التي تشد حبال التواصل بين الأقارب والأباعد، برا، وصدقا، وأمانة، وصبرا، ووفاء، وعزة، وتواضعا، وتعاونا، وإخلاصا، وتوبة، وحرصا على مرضاة الله وحذرا من سخطه... فإذا الناس افواجا وجماعات يندفعون إلى الإسلام.

لقد تجمع في عصرنا بمجتمع المسلمين فسادان فساد لتصور الاسلام ومفاهيمه الأصلية وفساد لسلوك المسلمين. وكلا الفسادين تغذيه عوامل، وتثريه توجهات ومقاصد داخلية وخارجية، لذا يبدو الإصلاح صعب المنال.يحتاج الى صدق النية وثبات العزيمة، وقوة الإرادة، وصلابة التوجه مع التوكل على الله، والتوفيق منه سبحانه. والتقوى له جل جلاله قال تعالى:(إن أريد إلا الإصلاح ماستطعت وماتوفيقي إلا بالله)هود/٨٨.

وقال:(ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران/٢٠٠.

خصوصاً وان رحلة اليأس تطال -احيانا- العقلاء فيتسابقون الى تقبل حلول غيرهم الجاهزة، ويدافعون عنها. يغريهم لمعان بريقها في السياسة، والاقتصاد،والتعليم... فيرضونها، ويقبلون عليها إبعادا لكل معاناة ومجاهدة، فإذا أنفسهم تستطيبها، وإذا أجسامهم تتلذذها، حتى وإن كان تصورها يخالف عقيدتهم التي سُقيت من دم أجدادهم، فينسون أو يتناسون وعد الله(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا)النور/ ٥٥.

الغرس الصحيح لقيم القرآن الكريم

ان غرس قيم القرآن الصحيحة في جيل المسلمين الجديد يحتاج إلى جهاد وصبر، هذا الصبر الذي يجب ان يؤسس على الدعوة الصحيحة والصريحة لقيم الاسلام، بروح متجردة تطبعها النية والسلوك الصادقين، وتزكيهما المصابرة والثبات، وتعززهما المشقة والتضحية من دون تفريط أو إفراط، من دون انهزام أو تطرف.

فالاسلام رسالة انسانية، عالمية وشمولية قال تعالى:(تبارك

الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)الفرقان/١.

وقال:(وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)سبأ/٢٨.

(قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلمته واتبعوه لعلكم تهتدون)الأعراف/١٥٨.

ولكي يكون لقيم هذه الرسالة العالمية تأثيراتها في الناس، يجب إيصالها إليهم بتوجهين.

الأول:منهجي يقوم على دعامتين:

أ- التيسير. قال تعالى:

(لايكلف الله نفسا إلا وسعها)البقرة/٢٨٦

(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)البقرة/١٨٥

(وماجعل عليكم في الدين من حرج)الحج/٧٨

وقال صلى الله عليه وسلم:«إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» رواه البخاري.

وهذا التيسير يجب ان يطال العقيدة كما الشريعة تماما حتى يرضى بذلك الناس ويقبلوا على رسالة الاسلام من دون إكراه قال تعالى:(لا إكراه في الدين) البقرة/٢٥٦.

ب- دخول الناس في الإسلام عن قناعة وطواعية واختيار.

الثاني: من حيث الدليل ويتركز على:

أ- مالا يختلف فيه اثنان وجاء مفصلا في القرآن الكريم وفي سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالعقائد والعبادات وهي أركان الإسلام التي تقام على أساسها قيم الإسلام وثوابته.

ب- المصالح المدنية والأمور السياسية والاجتماعية والتربوية وردت قيمها في القرآن الكريم مجملة لتساير مصالح الناس ملاءمتها للفطرة البشرية بحيث تتنوع بتنوع رغباتهم وتتعدد بتعدد مقاصدهم عبر كل العصور ومع كل الأزمنة.

ج- عند إخضاع المصالح الدنيوية للنص القرآني والسني مع كل اجتهاد يجب أن يقصد بذلك الحفاظ على مصالح العباد الممثلة في:

١- حفظ الدين

٢- حفظ العقل

٣- حفظ العرض

٤- حفظ النسل

٥- حفظ المال.

وذلك لأسباب عدة:

اولا: أن هذا يناسب فطرة البشرية

اكد القرآن الكريم تزييف اليهود والنصارى لرسالات الله

ثانيا: أن هذا يساير العقول الانسانية

ثالثا: أن هذا يساير التطور والتجديد.

تأثيرات القيم القرآنية في التراث الإسلامي والإنساني

من هنا يستطيع الدارس أن يتلمس قيم القرآن الكريم في كل التوجهات الإنسانية فتراثنا العلمي، والسياسي، والفقهي، واللغوي، والاجتماعي، والتربوي، والفكري... يعكس آيات وأدلة ساطعة لقيم القرآن الكريم. بحيث نجد لتلك القيم الأثر البين في إثراء العلوم الإسلامية بصفة عامة لتتأصل من كتابه -سبحانه- تلك القواعد التقويمية في جوانب اللغة، والأصول، والفقه والبلاغة، والمنطق والفلسفة، والتاريخ، والحديث، والتفسير... كي تبقى خطاً أحمر يمنع تسرب التخلخل أو التذبذب إلى علومنا. وبذلك نمت حضارة علمية زاهية أزهت الإنسانية في عصورها، وأيقظت العقول الغافية فانشرحت للتقدم، وانطلقت للتجديد، وهيأت جسور التواصل للعصرنة والتحديث.

وقد عكس تاريخ المسلمين وحضاراتهم في مجالات: السياسة، والاقتصاد، والإفتاء، والقضاء... ذلك الواقع المشع الذي مازال رصيدا قويا للمسلمين يستطيعون من خلاله تجاوز تذبذب رحلتهم المعاصرة، خصوصاً وأن السمة المميزة للمجتمع الاسلامي المعاصر تتجه إلى التقليد الأعمى للحضارات الغربية، وللثقافة التي أفرزتها ومرد ذلك سببان:

اولهما: التفوق التكنولوجي والتطور العلمي الذي تعرفه أمم الغرب مقارنة بالاقطار الإسلامية وشعوبها.

ثانيهما:افتقاد المصداقية المثلى لقيم القرآن الكريم داخل المجتمعات الإسلامية في جميع المجالات نتيجة التخلف الذي أصاب المسلمين من جهة، والهجمة الاستعمارية الشرسة من جهة أخرى.

فهذان السببان كافيان لتذبذب الانسان المسلم في مبادئه وقيمه، والتشكيك في ثوابته وأصوليته، والشيء الذي يدفع الغيورين على الإسلام ومبادئه الى مواجهة هذا التحدي بالتصحيح والثبات لتأكيد قيم الحضارة الإسلامية وأصوليتها، وبالتالي ترسيخ التوجه الصحيح لحياة الإنسان المسلم من خلال قيم القرآن الكريم حتى تقوى على مواجهة التحديات الغربية المعاصرة.

ولن يتأتى هذا إلا في ظل عقيدة صحيحة قوامها التشبث بقيم القرآن الكريم ومنطق كتابه الشرعي الواضح والحجة الواقعية السليمة. ■

تربية

التزكية الروحية للمسلم

إن الإنسان مركب من الجسم والعقل والروح، وإن الجسم مجرد وعاء للعقل والروح، وهو يشبه كوب الماء الذي يوضع فيه الشراب الطيب اللذيذ النافع، الذي يقصده الإنسان، ثم يسلمه إلى غيره، وقد يعتريه الكسر والعطب والتلف في أي وقت، دون أن يؤثر ذلك على بقاء الشراب، والانتفاع به في كوب آخر.

أ.د. محمد الزحيلي

وكانت حكمة الله تعالى أن خلق هذا الجسم في أحسن تقويم، وصوره على أحسن تصوير، فكان على أجمل هيئة، وأكمل صورة، وهذا فضل من الله تعالى، ووسيلة للغايات الجسيمة التي خُلق الإنسان لأجلها، فقال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التين - ٤، وقال تعالى: (وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) غافر - ٦٤، وبين القرآن الكريم مراحل خلق الإنسان: نطفة وعلقة ومضغة وعظاماً ولحماً، وختم الآيات بقوله تعالى: (فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون: ١٤.

ويحتل العقل الجانب السامي في الإنسان، وهو أساس تفضيله على سائر المخلوقات، وتكريمه في الملأ الأعلى، قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الإسراء - ٧٠، فكان الإنسان مخلوقاً عاقلاً ومفكراً، ومخططاً وباحثاً، ومختاراً ومريداً، واستحق بسبب

الإنسان مخلوقاً عاقلاً ومفكراً واستحق بسبب عقله أن يكون السيد في الخلق

عقله أن يكون السيد في الخلق، والخليفة في الأرض وعن طريق عقله يحقق مصالحه، ويدبر أموره، ويخترع، ويبدع، ويتعلم، ويكتشف، ويقود جسمه إلى حيث يشاء، ويضعه حيث يأمره عقله، ويختار ما يريد، ليكون مسؤولاً بعد ذلك، ويتحمل جزاء اختياره إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولا يظلم ربك أحداً.

ثم يأتي العنصر الثالث، وهو الروح، لتتبوأ الريادة والقيادة، وتقطف ثمار الجسم والعقل، وتسمو بالإنسان إلى الملأ الأعلى، وتتطلع إلى السموات العلى، وتعشق الجنة وما فيها، وإذا فني الجسم خرجت الروح إلى بارئها، وبقيت سليمة صحيحة في عالم الأرواح، حيث لا فناء لها، ولا وقت يؤرقها، وترفرف الروح الخيرة بعد وفاة صاحبها، وتتابع مسيرة النعيم، أو العذاب، بحسب ما قدَّم صاحبها من أعمال، وما منحها من غذاء، وما زوَّدها من طاقة، وما أخذ لها من معطيات الحياة في الخير والشر، فإن كانت النفس مؤمنة مطمئنة، أتاها النداء الرباني في آخر لحظات العمر بالترحاب الإلهي، والاطمئنان إلى الرحيل السعيد، بقوله تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي) الفجر - ٢٧ - ٣٠.

وهذا يوجب على الإنسان أن يحرص على روحه بالتزكية، بأن يغذيها بالخير، وأن يكرمها بالأعمال السامية التي تبهجها في الدنيا، وتحقق لها السعادة قبل الموت، والراحة والنعيم الخالد بعد الموت، والنجاة من العذاب الدائم.

وقد يعبر عن الروح بالنفس، وهذا ما قصده الشاعر المؤمن بقوله ليكون الإنسان إنساناً:

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

وإذا أردنا أن نعطي النِّسَب، ونوزع الدرجات من مئة على عناصر الإنسان الثلاثة، فلا يستحق الجسم إلا دون

عشرة بالمئة، والعقل أقل من ثلاثين بالمئة، والروح أكثر من ستين في المئة. فالجسم يعيش فترة محددة ومقدرة، ثم يأتيه الأجل المحتوم، والعقل عمره أقل من ذلك، لأنه يتأخر عن خلق الإنسان حتى ينمو، ويكتمل بالبلوغ، ثم يغيب مع الجسم، وتبقى الروح في عالمها الخاص، لا يعتريها فناء ولا تغيير، حتى تقوم الساعة، وتبعث الأجساد، ويأمر الخالق البارئ الروح أن تعود لقفصها، لتبدأ الحياة الآخرة التي وعد الله تعالى بها عباده، وأقسم بعودتها (قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) التغابن - ٧، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) المؤمنون - ١٥ و ١٦.

لكل ذلك برزت العناية الكبيرة، والاهتمام الواسع في الإسلام في تزكية الروح، وشرع الإسلام لذلك الوسائل الكثيرة، وفي مقدمها الإيمان بالله تعالى، حيث تطمئن الروح، وتبلغ العلياء، وتتصل بربها، وتناجي الخالق البارئ، وتستجيب لنداء الحق، وتأنس بذات الله تعالى وصفاته، قال تعالى: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد - ٢٨، أي الأرواح، وقال تعالى: (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً) الفتح - ٤، ويوم القيامة يتخلى كل شيء عن الإنسان إلا روحه وقلبه، قال تعالى: (يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم) الشعراء - ٨٨ و ٨٩، ثم تأتي التزكية في العبادات الأربع الأساسية، ففي الصلاة تسمو الروح إلى بارئها، وتتناغم مع الخالق الرحيم الودود الحكيم، وفي الصيام تأنس الروح بالله تعالى، وتقترب منه، ففي آيات الصوم قال الله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) البقرة - ١٨٦، مع أن الجسم في جوع وحرمان، وثبت في الحديث القدسي الصحيح: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» وفي رواية «يدع طعامه وشرابه من أجلي» وتراقب الروح ربها في الصيام، وتمتنع ذاتياً عن الطعام والشراب والجماع، لتتهيأ وتستعد للدخول إلى الجنة من باب الريان الذي خصص للصائمين، وتصل النشوة الروحية أوجها عند إفطار الصائم ليدعو دعاء مستجاباً، ويفرح بفضل الله عليه ونعمته في الدنيا، ثم عند لقاء ربه، ثم تبلغ التزكية الروحية العلياء فوق التصور والتعبير، وبما يعجز عنه اللسان والكلام، في العشر الأواخر من رمضان، وفي ليالي الوتر منه، وفي ليلة القدر خاصة، لتكون للمؤمن خيراً من ألف شهر، في الطاعة والعبادة واللذة الروحية، وكذلك الأمر في الزكاة التي تزكي النفس والروح، وتطهر المال، فقال تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) التوبة: ١٠٢، فتعلو النفس والروح عن المادة، وتبذلها بدون عوض ولا مقابل مادي دنيوي، بل تطمع في جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وتثق برحمة الله الواسعة للمزكين، قال تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) الأعراف - ١٥٦، ووصف الله المؤمنين بذلك، فقال تعالى: (قد أفلح المؤمنون... والذين هم للزكاة فاعلون) المؤمنون ١ و ٤، (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) النمل/٣، ثم يأتي الحج الذي تتألق فيه الروح شوقاً له ورغبة وأملاً ودعاء، ثم يتحقق بالإحرام، والانخلاع عن الملابس العادية، والتوجه إلى الله تعالى بالتلبية والنداء، والشوق المتسارع لرؤية البيت الحرام، والتمتع برؤية الكعبة المشرفة والقرب منها، حيث تنعتق الروح وكأنها خارج الجسد، وينسى الحاج والمعتمر الدنيا وما فيها حتى أهله وذويه ونفسه، وينظر بروحه إلى ذكريات الحرم، ومبعث النور، ومنابت القادة والسادة، ومنابع القيم والفضائل، ويستسلم استسلاماً كاملاً - عند الملتزم، والحِجْر - لرضاء الله ومشيئته، ثم تتسامى التزكية الروحية إلى العلياء عند الوقوف بعرفات، ورفع الأكف للدعاء، والاستعداد للنفرة إلى مزدلفة ومنى، وقد أدركت الروح مناها بالمغفرة، ثم تتشوق من جديد روحياً إلى لقاء البيت والحرم والكعبة بعد غياب يوم واحد جليل.

برزت العناية الكبيرة في الإسلام في تزكية الروح بوسائل كثيرة في مقدمتها الإيمان بالله تعالى

وتتابع التزكية الروحية بعد العبادات الخاصة مسيرتها عن طريق الأدعية والأذكار المأثورة التي ترقق القلب، وتهذب النفس، وتمنح الروح الرضا والطمأنينة، ويخلو الإنسان بنفسه مع روحه، فيناجي ربه بالأسحار والأسفار، وعند طلوع الشمس وعند الغروب، وفي أدبار الصلاة وإدبار النجوم، ويكون لسانه رطباً بذكر الله تعالى، وترفرف الروح شوقاً إلى ربها، وتطير فرحاً بارتقائها، لتستجيب لدعوة الحق تبارك وتعالى القائل: (فاذكروني أذكركم) البقرة - ١٥٢، والقائل: (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) الأعراف - ٢٠٥، والقائل: (واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار) آل عمران: ٤١، والقائل: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً. وسبحوه بكرة وأصيلا. هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الأحزاب: ٤١ - ٤٣، والقائل: (واذكروا الله لعلكم تفلحون) الجمعة - ١٠، وهنا يتحقق للنفس الفلاح، لقوله تعالى: (قد أفلح من زكاها) الشمس - ٩، وقوله تعالى: (قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى) الأعلى: ١٥ و ١٦، وقد وصف الله تعالى عباده الصالحين بطمأنينة القلب بالذكر، فقال تعالى: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد: ٢٨، وقال تعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) الرعد - ٢٨.

وتستمر التزكية الروحية بتلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار، وتتذوق الروح بكلام الله تعالى يخالج جنباتها، وقد جعله الله تعالى وسيلة للتزكية والتربية، فقال

تعالى: (وذكر بالقرآن من يخاف وعيد) ق - ٤٥، وقال تعالى: (ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا) الإسراء: ٤١، كل ذلك بفضل الله تعالى ورحمته على الإنسان في خلقه.

إن الله تعالى خلق الجسم ومنحه العقل، ولكنه تفضل على الإنسان أكثر وأكثر فمنحه الروح التي وهبها الله تعالى من ذاته للإنسان، فقال تعالى عن خلق الإنسان: (فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي) الحجر - ٢٩، ليتدرج الإنسان في مراقي الكمال والرفعة والفلاح، ويتصل بروحه مباشرة بالله الخالق المدبر، دون وساطة كهنوتية ولا وسيلة مادية، قال تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ق - ١٦.

وإن المتعة الحقيقية للإنسان في الدنيا والآخرة ترتبط بالروح وشفافيتها، وسعادتها، وتحررها وانعتاقها، وتهذيبها، وتزكيتها، وصلتها بالله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، ولا تتأثر بصحة الجسم أو مرضه، فنرى في الدنيا كثيراً من الناس أصحاء الجسم والعقل، ومع ذلك يشعرون بالضيق والعذاب النفسي، والقلق الروحي، والاضطراب الداخلي، وهو الشائع اليوم في العالم عادة وفي الغرب المادي بخاصة، فإن سئلوا عن وجع أو ألم نفوا ذلك، وإن عرضوا على طبيب لحكم بصحة الجسم وسلامة العقل، ولكن الروح تتألم، والنفس تتعذب ولا تحتاج إلا للتزكية الروحية، والدواء السماوي، والصلة الربانية، وتفتقر إلى الغذاء الروحي لتهدأ النفس، وتعود إلى طبيعتها وسلامتها وعافيتها ونشاطها، بينما نرى كثيراً من الناس المرضى بأجسامهم الذين يتألمون من الداء، ويعانون من أعراضه، حتى يشفق عليهم الطبيب والأهل والناس، ومع ذلك تجدهم في راحة وسعادة، ولا يتحرك لسانهم ببنت شفة، ولا ينطق بتأوه أو ضجر، لأنهم سعداء بأرواحهم التي تسمو فوق الأمراض والأوجاع، يأنسون بالله تعالى، ويهيمون بذكر الله تعالى، وينسون آلامهم، وهذا ما يفسر تلك العملية الجراحية لأحد التابعين عندما قرر الأطباء فيها بتر ساقه، وحاولوا إقناعه بتحمل أوجاعه، فقال بكل ثقة، وهدوء وطمأنينة: (إنني سأنوي الصلاة، فإذا استغرقت فيها بتلاوة القرآن فاقطعوا الساق، وهذا ما حدث، وفعلوا ذلك دون أن يشعر بألم أو ضجر).

وهذه التزكية الروحية والسعادة الذاتية هي ما قصده العالم الروحاني الرباني الجليل عبدالله بن المبارك عندما قال: «نحن في متعة وسعادة، لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها».

وهذه السعادة الروحية لا تفرق بين غني وفقير، فكثير من الفقراء أسعد حظاً وأشد سعادة مع غنى النفس من أغنياء المال، ولا يحجزهم الفقر عن الصلة الوثيقة بالله تعالى، والثقة به، والطمع بما عنده، والعمل على مرضاته، والقرب منه.

كثير من الفقراء أشد سعادة مع غنى النفس من أغنياء المال ولا يحجزهم الفقر عن الصلة الوثيقة بالله

كما أن هذه التزكية الروحية والسعادة بها لا تنحصر بالعلماء والمتعلمين، أو بصنف من العلماء أو تخصص معين من العلم، فهي سعادة عامة، نلمسها بين غير المتعلمين، كما نجدها عند المتعلمين، ويتجه الجميع إلى التقوى التي اعتبرها الشرع الحنيف المعيار والميزان للتقدم والتفضيل، فقال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات - ١٣، لذلك اتخذوا التقوى والغذاء الروحي وسيلة للعلم اللدني عند الله تعالى، كما قال تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله) البقرة - ٢٨٢، كما تزودوا بالتزكية الروحية للأنس بجنب الله تعالى، والحرص على التقرب منه، والله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي الصحيح الذي رواه البخاري: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها. ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه».

إن التزكية الروحية للإنسان غذاء الروح للسمو والشفافية، وهي أشبه بالأوكسجين الصافي لجسم الإنسان، فإن تلوث الهواء تعرض الإنسان للمتاعب، وأصبح بؤرة للأمراض والجراثيم، واحتاج إلى النقاء من جديد، وهذا هو شأن الروح التي تسمو بالذكر والتزكية، وتسعد بصلة الله تعالى، وتنظر بنور الله، وتصبح رؤيتها صادقة نافذة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى»، بينما تأتي الذنوب والمعاصي لتكون دَرَنة على القلب، تتراكم شيئاً فشيئاً حتى تطمس نوره، قال تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) المطففين - ١٤، وقال تعالى: (فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون) المنافقون - ٣.

وبعد: فإن السعادة الروحية في الدنيا هي سبيل السعادة الخالدة في الآخرة، لأن الدنيا مزرعة الآخرة، وهو ما ورد على لسان المؤمنين من أهل الجنة، كما قال الله تعالى عنهم: (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) الزمر - ٧٤، وإن أهل التقوى، والسعادة والرضا، والعبودية لله تعالى في الدنيا، هم الفائزون بنعيم الجنة في الآخرة.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا نفساً مطمئنة، وقلوباً خاشعة، وتزكية روحية وسعادة نفسية، وتقوى كاملة، لنحظى بمرضاة الله تعالى في الدنيا، وعفوه وكرمه وأفضاله في الآخرة، والحمد لله رب العالمين. ■

موقف برنارد لويس من القرآن الكريم

بقلم: سمير أحمد الشريف

جهد موسوعي ما، قام به الدكتور مازن مطبقاني في عمله الذي رصد فيه كتابات المستشرق اليهودي المعاصر «برنارد لويس» - هذا الجهد الذي يحتاج إلى عمل فريق لإنجازه، وفيه تصد لأطروحات واحد ممن أفاض طعنا في قرآننا وتراثنا عامة، الأمر الذي يصبح ضرورياً معه الوقوف على كتابات هؤلاء المغرضين وتفنيد آرائهم التي استندوا في الوصول إليها على فهم خاطئ لنصوصنا، وحكّموا العقل في مجالات لاينسجم تحكيم العقل فيها كالغيبيات، ويحتاج فهمها إلى ضمير المؤمن ويقين العابد

أهمية هذه الدراسة تأتي من نواح عدة، أولها: إعطاؤنا نبذة مكثفة عن حياة هذا المستشرق ومنابع اتجاهاته الفكرية ورؤاه الاستشراقية، ثانيها: حديثه بتوسع علمي عن طبيعة الاستشراق الانجليزي وعلاقته بالاستشراق الأمريكي، ثالثها: وقوف الباحث مع قضايا ساخنة لا نزال نلمس صداها وتفاعلاتها على الساحة، كالحركات الإسلامية المعاصرة، ورأي لويس فيها، رابعها: أن جهود الدكتور مطبقاني وضعت بين يديْ القارئ حصيلة شاملة لكل المجالات التي لامسها «برنارد لويس» مما يوفر على المتابع جهد البحث والتنقيب.

تقع هذه الدراسة في ٦١٥ صفحة من القطع الكبير، يسر طباعتها وتداولها مكتبة الملك فهد الوطنية، وتحتوي على مجموعة فهارس ككتابات «برنارد لويس» مرتبة حسب تاريخ تأليفها وقائمة بأبحاثه ودراساته المنشورة في الدوريات العربية والأجنبية، ثم قائمة المصادر والمراجع العربية والإنجليزية التي أفاد منها الباحث مع مجموعة ملاحق تحتوي على رسائل شخصية تبادلها الباحث مع برنارد لويس مباشرة، ومع بعض من تتلمذوا على يديه ممن يحتلون مراكز أكاديمية مرموقة.

توزعت الدراسة على أربعة أبواب قسم الأول منها إلى ثلاثة فصول هي: طبيعة الاستشراق الإنجليزي والأمريكي/ حياة برنارد لويس العلمية ومنابعه الفكرية/ آثار برنارد لويس العلمية دراسة تحليلية، الباب الثاني وجاء في أربعة فصول: موقف برنارد لويس من القرآن/ موقفه من الحديث النبوي/ بعض من آرائه في العقيدة والفِرَق/ آراء لويس في قضايا الفقه، في حين أن الباب الثالث توزعته فصول سبعة هي: آراء لويس حول السيرة في العهدين المكي والمدني/ موقفه من الخلافة الراشدة/ آراؤه في الفتوحات الإسلامية/ موقفه من التاريخ الإسلامي الحديث/ رؤيته للحضارة الإسلامية/ رأيه في بنية المجتمع الإسلامي/ منهجية برنارد لويس في دراسة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، أما الباب الرابع فتضمن ثلاثة فصول: رؤية لويس للمذاهب الفكرية المعاصرة/ رؤيته لتغريب العالم الإسلامي/ وموقفه من الحركات الإسلامية المعاصرة.

بعيداً عن الأهداف التي انطلق منها الاستشراق سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم دينية أم استعمارية أم علمية أم تجارية أم نفسية أم تاريخية والتي يتوقف معها الباحث باختصار مركّز، مشيراً إلى أن بداية الاستشراق الانجليزي تمت قبل الحرب الصليبية عندما توجه نفر من الإنجليز إلى الأندلس للدراسة في جامعاتها، ومن هنا نرصد غلبة الاهتمام العلمي المرتبط بالجانب الفردي الكنسي دون وجود علاقة مباشرة حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي، الذي يعتبر البداية الحقيقية للدراسات الاستشراقية في انجلترا، وهنا يلاحظ غلبة الدافع الديني على الاتجاه الاستشراقي حسب ما أقره مؤتمر فيينا سنة ١٣١١م للوصول إلى ثلاثة أهداف: تحويل المسلمين إلى النصرانية بترجمة كتب النصارى حتى يتأثر بها المسلمون/ اتقان المنصِّرين للعربية حتى يقرأوا ما يكتب ضدهم/ توحيد الكنائس الشرقية مع الغربية.

عندما زاد التبادل التجاري مع العالم الإسلامي، أصبحت معرفة اللغة العربية ضرورية خصوصاً بعد وصول العثمانيين إلى أواسط آسيا.

خلال القرن التاسع عشر الميلادي الذي شهد انتشار حركة الاستعمار ووجود بريطانيا دولة عظمى، ازدادت اهتمامات المستشرقين بالشرق بعد أن أصبح الشرق أو أجزاء منه خاضعة للإمبراطورية البريطانية، يُشار هنا لبداية ارتباط الاستشراق الإنجليزي بالاستعمار وخدمته لأهدافه.

وخلال القرن العشرين ظل الاستشراق ملتزماً بدوافعه وأهدافه، وإن كان قد عمّق جهوده وزاد عدد العاملين والمؤسسات الجامعية ومراكز الأبحاث.

ويمكن لمتابع خطوات الاستشراق الإنجليزي ملاحظة تطور فرع جديد من الدراسات الاستشراقية «الدراسات الإقليمية» وتختص بتفاصيل قطْر بعينه لتسهيل الوصول إليه.

بعد أن أفل نجم السياسة البريطانية وانحسر تأثيرها المباشر على المسرح السياسي عالميا وتسلم القيادة من قبل الأمريكان، فإن مما يلاحظ في بدايات الاستشراق الأمريكي اهتمامه باللغة العربية لتسهيل فهمه للغة العبرية، لغة التوراة ولهذا السبب وصلت أول البعثات الأمريكية إلى سورية العام ١٨٢٠م، وتم إنشاء أول مدرسة لتخريج المنصرين العام ١٨٤٣م، كما أنشئت أول مدرسة للبنات في لبنان العام ١٨٥٩م، وتأسيس الكلية الإنجيلية السورية العام ١٨٦٦م والتي تطورت فيما بعد إلى الجامعة الأمريكية.

تاريخياً يمكن اعتبار العام ١٩٥٨م بداية الاهتمام الرسمي الأمريكي بالاستشراق وذلك عندما أصدر مجلس الشيوخ مرسوماً يقضي بتشجيع الجامعات الأمريكية لدخول معترك الدراسات العربية الإسلامية، وما إن جاء العام ١٩٦٥م حتى أصبحت لغتنا العربية تدرس داخل أمريكا في خمسة عشر مركزاً وبتمويل من الحكومة الفيدرالية، ولاننسى هنا نصيب كثير من المؤسسات الأمريكية في هذا الجانب كمؤسسة «فورد وروكفلر وكارنجي» إلى أن أصبح عدد الجامعات الأمريكية التي تقدم دراسات عليا حول الشرق الأوسط أكثر من ثمان وعشرين جامعة العام ١٩٦٥م، هذا الاهتمام الذي أكد التوجه السياسي والاقتصادي للاستشراق الأمريكي، والذي امتد حتى العام ١٩٨٥م، عندما وصل الأمر بالاهتمام بالنزاع العربي - اليهودي في الشرق الأوسط وبخاصة الصحوة الإسلامية التي أولاها الكونجرس اهتماماً خاصاً ليصل حد جمع شهادات المختصين بدراسة العالم العربي والإسلامي فيما يتعلق «بالتطرف» ونشرها في كتاب وُزع على أعضاء لجنة الشؤون الخارجية فقط.

لاننسى هنا أهداف الاستشراق الاجتماعية وسعيه لتقويض تركيبة المجتمعات الإسلامية، ومحاولة استبدالها بالأفكار العلمانية ولهذا لا نستغرب تميز الاستشراق الأمريكي عن غيره باستقطاب الباحثين العرب الذين يسهلون مهمته تلك، هذا الاستشراق الذي أفسح المجال للمستشرقين اليهود أن يعملوا ضمن إطاره لإدراكهم أن مراكز الأبحاث الأمريكية ذات نفوذ في صناعة القرارات السياسة، ومن هنا جاء سعي اليهود للسيطرة على مراكز الدراسات الإسلامية والعربية والعمل على توجيهها الوجهة التي يريدون، وبخاصة ما يتعلق بتثبيت اليهود في فلسطين، ومن جانب آخر رغبة المستشرقين اليهود في أن يعملوا من داخل الحركة الاستشراقية الأمريكية حتى لا يعزلوا أنفسهم، محققين بذلك هدفين: فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية، وتحقيق أهدافهم الخاصة التي يتلقون فيها من الاستشراق الغربي عموماً، وخير مثال هنا هو «برنارد لويس» الذي ينتمي إلى المدرسة الإنجليزية والأمريكية في الاستشراق، حيث تلقى تعليمه في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن وتتلمذ على يد المستشرق «لويس ماسينون» ثم هاجر إلى أمريكا العام ١٩٧٤م للعمل في قسم دراسات الشرق الأدنى، ويُعيَّن مديرا لمعهد «اننبرج» للدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى، وهو معهد يهودي متخصص لدراسات ما بعد الدكتوراه في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا حتى الآن.

عند الحديث عن منابع «برنارد لويس» الفكرية ورؤيته الاستشراقية، لابد من العودة إلى مجموعة عوامل تضافرت لتشكيل رؤيته. أولها: ولاؤه للثقافة اليهودية الصهيونية لما عُرف عنه في طروحاته جميعاً، دفاعه الشديد عن اليهودية كدين وحماسه الشديد للصهيونية كأيديولوجية حتى كان من المؤيدين لقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وحامل لواء الحق اليهودي في العودة إلى أرض الميعاد!!

هذه الآراء تعكس عمق تأثره بالفكر اليهودي وتوجه دراساته جميعاً لخدمة ذلك الهدف، كما يظهر ذلك بوضوح في كتابه «اليهود في الإسلام» وفيه سعي إلى تأكيد دور اليهود في بناء الحضارة العربية الإسلامية والدين الإسلامي تحديداً والتركيز على ادعاء اضطهاد اليهود في المجتمع الإسلامي، هنا يمكن تقسيم جهود «برنارد لويس» إلى مرحلتين:

الأولى: انتهت بعام ١٩٦٧م وكان قبلها متظاهراً بالحياد العلمي ولم يظهر فيها ما يشير إلى ارتباطه بالصهيونية، وثانيها: تركيزه على القضايا اليهودية والصراع العربي الإسرائيلي، وبخاصة دفاعه ضد قرار الأمم المتحدة العام ١٩٧٦م، الذي اعتبر الصهيونية حركة عنصرية.

المدرستان الإنجليزية والأمريكية شكلتا رؤى «برنارد لويس» ففيهما تلقى تعليمه على يد عدد من كبار المستشرقين مثل «هاملتون جب» و«مرجليوث» و«ماسينون» و«جولد تسيهر» الذي له تأثير أكبر على آراء «لويس» اليهودية.

اهتمام «برنارد لويس» بـ«جب» يتضح من إشراف الأخير على رسالة «لويس» وعنوانها «أصول الإسماعيلية».

ومن العناصر التي ساهمت في تشكيل رؤى «لويس» إفادته من مناهج العلوم الاجتماعية التي استقاها من الاستشراق الأمريكي والتي انعكست على منهج «لويس» في تحليل البنية الاجتماعية الإسلامية ودراساته حول الأصول الاجتماعية للفرق الإسلامية، ومتابعته للقضايا الإسلامية ذات الطابع الاجتماعي كتعدد الزوجات والرق والطبقات.

آخر المؤثرات مجمل الظروف السياسية العالمية خصوصاً وأن نشأة «برنارد لويس» كانت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وانهيار الخلافة العثمانية، وما تبع ذلك من بروز حركات تحررية في أرجاء العالم الإسلامي الذي كان يرزح تحت الحكم البريطاني وما شهدته دول المنطقة من استقلال، وظهور أطراف جديدة لها ثقل سياسي كروسيا وأمريكا، هذه المخاضات توضح اهتمام المستشرقين بدراسة فكر الأمة الإسلامية وعقيدتها وأسباب تحررها ودراسة الخلافة العثمانية وظهورها وأسباب زوالها، والاهتمام من ثمَّ بالحركات العلمانية والصحوة الإسلامية وسقوط الشيوعية مما حدث أخيراً.

هذا ويمكن إجمال الحقول التي كتب فيها برنارد لويس في النقاط التالية:

التاريخ الإسلامي - الفكر السياسي الإسلامي والحركات الإسلامية المعاصرة - الفرق والعقيدة الإسلامية - دراسات في المجتمع الإسلامي - الدولة العثمانية وتركيا الحديثة - اليهود والإسلام وقضية فلسطين.

وله في هذه جميعاً ما بين كتاب ومقالة وبحث ما يزيد على ٣٥ عملاً زيادة على مساهماته الأخرى كتحرير دوائر المعارف وأحاديثه الإذاعية والتلفازية ومحاضراته ومؤتمراته وندواته واستشاراته السياسية وإشرافه على الكثير من الرسائل الجامعية.

وحتى نقترب من أفكار «برنارد لويس» أكثر ونقف على حقيقة آرائه، نطل على طروحاته وأغاليطه فيما ادعى حول كتاب الله العظيم، وما حاول أن يثير حوله من شبهات متتبعاً خطوات من سبقوه متناولاً مصادر القرآن والأجزاء المكية والمدنية والناسخ والمنسوخ، وأمية الرسول والوحي وشبهة الأخذ عن اليهود والنصارى.

يذهب الرجل مذاهب شتى في تخرصاته ويتوه بين تعريفاته فتارة يقول عن القرآن عمل كاتب واحد أنتج في حياة شخص واحد ص ١٢٨، وأحياناً يقول إن العلماء في الغرب قبلوا بمصداقية القرآن وموثوقيته إلا أن علماء روسيا يرون أنه حُرر في عهد الخلفاء الراشدين ص ١٢٨، ومرات يقول إن القرآن لم يعد المصدر الوحيد كمرشد للسلوك عندما توسعت الإمبراطورية! ولعل خلاصة رأيه تنتهي إلى هدف يتمثل في التشكيك في مصداقية القرآن تحت مزاعم كثيرة، أخطرها الإيحاء أن القرآن جُمع ونُقِّح بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا مخالف لاتفاق المؤرخين الثقاة والمفسرين وإجماع الأمة.

أما إثارته لزوبعة الأخذ عن اليهود والنصارى فيقول «برنارد لويس» إن خلفية الرسول تثير عدداً من التساؤلات، إذ من الواضح - حسب رأيه - أن الرسول كان موضع تأثر باليهودية والنصرانية، وذلك لأن فكرة التوحيد والعناصر الكتابية في القرآن تثبت ذلك ص ١٣٢، مشككاً في أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنها قد تصح وقد لا تصح، متناسياً أن مصدر التشابه بين القرآن والكتب السابقة ناتج عن أن مصدرها جميعاً إلهي، متغافلاً عن التحريف الذي أصاب التوراة والإنجيل لدرجة إخراجهما عن سياقهما السماوي مما يظهر في أسلوبهما الركيك البعيد عن السمو والرفعة، ويكفيهما أنهما رفعا الأنبياء إلى درجة الألوهية!

هذا في حين أن أمية الرسول صلى الله عليه وسلم وصلتنا متواترة وأنه لو لم يكن أمياً لحذف بدايات الآيات في «قل هو الله أحد» «قل أعوذ برب الناس»، أما شبهة الأخذ عن الأحناف فيقول لويس» إن السنة تروي بعض الأخبار عن الحنفاء الذين لم يرتضوا دين قومهم الوثني ولم يقتنعوا بالنصرانية ولا باليهودية فيجب أن نبحث عن أصول محمد - صلى الله عليه وسلم - عند هؤلاء ص ١٣٧، والأمر ببساطة غاب عن «برنارد لويس» أن قريشاً لو علمت أن للأحناف يدا فيما نزل من القرآن لكانت أول من اتهم الرسول وهي الحريصة على إيجاد أي مطعن للتشكيك في رسالته عليه الصلاة والسلام.

مسألة نزول الوحي قال فيها «برنارد لويس» كلاماً عائماً معتبراً أنها كانت نتيجة تطور طويل وانفجار مفاجئ ص١٣٩، ولا نعرف كيف أجاز «لويس» لنفسه هذا الادعاء وكيف أنه لم يقف مع حادثة شق صدر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد حدث له ذلك مرتين، بل وكيف تجاهل الإرهاصات التي سبقت بعثته - عليه الصلاة والسلام - من ابتعاده عن أفعال الجاهلية وما عُرف عنها من أخلاق خالف بها أقرانه من صدق وأمانة وما اشتهر به من عزلة وتحنث بعيد عما يزاوله المجتمع الجاهلي من موبقات.

وعن علاقة القرآن بالتاريخ ناقض «لويس» نفسه بقوله إن أقدم سجل تاريخي للإسلام هو القرآن نفسه، وبالنسبة للمسلمين فهو كتاب ديني ذو نصوص مقدسة وليس كتاب تاريخ، ومع ذلك فهو يقدم معلومات تاريخية مهمة بخصوص سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمجتمع الذي أوجده، وأن المصدر المقبول لحياة النبي - صلى الله عليه وسلم - هو القرآن نفسه الذي يعد جمعاً لأقوال محمد لأهل مكة وأهل المدينة طوال حياته على أنها الوحي المباشر لكلام الله ومن القرآن والأدلة المحدودة المتوافرة من المصادر الأخرى أصبح من الممكن إعادة بناء سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولكن ليس بالتفاصيل التي توردها السنة، والكُتَّاب الأوروبيون الأوائل الذين رجعوا إليها ومع ذلك كان هذا كافياً لإبراز الأهمية الرئيسية لحياته ص ١٤٠.

ناقض «لويس» نفسه عندما ادعى أن القرآن سجل تاريخي للإسلام، ثم نفيه ذلك وجعله القرآن مصدراً مقبولاً لسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ القرآن ليس سجلاً تاريخياً، بل كتاب هداية، كيف لا، والمصادرالتاريخية الموثوقة تعتبر أن القرآن أصدق مرجع لسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام؟

أما السيرة النبوية التي نظر لويس إلى القرآن واعتبره مقبولاً كمصدر لها فالرد عليه أن القرآن مرجع أول لمعرفة حياة الرسول، وهناك آيات كثيرة تعرض لحياته عليه الصلاة والسلام قبل البعثة وبعدها، ويكفي أن القرآن تفرد ببيان أحوال الرسول النفسية في كثير من المواقف، وعن إيحاء «لويس» أن القرآن احتفل بانتصار المسلمين ببدر بعد أن فاجأ المسلمون المشركين وأن القرآن يشجع على النهب، فإن ما غاب عن بال لويس حقيقة ما يعرفه طلاب الإعدادية في مدارسنا من أن قريشاً هي التي أعدت لمعركة بدر بتجهيزها ألف مقاتل بسلاحهم، وثلاثمائة فارس في الوقت الذي يذكر فيه التاريخ، أن المسلمين عندئذ لم يملكوا غير فرسين فقط، وعن احتفال القرآن بنصر المسلمين نذكّر «لويس» بسورة الأنفال والآية (١٧ تحديداً) (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).

راجين أن يُتاح لنا الوقت لمتابعة أطروحات «برنارد لويس» وتشكيكه في قضايا مهمة أخرى تحتاج إلى رد وتوضيح وجلاء.■

اقتصاد

يعتبر التضخم من أعقد المشكلات الاقتصادية في الوقت الحاضر، وذلك لاستفحال هذه المشكلة وتحويلها إلى ظاهرة عالمية أصبحت محاولة التحكم فيها ومعالجتها بالوسائل والسياسات المعروفة أمراً غير مجد، ولا يؤدي إلى النتائج المقدرة لها، بل ربما انعكست هذه المعالجات بصورة سلبية في الاقتصاد، كالنمو والبطالة. والبلاد الإسلامية ـ باعتبارها عضواً في المجتمع الدولي ـ لم تنج من آثار التضخم، وهذا أمر طبيعي، إذ إن واضعي السياسات الاقتصادية لهذه البلاد تأثرت أفكارهم بالنظريات الاقتصادية الوضعية المستمدة من الشرق والغرب، فراحوا ينقلون ويخططون البرامج والوسائل التي تحد من التضخم.

ولا نتعدى الحق إذا قلنا إن الأسس التي قام عليها الاقتصاد الإسلامي كفيلة ـ فيما لو طبقت ـ بإرساء قواعد ونظم تتيح للإنسانية قدراً مناسباً من الخير والعدالة، مع تجاوز للأزمات والمعاناة التي يتحمل أعباءها الثقيلة الفقراء في العالم.

وسنحاول إثبات قدرة النظام الإسلامي في تجاوز الظواهر المرضية التي يعاني منها الاقتصاد المعاصر، من خلال دراستنا لظاهرة التضخم انطلاقاً من الأسس الكلية التي ترتكز عليها دعائم الاقتصاد الإسلامي.

معالجة التضخم في ظل الاقتصاد الإسلامي

بقلم: محمد عودة السلمان

ويكاد يكون من العسير إيجاد تعريف أو مفهوم واضح محدد للتضخم، لكونه ظاهرة غير متجانسة وغير مستقرة، فأنواعه متعددة وأسبابه متنوعة، إلا أن الشيء المشترك في كل أنواع التضخم هو كونه ظاهرة مرضية تهدد استقرار الاقتصاد وتعرّض جهود التنمية للفشل، حيث إنه اختلال في حركة التدفقات النقدية، وحركة السلع والخدمات، بصورة تؤدي إلى ارتفاع مستوى الأسعار بما لايتلاءم وجوهر النمو الاقتصادي.

ولقد أرجع الاقتصاديون ظاهرة التضخم إلى اختلال



التوازن بين العرض والطلب الحقيقي الإجماليين، أي زيادة الطلب الحقيقي أو النقدي عن كمية المنتجات الكلية التي يستطيع الجهاز الاقتصادي إنتاجها في مستوياته العليا، مما ينتج عنه ارتفاع مستمر في الأسعار لا تراجع فيه.

وتعتبر البنية الأساسية للاقتصاد الحديث السبب غير المباشر في تفاقم مشكلة التضخم واستمرارها مع مرور الزمن، فلو استبدلت هذه البنية بأسس جديدة فسيكون ذلك هو العلاج الأنجع لكثير من المشاكل الاقتصادية.

والأسس الاقتصادية الإسلامية تغاير تماماً ما بني عليه الاقتصاد المعاصر في قواعد وركائز أهمها الربا، فالسياسة الاقتصادية في الإسلام تقوم على تحريم الربا، ويدخل في معنى الربا الفوائد على القروض والودائع، وتحريم الفوائد المقدمة على أصل الدين، وبذلك سيغلق الباب أمام الشركات التي تلجأ عادة إلى الاقتراض بفائدة، لدعم استثمارها وتغطية مشاريعها الإنتاجية، وسيخلو بذلك رأس مال الشركة من الفوائد التي تضاف على تكاليف الإنتاج، أي إن الشركة لن تضطر إلى زيادة أسعار منتجاتها لتغطية فوائد القروض.

وبالمقابل فإن الشركة التي تقترض بفائدة لتزيد من حجم استثماراتها ستضيف هذه الفائدة على تكاليف إنتاجها، أي ستزيد من أسعار منتجاتها للبقاء على مستوى ربحي معين، وبعبارة أخرى فإن الفوائد على

القروض يتحملها المستهلك، لأن الشركات لا تضحي بجزء من أرباحها لتغطية الفائدة مما سيؤدي إلى زيادة في أسعار السلع، وهذا مؤداه زيادة معدل التضخم لأنه لم يقابل هذه السيولة النقدية الزائدة أي إنتاج.

فإذا بنينا الاقتصاد على أساس تحريم الفوائد على القروض، وهذا سيؤدي إلى إنهاء القروض أو حصرها في زاوية الحاجة القصوى، فإن القطاعات الإنتاجية ستلجأ إلى مواجهة المشكلات الاقتصادية بغياب القروض، وهذا يعني استبدال المخاطر المالية البحتة بمخاطر إنتاجية، مما يساعد في تحقيق نمو مستقر في الأمد الطويل، أي ان أجهزة الإنتاج ستلجأ إلى القيام بتنفيذ استثماراتها دون الخوض في أعباء قروضها.



● البطالة أخطر المشكلات التي تنتج عن التضخم

وتعتبر الزكاة ركيزة أساسية ودعامة مهمة يقوم عليها البناء الاقتصادي في الإسلام، والزكاة بإمكاناتها المختلفة يمكن أن تسهم في الحد من التضخم، وذلك بامتصاص فائض الطلب، وفي مجال ترشيد الإنفاق، وفي مجال تشجيع الادخار والاستثمار، كما أنها تكتسب أهمية خاصة من حيث كونها وسيلة مهمة في علاج بعض الآثار السلبية التي يحدثها التضخم، وخصوصا في مجال توزيع الدخل والثروة القومية، وذلك عن طريق كونها أداة دعم للطبقات الفقيرة تعمل على خفض تكاليف المعيشة وتخفيف المعاناة عن كاهل تلك الطبقات، حيث تؤخذ من أصحاب الدخول والثروات المختلفة التي تتجه نحو التزايد مع ارتفاع الأسعار وظهور التضخم، وتدفع إلى الطبقات الفقيرة التي يعتصرها التضخم وذلك وفقاً لما حدده الشرع، والزكاة بهذا تعمل على الحد من الضغوط التضخمية.

ويكاد يجمع علماء الاقتصاد الوضعي، على أن أحد المسببات الرئيسة هو ازدياد معدل الإنفاق الحكومي، والإنفاق الحكومي هو أحد المكونات الرئيسة في الطلب الفائض، ولما كان العلاج الناجع للتضخم يقتضي العمل على خفض نفقات الحكومة باعتبارها مضخة لإيجاد القوة الشرائية في السوق، فإن الزكاة تسهم بدور فعال في ترشيد هذا النوع من الإنفاق، إذ إنها ليست مورداً لتغذية الإنفاق الحكومي، ولايجوز الإنفاق منها عليه، إذ إن مصارفها محددة بنص قرآني في قوله تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل

الأسس التي قام عليها الاقتصاد الإسلامي كفيلة بإرساء قواعد تتيح للإنسانية قدراً مناسباً من الخير

فريضة من الله والله عليم حكيم)(١).

يتضح من هذا النص القرآني عدم مسؤولية الزكاة عن الاتفاق الحكومي، ولقد فطن الفقهاء الأوائل لهذه النقطة، فالإمام ابن قدامة الحنبلي قد تعرض لهذا الموضوع فقال: «ولا يجوز صرف الزكاة إلى غير من ذكر الله تعالى، من بناء المساجد والقناطر والسقايات وإصلاح الطرقات وسد البثوق، وتكفين الموتى، والتوسعة على الأضياف، وأشباه ذلك من القرب التي لم يذكرها الله تعالى»(٢).

وإذا كانت الزكاة غير مسؤولة عن تمويل الإنفاق الحكومي، فهل معنى ذلك أن الإسلام أهمل باب الإنفاق الحكومي؟ المتأمل في كتب الفقه الإسلامي يجد أن الاتفاق الحكومي يتكفل به مورد آخر من موارد الدولة الإسلامية، هو خراج الأراضي وجزية الرؤوس، وهذا ما قرره العلامة الكاساني حيث قال في مصرف الخراج: «أما مصرف الخراج فعمارة الدين وإصلاح مصالح المسلمين، وهو رزق الولاة والقضاة وأهل الفتوى من العلماء والمقاتلة، ورصد الطرق وعمارة المساجد، والرباطات، والقناطر، والجسور، وسد الثغور وإصلاح الأنهار التي لا ملك لأحد فيها»(٣).

ومن السياسات الناجعة في الحد من التضخم ومحاصرته، إيجاد قنوات إدخار إنتاجية، أي دعم الجهات الإنتاجية وتحويل المدخرات إلى ميدان الإنتاج.

ولتكامل فرض الزكاة مع تحريم الربا في هذا المجال أثر فعال يضمن إيجاد الادخار الاستثماري، وبيان ذلك أن تحريم الربا - أي الفوائد - على الودائع سيدفع المدخرات إلى ميدان الاستثمار، لأنه السبيل الوحيد لنمو رأس المال،

إذ لا مجال لإقراض بفائدة أو لإيداع مدخرات في البنوك بغية الحصول على زيادة محددة، ومن جانب آخر، فإن فرض الزكاة على أصل رأس المال كل عام سيجبر أصحاب هذا المال على تنميته في ميدان الإنتاج، لأن هذا الخصم المستمر كل سنة من الثروة سينقصه حتماً، ولا سبيل إلى سد هذا النقص، ومن ثم إنماء الثروة إلا في ولوج المشاريع الإنتاجية وزيادة المشاريع الإنمائية، وهذا مآله صعود في معدلات النمو العام.

كذلك فإن إنفاق حصيلة الزكاة من شأنه دعم الاستثمار من جهة أخرى، إذ إن من بين مصارف الزكاة سداد ديون الغارمين أي المدينين، ومعنى ذلك أن بيت المال يضمن للدائن وفاء دينه، وفي هذا دعم للائتمان، لأن المقترض سوف يطمئن إلى أنه إذا عجز عن سداد دينه فإن المجتمع ممثلاً في الدولة سوف يؤدي عنه دينه، وبذلك يتجنب الإفلاس وما يؤدي إليه من حرمانه من المساهمة في النشاط الاقتصادي، وكذلك المقرض إذا ما اطمأن إلى سداد دينه فإنه لا يحجم عن الإقراض، وبذلك تعمل الزكاة على تيسير الائتمان وتشجيعه.

ولا تعتبر الزكاة وسيلة وقتية في معالجة التضخم، بل هي مستمرة على مدار السنة، ومن ثم فإن تأثيراتها في خفض الطلب الكلي من ناحية وزيادة المعروض من السلع والخدمات قائم ومستمر، وتحقيق التوازن بين التيار النقدي والتيار السلعي مستمر ببقاء الزكاة، وقد أشار إلى هذه النقطة بعض الفقهاء، فالإمام أبو عبيد يقول: «ولم يأت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه وقت للزكاة يوماً من الزمان معلوماً، إنما أوجبها في كل عام مرة، وذلك أن الناس تختلف عليهم استفادة المال، فيفيد الرجل نصاب المال في هذا الشهر، ويملكه الآخر في الشهر الثاني، ويكون الثالث في الشهر الذي بعدهما، ثم شهور السنة كلها».(٤)

والتضخم يتسبب في إيجاد صعوبات كثيرة لبعض فئات المجتمع، مثال ذلك الأفراد الذين يعيشون على دخول نقدية ثابتة أو الذين لا تسمح لهم مهنهم ملاءمة دخولهم النقدية بالسرعة الكافية حتى تتماشى مع ارتفاع الأسعار، ونتيجة لذلك يحدث انخفاض في الدخول الحقيقية لكل من هذه الفئات.

والواقع أن الفقهاء أشاروا إلى دور الزكاة في التخفيف من شرور التضخم على تلك الفئات، فإذا كانت هذه الفئات المتضررة تتمثل في محدودي الدخل والطبقات الفقيرة، أو تتمثل في أصحاب المهن الصغيرة، أو تتمثل في طبقة الغارمين، فإن الفقهاء أجازوا صرف الزكاة في صنف واحد من الأصناف الثمانية أو أكثر حسب الحاجة، فالإمام ابن قدامة الحنبلي قال: «يجوز أن يقتصر على صنف واحد من الأصناف الثمانية ويجوز أن يعطيها

الزكاة ركيزة أساسية ودعامة مهمة يقوم عليها البناء الاقتصادي في الإسلام

الأسس الاقتصادية الإسلامية تغاير تماماً ما بُني عليه الاقتصاد المعاصر

شخصاً واحداً»(٥) والإمام ابن رشد يقول: «ذهب مالك وأبو حنيفة إلى أنه يجوز للإمام أن يصرفها في صنف واحد، أو أكثر من صنف واحد إذا رأى ذلك بحسب الحاجة»(٦)، وذهب إلى هذا أبو عبيد في كتاب الأموال.(٧).

والواقع أن هذا النهج من شأنه أن يحدث تحسيناً في العلاقة القائمة بين قوى الطلب الكلي وقوى العرض الكلي، إذ إن مساندة أصحاب المهن والاستثمارات الصغيرة وفئات الغارمين من شأنه أن يزيد في نسبة العرض الحقيقي من السلع والخدمات، وهذا يسهم في السيطرة على التضخم، إذ إنه قبل توزيع الزكاة - وفي غمار التضخم - فإن بعض الصناعات الصغيرة تتأثر بآثار التضخم، أما بعد توزيع الزكاة فإن كثيراً من هذه الوحدات الإنتاجية - التي تعطلت بفعل التضخم - تمارس نشاطها، مما يسهم في زيادة الحجم الحقيقي من عرض السلع والخدمات دون الحاجة إلى إنفاق استثماري جديد.

أما إذا كانت حصيلة الزكاة لا تكفي الطبقات المحتاجة، فإن بعض الفقهاء لا يرى بأساً في أن يخرج الرجل الزكاة قبل حلها بثلاث سنوات لأنه تعجيل لها بعد وجود النصاب، ويستشهد أبو عبيد بما رواه الحكم بن عتبة فقال: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمر على الصدقة، فأتى العباس يسأله صدقة ماله، فقال: قد عجلت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - صدقة سنتين، فرفعه عمر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «صدق عمي قد تعجلنا منه صدقة سنتين»(٨)

نخرج من هذا بإمكان تعجيل دفع الزكاة إذا كانت حاجة المجتمع ماسة إلى الأموال، وخصوصاً حاجة الطبقات المستحقة لها، ولا شك أن هذا يفرض المحافظة على الاستقرار الاقتصادي للبلاد. ■

الهوامش:

١ - سورة التوبة، الآية ٦٠.

٢ - المغني لابن قدامة، مكتبة ابن تيمية، ج٢ ص ٦٦٧.

٣ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للإمام الكاساني، مطبعة الإمام ج٢ ص ٩٥٩.

٤ - الأموال لأبي عبيد، مكتبة الكليات الأزهرية ص ٧٠٤ و ٧٠٥.

٥ - المغني لابن قدامة ج٢ ص ٦٦٨.

٦ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد، للإمام ابن رشد القرطبي، المكتبة التجارية الكبرى، ج١ ص ٢٣٢.

٧ - الأموال لأبي عبيد، ص ٢١٠.

٨ - الأموال لأبي عبيد، ص٢١١.

مكانة العلوم الطبيعية في الفكر الإسلامي

إعداد الدكتور/ عبد الفتاح محمد العيسوي

من المعروف أن علم الطبيعة من العلوم التي اعتنى بها الاقدمون، فقد كان لعلماء اليونان مؤلفات عدة ترجم العرب أكثرها، وتناولوها بالنقد وكشفوا مابها من أخطاء، ووضحوا ما بها من إبهام وفصلوا مابها من اجمال، ثم اضافوا اليها ثمرة اكتشافاتهم، ولم يكتفوا بنقلها كما هي، بل توسعوا فيها وبلغة العصر أسلموها، كما وضعوا أساس البحث العلمي الحديث، وقد قويت عندهم الملاحظة وحب الاستطلاع ورغبوا في التجربة والاختبارات فأنشأوا المعمل ليتحققوا من نظرياتهم ويتأكدوا من صحتها حتى انه يتعين علينا أن نعتبر هذا العلم من تأسيس علماء المسلمين.

ولقد شهد بذلك البرت ديتريش في بحث له بعنوان«دور العرب في تطور العلوم الطبيعية» يقول فيه «فضل المسلمين على تاريخ الفكر البشري أنهم حفظوا ذلك التراث الثقافي ونشروه في الاقطار» إنما هذا نصف الحقيقة فقط، ونصفها الآخر هو ابتكاراتهم في العلوم الطبيعية ويقول في موضع آخر من البحث ذاته ويخطىء من يقول «ان المسلمين اكتفوا بالاقتباس عن اليونان تراث حضارتهم وبحمله كما هو إلى الغرب انهم زادوا الكثير عليه من ثمرة خبراتهم، ومما لاقوه خارج بلادهم ولاسيما في الهند».

ويقول أيضا ايلهارد فيدمان الالماني «ان المسلمين اخذوا عن الاغريق بعضا من النظريات فاستوعبوها واحسنوا فهمها، ثم قاموا بتطبيقها على حالات كثيرة متباينة، وتمكنوا من استنباط نظريات جديدة وبحوث مبتكرة، فأسدوا الى العلم خدمات لاتقل أهمية عن تلك التي تأتت من مجهودات اسحق نيوتن وغيره من العلماء المحدثين.

فمن بين العلوم التي كان للعلماء العرب والمسلمين فيها جهد ملموس وأثر واضح «علم الفيزياء» حيث اطلق المسلمون على الفيزياء اسم «العلم الطبيعي» نسبة إلى الطبيعة وعرفه الفارابي بأنه «العلم الذي ينظر في الاجسام، وفي الاعراض التي قوامها في هذه الاجسام وتعرف الاشياء التي عنها والتي لها والتي بها توجد هذه الاجسام والاعراض التي قوامها فيها».

وهو تعريف يتسع ليشمل كل مافي الطبيعة والكون من أجرام وأجسام ومعادن ونبات وحيوان.

أما ابن خلدون فيعرفه بأنه «علم يبحث عن الجسم من جهة مايلحقه من الحركة والسكون، فينظر في الاجسام السماوية والعنصرية، ومايتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن، وما يتكون في الأرض من العيون والزلازل، وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك، وفي مبدأ الحركة وهو النفس على تنوعها في الإنسان والحيوان والنبات».

وتعريف العلامة ابن خلدون جامع مانع لأنه شمل جميع ظواهر الاجسام وظواهر الطبيعة سماوية كانت أو أرضية، حية كانت أو غير حية، عضوية كانت أو غير عضوية.

وهناك تعريف دقيق ومختصر قال به الشيخ الرئيس ابن سينا حيث عرف العلم الطبيعي«بأنه ذلك العلم الذي يدرس الاجسام الموجودة من حيث هي واقعة في التغير، وموصوفة بأنحاء الحركات والسكونات» أي أن العلوم الطبيعية في نظر ابن سينا تدرس الاشياء الواقعة تحت الحواس من الاجسام واحوالها، ومايصدر منها من حركتها وأفعالها، ومايفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير محسوسة.

ويتمشى هذا التعريف مع التعريف الحديث لعلم الفيزياء الذي ينص على «أنه العلم الذي يهتم بدراسة الخواص والتغيرات التي تحدث في كل من المادة والطاقة، وأوجه تحول كل منهما إلى الأخرى.

ويشتمل علم الفيزياء على فروع عدة منها: دراسة حالات المادة، والبصريات، والضوء والحرارة، والصوت، والكهرباء، والمغناطيسية، وتركيب الذرة.

ومعنى ذلك ان الفيزياء هو العلم الطبيعي الذي يدرس القوانين العامة للمادة والطاقة بأشكالها المختلفة، ويدرس جميع التفاعلات الموجودة في الطبيعة وبهذا فإن الفيزياء تعالج الحركة والزمن وتركيب وبنية الاجسام، وتعالج الصوت والضوء والذرات والنجوم والكواكب ،وتعالج أيضا فناء المادة وتوليدها وغير ذلك من الظواهر والاشياء الفيزيائية التي كان لعلماء المسلمين مناهج واساليب علمية في دراستها.

معالم المنهج التجريبي في الفكر الإسلامي

لقد استخدم علماء المسلمين اصول المنهج التجريبي في دراساتهم الفيزيائية ويتضح ذلك بجلاء في كتاب «تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر» لكمال الفارسي المتوفى عام ٧١٩هـ والذي يعتبر أحد اساطين علم الفيزياء الذين انجبتهم الحضارة الإسلامية حيث يقول اثناء تعليقه على كتاب «المناظر» لابن الهيثم والذي ظل مرجعا في علم الضوء قرونا عدة وترجم إلى اللاتينية خمس مرات وانتشر استعماله في المشرق والمغرب على السواء.

«فوجدته يرد اليقين مما فيه، مع مالم احصه من الفوائد واللطائف والغرائب مستندة إلى تجارب واعتبارات محررة بآلات هندسية ورصدية، وقياسات مؤلفة من مقدمات صادقة.»

ومن الواضح استخدام علماء المسلمين للاستقراء والاستدلال والقياس، والملاحظة بأنواعها ولكل مايقع تحت حسهم، ليس ذلك وحسب بل انهم كانوا يكررون اجراء تجارب من سبقهم من أعلام الفكر الانساني للتحقق والتأكد من صحة النتائج التي توصلوا اليها بتجاربهم.

فلقد كان ابن الهيثم ممن لايؤمنون بقاعدة الآراء المسلم بها دون فحص أو تمحيص أو مراقبة فكان يمتحن الاشياء بحسه وعقله

ويبحث عنها، ويخضعها لألوان من التجارب مستخدما الوسائل الضرورية للبحث والكشف عن الحقائق. فعندما اختلف العلماء في البحث عن كيفية الابصار قال «نبتدىء في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات ونلتقط باستقراء مايخص البصر في حال الابصار، وماهو مطرد لايتغير، وظاهر لايشتبه من كيفية الاحساس، ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدرج والترتيب مع انتقاء المقدمات والتحفظ في النتائج، ونجعل غرضنا في جميع مانستقر به ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى، ونتحرى - في سائر مانميزه وننقده- طلب الحق لا الميل مع الآراء».

ومن فحص محتوى هذا النص يتضح مايلي:

١- لقد أدرك ابن الهيثم ان الحواس تختلف في درجة أهميتها بالنسبة للإنسان، فحاسة البصر ذات أهمية كبيرة بالنسبة للعالم، كما فطن إلى أنه حين تقع على حاسة البصر مؤثرات العالم الخارجي لاتحس بها فقط كمجرد احساسات عمياء، ولكننا ندرك ايضا معنى هذه الاحساسات ومصدرها ونعطيها معنى ودلالة، بناء على كيفية الاحساس، وذلك عن طريق عملية الإدارك الحسي أي أننا في عملية الإدراك نقوم بتفسير الاحساسات.

٢- يدعو ابن الهيثم العالم أو الباحث أن يكون إيجابيا فعالاً وليس سلبياً فلا يترك المنبهات الحسية تطبع عليه ماتشاء، ولكن عليه ان يستقبل الموضوعات الخارجية ثم يفهمها ويؤولها أو يفسرها ويربطها بنظائرها ويميزها عن اضدادها.

ويطبق قواعد القياس عليها على التدرج والترتيب. كما يخضع المقدمات إلى عملية الفحص والتمحيص والنقد حتى يتأكد من صوابها وهنا ينتهج ابن الهيثم منهج الشك المنهجي الذي ينتهي بالوصول الى الحقيقة كما يؤكد ضرورة أخذ الحيطة عند التعميم ويقصد به الانتقال من الجزئي إلى الكلي أو من الخاص إلى العام أثناء استخراج النتائج وذلك بهدف الوصول إلى نتائج صحيحة.

٣-كما فطن إلى العوامل الذاتية وأثرها في مجال البحث العلمي، تلك التي تؤدي إلى الخطأ في الإدراك كعامل الذاكرة أو الالفة، فالإنسان يدرك الاشياء التي سبق أن خبرها أسهل من الاشياء التي لم يسبق ان مرت بخبراته وعامل التوقع فنحن ندرك الاشياء كما نتوقع ان تكون عليه، وليس كما هي في ذاتها. هذا وتؤثر الحال الجسمية والعقلية والنفسية للشخص المدرك وقت الإدراك وكذا عقائد الفرد وذكاؤه واتجاهاته وميوله ونزعاته ورغباته الشخصية أو على حد تعبير ابن الهيثم «اتباع الهوى» كل ذلك يؤثر في تأويله لما يدركه من موضوعات العالم الخارجي وغير ذلك من العوامل الذاتية ويقابل ذلك العوامل الخارجية كعامل التقارب ومؤداه أن الاشياء المتقاربة في المكان أو الزمان يسهل إدراكها كصيغة متكاملة مكونة من شكل وارضية، وكذلك عامل التشابه فنحن ندرك الاشياء المتشابهة في الشكل أو الحجم أو اللون ندركها كصيغ مستقلة. وكذا عامل الاتصال فالاشياء المتصلة التي تربط بينها خطوط تدرك كصيغة متكاملة. وعامل الاغلاق. فنحن نميل إلى سد الثغرات وندرك الإشياء الناقصة كما لو كانت كاملة.

ومعنى ذلك ان ابن الهيثم ينتهج الموضوعية في بحوثه ويقصد بها مسلك الذهن الذي يرى الاشياء على ماهي عليه فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص أو بالتشيع للآراء والافكار والمذاهب.

٤- استخدم ابن الهيثم المنهج التجريبي وهو المنهج الذي يدرس الظواهر الطبيعية اعتمادا على الملاحظة الدقيقة أو اليقظة والتجربة العلمية وهو المنهج المستخدم في ميدان العلوم الطبيعية في عصرنا الحالي.

٥- لقد نصح ابن الهيثم الباحثين بالحذر واتباع منهجية منظمة تمر بمراحل تدريجية هي في الواقع مراحل الاستقراء كما نفهمه في العصر الحديث فيجب أن يبدأ الباحث بجمع الملاحظات المختلفة التي تتصل بطائفة معينة من الظواهر، وان يشرع في تصنيفها أو على حد تعبير ابن الهيثم «بالتدرج والترتيب» في جداول محددة، وذلك على نحو يبرز صفاتها النوعية.

٦- من الواضح استخدام ابن الهيثم طريقة التفكير القياسي إلى جانب الاستقراء الذي يهدف إلى الكشف عن العلاقات الثابتة بين الظواهر أو العناصر.

كما أنه يؤمن بدور العقل إلى جانب الحس في عملية الكشف العلمي.

٧-جمع ابن الهيثم بين الاستقراء والقياس وقدم الاستقراء على القياس وحدد فيه الشرط الاساسي في البحث العلمي، وهو ان يكون الغرض طلب الحقيقة في ذاتها. ففي طريقته العلمية التي اتبعها في بحوثه وكشوفه الضوئية يكون قد سبق فرنسيس بيكون في استخدام الاستقراء وفوق ذلك سما عليه، وكان أوسع منه افقا وأعمق تفكيراً لادراكه - عن بينة- الآثار السلبية للعوامل الذاتية في البحث العلمي.

٨- يؤمن ابن الهيثم بفكرة دوران العلة مع المعلول وجودا أو عدما. وهنا يتبين أنه أقام استقراءه على الفكرتين اللتين أقام جون ستوارت مل استقراءه العلمي عليهما وهما قانون العلية وقانون الاطراد في وقوع الحوادث. مما يجعل له فضل السبق في هذا المضمار.

دور علماء المسلمين في مجال البصريات «الضوء»

أطلق علماء المسلمين على هذا العلم «المناظر» وعرفه ابن خلدون بقوله «وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الإدراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على أن ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئى، ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية القريب كبيرا والبعيد صغيرا وكذا رؤية الاشباح الصغيرة -تحت الماء ووراء الاجسام الشفافة - كبيرة، ورؤية النقط النازلة من المطر خطاً مستقيماً، والشعلة دائرة.

ومن خلال تحليل محتوى هذا النص يتضح مايلي:

١- تعدد مجالات علم البصريات التي درسها علماء المسلمين. فضلا عن ادراكهم للعوامل التي قد تشوه الإدراك.

٢- ان نظرية الإبصار التي تعتمد على القول إن الإدراك البصري يتم نتيجة لخروج مخروط شعاعي من الجسم المرئي إلى العين كانت معروفة في الفكر الاسلامي في حين انه جاء في المصادر اليونانية ان الابصار يحدث نتيجة خروج شعاع ضوئي من العين إلى الجسم المرئي.

فجاء ابو بكر الرازي يرفض هذا الزعم ويقدم النظرية الصائبة للابصار وأكد نظرية الرازي الشيخ الرئيس ابن سينا بقوله:« وقد غلط من ظن أن الابصار يكون بخروج شيء من البصر إلى المبصرات» كما كان ابن سينا اول من اهتم بموضوعات ذات صلة وثيقة بالبصريات «الهالة وقوس قزح» وكانت ملاحظاته عن قوس قزح وآراؤه الطبيعية عموما موطن إعجاب المدرسة التجريبية في أوروبا ولابن سينا مؤلفات كثيرة من اشهرها كتاب الشفاء تحدث في الجزء الخاص بالطبيعيات عن الجبال والزلازل كما تحدث عن سرعة الصوت والضوء وعن السحب والطل والثلج والضباب والنيازك والرياح والبرق والرعد، ويقول «ان البرق والرعد يسمع

ولايرى، فاذا كان حدوثهما معا رئى البرق في آن وتأخر سماع الرعد لأن مدى البصر أبعد من مدى السمع».

ومعنى ذلك أنه توصل إلى أن سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت وان مدى البصر أبعد من مدى السمع.

تفسير الظاهرة الصوتية في الفكر الإسلامي

في معرض الحديث عن فضل علماء المسلمين في علم الصوت نقول انهم وفوا مباحث الصوت حقها من الدراسة والتمحيص والاستيعاب وفسروا الظواهر والمسائل الصوتية أدق تفسير. فمثلا: فسروا حدوث الاصوات بحركة الاجسام الصامتة وهذه الحركة تؤثر في الهواء المحيط والملامس، وذلك لشدة طاقته وخفة جوهره فيتخلخل الهواء في شكل موجات كروية تنتشر من مركزها وتأخذ في الاتساع حتى تتلاشى تماما كما لو ألقينا حجرا في الماء.

كما فطن علماء المسلمين إلى أن الصوت يحتاج إلى وسط مادي لكي ينتقل فيه سواء كان هذا الوسط اجساما صلبة او سائلة أو هواء. وكان لابن سينا فضل السبق على عالم الفيزياء الشهير دوبلر الذي تنسب اليه الظاهرة المعروفة في هذا العلم باسمه ومؤداها: ان شدة الصوت تتفاوت حسب القرب أو البعد عن مصدر الصوت الذي ينبعث منه، ولذلك يمكن للإنسان أن يعرف من تعاظم الصوت الصادر عن أي جسم أو من تضاؤله ما اذا كان هذا الجسم يقترب منه أو يتباعد عنه.

هذا وتتميز أبحاث الموسيقيين من علماء المسلمين بدراسة الاوتار والاصوات الناتجة عن اهتزازها وكشفوا عن العلاقة بين طول الوتر وغلظه وقوته وشدته أو توتره، ووضعوا لذلك قوانين رياضية كما عرفوا أنواع الاصوات ووجهتها. وبحثوا في ظاهرة صدى الصوت وعللوها بأنها انعكاس موجات الصوت بعد اصطدامها بماثل أو حائل كالجبل أو الحائط.

ويقال ان الفارابي اخترع الآلة التي يعرفها الموسيقيون الآن باسم «القانون» فهو أول من ركبها ولازالت على الصورة نفسها التي ركبها عليها إلى الآن.

دور علماء المسلمين في تقدير الثقل النوعي

لقد ابتكر البيروني جهازا لقياس الثقل النوعي للمعادن والصخور وهو «الآلة المخروطية» كما أكد ان الكثافة النوعية للمادة تتناسب مع حجم الماء الذي تزيحه هذه المادة عند وضعها في الماء ولم تقف جهود علماء المسلمين عند البحث عن الثقل النوعي للمعادن والصخور، بل شمل أيضا السوائل كما وضع الخازني كتاب «ميزان الحكمة» بحث فيه موضوع الجاذبية ووجد أن هناك علاقة بين الجسم الساقط والبعد الذي يقطعه والزمن الذي يستغرقه، وان قوى التثاقل تتجه دائما نحو مركز الأرض.

كما بحث في موضوع الضغط الجوي، وعلى المبدأ القائل ان الهواء كالماء يحدث ضغطا من اسفل إلى أعلى على أي جسم مغمور فيه، ومن هنا كان وزن الجسم في الهواء ينقص عن وزنه الحقيقي.

وبذلك نستطيع القول بأن علماء المسلمين قد توصلوا إلى تقدير الثقل النوعي للاجسام تقديرا يتمشى مع مايؤكده العلم الحديث فمثلا قدر الخازني ثقل الزئبق بـ ١٣,٥٦ وقدر البيروني الوزن النوعي للذهب بـ ١٩,٢٦ وهو الوزن الذي توصل اليه العلم الحديث باستخدامه أدق الاجهزة، ويعرف علماء الفيزياء الوزن النوعي أو الثقل النوعي «بأنه النسبة بين ثقل حجم معين من مادة ما ونفس الثقل من حجم معين مماثل من مادة أخرى، شريطة أن يتم القياس عند درجة حرارة ثابتة، وقد اعتبر الهواء الوسيط في حالة المقارنة بين المواد الغازية والماء الوسيط في حالة المقارنة بين المواد السائلة.

وفضلا عن انجازات علماء المسلمين في علم الفيزياء، فقد كان لهم جهود محمودة في دراسة المادة، وانعكاس الضوء وقوانينه، وشرح تكون الصور في المرايا المستوية والكروية والانحراف الكروي وقوة العدسات على التكبير والانكسار الجوي وتصحيح معارفنا بالعين وبعملية الإبصار وحل مشاكل البصريات الهندسية بواسطة الرياضيات. ولهم فضل في اختراع الخزانة ذات الثقب. تلك التي تلعب دورا هاما في دراسة الضوء.

وقد استفاد علماء أوروبا من انجازات علماء المسلمين وجهودهم العلمية ومامثله انتاجهم العلمي من تقدم كبير في المنهج التجريبي.

فعلى اساس مما تركه علماء الإسلام من تراث قامت النهضة الغربية في اوروبا وكان العرب هم حماة الحضارة اليونانية وتراثها ،واليهم يرجع الفضل في هذا التراث وحمايته من الفقدان والضياع ،واليهم يرجع الفضل في نقله إلى الإنسانية فاستحقوا عن جدارة ان يكونوا اساتذة العالم ،ونستحق نحن ورثة هؤلاء الافذاذ ان نفخر بهم ولكن لايكفي موقف الفخر والمباهاة او التباهي بالماضي الخالد ،وانما يلقي هذا المجد التاريخي بمسؤولية ضخمة علينا نحن ابناء الأمة الإسلامية والعربية أن نعيد هذه العظمة، وتلك الحضارة الخالدة وان نجد لنا مكانا مرموقا تحت الشمس وخاصة ونحن نعيش في عالم اصبح يتخذ من العلم منهجا واسلوبا وسلوكا. ■

المراجع

١- أمية لحود، علم الحيل عند العرب، دار الكتب العربي، بيروت١٩٩٣.

٢- أبو الفتوح محمد التوانسي، وأبو الريان محمد بن احمد البيروني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م.

٣- عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف، القاهرة ط٨، ١٩٩٠م.

٤- أبو نصر الفارابي، احصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة ط٢، ١٩٤٨م.

٥- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار نهضة مصر، القاهرة.

٦-أحمد سعيدان، العلوم الطبيعية والإنسانية ودور المؤسسات التعليمية في التفاعل بينها، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد٤، ١٩٩٠م.

٧-علي عبد الواحد وافي، وعبد الرحمن بن خلدون، مكتبة مصر، القاهرة.

٨-عاطف العراقي، الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٩م.

٩- الحسن بن الهيثم، المناظر، حيدر آباد، ١٩٢٨م.

١٠-مصطفى لبيب عبد الغني، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٥م.

١١-علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار المعارف، القاهرة١٩٦٦م.

١٢- عبد الرحمن بدوي ابحاث المستشرقين في تاريخ العلوم عند العرب، مجلة عالم الفكر، الكويت عام١٩٧٨م.

١٣- عبد الفتاح محمد العيسوي، تاريخ الطب النفسي عند العلماء المسلمين، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٩٣م.

١٤-محمد علي العمر، مسيرة الفيزياء على الحبل المشدود بين النظرية والتجربة مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الأول، الكويت، ١٩٨٩م.

حوار

أكد الشيخ حارث خلف خميس مفتي زنجبار... أن القارة الأفريقية قارة إسلامية رغم شراسة التحديات التي واجهت المسلمين هناك... وأن الخريطة العقائدية المعاصرة قد أثبتت أن الإسلام هو أكثر الأديان السماوية انتشاراً في أفريقيا... وأن المؤسسات الإسلامية العاملة في مجالي الدعوة والتعليم قد حققت إنجازات إيجابية مهمة لصالح الإسلام والمسلمين.

وأوضح أن زنجبار هي ركيزة التعريب في شرق أفريقيا... حيث قامت بها سلطنة إسلامية عربية منذ أقدم العصور التاريخية استطاعت أن تدعم المسيرة الإسلامية وتؤسس حضارة إسلامية راقية... كما تحول شعبها إلى جيش من الدعاة الذين تولوا نشر الإسلام واللغة العربية في الدول المجاورة.

وأشار إلى أن المسلمين أجهضوا مؤامرة معادية لبث الفرقة بين الأفارقة والعرب... وانتصروا لقضايا الأمة العربية والإسلامية... وقال إن الإقبال على اعتناق الإسلام يتزايد في أفريقيا لسهولة تعاليمه الربانية ولمزاياه التشريعية ولإرسائه قيم العدل والمساواة والحقوق الإنسانية كافة في التربية العالمية... وتناول الحوار بعض القضايا التي تهم الأمة الإسلامية.



مفتي زنجبار لـ «الوعي الإسلامي»

التعليم هو خط الدفاع الأول عن المسلمين

زنجبار المسلمة

● نرجو تسليط دوائر الضوء على زنجبار المسلمة ودورها في نشر الإسلام واللغة العربية في القارة الأفريقية.

ـ يقول الشيخ حارث خلف خميس: قامت في زنجبار حضارة إسلامية راقية منذ أقدم العصور التاريخية وتأسست فيها سلطنة مسلمة تولت رفع مسيرة العمل الإسلامي في شرق إفريقيا... وتقع زنجبار التي عرفت في التاريخ الإسلامي باسم «برالنرنج» في مياه المحيط الهندي شرق تنجانيقا وجنوب

حوار أجراه : محمـود بيومـي

كينيا... وقد وقعت زنجبار في براثن الاستعمار البرتغالي فدخلت سلطنة عُمان وحررتها من المستعمر البرتغالي... إلى أن احتلتها بريطانيا فعرقلت مسيرة الدعوة وفرضت حظراً على نشاط الدعاة والمؤسسات الإسلامية... وقد جاهد الشعب الزنجباري حتى حصل على استقلاله في العام ١٩٦٣ ميلادي... وكان حاكمها المسلم السلطان «جمشيد بن عبد الله» هو الذي قاد حركة الجهاد الإسلامي ضد المستعمر البريطاني وهو من أصل عربي عُماني... وقد رفض استقبال رئيسة وزراء إسرائيل ـ في ذاك الوقت ـ كما رفض الاعتراف بإسرائيل.. ولم تمض أشهر عدة على ذلك حتى دبَّر خصوم الإسلام والمسلمين انقلاباً ضد هذا الحاكم المسلم العربي ـ الأفريقي، بحجة أنه من أصل عربي لا يصح له أن يحكم زنجبار السلطنة الأفريقية، وقد أطاح هذا الانقلاب بحكمه... وبعدها تم اعلان الوحدة بين تنجانيقا وزنجبار في دولة واحدة هي تنزانيا... فاعترفت هذه الدولة فور إعلانها بإسرائيل التي أصبح لها سفارة في زنجبار، وهكذا ضاعت زنجبار المسلمة وتلاشت هويتها الإسلامية العربية.

معجم الاضطهاد

وأضاف مفتي زنجبار: خلال الفترة الاستعمارية لزنجبار أنه تم فصل المئات من الموظفين المسلمين من وظائفهم، كذلك تم تهجير عدد كبير من سكان زنجبار إلى مناطق أفريقية أخرى، كما تم إغلاق الجمعيات الإسلامية وحكم بالسجن على الدعاة والمعلمين ورؤساء القبائل والمدرسين ومُنع ترميم المساجد أو إصلاحها أو تزويدها بالمفروشات الضرورية وخزنت الكتب الدينية في سراديب المساجد، وألغي تدريس اللغة العربية ومُنع سكان الجزيرة من الاتصال بالدول العربية وأممت وصودرت أملاك المسلمين وأغلقت الصحف والمجلات الإسلامية ومنع النشاط الإعلامي الخاص بالدعوة الإسلامية، واستمر هذا الحظر حتى بعد إعلان الوحدة بين تنجانيقا وزنجبار، فقامت السلطات بإلغاء القضاء الشرعي ومنعت تعدد الزوجات وطبقت القانون غير الإسلامي على المسلمين، كما وضعت العراقيل أمام المسلمين الراغبين في أداء فريضة الحج، وأغلقت الجمعيات الإسلامية القائمة على تسيير الحجاج فانخفض عدد الحجاج إلى ٥٠ حاجاً بعد أن كان ٣٠٠ حاج قبل الوحدة بين البلدين.. كما قامت بمصادرة المصاحف الشريفة التي أهدتها لنا احدى الدول العربية لمناسبة شهر رمضان المبارك.

الحفاظ على هوية النشء المسلم ونشر اللغة القرآنية

وأضاف: كانت بداية الوحدة مأساة للمسلمين في زنجبار ما اضطر الشباب المسلم إلى تكوين جبهة للحصول على الاستقلال وقد راح ضحية ذلك ٢٠ ألف مسلم من أهالي السلطنة، الا أن زعماء القبائل عقدوا اجتماعاً تكشفت خلاله المؤامرة المعادية للإسلام والمسلمين، فتم اجهاض هذه المؤامرة بروح الأخوة الإسلامية الواعية.

استرداد الهوية

● كيف انتصر المسلمون في زنجبار وتنجانيقا على المؤامرة المعادية؟ وما الجهود التي بذلت لتوحيد الصف الإسلامي؟

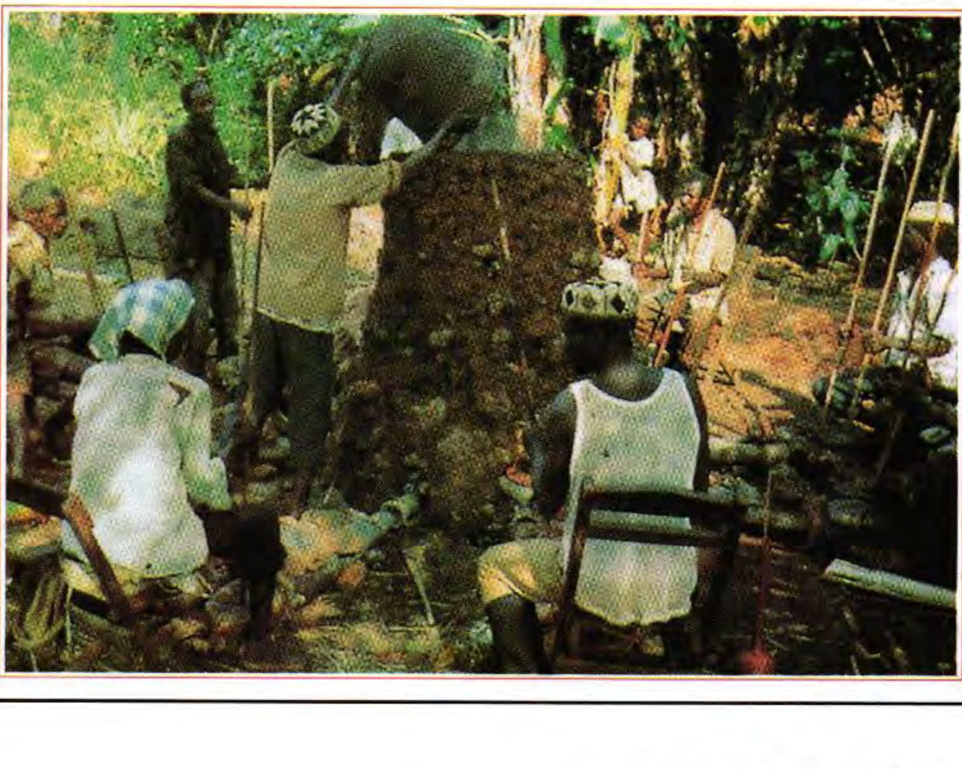
ـ عندما برزت إلى الوجود السياسي دولة تنزانيا ـ التي تضم زنجبار وتنجانيقا ـ عقد مؤتمر لزعماء القبائل المسلمة في العام ١٩٦٨م ـ لتوحيد جهود المسلمين في الدولتين المتحدتين.. وقد افتتحه الشيخ عبيد أمان كرومي الذي حث المسلمين على تحقيق الوحدة والسعي لمحاربة كل من يحاول بث الفرقة بين المسلمين، فتلاشت حدة الخلافات، وقد عقد هذا المؤتمر مرة ثانية في العام ١٩٧٠م، ثم مرة ثالثة في العام ١٩٧٣م، وخلال هذه السنوات حقق المسلمون إيجابيات متعددة لصالح العمل الإسلامي، كما تمكن الدعاة من إقناع عدد لا بأس به من اتباع الديانات الأخرى وبعض الوثنيين لاعتناق الدين الإسلامي الحنيف. كذلك تم إعادة افتتاح المدارس الإسلامية والمساجد لأداء رسالتها في الحفاظ على الهوية العقائدية للشعب المسلم. إلى أن تقرر عقد مؤتمر زعماء القبائل سنوياً لدعم مشروعات الدعوة والتعليم، ومن ثم تم تأسيس المجلس الإسلامي الذي يقوم بدور مهم في توحيد جهود المسلمين، والنتيجة كانت إيجابية للغاية حيث انصهرت الخلافات وتمت تعرية المؤامرات المعادية وأصبحت الخريطة العقائدية في تنزانيا في صالح الإسلام والمسلمين. فنسبة المسلمين ٨٥٪ و١٠٪ لأتباع الديانات الأخرى و٥٪ فقط هي نسبة الوثنيين في تنزانيا، وتعمل المؤسسات الإسلامية المعاصرة على زيادة أعداد المسلمين في البلاد بالقدر الذي تتلاشى فيه الوثنية نهائياً من هذه الدولة الأفريقية.

المسلمون أجهضوا محاولة للإيقاع بين العرب والأفارقة

الصراع العقائدي في تانجا

● نقلت إلينا بعض التقارير أن المؤسسات المعادية استطاعت تغيير عقيدة المسلمين في منطقة «تانجا» التي تقع على الحدود التنزانية ـ الأوغندية. فما حقيقة الوضع في هذه المنطقة؟ وما جهود المؤسسات الإسلامية في هذا المجال؟

ـ يقول مفتي زنجبار: في الواقع أن المؤسسات المعادية للإسلام والمسلمين قد تسربت للعمل في ١٢٠ قرية في منطقة «تانجا» التي تقع قرب الحدود التنزانية ـ الأوغندية وافتتحت عدداً من المدارس التي انتظم فيها عدد من أبناء المسلمين وبخاصة



في القرى، وكانت هذه المدارس تعمل على تغيير عقيدة التلاميذ. إلا أن المؤسسات الإسلامية العاملة في مجالي الدعوة والتعليم سارعت لإزاحة هذا الخطر عن النشء المسلم، حيث تم إرسال قوافل الدعاة إلى هذه المنطقة لنشر الوعي الديني الصحيح بين المسلمين، كما تم إنشاء عدد لا بأس به من المدارس الإسلامية التي استوعبت جميع التلاميذ في المدارس المعادية. وهذه من أهم إنجازات المسلمين في البلاد، وأؤكد لكم أنه لا يوجد تلميذ واحد من أبناء المسلمين منتظم للدارسة في مدارس الأرساليات التبشيرية

وأضاف: نحن بحاجة ماسة إلى دعم عربي إسلامي حتى تتمكن المدارس الإسلامية من أداء دورها في الحفاظ على هوية النشء المسلم.

عرب تأفرقوا

● ما مدى الجهود المبذولة في نشر اللغة العربية في بلادكم؟

- باعتباري أحد الدعاة في زنجبار.. أستطيع أن أؤكد لكم أننا نهتم في نشر اللغة العربية في زنجبار بشكل جيد. فاللغة القرآنية في مقدم اللغات على الساحة اللغوية الأفريقية، ونحن من العرب الذين «تأفرقوا» ولدينا كليات إسلامية تابعة للأكاديمية الإسلامية في مدينة «زنجبار» العاصمة.. وهذه الكليات ركيزة مهمة في نشر اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولدينا أيضاً عدد لا بأس به من المدارس الإسلامية - العربية التي تمنح درجة الدبلوم في علوم القرآن الكريم وتفسيره والأحاديث النبوية

الحفاظ على هوية النشء المسلم ونشر اللغة القرآنية

الشريفة والفقه والشريعة واللغة العربية. فنحن في دولة إسلامية أغلب شعبها من المسلمين الذين يتلون القرآن الكريم ويحرصون على حفظه وتجويده، كما أن المدارس الحكومية تهتم بتدريس الدين الإسلامي في المراحل الدراسية جميعها.

وأضاف: يوجد لدينا في زنجبار وزارة للتعليم تولي اللغة العربية اهتماماً كبيراً، ومن خطط هذه الوزارة التوسع في إنشاء المدارس الإسلامية - العربية القرآنية، فالمدارس هي ركيزة التعليم الإسلامي والعربي، ولدينا خطة قومية للقضاء على الأمية تماماً.. باعتبار أن الدين الإسلامي الحنيف أكبر دعوة لنبذ الجهالة وجعل العلم فريضة، كما أن التعليم هو خط الدفاع الأول عن أمن المسلمين في كل مكان.

الفتوى ومقاصد الشرع

● متى تم إنشاء دار الفتوى في زنجبار؟ وما دور رجال الإفتاء في

جهود إيجابية للقضاء على الوثنية والأمية في زنجبار



وقتنا المعاصر؟

- لقد تم إنشاء دار الإفتاء في زنجبار منذ ثلاث سنوات فقط، وذلك لتبصير المسلمين بأحكام دينهم الإسلامي الحنيف وبيان مقاصد الشريعة الإسلامية، والرد على استفسارات المسلمين في شأن المتغيرات والمستجدات في الساحة العلمية والعالمية، لذا لا يقتصر دور المفتي على تحديد بدايات الأشهر الهجرية فحسب، بل تمتد أيضاً إلى مختلف نواحي الحياة، وخصوصاً بعد أن توسعت سيرة المد العلمي العالمي، وظهرت مستجدات لابد أن نوضح رأي الإسلام فيها، مثل قضية الاستنساخ البشري المحرَّم شرعاً، فالإسلام يحثنا على البعد عن شبهة المحرمات في التعاملات الاجتماعية والاقتصادية كافة، كما أن رجل الإفتاء لابد أن يخوض في أمور لابد منها لإصلاح المجتمع الإسلامي، وتدعيم بنيانه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فالشورى في الإسلام فريضة سياسية والزكاة فريضة اقتصادية قامت بسببها أول حرب في الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأضاف: ومنذ توليت الإفتاء في زنجبار أصدرت مجموعة من الفتاوى التي تحرّم على المسلمين التعامل والتزوج من أتباع النحلة «القاديانية» لأنها فئة مرتدة وخارجة عن الإسلام وتخدع المسلمين بمزاعم وافتراءات باطلة، وذلك بعد ن أطلعت على الفتاوى الصادر عن المؤسسات الإسلامية العالمية. كما حرمنا الاستنساخ البشري، وأيدنا الفتوى الصادرة عن دار الإفتاء في فلسطين في شأن تحريم وتجريم بيع الأراضي الفلسطينية لليهود، باعتبار أن ذلك خيانة قومية تستوجب الردع شرعاً، كما حرمنا نقل المعلومات لأعداء الأمة الإسلامية والعربية لأن ذلك يدخل في نطاق الجاسوسية التي تؤدي إلى انتهاك أمن المسلمين. ونحن بصدد تكوين لجان للإفتاء في مدن وبعض قرى زنجبار لتبصير المسلمين بهدايات الدين الإسلامي الحنيف.

الدعم الإسلامي

● ما مدى الدعم العربي - الإسلامي للمسلمين في زنجبار وما أثره في

انطلاقة مسيرة العمل الإسلامي في البلاد؟

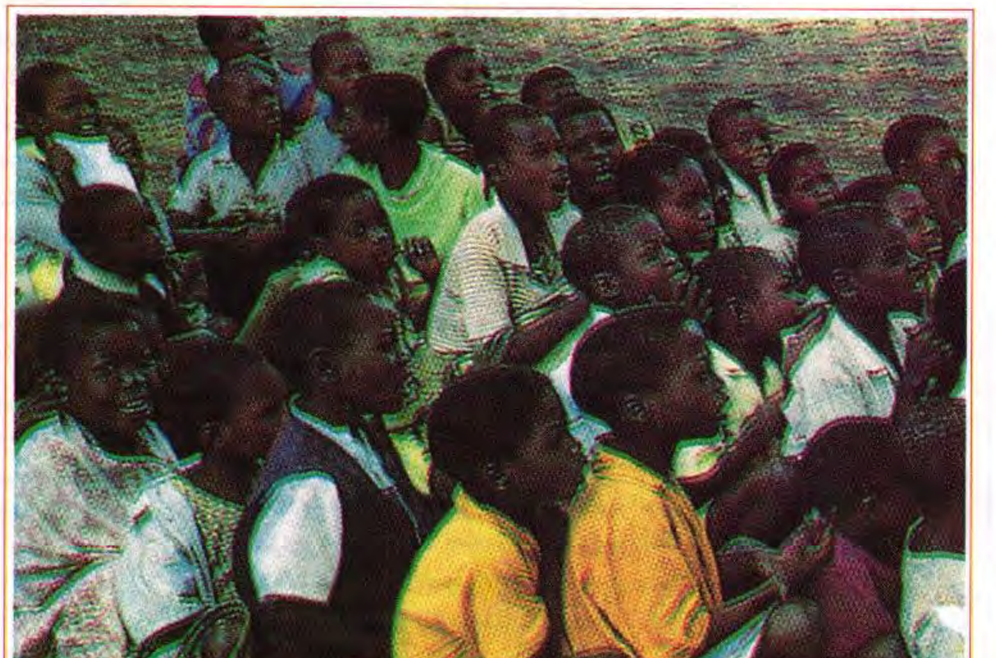
- المسلمون في زنجبار بحاجة إلى دعم المؤسسات العاملة في مجالي الدعوة والتعليم، وانعاش المسيرة الاقتصادية في البلاد، حيث توجد لدينا بعثات أزهرية ومكاتب لرابطة العالم الإسلامي، ومؤسسات إسلامية متعددة لبلدان العالم العربي والإسلامي، ونحن نتطلع إلى توسيع دائرة المنح الدراسية المخصصة لأبنائنا لاستكمال دراساتهم الإسلامية والعربية في الجامعات الإسلامية في دول العالم العربي، كما أننا في حاجة إلى إنشاء جامعة إسلامية تشرف عليها منظمة المؤتمر الإسلامي على غرار الجامعة الموجودة بالنيجر والجامعة الإسلامية في أوغندة.كما ندعو المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - الايسيسكو - لتنفيذ بعض مشروعاتها الثقافية في زنجبار لدعم التعليم العربي والإسلامي، ونرغب أن يقوم البنك الإسلامي للتنمية - التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي - بإنجاز بعض المشروعات الاقتصادية لتقوية المجتمع الإسلامي في زنجبار.

وأضاف: يوجد في زنجبار عدد لا بأس به من المخطوطات الإسلامية النادرة في مختلف المعارف والعلوم الإنسانية، ونرجو أن تساعدنا المؤسسات الإسلامية العالمية المهتمه بالتراث الإسلامي في تحقيق هذا الكم



اللجوء يهز مرتكزات أمن المجتمعات المسلمة

الوفير من المخطوطات، كما توجد في بلادنا بعض الصناعات اليدوية الزخرفية، والمطلوب هو العمل على تنمية المهارات التي أبدعت هذه الفنون الإسلامية الأصيلة عن طريق مؤسسة متخصصة مثل مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.



اللجوء كارثة إنسانية

● تعاني القارة الأفريقية من مأساة اللجوء، فما السبيل الأمثل - الذي تراه - للقضاء على كارثة اللجوء في أفريقيا؟

- يقول مفتي زنجبار: لا شك أن القارة الأفريقية من أكثر قارات العالم تضرراً من مأساة اللجوء، وذلك بسبب الحروب الأهلية التي تفشت في هذه القارة، والتي نتج عنها فرار عدد كبير من سكان الدول التي تعاني من الصراعات إلى دول أفريقية مجاورة، ونحن نرى أن اللاجئ الأفريقي يحتاج إلى كثير من الدعم وتوفير أسباب العزة والكرامة له في سنوات اللجوء، وللأسف الشديد لقد فقدت أفريقيا ملايين من البشر الذين راحوا ضحية هذه الكوارث الناتجة عن الصراعات القبلية والنزاعات على السلطة والحروب الأهلية المدمرة للكيان البشري والكيان الاقتصادي.

وأضاف: أن عدداً كبيراً من المسلمين يعيشون في نطاق اللجوء غير المدعوم.. وهم نهب الأمراض وحالات السقام والفوضى ما يهز مرتكزات أمن المجتمعات المسلمة في أفريقيا.. ونحن نرى أنهم عرضة للمؤسسات المعادية التي تغتال عقيدتهم الإسلامية بسبب حاجتهم الماسة إلى الغذاء والدواء والايواء، والحل المناسب لهذه المشكلة أن تبادر المؤسسات الإسلامية لأداء دورها في احتواء النزاعات قبل أن تستفحل وتصبح مشكلة بلا حل. فالوساطة الإسلامية يجب أن تتجسد قبل نشوء النزاع حفاظاً على أمن المسلمين. أما إذا ظلت أفريقيا على هذا الحال فالحرب الأهلية التي ما أن هدأت في مكان تفجرت في مكان آخر، فإن مشكلة اللجوء ستظل مرضاً مستعصياً.

وقال: هناك أسباب أخرى تؤدي إلى مأساة اللجوء منها الافتقار إلى الموارد الاقتصادية بسبب الجفاف والتصحر والفيضانات والسيول وغيرها، وهذه مهمة إنسانية يجب أن يشارك في احتوائها المجتمع الدولي كله، وفي مقدمه الكيانات الإسلامية باعتبار أن الأمة الإسلامية أمة واحدة تتعاون على البر والتقوى لأنها خير أمة أخرجت للناس. ■

فكر

محاولات لمحو سنة التدافع

بقلم: محمد السيد

تعاظم فكر الحداثة، الذي ألقت به حضارة المتعة، وامتد في كل اتجاه من هذا العالم، وأصبح هذا الفكر يخيل للناس من شدة السحر أنه النهاية التي ما بعدها إلا الرضوخ والرضى بالوثنية الجديدة، التي ساقتها إليه عجلة الثقافة الأمريكية محاولة فرض نموذجها كوثن يعبد من دون أي فكر أو أي عقيدة أو أي شكل من أشكال السلوك الإنساني لا يطابق أو ينطبق على مسار تلك الوثنية الصلفة الفوقية؛ إذ تطل على الإنسان من فوق، دون أي اعتبار لظرف أو خصوصية أو معنى من معاني الحال والمآل، مع امتلاكها لكل الوسائل التي تخولها القدرة على فرض ما تريد.

ولقد كان من أخطر الأسلحة التي حاولت تلك الفوقية بثها، ذلك التبني الخادع لمفهوم السلام من طرف واحد، والذي يعني أنه لا يحق لأي كان أن يدافع ويدفع بقوة عن حقه، لأن مثل هذا السلوك - برأي المخادعين - مناف بصورة قاطعة لسلامهم الذي يريدون. هذا مع أنه في حقيقة الأمر لم يعد واحدٌ من بني البشر - في ظل هذا التبشير المزيف لمفهوم السلام - يحلم ولو بشكل السلام الحقيقي، الذي يعطي لكل فرد إنساني حق الأخذ والعطاء وحق التدبر والسير على بصيرة وحق دفع أي خطر يراه مهاجماً لأحلامه وأمانيه وآماله ولو بالحسنى..

إن أخطر ما يداهم الشعوب وحضاراتها وخصوصياتها هو الركون إلى هذا السلاح الخادع المزيف، والاقتناع من الغنيمة بالإياب، محملين بالتقليد والرضوخ واجترار الثقافة المعلبة، التي تجعل أي شعب مجرد تابع ذليل في قافلة التطبيل مع «فوكوياما الأمريكي» وكل القوى التي دفعته للقول بنهاية التاريخ عند أقدام الإمبريالية الأمريكية، وذلك بشكل معاكس تماماً لما يراه «نعوم تشومسكي» الأمريكي أيضاً: من أن هذا النظام نظام ديمقراطي خادع، إذا قورن بالنظريات المطروحة عن الديموقراطية والتعامل مع الآخر بصيغة التعايش والقبول، بينما هو في واقع الحال يحاول جاهداً فرض صورته الثقافية والسياسية على كل الحضارات دون أن يحمل أي اعتبار لأي خصوصية كانت، ومن دون أي صيغة من صيغ الديموقراطية.

وإننا في هذا المجال لا نجد منجى لأي كان من ضغط هذه الثقافة الأحادية النظر إلا باللجوء والاحتماء خلف «سنة التدافع» التي جعلها الله سنة ماضية في هذا العالم، من أجل رفض محاولات الاعتداء على الهوية الخصوصية للشعوب والأمم. وذلك مصداقاً لقوله تعالى في محكم التنزيل (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً...).

صورتان من التدافع

إن سنة التدافع تتجلى في صورتين:

١ - تدافع للتلاقي والتعارف (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا...) وقد حدث مثل هذا التدافع في واقع المجتمعات البشرية.. حينما اندفع المسلمون بدينهم من جزيرة العرب نحو الشعوب المجاورة وتقدموا به (تعاملاً وصيغاً حياتية وسلوكاً وتشريعاً وعبادات) إلى تلك الشعوب ليكون نقطة اللقاء والتعارف والاقتراب والتعايش والقبول بالآخر، من خلال مظلة نظيفة حكيمة، تستلهم قوة الاقتناع والانتماء والاختيار الحر، وليس قوة الذراع والسلاح وتزييف المعاني وتمجيد ثقافة الهيمنة والاستكبار، ولا أدل على هذا المنهج الراشد من حادثة فتح سمرقند التي تمت في زمن الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز.

٢ - تدافع بصيغة العداء، عداء الباطل للحق، والمكابرة التي يبديها الباطل تجاه كلمة الحق، مما ينتج عنه لقاء الطرفين في ساحة الصراع والتدافع بالقوة في كل المجالات الثقافية منها والاقتصادية والسياسية والعسكرية.

وإن من أبرز الأمثلة على هذا التدافع ما يجري اليوم فوق ساحة علاقة الإسلام بالغرب.

إذا شاء معظم المتنفذين في المجتمعات الغربية من ساسة وقادة فكر وثقافة واقتصاد وعسكر أن يجعلوا من الإسلام عدوهم الأول، بعد مئة عام تقريباً من مواجهة مباشرة أو باردة مع معسكر الشرق الشيوعي، حيث انتهى ذلك المعسكر إلى البوار والتفكك والدخول في حوزة الحماية الغربية.

صورة تاريخية

ويحمل كثير من الغربيين اليوم كبر تأجيج العداوة ضد الإسلام وأهله وإثم محاولات إلغاء خصوصية وهوية أمتنا، وذلك من خلال خاصية ظاهرة في الحضارة الغربية، برزت فيها على مدى العصور، وهي خاصية حمل فكر القوة والمادة والركض خلف الفانية، واضمحلال معنى امتداد هذه الدنيا في فكر الناس هناك إلى ما بعد هذه الحياة، حيث تستكمل هناك العدالة على أكمل وجه، ويتم بوساطتها معنى الوجود بأكمله، على الصورة التي أراد لها الخالق العظيم أن ترتسم، تجربة وامتحاناً في صيغة الوجود البشري المخلوق، لتنتهي قضاءً عادلاً مكافئاً لنتائج الامتحان، الذي لا يأخذ إلا قسطاً عابراً من وجود هذا الإنسان المتواصل الممتد، والذي لا يشكل الموت فيه إلا مرحلة انتقال في الوجود تقع بين ضفتي الموعود الرباني الحق، ولقد تجلت صورة المكابرة، التي يدفع بها الغرب في وجه الإسلام تاريخياً، في ذلك الرد العنيف، الذي ظل يحكم تصرف الروم على امتداد الثغور، منذ عصر الخلفاء الراشدين وعلى مسافة حكم الخلفاء الأمويين والعباسيين والعثمانيين، وهناك بعيداً في الأندلس وحول القسطنطينية وعمورية والرها، وقريباً في بلاد الشام ومصر، حيث جادت جحافل الصليبيين بأقسى أنواع المجازر البشرية،

متحالفة مع موجات المغول، وكانت قضية الرجل المريض آخر دفع على خلفية التاريخ، حملته موجة العداء والمكابرة الغربية غير المتعلقة لإسلام هذه الأمة وحقها الذي تعتنقه، وجاء الإعلان الغربي المعاصر عن عداوة الإسلام مثالاً ناجزاً على صورة المدافعة الغربية بالقوة المهيمنة، لنزع خصوصية أمتنا، وفرض الصورة الغربية للحياة علينا بالقوة، وبالتالي اقتلاع القناعة بسنة التدافع من صدور شعوبنا، ليدخل الغزاة إلينا وعلينا الأبواب من دون مقاومة تذكر.

الوسيلة

وكانت وسائل هؤلاء للوصول إلى أهدافهم كثيرة غير أن أهمها كان متمثلاً في العمل من أجل إلغاء الإيمان بسنة التدافع، وهي ليست وسيلة بريئة أبداً، بل هي مدانة في عقيدتنا وشرعنا، ومدانة أيضاً من قبل فكر التقدم، لأنها تبتغي فيما تبتغيه نزع روح المقاومة والصمود في وجه عملية تضييع الهوية والخصوصية، وجعل الشعوب قابلة تماماً لمحاولات الانفراد بها، وسرقة كل ما يخصها ويميزها ويرفع مكانتها في الحياة والسلوك وأصول التفكير.

وبمعنى آخر قبول الخضوع لقواعد الثقافة الغربية، واعتباره منحة تستحق التضحية، كي تحظى من خلال ذلك البوار بلقب الحداثة والتحديث. إنها عملية تغيير ونزع لكل صبغي حضاري، يضفي ميزة خاصة على شعب ما أو أمة ما، وذلك من باب جعل الخصوصية خرافة مارقة لفظتها الحداثة وخلفتها في جوف التاريخ. ولقد نجح أصحاب الفكر الصهيوني - متخفين خلف شعارات الحداثة والانعتاق من قيود الماضي والانطلاق في دنيا التقدم من دون ثوابت أو أحلام - في توهين جدر المقاومة لدى شعوب العالم الثالث وخصوصاً العالم الإسلامي وذلك بعد نجاحهم في طرد الدين والقيم من حياة الغربيين، ثم إنهم وظفوا كثيراً من رجال الفكر الغربي لغزو العالم بالكثير من الأصول، التي لا تخرج عن نظريات تلمودية مهترئة، دبجوها بديكورات فكرية حديثة، من أجل تمرير الخدعة بسهولة، وإقناع الناس في العالم الإسلامي بضرورة نبذ إيمانهم بسنة التدافع، ووصم الإسلام والمدافعين عنه بوصمة الإرهاب، كي يتسنى لهم إبعاد هؤلاء عن ساحة الفعاليات

جذور صهيونية

وقد وضحت في تلك الحملة جذورها الصهيونية الماكرة والأمثلة على ذلك كثيرة فهذا اليهودي: (صموئيل هنغتون)؛ منظّر البنتاغون يقول: «الحرب العالمية الثالثة ستكون صدام حضارات (المسيحية الصهيونية ضد الإسلامية - الصينية).

- وكذلك منظّر الصهيونية الأول. هرتزل يبين بوضوح قبل قرن من الزمان التقاء الصهيونية مع الغرب في بناء الخطط السياسية لمنطقتنا فيقول: «الدولة اليهودية في فلسطين قلعة متقدمة للغرب ضد همجية الشرق الإسلامي».

- ولم تترك الصهيونية أحداً إلا وظفته من أجل إبعاد شبح الإسلام من طريقها للوصول إلى التحكم بمقدرات العالم، بعد إذ لم يبق أمامها من عقبة إلا الإسلام، فلقد جاءت مقالة الرئيس الفرنسي الاشتراكي الراحل «فرانسوا ميتران» عندما زار سرايييفو أثناء جرائم الذبح التي نصبت للمسلمين هناك، جاءت هذه المقالة خارجة من رحى الهجمة الصليبية المتصهينة إذ قال: «لن نسمح بقيام دولة إسلامية في قلب أوروبا» وقد كان ميتران قد زار دولة الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة ثلاث مرات قبل توليه رئاسة الجمهورية الفرنسية ومن هنا جاء تشكيل وزارته التي احتل ٧٠٪ من حقائبها يهود فرنسيون.

- ولم يخرج قول هيلموت كول المستشار الألماني عن هذه القاعدة عندما قال ليلماظ رئيس وزراء تركيا أثناء زيارة لهذا الأخير إلى أوروبا: «إن أوروبا مسيحية - يهودية فما الذي يجعلنا ندخل الأتراك المسلمين فيها».

- وها هي الجمعية الوطنية الفرنسية تدخل في جعبة الاحتواء الصهيوني، فتعلق فوق بوابتها لوحة ضخمة تتضمن مقالاً للروائي الكاتب «إميل زولا» كتبها منذ مئة عام (١٨٩٨/١/١٣) في صحيفة الفجر الفرنسية وقوفاً وتعاطفاً مع الضابط اليهودي «دريفوس» الذي كان يحاكم بتهمة خيانة فرنسا، التي انتشرت فيها إذ ذاك تسمية اليهودي: «بالعدو».

ويسير شيراك رئيس جمهورية فرنسا على الطريق نفسه، فيحني هامته اعتذاراً من أحفاد دريفوس وزولا علناً، متبرئاً من الضجة التي أثيرت حول خيانة يهود قبل مئة عام. ولم تستطع الكنيسة الكاثوليكية الخروج على موجة التصهين هذه. فها هي جريدة (لاكروا) الناطقة باسم الكنيسة تطاطئ الرأس، وتعتذر بعد مئة عام عما قالته سابقاً وجاء فيه: «إنه العدو اليهودي يخون الوطن والموت لليهود»، فقالت اليوم علناً وعلى رؤوس الأشهاد في افتتاحيتها: «علينا أن نتذكر وعلينا أن نندم».

وها هو رئيس وزراء بريطانيا بلير، تتناقل عنه وسائل الإعلام، أنه أشعل شمعة صهيون بعد منتصف الليل أوائل شباط ١٩٩٨ في عيد الشموع الصهيوني، وذلك في الوقت نفسه الذي أشعلت فيه تل أبيب الشموع، ويعلن بلير بهذه المناسبة بصراحة: إن إسرائيل وجدت لتبقى ونحن حماة بقائها.

وليست أقوال مستشار الرئيس الأمريكي بوش (بات باترسون) بدعاً في هذا الخضم الغربي المتصهين الذي يتجه إلى نزع روح المقاومة والمدافعة في أمة الإسلام، لتجد الحضارة الغربية الطريق ممهداً أمام غزوتها. فهو يقول بالفم العريض في كتابه النظام العالمي الجديد: «إن الكتاب المقدس هو الذي يعد بتلك الحكومة العالمية التي ستقضي على كل أعداء إسرائيل» وتوّج البابا يوحنا بولس الثاني البابا الحالي للفاتيكان الحملة المتصهينة بقوله في نيسان ١٩٩٧ خلال حديثه مع أعضاء مجمع العقيدة التوراتية: «إن المسيحي يجب أن يعلم أنه بانتمائه إلى المسيح أصبح من أحفاد إبراهيم واندمج في شعب (إسرائيل).. إنه إذا أدرك المسيحيون أن المسيح كان ابناً حقيقياً لإسرائيل فإنهم لن يقبلوا بعد ذلك بأن يضطهد اليهود أو تساء معاملتهم».

ومخرج هذا الكلام كله هو وجود فكر تلمودي صهيوني يطرح الآن باسم المسيحية من أجل وضع اليد على كل محاولة دفاع أو مدافعة عن النفس واعتبارها اضطهاداً للسامية وبالتالي لليهود وإساءة لمعاملتهم..

وبعد: أفلا تكفي كل هذه الاقتباسات للاقتناع بأن المعركة الدائرة من أجل صرف الأمة عن سنة التدافع إن هي إلا معركة تدور حول البقاء والوجود، وأن الذين يرابطون في هذه الأمة على بوابة هذه السنّة إن هم إلا رجال الخندق الأخير للدفاع عن هوية الأمة وخصوصيتها، وبالتالي وجودها وبقاءها، ألا فليصمدوا في معركة القبض على الجمر، فإن الأمة كلها تشد على أيديهم. ■

فكر

مقومات الوحدة الإسلامية

بقلم: حمدي عبدالعزيز السعداوي

لقد أصبحت الوحدة الإسلامية ضرورة حتمية يحتمها علينا الواقع الذي نعيشه اليوم.... فالعالم من حولنا يعيش عصر التكتلات والتحالفات وما يسمى باقتصادات الحجم، فهناك أكثر من اثنتي عشرة دولة أوروبية لا تتحدث دولتان من بينهم ـ باستثناء فرنسا وبلجيكا ـ اللغة نفسها، وأمضت تاريخها كله إلى منتصف الأربعينات في حروب مريرة ضد بعضها بعضاً من بينها حرب المئة عام... هذه الدول في طريقها إلى الوحدة، ومن المعروف أن عدد سكانها يزيد عن (٣٢٠) مليون نسمة وسيبلغ إنتاجها السنوي أكثر من خمسة آلاف مليار دولار، أي أنها ستكون أكبر قوة اقتصادية في عالم المستقبل.

أما اليابان فقد خرجت من الحرب العالمية الثانية مهدمة ومصطلية بنار الإشعاع النووي ـ ومع أنها لا تملك ما نملكه من الموارد ـ إلا أنها نهضت سريعاً من كبوتها واستطاعت أن تشكل حلفا اقتصادياً رهيباً يعرّفه الخبراء الاقتصاديون «بجماعة الديناصورات» التي تضم اليابان وكوريا الجنوبية وسنغافورة وتايوان وهونغ كونغ، كذلك اتحاد الألمانيتين بعد طول فراق، وانهيار الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي، وتزّعم الولايات المتحدة الأمريكية قيادة العالم سيجعل إعادة ترتيب التكتلات وظهور تحالفات جديدة أمر لابد منه ولا مفر عنه.

ومما لا شك فيه أن هذه التكتلات سيكون لها أكبر الأثر وأخطره على الدول الإسلامية، ليس فقط من الناحية الاقتصادية، ولكن أيضا من الناحية السياسية والعقائدية، كما أنه لا يمكن للمسلمين الدخول في ميادين الفضاء وعالم الكمبيوتر والصناعات الضخمة والأسلحة والأجهزة العلمية الحديثة والمتطورة إلا في وجود رأس مال قوي وخبرة عالية... وسوق كافية تستوعب الإنتاج وهذا لا يتم إلا من خلال الوحدة والتضامن الإسلامي... وفي ظل هذه الوحدة سيكفي العالم الإسلامي نفسه اقتصادياً... وزراعياً وصناعياً وبشرياً وفي جميع أوجه الإنتاج وما يفي عن حاجته.... سيصدر إلى الدول غير الإسلامية مما سيقوي من مركزها التفاوضي في التجارة الدولية «الخارجية»، ولكن هل المسلمون مؤهلون لهذه الوحدة؟

لقد وهب الله عز وجل الدول الإسلامية من المقومات ما يجعلها إذا اتحدت أن تكون أقوى، وأغنى دول العالم، ويمكن إيجاز مقوماتها فيما يلي:

١ ـ مقومات بشرية:

يفوق تعداد العالم الإسلامي الألف مليون نسمة تتوزع في أكثر من خمسين دولة مستقلة، وعلى هيئة أعداد متباينة من الأقليات في جميع دول العالم، ويمثل هذا التعداد قرابة ربع سكان العالم، ويضم: ملايين من العلماء والمهندسين والأطباء، والفنيين والأدباء والمفكرين والمقاتلين الأشداء وسائر الحرفيين والمتخصصين في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية «وعلى الرغم من تفشي الأمية في قطاع كبير من أبنائها، والذي يمثل أكبر تجمع بشري على وجه الأرض تجمعه عقيدة واحدة.

٢ـ مقومات أرضية:

تبلغ مساحة الدول المكونة للعالم الإسلامي أكثر من أربعين مليون كيلو متر مربع، ويمثل ذلك أكثر من ربع مساحة اليابسة ويزيد في قيمة تلك المساحة الشاسعة اتصالها ببعضها بعضاً، وتوسطها دول العالم وتكاملها من ناحية المناخ والتضاريس وطبيعة الأرض وتعدد ثرواتها وتنوع مصادر المياه فيها وكثافة سكانها وعراقة حضاراتها وقدم ارتباطها برسالات السماء.

٣ ـ مقومات بحرية:

يطل العالم الإسلامي على مسطحات مائية عدة تخترقها أهم خطوط المواصلات البحرية في العالم وله موانيء مهمة على كل من المحيط الأطلسي والهندي والهادي وكل من: البحر الأبيض المتوسط والأحمر والأسود وبحر قزوين كما يتحكم هذا العالم في مداخل كل من المحيط الهندي والبحر الأحمر والأسود هذا بالإضافة إلى عدد من المسطحات والقنوات المائية المهمة التي تعتبر إسلامية بأكملها مثل البحر الأحمر والخليج العربي وبحر عُمان والبحر العربي وبحر مرمرة وقناة السويس.

٤ ـ مقومات اقتصادية:

وهذه تشمل مقومات زراعية وحيوانية عدة ومصادر للطاقة هائلة وثروات معدنية لم تقدر تقديراً نهائيا بعد ومنشآت صناعية مختلفة ويمكن إيجازها فيما يلي:

أ ـ الثروة الزراعية:

وتتمثل في أكثر من أربعمئة مليون من الأفدنة المزروعة في مناطق مناخية مختلفة تعطي محاصيل متكاملة وتشكل هذه النسبة ١١٪ من مساحة الأراضي المزروعة في العالم، ففيها ٣٩٤ مليون «هكتار» من الغابات التي تشكل ٩.٧٪ من مساحة الغابات في العالم هذا بالإضافة إلى مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة والتي لم تزرع بعد، ومن الواجب العمل على استزراعها في أقرب وقت ممكن حتى يتمكن المسلمون من إنتاج غذائهم بدلاً من استجدائه من غيرهم تحت تأثير الكثير من القيود والضغوط والابتزاز والاستغلال، وخصوصاً أن الظروف المناخية التي يعيشها العالم الإسلامي مختلفة وتتوافر فيها مصادر المياه والأراضي الزراعية مما يجعلها قادرة على زراعة جميع أنواع المحاصيل الغذائية وغيرها مما تحتاجه ويزيد عنها.

ب ـ يُربى على أرض العالم الإسلامي ملايين الرؤوس من الماشية ٨. ١٠٪ من مجموع عدد القطيع العالمي... فالأغنام ٢٤٪ والماعز ٣٧٪ والإبل أي ٧٦٪ وتقوم على هذه الثروة الحيوانية صناعات مختلفة مثل منتجات الألبان وغزل ونسج الصوف والصناعات الجلدية وغيرها، وتنتج الدول الإسلامية مجتمعة نحو ٦٪ من الإنتاج العالمي من الأسماك وغيرها من الحيوانات البحرية الصالحة للغذاء.

ج ـ مصادر الطاقة

يملك العالم الإسلامي ما يتراوح بين ٧٢٪ و ٧٧٪ من احتياطي النفط العالمي وأكثر من ٢٥٪ من احتياطي الغاز الطبيعي بالإضافة إلى تقدير مبدئي للفحم الحجري الذي يبلغ ١٪ من احتياطي العالم، هذا بالإضافة إلى نسب متفاوتة من المواد المشعة لم تقدر تقديراً نهائياً بعد وبخاصة اليورانيوم فهو أكثر من ٤٥٪ من الاحتياطي العالمي.

وهناك أيضاً الطاقة الشمسية كمصدر من مصادر الطاقة في مختلف دول العالم الإسلامي التي تتمتع بساعات طويلة من سطوع الشمس خلال أغلب

أيام السنة، إضافة إلى مصادر الطاقة المائية والهوائية والهيدروجينية وهي كلها من مصادر الطاقة التي ليست لها نواتج ملوثة للبيئة أو مهددة للبشرية.

د ـ الثروة المعدنية:

على الرغم من أن معظم أراضي العالم الإسلامي لم يتم مسحها بعد مسحاً علميا مفصلا باستخدام الوسائل التقنية الحديثة، إلا أن الدراسات المحدودة التي أجريت حتى الآن أثبتت وجود الكثير من الخامات الاقتصادية منها:

خامات المعادن الفلزية مثل: القصدير الذي تعادل نسبة وجوده ٢٥٪ من احتياطي العالم والكروم ٢٣٪ والمنغنيز ٩.٢٪ والرصاص والزنك ٦٪ والحديد ٥٪ والنحاس ٤٪ «وفي مراجع أخرى تتضاعف هذه النسب، كما يوجد الألومنيوم والكوبالت والنيكل والانتيمون والذهب والفضة والزئبق والموليدمبيوم والتنتالوم، وهذه المعادن موجودة بنسب متفاوتة كذلك يوجد العديد من خامات المعادن غير الفلزية ومن أهمها:

الفوسفات والذي يبلغ ٤٥٪ من احتياطي العالم والأملاح التبخرية مثل أملاح الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والأسترونشيوم والبورون واليود والبرومين وخامات المواد الحرارية ومواد البناء والعديد من المواد الكيماوية الأخرى التي لها قيمة كبيرة في الصناعة مثل: الكبريت والكادميون وخامات المواد المشعة.

٥ ـ مقومات تعليمية وتدريبية:

تضم دول العالم الإسلامي اليوم أكثر من ٢٢٤ جامعة و ٣٣٥ معهداً عالياً من المعاهد المتخصصة بالإضافة إلى ما يفوق التسعمئة من مراكز البحوث وأكاديميات العلوم والتقنية وخمسة عشر مركزاً ومؤسسة للطاقة الذرية والنظائر المشعة.

وبناء على هذه الثروات المتعددة فإن أمر قيام وحدة إسلامية سيجعل من العالم الإسلامي قوة كبرى، فالظروف الجغرافية المتنوعة والحجم الهائل من التعداد السكاني الموزع على العديد من الدول والاتصال بين الدول ببعضها بعضاً فلا موانع تعيق التنقل من بلد إلى آخر ووجود مصادر الطاقة والثروات المعدنية والجامعات ومراكز البحوث يهيىء إنتاج العديد من الصناعات الكبرى.

ومن خلال هذه الوحدة يمكن التنسيق بين الدول لإنتاج مختلف الصناعات، وكذلك تتخصص معاهدها في مختلف فروع المعرفة، فمن النتائج الايجابية للوحدة رصد ميزانية أكبر للبحوث العلمية في البلاد الإسلامية التي نحن في أمسّ الحاجة إليها لإحداث نهضة علمية و«تكنولوجية» معتمدين على الذات حيث تنقسم الدول الإسلامية إلى مجموعتين:

ـ أحداهما: تملك عدداً كبيراً من الباحثين في شتى فروع العلم مثل: مصر وباكستان وتركيا، بينما هذه الدول قدراتها التمويلية محدودة ولا تستطيع أن توجه ميزانيات يعتد بها إلى البحث العلمي وفي مقابل هذه المجموعة توجد مجموعة أخرى من الدول الإسلامية وهي تمتلك قدرات تمويلية كبيرة بينما لا يتوافر بها الباحثون، كما أن كثيرا من الدول تعتمد على سلعة تصديرية واحدة من المنتجات الأولية مما يجعل موقفها التفاوضي ضعيف في التجارة الخارجية.

ـ أما الوحدة فإنها تقوي من موقف الدول الإسلامية التفاوضي خصوصاً أنها ستسد حاجة الشعوب الإسلامية من هذا المنتج أولاً سواء في صورة مادة خام أو منتج مصنع... فالنظام الدولي الاقتصادي القائم يسعى إلى امتصاص أكبر كمية من مصادر الطاقة والموارد الأولية من الدول النامية مقابل كميات متناقصة من الإنتاج المصنع الذي توره الدول المتقدمة.

وهكذا تتدهور القوة الشرائية للدول النامية مع زيادة القوة الشرائية للدول المتقدمة ومن الأمثلة على ذلك ما تظهره مقارنة صادرات «القنب» ففي العام ١٩٦٣م كان على الدول النامية أن تصدر خمسة أطنان مقابل شراء جرار وفي العام ١٩٧٠م كان الحصول على جرار يستلزم تصدير عشرة أطنان.... وكذلك ثمن ساعة سويسرية يقابل ٧.٥كغم من بن القهوة في أوائل الستينيات ارتفعت هذه الكمية إلى ١٤.٢كغم لشراء الساعة نفسها في العام ١٩٧٤م.

وفي العام ١٩٦٠م كان على البلد المصدر للمطاط أن يصدر ٢٥ طنا مقابل ستة جرارات، أما في أواخر الثمانينات فإن هذه الكمية من المطاط لن تؤدي إلا للحصول على جرارين فقط.

الوحدة الإسلامية تفتح باب التجارة الداخلية بين الدول الإسلامية:

ومن خلال تحقيق الوحدة الإسلامية ـ فقط ـ ينفتح باب التجارة الداخلية بين الدول الإسلامية.... فعلى سبيل المثال: ستشتري مصر من ماليزيا المطاط وتصدر إليها المنسوجات، وستشتري السودان من السعودية البترول وتصدر إليها اللحوم والصمغ.. وستشتري ليبيا من مصر الخضراوات والفاكهة وتصدر إليها بعض المشتقات النفطية التي تحتاجها، مما سيترتب عليه قيام صناعات جديدة في العالم الإسلامي وبالطبع يستلزم هذا إزالة الحواجز الجمركية بين الدول الإسلامية فلا مكوس ولا ما يشبهها تؤخذ من التجارة بين الدول الإسلامية وإنما تفرض الجمارك على ما يخرج من الديار الإسلامية إلى غير المسلمين والعكس، ولابد أن يكون للمسلمين نقد موحد يكون التعامل به فيما بين الأقاليم الإسلامية مع بعضها بعضاً، وفي تعاملها مع الدول غير الإسلامية مع وجود النقد المحلي لكل دولة.

ـ «وهذه النقطة» في غاية الأهمية حيث إنه يمكن للدول الإسلامية بهذا التحكم في النقد العالمي، بل يمكنهم هذا أيضاً من إسقاط قيمة الدولار بقرار ينص على أن يقبل ثمن البترول أو غيره من الصادرات بالدولار وأن يكون هناك دينار إسلامي يدفع به ثمن هذه الصادرات، ولهذه الخطوة أثر مهم، ففي فترة ماضية أعلنت السعودية أنها لا تريد أن تأخذ ثمن ربع بترولها بالجنية الاسترليني... فسقطت قيمة الجنيه الشرائية في الأسواق العالمية خلال ساعات فاضطر وزير المالية البريطاني أن يهرع إلى الرياض ويقابل الملك فيصل ـ رحمه الله ـ ويطلب منه إنقاذ بريطانيا بتصريح واحد يعلن فيه أن الجنيه الاسترليني سيبقى ساري المفعول في دفع ثمن ربع البترول. فلابد من وجود مصرف إسلامي مركزي موحد، كما لابد أن يكون للمسلمين وللدول الإسلامية مصرف إسلامي مركزي موحد، ويكون له فروع في كل بلد إسلامي، لتتبادل النقد وتمول المشروعات، ويحتم كذلك إدخال الأموال الإسلامية واستثمارها في البلاد الإسلامية بدلاً من المصارف الأجنبية.

ـ فالوحدة تعمل على توحيد القرار الإسلامي، وما يهمنا من آثار الوحدة هو توحيد القرار الإسلامي وتجميعه وتدعيمه بالقوة إزاء ما يتخذ ضد الدول الإسلامية من قرارات تؤثر عليها اقتصاديا وسياسياً وعسكرياً.

ـ كيف تتحقق هذه الوحدة:

تتحقق الوحدة الإسلامية بإحياء الخلافة الإسلامية كما كانت في عهد الراشدين!!!

ـ وإن كان هذا هو الأمثل وخصوصاً أنه قد وردت به الآثار وكان عليه الصحابة أجمعون.

في الواقع أنه على الرغم من الصعوبة البالغة لأمر قيام دولة واحدة للمسلمين تجمع شتاتهم الآن، إلا أنه من السهل قيام وحدة اقتصادية بين الدول الإسلامية فهذا مما يحفظ لكل دولة شخصيتها المستقلة ومما ييسر قيام مثل هذا الشكل من الوحدة وجود بعض التكتلات الصغيرة بين أرجاء الوطن العربي ولا سيما بين كل من مجلس التعاون الخليجي الذي يضم: السعودية والكويت والإمارات وقطر والبحرين وعُمان، وهناك اتحاد المغرب العربي الذي يضم: ليبيا وتونس والجزائر ـ والمغرب وموريتانيا ومجلس التعاون العربي «سابقاً» الذي كان يضم: مصر والعراق والأردن واليمن الشمالي. ■

المراجع والمصادر

١ـ قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر د. زغلول النجار.
٢ ـ التكامل الاقتصادي الإسلامي... مقوماته ونتائج أعماله في الدعوة الإسلامية: أ. رفعت السيد العوضي.
٣ ـ زوال إسرائيل حتمية قرانية، الشيخ أسعد التميمي.
٤ ـ الوحدة الإسلامية.... الإمام محمد أبو زهرة.
٥ ـ مجلة الأهرام الاقتصادي العدد ١١١٩، ٢٥ مايو عام ١٩٩٠م.
٦ ـ الإنسان والقانون الأعلى... أ. عبدالوهاب البساطي.

تحقيق

معهد المخطوطات في أكاديمية العلوم الأذربيجانية

يمتلك المعهد مجموعة فريدة ورائعة من المخطوطات باللغات الأذربيجانية والعربية والتركية والأوزبكية والفارسية وغيرها من اللغات الشرقية.

وتشكل أساس هذه المجموعة الثمينة المكتبات والأرشيفات الشخصية للمثقفين الأذربيجانيين البارزين للقرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي، ومن أبرز علماء هذين القرنين عباس مولى آغا باكيخانوف، وميرزا فتح علي آخندوف وبهمن ميرزا وعبدالغني خليصه قاري زاده وحسين أفندي غايبوف ومير محسن، ولهؤلاء العلماء مؤلفات تم جمعها الآن في خزائن معهد أذربيجان.

ومحفوظ في خزائن المعهد أكثر من أربعين ألف مخطوط من مخطوطات القرون الوسطى والوثائق التاريخية القيمة ومجموعات لصحف ومجلات صادرة في بداية القرن الحالي وكذلك أرشيفات شخصية لرجال الأدب والثقافة الأذربيجانية حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وقد وضع أساس المعهد في عشرينات القرن الحالي وشكل أساساً ثقافياً لدى المكتبة العلمية في جمعية «دراسة أذربيجان» حيث بدئ بعمل قسم خاص بالكتب الليتوغرافية والكتب المطبوعة قديماً، ففي ٢٢ أكتوبر العام ١٩٢٦ أعيد تأسيس جمعية دراسة أذربيجان إلى الأبحاث العلمية وأشار رئيس الهيئة التنفيذية لجمهورية أذربيجان آنذاك إلى أهمية جمع وحفظ المخطوطات وإلى تأسيس المعهد الحكومي للأبحاث العلمية للأذربيجانيين.

إن هذه الكتب كنز لا مثيل له، إذ منح مخطوطات مختلفة، منها مخطوط للشاعر الشرقي العبقري سعدي والذي عمر مؤلفه أكثر من ٥٠٠ عام، وهو مكتوب بخط يد الكاتب الفيلسوف الأذربيجاني ميرزا فتح علي آخندوف، إن مثل هذه اللآلئ في أذربيجان كثيرة.

وفي سنة ١٩٥٠م تم تأسيس مركز للمخطوطات على أساس أن يكون قسم المخطوطات هذا تابع لمعهد الآداب الحامل لاسم نظامي بباكو، فمنذ تأسيس مثل هذا المركز المستقل للأبحاث العلمية الخاص بالمخطوطات تحول المركز إلى خزانة كبيرة للمخطوطات القديمة النادرة، حيث يعتبر المركز من أحد أكبر المراكز المماثلة في الجمهوريات السوفييتية السابقة، فهو مركز له مكانة بين الخزائن الأدبية المعنية في العالم.

إن المهمة الأساسية أمام المعهد هي جمع ونشر فهارس المخطوطات الأذربيجانية العربية والتركية والفارسية المحفوظة في خزائنه، لكن كمية ونوعية هذه المخطوطات تكتسب أهمية بالغة من حيث دراسة

بقلم: الدكتور مقدس بن علي

وتحليل تاريخ وعلم وثقافة وآداب الشعوب الشرقية وآفاق تطور الاستشراق في جمهورية أذربيجان، فهي تهدف إلى دراسة ونشر الآثار المخطوطة النادرة لشعوب الشرقين الأدنى والأوسط، وهناك دراسة قضايا علم النصوص للقرون الوسطى وتعميمه ووضع الفهارس الببلوغرافية والموضوعية والمؤرخة زمنياً لجمع المخطوطات المحفوظة في المعهد وكذلك أرشفة الأبحاث العلمية الشخصية لرجال الأدب والثقافة الأذربيجانيين للقرنين التاسع عشر والعشرين، وأصول النسخ الفوتوغرافية مع الشروح عليها للمخطوطات بالأبجدية العربية ووضع النصوص النقدية المصححة للنسخ النادرة لمؤلفات العلماء والشعراء والأدباء البارزين، وتحديد وإيجاد النسخ المنسوخة بيد المؤلفين أنفسهم، وأيضاً تنظيم حفظ ومعالجة وترميم وتجليد المخطوطات التي تحتاج إليها وتصوير ميكروفلمات المخطوطات لوضعها في متناول يد الباحثين، وطبيعي أن مثل هذه المهام يمكن تحقيقها في مركز يمتلك قاعدة صلبة للآثار المخطوطة والكوادر الكفوءة من الاختصاصيين.

إن المواد المخطوطة لمعهد المخطوطات الأذربيجاني شأنها في ذلك شأن المخطوطات المخطوطة في المكتبات والمراكز والخزائن العالمية باللغات العربية والتركية والفارسية، وهي خير دليل على التاريخ الفني للشعوب الناطقة بهذه اللغات، لكن الدراسة غير الكافية للمخطوطات بوصفها مصادر أولية أو أصلية والمسائل الواردة فيها تؤثر تأثيراً سلبياً على المعرفة العميقة والشاملة لتاريخ وأدب وثقافة شعوب الشرق وإجراء الأبحاث في علومها.

إن التاريخ المعاصر بالمعنى الواسع لهذه الكلمة لا يمتلك تصوراً واضحاً تماماً حول الكمية الهائلة لتلك المؤلفات المخطوطة التي أُلفت باللغات الشرقية الثلاث المذكورة والتي وُزعت في مكتبات ومراكز وخزائن مختلف بلدان العالم، وبعض المكتبات الشخصية حيث إن التصور الشامل لهذا الحقل لايمكن الحصول عليه إلا بعد تدقيق وتحديد عددها ودراستها دراسة شاملة ودقيقة.

وإننا ندرك بأن فهرسة المخطوطات، مهما كانت نوعيتها، ليس بإمكانها أن تعوّض أصل المخطوط والحصول على تصور كامل عنه، الأمر الذي يطلب دراسة كل مخطوط على حدة ونشره وإيصاله إلى المعنيين، فمن هذا المنطلق بدأ معهد المخطوطات التابع لأكاديمية العلوم الأذربيجانية منذ سنة ١٩٧٦م فهرسة المؤلفات المخطوطة باللغات المذكورة الثلاث والمحتفظة في خزائنه وهذا ما ساعده في

تحديد تركيب نوعية كل منها وبالتالي إعطاء الدوائر العلمية للجمهورية والدول المجاورة تصوراً واضحاً حول أهمية ومكانة كل مؤلف مخطوط في ثقافة وتاريخ الشعوب الناطقة بهذه اللغات.

ومعلوم أن الحضارة الجبارة التي شُكلت خلال القرون السالفة بالعربية والمسماة بالحضارة الإسلامية تحمل طابعاً اتحادياً مشتركاً، حيث شارك المسلمون في تأسيسها وتطويرها ولعبوا دوراً فعالاً فيها وفي بعض الأحيان دوراً أساسياً لأن مختلف الشعوب الداخلة في تركيب الخلافة العربية ومنها الشعب الأذربيجاني أسهمت في تطور العلم والثقافة بالعربية.

ومن هنا إن نتاجات وإبداعات العلماء والكتاب والشعراء الأذربيجانيين الذين وضعوا مؤلفاتهم بالعربية تشكل إحدى الصفحات اللامعة للرصيد الذهبي للعلم والحضارة العربية الإسلامية.

وبعد تحديد عدد المخطوطات وتركيبتها ووضع خطوطها العريضة تبين أن معهد المخطوطات يمتلك مئات المؤلفات بالعربية لعلماء ولغويين وأدباء ورياضيين أذربيجانيين والتي لم يتم البحث فيها حتى الآن.

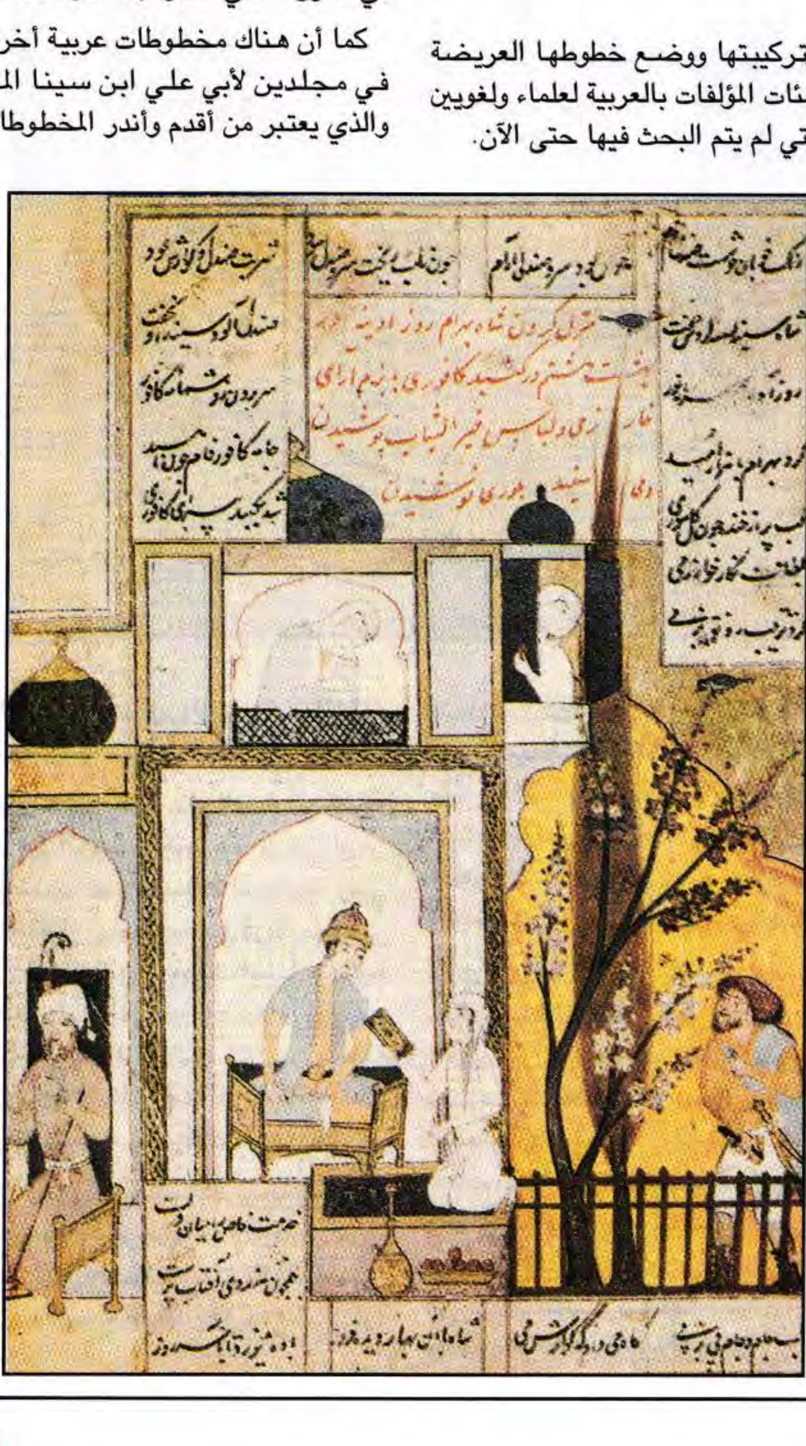
كما أن المنتسبين العلميين للمعهد أظهروا أسماء أبرز العلماء الأذربيجانيين الذين تحفظ مؤلفاتهم المخطوطة في خزائن المعهد أمثال سعد الله سعدالدين البردعي، والخطيب التبريزي، وولدالدين ابن عبدالله أردبيلي، وجمال الدين محمد وكل من أحمد بن خضر، ومئات آخرين.

وتحفظ أيضاً في خزائن المخطوطات العربية للمعهد بعشرات النسخ النادرة للمؤلفات المختلفة وبينها نسخ تثير الإعجاب والاعتزاز كالقاموس المحيط «صحاح اللغة» للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري «ت ١٠٠٢ - ١٠٠٣»، وبالرغم من طبع ونشر هذا القاموس والأبحاث والدراسات فيه، فإن نصه الأصلي في النسخة المخطوطة الأصلية لم يحدد حتى الآن، ويحتفظ في المعهد بالنسخة المخطوطة لهذا القاموس وهي منسوخة سنة ٥١٠هـ (١١١٦)م وهو مأخوذ عن النسخة المكتوبة بيد المؤلف، وتوجد على حواشي نص القاموس تسجيلات العالم اللغوي الأذربيجاني البارز الخطيب التبريزي، كما تم أيضاً تدقيق نص القاموس، وذكر ذلك في النص، من قبل العالم اللغوي الآخر موهوب الجواليقي البغدادي.

وقد ترك أبو القاسم الزهراوي أحد مؤسسي علم الجراحة العلمية ومستحدثي الآلات والأدوات الجراحية في الشرق عموماً «ت. ١٠٣٦» للأجيال اللاحقة إحدى عشرة رسالة شهيرة في الطب، ويعتبر «الكتاب الحادي عشر» للمؤلف خير نتيجة لنشاطه التطبيقي على مدى سنوات، حيث شرح منجزات علم الجراحة لعصره وأعطى وصفاً لجميع الآلات والأدوات المستعملة في العمليات الجراحية والمبتكرة من قبله، وسعى الباحثون في مختلف أنحاء العالم منذ الأزمنة القديمة للحصول على هذا المؤلف الثمين للقيام بالبحث فيما بين دفتيه وتجدر الإشارة هنا بكل اعتزاز إلى أن النسخة المنسوخة في القرن الثاني عشر لهذا المؤلف تحفظ في معهد المخطوطات.

كما أن هناك مخطوطات عربية أخرى مثل «القانون في الطب» وهو في مجلدين لأبي علي ابن سينا المنسوخ في القرن الثاني عشر والذي يعتبر من أقدم وأندر المخطوطات في معهدنا أيضاً، كما تعتبر المؤلفات المخطوطة للفيلسوف الكبير محمد الغزالي (ت: ١١١١) والشاعر العربي الكلاسيكي البارز المتنبي (ت ٩٤٥) وغيرهما من رجال العلم والأدب هي الأخرى من النسخ النادرة والموجودة في خزانة المخطوطات العربية للمعهد، أما مخطوط مؤلف «إحياء علوم الدين» للغزالي زين الدين أبي حامد محمد بن محمد الطوسي، فهو أيضاً نسخة نادرة لم تدخل في فهرست المخطوطات للعالم المصري الشهير عبدالرحمن بدوي، ربما بسبب عدم توافر المعلومات الكافية عنها حيث توجد أقدم نسخة مخطوطة لهذا المؤلف تحفظ أيضاً في معهدنا للمخطوطات.

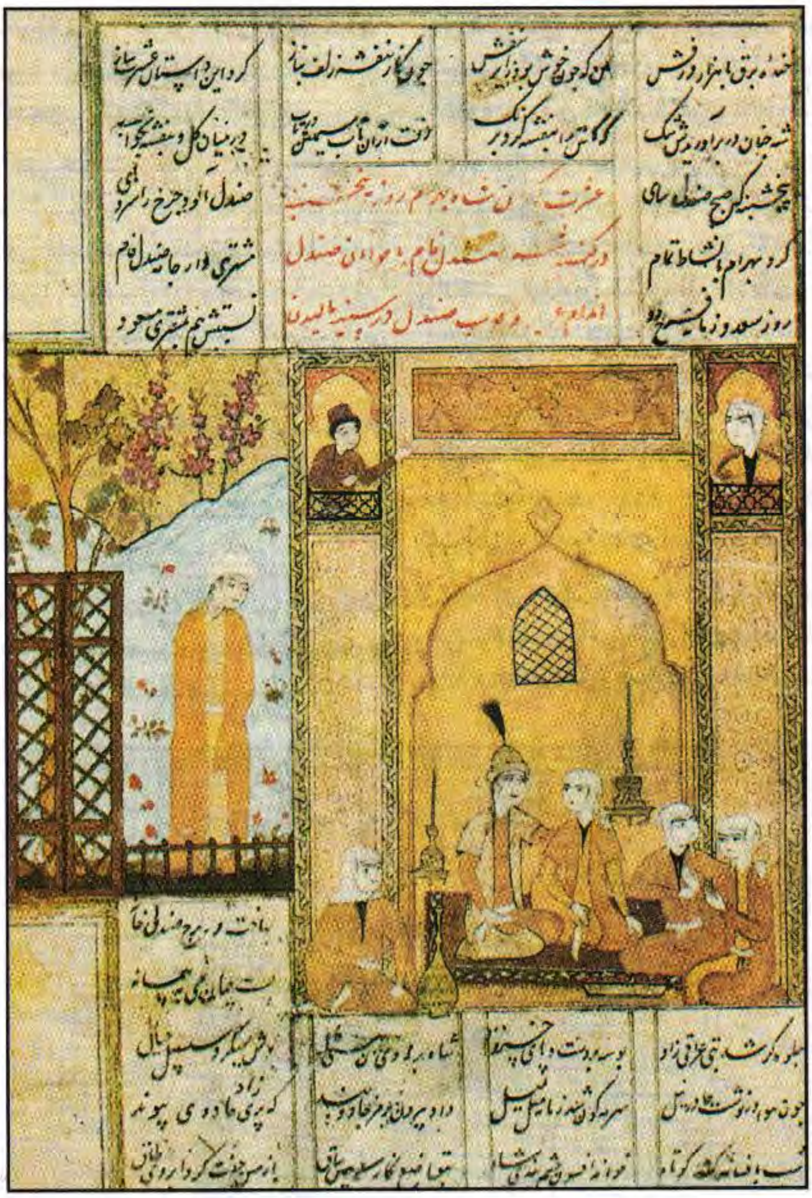
ومعلوم أن «الأنموذج في النحو» الذي هو من أحسن المؤلفات في صرف ونحو اللغة العربية للزمخشري جار الله بن الجاسم محمد بن عمر كان في حينه أحد أشهر الكتب المدرسية والعلمية حيث إن النسخة المختصرة لهذا المؤلف الشهير «المفصّل» تزين خزانة



مخطوطات المعهد، وهناك مخطوط نادر آخر وهو «أخبار العلماء وأخبار الحكماء» لجمال الدين عبدالحسن علي بن يوسف إبراهيم الشيباني القفطي والذي يضم المعلومات الوافرة عن سيرة حياة الفلاسفة وعلماء النجوم والرياضيين والموضوعيين المسلمين للعهود القديمة جداً والذين عاشوا في عهده أيضاً، ويعود تاريخ نسخ هذه النسخة إلى ١٠٧٧هـ - ١٤٤٤م.

إن مؤلف «أحوال الأموات» لأحد أبرز ممثلي العلوم الموضوعية الإسلامية وآخر ممثلي العلماء المتعددي النشاط للقرن الخامس عشر - أبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر كمال الدين بن محمد بن أبي بكر، غير وارد في أي من فهارس المخطوطات العربية الصادرة في العالم، ومن هنا فإن النسخة الباكورية هي النسخة الفريدة بين نسخ هذا المؤلف الشهير.

أما فيما يخص مؤلف «اساغوخي» للعالم الأذربيجاني الشهير عصير الدين الأبكري فهو مترجم إلى العربية في مؤلف «المدخل إلى المنطق» لأرسطو الذي كان في حينه كتاباً مدرسياً شهيراً.



لقد كان «أساغوخي» الأبكري خلال ٧٠٠ عام السابقة كتاباً مدرسياً أساسياً في المنطق ليس في أذربيجان فحسب، بل في إيران وتركيا ودول آسيا الوسطى، ووصلتنا هذه الرسالة المخطوطة وهي تحفظ في معهد ناوي من أقدم النسخ. بالعربية مع ترجمتها إلى الأذربيجانية وتعود للقرن الثامن عشر الميلادي، وهناك أيضاً مخطوط مؤلف «آداب الصالحين» لمؤلف مجهول، والذي لم يأت ولا في أي من فهارس المخطوطات العالمية اسمه ويبدو أن مؤلفه كان من منطقة داغستان في القفقاس الشمالية، وألّف نتاجه هذا في أثناء السفر خارج بلاده ويحتوي المؤلَّف على توصيات حول سلوك المريدين.

كما أن مؤلف «حقائق الدقائق» الشهير للعالم الأذربيجاني للقرن الخامس عشر صلاح الدين بردعي هو الآخر من أحد المؤلفات الفريد من نوعه، حيث يضم شرحاً من النوع الخاص على المؤلفات في مختلف حقول العلم ويشكل أحد أوسع أشكال الإبداع انتشاراً للأبحاث العلمية والفكر الإبداعي.

ومن جانب آخر، يعتبر مؤلف «وفيات الأعيان» لابن خلكان أحد أشهر المؤلفات والذي يضم معلومات واسعة ويشكل مصدراً لدراسة حياة وإبداع الشعراء والأدباء والعلماء من القوميات والشعوب المختلفة، كما أنه يضم معلومات وافية حول حياة وإبداع المؤلفين الأذربيجانيين أيضاً، ويحتفظ معهدنا بنسخة رائعة من هذا المؤلف الشهير.

إن الفهرسة العلمية والوصف الكامل للمخطوطات إنما هما من أهم مهام معهد المخطوطات في باكو حيث توضع فهارس المخطوطات العربية والتركية والفارسية على أساس مواصفات مخطوطاتنا والاستفادة من فهارس المخطوطات لخزائن ومكتبات العالم، كما أن تحديد أماكن احتفاظ مخطوطات المؤلفين الأذربيجانيين في مختلف بلدان العالم هو الآخر يدخل في إطار مهام المنتسبين العلميين العاملين في المعهد، وتستعمل لهذا الغرض فهارس المخطوطات الصادرة عن مختلف خزائن ومكتبات ومتاحف العالم حيث تحفظ درر الإبداع الإنساني هذه، إن هذه المهمة تكتسب أهمية بالغة وبخاصة في الوقت الحاضر، حيث تقع على العلماء في اللغة والمؤرخين واللغويين عموماً مهمة المقارنة بين نصوص نسخ المخطوطات وتحديد النص الأصلي لها والبحث فيها وإعدادها للنشر والطبع

إن التركيب الكمي والنوعي للمخطوطات الشرقية المحفوظة في معهد المخطوطات في باكو يتطلب من الباحثين الشرقيين مهمة دراسة القضايا الملحة للاستشراق من جميع جوانبها، وتحديداً أصل نصوص مؤلفات الكلاسيكيين الأذربيجانيين، ورجال العلم والأدب للبلدان الشرقية على أساس جميع نسخها المحفوظة في خزائن العالم، وكذلك مهمة ترجمة أبرز مؤلفات رجال العلم والثقافة العربية والفارسية والأذربيجانية إلى العربية، وترجمة فهارس مخطوطاتنا العربية والفارسية والتركية إلى الفارسية وغيرها من اللغات لنشرها في بلدان الشرق، وكذلك معالجة المسائل الملحة لعلم النصوص والطباعة والآثار للقرون الوسطى. ■

عقيدة

إن من تمام عقيدة المؤمن ان يؤمن أن هناك سحرا ومسا من الجن يصيب الإنسان، ولكن كثيرا من الناس من يفسد هذه العقيدة بالالتجاء إلى السحرة المشعوذين فتتفرق بهم السبل، وتضل بهم الأهواء، ووسط هذا الضباب الكثيف نرى ضوءاً خافتاً يلوح على المدى إلى العلاج بالقرآن الكريم، فكان لزاماً علينا أن نوضح للناس مايجب عمله، ومايلزم تركه حتى يتبين لهم الحق وطريق الرشاد ويبتعدوا عن طريق الغي والفساد، ولذا فإن المقارنة بين العلاج

العلاج بين القرآن والشعوذة

بقلم : منتصر عطا خليفة القرم

الشعوذة تعد صورة من صور إظهار الحق وإزهاق الباطل ولكي نبدأ المقارنة بينهما يجب أن نعرّف كلاً منهما تعريفاً مختصراً.

العلاج بالقرآن الكريم هو قراءة القرآن بنية الشفاء بترتيل واضح وجيد في أذن المريض الذي به سحر او مسّ من الجن، وهذه القراءة يجب أن تكون قرآناً أو أحاديث صحيحة باللغة العربية الواضحة.

أما الشعوذة فمعناها اللغوي هو خفة في اليد، وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ماعليه أصله رأي العين(١) وفي الاصطلاح هوما يفعله السحرة والكهان من علاج السحر بالسحر واستخدام الطلاسم التي يدعونها «عزائم» وهذه الطلاسم غالباً ماتكون بألفاظ غريبة دخيلة على اللغة العربية تحمل معاني الكفر والشرك وقد يدخلون عليها بعض ألفاظ القرآن لتبيس الحق بالباطل.

وبعد أن ذكرنا التعريف المبسط لكل منهما نبدأ المقارنة بينهما من خلال مجالاتهما.

أولاً: مجالات العلاج بالقرآن الكريم:-

يعالج القرآن الكريم السحر والمسّ الشيطاني وهذا العلاج يسمى العلاج الشرعي لبعده عن البدع والخرافات، وقد ذكر السحر في القرآن الكريم فقال تعالى:[واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وماأنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت] البقرة/١٠٢.

كما ذكر المسّ في قوله تعالى[الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيان من المسّ] البقرة/٢٧٥، قال الإمام القرطبي: في هذه الآية دليل على فساد من أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع وأن الشيطان لايسلك في الإنسان ولا يكون منه مسّ (٢) وقال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى:[الذين يأكلون الربا] اي لايقومون إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياما منكراً(٣).

وطريقة العلاج بالقرآن ذكرت في السنة المطهرة ففي سنن ابن ماجة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه أعرابي فقال :إن لي أخاً وجعاً قال: وماوجع أخيك قال: به لمم قال: آذهب فائتني به قال: فذهب فجاء به فأجلسه بين يديه فسمعته عوّذه بفاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة، وآيتين من وسطها[وإلهكم إله واحد] وآية الكرسي، وثلاث آيات من خاتمتها وآية من آل عمران أحسبه قال:[شهد الله أنه لا إله إلا هو] وآية من الأعراف[إن ربكم الله] الآية، وآية من المؤمنين[ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به] وآية من الجن[وأنه تعالى جَدُّ ربّنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا] وعشر آيات من أول الصفات، وثلاث من آخر الحشرو[قل هو الله أحد] والمعوذتين، فقام الأعرابي قد برأ ليس به بأس(٤) وهذه الآيات تسمى آيات الرقية وتمثل المحور الأساسي في العلاج بالقرآن.

وطريقة العلاج بالقرآن بسيطة جداً ليس فيها تعقيد أو شيء غامض غير مفهوم فهي مبنية على الطاعة لله عز وجل سواء من المعالج أو المريض، فعندما يقرأ المعالج آيات الرقية ويوفقه الله عز وجل ويعينه على إخراج الجني الموجود في الجسد في جلسة واحدة فبها ونعمت وإن أرجأ الله هذا الشفاء الى جلسة أخرى فيكون بين هاتين الجلستين أيام عدة يلتزم فيها المريض برنامجاً منظماً فيه قراءة القرآن وسماعه الأذكار الصحيحة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والاغتسال بالماء المقروء عليه.

وهذه الطاعة المنظمة «البرنامج» يوهن ويضعف من الجني حتى إذا جاء المعالج في الجلسة الأخرى يجد الجني قد ضعف فيسهل إخراجه بإذن الله ولايتسع في هذا المقام أن أذكر كيفية إخراج الجني وكيفية العلاج بالقرآن الكريم، ولكنني أردت أن أوضح بساطة العلاج الشرعي ومحاوره المبنية على الطاعة من كلا الطرفين المعالج والمريض، فكما أن المعالج يقرأ القرآن بخشوع وتدبر يجب على المريض أيضاً ان يستمع بإنصات وان يلتزم بالطاعة حتى يشفيه الله عز وجل قال تعالى:[وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً] الإسراء/٨٢.

ومن هنا يتبين لنا أن العلاج بالقرآن الكريم «العلاج الشرعي» لانستطيع ان نعالج به أحداً غائباً أو نستبدل به شيئاً من «ريحته» مثل قميصه أو منديله، وليس فيه تعليق الأحجبة والتمائم حتى ولو كان بها قرآن، وليس فيه أن يطلب المعالج من المريض اسم أمه ولا اسم برجه الفلكي، وليس فيه الاستعانة بالجن سواء أكان مسلماً أم كافراً.

واكتفي بهذا الموجز المبسط عن العلاج الشرعي وأنتقل بكم إلى مجالات الشعوذة وحدث عنها ولاحرج.

ثانياً: مجالات الشعوذة:-

أولاً أقول إن المشعوذين صنفان، أحدها يدعي الشعوذة وهؤلاء هم المزيفون والنصف الآخر هم السحرة والكهنة الحقيقون الذين تعلموا السحر ووقعوا في دائرة الكفر لقوله تعالى[ومايعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر] البقرة/١٠٢. قال القرطبي رحمة الله تعالى اختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم والذمي فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً يقتل ولايستتاب ولاتقبل توبته لأنه أمر يستسر به كالزنديق والزاني ولأن الله سمى السحر كفرا بقوله[ومايعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر]وهو قول أحمد بن حنبل، وأبي ثور وإسحق والشافعي وأبي حنيفة(٦).

وهؤلاء السحرة بينهم وبين الجن مؤاخاة، فيستخدمون الجن في عمل السحر مثل سحر المحبة والتفريق والجنون والخمول والهواتف والنزيف والربط وغير ذلك من أنواع السحر ولكن قال تعالى [وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله]البقرة/١٠٢.

كما أنهم يدعون معرفة الغيب الماضي والحاضر والمستقبل، ويدللون على هذه الأشياء بكشف بعض أسرار لمن يأتيهم، كأن يدخل على المشعوذ رجل فيناديه المشعوذ باسمه دون ان يعرفه من قبل، او يخبره عن أشياء فعلها في الماضي فيظن الرجل ان هذا المشعوذ وليُّ من أولياء الله وانه «مرفوع عنه الحجاب» فيقع في شركهم، أعاذنا الله من الضلال.

والتفسير الصحيح لهذه الاشياء التي يدللون عليها هو ان الجن الذي يسخره المشعوذ ويعوذ به يملي له بعض الأشياء التي وقعت في الماضي دون معرفته بكل الماضي- فالذين يؤاخون الجن قد يعرفون بعض الذي حدث في الماضي ويضيفون على الكلمة الصادقة مئة كلمة كذبا، فيوحون للجاهل أنهم مشايخ، وإذا نصحت أحدهم وقلت له إن هؤلاء مشعوذون يرد عليك قائلا: لاتقل هذا فإنه شيخ واصل نعم إنه واصل إلى سقر إن لم يتب ويكف عن الشعوذة والضلال.

هؤلاء المشعوذون لايرتدون لباس الشعوذة ولكن يرتدون لباس رجل الدين، فأحياناً تجدهم قساوسة، وأحيانا كثيرة تجدهم مشايخ من حملة الشهادات العالية، وأحيانا تجدهم لايجيدون القراءة ولكن ويجيدون الكتابة العشوائية على الأحجبة والتمائم، وكل هؤلاء يدعون أنهم أولياء لله وهم في الحقيقة أولياء للشيطان ولذلك هناك علامات يعرف بها المشعوذ مهما تكن صورته وهيئته فإذا وجدت علامة واحدة من هذه العلامات في أحد المعالجين فهو مشعوذ بلا أدنى ريب وهذه العلامات هي:(٧)

١-أن يسأل المعالج المريض عن اسمه واسم أمه.

٢-أن يأخذ أثرا من آثار المريض «ثوب قلنسوه منديل».

٣-احيانا يطلب حيواناً له صفات معينة ليذبحه ولايذكر اسم الله عليه وربما لطخ بدمه أماكن الألم من المريض، أو يرمي به في مكان خرب.

٤- كتابة الطلاسم.

٥- تلاوة التمائم والطلاسم غير المفهومة

٦-إعطاء المريض «حجاباً» يحتوي على مربعات في داخلها حروف وأرقام.

٧- أن يأمر المريض بأن يعتزل الناس فترة معينة في غرفة لاتدخلها الشمس ويسميها العامة «الحجبة».

٨- أحيانا يطلب من المريض ألا يمس ماء لمدة معينة غالباً تكون أربعين يوماً.

٩-أن يعطي المريض أشياء يدفنها في الأرض.

١٠- أن يتمتم بكلام غير مفهوم

١١- أن يعطي المريض أوراقاً يحرقها ويتبخر بها.

١٢- أحياناً يخبر الساحر المريض بأشياء حدثت له في الماضي.

١٣- أن يكتب للمريض حروفاً مقطعة في ورقة «حجاب» أو في طبق من الخزف الأبيض ويأمر المريض بإذابته وشربه.

فإذا علمت أن هذا المعالج «المشعوذ» ساحر فإياك والذهاب إليه، وإلا ينطبق عليك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من أتى كاهنا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» صلى الله عليه وسلم(٨) وهكذا ترى ان العلاج بالشعوذة معقد جداً فكثيراً مايستخدم الطلاسم المليئة بالكفر والشرك وقد يدخل عليها بعضاً من ألفاظ القرآن، وأحياناً يقرأ القرآن معكوساً أو يتمتم بألفاظ غير مفهومة ثم يجهر بصوته عند ألفاظ القرآن لكي يوحي للمريض أنه يعالجه بالقرآن، أما الأحجبة والتمائم التي يعطيها المشعوذ للمريض فهي شرك لقول النبي - صلى الله عليه وسلم-:«من علق تميمة فقد أشرك»(٩).

لذلك فإن الشعوذة تفسد العقيدة، وتهدم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد فيجب على المسلمين ان ينتبهوا ويفيقوا ويتجنبوا هذه الخرافات المضللة فإن محترفي السحر يعملون جادين للفساد والإفساد مقابل دريهمات يتقاضونها من ضعفاء النفوس وشرار الناس يحقدون على إخوانهم المسلمين ويتشفون برؤيتهم وهم يعانون ويعذبون من آثار السحر.

فأضحى من الواجب على علماء المسلمين أن يبينوا للناس خطر السحر وضرره، بل الأهم من ذلك أن يجتهدوا في أعطاء الناس العلاج الشرعي للسحر لكي لايذهب الناس إلى السحرة الفجرة ليبطلوا لهم سحراً، أو يعالجوا لهم مريضاً. ■

الهوامش

١-القاموس المحيط مادة «شعوذة»
٢- تفسير القرطبي ٣/٣٥٥
٣-تفسير ابن كثير ١/٣٢٦
٤-سنن ابن ماجه ٢/١١٧٥
٥-من أنفع هذه المؤلفات كتاب وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وكتاب الصارم البتار للشيخ وحيد عبد السلام بالي.
٦-تفسير القرطبي٢/٤٨
٧-راجع الصارم البتار الشيخ وحيد عبد السلام بالي ص٤٠
٨-رواه البزار
٩- رواه أحمد

البيت المسلم

العدد ٣٩٠ - الوعي الإسلامي - صفر ١٤١٩ هـ - يونيو ١٩٩٨ م



دور الأسرة في التربية الإيمانية للطفل

عمل المرأة خارج بيتها ماذا يفعل بها ؟

المرأة المصرية من يمنعها غير فطرتها ؟

أخاديد ألم لا يمحوها الزمن

مرض ... من غير إجازة !



بذور العنف تزرع بين الصغار !

النساء ... وجلسات العبث

المرأة المصرية من يمنعها غير فطرتها؟



قلتها مراراً: «فطرة المرأة لاتنسجم مع السياسة والعمل فيها»، وسبق أن نقلت إحصاءات من بلدان أوروبية عدة، تشير إلى أن نسبة مشاركة المرأة في مجلس النواب، وما شابهها من مجالس سياسية، لا تتجاوز، في أكثرها ارتفاعاً، ١٠ في المئة!، وتنخفض في بعض بلدان أوروبا إلى ٤ في المئة.

اليوم، أريد أن أنتقل إلى بلد عربي، كان أول بلد خرجت فيه المرأة من بيتها، وشاركت الرجل عمله، وتعلمت، وتخرجت في الجامعات، وأسست الاتحادات النسائية، ونزعت الحجاب، وفُتحت أمامها أبواب العمل السياسي على مصاريعها.... ومع هذا كله، فإن المرأة في هذا البلد، عادت إلى فطرتها، وانصرفت عن العمل السياسي.

أتريدون معرفة هذا البلد؟ لعلكم خمنتموه، إنه مصر البلد العربي الذي يضم أكبر عدد من السكان.

تقول أمينة شؤون المرأة في الحزب الوطني الحاكم الدكتورة فرخندة حسن، إن نسبة تمثيل المرأة في البرلمان لاتتجاوز ١,٩ في المئة، وتتدنى هذه النسبة إلى ١,٢ في المئة في المجالس المحلية والنقابات المهنية والعلمية.

وأوضحت الدكتورة فرخندة أن نسبة مشاركة المرأة في قطاع الصحة وصلت إلى ٦٨ في المئة، و ٩٩ في المئة في قطاع التمريض، فيما بلغت نسبة مشاركة المرأة في قطاع المكتبات ٦١ في المئة. أي أن المرأة مازالت تعمل، ولكنها مع ذلك لا تحب السياسة، بل لا تحب حتى المسؤولية في المجالس المحلية والنقابات المهنية والعلمية.

ألا يعني هذا، بوضوح ظاهر، أنها لا تهوى إلا مسؤولية رعاية أسرة فيها زوج وأطفال؟ فعلى الرغم من قلة الدخل في مصر، نسبياً، فإن المرأة هناك مازالت تمارس دورها الحقيقي في البيت، وتعشقه، ولا تتخلى عنه، حتى ولو كلفها الخروج للعمل مادام دخل الزوج لا يكفي.

من يمنع المرأة في مصر من المشاركة في العمل السياسي.... غير فطرتها!!

لا القانون يمنعها، ولا الإعلام في بلدها يحرضها على عدم ترشيح نفسها، ولا الساسة الآخرون يحولون دون دخولها البرلمان!

أقل من اثنين في المئة! أجل، بعد عشرات السنين من السماح للمرأة المصرية بترشيح نفسها لمجلس الشعب، وللمجالس والنقابات، فإن نسبة مشاركتها لم تصل إلى اثنين في المئة!.

تبقى لفتة إلى أختنا الكويتية: حتى لو غيَّروا القانون في الكويت، وجعلوه يتيح لك ترشيح نفسك، فإن فطرتك لن تتغير، ولن تجديها في السياسة، بل في بيت وزوج وأطفال... وقبة البيت أعظم وأهم وأخطر من قبة البرلمان!! ■

وقفة

ينقصون.. ونزيد

تأملوا معي هذه النسبة: ٤ من كل ١٠ ولادات في النمسا كانت لأطفال غير شرعيين! فإذا ما تذكرنا أن الذين يمارسون المعاشرة غير الشرعية يحتاطون عادة ضد الإنجاب، فإننا نقول إن الممارسات غيرالشرعية أكثر من الممارسات الشرعية في النمسا، ولا يختلف الحال كثيراً في سائر دول الغرب.

والنتيجة الطبيعية أن تتناقص عدد حالات الزواج، وهذا ما حدث فعلاً، فقد أورد التقرير، الذي أخذنا منه النسبة السابقة، أن عقود الزواج المبرمة في النمسا تراجعت من ٤٥٠٧١ العام ١٩٩٢م إلى ٤٢٩٤٦ العام ١٩٩٥م، أي بنقص قدره ٢١٢٥ عقداً.

ولا شك في أن تناقص عدد عقود الزواج سينتج عنه تناقص في عدد الولادات، فقد تراجع عدد الولادات في الفترة نفسها (أي من ١٩٩٢م إلى ١٩٩٥) بـ ٣٧٤٦ ولادة.

وإذا استمر هذا التناقص في الولادات فسينقرض الشعب النمساوي في المستقبل، بل كثير من الشعوب الأوروبية الأخرى التي يزيد عدد الوفيات فيها عن عدد الولادات.

في الطرف المقابل، تزيد ولادات المسلمين، وترتفع نسبهم في مختلف أقطار العالم، رغم المحاولات الكثيرة، والمبالغ الهائلة التي تنفق على برامج وحملات تحت المسلمين على ما يسمونه «تحديد النسل».

وإذا أضفنا إلى هذا تزايد الداخلين في دين الله في أمريكا وأوروبا وغيرهما، فإننا نكون مطمئنين: إننا - بحمد الله - نزيد... وهم ينقصون. ■

عمل المرأة خارج بيتها ماذا يفعل بها؟

أجريت دراسة فرنسية نشرت في ستوكهولم شملت ١٨٣٢ امرأة يعملن في قطاعات مهنية تستدعي الوقوف وقتاً طويلاً، وهي غرف العمليات الجراحية، ومحلات تنظيف الثياب، والحضانات، والمكاتب.

وقد أظهرت هذه الدراسة ارتفاع نسبة الاضطرابات في الدورة الدموية في الأطراف السفلى، لدى جميع هذه الفئات، وبلغت نسبة المصابات ٨٤٪ لدى العاملات في غرف العمليات الجراحية، و٧١٪ لدى العاملات في المكاتب «وهي فئة يمكن اعتبارها للوهلة الأولى غير معرضة للخطر».

وتكتسب هذه الدراسة، كما يقول معدوها، أهمية خاصة لأنها لا تؤكد دور عوامل الخطر المهنية في ظهور اضطرابات الدورة الدموية فحسب، بل لأنها أيضاً أول دراسة تبين وجود ترتيب في عوامل الخطر المسببة لهذا المرض.

وترتيب عوامل الخطر من المهم إلى الأقل أهمية - هي:

- الأقدمية في العمل.
- عدد مرات الحمل.
- حمل أثقال تزيد عن ١٠ كيلو غرامات.
- متوسط درجة الحرارة في مكان العمل ٢٦ درجة أو أقل.
- وضعية الوقوف أثناء العمل.
- السوابق العائلية في الإصابة بالقصور الشرياني.

وتظهر الدراسة أن عوامل الخطر المهني، على الرغم من أنها مجهولة إلا أنها ذات تأثير كبير، وهي أهم من تأثير العوامل الشخصية أو العائلية.

يقول البروفيسور «بيار كاتيلينا» الذي أشرف على الدراسة: إن الكلفة المباشرة لهذا المرض تقدر بنحو مليار فرنك فرنسي، وسيصبح - أي المرض - الشغل الشاغل الرئيسي لأطباء العمل، لأن كثرة ظهور الاضطرابات الشريانية الشديدة، «في غياب وجود علاج» وتأثيراتها على حياة المصابين تشكل آفة اجتماعية حقيقية.

الوقفة الأولى: شهادة علمية جديدة على أن عمل المرأة خارج بيتها ليس صحياً، وهي آية أخرى من آيات الآفاق على حكمة قوله تعالى: «وقرن في بيوتكن».

الوقفة الثانية: الكلفة المباشرة لهذا المرض مليار فرنك فرنسي، فأي ربح للمرأة، وللمجتمع، إذا كان هذا المرض يكلف ملياراً من الفرنكات؟ هذا إذا لم نحسب كم يخسر المجتمع من خروج المرأة من بيتها... إذن لكان مئات المليارات.

الوقفة الثالثة: قد يذكر أحد بأن المرأة تقف في بيتها أيضاً، في المطبخ أمام القدر، أو أمام المغسلة تجلي الصحون، وردنا أن الدراسة أوضحت أن الضرر يأتي من عملها خارج بيتها، ربما لأنها في بيتها تتحرك كثيراً، ولا تقف حين تقف طويلاً كما تقف في عملها، وهي تستطيع أن تجلس في بيتها متى تعبت، ثم إن حالتها النفسية في بيتها وهي ربته، وسيدته، تقدم وتؤخر ما تشاء من عملها، فهي تختلف عن حالها في عملها خارج بيتها... تتلقى الأوامر... وتلتزم التنفيذ دون اعتراض!. ■



بريد البيت

- محمد خلف محمد قاسم - سوهاج - مصر: قصتك «آلله ينسانا؟) فكرتها جميلة، وتشي بموهبة أدبية مبكرة، لكن الأخطاء النحوية فيها كثيرة، ومن ثم تحتاج إلى مراجعة.
- د. مهى محمد أحمد - المحلة الكبرى - مصر: بحثك حول «الطفل ومشكلات النوم» زاخر بالمعلومات، لكنه في حاجة إلى صياغة من جديد ليكون صالحاً للنشر.
- يحيى السيد - دمياط - مصر: مقالتك «الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة» لا تعبر عن العنوان الذي اخترته لها، ولا جديد فيها.
- محمد السيد عامر - بور سعيد - مصر: لم تكن موفقاً في قولك عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لم يحتمل ثقلهم وضاق بهم ذرعاً»، مفسراً لقوله تعالى: «إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم».
- أحمد عبدالمنعم علي - الإسكندرية - مصر: دراستك «البسملة من كنوز الذكر» عامة وليست خاصة بـ «البيت المسلم» وقد حوّلت إلى إدارة تحرير المجلة لنشرها مع الموضوعات الأخرى إذا كانت صالحة.
- أمجاد عبدالفتاح إبراهيم سلامة - طنطا - مصر: قصيدتك «رنات من صدى الحقيقة جميلة ومعبرة»، ترقبيها في الأعداد المقبلة إن شاء الله.
- أحمد محمد خليل - بني سويف - مصر: قصتك «بيت جديد» مؤثرة... لكن أخطاءها كثيرة.
- السيد عبدالمحكم السيد - الجيزة - مصر: «عرس فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - ستنشر على صفحات «البيت المسلم» في عدد مقبل إن شاء الله.
- أتينال أبو طالب السيد - طنطا - مصر: خاطرتك «جانا العيد» وصلت بعد انتهاء العدد الخاص بالعيد، فمعذرة، وأشكرك على تحيتك.

يُولدُ الطفل في أسرة تتكوَّن من أب وأم، وهما اللذان يقومان بتربيته وكفالته، حتى يصل إلى مرحلة الرجولة، وحينئذ يستطيع أن ينفصل عنهما، وقد تكون الأسرة مكوَّنة من أكثر من الأب والأم، كالإخوة والأخوات.

والأسرة هي البيئة الطبيعية، التي تتعهد الطفل بالتربية، لأن غريزة الأبوة والأمومة هي التي تدفع بكل من الأب والأم، إلى القيام برعاية الطفل وصيانته، ولاسيما في السنوات الأولى من طفولته.

وتعد مرحلة الطفولة المبكرة من أهم مراحل الحياة في تاريخ الناشئ، إذ هي الأساس الذي يعتمد عليه نمو الطفل، في المراحل التالية، وأن الأبوة والأمومة هما أعظم تبعة تقع على عاتق الإنسان، قال تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) النور: ٣٢، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يطلب اختيار الزوج من النساء، فيقول: «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء» رواه ابن ماجة والدارقطني، وقد سُئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حق الولد على أبيه، فأجاب: «أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن»(١).

دور الأسرة في التربية الإيمانية للطفل



بقلم: بهاء الدين عبدالله الزهوري

إن نشأة الأجيال على الطهارة والفقه والاستقامة، تعتمد على الصفات التي يتوارثها الأبناء خلقية، أو جسمية، أو عقلية، وقد حثت الأحاديث النبوية على تحسين النسل، بتفضيل المرأة البعيدة، أو التي لا صلة قربى تربطها بالرجل، حرصاً على انتفاء العيوب الوراثية التي يحملها الزوجان إلى الأبناء، وقد أثبتت التجارب العملية في اختبارات الذكاء صحة هذه النظرية، التي تنادي بالتغرب في الزواج، حتى لا يأتي نسل ذوي القربى ضعيف الجسم والخلق، أو بغير ذلك من العيوب الوراثية.

أهداف تكوين الأسرة في الإسلام

إن الأسرة المسلمة هي المعقل الأول، الذي ينشأ فيه الطفل، في جو التربية الإسلامية، وقد اهتم الإسلام بالطفل من حيث تربيته على أسس معينة منذ ولادته، ولو تأملنا بعض آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - في موضوع تكوين الأسرة المسلمة، لوجدنا أن أهداف تكوين الأسرة في الإسلام، هي:

١ - إقامة حدود الله:

ويعني أن يحقق الزوجان شَرْع الله ومرضاته، في كل شؤونهما وعلاقاتهما الزوجية، وهذا معناه إقامة البيت المسلم الذي يبني حياته على تحقيق عبادة الله، أي على تحقيق الهدف الأسمى للتربية الإسلامية.

وقد ورد تعليل إباحة الطلاق حين تطلبه المرأة، خوفاً من عدم إقامة حدود الله، قال تعالى: (فإن خفتم ألا يُقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) البقرة: ٢٢٩، كما أنه سبحانه وتعالى علل إباحة الرجوع إلى الزوج بعد أن تتزوج المرأة زوجاً غيره، تتوقع إقامة حدود الله، أي إقامة الحياة الزوجية على تقوى من الله، كالتعفف وحسن المعشر وغض البصر، قال تعالى: (فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله) البقرة: ٢٣٠.

وبذلك ينشأ الطفل ويترعرع في بيت أقيم على تقوى من الله ورغبة إقامة حدود الله، وتحكيم شريعته، يتعلم ويقتدي بذلك من غير كبير جهد أو عناء، إذ يمتص عادات أبدية بالتقليد، من الأب والأم، ويقتنع بعقيدتهما الإسلامية حين يصبح واعياً.

٢ - تحقيق السكوت النفسي والطمأنينة:

قال تعالى: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) الأعراف - ١٨٩، وقال أيضاً (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم/٢١، فإذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة والاطمئنان النفسي المتبادل، فحينئذ يتربى الطفل في جو سعيد يهبه الثقة والاطمئنان والعطف والمودة، بعيداً عن القلق وعن العقد والأمراض النفسية، التي تضعف شخصيته.

٣ - تحقيق أمر الرسول الكريم بإنجاب النسل الصالح المؤمن:

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنني أحببت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لاتلد، أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم» رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم، وقال أيضاً: «تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة»(٣)، وقد تنوع حديث النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وهذا دليل واضح، على أن البيت المسلم يجب عليه أن يربي أبناءه تربية تحقق هدف الإسلام، وأركان الإيمان في نفوسهم وسلوكهم، لأن المباهاة إنما تكون بكثرة النسل الصالح.

فعلى الأبوين تقع مسؤولية تربية الأبناء ووقايتهم من النار، التي تنتظر كل إنسان لا يؤمن بالله، أو يتبع غير سبيل المؤمنين، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) التحريم ـ ٦، وجاء لفظ «أهليكم» بالجمع ليشمل الزوجة والولد.

وهذه المسؤولية تزداد أهمية في أيامنا، لأن بعض عناصر الحياة الاجتماعية، خارج الأسرة، ليست في كل الأحيان موافقة لهدف التربية الإسلامية، كالمجلات والقصص الماجنة، وغيرهما من وسائل الإعلام السمعية والمرئية، التي تتسرب إلى الأطفال، إذا لم يبق الأبوان يقظين حذرين، فلن يستطيعا إنقاذ أبنائهما من الضياع والانحراف.

٤ ـ إرواء الحاجة إلى المحبة عند الأطفال:

رحمة بالأولاد من أهم الغرائز التي فطر عليها الإنسان والحيوان، وجعلها الله أساساً من أسس الحياة النفسية والاجتماعية والطبيعية لكثير من الكائنات الحية، وتتحمل الأسرة مسؤولية رحمة الأولاد، ومحبتهم، والعطف عليهم، لأن هذا من أهم أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي، نمواً قوياً سوياً، فإذا لم تتحقق المحبة للأولاد بالشكل الكافي المتزن، نشأ الطفل منحرفاً في مجتمعه لا يحسن التآلف مع الآخرين، ولا يستطيع التعاون أو تقديم الخدمات والتضحيات، وقد يكبر فلا يستطيع أن يكون أباً رحيماً، أو زوجاً متزناً حسن المعشر، ولا جاراً مستقيماً لا يؤذي جيرانه، وغير ذلك من أنماط السلوك.

لذلك ضرب لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلاً أعلى في محبة الأطفال ورحمتهم، والصبر على مداعبتهم، روي أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرْحم» رواه البخاري، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأخذ أسامة بن زيد فيقعده على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما» رواه البخاري.

٥ ـ صون فطرة الطفل عن الزلل والانحراف:

اعتبر الإسلام الأسرة مسؤولة عن فطرة الطفل، واعتبر كل انحراف يصيبه مصدره الأول الأبوان، أو من يقوم مقامهما من المربين، ذلك أن الطفل يولد صافي السريرة، سليم الفطرة، وفي هذا المعنى يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء(٤)، هل يُحسّون فيها من جدعاء»(٥)، رواه البخاري، ثم يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ (فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) الروم/٣٠، وقد فهم الصحابي الجليل أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن الفطرة هي استعداد المولود للدين القيم، دين التوحيد، وأن سنة الله لا تتغير في جميع المواليد البشرية، فساق الآية لإيضاح معنى الحديث.

وأهم واجبات التربية الأسرية: التربية الإيمانية للطفل، وذلك بتوجيه عواطف الطفل نحو حب الله، وحب رسوله، وإخباره بأن الله يجب أن يكون أحب إليه من أمه وأبيه ونفسه التي بين جنبيه، وإلى جانب عاطفة الحب، تكون عاطفة الخوف من الله، لأن العاطفة الأولى تؤدي إلى طاعة الله والعمل بما أمر، والثانية تؤدي إلى البعد عن المعاصي قولاً أو فعلاً، ظاهرة أو باطنة.

والأطفال يستهويهم الحديث عن الله وحبه، والجنة والنار، ووسائل الوصول إليها، وعلى الآباء إشعار أبنائهم بأن حبهم لله، ينشأ من حاجتهم الدائمة إليه هم وآباؤهم، لأن كل شيء بيد الله، والإحياء والإماتة والشقاء والسعادة، والرزق والنعمة، والهداية والضلال، وهذه الحاجة هي التي تجعلنا نحبه أولاً، ونقوم بواجب الشكر ثانياً، من اتباع لما أمر واجتناب لما نهى.

إن غرس الإيمان الحقيقي في نفوس الناشئة، والإيمان المطلق بالله بصفاته الثابتة له، وحبه والخضوع له، والخوف منه، والالتجاء إليه في كل أمر هو سر السعادة للأبناء والأسرة، وبخاصة إذا أثبتت العقيدة بالطرق التربوية السليمة، التي تقوم على العاطفة والعقل والعلم والحكمة حتى يكون الإيمان هو مصدر السلوك وموجه الإنسان في الحياة، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلمنا التدرج في تربية الأولاد، فيقول فيما رواه ابن عباس: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله، ثم أمرهم بالصلاة في السابعة، ثم تأديبهم على حب النبي وآل بيته وتلاوة القرآن، وتعريفهم بالحلال والحرام ممارسته أمامهم، وتلقيناً وتوجيهاً لهم بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، ووعظاً بتوصيلهم إلى بعض الأمور كما كان يفعل الرسول مع ابن عباس»(٦).

إن الأسرة هي البيئة الأولى، التي يتعلم فيها الطفل، فإذا وجد الأبوان الصالحان اللذان يرعيان ويوجهان ويحسنان التربية، نشأ الأطفال نافعين لأنفسهم، ولأمتهم، ومطيعين لربهم، ومنجين لأنفسهم وأهليهم من عقاب الله وسخطه. ■

الحواشي

١ ـ د. عباس محجوب: أصول الفكر التربوي في الإسلام، دار ابن كثير، دمشق ط(١) ١٩٨٧م، ص ٢٢٤.

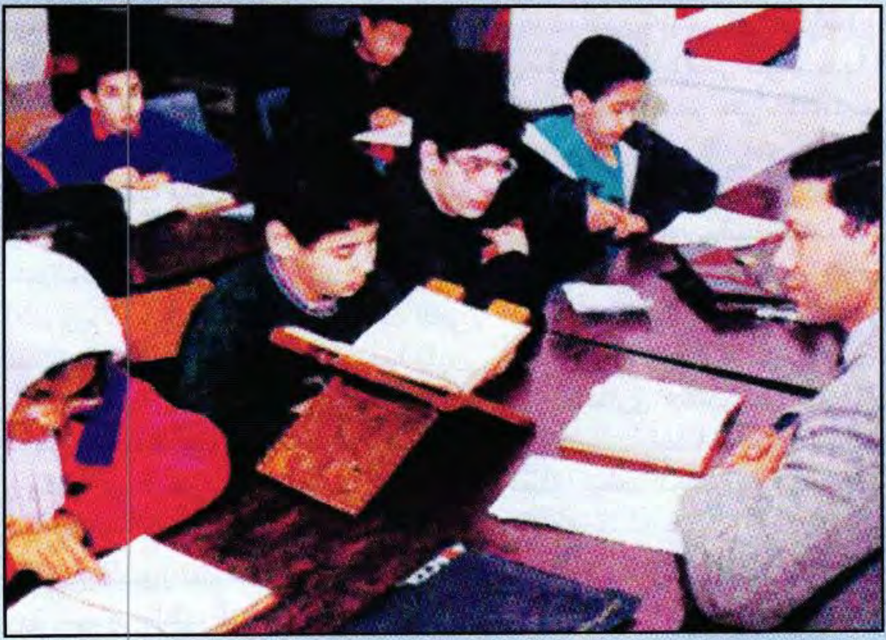
٢ ـ عبدالرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية، دار الفكر، دمشق ط(٢) ١٩٨٣م، ص ١٣٥ ـ ١٤٠.

٣ ـ المرجع السابق ص ١٣٦.

٤ ـ الجمعاء من البهائم: التي لم يذهب من أجزاء بدنها شيء.

٥ ـ جدعاء: أي قطع طرف من أطرافها.

٦ ـ د. عباس محجوب: أصول الفكر التربوي في الإسلام، ص ٢٦٠.



الإسلام وتعليم المرأة

عبدالكريم أحمد عوض الله

أوْلى الإسلام المرأة أهمية كبيرة لا باعتبار أنها نصف المجتمع فحسب، بل لأنها صانعة لنصفه الآخر، فيجب أن تحوز تلك العناية الكبيرة كي تكون على مستوى يجعلها تصوغ لَبِنات المجتمع على أكمل وجه(١).

وكان أول ما نزل من الوحي قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم)(٢).

وكما هو ظاهر فإن الإنسان المشار إليه يشمل الذكر والأنثى كلٌ بحسبه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٣)، قال الحافظ السخاوي: قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث «ومسلمة» وليس لها ذكر في شيء من طرقه.



ومن هنا قال الإمام ابن حزم:(٤)

ويجب عليهن - أي النساء - النفار للتفقه في الدين كوجوبه على الرجال، وفرض عليهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصيام، وما يحل وما يحرم من المأكل والمشرب والملبس كالرجال ولا فرق أن يعلمن الأقوال والأعمال إما بأنفسهن، وإما بالإباحة لهن لقاء من يعلمهن وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك.

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلّمها فأحسن تعليمها وأدّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»(٥).... فقرن صلى الله عليه وسلم ثواب العتق من رق العبودية بثواب العتق من رق الجهل.

وقد أحست المرأة نتيجة لهذا الحث بحاجتها إلى العلم فذهبت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تطلب منه مجلساً خاصاً بالنساء. روى البخاري ومسلم: جاءت امرأة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلّمنا مما علّمك الله، فقال صلى الله عليه وسلم: «اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا، فاجتمعن فأتاهن، فعلّمهن مما علمه الله»(٦).

وجاء في فتوح البلدان للبلاذري أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى «الشفاء العدوية» فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة»(٧).

هكذا أقبلت المرأة المسلمة على العلم منذ أن أكرمها الله تعالى بالإسلام تنهل من معينه وتأخذ منه بسهم وافر. ■

الهوامش:

١ - انظر: عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم الجزء الثاني ص ٥٦٥ وما بعده.

٢ - سورة العلق: ١ - ٥.

٣ - حديث حسن، قال الحافظ العراقي.... قد صحح بعض الأئمة طرقه، انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ١/٥٥ - ٥٧.

٤ - الاحكام لابن حزم ١/٤١٣، نقلاً عن «الأسرة في ضوء الكتاب والسنة» د. السيد أحمد فرح ط. أولى، دار الوفاء - القاهرة.

٥ - البخاري ١/١٩٠، ومسلم رقم ١٥٤.

٦ - متفق عليه.

٧ - انظر: تربية الأولاد في الإسلام ١/٢٧٧، والمجموع للنووي ٩/٥٥.

بذور العنف تزرع بين الصغار!



كان التصرف الذي قام به ٥٠ معلماً في مدرسة مارسيل بانيول «ضاحية بونيير سورسين بالقرب من باريس» هو الطريقة الوحيدة الباقية لهم من أجل لفت الانتباه إلى موجة العنف المتزايدة بين تلاميذهم، فقد قاموا بالاشتراك مع زملائهم من المدارس الأخرى - القائمة على أطراف العاصمة الفرنسية وفي مدن أخرى - بتنظيم إضراب لمدة يوم واحد احتجاجاً على انهيار الانضباط في المدارس.

وقد أصبحت الهجمات على المعلمين والمعارك بين عصابات الطلاب والابتزاز وترويج المخدرات أمراً شائعاً في المدارس القائمة في ما يعرف باسم مناطق المشاكل.

خبر وتعليق



وكان أحد أهداف المظاهرة التي قام بها المعلمون هو لفت الانتباه إلى ما يعتبرونه لا مبالاة من جانب سلطات التعليم تجاه تصاعد العنف، وقد نجحت الحركة وقام فرانسوا بايرو، وزير التعليم بزيارة إحدى المدارس - في حي بواسي - المصنفة، على أنها منطقة مشاكل وأشاد بالجهود التي يبذلها المدرسون فيها وسط الظروف الصعبة.

ولكن بايرو لم يستطع تقديم حل سريع، فليست هناك أموال كافية لتعيين مزيد من المعلمين وتخفيض حجم الفصول الدراسية وهي إجراءات يقول المعلمون إنها ضرورية لعلاج الموقف.

وكل ما استطاع بايرو أن يعرضه هو تركيب خط تليفوني للطوارئ، يمكن أن يستخدمه المعلمون إذا خرجت أحداث العنف عن السيطرة، ووعد كذلك بتنظيم دورات تدريبية لمساعدة هيئة التعليم على التعامل مع الأطفال الذين يسببون مشاكل، وتكليف التلاميذ المتخرجين بالمعاونة في حفظ النظام، وتقول نقابة المعلمين إن هذه المقترحات غير كافية، وكانت الحكومة قد وعدت بالتصرف كما فعلت منذ عامين عندما قامت بتعيين ضباط أمن، يلجأ إليهم المعلمون عندما يواجهون مشاكل مع تلاميذهم.

وتقول نقابة رجال الشرطة في تحذير لها من تدهور الموقف «إن بذور العنف تزرع بين الصغار في المدارس».

وقال أحد المعلمين: «إن الأمور لم تعد محتملة.... وسوف تتصاعد الأمور إن عاجلاً أم آجلاً لتحرق كل شيء ولن يستطيع أحد أن يفعل شيئاً إزاءها»، ويشير الخبراء إلى أن العنف في الفصول الدراسية يعكس الحرمان السائد في العشوائيات السكنية المنتشرة على أطراف المدن الكبرى.

الوقفة الأولى: هي أن ما جاء في الخبر يؤكد أهمية التربية البيتية وضرورتها وخطورتها، وهذه التربية تضعف عاماً بعد آخر، بسبب عدم استقرار بعض الأسر وتمزقها، وغياب الأب أو الأم عنها.

الوقفة الثانية: تشير إلى فشل النظريات التربوية الغربية التي لم تنجح في حل مثل هذه المشكلات المتفاقمة في كثير من مدارس الغرب.

الوقفة الثالثة: هي عند عبارة وردت في الخبر ونصها: «ان بذور العنف تزرع بين الصغار في المدارس»، أي أن المدارس التي يفترض أنها مهد للتربية... صارت بيئة خصبة لنمو العنف في نفوس طلبة قد يتحولون إلى مجرمين.

وقفات أخرى كثيرة، ظاهرة المعاني، واضحة الدلالات، لن تخفى على القارئ الكريم. ■

مرض... من غير إجازة

محمد رشيد العويد

● قال: أعرف لك خبرة بالمرأة ومعرفة بطباعها.

■ قلت: إنما هي قراءات واطلاعات ومتابعات لشؤونها، على أي حال فإني أشكر لك هذا الظن بخبرتي ومعرفتي بطباعها.

● قال: أريد أن أسألك عن مثل عامي شائع في بلدنا.... إن كان يصف طبعاً من طباع المرأة أو حالاً من أحوالها.

■ قلت: وماذا يقول هذا المثل؟

● قال: «المرأة كالسجادة... تحتاج كل شهر إلى نفضة».

■ قلت: وهل وجدت أثراً لهذا المثل في زوجتك؟

● قال: أتريد الحق: نعم، وجدت فيه انطباقاً كبيراً عليها.

■ قلت: هكذا أغلب النساء... فلا تقلق.

● قال: أغلبهن يحتجن إلى هذه «النفضة»؟



■ قلت: على العكس تماماً إنهن يحتجن إلى حلم مضاعف من الزوج وصبر أجمل عليهن.

● قال: ولكنك ■ قلت: هكذا أغلب النساء!

■ قلت: إنما غنيت إن أغلب النساء يصدر عنهن كل شهر ما يثير غضب أزواجهن عليهن.... إنما لا يستدعي هذا العقاب الذي شبهته بـ«النفض» للسجاد.

ضحك وقال: ماذا يستدعي إذن؟

■ قلت: كما أخبرتك، يستدعي مزيداً من حلم الرجل وصبره.

● قال: وما معنى كل شهر... ولماذا ليس كل شهرين؟

■ قلت: وهل تحيض المرأة كل شهرين أم كل شهر؟

● قال: وما شأن حيضها بما نحن فيه؟

■ قلت: له كل الشأن، لأن ما يثير غضبك كل شهر إنما يوافق موعد ما يسمى بالدورة الشهرية، ولو راقبت هذا بانتباه لوجدته صحيحاً.

● قال: «وقد رفع عينيه وكأنه يسترجع ماضياً» لعلك على حق، ولكن ما صلة دورتها بانقلابها النفسي عليَّ؟

■ قلت: إنه على صلة كبيرة بها.

● قال: كيف؟

■ قلت: لو أصبت بنزف فقدت فيه ربع ليتر من دمك... أما كنت تولول وتدعو بالويل والثبور وعظائم الأمور.... ولعلك تطلب إجازة من عملك؟

● قال: لعلي أفعل هذا أو ما يشبهه.

■ قلت: فإن المرأة تنزف مقدار هذا الدم كل شهر ولا يلتفت إليها أحد!

● قال: مسكينة.

(لم أتيقن إن كان جاداً في إشفاقه أم ساخراً).

■ قلت: وأكثر من هذا.

● قال: وماذا أيضاً؟

■ قلت: تنخفض درجة حرارة المرأة في أثناء الحيض درجة مئوية كاملة، وذلك لأن العمليات الحيوية التي لا تكف في جسم الكائن الحي تكون في أدنى مستوياتها وقت الحيض، وتسمى هذه العمليات بالأيض أو الاستقلاب Metabolism، ويقل إنتاج الطاقة.... كما تقل عمليات التمثيل الغذائي... وتقل كمية استقلاب المواد النشوية والدهون والبروتين.

● قال: كأنك تريد أن تقول إنها تمرض في دورتها؟

■ قلت مستأنفاً حديثي: وتصاب الغدد الصماء بالتغير أثناء الحيض فتقل إفرازاته الحيوية المهمة للجسم إلى أدنى مستوى لها.

● قال: وهل هناك شيء آخر؟

■ قلت: ونتيجة للعوامل السابقة تنخفض درجة حرارة الجسم ويبطئ النبض وينخفض ضغط الدم، وتصاب كثير من النساء بالشعور بالدوخة والفتور والكسل في أثناء فترة الحيض.

(نظرت في صديقي لأرى أثر الكلام في وجهه).

● قال: تفضل... أكمل.

■ قلت: يصاحب الحيض آلام تختلف في شدتها من امرأة إلى أخرى، وأكثر النساء يصبن بآلام وأوجاع في أسفل الظهر وأسفل البطن، وبعض النساء تكون آلامهن فوق الاحتمال.... مما يستدعي استعمال الأدوية والمسكنات، ومنهن من يحتجن إلى زيارة الطبيب من أجل ذلك.

● قال: (وقد ظهرت علائم الاقتناع واضحة في وجهه)، ولا شك في أن هذا كله يضغط على أعصاب المرأة فيثيرها ويغضبها.

■ قلت: صدقت، تصاب المرأة بحال من الكآبة والضيق في أثناء الحيض.... وبخاصة عند بدايته.... وتكون متقلبة المزاج سريعة الاهتياج قليلة الاحتمال... كما أن حالها العقلية والفكرية تكون في أدنى مستوى لها.

وبعض النساء يصبن بالصداع النصفي «الشقيقة» قرب بداية الحيض، وتكون الآلام مبرحة وتصحبها زغللة في الرؤية وربما قيء.

● قال: إن هذه والله لأعراض مرض!

■ قلت: ومع هذا فإن «المسكينة»، كما

وصفتها، لا تستطيع أن تأخذ إجازة من تلبية طلباتك وطلبات الأولاد..... ومن تبعات البيت وأعماله.... فهل تريدها أن تحتمل هذا كله لترسم ابتسامة دائمة على وجهها... ويتسع صدرها لهذا وذاك وذلك...؟

● قال: (وكأنه يعتذر) الإنسان عدو ما يجهل.

■ قلت: وعلى هذا.... فإن المثل الذي ذكرته صحيح في شيء وخاطئ في آخر، صحيح في أن المرأة تحتاج كل شهر.... وخاطئ في تحديد هذا الذي تحتاجه بأنه «نفضة» كنفضة السجاد.

المرأة تحتاج على العكس من هذا، إلى مزيد من الحلم عليها، واحتمال أكثر لاهتياجها، وتقبل أفضل لثوران أعصابها، واتساع صدورنا ونحن الرجال لها.

● قال: ما أجمل وأبلغ قوله تعالى في وصف محيض المرأة بأنه أذى (يسألونك عن المحيض... قل هو أذى).

■ قلت: وانظر إلى آثار رحمة الله بالمرأة... كيف خفف عنها واجباتها أثناء الحيض فأعفاها من الصلاة ولم يطالبها بقضائها... وأعفاها من الصوم، وأعفاها من الاتصال جنسياً بزوجها وأخبر زوجها بأن الحيض أذى كما جاء في الآية الكريمة التي أشرت إليها... والآية كاملة تقول:

(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض. ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين).

● قال: سبحان الله.... ربما يخفف عنها ما افترضه عليها.... ونحن الرجال لا نرضى في أن تقصر في أي من واجباتها نحونا.

■ قلت: ولعل هذا يكشف عن الحكمة في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن تطليق المرأة أثناء الحيض.

● قال: كم أنا شاكر لك هذا البيان الواضح.... وإني لأرجو أن يعينني الله على أن يتسع صدري لزوجتي أيام حيضها.

■ قلت: بل ادع الله أن يوسّع صدورنا لزوجاتنا في الأيام كلها... فنحتمل ما صدر عنهن، ونحلم عليهن.

● قال: آمين... آمين. ■

النساء وجلسات العبث

بقلم : نور الهدى سعد

كثيراً مارأيته وغيري أيضاً يراه وهو أمر مألوف في مجالس النساء ومنتشر في كثير من مجالسهن، لاجل الترويح والتسليه، كما يعبرون وهن يقدمن أطباقاً لبعضهن بعضاً، ليبقين الساعات الطوال عاكفات:«يتسلين» أمام الأطباق والأقداح، قتلاً للوقت بغير غاية أو هدف.. ولو طلب من إحداهن أن تسمع محاضرة- تفيد منها لدينها- قالت: ليس عندي وقت لسماع المحاضرات، أما هذا العبث فله أوقات وأوقات.. وماهكذا الترويح أي العبث بالوقت والانشغال عن العبادة- يانساء تلك المجالس- وماهكذا التسلية التي هي من السلوى التي بها تطمئن القلوب.. مع كتاب الله قاتل الله الشيطان «كتاب هُجر من نساء تلك المجالس- إلا من رحم الله-» بعضهن، لايفرقن بين القرآن الذي هو قول الله وقول الرسول، حتى قالت إحداهن عن حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم:«قال الله تعالى».

فالترويح والتسلية إذا كانا على تلك الصورة العبثية التي يُهدر بها الوقت هدراً، في ساعات طوال فبئس ذلك الترويح وتلك التسلية.. هذه الساعات تهدر دون جدوى أليس الأحرى أن تُستغل في شيء مفيد، بدلاً من مجالس النميمة والترهات الساذجة.. هذه المجالس التي أدمنت أجواءها بعض النساء، فلا يقدرن على مفارقتها حتى وهن في حال عبادة، فلقد رأيت امرأة في المشاعر بالحج ومعها كيس كبير تكاد لاتقوى على حمله مليء بالمكسرات تتسلى به وهي تؤدي مناسك الحج، أهذا هو البديل عن ذكر الله في أيام معدودات!!

ولو وقف الأمر عند ذلك وحسب أو أكل المكسرات وسد تلك الأفواه بها عن النهش في لحوم العباد لكان الأمر أهون فأمر تناول المكسرات والتسلي بها لايتعدى شره إلى الغير، بل نتيجته تعود على صاحبته، أما النميمة والغيبة فخطرهما أعظم. وهما سائدتان في تلك المجالس.. أما عن فقرات الرقص على أحدث أنغام الأغنيات، التي لاتفوت أولئك النسوة التسابق إليها، وإلا اعتبرن متخلفات في نظر امثالهن فبالله عليكم أليس هذا هو السخف بعينه والتفاهة أن يضيع العمر سدى ألأجل هذا خلقنا؟

إنه لسفه وعار أن نعيش في أجواء تلك الجاهلية، وكأننا لسنا بمسلمات وكأننا لم ننبت من أرض الحرمين؟!اللاتي كان نساؤها يقدمن رؤوس أبنائهن في جنبات الله شهداء، فيصلب أحدهم في ساحة الحرم بعد مقتله، وتأتي أحداهن تتلمس ذلك الفارس وتقول في عزة وشموخ- وهي تتحسس جثمان ابنها الشهيد المصلوب أمامها-:أما آن لهذا الفارس أن يترجل «افبالله أأنتن بنات تلك المرأة؟! أأنتن بنات ذلك الإسلام؟!

نعم أنتن بناتها والاسلام واحد لم يتغير وذلك التراث البطولي تراث لم يتغير ولكن شتان شتان.. فالأصل واحد والشجرة واحدة ولكن الثمار مختلفة فالشجرة الطيبة الباسقة التي أثمرت البواسل الشامخين ابناؤها للأبد يسمون نحو الحياة الخالدة.. أما خلافهم ممن هم يبحثون عن العبث فأشواك في أغصان تلك الشجرة الطيبة.

أخواتي العزيزات.. تعالين نبحث عن حياة فيها متعة وسعادة أدعوكن ونفسي إليها فتلك الحياة العابثة التي تحيينها بين أطباق «التسالي» وأقداح الشاي، مع الموسيقى والرقص ليست إلا متاع الغرور ولا تليق بمن شهدت منكن أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. لاتليق أبداً والحياة كل الحياة مع تطبيق قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بهما، وبما يرضي الله، والتجافي عن جلسات العبث التي تضيع ماضي العمر.. تعالين فاكسبن مستقبل العمر في الإسلام الطيب قبل أن يتبدد العمر كله ويضيع في السفاسف.. تلك هي الحياة الجميلة التي أتمناها لكن.. هداكن الله وإيانا جميعاً.. إنه سميع مجيب. ■

لا أحد ينكر ما استطاع الإسلام أن يحققه في بيئة كان السائد فيها الجهل والظلم والاسترقاق والتناحر القبلي... لينقلها - حضارياً - إلى أمة العلم والنور والمحبة والتسامح.... أمة دستور شامل للحياة البشرية، جمع بين عقيدة تصحح الفكر وتعدل المفاهيم وتؤصل لقضايا محيط الإنسان... وشريعة تؤطر الحياة وتوجه المسار، وتحل النزاع وتنشر المحبة، وتبني العلاقات وتحدد الحقوق وتوضح الواجبات... هذه الحضارة بسطت ظلالها - يوماً - على معظم أنحاء المعمور وسعد الإنسان بها، وما زالت آثارها وبصماتها واضحة على كل حضارة أتت بعدها ونهلت من علومها وإبداعات أهلها... يعترف بذلك المناوئ قبل الصديق.

المرأة المسلمة والسلوك الحضاري المطلوب

د. مصطفى أبو سعد



لا يشك أحد كذلك أن الحضارة الإسلامية لم تهتم بتطوير العلوم وتنمية الموارد بعيداً عن اهتمامها بالإنسان، بل اعتبرته الأساس الذي تقوم عليه الحضارة ومن أجله تبسط العلوم وتسخر، إعانة له للقيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض، لذلك عاش الإنسان في ظل حضارة الإسلام ينعم بالهدوء والاستقرار والطمأنينة - أياً كانت عقيدته وانتماءاته - وعرفت البشرية خلالها معاني التسامح والإخاء والتعاون واحترام الإنسان لأخيه الإنسان، كل ذلك كان يسير في توازن رائع جمع بين المادي والمعنوي مع سيادة الصفات الايجابية داخل المجتمعات، وكان كل انحراف أو سلبية يعتبر شذوذاً ترفضه الأغلبية.

وفي الوقت نفسه لا يستطيع أحد أن ينكر إفرازات الحضارة الغربية وما جلبته على الإنسان من تيه وضلال وانحراف أدى إلى التخبط في حيرة وشذوذ ساقته في رحلة ضياع وتكالب مادي، جعل الإنسان يلهث وراء سراب يحسبه شيئاً، فضاع الإنسان بضياع فطرته وضاعت معه البشرية من خلال مغامرات التصفيات العرقية والدينية، بظهور حركات لا تعرف للتفاهم لغة غير لغة السلاح والقتل والإبادة... تدلنا على ذلك سلسلة لا تنتهي من المجازر والحروب والاعتداءات، من محاكم التفتيش الصليبية إلى مجازر النازية والفاشية، إلى حرب الإبادة الصربية لمسلمي البوسنة وكوسوفو، مروراً بالشيشان والتبت والإندبوس وكشمير والأقليات بالهند والصين وأمريكا اللاتينية.

إن الحديث عن السلوك الحضاري لا يتم بمعزل عن السلوك المرئي المشاهد أو الذي يسجله تاريخ الأمم والعلاقات الإنسانية، كما أن النتائج التي تحققها سلوكيات الإنسان هي المقياس الحقيقي والمعيار الصادق لقياس دلالاته والحكم عليه بالايجابية أو السلبية.

وفي الوقت نفسه الحديث عن السلوك الحضاري للمرأة المسلمة لا يتم إلا من خلال المعادلة نفسها. استشهد في هذا المقام بشهادات لمفكر غربي أدلى بها خلال إحدى محاضراته بدولة عربية وهو الدكتور شابلن:

(أرجوكم أن تفكروا معي بكل صراحة.... دائماً تقاس عظمة المرأة - أي امرأة - بإنجازاتها في بناء وتخريج رجال بناة صرح حضاري فكراً وسلوكاً، علماً وأخلاقاً، ولقد تشرف التاريخ بمعرفة أمة قدمت لنا هذا الأنموذج الفذ من التقدم الإنساني والتحضر البشري ما نزال ندين لها بمعظم ما توصلنا إليه... تلك هي أمة الإسلام في عهودها المضيئة، وهذا راجع بلا شك إلى الدور الأكبر الذي أدته المرأة المسلمة الراقية فكراً، والمتحضرة مسلكاً عندما عاشت في الأطر السامية التي حددها لها دينها، فقامت بتأدية رسالتها العبادية التربوية بحيوية وفاعلية... فكانت أماً وكانت أمة.

وإذا تفحصنا واقع المرأة في الحضارة الغربية الآن نجد أنها لا تمت إلى واقع الأمومة بشيء - اللهم إلا الإنجاب - والمأساة التي انتهت إليها فتاة الغرب بدأت من الفراغ العقيدي، فاندفعت وراء الشعارات منادية بالمساواة مع الرجل والخروج إلى العمل احتجاجاً على حصر مهمتها في البيت تقوم على الكنس والطبخ والغسل... ولكنها مع الأسف الشديد خرجت لنراها: (طباخة في المطاعم والفنادق، وكناسة للشوارع والأزقة والدوائر) بل تقضي سحابة نهارها وأحياناً ليلها في متابعة خدمة الرجل في الوظائف العامة والخاصة.... فماذا جنت؟ أما بيتها فأضاعته، وخسرت أولادها، وعددت من أزواجها، وفرطت في راحتها وسعادتها، بالإضافة إلى إهدار أنوثتها وكرامتها ومكانتها في جميع أطوار حياتها).

ويضيف مؤكداً: أن كل ما يعانيه الغرب من انهيار أخلاقي وتفكك أسري وشيوع الجريمة والإدمان والفردية المقيتة، كل ذلك يعود لتخلف المرأة الغربية وتخليها عن مسئولياتها وإفلاسها

في كل شيء.

من هنا نتساءل جميعاً: لماذا تلهث المرأة المسلمة وراء أختها الغربية في ارتكاستها وعقم فاعليتها؟

إن للمرأة المسلمة ديناً يحترمها ويكرمها... فيه حريتها وتقدمها ورفعة قدرها.... ولو تعرفت المرأة الغربية على هذا الدين لكانت أحرص الناس عليه، وعلى اتّباعه.

ونتساءل كذلك: لماذا تتخلى المرأة المسلمة عن ذكائها وعزتها وإبائها، وترضى بالتبعية للشقراء الأوروبية البائسة التي تتخبط في أوهام المادة؟(١)

قيم السلوك الحضاري

جاء الإسلام ليعيد للإنسان إنسانيته وقيمته في الوجود في عصر انتشر فيه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان واستعباده، فكان أهم ما جاء الإسلام لتحقيقه: الحرية والكرامة والمساواة بين بني البشر، محدداً المعيار الوحيد للتفاضل بين الناس: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات/١٣.

ووضع الإسلام كذلك أنموذجاً للشخصية المسلمة التي يجب أن تتمثل فيها القيم الحضارية الخاصة بالإنسان المسلم والتي ترفعه إلى مستوى السلوك الحضاري المطلوب والبنّاء ومن هذه القيم.

١ ـ العزة والكرامة: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) المنافقون/٨.

٢ ـ المسؤولية: التي توجه حرية الإنسان نحو العطاء والبناء والإيجابية... وعمارة الأرض بما يخدم الفرد والمجتمع، وهي ـ عموماً ـ الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان.

٣ ـ التفاعل مع السنن الكونية: من خلال انسجام طبيعة الإنسان المسلم مع محيطه الخارجي وعدم التناقض بين مكونات الإنسان الذاتية والروحية وسنن الله عز وجل في الكون... لذلك جاء الإسلام ليحافظ على فطرة الإنسان الذاتية وتنميتها وترقيتها نحو الوجه الأكمل.

ولم يأت ليحد منها أو يمنعها من خلال الغرائز الفطرية، بل ليوجهها نحو الأسلم والأصلح.

وهو بهذا يختلف عن غيره من الذين منعوا الطيبات وحرموا ما أحل الله لهم... وأولئك الذين أطلقوا لغرائزهم العنان دون قيد أو رادع.

٤ ـ الوسطية والتوازن: لا إفراط ولا تفريط مع الابتعاد عن المبالغة... فالإسلام مثلاً لايقبل البخل والتقتير وفي الوقت نفسه يعارض الإسراف والترف.

٥ ـ الإبداع: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة... وهذه السنة تعني الإبداع في حياة الناس بما يفيدهم في دنياهم وأخرتهم، وليس المقصود بها السنة المرتبطة بالتعبد، والتي يعتبرها الشرع بدعة وضلالة.

٦ ـ مطابقة الاعتقاد للعمل: وهو ما يمكن أن نطلق عليه التوافق بين ما يعتقده الإنسان وما يصدر عنه من أقوال وأعمال... فالسلوك الحضاري السوي يكون ثمرة للتصور الاعتقادي السليم ودليلاً على صدق التصور واستيقانه في قلب صاحبه... لذلك كان مستنكراً على المسلم أن يقول ما لا يفعل، واعتبر الإسلام ذلك من المقت الكبير عند الله.

٧ ـ التكامل في الوظائف الإنسانية بين الرجل والمرأة:

هذا التكامل قائم على أمرين:

أ ـ التعاون على الخير والبر والتقوى في صف واحد، لا فرق بين المرأة والرجل في ذلك: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) التوبة ـ ٧١.

ب ـ مراعاة الفروق الفسيولوجية في تحديد الوظائف الإنسانية لكل من المرأة والرجل لتتكامل الأدوار وتستمر حاجة كل طرف للآخر فتستمر معها الحياة الطبيعية الملائمة للفطرة البشرية.

هذا التكامل يعتبر إثراء للحياة البشرية والإنسانية جمعاء.

تحديات مناوئة أمام المرأة المسلم

إن محاولات الهدم التي استهدفت الحضارة الإسلامية عموماً اتخذت المرأة المسلمة مدخلاً لتحقيق أغراض ومخططات خبيثة، وقد اتخذت هذه الحملات صوراً متعددة من بينها:

أ ـ إثارة الشبهات والهجوم على قضايا منهجية تخص الأحوال الشخصية للأسرة المسلمة مثل:

حظ المرأة في الإرث ـ تعدد الزوجات... من خلال إسقاطات سانجة ومنطلقات غريبة عن واقعنا الحضاري «الاجتماعي والثقافي والعقدي...» تلك الشبهات التي سرعان ما يظهر زيفها من خلال نظرة بسيطة لاختلاف الرؤية والمنطلق والبيئة والتركيبة الفكرية والاجتماعية والنفسية بين أمة قائمة على احترام الإنسان وصيانة كرامته وجعله محوراً للكون من خلال تسخير كل شيء لخدمته، وأمة قائمة على تصور يجعل الإنسان مادة ووسيلة ويلغي كيانه العاطفي والنفسي.... فثمت فروق يعترف بها العقلاء بين من جعل المرأة وسيلة للدعاية والابتذال والمتعة.... ومن جعل الجنة تحت أقدامها.

ب ـ تصوير الوظائف الأساسية للمرأة على أنها حقارة لها وابتزاز لشخصها، حيث تم تقديم وظيفة تربية الأولاد في صور تحط من مكانة المرأة، وخدمة الزوج والأبناء استعباد.... وكان الهدف من هذا المخطط إثارة الخلاف والنزاع بين الرجل والمرأة والحيلولة دون تعاونهما وتكامل وظائفهما من أجل مجتمع سوي.

ج ـ إظهار بعض النساء أو الزعامات المشبوهة ممن انسلخن من الثوب الحضاري المعبر عن الذات واخترن بديلاً آخر، إظهارهن كرموز للتحضر والتمدن... والخروج من العصور المظلمة وفي الوقت نفسه تقديم الفتاة التي تتعرى بالنادي، وتمارس علاقات غير شرعية مع الرجال في صورة المرأة المتحررة.

وقد سخر لتحقيق هذه الأغراض كل وسائل الإعلام المرئي والمقروء منه نظراً للسلطة القوية التي أصبحت للإعلام في عالمنا المعاصر (السلطة الرابعة).

من خلال هذه التحديات نتساءل عن مدى قدرتنا على سلوك طريق البناء الحضاري والسير نحو مستقبل جديد تتوفر فيه ميزات وخصائص إيجابية منها:

١ ـ تجاوز مواطن الدفاع عن قضايا المرأة في الإسلام.

٢ ـ الثبات أمام الحملات الهجومية التي تتعرض لها المكانة السامية للمرأة المسلمة.

٣ ـ عدم الانغماس في التقليد الأعمى لحضارة الغرب رغم غلبتها حالياً.

٤ ـ عدم العزوف عن الأخذ من الجوانب المضيئة في الحضارة الغربية والتي لا تتنافى وتعاليم الشريعة الإسلامية.

٥ ـ الإنتاج والتفاعل مع الواقع من خلال المشاركة في صنع القرار الخاص بمسيرة المرأة المسلمة خصوصاً والشباب عموماً، وأعني بالضبط مبدأ الشورى في إقامة التصورات وتسطير البرامج وتحديد المعالم واختيار المناهج الملائمة لذاتية المرأة المسلمة وخاصياتها.

٦ ـ رفض الدعوات المتسترة وراء الشعارات البراقة التي تديرها أياد خفية هدفها امتهان وإفساد مجتمعاتنا من خلال بث معاني الصراع في العلاقة بين المرأة والرجل بدل ظلال المودة والرغبة التي يضفيها الإسلام على الروابط الأسرية (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم/ ٢١.

٧ ـ إيلاء العمل التربوي ـ الذي يسعى لرعاية الإنسان ـ الأهمية اللائقة به، ورفض كل الدعوات التي تجعل من رعاية الآلة والمادة أمراً أعلى وأهم من رعاية الأجيال.■

الهامش

١ ـ مجلة الأمة القطرية عدد ربيع الأول ١٤٠٥، ص ٥٨.

الرضاعة الاصطناعية (رضاعة الزجاجة)



بقلم: د. رضوان أحمد بيطار

عندما توجد موانع للإرضاع الطبيعي، أو تكون الأم عاملة ويُلجأ إلى الإرضاع الجزئي من حليب الثدي، يجب أن تستعملي حليباً صنع خصيصاً ليلائم احتياجات طفلك وحسب نصيحة الطبيب، فما هي موانع الإرضاع من الثدي؟

قد يكون الإرضاع من الثدي عند القليل من الأمهات غير ممكن أو ممنوعاً طبياً وعلى سبيل المثال:

- في حالة الولادة الخديجة «قبل موعدها» لا تكون الأثداء ولا الطفل للخديج مستعدين لعملية الإرضاع.

- إذا كانت الأم مصابة بمرض مزمن أو مصابة بنقص التغذية الشديد، أو تعاني من نوبات ربو حادة أو مصابة بضعف في وظيفة الكليتين فإن الرضاعة من الثدي قد تشكل إنهاكاً لها.



- الأمهات المصابات بمرض السكري قد يجدن أن الإرضاع من الثدي يجعل ضبط نسبة السكر في الدم أمراً صعباً.

- إصابة الأم بالتدرن تعتبر مانعاً طبياً من رضاعة الثدي حتى يتم تحصين المولود بالطعم الواقي.

- بعض الأطفال المصابين بأمراض وراثية في الهضم والأيض - وهي أمراض نادرة جداً - لا يتحملون المواد الغذائية الموجودة في الحليب البشري أو الحيواني ويحتاجون إلى تركيبة غذائية خاصة يحددها الطبيب.

- معظم الأدوية التي تتناولها الأم تفرز مع الحليب، حيث إن عُشر الجرعة التي تأخذها الأم تفرز مع الحليب، لهذا يجب أخذ ذلك بعين الاعتبار عند إعطاء الأم المرضع دواء ربما يؤثر على رضيعها.

- لا يكون الإرضاع من الثدي ممكناً عندما يكون المولود ضعيفاً ومريضاً وإن كان بالإمكان في مثل هذه الحالات سحب حليب الأم وإرضاعه له بالزجاجات.

تركيبة الحليب الملائمة للرضع

لقد نشأ كثير من الأطفال في السابق على حليب البقر المعقم أو المبستر أو مسحوق حليب البقر المجفف لكن حدثت بعض المشكلات، فحليب البقر يختلف عن حليب الأم، فهو يحتوي على بروتين أكثر وعلى الأخص بروتين الكازئين، وهذا البروتين صعب الهضم، وهو يحتوي أيضاً على دهن وفوسفات أكثر من حليب الأم، ففي الأسابيع الأولى من الحياة خصوصاً بين اليوم الخامس والخامس عشر من العمر فإن ترتفع نسبة الفوسفات مما يؤدي إلى انخفاض نسبة الكالسيوم في الدم وهذا يؤدي إلى تشنج الوليد.

كما يحتوي حليب البقر على كمية أعلى نسبياً من الصوديوم، مؤدياً أحياناً إلى ارتفاع نسبة الصوديوم في الدم والذي يمكن أن يؤدي إلى تشنجات وأذى للدماغ خصوصاً عندما يكون الطفل مصاباً بالتهاب المعدة والأمعاء «الإسهال والإقياء».

كما أن بعض الأطفال لديهم حساسية لبروتين حليب البقر، الذي قد يظهر على شكل طفح جلدي ووزمة حول الفم أو بالإقياء والإسهال المصحوب عادة بالدم.

صانعو بدائل حليب الأم يعدون هذه الأيام أنواعاً مختلفة فيها تركيبات معدلة من حليب البقر بحيث تشابه ولكنها لا تماثل حليب الأم وقد واجهوا صعوبات عدة لأن الحليب مزيج غروي معقد وحساس لأي محاولة لتعديله، وبالطبع لن يتمكنوا من إضافة العناصر الحية «الخلايا والإنزيمات ومضادات الأجسام» التي يحويها حليب الأم.

وفي كل الأحوال يجب أن تحتوي تركيبة الحليب الملائمة للرضع منذ الولادة على:

- محتوى منخفض من البروتين، كما في حليب الأم ليمنح كل الأحماض الأمينية الأساسية والضرورية للنمو السليم للطفل.
- مزيج من الدهون مشابه لحليب الأم لتأمين عملية الهضم والامتصاص بشكل جيد.
- سكر اللاكتوز كمصدر وحيد للكربوهيدرات «السكريات» كما في حليب الأم، لأن هذا يسهل امتصاص الكالسيوم والدهون، ويسهم في بناء توازن صحيح للبكتيريا المفيدة دخل الأمعاء.
- محتوى منخفض من المعادن ممثال لحليب الأم ليلائم القدرة التركيزية المحدودة لكليتي الطفل.
- كل الفيتامينات الأساسية وبالكميات الصحيحة التي يحتاجها الطفل.

وفي النصف الثاني من السنة الأولى، يمكنك استعمال تركيبة حليب أكثر ملائمة تنسجم مع الاحتياجات الغذائية للرضع الأكبر سناً،

وتسمى «تركيبة الحليب المكمل».

حساب حاجة طفلك من الحليب

يحتاج الطفل كل ٢٤ ساعة من ١٢٠ - ١٨٠مل من الحليب لكل كغ من وزنه فإذا كان وزن طفلك ثلاثة كيلو غرامات فسيحتاج إلى كمية من الحليب تراوح بين ٣٦٠ مل و ٥٤٠مل، وتختلف كمية الحليب التي يحتاجها الطفل من طفل إلى آخر، وليست بالضرورة مرتبطة بحجم الطفل، فالطفل المولود بحجم صغير بالنسبة لعمره الحملي قد يمتلك شهية كبيرة بينما الطفل المولود وحجمه ضخم بالنسبة لعمره الحملي قد يمتلك شهية قليلة.

لاتقلقي إذا رفض طفلك إنهاء زجاجة الرضاعة أو نام ليلاً دون أن يرغب بالرضاعة، فأفضل مؤشر فيما إذا كان طفلك يتناول كمية كافية من الحليب أو لا هو مقدار زيادة وزنه ودرجة اكتفائه، فإذا راودك شك أنه لا يتناول المقدار الكافي من الحليب استشيري طبيب الأطفال.

ويوجد عادة جدول تفصيلي للتغذية المقترحة للطفل على كل علبة حليب، قد تم إعداده بناء على معدل الحاجات من العناصر الغذائية بما يتناسب مع الوزن والعمر، اتبعي هذا الجدول في تغذية طفلك ما لم ينصح الطبيب بغير ذلك، وبما أن كل طفل يختلف عن الآخر فقد يحتاج الأمر إلى زيادة أو نقصان الكمية المقترحة في جدول التغذية بالنسبة إلى سن ووزن محدد.

عدد الرضعات

يجب إرضاع تركيبة الحليب الملائمة للرضّع منذ الولادة كما هو الحال في رضاعة الثدي «كما يشتهي الطفل»، وهذا يعني أن الطفل يأخذ بقدر حاجته حتى يشبع.

وفي الأسابيع الأولى يحتاج طفلك للرضاعة كل ٣ - ٤ ساعات، ومع مرور الوقت تزداد الفترة الزمنية الفاصلة بين رضعات الطفل بينما تزداد الفترة الزمنية لكل رضعة.

كيفية تحضير رضعة الزجاجة

إن نظافة الزجاجات والحلمات والأغطية والأقماع وحلقات التثبيت لأمر في غاية الأهمية، ويجب غسل وتعقيم كل الأوعية التي تلزم لتحضير رضعة الزجاجة قبل كل وجبة، وذلك لأن الرضعات المحضرة سهلة التلوث بالبكتيريا والتي بدورها تسبب العدوى للطفل.

ولهذا السبب كوني حذرة عندما تحضرين الرضعة الزجاجية، واتبعي التعليمات التالية:

١ - اغسلي يديك جيداً بالماء والصابون قبل البدء بتحضير رضعة الحليب.

٢ - ضعي على النار قدراً يحتوي على ماء نظيف للشرب.

٣ - وعندما يسخن الماء، اغسلي كل الأوعية مثل الزجاجات والأغطية والأقماع وحلقات التثبيت بمنظف واستخدمي فرشاة خاصة لتنظيف الزجاجة ومن ثم اغسليها بماء بارد حتى تنظف تماماً من الصابون.

٤ - اغمري كل الأوعية التي تستخدمينها لتحضير الرضعة كالزجاجات والأغطية والقمع وحلقات التثبيت في الماء الساخن ثم غطيه حتى يغلي لمدة عشر دقائق على الأقل.

٥ - بعد عشر دقائق ارفعي كل الأوعية بملقط أو بشوكة نظيفة وضعيها على سطح نظيف حتى تجف ثم ضعي الزجاجات بشكل مقلوب ولتتخلصي من الماء المتبقي فيها.

٦ - اغلي ماء الشرب النظيف في قدر أو إبريق نظيف، على أن تكون كمية الماء أكبر بقليل مما تحتاجينه لتحضير رضعة الحليب، دعي الماء يغلي لمدة خمس دقائق حتى تتأكدي من تعقيمه.

٧ - اسكبي الكمية المطلوبة من الماء المغلي داخل الزجاجة ودعيه يبرد إلى درجة حرارة ٥٠ مئوية تقريباً، أضيفي الكمية اللازمة من تركيبة الحليب وذلك تبعاً لجدول التغذية أو نصيحة الطبيب، واستخدمي فقط المكيال الموجود داخل العلبة، ثم أغلقي الزجاجة بغطاء نظيف.

٨ - رجي الزجاجة حتى يذوب مسحوق الحليب بشكل كامل.

٩ - ركبي الحلمة على زجاجة الرضاعة دون أن تلمس يداك الجزء الذي يدخل في فم الطفل، ثم دعي الحليب يبرد إلى درجة حرارة مناسبة ليشربه طفلك.

١٠ - يجب أن تكون درجة حرارة زجاجة الرضاعة مماثله لدرجة حرارة الجسم عند إرضاع الطفل أي نحو (٣٥درجة - ٣٧ درجة مئوية)، ويجب أن لا تكون أسخن من ذلك، ويتم اختبار درجة حرارة زجاجة الرضاعة بوضعها على الخد، فإذا شعرت بأن الزجاجة دافئة بشكل مناسب عندما تلامس جلدك فإن حرارتها حينئذ تكون مناسبة، أو بوضع نقطة من الحليب على ظهر يدك، فإن شعرت بأنها دافئة فقط وليست ساخنة، يكون الحليب وقتئذ جاهزاً لإرضاع الطفل.

كيف ترضعين طفلك

اجلسي بشكل مريح بحيث يكون ظهرك مستنداً واستخدمي وسادة عند الضرورة ثم احضني طفلك بين ذراعيك بحيث يكون فمه أعلى مستوى من معدته ويكون بإمكانك الإمساك بزجاجة الحليب إلى فمه واحذري من ترك الطفل يرضع وحده من زجاجة مسنودة بوسادة أو غير ذلك لما قد ينجم عنه من خطورة شديدة قد تؤدي إلى اختناقه في بعض الحالات، كما أن هذا سيحرمه من الإحساس بالحب والحنان الذي يحصل عليه الطفل الذي تحتضنه أمه عند إرضاعه من ثديها.

١ - إن الحليب البارد لا يؤذي الطفل وهو أسلم من الحليب الحار، ولكن الطفل سيفضله بدرجة حرارة الجسم، لذلك تأكدي من درجة حرارة الحليب، وذلك بوضع بضع نقاط منه على باطن رسغك وبوضع الزجاجة لتلامس خدك، بحيث تكون دافئة بشكل مناسب.

٢ - تأكدي أن حجم الثقب في حلمة الزجاجة مناسب وذلك بقلب الزجاجة إلى أسفل حيث يجب أن تراقبي تدفق الحليب من الحلمة بنقاط متسارعة، لأنه إذا تدفق بشكل أسرع مما يجب فقد يختنق الطفل أما إذا كان تدفق الحليب أبطأ مما يجب فهذا يؤدي إلى تعب الطفل من شدة المص، وفي كلا الحالين يبلع الطفل كمية كبيرة من الهواء.

٣ - المسي خد الطفل بإحدى أصابع اليد التي تحمل زجاجة الإرضاع ليعلم بقربها فيستدير نحوها ويلتقم الحلمة بفمه ويبدأ بالمص ودعيه يشرب من الحليب قدر ما يريد فهو يقدر تماماً حاجته ولا تقلقي إذا لم يفرغ زجاجة الحليب أحياناً فلا داعي للقلق طالما أنه يبدو مكتفياً وأن وزنه يزداد بشكل طبيعي، وبشكل عام فإن طفلك سينهي رضعته خلال ١٠ - ١٥ دقيقة.

٤ - امسكي الزجاجة بإحكام وأبقها مائلة بحيث تكون الحلمة وعنق الزجاجة مليئتين دائماً بالحليب وإلا فإن طفلك سيبتلع كثيراً من الهواء مع الحليب وقد تحتاجين لسحب الزجاجة من فم الطفل أثناء الرضاعة من حين لآخر (مرة أو مرتين) لكي تعطيه فرصة ليرتاح وأحياناً ليتجشأ، ومن الضروري أن تتم عملية تجشؤ الطفل بعد إرضاعه حليب الزجاجة حيث إنه يتعذر تجنب دخول كمية كبيرة من الهواء مع الحليب وللقيام بذلك احملي طفلك إلى كتفك وربتي بلطف على ظهره ويفضل أن تضعي قطعة قماش «فوطة» على كتفك وذلك تحسباً لخروج الحليب مع الهواء.

تخلصي من كمية الحليب المتبقي داخل الزجاجة عندما يفرغ طفلك من الرضاعة ولا تبقي الحليب داخل الزجاجة لاستعمالها في رضعة أخرى.

لأن الحليب سهل التلوث بالجراثيم وهذا مما يسبب النزلات المعوية فلذلك حضري الزجاجة تماماً قبل وقت الرضاعة.

وإذا كنت تعانين من أي مشكلة مع رضاعة الزجاجة فلا تترددي في طلب مساعدة الطبيب. ■

أخاديد ألم لا يمحوها الزمن

إلى متى يستمر الأذى النفسي الذي يلحق بالمغتصبة؟ هل يستمر يوماً؟ أسبوعاً؟ شهراً؟ سنة؟ أكثر من ذلك؟

وإلى أي مدى يبلغ هذا الأذى بالمغتصبة؟ هل يبلغ بها إلى حد الكآبة؟ إلى حد الحزن؟ إلى حد العزلة والانطواء؟ إلى حد التفكير في الانتحار والإقدام عليه؟

جاء ذلك في دراسة نُشرت في مجلة «محفوظات الطب النفسي العام» أن النساء اللواتي تعرضن إلى اعتداءات جنسية قبل سن السادسة عشرة هن أكثر ميلاً إلى الانتحار من بقية النساء.

ولاحظت الدراسة التي أعدها باحثو المركز الطبي في جامعة ديوك في كارولينا الشمالية، وشملت ٢٩١٨ امرأة تعرضن لاعتداءات جنسية في شبابهن المبكر، أن ٩.١٤٪ منهن حاولن الانتحار، بينما تتدنى هذه النسبة إلى ٤.١٪ عند من لم يتعرضن لمثل هذه التجربة.



ويؤكد جوناثان ديفيدسون الباحث في مركز علم النفس والسلوك أن هناك علاقة واضحة بين محاولات الانتحار والتعرض للاعتداءات الجنسية في سن مبكرة.(١)

هل رأيتم كيف أن اللواتي حاولن الانتحار ممن تعرضن لاعتداءات جنسية هن عشرة أضعاف ممن لم يتعرضن لهذا الاعتداء؟!

ألا يشير هذا إلى أن جريمة الاغتصاب تحفر في أعماق نفس المرأة أخاديد ألم لايمحوها مرور الزمن؟!

قد يحاول بعض الماحكين أن يفسر جريمة الاغتصاب بأنها نتيجة كبت جنسي، ومن ثم فهو يدعو إلى مزيد من التحلل والإباحية للتخفيف من هذا الكبت المسبب للاغتصاب.

وهذه دعوى باطلة، لأن المجتمع الغربي، الذي تتزايد فيه جرائم الاغتصاب، بلغ درجة من التحلل والإباحية لم يبلغها مجتمع آخر.

كما أن المجتمعات المسلمة، رغم عدم تمسكها التام بالإسلام تندر فيها جرائم الاغتصاب مع قلة التحلل والإباحية.

وهذا ما أكدته الدراسات ومنها دراسة للباحثة «بيغي ريفز ساندي» التي وصلت إلى أن الاغتصاب استجابة لتنظيم اجتماعي معين لا حاجة بيولوجية ... «وجدت من مقارنة معلومات عن ١٥٦ مجتمعاً، أن السلوك الجنسي عند الإنسان يتخذ صوراً ثقافية معينة، حتى ولو كان حاجة جنسية.

نصف المجتمعات، التي تناولتها الدراسة المذكورة، لا أثر فيها للاغتصاب، أو أنه نادر فيها، في حين أن النصف الآخر منقسم بين اعتبار الاغتصاب تدبيراً اجتماعياً لتهديد المرأة أو معاقبتها وبين اعتباره ظاهرة ولو أنه محدود.

لم يكن للاغتصاب أثر في ٤٧٪ من هذه المجتمعات، ومحدود في ٣٦٪ منها، وقائم فعلاً في ١٧٪ منها.

١ - عن وكالة الصحافة الفرنسية ١٤١٧/١/٢٧هـ - ١٩٩٦/٦/١٥م. ■

سيواصلون الجدل

الذين يجادلوننا في بقاء المرأة في بيتها، ويطالبون بخروجها منه إلى المصنع والمتجر، والمكتب، ويزعمون أننا لن نتقدم مادامت المرأة قابعة في دارها، وأن تأخرنا عائد إلى عدم استثمار عملها مهندسة وبائعة وسكرتيرة وعاملة.

الذين يجادلوننا في هذا حيرونا، حيرونا في المنطق الذي نحدثهم به فلا يقنعون، ومن الأرقام التي نسوقها إليهم عند بطلان دعواهم فلا يُسلمون، وفي الوقائع التي ننقلها إليهم فلا يؤمنون. اليوم أريد أن أعرض عليهم دليلاً آخر على أن بقاء المرأة في بيتها، ترعى زوجها وتربى أطفالها، لا يؤخر الأمة، ولا يُضعف الاقتصاد، ولا يقلل الإنتاج، كما يقولون.

لا أحسب أن هؤلاء لا يعرفون اليابان، أو أنهم ينكرون تقدمها الصناعي، أو لا يسلمون بغزارة إنتاجها وجودته، وتهديدها اقتصادياً لأمريكا وأوروبا.

هل يسمحون لي أن أسألهم ما دور المرأة في هذه النهضة الصناعية الكبيرة؟ هل كان دورها عاملة في المصنع، أو مديرة له، أو مهندسة فيه؟

لقد كان دورها الحقيقي والرئيسي تربية الأولاد في البيت، وتفرغها التام لهم، لقد كانت المرأة اليابانية تترك عملها فور أن تُرزق بطفل.

تقول وكالة فرانس برس في تقرير إخباري لها عن المرأة اليابانية:

«الأم هي المعلمة في البيت الياباني، وهي تكرس حياتها وعقلها وجسدها لخدمة أولادها، ويقضي العُرف الاجتماعي التقليدي بأن تتوقف المرأة عن العمل ما إن يصبح لديها أولاد، حتى تتفرغ لتربيتهم وتعليمهم، حتى إن قيمة المرأة تتحدد عادة من خلال النتائج المدرسية لأولادها».

سنواصل سوق الأدلة على أن مكانة المرأة الأفضل، لها ولأولادها ولمجتمعها، هو البيت.

ونحن نعلم، أن دعاة إخراج المرأة من بيتها سيواصلون الجدل.... رغم الأدلة والبراهين، رغم الإحصاءات والوقائع. ■

علاقــة امتــزاج

أشرف عبدالله البستاني

إن البيت المسلم الذي أسس على التقوى من أول يوم أقيم فيه، حق على الله تبارك وتعالى أن يعين ركني هذا البيت «الرجل والمرأة» وأن يرعاهما برعايته وذلك حتى تتكون الأسرة المسلمة التي يرضى الله تبارك وتعالى عنها.

ورضا الله عن الزوج وزوجته له أسس ومقومات منها:

١ ـ أن الرجل لابد وأن يختار زوجته من البداية على تقى وعفاف ودين، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «وما افاد المرء بعد تقوى الله خير من زوجة صالحة» وكذلك المرأة تختار شريك حياتها أيضاً على دين وخلق لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

٢ ـ الاحترام المتبادل بين الزوج وزوجته وحفظ كل منهما للآخر مكانته فالبيت المسلم يتصف بالحنان والرقة والابتسامة والكلمة الحلوة والنظرة الحانية وهذا ما أراده تبارك وتعالى في قوله تعالى: (ومن أياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)، فالبيت الذي يتسم بالاستقرار يقوم على المودة والرحمة، ولهذا فحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله إليهما نظرة رحمة»، أي أن الله ينزل عليهما الرحمة وتغشاهم السكينة ويؤلف الله بين قلبيهما ومن حسن العشرة أن يكون الزوج طلق الوجه مع زوجته يحسن اختيار الكلمة الطيبة ويشكرها على ما تؤديه من خدمة له ولأولاده فإنها غير مكلفة بشيء من ذلك، ويحاول أن يسري عنها، إذا غضبت ويخفف عنها إذا تعبت، ولقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى المرأة ومعاملتها معاملة حسنة لقوله: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم» وهذا مصداقاً لقوله تعالى: (ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين).



وبذلك ندرك أن العلاقة بين الزوجين هي علاقة امتزاج والتصاق كما قال عيسى عليه السلام: «رجل المرأة أحب إليها من أبيها وأخيها ألا تراها تترك أباها وأمها وتلتصق بزوجها».

فسكون الزوج إلى زوجته تنشأ عنه المودة والرحمة ومن حسن العشرة أيضاً الذوق والفن والتربية الاجتماعية العالية وبه تدوم المحبة والألفة والرحمة وكثيراً ما تحل المشكلات المستعصية بالبسمة الحانية والنظرة الودود والمجاملة الرقيقة والأسلوب المهذب والخضوع اللين.

والإسلام يهتم بالرجل والمرأة أيما اهتمام فنرى القرآن الكريم يثير في نفوس الأزواج من الجنسين الشعور بأن كلاً منهما ضروري للآخر ومتمم له لتحقيق وجوده وامتداد أثره فيقول للرجل إن المرأة جزء منك ولا غنى لرجل عن جزئه ويقول للمرأة إنك من الرجل انفصلت عنه فهو أصل لك ولا غنى لإنسان عن أصله، وهذا قوله تعالى: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها».

وقد كان صلى الله عليه وسلم خير الناس معاشرة لأزواجه وأحسن الناس رفقاً بهن وتسامحاً معهن، وقد كانت تبدر من بعضهن ما يبدر من أي امرأة أخرى أحياناً فما يغضب ولا يؤاخذ ولكن يعفو ويصفح.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه».

وقوله صلى الله عليه وسلم: «فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما».

لقد وضح النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل إذا قابل أخاه وتصافحا تساقطت ذنوبهما من بين أصابعهما وهي علاقة رجل برجل فما بالك بالعلاقة بين الرجل وزوجته هذه العلاقة التي عبر عنها الله تبارك وتعالى بقوله: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن).

وكذلك قوله تعالى: (وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً).

فعندما يأخذ الرجل بكف زوجته بعد هذه المقومات، ونيته خالصة لله تبارك وتعالى، ويكون قد رضى الله عنهما، فإن الذنوب تتساقط من بين أصابعهما. ■

الصحابية المجيرة

بقلم: عبدالله بدران

دخل أبو العاص بن الربيع على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة والخجل يغمر محياه، والعرق يكاد يتصبب من جبينه، وجلس بين يديه مطأطئ الرأس لا يكاد الكلام يخرج من فمه، وأعرب بكلمات قليلة عن رغبته في مصاهرة أشرف بيوت مكة، وأطهرها، وأنقاها، وعرض على الصادق الأمين أن يزوجه بابنته الكبرى زينب، التي كانت الطفل الأول الذي عمر به بيت النبوة، وأولى ثمار الزواج الميمون الذي جمع بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة أم المؤمنين.

نظر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الشاب الخاطب نظرة الأب الحنون، المسؤول عن أبنائه ومستقبلهم، ورجاه أن يمهله حتى يعلن هذه الرغبة لابنته، وينتظر قرارها، فهي صاحبة الكلمة الأولى، وقام حتى دنا من غرفتها، ووقف قريباً منها بحيث تسمعه ولا تراه، وقال بصوت ملؤه الحب والحنان:

"بنيتي زينب، إن ابن خالتك أبا العاص بن الربيع ذكر اسمك "...

ولم ينتظر جواباً جهيراً معلناً، فقد كان يعرف أن حياءها يمسك لسانها عن الرد، لذا مكث برهة يصغي فلم يسمع صوتاً، فعاد إلى حيث ترك أبا العاص ينتظر، فصافحه مهنئاً ومباركاً.

وعاش الزوجان حياة ملؤها الود والسكينة، تغمرها مشاعر المحبة والصفاء، ورزقا بمولودين، أولهما «أمامة» التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه ويصلي بها، والآخر «علي».

لكن هذا الصفاء لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما تعرض لهزة عنيفة، إذ دخلت زينب في الإسلام لما بعث البشير النذير، وأبى أبو العاص ذلك متذرعاً بالقول:

لو تبعته قال القوم فارق دين آبائه إرضاء لزوجته وحميه، ولو خالفته...

فقاطعته زينب قائلة:

ولكنك لن تدع كلام القوم يثنيك عن الحق.

فأسقط في يده ولم يتكلم.



وبقي أبو العاص على كفره، وظلت زينب في دار زوجها بمكة تنتظر هداية الله له وانشراح صدره للإسلام، ولم يكن الإسلام قد فرق بينهما بعد، وهاجرت أختاها أم كلثوم وفاطمة إلى المدينة المنورة مع من هاجر من الصحابة، هرباً من بطش قريش، ولحوقاً بالمصطفى الذي تشرفت به تلك الديار، وكانت أختها رقية قد هاجرت قبل أختيها أيضاً، وبقيت زينب وحيدة في مكة تبكي فراق الأحبة، وتسأل المولى العون والفرج.

وعندما وقعت غزوة بدر شارك أبو العاص مع المشركين، فوقع أسيراً عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففرحت زينب بانتصار أبيها والمسلمين، ونجاة زوجها من القتل كافراً.

وفي المدينة تقدم «عمر بن الربيع» شقيق أبي العاص بصرَّة للنبي قائلاً: بعثتني زينب ابنتك بهذا فداء لزوجها، فإذا الفداء قلادتها المهداة إليها من خديجة ـ رضي الله عنها ـ يوم زفافها إلى أبي العاص، فتدمع عين الرسول حيث ذكرته القلادة بزوجته خديجة وابنته زينب، ويقول مخاطباً الصحابة: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا.

فهتف المسلمون جميعاً: نعم يا رسول الله، قد فعلنا حباً وكرامة.

وعاد أبو العاص إلى زوجته بعد أن تواعد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أمر، ففرحت زينب بعودته، لكن الفرحة لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما أخبرها بصوت حزين: إن أباك طلب إليَّ أن أردك إليه لأن الإسلام فرق بيني وبينك.

وهكذا حانت ساعة الفراق بين الزوجين بعد أن فرق بينهما الإسلام، وخرجت زينب إلى المدينة وكلها أمل بهداية زوجها وأوبته إلى الصراط المستقيم، وكانت زينب تحمل في أحشائها جنيناً لم يتجاوز عمره أربعة أشهر، يرافقها في رحلتها شقيق زوجها، لكن المشركين لحقوا بها معترضين خروجها، وامتدت يد أحدهم إلى زينب يريد منعها، فسقطت من على جملها لتضع جنينها على رمال الصحراء، وتنزف الدم غزيراً، وأحس المشركون بفداحة فعلتهم، فسمحوا لها بالهجرة فهاجرت، ووصلت إلى بيت النبوة في المدينة.

وبعد مضي ست سنوات من فراق الزوجين شاءت إرادة المولى أن يلتقيا، فقد كان أبو العاص عائداً من الشام في قافلة تجارية لقريش، وعندما علم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقافلته، أرسل إليه الصحابي زيد بن حارثة في مئة وسبعين رجلاً، فعادوا بالقافلة وعدد من رجالها أسرى، وفر أبو العاص.

لكن أبا العاص كبر عليه ذهاب القافلة ووقوعها في يد المسلمين، وفكر في وسيلة يستعيد بها ماله ومال قريش، فدخل على زينب في جنح الليل يستجير بها.

فلما انبلج الصبح خرجت زينب إلى المسلمين وهم يؤدون الصلاة، فلما انتهوا صاحت بأعلى صوتها: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص ابن الربيع، وأقبلت على أبيها تقول: يا رسول الله إن أبا العاص إن قَرُب فابن عم، وإن بعد فأبو ولد، وإني قد أجرته، فقال رسول الله أمام أصحابه:

«والذي نفسي بيده ما علمت بشيء، كان حتى سمعت منه ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم، ولقد أجرنا من أجرتِ».

ثم قال لابنته: «أي بنية، أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له»، ثم أخبرته بطلب أبي العاص ماله ومال قريش، فاستشار رسول الله أصحابه في ذلك، فردوا القافلة.

ورأى أبو العاص ذلك فعاد إلى مكة وهو يضمر في نفسه أمراً، فسلّم الأموال إلى أصحابها، ثم أعلن أمام قريش إسلامه قائلاً: والله ما منعني من الإسلام إلا تخوف أن تظنوا أني أكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم أسلمت، ثم خرج إلى المدينة وأعلن إسلامه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فردوه إلى زوجته وولديه، ليلتئم شمل الأسرة من جديد، ويعود الود والسكينة إلى ذلك البيت الطاهر.

وشقت زينب في موقفها هذا طريقاً معبداً أمام المسلمين، فلم يمض زمن طويل حتى كان فتح مكة، والتجأ رجلان من بني مخزوم إلى أم هانئ بنت أبي طالب، فأجارتهما وأمَّنتهما، فأمضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمانها وقال: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، وأمَّنَّا من أمّنت». ■

ترجمات

نشرت مجلة «فورتشون» مقالاً تناولت فيه المتغيرات الكبيرة التي أصابت الاقتصاد العالمي من جراء الطفرة الكبيرة والتقدم الكبير في التكنولوجيا المعاصرة ... ترى ما طبيعة هذه المتغيرات وما هي اتجاهاتها وتأثيراتها المستقبلية... يقول المقال:

متغيرات كبيرة في الاقتصاد العالمي تقف وراءها التكنولوجيا المعاصرة

إعداد: عبدالمنعم أحمد

يمتد مصنع باربي لقطع الأخشاب على مسافة تصل إلى عشرة أميال على واجهة بحيرة جنوب شرق وسط سياتل (الولايات المتحدة الأمريكية). وهذا المصنع الذي تمتلكه عائلة باربي منذ ثلاثة عقود والوحيد الذي تبقى في أعظم منطقة في سياتل، قد يُنهي أعماله الخاصة بقطع الأخشاب في القريب العاجل، لقد اشترى المؤسس المشارك لمايكروسوفت «بول ألن» ممتلكات «باربي» وبعض الأراضي المجاورة. إنه يريد أن يخلق مقرات فخمة على الواجهة المائية للبحيرة لأسرته من شركات السوفت وير والاستثمارات، بالإضافة إلى المطاعم، القطارات، حوض للسفن وكل ما يتطلب لإيجاد قاعدة من التكنولوجيا العالية التي تُسرع في التحول من قطع الأخشاب إلى الأعمال الفكرية الخلاقة.

تحول الاقتصاد

إن اقتراح «ألن» هو إحداث عاصفة ناجمة عن موجة جديدة عارمة تجتاح سياتل تحمل الابتكارات القوية وأسواق الأسهم التي تلهب الثقافة التكنولوجية لمنطقة خليج فرانسيسكو على تحويل اقتصاد سياتل مثلها في ذلك مثل وسط منهاتن، مثلث الأبحاث في شمال كارولينا، أوستن في تكساس وبورتلاند أوريغون.

تتمتع كل منطقة تكنولوجية بلون فريد، إلا أن مجال الكيمياء يحمل بين طياته زخماً قوياً في سياتل، فإذا ما ربطنا بين الطموحات الكبيرة والثروات الهائلة لأناس مثل «ألن وبيل غيتس» مع حماس ملتهب بأفكار جديدة وطاقة إدارية وثابتة، ثم أضفنا إلى ذلك قوة «مايكروسوفت» الشاهقة ونوعية الحياة التي يشتهيها الكثيرون من الأمريكيين هنا يمكننا أن نتخيل كما يرى بعض المراقبين، وادي سيليكون جديدة.

الرياح تتجه نحو الشمال

يقول «بول سافو» من معهد المستقبل في كاليفورنيا: «ربما نحن في صدد مشاهدة تحول الجاذبية نحو الشمال، إن الرأسماليين الكبار قد بدأوا فعلاً التوجه نحو الشمال»، حتى «نستكيب»، كبرى الشركات المنافسة لمايكروسوفت، ستكون قريباً في طريقها إلى بيل فيل، وبناء على تقرير صدر حديثاً في «عالم الكمبيوتر» فإن المؤسس المشارك، مارك أندريسن يفكر بخطط لإقامة مركز تطوير في الشمال الغربي لتحجيم منافسه فقط، قال إندريسن للصحيفة: «إن المشكلة الكبرى في استئجار الناس من مايكروسوفت ذلك لايشدهم للتوجه نحو «نتسكيب»، إذ تتركز العملية على نقلهم من منطقة سياتل».

> الرأسماليين الكبار بدأوا فعلاً التوجه نحو الشمال



مثلها مثل المراكز

التكنولوجية الأخرى، فإن سياتل بحاجة لسنوات لكي تستطيع أن تخلق عمالقة من المراكز الكمبيوترية لمنافسة وادي سيليكون، إنها لا تمتلك ذلك المزيج المتنوع من الشركات الموجودة في منطقة الخليج والتي تُصنِّع الهاردوير، السوفت وير، أشباه الموصلات، وأنظمة الشبكات، سياتل عبارة عن بلد سوفت وير، تسودها شركة سوفت واحدة يديرها مواطن من سياتل غني بدرجة كبيرة، ومع مبيعات قد تزيد على ١٠ بلايين دولار لهذه السنة، فإن مايكروسوفت أكبر بعشرين مرة عن ثاني أكبر شركة سوفت وير مستقلة في المنطقة.

سياتل على طريق الريادة

ومع كل ذلك، هنالك علامات تشير إلى أن سياتل مقبلة على انفجار توسعي مع دفعة من الابتكارات مما يجعلها رائدة المعلومات التكنولوجية في العقود المقبلة، بالطبع هناك في الأفق مايكروسوفت المتدربة على كل شيء ابتداء من الشبكات المتحدة إلى وسائل الترفيه، بالإضافة إلى الأموال اللازمة للدخول في صفقات تجارية يومياً، كما تبين من تصريحاتها الأخيرة بالإعلان عن وضع بليون دولار للاستثمار في «كومكاست». غيتس ومايكروسوفت ليسا هما الوحيدين في المدينة، لقد استعادت «نايننتدو أميركا» ريادتها في حروب ألعاب الفيديو مع آلاتها ذات الـ٦٤ بت.

وهناك كذلك «ستارويف» التابعة لألن بول والتي يعتبر ركنها الرياضي «سبورتس زون» الأكثر قيمة في امتيازات الشبكة. إن «غريك مكاو» هو الذي وضع أسس امبراطورية اتصالات سلكية ولا سلكية جديدة، وهو الرائد في مجال الهاتف الخليوي، والذي باع شركته التي تحمل اسمه قبل ثلاث سنوات إلى (AT&T) بمبلغ ١١,٥ بليون دولار، والآن يطلق مكاو مشروعه للأقمار الصناعية العالمية «تليديسيك»، وله حالياً مشاريع مشابهة عديدة، ويستثمر في شركات ستقدم خدمات اتصالات لاسلكية من الأرجنتين إلى الفلبين، وهو يساعد في ذلك للإسراع في تنشيط الخدمات الهاتفية في تلك البلاد. إن معظم الأعمال التكنولوجية يتم فعلاً خارج أملاك سياتل، في تلك الضواحي الممتدة نحو الشرق عبر بحيرة واشنطن، هذه المنطقة المعروفةباسم الجانب الشرقي، هي موطن ومكان عمل البليونيرات المحليين الأربعة: ألين، مكاو، غيتس، وستيف بولمر، نائب رئيس مايكروسوفت التنفيذي، ففي ديدموند تبرز مباني مايكروسوفت حيث كل سنه تبزغ بناية جديدة، وبذلك تمثل مركزاً تتشعب منه الأفرع مثل الشرايين، ومدينة ونتون ذات الطوق الأزرق، تمثل موطن مصنع باربي، وهي عند حافة المنطقة الجنوبية.

الأعمال تتضاعف ثلاث مرات

بالنسبة للأغنياء من أهالي سياتل، تعتبر منطقة الجانب الشرقي حديثة نعمة، وفي هذه المنطقة نرى القصور والفلل

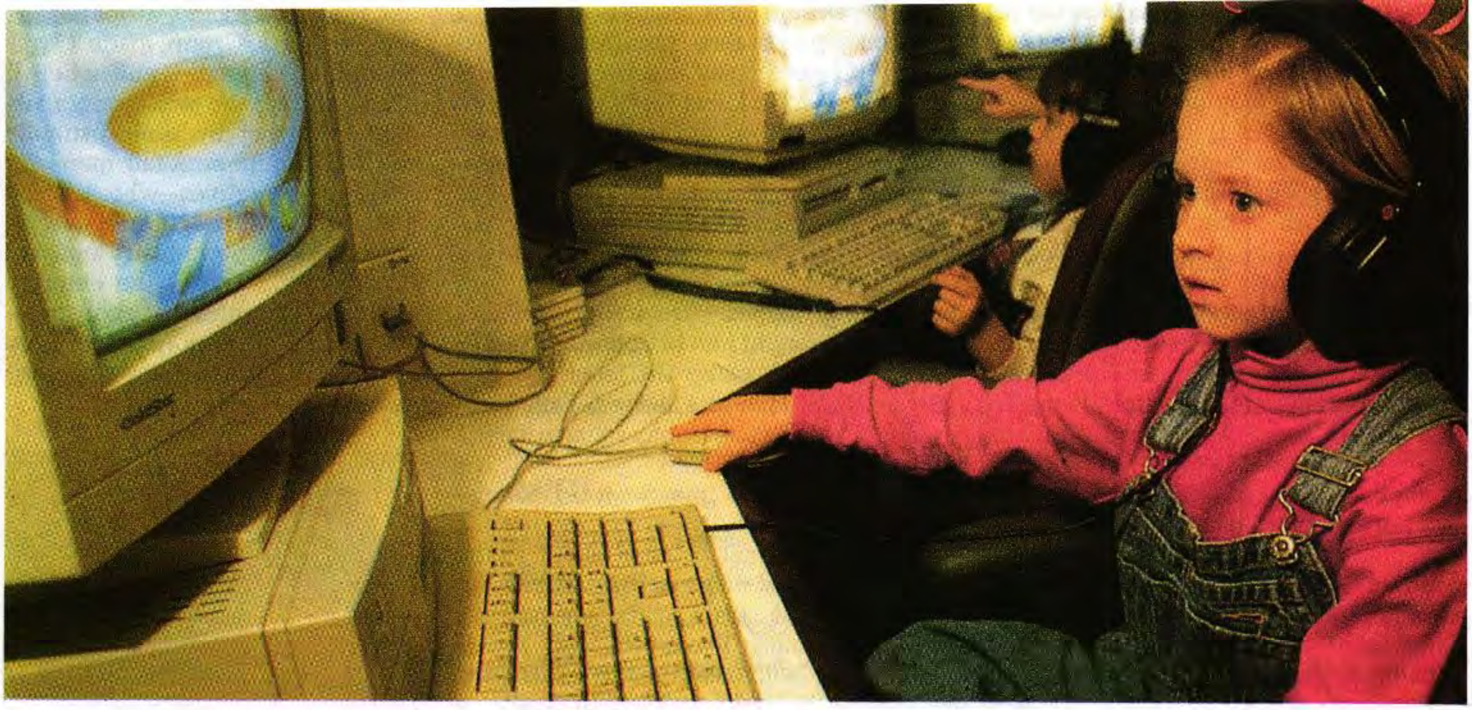
عشرات الشركات تنشط في وضع أسس للمايكروسوفت وبذر الأموال للبدء بالأعمال

الرحبة تتجمع على كل ربوة من الأراضي التي كانت سابقاً للرعي، وفي كل جهة نرى مكاتب مليئة بمستجدين في مجال التكنولوجيا الذين يسرعون باستمرار لإنشاء مكاتب جديدة، وهكذا، وهؤلاء المستجدون يبرزون بسرعة مخيفة، ويقول «تشاد وايت» من مؤسسة شركاء مشروع أولمبيك، وهو صندوق رأسمالي مكرس للتكنولوجيا العالية: «إن معظم خطط الأعمال التي تمر من مكتبه تضاعفت أكثر من ثلاث مرات على مدى السنتين الماضيتين، لقد خلق الارتفاع الحاد لأسهم مايكروسوفت الآلاف من المليونيرات الصغار، ويقول «تشيس فرانكلين» من رجال مايكروسوفت منذ عشر سنوات، والذي سيغادرها قريباً: «يبدأ شركة خاصة به الآن مع أعمال الإنترنت وأسهم مايكروسوفت التي تضاعفت تقريباً ٣ مرات في مدى السنة ونصف السنة الماضية، فإن الناس يشعرون وكأنهم نجوم وسوف لا يتألقون هكذا مرة أخرى، هناك أعداد كبيرة من الناس تسعى الآن لإقامة أعمال لها في الخارج».

مايكروسوفت غبية إن لم تشترنا...

الكثيرون سيتبعون خطى «بيبي بيلز» الأكثر نجاحاً في هذا المجال، وكبداية تكون الإدارة في أيدي رجال «مايكروسوفت» المتقاعدين، وهذه الشركات الصغيرة تسعى لتبقى ملتصقة وبشكل حميم «بالأب الكبير» (غيتس) ولا تحاول الانفصال عنه إذ إن واحدة من هذه الشركات الواعدة، وهي أونيكس سوفت وير، تزود نظاماً مشتركاً متكاملاً يعمل فقط على الويندوز إن تي وباك أوفيس»، يقول بريان جانسن، أحد المؤسسين: «إننا مرتبطون ١٠٠٪ بنجاح مايكروسوفت»، وهو لايتوقع بأن يكتشف سوقه من قبل مايكروسوفت قبل سنتين، وبهذا الخصوص يقول: «مايكروسوفت ستكون غبية إن لم تشترنا». قد تكون «بيبي بيل»، وهي الأكثر بروزاً، تسعى لإقامة سوفت كمعيار لإرسال المعلومات السمعية والبصرية عبر الإنترنت، ويبدو أن الشركة التي يديرها اثنان من كبار رجال مايكروسوفت، وهما: روب غليزر وبروس جاكوبسون، يبدو أنها ورثت عن مايكروسوفت الخطى السريعة جداً والطموحات الكبيرة جداً.

من جهة أخرى، هناك نظام قد بزغ من منطقة الخليج لمساعدة تلك الأعمال الناشئة، لقد افتتح «بنك سيليكون فالي»، المتخصص في تمويل الشركات الناشئة، والتي لا تقدم عليها البنوك التقليدية، افتتح فرعاً له في الجانب الشرقي في يوليو الماضي، وكذلك مجموعة «فنتشر القانونية»، وهي فريق من القانونيين المتخصصين بالتكنولوجيا العالية، افتتحوا مكتباً في المنطقة، وهناك مؤسسات أخرى عديدة في مجالات مشابهة افتتحت لها مراكز وفروعاً في هذه المنطقة، ويعلق على ذلك مدير «ترainت»، جاي وايت هيد، فيقول: «لم أشاهد في حياتي



صناديق رساميل تنشأ بهذه السرعة التي برزت في سياتل خلال الأشهر الستة الماضية»، وهناك كذلك «صناديق صغيرة»، غير رسمية تبرز في جميع أنحاء المدينة، وعشرات الشركات تنشط في وضع أسس للمايكروسوفت وبذر الأموال للبدء بالأعمال، وعلى الرغم من أن سلسلة الأموال تأتي مجتمعة بشكل كثيف، فإن تدوير المهارات والمواهب تبدو بطيئة، ويقول «ستيف أرنولد» مسؤول تنفيذي سابق لدى مايكروسوفت: «إنك تستثمر في التكنولوجيا والأسواق، ولكن في النهاية أنت تستثمر في الناس، وبما أن الشركات في سيليكون فالي لديها أجيال عديدة جداً من أجيال الشركات الناشئة، فهناك أناس من جيل الشركات الثانية، الثالثة الرابعة.

الحاجة إلى نفس عميق

إلا أن «البرغ مادرونا» من مجموعة مادونا الاستثمارية التي تقدم خدماتها لمجلس اتصالات الأمازون وشركات محلية أخرى عديدة، يقول: «إننا لا نمتلك النفس العميق الذي كان يتمتع به المسؤولون التنفيذيون السابقون، مثل سيليكون فالي، وعملياً، فإن جميع الرؤساء التنفيذيين الكبار في اتصالات الأمازون كانوا قد أحضروا من خارج المدينة. يعتقد بعض المستثمرين أن موهبة وكفاءة «مايكروسوفت» قابلة للتشكيك، ويقول نواب الرئيس: «إننا لسنا متأكدين من أننا كوننا من مايكروسوفت يمكن اعتبارنا جزءاً من الموجودات، ينظر أحياناً إلى منتجات مايكروسوفت على أنها السلعة الأولى التي لايتوجب عليها أن تكافح من أجل المصادر أو التوزيع، وإذا قارنا «مايكروسوفت» مع بعض الشركات الرئيسة في سيليكون فالي، نرى بأنها قد تمددت بشكل ملحوظ بإنشاء العديد من الشركات الناشئة، إن الصعود المستمر لأسعار أسهمهما يجعل مغريات البقاء مع بيل يصعب التخلي عنها، ونتيجة لذلك فإن شهوة الترحال والتجول لدى الموظفين التي تتميز

على الرغم من أن سلسلة الأموال تأتي مجتمعة بشكل كثيف فإن تدوير المهارات والمواهب تبدو بطيئة

بها «سيليكون فالي» ليست هكذا في الجزء الشمالي الأعلى، يبدو أن الناس الذين يراهنون خارج مايكروسوفت سيصابون بالإرهاق قبل أن تنتابهم الرغبة ببدء «نتسكيب» جديدة.

وقع عالمي مختلف الصدى...

ينتهي الكثير من الناس في العمل في أحد مجالس الشركات يطورون مسارات معينة في الخليج، يعيدون تنظيم المسارح، أو يقدمون على تربية الماشية في المزارع، يقول بريان جانس: «لكل من الناس وجهة نظره، أما أنا فأريد أن أحدث وقعاً عالمياً بأصداء مختلفة». إن ثقافة الشمال الغربي تلعب دوراً كذلك، فالسعي وراء الأمور المدنية والترفيهية يلقى قبولاً وترحيباً أكثر من البهرجة التي يحدثها عرض الشركات للاكتتاب العام، ومن الأفضل أن تسأل أحد مليونيرات مايكروسوفت: «كيف تبدو الأعمال في الفناء الخلفي؟»، من أن تسأله: «ما العمل التالي الذي ستفعله»؟

في الحقيقة، ليس هناك الكثير من الأدلة التي تشير إلى أن المحللين يرغبون في أن تصبح سياتل القبلة الثانية للتكنولوجيا العالمية، لقد أقفل المقترعون السنة الماضية، وللمرة الثانية، باب التصويت على مشروع يقضي بتحويل منطقة للصناعات الخفيفة إلى متنزه ومركز للتكنولوجيا العالية على الرغم من الدعم الكبير للمشروع من قبل «ألن ومكاو»، وبشكل عام يعتبر النمو مصدر قلق في الشمال الغربي، والشجارات تنشب كل مرة يُعرض فيها اقتراح رئيسي للنقاش... فأسعار الإسكان تحلق عالياً، والمرور، وبالأخص في الجانب الشرقي قد وصل إلى مستويات كاليفورنيا نفسها، ومع كل ذلك هناك خطة «ألن» ببناء واجهة من المباني والمجمعات على البحيرة، المشروع الآن ينتظر دراسة بيئية وافية، إذا قُدِّر لسياتل بأن تصبح سيليكون فالي الثانية، فربما يكون ذلك رغماً عنها. ■



رئة بلاستيكية عوض الطبيعية

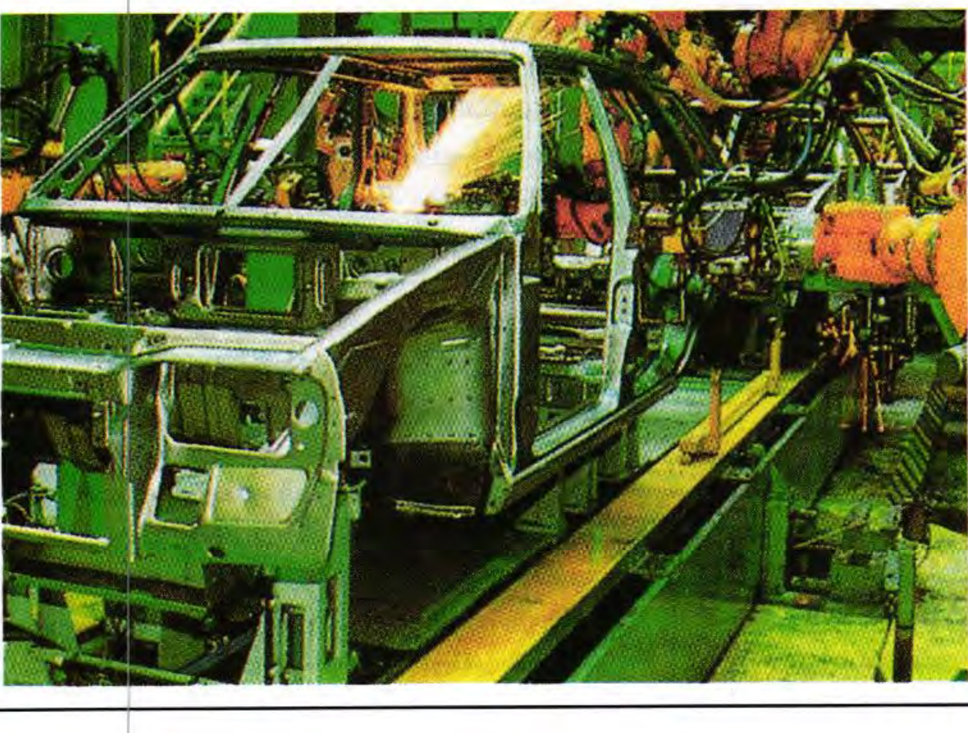
يقوم العلماء الأمريكيون بتطوير رئة صناعية بلاستيكية من شأنها أن تنقذ آلاف المرضى الذين يعانون من سرطانات الرئة، أو الربو المزمن، أو التليف الرئوي، أو الأكياس الهوائية الرئوية... إلخ.

وقد أعلن العلماء عن هذا الابتكار في المؤتمر الدولي للأعضاء الصناعية، وقال الأطباء: إن الرئة الجديدة مصممة بشكل يعوض عمل الرئة الطبيعية، وسمى فريق الباحثين الرئة بـ **(ITAI)** أو ما يعني الرئة الصناعية داخل الصدر، وهذا الجهاز يحتوي على شبكة ألياف أنبوبية خاصة تحمل الأوكسجين وشبكة أخرى تقوم بنزع غاز ثاني أوكسيد الكربون، والجهاز موصول مع الدورة الدموية والرئة العادية، حيث يقوم بتزويد الدم بالأوكسجين، وأخذ الفضلات وطرحها بالطريق التنفسي الطبيعي، وستلعب الرئة الصناعية حالياً دوراً في إنقاذ حياة المرضى الذين ينتظرون زراعة الرئة أو القلب والرئة معاً، وعلى أي حال فإن الرئة الصناعية خطوة جديدة في حل مشكلة زراعة الأعضاء.

الألياف الكربونية تحدث ثورة في عالم المعدات الذكية!

فتحت الألياف الكربونية آفاقاً جديدة في العلوم التكنولوجية وصناعة الأجهزة الإلكترونية الذكية، ومن المتوقع في المستقبل القريب صناعة طائرات وسيارات تستمد طاقتها من الشمس ذاتياً، وتقوم بشحن أجهزتها دون مساعدة الإنسان، وبإمكان المعدات الذكية هذه أن تعطي إنذاراً مبكراً عن الشقوق الخطيرة في أجنحة الطائرات، أو في هياكل السيارات، فقد تبين أن للألياف الكربونية خصائص إلكترونية مفيدة للغاية.

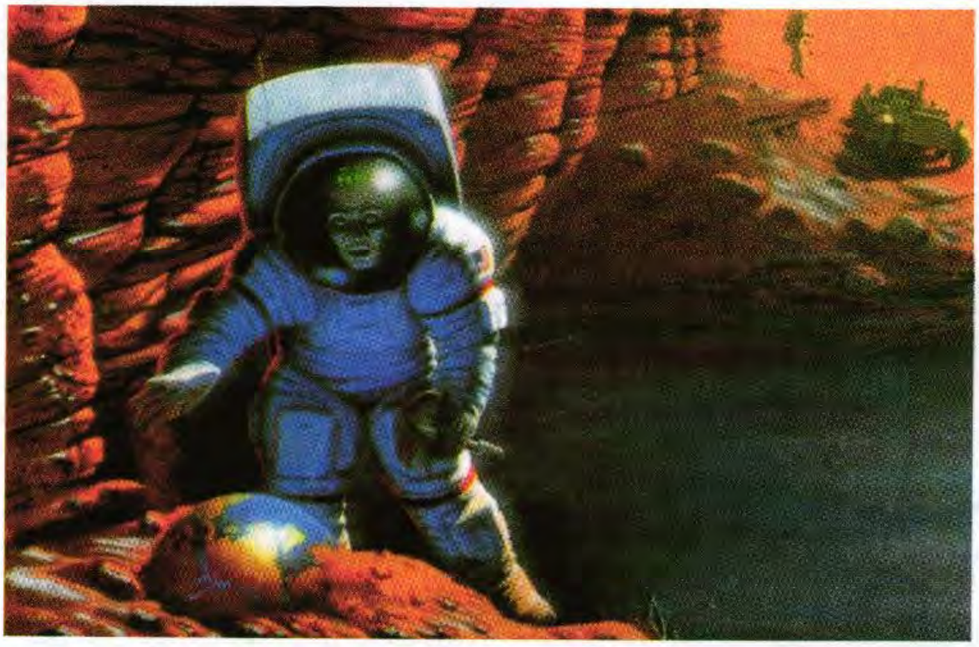
وتتركب الألياف الكربونية من مزيج من خيوط شعرية كربونية ملصقة مع بعضها على شكل طبقات، وتستخدم هذه المادة منذ عقود في بناء الطائرات وأجهزة أخرى، لكن العلماء اكتشفوا حالياً أنَّ لهذه الألياف القدرة على نقل الكهرباء والإلكترونات.



ذراع إلكترونية بيولوجية تعوض عن الأطراف المبتورة

طور العلماء البريطانيون ذراعاً آلية «بيونية» أي إلكترونية - بيولوجية ذكية تستجيب للضغط من شأنها أن تبدل حياة الناس الذين خضعوا لعمليات بتر الأطراف لسبب ما، ويعتقد العلماء الذين قاموا بهذا التطوير - في كل من جامعتي «براد فورد وجرينتش» البريطانيتين - أن الذراع البيونية الجديدة ستقوم بـ ٨٥٪ من الأعمال التي يحتاج إليها الكائن البشري أثناء حياته اليومية، والذراع الجديدة تعمل ضمن برنامج مختلف عن الأذرع السابقة، فتعديل القبضة يتم تبعاً للتبدلات في نقطة التماس بين الذراع الآلية والجسم المراد التقاطه، أما الأذرع الآلية السابقة، فإن تعديل القبضة يتم عن طريق تقليص عضلات الكف أو تحريك الرأس والرقبة، وتقوم الذراع الالكترونية بتعديل ذاتي متوازن، فإذا حدث ارتخاء بين الأصابع والجسم الممسوك، فإن الذراع تحكم القبضة أوتوماتيكياً دون أن يتدخل المريض في ذلك، وهذا يعني أن المرضى ليسوا بحاجة إلى تدريبات فيزيائية متعبة وطويلة الأمد لتدريبهم على آلية إحكام القبضة على الأشياء ويضاف إلى ذلك أن الذراع الإلكترونية تتمتع بالحساسية للحرارة وهذا من شأنه حماية الأشخاص من الإمساك بالأجسام الساخنة جداً والمؤذية للجسم.

علماء يتوقعون بناء «محطات وقود» على سطح المريخ



يعتقد باحثون أن المريخ قد يكون من أسهل الكواكب التي يستطيع الإنسان الوصول إليها قريباً، لكن العودة منه إلى الأرض أمر مختلف.

وفي مؤتمر حافل بتصورات عن عمليات استكشاف فضائية منخفضة التكاليف ركز العلماء على مشكلة شائكة وهي كيف يمكن لرواد الفضاء والمعدات العودة من كوكب المريخ.

وقال بول مويلير عالم الفضاء في مؤتمر هيئة علم الفضاء الدولية السنوي الثالث عن الرحلات الفضائية منخفضة التكاليف أن الإجابة قد تكون «محطة وقود» مريخية باستخدام مصادر موجودة في الكواكب لتصنيع وقود لرحلة العودة إلى الأرض.

وقال مويلير لرويترز إنه بينما كانت هناك العديد من عمليات الهبوط على سطح الكوكب الأحمر لمركبات فضائية بدون رواد وكانت آخرها المركبة باثفايندر التي تمت بنجاح في العام الماضي، إلا أن الإقلاع من المريخ «بالتأكيد أكثر صعوبة من أي شيء آخر قمنا به حتى الآن».

وتمتلك إدارة الطيران والفضاء الأمريكية «ناسا» التكنولوجيا التي تمكنها من بناء مركبات ضخمة، ومعززات لها، يمكن أن تحمل الوقود الخاص بها إلى المريخ ثم تقلع ثانية في رحلة العودة، لكن بتكلفة تصل إلى مليارات الدولارات.

ويقوم فريق مويلير بالاشتراك مع علماء ناسا في معمل الدفع النفاث التابع للوكالة في باسادينا بتطوير نظام لضغط غاز ثاني أكسيد الكربون الموجود في المريخ، ومزجه بالهيدروجين الذي يأخذه الرواد معهم من الأرض لتصنيع الماء والميثان المكونين الرئيسيين لوقود الدفع النفاث.

وسيستخدم النظام في مركبات صغيرة بدون رواد يمكن أن تجمع عينات من التربة والصخور من على سطح المريخ، ثم تقوم بتصنيع وقودها الخاص، ثم تقلع للالتحام مع سفينة أم، تدور حول الكوكب وتعود إلى الأرض بعد ذلك.

وفي حال نجاح هذه المحاولة تتبعها الخطة الرئيسية وهي بناء محطة للوقود على سطح المريخ.

لاصق بيولوجي يؤدي إلى التحام الجلد

شركة «ايثيكون» البريطانية ابتكرت لاصقاً بيولوجياً يسمى «ديومابوند»، وهذا اللاصق يوضع على الجرح بوساطة فرشاة خاصة، حيث يؤدي إلى التسلل في السوائل الناضحة من الجرح، ويحرض سلسلة من التفاعلات السريعة والتي تؤدي إلى تشكيل روابط مرنة ومتينة بين حواف الجرح خلال ثوان معدودة، وبعد دقائق من وضع اللاصق البيولوجي تصبح متانة الجرح موازية في قوتها كتلك التي تحدث بعد سبعة أيام من وضع الغرز الجراحية، ويعتقد الأطباء أن أفضل استخدام لهذا النوع من اللاصق البيولوجي هو للجروح التي لا يتجاوز طولها ٥ سنتيمترات، والناتجة عن السكاكين والأشياء الحادة، ويتميز اللاصق بأنه يمنع نفوذ الماء إلى الجرح أيضاً، وبذلك يمكن أن يأخذ المريض حماماً دون الخوف من حدوث تلوث في الجرح أو التهاب، والجدير بالذكر أن هذا اللاصق غير متوافر الآن في الأسواق الطبية لكن يأمل الأطباء أن يصبح متوافراً في الصيدليات على شكل علبة إسعافية تستخدم عند الضرورة.





سكان فرنسا ٦٠,٩ مليون نسمة

قال المعهد الوطني للإحصاء إن عدد سكان فرنسا بلغ ٦٠,٩ مليون نسمة في مطلع يناير العام ١٩٩٨م، بينهم ٥٨,٧ مليون نسمة يقيمون في فرنسا نفسها والباقون موزعون في الأراضي الفرنسية عبر البحار.

وزاد عدد سكان فرنسا نفسها بمقدار ٢٣١ ألف نسمة في العام ١٩٩٧م، أي ما نسبته ٠,٤ في المئة، وهو أضعف معدل يسجل في السنوات العشرين الأخيرة.

وبعد سنتين من الارتفاع في عدد السكان، سجل معدل الولادات في العام الماضي انخفاضاً بنسبة ١,٤ في المئة وبلغ ٧٢٥ ألف ولادة في العالم ١٩٩٧م في مقابل ٧٣٥ ولادة في العام ١٩٩٦م، بينما تابع معدل الوفيات تراجعه مسجلاً ٥٣٤ ألف وفاة في العام ١٩٩٧م في مقابل ٥٣٦ ألفاً و ٨٠٠ وفاة في العام الذي سبقه.

وللعام الثاني على التوالي زاد عدد الزيجات في العام ١٩٩٧م، حيث بلغ ٢٨٤٥٠٠ زيجة، لكن بمعدل أقل من العام ١٩٩٦م: زائد ١,٤ في المئة في مقابل زائد ١٠ في المئة.

وأخيراً، فإن حصيلة الهجرة «الفرق بين الوافدين والمغتربين» بلغت ٤٠ ألف شخص في مقابل ٣٥ ألف شخص في العام ١٩٩٦م.



خمسة أطفال وشبان يصابون بمرض الأيدز في كل دقيقة

يصاب كل دقيقة خمسة من الأطفال والشبان في العالم من الذين تتراوح أعمارهم بين سن العاشرة و ٢٤ عاماً، بمرض الأيدز، جاء هذا في تقرير عن مرض نقص المناعة المكتسبة نشره برنامج «يو إن أيدز» الذي تشرف عليه مجموعة من خمس منظمات تابعة للأمم المتحدة إضافة إلى البنك الدولي.

وحذر التقرير الذي نشر في موسكو من تحول دول أوروبا الشرقية إلى «أحد المراكز الرئيسية» العالمية للعدوى بالمرض، حيث ازدادت الإصابات ستة أضعاف على الأقل منذ العام ١٩٩٤م، وأشار إلى إصابة ١٩٠ ألف شخص في المنطقة التي تزداد وتيرة العدوى فيها بسبب استعمال حقن المخدرات.

وترافق نشر التقرير مع شروع برنامج الأمم المتحدة حول الأيدز في تنظيم حملة سنوية تحت عنوان «قوة التغيير الحملة الدولية للإيدز مع الشبان».

وفي روسيا حيث ترتفع وتيرة استعمال حقن المخدرات والاتصال الجنسي دون استخدام الواقي الطبي، تتحول الإصابات إلى حال عدوى منتشرة، ولذلك يدعو خبراء الأمم المتحدة إلى إسهام الشباب في عمليات الوقاية من المرض.

وذكر التقرير أن الشبان يتعرضون بشكل قاس للإصابة بالمرض، حيث إن ثلث المرضى في العالم الذين يصل عددهم إلى ٣٠ مليون شخص هم دون سن الرابعة والعشرين، ويتعرض سبعة آلاف شاب في العالم يومياً للإصابة بعدوى فيروس «اتش اي في» الأمر الذي يضيف ٦,٢ مليون حال إصابة جديدة سنوياً.

مؤتمر عن الاقتصاد الإسلامي في ماليزيا

ستنظم الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا والمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب بالبنك الإسلامي للتنمية مؤتمراً عالمياً عن الاقتصاد الإسلامي في القرن الواحد والعشرين، وفي الجامعة الإسلامية بماليزيا في الفترة من ٢٦ إلى ٣٠ أبريل العام ١٩٩٩م.

ودعت الجامعة والمعهد من يرغب المشاركة في المؤتمر من العلماء والمهتمين إلى تقديم خطط عمل مفصلة لبحوثهم العلمية ضمن الموضوعات والمحاور التالية في موعد أقصاه آخر أبريل من العام ١٩٩٨م.

أندونيسيا تبحث عن ٢ مليون طن أغذية

أندونيسيا ستحتاج إلى العون في الحصول على مليوني طن من الطعام لإطعام شعبها خلال السنة المقبلة، وسيوجه نداء للعالم لتوفير هذه الكميات من الغذاء لأندونيسيا.

وذكرت مديرة برنامج الغذاء العالمي «كاترين برثيني» أن أندونيسيا تحتاج إلى ٣,٥ مليون طن من الغذاء لإطعام شعبها للاثني عشر شهراً وستدعو العالم للمساعدة في توفير مليوني طن من الغذاء لأندونيسيا.

وقالت منظمة الزراعة الدولية إن أندونيسيا ستواجه أكبر عجز في إنتاج الغذاء نتيجة لانخفاض حجم المحاصيل وسيواجه ٧,٥ مليون أندونيسي في ١٥ محافظة نقصاً حاداً في الغذاء خلال الموسم المقبل.

هدم ١٠٠ مسجد وقتل ١٦ ألف مسلم في سريلانكا

تشير الأرقام إلى أن حرب التفريغ العرقي التاميلي ضد المسلمين واستخدامهم المسلمين كأداة ضغط ضد الحكومة قد آتت بعض أكلها، حيث قُدر عدد الذين تركوا منازلهم هرباً من حملات الإبادة بأربعمئة ألف مسلم، وطبقاً لأرقام أواخر العام ١٩٩٥م، وهي أحدث الأرقام المتوافرة في هذا الصدد، وتشير الإحصاءات إلى أنه قد تم هدم أكثر من ١٠٠ مسجد وقتل نحو ٦ آلاف مسلم ونهب ما يقارب ألفي متجر، ودمر ٤٥ ألف منزل، وأحرقت زراعات لأكثر من ٢٠٠ ألف فدان، ونهب ما يزيد على ٧٥ ألف طن من محصول الأرز، وسرق ما يقارب من مليوني رأس من البقر والماعز من ممتلكات المسلمين.

دعوة إلى التخلي عن نظام التقاعد المبكر في دول مجلس التعاون الخليجي

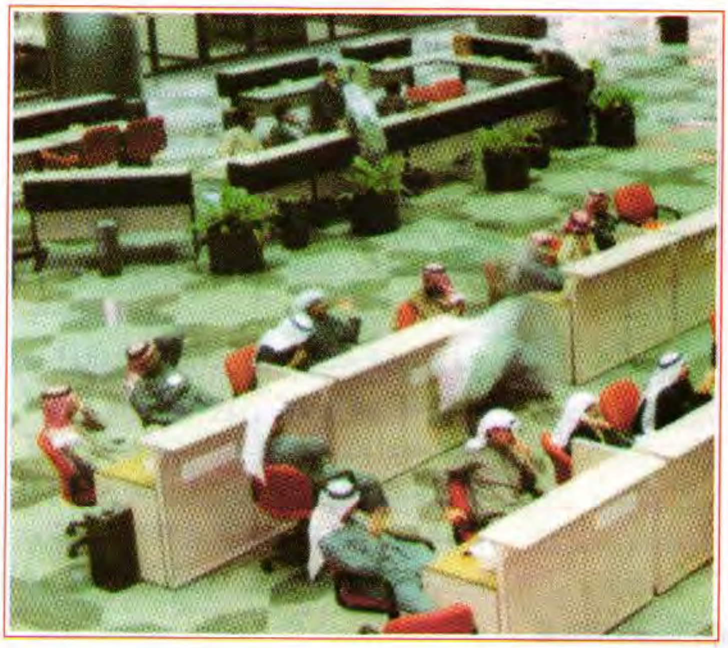
أظهرت مناقشات مؤتمر مكافآت التقاعد ونهاية الخدمة في دول مجلس التعاون الخليجي الذي نظمتها مجموعة بنك الامارات للاستثمارات بالتعاون مع جامعة هارفارد أن على دول مجلس التعاون التخلي عن فكرة التقاعد المبكر إن هي أرادت صياغة أنظمة تأمينات اجتماعية وتقاعدية فعّالة.

وأوضح خبراء تحدثوا أمام المؤتمر أن الفلسفة الجديدة للتأمينات الاجتماعية تقوم على أساس أن يعمل الفرد لفترة أطول لأن الفرد يكون في هذه الحال قادراً على إعالة نفسه مدة أطول من جهة، ويشكل عبئاً أقل على موارد التأمين الاجتماعي من جهة أخرى.

وانتقد المتحدثون فكرة حل مشكلة البطالة بين الخريجين والشباب عن طريق إيجاد أنظمة خدمة مدنية تتيح للموظفين الحصول على تقاعد مبكر، وأشاروا إلى أن هذه الطريقة تنذر على المدى الطويل بانهيار أنظمة التأمينات الاجتماعية في بعض الدول التي اعتمدت تلك السياسة.

وكان من بين الذين تحدثوا أمام المؤتمر الدكتور محمد خلفان خرباش وزير الدولة للشؤون المالية والصناعة في دولة الأمارات الذي أعلن اتجاه الدولة إلى إصدار قانون تأمينات اجتماعية موحد جديد.

وقال إن القانون الجديد يهدف إلى توسيع قاعدة المواطنين الذين ترعاهم نظم المعاشات والتأمينات الاجتماعية لتشمل كل العاملين، كما تهدف إلى إعادة النظر في مكونات راتب المعاش ليشمل البدلات والعلاوات والمزايا الأخرى التي يتقاضاها المؤمّن عليه إلى جانب الراتب الأساسي، وبالتالي تأمين إيراد يوفر مستوى حياة أفضل للمستفيدين وأسرهم عند التقاعد.





تبرع كويتي لجامعة أوتاوا بكندا

قدمت سفارة الكويت في كندا تبرعاً مالياً نيابة عن بيت الزكاة لدعم الأنشطة الإسلامية في جامعة أوتاوا بكندا.

جاء ذلك في الاحتفال الذي أقامته السفارة لتكريم الطلبة المتفوقين في قسم الدراسات العربية بالجامعةوحضره سفيرنا في أوتاوا عبدالمحسن الدعيج وعميد الجامعة مارسيل هملن وكبار المسؤولين الإداريين وعدد من هيئة التدريس في القسم وممثلين عن الصحافة العربية والكندية.

وأعرب الدعيج في كلمته عن أمله في أن تتوطد عرى العلاقات في المجال التعليمي بين الكويت وكندا وخصوصاً فيما يتعلق بأنشطة جامعة أوتاوا.

وأعاد إلى الأذهان ما قدمته الكويت في السابق وقبل تأسيس سفارتها في كندا عام ١٩٩٣م من مساهمات وتبرعات مالية للجامعة الكندية تمثل بتقديم خمسين ألف دولار عام ١٩٨٣م لإنشاء كرسي في قسم الدراسات العربية والإسلامية تحت اسم الكويت.

نوهت بمؤسساتنا القانونية والدستورية

لجنة دولية تشيد باهتمام الكويت بقضايا حقوق الإنسان

أشادت لجنة الأمم المتحدة ضد التعذيب بما حققته الكويت من تطور في مؤسساتها القانونية والدستورية واهتمامها الكبير بقضايا حقوق الإنسان.

وقالت اللجنة إن تقريراً قدمته الكويت أوضح تقيدها بالاتفاقية الدولية ضد التعذيب، كما رحبت اللجنة بالتقدم البارز الذي تحقق إزاء تطبيق القوانين والأنظمة المتعلقة بحقوق الإنسان، من جانبه أعرب مندوبنا الدائم بمقر الأمم المتحدة في جنيف ضرار رزوقي عن سعادته بالمناقشات التي أجراها مع اللجنة مشيراً إلى أن المداولات التي أجريت معها ـ تتكون من ١٠ خبراء ـ كانت ناجحة، وكان عرضنا جيداً واللجنة راضية عن ردودنا، هذا وقد أشاد رئيس اللجنة وخبير حقوق الإنسان الكندي بيتر بيرنز في كلمة باسم زملائه بالكويت لإقامتها المؤسسات القانونية الضرورية لمناهضة أي إساءة في المعاملة، مدير الإدارة القانونية بوزارة الخارجية فاروق النوري قال إنه بمجرد عودة السلطة التنفيذية إلى البلاد عقب التحرير كان أول أولياتها هو إعادة القانون والنظام، وأبلغ اللجنة أن الدستور الكويتي يكفل حماية حقوق الإنسان للمواطنين وإن التعذيب غير مقبول في الكويت بأي صورة كانت وليست هناك ظروف استثنائية تبرر التعذيب.

بريطاني يصبح أول إنسان يقهر قطبي الأرض وأعلى جبالها

أصبح بريطاني أول إنسان يصل إلى قطبي الأرض الجغرافيين والمغناطيسيين ويتسلق أعلى المرتفعات في قارات العالم السبع.

وعبر همبلمان آدامز ورفيقه النرويجي روني جيالدنز ٩٦٦كيلومتراً خلال الأسابيع الثمانية الأخيرة، ما بين جزيرة وارد هنت الكندية والقطب الشمالي في درجات حرارة متدنية جداً بلغت ٨٠ درجة مئوية تحت الصفر. وفي مرحلة سقط همبلمان آدامز عبر الثلوج إلى المحيط المتجمد الشمالي واضطر جيالدنز إلى انتشاله.

ومع وصوله القطب الشمالي يصبح همبلمان آدامز ٤١ عاماً من أعظم المستكشفين الأحياء، فهو أول شخص يكمل «سباقات الجائزة الكبرى»، وهي سلسلة من الأعمال «البطولية» تتكون من ١١ مهمة جبلية قطبية. وتتضمن هذه المهام الوصول إلى القطبين الشمالي والجنوبي الجغرافيين والمغناطيسيين، إضافة إلى تسلق قمم أعلى الجبال في قارات العالم السبع ومنها جبل إيفرست بالهمالايا وجبل كلمناجرو في وسط أفريقيا.

وكان المستشكف البريطاني قد فشل مرتين في الوصول إلى القطب الشمالي الجغرافي.

واستنفدت رحلات همبلمان آدامز ١٨ عاماً من عمره بعد أن بدأها بتسلق جبل جل مكينلي في آلاسكا، وهو أعلى قمة في أمريكا الشمالية، العام ١٩٨٠م.



الصادرات النفطية المصرية ترتفع إلى عشرة بلايين دولار

توقع الرئيس المصري حسني مبارك أن ترتفع قيمة الصادرات النفطية المصرية السنة الجارية إلى عشرة بلايين دولار من ٧,٩ بليون دولار في العام الماضي، وقال مبارك في خطابه يوم ١٩٩٨/٤/٣٠م لمناسبة عيد العمال إن برنامج الإصلاح الاقتصادي هو لمصلحة المواطن، مؤكداً إصرار الحكومة على أن يكون البرنامج مصرياً في كل آلياته مع الحرص على البعد الاجتماعي.

وأضاف أن مصر استطاعت تحقيق نتائج فاقت توقعات الخبراء والمتخصصين، مشيراً إلى أن معدل النمو الاقتصادي ارتفع إلى ٥,٣ في المئة العام الماضي، وانخفض العجز في الموازنة من ٢٠ في المئة العام ١٩٩٠م إلى أقل من واحد في المئة العام ١٩٩٦م - ١٩٩٧م، كما انخفض معدل التضخم من ٢١ إلى أربعة في المئة خلال السنة الحالية، وانخفض الدين الخارجي من ٥٢ بليون دولار إلى ٢٨ بليوناً.

عودة ثمانية آلاف لاجئ صومالي

تم إعادة ثمانية آلاف لاجئ صومالي كانوا موجودين منذ الحرب الأهلية في معسكرات اللاجئين في شرق أثيوبيا وسيجرى توطينهم في هرجيسا وبورما ومناطق أخرى في شمال الصومال... هؤلاء جزء من سبعة وعشرين ألف لاجئ أنهت المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة والحكومة الأثيوبية إعادتهم إلى البلاد

التجارة منحته براءة الاختراع

كويتي يبتكر جهازاً يساعد المشلولين والمعاقين على المشي

منحت وزارة التجارة والصناعة مواطناً كويتياً شهادة براءة اختراع لابتكاره جهازاً يساعد المعاقين على المشي ويعد الأول من نوعه في هذا المجال، وقال المخترع خالد مرضي العنزي إن فكرة الاختراع جاءت نتيجة معاناة أسرته بشكل عام، وشقيقه بشكل خاص جراء إصابته بالشلل الذي أفقده القدرة على الحركة مما دفع الأسرة إلى السفر إلى عدة دول طلباً للعلاج ولكن دون جدوى.

وأوضح أن هذه المعاناة دفعته إلى التفكير بشكل جدي في إيجاد وسيلة تخفف من معاناة شقيقه وتجعله قادراً ولو بشكل جزئي عى التنقل من مكان إلى آخر وخدمة نفسه ومساعدتها في أبسط الأمور الحياتية.

وذكر أن الفكرة تبلورت في ذهنه بعد أن اطلع على عدد كبير من الأجهزة التي يستخدمها المعاقون وزيارة عدد من المشافي المتخصصة في معالجة هذا النوع من الحالات الإنسانية داخل الكويت وخارجها إضافة إلى متابعة لعدد من المجلات العلمية التي تهتم بشؤون المعاقين، وأضوح أن الجهاز الجديد هو عبارة عن عربة مزودة بثماني عجلات تساعد المعاقين - وليس المصابين بكسور في العمود الفقري - على المشي بطريقة سهلة خالية من التعقيدات الكهربائية مع مراعاة تمتع العربية بشكل أنيق وتصميم مبسط.

وأضاف أن العربة تحتوي على سنادة للظهر على شكل قوس تساعد المعاق على الوقوف الطبيعي كما تحتوي على قضيب حديدي بأعلى الرأس يساعد المعاق على تحريك يديه وتمرينها وهو في وضع الوقوف.

وقال العنزي إنه رسم الفكرة ونفذها في اليوم التالي في أحد مصانع الخراطة في دولة الكويت وعرضها على النادي العلمي الذي أيد الفكرة وشجعه وقدم التسهيلات اللازمة لتسجيلها كبراءة اختراع في وزارة التجارة حملت الرقم ٩٨/ب/١/٤١.



روضة الوعي

إعداد :
أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) الحشر: ١٨.

من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي:

ـ «نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة» متفق عليه

من أخلاق المسلم

المسلم صادق، يحب الصدق ويلتزمه ظاهراً وباطناً في أقواله وفي أفعاله، إذ الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والجنة أسمى غايات المسلم، وأقصى أمانيه.

قال تعالى في الأمر به: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) التوبة: ١١٩.

وقال في الثناء على أهله: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الأحزاب: ٢٣.

وقال: (والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون) الزمر: ٣٣، وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الأمر به: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» رواه مسلم.

ـ راحة الضمير، وطمأنينة النفس، لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ «الصدق طمأنينة» رواه الترمذي.

ـ البركة في الكسب، وزيادة الخير، لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما». رواه البخاري.

ـ الفوز بمنزلة الشهداء، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه» رواه مسلم.

لغويات

كلمة الرمان أصيلة في اللغات العربية القديمة، وردت في أسماء الأشجار والنباتات في المصادر المسمارية بهيئة نرمو، وأرمانو، وفي العبرية رمون وفي الآرامية رمانا، وفي الحبشية رمان، والجدير بالذكر أن الرمان في المصادر المسمارية الأكادية مذكور بأنواعه مثل: نرمو طابو (أي الرمان الطيب)، ونرمو دشبو (أي الرمان الدبسي)، ونرمو حمضو (أي الرمان الحامض).

من وصايا السلف

كتب عبدالملك بن مروان وصية زياد ابن أبيه بيده، وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها وهي:

إن الله عز وجل جعل لعباده عقولاً عاقبهم بها على معصيته، وأثابهم بها على طاعته، فالناس بين محسن بنعمة الله عليه، ومسيء بخذلان الله إياه، ولله النعمة على المحسن، والحجة على المسيء، فما أولى من تمت عليه النعمة في نفسه، ورأى العبرة في غيره، بأن يضع الدنيا بحيث وضعها الله فيعطي ما عليه منها، ولا يكترث بما ليس له منها، فإن الدنيا دار فناء ولا سبيل إلى بقائها، ولا بد من لقاء الله، فأحذركم الله الذي حذركم نفسه، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة، قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا إليها، فلا تقدرون على توبة وليس لكم منها أوبة، وأنا استخلف الله عليكم واستخلفه منكم.

التقويم الهجري

وضع التقويم الهجري في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يوم الأربعاء في ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ١٧ هجرية، فقد جمع الصحابة في ذلك اليوم وتداولوا في اختيار مبدأ التقويم.

قال بعضهم: نؤرخ لسنة مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال فريق آخر: نؤرخ لسنة البعثة «بعثة النبي صلى الله عليه وسلم».

وقال فريق ثالث: نؤرخ لسنة الهجرة لأن وقت الهجرة معروف ولم يختلف عليه أحد.

وأخيراً قال سيدنا عمر رضي الله عنه «الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها وبالمحرم لأنه منصرف الناس من حجهم»... اتفقوا على ذلك.

وقد اتخذ أول محرم من السنة التي هاجر فيها النبي ـ صلى الله عليه وسلم مبدأً للتاريخ الإسلامي.

ويعتبر أول يوم من التقويم الهجري أول هلال شهر محرم الذي يوافق ١٦ من يوليو «تموز سنة ٦٢٢ ميلادية».

وكان العرب يستعملون السنة القمرية منذ أقدم العصور التاريخية، وكان بها ١٢ شهراً قمرياً أي ٣٥٤ يوماً تقريباً وهي تنقص عن السنة الشمسية بنحو ١١ يوماً ولهذا فمبدؤها لا يقع في وقت ثابت من فصول السنة، بل ينتقل فيها، وقد يقع في الشتاء في إحدى السنين، وبعدها بنحو ١٦ سنة يقع في الصيف، ورأس السنة يمر بجميع الفصول مرة كل ٣٣ سنة.

والأشهر القمرية المدنية تكون ٣٠ يوماً إذا كانت فردية الترتيب، و٢٩ يوماً إذا كانت زوجية وذلك كما يأتي:

المحرم ٣٠، صفر ٢٩، ربيع الأول ٣٠، ربيع الآخر٢٩، جمادى الأولى ٣٠، جمادى الآخرة ٢٩، رجب٣٠، شعبان٢٩، رمضان ٣٠، شوال ٢٩، ذو القعدة ٣٠، ذو الحجة ٢٩.

احتسب على نفسك

حكى الشيزري أن رجلاً حضر عند السلطان محمود بن سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية في أفغانستان سنة ٣٨٩هـ، فنظر السلطان فرأى شاربه قد غطى على فمه من طوله، وأذياله تسحب على الأرض فقال له:

يا شيخ، ماذا تريد؟

قال: اسألك أن أتولى الحسبة بمدينة غزنة،

فرد عليه السلطان: اذهب فاحتسب على نفسك ثم عد واطلب الحسبة على الناس.

أعرف نفسي

مرَّ يزيد بن المهلب عند خروجه من السجن بعجوز أعرابية فذبحت له عنزاً، فقال لابنه: ما معك من النفقة؟ قال: مئة دينار، قال: ادفعها إليها، فقال: هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك، قال: إن كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

أمثال مشهورة

- من أمن العقوبة أساء الأدب.
- البطنة تذهب الفطنة.
- من كتم سره ملك أمره.
- ما لا يدرك كله لا يترك جله

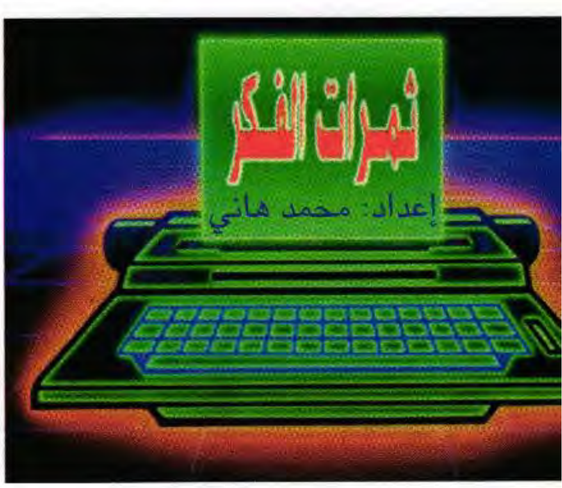
العلة والعداوة

إذا أحدث لك العدو صداقة لعلة ألجأته إليك، فاعلم أنه مع ذهاب العلة رجوع العداوة، كالماء تسخّنه فإذا أمسكت عنه عاد إلى أصله بارداً، والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لن تثمر إلا مراً.

كن عالماً

قال عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه:

إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحببهما، فإن لم تستطع فلا تنفيهما.



الإسلام بين الحقيقه والافتراء

عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة صدر كتاب باللغة الانكليزية يحمل عنوان: «الإسلام بين الحقيقة والافتراء... تصديات للافتراءات المروجة عن الإسلام»، وقد شارك في تحرير هذه الموضوعات ستة من العلماء والمفكرين من مصر هم: الدكتور أحمد شلبي، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور أحمد كمال أبو المجد، والدكتور عبدالصبور مرزوق، والدكتور محمود حمدي زقزوق، والدكتور عبدالصبور شاهين.

ويتناول الكتاب طائفة من الشبهات والافتراءات التي يروجها خصوم الإسلام فيدحضها بالحجة الدامغة ويرد عليها بالمنهجية العلمية مع بيان حقائق الإسلام بأسلوب في غاية الوضوح وقام بترجمة الكتاب إلى اللغة الانكليزية الأستاذ حسن حداد.

دراسات نفسيه حديثه معاصرة فى البيئه والصناعه والمهن والأعمال

يسهم البعد النفسي إسهاماً كبيراً في مجالات الحياة العصرية كافة، ولذلك ينبغي نشر الوعي السيكولوجي أو الثقافة السيكولوجية في مواجهة ما يمتاز به العصر من تعقيد وصعوبة وارتفاع في مستويات الطموح، ويسهم علم النفس أيضاً في عمليات حيوية في العملية الإنتاجية لتحليل العمل والهندسة البشرية والتوجيه والتدريب المهني والاختيار المهني إلى جانب دراسة الشروط الفيزيقية المثلى المحيطة بالعمل. ومن أجل كل ما سبق جاء كتاب «دراسات نفسية حديثة» معاصرة للدكتور عبدالرحمن العيسوي ليضع بين طلاب الدراسات النفسية والاجتماعية والتربوية والبيئية جملة من الحقائق والخبرات النفسية التي يحتاجون إليها وسط مجتمع يخوض غمار معركة حامية نحو التنمية والنهوض والتطور والتقدم والازدهار، يقع الكتاب في نحو ٢٨٨ صفحة من القطع المتوسط وقامت بنشره دار المعارف في القاهرة.

دور حريه الرأي فى تحقيق الوحدة الفكريه بين المسلمين



هذا الكتاب من تأليف الدكتور عبدالمجيد النجار ومن إصدارات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم «الايسيسكو» وهذا الكتاب يتضمن تأصيلاً شرعياً ومنهجياً لمفاهيم الوحدة الفكرية بين المسلمين وأركانها، وحرية الرأي ومستنداتها الشرعية، وكيف تسهم حرية الرأي في تثبيت أركان الوحدة الفكرية وذلك من حيث هي وسيلة مفضية إلى إقامتها على أسس ثابتة من البحث الحر والاقتناع الصادق والحوار الهادئ والاختلاف المتسامح، ويحاول المؤلف أن يثبت أنَّ حرية الرأي وهي المبدأ القرآني ليست عامل فرقة بين المسلمين، كما تخوف المتخوفون منها فعطلوها أو كادوا، واستثمر ذلك منهم المستبدون في الفكر والسياسة، وإنما هي ـ على العكس من ذلك ـ واحد من أقوى عواملها.

كتابان فى الشورى





هل سألت نفسك ما الشورى، ما فوائدها، وما منزلتها في الإسلام، وما دورها في حياتك أيها المسلم، وفي حياة أمتك ومصيرها؟! كثر الحديث عن الشورى وكادت الدراسات كلها تنحصر في قضية واحدة وهي: هل الشورى ملزمة أم غير ملزمة؟! وكثر الجدل حولها دون أن يطبقها هؤلاء وهؤلاء.

جاء الكتاب الأول «الشورى وممارستها الإيمانية» من تأليف الدكتور عدنان علي رضا النحوي ليعترض على حصر القضية في هذا الطرح، وليبين أن الشورى نظام رباني متكامل له قواعده التي عرضها كلها منهاج الله.

جاء هذا الكتاب يعرض هذا النظام ويبين ملامح ممارسته في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ماذا نحتاج في واقعنا اليوم من الشورى؟! ما مسؤولياتنا وواجباتنا حتى تحقق الشورى أهدافها؟! هل تستطيع الشورى أن تعمل وتحقق أهدافها معزولة عن ممارسة سائر قواعد منهاج الله على تكامله وترابطه وتناسقه، الشورى تحقق كل ما يطمح إليه الناس من الديمقراطية، وأكثر منها، فلماذا يُصرُّ بعضهم على الديمقراطية؟

أسئلة كثيرة تثور في نفس المؤمن اليوم عن الشورى، ستجد إجاباتها إن شاء الله في هذه الدراسة المفصلة في هذا الكتاب الذي جاء بالقطع الكبير في ٦٧٥ صفحة.

أما الكتاب الثاني فجاء متمماً للكتاب الأول، وهو تحت عنوان «الشورى لا الديمقراطية» يقول المؤلف حفظه الله:

كان مما أصاب العالم الإسلامي من هوان التبعية أن ظن الكثيرون أن أفكار الغرب ونظمهم هي القدوة والمثل، فألصقوا ألفاظ الفكر الغربي بحقائق الإسلام واستبدلوها بها، فأخذنا نسمع اشتراكية الإسلام، وحداثية الإسلام، وديمقراطية الإسلام، حتى غالى بعضهم فوقع في الانحراف الشديد، فالديمقراطية كما يُعرِّفها أهلها وصانعوها ـ لا كما يتوهمها بعض أبنائنا ـ بعيدة عن الإسلام، وإن كان فيها من الزخارف ما يوهم بلقائها معه في نقاط، ولكن الجوهر مختلف كل الاختلاف بين الشورى والديمقراطية.

والشورى تحقق للإنسان كل ما يطمح إليه بعض الناس من الديمقراطية فلماذا يصرون على المناداة بالديمقراطية إصراراً يفوِّت كثيراً من الفرص لنمو الشورى في أمتنا نمواً طبيعياً، نمواً يعطي كل بركة الشورى وخيرها.

ولبيان ملامح هذا الاختلاف جاء هذا الكتاب ليكشف عيوب الديمقراطية في واقعها وممارستها في حياة الإنسان والجرائم التي ارتكبتها في حق البشرية.

وإن أعظم ما يتوهمه الناس من الديمقراطية هو أدنى من أقل ما تقدمه الشورى في الإسلام، وإن أهون جريمة قامت بها الديمقراطية هي من كبائر ما ينهى عنه الإسلام، والكتاب يقع في ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط.

جائزة مكتبه الشيخ على بن عبدالله آل ثانى للعلوم الشرعيه والفكر الإسلامى

إسهاماً في تشجيع البحث العلمي، تنظم مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني - رحمه الله - الوقفية، مسابقة بحثية في مجال العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، جائزتها خمس وسبعون ألف ريال قطري.

موضوع الجائزة لهذا العام: «قضايا البيئة من منظور إسلامي».

شروط الجائزة:

١ - يُشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أعدت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوافر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والجدة والابتكار.

٢ - يُقدم البحث في ثلاث نسخ، مكتوباً على الآلة الكاتبة، ويفضل أن يكون مكتوباً على الحاسوب، على ألا يقل عدد صفحاته عن مئتين وخمسين صفحة، ولا يزيد على ثلاثمئة صفحة «فلوسكاب».

٣ - يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتفشت أن البحث الفائز قد نشر سابقاً، أو قُدِّم إلى جهة أخرى، أو لغرض آخر، أو مستلاً من رسالة علمية.

٤ - يُرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه وثبتاً بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

٥ - آخر موعد لاستلام البحوث نهاية شهر سبتمبر من عام ١٩٩٨م.

٦ - تعرض البحوث على لجنة من المحكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة.

العنوان البريدي:

ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:

ص. ب: ٨٩٣ - الدوحة - قطر

لمزيد من الاستفسار، يُرجى الاتصال على:

هاتف: ٣٢٤٥٨٤ - ٣٢٤٥٨٦ - ٣٢٨٢٥٤ - فاكس: ٤٤٧٠٢٢ - ٠٠٩٧٤.

فهرس المخطوطات العربيه الإسلاميه فى باكستان

صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الجزء الأول من كتاب «فهرس المخطوطات العربية الإسلامية» في باكستان، من إعداد الدكتور أحمد خان، ويقع الكتاب في ٥١٤ صحفة من القطع الكبير، ويشتمل على تعريفات موجزة مركزة لثلاثمئة وستين مخطوطاً عربياً في علوم القرآن والدين، وفي شتى الموضوعات: الفقهية واللغوية والتاريخية والعلمية والأدبية والصوفية، وفي التراجم، والرياضيات، والحكمة، والسيرة، والأنساب، والطب، والفلاحة، والفلسفة، والمنطق، والكيمياء، والنبات، وهي مخطوطات تحتفظ بها خزائن الكتب في جمهورية باكستان الإسلامية، وتشكل ذخيرة غنية من التراث العربي الإسلامي النابض بالحياة إلى اليوم.

واتبع مصنف الكتاب قواعد فهرسة المخطوطات، وهي ذكر اسم المخطوط والتعقيب على ذلك بذكر اسم مؤلفه وسنة وفاته، وذكر تاريخ النسخ واسم الناسخ ومكان نسخه، ووصف عدد أوراقه وعدد الأسطر في الصفحة منه ومسطرته، ونوع خطه ولون حبره، وإيراد بضعة سطور من بداية المخطوط ومن نهايته، وبيان لحالة المخطوط قدماً وجدة كاملاً أو ناقصاً وما عليه من سمَات وتمليكات وأختام، وإيراد عنوان المكتبة التي تختزنه ورقمه بها، وذكر موضوع المخطوط.

ويشتمل هذا الفهرس على عدد من نوادر المخطوطات، مثل مؤلفات عبدالعزيز بن أحمد الفريهاروي، ورسائل ابن العربي، وشرح منازل السائرين للشيرازي، وطبقات القراء للذهبي، التي يذكر المصنف أنها النسخة الفريدة في العالم، وكذلك نسخة شفاء السقام ودواء الآلام لخضر بن علي بن الخطاب التي يقول عنها المصنف إنها نادرة جداً، ونسخة من المصحف الشريف انتسخها ياقوت المستعصمي، وصحيح البخاري، ونسخة من كتاب عجائب الأشعار وغرائب الأخبار للشيزري.

وقد قدّم لهذا الفهرس الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، حيث أبرز الأهمية العلمية لهذا الكتاب، وأعرب عن الأمل في أن يفتح هذا الفهرس الذي تنشره المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وتعرف برصيده المكتوب باللغة العربية لأول مرة، نافذة جديدة أمام الباحثين في العالم الإسلامي فيما يتعلق بالقواعد العامة والخاصة بتحقيق المخطوطات العربية وتوثيقها.

أخبـار ثقافيـه

● وجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مؤتمره الرابع والستين نداء إلى الحكومة المصرية وجميع الحكومات العربية، لإصدار تشريعات تحظر كتابة اللافتات على المحال التجارية، والفنادق والشركات بلغات أجنبية، مع حظر كتابة الأسماء والكلمات الأجنبية بحروف عربية.

وناشد المؤتمر الحكومات العمل على التزام اللغة العربية الفصيحة في جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية وفي مسارح الدولة والمسلسلات من أجل حماية العربية السليمة، لغة الفكر والثقافة والأدب والعلم والدين من كل ما يعوق أو يفسد تعلمها ونشرها في الأمة.

● نظمت الجمعية المغربية للدراسات والبحوث في الاقتصاد الإسلامي بالتعاون مع المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة خلال الفترة من ٥ - ٨ مايو الماضي في الدار البيضاء ندوة عن الاقتصاد الإسلامي تحت عنوان: «التطبيقات الاقتصادية الإسلامية المعاصرة»، ومن المحاور التي نوقشت خلال الندوة: قواعد تطبيق الشريعة في الاقتصاد، السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي - النظرية والتطبيق، السياسة النقدية في التطبيق الإسلامي، العمل المصرفي الإسلامي - رؤية تحليلية، الصناديق الاستثمارية الإسلامية، التأمين التعاوني الإسلامي - التجربة المعاصرة، التطبيق الحكومي المعاصر للزكاة، التطبيق الأهلي المعاصر للزكاة، مؤسسة الوقف في التطبيق المعاصر.

● صدرت مؤخراً عن «دار غارنت» في لندن بالاشتراك مع «مركز الإسهام الإسلامي في الحضارة» بقطر أول ترجمة انكليزية لكتاب «البخلاء» للجاحظ في إطار سلسلة من أمات الكتب التراثية الإسلامية «الكتب الكبرى في الحضارة الإسلامية» الهادفة إلى تعريف القارئ الغربي بالإنجازات المهمة التي حققها المسلمون خلال تاريخهم الطويل وساهموا بها في بناء صرح الحضارة الإنسانية على مر العصور. والترجمة قام بها البروفيسور الراحل «ر.ب. سيرجنت» وقد بذل فيها جهداً بارزاً، ومع أن الترجمة كانت مكتملة عندما توفي سيرجنت، إلا أن ثمة نواقص في الهوامش والملاحظات كانت تتطلب عملاً إضافياً، وقد قامت به الدكتورة «وديعة نجم» والبروفيسور «ركس سميث».

فتاوى

تنفيذ الوصية

عرض على اللجنة السؤال التالي:

رجل يقول: توفي والدي، وكان مشتركاً في صندوق الضمان الاجتماعي، ولديه زوجة وتسعة أولاد، وقد أوصى بصرف الضمان الاجتماعي لزوجته عفاف وأولاده القصَّر. «مازن وأحمد ومحمود»، وهم من الورثة الشرعيين.

الرجاء إفادتنا في كيفية صرف قيمة الضمان وجزاكم الله خيراً

- أجابت اللجنة بالآتي:

أولاً: إن هذه وصية لبعض الورثة دون البعض.

ثانياً: إن هذه وصية بمعدوم، ذلك أن الوصي لم يكن مالكاً حين الوصية لما أوصى به.

وبالنسبة للأول، فإن الإنسان إذا أوصى لوارثه، ولم يجزها باقي الورثة لم تصح ولا خلاف بين العلماء في ذلك، وإن أجازها باقي الورثة فهي صحيحة نافذة، وإن أجازها بعضهم دون البعض الآخر، نفذت في نصيب من أجازها.

وبالنسبة لكون الموصى به لم يكن موجوداً وقت الوصية، فلا يمنع ذلك من صحة الوصية، فإن الوصية بالمعدوم جائزة، فإنه يُمْلَك، فلم يعتبر وجوده وقت الوصية، ولأن الوصية أجريت مجرى الميراث، ولو مات إنسان وتجدد له مال بعد موته فإنه يسقط في شبكته حين ورثه ورثته، ولذلك قضي بثبوت الإرث في ديته وهي تتجدد بعد موته، فجائز أن تملك الوصية المعدومة حين الإيصاء، وإن أجاز باقي الورثة الوصية نفذت وقسِّمت على الزوجة والأولاد بالتساوي، لأن الموصي جعلها بينهم بلا تفاضل، والشركة تقتضي المساواة.

هذا وقد كانت اللجنة أجابت عن هذا السؤال، وبالمراجعة تبيَّن أن الإجابة تقتضي إيضاح بعض الأمور، وبعد الإيضاح أجابت اللجنة بهذا الجواب... والله أعلم.

الأكل من طعام مخلوط بأطعمة محرَّمة

عرض على اللجنة السؤال التالي:

أنا أدرس في بلد لا يدين أهله بديانة الإسلام، ولا يذبحون ذبائحهم على الطريقة الإسلامية، بل يذبحون الحيوانات بمكائن كهربائية أو طلقات نارية، والحيوانات التي تُباع حية وإنما تذبح ذبحاً باليد بعيدة عني وعن سكني، وأنا رجل عسكري وممنوع من قيادة السيارات، وعندنا «كافتيريا» تحت السكن على حساب الحكومة، وهي تحضر أنواع اللحوم المختلفة من غنم وبقر وخنازير، وأنا آكل من الأبقار والأغنام فقط، مع العلم أنني أعلم أنها ليست مذبوحة على الطريقة الإسلامية، وأريد أن أطبخ، فما أملك سوى أن آكل من الجمعيات لحوماً غير مذبوحة على الطريقة الإسلامية، وأزيدكم علماً أن مشتقات الخنزير من دهون وغيرها تدخل في كل مأكول لهم حتى في الخبز، ولو امتنعت عن الأكل في «الكافتيريا» لم يكفني راتبي الشهري، وأنا أعرف أن الإسلام دين يسر وليس دين عسر، فما قول الشريعة الإسلامية في حالي هذه؟

- وأجابت اللجنة بالآتي:

في حال الذبح الذي تذبح به الحيوانات المذكورة، إن كان يقطع الحلقوم والمريء والودجين أو أكثرها فهو حلال لأنه من طعام أهل الكتاب، أما إن كان يصعق بالكهرباء صعقاً لا يعيش بعده لو ترك فلم يذبح فإنه لا يحل ولو ذبح بعد ذلك، مثل ذلك يُقال في ما قتل بالطلق الناري، أما لحم الخنزير فهو محرّم قطعاً، أما المواد المأخوذة من الخنزير، فإن عولجت بحيث خرجت عن طبيعتها وصارت مادة أخرى، فلا بأس باستعمالها عند الحنفية، وقد اختارت اللجنة الأخذ بذلك تيسيراً على الناس.

وما ذكره السائل من بعد الشقة بينه وبين المناطق التي فيها ذبائح لاشك في حلها، فليس هذا من قبيل الضرورة التي تبيح المحرّم لأن له في السمك والبيض والخضار والفاكهة مندوحة، وإننا نرى الجاليات اليهودية قد حرصت على المحافظة على ألا تتناول طعامها إلا على الطريقة المشروعة في ديانتهم، فيا حبذا لو راعت الجاليات الإسلامية في كل مناطق العالم أحكام دينها.

على أن مجرد الشك في كون أن الذبيحة قد ذبحت على الطريقة غير الشرعية لا يكفي لتحتم الامتناع عنها إذ الأصل في الأشياء الحل، فإن وقع مثل هذا فليسم بالله وليأكل ولكن إذا تحقق من التحريم فعليه العمل بما بيَّناه في هذا الجواب، والله أعلم.

أكل حيوان أُطعم دماً

عُرض على اللجنة السؤال الآتي:

يرجى إفادتنا عن جواز إطعام الدجاج الدم والعظام الجمعة من المسالخ وغيرها، حيث إنه تبيَّن لنا أن معظم الدجاج يطعم بهذه الأنواع من الأكل وجزاكم الله خيراً.

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن إطعام الدجاج أو غيره من الدواب الدم والعظام المجمعة من المسالخ وغيرها لايمنع من كون أكلها حلالاً، والله أعلم.

استبدال الإطعام بالقيمة في الهدي

هل يجوز استبدال هدي التمتع والقران بالصيام أو بالقيمة إذا تحققنا من عدم الاستفادة من لحمه، علماً بأن الله تعالى يقول: «فاطعموا القانع والمعتر»؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

أنه يجب عليه ذبح الهدي سواء وجدت الاستفادة أو لم توجد، إن كان من عليه الهدي مستطيعاً، ولا يحل له أن يذبح الهدي ويرميه لأنه من إضاعة المال، بل يأكل منه ويطعم الآخرين، والله أعلم.

تصرف الأب بأموال الأخ لإخوته

ورد إلى لجنة الإفتاء السؤال التالي:

هل يحق للأب أن يتصرف بأموال الأخ لإخوته سواء كانوا بالغين أو قاصرين وسواء أكانت هذه الأموال منقولة أم غير منقولة حتى لو كان هذا الابن متزوجاً وله ستة أولاد؟

وقد سألته اللجنة عن ظروف الموضوع فقال: إنني اشتريت أرضاً لنفسي من مالي الخاص في بلدي ونظراً لمراعاة خاطر أبي وخوفاً من غضبه، حيث استنكر إثبات اسمي في العقد مادام والدي حياً ولذا كتبت العقد باسم والدي مع أن الجميع يعرف بأن الأرض لي شخصياً، وقد بنيت على قسم منها منزلاً لي ولأولادي والآن يريد أحد إخوتي البناء على القسم الآخر بمعرفة والدي رغماً عنّي.

ـ أجابت اللجنة:

إذا صحّ ما يقوله السائل من أنه اشترى الأرض لنفسه ودفع ثمنها من ماله الخاص، وأن كتابة العقد باسم والده كانت مجرد مجاراة للعادة المتبعة وليس على سبيل التمليك والهبة لوالده أو لإخوته بعد ذلك، ولا تنازل لأحد منهم عنها أو عن جزء منها، فإن ملكيتها باقية له وله مطلق التصرف فيها وليس للأب أن يتصرف في مال ابنه البالغ الراشد إلا بتوكيل أو تراض لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) النساء: ٢٩، ولقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»، وأما قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أنت ومالك لأبيك»، فجمهور العلماء يعتبرون الكلام أنه محمول على الدعوة لإيثار الوالد بما يحتاجه، ولإثبات حق الوالد فيما يحتاجه من النفقة الواجبة إذا كان لايجد ما ينفق على نفسه، وذلك للجمع بين هذا الحديث والنصوص الأخرى العامة من مثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا» والله أعلم.

هل يعتبر زواجنا شرعياً؟

عرض على لجنة الإفتاء السؤال التالي:

شاب يقول: تزوّجت من فتاة، ولما كان والد الفتاة قد توفي، ولم تكن الفتاة قد حصلت على المستندات الرسمية بعد ليتم زواجنا في المحكمة، فقد كان زواجنا عند أحد الشيوخ بإبراز هويتها الجامعية، ووجود والدة الفتاة بالتراضي التام بيننا، وبوجود شاهدين ومهر مكتوب، وبمعرفة أسرة الفتاة، وبعد العقد أعطاني الشيخ ورقة، وأخبرنا بوجوب تصديقها من المحكمة بعد حصول زوجتي على المستندات الرسمية، وبعد مضي شهر على زواجنا، وبعد أن دخلت فيها دب خلاف بيني وبين والدتها، فتنكرت لزواجي من ابنتها واشتكت إلى المخفر، وهناك أفهمونا بأن زواجنا باطل، ما أدى إلى دخولي السجن بتهمة المواقعة، وسؤالي: هل يعتبر زواجنا زواجاً شرعياً؟ أفيدوني أثابكم الله.

ـ أجابت اللجنة:

إنه إذا لم يكن هناك موانع شرعية أخرى كاختلاف الدين، أو وجود سبب محرّم آخر فإن هذا العقد صحيح على مذهب أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وهو المذهب المعمول به في كثير من البلاد الإسلامية، وأما اشتراط الولي، وهو مذهب جمهور الفقهاء، فهو المذهب المعمول به في الكويت، فإن عدم تولي العقد بوساطة الولي يجعل العقد فاسداً، ولكنه يوجب لإسقاط حد الزنا، كما أنه لا يمنع من ثبوت النسب إن وجد نسل بينهما، وقول المستفتي: إن أسرتها كانت حاضرة يرجى الاستفسار منه، هل كان من بينهم من له حق الولاية على هذه الفتاة؟ فإن كان كذلك، فإن العقد صحيح عند كثير من الفقهاء، وعلى كل فالعقد على هذه الصورة موجب لتخفيف العقوبة، حتى عند من يشترط تولي الولي للعقد نفسه، والله أعلم.

الجمع بين المرأة وابنة مطلقة أبيها

ورد إلى اللجنة السؤال التالي:

رجل يقول: إنه طلق زوجته وتزوج من امرأة أخرى وأنجب منها بنتاً، وتزوجت مطلقته من رجل آخر وأنجبت منه بنتاً أيضاً، فهل يجوز لرجل ما أن يجمع بين بنت السائل وبنت مطلقته؟

ـ أجابت اللجنة:

أنه يجوز هذا التصرف ما لم يكن هناك مانع شرعي من رضاع أو غير ذلك، والله أعلم.

الوعد بالزواج

ورد إلى اللجنة السؤال التالي:

خطب لي والدي ابنة أحد أقربائي منذ خمس سنوات، ووافق والدها بأن يزوجني إياها، وذلك بعدما أنتهي من دراستي في الخارج، حيث إنه باقٍ على تخرجي سنتان، وعرف معظم أقربائي بموضوع الخطبة، وكانت الموافقة من دون أي شروط مسبقة، مع العلم أنه يعلم أني كنت متزوجاً منها وطلقتها «أي زوجتي السابقة»، وكذلك البنت المخطوبة لي عندها علم بأني كنت متزوجاً وطلقت، وهي موافقة على ذلك، المهم هناك كثير من أقربائنا عارفون بموضوع الخطبة.

وأخيراً قام أهل البنت المطلقة بالضغط على والد خطيبتي بأن يشترط أن أرجع زوجتي القديمة لكي يزوجني ابنته، وأنا طبعاً لا أوافق على هذا الشرط، واحتمال أن والد خطيبتي يصرُّ على عدم الموافقة، فهل له هذا الحق بعد أن وعدني بالزواج من ابنته دون شروط.

ـ أجابت اللجنة:

إن الخطبة لا تعتبر عقداً، وإنها غير ملزمة، وبناء عليه، أفهمته اللجنة أن خطيبته الآن ليست زوجته حتى يعقد عليها، وللمخطوبة وأهلها أن يفسخوا هذه الخطبة متى شاؤوا كما أن ذلك للخاطب أيضاً، والله أعلم.

أطفال للبيع !!

فمن يشتري؟! من يدفع أكثر سيحصل على طفل أجمل وأكثر بياضاً من اللبن الحليب!! هل تريده طفلاً أسمر؟ أو أشقر، له عينان خضروان في لون المزروعات ولون الجلد، برتقالي أو أحمر، كل شيء يمكن تلوينه وتشكيله كما تريد وتحب وحسب طلب الزبون!!

لم نكن نصدق أبداً أن يأتي هذا الزمان، الذي يباع فيه الأطفال - في معظم أنحاء العالم - مثل أي سلعة تجارية تخضع لقانون العرض والطلب.

ها قد أتى هذا الزمان وعلى الأرض السلام، فأطفال اليوم يتعرضون للعمل الشاق وسوء المعاملة والمشاركة في الحروب - وضحية للألغام الأرضية - وللتبني، ليس للأجانب فقط، بل لمن يشتري، خدمة للرب، وعمل إنساني لكل امرأة عاقر لا تنجب تريد أن تعرف معنى الأمومة!! وليت هذا الأمر وصل إلى حدود التبني فقط، فهناك شركات التجميل تفيد من الأجنة في صناعة المساحيق للحفاظ على رونق وجمال البشرة وملامح الوجه، وهناك مؤسسات الدمى، لصناعة دمي لتسلية طفل آخر!!

يا لهذه البشاعة، والأكثر من هذا بشاعة، هو مزارع الأطفال، هل تتصور معي أن هناك «مزارع لتربية الأطفال» على غرار مزارع الدواجن والأبقار والأغنام، هذه المزارع لها أشكال مختلفة ومتعددة وطرق جهنمية في إنجاب الأطفال سفاحاً، ثم تربيتهم وبيعهم بعد ذلك للأجانب لتبنيهم ولكل من يرغب في الشراء، عليه أن يدفع أكثر.

ولقد ثارت في الآونة الأخيرة روايات وقصصا متعددة حول توليد خادمات من سيريلانكا في إحدى الدول العربية «سفاحاً» والقيام ببيع أطفالهن، وقد أصيب كل من قرأ عن ذلك بصدمة عنيفة تزلزل الإنسان من الأعماق، وتقتلعه من جذوره، فلم يعد في الدنيا خير، امتزج الخير مع الشر، اللون الأبيض مع الأسود وتاهت المعالم والألوان، وأصبح كل شيء معكوساً.

وإن كان هناك - من مآسي الحروب - أن يتم بيع بعض الأطفال لإطعام الجزء الباقي، وأن يباع الأولاد أفضل من موتهم بسبب الجوع، ويكون الثمن هو «أجولة» من الأرز أو من البطاطا، كما حدث نتيجة الحرب الأهلية الصينية التي شملت مساحة كبيرة من الأرض وعدداً كبيراً من الجياع ما اضطر الأسر إلى بيع أطفالهم.

وليس - كل - بيع الأطفال للتبني، فهناك العصابات التي تعدهم للسرقة والقتل وبيع المخدرات، أو الخدمة في المنازل أو توهبهم للرب... وهكذا أصبح وأمسى أطفال اليوم معرضين لكل شيء مخز ومحزن ومؤلم... وكفانا الله شر هذا الزمان. ■

عبدالستار خليف

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه .. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع


جديدة خدمة تسديد فواتير هاتفك النقال أو البيجر (MTC)
جديدة خدمة التحويل إلى اللجان الخيرية
جديدة خدمة إجراء وتنفيذ الأوامر الدائمة إلى اللجان الخيرية
80 33 33 33
خدمات جديدة... مع الرقم الجديد
بيت التمويل الكويتي
الأمان والاطمئنان

الوعي الإسلامي

إسلامية . شهرية . جامعة

العدد ٣٩١ - السنة الخامسة والثلاثون - ربيع الأول ١٤١٩ هـ - يونيو / يوليو ١٩٩٨م

- الإعلام وإدارة الصراع في مشكلة القدس
- الأطفال وأنماط الهيبة التربوية للأسرة
- التراث الإسلامي وأزمة القراءة

لغة المخدرات لغة الدم



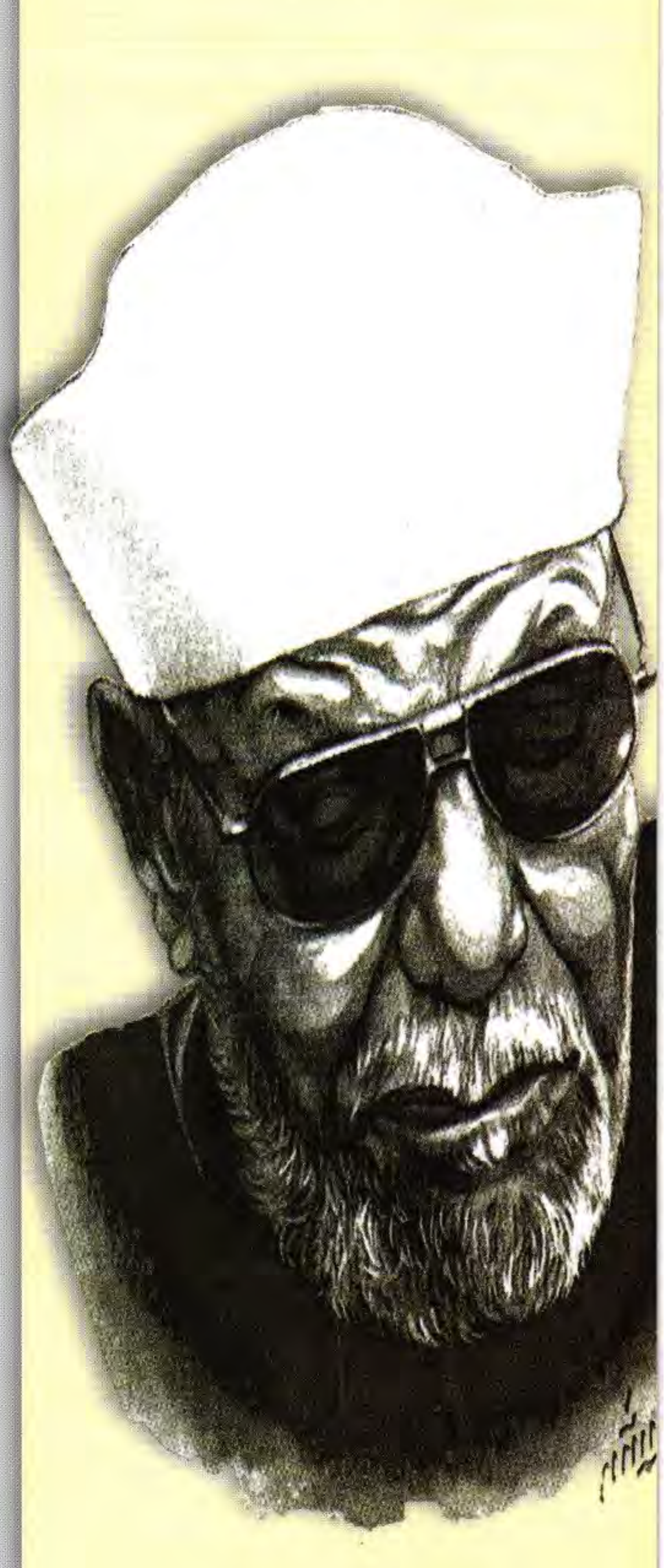
بسم الله الرحمن الرحيم

تنعـي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت

إلى العالم الإسلامي وفاة العالم الجليل

فضيلة الشيخ
محمد متولي الشعراوي



وبفقده فقد العالم العربي والإسلامي علماً من العلماء العاملين المجتهدين، عالماً نذر نفسه لخدمة كتاب الله - عزَّ وجلَّ - والدعوة إلى الله بصدق وبصيرة.

وقد كان أسلوبه العلمي والدعوي مميزاً تأثر به العالم العربي والإسلامي.

وهب الشيخ نفسه حتى آخر لحظة من حياته لخدمة دينه وأمته ولم يمنعه كبر سنه ولا مرضه من العطاء والجهاد بالكلمة الصادقة.

فكان - رحمه الله تعالى - في كلمته وقلمه ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم.

رحمه الله رحمة واسعة وأنزله منازل الصالحين وألهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩١. السنة الخامسة والثلاثون

ربيع الأول ١٤١٩ هـ. يونيو / يوليو ١٩٩٨م

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

ذكرى المولد ومنهج الوسطية

أعزاءنا القراء:

يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام بذكرى مولد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم في أمس الحاجة إلى العودة إلى الرسالة السماوية التي تحمَّل عبئها هذا الرسول القدوة لتكون هادياً لأجيالنا ـ في كل عصر وحين ـ في فهم واقعهم ومتطلبات عصرهم، ومن هذا المنطلق لابد أن نقتدي بصاحب هذه الذكرى العطرة في رسم طريق الخلاص من واقعنا المتردي في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية... آخذين بعين الاعتبار مبدأ الجمع بين الأصالة والتجديد في معادلة متوازنة لا يطغى فيها جانب على آخر، مستثمرين إمكانات المسلمين المادية والبشرية لتحويل المآسي الإسلامية إلى دافع إيجابي وعلى كل المستويات لعودة الإسلام إلى المجتمع وإنقاذ البشرية من مشاكلها المحفوفة بالمهالك، فالإسلام الذي جاء به صاحب الذكرى لديه الحل لأنه دين الوسطية والاعتدال والتوازن وصدق الله العظيم: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة: ١٤٣.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا ـ السعودية: ٤ ريالات ـ البحرين: ٣٠٠ فلس قطر: ٤ ريالات ـ الامارات: ٤ دراهم ـ سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة الأردن: ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع: جنيه مصري واحد ـ السودان: ٥ جنيهات موريتانيا: ١٢٠ أوقية ـ تونس: دينار واحد ـ الجزائر: ٥ دنانير اليمن: ٥ ريالات ـ لبنان: ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا: ٢٠ ليرة ـ المغرب: ٦ دراهم ليبيا: ٥٠٠ مليم ـ اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع: شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت. برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد



16

حــوار

مع مفتي أذربيجان

مفتي أذربيجان شكر الله باشا زادة في حوار الوعي الإسلامي معه يسلط الضوء على الكثير من القضايا التي تهم أذربيجان والعالم الإسلامي.

طالع تفاصيل الحوار



20

تحقيـق

كوسوفا تاريخ طويل من الاستعمار والمذابح

محنة مسلمي كوسوفا ليست وليدة الظروف الراهنة وإنما هي سلسلة من الآلام ضاربة في عمق التاريخ تحكي قصة شعب مكافح من أجل الحفاظ على هويته.

دراسات أدبيـة

هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً ؟

في دراسة أدبية للدكتور جابر قميحة يتساءل الكاتب: هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً؟ وما العلاقة بين الأدب الإسلامي والأديب؟

30



تــراث

التراث الإسلامي وأزمة القراءة

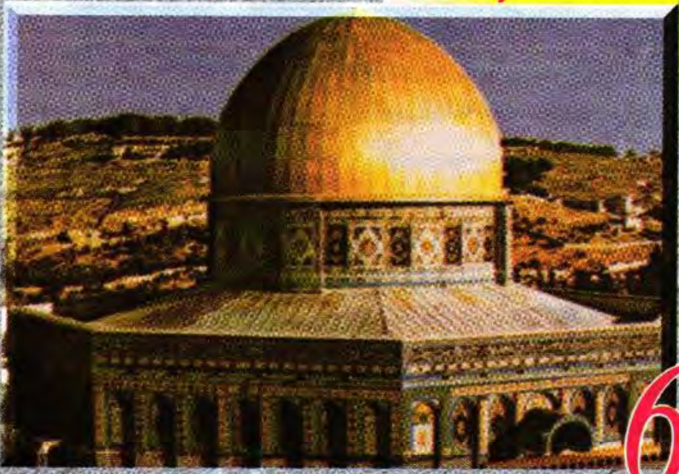
دراسة التراث ونقد التراث وتشريح التراث باتت عناوين تملأ الساحة الثقافية العربية في سياق حركة فجائية تتجه نحو معانقة قضايا التراث ترى ما سرّ هذه القضية الثقافية؟

40

في الأعداد المقبلة

- دلالة الشهادتين على جوهر الإسلام ومراميه. — د. أحمد أحمد منصور نفادي
- تعدد الزوجات في ظل التشريع الإسلامي. — د. أحمد الحجي الكردي
- التركيب والتصوير في سورة الطور. — د. طارق سعد شلبي
- المناورات المشتركة مع الدول الكبرى وتوجيهات الإسلام — اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
- انحطاط الأمم: الاتحاد السوفييتي نموذجا. — غازي التوبة
- جريمة السرقة ... الأسباب والآثار والعلاج — محمد يوسف الجاهوش

إعلام



65

الإعلام وإدارة الصراع في مشكلة القدس

إدارة الصراع في قضية القدس لابد أن ترتكز على قواعد أساسية ومتشعبة ترتبط بأبعاد عسكرية وحضارية تقوم وسائل الاتصال بترجمتها إلى مؤثرات فعّالة على الصعيدين الداخلي والخارجي

الفهرس



صناعة المفكر المستغرب !!

يقول جان بول سارتر في مقدمة صدَّر بها كتاباً لفرانس فانون «معذبو الأرض» مشيراً إلى أسلوب صناعة المفكر الشرقي في الغرب ومجال استحداثه، كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا، وركوب عرباتنا، وكنا ندبر للبعض منهم أحياناً زوجات أوروبيات ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية.

كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا ثم نرسلهم إلى بلادهم وأي بلاد!؟ بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجوهنا، ولم نكن نجد منفذاً إليها، كنا بالنسبة إليها رجساً ونجساً، ولكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم، كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس «الإخاء البشري» فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي أفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمالي أفريقيا.

كنا نقول ليحل المذهب الإنساني، أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة، وكانوا يرددون أصواتنا هذه في أفواههم، وحين نصمت إلا أننا واثقون من أن هؤلاء المفكرين! لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعناه في آذانهم وعقولهم؟؟!! يبقى علينا أن نعرف كم تطورت وسائل الاتصال وأجهزة الإعلام ومراكز المعلومات وصناعة الاهتمامات ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة تعتم على الناس بيوتهم فكيف بنا في مرحلة الأقمار الصناعية، ولقد قال شمعون بيرنر في بعض أحاديثه لنا «نحن الذين سنغير العالم العربي وبواسطة ذلك الطبق الصغير الذي يضعونه على أسطحة منازلهم.

مصطفى إبراهيم مرسي مخيمر - مصر

من رأى منكم منكراً

لقد ذهلنا عندما قرأنا في مجلة الوعي الإسلامي الغراء مقالاً سبق نشره بالنص في كتاب آخر يرجع تاريخ نشره إلى خمس سنوات مضت.

المقال بعنوان «منهج ابن سينا في علاج العشق» العدد ٣٨٩ الصادر في مايو من العام ١٩٩٨م ص ٨٠ - ٨٢، والكتاب المأخوذ منه هو «الطب النفسي عند العرب» نشرته دار النهضة العربية في لبنان للكاتب نفسه، وفي ذلك خيانة للأمانة وخروج على قيم النشر وآدابه وأصوله الأخلاقية.

والله المستعان.

القراء: مصطفى محمد عثمان - محمد مصطفى بسيوني - فاطمة محمد سعيد:

مجلة الوعي الإسلامي تشكر قرّاءها الكرام على ثقتهم الغالية بها، وغيرتهم الشديدة عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أين رجال الأزهر وأبناؤه ؟

لم يعد للأزهر رقابة على الوسائل الإعلامية بما ينشره أو يبثه الكثير منها بغرض تدمير الجيل الناشئ، فكان يجب على وسائل الإعلام بما لها من دور ريادي مرموق بين وسائل الإعلام الأخرى العالمية أن توجه الشباب الوجهة الدينية، ولكن عندما قلت رقابة الأزهر عليها أو تناست رقابتها ودورها في الإشراف على البرامج الإعلامية كثرت أخبار الجنس وعرض الأزياء والأفلام الفاضحة الخليعة في شاشات جميع وسائل الإعلام وفي صفحات الجرائد والمجلات. من هنا كان يجب على الأزهر أن يفسح المجال لكثير من علمائه المخلصين لينشروا أو يقولوا كلمة حق.

وحيث تحررت وسائل الإعلام من ميزان الشرع، وخضعت لميزان الهوى، مما جعلها مصدراً خطيراً من مصادر التطرف والإرهاب التي يجب أن يصحح مسارها، وأن يوقف فسادها وشرها، وإلا خرج بسببها جيل يتمرد على الواقع الفاسد الأليم، ويكون حرباً على بلده وأمته على النحو الذي نعيشه الآن ونعاني منه، فهل تجد هذه الكلمات طريقاً إلى آذان العقلاء؟ نسأل الله القبول؟

حمدي عبدالحكيم سعد

استفسار

الإخوة في مجلة الوعي الإسلامي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سمعنا كثيراً عن الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت ويسرني وإخواني القراء أن تقدموا نبذة عنها باعتبارها عملاً فقهياً عظيماً يهم شريحة كبيرة من المثقفين والمهتمين بالأمور الشرعية وجزاكم الله كل خير.

عبدالحميد بو إبراهيم المغرب

* المحرر: الموسوعة الفقهية عمل جليل تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت منذ العام ١٩٨٠م، حيث صدر العدد الأول منها وقد بدأ أول تفكير وتخطيط لإصدار الموسوعة في العام ١٩٧٥م، حيث شكلت لجان من العلماء والخبراء والباحثين للإعداد والتخطيط لإصدارها والموسوعة مرتبة مصطلحاتها حسب الحروف الهجائية، حتى يسهل على الباحث والقارئ الوصول إلى المعلومات وفي الموسوعة كلها ٤٠٠٠ مصطلح فقهي والمصطلح الفقهي مقصود به لفظ عنواني له مدلول خاص في الفقه الإسلامي ولجمع وترتيب هذه الألفاظ فقد راجع العلماء والباحثون العاملون في الموسوعة أكثر من ٥٠٠ كتاب استخلصوا منها المصطلحات وغيرها، والموسوعة تبحث في المذاهب الأربعة وتتبع طريقة الاتجاهات فإذا كان مذهبان أو ثلاثة متفقة في رأي توضح الموسوعة ذلك، ومن المتوقع أن يصل عدد الأجزاء بعد اكتمال الموسوعة إلى (٤٥) جزءاً، وبعض حروف الهجاء فيها مصطلحات كثيرة، فقد صدر لحرف الألف سبعة أجزاء، ولحرف الباء ثلاثة أجزاء، ولحرف التاء أربعة أجزاء، وقد صدر من الموسوعة حتى الآن (٣٧) جزءاً.

اقتراح

بانتهاء العام الهجري الجديد ١٤١٩هـ إن شاء الله ستكمل مجلة الوعي الإسلامي أعدادها المئة الرابعة، وهذه مناسبة جديرة بالاهتمام، ومن ثم رأيت أن أكتب هذه الرسالة مبدياً اقتراحاً خاصاً بالتخطيط منذ الآن لعقد ندوة علمية تحمل عنوان «مجلة الوعي الإسلامي وأثرها في الفكر الإسلامي المعاصر» وتعقد هذه الندوة في شهر المحرم سنة ١٤٢٠هـ إن شاء الله، ويدعى للاشتراك فيها من ترونه من الباحثين والكتّاب على أن توضع المحاور العلمية التي تغطي كل المجالات التي كان للوعي دور إيجابي فيها، وتطبع البحوث الجديرة بالطبع في كتاب يعد سجلاً تاريخياً لمرحلة مهمة من مراحل الوعي الزاهرة... وختاماً أطمع أن يكون هذا الاقتراح قد جاء في وقته المناسب، وأن يلقى لدى القائمين على الوعي الإسلامي ما يستحقه من الاهتمام والعناية، وتقبلوا خالص تحياتي وأصدق مودتي.

أ.د. محمد الدسوقي
أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول كلية الشريعة جامعة قطر

* المحرر: شكراً للأخ الدكتور محمد الدسوقي على هذا الاقتراح الطيب، والمجلة لديها مشروع متكامل يتضمن عقد ندوات متعددة ومنها إقامة ندوة لمناسبة مرور ٣٥ عاماً على صدور المجلة، وندوة أخرى لمناسبة مرور ٢٥ سنة على صدور براعم الايمان وجزاكم الله كل خير.

عودة إلى ... الحضارة

طالعت في العدد ٣٨٧ مارس ١٩٩٨م - ذو القعدة ١٤١٨هـ من مجلة الوعي الإسلامي الرائدة القراءة الموجزة لموضوع الحضارة في فكر مالك بن نبي للأخ محمد الصالح عزيز، ولا يخفى أن فكر - أو بالأحرى مشروع - مالك بن نبي ما زال يشكل مادة دسمة للدرس والتحليل سواء من حيث الرؤى التي يطرحها تحقيقاً للنهضة الحضارية وعملاً على استشراف مستقبل أفضل للأمة الإسلامية، أو من حيث منهجية تناوله ومعالجته لمختلف الإشكالات التي يكابدها مجتمع ما بعد الموحدين.

وعلى ضوء ما تم التطرق إليه، نطرح بعض الآراء إثراء للموضوع وإسهاماً في تجلية بعض أبعاده من جهة أولى، وإثارة لمزيد من النقاش والحوار من جهة ثانية.

الحضارة على حد بعض الأقوال، من الحضور، أي الحضور على مسرح التاريخ البشري، بتشعب أمدائه، والإسهامات في صياغته وتشكيله من قريب أو بعيد، ورسم مسار للوقائع التي يحبل بها يوماً عن يوم، والإحاطة بها بما يمكن معه من تطوير المنظور الرؤيوي، وتعميق الوعي باتجاه الأحداث والمنحى الذي تسير فيه ومن ثم بلورة تصور بناء لما ينبغي أن تكون عليه، ويختلف في حضارة ما عن غيرها وفقاً لحجم ونوع حضورها على مسار الحياة الإنسانية اقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً أو سياسياً.

وعلى العكس من ذلك تماماً، نجد أن «اللاحضارة» أو التخلف، كما هو متعارف عليه، تعني التخلف عن ركب الحياة، عن عجلة التاريخ، بأحداثها، وهمومها، بتطلعاتها وبآلامها أيضاً، وبكلمة واحدة الغياب، أياً كان نوعه عن واقع الإنسان.

والإبداع، على اعتبار أنه مؤشر مركزي من مؤشرات الحضارة، يقتضي هو الآخر الإلمام بجميع الشروط المحيطة «بواقع الإبداع» إن جاز القول، ومعناه، أن يتم استيعاب جميع المعطيات وفقها: إنه جوهر الإبداع ومادته، وإلا سقط في عتمة التقليد وتكرار التجارب البائدة، وهذا عين الجمود.... والله أعلم!

د. المصطفى لضميم أولاد عيسى نادات المغرب

رداً على موضوع: رؤية معاصرة في الطب النبوي

كنت جلست في عطلة العيد السعيد أطالع محبوبتي «الوعي الإسلامي» الغراء واستمتعت بكل ما جاء فيها في كل أعدادها من مقالات قيّمة وبحوث فذة وآراء سديدة وأدب وثقافة وعلم على أرفع وأبلغ ما يمكن. ولكن من منطلق الغيرة والحرص على كل ما ينشر على صفحاتها ولأننا من عشاق الوعي الإسلامي ومن قرائها الدائمين ومن المتحمسين لرسالتها وخوفاً على صحة السادة القراء استرعى نظري مقال بعنوان: «رؤية معاصرة في الطب النبوي» للدكتور عبدالفتاح محمد العيسوي، ووجدته مملوءاً بالمبالغات والوصفات الطبية الخطيرة على صحة القارئ والذي يثق ولا شك في كل ما تنشره الوعي الإسلامي، فاتصلت بعميد كلية الصيدلة وطلبت منه قراءة المقال، فقرأه وتبين لنا مدى خطورة هذا المقال على صحة القراء لما جاء به من وصفات لاتصدر إلا عن طبيب متخصص في الطب الحديث وقد علمنا أن كاتب المقال متخصص في تاريخ الفلسفة الإسلامية وعلى وجه التحديد في ابن خلدون وابن خلدون مؤرخ كبير وعالم اجتماع ولا صلة له بعلوم الطب وفروعه. كما تبين لنا أن كاتب هذا المقال يكتب في كل التخصصات الأخرى معتمداً على النقل غير الدقيق، وإليكم بعضاً من هذه الملاحظات:

جاء في عدد شعبان ١٤١٨هـ - ديسمبر سنة ١٩٩٧م ص ٤٨ ما يلي: بداية نحن وكلية الطب كلها تؤيد بكل حزم وعزم الطب النبوي، ولكن بشرط التحقق من صدق الأحاديث دون تحميلها أكثر مما تحتمل، ويقول الكاتب إن الحبة السوداء هي حبة البركة وهذا قول مردود، لأن هناك أكثر من ١٥٠ حبة كلها لونها أسود من بينها حبة واحدة هي التي يقصدها الحديث النبوي الشريف، وهي موجودة في السعودية.

ويتناقض الكاتب مع نفسه فوراً وبعد أن قال إنها حبة البركة قال إن اسمها «الشوانيز» وينسب إليها القدرة في علاج البلغم والأورام البلغمية والرياح والنفخ والبثور والخيلان والبهق والبرص والجرب المتقرح والزكام والأمراض الصدرية والصداع النصفي والأرق والأوجاع المزمنة في الرأس ووجع الأسنان وتقتل الديدان وتدر الطمث والبول واللبن وتسقط المشيمة وتساعد في عملية الولادة... وتشفي أمراض الكلى والمثانة، وتفيد في حالات الاسترخاء والضعف، وفي علاج الاستسقاء وصلابة الطحال وتعالج البواسير ولسعة العقرب وعضة الكلب، وتطرد الهواء وتعالج الملاريا. هذه الأمور لا يتعرض لها إلا الأطباء، ونظراً لعدم تخصص الكاتب، فإنه يخطئ في اللفظة الإنكليزية لكلمة الملاريا (ص٤٨)، ويتعرض الكاتب وهو غير متخصص لعلاج الحصوة في الكلى والمثانة، ويصف معالجات الأمراض الجلدية والأذن وأمراض العيون، وبذلك يتصدى وهو متخصص في تاريخ الفلسفة الإسلامية إلى كل فروع الطب الحديث من حيث الأمراض الصدرية والجلدية والتناسلية والنساء والتوليد والأسنان والمسالك البولية والأمراض العصبية والجراحة وأمراض الشرج وكل الأمراض الباطنة وهي تخصصات متباينة لا يتعرض لها في العصر الحالي إلا المتخصصون في فروعها المختلفة، وتكمن الخطورة في إمكان اعتماد القراء على هذه المعالجات الصادرة عن غير متخصص فتكون المأساة. ونحن نرحب باستخدام الأعشاب الطبية، ولكن دلّت الأبحاث والمؤتمرات على أن ذلك لا يخلو من المحاذير ومن المخاطر، فبعض الأعشاب والنباتات سامة وبعضها ملوث وبعضها يتعارض تعاطيه مع البعض الآخر وتحديد كمية الجرعة غير محدد، ولذلك يلزم تحليل النبات وتطهيره من السموم ومن المواد الضارة والشوائب وتحديد حجم الجرعة وهي أمور طبية بحتة، وأكبر دليل على ذلك أن الحشيش والأفيون والبانجو، ونوع خاص من عش الغراب نباتات سامة وتؤدي إلى التخدير وإلى إتلاف الجهاز العصبي وإلى الوفاة ويتحدث الكاتب عن مصطلحات طبية وكيمياوية صرفة لا يعرفها إلا علماء الطب والصيدلية من ذلك «البيجيللون» ومادة «الهستامين» ويرى أنها تعالج مرض السرطان ومرض الإيدز ولو كان ذلك صحيحاً لهرع العالم على الفور لإنقاذ مئات الضحايا بهذه الأمراض، ويقول إنها تقتل ديدان البطن، وأن لها زيتاً قاتلاً للديدان الأرضية والشريطية والخطافية ويقارن أثرها بدواء حديث هو البيرازين ويتحدث عن البويضات وعن ديدان الهينموليبس نانا وطفيل الجيارديا وتأثيره في الأثنى عشر هذه الأمور لا يعرفها إلا الأطباء وكاتب المقال موظف إداري في إدارة المدن الجامعية في طنطا ومتخصص في ابن خلدون، ويقول إنه يعالج البلهارسيا واختراق السركاريا للجلد ويتحدث عن قتل طفيل التوكسوبلازم المسبب للإجهاض عند الحوامل، هذه أمور خطيرة إذا تناولتها المرأة الحامل.

ويتحدث عن أمورَ طبية بحتة حديثاً خاطئاً عن البنسلين والاستربتومايسين والبكتريا وميكروب الكوليرا والفطريات وبخاصة فطر الاسبرجيليس وحساسية الصدر والالتهابات الشعبية الرئوية، ويعالج الأذن والجيوب الأنفية، ويتحدث عن هرمون الاستروجين وأن حبة البركة تزيد من حجم ثدي الأنثى، ويتناول مادة الصفراء والقنوات المرارية وعلاج مرض السكر. وهي مبالغات لا يقرها العلم الحديث ولا الواقع المعاصر، ويتحدث عن تأثيرها على الأحماض النووية وعن نخاع العظام والهيموغلوبين في الدم.

ويلاحظ أنه ينقله بلغة أهل الشام ويقرر أنها تمنع الحمل إذا أعطيت قبل الجماع، وأنها تعالج القذف السريع ويتحدث ص (٥٠) عما يسميه خطأ الجيل، ويخطئ في المقابل الإنكليزي وهو Cel ويقول إن زيتها يزيد من الحركات للاإرادية للرحم ويتحدث عن مواد طبية غريبة وصعبة حتى على المتخصصين في علوم الطب والعين فما بالنا بالمتخصص في تاريخ الفلسفة الإسلامية من ذلك مادة الأراكين ونيكس أو الأرشيدك ويتكلم دون علم عن الأحماض ومادة بروستاجلاندينات وعن حمض البوليك ويقول إنها قد تسبب الإجهاض للمرأة ومرض النقرس والتهابات المفاصل وضغط الدم ومواد الكوماريبات ومادة اسكوبوليتين وأمبيلفيرون وعلاج الجلطات الدموية والهيموفيليا، ويتحدث بلغة صاحب المقال الأصلي الذي نقله عنه عن لفظه الغلوكوز ويصف محتويات البلح وصفاً كمياً بنسب محددة، كما لو كان خبيراً في علوم التغذية والكيمياء ص (٥٠)، فيحدد كمية ما به من ألياف ودهون وماء وبروتين وعن حجم السعرات الحرارية ويحدد الكميات بلغة أهل الشام بالغرام من الفسفور والكالسيوم والماغنسيوم والصوديوم والبوتاسيوم (٧٩٠) ملغم والكبريت والكلورين، ويصف وصفات تنطوي على خطورة على صحة القراء من ذلك مسحوق نوى البلح، ويخطئ خطأ علمياً كبيراً ويقول إنه يساعد على إفراز حمض البوليك وهذا الحمض هو الذي يسبب مرض النقرس ولا يعالجه. ومن الناحية الشكلية يضع الكاتب سبعة مراجع في نهاية مقاله، دون أن يحدد الاقتباسات والمقال منقول بتشويه من غير هذه المراجع جميعاً ومأخوذ من مقال لكاتب شامي «سوري أو لبناني». هذه إشارات عابرة حول هذا الموضوع الخطير أبديتها صادقاً ومن منطلق الحب والتقدير والإعجاب نحو الوعي الإسلامي وخوفاً على حياة القراء وصحتهم وتعرضهم للوفاة وتمسكاً بأخلاقيات النشر والأمانة العلمية، واحترام تخصصات الطب والعلاج الطبي وعلوم الصيدلة والكيمياء، وليست العبرة الحصول على مكافأة التأليف بأي طريقة، وإنما لابد من مراعاة الصالح العام والأمانة وعدم النقل عن الغير والخطأ في هذا النقل.

دكتور: عبدالله صالح - أستاذ أمراض الباطنة

الافتتاحية

المخدرات حرب على مقومات أخلاق الأمم

إذا كانت المشاكل الاقتصادية والسياسة والصراعات والحروب الأهلية والدولية قد فرضت نفسها على معظم المجتمعات في عالم اليوم وتركت نتائج سلبية وسيئة، فإن قضية المخدرات وانتشارها العالمي الذي تحميه قوى خفية مدعومة أحياناً من جهات متنفذة قد فاقت بتأثيراتها العالمية المدمرة كل الإفرازات الناتجة عن القضايا الأخرى باعتبارها حرباً على مقومات الأمم المادية والأخلاقية والسبب في فنائها ودمارها، وهذا هو السبب الذي دعا الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى تبنّي القضية - بعد أن بلغ السيل الزبى - في سابقة تحدث لأول مرة حين دعت لعقد مؤتمر دولي لمكافحة المخدرات في مدينة نيويورك خلال الفترة من ٨ إلى ١٠ يونيو الماضي تحت عنوان «عالم بلا مخدرات.. بوسعنا أن نحقق ذلك»، في محاولة عالمية لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية وسبل وضع استراتيجية مستقبلية لمكافحة المخدرات للقرن الحادي والعشرين، تقوم على الحد والقضاء على المخدرات والتعاون القضائي والقانوني في مكافحة المخدرات وغسيل أموالها ومراقبة الكيماويات التي يكثر استخدامها في صنع المخدرات والمؤثرات العقلية والتي يصطلح على تسميتها بـ «السلائف».

يقول تقرير صادر عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة: «إن ما ينفقه المستهلكون على المخدرات يفوق قيمة الناتج المحلي الإجمالي لأكثر من ٨٠ بلداً نامياً».

إن دعوة الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات، وإن جاءت متأخرة إلا أنها خطوة صحيحة ضرورية وعاجلة لمكافحة هذا الداء الوبيل الذي استشرى في جميع دول العالم، ومنها الدول الإسلامية التي ظلت حتى وقت قريب جداً في منأى عن هذا الخطر، ولكنها اليوم تشكو من ارتفاع نسبة تعاطي المواد المخدرة والاتجار فيها خصوصاً بين شباب المدارس الثانوية وطلاب الجامعات أمل الأمة ومستقبلها المشرق! وهذا ما بينته الإحصاءات والدراسات الصادرة عن المؤسسات والإدارات المعنية في الدول الإسلامية والمنوط بها مكافحة المخدرات.

إن عملية مكافحة المخدرات رغم أهميتها لا يمكن أن تكون كافية لاستئصال هذا الوباء الخبيث مادامت العوامل المساعدة على انتشاره موجودة ومحمية رسمياً في بعض الدول الإسلامية وفي مقدمها وسائل الإعلام بما تبثه من أفلام ومسلسلات والتي تسهم عن قصد وغير قصد في إشاعة الجريمة والفساد وعلى رأسها الإدمان على المخدرات، لذا فإن الحاجة تبدو ملحة للأخذ بأساليب الوقاية بشكل يتزامن مع عملية المكافحة حتى نحقق النتائج المرجوة ونصون شبابنا من الانحراف والوقوع في مستنقع الإدمان الآسن، ولا شك أن في مقدم أساليب الوقاية بث روح التدين في النفوس وتربية الأسرة على الفضيلة والتوعية المستمرة ببيان خطورة المشكلة في جميع المؤسسات، والمناهج التربوية، ووسائل الإعلام، ومحاربة الفقر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجيه وسائل الإعلام لبث قيم الفضيلة، وتطبيق العقاب على المجرمين، دون أن تأخذنا بهم رحمة أو شفقة أو وساطة، فالقصاص من أمثال هؤلاء هو النجاة والرحمة لأمتنا وللبشرية جمعاء، وحسناً فعلت المملكة العربية السعودية وماليزيا وغيرها حين سنت قوانين صارمة تصل لعقوبة الإعدام بحق المتاجرين والمروّجين للمخدرات. الأمر الذي حدّ من انتشار المخدرات فيها، كما أثبتت بذلك الإحصاءات والنتائج، ولا شك أيضاً أن ما تقوم به دولة الكويت من جهود حثيثة على المستويين الرسمي والشعبي للقضاء على ظاهرة المخدرات أمر يبعث على السرور والطمأنينة، حيث تشكّلت أخيراً وبالتعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لجنة على مستوى عالٍ للتحقيق في هذه الظاهرة، ووضع الحلول الناجعة لها، إضافة لجهود جمعيات النفع العام وفي مقدمها لجنة بشائر الخير، والمدمن المجهول وغيرها، وهذا ما يسهم إسهاماً فاعلاً في علاج هذه المشكلة قبل استفحالها وعندها لن ينفع الندم.

والله من وراء القصد. ■

الوعي الإسلامي

أنشطة الوزارة

الكليب يحدد اللائحة الداخلية للجنة التراث

الإسهام في إحياء التراث الإسلامي ونشر المخطوطات المهمة في أحسن صورة

أصدر وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب قراراً وزارياً بإصدار اللائحة الداخلية للجنة التراث التي تم إعادة تشكيلها في منتصف العام الماضي.

وحدد القرار الذي أصدره الكليب أهداف اللجنة واختصاصاتها وحجم المكافآت والنفقات المالية المستحقة لكل من يعمل في نطاق اللجنة وتوصيف أعمال اللجنة العلمية كإعداد قوائم المخطوطات النادرة والتحديد والتحقيق وإجازة النشر والمراجعة والتصحيح المطبعي.

وفيما يلي تفاصيل اللائحة التي حددها قرار الوزير الكليب أخيراً.

أولاً : أحكام عامة

مادة ١: تهدف لجنة التراث إلى ما يلي

أ - الإسهام في إحياء التراث الإسلامي لنفع المثقفين بنشره حسب الأصول الفنية السليمة للتحقيق والنشر.

ب إمداد المتخصصين والباحثين والمراكز العلمية بأعمال علمية جديدة توضع بين أيديهم وتلبي حاجاتهم.

ج - تأهيل طلاب العلم وتدريبهم على التحقيق والمراجعة، وتأمين مخطوطات مناسبة لذلك.

د - يقصد بالتراث الإسلامي كتب العلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها.

ثانياً : الأعمال التي تقوم بها لجنة التراث

مادة ٢: تقوم لجنة التراث بالأعمال التالية:

أ - إعداد فهارس وقوائم للمخطوطات الموجودة في دولة الكويت، حسب المتبع عالمياً.

ب - انتقاء المخطوطات المهمة الصالحة للنشر، وتهيئة الظروف لنشرها في أحسن صورة، عن طريق تحريرها وتحقيقها وطبعها.

ج - وضع منهج علمي متكامل لتحرير وتحقيق وطبع ونشر المخطوطات المختارة.

د - البحث عن المخطوطات التراثية في شتى العلوم الإسلامية داخل وخارج الكويت، والسعي للحصول على نسخ منها أصلية أو مصورة عن طريق الشراء أو المبادلة أو غير ذلك.

هـ - تكليف عدد من المتخصصين وطلاب الدراسات العليا بتحقيق أو تحرير أو نسخ بعض المخطوطات كل حسب تخصصه وفق المنهج العلمي الذي تضعه اللجنة لذلك.

و - طبع المفيد من كتب التراث المحققة حسب قواعد ولوائح اللجنة.

ز - تعتبر لجنة التراث الجهة المسؤولة في الوزارة عن جميع الإصدارات التراثية التي تقوم الوزارة بنشرها.

ثالثاً: المكافآت والنفقات المالية

مادة ٣: يقوم وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بناء على اقتراح لجنة التراث بإصدار القرارات اللازمة لصرف المكافآت المالية المستحقة لكل من يعمل في نطاق هذه اللجنة أو يتعاون معها في مهمتها بحسب الشروط المالية التي تتضمنها هذه اللائحة وهي:

أ - مكافأة من يقوم بتحقيق مخطوط.

ب - مكافأة من يقوم بتحرير مخطوط.

ج - مكافأة من يقوم بإعداد فهارس المخطوطات.

د - مكافأة من يقوم بأعمال مساعدة تكلفه بها اللجنة.

هـ - قيمة المخطوطات التي تقوم اللجنة بشرائها.

مادة ٤: تقترح اللجنة تقدير مكافأة لمن تكلفه بتحقيق مخطوط أو تحريره أو نسخه أو أي عمل علمي آخر بالشروط التي تضعها لذلك قبل قيامه بالعمل ويتم توقيع عقد بذلك بين الوكيل والقائم بالعمل يبين فيه مقدار المكافأة وشروط العمل وفقاً لاقتراحات اللجنة في ذلك.

مادة ٥: يقوم الوكيل بإصدار القرار اللازم بصرف مكافأة العمل بعد إنجازه وقبوله من قبل اللجنة، ويحق للجنة اقتراح زيادة المكافأة إذا رأت في العمل جودة مميزة وجهوداً خاصة، كما يحق اقتراح تنزيل المكافأة إذا وجدت في العمل قصوراً على المستوى المطلوب على ألا تتجاوز الزيادة أو

النقصان ٥٢٪ من المتفق عليه في العقد، كما يحق للجنة رفض قبول العمل أصلاً وحرمان العامل فيه من أي مكافأة عليه إذا لم يتحقق فيه الحد الأدنى من الشروط المطلوبة.

مادة ٦: كل ما يرد عليه نص في لائحة المكافآت والنفقات تتبع فيه اللوائح المالية بالوزارة وأجهزة الدولة.

رابعاً: الأعمال العلمية: توصيفها وتحديد مكافآتها

أ - إعداد قوائم المخطوطات المختارة

مادة ٧: تهدف هذه العملية إلى ما يلي:

أ - أن يوضع أمام المتخصصين مجموعة منتقاة من أسماء المخطوطات التي ترشح مبدئياً للنشر وتنطبق عليها شروط اللجنة.

ب - تيسير معرفة مظان النسخ لسهولة الاتصال بمالكيها والحصول على نسخ عنها.

مادة ٨: موضوع العمل: قراءة فهارس خاصة بالمخطوطات لاستخراج بطاقات معبأة ببيانات كاملة عن كل مخطوط يراه الشخص المكلف بالبحث صالحاً للنشر، على أن تكون بيانات كل مخطوط في البطاقة المصممة لذلك مع وضع بيانات المصدر نفسه في بطاقة واحدة مستقلة تشتمل على العنوان الكامل للمالك.

مادة ٩: وحدة العمل هي الفهرس المقروء مع البطاقة المستكملة للبيانات في الأصل مضموماً إليها ما يرشح المخطوط للطبع، على أن تكون البطاقة بخط مقروء وتقترن من حيث ملاءمة الاختيار وصحة البيانات بموافقة أحد المتخصصين وتلغى بطاقات ما يتبين أنه سبق تحقيقه من المخطوطات.

مادة ١٠: المكافأة المستحقة هي ديناران لكل بطاقة.

ب - التحرير.

مادة ١١: يهدف هذا العمل إلى إعداد بعض الكتب المخطوطة أو المطبوعة من غير تحرير والتي تحتاج إلى أعمال محدودة لتصبح صالحة للنشر العلمي.

مادة ١٢: موضوع العمل هو ما يلي:

أ - نسخ كتاب تراثي اعتماداً على أهم مخطوطاته نسخاً متقناً، ثم المقابلة على الأصل.

ب - القراءة العملية المحررة لضبط النص وإزالة التصحيف والتحريف منه.

ج - التنسيق الفني حسب أصول الإخراج وقواعد لجنة التراث.

مادة ١٣: وحدة العمل هي المخطوطة المختارة للكتاب.

مادة ١٤: المكافأة المستحقة على النسخ والمقابلة هي دينار للصفحة الواحدة المشتملة على مئتين وخمسين كلمة تقريباً، ودينار للقراءة العلمية المحررة والتنسيق الفني.

مادة ١٥: التحقيق

يهدف عمل التحقيق إلى إخراج نص المخطوط بصورة سليمة مطابقة لما وضعه عليه مؤلفه قدر الإمكان.

مادة ١٦: موضوع العمل

أ - تقديم الكتاب مستكملاً للتحقيق حسب الأصول العلمية والفنية مكتوباً على الكتاب «الكمبيوتر»، أو مبيضاً بخط واضح خال من الالتباس والإشكال، بحال يكون فيه جاهزاً للدفع إلى المطبعة على أن يتعهد المحقق بعمل الفهارس والملاحق الأساسية بعد استقرار أرقام الصفحات.

ب - القيام بالتصحيح المطبعي.

مادة ١٧: وحدة العمل هي الملزمة المكونة من ١٦ صفحة، ويخضع للمكافأة جميع الصفحات «الشاملة للفهارس والملاحق» تقدر صفحات الأصول بما يعادل ٢٥٠ كلمة في الصفحة.

مادة ١٨: مكافأة التحقيق هي ستون ديناراً للملزمة ويخصم من المكافأة ما كلف به غير المحقق أو ما أعد من قبل أجهزة الوزارة بنسبة ما يخص الملزمة.

مادة ١٩: إذا كان التحقيق بتكليف من الوزارة تتكفل الوزارة بتوفير نسخ المخطوطات أو المصورات اللازمة للعمل، وفي حال ما إذا كان المحقق الذي يعرض إنتاجه للطبع جاهزاً وتوافق لجنة التراث عليه يدفع له ما تكلفه المصورات التي احتاج إليها على أن تؤول ملكية المصورات في كلتا الحالين للوزارة.

مادة ٢٠:

أ - إذا قررت لجنة التراث بعد عرض العمل على محكم عدم صلاحيته لا يستحق المحقق أي مكافأة أو تعويض عن العمل الذي قام به، ويرد إليه عمله.

ب - إذا قررت اللجنة أن العمل المقدّم بحاجة إلى مراجعة علمية ووافق المحقق على أن يقوم بما غيره فإنه تخصم من مكافأة التحقيق نسبة لا تزيد عن ٢٥٪ لتعطى للمراجع.

ج - إذا لم يقم المحقق بالتصحيح المطبعي تخصم نسبة لا تزيد عن ١٠٪.

مادة ٢١: للمحقق الحق في الحصول على ١٠٠ نسخة من الكتاب المطبوع.

مادة ٢٢: يدفع للمحقق ٥٠٪ من المكافأة المقدرة تقديراً أولياً بعد إجازة نشر الكتاب وتسليمه الأصول للوزارة ويدفع إليه الباقي عند الفراغ من الطباعة أو انقضاء سنة من التسليم.

مادة ٢٣: تلتزم الوزارة بطبع الكتاب في مدة لا تزيد عن سنتين من تاريخ تسليم الكتاب محققاً وإذا تأخر صدور الكتاب عن هذه المدة بسبب ليس للمحقق فيه دخل فإن له الحق في طبع كتابه لدى جهة أخرى بعد إشعار الوزارة بذلك ولا يلزم في الحال هذه برد ما تقاضاه من مبالغ، وعليه التنويه بجهد الوزارة في تغطية تكاليف التحقيق.

مادة ٢٤: للوزارة الحق في إعادة طبع الكتاب المحقق خلال ثلاث سنوات من تاريخ صدوره، ويستحق المحقق حينئذ عن كل طبعة لا تزيد عن ٣٠٠٠ نسخة مكافأة بنسبة ٧٠٪ من مجموع مكافأته المستحقة عن الطبعة الأولى، وسبعين نسخة مجانية من الكتاب.

د - إجازة النشر مادة ٢٥: تهدف إجازة النشر إلى وضع تصور كامل عن عمل المحقق في الكتاب بين لجنة التراث لمعرفة مدى صلاحيته للقبول أو التعديل أو الرفض.

تقرير مادة ٢٦: موضوع العمل: هو تقديم مكتوب موقع عليه يتضمن قيمة التحقيق بصورة إجمالية بعد مراجعة منتقاة للمقدمات والحواشي والتعليقات لبيان

صحتها والأمانة في نسبتها ومدى ملاءمتها، ومدى استكمال المحقق الملاحق المطلوبة، ويتضمن بصورة صريحة رأي المحكم في أن الكتاب صالح للنشر.

مادة ٢٧: المكافأة المستحقة للمحكم هي سبعون ديناراً عن كل كتاب تبلغ أصوله مئة صفحة أو دونها ثم دينار ونصف الدينار لكل خمس صفحات تالية.

هـ - المراجعة مادة ٢٨ للجنة الحق في تكليف من تراه مناسباً من المتخصصين بمراجعة أي عمل علمي يقدم إليها.

مادة ٢٩ موضوع العمل:

أ - مراجعة الكتاب المحقق على أصوله مع تصويب الأخطاء.

ب - كتابة تقرير مختصر يتضمن ملاحظات المراجع على العمل، مادة ٣٠، وحدة العمل: هي الصفحة من صفحات الكتاب كافة ولواحقه.

مادة ٣١: مكافأة المراجعة ٢٥٪ من المكافأة الكلية المخصصة للمحقق إذا قررت اللجنة أن العمل بحاجة إلى مراجعة،

و - التصحيح المطبعي

مادة ٣٢: يهدف التصحيح إلى ضمان مطابقة المطبوع للأصل الذي تم تحقيقه ومراجعته.

مادة ٣٣ موضوع العمل:

أ - مقابلة التجربة المطبعية الأولى على الأصل المحقق.

ب - تصحيح التجارب المطبعية طبقاً للأصل على ألا تزيد التجارب عن ثلاث.

مادة ٣٤ وحدة العمل: هي الملزمة المكونة من ١٦ صفحة.

مادة ٣٥: المكافأة المستحقة هي ستة دنانير.

مادة ٣٦: تخطر الشؤون المالية قبل التكليف بأعمال التراث لربطها بالموازنة.

مادة ٣٧: تعتمد هذه اللائحة ويجري العمل بها من تاريخه.

مادة ٣٨: على وكيل الوزارة تنفيذ هذا القرار ويبلغ لجميع الجهات المعنية.

الكليب استقبل وزير خارجية المالديف

استقبل وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب في مكتبه وزير خارجية جمهورية المالديف فتح الله جميل لمناسبة زيارته للبلاد... وجرى خلال اللقاء تناول الكثير من الموضوعات المتعلقة بدعم التعاون بين البلدين في المجالات المختلفة خصوصاً فيما يتعلق بشؤون العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية.

وقد أشاد وزير الخارجية المالديفي بمتانة العلاقات بين البلدين الصديقين ورسوخها متمنياً للشعبين مزيداً من التقدم والازدهار... كما تمنى الوزير الكليب للضيف طيب الإقامة وأن تحقق زيارته الآمال والطموحات المرجوة منها، ولما فيه مصلحة البلدين الصديقين.

الوكيل المساعد للشؤون الثقافية أهدى وزير الأوقاف دراسة ميدانية عن مجلة الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان



في لقاء بين السيد وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والقطاع الثقافي في الوزارة، قام الوكيل المساعد للشؤون الثقافية عبدالعزيز بدر القناعي بإهداء دراسة ميدانية حول «عادات وأنماط قراءة مجلة الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان» ... وقد تم أثناء اللقاء استعراض أهداف الدراسة ونتائجها وسبل الاستفادة منها في تطوير العمل وعلاج القصور.

وقد أشاد السيد الوزير بالدراسة وأهميتها وأبدى ملاحظاته القيمة عليها.

وزارة الأوقاف تشارك في المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية للتطوير والتدريب

شهدت قاعة المؤتمرات الرئيسية في «سان فرانسيسكو» في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة ما بين ٣٠/٥ - ٤/٦/١٩٩٨م انعقاد المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية للتطوير والتدريب وقد حضر المؤتمر أكثر من ١٢٠٠٠ متخصص في مجال التطوير والتدريب ١٠٪ منهم من خارج الولايات المتحدة، وشارك في المؤتمر ٣٣ شخصاً من دولة الكويت يمثلون وزارات الدولة ومؤسساتها ومنهم وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ خالد الزير ومدير التطوير والتدريب في الوزارة مطلق راشد القراوي ويهدف المؤتمر إلى:

استكشاف مداخل ومخارج التدريب على الإدارة وتطوير القياديين والمديرين، وتطوير الأداء من التدريب التقليدي إلى الأداء في مكان العمل، وتقديم أفكار جديدة لقياس وتقويم الأداء والتدريب الذي يساعد في التعرف على جهود الفرد، والاتصال بأحدث التقنيات التدريبية ومعرفة متى يمكن ضم كل منها إلى البرنامج التدريبي، والحصول على المهارات الأساسية التي يحتاجها الفرد من مصادرها لتحسين القدرة على تصميم الاحتياجات التحليلية، والاطلاع عن قرب على المعلومات والمهارات التي يحتاجها القيادي لتغيير وضع المؤسسة.



● وكيل الوزارة خالد الزير



● مدير التطوير والتدريب مطلق راشد القراوي

هذا، وقد تضمنت فعاليات المؤتمر إلقاء أكثر من ٢٥٠ محاضرة وورشة عمل ألقاها كبار رؤساء الشركات العالمية وأبرز الاختصاصيين بشؤون التدريب والتطوير، كما أقيم على هامش المؤتمر معرض متخصص في الوسائل والبرامج التدريبية، وجناح خاص بالمكتبة التابعة للجمعية الأمريكية والتي ضمت أحدث الكتب المتخصصة في هذا المجال.

والجدير بالذكر أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تشارك في المؤتمر للعام الثاني على التوالي بغرض الاطلاع على أحدث الوسائل والبرامج في التطوير الإداري وسبل تطبيقها في الوزارات للارتقاء بها نحو الأفضل والأمثل بإذن الله.

بدء المرحلة الصيفية لحلقات تحفيظ القرآن الكريم

أعلن مراقب حلقات تحفيظ القرآن الكريم في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عبدالله السنان عن بدء الفترة الصيفية لحلقات التحفيظ في المحافظات الخمس، وذلك اعتباراً من يوم ١٣/٦/١٩٩٨.

ودعا السنان الطلبة إلى المبادرة بتسجيل أسمائهم لدى مكاتب المحافظات التابعة للمراقبة، مؤكداً ما تحتويه برامج الفترة الصيفية من فعاليات وأنشطة مفيدة ومسلية تعود بالنفع على المشاركين، فضلاً عما تشكله تلك المشاركة من تأكيد أهمية الاعتناء بكتاب الله حفظاً وتجويداً وتفسيراً، وأكد السنان رغبة وزارة الأوقاف في تجسيد رسالتها السامية في مختلف المجالات، منوهاً بأن الاهتمام بتحفيظ أبنائنا الطلبة لكتاب الله يعد ترجمة حقيقية لتلك الرسالة، معرباً عن أمله في استجابة أولياء الأمور لدعوة المراجعة في حض الأبناء على المشاركة في تلك الحلقات.

وقال إن المراقبة انتهت من إعداد خطة العمل للموسم الحالي، مشيراً إلى أن الفائزين في الاختبار الذي سيجرى في نهاية الموسم سيحصلون على جوائز تشجيعية، بهدف حث الأبناء على مواصلة الالتحاق بحلقات تحفيظ القرآن التي تشهد إقبالاً متنامياً.

مفتي البوسنة والهرسك الشيخ مصطفى سيرتش:

يجب عقد مؤتمر لبث الوقف الإسلامي والاستفادة منه

كتب : أحمد فرغلي



● الشيخ مصطفى سيرتش مع الوكيل المساعد للعلاقات الخارجية بدر ناصر المطيري

قام وفد من كبار علماء البوسنة والهرسك بزيارة إلى دولة الكويت استمرت ثلاثة أيام، ورأس الوفد الشيخ مصطفى سيرتش مفتي البوسنة والهرسك وضم الوفد كلاً من: الشيخ محمد سالجك ـ نائب مفتي البوسنة والهرسك، نظم خليل ـ عضو الوفد، إبراهيم أحمد ـ عضو الوفد. وعقب الزيارة صرح الشيخ مصطفى سيرتش بأن اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة قامت بدور بارز منذ وجودها مع بداية حرب البوسنة والهرسك والتي وصفها بالحرب «الصليبية» مضيفاً بأن هذه اللجنة هي مجموعة من اللجان والهيئات الخيرية الكويتية والخليجية التي تعمل على مساعدة المسلمين هناك. ونوه الشيخ مصطفى سيرتش بأبرز المساعدات التي قدمتها اللجنة منذ العام ١٩٩٢م والتي أسهمت في تخفيف المحنة عن الشعب البوسني المسلم وهي: الإغاثة العاجلة العام ١٩٩٢م حتى ١٩٩٧م وتشمل إغاثة المهجّرين وتقديم المواد الغذائية والملابس والأدوية وما شابه ذلك، وبفضل الله عز وجل كانت تكاليف الإغاثة العاجلة نحو ٦٠ مليون مارك. وإيواء المهاجرين في كرواتيا وتقديم المساعدات المادية لهم وكانت تكاليف هذا المشروع أكثر من ١٠ ملايين مارك خلال الفترة بين الأعوام ١٩٩٢م و ١٩٩٧م. وشحن أكثر من ٥ آلاف طن من المواد الغذائية والملابس حيث تكلف هذا الأمر أكثر من ١٠ ملايين مارك. وبفضل الله وصل إلى المستشفيات والعيادات الصحية في جميع أنحاء البوسنة والهرسك أكثر من ١٢ ألف طن من الأدوية والأجهزة الطبية قيمتها ٤٠ مليون مارك. وتم تقديم ٥٠ سيارة إسعاف مجهّزة تجهيزاً كاملاً إلى مدن وقرى البوسنة قيمتها ٢ مليون مارك. وتمت طباعة أكثر من ٢ مليون كتاب تربوي بمبلغ مليون مارك. كما تمت طباعة كمية كبيرة من الكتب المدرسية كما تم توزيعها على تلاميذ المرحلة الابتدائية والمتوسطة وقد بلغت تكاليف طباعة هذه الكمية من الكتب أكثر من ٧٠٠ ألف مارك. وكفالة ١٢ ألف يتيم موزعين على قرى ومدن البوسنة والهرسك وبلغت مساعدة هؤلاء الأيتام أكثر من ستين مليون مارك، ولا تزال مستمرة حتى الآن. وكفالة الطلبة حيث كُفل أكثر من ألف طالب وهذه الكفالة لجميع المراحل الدراسية منذ سن السادسة وحتى الانتهاء من الدراسة الجامعية، وبلغت مصاريف هذه الكفالات أكثر من نصف مليون مارك. بالإضافة الى المساعدات الاجتماعية: قمنا ولا نزال بتقديم المساعدات الاجتماعية المادية إلى العجزة والمعاقين والمرضى وقد بلغت قيمة هذه المساعدات نحو ١٠ ملايين مارك. وكذلك تم بناء ٣٥ مسجداً في مدن وقرى البوسنة بقيمة مليون ونصف المليون مارك. وتصليح وترميم عدد كبير من المساجد بمبلغ ٧٠٠ ألف مارك. وتصليح أكثر من ٢٥٠ منزلاً بقيمة مليون مارك. ومساعدة من قبل صندوق التنمية الكويتي باستثمار مصنع الحديد في زينتسا بمبلغ ١٦٠ مليون مارك.

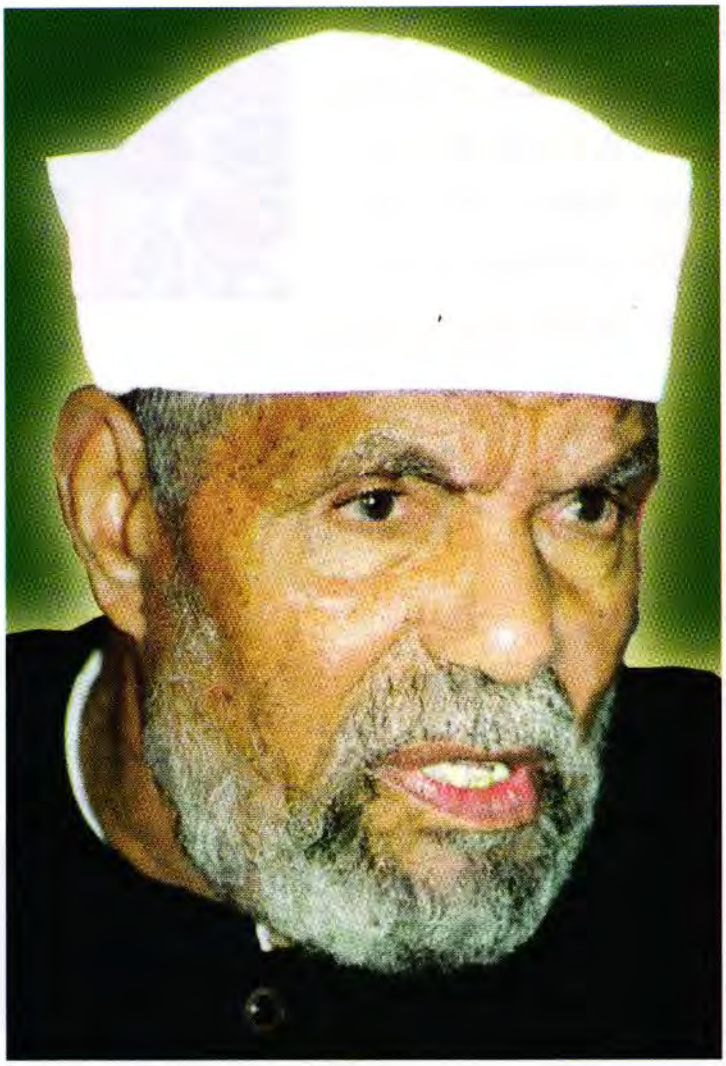
واقترح الشيخ مصطفى سيرتش بعقد مؤتمر إسلامي يكون مقره الكويت أو المملكة العربية السعودية من شأنه الاهتمام بشؤون المسلمين في المناطق التي يعاني فيها المسلمون من فقر أو اضطهاد. وأوجز الشيخ سيرتش أهداف المؤتمر فيما يلي:

- عرض بحوث ودراسات عن أوقاف المسلمين في مختلف الدول الإسلامية التي تعاني من ضياع وتدمير.
- اقتراح خطة عملية لإعادة إعمار الأوقاف المدمرة والمغتصبة.
- دعوة البنوك الإسلامية إلى المشاركة في المؤتمر للتعرف على حجم الأوقاف وعمل دراسات ذات جدوى اقتصادية مشتركة لتنمية أراضي الوقف بطريقة المشاركة مع الدول المعنية.
- اقتراح بتأسيس بنك الوقف الإسلامي تسهم فيه وزارات الأوقاف والبنوك الإسلامية.
- يُدعى لمؤتمر: علماء المسلمين «المتخصصون بالوقف»، وأمناء الوقف في العالم الإسلامي/ وزارات الأوقاف، ويركز على دعوة الدول التي تعاني من مشاكل في تنمية أو استرداد أوقاف المسلمين في البوسنة والهرسك، كوسوفا، دول آسيا الوسطى، بلغاريا، فلسطين، الهند، وألباني.

وعلى أن يكون المكان المقترح دولة الكويت أو المملكة العربية السعودية.

وفي نهاية تصريحه وجّه الشيخ مصطفى سيرتش نداء إلى شعب الكويتي ودول الخليج قال فيه: ضاعت فلسطين بسبب استيلاء اليهود المتطرفين على أراضي وبيوت المسلمين، وستضيع البوسنة إذا لم تسهم الدول الإسلامية في إعادة توطين المسلمين البوسنيين، ويكون ذلك بإعادة إعمار البيوت التي دمرها الصرب وإعادة بناء المساجد. وشكر الشيخ سيرتش دولة الكويت حكومة وشعباً على مساندتها لشعب البوسنة والهرسك المسلم ووقوفها معه في محنته. ■

فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي



على مدى أكثر من نصف قرن أمضاها في الدعوة إلى الله، رحل عن عالمنا فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ليلتحق بركب الدعاة إلى الله ممن سبقوه في الفضل بالآونة الأخيرة من أمثال الشيخ محمد الغزالي وشيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق والعلامة محمود شاكر والأستاذ خالد محمد خالد والشيخ عبدالفتاح أبو غدة وغيرهم. في حياة الشيخ الشعراوي مواقف كثيرة جعلت منه علماً من أعلام هذا العصر ممن وقفوا حياتهم لخدمة دينه وكتاب الله الكريم ودعوته للإسلام لايريد جزاء ولا شكوراً إلا من الله.

ولد الفقيد الراحل في ١٥ أبريل العام ١٩١١م، في ميت غمر بمحافظة الدقهلية. التحق منذ طفولته بالمعهد الأزهري، وحصل على الشهادة الابتدائية وتابع دراسته حتى حصل على الشهادة العالمية حيث تخرج في كلية اللغة العربية سنة ١٩٤١م، وحصل على الشهادة العالمية مع إجازة التدريس في العام ١٩٤٣م. وعيّن بعد ذلك مدرّساً في معهد طنطا الديني ثم في معهد الإسكندرية ثم الزقازيق، وأعير بعدها إلى العمل في المملكة العربية السعودية في العام ١٩٥٠م، حيث عين أستاذاً للشريعة في جامعة الملك عبدالعزيز، ثم عاد إلى مصر فعيّن وكيلاً في معهد طنطا في العام ١٩٦٠م، ثم شغل منصب وكيل أوقاف الغربية ثم مديراً للدعوة والفكر في العام ١٩٦١م، كما كان مفتشاً للعلوم العربية بالأزهر في العام ١٩٦٢م، فمديراً لمكتب شيخ الأزهر في العام ١٩٦٤م، ثم أستاذاً زائراً في جامعة الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة في العام ١٩٧٠م، وعمل بعدها مديراً عاماً لشؤون الأزهر في العام ١٩٧٥م، وكان وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر منذ العام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٨م.

كان رحمه الله عضواً بمجمع البحوث الإسلامية وعضواً في مجلس الشورى، كما كان عضواً بمجمع اللغة العربية في العام ١٩٨٧م.

الشعراوي يعتبر من أبرز الأصوات المعاصرة في مجال الدعوة الإسلامية، قضى حياته مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة الله، شارحاً قواعد الإسلام بمفاهيمه الصحيحة وفسّر القرآن الكريم بأسلوب فريد واضح مبسط، جذب قلوب الخاصة والعامة بما أنعم الله عليه من نور البصيرة والحكمة، وأثرى المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات والمحاضرات منها:

الفتاوى الكبرى، وعقيدة المسلم، وهجرة الرسول دروس وعبر، لبيك اللهم لبيك، من فيض الرحمن في معجزة القرآن، هداية الله.

وتعتبر مؤلفات الشعراوي بين أكثر المؤلفات الإسلامية رواجاً نظراً لسلاسة ألفاظه اوجمال أسلوبها وبلاغة أفكارها وعمق مضمونها، كما أضحت أحاديث الشيخ الشعراوي في السنوات الأخيرة إحدى سمات الحياة في مصر، بل في العالم الإسلامي كله، ودخلت أشرطة الكاسيت تحمل خطبه وتفسيره للقرآن الكريم كل البيوت فضلاً عن بثها الدوري في كثير من تلفازات الدول العربية والإسلامية دون أن يتقاضى عن ذلك أي مبالغ مالية.

إن عزاءنا في الفقيد الراحل أنه ترك لنا علماً ينتفع به إلى يوم القيامة، يدرّ عليه الأجر والمثوبة كما يدرّ علينا العلم والمعرفة، أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم.

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: «صدقة جارية أوعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» ونسأل الله عز وجل أن ينفعنا بعلمه الذي تركه وأن يثيبه عن كل حرف حسنة وكل كلمة درجة إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

كما أن أسرة مجلة الوعي الإسلامي الذي آلمها هذا المصاب الجلل لتضرع إلى الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويدخله فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً والحمد لله رب العالمين.

حوار

في حديثه لمجلة الوعي الإسلامي ثمن شيخ الإسلام مفتي ورئيس الإدارة الدينية في جمهورية أذربيجان، ومنطقة القفقاز جهود ودعم الهيئات الرسمية والشعبية في الكويت لبلاده، وطالب بتطويرها لما فيه مصلحة الشعبين في المجالات المختلفة جاء ذلك خلال اللقاء الذي أجرته المجلة مع فضيلة المفتي خلال زياته الأخيرة للكويت التي جاءت بدعوة من لجنة مسلمي آسيا في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية فماذا دار في هذا اللقاء، وماذا قال فضيلة المفتي حول الكثير من القضايا التي طرحت عليه؟



مفتي جمهورية أذربيجان شيخ الإسلام شكرالله باشا زادة لمجلة الوعي الإسلامي:

خرجنا من محنة السبعين عاماً أكثر قوة وتمسكاً بالدين

أجرى الحوار: تمام أحمد

● متى دخل الإسلام أذربيجان وما أبرز إساهمات الأذربيجانيين في الحضارة الإسلامية التي سادت العالم في العصور الوسطى؟

■ دخل الإسلام إلى أذربيجان أيام الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين أرسل قائده حذيفة بن اليمان في حملة فتحت إربيل صلحاً سنة ٢٥هجرية، ومن أذربيجان امتد انتشار الإسلام إلى باقي مناطق آسيا الوسطى وحذيفة - رضي الله عنه - يسمونه عندنا «مير عرب» وكان انتشار الإسلام في مناطق أذربيجان أسرع من انتشاره في باقي المناطق، وقد أسهمت أذربيجان بعد أن توطد الإسلام فيها في الحركة الحضارية الإسلامية، ويمكننا أن نسرد أسماء الكثير من علمائها ومفكريها الذين أبدعوا في تلك العصور، ومن أبرزهم: الخطيب التبريزي الذي كان مديراً للمكتبة النظامية في بغداد والذي شرح دواوين كثيرة للشعراء العرب منها ديوان أبي العتاهية، وسقط الزند للمعري، والمعلقات السبع، وديوان الحماسة للمتنبي، ومن العلماء الكبار عبدالرشيد الباكوي وهو عالم جغرافي ومؤرخ كبير، والفيلسوف أوتناي، ثم عزالدين الزنجاني

اللغوي المعروف، الذي استعمل كتابه «مبادئ في التصريف» كتاباً مدرسياً في البلدان العربية في القرون الوسطى، وهناك الشاعر «محمد فضولي» الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي، وأبدع في بغداد وله دواوين باللغات الأذرية والعربية والفارسية وألّف كتابه الفلسفي المعروف «مطلع الاعتقاد» ووضع قصائد بالعربية، ومن العلماء أيضاً الشاعر «عماد الدين نسيمي» الذي نظّم قصائده بالعربية والأذرية والفارسية وضريحه موجود في مدينة حلب السورية حتى اليوم وأحفاده يسكنون هناك أيضاً.



● سمو الأمير يستقبل سماحة المفتي والوفد المرافق له

● برأيكم ما الأمور التي جعلت من الشعب الأذري يحافظ على هويته المسلمة رغم وقوعه مدة تزيد عن سبعين عاماً تحت الحكم الشيوعي الإلحادي؟

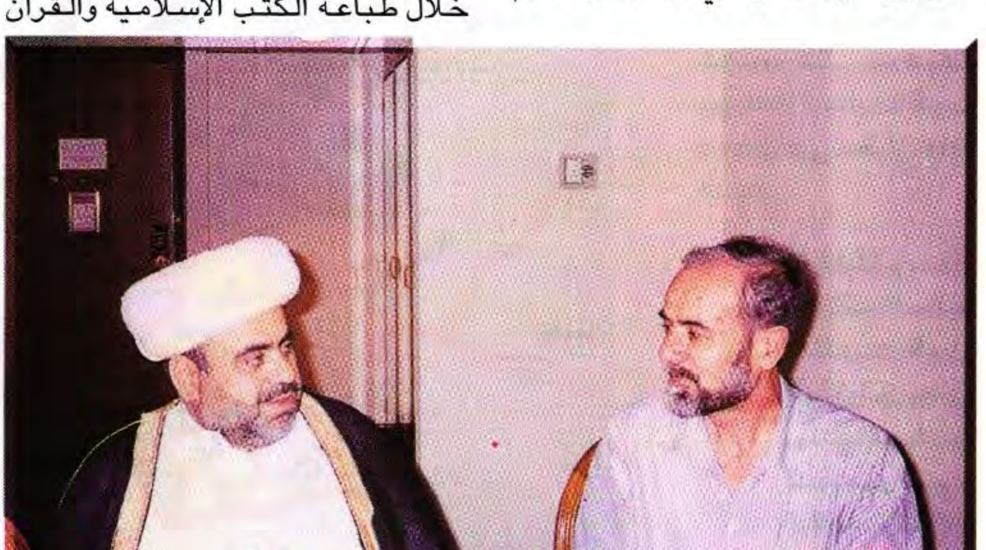
■ الجميع يعرف أن الشعب الأذري عانى لأكثر من سبعين عاماً من الاضطهاد الشيوعي، حيث مورست بحقه سياسة إلحادية استهدفت فصله عن دينه وتذويب هويته وقد استشهد كثير من العلماء البارزين الذين تعلموا في البلدان وبعضهم اعتقل ونفي إلى مجاهل سيبيريا وتعرض بعضهم لصعوبات ومضايقات شديدة، لكن كل ذلك لم يكن بمقدوره إطفاء جذوة الإيمان في النفوس ومحو دين الله الحنيف من قلوب الأذريين الذين ظلوا يمارسون شعائرهم الإسلامية في ظل ظروف صعبة وسرية وخصوصاً في السنوات الأولى لقيام الاتحاد السوفييتي، ومن ناحية أخرى وعلى الرغم من أن الدين كان منفصلاً عن الدولة، إلا أن الإدارة الدينية لعبت دوراً مهماً في حياة الناس الروحية والمدنية من خلال طباعة الكتب الإسلامية والقرآن الكريم والمشاركة في المؤتمرات والندوات الإسلامية والإسهام في الاحتفال بالأعياد في المساجد... كل هذه الأمور أسهمت في تثبيت الناس على دينهم حتى انقشعت الغمة وزال بلاء الإلحاد بفضل الله وكرمه.

● بعد استعادة الشعب الأذري لحريته أصبح في أمسّ الحاجة لبعض المساعدات ترى ما الأولويات التي يحتاج إليها الأذريون في فترة ما بعد الشيوعية؟

■ نحن الآن بالدرجة الأولى نحتاج إلى مساعدة مادية وتحتاج تأييداً روحياً من إخواننا المسلمين في مختلف بلدان العالم لأننا بعد الاستقلال فتحت أمامنا إمكانات كبيرة لتوسيع نشاطنا في كل المجالات، الأمر الذي يتطلب دعماً مادياً وتدفقاً لرؤوس الأموال الإسلامية للمشاركة في مجالات الاستثمار المتعددة.

● قضية ناغورنو كاراباخ كيف بدأت وكيف ترون حلها؟

■ هذه القضية مؤامرة مدبرة لسلخ الإقليم عن الوطن الأم مع أن الوثائق التاريخية تؤكد أن الأذريين كانوا يشكلون ٩١٪ من إجمالي إقليم كاراباخ في العام



● لقطة من الحوار

١٨٣٢م، والقارئ كتب التاريخ وكتب الجوالة العربي يجد معلومات وفيرة تؤكد الحق الأذري، ففي كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ورد اسم الإقليم ضمن أذربيجان، وكذلك في كتاب نزهة القلوب للقزويني، وكتاب فتوح البلدان للبلاذري.

لكن نتيجة تسامح الأذريين وهجرة الأرمن إلى الإقليم انخفضت نسبة الأذريين سنة ١٩٨٦م إلى ٤١٪ من السكان فقط واعتباراً من العام ١٩٨٨ لعبت القوى الامبريالية في الخارج دوراً في إثارة القضية وتكريس النزاع عندما تقدمت أرمينيا بادعاءات كاذبة لضم الإقليم إلى أراضيها واجتاحت فيما بعد الإقليم وهجّرت أكثر من مليون لاجئ، وقتلت أكثر من عشرين ألف أذري، وخلفت أكثر من ٥٠ ألف جريح ومعاق، ولا يزال الإقليم تحت الاحتلال الأرمني حتى اليوم مع أن أذربيجان تطالب دوماً باللجوء للحلول السلمية، نحن لا نريد محاربة أي بلد ونود أن نعيد الأمور إلى نصابها عن طريق الجلوس إلى مائدة المفاوضات.



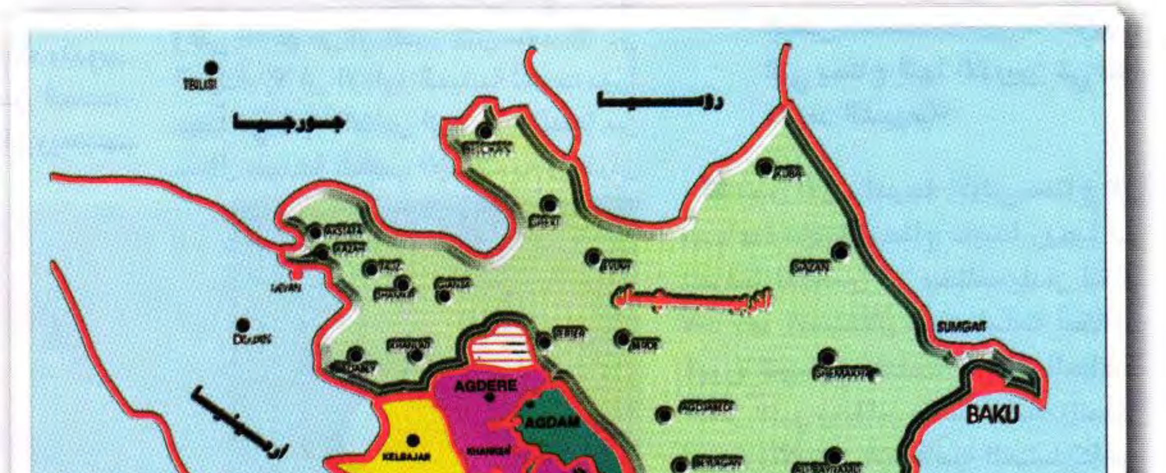
● فضيلة المفتي في زيارة مجلة الوعي الإسلامي

● موقف الدول الإسلامية من قضية كاراباخ كيف تقومونه؟

■ معظم البلدان الإسلامية تقف موقفاً مشرّفاً إلى جانب أذربيجان في نضالها من أجل استعادة الحق المغتصب ونأمل أن يزداد هذا الموقف رسوخاً سواء بالدعم المادي أو المعنوي.

● ألا ترون أن الزخم الإعلامي للقضية ضعيف في الوقت الحاضر؟

■ القضية لم تمت بإذن الله بالرغم من الصمت الحالي بينما التحرك الإعلامي الأرمني نشيط جداً والجاليات الأرمنية في البلدان العربية والأجنبية تمارس نشاطاً إعلامياً مكثفاً لإضفاء الشرعية على الاحتلال ونأمل من إخواننا العرب والمسلمين مساعدتنا لإثارة هذه القضية في المحافل الدولية وإلقاء الضوء على جوهرها وجولتنا الحالية للكويت تدخل في نطاق هذا السياق.



● قابلتم خلال زيارتكم الحالية للكويت كبار المسؤولين وعلى رأسهم صاحب السمو أمير البلاد... والسؤال ما أبرز النقاط التي أثرتموها خلال هذه

اللقاءات؟

■ حاولنا خلال هذه الزيارة تحسين العلاقات الاقتصادية والثقافية بين البلدين وتعزيز الروابط الدينية بين إدارة مسلمي القوقاز ووزارة الأوقاف الكويتية، كما اطلعنا على تجربة إخواننا في الكويت في مجال رعاية الأيتام وأسر الشهداء والأطفال القصّر لنقلها إلى أذربيجان قدر المستطاع، وأثناء اللقاء مع سمو الأمير نقلت له تحيات فخامة الرئيس حيدر علييف ودعوته لسموه لزيارة أذربيجان، حيث قبل سموه الدعوة ووعد بتحديد موعدها مستقبلاً، كما أنني دعوت صاحب السمو شخصياً كمسؤول ديني لزيارة أذربيجان، وقبل الأمير الدعوة بكل امتنان ووعدنا بزيارة جمهوريتنا مستقبلاً ولا يفوتني هنا الإشارة إلى الدور الذي لعبه الشيخ جابر الأحمد الصباح في تمكين أذربيجان المسلمة من الانضمام لعضوية منظمة المؤتمر الإسلامي وغيرها من المؤسسات والهيئات الدولية.

● المساعدات التي تردكم حالياً ما مصدرها، وهل تقتصر على الدول الإسلامية فقط؟

■ الدول الإسلامية تأتي في مقدم البلدان التي تقدم المساعدات لبلدنا في كثير من المجالات ولا شك أن الكويت لها قصب السبق في ذلك حيث تحيطنا بعناية كبيرة على المستويين الرسمي والشعبي من خلال وزارة الأوقاف والهيئة الخيرية ولجنة مسلمي آسيا التي لا ينكر أثرها وفضلها في إنجاز الكثير من المشاريع، وغيرها من المنظمات الخيرية، وهناك مساعدات تأتينا من الدول الغربية وبشكل خاص من الولايات المتحدة وألمانيا... طبيعي أننا نقدر هذه المساعدات الواسعة النطاق التي نحتاج إليها في هذه المرحلة الانتقالية احتياجاً ماساً وبخاصة مع وجود أكثر من مليون لاجئ شردهم العدوان الأرمني ولهذا السبب فإن الشعب الأذري يقدر هذه المساعدات ويعرب عن جزيل شكره لإخوانه في الكويت.

ونتمنى للكويت حكومة وشعباً النجاح والتوفيق والازدهار وأن يعيد لأهل الكويت أسراهم في القريب العاجل إن شاء الله.

● أذربيجان دولة غنية بثرواتها ويمكنها لو استثمرت هذه الثروات أن تخرج من محنتها أشد قوة وصلابة فماذا توصون أصحاب رؤوس الأموال في الدول الإسلامية؟

■ أذربيجان ليست فقيرة وهي تنظر للمستقبل بتفاؤل كبير وكثير من دول العالم تشارك أذربيجان في التنقيب واستخراج النفط بما فيها بعض البلدان العربية والإسلامية كالمملكة العربية السعودية ومصر وإيران وتركيا، وأدعو الكويت للمشاركة في هذه الاتفاقات الأمر الذي يعود بالفائدة على الطرفين، كما أدعو جميع المستثمرين العرب والمسلمين للاستثمار في أذربيجان وخصوصاً أن هناك قوانين تضمن حقوق المستثمرين سواء في مجال النفط أو غيره من المجالات الاقتصادية والتجارية. ■

أذربيجان في سطور

• إحدى جمهوريات آسيا الوسطى التي حصلت على استقلالها في أعقاب تفكك الاتحاد السوفييتي العام ١٩٩١م تبلغ مساحتها ٨٦٦٣٠ كم٢ ويبلغ عدد سكانها نحو سبعة ملايين نسمة ٧٤٪ منهم من الأذريين و ١٠٪ من الروس و ١٠ من الأرمن و ٣٪ من الجورجيين، واللغة الرسمية هي التركية بالإضافة إلى الروسية، العاصمة مدينة باكو ومن أبرز المدن خوي، سلماس، أرمية، اردبيل، وتضم أذربيجان جمهورية «ناخشيفان» ذات الحكم الذاتي وتعتبر هذه الجمهورية المنفذ الوحيد من أذربيجان إلى تركيا وتفصلهما جمهورية ارمينيا.

• فتحت أذربيجان أيام عمر بن الخطاب. رضي الله عنه. ومنها انطلق الفتح الإسلامي إلى باقي أرجاء آسيا الوسطى والقوقاز وروسيا وقد تعرضت أذربيجان خلال تاريخها للكثير من المؤامرات الخارجية ومن أبرزها الاحتلال السوفييتي لها وإنشاء جمهورية أذربيجان السوفييتية في ٢٨ أبريل العام ١٩٢٠، ومنها أيضاً العدوان الأرمني على إقليم ناغورنو كاراباخ واحتلال ٢٠٪ من أراضيها وتشريد أكثر من مليون لاجئ وذلك في العام ١٩٨٩م عندما اتخذ مجلس السوفييت الأعلى قراراً غير شرعي نص على ضم منطقة ناغورنو إلى أرمينيا وبدأت حرب إبادة غير معلنة ضد الشعب الأذري المسلم.

• تعتمد أذربيجان على الزراعة في اقتصادها والأراضي المزروعة تصل إلى ٢,٦ مليون هكتار وتشتهر بإنتاج الشاي والقطن والعنب وهناك ثروات معدنية كبيرة في أذربيجان وفي مقدمها البترول والغاز الطبيعي والحديد والبوكسيت والكروم والكوينت، وتشهد أذربيجان الآن نمواً اقتصادياً متسارعاً وتنافساً من قبل الشركات الأجنبية على استخراج النفط بعد أن دلت الاكتشافات النفطية الحديثة على وجود النفط بكميات هائلة لا تقل عن الاحتياطات النفطية الموجودة في منطقة الخليج العربي.

تحقيق

الأحداث الدامية التي يعيشها المسلمون في كوسوفا على أيدي الصرب ليست هي الأولى من نوعها، فتاريخ هذا الإقليم المسلم مع الاضطهاد والاحتلال والمذابح تاريخ طويل يمتد إلى قرون عدة.

وجذور محنة المسلمين في كوسوفا تمتد من أعماق التاريخ طويلاً، والحديث عنها من الناحية التاريخية والسياسية لا يمكن أن ينفك عن الحديث عن ألبانيا، فألبانيا وكوسوفا ظلا حتى العام ١٩١٣م كياناً واحداً ودولة واحدة وشعباً واحداً هو «الشعب الألباني»، حتى تم شطره إلى نصفين أملاً في تفتيت هذا الشعب المسلم والقضاء عليه...

ولكن قبل أن يحدث ذلك... جرت هناك أحداث صاحبت هذا الشعب منذ وجوده في المنطقة فيما قبل التاريخ ومروراً بقيام مملكته الأولى، ثم وقوعه تحت الاستعمار الروماني، والبيزنطي والصربي، ثم الفتح الإسلامي، ثم الاستعمار الأوروبي والصربي من جديد، الذي حاول سحقه ومحوه من الوجود. ولنعد إلى أصل القضية عندما تكونت البدايات الأولى لهذا الشعب من قبل التاريخ.

بقلم: شعبان عبدالرحمن



كوسوفا

تاريخ طويل من الاستعمار والمذابح

جذور الصراع في البلقان من مملكة الألبان الأولى حتى اليوم

أصل الألبان

هناك إجماع من المؤرخين على أن أصل الألبان يعود إلى «الإيلير» القدامى، وهم أحد أقدم الأنسال الأوروبية الذين انحدروا مباشرة من قبائل هندو ـ أوروبية، ثم هاجروا إلى مناطق مختلفة على شواطئ البحر الأدرياتيكي التي لم تكن قد سكنت من قبل، وأنشأوا دولة «درنيا»... ولذلك سميت تلك المناطق باسمهم في عصور ما قبل التاريخ.

وقد كانت قبائل الإيليرية تعيش منذ البداية تحت حكم قبلي تتولى فيه السلطة «المرأة» ثم انتقلت بعد ذلك إلى الرجل، وكانت أول مملكة تم تأسيسها في القرن الثالث قبل الميلاد تحت زعامة ملك يسمى «أغرون» وعاصمتها مدينة شقودرة الموجودة حالياً في ألبانيا، وكانت لتلك المملكة القديمة عاداتها وتقاليدها التي جمعها الألبان «ليك دوكاجيني» في شبه دستور أطلق عليه «عدالة العادات أو حكم العرف»، وكان أهم مواد ذلك الدستور مادة «ألبيسا» (أي عهد الأمان حتى يتم الصلح في حال الحرب).

ومنذ نشأة الإيلير وبمرور التاريخ كانت لهم دياناتهم المختلفة وعقائدهم المتنوعة، فقد عبدوا في بداياتهم الأولى قوى الطبيعة كغيرهم من شعوب الأرض، وكانوا يؤمنون بالحياة بعد الموت مثل الفراعنة في مصر... عبدوا الشمس والقمر والمطر والرعد والنار والفرس وكانت الشمس من المعبودات الأكثر تعظيماً، ثم تطورت دياناتهم وتغيرت مع تغير أنظمة الحكم وتعاقب الغزاة.

وتتحدث مراجع التاريخ المتعددة أن السقوط الأول لمملكتهم كان بأيدي الرومان الذين دام احتلالهم لتلك البلاد قروناً عدة، ثم جاء الاحتلال البيزنطي الذي دام أيضاً قروناً عدة، فاعتنق أفراد الشعب الديانات المسيحية واستمروا عليها حتى العام ١٠٥٤م عندما انقسموا إلى مذهبين أو صارت تبعيتهم إلى كنيستين.

- الكنيسة الأرثوذكسية وتتبعها الأكثرية.
- الكنيسة الكاثوليكية وتتبعها الأقلية.

واستمر الحال هكذا في ظل الحكم البيزنطي حتى القرن السابع الميلادي وفيه تمكن السُلاف «وهم الصرب والكروات والسلوفيين» من السيطرة على شمال بلاد البلقان، وقد دامت هذه السيطرة قروناً عدة، ثم قام البلغار بغزو جزء آخر منها... وهكذا صارت بلاد الألبان «ألبانيا وكوسوفا» منذ القرن السابع الميلادي تحت سيطرة مجموعة من المحتلين من بيزنطيين وسلاف وبلغار، وتحاشياً لاحتدام الصراع على مواقع النفوذ اتفقوا على تقاسم الغنيمة، وظل الوضع هكذا حتى القرن الثاني عشر الميلادي وفيه ازدادت قوة الصرب، ورجحت على كفة البيزنطيين والبلغار وتمكن الملك «سيتغان» ملكهم في ذلك الوقت من قهر البيزنطيين والبلغار وطردهم من البلاد، وفي العام ١٣٤٦ بلغت قوة الصرب أوجها في عهد الملك «سار دو شان» الذي أعلن نفسه قيصراً على البلاد وجعل مدينة «بريزين» الواقعة على بعد ٧٥كم جنوب غربي مدينة بريشتينا عاصمة كوسوفا حالياً عاصمة ملكه.

لكن هذه القوة لم تدم طويلاً إذ اصطدمت بعد ذلك بعشر سنوات فقط بقوة الدولة العثمانية المتنامية، وكان مسرح الاصطدام إقليم كوسوفا... ففي العام ١٣٥٦م تمكن سليمان أكبر أبناء السلطان أرخان الأول من اجتياز مضيق الدردنيل والاستيلاء على بعض المدن في شبه جزيرة البلقان، وفي عهد السلطان مراد الأول توسع العثمانيون في فتح شبه الجزيرة رويداً رويداً وبدأ السكان يدخلون في الإسلام طواعية وصار الوجود العثماني في البلقان متاخماً لإمارة ألبانيا منذ ذلك الوقت «كوسوفا ـ ألبانيا»، وقد أزعج اتساع رقعة الدولة العثمانية في المنطقة النظام الدولي في ذلك الوقت، فتحالف ملوك أوروبا وأمراء البلقان على محاربة العثمانيين، وكانت المعركة الفاصلة بين الجانبين في ٢٨ يونيو ١٣٨٩م في ميدان «كوسوفا» القريب من مدينة بريشتينا بقيادة الملك الصربي لازار والسلطان العثماني مراد الأول، وسقط فيها القائدان، إلا أن النصر في النهاية كان حليف العثمانيين، وقد سميت المنطقة المحيطة في ميدان كوسوفا بهذا الاسم المعروف الآن منذ ذلك التاريخ، وبعد هذه الهزيمة الصربية الساحقة، تخلص الألبان من الحكم الصربي، وبدأوا يدخلون في الإسلام أفواجاً، وتحولوا من محاربين في صفوف الصرب إلى قوات مقاتلة في صفوف المسلمين، وقد ساعد إسلام عدد غير قليل من الألبان قبل هذه المعركة العثمانيين في سقوط أكثر مناطق الألبان دون مقاومة، كما أن انتصار العثمانيين في هذه المعركة فتح الطريق أمامهم لفتح بقية بلاد الألبان، وبمرور الأيام ورسوخ الحكم الإسلامي بعدالته تزايد دخول الناس في الإسلام أفواجاً، حتى صار المسلمون يشكلون أغلبية سكان البلاد.

كيف أنقذت الخلافة الإسلامية المنطقة من عدوان الصرب والاستعمار الأوروبي؟

وفي ظل الدولة الإسلامية، انسجم الألبان ونالوا مكانتهم، وتحركوا بحرية وأبدعوا وبرز منهم نوابغ احتلوا مكانة ممتازة في ظل الدولة الإسلامية، كما أن رجال الصدر الأعظم الذين تعاقبوا على حكم الدولة العثمانية برز بينهم أربعون صدراً أعظم من أصل ألباني.

وفي عهد محمد الفاتح وخلال فتح مدينة القسطنطينية كان الجندي المسلم الألباني «بلابان باشا» أول من استطاع نصب العلم العثماني على أسوار المدينة بعد أن أبلى بلاء حسناً في جيش محمد الفاتح.

ودام الحكم الإسلامي في تلك البلاد ما يقرب ستة قرون منذ منتصف القرن الرابع حتى بدايات القرن العشرين عندما بدأت الدولة العثمانية تضعف وتنهار قواها حيث أخذ نفوذها ينحسر في البلقان ومعها المنطقة الألبانية «ألبانيا وكوسوفا».

وهنا بدأت مرحلة جديدة من الترتيبات الدولية لإخراج الدولة العثمانية من المنطقة بأسرها، وتذويب المسلمين وتمزيقهم وتشريدهم أملاً في تغييب الإسلام نفسه عن هذه المنطقة التي بات معظم سكانها من المسلمين في ظل الدولة العثمانية.

وكان الصرب أسرع حركة من أي طرف لملء الفراغ الذي تركته الدولة العثمانية المنسحبة من المنطقة، وما كادت حرب البلقان تنشب العام ١٩١٢م حتى وجد الصرب ضالتهم فيها لتحقيق مزيد من الهيمنة على المنطقة.

وفي العام ١٩١٣م وبعد نهاية تلك الحرب عقدت الدول الأوروبية «النظام الدولي المسيطر في ذلك الوقت» مؤتمرها الشهير في لندن لبحث ترتيبات جديدة في المنطقة يتم بمقتضاها القضاء على الوجود الإسلامي تماماً، وقامت بتقسيم المنطقة بين الصرب والبلغار واليونان والجبل الأسود متجاهلة أي دور للألبان، بل إمعاناً في تفتيتهم لفض قوتهم الإسلامية، فقد تم شطر السكان إلى شطرين، أحدهما في ألبانيا والآخر في إقليم كوسوفا الذي أهداه النظام الدولي في ذلك الوقت إلى صربيا التي قامت بحملات بشعة ضد المسلمين منذ ذلك الوقت لاستئصالهم وتشريدهم وتذويبهم ومحو هويتهم بالكامل، ثم عقدت دول النظام الدولي معاهدة سرية العام ١٩١٥م تقضي بأن يبسط الصرب والبلغار واليونان سيطرتهم بالكامل على ألبانيا ولا يسمح لها بأي حال أن تعود للوجود في شكل دولة، وبالتالي يكون قد تحقق مخطط القضاء على الإسلام في المنطقة بعد أن باتت كوسوفا في قبضة صربيا وبقية المسلمين في البلقان تحت سيطرتها، لكن أهل ألبانيا المسلمين انتفضوا واستطاعوا بعد جمع كلمتهم ولم شملهم أن يبطلوا هذه المعاهدة السرية، ويشكلوا حكومة وطنية وجمعية تأسيسية العام ١٩١٨م انتخبت مجلساً أعلى في مدينة لوشينا من أربعة أعضاء يمثلون الطوائف الأربعة التي تعيش في ألبانيا في ذلك الوقت وهي الطائفة الإسلامية، والبكناشية، والكاثوليكية، والأرثوذكسية.

وفي العام ١٩٢٠م استطاعوا تشكيل حكومة قوية في مدينة تيرانا التي اتخذت عاصمة للبلاد، وقد تمكنت هذه الحكومة من إعادة حدود ألبانيا التي حددها اتفاق ١٩١٣م، وبخاصة أن هذه الحدود كان قد أعتدي عليها خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) حيث احتل الإيطاليون والصرب والجبل الأسود واليونان معظم أراضيها.

وهكذا استطاعت ألبانيا والجزء الكبير من الشعب الألباني أن يفلت من تمزيق الطامعين والتذويب والزوال من على وجه الأرض بفضل جهاد أبنائها الذي لم ينقطع، وقبلت عضواً في عصبة الأمم ١٢/١٧/١٩٢٠م، بعد أن تم الاعتراف الدولي بها ... وتكون ألبانيا كدولة قد مرت بولادة صعبة أليمة حتى تمكن أبناؤها من لملمة شتاتهم والحفاظ على أرضهم وهذه

الدولة الإسلامية عاشت ما يقرب من ستة قرون هناك نشرت خلالها العدل والخير

والولادة هي نفسها التي مازالت تعاني منها البوسنة والهرسك.

لكن ألبانيا تعرضت العام ١٩٣٩م للاحتلال الإيطالي بسبب مجاورتها للبحر الأدرياتيكي والتي كانت تسعى إيطاليا لجعله بحيرة إيطالية، إلا أنه تم طردهم من البلاد ومعهم حلفاؤهم الألمان في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٤م وهو يوم الاستقلال لألبانيا.

بينما تمكنت ألبانيا من الحفاظ على كيانها كدولة، وإن كانت مساحتها قد تقلصت من ٧٠ ألف كيلو متر إلى ٢٨.٧٤٨ كيلو متراً بعد أن اقتطع منها الصرب واليونان والبلغار ما يقرب من ٤٠ ألف كيلو متراً ـ إلا أن كوسوفا بقيت تحت مقصلة الصرب يمارسون على أهلها كل ألوان التذويب والإبادة وينفثون في أهلها أحقادهم التاريخية مروجين في سبيل ذلك دعاوى تاريخية وسياسية واجتماعية كاذبة.

فمنذ معركة العام ١٣٨٩م بين الدولة العثمانية والصرب على أرض كوسوفا والتي هُزم فيها الصرب شر هزيمة والصرب لا ينسون ذكرى هذه المعركة، إذ يتخذونها مناسبة وطنية حتى اليوم، يعيدون تمجيدها رغم هزيمتهم الساحقة فيها، لكنهم يجددون في كل عام دعاواهم بالحق التاريخي في هذه الأرض التي يطلقون عليها «الأرض المقدسة» التي ارتوت بدماء الآباء والأجداد وهم يدافعون عنها ضد العثمانيين ويسقطون من التاريخ أنهم هم كانوا الغاصبين والمحتلين لهذه الأرض «ألبانيا وكوسوفا» وهو الأمر الذي يعرفه أي دارس لتاريخ هذه المنطقة، وأكد المؤرخ الفرنسي «آلان دوسوليني» عندما قال صراحة «إن أي باحث في التاريخ يقف شاهداً ضد ادعاء صربيا في كوسوفا، لكن حقائق التاريخ تشهد أن الصرب كانوا في كوسوفا بوصفهم محتلين ومغيرين على الأرض».

وفي لقاء مع الدكتور رجب بويا قال رداً على هذا الادعاء: إن الحقيقة أن هذه المعركة لم تكن بين الصرب والمسلمين «العثمانيين» بل بين الجيوش الأوروبية المتحالفة ومعهم الصرب والجيش العثماني، فقد شاركت فيها كل شعوب البلقان بما فيهم الألبان، لأن الإسلام لم يكن قد انتشر بعد في المنطقة، فلم يكن الصرب وحدهم المعنيين بهذه المعركة وإنما شعوب المنطقة كلها.

وتؤكد المصادر التاريخية الألبانية أن الألبان شاركوا في هذه الحرب ضد المسلمين كما تثبت أن الطاعن الذي طعن السلطان مراد بك الطعنة القاتلة في الحرب هو رجل ألباني الأصل من قرية «كوبيليتش» وهي من القرى التي تحاصرها القوات الصربية حالياً في كوسوفا ضمن إقليم درينستسا.

ورغم ذلك استجاب النظام الدولي في اتفاق العام ١٩١٣م، لصربيا وأهداها كوسوفا وبخاصة لأن البوسنة كانت تطمع في الفوز بها، فقد ضاعت منها بعد أن اختطفتها



الامبراطورية النمساوية في ذلك الوقت.

وقد جرد الصرب في ذلك حملة تصفية منظمة ضد المسلمين الألبان في كوسوفا شملت سلسلة من المذابح الجماعية مصحوبة بإحراق البيوت واغتصاب الأرض والإكراه على تغيير العقيدة، وهو ما أسفر طبقاً للأرقام المتاحة في ذلك عن مقتل ١٥٠ ألف مسلم ألباني بينما فر عشرات الآلاف الآخرون.

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، بدأ مخطط شامل «لتصريب» كوسوفا بكل الوسائل، بدءاً من تفريغها من أهلها حتى المذابح الجماعية، وبالفعل تمكنت صربيا من توقيع اتفاق العام ١٩٣٦م مع تركيا تقضي بتهجير ٤٠٠ ألف عائلة ألبانية إلى الأراضي التركية خلال السنوات الثماني التالية، وفي الوقت نفسه تم تخيير من بقي بين القتل أو الطرد أو التنصير.

وظل الوضع هكذا حتى وقعت الحرب العالمية الثانية وأصبحت يوغوسلافيا محتلة، وكان قادة حركة التحرير الشعبية ليوغسلافيا في أمسّ الحاجة إلى وقوف ألبان كوسوفا إلى جوارهم أو على الأقل ضمان عدم إحداثهم لأي قلاقل، فأعلنوا أنه بعد انتهاء الحرب سيحصل شعب كوسوفا على حقه في تقرير مصيره بما في ذلك حقه الالتحاق بوطنه «ألبانيا»، لكن هذه التصريحات المثبتة في وثائق رسمية نُسيت تماماً بعد تحرير يوغسلافيا وسيطرة الحزب الشيوعي على الحكم الذي كان أول قرار اتخذه هو إرسال وحدات من الجيش لإحكام الحصار حول كوسوفا، الأمر الذي فوجئ به الألبان وظلوا يقاومونه ثلاثة أشهر (من ديسمبر ١٩٤٤م حتى فبراير ١٩٤٥م) وسقط منهم ٤٧ ألف شهيد.

وفي منتصف العام ١٩٤٥م قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اليوغسلافي تقسيم الأراضي الألبانية المحتلة بين صربيا ومقدونيا والجبل الأسود، إمعاناً في التفتيت والتذويب، فتم إلحاق كوسوفا بصربيا، وأهديت بعض القرى الألبانية المحتلة إلى مقدونيا والجبل الأسود.

وعندما صدر دستور يوغسلافيا الجديد في العام ١٩٤٦م حمل في طياته نصاً صريحاً على تبعية كوسوفا لصربيا كإقليم يتمتع بالحكم الذاتي، لكن هذا الحكم الذاتي تم التراجع عنه تدريجياً حتى تم إلغاؤه في

أراضي الألبان ظلت مطمعاً للغزاة منذ القرن السابع الميلادي... وعليها جرت معارك بين الصرب والبيزنطيين والبلغار طمعاً في مواقع النفوذ

دستور العام ١٩٦٣م، فاشتعلت ثورة الألبان ولم تهدأ حتى استعادوا حقهم في الحكم الذاتي في تعديل للدستور في العام ١٩٦٩م، وبصدور دستور جديد ليوغسلافيا العام ١٩٧٤م تم تأكيد الحكم الذاتي لكوسوفا، لكن السلطات اليوغسلافية «الصربية» اتخذت من الإجراءات الإدارية والأمنية ما أفرغ هذا الحكم من محتواه حتى بات حبراً على ورق، فنظم الألبان مظاهرات عارمة في العام ١٩٨٩م طالبت بإقامة جمهورية في كوسوفا، لكنها قوبلت بقمع وحشي من الصرب، وأصدر الصرب قراراً في ١٩٨٩/٣/٢٣م بإلغاء الحكم الذاتي نهائياً.

وقد عاش أهل كوسوفا بذلك تجربة مريرة مع الحكم الذاتي، الذي كان أقرب إلى تمثيلية صربية منه إلى حقيقة واقعة، أو حق يمارسه الألبان، ولذلك فإنهم يرفضون اليوم فكرة الحكم الذاتي التي تروج لها بعض الأطراف الدولية وذلك بسبب تجربتهم المريرة معه سابقاً، فقد كانت إدارة كوسوفا الحقيقية من بلغراد ويطالبون بالاستقلال التام أسوة ببقية جمهوريات وأقاليم الاتحاد اليوغسلافي التي انفكت عنه العام ١٩٨٩م لكن الصرب يرفضون ذلك ويغطون رفضهم بجملة من التبريرات تقوم بترويجها الآلة الإعلامية الصربية وتساندها وتدافع عنها روسيا واليونان في المحافل الدولية، وتتركز الدعاية الصربية في هذا الصدد في:

- إيهام العالم بأن ما يجري هو شأن داخلي صربي طرفه الأساسي المسلمون وهم أقلية ألبانية في البلاد.

- إن الدعوة إلى استقلال كوسوفا مرفوضة لأن ذلك يمثل تفتيتاً لوحدة الأراضي الصربية وبالتالي إضعافاً لكيان الدولة وأن كوسوفا إذا استقلت فستنضم إلى ألبانيا وبالتالي يكون هناك دولتان لألبانيا.

والحقيقة الثابتة هي أن ألبان كوسوفا يمثلون ٩٥٪ من السكان، كما هو ثابت في كل البيانات، أي أن المسلمين يصل تعدادهم إلى مليوني نسمة بين تعداد السكان البالغ ٢,٥ مليون نسمة غير ما يقرب من مليون، فأي أقلية وأي شأن داخلي، ولماذا لم يجر الكلام نفسه على صرب البوسنة عندما خاضوا حرب إبادة بمساعدة بلغراد ضد مسلمي البوسنة، فمع أنهم أي «الصرب» يمثلون أقلية حقيقية، إلا أنهم خاضعوا حربهم من أجل الاستقلال كما يدعون.

وإذا كانت المطالبة بالاستقلال تمثل تفتيتاً للبلاد، فلماذا سمح من الأساس بتفكك الاتحاد اليوغسلافي العام ١٩٨٩م، ولماذا يسمح لكرواتيا وصربيا ومقدونيا وسلوفينيا بإقامة جمهوريات مستقلة دون تعويق أو معارضة أو حروب، بينما عندما بدأت البوسنة تشكل جمهورية كان نصيبها حرب الإبادة التي شهدناها، وعندما تطالب كوسوفا بالحق نفسه يرفع في وجه أبنائها «كارت» التفتيت.

ومن جهة أخرى، فإن كل مقومات الاستقلال تتوافر لكوسوفا، فليس هناك أي عوامل مشتركة لها مع صربيا حتى تحتج بها... فاللغة، والدين، والعرق، والعادات مختلفة، وتجعل من كوسوفا أولى بالاستقلال من كرواتيا أو سلوفينيا أو مقدونيا التي تشترك في اللغة والدين والعرق مع صربيا... بل إن جمهورية الجبل الأسود الأقل في عدد السكان من كوسوفا لـ ٧٥٠ ألف نسمة، والتي تجمعها مع صربيا كل عوامل التوحد، بدأت تطالب هي الأخرى بالاستقلال، ومع ذلك لم يقابل طلبها بأي رد فعل سلبي لا من صربيا ولا المجتمع الدولي !

وإذا كانت صربيا تعارض في استقلال كوسوفا حتى لا تنضم إلى ألبانيا، فلماذا دخلت حرباً وحشية ضد المسلمين في البوسنة لتمكين صرب البوسنة من إقامة دولة داخل البوسنة تمهيداً لتوحيدها مع صربيا...

أليست كل تلك الدعاوى تصب في النهاية في المنطق المقلوب للي عنق الحقيقة والحيلولة في النهاية من إقامة أي دولة للمسلمين في كوسوفا، والسبب واضح وهو أنهم مسلمون. ■

فكر

أسلوب الشيخ الغزالي في مواجهة الغزو الثقافي

بقلم الأستاذ : إبراهيم نويري (*)

إن معايشة الشيخ الغزالي لمرحلة الاستعمار الغازي، وتعمقه في فهم نوايا وأغراض حركة الاستعمار وسيطرتها العنيفة على العالم العربي والإسلامي ومختلف الأقطار والشعوب المستضعفة، إلى جانب خبرته وتضلعه في ميدان الثقافة والفكر الإسلاميين، وكذا استيعابه ووعيه لطبيعة صراع وتدافع الأنساق الفكرية والمرجعيات الحضارية.. كل ذلك جعل منه صاحب رؤية متميزة في مجال المواجهة الثقافية في ساحات الصراع الفكري والتدافع الحضاري، وجهوده كلها في هذا الصعيد مرتبطة بمبدئه الكبير، ورسالته الأولى، أي الانتصار للإسلام، والتمكين له في الحياة، وفي فكر الإنسان المسلم ونفسه وسلوكه وعيشه.. وتظهر جهود الشيخ الغزالي في هذا النطاق موزعة على جبهتين أو خطين متوازيين يشكلان رؤية عقلية أو منهجية فكرية متوازنة، رغم ما بين هذين الخطين من تباينات جوهرية من جهة الدوافع والخلفيات، ويمكن إيضاح ذلك فيما يأتي:

١ ـ على صعيد الجبهة الداخلية:

يؤمن الشيخ إيماناً جازماً بأن النفس البشرية هي مناط كل تغيير، ومعقد التحول الحقيقي في الكيان الإنساني، وكلما كانت هذه النفس محصنة تحصيناً ذاتياً، فإن المؤثرات الخارجية تتضاءل أو تنعدم فعاليتها الموجهة لها، وقد تنبه لخطورة هذه المسألة وصلتها العميقة بالصراع الفكري والثقافي في أول كتاب أخرجه للناس، ونعني بذلك فصل «الاستعمار الداخلي يمهد للاستعمار الخارجي»(١) في كتابه (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٤٧م.. وبهذه الرؤية ومن هذا المنطلق ركز الشيخ الغزالي جهوده على معالجة علل وأدواء أنساق الثقافة الإسلامية من الداخل، ذلك أنه لو كُتب لهذه الثقافة المحافظة على خصوصيتها الذاتية ـ كما كانت عليه إبان القرون الأولى لمسيرة الإسلام ـ لظلت الشخصية الإسلامية ـ ثمرة هذه الثقافة ـ متميزة بهويتها الحضارية وقسماتها الفكرية الفريدة في صناعة الإنسان الصالح النموذج، لكن هذه الثقافة تعرضت لاهتزازات خطيرة، بفعل الآثار السلبية للغزو الثقافي المبكر، المتمثل تحديداً في عدم الانتقاء الواعي لترجمات وأبحاث الفلسفة اليونانية والفكر الإغريقي، وكذا بفعل تسرب بعض المؤثرات الباطنية والغنوصية للفكر الإسلامي وكذلك الثقافة الإسلامية، فضلا عن بعض المظاهر والعلل الذاتية في مسار



هذه الثقافة ذاتها، وفي حدود الوعي والاستيعاب لتداعيات هذه المسألة، نجد الشيخ الغزالي يلحّ على ضرورة غربلة الثقافة الإسلامية، ومراجعة مظان تراكمات هذه الثقافة ومصادرها وتراثها الثر، ويعطي مثلاً لذلك كتاب الفتوحات المكية لابن عربي، ليدلل على المستويات الخطيرة التي بلغها أمر اختراق الثقافة الإسلامية، يقول: «لقد اطلعت على مقتطفات من الفتوحات المكية لابن عربي، فقلت: كان ينبغي أن تسمى الفتوحات الرومية! فإ ن الفاتيكان لا يطمع أن يدس بيننا أكثر شراً من هذا اللغو.. يقول ابن عربي في الباب (٣٣٣) بعد تمهيد طويل «إن الأصل الساري في بروز أعيان الممكنات هو التثليث، والأحد لا يكون عنه شيء ألبتة، وأول الأعداد الاثنان، ولا يكون عن الاثنين شيء أصلاً ما لم يكن ثالث يربطهما ببعضهما بعضاً، فحينئذ يتكون عنها ما يتكون، فالإيجاد عن الثلاثة، والثلاثة أول الأفراد...».. لم أقرأ في حياتي أقبح من هذا السخف، ولا ريب أن الكلام تسويغ ممجوج لفكرة الثالوث المسيحي، وابن عربي مع عصابات الباطنية والحشاشين الذين بذرتهم أوروبا في دار الإسلام أيام الحروب الصليبية الأولى، كانوا طلائع هذا الغزو الخسيس» (٢).

ويقترب من هذا المنحى أيضاً في الثقافة الإسلامية العتيقة - برأي الشيخ - بعض المقولات والأطاريح التي قال بها نفر أو تيارات انتمت تاريخياً وعقدياً إلى بعض الفرق الإسلامية الكلامية كالخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة وغيرها؛ إذ إن الكثير من أطاريح هؤلاء لا تنفي عنهم جزءاً من مسؤولية الانحراف بمنهج التفكير الإسلامي القويم، القائم على العقل والتعامل مع المادة والعمران وعالم الشهادة؛ وهي الحقيقة المستخلصة من معطيات وخصائص هذا المنهج أثناء بداياته ومنطلقاته الأولى، وكيفيات النظر المنهجي عند مسلمي السلف الصالح، قبل مرحلة الاستغلال السلبي لمبدأ أو قيمة الحرية في الإسلام، وفتح المجال لتسرب الأفكار والمعتقدات الوثنية والمنحرفة للعقل المسلم. ونحن حين «نتأمل الحصيلة العلمية لرجالات الإسلام، نجد العقل الإسلامي تحرك ببصر وقوة حيث يجب أن يعمل، وقنع بثمرات الوحي حيث يجب أن يستريح من عناء البحث العقيم.. إلى أن جاء عصر الترجمة ودخلت أقطار الإسلام أفكاراً يهودية ونصرانية وإغريقية وهندية وفارسية... إلخ، وليس مستغرباً أن يتعرف المرء على ما لدى الآخرين؛ ولكن الذي حدث - للأسف الشديد - أن التفكير الإسلامي أصيب بصداع هائل من أثر ليونة المسلمين في قبول الغث والسمين! ثم من أثر انكبابهم بجهد شديد على دراسة ما وراء المادة والافتتان بأساطير الأولين في تصوير ما هنالك!! وكان هذا الانكباب على حساب التفات هذا العقل الذكي إلى المادة نفسها، وإلى الحياة وقيادة الدين بها» (٣).

ركز الشيخ الغزالي جهوده على معالجة علل وأدواء أنساق الثقافة الإسلامية من الداخل

إن الشيخ الغزالي ينظر إلى الكثير من تراكمات ومعطيات الثقافة الإسلامية التقليدية - ومن ذلك: التصوف الدخيل وبعض النزعات الفلسفية والكلامية - على أساس أنها مظهر من مظاهر الغزو الثقافي المبكر، الذي تعرض له العقل المسلم في مرحلة متقدمة نوعاً ما من تاريخه الفكري والحضاري، إلا أنني أرى أن الشيخ الغزالي هنا فاته التنبيه إلى حقيقة تبدو موضوعية، وهي أن اتصال العقل المسلم بالفكر اليوناني - وغيره من المرجعيات في عصر الترجمة - كان بمثابة استدعاء إرادي من العقل المسلم بغرض الاطلاع على نتاجات ومعطيات الفكر والعقل لدى الآخرين، ومنهم الإغريق والهنود والفرس.. وليس بهدف البحث عن ضرورة إرواء لجفاف ثقافي ذاتي أو إشباع لنقص في الفكر ومناهجه، خصوصاً فيما يتعلق بالمسائل العقدية والفلسفية التي حسم القول فيها الوحي الكريم ومصادر النقل المعصوم.. فبدأ ذاك الاتصال - في كثير من جوانبه ومعطياته - وكأنه لون

من ألوان الترف العقلي لطبيعة المنهج الإسلامي في التفكير والنظر والتأسيس، وليس تحركاً طبيعياً لملء فراغ منظور، أو استدراك نقص قائم، وربما يشهد لما ذهبنا إليه أن الرجل «المصري الذي أرسله ابن العاص إلى عمر بن الخطاب ووجده يتكلم في شيء يشبه علم الكلام، وذلك بسؤاله عن معنى الاستواء - وأمثال ذلك من المتشابه - ضربه ونفاه وأمر الناس بمقاطعته» (٤) إلا أننا نرى الشيخ الغزالي في موضع آخر من كتاباته يعزو الانحراف الذي وقع في فترة مبكرة من تاريخنا الثقافي والفكري إلى ظاهرة الغرور اللامبرر بقوةِ وصعودِ الدولة الإسلامية وهيمنة النموذج الإسلامي، وتطلعات الآخرين لمبدأ الإفادة منه والتلقي عنه، إلى أن وصل البعد والميل عن منهج التفكير الإسلامي الأصيل إلى حد التلاعب بقضايا العقيدة، والولوع بالجدل العقيم المتأثر بمنطق أرسطو وثقافة الإغريق، ومن «الغفلة أن نحسب تكوين العقيدة يتم في مجلس مناظرة، تُتصيد فيه النصوص، ويُنشد فيه الغلب، ويُلعب فيه بالألفاظ ويُستغل منطق «أرسطو» في المخاتلة وإيقاع الخصم أمام العامة!... وعفا الله عن أجدادنا، فقد أولعوا بذلك، وأعانهم عليه أن الدولة الإسلامية كانت سيدة العالم. فلا بأس على رجالها أن يشتغلوا بالترف العقلي، وأن يحولوا فراغهم من الجهاد في سبيل الله إلى الجهاد في هذا الميدان الخطر، فانشغلوا بأنفسهم عن أعدائهم، ثم ذهب الرجال وبقي الجدال .. بقي إلى اليوم يهدد وحدة الأمة ويهز كيانها!»(٥).

> **ذهب الرجال وبقي الجدال .. بقي إلى اليوم يهدد وحدة الأمة ويهز كيانها!»**

وللحد من آثار الجوانب السلبية في الثقافة الإسلامية التقليدية والتاريخية دعا الشيخ الغزالي إلى انتهاج أسلوب القطيعة المعرفية مع تلك الجوانب، وذلك بالاعتماد على منهج تجميد الخلافات التي ذهبت مع التاريخ، وعدم السماح للثقافة الإسلامية المعاصرة بإحياء تلك الجوانب وتداعياتها المضرة ببنية العقل المسلم ونسيجه الأصيل المبدع في النظر والتفكير، وفي هذا السياق نراه يطرح هذا السؤال الاحتجاجي مدعما به اقتراحه الداعي إلى ضرورة إحداث قطيعة ثقافية ومعرفية مع كل العناصر والتداعيات العقلية التي أسهمت تاريخياً في جر العقل المسلم إلى التخبط في المتاهات والزيغ به عن منهجه القرآني: «فهل على وجه الأرض أمة تجتر ماضيها السحيق لتلوك منه خلافات قاسية كهذه الأمة»؟(٦)، كما نجد الشيخ الغزالي يخصص كتابه «ركائز الإيمان بين العقل والقلب» لهذا الغرض ويدعو صراحة الكتاب والمفكرين والعقلاء - وغيرهم من الطاقات الإسلامية المفكرة - إلى مشاركته جهوده لإحداث القطيعة المعرفية مع الجوانب السلبية الضارة المشوهة في الثقافة الإسلامية، وذلك لإنقاذ الفكر الإسلامي من آثارها الوخيمة، والعودة بالعقل المسلم إلى منهجه الذي أبدعه وصاغه ضمن معادلة الموازنة بين المعقول والمنقول، يوم كان هذا العقل ملتزماً مساره الحيوي الخلاق وفق محددات المنهج القرآني؛ ذلك أن تلك الثقافة «لا تزال تحمل في أطوائها صورة مجتمعات إسلامية معتلة، وقضايا فكرية وعاطفية جديرة بأن تودَع المتاحف، لا أن تدفع إلى دنيا الناس»(٧)؛ ومن ثمة فقد وجب - كما يقترح الشيخ الغزالي - استحداث «جهاز» يضطلع بمهمة غربلة مظان تلك الثقافة والتعليق على مضامينها، خدمة لبناء العقل المسلم المعاصر وجعله متناغماً مع منهجه القرآني ومساره الأول؛ إذ هناك «مئات الكتب في التفسير والحديث والفقه والأدب والتاريخ مخلوطة بسموم ناقعة، وخرافات سمجة، تتداولها ألوف الأيدي، ويقرؤها من يعي ومن لا يعي.. أما كان هناك «جهاز» غيور حصيف يتتبع هذه الأباطيل بالمحو، فإن لم يستطع إزالتها من مواضعها، وضع ألف علامة حمراء للتحذير منها، والتنبيه إلى دخلها وفسادها؟ لقد كثرت هذه الكتب السفيهة الزائغة حتى غلبت الثقافة الدينية الصحيحة، فلا عجب إذا وجدنا الأجيال المتأخرة من المسلمين، خلال القرون الأخيرة - أعني من مئات السنين - يسيرون متعثرين لا تشدهم وجهة ولا تدفعهم قوة، لأن الثقافة التي صنعتهم لا تنتج إلا نفوسا خاملة وعقولاً شائهة»(٨).

وهكذا يمكن لنا أن نستنتج بأن الشيخ الغزالي - بخصوص المسألة الثقافية - يركز على العلاج الداخلي، وهو يروم تصحيح وضع عملية البناء الثقافي الإسلامي، وهذا في نظرنا منهج صائب موفق يعضده العلم والواقع، فالجسم الذي ينهار فيه جهاز المناعة الداخلية والحصانة الذاتية، يعجز حتماً عن المقاومة والتصدي للأجسام والكائنات الغريبة الغازية الدخيلة.

٢ - على صعيد الجبهة الخارجية:

أما فيما يتعلق بالفكر الوافد والأنماط الثقافية الغربية وأطاريح الحضارة الغازية المهيمنة، فإن الشيخ الغزالي له موقف من ذلك يتسم بالاتزان والعقلانية؛ يدل على اطلاع واسع، وإدراك فاعل لمعطيات واقعية متنوعة، ومقدرة مشهودة، في كسب مداخل ثقافة العصر وأدوات التحليل والنظر والمقارنة... والشيخ الغزالي لا ينظر إلى الغزو الثقافي على أنه انتشار فن العمارة الغربية، وعدم انتشار فن العمارة الإسلامية، أو أن يشيع نظام المائدة الأوروبية، ويختفي نظام المائدة المحلية أو البدوية (٩)؛ بل إنه - شخصياً - يفضل نظام المائدة الغربي على النظام الشرقي، ويرى كثرة الأطباق

والأكواب والملاعق أفضل من طبق واحد وكوب واحد(١٠)؛ لكن الغزو الثقافي - برأيه - يعني تغيير الحقائق والعناوين وفصل حاضرنا عن مستقبلنا، ووضع قلباً مكان قلب وعقلاً مكان عقل، إنه ذاك «المخدر» الذي يعطل الإحساس بالمأساة التي تباشر ضد ديننا وأدبنا وتراثنا، وهو أيضاً إضعاف العقائد والأخلاق، ومحو تشريعات الإسلام في الحدود والمعاملات والسلوكيات، والانقضاض على معالم الإسلام ومحو شخصيته المادية والأدبية، إنه باختصار خطة ذكية لإغراء الضحية بالانتحار أو استسلامها في ذهول للذبح وعدم مقاومة جزاريها (١١).

وبوعي نادر سعى الشيخ الغزالي عبر كتابات غزيرة وأنشطة متنوعة إلى كشف المجالات والمداخل التي يركز عليها الغزو الثقافي، فنبه إلى خطورة منهج الاستعمار في توزيع الأدوار وتغيير المظاهر والأدوات مع تمسكه بهدفه الأساس وغايته الرئيسة: أي الخلاص من الإسلام وإنهاء حضارته وتاريخه... وللحيلولة دون تلك الغاية فقد تقدم الشيخ الغزالي إلى مسرح الصراع الفكري وحلبة المواجهة الحضارية، منافحاً عن أمته، ذائداً عن دينه ومواريثه الحضارية المشرقة، وهو يرى أن الغزو الثقافي الغربي يمكن إضعاف آثاره أو تحييد نتائجه إذا أمكننا النجاح في الالتزام بهذه المبادئ والمداخل:

أ - التسلح بالعقيدة الصحيحة الحية: إن تحصين الجيل المسلم بعقيدته الحية الخلاّقة يكسبه مناعة ذاتية فاعلة ضد أفكار وسلوكيات الأنماط الدخيلة والأخلاقيات الوافدة، ودليل ذلك أن الاستعمار الثقافي سعى أول أمره إلى زعزعة العقيدة في النفوس، وإفراغ الأفئدة من الإيمان، وخلق شباب وأجيال تُضيع الصلاة وتتبع الشهوات، تستثيرها الغرائز الدنيا، وتذهل عن واجباتها ورسالتها وأدوارها المنوطة بها في الحياة (١٢).

ب - التفريق بين ما هو دين وما هو عادات وتقاليد: ومما يسهم أيضاً في تخفيف وطأة تحديات الحضارة المعاصرة وفكرها الوافد، الحرص على تقديم السلوك الإسلامي الواعي بطبيعة العصر، وتأهيله لأداء دوره المطلوب في عملية المواجهة الثقافية والتدافع الحضاري، لأن الأجيال الناشئة ستتمثل سلوكيات الحضارة المهيمنة بقدر انتكاسة وإخفاق السلوك الإسلامي وتوغله في الرداءة والسلبية، ويقتضي ذلك - برأي الشيخ الغزالي - التفريق بين ما هو جوهري في تعاليم الإسلام وما هو عادات أو تقاليد بيئية أو خاصة؛ وأي خلط بين الجانبين هو ظلم للإسلام مؤكد، بل هو ظلم بآثار مزدوجة، إذ إنه يزهّد الأجيال في مواريثها وقيمها الفكرية، وفي الوقت ذاته يشوه حقيقة الإسلام للشعوب الأخرى خارج بلاده... ويقول الشيخ الغزالي: «إن المناظر المؤذية في اللباس والسلوك كثيرة، وما أرتاب في أن وراءها أصابع خفية تعمل ضد الإسلام» (١٣).

وعن هذه الظاهرة ذاتها المؤذية للإسلام - كما ينعتها - يقول: «يوجد متدينون من المسلمين النازحين إلى أوروبا وأمريكا، وفيهم بلا ريب من هزم تيارات الانحراف التي تجره إلى السقوط، غير أن كثيرا من هؤلاء يحمل جراثيم العلل التي شاعت في بلاده الأصلية.. فهناك من حلق رأسه وشواربه بالموسى وأطلق شعر لحيته على نحو يشعرك بأن كل شعرة أعلنت حرباً على جارتها، فهناك امتداد وتنافر يثيران الدهشة.. قلت في نفسي: لم يبق إلا أن يحلق حاجبيه بالموسى هي الأخرى لتكتمل الدمامة في وجهه. ولم أر مساءلته لِمَ فعل ذلك، لأني أعلم إجابته: سيقول هذه هي السنة!.. ما عليه لو ترك شعر رأسه مرجلاً معطراً، وهذب لحيته أبهى من لحى أهل الفن كما يقولون أو كما يفعلون»(١٤).ويتألم الشيخ الغزالي من قضية خلط تعاليم الإسلام بالعادات البيئية والتقاليد المحلية، فذلك في نظره ما جعل حُجُباً كثيفةً تحول دون معرفة الإسلام وتعاليمه الإلهية فيطلق هذه الصرخة لكل شعوب المعمورة: «أكاد أقول لسكان القارات: إن ما ترون في شؤوننا ليس ما أنزل الله من كتاب ولا ما قدم رسوله من أسوة، إن ما ترون هو عوج أمة نسيت ما لديها ومضت على هواها»(١٥)؛ ونحن نلاحظ ونستنتج هنا بأن الشيخ الغزالي يوقن بأن الكثير من العادات والتقاليد في بلاد المسلمين كانت سبباً في انعطاف أجيال كثيرة إلى ثقافة الغرب وحضارته، إلى جانب تقديم الإسلام ذاته كرسالة بصورة مشوهة لا ترغب في اعتناق حقائقه والحفاوة بأحكامه ونظمه، فهو يؤكد باستمرار أن «مأساة الإسلام تكمن في أن ناساً يتقدمون بتقاليد الشعوب على أنها تعاليم الوحي، بل إنهم يتقدمون بالأخطاء التاريخية على أنها توجيهات سماوية.. وستبقى الحضارة الحديثة حاكمة ما بقي هؤلاء يدعون ويكابرون، ولن تصح مسيرة العالم إلا بعودة الإسلام ذاته على أيدي أولي الألباب ومن لهم قلوب»(١٦)؛ ولعل الشيخ الغزالي في هذا الطرح - كما أشار ملمحاً إلى ذلك - متأثر بأسلوب أستاذه الإمام حسن البنا الذي كان يواجه الغزو الفكري بمحاربة التقاليد الغبية، دون تفريق بين مخاطر الآصار الموروثة والأهواء الوافدة (١٧)؛ وهذا حق فإن عوامل تشويه حقيقة الإسلام واحدة، بل إن الموروث منها قد تكون مخاطره أعمق أثراً، وآثاره أفدح ضرراً، وهذا أحد أسرار كون الهزائم تبدأ في حقيقتها من داخل الذات لا من خارجها، فالعامل الداخلي في معادلة النصر أو الهزيمة

الاستعمار الثقافي سعى أول أمره إلى زعزعة العقيدة في النفوس، وإفراغ الأفئدة من الإيمان

وميدان المغالبة هو الأصل. أما العامل الخارجي فأثره - غالباً - مرتبط بأحوال ومستويات العامل الأول (١٨).

ج - ضرورة الخبرة بأحوال الآخر الحضاري: إن دراسة أحوال وأوضاع الآخر الحضاري أمر لابد منه، بل هو من مقتضيات المحافظة على ذاتنا الحضارية وخصوصيات شخصيتنا؛ ومن ثم فإن الشيخ الغزالي يرجع بعض جوانب انتكاسة الوجود الإسلامي إلى هذا العامل ذلك أن «دراستنا للآخرين كانت صفراً، مع أن الآخرين كانت تغلي مراجلهم ولا يفتأون يفكرون في النيل منا والإتيان على ديننا من القواعد. أكنا نتدبر الآية الكريمة: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (١٩) وإذا كنا نسينا هذا النذير الإلهي، فكيف ننسى أحداث تاريخ طويل، ترادفت مآسيه علينا، ولا تزال تنذر بالويل والثبور؟ إننا جزء من عالم موَّار بالحركة، وقد تحولت خطاه إلى وَثَبَات فسيحة في هذا العصر، وأعداؤنا يصارحون بكراهيتهم العميقة للإسلام، وتخطيطهم للإتيان عليه. فحتى متى نجهل ما حولنا؟ يجب أن نندم على هذا الخطأ ونتحرز بعدُ من الوقوع فيه» (٢٠)؛ إن عدم الاكتراث بمعرفة الآخر يعني في تفكير الشيخ الغزالي تفريطنا في رسالتنا وانفصالنا عما كلفتنا به الأقدار من واجبات، إلا أنه ينبه إلى أن معرفة هذا الآخر

المواجهة الثقافية في فكر الشيخ الغزالي تمثل أبرز محور في مؤلفاته

تقتضي التفريق الدقيق بين ما يجب أن نأخذ منه، وما يجب أن ندعه وما ينبغي استغلاله في هذه المعرفة من روافد لدعم حاضرنا ومستقبلنا؛ لذا نراه يدعو إلى ضرورة تأسيس جهاز راصد كشاف، مهمته الأولى مراقبة العالم الإسلامي والعالم الذي حوله، من أجل حراسة الرسالة الخاتمة ومعالجة ما يعترض سبيلها من عوائق أو ما يهددها من كيد (٢١).

د - شحذ القدرات للوقوف أمام تحديات العصر: مما لا شك فيه أن الوقوف في وجه تحديات الحضارة المعاصرة يقتضي - كما يرى الشيخ الغزالي - تفقهاً متجدداً لمنهج الإسلام وفكره، قوامه الاستيعاب الذكي للإسلام جملة مع الإفادة المتبصرة لاجتهادات جميع العصور، لمواجهة مشكلات العصر وتحديات الفكر الوافد، ذلك أن الاعتماد على فقه واجتهادات مذهب واحد من مذاهب الفقه الإسلامي أمر تجاوزه الزمن فضلاً عن كونه غير مؤهل كنموذج فكري يمكن أن تكون له قدرة الوقوف أمام خصوصيات وسحر تحديات الحضارة المعاصرة (٢٢)؛ وفي نظر الشيخ الغزالي فإن الكفاءة الإسلامية في الميادين كافة مطلوب منها الآن: الارتفاع إلى مستوى العصر ومشكلاته كي تفلح في تخطي المخاطر المهددة للوجود الإسلامي، وإنقاذ الهوية الفكرية والحضارية للمسلمين من جهود ومحاولات الحضارة الغربية التي تروم بوسائل مختلفة ومتجددة، احتواءها وإلحاقها، وبالتالي تأبيد تبعيتها، بوساطة فصلها النهائي عن مكوناتها العقدية والتاريخية المتأصلة.

إن المواجهة الثقافية في فكر الشيخ الغزالي تمثل أبرز محور في مؤلفاته ونشاطاته العلمية والفكرية والدعوية، فقد وقف بحزم وثبات في وجه التحديات المختلفة التي واجهت عنفوان الأمة الإسلامية - ولا تزال حلقاتها متتالية - واستطاع مجابهة كل مرحلة بما تستحقه من جهود ومقتضيات ففي مطلع حياته العلمية كان الإقطاع يمزق حياة الفلاحين ويسطو على أملاك وأرزاق المقهورين من ضعفاء الشعب المصري، كما أخذت الرأسمالية المتوحشة تجد لها أنصاراً ومؤيدين على حساب الطبقات الكادحة المستضعفة وأغلب هؤلاء الأنصار والمؤيدين الذين انتفخت أجوافهم بالسحت، هم ممن كانوا يقفون إلى جانب الاحتلال، ويتزلفون إلى النظام الملكي وأسرة قصر عابدين، في هذه الأجواء المصبوغة بصبغة المظالم الاجتماعية والحيف الاقتصادي والمعاشي. كتب الشيخ الغزالي كتابه النفيس (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) ثم (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين)؛ وحين حدثت بعض المتغيرات واشتدت وطأة التوجهات اليسارية في العالم العربي والإسلامي، وفتن الناس بأطاريحها السرابية، خصوصاً في مصر، وطفقت هذه التوجهات - مستغلة فرصاً ومساحات التمكين السياسي والأيديولوجي لها - تقدم نفسها كبديل للمنهج الإسلامي ولاسيما على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، أخرج للناس (الإسلام والمناهج الاشتراكية) و(الإسلام في وجه الزحف الأحمر)؛ كما تصدى الشيخ الغزالي بمنهجية ووعي لحركات ومذاهب تغريب الذات الإسلامية، وإلحاق الأجيال المسلمة بأطاريح ومرجعيات الحضارة الغربية والفكر الوافد، فكتب: (ظلام من الغرب) و(كفاح دين) و(علل وأدوية) و(الاستعمار أحقاد وأطماع) و(الغزو الفكري يمتد في فراغنا) و(دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين) و(صيحة تحذير من دعاة التنصير) و(حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة)... إلخ، وبدافع الانتصار للإسلام وخدمة رسالته وإنصافه من خصومه، جادل الشيخ الغزالي العلمانيين ودعاة التغريب بالحجج العقلية، وما يقتضيه منطق العصر من أدوات معرفية وعمق ثقافي ومنهجية في التناول والمحاجة، والانطلاق من قاعدة البدهيات والمسلمات العقلية باعتبارها قاسماً مشتركاً بين الأذهان والمدارك، لاختصار الجهد وتحقيق المقاصد من أقصر الطرق وأيسر المناهج؛ وفي محاضرته الشهيرة (التحدي الثقافي وآخر خط للدفاع عن العرب والمسلمين) (٢٣) دعا

الشيخ الغزالي إلى ضرورة التعجيل بمعالجة مشكلات الإسلام الثقافية، ووضع المجتمعات المسلمة في منظومة موحدة، لتلقي المعارف المشبعة بنضح غايات المرجعية الإسلامية، في بناء عالم الأمة الثقافي والفكري والمعرفي؛ والمسارعة أيضاً إلى وضع الأطر والمناهج الكفيلة بتخفيف وطأة التحديات التي تجابه واقع المسلمين في هذا العصر المتميز بالمتغيرات العميقة على المستويات كافة المرتبطة بكينونة الإنسان، قصد تجاوز عوائق العصر وتحقيق هدف انعتاق الذات الفكرية والحضارية للمسلمين.

وما يمكن كذلك ملاحظته في جهود الشيخ الغزالي الفكرية - وبخاصة منها تلك التي اقتضتها المواقف والردود اللازمة في وجه التحديات الغربية للفكر الإسلامي - أنها لم تكن مجرد ردود أفعال متشنجة، كما لم تأت في شكل كتابات اعتذارية، بفعل حدة وطأة الضغوطات المتلاحقة لتلك التحديات.. ولكنها جاءت منظمة ومنضبطة بمنطق أخلاقيات الحوار العلمي، الذي يتخذ من عوامل الإقناع العقلي والاستمالة المنطقية أسساً ومرتكزات، يستند عليها في عمله وتفاعله مع الرأي الآخر والأطاريح المغايرة؛ كما جاءت صورة عاكسة لما ينطوي عليه الفكر الإسلامي من عناصر الحيوية والقوة والثراء التي تؤهله لاستيعاب مستجدات كل العصور، عبر منهج أسلمة خصائص كل عصر، وجعلها جزءاً من منظومته المتفردة؛ كما قصدت تلك الجهود - وهذا أحد أكبر أهدافها - إلى تثبيت الفئات والتجمعات المسلمة المعتزة بانتسابها الإسلامي وانتمائها الحضاري... ومن هذه المنطلقات والأسباب يمكن اعتبار الشيخ الغزالي نموذجاً علمياً متميزاً لما يتطلبه هذا العصر من المسلم المعاصر من مواقف وجهود وحضور وفاعلية؛ ولو أن كل الجهود الفكرية الإسلامية المعاصرة تمثلت في تفاعلها مع خصوصيات هذا العصر، ومعطيات هذا النموذج، لأمكن التغلب على الكثير من الإشكالات، والحد من آثار العوائق والعقبات التي لاتزال في طريق المجتمعات الإسلامية، كما أن الفكر الإسلامي لايزال يكابد أثقالها، ويعاني وطأتها في واقعه المعاصر، من هذه الفترة الحرجة من تاريخه. ■

اتخذ الغزالي من عوامل الإقناع العقلي والاستمالة المنطقية أسساً ومرتكزات

(*) كاتب جزائري ... ومن كتاب مجلة الوعي الإسلامي منذ العدد (٣٥٥).

الهوامش

(١) - اشتهرت هذه المسألة في فكر المفكر الإسلامي الجزائري الكبير مالك بن نبي رحمه الله (١٩٠٥ - ١٩٧٣م) باسم: روح القابلية للاستعمار.

(٢) محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل (هيرندن/ أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٩٩١م) ص٦٠.

(٣) - محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين (القاهرة: دار نهضة مصر، ط٥، ١٩٩٦م)، ص٩٤ و٩٥.

(٤) - المصدر نفسه، ص٨.

(٥) محمد الغزالي، عقيدة المسلم (باتنة/ الجزائر: دار الشهاب، ١٩٨٥م)، ص٦ و ٧.

(٦) - المصدر نفسه، ص٨.

(٧) - محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب (الجزائر: مكتبة رحاب - الطبعة الجزائرية الأولى، ١٩٨٨م)، ص٥.

(٨) - المصدر نفسه، ص٨.

(٩) - محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا (الجزائر: دار الكتب، الطبعة الجزائرية الأولى، ١٩٨٧م)، ص١٣٤.

(١٠) - المصدر نفسه، ص١٨٢.

(١١) - المصدر نفسه، صفحات: ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣.

(١٢) - محمد الغزالي، كفاح دين (الجزائر: مكتبة رحاب، ط٦، ١٩٨٨م)، ص١٦٦.

(١٣) - محمد الغزالي، الغزو الثقافي (مصدر سابق)، ص١٦٩.

(١٤) - محمد الغزالي، مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه (الجزائر: دار الكتب، الطبعة الجزائرية الأولى، ١٩٨٧م)، ص٧٤ و٧٥.

(١٥) - محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين (القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٥م)، ص٥.

(١٦) - محمد الغزالي، الغزو الثقافي (مصدر سابق)، ص٤٧.

(١٧) - محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين (الجزائر: دار الكتب، الطبعة الجزائرية الأولى، ١٩٨٨م)، ص١٢.

(١٨) - المصدر نفسه ص١٥= وانظر أيضاً خاتمة كتاب الشيخ (ظلام من الغرب).

(١٩) - سورة البقرة آية: ٢١٧.

(٢٠) - محمد الغزالي، تراثنا الفكري (مصدر سابق)، ص٣٦ و٣٧.

(٢١) - المصدر نفسه، ص٣٨.

(٢٢) - انظر مثلاً على ذلك: محمد الغزالي، ظلام من الغرب (باتنة/ الجزائر: دار الشهاب، د. ت)، ص١٦٢.

(٢٣) - أودع الشيخ الغزالي هذه المحاضرة كتابه (الغزو الثقافي يمتد في فراغنا) - مصدر سابق -، والملتقى المذكور انعقد بمدينة بجاية (الجزائر) من ١٩ - ٢٦ شوال ١٤٠٥هـ، ٨ - ١٥ يوليو ١٩٨٥م.

هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً؟

بقلم الدكتور: جابر قميحة - أستاذ الأدب العربي

كثيراً ما نقرأ عبارة مشهورة تتردد على الأقلام والألسنة وهي أن «العبرة ليست بالذي قال، ولكن العبرة بالذي قيل» وهي مقولة قد تكون صحيحة في بعض جوانب الحياة والتعامل، ولكنها لايمكن أن تمثل قاعدة مطلقة، فقد يكون «للذي قال» اعتبار لايقل أهمية عن «الذي قيل».

واتجاه النص الأدبي، وبطائنه، وأبعاده، ومراميه... كل أولئك أو بعضه قد يخفى على الدارس إذا لم يُعرف الناس ولو معرفة عامة، بل قد يتوقف الفهم الدقيق للنص بكل مشتملاته على المعايشة الطويلة العميقة للمبدع في أحواله وأطواره المختلفة، وانطلاقاً من هذا الحكم نقول: إن العطاء الفكري والنفسي وأحياناً الجمالي للنص يختلف في نظر المتلقي باختلاف الناس، ولنمثل لهذه الفرضية المتخيلة ببيت أبي العلاء المعري:

هذا جناهُ أبي عليَّ ... وما جنيت على أحد

فأبو العلاء الفيلسوف أو المتفلسف يرى أن وجوده في هذه الحياة مأساة عاشها مرغماً، وتولى كِبْر هذه الجناية أبوه الذي أنجبه، وليست هي مشكلة خاصة، بل هي مأساة الجنس البشري كله، وقد ألحَّ أبو العلاء على هذا المعنى كثيراً في اللزوميات، ومن ذلك قوله:

ضحكنا وكان الضحك منَّا سفاهة

وحُقَّ لسكان البسيطة أن يبكوا(١)

ولو فرضنا أن قائل البيت «عنترة بن شداد» لكان البيت تعبيراً عن معاناة شخصية خاصة تتمثل في إنكار أبيه له لأنه ابن أمة.

ولو فرضنا نسبة البيت إلى سحيم عبد بني الحسحاس ... العبد المتهتك العربيد، لتخيلناه يقوله والنار تلتهمه تنفيذاً لأمر الخليفة عثمان بن عفان لعدوان سحيم بلسانه على حرمات المسلمات الحرائر، وما قاله إلا شاكياً ضياع نسبه، وانعدام الأب الذي يوجهه التوجيه الرشيد السديد.

أما ابن الرومي فجناية أبيه عليه أنه تركه للفاقة والحرمان، فعاش ذليلاً مستضعفاً.

وبعد هذه الافتراضية، وعوداً على بدء نقول: «إن العبرة - في التعامل مع النص الأدبي - بالذي قال والذي قيل» أي بالنص والناس، أي بالإبداع والمبدع.

العبرة بالقول والقائل

فالكلمة الواحدة - كما يقول العقاد - تختلف معانيها باختلاف قائليها، فيؤبه لها من قائل، ولا يلتفت إليها من قائل غيره لأن الكلام جزء من الإنسان، وليس بحركات تتموج في الهواء، وتقع في الآذان، فإذا أردت أن تعرف الجزء فلا محيص لك من الرجوع به إلى كله الذي تجزأ منه، وإذا أحببت أن تفهم الكلمة فافهم المتكلم، لأنها من معدنه أخذت وبميزانه تعتبر وتوزن...

ويضرب العقاد مثلاً «بأميل لودفيج» لتأييد وجهة نظره السابقة - والتي نؤمن إيماناً مطلقاً بصحتها - ولودفيج هو صاحب السير عن

المسيح ونابليون وبسمارك وجيتي ووليم الثاني وغيرهم، حضر لودفيج إلى مصر، فلم تعجبه آثارها القديمة، وقال في كتابه «على شواطئ البحر الأبيض»: أما أنا فلا أشعر بشيء من الإجلال في مدافن الفراعنة ولا أستطيع إلا أن أضحك زارياً من عقل ذلك الملك الذي يخيل إليه في حياته أنه قادر على أن يخدع الموت بما يتأهب به من الأهبة النيرونية... وإن عظام جمل نخرة مطروحة بالعراء لتبلغ من نفسي ما ليست تبلغه هذه الآثار العقيمة التي تخلفها لنا العظمة الملكية، آثار ملوك يلتمسون لأنفسهم الخلود المزيف، بدلاً من التفكير في خير الرعايا».

ويؤكد العقاد أننا لا نستطيع أن نفهم هذا الكلام حق فهمه لو كنا لا نعلم قبل ذلك أن قائله اشتراكي جمهوري يعز عليه تسخير الرعايا في خدمة أهواء الملوك، فلودفيج هنا ليس الناقد الفني ولا المؤرخ المستقل، ولا السائح المتفرج، ولكنما المتكلم الذي نسمع رأيه في هذه السطور هو الاشتراكي، وهو الجمهوري، وهو كاره الأبهة الغاشمة، وكاره الذل في تسخير العمال، ويجب أن نعلم هذا لنقوِّم ذلك الرأي بقيمته، ونلمس موقع البواعث التي حركته، بل يجب أن نعلم لِمَ كان «لودفيج» الألماني اشتراكياً، مطالباً بحقوق الفقراء، وجمهورياً ساخطاً على حكم القياصرة!! ذلك لأنه كان يهودياً، واليهود كانوا مظلومين في عهد «وليم الثاني» على الخصوص، وكان هذا الملك معروفاً بكراهة الساميين أي بكراهة اليهود.(٢)

خرافة اسمها موت المؤلف

ثم من حقنا بعد هذا التوضيح أن نرفض فكرة «موت المؤلف» تلك الأكذوبة الكبرى التي طرحها «رولان بارت» ١٩١٥ - ١٩٨٠م في مقالة كتبها سنة ١٩٦٨م، ويرى فيها بعض الحداثيين، مقالة نقدية لها أهمية مصيرية ليس على نقد بارت فحسب، وإنما على النقد الألسني، وعلى النصوصية.(٣)

وخلاصة هذه الفكرة نراها في النقاط المركّزة الآتية:

١ - حينما تبدأ الكتابة يأخذ المؤلف في الموت «أي الانزياح والغياب»، وتقطع الصلة بينه وبين النص، حتى لا يكون له هيمنة عليه.

٢ - وحتى يمكن التخلص من سلطان المؤلف: يجب أن نؤمن أنه مجدد ناسخ لميراث نصِّي ينحدر من ثقافات عدة تتشابه، وتتعارض، وتتقاطع.

٣ - يبقى القارئ هو صاحب الدور الأول لأنه هو الفضاء الذي ترسم فيه كل الاقتباسات التي تتألف منها الكتابة(٤)، والقارئ هنا - كما يقول عبدالله الغذامي - «قارئ منتج»، لايوجد إلا بتراجع سلطان المؤلف على النص، أو بالأحرى لابد من إزاحة الكاتب عن عمله، وإحلال القارئ محله لكي يتحرك النص بالقوة الجديدة الطارئة عليه، ومن هنا يمكن للنص أن تتجدد فيه الحياة، ويتأسس المرة تلو الأخرى، حسب تعاقب القراءات والقراء.(٥)

وفكرة موت المؤلف - في عمومها وتفصيلاتها غريبة على الفكر بإطلاق، كما أنها تبدو تجريدية، وغير واقعية، وغير قابلة للتطبيق بمصداقية، والتعبير عنها جاء أقرب إلى الشاعرية منه إلى الأداء النقدي.

وليس هناك حكمة عملية من موت المؤلف، أو إزاحته، والتعامل مع النص، «مبتوتاً» عن صاحبه، ومن عجب أن يقول الغذامي «إنا نعزل المؤلف عن النص كيف نتعامل معه بموضوعية تامة»، وهي مقولة غريبة لأن الموضوعية لاعلاقة لها بوجود المؤلف أو غيابه، ولكنها أساساً - ترتبط بأخلاقيات المتلقي بصرف النظر عن حضور المؤلف أو غيابه... فمن الممكن أن تغيب موضوعية المتلقي الناقد لأسباب متعددة مع مجهولية نسبة النص إلى صاحبه، والعكس صحيح.

ثم هل المؤلف مجرد ناسخ، وليس مبدعاً، وإن ما يقدمه إنما هو من قبيل التناص؟ إن هذا الكلام الذي ألحّ عليه بارت والبارتيون - أيسر ما يُقال عنه: إنه كلام غير علمي، وإلا لتشابه، بل تماثل - «إنتاج» الأدباء المتقاربين في الثقافة.

ونخلص من هذا الاستقراء إلى أن الفصل بين الأدب والأديب يعتبر عملاً ضد طبيعة الأشياء، كما أنه أقرب إلى الادعاء النظري منه إلى الحكم العملي، لأن النهر لا يمكن فصله عن منبعه... بل هو ينطلق في مجراه حاملاً طبيعة هذا المنبع وكثافة مائه وحظه من العذوبة أو الملوحة.

العقيدة... ضرورة

ومن البدهيات التي لا تحتاج إلى إثبات أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش من غير عقيدة في صورتها المذهبية الأيديولوجية أو صورتها الدينية، حتى عَرَّف بعضهم الإنسان بأنه «حيوان متدين» أي يحتاج إلى الارتباط بقوى غيبية لها في نظره تعظيم وإجلال، وفي التاريخ الأدبي الغربي برزت عقيدة جديدة تؤمن بالفن في ذاته، وتجعل منه العقيدة البديل من العقيدة الدينية، ولكن تبين أن الفن في ذاته لايمكن أن يكون عقيدة لأنه قبل كل شيء نتاج بشري شديد المساس بالحياة، إنه يحتاج دائماً إلى العقيدة التي تسنده، وتكون بالنسبة إليه بمثابة نقطة الانطلاق.

وإذا كان الهدف البعيد للشاعر هو تحقيق الانسجام بينه وبين الحياة، فإنه إنما يعبر بذلك عن الهدف الذي تسعى الجماعة نفسها إليه، ولا يتحقق الانسجام بين الجماعة إلا من خلال استيعابه لهذه العقيدة.(٦)

واتساقاً مع هذه الحقيقة لانكون غالين مسرفين إذا اشترطنا مسلمية الناص أي الأديب المبدع لننسب إبداعه إلى الأدب الإسلامي، هذا إذا ما كان النص مستوفياً للشروط الشكلية والموضوعية وأهمها الانطلاق من التصور الإسلامي للكون والناس والحياة، فهناك إذاً وجهان متكاملان لعملة واحدة: الأديب المسلم والإبداع المستوفي للعناصر والملامح المطلوبة، ولعله من فضول

القول بعد ذلك أن نشير إلى الحقيقتين الآتيتين:

١ - مسلمية الأديب «الناص» لا يترتب عليها الحكم بإسلامية النص ضربة لازب إذا لم يكن وافياً بالمطلوب.

٢ - ملامح النص واستكماله كل عناصر الأدب الإسلامي ومعطيات القيم الإسلامية لا يكسبه صفة الأدب الإسلامي - ضربة لازب - إذا ما كان صادراً عن غير مسلم.

الأديب المسلم ... والأديب الإسلامي

وعلينا في هذا المقام أن نفرق بين الأديب المسلم والأديب الإسلامي، فقد يكون الأديب مسلماً، وليس له إبداع واحد يستحق وصف الإسلامية، أما الأديب الإسلامي فهو الأديب «المسلم» الذي قدّم ويقدّم الأدب الرفيع ذا السمات والملامح الإسلامية، وكان راسخ القدم، عميق الدراسة والفكر، غزير العطاء بهذا اللون من الإبداع.

والأدب الإسلامي لا يصدر إلا عن مسلم، لأن العقيدة السمحة هي مصدر التصور، وهي التي تجعل ذات الأديب «مشبعة بمنهج الله»، متمتعة باليقين في العقيدة، هذه الذات هي التي تفرز أدباً صادقاً مؤثراً يغرس الحق ويقين الاعتقاد في وجدان الأجيال المسلمة... حتى فن الهجاء الذي عرف بعداوته وكذبه في كثير من نماذج الشعر العربي نجده في كثير من النماذج أيضاً يتجه وجهة إسلامية مستمداً مضامينه من فضائل الإسلام سلباً بحيث يختار الشاعر المسلم مهجوه ممن انحرفوا عن جادة الحق وعزفوا عن الاستقامة في الدين(٧).

وفي التعريفات التي عرضناها في الفصل الأول من هذا البحث لمصطلح «الأدب الإسلامي» رأينا أن الأستاذ محمد بريغش كان هو الوحيد الذي نصّ صراحة على مسلمية «الأديب». «فالأدب الإسلامي هو التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي»، وإن كانت «مسلمية» الأديب مفهومة ضمناً من كل هذه التعريفات أو أغلبها، ومذكورة في شرح هذه التعريفات وعلى سبيل التفصيل، وبتفريقات بارعة طريفة يرى بريغش أن الأديب لا يدخل في إطار الأدب الإسلامي إلا من مدخل «المسلمية» فقط، لأن صفة الأديب فقط يشترك فيها مع غيره من الأدباء مهما كانت وجهتهم وصفاتهم، وهي لا تشير إلا لموهبته وقدراته الأدبية فحسب - التي تميزه عن بقية الناس في انفعالاته وأحاسيسه وأفكاره، ولذا نرى أن الأدباء يتفاوتون ويتمايزون على أساس معتقداتهم: كلهم يمتلك وسيلة الكتابة والتعبير، ولكن كلاً منهم يعبر عما يريد من أفكار، بما يؤمن من أشياء ومُثل، وبالأسلوب الذي يراه مناسباً لهذا الاعتقاد (٨).

داعيات متعددة ....

وهناك داعيات أخرى متعددة لاستلزام شرط المسلمية في الأديب تتلخص فيما يأتي:

١ - الداعية التاريخية أو داعية الاستصحاب التاريخي: فالأدب الإسلامي الموجود حالياً على الساحة الأدبية في طروحاته المعاصرة من شعر ونثر، والذي ترفع لواءه «رابطة الأدب الإسلامي» في المقام الأول يسترفد - بصفة أساسية - المعنيين الأصيلين:

القرآن والسنة من ناحية، وطروحات المبدعين على مدار العصور التاريخية من ناحية أخرى من أمثال حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وأبي العتاهية، وعشرات ممن يدورون في الفلك نفسه، وكلهم مسلمون، ولم نجد مبدعاً مسلماً في وقتنا الحاضر يتخذ مثله الأعلى شاعراً وثنياً كامرئ القيس، أو شاعراً يهودياً كالأخطل، وإن لم يخل بعض شعرهم من معانٍ طيبة واعتزاز ببعض القيم التي تتسع لها المفاهيم الإسلامية.

«فالأدب الإسلامي المعاصر ينبغي أن يكون امتداداً لأدبنا الإسلامي الذي ظهر منذ فجر الدعوة الإسلامية، واستمر في النمو والتطور على مرّ العصور»(٩).

وقد يعترض على اشتراط «المسلمية» بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان معجباً بشعر أمية بن أبي الصلت وهو غير مسلم، وكان يستنشد بعض الصحابة شعره، ومعروف عنه أنه رثى قتلى بدر من المشركين وهجا النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين(١٠).

ولكن الإعجاب شيء، واتخاذ المثل الأعلى شيء آخر، كما أن الإعجاب كان جزئياً ولم يكن كلياً، أي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان معجباً ببعض هذا الشعر، ولم يتعد ذلك لا إلى شعره كله، ولا إلى شخصيته كشاعر، ولم يطلب النبي - صلى الله عليه وسلم - من المسلمين الاقتداء به لا سلوكاً ولا فناً.

٢ - الداعية النفسية: يمر المسلمون حالياً بمرحلة يمكن أن نسميها «مرحلة التيه» أو «الهبوط الشامل» على كل المستويات فكل شيء ينسحب من تحت أقدامهم جزءاً جزءاً: الأرض والكيان أو المكان والمكانة، إنه عصر الغربة القهّارة التي تحدّث عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أصبحت كلمة «المسلم» لا تعكس إلا دلالات الذل والضياع والسفه والتخلف، حتى أن بعض المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الأجنبية كانوا يحاولون إخفاء هذه النسبة الكريمة التي كانت مفخرة المفاخر في القديم، حتى قال أحدهم حينما سئل من أبوك، أقيسي أم تميمي:

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

وكان منطق القائد في تحميس جنوده على القتال «إننا لا نقاتلهم بعدد أو سلاح، بل نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به».

ومع الأيام تزداد نظرة أعدائنا إلينا استهانة واستخفافاً واحتقاراً، فليس للعرب والمسلمين في نظر دولة كأمريكا حساب أو اعتبار، ويصدق ذلك على «توابعها» من دول الغرب وإسرائيل.

وأمام هذه الحال لم يعد أمام المسلم إلا أن يكون له موقف من

موقفين:

الأول: التنكر والتهرب الإعلامي من إعلان هذا النسب حفظاً «للقيمة الذاتية» في نظر «الآخرين» من غربيين ومن يسير على دربهم، وهو موقف يعجل بالقضاء على هوية الأمة، ويسيء أبلغ الإساءة إلى قيمنا ومرجعيتنا الإسلامية والعربية.

الثاني: التمسك بهذا النسب وتأكيده وإعلانه، والعمل بمقتضاه، وتقويته في مستوييه الاعتناقي والتثقيفي، وهذا يعني «إقامة ذات» إسلامية قوية شامخة لا تؤثر فيها معاول الآخرين.

والأدب الإسلامي يكون في هذه الحال عنصراً مهماً جداً في «إقامة هذه الذات» وتقويتها وترسيخها، ويكون اشتراط «مسلمية» الأديب ـ والحال كما رأينا ـ لا من قبيل اشتراط «إضافية» أو استكمالية، بل من قبيل اشتراط «جوهرية أساسية» لا يقوم الأدب إلا بها، حتى يتمكن المسلمون ـ في جو هذه المواضعات الخبيثة مقاومة تيار «التذويب النسبي» انطلاقاً من منطق الاعتزاز الإيماني، (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين).

٣ ـ داعية الواقع الأدبي أو المواضعات الأدبية على المستويين: العربي والعالمي، وقد رأينا في الفصل السابق أن هناك أدباً ماركسياً يعالج موضوعاته من زاوية مادية حادة، ويفرزه ماركسيون شيوعيون، وهناك أدب وجودي ينشره وجوديون، وللمسيحيين أدبهم، وأصبح للأدب الصهيوني كيان ووجود عالمي على أيدي صهاينة عتاة بغاة، ثم أصبح العالمانيون والحداثيون يصلون الليل بالنهار إنتاجاً وإبداعاً لشغل الساحة الأدبية بالغثاء الكريه، ويتخذون من معاداة الدين والتراث والقيم وأصالة اللغة منطلقاً للتدمير والتخريب.

ومن ثم كان وجود الأدب الإسلامي بأديبه المسلم الملتزم ضرورة للتصدي والتحدي للحفاظ على الدين والتراث وأصالة اللغة والأدب الشريف.

وقد يقول قائل ـ بل قد قيل فعلاً ـ هذا يعني أنكم تتصرفون بمنطق «رد الفعل»، فالفضل إذاً في «إيجادكم» هذا النوع من الأدب يرجع «للآداب الأخرى» وهو ضرب من المسايرة والمجاراة، أو هو نوع من التقليد «بالتضاد».

وهو منطق واه مرفوض من الواقع والتاريخ، لأن «الأدب الإسلامي» بدأ بانبثاق نور النبوة المحمدية الهادية، ولم ينقطع تياره لحظة من الزمان، وإن اختلفت درجات حيويته على مدار التاريخ لعوامل لا يتسع المقام لشرحها، وما يقوم به دعاة الأدب الإسلامي في وقتنا الحاضر ليس عملية «إيجاد» وإنما عملية تقوية وتنشيط «لوجود» مع الإفادة من كل جديد نافع له عملاً بقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها».

وقد يذهب بعضهم إلى أن الإصرار على تسمية الأدب «بالإسلامي» واشتراط أن يكون الأديب «مسلماً» ينم عن روح من التعصب الديني غير مستساغ في وقتنا الحاضر.

وأقول سبحان الله!! فلماذا يستسيغ العالم وصف الأدب بالمسيحي أو القبطي أو اليهودي أو الصهيوني أو الماركسي أو الاشتراكي... إلخ إنها ليست «عصبية» ولكنها «تحديد للهوية» ولا يختلف اثنان في أي من حق أصحاب «الشأن» أن يحددوا هويته وأبعاده وملامحه كما يشاؤون.

والأديب المسلم في إبداعه ينطلق من «التصور الإسلامي» في التعامل الفني مع الحياة والكون والإنسان، وهذا التصور هو «التصور الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله الرباني، وحقيقته الربانية، فالتصورات الاعتقادية والسماوية التي جاءت بها الديانات قبله قد دخلها التحريف بصورة من الصور... وقد أضيفت إلى أصول الكتب المنزلة شروح وتصورات وتأويلات وزيادات ومعلومات بشرية أدمجت في صلبها، فبدلت طبيعتها الربانية، وبقي الإسلام ـ وحده ـ محفوظ الأصول، لم يشب نبعه الأصيل كدر، ولم يلبس فيه الحق بالباطل، وصدق الله في شأنه: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(١١).

وربانية هذا التصور يعطيه قيمته الأساسية وقيمته الكبرى، فهو وحده مناط الثقة في أنه التصور المبرأ من النقص، المبرأ من الجهل، المبرأ من الهوى»(١٢)، وهو كذلك مناط الضمان في أنه التصور الموافق للفطرة الإنسانية الملبي لكل جوانبها المحقق لكل حاجاتها، ومن ثم فهو التصور الذي يمكن أن ينبثق منه ويقوم عليه أقوم منهج للحياة وأشمله»(١٣). ■

المراجع

١ ـ اللزوميات ٢/٢٦٦.
٢ ـ انظر: عباس العقاد: ساعات بين الكتب ٦٥٥ ـ ٦٥٨.
٣ ـ الغذامي: من تقديمه لكتاب رولان بارت «موت المؤلف» ص ٨ ترجمة منذر العياشي.
٤ ـ انظر بارت السابق ١٢ ـ ٢٠، والغذامي: الخطيئة والتكفير ٧١ ـ ٧٤، وانظر كذلك: فاضل ثامر: اللغة الثانية ١٢٩ ـ ١٣٤.
٥ ـ الغذامي: ثقافة الأسئلة ٢٠٤.
٦ ـ انظر لعز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٩٤.
٧ ـ د. محمد صلاح الهادي: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، محاضرة ألقاها في كلية التربية الأساسية بالكويت، ونشرتها صحيفة الأنباء الكويتية في العددين ٦٣٢٧ ـ ٦٣٣٤ في ١٩٩٣/١٢/١٧م ـ ١٩٩٣/١٢/٢٤م.
٨ ـ محمد حسن بريغش: في الأدب الإسلامي المعاصر: دراسة وتطبيق ٣٧.
٩ ـ د. عبدالرحيم الرحموني: نحو رؤية إسلامية للأدب ١٩٩٤م (بحث نشر بالدارة العدد ١٠٤ لسنة ١٩).
١٠ ـ سنعرض لهذه المسألة بالتفصيل في الفصل الأخير.
١١ ـ سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ٧١ ـ ٧٢.
١٢ ـ المرجع السابق ٧٤.
١٣ ـ المرجع السابق ٧٥.

يتبع

متابعات

الحرب الإريترية الأثيوبية والأمن القومي العربي

بقلم: محمد سالم الصوفي (*)

مع تجدد واتساع المعارك الضارية على طول الجبهات المتعددة على الحدود بين أثيوبيا وأريتريا دخلت منطقة القرن الأفريقي في دوامة حرب ضروس سيكون لها بالغ الأثر على كل الأصعدة والمستويات، وبخاصة تداعياتها السلبية الخطيرة على الأمن القومي العربي، ليس فقط لأن الحرب تفجرت في منطقة جغرافية تقع على «ضفاف البحر الأحمر ومنابع النيل»، ذات حساسية الخاصة بالنسبة للأمن الاستراتيجي للعرب والمسلمين، ولكن لما ظلت تمثله منطقة القرن الإفريقي على مدى العقدين الماضيين من حظوة وتركيز من قبل القوى الأجنبية وخصوصاً إسرائيل، ولعل هذا الاهتمام والتركيز اللذين نالت منهما إريتريا حظاً وافراً بعد استقلالها سنة ١٩٩٣م قد يمثلان بعداً رئيسياً في خلفيات التنافس بين الدور الأثيوبي كدولة محورية ذات تاريخ عريق في التعامل مع المشاريع والمخططات الغربية والأمريكية، وبين الدور الإريتري المتصاعد الذي بدأ يغطي بشكل واضح على الدور الأثيوبي بعد استيلاء إريتريا على جزيرة إحنيش اليمنية.

ولا شك أن الخطط والبرامج والاتفاقات التي كانت تترجم بها اهتمامها بهذه المنطقة لم تكن سراً حيث ظلت السياسة الإسرائيلية تنطلق تجاه القارة الإفريقية من عوامل استراتيجية واقتصادية معلنة استقطابها عن طريق تقديم العون الاقتصادي والعسكري، وتحديداً الدول الواقعة على حوض النيل أو المطلة والقريبة من البحر الأحمر باعتبارها دولاً تقع في نطاق الأمن الاستراتيجي للدول العربية المتصارعة معها.

وفي هذا الإطار وقعت إسرائيل سلسلة اتفاقات عسكرية من أهمها ثلاثة اتفاقات وقعت في شهر يناير من السنة الماضية مع كل من أثيوبيا وإريتريا وأوغندا، وبمقتضاها تقدم هذه الدول تسهيلات وقواعد للطيران الإسرائيلي بهدف التدريب بأجواء هذه الأقطار وضمان الانتشار السريع في حال حدوث أي خطر يهدد أياً من الأطراف الموقّعة على الاتفاقات، وبموجبها أيضاً يقوم الخبراء الإسرائيليون بتزويد تلك الدول بالأسلحة وقطع الغيار وإصلاح المعدات العسكرية والطائرات وتدريب الكوادر، وفي هذه الأثناء قال الجنرال أمنون شاحاك رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إنه أبلغ قادة إريتريا وأثيوبيا وأوغندا خلال زيارته للمنطقة أن دولاً أعضاء في حلف شمال الأطلسي الذي تقوده واشنطن قررت توفير ضمانات لتقديم ١,٥ مليار دولار كدعم عسكري واقتصادي لست دول تقع على حوض النيل بهدف القضاء على ما أسماه «بالمد الإسلامي» ووصفه بأنه يزحف باتجاه أثيوبيا والصومال وإريتريا وجيبوتي جنوباً وأوغندا وغينيا ونيجيريا غرباً.

ومع دخول المنطقة في منعطف جديد وتفجّر الأوضاع بين أثيوبيا وإريتريا سيأخذ الدعم والتدخل الأجنبي أبعاداً جديدة تأخذ بالاعتبار الحاجة الملحّة للطرفين المتنازعين إلى الدعم والمساندة ووفق الشروط والأهداف التي ستسعى الدول الأجنبية إلى فرضها منطلقة من تأزم الأوضاع ومستغلة فرصة اتساع دائرة الدمار التي سيخلفها استمرار الحرب، ومن هنا تأتي الخشية العربية والإسلامية المشروعة من أن نشوب الحرب في السادس من شهر يونيو من العام الحالي بين أديس أبابا وأسمرة مناسبة لتعزيز الاختراق الصهيوني لمنطقة القرن الإفريقي والذي ظل ـ كما أسلفنا ـ من أوليات السياسة الإسرائيلية في القارة السمراء على مدى ربع قرن تقريباً.

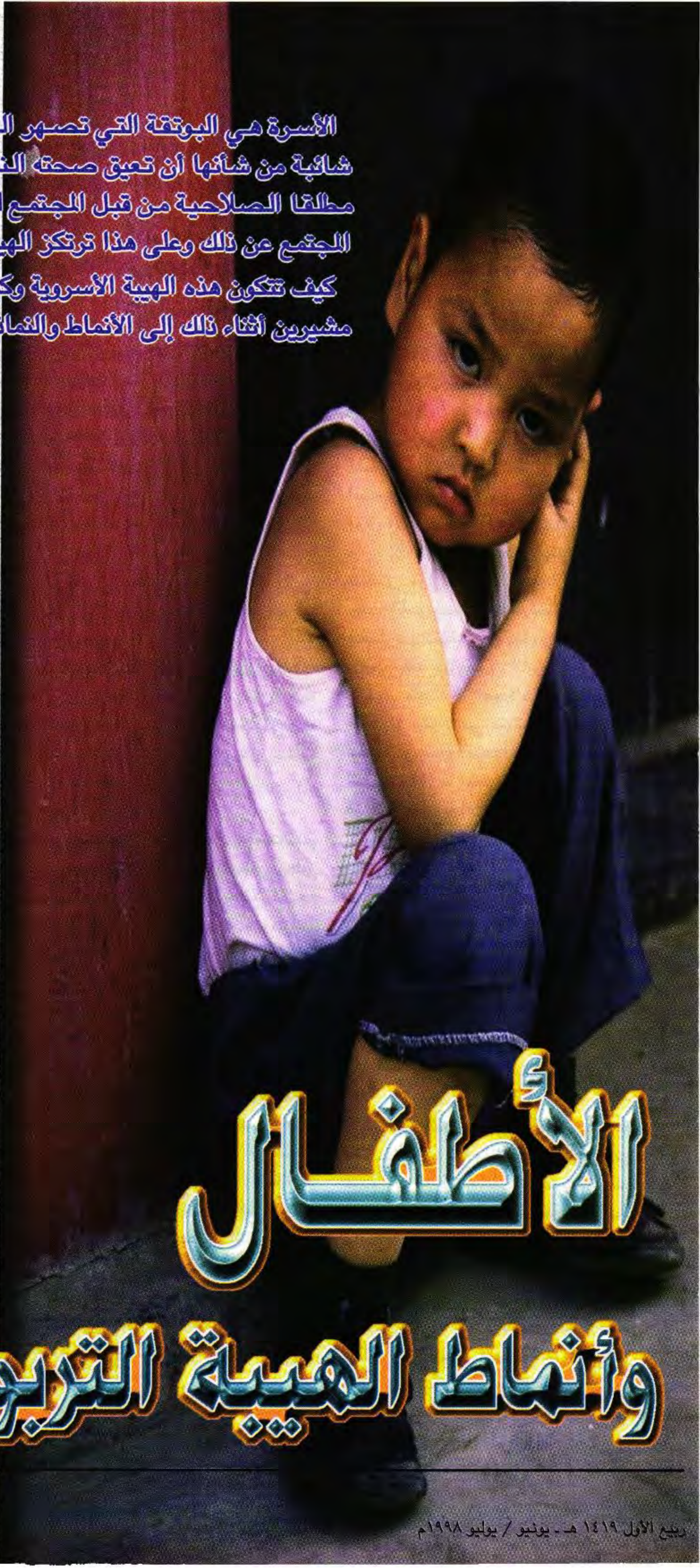
ومع تفجر الأزمة قد يتبادر للأذهان أن الحرب ستكون في مصلحة الدول العربية التي لها حدود مشتركة مع البلدين وظلت علاقاتها معهما تتسم بالتوتر والقلق الدائمين، إلا أنه رغم الاتجاهات السلبية الواضحة من القضايا العربية والإسلامية التي تبدو من مواقف حكومتي ميلس زيناوي وإسياسي أفورقي، فإن ذلك لا يقتضي بالضرورة أن تكون الحرب بينهما تخدم المصالح الاستراتيجية للدول العربية والإسلامية على الأمد البعيد، حتى وإن كانت كذلك على الأمد الظرفي القريب، وذلك لأسباب كثيرة تضاف إلى تلك العوامل التي ذكرت سابقاً والمتعلقة بما ستفتحه الحرب من مجالات واسعة للتدخلات الأجنبية والإسرائيلية على وجه الخصوص، وتبقى المشكلة الرئيسية المزمنة والتي ستواجهها الدول العربية المجاورة وبخاصة السودان من جراء الحرب الدائرة الآن هو نزوح مزيد من اللاجئين الإريتريين والأثيوبيين إلى مدنها.

والذين لن تبذل الجهات الدولية كالعادة في سبيل مساعدتهم أي جهد الأمر الذي يزيد الطين بلة على مستوى الأوضاع التي تعانيها شرائح واسعة في تلك البلدان، ولا شك أن هذه المشكلة المزمنة التي ظلت تؤرق السودانيين على سبيل المثال على مدى الأعوام المنصرمة حين بلغ اللاجئون نحو أربعة ملايين لا يمكن أن يكون تضاعفهم سوى بداية مشكلة جديدة تضاف إلى المشاكل المستعصية التي تعاني منها المنطقة من جراء تشابك الأوضاع والأطماع، وبالتالي فإن زيادة الضغوط والمشاكل والحروب في منطقة القرن الأفريقي والبحر الأحمر يعد تهديداً مباشراً وخطيراً على الأمة العربية والإسلامية بشكل عام حتى وإن تفاوت الإحساس والإدراك والمسؤوليات تجاه تلك الضغوط والمشاكل.

(*) كاتب وصحافي موريتاني

الأطفال وأنماط الهيبة التربوية للأسرة

الأسرة هي البوتقة التي تصهر الطفل فتنقّي سلوكه ورغباته من كل شائبة من شأنها أن تعيق صحته النفسية فيما بعد، والأم والأب مفوضان مطلقا الصلاحية من قبل المجتمع لتربية أعضائه وهما مسؤولان أمام المجتمع عن ذلك وعلى هذا ترتكز الهيبة التربوية للأسرة في عيون الأطفال. كيف تتكون هذه الهيبة الأسروية وكيف تُنظَّم؟ هذا ما سنحاول البحث فيه مشيرين أثناء ذلك إلى الأنماط والنماذج الخاطئة وما ينبغي أن تكون.



إعداد ودراسة: حسين محيي الدين سباهي

يمثل أولئك الآباء والأمهات الذين لا يطيعهم أبناؤهم إلى التفكير بأن الهيبة الأسرية هبة من الطبيعة فإذا لم تكن هذه النعمة موجودة فلا يمكن صنعها ويبقى هؤلاء الآباء والأمهات يبحثون عن النصيحة والموعظة لدى أولئك الذين منَّ الله عليهم بتلك النعمة.

في الحقيقة يخطئ أولئك الآباء والأمهات، فالهيبة التربوية للأسرة يمكن تكوينها وتنظيمها بشكل فعّال ومن دون تعقيد في كل أسرة، ولكن الذي يحصل في كثير من الأحيان وبشديد الأسف أن محاولات تنظيم الهيبة التربوية للأسرة تقوم على أسس كاذبة أو واهية أو خادعة، فعلى سبيل المثال يسعى الأهل كي يصبح أبناؤهم مطيعين لهم..

ولا يضعون غير هذا الهدف لنشاطهم التربوي مع أولادهم وهذا الخطأ بعينه، فالهيبة الأسرية على شكل طاعة عمياء لا ينبغي أن تكون الهدف، بل ينبغي أن يكون الهدف هو التربية السليمة من كل الجوانب وهذا ما ينبغي أن يتوجه إليه سعي جميع الآباء والأمهات وإلا فإننا كثيراً ما نشاهد الحال التالية: يستطيع الأهل تربية أبنائهم على الطاعة التامة والصادقة، ولكن الأبناء ينشؤون مطواعين منقادين لا رأي لهم ولا حول في الحياة الاجتماعية.

هناك الكثير من النماذج الكاذبة والخادعة للهيبة التربوية الأسرية سنتطرق لأبرزها وأهمها في هذا البحث عسانا نستطيع تكوين صورة حقيقية للهيبة التربوية الأسرية المثلى.

١ ـ هيبة القمع (الإرهاب):

وهي أخطر أنواع الهيبة التربوية وأكثرها ضرراً على مجمل التربية ويتصف بها على الأغلب الآباء أكثر من الأمهات، وخصوصاً إذا كان الأب في تعامله مع أسرته دائم الصراخ ـ دائم العصبية ـ ويزمجر كالرعد على كل شاردة وواردة ـ وعلى كل سؤال يجيب بنزاقة وحماقة ـ وعلى كل تصرف من الأبناء يلوح أو يستخدم العصا أو النطاق ـ على كل ذنب اقترفه الأبناء ويفرض العقوبة الجسدية والمادية القاسية، فإن الأب هو صاحب الهيبة القمعية الإرهابية التي تجعل الأسرة «الأم والأبناء» دائماً في أجواء مشحونة بالقلق والخوف، إن ضرر هذه الهيبة القمعية لاينحصر في مصدر هلع ورعب للأطفال، بل كونه أيضاً يسقط دور الأم التربوي التي تتحول أغلب الأحيان إلى طفل وتتعرض أغلب الأحيان للأذى عندما تدافع عن أولادها وتحميهم أو كما يحدث على الأغلب تتحول الأم إلى التغطية والتستر على أخطاء أولادها وتصرفاتهم مما يسقط هيبتها الشخصية لدى أطفالها من ناحية، ويزيد من تردي الحال التربوية في مثل هذه الأسرة.

إن هذا النمط يغرس في أذهان الأطفال الأشياء السلبية التالية:

ـ الخوف الدائم من المستوى الأعلى وبالتالي يتعود الأطفال على الكذب ويتربون على الجبن وعدم القدرة على مواجهة أخطائهم كما يربي في سلوكهم البلادة وعدم التقدير السليم للمواقف والأحداث ومن أولئك الأطفال يتسرب إلى المجتمع أولئك الفاشلون والهيَّابون للمشاكل الاجتماعية المختلفة الذين يبقون طيلة حياتهم تحت تأثير القمع والإرهاب الذي مورس عليهم أثناء طفولتهم، يمكن أن يُلحظ هذا النمط في سلوك أولئك الآباء غير المثقفين والذين لايملكون أي قاعدة تربوية نظرية.

٢ ـ هيبة الفارق «التعالي»:

يقتنع كثير من الآباء والأمهات وبشكل جازم بأنه لكي يكون الأطفال أكثر طاعة وسمعاً ينبغي على الأهل أن يكونوا أقل ديمقراطية في الحديث مع أطفالهم وأكثر بعداً عن مشاكلهم وحياتهم اليومية وفي حال الضرورة لتدخلهم يكون ذلك التدخل على شكل أوامر وتعليمات على صيغة العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين.

على الأغلب يصادف هذا النمط في الطبقة المثقفة «الانتلجنسيا» والأرستقراطية التي يملك فيها الأب مكتباً خاصاً في المنزل يعتبر بمثابة حرم مقدس لا يجوز للأبناء الاقتراب منه ويطل هو نفسه من هناك كأنه قديس أو ملاك.

يتناول ذلك الأب على الغالب طعامه بشكل منفرد بعيداً عن أطفاله ويستريح أمام التلفاز أو في الحديقة أو على البحر في المنتجع بشكل منفرد بعيداً عن أسرته وأطفاله، وتتم علاقته مع الأولاد عن طريق الأم وعلى الأغلب عن طريق الخدم والمربين.

يمكن لأمهات من هذا النمط أن يتميزن بنمط حياة خاصة لا دخل للأطفال في هذا النمط حيث يكون للأم اهتمامها وأفكارها وعملها وأصدقاؤها ويبقى الأطفال على الأغلب في رعاية الجدة أو المربيات، وهذا النمط لا يمكن أن يكون ذا أثر تربوي في حياة الأطفال الذين ينشؤون ويتربون تحت تأثير العوامل التربوية الأخرى (المدرسة ـ النادي ـ العمل....).

٣ ـ هيبة التفاخر «المباهاة»:

وهو نوع من أنماط هيبة الفارق «التعالي» والذي يعتبر أكثر ضرراً وخطورة على العملية التربوية الأسرية.

من المعروف أن كل فرد له دوره وواجباته تجاه الأسرة والمجتمع عموماً، لكن أفراد هذا النمط يعتبرون أنفسهم الأكثر أهمية في هذا المجتمع، ويحاولون إبراز ذلك في كل شاردة وواردة في سلوكهم أمام أطفالهم والآخرين من حولهم.

هؤلاء يتبجحون في المنزل بأعمالهم وأشغالهم ومردودها للأسرة والمجتمع وعلى الأغلب لايستطيعون ذلك في عملهم «لأن حجم دورهم هناك معروف للجميع»، ولا حديث لهم إلا التباهي بإمكاناتهم ومنجزاتهم ويتعاملون مع الآخرين على أنهم في المستويات الأدنى منهم بكثير.

يحدث أن يؤخذ الأطفال في الأسرة بنمط والدهم ويبدؤون بالتباهي والمفاخرة بوالدهم مع اعتزاز بأنفسهم أمام أصدقائهم ورفاقهم ويترافق كلامهم عادة بكلمات تفخيم للأب: «أبي عالم ـ أبي كاتب ـ أبي مدير ـ أبي مهم ـ أبي مسؤول...» أما هذه الحال «المباهاة والتفاخر» عند الأمهات فتكون في مجال «الثياب ـ الحلي ـ العطور ـ التنزهات والإجازات على البحر وفي المصاريف ـ أنواع الطعام ـ مستويات الأصدقاء والمعارف» حيث تغرس الأم في أذهان أطفالها بهذا التباهي نوازع الانسلاخ والتعالي على الآخرين وبخاصة الأصدقاء والأقران.

٤ ـ هيبة الوعظ الفوقي والمكابرة:

في هذه الحال يُعير الآباء مزيداً من الاهتمام للأبناء ويصغون كثيراً لأطفالهم وهم بذلك يعتقدون أن الأطفال ينبغي أن يسمعوا كل كلمة من الأهل مع الانحناءة وأن كلمات الأهل مفاهيم مقدسة.

والأغلب ما تتسم أوامر وتعليمات الأهل بالصوت الرقيق الهادئ الواعظ وبمجرد إعطائها ينبغي أن تتحول إلى قوانين، مثل هؤلاء الآباء يخافون كثيراً من مجرد تفكير أولادهم بأن والدهم أو أمهم لا يملكون الإرادة الصلبة ولذلك يتخذون قراراتهم من دون تبرير فمثلاً يقول الأب: «غداً سيهطل المطر لذلك لا يجوز المشوار للأطفال»، وحتى لو لم يهطل المطر في الغد، فإن القرار قد اتخذ ويمنع المشوار نهائياً ويصادف أحياناً أن يكون مثل هؤلاء الآباء قد أخذوا مواقف مسبقة من قضية ما، مثلاً الذهاب إلى فيلم سينما معين وبالتالي يتخذون قرارهم بأن السينما لا تلزم لأبنائهم وهذا الأمر يمكن أن يُسقط على استخدام الفيديو والتلفاز والكتب والمجلات والرفاق والأصدقاء، مثل هؤلاء الآباء يعاقبون أبناءهم لأسباب مختلفة لكنهم لاحقاً يكتشفون أن تلك العقوبة ليست في محلها ولكنهم لا يجدون حاجة أو مبرراً لتعديل العقوبة «فالعقوبة اتخذت وهذا ما يجب أن يتم ويتحقق من أجل السمعة التربوية للأهل».

يجب على مثل أولئك الآباء ملء وقتهم بالانشغال بقضايا أسرهم وسلوك أطفالهم ومراقبة حركاتهم وتصرفاتهم ويتحولون بالتالي إلى صياغة الأوامر والتعليمات الجديدة والمتبدلة في كل ساعة، أما حياة الأطفال واهتماماتهم وحتى نموهم الجسدي والعقلي، فلا يحسب له الأهل حساباً حيث يظلون أطفالاً في نظر الأهل يحتاجون دائماً للقهر والزجر والتوجيه.

٥ ـ هيبة الإلحاح السلبي:

في هذه الحال يُفعم الآباء حياة الطفولة بالنصائح الحرفية والمواعظ التعليمية المدرسية، فبدلاً من أن يوجه الأب لطفله بعض الكلمات التلميحية أو حتى في صيغة مزحة بسيطة، يُجلس الأب طفله أمامه ويبدأ معه حديثاً مقرّعاً إياه بالمزيد من الكلمات الواعظة والتسفيه وأحياناً بتوجيه بعض النصائح.

مثل هؤلاء الآباء يقتنعون بأنه بالتوبيخ والتقريع تتلخص الموهبة التربوية، وفي مثل هذه الأسر تكون السعادة قليلة، ولا يمكن أن تلحظ الابتسامة على أفواه أفرادها في الوقت الذي يحاول فيه الآباء بكل قواهم أن يُظهروا

طيبة التعامل مع أطفالهم وأن يكونوا في نظرهم كباراً وواعين ولكنهم ينسون أن الأطفال ليسوا بالغين وأن لهم حياتهم الطفولية، وأن هذه الحياة يجب أن تُحترم وأن يعيشها الأطفال كما ينبغي وليس كما يريد الآباء، فالأبناء عادة يعيشون في أجواء أكثر حساسية وانفعالية من البالغين وأنهم أقل من الكبار قدرة على النقاش والإقناع بصحة سلوكهم وتصرفاتهم، وأن طريقة التفكير لديهم ينبغي أن تمرَّ بمراحل متدرجة وببطء حتى يتم استيعاب الفكرة المطروحة، ولذلك نرى على الأغلب أن إلحاح الأهل يمر من دون أن يترك أثراً في أذهان ووعي أطفالهم وبالتالي فإن غيرية الأهل الفائقة لا تعطي للأطفال أي سمعة أو هيبة.

٦ ـ هيبة الحب للأهل:

تعتبر الهيبة الخاصة بحب الأهل من أكثر الأنماط خداعاً وانتشاراً في التربية الأسرية، فكثير من الأهل يقتنعون بأنه لكي يسمع الأبناء الآباء ويطيعونهم، فإن على الأهل أن يبرزوا على الدوام الحب الأبوي لأبنائهم «الكلمات اللطيفة الناعمة ـ النصح الأبوي ـ الملاطفة....»، وإذا كان الطفل لا يسمع أو لايطيع والديه، فإن الأهل على الأغلب يُسمعونه الكلمات التالية «أنت لا تحب البابا أو الماما» وعلى الأغلب لايرتاح الأهل وتبدو التعابير على وجوههم بمجرد النظر إلى سلوك أطفالهم، في مثل هذه الأسر يتفاخر الأهل خصوصاً أمام أطفال الأصدقاء والجيران بالقول: «إن طفلي حباب جداً وهو يُحبني ويُطيعني كثيراً».

في مثل هذه الأسر تطفو المشاعر الناعمة الخادعة حيث يتم التستر على المشاعر الحقيقية ويمر بالقرب من اهتمام الطفل كثير من الأمور التي ينبغي على الطفل أن يعمل تجاهها بخلاف قناعته ولكن إرضاء وإكراماً وحباً وامتثالاً للأهل.

هنا تنمو الأنانية الأسرية «الأب والأم» ولايتولد في الحقيقة ذلك الحبِ الذي يرغبه الأهل في سلوك الأبناء ويكتشف هؤلاء الأبناء إلى أي مدى يمكن الكذب على الأهل ومخادعتهم بالألفاظ الجميلة والتعابير الملساء.

يكسب الأطفال في هذه الأسر منذ سن الطفولة الباكر طريقة كسب وربح الآخرين ولكنه ـ الطفل ـ يتعلم أيضاً أن يكون حبه هشاً وكاذباً ومصلحياً ونفعياً.

أحياناً يصادف أن تنمو في مثل هذه الأسر أهمية حب الأهل وتسقط بالتالي قيم حب واحترام ا لآخرين الذين يعاملون كغرباء أو أعداء ويفقد أطفال مثل هذه الأسر الصداقة الحقيقية والروح الرفاقية ولا يتم تعاملهم مع الآخرين لا عن ذوق ولا عن أدب اجتماعيين.

إن هذا النوع من الهيبة «كون سلوك الأبناء مبنياً على أساس إرضاء الأهل وإكراماً لهم من أخطر أنواع الهيبة التربوية للأسرة» فهو ينمي نزعات الخدع والكذب وفي معظم الأحيان يكون أول ضحاياه هم الأهل أنفسهم.

٧ ـ هيبة الطيبة «البساطة»:

إنه نوع من السمعة والهيبة التربوية للأسرة التي لاتنبع من قناعة، ففي هذه الحال تنظم طاعة الأطفال من خلال حب الأهل لهم، والذي لا يتصف بالأمور المعتادة من «تقبيل وملاطفة وتدليل...» وإنما يتصف بأن الأهل ينظرون إلى طفلهم على أنه ملاك مسموح له بكل شيء ولا شيء مأسوف عليه أمام الطفل ومن أجل الطفل، وبالتالي يبدو الأهل في عيون الأطفال طيبين جداً وبالتالي فإنهم رائعون.

في مثل هذه الأسر يخاف الأهل ويتجنبون أي خلاف أو نقاش عائلي بشأن الأطفال وأنهم يقدسون عالم الطفل وهم جاهزون للتضحية في سبيل أن تكون الأمور على ما يُرام وخصوصا أمام الأطفال.

وهنا الطامة الكبرى، حيث يتحول الأطفال إلى سادة آمرين موجهين لأهلهم الذين يبدون عدم مقاومة رغبات أطفالهم الأمر الذي يفسح المجال أمام طموحات أولئك الأطفال.

في أحيان قليلة يسمح الأهل لأنفسهم ببعض المعارضة، ولكن في معظمه تأتي في أوقات متأخرة وعندما يكونون بالفعل قد أصبحوا على الهامش ولا حول لهم ولا قوة.

٨ ـ هيبة الصداقة:

أحياناً وحتى قبل أن يولد الأطفال نجد بعض الأهل يعلنون ويتعاقدون فيما بينهم بأن يعاملوا أبناءهم على شكل أصدقاء، بشكل عام هذا الأمر جيد، ولكن مع ذلك يبقى الأب والأم في نظر الأبناء أولئك العجائز غير المقبولين في الصداقة، وكذلك لا ينسى الأب والأم دورهم التربوي الناجح في هذه الصداقة أيضاً، والأمر هنا يصبح على الشكل التالي:

لا ينسى الأبناء أنهم مستعدون لكي يكونوا أصدقاء فعليين وليسوا متلقين بشكل دائم لنصائح الكبار، بل يعتقد الأبناء «في أجواء الصداقة الحقيقية» أنهم قادرون على إسداء النصائح للكبار وعلى خلاف آراء الأهل الذين لايتقبلون ذلك.

وعلى الأغلب تظهر مثل هذه الحالات في الأسر التي يصبح أبناؤها أعلى من أهلهم من الناحية العلمية والثقافية والاجتماعية والسلطوية، ويمكن أن يُلحظ هنا إنكار الصداقة التي كانت قائمة وعلى العموم فإن هذا الأمر يقوم على الاحترام المتبادل.

٩ ـ هيبة المقايضة «الثمن»:

من أسوأ أنواع الهيبة التربوية للأسرة أن يكون السمع والطاعة رهناً بالهدايا أو الوعود المادية أو المعنوية، لا يخجل بعض الآباء من مداعبة أطفالهم بالقول: «إذا سمعت مني كذا وكذا فسأشتري لك كذا وكذا. ... أو غيرها قائلاً إذا عملت كذا وكذا سأذهب بك إلى الحديقة أو إلى البحر...» قطعاً لا يجوز أن نعدم في الأسرة الثواب والعقاب «الثناء ـ الحرمان»، ولكن ليس بطريقة المساومة على السمع والطاعة في الأسرة، وإنما على حسن العلاقة مع الأهل والصدق والاحترام والنجاح.

فمثلاً يمكن الثناء على التفوق الدراسي أو تنفيذ عمل ناجح ولكن لايجوز بأي شكل إعلان الجائزة أو الهدية سلفاً، وإنما بعد تحقيق النجاح أو التفوق وإلا تعوّد الأطفال على السلوك المشروط بالثواب والعقاب المناسب. ■

مراجع البحث:

١ ـ كتاب علم النفس الاجتماعي ـ مشكلات الطفولة ـ تأليف مارثين هربرت ـ ترجمة يونس عبدالحميد نشواني.

٢ ـ كتاب الصحة النفسية للدكتور نعيم الرفاعي.

٣ ـ كتاب علم النفس الاجتماعي ـ دراسات نظرية وتطبيقات عملية ـ للدكتورين: مصطفى فهمي، ومحمد علي القطان.

٤ ـ كتاب مشكلات الآباء والأبناء ـ مختار حمزة.

٥ ـ كتاب التوجيه والإرشاد النفسي للدكتور حامد عبدالسلام زهران.

٦ ـ جيروم كاغان: نمو الشخصية ـ ترجمة صلاح الدين المقداد ـ وزارة الثقافة ١٩٨٣م ـ دمشق.

٧ ـ العظمة، وفيق ـ الجمالي، سعاد: سيكولوجية الأطفلال ـ دار الرواد ـ دمشق ١٩٥٦م.

٨ ـ د. فاخر عاقل ـ علم النفس ـ دراسة في التكيف البشري ـ منشورات دار العلم للملايين.

٩ ـ د. مالك مخول ـ علم نفس الطفولة والمراهقة، منشورات جامعة دمشق ـ ١٩٨١م ـ ١٩٨٢م.

١٠ ـ ج ـ كولان ـ سيكولوجية الطفل ـ ترجمة حافظ الجمالي ـ مرجع سابق.

١١ ـ د. صالحة سنقر ـ التربية ما قبل المدرسة الابتدائية ـ جامعة دمشق ـ كلية التربية ١٩٨١م ـ ١٩٨٢م.

من أمجادنا الإسلامية

معركة وادي المخازن ١٥٧٨م

إعداد: محمد القاضي

المغرب قبل معركة وادي المخازن

تعتبر معركة وادي المخازن .. صدى لمسلسل الصراع المرير بين الأيبيريين والمغاربة، وهو صراع بدأ قبل المعركة بقرنين وانتهى بطرد المسلمين من الأندلس، والمعركة في سياقها حلقة أخيرة من صراع بين المغاربة والبرتغاليين، وضعت حداً للأطماع البرتغالية وغير البرتغالية في المغرب، كما أن أوروبا كانت مهيأة اجتماعياً ونفسياً لخوض غمار الحرب ضد المغرب، فكانت دوافع الفهم العقيم للاختلاف الديني، والعداوة التاريخية المترتبة عن تعاقب الحروب المتبادلة بين مسيحيي شبه الجزيرة الأيبيرية، ومسلمي المغرب، وحب التوسع والاستحواذ على المناطق الجديدة للقضاء على التوثب الجهادي لدى المغاربة وإرضاء النزعة العسكرية العدوانية لدى البرتغاليين بالصورة التي كان عليها، وكأنه أساس الحضارة السائدة وقتئذ من العوامل التي أججت الحماس وعجلت بوقوع تلك الموقعة، يقول المؤرخ البرتغالي «فاسكو دي كارفالو» في محاضرة ألقاها على الطلبة الضباط في المدرسة الحربية الفرنسية في باريس سنة ١٩٣٤م: «كان شباب البرتغال يتحرقون على القتال... ولكن ضد من؟ أين يجدون العدو؟ إذ إننا في جهة قد عقدنا الصلح مع قشتالة ومن جهة أخرى يواجهنا البحر، ولكن بمقتضى تقاليدنا وديننا ومصلحتنا فإن العدو لا يزال هو المسلم، فإذا كان قد التجأ إلى ما وراء البحار فيجب أن نذهب للبحث عليه هناك يجب أن نطارد الوحش في مكمنه»(١).

واتباعاً لهذه الخطة أخذت الحملات البرتغالية تتوالى على المغرب، وكانت تجربة احتلال مدينة «سبتة» سنة ٨١٨هـ (١٤١٣م) تغريهم وتحفزهم لاحتلال المغرب كله، من البحر إلى الصحراء، وتركيز السيطرة المسيحية في أرجائه لتسهيل مهاجمة الشرق من جهة البحر ويتأتى هكذا: «ضرب الإسلام في ظهره» على حد تعبير المؤرخ البرتغالي السابق الذكر(٢).

ومن هذا التاريخ والمغرب يكابد الشدائد من جراء هذه السياسة الظالمة المتهورة والفاشلة مع ذلك، ورغم استيلاء البرتغاليين على القصر الصغير سنة ١٤٥٨م وأصيلا وطنجة سنة ١٤٧١م والعرائش سنة ١٤٨٩م ثم أغادير سنة ١٥٠٥م والصويرة سنة ١٥٠٦م وأسفي سنة ١٥٠٨م وأزمور سنة ١٥١٣م والجديدة سنة ١٥١٤م، فإنهم لم يستطيعوا قط أن يربطوا بين هذه الممالك ولا أن يمدوا نفوذهم إلى داخل البلاد، لأن رد الفعل عند المغاربة كان قوياً فظهرت قيادات شعبية تجلت في بعض الزعامات المحلية التي تولت التعبئة لمواجهة الغزو البرتغالي وتحرير الشواطئ الشمالية والغربية من الاحتلال.

ظهور الدولة السعدية في المغرب

وكان من أهم تلك الحركات، حركة ظهرت في الجنوب في النصف الأول من القرن العاشر الهجري «السادس عشر الميلادي» بتأثير الزاوية الجزولية، وتحولت مع مرور الأيام إلى حركة سياسية نشأت عنها دولة الأشراف السعديين الذين هاجروا من أرض الحجاز واستقروا «في سوس» (جنوب المغرب) زهاء أربعة قرون، ونجحوا في أن يجمعوا كلمة المغاربة حولهم، ويقوموا - خصوصاً في عهد الخليفة المنصور الذهبي - بتحصين البلاد وتنظيم قواتها ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي والفكري.

ويعتبر محمد الشيخ المؤسس الحقيقي للدولة السعدية، وهو الذي قضى على الوطاسيين، ووقف في وجه التدخلات العثمانية والسيطرة البرتغالية، وقد خلفه من بعده ابنه عبدالله الغالب سنة ٩٦٥هـ (١٥٥٧م) الذي كانت سياسته تنبني على مهادنة المسيحيين ومعاداة العثمانيين المتآمرين على مقتل أبيه والمتحالفين ضده مع أخويه أبي مروان عبدالملك الملقب بالمعتصم، وأبي العباس أحمد الملقب بالمنصور.(٣)

وعقب وفاة عبدالله الغالب تولى الحكم ابنه محمد المتوكل سنة ٩٨١هـ (١٥٧٤م)، فنظم عماه أبو مروان وأبو العباس حملة عسكرية ضده بمساعدة الجيش التركي، ومساندته دامت حوالي ثلاث سنوات واستطاعا أن يهزماه سنة ٩٨٣هـ (١٥٧٦م) فنودي بالأول - آنذاك - ملكاً على البلاد، وعيّن الثاني نائباً عنه في فاس، مما اضطر محمد المتوكل إلى مغادرة عاصمة ملكه، ولم يبق حوله إلا عصابات قليلة، ولم يجد أمامه إلا الاستنجاد بالقوى الأجنبية، فحاول الاستعانة في البداية بملك أسبانيا إلا أنه ماطله ولم يرد التدخل في المغرب لأنه ضمن مناطق نفوذ البرتغال، فاضطر للتوجه إلى البرتغال حيث وجد آذاناً صاغية لدى ملكها «دون سابستيان» الذي أبدى حماساً منقطع النظير للموضوع، بل إن هذا الطلب موافق لأحلامه وأمانيه، ذلك أن هذا الملك كان مازال في العشرينيات من عمره، ومسيحياً متعصباً إلى حد الصليبية، ومعتداً بنفسه إلى حد الغرور والعجرفة.

ورغم مراسلات الأعيان والعلماء للمتوكل، لم يفلحوا في رده عن خيانته لوطنه، بل انتقل مع أنصاره إلى البرتغال وكان من بينهم عامل بلاد الهبط الذي سلم مدينة أصيلا للبرتغال لاتخاذها قاعدة عند نزولهم بالمغرب.

كما حاول السلطان عبدالملك السعدي عبر مراسلاته الدبلوماسية المكثفة مع الملك «سابستيان» ملك البرتغال أن يقنعه بالعدول عن خطته بغزو المغرب، والوقوف على الحياد في الصراع على العرش بينه وبين ابن أخيه المخلوع، ووسّط له في ذلك خاله الملك «فليب الثاني» ملك أسبانيا، ولكن هذه المحاولات ذهبت جميعها سُدى أمام تصميم ملك البرتغال على مهاجمة المغرب، وانتشر النبأ بين أبناء الشعب وامتلأت صدورهم سخطاً على استصراخ المتوكل بالنصارى، فتعبأت جميع الطاقات لمواجهة الموقف، والعدو لم يكن مستعداً للسلم، فقد وجد الفرصة سانحة لخوض حرب صليبية ضد المغرب تعيده للسيطرة البرتغالية، فاستنفر الملك البرتغالي اثني عشر ألف جندي من جيش بلاده، وجمع أعداداً هائلة من المتطوعين

الأوروبيين من النمسا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا، إضافة إلى جند الباب صاحب روما، وأمدهم بالعدة والذخيرة ليقود حملتهم بنفسه، محاولاً إشراك جارته أسبانيا معه في هذه المغامرة الخطيرة التي حذره ملكها من عواقبها الوخيمة، فلما لمس منه إعراضه عن سماع النصيحة، لم يسعه إلا إعانته بثلاثين مركباً وستة آلاف جندي، فجهز «سابستيان» أسطولاً ضخماً(٤)، ثم أبحر من عاصمته لشبونة قاصداً طنجة عبر قادس، ومنها إلى أصيلا التي وصل إليها يوم ٧ جمادى الأولى ٩٨٦هـ (١٢ يوليو ١٥٧٨م) في جيش عرمرم.

وعندما تيقَّن عبدالملك السعدي أن الغزو آت لا ريب فيه، تحرك من مراكش ثم الشاوية ومنها إلى الغرب، ورغم المرض الذي ألمَّ به في الطريق شرع في الاتصال والتنظيم والدعوة للدفاع عن البلاد، وأمَّن حاجات الجيش بالعتاد الحربي، واستخدام التقنية العصرية لإنتاج الذخيرة، معتمداً على الرصيد المعدني للبلاد ـ وبالأخص النحاس ـ وعلى إمكانات معامل السلاح الموجودة في فاس ومراكش وتارودانت وكانت أغلبية الجيش السعدي من المغاربة معظمهم من أعراب الخلطي، تعززه كتيبة من المهاجرين الأندلسيين وأخرى من القوات التركية، فضلاً عن المتطوعين من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم وغيرهم من الطبقات الشعبية.

وقد أراد السلطان عبدالملك بحنكته السياسية ومهارته الحربية أن يحرم «سابستيان» من الاعتماد على سفنه الحربية وأن يقطع اتصاله مع البحر لكي يزيد من مصاعب تموين جيشه، فأرسل له رسالة استفزازية يقول له فيها: «إني رحلت إليك ست عشرة مرحلة، فهلا قطعت أنت مرحلة واحدة للاقاتي... إن هذا ليس جديراً بفارس مسيحي وملك شجاع مثلك!!» فنصحه مستشاروه أن يبقى في أصيلا حتى تصل الجيوش المغربية، ويبقى على اتصال بالقوة البحرية، تمده بالمؤن والعتاد وبالرجال إن اقتضى الحال ذلك، ولكن تشوقه للحرب ونخوته جعلاه يرفض نصيحة مستشاريه، وقَبِلَ التحدي وأعطى أوامره للجيش بالتقدم براً للقاء الجيش الإسلامي التي كانت وحداته قد وصلت يوم ٢٩ يوليو ١٥٧٨م إلى جهات مدينة القصر الكبير.

وما أن أتى يوم الملاقاة حتى كانت الوحدات تنحدر في سفح هضاب من الضفة اليمنى لوادي المخازن، ومن هناك شاهدت طلائع جيش المسلمين متجهة نحوهم في بسائط القصر الكبير، ما بين وادي لوكس، ووادي وارور ـ وفي اليوم الموالي «الأحد» أمر «سابستيان» الجيوش بأن تقطع وادي المخازن، فمرت بانتظام على القنطرة إلى الضفة اليسرى حيث خيمت هناك.

وقد أثبت السلطان عبدالملك أنه قائد محنك، حينما كلف أخاه الأمير أحمد بأن يأخذ مفرزة يتسلل بها خلف الخطوط البرتغالية لهدم تلك القنطرة الوحيدة وذلك لكي يمنع البرتغاليين من استخدامها أثناء المعركة للتموين، وبعد المعركة للانسحاب، فانحبس البرتغاليون بين نهرين وتعذر عليهم كل تراجع إلى الخلف لانعدام المشارع في الوادي وانتظم الرجالة المسيحيون ضمن مربع قبعت في قلبه قوافل عربات المؤن والذخيرة ووقف الرماة في الطليعة والفرسان ميمنة وميسرة وواجههم المسلمون في النسق نفسه على شكل هلال مسرح الأجنحة للانقضاض من الجوانب عند الاقتضاء، وبدأت المعركة في الهجيرة «متم جمادى الأولى عام ٩٨٦هـ ـ ١٥٧٨م) وأشعة الشمس تبهر عيون العدو ولهيبها يلفح وجوههم وأسنة الرماح وقذائف الأنقاض تهددهم من الأمام، والحياة الزاخرة من الخلف وسارع جيش الأمير أحمد إلى الهجوم، فانقضت ميمنته على مؤخرة العدو، بينما اتجهت الميسرة ضد الرماة فتهالك المسيحيون صرعى من جراء هذه الصدمة العارمة، وانحازت الفلول الفارة صوب القنطرة، فلم يجدوا إلا أنقاضها، فتخشعت نفوسهم، وتهافتوا في الوادي تهافت الفراش على النار، فلم ينج منهم إلا عدد نزر وشرذمة قليلة تقدر بأربعين شخصاً حسب ما أورده مؤلف برتغالي مجهول.(٥) وناهيك من يوم أجلى عن ثلاثة ملوك موتى ما بين مجندل وغريق وفائض النفس حتف الأنف، وعن ثمانين ألفاً من المشركين ما بين قتيل وأسير.(٦)

وهكذا انتهت معركة وادي المخازن في مساء ذلك اليوم، بعد أن دامت حوالي خمس ساعات وقد مات فيها الملوك الثلاثة الذين شاركوا فيها:

ـ عبدالملك السعدي الذي توفي من جراء مرض ألم به، وكان من الحزم إخفاء وفاته حتى ظهر النصر.

ـ محمد المتوكل الذي مات غريقاً وهو يحاول النجاة بجلده من نهايته المحتومة.

ـ الملك البرتغالي «دون سابستيان» الذي سقط قتيلاً، وكان من بين الغرقى، ولذلك تدعى هذه المعركة في المصادر الأجنبية باسم «معركة الملوك الثلاثة» ويسميها بعض المؤرخين البرتغاليين باسم «معركة القصر الكبير» نسبة إلى المدينة التي وقعت المعركة على مقربة منها.

معركة وادي المخازن كانت لها أصداء وأبعاد تاريخية عميقة، فقد وضعت حداً للأطماع البرتغالية وغيرها في المغرب، بل إنها أضعفت الإمبراطورية البرتغالية إلى الأبد، وجعلت البرتغال تفقد استقلالها كدولة لمدة ستين سنة، حيث صارت تابعة لأسبانيا، لأن «دون سابستيان» مات من دون وارث، فكان الملك الأسباني هو الوارث الشرعي.

اكتسب المغرب سمعة كبيرة في العالم، فهادنها ملوك الدنيا ووجهوا لها السفارات والبعثات، وأخذ يلعب دوراً مهماً في السياسة العالمية، وبالنسبة للعالم الإسلامي فقد أوقفت هذه المعركة كل خطر صليبي على البلاد العربية الإسلامية في المشرق والمغرب، وجعلت دولة الأتراك تعدل عن سياستها التوسعية بالمغرب، فبقي بعيداً عن النفوذ التركي، تعزيز مركز السعديين داخل افريقيا ـ وبخاصة في السودان الغربي ـ دينياً وسياسياً واقتصادياً، فانتعشت الحركة الاقتصادية واتسعت التجارة، وعم الرخاء، وشيدت القصور والمنشآت العمرانية، وعادت للشعب المغربي الثقة بنفسه والاطمئنان على مصيره.

وأخيراً نقول إن معركة وادي المخازن لم تكن حدثاً حربياً عابراً، يمثل ما يعرف «بكرة وفرة» يمكن أن يكون معه السجال الحربي قريب المجاورة والتبدل، بل كانت هزيمة تاريخية لأوروبا أكسبت المغرب مناعة مؤكدة وأنهت كل مناوشة جشعية أوروبية لمدة طويلة، هذا إلى جانب كونها كانت هزيمة لكل أوروبا بما لها وما عليها. ■

الهوامش:

١ ـ انظر مجلة «دعوة الحق» المغربية ـ عدد ٨ عام ١٩٧٨م ص ٢٢.

٢ ـ المرجع نفسه

٣ ـ انظر كتاب «الاستقصا» للناصري ـ الجزء الخامس ص ٦٥.

٤ ـ ثلاثة آلاف متطوع لكل من ألمانيا وإيطاليا وألفا متطوع لأسبانيا، أربعة آلاف مقاتل يمتطون ألف وخمسمئة فرس ويجرون ١٢ مدفعاً ـ ألف وثلاثمة مركب يحميها ٢٠٠ مدفع.

٥ ـ انظر مجلة «المناهل» المغربية ـ عدد ٢٨ ص ١٢٦.

٦ ـ انظر كتاب «مناهل الصفا» للفشتالي ص ٣٩.

المراجع

١ ـ نزهة الحادي ـ للأفراني ـ ترجمة هوداس.

٢ ـ مناهل الصفا ـــ الفشتالي ـ تحقيق عبدالله كنون.

٣ ـ الاستقصا ـ الناصري ـ الجزء الخامس.

٤ ـ الترجمان المعرب ـ الزياني.

٥ ـ تاريخ المغرب ـ عبدالعزيز بن عبدالله ـ الجزء الثاني.

٦ ـ المغرب في عهد الدولة السعدية ـ الدكتور عبدالكريم كريم.

٧ ـ مجلة «الأحياء» المغربية ـ العدد الأول ـ السلسلة الجديدة رقم ١٣ ـ الرباط.

٨ ـ معركة وادي المخازن ـ يونس نكروف ـ منشورات عويدات.

تراث

دراسة التراث، نقد التراث، تشريح التراث عناوين أصبحت تملأ الساحة الثقافية العربية في سياق حركة فجائية تتجه نحو معانقة قضايا التراث والاشتغال عليه نقداً ودراسة وتشريحاً بعدما كان الفكر العربي «الاتجاهات العلمانية تحديداً» منصرفاً قبل هذه الفترة بكليته نحو تأسيس خطاب القطيعة مع التراث وإحلال ثقافة الآخر(١) رغم ما يطرحه هذا الرهان من مفارقات علمية وتاريخية.

التراث الإسلامي وأزمة القراءة

بقلم: الراضي رشيد

والمتأمل في هذه الحركة الجديدة سرعان ما يخلص إلى أنها تحولت من حركة «نقد للتراث» إلى «تراث من النقد» يشمل ركاماً من الكتابات و«المشاريع» التي تتوزعها ألوان من الرؤى والتصورات الفكرية وأشكال من النزعات الأيديولوجية المكشوفة، فانتقل الاشتغال المعرفي على معطيات التراث إلى نضال سياسي في التراث، فكانت النتيجة ـ بدلاً عن الخروج بدراسات عميقة مستقصية ـ قراءات عقيمة متسرعة تتوخى الإجابة عن الأسئلة الحرجة التي تطرحها العلاقة مع التراث وحسم الإشكالات الكبرى والمعقدة في أقل وقت وبأقل مجهود من أجل التفرغ لمتقضيات الصراع السياسي والاجتماعي، وذلك في غياب الإحساس بحجم الحضور الذي يمثله التراث في الذات العربية الإسلامية فكرياً ونفسياً ووجدانياً(٢)، وفي غياب وعي علمي دقيق بطبيعة هذا التراث وبمكوناته الأساسية والعلاقة التي ينسجها مع محيطه الاجتماعي، وهذا ما يفسر فشل كل محاولات النهوض التي قامت على أساس اعتماد هذه المشاريع كخلفيات نظرية توجه قراءتها لأوضاع الأمة الاجتماعية والحضارية.(٣)

إن التراث لايمكن أن يكون أبداً ميداناً تتبارز فيه التيارات وتتطاحن فوق أرضه الأيديولوجيات، فمرة يغدو حافلاً بالنزاعات المادية(٤)، ومرة مشبعاً بالروح الليبرالية والقيم الديمقراطية(٥)، وأخرى بالمضامين الثورية والتقدمية(٦)، وكل هذه التيارات يصح فيها قول الشاعر:

كل يدعي وصلاً بليلى

وليلى لا تقر له بذاك

إن التراث ليس ملكاً لأحد، وإنما هو ملك لنفسه، فدراسة التراث لا يمكن أن تتم إلا من خلال فهم داخلي لهذا التراث، فهم يتجاوز منهج الإسقاط والرؤية من خارج إلى التعاطي معه ككبنية كلية مترابطة الأجزاء، تتداخل مكوناتها وتتمازج بشكل لايمكن معه الحديث عن نزعات مادية أو قيم ديمقراطية مفصولة عن باقي عناصر هذا البناء، إنه بتعبير اللسانيين نسق كلي شامل له قواعده الخاصة(٧)، لذلك يشترط على الباحث في التراث «محايثة»(٨)، هذا التراث والدخول مع نصوصه في حوار عميق يستحضر السياقات التاريخية والاجتماعية والنفسية التي كان لها الدور في إنتاج هذه النصوص، وهذا بالضبط ما لا نكاد نجده في أغلب الدراسات المعاصرة التي تناولت التراث بالنقد والتي بانفصالها عن موضوعاته ـ هذا الانفصال عادة ما يبرر باعتبارات علمية ومنهجية ـ حرمت نفسها من فهم موضوعي شامل للتراث.

إن هذا لا يعني بتاتاً أننا ضد التعاطي العلمي مع موضوع التراث، ولكننا ننطلق من تصور للتراث يختلف عما هو سائد من تصورات ومن فهم للممارسة العلمية يتقاطع كلياً مع ما شاع في كتب الباحثين والدارسين المعاصرين.

إن التراث الإسلامي له من الخصوصيات ما يفرض على الباحث فيه أن يمحص أدوات اشتغاله ويدقق

النظر فيها لأن مناهج الدراسة وآليات البحث، إنما هي وليدة الاشتغال على موضوع معين، فمع مطلع هذا القرن قال فردناند دوسوسير اللساني السويسري: «إن الموضوع يخلق المنهج»(٩)، فلا يصح إذاً ما شاع من نقل لمناهج وأدوات أجنبية تنتمي لبيئات ثقافية تختلف قليلاً أو كثيراً عن طبيعة المجال التداولي العربي الإسلامي(١٠)، وتسليطها على نصوصه دون تحصيل للدربة على تشغيلها وفحص لكفايتها التفسيرية والتحليلية وفهم لحدودها النظرية والتطبيقية، ثم بعد ذلك المقابلة بينها وبين موضوعها «التراث» لاكتشاف إمكانية استيعابها لخصوصياته وبشروطه التكوينية وهذا بالضبط ما تغافله أغلب الباحثين للأسباب التي سبق أن بسطناها في مستهل هذا المقال، فنجم عن ذلك «صدور الأعمال إثر الأعمال داعية إما إلى قطع الصلة بهذا الإرث المنفرد، وإما إلى الاجتزاء بأقل بقية منه، حتى لم يعد أهون على البعض من أن يشنع بالتراث ويقدح في أهله»(١١).

وقد أجاد الدكتور طه عبدالرحمن في تصوير هذه الآفة العلمية في معرض رده على الدكتور محمد عابد الجابري صاحب المشروع الثلاثي «نقد العقل العربي» حيث قال: «يذهب أصحاب الآليات الاستهلاكية العقلانية(١٣) من دارسي التراث إلى أن المنهج العقلاني هو الأقدر طراً على توفير الاستفادة العلمية من التراث بدعوى أنها تتنافى مع مقتضيات العقلانية أو بدعوى أنها ذات مضامين رجعية تتعارض مع مفاهيم الثورة والتحرر والتقدم والتطور.

والاعتراض الذي يمكن أن نوجهه على هؤلاء هو بخصوص قيمة هذه المفاهيم التي لا يمكن أن تكتسي إلا قيمة نسبية قابلة للمراجعة والمساءلة، فالفكر العلمي المعاصر لم يعد يؤمن بنموذج جامد للعقلانية، وإنما العقلانية أصبحت عقلانيات(١٤)، بل إن مفهوم العقل نفسه أصبح محط مساءلة ومراجعة، إن لم نقل تشكيك في ما يسمى مرحلة ما بعد الحداثة(١٥)، لذلك فلن نجد غضاضة من أن نقول بأن التراث الإسلامي له عقلانيته الخاصة والتي من أهم سماتها الجمع بين العلم والعمل والفكر والروح، والعقل والسلوك(١٦)، والنظر في نصوص التراث يجب أن يستجيب لهذه الخصوصية التي لا يمكن تحت أي دعوى الطعن فيها والقدح في أهلها مادام العلم لا يسند أي مفهوم محدد ونهائي للعقلانية، بل إن العلم لا يملك أن يسند نفسه بعدما انهار تحت ضربات مفهوم النسبية خلال بداية هذا القرن، حيث أصبحنا نسمع عن الثورات العلمية التي تلغي كلياً مفاهيماً كانت تعتبر علمية ليحل محلها «نموذج» parodigine جديد يحمل معه مفهوماً جديداً لمقولة العلم(١٧)، كما أن مفاهيم التطور والتقدم أثبتت عدم إجرائيتها، بل إنها تحولت إلى مفاهيم غامضة لا تحيل على أي معنى محدد، لذلك أصبح من حق أي طرف أن يصوغ منظوره الخاص للتقدم والتحرر والتطور، ومادامت هذه المفاهيم تملك القدرة على استيعاب الليبرالي والاشتراكي في آن واحد، فلا بأس أن يطرح التراثي أو «الإسلامي» منظوره الخاص بصدد هذه المفاهيم.

إن هذه الرؤية التي بسطناها في هذا المقال تسترشد بأرقى ما وصلت إليه التصورات العلمية في المرحلة الأخيرة، وهي دعوة إلى الباحثين العرب لمراجعة مواقفهم، والتخلي عن مفاهيم أصبحت بمنظور العلم المعاصر متجاوزة. ■

الهوامش

١ ـ هذا الخطاب ميز منتصف هذا القرن.

٢ ـ يبدو هذا الحضور إذا قارنا بين الإنسان العربي المسلم وبين الإنسان الغربي، فالأول يعيش اندماجاً وتماهياً مع ثقافته ودينه، في حين لا تحضر ثقافة الثاني ودينه إلا في مستواها الطقوسي.

٣ ـ ويدخل في هذا الحكم الأحزاب القومية والاشتراكية والليبرالية والتنظيمات الماركسية، بالإضافة إلى تجارب بعض الأنظمة في الحكم.

٤ ـ انظر على سبيل المثال: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية لحسين مروة.

٥ ـ لا نحتاج للإشارة إلى نماذج من هذه الكتابات فهي كثيرة ومعروفة.

٦ ـ أنظر على سبيل المثال أعمال حسن حنفي، طيب تيوزني.

٧ ـ يستعمل اللسانيون هذا التعريف بصدد الحديث عن بنية اللغة.

٨ ـ مفوهم «المحايثة» مفهوم لساني تقني ولمزيد من التوسع يمكن الرجوع إلى كتاب الدكتور ميشال زكريا «الألسنية ... المبادئ والإعلام» فهو كتاب مبسط لغير المتخصصين ونحن نأخذ منه معنى محدداً وهو التعامل مع ظاهرة التراث بعيداً عن منهج الإسقاط.

٩ ـ فردناند دوسوسير، دروس في اللسانيات العامة.

١٠ ـ نقصد بالمجال التداولي كما حدده الدكتور طه عبدالرحمن في كتابه تجديد المنهج في تقويم التراث.

١١ ـ طه عبدالرحمن تجديد المنهج في تقويم التراث ص ٩.

١٢ ـ يقصد الدكتور طه عبدالرحمن بالآليات الاستهلاكية «مفاهيم أو قاعد أو مناهج» ... «مستمدة من مجالات ثقافية أخرى غير التراث العربي الإسلامي».

١٣ ـ المصدر السابق ص ٢٥.

١٤ ـ طه عبدالرحمن: أصول الحوار وتجديد علم الكلام ص ١٦١.

١٥ ـ محمد المصباحي، تحولات في تاريخ الوجود والعقل ص ٥٥.

١٦ ـ السمة الأساسية التي تميز العقلانية الإسلامية هي أنها عقلانية عملية مقابل العقلانية النظرية الغربية.

١٧ ـ Strudwe de la revolution scienti fique thomas kuhn

دراسات

(الكتاب والقرآن) قراءة معاصرة

بقلم : غازي التوبة

ألّف الدكتور محمد شحرور كتاباً تحت عنوان (الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة) زعم فيه أنه أراد حل مشكلة الجمود الذي سيطر على الفكر الإسلامي قروناً عدة، والذي دعاني إلى كتابة هذه الدراسة أمور عدة :

الأول: تزكية روبرت بللترو- وكيل وزارة الخارجية الأمريكية السابق- لكتاباته ووجهات نظره، وقد جاءت هذه التزكية في تصريح أشاد فيه بثلاثة كتاب هم:محمد سعيد العشماوي مصر، ومحمد أركون من الجزائر، ومحمد شحرور من سورية.

الثاني: تزويد القارىء المسلم بنموذج من صور الانحراف والضلال في بعض الكتابات التي تزعم التجديد في الإسلام دون استخدام الأصول والمنطلقات الصحيحة التي رسمها الإسلام.

وأود أن أنبه منذ البداية إلى أنني لا أستطيع أن أرد على كل الأخطاء التي وردت في الكتاب وذلك لضخامة حجمه الذي يبلغ (٨١٩) صفحة من جهة، ولكثرة الموضوعات التي تحدث عنها الكاتب من جهة ثانية، ولكنني سأرد على بعض النقاط التي أراها أكثر خطورة من غيرها، والتي يتسع المقام للرد عليها.

استعرض الدكتور محمد شحرور في بداية كتابه منهجه الذي أقام بناء كتابه عليه وهو اعتماد المنهج اللغوي في تحديد معاني الألفاظ، واعتماد عدم وجود الترادف في اللغة مستنداً إلى نظرية أبي علي الفارسي، وقد أحسست من دراستي للكتاب بأنه يظن أنه أول المكتشفين لهذا المنهج، ولكن الحقيقة أن المعتزلة سبقوه إلى هذا المنهج معتمدين على قوله تعالى:(وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم)ابراهيم/٤.

فأوقعهم هذا المنهج في ضلالات متعددة أبرزها حصرهم معنى الكلمة بالمعنى اللغوي وحده، وقد رد ابن تيمية عليهم معتمداً منهج أهل السنة في النظر إلى هذه الألفاظ، فبين أن بعض الألفاظ مثل: الإيمان، الصلاة، الكفر ...الخ نقلها الشرع من معناها اللغوي وأعطاها معنى آخر، فأصبحت مصطلحاً محدداً وضحه القرآن والسنة توضيحاً كاملا، فمثلا لفظ الايمان يعني لغة التصديق لقوله تعالى:(وما أنت بمؤمن لنا) يوسف/١٧. بمعنى وماأنت بمصدق لنا، ولكنه يعني في الشرع الايمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم

اعتمد الدكتور شحرور المنهج اللغوي في تحديد معاني الألفاظ واعتماد عدم وجود الترادف في اللغة مستنداً إلى نظرية أبي علي الفارسي

الآخر والقضاء والقدر، ويعني الايمان بالله بصفاته التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وكذلك قل بالنسبة لبقية الأركان التي دخلت في مسمى الايمان، وقد أجمل بعض علمائنا تعريف الايمان فقالوا: الايمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان.

وقد نتجت فروق رئيسية بين الايمان عند المعتزلة وعند أهل السنة نتيجة الخلاف في منهج التعامل مع كلمة الايمان أبرزها: إدخال أهل السنة العمل في مسمى الايمان وبالمقابل عدم إدخال المعتزلة له، فشتان بين الايمان لغة واصطلاحاً.

وكذلك الصلاة في اللغة تعني الصلة والدعاء، لكن الصلاة في الشرع باتت مصطلحاً يدل على أعمال منها: القيام، والركوع، والسجود، وقراءة الفاتحة، والتسبيح... الخ ويجب أن يسبق تلك الأعمال شروط منها: طهارة البدن، وطهارة الثياب، وطهارة المكان، ودخول الوقت... الخ ويجب ان يرافق ذلك أعمال قلبية منها: الخشوع، والاطمئنان، والتعظيم، والتذلل... الخ فشتان بين الصلاة لغة واصطلاحاً.

والآن بعد هذا التوضيح لمنهج أهل السنة في التعامل مع المصطلحات الشرعية واختلافه مع منهج المعتزلة، نعود إلى مناقشة الدكتور شحرور ونشير إلى الأمور التالية:

١- كرر الدكتور شحرور خطأ المعتزلة في عدم التمييز بين المصطلحات والألفاظ، فالألفاظ التي تعرض لها الدكتورشحرور مثل: الكتاب، والقرآن، والنبي، والرسول، وأُمُّ الكتاب، والسبع المثاني... الخ لم تعد ألفاظاً تحتاج إلى أن نستقرىء معناها اللغوي في المعاجم، بل علينا أن نستقرىء معناها في مصادر الشرع، لذلك فإن كل الفروقات والتمييزات والمعاني التي حاول أن يستنبطها الدكتور شحرور من معاني الألفاظ المعجمية وحدها إنما هو أمر لاطائل تحته، وكل النتائج التي بناها على التفريق بين الكتاب والقرآن، وأن القرآن هو الآيات المتشابهات والسبع المثاني... الخ نتائج غير صحيحة لأن الشرع هو الذي حدد مضمون هذه الألفاظ، وعلى كل من يريد أن يفهم الدين عليه أن يلجه من باب مصطلحاته الخاصة التي رسمها وحدد معناها، وفي تقديري أن مثل هذه الخطوة طبيعية وهي من حق كل مذهب وعلم ودين أن يحدد مصطلحاته الخاصة التي تكون مدخلاً له.

٢-حمّل الدكتور شحرور بعض الألفاظ معاني لاتسمح بها اللغة ولاسياق النص، ومن أمثلة ذلك تفسيره عبارة أُمُّ الكتاب التي وردت في ثلاث آيات كريمة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف الى ذلك تحديد مضمون تلك الرسالة وهي الحدود والأخلاق والعبادات وتعليمات خاصة وعامة، ولو فسرنا كلمة (أُمُّ الكتاب) معجمياً لوجدناها تعني «أصل الكتاب» ولو استقرأنا الآيات التي وردت فيها تلك العبارة لوجدنا أنها تحتمل معنيين:

الأول: الآيات المحكمات. وذلك لقوله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أُمُّ الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كُلٌّ من عند ربنا ومايذكّر إلا أولوا الألباب) آل عمران/٧. وقد فصّلت كتب علوم القرآن تعريف المحكم وتعريف نقيضه المتشابه.

الثاني: اللوح المحفوظ: وذلك لقوله تعالى: (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أُمُّ الكتاب)الرعد/٣٩. ولقوله تعالى: (وإنه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم) الزخرف/٤.

وفي كلا الحالين يتضح تحميل الدكتور شحرور للفظ «أم الكتاب» معاني لايحتملها التحليل اللغوي ولاسياق النص، ومما يزيد في اعتسافه أنه حدد الآيات المحكمات بالحدود والأخلاق والعبادات، ولكنه يمكن أن تكون الآيات المحكمات في صفات الله تعالى، أو بعض آيات الجنة والنار... الخ كقوله تعالى: (قل هو الله أحد)الصمد/١ وكقوله تعالى: (لم يلد ولم يولد)الصمد/٣، وكقوله تعالى عن الجنة: (لايمسنا فيها نصب) فاطر/٣٥... الخ

٣-اعتسف الدكتور شحرور في التفسير اللغوي لبعض الألفاظ، فهو قد اعتبر قول القائل «سبحان الله» اقراره بقانون هلاك الأشياء- ماعدا الله- نتيجة التناقض الذي تحويه داخلياً، وهو قد استهزأ بكل التفسيرات التي تعتبر قول المسلم «سبحان الله» بمعنى تنزيه الله عن كل نقص وعيب، ووصفه - تعالى- بكل صفة كمال، وكانت حجته في ذلك ان النقائص والعيوب تحمل مفهوماً نسبياً، ولا أدري مالذي يضير المعنى عندما ينزه المسلم الله عن كل عيب مطلق أو نسبي؟! ولكن هناك قضية اخرى بالاضافة الى اعتساف الدكتور في مجال المعنى هي أن عبارة «سبحان الله» تتألف من مضاف ومضاف اليه، والتي تعني اضافة شيء إلى ذات الله، والواضح ان صيغتها النحوية لاتسمح بتفسيرها إلا بالمعنى الذي قال به علماء التفسير وهو إضافة التنزيه لذات الله، ولاتسمح صيغتها النحوية بالمعنى الذي ذهب إليه الدكتور شحرور.

ومما زاد خطأ استنتاجه وأحكامه في أحيان كثيرة رفضه للسنة كمبين ومقيد ومفصّل لآيات القرآن الكريم، ليس هذا فحسب بل اعتباره تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم هو اجتهاد غير ملزم لنا في شيء، وهو فهمه الخاص المرتبط بالمستوى المعرفي للجزيرة العربية، وهو فهم نسبي، وهو في هذا يلتقي مع كثير من الفئات المنحرفة التي عادت السنة

على كل من يريد أن يفهم الدين عليه أن يلجه من باب مصطلحاته الخاصة التي رسمها وحدد معناها

النظر إلى القرآن وحده دون الأخذ بالسنة معه هو الذي جعل الكاتب يخرج علينا بتفاسير غريبة لبعض الآيات

المشرفة قديماً كالمعتزلة والخوارج، ويلتقي مع كثير من الشخصيات التي هونت من شأن السنة حديثاً ودعت إلى طرحها جانباً: كحسين أحمد أمين، ومحمد أبو القاسم حجاج حمد.. الخ وليس من شك بأن هذه الأقوال في التهوين من شأن السنة المشرّفة والدعوة إلى طرحها جانباً، تتناقض تناقضاً كاملاً مع أمر الله تعالى في عشرات الآيات الكريمة من القرآن الكريم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الى جانب طاعته سبحانه وتعالى، وقد أشار إلى جانب من ذلك الشافعي - رحمه الله- في بداية كتاب «الرسالة» والتي تساءل فيها: من أين لنا أن نستدل على لزوم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فأجاب بأن القرآن هو الذي وجّهنا إلى ذلك، وأوجب علينا ذلك، واستشهد بالآيات التي أمرت بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها قوله تعالى:(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)النساء/٥٩، ومنها:(من يطع الرسول فقد أطاع الله)النساء/٨٠، ومنها:(وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا)الحشر/٧. ومنها:(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) النور/٥١...الخ

إن النظر إلى القرآن وحده دون الأخذ بالسنة معه هو الذي جعل الكاتب يخرج علينا بتفاسير غريبة لبعض الآيات الكريمة أو بعض المعاني القرآنية:كالقيامة والبعث والصور والساعة والسبع المثاني... الخ وسأمثل لذلك بمثال واحد هو تفسيره للسبع المثاني التي أورد ماجاء عن أصلها في مقاييس اللغة فقال : (المثناة : طرف الزمام في الخشاش) وإنما يثنى الشيء من أطرافه، فالمثاني إذاً أطراف السور وهي إذاً فواتحها، فتوصل إلى أن السبع المثاني هي سبع فواتح للسور، فإذاً السبع المثاني هي الفواتح التالية :

١- الم ٢- المص ٣- كهيعص ٤- يس ٥- طه ٦- طسم ٧- حم.

ثم نظر إلى الأحرف التي تتضمنها الآيات السبع السابقة فوجدها تتألف من ١١حرفاً، وأخذ الأحرف التي وردت في بداية سور أخرى ولم ترد في الفواتح السابقة فوجد أنها ثلاث هي :

١- القاف ٢-الراء ٣-النون. نجمعها مع الأحرف السابقة فصارت أربعة عشر حرفاً، وأشار إلى أنها أصبحت (٧×٢) وهي أيضا سبع مثان.

وربط بين ماتوصل إليه وهو أن أحرف السور الفواتح بلغت أحد عشر حرفاً وبين قول علماء اللغويات واللسانيات من أن الحد الأدنى لأي لغة إنسانية معروفة في العالم هو أحد عشر صوتاً، واعتبر أن هذا هو الحد الأدنى اللازم من الأصوات لأي تفاهم بيننا وبين أي مخلوقات يمكن أن توجد في الكواكب الأخرى في المستقبل.

هذا ما أورده الدكتور شحرور في تفسيره للسبع المثاني، ولنر ماورد في السنة عن تفسير السبع المثاني، ولنر مدى ابتعاده عن الصواب لغة وشرعاً وعقلاً.

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى- في مسنده

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه «كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت، قال: فأتيته فقال: مامنعك أن تأتيني؟ قال، قلت: يارسول الله إني كنت أصلي قال: ألم يقل الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال/٢٤. ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. قال: فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت: يارسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن. قال: نعم (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» وقد وردت بعض الروايات تفسر الفاتحة بالسبع المثاني فقط.

والآن: هل بعد تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للسبع المثاني من تفسير؟

لا أظن أن يجوز لمسلم بعد أن يسمع تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتطلع إلى تفسير آخر، وأحب أن أشير بالإضافة إلى ماسبق أن تفسير السنة للسبع المثاني أصوب من الناحية اللغوية مما ورد عند الدكتور شحرور لأنه اختار كلمة مثناة وترك الأصل ثني، وقد جاء في مقاييس اللغة عن الأصل ثني مايلي:

«الثاء والنون والياء أصل واحد وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين». والحقيقة إن هذا التعريف اللغوي أكثر انطباقاً على الفاتحة وهو أصل المعنى لأن الفاتحة سبع آيات تتكرر وتثنى في كل صلاة، لذلك لم يأخذ به الدكتور شحرور واختار كلمة اخرى هي «المثناة» ليجعلها أصلاً في دراسته، وليصوغ النتيجة التي يريد أن يتوصل إليها وهي مطابقة الأحرف في فواتح السور مع أصل الأصوات في اللغات الإنسانية.

وقد انتبه خيار الصحابة إلى أن فهم القرآن الكريم دون ربطه بالسنة قابل لكل التفسيرات، لذلك وجه علي بن أبي طالب ابن عباس رضي الله عنهما أن يحاجج الخوارج بالقرآن الكريم والسنة المشرّفة معاً عندما أرسله لمناقشة الخوارج فقال له: لاتحاججهم بالقرآن وحده فإن القرآن حمال أوجه، حاججهم بالسنة.

حرص الدكتور محمد شحرور على فتح ثغرة في فهم المسلمين للنص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، وهو في هذا يلتقي مع عدد من الكتّاب الذين يركزون على فتح هذه الثغرة في هذا الوقت من أمثال: عادل ضاهر، وحسين أحمد أمين، ونصر أبو زيد، ومحمد سعيد العشماوي... الخ وكل كاتب تناول بعضا من هذه الآيات ،فنصر أبو زيد تناول آيات صفات الله تعالى، وأحمد أمين تناول آيات الحدود، ومحمد سعيد العشماوي تناول آيات الحجاب والمرأة ، وعادل ضاهر تناول النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة بشكل عام وضرورة فهمه فهماً جديداً مبايناً لكل الأفهام السابقة، وكل واحد منهم دعا إلى أن نطور فهمنا لهذه الآيات القطعية الثبوت القطعية الدلالة، ودعوا إلى عدم التوقف عند فهم الرسول والصحابة وعند فهم علماء المسلمين هذا الفهم الذي استمر على مدار ألف وأربعمئة عام بل يجب أن نفهمها على

معظم الضلال الذي وقع فيه الفلاسفة والمعتزلة جاء من قياس عالم الغيب على عالم الشهادة

الدكتور شحرور قد ابتعد في متاهات التأويل عندما فسّر الفجر بالانفجار الكوني الأول

ضوء معطيات العصر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وحشد كل منهم حججه الخاصة، ولكن قبل أن استعرض حجج الدكتور محمد شحرور أود أن أنبه إلى خطورة الانسياق في هذه الدعوة التي تنتهي إلى مسخ الدين، وجعله ألعوبه بيد أصحاب الأهواء، وينتهي حينئذ ديننا إلى ماانتهت إليه الأديان السابقة بأن يكون مبرراً لكل انحرافات البشر وتابعاً لانحدارهم.

تناول الدكتور محمد شحرور كل النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة تقريبا فهو تناول آيات الحدود وآيات الربا وآيات الميراث وآيات الطلاق والزواج... الخ المهم أنه انتهى من تناوله لكل الآيات السابقة إلى فهمها فهماً جديداً مخالفاً لكل الأفهام التي طرحت سابقاً، فهو بالنسبة للربا حرّم ربا الأضعاف المضاعفة، وبالنسبة لآيات الميراث أباح التلاعب بالأنصبة التي حددها الشرع لكل فرد من أفراد الأسرة، وبالنسبة لتعدد الزوجات أباحه من الأرامل ذوات الأولاد، وبالنسبة لمعالجة الزوجة الناشز فقد ألغى بعض مراحل معالجة نشوزها... الخ

وقد استند كل من تناول النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة على شبهة تطور المحيط البشري، فهناك الجديد المتطور باستمرار في العلم والأدوات والأشياء والوسائل... الخ وبالتالي يجب أن يكون هناك تطور بالأحكام مرافق للتطور المحيط بنا، ولكن نسي أولئك القائلون بذلك القول: إن هناك أشياء ثابتة في كيان الإنسان إلى جانب الأشياء المتطورة والمتغيرة التي أشاروا إليها، وإن الاسلام عندما وضع آيات الحدود والميراث والزواج والطلاق والمرأة... الخ ربطها بالجانب الثابت من الكيان الإنساني، فهناك التجاذب بين الذكر والأنثى، وهناك الأسرة، وهناك شهوة المال، وشهوة النساء، وشهوة الانتقام...الخ وهي أمور ثابتة إلى قيام الساعة فلابد من حدود ثابتة مرتبطة بها، فكانت تشريعات الزواج والطلاق والميراث وأحكام الأسرة وحدود السرقة والزنى والقتل.

وإن أكبر دليل على أن الإسلام دين الله العليم الخبير هو أنه راعى الثابت والمتحوّل في الكيان الإنساني والحياة البشرية،فأنزل الشرائع الثابتة للجوانب الثابتة في كيان الإنسان، وأعطى أطراً عامة للأمور المتحولة في حياة الإنسان، فالإسلام مثلاً أعطانا أحكاماً عامة محدودة في مجال الحياة الاقتصادية فحرّم الربا وأحل البيع وأوجب الزكاة وفرض الميراث ولم يلزمنا بزراعة معينة ولابطرق زراعية معينة ولابمواد معينة ولا بتجارة معينة ولا بصناعة معينة... الخ إنما ترك ذلك لظروف الزمان والمكان.

ولقد حدثنا القرآن عن أمور غيبية متعددة، فحدثنا الله تعالى عن ذاته وعن الجنة والنار والملائكة وخلق الإنسان وخلق الكون... الخ ومن الواضح أن قوانين عالم الغيب لاتنطبق بحال على عالم الشهادة، وإن معظم الضلال الذي وقع فيه الفلاسفة والمعتزلة جاء من قياس عالم الغيب على عالم الشهادة وسحب قوانين الشهادة على عالم الغيب إلى وقد وقع الدكتو شحرور في هذا الخطأ، ومن أمثلة هذا قياسه

كلام الله على كلام البشر، لذلك تخيل أن القرآن الموجود في اللوح المحفوظ لابد له من الانتقال إلى صيغة لسانية عربية قبل إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم ليلة القدر وهي ليلة إشهار القرآن الكريم في نظره.

ولكن هذا القرآن الكريم الذي تكلم الله به والذي كان موجودا في اللوح المحفوظ، لانعرف الكيفية التي تكلم الله بها لأننا نجهل ذات الله وبالتالي لانستطيع أن نخوض في هذه التفصيلات لأنها ستكون بلا سند شرعي أو عقلي.

دندن الدكتور شحرور كثيراً على الجبرية في فهم القضاء والقدر، مع أن المسلمين الأوائل لم يفهموا القضاء والقدر بحال من الأحوال على أنه السلبية والتواكل وسلب الإرادة، بل فهموا القضاء والقدر على أنه الإيجابية نحو الأحداث، والأخذ بالأسباب ومن ثم التوكل على الله، كذلك كان فهم القضاء والقدر بتلك الصورة عاملاً إيجابياً في بناء الشخصية المسلمة على مدار التاريخ، وفي دفعها إلى الفعل والبناء وإعمار الكون، وجلّ الدَخَن الذي دخل فهم المسلمين للقضاء والقدر من ثقافات خارجية وأبرزها التصوف الذي رسّخ السلبية، ودعا إلى إسقاط تدبير والانشغال بالذات وترك الخلق للخالق.

وقد تجاوز المسلمون هذا الفهم الخاطىء للقضاء والقدر في العصر الحديث، وجاء ذلك نتيجة عاملين:

الأول: إبراز معظم الصالحين أوجه القصور في فهم القضاء والقدر الذي ورثناه عن العصور المتأخرة، وإبراز الصورة الصحيحة لما يجب أن يكون عليه الإيمان بالقضاء والقدر.

الثاني: انحسار موجة التصوف التي كانت سبباً في رواج الفهم الخاطىء للقضاء والقدر.

لذلك فإني أرى أن دندنة الدكتور شحرور حول القضاء والقدر ليست في محلها بعد أن تجاوز المسلمون هذه الظاهرة في وقتنا الحاضر.

اعتمد الدكتور شحرور على عقله وحده في تفسير كثير من الآيات الكريمة فجاء بعجائب من التفسير، وهو أمر طبيعي لكل من اعتمد على العقل وحده دون المزاوجه بين العقل والنقل في فهم الآيات وتفسيرها، ودون الاعتماد على المأثور من الأقوال، ونستطيع أن نمثل على مقولتنا بآيتين:

الأولى: قوله تعالى: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) فاطر/٢٤. فسّر النذير بالملاك، وقرر أن الله كان يرسل ملائكة إلى البشر قبل نوح عليه السلام الذي اعتبره أول رسول إلى البشر، وزعم أن قوله تعالى: (كذبت قوم نوح المرسلين) الشعراء/١٠٥ وقوله تعالى: (كذبت ثمود النذر) القمر/٢٣. يعني أن تلك الأقوام كذبت بنبيهم وبالملائكة الذين أرسلوا إلى البشر يكلمونهم ويدعونهم، ورفض التفسير الذي ذكرته معظم التفاسير وهو أن الله سبحانه بيّن أن تكذيب رسول واحد يعني تكذيب جميع رسله، لذلك جاءت كلمة الرسل بالجمع وليس بالمفرد لتشير إلى هذا المعنى.

الثانية: قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) القصص/٨٨. فسّرها بأن هذا الكون يحمل تناقضاته، وأن المادة تحمل تناقضها معها، لذلك فإن هذا الكون سيتدمر وسيتبدل وسيهلك، ولكن هلاكه سيحوله إلى مادة أخرى، وهذا هو تفسيره ليوم القيامة، وهو يعتبر أن الجنة والنار غير موجودتين وستوجدان عند تحول هذا المكان إلى مادة أخرى، وهو في هذا يرفض الأحاديث الشريفة التي قررت وجود الجنة والنار، ولا أريد أن أسرد عشرات الآيات والأحاديث التي تدحض تفسيره للآية السابقة، ولكني أريد أن أساله بمنطقه اللغوي الذي اعتمده: كيف يمكن أن يوفق بين المدلول اللغوي للآية الكريمة السابقة وهو الذي يعني بكل بساطة فناء المخلوقات الأخرى وهلاكها وبين تحولها إلى مادة أخرى؟ فأين هو إذاً الهلاك للمادة؟

المسلمين الأوائل لم يفهموا القضاء والقدر بحال من الأحوال على أنه السلبية والتواكل وسلب الإرادة بل فهموا على أنه الإيجابية نحو الأحداث

التأويل أحد مباحث علوم القرآن، ويحتوي على أقسام عدة مقبولة منها: التأويل بمعنى تحقيق الشيء، ومنها: التأويل بمعنى التفسير، ولكن علماءنا حذروا من أحد أقسامه التي تقوم على صرف ألفاظ الآية المؤولة عن المعنى الراجح إلى معنى مرجوح لاتسمح به اللغة، وقد جاء تحذيرهم ذلك نتيجة استخدام الفرق المنحرفة له في خدمة أهوائها وضلالاتها، ولأنه أدى إلى ضياع حقائق الدين ومعالمه التي رسمها محمد صلى الله عليه وسلم، فهل أخذ الدكتور شحرور بهذا التأويل؟ نعم لقد أخذ به، ليس هذا فحسب بل دعا وقنن له، ولن أعرض لكل تلك التأويلات لكن سأعرض لواحد منها.

قال تعالى في سورة الفجر: (والفجر وليال عشر. والشفع والوتر) الفجر/١-٣ فسّر الدكتور شحرور الآيات السابقة بمايلي:

فالخلق الأول بدأ بانفجار كوني هائل حيث قال: والفجر وليال عشر والشفع والوتر حيث إن الفجر هو الانفجار الكوني الأول «وليال عشر» معناه أن المادة مرت بعشر مراحل للتطور حتى صارت شفافة للضوء، لذا أتبعها بقوله: «والشفع والوتر» حيث إن أول عنصر تكوّن في هذا الوجود هو الهيدروجين وفيه الشفع في النواة والوتر في المدار، وقد أكد هذا في قوله: (وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) هود/٧. والهيدروجين هو مولّد الماء، أي بعد هذه المراحل العشر أصبح الوجود قابلا للإبصار لذا قال: (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) الانعام/١. الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة. ص, ٢٣٥

ليس من شك بأن الدكتور شحرور قد ابتعد في متاهات التأويل عندما فسّر الفجر بالانفجار الكوني الأول، وفسر الليالي العشر بمراحل تطور المادة العشر، وفسّر الشفع والوتر بغاز الهيدروجين لأن معطيات السورة لاتسمح بمثل هذا التأويل، ولو أقررناه على تأويله لأعطينا الفرصة لكل صاحب بدعة أن يطوع آيات القرآن حسب بدعه وهواه.

والآن: بعد هذا العرض السريع لبعض تجاوزات الدكتور شحرور وضلالاته وانحرافاته لا نستطيع إلا أن نقول: إن الكتاب ليس حلا لمشكلة الجمود في الفكر الإسلامي، بل هدماً لكثير من أركان وأسس ومنطلقات الفكر والدين الإسلامي. ■

من قواعد الإثبات والتحقيق في قصة يوسف الصديق

لئن كان الله سبحانه قد سخّر الماء لينقذ موسى ومن معه ثم يغرق به فرعون وقومه. وينجي به سفينة نوح والمؤمنين فيها ثم يغرق به قومه وابنه وسخّر الحوت ليحمل يونس في جوفه لينبذه بالعراء وهو سقيم فينجو من غرق محقق. وسخّر النار لتكون برداً وسلاماً على إبراهيم فيرد يد النمرود ويخرج منها إبراهيم سالما فما ذلك إلا مصداقاً لقوله تعالى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون) الصافات:١٧١-١٧٣. وإذا ماإتهم الأبرياء وتلسن القوم على الأتقياء وقيل لمريم البتول (ماكان أبوك امرأ سوءٍ وماكانت أمك بغيا) مريم:٢٨ فلا عجب أن يُنْطق الحق سبحانه عيسى وهو في المهد صبيا ليقول لهم (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) مريم:٣٠.

وإذا ماتآمر إخوة يوسف لينتزعوه من أحضان أبيه ويرموه في الجبّ ليلقى في غيابتها مصيره المجهول ثم يتهم بعد ذلك وهو العفيف المحصن بأنه يبغي السوء فلا غرو أن يجعل الحق من قميصه دليلا على كذب إخوته في الأولى ودليلا على

بقلم: محمود علي عبد الرحمن

القميص وقصة يوسف عليه السلام في القرآن

ذكرت كلمة القميص ست مرات في سورة يوسف في قوله تعالى(وجاءوا على قميصه بدم كذب)الآية/١٨. وقوله:(وقدّت قميصه من دبر)الآية/٢٥. وفي قوله:(إن كان قميصه)الآية/٢٦. وكذلك الآية ٢٧(وإن كان قميصه) وقوله تعالى:(فلما رأي قميصه)الآية/٢٨ وفي الآية٩٣ قوله تعالى:(اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي) ومرة بضمير الهاء في «وألقاه» في قوله تعالى:(فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً) الآية/٩٦.

ومن الطريف أن عدم قطع القميص كان قرينة على براءة الذئب من دم يوسف وكذب إخوته فيما قالوه لأبيهم وكان قدّ «قطع» القميص قرينة على براءة يوسف من اتهام امرأة العزيز له وكذبها فيما ادعته أمام بعلها والشاهد من أهلها.

القميص والدم المكذوب

بعد أن أفلح إخوة يوسف بمكرهم في انتزاعه من حضن أبيه ليخلو لهم وجه أبيهم وألقوه في الجب بعد أن نزعوا عنه قميصه ثم عادوا إلى أبيهم ليلا وهم يبكون ومعهم قميص يوسف وقد لطخوه بالدم ليوهموه أن الذئب قد أكله في غيبتهم (وجاءوا أباهم عشاءً يبكون. قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وماأنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين. وجاءوا على قميصه بدم كذب)١٦:١٨.

وهكذا أرادوا أن يصوروا الواقعة لأبيهم على أن الذئب قد افترس يوسف وقدّموا من الأدلة على صدق قولهم: العودة في ظلمة الليل ليكون ذلك متماشياً مع غدرهم أدعى لعذرهم، وقدموا وهم يبكون حسرة على ماحدث، وهاهو القميص ملطخ بالدم المكذوب حيث عمدوا الى سخلة وذبحوها ولطخوا القميص بدمها.(١)

> **كانت بصيرة يعقوب نافذة فضحت كذب أبنائه رغم ما نسجوه من محبوك القول وأحابيل الشيطان**

ولأنهم كاذبون قالوا لأبيهم(وماأنت بمؤمن لنا ولوكنا صادقين)الآية/١٧. ولأن النسيان هو دأب الكاذب فقد نسوا في خضم افتراءاتهم أن يُحدثوا ثمة قطع بالقميص أو مزق فهذا أدعى لما يقولون. فالتقط يعقوب - عليه السلام- هذه القرينة واستلهم بفراسته بواطن الأمور من ظواهرها فقال لهم متهكماً: ماأحلم هذا الذئب الذي افترس ولدى ولم يمزق عليه قميصه ولم يعمل به ناباً أو ظفراً(٢) تقول الآية(بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل)الآية/١٨.

ولأن الفهم بطبائع النفوس يقوي الاستدلال ويعضده كما أن اللفتات النابهة للأمور الخفية تنفذ كالأشعة في الأجسام المصمته فتستجلي مكنوناتها وتعرف حقائقها، فقد كانت بصيرة يعقوب نافذة نيرة فضحت كذب أبنائه رغم مانسجوه من محبوك القول وأحابيل الشيطان.

محنة القصر وسيدته

بعد أن بيع يوسف في سوق الرقيق واشتراه رئيس الشرطة في مصر وجعله الرئيس على خدمه في القصر والمتصرف في شؤونه وكان يوسف جميل المنظر فتآن الصورة ومن هنا بدأت محنته مع امرأة العزيز إذ أشعل جماله في نفسها جذوة نار حبه واستمرت تلك النار بتكرار رؤيته في القصر إلى أن تغلّب الحب على حيائها فأخذت تداعبه وهو يعرض عنها يحجزه إيمانه بالله وامتثاله أوامره والتزامه بالطهارة من الأرجاس الخلقيه من ناحية ومن ناحية أخرى أن سيده أكرم مثواه ووثق

به في بيته فلا ينبغي أن يقابل نعمه بالجحود الى أن هاج بها هائج الغرام واعتزمت على شفاء مافي نفسها من صبابة فخرجت من التلميح الى التصريح ودعته الى نفسها دعوة لاهوادة فيها وقد احتاطت للأمر وغلقت الأبواب وقالت هيت لك فرفض رفضاً قاطعاً قائلا لها(إنه ربي أحسن مثواي إنه لايفلح الظالمون) الآية/٢٣ وولى وجهه شطر الباب بطلب الغوث والنجاة من شيطان غوايتها وهي لاتتركه وتجاذبه ثوبه وهو العصيُّ حتى تمزق الثوب من خلفه الى أن يغلبها ويفلت من يدها فيستبقان الباب هو يريد فتح مغلقه لينجو وهي تحول بينه وبين الهروب والإفلات منها دون قضاء لبانتها وحينئذ يجد بعلها لدى الباب (٣) (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب)الآية/٢٥.

اتهامها ليوسف و (سؤال استنكاري ماكر)

هنا بدأ مسرح جريمتها أكثر اتساعا وأوضح بيانا ووجدت نفسها قد هزمت لأنها لم تنل منه ماتشتهيه وقد أفلح في الإفلات منها وهاهو بعلها أمام الباب فأرادت أن تبدي تماسكها ورباطة جأشها فألقت بقنبلة اتهامها الماكر الخبيث الذي لم يكن مجرد اتهام ليوسف ولكنها فجرته بسؤال استنكاري بالغ الدهاء:(ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً) ؟ثم قررت بنفسها العقوبة أيضا قائلة في عقبه (إلا أن يسجن أو عذاب أليم) الاية/٢٥. فما كان رد يوسف إلا أن قال بثبات وثقة (هي راودتني عن نفسي).

الشاهد من أهلها وإجراء المعاينة

إذا كانت المعاينة هي إثبات مباشر ومادي لحال شيء أو شخص معين ويكون ذلك من خلال الرؤية أو الفحص المباشر للشيء وللشخص بوساطة من باشر الإجراء وقد يرد محل إثبات الحال من الشخص سواء أكان هو المجني عليه أم المتهم(٤).

كما أن للمحقق عند المعاينة ألا يقتصر على إثبات حال الاشياء بل يعمل على التأكد من إمكان وقوع الجريمة وفقا لرواية الشهود من عدمه.

> **للمحقق عند المعاينة ألا يقتصر على إثبات حال الاشياء بل يعمل على التأكد من إمكان وقوع الجريمة وفقا لرواية الشهود من عدمه**

وقد برع المحقق في معاينته على هذا النحو فهي قد أرادت أن تصور الواقعة على أنها حال تلبس بالجريمة وماعليهم إلا أن يسجنوه أو يذيقوه أشد ألوان العذاب. إلا أن الشاهد من أهلها«المحقق» قد تسنم قمة قواعد الشرعية الإجرائية وراح يتحدث بلسان الحال لا المقال مفنداً قوله ومطابقته على مسرح الحادث وحال «المتهم» منطلقاً من اتهامها ليوسف ودلو فهما للمكان بُعيد وقوع الحادث الذي ادعته «المجني عليها» وكون معالم الجريمة ستظل على طبيعتها لوقت إجرائه المعاينة فوضع تصوراً منطقياً واقعياً على نحو ماتقول الآيات:(إن كان قميصه قُدّ من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين. وإن كان قميصه قُدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين) ٢٦و٢٧.

قرينة قُدّ القميص ودليل البراءة

الاصل ان المتهم بريء حتى تثبت إدانته ويتطلب افتراض هذه البراءة عدم مطالبته بتقديم أي دليل على براءته فضلا على أن قرينة البراءة ركن من أركان الشرعية الإجرائية (٥) وبما أنها المدعية كان يتعين عليها أن تقدم الدليل على صدق اتهامها وهو مالم يحدث بل ألقت الاتهام على عواهنه قولاً مرسلاً فهي تتهم عبداً هي سيدته فما كان من المحقق إلا اللجوء الى الأدلة غير المباشرة كالقرائن.

والقرينة تتحقق باستنتاج مجهول من معلوم وذلك باستنباط الواقعة المجهولة المراد اثباتها من واقعة اخرى ثابتة(٦) وهي تستخلص بطريق اللزوم العقلي وتعتمد على عملية ذهنية يربط فيها المحقق بين واقعة معينة والواقعة المراد اثباتها(٧).

وقد كان استدلال «الشاهد من أهلها» على هذا النحو استدلالا سائغاً له رجاحته ووجاهته ومستمداً من الواقع متماشيا مع مقتضيات العقل والمنطق ومتلائما مع طبيعة الأحداث موافقاً للحق والصدق وقد انبلج به صبح الحقيقة تقول الآية:(فلما رأى قميصه قُدّ من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم)الأية/٢٨.

أمر ضمني بالحفظ «لعدم الصحة»

بعد أن انتهى المحقق الى عدم صحة حدوث الواقعة كان قراره ببراءة يوسف والمستفاد ضمنا بحكم اللزوم العقلي من قوله:(إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) أن الأمر بعدم وجود وجه لعدم الصحة قد يستفاد ضمنا من تصرف المحقق في التحقيق على نحو يقطع بحكم اللزوم العقلي بصدور هذا الأمر(٨).

مثال ذلك أن ينتهي المحقق بعد التحقيق في واقعة السرقة بالبلاغ الكاذب مما يقطع بأنه قرر بعدم وقوع جريمة السرقة ومن ثم عدم صحة الواقعة وصيرورة المتهم مجنيا عليه.

وهذا بالفعل ماقرره المحقق في الواقعة إذ اتهمها بالبلاغ الكاذب بقوله لها (واستغفري لذنبك) وأكد جريمتها في حق يوسف بـ (إنك كنت من الخاطئين) ثم طلب من يوسف بعد أن أصبح مجنيا عليه لامتهماً أن يكف عن الحديث في هذا الأمر ويسقطه من ذاكرته:(يوسف أعرض عن هذا) الآية:٢٩.

سلسلة اعترافات

(١) اعتراف امرأة العزيز و«دليل أخر على براءة يوسف»:

وأمام شيوع الخبر في المدينة ولوم النسوة لها على غرامها وصبابتها (وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا)يوسف/٣٠. أرادت أن تثبت لهن بالدليل القاطع أنها معذورة فيما فعلته لانبهارها بجماله وفتنتها بحبه وعليهن أن يظهرن مقاومتهن لحسنه وبهائه عند رؤيته (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئاً وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)الآية/ ٣١ . وهنا اعترفت أمامهم بلوعتها وباحت بما في قلبها من ألم الجوى ولوعة الشوق اليه متذرعة بما حدث لهن عند رؤيته فقالت متهكمة منهن:(فذالكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم)الآية/٣٢ ثم اكدت لهن أنها مازالت تصر على ماتشتهيه منه وسيفعل ماتأمره به قسراً عنه وإلا فالسجن والصَّغار مصيره قالت (ولئن لم يفعل ماآمره ليسجن وليكوناً من الصاغرين) الاية/٣٢ إنها سجلت بذلك امام النسوة دليلا آخر على براءة يوسف وصدقه وكان هو سنده الرسمي الذي أصر على أن يثبته للملك قبل خروجه من

السجن مسجلاً في صحيفته البيضاء أنه ماسجن إلا ظلماً وعلى الملك أن يتأكد من ذلك بشهادة النسوة تقول الآية:(وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم) الآية/٥٠.

هكذا قدمت له امرأة العزيز بفعلتها مع النسوة خدمة جليلة من حيث لاتدري إذ دعاهن الملك ليتأكد من خلو صحيفة يوسف (قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء) وصدَّقت امرأة العزيز على كلامهن بقولها(الآن حَصْحَصَ الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) ثم وثقت كل ذلك بقولها(وماأبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي)الآية/٥٣.

(٢) اعتراف إخوة يوسف بجريمتهم.. ولكن:

بعد خروج يوسف من السجن نقي الصحيفة شامخاً منتصراً قال للملك من موقع القوة ومنطلق الثقة (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)الآية/٥٥. وقد كان له ماطلب وعندما اشتد الجدب في جميع انحاء الارض في السنوات السبع العجاف قدم إخوة يوسف إلى مصر لشراء قوت لأهلهم فلما رآهم يوسف عرفهم وهم له منكرون أعطاهم الطعام بلا ثمن طالباً منهم إحضار أخيهم «بنيامين» وقد فعلوا وعادوا به اليه ثم تمكن من استبقائه عنده بمكيدة ولما عادوا مرة أخرى لطلب القوت ذكرهم يوسف بإساءاتهم له ولأخيه قائلا:(هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون)الآية/٨٩ فأيقنوا بعد حين أنه هو يوسف فقالوا (أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منَّ الله علينا)الآية/٩٠ وهنا جاء اعترافهم بالجريمة التي ارتكبوها في حقه وإلقائه في الجب وتفريقهم بينه وبين أبيه تقول الآية:(تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) الاية:٩١ كما كرروا ذات الاعتراف لأبيهم بقولهم:(ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين)٩٧ ولكن أنى لهذا الاعتراف من قيمة بعد ماذاقه يوسف من شدائد وآلام؟

الحكم بالقرينة الظاهرة

القرينة الظاهرة هي أحد أدلة الثبوت الشرعية والقانونية يقول ابن القيم في «الطرق الحكمية» لم يزل الأئمة والخلفاء يحكمون بالقطع إذ اوجد المال المسروق مع المتهم وهذه القرينة أقوى من البينة والإقرار فانهما خبران يتطرق إليهما الصدق والكذب ووجود المال معه نص صريح لاتتطرق إليه شبهة أ.هـ.

وقد أعمل حكم القرينة الظاهرة مرتين في قصة يوسف (الأولى): وهو طفل صغير كفلته عمته بعد وفاة امه وتعلق قلبها به فلما اشتد قليلا وأراد أبوه ان يأخذه منها ضنت به وحتى تتمكن من ابقائه معها لجأت لحيلة فألبسته مَنْطَقَةً لجده ابراهيم- كانوا يتوارثونها- وجعلتها تحت ثيابه ثم أظهرت سرقتها أمام أبيه وأخذت تبحث عنها في المنزل فلم تجدها ثم أخرجتها من تحت ثيابه(٩) ومن هنا طلبت بقاءه عندها مدة يخدمها جزاء لما صنعه(١٠).. ولم يتمكن يعقوب -عليه السلام- من ضمه إلا بعد وفاتها وهي الواقعة التي عناها إخوته بقولهم (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) الآية:٧٧.

(الثانية):ذات الحيلة لجأ إليها يوسف حتى يتمكن من إبقاء شقيقه «بنيامين» عنده فجعل الخدم يضعون سقايته في رحل «بنيامين» دون رحال إخوته ثم أذّن مؤذن فيهم بعد مغادرتهم بسرقة تلك السقاية وبدأوا في تفتيش أوعيتهم أولاً ثم استخرجوها من رحل «بنيامين» وبذلك تمكن من استبقائه عنده جزاء لسرقته السقاية(١١) بقرينة وجود المال المسروق معه تقول الآية:(فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذّن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون) الآية/٧٠ وقد بدأ التفتيش على نحو(فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله)الآية:٧٦.

وهكذا سيظل القرآن هو النبع الصافي والمنهل العذب والمعين الذي لاينضب لكل من أراد أن يستقي من فضائله ويستضيء بنور مكارمه أو يلتمس الخطى على طريق الحق القويم والصراط المستقيم. كما سيظل أبداً مصدراً لكل العلوم ومنارة لأولي الألباب على مر العصور والأزمان.

وقصة يوسف التي عرضتها السورة مورد غزير المادة لمن أراد ان يستلهم القيم الفاضلة والأخلاق الطاهرة كما أن الأحداث فيها غنية بالكثير من القواعد الإجرائية في الاثبات والتحقيق وغيرها وعلينا ان نستخلص منها الفوائد والدروس والعبر يقول تعالى في آخر السورة:

(لقد كان في قصصهم عبرة لأوْلي الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) الآية:١١١. ■

قصة يوسف مورد غزير المادة لمن أراد ان يستلهم القيم والأخلاق والأحداث فيها غنية بالقواعد الإجرائية في الاثبات والتحقيق

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم
*تفسير القرآن العظيم الإمام ابن كثير.
*قصص الأنبياء ابن كثير.
*قصص الأنبياء د. عبد الوهاب النجار.

الهوامش

١- قصص الأنبياء الإمام ابن كثير، ص٢٣٥.

٢-٣- قصص الأنبياء د. عبد الوهاب النجار، ص:١٥٥ ومابعدها ص:١٥٨.

٤-الوسيط في قانون الاجراءات الجنائية د. فتحي سرور، ص:٣٤٨ ومابعدها.

٥-المرجع السابق ص:٣٤١.

٦-د. فتحي سرور، المرجع السابق ص:٣٣٠.

٧-نقض ٣٠/٥/١٩٦٧- مجموعة الأحكام، س١٨ رقم١٤٧ص٧٣٨.

٨- نقض ٣ فبراير ١٩٦٤- مجموعة الأحكام- ش١٥-رقم: ٩٧.

٩-عبد الوهاب النجار،المرجع السابق،ص:١٧٠ وابن كثير، المرجع السابق، ص٢٥٥.

١٠- فقد كانت عقوبة السارق وقتذاك هي استبقاءه عبداً في خدمة المجني عليه مدة معينة.

١١- وهو إنما فعل ذلك من امر الله لانه سيترتب على هذا الأمر مصلحة عظيمة هي قدوم أبيه وقومه عليه ووفودهم اليه.

(كذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله/١) الآية/٧٦.

راسات

المنهج هو الطريق الواضح الصحيح... والمنهج الإسلامي هو ذلك المنهج القائم على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف... فمثلما الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين فالمنهج الإسلامي هو أقرب وسيلة بين العمل والغاية... ونحن كمسلمين ندعو الله كل يوم أكثر من سبع عشرة مرة على الأقل لأن يهدينا إلى سراطه المستقيم ويبلغنا غايتنا.

المنهج الإسلامي

بقلم : مطلق القراوي
مدير إدارة التطوير والتدريب في وزارة الأوقاف

المنهج الإسلامي منهج علمي عملي... فهو يبدأ بالهدف... ثم الوسائل التي من شأنها تحقيق هذا الهدف، إذا ما أحسن استخدامها... والهدف في الإسلام هو الغاية التي خلق الله من أجلها الجن والإنس قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ٥٦: الذاريات... فالدين الإسلامي قائم على العبادة وهو الرباط القوي بين العبد وربه ويرفض الرهبانية والعزوف عن الدنيا والتي تقطع الروابط وتثني الهمم وتدعو إلى التواكل والاعتماد على الغير... أما الوسائل فقد اتصفت بالمرونة حتى تواكب العصر ومستجداته... والدقة حتى لا تحيد عن الهدف والغاية.

إن من أهم وسائل المنهج الإسلامي هي أوامر الله ونواهيه... فكل ما فرضه الله تعالى من عبادة، سواء كانت فعلية أو قولية فهي وسيلة تؤدي إلى غاية خلق العباد ويتوقف قبول هذه الوسائل على مدى الإخلاص فيها لله تعالى... وموافقة فعلها لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

مما سبق يتضح لنا معالم المنهج الإسلامي وملامحه... والتي تتبلور في أنه منهج كامل وشامل كما أنه منهج وسط يتفق مع الواقعية ويساير التطور ولا يتعارض مع مسلّمات الحياة على مر العصور بل تتفق معه كل العلوم النافعة والابتكارات الجديدة... فضلاً عن ذلك فإنه منهج روحاني فريد ينظّم السلوك ويهذب الأخلاق ويحافظ على كيان الإنسان في شخصه وأسرته ومجتمعه. كما ينظم علاقات البشر على أساس من الود والمحبة... قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

١ ـ المنهج الإسلامي منهج شامل:

الشمول تعني باللغة الإحاطة بالشيء... والإسلام نظام شامل يتناول جميع جوانب الحياة... التشريعية... والسياسية والاجتماعية والاقتصادية... وينظم أسلوب المعيشة... ويصقل المفاهيم وحسن الخلق... كما يتناول كل العلاقات والنظم التي يعيش من خلالها البشر في جميع الأمصار والقرون... يقول الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ٣٨: الأنعام... ويقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه «لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله».

فالشمولية خاصية من خصائص الشريعة الإسلامية تميزت بها عما سواها من الشرائع حتى استوعبت هذه الشمولية الأزمنة كافة وشملت آفاق الأمم ومجالات الحياة... يقول الأستاذ عبد الله الوشلي في كتابه النهج المبين «إن من تأمل هذه النصوص أدرك أنه ما من قضية من قضايا المكلفين إلا ولله فيها حكم سواء كانت من العقائد أو العبادات، أو مناهج الحياة في قضايا الدولة أو الوطن أو الأخلاق... أو القضاء، أو الاقتصاد، أو السياسة، أو القانون... إلى غير ذلك».

٢ ـ المنهج الإسلامي منهج وسط:

الوسطية من أهم مزايا المنهج الإسلامي... فالله عز وجل جعل أمة الإسلام أمة وسطاً قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) ١٤٣: البقرة... فالأمة الوسط هي التي تحرص على استغلال جميع طاقاتها وجهودها سواء الفردية أو الجماعية من غير إفراط أو تفريط... وهنا تظهر الوسطية في المنهج الإسلامي في مجالات عدة فهي تحقق التوازن بين الفرد والجماعة، وبين الدين والدنيا، وبين العقل والقوة... وبين المثالية والواقعية... وبين الروحانية والمادية... كما هو بين الحلال والحرام... وغيرها.

يقول الشيخ محمد عبده «لقد ظهر الإسلام لا روحياً مجرداً ولا جسدياً جامداً بل إنسانياً (وسطاً بين ذلك) يأخذ من كل بنصيب، فتوافرت له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره... ولذلك سمي دين الفطرة».

٣ ـ المنهج الإسلامي منهج عملي واقعي:

العمل والواقعية من صفات المنهج الإسلامي... فدائماً ما يحث الإسلام على العمل ويجازي الله العاملين خير الجزاء (فنعم أجر العاملين) ٧٤: الزمر... ويقول عز من قائل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) التوبة ١٠٥... لذا كان العمل من متطلبات العبادة... فالعبادة هي الوسيلة الأساسية في تحقيق هدف المنهج الإسلامي تقوم بالعمل الصادق الخالص لله عز وجل... يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل» ويبدأ العمل بإصلاح النفس في جميع الجوانب إلى فعل الخيرات في شتى صورها.

أما واقعية المنهج الإسلامي فهي تتضح في أن الإسلام لم يتجاهل الطبيعة البشرية في كون الإنسان تارة يتأثر بالنزعة الفردية التي يحقق فيها نزواته الفردية وإشباع رغباته والنزعة الجماعية التي ينذر نفسه وجهده كله للتضحية لصالح الآخرين وينسى نصيبه من الدنيا. فيجد المنهج الإسلامي الواقعية في الموازنة بين هاتين النزعتين... حتى يصبح المسلم واقعياً في عمله صحيحاً في ادائه متوازناً في تحقيق المصلحة الخاصة بما يتناسب مع المصالح العامة المفروضة عليه اتجاه اخوانه في الدين والعقيدة.

٤ ـ المنهج الإسلامي منهج التطور:

يقول الشيخ محمد عبده «هداية الدين هي الهداية الرابعة التي وهبها الله للإنسان بعد هداية الحواس والوجدان والعقل» فالدين لا يعني مخاصمة العقل وإنكار ما يقدمه من علوم وابتكارات... والإسلام لا يخالف كل ما يقدمه العقل في وضع صحيح وأسلوب علمي سليم بل إن الدين الإسلامي أثبت كثيراً من الحقائق العلمية المهمة والتي لم تكتشف إلا بعد قرون عدة من ذكرها في القرآن... وعلى ذلك نجد أن المنهج الإسلامي منهج متطور في جميع العصور والأزمنة ومعايش لها في كل ما أخرجت من تطورات ومستجدات على عكس الدين المسيحي الذي يتسم بالجمود والوقوف على النصوص... مما حدا رجال الفكر الاجنبي بالمطالبة بفصله عن السياسة حينما شعروا بهذا الجمود المتراكم الذي أعاق طموحاتهم العصرية.

٥ ـ المنهج الإسلامي منهج سلوكي خلقي:

يؤصل المنهج الإسلامي التحلي بالاخلاق الكريمة وتقويم السلوك البشري فقد جعل الله تبارك وتعالى تغيير شئون الأمم وفقاً لتغيير أخلاقها فقال (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد: ١١... وكذلك وصف القرآن رسول الله بحسن الخلق فقال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) ٤: القلم... وحسن الخلق صفة من صفات المسلم الصادق... يؤدي بها رسالته في الدنيا من خلال تعامله مع نفسه وأسرته ومجتمعه والناس أجمعين... وترتقي به إلى الجنة فيكون جاراً لنبي الهدى كما قال عليه الصلاة والسلام «أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً».

دراسات فقهية

ألفاظ الطلاق

من قضايا الطلاق في الفقه الإسلامي

بقلم: أ.د. محمد الدسوقي

الأمر الذي لاخلاف عليه بين جمهور الفقهاء أن عقد الزواج يقوم في الأصل على التنجيز والتأبيد، ومن ثم كان التوقيت فيه مفسداً له، وكانت العلاقة الزوجية ممتدة بين الزوجين إلى وفاة أحدهما أو كليهما، ولكن الإسلام وهو دين الفطرة والحياة يعالج المشكلات الإنسانية من منظور واقعي، ولهذا راعى ما قد يعتري الإنسان من تقلبات نفسية، ومعنوية، وقدَّر ما قد يجدّ بين الزوجين من خلافات لا يمكن للحياة الزوجية معها أن تستقر أو تستمر، ولذا لم يكن أصل التأبيد في ذلك العقد مانعاً دون انتهائه إذا حالت ظروف دون بقائه على الوجه الذي يحقق رسالة الزواج ومهمة الأسرة في المجتمع.

والأصل في انتهاء عقد الزواج أو انحلاله أن يكون بالطلاق وهو يعرف بحل العصمة المنعقدة بين الزوجين، أو رفع قيد النكاح في الحال أو في المآل بلفظ مشتق من مادة الطلاق أو في معناها.

والمراد برفع قيد النكاح رفع أحكامه وعدم استمراره، لأن عقد النكاح بعد وقوعه لايمكن رفعه.

ورفع القيد في الحال يكون بالطلاق البائن، وأما رفعه في المآل فسبيله الطلاق الرجعي، وقد جعل الله أمر الطلاق بأيدي الأزواج، وملكهم إياه دون الزوجات (١)، فقال (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) البقرة: ٢٣٢، وقال: (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) البقرة - ٢٣٧.

ويلاحظ على ما ورد في الكتاب والسنة حول أحكام الطلاق وقضاياه أنه جاء مقروناً بالأمر بتقوى الله ومراعاة حدوده، وعدم تجاوزها، وهذا بعض خصائص منهج الإسلام في تقرير الأحكام، فكل التشريعات في هذا المنهج لم تتقرر في صيغة جافة مجردة من معاني الترغيب والترهيب، كما هو الشأن في القوانين الوضعية، وإنما وردت في صيغة تخاطب العقل والقلب، وتجمع بين الحكم وثمرته، ومن هنا تطاع هذه التشريعات بوازع الضمير قبل وازع السلطان.

كذلك يلاحظ أنه لم يرد في القرآن الكريم أو في كتب السنة أمر الطلاق، وإنما هو الحديث عنه، وما ينبغي أن يكون عليه، وهذا يومئ إلى أن الطلاق في التشريع الإسلامي لايباح إلا عند الضرورة، ومن ثم كان أبغض الحلال عند الله.

ومع هذا اختلف الفقهاء في الأصل في مشروعية الطلاق، فبعضهم يرى أن الأصل فيها المنع حتى توجد حاجة أو ضرورة، لقوله تعالى: (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً) (النساء: ٣٤)، أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها، فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها، ومن باب أولى ليس له طلاقها دون حاجة، فالطلاق دون حجة بَغْيٌ عليها وظلمٌ لها، واتخاذه سبيلاً للفراق الظالم حمق، وجحود بنعمة الزواج.

وجاء ختام الآية تهديداً للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فلا يجوز أن يستعلي الرجل على امرأته، فالله بالمرصاد، وهو العلي الكبير ينتقم ممن ظلم وبغى.(٢)

وروى أبو داود أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما أحل الله شيئاً أبغض من الطلاق» كما روي أنه قال: «لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات».

ومن الفقهاء من يذهب إلى أن الأصل في مشروعية الطلاق الإباحة، ويحتج بقوله تعالى: (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) البقرة: ٢٣٦.

ونفي الجناح معناه نفي الإثم، وذلك يقتضي الإباحة، كذلك يحتجون بأن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كانوا يطلقون ولا يسألون عن وجه الحاجة.(٣)

والراجح أن الأصل في مشروعية الطلاق الحظر، وأن الإباحة مقيدة بالضرورة، والدليل على ذلك أن الطلاق علق بإذا الشرطية في قوله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) الطلاق - ١، وفي هذا إشارة إلى أن الطلاق خلاف الأصل في العلاقة الزوجية، فالزواج أبدي لازم.

وإذا كان كل عقد لا يصح أن ينفرد أحد العاقدين بإنهائه، فإن عقد الزواج أجيز للحاجة أن يستقل الزوج بإنهائه، فإذا لم تكن ثمة حاجة كان المنع من الطلاق هو الأصل.

وما استدل به القائلون بغير ذلك يرد عليه بأن نفي الجناح في الآية منصبٌّ على الطلاق قبل التسمية والدخول، فالقيد هو الملاحظ، لأن نفي شيء مقيد بقيد يكون القيد ملاحظاً في النفي.

أما طلاق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا يمكن أن يكون لغير حاجة، والحاجة التي يُباح لها الطلاق هي الحاجة النفسية ونحوها مما لا يقع تحت سلطان القضاء.(٤)

وما دام الأصل في تشريع الطلاق هو الحظر، فإنه لايقع شرعاً - مع وجود الحاجة إليه - إلا إذا كان ترجمة مادية عما يعزم عليه الإنسان، فإن ظل مجرد هاجس أو حديث نفسي دون تعبير عنه، فإنه لا يعتد به، وفي هذا يروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن الله تجاوز لأمتي عما لم تتكلم به، أو تعمل به، وبما حدثت به أنفسها»(٥).

وإذا كان بعض الفقهاء قد ذهب إلى أن من عزم على الطلاق وقع طلاقه لفظ به أو لم يلفظ(٦)، فإن هذا رأي لا يعوّل عليه ولا يؤخذ به، لمخالفته للنص والعقل.

ويشمل التعبير المادي عما يعزم عليه الزوج في مفارقة زوجته ألفاظ الطلاق وصيغته، أو ما يحل محلها كالإشارة والكتابة وذلك عند العجز عن الكلام.

ويقتضي الحديث عن ذلك التعبير المادي بشقيه أن أعرض في هذه الكلمة لألفاظ الطلاق، وأتناول في كلمة أخرى - إن شاء الله - الكلام عن الصيغة.

ألفاظ الطلاق

قسّم الفقهاء اللفظ الذي يدل على حل عقدة النكاح قسمين: صريحاً وكناية(٧)، ويقصد بالصريح كل لفظ لايستعمل في العرف إلا للتفريق بين الزوجين، عربياً كان هذا اللفظ أو غير عربي، وهو في العربية لدى الإمامين: الشافعي وأحمد ثلاثة: الطلاق والفراق والسراح، وما تصرف منها، فهذه الألفاظ وردت في القرآن الكريم بمعنى الفرقة بين الزوجين، وقال بعض أهل الظاهر: لا يقع طلاق إلا بهذه الثلاث.(٨)

وذهب الإمامان: أبو حنيفة، ومالك إلى أن صريح الطلاق هو لفظ الطلاق فقط، وما سوى ذلك كناية.(٩)

ورجّح ابن قدامة(١٠) أن صريح الطلاق هو لفظ الطلاق وحده وما تصرف فيه، لأن دلالة هذا اللفظ على حل عقدة النكاح دلالة وضعية بالشرع، فصار أصلاً في هذا الباب.

وأما ألفاظ الفراق والسراح فهي مترددة بين أن تدل بعرف الشرع على المعنى الذي يدل عليه الطلاق، أو هي باقية على دلالتها اللغوية فإذا استعملت في معنى الطلاق كانت مجازاً.(١١)

ويقوم مقام اللفظ الصريح الكتابة المستبينة إذا كانت برسم الزوجة «أي بعنوانها» بأن يكتب إليها الزوج كتاباً يتضمن عبارة موجهة إلى زوجته مضيفاً فيها الطلاق إليها، فهذه الكتابة يكون الطلاق بها صريحاً.

كذلك يقوم مقام اللفظ الصريح إشارة الأخرس الدالة على الطلاق بشرط ألا تحتمل سواه في عرفه الذي يعلمه المتصلون به، فإن هذه الإشارة أقصى ما يمكنه أداء المعنى بها، فتعتبر بالنسبة له كاللفظ الصريح للقادر عليه.(١٢)

وأما الكناية في ألفاظ الطلاق تشمل كل لفظ يحتمل الطلاق وغيره، ولم يقصره العرف على الطلاق.

وكما اختلف الفقهاء في تحديد اللفظ الصريح في الطلاق اختلفوا أكثر في بيان ألفاظ الكناية ومنهم من ذهب إلى تقسيمها أقساماً عدة بحسب الخفاء والظهور، وما تحتمله من الطلاق والتبعيد، أو السب والشتم، أو يكون الطلاق بها بائناً أو رجعياً، وهي كلها لا تعبّر عن واقع في التطبيق بقدر ما تعبّر عن نظر افتراضي، وتتأثر أحياناً بالعرف اللغوي.

وألفاظ الكناية لايمكن حصرها في عدد معين، ومما ذكره الفقهاء منها: أنت بائن وحرام وخلية وبريئة وبتة، وأمرك بيدك، واعتدّي، وخليت سبيلك، ولا سبيل لي عليك، وأنت حرّة، واخرجي والحقي بأهلك ونحو ذلك.(١٣)

فقول الزوج لزوجته: أنت بائن يحتمل بينونة النكاح، ويحتمل بينونة عن الخير والشر، وقوله: حرام يحتمل حرمة الاستمتاع، ويحتمل حرمة الأكل والبيع ونحو ذلك، وقوله: خلية، مأخوذة من الخلو، فيحتمل الخلو عن الزوج والنكاح، ويحتمل الخلو عن الخير والشر، وقوله: بريئة من البراءة، فيحتمل البراءة من النكاح، ويحتمل البراءة من الخير والشر، وقوله: بتة من البت وهو القطع، فيحتمل القطع عن النكاح، ويحتمل القطع عن الخير والشر، وقوله: أمرك بيدك، يحتمل الطلاق، ويحتمل أمراً آخر من الخروج والانتقال، وما إلى ذلك، وقوله: اعتدّي، أمر بالاعتداد، فهو يحتمل الاعتداد الذي هو من العدة، ويحتمل الاعتداد الذي هو من العدَد، أي اعتدي نعمتي التي أنعمت عليك.

وقوله: خليت سبيلك يحتمل سبيل النكاح، ويحتمل سبيل الخروج من البيت لزيارة الأبوين أو لأمر آخر، وقوله: لا سبيل لي عليك يحتمل سبيل النكاح، ويحتمل سبيل البيع، ونحو ذلك، وقوله: أنت حرة يحتمل الخلوص عن ملك النكاح، ويحتمل الخلوص عن ملك اليمين، وقوله: اخرجي أو الحقي بأهلك، يحتمل الطلاق، لأنها إذا طلقت من زوجها تقوم وتخرج من بيته وتلحق بأهلها، وتذهب حيث تشاء، ويحتمل الانتقال والانطلاق إلى بيت أبويها للزيارة.(١٤)

ويعد من الكناية، الكتابة غير المرسومة، وهي التي لم توجه إلى المرأة، ولو كان المكتوب صريحاً، إذ يحتمل أن يُراد بها تجربة قلم أو تحسين خط.(١٥)

حكم الطلاق باللفظ الصريح والكناية:

يذهب جمهور(١٦) الفقهاء إلى أن من تكلم بلفظ الطلاق الصريح قصداً، وأضافه إلى المرأة، وفاهماً معناه فهماً صحيحاً، فإن طلاقه يقع سواء نوى به الطلاق أو لم ينو، فصريح الطلاق لا يحتاج إلى نية، اللهم إلا إذا دلت قرائن تصرف هذا اللفظ عن معناه، كمن قال

بحضرة امرأته: أنت طالق، حاكياً طلاق غيره، أو مقرراً بعض مسائل الطلاق العلمية، أو قارئاً لها من كتاب، فإن هذا الطلاق لايعتد به.(١٧)

وأما غير الصريح من الألفاظ فلا يقع الطلاق بها إلا بنية كما يرى المالكية والشافعية، أو بدلالة الحال أو النية، إذ لم تدل قرينة على أن الزوج يريد الطلاق كما يرى الحنفية وبعض الحنابلة، فإن دل الحال على إرادة الطلاق كمن قال لزوجته: أنت بائن بعد سؤالها الطلاق وقع، وإن لم يدل الحال رجع إلى نية الزوج، ولكن الشافعية والمالكية لايعتدون بدلالة الحال، ويقصرون الطلاق بألفاظ الكناية على النية، وهذا ما أخذت به بعض قوانين الأسرة المعاصرة.(١٨)

ولايعترف الظاهرية بتقسيم ألفاظ الطلاق إلى صريح وكناية، ويرفضون أن يقع الطلاق بألفاظ الكناية دون نظر إلى النية وعدمها.(١٩)

وحديث الفقهاء عن ألفاظ الطلاق وتقسيمها إلى صريح وكناية، وأن الصريح يقع به الطلاق دون نية على حين أن لفظ الكناية لا يقع الطلاق به إلا بالنية أو بدلالة الحال على اختلاف بين الفقهاء، كما ذكرت آنفاً ـ يفتح مجالاً للأخذ والرد حوله للأسباب التالية:

أولاً: إن الشريعة التي أباحت الطلاق عند الضرورة لم تحدد لفظاً معيناً له، فلم يرد في الكتاب أو السنة أن الرجل إذا رغب في تطليق زوجته لمسوغ شرعي أن يقول لها لفظاً أو صيغة خاصة، وكل ما جاء في النص الشرعي حديث عن الطلاق ومراحله وآثاره، وفي هذا يقول ابن القيم: والله سبحانه ذكر الطلاق، ولم يعين له لفظاً، فعلم أنه رد الناس إلى ما يتعارفونه طلاقاً، فأي لفظ جرى عرفهم به وقع به الطلاق مع النية، والألفاظ لا تراد لعينها، بل للدلالة على مقاصد لافظها، فإذا تكلم بلفظ دال على معنى، وقصد به ذلك المعنى ترتب عليه حكمه، ولهذا يقع الطلاق من العجمي والتركي والهندي، بألسنتهم، بل لو طلق أحدهم بصريح الطلاق بالعربية ولم يفهم معناه لم يقع به شيء قطعاً، فإنه تكلم بما لا يفهم معناه ولا قصده.(٢٠)

ثانياً: ومادامت الشريعة قد ردت الناس في ألفاظ الطلاق إلى ما يتعارفونه طلاقاً، فإن ما اشتملت عليه كتب الفقه من ألفاظ وبخاصة ألفاظ الكناية يعبر عما كان في عصر الفقهاء مما كان متداولاً بين الناس، فهو من ثم يمثل مرحلة تاريخية من حيث العرف اللغوي، فذلك التقسيم أي تقسيم الألفاظ إلى صريح وكناية، وإن كان صحيحاً في أصل الوضع يختلف باختلاف الأشخاص والأزمنة والأمكنة، فليس حكماً ثابتاً للفظ لذاته، فرب لفظ صريح عند قوم كناية عند آخرين، أو صريح في زمان أو مكان كناية في غير ذلك الزمان والمكان.(٢١)

وقد دعا الفقهاء والأصوليون إلى مراعاة العرف اللغوي في استنباط الحكام وأكدوا أن من خالف هذا العرف لا تصح فتواه، وأن من يأخذ بما هو مسطور في الكتب دون أن يقف على العرف يخطئ فيما يقول به، جاء في أصول(٢٢) السرخسي في «كتاب الأيمان»: الأيمان مبنية على العرف والعادة، فما تعارف الناس الحلف به يكون يميناً، وما لم يتعارف الحلف به لا يكون يميناً، ولهذا قال محمد بن الحسن الشيباني ـ رحمه الله ـ في قوله: وأمانة الله، إنه يمين، ثم سئل عن معناه، فقال: لا أدري، فكأنه قال: وجد العرب يحلفون بأمانة الله عادة فجعله يميناً».

وقال القرافي في كتابه «الأحكام» عند كلامه في الأحكام التي مدركها العرف والعادة: الحكم الثالث: ما وقع في المدوّنة إذا قال الرجل لامرأته: أنت عليَّ حرام أو خلية أو برية أو وهبتك لأهلك يلزم الطلاق الثلاث إذا كان مدخولاً بها، وهذا بناء على أن اللفظ في عرف الاستعمال اشتهر في إزالة العصمة، واشتهر في العدد الذي هو الثلاث... ثم قال: فأنت تعلم لا تجد الناس يستعملون هذه الصيغ المتقدمة في ذلك، بل تمضي الأعمار ولا يسمع أحد يقول لامرأته إذا أراد تطليقها: أنت خلية، أو وهبتك لأهلك، ولا تستعمل هذه الألفاظ في إزالة العصمة ولا في عدد الطلقات، فالعرف حينئذ في هذه الألفاظ منفي قطعاً، وإذا انتفى العرف لم يبق إلا اللغة، ولم توضع هذه الألفاظ لغة لهذه المعاني التي قررها مالك في المدونة، وإذا لم تغد هذه الألفاظ لغة ولا عرفاً لهذه المعاني، فهذه الأحكام حينئذ بلا مستند، والفتوى بغير مستند باطلة شرعاً، نعم لفظ الحرام في عرفنا اليوم لإزالة العصمة، دون عددها، وهي مشتهرة في ذلك.(٢٣)

ثالثاً: إن من يطلّق لا يعرف فرقاً بين صريح وكناية، وإنما يعرف هذا الفرق من درس اللغة وأدبها وبلاغتها، أما عامة الناس فيطلقون بما يشيع في مجتمعهم أو بيئاتهم من ألفاظ وعبارات، ولو سألت واحداً منهم عن المدلول اللغوي لما نطق به، فإنه لا يستطيع أن يجيبك إجابة سديدة، وكل ما يعرفه أنه أراد تطليق زوجته بما صدر عنه.

ويتضح بعد بيان هذه الأسباب أن ما ذهب إليه الجمهور من أن صريح الطلاق يقع دون نية، وأن الكناية في الطلاق لابد فيها من نية حتى يقع الطلاق، لا ينهض على أساس صحيح، وأن تقسيم ألفاظ الطلاق إلى صريح وكناية غير مسلم، وأن الطلاق يقع بكل لفظ يعبّر عن إرادة الزوج في مفارقة زوجته، وأن الشريعة السمحة لم تحدد لفظاً معيناً للطلاق، وأن المرجع فيما يقع به الطلاق من ألفاظ العرف.

إن الحديث النبوي الشريف: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (٢٤) يرد القول الذي يذهب إلى أن الطلاق بصريح اللفظ يقع دون نية، فالأعمال إذا خلت من النية لم يكن لها في الشرع اعتبار(٢٥)، يقول ابن رشد الجد: وقد وقع في كتاب التنجيز والتمليك من المدونة ما ظاهره أن الطلاق يلزم باللفظ دون النية، وهو خلاف المنصوص فيه وفي غيره، وبعيد في المعنى، لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «إنما الأعمال بالنيات(٢٦)».

وقد أورد ابن القيم في أعلام(٢٧) الموقعين قصة المرأة التي تحايلت على زوجها ليطلق عليها اسم «خلية» فلما صدر منه هذا اللفظ قالت له: لقد طُلقت منك، وذهب الرجل والمرأة إلى عمر بن

الخطاب، ولما عرف حقيقة ما جرى بين الزوجين قال للزوج: خذ بيد امرأتك وأوجع رأسها، وعلق ابن القيم على هذا بقوله: وهذا هو الفقه الحي الذي يدخل على القلوب بغير استئذان، وإن تلفظ بصريح الطلاق، ثم قال أيضاً: ولا يجوز أن يفرق بين المسلم وامرأته بلفظ لم يوضع للطلاق ولا نواه.

فالنية إذاً شرط لوقوع الطلاق دون نظر إلى صريح أو كناية من الألفاظ، فمن يطلق بأي لفظ ولا نية له في طلاق زوجته فهو مسيء، بيد أن طلاقه لا يقع، ولذلك كان طلاق الهازل والجاهل والمخطئ والسكران لا يعتد به ولا يقع في أصح الآراء أو الراجح منها.(٢٨)

والخلاصة: إن تقسيم ألفاظ الطلاق إلى صريح وكناية غير مسلم، ولا ينبغي الحديث عن هذه الألفاظ كقسم من أقسام الطلاق، وإن الشريعة السمحة لم تحدد لفظاً معيناً للطلاق، وردّت الناس إلى ما تعارفوا عليه من الألفاظ، وأنه لا يقع الطلاق بغير نية، وإن ما ينوب عن الكلام في التطليق يقصر عن الحاجة، ولا يجوز التوسع فيه. ■

الهوامش

١ ـ انظر: المقدمات الممهدات لابن رشد الجد ج١/٤٩٧ ط. دار الغرب الإسلامي.

٢ ـ انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ج٤ ص٤٧ ط قطر.

٣ ـ انظر: الأحوال الشخصية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٨٤ ط. دار الكتاب العربي القاهرة.

٤ ـ انظر: محمد أبو زهرة، المرجع السابق.

٥ ـ رواه البخاري.

٦ ـ انظر: مواهب الجليل من أدلة خليل للشيخ أحمد الشنقيطي ج٣ ص ١٥٩ ط: قطر، ونيل الأوطار للشوكاني ج٧ ص ٣٤ ط: بيروت.

٧ ـ انظر المغني ج٧ ص ١٢١ ط: القاهرة.

٨ ـ انظر: مغني المحتاج للخطيب الشربيني ج٣ ص ٢٨٠ ط: القاهرة وبداية المجتهد لابن رشد الحفيد ج٢ ص ٦١ ط: القاهرة.

٩ ـ انظر: بدائع الصنائع للكاساني ج٣ ص ٩٣ القاهرة.

١٠ ـ انظر: المغني ج٧ ص ٣١٩.

١١ انظر: بداية المجتهد ج٢ ص ٦٢.

١٢ ـ انظر: محمد أبو زهرة ص ٣٤٥ مرجع سابق.

١٣ ـ انظر بدائع الصنائع ج٣ ص ٩٣.

١٤ ـ انظر: المصدر السابق ص ١٠٥.

١٥ ـ انظر: الفرقة بين الزوجين للشيخ علي حسب الله ص ٤٥ ط: القاهرة.

١٦ ـ انظر: المغني ج٧/١٢٣ وبدائع الصنائع ٣/١٠١ وبداية المجتهد ج٢ ص ٧٥، ومواهب الجليل من أدلة خليل ج٣ ص ١٥٣.

١٧ ـ انظر: الفرقة بين الزوجين ص ٤٥.

١٨ ـ انظر: محمد أبو زهرة ص ٢٩٦ مرجع سابق، وأحكام الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية للشيخ عمر عبدالله ص ٤٣١ ط: دار المعارف بالقاهرة.

١٩ ـ انظر: المحلى لابن حزم ج١١ ص ٤٩٦.

٢٠ ـ انظر: زاد المعاد ج٤ ط: القاهرة.

٢١ ـ انظر: المصدر السابق ص ٨١.

٢٢ ـ المصدر السابق ج١ ص ١٧٢، ط: دار الكتاب العربي، القاهرة.

٢٣ ـ نقلاً عن كتاب أحكام الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية ص ٤٣٠، هامش.

٢٤ ـ رواه الإمام مسلم.

٢٥ ـ انظر: الأمنية في إدارك النية للقرافي، تحقيق الدكتور عبدالله صلاح ص ٥ ط: الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس.

٢٦ ـ انظر: المقدمات الممهدات ج١ ص ٤٩٨.

٢٧ ـ ج٣ ص ٧٦ ـ ٧٧ بتحقيق الشيخ محيي الدين عبدالحميد.

٢٨ ـ الهازل هو من يتكلم فاهماً لما يتكلم به، غير أنه لا يقصد حقيقته لهواً ولعباً، وقد اختلف الفقهاء في وقوع طلاقه، فذهب الجمهور إلى أن طلاقه يقع، وحجة الجمهور فيما ذهب إليه أحاديث عدة رواها الشوكاني في نيل الأوطار، منها ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة.

ويرى بعض الفقهاء أن طلاق الهازل لا يقع، ومنهم مالك وهو قول في مذهب أحمد، إذ يشترط هؤلاء لوقوع الطلاق عدم الإكراه، والنطق اللساني مع العلم بمعناه وإرادة مقتضاه، فإذا انتفت النية اعتبر اليمين لغواً.

وأما الأحاديث التي استدل بها الجمهور فقد اعترض عليها بأن في سند بعضها من هو مختلف فيه، أو منكر الحديث وفي سند البعض الآخر انقطاع (انظر: نيل الأوطار ج٧ ص٢٠).

وأما الجاهل والمخطئ فلا يقع طلاقهما لعدم القصد أو العزم، وهذا رأي الجمهور، وذهب الأحناف إلى أن من تلفظ بالطلاق غافلاً أو مخطئاً فطلاقه واقع (انظر بدائع الصنائع ج٣ ص ١٠٠).

وذهب الشافعي إلى أن المكره لايلزمه شيء، وقال أبو حنيفة: طلاق المكره يلزم (وانظر الأشباه والنظائر لابن النجيم ص ٢٤).

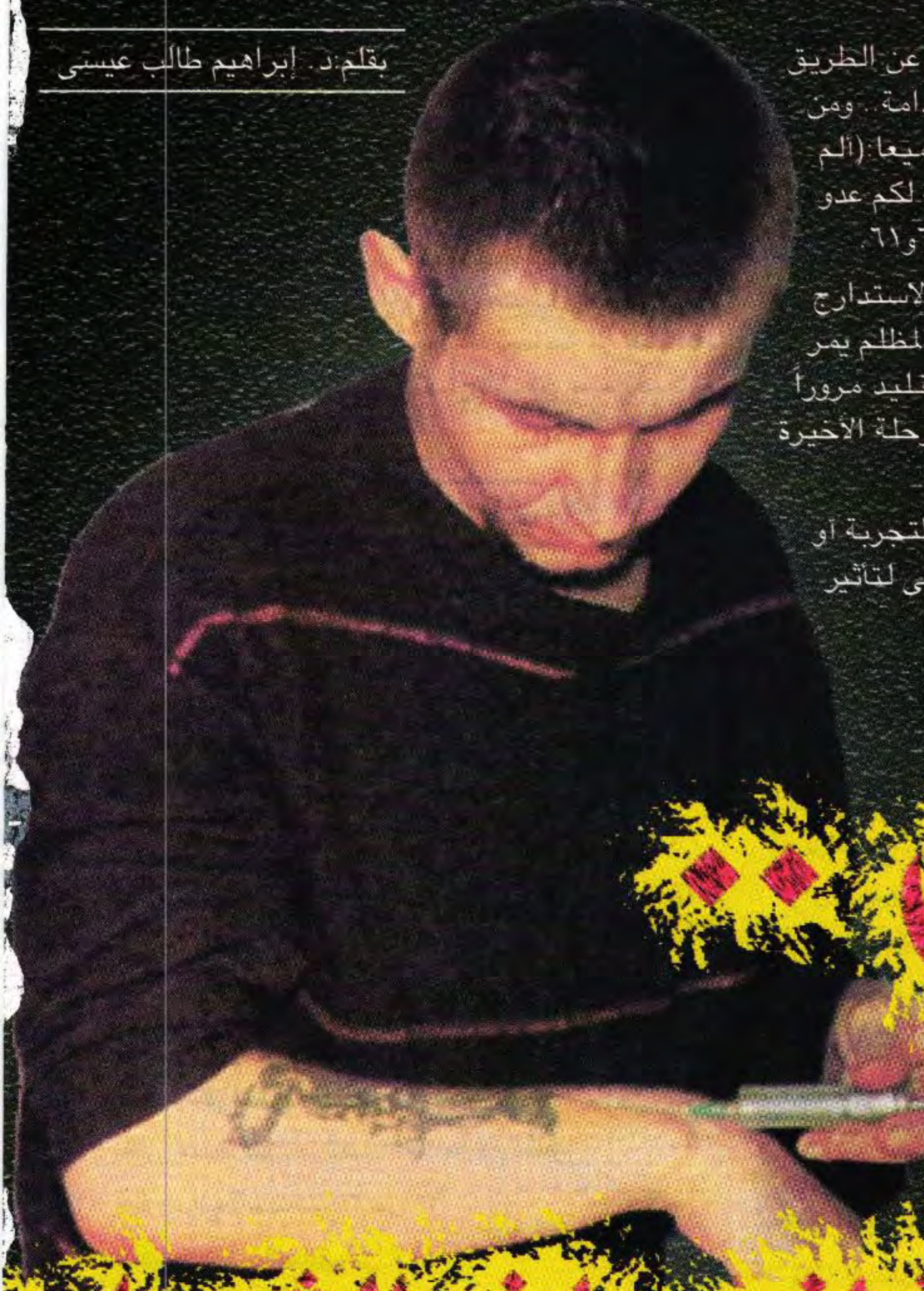
وأما السكران فقد قال فيه الشوكاني: إن السكران الذي لا يعقل لا حكم لطلاقه، لعدم المناط التي تدور عليه الأحكام، وقد عين الشارع عقوبته، فليس لنا أن نجاوزها برأينا، ونقول: يقع طلاقه، عقوبة له، فيجمع له بين غرمين (انظر نيل الأوطار ج٧ ص ٢٤).

قضايا اجتماعية

(ياأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً ولاتتّبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين. إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) البقرة/١٦٨و١٦٩.

هذا النداء الإلهي من الخالق العظيم محذراً الناس جميعاً من مغبة اتباع عدونا الأبدي إبليس عليه لعنة الله.. فالشيطان حينما يدخل الى النفس البشرية لايأخذها مرة واحدة لكن يستدرجها على خطوات، خطوة.. فخطوة.. كما أوضح ذلك النداء الالهي في ذلك التعبير الرقيق للبشر جميعا.. ثم لايلبث المتتبع لخطوات الشيطان أن يجد نفسه في النهاية وقد سقط في الهاوية التي لامنجاة منها إلا بإذن الله.

بقلم:د. إبراهيم طالب عيسى



الإدمان.. وظاهرة انحراف الشباب

والمتتبع لخطوات الشيطان يبتعد تدريجياً عن الطريق المستقيم فلايرى في النهاية غير الحسرة والندامة.. ومن هنا أيضا كان النداء الإلهي الأزلي للبشر جميعا:(ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) يس/٦٠و٦١.

والمخدرات ماهي إلا أحدى وسائل الشيطان لاستدارج النفس البشرية.. فالسائر في هذا الطريق المظلم يمر بخطوات عدة أو مراحل تبدأ بالتجربة والتقليد مروراً بمرحلة التعود إلى أن يسقط المتعاطي في المرحلة الأخيرة وهي فخ الادمان.

تبدأ المرحلة الأولى بحثا عن متعة كاذبة أو للتجربة أو تشبها بالجماعة أو الصحبة وهي المرحلة الأولى لتأثير المخدرات.

وعندما يصل المتعاطي إلى درجة التعود وهي الحال التي يتكون فيها شوق لتعاطي المخدرات، وهذا الشوق ليس من ورائه قوة مكرهة.

وخصائص التعود هي:

١-استمرار استعمال المخدر والرغبة في تناوله لما يسببه من شعور بالراحة.

٢-عدم تناول جرعات زائدة.

٣-يحدث قدراً معينا من الاعتماد النفسي ولايحدث اعتماداً عضوياً.

٤-أضرار المخدر عكسية على المتعاطي ولايضار منها المجتمع.

وعندما يفشل المتعاطي في الحصول على الاثر نفسه بعد تكرار التعاطي يضطر إلى اللجوء لجرعات أكبر فأكبر لكي يحصل على هذه الحال، وإذا أصبح التعاطي بصورة منتظمة متكررة فيعمل ذلك على اضطراب الجسم عند انقطاع تعاطي العقار وذلك هو الادمان.

فالادمان حسب تعريف هيئة الصحة العالمية (WOH) في سنة١٩٧٣م هو: الحال النفسية أو العضوية التي تنتج من تفاعل العقار في جسم الكائن الحي.

وقد يعرف الادمان أيضا على أنه حال تسمم مزمنة ناتجة من الاستعمال المتكرر للمخدر، ومن علامات الإدمان أنماط سلوكية واستجابات مختلفة تشمل دائما الرغبة الملحة في تعاطي العقار بصورة متصلة أو غير متصلة «دورية» للشعور بآثاره النفسية أو لملاقاة الآثار المقلقة نتيجة لعدم توافره. وقد يدمن المتعاطي أكثر من مادة واحدة.

خصائص الإدمان

١- الإلحاح والرغبة في الاستمرار على تعاطي المخدر والحصول عليه بأي وسيلة، والحاجة هنا مكرهة للمتعاطي في الحصول على المخدر بجميع الطرق والوسائل.

٢-الرغبة في زيادة الجرعات.

٣-الاعتماد النفسي والعضوي على المخدر.. أي الخضوع والتبعية النفسية والعضوية لمفعول المخدر.

٤-ظهور أعراض نفسية وجسمية عند الامتناع المفاجيء أو الانقطاع الفوري عن المخدر «ردود النقص».

٥-الآثار الناجمة الضارة والمؤذية على الفرد والمجتمع.

الادمان حال تسمم مزمنة ناتجة من الاستعمال المتكرر للمخدر

والآن سوف أتعرض لأنماط مختلفة من الادمان وتأثيراتها الضارة على جميع أجهزة الجسم حتى تكون منها على حذر وهي: البانغو- الخمور- التدخين.

أولا: البانغو

هو مخدر قديم جديد أصبح نجم نجوم «الكيف» الآن يظهر على شكل وريقات جافة تخلط مع التبغ وتدخل في لفائف.. وهو نبات وحيد الجنس في الزراعة،تنمو الذكور بعيداً عن الإناث، وتطرح الإناث من شجيراته نسباً كبيرة منه.. ويُعد من فصيلة نبات القنب الهندي الذي يستخرج منه الحشيش، وينمو بكثرة في فصل الصيف ويحتاج إلى خليط من التربة الطينية والصفراء.. تشبه بذوره حبات القمح، ويزرع في المناطق الحارة وبنسب مياه عادية، ويحصد بمجرد ارتفاع الشجرة الى ستة أمتار وزيادة لمعانها، وهو نبات وردي ومزهر. يزرع بكميات كبيرة في المناطق البعيدة عن العمران. ومنعدموا الضمير يزرعونه فوق أسطح المنازل.. يعد من أرخص أنواع المخدرات وأخطرها ولذلك يسهل ترويجه لدرجة أنه انتشر بين الاطفال، والمواد الفعالة التي يحويها مثل مادة «الكابينويز» تصيب الإنسان بمجموعة من الامراض والأعراض «ايفوريا» يشعر الشخص بالسعادة الكاذبة والزائفة وعندما يتوقف عن التعاطي يعود الاحساس بالرغبة في ذلك الشعور فيلجأ للتعاطي بكميات زائدة.. وكلما زادت حدة التسمم زادت فرص حدوث الوفاة.

تأثيرات البانغو على المدى البعيد

الجهاز الهضمي:

- تدمير خلايا الكبد.
- يقلل الشهية ويقلل امتصاص الاطعمة.
- يؤثر على فاعلية الادوية التي يتعاطاها المدمن لعلاج أمراض معينة مثل الربو والاكتئاب والسكر فلا يفيد من هذه الادوية.

الجهاز الدوري:

- يرفع ضغط الدم ويزيد ضربات القلب وسرعتها

إلى حد الإصابة بالأزمة القلبية التي غالبا ماتؤدي إلى الوفاة.

الجهاز التنفسي:

- وسيلة ممتازة لنقل عدوى مرض السل والالتهاب الرئوي.
- وسيلة خصبة لإحداث مايسمى بمرض المياه على الرئة «انفزيما» ويسبب الربو فيؤدي إلى تفتت الشعيبات الهوائية فينتج عنها حدوث التهابات مزمنة تؤدي إلى الوفاة.

الجهاز التناسلي:

- يؤثر على هرمون الذكورة فيؤدي إلى العقم.
- إذا استخدم في سن مبكرة يحدث تدميراً في تكوين الأعضاء التناسلية للإنسان.
- مدمنوا الحشيش والبانغو لديهم استعداد للإصابة بالسرطان بنسبة ٣.١
- اذا تعاطاه الأب في حضور الأم الحامل يؤثر على وزن الجنين، واذا تعاطاه الأب بشراهة أثناء حمل الأم فكثيرا مايؤدي إلى الاجهاض.

الجهاز العصبي:

- تدمير الخلايا العصبية.
- اذا تم التعاطي ولو لمرة واحدة فقد يصاب بمرض الفصام والأزمات السمعية والبصرية.. وتبدأ هذه الامراض بعد أسبوعين أو شهر أو أكثر.. وقد تحدث حالات صرع وجنون...!

ومن المعروف أن خلايا الجهاز العصبي والمخ تفرز مواد تُسمى «الأندورفينات» وهي عبارة عن أفيونات طبيعية وجودها أساسي لكي يصبح الإنسان في حال نفسية ومزاجية وسلوكية طبيعية.. واظهرت الدراسات أيضا أنها تفرز عن طريق خلايا الجهاز المناعي بنسب قد تزيد عما تفرزه خلايا الجهاز العصبي.. ولذلك فإن إدمان الأفيون والكوكايين والمواد المخدرة يثبط ويمنع الافراز الداخلي لهذه المواد والأفيونات الطبيعية التي يفرزها الجسم اعتماداً على مايأتي من الخارج، وبالتالي فإن المدمن عندما يتوقف عن ادمانه فانه يصاب بأعراض الانسحاب المرضية -التي تكون نتيجة طبيعية لنقص -الأندروفينات الحادة من الجسم، ولذلك فإن هذه المخدرات تؤثر على جهاز المناعة وتثبطه أيضا

المخدرات تؤثر على جهاز المناعة وتثبطه ولا يكون تأثيرها على خلايا المخ والأعصاب

ولايكون تأثيرها على خلايا المخ والأعصاب فقط.

ثانيا: الخمور

لوحظ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين إدمان الخمر والاصابة ببعض الأورام الخبيثة كسرطان تجويف الفم وسرطان اللسان وسرطان المرىء وسرطان المعدة، كما يؤدي أيضا إلى حدوث سرطان الكبد في المرضى المصابين بالتشمع الكبدي، ويزيد التدخين من فرص إصابة المدمنين على شرب الخمور بالاورام الخبيثة، وقد حذرنا القرآن الكريم من ذلك وأمرنا باجتناب الخمور منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان بقوله تعالى (يايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)المائدة/٩٠. فتبارك الله رب العالمين!.

ثالثا: التدخين

أثبتت الدراسات الحديثة وجود ارتباط وثيق بين الاصابة باورام خبيثة في الرئة والحنجرة وتجويف الفم واللسان والبلعوم والمرىء والادمان على التدخين كمالوحظ أن التدخين هو المسؤول عن حدوث مابين ٢٥٪ الى ٣٠٪ من مجموع حالات السرطان في الرجال ومابين ٥٪ إلى ١٠٪ من مجموع حالات السرطان في النساء.

واحتراق سيجارة واحدة ينتج عنه ٤ آلاف مركب ضار مثل مادة 3.4 Benspyaime التي تؤدي الى الاصابة بسرطان الرئة فالتدخين يؤدي إلى تغيرات مزمنة في الأغشية المخاطية للجهاز التنفسي والشعب الهوائية فيفقد قدرته الدفاعية ويصبح عرضة للالتهابات المزمنة مثل الربو الشعبي والأزمات الربوية.

كما يؤثر النيكوتين- الموجود في التدخين- على الجهاز العصبي والجهاز الدوري والقلب فيعمل على ارتفاع ضغط الدم وهبوط القلب.. كما يؤدي التدخين إلى برود الأطراف نتيجة انقباض الأوعية الدموية وانخفاض تدفق الدم.

كما لوحظ أن تدخين السيدات الحوامل والمرضعات يؤدي الى الاصابة بالربو لدى الأطفال.. كما يؤدي الى نقص وزن المولود لأنه يعاني قبل أن يولد من نقص الأكسجين لأن النيكوتين يعمل على انقباض الأوعية الدموية التي تصل الى المشيمة فتقل

الكفاءة الحيوية للمولود.. كما تتأثر أسنان المولود فتكون الأسنان اللبنية ضعيفة وكذلك الأسنان الدائمة.. حيث إن بعض تيجان هذه الأسنان تتكون أثناء الشهر الخامس للحمل.

وطفل الأم المدخنة يتأثر أكثر من غيره بسرطان الدم والغدد اللمفاوية وأورام المخ لأن عوادم السيجارة تتحد مع الحمض النووي.. فيحدث طفرات تؤثر على المدى البعيد.

كما يؤثر التدخين على الأنسجة تحت الجلد ويصاب الجلد بالتجاعيد فيؤدي إلى الشيخوخة المبكرة «تكون في المدخن خمسة أضعاف غير المدخن».. كما أن انقباض أوعية الجلد- بسبب النيكوتين- يؤدي إلى عدم تغذية الجلد فيتأخر التئام الجروح نتيجة انخفاض الأكسجين بالأنسجة كما يؤدي التدخين إلى الاصابة بسرطان الجلد.

كما أن المعدة تتأثر أيضا بالتدخين فقد وجد أن هناك ارتباطا كبيرا بين الاصابة بقرحة المعدة والتدخين التي ماتلبث أن تتحول فيما بعد إلى قرحة خبيثة (سرطان المعدة)..!

والآن بعد ذكرنا أنماطا مختلفة من الادمان وآثارها المدمرة على الفرد والمجتمع فلابد من وقفة جادة للقضاء على ذلك الخطر الذي يهدد المجتمع الاسلامي.. وقد تعرضت مجلة «الوعي الإسلامي» الغراء في عددي رمضان وشوال ١٤١٨هـ لهذا الموضوع المهم في ندوتها عن ظاهرة انحراف الشباب، فلابد من تعاون جميع الهيئات الاجتماعية مع بعضها بعضاً للقضاء على المخدرات ونوجز ذلك في الخطوات التالية:

أولاً: مراقبة جميع الهيئات الأمنية المسؤولة عن المجتمع كوزارة الداخلية جميع الأبنية وأماكن الزراعات والطرق والموانيء وأوكار المخدرات.

ثانيا: التوعية الصحية والاعلامية عن طريق المذياع والتلفاز والجرائد وعدم عرض الأفلام والتمثيليات التي تبث روح الاستهتار والتي تجعل من مطرب أو ممثل يؤدي دور المستهتر قدوة للناس.. والعمل على بث القيم والمبادئ في النفوس واستغلال دور ومراكز الشباب في هذه التوعية وكيفية ملء الفراغ فيما يفيد.

ثالثا: التوعية الدينية: وتتمثل في أسلوب الدعوة

طفل الأم المدخنة يتأثر أكثر من غيره بسرطان الدم والغدد اللمفاوية وأورام المخ

وعدم المبالغة في التخويف والتهديد حتى تزرع الثقة في النفس والتذكير بآيات الله تعالى بعدم إلقاء النفس إلى التهلكة، والمحافظة على المال وعدم التبذير، وخشية الله في السر والعلن، وتجنب الخمر وكل ماحرم الله، والتذكير بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يتخذ كقاعدة فقهية عامة «لاضرر ولاضرار».

رابعاً: مسؤولية البيئات الاجتماعية وتتمثل في الأسرة ودورها في الرقابة داخل المنزل وخارجه واختيار الرفاق ومراقبة سلوكياتهم والاتصال المستمر بين المدرسة والمنزل، وكذلك متابعة الأجهزة الحكومية والمترددين عليها.

خامساً: متابعة الهيئات القضائية لقضايا المخدرات وتنفيذ الأحكام هذا ولابد من معالجة المدمنين في المراكز المتخصصة للعلاج، وبحث كل شيء عن المريض والدافع إلى الإدمان وتهيئة الاستقرار النفسي والاجتماعي والصحي، ولابد أن نجعل من المريض مشاركة إيجابية لمراقبة نفسه وإعطاء تقارير عنها وذلك لبناء إرادته من جديد عن طريق إنسان يحبه ويثق فيه، وتسهيل اجازات علاج المدمن إذا كان طالباً أ و موظفاً في الدولة وعدم الاستهانة بكرامة هؤلاء المرضى حتى يكون المريض مستعداً لتلقي العلاج.. ويجب أن تكون تكاليف العلاج بسيطة ومتناسبة مع دخل المواطن، ومجانا لغير القادرين فلابد إذن في كل مركز متخصص لعلاج الادمان من وجود الاختصاصي الاجتماعي والنفسي والطبيب ورجل الدين حتى يتكاتف الجميع في إعادة بناء الشخصية السوية والمحافظة على أبناء الأمة الإسلامية. ■

المصادر

١- CECIL : GENERAI INTERNAI MEDICINE

٢-كتاب الإدمان إعداد :دعبد المجيد سيد أحمد منصور- سلسلة كتب مكافحة الجريمة- وزارة الداخلية- المملكة العربية السعودية - الكتاب الخامس

٣- مجلة طبيبك الخاص «المصرية» عددا نوفمبر وديسمبر١٩٩٦م

قضايا إجتماعية



لغة المخدرات لغة الـعـدم

عبدالباقي يوسف

عندما يلجأ أي إنسان في العالم إلى عالم المخدرات، فإنه يبين لنفسه أولا وللآخرين ـ سواء الذين يتعامل معهم أو الذين خفي عنهم سلوكه المنحرف ـ بأنه خرج عن واقعه وأعلن عجزه الكامل في المشاركة الفعلية للحياة وانهيار الإرادة لديه وهذه قضية بالغة الخطورة لدى الانسان، إذ تجر معها الانسلاخ الكلي عن الأسرة والأقرباء والمجتمع فيبقى متقوقعاً في دائرة مغلقة، فوضعه الجديد يرغم عليه هذه العزلة المميتة فتراه يتنازل عن كل شيء في القيم والمبادئ والأموال والشرف والعقيدة في سبيل البقاء في العالم المظلم البعيد كل البعد عن واقع الحياة الحقيقية، الحياة التي تعني الكفاح والتفوق والعمل والشرف والأخلاق والنزاهة والحب والعلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية... إنه يدرك تماماً الوضع الذي آل إليه... يدرك تماما وضعه السيئ، لذلك عندما يخرج من عالم السواد يقع في عالم النواح وتعذيب الضمير والكآبة، عندما يرى اجتهاد الآخرين وكفاحهم من أجل أسرهم ومجتمعهم وأخلاقهم وعفتهم ينهار أمام تلك اللوحات الإنسانية البهيمية، كثيراً ما نتعرض لنماذج مدمنة على المخدرات في كتبنا سواء الروائية أو القصصية أو الأفلام السينمائية أو التمثيليات والمسلسلات التلفزيونية وبالنسبة لتجربتي الأدبية أستعين بالواقع لمثل هذه النماذج، فالخيال يصلح لمعظم المواضيع باستثناء هذه القضية التي ينبغي أن تكون صورة شبه فوتوغرافية عن الواقع الحقيقي للشخص، ولذلك فشخصياتي التي قدمتها في كتبي هي نفسها التي تمشي في الواقع الذي أراه واعتقد بأنني استطعت إلى درجة ما في تقديم تحليلي ووجهة نظري عن هذه القضية المربكة، وكان اللقاء

بشخص مدمن يبهرني سواء في مصحة او أي مكان حكومي أو على المستوى الشخصي، فكنت أغوص في أعماقه لساعات طويلة وأحاول التعرف على عالمه المظلم وعلى تفاصيل حياته، وبكل أسف فإن الانسان المدمن على المخدرات هو شخص غير موثوق به مادام يواصل التعاطي فمن الممكن أن يسرق بسهولة وأن يتنازل عن أخلاقه وأن يكون شاذاً جنسياً، فهو يجمع النقيض في داخله «الشيزوفيرنيا» فمن الممكن أن يكون لبضعة أيام «سيكوباتياً» ولبعضة أيام «سادياً» ولأيام أخرى «مازوشياً» انه يعيش في عالم من الهذيان والتناقضات المرضية.

نماذج متنوعة في عالم الإدمان

بطبيعة الحال، فإن أي شخص عندما يخطو الخطوة الأولى باتجاه هذا العالم المظلم يدرك تماماً النتائج السلبية على مختلف الأصعدة النفسية والجسمية والروحية والأخلاقية والاجتماعية وهو لا ينقاد إلى ذاك العالم مرغماً. فلايوجد قانون أو نظام في الكون يعاقب على تعاطي المخدرات، بل يلجأ الشخص بمحض إرادته الفردية مثلما يتحمل هو نفسه جميع العواقب الوخيمة ورغم ذلك فهو يدرك بانه يلجأ إلى كل هذه السلبيات فتراه حزيناً غير ضاحك، وللعلم فهو يدرك في حقيقته بانه يهرب من الحياة وليس كما يتصور البعض بانه يبحث عن مزيد من المتع والرفاهية من خلال الكوكائين أو الهيروين أو الأفيون أو الماريغوانا أو الحشيش إلى آخر القائمة، وليس الغرض تعداد الأسماء مادامت النتائج متقاربة، على الاغلب فهو يهرب من حقيقته، ويهرب من الواقع بدل أن يتصدى له ويعالجه فهو شخص هارب أولاً وأخيراً، ومن يهرب من الواقع يستعد للهروب من أي شيء آخر... انا هنا ومن خلال لقاءاتي العميقة ومحاوراتي الدائمة ومتابعتي الدؤوبة أرى أن التعاطي ليس متعة ولا بحثاً عن متعة ولا يمكن له أن يقدم متعة حقيقية، بل هو إعلان الافلاس الكامل تجاه التعامل مع تفاصيل الحياة اليومية.

تعاطي المخدرات هو اعلان الافلاس الكامل تجاه التعامل مع تفاصيل الحياة اليومية

فالمتعة الحقيقية التي يدركها الجميع هي في مداعبة أطفالنا الصغار بعد العودة من العمل والجد والجلوس أمام التلفاز مساء وربما بشرب كاس من الشاي الساخن في ليلة شتاء باردة أو بارتداء ثوب جديد أو بتناول طعام لذيذ أو باجازة سفر أو بالزواج ممن نحب أو بالحصول على امتيازات ومكافآت ودرجات تثبت تفوقنا في الحياة والعمل أو بما يكنه الآخرون لنا من احترام ومحبة ولذلك عندما يضحك المدمن يتذكر في الوقت نفسه بانه خسر كل تلك الأشياء والتفاصيل الممتعة فيكون ضحكه على شكل نحيب، ويكون صوته على شكل اختناق وكذلك حتى صمته يكون شبيهاً بصمت المقابر وفي عالم المدمنين نعثر على نماذج عدة مما ذكرنا، قد نعثر على شخص توهم بأن التعاطي يحقق متعة وهو شخص سعيد في حياته وناجح في عمله فينزلق وعندما يكتشف الحقيقة يعلن عن ذلك ويسلم أمره للأطباء على أن ينقذوه من الادمان فيكون قد خسر سنة أو سنتين من حياته وتاب نهائياً بعد أن تعلم درساً لن ينساه ومنهم من يدخل عالم الإدمان لطمع في نفسه فيحاول أن يكون تاجراً فردياً ببيع الكميات الصغيرة على مستوى المنطقة أو الناحية، وقد تحول إلى مدمن ولأقل وخزة يلجأ إلى المخدر.

وكلمة أخيرة في النهاية أوصي بها:

علينا أن ندرك جيداً أن المخدرات لا يمكن لها أن تشفي من أي مرض ولا يمكن لها أن تساعد على مجابهة الظروف، فالمخدرات هي في حقيقتها ولدت لتأخذ لا لتعطي، تأخذ الصحة والمال والعقل والأخلاق ولا تعطي غير الهذيان والجنون والفصام، وفي بعض المراحل المتطورة تؤدي إلى الانتحار وارتكاب الجرائم البشعة، وتاريخ الادمان تاريخ مشوب أسود غير مشرف مليء بالضحايا والخسارات والأسر في السجون والجرائم ودماء الأبرياء والفشل والهوس والأمراض المرعبة، إن المخدرات هي لغة الدم ■



تشريع

البيولوجيا الجزيئية وتجاذب الخلود الإنساني

دكتور: رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان

من حقوق المسلمين في المعمورة، أياً كانت أجناسهم، أن يتم تزويدهم بما تسجله العلوم التجريبية المعاصرة... إنه عالم شديد الاتصال كثيف المعلومات... في كل يوم نسمع ونرى ونقرأ، مستجدات علمية... وهنا يقع على عاتق علماء المسلمين ضرورة ملاحقة أي إنتاج علمي يصنعه العلماء التجريبيون في تخصصاتهم المتنوعة... بتنوع الأقسام والفروع العلمية المنتمية إليها... أياً كان نوع المادة المعروضة.

نقول: إن إسلامية المعارف المستحدثة.... فرض واجب يتحمله الاجتهاد الإسلامي المعاصر..... وهي تبعة لا عزوف فيها ولا تهاون كما أمرنا المعصوم صلى الله عليه وسلم.....

إن العلم يرفض أن يتوقف.... وعلماء الغرب - وتلك حقيقة - قد امتلكوا زمام القياد المعرفي العلمي تجريبياً وتقنياً، مستخدمين فيه جميع عناصر التكنولوجيا الحديثة... ويكفي ما أثارته قضايا الاستنساخ الجيني والتحكم في درجات النمو والتحويل الجنسي، من تساؤلات شرعية حول هذه القدرات العلمية التي خرج بها الغرب علينا.

والقضية التي حبذنا إلقاء الضوء عليها... الآن.... هي أحدث القضايا العلمية التي تثيرها تكنولوجيا الجينات.

إنهم ينشدون الخلود الإنساني ..... ووسيلتهم في ذلك التحكم الجيني في آلية تقدم الطور الإنساني إلى مرحلة الشيخوخة....؟!

فما الذي هم عليه مُقدمون وما موقف الشريعة مما يفعلون؟!

تخليد الإنسان ووسائل البيولوجيا الجزيئية

البيولوجيا الجزيئية فرع لعلم حديث La Biologie Moléculaire، ويمكن تسميته كذلك علم الأحياء الجزيئي... وصلة هذا العلم صلة وثيقة بما تقدمه وسائط العلوم التجريبية الإحيائية.... من أهم أقسام هذا العلم دراسة الدورة الإحيائية لمخلوقات الطبيعة Cycle Biologique .... ولرواد هذا العلم دراسات وأبحاث... ما يهمنا - في محور دراستنا - أساليب بحوثهم في مواد قياس الحياة ولها تسميتان علميتان Biométrie ou Biométrique... إنه تخصص علمي يدور حول: «حسبان الديمومة المحتملة للحياة البشرية»(١).

والمسجل علمياً هو تطوير التقنية الحديثة للعلاج بالجينات Gene therapy والمدخل قطعاً هو مدخل طبي ينشد استئصال الأمراض الخبيثة، من خلال تعقب الجين أو الجينات التي تسببه.(٢)

فطبقاً لأصول علم الوراثة إن الخصائص الجسدية للإنسان تحمل نحو مئة ألف جين والجينات مقاطع من الـ DNA تعمل كحاسوب بيولوجي يصدر أوامره للخلايا المكونة للجسد وهي لا تحصى ولا تعد، فتبني البروتينات والأنزيمات اللازمة للجسد والحفاظ عليه... ويعزى للجينات تحديد لون الشعر والعين والجلد وجميع الخصائص التكوينية لجسم الإنسان... إن مرضاً مثل السرطان وأمراض القلب المتزنة وغيرها... قطعاً له مدخل جيني، وبقدر النجاح العلمي في كشف ذلك الجين الذي يدخل منه المرض... بقدر ما يتوفر للعلماء وسيلة إيقاف مسببات المرض وانتشاره.

في غمرة تحقيق تلك الإنجازات الطبية العظيمة... اهتم علماء البيولوجيا الجزيئية بالجين الذي يبني انزيم الشيخوخة وسماه: التيلوميريز Telomerase مما يعد فتحاً علمياً بتقديم وسائط تقوض، ليس فقط الأمراض السرطانية بل جميع أمراض الشيخوخة.

يُجرى تقويض الأمراض السرطانية بإيقاف جين الشيخوخة عن بناء وإنتاج إنزيم التيلوميريز، فتهرم خلايا السرطان وتموت ... إنه علاج جيني قوي يصيب جميع أنواع السرطانات.

وبالتدخل الجيني - طبقاً لأحدث رؤية علمية - يمكن بالنسبة للخلايا البشرية غير المصابة بالسرطان، أن تحتفظ عند حد مُعين فلا تشيخ .... وتصبح أمراض الشيخوخة في ذمة التاريخ.

وفي أمريكا تقرر العالمة جرايدر أنه يوجد حوالي ٣٠ أو ٤٠ مختبراً تجرى فيها أبحاث التيلوميرزات.

يرى الدكتور ميكائيل فوسيل M. Fossel وغيره من العلماء أن انزيم التيلوميريز يضفي صفة الخلود على الخلية «الخلية الجرثومية» بأن يعيد بناء التيلوميرازت، فيمنع الخلية بذلك من أن تشيخ، فإذا أوقفنا جين التيلوميريز عن إنتاج هذا الإنزيم، فستهرم خلايا السرطان وتموت، وهذا ينسحب على كل أنواع السرطانات، ليجعله أقوى العلاجات الجينية.... لكن الأكثر إثارة هو أن فوسيل وغيره، يعتقدون أننا إذا استطعنا أن نستغل هذا الجين في الخلايا البشرية غير السرطانية فسنمنعها من أن تشيخ، ومن ثم نمنع الأمراض المرتبطة بالشيخوخة، مثل تصلب الشرايين والزهايمر والفصال

العظمي وترهف العظام».

تلك النظرية العلمية المختصة بأبحاث التيلوميريز تمتد بجذورها إلى دراسات العالم واطسون Watson .j وهو مكتشف تركيب الـ DNA الذي مُنح على أثر دراساته المتخصصة وأبحاثه العلمية جائزة نوبل العالمية العام ١٩٦٢ في الفسيولوجيا والطب.... وهي أبحاث تنشد فك الشفرة الوراثية للإنسان... من أجل الإحاطة بشبكة الجينات التي يتكون منها الكيان الجسدي البشري.

وهكذا فقد صار الجينيون التيلوميريزيون هم أمل البشرية في امتداد عمر الإنسان، نعم سيوقفون عملية الشيخوخة في البشر؟.... هكذا يزعمون؟... وكان هذا الموضوع محور حديث العلماء المطورين للبيولوجيا الجزيئية في أغسطس العام ١٩٩٦م داخل قاعة مختبر كولا سبرنج هاربور بنيويورك.

إذن فقد وجد العلماء مخرجاً للإنسان من مصيره المحتوم؟.... هكذا يزعم التيلوميريزيون... فمن خلال أبحاث المستقبل سيصلون إلى إيقاف سير الطور المتتالي للبنية الإنسانية، فلا تحيق الشيخوخة به، لتعطيل الآليات الجينية المؤدية إلى ظهور بوادرها المرضية....؟!

الخلود الإنساني في العلوم الشرعية

«الخُلْد» دوام البقاء وبابه خلد و «أخلده» الله «وخلده تخليداً»(٣).

(أخلد) فلان: أسنَّ ولم يشب، ودار الخلد: الجنة.... «المخلد» من الرجال: الذي أبطأ عنه المشيب.(٤)يقول تبارك وتعالى في محكم آياته: (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا. لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعداً مسؤولاً) الفرقان: ١٥ ـ ١٦... ويقول جل شأنه: (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدَين فيها وذلك جزاء الظالمين) الحشر ـ ١٧.

إذاً الخلود حقيقة شرعية، وميراث قادم واقع لا محالة، وميقاته يبدأ بالبعث بعد الموت والفناء البدني للجسد الإنساني، يقول الحق (وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) الأنعام/٧٣.

هذا الخلود هو المنتهى إليه مآل الإنسان، فإما أن يكون مستقره ناراً تلظى أو جنة عرضها السماوات والأرض... وسيجزى الإنسان الجزاء الأوفى، فإما أن يكون في صحبة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وإما أن يقاسم إبليس اللعين العذاب المهين....

والأبدية منظومة لكل فريق... مخلد فيما أوى إليه، فأنصار الشيطان هم معه يقول الجبار تبارك وتعالى: (وجوه يومئذ خاشعة. عاملة ناصبة. تصلى ناراً حامية. تسقى من عين آنية. ليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يسمن ولا يغني من جوع) الغاشية/٢:٧، والأحياء في زمرة المعصوم صلى الله عليه وسلم في النعيم، يقول الحق: (وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية. في جنة عالية. لا تسمع فيها لاغية. فيها عين جارية. فيها سرر مرفوعة. وأكواب موضوعة. ونمارق مصفوفة. وزرابي مبثوثة) الغاشية/ ٨:١٦.

الفناء قدر محتوم، يقول رب العالمين: (فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) يونس/ ٢٤، والموت قادم لا مناص، يقول الباقي: (كل نفس ذائقة الموت) آل عمران/ ١٨٥، له اليد الطولى فلا بقاء حتى لأحسن الخلق أجمعين، يقول المتعال: (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر/٣٠.

والبعث حق، يقول الرحمن: (إنه على رجعه لقادر) الطارق/٨، وقوله سبحانه (أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه. بلى قادرين على أن نسوي بنانه) القيامة/ ٣ و٤، فإذا صدر الأمر بالبعث، تصديقاً لذكره (وإذا القبور بعثرت) الانفطار/٤، جُمع الجمع لتبدأ من هنا... من هذه اللحظة فقط الحياة الأبدية، يقول الرحيم: (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) الكهف/٩٩، لتجرى المحاكمات الإلهية، فيساق كل بحسب ما اطلع به من أعمال في دنياه، وكذب من قال فيهم الحق تبارك وتعالى: (إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) الصافات/٥٩.

التتالي الزمني والعمر الإنساني

(الزمن)، (الزمان) اسم لقليل الوقت وكثيره وجمعه (أزمان) و (أزمنة) و(أَزْمُن)، يقال: «أزمن» بالمكان: أقام عليه زمناً و الشيء طال عليه الزمن.... و(الزمن) مدة الدنيا كلها.

إنه تبارك وتعالى جلت قدرته نظم الوجود طور بعد طور، يقول المعصوم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ «كان الله عز وجل على العرش، وكان قبل كل شيء، وكتب في اللوح كل شيء يكون»(٥)، عن ابن عباس (٦) قال: «أول ما خلق الله تعالى القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السماوات، ثم خلق النون، فبسطت الأرض على ظهر النون، فتحرك النون، فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض... وقرأ (ن والقلم وما يسطرون) القلم/١.

والمتكبر الجبار سبحانه يقول: (الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام) الفرقان/٥٩، يذكر الطبري(٧): «وأمر الله عز وجل إذا أراد شيئاً أن يكونه أنفذ وأمضى من أن يوصف بأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، مقدارهن ستة آلاف عام من أعوام الدنيا، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له، كن فيكون، وذلك كما قال ربنا تبارك وتعالى: (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) القمر/٥٠.

بدأ خلق المتعال.... بالزمن... يقول الطبري(٨)، ما خلق من الأشياء قبل خلق الأوقات والأزمنة، وإن الأوقات والأزمنة إنما هي ساعات الليل والنهار، وإن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك.

وفي الزمن، يسير الوجود بنظمه جل شأنه، موجود ثم يتلوه موجود، فبعزته وجلاله يضبط لمخلوقاته مسيراتها الزمنية.... وكل موجود هو موقوت إلا وجهه الكريم... إنه الزمن آلية إلهية منبثقة من حركة هذا الكون المنظوم في حركة دائبة، يقول رب العرش (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يس/٤٠.

والإنسان ـ ذلك الموجود المؤقت ـ أخضعه المتعال لنظام فطري، يقول سبحانه: (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) الروم/٣٠، مؤدى هذه الفطرة أن الإنسان مسير سيرة متتالية

التكوين... مرتبطة غير منفصلة عن عبور الوقت والزمن، والوقت غير موقوف، يحدث آثاره في كل طور من أطواره المقدرة له، يقول رب العزة: «فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) الحج/٥).

عمَّر آدم ـ عليه السلام ـ ألف عام ... عن سعيد ذكر ـ في قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الأعراف/١٧٢... أخرج ذريته من ظهره في صورة كهيئة الذر، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم، قال: فعرض عليه روح داود في نور ساطع، فقال: من هذا؟ قال: هذا من ذريتك، نبي خلقته، قال: كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: زيدوه من عمري أربعين سنة، قال: والأقلام رطبة تجري، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعون، وكان عمر آدم ألف سنة، فلما استكملها إلا الأربعين سنة بعث إليه ملك الموت قال: يا آدم أمرت أن أقبضك، قال: ألم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: فرجع ملك الموت إلى ربه عز وجل، فقال: إن آدم يدعي من عمره أربعين سنة، قال: اخبر آدم أنه جعلها لابنه داود، والأقلام رطبة، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعين»(٩).

قدر تبارك وتعالى لآدم عمراً يمتد ألف سنة ... أنفذ الله له طلبه بإنقاصها أربعين سنة أضيفت لولده داود ـ عليهما السلام ـ فلما أمضى زمن العمر فبلغ ما هو أدنى من الألف بأربعين.... فبصره البصير سبحانه بما سلف ... تلك هي التوجيهات الغريزية المخصوص بها الإنسان، إنها غريزة حب البقاء، والموت يخشاه بنو آدم سنتهم في ذلك سنة أبيهم ... هكذا فطروا على ذلك إنهم يتهيبون الموت، يريدون الفكاك منه ... وما هم بقادرين.

خص تبارك نوح عليه السلام ـ بطول العمر ... ذكر الطبري ما قاله ابن حميد قال عن غيره: وعُمر نوح ـ فيما يزعم أهل التوراه ـ بعد أن أهبط من الفلك ثلاثمئة سنة وثمان وأربعون سنة، قال: فكان جميع عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم قبضه الله عز وجل إليه(١٠).

إيقاف الزمن

إنهم يتمنون ذلك ... ويعلمون أنهم ميتون، وسيلحقون أسلافهم ... نعم هم متأكدون من عودتهم إلى التراب والفناء ومآلهم ... ولما كانت الأبدية والخلود وَهْمٌ شديد ... يواجه فكرهم العنيد ... فإن اغتنام طول الأجل ـ على الأقل ـ مطلب منشود، وإن كان موقوتاً، إلا أن امتداد العمر أمل للشيخ عندهم قبل الوليد، أخبرنا عنهم الحق عظم ذكره: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) البقرة/٩٦.

يقول القرطبي(١١): والضمير في أحدهم يعود في هذا القول على اليهود، وقيل: إن الكلام تم في حياة، ثم استؤنف الإخبار عن طائفة من المشركين، قيل: هم المجوس، وذلك بين في أدعياتهم للعاطس بلغاتهم بما معناه «عش ألف سنة»، وخص الألف بالذكر لأنها نهاية العقد في الحساب، وذهب الحسن إلى أن الذين أشركوا هم مشركو العرب، خصوا بذلك لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فهم يتمنون طول العمر، وأصل سنة سنهة، وقيل: سنوة، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى لتجدنهم وطائفة من المشركين احرص الناس على الحياة.

وهل يملك أن يوقف الزمن إلا خالق هذا الزمن؟!

نعم وقد تحقق ذلك... حققه بقدرته.... وهناك قصص موثوق بذكره الحكيم... نكتفي بقصتين أوقف فيهما رب الزمان زمانه آية للعالمين:

أهل الكهف

يقول الجبار جل وتكبر: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً. إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً. فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً. ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً. نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ولن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً. وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً. وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً. إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً. وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً. سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً) الكهف/٩:٢٢.

في تفسير ابن كثير(١٢): يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم فلجأوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، ألقى الله عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف فناموا سنين كثيرة، ثم بعثهم من رقدتهم تلك... إنهم كانوا فتية شباباً ألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم فآمنوا بربهم معترفين له بالوحدانية، مخالفين ملة قومهم عبدة الأصنام والطواغيت يذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يُقال له دقيانوس، توافق هؤلاء المؤمنون كلهم على كلمة واحدة فصاروا يداً واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فباشر سلطانه عليهم بالتهديد والوعيد وكانوا قد دعوه للإيمان فطغى فهربوا إلى الكهف فأووا إليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم ولم يظفر بهم الملك فقد أعماه الله.

والمأوى كهف مهيئ حافظ لأبدانهم، تدخل فيه الشمس في تسع مداخل منه بحيث لا تصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم، قال هذا ابن عباس: حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقي أبدانهم.

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلى فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها، قال بعض السلف يقلبون في العام مرتين قال ابن عباس لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض، وكلبهم رابض على الباب كما جرت عادة الكلاب، وقد ألقى الله عليهم مهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد، ولا تمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم لما له في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة.

يقول تعالى كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبصارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهيآتهم شيئاً وذلك بعد ثلاثمئة وتسع سنين، ولهذا تساءلوا فيما بينهم كم رقدتم «قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم»، لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار واستيقاظهم كان في آخر نهار ولذا استدركوا فقالوا: (أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم)، وطلبوا الطعام فبذل المال الذي كان معهم لأحدهم ليحضر القوت، مع استشعاره الحذر كي لا يدركهم الملك، لم ير الرسول شيئاً من معالم البلد التي يعرفها ولا يعرف أحداً من أهلها لا خواصها ولا عوامها، فجعل يتحير في نفسه ويقول لعل بي جنوناً أو مساً أو أنا حالم ويقول: والله ما بي شيء من ذلك وإن عهدي بهذه البلد عشية أمس على غير هذه الصفة، ثم قال: إن تعجيل الخروج من هـهنا لأولى لي، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه ما معه وسأله أن يبيعه الطعام فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولون بينهم يقولون لعل هذا وجد كنزاً فسألوه عن أمره من أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز وممن أنت؟ فجعل يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدي بها عشية أمس وفيها دقيانوس فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولي أمرهم فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير في حاله وما هو فيه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف - ملك البلد وأهلها - حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي فدخل، ويقال سلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلماً فيما قيل واسمه تندوسيس ففرحوا به وآنسوه الكلام ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل.

. زمن يتحكم فيه خالقه.... الميقات المنظوم سائر سيرته الطبيعية يوم بعد يوم وشهر بعد شهر وسنة وراء سنة وعقد يتلوه عقد وقرن فيعقبه قرن... ليمر عليهم ثلاثة قرون وهم نائمون أحياء مرزوقين نعمة التنفس والبقاء، يتقلبون يمنة ويسرة، حفظهم الله فلم يحدث فيهم الزمن تأثيره في أعمارهم، فهم كما هم بأبدانهم التي ناموا بها بكامل خصائصها.... لم يصلوا إلى أرذل العمر طبقاً للناموس الفطري المسير لحلقات عمر الإنسان فهم شباب كما هم.... أوقف المتكبر الجبار الزمن وتأثيره فيهم، فخرجوا على قوم جدد عبرة للعالمين وآية للمتقين، ثم أماتهم الله.

الإسراء والمعراج

يقول رب السموات والأرض: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الإسراء/١.

ويقول جل شأنه: (والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى) النجم/١:١٨.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: لما كان ليلة أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له باب محمد - صلى الله عليه وسلم - أتى إلى الحجر الذي ثمه فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ فقال «نعم» فقال فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة، فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن عليَّ السلام فقلت «من أنتن» فقلن نحن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا، وأقاموا فلم يظعنوا، وخلدوا فلم يموتوا، قال ثم انصرفت فلم البث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم، فلما انصرفت قال جبريل يا محمد أتدري من صلى خلفك؟ قال قلت: «لا» قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل، قال ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا من أنت؟ قال أنا جبريل، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم، قال ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك، قال فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم فقال لي جبريل يا محمد ألا تسلم على أبيك آدم؟ قال قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد عليَّ وقال مرحباً بابني الصالح والنبي الصالح(١٣)، ويشير حديث أنس - رضي الله عنه - أنه ...... ثم عُرج بالحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء الثانية وفيها عيسى ابن مريم ويحيى عليهما السلام، وفي الثالثة يوسف عليه السلام، وفي الرابعة إدريس عليه السلام، وفي الخامسة هارون عليه السلام، وفي السادسة موسى عليه السلام، وفي السابعة إبراهيم عليه السلام.... وفي الحديث: ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى بي إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير أخضر أنعم طير.

رحلة عظيمة ذكر فيها ما ذكر بألسنة الطاهرين رضوان الله عليهم أجمعين فيها تقررت الصلوات الخمس.... وفيها رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم نور ربه..... وفي رواية أنس عن أبي ذر، سُئل الحبيب - صلى الله عليه وسلم - هل رأيت ربك قال: «نوراً أنى أراه»(١٤)....

نعم وهناك سمع - صلى الله عليه وسلم - صريف الأقلام... انطلق - صلى الله عليه وسلم - حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا يدريها صلى الله عليه وسلم.(١٥)

وقال أبو جعفر الرازي: لما أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - انتهى إلى السدرة فقيل له إن هذه السدرة، فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر.... وفي حديث آخر: قال - صلى الله عليه وسلم - «رأيت يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله عز وجل»(١٦).

يقول ابن كثير(١٧) ثم اختلف الناس هل كان الإسراء ببدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط، على قولين فالأكثرون من العلماء أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا مناماً، ولا ينكرون أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه يقظة لأنه كان - عليه السلام - لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال (أسرى بعبده) وقد قال تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس).

وعن المدة الزمنية التي قضاها المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في رحلته ... كانت ليلة... عن عروة عن عائشة قالت لما أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوه أو روحه.(١٨)

قالت العرب المسلمون الأوائل هذا.... ولم يكن بعد لديهم علم بالسنين الضوئية التي يسبرها المسافر عبر نجمين فقط من منظومة النجوم التي يتكون منها جزء يسير من أجزاء السماء الأول... وإن كان للإنسان وسائله في السفر بين النجوم فضلاً عن الآلة العظمى يلزمه ملايين السنين.... وهل يقدر على ذلك ومتوسط عمره الآن ستون عاماً.

إن رفيق الرحلة كان جبريل - عليه السلام - خصه القادر بإمكانات عبور وسفر، فكان له ستمئة جناح سد طرف من أجنحته شرق الأرض ومغربها.... صحب جبريل عليه السلام سيد ولد آدم - صلى الله عليه وسلم - فأراه من آيات ربه الكبرى.... كل هذا حدث في ليلة واحدة حسم رب العالمين ما آراه لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ومكنه منه في بضع ساعات معدودات في دنيانا في حين أن زمن طويل ودهر ماله نهاية.... نعم قوض تبارك وتعالى الزمن وأوقف عجلته ليُري المعصوم - صلوات الله وسلامه عليه - قدراً من علوم الغيب. ■

الهوامش ومصادر الدراسة

١ - المهل، قاموس فرنسي - عربي، للدكتور جبور عبدالنور، والدكتور سهيل إدريس، دار العلم للملايين، بيروت، دار الآداب، ابحث في مادة : Bimétallisme ص ١١٨.

٢ - على نحو خاص ... يراجع : بحث بعنوان «وقف سير الزمان - ربما» بقلم جون هاندز ترجمة د. أحمد مستجير، منشور بمجلة الثقافة العالمية العدد رقم ٨٠ يناير ١٩٩١م ص ١٣: ١٨.

العنوان الأصلي للمقال : Holding Back the years (maybe) المصدر : (independent on sunday, 20 oct, 1996.

ولمزيد من التفصيلات : يراجع للدكتور أحمد مستجير «الشفرة الوراثية للإنسان»، عالم المعرفة، العدد ٢١٧، كذلك مشاركة مع هاني رزق في بحث بعنوان «اتجاهات في علم الوراثة البشري» مجلة العلوم المجد ١٣ العدد الأول يناير ١٩٩٧م، وعبدالباسط الجمل «الهندسة الوراثية ومصير الإنسان» الهيئة العامة لتصور الثقافة، مكتبة الشباب العدد: ٥١.

١ - مختار الصحاح لعبدالقادر الرازي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٢م ط٩، ص ١٨٤.

٤ - المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٠٦.

٥ - محمد بن جرير الطبري «تاريخ الطبري - تاريخ الأمم والملوك»، مكتبة التراث الإسلامي، ج١، فقرة٦٠ ص ٦١.

٦ - الطبري ج١، فقرة ٨٩ ص ٧١.

٧ - الطبري ج١ فقرة ١٠٣ ص ٧٩.

٨ - الطبري ج١ فقرة ١٠٩ ص ٧٩.

٩ - الطبري ج٢ ص ٢٧٧ ص ١٥٩.

١٠ - الطبري ج٣ فقرة ٣٣٩ ص ١٨٩.

١١ - تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن، الناشر دار الغد العربي، المجلد الأول ص ٥٣٢.

١٢ - تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، ج٣ ص ٧١ : ٧٧.

١٣ - تفسير ابن كثير ج٣ ص ٧.

١٤ - تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٠.

١٥ - تفسير ابن كثير ج٣ ص ١١.

١٦ - تفسير ابن كثير ج٤ ص ٢٥٤.

١٧ - تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢٣.

١٨ - تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢٢.

الحقيقة أن عالم اليوم يعاني كثيراً من الصراعات السياسية والحضارية، ومن مشكلات عدة من أهمها على الصعيد العربي والإسلامي الصراع العربي الإسرائيلي، وتأتي في مقدم تلك المشكلات، مشكلة القدس لما لها من وضع متميز لدى المسلمين جميعاً بحكم مكانتها الدينية والتاريخية والسياسية.

وبالتالي فإن إدارة الصراع في هذه المشكلة لابد أن تقوم على مرتكزات أساسية ومتشعبة ترتبط بأبعاد عسكرية وحضارية في المقام الأول، ولا يكفي فيها مجرد الاعتماد على قدرة المفاوض العربي أو الرسالة الإعلامية على الصعيدين المحلي والعالمي، فمن قراءة التاريخ يتبين لنا أن لكل صراع أبعاده الداخلية والإقليمية والدولية مع ضرورة مراعاة التفاعل بين عناصر القوى المتوافرة لدى طرفي الصراع المتمثلة في القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية والمعنوية.

الإعلام وإدارة الصراع في مشكلة القدس

بقلم د. عبدالصبور فاضل

أساليب متطورة

ومن الممكن استخدام أساليب متطورة كالرياضيات والحاسبات الإلكترونية في تحديد هذه العناصر، إلا أن ذلك يظل غير دقيق نظراً لوجود عناصر أخرى يصعب قياسُها كالقوة المعنوية والمفاجأة وتطوير الاستراتيجية والتكتيك واللجوء إلى بدائل أخرى لم تستخدم من قبل.

وإذا كنا اليوم نعيش ثورة اتصال لم تشهدها البشرية من قبل، فإن أحداً لا ينكر دور الاتصال في ترجمة هذه العناصر وتحويلها إلى مؤثرات فعّالة على الصعيدين الداخلي والخارجي، لأن أبرز التطورات في العلاقات الدولية المعاصرة هو الاعتراف بالدعاية الدولية كعمل منتظم ودائم من أعمال الحكومات في زمن السلم والحرب على السواء.

ومن هنا كان اهتمام الدول والمنظمات التي تقوم بالدعاية الدولية ببذل الجهود لدراسة الجماهير التي توجه إليها الرسالة الإعلامية والإفادة القصوى من وسائل الاتصال المتاح لها مخاطبة تلك الجماهير واستمالتها للسياسة الخارجية للدولة أو الدول أو المنظمات المعنية.

إحصاء ١٩٦٧م

ومن ثمَّ نلاحظ أن الصهيونية كرَّست جهودها الإعلامية منذ زمن طويل، وبصفة خاصة منذ بداية الصراع في المنطقة، فطبقاً لإحصاء العام ١٩٦٧م بلغ عدد الصحف والمجلات اليهودية خارج إسرائيل نحو (٧٦٠) صحيفة ومجلة منها (٣٤٤) صحيفة في أمريكا و (٣٠) دورية في كندا منها (٩) باللغة الإنكليزية و(١١٨) صحيفة في أمريكا اللاتينية منها (٤٧) صحيفة باللغة الأسبانية وغيرها من الدوريات التي تغطي معظم اللغات الأوروبية بجانب الصحافة والمطبوعات الصحافية الأخرى والإنتاج السينمائي وتسويقه عالمياً، ومراكز الاستعلامات والإذاعة والتلفاز والمحطات الفضائية إضافة إلى مساندة الإعلام العربي والأمريكي.

وفي الوقت نفسه، فإن إسرائيل لا تكتفي في منطقها الدعائي بالإعلام المكتوب والمرئي والمسموع لبيان وجهة نظرها، وتحقيق أهدافها الدعائية، ولكنها تهتم بالاتصال المواجهي «المقابلة وجهاً لوجه» لما له من أهمية بالغة في التأثير على الرأي العام وقادة الرأي وصانعي القرار.

وإذا كان بعض خبراء الإعلام يرون أن الدعاية هي الفرع الرابع للحكومة الذي تستعين به لتحقيق سياستها الخارجية، فإن الدول الصغيرة ذات القدرات العسكرية والديبلوماسية المحدودة تجد في الدعاية وسيلتها لمتابعة مصالحها القومية على الصعيد الدولي، ولكن الأمر حتماً سيختلف تماماً في حال قيام وحدة مشتركة بين مثل هذه الدول، حيث إنها تلعب دوراً أكثر فاعلية وتفرض وجودها في الساحة الدولية، فقد استخدم العرب بحكمة إمكاناتهم الاقتصادية والعسكرية في حرب العاشر من رمضان أكتوبر ١٩٧٣م الأمر الذي أزال الصورة المشوهة للإنسان العربي، وفي الوقت نفسه حطم الصورة الذهنية لدى الرأي العام العالمي عن الأسطورة الإسرائيلية.

العرب ... والدعاية الدولية

ولا جدال أن العالم اليوم يعيش ثورة اتصال لم تشهدها البشرية من قبل وبالتالي فإن العالم العربي والإسلامي له نصيب منها، يتمثل ذلك في أجهزة ووسائل الاتصال المتقدمة التي نمتلكها، فلدينا الصحافة الدولية ونحو (٣٠) قناة فضائية يمكن التنسيق بينها ـ لو خلصت النوايا ـ لتوظيفها في الدعاية الدولية لمشكلاتنا عن طريق الاعتماد على الأساليب الفنية في الدعاية.

ومع كل هذا وذاك، فإن معالجة الصراع قد تقتضي الاعتماد على العقلانية واستبعاد العواطف والانفعالات، وقد تقتضي اللجوء إلى القوة العسكرية أو التلويح بها بقدر معين، ثم استخدام القوة الاقتصادية، واللجوء إلى الديبلوماسية أو استخدام العناصر الثلاثة معاً في وقت واحد، أو تقديم عنصر على آخر أو إلغاء وسيلة معينة ثم

العودة إليها إذا اقتضى الأمر.

وتعد القوة المعنوية عنصراً مهماً في إدارة الصراع، وهذا الدور منوط أساساً بالإعلام الداخلي والخارجي الذي من مهامه نقل عناصر القوى التي يتمتع بها طرف معين في الصراع ويصيغها في منطق إعلامي ملائم على المستوى الدولي، واضعاً في حسبانه خصائص المستقبل الأجنبي للرسالة الإعلامية وقياس المردود الإعلامي لتلك الرسالة.

وهكذا ينقل الإعلام الدولي طريقة إدارة الصراع من جانب الطرف المعني في مواجهة الطرف الآخر، فكلما كانت هذه الإدارة قوية كلما ساعد ذلك الإعلام الدولي على أن يعكس تلك القوة إذا تمتع إعلامنا الدولي في الوقت نفسه بالقوة، فقوة إدارة الصراع تعني قوة إعلامنا الدولي، وضعف إدارة الصراع تعني ضعف إعلامنا الدولي حتى لو تمتع بالقوة وفي الوقت نفسه، فإن قوة إدارة الصراع مع ضعف إعلامنا الدولي تؤدي إلى نتائج سلبية حتماً.

قراءة التاريخ

فقد أثبتت التجارب أن الاعتماد على الإعلام كوسيلة للاستغاثة والتنديد والاستنكار لا يحقق الأهداف المنشودة لأنها لاتعزو أن تكون مجرد مظاهر عاطفية انفعالية سرعان ما تندثر، فبقراءة التاريخ نجد أن مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي تداولت في المحافل الدولية منذ زمان طويل، ولم تسفر عن تقدم ملموس إلا عندما استعاد العرب قوتهم واستخدموا إمكاناتهم العسكرية والاقتصادية في حرب العاشر من رمضان، فعلى سبيل المثال، شكلت الأمم المتحدة في أول دورة استثنائية لها في ٢٨ أبريل ١٩٤٧م لجنة خاصة بفلسطين، ثم تطورت الأوضاع إلى مشروع التقسيم وإنهاء الانتداب البريطاني إلى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين وتبني مشكلة اللاجئين ... إلخ.

وأصدر مجلس الأمن القرار رقم ٤٧٦ بتاريخ ٣٠ يونيو ١٩٨٠م ببطلان قرار إسرائيل في جعل القدس الموحدة عاصمة لها، ونظراً لعدم امتثال إسرائيل للقرار، كرر المجلس موقفه بالقرار ٤٧٨ بتاريخ ٢٠



أغسطس ١٩٨٠م والذي يقضي بأن جميع الإجراءات التي من شأنها تغيير مركز المدينة باطلة ولاغية.

ورغم ذلك، فإن إسرائيل ماضية في تهويد القدس، كلما سنحت لها الفرصة، فقد استغلت تمزق العرب بعد أزمة الخليج المريرة وأصدرت قرارها في يناير ١٩٩٥م بمصادرة نحو ١٣١ فداناً من الأراضي الفلسطينية في القدس الشرقية لإنشاء حي يهودي جديد يضم ٢٥٠٠ وحدة سكنية، وفي ديسمبر ١٩٩٦م قامت حكومة نتنياهو بإنشاء أول وزارة جديدة باسم «البنية التحتية»، مهمتها إنشاء المستوطنات والطرق برئاسة «اريل شارون» صاحب مشروع النجوم السبع لمصادرة الأراضي العربية، وقام «إيلي سويا» وزير داخلية إسرائيل بإعداد خطة استيطانية - تعد الأولى من نوعها منذ احتلال المدينة العام ١٩٦٧م - تقضي ببناء ١٣٢ وحدة سكنية لليهود في حي «باب العمود» حيث أقرت الحكومة هذه الخطة في ١٢ ديسمبر ١٩٩٦م بعد قيام «ارفينج موسكوتيز - أبرز الممولين لأنشطة جماعة استيطانية متطرفة تدعى «عتريت كوهانيم» - بشراء الأراضي اللازمة لبناء تلك الوحدات.

إغلاق القدس

وفي ١٨ مارس ١٩٩٧م بدأت إسرائيل في بناء مستوطنة «هار حوما» في جبل أبو غنيم، وتعد المستوطنة الأخيرة التي تكمل بها إسرائيل حلقة المستوطنات التي تشكل دائرة مغلقة حول القدس بحيث يصبح من غير الممكن الانتقال من وإلى المدينة إلا عبر الحواجز البشرية والأمنية الإسرائيلية، فقد تمكنت إسرائيل خلال العقود الثلاثة الماضية من تحويل ملكية أراضي القدس الشرقية من ٩٠٪ للفلسطينيين إلى ١٣٪ فقط، ويخطط نتنياهو ليصل بعدد اليهود في القدس العام ٢٠٠٠م إلى ٧٥٠ ألف يهودي يسكنون في ١٨٠ ألف وحدة سكنية على أن تصبح مساحة القدس ١٠٨ كم مربعاً بإضافة ٥٠ كم مربعاً من قرى وأراضي الضفة المحيطة بها.

وسبق ذلك تهديد إسرائيل للعرب والمسلمين، حيث أعلن نتنياهو في حديثه لصحيفة «لوفيغارو» الفرنسية في ١٨ يناير ١٩٩٧م أنه لا تفاوض على القدس، وإسرائيل ستحتفظ بالجولان لأسباب استراتيجية وتاريخية.

إن الأمل الوحيد في إنقاذ القدس الشريف هو وحدة العرب سياسياً واقتصادياً وعسكرياً لأن أي مفاوضات أو قرارات أو اتفاقات دولية بحاجة إلى قوة تنفذها وتحميها بحيث لا يشترط استخدام تلك القوة، بل يكفي وجودها فقط لأن توازنات القوى بل تفوقها هي السبيل الوحيد لردع المعتدين. ■

البيت المسلم

العدد ٣٩١ ـ الوعي الإسلامي ـ ربيع الأول ١٤١٩ هـ ـ يونيو / يوليو ١٩٩٨ م

الإسلام يحرر المرأة من الفاحشة

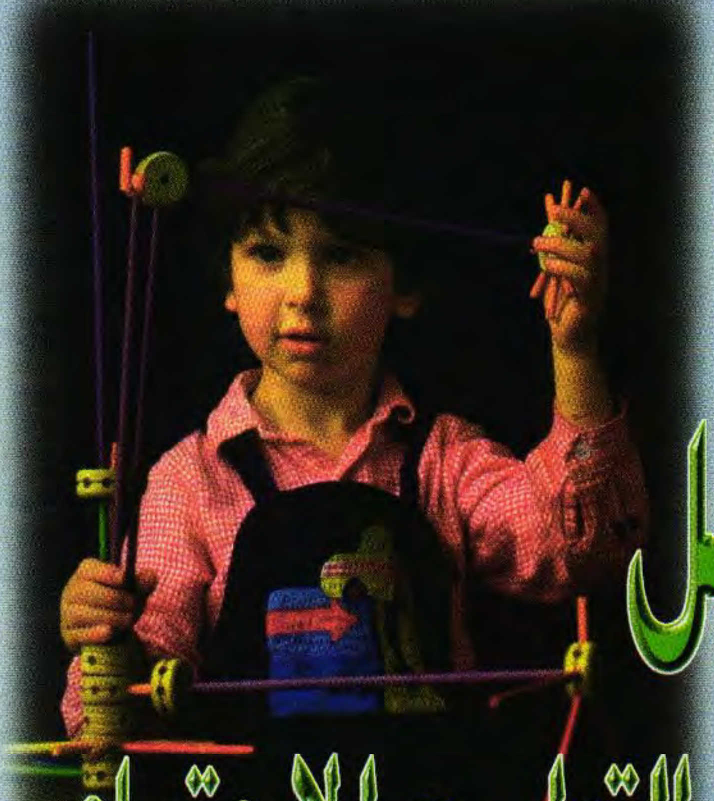


مشكلات النوم عند الأطفال

زوجتك أمانة عندك بعقد ميثاق غليظ

اللقاءات التلفازية وراء هروب الفتيات

الحرية الجنسية ... قيد !!



الطفل وعملية التطبيع الاجتماعي

الإسلام يحرر المرأة من الفاحشة

رب قائل يقول: كيف تحرر المرأة من الفاحشة، والفاحشة لون من ألوان الحرية؟

وأقول: إن الفاحشة مثل طعام شهي لذيذ، لكن السم دُسَّ فيه، فإذا حلنا بين الناس وأكله. أنكون قد سلبناهم حرياتهم؟

لماذا لا نقول إن لذة الطعام، وكونه شهياً، قيدان يسوقان المرء إلى تناوله... ثم إلى هلاكه! فأين الحرية في هذا؟

إذاً، فحين يحول الإسلام بين المرأة وبين الفاحشة، فإنه يحول بينها وبين الهلاك، إنه يحفظ لها كرامتها، ويعلي من شأنها، ويرفع لها قدرها.

محمد رشيد العويد



إنه أوصى بها زوجة غاية الإيصاء، وأمر بمعاشرتها بالمعروف، وحرّم أخذ حق من حقوقها المالية، وجعلها مصدراً لثواب الرجل حين يرعاها ويحسن إليها، ووعدها بما يحصل عليه الرجل من أجر الجهاد والجمع والجماعات، إذا أحسنت تبعلها لزوجها... أفيقال، بعد هذا، إن الإسلام يسلبها حريتها إذا حال بينها وبين الفاحشة وهو يعطيها هذا الأجر كله... وينزلها هذه المنزلة العالية؟

إحسان إليهن

وما أجمل كلمات الإمام الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً) النساء: ١٤.

لماذا أمر تعالى بحبس اللاتي يأتين الفاحشة في البيوت ؟

يقول رحمه الله: «اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة الأمر بالإحسان إلى النساء ومعاشرتهن بالجميل، وما يتصل في هذا الباب، ضم إلى ذلك التغليظ عليهن فيما يأتينه من الفاحشة، فإن ذلك في الحقيقة إحسان إليهن، ونظر في أمر آخرتهن، وأيضاً ففيه فائدة أخرى: وهو ألا يجعل أمر الله الرجال بالإحسان إليهن سبباً لترك إقامة الحدود عليهن، فيصير ذلك سبباً لوقوعهن في أنواع المفاسد والمهالك، وأيضاً فيه فائدة ثالثة، وهي بيان أن الله تعالى كما يستوفي لخلقه، فكذلك يستوفي عليهم، وأنه ليس في أحكامه محاباة، ولا بينه وبين أحد قرابة، وأن مدار هذا الشرع الإنصاف والاحتراز في كل باب عن طرفي الإفراط والتفريط، فقال: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم)(١).

لا إفراط ولا تفريط

ويقول القرطبي: «لما ذكرالله تعالى في هذه السورة الإحسان إلى النساء، وإيصال صدقاتهن إليهن، وانجرّ الأمر إلى ذكر ميراثهن مع مواريث الرجال، ذكر أيضاً التغليظ عليهن فيما يأتين به من الفاحشة، لئلا تتوهم المرأة أنه يسوغ لها ترك التعفف»(٢).

ويوضح هذا المعنى أيضاً الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره إذا يقول:

«بعد أن أوصى سبحانه إلى النساء ومعاشرتهن بالمعروف، والمحافظة على أموالهن، وعدم أخذ شيء منها إلا إذا طابت نفسهن بذلك، ذكر هنا التشديد عليهن فيما يأتين من الفاحشة، وهو في الحقيقة إحسان إليهن، إذ الإحسان في الدنيا تارة يكون بالثواب، وأخرى بالزجر والعقاب، لكفّ العاصي عن العصيان الذي يوقعه في الدمار والبوار، ومبنى الشرائع على العدل والإنصاف والابتعاد عن طرفي الإفراط والتفريط،

الرازي : التغليظ على النساء إحسان إلهي ونظر في أمر آخرتهن

ومن أقبح العصيان الزنا، ولا سيما من النساء، لأن الفتنة بهن أكثر، والضرر منهن خطر، لما يفضي إليه من توريث أولاد الزنا وانتسابهم إلى غير آبائهم»(٣).

ثم نلحظ ملمحاً آخر من ملامح الحفظ للمرأة في هذه الآية الكريمة، والتخفيف من التكاليف عنها، وذلك في قوله تعالى: (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) «أي اطلبوا شهادة أربعة رجال أحرار منكم، قال الزهري: «مضت السنة من رسول الله والخليفتين بعده ألا تقبل شهادة النساء في الحدود»، والحكمة في هذا إبعاد النساء عن مواقع الفواحش والجرائم والعقاب والتعذيب رغبة في «أن يكنّ دائماً غافلات عن القبائح، لا يفكرن فيها، ولا يخضن مع أربابها» (٤).

إنه تخفيف من قيود قد تأخذ من وقت المرأة، وتشغلها عن أداء رسالتها، حيث تهتم بهذه الشهادات، وتضطر إلى الإدلاء بها للمحققين، ثم أمام المحاكم.

حماية العفيفات

وأخيراً، فإننا لو تدبرنا في هذا التشديد على المرأة التي تأتي الفاحشة، والتضييق عليها فيها، لوجدنا فيهما، أي التشديد والتضييق، حماية للنساء العفيفات، وحماية لبيوتهن وأزواجهن، لأن المرأة سترتكب فاحشة الزنا مع رجل، وقد يكون هذا الرجل متزوجا، والأذى الناتج عن هذه الجريمة سيلحق بزوجته العفيفة، وبأولادها إلى وقد يؤدي هدم أسرة ودمار بيت.

ولعل هذا يوضح لماذا أمر الله تعالى في نهاية الآية نفسها، بحبس المرأة التي ترتكب الفاحشة في البيت، حتى يتوفاها الموت: (... فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً) النساء: ١٥، لأن في خروج المرأة المرتكبة للفاحشة من البيت، إتاحة لفرصة جديدة أمامها قد تكرر فيها ارتكاب الفاحشة، يقول الإمام الرازي: «والحكمة فيه (أي الحبس في البيت) أن المرأة إنما تقع في الزنا عند الخروج والبروز، فإذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا، وإذا استمرت على هذه الحال تعودت العفاف والفرار من الزنا»(٥).

حماية من وجهين

حتى مع القول إن هذه الآية منسوخة بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً: الثيب بالثيب جلد مئة ورجم بالحجارة، والبكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام».

وبقوله تعالى في سورة «النور» (الزانيةوالزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) النور: ٢، فإن الآية والحديث حماية للمرأة العفيفة من المرأة الزانية من وجهين:

المرأة المنحرفة تشكل خطراً على المرأة العفيفة وعلى حريتها

١ - في إقامة الحد على المرأة الزانية ألم جسدي وألم نفسي، فالألم الجسدي ظاهر في عملية الجلد والدعوة إلى عدم أخذ الرأفة في تنفيذها، والألم النفسي في إحساس المرأة بأنها ذُلّت وفُضحت، وهذان الأمران يجعلان المرأة تخشى الزنا وتبتعد عنه.

٢ - شهود طائفة من المؤمنين عذاب الزانية فيه إغلاظ عليها وتوبيخ بحضرة الناس، وأن ذلك يردع المحدود، ومن شهده وحضره يتعظ به ويزدجر لأجله، ويشيع حديثه فيعتبر به من بعده»(٦)، كذلك فإنها تعرف لدى النساء فيحذرنها، ويحذرن مخالطتها واقترابها من أزواجهن.

وهكذا، فالتضييق على المرأة حتى لا ترتكب فاحشة الزنا، والتشديد عليها في العقوبة، ليس سلباً لحريتها، بل هو حفظ لها، وصيانة لنفسها، وتوفير لأمنها.

فالمرأة المتزوجة السعيدة الآمنة، الذي يوفر لها زوجها الحماية والنفقة والرعاية، تمتلك حرية حقيقية في تلبية فطرتها، والاستمتاع بحياتها، لكن هذه المرأة ستفقد حريتها حين يبدأ زوجها بالتقليل من النفقة، والتهرب من المسؤوليات، وعدم معاشرتها، لأنه بدأ يزني بامرأة اتخذها عشيقة، ينفق عليها من مال هو من حق زوجته وأولاده، ويمضي معها وقتاً هو من حق زوجته وأولاده، ويعاشرها معاشرة هي من حق زوجته... أفليس ارتكاب تلك المرأة لفاحشة الزنا مع زوج المرأة العفيفة، قد سلب هذه الأخيرة حريتها، وأمنها، ونفقتها...! ■

الهوامش

(١) التفسير الكبير - ج٩ - ص ٢٢٩، ٢٣٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن - ج٥ - ص٨٢.
(٣) (٤) تفسير المراغي - ص ٢٠٥.
(٥) التفسير الكبير - ج٩ - ص٢٣٣.
(٦) الجامع لأحكام القرآن - ج١٢ - ص ١٦٧.

عزيزي الزوج



زوجتك أمانة عندك بعقد ميثاق غليظ

صحبة ٢٠ يوماً قرابة ... فكيف بما يجري بين الزوجين؟

«ميثاق غليظ»

لم يوصف ميثاق في القرآن الكريم بأنه غليظ إلا ثلاث مرات، مرة في الحديث عن الميثاق الذي أخذه الله تعالى من الأنبياء عليهم السلام، ومرة في الحديث الذي أخذه الله من بني إسرائيل، ومرة في الحديث عن الميثاق الذي تأخذه الزوجة من زوجها.

يقول تعالى في الميثاق الذي أخذه من الأنبياء عليهم السلام: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) الأحزاب: ٧.

ويقول الله عن الميثاق الذي أخذه من بني إسرائيل:

(ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) ١٥٤: النساء.

ويقول سبحانه عن الميثاق الذي تأخذه الزوجة من زوجها:

(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) النساء: ٢٠ ـ ٢١.

فهلا تأملت الأخت المسلمة، كيف وصف الله تعالى الميثاق الذي تأخذه من زوجها، بعقد الزواج، بأنه غليظ، تماماً كما وصف سبحانه الميثاق الذي أخذه من الأنبياء عليهم السلام، والميثاق الذي أخذه سبحانه من بني إسرائيل!

إنه تعظيم لعقد الزواج، الذي يستحل به الرجل المرأة التي يتزوجها، ومن ثم تشديد من الله وإنذار للأزواج الذين لا يكترثون بهذا الميثاق الغليظ، فيحاولون أن يأخذوا من المهر الذي أعطوه لزوجاتهم.

قوامة الأنبياء وقوامة الأزواج

إن الله تعالى هو الذي أخذ ا لميثاق الغليظ في الآيتين الأوليين، والمرأة هي التي أخذته من زوجها في الآية الثالثة، فكأنما على الرجل أن يحذر أن يستغل المرأة ويستهين بهذا الميثاق الغليظ ناسياً أن الله شاهد على هذا الميثاق، وقادر على أن يعجّل له العقاب كما عجّله لبني إسرائيل حين نقضوا ميثاقهم.

لم يوصف ميثاق في القرآن بأنه غليظ إلا ثلاث مرات

كما أنه تعالى سيسأل الأنبياء عن هذا الميثاق الغليظ، وسيسأل بني إسرائيل عنه ويحاسبهم عليه، فإنه تعالى سيسأل الأزواج عن الميثاق الغليظ الذي باتت به الزوجات في رعايتهم وأصبحن به حليلات لهم، وتركن قيادهن لأمرهم.

يقول الرازي: «غِلَظ الميثاق هو سؤالهم «أي الأنبياء» عما فعلوا في الإرسال كما قال تعالى (ولنسألن المرسلين)، وهذا لأن الملك إذا أرسل رسولاً وأمره بشيء وقبله، فهو ميثاق، فإذا أعلمه بأنه يسأل عن حاله في أفعاله وأقواله، يكون ذلك تغليظاً في الميثاق عليه، حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة، وعلى هذا يمكن أن يقال إن المراد من قوله تعالى ـ في خطاب الأزواج ـ : (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) هو الإخبار بأنهم ـ أي الأزواج ـ مسؤولون عنها ـ أي رسالة الزواج ـ كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وكما أن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء... جعل الأنبياء قائمين بأمور أمتهم وإرشادهم إلى سبيل الرشاد»(١)

لماذا وصف الميثاق بالغلظة؟

وفي تفسير هذا الميثاق الغليظ ـ الذي أخذته الزوجة من زوجها ـ وجوه:

الأول: هو قولهم: زوجتك هذه المرأة على ما أخذه الله للنساء على الرجل، من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ومعلوم أنه إذا ألجأها إلى أن بذلت المهر، فما

سرحها بالإحسان، بل سرحها بالإساءة.

الثاني: الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقودة على الصداق، وتلك الكلمة تُستحل بها فروج النساء، قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله». الثالث: قوله (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) أي أخذن منكم، بسبب إفضاء بعضكم إلى بعض، ميثاقاً غليظاً، ووصفه بالغلظة لقوته وعظمته، وقالوا: «صحبة عشرين يوماً قرابة، فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج»!(٢).

هلا تأملت الزوجات كيف يحميهن الإسلام ويأمر بالإحسان إليهن ؟

هلا أدرك الأزواج وتأملت الزوجات؟

كيف، هل بعد هذا كله، يستهين الزوج بهذا الميثاق الغليظ، ولا يخشى الله تعالى في زوجته، وفي رعايتها، وحفظ حقوقها، وأداء أمانة قوامته عليها، وحرصه على توجيهها وتعليمها، بالرفق واللين، والقدوة الحسنة؟

وكيف يتعجل بعض الأزواج الطلاق، غير مدركين غلظ الميثاق الذي جمع بهم زوجاتهم، وجعلهن أمانة عندهم...؟

إن مبادرة كثير من الأزواج إلى الطلاق، دون صبر طويل على زوجاتهم، تشير إلى جهل بعضهم في هذا الميثاق الغليظ، وعدم فهمهم لما يعنيه غلظ هذا الميثاق.

فهلا أدرك الأزواج أن زواجهم يحمل رسالة عظيمة، تشبه رسالة الأنبياء، فهم أيضاً مسؤولون عن دعوة زوجاتهم وأولادهم إلى دين الله وشرعه، وتربيتهم عليه، وجعل أعمالهم موافقة لما أمر الله، وأخلاقهم وأشخاصهم مثلما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهلا تأملت الزوجات كيف يحميهن الإسلام ويأمر بالإحسان إليهن، وينهى عن أكل حقوقهن، إنه نهي شديد، وزجر ووعيد يجعل الزوج يفكر ألف مرة قبل أن تمتد يده إلى درهم من دراهم مهر زوجته! ■

أسائل جدتي

للشاعرة: نجلاء الأسطل

أسائلُ جدتي عن ذا الحدادِ
وما هذا السوادُ على السوادِ

فردتْ جدتي: أبكي لهيباً
تحول بالسنين إلى رمادِ

فما عادَ المؤذنُ فينا يدعو
عبادَ الله حيّ على الجهادِ

وأطهرُ بقعة في الأرض صارتْ
لملعونٍ تأزّر بالفسادِ

فمن منّا لصوتِ القدس لبّى
وشدّ على السواعد والزنادِ

فيا وطني عليك العمر أبكي
ويا وطني نحيبي في ازديادِ

ويا وطني صحيح ما ادّعوه؟
سلام في ربوع القدس بادِ!

سلام زائف هذا لعمري
وايمُ اللهِ جمْعٌ للفسادِ

فلسطينُ جراحك فيَّ تدْمي
وظلمكِ كم ينال من الفؤادِ

أشاحتْ جدتي عني بوجهٍ
أزالتْ سحرهُ نُوَبُ البِعادِ

عجبتُ من المهازل كيف عادت
تؤرق جفنَ مستلبِ الرقادِ

ونيراناً بصدري قد تعالت
لتنذر باشتعالِ واتّقادِ

فلن أبقى طوال العمر أبكي
وأترك مهجتي بيد الأعادي

فما نفع الحياة إذا دُعينا
ولم ننهض فداء يا بلادي

•



الحرية الجنسية ... قيد!

دعت «الجمعية النسائية لمكافحة الاغتصاب»، ومقرها العاصمة الفرنسية باريس، إلى إخضاع مرتكبي الجرائم الجنسية لعلاج إلزامي قبل سنة على الأقل من مغادرتهم السجن، وإلى اتخاذ تدابير متابعة قضائية وعلاجية بعد الإفراج عنهم.

وأعلنت الجمعية أن الوقاية من الاعتداءات الجنسية، ومنع تكرارها على الأقل، باتت أمراً ملحاً.

وطالبت الجمعية ـ التي تتلقى سنوياً من ألف إلى ألفين ومئتي اتصال من ضحايا الجرائم الجنسية ـ بإعداد برامج للوقاية من التجاوزات الجنسية وتلقينها للأطفال منذ نعومة أظفارهم.(١)



واضح، مما جاء في هذا الخبر، أن معاناة المرأة الفرنسية من الاغتصاب، ومن جميع أشكال الاعتداء الجنسي، معاناة كبيرة، وحادة، وهائلة، إلى درجة أن النساء الفرنسيات طلبن تأسيس جمعية نسائية لها مهمة واحدة تبذل من أجلها كل جهودها، وهي مهمة «مكافحة الاغتصاب».

وإن الدعوة إلى «إخضاع مرتكبي الجرائم الجنسية لعلاج إلزامي قبل سنة على الأقل من مغادرتهم السجن، تشير بوضوح إلى الخوف والقلق اللذين يملآن نفوس النساء من تكرار ارتكاب جرائم الاغتصاب من مجرمين سبق ارتكابهم لها.

وهذا بدوره يؤكد أن العقاب لم يكن رادعاً وأن الخطر مازال قائماً، بينما الحد الذي فرضه الإسلام على مثل هذا العمل يجتث المجرم من المجتمع كله، والعقاب الرادع يعيش في تصور كل من تسول له نفسه الأمارة بالسوء ارتكاب جرم الاغتصاب أن يبتعد عنه، ويخوّفه منه، ويكون ـ من ثمَّ ـ عامل وقاية مهماً وفاعلاً.

ولا شك في أن أكثر من ألف اتصال من ضحايا الجرائم الجنسية في الجمعية، يدل على استمرار معاناة النساء من آثار الاغتصاب، وبحثهن عمن يكفل لهن الحماية، ويوفر لهن الأمان، مع ضرورة الإشارة إلى أن كثيرات لا يقمن بهذا الاتصال ويكتمن معاناتهن في أنفسهن.

ثم إن مطالبة الجمعية بإعداد برامج للوقاية من التجاوزات الجنسية، وتلقينها الأطفال منذ نعومة أظفارهم مادة الجنس، لتبين أهمية التربية التي يدعو إليها الإسلام، ويلّح عليها، وتكشف ـ من جهة أخرى ـ بطلان تلك الدعوات إلى تدريس الجنس، والحث عليه، وما جرّه على الغرب من انفلات يقطفون الآن ثماره الفجّة.

وما أعلنته الجمعية، من أن الوقاية من الاعتداءات الجنسية باتت أمراً ملحاً، ليشهد لشريعة الإسلام شهادة بالغة، فهي التي توفر مبادئها خير وقاية من الاغتصاب، بدءاً من الحجاب الذي يستر المرأة منذ بلوغها، ومروراً بمنع الاختلاط، وانتهاء بالحدود الزاجرة.

> «الانفلات الجنسي» سلب المرأة حريتها

وأرجو ألا يغيب عنا معنى مهم نخرج به من هذا الخبر، وهو أن ما سمّوه بـ «الحرية الجنسية» ليس إلا «قيد» رهيب خانق سلب المرأة حريتها الحقيقية! ذلك أن «الاغتصاب الجنسي» بأي صورة كان، إنما هو قيد قاس، فهو يحرم المرأة من أن تكون آمنة ويجعلها خائفة، مهانة، مرغمة، على عمل لم تختره... فهل في هذا شيء من الحرية؟!

فلنصحح إذاً التسمية من «الحرية الجنسية إلى «الانفلات الجنسي» ولنقل، ونحن مطمئنون، إن «الانفلات الجنسي» قيد من القيود الخطيرة التي تسلب المرأة حريتها، وأمنها، وتجرح أحاسيسها ومشاعرها.

> ١٢٠٠ اتصال هاتفي نتيجة ضحايا الاعتداءات الجنسية

تبقى كلمة لأولئك الذين مازالوا يدعوننا إلى دفع مجتمعاتنا المسلمة إلى أتون مجتمعات الغرب: هل تريدوننا أن نعيش مثلما يعيش هؤلاء الذين فقدوا الأمن؟! هل تريدون أن يحلّ بنسائنا ما حلّ بنساء الغرب؟!

هل تريدون المرأة المسلمة الآمنة المطمئنة الحرة... أن تصبح خائفة، قلقة، مكبّلة؟!! ■

هامش:

١ ـ نقلت الخبر وكالة الأنباء الفرنسية في ١٩٩٥/٨/٢م، كما نشرته جريدة السياسة الكويتية في عددها رقم ٩٥٨٧، الصادر في ٦ ربيع الأول ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٥/٨/٣م.

اللقـاءات التلفازيـة وراء هـروب الفتيـات

اتهمت دراسة اجتماعية، صادرة عن مباحث القاهرة، اللقاءات التلفازية مع بعض الفنانات الشهيرات، التي يعرضها التلفاز، بالتسبب في هروب الفتيات الصغيرات من منازلهن.

وقالت الدراسة: إن هذه اللقاءات تؤثر سلباً على الفتيات في سن المراهقة، وتدفعهن إلى الهروب من الأسرة لتحقيق الشهرة والثراء السريع، خصوصاً أن الفنانات يحكين قصة هروبهن من منازلهن ليبدأن مشوارهن الفني.

وألمحت الدراسة، التي أعدتها الباحثة الاجتماعية، «عطيات صالح»، إلى أن



٧٠٪ من الفتيات الهاربات أكدن أن حديث الراقصة «فيفي عبده» في التلفاز المصري، وقصة هروبها من أسرتها واحترافها الرقص وتحقيقها الشهرة والثراء، كانا الدافع الأساسي للهروب واعتبارها قدوة يحتذى بها!»(١).

بُحَّت منا الحناجر، وانبرت فينا الألسنة، وكلَّت منا الأقلام ونحن نحذر من تزيين أولئك الرجال والنسوة المنسوبين إلى الفن، في عيون أبنائنا وبناتنا، وجعلهم نماذج يُقتدى بها، ويُقتفى أثرها.

ولم يكن يصدقنا واحد، بل لم يكن يستمع إلينا واحد، كنا نُسفه، ونتهم بضيق الأفق، والرجعية، والانغلاق.

قبل عشر سنوات تقريباً، وتحت عنوان «قمة المجد» كتبت أحذِّر من تلك المقابلات التي تجرى مع من يُدعين فنانات، وتذاع من محطات تلفاز رسمية، وكان مما كتبته: «ومن خلال الحوار الذي دار بين«الفنانة» ومقدمة البرنامج، سألت الأخيرة ضيفتها: «كيف وصلت إلى قمة المجد»؟... فانظر يا صديقي كيف يفهمون «المجد» وكيف يفهمون «قمته»...!، بل كيف يصورون المجد لهؤلاء الفتيات الصغيرات، اللواتي يتلقين هذه المفاهيم المقلوبة... على مرأى ومسمع من المربين والموجهين، «المجد» أن تكون هذه راقصة، تسحر الناس برقصها، و«المجد» أن تكون تلك ممثلة، تفتن الرجال بجمالها، ويدفع لها المنتجون عشرات الآلاف من الجنيهات

ولم يعد علم «عائشة» وإيمان «خديجة» وشجاعة «خولة» وثبات «أسماء»... ما عادت هذه أمجاداً!

يا قوم إنكم تخربون بيوتكم بأيديكم، وتهدمون بناء أمتكم من أركانه ودعائمه، وأنت غافلون فهلا أفقتم؟؟!!(١)

هذا ما كتبته قبل عشر سنوات، وهذه هي الدراسة الاجتماعية تؤكد ما تم التحذير منه، فهل لأحد أن يتهمنا بالتحامل أو الانغلاق أو الرجعية؟!

أي تناقض خطير أن تقوم يد إنسان بهدم ما تبنيه يده الأخرى؟! هذا ما يحدث حينما يهدم مثل هذا اللقاء في التلفاز الرسمي ما يبنيه المربون والآباء في الأبناء والبنات...!

يعلّم الأبناء والبنات أن الفضيلة هي الرابحة، ويعلّمهم التلفاز أن الرقص يربح أكثر!.

يعلّمهم الآباء أن الالتزام بالأسرة هو العمل الصحيح، ويفهمهم التلفاز أن الهرب من الأسرة طريق إلى الشهرة والمال.

ويربيهم المربون في المدارس على أن قدواتهم هم النبي وصحابته، ويوحي إليهم الإعلام أن الاقتداء بذاك الممثل أو تلك الراقصة أنفع وأجدى.

أخيراً أذكر أن بداية خبر الدراسة الاجتماعية أشارت إلى أنها صادرة عن مباحث القاهرة، وليس من هيئة دينية أو جمعية إسلامية فيقول من يقول إن المشايخ وجهوا الدراسة لتكون نتائجها في خدمة دعوتهم. ■

الهوامش:

١ - جريدة الشرق الأوسط ١٤١٥/١١/١٥هـ - ١٩٩٥/٤/١٥، العدد ٩٥٨٢.

٢ - كتاب رسالة إلى حواء - الجزء الثالث - ص ٥٥.

... كان يبدأ بأهله

من مذكرات زوجة سعيدة



لا أنكر أنني كثيراً ما كنت أتأخر في اغتسالي بعد طهري من حيضي فتفوتني صلاة أو صلاتان.

كان عبدالرحمن يلاحظ هذا ويتجاهله في البداية، حتى كنت أحسب أنه غافل عن إهمالي... غير منتبه إليه.

وكانت هذه عادته في كثير من ملاحظاته على خطيأتي، حيث يتجاهل أولاً أملاً في أن أصحح خطيأتي بنفسي... فإذا تماديت فيها... بادر إلى مراجعتي منبهاً ناصحاً.

وحين بقيت يومين بعد طهري من حيضي الأخير دون أن أغتسل... بادرني قائلاً:

- هل تعلمين أنك تضيعين حقوق الله عليك في الصلاة... حين تؤجلين اغتسالك وتؤخرينه؟

قلت: أنا لا أحب أن تعلمني أمور ديني... أنا أعرف ما يجب عليّ فيه... فلا تجعل من نفسك واعظاً ومعلماً.

قال: لقد تكرر هذا منك... وأردت أن أنبهك إلى عظم إهمالك ولو فرضاً واحداً من الصلاة.

قلت: لو صبرت ساعة واحدة، لقد كنت أنوي الاغتسال بعد قليل.

قال: وما أدراني بنيتك...؟

قلت: كان عليك أن تصبر.

قال: قلت لك لقد تكرر هذا منك، كنت تضيعين صلاة ثم صرت تضيعين صلاتين ثم ثلاث صلوات، وها أنت اليوم تضيعين عشر صلوات!

قلت: أنا أضعت عشر صلوات؟

قال: احسبي لنفسك، ألم تطهري صباح البارحة... ونحن اليوم بعد العشاء؟

قلت: صلاة فجر البارحة لم أكن أدركها لأني طهرت بعد شروق الشمس... وصلاة العشاء اليوم لم تفتني بعد... فأدركها حين اغتسل بعد قليل.

قال: تبقين ثماني صلوات هل تستهينين بثماني صلوات؟!

قلت: إذا كنت ستحسب هكذا فإني إذاً أضعت أكثر من ثلاثين صلاة لم تحسبها.

قال مدهوشاً: أنت أضعت ثلاثين صلاة لم أحسبها؟ متى وكيف؟

قلت: ألم أنقطع عن الصلاة طوال أيام حيضي؟

نظر إليّ وبدأ يشك بأني جادة في محاورته.

قال: أتعنين ما تقولين؟!

قلت متصنّعة الجد: قل... أجب ألم تضع صلوات عليّ أيام حيضي؟

قال: لا... لم تضع هذه الصلوات عليك؟

قلت: كيف لم تضع؟

قال: الله سبحانه أسقطها عنك وليس عليك قضاؤها ولن يحاسبك عليها.

قلت: ولكني أفقد ثوابها!

قال: عدم صلاتك في أيام حيضك طاعة لله... لأنك بهذا تطيعين أمره سبحانه... أما عدم صلاتك بعد طهرك فمعصية له جلّ شأنه.

قلت ضاحكة: هل رأيت كيف تخرج الحكمة من فمك حينما أحاورك؟!

استرخت ملامح وجهه وأخذ نفساً عميقاً وقال:

- والله لقد شككت في أنك جادة في كلامك!

قلت وقد زاد ضحكي: لقد نجحت في تمثيل دور الزوجة الماحكة المجادلة... أليس كذلك؟

قال: كنت أتساءل في نفسي: ماذا جرى لسارة؟ سرعان ما كانت تقنع؟

قلت: أي والله... لقد قنعت بكلماتك الأولى... وأدركت تقصيري منذ البداية... وإني لأرجو الله أن يعينني على عدم تكرار هذا بعد اليوم.

قال: الحمد لله... ما رأيك لو ننظر في كتب التفسير نقرأ فيها ما جاء في تفسير قوله تعالى مادحاً إسماعيل عليه السلام: (وكان يأمر أهله بالصلاة)؟

قلت مرحبة: موافقة.

أمسك عبدالرحمن بيدي وأخذني برفق إلى غرفة المكتبة وقال لي:

- استريحي هنا.

وتوجه إلى أرفف المكتبة وبدأ يبحث في تفسير الرازي... وبعد قراءة قصيرة لمعت عينا عبدالرحمن وهو يقول:

- اسمعي ما يقوله الرازي رحمه الله.

قلت: ها أنا مصغية.

قال وهو يقرأ في تفسير الرازي: «يأمر أهله، أي من كان في داره في ذلك الوقت بذلك، وكان نظره لهم في الدين يغلب على شفقته عليهم في الدنيا... بخلاف ما عليه أكثر الناس».

قلت: ماذا يريد الرازي بكلامه؟

قال: لقد لفت النظر إلى أمر عظيم، ذلك إن معظم الأزواج إذا أحبوا زوجاتهم وأرادوا إكرامهن اهتموا بأمور دنياهن ولبّوا لهن رغباتهن المادية... دون أن ينتبهوا إلى أن حقيقة الحب والإكرام تقتضي أن يهتموا بدين زوجاتهم، فالدين هو الذي يجعلهن يفزن بالجنة ويتقين النار، والفوز بالجنة والنجاة من النار أهم من حصول الزوجة من زوجها على ذهب أو أثاث جديد أو غيرها.

قلت: والزوجات أيضاً غافلات عن هذا، فإذا أهداهن الأزواج شيئاً من أشياء الدنيا فرحن به وشكرن أزواجهن عليه... أما إذا أهدوهن نصيحة من نصائح الدين فإنهن يضقن بها ويتبرمن من أزواجهن بسببها.

قال: وللأسف... فأكثر الناس على هذا... كما قال الرازي رحمه الله.

قلت: هل يذكر الرازي شيئاً آخر في تفسيره؟

قال: تأملي هذه اللفتة الفطنة أيضاً.

يقول رحمه الله: «وقيل كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم».

قلت: لا كما نجد عند بعض الناس الذين يأمرون بالمعروف وأهلهم بعيدون عنه.

قال: ألا نجد من يقول: لينصحوا أهاليهم قبل أن ينصحوا أهالينا ؟ ■

كتابات متميزة



ولا تنسوا الفضل بينكم

اتخذت مكاني في حلقة الدرس، وكنت حريصاً على أن أكون في مواجهة الشيخ، إنني شغوف للاستماع إليه، إنه دائماً ما يمتعنا بأفكار في غاية الشفافية، لا تناقض المنطق، ولا تعارض روح الإسلام... لم يكن ليسمعنا النصوص، بل يفسر ويشرح ويعقب ويبرز ما وراء النص، وهذا مطلب عقول العصر، فهناك الكثير من الأفكار والأطاريح والآراء والمفاهيم. وجاء دور الأسئلة ...

قال أحد الحضور: يا شيخنا، شاب تزوج، وبعد شهر من الدخول مرضت زوجته بالفشل الكلوي، فأصبحت لا تصلح كزوجة، وأصبح الزوج في حاجة إلى زواج جديد، ولا يقدر على كفالة زوجتين، فسعى للانفصال بالحسنى، وأصر على أن يأخذ الجهاز الذي أعده لبيت الزوجية، ولا يعطيها إلا ما اشترته لنفسها، ولكن أهل الزوجة أصروا على أخذ جميع المكتوب في قائمة جهاز العرس، فما رأي الدين في ذلك؟

تتبعت عناصر السؤال، فقد نقش في خاطري وعقلي، وأبصرت الجميع ينظرون إلى الشيخ... إنها مسألة اجتماعية، والناس في زماننا هذا أسرى المادة... ما تكلفة هذا؟، كم تدفع؟، لماذا أخسر، ولماذا أترك؟... وكأن الحياة أصبحت نقوداً وأموالاً، بالمال تتحرك العقول والعواطف كما تحرك الخيوط عرائس المسرح، وهذا واقع، وليس لنا أن نتغافل الواقع أو نتجاهله...

تنفس الشيخ الصعداء، ثم بدأ الإجابة: سبحان الله... الزوجة مرضت، وهذا أمر طارئ، وما كانت تتمنى هذا على الإطلاق، وبالطبع الزوج كان يرغب السلامة لها، وأن يسعد معها في حياته الزوجية، وأن تدوم العشرة بينهما، ولكن هذا أمر الله، وليس لنا اعتراض على أمر الله.

المهم، أن الزوجة تستحق المهر كاملاً بالدخول، أي أنها صاحبة الحق في كل ما هو مدون في قائمة الجهاز، إضافة إلى المؤخر والنفقة (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) أي فريضة وهذا حقها، والحق لا نقاش فيه.

قال أحد الحضور: يا شيخنا، العريس يعتبر بهذا مظلوماً، فالعشرة لم تدم طويلاً، ربما تكلف عشرة آلاف جنيه، وما رغب في الطلاق، وما فكر فيه، ولكن المرض أمر طارئ على الجميع، أفلا يكون هناك حل وسط؟

صمت الشيخ برهة، ثم تابع القول: نحن أولاً نبيّن الحكم، والحكم الشرعي لا نقاش فيه، ثم بعد ذلك نعرض متعلقات الحكم... ليست أحكام الإسلام جامدة ولا متحجرة، ولكنها تتوافق مع كل الظروف والملابسات، أي أنها مرنة.

وقد أجمعت المذاهب الفقهية على أن كل المهر يتأكد للزوجة بالوطء، ولكننا لو أعطينا الزوجة جميع الجهاز لظلم الزوج بما لا دخل له فيه، ولا ذنب عليه، ولنا في هذا الموقف تعريج على قول الله تعالى: (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى) البقرة: ٢٣٧، فالآية أثبتت الحق للمرأة، ولا ينازعها في هذا الحق أحد، وبخاصة أن الحق مقرر شرعاً، وثابت قانوناً، ولكن الآية حثت صاحب الحق على التنازل عن بعض الحق لإبقاء روح الود والاتصال الاجتماعي بعد الطلاق، فإذا كانت الحياة الزوجية غير قابلة للاستمرار، فإن الحياة الاجتماعية بين الأفراد والأسر مستمرة بالحتم والقطع، وإن شذت الحياة في طرف، فعلينا المحافظة على الاتصال والوصال في طرف آخر... وعليه، فيكون الحل الوسط، أن تأخذ الزوجة كل ما اشترته لنفسها، وتأخذ الشبكة - التي غالباً ما تمثل في الذهب - ثم يأخذ الزوج الأثاث، على أن تتنازل عن الحقوق التبعية اللاحقة، لماذا؟... لأنه لن يطلقها بغضاً ولا نكاية بها، وهي لا ترضى أن تظلم رجلاً كانت تتمنى أن تدوم العشرة معه، فالنفوس غير متنافرة، ولا يجب أن نتغير بسبب المال، ولهذا قال الله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي الود والمحبة واستدامة الحياة ولقاء الوجوه ببعضها بعضاً. انتهى الدرس، وسرت في طريق العودة إلى البيت وأنا أردد (ولا تنسوا الفضل بينكم)، فهناك الحكم، ولا حكم من دون روح، وهذا هو روح الحكم لتستمر الحياة الفردية والأسرية والدولية، إذ الرفق مطلب إسلامي لكل الأمور. ■

مشكلات النوم عند الأطفال

صحة الطفل

د. مها محمد أحمد

* قال تعالى: (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً) الفرقان: ٤٧.

لقد جعل الله سبحانه وتعالى النوم للإنسان، مثله مثل جميع أنشطة الحياة بالنسبة له، فهو كالعمل والمأكل والمشرب، ضروري ومهم في حياتنا، ولابد من أن نقوم بفعله حتى نريح أجسامنا من عناء العمل، ونعطي لأجسادنا الفرصة لكي تعيد تجديد نشاطها، وتبدأ العمل من جديد في نشاط وحيوية.

وإذا تحدثنا هنا عن الطفل ومشكلات النوم، فسنجد أن هذا الموضوع يسبب القلق لدى الكثير من الآباء والأمهات، ولذلك نعرض على الآباء والأمهات أن يتعاملوا مع ذلك الأمر بكل هدوء، ولكن باهتمام، فإذا أصابك أيتها الأم القلق لأن طفلك لا ينام نوماً هادئاً أثناء الليل فتذكري هذين الأمرين:

أولاً: إن النوم المضطرب أثناء الليل أمر عادي جداً خلال السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل.

ثانياً: ما من طفلين اثنين يتشابهان في نمط نومهما.

مثلاً: قد يقضي بعض الأطفال مدة ١٦ ـ ١٨ ساعة في النوم من أصل ٢٤ ساعة وهم في شهرهم الرابع، بينما قد ينام بعضهم الآخر ١٠ ـ ١٢ ساعة فقط، وطالما أن طفلك يتمتع بالنشاط والحيوية فإنه يكون قد حصل على القدر الكافي من النوم.

يتعرض بعض الأطفال، وبخاصة الذين يبلغون الشهر الرابع إلى السادس، يتعرضون إلى الميل إلى الاستيقاظ في الليل أحياناً والصراخ بصوت عال... وعندما تذهبين إليه تجدينه مرعوباً ويحتاج إلى التهدئة، وهذا أمر عادي تماماً، ولكن إذا تكرر هذا الأمر كثيراً بالنسبة لطفلك فمن الأفضل أن تستشيري الطبيب لتعرفي السبب.

هناك فرق كبير بين منح الأطفال الرعاية





والحنان وبين البدء بتكوين عادات من الصعب التخلص منها فيما بعد.

ومثل هذه العادات يمكن أن تتكون عندما يصبح الطفل في سن تؤهله لأن يدرك ردود الفعل التي تجبرك على القيام بها استجابة لرغباته، ويكون ذلك في الشهر التاسع أو العاشر، فإذا عودت طفلك على الاستجابة له كلما بكى قليلاً فسرعان ما تكثر طلباته واحتياجاته.

لذلك فإن هذا الطفل يعود إلى النوم، إذا أُخذ إلى غرفة الجلوس، أو إلى سريرك، هذه أمور من الممكن أن تصبح كلها عادات من الصعب التخلص منها، لأن نوم الطفل يتقطع باستمرار الأمر الذي لا يتيح لك المجال للاسترخاء، وإن فعلت ذلك من حين لآخر فإنه لا يضر، ولكن تذكري دائماً أن التخلص من العادة أصعب بكثير من منع نشوئها.

تذكري: التخلص من العادة أصعب كثيراً من منع نشوئها

إنه من الأفضل لدى كل أمّ أن تضع طفلها في غرفة منفصلة للنوم بعد الأسابيع الأولى، إن كان ذلك متيسراً للأم، فسرعان ما يدرك الأطفال أن باستطاعتهم لفت انتباه والديهم بسهولة إن كانوا ينامون في الغرفة نفسها أثناء الليل.

يتعود بعض الأطفال أن يلهوا خلال النهار الأمر الذي يجعلهم سعداء وقانعين، ولكن قد يضيقون في الليل لأسباب بسيطة إلا أنها تأخذ بُعداً مزعجاً فيما بعد.

مثلاً: قد يكون الطفل يعاني من ابتلال حفاظته أو اتساخها، وفي كلتا الحالين يمكن أن يهدأ ويعود للنوم من جديد إذا غُيرت الحفاظة، وقد يكون عطشاناً ويحتاج إلى الماء وربما يشعر بالبرد أو الحرارة الشديدة.

غير أن المشكلة الحقيقية تكمن في الحال التي يفيق فيها الطفل أثناء الليل دون سبب واضح ظاهر.

ومما لا شك فيه أن نوم معظم الأطفال خفيف، ويستيقظون لأقل صوت، ومن الأطفال من لا يستطيع النوم لأكثر من ثلاث أو أربع ساعات دفعة واحدة، ويستيقظ عدد كبير منهم أثناء الليل من أجل الشعور بالاطمئنان لوجودهم في حضن أمهاتهم.

ماذا لو نام طفلك عشر ساعات فقط؟

لذلك فإن بقاءك بضع دقائق خلال الليل تحتضنين طفلك وتحادثينه يؤدي إلى حصولك على طفل هادئ وراض وبخاصة في الأشهر الأولى، ولن يحدث أي ضرر من الاعتناء بالطفل ورعايته رعاية إضافية خلال السنة الأولى من حياته.

أخيراً فعلى كل أمّ أن تلاحظ طفلها في نومه، وأن تحاول أن توفر له الهدوء والجو الصحي للنوم حتى ينعم بالنوم الهادئ، من دون أي مؤثرات تؤدي إلى استيقاظه وبالتالي إشاعة القلق في البيت كله.

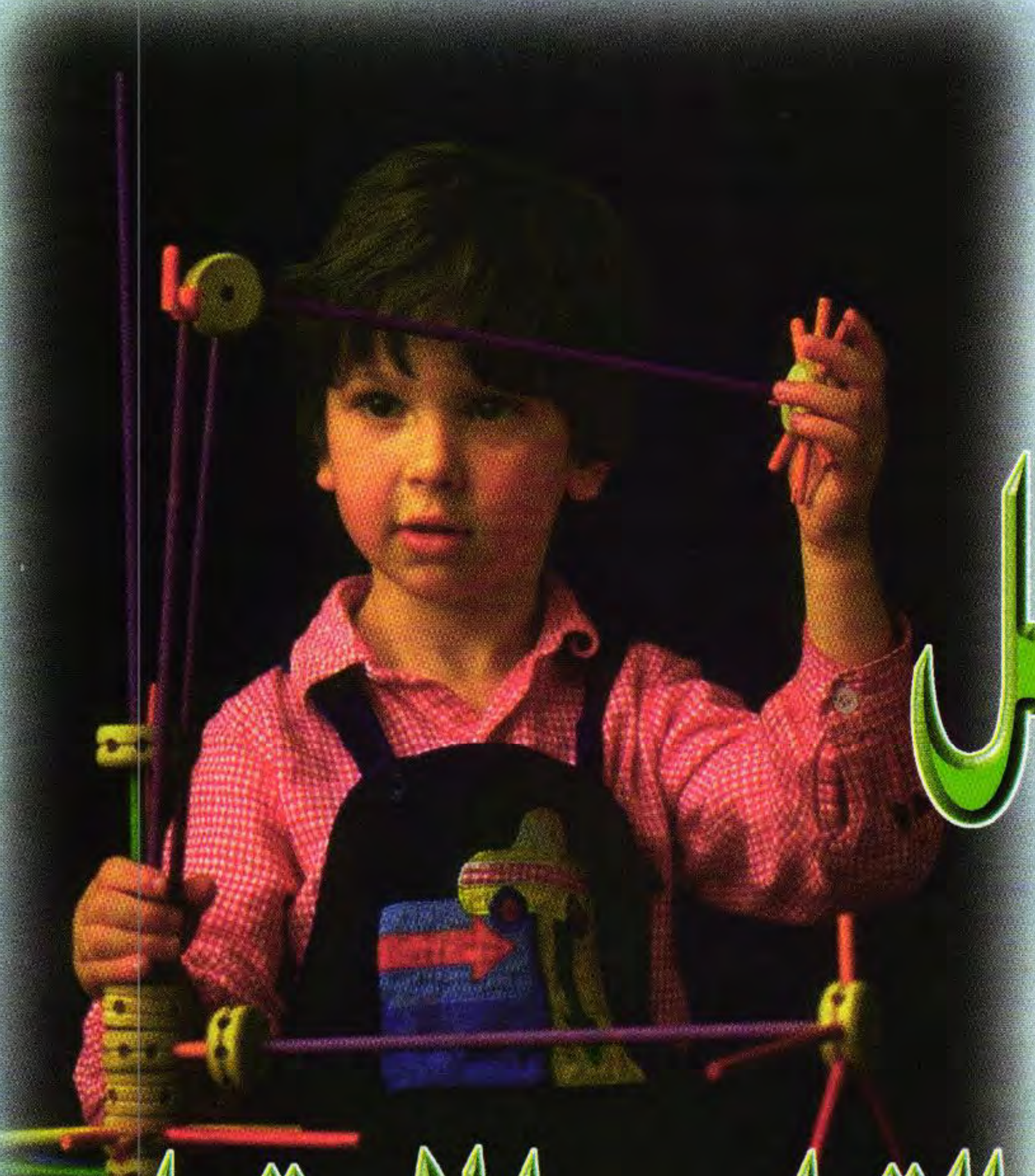
كما أن الأم يجب أن تراعي طفلها في نظافته فهذا يجعل الطفل يشعر بالراحة والهدوء الأمر الذي يساعده على النوم الهادئ، وهنا نأمل أن تدرك كل أمّ أهمية النوم بالنسبة للطفل فقد ذكره سبحانه وتعالى في كثير من آياته موضحاً أهميته للإنسان وفوائده لصحة الجسم، قال تعالى: (وجعلنا نومكم سباتاً) النبأ: ٩.

وقوله تعالى: (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) الروم: ٢٣. ■





مما لا شك فيه ان مرحلة الطفولة هي المرحلة التكوينية لكثير من الخصائص الجسمية والنفسية، فكثير من الاتجاهات والعادات وأنماط السلوك تتكون الى حد كبير خلال السنوات المبكرة من حياة الإنسان، كما أن انماط السلوك تتعرض للتعديل على الرغم من ترسيخ دعائم الشخصية الأساسية في الطفولة.. فإن هذه الدعائم ليست جامدة ثابتة لاتتغير.



بقلم : محمد عبد العزيز حمزة

الطفل وعملية التطبيع الاجتماعي

طفوله

ويعتبر «حامد زهران» أن هذه المرحلة هي أنسب المراحل التعليمية التي يتم فيها التطبيع الاجتماعي للطفل حيث نجد الأطفال يحاولون التخلص من الطفولة ويشعرون بأنهم كبار ،وهم في هذا السن واقعيون وعمليون لأنهم بعيدون عن اللعب الإيهامي والخيالي ويبدأون اللعب المنظم مع الأصدقاء وله أغراض معينة.. وعمليون لأنهم يخضعون أنفسهم لقواعد النظام ويميلون للمنافسة وتبرز فيهم ملكات اجتماعية مثل: الزعامة والسيطرة وهذا مايدعو المربين إلى تنظيمها.

والمرحلة التي يقصدها حامد زهران هي مرحلة انتقال الطفل من مجال الحياة الأسرية إلى نوع آخر من الحياة وهي حياة المدرسة.. والمعروف أن مراحل الانتقال في حياة الفرد مراحل حرجة يتعرض فيها الفرد للأزمات والتوترات والانفعالات الحادة.. وعلى الأسرة أن تعد الطفل للحياة المدرسية لأنه من خلال هذا الانتقال يوضع في حياة يعامل فيها كفرد وسط عدد كبير من الافراد، «اي حياة الجماعة» فلابد ان يعد الآباء العدة لتزويده بالخبرة اللازمة لتقبل نوع الحياة الجديدة المقبل عليها.

وكثيرا ما تشكو الأسر أن أطفالها يفتقدون الحس المرهف ولايراعون مشاعر الآخرين فلايختارون كلماتهم بعناية أو يحرجون أصدقاءهم دون قصد ويتعاملون معهم بخشونة وأنانية وعدوانية دون مراعاة لشعورهم.

يقول المتخصصون ان الطفل لايولد متعلماً المهارات الاجتماعية اللازمة للتعامل مع الآخرين فتكوين الصداقات يحتاج إلى مهارات لايكتسبها معظم الأطفال بطريقة طبيعية.. وحين يتصرفون بهذه الطريقة الفظة مع أطفال آخرين فإنهم لايقصدون ذلك، كل مافي الأمر ان الذكاء الاجتماعي لديهم لم ينم بالقدر الكافي.

يقول د. مايكل شوارتزمان استاذ علم نفس الاطفال والمراهقين في جامعة كولومبيا ان الطفل يحتاج -لكي يكوِّن صداقات متينة -إلى ان يتعلم بعض المهارات الاجتماعية التي تعده للتعامل مع الآخرين وأهمها القدرة على الاستماع وفن التفاوض والتوصل إلى حل وسط لأي خلاف ثم نأتي إلى مرحلة النظر إلى المواقف من وجهة نظر الآخرين حتى يمكن رؤية الأمور والحكم عليها بموضوعية.

جدير بالذكر أن بعض الأطفال يولدون ولديهم موهبة تكوين الصداقات أو يتعلمونها بمفردهم مثلما يولد آخرون ولديهم موهبة طبيعية للرسم أو الموسيقا أو الرياضات أما الأطفال الذين يفتقدون هذه المهارات فمن السهل جدا على الأسرة تعليمها لهم وغرسها في نفوسهم.

وعموما نستطيع القول أنه عند دخول الطفل المدرسة يتسع عالمه وتتزايد ميوله ومع تنوع ميوله وألعابه يزداد فهمه للناس والأشياء التي لم يكن لها معنى في المراحل السابقة ولايزيد فهمه للبيئة عن طريق التعليم الرسمي الذي يتلقاه في المدرسة فحسب.. ولكه يزيد ايضا من خلال وسائل الاعلام وبخاصة السينما والتلفاز والفيديو ومن تبادل الافكار مع اقرانه ومن قدرته على القراءة.. وبالنمو السريع في تكوين مفاهيم جديدة في هذا العمر- مع عدم وجود وفرة كافية من المعلومات تقوم بدور المراجعة النقدية على تكوين هذه المفاهيم - تكثر لدى الطفل الأخطاء.. فكثيرا مايخطيء في تقدير الزمن كما قد يكوِّن مفهوماً خاطئا عن الذات اذا قللت الجماعة من قدراته أو بالغت في تقديرها.

وقد يمارس حاسة الفكاهة بشكل فج، وقد يحكم على الشخصية الكلية للآخر في ضوء سمة أو سمتين فقط وليس في ضوء نمط الشخصية ككل.

وتقول د. ليان دوماش في كتابها: «كيف تنمين مهارات طفلك الاجتماعية» إن الاطفال الذين تتراوح اعمارهم مابين ٦و٧ سنوات يكونون الصداقات عادة عند طريق الاشتراك في الألعاب المختلفة ولايهتمون كثيرا بالمشاعر لأن هذه الفترة يزداد فيها النمو الحسي عند الطفل بقدر ملحوظ للغاية وهذه الفترة تتميز بقوة التعبير عن الانفعالات وعادة ماتكون كالضحك بصوت عال والجري والقفز والارتماء على الأرض.

وفي المرحلة من ٨ الى ١٠ سنوات يكون الأطفال عادة أقل انانية ولديهم القدرة على تفهم مشاعر الآخرين ولكنهم لايزالون يتميزون بالقسوة والغلظة في التعامل.

أما ابتداء من سن ١٢ سنة فيستطيع الطفل ان ينظر إلى الأمور من وجهة نظر الآخرين ويمكنه ان يتسامح في أخطائهم ويتعاطف معهم.

ومن الأمور المهمة التي يجب مراعاتها في هذه المرحلة أنه يجب احترام اسلوب الطفل في المعاملة فمن المعروف أن بعض الاطفال يكونون غير مستعدين للتكيف الاجتماعي السريع فإذا لوحظ ان الطفل تظهر عليه امارات القلق في وسط مجموعة كبيرة من الناس ولايحبذ الوجود في الحفلات العامة.. هنا يجب احترام رغبته ولايجب الضغط عليه حتى لايضطر ان ينزوي ويبتعد اكثر، ولكن يأتي هذا تدريجيا كأن نوجده مع طفل أو اثنين على الأكثر، وعندما يتعود على هذا الوضع وتزداد ثقته في نفسه يستطيع مواجهة عدد أكبر دون إحساس بالخوف أو الحرج.

أيضا عدم تجاهل مشاعره وتحليلها عن طريق اختيار كتاب أو برنامج تليفزيوني يحبه الطفل واجراء المناقشات والحوار الهادئ حول رأيه فيما يقرؤه أو يشاهده ،فهذا النوع من المناقشات يساعد على التفكير في الدوافع التي تحرك الآخرين وتدربه على النظر إلى الأمور من وجهة نظر الآخرين لكي يستطيع فهم دوافعهم.

ايضا يجب العمل على توسيع دائرة لغة المشاعرعند الطفل فسوء معاملة الآخرين عمداً اثناء اللعب، هنا يجب التوقف ومبادرة الطفل بسؤاله.. لماذا فعل ذلك هل لأن الطفل الآخر محبوب اجتماعيا.. هل لأنه يغار منه.. وهكذا نكون قد أعطينا الطفل فرصة حقيقية للتنفيس عن مشاعره الداخلية.. وعندما نعرفه الوصف الحقيقي للاشياء والمشاعر فإننا نساعده على تفهم أسباب ردود فعله، وبالتالي ردود فعل الآخرين.

كما يجب الاعتراف بإنجازاته ولو كانت صغيرة تافهة فيجب ألا نقصر في الثناء عليه مثلا اذا حصل على درجات دراسية مرتفعة.. وكذلك إذا أجاد اللعب مع صديق وأمضيا الساعات الطويلة دون خلافات أو مشاجرات.. أو اذا شوهد وهو يعتذر عن خطأ ارتكبه دون قصد أو تنازله عن شيء يخصه لإسعاد الآخرين.. إنه يحتاج دائماً إلى الثناء والمدح على كل سلوك طيب.

ويجب مساعدته على قراءة الوجوه فالذكاء الاجتماعي يعني سرعة فهم التعبيرات والتلميحات من خلال صور يدرب عليها ويضع رأيه الخاص وكذلك فهم تعبيرات الناس التي يراها واقعية.. فالطفل محتاج إلى ان يتعلم ان هناك اختيارات في الحياة، وعليه ان يعرف كيف يختار منها مايناسبه. ■

الهوامش:

١- نمو الإنسان من مرحلة الجنين الى مرحلة المسنين د. آمال صادق

٢- مشكلات الطفولة والمراهقة د. عبد الرحمن عيسوي

٣- العلاج السلوكي للطفل د. عبد الستار ابراهيم

٤- كيف تنمين مهارات طفلك الاجتماعية د. ليان دوماش

الإسلام دعا إلى التراحم بين الناس

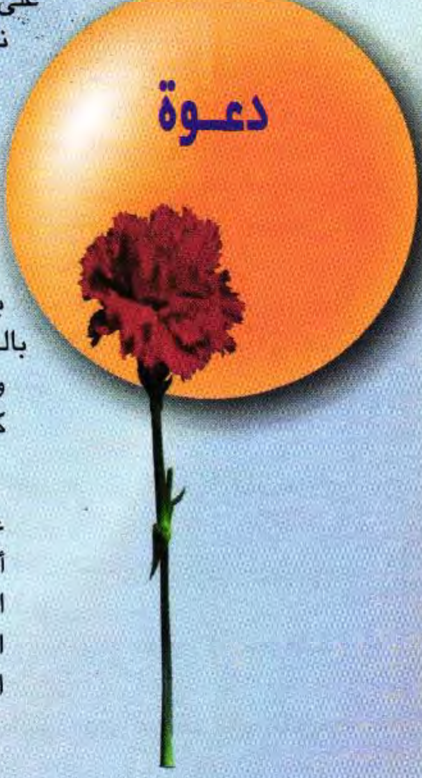
بقلم: ماجد أحمد المرمني

دعوة الإسلام إلى الوحدة الإنسانية كما دعا إليها القرآن، وكما طبقها بالفعل سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في حياته وأصبحت شريعة إسلامية بعد وفاته يقول سبحانه وتعالى:

(... يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) النساء: ١، وهكذا قرر الأصل المشترك لبني الإنسان ودعا إلى التراحم بين سائر بني البشر، وقد انبنى على هذا الأصل المشترك، المساواة في الطبيعة الإنسانية فلا مجال للتعصب للجنس أو الاستعلاء ولا سبيل للتفاضل بين أفراد البشر إلا بالعمل الصالح وتقوى الله: (... يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: ١٣.

ويوضح سيدنا محمد هذا المبدأ فيقول عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع:

«... أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى... ألا هل بلغت اللهم فاشهد...» صحيح مسلم.



وانطلقت هذه الدعوة وسط مجتمع يقوم على التعصب القبلي، فكل قبيلة تعتبر نفسها هي وحدها الشريفة بالنسب وتدعي أنها خير البشر وما عداها سواد من رعاع البشر.

وأحاط بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي برسول الله في الصف الأول بالصحابة مقدمين على أئمة قريش وأعلامهم - الذين ظلوا على كفرهم.

ولم يعرف المجتمع الإسلامي عبر التاريخ حاجز اللون أو ما أصبحنا نطلق عليه اسم التمييز العنصري، وهو ما اعترفت به كل الأبحاث الحديثة التي كتبت عن الإسلام في دنيا الغرب.

تقول «دائرة المعارف للعلوم الاجتماعية الإنكليزية» وهي تتحدث عن التمييز العنصري: «... إن الإسلام من الناحية العقائدية ومن الناحية الواقعية لم يعرف حاجز اللون وهو ما يفسر سرعة انتشاره في أفريقيا، بينما لم تستطع المسيحية أن تنهض إلى مستوى دعوتها...»

حقوق الإنسان في الإسلام:

وإذا كانت الدول في العصر الحديث قد قررت في ميثاق جماعي ما يسمى «حقوق الإنسان» فقد سبق القرآن الكريم وسبقت سنة رسول الله هذه المواثيق العصرية بأربعة عشر قرناً.

أ- الإسلام أقر حق الحياة

وإذا كان حق الحياة قد قدسته الأديان كلها، واعتبرته المواثيق الحديثة الأصل الذي تتفرع منه باقي حقوق الإنسان، فإنه لا يوجد في القديم كما لا يوجد في الحديث من جعل حق الحياة لكل إنسان هو حق الإنسانية كلها، فمن قتل إنساناً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً.

يقول الله سبحانه وتعالى:

(... من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً...) المائدة ٣٢.

ب - حق الحرية:

ولم تعرف البشرية مصلحاً أو زعيماً أو قائداً جاء يدعو لمذهب جديد ودين جديد وسلوك جديد ثم ترك الناس أحراراً في اتباع ما يدعو إليه، عن طواعية ورضا لا عن إكراه وضغط مثل نبينا محمد عليه أفضل ا لصلاة والسلام.

(... لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة: ٢٥٦، (... أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يونس: ٩٩، (... فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمصيطر) الغاشية: ٢١.

ج - الإسلام يقرر حرية الإنسان في اختيار أفعاله:

(... فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف: ٢٩.

ومرة أخرى نقول، لم تكن دعوة الإسلام نظرية، ولكنها دعوة عملية تطبيقية ولذلك فقد عايش الإسلام النصرانية واليهودية والزرادشتية في فارس، ويصل هذا التعايش ذروته عندما نرى الإسلام يبيح للمسلم أن يتزوج بكتابيه من غير دينه، فإذا علمنا أن الدين في القديم كان هو كل حياة البشر، أدركنا مدى ما وصل إليه الإسلام من احترام حرية الإنسان وعقيدته.

ومن هنا قال عمر بن الخطاب كلمته المدوية لعامله على مصر:

«عمرو بن العاص» عندما بلغ مسامعه أنه آذى قبطياً بغير حق: «... يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً...»

التكافل الاجتماعي في الإسلام:

وإذا كان يحلو لدعاة الثورة الفرنسية أن يقولوا إنها أوّل من نطقت بالحرية والمساواة والأخوة والتكافل الاجتماعي بين الناس، فقد رأينا كيف سبقها القرآن باثني عشر قرناً حينما نصّ بصريح اللفظ بقوله تعالى: «.... إنما المؤمنون إخوة...» ويصور سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ما يجب أن يكون عليه التضامن والتكافل في المجتمع الإسلامي بقوله: «... مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه أحمد ومسلم.

العدل أساس الملك في الإسلام:

وإذا كان حق الحياة والحرية والتكافل الاجتماعي حق من حقوق الإنسان، فإن هذه الحقوق لا يمكن أن تُصان إلا من خلال حكم صالح، والحكم الصالح له أساس يقوم عليه، ومنهاج يعمل من خلاله، فأما الأساس فهو العدل وأما المنهاج فهو الشورى.

جاء في القرآن الكريم قوله سبحانه:

(... إن الله يأمر بالعدل...)، (... وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...) النساء: ٥٨، (... وأمرت لأعدل بينكم) الشورى: ١٥.

ويصل القرآن إلى الذروة في غرس وجوب العدل مع كل البشر حتى لو كانوا أعداء!

(... ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة:٨.

وينهى القرآن عن الحكم المطلق، ويدعو للشورى فيصف المؤمنين بأن: (... أمرهم شورى بينهم...)، ويأمر الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أن يستشير أصحابه ليكون قدوتهم في ذلك فيقول سبحانه: (... فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) آل عمران: ١٥٩.

ويضاعف في خطورة هذا التكليف لسيدنا محمد أن يشاور أصحابه بعد أن انهزم المسلمون في غزوة أحد، وكان انهزامهم نتيجة مخالفتهم لرأي رسول الله قبل المعركة وأثناءها، فجاء القرآن يطلب من سيدنا محمد أن يعفو عنهم ويستغفر لخطئهم ولا يكف عن استشارتهم، ولا يكتفي القرآن بجعل التشاور منهاجاً للحكم والحكام، بل إنه فرضه على الفرد العادي مع أسرته في بعض الظروف.

(.... فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما) البقرة: ٢٣٣.

وكان الرسول يستشير أصحابه في مختلف الشؤون العامة في السلم والحرب... بل إنه كان يستشيرهم في أخص خصائصه كما حدث في موضوع الإفك وما دار حول السيدة عائشة من أقاويل إلى أن نزلت الآيات المحكمات وبرأت عائشة مما دار حولها من أباطيل.

العلاقات الدولية وفض المنازعات:

ووضع القرآن الكريم أسس العلاقات بين المجتمعات مما نطلق عليه في العصر الحديث اسم القانون الدولي، فلكل دولة أو جماعة بشرية حق البقاء في سلم وأمان ويحذر القرآن من الاعتداء على الآخرين بقوله تعالى: (... ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين...).

وحرص الإسلام على تقديس المعاهدات والمواثيق، فإذا أبرم مجتمع عهداً مع مجتمع آخر فإن هذا العهد يجب أن يكون مقدساً، وهو ما يحاول المجتمع الحديث أن يصل إليه دون أن يوفق لذلك، فالمعاهدات تنقض بمجرد أن يقوى أحد الطرفين على نقضها، أما الإسلام فيجعل ذلك في الأمور المحظورة:

(... وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) النحل: ٩١، (... وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا) الإسراء: ٣٤، (... إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم...) التوبة: ٧، والسلام هو الأصل في علاقة المجتمعات ببعضها بعضاً، يقول الله سبحانه: (... وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) الأنفال: ٦١.

وقال تعالى:

(... فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَّلَمَ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا...) النساء: ٩٠.

ونجد في القرآن آخر ما انتهى إليه الفكر البشري في فض المنازعات الدولية، عن طريق التحكيم والمصالحة، والقضاء بموجب الحق والقانون والاتفاقات الدولية، فإن أبى أحد الطرفين إلا أن يمضي في اعتدائه لأخذ ما ليس من حقه فقد أصبح على الأسرة الدولية أن تتدخل لردع العدوان فإذا تم ردع المعتدي، فقد وجب الفصل في النزاع على أساس من الحق والعدل.

(... وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات: ٩.

وإذا كان هذا هو مدى جلال المبادئ الإسلامية في حكم العلاقات العامة فباستطاعتنا تصور الأحكام التي نظم بها أدق العلاقات الشخصية والمعاملات المدنية، فجعل الباحثين يقفون مذهولين من عظمة هذا التشريع واتساع مداه، وحسبنا في ذلك أن معظم القوانين والتشريعات في أحكام الطلاق والميراث والزواج في جميع أنحاء العالم المتحضر مستمدة من تعاليم الإسلام وأحكام القرآن.

وليس هناك أدنى مجال للشك في أن تعاليم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام قادرة في كل زمان ومكان ليس فقط على مواجهة التطور الحضاري، بل على التحرك المستمر للأمام وعدم الاستكانة، وإن الضعف الذي أصاب أمة الإسلام كان مصدره العوامل المختلفة التي تتصل بالبعد عن جوهر وروح القرآن والاكتفاء بالشكليات والقوانين الوضعية بدلاً من المبادئ الربانية وإقفال باب الاجتهاد مع التواكل والجمود والابتعاد عن الدين.

تصور معي جلال المبادئ ودقة الأحكام العامة والخاصة وتدبر معنى هذه الآيات : (... وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً. والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً. إنها ساءت مستقراً ومقاماً. والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً. والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا. إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً. ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا. والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً. والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يَخِرُّوا عليها صماً وعميانا. والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً. أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً. خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما...) الفرقان : ٦٣ - ٧٧.

تلك مبادئ سماوية سامية تنظم علاقات الأفراد والمجتمعات وتصف أخلاقيات التعامل بين الناس ... إنها مبادئ تعد أصولاً لكثير من القوانين الوضعية الدولية وقوانين الأحوال الشخصية في كثير من بلدان العالم.

سماحة الإسلام مع مخالفيه

وكما أن الإسلام دين الرحمة والهداية والحق والعدالة فهو دين العقل والمنطق والفطرة حتى مع مخالفيه ومن شواهد ذلك:

١ - أنه لا يمثل بعدوه ولا يتشفى منه إذا ظفر به... ومعارك الإسلام الفاصلة شاهد على ذلك والتاريخ وحده يشهد بحسن معاملة صلاح الدين الأيوبي للصليبيين المهزومين... بينما يذكر فواجع الوطن الإسلامي على يدهم قبل الهزيمة.

٢ - أنه لا يكرههم على اعتناق عقيدته، بل يدع لهم حرية العبادة معها، (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (البقرة: ٢٥٦)، (... فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...) الكهف: ٢٩.

٣ - أنه يحافظ على دمائهم وأموالهم وأعراضهم وحياتهم، وجميع حقوقهم الإنسانية.

٤ - أنه يمتعهم بخير الوطن الإسلامي بلا تمييز بينهم وبين أهل الإسلام.

٥ - أنه يدعهم يتحاكمون إلى شريعتهم في غير ما يتعلق بالنظام والأمن العام.

٦ - أنه لا يجندهم ولا يسخرهم في خدمة أهدافه، بينما كان الرومان واليونان والفرس يسخرون المغلوبين قسراً لخدمة أراضيهم وأطماعهم.

شهادات الأجانب بتسامح الإسلام:

يقول روبرتسوف: «.... إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وأنهم مع امتشاقهم الحسام تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بدينهم....».(١)

ويقول الراهب «ميشو»:

«إن القرآن الذي أمر بالجهاد متسامح مع أتباع الأديان الأخرى وقد أعفى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرّم قتلهم لعكوفهم على العبادة»(٢)

وروى غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»: إن «ريتشارد قلب الأسد» قائد الحملة الصليبية الثالثة قد قتل ثلاثة آلاف مسلم بعد أن أعطاهم الأمان واستسلموا فخان العهد الموثق بحقن دمائهم.

بينما ذُكر عن صلاح الدين أنه لم يمس النصارى بأذى وأمد ريكاردوس وفيليب أوغسطس بالزاد والمرطبات وبعث طبيبه الخاص لعلاج قادة الفرنجة.

وتقول الدكتورة: «زيجريد هونكه» في كتابها: «شمس العرب تسطع على الغرب»:

«.... لعل أهم عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب في سماحتهم حتى أن الملك الفارسي «كيروس» قال: إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب إن هو إلا أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف الأدلة.

هذه هي سماحة الإسلام ومبادئه وأحكامه.... وهي سماحة لا يوازيها شيء في العقائد الأخرى». ■

الهوامش :

١ - من كتاب «حضارة العرب» لمؤلفه «غوستاف لوبون».

٢ - المصدر السابق.

المراجع :

١ - أصول الدين الإسلامي/ الأستاذ الدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري/ جامعة آل البيت.

٢ - بُنية الفكر الديني/ الأستاذ الدكتور عادل العوا / جامعة دمشق.

٣ - تقدم العلم/ الأستاذ الدكتور عبدالكريم اليافي / جامعة دمشق.

٤ - الحضارة الإسلامية / الأستاذ الدكتور عفيف الشرقاوي/ جامعة الإسكندرية.

٥ - معالم الشريعة الإسلامية/ فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري/ معهد الدراسات الإسلامية.

٦ - الثقافة الإسلامية/ د. صالح الهندي/ جامعة قابوس.

٧ - الصحف اليومية الأردنية والعربية.

المصادر :

١ - القرآن الكريم.

٢ - الأحاديث النبوية الواردة في صحيح مسلم، وصحيح البخاري.

الرسول السراج المنير

(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً).

صدق الله العظيم

شعر: محمد عبدالله القولي

خفق الفؤاد وظل في تهيامِ
مذ أشرقت من ذكره أيامي

وتطلعت نفسي لتلتمس الرجا
ترجو النجاة من الضلال الطامي

فإذا السماء تألقت أنوارها
وإذا السماء تفيض في إلهام

كل الخلائق يومها قد سبحت
لله يهدي الكون خير إمام

جاء الربيع، فجنةٌ أيامهم
ومع النعيم هداية الإسلام

جاء الربيع إلى الديار فهللت
واستبشرت بالخير والإنعام

وتدفقت أنوار ربك للورى
تُحيي القلوب بأطيب الأنسام

حمل الأثيرُ بشائراً من مكة
وسَرى بها في السُهب والآكام

ولد اليتيم «محمد» في فرحة
يا مرحباً ياسيد الأيتام

ولد اليتيم ونوره متألق
شمل الوجود، وكان في إظلام

لم تلقَ «آمنةُ» المصون بحمله
أو وضعه شيئاً من الآلام

هو رحمة للناس كيف بأمه!
سعدتْ به واستبشرت بسلام

يا مرحباً بالمصطفى وقدومه
للمرسلين أتيت خير ختام

قد كان عرساً للسماء وبهجة
في أعظم الأفراح والأيام

غنّى له الكون العظيم وغردت
ذراته في أعذب الأنغام

طربت له الأرواح في عليائها
إذ حررت من ربقة الأوهام

إذ طهرت من كل ما تشقى به
وتخلصت من ظلمة الآثام

صُعِقَ الطغاة المجرمون بمولد
قد خلص المظلوم من آلام

قد أعتق الإنسان من أغلاله
ونأى به عن ساحة الإجرام

وسما به للخير في أفعاله
للحقِ والتوحيدِ للإسلام

زكّاه من أدرانه وعيوبه
وأقامه في الكون خير مقام

ورعاهُ من دين الإلهِ بحكمة
وحماه من أهوائهِ بنظام

قد فضّل الله العظيمُ محمداً
ليكونَ للأديانِ خيرَ إمام

قد جئت تهدينا لكل فضيلة
صرنا بدينك أفضلَ الأقوام

إنا - رسول الله - أعظمُ أمة
إن نعتصمْ بكتابنا الإسلامي

نحن الأعزة والكرامُ على المدى
إن ننتصرْ بالخالق العلام

إن نستجب لله في أحكامه
ونعد للأعداءِ في إحكام

إن نتحدْ صفاً على أعدائنا
ونرد كيد عصائب الإجرام

اشفعْ لنا يا رحمة من ربنا
أنت الشفيعُ وذو المقام السامي

واقبل رسول الله حُسْنَ تحيتي
واقبلْ حبيبَ اللهِ طيب سلامي

نشرت «الهيرالدتريبيون» مقالاً بقلم «فلوراليويس» تحدثت فيه عن الجهود التي تبذلها الدول الأفريقية للحاق بركب الحضارة العالمية عن طريق تحقيق مزيد من التعاون والتنسيق فيما بينها للوصول إلى هذه الغاية يقول المقال:

أفريقيا تبحث عن دور فاعل

إعداد: عبدالمنعم أحمد

كان شعار الاجتماع الذي حضرته هو «حركة النهضة الأفريقية» يبدأ مما تشهده أفريقيا الآن، ويمكن تسميته بحال من الاستيقاظ بعد فترة من السبات حيث إنها «أي أفريقيا» بدأت تحسّ بالحاجة الملحّة إلى الانضمام أو اللحاق بركب العالم المنتج، كما أنها بدأت تدرك حقيقة أن الجهود الأساسية اللازمة لذلك ينبغي أن تأتي من جانب الأفارقة أنفسهم.

ولهذا فإن التطوير يمكن أن نتوقع ولادته في مثل هذا التجمع الذي ضم زعماء وسياسيين ورجال أعمال كبار، واختتم أعماله «في العاصمة الناميبية ويندهوك» تحت عنوان «المنتدى الاقتصادي العالمي للعام ١٩٩٨م للقمة الاقتصادية لدول الجنوب الأفريقي»، إلا أن مناخاً جديداً من التفاؤل والمصارحة إزاء إخفاقات الماضي أضفى مغزى من الآمال الأفريقية المعقودة.

ومن بين الأفارقة الذين يجسدون روح التغيير حسن با وهو شاب سنغالي يبلغ من العمر ٣٢ عاماً، ويترأس منظمة مقرها مدينة جنيف السويسرية ويطلق عليها اسم «سينيرغيز افريكا».

يقول حسن با: «هناك عملية تحرير جديدة من الاستعمار بدأت للتو، لقد كان التحرير الأول من الاستعمار اصطناعياً إلا أن هناك أربع ظواهر تعمل على خلق ظروف جديدة»، ويسرد حسن با: العناصر الرئيسية لعملية التحول التي تطمح إليها أفريقيا وهذه العناصر هي انتشار التربية والتحول إلى النمط الحضري في الحياة والهجرة والسفر، وهي: عناصر تسهم في تسهيل عنصر التواصل والارتباط بين جميع المجتمعات.

«أفريقيا» بدأت تحسّ بالحاجة الملحّة إلى الانضمام أو اللحاق بركب العالم المنتج

ويضيف حسن با: «إن هذا الأمر يعمل على خلق جيل جديد ليس لديه الكثير من العقد تجاه الغرب حيث إنه جيل لم يحيا في ظل الاستعمار كما أنه مستعد لأن ينتقد ذاته وأن يصبح أكثر نضجاً».

ووفقاً لوجهة نظر حسن با، فإن المحفّزات الرئيسة التي تساعد على التغيير في القارة الأفريقية كانت ومازالت تتمثل في التحولات التي شهدتها الأنظمة الحاكمة في جنوب أفريقيا بالإضافة إلى نهاية الحرب الباردة.

ومع نهاية الحرب الباردة جاء تخلي الغرب عن انخراطه في القارة الأفريقية، وهو ما يصفه حسن بأنه شيء جيد بالنسبة للجيل الصاعد من الأفارقة، كما بالنسبة للأنظمة الأفريقية الحاكمة التي كانت تعيش عن طريق التحايل على القوتين العظميين «الاتحاد السوفييتي السابق وأمريكا».

لقد عانى الأفارقة كثيراً من التهميش وبخاصة منذ بداية الحقبة الاستعمارية، إلا أن هذه الحال قد انتهت الآن حيث إن الشعوب الأفريقية بدأت تدرك أنها لو تخلفت عن الركب العالمي فإنها ستزداد فقراً على فقرها، وبخاصة في ظل الزيادات السكانية الهائلة، ولذلك فإن الأفارقة يريدون أن يعودوا إلى جدول الأعمال العالمي ولكن كشركاء، كما أنهم رحبوا برحلة الرئيس كلينتون التي قام بها أخيراً في عدد من الدول الأفريقية.

بيد أن حسن با يشير إلى أن الأفارقة لم يفوزوا بأي شيء حتى الآن، مؤكداً أن تولي زمام القيادة هو العنصر الأساسي لتحقيق ذلك.

ومع ذلك، فإن هناك المزيد والمزيد من الأصوات التي تعبّر عن آراء أصحابها في أفريقيا، كما أنه أصبح من غير المألوف التهجّم على الديموقراطية والسوق الحرة.

ويعبر الرئيس البتسواني «فيستس موغاي» عن أن لديه قناعة يمكن أن تحدث تغييراً عميقاً إذا ما حظيت بالقبول على نطاق واسع، فهو يعتبر أن «الديموقراطية، وحرية التعبير» هما نسخة حديثة من تقاليد الشورى التي كانت تتبعها القبائل الأفريقية منذ القدم وبالتالي فإنهما ليسا قيما غربية غريبة على مجتمعاتهم، بل إنهما يعتبران قيمة محلية متأصلة إلى حد كونها جزءاً من تراثهم الثقافي.

وتجدر الإشارة إلى أن «بتسوانا» كانت منذ فترة طويلة ومازالت تعتبر الاستثناء لسوء الإدارة الحكومية والتدهور المستمر اللذين عانت منهما الدول الإفريقية في فترة ما بعد الحكم الاستعماري.

وبالنسبة لناميبيا - التي تعتبر آخر مستعمرة أفريقية حصلت على استقلالها - فإنها تحرص على أن تتعلم من الأمثلة الأخرى المحيطة بها أو بالأصح من أخطاء وقع فيها آخرون حسب تعبير رئيس الوزراء الناميبي «هاغي غينغوب».

ويعترف «غينغوب» بأن جماعة سوابو المتمردة كانت تتلقى دعماً مادياً ومعنوياً من جانب الشيوعيين خلال حرب العصابات الطويلة ضد جنود أفريقيا، إلا أنه يضيف «ولكن حقيقة الصراع تختلف عن حقيقة الحكم، إننا نتفهم ذلك».

وعلى مستوى خاص هناك حال عامة من الضيق والاكتئاب من أن الزعيم الجديد لجمهورية الكونغو «لوران كابيلا» لم يستوعب الدرس بعد ليس فقط لأن الكونغو مازالت أرضاً للكوارث، بل لأن إخفاقاتها تميل إلى إلقاء ظلالها وانعكاساتها على دول أخرى في وقت تسعى فيه تلك الدول إلى تحسين صورتها من أجل جذب الاستثمارات الخارجية.

هناك شكوى أفريقية مستمرة تتلخص في أن بقية دول العالم تضع جميع الدول الأفريقية في سلة واحدة

والواقع أن هناك شكوى أفريقية مستمرة تتلخص في أن بقية دول العالم تضع جميع الدول الأفريقية في سلة واحدة وترفض أن تلاحظ الأداء الأفضل للدول الأكثر تميزاً عن غيرها.

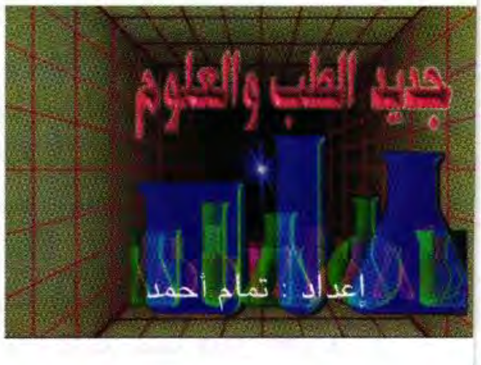
وعلى هذا الأساس فإن «تقرير تنافسية أفريقيا» الصادر عن اجتماع القمة الآنف الذكر - والذي صنّف ٢٣ دولة أفريقية تتمتع بإمكانات نمو واستثمار عالية - هذا التقرير قوبل بالإطراء والترحيب على الرغم من أنه أثار بعض التظلمات وبخاصة من جانب جنوب أفريقيا التي وصفته بأنه غير عادل وغير موضوعي، فيما يتعلق بعدد من القضايا، وعلى رأس الدول المصنفة في ذلك التقرير جاءت كل من «موريشيوس وتونس وبوتسوانا وناميبيا»، إلا أن جنوب أفريقيا لم يعجبها الترتيب السابع الذي احتلته على القائمة، بيد أن هذا التصنيف بشكل عام يعمل على تحفيز عنصر المنافسة.

وفي الوقت ذاته، هناك تأكيد متزايد على الحاجة إلى تعاون إقليمي من أجل تحقيق الإفادة الأفضل من مشروعات التنمية ومن أجل إيجاد قدر أكبر من القدرة على المساومة، وعلى ما يبدو فإن هناك إجماعاً واضحاً حالياً على ما تحتاجه الدول الأفريقية، وما يجب أن تقوم به.

والمشكلة الكبرى التي توجد حالياً هي كيفية تحقيق ذلك.



إنّ الجيل الجديد في أفريقيا قد بدأ في الضغط بقوة إلى الأمام، ويقول رئيس الوزراء الناميبي «إننا نريد أن نحوّل أفريقيا من قارة الحروب والاضطرابات إلى قارة الشعوب التي سئمت من المعاناة والمستعدة للعمل». ■



كومبيوتر يترجم حركة اليد إلى كلمات

توصلت جامعة برلين التكنولوجية، لأول مرة في العالم، إلى اكتشاف طريقة الكترونية تتم من خلالها ترجمة حركات الإنسان الايمائية إلى كلمات وذلك بمعونة «قفاز حسي الكتروني» وكومبيوتر، وقال الأختصاصي فرانك هوفمان من قسم الدراسات الالكترونية في الجامعة أن فريقاً من العلماء عمل أربعة أعوام على تطوير فكرة ترجمة الحركات والإيماءات قبل أن يعلن عن نجاحه.

ويستطيع القفاز الالكتروني أن يقرأ ويترجم حركة أصبع واحدة أو اصبعين سويا، حركة فتح أو إغلاق الكف أو ربما حركة سبابة باتجاه غريم خلال ثوان، وقال هوفمان إن النظام يعمل بنجاح ودقة بعد أشهر من تجربته ويبحث العلماء حالياً في تطويره ليشمل أجزاء الجسد الأخرى.

وقد نجح معهد سيميوتك التابع للجامعة في إجراء مقابلات تلفازية مع أكثر من ١٠٠٠ شخص تحدثوا أمام الكاميرا بالإشارات والإيماءات واستطاع نظام القفاز ـ الكمبيوتر ترجمتها بدقة بالغة إلى المشاهدين، وأحصى العلماء خلال هذه المقابلات حوالي ١٥٠ إيماءة وحركة جرى تنفيذها بعشرين شكلاً متنوعاً واستطاع النظام مع ذلك ترجمتها.

تمت صناعة القفاز من القطن الخاص وزوده العلماء بعدد غزير من المجسات الالكترونية القادرة على رصد كل حركات اليد والزوايا بين الأصابع وشدة تقلص العضلات وبالتالي قراءة الحركة التي تمت تأديتها من قبل يد الإنسان، وتنقل الحركات المعطيات التي تسجلها المجسات إلى الكومبيوتر، حيث يتم تحليلها بسرعة وعرض ترجمتها على الشاشة، إذ تم لقم الكومبيوتر بالطبع بتفاصيل المعطيات، وعن أصعب الحركات والإيماءات ومعانيها وبما يعينه على تحليل وترجمة المواد بسرعة قياسية.

وعبر هوفمان عن أمله في تطوير النظام الذي يقتصر حالياً على يد واحدة، هي اليد التي تلبس القفاز، ليشمل كلتا اليدين، وبالتالي تمكين الكومبيوتر من قراءة الحركات والإيماءات التي تتطلب حركة كلتا اليدين لتأديتها، وأهم من ذلك طبعاً هو تطوير نظام القفاز بشكل يلائم وجه الإنسان بهدف قراءة الانطباعات أيضاً، وسيكون للقفاز، حسب تقديرات العلماء، أهمية كبيرة في الأعمال الجراحية الطبية وفي استخدام الروبوتات في المناطق الخطرة مثل المحطات النووية ومخازن النفايات النووية العميقة، وسيعمل علماء الجامعة التكنولوجية، قبل كل شيء على الإفادة من نظام القفاز الالكتروني في مساعدة المصابين بالصمم، ويكلف القفاز الواحد حالياً مبلغ ١٠ آلاف مارك وتلقت الجامعة منذ الآن الكثير من العروض، عمل في مشروع «التعرف على الإيماءات بوساطة قفاز المجسات» فريق من علماء المعلوماتية والميكرو الكترونيك، وعلم النفس.

وانهمك البروفسور رولاند بوسنر في البحث في الحركات الإيمائية المستخدمة يومياً وتحليل معانيها وأهميتها، وتعاون مع المؤرخ الأدبي رانينهارد كروجر للبحث تاريخياً في الحركات الإيمائية ومعانيها واختلاف استخدامها على مر العصور، وتوصل الاثنان إلى نتائج باهرة ستصدر قريباً في برلين في كتاب يحمل اسم «الموسوعة البرلينية للإيماءات».

عن الشرق الأوسط ١٩٩٨/٥/٦م.

أذن رقمية الكترونية لتصفية الأصوات وتحسين السمع

طور العلماء الأمريكيون في مخابر «ستاركي» أذناً رقمية جديدة من شأنها أن تساعد المرضى الذين يعانون من اضطرابات أذنية على تحسين السمع.

و قال الدكتور جورج استيفان، أن الأذن الرقمية الجديدة قد تبدل حياة المرضى بشكل عال نظراً للتقنيات الكبيرة التي تعتمد عليها، وستساعد الأذن على التقاط الأصوات المحيطة وإجراء تعديلات صوتية عليها وبخاصة في الأماكن التي يعلو فيها الضجيج ويتوقع الأطباء أن يفيد أكثر من ٥ ملايين مواطن بريطاني و٢٠مليون مواطن أمريكي في هذه التقنية، وبخاصة الذين يعتمدون على الأجهزة الأذنية المساعدة «السماعات الأذنية».

السماعات الأذنية القديمة ثنائية الأبعاد، أي تقوم بتكبير جميع الأصوات، حيث لا يستطيع المريض تحديد الصوت المراد سماعه نظراً للخلفية المضطربة والضجيج العام.

أما السماعات الجديدة فهي تقوم على تحليل الأصوات الصادرة من المحيط بشكل دقيق، وتقوم بتضخيم كل صوت بشكل منفصل عن الآخر، وذلك تبعاً لشدة الصوت ومكان صدوره، حيث يستطيع الشخص تحديد المصدر واتباعه بسهولة.

هذا ويتوقع الباحثون في مخابر «ستاركي» في أمريكا أن يصبح الجهاز متوفراً في بريطانيا في بداية العام المقبل، بثمن قدره ٢٠٠٠ جنيه استرليني، وستحل السماعات الرقمية مشكلة التداخل الصوتي الذي يحدث لدى استخدام السماعات التقليدية، ومن المتوقع أن تساعد السماعات الجديدة على خوض الاختلاطات الناتجة عن السماعات العادية مثل التهاب الجلد وتنخر العظام والتأثيرات السلبية الأخرى.

وقد يكون نقص السمع وراثياً ناتجاً عن اضطراب بعض المورثات.

وتكثر حالات نقص السمع لدى المهنيين، لذلك يدعى نقص السمع المهني كالذين يعملون في المصانع أو على أقسام الهواتف القديمة... إلخ.

عن الشرق الأوسط

إدارة المعارف والتخطيط المستقبلي

تقنيات المعلومات منحتنا وسائل متعددة وسهلة للوصول إلى كل أنواع المعلومات، ولكن كثرة المعلومات وتشعبها وعدم القدرة على الإفادة منها يجعل وجودها كعدمه، وبالنسبة إلى المؤسسات التي تخوض حرباً تنافسية شرسة أصبحت بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى استثمار ما تملكه من معلومات لأقصى حد ممكن في إدارة المؤسسة وفي التخطيط المستقبلي لها، ومن هذا المنطلق برز مفهوم تقني جديد يهدف إلى تحويل الكم الهائل من المعلومات غير المتناسقة إلى معارف موفرة للمؤسسة قوة استراتيجية تمكنها من اتخاذ القرارات المناسبة والتي تعني في كثير من الأحيان الفرق بين النجاح والفشل، هذا المفهوم هو إدارة المعرفة KNOWLEDGE MANAGEMENT.

وقد بدأت بالفعل الكثير من الشركات في الاستثمار في هذا المجال الذي من المتوقع أن يزدهر في المستقبل القريب، وتتنبأ مؤسسة غارتنر غروب أن الشركات ستستثمر في هذا المجال بما قيمته بليوني دولار خلال السنوات الأربع المقبلة، وتتلاقى هذه التقنيات الجديدة مع تقنيات أخرى قريبة الشبه منها وهي «تعدين - البيانات» DATAMINING، وأدوات البحث SEARCH TOOLS، والفرق بينها دقيق، ولكن من المهم فهمه، فتقنيات تعدين البيانات تعالج البيانات المتراكمة والتي عادة ما تكون مالية أو تجارية بطبيعتها، فعلى سبيل المثال: فإن قاعدة بيانات عمليات البيع لمؤسسة عملاقة تعطي تصوراً عاماً عن وضع الشركة، ولكن باستخدام تقنيات التعدين يمكن الحفر في البيانات الضخمة DATA DRILLING للتركيز أكثر على عملاء معينين أو بضائع معينة أو مناطق معينة.

أما أدوات البحث فهي تظهر لك المعلومات المتوافرة كما هي، وليس العلاقات المخفية بينها، أما تقنيات إدارة المعارف فتذهب إلى أبعد من ذلك، فهي تمكنك من جمع وتصنيف المعلومات، والبحث عما تريد منها ومشاركة مكتشفاتك مع الآخرين، وهناك أساليب عدة وطرق لتحويل نظرية إدارة المعارف إلى واقع ملموس، وهناك شركات عدة أنتجت أدوات ونظم في هذا المجال ومن هذه المنتجات.

KNOWLEDGEX

هذا النظام بعد تغذيته بكميات ضخمة من المعلومات يحاول تسليط الأضواء على العلاقات المخفية بينها، فعلى سبيل المثال لو تم تغذيته بوثائق ومعلومات عن الموظفين في الشركات الخاصة وعن الاستثمارات في مجالات معينة، يمكنه أن يكتشف علاقات خافية ومفيدة، منها مثلاً مدير شركة معينة عند انتقاله من شركة سابقة إلى موقعه الحالي قد أحضر معه موظفين معينين، مثل هذه المعلومات تساعد متخذي القرار على كيفية التعامل مع هذه الشركة وهذا المدير.

وينسايت ـ WINCITE

هذا نظام يواجه المشكلة بأسلوب تقليدي أكثر، فهو يركز أكثر على المحللين في المؤسسات الذين يتقصون باستمرار حال السوق والمنافسين وأي معلومات استخبارية أخرى تهم المؤسسة، فهو ينظم هذه المعلومات المجمعة ويوزعها على الموظفين في المؤسسة، فهو يعتمد كثيراً على كفاءة عمل هؤلاء المحللين، فإن كانوا جيدين في عملهم فهو يساعدهم على زيادة التأثير العملي لما ينتجونه من معلومات، أما إذا كانوا ذوي مستوى متواضع فهو يجمع ويوزع ما يجمعونه من معلومات على أي حال.

غرابفاين ـ GRABVINE

يعمل بالتكامل مع نظامي «لوتيس دومينو» و«نوتس»، فإذا كانت المؤسسة تستخدم حالياً نظام «لوتوس نوتس» لتبادل المعلومات بين الموظفين، فإن هذا النظام يحاول اكتشاف المعلومات المخزنة في قواعد معلومات نوتس أو في شبكة المعلومات المحلية وتحويلها إلى الموظفين للإفادة منها، فربما يتم اكتشاف أن أحد المشاريع التي ينفذها أحد الأقسام يتشارك بكثير من العناصر مع مشروع آخر ينفذ في قسم آخر.

سوفرين هيل ـ SOVEREIGN HILL

يوفر أدوات بحث وفهرسة، وله القدرة على الوصول إلى مصادر المعلومات على الإنترنت، ويحتوي على قاعدة بيانات متطورة يمكنها فهم محتوى المعلومات بما في ذلك الناس، والأماكن، والأشياء الأخرى، فالنظام يقوم بتعريف المعلومات وينظمها حسب العلاقات التي تربط بينها، فعلى سبيل المثال: لو أدخلت إليه معلومات عن القطاع الصناعي وعن الشركات العاملة فيه، فيمكن للمؤسسة الصناعية أن تستفسر من النظام عن منافسيها، ورده لن يشمل فقط معلومات عامة عن هؤلاء المنافسين، ولكنه سيشمل أيضاً علاقة هؤلاء مع موظفيهم، وعملائهم ومنافسيهم.

ثقافة المعرفة

هذه الأنظمة ليست سهلة، بل هي معقدة وتتطلب تخطيطاً مسبقاً وإدارة جيدة لتطويعها بما يتلاءم وأهداف المؤسسة، وبالإضافة إلى ذلك فهي مكلفة، ويتطلب قبل اختيار أي منها عمل دراسة جدوى لبيان العوائد الاستثمارية المرجوة منها على المديين القريب والبعيد، هذا إن كان ذلك ضرورياً أصلاً، والتحدي الكبير الذي يبرزه هذا المفهوم التقني الجديد وبشكل واضح، هو في كيفية تغير الثقافة المعلوماتية داخل المؤسسة وتحويلها إلى ثقافة معارف، وأن تولد الحوافز لدى المسؤول والموظف لإنتاج وجلب المعلومات وتحويلها إلى معرفة، وإلى مشاركة الآخرين بهذه المعارف لما فيه المصلحة العامة للمؤسسة. ■

عن القبس ١٩٩٨/٦/٦م.



أراضي الوقف الإسلامي في القدس ... مهددة!؟

حذرت الهيئات «المقدسية» في الأردن من الإجراءات المدمرة للحق العربي الإسلامي في مدينة القدس المحتلة داعية العرب والمسلمين للتحرك الجاد والفاعل لإنقاذ بيت المقدس قبل فوات الآوان.

وأضافت الهيئات «المقدسية» في بيان أصدرته في عمان بهذا الخصوص أن سياسة الاحتلال الصهيوني سواء المعلن منها أو المستتر تقوم على تفريغ حثيث للسكان العرب من مدينة القدس، وأنه منذ أن احتلت القوات الصهيونية القسم الشرقي من المدينة إثر عدوان ١٩٦٧م وهي تعمل على تضييق الخناق على مواطني القدس.

وشددت الهيئات «المقدسية» على أن مثل هذه الإجراءات الاحتلالية تخالف أبسط الحقوق الإنسانية التي أقرتها الشرعية الدولية، وقوانين جنيف لعام ١٩٤٩م.

وأشار البيان إلى قيام المستعمرين اليهود من عصابة «عطيرات كوهانيم» الإرهابية بالاستيلاء على أراضي الوقف الإسلامي في المدينة وإقامة البيوت الجاهزة على أرض منطقة اللقلق بالقرب من باب الزاهرة أحد الأبواب الشمالية لسور القدس، وإلى تهديدات عصابة أمناء الهيكل المستمرة باقتحام المسجد الأقصى لإقامة الطقوس اليهودية فيه توطئة لهدمه وإقامة الهيكل اليهودي المزعوم مكان المسجد.

منظمة الصحة العالمية تشيد بجهود مجلس التعاون «الخليجي» في مكافحة السل

ذكر المكتب الإقليمي لشرق المتوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية أن مبادرة تنسيق أنشطة مكافحة السل في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الست «حققت نجاحاً لم يكن ليتحقق لكل دولة على حدة من خلال برنامجها الوطني بمفرده»، وأوضح المكتب الإقليمي الذي يتخذ من محافظة الإسكندرية الساحلية مقراً له في بيان صحافي أن الاستراتيجية الإقليمية للتخلص من مرض السل التي صادقت عليها اللجنة الإقليمية العام ١٩٩٧م صيغت على أساس الإنجازات التي حققتها المبادرة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي يضم في عضويته كلاً من الكويت والسعودية وسلطنة عمان والإمارات وقطر والبحرين، وأشار إلى أهمية أنشطة المكتب الإقليمي في مكافحة السل في ضوء ما ذكرته تقارير صحية عن عودة انتشار مرض السل عالمياً موضحاً أن التقارير توضح أن السل أكثر أسباب الوفاة بين النساء وصغيرات السن، وأكد أن الحاجة لا تزال ملحة إلى بذل الجهود وتضافرها في ما يتعلق بتنفيذ أنشطة مشتركة على المستوى الإقليمي رغم التقدم الملحوظ في مكافحة السل على مستوى إقليم شرق المتوسط، وبيّن في هذا الشأن أن اجتماعاً بدأ أخيراً في العاصمة السورية دمشق وضم ست دول هي الأردن وسورية وفلسطين وقبرص ولبنان والعراق بهدف إعداد خطة عمل لتنفيذ أنشطة مشتركة في مجال مكافحة السل ودعم خطط العمل الوطنية لكل دولة على حدة.

وذكر المكتب الإقليمي أن هناك تجربة ناجحة أخرى في مجال تنسيق أنشطة لمكافحة السل بين مجموعة من الدول في منطقة القرن الأفريقي وذلك في إطار المكتب الإقليمي لشرق المتوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية.

معاريف : إسرائيل تخطط لإقامة مستوطنة على أراضي قلقيلية

كتبت صحيفة «معاريف» أن الحكومة الإسرائيلية تعد لإقامة مستوطنة جديدة على الأراضي المتاخمة لـ «الخط الأخضر» شمال الضفة الغربية.

ونقلت الإذاعة الفلسطينية عن الصحيفة أن وزارة البناء والإسكان الإسرائيلية انتهت من إعداد خطط لإقامة مدينة تستوعب ٧٠ ألفاً من المستوطنين اليهود شمال مدينة قلقيلية، وأوضحت أن المستوطنة الجديدة ستندمج في إطارها مستوطنات تسور ناتان وكوخاف يائير وتسور ياغال، وستقام على أرض مساحتها ١٤ ألف دونم من أراضي قلقيلية.

باكستان تنهي سلسلة من التجارب الناجحة

أجرت باكستان يوم ١٩٩٨/٥/٣٠م تجربة نووية جديدة لتنهي بذلك سلسلة من ست تجارب ناجحة، وأعلنت استعدادها لمحادثات فورية مع الهند، في حين هدد رئيس الوزراء الهندي أتال بيهاري فاجبابي باللجوء إلى «أي وسيلة للدفاع عن بلاده إذا ما كان هناك تهديد لأمنها».

وصرح الأمين العام لوزارة الخارجية الباكستانية شمشاد أحمد بأن باكستان أجرت تجربة نووية واحدة وليس اثنتين كما أعلن سابقاً.

وأوضح أحمد أن هذا الاختبار الذي يكمل سلسلة من ست تجارب تم بنجاح.

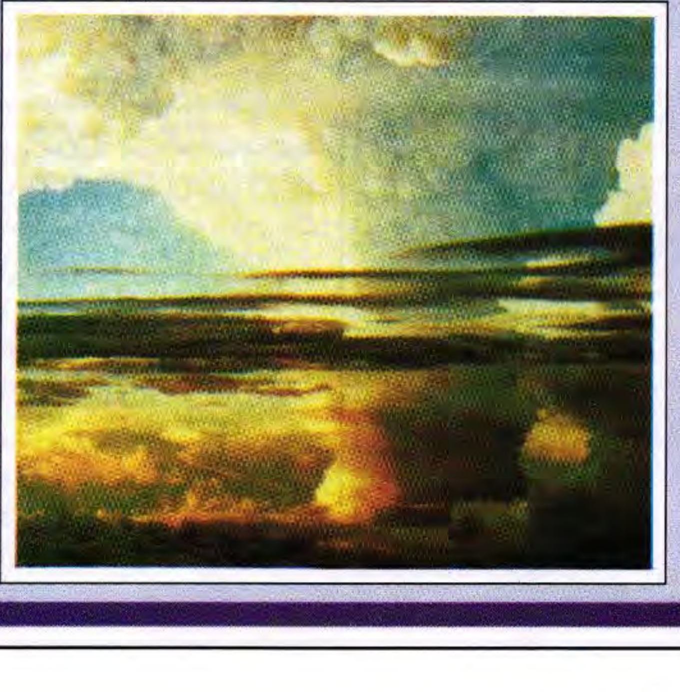
وقال إن باكستان لم تقدم بذلك سوى «أدنى رد» على التجارب النووية الهندية التي جرت في ١١ و ١٣ مايو الماضي، و«ليس من مصلحتها الدخول في سباق للتسلح».

وأجريت التجربة الجديدة، في موقع شاغني النووي في صحراء بالوشستان.

وأوضح شمشاد في المقابل، أن إسلام أباد مستعدة للدخول في حوار مع الهند من أجل تحقيق «الاستقرار النووي» في المنطقة.

وذكر المسؤول الباكستاني أن الاستقرار الاستراتيجي تحقق في المنطقة بعد التجارب الباكستانية وإسلام أباد مستعدة للدخول في «محادثات بناءة» مع دول أخرى والهند.

وقال: «أكد رئيس الوزراء (نواز شريف) أيضاً تصميم حكومته على استئناف الحوار بين الهند وباكستان لمعالجة القضايا القائمة كلها بما في ذلك مشكلة جامو وكشمير المحورية فضلاً عن السلام والأمن».



رابطة العالم الإسلامي تحمل الهند المسؤولية

حمّلت رابطة العالم الإسلامي أمس الهند مسؤولية سباق التسلح النووي الذي تشهده منطقة جنوب آسيا.

وقال الأمين العام للرابطة عبدالله العبيد في بيان: أن التجارب التي أجرتها باكستان أخيراً تأتي «دفاعاً عن نفسها ولمواجهة أي تهديد هندي نووي في المستقبل.

واعتبر الدكتور العبيد في بيان الرابطة التي تتخذ من مكة المكرمة مقراً لها أن الهند رافقت إجراء تجاربها بتصريحات عدائية لجمهورية باكستان التي أعلنت عن إجراء تجاربها لإيجاد توازن في القوة مقابل التفجيرات الهندية».

وعبّر عن أمله في أن يقتصر الأمر على إجراء التجارب والوقوف إلى هذا الحد مشيراً إلى عدم تأييد الرابطة لأي حال من حالات السباق إلى التسلح الاستراتيجي وإجراء التجارب والتفجيرات النووية سواء في باكستان أو في غيرها حفاظاً على إخلاء العالم من التوترات.

وأوضح أن الرابطة ترى أن الأولية يجب ن تتجه نحو العناية بتنمية الموارد الاقتصادية.

١٦ مليون عاقر في روسيا بسبب تلوث البيئة

أكدت مصادر أكاديمية العلوم الطبية الروسية أن في روسيا ما يقرب من ١٢ مليون امرأة عاقر وأربعة ملايين رجل غير قادر على الإنجاب.

وأشارت المصادر إلى أن عدد القادرين من سكان روسيا على إنجاب الأطفال الأصحاء لا يتجاوز نسبة ٣٠٪ من تعداد السكان البالغ ١٤٥ مليون نسمة.

وقال الأكاديمي فلاديمير كولاكوف مدير المركز العلمي لأمراض النساء والولادة أن ذلك يعود إلى الوضع المناخي غير المناسب وتلوث البيئة إلى جانب الأمراض المعدية والإضافات الضارة التي تتضمنها المواد الغذائية.

وقال كولاكوف أن الأطباء الروس استطاعوا اكتشاف التكنولوجيا المتطورة التي تكفل علاج المرأة وكذلك الأطفال المعاقين لكنهم غير قادرين على صناعتها واستخدامها بسبب قصور التمويل وحاجتهم إلى الدعم المالي.

وأضاف أن مركز أمراض النساء والولادة يعاني من قلّة الموارد اللازمة لرعاية المواليد الجدد في الوقت الذي استطاع فيه تحقيق أعلى نسب النجاح لتلبية الرغبات في الحفاظ على الجنين وسلامة الولادة.



تطبيق قانون منع الحجاب في الجامعات التركية

أصدر المجلس الأعلى للتعليم في تركيا تعميماً لجميع الجامعات فيها وعددها ٧٧ جامعة، دعا فيه رؤساءها إلى اتخاذ كل التدابير اللازمة لتطبيق قانون منع الحجاب اعتبارا من العام الدراسي المقبل.

وتضمن التعميم رفض تسجيل أي طالبة محجبة في الجامعات، إضافة إلى رفض أي صورة شخصية محجبة خلال عملية التسجيل، ولن يسمح لأي طالبة بدخول الجامعة وهي محجبة، بالإضافة إلى أنه سيتم فرض الإجراءات اللازمة ضد المسؤولين في أي من هذه الجامعات أو أي كلية في حال السماح للمحجبات بالدخول بما في ذلك كلية الشريعة.

الإدمان متفش بين الأمريكيات المسنات

قال باحثون إن ملايين من النساء الأميركيات المسنات يدمن على الكحول أو عقاقير مخدرة محظورة. وأضاف الباحثون أن ١,٨ مليون امرأة ممن تزيد أعمارهن عن ٥٩ عاماً أي ما يعادل سبعة بالمئة من جميع النساء في تلك المرحلة العمرية يدمن على الكحول وأن ٢,٨ مليون يدمن على عقاقير مخدرة يصفها لهن الأطباء.

وأظهرت الدراسة التي أجراها باحثو المركز القومي للإدمان في جامعة كولومبيا في نيويورك أن أكثر من أربعة ملايين امرأة أو ١٧ بالمئة و ٢٥ مليون امرأة فوق سن التاسعة والخمسين مدمنات للتدخين.

إنشاء منظمة إسلامية في أمريكا اللاتينية

تم إنشاء المنظمة الإسلامية لأمريكا الجنوبية، واختيرت العاصمة الأرجنتينية بيونس أيرس مقراً لها، وتهدف هذه المنظمة إلى التعريف بالإسلام وتنظيم الجهود والمشروعات الإسلامية في أمريكا الجنوبية، والتنسيق بين المؤسسات الإسلامية في هذه القارة والتعريف بهذه المؤسسات لدى الحكومات الإسلامية وغير الإسلامية، والهيئات المحلية والعالمية على جميع المستويات، واعتماد الوسائل الكفيلة بتأمين مصروفات المنظمة.

وقد تم إنشاء هذه المنظمة خلال اجتماع عقد في مدينة بيونس أيرس ضم رؤساء الجمعيات والمراكز الإسلامية في ١٩ دولة من أمريكا الجنوبية والبحر الكاريبي، حيث تدارسوا خلال هذا الاجتماع التقارير المقدمة لتحسين أوضاع الجالية الإسلامية في هذه المنطقة من العالم.

ونتيجة لذلك توصل المجتمعون إلى قرار بإنشاء هذه المنظمة، وقد تم اختيار مدير مكتب الثقافة والدعوة الإسلامية في الأرجنتين المهندس محمد يوسف هاجر أميناً عاماً للمنظمة لمدة ثلاث سنوات، وأنيط بالأمانة العامة عدد من المهام الرئيسة منها العمل على تحسين أوضاع المسلمين، وكذلك العمل على دعوة الجمعيات الإسلامية في الدول الأمريكية الأخرى غير المشاركة في الاجتماع التأسيسي للانضمام للمنظمة، كما أن من مهامها أن تسعى لتحقيق الاعتراف الرسمي بجميع المؤسسات غير المعترف بها وترتيب زيارة العلماء والدعاة للمؤسسات التي تفتقر إليهم، وتأمين المنح الدراسية في مختلف الجامعات الإسلامية للشباب المسلم، والقيام بدور الوسيط والمصلح في الأمور التي تستدعي ذلك حفاظاً على وحدة المسلمين، وتجميع المعلومات الواردة من العالم الإسلامي وتعميمها على المؤسسات الإسلامية في المنطقة.

لجنة الإغاثة تدعو للتبرع لمتضرري الزلازل في أفغانستان

ناشدت اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة المحسنين التبرع لصالح منكوبي الزلازل في أفغانستان والذي ضرب مناطقها وتخومها الشمالية الغربية. وقالت اللجنة في بيان لها صدر بتاريخ ١٩٩٨/٦/٣م إن هذا الزلزال هو الثاني في أقل من أربعة أشهر، وأن المناطق المتضررة هي نفسها التي ضربها الزلزال الأول في الوقت التي لا تزال تعاني من آثار الزلزال القديم حتى فاجأها زلزال يوم ١٩٦٨/٦/١م ليدمر ويمحو قرى بأكملها الأمر الذي خلف كماً هائلاً من الخراب والخسائر في الأرواح والممتلكات.

وأوضحت أن مكتب اللجنة في أفغانستان بدأ باتخاذ إجراءات سريعة لإغاثة المنكوبين وحث الجمهور على سرعة تقديم مساعدات عاجلة للمنكوبين، موضحة أن باب التبرع مفتوح في مقر لجنة الإغاثة.



٧٠ مليار دولار حجم تجارة المخدرات في العالم العربي سنوياً

أكد الدكتور أحمد السالم الأمين العام لمجلس وزراء الداخلية العرب أن حجم تجارة المخدرات عالمياً يقدر بـ ٥٠٠ مليار دولار أمريكي سنوياً، وأن نصيب العالم العربي منها نحو ٧٠ مليار دولار سنوياً.

وقال السالم في افتتاح مؤتمر رؤساء أجهزة مكافحة المخدرات في الدول العربية الذي افتتح في العاصمة التونسية يوم ١٩٩٨/٦/٢م أن من أخطر المشاكل الأمنية التي يواجهها العالم اليوم هي ظاهرة المخدرات التي استفحل ضررها وطال أذاها مختلف الدول والشعوب، مشيراً إلى أن هذه الظاهرة لا تعرف قيوداً ولا حدوداً ويصعب على أي دولة بمفردها السيطرة عليها، وذلك بسبب تعدد مراكز الإنتاج والتصنيع للمواد المخدرة، واستعرض السالم في كلمته الجهود التي قام بها مجلس وزراء الداخلية العرب لمواجهة ظاهرة المخدرات واعتماده منذ العام ١٩٨٦م الاستراتيجية العربية للاستعمال غير المشروع للمخدرات والمؤثرات العقلية، مشيراً في هذا الصدد إلى وضع وإقرار مجلس وزراء الداخلية العرب خطتين مرحليتين مدة كل واحدة منها ٥ سنوات لترجمة أهداف ومقومات الاستراتيجية إلى واقع ملموس ومحسوس.

وذكر السالم أن الجهود التي قامت بها الإدارات المتخصصة بمكافحة ظاهرة المخدرات في الأجهزة الأمنية العربية، أسفرت في السنوات الثلاث الماضية عن ضبط أكثر من ١٠٠ ألف قضية مخدرات تتعلق بالزراعة والتهريب والاتجار والتصنيع والتعاطي، تورط فيها زهاء ٢٠٠ ألف شخص من جنسيات عربية وأجنبية، بالإضافة إلى موضوع الزراعات غير المشروعة للمخدرات وأساليب اكتشافها ووسائل إتلافها وطرق إحلال زراعات بديلة وتنمية المناطق التي كانت مزروعة بالمخدرات.

خُمس أطفال كندا شهدوا انفصال والديهم

أدى ارتفاع عدد حالات الطلاق في كندا إلى التأثير على سلوكيات الأحداث خلال العقد الأخير أكثر من أي وقت مضى في تاريخ كندا الحديث، هذا ما ذكرته دراسة جديدة نشرت أمس جاء فيها أن واحداً من كل خمسة أطفال في عمر ١٠ ـ ١١ سنة شهدوا افتراق والديهم قبل أن يبلغوا سن الخامسة، وأن عدداً كبيراً من هؤلاء الأطفال لم يلتقوا أحد الوالدين مرة أخرى بعد الطلاق، ووجدت الدراسة التي أجرتها مؤسسة الإحصاء الكندية أن ٨٦٪ من الأطفال يعيشون مع أمهاتهم بعد الطلاق و ٧٪ مع آبائهم ونحو ٥٨٪ منهم يلتقون أحد الوالدين مرة كل شهر على الأقل.

وأكدت الدراسة ولأول مرة، أن تأثير الحياة المشتركة بين الرجل والمرأة من دون زواج غير عميق على الأطفال غير أنها ذكرت أن الاستقرار والتماسك العائليين في كندا يعانيان من ضعف شديد، وأنه غير واضح حتى الآن ما إذا كان وجود الأطفال يساعد على استقرار العائلة.

وكشفت الدراسة أن نسبة الأطفال الذين ولدوا من أبوين غير متزوجين في مقاطعة كيبك الفرنسية بلغت ٤٧٪ بينما في مقاطعة أونتاريو الانكليزية ٧٪.

والدراسة التي أجريت على ٢٣ ألف طفل فوق سن الحادية عشرة كشفت أن ٩٤٠ ألف طفل من أبوين مطلقين يعيشون في حال فقر، وتعيد الدراسة هذه الحال إلى عدم مساعدة الآباء لأطفالهم، إذ إن ٥٣٪ فقط من الأطفال يتسلمون المساعدات من آبائهم، بينما تحمّل ـ كريس فريلر من رابطة الدفاع عن الطفل الفقير ـ نظام ضمان مساعدة الأطفال القاصرين المسؤولية عن فقر هؤلاء.



حديقة



إعداد:
أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال تعالى في الآية ٣٥ من سورة الأحقاف:

(فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون).

من هدي رسول الله ﷺ

قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يسلم منهم أحد: الطيرة والظن والحسد، قيل فما المخرج منهن يا رسول الله؟ قال: إذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت لا تبغ».

مولد نبي الرحمة

لقد كانت الجزيرة العربية قبل الإسلام تغط في ظلام دامس من الجهل والتفكك والتخلف الحضاري، كانت تعيش في جاهلية تعم جميع نواحي الحياة فيها، اجتماعية كانت أو سياسية أو تشريعية أو دينية.

وفي هذا الخضم المتلاطم المتناقض بعضه بعضاً، وهذا المجتمع غير المستقر الذي يضل طريقه إلى الحق والخير، انبثق نور النبوة بولادة سيد العالمين وخاتم الرسل أجمعين محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد كان مولده الشريف على أصح الروايات في ١٢ ربيع الأول من عام الفيل، العام ٥٧٠ بعد الميلاد من أسرة قرشية عريقة في الشرف والعزة، ومن سلالة طاهرة تربطه بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

ولد عليه الصلاة والسلام فكان مولده البشارة في خلاص الإنسانية المعذبة مما كانت تعانيه من جهل في الجزيرة العربية وظلم وجور وتسلط في أصقاع الأرض المختلفة.

ولد عليه الصلاة والسلام رحمة للإنسانية وللعرب عزاً وشرفاً، فقد وحد شملهم، وأخلى فكرهم وعقيدتهم لله تعالى وأحل بينهم المودة والإخاء، فاستحقوا بذلك أن يكونوا رواد العلم والفضيلة بعد ذل وجهل وتخلف.

وصدق الله العظيم حيث يقول: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

أربع خصال

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من أُعطي أربع خصال أُعطي خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منها:

ورع يعصمه عن محارم الله،

وحسن خلق يعيش به بين الناس،

وحلم يدفع عنه جهل الجاهل،

وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة.

اتق الله

قال رجل للخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - اتق الله!

فقال رجل ممن حضر ذلك المجلس: أتقول لأمير المؤمنين اتق الله؟

فأجابه سيدنا عمر: دعه يقلها، فلا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم.

من خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم

سأل رجل أبا بكر الصديق فقال: يا خليفة رسول الله... من خير الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: عمر بن الخطاب... قال: ولأي شيء قدمته على نفسك؟ قال أبو بكر: بخصال كثيرة... فإن الله باهى به الملائكة ولم يباه بي... ولأن جبريل أقرأه السلام ولم يقرئني... ولأن جبريل قال: يا رسول الله اشدد الإسلام بعمر بن الخطاب.. فالقول كما قال عمر، ولأن الله صدقه في آيتين من كتابه عندما عاتب النبي - صلى الله عليه وسلم - بعض نسائه فأتاهن عمر فقال: لتنتهن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو لينزلن الله فيكن كتاباً، فأنزل الله : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن)، ولأن عمر قال: يا رسول الله إنه يدخل عليهن البر والفاجر، فأنزل الله: (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب)، ولأن عمر قال: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، فلما قبض أبو بكر قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين: من خير الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: أبو بكر الصديق... فمن قال غير ذلك فعليه ما على المفتري. رضي الله عن الشيخين أبي بكر وعمر ...

تعلموا العربية

قال أبو منصور الثعالبي في كتابه فقه اللغة: من أحب الله تعالى أحب رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن أحب الرسول العربي أحب العربية، ومن أحب العربية عُـنِـيَ بها وثابر عليها وصرف همته إليها ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرته فيه اعتقد أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - خير الرسل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

الكتاب

قال أحد الأدباء:

لا أعلم قريباً أحسن موافاة، ولا أعجل مكافأة، ولا أحضر معونة، ولا أخف مؤونة، ولا شجرة أطول عمراً، ولا أجمع أمراً، ولا أطيب ثمرة ولا أقرب مجتنى، ولا أسرع إدراكاً ولا أوجد في كل إبان من كتاب.

شر وخير

شر العمى عمى القلوب، وشر الضلالة... الضلالة بعد الهدى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وشر الأمور محدثاتها، وخير الأمور عواقبها، وخير القصص القرآن، وخير الهدي هدي الأنبياء، وخير الملل ملة إبراهيم عليه السلام، وخير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم.

قل ولا تقل

قل: تحرى فلان الأمر، ولا تقل: تحرى فلان عن الأمر.

قل: لعله يندم، ولا تقل: لعله ندم

قل: يا مغيث المستغيث، ولا تقل: يا غائث المستغيث.

قل: ينبغي لك ألا تكسل، ولا تقل: ينبغي عليك ألا تكسل.

قل: برز في الثقافة تبريزاً كبيراً، ولا تقل برز في الثقافة بروزاً كبيراً.

قل: أجاب عن سؤاله، ولا تقل: أجاب على سؤاله.

من روائع الشعر

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر

والمرء مادام ذا عين يقلبها
في أعين الغير موقوف على الخطر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر

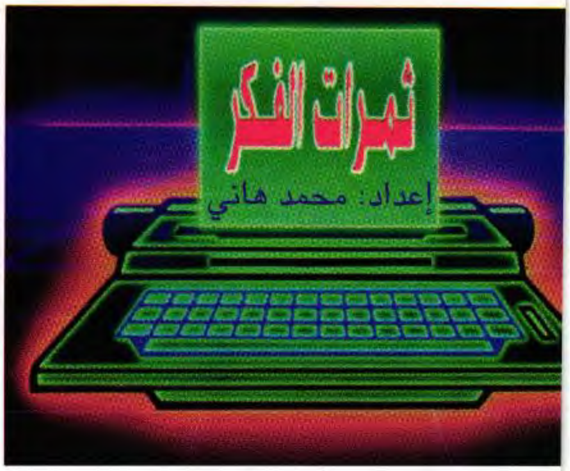
يسر ناظره ما ضر خاطره
لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

متعة

قيل لإعرابي: أي شيء أمتع؟ فقال: ممازحة المحب، ومحادثة الصديق، وأماني تقطع بها أيامك.

من عيون الحكمة

ركب الله تعالى الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب الآدميين من كليهما، فمن غلب عقله شهوته تشبه بالملائكة، ومن غلب شهوته عقله تشبه بالبهائم.



الولاء بين منهاج الله والواقع



كتاب أصدرته دار النحوي للنشر والتوزيع في الرياض، ويقع في نحو ٨٠ صفحة من القطع الصغير قام بتأليفه الدكتور عدنان رضا النحوي وهو يعرض قضية الولاء من خلال منهاج الله، لأن الولاء الأول الخالص لله أساس من أسس الإيمان والتوحيد، وقاعدة كبيرة من قواعده، غاب كثير من معانيها في واقع المسلمين اليوم، واختلطت الصور والمعاني فهو الأساس الذي تقوم عليه الموالاة بين المؤمنين والأخوة الصادقة في الله، أخوة الإيمان، فإذا لم يتحقق هذا الولاء الأول لله رب العالمين في واقع الإنسان فأنى لأخوة الإيمان أن تقوم؟!

وصف الممالك المغربيه

صدر أخيراً عن معهد الدراسات الأفريقية التابع لجامعة محمد الخامس، مؤلّف في طبعتين بالعربية والفرنسية والإسبانية، يحمل عنوان «وصف الممالك المغربية: «١٦٠٣/١٦١٨» ترجمة عبدالواحد أكمير، بمقدمة نقدية وتحقيق توركواتو بيريس دي كوثمان، يقع في ٢٥٠ صفحة من الحجم الكبير.

والمؤلف في الأصل مخطوط كتبه باللغة الإسبانية في العام ١٦١٣م، وهو عبارة عن مذكرات لخورجي دي هنين، الذي جاء إلى المغرب في العام ١٦٠٤م لفك بعض الأسرى المسيحيين، لكن انتهى به المطاف كاتباً خاصاً للسلطان مولاي زيدان، وسمح له منصبه داخل البلاط الاطلاع على معلومات قيّمة، تمكّن من استغلالها بعد فراره إلى إسبانيا ليقدم مشروعه الداعي لغزو المغرب إلى الملك فيليب الثالث.

ويقدم الكتاب وصفاً حياً للأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية التي عرفها المغرب بعد موت أحمد المنصور الذهبي، فبالنسبة للسياسة الداخلية يتحدث عن مواضيع مثل طبيعة العلاقة بين السلاطين والرعية، وبالنسبة للسياسة الخارجية يقدم معلومات عن السفارات الأجنبية التي كانت تحل بالمغرب، وكان المؤلف متمكناً من سبع لغات ومن ثمّ يحضر الجلسات التي يستقبل فيها السلطان السفراء الأجانب حيث يتولى مهمة الترجمة. ومن الناحية العسكرية، سمحت له المشاركة في عدد من المعارك التي دارت بين أبناء أحمد المنصور بتقديم وصف دقيق عن الجيش المغربي والطريقة التي كان يقاتل بها. وفيما يخص الناحية الاقتصادية، وحسب وثائق حصل عليها بحكم منصبه داخل البلاط، قدم تقارير بالأرقام عن مداخيل الدولة المغربية من التجارة الداخلية والخارجية والضرائب، كما وصف أوضاع التجار الأجانب في المغرب وكذلك الأسباب التي تقف وراء عدم استقرار العملة.

النظم التعليميه الوافدة فى أفريقيا قراءة فى البديل الاقتصادي



في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، صدر العدد الثالث والستون من الكتب المذكورة تحت عنوان «النظم التعليمية الوافدة في إفريقيا» قراءة في البديل الحضاري للدكتور قطب مصطفى سانو، وهذا الكتاب الذي يقع في نحو ١٤٠ صفحة من القطع الصغير يمثل إحدى المحاولات والإسهامات المطلوبة لملف التربية والتعليم اليوم بشكل عام، ولواقع القارة الإفريقية بشكل خاص، لأن التربية والتعليم تبقى هي المدخل والمفتاح لكل تغيير وإصلاح وتطوير وتنمية، واسترداد الذات، واستشراف المستقبل، ولأن محاولة استشراف وبناء المستقبل المأمول بعيداً عن مؤسسات التربية والتعليم، نوع من الحراثة في البحر، والقتال بغير عدو... ولعل الكثير من أزمات التعليم وإصاباته ونواتجها المتواضعة في أفريقيا، موجودة بشكل أو بآخر في كثير من بلاد العالم الإسلامي، ولذلك فإن المطلوب بعد هذه الرحلة الطويلة من الضياع والتضليل وتوهم الإنقاذ، المرابطة في مواقع العملية التربوية أو التعليمية المتعددة، والاستمرار في المراجعة وإعادة النظر والتقويم والنقد وتوليد البديل الملائم، المنطلق من عقيدتنا وقيمنا ومرجعيتنا بشكل عام، ويبقى ملف التربية والتعليم بطبيعته مفتوحاً لمزيد من النظر والتقويم، والمراجعة والمشاورة، والنقد، واقتراح البدائل، والإفادة من التجارب، ويستدعي أكثر من بحث، وأكثر من باحث لعل الله أن يهيئ لهذه الأمة أمر رشد تبلغ فيه هدفها في إلحاق الرحمة بالعالمين.

الجزيرة العربيه فى الوثائق البريطانيه

صدر أخيراً المجلد الثالث من المجموعة الموسوعية التي يعدها «نجدة فتحي صفوت» بعنوان: «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ويتكون هذا المجلد من ٢٥٧ وثيقة تعالج السياسة البريطانية منذ بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، وما يعطي هذا المجلد أهميته أنه يضم المراسلات الدبلوماسية المتعلقة بالثورة العربية وتطور عملياتها والمسؤولين البريطانيين من الجهة الأخرى، وأما فيما يتعلق بمنطقة نجد فيحتوي الجزء الثالث على الوثائق المتعلقة بـ«أمير نجد» آنذاك وهو الملك عبدالعزيز آل سعود، والمراسلات بينه وبين الجهات المعنية، فيما يتعلق بعلاقاته بابن رشيد والملك حسين، وهناك تقرير مفصّل كتبه «فيلبي» عن البعثة التي ترأسها إلى الرياض ينشر لأول مرة كاملاً، وكذلك المذكرة المفصّلة لـ «برسي لوكس» بعنوان: علاقات بريطانية مع ابن سعود.

الغرب من الداخل

الغرب من الداخل

دراسة للظواهر

الاجتماعية

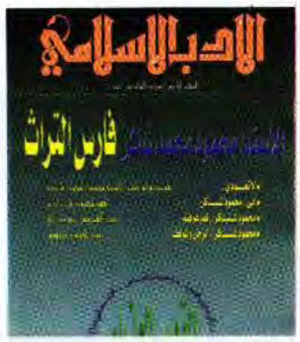
تأليف

د. مازن مطبقاني

عن نادي أبها الثقافي في المملكة العربية السعودية صدر كتاب «الغرب من الداخل... دراسة للظواهر الاجتماعية» من تأليف الدكتور مازن مطبقاني، والكتاب عبارة عن بحث يقوم بدراسة الغرب المعاصر ويقع في قسمين، الأول: المعرفة بالآخر، والثاني: ظواهر اجتماعية في الغرب، قد اهتم القسم الأول من الكتاب بتحديد مفهوم الآخر وفقاً لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم بعض الجهود الأوروبية في معرفة العالم الإسلامي منذ بداية الدراسات الاشتشراقية التي تطورت لتشمل جميع مجالات الحياة في العالم الإسلامي، ثم تناول الدعوة التي ظهرت حديثاً لدراسة جميع مجالات الحياة في العالم الإسلامي، كما تناول الدعوة التي ظهرت حديثاً لدراسة الغرب ويوضح المؤلف في هذه الجزئية مختلف الشخصيات التي اهتمت بهذا الجانب

أما القسم الثاني فيهتم بالظواهر الاجتماعية في الغرب، حيث يقدم أولاً تعريفاً بما يسمى ظواهر اجتماعية، وفقاً لبعض الموسوعات الأمريكية، كما يتناول الظواهر الاجتماعية من خلال المراجع الأوروبية أو من خلال ما تنشره الصحف والمجلات العربية، وهذه الظواهر هي الأسرة، المرأة، الطفل، الجريمة والأخلاق وخلاف ذلك.

عدد خاص من مجله الأدب الإسلامى



صدر العدد السادس عشر من مجلة الأب الإسلامي، وهو عدد خاص عن «فارس التراث الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر» رحمه الله تعالى.

وجاء العدد وفاء وتقديراً لجهود الأستاذ محمود شاكر في خدمة تراث الأمة ولغة القرآن والحفاظ على ثقاتها وأصالته العربية الإسلامية.

وتضمن العدد مقالات ودراسات لكبار الكتّاب والنقاد الذين تناولوا قصيدة «القوس العذراء» التي كتبها محمود شاكر واستوحاها من قصيدة قوس الشماخ بن ضرار رضي الله عنه، فسبروا أغوار قصيدة الأستاذ محمود شاكر بالدراسة والتحليل بإظهار ما يحويه تراثنا الثقافي من كنوز صالحة لانطلاقة التجديد في أدبنا المعاصر، وهذه الدراسات لكل من: زكي نجيب محمود، ود. إحسان عباس، ود. محمد مصطفى هدارة، ود. محمد محمد أبو موسى، ود. سعد أبو الرضا، ود. عبده زايد.

وتحدث في العدد د. عبدالقدوس أبو صالح رئيس التحرير عن معرفته بالأستاذ محمود شاكر عن كثب من خلال ملازمته إياه في مصر، كما تحدث أيضاً د. فهو محمود شاكر عن والده، ويوضح د. عبدالحميد إبراهيم أن محمود شاكر رجل موقف.

ويضم العدد قصيدة للأستاذ محمود شاكر لم تنشر من قبل بعنوان «لاتعودي» ويظهر من خلال هذه القصيدة مدى شاعريته وامتلاكه ناصية الكلمة الشعرية المناسبة التي تقطر رقة وعذوبة مقابل جزالة وقوة وعنفوان قصيدة القوس العذراء، كما يضم العدد حواراً قديماً مع الشيخ محمود شاكر يتحدث فيه عن آرائه ومواقفه الجريئة.

وفي العدد رثاء الشيخ محمود شاكر لكل من د. حيدر الغدير، والأستاذ خليفة بن عربي.

بالإضافة إلى هذا كله يشتمل العدد على تعريف بالرسائل التي ألقيت عن الأستاذ محمود شاكر وعن الندوات التي عقدت حوله بعد وفاته في عدد من البلاد العربية.

وأخيراً فإن هذا العدد يعد مرجعاً عن الشيخ محمود شاكر للدارسين والباحثين.

أخبـار ثقافيـه

● افتتحت في مكة المكرمة مكتبة إسلامية كبيرة باسم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية في الجامع الذي يحمل اسمه وتضم المكتبة ستة آلاف كتاب في التفسير وعلوم القرآن الكريم والسنة، وعلوم الحديث واللغة العربية والعقيدة والفقه وأصوله والتراجم والطبقات والخطب والمواعظ، كما تضم كتباً دعوية وفكرية وإسلاميات مترجمة إلى اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية والأوردية والبنغالية والميلابارية والإندونيسية و الهندية.

● أصدر وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت أحمد خالد الكليب قراراً وزارياً بإصدار اللائحة الداخلية للجنة التراث التي تم تشكيلها في منتصف العام الماضي.

● صدر العدد الأول من مجلة «عالم الإعاقة» عن مجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل بالتعاون مع برنامج الإعاقة والتأهيل في المركز الوطني للدراسات الاستراتيجية والمركز المشترك في الرياض بالمملكة العربية السعودية وهي تعنى بالرعاية الاجتماعية للمعاقين والمسنين وبرامج رعاية الطفولة والأمومة ويعتبر هذا الإصدار هو الأول من نوعه في عالمنا العربي حيث يسد جزءاً كبيراً من الفراغ الذي يعاني في هذا المجال.

● أشاد مدير إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت - الدكتور سعود العصفور - بالخطوة التي قام بها مركز جمعة الماجد في دبي والمتمثلة بإهداء الإدارة جهازاً للترميم الآلي للمخطوطات، والذي يعتبر الأول من نوعه في البلاد مشيراً إلى الدور الذي تعول عليه الوزارة في قدرة الجهاز الجديد على إعادة المخطوطة بشكل أفضل مما كانت عليه منوهاً بالتكلفة القليلة لهذه العملية.

● أصدرت إدارة الشؤون الاقتصادية والنفطية في وكالة الأنباء الكويتية كتاباً جديداً بعنوان «الأوفست بين النظرية والتطبيق» الذي يعد الأول من نوعه في المكتبة العربية نظراً لحداثة الموضوع عربياً ودولياً ويعرّف الأوفست بأنه أحد أنواع التجارة المقابلة تلتزم بموجبة الشركة الأجنبية التي يرسو عليها مشروع حكومي بإعادة استثمار جزء من قيمة هذا المشروع لصالح الدولة المشترية.

فتاوى

كفارة القتيل بسبب الخطأ

● عرض على اللجنة السؤال التالي:

هل تلزمني الكفارة عن قتيل بسبب خطئه في قيادة سيارته؟

وقع حادث تصادم بين سيارتي وسيارة أخرى وتوفي على أثرها قائد السيارة الأخرى، وبعد ذلك وأمام التحقيق تبين أن الخطأ على قائد السيارة الأخرى، وألا شيء عليّ، ثم بعد ذلك سمعت أن عليّ كفارة وهي صيام لأيام عدة، على أن هذا الأمر قتل وقع بالخطأ، فما مدى صحة هذا القول؟ وهل يلزمني صيام بما حصل؟ علماً بأن الخطأ كان من قائد السيارة الأخرى حيث إنه تجاوز إشارة المرور بالخطأ وهذا ثابت بالتحقيق، أفتونا مأجورين.

وقد طلبت اللجنة حضور المستفتي فحضر وسألته الأسئلة التالية:

ـ هل كانت الإشارة مقفلة ثم انطلقت بسيارتك عند فتح الإشارة؟

فأجاب بأنه رآها خضراء حين وصل إليها فاستمر في سيره ولم يتوقف.

ثم سألته اللجنة هل كان بإمكانك رؤية السيارة المخالفة وتفادي الاصطدام؟

فأجاب بأن هناك أبنية تمنعه من رؤية تلك السيارة.

ثم سألته اللجنة كيف تم الاصطدام بين السيارتين؟

فأجاب كنت متجهاً إلى الأمام فجاءت السيارة المخالفة من اليمين متعامدة مع سيارتي وارتطمت مقدمة تلك السيارة بالجانب الأيمن من سيارتي.

■ أجابت اللجنة بما يلي:

بناء على هذه الإجابات تبين للجنة أنه لم يصدر من المستفتي أي فعل أدى إلى تلك النتيجة، وأن المسؤولية كاملة على القتيل في هذا الحادث، لأن الفعل الذي أدى إلى موته صدر منه وحده.

وعليه فلا يلزم المستفتي كفارة في هذا المجال. والله أعلم

خروج المعتدة من بيتها للنزهة

● عرض على اللجنة الاستفتاء الآتي:

امرأة توفي عنها زوجها منذ أسابيع عدة وترغب في الخروج إلى البر لبضعة أيام، وهي مازالت في العدة، فهل يجوز لها ذلك شرعاً؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

أنه يجوز لها الخروج من بيتها لقضاء حاجتها الماسة فقط لا لأمور الترفّه، أما المبيت خارج بيتها فلا يجوز، إلا إذا كان عليها خوف من المبيت في منزلها وحدها ولم يكن هناك من تأمن به من أقاربها، والله أعلم.

قتل الجنين المشوه

● عرض على اللجنة السؤال التالي:

امرأة حامل في شهرها السادس، ومرض أحد أولادها بالحصبة الألمانية وانتقل الميكروب إلى الأم الحامل، وبعد فحصها قرر الأطباء أن الميكروب انتقل أيضاً إلى الجنين، كما قرروا أن الجنين المصاب بهذا المرض سيولد مشوهاً، وأشاروا على والديه بإسقاطه، وفعلاً تم إسقاط الجنين لهذا السبب.

فما حكم إسقاط جنين لهذا السبب؟ وهل على أحد والديه دية أم كفارة؟ أو هما معاً؟ وما مقدارها؟ ولمن تدفع الدية؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

أنه يحرم إسقاط هذا الجنين حتى ولو كان مشوهاً ما دام أنه لا خطر على حياة الأم.

والغرة «أي الدية» على من باشر الإجهاض وهي نصف العشر أي ما يعادل ٥٪ من الدية الكاملة، ويحرم الأب والأم من الميراث لأنهما أذنا في إسقاطه وينتقل الميراث إلى من بعدهما. والله أعلم.

إعدام تاجر المخدرات

● عرض على اللجنة السؤال التالي:

هل يجوز شرعاً الحكم بإعدام تاجر المخدرات إذا عاد إلى الاتجار فيها بعد أن حكم عليه مرة بسبب ذلك، وهل يعتبر من الذين يسعون في الأرض فساداً فينطبق عليه قول الله تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا ...) المائدة ٣٣

■ أجابت اللجنة بما يلي:

أنه لا يجوز إعدام تاجر المخدرات ولو عاد إلى الاتجار فيها لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والمارق من الدين التارك للجماعة» أخرجه البخاري، ولكن إذا رفع السلاح في وجه رجال الدولة أو المواطنين في حال معارضته على هذا العمل، حينئذ يجوز الحكم عليه بالإعدام أي إذا تحققت شروط الحرابة. والله أعلم.

قتل المريض شفقة عليه

● عُرض على اللجنة أسئلة مقدمة من لجنة خيرية، بوساطة أمين السر بالتعاون مع جمعية الأطباء المسلمين في جمهورية جنوب أفريقيا طالبة إبداء الرأي فيها نظراً لما يواجهه الأطباء المسلمون في مختلف بقاع الأرض من مشاكل بسبب عدم وجود فتاوى إسلامية حول هذه المواضيع والأسئلة هي:

هل القتل بدافع الرحمة ـ بالطريقة الإيجابية ـ مسموح به في الإسلام قياساً على قتل الحصان الميؤوس من شفائه أي بما يسمى «رصاصة الرحمة»؟ وهل مسموح القتل بدافع الرحمة بالطريقة التلقائية بفصل أجهزة التنفس ونحوه أو بترك معالجة المرض في شخص ميؤوس من شفائه؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

القتل بدافع الرحمة بالطريقة الايجابية المذكورة حرام شرعاً، ومن أمثلة ذلك: إعطاء المريض بالسرطان الميؤوس طبياً من شفائه جرعة قاتلة «فوق المسموح بها» من مخدر قوي حتى تتوقف أنفاسه، وليس من ذلك فصل جهاز التنفس الصناعي عن مريض ميؤوس طبياً من شفائه أيضاً وقد سبق للجنة أن أجابت في هذا الخصوص بما يلي:

إن التخلص من مثل هذا المريض بأي وسيلة محرّم قطعاً ومن يقدم على ذلك يكون قاتلاً عمداً لأنه لا يباح دم امرئ مسلم صغيراً كان أو كبيراً صحيحاً أو مريضاً، إلا بإحدى ثلاث حددها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة» أخرجه البخاري.

وهذا ليس من هؤلاء الثلاثة، والنص القرآني قاطع في ثبوته ودلالته أن قتل النفس محرّم قطعاً لقوله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق) الأنعام: ١٥١، ويشترك في الإثم والعقوبة من أمر بهذا أو حرّض عليه، وقياس حال المريض على حال الحصان الميؤوس من شفائه فيه امتهان لكرامة الإنسان إذ الحصان يجوز ذبحه حتى ولو كان صحيح البنية بخلاف الإنسان، فإنه معصوم الدم، ووصف الرصاصة القاتلة للحصان برصاصة الرحمة وصفاً لم يقم عليه دليل شرعي، فكيف نسمي الحقنة القاتلة للإنسان بهذا الاسم، وأما بالنسبة للمريض بمرض ميؤوس منه إذا طرأ عليه مرض آخر قابل للعلاج ويؤدي للوفاة إذا أهمل، فإنه يطبق عليه الحكم الأصلي للتداوي وهو عدم الوجوب من جهة الشرع، لأن حصول الشفاء بالتداوي أمر ظني، وهو مطلوب على سبيل الترغيب لا على سبيل الوجود، أما من جهة التعليمات الطبية والقرارات الرسمية المنظمة لها فيجب شرعاً العمل بما تقضي به فيما لا يتنافى مع الشرع. والله أعلم.

خروج المعتدة إلى العمل

● عرض على اللجنة السؤال التالي:

ما الحكم الشرعي بالنسبة لامرأة موظفة توفي عنها زوجها سواء أكانت حاملاً أم غير حامل هل تستمر في العمل أم تنقطع طيلة مدة العدة؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

إن المتوفى عنها زوجها يُباح لها أن تخرج بالنهار لعملها المعتاد، على ألا تتزين بأي نوع من أنواع الزينة، سواء باللباس أو غيره، وعلى أن تبيت في منزل الزوجية الذي كانت فيه عند الوفاة، وذلك مدة العدة، وهي مدة الحمل لمن كانت حاملاً، أو أربعة أشهر وعشرة أيام إن لم تكن حاملاً. والله أعلم

طلقتان واقعتان والثالثة في الغضب لاتقع

● **حضر إلى اللجنة رجل وزوجته، وأفاد الزوج بالآتي: طلقت زوجتي ثلاث مرات والسبب والدي، والآن، أريد إرجاعها، علماً بأن الطلاق كان في حال غضب.**

وسألته اللجنة الأسئلة التالية:

ـ ما صيغة الطلاق الأول؟ فقال: تشاجرت معها بسبب غيرتها فكانت تذكر أنني أحب إحدى النساء، وكانت تذكر هذا الموضوع أمام أبناء عمي الأمر الذي جعلني أغضب عليها وأقول لها: «أنت طالق» وكان هذا منذ أربع سنوات واستفتيت أحد المشايخ وأرجعها لي.

ـ كيف وقعت الطلقة الثانية؟ قال: تشاجرت معها فقلت لها: «أنت طالق» وكان هذا منذ سنتين واستفتيت أحد المشايخ واعتبرها طلقة ثانية.

ـ ما حال الطلاق الثالث؟ قال: وقعت هذه قبل عشرة أيام بسبب مشاجرة بين زوجتي ووالدتي ما جعلني أغضب وبما أن الطرف الثاني والدتي فما أدري ما الذي أقوله لها الأمر الذي جعلني أوجه الكلام لزوجتي وأطلب منها أن تسكت وتذهب إلى غرفتها إلا أنها زادت في الكلام فهممت لأضربها فأمسكتني والدتي ووالدي الأمر الذي أثار غضبي فقلت لها: «أنت طالق».

وسألت اللجنة الزوجة:

ـ كيف حصل الطلاق الأول؟ قالت: تشاجرت معه وأراد أن يضربني فأمسكوه عني فطلقني.

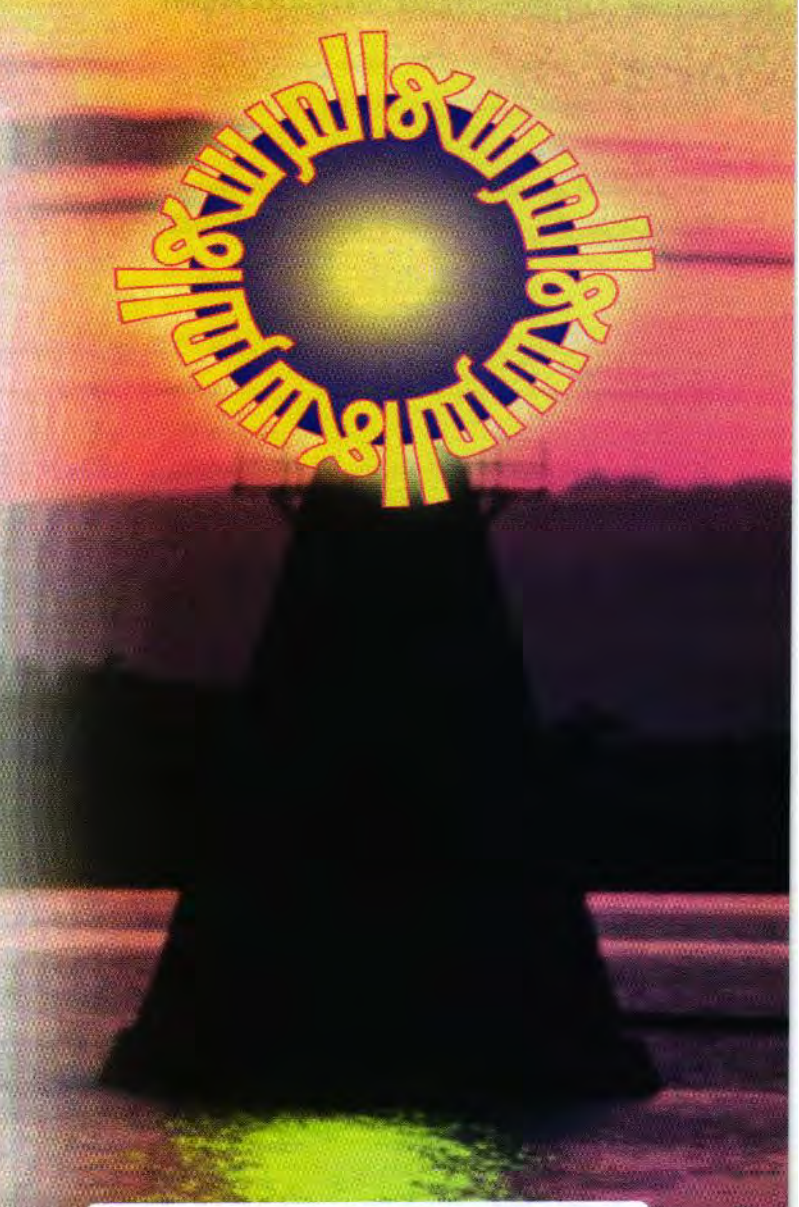
ـ ما حال الطلاق الثاني؟ قالت: تشاجرت مع أمه فغضب وقال لي: «أنت طالق».

ـ ما حال الطلاق الثالث؟ قالت: كان أكثر شجاراً بسبب والدته فلما عاد من العمل اشتكت والدته عليَّ فغضب وأراد أن يضربني فأمسكه والداه فزاد غضبه وقال لي: «أنت طالق».

ـ أي الحالات كانت أشد بالنسبة للطلقات الثلاث؟ قالت: إنه لم يكن هناك غضب شديد وإنما كان غضبه عادياً.

■ أجابت اللجنة بما يلي:

إن الطلقة الثالثة لم تقع بسبب الغضب الذي سيطر عليه، وهي باقية في عصمته على طلقة واحدة فقط حيث سبقها طلقتان، فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، ونُصحا بتقوى الله وحسن المعاشرة. والله أعلم.



كوسوفا ... والتعتيم الإعلامي

بقلم: رفعت محمد بروبي

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه .. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع

جاء الإسلام لإيجاد مجتمع فاضل تتعاون فيه كل القوى بحيث لا يطغى فريق على فريق، وأول مظهر للمجتمع الفاضل المتكامل في الإسلام هو وجود «رأي عام ـ إعلامي فاضل» يتعاون على الخير ودفع الشر، فإن المجتمع في مظهره العام يكون بيئة صالحة لأن تترعرع في ظلها الفضيلة وتختفي من نورها الرذيلة.

ولأجل ذلك جعل القرآن الكريم الوصف الخاص الذي تعلو به أمة الشريعة الإسلامية، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنه منهاج خير أمة أخرجت للناس إذا تمسكت بهذا المبدأ الذي يكوّن مجتمعاً فاضلاً، وإن الجماعة تكون آثمة إذا رأت الشر يسيرُ ـ رافعاً رأسه ـ وسكتت عنه، إذا كان الشر يسيرُ في طريقه ولا يوجد من يُنكره.

ولقد ذَمَّ القرآن الكريم بني إسرائيل لأنهم أفسدوا مجتمعهم بترك الآثمين يرتمون في أحضان الإثم من غير أن ينهوهم عن ذلك.

أقول هذا الكلام نسبة لما يحدث في «كوسوفو» أو «كوسوفا» كما يسميها المسلمون الألبان، حيث ارتكبت المذابح الوحشية هناك دون ذنب ولا جريرة سوى أنها مسألة ثأر قديم، حيث راح الصرب يُكيلون الطعنات للمسلمين هناك رداً على ما سبق أن قام به السلطان مراد إبان الحكم العثماني من قمع لهم وتأديب لوقف سلوكهم المشين تجاه أصحاب الأرض المسلمين، هذا إضافة للحقد على المسلمين حيث تُعد الديانة الحنيفة هي العدو الأول لهم، ومن ثم جاءت الضربات اللاإنسانية للمسلمين هناك في محاولة منهم «أي من الصرب» لإخراجهم من أراضيهم رغم أن الصرب ـ لا يشكلون إلا نسبة ضئيلة هناك ٧٪ من مجموع السكان، ولكنه الحقد الدفين، إنها ليست المأساة الأولى في سجلهم الأسود من المآسي التي تتعرض لها البلدان الإسلامية سواء أكانت أقليات مسلمة أم أصحاب أرض، فهل هبت الأقلام من رقدتها بالمحابر وتناولت الأحداث الدامية هناك، وهل تحركت بعض الصحف التي تغطُ في نومها متجاهلة المأساة، هل تحركت لاستنكار تلك الأحداث المؤسفة والواقع المرير. هل تحركت!! هل تحركت!!

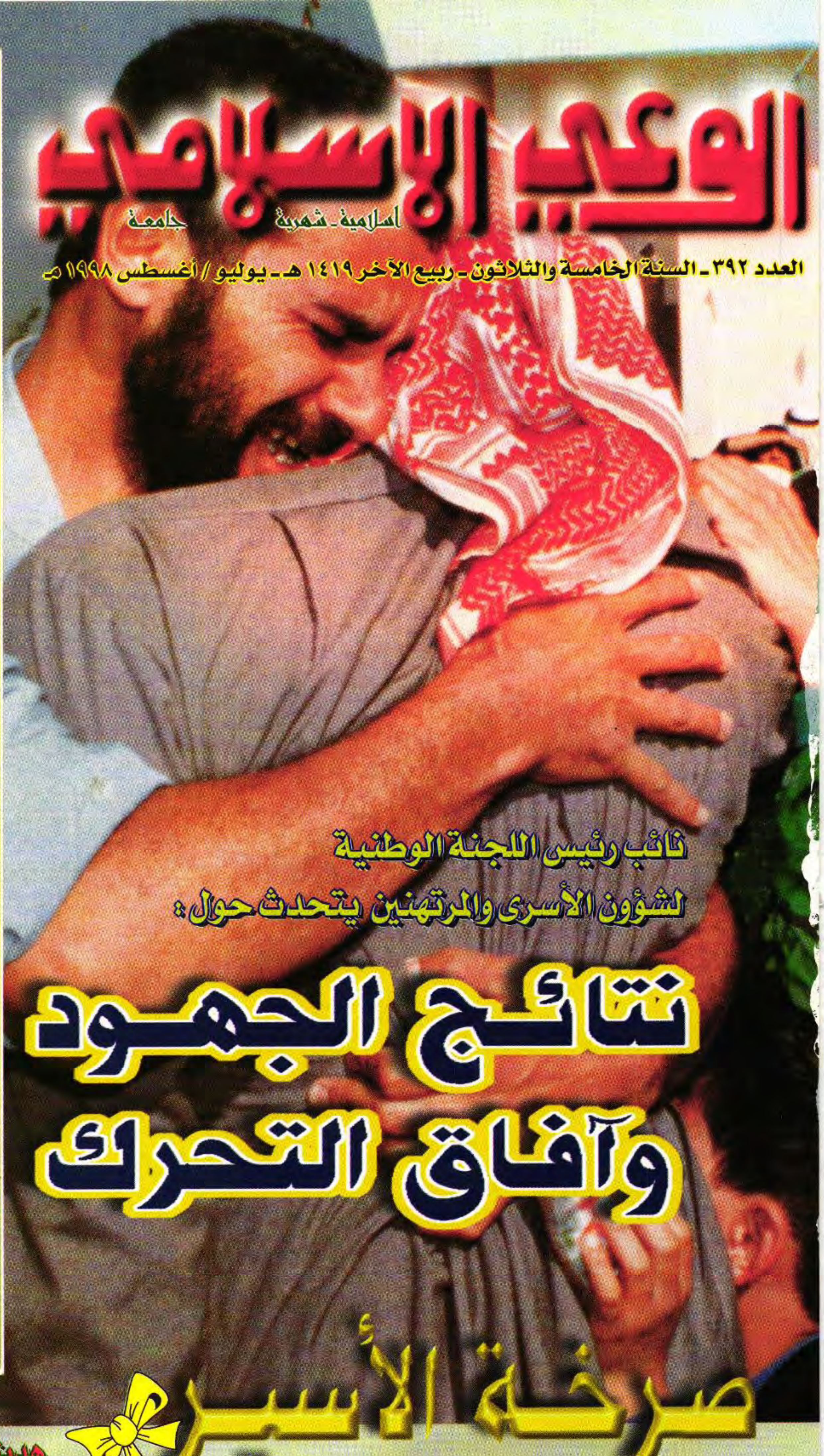


صدر حديثاً
عن مجلة
الوعي الإسلامي
دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
الكشاف العام
لمجلة الوعي الإسلامي
- الجزء الثالث -
اصدار
مجلة الوعي الاسلامي
قطاع الثقافة الاسلامية
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

الوعي الإسلامي

إسلامية - شهرية - جامعة

العدد ٣٩٢ - السنة الخامسة والثلاثون - ربيع الآخر ١٤١٩ هـ - يوليو / أغسطس ١٩٩٨ م



- العولمة والشفافية والتجدد الحضاري الإسلامي
- جهود المستغربين في ترسيخ العلمانية
- التركيب والتصوير في سورة الطور
- السرقة أسبابها وآثارها وعلاجها
- البيت المسلم

نائب رئيس اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمرتهنين يتحدث حول:

نتائج الجهود وآفاق التحرك

صرخة الأسير

هديتك مع العدد براعم الإيمان


عماد صقر
طال غيابي فمن يفك أسري؟

كلمة العدد

في الذكرى الثامنة للغزو العراقي الغاشم

عزيزي القارىء الكريم

يتزامن صدور هذا العدد مع الذكرى الثامنة للغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت والذي مازالت إفرازاته السلبية تلقي بثقلها على قضايا أمتنا العربية والإسلامية فيما يستمر النظام العراقي في مراوغاته ومماطلاته للالتفاف على كل القضايا المعلقة وفي مقدمها قضية الأسرى والمرتهنين الكويتيين...

حول هذه القضية ستجد عزيزي القارىء داخل العدد حواراً مطولاً مع الدكتور إبراهيم الشاهين نائب رئيس اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمرتهنين يسلط فيه الضوء على أبعاد هذه المأساة ويفند ادعاءات وأكاذيب النظام العراقي ويطالبه بالإفراج الفوري عن هؤلاء المرتهنين معتبراً القضية قضية إنسانية شاملة قبل أن تكون قضية تهم أبناء الكويت وحدهم.

كما تجد داخل العدد مواضيع أخرى تهم أمتنا منها قضية تحريف القرآن الكريم على شبكة الانترنت وأبعاد هذه القضية اضافة إلى مواضيع أخرى تهم الأخوة القراء في شتى أرجاء الوطن الإسلامي الكبير.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير.
- الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات: ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا ـ السعودية: ٤ ريالات ـ البحرين: ٣٠٠ فلس قطر: ٤ ريالات ـ الامارات: ٤ دراهم ـ سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة الأردن: ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع: جنيه مصري واحد ـ السودان: ٥ جنيهات موريتانيا: ١٢٠ أوقية ـ تونس: دينار واحد ـ الجزائر: ٥ دنانير اليمن: ٥ ريالات ـ لبنان: ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا: ٢٠ ليرة ـ المغرب: ٦ دراهم ليبيا: ٥٠٠ مليم ـ اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع: شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزبيبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٢ . السنة الخامسة والثلاثون
ربيع الآخر ١٤١٩ هـ . يوليو / أغسطس ١٩٩٨م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
BADER S. AL-QASSAR

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
عقاب يوسف
OQAB YOUSEF

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

المراسلات

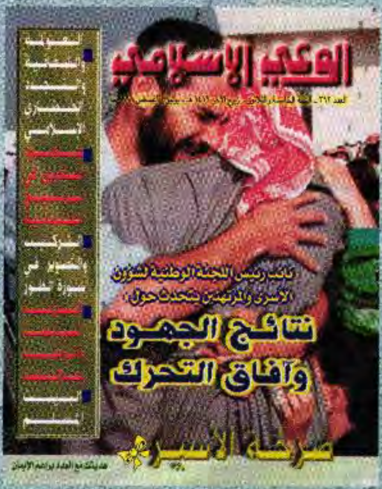
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740
e.mail: al-waei@hotmail.com
www.KUWAIT.NET/"AWQAFNET

هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

مطابع السياسة ـ الكويت

في هذا العدد





الوعي الإسلامي
نائب رئيس اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمرتهنين يتحدث حول
نتائج الجهود وآفاق التحرك
صرخة الأسير

في الأعداد المقبلة

- علم النفس من منظور إسلامي — د. محمد الدسوقي
- أحكام التدخين في الشريعة الإسلامية — د. أحمد الحجي الكردي
- الأبناء والغذاء الآخر — د. حسن أبوغدة
- تحديات تأكيد الذات في ظل العولمة — نورالدين بليبل
- زراعة القوقعة الالكترونية — د. كمال الدين أحمد أبوالمجد
- إندونيسيا أكبر دولة إسلامية — شعبان عبدالرحمن

إعلام



16 وزارة الأوقاف تحتفل بذكرى المولد النبوي الشريف

في إطار الاحتفال بالذكرى العطرة لمولد الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أقامت ندوة دينية تحت عنوان: «المنهج النبوي في بناء الشباب».

الفهرس



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

تعقيب

عندما تصبح الدولة أباً للأطفال!»

إذا طرحنا تساؤلاً لماذا انتشرت الفاحشة والزنى والفساد بين المجتمعات الغربية والأمريكية بحيث شملت الأغلبية من أفرادها؟ وما ترتب على ذلك من أبناء غير شرعيين أصبحت الدولة هي المسؤولة عنهم. كذلك لماذا تحولت الحياة الزوجية إلى موضة بالية وقديمة وطغيان الأنماط الأخرى من الحياة المشتركة بين النساء والرجال في ألمانيا خاصة وأوروبا عامة؟

والإجابة هنا تتوقف على عدم تطبيق مبدأين مهمين في هذه الدول هما:

١ - مبدأ الطلاق.

٢ - مبدأ تعدد الزوجات.

هذان المبدآن اللذان أقرهما الإسلام وعالج بهما مشكلة الزنى والفاحشة علاجاً جذرياً باتراً.

ذلك أن الفرق بين الديانة المسيحية التي يدين بها الغرب والديانة الإسلامية أن الديانة المسيحية لا تبيح الطلاق إلا في حال واحدة فقط هي إذا وقعت جريمة الزنى من الزوجة وثبت ذلك عليها، وكأنها تنتظر حتى تقع الجريمة لكي تبيح الطلاق، أما الإسلام هو دين «الوقاية التي هي خير من العلاج» فهو يمنع الجريمة قبل وقوعها، ويحمي النفس البشرية من أي رذيلة قد تقع فيها أو مجرد التفكير فيها، فهذا هو الفرق بين الإسلام والديانات الأخرى.

فوائد الطلاق:

١ - يمنع جريمة الزنى قبل أن تقع وبذلك يحمي الكيان والمجتمع الإسلامي من شر الرذيلة.

٢ - في حال وصول الحياة بين الزوجين إلى حياة لا تُطاق بحيث تكون قد انقطعت كل أسباب الود بين الزوجين، يكون العلاج الناجع لذلك.

٣ - ينتج عن التفريق بين الزوجين المتنافرين أن يلجأ الرجل إلى زواج بأخرى يألفها وتألفه، وكذلك الزوجة تلجأ إلى زوج شرعي يألفها وتألفه، وبذلك يعمرُ الكون وتعم الفائدة على الجميع.

فوائد تعدد الزوجات:

١ - يعمل على منع الرذيلة واستئصال جذورها من المجتمع.

٢ - يعمل على حفظ النوع البشري وعدم قطع النسل وإعمال الكون وبخاصة في حال عدم إنجاب الزوجة.

٣ - إذا أصيبت الزوجة بمرض يحول الزوج عن ممارسة حقه الطبيعي معها، فهل يُترك الرجل هكذا؟!! وهذا يتنافى مع الطبيعة البشرية والغريزة أم نتركه تتغلب عليه الشهوة فيلجأ إلى أوكار الشيطان؟!!!

٤ - الإسلام عالج متطلبات النفس البشرية من الداخل واختلافها من شخص لآخر، فإذا كان معدل الشهوة لدى الزوج عالياً بحيث ان زوجة واحدة لا تكفيه، أنتركه يمارس الرذيلة؟ أم نجد له البديل العفيف في مبدأ تعدد الزوجات مع توافر شرط العدل بين الزوجات.

٥ - في المجتمعات التي يكثر فيها عدد النساء عن الرجال بحيث يكون هناك فائض في عدد النساء.... فهنا تفضل المرأة أن تكون زوجة ثانية أو ثالثة خير لها من أن تكون بلا رجل.

وكثير من الدول لجأت إلى هذا المبدأ حين لاحظوا نقصاً في عدد الرجال نتيجة الحروب فأحبوا أن يعددوا حتى يخصب الرجل الواحد عدداً من الإناث.

وحيد محمد أبو القاسم - مصر

أما آن الأوان لنستيقظ؟

يمر عالمنا العربي والإسلامي في الوقت الراهن بمرحلة هي من أخطر المراحل فهو يواجه الكثير من الأزمات والتحديات ومن أبرز هذه التحديات وأخطرها قيام العدو الصهيوني بتهويد القدس وطمس هويتها العربية والإسلامية، فإسرائيل مازالت مستمرة في سياستها التوسعية الاستيطانية دون أدنى اعتبار لكل القرارات والمواثيق الدولية في الوقت نفسه تجد التأييد والدعم الكامل من الولايات المتحدة الأمريكية التي فقدت مصداقيتها لدى الشعوب العربية. فهل آن الأوان لكي نكون صرحاء مع أنفسنا متصالحين مع الله ونتخذ مواقف إيجابية بدلاً من الاستنكارات والإدانة والجدب ونعد أنفسنا لمواجهة التعنت الصهيوني الذي اعتاد سياسة الغطرسة والقوة لكي نلقنه درساً ونؤكد له أن هذه الأمة مازالت بعافيتها حتى يفيق من الأساطير والخرافات التي يحلم بها.

محمود محمد فوده - مصر

الوعي الإسلامي في ثوبها الجديد

مع إطلالة كل شهر عربي جديد تُطالعنا مجلة الوعي الإسلامي بكل ما هو مفيد وجديد وهذا هو نهجُها ... التجديد والتطوير المستمر. بل أستطيع أن أجزم وأقول إن مجلة الوعي الإسلامي فاقت كل وصف وتقدير، وهي ليست مجلة إسلامية فحسب، بل أصبحت مرجعاً إسلامياً - بما اشتملت عليه من موضوعات وأبواب كثيرة، وبما تفرع عنها من إضافة أبواب جديدة، فبراعم الإيمان تخاطب كل طفل وطفلة، وصفحات البيت المسلم والتي تهتم بكل ما يتصل بالأسرة المسلمة من تربية وسلوك وأغذية ونصائح دينية ... إلخ.

وأصبح كل فرد في الأسرة المسلمة ينهلُ منها سواء كان الأب أو الأم أو الأبناء ... الكل يجد غايته فيها. وأخيراً هذه الإشراقة الجديدة التي أطلت على القراء وهي «مسابقة البيت المسلم».

وفي رأيي أن إضافة مثل هذه الصفحة الجديدة إلى المجلة الموقرة ... يهدف إلى نشر الوعي الثقافي الديني وحفز همم كل المسلمين وبخاصة الشباب منهم نحو الاطلاع والبحث والقراءة والتنقيب في أمّات الكتب وغيرها، حتى يتحصن شبابنا وتكون لديه الجرعة الكافية من العلم والثقافة التي تُمكنه من التصدي لموجات الغزو الثقافي والتشويه لكل ما هو إسلامي. ومن هذا المنطلق تكون مجلة الوعي الإسلامي قد غطت جميع أوجه المجتمع المسلم ... الأسرة بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة.

وهذا العمل الدؤوب والشاق راجع إلى إخلاص القائمين على تحرير المجلة الموقرة وإدارة شؤونها وإخراجها في هذا الثوب البهي وعلى رأسهم سعادة رئيس التحرير - حفظه الله - وأدام عليه موفور الصحة والعافية. وإلى الأمام دائماً.

وحيد محمد أبو القاسم علي حسن - مصر

وداعاً إمامنا الجليل الشيخ الشعراوي

كم كان الشيخ الجليل - رحمه الله - جريئاً صادقاً معبراً بلسان مفوه بليغ عن أحوال الناس في الدنيا ومآسيهم التي يجنونها بالابتداع والبعد عن منهج الله، قال فضيلته «لو أن عشر الناس محسن لحملوا التسعة أعشار، فالحسنة بعشر أمثالها والمحسن يعوض عشرة مسيئين إذاً فلو أن عشر الناس محسن لاختفى الفساد ولكن متى يظهر الفساد عندما تزداد النسبة».

رحم الله الإمام الجليل رحمة واسعة بقدر ما أعطاه من علم وحكمة لجمهور المسلمين في شتى بقاع الأرض، وأيسر على الناس في أمور دينهم حتى تعلّم منه القاصي والداني فكم نخسر ما بين حين وآخر من أعلام المسلمين، ولكنها إرادة الله التي لا تقف معها إرادة سبحانه (فعّال لما يريد)، (وكل نفس ذائقة الموت) وهذه مصائرنا دائماً ومثوانا الأخير.

إيهاب أحمد زغلول

قدرة اللغة العربية على تدريس الطب والعلوم

اللغة العربية أشرف اللغات على الإطلاق، وأقدرها إحاطة في التعبير عن كل المعارف البشرية وخلجات النفس الإنسانية، حيث تعجز جميع لغات البشر عن أداء دورها، وقد أسدت هذا الصنيع بجدارة يوم خيم الجهل على أوروبا، فانقطع ما بينها وما بين تراثها القديم من حضارة اليونان التي حفظ أكثرها فيما ترجم من علوم ومعارف إلى العربية، وأضاف المسلمون علومهم ومعارفهم الحديثة إلى ذلك التراث فوفد ملوك الغرب وأمراؤهم ووجهاؤهم وأبناؤهم وبناتهم إلى بلاد المسلمين في كل مكان ينهلون من تلك المعارف ويعتزون بمعرفتهم للغة المسلمين التي نزل بها القرآن مجمع العلوم ودستور الكون بما حواه - إنها العربية لغة - كل العلوم النافعة والمعارف التي قامت عليها نهضة الغرب في عصر التنوير وكانت العربية وعلومها الحضارية تلك نقطة تحول الغرب من الظلام إلى النور ومن الجهل المطبق إلى المعرفة والتحضر.

واللغة العربية قد أثبتت قدرتها على تدريس الطب والعلوم وعلى نقل المصطلحات العلمية الدقيقة إليها، وإنها قادرة على ملاحقة التقدم العلمي في مختلف المجالات، لذا فإنني أوصي بما يلي:

١ - أن تكون اللغة العربية لغة التدريس في جميع الجامعات والمعاهد العربية.

٢ - إنشاء ديوان للترجمة تحشد له أرقى الكفاءات العلمية لنقل البحوث والكتب العلمية إلى العربية.

وبعد، فإن مما يشرف جيلنا أن ننفي عن العربية تهمة الجمود والقصور وأن نجعلها لغة العلم كما جعلها أسلافنا في الماضي، حين جعلوا منها لغة النشر العلمي العالمي وعنها نقل أهل أوروبا علوم العرب وفنونهم وعلينا أن نعيد مجد السلف وأن نلحق بالركب ونشارك في بناء صرح المدينة والحضارة، فنحن الذين أسسنا بناءه وأقمنا دعائمه في سالف الأزمان، ونمد نهر المعرفة بروافد من أعذب روافده وأغزرها مادة وأسلسها أسلوباً وأفصحها بياناً، إنها معرفة علمية صيغت بلغة الضاد.

محمد عباس محمد عرابي مصر

التقـوى يا صديقـي

جلس صديقي الذي اعتاد ألا يفارقني وبخاصة في مقهى بلدي الذي يسمى «التمساح» وهو مهموم ومغموم ليس أنيقاً في ملابسه ولا مرتباً في هيئته، شعره متناثر، ووجه متعدد القواطع ... بادرني بسؤاله وهو مكفهر بعد رميه للنارجيلة التي بمفهومه تُذهب عنه الهم والغم، كما يعتقد قائلاً: ما بالنا نحن لسنا سعداء... لا مال ولا جاه وفوق كل هذا مشاكلنا تزداد وكأننا خلقنا تعساء على رأي أغنية أم كلثوم: ما بأيدينا خلقنا تعساء

فانتبهت من غفلتي وقلت له بغضب: يا صديقي الله خلقنا وقدّر أرزاقنا وقسّمها فما بالنا ... فلابد أن نرضى بالمكتوب.

قال صديقي: ليست هذه إجابة على سؤالي... أريد إجابة واضحة وشافية.

قلت: يا صديقي العزيز: هل أنت تصلي...

قال: بعض الأحيان

قلت له: هل تشرب المسكرات وما شابه

قال: معظم الأوقات.

قلت له: هل تراعي الحرام والحلال؟

قال: هل أنت وكيل نيابة حتى تستجوبني، إن الله غفور رحيم.

فقلت له بصوت فيه نبرة الغضب: ألم تسمع قوله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب»، وقوله تعالى: (وألّوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً)، وقوله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً).

يا صديقي هذا هو الضنك... يا صديقي التقوى، التقوى يا صديقي.

محيي الدين عبدالفتاح مصر

خواطـر شعريــة

وأنا جالس ... جعلت أمواج أفكاري تضرب جدران رأسي ... مقبلة مدبرة ... ولكنني أخيراً ... استجمعتها في بوتقة التأمل ... وصقلتها ... حتى انتهيت إلى ترجمتها قائلاً: «لا، لن يستطيع أعداء الإسلام... بوسائلهم الفكرية... وحملاتهم الثقافية... لن يستطيعوا عرقلة عجلة تقدم الشباب الفتي المسلم... وكفاحهم نحو إعلاء مجد الأمة الإسلامية... وستبقى هذه الأمة راية خفاقة للحق وفوق رؤوس الأشهاد... وسيظل الشباب المسلم نبراساً مضيئاً في دياجير الظلام».

شباب العقيدة هيّا بنا
نشقُّ العبابَ فلن نركنا
فإما انتصار جدير بنا
وإما ممات على ديننا
وحثالات هذا الكون يهود
وكل عدو لنا وحرود
وأمثالهم من صليب حقود
يكيدون للدين حرباً لدود
يريدون طمس طموح الشباب
ونشر الفساد وشتى الخراب
فلا لن نسير وراء الذئاب
فنحن الأسود الضواري الغضاب
فمهما بنوا من سدود الفتن
وزرع الطريق بشوك المحن
بعون الإله كثير المنن
سننزعها مهما كان الثمن
لقد كان أسلافنا قبلنا
عليٌّ وسعدٌ وضرغامنا
مشوا مقتدين بأحمدنا
سراج البرايا فآن دورنا
أخيراً نردد أحلى الكلام
شعار الأخوة صرح الوئام
لإسلامنا سنخوض الزحام
ولو سُلَّ فوق الرقاب الحسام

خالد عبدالرحمن الشنو كلية الشريعة البحرين

خطأ وتصحيح

ورد في العدد رقم ٣٨٩ في مقال الدكتور خالد النجار صفحة ٤٦ قوله تعالى في سورة الذاريات آية ٥٦ (وما خلقت والجن والإنس إلا ليعبدون)، والصواب: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، لذا وجب التنويه وحيث إنني من قراء مجلتكم الغراء والغيورين عليها أتقدم إليكم بملاحظتي هذه راجياً من الله أن يوفقكم إلى أن تكونوا من الذين وفقهم الله للنهوض بالدعوة إلى دينه على بصيرة.

جابر أحمد يوسف مصر

المحرر: نأسف لهذا الخطأ المطبعي وشكراً لملاحظتكم الطيبة.

اقتــراح

إخوتنا الكرام:

الأخ مصطفى لضميم ـ المغرب، يقترح أن تعمل المجلة على تنظيم مسابقات أدبية بين الإخوة القراء حول بعض المواضيع التي تراها المجلة مناسبة وفي مختلف الأجناس الأدبية.

ويتساءل عن إمكانات الاستفادة من بعض المنشورات التي تصدرها الوزارة والمتعلقة بالتوعية الدينية والتربوية.

*** المحرر: شكراً على اقتراحك الطيب وبخصوص إصدارات الوزارة التربوية يمكنك مراسلة إدارة الثقافة الإسلامية في الوزارة بشأن تلك الإصدارات، وجزاكم الله خيراً.**

ردود خاصــة

● **الأخ الدكتور زيد بن محمد الرماني ـ السعودية:** جميع مقالاتك التي تستفسر عنها موجودة وستأخذ طريقها للنشر تباعاً وفق الخطة الموضوعة، وأما بخصوص المكافآت فستصلك بإذن الله، شكراً لكم وجزاكم الله خيراً.

● **الإخوة: حاج أم محمد ـ الجزائر، محمد سيف الفخري شافعي ـ أندونيسيا، عبدالحميد أحمد عبدالحميد ـ مصر، مقبول شكري محمود حسن ـ مصر، عبدالغني بن محمد داود ـ مصر:** نأسف لعدم تلبية طلباتكم، فالمجلة ليست جهة خيرية ويمكنكم مراسلة الجهات الخيرية للحصول على طلباتكم.

● **الأخت القارئة آمنة العسيري ـ مكة المكرمة:** شكراً على نصيحتك الطيبة لكن ما نقوم به يستند إلى فتاوى شرعية صادرة عن جهات موثوقة أفتت بجواز مثل هذه الرسومات التعليمية والتوضيحية للأطفال فقط، وبارك الله فيك.

الافتتاحية

أزمة الخليج آثار الاحتلال . . . هل تنتهي؟

عام تلو عام ... تزيد مرارة ذكرى احتلال النظام العراقي للكويت ألما وكمدا ذلك انه وان بدا أن الكويت لبست ثوب العافية إلا أن رنين الجرس ممثل بالأسرى ومايحدث من الأذى والتحرش مرة بعد أخرى ممثلة بالتهديدات والتصريحات الكاذبة والمضللة كل ذلك يجعل آثار أزمة احتلال الخليج شاخصة للعيان مؤثرة في الوجدان ومن هنا يطرح التساؤل نفسه بسؤال هل من نهاية لهذا الظلام الدامس ولتلك التخرصات الجوفاء؟

إن الأزمة بما حملت من آلام ومآس وماشملها من هموم وشجون وماصار حيالها من مهام ومتطلبات تعتبر يقيناً فتنة عارمةً عملت على الشرخ الكبير للكيان العربي والاسلامي، وأمر كهذا يتطلب بالضرورة الحكمة الرصينة والحنكة البالغة في تلافي آثار الأزمة العارمة والعمل بجد في خطوات وثَّابة لبناء مجتمع الخير والأمن والسلام، وإنه ليس لنا من مخرج من الفتن والمحن الى الإسلام العظيم الحنيف والتمسك بأهدابه وتطبيق أحكامه قولا وفعلا.

هذا الدين الحنيف «الاسلام» يعّد المعيار الفعلي الصحيح لأداء الأعمال والالتزام بها قوة او ضعفا ولذا فهو المرآة التي تعكس صحة وبطلان التصرفات، واذا مانظرنا الى هذا الدين استجلاء لإنهاء آثار الأزمة فإنه بالإمكان أن نجد هدايات الطريق معالم بارزة واضحة تدلنا على مواطن الداء وأخذ الدواء، يقينا به الحل والشفاء ... ومن هنا يأتي الإلحاح على معرفة هدايات الدين في مثل تلك الظروف والأوضاع وفيما يبدو انها تكمن في عاملين وعنصرين مهمين، هما قاعدة الانطلاق ونقطة التحرك والأمل في الفرج القريب بإذن الله .

نعم إن الكويت حكومة وشعبا بما جُبلت عليه من عطاء وسخاء وعون للقريب والبعيد عامل مساعد وكبير في إزاحة الكروب وتفريج الهموم ،وعامل أيضا في وضع تلك البقعة الطيبة عربيا واسلاميا وعالميا في مكانها الصحيح، إلا أنه بالضرورة يبقى للعاملين قوة القضاء على الأزمة الى درجة النهاية ولو بعد حين... ولكن ماالعاملان الموسومان بتلك القوة والحسم في استقرار الأحوال والأمور.. انهما باختصار يكمنان في مفهوم ومعنى الوحدة والقوة ...

كم هي الشواهد في كتاب الله سبحانه وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم التي تحث وتدعو وتؤكد معاني الوحدة والقوة وأنهما سبيل النصر والظفر للمسلمين عزة ومنعة وقوة وحتى لغير المسلمين طمأنينة وأمنا واستقرارا. ذلك ان هذا الدين جاء لخير البشرية قاطبة وللإنسان في كل زمان ومكان وما أزمة الاحتلال التي حدثت في خميس ٢ اغسطس ٩٠ إلا حَدَثُ من احداث التاريخ والزمان إلا أنه حَدَثٌ له مدلوله واعتباره بما ترك من آثار على الكويت بشكل خاص والخليج والعرب بشكل عام وإذا ماتطرقنا الى بعض من الشواهد القرآنية نجد قوله تعالى مثلا : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ وقوله جل وعلا ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ وقوله جل وعلا : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ كذلك نجد في هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم مايؤكد الوحدة والقوة في قوله : «**المسلمون كالجسد الواحد** ... » وانه لجدير بنا اذا ماعملنا على تلك المعاني في مختلف القطاعات التربوية والاقتصادية والاجتماعية وجعلنا من السياسة حزاما لكل ذلك أمكن لنا أن نقول إننا في حال إنهاء للأزمة. والله الموفق. ■

الوعي الإسلامي

تحت رعاية أمير البلاد

توزيع جوائز مسابقة حفظ القرآن الكريم



● النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية يسلم إحدى الفائزات جائزتها

قام الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية نيابة عن حضرة صاحب السمو أمير البلاد ـ حفظه الله ـ بتوزيع جوائز مسابقة حفظ القرآن الكريم وتجويده التي نظمتها الأمانة العامة لشؤون الوقف في الشهر الماضي.



● معالي الشيخ صباح الأحمد يلقى كلمته



● جانب من كبار الشخصيات والمدعوين

الاجتماع الثالث الموسع للصناديق والمشاريع الوقفية:

أحمد الكليب: الأمانة العامة للأوقاف نجحت في التمييز بين القواعد الفقهية



● معالي وزير العدل وزير الأوقاف والشئون الإسلامية يتوسط عبدالمحسن العثمان وصلاح الغزالي

عبدالمحسن العثمان:

دولة الكويت اختيرت لتكون الدولة المنسّقة للعمل الوقفي على صعيد العالم الإسلامي

كتب تمام أحمد

بحضور وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ أحمد خالد الكليب والأمين العام للأمانة العامة للأوقاف الأستاذ عبدالمحسن العثمان شهد فندق مريديان يوم الأحد ٣ ربيع الأول ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٦/٢٨م فعاليات الاجتماع الثالث الموسّع للصناديق الوقفية وقد ألقى الوزير الكليب كلمة في حفل الافتتاح قال فيها:

إن المؤسسة الوقفية استطاعت عن طريق العمل الدؤوب والجهد المتواصل أن توفق بين الالتزام بالقواعد الشرعية والتقيد بالتراث والأصالة من ناحية، والأخذ بالحداثة وتوفير متطلباتها من ناحية أخرى، مشيراً إلى أن المؤسسة الوقفية تمكنت بنجاح من أن تميز بين القواعد الشرعية للوقف فتمسكت بها وحرصت عليها أما أنماط العمل وأدواته وقوالبه التنظيمية والإدارية فقد اجتهدت في الأخذ منها واستخدمت بعضاً منها بما يلائم ثقافة العصر ويتماشى مع متطلبات واحتياجات المجتمع ويلبي عوامل نموه ونهضته وتقدمه.

وقال الكليب إن من حق من يتابعون، مسيرة عملكم أن يتساءلوا عن المردود الاجتماعي أو العائد الاجتماعي للعمل الذي تقومون به من خلال الصناديق والمشاريع الوقفية، مشيراً إلى أنه يتعدى سرد أرقام عن الإنجازات مع أهمية دلالة هذه الأرقام ليصل إلى أثر هذه الأعمال في مسيرة عملنا التنموي.

ولعل ما يتعين أن يسبق هذا التساؤل تساؤلات أخرى حول رؤية الوقف لدوره في ظل الدولة الحديثة، وفي ظل التغييرات الكبيرة في تحديد وظائف الحكومة، والتي بدأت ملامحها في البروز سواء على المستوى العالمي أو الإقليمي، أو الداخلي، والذي يلقي أعباء متزايدة على قطاعات العمل التطوعي، وما مدى التنسيق بين عملكم والأعمال الأخرى المماثلة التي تقوم بها جهات رسمية أو هيئات شعبية تطوعية؟ وما مدى فاعلية هذا التنسيق؟ وأثره على مستويات أداء الأعمال وترشيد استخدام الإمكانات المتوافرة.

فمن حق من يتابعون مسيرتكم أن يتساءلوا عما إذا كان عملكم في الصناديق والمشاريع الوقفية، ينطلق من أوليات محددة في إطار رؤية شاملة، ترتبط بتحديدات واضحة ومحددة لدور الوقف في هذه الحقبة، وإذا كان الأمر كذلك، فإن من الواجب عليكم أن تحيطوا الرأي العام بها، بل تشركوا المهتمين والمتخصصين في تقويمها، فالأعمال المتناثرة فائدتها محدودة، كحبات المسبحة التي انفرط عقدها، أما الأعمال التي تنطلق من رؤية كلية، ومن ثم فإنها ترتبط بالأعمال التي تسبقها وتعتبر مقدمة للأعمال التي تليها، فإن هذه الأعمال تكون ذات مردود كبير.

وأضاف أن القضية الأخيرة التي أطرحها في هذا المجال، وهي ليست محل تساؤل مني، ولكن أطرحها لأهميتها لدى الرأي العام، تدور حول مدى الالتزام بالأحكام الشرعية في العمل لدى الصناديق والمشاريع الوقفية، والالتزام المقصود هنا يتجاوز التقيد بحرفية النصوص إلى الحرص على التمسك بأهداف الوقف، ومراميه، وتراثه الحضاري، هذه قضايا كبرى، تحتاج إلى أن نركز عليها مع غيرها من القضايا التي يثيرها المشاركون في هذا اللقاء، لتتجلى حقيقة الوضع بالنسبة لها، وليكون العمل الوقفي ثمرة اجتهادات متنوعة لخيرة أبناء هذا الوطن مع المهتمين والباحثين، ولإثراء هذا العمل برؤى جديدة، وليظل للعمل الوقفي شفافيته التي نعتز بها، ويحرص عليها الجميع.



● معالي وزير العدل وزير الأوقاف والشئون الإسلامية يتقدم كبار الحضور

ومن جهته قدم الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف عبد المحسن العثمان تقريراً موسعا حول الصناديق والمشاريع الوقفية فقال: نمر اليوم بالعام الرابع لتجربة الصناديق والمشاريع الوقفية والتي بدأت العام ١٩٩٥ وقد ثبتت صحة اختيار الاستراتيجية العامة للأمانة في تفعيل دور الوقف في المجتمع من خلال هذه الصيغة المؤسسية التي أصبحت محل اهتمام الدول الإسلامية الأخرى وهو ما يؤكد اختيار دولة الكويت كي تكون الدولة المنسقة للعمل الوقفي على صعيد العالم الإسلامي. وقال إذا كنا نعتبر هذا الاجتماع السنوي بمثابة الجمعية العمومية للصناديق والمشاريع الوقفية فلابد أن النظر إليه بهذه الصفة يقتضي الحرص على الخروج منه بتوصيات وملاحظات تعبر عن الرأي العام للإخوة رؤساء وأعضاء مجالس الإدارات حول مسيرة العمل الوقفي وبرامج العمل في قطاع الصناديق والمشاريع.

وأشار إلى استحداث المنتدى الشرعي للوقف والذي يعتبر الوسيلة الرئيسية للأمانة في تحقيق التوصيات كما أشار إلى سعي الأمانة للترويج لعملية نشر الصيغة الوقفية في العمل المجتمعي خصوصا من قبل الصندوق الوقفي الوطني للتنمية المجتمعية.

وأوضح العثمان أن توجيهات صدرت للصناديق والمشاريع الوقفية من أجل أن تضع في خططها السنوية وحسب خصوصية كل منها خدمة قضايا الشباب والطفولة مشيرا إلى أن مشروع عام الوقف والطفولة سيوفر قاعدة صلبة لتفعيل دور الوقف في مجال الطفولة.

كما أشار إلى أن العمل جار لإعداد استراتيجية ترويج للوقف وتسويق مشاريعه منوها بالجهود الإعلامي والتسويقي الذي تبذله الأجهزة المتخصصة في الأمانة العامة للأوقاف.

والتي تقدم الاستشارات الشرعية والقانونية للمواطنين الراغبين في الإيقاف.

فيلم سينمائي

بعد ذلك عرض على الحضور فيلم وثائقي سينمائي مدته ساعة تقريبا تدور أحداثه حول أنشطة الصناديق والمشاريع الوقفية منذ نشأتها حتى تاريخه.

جائزة الكويت للتميز المؤسس

ومن جهة أخرى استحدثت الأمانة العامة للأوقاف جائزة الكويت للتميز المؤسس من أجل رفع مستوى النجاح في المنطقة ودور الوقف في خدمة المجتمع وتطوير مؤسساته وحثها على الإبداع وفي هذا الإطار تحدث الأستاذ عبد المحسن العثمان الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف حول برنامج أن شركة الاستثمار البشري للتدريب والاستشارات عندما تقدمت لنا في العام الماضي بشأن إجراء مسابقة غايتها تحفيز وتنمية الإبداع وتشجيع وتكريم المبدعين وأصحاب التجارب المتميزة قررت الأمانة إنشاء هذه الجائزة وأطلق عليها جائزة الكويت للتميز المؤسس مشيرا إلى أن المرحلة الحالية ستكون للمؤسسات الحكومية على أن تشمل في وقت لاحق القطاع الخاص والأهلي.

وبين العثمان أن الادارة المؤسسية أصبحت في وقتنا الحاضر من أهم سمات الدولة العصرية لما تتمتع به من ظروف بيئية وظيفية قادرة على التفاعل مع معطيات البيئة واحتياجاتها ففي ظل التسارع الكبير في المفاهيم الإدارية والنظريات العلمية الحديثة اصبح لزاما على المؤسسات الحكومية أن تتماشى مع الاتجاهات الحديثة والأساليب المبتكرة في تطوير وتحسين الأداء الوظيفي.

مؤكدا أن نجاح أي مؤسسة من مؤسسات الدولة يتوقف إلى حد كبير جدا على الجهود والانشطة المتميزة التي تدير بها المؤسسة سياساتها وخططها وبرامجها التنموية لقد أدركت أهمية هذا المدخل كثير من المؤسسات والمنظمات الغربية حينما أيقنت بأن أقصر

في المؤتمر العام العاشر للشؤون الإسلامية

وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية:

على الأمة الإسلامية الاستعداد للقرن المقبل

ترأس وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وفد دولة الكويت المشارك في المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والذي عقد في القاهرة تحت رعاية رئيس جمهورية مصر العربية محمد حسني مبارك، وذلك في الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول ١٤١٩هـ الموافق ٣ - ٥ يونيو تحت شعار «الإسلام والقرن الحادي والعشرين».

وضم الوفد المشارك كلاً من: د. خالد المذكور رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، الشيخ يوسف الحجي رئيس الهيئة الإسلامية العالمية، عبدالمحسن العثمان الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف، بدر ناصر المطيري وكيل وزارة الأوقاف المساعد للتنسيق والعلاقات الخارجية، الشيخ مشعل مبارك الصباح رئيس قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية في الوزارة، عبدالله مهدي براك مدير مكتب الوزير، والسكرتير عبدالله المزيعل.

كما شارك في المؤتمر ممثلون عن (٥١) دولة بالإضافة إلى جامعة الدول العربية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو»، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، ورابطة العالم الإسلامي، ورابطة الجامعات الإسلامية ووفد مثّل كوسوفا.

ونوقش في المؤتمر ٨٠ بحثاً بالعربية والإنكليزية والفرنسية تمحورت حول:

- الإسلام والتطور الحضاري.
- موقف الإسلام من العولمة في المجال الاقتصادي.
- موقف الإسلام من العولمة في مجال التقدم العلمي.

كلمة الكويت:

ووجه رئيس وفد دولة الكويت معالي الوزير أحمد خالد الكليب كلمة دعا فيها دول العالم



الإسلامي إلى الاستعداد لمواجهة القرن المقبل من خلال رؤية مستقبلية نابعة من هويتها الثقافية.

وقال الوزير: إن المسؤولية ثقيلة أمام التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي مع مطلع القرن المقبل وأكثر مهامنا إلحاحاً اليوم هو ما يتصل بثقافتنا ودورها في تحقيق الانطلاقة الحضارية.

وأشار الوزير: إلى أن هذا الأمر يتطلب عملاً دؤوباً وجهداً متواصلاً لتعزيز موقع ثقافتنا الإسلامية في بُنيتنا الفكرية والاجتماعية وفي حياتنا الراهنة من خلال خطاب يعمل على إشاعة وترسيخ وتأكيد قيمها ومفاهيمها الحافزة على النهوض والتقدم وتجلية عناصرها ومفرداتها التنموية والكشف عن إمكاناتها في بناء نموذج حضاري متميز.

وعن أهمية هذا المؤتمر في مثل هذه الظروف الراهنة قال الوزير:

إن موضوع الملتقى «الإسلام والقرن الحادي والعشرين» يكتسب أهمية بالغة لأنه يعالج قضية ملّحة تثير اهتمام الكثير من المفكرين والباحثين، مشيراً إلى أن العقود الأخيرة تشهد تطورات سريعة ومتلاحقة ومتغيرات وتحولات جذرية كبيرة.

وتساءل الوزير: ما موقفنا من هذه المتغيرات والتحولات المتسارعة، وكيف نتهيأ للتعامل مع هذه المعطيات الجديدة؟

إن مثل هذا التساؤل يتصل في جوهره بثقافتنا التي تصوغ الرؤية الصحيحة للتعامل مع القضايا الراهنة والمستقبلية وتوفر الإدراك والتصور الملائم لمقدمات وشروط تحقيق الارتقاء الحضاري. وأكد الوزير أهمية الانطلاق من جهودنا الحضارية، لأن للثقافة الإسلامية دوراً بالغ الأهمية في بناء وصياغة خصائص الأمة وهويتها الذاتية ونسيجها الفكري والحضاري.

وفي ختام كلمته وجه الوزير كلمة شكر لمصر لاستضافتها المؤتمر ثم أعرب عن الأسى والحزن لفقد العالم العربي والإسلامي لفضيلة الداعية الشيخ محمد متولي الشعراوي.

هذا وبعد أربعة أيام من المناقشات خرج المؤتمرون بجملة من التوصيات أهمها:

١ - يوصي المؤتمر بتطبيق الشورى في مختلف مجالات الحياة في البلاد الإسلامية.

٢ - باتخاذ الوسائل الكفيلة بالالتزام بأحكام الإسلام في تنظيم حياة الأمة الإسلامية ومن ذلك، احترام حقوق الإنسان السياسية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية دون تمييز.

٣ - بالتصدي لمشكلات الحياة المعاصرة باستنباط ما يلائمها من أحكام تستمد من مصادر الفقه الإسلامي.

٤ - يطالب بضرورة وضع القرار الذي اتخذته منظمة المؤتمر الإسلامي بإنشاء محكمة عدل إسلامية موضع التنفيذ.

٥ - يتمنى دعم التعاون بين الدول في القضاء على الأسباب التي أدت إلى تفشي ظاهرة الإرهاب والعنف.

٦ - يطالب بالوقوف إلى جانب الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني حتى يتقرر مصيره، وإقامة دولته على أرضه.

٧ - يطالب باتخاذ الوسائل الكفيلة بالقضاء على أسلحة الدمار الشامل في جميع أنحاء العالم.

٨ - يرغب في تعميق المبادئ والمفاهيم الاقتصادية الإسلامية ونشرها بكل الوسائل الحضارية ومضاعفة الجهود في تطبيقها.

٩ - يتمنى إنشاء سوق إسلامية مشتركة وتنفيذ قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي في هذا الشأن.

١٠ - يطالب بتنسيق الجهود بين مختلف مراكز الدراسات والبحوث في جميع أنحاء العالم الإسلامي مع زيادة الاهتمام بالبحوث التطبيقية التي تخدم أهداف التنمية الاقتصادية.

١١ - يحث على ضرورة تبادل المعلومات بين مراكز البحوث والجامعات ومختلف المؤسسات العلمية في العالم الإسلامي.

١٢ - يتمنى الانفتاح على العالم المتقدم وبذل أقصى الجهود للحصول على وسائل نقل التكنولوجيا المتقدمة.

المسابقة الصيفية الأولى لحفظ القرآن الكريم



تقوم إدارة الدراسات في وزارة الأوقاف المتمثلة في مراقبة الحلقات بعمل المسابقة الصيفية الأولى لتحفيظ القرآن الكريم «بنين». بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف وبهذا الصدد حدثنا مشعل العتيبي رئيس قسم الحلقات في المراقبة عن المسابقة الصيفية بأنها الأولى من نوعها وهي تخص فقط طلبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم في وزارة الأوقاف والمقيدين في كشوفها كما أوضح بأنه يجب ألا يزيد عمر المشترك عن ٢٥ سنة، وأن يكون المتقدم ملماً بأحكام التجويد، وبين العتيبي بعد ذلك أن هناك فروعاً خاصة بالمسابقة:

الفرع الأول: حفظ عشرين جزءاً مع التلاوة والتجويد.

وسيحوز المتسابق الأول فيه على ٥٠٠ دينار والثاني على ٤٥٠ ديناراً والثالث ٤٠٠ دينار.

أما الفرع الثاني: فسيكون حفظ عشرة أجزاء من القرآن مع التلاوة والتجويد.

وسيحوز المتسابق الأول فيه على ٣٥٠ ديناراً والثاني على ٣٠٠ ديناروالثالث ٢٥٠ ديناراً.

أما الفرع الثالث: حفظ خمسة أجزاء مع التلاوة والتجويد.

وسيحوز المتسابق الأول فيه على ٢٠٠ دينار والثاني على ١٥٠ ديناراً والثالث على ١٠٠ دينار كما أوضح أن موعد المسابقة سيبدأ من تاريخ ١٩٩٨/١٠/٣ حتى ١٩٩٨/١٠/٨ في مسجد الدولة الكبير من الساعة الرابعة حتى الساعة الثامنة مساء وسيكون آخر موعد لتسليم ورقة الاستمارة في١٩٩٨/٩/٢٣م في مبنى إدارة الدراسات الإسلامية الفرع الرئيسي في منطقة الفروانية وبعدها دعا العتيبي اخوانه الطلبة إلى الاجتهاد في الحفظ واستغلال وقت الفراغ في فصل الصيف وبذل المزيد من الجهد.

وفي الختام قال العتيبي إنّ المراقبة قد وضعت برنامج كمبيوتر خاصاً بالطلبة الحافظين، ويحوي هذا البرنامج معلومات خاصة بالطلبة من اسم وعنوان الطالب مقدار الحفظ لديه وكذلك يحوي معلومات خاصة بالمحفظ ومدى متابعته للطلبة والتدرج في التحفيظ حتى يختموا القرآن الكريم ووفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح لديننا الحنيف.

وزارة الأوقاف تقيم ندوة دينية لمناسبة المولد النبوي الشريف

المنهج النبوي في بناء الشباب



احتفلت الكويت يوم الثاني عشر من ربيع الأول الموافق ٦ يونيو بذكرى المولد النبوي الشريف، حيث أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في إطار الاحتفال بهذه الذكرى العطرة ندوة دينية تحت عنوان «المنهج النبوي في بناء الشباب»، حضرها عدد من المسؤولين في الوزارة وأعضاء السلك الدبلوماسي وجمهور من المواطنين والمقيمين، وتحدث في الندوة الخبير في الموسوعة الفقهية الدكتور أحمد الحجي الكردي عن هذه المناسبة وأوضح مكانتها في قلوب المسلمين، فقال إن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولد يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل على أصح الروايات.

وتابع قائلاً: إنه ولد في أسرة من أشرف أسر قريش نسباً وأعلاها حسباً، فهو محمد ابن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف وينتهي نسبه الشريف إلى سيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

إن قريشاً هي أعلى قبائل العرب نسباً وحسباً، فقد روى مسلم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»، فهو عليه الصلاة والسلام خيار من خيار كما روى أحمد عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع يوم القيامة ولا فخر».

وتابع الدكتور الكردي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان متحلياً بالكمالات كلها بعيداً عن النقائص والدناءات، وصدق القائل فيه: محمد بشر، بل ليس كالبشر، فهو ياقوتة والناس من حجر، لقد كان أصبح الناس وجهاً، وأكثر الناس كرماً، وأصوب الناس رأياً، وأوفر الناس عقلاً، وأصدق الناس حديثاً، وكان أشجع الناس جرأة، وأكثر الناس حياء، وأقوى الناس عزيمة، كما كان أعظم الناس خلقاً، وأطيب الناس نفساً، قال تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم).

واستطرد قائلاً: إنه إلى جانب ذلك كله مهيباً من عدوه مخوفاً من الكفار مشيراً إلى أن ذلك كان خصيصة من خصائصه عليه الصلاة والسلام فقد روي عنه أنه قال: «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

وأردف الدكتور الكردي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد اعتنى بتربية الأمة، وكان له في ذلك منهج قويم عَمَّ الرجال والنساء، والصغار والكبار بالقول والعمل، وكان للأمة أسوة حسنة، وقدوة صالحة، فكان لأزواجه الزوج الكريم، عنى بهن ورق لهن، وأمر المؤمنين بانتهاج منهاجه، والسير على منواله، والاقتداء بهديه، فقال عليه الصلاة والسلام: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»، وأضاف الدكتور الكردي قائلاً: لابد لنا في ذكرى سيد الدنيا والآخرة حبيبنا وقائدنا إلى الله تعالى ومعلمنا الخير محمد ابن عبدالله من أن نعاهد أنفسنا على أن نكون الجند الأوفياء والمؤمنين الأمناء والأتباع الصادقين لهذا القائد الشجاع الصادق الأمين، نمشي على خطاه ونتتبع آثاره ونقتدي بهديه داعين الله تعالى أن يوفقنا في مسعانا هذا وأن يأخذ بيدنا إلى معالي الأمور وأن يجنبنا سفاسفها وأن ينصرنا على أعدائنا داخل أنفسنا وخارجها.

ومن جانبه تحدث الدكتور بشير الرشيدي الأستاذ في كلية التربية الأساسية في إطار المحور الثاني للندوة عن القواعد السلوكية والنفسية في التعامل مع الشباب، فقال: إن موضوع الشباب هو موضوع الأمس واليوم والغد، فليس موضوع الساعة، وإنما هو موضوع الإنسان في كل زمان ومكان موضحاً أن موضوع الشباب هو القضية الأساسية لأي مجتمع بشري.

وأوضح الدكتور الرشيدي أن الشباب نعمة

من نعم الله على البشرية، فبذكر الشباب تذكر الصحة والعافية والقوة والحيوية والفراغ والمستقبل الباهر، حيث قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك». وأضاف الدكتور الرشيدي أن أربعاً من هذه الغنائم كلها مجتمعة في الشباب.

وقال الدكتور الرشيدي إن الشباب طاقة أما أن تستثمر في الدمار أو تستثمر في العمار والخيار لصانع القرار.

وأضاف قائلاً إن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»، أي أن قرار الاختيار بيد الشاب وليس بيد البيئة المحيطة فيه وهذه قضية أساسية لابد أن يعلمها الشباب، وعلى الآباء أن يوضحوا للشباب أنه ليست لديهم قدرة على هدايتهم لأن الهادي هو الله والشاب أو الشابة سيأتي ربه يوم القيامة فرداً، ولابد من أن يشعر الشباب أن المسؤولية فردية فقد يجد من يعينه على الخير ولكنه قد يجد من يعينه على الشر والخيار بيده والقرار له فأول قضية من مشاكل الشباب هي عدم الوعي والانسياق وراء أصحاب السوء أو الانسياق وراء قضايا يعتقد أنه مرغم عليها.

وأردف الدكتور الرشيدي قائلاً: إن أصحاب القرار إذا نجحوا في استثمار الحاجات الأساسية للشباب فإنهم سيوفرون طاقة للعمار وبخاصة حاجة الانتماء وهي حاجة نفسية وأساسية عند كل شاب كما أنها حاجة لابد منها، فلا يستطيع الشاب أن يعيش من دون انتماء ولا يستطيع أن يعيش فرداً وهذه الحاجة يمكن توظيفها في الخير كما يمكن توظيفها في الشر، ولذلك لابد للمؤسسات الاجتماعية من أن تراعي هذه الحاجة النفسية الأساسية لدى الشباب، وهي الانتماء، وقد وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - الشباب إلى كيفية الانتماء، حيث قال: «يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك





إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وأوضح الدكتور الرشيدي أن هذا الحديث يؤكد أهمية إقامة العلاقة وإدامتها مع الله تعالى في السر والعلن، وهي توجيه لطاقة الانتماء إلى الله تعالى: (فهو معكم أينما كنتم).

وقال الدكتور الرشيدي إن القضية الثانية لدى الشباب هي القوة والحيوية وتحقيق الذات، ويريد الشاب أن يحقق إنجازات فما لم تخطط له مسارات في الوجود فإنه سيحول هذه الطاقة إلى عوامل تدمير، واختتم الدكتور الرشيدي كلمته بالقول إن الشباب بالأساس ليست لديهم مشكلات، وكلما برزت مشكلات الشباب يعني ذلك أن هناك خللاً في أسرة ذلك الشاب أو في مجتمعه، ولذلك فإن مشاكل الشباب هي انعكاسات لذلك الخلل الذي يوجد في الأسرة أو المجتمع.

الدكتور سعود العصفور مدير إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية في وزارة الأوقاف :



خمس مكتبات عامة موزعة على محافظات الكويت

تلعب المكتبات في دولة الكويت دوراً مهماً في إثراء الحياة الثقافية، لذا اهتمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في هذا الأمر فأنشأت إدارة خاصة لهذا الغرض أطلق عليها إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية، تتفرع عنها مكتبات عامة موزعة على محافظات الكويت الخمس، وتنوي الوزارة التوسع في إنشاء هذه المكتبات.

واستخدمت الإدارة الحاسب الآلي لإدخال بيانات عن المكتبة والكتب والمخطوطات المتوافرة فيها حتى يستطيع الباحث الوصول إلى المعلومات بيسر وسهولة.

وحول دور مكتبات وزارة الأوقاف في نشر الوعي الثقافي في الكويت كان لنا لقاء مع الدكتور سعود العصفور - مدير إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية في وزارة الأوقاف.

حوار : أحمد فرغلي

● ما دور الإدارة في التوسع في بناء المكتبات على مستوى الكويت؟

■ تتبع إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية مكتبات عدة منها عامة، ومنها تخصصية، فالمكتبات العامة موزعة على محافظات الدولة الخمس، فمحافظة العاصمة تمثلها الآن - مكتبة الروضة العامة ومكتبة المسجد الكبير العامة، وللإدارة أيضاً موقعان جاهزان لإنشاء مكتبة لمحافظة الأحمدي في منطقة الصباحية بمساحة ٨٠٠ متر مربع، وجار الآن تحديد مواقع لمكتبات في محافظة الجهراء ومحافظة حولي، وهذه المكتبات تخدم جميع الفئات وقد روعي فيها أن تكون مجموعاتها المكتبية متخصصة بالعلوم الشرعية والعلوم المساندة لها.

أما عن المكتبات التخصصية فتمثل مكتبة الموسوعة الفقهية إحداها، وهي تخدم بصورة خاصة الخبراء والباحثين والمساعدين العلميين العاملين في الموسوعة الفقهية، وكذلك الحال بالنسبة لمكتبة

معلومات وبيانات بالمراجع والمخطوطات على الإنترنت

المخطوطات فهي مخصصة للباحثين المترددين على المكتبة.

وهناك أيضاً ٢٧ مكتبة ملحقة في المساجد موزعة على محافظات الدولة الخمس أوشكت الإدارة على الانتهاء منها، وتليها دفعة أخرى من هذه المكتبات لتكون في نهاية الأمر عشر مكتبات ملحقة بالمساجد في كل محافظة، والمكتبات المذكورة تم فتح أبواب خارجية لها،



وزودت بمجموعة كتب متخصصة بالعلوم الشرعية والعلوم المساندة لها إضافة إلى التجهيزات المكتبية من كبائن فهارس وطاولات للقراء وأرفف للكتب والدوريات، فضلاً عن أجهزة للتصوير، والحاسب الآلي وبرامج الكمبيوتر المختلفة، ومواعيد فتح هذه المكتبات الملحقة بالمساجد سيكون من الساعة ٤ ـ ٩ مساء.

● ما المشاريع الأخرى التي تنوي الإدارة تنفيذها.

■ هناك الكثير من المشروعات منها إنشاء مكتبات نسائية على غرار المكتبات الملحقة بالمساجد بواقع مكتبتين في كل محافظة، وسيكون هذا بالتعاون مع لجنة التعريف بالإسلام التابعة للهيئة الخيرية الإسلامية، ومن ثمَّ فإن الإدارة تعكف حالياً على إعداد مشروع لإنشاء مكتبات لغير الناطقين بالعربية وذلك بالتعاون مع اللجنة المذكورة والأمانة العامة للأوقاف ممثلة بالصندوق الوقفي لرعاية المساجد.

مكتبة إسلامية للأطفال قيد الإنشاء

● هل استفادت إدارتكم من ثورة المعلومات وبخاصة الإنترنت؟

■ نعم مواكبة لثورة المعلومات في عالم اليوم فإن الإدارة تعمل الآن على إدخال بيانات المكتبات العامة التابعة لها بالحاسب الآلي، وذلك لتيسير الوصول إلى مصادر المعلومات المتوافرة في المكتبات بالسرعة الممكنة، كما أدخلت خدمة الإنترنت للتعريف بما تحتويه الإدارة من معلومات في مجال المخطوطات والمكتبات الإسلامية.

وذلك على العنوان بالتالي:

http: // www. Kuwait. net / ISLAMIC

E - mail: Islamic @ kuwait. Net

قطاع الثقافة يهدي وكيل الوزارة الدراسة الميدانية حول مجلة الوعي الإسلامي



● وكيل الوزارة خالد الزير يتسلم نسخة الدراسة من الوكيل المساعد عبدالعزيز القناعي



● الوكيل خالد الزير يتوسط الوكيل القناعي ورئيس التحرير بدر القصار

قام مؤخراً قطاع الثقافة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بإهداء السيد خالد الزير وكيل الوزارة الدراسة الميدانية حول «عادات وأنماط قراءة مجلة الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان» التي أنجزها مكتب مجلة الوعي الإسلامي بقطاع الثقافة، وقد تم خلال اللقاء استعراض أهداف الدراسة ونتائجها وسبل الاستفادة منها من أجل تطوير المجلة والارتقاء بها نحو الأفضل مادة وإخراجاً وتوزيعاً وانتشاراً، خدمة للإسلام والمسلمين.

حــوار

مرت ثمانية أعوام كاملة وأهل الكويت يعيشون هاجس الترقب والخوف والألم على مصير أكثر من ستمئة أسير أدخلوا عنوة إلى غياهب السجون العراقية دونما ذنب اقترفوه، وليكون غيابهم القسري حسرة تؤرق الجميع، وتمنع السعادة عن أسر مظلومة صابرة وتحاصر الفرحة كي لاتصل إلى طفل بريء سمع كثيراً عن والده لكنه لم يره قط.

مأساة إنسانية حقيقية مهما استغرقت من جهد وبذل فإنها تستحق الكثير، وقد وعى الكويتيون ذلك فوضعوا كل ثقلهم وإمكاناتهم المادية والمعنوية من خلال اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمرتهنين لوضع حد لهذه المأساة وللتعجيل بعودة الأسرى إلى أهلهم وذويهم.

حول هذه الجهود ونتائجها ومساراتها المستقبلية وكل ما يتعلق بالأسرى والمرتهنين حاورت مجلة «الوعي الإسلامي» الدكتور إبراهيم ماجد الشاهين نائب رئيس اللجنة في أشمل حوار تناول القضية بكل أبعادها ومن جميع الزوايا والأوجه والاحتمالات.

أجرى الحوار : محمد سالم الصوفي



نائب رئيس اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمرتهنين

الدكتور إبراهيم ماجد الشاهين في حديث شامل للوعي الاسلامي :

نتائج الجهود وآفاق التحرك

● ما أبرز النتائج التي توصلت إليها اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمرتهنين من خلال عملها الدؤوب المتواصل على مدى ثماني سنوات؟

■ هذه القضية لها خاصية مميزة تنفرد بها عن جميع القضايا، ولها جوانب كثيرة يجب أن نعمل عليها، والجانب الأساسي طبعاً هو العمل من خلال اللجنة التي شكلها مجلس الأمن بقرارات دولية ويرأسها الصليب الأحمر وهي التي نعتبرها القناة القانونية لمتابعة هذه القضية، وبالتالي فالجهود مستمرة من خلال اجتماعات هذه اللجنة والتي تسمى اللجنة الثلاثية والتي كما ذكرت يترأسها الصليب الأحمر وتضم في عضويتها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمملكة العربية السعودية والكويت والجانب الآخر العراقي ـ طبعاً ـ وتسمى اللجنة الثلاثية وهناك اجتماعات كل ثلاثة أشهر في جنيف، وكل شهر على الحدود بين العراق والكويت، هذه الاجتماعات تتابع الملفات التي قدمتها الكويت والنتائج التي يجب أن يصل إليها الجانب العراقي من خلال بحثه حسب ادعاءاته، هناك طبعاً جوانب أخرى تقوم بها اللجنة الوطنية، وهي جوانب تعريف العالم بهذه القضية واستمرار وضع هذه القضية تحت الأضواء والاتفاق مع الدول الشقيقة والصديقة لاستمرار الضغط على النظام العراقي للتعامل مع هذه القضية كقضية إنسانية وليس كقضية سياسية، وبالتالي أن يقوم العراق بالتزاماته بالإفراج عن هؤلاء الأبرياء كل هذه جهود تبذل، ولكن ما تنفرد به هذه القضية أن الجانب الآخر

نحن نعتمد على الدعاء إلى الله والتضرع إليه أكثر من أي شيء آخر

وهو الطرف العراقي يملك كل خيوط الحل، فالأسرى موجودون في السجون العراقية، وبالتالي النظام العراقي ورئيس النظام هو من يملك الكلمة في إيقاف أو وضع حد لهذه القضية الإنسانية، وأيضاً في تنفيذ النظام لالتزاماته الإنسانية والقانونية، ولذلك فإن جهودنا تنصبّ كلها في متابعة هذه القضية من الجانب القانوني ومن الجانب الدولي ومن



● الشيخ سالم الصباح رئيس اللجنة الوطنية لشئون الأسرى والمفقودين يرد على أسئلة الصحافيين في باريس

جانب التعريف بهذه القضية ومن جانب إبقائها على السطح دائماً ومن جانب إبقائها تحت الأضواء حتى يبقى الضغط مستمراً على النظام العراقي وحتى تبقى هذه القضية مستمرة كقضية دولية وليست قضية ثنائية بين الكويت والعراق.

هذا دورنا وهذه الجهود هي التي بذلت خلال السنوات الماضية.

● هل استطعتم إقناع الرأي العام العالمي بقضية الأسرى كقضية إنسانية؟

■ الحمد لله أن هذه القضية مع قلة عدد الأبرياء الذين يعانون نسبياً بالمقارنة مع الآلاف المؤلفة من القتلى واللاجئين والمهجرين، ما زالت تلقى اهتماماً واسعاً في مختلف الدوائر في مجلس الأمن وهو أعلى سلطة دولية الآن، وله دور إيجابي في التدخل إلى جانب الأمم المتحدة ممثلة في الجمعية العمومية، والمنظمات الدولية الإنسانية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية والبرلمان الأوروبي.

● التجاوب الذي لمستموه من الرأي العام العالمي هل يمثل برأيكم وسيلة ضغط على النظام العراقي؟

■ اتصالاتنا مباشرة مع المنظمات الدولية سواء كانت عربية أو غيرها مثل الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة عدم الانحياز والبرلمان الأوروبي كل هذه المنظمات اتخذت قرارات وأصدرت بيانات تؤيد هذه القضية وتعتبرها قضية إنسانية وتناشد النظام العراقي التعامل مع هذه القضية كقضية إنسانية وتدعوه إلى تنفيذ القرارات وإلى إطلاق سراح الأسرى فهذه كلها تشكل ضغوطاً مستمرة.

وطبعاً الجامعة العربية وأمينها العام الدكتور عصمت عبدالمجيد له دور ونحن نشيد بدوره وجهوده في هذا المجال عن طريق قناعته الشخصية بأحقية هذه القضية وبضرورة حلها وأيضاً من ناحية تكليفه من قبل مجلس الجامعة العربية لاتخاذ قرار واضح وصريح بمتابعة هذه القضية وحلها، هذه كلها تعتبر نجاحات كبيرة لأن نضع هذه القضية تحت الأضواء على الرغم من مرور سنوات طويلة، وعلى الرغم من أنه مر على العالم الكثير والكثير من المآسي في أفريقيا وفي شرق آسيا وفي جنوب أمريكا وفي أوروبا كل هذه القضايا والمآسي ذكرت النازحين والمهجّرين والمختفين والسجناء والإعدامات وغير ذلك من المآسي التي تتم في العالم والتي نشارك الآخرين فيها مشاعرهم، ولكن نحمد الله على أن قضيتنا مازالت تحظى بهذا الاهتمام.

● ما مدى تفاعل الشعوب العربية والإسلامية والعالمية مع قضية الأسرى؟ وما مظاهر ذلك؟

■ من الجانب الرسمي المواقف واضحة وصريحة كدول وحكومات، وهذا ما نشيد به وكما ذكرت فمنظمة المؤتمر الإسلامي ممثلة بأمينها العام وخلال زياراتنا إلى جدة وزيارته إلى الكويت، هناك دائماً بيانات بهذا الخصوص تؤيد القضية وتطالب العراق بالإفراج عن الأسرى، هذا من الجانب الرسمي، أما من الجانب الشعبي، فالمنظمات الإسلامية لها مواقف مشرّفة في هذه القضية

العراق اعترف بـ ١٢٦ أسيراً ولم يجب عن البقية

إضافة إلى نشاطات اللجان الخيرية خصوصاً خلال المناسبات، مثل شهر رمضان الكريم، حيث الإفطارات الرمضانية التي تقوم بها اللجان الخيرية وترتفع أكف المسلمين بالدعاء من أجل فك قيد هؤلاء الأسرى الأبرياء ودعوتهم إلى ذويهم ونحن نعتمد على الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى والتضرع إليه أكثر من أي شيء آخر ولا شيء أفضل من الدعاء وهو الذي سيسخر لهؤلاء الأبرياء أن يفك كربهم ويعيدهم إلى ذويهم إن شاء الله.



الشيخ سالم الصباح في معرض فني حول قضية الأسرى والمفقودين

● ما الأدلة الدامغة التي قدمتموها للجهات الدولية لتفنيد الإصرار العراقي على رفض وجود أي أسير لديه؟

■ هذا الموضوع يدعو للغرابة فعلاً، فهل يعقل أن يقوم إنسان عاقل بنفي وجود هؤلاء الأسرى بينما كل الدلائل والإثباتات تؤكد أن القوات العراقية خلال احتلالها للكويت قامت بإلقاء القبض على هؤلاء الأبرياء، وهناك شهود ووثائق عراقية تذكر نصاً بالاسم أنه تم اعتقالهم وبالإضافة إلى ذلك هناك شهود على اعتقالهم وشهود رأوا هؤلاء الأسرى في المعتقلات التي استحدثها النظام العراقي في الكويت خلال الاحتلال، كما أن هناك شهوداً رأوا هؤلاء الأسرى في معتقلات عراقية على الأرض العراقية في البصرة وفي العمارة وفي الرمادي ومناطق مختلفة كل هؤلاء الشهود وكل هذه الإثباتات تؤكد أن العراق اعتقل هؤلاء الأبرياء وتم التحقيق معهم في السجون في الكويت وتم نقلهم عبر الحدود إلى العراق، وهذا كله يثبت أن هؤلاء الأشخاص لايزالون تحت سيطرة السلطات العراقية والسلطة العراقية نفسها اعترفت بـ (١٢٦) أسيراً اعتقلتهم رسمياً ونقلتهم إلى العراق من أصل أكثر من (٦٠٠) أسير ولم يقدموا أي إجابات عن البقية الباقية وحتى الآن لم يستطيعوا أن ينفوا وإنما أكدوا الـ (١٢٦) أسيراً كله يؤكد أن هؤلاء قد تم القبض عليهم كما ذكرت في كلامي السابق وأنهم مازالوا موجودين في العراق، وطبعاً ادعاء العراق أنه خلال فترة الثورة الشعبية في الجنوب العراقي قد تم فقد السيطرة على المعتقلات وأنه لا توجد لديهم أي معلومات حالياً عن الأسرى الكويتيين هذا الكلام غير مقبول لأنه خلال أقل من شهر استعادت السلطات العراقية سيطرتها على كل المدن واعتقلت عشرات الآلاف من العراقيين، ولا يمكن بل لا يستطيع أي كويتي أن يجد طريقه إلى أي مكان خارج العراق في ذلك الوقت ومصادرنا تؤكد أنه في ذلك الوقت الذي كانت فيه الاضطرابات، كانت المدن محاطة بالجيش العراقي ولا يمكن لأي شخص أن يتسرب منها عبر الحدود فهذه كلها ادعاءات مردود عليها وهي ادعاءات يستخدمها النظام العراقي لإخلاء مسؤوليته عن هؤلاء الأبرياء ولإطالة أمد سجنهم.



● أهالي الأسرى والمفقودين يتحدثون إلى وسائل الإعلام الأجنبية

حشد الرأي العام العالمي يهدف إلى الضغط على النظام العراقي للتعامل مع قضية الأسرى كقضية إنسانية

● على مدى السنوات الماضية أعلنت أطراف عدة عن مبادرات تهدف إلى التوسط في قضية الأسرى وكان آخر تلك المبادرات مبادرة الشيخ أحمد ياسين خلال زيارته للكويت والتي تحدث عنها بإسهاب لمجلة «الوعي الإسلامي» فأين وصلت تلك المبادرات وما نتائجها؟

■ طبعاً نحن أصحاب قضية صحيحة وسليمة وإنسانية ولا ننظر إلى أي اتصالات أو أي مكاسب سياسية لأي طرف كان، لذلك نحن لا نتردد في أن نضع أيدينا في أيدي كل من لديه الأهداف نفسها، التي هي أهداف إنسانية نبيلة بتخفيف المعاناة عن هؤلاء الأسرى وأهليهم وإحقاق الحق إذ لا يجوز إنسانياً ولا إسلامياً ولا عربياً ومن كل النواحي أن يستمر هذا الوضع، فلذلك نحن نضع أيدينا في أيدي كل من سيعالج القضية بهذه المعاني نفسها، وهو أن يسعى إلى حلها فنحن ليست لدينا أي شروط، وكل ما نشترطه هو أن يعود هؤلاء الأبرياء إلى أهليهم وذويهم، ولا توجد لدى الكويت أي شروط أخرى، ولذلك رحبنا بكل المبادرات، مبادرات الأمين العام للجامعة العربية ومبادرات الملك الحسن الثاني ومبادرات منظمة المؤتمر الإسلامي والمبادرات الأوروبية والمبادرات الروسية والمبادرات من دول عدم الانحياز ورئيسها في ذلك الوقت الرئيس السابق لأندونيسيا سوهارتو، ومبادرات الفاتيكان، كل هذه المبادرات رحبنا

بها لأن كل هؤلاء الأشخاص وصلوا إلى قناعة بأحقية هذه القضية وإلا لما كانوا وضعوا أسماءهم وسجلاتهم السياسية في موقف كهذا لو أنهم كانوا غير مقتنعين بأحقيتها أو لو كانوا يعتقدون أن هذه لعبة سياسية كما يدّعي العراق، كل هؤلاء الذين ذكرتهم من مختلف المستويات في العالم سواء في المراكز الدينية أو المراكز السياسية أو الاجتماعية أو المنظمات كلها اقتنعت بعدالة قضيتنا، ولا يمكن أن تكون قناعاتهم جاءت نتيجة خدعة، لأننا لو استطعنا أن نفعل ذلك مع واحد أو اثنين فلا نستطيع أن نفعل ذلك مع كل هؤلاء الأشخاص، فهذا كله يؤكد جوهر القضية، ولكن مثل ما ذكرت كل هذه الوساطات والمبادرات وصلت إلى طريق مسدود، بسبب رفض النظام العراقي وحتى من وصلوا إلى رئيس النظام العراقي جوبهوا برفض شديد إزاء فتح هذا الموضوع أو فتح هذا الملف أساساً، وكل الادعاءات العراقية تصب في أنه لايوجد لدى العراق أي أسرى. وآخر مبادرة ذكرتها هي مبادرة الشيخ أحمد ياسين ونحن رحبنا بمبادرته مشكوراً وقدرناها على الرغم من ظروفه الصحية الصعبة جداً، فهذا الرجل على قناعته بإنسانية هذه القضية، وهو شخص مناضل ومر بمعاناة الأسر والسجن في السجون الصهيونية.

ومن هذا المنطلق أبدى استعداده خلال مقابلته أهالي الأسرى في مقر اللجنة لأن يذهب إلى بغداد ويقوم بدور في سبيل هذه القضية وحسب ما عرفناه أنه عندما رجع إلى فلسطين وطلبت منظمة حماس من العراق تسهيل زيارة الشيخ أحمد ياسين، قوبل الطلب بالرفض، ولم يسمحوا للشيخ ياسين بزيارة بغداد، هذا آخر ما وصل إلينا لأنه ربط زيارته بموضوع الأسرى، لذلك بغداد رفضت أن تستقبله.

● **تقول بعض الدول إنها ملّكت السلطات الكويتية معلومات حول الأسرى استقتها من خلال توسطها واتصالاتها بالعراق كما ذكر ذلك وزير الخارجية السوداني خلال زيارته الأخيرة للكويت فما طبيعة تلك المعلومات؟، وإلى أي مدى يمكن أن تساعد في التعجيل بعودة الأسرى؟ .**

■ الوزير مصطفى عثمان قام بدور يُشكر عليه لأنه ذهب إلى بغداد في أكثر من زيارة حسب ما أخبرنا، وكان في تلك الزيارات يحرص على إثارة هذا الموضوع ومتابعة هذه القضية ومحاولة بيان أهميتها لحل المشاكل العالقة بين الدول العربية ولإزالة التوتر الموجود في منطقة الخليج وفي المنطقة العربية عموماً وباعتبار أن هذه القضية هي من آخر القضايا المعلقة بين الكويت والعراق، فكل القضايا الأخرى تم حلها من خلال الأمم المتحدة وهي تطبق الآن طبعاً بالنسبة لأسلحة الدمار الشامل هذه قضية لا تخص الكويت والكويت ليست طرفاً فيها، ولكن القضايا التي تدخل الكويت طرفاً فيها مثل ترسيم الحدود والتعويضات وإعادة الممتلكات والأسرى، هذه القضايا حددتها قرارات مجلس الأمن وهذه القضايا كلها تم تطبيقها والتزام العراق بها وما تبقى لدينا الآن هي قضية الأسرى وقد أخبرنا الأخ مصطفى عثمان أنه خلال زياراته للعراق وفي إحدى الزيارات قابل صدام حسين شخصياً، وعندما أصرّ عليه أحاله إلى وزير الخارجية الصحاف الذي كرر الإجابات نفسها، والتي منها قد يكون هناك مفقودون، إلا أنه لايوجد أسرى، والعراق يبذل جهوداً في البحث عن هؤلاء المفقودين، والعراق ليس لديه مصلحة بالاحتفاظ بهؤلاء المفقودين، فليست هناك معلومات تضاف إلى ما كان لدينا، إلا أننا نقدر الخطوة في حد ذاتها التي تبناها السودان بمبادرة فردية منه، ونقدر هذا الشعور الإنساني والعربي والإسلامي، ولكن نعتقد أن النتائج بيد الله وقد بدأوا واجتهدوا، إنما النتائج بيد الله.

● **هناك أفراد ضمن لائحة الأسرى من دول شقيقة وصديقة فهل هذه الدول تساعدكم ولو دبلوماسياً في العمل على عودة الأسرى؟**

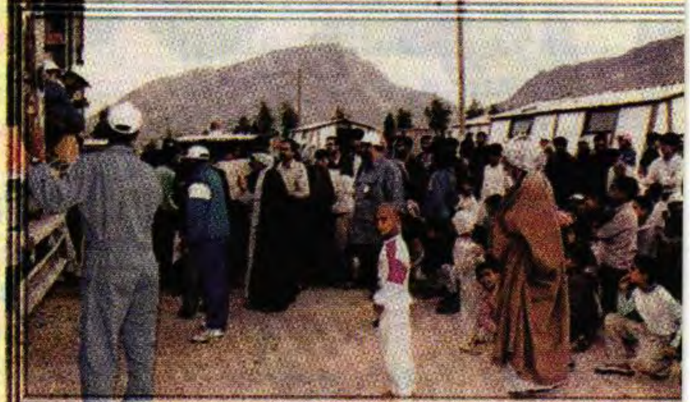
■ نحن ننسق معهم، فهناك أسرى من دول



● أهالي الأسرى يشرحون معاناتهم

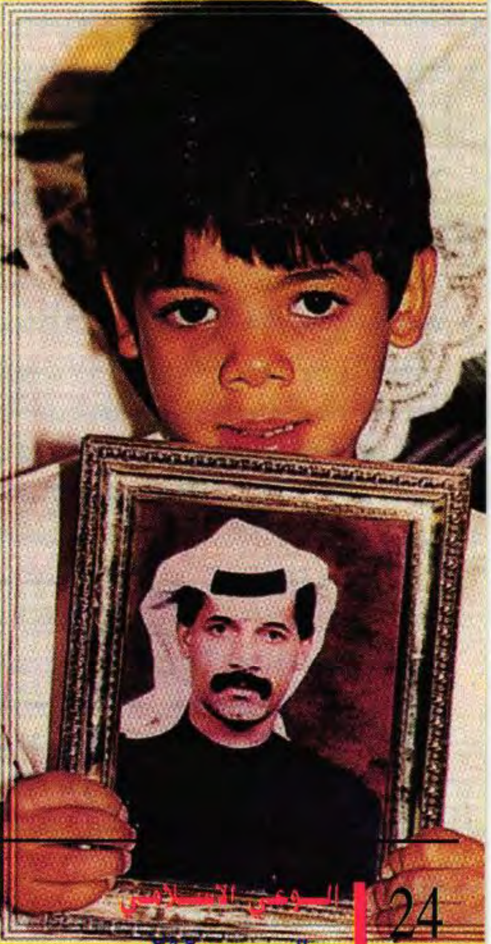
اللجنة الثلاثية هي القناة القانونية التي شكلها مجلس الأمن لمتابعة قضية الأسرى

عربية مثل مصر ولبنان والبحرين والسعودية وهناك أسرى من دول أخرى مثل الفلبين والهند وباكستان ونحن ننسق معهم، ولكن الجهد والعبء القانوني والإنساني تقوم به الكويت بسبب أنهم كانوا على أرض الكويت، فالقانون الدولي يلزم الكويت الدولة المضيفة بأن تقوم بالدفاع عن مصالح الموجودين على أرضها في هذه الحالات وبالتالي نحن قدمنا الملفات وبحثنا الحالات ونتابع الاستفسار مع الصليب الأحمر عن أوضاعهم ومن ناحية إنسانية نحن نعتبر أن هذا واجب علينا لأنهم كانوا يقيمون في البلاد بصورة رسمية، ويقومون بعملهم بشرف وأمانة ولم يتعاونوا مع النظام العراقي ولم يشكلوا خلال إقامتهم مجال خطر على الكويت لذلك نعتبر أن من



● المساعدات الكويتية للاجئين العراقيين

العراق رفض السماح بزيارة الشيخ أحمد ياسين عندما ربط زيارته بقضية الأسرى



واجبنا القيام بهذه الخطوات وفي بداية تكوين الملف كان هناك تنسيق وتعاون مع سفارات هذه الدول، طبعاً نحن نذكّر هذه الدول بوجود أسرى حتى يكون ضغطهم على النظام العراقي من منطلق مشاركتهم معنا في قضيتنا ومن منطلق أنهم أيضاً أصحاب مصلحة إنسانية لأن هناك مواطنين من مواطنيهم أيضاً أسرى.

● ما أهم مسارات التحرك المستقبلي تجاه العمل على تحرير الأسرى؟

■ نحن يهمنا المحافظة على آلية الأمم المتحدة وهي الآلية التي يرأسها الصليب الأحمر ـ اللجنة الثلاثية ـ وهي آلية أساسية وقانونية ولها صفة إنسانية وليست لها صفة سياسية، ولا نريد أن نخلطها بأي صفة سياسية، لذلك نحن حريصون على هذه الآلية واستمرارها، من جانب آخر، هناك تطور إيجابي من جانب مجلس الأمن لأننا في زيارتنا في نهاية العام الماضي وبداية هذا العام قابلنا في نيويورك أعضاء مجلس الأمن باعتبار أن خمسة أعضاء جدد حلوا محل الخمسة الذين انتهت عضويتهم وطلبنا منهم المحافظة بعد هذه السنوات الطويلة على الآلية الإنسانية لهذه القضية.

لأننا نريد أن نحافظ عليها ونطالب مجلس الأمن أن يأخذ دوراً إيجابياً في قراراته حيث إن قراراً من قراراته ينص على إطلاق الأسرى، هذه الاجتماعات والجهود أثمرت بأن يقوم «كوفي عنان» السكرتير العام للأمم المتحدة بتكليف ممثله الشخصي في بغداد المفوض لبحث موضوع أسلحة الدمار الشامل بمتابعة قضية الأسرى الكويتيين، وهكذا استجدت جهود سياسية على هذه القضية، تعبر عن دور مجلس الأمن في تطبيق قراراته فنأمل أن تسير هذه الجهود في خطين متوازيين، الجانب الإنساني مستمر في عمله كآلية إنسانية، والجانب السياسي الآن دخل من أجل إيجاد الضغط القانوني المستمر على العراق للانصياع لهذه القرارات.

● مازالت جهود الأمم المتحدة محدودة فيما يتعلق بقضية الأسرى مقارنة مع القضايا الأخرى المتصلة بالغزو العراقي للكويت؟ ما رأيكم في ذلك؟

■ منذ البداية نحن اعتبرناها قضية إنسانية ونحن أيضاً مقتنعون بذلك، ولا نريد أن نربطها بأي جوانب سياسية، ولهذا فضلنا أن يتولى الصليب الأحمر القضية بكاملها، ولكن كما ذكرت وبعد ثماني سنوات، وبسبب عدم التوصل إلى إطلاق سراح الأسرى رأينا أن من الأفضل الاستمرار مع الآلية الإنسانية أن يبدأ مجلس الأمن بالتدخل بشكل أكبر وكنتيجة لهذه التحركات توصلنا إلى اهتمام أكبر من مجلس الأمن بدليل أننا نرى الآن ذلك في اجتماعات مجلس الأمن وحتى عند مراجعة العقوبات يذكر مجلس الأمن بموضوع الأسرى، وهناك بيانات رئاسية تصدر عن مجلس الأمن وباهتمام السكرتير العام للأمم المتحدة الشخصي بإضافة هذا البند إلى مبعوثه الشخصي، وهو مؤشر إيجابي على عدالة قضيتنا.

هناك فرق عمل وضعت خططاً متكاملة للدمج الصحي والتربوي للأسرى بعد عودتهم

● ما الجهود التربوية والاجتماعية والثقافية المبذولة من قبل اللجنة تجاه أبناء وأهالي الأسرى؟

■ هذا جانب مهم جداً وكبير وهو رعاية أهالي الأسرى خصوصاً أن العديد منهم من الأمهات ومن الزوجات ومن الأبناء ومن الآباء هذه كلها تشكل مأساة مستمرة بشكل يومي، الشهيد أهله تقبلوا هذا الواقع، بل يفتخرون أن هذا الابن أو هذا الزوج أو هذا الأب قد قدم حياته تضحية من أجل وطنه وهذا شيء يفتخر به كل مواطن شريف، وحياتهم تنظمت على هذا الأساس، أما المشكلة الكبرى في الأسير أن مصيره مجهول لأهله، فالزوجة لا تعرف هل زوجها سيعود أم أنها تعتبره ميتاً شرعاً وإنسانياً واجتماعياً، والأبناء يتذكرون آباءهم منذ ثماني سنوات ولا يعرفون هل سيدخل عليهم في يوم من الأيام عائداً من السجن أم أنهم يعتبرونه ميتاً ويعتبرون

أنفسهم أيتاماً، الأم والأب هل يعتبرون ابنهم سيعود ويكمل دراسته، لأن (١٢٠) من هؤلاء طلبة أعمارهم ما بين (١٠/٢٠) سنة، أم يعتبرون ابنهم انتهى وتوفي ويفكرون في الأبناء الآخرين.

الحالات الاجتماعية كثيرة وكثير من الأمهات والزوجات والأبناء، إذا أكلوا لا يستطيعون حتى الاستمتاع بهذا الأكل، وهذه مشاهد حقيقية تمر علينا يومياً حيث تتوقف الأم أو الزوجة عن الأكل وتقول لا أدري هل ابني يحصل الآن على الأكل؟ ممارسات الحياة كلها لا يستطيعون معايشتها بشكل طبيعي، وهذه معاناة مستمرة وقد تكون شبيهة بمعاناة الأسير، لكن على الأقل الأسير يعرف وضعه أنه أسير وينتظر الأمل بالعودة، ولكن هؤلاء لايعرفون شيئاً عن مصير ابنهم سواء كان زوجاً أو أباً أو ابناً، ولذلك كان أهم طلب قدمناه إلى العراق من خلال الصليب الأحمر هو أن يقدم مبادرة بإعطاء أسماء الأحياء والأموات حتى على الأقل نريح الأهالي، ويحتسبون من مات منهم عند الله تعالى، ويبدؤون حياتهم بشكل طبيعي، فهناك متابعة اجتماعية عن طريق مكتب اجتماعي في اللجنة يضم باحثات فاضلات مهتمات في زيارة الأهالي بشكل دوري لمواساة الزوجة والأم ومتابعة الأبناء أيضاً وهناك متابعة مستمرة لحال الأبناء في المدارس للاستفسار عن أوضاعهم الدراسية أو أي مشاكل اجتماعية مع المدرسين أو غيرهم لأنه مع غياب الأب، قد تكون الأم في كثير من الأحوال غير قادرة على متابعة كل أبنائها خصوصاً أنها في مثل هذه الظروف تقوم بواجب المسؤولية عن الأسرة فهذا المكتب الاجتماعي يقوم بهذا العمل اليومي وهو عمل ضخم وهناك أيضاً مساندة مالية من الدولة من جانبين، الجانب الأول أن الرواتب التي تصرف للأسرى مستمرة بشكل عادي وبكل الامتيازات وكأنهم مداومون، وتحفظ في صندوق خاص باسم الأسير والأمل بالله تعالى أنهم سيعودون في يوم من الأيام، وبالتالي هذا الأسير يجد نوعاً من رأس المال لمتابعة حياته، ولهذا لا يستخدم الراتب في الإنفاق المعيشي للعائلة، إنما تصرف الدولة إضافة إلى ذلك مساندة مالية تقدر بـ (٥٠٠) دينار لكل أسير، إضافة إلى التزامات أخرى تصرف شهرياً للأسرة للتكفل بمعيشتها وهناك ميزات أخرى منها الأولية في الحصول على السكن والمتابعة الصحية داخل البلاد وخارجها إذا احتاج الأمر، وهناك نشاطات موسمية في العطل، وهناك رحلات ترفيهية ورحلات عمرة وهناك لقاءات سنوية مع سمو الأمير ومع سمو ولي العهد وهذه اللقاءات تشعرهم أن المجتمع كله معهم، ويقف إلى جانبهم في محنتهم.

وأيضاً نحن نهتم بجانب آخر وهو الجانب التعليمي للطلبة الأسرى، حيث ذكرت أن من بين الأسرى ١٢٠ طالباً، فهناك فريق عمل متكامل يواصل عمله منذ سنتين مع منظمات دولية لدراسة وضع كل أسير من هؤلاء الطلبة ووضع خطة لكي نسهل على الطالب متابعة دراسته فإذا كان هذا الطالب وقت الأسر في الصف الثاني الثانوي أو الثالث أو المرحلة الأولى في جامعة، فالأن زملاؤه تخرجوا وتوظفوا فنحن لا نريد أن تتوقف حياته في هذا المستوى، ولكن نريده أن يتابع دراسته إذا كان بالثانوية، وإذا كان بالجامعة وهكذا وهناك عدد كبير منهم كانوا طلاباً في الجامعة في أمريكا وعادوا بعد الغزو ودخلوا السعودية ومن السعودية دخلوا إلى البلاد لقناعتهم بأن عليهم أن يشاركوا أهلهم في هذه المحنة وقدر الله أن يتم اعتقالهم وهم في البلد، فانقطعت طبعاً دراستهم، فهناك فريق عمل متخصص يقوم بهذا الشيء، وأيضاً هناك فريق عمل يقوم بإعداد ملف صحي على ضوء المواصفات الدولية الدقيقة التي ترتبط

لدينا شهود ووثائق تؤكد اعتقال السلطات العسكرية العراقية لهؤلاء الأبرياء



● ابراهيم ماجد الشاهين في أحد اجتماعات اللجنة الفنية لليونيكوم



● رحلة العمرة لأبناء الشهداء والمفقودين

بالبصمة الوراثية وبالأوضاع الصحية سواء الجسمانية أو النفسية لكل أسير فهذه الفرق تجهز للأسير العائد كيفية التعامل معه والأمراض التي يمكن أن يشتكي منها جسمياً أو نفسياً وأيضاً فيما ـ لو قدر الله ـ أعيد إلينا رفاته فهناك وسيلة للتعرف عليه وعلى شخصيته.

هذه كلها برامج تقوم بها فرق مختلفة إضافة إلى أن هناك نشاطاً إعلامياً مستمراً خصوصاً مع استخدام «الإنترنت» فهناك صفحة مفتوحة للعالم تحكي قصتهم، وهناك تبادل رسائل في البريد الإلكتروني حول مساندة البعض لهذه القضية. ■

صرخة الأسير

شعر : محمد عبدالله القولي

إلىٰ ربّي شكاتي ما تَثُورُ ... وما أضحىٰ البلاءُ لهُ نصيرُ

تكاثرت الهمومُ علىٰ فؤادي ... وما يُلفى لشدتها مجيرُ

فضاقَ الصَّدرُ مكتئباً حزيناً ... فقد أضناهُ في البلوىٰ الزفيرُ

فكم من زفرةٍ نفثت كلوماً ... وكم من آهةٍ، جُرحاً تفورُ

وكم من عَبْرة سكبت عيوني ... فما اهتزَّت لرؤيتها الصدور

وكم لي من رجاء من نداء ... أما في هذه الدنيا نصيرُ؟

وكم ذكرى تورَّمُ لي جفونا ... من الأحباب ثوّرها المصيرُ

وكم من غصة ندّت حنيناً ... إلى الأحباب من صدر يمورُ

تُرى هل والدي حيٌّ يعاني ... فراق الحِبِ(١) والدنيا تجورُ؟

له في هدأة الأسحار نجوى ... يسائلُ خالقي وهو البصيرُ

أيا رب السماء ألا فكاكٌ ... لأسر الحِبِ هل يأتي يزورُ؟

يفجرُ حبه في القلب شوقاً ... وشوقُ الوالدين له سعيرُ

تُرى أمي بأدمعها تلظَّى ... وما كان اللسانُ له فُتورُ

دعاءٌ للمجيب أيا إلهي ... متى بقدومه يأتي البشيرُ؟

تأمّلُ غرفتي والدمعُ يجري ... على الخدين هيَّجها السريرُ

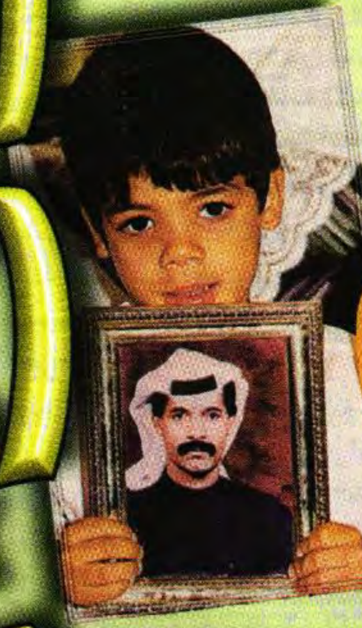
ترتّبُهُ توهَّمُ أنْ سآتي ... وكم مُزجت بأدمُعها العطورُ

وكم سوّت ثيابي عطّرتها ... تُقَبّلها على شغف يثورُ

تشمُّ بها بقيا من حبيب ... فمهجةُ قلبها فيها تدورُ

وتلمسها ودمعُ العينِ قَطْرٌ ... فتمسحه ومقلتها تفورُ









تقول لمن في الدار صمتاً ... هنا ولدي بنومته قرير
وتغلقُ باب داري في هدوء ... وتهمس: وجهُ حِبي فيه نور
فيجهشُ في البكاء السر أهلي ... ويعذرها الكبير أو الصغيرُ
وتنظرُ نحو باب الدار دوماً ... يُحركُ روعها منه الصرير
فقد آتي وأفتحه فتجري ... تُقبلني تُعانقني الطَهورُ
تَحَسَّرَ إخوتي أنَّى تلاقوا ... ولم يجدوا الحبيبَ له حضورُ
فأخفوا دمعة للقلب حرّى ... وكم فُضِحَت من الدمع الستورُ
وكم أخت تحرقُ في بُكاها ... أخوها عزُّها الحاني النصير
تُغيّبه السجونُ فليس تدري ... أتلقاه؟ وهل يأتي السرورُ؟
وزوجٌ فوَّضت لله أمراً ... وجمرٌ في الحشا يضرى يُغير
تقاذفها من الأحزان موجٌ ... وإعصار الهواجس كم يضيرُ
تسائلُ نفسها أتُرى تراهُ ... ويملأ بيتها منه الحُبورُ؟
وأولادٌ تَسَاءَلَ كل يوم ... متى يأتي لنسعدَ في لقاهُ
متى يأتي لنسعدَ في لقاهُ ... يُرفرفُ فوقنا الحُبُّ الكبيرُ؟
وكم من صاحب يُبكيه ذكري ... ويعلمُ أنني العبدُ الصبورُ
وكم دُعي الكريمُ لفكُ أسري ... وكم نُذرتْ لمنجاتي النذورُ
إلى ربي شكاتي أرتجيه ... وربي في إجابتها جدير
فقد زدات شُجوني من بقائي ... وحيداً لا أزارُ ولا أزورُ
بطيءٌ ذا الزمان وكان لمحاً ... فثانيةٌ. بإحساسي. دهورُ
أسيرٌ ليس لي ذنبٌ فأبقى ... حبيساً بين جدران تضيرُ
ولا أدري متى ينزاحُ همي ... فأخرجُ مثل عصفور يطيرُ
فيا رب العباد وأنت حسبي ... لفضل منك يُنجيني فقير
ويا ربُ الأنام أجب رجائي ... تقبَّلْ دعوتي فأنا الأسيرُ

(١) الحِب: الحبيب

مكتب الإنماء الاجتماعي يصدر دراسة حول

الاضطرابات السلوكية والنفسية والصحية التي يعاني منها أبناء الشهداء والأسرى والمفقودين

صدرت حديثاً عن مكتب الإنماء الاجتماعي التابع للديوان الأميري دراسة تناولت ٢٩٤ فرداً - منهم ٢٨٠ من أبناء الشهداء و ١٤ من أبناء الأسرى والمفقودين - وذلك لدراسة الاضطرابات السلوكية والنفسية والصحية التي يعاني منها أبناء الشهداء والأسرى والمفقودين والناتجة عن صدمة الغزو العراقي الغاشم.

وحصلت مشكلات اضطراب النوم على المرتبة الأولى بنسبة ١٨,٦٢ في المئة عند أبناء الأسرى والمفقودين، في حين جاءت مشكلات الضغوط التالية لصدمة الغزو العراقي في المرتبة الثانية بنسبة ١٦,٩٨ في المئة.

وبينما تصدرت الاختلالات السلوكية المرتبة الأولى بنسبة ٢٧,٣٩ في المئة عند أبناء الشهداء أخذت مشكلات اضطراب النوم المرتبة الثانية بنسبة ٢٠,٤٢، ومشكلات اضطراب الضغوط التالية للصدمة المركز الثالث بنسبة ١٧,٣٨ في المئة.

وذكرت الدراسة أن بعض مشكلات اضطراب النوم برزت بنسب عالية مثل مشكلة «الإصرار على إضاءة الأنوار أثناء النوم» التي جاءت بنسبة ٥٣,٩ في المئة عند أبناء الشهداء و ٣٥,٧ في المئة عند أبناء الأسرى والمفقودين، وكذلك مشكلة «عدم النوم وحيداً في الغرفة» التي جاءت بنسبة ٣٠,٧ لدى أبناء الشهداء مقابل ٢١,٤ عند أبناء الأسرى والمفقودين.

وفي ما يتعلق بالمشكلات السلوكية، أوضحت الدراسة بروز بعض المشكلات في هذا المجال بنسب عالية مثل «الحساسية لما يقال لهم أو يطلب منهم» التي جاءت بنسبة ٥٠ في المئة عند أبناء الأسرى والمفقودين و ٤٢,٥ في المئة عند أبناء الشهداء، وكذلك مشكلة «سهولة جرح المشاعر» التي جاءت بنسبة ٤٢ في المئة عند أبناء الشهداء و نسبة ١٤,٣ في المئة لدى أبناء الأسرى والمفقودين.

وحول مشكلات اضطراب الضغوط التالية للصدمة، أوضحت الدراسة أن المشكلات الخمس الأولى في هذا المجال عند أبناء الشهداء هي على التوالي: الشكوى من بعض أمراض الحساسية بنسبة ٣٤,٦ في المئة، والشعور بالافتقاد للحب والحنان بنسبة ٣,٤ في المئة، والضيق من نظرات الشفقة من الآخرين بنسبة ٣٠ في المئة، إضافة إلى عدم الرغبة في التعبير عما في صدورهم من هموم بنسبة ٢٦,٨ في المئة والظهور في حال ضيق الصدر بنسبة ٢٦,١ في المئة.

أما المشكلات الخمس المتعلقة باضطراب الضغوط التالية للصدمة عند أبناء الأسرى والمفقودين فهي على التوالي: «توقع حدوث ضرر أو خطر لأحد أفراد أسرتهم» بنسبة ٣٥,٧ في المئة، ثم مشكلة «ملاحظة أشياء تعيد إلى ذهنهم أحداث أيام الغزو» بنسبة ٣٥,٧ في المئة، ومشكلة «الندم على تصرفهم من خلال تفكير سطحي» بنسبة ٣٥,٧، إضافة إلى مشكلة «اللعب الذي يتسم بالعنف والخطر» بنسبة ٣٥,٧ في المئة، ومشكلة «عدم الرغبة في التعبير عما في صدورهم من هموم» بنسبة ٣٥,٧ في المئة أيضاً.

وأكدت الدراسة أنه «وفقاً لتقدير الأمهات» فإن الذكور الذين يبلغ عددهم ١٥٤ شخصاً مقابل ١٤٠ للإناث من أفراد العينة يبدون مستويات أعلى من الإناث في درجة معاناة المشكلات السلوكية حيث كانت نسبتهم٢٢,٩١ في المئة مقابل ٢٠,٤٢ للإناث كما أكدت الدراسة أن الإناث يبدين مستويات أعلى من الذكور في درجة معاناة المشكلات المتعلقة باضطراب الضغوط التالية للصدمة وكذلك مشكلات اضطراب النوم حيث كانت نسبتهن ٢٠,٤٢ في المئة مقابل ١٤,٤٥ في المئة للرجال بالنسبة للمشكلة الأولى، في حين كانت النسبة ٢٢,٩١ في المئة مقابل ١٥,٤٩ في المئة للرجال للمشكلة الثانية.

وأشارت الدراسة إلى أن الأطفال والمراهقين الكويتيين «عينة الدراسة» من أسر الشهداء والأسرى والمفقودين يندرج معظمهم تحت فئة الاطفال المصدومين الذين كانوا غالبا شهود عيان على تجارب قاسية تمثلت بما شاهدوه من موت او اعتقال لأفراد أسرهم وغيرهم أثناء فترة الغزو وأوضحت الدراسة أن المراهقين والمراهقات من الأطفال أكثر في شدة التأثير بالنسبة للمشكلات التي يعانون منها، نظراً لانهم عاشوا تجارب صدمة العدوان العراقي وضغوط مابعد الصدمة في سنوات الطفولة الوسطى من عمرهم، اضافة الى ماتضفيه طبيعة مرحلة المراهقة وخصوصيتها ومشكلاتها ثم تفاعل هذه المرحلة مع ضغوط مابعد الصدمة.

واوصت الدراسة بإيلاء اهتمام خاص لإقرار برنامج متكامل للإرشاد الأسري الذي يستثمر روح التكافل الاجتماعي في الأسرة الكويتية وتوظيفه كأساس للإرشاد التأييدي للأسرة ذات العائل الواحد مع التركيز على تنمية الأم العائل الواحد وتدريبها على مهارات إدارة الأسرة.

كما أوصت الدراسة أيضا بالاستفادة من برامج استخدام الأمهات كوسائط للعمل الإرشادي في مايعرف بتدريب الأمهات كمرشدات أو كمعالجات لمشكلات أو اضطرابات أبنائهن باعتبار ذلك مدخلا وظيفياً فعالاً لمساعدة هؤلاء الأبناء في التوصل إلى حلول توافقية لمشكلاتهم. ■

قضايا اجتماعية

مكافحة الإيدز من منظور إسلامي

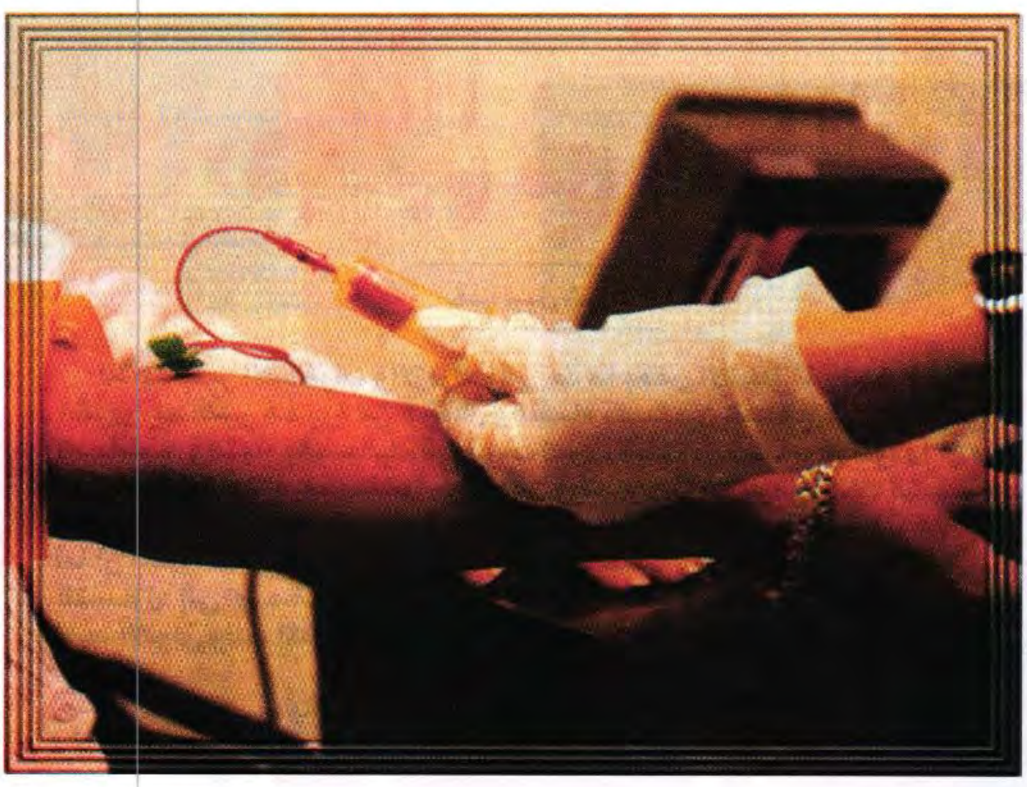


د. محمد الشحات الجندي

رسالة الإسلام، خطاب للإنسان المتكامل السليم النفس والروح والجسد، تهدف في جملتها إلى بنائه بناء وجدانياً عقلانياً جسمياً على أحسن ما يكون البناء، (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم).

ومن أجل ذلك شرع الإسلام من النظم والتشريعات ما يكفل رعاية وحماية هذا الصرح الإلهي الذي بناه رب السماء، وصيانته عن العبث والضياع ومن أخطر الأمراض التي ابتلى بها إنسان العصر الحديث الإيدز وهو مرض فقدان المناعة المكتسبة الذي هو بحق طاعون العصر الحديث، حيث يؤدي غزو الفيروس إلى تدمير خلايا الجهاز المناعي لجسم الإنسان، ويسبّب الشلل التام في الدفاع عنه ضد غزو الميكروبات والفيروسات، إن هذا الأمر الذي يجعل الجسم الإنساني أعزل في مواجهة هذه الميكروبات والفيروسات لتفتك به، وتدمر مقاومته، وتعصف ببنيانه، فيقع فريسة للأمراض.

ولا شك أن للإيدز مسببات أفرزتها الممارسات الخاطئة للحضارة الحديثة التي اشتطت في الإسراف في المتع الحسية والجسدية الرخيصة، وانطلقت الشهوات الحيوانية لإنسان المدنية المعاصرة من عقالها كالمارد الجبار الذي يدمر كل القيم والمعايير الدينية، باسم الحرية في الجنس والفكر والاختيار والتذوق حتى لو كانت هذه الحرية، هي الانتحار في شكله الجديد، وهي جريمة في حق البشرية، فإشاعتها على مستوى الفرد والاستمراء فيها بالصورة غير المشروعة، وبالطريقة الفوضوية المتجاوزة لحدود الدين والمنطق والعرف والصحة، هي قتل للإنسان، وهذا مجرم بقوله تعالى: (ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) النساء: ٢٩، فالإسلام والأديان ترسم الطرق المشروعة لإشباع الشهوات الجسدية في حدودها المعقولة على النحو الذي يحقق الصحة النفسية والجسدية، وهو بعض معنى الرحمة المعبر عنه في الآية الكريمة، والإنسان يقتل نفسه، ويمضي في طريق الجنس المتحرر من كل القيود إلى الانتحار والهلاك.



أما إشاعة الشذوذ الجنسي والإباحية على مستوى الجماعة، وإباحته في ظل القوانين والتشريعات، فهو طاعون قاتل فتاك، يوشك أن يهدم البناء المجتمعي، ويضعف قوته، ويذهب بريحه، وهذا الاتجاه الذي من أسف قد روجت له الحضارة الحديثة وأجهزتها الإعلامية الجبارة، هو قتل للبشرية جمعاء وإفساد للعمران والخلافة الإنسانية لله على هذه الأرض، وخيانة للأمانة التي أوكلها الله للإنسان، وكرّمه بها على سائر المخلوقات، وتنكب لنعم الله، على الصحة والتوازن النفسي والحياتي، وإهدار لقيم الطهارة والعفة، وتكريس لآفات الحيوانية والقذارة والنجاسة، ومباءة للكراهية والعداوة وتفشي الأمراض، وحشد لقوى البغي والعدوان على الفضيلة الشرَف.

وقد أحكم الإسلام منظومته المتعلقة بإشاعة قيم العفة والطهارة في المجتمع، تحسباً منه إلى أن تجاوز هذه القيم، والتحرر من سلطانها هو عبور للخط الأحمر الذي يفتك بالفرد والمجتمع، ويزرع الرذيلة والبهيمية في الجماعة، وفي سبيل تجسيد قيمه، وتأصيل حقائقه، رسم الإسلام الوسائل الوقائية والوسائل العلاجية، والطرق العقابية.

وتتمثل الوسائل الوقائية، في تحريم الإسلام لكل ألوان الفواحش وهتك الأعراض، وفي حثه على الفضائل والطهارة: فالله تعالى: (يحب التوابين ويحب المتطهرين) ويرغب في إشباع الغرائز في إطار من المودة والرحمة: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم: ٢١.

وهو في سبيل الحفاظ على قيم النظافة والنقاء في المجتمع، يجرم كل أنواع الاعتداء على الأعراض، وتلمس الشهوة بالطريق غير المشروع: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) الأعراف: ٣٣.

وقوله: (ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) الأنعام: ١٥١.

وقوله: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) النور: ١٩.

وفي قوله تعالى: (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) الإسراء: ٣٢، وقد ذم الله مسلك قوم لوط، ونفّر من سلوكهم الشنيع بارتكابهم للشذوذ واستباحتهم الفاحشة في أسوأ صورها.

(ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون) الأعراف: ٨٠ ـ ٨١.

ومسلك الإسلام في هذا الخصوص مستقيم ناصع، من حيث تحريمه للفواحش، والوسائل الموصلة إليها.

وقد خطت السنة خطوة أخرى مبرهنة على خطورة وضرر هذه الانحرافات بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين سبقوهم».

بل إن القرآن الكريم حذر من المعاشرة الجنسية في وقت الحيض، لما يتمخض عنه من أذى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) البقرة: ٢٢٢.

وتعميقاً وتأكيداً للنظرة الإسلامية في هذا الخصوص، فإن الأمر يستلزم تحري الوسائل المفضية لهذه الإباحية والشذوذ الجنسي، لأن الوسائل تأخذ حكم الغايات، فالوسيلة إلى الحلال مشروعة، والوسيلة إلى الحرام غير مشروعة.

وهو ما ينبغي معه كبح جماح أجهزة الإعلام الرهيبة الداعية إلى إثارة الغرائز والمسهلة للعلاقات غير المشروعة، ومراجعة أسلوب الاختلاط بين الجنسين، والعمل على انحسار انتشار تجارة البغاء، وتسهيله أسباب الزواج كما أن ضبط وسائل منع الحمل، وغيره من الأسباب المشجعة على الفاحشة والعدوان على الأعراض.

ومن الوسائل المسببة للإيدز، إدمان الخمر والمخدرات، والفتن بأنواعها وأشكالها ما بين عقاقير سائلة، وأخرى جامدة، وهي في جملتها قاتلة ومدمرة للصحة والفضيلة والقيم، ورسول للفاحشة، وأداة الرذيلة، فإن من أدمن فقد تهيأ لعمل كل شيء، ووضع أولى خطواته على طريق استباحة الأعراض، وانتهاك الحرمات، وسرقة شرف الآخرين، بل تدمير نفسه، وهدم كيانه.

ومعلوم موقف الإسلام من الخمر، فإن الله تعالى أمر بالبعد عنها بقوله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) المائدة: ٩٠.

وقد طورت السنة مفهوم الخمر، ليشمل أنواعاً أخرى من المخدرات، فقد نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن كل مسكر ومفتر، والمخدرات القاتلة، والتي تمثل أم الخبائث، كالهيروين والكوكايين، تتجاوز الأضرار بالعقل إلى تعطيل وظائف الإنسان الجسدية، وقتل قواه النفسية والعصبية، فهي من ثم يتناولها التحريم.

للأيدز مسببات أفرزتها الممارسات الخاطئة للحضارة الحديثة

الوسائل العلاجية الإصلاحية

وإلى جانب الوسائل الوقائية والتحفظية، رسم الإسلام الوسائل العلاجية الإصلاحية، ذلك أن الإسلام بنى منظومته في مكافحة الأمراض الجنسية على حفظ الصحة، فإن حفظ النفس، يتضمن حفظ البدن والعقل والروح، وحفظ ذلك يتطلب التوعية بأسباب الحفاظ عليها، وتعاطي طرق العلاج عند الإصابة بأمراضها، وهو ما أرشد إليه حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - «تداووا عباد الله، فإن الله لم يخلق داء، إلا وخلق له دواء».

فالتداوي إذن مطلوب بأمر الشريعة، وإبراء الجسم من العلل والأسقام مقصود للشارع، وهذا يؤكد طلب العلاج، لأنه الوسيلة إلى صحة الأبدان، والوصول إلى حال العطاء الكامل، وليكون عضوا فاعلاً في الهيئة الاجتماعية في تناسق وتكامل مع الآخرين.

ويهيب الإسلام بالمسلم إلى أن يعي قيمة الصحة، كرصيد يعطي بوساطته الإنسان إلى ذويه والآخرين وينفع بها نفسه ومجتمعه وينبه المسلم إلى أهمية الوعي بهذه القيمة، ووضعها الموضع الصحيح، وهو ما يظهر في قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

وقوله - صلوات الله عليه: «اسألوا الله العافية، فإنه ما أوتي أحد بعد اليقين خيراً من العافية».

ومفاد ذلك أن الإسلام لا يقف من المريض موقف السلبية أو اللامبالاة، أو الإدانة، بل يقف منه موقف الإيجابية والتوجيه السديد وإصلاحه، وإعادة تكييفه وتقويمه في المجتمع، ويشرّع الوسائل الموصلة، لذلك لأن الإصلاح غاية من غايات النظام الاجتماعي الإسلامي.

ويظل هذا الموقف الإصلاحي مطرداً، حتى في ظل من أجرم في حق الله وحق الناس، فلا ينعته الإسلام بالأوصاف التي تزري به، والتي من شأنها أن تغويه إلى المزيد من التورط في الجريمة، وإنما يوازن بين حقه كفرد في الإصلاح والتقويم، وحق الجماعة في الأمن والأمان النفسي والاجتماعي هذا الملمح من ملامح النظام الاجتماعي الإسلامي ترشد إليه النصوص القرآنية، فهي إذ تقرر حق المجتمع في عقاب الجاني ترفع الحرج عن المريض بقوله تعالى: (ولا على المريض حرج) وفي الوقت نفسه تعبئ نفس المجني عليه وتوبه بالنزوع إلى العفو والصفح كما في قوله تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) الشورى: ٤٠.

وقوله عز وجل (فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) البقرة: ١٧٨، وقوله عز وجل: «وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير) البقرة: ٢٣٧.

وهكذا فإن المتأمل لمرامي النصوص الشرعية يدرك أن الإسلام يهدف إلى إبراء الساحة والعفو ما أمكن إلى ذلك سبيلاً ولا ينشد إلى الإدانة والتخطئة، هذه الفلسفة الإصلاحية لا تخطئها عين الناقد البصير المستقرئ للنصوص لذلك اعتمدت القاعدة الشرعية التي يوصلها الحديث الشريف: «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً» وهي قاعدة أدرءوا الحدود بالشبهات.

وما ذهب إليه الفقهاء بقولهم: «لأن يخطئ القاضي في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة».

وما ذلك الموقف الرشيد إلا لأن الجاني أو المريض قد يكون ضحية لبعض الظروف أو المواقف التي تفقده إرادته أو تسلكه طريق الاختيار الصحيح فيتورط في الجريمة أو يقع فريسة المرض.

هذا المنظور الإيجابي الذي يضع نصب عينيه الإصلاح والتهذيب ينطبق على حال المصاب بالأيدز الذي قد تكون إصابته نتيجة ظروف اضطرارية أو ضحية مسلك خاطئ من غيره يتطلب من المجتمع حشد الجهود عن طريق مد يد العون والمساعدة برعايته ووضعه في ظل برنامج يخرجه من حمأة التردي في مزيد من الإصابة بهذا المرض اللعين.

ومن ثم فإن على الدولة أن تنشئ المصحات وتبتكر الوسائل التي تعجل بشفائه، وتعزل خطورته وضرره عن الآخرين، استناداً إلى قاعدة «لاضرر ولا ضرار» وتظل هذه الوسائل لعلاج وتقويم مريض الإيدز مطلوبة بحسبانها أدوات موصلة إلى مقصد شرعي صحيح هو حماية بدنه من الهلاك ونفسه من الضياع، وبمعنى آخر حماية نفس إنسانية محترمة ومكرمة في نظر الإسلام. ■

فكر

الخطاب الإسلامي في ظل «العولمة» (٢)

أمام تحديات «العولمة» فإنه يجب على المسلمين أخذ زمام المبادرة لصياغة خطاب إسلامي حضاري من خلال إيجاد منظومة إسلامية قابلة للتطبيق في مجال الحياة العامة ونظام الحكم بمختلف مقوماته تنطلق من الأصول والقواعد الإسلامية، وهذا الخطاب يجب أن يتضمن خطاب الإسلام ممثلاً بنصوص الوحي من القرآن والسنة وخطاب «الإسلاميين» ممثلاً لرؤيتهم واجتهاداتهم ونظامهم المستمد من الإسلام نفسه ليطبق في الحياة العامة.

ولن يتحقق هذا المطلب الحتمي إلا إذا تمكن المسلمون من وضع استراتيجية واضحة للخطاب الإسلامي تقوم على محاور عدة منها :

بقلم الدكتور : عبدالصبور فاضل

أولاً العمل المؤسسي:

لا شك أن العالم الإسلامي يعاني من مشكلات داخلية وخارجية يزيد من وطأتها التطورات العالمية المتلاحقة التي أفرزت كيانات سياسية وعسكرية وثقافية أو حضارية في ظل داء «الاختزالية» في عالمنا الإسلامي المتمثل في مجموعة من الزعامات لأفراد يقودون جماعات في العمل الإسلامي دون أن تجمعهم أهداف مشتركة وكل منهم يعتبر نفسه هو الأحق بقيادة العمل الإسلامي أو التحدث باسم الإسلام.

ولا ريب أن الاختلاف في وجهات النظر مبدأ إسلامي أصيل ولكن بشرط ألا يهدد وحدة الأمة وبحيث تكون له ضوابطه وحدوده وآدابه بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له ولا تقبيح، على أن عدم الالتزام بضوابط الخلاف كان من نتيجته أن سقطنا فريسة التآكل الداخلي والتنازع الشديد الذي بلغ حد التصفية الجسدية فذهبت ريحنا.

ومن ثم فإن العمل المؤسسي الإسلامي الذي يضم التيار الإسلامي الرسمي وغير الرسمي، المذهبي، وغير المذهبي يصبح مطلباً ضرورياً لجمع الشمل وتنظيم المارسات وتوزيع الأدوار وتوحيد الأمة، لأن الوحدة الإسلامية ليست كلمات تقال أو شعارات تردد أو تصريحات تعلن، إنما هي عمل منظم يقوم على النوايا الخالصة والعزيمة الصادقة والتخطيط العلمي السليم، وتوفير الأموال اللازمة من خلال دمج المخصصات المالية لفصائل العمل الإسلامي في عمل مؤسسي واحد وفقاً للأولويات، وهذا بالطبع سيكون أحد أسباب القوة والتأثير والفاعلية.

ولا ريب أن تحقيق النمط المؤسسي في إدارة أمورنا المختلفة ليس بالأمر السهل أو اليسير، بل هو يحتاج إلى جهود المخلصين التي تستطيع ولو بعد حين أن تثمّر قواعد المؤسسة في واقعنا الاجتماعي، وهذا يتطلب ضرورة بث ثقافة العمل الجماعي المؤسسي القائمة على التعاون والشورى، وإعادة الاعتبار إلى القيم الكبرى التي تؤكد قيمة العمل الجمعي المؤسسي وتبرز نظام علاقاته الداخلية.

ثانياً: الحوار الإسلامي - الإسلامي:

يلاحظ أن الخطاب الإسلامي المعاصر رغم أنه ينطلق من مرجعية الكتاب والسنة، إلا أن فصائل الحركة الإسلامية اختلفت بدرجة كبيرة في منهج العمل الإسلامي وأولياته، بل نراها تختلف أحياناً حول أساسيات العمل الإسلامي وموقف الإسلام من بعض القضايا وكل له رؤيته في الاستشهاد بالكتاب والسنة، وهذا من شأنه التأثير بالسلب على خطابنا الإسلامي وبخاصة تجاه القضايا ذات البعد الدولي.

وهذا يتطلب ضرورة إذعان مذاهب وفصائل العمل الإسلامي للحوار فيما بينها لأن الحوار هو فضيلة إنسانية وقيمة أخلاقية وسلوك حضاري وهو أقصر الطرق لحل النزاعات، وأفضل السبل للتفاهم والالتقاء باتباع أصول الحوار، أو المناظرة التي أرساها الإسلام، فرسولنا صلى الله عليه وسلم كان مثلاً أعلى في أدب الحوار وإدارته والاختلاف في الرأي ومحاجته، وكان ينهى عن الاختلاف الذي يؤدي إلى التطاحن والخصومة، ويجتث جذوره قبل أن تتنامى، فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرف في وجهه الغضب فقال: «إنما هلك من كان قبلكم

> **تحقيق النمط المؤسسي في إدارة أمورنا يحتاج إلى جهود المخلصين**

باختلافهم في الكتاب».

ثالثاً: السلوك الحضاري

لقد اهتم الإسلام بالسلوك الشخصي والاجتماعي والدولي، بل السلوك القتالي في المعارك الحربية ضد الأعداء أنفسهم، والقرآن الكريم يحتوي على كثير من الآيات التي ترسي تلك القواعد في صورة الأمر أو النهي أو النصيحة والإرشاد، فأركان الإسلام نفسها لم يقصد بها الإسلام مجرد مظاهرها الحركية فحسب، بل اهتم بها من حيث أثرها في تكييف السلوك الشخصي للمؤمنين بما يجعلهم قدوة صالحة لغيرهم.

فليس من المقبول أو المعقول مطلقاً أن نتصور خطاباً حضاريا يفتقد عند أصحابه السلوك الحضاري في أي بُعد من أبعاد السلوك الإنساني على المستوى الفردي والاجتماعي، وعلى مستوى الدولة أيضاً ككيان محلي وعلى مستوى الدول باعتبارها كياناً إقليمياً مع بعضها بعضاً أو كياناً دولياً في ضوء علاقاتها الدولية.

فالقيم الحضارية في السلوك الاجتماعي، وما تتضمنه من معايير، والقيم الحضارية في السلوك الاقتصادي وما تقتضيه من ضوابط، والقيم الحضارية في السلوك السياسي وما يرافقها من أنماط التعامل، ومدى الاتساق بين السلوك في هذه الأبعاد وغيرها من جهة، وطبيعة الخطاب ومفرداته وأسلوب أدائه من جهة أخرى كل ذلك عناصر أساسية في الخطاب الحضاري.

فلا شك أن العدوان والصراع والقتال الحاصل في المجتمع العربي والإسلامي سواء بين فصائل داخلية أو بين دولة وأخرى من شأنه إضعاف فاعلية الخطاب الإسلامي المعاصر على المستوى المحلي والإقليمي والدولي حتى بين المسلمين أنفسهم.

رابعاً: فتح باب الاجتهاد

لقد أغلق باب الاجتهاد وبدأ عهد الجمود أو التقليد منذ أواخر القرن الرابع الهجري - مع وجود استثناءات لا تمثل هذا الباب الواسع - وهو القرن الذي انتابت خلاله المسلمين عوامل سياسية واجتماعية كان لها أسوأ الأثر في نهضتهم ونشاطهم الفكري والفقهي ما أدى إلى انحسار قوتهم.

ويقصد بالجمود هنا: الوقوف عند آراء الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك، والشافعي، وابن حنبل، رضوان الله عليهم أجمعين - وهو ما يطلق عليه لدى الشرعيين بالتقليد رغم ظهور مستجدات بحكم تطور المجتمعات لم تكن موجودة في عصورهم، وهذا الموقف هو ما يتنافى مع خصائص الشريعة الإسلامية وروحها.

إن قفل باب الاجتهاد يعد من أول الأسباب الرئيسة التي أدت إلى أزمة الفكر السياسي الإسلامي وشابت وعابت الفكر الإسلامي بوجه عام، ولعلاج تلك الظاهرة لابد من استخدام وسائل عدة من أهمها: فتح باب الاجتهاد، تحقيق نظام الحكم الحر، العناية بالتفرقة بين ما يعد وما لا يعد من السنّة تشريعاً عاماً، والإقلاع عن استغلال الدين سواء على المستوى الرسمي أو غير الرسمي.

ويجب أن ندرك جيداً أن مجرد الإقلاع عن الجمود وفتح باب الاجتهاد لا يحل المشكلة وليس كافياً لتحقيق ما نريد، بل لابد من مراعاة اعتبارات عدة وضوابط تنظم مسيرة الاجتهاد منها على سبيل المثال: التدرج في التشريع، شيوع روح الاعتدال، نفي الحرج، ونفي الكهنوتية عن الإسلام.

خامساً: التجديد الثقافي

المقصود بالتجديد الثقافي والفكري ليس هو استحداث قيم جديدة لا أصول لها، بل تجديد لا ينفصل عن المشروع الحضاري الإسلامي يستمد أصوله من القواعد الكلية للإسلام... هو تجديد يعني العمل على إزالة رواسب التخلف والانحطاط من أفهام الناس بحيث إننا نفهم قيم الدين ومبادئه كما فهمه الإنسان المسلم في الصدر الأول للإسلام، فهو تجديد في فهم الناس لا في الدين نفسه بما يشكل من قاعدة تصورية وقيم كبرى ثابتة.

وهذا يتطلب تجديد فهم الدين بثوابته ومتغيراته، وتحقيق عنصري الفاعلية والإبداع مع عدم الرفض المطلق أو التقليد المطلق لفكر الآخرين... فتقليد الغرب مثلاً من خلال الأخذ بمبادئه وقيمه في الأخلاق والاجتماع والعادات واقتباس أنظمة الحكم ومذاهبه فيما تضعه الدول الإسلامية من تشريعات ودساتير، كل ذلك يعد دليلاً على ظاهرة «أزمة الفكر السياسي» في العالم الإسلامي، وهذا التقليد كما يقول ابن خلدون في مقدمته يعد: «ظاهرة من ظواهر تقليد الضعيف للقوي».

مطلوب منظومة إسلامية قابلة للتطبيق في الحياة العامة

نحن يجب علينا ألا نقلد تقليداً أعمى، وفي الوقت نفسه لا نرفض ما تأتي به الحضارات الأخرى رفضاً عدائياً، بل هناك أشياء يجوز بل يجب في أحيان كثيرة أن نقتبسها من غيرنا، وهناك أشياء لا يجوز، بل يحرم أحياناً اقتباسها عن الآخرين. ■

أهم المراجع:

١ - عبدالحميد متولي «دكتور» أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث، ط٣ القاهرة - ١٩٨٥م.

٢ - عبدالصبور فاضل - أساليب تقويم الأداء الصحفي في المجتمع الإسلامي، رسالة دكتوراة العام ١٩٩٤م.

٣ - فتحي ملكاوي، الخطاب الإسلامي الحضاري... مقال منشور بمجلة الكلمة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٤ - محمد محفوظ، التجديد الثقافي في المشروع الحضاري الإسلامي مجلة الكلمة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٥ - محمد بهائي سليم، القرآن الكريم والسلوك الإنساني، القاهرة - ١٩٨٧م.

تنبيه

حصل خطأ غير مقصود أثناء نشر الحلقة الثانية من هذا المقال في عدد الوعي رقم ٣٨٩ - محرم ١٤١٩هـ، حيث تكرر نشر الحلقة الأولى المنشورة في العدد ٣٨٨ من ذي الحجة، لذا ننشر في هذا العدد الحلقة الثانية استكمالاً للموضوع مع اعتذارنا من الإخوة القراء.

متابعات

مسلسل الإساءة إلى الإسلام ... إلى متى؟

بقلم : تمام أحمد الصباغ

مازال مسلسل الإساءة إلى الإسلام وأهله ومحاربة القيم والأخلاق والمثل العليا مستمراً في كثير من وسائل الإعلام الغربية، ويكفي أن نذكر لقطات من هذا المسلسل مستقاة مما نشرته بالكلمة والصورة والكاريكاتير بعض هذه الوسائل في الآونة الأخيرة لندرك حجم هذه الهجمة المغرضة والمضللة في حق الإسلام والمسلمين.

١-نشرت مجلة لوب الالمانية التي تهتم بالموسيقا والفنون في عددها الصادر في ابريل الماضي صوراً عارية عليها آيات من القرآن الكريم وحين وجه مجلس المسلمين الأعلى في المانيا رسالة احتجاج إلى دار النشر المذكورة مطالباً إياها بالاعتذار للمسلمين لأن كتابهم المقدس تعرض للإهانة والتشويه ردّ مدير الدار «ميشائيل كاونة» في تبرير غير مقبول.

إن الدار لم تنشر الصور العارية عن قصد وإنما العاملون فيها لايعرفون العربية وان الصور أتت من قبل مصورين يعملون للمجلة بصورة حرة!!.

٢-خصصت في الآونة الأخيرة مجلة «دير شبيغل» الالمانية عدداً كاملاً عن الإسلام مليء بالاكاذيب والمغالطات والمفاهيم المقلوبة عن الإسلام والمسلمين تصدى لها ايضاً مجلس المسلمين الأعلى في المانيا.

٣- نشرت وسائل الإعلام الايطالية إعلاناً عن القهوة فيه إساءة للرسول صلى الله عليه وسلم.

٤-قامت بعض النساء العاريات في الغرب بافتراشهن سجادات صلاة عليها آيات قرآنية.

٥-قامت شركة «أمريكا أون لان» التي تعتبر مصدراً مهماً من مصادر المعلومات على الشبكة الالكترونية «الانترنت» بنشر نصوص قرآنية محرّفة تشبه في شكلها الخارجي الآيات القرآنية لكنها تختلف عنها في المضمون وقد حملت السور القرآنية أسماء «التجسد، الايمان، المسلمون، الوصايا» وكلها أسماء مزورة ومحرّفة غايتها تشويه صورة القرآن الكريم باعتباره الأساس والأصل الذي يقوم عليه الدين الإسلامي الحنيف واذا كانت الشركة المذكورة قد استجابت للنداءات والاحتجاجات التي تلقتها من الأوساط والدوائر الإسلامية في مختلف أنحاء العالم وقامت بإغلاق الموقع على شبكة الانترنت المذكورة إلا أن هذا لايكفي وقد يتكرر في المستقبل ذلك، مالم تضع الشركة ضوابط معينة عند إدخال أي بيانات أو معلومات في شبكة الانترنت تجنباً لوقوع مثل هذه الأخطاء وقد ثبت بالفعل أن هذا الموقع المغلق على شبكة الانترنت ليس الوحيد، بل ان هناك مواقع أخرى على هذه الشبكات -الانترنت- حافلة بالإساءة للإسلام والمسلمين وقد ذكر الاستاذ فهمي هويدي في مقالته المنشورة في الشرق الاوسط بتاريخ ١٩٩٨/٧/٦ تحت عنوان «احتشاد يستخدم الانترنت لتشويه الإسلام والكيد» قال فيها: هناك منظمة أو احتشاد معلن عنه على شاشة الكمبيوتر تأسس في منتصف شهر أغسطس العام١٩٩٧م ويحمل اسم «القلم يواجه السيف» وله شعار رسم عليه سيف غليظ وأمامه ريشة رقيقة وبين الاثنين صليب وهذا الاحتشاد حصل على موقع على شبكة الانترنت باسم «مراجعات في الإسلام» وعلى الموقع نفسه ١٤ مقالة منشورة باللغات الانكليزية والعربية والفرنسية والاسبانية وكل هذه المقالات أعدت خصيصاً لتجريح الإسلام.

إن ماذكرناه سابقاً يؤكد بما لايدع مجالا للشك أن هناك جهات حاقدة ومعادية للإسلام والمسلمين، بل معادية لكل القيم والأخلاق والمبادىء التي جاءت بها الأديان السماوية تعمل بلا كلل أو ملل على تشويه الصورة الناصعة للأديان السماوية وفي مقدمها الاسلام مستغلة في ذلك جو الانفتاح في الغرب والتقنيات الحديثة في وسائل الاعلام، ومالم تتعاون جميع الأطراف المؤمنة بالمثل الأخلاقية العليا بغض النظر عن آرائها ومعتقداتها لوقف هذه الهجمة فإن الخطر سيستفحل في كل مكان وستدفع المجتمعات الغربية نفسها الثمن غالياً وهذا الكلام لانقوله جزافاً بل له مايدلله ويدعمه من واقع هذه المجتمعات، حيث بدأت الأصوات ترتفع من هيئات ومؤسسات غربية تنادي بحماية الناشئة من أخطار مايبث على شبكة الانترنت من أمور مخلة بالآداب وعلى سبيل المثال لا الحصر أبدت جمعية الأسرة الأمريكية قلقها من قيام شبكة الانترنت بنشر مواد فاحشة وغير محتشمة وتخدش الحياء ويستطيع الصغار والكبار مشاهدتها بكل سهولة، وطالبت بحجب هذه المواد غير السوية المبثوثة كما طالبت أيضا بعملية غربلة موضوعية قبل نشر أي مادة حفاظاً على القيم والأخلاق والمثل الانسانية.

إن روح الإسلام السمحة تنسجم أتم انسجام مع هذه المطالب الصادرة عن جهات غير إسلامية مادام القاسم المشترك الذي يجمعه بها هو الدعوة للحفاظ على الاخلاق والرسول صلى الله عليه وسلم قال:«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» كما أن المسلمين مطالبون بالتحرك الجاد اعلامياً وتوظيف الانترنت توظيفاً إيجابياً وسليماً لصالح قضايا الإسلام والمسلمين والدعوة من خلاله لمبادىء الإسلام العظيم وفق منهج متوازن يأخذ في الاعتبار الوجوه السلبية والوجوه الإيجابية لثورة التكنولوجيا والمعلومات المعاصرة وفي مقدمها الانترنت.

فكر



العولمة والشفافية والتجدد الحضاري الإسلامي

للإسلام سمات ارتقائية كبرى، لعل من أهمها: وحدة العقيدة الإيمانية، والعالمية، والتجدد، والسمو، والديمومة، والشمول.

وإن كانت سمة العالمية بصفة خاصة قد توافرت بدرجات متفاوتة، ومن زاوية مادية بحتة في بعض الأنظمة الوضعية، فإنها، أي سمة العالمية تتوافر في الإسلام بصورة أكثر إطلاقاً وشمولاً، وأكثر كمالاً وجمالاً وسمواً ودائمية.

وأن السمات الارتقائية للإسلام عندما يأخذ المسلمون بتطبيقاتها، وفق المنهاج الخالد لكتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم المطهرة، فإنها تتحول بين أيديهم إلى مايشبه الانفجار المتسلسل من عطاءات الخير والسلام والحب، والرحمة، والعدالة، والمساواة، والرخاء والارتقاء في مجالات الحياة كافة، وبأشكال ابداعيه اعجازية، ليس لها سبق، أو مثيل.

بقلم: محمد علي وهبة

علماء وفقهاء عالمنا الإسلامي ينظرون لظاهرة العولمة نظرة موضوعية ويضعون آثارها المحتملة داخل إطار حجمها الطبيعي

تصور إسلامي موضوعي:

وإن كان العالم في الوقت الراهن يتعرض لموجات محمومة من الدعاية المفتعلة، التي يروج لها أهل الغرب بصفة خاصة لما يطلقون عليه اسم، أو ظاهرة «العولمة» فهناك عدد غير قليل من مفكري عالمنا الإسلامي قد تأثروا بتلك الدعايات حول العولمة، ونظروا لها بانبهار، وربما كان سبب انبهارهم أن ظاهرة العولمة قد صارت بإبداعاتها العلمية والتقنية المتطورة تأخذ شكل ظاهرة هادرة مزمجرة بقوة في كل مكان على سطح الارض وهو امر غريب، لايتوافق مع رفعة المكانة التي يجب أن يكون عليها المسلمون، حيث يسر الله بفضله للمسلمين من مخزون المعارف والعلوم وثروات الطبيعة البكر، ماهو خير مما لدى غيرهم، وكل مايحتاجونه هو عقد العزم الموحد للظهور على غيرهم بما ميزهم الله سبحانه به، ووفق تخطيط علمي طموح، ومدروس على أعلى مستوى من الخبرات العلمية والفنية المتخصصة.

والأغرب من ذلك بالنسبة لبعض مفكري عالمنا الإسلامي، أن تقديرهم المبهور لظاهرة العولمة قد بلغ بهم حد وصفها بأنها تبدو في شكل غزو كاسح، تقوده مجتمعات الغرب، وأن هذا الغزو العولمي يتغير صبغ العالم بصبغته، وتلوين الثقافات العالمية المتعددة بثقافته، ودمج الهويات المتباينة لسائر الشعوب في هويته.. إلى آخر أمثال هذه التصورات الغريبة التي مبعثها الانبهار الساذج والخوف الوهمي ليس إلا.

ولعل مايبعث على الثقة بحاضر ومستقبل عالمنا الإسلامي بالرغم من كل مايحيق به من تحديات حضارية أن هناك عدداً غير قليل أيضا من علماء وفقهاء ومفكري عالمنا الإسلامي ينظرون لظاهرة العولمة نظرة موضوعية، عقلانية سليمة، ويشخصونها تشخيصاً علمياً واعياً، ويضعونها ويضعون أيضاً آثارها المحتملة داخل إطار حجمها الطبيعي، دون تضخيم، أو تهويل، بما يعني أن لا تكون هناك آراء أو تصورات خادعة تضفي على ظاهرة العولمة وعلى صانعيها ماليس فيهم، خصوصاً وأن لفظ العولمة في حقيقته يحمل المعنى نفسه الذي يحمل لفظ العالمية، التي هي سمة أساسية من سمات الإسلام، أخذ بها الإسلام وطبقها على أوسع نطاق منذ بداية مولده، وسيبقى الاسلام حاملاً لسمة العالمية الى ماشاء الله.

حقيقة عالمية الإسلام:

والقارىء لكتاب الله العظيم «القرآن» يكتشف أن الإسلام دين كامل شامل لجميع أمور الدين والدنيا

الإسلام دعوة إلهية كونية حضارية شاملة واستطاع بهذا أن يقود المسيرة الحضارية للإنسانية على مدى ألف عام

والآخرة للمجتمع البشري كله، وأنه بهذا المعنى الشامل دعوة للعالمين، وأن هذا المعنى كان واضحاً للرسول صلى الله عليه وسلم منذ مطلع البعثة، فالآيات الكريمة التي تحدثت عن عالمية الدعوة الإسلامية هي آيات مكية نزلت في السور المكية، التي كانت بناء على الترتيب التاريخي الذي رواه ابن عباس من أوائل سور القرآن الكريم، فسورة الفرقان، وهي السورة العاشرة بعد السور القصار، تبدأ الآية الأولى فيها معلنة عالمية الإسلام، بقوله تعالى:

(تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) الفرقان/١.

وتوالت في السور المكية الآيات التي تؤكد عالمية الإسلام والتي منها قوله تعالى:(وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ/٢٨. وفي سورة الأعراف المكية آية واضحة الدلالة على عموم الرسالة الإسلامية،حيث قال تعالى:(قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض، لا إله إلا هو يحيي ويميت) الأعراف/١٥٨.

وكذلك قوله سبحانه :

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء/١٠٧.

وفي سورة إبراهيم هتاف واضح الدلالة على عالمية الإسلام، حيث قال تعالى:(هذابلاغ الناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب) ابراهيم/٥٢.

ومن الآيات المباركة الدالة على عالمية الإسلام الشاملة لجميع أمور الدين والدنيا والآخرة أيضاً، ماجاء في قوله تعالى:(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون. في الدنيا والآخرة) البقرة/٢١٩ . ٢٢٠.

والأمر المهم الذي يمكن استخلاصه من امثال هذه الآيات المباركة، هو أن الإسلام دعوة عالمية، تتضمن الإعلان عن أن الكون له ملك واحد، وهو خالقه ومدبره. والأثر الذي يترتب على هذه العقيدة، هو أن العالم كله تابع لمركز واحد، وبالتالي فإن بين أجزائه الكثيرة ترابطاً قوياً يجذبه لهذا المركز الواحد بطريق دعوة واحدة، تشد الناس جميعاً لهذا المركز، وهو الدين الواحد الذي يمجد الإله الواحد.(١)

والعالم في واقعه مقسم إلى شعوب وقبائل، وكان الوضع قبل الإسلام يتجه الى اعتبار هذا التقسيم دليل فرقة، وبالتالي سبب صراع وتنافر، فلما جاء الإسلام أعلن القرآن الكريم أن هذا التقسيم يجب أن يدفع الناس للتعارف والود، وليس للخلاف والقطيعة، حيث قال تعالى:

(ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات/١٣(٢).

وخلاصة مفهوم السمة العالمية للإسلام، هي أن الإسلام دعوة إلهية إيمانية توحيدية، إنسانية، كونية، حضارية شاملة. وقد استطاع الإسلام بهذا المفهوم الكامل الشامل للظاهرة العالمية أن يقود المسيرة الحضارية للإنسانية على مدى ألف عام، وأن ينشىء أطول وأكمل حضارة تتصف بالصفة العالمية لأول مرة في التاريخ، خصوصاً من خلال منهاج البحث العلمي الخالد، الذي ابتكره علماء المسلمين الأفذاذ، والذي استطاعوا من خلاله أن ينقلوا الحضارة الإنسانية من أطوارها الإقليمية والمحلية إلى مستوى العالمية، وذلك بالتبعية لعالمية الدعوة الإسلامية التي اجتاز المسلمون القفار والبحار والأقطار، بشجاعة ومهارة وحذق نادرين، حتى وفقهم الله في نشر دين الحق في مشارق الأرض ومغاربها.

أوهام العولمة:

ولايمكن أن يكون هناك وجه للمقارنة بين عالمية الإسلام، وبين مايروج له أهل الغرب من دعايات خادعة حول ظاهرة العولمة.

ولعل الدليل على صدق هذا التصور يمكن الكشف عنه من خلال كتاب جديد ظهر في العام ١٩٩٧م لأحد مفكري الغرب، هو «جان شولتز» استاذ العلاقات الدولية في جامعة «ساسكس» يحمل عنوان «العولمة- مقدمة نقدية» ويمكن أن يستخلص من هذا الكتاب ان المفهوم العلمي الواقعي لظاهرة العولمة لايمكن أن يتعدى فكرة تحقيق المزيد من الربط والتواصل بين شعوب العالم، من خلال نشر المزيد من أجهزة الربط التكنولوجية الحديثة، مثل شبكات الحاسب الآلي والأقمار الصناعية بصفة خاصة ويمكن أن يستخلص من هذا الكتاب كذلك أن الدليل على صحة هذه الرؤية، هو أن التكنولوجيات الحديثة كشبكات الحاسب الآلي والأقمار الصناعية، وغيرها لن يزيد تأثيرها كثيراً عن ذلك التأثير الذي أحدثه ظهور أول خدمة دولية للتلغراف عبر المحيطات في العام (١٨٦٦م) وادخال التنسيق على مستوى العالم للساعات وفقاً لتوقيت غرينتش (١٨٨٤م) وكذلك ظهور أول نظام للاتصال الهاتفي بين لندن وباريس في العام (١٨٩١) وظهور أول اذاعة عالمية بالراديو في لندن، لربط ٢٤٢ محطة عبر ست قارات في آن واحد في العام (١٩٣٠م) وكذلك ظهور أول مطعم لماكدونالدز، له فروع في أنحاء العالم في العام (١٩٥٥م) وبدء أول اتصالات دولية بالأقمار الصناعية في العام (١٩٦٢م) وكذلك ظهور أول استخدام للأسلاك المصنوعة من الأنسجة البصرية، التي حلت محل الأسلاك النحاسية والتي عملت على زيادة قدرات الاتصالات اللاسلكية زيادة هائلة في العام (١٩٧٧م) .(٣).

مغزى إسلامي:

وخلاصة ماسبق أن التطور التكنولوجي الحديث المتمثل في شبكات الحاسب الآلي الدولية، والاقمار الصناعية، ومايرتبط بها من تقنيات متطورة، أو مايعرف إجمالاً بثورة المعلومات والاتصالات، والذي بدأ ينتشر على المستوى الكوني، لن يتعدى تأثيره في واقع الأمر، ماكان لظهور وانتشار الهاتف واللاسلكي والطائرات وغيرها.

وإن كانت الأماني تداعب أهل الغرب وتدفع بهم للتفكير في الهيمنة على العالم من خلال هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة، فتلك أمانيهم، وهي في حقيقتها ستبقى مجرد أوهام، أضغاث أحلام خادعة، ومايروجونه من دعايات كاذبة لتضخيم هذه الأوهام والأحلام، لايخرج عن كونه نوعاً من الحرب النفسية، التي يحاولون شنها على بلدان العالم الناهضة الأخرى، وهم سوف يفيقون من هذه الأوهام بعد اصطدامهم بصخرة الهوية الإسلامية الصلبة الآخذة في التشكل والتجدد والنهوض بمشيئة وعون الله.

شفافية الإسلام:

ومن الملاحظ أنه يسود في الغرب في الوقت الراهن مصطلح جديد، بالتوازي مع مصطلح العولمة، هو مصطلح الشفافية ويهدفون من ورائه على حد ادعائهم إلى ايجاد نظام عالمي جديد يتسم بالشفافية على المستوى الدولي ويعني لفظ الشفافية فيما يعنيه بشكل عام في مجال العلاقات الإنسانية، ان تتسم هذه العلاقات بالصدق والوضوح والمرونة، مع الشعور بالتآخي الإنساني المشترك، وذلك من خلال التعامل بإخلاص كامل متبادل، وبدقة ورقة، وإتقان إلى أقصى حد ممكن.

أما في مجال قوانينهم الوضعية بشكل عام، فتعني الشفافية -بالاضافة الى ماسبق- أن تأتي القوانين من حيث صياغتها وأساليب تطبيقها بما يسهم في إعلاء شأن الإنسان، وصيانة كرامته واعتباره، من خلال الالتزام بتحقيق العدالة والمساواة بين البشر دون تفرقة من أي نوع، على حد ادعائهم.

والحقيقة أن مثل هذه الأقوال حول الشفافية التي يروج لها أهل الغرب، ظاهرها العسل، وباطنها السم، وذلك لأن قوانينهم الوضعية مهما بلغ تطورها نظرياً أو عملياً، فستبقى قاصرة قصوراً فاحشاً إذا قورنت بنصوص الشريعة الغراء. ومن ناحية أخرى فإن قوانينهم الوضعية لاتهتم جملة وتفصيلاً سوى بالحرص على تحقيق الحد الأدنى من الضبط للسلوك الظاهري للإنسان، ومن ناحية ثالثة، وهو الأخطر، أن أهل الغرب قد اعتادوا على عدم الالتزام بما يكتبون ويسطرون، فما يكتبونه في الظاهر يخالفونه في الخفاء، لافتقارهم التام للوازع الإيماني الداخلي، الذي تفخر الشريعة الغراء بامتلاكها له بصورة جمالية من الالتزام، ليس لها مثيل.

والخلاصة أنها وحدها الشريعة الاسلامية الغراء هي التي جاءت متسمة بالشفافية بجميع معانيها السابقة، بل أكثر من ذلك بكثير،وبقدر ملحوظ شديد التأثير، ومنذ أنزلها الله سبحانه على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وستبقى الشريعة الغراء كذلك إلى يوم الدين ، لأنها من لدن حكيم عليم كما قال جل شأنه في ذلك:

(وإنك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم) النمل/٦.

ولذلك ستبقى الشريعة الإسلامية الغراء، هي القانون الإلهي الأعلى، الذي يمكن أن تظهر من خلاله وحده تجليات هندسة الارتقاء بالسلوك الإنساني بشكل منقطع النظير.

حاكمية الإسلام:

وخلاصة كل ماسبق أن الله عز وعلا قد أنزل رسالة الإسلام الخالدة الشاملة أمور الدين والدنيا والآخرة كافة، لتكون لها الحاكمية العليا على ماعداها من أنظمة وضعية أو غير وضعية، وهو مايعني- في سياق موضوع هذا البحث- ان الإسلام قادر- بحول الله وبفضله- على الاستيعاب الكامل لظاهرة العولمة أو غيرها، مما هو اكثر منها تطوراً.

وبالنظر الى أن الإسلام بطبيعته دين عالمي انفتاحي، انطلاقي، عقلاني، معرفي، وذ وطبيعة ذكية، ماهرة، حاذقة، متسامية بعلومها وعدلها، وحكمتها الإلهية البالغة، فهو أي الإسلام سيبقى قادراً دوماً على الاستيعاب الكامل لظاهرة العولمة أو غيرها، ولايمكن أن يخشاها، أو يخشى على هويته الصلبة منها، ولايقبل بغير الاستفادة القصوى منها بعد استيعابه لها، وهيمنته الكاملة عليها، بل الإسلام قادر كذلك على إضافة الكثير الى ظاهرة العولمة أو غيرها، بما هو أفضل منها من الإبداع والاختراع العلمي والتقني في مختلف مظاهر البناء الحضاري، على أن تكون نقطة البدء في هذا الشأن هي تحقيق التزاوج الكامل من التكامل الاقتصادي بين بلدان عالمنا الاسلامي الفسيح، الذي يشكل بمساحته الجغرافية المترامية مايقرب من نصف مساحة الكرة الأرضية،حيث يساعد إرساءالبناء الاقتصادي الإسلامي، بالشكل التكتلي التكاملي المذكور على توفير التمويلات اللازمة للبناء والنهوض الحضاري الإسلامي، ذي الطبيعة المتجددة المدهشة، مما يفسح المجال واسعاً لعودة بناة الحضارة من العلماء والعباقرة من أبناء عالمنا الإسلامي المهاجرين، من أجل الإسهام في تحقيق المزيد من الرخاء والارتقاء للمسلمين، وللإنسانية قاطبة، حيث رفع الله جل شأنه العلماء إلى أعلى درجة إيمانية، وهي درجة التقوى، أو الخشية من الله، كما في قوله تعالى:(إنمايخشى اللهَ من عباده العلماء) فاطر/٢٨.

وكما قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم:

«مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر،فإذا انطمست النجوم أو شك أن تضل الهداة» رواه الإمام احمد. ■

الهوامش

١-عالمية الاسلام - دكتور أحمد شلبي - س قضايا إسلامية - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - وزارة الأوقاف - ع (١١) - القاهرة - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢-المرجع السابق.

٣- من العالمية الى العولمة - دكتور أحمد عباس عبدالبديع - استاذ العلوم السياسية - جريدة الأهرام القاهرة -١٤١٩/١/٧م - ١٩٩٨/٥/٣م.

يعني لفظ الشفافية في مجال العلاقات الإنسانية ان تتسم بالصدق والوضوح والمرونة مع الشعور بالتآخي الإنساني المشترك

دلالة الشهادتين على جوهر الإسلام ومراميه

بقلم: أ.د. أحمد أحمد منصور نفادي

لكل مبدأ من المبادئ شعار يقوم عليه... تتضح به حقيقته وتتلخص أهدافه وتبرز من ورائه صورته الأصيلة جلية، مكتملة الملامح خالية من الزيف والغموض.

ولما كان الإسلام في أصل جوهره دعوة الله الخالق إلى عباده المخلوقين للتعرف عليه جل جلاله والإيمان به والقيام بأمره على حدوده، من امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وإحسان الخلافة عنه في الأرض... وذلك كله يمثل ثورة فكرية عظمى في نطاق التفكير الإنساني، الذي ما كان ليصل إلى بلوغ رشده واكتشاف ذاته لولا هذه الدعوة التي تعهده خالقه بها على أيدي رسله الذين اصطفاهم منذ آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً - كان لابد له من شعار واضح جلي يجمع إلى وضوحه وجلائه البساطة والعمق، ويكون في الوقت نفسه بمثابة عنوان يضم في إطاره الدقيق كل أهدافه ومراميه، ويشتمل على كل مبادئه ومثله، بحيث يكفي أن يردده الإنسان مرة واحدة عن يقين لينضم إلى حوزته... ويتسع في الوقت نفسه ليفي بحاجة من أراد أن يغوص في بحاره الزاخرة إلى الأعماق ...!

هذا الشعار الواضح الجلي البسيط الدقيق المتضمن لكل ما جاءت به واشتملت عليه دعوة الإسلام ما يسمى بالشهادتين أو كلمتي التوحيد. «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

"لا إله إلا الله محمد رسول الله، كل الإسلام. جوهره، أهدافه، مثله، أخلاقياته التي تضمنها وركز على ضرورة التحلي بها والتزام حدودها، ثم النتائج المترتبة على الاعتصام بذلك كله!

وقد يبدو ذلك الإطلاق غريباً للوهلة الأولى لما قد يتبادر إلى ذهن القارئ المتعجل أنه من قبيل المغالاة وتحميل الألفاظ فوق ما تحتمل... إذ كيف تتضمن هاتان الكلمتان كل تلك المفاهيم؟!

ولكن الباحث المتأمل لن يلبث بعد قليل من إعمال الفكر أن يكتشف هذه الحقيقة والتسليم بصدق النتائج التي أدت إليها مقدماتها.

فالإسلام كما يدل عليه لفظه: انقياد وتسليم أي امتثال وخضوع من العبد المخلوق لخالق المعبود والانقياد والتسليم أو الامتثال والخضوع لا يتحققان إلا إذا خلص جوهرهما، وصفت حقيقتهما من كل شائبة لا يتم معها النقاء لكل من الحقيقة والجوهر، أي لابد من الصدق الكامل في امتثال العبد وخضوعه وانقياده وتسليمه!.

وتمام هذا الصدق وصفاؤه يلقيان في روع صاحبهما أنه والكون الذي يعيش فيه مخلوقاته لخالق واحد قوي مهيمن لا يوجد معه سواه، مادام نظام هذا الكون المتسق ونماذجه الموروثة والحاضرة تشهدان بوحدة القوة المسيطرة وتنزهها عن وجود قوة أخرى تنافسها من أجل التغلب عليها، بإيجاد نواميس معاكسة لتلك النواميس الدقيقة المحكمة التي تنظم أمر هذا الكون وتضبط دقته، وتمنع وقوع الخلل والاضطراب في ميزانه، (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) الأنبياء: ٢٢، (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً) الإسراء: ٤٢، وذلك ما تحمله وتجمله وتشف عنه وتوحي به الكلمة الأولى: «لا إله إلا الله».

فالإسلام كما أشرت، انقياد وتسليم وامتثال وخضوع من العباد لخالق العباد، والمسلم منقادٌ خاضع ممتثل مسلِّم، ولن يصدق في ذلك إلا إذا أيقن بربوبية خالقه ووحدانيته، وقوته وقهره وجبروته وسطوته، وأسلمه ذلك الإيقان إلى الإيمان بأن هذا الخالق المتصف بكل صفات القوة والقهر والهيمنة والجبروت، لابد أن يكون عالماً بكل شيء مبصراً لكل شيء، قادراً على كل شيء، مريداً لكل شيء، مدبراً لجميع ما في الكون، لايعجزه شيء، ولا يشغله شيء عن شيء (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) البقرة: ٢٥٥.

(وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) يونس: ٦١. (تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى. الرحمن على العرش استوى. له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى. الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) طه: ٤-٨.

ومن البدهي أن الله الخالق سبحانه وتعالى مادام متصفاً بكل هذه الكمالات، فمن أبسط مظاهر التسليم له والخضوع لإرادته ومشيئته تحقيقاً لعقيدة الإسلام، أن يؤمن المسلم إيماناً كاملاً أن عمره ورزقه وكل ما يصيبه في حياته من خير أو شر، إنما يحدث طبقاً لمشيئة خالقه تعالى وإرادته (قل كلٌّ من عند الله) النساء: ٧٨.

وإذا ما استقرت في أعماقه هذه الحقيقة فما عليه إلا أن يسير في طريق حياته جريئاً صلباً قوي العزيمة غير هيَّاب ولا متردد، مادام قد أحكم العدة وأخذ الأسباب، لأن هذا إما رسم له الوقوف عند حده (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك: ١٥.

فإن أخطأه التوفيق وجانبه السداد مع استعداده واجتهاده فعليه أن يعيد الكرة من جديد دون أن يتسرب اليأس أو الشعور بالفشل إلى نفسه،

منطلقاً في ذلك من منطلق: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوبة: ٥١.

وكذلك في مواقفه من قوى الشر التي تحيط به وتتربص به الدوائر، رغبة في تحطيمه وإخماد عزيمته وإطفاء جذوة الحق المشتعلة في قلبه، فإن شياطين البغي العالمية لا تجد فيه إلا قلعة فولاذية تتحطم على دروعها كل ما تصوبه إليه من سهام، ذلك أن شعار إسلامه له: لا إله إلا الله، فجّر في أعماقه من ضروب الشجاعة والإصرار طاقات تزول أمامها رواسخ الجبال... (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) آل عمران: ١٧٣: ١٧٤.

ولا إله إلا الله بما تغرسه في نفس المسلم من ضروب الإيمان والتوكل والثقة بالنفس وقوة العزيمة والشجاعة، وكلها صفات لابد منها كأسس يقوم عليها البنيان الصلب لمجتمع مسلم تتحقق بقيامه على الأرض الخلافة الحقيقية للإنسان عن الله، فإنها أيضاً تدفع الناطقين بها ممن أسلموا قلوبهم لله إلى الأخلاق الفاضلة التي يرضى عنها ربهم الذي استخلفهم في الأرض، من الرحمة والعدل وحب الخير، ونصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تحفزهم إلى اتخاذ الوسائل الكفيلة بتحقيق الانتصار في جميع معارك الحياة، من طلب للعلم واهتمام بتحصيله والاستفادة بنتائجه، والتعامل فيما بينهم صغاراً وكباراً على أساس من الاحترام والحب المتبادل... فذلك وحده الكفيل بتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم اعتصاماً بحبل الله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمةالله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) آل عمران: ١٠٣: ١٠٥.

أما الشطر الثاني لكلمة التوحيد هي شعار الإسلام «محمد رسول الله..» فهو الركيزة الحية والدعامة المقابلة التي يستند إليها صرح العقيدة ولا ينهض بنيانه من دونها، فلابد للبشر من فرد منهم تختاره العناية الإلهية، ليقوم بدور التبليغ والنقل إليهم عن الله.

لقد تتابع الرسل المصطفون للدعوة إلى الله بتتابع أجيال التاريخ وأحقابه تجديداً لدعوة الإسلام وتطويراً لمقتضيات الإيمان حسبما يمليه تطور العقل البشري، فلما بلغت الإنسانية أوج كمالها وتم للعقل البشري نضجه الفكري بحيث صار مهيئاً لأن يكون القلم والكتاب عماد حياته وعدة مستقبله، ووسيلته للتعبير عن وجوده وإحساسه، وسلاحه في مواجهة تحديات الحياة، وإخضاع مظاهر الطبيعة لإرادته من أجل أن تكتمل خلافته على الأرض، كان ذكر القلم والكتب أول تعبير يمليه أمين الوحي جبريل عليه السلام على آخر نبي تكتمل برسالته دعوة الإسلام، معلنة في صورتها المتطورة: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

(اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) العلق: ١:٥.

فمحمد رسول الله من الوجهة العقائدية دليل إسلام العقل البشري في صورته المتطورة لخالقه الأعظم الذي يدين له ويقر بربوبيته كل شيء (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً) الإسراء: ٤٤.

وإسقاط هذه العبارة من حساب الاعتقاد - تحت أي زعم - خروج على الإسلام لله والإقرار بربوبيته، لأنه رجعة بالعقل البشري إلى الوراء وإلزامه باتباع قوانين عقائدية لا يقتنع بكفايتها من حيث إنها لا تلائم تفكيره المتطور... فكأن الإنسان بذلك يقول لخالقه: إن الإيمان بك يجب أن يتوقف عند مرحلة معينة من مراحل الحياة البشرية دون أن يتعداها إلى مرحلة تالية!!

أو أن تعرفك إلى خلقك بوساطة رسلك من البشر، ورسمك لهم طرائق معينة يسلكونها لعبادتك والإقرار بألوهيتك، كان يجب أن يجمد على منهج واحد دونما مراعاة لاطراد مسيرة الزمن أو تطور التفكير الإنساني، وذلك كفر صراح لما فيه من الخروج عن الإسلام لله والإقرار بربوبيته بمعارضة حكمته ومشيئته والتفريق بين رسله الذين اصطفاهم على حقب التاريخ لهداية خلقه وإخراجهم بأمره من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) النساء: ١٥٠: ١٥١.

وإذا كان المنطق والعقل يؤمن بسنة التطور والتدرج في إفهام الحقائق، وضرورة ذلك حتى يتسنى للعقل استيعابها والإفادة بها - الأمر الذي يصل بها إلى مراميها، فإنهما لا يمانعان في أن تصل رسالات السماء مجتمعة إلى نقطة محورية تتلاقى فيها خيوطها تلاقي الضوء في مركز الأشعة لتتبلور أهدافها في هدف واحد، يحدث في حياة البشر ما لم تستطع إحداثه بقية الرسالات المتفرقة في مجموعها من قبل!... الشيء نفسه الذي يفعله معلم بصير بتلميذ ناشئ يتعهده بالتربية والتوصية منذ نعومة أظفاره.

فهو يقدم له من الحقائق والمعلومات والخبرات ما يتناسب ومقدرته الذهنية شيئاً فشيئاً على مراحل حياته، حتى إذا بلغ أشده واستوى وأصبح قادراً على الابتكار والاستنتاج معتمداً على نفسه، فإن معلّمه يجمل له جميع ما مضى في درس واحد، ويزيد عليه من الحقائق وقواعد العلوم ما يصلح لأن يكون دليلاً هادياً يسترشد به في مسيرة حياته من بعد، وأساساً قوياً يبني عليه تجاربه وخبرات حياته المستقبلية دون حاجة إلا الاسترشاد بمعلم جديد!

لذلك كان الإسلام خاتم الرسالات وكان نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين، كان على المسلم لله المقر بربوبيته ووحدانيته أن يعبر عن ذلك بكلمتي التوحيد مجتمعتين معاً في نطق واحد «لا إله إلا الله - محمد رسول الله».

ومن هنا كان تأكيد القرآن الكريم كتاب الإسلام وختام وحي السماء إلى أبناء الأرض قوياً على حتمية الإيمان بمحمد ورسالته، ليكون الإنسان مؤمناً بربه الواحد، مسلماً له قياده وإلا فهو كافر جاحد ليس من العقيدة الدينية الصحيحة في شيء، لأن رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - جماع رسالات الذين سبقوه من إخوانه الأنبياء، وتطويرها بما يناسب القمة الفكرية التي وصل إليها إنسان آخر الزمان!!

(قل آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران: ٨٤: ٨٥، (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الشورى: ١٣. ■

فكر

جهود المستغربين في ترسيخ العلمانية

بقلم : سامي الجيتاوي

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي سيطرة الاستعمار الغربي على جميع العالم الإسلامي تقريباً، وقد أرادت قوى الاستعمار، حين استتب لها الأمر، أن تعزز انتصاراتها العسكرية والسياسية بانتصار ثقافي وأيديولوجي يضمن لها البقاء في العالم العربي والإسلامي حتى بعد رحيلها العسكري... وذلك بالترويج للعلمانية في المجتمع العربي والإسلامي ليقوم بتنظيم علاقاته الاجتماعية والإنسانية وفقاً لمفاهيمها وليس حسب مفاهيم الإسلام.

واستعملوا في سبيل ذلك وسائل ترغيب وخداع كثيرة... لتكوين قناعات تامة لدى جماهير المسلمين بصلاحية الدعوة العلمانية وأحقيتها ومن ضمن هذه الوسائل:

١ ـ ترجمة المصطلح الذي يدل على «لادينية» في اللغات الأوروبية إلى «علمانية» ليكون انطباعاً لدى الإنسان العربي المسلم البسيط بأن هذه الدعوة تتصل بالعلم وتنبع عنه... ولو كان المقصود به إقامة الدولة على أساس علمي أو إدخال منجزات العلم الطبيعي وجعلها في متناول الإنسان في المجتمع... وتيسير حياته وجعلها أكثر بهجة وراحة... فمن السخف بمكان في هذه الحال تسمية دولة ما بأنها علمانية دون غيرها... وتسمية مجتمع ما بأنه علماني دون غيره... فإن أشد الدول والمجتمعات الدينية تزمتاً ومحافظة لا تمانع في تسيير حياتها المادية بما يوفره العلم من منجزات في شتى الحقول والمجالات، وإذاً لا معنى لتسمية دولة ما بأنها علمانية لمجرد أنها تستخدم منجزات العلم في حياة مجتمعها... وإذا لم يكن الأمر كذلك فهل يعني كون الدولة علمانية أن نظامها الإداري ونظامها الاقتصادي يقومان على أسس علمية؟

فالدولة الفلانية لا تدير شؤونها وشؤون اقتصادها على نحو عشوائي غير مخطط وغير مدروس وإنما تتبع في ذلك أصول وأساليب العلوم الإدارية وأصول وأساليب العلوم الاقتصادية فتبني إدارتها واقتصادها على أساس من ذلك.

فمن الوضوح بمكان أن أشد الدول والمؤسسات الدينية لا تمانع لأسباب دينية في تنظيم إدارتها وشؤونها المالية والاقتصادية على أسس علمية تضمن لها أكبر قدر من الإنتاجية، بل تسعى إلى ذلك وتكلف الخبراء في تنظيم شؤونها على أفضل الأسس والأساليب التي توفر لها زيادة في الإنتاج مع إتقان في العمل... ومن السُّخف كذلك وصف دولة ما أو مؤسسة ما بالعلمانية لمجرد أنها تتبع أساليب علمية في الإدارة وغيرها من شؤون التنظيم.

إن العلم الطبيعي وتنظيم العمل وأساليب الإدارة أمور مشاعة في كل المجتمعات وكل الدول ... ولا يوجد دين كما لاتوجد مؤسسة دينية ـ في هذا العصر على الأقل ـ يقف في وجه العلم الطبيعي أو يرفض بناء إدارة ومؤسسات ذات إنتاجية عالية لأسباب دينية محضة... فالعلوم الإدارية والطبيعية محايدة من هذه الجهة، ليست مع الدين وليست ضده وهذا من الأمور الواضحة للعيان فيما أمامنا من دول ومؤسسات ليست علمانية بالتأكيد إذاً فالعلمانية لا تعني هذا ولا ذاك... وإنما تعني شيئاً آخر غيرهما... وهو عبارة عن أمرين متكاملين... ولا تكون الدولة علمانية من دونهما... وهما:

الأول: مصدر الشرعية في السلطة السياسية.

والثاني: التشريع: الدستوري والقانوني في الدولة.

وبالنسبة للأمر الأول: تعني العلمانية أن الشرعية التي تخول السلطة السياسية أن تحكم المجتمع وتسيره وفقاً لمفاهيمها وخططها ليست مستمدة من الدين... فالدين ليس مصدراً للشرعية التي تتمتع بالسلطة السياسية في الدولة العلمانية، ولا تتوقف شرعية السلطة السياسية على اعتراف بها من السلطة الدينية.

وقد يكون هذا منسجم مع العقيدة المسيحية... لأن تدخل الكنيسة في شؤون الدنيا والحكم والسلطة لم يكن فكراً مسيحياً... وإنما هو من تصرفات الكنسيين الذين أقحموا كنيستهم في هذا الميدان... لأن العقيدة المسيحية في صفائها الأول تبتعد عن الساسة وتترك ما لقيصر لقيصر... وما لله لله... بينما الإسلام يتصل بشؤونه الدنيا وينظم مبادئها وعلاقاتها، ففي الدعوة للعلمانية نوع من العودة لجوهر المسيحية في إيمان المسيحي، ولكن في العلمانية نوع من الافتقاد لبعض جوهر الإسلام في يقين المسلم.

فالدعوة للعلمانية منحازة لرؤية الأقلية الدينية على حساب رؤية الأغلبية ثم إن التاريخ الأوروبي عرف نوعاً من السلطان الدنيوي للكنيسة ورجال الدين... لدرجة أن البابا «غريغوريوس السابع» أعلن أن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله... وأنها تستمد نفوذها من الله مباشرة ومن غير حجاب... وأنها معصومة لا تخطئ ولا تضل أبداً... وأن الأمبراطور ليس كما يدعي أنه ظل الله في الأرض... لأنه إنما يعتمد على القوة الغاشمة... بل قد أراد ـ هنري الرابع ـ أن يستقل عن الكرسي الرسولي وأن يعين الأساقفة بنفسه... فعلم

بأمره البابا «غريغوريوس» فغضب عليه... وأصدر قراراً في سنة ١٠٥٧م يحظر على الملك هنري الرابع تعيين الأساقفة فرد عليه الملك المذكور بقرار آخر مضاد بإسقاط البابا عن كرسيه في روما... ولكن البابا أجابه بقرار مقابل يقضي بإلقاء «الحرمان» على الملك ومنعه من الحكم... وأحل جميع المسيحيين من الولاء المعقود له ويدعوهم ألا يعترفوا به كملك... فسرعان ما تقيد الناس بأمر البابا... فرأى الملك نفسه وحيداً منبوذاً... فاضطر في ١٠٧٧/١/٢٧م أن يذهب إلى قصر كانوسا حيث كان يقيم البابا غريغوريوس السابع... بعد أن ارتدى ثوباً من الشعر وانتظر على باب القصر راكعاً على الثلج حافي القدمين - تماماً كما طلب منه البابا - ريثما يأذن له البابا بالدخول... ليطلب منه غفران إساءته... وأخيراً أمر البابا بإدخاله... وبعد أن طلب منه العفو رفع «الحرمان» عنه... واعترف به كملك... فعاد وتولى عرشه ثانية.

بل أصبح لرجال الدين المسيحي محاكم خاصة... ولهم أملاك عقارية خاصة وسجون رهيبة... ويفرضون الضرائب على الشعب... وأصبحت الكنيسة دولة دينية داخل دولة مدنية... وأخذت تمنح «صكوك الغفران» لمن ترضى عنه... وتقطع مساحات شاسعة في الجنة لمن ترضى عنه أيضاً، وشنت حروباً دينية على المسيحيين المخالفين لعقيدتها حتى أنها في العام ١٥٧١م تم بفضل الكنيسة وتسامحها ذبح (١٠٠,٠٠٠) مئة ألف مسيحي بروتستنتي في ليلة واحدة، وراحت تنشئ محاكم التفتيش الطاغية... التي كان من أخف أحكامها الحرق والسجن المؤبد والنفي والتعذيب حتى بلغت ضحايا هذه المحاكم الدينية منذ القرن الثالث عشر حتى القرن الثامن عشر ما يزيد على تسعة ملايين نسمة.

ولهذا جاءت العلمانية لتقاوم هذا السلطان... وهو سلطان كان يمثل نتوءاً شاذاً في العقيدة المسيحية... بينما المجتمع الإسلامي لم يعرف في تاريخه سلطاناً لأي مؤسسة دينية يماثل سلطة البابوية الكاثوليكية في القرون الوسطى، فالأزهر مثلاً... له مكانة في نفوس المسلمين، وهو أكبر وأقدم مؤسسة دينية في العالم الإسلامي، ومع ذلك لم تكن له سلطة ما على الحكومات المتعاقبة في مصر، منذ عهود طويلة غابرة وحتى العصر الحاضر، ولو رجعنا إلى الثَّبت الذي نشره «مركز وثائق تاريخ مصر الحديث» عن النظارات والوزارات المصرية من أول هيئة نظارة العام ١٨٧٨م إلى قيام الجمهورية المصرية العام ١٩٥٢م يلاحظ أن أزهرياً واحداً أو ذا تعليم ديني لم يتول أي وزارة لأي مدة طوال ثلاثة أرباع القرن، اللهم إلا أربعة أزهريين... وهم الشيخان مصطفى عبدالرزاق وعلي عبدالرزاق والشيخ محمد فرج السنهوري والشيخ أحمد حسن الباقوري. وذلك من جملة عدد الوزراء الذين يبلغ عددهم في هذه الفترة (٢٩٨) وزيراً...

وهؤلاء الأربعة... لم يتولوا إلا وزارة الأوقاف... التي تشرف على الأوقاف الإسلامية وشؤون المساجد، ولم يحدث قط أن تولى شيخ أو ذو تعليم إسلامي ولا هؤلاء الأربعة السالف ذكرهم وزارة أخرى... حتى ولا الوزارات التي تصلح للثقافة الإسلامية ممثلها... كوزارة العدل التي تضم المحاكم الشرعية... أو وزارة المعارف.

وحتى وزارة الأوقاف التي أنشئت العام ١٨٧٨م وألغيت العام ١٨٨٤م ثم أعيدت العام ١٩١٣م، فإنه على مدار ٤٥سنة من وجودها إلى العام ١٩٥٣م لم يتولها وزير شيخ إلا هؤلاء الأربعة وباقي وزرائها وعددهم (٤٨) وزيراً كانوا مدنيين... وحتى هؤلاء الأربعة لم يزد مجموع شغلهم لها إلا نحواً من ست سنوات ونصف السنة، كما أن الشيخان مصطفى عبدالرازق وعلي عبدالرازق لم ترشحهما للوزارة مشيخة الأزهر... بل تولياها رغماً عن مشيخة الأزهر... فقد كانا أقرب إلى جيل المؤسسات الحديثة فكرية واجتماعية... إذ تلقى الأول قسماً من تعليمه في فرنسا... والثاني في انكلترا... وسلك كلاهما من الأعمال ما يبعدهما عن مؤسسة الأزهر... وكانا من ركائز الدعوة للتحديث الفكري بالمعنى الشائع في وقتها... وكان مركزها ومركز أسرتها في «حزب الأحرار الدستوريين» هو المرشح الأساسي لهما.... «ارجع لكتاب الحياة النيابية والأحزاب في مصر - تأليف جاكوب لاندو ص ١٧١ وترجمة سامي الليثي لتعرف حقيقة هذا الحزب».

وجملة المدة التي تولياها في الوزارة تبلغ نحواً من ست سنوات ونصف السنة... أما الشيخ فرج السنهوري فتولى الوزارة شهراً واحداً والشيخ الباقوري عشرة أشهر.

وبعد ثورة ١٩٥٢م اطّرد على نحو ما... تولى ذو تعليم ديني وزارة الأوقاف ووزارة شؤون الأزهر حسبما أضيف إلى اسمها... ولكن لم يجاوزها واحد من هؤلاء إلى غيرها قط. فالإسلام - كما أسلفنا - لم يعرف سلطة لهذه المؤسسة في تاريخه الطويل... كالتي كانت للكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى فلماذا نأخذ حلولاً لمشاكل ليست موجودة لدينا؟

أما بالنسبة للأمر الثاني: فتعني العلمانية لدى دعاتها: أن يقوم التشريع القانوني والدستوري في المجتمع والدولة على أساس غير ديني... ويشمل ذلك كل مجالات التشريع بما فيها الأحوال الشخصية للفرد والعائلة من زواج وطلاق ونفقات وما يتفرع من ذلك ويعود إليه.

وثمة سمة أخرى للدولة العلمانية متفرعة عن هذا الجانب التشريعي وهي أن القيم والأخلاق الدينية لا تعود موضع اعتبار واحترام من وجهة النظر الحقيقية للدولة... وإذا كانت أجهزة الحكم في بعض الحالات تتظاهر بالغيرة... فذلك فقط لإسكات الرأي العام إذا كانت لاتزال لديه بقية من الإحساس بالقيم والأخلاق الدينية.

ونقول: إذا ثار المصلحون وعامة الناس على الدين المحرّف وعلى رجال الدين المسيحي الذين أكلوا أموال الناس بالباطل وباسم الدين وطالبوا الكنيسة أن تلتزم حدودها المعروفة على عهد المسيح - عليه السلام - من تهذيب أخلاق الناس فحسب، وتطبيق مفهوم تعاليم الإنجيل «بترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله» إلا أن هذا الأمر لاينطبق - كما أسلفنا - بحال على الإسلام... لأن الإسلام جاء منظماً لجميع شؤون الحياة... وليس علماء الإسلام في الدولة الإسلامية إلا فئة اختصت ببعض الدراسات الدينية لهم ما للأمة... وعليهم ما عليها... ولا يفضلون أي فرد إلا بالعلم والتقوى.

وقد علق الإمام محمد الخضر حسين -

شيخ الجامع الأزهر ـ على مطالب بعض الببغاوات المرددين للفكر الغربي بقوله: «إن الذين يدعون إلى فصل الدين عن السياسة فريقان: فريق يعترفون بأن للدين أحكاماً تتصل بالقضاء والسياسة... ولكنهم ينكرون أن تكون هذه الأحكام كافلة بالمصالح، آخذة بالسياسة إلى أحسن العواقب... ولم يبال هؤلاء أن يجهروا بالطعن في أحكام الدين وأصوله، وقبلوا أن يسميهم المسلمون بالملاحدة.

ورأى فريق آخر أن الاعتراف بأن في الدين أصولاً قضائية وأخرى سياسية ثم الطعن في صلاحها إيذان بالانفصال عن الدين وإذا دعا المنفصل عن الدين إلى فصل الدين عن السياسة كان قصده مفضوحاً وسعيه خائباً ... فاخترع هؤلاء طريقاً حسبوه أقرب إلى اتجاههم وهو أن يدّعوا أن الإسلام توحيد وعبادات ويجحدوا أن يكون في حقائقه ماله مدخل في القضاء والسياسة... هذان مسلكان لمن ينادي بفصل الدين عن السياسة...» وفي معرض رده على أولئك المضللين من دعاة فصل الدين عن الدولة يقول: «وفي القرآن أحكام كثيرة ليست من التوحيد ولا من العبادات كأحكام البيع والربا والرهن والدين والإشهاد وأحكام الزواج والطلاق واللعان والظهار والحجر على الأيتام والوصايا والمواريث وأحكام القصاص والدية وقطع يد السارق وجلد الزاني وقاذف المحصنات... وجزاء الساعي في الأرض فساداً... بل في القرآن آيات حربية ... و ... وهذا يدلك على أن من يدعو إلى فصل الدين عن السياسة إنما تصور دينا آخر فسماه الإسلام...» وفي نهاية مقاله يبين فضيلته حقيقة الداعين للعلمانية في بلاد المسلمين بقوله: «فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين... ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين» ا.هـ. إذاً فحقيقة الدولة العلمانية وجوهرها تقومان على أن تكون شرعية السلطة السياسية فيها مستمدة من الشعب ... ومن ثم فإن هذه السلطة لاتستمد شرعيتها من الدين ... وأن يكون تشريعها قائماً على أسس غير دينية.

وهذا يعني: أنه بدلاً من أن يعود الناس أو السلطة الحاكمة في شأن وضع القوانين والشرائع المنظمة للمجتمع والدولة إلى الدين... يستوحون من مبادئه أحكامهم وشرائعهم ونظمهم، فإنهم يرجعون في هذا الشأن إلى عقولهم... أو عقول طائفة منهم، وما تراه هذه العقول ملائماً لمصالحهم بحسب إدراكها لهذه المصالح... الآنية والمستقبلية، فيشرعون لأنفسهم على ضوء إدراكهم هذا... وقد بينا في الصفحات الأولى من هذا البحث عدم مقدرة العقل على ذلك... لأن العقل قد يضل ويزل ويرى حسناً ما ليس بالحسن... فلابد له من هاد وحاكم وهو الشرع.

٢ ـ ومن شر وسائل الخداع والتمويه والتلبيس التي استعملت لإيجاد المناخ الذهني والنفسي الملائم لغرس العلمانية في المجتمع الإسلامي... ترويج المفهوم الغربي المادي للدين، وهو المفهوم الذي يعتبر الدين شأناً شخصياً كشؤون الإنسان الأخرى الروحية والنفسية والعقلية، ولا شأن له ولا علاقة بالحياة ونظمها، والمجتمع وعلاقاته، فأدخلوا في أسس الثقافة الجديدة للمسلمين مفهوم... دين ودنيا... وإذا كان الدين حسب مفهومه الغربي المادي شأناً شخصياً ذاتياً بحتاً، لا شأن له بالحياة والمجتمع فإن «الدنيا» تنظم خارج إطار الدين ونظمه وتعاليمه تنظم بالعلمانية.

وهذا المفهوم مضاد للمفهوم الثقافي الإسلامي في هذه المسألة، فالدنيا حسب المفهوم الإسلامي لاتقابل الدين... وإنما تقابل الآخرة... فيقال: دنيا وآخرة... والدين ينظم حركة الإنسان في الدنيا ليتحقق له المصير الحسن في الآخرة... والدنيا في الإسلام مزرعة الآخرة.

٣ ـ ومن حججهم الرئيسة أيضاً قولهم: إن هناك طوائف دينية تعيش معنا في الوطن، فتعصب الدولة لدين معين كالإسلام مثلاً... يضر بمصلحة الطوائف الأخرى... فالعلمانية تبدو في ظاهرها صيغة محايدة... لأنها تستبعد كلاً من الإسلام أو المسيحية أو اليهودية عن شؤون الدنيا... وتقيم النظم على أساس لا يمت لها بصلة ولكن استبعاد الدين عن تنظيم المجتمع لا ينتقص من المسيحية واليهودية كعقيدة، بينما هو ينتقص من الإسلام بعض جوهره... كما ألمحنا فيما سلف فتحكيم العلمانية هنا... من شأنه أن يسفر عما أسفر عنه التحكيم الشهير للأشعري وابن العاص، ثم أن الطوائف غير الإسلامية... واليهود بالذات... عاشوا أزهى عصورهم في الدولة الإسلامية والعربية... فكان منهم الوزراء وأرباب المناصب العالية.

وهذا ما حدا بالشاعر أن يقول في اليهود:

يهود هذا الزمان قد بلغوا

غاية آمالهم وقد ملكوا

العز فيهم والمال عندهم

ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر إني قد نصحت لكم

تهودوا فقد تهود الفلك

فالطوائف غير الإسلامية عاشت أزهى عصورها في دولة المسلمين إذ كانت معظم المناصب الرئيسة في أيديهم.

فالإسلام لم يضر بمصلحة الطوائف غير الإسلامية في المجتمع الإسلامي، والإسلام الذي حكم بلادنا طيلة ثلاثة عشر قرناً لو كان يضطهد الأقليات الدينية... أو كان يقيم محاكم تفتيش... لما بقي في بلادنا مسيحي أو يهودي واحد.

إذاً فالهدف الحقيقي من المناداة بهذه الفكرة... فكرة العلمانية هو فصل الدين عن الدولة في بلاد الإسلام... بعد أن تم فصله في الدولة المسيحية... لإبعاد الدين الذي هو بمثابة حجر عثرة في سبيل أبناء الأقليات الدينية في المجتمع الإسلامي، والذي يحول دون تحقيق ما يحلمون به من أهداف... لذلك تضافرت جهود النصارى والماسونيين على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم الحزبية من قومية وأممية... وأخذوا يطالبون بعلمانية الدولة تمهيداً لعلمانية المجتمع... وغير مستغرب منهم ذلك... إذ ليست عندهم عقائد ثابتة يحرصون عليها... وأهم شيء عندهم هو إبعاد المسلمين عن دينهم وتصوراتهم... ليصبحوا حيارى لادليل لهم... عليهم من ثياب الذل ألوان...

وبعد: بقيت لنا كلمة أخيرة نهمس بها في أذن المنادين بالعلمانية في عالمنا العربي... هل نجحت العلمانية في تركيا... وهل أصبح المواطن التركي بعد حوالي نصف قرن من فرض أتاتورك للعلمنة علمانياً... وهل تغيرت نظرته إلى اليوناني والأرمني... هل زال التخلف الروحي والثقافي والحضاري عن

تركيا بمجرد ترجمة القانون المدني السويسري والقانون التجاري الفرنسي... إلى اللغة التركية... وتطبيقهما ضمن التراب التركي.

وهل أزالت العلمانية الخلاف بين الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندا وكويبك وغيرهما في المناطق الساخنة في العالم الأوروبي... وهل أفلحت العلمانية في تقريب الفجوة بين السيخ والهندوس والمسلمين وبقية الطوائف في الهند... وهل انتشلتها من وهدة الجوع والفاقة.

إن البلاد التي طبقت العلمانية منذ فترة طويلة في أوروبا وأمريكا تجد الإنسان المعاصر فيها يعيش أزمة نفسية حادة بلغت إلى أقصى حد من التوتر والقلق... وأصبح يشعر بالضياع والضآلة إزاء هذا التقدم العلمي والتكنولوجي السريع، ولم يعد يدري تماماً أين المصير... والأخطر من ذلك أن هذا الاختلاف الواضح بين التقدم في الميدان التكنولوجي وبين الركود والتقدم البطيء في ميدان القيم والوعي الديني الصحيح، قد تسرب أثره إلى الجامعة ومراكز البحث، فالإنسان الأوروبي المعاصر... في حال فكرية مريضة بداء الغربة والغثيان والعبث والتمرد واللامعقول والمادية.

وليست حركات الشباب المتمرد على المجتمع وقيمه ومثله الدينية كجماعة الهيبز والجملر والتافهين وغيرهم إلا تعبير عن هذه الحال ... فأصبحت أغلب المجتمعات الأوروبية مستنقعات بشرية وأوحال إنسانية... لا تحيا فيها إلا الشهوات الرخيصة... واللذات الجسدية الفانية والنزعات الجنسية الهابطة، هل هذه حضارة... هل هي معرفة... كلا... بل إنها عذاب في الدنيا... قبل عذاب الآخرة... إن ما يمر به الغرب الآن تفسير لقوله تعالى: (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) وقد تنبأ كثير من المفكرين أمثال «توينبي» و«كولن ويلسون» بسقوط هذه الحضارة... بل كتب أحدهم كتاباً أسماه «سقوط الحضارة» ثم إننا نجد الكثير من كبار مفكريهم الباحثين عن السعادة... يتوصلون بعد دراسة جادة... إلى الإسلام... فيقبلون على المنهج الإسلامي للحياة... ويرون فيه منجاة من كل ما يعانونه من عذاب نفسي... ويعيشون فيه من خوف وخطر، لذلك رأى دهاقنة الاستعمار في الإسلام خطراً على مصير زعاماتهم وحضارتهم... فحركوا ذيولهم لتقويض أركانه... والقضاء على أتباعه ودعاته ومراكزه... خصوصاً بعد إقبال الشباب المسلم في العالم الإسلامي على الالتزام بتعاليم الإسلام... ذلك أنهم توجسوا خيفة على مستقبلهم في هذه الدول التي استيقظ فيها الشباب المسلم وبدأوا يحسبون للإسلام كل حساب.

ولقد كان ذلك أخطر في عيونهم من أي تيقظ ديني في الغرب وبلدانه... حيث لا يصيبهم ضرر بما إذا عمَّ هذا الوعي هناك... لذلك فإنهم لايبالون بالمجهودات الدعوية التي تبذل في عواصم الغرب... كما يقلقون للصحوة الدينية في دول العالم الإسلامي... نظراً إلى ما يرتبط بها من مصالحهم السياسية والاقتصادية والحضارية كذلك، واعتقاداً منهم في أن أرض الغرب قد نبت بتلك المصالح، ولم تعد صالحة للنمو والازدهار بحكم الطبيعة الفكرية السائدة.

ومن هنا كان للغرب وأعوانه... صولات وجولات في العالم الإسلامي بكامله، فظهر في جميع أجزائه وبلدانه بوجه كالح... يزرع بذور الخلاف والحقد في نفوس الناس، ويثير الفتن والمشاغبات بين المسلمين، لأن الفرقة والانشقاق هما الطريق الوحيد للتوصل إلى الغرب المطلوب، وهو ألاّ يستطيع الدين من القيام بدوره في المجتمعات الإسلامية، ولم يقتصروا في حسر طاقة الدين وأثره في نطاق ضيق محدود... بكل ما أمكنهم من قوة الوسائل السريعة النفوذ، بل حشدوا جميع طاقاتهم وإمكاناتهم لتغيير مفاهيم الدين وإثارة الشكوك في أصالته... وزرع الشبهات في نفوس أفراده حول صلاحية البقاء والعمل في هذا العصر، والمتفوق في علومه التجريبية وصناعته المدهشة وتقنيته السريعة التي غطت جميع مناحي الحياة، ثم شغلوا المسلمين في كل بلد بمشكلات سياسية واجتماعية كثيرة وجعلوهم من العجز والتخلف بحيث لايستطيعون منه أن يرفعوا رؤوسهم إلى عمل بنّاء فضلاً عن تطلعهم إلى مكانة القيادة العالمية... ثم ركزوا على كبت الشخصية الإسلامية، وطمس معالم الدين البارزة وخصائصه وسماته البيّنة أكثر من أي شيء آخر، لأنهم يعلمون عن تجارب عملية... أن أيسر طريق للقضاء على أمة، هو قطع علاقاتها عن تاريخها وماضيها... وفصلها عن خصائصها وسماتها وتهوين شأن العقائد والقيم الإيمانية التي يقوم عليها بناؤها الخلقي والاجتماعي... ولكن العودة الملحوظة نحو الدين... وصحوة شباب الإسلام في معظم دول المسلمين وخارجها... بعثت يأساً كبيراً في نفوس زعماء الهدم والفساد... وقد جُن جنونهم آخر الأمر... فالتجأوا إلى إشعال نار الحروب بين الدول الإسلامية الشقيقة التي أهلكت الحرث والنسل.

إلى غير ذلك من الحقائق الصارخة التي يشاهدها كل ذي عينين: ولا يصعب عليه أن يدرك النوايا التي تختفي وراءها... وماذاك كله إلا لأن الإسلام طفق يخرج من زاوية الخمول... وأخذ يتطلع إلى منصة القيادة العالمية... ويتحدى القيادات المادية والفلسفات العالمية أن تأتي بمواصفات السعادة الحقيقية للإنسان، في هذا العالم الحديث... كالتي يأتي بها الإسلام... والتي لن يجدوها إلا في الإسلام.

ويوم يكتشف الوعي الإنساني حاجته إلى المواءمة بين تقدمه المادي والروحي... سيجد الإسلام في انتظاره... يمنحه حضارة المادة... وحضارة الروح... ويهديه إلى سواء السبيل، وعلينا أن نتذكر أن دورنا مع حركة التاريخ وصنع الحضارة لا يزال قائماً، وأننا أغنياء جداً بما لدينا من تراث... لا نحتاج إلى جيف الشعارات التي يأتينا بها المهزومون فكرياً من أبناء أمتنا، غير أن ذلك لا يمنعنا أن نفيد من كل فرص التقدم النظيف من دون أن نسلم رقابنا للأغلال... ودينننا للضياع... وعلينا أن نؤمن بأن الإسلام الذي نحمل لواءه لم ينته ولن ينتهي دوره في ترشيد الحياة وهداية البشر، كما لن تنتهي حاجة البشرية له... كما وعلينا أن نعمق إيماننا بأن الإسلام: دين ودولة... حق وقوة... ثقافة وحضارة... عبادة وسياسة... ولعل ما أوردناه في هذه العجالة يردع الجاهلين ويخجل المتشككين... والله متم نوره ولو كره الكافرون. ■

دراسات أدبية

الأدب الإسلامي ودين الأديب ٢/٤

هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً؟

طبيعة الالتزام الإسلامي

تحدث الكاتب في الحلقة الأولى عن الفرق بين الأديب المسلم والأديب الاسلامي وماهي شروط المسلمية في الأديب وفي هذا العدد يتحدث عن طبيعة الالتزام الاسلامي والشبهات التي يثيرها أعداء الاسلامية تجاه الالتزام في الأدب الاسلامي.

بقلم الدكتور: جابر قميحة . أستاذ الأدب العربي

إن انطلاق الأديب المسلم من هذا «التصور الإسلامي» في إبداعاته يعني أنه «أديب ملتزم»، والتزام الأديب المسلم هنا يختلف عن الالتزام بمفهومه الشيوعي أو الوجودي الذي يعد من قبيل «الإلزام». إن التزام الأديب المسلم ـ كما يقول الدكتور هدارة ـ يعد جزءاً لا يتجزأ من عملية الإلهام الفني وليس خاضعاً لعنصر الاختيار الواعي المتعمد... جزءاً من نسيج التجربة التي هي لب الأدب، وكأن الالتزام في الأدب الإسلامي يعني تجارب حية في وجدان الأديب المسلم وفكره اللذين تشربا التعاليم الإسلامية، بحيث صارت هذه التعاليم وحدها مراداً طبيعياً لتجاربه التي تتسع لكل معاني الوجود والحياة»(١٤).

فالتزام الأديب المسلم إنما هو استجابة لفطرته السوية من ناحية وتشربه القيم الإسلامية عقيدة وديانة وعلماً وثقافة من ناحية أخرى حتى أصبحت هي «ميزان» الأشياء في كل شؤون حياته، وأصبح «الالتزام» شكلاً وموضوعاً ـ هو الطابع الأساسي، بل الوحيد في مسلكه الخلقي والفني، وما عداه يعد نشوزاً وخروجاً على الأصل النبيل الكريم.

وحتى يكون «منبع الالتزام» غنياً ثراراً دائماً كان على الأديب المسلم أن يكون موصولاً دائماً بأنقى وأطهر موردين: القرآن الكريم وسنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم عليه «الاتصال بالمؤلفات الموثوقة في نطاق الثقافة الإسلامية المبنية على هذا الأصل، ومن هنا كان فرضنا على من يريد العمل في نطاق الأدب الإسلامي أن يتشبع بهذه المناهل كي يظل في مسيرته على الطريق اللاحب فلا يزيغ بصره عنها ولا يطغى.(١٥)

وهنا يثير أعداء «الإسلامية» شبهات متعددة تتعلق بالالتزام في الأدب الإسلامي نعرض لها بإيجاز شديد منها أن الالتزام Commitment اصطلاح مستحدث مرتبط بالآداب الأيديولوجية كالأدب الشيوعي والأدب الوجودي، وهذا يعني ارتماء الأدب الإسلامي منهجياً في أحضان هذه الآداب.

وهذا غير صحيح لأن الكلمة عربية في مبناها قديمة قدم الأدب الإسلامي في معناها، حتى على مستوى أوسع «نرى الالتزام الأدبي والفني عموماً ـ ليس أمراً جديداً في عالمنا الحديث لكي يكون حكراً على هذا المذهب أو ذاك، إنه موغل في القرون البعيدة. ويكفي أن نذكر شاعرين مسلمين هما حسان بن ثابت وقطري بن الفجاءة».(١٦)

وظل الالتزام طابعاً ومنهجاً للأدب منذ أيام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى الآن، وكان الخروج عليه موجباً للتوقف والاستغراب.

وقد يذهب بعضهم إلى أن الأديب المسلم بهذا الالتزام يتنازل عن قطع كثيرة من حريته ويحصر نفسه في نطاق ضيق من الموضوعات والأديب من دون حرية ـ كما يقول الدكتور غنيمي هلال ـ يفقد أصالته فيسخّر أدبه للدعاية أو يلبي فيه نداء خارجاً عن نطاق ضميره ووعيه

الإنساني فيصير هو أداة يحاول بها استعباد قرائه وتسخيرهم وهذا هو ما يتردى به الأدب في دائرة «الاستلاب» حيث يصير الأدب غريباً عن نفسه، مملوكاً لغيره، فيفقد بذلك جوهره(١٧).

والحرية بالمفهوم الإنساني لا يقف أمامها الإسلام، وليس هناك في عالم الواقع حرية مطلقة بلا ضوابط، وإلا تحولت من حرية بانية إلى فوضوية مدمرة كما أن التزام الأدب بالمفاهيم الإسلامية «لا يضيّق رقعته، ولا يضيّق حدوده، بل على العكس من ذلك يوسّع الرقعة ويوسّع الحدود حتى تشمل الكون كله، والحياة كلها، والإنسان في أشمل نطاق يمكن أن يخطر في حس الإنسان»(١٨).

ومن ثم نستطيع أن نقول: إن كل ما خلق الله من مشهود ومغيّب في الأرض والسماء وعالم الإنسان والحيوان والروح والطبيعة... إلخ كلها موضوعات معروضة للأديب المسلم بلا حرج ولا تحديد... مادام يعالج موضوعاته من خلال «تصور إسلامي» شريف والأمثلة في هذا المجال أكثر من أن تحصى.

مع آيات الشعراء ...

ونستطيع - في سهولة - أن ندرك طبيعة هذا الالتزام الإسلامي وأبعاد شخصية الشاعر المسلم الملتزم في ختام سورة الشعراء «فقد نزل قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون)(١٩)»، فنحن أمام صورة مزرية لشعراء مرفوضين من وجهة النظر الإسلامية لأنهم :

- بشعرهم الضال يستهوون الغواة «ذوي الغي»، ومن معاني الغي الجهل وفساد العقيدة والخيبة والفساد والضلال(٢٠)، فكلمتهم نافذة مدمرة سيئة التأثير.

- وهم يهيمون أي أصحاب هيام، والهيام في اللغة داء يأخذ الإبل من العطش ويضرب به المثل فيمن اشتد به العشق، يقول الراغب «في كل وادٍ يهيمون» أي في كل نوع من الكلام يغلون في المدح والذم وسائر الأنواع المختلفات، ومنه الهائم على وجهه: المخالف للقصد، الذاهب على وجهه.(٢١).

- وهم منافقون أدعياء يقولون مالا يفعلون ويظهرون خلاف ما يبطنون، إنها صورة تمثل الشاعر الممسوخ عقيدة وفكراً ورؤية وتأثيراً.

ويروى أن هذه الآيات الثلاث نزلت لأن رجلين تهاجيا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء.

وحزن الشعراء «الملتزمون» من أمثال حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك فقالوا يا رسول الله، لقد نزل ما نزل وإن الله يعلم أنَّا شعراء، إذاً هلكنا، فنزل قوله تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)(٢٢).

وفي الآية صورة للشاعر المسلم كما يجب أن يكون، فحتى يكون جديراً بهذا النسب عليه أن يتصف بما يأتي :

١ - الإيمان القوي المتين.

٢ - العمل الصالح والسلوك السوي.

٣ - الإكثار من ذكر الله.

٤ - الانتصار من الظالمين.

وهي صفات طيبة شاملة متكاملة تمتلئ بها نفس الشاعر المسلم في جوانبها الأربعة العقدية والسلوكية والروحية والنفسية: إيمان قوي صادق، وعمل صالح، وقلبٍ صافٍ عامرٍ بذكر الله دائماً، وعزة واستعلاء بالحق، وإباء للضيم وتحديه والانتصار عليه.

وقد استطاع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمبادئ الإسلام السمحة أن يحول الطاقة الشعرية عند الفئة الأولى من الشعراء إلى الطريق السوي طريق النور والخير والتقوى والتسامح وهو يشبه ما يسميه علماء النفس في عصرنا الحاضر بإعلاء الغريزة والسمو بها (SUBLIMATION)، ويصدق ذلك بوضوح على واحد من هؤلاء هو عبدالله بن الزبعرى الذي يعد من أشعر شعراء قريش، وكان من أشد الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى أصحابه بلسانه ونفسه، ولما فتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة هرب ابن الزبعرى إلى نجران خوفاً من النبي - صلى الله عليه وسلم.(٢٣)

ويظهر أنه كان مطبوعاً على الهجاء، عدواني السلوك حتى على قومه المشركين، يدل على ذلك واقعة خلاصتها أن الناس أصبحوا يوماً بمكة وعلى دار الندوة مكتوب :

ألهى قصيا عن المجد الأساطير

ورشوة مثل ما ترشى السفاسير

وأكلها اللحم بحتاً لا خليط له

وقولها رحلت عير مضت عير

فأنكر الناس ذلك الهجاء «المجهول القائل» وقالوا: والله ما قالها إلا ابن الزبعرى، وأجمعوا على ذلك رأيهم وكادوا يقطعون لسانه.(٢٤)

فهذا الهجاء المكتوب بليل، والذي لا مبرر له، حيث لا ثأر ولا منافرة ولا خلاف في الدين والمعاش، وإجماع قريش على أن مثل هذا البذاء الفاحش لا يأتيه إلا ابن الزبعرى، كل أولئك ينم عن «نفسية عدوانية» بالطبع، ويفسّر لنا سلاطة لسانه وفحشه على المسلمين والإسلام ومحمد - صلى الله عليه وسلم.

فلما أسلم ابن الزبعرى «سما »الإسلام بطاقته الشعرية القادرة، فصار لسان صدق وحق في الدفاع عن الإسلام، وحث المسلمين على الجهاد، ورثاء من استشهد منهم، ومن أجمل ما نظم ما قاله مخاطباً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد إسلامه :

يا رسول المليك إن لساني

راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجاري الشيطان في سنن الغي

ومن مال ميله مثبور

أمن اللحم والعظام بما قلت

فنفسي الشهيد أنت القدير

إن ما جئتنا به حق صدق

ساطع نوره مضيء منير

جئتنا باليقين والبر والصد

ق، وفي الصدق واليقين سرور

أذهب الله ضلة الجهل عنا

وأتانا الرخاء والميسور(٢٥)

والصفات التي ذكرتها الآية الأخيرة من سورة الشعراء تمثل - كما ألمحت - سمات الشاعر المسلم «الملتزم» في صورته السوية المثلى، والأديب - كما يقول الدكتور عدنان النحوي - إذا لم يكن رجل إيمان وعقيدة وعمل صالح وذكر لله ونصرة للحق، ورفع للظلم عنه وعن غيره... فإن المعاني تختلط لديه وتضطرب، والتصورات تتعارض وتتناقض، حيث لا علم في منهاج الله يضبط، ولا تربية دين تكبح.(٢٦)

وكل ذلك حق لا مرية فيه، فالشاعر المسلم لا يكون ملتزماً إلا إذا توافرت فيه هذه الصفات، ولكن المشكلة الحقيقية تتمثل في «التحقق» من توافر هذه الصفات وصعوبة - إن لم يكن استحالة - الوصول به إلى نتائج حاسمة، وهي قضية أعود إلى استيفاء القول فيها في الفصل الأخير من هذا البحث.

ولكني أقرر هنا حقيقة يجب أن نواجهها بشجاعة، وهي أننا مضطرون في تقويم الإبداع والمبدع بالأخذ بمعيار «مسلمية الهوية» وإلا هل سأتوقف عن الحكم على إبداع الأديب «المسلم» الذي توافرت له كل ملامح الأدب الإسلامي - حتى أتحقق من صحة إيمانه وعمله الصالح وسلوكه السوي... إلخ؟

دعوة إلى السماحة والمرونة

وأرى في هذه المرحلة من مراحل بزوغ الأدب الإسلامي ورابطته أن تتسم مواقفنا النقدية - نحن الإسلاميين - بشيء من السماحة والمرونة، بحيث لاينال من الثوابت والطروحات الجوهرية المتفق عليها، ومن ثم لا نمانع في أن يصدق مصطلح الأدب الإسلامي على كل قصيدة نظمها أبو نواس في الزهديات وما نظمه شوقي في المناسبات الإسلامية - وهو المعروف بمعاقرته للخمر، لأن الشاعر مسلم الهوية ولأن مضمونها يتفق، بل يعبر عن التصور الإسلامي.

ولكن الشاعر لم يكن إسلامي السلوك!!

هذا صحيح، ولكني أحكم على قصائد معينة محددة لا على أعماله الكاملة، ولا على شخصيته بالمفهوم الشمولي، فلم أزعم أنه «شاعر إسلامي» كحسان بن ثابت، وعمر بهاء الدين الأميري.

ثم لأن الشاعر نظمها - على الأرجح - لا في وقت يقظة فطرية فحسب، ولكن في لحظات إشراق نفسي إيماني انتصرت فيه النفس اللوامة على النفس الأمارة بالسوء، ولو إلى حين.

هذا ما يبدو من ظاهر النص، وما يعكسه هذا الظاهر على الأقل، وهذا الحكم لا يحجر طبعاً على حق الناقد المسلم في استبطان النص وتعمق جوانياته، وبيان ما فيه من صدق فني وحرارة في الشعور، وأمانة في التجربة، ومكان هذا النص بين إبداعات الشاعر... إلخ مما يدخل في نطاق الدراسة المتخصصة، أما في مثل حالنا هذه فنحن في مقام توصيف نص، محدد أبدعه «مسلم»، وانطلق من تصور إسلامي، واحتضن مضامين إسلامية، والشاعر بعد ذلك حسابه على الله.

أما صفة الأديب الإسلامي: فلا يطلق هذا الوصف على أي أديب مسلم نظم قصيدة أو قصيدتين، أو كتب قصة أو قصتين انطلاقاً من التصور الإسلامي، ولكن يقتصر الوصف على من غلبت «الإسلامية» على إبداعه مثل عمر بهاء الدين الأميري ونجيب الكيلاني.

وتفادياً لإثارة الحساسيات التي نحن في غنى عنها، لاداعي لأن نطلق صفة «أديب غير إسلامي» على مبدع يسير في الخط المناقض مادام مسلماً ولو «هوية» فقط، بل نصرف الوصف إلى شعره، فنصف شعره أو بعضه بأنه «خارج» أو ساقط أو مجافٍ للإسلام... إلخ.

ولعل هذه الوجهة تعفينا من بعض الإشكاليات التي يثيرها المعارضون للأدب الإسلامي مصطلحاً ومضموناً ومنهجاً. ■

المراجع

١٤ - د. محمد مصطفى هدارة: الالتزام في الأدب الإسلامي ٢٠ (بحث مقدم لندوة الأدب الإسلامي المنعقدة في الرياض في ١٦/٧/١٤٠٥هـ).

١٥ - محمد المجذوب: أدب ونقد ٥٠.

١٦ - من حوار للدكتور عماد الدين خليل مع رشدي عبيد: مجلة الأدب الإسلامي م٤ العدد ١٣ - من ص ١٤ إلى ص ١٩.

١٧ - د. محمد غنيمي هلال: قضايا معاصرة في الأدب والنقد ١٤٧.

١٨ - محمد قطب: منهج الفن الإسلامي ١٣٨.

١٩ - الشعراء: الآيات ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦.

٢٠ - انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٣٦٩.

٢١ - المرجع السابق ٥٤٧.

٢٢ - الشعراء ٢٢٧ انظر السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول ١٦٤.

٢٣ - ابن الأثير: أسد الغابة ٣/٢٣٩.

٢٤ - ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١/٢٣٦.

٢٥ - أسد الغابة - السابق ٣/٢٣٩، وانظر جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإسلامية: ٣٠ - ٣٣.

٢٦ - الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ١٢٠.

يتبع

خاطرة

عقـم الأفئـدة

بقلـم: محـمـود علـي عبدالرحمـن

من الحقائق الراسخة رسوخ الجبال والتي لامراء فيها ولاجدال، ان هناك توأمة أزلية بين العلم والإيمان، وأن تناسباً طردياً تتسم به العلاقة بينهما، فلا جرم أن تعمق الإنسان في المعرفة، وبلوغه أعالي بحار العلوم، ومن ثم صيرورته عالماً إنما يقوي لديه بواعث الإيمان ويرسخه، فيسمو به لآفاق أرحب، وسمو أرفع، وإلا فكيف نفسر قول الحق جل وعلا (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر/٢٨.

وما من شك أن غزارة التحصيل العلمي، والإغراق الواسع لأدق تفاصيل المعرفة في علم من العلوم، لأمر جدير باحترام العقل وتقدير صاحب العلم، ولكن مايؤلم النفس – حقا– أن علوماً بهذه الغزارة والعمق، وعقولاً بلغت شأوا عظيماً من الاستنارة ومعرفة قد استطالت أدق الحقائق وأدق الدقائق، فشلت في أن تفرز حقيقة ايمانية واحدة تفتح مغاليق قلوب موصدة، فالأمر إذن يشوبه خلل جسيم.

والحق أن قاعدة إشباع الشيء معرفة، ومن ثم وضعه في مجال التطبيق السلوكي لقادرة على أن تغير حياة الإنسان حين تأسن، بل هي قادرة على أن تنأى بحياة المجتمع البشري كله عن الجهل والعبث والتخلف، وترتقي بها إلى أرحب آفاق العلوم وأسمى مستويات الحضارة(١) ومن ثم تحقيق سعادتها وأفول شقوتها.

ولاغرو أن يصطبغ هذا العصر بالعلم، وأن ينعت بالمعلوماتية فهي صبغة ذات مغزى، وتسمية ذات معنى، فالثورة المعلوماتية الحاضرة لاينكرها إلا جاحد، وقد بلغت آفاقاً هائلة من المفترض أنها لخدمة الإنسان، ورقيه، وتحقيق رفاهيته، لا لتهديد أمنه ،وتقويض كيانه، وحفر قبره بيده.

ومن عجب أن إنسان الفطرة، وهو لم يؤت ببسطة في العلم حينذاك، وكانت مفردات حياته غاية في التواضع، وقمة في الجمود، قد أنطقت بعر البعير، وأثر المسير بأكمل مراتب الايمان وأعظمها، فكانت أصدق تعبير عن خلجات نفس لا يكتنفها بهرج كاذب، وقلب لم يكسه الران، فبلغ بها الأعرابي– صحراوي الطبيعة، بدوي المعيشة – غايات سامقة، وقمما شاهقة.

وعالم هذا العصر بما آتاه الله من بسطة في العلم والمال، وأتاح له من المعطيات والبراهين مالايقع تحت حصر، من أسف أن سفينة العلم قد جنحت به ولم تصمد أمام أمواج نفس جامحة الظنون، وقصرت عن بلوغه شاطىء الإيمان، فازداد قلبه المربادُّ سوءاً ،فما أتعس شقوته، وما أعمى بصيرته. ولله در القائل.

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

فـقـد قـرعـت الآذان وشـخـصـت الأبصار، وتبارت الأقلام بين التهليل والتهوين، والرفض والتأييد، لتلكم التجارب المضنية التي تمخضت عن أغلى نعجة في العالم من دون تلقيح طبيعي، وسارعت بعض الدول إلى سن تشريعات مانعة خشية أن يطال هذا الخبل العلمي بني آدم، فتكون الطامة الكبرى، وقد أحسنوا بذلك صنعاً.

وايم الله... إن أناساً وهبهم الله العقل في أبهى صورة، وأسبغ عليهم صنوفاً شتى من المعرفة، وأغدق عليهم من العطاء الرباني، ثم يسخرون ما أوتوا لإغراق البشرية بسيل منهمر من المشاكل الحاضرة والمستقبلية، لهم حقاً جديرون بالفناء.

وإن علما بلغ هذا الشأن، لايرقى بصاحبه لأسمى درجات الإيمان، وأقوى مراتب اليقين، لهو علم دوني، لاقيمة له ولاخير فيه، فهل هم حقاً علماء؟!

وإن كانوا كذلك.. فأين خشية الله؟ أم على قلوب أقفالها!

فلكم نرجو.. وكم نطمح، ان يصلوا بكمٍّ بحوثهم، وجمٍّ تجاربهم إلى مايزيح ظلمة القلوب وعمى البصائر، حتى يحل بها نور الإيمان، ليتحللوا من براثن الغي والضلال ،وساعتئذ ستأتي ثمار علومهم بلا تصادم مع نواميس الكون ومبادىء الأخلاق وشرائع السماء، وسنشهد لهم أن العلم قد أوتي أكله، كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه.

فهل سيفلحون ولو بعد حين؟ أم أن عقم الأفئدة أبعدُ من أن تطوله تجاربهم؟! لعل الأيام حُبلى بالعديد من توائم الخير.. فلننتظر. ■

الهوامش

١– شاكر عبد الجبار. الله يخاطب العقول ص/٢٤

قصة قصيرة

«الموسم» وصرفونا على أمل العودة إلى موسم جديد... عادت إليَّ وحشتي... وعدت إلى التشرد والبطالة من جديد.

ومن خلال عزلتي اجتاحني حنين جارف إلى مجالسة الناس... محادثتهم... ممازحتهم... مخاصمتهم حتى!... أناس حقيقيين... أكلمهم فيفهمون عني.. ولكن من أين؟!... ومن يقبل أن يحادث طبالاً؟... بل من يهتم بمثلي أصلاً؟!... معهم حق... ولو عرفوا درب التزلف الذي سلكته حتى أقبل طبالاً... ولو جربوا يوماً من زمن التسكع والتشرد الذي عشته قبل أن تؤويني «حانة!...»

الخافق المحلِّق...

● بقلم: محمد مكين صافي

يوماً ما كنت طبالاً... أنام حتى الغروب ثم أصحو لأزدرد بعض اللقيمات وكوباً مترعاً بالقهوة، ثم أغدو إلى حيث أمضي الليل حتى صباح غد يكون مرهوناً برضى «السيدة» أو سخطها؟...

ومنهكاً كنت أعود في ليالي الأولى... كفاي متورمتان... والنبض في صدغي يكاد يتصدع... وفي نفسي طعم للمرارة يغري بالغثيان... ورؤية الناس يترنحون يخفي أعماقي فما تستقر ولا ترتاح...

ولكن الأيام عودتني... وتسربت البلادة شيئاً فشيئاً إلى نفسي... حتى صرت أمارس عملي وكأني انظر إلى لا شيء... وأبتسم لأناس لا أكاد أراهم... وتمرست أصابعي ألا تتعب، ونبضي ألا ينفجر... واستمرأت نفسي المرارة مادامت البطالة أمر منها وأقسى... وغدت رؤية الناس يترجرجون شأناً خاصاً بهم لا يجب أن التفت إليه أو يثير استيائي... حتى أنني لما انفض

ولكنهم لا يعلمون... لقد أقاموا الدعوى وأطلقوا الحكم... ورفعت الجلسة!

لكنني وجدتُ نفسي مدفوعاً بإحساس خفي نحو ورشة جارنا الميكانيكي... ولم أدر حين رفع رأسه وحيّاني أن شيئاً مهماً سيحدث لي... ولما دخلت وسمعته يقول: «أنا أعرفك من زمن... ولو أنك شحيح بزياراتك لنا...» لم أحس منها بأكثر من بداية مشجعة تصلح لقضاء عدة أيام بعيداً عن التسكع ريثما يعود

«الموسم» للاشتعال من جديد... وأحببت أن اطمئن إن كان يقبلني رغم ما يعرفه عني... فابتسم وقال: «سامحك الله... وكأن هذه الورشة ملكي... يا أخي نحن كلنا عيال الله... وأحبنا إلى الله أنفعنا لعياله».

أعجبتني كلماته... وتمنيت لو كنت مكانه... إذاً لكنت فكرت مثله، ولحملت للناس مثل الود الذي يحمل... ولأمكنني أن أخاطب الناس كما يفعل بلغة حلوة راقية... ولكن كيف؟!

وكنت كلما عاشرته أكثر أحس بالانجذاب نحوه رغم ما في سلوكه من أشياء تحيرني... كان منهمكاً في آلة يصلحها... يتلقفها بين يديه كأنها مولود مليء بالحياة... يقلبها بأنامله بحنو... ويمسح عنها الوضر بعناية وإشفاق ويصبر عليها إن استعصت... ولا يتركها إلا ريثما يؤدي صلاته ويسبح ربه، وربما بات ليلته إلى جوارها، إذا رابه منها ما يدعو إلى القلق... حتى أشفقت عليه من الجهد البالغ الذي يبذله، فكان يهز رأسه ويقول: «الجهد؟!... ومن منّا لا يجهد... (لقد خلقنا الإنسان في كبد) المهم ماذا قدمنا للحياة حتى نستحقها... أو ماذا قدمنا لآخرتنا حتى ننجو...».

ورغم ما في كلماته من منطق مقنع بسيط إلا أنني كنت أعود إلى نفسي وأقول «مرتاح ... يتكلم من واقع يومه الهادئ الرضي... ولو جرب شيئاً مما جربته لغادرته كل هذه المثاليات التي يتعلق بها!...»

وحسبت أنه يكسب من الناس الشيء الكثير لقاء ما يبذل ليرضيهم، فقد كان يهتم بمصلحتهم وبقضاء حاجاتهم كأنهم إخوته... ويصبر على نزقهم وانفلات أعصابهم واستعجالهم كأنهم بنوه ويردد في كل آن «لابأس فالذي يصبر على أذى الناس... خير من الذي لا يباشرهم ولا يصبر على أذاهم» وإذا فاتحته بالأجر الزهيد الذي يناله منهم ابتسم لي وقال:

«لا تحسبها كثيراً... وخليها على ربك... وفكر في القبول... فإبراهيم عليه السلام يرفع القواعد من البيت وهو يقول «ربنا تقبل منا...» ولو سأل الدنيا بأسرها في تلك اللحظة لأتته وهي طائعة... ولكنه القبول... وما سواه... فأوهام».

بدأت أشعر في كلماته معنى مختلفاً طال زمن لم أتذوق فيها... وكأنها ترد عليَّ من مكان بعيد... ومع الأيام بدأت أشعر كأنني أصحو من نوم ثقيل... وأصحو على شيء جميل وجليل... شيء أشتاقه وتتلهف إليه نفسي ولكن عوائق كثيرة تحجزني عنه... وإن يكن سلوكه الذي شهدته في تلك الأيام القليلة قد أغراني بالمحاولة شوقاً لأبلغ بعضاً مما بلغ... ولكن المسافة بعيدة - أعرف... والأشياء التي اعتدت عليها تنتفض اليوم مجسمة تتخاطفني ما بين قبول أو اعتراض... كما تتخاطفني حيرة أمام الود الذي يبديه في أن أبوح له بما أجد رغم إدراكي أنني لست أكثر من ضيف لا أدري متى يوحي إليَّ بالانصراف...

حتى فاض بي الكيل... وما وجدت للأسئلة التي أثارتها في نفسي كلماته وأفعاله، سبيلاً إلا في مصارحته... لعلي أجد رداً عليها... أو جسراً أعبر منه فوق الهوة العميقة بين ما كنت فيه وما نقلني إليه... فهزَّ رأسه وأطرق مفكراً بعمق... ثم قال:

«لا بأس عليك إن شاء الله.... (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا...) واستفت قلبك... فلا أحد يدري بك أكثر منك... وسوف تجهد دون ريب... ولكن المهم كيف تجده ... قلبك... وبيدك وحدك تملك أن تحرره وتغذوه وتنميه... وأن تجعله ينطلق بك بعيداً حيث يحلق...»

خرجت من ورشته كما لم أدخل... وعدت إلى عملي حيث لم يكن بدٌ من العودة... وفي عقلي يتردد صدى كلماته البسيطة العميقة... وفي نفسي من نسائم تلك الأيام والأمسيات مالا يمحى... ولأول مرة بدا لي الطريق إلى «هناك» طويلاً... مملاً... كئيباً... وأحسست كأن المبنى ينتصب لي في بلاهة وجمود مثل عجوز فارقها رونقها، وانفض عنها المعجبون... وحتى المدخل والمنحنى المؤدي إلى الصالة المعتمة والأثاث المعد باتقان تخيلتها تريد أن تطبق على صدري لتخنقني... ورنوت... فبصُرت بالتي مركونة إلى الزاوية حيث تركتها... قميئة... غبية... فاقدة للحياة... فاقتربت منها بتردد، وأرغمت أناملي على التقاطها رغم ما صدر عنها من رائحة خبيثة كأنها أنفاس الشياطين... وحملتها، فدب في أعماقي هاتف يهيب بي من مكان بعيد: «ويحك... إنها البداية... فماذا تنتظر...» فوجدتني مدفوعاً للاستجابة له... فرفعت يديَّ إلى أعلى... فأعلى ... ثم أهويت بها تاركاً لدويها أن يهيج الحضور» وتاركاً لذلك «الشيء» في داخلي أن يتحرر ... ثم ينطلق بعيداً ... بعيداً إلى أعلى... إلى حيث حلّق ... ■

فقه

تحقيق قول :

« لاربا في دار الحرب »

بقلم:د. عطية السيد السيد فياض

الربا من أخطر الجرائم الاقتصادية والاجتماعية التي ترتكب في حق المجتمعات الإسلامية، فهو من الجرائم التي آذن الله فيها بحرب من فعلها (يأيها الذين أمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون)البقرة/٢٧٨-٢٧٩.

ولاتجني الأمة أو الأفراد منه ذرة خير بل هو شر كله (يمحق الله الربا) البقرة/٢٧٦. (وماآتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله)الروم/٣٩ والسنة النبوية حافلة بما جاء في الربا من نهي ووعيد وتشنيع على من فعله وتعامل به.

ومع وضوح هذه الأدلة في تحريم التعامل بالربا وظهور آثار التعامل به اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا إلا أنه تطل رؤوس بين الفينة والأخرى تنادي بإباحة الربا أو بعض صور منه، وهديهم في ذلك إما الزعم بأن اللحاق بركب التطور والمدنية والانطلاقة الاقتصادية لاتكون إلا بذلك وإما التعلق بأهداب آراء فقهية مرجوحة وهؤلاء لا همّ لهم إلا الغوص في بطون الكتب الفقهية ليستخرجوا الآراء التي تتوافق مع مايريدون دون اعتبار أو نظر هل هذا الرأي مما يفتى به في مذهبه أم لا؟ وعما إذا كان دليل هذا الرأي قد سلم من الطعن أم لا؟ وعما إذا اختلف مناط الحكم أم لم يختلف؟لا ينظر إلى هذا لأن المقصد الأساسي العثور على حجة شرعية تفتح أبواب التعامل بالربا وترفع الحرج النفسي عن المتعاملين فيه والزعم أن من مصلحة الإسلام تقريب مبادئه من مبادىء المدنية الغربية حاسبين أنها أو أكثر مافيها خير لاشر فيه وأن كل نظمها قائمة على دعائم الحق والعدل ولذلك يقومون بتأويل نصوص الشريعة تأويلا يتفق مع هذا المنطق.

ومن هذه الآراء التي روجت وأريد لها الشيوع ماذهب إليه أبو حنيفة ومحمد- رحمهما الله- من أنه لاربا بين المسلم والحربي في دار الحرب ومع أن هذ الرأي مخالف لجمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة وابو يوسف إلا أنه كثيرا مايردد في محاولة لإظهار أن هذا هو حكم الشرع وذلك لتبرير التعامل بالربا مع الدول غير الإسلامية وكذا إباحته للمسلمين المقيمين في الدول غير الإسلامية، والقائمون بترويج ذلك أحد فريقين: إما فريق لاعلم له بالفقه الإسلامي وقواعده وضوابطه ولكنه يخبط خبط عشواء فذاك جاهل ينبغي أن يتعلم أو يعلم، وإما فريق له حظ في الفقه الإسلامي وهذا هو الذي نناقشه:

أولاً: أدلة أبي حنيفة ومحمد- رحمهما الله- على ماذهبوا اليه: ماروى عن مكحول (١) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال:«لا ربا بين المسلم والحربي في دار الحرب» قال في المبسوط هذا مرسل، ومكحول ثقة، والمرسل في مثله مقبول (٢) وفيه دلالة على جواز تعامل المسلم بالربا مع الحربي في دار الحرب.

ويرد على هذا من أوجه عدة :

الأول: الحديث لم يثبت، قال الزيلعي عنه: قلت غريب وأسند البيهقي في المعرفة في كتاب السير عن الشافعي قال: قال: أبو يوسف إنما قال أبو حنيفة هذا لأن بعض المشيخة حدثنا عن مكحول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاربا بين أهل الحرب أظنه قال وأهل الإسلام، قال الشافعي وهذا ليس ثابتاً ولا حجة فيه(٣).

الثاني: على فرض ثبوت الحديث فيحتمل أن المراد بقوله «لاربا» النهي عن الربا كما جاء في قوله تعالى:(فلا رفث ولافسوق ولاجدال في الحج) البقرة/١٩٧. ومع تطرق هذا الاحتمال فإنه يسقط به الاستدلال (٤)(٥).

الثالث: معارض لإطلاق النصوص المحرّمة للربا التي لم تفرق بين ربا المسلم مع المسلم أو رباه مع الحربي، يقول النووي رحمه الله «ولأن ماكان ربا في دار الإسلام كان ربا محرما في دار الحرب كما لو تبايعاه مسلمان مهاجران وكما لو تبايعاه مسلم وحربي في دار الإسلام، ولأن ماحرّم في دار الإسلام حرّم هناك كالخمر وسائر المعاصي»(٦).

ويقول ابن قدامه رحمه الله«ولأن ماكان محرّما في دار الإسلام كان محرّما في دار الحرب كالربا بين المسلمين»(٧). والمعارضة ليست بين متساويين حيث يقول ابن قدامه«وخبرهم مرسل لانعرف صحته ولايجوز ترك ماورد بتحريمه القرآن وتظاهرت به السنة وانعقد الإجماع على تحريمه بخبر مجهول لم يرد في صحيح ولامسند ولاكتاب موثوق»(٨).

الرابع: ماجاء في خبر مكحول زيادة بخبر الواحد على ماجاء في القرآن والسنة من إطلاق الحرمة على الجميع وإثبات قيد زائد بخبر الواحد على المطلق لايجوز فإن قيل: إن النصوص الواردة في تحريم التعامل بالربا إنما محلها المال المحظور والتعامل فيه بذلك ومال أهل الحرب غير محظور إلا بالعارض من الغدر وهذا مردود وتأويل ضعيف يصادم صريح القرآن والسنة(٩).

٢-استدلوا أيضا بما روى أن أبا بكر رضى الله عنه قبل الهجرة حين أنزل الله تعالى«غلبت الروم» قالت له قريش «ترون أن الروم تغلب قال نعم فقالوا: هل لك أن تخاطرنا فخاطرهم فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اذهب إليهم فزد في الخطر ففعل، وغلبت الروم فارسا فأخذ أبو بكر خطره فأجازه النبي صلى الله عليه وسلم» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه فقد أجاز النبي لأبي بكر مقامرة مشركي مكة وأقره على أخذ الخطر وفي هذا دليل على جواز أخذ مال الحربي بأي طريق .

ويرد على هذا بأن إباحة النبي صلى الله عليه وسلم مافعله أبو بكر كان قبل تحريم القمار والمخاطرة فيكون منسوخا ولا حجة فيه (١٠).

٣- استدلوا بأن مال الحربي مباح للمسلم أن يأخذه بأي طريق غير طريق الغدر فإذا أخذه بطريق الربا فإنه لاحرج فيه ولابأس(١١).

ويرد على هذا: بمعارضة هذا المعقول للنصوص المحرّمة للربا مطلقا ولايحتج بأن النصوص إنما محلها المال المحظور ومال الحربي ليس بمحظور ولامعصوم فهو تخصيص بغير مخصص ثم إن الربا يقتضي أن ينال الزيادة المسلم وهذا يجري على قاعدتهم ويقتضي أيضا أن يعطي المسلم الزيادة للحربي وكذلك القمار قد يقضي إلى أن يكون مال الخطر للكافر بأن يكون الغلبة له فهل تباح الأولى وتحرم الثانية.

وقد عقب الكمال على ذلك فقال: «وقد التزم الأصحاب في الدرس أن مرادهم من حل الربا والقمار ما إذا حصلت الزيادة للمسلم نظرا الى العلة لكن إطلاق الجواب خلافه»(١٢).

وعلى ذلك فالقول إنه لاربا بين المسلم والحربي في دار الحرب لايسنده دليل صحيح ولانظر شرعي معتبر،والأجدر أن يكون القياس على تعامل المسلم مع المستأمن إذا دخل دار الإسلام بأمان فلايجوز للمسلم التعامل معه بالربا وكذا إذا دخل المسلم دار الحرب.

ثانيا: إضافة إلى ماتقدم فإن محاولة ترويج هذا القول في عصرنا الحاضر يؤدي إلى كثير من المفاسد والأضرار وهي مايلي:

١-ماقاله أبو حنيفة ومحمد- رحمهما الله- كان في عصر مختلف تماما عما نعيشه الآن ولذلك ينبغي ألا ينسحب هذا القول إلى غير عصره فالتقسيم الدولي الآن يختلف عما كان عليه الحال من قبل، وأصبح بين بلاد المسلمين وغيرهم من العهود والمواثيق مالا يستقيم معه القول إن كل بلد غير إسلامي دار حرب، وكيف تكون هذه البلاد بلاد حرب ومعظمها ينعم فيه المسلم بما لم ينعم فيه في بلاده ويدخل بموجب تأشيره وهي بمثابة عقد أمان، فكيف يخون المسلم هذا الأمان ويعتبر أموالهم مباحة له أن يأخذها بأي طريق.

٢- إن القول بجواز الربا بين المسلم وغير المسلم في البلاد غير الإسلامية من شأنه أن يضعف الدول الإسلامية اقتصاديا، فالغرب عنده من وسائل جذب الأموال وأوجه استثماراتها ماليس في بلادنا فيهرب رأس المال المسلم إلى هناك ليضخ في شريان الحياة الغربية ويترفه الغرب على حساب المسلمين الذين يقتلهم الجوع والفقر في أكثر من مكان بل تعود إليهم أموالهم في صورة قروض أجنبية بفوائد باهظة مما يعني بسط نفوذ الدول الغربية وسيطرتها على بلادنا، وقد يقال: إن ذلك يحدث ولكن حدوثه مع ترويج هذا القول يرفع الحرج الشرعي عن الجميع بدلا من أن يتوارى خجلا مما يفعل نرى سباقا محموما ودعوات للاستثمار الشرعي الحلال في البلاد الإسلامية.

٣- في القول: إن مال الحربي مباح لنا إضفاء مشروعية على أعمال الاختلاس والنهب والسرقة التي قد يقوم بها بعض المسلمين في هذه البلاد وقد ذكر لي مجموعة من الأصدقاء عندما كنت في زيارة لإحدى هذه البلاد أن هناك من يقوم بهذا العمل ويعتبرونه مشروعا بناء على هذا القول فأي دعاية سيئة تلحق الإسلام والمسلمين أكثر من هذا، وإلى أي مدى تصل درجة البغض والتنفير والكراهية ضد المسلمين عندما تضفي المشروعية على أفعال مجرّمة والكثير يقف عند كلمة مال الحربي مباح.

٤-إن الغالب فيما عليه الحال لمن يقيم من المسلمين في هذه البلاد أنه الذي يدفع الربا وفي أثناء زيارتي التي ذكرتها طلب كثير من المسلمين بيان الحكم الشرعي في تعاملهم مع البنوك الربوية بخاصة أن هناك من أفتى بجواز ذلك بناء على هذا القول، فكان ردى كيف تكون دار حرب وأنتم تنعمون فيها وتزاولون شعائركم في مساجدكم ولكم مدارسكم، ثم إن هذا القول مبني على أن المسلم يأخذ الزيادة لا أن يعطيها، لأنه غالبا مايذهب إلى هذه البلاد دون مسكن ودون عمل فيلجأ إلى البنوك لشراء بيت وقضاء حاجاته وبالتالي هو الذي يدفع وبذلك لايصح إباحه الربا لهم بموجب هذا القول.

ثالثا: مايقال في تبرير ذلك:

ربما قيل في تبرير ذلك: إن الأخذ بهذا القول فيه تيسير ورفع حرج على كثير من المسلمين المقيمين في هذه البلاد.

ولامعارضة في هذا القول فالتيسير ورفع الحرج من الأسس العامة التي بني عليها التشريع الإسلامي. لكن إذا كان المسلم في ضرورة أو حاجة ملّحة فهما بذاتهما من أسباب الإباحة دون أن تستند هذه الإباحة إلى أقوال مرجوحة ويقول الشاطبي في هذا «الحنيفية السمحة إنما أتى فيها السماح مقيدا بما هو جار على أصولها وليس تتبع الرخص ولااختيار الأقوال بالتشهي بثابت من أصولها(١٣).

وربما يقال إن هذا من المسائل المختلف فيها ولا إنكار في المختلف فيه وهذا القول إنما يجعل مجرد الخلاف حجة في الجواز لمجرد كون المسألة مختلف فيها لا لدليل يدل على صحة مذهب الجواز ولا لتقليد ماهو أولى بالتقليد من القائل بالمنع وهذا كما يقول الشاطبي «عين الخطأ على الشريعة حيث جعل ماليس بمعتمد معتمدا وماليس بحجة حجة... ولو صح مايقال للزم مثله في ربا الفضل ونكاح المتعة(١٤).

وأخيرا نقول: الأولى أن يعكف العلماء على شريعة الله يدرسونها ليقدموا للعالم علاجا لمشاكله ويصبغوا العصر بصبغة الله لا أن يحاولوا تذليل نصوص الشريعة لمحاكاة العصر وتوطئه .. الشرع الشريف ليكون متفقا مع العصر الحاضر. ■

الهوامش

١- مكحول عالم أهل الشام الفقيه الحافظ قال عنه الذهبي في التذكرة: يرسل كثيرا ويدلس عن أبي بن كعب وعبادة بن الصامت وعائشة والكبار. ومع اتفاق أصحاب كتب الرجال على أنه كثير الإرسال إلا أنه لم يوافق الذهبي على وصفه بالتدليس إلا ابن حبان في ثقاته. الثقات لابن حبان ٤٤٦/٥ دار الفكر تذكرة الحفاظ الذهبي ١٠٧/١ دار الكتب العلمية.

٢-المرسل: قول التابعي قال رسول الله كذا أو فعل كذا. وفي الاحتجاج به ثلاثة أقوال: يحتج به مطلقا، وقيل لايحتج به مطلقا وقيل يحتج به بشروط الرسالة للإمام الشافعي ٤٦١ دار الفكر .

٣- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ٤٤/٤ دار الحديث القاهرة.

٤-المغني لابن قدامة ٤٦/٤ دار الفكر.

٥- المغني لابن قدامة ٤٦/٤،حاشية سعد جلبي على العناية شرح الهداية ٤/٤-٣ مطبوع مع فتح القدير المكتبة التجارية.

٦-المجموع شرح المهذب ٣٩٢١/٩ دار الفكر.

٧ ،٨- المغني- المرجع السابق.

٩- شرح فتح القدير على الهداية ٣٠١/٤، حاشية سعدي جلبي على العناية.

١٠-تفسير القرطبي ٢/١٣ مكتبة الغزالي

١١ ،١٢- فتح القدير على الهداية ٣٠٠/٤.

١٣ ، ١٤- الموافقات للشاطبي ٧٩/٤، ٨١ دار إحياء الكتب العربية.

شخصيات إسلامية

القاضي شريح
رجل الحزم والنزاهة لأكثر من نصف قرن

اهتم الإسلام بالقضاء، وعدَّه من أشرف العبادات، التي يُتقرَّب بها إلى الله تعالى، فبالقضاء العادل النزيه تُصان الحياة، وتحفظ الأرواح والأغراض، والأموال، وينتشر الأمن، وتعمم الطمأنينة في المجتمعات.

وقد توخَّى المسلمون ـ عبر تاريخهم ـ في اختيار القضاة، توفر مجموعة من الصفات المهمة، منها: العدالة «حسن السيرة والسلوك» والعلم، والأمانة، وقوة الشخصية، والرحمة بالناس، وعدم الحرص على منصب القضاء، والنظر في مصالح المجتمع.

ومن هؤلاء القضاة الذين توافرت فيهم هذه الصفات ونحوها من الفضائل الأخرى، القاضي شريح، الذي حُقَّ لتاريخ القضاء في الإسلام أن يفخر به، فمن هو هذا الفذ؟ وما سيرته؟

د. حسن عبدالغني أبو غدة

نسبه وشهرته

هو شُريح «بضم الشين وفتح الراء وسكون الياء» بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر... ينتهي نسبه إلى قبيلة كِنْدَة، ولهذا عُرف: بشريح بن الحارث الكِنْدي.

عاشت أسرته في اليمن، ثم انتقل معهاإلى المدينة المنورة، وقد جاوز الخمسين من عمره، ثم انتقل إلى الكوفة في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وعرف بشريح بن الحارث الكِنْدي الكوفي.

ولادته

ولد شريح في العام (٤٣) قبل الهجرة النبوية، وهو بهذا قد أدرك الجاهلية، غير أنه لم يُكتب له الاجتماع بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد وصل مع أسرته إلى المدينة وعمره أكثر من خمسين سنة، وذلك بُعيد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولهذا لم يَعُدَّه المؤرِّخون في الصحابة، بل هو من التابعين، حيث التقى بالعديد من الصحابة، وروى عنهم الأحاديث الكثيرة.

والقاضي شريح هو أحد المعمرين في الجاهلية والإسلام، فقد عاش نحو ١٢٠ سنة، قضى منها في زمن الإسلام ٦٠ سنة في سلك القضاء.

أخلاقه وصفاته

اتصف شريح بالذكاء الشديد، وبُعد النظر، وكان ذا علم ومعرفة وحنكة وثقة مأمونا، طيِّب النفس، متواضعاً، يبادر بالسلام على من يلقاه.

وكان له باع كبير في الأقضية والفتاوى، كما كان له باع كبير في الشعر والأدب، ونظرة فاحصة في دقائق الأمور.

وكان كوسجاً أطلس، أي قليل شعر اللحية، ليِّن العريكة، حسن المعشر، فيه دُعابة وخفة روح، كثير الاستشارة، كثير الاستغفار، إذا دخل السوق سبَّح وهلَّل وكبَّر، ليذكِّر الغافلين.

ولم يمنعه علمه وفضله وتوليه القضاء من مخالطة الناس، والسؤال عن أخبارهم، ومحادثتهم، ومبادلتهم حب الخير، والدلالة عليه، ومن هنا فقد حظي بتقدير العامة والخاصة واحترامهم، لما فيه من كرم نفس، وعلو همة، وصدق لهجة، وأمانة وإخلاص وتواضع.

كان شريح يقبل الهدية من أهله وأصحابه ومعارفه، لكنه كان يثيب عليها بأفضل منها، ولا يمنعه هذا من قول الحق والقضاء به، ولو على أصدقائه أوكبار المسؤولين في الدولة، حتى صدق فيه قول علي ـ رضي الله عنه ـ أنت أقضى العرب.

توليه القضاء

تولى شريح القضاء في الكوفة طوال ٦٠ سنة متتالية، وذلك في زمن الخلفاء الراشدين: عمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم ـ وفي زمن الخلفاء الأمويين: معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ وعبدالملك بن مروان وغيره.

وقد نُقلت عنه الأحكام القضائية الرصينة، في عموم القضايا التي تم رفعها إليه، سواء كانت مالية أو جنائية أو أخلاقية أو اجتماعية.

سبب توليه القضاء لعمر بن الخطاب :

روى الشعبي أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ساوم رجلاً في فرس، فركبه

ليختبر قوّته وتحمُّله، فعطب الفرس، فقال للرجل: خذ فرسك، فقال الرجل: لا، فاختلفا، فقال عمر: اجعل بيني وبينك حكماً، قال الرجل: شريح الكِنْدي، فتحاكما إليه، فقال شريح بأدب: يا أمير المؤمنين، أخذت الفرس صحيحاً سليماً على سَوْم، فعليك أن ترده سليماً كما أخذته، فأعجب عمر بذلك، وسُرَّ له، ثم بعثه قاضياً إلى الكوفة، وقال له: ما وجدت في كتاب الله فاحكم به، وإلا فالسنة، فإن لم يكن فيهما، فاجتهد رأيك.

قصته مع علي بن أبي طالب

روي أنه لما رجع علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ من حرب صفِّين، وجد درعاً له ـ كان قد افتقدها ـ بيد رجل يهودي يبيعها في سوق الكوفة، فقال علي: هذه درعي، لم أبعها أحداً، ولم أهبها، فقال اليهودي: بل هي درعي، وهي في يدي، فاختصما إلى قاضي الكوفة شريح، فقال لعلي: هل لك بينة أنها درعك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، الحسنُ ابني، وقنبر مولاي، قال شريح: شهادة الابن للأب لا تجوز، وكذلك شهادة العبد لسيِّده، فقال علي: سبحان الله: رجل من أهل الجنة.

فدهش اليهودي من تواضع علي ـ رضي الله عنه ـ ومن شجاعة شريح في قول الحق، فأسلم قائلاً: أمير المؤمنين يُقدِّمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه؟! أشهد أنَّ هذا الدين حق، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم قال: يا أمير المؤمنين، والله إن الدرع هي لك، سقطت منك ليلة ذهابك إلى صفِّين فأخذتها.

بعض أقوال القاضي شريح

من أقواله ـ رحمه الله ـ : الحلم خيرٌ من سوء الظن.

ومن أقواله حين جاءته امرأة تبكي، وهي تخاصم رجلاً، حتى ظنَّ بعض الحاضرين أنها مظلومة، فقال له شريح: لا تعجل، إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون، وهم قد فعلوا ما فعلوا في يوسف، وألقوه في الجب!!

ومن أقواله: خصمُك داؤك، وشهودُك شفاؤُك، وكان يقول لأصحابه: قوموا ننظر إلى الإبل كيف خُلقت؟ أي: نتفكر في ملكوت الله وما خلق للناس.

كان يقول للشاهدين : إنما يقضي على المدعى عليه أنتما أما أنا فأتقي بكما عذاب الله

ومن أقواله حينما سأله رجل: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت طويل الأمل، قصير الأجل، سيء العمل.

صور من أقضيته

كان شريح إذا تشكك في الشهود ذكَّرهم بالله ووعظهم ونصحهم، وكان يقول لهم: لا أمنعكم ألا تشهدوا، وتخرجوا، ولا أحاسبكم على ذلك، وهو يريد أن يترك لهم فرصة للامتناع عن شهادة الزور.

وكان يقول للشاهدين: إنما يقضي على المدعى عليه أنتما، أما أنا فأتقي بكما عذاب الله، لاعتمادي على شهادتيكما، فاتقيا الله في نفسيكما، ولا تشهدا إلا بحق.

لم يمنعه علمه وفضله وتوليه القضاء من مخالطة الناس والسؤال عنهم

ومن أقضيته: أن رجلين شهدا لرجل على آخر بدَيْن، فقال أحدهما: أشهد أن عليه ألفاً وثلاثمئة درهم، وقال الآخر: أشهد أن عليه ألف درهم، فقضى شريح للرجل بألف درهم فقط، فقال «المدعى عليه» تقضي عليَّ وقد اختلفا؟ قال شريح: إنهما اتفقا على مقدار الألف، فبه قضيت.

ومن أقضيته: أنه دخل عليه الصحابي الأشعث بن قيس، وهو في مجلس القضاء، فرحَّب به شريح قائلاً: أهلاً بشيخنا وسيِّدنا، ها هنا أجلس، وقرَّبه منه، فإذا برجل يدخل على شريح، يتظلَّم ويخاصم الأشعث.

فقال له شريح: قم يا أشعث، فاجلس بجوار خصمك وتكلم، قال: بل أتكلم من مكاني، وتقضي وأنا هاهنا، قال شريح: قم مع خصمك، قبل أن آمر الشرطة فتقيمك، وتجلسك مع خصمك، ففعل الأشعث ما أمر به، فقال له شريح: أرأيت، هل ضرَّك هذا؟ قال: لا.

اعتزاله القضاء زمن الفتنة ثم وفاته

لما ثار عبدالله بن الزبير ضد الأمويين، اعتزل شريح القضاء مدة ثلاث سنين، فلما هدأت الأمور بعد مقتل ابن الزبير، سعى عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي إلى إعادة شريح إلى القضاء، ورغب إليه في ذلك، لحاجة الناس إليه، وثقتهم فيه، فاستجاب شريح لطلبه، ولما سئل عن سبب اعتزاله قال: ما كنت لأقضي بين اثنين في فتنة.

واستمر يعمل في القضاء مدة أخرى غير طويلة، ثم استعفى منه، في العام (٧٧) للهجرة، وعاش بعدئذ سنة واحدة، وتوفي في العام (٧٨) للهجرة في الكوفة، عن (١٢٠) سنة.

رحم الله شريحاً أشهر القضاة في صدر الإسلام، الذي كرَّس حياته لإرساء الحق والعدل بين الناس، فكسب احترام وثقة الجميع حكاماً ومحكومين. ■

أهم المراجع :

١ ـ أخبار القضاة، لوكيع محمد بن خلف بن حيان.

٢ ـ الإصابة، لابن حجر العسقلاني.

٣ ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني.

٤ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد.

٥ ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان.

مفاهيم إسلامية

الوسطية والاعتدال

نموذج العدل وسط بين الظلم والمحاباة

إعـداد :
أحمـد بن عبدالله وكـاك

جاءت التعاليم الإسلامية بأسس تهذيب النفوس وحثها على التحلي بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة، لتكوين ذلك الفرد المتزن في أقواله وأفعاله والسمو به إلى مستوى التكريم والتعظيم الذي أجدره الله به قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر)(الإسراء: ٧٠)، وقال سبحانه وتعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)(التين: ٤).

ودلته هذه التعاليم على ماله وماعليه من الحقوق والواجبات تجاه ربه، وتجاه نفسه، وتجاه غيره، لأنه مسؤول عن ذلك يوم العرض، إذ هو ركيزة المجتمع الإسلامي الذي ارتضاه الله أن يكون خير أمة أخرجت للناس.

وأضفت هذه التعاليم المدح والثناء والثواب وحسن الجزاء على كل الخصال الحميدة التي هي من سمت المؤمن وسماته من عدل وأمانة، وصدق ووفاء وإخلاص وكرم، وشجاعة، وحلم، وصبر، وتواضع.

وأضفت الذم وسوء العاقبة واللعنة على نقيضها، من ظلم وخيانة، ونكث للعهد ورياء، وكذب، وتكبر ، وحقد، وشح، ونفاق... وسأكتفي هنا بإيراد نموذج أمثل به لوسطية الشريعة الإسلامية في مجال الأخلاق، ألا وهو: العدل وسط بين الظلم والمحاباة

١ ـ الظلم ... دواعيه وروافده

عندما تسيطر الأهواء على المرء ينتعش في الجشع والتعالي والتكبر فيغتر بنفسه ويدعي القوة والجبروت، ثم يندفع طغياناً ويتطلع إلى النهب والاستيلاء، والسلب والاعتداء، ويكون إقدامه أعمق وأشنع، كلما كانت الفريسة أضعف وأخضع، ويسعى في الأرض فساداً وعتواً لتحقيق المطمع من جاه أو مال أو شهوة أو مباهاة بالقوة من أجل إحجام كل من أبى الذل والصغار، وما للضعيف في هذا الجو إلا أن يذل ويخضع ويستجيب وينصاع، ويتجلى هذا النموذج من الظلم في حياة عرب الجاهلية لما تجذر فيهم من العصبية القبلية، ولما آمنوا به من عادة الثأر والانتقام، وسل السيف، والحسام، فجعلوا الظلم شعاراً من شعاراتهم المقدسة: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، بل أكثر من ذلك هو مفخرة من مفاخرهم، حيث نلمس هذه الظاهرة جيداً في جل ما وصلنا من أشعارهم، مع إشادتهم بالبطش والتنكيل، والفتك والتقتيل، كأنهم تبنوا قانون الغاب: البقاء للأقوى، والسحق للضعيف أو أن من «امه شاة يكون طعماً للذئب»، حيث تقام الحروب ولمدد طويلة على أتفه الأشياء، وما أن يكون النزاع شرارة حتى يصير نيراناً من الفتن تتوالى به الانتقامات والاصطدامات بين القبائل المتحالفة بعضها على بعض، وما حرب البسوس الدائمة أربعين سنة بين قبيلتي بكر وتغلب إلا مثالاً لهذه الحروب.

وبعجالة نتطرق إلى بعض النماذج ـ المؤكدة لما نقول ـ من هذه الأشعار التي هي من معلقات الشعراء الجاهليين الذين يعتبرون الناطقين الرسميين للقبيلة المعتزة والمفتخرة بهم في جميع محافلها والمستجدة بهم في كل ملمة.

قال عمرو بن كلثوم (١) في معلقته المشهورة:

وأنا المانعون لما أردنا
وأنا النازلون بحيث شينا
ونشرب إن وردنا الماء صفواً
ويشرب غيرنا كدراً وطيناً

لنا الدنيا ومن أمسى عليها

ونبطش حين نبطش قادرينا

بغاة ظالمين وما ظلمنا

ولكنا سنبدأ ظالمينا

إذا بلغ الفطام لنا صبي

تخرُّ له الجبابر ساجدينا

وقال زهير بن أبي سلمى(٢):

جريء متى يظلم يعاقب بظلمه

سريعاً والا يبد بالظلم يظلم

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه

يهدم من لا يظلم الناس يظلم

وحياة البشر إلى يومنا لا تخلو من هذا الزيغ والتطاول على حقوق الآخرين لأن الظلم من شيم النفوس الخبيثة كما قال الشاعر:

والظلم من شيم النفوس

فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

ولأن الشر صار في الناس سرمداً لا تهدأ حوافزه، فلا مناص لكل مجتمع غاب فيه العدل أن يستشري فيه الظلم وإن كان يختلف قلة وكثرة، وكماً وكيفاً، إذ لا يمارس بهندامه التقليدي الذي به لا يطام بحيث قد نجده في المجالات التالية:

أ ـ فقد يكون الظلم في مجال حق الله على عباده، من عقيدة أو عبادة أو طاعة في أمر أو نهي.

ب ـ وقد يكون الظلم في مجال حقوق العباد بتجاوزها أو هضمها.

ج ـ وقد يكون الظلم للحقائق الفكرية والعلمية بتجاوز حدودها أو بإنكارها وجحودها.

د ـ وقد يكون الظلم لأي كائن ذي حياة، وظلم ذي الحياة الذي يستحق الرحمة ويشعر بالألم إنما يفعله ذوو القلوب القاسية، الذين نضبت الرحمة في قلوبهم أو تخدرت باللذات والأنانية والشهوات المادية، أو غرقت في سبات عميق إذ أبطرتهم النعمة.

الظلم آفات على الفرد والمجتمع ومصدر للشر والرذيلة

هـ ـ وقد يظلم الإنسان نفسه فيغامر في فعل ما يشتهي ويعرض نفسه لعذاب أليم من وراء ذلك.

وكل ظلم يعاقب عليه الظالم يكون من قبيل ظلم الإنسان لنفسه بالإضافة إلى كونه ظلماً لغيره، كما أن ظلم الإنسان لنفسه ظلم مصحوب بجهالة بالغة، إن لم يكن مع الجهالة حماقة ورعونة.

حياة البشر لا تخلو من الزيغ والتطاول على حقوق الآخرين

وباتساع وتعدد مجالات الظلم نلاحظ أن منه الكفر بالله والشرك به ومعصيته وتجاوز حدوده، ويدخل في ذلك كتم شهادة الحق، ومنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وأكل أموال الناس بالباطل، والعدوان على أي حق من حقوق الناس، والإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها والقتل، والسرقة، والغش، والقذف، والغيبة، والإفساد بين الناس إلى غير ذلك من آثام ومعاص.(٣)

ولا شك أن للظلم آفات على الفرد والمجتمع، حيث إنه «مصدر الشر والرذيلة في المجتمع، ومنبع الفرقة والتفتيت لوحدة الأمة والوطن، وفتورها، وهو العامل المشتت لطاقات الأمة الذي يؤدي إلى هوانها على الأعداء، لأن الطباع البشرية لا ينافيها ويضايقها أمر أكثر من الظلم... وهو معصية ومن اعتمده يكون أصغى لأهوائه ولوساوس الشهوة، ووساوس شياطين الجن والإنس.(٤)

٢ ـ المحاباة ليست بأقل سوءاً من الظلم

وعلى العكس من ذلك نجد من يتخذ شعاره المحاباة، أو التحيز باسم التسامح والمساعدة فتهضم حقوق الله وحقوق العباد، وتنتهك حرماته تعالى، وتعطل حدوده لكون الذي صدر عنه التطاول من أهل القرابة أو الجاه وله نفوذ أو بينه وبين الحاكم أو القاضي أو الشاهد علاقة تبادل المصالح، أو لمجرد الإشفاق عليه لانتمائه إلى الوسط نفسه الذي ينتمي إليه أولئك، وذلك ما أشار إليه الله سبحانه وتعالى بقوله: (إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما) (النساء: ١٣٥).

إذ في بعض الأحيان «قد يكون صاحب الحق الواضح غنياً ويكون خصمه فقيراً ذا حاجة فينحاز الحاكم أو القاضي أو الشاهد إلى جانب الفقير شفقة عليه وهو يعلم أن الغني هو صاحب الحق، وهذه خديعة شيطانية لتبرير الجور والظلم، إذ الحق هو الذي يجب اتباعه، ولا يجوز أن يكون الجور وسيلة لمساعدة الفقراء: (إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما) فالله أولى وأحق بتقدير كل حال من الخصمين غنياً كان أو فقيراً»(٥).

ونسوق هنا ما روي عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قضية كان فيها تحيز، وما كان موقف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها، حيث أخرج الإمام مسلم عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلّم فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟

فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فأتى بها رسول الله فكلّمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله وقال:

«أتشفع في حد من حدود الله؟» فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله! فلما كان العشي قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاختطب، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم، أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحد، واني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(٦).

٣ - موقف الإسلام المعتدل: أمره بالعدل في جميع الأحوال

فوقف الإسلام موقف الوسط، وسلك النهج المعتدل الذي لا يحرم أحداً من حقه وذلك بوضعه الحد الفاصل بين كلا النقيضين، فلا جور ولا محاباة، ولا ظلم ولا مداراة ولا زيغ ولا شطط فأقر مبدأ العدل الذي هو أساس الحكم في جميع القضايا والأمور مادية كانت أو معنوية لأنه «قرين الفطرة البشرية، وعنوان الكرامة الإنسانية»(٧)، وأحد الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره، فعرف بأنه إعطاء كل ذي حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيادة ولانقصان أو المساواة بين التصرف وبين ما يقتضيه الحق دون زيادة ولا نقصان»(٨).

ورضي الله لعباده هذا المبدأ الذي هو اسم من أسمائه تعالى، إذ الحق سبحانه: «عادل مع عباده في تكليفهم بما يستطيعون وإعطائهم من الحق ما يستحقون ومحاسبتهم على ما يفعلون بعد تبليغهم بإرسال الرسل، قال تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)(٩).

«وبتدبر أسمائه تعالى كلها نجدها اسم فاعل أو اسم صفة ما عدا أربعة منها سمى الله بها نفسه باسم المصدر أو اسم المعنى وهو السلام والحق والنور والعدل، وان الله عزّ وجلّ كرّم معاني هذه الأربعة أسماء فاعتبرها جزءاً من ذاته، فالإيمان بها إيمان به، والعمل بها عمل له، والعدل يشمل كل معاني الخير في الحياة، فالوفاء عدل لأنه أداء للالتزام، والإحسان عدل لأنه قيام النفس بأداء الحق للغير»(١٠).

العدل شامل لجميع مناحي الحياة فلا يقتصر على مجال دون مجال

والعدل شامل لجميع مناحي الحياة، فلا يقتصر على مجال دون مجال، ولا يخص الفرد دون الجماعة، بل لكليهما، كما يشمل العدل الأقوال والأفعال، وهو أساس ما جاءت به الشريعة الإسلامية»، وما أروع ما قاله الإمام ابن القيم في هذا: «إن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العدل، وأسفر صبحه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره»(١١)، فنجده في المجالات التالية:

العدل في الولاية إسناد الأعمال إلى أهلها الأكفاء

١ - «الولاية على الناس سواء كانت ولاية خاصة أو ولاية عامة، فيجب أن تتبع فيها قواعد العدل التي أمرت بها شريعة الله لعباده.

ومن العدل في الولاية إسناد الأعمال إلى أهلها الأكفاء القادرين على ضبطها وحسن إدارتها، وصيانة حقوق الناس، وإعطاء المستحقين، ومنع غير المستحقين، قال تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) (النساء: ٥٨).

٢ - القضاء: فواجب أن تتبع فيه قواعد العدل في الفصل بين الخصماء بإعطاء الحق لصاحبه، وإلزام الظالم بدفعه إليه، والتسوية بينهم في مجلس القضاء وإقامة الحدود والجزاءات والقصاص بالقدر الذي يكافئ ذنب المذنب، ويكافئ حق الله على عباده، أو حق الناس على الناس، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) (المائدة: ٨)، وقال سبحانه وتعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما. فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) (النساء: ١٣٥).

٣ - الشهادة: فواجب أن تكون بالعدل، بأن يشهد الشاهد شهادة مساوية لما رأى أو سمع في الأمر الذي يشهد به، قال تعالى: (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) (البقرة: ٢٨٣)، وقال تعالى: (وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) (الطلاق: ٢).

٤ - الكتابة: فيجب أن يكتب كاتب الحقوق بالعدل وذلك بأن يكتب كتابة مساوية تماماً لما يمليه عليه أصحاب العلاقة فيها ومساوية للحق الذي يعلمه فيها، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل) (البقرة: ٢٨٢).

٥ - معاملة الأزواج للزوجات بالعدل وذلك بإعطاء كل منهن نصيبها من النفقة والسكن والمبيت بالعدل.

٦ - معاملة الأولاد بالتسوية بينهم في العطاء والتربية والبشر وغير ذلك مما يملك الإنسان.

٧ - الكيل والميزان: ويكون فيها العدل بأن يكيل ذو الكيل ويزن ذو الوزن بالقسطاس المستقيم، وبما يساوي الحق الذي تم عليه

التراضي، قال تعالى: (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا) (الأنعام: ١٥٢)، وقال تعالى: (ويل للمطففين. الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون. ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين) (المطففين ـ ١:٦)، وقال تعالى: (وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) (الإسراء: ٣٥).

في هذه الآية الأخيرة توجيه خاص إلى ضرورة كون الموازين مضبوطة قويمة.

٨ ـ الأنساب: ويكون العدل فيها بأن ينسب الإنسان إلى أبيه الذي ولده لا إلى آخر يتبناه، فنسبته إلى غير أبيه شهادة كاذبة غير مساوية للواقع، وتقضي هذه النسبة الكاذبة إلى استيلائه على ما لا حق له به من ميراث وغيره، وهذا عدوان على أصحاب الحقوق، ومجانبة ظاهرة لمقتضى العدل ولذلك قال تعالى في كتابه: (وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) (الأحزاب: ٤ ـ ٥) أي هو أعدل عند الله.

٩ ـ الإصلاح بين الفئات المتقاتلة من المسلمين فيجب اتباع قواعد العدل في الإصلاح بين الناس، قال تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) (١٢).

١٠ ـ العدل مع العدو لأن الإسلام لا يفرق في ميزان العدل بين البشر، وهو مستوى من المثالية لم ترق إليه أي من القوانين الوضعية في ماضيها وحاضرها.(١٣).

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) (المائدة: ٨)، «لايجرمنكم»: لا يحملنكم، «شنآن قوم»: بغض قوم.

«لايجرمنكم» فيه إشعار بأن الدافع إلى ترك العدل فيه ما يحمل على ارتكاب جريمة الظلم أو الجور أو العدوان، لأن من يبغض قوماً قد يحمله بغضه على أن يكون ظالماً أو جائراً عليهم أو معتدياً على حقوقهم في قوله أو فعله أو حكمه أو قضائه، وفي استعمال كلمة الشنآن إشارة إلى أن البغض بغض شديد مضطرب ومتحرك يغلي في القلوب فيحمل على الظلم.

نسب الإنسان إلى أبيه الذي ولده لا إلى آخر يتبناه

١١ ـ العدل في القول: قال تعالى: (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)(الأنعام: ١٥٢)، والعدل في القول يوجبه الحق في كل قول يدخل فيه العدل والظلم، كالعدل في الشهادة والعدل في إصدار الأحكام، والعدل في مخاطبة الجماعة وذلك بإعطاء كل واحد ما يستحق من خطاب، ولو كان من نتكلم له أو عليه ذا قربى فلا يجوز أن يدفعنا حبه إلى التعصب له، وإلى أن نجانب سبيل العدل»(١٤).

الإسلام لا يفرق في ميزان العدل بين البشر

وهذا هو التوازن والوسط الذي ينشده الإسلام بتطبيق مبدأ العدل على الأشخاص كيف ما كان وضعهم، وتطبيقه في كل المجالات لأن لتطبيقه أجراً دنيوياً وأخروياً. ■

الهوامش

١ ـ مجموع مهمات المتون في مختلف الفنون والعلوم (ص٨١١ ـ ٨١٢).

٢ ـ المرجع نفسه ص ٧٩٨ ـ ٧٩٩.

٣ ـ كتاب الأخلاق الإسلامية وأسسها لجنبكة الميداني ج٢ ص ٩٠.

٤ ـ كتاب العدل فريضة إسلامية والحرية ضرورة إنسانية للدكتور أسعد السحمراني ص ٤١.

٥ ـ الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني ج١ ص ٦٣٦.

٦ ـ صحيح مسلم كتاب الحدود (٢٩) باب (٢): قطع السارق الشريف وغيره حديث رقم ١٦٨٨ ج٣ ص ١٣١٥.

٧ ـ العدل فريضة إسلامية للسحمراني ص ٣٤.

٨ ـ الأخلاق الإسلامية للميداني ج١ ص ٦٢٢.

٩ ـ العدل فريضة إسلامية ص ٢٢ بتصرف/ الإسراء آية: ١٥.

١٠ ـ في مكارم الأخلاق لفوزي سالم العفيفي ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

١١ ـ نقلاً عن عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية للدكتور يوسف القرضاوي ص ٤٤.

١٢ ـ الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني ج١ ص ٦٣٠ وما بعدها/ الحجرات: ٩.

١٣ ـ مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٢٦ شوال ١٤١٦ ـ ١٩٩٣م ص ١٦.

١٤ ـ الأخلاق الإسلامية للميداني ج١ ص ٦٣٢ ـ ٦٣٣ ـ ٦٤١.

دراسات قرآنية

حقيقة اختلاف السلف في تفسير القرآن الكريم

بقلم: أحمد بزوي الخاوي

بيّن أهل السنة ـ وأخص منهم ابن تيمية في رسالته «مقدمة في أصول التفسير» والزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» والسيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» ـ أن السلف لم يختلفوا في تفسير القرآن الكريم، بل قد يكون ذلك ممتنعاً في حقهم لأنهم كانوا معتصمين بالكتاب والسنة، ولما قرروا هذا الأصل راحوا يوضحون أن اختلافهم في تفسير آية من آيات الذكر الحكيم ليس اختلاف تضاد، بل هو اختلاف تنوع، وفي ذلك يقول الزركشي: «يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم عنده أن في ذلك اختلافاً فيحكيه أقوالاً وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه لأنه أظهر عند ذلك القائل أو لكونه أليق بحال السائل وقد يكون أحدهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره والآخر بمقصوده وثمرته والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً، والمراد الجميع فليتفطن لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات».(١)

إلا أن ابن تيمية في رسالته يعترف أن هناك اختلافاً محققاً بين السلف في التفسير وبخاصة فيما يتعلق بالأحكام. ولكنه يرى أن اختلافهم قليل جداً وهذا يعود ـ في نظره ـ إلى شرف عصرهم، وهو في ذلك يتأول حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(٢) وهو يقول في ذلك: «كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً، وهو إن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهم قليل إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر»(٣).

وبعد أن بين ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن اختلاف السلف في التفسير قليل وغلطهم يسير بالمقارنة مع اختلاف وغلط من جاء بعدهم، وأرجع ذلك إلى اعتصامهم بالكتاب والسنة ونقاء سريرتهم، وصلاحهم وتقواهم، مما عبر عنه

بين ابن تيمية أن اختلاف السلف في التفسير قليل وغلطهم يسير بالمقارنة مع اختلاف وغلط من جاء بعدهم

بصلاح عصرهم، انتقل إلى بيان أن اختلافهم في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وأرجع ذلك لأمور نجملها فيما يلي :

١ ـ تعبيرهم عن المراد بألفاظ بين المترادفة والمتباينة، وإن كان في كل منها إضافة دلالية ليست في الأخرى ولكنها تؤول إلى عين الشيء، من ذلك أسماء الله الحسنى، وأسماء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأسماء القرآن فهي كلها تدل على مسمى واحد(٤)، وإن كان بينها فروق دلالية واضحة، لكنها لا ترقى إلى أن تجعلها ألفاظاً متباينة، وبعد هذا الطرح النظري يضرب لذلك مثلاً عملياً فيقول: «مثال ذلك تفسيرهم للصراط المستقيم، فقال بعضهم: هو القرآن ـ أي اتباعه... وقال بعضهم هو الإسلام، فهذان القولان متفقان لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر، كما أن لفظ «صراط» يشعر بوصف ثالث، وكذلك قول من قال: هو السنة والجماعة، وقول من قال: هو طريق العبودية، وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمثال ذلك فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كل بصفة من صفاتها»(٥).

٢ ـ أن يكون اللفظ عاماً فيذكرون بعض أنواعه على سبيل التمثيل لا على سبيل المطابقة: «الصنف الثاني أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثل سائل أعجمي سأل عن مسمى لفظ «الخبز» فأري رغيفاً وقيل له: هذا، فالإشارة إلى نوع هذا لا إلى الرغيف وحده.

مثال ذلك ما نقل في قوله: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات)(٦)، فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات، فالمقتصدون أصحاب اليمين والسابقون أولئك المقربون.

ثم إن كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات، كقول القائل: السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار، أو يقول: السابق والمقتصد والظالم قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا والعادل بالبيع...»(٧).

هذا ليس اختلافاً حقيقياً، بل هو من قبيل ذكر أنواع متعددة لجنس واحد.

٣ ـ ما يكون من قبل المشترك اللفظي، أو ما كان متواطئاً في الأصل وأريد به أحد النوعين أو الشيئين، وما كان ذلك شأنه فقد تحمل عليه أقوال السلف كلها، وقد لا تحمل: «ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة، فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن، فإما نادر وإما معدوم، وقلّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه وهذا من أسباب إعجاز القرآن، فإذا قال القائل: «يوم تمور السماء موراً»(٨): إن المور هو الحركة كان تقريباً، إذ المور حركة خفيفة سريعة، وكذلك إذا قال: الوحي الإعلام، أو قيل: أوحينا إليك أنزلنا إليك، أو قيل: (وقضينا إلى بني إسرائيل)(٩)، أي أعلنا، وأمثال ذلك، فهذا كله تقريب لا تحقيق»(١٠).

٤ ـ معرفة أسباب النزول: فقد يذكر كل واحد من السلف سبباً لنزول الآية أو السورة غير ما يذكره الآخر، وكلاهما صادق فيما أخبر به، إذ قد تكون نزلت عقب تلك الأحداث كلها فاعتقد كل واحد منهم أنها نزلت في حادثة معينة، أو قد تكون نزلت مرتين أو أكثر لأسباب مختلفة: «ومعرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وإذا ذكر أحدهم لها سبباً نزلت لأجله، وذكر الآخر سبباً فقد يمكن صدقهما بأن تكون نزلت عقب تلك الأسباب، أو تكون نزلت مرتين، مرة لهذا السبب، ومرة لهذا السبب»(١١).

أما بالنسبة لاختلاف السلف في الأحكام فقد بين ـ أي ابن تيمية ـ أن اختلافهم ذلك لم يكن عن قصد ولا عن تعنت وحب ظهور، ولا عن إعراض عن كتاب الله وسنة نبيه، بل هو راجع إلى أمور خارجة عن إرادتهم، ولا دخل لهم فيها إطلاقاً، وقد يمكن رد اختلاف السلف في الأحكام إلى أربعة أسباب:

أ ـ خفاء الدليل.

ب ـ عدم سماع الدليل.

ج ـ الغلط في فهم النص.

د ـ اعتقاد معارض راجح.

اختلافهم ذلك لم يكن عن قصد ولا عن تعنت وحب ظهور ولا عن إعراض عن كتاب الله وسنة نبيه

وقد عبر ابن تيمية عن ذلك بقوله: «والاختلاف قد يكون لخفاء الدليل، أو الذهول عنه، وقد يكون لعدم سماعه، وقد يكون الغلط في فهم النص، وقد يكون اعتقاد معارض راجح»(١٢).

وأما السيوطي فقد تحدث في كتابه «الاتقان في علوم القرآن» عن أوجه اختلاف السلف في التفسير وأوضح أنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، واستشهد بكثير من الأمثلة الدالة على ذلك مما يجعلنا في غنى عن سردها هنا.(١٣). ■

الهوامش

١ ـ البرهان : ج٢، ص ١٦٠.

٢ ـ صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ج٥، ص ٣٩٤، الحديث رقم ٢١٤، كما رواه الإمام أبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في فضل أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ج٢: ص٥١٨.

٣ ـ مقدمة في أصول التفسير : ص ٧.

٤ ـ المرجع السابق : ص ٨.

٥ ـ المرجع السابق : ص ١٠، ١١.

٦ ـ سورة فاطر : آية ٣٢.

٧ ـ مقدمة في أصول التفسير : ص ١١، ١٢.

٨ ـ سورة الطور : آية ٩.

٩ ـ سورة الإسراء : جزء من آية ٤.

١٠ ـ المرجع السابق : ص ١٥، ١٦.

١١ ـ المرجع السابق : ص ١٤.

١٢ ـ المرجع السابق : ص ١٨.

١٣ ـ الاتقان في علوم القرآن : ج٢، ص ٢٢٦/ ٢٢٨.

دراسات قرآنية

تقدم هذه السطور قراءة اسلوبية لسورة الطور، وهي قراءة معنية بإبراز الدور الدلالي لبعض ظواهر التركيب والتصوير في السورة الكريمة. ذلك ان الوصف اللغوي لعناصر الأسلوب قد لايقدم فائدة للقارىء كي يقف على مافي سور النص المعجز من دلالة، فلابد أن يصاحب ذلك الوصف اللغوي تساؤل ملح وملازم عن الدور الدلالي من ناحية، والتأثير الجمالي على المتلقي من ناحية اخرى.

التركيب والتصوير في سورة الطور ... قراءة أسلوبية

بقلم : د. طارق سعد شلبي

ولانريد أن نثقل على القارىء بقضايا نظرية تخص التحليل الأسلوبي وإجراءاته والذي يهمنا أن نشير إليه إشارة سريعة أمران، الأول: أن فصلنا بين التركيب والتصوير لم يصدر عن اعتقاد أنهما منفصلان في واقع النص، فقد تكون وسيلة التصوير تركيبية. وقدرة المتلقي على التجاوب مع النص الكريم تنبع فيما تنبع من النظر إليه ومعايشته في مجموعه لابوصفه وحدات منفصلة.

والآخر: أن الاقتصار على هذين الجانبين كان اضطرارا حتى لايتسع الأمر، ولاشك أن درس ظواهر المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي على تنوعهما يمكن أن تثري إدراكنا للسورة، فقد تدرس الأصوات دراسة وصفية تعنى بالمخارج من شدة ورخاوة وازدواج وسيولة وبالصفات من جهر وهمس، وتفخيم وترقيق، وطول وقصر، ووضوح سمعي.

وقد تدرس البنى الصرفية بالنظر إلى صيغتها، وأحوالها من جمود واشتقاق، وإفراد وتثنية وجمع، مع ربط ذلك كله بالدلالة مما لايتسع له المقام.

وتضم هذه السطور حديثا عن الظواهر التركيبية التي تمثل بلغة النقد الأسلوبي «عدولا» عن النمط المألوف في التركيب، وهي :التقديم والتأخير، والحذف، والزيادة، والاعتراض.

ويلقي الحديث عن التصوير الضوء على أداة من أدوات التصوير وهي حال الفعل من حيث البناء للمعلوم وللمجهول، ثم يتناول واحدة من الصور الكلية الممتدة بالتحليل مع محاولة ربطها بسائر صور السورة الكريمة.

يتجلى دور الظواهر التركيبية المختلفة، التي سنتوقف عندها وهي: التقديم والتأخير، الزيادة، الحذف، الاعتراض. في أنها تمثل مغايرة للنمط المألوف في تركيب الجملة، الأمر الذي يجعلها قادرة على لفت انتباه المتلقي، إذ يصادف خروجا ومغايرة عما اعتاده من هيئة تركيبية يكاد مجيء الجمل يطرد عليها. فضلا عن وجود دلالات مصاحبة لهذه الظواهر من حيث هي أنماط تركيبية وهو مايضاف بدوره إلى مايقف عليه المتلقي من دلالة معجمية للمفردات المكونة لهذه الأنماط.

وليس معنى ذلك بحال أن الجمل التي تخلو من هذه الظواهر قد فقدت قدرتها على إحداث تأثير جمالي، أو النهوض بدور فاعل في الدلالة، فما من شيء في كتاب الله الكريم المعجز إلا وله جمالياته اللافتة، ودلالاته الفاعلة.

وقد يضع التقديم والتأخير إحدى مفردات الجملة في صدارة انتباه المتلقي، بما يحقق غاية يرمي إليها التركيب في مجموعه فتقديم شبه الجملة - مثلا- في قوله سبحانه (الذين هم في خوض يلعبون) (١٢) يبرز «الخوض» الذي يظل المكذبون سادرين فيه بما يبلور فساد مسلكهم.

وقد يدل التقديم والتأخير على «القصر» على نحو مانجد في قوله عز وجل:(وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون) (٤٧) فالعذاب سيكون نصيب هؤلاء الظالمين وحدهم. ويستشعر المتلقي من تنكير «عذاب» تهويلا لهذا المصير البائس الذي أعد للظالمين. ويرد ختام الآية دالا على «مفارقة» هائلة بين قصر ذلك العذاب المهول على الظالمين وحدهم في وقت يتخبطون فيه في ظلمات الجهالة. وربما نفطن من هذا الى أن طبيعة تركيب الآية على هذا النحو تدفع الظالمين دفعا أن يثوبوا إلى رشدهم جاعلين من الايمان والطاعة طريقا لهم.

وقد يبرز التقديم والتأخير «البعد المكاني» في وعي المتلقي في نحو مايصادفنا في معرض الحديث عن أهل الجنة:(يتنازعون فيها كأسا)(٢٣) أو «البعد الزماني» كما ورد في وصف يوم

القيامة:(فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون)(٤٥) ولايخفى أن تقديم الجملة في كلا الآيتين قد استبقى انتباه المتلقي منصبا على ماينصب الوصف عليه.

وإذا كان التقديم والتأخير الدال على القصر يفيد التلازم والارتباط على نحو تام، فإن مجيئه في سياق النفي يسلب هذا التلازم بشكل مطلق، فلا يبقى شيء من دلالة التلازم وقد ورد ذلك في سياق بعينه، في معرض رد دعاوى الكافرين (أم عندهم خزائن ربك)(٣٧) (أم لهم سلم يستمعون فيه)(٣٨) (أم له البنات ولكم البنون) (٣٩) (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)(٤١) (أم لهم إله غير الله)(٤٣).

وهذه التراكيب الحاسمة المصدرة «بأم» وهي تعني تحريك المعنى بحيث يضرب المرء عما قبله ويستفهم عما بعده، وهذا وضع الكلمة البلاغي في اللغة العربية، إنما تعرض النفي في صورة استفهامية تدفع إلى التأمل والتدبر والتفكير في عجز هؤلاء المكذبين. فالوصول إلى هذه الدلالة ينبع من حيوية الاستفهام في النص. بما يجعل النفي يتراءى على نحو غير مباشر، ثم يتخذ بعدا مطلقا من خلال التقديم والتأخير على النحو الذي أوضحناه. وهو ما يحيل - في النهاية - إلى مفارقة هائلة بين هذا العجز الذي يتسم به هؤلاء المكذبون من ناحية وتبجحهم في الاجتراء على الطعن في مبادىء التوحيد والرسالة من ناحية أخرى.

إن هذه التراكيب أشبه ماتكون بوخزة للضمير الوثني الميت تحركه، وصوت يلسع العقل الخامد ليبعثه على التفكير ويجعله يتحرك ويعرف ربه.

وقد يومىء التقديم والتأخير إيماء لطيفا خفيا إلى بعد من أبعاد المعنى، ففي قوله سبحانه في معرض مواجهة المكذبين بنار جهنم(أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون)(١٥) فتقديم الخبر- الذي هو المشار إليه- إبراز للعذاب الذي يوجدون فيه بالفعل، فليس ثمة مسافة فاصلة حائلة.

قد يفهم من اسم الإشارة بعدا مكانيا مستمدا من الإيماء. لكن تقديم المشار إليه قد طوى هذا البعد واختزله. ويضاف إلى هذا المعنى مايثيره التعبير عن العذاب بالسحر من دلالة.

فطالما رد الكافرون دعوة الهدى لأنها سحر. غير مصدقين أحوال البعث والجزاء. فالآية إذاً تنطوي على تبكيت ضمني، حين وجد المكذبون أنفسهم وقد هووا فيما زعموا من قبل أنه سحر لاحق فيه!

ويشي تقديم شبه الجملة في قوله عز وجل: (يوم لايغني عنهم كيدهم شيئا)(٤٦) بلهفة الكافرين يوم القيامة لما ينجيهم يوم الفزع الاكبر، فقد أهمتهم أنفسهم، تلك الأنفس التي برزت في التركيب والدلالة من خلال تقديم «عنهم» وقد جاء التنكير في «شيء» مع النفي ردا لأي أمل قد يتراءى لهم في تحقيق غناء يذكر.

ويرد التقديم في قوله سبحانه:(فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين)(٣٤) إعلاء من شأن القرآن الكريم، وكونه معجزة يمتاز بها الحق من الباطل، فإثبات الصدق على مايدعيه المرء لاتكون بالجدال والمراء وإطلاق الافتراءات على نحو مايفعل هؤلاء المكذبون الضالون، وإنما يكون في الإتيان بمثل ماأتى به الرسول صلى الله عليه وسلم برهانا معجزا على صدق الرسالة.

وجيء بحرف الجر مزيدا في سياق النفي. وقد آزر مجيئه دلالة النفي وأكدها، وأدى دخوله على نكرة في المواضع التي زيد فيها إدخال العموم والشمول- المستفاد من التنكير دائرة التأكيد- وذلك على نحو مانجد في قوله سبحانه:(إن عذاب ربك لواقع. ماله من دافع)(٧،٨) وقوله:(فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون)(٢٩).

وقد يقدر المتلقي محذوفا في سياق العطف، وربما كان وقوع الحذف إظهارا أن دلالته من البداهة والوضوح بحيث لايتوقف فهم المعنى على ذكره. إن تقدير المحذوف ليس تسوية شكلية للصنعة النحوية، بل تحرك مع مايحدثه ظهور بعض المفردات أو غيابها من دلالة.

ففي الآية الكريمة(يتنازعون فيها كأسا لالغو فيها ولاتأثيم) نجد أن نفي التأثيم منصرف حتما إلى الكأس التي انتفى عنها اللغو، فلا حاجة لذكر الجار والمجرور، بل يصبح طيهما آكد في دلالة الإبانة عن طبيعة الكأس التي يتنازعها المتقون في الجنة.

كون القرآن معجزة يمتاز بها الحق من الباطل فإثبات الصدق على مايدعيه المرء لاتكون بالجدال والمراء

وهو نفس من نجده من دلالة طي فعل الأمر في قوله (ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم)(٤٩) فوقوع التسبيح وقت إدبار النجوم مأمور به حتما، وهي حتمية لاتدع ثمة احتياجاً لذكر الأمر بالتسبيح معها.

ونحب أن نختم حديثنا عن الظواهر التركيبية بوقفة عند قول الحق سبحانه (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين)(٢١) لنر كيف تلاقى التأثير الدلالي لطائفة من ظواهر التركيب في مركز واحد هو نفس مايراه القارىء من دلالة كلية للآية.

إن الجزاء الالهي جزاء عادل فلا تجزى كل نفس إلا بما كسبت وإلحاق الذرية بالمتقين رهن بإيمانها وعملها لابمجرد انتمائها لهؤلاء المتقين الصالحين. وقد ظهر ذلك في الاعتراض بـ (واتبعتهم ذريتهم بإيمان) وهو اعتراض فاصل بين المبتدأ والخبر الذين بهما ينعقد تركيب الجملة، فلا وجود للخبر بمعزل عن المبتدأ الذي ينصبّ الحديث عنه. فإذا علمنا ان هذا الخبر قد اتخذ مع الجملة المعترض بها علاقة سببية تلازمية فلا إلحاق إلا بالإيمان!- إذا علمنا ذلك أدركنا مدى أصالة دور التركيب في الدلالة.

ويتأكد هذا العدل في مظهر آخر عنيت الآية بإبرازه وهو استبقاء الأعمال كاملة غير منقوصة ومن هنا زيد حرف الجر على المفعول به النكرة(وماألتناهم من عملهم من شيء) وختام الآية كما يرد تتويجا

لها من حيث الصوت، فهو آخر مايتبقى في اذن السامع، وكما يرد تركيزا لمضمونها من حيث الدلالة. جاء أيضا كذلك تتويجا لها من حيث التركيب فقد تضمن الختام تقديما وتأخيرا(كل امرىء بما كسب رهين) إن الجزاء إذاً منوط بالعمل وبما تكسبه يدا المرء، واللافت ان هذا التركيب – على اتساعه النسبي– قد اضطرد التفكير فيه بما له من دلالة على العموم والشمول.

كانت طبيعة الفعل من حيث بنائه للمجهول او للمعلوم وسيلة للتصوير في السورة الكريمة، وهي وسيلة حافزة لإدراك المتلقي لمكونات الصورة وأبعادها. فالفعل لايسهم في الصورة بدلالته المعجمية وحسب، بل يدفع المتلقي إلى إدراك ظلالها النفسية ببنيته كذلك. فقد جاء الفعل للمعلوم ليجعل من المفعول به في المعنى فاعلا في التركيب (يوم تمور السماء مورا. وتسير الجبال سيرا) (٩و١٠) فهذه الظواهر الكونية التي هي أشد الموجودات ثباتا ورسوخا تمور وتميد، وإنما يراها الإنسان على هذه الهيئة الجديدة المخيفة من تلقاء نفسها، وهو مايزيد الصورة رهبة، إذ تتبدل أحوال الكائنات والموجودات.

وهوان المكذبين وهم يساقون إلى النار (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا)(١٣) أكده بناء الفعل للمجهول، ولعلنا لانفهم ذلك إلا حين نقرأ مانجده في الصورة الكلية المقابلة (فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)(١٨) ولايخفى مافي البناء الصوتي للفعل يدعون من دور في الدلالة ففي صوت العين من المشقة الصوتية والجرس المرير مالا يخفى، فضلا عن الإيماء بالتدافع والتجمع في توالي تكرار صوت الضم مع التشديد.

وينصب الحديث عن التصوير الكلي الممتد في السورة الكريمة على الآيات(١٧:٢٨) لنجعل من تحليلنا لمكونات هذه الصورة منطلقا إلى فهم ماتضمنه السورة من صور أخرى. إذ ترمي هذه الصور–فيما يبدو– إلى تحقيق غاية الحض على الإيمان والعمل الصالح.

تقدم الآيات (١٧:٢٨) صورة كلية ممتدة لما أعده الله من ثواب للمتقين في جنات الخلد فقد دلت بداية الصورة أن المتلقى إزاء نعيم فريد يكمن تفرده في أنه عطاء من الله (فاكهين بما اتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)(١٨).

وتشير الصورة إلى مظهرين للنعيم، الأول:معنوي تمتلىء فيه نفوس هؤلاء الصالحين بالسكينة وهم يتلقون هذا الخطاب (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) (١٩) ويسعدون فيه بلقاء ذريتهم وقد سلكت مسلكهم في العمل الصالح (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وماألتناهم من عملهم من شيء)(٢١) والآخر: مادي نصادفه في سائر آيات الصورة.

وتسبغ الصورة على هذه المظاهر جميعا تقريرا وتأكيدا، يستمد من الافعال الماضية بدلالتها على التحقيق والثبوت، وتسبغ عليها كذلك دواما وتجددا يستفاد من الافعال المضارعة بدلالتها على البقاء والاستمرار.

والحق أن هذه الافعال المضارعة قد نهضت بدور دلالي مزدوج ذي بعدين، أحدهما: إفادة الاستمرار، والآخر: إكساب الصورة قدرا من الحيوية بما يجعل مظاهر النعيم حية شاخصة متحركة في مخيلة المتلقي، وربما آزر هذه الدلالة الاشتقاق في قوله سبحانه(متكئين على سرر مصفوفة) (٢٠) فالآية– من خلال الاشتقاق– بينت هيئة المتقين وهيئة سررهم في الجنة.

ويتضاعف التأثير النفسي الذي تتركه هذه الصورة الممتدة في وعي المتلقي من خلال ما ورد فيها من إرشادات عابرة إلى المصير المقابل، إذ يتيح ذلك أن يعقد المرء مقارنة بين هذا النعيم المقيم من ناحية. . والعذاب الأليم من ناحية اخرى. فيتعاظم في نفسه الاحساس برحمة الله تغمد بها عباده. وقد ورد ذلك مرتين، الأولى: في بداية الصورة (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)(١٨) والأخرى: في ختامها (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون. قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين. فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم)(٢٥:٢٧) وربما نجم عن ذلك إدراك أعمق لطبيعة الجنة ونعيمها.

والحق أن هذا التقابل داخل الصورة إنما يوازي تقابلا اوسع نطاقا لايقع بين الجمل والمفردات وإنما يقع بين الصور على امتدادها فالآيات التي انصب عليها الحديث بوصفها صورة كلية للجنة ومن فيها من المتقين(١٧:٢٨) قد وردت مقابلة لصورة كلية لنار جهنم ومن فيها من المكذبين (١١:١٦).

يتضاعف التأثير النفسي الذي تتركه هذه الصورة الممتدة في وعي المتلقي من خلال ما ورد فيها من إرشادات

وهكذا نفطن إلى أن الصورة الأخرى التالية قد استبقت اشارات من الصورة الأولى السابقة. مما قد يحقق دلالة كلية كبرى تنبع من هاتين الصورتين معا يمكن أن يتمثلها المتلقي على هيئة حض على الإيمان والعمل الصالح.

وربما يتأكد لنا هذا الوجه إذا تتبعنا الصور الكلية على مستوى السورة كلها، فبعد القسم المفتتحة به السورة يرد تصوير ليوم القيامة (يوم تمور السماء مورا. وتسير الجبال سيرا) (٩، ١٠) فتصوير كلي لمصير المكذبين (١١:١٦) فتصوير كلي لثواب المتقين (١٧:٢٨) ويعود آخر مانجده من تصوير كلي في السورة الى يوم القيامة وما ينتظر المكذبين فيه (٤٥:٤٧).

وبعد فليست هذه السطور إلا محاولة للوقوف في رحاب القرآن الكريم، ومحولة لإلقاء الضوء على ضرورة الاهتمام بدرسه درسا لغويا وبلاغيا، فلا يبقى الموروث من منظوم كلام العرب ومنثوره الميدان الاكبر الذي يستقطب عناية الدرس النقدي. فلابد أن يكون للدرس القرآني وجوده الظاهر والفاعل في حياتنا المعيشة. ولعلنا بذلك قد حاولنا أيضا ايضاح أن أدوات التحليل الأسلوبي قد تثمر في الاقتراب من لغة النص القرآني العظيم. فإن كان ثمة توفيق فالفضل لله وحده ثم لأساتذتي الذين يسر الله لي الخير على ايديهم وإن كانت الأخرى فحسبي مابذلت من جهد. ■



جريمة السرقة
أسبابها، آثارها، علاجها

عني الإسلام ببناء مجتمعه على أسس الفضيلة والخلق القويم، ووضع سياجاً منيعاً لحماية أعراض الناس وأرواحهم وأموالهم، وأولى جانب الأموال عناية فائقة.

فنظم طرق اكتسابه والحصول عليه، وطرق إنفاقه والتصرف فيه، وقد حثّ على الكسب ـ المشروع أياً كان طريقه ـ وحرّم الكسب الحرام بشتى صوره، وجعل أعراض الناس مصونة، يعاقب من يعتدي عليها، وكذلك جعل أموالهم مصونة ومحترمة، لا يجوز المساس بها، إلا عن طيب نفس من أصحابها، قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) النساء: ٢٩.

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه» (١)

ولقد قرر الإسلام لكل فرد في مجتمعه حق الحياة كاملاً غير منقوص، فمن حق الفرد: أن ينال مسكنه، ومطعمه، وملبسه، وعلى الدولة أن تأخذ بيده، وتعينه لتحقق له ذلك، فتسهل سبل العمل للقادرين، وتؤمن أسباب الحياة الكريمة للعاجزين.

ولقد أوجب الإسلام ـ كذلك ـ تقديم العون لكل من لا يغطي دخله نفقاته المشروعة، سواء أكان ذلك من أموال الزكاة، أم من خزينة الدولة.

وهكذا نجد أن الإسلام قد ربى ضمائر أتباعه وأخلاقهم تربية سديدة قويمة، ووجههم نحو العمل والكسب الشريف، ومن لم يتوافر له العمل بسبب من الأسباب، أو لم يكف دخله لسد حاجته المشروعة عوّضه عن كل ذلك بمصادر كريمة نظيفة فلماذا يسرق السارق إذن؟!!

إن السارق - والحال هذه - إنسان قد خلا قلبه من الإيمان، وسيطر الإجرام على نفسه، فحجب عنها مخافة الله تعالى، ومن حق المجتمع: أن يأمن أفراده على أموالهم، ومن حقهم: أن يعاقب كل من يعتدي على هذه الأموال، ويأخذها خلسة وخفية، دون علمهم ولا رضاهم، ولذلك جاء النص القرآني صريحاً واضحاً في تقرير عقوبة السارق رجلاً كان أم امرأة.

عقوبة السرقة:

قال تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) المائدة: ٣٨.

هذه هي عقوبة السارق: قطع يده، التي استعملها في تنمية ثروته، وزيادة ماله من طريق غير مشروع.

إن الحكمة الإلهية بارزة للعيان في تقرير هذه العقوبة، فإن السارق متى علم أن هذه اليد التي يعمل بها ويكسب رزقه بسببها، ستكون نهايتها القطع عندما تمتد إلى أموال الناس يفكر طويلاً قبل أن يقدم على فعلته التي سيبقى بعدها عاجزاً عن الكسب، غير قادر على تنمية ثروته، يحمل عار جريمته معه، أينما توجه في المجتمع، وفي ذلك حفظ للأفراد من التمادي في هذه الجريمة، وحفظ للأموال العامة والخاصة من عبث العابثين، واستهتار الطائشين.

عقوبة السرقة بين القطع والحبس

ويحاول الخارجون عن الإسلام، المحاربون لتعاليمه، من الكفرة، أو ممن يحملون اسمه، أن يشنعوا عليه تقريره هذه العقوبة، ويعتبرونه قد قسا على المجرمين، وكان الواجب أن يرحمهم، ويرأف بهم، فيكتفي بسجنهم - مثلاً - حتى تصلح حالهم، ويعودوا لمجتمعهم أفراداً صالحين.

وفات هؤلاء أن الذي قرر هذه العقوبة إنما هو خالق الناس سبحانه وتعالى، العليم بأحوالهم، وما يصلح شأنهم: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك: ١٤.

هذه ناحية يجب ألا تغيب عن حسّ المسلم أمام أي أمر من أوامر الله تعالى.

ولو نظرنا في عقوبة الحبس لوجدناها قد

بقلم: محمد يوسف الجاهوش

أخفقت في محاربة الجريمة على العموم، والسرقة على الخصوص، وسبب هذا الإخفاق: أن عقوبة الحبس لا تخلق في نفس السارق العوامل النفسية التي تصرفه عن جريمة السرقة، لأن عقوبة الحبس لاتحول بين السارق وبين العمل إلا مدة الحبس، وما حاجته إلى الكسب في سجنه، وقد وفرت له الطلبات، وكُفي جميع الحاجات، ومتى خرج وجد أمامه مجال الكسب مفتوحاً من حلال وحرام، فضلاً عن أن كثيراً من السجناء يزاول الكسب داخل السجن بطرق منوعة، ليس أقلها تهريب المخدرات.

ولا تحسبن السجن يصلح نزلاءه... أو يربيهم على الخلق والفضيلة؟ فماذا عسى أن يتعلم مجرم أو يفيد من مجرمين مثله؟ اللهم إلا فنوناً جديدة من الإجرام، وطرقاً منوعة من خبرات من عايشهم، سواء في مجال تكرار الجريمة، أم في التفلت من عقوبتها، والتهرب من ملاحقة القانون.

إذ إن المجرمين في سجنهم يتدارسون أخطاءهم، لتلافيها مستقبلاً، ويغرسون في نفوس بعضهم بعضاً الحقد المرير على أبناء مجتمعهم وأمتهم، ويصممون على الانتقام متى فارقوا سجنهم بكل ما يستطيعون.

ولا أدل على ذلك من أنك ترى من نزلاء السجون الكثير من أصحاب السوابق، الذين عادوا للسجن مرات كثيرة، وما كنت واجداً أمثال هؤلاء لو كان السجن عقوبة رادعة عن معاودة ارتكاب الجرائم، بل العكس هو الذي ثبت كما ترى.

ثم إنه متى خرج يستطيع خداع الناس، والتظاهر بمظهر التائب الشريف، وينطلق حسبما يملي عليه هواه، أما عقوبة القطع: فتحمله على التفكير طويلاً قبل الإقدام على السرقة، لأنه يعلم أن يده ستقطع لا محالة، ويصبح بعدها عاجزاً عن تنمية ثروته، كما يصبح معروفاً لدى الناس، يحذرونه ويتقون شره.

وإننا نسمع صيحات تنادي بأن عقوبة القطع لا تتفق مع ما وصلت إليه الإنسانية والمدنية، وفات هؤلاء أن المدنية والإنسانية لا تعني أن يلغي الإنسان دينه وشريعته، ويعطل عقله وفهمه في استخلاص النتائج والعبر من حوادث الحياة.

فما كان أحراهم أن ينادوا بتطبيق عقوبة القطع على السارقين، إذ إنها العقوبة التي بنيت على معرفة طبائع الناس ونفسياتهم، فهي التي فيها صلاحهم.

وإذا كانت العقوبة الصالحة هي التي تتفق مع المدنية والإنسانية، فإن عقوبة الحبس يجب إلغاؤها، لتحل عقوبة القطع محلها، ولا ينبغي أن يخطر بالبال أن الناس سيقفون صفوفاً متزاحمة أمام الجلادين ينتظر كل منهم دوره لتقطع يده؟ لا، إن الأمر غير ذلك تماماً، فعلى امتداد الحكم الإسلامي منذ عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - والراشدين، ومن تلاهم من أئمة الهدى، لم يحدثنا التاريخ إلا عن أيد محدودة العدد جداً، قطعت بسبب السرقة، وما ذلك إلا لشدة عناية الإسلام بتربية الأفراد، وتأمين حاجاتهم، ودفع العقوبة عنهم، متى ثبت أن سرقتهم بسبب الفاقة والحرمان.

فأين هذا مما نراه في دنيا الناس اليوم، إن أغنى البلاد مادياً هي الأكثر تعرضاً لشتى الجرائم، وعلى رأسها جريمة السرقة، وما حدث من سرقة ونهب للمحال التجارية، عندما انقطع التيار الكهربائي لبضع دقائق في مدينة نيويورك بأمريكا لا يحصى عدده، وحوادث انقطاع التيار الكهربائي تتكرر في بلادنا الإسلامية دون أن تحصل جريمة سرقة واحدة، علماً بأن أجهزة الأمن عندهم متقدمة، ومتفوقة عما هي عليه عندنا بمراحل كبيرة، فما الذي يحول دون وقوع السرقات في مثل هذه الحالات؟

لاشك أن العاصم من ذلك إنما هو إيمان المؤمن بأن الله مطلع على أعماله، في السر والعلن، وفي النور والظلام، وسوف يحاسبه عليها، والمؤمن يخشى عقاب الله، ويرجو ثوابه، فلذا تراه واقفاً عند حدود الله تعالى.

متى تقطع يد السارق

يستحق هذه العقوبة كل إنسان بالغ عاقل، أخذ مال غيره خفية دون عمله ولا رضاه، من المكان الذي حفظه فيه، إذا شهد بذلك رجلان، أو رجل وامرأتان، أو إذا اعترف هو بذلك، أو وجد المال بعينه عنده وهو ينكر

ذلك، متى بلغ المال المسروق ربع دينار فأكثر.

هذا ما دلت عليه بوضوح سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً» (٢).

وفي رواية عند البخاري «اقطعوا في ربع دينار، ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك».

وقد قطع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يد من سرق مجناً (٣) بلغت قيمته ثلاثة دراهم»(٤).

ولا ينبغي أن يخطر بالبال أن هذا المبلغ زهيد تافه، فكيف استحق سارقه هذه العقوبة الشديدة؟! لا، فإن اليد التي امتدت إلى زهيد المال وقليله، لن تتورع عن أن تمتد لكثيره، ومن يسرق الحبل فلسوف يسرق الجمل، فلا بد من معاقبته في الحالين، بل لابد أن يكون ماثلاً في الأذهان دائماً، أن اليد السارقة يد خائنة: خائنة للأمانة التي حملها الإنسان، خائنة للأخوة التي أرسى قواعدها الإسلام، خائنة لمعاني الإنسانية، التي ينبغي أن يحترمها كل إنسان؟

وقديماً قال شاعر زنديق مشنعاً على الإسلام عقوبة القطع:

يد بخمس مئين عسجد وديت

ما بالها قطعت في ربع دينار؟

فأجابه فقيه مؤمن:

عزّ الأمانة أغلاها وأرخصها

ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

فلا غرابة أن تهدر حرمتها، وتهون على الله وعلى الناس نتيجة خيانتها.

ليس كل أخذ للمال سرقة:

هل كل آخذ لمال غيره يعتبر سارقاً تقطع يده متى سرق ما قيمته ربع دينار؟

لنستعرض بعض حالات أخذ الإنسان لمال غيره لنرى أيها ينطبق عليه أخذ المال خفية، من المكان الذي اعتاد الناس أن يحفظوا فيه أموالهم.

هل الإنسان الذي يشهر السلاح على آخر ويسلبه ماله في عرض الطريق في أي ساعة من ليل أو نهار يكون سارقاً؟ لا شك أنه ليس بسارق، لأنه لم يأخذ المال خفية - فماذا نسميه - إذاً؟ إن مثل هذه الحالة يسمى فاعلها مغتصباً.

وهل الشريك الذي يخون شريكه ويستأثر بجزء من الأرباح، أو يدعي خسارة كاذبة يكون سارقاً؟ طبعاً لايكون كذلك، لأن المال بين يديه، لم يأخذه خفية من مخبئه، إنه والحال هذه - رجل خائن.

وماذا نسمي أمين الصندوق أو العامل الذي يبيع ويقبض الثمن ثم يختلس جزءاً منه؟ إنه كذلك ليس سارقاً، بل هو كما يدل عليه فعله مختلس.

وقل مثل ذلك فيمن ينهبون ا لمحال التجارية في حالات الفوضى والشغب أو المظاهرات والإضرابات، فما عقوبة هؤلاء؟

إن لكل واحد من هؤلاء عقوبته التي تردعه وأمثاله، وتؤمن العدل والاستقرار في المجتمع، وتنشر الطمأنينة بين الناس، وهذه العقوبة قد تتنوع بين الحبس والضرب والجلد، إلى التغريم والنفي، لكنها ليست قطع اليد أبداً.

لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول:

«ليس على المنتهب، ولا على المختلس، ولا الخائن قطع»(٥).

ومعلوم أن كل من أخذ مالاً - سرقة كان أو غصباً أو نهباً، أو غير ذلك - فإنه يلزمه أن يرد ما أخذ لصاحبه مع معاقبته بالعقوبة التي يستحقها.

درء حد السرقة:

علمنا أن الإسلام قد أحاط الفرد بضمانات متنوعة، وسهل له سبل العيش الكريم، ثم عاقب بعد ذلك من سرق، فإذا ما وجد من ضاقت به سبل العمل، وضيعه المسلمون، ولم ترعه الدولة، فلا تقطع يده، إذا ما سرق من مال غيره ما يملأ به بطنه ليمسك حياته، لأن هذه الحالة تعتبر شبهة تدفع عنه حد القطع، وقد حث الرسول - صلى الله عليه وسلم - على درء الحدود عن المسلمين بالشبهات، وأوضح أن الحاكم إذا ما أخطأ في العفو خير له من أن يخطئ في العقوبة.

وقد فهم المسلمون الأولون هذا وطبقوه، فدرأ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الحد عن الغلمان الذين سرقوا ناقة ونحروها ليأكلوا من لحمها، فلم يقطع أيديهم، وغرم سيدهم ثمن الناقة، ودفعه لصاحبها، (٦) لأنهم فعلوه عن حاجة واضطرار، إذ إن سيدهم كان يجوعهم فكان عملهم من باب الضرورة الملجئة، فلم تقع جريمة تامة في هذه الحال.

الله تعالى يقبل التوبة:

ما من ذنب يقترفه المسلم إلا ويقبل الله توبة صاحبه، إذا أقبل على ربه بقلب منيب، نادماً على ما فرط منه في جنب الله، مستغفراً مما اقترفت يداه، مصمماً على ألا يعود لما أسلف من شر، وذلك باستثناء الشرك بالله، وما يتصل بحقوق الناس إلا أن يرد إليهم حقوقهم، أو يعفوا، ويسامحوا.

ولقد ذكر الله تعالى مصير التائبين من السرقة عقب ذكر عقوبتهم مباشرة، توجيهاً للقلوب نحو بارئها، وفتحاً لباب الأمل أمام من زلت بهم القدم، قال تعالى: (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) المائدة: ٣٩.

وما أروع هذا التوجيه الرباني: (تاب وأصلح) إنه توجيه كريم من الله الكريم: أن يتوجه التائب نحو العمل الصالح، غير مكتف بالندم والحسرة على ما مضى، كي لا يعيش في دوامة الفراغ القاتل، واللوم البغيض، فيملأ الشيطان عليه فراغه، ويقوده بحيلة من حيله نحو جريمة جديدة، ما كانت له ببال.

لكنه حينما يتوجه نحو العمل الصالح لكسب معاشه، فإنه يسد مداخل الشيطان، ويشبع فطرته التي فطر الله الناس عليها، من حيث حبه للمال، وحرصه على جمعه، وتتغير نظرة الناس نحوه، فيعايشهم بحاضره المشرق، وواقعه النزيه، ويتلاشى من سماء حياته ومن أعماق نفسه شبح جريمته، وبشاعة ماضيه.

فواجب المسلم: الابتعاد عن كل ما نهى الله عنه، قولاً وعملاً، وواجبه كذلك: نصح الآخرين، وتوجيههم نحوالخير والفلاح، أداء لواجب الأخوة نحوهم، وقياماً بتبليغ الدعوة التي جعل الله تبليغها فرضاً على كل مسلم، ولا سيما الذين كرّمهم الله تعالى بالتعلم

واتباع طريق الدعوة إلى الله.

ومن زلت به القدم، فارتكب مما حرم الله شيئاً صغيراً أو كبيراً فستره الله، فليستتر بستر الله، وليكفر عن جريمته بالتوبة، والاستغفار، والندم، والعمل الصالح، ولا يجوز له أن يتحدث بعد ذلك عن جريمته.

فقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمن بايعه من الصحابة على الإيمان وعدم الشرك، والكف عن الزنى والقتل، والسرقة، وغيرها، بين لهم أن من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب منها شيئاً فستره الله، فلا يفضح نفسه، وأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه.(٧)

ذلك أن المجاهرة بالذنب تعتبر ذنباً ثانياً، لأنها تشجع الناس على ارتكاب المعاصي، وتجعلهم يستسهلون ذلك.

لهذا حذّر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من المجاهرة بالذنب.

روى مسلم في صحيحه: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرين: أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح قد ستره ربه عز وجل، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا - وقد بات يستره ربه - فيبيت يستره، ويصبح يكشف ستر الله عنه».

ثم يجب عليه أن يرد لأصحاب المال ما سرق من أموالهم بطريقة أو بأخرى، إذ إن الله تعالى لا يقبل توبته إلا برد ما أخذ إلى أصحابه.

خاتمة:

إذا عرفت هذا فما واجبك أيها المسلم وأنت ترى إنساناً يريد أن يرتكب جريمة السرقة، أو هو قد ارتكبها بالفعل؟

إن دينك يوجب عليك نحو أخيك هذا جملة أمور:

أ - أن تسدي له النصح برفق ومودة، وتوجهه نحو الخلق الفاضل، والخوف من الله تعالى، وهذا واجب عليك عملاً بقول رسولنا الأعظم - صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» (٨).



المجاهرة بالذنب تعتبر ذنباً ثانياً لأنها تشجع الناس على ارتكاب المعاصي وتجعلهم يستسهلون ذلك

ب - أن تشعره أنك تحبه كما تحب نفسك، لأنه أخوك في الله، جمعتكما أخوة الإسلام التي هي أوثق الروابط، وأنت حينما تنصحه إنما تفعل ذلك استجابة لنداء الإيمان في أعماقك: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٩).

ج - أن تحرص على تصوير هذا الفعل في نفسه بصورة بشعة لينفر منه، ويبتعد عنه.

د - أن تفتح له باب الأمل في رحمة الله، وأنه - تعالى - يقبل توبة كل تائب، متى صحت عزيمته، وصدقت نيته، وتذكره دائماً بفرح الله تعالى بالتائبين من عباده وما تفضل به عليهم: من تكفير سيئاتهم، ورفع درجاتهم يوم القيامة.

إن هذه الواجبات التي فرضها الإسلام على كل مسلم - نحو أخيه - لدليل ساطع على عظمة هذا الدين وسمو مبادئه، وأصالة تعاليمه، ولا عجب، فإنه رسالة الله تعالى إلى عباده، والتي أنقذهم بها من الظلمات إلى النور، وهداهم بوحيها إلى أقوم سبيل، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.

فما أجدرنا أن نعتز بهذا الدين، وأن نفاخر به الدنيا كلها، وندعوها للدخول في حرمه الآمن، لننعم بالسؤدد والمجد، والحياة الرغيدة.

ولن يعصم الأمة من أخطار الإجرام والمجرمين ولا من أخطار الحروب وويلاتها إلا اعتصامها بكتاب ربها وسنة نبيها محمد - صلى الله عليه وسلم - والعودة إليهما عودة صادقة، عن إيمان وإخلاص. إنها إن فعلت ذلك كان الله معها ناصراً ومعيناً ومؤيداً.

ولابد لتحقيق ذلك من قيام فئة من الناس تدعو إلى الله على هدى وبصيرة، وتنقل هذا الدين لمن حولها سلوكاً وتطبيقاً، قبل نقله كلاماً وخطباً.

وإن الشباب هم أمل اليوم والغد في كل أمة، فجدير بشباب الإسلام أن ينهضوا بهذه المهمة الربانية، لنعيد لديننا مجده، ولأمتنا عزتها (ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) الروم : (٤/٥). ■

الهوامش:

١ - قال ذلك في خطبة الوداع: راجع سيرة ابن هشام ج٢.

٢ - رواه أصحاب الكتب الستة.

٣ - المجن: ما يتقى به في الحرب كالترس أو الدرع.

٤ - رواه الستة.

٥ - أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه ابن حبان أيضاً.

٦ - روى مالك في الموطأ القصة تامة.

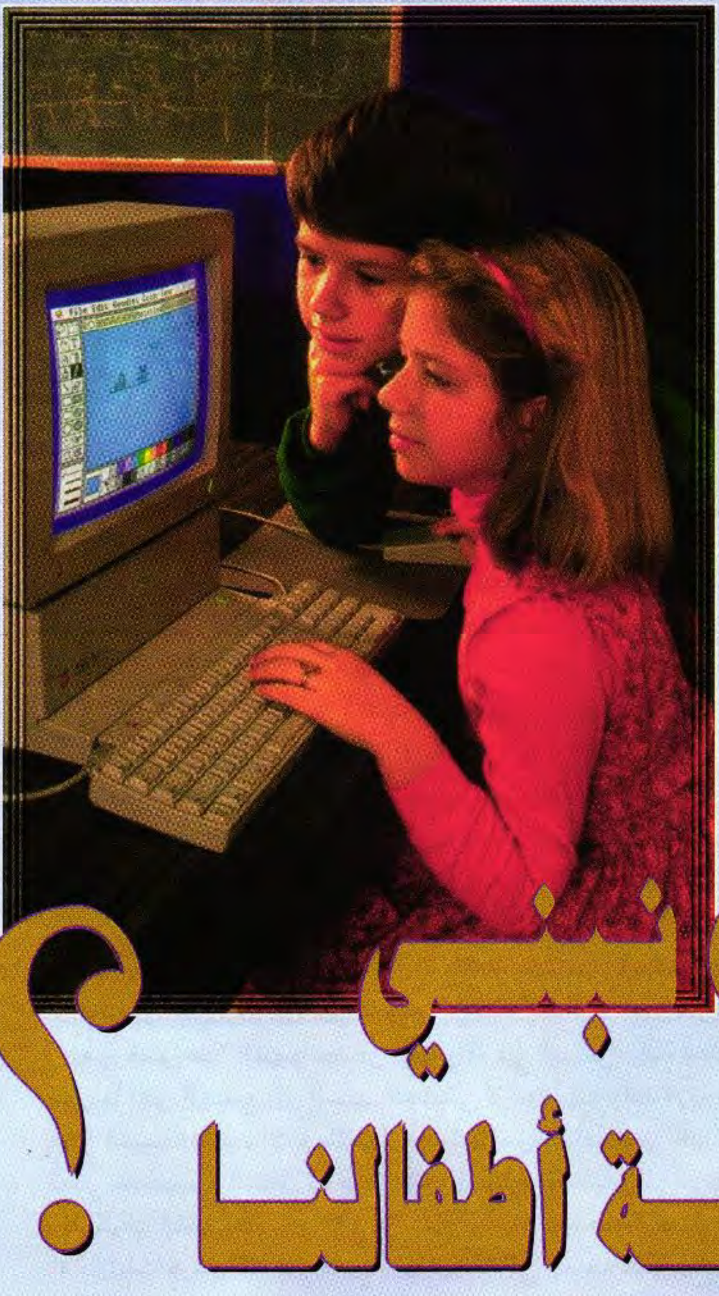
٧ - عن علي - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من أصاب حداً فستره الله تعالى وعفا عنه فالله تعالى أكرم من أن يعود في شيء عفا عنه»، رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.

٨ - رواه الترمذي.

٩ - متفق عليه.

البيت المسلم

العدد ٣٩٢ ـ الوعي الإسلامي ـ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ ـ يوليو / أغسطس ١٩٩٨ م



كيف نبني شخصية أطفالنا ؟

حين اختلفت الأوليات عند صديقي فهد

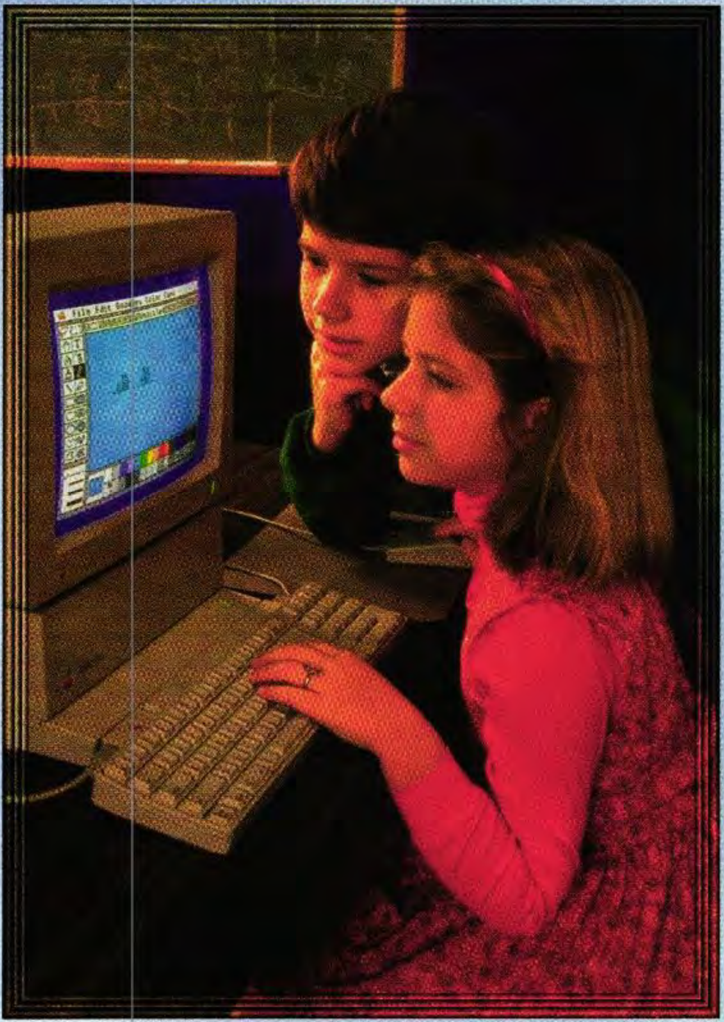
... وأهلك أحق الناس بذلك

تعدد الزوجات في ظل التشريع الإسلامي

الإسلام وحرية المرأة في الاختيار

الزوجان المسلمان لا يسأمان

نظرة تكسب أجراً ونظرة تكسب إثماً



عندما نطرح مثل هذا السؤال «كيف نبني شخصية أطفالنا ثقافيا»؟ فلابد أن ندرك نقتطين أساسيتين هما:

ماذا يمكن أن نقدم لهم من ثقافة البلدان المتقدمة ؟!

ما العوامل التي تساعد على تنمية ثقافة الطفل وتسهم في بناء القيم ؟!

كيف نبني شخصية أطفالنا ؟

بقلم : ليلى محمد محمد



مما لا شك فيه، أن الثقافة ضرورية للطفل كالطعام والماء والهواء، لدرجة أن تقدم المجتمع بثقافة أطفاله، وبقدرتهم على اكتساب المعارف الجديدة والقيم الأخلاقية والاجتماعية والتربوية الأصيلة... ففي الاتحاد السوفييتي سابقاً، وكما جاء على لسان كبير خبراء التربية ورعاية الطفولة قوله «إن في بلادنا قيصراً واحداً، سيظل يتمتع بكل الامتيازات والتقدير ذلك هو الطفل».

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، يقوم رئيس الجمهورية بزيارة رياض الأطفال وملاعبهم والاطمئنان على حسن رعايتهم، وفي بريطانيا ثار أحد علمائها وحمل على الحكومة حملة شعواء لأنها رفعت أسعار الشوكولاته وصرخ «إننا نثور ونرفض أي قيد يمس سعادة الأطفال ورفاهيتهم».

أما الشعوب التي تهمل أطفالها وتتركهم يعيشون غرباء عن أمتهم، فإنهم يشبون دون أن يشعروا بأي رباط يربطهم بأمتهم، إن هذه الشعوب تحفر قبرها بيدها.

وفي ضوء هذا الفهم نجد أن الطفولة، هي أساس الأمة وعليها يقوم بنيانها، وبات معروفاً لدى الجميع، أن السبب الحقيقي لازدهار حضارة الأمة أو ضياعها، هم أطفالها، لهذا السبب اهتمت الأمم بالأطفال والطفولة، وجعلتها همها الدائم وشغلها الشاغل. كيف تبني شخصية الطفل ثقافياً؟ لأنها أصعب بملايين المرات من بناء السدود العالية والمركبات الفضائية.... والأهم من ذلك أن بناء شخصية الطفل لن تكون متزنة وتامة، إلا إذا أولينا فكره وعقله من العناية مقدار ما نولي جسمه حتى ينشأ متكاملاً متزناً.

مرحلة ما قبل القراءة :

إن مرحلة ما قبل القراءة هي مرحلة مهمة في حياة الطفل، وهي الأساس في بناء القارئ وإعداده، ولابد أن يبدأ الإعداد في مرحلة ما قبل القراءة هذه، أي منذ بداية نمو الطفل.

إن مرحلة الإعداد للقراءة، هي المرحلة التي تتوجه للطفل دون ست سنوات وإذا أعددنا الكتاب المناسب لنمو الطفل وحاجاته وخبراته فإننا نسهم إسهاماً كبيراً في إعداد القارئ، إن الكتب الموجودة الآن في دور النشر العربية وبخاصة في البلاد النامية عامة تبدأ بالقراءة الكاملة وهنا ثمة أسئلة في هذا الخصوص.

هل تلك القصص تساعد في سرد القصة للأطفال؟

هل القصص المعدة مناسبة حقاً للأطفال الذين مازالوا لا يجيدون القراءة؟

هل الصور الموجودة في هذه الكتب مناسبة؟ وهل يرى هذا الطفل الصورة كما نراها نحن؟!

وفي بلدان العالم الثالث، هل نعرف شيئاً عن الطفل؟ من هو؟ ماذا يريد؟ وماذا يجب...؟

إن معظم القصص الصادرة غير مدروسة، لأن الهدف من عرضها وبيعها هو الربح فقط، كما تحتل كتب الأطفال المترجمة حيزاً مهماً، وينافس الإنتاج المحلي في البلاد النامية، ومن بين هذه المواد المترجمة، قصص كلاسيكية مشهورة مثل قصص «غريم باندرسون ـ ستيفن ـ وقصص أقل شهرة وغالباً ما تحتوي على قصص علمية، وقد تكون مجلات مصورة، وقد تتفاوت جودتها من الجيد إلى الرديء، وتأثيرها مختلف من انبعاث الرغبة في الإبداع إلى الخمول والاتكالية، إلا أن السؤال الذي يلوح في الأفق هو: «ما صفات الترجمة المفيدة؟». يمكننا تلخيصها بالتالي:

ـ أن تنحصر في المؤلفات المختارة والجديرة بالترجمة والتي تتماشى مع التربية.

ـ أن تمتاز بالاتقان، وتبلغ مستوى كلاسيكياً، وهذا نادر في الكتب التي تترجم للأطفال، لذلك، فمن الأفضل قراءة هذه الكتب في لغاتها الأصلية، أو في لغات أجنبية أتقنت ترجمتها عن لغاتها الأصلية فمثلاً قصة «أليس في بلاد العجائب» الإنكليزية الأصل، يفضل قراءتها مترجمة إلى الفرنسية إذا كان القارئ يجهل الإنكليزية ويعرف الفرنسية.

وهذا يقودنا إلى المطالبة بتأمين «مركز دراسات الأطفال» في البلدان النامية، بغية تأمين كتاب الطفل في العالم الثالث، ولتأمين ذلك، يجب معرفة الطفل أولاً، ومن خلال دراسات أساسية تتناول:

١ ـ معرفة مستوى الطفل، للأخذ بيده، وتقديم المادة التي تشبع حاجة القارئ الموهوب إلى التفكير التأملي وتوجيه الطفل العادي إلى مجالات أخرى في القراءة، لإخصاب معرفته وتوسيع آفاقه، وتمثله بطاقة اختبار القراءة الصامتة للمرحلة الابتدائية.

٢ ـ معرفة عيوب القراءة، لتلمس مواطن القوة والضعف في المهارات اللغوية لدى الأطفال ويمثله بطاقة عوامل التخلف في القراءة في المرحلة الابتدائية.

٣ ـ معرفة ميول الأطفال القرائية بغية توجيهها وتنميتها، مما يساعد على تحسين الخدمات المكتبية التي تقدم للأطفال.

٤ ـ معرفة الكتب والقصص التي يقرؤها الأطفال أكثر من غيرها في مراحل العمر المختلفة، علماً بأن القصص المفضلة للأطفال هي تلك القصص التي تدور عن الحيوانات والطيور ذات الصفة الخيالية، وذات الألفاظ والجمل البسيطة والسهلة التناول، ناهيك عن القصص ذات الغلاف الجذاب والتي تناسب صورها موضوعاتها.

الإرشاد ... خطوة ضرورية:

الإرشاد وظيفة تسبق المطالعة وتمهد لها، بل هو خطوة ضرورية تفرض على القائمين بها، أن يعرفوا خصائص الأدب الجيد الموضوع للأطفال، مثلاً:

«كيف تختلف قصة للصغار عن قصة للبالغين في أسلوبها وفي مضمونها»؟

وهنا... أليس الأمر بحاجة إلى مطالعة القصص المختلفة الجيدة والرديئة في سبيل المقارنة والحكم ومراجعة لوائح الكتب المرفقة بشروح وتعليقات تسعف في الاختيار... والاستعانة بمصادر أجنبية تنير لنا الطريق؟... وإلا سنظل نواجه تلك المعضلة «الحلقة المفرغة» من يضطلع بوظيفة الإرشاد، والأمر نفسه يصدق على نشاطات أخرى غير المطالعة.

العوامل التي تساعد على تنمية ثقافة الطفل وتسهم في بناء القيم:

يجب أن تعامل الطفل على أنه كائن مفكر، ويحتاج إلى المعرفة، للوقوف في وجه العقبات التي تقف في طريقه، وبغية تعزيز ثقة الأطفال بأنفسهم، وبيان فوائد الثقافة والعلم ودورهما في بناء القيم، ومن العوامل التي تسهم في ذلك:

١ ـ إعطاء الطفل الفرصة الكافية، وتوفير المستلزمات جميعها التي تساعد على بناء قيم معقولة، يستطيع أن يفخر بها ويدافع عنها ويضحي في سبيلها بعد أن نوفر له المحبة والاحترام والشعور بالثقة والطمأنينة.

٢ ـ فتح حوارات وندوات مع الآباء والمربين، بغية مناقشة الموضوعات التي تهم الأطفال وتساعدهم على المنافسة والانطلاق وتبعدهم عن العقد النفسية.

٣ ـ تعليم الطفل، الجمل الايجابية التي تؤثر في مشاعره، بغية معرفة العلاقة بين المشاعر والأهداف.

٤ ـ تدريب الأطفال على كيفية الإفصاح والقيام برحلات وعرض المشاكل والاشتراك في كيفية وضع الحلول المناسبة لها، وتنفيذ الألعاب الهادفة التي تساعد على تنمية المدارك.

٥ ـ اللجوء إلى استخدام أساليب تربوية مؤثرة وجذّابة من ثناء ومكافأة.

وبعد... إذا قمنا بهذا الدور الفعّال، نكون قد استطعنا أن نبني شخصية أطفالنا ثقافياً، واسهمنا إلى حد كبير في إنقاذ أطفالنا من الضياع... وتثقيفهم وتكوين القيم الاجتماعية والحضارية السليمة لديهم. ■

مراجع المقال :

ـ الأطفال وقراءاتهم ـ الكويت ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع. ١٩٧٦م/ م.ص ١٦٠، للأستاذ: محمد بن السيد فراج.

ـ تقرير حول أدب الأطفال في الغرب ـ دمشق ١٩٧٩م / م.ص: ١٧ للأستاذ: إبراهيم الخطيب.

ـ أطفالنا كيف نفهمهم؟ جيروم كاغار، ترجمة: عبدالكريم ناصيف.

حين اختلفت الأولويات عند صديقي فهد

محمد رشيد العويد



تضايقت حقاً حين علمت من صديقي عبدالرحمن أن صديقنا فهداً غير راض عن زوجته، وأن خلافات قليلة نشبت بينهما.

وكان سبب ضيقي معرفتي الجيدة بفهد، وبكمال خُلُقه، وعِفّة نفسه، وشدة زهده في الدنيا ومتاعها.

قال لي عبدالرحمن: أرى أن تتدخل قبل أن يستفحل الخلاف

قلت له: قبل أن نعرف السبب؟

قال لي: حاول أن تسأله.

قلت: هل أسأله: لماذا أنت غير راض عن زوجتك؟ ألا تجد في هذا حرجاً؟

قال: لعلك تعرف السبب من زوجتك... فإن المرأة تُسرّ أحياناً بما بينها وبين زوجها إلى صديقتها.

قلت: اقتراح صائب.

قلت لزوجتي: من خلال لقاءاتك بزوجة فهد... ألم تحيطي بسرّ عدم رضاه عنها؟

ابتسمت زوجتي وقال: ولِمَ لمْ تقل: عدم رضاها هي عنه؟

أعجبني استدراك زوجتي وفهمت منه أنها محيطة بأسباب خلافهما، فقلت متبسماً أيضاً: حسن، ما سر عدم رضاها عنه؟

قالت: إنها والله لتثني عليه الثناء كله... ولا تشكو فيه إلا عيباً واحداً.

أثارت زوجتي في نفسي الاستعجال لمعرفة سبب الخلاف، فقلت على الفور:

- وهو؟

قالت: إمساك يده.

قلت: تعنين أنه بخيل.

قالت: لا أحب إطلاق هذه الصفة عليه.

قلت: وأنا والله كذلك... فقد عرفته متصدقاً، باذلاً في سبل الخير.

قالت: وهذا ما أكدته زوجته.

قلت: إنه زهده إذاً، زهده جعله يمسك يده في الإنفاق على زوجته.

قالت: أنت لم تزره منذ أن تزوج... فلماذا لا تزوره في بيته وتحدّثه برفق دون أن تشعره بما يحرجه أو يجرح نفسه؟

قلت: أنت على حق، وهذا ما سأفعله إن شاء الله.

حين دخلت بيت فهد، وشاهدت أثاثه القديم، على الرغم من أنه حديث عهد بالزواج، زاد اعتقادي بصدق دعوى زوجته بإمساك يده عنها.

كان فهد شديد الترحيب بي، عاتباً على تأخري بزيارته بعد زواجه، معبراً عن شوقه لجلساتنا القديمة الطيبة.

أبديت له اعتذاري وأقررت له بتقصيري، وخضت معه في أحاديث مختلفة... لكني لم أنجح في أن أنتقل من أحدها إلى ما أردت محادثته من أجله.

أخيراً قلت له: كم سرّني يا أخي أن زواجك لم يشغلك عن حب الصدقة على الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى.

ابتسم راضياً وقال: وكيف عرفت؟ إني والله لأحاول أن أكتم هذا حتى لا تعلم شمالي ما تنفق يميني.

قلت: مازحاً: نحن الصحافيين لا نكشف عن مصادر أخبارنا.

قال: «على ذكر الصحافة... ما آخر الأخبار؟».

خشيت أن يخرجني عن غايتي وقد اقتربت منها، فقلت له عائداً إليها:

- دعنا من الصحافة ومتاعبها وأخبارها...

ابتسم موافقاً.

قلت: ولكن أليس هذا على حساب زوجتك؟

قال: «وأحسبه نسي ما كنا فيه»: ماذا تعني؟

قلت: إنفاقك في سبيل الخير... ألم يكن على حساب زوجتك؟

قال متسائلاً: ما يأخذه مني من وقت أم من مال؟

قلت: ما يأخذه منك من وقت ومن مال.

قال: لقد ذكّرت زوجتي منذ البداية... أننا في هذه الدنيا عابرو سبيل... وأننا لسنا خيراً من النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام - رضي الله عنهم حين كانوا يعيشون عيشة الكفاف والزهد.

شعرت بالرضا لأنني نجحت في الوصول معه إلى الغاية التي ابتغيها... لكنني في الوقت نفسه أدركت أن إقناعه فيه بعض الصعوبة.

قلت: ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم علّمنا أن نعطي كل ذي حق حقه... ولزوجتك عليك حقوق كثيرة.

قال: لا أحسب أنني مقصّر في حق من حقوقها إنها تأكل وتشرب وتلبس.

قلت: ولكن ماذا تأكل؟ وماذا تشرب؟ وماذا تلبس؟

قال: ماذا تعني؟

قلت: هل سألتها يوماً عما تشتهيه نفسها لتشتريه لها؟

صمت ولم يجب.

قلت له: هل ناولتها يوماً مئة دينار وقلت لها اشتري لنفسك ثياباً جديدة؟

رد في شيء من الاعتراض: ولِمَ الثياب الجديدة... و«فساتينها» لم يهترئ منها شيء؟!

قتل: ومَنْ مِنَ النساء اليوم تشتري «فستاناً» لأن فساتينها اهترأت... إنهن يحببن الجديد... ولا بأس من بعض مجاراتهن في ذلك. لإدخال السرور على قلوبهن.

قال مازحاً: ومن نصّبك يا أخي محامياً عن زوجتي؟

قلت: ماذا تبغي من وراء تصدقك على الفقراء والمساكين؟

قال: لا شك في أنه الأجر من الله تعالى.

قلت: عظيم، هل تعلم أن في تصدقك على زوجتك أجراً أيضاً، بل إن أجر تصدقك عليها أعظم من أجر تصدّقك على الفقراء والمساكين؟

قال: ولكن إنفاقي عليها واجب... فأين الصدقة؟

قلت: استمع إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك... أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك».

قال صاحبي مدهوشاً: الله أكبر، هل تصدق أني أسمع بهذا الحديث لأول مرة؟ ولكن... هل هو حديث صحيح؟

قلت: أجل، لقد رواه مسلم في صحيحه.

قال وكأنه يخاطب نفسه: أشتري لزوجتي ما تشتهيه من طعام ولباس وغيرهما... فأكسب حبها ورضاها... وأكسب في الوقت نفسه أجراً عظيماً من الله! كم أضعت من الأجر؟ وكم ظلمت زوجتي؟!

قلت: لا بأس عليك... ولا تحزن عى ما فات... فمازلت في بداية زواجك... وأمامك الحياة الزوجية ممتدة إن شاء الله... لتعيد ترتيب الأوليات... وتعطي كل ذي حق حقه.

قال: إنفاقي على زوجتي أعظم أجراً من تصدقي على مسكين... ومن إنفاقي في سبيل الله؟! كم يحرص الإسلام على التأليف بين الأزواج!

قلت: ولكن احذر!

قال: ماذا؟

قلت: احذر أن ينسيك هذا مساكينك وفقراءك الذين تنفق عليهم... فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يدعو إلى هذا... إنما هو ترتيب للأوليات كما أمر عليه الصلاة والسلام في حديثه: «وابدأ بمن تعول».

قال: وزوجتي أول من أعول.

قلت: ويؤكد هذا أيضاً حديث آخر رواه البخاري في صحيحه، فعن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها... كانت له صدقة».

قلت: أي يريد بها وجه الله تعالى بأن يتذكر أنه يجب عليه الإنفاق فينفق بنية أداء ما أُمر به.

قال: ما أعظم كرم الله تعالى.

قلت: أليس للمرء أن يعجب من أولئك الذين يبخلون فيحرمون أنفسهم تلك الأجور العظيمة؟

قال: بلى والله.

قلت: وغير هذا أيضاً.

قال: أهناك خير آخر لهذا الإنفاق؟

قلت: نعم، وأحسب أنك تعرفه في تصدّقك على الفقراء والمساكين، وهو أنه تعالى يخلف لك في الدنيا ما أنفقته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل: «أَنفق أُنفق عليك» رواه البخاري.

وكذلك الحديث الذي يقسم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم على ثلاث... أحدها: «ما نقص مال عبد من صدقة».

نظرة تكسب أجراً ونظرة تكسب إثماً

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله إليهما نظرة رحمة فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما» الجامع الصحيح الحديث رقم ١٩٧٤.

يؤكد الرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث الشريف بالأداة «إن» أهمية الاقتصار على الحلال في مجال النساء، فيجب على المسلم أن يقصر نظره على امرأته، ولا ينظر إلى نساء غيرها، قال الله عز وجل في كتابه الكريم (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم) النور/٣٠ وكذلك على المرأة أن تقصر نظرها على زوجها الحلال ولا تنظر إلى غيره نظرة محرمة، يشير إلى ذلك قول الله عز وجل في كتابه الكريم: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) النور/٣١، التي جاءت فيها هاتان الآيتان هي السورة التي ندبنا فيها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى تعلمها وتعليمها للنساء لما اشتملت عليه من الآداب الشرعية، والحكم العظيمة، والمهمات العالية، وآداب المعاملة بين الرجل وزوجته، وبين الرجل ومحارمه.

ولقد حذّر النبي - صلى الله عليه وسلم - من خطورة النظرة المحرّمة فقال: «النظرة سهم من سهام إبليس من تركها من مخافة الله عز وجل أبدله الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه» وفي الحديث الصحيح الذي سبق ذكره يشير النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أهمية العلاقة الشريفة التي تكون بين الرجل وزوجته فلا ينظر إلى امرأة سوى امرأته، ولا يلمس كف أي امرأة إلا كف امرأته، لأنه بذلك تتحقق المودة والرحمة والسكينة التي قال عنها عز وجل في كتابه الكريم في الآية ٢١ من سورة الروم: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)، ويشير إلى ذلك الحديث الشريف الذي يقول فيه النبي - صلى الله عليه وسلم: «إذا نظرت إلى امرأة فأعجبتك فارجع إلى أهلك فإن معها مثل الذي معها».

فيجب على المسلم أن يغض بصره عن غير زوجته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يصافح إلا زوجته ومحارمه، لأنه ثبت عن النبي صلوات الله عليه وسلامه أنه كان لا يصافح النساء حتى في البيعة حينما جاءته هند زوجة أبي سفيان وأرادت أن تبايعه امتنع النبي - صلى الله عليه وسلم عن مصافحتها، وقال: «إني لا أصافح النساء» فالحديث يدل على أنه إذا أمسك الرجل على يد زوجته كانت المودة والسكينة والرحمة والألفة ونمت المحبة وغرست بينهما شجرة الود.

محمد حامد موسى محمد

... وأهلك أحق الناس بذلك

المقالة الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة البيت المسلم

ننشر فيما يلي مقالة الفائز بالجائزة الأولى في مسابقة «البيت المسلم» الأستاذ ممدوح جمعة عبدالمجيد.

الحمد لله الذي جعل لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، وجعل بيننا مودة ورحمة، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن الحديث المذكور في مسابقة «البيت المسلم» ونصه: «إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه، نظر الله إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما» ـ هذا الحديث أورده السيوطي في «الجامع الصغير»، الذي «اختصره من الجامع الكبير ـ أو جمع الجوامع ـ «كما قال في مقدمته، ولم يذكر السيوطي ـ رحمه الله! ـ أنه صحيح كله، بل قال إنه ترك الموضوعات التي في الكبير ليكون الجامع الصغير خالياً من الحديث الموضوع، مع وجود الحديث الضعيف فيه، ولذلك كان يرمز لأحاديثه بالصحة والحسن والضعف هكذا: ص، ح، ض: على الترتيب، غير أن رمزي الصحة والضعف تصحفا على النُّسَّاخ في كثير من المواضع، ولذلك لم يعتمد على رموزه المحققون من أهل العلم، ولما سبق من وجود غير الصحيح في الجامع الصغير لم يسمه السيوطي «الجامع الصحيح» كما جاء في نص المسابقة، ومن أطلق عليه «الصحيح» من أهل العلم فقد تساهل، كيف والسيوطي نفسه لم يزعم ذلك كما سبق.



هذا قول عام، أما الحديث المذكور فقد كان الرمز له بالصحة في بعض النسخ، ولما كانت هذه الرموز لا يمكن الاعتماد عليها لما سبق، ولأسباب أخرى، وجب على الباحث أن ينظر في ثبوت الحديث وعدمه، غير معتمد على «صاد» بعض النسخ والتي ربما كانت ضاداً معجمة.

والحديث رواه عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني في تاريخه(١)، من طريق ميسرة بن علي في مشيخته، وفي إسناده إسماعيل بن يحيى التيمي، وإسماعيل هذا لا يثبت أهلُ العلم بالحديث حديثه، قال ابن عدي في «الكامل»(٢): تحدث عن الثقات بالأباطيل ولفظه: «بالبواطيل» وقال ابن عمر القيسراني(٣): «يروي الموضوعات».

وبعد، فإن هذا الحديث باطل النسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز لمن علم ذلك أن ينسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما ما جاء فيه من معان رقيقة، فإن في السنة الثابتة ما يغني عنه.

وقد كتب الأستاذ محمد رشيد العويد في العدد ٣٨٢ ـ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ ـ أكتوبر ١٩٩٧م (البيت المسلم ص ٧١) ـ كتب في خلال هذا الحديث تحت عنوان «نظرة أغلى من الذهب» بما يفيد وينفع ـ وكل كتابات أستاذنا نافعة ـ إن شاء الله تعالى(٤) ـ غير أن نسبة الحديث إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير صحيحة كما سبق، ومع ذلك فلن يعدم قارئ المقالة فوائد عزيزة وتوجيهات دقيقة، انتفعت بها في كتابتي للمقالة التالية، والحمد لله أولاً وآخراً. وهذا أوان الشروع في الموضوع.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»(٥).

وأولى الناس وأحقهم بهذا المعروف هو الزوجة، نعم... وهي كذلك أولاهم بقول الله عز وجل: «وقولوا للناس حسنا»(٦)، وقوله سبحانه وتعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن)(٧)، وكم تضيع علينا فرص سعادة ورضا وأنس، كنا على مقربة منها لو أبدلنا كلمة مكان كلمة، كلمة طيبة مكان كلمة زجر وتوعد، إن كلمة واحدة تستطيع أن تفعل شيئاً، بل أشياء كثيرة، لا يعلمها كثير من الناس، من تآلف قلب، وتقارب روح، واطمئنان نفس، بإذن الله سبحانه وتعالى، وهو على كل شيء قدير.

ولا تظن يوماً، ولا ساعة، ولا تحسب أن الكلمة الحلوة، والنظرة الحانية قد تفقد أثرها مع طول العشرة، بل العكس هو الصحيح، فكلما طالت المودة قويت أواصرها وروابطها.

وروى الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»(٨).

فمن حسن الخلق مع أهله أنه إذا دخل بيته كان طليق الوجه، وبدأ بالسلام، إذ جاء في صحيح مسلم: حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه... وأهلك أولى الناس بذلك، وقد جاء في جامع

الترمذي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً قال: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلّم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأما المصافحة فقد جاء في فضلها ما رواه أبو داود في سننه عن البراء ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا» ومن الناس من يحسن خلقه مع إخوانه في المسجد والعمل، فإذا انقلب إلى أهله عبس وقطّب، ولو كان يعلم فإن أهله أولى بحسن الخلق.

وإذا كان المسلم مأموراً بغض بصره عما حرّم الله عليه، فإن في نظره إلى أهله والتمتع بما أحله الله له من ذلك عوناً له، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «إذا رأى أحدكم امرأة، فوقعت في قلبه، فليعمد إلى امرأته، فليواقعها، فإن ذلك يرد ما في قلبه»(٩)، وقس على ذلك، فما من شيء يجد المرء في إتيانه راحة مع غير زوجته، إلا وجدها أتم وأعظم مع زوجته، وما أصدق قول عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه: «إن الملل من كواذب الأخلاق»، وقوله: «لا أملّ ثوبي ما وسعني، ولا أمل دابتي ما حملتني، ولا أمل زوجتي ما أحسنت عشرتي».

وعلى المرأة أيضاً أن تتودد إلى زوجها، وتحسن عشرته، وتبادله النظرة بالنظرة، والبسمة بالبسمة، وتتزين له، وهذا ما أوصى به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ النساء، فلم يحرمهن النصيحة وقد روي أنه سئل: أي النساء خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره»(١٠)، وحذرها تحذيراً من عدم تلبية دعوته إياها، وفي ذلك كله، وفي غيره، ما يجعلها إيجابية دائماً مع زوجها. والحمد لله أولاً وآخراً. ■

الهوامش

١ ـ واسمه «التدوين في أخبار قزوين» انظر ص ٤٧ من ج٢ ـ ت. الشيخ عبدالعزيز العطاردي.

٢ ـ «الكامل في الضعفاء» ج ١ ص ٢٩٧ إلى ص ٣٠٢ (ط٢ دار الفكر).

٣ ـ «معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة» ص ١٢٣، وص١٩٠ ـ مؤسسة الكتب الثقافية ط١.

٤ ـ قرأت لأستاذنا محمد رشيد الكثير لأجزاء عدة من السلسلة الرائعة: رسالة إلى حواء ومقالات أخرى، وأقول له بعد الاعتراف بجميله: إني أحبك في الله.

٥ ـ رواه مسلم في صحيحه.

٦ ـ البقرة: ٨٣.

٧ ـ الإسراء: ٥٣.

٨ ـ وقال الترمذي: حسن صحيح.

٩ ـ صحح مسلم في صحيحه.

١٠ ـ رواه النسائي والحاكم وغيرهما.

أسوأ مكان على سطح الأرض

لو اعتلى داعية مسلم منبراً هاجم منه «هوليوود» مدينة السينما... لاتهموه بمعاداة الفن السابع، ورسالته العالمية «العظيمة».

ولو كتب صحافي مسلم في زاويته يصف هوليوود بأنها أسوأ مكان في الأرض، وأنها «مقرفة»، وأنها مجردة من الرحمة، وأنها أبعد ما تكون عن الأخلاق، لاتهموه بالتجني، والتحامل، والافتئات.

ولكن ماذا لو علمنا أن الذين مثّلوا في هوليوود، واشتهروا بسببها، وكسبوا من العمل فيها مالاً كثيراً، هم الذين يصفونها بهذه الصفات!.

ليتكم تقرؤون ما يقول أشهر الممثلين عن مدينة السينما:

ـ مارلين مونرو: هوليوود مكان يدفع ٥٠ ألف دولار ثمناً لقبلة منك، ولا يدفع أكثر من ٥٠ سنتاً لروحك.

ـ غريس كيلي: لقد كرهت هوليوود، إنها مدينة من دون رحمة، النجاح فيها هو وحده الذي يُحسب، وكل من لا يملك المفاتيح التي تفتح الأبواب يُعامل مثل الأبرص، وأنا لا أعرف أي مكان في العالم يصاب فيه هذا العدد من الناس بالانهيار مثل هوليوود، ولا مكاناً آخر يدمن فيه الناس على الكحول بهذه الصورة.

ـ ليزا مينللي: هوليوود أسوأ مكان على سطح الأرض.

ـ إيرول فليت: إن هوليوود تقدم الاحترام الشديد للموتى... أما الأحياء فلا تسأل عنهم.

ـ مارلون براندو: هوليوود يحكمها الخوف وحب المال، هوليود تفعل أي شيء يرفع المبيعات، إذا كانت عيناك تساويان مليون دولار فسيقلعونهما ويبيعونهما، سيبيعون أي شيء له قيمة، المال هو الإله الأعظم في هوليوود.

ـ كلارك غيبل: كنت أخشى المجيء إلى هوليوود، وعندما جئت اكتشفت أن رعبي كان في محله، إنها ليست المكان الذي أفضله، إنها تقرف.

ـ آفا غاردنر: إنها مدينة السأم، فمن يقول إنني يمكن أن أحبها وأنا لم أخرج منها إلا بثلاثة أزواج قذرين سابقين؟!!

ـ بيرت رينولدز: حتى تستطيع أن تحتمل هذه المدينة وتكسب فيها بعض الشعبية؟ عليك أن تتعود الذهاب إلى المزبلة عاماً بعد آخر.



ـ جودي غارلاند: هوليوود مدينة غريبة، عندما يقع الإنسان في مشكلة فيها، فإن كل من حوله يتصور أن هذه المشكلة معدية «إشارة إلى أن الناس يفرون منه ويبتعدون عنه فرار الناس وابتعادهم عن مريض بمرض معد».

ـ آرلين دال: الصورة النموذجية للمرأة في هوليوود هي صورة المرأة العصبية التي تسكنها مجموعة من الأمراض النفسية.

ـ جين فوندا: العمل في هوليوود يعطي الإنسان تجربة شبيهة بتجربة الدعارة.

ـ غروشوماركس: منذ عرف الناس أن «لاسي» ولد، صاروا قادرين على تصديق أسوأ الأشياء عن هوليوود.

هل لأحد بعد هذا أن يتهم من يصف هوليوود بأمثال تلك الصفات، بالتجني والتحامل والافتئات؟!

مدينة من دون رحمة، مكروهة، مجردة من القيم، ينتشر فيها الإدمان على الكحول، لا تحترم الأحياء، مقرفة، تبعث على السأم، غير محتملة، أسوأ مكان على سطح الأرض.

فما أقبحها!

تعدد الزوجات في ظل التشريع الإسلامي

تعدد الزوجات إلى أربع من المشكلات الاجتماعية التي يكثر حولها اللغط والاختلاف بين الناس عامة، والمثقفين بخاصة، كثيراً، فمنهم من يجيز التعدد ويرتقي به إلى مرتبة الضرورات، ومنهم من يمنعه وينزل به إلى درجة المحرمات والمنكرات، ويحاول كل فريق التدليل لرأيه، وإقامة الحجة لصحة توجهه، ويحاول أن يفسّر النصوص الشرعية لتكون في جانبه، مدعِّمة لتوجهه، ومسفِّهة لآراء خصومه.

بقلم: د. أحمد الحجي الكردي



فالمجيزون يستدلون بقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) النساء: ٣.

والمانعون يستدلون بقوله تعالى: (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) النساء: ٣، وقوله تعالى: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) النساء: ١٢٩.

والحقيقة أن كلا الفريقين متجاوز لحدود الصواب، ومجاف لما رمت إليه النصوص القرآنية المتقدمة، وتعدد الزوجات حكمه يختلف باختلاف الظروف والأحوال، وتغاير البيئات، وتمايز النيّات.

وقد ذهب أكثر الفقهاء إلى أن الحكم الأصلي «العزيمة» هو عدم التعدد، وأن يكتفي كل رجل بزوجة واحدة، يأنس إليها وتأنس إليه، ويكمل كل منهما نقص الآخر، ويقف إلى جانبه في معركة البناء الاجتماعي، بالإنجاب وحسن التربية والإعداد، وأن تعدُّد الزوجات حكم طارئ «رخصة» يلجأ إليه كلما وجدت مبرراته ودواعيه وتأزمت أحوال الناس والمجتمع على وجه لم يعد لها من حل سواه، دفعاً لفتنة، أو رفعاً لظلم، أو إيصالاً إلى حق، أو حلاً لمشكلة اجتماعية لا حل لها غيره، وفي هذه الحال لابد من العدل في المعاملة، والإحسان في العشرة، وتأدية الحقوق بالقسط، وإلا كانت العقوبة في الدنيا، والإثم في الآخرة، فقد روى أبو هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطاً أو مائلاً» رواه الخمسة.

وقد شرع الإسلام التعدد علاجاً لمشكلة تطرأ في أكثر المجتمعات، بل في كلها، وفي كل الأوقات، وهذه المشكلة لا حل لها - إذا طرأت - إلا التعدد، وهي مشكلة زيادة عدد النساء على عدد الرجال.

فقد أثبتت الإحصاءات العالمية أن عدد ولادات الذكور أكبر من عدد ولادات الإناث في كل أنحاء العالم، بنسب تختلف من بيئة إلى بيئة، ومن زمان إلى آخر، إلا أنها موجودة في كل المجتمعات في الظروف العادية، ثم إن هذه النسبة تقل بعد السنة الخامسة للولادة، حيث إن عدد الوفيات بين الذكور أكبر منه بين الإناث، لأسباب كثيرة، بعضها فطري طبعي جسدي، وبعضها يتعلق بالأمراض التي تلحق بالذكور دون الإناث، وهذا أمر أتركه لأرباب الاختصاص، ولا أخوض فيه طويلاً، إلا أن الإحصاءات الدولية تثبته.

وما أن يقارب الأولاد الحلم «البلوغ» حتى تصبح النسبة بين الذكور والإناث التساوي أو التقارب، وبعد الثلاثين من العمر أو الأربعين تصبح النسبة مقلوبة، حيث يزيد عدد النساء على عدد الرجال، وذلك لأسباب كثيرة، منها: تعرض الرجال أكثر من النساء في هذه السن للقتل في الحروب، والموت في مصارعة الأعمال الشاقة، كالعمل في المناجم والبحار، والعمل في مواطن الخطر كالبناء والألغام. فإذا ما استفحلت هذه النسبة، واتسع نطاقها، كنا أمام مشكلة اجتماعية لا حل لها إلا أمور ثلاثة لا رابع لها، وهي:

١ - فرض التعنس على شريحة النساء اللواتي لايجدن زوجاً ولا معيلاً، وهو ظلم كبير لم يتسبب فيه هؤلاء النسوة، ذلك أن الزواج حاجة فطرية لا غنى للرجال والنساء عنها، وأنهم ليشعرون بالنقص والفراغ من دونها، ويحسون بالعنت والظلم إذا لم يوفقوا إليها، ولا نظر لفئة مريضة معتلة قليلة لا تبحث عن الزواج، ولا تتوق إليه، فإنه شذوذ، ولا عبرة بالشاذ، والظلم ظلمات يوم القيامة، ولا يرضى به عاقل، ولا يقره إنسان متحضر، قال تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا). هذا إذا أمكن فرض التعنس على هذه الشريحة، وهو محال، فإن الغريزة لابد أن تتحداه وتتفجر من خلاله، وتدمر الأخضر واليابس، وحال المجتمعات التي تمنع تعدد الزوجات اليوم أكبر شاهد على ذلك.

٢ - إباحة الزنا والعلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة، وهو خراب ودمار وتحطيم للقيم

والأخلاق، وإعدام للحضارات، ونشر للأمراض والأوبئة، وقضاء على المشاعر النبيلة، وإنهاء لكل معنى من معاني الاحترام بين أفراد المجتمع، ولا أظن عاقلاً في الدنيا يدرك ما يقول يذهب إلى هذا المذهب أو يفضل هذا الحل، وهو ما كادت تقع فيه بعض المؤتمرات النسائية العالمية المعاصرة، ظناً منها أنه طريق الخلاص، وما هو في الحقيقة إلا بداية التعقيد والتصعيد للمشكلة الجنسية إلى درجة الانفجار.

٣ ـ إباحة تعدد الزوجات في حدود الحاجة لحل هذه المشكلة، مع العمل على إقامة التوازن الممكن بين الزوجات المتعددات «العدل بين الزوجات» ووضع حد أعلى لعددهن وهو أربع زوجات لا يزاد عليهن مهما كانت الأسباب والظروف والمتطلبات. ولا أظن أحداً يماري في أن هذا الحل الثالث هو أنسب الحلول وأوفقها وأكثرها نجاعة، وأقلها سلبية على وضع المرأة. نعم، الحل الأخير لا يخلو من سلبيات منشؤها طبيعة الغيرة في المرأة، وطبيعة الميل في الرجل، إلا أنه أمر يفرض نفسه، دفعاً لخطر محدق بالمجتمع من دونه، وهو مصلحة غالبة يُحسب حسابها، للقواعد الفقهية الكلية المتفق عليها: «الضرورات تبيح المحظورات»، و«يدفع الضرر الأشد بالضرر الأخف». ولتعدد الزوجات أسباب أخرى تبعية إضافية كثيرة، زيادة على رجحان عدد النساء على عدد الرجال، أهمها:

١ ـ بقاء المرأة عشرة أيام تقريباً كل شهر في الحيض، وبالتالي وجوب ابتعاد زوجها عن قربانها فيها، لقوله تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)، البقرة: ٢٢٢، والرجل قد لا يستطيع الصبر على زوجته طيلة هذه المدة.

٢ ـ مرض الزوجة، فقد تصاب الزوجة بأمراض تقتضي ابتعاد زوجها عنها فيها لمدة قد تطول، ولا يطيق الزوج ذلك.

٣ ـ عقم الزوجة، مما يجعل الزوج أمام أمرين طلاقها أو ضم زوجة أخرى منجبة إليها.

٤ ـ الحاجة إلى تأديب الزوجة الناشز بالابتعاد عن الاتصال بها حتى ترجع عن نشوزها وتطيع زوجها، لقوله تعالى: (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً) النساء: ٣٤، فإذا لم يؤذن للزوج في هذه الحال بالتعدد كان ابتعاده عنها عقاباً له أكثر منه عقاباً لها.

وفي الختام أؤكد أن الإسلام أباح تعدد الزوجات للرجل الواحد حلاً طارئاً لمشكلة اجتماعية لا حل مرضياً لها غيره، ثم ضبط ذلك بضوابط كافية للنزول بسلبياته إلى حدها الأدنى، حتى تعد معدومة حكماً إذا ما قيست بالمصالح الغالبة التي تترتب على ذلك، وهذه الضوابط مبسوطة في كتب الفقه الإسلامي، وربما سنحت الفرصة يوماً لتقديمها للإخوة القراء. ■

دعوة إلى إبداء المشاعر والعواطف

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إن الرجل إذا نظر إلى امرأته، ونظرت إليه، نظر الله إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما».

حياتنا المعاصرة مليئة بالهموم والضغوط النفسية والفتن، والحياة الزوجية هي السكن والراحة، ومن هنا كان لابد من إنماء الحب بين كل زوجين.

وهذا الحديث يحمل بعض النصائح لكل زوجين حريصين على نجاح حياتهما الزوجية. إنه يدعو كل زوج وزوجة إلى إبداء مشاعرهما وعواطفهما كل نحو الآخر، فلا يتركان عواطفهما حبيسة حتى ليظن كل واحد منهما أن الآخر لا يحمل نحوه أياً من مشاعر الحب والمودة والرحمة، فتواجه حياتهما الزوجية الكثير من العواصف والمشاكل التي قد تؤدي إلى فشلها في النهاية.

فالحب بين الزوجين هو الصخرة التي تتحطم عليها الخلافات، فيغفر الزوج لزوجته وتسامح الزوجة زوجها. ونظر الرجل إلى زوجته ونظرها إليه يحمل الكثير من معاني الحب التي يحملها كل منهما نحو الآخر، فالعين هي منفذ للقلب وباب للروح، والحديث هنا لم يحدد نوع النظرة هل هي نظرة حب؟ أم نظرة عطف وشفقة؟

ليفسح المجال لكل لنظرة طيبة. كما أن الحديث دعوة لكلا الزوجين ليقصر كل واحد منهما نظره على الآخر، فمن لم يحبس نظره تشتت قلبه، وأتعب نفسه، وإطلاق العنان للنظر خارج نطاق الزوجية فيه تدمير للأسرة وتشتيت لشملهما.

ونظر الزوج إلى زوجته والزوجة إلى زوجها يعقبه نظرة رحمة من الله سبحانه وتعالى، فيا له من أجر عظيم، وجود وكرم من أرحم الراحمين.



أما إذا أخذ الرجل بكف امرأته تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما، إنه ترغيب ودعوة لكل زوجين لإسعاد كل منهما الآخر، فالحديث يدعو الرجل إلى الاهتمام بزوجته وعدم إهمالها وإعطائها بعضاً من وقته، وإشعارها بحبه لها، وألا يتحرج من بثها مشاعره، والحديث يدعو المرأة أيضاً إلى طاعة زوجها وإدخال السرور على قلبه.

والحديث يذكر الزوجين أن الله سبحانه وتعالى يؤجرهما على عملهما فتتساقط ذنوبهما من بين أصابعهما، وفي هذا دعوة إلى إفشاء مشاعر الحب في جو الأسرة.

ومما لا شك فيه أن معاملة الزوج الطيبة لزوجته واهتمامه بها ينعكس على حالها النفسية فتتفانى في الاهتمام ببيتها وأبنائها، فينشأ الأطفال في جو أسري هادئ يعمه الحب والمودة والرحمة، وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع كله، وهذا ما يهدف إليه الإسلام ونهدف إليه جميعاً ونتمناه. ■

سناء عبدالرحيم برعي

الإسلام وحرية المرأة في الاختيار

ليس للمرأة في الإسلام أن تنفرد بتزويج نفسها دون أهلها، وليس لولي المرأة أن يتولى إتمام العقد بتزويجها دون استشارتها، فالإسلام يتوسط في ذلك فيحرص على المشاركة بين المرأة ووليها، فللمرأة أن تعرب عن رغبتها، ولاتكره على الزواج أبدا، وولي المرأة يتولى إبرام العقد وإتمامه بعد إذنها، وبذلك لايستقل أي منهما بالعقد، فلا المرأة تنفرد بتزويج نفسها من دون أهلها، ولا وليها ينفرد بتزويجها من دون رأيها، وليس في هذا حجر على حرية المرأة في الاختيار، ولكنه حرص على تحقيق الاطمئنان الكامل في الحياة الزوجية، وضمان المشاركة والمصاهرة بين أسرتين بعلائق قوية ودية يشهدها ويباركها الجميع.

والمرأة لاتباشر عقد الزواج بنفسها حتى لاتتعرض لما يخدش حياءها، ويهين كرامتها، ويعرضها للسفهاء من الناس.



بقلم: محمود النجيري

البعد الاجتماعي في الزواج

والزواج ليس علاقة بين الرجل والمرأة تنشأ في فراغ اجتماعي، ولكنه علاقة بين أسرتين وعائلتين بالمودة والرحمة والتناصر، فيكون منع المرأة من الاستقلال بالعقد رعاية لحق أسرتها في ان تكون العلاقة الزوجية سببا لتوطيد أواصر المودة بين أسرة الرجل وأسرة المرأة، ويضاف إلى هذا ان النصوص من الكتاب والسنّة لاتدل قطعا على حق المرأة في الاستقلال بعقد الزواج والرجل حين يتقدم لأسرة ما طالبا ابنتها للزواج، ففي ذلك تكريم للمرأة، وصيانة لها من المخادعين والمحتالين والفسقة والفجار الذين يتزيون بأزياء الرحمة والمحبة وقلوبهم أمرُّ من الحنظل، وأخلاقهم أشد فسادا وانحلالا وهم لايرمون إلا إلى التلاعب بالمرأة كالكرة في أرجلهم، يقذفها هذا إلى ذاك، دون مراعاة لأسرة يصاهرونها أو خوف مجتمع يحاسبهم أو قانون يفرض عليهم.

الاسلام منح المرأة الحق في اختيار زوجها ولكن ليس في السر من وراء أسرتها

حق الاختيار لاحق الانحلال

إن من تكريم الإسلام للمرأة ان منحها حقها في اختيار زوجها ولكن ليس ذلك في السر من وراء اسرتها، وأحاديث النبي- صلى الله عليه وسلم- تبين كيف تكون المشاركة في الاختيار ومن ذلك ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:(١)«لاتنكح الأيم حتى تستأمر، ولاتنكح البكر حتى تستأذن. قالوا: يارسول الله، وكيف إذنها؟قال: إن تسكت» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا(٢) «الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها» فللمرأة بكرا كانت أو ثيبا كمال الحرية وتمامها في قبول أو رد من يأتي لخطبتها، ولاحق لأبيها أو وليها أن يجبرها على مالا ترغب في الزواج منه، لأن الحياة الزوجية لايمكن ان تقوم على القسر والإكراه، في حين أنها ماشرعت إلا للمودة والألفة والسكن فإذا زوجت الثيب دون أن تستأمر فالعقد باطل، وإذا زوجت البكر دون أن تستأذن فلها الخيار: إن شاءت أمضت العقد، وإن شاء أبطلته(٣).

وإذا كان الشرع قد أعطى الولي حقا في الولاية لايمكن

للمرأة أن تعزله عنه، إلا أنه أوجب عليه أن يستأذنها في تزويجها بالشخص المعين فولايته حق أعطاه له الشرع، ولكنه لم يجعل له مع هذا السلطة الشرعية أن يجبر موليته على الزواج بمن لاتريد، بل إن الثيب الرشيدة تخطب إلى نفسها، كما جاء في حديث أم سلمة قالت:« لما مات أبو سلمة أرسل إلي النبي صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له. فقلت له: إن لي بنتا، وأنا غيور.فقال: أما ابنتها، فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة(٤) فإذا أرادت الثيب الرشيدة زوجا فإنها تأمر وليها بتزويجها منه، وليس له ان يمتنع من ذلك مادام الزوج كفؤاً صالحا. وقد أجمع علماء المسلمين في جميع المذاهب على ان نكاح الأب ابنته الثيب بغير رضاها لايجوز(٥).

ومن هنا يتضح أن الشريعة الغراء حريصة على حسن الاختيار في الزواج، ولذلك اعطت للثيب الحق في ان يغلب رأيها على رأي وليها لأنها والظن بها انضج، وأكثر خبرة بالحياة ومعرفة بالرجال وأمور الزواج، أما البكر فهي أقل خبرة بالحياة، ولم تختلط بالناس اختلاطا تميز به بين الطيب والخبيث في الأزواج، وكثيرا مانرى الأسر تخدع في خاطب أتى متجملا متحملا، فماذا لو ترك الأمر لاختيار الفتاة وتقديرها وحدها؟ والمرأة كثيرا ماتنخدع لأن عاطفتها أقوى من عقلها، أما الرجال فيمكن لهم التحري عن الخاطب: سيرة وأخلاقا ودينا وعلما ومالاً ومنصباً فالشريعة لاترمي إلى وضع قيود على اختيار الفتاة، بقدر ماترمي الى صيانتها والمحافظة عليها وعلى مستقبلها ونجاح حياتها الزوجية، وصيانة حيائها وعفتها كما أسلفنا.

> **الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها**

ونقل هنا قولا للإمام ابن حزم يوضح وسطية الاسلام في العلاقة بين المرأة ووليها في اختيار الزوج، وان كان وليها هو أبوها نفسه يقول(٦) «وأما من جعل للثيب والبكر إذا بلغت ان تنكح من شاءت وإن كره أبوها» ومن جعل للأب أن ينكحها وإن كرهت فكلاهما خطأ بيّن للأثر الثابت الذي ذكرنا آنفا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :«الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر يستأذنها أبوها»(٧) ففرق عليه الصلاة والسلام بين الثيب والبكر، فجعل للثيب أنها أحق بنفسها من وليها، فوجب بذلك أنه لا أمر للأب في إنكاحها وأنها أحق بنفسها منه ومن غيره وجعل البكر بخلاف ذلك، وأوجب على الأب أن يستأمرها فصح أنه لابد من اجتماع الأمرين: إذنها واستئذان أبيها، ولايصح لها نكاح، ولا عليها إلا بهما جميعاً.

لا إجبار للبكر البالغة

وقع الاختلاف بين أبي حنيفة والجمهور في إجبار البكر والبالغة على النكاح. فقال أبو حنيفة إن البكر البالغة لاتجبر، لامن أب ولامن غيره، ولو عقد عليها من دون استئذانها لايصح. وهذا رأي بعض العلماء مثل: الأوزاعي، والثوري، وأبي ثور، وأبي عبيد، وأصحاب الرأي، وابن المنذر، وهذا رواية عن أحمد.

والمذهب الآخر ان البكر البالغة يجبرها أبوها، وهذا ماعليه مالك والشافعي وأحمد وإسحق وابن أبي ليلى. وبعض هؤلاء ذهب إلى أن الجد يجبرها أيضا. وعللوا لذلك بأن الحديث جعل الثيب احق بنفسها من وليها، فدل على أن ولي البكر أحق بها منها، وأن استئذانها على معنى استطابة النفس لا على الوجوب(٨).

ويجب أن نفهم مذهب الجمهور على أنه يجبرها وليها إذا زوجها من كفء، فلا يحل له تزويجها من غير كفء، ولا من معيب، لأن الله تعالى أقام الولي مقامها ناظرا لها فيما فيه الحظ لها فيه، كما في مالها. ولأنه إذا حرم عليه التصرف في مالها بما لاحظ لها فيه ولامنفعة، ففي نفسها -أي زواجها- أولى وإجماع العلماء على أنه حتى غير البالغة يجوز للأب إنكاحها إذا زوجها من كفء (٩). ونحن نرجح هنا مذهب الحنفية دون مذهب الجمهور، إذ هو الموافق لنصوص الشريعة وروحها، وعلى هذا عدد من العلماء المعتبرين هم :شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن قيم الجوزية، والإمام ابن حجر العسقلاني، والإمام ابن حزم، والإمام الشوكاني، ومن المحدثين الشيخ محمد أبو زهرة- رحمهم الله أجمعين.

> **لا تجبر البكر على الزواج بمن لا ترغب فيه واذنها سكوتها**

أما الأحاديث فمنها غير ما مر ما رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن بكراً أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة، فخيرها النبي ـ صلى الله عليه وسلم. (١٠).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها، قالت: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الجارية ينكحها أهلها، أتستأمر أم لا؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم تستأمر، فقالت عائشة، فقلت له: فإنها تستحي، فقال رسول الله: فذلك إذنها إذا هي سكتت»(١١)، وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، عندنا يتيمة قد خطبها رجلان: موسر ومعسر، وهي تهوى المعسر، ونحن نهوى الموسر، فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: «لم يُر للمتحابين مثل النكاح»(١٢).

ومن هذه الأحاديث نجد أن ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ لم يجعل إجباراً على البكر، لا من أبيها ولامن غيره مادامت بالغة عاقلة.

وأما كلام العلماء في هذه المسألة فمنه قول ابن حزم: (١٣) «إذا بلغت البكر والثيب، لم يجز للأب ولا لغيره أن يزوجها إلا بإذنها، فإن وقع فهو مفسوخ أبداً، فأما الثيب فتنكح من شاءت وإن كره الأب، وأما البكر فلا يجوز لها نكاح إلا باجتماع إذنها وإذن أبيها... وقوله تعالى: (ولا تكسب كل نفس إلا عليها)(١٤)، موجب أن لا يجوز على البالغة البكر إنكاح أبيها بغير إذنها، وقد جاءت بهذا آثار صحاح... عن جابر بن عبدالله أن رجلاً زوج ابنته وهي بكر من غير أمرها، فأتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ففرق بينهما».

ومن هذا قول ابن القيم:(١٥): «البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء ومن ملكها إلا برضاها، ولا يجبرها على إخراج اليسير منه من دون رضاها، فكيف يجوز أن يرقها، ويخرج بضعها منها، وهو من أبغض شيء إليها؟! ومع هذا فينكحها إياه قهراً بغير رضاها إلى من يريده، ويجعلها أسيرة عنده، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم»(١٦)، أي أسرى. ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لاتختاره بغير رضاها... وموجب هذا الحكم أنه لاتجبر البكر البالغ على النكاح، ولاتزوج إلا برضاها.وهذا قول جمهور السلف، ومذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايات عنه وهو القول الذي ندين الله به، ولانعتقد سواه، وهو الموافق لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته».

أعطى الاسلام حرية الزواج بضوابط فأبى بعضهن إلا أن تكون فوضى

أما فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول فيها(١٧) «وأما تزويجها مع كراهتها للنكاح، فهذا مخالف للأصول والعقول. والله لم يسوغ لوليها أن يكرهها على بيع أو اجارة إلا بإذنها، ولا على طعام أو شراب أو لباس لاتريده، فكيف يكرهها على مباضعة ومعاشرة من تكره معاشرته؟! والله قد جعل بين الزوجين مودة ورحمة، فإذا كان لايحصل مع بغضها له، ونفورها عنه، فأي مودة ورحمة في ذلك؟!».

ومن هذا العرض ندرك أن مافي حياة الناس اليوم من إكراه للمرأة على زواج من لاتريد إنما هو مخالف للإسلام مخالفة واضحة، ولكن هذا لايعني الحرية الكاملة للمرأة في الزواج بأن تتجاوز أهلها، وتتزوج غصبا عنهم فضلا عن أن تتزوج سرا منهم، والاختلاف بين أبي حنيفة والجمهور إنما هو في مدى حرية المرأة في اختيار زوجها وكتابة عقد زواجها، وليس أكثر من ذلك. وفي رأيي أن النساء عموماً أخذن من الحرية في هذا العصر في اختيار الأزواج مالاحاجة معه إلى الاعتذار إليهن عن ترتيب الإسلام في الولاية في النكاح، فالإسلام أعطاهن هذه الحرية بضوابط، فأبى بعضهن إلا أن تكون فوضى.

ومن المفارقات التي تبين عما وصلت إليه الأخلاق في بعض مجتمعاتنا أن البكر التي كانت تستحي أن تنطق بالرضا عندما تريد خاطبا تقدم إلى أهلها لزواجها، هي اليوم تجترىء على أن تعقد لنفسها في السر بعد صداقات ومخاللة طويلة غير بريئة، وبعد خلوات غير شرعية ولاشريفة، بل يدخلن حياة زوجية كاملة في السر، ويبحن من أعراضهن مايجب أن يصان إلا بكلمة الله تعالى. وفي أعين الأهلين هن غريرات ساذجات، والحقيقة أنهن قد جربن ألوان الحياة الحية، وفقدن أغلى ماتحرص عليه فتاة عفيفة. ■

الهوامش

١ـ رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة

٢ـ رواه الجماعة إلا البخاري.

٣ـ انظر تحفة العريس والعروس في ضوء الإسلام محمد علي قطب، دار الأنصار، القاهرة ١٤٠٠هـ، ص١١٨.

٤ـ أصل الحديث في صحيح مسلم.

٥ـ الإجماع لابن المنذر، دار الدعوة، الإسكندرية ،١٤٠٢هـ،ص٧٤.

٦ـ المحلى لابن حزم، دار التراث، القاهرة «٤٦٠/٩ـ٤٦١».

٧ـ رواه مسلم.

٨ـ انظر المحلى «٤٦٢/٩» والمغني لابن قدامة، دار الحديث القاهرة، ص«٤٨٧/٦ـ٤٨٩».

٩ـ انظر المغني «٤٨٧/٦ـ٤٨٩» والاجماع لابن المنذر ص ٧٤.

١٠ـ الحديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه الدار قطني.

١١ـ رواه مسلم

١٢ـ رواه ابن ماجه بلفظه، ورواه الحاكم وقال :صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

١٣ـ المحلى «٤٥٩،٩ـ٤٩١».

١٤ـ سورة الأنعام:١٦٤.

١٥ـ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، المطبعة المصرية ومكتبتها، القاهرة، د.ث ،ص ٢/٤.

١٦ـ رواه الترمذي.

١٧ـ مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية «٢٢/٣٢ـ٢٨» وانظر اختيار ابن حجر العسقلاني في فتح الباري «١٩١/٩» واختيار الشوكاني «١٢٣/٦» واختيار محمد أبي زهرة في كتابه الأحوال الشخصية قسم الزواج، مطبعة مخيمر، القاهرة،١٣٧٧هـ،ص١٠٧.

الزوجان المسلمان لا يسأمان

«الملل هو قاتل الزواج رقم واحد»

هذا ما كشفت عنه دراسة اجتماعية أجرتها جامعة نبراسكا في نيويورك، على مدى ١٥ عاماً، وشملت مشاركين من مختلف الأعمار.

وأظهرت الدراسة أيضاً أن الشجار المتكرر لا يتسبب سوى في ثلث حالات الطلاق.

قال بول آر أماتو الذي شارك في الدراسة: إن الزوجين لا يكره بعضهما بعضاً... إلا أنهما يشعران بالملل، وقد شملت الدراسة أكثر من ٤٧٠ زوجاً، وتم توجيه أسئلة إلى أبنائهم، واعترف ٢٣٪ فقط من الأزواج بأنهم يختلفون فيما بينهم، واعترف نحو ٣٠٪ منهم بأنهم كانوا يتشاجرون بعنف أكثر من مرتين في الشهر، وتحدث ٢٨٪ عن وقوع اعتداء جسدي!

الملل، إذاً، في مقدم الأسباب المفضية إلى الطلاق، وهو ما يعبر عنه الأزواج من الجنسين بعبارات من مثل قول الزوج: «لقد مللت زوجتي..»، «سئمت الحياة معها» أو قول الزوجة «مللت... مللت... العمل لا ينتهي... طلباته وطلبات أولاده لا تتوقف».



هناك تصور للزوجة نفسها أن خلاصها من ذلك الملل الذي يرتبط بزوجها وأولادها إنما يكون بطلاقها، فإذا ما طُلقت وصارت في بيت أهلها... ندمت وتمنت لو أنها عادت إلى بيتها وزوجها وأولادها، وهناك تصور للزوج نفسه أن نجاته من ذلك الملل هو في زواجه من أخرى... فإذا ما تزوج ندم وأدرك أن اقتصاره على زوجته الأولى كان خيراً له.

والإسلام، أيها الأزواج من رجال ونساء يقيكم من هذا الملل، ويحفظ حياتكم الزوجية من آثاره وأسبابه معاً، وذلك إذا كانت نظراتكم إليه - إلى الزواج - نظرات إسلامية.

كيف تكون النظرة إلى الزواج إسلامية؟

هل رأيتم تاجراً يمل تجارته التي يجني من ورائها أرباحاً طائلة؟ ألا تجدونه يتعب فيها وهو راض، ويبذل جهده ووقته من أجلها وهو سعيد، ويطيل مكثه في محله أو مكتبه ولا يخرج إلا لطعام يتناوله أو موعد يفي به... بل كثيراً ما يأكل في محل عمله، ويضرب المواعيد فيه أيضاً؟

الإسلام يريد من الرجل أن ينظر إلى زوجته هذه النظرة ويريد من الزوجة أن تنظر إلى زوجها مثلها.

ولكنها تجارة من نوع آخر، تجارة أرباحها ليست دراهم ولا دنانير، أرباحها حسنات وصدقات تجارة ليس مداها الدنيا الضيقة، ولكن مداها الآخرة الممتدة امتداد الخلود الأبدي.

> **إذا صحح الزوجان نظراتهما إلى الزواج وجعلاها نظرات إسلامية فإن كلاً منهما لن يسأم صاحبه**

ذلك أن الإسلام يعلّم الرجل أن زوجته مصدر للربح كبير، ينظر إليها فيكسب، ويضع اللقمة في فمها فيكسب، ويرزق منها الولد الصالح الذي يدعو له فيكسب، ويعاشرها مستمتعاً بها فيكسب، وينفق عليها من ماله فيكسب، أفليست الزوجة استثماراً أخروياً عظيم الربح؟ فكيف يملها الرجل أو يسأمها؟ والإسلام أيضاً يعلّم المرأة أن زوجها مصدر للربح كبير، ويكفيها أن تموت وهو راض عنها لتدخل الجنة من أي أبوابها شاءت... فهل تمل المرأة زوجها وهو استثمار أخروي عظيم الربح؟! إذا صحح الزوجان نظراتهما إلى الزواج، وجعلاها نظرات إسلامية، فإن كلاً منهما لن يسأم صاحبه ولن يمله ... بإذن الله وعونه وتوفيقه.

سيصبح كل منهما مثل ذلك التاجر الذي ينسيه الرصيد المتزايد في أرباحه كل تعب ومعاناة، وسهر وسفر. فلا يشغلكما، أيها الزوجان، ضيق الدنيا... عن سعة الآخرة.

---

(١) وكالة الأنباء الألمانية ١٤١٨/١١/١٠هـ - ١٩٩٨/٣/٩م عن مجلة «النور» الكويتية العدد (٦٠).

حوار حول الإسهامات الحضارية للمرأة في أمريكا مع سوزان دوغلاس

من الناس أفراد قرروا أن لا يفارقوا هذه الحياة إلا بعد أن يتركوا بصمة لهم على صفحاتها لأنهم أدركوا جيداً الهدف والغاية من وجودهم في هذه الدنيا، أدركوا جيداً معاني الاستخلاف والاستعمار، فراحوا يعملون بكل ما منحوا من قدرات لكي يعيدوا صنع حضارة لهذه الأمة.

فكيف تصنع الحضارة؟ ومن أين يبدأ البناء؟ وبماذا يمكننا أن نسهم؟ هل هناك جدوى من أعمال فردية أم أنه لا فائدة؟!

هذه الأسئلة، وتساؤلات أخرى تكشف عنها سوزان دوغلاس الستار لنشاهد معاً على هذه الصفحات مشهداً حياً من مشاهد البناء الذي أخرج النظرية من إطارها الأصم ليدخل بها في رحابة العمل الفعال والبناء.

أجرت الحوار : ابتهال قدور



● سوزان دوغلاس هذه الأمريكية التي اعتنقت الإسلام فكان في حياتها دافعاً للعمل الدؤوب ومظلة للمسؤولية العظيمة تتولى منصب عضو المجلس الأعلى للتعليم في واشنطن، كما تقوم بتدريس مادة التاريخ !

■ إن التاريخ مادة مهمة جداً تعمل على إعطاء الطالب صورة متكاملة عن المسيرة الإنسانية ومن هذا المنطلق فمن الضروري أن يُدرس بشكل متسلسل وصادق مع ضرورة ذكر كل الحضارات التي أسهمت في رفع شأن الإنسانية، وقدمت في سبيل ذلك الجهود المناسبة لأننا حين نتجاهل أياً من الأمم التي أسهمت حضارياً في المسيرة الإنسانية فنحن نمارس نوعاً من التضليل على عقول الطلبة، لأننا نخفي عنهم الحقيقة أو لأننا نقدم لهم جزءاً من هذه الحقيقة، وهذه جريمة في حق الأجيال إذ إن علينا أن نذكر الحقيقة كاملة ونترك لهم بعدها حرية اختيار أحكامهم، هذا أقل ما يمكن عمله.

● وهل لنا أن نعرف كيف تسير الأمور في الولايات المتحدة فيما يتعلق بهذا الموضوع ؟

■ إن المناهج الدراسية الأمريكية حين تتطرق لبحث موضوع الحضارات سواء من الناحية الفلسفية أو التاريخية فإنها تحاول وبشكل فظيع استئصال الحضارة الإسلامية مع كل ما قدمته للإنسانية من علوم وأخلاق ومع كل الأسس التي لا يزال الكثير منها إلى حد الآن، بمثابة مرجعية مهمة، ومن ضمن الجرائم التي ترتكب في حق الطالب الأمريكي أن المناهج لاتقدم له تسلسلاً وامتداداً للفكر الإسلامي بدءاً من البعثة وحتى اليوم وهي لا تهتم بتقصي الحقائق أو التأكد من المعلومات عندما يتعلق الأمر بالإسلام فقد تخرجت بدوري في الثانوية وأنا لاأعرف شيئاً عن الإسلام وأعتقد أن هذا الأمر خطير للغاية.

● سوزان، هل لك أن تذكري لنا بعض المغالطات السيئة للإسلام والموجودة في مناهج التاريخ في أمريكا؟

■ إن كتب التاريخ الأمريكية عندما تتعرض لأثر الحضارات على الزراعة والصناعة والتجارة فإنها تستبعد الإسلام ولا تذكر إسهاماته في هذه المجالات وكأنه عالة على الحضارات ونحن يهمنا جداً أن نبين تفاعل الحضارة الإسلامية مع غيرها من الحضارات.

وتفتح سوزان كتاب تاريخ أمريكي على صفحة رسم عليها صورة لطبيب يمارس مهنته على الطريقة الصينية وتقول: هذه طريقة تتبع الصورة كتعبير عن حضارات الأمم وهناك صور أخرى تدل على الحضارة الغربية والفرعونية، ثم قلبت الصفحة لأرى صورة لجمل يسير في صحراء قاحلة توحي بالجفاف والشح وقسوة الطبيعة، وضعت لتدل على الحضارة الإسلامية!!

وعلقت قائلة: «إن في هذا تشويه كبير وصورة مخالفة للحقيقة تظل مغروسة في عقل الطالب كدليل على جفاف الإسلام كمصدر حضاري».

كما أنهم عندما يعرجون على العصور الإسلامية والحديث عنها نجدهم يتحدثون عن نزعات فيها تشويه للإسلام وإساءة له، وعندما نذهب إلى التفسيرات الفلسفية نلاحظ مغالطات من نوع أشد خطورة فهناك أمثلة كثيرة أسوق منها على سبيل المثال عبارة: محمد وضع الحكمة، ولكن المنطق لم يبدأ التعامل معه إلا الآن، وفي موقع آخر يشرحون العلاقة بين الإيمان والمنطق فيدخلون في مناقشة ليس عن الإيمان بالذات الإلهية ولكن يذهبون إلى أن المذهب الشافعي يتبع القرآن والسنة ثم يتبعون هذه المتاهة الفكرية التي لا ترابط فيها بجملة «المنطق الإنساني هو آخر ما يُمكن أن يستخدم كمصدر لدى المسلمين»، وهذا الكلام هو البذرة لتقديم فكر أوروبي آخر يعرض بشكل مترابط ومنطقي، ويذكرون ابن رشد كعالم من دون أي توضيحات عن فكره سوى أنه حاول إيجاد علاقة بين المنطق والإيمان، ولكن أوروبا هي من قدمت ذلك بشكل صحيح ومنطقي، ويكتفون بهذا من دون ذكر لأي إسهامات إسلامية.

ويؤسفني أن أذكر أن المستشرقين كثيراً ما يدعمون هذا التشويه فقد ذكر المستشرق «برنارد لويس» وهو شخصية مهمة، ولديه أفكار جيدة عن الإسلام، ذكر بأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يضع منهجاً للممارسات الدينية للمسلمين في عهده، ولكن هذه المناهج أتت بعد موته حيث بدأ المسلمون وضع واجباتهم الدينية، بمعنى أنهم لم يتلقوا تعاليم دينهم من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهذا خطأ كبير.

ولمزيد من التشكيك في صحة القرآن والسنة تذكر المناهج أن الحديث كتب بعد موت الرسول بقرون ويضيفون أن صحابياً اسمه زيد قام بجمع القرآن، ولكنه لم يجمع أو يكتب قبل ذلك، وعندما يعرفون الإسلام لا يذكرون أنه رسالة للناس كافة ولكنهم يقولون إنه دين عربي!!

● والآن بعد هذه الجولة المؤسفة، ماذا قدمتم للأجيال المقبلة كإسهامات حضارية ؟

■ وتجيب قائلة: لقد قمنا بخطوة جادة نتمنى أن تكون البداية السليمة لمسيرة مثمرة، فقد تدخلنا مباشرة في الكتاب الأمريكي، لأننا نعتقد أن وضع المناهج خطوة مهمة لتغيير المجتمع، وهذا ما نرمي إليه حين نحاول نشر حقائق عن الدين الإسلامي، إن الغريب في الموضوع أننا حين طلبنا من الناشرين إفادتنا بمصادر معلوماتهم التي نشروها عن الإسلام في الكتب المدرسية، وجدنا أنه يصعب عليهم تحديد من أين جاؤوا بتلك المعلومات، فقمنا برفع قضية ضد الناشرين الذين ينشرون معلومات خاطئة عن الإسلام من دون أن يرجعوا إلى المصادر الإسلامية السليمة والتي بإمكانها إفادتهم في هذا الشأن، واستطعنا كسب القضية، وأصبح الناشرون اليوم يراجعوننا قبل نشر أي معلومات عن الإسلام، ونحن بدورنا نقدم لهم المعلومة الصحيحة، كما قمنا بنشر كتاب لكي يكون شبه مرجع للناشرين يستطيعون الرجوع إليه لتجنب نشر المعلومات الخاطئة، ولكي لا ينتقصوا من إسهامات المسلمين على الصعيد الحضاري، ونعتبر هذا الأمر حدث جيد.

كما قمنا بتصحيح الكثير من العبارات الخاطئة، مثل عبارة «الإسلام دين العرب» و«دين محمد وأبناء عصره» وقمنا باستبدال صورة الجمل والتي استخدمت كدليل على الحضارة الإسلامية بصورة معبرة لعالم يجلس إلى مكتبه ومن حوله الكتب والقرآن الكريم وإلى جانبه مكتبة عامرة.

وكذلك قمنا بذكر الإسهامات العلمية للمسلمين والتي استخدمت كمراجع في بداية الثورة العلمية في الغرب كما توصلنا إلى اتفاقية مفادها ألا يقوم المدرس بوصف الدين بأنه سخيف أو داع للاستهزاء، وهذه كلها خطوات جديدة لم يفعلها أحد من قبل ونحن ولله الحمد نحقق تطوراً، وقد تلقينا أخيراً رسالة من أحد الناشرين يقول فيها إنه يريد تقديم الدين الإسلامي ويطلب صوراً مناسبة لوضعها في الكتب تعبر عن الإسلام وهذه خطوة إيجابية.

وفي خاتمة كلامها تعبر دوغلاس عن سعادتها بحصولها على هذه المكاسب ... للمرة الأولى وتقول متفائلة : سيتعلم الغرب منا الإسلام، وحقيقة التاريخ الإسلامي بشكل صادق، وتضيف : صحيح إن هناك سباقاً بيننا وبين الأقليات الدينية الأخرى، ولكنني ومن معي سنسعى جادين لوضع أقصى ما يمكننا وضعه من أفكار في هذه المناهج التي نعتبرها بداية التغيير في المجتمع الأمريكي، لكي لاتكون الأجيال القادمة جاهلة بحقيقة الإسلام.

شعرت في نهاية حديثي مع هذه السيدة أنني أمام نموذج حي للمرأة المسلمة الفاعلة التي تعيد إلى الأذهان صور نساء صنعن حضارة وتضع بوضوح معالم رؤية نسائية إسلامية نتطلع إليها، وجدتني أشكل لهذه المرأة إطاراً جميلاً من التضحية والصبر والإصرار والعمل وأضعها فيه، علّني أصفها ببعض ما يليق بها. !!!

أنماط الزواج التقليدية أكثر ميلاً للاستقرار



لقد سعدت كثيراً بهذه الصفحات المضافة إلى مجلتكم الغراء ـ صفحات البيت المسلم ـ وكم يشرفني أن أشارك في هذه الصفحات ببعض الكلمات التي قرأتها في كتاب بعنوان «الأسرة ومشكلاتها» للدكتور محمود حسن وقد وضعت لها عنواناً «السعادة الزوجية والصداقة».

لقد أوضحت بعض الدراسات الكلاسيكية أن السعادة الزوجية ترتبط بمدى توافر الصداقة بين الزوجين ارتباطاً وثيقاً وإيجابياً، وتبين إحدى الدراسات أن التوافق في الحياة الزوجية يرتبط بالعلاقة الوثيقة المتبادلة بين الزوجين، كما تبدو في تبادل وجهات النظر، والمشاركة في مناقشة الأمور، والمشاركة في أوجه النشاط الخارجي، والتقبل والاحترام المتبادل، والاشتراك في أنواع النشاط الثقافي، وسيادة العلاقات الشورية في اتخاذ القرارات فيما يتصل بشؤون الأسرة، والاهتمام الودي المتبادل، ويعتبر التحول في النظرة إلى الزواج، الذي يقوم على أساس المراكز، إلى الزواج الذي يقوم على الصداقة، ليس من الأمور الهينة، ولا جدال في أن لهذا الاتجاه الجديد دخلاً كبيراً في الصراعات الزواجية ومشكلة الطلاق التي نلاحظها في المجتمع المعاصر، فمن ناحية لا يمكن أن يتحقق التوافق الزواجي السليم إذا كان اختيار الشريك يقوم على أساس الصداقة، فالصداقة يمكن أن تكون هدفاً في حد ذاتها، أما الصداقة الزوجية فيمكن أن تتوافر عن طريق السعادة والإشباع اللذين يحصل عليهما كل من الزوجين من الزواج، فإن لم تتولد الصداقة بعد الزواج ورأى الزوجان أن الحياة الزوجية لا تحقق نتائجها فقد يصبح الطلاق من الأمور المرغوبة على أمل أن يكون الزواج الجديد أكثر إشباعاً؛ ومن ناحية أخرى لم تؤكد الدراسة الحديثة أن مقدار الصداقة في العلاقة الزوجية يرتبط بالضرورة بالسعادة الزوجية، والواقع أن التوافق الزواجي يتحقق تقريباً بالنسبة نفسها في كل من الأنماط التقليدية للزواج وأنماط الصداقة بين الزوجين، وإن كانت الأنماط التقليدية أكثر ميلاً للاستقرار والتعبير عن مقدار أوفر من التوافق.

وأهم ما يريد الكاتب قوله من ذلك كله إن للصداقة أهمية كبرى في حياة الزوجين، فكلما نشأت بين الزوجين هذه العلاقة ـ علاقة الأصدقاء ـ كلما ساعد ذلك على استمرار الحياة في أمان وحب واطمئنان وراحة بال وكلما أدى ذلك إلى بناء جيل قوي في جو من الهدوء والسكينة، فهل آن لنا أن تقوم حياتنا الزوجية على هذه العلاقة «علاقة الصداقة»؟ ■

هدى سعيد السيد بهلول

نـــداء الفطـــرة

مـــن كلمات التائبات

ـ كنت أواظب على الدروس الدينية في المساجد، وبدأت أطلع على كثير من الكتب الإسلامية، وأيقنت أن هنالك شيئاً غير صحيح في حياتي.

ـ مثّلت حباً في الفن، وتركت الفن حباً في الله.

ـ زاد تعمقي في الدين من خلال قراءاتي، لقد حلت بي خشية من سوء المصير ومن عذاب الله وعقوبته.

ـ قلت في نفسي: أنا أصلي وأصوم وأزكّي وأحج، والحمد لله، فهل أضيع ذلك كله بارتكاب توافه تنقض التزامي وأدخل النار بسببها؟!

ـ توسلت إلى الله أن يصحح عملي واتجاهي، وبقيت في حال صراع نفسي مزعج، حتى انه كانت تعرض عليّ أعمال فنية، فكنت ألقيها جانباً ولا أجد في نفسي رغبة في قراءتها.

ـ تكرر نظري في المصحف، فوجدت قوله تعالى: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول)... فرفعت المصحف باكية وجعلت أبتهل إلى الله قائلة: يا رب أنت العليم بما أعانيه، اللهم اكتب لي الخير وعجله لي.

ـ شعرت بعد ذلك أنني استيقظت من سبات عميق، كان العزم والهدوء، والطمأنينة تملأ جوانحي، فسرت إلى الخزانة وأخذت الخمار ووضعته على رأسي.

ـ المعروف والمشاهد أن الأموال تُدفع للتعري لا للتحجب.

ـ غريب أمر هؤلاء الناس... يتركون من يمشي في طريق الرذيلة والضلال، ويشتمون المهتدين ويفتئتون عليهم.

ـ لقد اخترنا طريق الله، ولن نحيد عنه أبداً ـ إن شاء الله ـ وبفضل الله فنحن جميعاً نجتمع ونتدارس أمور ديننا ونتفقه أنا وكاميليا العربي وسهير رمزي وشهيرة وياسمين الخيام وهناء ثروت ود. عبلة الكحلاوي ومجموعة كبيرة، وكانت تحضر معنا هالة فؤاد رحمها الله.

ـ أنا لعلى يقين تام بأن ربنا معنا ولن يتخلى عنا لحظة واحدة، وأنه يرسل جنوده وملائكته لنصرة عباده المؤمنين.

ـ لقد ذهبت إلى الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ قبل أن أتحجب، ودار بيننا الحوار التالي:

ـ فضيلة الشيخ : أنا أمثل.

ـ أعرف

ـ لم يتكون لديّ رصيد من عملي وأود أن أتحجب، وزوجي دائم الأسفار وأخاف إن تركت الفن، وحصل مكروه ـ لا سمح الله ـ ماذا أفعل؟

ـ «شوفي يا ست عفاف»... من لا رصيد له فرصيده عند الله.

ثم أضاف: يا بنتي، احمدي الله أنك لا تملكين شيئاً من فلوس الفن... «ده ربنا بيطهرك أول بأول».

ـ أقسم بالله العظيم أنه لم يتبق عندي من فلوس الفن شيء، كلها ضاعت على اللباس والمظاهر.

ـ كنت أتصدق كثيراً ـ والحمد لله ـ ولقد حل في بيتي بعد الاعتزال خير وبركة لم أجد مثلهما في حياتي من قبل. ■

الممثلة التائبة عفاف شعيب

في رحاب المسجد

شعر: الدكتور رفيق حسن الحليمي

طوبى لمن رفع الأذان مناديا
الله أكبر والنبي محمد

حي على خير الفلاح، صلاتكم
وقيامكم ذخر لمن يتعبد

صوت يذكر بالصلاة محبب
يصل القلوب الخاشعات ويشهد

صوت يجلجل في السماء مدويا
يحلو لذي القلب المنيب فيحمد

الله أكبر صوت كل مؤذن
هو موئل للتائبين ومنجد

يسري بأرجاء الفجاج نداؤه
وإلى السما أصداؤه تصعد

لبى نداء الحق قوم آمنوا
بالله إذ أمر الإله: ألا اسجدوا

تركوا التجارة يبتغون رضاءه
جنات عدن والبقاء مخلد

لم يلههم مال وبيع تجارة
أو لهو تلفاز ولحن ينشد

العاكفون الراكعون لربهم
القائمون الطائفون السجد

ما أجمل الإيمان في سيماهم
وجه منير بالهداية يسعد

يا مسجداً يا خير دار إقامة
فيك الخشوع وعهدنا يتجدد

يا موئلاً للنور في سبحاته
نور يزيد مع الصلاة ويولد

يا جامعاً لقلوب أمة أحمد
وعلى الهداية دربنا بك يرشد

يا مسجداً هفت القلوب لجمعه
فأتى رحابك مؤمن وموحد

وجدوا السكينة في رحابك موئلاً
وإذا بآلام الحياة تبدد

إنا إذا نزلت بنا بعض الشدا
ئد لا نلين وننثني أو نقعد

إنا إذا عض الزمان بنابه
صبر على بأسائه نتجلد

لا زلت مدرسة لكل فضيلة
ولكل علم نافع يتردد

من خطبة أو درس دين يبتغى
ومن المواعظ. حكمة. نتزود

نأتيك خمساً للصلاة وللرجا
ودعاؤنا لله دوماً يصعد

طوبى لمن عمر المساجد بالتقى
وأتى المساجد تائبا لا يجحد

كم فيك للقرآن صوت خاشع
ومن النوافل آية تتهجد

وإمام بيت الله في محرابه
هو للتلاوة قارئ ومجود

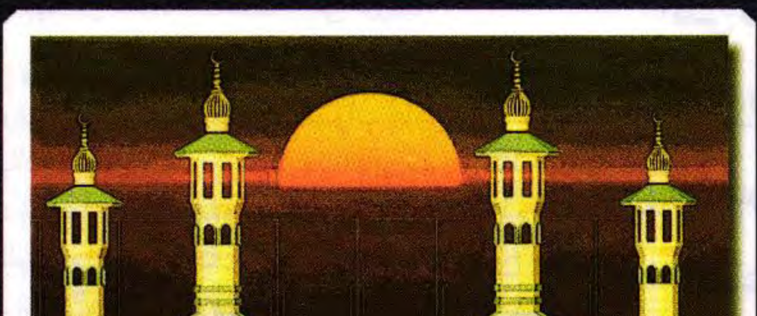
بوركت يا خير الأنام محمدا
فالأرض إذ طهرت يكون المسجد

يا رحمة للعالمين وهاديا
يا شافعاً يا منذراً يا أحمد

بك نقتدي في جمعنا لصلاتنا
أنت الهداية رحمة تتجدد

وعمرت للإسلام أول مسجد
جادوا بما ملكوا وأنت الأجود

يا صحبة لرسولنا في مسجد
طابت به الدنيا وطاب به الغد



ترجمات

نشرت الايكونوميسيت في عدد لها صدر في الشهر الماضي مقالاً حول الصراع القائم بين المشاعر الدينية والتوجهات العلمانية ضمن الوحدة الأوروبية وركزت بشكل خاص على موضوع انضمام تركيا إلى أوروبا ونظراً لأهمية المقال بالنسبة للقارئ العربي المسلم فإن مجلة الوعي الإسلامي تقوم بنشره مترجماً إلى اللغة العربية. يقول المقال :

تركيا والوحدة الأوروبية

إعداد : عبدالمنعم أحمد

انتهى المؤتمر الأوروبي في لندن إلى مضيعة محرجة للوقت، ويرجع ذلك بشكل أساسي إلى رفض تركيا المشاركة في المؤتمر أساساً جعل الأتراك يشعرون بأنهم جزء من المخططات الخاصة بالنادي الأوروبي الموسع على رغم خيبة الأمل التي عانوها في ديسمبر الماضي في لوكسمبورغ عندما تم وضعهم في آخر قائمة المتقدمين للالتحاق بالوحدة الأوروبية، وبعد بلدان تتحلى بالتنمية الاقتصادية والديموقراطية مثل سلوفاكيا وبلغاريا، ويخطئ القادة الأوروبيون إذا ما اعتقدوا أنه يمكن إنقاذ الكرامة التركية من خلال غداء مع ملكة بريطانيا في قصر بكنغهام وتبادل الأحاديث لمدة يوم كامل مع أعضاء الاتحاد الأوروبي الخمسة عشرة والمتقدمين الأحد عشر للالتحاق به، فقد كان الأتراك الغائبون في حال من الغضب، فهل غسلوا يديهم من مسألة الانضمام إلى أوروبا؟

وقد يخيل إليك أن رئيس وزراء تركيا مسعود يلماظ وهو الرجل الذي يملك الجواب على ذلك، غير أنه بالذات يمثل الغموض والتردد الذي يسم تركيا الحديثة فظاهرياً يمكن القول: إن يلماظ الذي تسلم رئاسة الوزراء للمرة الثالثة في يونيو الماضي النموذج «للأورو - تركي» فقد ولد في اسطنبول قبل خمسين عاماً، ويعتبر الرجل الثاني بعد تورغوت أوزال الذي اعتبر رجل الحداثة والرؤى المستقبلية، والذي يرأس حزب الوطن الأم الذي يجمع بين الرغبة في إقامة اقتصاد السوق الحر في مجتمع علماني واحترام التقاليد

قرر زعماء الاتحاد الأوروبي أنه لا ينبغي أن يكون الأتراك في السلة نفسها التي تضم الأوروبيين الآخرين الساعين لعضوية الاتحاد

والقيم «الإسلامية» القديمة، ورغم أن يلماظ يحاول إظهار صيامه في رمضان أمام الناس ويذهب إلى المسجد إلا أنه أبعد ما يكون عن أنه إسلامي، ولعله يبدو لمعظم الأوروبيين لا يختلف كثيراً عن شخصية المحاسب في بزته الأنيقة وتعابيره الكئيبة ومقبض السيجارة في يده.

ويبدو أيضاً أنه يجيد في شكل خاص الدفاع عن قضية تركيا في بروكسيل، ويرجع الفضل في ذلك إلى السنوات التي قضاها في مدرسة ثانوية ألمانية في اسطنبول ودراسته الجامعية بعد ذلك في كولون حيث حصل على شهادة دكتوراة في الاقتصاد فهو يتحدث الألمانية بطلاقة شبه كاملة ويبدي إعجابه بالكفاءة الألمانية ناهيك عن زوجة أخيه الألمانية وأصدقائه في الأوساط التجارية والأكاديمية في ألمانيا، فحتى وقت ليس بالبعيد بدت آماله في تقريب تركيا من أوروبا كبيرة للغاية، وقد ترك أثراً لدى الأوروبيين بما أبداه من صدق في شأن تحسين سجل تركيا الأسود على صعيد حقوق الإنسان، وعقد اجتماعاً جيداً مع رئيس وزراء اليونان المتطلع للتحدث كوستاس سيميتس «الذي يتحدث الألمانية أيضاً» على أن الأهم من ذلك أنه كسب نوعاً من المباركة من جانب «هيلموت كول» المستشار الألماني الذي صرح في سبتمبر الماضي أن تركيا يمكن أن تنضم «فعلياً» إلى الوحدة الأوروبية

وهذا ما وصفه يلماظ بنقطة الانعطاف في علاقاتنا مع الاتحاد الأوروبي.

بعد ذلك سارت الأمور في اتجاه خاطئ فالألمان الذين يعون بأن نحو خمسة ملايين من شعبهم باتوا خارج سوق العمل، لم ترق لهم فكرة تمكين ملايين أخرى من الأتراك «إضافة إلى نحو ٢,١ مليون موجودين في ألمانيا في الوقت الراهن» من الدخول في سوق العمل الأوروبية، وقام رئيس وزراء لوكسمبورغ «جان كلود جونكر» بتأنيب تركيا بسبب التعذيب المتكرر في سجونها، وأعلن ديموقراطيون مسيحيون في ألمانيا وأمكنة أخرى صراحة أنه ينبغي لأوروبا أن تبقى نادياً مسيحياً وقرر زعماء الاتحاد الأوروبي على خلفية التوتر الجيوسياسي في شرقي المتوسط أنه لا ينبغي أن يكون الأتراك في السلة نفسها التي تضم الأوروبيين الآخرين الساعين لعضوية الاتحاد.

وغضب يلماظ معتقداً أن المستشار كول قد خانه، فقد غدا يلماظ الذي كان يرأس حكومة ائتلافية ضعيفة أكثر ضعفاً، في حين ارتسمت ابتسامة متكلفة على محيا إسلاميي تركيا الذين سبقوا يلماظ في رئاسة السلطة، وكانوا دوماً أكثر تشككاً حيال رغبة أوروبا في قبول عضوية تركيا، وغدت أصوات الأتراك الداعية إلى أن تدير تركيا ظهرها للغرب، بل تعارض توسيع الناتو في اتجاه الشرق أقوى وأكثر علانية وتضاءلت الآمال باحتمال قيام يلماظ «في محاولة منه لتحسين مصداقيته الأوروبية» بتخفيف القبضة على الأكراد في تركيا، وبدت تركيا أقل رغبة من قبل لحض أبناء العمومة القبارصة على السعي إلى تسوية مع القبارصة اليونانيين ودخل الأتراك في مزاج دموي التفكير، ومن هنا جاء رفضها لمؤتمر لندن.

ومن شأن ردود فعل يلماظ أن تساعد على توضيح الحقائق الأكثر عمقاً، فالكثير من مواطنيه لديهم مشاعر مختلطة إزاء أوروبا، ومعظم أتراك الطبقة الوسطى لايشعرون بوجود فجوة بينهم وبين العالم الغربي، ولكن نظرة العالم للآخرين ولا سيما فلاحي الأناضول إنما تجري صياغتها عموماً على ضوء الجذور الشرقية لتركيا، ومعظم الأتراك يريدون أن يكونوا في أوروبا لأسباب اقتصادية عملية، ولكنهم لا يستسيغون التصريحات المتكبرة الصادرة عن الاتحاد الأوروبي... أما جنرالات تركيا الذين لا يزالون

معظم الأتراك يريدون أن يكونوا في أوروبا لأسباب اقتصادية عملية، ولكنهم لا يستسيغون التصريحات المتكبرة الصادرة عن الاتحاد الأوروبي

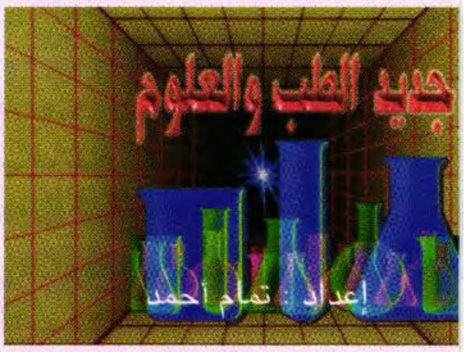
يتحكمون بسياسات البلاد ويتمسكون بأيديولوجية الثلاثينات التي أرساها كمال أتاتورك فإن لهم موقفاً فظاً وثابتاً حيال الديموقراطية والحريات المدنية.

وعندما تهين أوروبا الواقعة غرب البوسفور تركيا بتضخيم هذا التناقض، ومعظم الأتراك، ومن ضمنهم يلماظ يعتقدون أن الغرب يتجاهلهم لأنهم مسلمون، ويعتقد كثيرون أيضاً أن الدعوات الغربية لانتهاج سياسة أقل تشدداً حيال الأكراد إنما تخفي رغبة في تقطيع أوصال تركيا وريثة الإمبراطورية العثمانية، ويتطلع الكثيرون صوب البلقان ويعتريهم الشك حيال اللامبالاة الظاهرية للغربيين أمام مقتل المسلمين في كوسوفو والبوسنة.

ويشعر الأتراك بحساسية خصوصاً حيال ألمانيا التي لا يثقون بكياستها المصطنعة التي تنم عن إحساس بالتفوق والعنجهية العرقية، وليس بمستغرب أن نرى يلماظ الذي استفاد شخصياً من بعثة دراسية ألمانية يتهم ألمانيا بإذكاء مطالب ومشاعر إمبراطورية، ومن هنا جاء هجومه الأخير الذي أثار حفيظة المستشار كول والذي قال فيه: «إن ألمانيا لا تزال تبحث عن مكان للتوسع بأسلوب هتلر في العالم المجاور لها شرقاً».

وباختصار فقد فاقم الاتحاد الأوروبي من عقدة الدونية التركية، أجل يعتقد الأتراك أن تركيا ينبغي أن تكون جزءاً من أوروبا إذا كان ذلك طريقاً نحو الرخاء والأمن، وإذا كان الأمر يعني أن تجرهم أوروبا وراءها أو إذا كان يعني تقويض الدولة التركية كما يفهمها الأتراك أو إذا كان يعني فعلياً أنه يتوجب على يلماظ أن يأتي إلى بروكسيل أو لندن على رُكبٍ منحنية!!. ■





تقنيات لهندسة الصورة على الكمبيوتر

ابتكر الخبراء تقنية جديدة على الكمبيوتر تمكنهم من عرض الاجسام والاشكال المختلفة بصور واضحة واكثر دقة على الشاشة.

وتفتتح هذه التكنولوجيا الحديثة افاقا جديدة لعروض اكثر اثارة على شبكة الانترنت والكمبيوتر الشخصي، اضافة الى آلات التصوير الرقمية في المستقبل.

وتعتمد هذه التكنولوجيا على الوسائل الهندسية الرقمية الفائقة لوصف الصورة وعرضها بهيئتها الواقعية وتبدو المناظر الطبيعية من خلالها بتفاصيل دقيقة اشبه بالمقاطع الهندسية وقد تحقق ذلك بفضل القدرة على تكبير وتصغير اجزاء الصورة الي الاحجام المطلوبة.

ويعزى هذا النجاح التقني الى القدرات الفنية في تحجيم وحدات الصورة الى نقاط متناهية الصغر، لتظهر الصورة بعد جمعها بشكلها الدقيق. وبذلك يمكن وصف الاشكال المعروضة اعتمادا على قوانين هندسية مستحدثة ترمز لتلك الصورة وتفاصيلها الكثيرة وكانت شركة «انتيريتد سستمز» ومقرها في اطلنطا السباقة في هذا الابتكار بجهود علماء الرياضيات فيها، الذين افلحوا في تحويل الصورة الى قوانين ومعادلات رياضية ترمز لها، وادخالها في برامج على الكمبيوتر.

وتعاني الصورة الاعتيادية من اضمحلال درجة الوضوح لظهورها بهيئة نقاط كثيفة مرتبة في ابعاد مستعدة تكون عرضة للانتشار لاي سبب كان والصور الرقمية تواجه هذه المشكلة الفنية ايضا لكثرة نقاط الصورة فيها مما يفقد الصورة نسبة عالية من وضوحها.

اعتمدت الهندسة الصورية الجديدة على نظرية فريدة هي ان الصورة تتكون من اجزاء صغيرة يتمثل في كل واحدة منها شكل الصورة الاصلية لدى تجمعيها مع بعضها بعضا لذلك تكون هذه الصورة بالدرجة نفسها من الوضوح عند تصغيرها او تكبيرها.

تكمن اهمية الابتكار الجديد في القدرة على تصغير المساحات المخصصة للصور المخزونة ومضاعفة حجم المعلومات الخاصة بها. وبذلك ستزداد الطاقة الاستيعابية للكمبيوتر من الكفاءة العالية في الاداء كما سيمكن تداول اعداد كبيرة من هذه الصور عبر شبكة الانترنت بسرعة وبأسعار رخيصة، اضافة الى خزن اضعاف مضاعفة منها في الذاكرة الرئيسية للكمبيوتر،فبدلا عن خزن المعلومات لكل وحدة ضوئية من نقاط الصورة، فإن التكنولوجيا الجديدة تعتمد مبدأ تكرار عينات موحدة للصورة نفسها. وكل وحدة من الصورة ترمز للصورة الاصلية نفسها وبذلك يمكن اختزال المعلومات المطلوب خزنها للصورة الواحدة. اي انها عملية تكرار للمعادلات والقوانين الرياضية لوحدة من الصورة لتتشابه مع بعضها بعضا ولتطابق الوحدات مع الاخرى لتظهر الصورة بشكلها الواضح في أي حجم مطلوب.

اول من توصل لهذه النظرية هو بلاتو وبتوليمي قبل الفي عام، ولم يتم استثمارها الا في عقد السبعينات من هذا القرن من قبل شركة IBM.

ويعود الفضل في اكتشاف الهندسة الصورية في الطبيعة الى بينويت ماندلبورت عالم الرياضيات في مركز ابحاث تواس واتسون في شركة IBM ليكمل زملاؤه الباحثون دراساتهم حول استخدامهم هذه الخاصية في اظهار صور شديدة الوضوح على الكمبيوتر فقام الدكتور بارنسلي بابتكار برامج على الكمبيوتر تعتمد تحويل وحدات الصورة للمشاهد المعروضة الى معادلات رياضية صورية لاعادة استخدامها في اظهار الصورة الاصلية بوضوح. وكانت المفاجأة في دقة التفاصيل المعروضة لاعتماد المعادلات الرياضية الصورية على الذكاء الصناعي لاظهار الصور المخزونة بدقة من خلال الوحدات الاصلية.

ويعود الفضل في نجاح الابتكار الجديد للاقبال الشديد على استخدامه في البرامج الترفيهية، حيث انتجت مايكروسوفت برنامجها دائرة المعارف «انكارتا» على اقراص CD ذات الصور الكثير وقد زودت به اجهزة الكمبيوتر الحديثة اضافة الى برنامج «اسماك القرش» الملونة.

وكانت المرحلة الثانية عند استخدامه في الصحافة والاعلانات واعمال الدعاية حيث باشرت مجموعة «التاميرا» في ولاية كاليفورنيا اعتماده في طبع الرسوم الصحافية وفي عمليات النشر والدعاية وغيرها من المجالات الصحافية.

وتسعى مؤسسة نايك الشهيرة لاستثمار الهندسة الصورية الجديدة في مباريات كأس العالم لكن بارنسلي يتوقع ان يكون لهذه التقنية شأن كبير في صناعة الكاميرا الرقمية، وكذلك التلفاز الرقمي في المستقبل. فالصور التي تعرضها آلات التصوير الرقمية الآن هي دون المستوى المطلوب وذات اسعار عالية لان الصور المأخوذة بهذه الطريقة تتأثر نسبيا بالدوائر الكهربائية التي ترتبط بها. ويخطط المهندسون لجعل الآلة الرقمية اقل تعقيدا وابسط اداء واقل كلفة، وبأن تكون احدى الادوات الملحقة بالكمبيوتر، وتركب عليه لاظهار الصور الملتقطة بدرجة عالية من الوضوح ثم خزنها فيه، لتكون ايسر اداء لكثير من المتخصصين والفنيين، ويأمل بارنسلي ان توطد هذه التكنولوجيا المتطورة مفاهيم جديدة لاستخدام الكمبيوتر في عالم التصوير. ■

هابل يرصد صورة لجرم يعتقد أنه كوكب خارج المجموعة الشمسية

التقط تلسكوب هابل الفضائي اول صورة لما يعتقد انه كوكب خارج المجموعة الشمسية وهو اكتشاف وصف بانه يضع «علامة جديدة في طريق السعي للتعرف على نشأة الكون».

واوضحت الصورة التي نشرتها ادارة الطيران والفضاء الاميركية «ناسا» كوكبا في طور النشوء، كنقطة بيضاء في نهاية سحابة ضوئية مترية في كوكبة الثور على بعد نحو ٤٥٠ سنة ضوئية عن الارض. والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة بسرعة ٣٠٠ كيلومتر في الثانية الواحدة، اي على بعد عشرة تريليونات كيلومتر عن الارض.

وفيما وصف علماء في ناسا الاكتشاف بانه «مثير» و«تاريخي» و«نقطة فاصلة» قالت مكتشفة الكوكب سوزان تيريبي «نتوقع ان يكون كوكبا ناشئا تكون حول نجمين صغيرين» وقالت تيريبي مؤسسة ورئيسة مؤسسة ابحاث الاجرام خارج المنظومة الشمسية في باسادينا في كاليفورنيا، انها كانت تبحث عن نجوم في طور التكوين عندما اكتشفت بالصدفة مايحتمل ان يكون كوكبا.

وقال عالم الفلك ستيفن ستورم بجامعة ماساتشوس «انها نتيجة مثيرة للغاية.إنني أقول حقيقة انها علامة جديدة في طريق السعي للتعرف على نشأة الكون» واضاف ستورم ان هذه النتائج تشير الى ان المجموعة الشمسية ليست «حادثة كونية او معجزة » بل ان نشأة المنظومات التي تدور حول نجوم مثل مجموعتنا الشمسية ربما كانت نتيجة حتمية لعملية نشأة وتطور النجوم ذاتها. ويحاول العلماء منذ زمن بعيد العثور على كواكب خارج المجموعة الشمسية ومنذ العام ١٩٩٥ تم رصد ثمانية اجرام يعتقد انها كواكب حول نجوم اخرى.

الا ان العلماء لم يشاهدوا هذه الاجرام المحتملة بأعينهم ولكنهم استشعروها من خلال الاشعة تحت الحمراء، واثر هذه الاجرام الكونية على النجوم التي تدور حولها. وقالوا ان هذه الاجرام ربما تكون كواكب ضالة انطلقت من عقالها الى الفضاء بين النجوم في مجرة درب التبانة.

وقالت تيريبي انه لو كان الجرم المكتشف كوكبا لكان حجمه معادلاً تقريبا لكوكب المشتري العملاق وحتى يقف العلماء على كنه هذا الجرم بدقة فسيلتقطون مزيدا من الصور له بالاستعانة بتلسكوب هابل وتلسكوبات اخرى توجد على جزيرة هاواي.

ويبعد الجرم الكوني المكتشف نحو ٢٠٩,٢ مليار كيلومتر عن النجمين اللذين يحتمل ان يكون قد نشأ عنهما ويسير في الفراغ بين النجوم بسرعة عشر كيلومترات في الثانية. واذا استمر هذا الجرم على هذا المنوال في مساره فسيتوافر للعلماء ادلة تؤكد انه كوكب تكون من هذين النجمين.

نظام لمراقبة الأعمال على شاشة الكمبيوتر

طورت شركة «نيتسايرين» البريطانية التي يوجد مقرها في اوكسبريدج في ضواحي لندن، نظاما جديدا لمراقبة كل الاعمال التي ينفذها العاملون في شبكة محلية لدى تعاملهم مع الملفات على شاشة الكمبيوتر ويستطيع النظام الجديد الذي يشابه في وظيفته وظيفة الات التصوير التي تسجل حركات الاشخاص وتعرض لقطاتها على شاشة للمراقبة رصد كل ملف او وثيقة تظهر على شاشة الكمبيوتر المرتبطة بشبكة محلية.

ويستطيع النظام عرض لوحة بنوافذ متعددة ترصد كل نافذة منها الاعمال على اي كمبيوتر اخر، مثل رصد الوثائق التي تحمل من الانترنت، وبذلك يمكن مراقبة اشخاص عدة في آن واحد سواء كانوا موجودين في مؤسسة او شركة او مدرسة او في غرفة الاطفال داخل المنزل.

ويتمكن الاباء من التعرف على اعمال اولادهم على الكمبيوتر حتى لدى خروجهم من المنزل، حيث يمكنهم لدى عودتهم عرض التسجيلات عن الوثائق التي تعامل معها الاولاد. ويقدم النظام قائمة بالوثائق المعروضة مشابهة للقائمة المفصلة للنداءات الهاتفية التي ترد مع فاتورة دفع اجور الهاتف. ويطلق على النظام الجديد اسم net-effect Proi. ويعتقد بيتيه جونس مدير الشركة انه لا يعتبر اداة للتجسس على الاشخاص بل يمكن اعتباره رادعا لهم قبل محاولة التعامل مع الملفات المثيرة للجدل مثل تحميل وثائق ومنشورات الدعارة والخلاعة الجنسية من الانترنت. ويتوقع جونس ان يثير النظام اهتمام الشركات الكبرى والمؤسسات التعليمية والشركات المتوسطة والصغرى التي تتخوف من كشف اعمالها للشركات الكبرى.

ويأتي تطوير هذا النظام ردا على انتشار المعلومات الحقيقية والمزيفة الغنية المضمون والتافهة على الانترنت، خصوصا ان الشبكة الدولية للمعلومات لا تخضع لمراقبة حكومية بل لمراقبة طوعية من الشركات والمجموعات العاملة فيها.

وتنتشر على الانترنت مواقع دعارة جنسية تختفي خلف واجهة مواقع الكترونية لاتثير الشبهات وصمم النظام اساسا للشركات الصغيرة المتوسطة لتوصيل شبكات الكمبيوتر فيها مع الانترنت بتكاليف اقل وتأمين المراسلات الالكترونية والتعامل مع الشبكة الدولية من دون الحاجة الى وجود اجهزة توجيه الارسال والاستقبال واجهزة موديم خاصة بكل كمبيوتر ثم طورت الشركة برنامجا للتحكم بكل كمبيوتر شخصي وتوصيله بالانترنت خلال ساعات محدودة فقط وكان ان ولد النظام الجديد.

ويطرح النظام حاليا بثمن ٨ آلاف جنيه استرليني. ■



الخطة الإسرائيلية لإغراق القدس بالمستعمرات تقضي بإقامة ١٤٢ ألف وحدة سكنية حتى العام ٢٠٢٠

اعلنت مصادر اردنية مسؤولة ان خطة اسرائيل لإغراق مدينة القدس بالوجود الاسرائيلي تهدد شخصية المدينة المقدسة وسيجرى تنفيذ هذه الخطة طوال عقدين من الزمان حتى العام ٢٠٢٠. وقالت تلك المصادر ان ما يجري تنفيذه من إقامة مستعمرات هنا وهناك داخل القدس او حولها هو جزء من هذه الخطة التي يجب أخذها في الاعتبار واتخاذ كل الاجراءات اللازمة لإحباطها واكدت ان السلطة الفلسطينية على علم بتلك الخطة وقامت بكشفها ليصار لاتخاذ خطوات حاسمة لإحباطها إن عربيا او دوليا. وجاء في التقرير الحاصل الذي تلقته اللجنة ان الخطة جاءت حصيلة عمل قامت به لجنة اسرائيلية مشتركة مؤلفة من عدد من الوزارات في الحكومة الاسرائيلية تناولت المزيد من التفاصيل لتوسيع المستعمرات القائمة وتعزيز سيطرتها على مدينة القدس واقامة مستعمرات جديدة ايضا. وجاءت تفاصيل تلك الخطة على النحو الآتي:

اولا: ستة مخططات بناء في مواقع واسعة ملكيتها عامة والمقصود بذلك «الاراضي التي صودرت والتي هي في طريقها إلى المصادرة تحت حجج وذرائع متعددة، حيث يخطط لإقامة ١٨٠٠٠ وحدة سكنية منها ١٣٦٠٠ وحدة سكنية خارج القدس الغربية». اي في القدس المحتلة العام ١٩٦٧ وذلك وفقا للتقسيم التالي: جبل ابو غنيم ٧٥٠٠ وحدة سكنية، وبسفات زئيف ٣٥٠٠ وحدة سكنية، ومبعات همطوس «بيت صفافا» ٢٢٠٠ وحدة والباقي في مناطق القدس الغربية.

ثانيا: عشرات المخططات الخاصة لإقامة ١٥٦٠٠ وحدة سكنية في مواقع صغيرة بعضها بملكية خاصة في جنوب ووسط وشمال المدينة.

ثالثا: ٣٠ الف وحدة سكنية ستقام في مناطق ضمت القدس وتقع شمال غربي القدس.

رابعاً: ١٥ الف وحدة سكنية ستقام في إطار تحديث وإعمار أحياء وسط المدينة.

خامسا: (٣)الاف وحدة سكنية ستقام في إطار ماأطلقت الخطة عليه تحديث وإعمار أحياء قديمة والمقصود هنا هو تغيير ملامح الحي الإسلامي داخل الاسوار بما يتفق مع مخططات التهويد القائمة على قدم وساق.

سادسا: ٢٠٠٠ وحدة سكنية في إطار تحويل مكاتب الى مساكن.

سابعا: (٣٠) الف وحدة سكنية يجري معها توسيع مستعمرات يهودية في المدينة كمستعمرة «تسور هداسا».

وعمليا وحسب التقرير نفسه وضعت المخططات لإقامة نحو ٩٥ الف وحدة سكنية خلال السنوات العشر المقبلة، استنادا الى ان الطلب على المساكن اليهودية في القدس حتى عام ٢٠٢٠ سيبلغ نحو (٩٥) الف شقة ومن اجل تنفيذ هذا الهدف حتى ذلك العام يجب وجود عرض تنظيمي يزيد بنحو ٥٠ في المئة عن هذا الطلب بحيث يبلغ نحو (١٤٢) الف وحدة سكنية، حسب ماورد في التقرير.

المخدرات تهدد بتفشي الأيدز في روسيا

قال مسؤول حكومي رفيع المستوى ان الإنفاق على المصابين بفيروس «اتش. اي.في» المسبب لأعراض نقص المناعة المكتسب الايدز سيلتهم كل ميزانية الصحة في روسيا خلال الأعوام القليلة المقبلة مالم تتخذ خطوات لوقف انتشار المرض وبخاصة بين مدمني المخدرات.

وقال وكيل أول وزارة الصحة جينادي اونيشيتشنكو خلال جلسة برلمانية ان تمويل حملة لمدة ثلاث سنوات تهدف بشكل أساسي الى توعية السكان بمخاطر الأيدز انتهى في العام ١٩٩٦ وهو الوقت الذي ارتفعت فيه عدد الإصابات بالأيدز كثيرا.

ويبلغ عدد المصابين بفيروس «اتش.اي.في» المسجلين ٨٣١٣ شخصا ورغم انه عدد قليل نسبيا إلا أنه تضاعف أربع مرات تقريبا منذ ١٩٩٦ بسبب ارتفاع تعاطي المخدرات بالحقن بين الشباب.

واضاف المسؤول الروسي قائلا اذا استمر الاتجاه الحالي فإنه في الأعوام المقبلة سيصل عدد المصابين بفيروس «اتش .اي.في» الى مليون شخص وسيكلف العلاج ماينفق الآن على كل قطاع الصحة.

عدد المقدسيين بعد ٢٠ عاما يقترب من عدد الإسرائيليين

ينمو عدد المقدسيين بشكل أسرع من سكان القدس اليهود ويتوقع ان تصل نسبتهم خلال عشرين عاما الى ٤٥ في المئة من إجمالي سكان المدينة المقدسة.

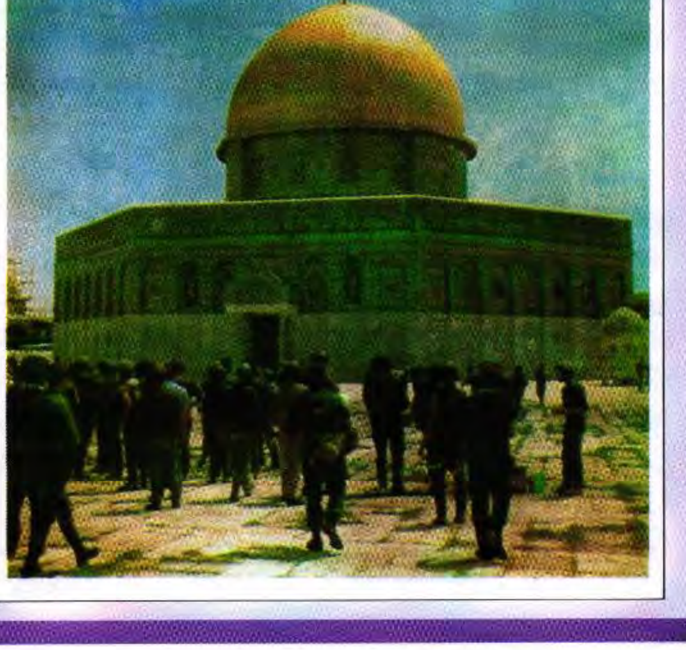
وأفاد تقرير لمعهد القدس للدراسات الاسرائيلية ان نسبة المقدسيين بلغت حاليا ٣٠ في المئة من إجمالي سكان المدينة. مشيرا الى ان هذه النسبة ارتفعت العام ١٩٩٦ بنحو ٣,٧ في المئة مقابل ١ في المئة من اليهود.

وبهذا المعدل ستصل نسبة السكان الفلسطينيين في القدس الى ٤٥ في المئة خلال عشرين عاما مقابل ٣٠ في المئة حاليا و٢٥ في المئة العام ١٩٦٧، تاريخ احتلال اسرائيل للقدس الشرقية استنادا الى المعهد. وفي نهاية العام ١٩٩٦ كانت القدس بما فيها الجزء الشرقي الذي ضمته اسرائيل تضم ٦٠٢ ألف نسمة، منهم ١٨٠ ألفا و٩٠٠ فلسطيني و٤٢١ ألفا ومئة يهودي.

ومن جانبه ذكر مكتب الاحصاءات الفلسطيني ان عدد سكان القدس العرب بلغ نحو٢١٠ آلاف نهاية العام ١٩٩٧.

ومنذ العام ١٩٦٧ ارتفع عدد السكان العرب بنسبة ١٦٤ في المئة في حين زاد عدد السكان اليهود بنسبة ١١٣ في المئة وفقا لمعهد القدس ويمثل المسلمون٩٠,٩ في المئة من فلسطينيي القدس والمسيحيون ٩,١ في المئة.

ويرى رئيس بلدية القدس ايهود اولمرت الذي يدعم الاستيطان في القدس المحتلة ان ما «يدعو للقلق ان يزيد سكان المدينة غير اليهود بشكل اسرع من السكان اليهود» واستخدم الاحصاءات لتبرير مشروعه الاخير بضم بلدات اسرائيلية في غرب المدينة الى القدس.



البرلمان وافق على تطوير الأزهر

حسم مجلس الشعب المصري يوم ١٩٩٨/٦/٩م الصراع داخل المؤسسة الأزهرية، ووافق بأغلبية ساحقة على مشروع قانون تطوير التعليم الأزهري ليحقق بذلك الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي، أهم انتصار له في مواجهة معارضيه.

واستقبل النواب، شيخ الأزهر- الذي شارك في الجلسة وألقى أمامهم بياناً مطولاً - بتصفيق لفترة طويلة، وأجمعت كلمات ممثلي الكتل البرلمانية، باستثناء حزب الوفد، على تأييد القانون الذي يختصر سنوات الدراسة في التعليم الثانوي الأزهري إلى ثلاث سنوات بدلاً عن أربع سنوات، والذي يقول المعارضون بأنه سيؤدي إلى تقليص مساحة المواد الفقهية وأكدوا أنهم «لن يستسلموا» وبدأوا الاستعداد لجولة مقبلة من المعركة مع شيخ الأزهر.

غير أن طنطاوي تعهد أمام المجلس بعدم حدوث ذلك، وقال: «أعاهد الله وأعاهدكم ألا ننقص شيئاً من المواد الدينية والأزهر ملتزم تحفيظ القرآن للطلاب وتحويله إلى حقيقة فعلية بعدما كان حبراً على ورق».

وأشار طنطاوي إلى أن التعديل استجابة لأولياء أمور الطلاب الأزهريين ولتحقيق العدل والمساواة مع طلاب الثانوية العامة، وأكد أنه يستهدف تأهيل الطالب الأزهري بإعطائه جرعة مناسبة من المواد الشرعية واللغوية للمحافظة على الأصالة من ناحية، والتطوير بما يتواكب مع تطور المجتمع وحاجاته من ناحية أخرى.

وأكد رئيس جامعة الأزهر أحمد عمر هاشم موافقة الشيخ متولي الشعراوي - رحمه الله - على القانون، وقال إنه عقد لقاء معه بحضور إبراهيم بدران، وأوضح أن «الشعراوي وافق على المشروع المطروح طالما يحافظ على المواد الشرعية والدينية وأنه تحقق من ذلك وأصدر بيانه ولم يتراجع عنه»، وبدا أن هاشم إنما يرد بذلك على المعارضين الذين استندوا في جزء كبير من حملتهم إلى تراجع الداعية الشعراوي -رحمه الله - عن تأييده القانون وإعلان أنه تعرض لخديعة.

رابطة العالم الاسلامي تندد بمشروع «القدس الكبرى»

نددت الأمانة العامة لـ «رابطة العالم الإسلامي» بمشروع «القدس الكبرى» الذي تبنته الحكومة الإسرائيلية. وشدد الدكتور عبد الله بن صالح العبيد الأمين العام للرابطة على «عروبة القدس واسلاميتها» مؤكداً ان كل الإجراءات التي نفذتها الحكومة الاسرائيلية باطلة لأنها تتعارض مع قرارات المجتمع الدولي وهيئاته ومؤسساته، كما تتعارض مع حقوق العرب والمسلمين التاريخية في المدينة المقدسة وذكر ان حكومة بنيامين نتانياهو «تتعمد خرق كل الاتفاقات الدولية في شأن مدينة القدس الشريف ضاربة عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن». ودعا الى إحباط المشروع الاسرائيلي الخطير لأنه يكرس سياسة الاغتصاب الاسرائيلي للأراضي العربية وتغيير الواقع الجغرافي والسكاني لمدينة القدس.



الأستانة بدل «القبر الأبيض» عاصمة لكازاخستان

افتتح الرئيس نور سلطان نزارباييف يوم ١٩٩٨/٦/١٠م مدينة الاستانة التي تقع وسط البلاد عاصمة جديدة لكازاخستان وقال خلال حفل الافتتاح «اليوم نشهد جميعاً حدثاً تاريخياً لاينسى» واصفاً نقل العاصمة من المآتا الى الاستانة التي تبعد عنها الف كلم الى الشمال الغربي، بأنه مرحلة جديدة في النهضة الاقتصادية للجمهورية السوفياتية السابقة التي تضم ١٦مليون نسمة وتملك احتياطا نفطياً كبيراً.

واستعداداً لاحتفالات افتتاح العاصمة الجديدة تم تسريع العمل لإنجاز المباني الجديدة الحديثة وفندق انتركونتيننتال الفخم. لكن خلف هذه الأبنية الجديدة تقبع المباني الخربة والورش غير المكتملة التي اسهمت مع قسوة الشتاء في تشويه صورة هذه المدينة التي تضم نحو٣٠٠ الف نسمة وفي محاولة لمحو هذه الصورة السيئة عمد نزارباييف الى تغيير اسم المدينة الأصلي من أكمولا اي «القبر الابيض» باللغة الكازاخستانية الى الاستانة اي «العاصمة» ويرى نزارباييف ان نقل العاصمة رمز لرغبة بلاده في المحافظة على علاقات متوازنة مع جميع جاراتها مثل روسيا والصين وجمهوريات آسيا الوسطى.

«قمة مكافحة المخدرات» تتبنى خطة عمل لمدة (١٠) سنوات بكلفة (٥) مليارات دولار

تبنت قمة مكافحة المخدرات التي نظمتها الأمم المتحدة يوم ١٩٩٨/٤/١٠ خطة عمل بكلفة خمسة مليارات دولار تلزم الدول الأعضاء العمل لتقليص استهلاك المخدرات وتدمير زراعاتها خلال مهلة عشر سنوات.

فقد تبنى ممثلو نحو ١٥٠ بلدا بالاجماع اعلانا سياسيا طموحا يحدد استراتيجية المجتمع الدولي في مواجهة المخدرات التي يستهلكها اكثر من ٢٠٠ مليون شخص في العالم وكرست هذه القمة التي استمرت ثلاثة ايام وشارك فيها قرابة ثلاثين رئيس دولة وحكومة، للمرة الأولى قيام جبهة مشتركة من الدول الفقيرة المنتجة للمخدرات والدول الغنية المستهلكة هدفها التوصل الى «عالم من دون مخدرات».

وتنص خطة العمل على تقليص كبير لاستهلاك وزراعة الكوكائين وحشيشة الكيف والقنب خلال العام ٢٠٠٨ من خلال مكافحة الشرطة من جهة وتطوير زراعات بديلة من جهة أخرى. كما تعهدت الدول الاعضاء بالتصدي للامفيتامينات التي ارتفع استهلاكها بشكل كبير جدا خلال السنوات الماضية والى تعزيز تعاونها القضائي لمكافحة عمليات تبييض أموال المخدرات التي يقدر حجمها بـ ٢٠٠ مليار دولار في السنة.

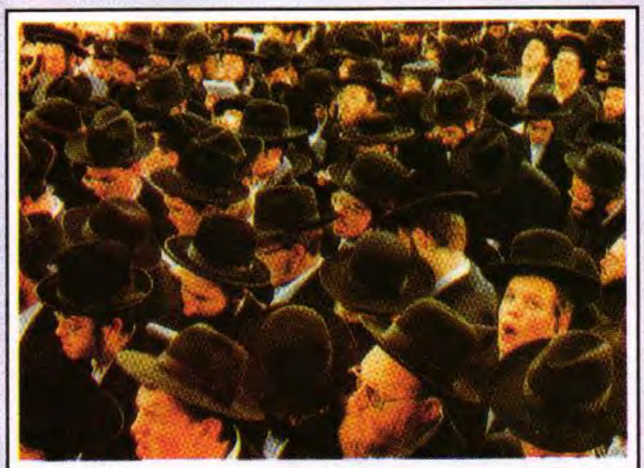
واعلن منسق مكافحة المخدرات في الأمم المتحدة الأيطالي بينو أرلاتشي ان تكاليف هذا البرنامج تصل الى ٥٠٠ مليون دولار سنويا على مدى عشر سنوات.

الا ان مسألة تمويل هذا البرنامج ظلت قائمة في وقت انتقدت المنظمات غير الحكومية معالجة الأمم المتحدة للمشكلة من زاوية محض قمعية.

وفي كلمة القاها في ختام القمة اعتبر ارلاتشي ان هذا اللقاء «وجه رسالة أمل الى العالم» لكنه رأى ان العمل الحقيقي يبدأ الآن لأن على المجتمع الدولي ان يحترم مهلة عام ٢٠٠٨ لإزالة استهلاك وانتاج كل انواع المخدرات غير المشروعة او الحد منها بشكل كبير جدا». وردا على الانتقادات اعتبر أرلاتشي ان عملنا «لا يمكنه ان يبقى مجرد حبر على ورق علينا ان نثبت العكس وان نرد على التحدي معا».

أوغندا تمنع تدريس العربية

اصدرت الحكومة الاوغندية قرارا بمنع تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية في اوغندا، وقد حذر التربويون من مضار هذا القرار على اعتبار ان اوغندا عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي، وبالتالي سيترتب على هذا القرار تأثر العلاقات بين الشعب الاوغندي واشقائه من الشعوب المسلمة في الدول العربية والاسلامية. كما نبه التربويون الى ان القرار تظهر فيه دلائل العنصرية والتعصب حيث انه يقضي بمنع تدريس لغة هي احدى اللغات الخمس المعتمدة في هيئة الامم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية في حين تدعم الإدارة الاوغندية تدريس اللغات الاجنبية الاخرى وبخاصة الالمانية والفرنسية.



عدد يهود بريطانيا انخفض (٥,٧٪) خلال العقد الماضي

أضحى معظم يهود بريطانيا متمركزين في منطقة لندن الكبرى بعد أن انحسرت أعدادهم في مناطق ليذر وغلاسغو ومدن أخرى خلال العقد الأخير حسبما أوردت صحيفة «جويش كرونيكل».

وذكرت الصحيفة، استناداً إلى الإحصائية التي سينشرها المجلس اليهودي أن عدد اليهود في بريطانيا حالياً هو ٢٨٥ ألفاً، حسب إحصاء العام ١٩٩٥م، وهو أقل بنسبة ٥,٧٪ عن عددهم العام ١٩٨٥م (٣٠٨ آلاف)، ومع أن عدد اليهود قد انخفض في لندن وضواحيها من ٢٠٤,٦٥٠ إلى ٢١٥,٥٠٠ أي بنسبة ٥٠٪، إلا أن نسبة التناقص هذه هي أقل مما سجلت في مناطق تجمعات اليهود في بريطانيا.

ففي منطقة مانشستر «شمال غربي انكلترا» تناقص عدد الجالية اليهودية بنسبة ٧٪ (من ٣٠ ألفاً إلى ٢٧ ألفاً و ٨٠٠ نسمة)، لكن التناقص كان شديداً في منطقة ليدز (غرب يوركشير في انكلترا) إذ انخفض العدد من ١٢ ألفاً إلى عشرة آلاف نسمة (بنسبة تناقص ١٧٪)، وفي غلاسغو (اسكوتلندة) من ٧٥٠٠ إلى ٥٦٠٠ نسمة (نسبة تناقص ٢٥٪)، وفي برايتون (شرق مقاطعة سوسكس في انكلترا) من ٦٥٠٠ إلى ٥٣٠٠ (١٨٪)، وفي برمنغهام «ويست ميلاند» من ٥٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ (٢٥٪)، وفي ليفربول «شمال غرب إنكلترا» من ٤٥٠٠ إلى ٣٨٠٠ (١٥٪)، وفي ساوث إند «مقاطعة اسكس في انكلترا» من ٤٥٠٠ إلى ٣٤٠٠ (٢٤٪)، ومن بين تسعة مراكز للتجمعات اليهودية لم تحافظ الجالية اليهودية على حجمها سوى في بورنموث «مقاطعة دورسيت في إنكلترا» خلال العقد الأخير (٣ آلاف نسمة).

وذكرت الإحصاءات التي أعلنتها مارلينا شمول مديرة وحدة أبحاث الجالية «اليهودية» في مؤتمر المجلس اليهودي أن عدد يهود بريطانيا انخفض بمعدل ٢٣٠٠ شخص في السنة خلال السنوات العشر الماضية.

البنك الإسلامي للتنمية سيقدم ملياري دولار قروضاً ومساعدات

اعلن البنك الاسلامي للتنمية ومقره جدة عن برنامجه التمويلي للعام الهجري المقبل ١٤١٩ وقال البنك في بيان له ان حجم القروض والتمويلات التي سيقدمها لمختلف الدول والمشاريع عبر العالم الإسلامي تبلغ ملياري دولار.

واوضح رئيس البنك الدكتور احمد محمد علي ان خطة التمويل اعتمدها مجلس المديرين في اجتماعه الأخير الذي عقد في جدة.

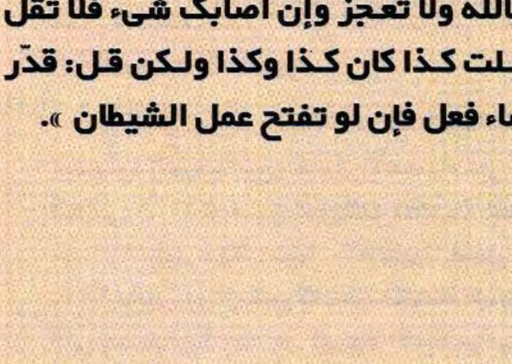
وبموجب هذه الخطة سيخصص اكثر من ٦٦٦مليون دولار لتمويل المشروعات الإنمائية وعمليات المساندة الفنية لصالح دول الأعضاء التي وصل عددها الى ٥٢ دولة وهو مبلغ يزيد بنسبة ١٢ في المئة عن المرصود لخطة عمليات العام المنصرم ١٤١٨هـ حيث أسهم البنك في تمويل ٨٣ عملية اشتملت على ٥٤ مشروعا تنموياً و٢٩ عملية مساعدة فنية.

كما تقترح الخطة مبلغ ٤,٨ مليون دولار خلال العام ١٤١٩هـ من وقف البنك لتقديم المنح والهبات التي لاترد لصالح المجتمعات الإسلامية في الدول غير الاعضاء لتمويل مشروعاتها التعليمية والصحية والثقافية الى جانب اكثر من ٤ملايين دولار لتمويل برنامج المنح الدراسية الذي أنشأه البنك لصالح هذه المجتمعات قبل نحو ١٥ عاماً. وحسب الخطة المعتمدة فإن التوزيع القطاعي للخطة يشمل نسبة ٢٠ في المئة من الأموال المعتمدة تخصص لتمويل مشروعات قطاع الزراعة والصناعات الزراعية و١١ في المئة للصناعة و٢٥ في المئة للنقل والمواصلات و٢٥ في المئة للمرافق العامة و١٧ في المئة للخدمات الاجتماعية.

وفي إطار تمويل العمليات التجارية بهدف تعزيز التجارة البينية بين الدول الأعضاء فإن خطة العام الحالي ١٤١٩ تتضمن تمويلات مقترحة تصل الى اكثر من ١,٤ مليار دولار منها ٨٣٠ مليونا لتمويل الصادرات و٣٠٠ مليون دولار تمويلات من محفظة البنوك الاسلامية التي يسهم فيها عدد من البنوك الاسلامية ويديرها البنك الاسلامي للتنمية في غضون ذلك أقر البنك يوم ١٩٩٨/٦/٩ تمويلات قيمتها ١٧٢ مليون دولار لمشاريع في أربع دول أعضاء ودول أخرى غير أعضاء وهي: باكستان وبنغلاديش والبحرين والاردن والسودان وكازاختسان وغامبيا.

حديقة

إعداد :
أحمد عبدالجبار



من هدي كتاب الله

﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون • ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون • إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون • ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾.

سورة الأنفال : (٢٠ ـ ٢٣)

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في أحب صفات المؤمن :

« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان ».

إنَّ من الشعر لحكمة

قال قس بن ساعدة الأيادي:

في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت
ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليَّ
ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا
لة حيث صار القوم صائر

من أجل هذا أبكي

عوتب عطاء السليمي في كثرة البكاء فقال: كيف لا أبكي والموت في عنقي والقبر بيتي وفي القيامة موقفي وعلى جسر جهنم طريقي، وربي لا أدري ما يصنع بي.

لغويات

العمائم : الجماعات، ويروى : وعُمّاً عما عما، فالعُمُّ الرجال البالغون، ويستعمل في غير الرجال أيضاً، اشترى بعض الشعراء نخلاً، بعضه بالغ وبعضه غير بالغ فعذل في ذلك فقال :

فعُمٌّ لعُمكم نافع
وطفل لطفلكم يؤمل

أراد : فالبالغ من النخل ينفع الرجال البالغين، والذي ليس ببالغ ينفع الأطفال ويؤمل بلوغه لهم.

متى ينتظر البلاء ؟

إذا ساد القبيل فاسقهم،
وكان زعيم القوم أرذلهم،
وأكرم الرجل اتقاء شره.

الشهامة والشجاعة

«الشهامة أن تغار على حرمات الله، والنجدة أن تبادر إلى نداء الله، والشجاعة أن تسرع إلى نصرة الله، والمروءة أن تحفظ من حولك من عيال الله والسخاء ألا ترد لله أمراً ولا نهياً».

زئيره رعد !!

قال عبدالملك بن مروان لأحد الأعراب: صف لي الأسد نثراً فقال: له عينان حمراوان مثل وهج التنور، كأنما نقرتا بالمناقير في عرض حجر، لونه ورد وزئيره رعد، هامته عظيمة، وجبهته شتيمة، نابه عنيد، وشره عتيد، إذا استدبرته قلت أفرع، وإذا استقبلته قلت أقرع، إذا مشى تبهنس، وإذا أتى الليل تجسس، فقال عبدالملك: حسبك، والله لقد وصفته بصفة خلته يثب عليَّ.

لا تتحسر على ما فاتك!

ستة لا تتحسر على مافاتك منها: جاه أعقبه مذلة، ومعصية أعقبها ندم، وأخ لم يعرف حق إخائك، ونعمة جلبت لك الغصص والمشكلات، وصحة لم تؤد فيها واجباً، وزوجة جعلت حياتك جحيماً.

أدب المجالسة

قال أحد الأدباء: إياكم ومجالسة أقوام يتكلفون بينهم زخرف القول غروراً، ويتملقون في الكلام خداعاً وقلوبهم مملوءة غشاً وغلاً وحسداً وكبراً، وحرصاً وطمعاً، وبغضاً وعداوة، ومكراً وختلاً، دينهم التعصب، واعتقادهم النفاق، وأعمالهم الرياء، واختيارهم شهوات الدنيا، يتمنون الخلود فيها، مع علمهم بألا سبيل إلى ذلك.

العجلة أم الندامة !

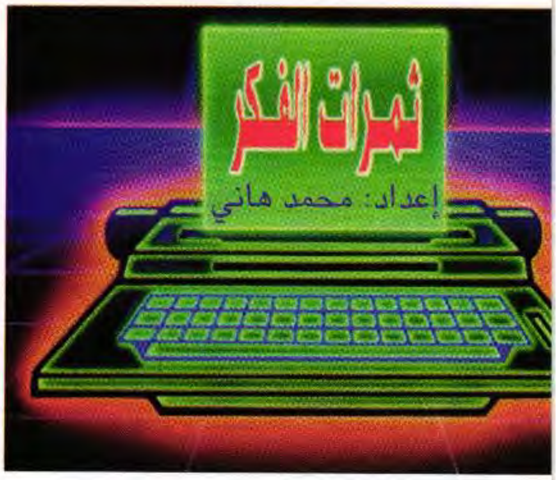
قال بعض الحكماء: إياك والعجلة، فإن العرب كانت تكنيها «أم الندامة» لأن صاحبها يقول قبل أن يعمل، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة واعتزل السلامة.

رجل يغلب «إياس»

روي عن إياس بن معاوية أنه قال: ما غلبني أحد قط سوى رجل واحد، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليَّ رجل شهد عندي أن البستان الفلاني - وذكر حدوده - هو ملك فلان، فقلت له: كم عدد شجره؟ فسكت ثم قال: منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا، فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقلت له: الحق معك، وأجزت شهادته.

أمثال يابانية

- يستحيل الوقوف في هذا العالم دون الانحناء أحياناً.
- عندما يتوقف المطر ننسى المظلة.
- في المديح بداية الشتيمة.
- عندما تدق ساعة الجوع لا طعام سيئاً.



عجائب الصدقات



كتاب فريد في بابه محيط في جمعه مبهر في عجائبه، قدّم له الدكتور عادل عبدالله الفلاح وكيل وزارة الأوقاف الكويتية المساعد لشؤون الحج والدراسات الإسلامية، إنه أول كتاب جامع للصدقات يصاغ في هذا الإطار البديع ويرتدي ثوباً جميلاً، وقد بذل الكاتب الأستاذ «عليش متولي بدوي النبوي» أكرمه الله جهداً عظيماً حتى جمع فيه ألوان الصدقات على كثرتها وتنوعها، وأتى بها في صورة جديدة مشوّقة وبأسلوب سهل قريب التناول وركز على آثارها الحميدة في الدنيا والآخرة وقد بدأ الكاتب عرضه لماهية الصدقة واستعرض القدوة الحسنة في البذل والإنفاق، والتي تجسدت في أفعال الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة الكرام، وأثر الزكاة والصدقات في علاج قضية الفقر في الإسلام كما تطرق إلى الزكاة المفروضة ومشروعيتها، ودلائل وجوبها، وعلى من تجب وشروط المال الذي تجب فيه الزكاة والمستحقون لأموال الزكاة، وتناول صدقة الفطر وصدقات التطوع ونماذج مضيئة من تاريخ الصدر الأول للإسلام وثواب المتصدقين وفضل المتصدق والصدقة الجارية «الوقف» ونماذج من الأوقاف الإسلامية على مدى التاريخ ثم تناول الصدقات غير المالية والتي تتمثل في العبادات والأذكار والسلوكيات الأخلاقية تجاه الآخرين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها... كل هذا وغيره جمعه المؤلف جزاه الله خيراً في ٦٥٠ صفحة من القطع المتوسط فكان بحق سفراً لكل محبي الخير في عالمنا الإسلامي.

أهداف مناهج التربيه الإسلاميه فى مراحل التعليم العام



كتاب يقع في نحو ٨٠ صفحة من القطع المتوسط، أصدرته دار الصحوة في الكويت بعنوان «أهداف مناهج التربية الإسلامية في مراحل التعليم العام» للدكتور بدر عبدالرزاق الماص، وقد تناول المؤلف جزاه الله خيراً في هذا الكتاب جملة من الموضوعات من أبرزها: التربية في اللغة والاصطلاح، والإطار العام للتربية الإسلامية، وأهداف ومناهج التربية الإسلامية، واستخلص من موضوعاته التي ذكرها جملة من النتائج من أبرزها: أن التربية الإسلامية هي أسلوب صناعة الإنسان وبناء المجتمع على أساس من وحدة العقيدة وقوة الفضيلة وهي تتميز عن غيرها من النظم التربوية بأطر عامة وأسس عدة جعلت منها متينة وقوية ولابد من اعتماد منهج التربية الإسلامية على المصادر الإسلامية الأصيلة مع الإفادة من تجارب الآخرين.

الكرماء



كتاب جديد تأليف أحمد أبو سيدو يقع في نحو ٢٢٥ صفحة من القطع المتوسط قامت بنشره مؤسسة صقر الخليج للنشر والتوزيع في الكويت. هذا الكتاب سجل حافل لصفة الكرم وتعريف بالكرماء وتاريخ أول من سن الكرم عند العرب، والكرم في الجاهلية وفي الإسلام وأجواد العرب في العصرين، ودور الإسلام في تجسيده والحث عليه، ومجالاته وثمراته وكرم الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين وقصص الكرماء في هذه العصور، إضافة إلى إكرام الجار والضيف واليتيم والعتق، وهو مرتبة عالية من الكرم، والإيثار وهو أفضل المكارم، والإنفاق دون رياء، والفرق بين الكريم واللئيم، وكذلك التحذير من البخل والشح.

حرب الخليج الأولى ونتائجها اللاحقه

بعد عشر سنوات على انتهاء الحرب الضارية بين العراق وإيران التي امتدت ثماني سنوات صدر أخيراً باللغة الإنكليزية كتاب «حرب الناقلات بالخليج: المبارزة البحرية بين إيران والعراق» تناولت كاتبته د. نادية السيد الشاذلي إحدى أهم المراحل في هذه المواجهة العسكرية التي قادت أحداثها المتسارعة حسب تحليلها إلى وقف إطلاق النار على اثر تصاعد خطير للتراشق بين القطع البحرية الأمريكية والإيرانية ما أقنع إيران باستحالة كسب الحرب ثم قبولها في أغسطس ١٩٨٨م قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨.

والكتاب يقع في تسعة فصول تضم عدداً كبيراً من الجداول عن أبرز أحزاب المعارضة العراقية وتكوين البحريتين الإيرانية والعراقية وإحصاءات عن السفن من ١٩٨٤ م - ١٩٨٨م، وخرائط حربية والنصف الأول من الكتاب يصف المسرح البحري بخلفياته التاريخية والجغرافية والسياسية والاستراتيجية ويوضح الأسباب التي أسهمت في دخول العراق في المواجهة العسكرية ضد إيران في سبتمبر ١٩٨٠م مع خلفية جيوبوليتيكة للعراق وإيران وعرض تحليلي للعمليات البرية على الحدود المشتركة وتسليط الضوء على قضايا داخلية وخارجية ذات صلة بالدولتين أما النصف الثاني من الكتاب فيشرح دوافع وأهداف العراق من تبني استراتيجية حرب الناقلات.

كتابان جديدان عن «النمو الثقافى ومشاكله فى العالم الإسلامى» و«تعليم المرأة»

أصدرت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» كتابين جديدين باللغة العربية عن «تعليم المرأة في الدول الإسلامية»، و«النمو الثقافي ومشاكله في العالم الإسلامي»، ويعالج الكتاب الأول أوضاع تعليم المرأة في الدول الأعضاء في «الايسيسكو» من خلال دراسة مسحية تشخيصية تهدف إلى رسم الخط البياني للنمو الكمي لتعليم المرأة في العالم الإسلامي خلال السنوات العشر الأخيرة، وقد اعتمدت الدراسة الأدوات المنهجية لتحقيق هذا الهدف والتي تجمع بين توفير بيانات وصفية تفصيلية عن تعليم الفتيات والنساء في التعليمين النظامي وغير النظامي، وتقديم تحليلات أولية لتلك البيانات بما قد يسهل في تشخيص الأسباب وراء تخلف تعليم الفتيات عن تعليم الفتيان في بعض البلدان الإسلامية وبين تقديم المقترحات لتطوير تحسين أوضاع تعليم المرأة.

ويشتمل الكتاب الثاني على الأبحاث التي قدمت إلى المائدة المستديرة التي نظمتها المنظمات الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع جامعة أفريقيا العالمية حول موضوع «النمو الثقافي ومشاكله في العالم الإسلامي» وتعالج هذه البحوث الموضوعات التالية: النمو الثقافي، ماهيته والعوامل المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً، وأدوات النمو الثقافي، والاتصال ودوره في النمو الثقافي، والنمو الثقافي والحريات العامة، والنمو الثقافي وقضية الهوية والتأصيل.

كما صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة كتاب باللغة الفرنسية بعنوان «القرآن الكريم: دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن»، ويندرج هذا الكتاب الذي سبق أن صدرت الترجمة الإنكليزية له ضمن سلسلة كتب خاصة لتصحيح ما ينشر عن الإسلام والمسلمين من معلومات خاطئة تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

وصدر الكتاب في إطار التعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وهيئة أبو ظبي الخيرية، وقد قدم للكتاب المدير العام للايسيسكو الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري والمدير العام لهيئة أبو ظبي الخيرية السيد حسن منيف الجابري.

وقد تناولت الموسوعة الإسلامية «دائرة المعارف الإسلامية» الصادرة عن دار بريل في مدينة لايدن في هولندا بالفرنسية والإنكليزية والألمانية، مادة القرآن الكريم في خمس وثلاثين صفحة من الطبعة الجديدة الثانية ١٩٨٦م في المجلد الخامس من الصفحة ٤٠١ إلى الصفحة ٤٣٥، وعرض كاتب هذه المادة في الموسوعة، وهو أ.د. جوهس للعناصر التالية: معنى لفظ القرآن ومرادفاته ومحمد والقرآن، وتاريخ القرآن، وبنية القرآن، ولغة القرآن وأسلوبه، والأشكال الأدبية في القرآن، والقرآن في حياة المسلمين، وترجمة القرآن، ويعلق الكتاب على ما تضمنته مادة القرآن في الموسوعة بطريقة تجمع بين تصحيح الأخطاء وتصويب الآراء وتعديل النتائج، وبين سد الخلل في منهج البحث، ويكشف الكتاب وبأسلوب علمي ومنهجية موضوعية بطلان الشبهات التي أثارها كاتب هذه المادة في الموسوعة حول القرآن الكريم ويبين تهافت الأفكار التي جاء بها وينتهي الكتاب إلى إظهار الحقائق الساطعة والحجج الداحضة لمفتريات هذه الموسوعة ضد كتاب الله تعالى المنزل على رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

دراسه فى التجربه الإسلاميه التونسيه

صدر في شهر مارس الماضي للدكتور محمد الهاشمي الحامدي كتاب بعنوان: «تسييس الإسلام: دراسة في التجربة التونسية» عن دار وستفيوبرس الأمريكية وهذا الكتاب يرصد نشأة الحركة الإسلامية التونسية وصعودها ثم مرحلة تراجعها في التسعينيات، كما يقدم قراءة تحليلية شاملة لخطابها السياسي والاجتماعي والثقافي، وهو بذلك «إسهام يتم في دراسات الإسلام السياسي والدراسة التحليلية الكاملة الأولى باللغة الإنكليزية لتاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة في تونس.

أخبــار ثقافيــه

● قرر مجلس إدارة مركز صالح كامل في الأزهر إنشاء جائزة تقديرية جديدة في الاقتصاد الإسلامي تمنح سنوياً لأصحاب الإسهامات الواضحة في البناء المصرفي للاقتصاد الإسلامي وكذلك لمن أسهم بنصيب وافر في تطبيق الاقتصاد الإسلامي في الواقع العملي وحدد مجلس إدارة مركز صالح كامل قواعد الترشيح للجائزة التي تبلغ عشرة آلاف دولار أمريكي لكل فائز في الأعمال العلمية وعشرة آلاف دولار أمريكي لكل فائز في الأعمال التطبيقية وسيتسلم الفائزون الجوائز مع شهادة تقدير في حفل بداية العام ١٩٩٩م.

● تحتضن الرياض معرض الكتاب الأمني العاشر في الفترة من ٢٨ سبتمبر - ٧ أكتوبر ١٩٩٨م وتنظم هذا المعرض المتخصص أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بهدف اطلاع أجهزة الأمن العربية والجمهور على حركة النشر والتأليف في المجال الأمني، وكذلك الإسهام في عملية تشجيع البحث والتأليف في علوم التشريع الجنائي الإسلامي والقانون الجنائي ومكافحة الجريمة والعلوم الاجتماعية والشرطية، والحماية المدنية وعلم النفس والإجرام والتربية وعلم البيئة والعلوم الإدارية والثقافية والإعلامية.

● تنظم منظمة اليونسكو خلال شهر نوفمبر المقبل مؤتمراً عربياً إقليمياً لبرنامج القراءة للجميع وذلك لبحث طرق تنفيذ البرنامج على مستوى الدول العربية وسبل التعاون في هذا المجال.

● شاركت نخبة من الباحثين العرب والأجانب يوم ١٩٩٨/٦/٦م في ندوة استضافتها جامعة السوربون في باريس احتفالاً بالمئوية الثامنة لرحيل الطبيب والفيلسوف المسلم الوليد محمد بن أحمد المعروف بـ«ابن رشد» والجدير بالذكر أن جامعة قرطبة في اسبانيا وجامعة بولونيا في إيطاليا تستضيفان برنامج ندوة ابن رشد على التوالي في الخريف المقبل.

● تقرر أن تُقام المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره في الفترة ١٨ - ٢٩ رجب ١٤١٩هـ الموافق ٧ - ١٨ نوفمبر المقبل في رحاب مكة المكرمة وقد وجهت الدعوة رسمياً إلى ٥٦ دولة إسلامية أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي للمشاركة في هذه المسابقة كما تم توجيه الدعوة إلى ٩٢ جمعية إسلامية في بلاد الأقليات المسلمة والجاليات الإسلامية.

فتاوى

حكم الشفاعة في الحدود

عرض على لجنة الفتوى السؤال التالي :

ما حكم الشفاعة في الحدود؟

ارجو منكم بيان الحكم في مسالة التوسط للإفراج عن شخص ارتكب جناية شرعية كالزنى او السرقة مثلاً، وهل يصح ان يدافع عن هذا الشخص المذنب؟ اما إذا كانت دولة الإسلام قائمة بأمر الحدود فنحن نعلم انه لايجوز التوسط في ذلك لحديث لرسول - صلى الله عليه وسلم - لأسامة «أتشفع في حد من حدود الله»؟ اما الآن فحكم الحدود غائب عن الساحة الإسلامية فنرجو منكم الإفادة في ذلك وجزاكم الله خيراً.

أجابت اللجنة بما يلي:

لايجوز الشفاعة «التوسط لإلغاء العقوبة أو لتخفيفها» في كل جريمة اعتبرتها الشريعة جريمة من جرائم الحدود بعد أن ترفع إلى الحاكم «السلطة القضائية» ولا عبرة بتغيير العقوبة من حدية إلى تعزيرية في القوانين الوضعية.

حكم الطلاق لمشادة كلامية

تقدم إلى لجنة الفتوى زوج وزوجته يستفسر الزوج عن :

حكم الطلاق لمشادة كلامية بينه وبين زوجته؟

وقال: حصل شجار بيني وبين زوجتي حيث كانت تريد الخروج من المنزل لزيارة بعض الأقارب، فقلت لها: الآن ليس الوقت مناسب للزيارة، ولكنها أصرّت على رأيها، فقلت لها: «عليّ الطلاق إلا أحجز لك وأسفرك» ولكنها أصرّت وزادت في الشجار والعصبية، فقلت: ماذا تريدين مني الآن «روحي طالقة، طالقة، طالقة»، وأرغب الآن في إرجاعها، علماً بأنه سبق لي أن حلفت عليها يميناً «قلت فيه عليّ الطلاق أنت مثل أمي وأختي»، واستفتيت عن ذلك اليمين أحد الفقهاء، وأفتانا بأنه عليّ كفارة يمين، فكفّرت عنه.

وسألته اللجنة: هل هناك طلاق غير المذكور في الاستفتاء؟ فأجاب بالنفي.

وسئل: ما قصدت من قولك: «عليّ الطلاق أنت مثل أمي وأختي»؟

فقال: أقصد أنني ابتعد عنها لمدة معينة مع بقاء الزوجية.

وسئل: متى حلفت اليمين؟ فقال: كان اليوم يوم جمعة.

أجابت اللجنة بما يلي :

إن قول السائل «عليّ الطلاق أنت مثل أمي وأختي»، يعتبر يميناً تجب الكفارة عنه وهي: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، وقد نفذها بناء على ما ذكر، وهذا يقع صدق تنفيذه على عاتقه ومسؤوليته.

أما قوله: «عليّ الطلاق إلا أحجز لك وأسفرك» فإنه يعتبر يميناً تجب الكفارة عنه إن لم ينفذ ما قاله.

أما قوله لزوجته «روحي طالقة، طالقة، طالقة» فتقع طلقة أولى رجعية، له مراجعتها مادامت في العدة، وتبقى عنده على طلقتين فقط، وقد راجعها أمامنا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونصحنا بتقوى الله وحسن المعاشرة.

دية وكفارة القتل الخطأ ؟

عرض على لجنة الفتوى السؤال التالي :

ما دية وكفارة القتل الخطأ ؟

سبق أن حصل معي منذ مدة حادث دهس راح ضحيته رجل غير مسلم، وسجلت قضية في هذا الحادث، وقدمت إلى المحكمة المختصة التي أصدرت حكمها ببراءتي من الحادث على اعتبار أنني لا أتحمل أدنى مسؤولية فيما حصل، حيث إن سرعتي كانت أقل من السرعة المقررة بسبب الازدحام، ولأن تصرفات المتوفى وسط الشارع وتردده في قطع الطريق هو الذي أدى إلى وقوع الحادث، وقمت بالصيام لمدة ثلاثة أيام مبتدئاً بكفارة الصيام لمدة شهرين متتابعين، ولكنني انقطعت حيث أفادوني في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عندما سألتهم عن طريق الهاتف بعدم وجوب الكفارة، إلا أن ضميري لا يتوقف عن التأنيب والخوف من عقاب الآخرة على اعتبار أنني أزهقت روحاً بشرية.

لذا أرجو التكرم وإفادتي هل تجب الكفارة عليّ وما نوعها، في هذه الحال وفي حال وجوبها ما شروط الكفارة هل هي عتق رقبة أم صيام لمدة شهرين؟ وما قيمة ما يدفع في دية غير المسلم هل هو جميعها أو نصفها أو ثلثها وجزاكم الله خيراً.

أجابت اللجنة بما يلي:

تقع على السائل كفارة وهي: عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، ونظراً لعدم وجود الرقاب لإلغاء الرق دولياً فإنه تنتقل الكفارة إلى صيام شهرين متتابعين.

أما بالنسبة للدية فاللجنة ترى:

أنها كدية المسلم ومقدارها بالذهب ألف مثقال من الذهب أي ما وزنه (٤,٢٥٠) غراماً ويمكن أن تدفع بالعملات الورقية المتداولة بسعر اليوم الذي وقع فيه الحادث.

نوع من أنواع القمار

عرض على لجنة الفتوى السؤال التالي:

هل يعتبر هذا نوع من انواع القمار؟

دعوة الناس تحت عنوان «فرصة ذهبية»، وتحته ما يلي:

بإمكانك أن تكسب ما يزيد عن (٥٠٠٠) دولار خلال (٣ - ٤) أشهر إذا اتبعت الخطوات التالية بدقة:

١ - اشتر هذه القائمة والتعليمات المرفقة بها بمبلغ (١٠) دولارات أو مايعادلها.

٢ - اكتب بحروف إنكليزية واضحة اسمك وعنوانك في الخانة المخصصة للمشترك الجديد في أسفل القائمة.

٣ - أرسل القائمة مع شيكين اثنين أو شيكين سياحيين كل منهما بمبلغ (١٠) دولارات، الأول صادر باسم المشترك رقم (١) بأعلى القائمة والثاني باسمك (.....) وأرسلها إلى: (.....).

وفي خلال فترة قصيرة تصلك ثلاث قوائم جديدة يظهر اسمك في كل منها بالرقم (٦) بينما ترتقي الأسماء الأخرى إلى أعلى.

إن مهمتك الآن هي أن تقوم فوراً ببيع هذه القوائم الثلاث إلى مشتركين جدد مقابل (١٠) دولارات، أو ما يعادلها، لكل قائمة، بذلك تستعيد (٣٠) دولاراً التي سبق أن دفعتها.

كيف تتم العملية: إن المشتركين الثلاثة الجدد سيقومون بالخطوات نفسها التي سبق وقمت بها أنت، فتصل إلى كل منهم ثلاث قوائم «المجموع ٩» يرتفع اسمك فيها إلى رقم (٥) ثم إلى رقم (٤) في (٢٧) قائمة، وهكذا إلى أن يصل إلى الرقم (١) في (٧٢٩) قائمة، وبذلك تحصل على (٧٢٩٠) دولاراً شرط أن يكون جميع المشتركين قد طبقوا التعليمات بدقة كما طبقتها أنت، أما إذا تخلف بعض المشتركين عن بيع القوائم الثلاث، فإن الدخل بالطبع سينقص، ولكن في جميع الأحوال يجب الا يقل عن (٥٠٠٠) دولار، ذلك لأن القوائم الأخرى تكون قد بيعت.

وأجابت اللجنة بما يلي:

إن هذا من قبيل أكل أموال الناس بالباطل لما فيها من غرر، وليس هناك مصلحة في نشر مثل هذه القوائم لأنه اشترى أوراقاً لا قيمة لها، وكذلك فيها نوع من القمار لاحتواء هذا التصرف على الغرر وسينتهي الأمر إلى أن لا يجد من يشتري هذه القوائم فتتضاعف الخسارة على من ينتهي إليه الأمر. والله أعلم.

هل يرث الزوج القاتل

عرض على لجنة الفتوى السؤال التالي:

هل يرث الزوج القاتل خطأ؟

السائل يطلب توضيحاً عن قسمة الدية الشرعية، المقدرة قيمتها بستة آلاف دينار كويتي على ورثة المجني عليها وهم والدتها وشقيقاها، وزوج المجني عليها المتهم بقتلها خطأ.

أجابت اللجنة:

إن الدية تقسّم قسمة الميراث، وحيث إن الزوج تسبب في قتل زوجته، فهو ممنوع من الميراث شرعاً، والظاهر من الاستفتاء أن الورثة محصورون في الأم والأخوين الشقيقين فيكون للأم السدس والباقي للأخوين بالتسوية، فإن كان هناك ورثة غير هؤلاء فتقسّم على الوجه الشرعي.

حكم سفر الخادمة من دون محرم وحكم عمل الخادمات غير المسلمات في البيوت؟

عرض على لجنة الفتوى السؤال التالي:

ما حكم سفر الخادمة من دون محرم، وما حكم عمل الخادمات غير المسلمات في البيوت؟

نظراً لتطور الحياة المعيشية هنا في الكويت وما نشأ عنها من متطلبات جديدة للمسلم كالحاجة إلى خادمة مثلاً أو مربية لبيته، ونظراً لعدم توافر مثل هؤلاء النسوة من أهل البلاد يضطر بعض المسلمين إلى إحضارهن من خارج البلاد دون النظر إلى عقائدهن فيحضرون البوذيات والنصرانيات وكلهن مشركات، ونظراً للمخاطر الجسيمة التي تنتج عن إحضار مثل هؤلاء من نشر عقائدهن بين أطفال المسلمين مع نشر فسادهن علاوة على ما يتحمله الشخص الذي أحضرهن من إثم لمخالفته نصوص الشريعة الإسلامية التي حظرت دخول مثل هؤلاء إلى الكويت لأن هذه البلاد جزء من الجزيرة العربية، والأحاديث الصحيحة المتواترة، تؤكد ضرورة إبعاد مثل هؤلاء المشركات، ثم إن وجودهن يؤدي أيضاً إلى انتشار الكنائس المرخّصة والسرية، كل هذه الأخطار تنتج عن إحضار الخادمة غير المسلمة ومن ثم نجد أن الشرع لا يُجوِّز إحضار الخادمة إلا مع الزوج أو محرم لها، وقد أكدت أيضاً الأحاديث الصحيحة المتواترة هذا الحكم، ونظراً لصعوبة إحضار مثل هذا الشخص من ناحية صعوبة سكنه في البيت مع الأسرة المستقدمة للخادمة، إضافة إلى تشدد قوانين الإقامة هنا بالنسبة لإحضار مثل هؤلاء الأشخاص عند حضورهن مع تلك النسوة، لذا أرجو من الإخوة أعضاء اللجنة إفادتنا بالموقف الشرعي حول هذا الموضوع وذلك لرغبتنا في تبني إحضار النساء المسلمات ليحللن مكان المشركات لوقف المخاطر التي تشكل خطراً على المسلمين.

وأجابت اللجنة بما يلي:

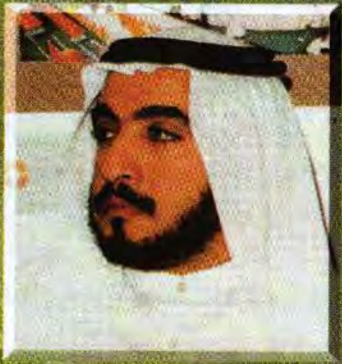
لا شك، إن الاقتصار على إحضار الخادمات المسلمات أقرب لروح الشريعة وأسلم من المحاذير التي أشار إليها المستفتي.

وأما بالنسبة لطريقة إحضارهن فإن المحرم أو الزوج يشترط إحداهما لحال السفر فقط ولا يشترط وجوده في بلد إقامة المرأة ومع ذلك إذا تعذر أو شق أن يصحبها في حال السفر زوج أو محرم وكان السفر مأموناً «كما هو الحال في السفر بالطائرة في رحلة مباشرة من بلدها الأصلي إلى بلد العمل مع قلة تعرضها للانفراد بالرجال وذلك بأن يصحبها الزوج أو المحرم إلى مطار المغادرة ويتلقاها مخدومها في مطار الوصول»، ثم يحصل التحرز من الخلوة الشرعية بأجنبي طيلة وجودها في ذلك البلد سواء كان مخدومها أو غيره، فقد اختارت اللجنة أن ذلك لا بأس به، والله أعلم.

المرسى

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه .. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع ...

المسلمون في بلاد غير إسلامية



بقلم:
الأستاذ / فيصل الزامل
رئيس تحرير مجلة النور

هناك واقع تعيشه أجزاء كبيرة من الأمة الإسلامية، وربما لا يستشعره غيرها، يتعلق بوجود أقلية مسلمة تعيش في وسط أكثرية غير مسلمة مثلما هو الحال في المجتمع الغربي وفي أمريكا اللاتينية وفي الجمهوريات الآسيوية والهند وغيرها.

في مثل هذه الظروف يحتاج المسلم إلى تأكيد كونه مواطناً كاملاً في تلك الدول، فهو في فرنسا - على سبيل المثال - لا يمكن أن يستمر حاملاً للجنسية الفرنسية ويعلن أنه جزائري، أو في بريطانيا يمارس حقوقه السياسية كمواطن بريطاني، ثم يعلن أنه باكستاني الانتماء.

في جميع الأحوال هو فرنسي الجنسية، وهو ينتمي إلى عقيدة الإسلام، ومثلما أن في فرنسا من يحمل جنسيتها ويدين بالكاثوليكية أو البروتستانتية أو اليهودية، فإن أحداً لا يملك أن يلزم المسلم بأن يتخلى عن دينه لمجرد حمله الجنسية الفرنسية أو البريطانية.

إن العجز عن وضع تصور متوازن في هذه المسألة يتسبب في إخفاقات كثيرة منها:

١ - يتعامل المسلم مع هذا المجتمع على أنه مواطن من الدرجة الثانية، باعتبار استمرار نظره لنفسه كمهاجر أو كمواطن غير مرتبط بشكل أصيل بهذه الدولة.

٢ - عدم ممارسته لجميع حقوقه، والاكتفاء بدفع الضرائب وغيرها، فهو يطبق نصف قاعدة «الحقوق والواجبات» فيتنازل طواعية - أو عجزاً - عن حقوقه!!

٣ - مع نشأة جيل ثان من الأبناء بالذات في الغرب - تنشأ فجوة بينهم وبين ذويهم الذين يعجزون عن مواكبة الصراع النفسي لدى الناشئة ويكتفي الأب بإخطارهم بأنهم باكستانيون أو من أي جنسية عربية، وهو أمر لا يجد صداه في نفس الفتى والفتاة، فيزداد اتساع الفجوة.

العكس من ذلك يحدث إذا أوضحت الأسرة لأبنائها الفرق بين حمل الجنسية لبلد ما، والانتماء إلى دين الإسلام، فقد يكون المسلم بريطانيا أو ألمانيا، وهو يحب الخير لهذا البلد، وذلك بهدايته للإسلام مثلما يفعل أي مسلم في أي بلد مسلم في بلاد العرب أو غيرها، فهو يحب الخير له وفق هدي الإسلام وليس لمجرد الحمية لهذا العرق أو ذاك.

بشكل عام، هذه قضية خطيرة، قد لا يشبعها مقال قصير، وتترتب عليها مفاصلة وخصام تؤرق المجتمعات الإسلامية في دول غير إسلامية، وربما تحولت إلى حروب، أو على الأقل ولدت توجساً وحذراً من قِبَل الآخرين تجاه المسلم.

إن في الإسلام سعة ورحابة لا تكتفي بتنظيم أحوال المسلمين في مجتمعاتهم، بل حتى في المجتمعات المختلطة، وقد رأيت نجاحات كثيرة للمسلمين في هذا المضمار، آمل أن تنتشر وأن تحقق السلم داخل البيت المسلم أولاً، ثم في مجتمع الفرد المسلم أينما كانت أرضه. ■


الأمانة العامة للأوقاف
شارك معنا من خلال
السهم الوقفي
بقيمة ١٠ د.ك
• بـ١٠ د.ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
• احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
• بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له
« رواه مسلم »
للاستفسار :
رقم : (٢٤١-٨٠٠٨) صباحاً
ولخدمة التحصيل السريع
بيجر : (٩٢٥-٩٢٥٠)
السهم الوقفي
صدقة جارية... لخدمة الدين والمجتمع

الوعي الإسلامي

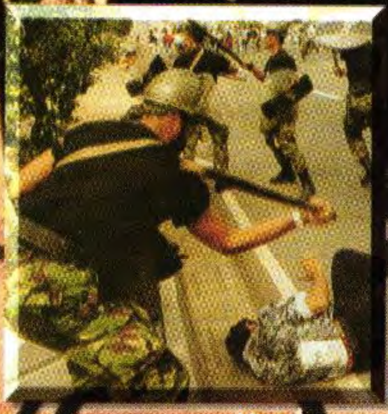
إسلامية - شهرية - جامعة

العدد ٣٩٣ - السنة الخامسة والثلاثون - جمادى الإولى ١٤١٩ هـ - أغسطس / سبتمبر ١٩٩٨ م



مفتي بلغاريا:
أوضاع المسلمين بعد سقوط الشيوعية

حقيقة التوراة والصهيونية



مسيرة النصف قرن من سوكارنو إلى سوهارتو

ملف البيت المسلم

يتك مع العدد براعم الإيمان


إخواننا الأحرار
إكسروا القيد وحررونا
إخوانكم الأسرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٣ . السنة الخامسة والثلاثون

جمادى الأولى ١٤١٩ هـ . أغسطس / سبتمبر ١٩٩٨م

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT

TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (+٩٦٥) فاكس ٢٤٣١٧٤٠(+٩٦٥)

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

المسلمون والمتغيرات في عالم اليوم

عزيزي القارئ

المتغيرات على الساحة العالمية، تسير بخطى متسارعة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً من قبل، فما يشهده العالم اليوم من مخترعات وابتكارات مذهلة اختصرت الزمن والمسافات وحوّلت العالم كله إلى قرية صغيرة تتشابك فيها العلاقات والمصالح، ومما يؤسف له أن معظم شعوب العالم تحاول أن تدخل القرن المقبل برؤية واضحة المعالم واستراتيجية ثابتة، وبناء حضاري مؤسسي، إلا أننا نحن المسلمين، ما زلنا نتخبط في مسيرتنا، ونمر بحال من الجمود والخمود والوهن، مع غياب الوعي الجماعي، وانطفاء الفاعلية الحضارية، وكأن ما يجري من حولنا لا يهمنا من قريب أو بعيد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من هذا المنطلق ركزت مجلة الوعي الإسلامي في عددها هذا ومن خلال بعض المقالات والتحقيقات على جملة من القضايا التي تهم أمتنا في مسيرتها المعاصرة، مثل انحطاط الأمم ـ الاتحاد السوفييتي... نموذجاً، تحديات تأكيد الذات في ظل العولمة، مسيرة النصف قرن في أندونيسيا الدروس والعبر، وكلها تصب في مجرى واحد، وتؤكد ضرورة إعادة فاعلية المسلم المعاصر في ظل المتغيرات العالمية.

والله من وراء القصد

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا ـ السعودية: ٤ ريالات ـ البحرين: ٣٠٠ فلس قطر: ٤ ريالات ـ الامارات: ٤ دراهم ـ سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة الأردن: ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع: جنيه مصري واحد ـ السودان: ٥ جنيهات موريتانيا: ١٢٠ أوقية ـ تونس: دينار واحد ـ الجزائر: ٥ دنانير اليمن: ٥ ريالات ـ لبنان: ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا: ٢٠ ليرة ـ المغرب: ٦ دراهم ليبيا: ٥٠٠ مليم ـ اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

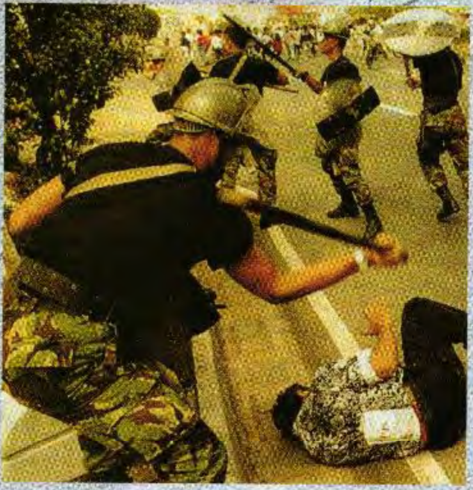
وكيل التوزيع: شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد

تحقيق

مسيرة النصف قرن من سوكارنو إلى سوهارتو

18



الأحداث المتلاحقة التي شهدتها أندونيسيا خلال الأشهر القليلة الماضية سلطت الضوء بقوة على تلك الدولة المسلمة... ترى ما القوى التي حركت الأحداث؟

في الأعداد المقبلة

- التربية الأسرية بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية. — د. محمد بلاسي
- الأمة الإسلامية بين الحملات الصليبية والحروب اليهودية. — غازي التوبة
- خطوة على الطريق غرباً. — حسن المهنا
- القيم السيكولوجية في فكر الإمام الشعراوي. — د. عبدالرحمن محمد العيسوي
- حوار مع رئيس مجلس علماء الإسلام في زيمبابوي. — محمود بيومي
- عقاب ابن رشد ومعركة العقاب. — د. خالص جلبي

الفهرس

تعقيب

القدس والمسجد الأقصى

قرأت في العدد ٣٩٠ الصادر في شهر صفر ١٤١٩هـ، يونيو ١٩٩٨م، مقالاً بعنوان: «القدس والمسجد الأقصى ذكريات أمال» للأستاذ محمد السيد عامر وهو مكون من صفحتين (٢٦، ٢٧)، والمثال في عموم سهل اللغة وبسيط المعاني وفيه من المنافع الكثيرة، ولكن لفت نظري فقرة في المقال في العمود الأخير من الصفحة ٢٧ وهو الفقرة الخاصة بتفسير الآيات الكريمة (٤ ـ ٨) من سورة الإسراء والمذكورة بالمجلة في العمود ذاته، فقد قرأت التفسير أكثر من مرة إلا أنني لم أتمكن من ربطه بالآيات، حيث إن كاتب المقال يذكر أن المقصود بالآيات من (٥ ـ ٨) هم المسلمون بسبب تواطئهم وتخاذلهم وتفرقهم، ومن ثمَّ سلط الله عليهم المستعمرين، فجاسوا خلال ديار المسلمين وهم من خلق الله وعباده «أي المستعمرين» ثم بقية التفسير المذكور في المقال، وبما أنني قررت أن أكتب إليكم ابتغاء وجه الله رداً على التفسير، وبعد أن رجعت إلى تفسير هذه الآيات المذكورة في تفسير ابن كثير، وجدت أن معنى الآيات غير المعنى الذي قصده الكاتب، وهو أن المقصود بهذه الآيات من (٤ ـ ٨) هم يهود بني إسرائيل، والذي كنت أعلمه قبل الرجوع إلى التفسير ولكن للصدق في النصيحة وابتغاء وجه الله لم أكن لأكتب قبل الرجوع إلى رأي علماء المسلمين الثقاة، حيث إنني قارئ فقط ولم أكن في يوم من الأيام مفسراً أو فقيهاً.

وفي النهاية أقول إن وفقت فيما قلت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي، وأرجو من الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيامة، وجزاكم الله خيراً على سعيكم دائماً لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ووفقكم الله إلى ما فيه الخير.

د. محمد الصغير عطيتو ـ مصر

من شيم التقوى

الحق جل وعلا يقول في كتابه العزيز: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٤، والآية الكريمة خير وصف كي نستوضح منها أن صفات التقوى والعمل الصالح هو الإسراع في التوبة والدخول في معية الله ومغفرته والتقرب إليه بكل عمل يرضيه سواء في السراء أو الضراء في اليسر أو العسر في اللين أو الشدة، فباب التوبة مفتوح لكل عبد يريد أن يلقى الله وهو عنه راض، ومن شيم التقوى والكرم هو أن يغفر المسلم لأخيه الزلة والهفوات لا يحاسبه أو يعامله بمقدار لحظة ضعف أو خطأ صدر عنه، بل عليه أن ينصحه ويوجهه إلى طريق الخير والرشاد، وأن يمهد له طريقاً سهلاً للتوبة والرجوع عن الإثم ولعدم العودة إليه، فالله سبحانه وتعالى يقول: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، ذلك أمل في الإصلاح وتقويم السلوك واكتساب فرد جديد في مدرسة الإيمان، يقول أبو الدرداء إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه، فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى، وحكى عن أخوين من السلف تحول سلوك أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه ألا تقاطعه وتهجره فقال هو أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته عليَّ أن آخذ بيده وأتلطف له في العتاب وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه ويقول علي في قوله (فاصفح الصفح الجميل) الرضا بغير عتاب وعندما سئل أحد الأخوان خالد بن صفوان: عن أي إخوانك أحب إليك فقال: من غفر زللي وقطع عللي وبلّغني أمري، ويحكي الأصمعي مقولة عن أحد الأعراب فيقول: تناسى مساوئ الإخوان يدم لك وّدهم، ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها، كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه وهؤلاء المحسنون المقربون لله في رحاب محبته.

إيهاب أحمد زغلول



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

اقتراحات

نتمنى لمجلتنا الحبيبة الوعي الإسلامي التقدم والازدهار في عالم الصحافة الإسلامية وحبي لمجلتنا الغالية جعلني أعرض ما عندي من اقتراحات تضاف إلى أبواب المجلة العزيزة لكي تكون منبراً إسلامياً شامخاً. يُضاف باب بطاقة من قارئ وهي عبارة «عما قلَّ ودلَّ»، وتقتطف من الصحافة بذكاء نادر. ويضاف باب التعبير بالصورة وهي صورة تلتقط من فضائح اليهود في فلسطين من دون تعليق.

مصطفى إبراهيم موسى مخيمر - مصر

ملاحظة

طالعتنا مجلة الوعي الغراء في العدد (٣٩١) بغلاف عليه عنوان «لغة المخدرات لغة الدم» وقد كان على الغلاف صورة لبعض أنواع المخدرات، وصورة أخرى لمدمن يعطي نفسه مادة مخدرة عن طريق الحقن، وكنا نتمنى أن يكون الغلاف يحمل صورة غير هذه الصورة حتى لا نحيي الباطل بذكره «كصورة للمسجد الأقصى مثلا»، لأن هذه المجلة العظيمة تدخل أغلب بيوت المسلمين في العالم الإسلامي، ويراها الكبير والصغير. وأرجو أن تتقبلوا سيادتكم هذه الملاحظة بصدر رحب وشكراً.

أشرف محمد سكر

ردود خاصة

● **الأخ المقدم الهيثم الأيوبي ـ فرنسا :**

شكراً على عواطفكم تجاه المجلة ونأمل أن يصلكم العدد المقبل معنوناً بعنوان صحيح وجزاكم الله خيراً.

● **القارئ يوسف محمد أحمد محمد ـ مصر :**

عنوان الدكتور محمد أبو الأجفان هو: تونس ـ المعهد الأعلى للشريعة ـ مدير قسم الفقه.

● **القارئ حزاني سيف الدين ـ الجزائر :**

أرسل قيمة الاشتراك إلى إدارة المجلة في شيك قيمته (٦) دنانير كويتية، أو ما يعادلها ليصار إلى إرسال المجلة إليك وجزاك الله خيراً.

● **القارئ نور خالص محمد شرايح ـ أندونيسيا :**

نأسف لتلبية طلبكم فنحن لسنا جهة خيرية.. يمكنكم الاتصال بأي جمعية خيرية لتلبية طلبكم وشكراً.

الصحوة الإسلامية ... والقرن المقبل

لم يعد يصعب على من يرقب الحوادث ويطالع الأخبار في أقطار العالم الإسلامي أن يتبين اتجاهاً إسلامياً صحيحاً واضحاً يمضي في الطريق رغم العقبات التي تقيمها أمامه بعض القوى التي تجهل الإسلام أو تحقد عليه.

شباب نشأ في طاعة الله وترك هواه وضحّى بشهواته ابتغاء مرضاة الله تعالى... شباب استشعر الخطر الذي يحيط بأمته وأيقن أنه لا سبيل للخروج من هذه الأزمات المتتالية والمتعاقبة إلا بالإسلام، ذلك الإسلام الذي أنقذ العرب ـ بل الدنيا كلها ـ قديما من الجهالة والعمى والغي الذي كان يعيش فيه الناس وحوَّل الحياة إلى أمن وسلام وملأها عدلاً وحرية... ذلك الإسلام فقط هو القادر اليوم على تحويل وجه الدنيا من هذه الموجة الشرسة من عبادة المادة والمثول أمام الشهوات والجنس واتباع الهوى، وتحكم القوى في الضعيف والكبير في الصغير...

إن الإسلام فقط هو المنهج القادر على الخروج بالبشرية من ظلماتها الحالكة إلى نور الله الساطع الدائم. إن هذا المد الإسلامي الراهن وهذه الصحوة الإسلامية الواعية ليحتاجان إلى مواصلة الجهد ليصلا إلى مرادهما من تمكين دين الله في الأرض واسترداد أراضي المسلمين المغتصبة إلى حوزة المسلمين كما تحتاج أيضاً إلى حراس يحرسونها ويسهرون عليها لتؤتى ثمارها بدماء وعطاء هذا الشباب الطيب المبارك.

والله نسأل أن يمكن للصادقين المجاهدين فيه المستضعفين في الأرض فهو سبحانه وتعالى القائل: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور: ٥٥.

عماد محمد مصطفى حسن

خطأ مطبعي

ورد في العدد رقم ٣٩٠ الصادر في شهر صفر ١٤١٩هـ في الصفحة ٦٥ في باب العقيدة خطأ في طباعة الآية القرآنية (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذين يتخبطه الشيان من المس) والصحيح هو قوله تعالى: (... يتخبطه الشيطان من المس). وجزاكم الله خير الجزاء.

إبراهيم محمد سعد حميدة - مصر

المحرر : شكراً لكم على ملاحظتكم ومعذرة من الإخوة القراء على هذا الخطأ المطبعي.

حول الرد على مقال: رؤية معاصرة في الطب النبوي

تجاوز حدود النقد الموضوعي

بادئ ذي بدء، تستحق مجلة الوعي الإسلامي الاسم الذي سُميت به ... فقد بلغت القمة حينما استرجعت إطلالة نشرتها رغم سبق مراجعة الهيئات العلمية المتخصصة لها، وجاء ذلك في نمط متمدين، وثقة في النفس... إن الشجاعة الأدبية التي حدت بالمجلة تجعلني أحني رأسي احتراماً وتقديراً للقائمين عليها... وهذا في حد ذاته أبلغ دليل على أن المجلة تقدم من نفسها القدوة... قلما تجاريها في ذلك دوريات أخرى.

رغم الجهود العلمية التي يقدمها الدكتور: عبدالفتاح محمد العيسوي... لم تتردد مجلة الوعي الإسلامي الواثقة المحكمة لحظة أن تبث لقرائها تيار النقد الجارف الذي اقتاده الدكتور: عبدالله صالح ضد المقال الذي نشرته المجلة... باعتبار أن الموضوع احتوى على أخطاء طبية حسب رؤية الناقد... وحيث عُرض نقده في ص ٨ بالعدد ٣٩١ ربيع الأول ١٤١٩هـ يونيو/ يوليو ١٩٩٨م.

يُحمد للناقد استقصاءه المعلومات الطبية الواردة في المقال مقدماً بذلك فرزاً معلوماتياً فيه زاد لمن يرغب في التزود بالمعارف الدقيقة التخصصية... وأمانه وأصالة وحرص على المجتمع الإسلامي... ذكر الناقد ما قاله الدكتور العيسوي، ثم عقب عليه بوصفه من المتخصصين في العلوم الطبية وخبير من خبرائها... عارضاً المعلومة في ثوبها المضبوط ووعائها الصحيح إنه أنموذج منشود... فدقة المعلومة تبعة ينبغي أن يراعيها الكاتب، أياً كانت مكانته ومهما علت منزلته... ولنا أسوة في منهج البحث العلمي وتأصيل الفكر... ليس بمعزل عن التراث الإسلامي... وأحيل من يرغب التثبت من هذا إلى «علم الجرح والتعديل».

لكن ... اعتراني ألم شديد وحزن بالغ... كلما خرج الدكتور عبدالله صالح على حدود النقد الموضوعي ... فأجده يتعقب السيرة الذاتية للدكتور العيسوي، إنه غير متخصص في الطب ... وأنه موظف إداري بحجة كذا ... ودراسته في الفلسفة الإسلامية فحسب، وأن الهدف من الكتابة هو الحصول على مكافأة التأليف؟!... إلخ... وكأن في الموضوع ثأراً دفيناً... والدليل على هذا سياق الألفاظ والعبارات الناقدة بلغة التحكم والاستخفاف ... لا يا أخي الدكتور عبدالله صالح ... لا اتفق معك في هذا اتفق معك فحسب، أن نتعلم منك المعلومة العلمية المتخصصة ... ليس أكثر من ذلك. .. أما محاولة الخروج على أصول النقد ... فإنها تهيء إفساد المعلومات القيمة المستفادة من النقد في حد ذاته... إن إدراك السيرة الذاتية لكاتب ما... يكفي بالقارئ أن يطلب ذلك من إدارة المجلة... غير منتظر تدخلكم للتعريف بهذا الكاتب أو غيره.

فالدكتور صالح أشار إلى جملة مبادئ مهمة... لا أخفي ذلك... تصيب أسس كتابة البحث العلمي... في مقدمها: ضرورة الإشارة إلى المصدر المقتبس منه المعلومات التخصصية، وذلك بأسلوب مباشر وبإثبات المصدر ورقم الصحفة أو الفقرة المقتبس منها... وهذا - والحديث موجه للدكتور العيسوي - ما أغفله سيادته جعل الدكتور عبدالله صالح يعتقد أن المعلومات الطبية هي من عند الدكتور العيسوي... اعلم أستاذنا الدكتور صالح... أن الدكتور العيسوي كان حصل على المعلومات العلمية التخصصية من غيره وقد أجرى تنظيراً وتعليقاً بالإسلامية عليها... وعلى سيادتك أن ترجع إلى مصدر الاقتباس... وقد أشار إليها الدكتور العيسوي... فالدكتور العيسوي لم يقل أحد إنه عالم طب... إنه يتعقب المعلومات الطبية في مصادرها... وإن بدى - كما قلتم سيادتكم - إنه اقتبس من كاتب لبناني أو سوري ... فهو قول لم يقم عليه دليل... كل هذا لا يبرئ ساحة الدكتور العيسوي فأنا أتفق مع الدكتور عبدالله صالح... وحيث وجه الباحثون إلى أصل من أصول كتابه البحوث التخصصية... ألا وهو ينبغي على الكاتب أن يرجع إلى المصدر الأصلي ولا يكتفي بمرجع «الدرجة الثانية»... وهو - إن صح هذا التعبير - فهو خطأ إجرائي وقع فيه الدكتور العيسوي... ذلك أن الدكتور صالح - زاده الله في علمه التخصصي - قد كشف النقاب عن عدم صحة المعلومات المقتبسة عن الغير «مرجع الدرجة الثانية».

وأؤكد للدكتور عبدالله صالح - ومن واقع مطالعتي لجميع الأعمال العلمية للدكتور العيسوي - إنه إن كان هناك خطأ موضوعي في المعلومات... فيعزى ذلك للمصدر الثانوي الذي اكتفى به الدكتور العيسوي... ولعل هذا النقد كان فيه درس لنا جميعاً... وكنت أنا أول المستفيدين منه.

وفقنا الله جميعاً لخدمة قضايا الإسلام... وجعل منا خير صوت ينطلق باسم الإسلامية المعاصرة في مواجهة العولمة إذا كانت غايتها طمس ذاتية المعارف الإسلامية... وهذا موضوع آخر.

د. رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان

الافتتاحية

الظلم هلاك للأمم

تعتبر آداب ومبادئ الإسلام العليا سلسلة متصلة الحلقات في رد وردم السبب الأساس في هلاك ودمار الأمم والمجتمعات، ألا وهو الظلم، أما الآداب والقيم والأخلاق والمبادئ المتراصة والمتعاونة في صد الشر والوبال، فهي ما يمكن أن نراها ماثلة ومتمثلة في العدل والأمانة والحق والوفاء والإحسان والرحمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك.

إن العدل هو الخلق الرفيع الذي أقام الله سبحانه وتعالى عليه السماوات والأرض، وبالنظر إلى أسمائه وصفاته - جلا وعلا - نلحظ أربعة أسماء منها جاءت بصيغة المصدر، وهي السلام والحق والنور والعدل، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عظيم أهمية هذه الأسماء التي جاءت من المصادر، فإذا ما نظرنا إلى العدل رأينا كبير أهميته وأثره في صلاح وإصلاح الأمم واستقامة الأحوال وسعادة البشر، وشموله لجميع مناحي الحياة الطيبة، رأينا في الجانب الآخر المضاد والمقابل له، الظلم وما فيه من الهلاك وسوء العاقبة، لذلك جاء التحذير من الظلم أياً كان نوعه وشكله وحجمه فعن رب العزة كما هو في الحديث القدسي فيما يرويه النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ربه قوله سبحانه: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»، وتحذيره - صلى الله عليه وسلم - من الظلم بقوله «الظلم ظلمات يوم القيامة»، كذلك بيّن لنا - سبحانه وتعالى - أن أشد الظلم هو الشرك بالله، وأنه ظلم عظيم، وافتراء على الله - جل وعلا - قال تبارك وتعالى: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً...)، وقوله - جل وعلا: (إن الشرك لظلم عظيم)، فكل ما خالف تعاليم الله وتوجيهات النبي - صلى الله عليه وسلم - سواء أكان بالنسبة للفرد أم للمجتمع ، فهو ظلم، فالبعد عن الله سبحانه ومعصيته وعدم الانقياد لأمره، هو ظلم بلا شك، ولا يكون ترك الظلم إلا بترك دواعيه من الطيش والسفه والبطر والتكبر والغرور واتباع الأمزجة والأهواء، وعدم تحكيم الشرع والعقل في الأمور صغيرها قبل كبيرها.

إن تحقيق العدل معناه طلب السعادة وإحقاق الحق بين البشر والحياة الطيبة الهانئة تأتي رديفاً لذلك، لذا جُعل أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «إمام عادل...»، ولا بد لترك الظلم، من النظر في صور العدل وتطبيقها في الأقوال والأفعال، وتلك الصور والأشكال تتجلى وتظهر في الحرص على الأمانة والموضوعية وتقدير الجهد والكفاءة والخبرة وذلك بإسناد الأعمال إلى أهلها، وإقامة الشهادة بالحق، كما قال - جل وعلا: (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)، والعدل في شؤون الأسرة بالنسبة للزوجة والأولاد وعدم إنقاص الكيل والميزان والإصلاح بين الناس، وإقامة العدل حتى مع الأعداء، قال تبارك وتعالى: (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون).

ليس هناك أجمل من أن تكون الحياة طيبة بهيجة، وهي لا تكون كذلك إلا إذا ساد العدل بين الناس وأدركنا أهميته، والظلم، قد يظهر للإنسان أحياناً أنه يسير في مسار العدل، ولكن لابد من أن يكون المعيار والميزان في كل الأمور هو شرع الله سبحانه العادل، فالشريعة هي الأمن والأمان والحياة الفاضلة التي ينشدها كل إنسان عاقل، ومجتمع يريد لنفسه التقدم والرخاء، فهلاً أقمنا العدل، حتى تسعد حياتنا ونسعد نحن بها، وهلاً تخلصنا من الجور والظلم، فتكتب لنا العافية والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة. ■

الوعي الإسلامي

أحمد الكليب: اللجان الوقفية للتنمية المجتمعية مدعوة إلى تعزيز ثقة المواطنين بها

دعا وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب اللجان الوقفية للتنمية المجتمعية في المناطق السكنية إلى تعزيز ثقة المواطنين فيها، مؤكداً أن هذا هو السبيل الذي يدفع الناس إلى مشاركة اللجان الوقفية في تنفيذ المشاريع التنموية في المناطق.

وامتدح الكليب - خلال اللقاء الذي جمعه ورؤساء اللجان الوقفية يوم ١٩٩٨/٧/٢٠م في جمعية الهلال الأحمر - التجربة الرائدة والفريدة للجان في إحياء سنة الوقف وإعادة دوره المفقود، مشيراً في هذا الصدد إلى ارتياح الأهالي الذين تلمسوا تطوراً في نوعية الخدمات المقدمة في مناطقهم في الوقت الذي يأملون فيه برؤية المزيد من المشاريع المتميزة لتلك اللجان.

وقال إن اللجان الوقفية أجادت في إخراج العمل التطوعي الحقيقي بالشكل الذي يجب أن يكون عليه هذا النوع من الأعمال، داعياً القائمين على تلك اللجان إلى تقويم تجاربهم وتلافي أي سلبيات قد تكون ظهرت في الفترة السابقة، والاستفادة من الإيجابيات في تطوير نوعية المشاريع التنموية وفقاً لأوليات كل منطقة سكنية.

وفي ما يتعلق بمعاناة اللجان الوقفية الناجمة عن عدم توافر مقار لها، طالب الكليب كل لجنة بحصر المقار الحكومية الموجودة في منطقتها، وتقديم بيان بها إلى الأمانة العامة للأوقاف ليتسنى لها اتخاذ الإجراءات الرسمية المتعلقة بمخاطبة الجهات الحكومية ذات الصلة في شأن السماح للجنة الوقفية باستغلال المقر التابع لها لتكون مقراً موقتاً ودائماً للجنة.

تجربة فريدة

من جانبه، أعلن الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف رئيس مجلس إدارة الصندوق الوقفي الوطني للتنمية المجتمعية عبدالمحسن العثمان أن نتيجة التقويم الأول لتجربة اللجان الوقفية ستكون خلال الربع الأول من العام المقبل، مشيراً إلى قيام لجنة متخصصة بإجراء هذا التقويم الذي سيتيح للأمانة إجراء ما ترى أنه يصب في مصلحة تلك اللجان، سواء تم تعديل نظامها الأساسي أو لا، وشدد العثمان على ضرورة حماية هذا المشروع المهم من أي تدخلات بعيدة عن النظام الأساسي الذي حددته الأمانة العامة للأوقاف والقاضي بتغليب



عبدالمحسن العثمان: حريصون على إنجاح التجربة ونرفض محاولة تسييسها

مصلحة الكويت على أي مصالح شخصية، مؤكداً أن هذه التجربة الفريدة هي من أجل الوطن والمواطنين على اختلاف فئاتهم، وبالتالي فإن أي محاولة لتسييسها ستكون مرفوضة لأنها ستتعارض مع المصلحة العامة.

وأوضح أن مشروع اللجان الوقفية يمثل التقاء القيم الدينة والعمل الوطني الراشد، كما أنه مزيج بين العملين الحكومي والأهلي، مؤكداً ضرورة الحفاظ على هذا التوازن في العمل حتى تتحقق الأهداف الوطنية التي يعول عليها من اللجان الوقفية.

ودعا العثمان إلى تعزيز الثقة المتبادلة بين الجمعية التعاونية واللجنة الوقفية في كل منطقة سكنية، معرباً عن أمله في تفعيل التعاون بين الجهتين، وبما يحقق مصلحة الأهالي ويجسد الأهداف المشتركة التي سيسهل كثيراً تحقيقها في حال تعزيز الثقة مع اللجان الوقفية.

وقال: نعلم أن طريقنا ليس مفروشاً بالورود وإن أمامنا عقبات نسعى جاهدين إلى تذليلها بهدف دافع مسيرة عمل اللجان الوقفية إلى الأمام، وهو ما لن يتحقق من دون التعاون والتنسيق بين المؤسسات الرسمية والشعبية داخل كل منطقة.

وفي ما يتعلق برغبة بعض اللجان الوقفية في زيادة الموازنة المخصصة لها من الأمانة، أكد العثمان أن المبلغ المخصص لكل لجنة يهدف إلى حض الأعضاء على استقطاب أموال وقفية جديدة من الأهالي وهو ما تقوم عليه فلسفة اللجان الوقفية، موضحاً أن الأمانة ترفع من قيمة الموازنة المخصصة لكل لجنة بالقدر الذي تستقطب فيه أموالاً وقفية من الأهالي، فضلاً عن أن الأمانة لا تتردد في الإسهام بدعم اللجان في تبني مشاريع

تنموية ضخمة قد لا تستطيع موازنتها تغطية مصاريفها. وأكد العثمان حرص الأمانة العامة للأوقاف على إنجاح مسيرة اللجان الوقفية، مشدداً على ضرورة التعاون والتنسيق بين جميع المؤسسات والتي ستصل حتماً إلى اليوم الذي تقطف فيه ثمرات هذا التعاون مع اللجان الوقفية التي لم تؤسس إلا لتحقيق الارتقاء بالخدمات في كل منطقة بالتعاون مع الجميع في أعمال تطوعية عرف بها أهل الكويت منذ القدم.

آمال وطموحات

وقدم رؤساء اللجان الوقفية في بداية اللقاء عدداً من المطالب والمقترحات التي رأوا فيها تطويراً لأداء تلك اللجان، مشددين على ضرورة الإسراع في متابعتها تحقيقاً للصالح العام.

وفي هذا الصدد، أكد رئيس إدارة لجنة شؤون القصّر خالد الحجاج ضرورة توافر مقر مناسب لكل لجنة، بالإضافة إلى مساحات من الأرض لإقامة الأنشطة عليها الأمر الذي يسهم في تسهيل أعمال اللجان.

أما الدكتور حسين المؤمن نائب رئيس لجنة بيان الوقفية، فقد تساءل عن دور الصندوق الوقفي للتنمية المجتمعية في توافر مقار اللجان الوقفية، مشيراً إلى أن عدم توافر المقار يخلق ظروفاً غير مناسبة لتقديم الخدمات.

من جانبه، دعا نائب رئيس لجنة خيطان الوقفية الدكتور عيسى الأنصاري إلى زيادة وتوعية رؤساء اللجان بمفهوم هذا النوع من التطوع وتثقيفهم بما يكفل تأهيلهم للتعامل الإيجابي في تقديم الخدمات التنموية في المنطقة كما أعرب عن أمله في زيادة الموازنة المتواضعة التي تقدمها الأمانة للجان الوقفية.

واقترح الدكتور فيصل رمضان عضو لجنة الضاحية الوقفية استبدال الأعضاء غير المتحمسين للعمل التطوعي في اللجان بآخرين لديهم رغبة في التعامل مع هذا النوع من الأعمال، كما طالب الأمانة بمراعاة التفاوت في كثافة السكان من منطقة إلى أخرى في ذلك الدعم.

أما عبدالله تيفوني رئيس لجنة كيفان، فقد شدد على ضرورة اسهامات الجمعية التعاونية داخل المنطقة بشكل فاعل، حيث يضمن تقديم نوعية راقية من الخدمات وهو ما أكده رئيس لجنة العارضية الوقفية مانع المطيري، والذي أشار إلى عدم تعاون بعض الجمعيات التعاونية مع اللجان.

من جهته، طالب صلاح الشقيحي مدير لجنة صباح السالم الوقفية الأمانة بإضافة ممثلين عن وزارتي الداخلية والصحة إلى عضوية اللجان الوقفية، مؤكداً الحاجة لوجود هذين العضوين نظراً لدورهما المتوقع في تفعيل بعض الجوانب الحيوية في عمل اللجان، كما أكد ضرورة تفعيل التعاون بين جميع المؤسسات الرسمية والأهلية من جهة، واللجان الوقفية من جهة أخرى.

أما مساعد السبيعي مدير لجنة هدية الوقفية، فقد أشاد بالدعم الذي تقدمه الأمانة للجان الوقفية خصوصاً ما يتعلق بدعم المشاريع التنموية الكبيرة التي لا تمكّن اللجان منفردة من القيام بها، كما قدم نبذة عن المشاريع التنموية التي قامت لجنة هدية بتنفيذها أخيراً.

من جانبه شدد مدير لجنة مشرف الوقفية حامد السريع على التركيز على المشاريع المهمة ذات الأولية التي تحددها احتياجات كل منطقة سكنية، كما تمنى أن يزيد تفاعل الأهالي مع المشاريع التي تطرحها اللجان الوقفية من أجل المواطنين أنفسهم.

أما سعد العدواني مدير لجنة الفردوس الوقفية فقد طالب وزارة الإعلام بإجراء التغطيات الإعلامية التي تستحقها اللجان الوقفية، الأمر الذي يزيد من تفاعل الأهالي معها، مؤكداً أن وزير الإعلام ووكيلها عند حسن ظن القائمين على اللجان، كما أعرب عن أمله في تبني المزيد من الدورات التثقيفية لصالح أعضاء اللجان الوقفية.

من جهته، أكد مدير لجنة الروضة الوقفية مساعد الرخيص أن لجنته نجحت في تحقيق التكامل مع المؤسسات العاملة في المنطقة، خصوصاً الجمعية التعاونية التي زادت اسهاماتها مع اللجنة الوقفية معرباً عن أمله في استمرار هذا النوع من التكامل مع بقية المؤسسات الأهلية والرسمية. ■

ملتقى القرآن الصيفي بمختلف محافظات الكويت الخمس

افتتح أخيراً في قسم تحفيظ القرآن الكريم للبنات بإدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ملتقى القرآن الكريم «روح ورياحين» في خمسة مراكز موزعة على محافظات الكويت الخمس على النحو التالي:

- مدرسة الشيماء بنت الحارث في العارضية.
- مدرسة أم عطية الأنصارية في ضاحية عبدالله السالم.
- مركز فاطمة الوقيان في منطقة بيان.
- مركز دار القرآن الكريم في الرميثية.
- ادار القرآن الكريم في لفحيحيل.

ويحرص المسؤولون في الوزارة على تمكين كل راغب من أبناء الكويت وبناتها على حفظ القرآن الكريم وفهم معانيه.

وقد شهد الملتقى إقبالاً كبيراً من الفتيات، وبلغ عدد المشاركات أكثر من ١٣٠٠ طالبة. ويأتي ملتقى القرآن «روح ورياحين» هذا العام ببرنامج يحتوي على كثير من الفعاليات والأنشطة إلى جانب الدورات التدريبية. ■

بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، زار البلاد سماحة مفتي بلغاريا الشيخ مصطفى عليش حاجي ، حيث تحدث سماحته لمجلة الوعي الإسلامي حول أوضاع مسلمي بلغاريا بعد سقوط النظام الشيوعي هناك، وما آلت إليه أحوال المسلمين بعد تنظيم المؤتمر التوحيدي العام ١٩٩٢م والتي كانت من أهم نتائجه انتخاب المفتي العام لمسلمي بلغاريا، وانتخاب رئيس للمجلس الإسلامي الأعلى وأعضاء المجلس الإسلامي الأعلى، وتم اعتماد دستور جديد للمسلمين في بلغاريا.

حول هذه المواضيع وغيرها وحول زيارته الأولى للكويت وما تم خلالها دار هذا اللقاء.

زيارة مفتي بلغاريا لدولة الكويت

أجرى الحوار : ياتي البخيت



■ سماحة المفتي... ما الهدف من زيارتكم لدولة الكويت ؟

● الهدف من هذه الزيارة هو التعرف على الجهات الرسمية والجمعيات واللجان الخيرية التي تعمل في دولة الكويت، حيث أردنا عرض المشاكل التي يتعرض لها المسلمون في بلغاريا وهذه الزيارة الأولى لهذه الدولة، وإن شاء الله لن تكون الأخيرة، وندعو كذلك المسؤولين في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت وعلى رأسهم معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد أحمد خالد الكليب لزيارة بلغاريا، وكذلك نوجه الدعوة لرؤوساء الجمعيات واللجان الخيرية العاملة والمهتمة بشرق القارة الأوروبية.

وفي الحقيقة نحن كإدارة جديدة في دار الإفتاء أود أن أقول إن علاقتنا مع دولة الكويت علاقة ممتازة كبداية، وإن كانت تحتاج لجهد وتطور أكثر فأكثر في المستقبل، وعلاقتنا مع سفارة دولة الكويت في بلغاريا رائعة، وبخاصة أن الكويت الدولة الوحيدة من دول الخليج التي لها سفارة في بلغاريا فهي تعتبر كالجسر بين بلغاريا ودول الخليج، وهناك قضايا كثيرة طرحناها أمام المسؤولين وعلى رأسهم السفير الكويتي السيد عبدالله السنعوسي - جزاه الله خيراً - ووجدنا منه كل الترحيب.

■ كيف ومتى دخل الإسلام إلى بلغاريا ؟

● دخل الإسلام إلى منطقة البلقان التي تبدأ ببلغاريا في عهد السلطان الثاني مراد الأول، وذلك بدءاً من منتصف العام ٩٦٢هـ يوليو ١٣٥٦م، وبعد ثلاثين عاماً من ذلك التاريخ، دانت بلغاريا جميعها وغيرها من الدول المجاورة للخلافة العثمانية، وإن دراسة الآثارتبين أن الإسلام وجد في بلغاريا قبل ثلاثة قرون من الفتح العثماني لها، فقد دخلت قبائل بربلغاريا وسلفيان التي كانت تسكن بلغاريا آنذاك الإسلام بمحض إرادتها، كما أن المؤرخين يؤكدون أن سكان منطقة «رودوبي» في جنوب بلغاريا الذين يعرفون باسم «البوماك» وهم مسلمون يعتبرون أحفاداً للأمويين الذين حاصروا استنبول «القسطنطينية آنذاك»، ولكن من المؤكد أن الإسلام انتشر في بلغاريا بعد دخول العثمانيين إليها.

ولقد استمر الحكم العثماني في بلغاريا حتى العام ١٨٧٨م، عندما تمكن قيصر روسيا من هزيمة الجيش العثماني في معركة بليفن الشهيرة بعدها اشترك الجيش الروسي والروماني وغيرهما ضد الجيش العثماني الذي كان يعاني من نقص في الإمداد، وبهذا يكون العثمانيون قد حكموا بلغاريا نحو خمسة قرون (أي٤٨٢عاماً).

■ حدثنا عن المسلمين في بلغاريا بعد سقوط النظام الشيوعي هناك؟

● يبلغ عدد المسلمين في بلغاريا نحو المليوني نسمة، والحقيقة لا توجد إحصاءات دقيقة حتى الآن، إلا أنهم ينتشرون في الجنوب والشمال الشرقي من بلغاريا وهم موزعون عرقياً ويتحدرون من أصول تركية، ومن البوماك ومن الغجر وهناك قوميات مسلمة أخرى مثل التتار والمقدون وهناك أيضاً المسلمون الجدد الذين أسلموا حديثاً وهؤلاء عددهم قليل.

وقد تعرض المسلمون في بلغاريا كما تعرفون لشتى أنواع الممارسات السيئة والتي تركت آثارها السلبية الكبيرة على وعي ونمو المسلمين هناك.

وإن انتهاك حقوق المسلمين في بلغاريا بدأ حقيقة في نهاية العشرينات من هذا القرن، وعندما بدأ العهد الفاشي بدأ معه الاضطهاد السياسي والتدخل في القضايا الداخلية للمسلمين مثل تعيين المفتيين، ولجان المساجد وإلغاء سلطات المحاكم الإسلامية، ومنذ بداية الفترة في العام ١٩١٢م، تم التعرض بالقوة للديانات ولتغيير أسماء المسلمين البوماك الذين هم من أصل بلغاري، وفي فترة الحكم الشيوعي التي استمرت من الأعوام ١٩٤٤م وحتى ١٩٨٩م بدأوا بشكل مكشوف الهجوم على الأديان وبمختلف الأساليب والمبررات، فقد هدموا دور العبادة، كل ذلك ترك آثاراً سلبية، حيث تحولت الأقلية المسلمة في بلغاريا إلى حلبة تمارس فيها جميع أنواع الاستغلال التاريخي والسياسي والاقتصادي، وبلغت أوجها إبان الحكم



الشيوعي الذي حكم بلغاريا نحو خمسة وأربعين عاماً.

■ **ما أهم المشاكل التي تواجه المسلمين في بلغاريا ؟**

● هناك الكثير من المشاكل التي تواجه المسلمين في بلغاريا اليوم، لكن أهمها مشكلة الجهل بأمور الدين، إذ إن الحكم الشيوعي السابق الذي دام ٤٥ عاماً، كان حارب الإسلام بكل قواه، وأغلق المدارس والمعاهد الدينية، ومنع المسلمين من تعلم لغة القرآن، ومن تعليم أبنائهم هذه اللغة، لذلك اليوم لاتوجد سوى ثلاث مدارس لتعليم أبناء المسلمين في بلغاريا وفي مناطق مختلفة، وهي لا تفي بالغرض لكثرة عدد أبناء المسلمين هناك، ومن ثم نفتقر إلى أئمة وخطباء للمساجد كما نفتقدالدعاة المؤهلين تأهيلاً شرعياً، وكذلك نعاني من قلة الكتب والأشرطة السمعية والمرئية المترجمة إلى اللغة البلغارية، والتي تشكل عاملاً مهما في رفع مستوى الثقافة الإسلامية لدى المسلمين هناك.

■ **خلال زيارتكم التقيتم معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب ووكيل الوزارة خالد الزير، والوكيل المساعد للتنسيق والعلاقات الخارجية بدر المطيري ... ما أهم النقاط التي تمت مناقشتها وما انطباعكم عن هذه الزيارة وخصوصاً أنها الزيارة الأولى لكم لدولة الكويت ؟**

● الحقيقة لقد وجدنا استقبالاً رائعاً من المسؤولين في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وفي هذه المناسبة نود أن نوجه الشكر لمعالي وزير الأوقاف والسيد الوكيل والوكيل المساعد للتنسيق والعلاقات الخارجية، وكذلك نوجه شكرنا لرؤوساء الجمعيات واللجان الخيرية العاملة في الكويت، وقد دعوناهم لزيارة بلغاريا والتعرف على أحوال المسلمين هناك، لمشاهدة المشاكل التي يعانون منها والتعرف عليها عن كثب وذلك له أكبر الأثر في رفع معنويات إخوانهم المسلمين في بلغاريا.

ومن خلال الزيارات التي قمنا بها واللقاءات المتعددة، أعتقد بأننا قدمنا صورة واضحة عن أوضاع المسلمين في بلغاريا، وكل المشاكل التي تواجههم وتم الاتفاق على عقد لقاءات مثمرة أخرى في المستقبل إن شاء الله تعالى. ■

مفتي بلغاريا في سطور :

- **مفتي بلغاريا الشيخ مصطفى عليش حاجي من البوماك «بلغاري الأصل».**
- عمره ٣٦ سنة.
- **تخرج في كلية الشريعة من جامعة اليرموك في الأردن.**
- يتكلم اللغة العربية بطلاقة.
- **يزور دولة الكويت للمرة الأولى.**
- المرافقون لسماحته وفد مكون من :

■ رئيس المجلس الإسلامي الأعلى السيد حسين كرم الله «نائب سابق في البرلمان عن حركة الحقوق والحريات».
■ السيد علي خير الدين مفتي العاصمة صوفيا.
■ السيد بكير ترزي أمين صندوق دائرة الإفتاء.



الدكتور الفلاح: إنشاء مراكز جديدة لدور القرآن تستوعب الكثافة السكانية والتوزيع الجغرافي للمناطق

أعلن الدكتور عادل الفلاح وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للدراسات الإسلامية والحج عن وجود توجه لافتتاح عدد من دور القرآن الكريم في بعض المناطق وفقاً لما تقتضيه الحاجة والتوزيع الجغرافي والكثافة السكانية لكل منطقة، كما أشار إلى أن الوزارة بصدد إعادة النظر في المناهج المقررة.

ومن جهة أخرى، أوضح أن الوزارة مستمرة في دراسة جدوى إنشاء معهد للقراءات في البلاد، مؤكداً أن المدرسين والمدرسات المعينين في دور القرآن الكريم هم من النخبة المختارة القادرة على إيصال المعلومات بأسلوب يتناسب وجميع مستويات الدارسين



والدارسات الذين وصل تعدادهم في الفصل الدراسي السابق نحو ٦٠٠٠ دارس ودارسة. ■

وفد من دولة الإمارات يزور المسجد الكبير

قام وفد من جمعية الإصلاح الاجتماعي في دولة الإمارات العربية المتحدة بزيارة المسجد الكبير، للاطلاع على معالمه، وأنشطته، هذا وقد نظمت إدارة المسجد الكبير برنامجاً حافلاً، احتوى على الكثير من الفقرات الدينية والثقافية التي تبرز دور المسجد في الإسلام واهتمام المسلمين به، وإحياءه بالذكر والعبادة، وقد أهدي أعضاء الوفد الزائر شهادات شكر على هذه الزيارة من اعداد إدارة المسجد الكبير، وكذلك بعض المطبوعات الخاصة بالمسجد الكبير. ■

برنامج الثقافة للجميع يستهدف قطاع الشباب

أعلنت إدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عن طرح برنامجها الثقافي السنوي الجديد تحت شعار «الثقافة للجميع».

وصرح إبراهيم العبيدلي أن البرنامج الجديد جاء متماشياً مع الأهداف العامة للوزارة في تنمية المجتمع من النواحي الثقافية والعمل على نشر الثقافة الإسلامية المعتدلة والواعية، كذلك يهدف البرنامج الجديد إلى التعاون والتنسيق الثقافي والتربوي والاجتماعي مع كل الجهات المسؤولة الرسمية والشعبية العاملة في مجال الثقافة والتربية الإسلامية، بجانب رعاية وتنمية المواهب وصقلها لدى قطاع النشء والشباب ومحاولة الاستفادة من أوقات الفراغ وتوعية الآباء بالجوانب التربوية لرعاية الأبناء ولحفظهم من المؤثرات السلبية.

وبين العبيدلي أن البرنامج حدد الكثير من الشرائح التي سيتعامل معها والتي أهمها شباب المرحلة العمرية من ١٨/٦ سنة، وستتنوع الوسائل بدءاً بالمسابقات والدورات الثقافية والوسائل الإيمانية وتوزيع الكتيبات الثقافية الهادفة. ■



● مدير ادارة الثقافة الاسلامية ابراهيم العبيدلي يكرم احد المشاركين



● جانب من المشاركين في البرنامج

اتفاقية التعاون بين وزارة الأوقاف وجامعة الأزهر

خلال الزيارة التي قام بها وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت خالد أحمد الكليب لجمهورية مصر العربية، تم التوقيع على اتفاقية بين وزارة الأوقاف الكويتية، وجامعة الأزهر التي نصت على مساعدة ٥٠٠ طالب من مختلف دول العالم الإسلامي من الذين يدرسون في الكليات الشرعية في جامعة الأزهر على مدى العام الدراسي ولكن شرط التفوق العلمي للطالب، واجتياز مسابقة ثقافية من عشرة موضوعات دينية وعامة.

وقد أهدت جامعة الأزهر درع الجامعة لوزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية ■

شيخ الأزهر : الكويت في مقدم الدول الداعمة للأنشطة الإسلامية



أشاد شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي بالتعاون القائم بين جمهورية مصر العربية ودولة الكويت في مجال الدعوة الإسلامية وجميع المجالات والأنشطة المتصلة بالأوقاف والشؤون الإسلامية، وقال: إن الكويت تأتي في مقدم الدول التي تسهم في إنشاء المساجد والمعاهد الدينية والمستشفيات في مصر.

وقد صرح فضيلة شيخ الأزهر بذلك لدى افتتاحه مجمع المرحوم صلاح محمد حسين العوضي الذي يضم مسجداً ومصلى للنساء، ودار مناسبات، ومستوصفاً خيرياً يتكون من سبع عيادات مختلفة، ومعمل تحاليل مجهز بأحدث المعدات والأجهزة.

وقد حضر حفل الافتتاح الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري، وفضيلة مفتي الديار المصرية الدكتور نصر فريد واصل، وسفير دولة الكويت لدى مصر، وكثير من الشخصيات المصرية والكويتية، وقد كان في استقبالهم السيد محمد حسين العوضي والد المرحوم صلاح العوضي ■

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تكرّم حفظة القرآن الكريم

تعد إدارة الدراسات الإسلامية للقيام برحلة إلى الديار المقدسة لأداء العمرة للأبناء الطلبة الحافظين والحاصلين على درجة الامتياز في حفظ القرآن الكريم، وذلك طبقاً للشروط التالية:

١ ـ أن يكون الطالب حافظاً عشرة أجزاء من القرآن الكريم.

٢ ـ أن يكون حاصلاً على درجة امتياز في آخر اختبار، وستجرى للطلبة اختبارات القبول قبل الرحلة، علماً بأن عدد المشاركين سيكون ٣٠ طالباً من كل محافظة ٦ طلاب، هذا وستكون رحلة العمرة ذات برنامج للزيارات الميدانية في المملكة العربية السعودية، على سبيل المثال زيارة مطبعة الملك فهد لطباعة القرآن الكريم في المدينة العلمية، ومتحف الشيخ عبدالرؤوف، ومصنع الكسوة، ونادي الأنصار، وأول محطة للرحلة ستكون في المدينة المنورة، وسيمكث فيها المكرّمون أربعة أيام، ثم ينطلقون إلى مكة المكرمة للإقامة فيها أربعة أيام أخرى. ■

زيارة حلقات البنات لمراقب الحلقات

قامت ممثلات عن مراكز حلقات تحفيظ القرآن الكريم «بنات» في وزارة الأوقاف بزيارة لمراقب الحلقات عبدالله سلطان السنان، حيث قدموا له إنجازات وثمرة العمل الذي قاموا به خلال الفترة الصيفية، وذلك من أعمال ومشغولات يدوية رائعة، وقد شكر السنان مي الفارس، المسؤولة عن حلقات البنات في المراقبة، كما شكر الطلبة والعاملين على الجهود الطيبة التي بذلوها من أجل نجاح هذه المراكز وتحقيق أهدافها التربوية. ■

إدارة الدراسات الإسلامية تنظم دورة في الكمبيوتر

أقامت إدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف «مراقبة الحلقات لتحفيظ القرآن الكريم» دورة تدريبية في الكمبيوتر. وأوضح رئيس قسم الحلقات مشعل العتيبي أن هذه الدورة تخص فقط مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم حيث يتعلم المتدربون كيفية التعامل مع البرامج الخاصة التي اعدتها «مراقبة الحلقات لتحفيظ القرآن الكريم»، كما يتعلم المتدرب إدخال بيانات الطالب في البرنامج من حيث اسمه وعنوانه وكمية الحفظ لديه والحلقة التي ينتمي اليها والمسجد، وكذلك يذكر اسم الشيخ الذي حفظ على يديه القرآن والمحافظة التابع لها وكل هذه البيانات تسهل على المراقبة اموراً كثيرة منها صرف مكافأة الطالب ومتابعة حفظه بالكامل ومراجعة الحفظ السابق، وهذا تقويم لمسيرة الطالب في الحلقة وحتى يتخرج فيها حفّاظ لكتاب الله عز وجل. ■



تحقيق

السياحة العائلية هل تقوى الترابط الأسري ؟

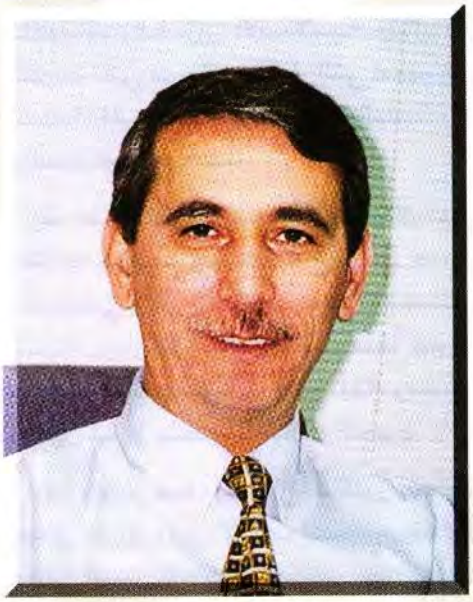
كتب : محمد سالم الصوفي

اعتاد الناس في مواسم الصيف أن يشدوا الرحال للتمتع بالسفر والسياحة خارج البلاد، وبات السفر الصيفي بعد انتهاء السنة الدراسية أمراً معهوداً ومضطرداً بالنسبة للجميع وأصبح جزءاً مهماً من البرنامج الزمني لكل فرد.

ومع ترسخ هذه العادة الاجتماعية السنوية وتزايد المسافرين كل عام تأكدت أهمية توظيف هذا السفر ومن ثم يجب ضرورة تلافي السلبيات التي قد ترافقه أو التي يمكن أن تخرجه عن إطاره الصحيح نحو منزلقات الانحراف، ووعياً منا بأهمية إبراز الجوانب الإيجابية في السفر، والتي يمكن توظيفها واستغلالها بما يعود بالفائدة العظيمة على المواطنين وعلى المجتمع بشكل عام، وانطلاقاً من ذلك، فإننا نناقش في هذا التحقيق جانباً مهماً من جوانب السياحة والسفر، وهي السياحة العائلية، وإمكانية إسهاماتها في تقوية وتوثيق العلاقات العائلية.

وهل سفر العائلة في السياحة يزيد من التفاهم والترابط بين أفرادها؟

- يقول محمد الغالي «باحث اجتماعي» إن السفر والسياحة مثله مثل الأمور الحياتية التي يقوم بها الإنسان يمكن أن تكون إيجابية أو سلبية بحسب طبيعة تأديتها، فإذا استغلها الإنسان في الأمور الطيبة المشروعة تكون إيجابية وخيراً وفضلاً ومتعة، وإذا حدث العكس فتكون النتيجة معكوسة، ويضيف الغالي قائلاً: لا شك أن السفر العائلي الذي هو محور سؤالكم يزيد الارتباط والتفاهم العائلي متانة، وذلك لأسباب بسيطة، أهمها ان الأسرة في الوضع الطبيعي غالباً يقضي الأب كثيراً من وقته في العمل أو مع أصحابه أو في مهام أخرى ويكون الأبناء مشغولين بالدراسة وتكون الأم مشغولة بالاهتمام بالمنزل وتسيير أموره، هذا وهو الوضع هو الأكثر شيوعاً في معظم الأسر وكما هو بدهي فليس فيه مجال كبير لالتقاء والمحاورة والحديث بين أفراد الأسرة حتى وإن تم ذلك، فإنه يحدث بشكل محدود.



● عدنـان الجيوسـي

وأوضح قائلاً: أما السفر فالكل متفرغ للكل، فلا الأب مشغول ولا الأم مشغولة ولا الأبناء، وهكذا يكون أمام الجميع فرصة لقضاء أوقات طويلة في النقاش والمحاورة والتفاهم والتقارب والتعارف مما يتيح إمكانات التوجيه أكثر، والتعرف على نقاط الخلل لدى كل طرف وبخاصة لدى الأبناء.

محمد رشيد العويد : التكاليف الباهظة للسفر يمكن تحويلها إلى شراء أشياء أخرى مفيدة للبيت

أما نواف فيصل العميري - موظف - والعائد لتوه من ماليزيا، فيقول: إن مشاغل الحياة اليومية في الكويت وبخاصة ارتباطات الدوام أو ارتباطات الدراسة تجعل المرء لا يجد وقتاً كافياً يتمتع به مع أهله، ويشير العميري إلى أن السفر العائلي يترك لدى المسافر راحة نفسية حقيقة ولا شك أنه يعزز العلاقة الأسرية.

- ويقول الأستاذ محمد رشيد العويد المتخصص في شؤون الأسرة ومدير تحرير مجلة النور:

إنه لا يميل إلى تشجيع السفر والسياحة، ويرى أنه من الممكن إبدال السفر والسياحة بالمكوث والترويح من خلال التنزه داخل البلد.

ويضيف العويد قائلاً: إن التكاليف الباهظة للسفر يمكن تحويلها إلى شراء أشياء أخرى مفيدة للبيت مثل الكمبيوتر أو أي شيء ترغب الزوجة في شرائه، موضحاً أن الفرق واضح جلي فإن السفر سينقضي دون أن يبقى منه شيء، أما الأشياء التي تشترى فهي باقية في المنزل، ويذكر العويد بالفتاوى التي صدرت بخصوص الحث على عدم السفر إلى البلاد غير الإسلامية إلا لضرورة.

ويوضح العويد أن الطقس الذي يعتبره الكثيرون من أهم أسباب السفر أصبح متقارب في الكثير من البلدان مشيراً إلى الارتفاعات الكبيرة في درجات الحرارة في المصائف والدول السياحية، ويضيف العويد

قائلاً: إن تلك الدول التي يرتادها الناس والتي تشهد ارتفاعاً كبيراً في درجات الحرارة هي غير مهيأة للحرارة لأنها لم تعتد عليها، أما الكويت فهناك علاج وتعامل مع مسألة حرارة الجو من خلال المكيفات.

ويؤكد العويد أن هناك جوانب إيجابية مع كل ذلك ترتبط بالسفر وهي تجديد الشوق إلى البلاد، ثم استشعار نعمة الله من خلال ما يراه المسافر من سفور ومصائب في البلاد التي يزورها وهي مناسبة لأن يحمد الله على نعمه ويشكره عليها وهذه قضية مطلوبة، أما في مجال الترابط الأسري - يقول العويد - إنني لا أجد أن للأمر أهمية خاصة.

أما المختص السياحي عدنان الجيوسي المدير العام لشركة دار السياحة فيقول: إن السياحة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: السياحة الفردية وأكثر من يمارسها هم الشباب، وتصل إلى نحو ٥٠٪ من مجموع السياحات الأخرى.

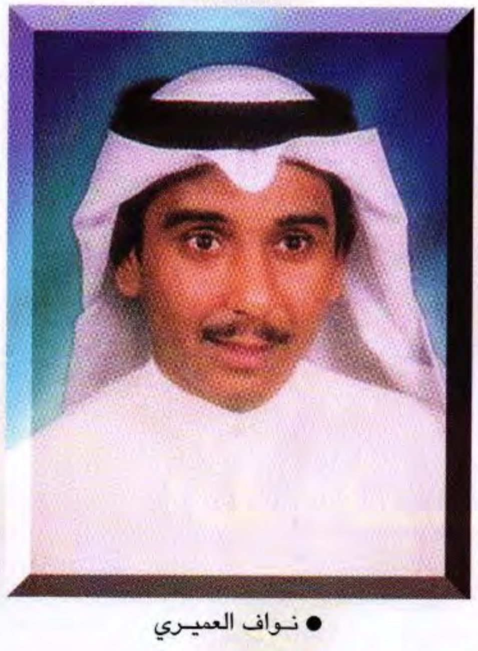
ثانياً: السياحة العائلية المنفردة «أي الأسرة» وهذه أيضاً من السياحات المتبعة خصوصاً خلال إجازات الصيف وانتهاء السنة الدراسية.

ثالثاً: المجموعات الأسرية «العائلية» وهي عبارة عن مجموعة من العوائل تنظم رحلة جماعية إلى بلد ما وهذه أيضاً لاتكون إلا في موسم الصيف.

ويضيف الجيوسي قائلاً: إن متوسط المدة بشكل عام التي يقضيها السائح خارج البلاد هي نحو ٢١ يوماً ويوضح أن أكثر الجهات التي يتوجه إليها السياح هي البلاد العربية والشرق أوسطية وتأتي أوروبا في المرحلة الثانية.

ويقدر الجيوسي أن مصاريف الأسرة خلال ٢١ يوماً كمتوسط تقريبي تبلغ نحو ١٣٠٠ دينار كويتي، على افتراض أن أفراد الأسرة في حدود ستة أفراد، هذا في مناطق الشرق الأوسط والوطن العربي، أما في أوروبا فإن هذا المبلغ يتضاعف وقد يصل إلى ٣٠٠٠ دينار كويتي.

وأضاف الجيوسي: إن السوق السياحية



● نواف العميري

محمد الغالي: السفر العائلي فرصة للتفاهم والتقارب والتعرف على نقاط الخلل في الأسرة

الكويتية تشترط مستوى معيناً من الفنادق وهي فنادق الدرجة الأولى مشيراً إلى أن شركات الطيران لم تعد مهمة بالنسبة للمسافر، وكذلك خط السير، فسواء كان مباشراً أو عن طريق الترانزيت، فإن السياح والمسافرين لم يعودوا يهتمون بذلك.

وحول إمكانات أن تكون السياحة العائلية تزيد من الترابط والتفاهم الأسري والعائلي،

نواف العميري: السفر العائلي يؤدي للراحة النفسية الحقيقية ويعزز العلاقات الأسرية

يقول الجيوسي: إن ذلك أمر مؤكد وهو من صميم أهداف الرحلات السياحية، فالتقارب في المأكل والمسكن والسفر يزيل كل الحواجز ويعمق مفهوم الأبوة والبنوة والأمومة والأخوة والصداقة.

وفي حديث للأستاذ إحسان عطية «أحد المسؤولين عن الأنشطة الطلابية» يقول حول السياحة والسفر العائلي:

إن أعباء الحياة وانشغال الإنسان في طلب الرزق قد يجعلان من رب الأسرة طاحونة لا تتوقف رحاها رغبة منه في تأمين حياة كريمة لأفراد أسرته، إلا أن تأمين الحياة المادية ليس هو كل ما تحتاجه الأسرة فقط، فغياب الأب طوال النهار عن أسرته ومجيئه آخر النهار منهكاً خائر القوى مكدود الذهن لا يمكّنه من مجالسة أولاده وسماع أخبارهم والاطلاع على أحوالهم.

ويضيف عطية قائلاً:

ومن هنا كان لابد من وجود وقفات انقطاع عن مشاغل الدنيا وعن المتع الشخصية والالتفات إلى الأسرة ليسمع أخبار أفرادها ويخالطهم ويمازحهم وينفذ إلى عقولهم ليرى كيف يفكرون وكيف ينظرون إلى الدنيا، وقد تكون السياحة العائلية هي إحدى الوقفات التي يلقي بها رب الأسرة بأعباء الدنيا أو مشاغلها ويتقرب من خلالها إلى أسرته ويوضح عطية هذه الفكرة قائلاً:

السفر في حقيقته يخرج الإنسان من المألوف ومن أشياء اعتاد عليها إلى حياة سهلة بسيطة، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائد الأمة الذي مرجعها في كل الأمور، قائداً في ميدان المعركة، وإماماً في الصلاة، ومعلم المسلمين أمر دينهم ودنياهم، كل هذا لم يكن يشغله عن أسرته والتقرب إليهم، ففي غزواته كان - صلى الله عليه وسلم - يقترع بين نسائه أيهن ترافقه، وهذا النبي المرسل والقائد العظيم والمعلم الكبير يسابق عائشة - رضي الله عنها - فتسبقه مرة، ويسبقها مرة فيقول واحدة بواحدة.

أما خيرية الإنسان، فينبغي أن توجه في المقام الأول إلى أهله «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي». ■

تحقيق



أندونيسيا
أكبر دولة إسلامية



مسيرة النصف قرن
من سوكارنو إلى سوهارتو

الأحداث المتلاحقة التي شهدتها أندونيسيا خلال الأشهر القليلة الماضية والتي انتهت برحيل الرئيس سوهارتو وتولي الرئيس بشار الدين يوسف حبيب السلطة سلطت الضوء بقوة على تلك الدولة التي تعد أكبر دولة إسلامية من حيث تعداد السكان (٢٠٠ مليون نسمة)، وتعد كذلك واحدة من دول النمور الآسيوية التي ذاع صيتها أخيراً جاذبة الإعجاب بما تحققه من قفزات اقتصادية هائلة ثم أصيبت فجأة بزلزال اقتصادي مفاجئ كانت نتيجته زوال حكم رئيسها سوهارتو.

هذه الأحداث المثيرة تشدنا للاقتراب من هذا البلد ومن داخله لنبحث في تاريخه الطويل وخريطته السياسية والقوى السياسية والاجتماعية التي تلعب دوراً محورياً في تحريك الأحداث... وهو ما نحاوله في هذه الدراسة السريعة.

بقلم : شعبان عبدالرحمن



نظام الحكم

من الناحية الشكلية تتمتع أندونيسيا بنظام حكم دستوري يتمثل في الجمعية الاستشارية الشعبية التي تقوم بانتخاب رئيس الدولة، ولكن من الناحية العملية فإن الذي يدير دفة الأمور هي المؤسسة العسكرية ومعها ثلاثة من الأحزاب السياسية المدعومة من النظام وهو ما يطلق عليه النظام الجديد الذي تعود جذوره إلى ١٩٦٩/٣/١١م.

ومن الناحية الاقتصادية فهو نظام اقتصادي مختلط، يسمح بحرية رأس المال الخاص ويتلقى من خلاله أصحاب المشروعات الخاصة دعماً مالياً من الحكومة، لكن كثيراً من الصناعات الكبرى تخضع لملكية الدولة.

السلطات الثلاث المعروفة الموجودة في أي دولة موجودة أيضاً في أندونيسيا ولكنها تحتفظ بخصوصيات جديرة بالتسجيل.

فالسلطة التشريعية تتكون من هيئتين أساسيتين هما:

١ - الجمعية الاستشارية الشعبية ... تجتمع مرة كل خمس سنوات لانتخابات رئيس الدولة ونائبه ولرسم الخطوط الرئيسية العامة لسياسة الدولة، ويبلغ عدد أعضائها ٩٢٠ عضواً بينهم ٤٦٠ منتخبون، ويعين الباقون بوساطة الرئيس.

٢ - المجلس التمثيلي الشعبي «البرلمان»: يتم انتخاب أعضائه مرة كل خمس سنوات، ويتكون من ٤٦٠ عضواً بينهم ٣٦٤ منتخبون و ٩٦ معينون من قبل رئيس الدولة، وغالباً ما يتم تعيينهم من داخل المؤسسة العسكرية.

والنظام الانتخابي هناك يعود إلى العام ١٩٦٦م والمفروض أن يكون - وفقاً للدستور مباشراً وعاماً وحراً، لكن واقع الأمر شهد تحايلاً على هذه الضوابط لصالح النظام.

السلطة التنفيذية: يعد رئيس الدولة هو المحور الرئيسي لها بموجب دستور ١٩٤٥م الذي أعاد الرئيس الأسبق سوكارنو العمل به العام ١٩٥٩م.

ومن بين الصلاحيات الواسعة التي خولها ذلك الدستور للرئيس قيادته للقوات المسلحة، وصلاحيته بإعلان حال الطوارئ، واقتسامه السلطة التشريعية، وإعلان الحرب وتوقيع المعاهدات مع البرلمان... ومع مجيء سوهارتو إلى السلطة والذي تجددت رئاسته للمرة الرابعة هذا العام (١٩٩٨م)، تبلور الطابع المحوري لسيطرة الرئيس على الأوضاع، فقد استحدث ثلاثة أجهزة من السلطة التنفيذية تخدم كلها في اتجاه تكريس سيطرته على عصب الحياة في البلاد، فقد كان الجهاز الأول والثاني وهما جهازي التخطيط الاقتصادي الوطني والشركة الوطنية للبترول وهما معنيان بالمسائل الاقتصادية الخالصة، أما الجهاز الثالث وهو جهاز قيادة العمليات من أجل إعادة الأمن والنظام وهذا الجهاز تجسيد حي لتحايل الرئيس على الدستور ومحاولاته انتزاع الشرعية لإضفائها على سلطاته الواسعة.

السلطة القضائية: وهي سلطة تختلف في تعاملها مع الموجودين على أرض أندونيسيا طبقاً لنوعياتهم فالأجانب يخضعون للقانون المدني الصادر العام ١٩٧٤، أما الأندونيسيون فيخضعون لقوانين تختلف من منطقة إلى أخرى، وقد بدأت أندونيسيا تدخل في الفترة الأخيرة في اتجاه تحقيق الوحدة التشريعية، وهناك ثلاثة مستويات من المحاكم والمفروض أنها مستقلة عن السلطة التنفيذية وهي: المحكمة الدستورية العليا التي تفصل في المخالفات الدستورية، والمحاكم العليا التي تتعامل مع الاستئنافات المقدمة من محاكم المقاطعات، ومحاكم المقاطعات المعنية بقضايا الزواج والطلاق والأحوال الشخصية الأخرى.

القوى السياسية

لا نستطيع القول: إن القوى السياسية الموجودة على الساحة الأندونيسية والمعترف بها من قبل النظام السابق هي كل القوى، فهناك قوى تم تغييبها قانونياً وأخرى معطلة ومن أهمها القوى الإسلامية الفاعلة رغم أن هناك حزباً معترفاً به يضم الكثير من التيارات الإسلامية، ففي العام ١٩٧٣م «منذ ربع قرن» أصدر سوهارتو قراراً بتقليص الخريطة السياسية في البلاد حتى لا تواصل تلك الخريطة تمددها وتخرج عن قبضته إذ اتخذ خطوات بتقليص الأحزاب الموجودة على الساحة الأندونيسية من تسعة أحزاب إلى ثلاثة فقط، وقام بترسيخ هذه الخطوة العام ١٩٧٥م بإصدار قرار يحظر إنشاء أحزاب جديدة ليسد بذلك الباب تماماً أمام ظهور أي قوى سياسية على خريطة أندونيسيا، ولعل تلك الخطوة أضافت رصيداً من الكبت الشعبي وولدت دفعات جديدة من الغضب الجماهيري تحت الرمال، وقد زاد من حال الكبت والغضب أن سوهارتو سعى بكل الحيل والوسائل لقولبة القوى السياسية الثلاث المسموح لها بالعمل والمشاركة في اللعبة السياسية فصارت أقرب إلى النسخة الواحدة، وقد صبغ ذلك بالصبغة القانونية، فهذه الأحزاب وإن كان لها حق التمايز فيما يتعلق ببرامجها الخاصة إلا أنها صارت لا تمتلك هذا الحق بموجب القانون الصادر العام ١٩٨٥م فيما يخص أيديولوجية الدولة المسماة «البنشاتلا» بعناصرها الخمسة «الإيمان بالله - الإنسانية - الوحدة الوطنية - الديموقراطية - العدالة الاجتماعية» وهي الأيديولوجية التي جمدها نظام سوهارتو بممارسته على أرض الواقع.

وعلى المستوى التنظيمي فإن الأحزاب السياسية الثلاثة ما عدا الحزب الحاكم طبعاً - قد عانت مضايقات إذ لم تسمح لها الدولة بممارسة أي نشاط سياسي بين مواطن الأقاليم خلال الانتخابات العامة، وذلك تحت شعار «حماية الجماهير من السياسة...!» لكن الحزب الحاكم ظل يمارس نشاطه السياسي كما يحلو له.



والأحزاب السياسية الثلاثة هي:

١ ـ حزب جولكار: وهو حزب الرئيس، والذي من خلاله فرض سوهارتو سيطرته على البلاد وأعوانه في المؤسستين التنفيذية والعسكرية، ويمكن القول: إن هذا الحزب أصبح أداة سياسية أكثر منه حزباً سياسياً، فقد تم استخدامه على أوسع نطاق كأداة لتحجيم قوة الحزبين الآخرين، وبخاصة في الهيئة التشريعية (البرلمان) وتعود نشأة هذا الحزب إلى العام ١٩٦٤م بوساطة مجموعة من الضباط لمقاومة التحالف الراديكالي الشيوعي داخل السلطة التشريعية، وفي الفترة بين عامي ١٩٦٤م ـ ١٩٦٩م تمحور الحزب حول عدد من الاتحادات العمالية والتنظيمات التعاونية التي يشكلها ضباط سابقون في الجيش وعدد من النواب البرلمانيين غير الحزبيين، وبوصول سوهارتو إلى السلطة العام ١٩٦٩م تحول إلى حزب الدولة، وقد حصل في آخر انتخابات برلمانية على مئتين وأربعة وأربعين مقعداً من مقاعد الأعضاء المنتخبين.

٢ ـ حزب التنمية الاتحادي: وهو الذي سمحت السلطات بقيامه العام ١٩٧٣ واعتبره المراقبون السياسيون سابقة مهمة في التاريخ السياسي للبلاد إذ ضم القوى الإسلامية الرئيسية في ذلك الوقت وأهمها جمعية «نهضة الأمة»، ورابطة «مسلمي أندونيسيا» وهو أنه مثل تحقيقاً لأهداف وطموحات كثير من المفكرين والقادة المسلمين في الحصول على موقع قانوني على الخريطة السياسية للبلاد، إلا أنه من جهة أخرى ـ في رأي بعض المراقبين ـ يمثل مكمناً للدولة لتحكم قبضتها من خلاله على التجمعات والقوى الإسلامية، لكن على أي الأحوال فقد مثّل ظهوره على الساحة مكسباً كبيراً للإسلاميين حتى وإن كانت الدولة قد حظرت عليه اتخاذ أي اسم إسلامي إلا أن نشاطه وهيكله قد اتسم بالسمة الإسلامية، كما أنه تمكن من اتخاذ «الكعبة» رمزاً له.

ولا شك أن هذا الحزب قد دخل في تحديات كبيرة مع النظام وبخاصة فيما يتعلق بقوانين الزواج والطلاق، والموقف من الديموقراطية السياسية والعلاقات مع إسرائيل والعدالة الاجتماعية وهو ما كان سبباً في توتر العلاقة شبه الدائمة مع النظام.

٣ ـ الحزب الديموقراطي: وهو الذي يتبنى اتجاهاً قومياً راديكالياً وهو ما جعله في حال صراع مع السلطات لكن فاعليته تضاءلت شيئاً فشيئاً بسبب التناحر بين أعضائه.



جماعات المصالح وقوى الضغط

لكن ... مع وجود هذه القوى السياسية الثلاث ظلت هناك قوى أخرى مؤثرة على الساحة بقوة ومحركة للأحداث، وهذه القوى وإن كانت لم تأخذ شكل الحزب السياسي إلا أنها ظلت في شكل جماعات المصالح وقوى الضغط والتي يمكن حصرها في:

أولاً: القوى الإسلامية: وهي تعد أكبر القوى على الساحة وبخاصة بعد أن حدث توجه عام نحو الإسلام في بداية الثمانينات من الشعب الأندونيسي (٢٠٠ مليون نسمة) الذي يصل تعداد المسلمين فيه ١٧٠ مليون مسلم، كما أن حركة الترجمة للكتب الفكرية المعاصرة التي انتشرت في هذه الآونة أسهمت في صياغة واتساع الصحوة حتى أصبح الإقبال على الإسلام ينطلق من كل طبقات المجتمع حتى طبقة الفنانين... لكن نقطة الضعف مازالت تتمثل في استمرارهم موزعين بين جمعيات ومذاهب فكرية مختلفة يشوبها التنازع الفكري أحياناً.

وإذا أردنا التحديد أكثر سنجد أن أهم القوى الإسلامية على الساحة تتركز في:

الجمعيات والتجمعات... وهي عبارة عن كيانات قوية وذات جذور تاريخية وانتشار شعبي مثل:

١ ـ جمعية المحمدية التي تضم في عضويتها نحو عشرين مليون شخص وتمتلك مئات المدارس وعشرين جامعة في شتى التخصصات، كما تمتلك عشرات المستشفيات المنتشرة في جميع أنحاء أندونيسيا، ويتركز نشاطها في التعليم والرعاية الاجتماعية والدعوة الإسلامية.

أنشئت العام ١٩١٢م تحت قيادة الشيخ أحمد دحلان لهدفين... بناء الأمة بناء إسلامياً، ومحاربة الاستعمار الهولندي الذي كان يحتل أندونيسيا في ذلك الوقت.

ورئيسها الحالي هو الدكتور محمد أمين رئيس حاصل على الدكتوراة في علم السياسة من الولايات المتحدة، وهو الذي ذاع صيته خلال أحداث الانتفاضة الشعبية ضد سوهارتو، ولعب دوراً كبيراً في ترجيح كفة

الأحداث لصالح مطالب الجماهير بإقالة سوهارتو.

٢ ـ جمعية نهضة العلماء: وتضم بين صفوفها عشرة ملايين شخص، أنشئت العام ١٩٢٦م على يد الشيخ هاشم أشعري، وتركز نشاطها في التعليم عن طريق المعاهد المنتشرة في «جاوه»... وقد اهتمت الجمعية بالعلم الديني التقليدي ولم يكن لها تجارب سياسية وكانت مواقفها دائماً منذ عهد سوكارنو تميل إلى الأقوى بصرف النظر عن توجهه، ففي عهد سوكارنو، خرجت هذه الجمعية من التحالف مع حزب «ميشومي» الإسلامي وأعلنت تأييدها للشيوعية التي كانت تحظى بزخم وتأييد في هذه الآونة... ولعل تلك المواقف جعلت كثيراً من الشباب ينفضون عنها وبخاصة الشباب المتعلم.

٣ ـ المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية الذي أنشئ في بداية حكم سوهارتو «نهايات» الستينات على يد الدكتور محمد ناصر ـ رحمه الله ـ وجاءت فكرة إنشائه بعد إصرار سوهارتو على عدم السماح بعودة حزب «شيومي» الإسلامي من جديد بعد أن حله سوهارتو نفسه، ويرأس هذا المجلس الآن الدكتور أنوار هاريونو ويتركز نشاطه في نشر المفاهيم الإسلامية المعاصرة بوساطة الدعاة وترجمة الكتب وينتشر أنصاره في معظم أنحاء البلاد.

٤ ـ الاتحاد الإسلامي للطلبة الأندونيسيين، وتجمع الطلاب المسلمين، وهما من أقدم التجمعات الإسلامية بين الشباب، وقاما بدور بارز في الصحوة الإسلامية داخل الجامعات، لكن نشاطهما هدأ في السنوات الأخيرة بعد أن تمكنت السلطات من تشتيت قواهم.

ثانياً: المؤسسة الطلابية: يعود تاريخ اشتغال الطلاب بالسياسة إلى مطلع هذا القرن، وقد لعبوا دوراً مهماً في دعم الجنرال سوهارتو الذي كان قائداً عسكرياً بارزاً العام ١٩٦٥م، واستطاعت هذه المؤسسة بالتعاون مع العسكريين إنهاء حكم الرئيس سوكارنو والقضاء على الثورة الشيوعية ونقل السلطة لسوهارتو، لكن هذه المؤسسة تحولت إلى العداء لنظام سوهارتو بسبب سياساته الخاطئة، فحوّلت الجامعات في فترة السبعينات إلى مراكز للتجمع والتظاهر ضد نظامه الأمر الذي جعله يلجأ إلى المؤسسة العسكرية لقمع هذه التظاهرات، فتجذرت حال العداء وازدادت في الاتساع والتصعيد على

الجمعية المحمدية من الجهاد ضد الاستعمار الهولندي إلى قيادة الانتفاضة ضد سوهارتو

امتداد الربع قرن الأخير حتى هذا العام بزوال حكم سوهارتو.

ثالثاً: الجماعات الإثنية وأهمها الجايون (٥٠٪ من إجمالي السكان) والسوندانيون (٢٥٪)، والمادوريون والبالنيزيون والصينيون وغيرهم (٢٥٪)... وقد لعبت هذه الجماعات دوراً بارزاً خلال فترة الاستعمار، واختفى دورها في ظل نظام سوهارتو، إلا أن «الصينيين» بزغ نجمهم في ظل ذلك النظام، فقد استطاعوا تحت حماية سوهارتو السيطرة على ٨٠٪ من اقتصاد أندونيسيا رغم أن عددهم لا يزيد عن السبعة ملايين، وأصبح نفوذهم مهدداً في ظل النظام الجديد.

رابعاً: الجماعات الدينية غير الإسلامية: وهي البروتستانتية والكاثوليكية والكونفوشيسية والبوذية والتي تتجمع في ما يسمى بـ«المجلس الأندونيسي للكنائس»، وهو المجلس الذي ينظم العلاقة بين هذه الجماعات والحكومة، وحقق لها بذلك مكاسب كبيرة في عهد سوهارتو.

خامساً المؤسسة العسكرية: وهي التي أصبحت محور الحياة السياسية في البلاد منذ بداية عهد سوهارتو ولاسيما أنه كان جنرالاً سابقاً، ولذلك ظل العسكريون في ظل حكم سوهارتو يشغلون معظم المناصب الوزارية والتشريعية والقضائية، ولذلك ظلت المؤسسة العسكرية من أكبر القوى المؤثرة على الساحة لأن لها نظاماً وأيديولوجية وهي في الواقع تتولى مهمتي السياسة والحماية، ومازالت يسيطر عليها الاعتقاد بأنها وحدها القادرة على إدارة البلاد وأن المدنيين عاجزون

المؤسسة العسكرية أصبحت محور الحياة السياسية في البلاد منذ بداية عهد سوهارتو

عن ذلك... وهذا الاعتقاد هو الذي دفع العسكريين من خلال سوهارتو إلى التحكم في كثير من مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

سادساً: قوى أخرى مثل العلمانية والليبرالية واليسارية وهي قوى ضعيفة التأثير بعد أن كانت قوية في الستينات والسبعينات، وقد أسهم نشاط الدعاة في كشف دعاوى هذه القوى في إضعافها ومن جانب آخر كان فشلها في حل مشاكل المجتمع وعدم القدرة على إقناع الجماهير ببرامجهم عاملاً آخر من عوامل إضعافها، لكن هذه القوى أقامت الآن تحالفاً مع دعاة الإباحية ورافعي شعارات حقوق الإنسان والمساواة بين المرأة والرجل، وتتلقى مساعدات من الخارج، وشكلت جبهة معارضة لرئاسة الرئيس الحالي «حبيبي» خوفاً من استجابته للمطالبات القوية بتنفيذ الكثير من البرامج الإصلاحية وفي مقدمها برنامج أسلمة الأوضاع في أندونيسيا.

وهكذا في ظل هذه الأوضاع وبين تدافع هذه القوى الظاهرة والخفية عاشت أندونيسيا مسيرتها منذ استقلالها العام ١٩٤٥ حتى اليوم متنقلة بين ثلاثة عهود:

● عهد سوكارنو وهو عهد النظام القديم (١٩٤٥ ـ ١٩٦٦م) والذي تميز بإزالة كل ما يتعلق بالشريعة الإسلامية وفتح الباب على مصراعيه أمام حركة الشيوعيين الذين انقلبوا عليه في ١٩٦٥/٦/٣٠م، لكن المؤسسة الطلابية والمؤسسة العسكرية أبطلا هذا الانقلاب وأجبرا سوكارنو على الاستقالة وتولى سوهارتو السلطة في ١٩٦٦/٣/١١م.

● عهد سوهارتو (١٩٦٦ ـ ١٩٩٨م) وهو ما أطلق عليه عهد التنمية، وتميز بالاهتمام بالتنمية الاقتصادية بكل الوسائل وأهمها الاستدانة من الخارج حتى بلغت الديون ٥٠٪ مليار دولار، وتتحكم طبقة الصينيين وأسرة الرئيس ورجال الحكومة في ٨٥٪ من اقتصاد البلاد، وإقامة علاقات جيدة مع الغرب والتضييق على القوى الإسلامية.

● عهد الإصلاح: وهو ما يطلق الآن على عهد الرئيس الحالي بشار حبيبي، والذي لم تتبلور معالمه حتى الآن فمازال في حاجة إلى ترتيب الأوضاع ومحاولة تصحيحها، ولا شك أنه سيصطدم في سبيل تحقيق ذلك بعقبات داخلية وخارجية... فهل سينجح في تخطيها؟... سؤال تجيب عليه الأيام المقبلة. ■

التربية الأسرية العملية من خلال سورة يوسف ١ / ٢

نستعرض التربية الأسرية ومشاكلها وحلولها من خلال سورة يوسف، والتي تتجلى فيها الواقعية من خلال أسرة نبوية، وتظهر فيها مرونة المعالجة للأخطاء التي تعترض أفراد الأسرة، ونرى طموح الآباء، وصعود وانحطاط بعض الأبناء، ونرى المحن والفتن التي تعترض الأسرة، كما نرى النصر والجلوس على سدة الحكم بكل تواضع، ونرى كيف تهتز أسرة العزيز بالحب الهادر وفي مقابل ذلك نرى الطهر الكامل، ونرى التربية القرآنية تعرض المشهد بلا تهييج للقارئ في أدق الأمور الجنسية بين الجنسين، فلا تتحرك المشاعر الهابطة، وإنما تتفاعل المشاعر العليا في الاستماع وقراءة القصة، وتلك من معجزة القصص القرآني، ونرى حسد الأخوة وغيرة الكبار من الصغار، وارتكابهم خطأ كبيراً في رمي أخيهم الصغير في الجب للتخلص منه، ونرى عفو الصغير عنهم في كبره بعزه وجاهه وسلطانه، فلا ينتقم لنفسه فيعفو ويصفح، مقتدياً بوالده الذي عفى عن إخوته قبلاً، وهكذا يظهر الحق بعد حياة مريرة للأسرة، وتستقر عندما يعرف كل أخ فضل أخيه، ويبتعد الكبار عن حسد الصغار، ويتعرفون إلى أن سبب ذلك نزغ الشيطان بينهم، إلى غير ذلك من المواقف التي نستعرضها على وجه الإجمال فيما يلي :

بقلم : محمد نور سويد

عند قراء سورة يوسف قراءة تربوية نستلهم النقاط التربوية العملية التالية تحقيقاً لقوله تعالى :

ـ في بداية السورة : (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين (٧).

ـ وفي نهايتها : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (١١١). وهكذا تنسجم بداية السورة مع ختامها، في أخذ العبر والعظات الاعتقادية والتربوية، وإليك بعضاً منها :

١ ـ تسلية وتثبيت قلب سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المؤمنين، الذي لم يكن يعرف عن يعقوب ويوسف شيئاً، والمعروضتان في التوراة باللغة السريانية، لذا جاء التأكيد بنزول القرآن عربياً، لإظهار معجزة سيدنا محمد صلى الله وعليه وآله وسلم، بأنه يوحى إليه، ولتعلم العرب قاطبة كيف تتنزل القصص الإيمانية بلغتهم، مع عجزهم عن المحاكاة للقرآن. (الر تلك آيات الكتاب المبين (١) إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون (٢) نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين). سورة يوسف.

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الله». قال القرطبي في تفسيره : روي أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت السورة؛ وسيأتي تفصيلها. وقال سعد بن أبي وقاص: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زماناً فقالوا: لو قصصت علينا؛ فنزل: «نحن نقص عليك» (يوسف: ٣) فتلاه عليهم زمانا فقالوا: لو حدثتنا؛ فأنزل: «الله نزل أحسن الحديث» (الزمر: ٢٣). قال العلماء: وذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل. انتهى

وبذلك يتعلم الطفل المسلم قصص الأنبياء والرسل الواقعية، بعيداً عن الخرافة والأساطير التي تعرض الآن في الرائي تحت مسمى (أفلام كرتون)، ويكون الطفل المسلم الوحيد ـ من بين أطفال العالم ـ الذي يتعلم قصص الأنبياء والرسل بشكلها الصحيح والسليم، فيتعلم منها الاعتقاد والسلوك الصحيح، ويتهيأ منذ الصغر على مقاومة الباطل، مستمداً من صمود الأنبياء والرسل منارة يهتدي بها في حياته الطفلية والمستقبلية، كما تتعلم الأسرة المسلمة كيف تصبر على مواجهة الأحداث.

٢ ـ نلاحظ من بداية السورة قرب الأب من ولده الصغير بحيث يصل لدرجة قص الرؤيا على والده وهذا يدل على قوة العلاقة الاتصالية بين الصغير ووالده، ثم نرى معرفة الأب لحسد إخوته الكبار لذا ينصح ابنه الصغير يوسف بعدم قص الرؤيا على إخوته الكبار : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (٤) قال يا بني لا تقصص

رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين(٥).

٣ ـ ثم نرى نصح الأب لابنه الصغير بتوقع مستقبل النبوة له باصطفاء الله تعالى، وتعليم الله له تأويل الرؤيا التي سيكون له شأن كبير فيها، والتي ستكون سبباً لخروجه من سجن المستقبل، والصغير لا يدري كل ذلك : (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم (٦).

ومن هنا نرى كلما كان الأب قريباً من ابنه، حصلت بينهما علاقة قوية، تمكن الأب من معرفة طبيعة ابنه ومواهبه، وبالتالي تمكنه من رسم مستقبله بما يتوافق مع طبيعته، فلا يتعثر في المستقبل. وهذا حصل أيضاً لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث توقعت أمه وجده بأن له مستقبلاً رسالياً يقود فيه الأمة (٧).

٤ ـ ثم نرى حسد الإخوة الكبار لأخيهم الصغير المحبوب لقلب والده أكثر منهم، وتواطئهم على التخلص منه؛ باقتراحات مختلفة؛ أعلاها القتل، وأخفها الاستبعاد للصغير من وجه أبيه : (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين (٨) اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين (٩) قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين (١٠).

ونستفيد من تلك الآيات ضرورة كتمان الأب حبه الزائد، وتفضيله أحد الأبناء على الآخرين، وأن يشعر جميع الأبناء بعدله واقعاً وحساً مادياً ومعنوياً، كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم والد النعمان بن بشير وهو يريد أن يشهده على وهبه لابنه بستاناً، ولم يهب الآخرين فقال له: (أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟ قال: بلى، فقال صلى الله عليه وسلم: فلا إذن) رواه الشيخان. فرجع الأب عن تفضيله أحد أبنائه متبعاً الهدي النبوي، فسلمت أسرته من الغيرة والحسد والعقوق. وأن يبين الأب لأبنائه أن أفضلهم عند الله أفضلهم لديه، وأحبهم لقلبه، تحقيقاً لقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) الحجرات.

٥ ـ ثم نرى جلسة أسرية ظاهرها الرحمة وباطنها المكر والتخطيط لبرنامج الخطة في استبعاد الصغير من وجه أبيه، ظناً منهم أن يخلوا بأبيهم من بعده، ونلحظ من التخطيط أنه محكم العرض، منسجم لما يتناسب مع الصغير وهو الفسحة في البر واللعب الجماعي، والحب الصادق في ظاهره ومن جميعهم : (قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون (١١) أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون (١٢). ومن هنا نرى أهمية لعب الصغير، فهو المجال الذي يبني فيه جسمه، ويمتع به روحه، ويغذي به نفسه فهو خير كله، وهو مطلب نبوي كذلك، ليس أدل عليه من لعبه صلى الله عليه وآله وسلم في صغره مع الأطفال، وسماحه لأنس للعب مع أصدقائه، وتسليمه على الأطفال وهم يلعبون، ثم لتلعيبه سبطيه الحسن والحسين رضي الله عنهما أمام الناس وفي البيت.

ونلاحظ أمراً آخر يدعو للتأمل في الكلمة القرآنية وهي كلمة (لا تأمنا) التي فيها حكم الإشمام أثناء تلاوتها، والإشمام ضم الفم عند النطق بالميم دون إظهار حركة الضم عند النطق، فالتعبير القرآني يدل على اختلاس حركة الضمة، وكأن النطق يدل على اختلاس الحقيقة في النفوس والتي لا يريد الأبناء إظهارها أمام والدهم، والله أعلم.

٦ ـ ثم نرى جواب الأب المناسب للعرض الخادع، ونلاحظ الحوار الأسري يستمر في عرض الأحداث، وتصويرها، والحجج القوية من كل طرف : (قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون (١٣) قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون) (١٤). وهكذا تم لهم ما أرادوه، وانخدعوا بتدبيرهم وتخطيطهم، ونسوا مراقبة الله لهم، وهو الدرس الذي سيتعلمونه فيما بعد.

ونستفيد كذلك ضرورة إنشاء الحوار بين الآباء والأبناء، إذ هو السبيل لتنمة مهارات الأبناء، كما ينشط الآباء في التفكير في مشاكل الأبناء وحلها، وأن يدربهم على إقامة الدليل والبرهان. وأن يتجاوب معهم لنتائج الحوار.

٧ ـ ثم نرى أن يعقوب وقع فيما حذر منه ابنه الصغير يوسف بأن لا يحدث إخوته برؤياه فيكيدوا له كيداً، وذلك ليعلم المؤمن بأن عليه الأخذ بالحيطة، ولكن قد يأتيه البلاء مما خاف منه، وخطط لعدم الوقوع منه، ليلجأ المؤمن في كل أحواله إلى الله، وأن يسلم لقضائه (١).

٨ ـ وبعد تمام مؤامرة الإخوة بإلقاء أخيهم الصغير في الجب للتخلص منه، جاء النصر المبين من الله تعالى للصغير وهو في الجب، أنزل الله عليه الطمأنينة بالعودة إلى إخوته، ومباشرة الوحي بالنزول على الصغير بأنه في رعاية الله تعالى، وأن الله تعالى فوق كيد المعتدين حتى لو كانوا إخوته، الذين نسوا الله في تلك اللحظات، ونسوا يوم كشف حقيقة خداعهم لأبيهم وأخيهم : (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (١٥).

٩ ـ ثم يبين القرآن الحجج الباطلة عبر دموع التماسيح الكاذبة، والأدلة المادية المزيفة، وأمام كل الحجج التي ظاهرها الحق وباطنها الباطل، نرى موقف النبي يعقوب، ـ وهو الدرس الأول المستفاد لكل مؤمن ـ، فيأتي جوابه بالتوكل على الله والاستعانة به على كل تلك الحجج الباطلة : (وجاءوا أباهم عشاء يبكون (١٦) قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين (١٧) وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون (١٨). ونرى أن الحجج الباطلة ابتدأت مما حذر منه الأب أبناءه، وذلك حتى يصدقهم أبوهم، لذلك أحسوا أن حجتهم العقلية ضعيفة: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) فأتبعوه بالدليل المادي القميص المضرج بدماء الكذب. ونلحظ أن الأب أحس بمكر أولاده، وأن الأمر كان خطة مبيتة من أولاده: (قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً) ثم يبين أن الأمر يحتاج للصبر الجميل لمواجهة حدث قتل ابنه، ويظهر أن الله قادر على كشف الحقيقة.

وهنا يعلمنا القرآن كيفية مواجهة الأحداث الأسرية والعامة برفع شعار: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) وبذلك تزداد نفس المؤمن قوة على مواجهة الكرب والحزن والتآمر على العباد، وضرورة ابتعاد الآباء عن إظهار عنتريات فارغة، أو تسويفات كلامية، أو خطب رنانة، أو تسويد مقالات مهترئة، فيكشف القرآن منهجاً

جديداً ألا وهو تفويض كشف الحقيقة لله تعالى، والصبر الجميل بلا ضجر ولا ملل ولا سآمة، أو إظهار الاستياء من قدر الله تعالى، لذا يأتي شعار (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ذكراً يردده المؤمن صغيراً وكبيراً، في حياته اليومية في كل آن، كلما عرض له عارض أو طارئ.

١٠ ـ ثم ترينا الآيات رعاية الله تعالى للصغير المرمي في الجب بيد إخوته، لا بيد أعدائه، وترينا الآيات دقائق تفصيلية من قدرة ورحمة الله تعالى، وتمكينه لعبده، وأنه في الرعاية الإلهية في كل آن، وهو هدف إيماني من إيراد القصص القرآني، كيف يربي القرآن المؤمن بالقصة الواقعية العملية : (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون (١٩) وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين (٢٠) وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً (٢) وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢١) ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين (٢٢).

إنه درس إيماني برعاية الله لكل خطوة، وأن أكثر الناس غافلون عن قدرة وعلم ومشيئة الله تعالى، فهم أرادوا أمراً، والله تعالى أراد غيره، (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

١١ ـ ثم يذكر القرآن فتنة الشاب المراهق الجميل، في أعنف مشهد يحصل لشاب وسيم، أوتي شطر الحسن، خلوق بريء، أمين طاهر عفيف، فينجيه الله من ذلك المكر، بأعجوبة دقيقة خفيت على كثير من الناس، وذلك بفضل لجوئه إلى الله واستنجاده به بقوله (معاذ الله) : (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون (٢٣) ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٢٤). وأتت كلمة (هيت) ومخارج حروفها بدءاً من الهاء ومخرجها من الجوف مروراً بوسط الحلق بالياء ثم الثنايا بالتاء، ليدل على مدى تمكن حبها منه. ولكن المؤمن لا يخون الله ولا رسوله ولا من ائتمنه على عرضه، وآواه في بيته. ولقد هم بدفعها عنه، فرأى برهان ربه : لو أنه دفعها فسوف يستخدم دفعه لها حتى تبتعد عنه من جهة صدرها سيكون دليلاً ضده بأنه هو البادئ، فلجأ إلى الهروب، مما أدى لأن تلقي القبض عليه من قميصه من الخلف، فيكون ذلك دليل تبرئته من التهمة. (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم (٢٥) قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين (٢٦) وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (٢٧) فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم (٢٨) يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين (٢٩). ثم ينكشف الأمر في المجتمع، الذي يتتبع عورات الناس وبخاصة الأسر الحاكمة، الأمر الذي يدعو كل أسرة إلى الاهتمام بتربية نفسها كباراً وصغاراً، وأن وقع الفضيحة ألم وعذاب كبير، فأعدت امرأة العزيز خطة في استدراج تلك النسوة اللاتي تكلمن عنها، وكن من طبقتها : (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين (٣٠) فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئاً وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم (٣١) قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين (٣٢). وبعد أن سمع الفتى ذلك التهديد والوعيد، إذ كان بامرأة العزيز وحدها؛ فإذا بالمؤامرة تزداد من تلك النساء جميعاً، فلا يزداد الشاب المؤمن إلا ثباتاً، ويلجأ إلى الله في أن يعصمه الله من مكرهن، وطلب من الله أخف الضررين، وتأتي استجابة الدعاء مباشرة لعبده المضطر يوسف عليه السلام، بحرف الفاء الذي يفيد السرعة والمباشرة فوراً: (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) : (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين (٣٣) فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم (٣٤). ثم نرى أن مجلس العزيز بدأ يفكر في الأمر لكي يتدارك ألم الفضيحة بين الناس، فوجد بعد المداولة : (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين (٣٥).

فترينا الآيات أن علاج شغف الحب يكون بالإبعاد بين المتحابين؛ واليأس من حصول الزواج بينهما.

١٢ ـ ثم تبين الآيات التربية السجنية للداعية، وتبين الدعوة إلى الله وعبادته التي خلق الإنسان من أجلها فهي معه أينما ذهب وأينما حل وارتحل، سفراً وحضراً، سجناً وحرية، صحة ومرضاً، غنى وفقراً، وفي كل أحوال المؤمن الزمانية والمكانية يستمر بالدعوة إلى الله، فهو لا يذوق طعم الإيمان إلا بالدعوة إلى الله، وما الدعوة إلى الله تعالى إلا دعوة المجتمع والأسر والأفراد إلى التربية الصحيحة بعبادة الله وحده، والاستقامة على منهج الله تعالى وتشريعه، فيتنظف المجتمع من أدران المخدرات والآيدز، ويتخلص المجتمع من حقد المرابين مصاصي دماء الشعوب، وآكلي ثمرات جهودهم. ويتطهر المجتمع والأسرة من أكل أموال بعضهم بعضاً بالباطل.

هكذا يعلمنا القرآن عبر قصة يوسف موقفه في السجن : (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين (٣٦) قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون (٣٧) واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون (٣٨) يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (٣٩) ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٤٠) يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان (٤١). وهكذا عرض يوسف السجين لزملائه في السجن دليل الوحدانية لله تعالى، وسبق ذلك إظهار نبوته لهم بنوعية الطعام الذي يأتيهما، كما قام على خدمتهم بتفسير منامهما

وحلمهما، ويعطي لهما رأيه بكل يقين، وأن تفسير المنام هو فتوى، لا يجوز دفعها إلا من المفتي العالم بها.

وبذلك يتعلم الولد أن الثبات على الإيمان قد يدفع ثمنه من فترات حياته، فيقضيها في السجن في سبيل الله تعالى، فلا يتذمر لقضاء الله تعالى، ويستمر في دعوته لله رب العالمين، ويرى في سجن سيدنا يوسف وسيدنا محمد وأصحابه المؤمنين الصغار والكبار في شعب مكة ثلاث سنين قدوة حسنة.

١٣ ـ ثم يقدم لنا القرآن درساً تربوياً عملياً، نتيجة نسيان سيدنا يوسف ذكر الله تعالى لحظة واحدة، فتأخر خروجه من السجن بضع سنين، وذلك بطلبه من السجين الخارج من السجن، أن يوصل خبر براءته إلى الحاكم مما نسب إليه حتى يخرج من السجن : (وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين (٤٢).

١٤ ـ ثم تأتي قصة رؤيا الملك وتبدأ قصة يوسف بالعد التنازلي من البلاء، ونرى من بداية السورة ووسطها ونهايتها التركيز على علم تفسير الرؤيا، وأنه وهبي من الله لا كسبي من الإنسان، وذلك فضل من الله تعالى يعطيه من شاء من عباده : ففي أولها: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم (٦). وفي وسطها : (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) (٢١). وفي نهايتها : (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث) (١٠١).

فلنستعرض رؤيا الملك وكيف انكشف خطأ امرأة العزيز في الوقت الذي أراده الله أن يظهر. (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون (٤٣) قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين (٤٤) وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون (٤٥) يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون (٤٦) قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون (٤٧) ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون (٤٨) ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون (٤٩) وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم (٥٠) قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين (٥١) ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين (٥٢) وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي إن ربي غفور رحيم (٥٣).

وهكذا يفسر يوسف رؤيا الملك تفسيراً اقتصادياً، ويعلمنا أن نعمة الله قد تتقدم البلاء أو العجز الاقتصادي، فعلى الدولة والمجتمع والأسرة والفرد أن يتعلم أن ما يرده من نعمة مالية أو غيرها قد تكون لتشمل ما يتأخر من أحداث، فالإدارة الاقتصادية للدولة والمجتمع والأسرة والفرد مطلوب، حتى لا يقع العجز الاقتصادي الذي لا يبقي ولا يذر، ومن هنا وجب على الأسرة أن تربي أفرادها على الإدارة الاقتصادية، مصداقاً للأثر» (اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم). كما ندرك أهمية تعبير الرؤيا للصغير والكبير والحاكم والمحكوم، وكما ورد أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلتفت إلى أصحابه بعد صلاة فجر كل يوم فيسأل أصحابه عن رؤياهم ليفسرها لهم، حتى أفرد البخاري وغيره باب تعبير الرؤيا، مما يدل على أهمية الاعتناء بهذا العلم. ■

الهوامش

(١) وقد حصل مثل ذلك لفتية الكهف حيث هربوا مما خافوا منه، وهو بطش الحاكم، وشاءت حكمة الله أن يظهر سريتهم ومخبأهم فقال : (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً (١٩) إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً (٢٠) وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذا يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً (٢١) سورة الكهف. فجعل الله تعالى تخطيطهم لإظهارهم على الملأ وهو ما كانوا يحذرونه ويخافونه لظنهم حسب علمهم بأن الطاغوت ما زال حياً. واستجد هذا الأمر كذلك في بدر إذ كان تخطيط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته هو العير وليس القتال، فإذا هم بمواجهة القتال، فلا يقدرون على العير، وإنما يحصلون على النصر والغنيمة، أي يحصلون على ما لا يتوقعون من فضل الله بالنصر المبين غير المتكافئ في العدد ولا العدة، ثم يحصلون على أفضل من العير وهو الغنيمة عن جدارة واستحقاق، بدلاً عن ظهورهم أمام العرب بأنهم قطاع طريق، وإنما أصحاب مبادئ، وهكذا تكون رعاية الله للدعوة مع الصادقين المخلصين : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون (٥) يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٦) وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧) ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (٨) سورة الأنفال.

(٢) ويتكرر المشهد نفسه لرعاية الله تعالى لرسله وأنبيائه في طفولتهم فهذا سيدنا موسى ينجيه الله تعالى من فرعون الذي أعلن نيته قتل جميع المواليد ذكوراً، فإذا بتدبير الله يسوق الطفل الرضيع، المتعلق قلب أمه به، وأخته تراقبه من بعد وهو يسير في قارب صغير تلتقطه أيدي زبانية فرعون : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين (٧) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين (٨) وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون (٩) وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (١٠) وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (١١) وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (١٢) فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣) ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين (١٤). سورة القصص. المشهد نفسه، الرعاية الإلهية نفسها لرسله صلوات الله عليهم، وكذلك رعاية الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو ابن الذبيحين سيدنا إسماعيل الذي نجاه الله من الذبح بفدائه بذبح عظيم، ووالده عبد الله الذي نجاه الله بفدائه بمئة من البعير، فكان سيدنا محمد ابن الذبيحين، وهذا من كمال رعاية الله تعالى لنبينا عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

انحطاط الأمم:
الاتحاد السوفييتي نموذجاً

بقلـم : غـازي التوبـة

لقد كان انحطاط الاتحاد السوفييتي وتخلّيه عن الشيوعية آية من آيات الله، ويوماً من أيامه حيث خرج السحرة ـ للمرة الأولى في التاريخ ـ يعلنون بطلان سحرهم أمام أتباعهم.

إن ذلك الحدث لم يأخذ حقه من التبصر والتبين والدراسة، مع أننا نحن الإسلاميين نكاد نكون أول الفئات التي واجهت أباطيل الشيوعية في العالم الإسلامي، ووضحت تناقضاتها للمسلمين، ودفعت ضريبة ذلك الدم الكثير من دماء أبنائها في تلك المواجهة، في حين مشت في ركابها معظم التيارات القومية والوطنية في العالمين العربي والإسلامي.

ومن أجل إلقاء الأضواء على ذلك الحدث الكبير والإفادة من وقائعه، فسأبرز أهم العوامل التي سببت انحطاط الاتحاد السوفييتي وتخليه عن الشيوعية، ثم سأستخلص أنواع المشاكل التي تواجه الأمم، ثم أقوّم المشاكل التي واجهت أمتنا في نهاية عهد الخلافة العثمانية على ضوء انحطاط الاتحاد السوفييتي، وأبيّن السبب في عدم النجاح في حلها.

يعلل بعض الباحثين تصدع الاتحاد السوفييتي وتخليه عن الشيوعية بسبب عجزه الاقتصادي الذي نتج عن سباق حرب النجوم مع الولايات المتحدة الأمريكية، لكن هذا العجز الاقتصادي ربما كان عاملاً في تسريع انحطاط الاتحاد السوفييتي وتمزقه، لكنه غير كاف في تعليل التخلي عن الشيوعية، ومما يدل على ذلك ويؤكده أن نسبة النمو الاقتصادي السنوية في الاتحاد السوفييتي كانت من أوائل نسب النمو في العالم غداة تصدعه وتخليه عن الشيوعية، لذلك لابد من البحث عن عوامل في داخل النظرية الماركسية من أجل الوصول إلى تعليل تصدعه وتخليه عن الشيوعية، لأن الماركسية كوّنت نظرته إلى التاريخ والإنسان والحياة، وشكّلت فهمه لتطورات الحياة البشرية كما شكّلت مرجعيته في كل المجالات: الاقتصادية والسياسية والتربوية والثقافية والاجتماعية... إلخ.

لقد فسّرت الماركسية التاريخ تفسيراً مادياً، وربطت التغيرات التاريخية جميعها بتطور وسائل الإنتاج من عبودية ومحراث وآلة حديثة، وقد حوت أفكاراً مناقضة للفطرة البشرية التي فطر الله البشر عليها، وكانت هذه الأفكار عاملاً أساسياً في توليد تناقضات في وجود الاتحاد السوفييتي أدت إلى انحطاطه وتصدعه وتخليه عن الشيوعية، وأبرز الأفكار المناقضة للفطرة البشرية، هي:

١ـ إقـرار الإلحـاد :

أنكرت الماركسية وجود إله، وقررت أنه «لا إله والكون مادة»، وليس من شك بأن هذا مخالف لفطرة الإنسان التي تقوم على التدين والتوجه إلى الله، فقد كانت هناك عبادة وأماكن عبادة باستمرار على مدار التاريخ البشري، وكان هناك معبود دون انقطاع في كل المجتمعات، ولم تعرف البشرية مجتمعاً أنكر وجود الله إلا مجتمع الاتحاد السوفييتي، ولم تعرف دولة رعت الإلحاد بشكل رسمي إلا دولة الاتحاد السوفييتي، وقد جاء كل ذلك من النظرية الماركسية.

٢ ـ إنكار حب التملك :

أنكرت الماركسية غريزة حب التملك عند الإنسان، واعتبرتها

احتكار السلطة في الاتحاد السوفيتي السابق أدى إلى ظلم فريد في حجمه ونوعه ونتائجه

مكتسبة وليست فطرية، لذلك انتزع ستالين من الفلاحين مواشيهم وأراضيهم ومزارعهم وحولّها إلى ملكية جماعية تطبيقاً للشيوعية التي تنكر غريزة حب التملك، لكن الفلاحين ثاروا عند انتزاع أملاكهم منهم ما أدى إلى مواجهة بينهم وبين السلطة السوفييتية، وكانت حصيلة الصراع مقتل ١٢ مليون شخص، ما اضطر الاتحاد السوفييتي في النهاية إلى التراجع والإقرار بنوع من الملكية الصغيرة في دستوره في هذه المرحلة التي أسموها المرحلة الاشتراكية على أن يعقب ذلك إلغاؤها في المرحلة الشيوعية التي ستجعل كل شيء مشاعاً في المجتمع، وستجعل كل شيء ملكاً للجميع وذلك بعد انتهاء الصراع الطبقي حسب تخيلاتهم.

لقد اعترف علم النفس الغربي بغريزة حب التملك عند الإنسان، وقد ترتب على اعترافه معاداة الماركسية له وإيجادها علم نفس خاص بها يقوم على تجاهل غريزة حب التملك، وإنكار فطريتها في النفس البشرية.

٣ ـ تضخيم الجانب الجماعي :

ضخمت الماركسية الجانب الجماعي في المجتمع على حساب الجانب الفردي في الإنسان، وألغت ذاتية الإنسان، واعتبرته ترساً في «دولاب» المجتمع، واعتبرت أن تطور وسائل الإنتاج هي التي تغيّر كل شيء: الدين والأخلاق والعادات والتقاليد والفنون والثقافة... إلخ، ولا دور للإنسان في ذلك إنما دوره هو أن يستقبل هذه التغييرات وينفذها، وركزت على مصلحة الطبقة العاملة على حساب مصلحة الأفراد، وقد تجسدت الطبقة العاملة في الحزب الذي تجسد في النهاية برئيسه الذي رُفع إلى مصاف الآلهة كما حدث مع ستالين. لاشك أن للإنسان جانبين فطريين هما: فردي وجماعي وإلغاء أحدهما لمصلحة الآخر مناقض للفطرة، وهذا ما وقعت فيه الماركسية.

٤ ـ ديكتاتورية البروليتاريا :

دعت الماركسية إلى إقامة ديكتاتورية البروليتاريا من أجل النجاح في تطبيق النهج الاشتراكي والتوصل إلى الشيوعية، وقد أدى تطبيق ديكتاتورية البروليتاريا إلى حصر السلطة في أيدي أشخاص معينين، لذلك فإن الصلاحيات التي عرفتها قيادة الحزب الشيوعي، والتي تمتعت بها لم يعرفها الأباطرة ولا الأكاسرة ولا الفراعنة الذين ذهبوا مثلاً في سعة الصلاحيات وحرية التصرف بالأموال والعباد، وقد أدى هذا الاحتكار للسلطة في الاتحاد السوفييتي إلى ظلم فريد في حجمه وأنواعه ونتائجه لا يمكن أن يقارن بأي ظلم عرفه مجتمع من المجتمعات، ولا دولة من الدول السابقة.

لاشك أن الدعوة إلى ديكتاتورية البروليتاريا هي دعوة إلى احتكار طبقة معينة للسلطة، وهي دعوة إلى ظلم الآخرين في الوقت نفسه وهذا مناف للفطرة البشرية.

٥ ـ إنكار المطالب الروحية للإنسان :

اعتبرت الماركسية الكون مادة، وانطلقت من حيوانية الإنسان، لذلك كان هدفها الرئيسي تحقيق حاجات الإنسان البيولوجية: الطعام والشراب، ولكن الإنسان ليس جسداً فقط، بل هو جسد وروح، ولقد أنكرت الماركسية الجانب الروحي في كيان الإنسان، وأهملت بالتالي جانباً من حاجات الإنسان الأساسية، وناقضت الفطرة البشرية التي تتوق إلى تلبية الحاجات الروحية بالإضافة إلى تلبية الحاجات المادية.

٦ ـ إغفال المطالب القومية :

دعت الماركسية إلى الأممية، واعتبرت تقسيمات الشعوب القومية من اختراعات البورجوازية، لذلك دعت الطبقة العاملة من مختلف الشعوب إلى التلاقي وإلى تجاوز حدودها الإقليمية التي اصطنعها الرأسماليون، ولكن النظرية الماركسية لم تستطع أن تحقق التعايش السليم بين الأعراق والأجناس والقوميات المختلفة التي احتواها الاتحاد السوفييتي، بل بقي هناك تنافر قومي وعرقي وجنسي بين شعوب الاتحاد السوفييتي، يشهد عليه سرعة تمزق الاتحاد السوفييتي إلى أعراقه وشعوبه وأجناسه السابقة بعد أقل من سبعين عاماً من نشوء الاتحاد السوفييتي.

هذه أبرز العوامل المناقضة للفطرة التي احتوتها النظرية الماركسية والتي أسهمت في انحطاط الاتحاد السوفييتي، لذلك حاول قادته إنقاذه بطرح مشاريع إصلاحية من داخل النظام، بدأها بريجينيف عندما أغرى العمال بحافز الربح لزيادة الإنتاج في المصانع، ثم طرح بعده غورباتشوف ـ الغلاسنوست ـ في أول الثمانينيات ـ والبريسترويكا ـ في منتصف الثمانينيات، لكن هذه الحلول لم تنجح بل تمزق الاتحاد السوفييتي، وتخلى عن النظرية الماركسية، وتبنى نهجاً آخر هو النهج الرأسمالي الديموقراطي، فما سبب فشل تلك المشاريع في إصلاح شؤون الاتحاد السوفييتي؟ السبب هو أن الاتحاد السوفييتي كان يعاني تناقضات في وجوده وليس أمراضاً في وجوده، لذلك فإن الحل يجب أن يأتي من خارج النظرية الماركسية، وهذا ما تحقق عندما اتبع بوريس يلتسين النهج الديمقراطي الرأسمالي.

إذاً تواجه الأمم نوعين من المشاكل :

الأول: تناقضات وجود:

وهي المشاكل التي تأتي نتيجة ممارسات وأعمال وسلوك يخالف الفطرة البشرية، فالفطرة تصبر في البداية، لكنها تنفجر وتفجّر كيان الأمة معها في النهاية، والحل لمثل هذه التناقضات يأتي من خارج مرجعية الأمة.

الثانية: أمراض وجود:

وهي التي تعتور كيان الأمة نتيجة تداخلات أو أعمال أو ممارسات

تخالف أصول المرجعية التي تعتمد عليها، والحل في هذه الحال يأتي من خلال المرجعية التي تستند إليها الأمة.

والآن على ضوء ذلك يمكن أن نعتبر الاتحاد السوفييتي هو نموذج للأمة التي واجهت النوع الأول من المشاكل، وهي تناقضات الوجود المرتبطة بمخالفة الفطرة البشرية، ففي هذه الحال يتولد الانحطاط الذي يؤدي بالأمة إلى الانهيار والتمزق ويكون الحل من خارج مرجعيته وقد كان حل تناقضات الاتحاد السوفييتي من الديموقراطية الرأسمالية، فلم تنجح الحلول التي طرحها بريجينيف وغورباتشوف من داخل النظرية الماركسية.

أما بالنسبة لأمتنا فلم تواجه في أي مرحلة من مراحل حياتها الطويلة أي تناقضات في وجودها لأن ممارستها تقوم على مراعاة الفطرة البشرية المستندة إلى الدين الإسلامي الذي أنزله الله ـ تعالى ـ الخبير العليم بفطرة الإنسان وماضيه وحاضره ومستقبله، لكنها واجهت بعض الأمراض التي أسهمت في إضعاف الأمة: مثل تفشي الأهواء والبدع، ووجود التفسير الباطني لبعض أمور الدين، وانتشار التصوف الغالي الذي ألهى قطاعاً من الأمة بأوهام الاتحاد بالله تعالى واستنزف طاقاتهم النفسية، وظهور ضعف الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أدى إلى تفشي بعض مظاهر المنكر في المجتمع الإسلامي... إلخ لذلك كان يجب أن يأتي الحل لهذه الأمراض من المرجعية الإسلامية التي ترتكز على القرآن الكريم والسنة المشرفة، وهذا الذي قام به علماء الأمة وصالحوها على مدار التاريخ الإسلامي، فكانوا يقللون من حجم هذه الأمراض في بعض الأحيان، ويستأصلونها في أحيان أخرى، ولكن المشكلة التي تولدت في العصر الحديث عندما حاولت بعض الحركات الإصلاحية أن تأتي بالعلاج من خارج مرجعية الأمة: القرآن الكريم والسنة المشرفة، ومن خارج نسقها الحضاري، وسألقي الضوء على ثلاث محاولات في هذا المجال: الأولى في نهايات عهد الخلافة العثمانية، والثانية في عهد محمد علي باشا في مصر، والثالثة بعد الحرب العالمية الأولى على يد الفكر القومي العربي.

فقد حاولت الخلافة في نهايات عهدها حل مشاكلها ومعالجة أمراضها من خارج مرجعية الأمة القرآن الكريم والسنة المشرّفة، وكان محمود الثاني (١٨٠٨م ـ ١٨٣٩م) أول من بدأ ذلك فقضى على الجيش الانكشاري العام ١٨٢٦م وأصدر خط «كلخانة» العام ١٨٣٩م الذي يعتبر بمثابة إعلان حقوق الإنسان، وأصدرت الخلافة العثمانية بعد ذلك «الخط الهمايوني» العام ١٨٥٦م الذي غيّر بعض الأسس الاقتصادية وغيّر وضع الأقليات المسيحية، ثم أصدرت الخلافة دستوراً في العام ١٩٧٦م على غرار الدساتير الغربية، وأجرت تحديثاً كاملاً لأنظمة التعليم والكتب المدرسية في العام ١٩٤٦م ناقلة المدرسة الفرنسية، واتبعت ذلك بإنشاء وزارة المعارف العمومية التي رسّخت ازدواجية التعليمي الديني والرسمي العام ١٨٤٧م، وأنشأت محاكم مختلطة في العام ١٨٤٧م، وأنشأت قانوناً تجارياً في العام ١٨٥٠م على غرار القانون التجاري الفرنسي... إلخ ثم ماذا كانت نتيجة محاولة الإصلاح من خارج النسق الحضاري الإسلامي ومن خارج مرجعية الأمة المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة المشرفة؟ كانت النتيجة سقوط الخلافة العثمانية وعدم نهوض الأمة.

وقد حاول محمد علي باشا تحديث مصر في مطلع القرن التاسع عشر، فاستعان بأتباع سان سيمون المطرودين من استانبول إلى مصر لتنظيم وزارة التعليم العام، وأشرف الكاهن دوم رافائيل على مطبعة بولاق العام ١٨٢١م، وقصر تعيين الموظفين في الدولة على المتخرجين في المدارس الرسمية دون المدارس الدينية، واستكمل الإجهاز على المدارس الدينية عندما صادر الأوقاف المصرية متعللاً بأنه سينفق من أموال الدولة على هذه الأوقاف، وكذلك أنشأ المحاكم المختلطة، وجاء بقوانين مترجمة عن القوانين الفرنسية والسويسرية والبلجيكية... إلخ ثم ماذا كانت نتيجة محاولة الإصلاح من خارج النسق الحضاري الإسلامي، ومن خارج المرجعية الإسلامية؟ كانت النتيجة غرقها في الديون للدول الأجنبية ثم وقوعها تحت الاحتلال البريطاني في العام ١٨٨٢م.

وقد حاول الفكر القومي العربي بعد الحرب العالمية الأولى أن ينهض بالمنطقة، فأخذ النهج الديموقراطي الرأسمالي، ونقل نموذجه الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي... إلخ، وطبّقه في كل مجالات الحياة والمجتمع، ثم نقل الفكر القومي العربي النموذج الاشتراكي بعد الستينيات... ونقل فلسفته للحياة وتفسيره الاقتصادي للتاريخ وأدخل مبادئه وأصوله في كل شعب حياة المجتمع العربي، فماذا كانت نتيجة الإصلاح من خارج النسق الحضاري الإسلامي ومن خارج مرجعية الأمة المتمثلة بالقرآن والسنة؟ كانت النتيجة ضياع قسم كبير من أبناء الأمة، ورسوخ القطرية، وبروز الولاءات الإقليمية والطائفية وتمكين إسرائيل.

تلك تجارب عاشتها أمتنا وكانت كلها تقوم على معالجة الأمراض من خارج النسق الحضاري لها، ومن خارج مرجعيتها القائمة على القرآن والسنة، فلم تنجح تلك التجارب في حل مشاكلها، بل زادت مشاكلها تعقيداً، وولّدت أمراضاً جديدة، لأن أمتنا تعاني أمراض وجود وليس تناقضات وجود، لذلك كان يجب أن يكون حل هذه الأمراض من داخل المرجعية التاريخية لهذه الأمة وهي القرآن الكريم والسنة المشرفة.

الخلاصة التي يمكن أن ننتهي إليها هي أن المشاكل التي تواجه الأمم تنقسم إلى نوعين: تناقضات وجود وأمراض وجود، أما تناقضات الوجود فهي المشاكل التي تأتي نتيجة مناقضة المرجعية التي تستند إليها الأمة للفطرة في بعض جوانبها وهي التي تؤدي بالأمة إلى الانحطاط ثم الانهيار والتمزق، أما أمراض الوجود فهي التي تصيب الأمة بالضعف وتأتي نتيجة تفشي الأهواء والمنكرات والبدع... إلخ، ويكون حل مشاكل تناقضات الوجود من خارج مرجعية الأمة، أما أمراض الوجود فيكون حلها من داخل مرجعية الأمة، وقد كان الاتحاد السوفييتي مثالاً لتناقضات الوجود لذلك انهارت الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفييتي، وكان الحل بالنهج الديموقراطي الرأسمالي، وقد كانت أمتنا مثالاً لأمراض الوجود لذلك يجب أن يكون الحل من مرجعية الأمة: القرآن الكريم والسنة المشرفة، لكن محاولات الإصلاح خلال المئتي سنة الماضية اتجهت إلى خارج مرجعية الأمة لذلك كان مصيرها الفشل وزيادة أمراض الأمة. ■

كتاب الشهر

كتاب غربي وليس بإسلامي ليس منا ولم يكتب لنا



الجزء الأول
الطبعة الثالثة

تصنيف :
جوزيف شاخت
كليفورد بوزورث

تعليق وتحقيق :
د. شاكر مصطفى

عرض وتقديم :
بهيج بهجت سكيك

أصدر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ضمن سلسلة «عالم المعرفة» مجموعة تحمل اسم «تراث الإسلام»، القسم الأول كان يحمل الرقم (٨) ضمن هذه السلسة صدر في أغسطس العام ١٩٧٨م من تصنيف المستشرقين «جوزيف شاخت» و«كليفورد بوزورث»، ترجمة د. زهير السمهوري، تعليق وتحقيق د. شاكر مصطفى، ومراجعة د. فؤاد ذكريا، وكان يشغل وقت ذاك مستشار هيئة التحرير في المجلس الوطني... احتوى الكتاب على تصدير ومقدمة ومدخل.

عاد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب فأصدر القسم الثاني من تراث الإسلام ويحمل الرقم (١١) شهر نوفمبر ١٩٧٨م من تصنيف المستشرقين السابقين «شاخت وبوزورث» ترجمة الدكتور حسين مؤنس ود. إحسان صدقي العمد ومراجعة الدكتور فؤاد زكريا - يقع في نحو ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط وكان تكملة للقسم الأول، حيث قدم له المترجمان ثم بدأ بالفصل السادس.

كان صدور القسم الثالث الذي حمل رقم (١٢) في ديسمبر ١٩٧٨م المصنفين والمترجمين أنفسهم، والمراجع للقسم الثاني، ويقع في ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط واحتوى على فصلين هما التاسع والعاشر.

عاد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وأصدر «تراث الإسلام» The Legacy of Islam وهذا العنوان الأصلي للكتاب باللغة الإنكليزية حين صدر ١٩٧٤م باكسفورد في المملكة المتحدة ... تحت رقم ٢٣٣ من سلسلة عالم المعرفة في شهر مايو ١٩٩٨م، وقد احتوى هذا الجزء على موضوعات القسم الأول رقم (٨)، ونصف موضوعات القسم الثاني من تراث الإسلام والذي يحمل رقم (١١) من السلسلة نفسها، والمجلس بصدد إصدار الجزء الثاني ليكمل موضوعات القسم الثاني والقسم الثالث الذي كان يحمل رقم (١٢) من السلسلة ذاتها.

لمعرفة هذا الكتاب لابد من قراءة التقديم الذي كتبه الدكتور شاكر مصطفى أستاذ ورئيس قسم التاريخ في جامعة الكويت وقت صدور القسم الأول من هذا الكتاب يناير ١٩٧٨م... فقد أراد بداية توضيح أن هذا الكتاب ليس بكتاب «تراث الإسلام» الذي عرفه الناس منذ أربعين سنة والذي كتبه المستشرق «توماس أرنولد» وترجم للعربية في القاهرة العام ١٩٣٦م، وهو الأكثر شهرة بالرغم من اشتراكه في العنوان وبعض موضوعات وعناوين الفصول.

الأمر الثاني : يتعلق بالعنوان «تراث» فهو لايعني الإرث الذي مات صاحبه، ولكن هنا يعني «ما قدمت الأمة الإسلامية إلى سوق الإنسانية من خير وما أضافت إلى حضارة الإنسان من منجزات وقيم وما تركته من أثر في الناس.

الأمر الثالث : أن هذا الكتاب... كتاب غربي وليس بإسلامي ويجب ألا نفتش عن وجهة النظر الإسلامية ولا عن إنصاف الإسلام وتقديره وأنه ليس منا ولم يكتب لنا، «والهدف من نقله إلى اللغة العربية ومن وضعه بين أيدي القراء العرب والباحثين إنما هو مجرد معرفة ما يُقال على الطرف الآخر من حدودنا»، لذا فالقارئ العربي المسلم لن يجد في هذا الكتاب نفسه وحضارته!!

التصدير

التصدير كتبه كليفورد أ. بوزورث وقارن فيه بين الكتاب الأول الذي كتبه «توماس أرنولد» وبين هذا الكتاب وفي تشابه الفصول المتعلقة بالفن والعمارة والأدب والقانون وعلم الكلام، وبعد التصدير كتب المقدمة ثم المدخل المستشرق «جوزيف شاخت» وفي المقدمة شرح معنى «تراث» من وجهة نظره وهي إسهام الإسلام في إنجازات النوع الإنساني بكل مظاهرها... كما بيَّن أن هذا الكتاب لن يتناول «التقويم العام للإسلام كدين أو حضارة».

الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية

كتب الفصل الأول الذي يحمل هذا العنوان «مكسيم رودنسون» واحتل ٦٠ صفحة من الكتاب، وابتدأ هذا الفصل بقوله «كان المسلمون يشكلون تهديداً للعالم المسيحي الغربي قبل أن يصبحوا مشكلة في زمن طويل... فقد قام شعب هائج ـ هم العرب والسراسنة عرفوا بالسلب والنهب ـ !! ويعلق على هذا؛ الذين قاموا بترجمة وتعليق وتحقيق ومراجعة الكتاب في الحاشية فكتبوا «إن الكاتب يضع نفسه في أوروبا وينظر منها، وأنه يعكس نظرة الغرب إلى الشرق الإسلامي ـ وهذا يبين على سبيل الصدق موقف العدو على حقيقته».

وينتقل الكاتب من وصف مرحلة الصراع بين عالمين... إلى نمو صورة للإسلام أقل عداء، فبعد أن كانت الصورة «هجومية وحشية لعدو شيطاني تغيرت مع الحروب الصليبية والاحتكاك بالمشرق، ثم إلى مرحلة التعايش السلمي والتقارب» ليصبح العدو شريكاً ومع نمو الإمبراطورية العثمانية على حساب البلقان المسيحي..!! وبين الكاتب كيف كانت فكرة الجامعة الإسلامية Pon-Islamism هي الشبح المرعب في ذلك العصر. وتناول المحقق سيرة بعض المستشرقين في الهوامش وأهم ما كتبوه في ذلك الوقت أمثال كارستن نيبور الأب وڤيل ويل وهما شخصان حملا الاسم نفسه «ج فيل» و«سيمون فيل» و«دوزي ١٨٢٠م ـ ١٨٨٣م» الفرنسي، والبارون فون كريمر (١٨٢٨ ـ ١٨٨٩م) وكارل بيكر ١٨٧٦ ـ ١٩٣٣م المولود في امستردام، وصوميل بيكر الإنكليزي (١٨٢١ ـ ١٨٩٣م)، «ورونيه جينون» المستشرق الفرنسي الذي اعتنق الإسلام ومات على أرض إسلامية (القاهرة ١٨٨٦ ـ ١٩٥١م).

ويرى الكاتب أن إشادة مجلس الفاتيكان المسكوني في أكتوبر ١٩٦٥م «بالحقائق التي جاء بها الإسلام والتي تتعلق بالله وقدرته ويسوع ومريم والأنبياء والمرسلين»، بينما كان الاعتقاد سائداً في العصور الوسطى بأن تلك الحقائق كانت أقنعة استطاع الرجل الإسلامي أن ينفذ من خلفها... وهذه الثورة في التفكير جعلت التقويم المسيحي لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسألة حساسة فلم يعد بإمكانهم الزعم «الكاذب» بأنه «محتال شيطاني» كما كان عليه الحال في العصور الوسطى.

الإسلام في عالم البحر المتوسط

كتب الفصل الثاني الذي حمل هذا الاسم الكاتب: فرانشيسكو غابرييلي... وأول جملة جاءت في هذا الفصل «ولد الإسلام في منطقة من أكثر مناطق العالم القديم بدائية وتخلفاً» «ولكنه سرعان ما تجاوز حدوده وتطور من ظاهرة محلية وعامل داخلي في حياة الأمة العربية إلى عقيدة كونية وقوة عالمية».

قسّم الكاتب دراسته إلى ثلاثة أقسام هي: الأراضي التي قدّر أن تصبح أراض إسلامية دائمة «دار الإسلام» ولم تزل حتى يومنا هذا... ويقصد بذلك الساحل الشرقي والجنوبي للبحر المتوسط ـ الوطن العربي ـ والقسمين الثاني والثالث «تلك التي اعتنقت الإسلام بصورة غير دائمة... وتلك التي كانت على اتصال وثيق بعالم الإسلام، وهو يعني بالنسبة للقسم الثاني شبه جزيرة ايبريا وصقلية وكريت وقسماً من أراضي اليونان والبلقان والقسم الثالث فرنسا وشبه جزيرة إيطاليا وأوروبا الوسطى وباقي دول البلقان».

وتناول الصراع الإسلامي ـ البيزنطي على البحر المتوسط في كثير من التجني على الإسلام «كانت الإدارة العربية في سورية في أول الأمر مجرد استمرار للإدارة البيزنطية ـ ثم أصبحت محاكية لها ـ ويتساءل الكاتب بخبث: ماذا كان بوسع الحضارة الإسلامية بعد تشكّلها أن تعطي لذلك الجزء من الإمبراطورية الشرقية الذي بقي غير إسلامي؟ وهو لا ينكر عن كشف النقاب أخيراً عن آثار انتشار العرب في أراض يونانية كانت تحت سيطرة العرب لفترة عابرة... أو لعلها لم تكن أبداً تحت سيطرتهم؟... وينكر وجود أي حكم إسلامي مستقر في البر الإيطالي باستثناء امارتين عربيتين عابرتين!! في باري وترانتو على العكس من جزيرة صقلية التي دام فيها الحكم الإسلامي ثلاثة قرون بما فيها الفترة النورماندية التي اعتبرها امتداداً للحكم الإسلامي في الجزيرة ...

ويرى الكاتب «أن الغزوات الإسلامية لم تتمكن من أن تتحول إلى حكم مستقر في فرنسا وإيطاليا ولذلك فإن جنوب إيطاليا لم يعرف السراسنة»، أي المسلمين إلا باعتبارهم مصدراً دائماً للفوضى والغارات طيلة هذين القرنين أثناء وجودهم في صقلية.

المنطقة الوحيدة التي يقرّ فيها الكاتب وجود اتصال مثمر ومشرق بين الإسلام والحضارة الأوروبية الناشئة كان شبه جزيرة إيبريا «الأندلس»، ويعلل ذلك بالسرعة التي تم فيها فتح الأندلس ـ أسبانيا ـ من قبل المسلمين خلال ثلاث سنوات على معظم شبه الجزيرة، حيث نشأت الدولة الأموية العظيمة في القرنين التاسع والعاشر وهي أعظم تشكيل سياسي لتلك الحقبة من تاريخ عرب المغرب...!! لقد ترك الوجود الغربي في شبه الجزيرة طابعه على اللغة بعمق خصوصا من حيث المفردات... فهو أوضح أثر تركته هذه القرون السبعة... وهذا الأثر يتناول مختلف نواحي الحياة من الزراعة إلى الفنون والحرف والتجارة والإدارة، ومن الحرب إلى العلم.

لقد ذكر الكاتب أكثر من ٥٠٠ لفظ مازالت مستخدمة حتى الآن كما نقل عن الكاتب المؤرخ الأسباني أ. كاسترو Castro كل التأثيرات التي مازالت حتى الآن في أسبانيا ويظهر فيها تراث إسلامي مثل الحمامات العامة وطقوس غسل الموتى إلى عادة الجلوس على الأرض على البسط والوسائد وتقبيل اليد ويرى الكاتب أن أعظم أفضال الحضارة العربية في آسبانيا وانتشارها الثقافي في أوروبا انتقال العلم والفلسفة العربيين أي انتقال قسم كبير من علوم وفلسفة العالم القديم كما ورثها المسلمون وطوروها، حتى ولو كان من المبالغة أن يعزى لهذا الطريق العربي وحده فضل انتقال التراث القديم إلى

الغرب!!! يعود الكاتب فينفي وجود تراث إسلامي في الفترة الثانية ويقصد بها الحقبة العثمانية والمملوكية في مصر وسورية لأنهما كانتا في موقف دفاعي أمام أوروبا الجديدة التي بدأت تأخذ بالقومية الحديثة!!

الحدود القصوى للإسلام في أفريقيا وآسيا

كتب الجزء الخاص بأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى اي . ام. لويس I.M. Lewis وعندما كتب موضوعه قدّر عدد المسلمين في الأراضي الممتدة من السنغال غرباً إلى الصومال شرقاً نحو خمسين مليوناً، وهو العدد نفسه للمسلمين في شمال أفريقيا، أما اليوم فهو ضعف هذا العدد، لقد أدى اعتناق الإسلام بالإضافة إلى تأثيره على عادات اللباس والنواحي الأخرى للثقافة المادية وخصوصاً الهندسة المعمارية إلى إعطاء طابع إسلامي قوي للطقوس الحياتية الأساسية التي يتميز بها مجرى حياة الفردَ من المهد إلى اللحد... خصوصاً في شهر رمضان وفي حياة الأسرة من زواج وطلاق ومسؤولية الدية في حالات القتل المتعمد وتقديس الأولياء. ويعود الكاتب إلى الدسّ مثل بقية الكتّاب الغربيين - حين يربط بين انتشار الإسلام في هذه الديار وبين تجارة الرقيق - بينما كانت هذه التجارة في أوج ازدهارها من أعمال القراصنة الأسبان والبرتغاليين ثم الانكليز والهولنديين في هذه القارة ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر.

وتتبع الكاتب المذاهب المختلفة للشريعة الإسلامية ويعزو ذلك إلى المصادر المختلفة التي تأثرت بها حيث المذهب المالكي الذي نشره الموحدون هناك وفي السودان وما جاورها المذهب الحنفي الذي جاء مع الحملات المصرية التركية، ثم المذهب الشافعي في شرق أفريقيا من حضرموت. أما أواسط آسيا فقد اعتمد الكاتب المستشرق «بوزورث» على ما تركه الرحالة المسلمون كالمقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» وابن فضلان في رحلته إلى خوارزم والبلغار العام ٩٢١م، وابن بطوطة والمروزي الذي عاش في أواخر عهد السلاجقة، وكتابة التراث الإسلامي لدى شعوب وسط آسيا يتميز بصعوبة بالغة وذلك لكثرة الشعوب التي تقطن هذه الأقاليم وقد ذكر الكاتب منهم الأتراك الغربيين - التورغش - الترك الخزر - داغستان - البلغار - الشركس - التركمان - القبجاق - وقدم وصفاً مشوّقاً لفترة سيطرة الخانات في وسط آسيا ثم أهمية طريق الحرير وسجل أسماء مجموعة كبيرة من البضائع التي كانت تنقل بين الصين وعبر وسط آسيا إلى الغرب والشمال.

كما لم ينس الكاتب الإشارة إلى تجارة الرقيق وازدهارها وقيام دولة قوية للمماليك في مصر وسورية من هؤلاء. أما الهند فقد كتب التراث فيها «عزيز أحمد» وهو المسلم الوحيد بين كل هؤلاء الذين كتبوا عن التراث الإسلامي، ولذلك تجده موضوعياً في كتابته وقد اتبع التسلسل الزمني في عرض هذا التراث مع التعليل والتبرير بعيداً عن التعصب والحقد الذي دس غيره من الكتاب فيه الكثير من المغالطات، يقول كان وصول المسلمين إلى الهند على ثلاث موجات متميزة الأولى إلى سواحل جنوبي الهند كدعاة للدين وتجار... والثانية حملة الحجاج بن يوسف الثقفي الناجحة في عهد الأمويين والتي قادها محمد بن القاسم العام ٧١١م والتي ضمت السند مع جزء من البنجاب السفلي إلى الخلافة الأموية.

أما الموجة الثالثة والأخيرة والمستمرة للفتح الإسلامي فقد سلكت ممرات أفغانستان الشرقية والشمالية التي بدأها محمود الغزنوي (٩٩٨ - ١٠٣٠) الذي كوّن دولة قوية وأعطى شخصية مستقلة للغة جديدة - الأردية - وأغناها بمفردات فارسية ثم جاء الغوريون والخليجيون (١٢٩٠م - ١٣٢٠م) ثم أسرة «تغلق» ثم غزو تيمور لنك للهند ١٣٩٨م - ومن الدول الإسلامية في الهند دولة توجرات البحرية (١٣٩١ - ١٥٨٣م) التي وثّقت علاقاتها بالعالم الإسلامي، ويعطي للأمبراطورية المغولية أهمية خاصة في السلطة السياسية والازدهار الثقافي خصوصاً في عهد «جهانجير» و«شاه جيهان» وأورانجزيب، آخر سلاطين المغول الكبار.

اندونيسيا: إن الإسلام هو إحدى ثلاث موجات ثقافية وصلت إلى إندونيسيا من الجهة الشمالية الغربية وعملت على تشكيل حضارتها من جراء تغلغلها التدريجي في أجزاء كبيرة من الأرخبيل أو في الأرخبيل كله... وقد حل محل الموجة الهندوسية - البوذية التي سلكت الطريق نفسه، ثم جاءت الموجة الأوروبية عن طريق الهولنديين، فقد وصل الإسلام إلى شواطئ اندونيسيا في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي في شكل حركة متدرجة على أثر توطيده في أجزاء كبيرة من الهند. لقد ترافقت حركة اعتناق الإسلام في جاوة بالأحداث السياسية في فترات حاسمة، بحيث إن انتشاره يعطي سجلاً دقيقاً إلى حد ما لانهيار الأمبراطورية الهندوسية، أما اعتناق الإسلام في الجزر الأخرى - سومطرة وبورنيو وسلبيز - فقد سار بصورة تدريجية وعلى شكل نوبات متقطعة من خلال الصراع بين تصورين للإسلام - الصوفية والسنية - كما تأكد في النصف الأول من القرن التاسع عشر كعنصر من عناصر انبثاق الوعي بالذات لدى الأندونيسيين والمقاومة العنيفة ضد المزيد من التوغل الهولندي... ويرى الكاتب أن الإسلام كان العامل الأساسي في عملية توحيد الأمة والدولة الأندونيسية إضافة للعامل المتمثل بالحكم الاستعماري.

صحيح أنه أضيفت ألقاب شرفية ذات طابع إسلامي على الحكام كي تضفي صبغة شرعية على السلطة، أما المؤسسات الإسلامية فهي لم تتجاوز تقليدياً إقامة مزيج من الترتيبات التنظيمية مثل وظائف القضاة والأوصياء على الأوقاف وموظفي المساجد والزوايا، وكان النظام التربوي الذي يشمل جميع مستويات التعليم مرتبط بالإسلام ومن يريد أن يتابع تعليماً أعلى عليه الذهاب إلى مكة والقاهرة، وعن اللغة فبما أن اللغة العربية هي لغة القرآن والأدب الإسلامي وحتى هي لغة الحج - الذي له مكانة كبيرة عند الأندونيسيين فقد تحول كثير من الأندونيسيين إلى قدر من التعريب اللغوي وبخاصة لغات سومطرة التي استعملت الأبجدية العربية، على أن اللغة - الملاوية - أصبحت اللغة المشتركة في كل أندونيسيا، ثم استبدلت بالأبجدية اللاتينية التي حلت محل العربية بعد الاستقلال. ومع أن انتشار الإسلام في أندونيسيا كان على جناح التجارة، فإن أعداد المسلمين في أندونيسيا كبيرة إلى درجة أن الأندونيسيين يستطيعون أن يفخروا بأنهم أكبر الأمم الإسلامية - فهناك ٩٠ مليون مسلم بين السكان البالغ عددهم ١٢٠ مليون نسمة، وهنا يعلق المحقق على ذلك: «نلاحظ ما لدى صاحب البحث من محاولات الدس على الإسلام في اندونيسيا في العدد وفي التأثير وفي التطابق مع الدين الإسلامي!!.

السياسة والحرب

توقعت وأنا أقرأ عنوان الفصل الرابع أن يكون أكثر الفصول ثراء ومتعة للقارئ، فالسياسة تعني جوانب عدة أهمها سياسة الدولة الداخلية والخارجية علاقة الدولة برعاياها من المسلمين وأهل الذمة ومصادر اشتقاق هذه السياسة وأنظمة الحكم ابتداء من الخلافة واستحداث ولاية العهد والوزارة ومفهومها «وزارة التفويض» ووزارة التنفيذ - والدواوين وتطورها ومهامها والقضاء واستقلاليته... فقد ركّز الكاتب في موضوع السياسة على الخلافة الإسلامية وبدأ بمقارنة الإسلام بالمسيحية وقال في ذلك: نادى مؤسس المسيحية اتباعه أن أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله... وخلال ثلاثة قرون نمت المسيحية كدين للمضطهدين إلى أن أصبح قيصر نفسه مسيحياً!!، أما مؤسس الإسلام فقد جعل من نفسه قسطنطينا... الذي أصبحت المسيحية دين الدولة الرسمي في عهده في الإمبراطورية الرومانية - ففي حياته أصبح المسلمون جماعة سياسية ودينية كان الرسول سيدها المطلق يحكم أرضاً وشعباً ويقضي بين الناس ويجمع الضرائب ويقود الجيوش ويسيّر الدبلوماسية، ويرى أن نظام الخلافة كان في البداية أمراً مرتجلاً - وكان خطر تحلل الجماعة أمراً محتملاً - لولا العمل الحازم والسريع لبضعة من صحابة الرسول كما «كانت للأمة الإسلامية منذ البداية صفة مزدوجة - مجتمع سياسي وجماعة دينية، وتناول ألقاب الخليفة بالشرح: الراشدين، إمام المسلمين، أمير المؤمنين، خليفة رسول الله، خليفة الله، وكتب عن المذاهب واختلافها حول من يجب أن يكون الخليفة وحول كيفية اختياره (السنة والشيعة ثم الخوارج).

والتباين بين النظرية والتطبيق... ومفهوم الشرع... وكيف أن المسلمين أدخلوا الممارسات القائمة بعد تحويرها لتناسب شروحهم لشرع الله!! «فالخلافة شورى، لكن الخليفة يمكن أن يسميه سلفه!! والخليفة هو السيد المطلق الوحيد للإسلام كله - لكن الوزراء أو الولاة يجوز لهم أن يحصلوا على المنصب ويشغلوه عن طريق الاستيلاء «من تَسُدْ سلطته وجبت طاعته». وتناول عملية التجزئة السياسية لدولة الإسلام... بدأت بالأطراف... الأندلس أولاً ثم المغرب وتونس ودويلات شرق إيران ومع منتصف القرن العاشر فقدت الخلافة العباسية مصر وسورية والجزيرة العربية وأجزاء من العراق، وتناول بشيء من التفصيل النظام السياسي وظهور السيادة المزدوجة بالخلافة والسلطنة ويرى الكاتب أن غزو المغول لبغداد (١٢٥٨م) وقتل آخر خليفة فيها - المستعصم بالله - هو «دفن شبح مؤسسة كانت ميتة بالفعل».

وعن الحرب... كان هناك مبدأ قانوني عند المسلمين يقسّم العالم بموجبه إلى «دار الإسلام» و«دار الحرب» ولابد مع مرور الوقت حتى تدخل البشرية كلها في الإسلام وإلى أن يحين هذا الوقت يتوجب على المسلمين أن يناضلوا حتى يتحقق ذلك ويكون ذاك بالجهاد - الذي يعني بذل الجهد والكفاح والذي يقوم به يسمى مجاهداً - وهو فريضة دينية وواجب اجتماعي للجماعة ككل ولكنه يصبح واجب كل مسلم في مناطق الحدود وبقي هذا المفهوم خلال القرن الأول ونصف القرن الثاني من العصر الإسلامي حين كانت جيوش الخلافة العالمية المنتصرة تزحف إلى فرنسا والصين والهند لكن بعد انقسام الدولة العالمية الإسلامية انتهى هذا الجهاد الدائم ويعلل الكاتب توسع الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً فقط... لأنه في الشمال لم تكن سهول أوراسيا الخالية وفي الجنوب أدغال إفريقيا مغرية لمثل هذا التوسع، ويقارن من التوسع شرقاً وغرباً... ففي الشرق كان الإسلام قد انتصر وفتحت إيران كلها وذهبت إمبراطورية كسرى، ومما وراء ذلك شعوب وممالك وثنية محاربة لكنها قابلة للتعلم، وكان لا يوجد حد حقيقي لتوسع الإسلام، وكل تقدم جديد يأتي بمواد جديدة بشرية معادية، أما في الغرب فالموقف مختلف تمام الاختلاف، فالسكان المسيحيون في البلاد المفتوحة كان يشد أزرهم إدراكهم لوجود عالم مسيحي حر وراء الحدود، لذا تمكنوا من الصمود أكثر من الفرس... وكانت عملية التحول إلى الإسلام أبطأ.

وبدأ الكاتب موضوع الحرب - الفتوحات - منذ السنة السابعة للهجرة في تسلسل تاريخي وخلافاً لبناة الأمبراطوريات الآخرين لم يكن لدى العرب أي وسيلة خاصة تكتيكية أو فنية من شأنها أن تجعلهم يتفوقون على خصومهم سوى إيمانهم أن دينهم هو دين الحق وروحهم المعنوية العالية لأنهم كانوا في حرب مقدسة، وإجادة تعاملهم واستخدامهم للصحراء، ثم اكتسبوا الأساليب التي كانت تنقصهم بعدة فترة... وتناول الغزو المغولي للشرق المسلم وإلغاء خلافة بغداد ودمج آسيا الوسطى وفارس والأناضول المسلمة والعراق في إمبراطورية وثنية... ولم يشر الكاتب إلى تحول هذه الأمبراطورية وحكامها إلى الإسلام!!، وكتب عن فتح القسطنطينية العام ١٤٥٣م والقوة العثمانية الجديدة التي وصلت غاراتها حتى الجزر البريطانية وأيسلندا... ثم حركة الكشوف الجغرافية وتنامي الأساطيل الأوروبية والسيطرة على السواحل وحماية السفن من القراصنة المسلمين والتوسع الروسي والأوروبي الغربي في آسيا وأفريقيا وحروب البلقان وتفتيت الدولة العثمانية «الرجل المريض» والتي أدت إلى إنهاء الخلافة العثمانية رسمياً في ٢٢ مارس ١٩٢٤م.

التطورات الاقتصادية

اقتصر ما كتبه م.ا كوك عن التطورات الاقتصادية في التراث الإسلامي على مجالين الزراعة والتجارة فقط... وأغفل باقي الأنشطة الاقتصادية ولا سيما الصناعة وعلل ذلك ببساطة «عدم كفاية المعلومات المتوافرة لدينا» وبالنسبة للزراعة اهتم بكتابة أسماء النباتات التي أدخلها المسلمون إلى جنوب أوروبا منها الأرز والقطن وقصب السكر والبرتقال والليمون والباذنجان والرمان... وشرح أساليب الري التي عرفها المسلمون كالقنوات والنواعير... ومنها مازال شاهداً على الوجود الإسلامي كريت «اقريطش» وأغفل دور المسلمين في ابتكار أنواع وأساليب جديدة للري - ديوان الري - وأساليب التكاثر الزراعي - ومكافحة الآفات الزراعية - سبع صفحات للتراث الزراعي، لعدم كفاية المعلومات. أما التجارة فقد أفرد لها ٢٥ صفحة... ويرى الكاتب أن التجانس من الناحية المناخية والنباتية والطبيعية قلّل من فرص التبادل التجاري إلا مع الشرق حيث التوابل والحرير!! لا يشذ عن ذلك إلا مصر التي لها تراث زراعي أساسه الري المكثف... وحتى البحر المتوسط المتجانس نسبياً كان توزيع الموارد غير متساو إلى الحد الكافي وادعى أن بعض حكام المسلمين احتكروا التجارة الداخلة والخارجة إلى دورهم... مثل أمير حلب الحمداني في القرن العاشر وفي أحيان أخرى لم تكن الحكومات تبالي بالتجارة...!!

وأهم ما يراه الكاتب عن التراث الاقتصادي للإسلام هو أن القيم الدينية منعت نشوء الرأسمالية في المجتمع الإسلامي كما أن المرونة في العلاقة بين التراث الديني الرسمي ومجموعة أنماط السلوك الواقعية... كما أن سلبية المسلمين تجارياً في البحر المتوسط لم تكن قراراً اقتصادياً خاطئاً لأنها لسبب بسيط لم تكن قراراً اقتصادياً على الإطلاق، بل نشأت عن توزيع القوة التجارية في البحر المتوسط، ونحن نسأل: هل التراث الاقتصادي الإسلامي هو التجارة في حوض البحر المتوسط دون بقية أجزاء الدولة الإسلامية وفي عصر معين دون بقية العصور؟

الفن والعمارة

ليس الفصل السادس بأفضل مما سبقه من الفصول، فالكاتب «أوليج غرابار» بدأ كتابته «فالعمارة الإسلامية ليس لها تأثير في غيرها ويرجع ذلك إلى سببين الأول طبيعة العمارة نفسها والثاني خاص بالإسلام»، ويرى أن أكثر أثر للعمارة الإسلامية ينحصر في الكتابات الزخرفية أو الزخارف الزهرية فقط. يقول: «وإذا استثنينا بعض مظاهر تأثير العمارة الإسلامية في الدولة البيزنطية وإيطاليا واستثنينا كذلك العمارة الأندلسية بصورة عامة، فإنه لم يكن من السهل حتى القرن الثامن عشر أن نتبين أثراً حقيقياً للعمارة الإسلامية... وحين يتناول العمارة الإسلامية يقصر دراسته على بعض المساجد «قرطبة» والقصور في المشرق الإسلامي وأغفل الكاتب كل ما يتعلق بباقي منجزات المسلمين في العمارة: تطور المسجد والإضافات إليه كالفناء والصحن والأقواس والأعمدة والقباب والمحاريب والمنابر والمقرنصات والنقوش والخطوط والزجاج الملون... وملحقات الجوامع من مدارس وتكايا ومأوى الأيتام والبيمارستانات والمكتبات والمقابر الخاصة بالملوك والسلاطين وحمامات المدن العامة وتبليط الشوارع ومد المدن بالمياه فتصميم بعض المدن والمباني يقول لك من الوهلة الأولى: أنا طراز إسلامي... يعود الكاتب ويناقض نفسه (ص٣٢٩) من الكتاب فيقول : «والأسباب التي أدت إلى السرعة والنجاح اللذين تم بهما ظهور طراز معماري إسلامي يرجع في المقام الأول إلى الحاجة التي شعر بها خلفاء مثل عمر بن الخطاب وعبدالملك بن مروان والوليد ابن عبدالملك إلى إظهار حقيقة الوجود الإسلامي في صورة مادية تختلف عما يحيط بها وتتميز بهيئة إسلامية مفهومه».

ويختتم ما كتبه بقوله: «إن أي محاولة لعرض ما حققه المسلمون في ثلاث قارات خلال ألف من السنين في بضع صفحات ليس كافياً... كما أنه لا يكفي أن ننظر إلى العمارة الإسلامية على أنها مصدر لفهم الثقافة الإسلامية!!.

أما الفنون الزخرفية والتصوير: شخصيتها ومجالها يسلم الكاتب في بداية كتابته بأن التراث الذي خلفته الحضارة الإسلامية من الناحية الجمالية يكون وحدة شاملة متصلة أجزاؤها ببعضها بعضا... وقد تجلى ذلك في مختلف المعارض الكبيرة التي أقيمت للفن الإسلامي منذ ١٨٨٥م في لندن وحتى معرض الإسكندرية ١٩٢٦م ويقول: كان مستحيلاً في كثير من الأحيان التعرف على الاختلافات الإقليمية أو تعيين البلد الذي كتبت فيه المصاحف الكثيرة المزينة بالزخارف حتى ٣٩٠هـ - ١٠٠٠م، وأن نميز بين قطع الزجاج والمنسوجات الحريرية، وهكذا يتضح أن الإسلام كان له أثر قوي جداً، بل كانت له قوة وحيوية انعكست على جميع الفنون التي نشأت في عالم الإسلام، وبعد ذلك ومع ظهور القوميات صرنا نسمع عن معرض الفن الإيراني، والتركي والهندي تعرض نماذج من حقب قبل الإسلام وبعده.

ينتقل بنا في عرض مشوّق لازدهار صناعة الفخار والمعادن في على الأخص في إيران، ثم صناعة البسط والسجاد التي شكلت أجمل أدوات التعبير الفني في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، أما النحت والحفر على الخشب واليشب والعاج فإنه يؤكد في أذهان المهتمين بالفن الإسلامي من غير المحترفين، وجود طابع إسلامي يتخطى حدود الملامح الفردية التي أخرجها كل بلد.

الخاتمة

١ - تبقى هناك حقيقة كبرى هي أن هناك تراثاً إسلامياً وهذا التراث هو الحضارة بكل معانيها من جهد وإبداع ونواحيها المادية والثقافية والمعنوية وبكل مساحتها الجغرافية من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ومن جبال طوروس شمالاً إلى وسط أفريقيا جنوباً، وبعدها التاريخي الذي يمتد لأكثر من ١٤ قرناً.

٢ - حقيقة أخرى: هذا الكم الهائل من الببلوغرافيا «المصادر والمراجع» التي استعان بها الكتاب ففي الفصل الأول سجل (٨٢مرجعاً) وفي الفصل الثاني (٢٨ مرجعاً) وفي الفصل الثالث (٤٤ مرجعاً) والرابع (٢٤ مرجعاً) والخامس (١٧ مرجعاً) والسادس (١٣٨ مصدراً ومرجعاً).

٣ - حقيقة ثالثة: إن كل الأسماء المدوّنة على غلاف الكتاب قد غاب أصحابها عدا واحداً هو الدكتور فؤاد زكريا مازال حياً يرزق ويشارك في الكثير من الأنشطة الثقافية - أمد الله في عمره - فالمستشرق جوزيف شاخت توفي في ١٩٦٩/٨/١م، ولحقه بوزورث في أواخر الثمانينيات، وفي أوائل التسعينيات توفي د. حسين مؤنس في القاهرة، ود. إحسان صدقي العمد في عمّان (١٩٩٤م)، ثم آخر العقد الدكتور شاكر مصطفى ١٩٩٧م في دمشق، وقد شكل الثلاثة «مؤنس - العمد - مصطفى» ثلاثياً فريداً في العلاقات الإنسانية، حيث كان ثلاثتهم يعملون في جامعة الكويت - قسم التاريخ - واشتركوا في تحقيق الكثير من الأعمال والمخطوطات الإسلامية وجمعتهم صداقة لم تنفصم حتى بعد خروجهم من الكويت. وإن كان هناك عتب أو لوم على الأستاذين الكبيرين - رحمهما الله - الدكتور مؤنس الذي عاش في أسبانيا رئيساً للمركز الإسلامي فيها وأشرف على تحقيق الكثير من المخطوطات والكتب هناك، وألّف كتباً لسلسلة عالم المعرفة نفسها في الكويت عن «الحضارة» و«المساجد» حيث أعطى الحضارة الإسلامية حقها - وكذلك الدكتور شاكر مصطفى الذي وضع مجلدات عن «الدولتين الأموية والعباسية وحضارتيهما» ومجموعته الذهبية من ثلاثة أجزاء عن المدن الإسلامية مثل المدينة والكوفة ودمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وغيرها، في عرض شائق منظم وموثّق.

٤ - تبقى حقيقة أخيرة أن هذا الكتاب «ليس منا ولم يكتب لنا»، وإنما الهدف من ترجمته كما قال المعدّون هو معرفة ما يُقال على الطرف الآخر من حدودنا». وما يبخسون من حقنا في ذلك. ولكن كانوا أنفسهم يبخسون. ■

تحديات تأكيد الذات في ظل العولمة

الأستاذ : نور الدين بليبل

تواجه عمليات تأكيد الذات الإسلامية التي ينهض بها البعض دون الآخر تحديات تزداد عنفا وقوة ويعززها الوهن الداخلي حينا وشراسة الخارج احيانا اخرى.

فحينما نتأمل حال الأمة التي قال الله تعالى عنها: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء/٩٢. نجدها قطعت أمما وقبائل ... نجدها جغرافيات سياسية وثقافية واجتماعية وحضارية متباينة تباين الهند وايطاليا... ونجدها ايضا اكثر أصقاع العالم ضما للتناقضات وعرضة للأزمات وكذلك أكثر الشعوب تقاعسا عن تبليغ رسالة نبيها .. وكذلك لم تنج هذه الأمة من التشويه والنقد والقدح، وقد عملت الحملات المعادية على ترسيخ صورة عدم صلاحية دين المسلمين اليوم .. وحجتهم الأولى أن المسلمين لم يقيموا الدليل على صواب معتقداتهم ومنهجهم في الحياة الجارية ... ولم يجسدوا النموذج الذي من شأنه تغيير رأي الآخرين فيهم، هذا الحكم - بطبيعة الحال - يحمل في طياته أوجها من الصواب وكذلك أباطيل وافتراءات.

إذاً السؤال الجوهري الذي يفرض نفسه علينا هو: ماالعمل لتأكيد صلاحية مبادئنا وتصوراتنا للحياة والوجود وتسيير شؤوننا؟ وبمعنى أخر أي سبيل نسلك لتأكيد ذاتنا لنجعل منها نموذجا للآخرين؟

من الواضح كما يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - «ان أعداء الاسلام قد تضاعف نشاطهم ونمت أحقادهم وكثرت العقبات التي وضعوها في طريق الزحف الاسلامي»، وقد وجدت دعواتهم الارض ذلولا بسبب طريقة معالجة المسلمين لمشاكلهم الداخلية واختلافاتهم، وعدم صلابة الحلول التي يقترحونها لعدد من مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية. واليوم وبعد ان غير الصراع العالمي وجهته ونحا نحو العالم الإسلامي فقد تمكن الغرب ذو الخلفية الصليبية من تغيير مواطن المواجهة وعلاوة على ذلك فقد تحكم وبقوة في زمام المبادرة واستطاع اكثر من مرة من تحديد توقيت المعارك وأماكنها وأدواتها وضبط حدود انشطارها...

وهكذا فبعد ان أجمع الغربيون على أن التصادم الحضاري المقبل سيقع لامحالة بين الاسلام والغرب، فقد شرعوا منذ الآن في إلغاء أو زحزحة الجانب العقدي المرجعي من هذه المواجهة ويحاولون حصر الأمر في قضية واحدة في «العنف والارهاب» ويعطون على ذلك أمثلة كثيرة... وبما أن مصممي استراتيجيات الغرب في المواجهات الفكرية وصانعي الرأي العام واعون برد فعل مواطنيهم اتجاه كلمتي «العنف والارهاب» فقد استغلوا هذا الأمر جيدا إعلاميا وديبلوماسيا. وهكذا فالطريقة نفسها التي استخدموها للترهيب من «الوحش الشيوعي» ينسجون الآن على منوالها سيناريوهات للتخويف من «المد الاسلامي». وبما ان ادوات المواجهة ليست متكافئة بالمرة، فقد تصبح كل النعوت والصفات لها مايبررها وسهلة التغلغل الى مخيلة اكثرية الناس، لأنه ليس هناك من يقدر على إبطال مفعولها.

نعم إن الكل يعلم أنهم يخافون المناظرات الفكرية والمجادلات الهادئة، لكن بالرغم من كل ذلك ليس من الحكمة ترك أعداء الفكرة الاسلامية يشوهونها بهذا القدر الذي لايطاق لكن الاكثر سوء افي هذا الأمر ان التشويه الصادر من بيننا وبخاصة بعض وسائل الاعلام المحلية التي تصب أعمالها في خانة النوايا التدميرية للإعلام الغربي للمسلمين. اصبح يقدم كدليل لتعزيز وجهة نظر الغربيين في حكمهم علينا.

إن تخلي الشعوب الاسلامية عن موروثها الحضاري واعتباره من التاريخ، أو بكل بساطة بأنه لايمكنه ان يواكب مقتضيات العصر... نجد مبررات له في التقصير الناجم عن تفريط بعض البلدان الإسلامية في النهوض بعبء إعادة بعث النموذج الإسلامي على الأقل ليؤخذ كقدوة او كمثل هذا المثل الذي لايعمل به في كثير من الحالات لا المواطن العادي ولاالديبلوماسي الذي يفترض فيه ان يتبنى سلوكا حضاريا من طبيعة انتمائه. ولاالتلفزات الاسلامية والعربية ذات البث المباشر. ولاالسائح المسلم المتجول عبر أصقاع العالم.

وينبغي أن يعي المسلمون على العموم والحكام على الخصوص بأن التشويه المتوقع من الغير لايمكنه ان يحقق أهدافه كاملة إن لم تعط له الفرصة وإذا وجد قوما يعملون في إخلاص وحب ورغبة لتأكيد الذات... صحيح لقد وظّف الغرب إعلامه لتشويه صورة الأمة الاسلامية وبعث الريبة من طموحات وآمال شعوبها، وقد اصبحت الأخبار المتناولة لأحداث هذه الرقعة الجغرافية من العالم ملأى بسيل من النعوت والصفات القبيحة والسلوكات الدنيئة التي تجعل من كلمة مسلم تعني كل الشرور وضروب القتل والتخريب وهضم حقوق الإنسان والفوضى وغياب إنسانية الإنسان..؟؟؟

لكن السؤال الكبير الذي يجب ان يطرحه أي مسلم على نفسه اليوم. هل الغرب مخطىء في حقنا؟ هل انحرفنا عن السبيل المستقيم ولم نجد من بنى جلدتنا من ينبهنا إلى أخطائنا، ويقوّم اعوجاجنا ويصحح معتقداتنا، ويقدم انجع الحلول لنا وللبشرية كافة .. وكذلك لماذا لم نكن أحرص الناس على حقوق الإنسان، وحسن تدبير شؤوننا؟ هل قبلنا بالرأي الصائب عن طيب خاطر وهل صنا أمانة المسؤولية الملقاة على عاتقنا كخير أ مة؟ كما يجب ان نكون صرحاء مع أنفسنا هل قدمنا حلولا إسلامية صلبة للمشكلات المحدثة والأزمات المادية والأدبية والطارئة؟ صحيح ان النصوص الإسلامية لايمكن ان تكون محل تشويه لانها تستمد صلابتها من ذات خالق البشرية، لكن سوء تدبيرنا لأمورنا وعدم ارتقائنا للإسهام في حلول مشاكل البشرية قد يزيد في إقرار كل عمل تشويهي ضدنا. بكل صراحة اننا لم نعمل كحكومات ولامنظمات لتوسيع دائرة العارفين بالاسلام، ومن الأكيد أن الأمة التي تعجز عن إقامة أمر الله بينها وهي تدعي انها حاملة لها، هي بطبيعة الحال أعجز بإقناع الناس بها نظريا وتطبيقيا او دعويا او إعلاميا. وبما إن اتصال الأمة الاسلامية بحضارات الشعوب الاخرى وبثقافاتها قد تحرر -اليوم- من كل المعوقات، وايضا من كل إكراه وإرغام فمن الأكيد انه سيأتي اليوم الذي لانستطيع فيه التحكم في الفرد المسلم ذاته فما بالنا بالشعوب الأخرى التي نعتبر أسوأ نموذج بالنسبة إليهم.

ونشير أخيرا الى ان إظهار الحق ليس متاحا لأي كان وبان نمط حياتنا يعتبر مصدر حكم الناس علينا. ولذلك يجب مراعاة ذلك في أي مجهود لتغيير نظرة الآخرين الينا. ■

دراسة

ترددت في الآونة الأخيرة أقوال على صفحات الجرائد وفي وسائل الإعلام المرئي والمسموع حول مشروع لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية، وبخاصة الدول المضيفة، ومن بين تلك الأقوال ماذهب إلى مجرد التنبية الى المشروع، ومنها ماذهب الى سرد الكثير من التفاصيل الاجرائية ونصيب كل دولة «السياسة ٩٧/٢/٢٥-القبس ٩٧/١/٢٩» ومنها ماذهب الى التنديد به والتحذير من المخاطر التي ستنجم عنه في حال قبوله والموافقة عليه.



أضواء على مشروعات التوطين

بقلم : الدكتور/ رفيق حسن الحليمي

ومما يلحظ ان طرح هذا المشروع يأتي في ظروف مميزة ليس لها مايماثلها في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي، حيث بدأنا نقترب. كما يشاع من الحلول النهائية والتسوية الدائمة التي تشارك فيها اطراف فلسطينية «من حملة السلاح ودعاة النضال القومي» فبدا للكثيرين انه مشروع حتمي وجدي املته اتفاقية مدريد وماتبعها من اتفاقيات.. ولهذا كان وقعه شديدا عند بعضهم حتى عبّر عنه احد القادة العرب بانه يقبل بقطع يده ولايقبل بالتوطين في بلاده.. وكانت دول عربية اخرى -تحت هاجس التوطين قد عبّرت عنه- قديما وحديثا. بوسائل مختلفة منها التضييق على حملة الوثائق الفلسطينية ممن سيشملهم المشروع وعدم السماح لهم بدخول اراضيها، واكثر



من ذلك محاولة إبعادهم- فرديا او جماعيا او عدم السماح لهم بالإقامة المشروعة.. مع ملاحظة انهم يرحبون بهم ولايمانعون من قبولهم على اراضيهم في حال حصولهم على جنسيات أخرى أجنبية.

جذور المشروع

هذا اللون من الممارسة التي تعبّر عن ردة الفعل يؤكد ان هذا المشروع وإن جاء في أشكال مختلفة واطاريح متباينة- ليس جديدا على الساحة السياسية، وليس وليدا للأحداث الأخيرة، ويبدو أن بعض العرب وإسرائيل كانوا جادين فيه وآخذين في تنفيذه منذ قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨م ونزوح اعداد كبيرة من اللاجئين الى الضفة الغربية والى قطاع غزة وإلى دول عربية أخرى مجاورة «سوريا- لبنان» وكأن هدنة ١٩٤٩م التي عملت بها الدول العربية. آنذاك -طويلا ولم تعمل بها اسرائيل ولو لمرة واحدة افرزت عدة

مشروع التوطين قديم يعود إلى أوائل الخمسينيات

حقائق على الواقع من بينها:

*ان حق العودة للفلسطينيين الى ديارهم التي طردوا منها اصبح في حكم المستحيل، رغم وجود قرار في الأمم المتحدة بذلك وهو القرار١٩٤.

*ان دولة إسرائيل في حدود الهدنة المعلنة، وهي حدودها لسنة ١٩٤٨ معترف بها من قبل العرب جميعا ومنذ ذلك التاريخ.

*حل قضية اللاجئين ضروري وحتمي، ولابد أن تتحمله دول عربية «لأسباب سنعرض لها»

ولهذا وذاك سارت بعض الدول العربية في مشروع التوطين بين الرفض والموافقة او الاختياو التنفيذ في خطوات متباينة يمكن عرضها في النقاط التالية:

مشروع التوطين في شرق الأردن

سارعت إمارة شرق الأردن سنة ١٩٤٩. بُعيد الهدنة وبعد مؤتمر أريحا بضم الضفة الغربية لنهر الأردن الى الضفة الشرقية.. وقد عارضت بعض الدول العربية ذلك بحجة انه يلغي الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني، ويقضي على قضيتهم.. وقد اصبح ذك الإجراء من الناحية العملية اول حلقة في حلقات التوطين في الوطن العربي اذ اصبحت الضفة الغربية جزءاً من المملكة الأردنية، ولم تعد من الناحية الرسمية تحمل هويتها الأصلية، واصبح «ابن» الضفة الغربية أردنيا من الناحية السياسية والقانونية والإدارية والمالية حيث الغيت العملة الفلسطينية وحل محلها الدينار الأردني وصار في مقدور هذا المواطن «الأردني» التنقل في شرق البلاد وغربها، وله حق التملك والتمتع ولو شكليا بجميع الحقوق الدستورية، فبالإضافة الى ضم الضفة وضم من عليها من سكان. تبعه منح الجنسية الأردنية مما أدى الى نزوح شبه منظم الى الضفة الشرقية بحجة انهم مواطنون اردنيون ولو من الدرجة الثانية.

لم يتبق أمام القادة الأردنيين بعد ذلك سوى مشكلة معسكرات الاجئين القابعة هنا وهناك وفي انحاء مختلفة من الضفة الغربية،





ولابد من حل لهذه المعضلة، فتولدت فكرة توطينهم بشكل جماعي منظم في شرق الأردن وقد كان ذلك في سنة ١٩٥٤-١٩٥٥م ولكن الأمور جرت بما لاتشتهي الأنفس، حيث تجمد المشروع الذي تزامن مع مشروع التوطين في سيناء... وبقيت المعسكرات كما هي وزادت اعدادها واعداد من فيها بعد حرب ١٩٦٧ وبعد حرب الخليج الثانية ١٩٩٠م، واصبح عدد السكان الأردنيين من اصل فلسطيني زائداً عن الحاجة ولابد من إيجاد حلول لمشكلتهم وهذا يصب في مشروع التوطين الأخير الذي بدأنا نقرأ عنه في عدد من الصحف ووسائل الاعلام.

مشروع التوطين في سيناء

لانكاد نصل الى فبراير من العام ١٩٥٥ حتى يفاجأ المستنيرون في قطاع غزة -بطريق الصدفة - بتسرب وثيقة من «١٥» صفحة مكتوبة باللغة الانكليزية صادرة عن مكتب وكالة غوث وتشغيل اللاجئين في بيروت، حملتها طائرة الأمم المتحدة التي كانت تحط اسبوعيا في مايشبه المطار في شرق غزة، تتضمن إقرارا لمشروع توطين مايزيد عن ربع مليون لاجيء ممن هاجروا إلى غزة في سيناء على مساحة «١٠» آلاف كيلومترا، وهي مساحة تزيد قليلا عن ضعف مساحة القطاع، ويحمل المشروع دراسة تفصيلية للخطوات الإجرائية لتنفيذه والعمل به، وقد كان وقع تلك الوثيقة كالصاعقة على سكان القطاع وعلى معسكرات اللاجئين بصفة خاصة حيث كانوا يؤمّلون بالعودة إلى ديارهم مع إشراقة كل فجر وإذا بـأمالهم تتبدد على رمال سيناء... ويذكر الكثيرون ممن عايشوا احداث تلك الفترة ماجرى في القطاع من انتفاضة عارمة ومظاهرات صاخبة - بعد افتضاح المشروع- أدت الى شلل في الحياة العامة بضعة ايام، وقد رددت

بحاجة إلى «فتوى» دينية للنظر في مشروعية التوطين

شعارات، «لاتوطين ولا اسكان.. لا للمنقار ولاللمنظار... تسقط حكومة سونيا» حتى إذا هدأت الأوضاع تبعتها اعتقالات في صفوف المستنيرين ممن حرضوا على الانتفاضة والتظاهر.

وللمرء أن يتساءل:لماذا كان توقيت مشروع التوطين في سيناء متزامنا مع مشروع التوطين في الأردن، ولايكاد يفصل بينهما فاصل زمني يدخل في حسابات التاريخ ألا تكون اليد المحركة لهما واحدة؟ ولاسيما أنهما يأتيان بعد أقل من سنة تقريبا من الانتهاء من عملية «بساط الريح» سنة ١٩٥٣م التي تم خلالها تهجير أكثر من ثلثي مليون يهودي من بعض البلاد العربية والإسلامية إلى اسرائيل وهل كان المشروعان استجابة لمباحثات معينة جرت بين بعض الدول العربية اسرائيل مباشرة او من خلال وسطاء لإبرام صفقة تجارية في مقايضة لايقبلها عقل ولايقردها دين؟!

مقايضة رخيصة

جاء في كتاب:«الاستيطان: التطبيق العلمي للصهيونية» لمؤلفه عبد الرحمن أبو عرفة، وهو مبني على الوثائق اليهودية: انه لتحقيق الحسم الديمغرافي في فلسطين عشية إعلان قيام اسرائيل انها ستكون مفتوحة للهجرة اليهودية، فرفعت جميع القيود التي كانت مفروضة على الهجرة اليهودية في اثناء حكومة الانتداب وبموجب قانون «العودة «لاحظ استخدام العودة بدلا من الهجرة» صار لكل يهودي اينما كان حق الاستيطان في فلسطين وكانت اسرائيل تسعى جاهدة الى كسب اليهود في الدول العربية اولا، ليكونوا ورقة رابحة في يدها... ولكي تتم الهجرة بسرعة افتعلت الصهيونية عددا من الحوادث الإرهابية الدامية ضدهم في بعض البلاد وبخاصة في العراق «بغداد»وفي المغرب «مراكش» ومنذ ١٩٤٨/٥/١٥م وهو تاريخ قيام اسرائيل حتى ١٩٥٣ تم تهجير هذه الأعداد وهي كما يلي:

القطر	عدد المهاجرين اليهود
العراق	١٢١,٥١٢
اليمن وعدن	٤٨,٣٥٤
المغرب	٤٥,٤١٢
ليبيا	٣٠,٤٨٢
مصر	١٦,٥٠٨
تركيا	٣٤,٢١٣
إيران	٢٤,٨٠٤
دول أخرى	٩,٠٠٠

ليصبح عددهم ٨٥٦ الف يهودي «عربي» وحسب ماجاء في الوثائق اليهودية كان هناك اتفاق ضمني على تهجير اليهود بين الإمام يحيى وبين بن غوريون وبين الأخير ونوري السعيد وغيرهما من الزعماء العرب أنذاك، وكان النية مقايضة هؤلاء وأملاكهم باللاجئين الفلسطينيين واملاكهم «حسني عايش، الفلاشا آخر الأسباط المهاجرة، جريدة الوطن ١٣ مارس ١٩٨٥».

من هنا يمكن الإجابة عن التوقيت المريب لمشروع التوطين في سيناء، ومشروع التوطين في شرق الأردن اللذين قوبلا بالرفض والاحتجاج والمظاهرات.

ولقد أسدت بعض الدول العربية إلى إسرائيل أعظم صنيع بتهجير تلك الأعداد الكبيرة التي اصبحت قوة فاعلة في الدولة العبرية، إضافة الى ان اسرائيل ستجد فيهم ورقة رابحة للمساومة والمقايضة مستقبلا وفي مرحلة الحل النهائي فإسرائيل بحاجة الى المزيد من المستوطنين ولن تتخلى عنهم، ولن تترك لهم حق الخيار والعودة الى بلاد العرب التي قدموا منها، وستكتفي بالمطالبة بتعويضهم عن أملاكهم في مقابل عدم التزامها بأي تعويضات للفلسطينيين، فضلا عن طموح اسرائيل في دخول عضوية الجامعة العربية وغيرها من مؤسسات من خلال اليهود العرب لديها وهم يشكلون مايوازي نصف سكانها.

هجرات عشوائية أو البحث عن بدائل

تجمد مشروعا التوطين في شرق الاردن وفي سيناء، في صورتهما العلنية، وكان لابد من البحث عن مسارب خفية لتخفيف العبء السكاني وإبعاد القنبلة السكانية الموقوتة الى مناطق نائية.

فالجواز الأردني بقوته وفاعليته أغرى بالهجرة تحت شعار العمل الى دول عربية وبالذات الى الدول الخليجية حتى فرغت قرى ومدن بأكملها من الضفة الغربية، ولاتكاد تجد فيها سوى العجائز والأطفال.

وفتح باب التعليم الجامعي على مصراعية في مصر، وبدأت البعثات التعليمية تفد الى القطاع تختار من تشاء... واصبح ترقب البعثات شاغل الجميع،وبدأت حركة نزوح ملوحظة من القطاع الى خارجه بسبب ارتفاع مستوى المعيشة وعدم إيجاد مشاريع من شأنها ان تساعد في ربط الفرد بأرضه... وعلى سبيل المثال عندما ضاق القطاع بألف متخرج من حملة الثانوية العامة سنة ١٩٦١ وظلوا عاطين عن العمل، عينوا مدرسين في قرى مصر ومدنها النائية، وقد اندمجوا في المجتمع المصري، إلا قليلا منهم تمكنوا من الخروج ولكن

لماذا كان توقيت مشروع التوطين في سيناء متزامنا مع مشروع التوطين في الأردن ؟

بموجب قانون العودة صار لكل يهودي اينما كان حق الاستيطان في فلسطين

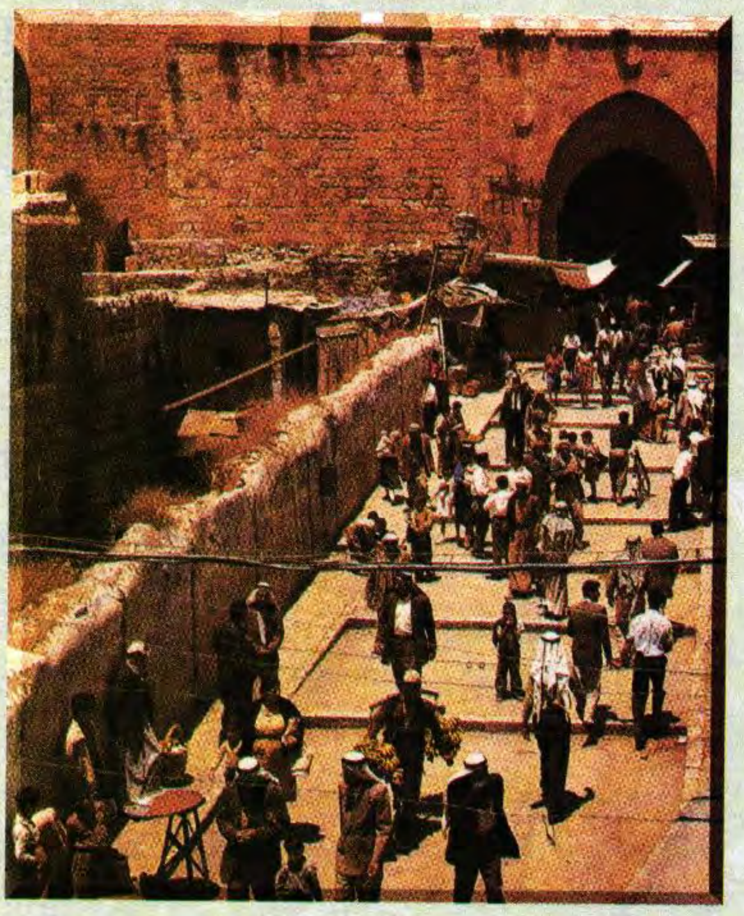
ليس الى غزة بل الى دول عربية اكثر ثراء وعطاء... وقد زادت حركة التفريغ السكاني في غزة والضفة بعد حرب ١٩٦٧م وظل مسلسل النزوح مستمرا الى دول عربية أو الى دول أجنبية حيث تسمح قوانينها بالحصول على الجنسية بعد سنوات قلائل من الإقامة فيها.

وقد تخلل تلك الفترة توطين فردي تحت اسم منح الجنسية العربية لذوي الكفاءات المميزة او العلاقات الخاصة... وشأن هؤلاء على قلة اعدادهم في جميع البلاد العربية شأن من حمل الجواز الأردني، او الجواز الاجنبي، وهؤلاء لايشكلون مشكلة اذ المشكلة الحقيقية فيمن بقى في البلاد العربية، ولم يعد في مقدورهم- ولاسيما حملة الوثائق المصرية- العودة إلى القطاع منذ حرب ١٩٦٧م وحتى في ظل السلطة الوطنية.

تحولات في الموقف العربي

وقع أمران في غاية الأهمية أديا إلى تحولات أساسية في الموقف العربي، أولهما: العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة سنة ١٩٥٦م إثر تأميم قناة السويس، فقد خرجت مصر منتصرة سياسيا بعد ان كانت منهزمة عسكريا وقد حظيت بعطف الدول العربية وغير العربية وتأييدها لها، وأخذت الحسابات من قبل جميع الدول العربية تقريبا تتغير بالنسبة للنظرة الى اسرائيل التي شاركت في العدوان جنبا الى جنب مع دولتين عظميين، واحتلت سيناء وهي ارض مصرية وتفوق مساحتها اضعافا مضاعفة مساحة فلسطين كاملة بما فيها صحراء النقب والضفة والقطاع ثانيهما: ازدياد حركة المد القومي، وتنامي الشعور بفكرة القومية وتبنيها على المستوى الرسمي من قبل بعض الدول العربية، وهذان الموقفان أديا ولو ظاهريا وتحت شعارات مختلفة. الى وقف مشاريع التوطين، والى ارتفاع شعارات تنادي بتحرير كامل التراب وعودة الحق الشرعي الى اصحابه.

وقد تبع هذين الأمرين أمور أخرى مثل استقلال الكثير من الدول العربية وغير ذلك من أمور عززت من الموقف السابق، وللحق والتاريخ





أذكر ماكان من دور فاعل للدبلوماسية العربية في أروقة الأمم المتحدة وفي المؤتمرات الدولية، ولن يغيب عن الأذهان موقف دولة الكويت ووزير خارجيتها الشيخ صباح الأحمد في هذا الاتجاه، وللتاريخ ايضا أذكر ماكان للشعراء العرب في خارج فلسطين من دور فاعل للضغط في هذا الاتجاه بدءاً من وعد بلفور ١٩١٧ ومرورا باضراب ١٩٣٦م ثم با لنكبة سنة ١٩٤٨ وبعدها مؤكدين عروبة فلسطين ومنددين بكل عمل من شأنه ان يلغي هويتها أو ينتقص من حق شعبها.

فكرة تدويل قطاع غزة وأفكار أخرى

كان من الممكن ان يكون العدوان الثلاثي عدوانا ثنائياً من انكلترا وفرنسا فقط، ولكن اسرائيل دخلته في شراكة تستهدف تحقيق الكثير من أفكارها وطموحاتها فبعد انسحاب الدولتين العظميين وانسحاب اسرائيل من سيناء، رأينا انها تقف عند «رفح» وهي الحدود الدولية الفاصلة بين مصر وفلسطين وتعلن عن نيتها في الاحتفاظ -الى الابد- بقطاع غزة كاملا على أمل المباشرة بإدارته وضمه اليها، وايجاد حسم ديمغرافي على طريقها الخاصة... ولو تم

أسدت بعض الدول العربية أعظم صنيع بتهجير اليهود منها التي اصبحت قوة فاعلة في الدولة العبرية

لها ذلك لما بقي شبر واحد من ارض فلسطين يحمل اسمها.

وفي غضون احتلالها القطاع «٢/١١/٥٦-١٩٥٧/٣/٧م» كان هناك نفر من الشباب يروجون الى فكرة ضرورة انسلاخ القطاع عن مصر وضمه والحاقه بالأردن كما حدث بالنسبة الى الضفة الغربية - وقد سألت أحدهم: ولكن كيف سنصل الى الضفة التي تبعد عنا نحو «٤٠» كيلومترا وتفصل بيننا اسرائيل ؟فأجاب : المسألة بسيطة ان يكون هناك طريق «آمن» يتفق عليه مع اسرائيل.

وفي صبيحة انسحاب اسرائيل ودخول قوات الطوارىء الدولية، يفاجأ القطاع بفكر تدويله وإخضاعه مباشرة إلى الأمم المتحدة، وعمت المظاهرات والاحتجاجات قتل فيها «محمد علي مشرف» وهو يرفع العلم المصري على مبنى حكومة غزة على يد أحد افراد قوة الطوارىء الدولية، ولو تم تدويل القطاع آنذاك لتناثر أهله في بلدان العالم اجمع بحكم «جواز السفر الدولي».

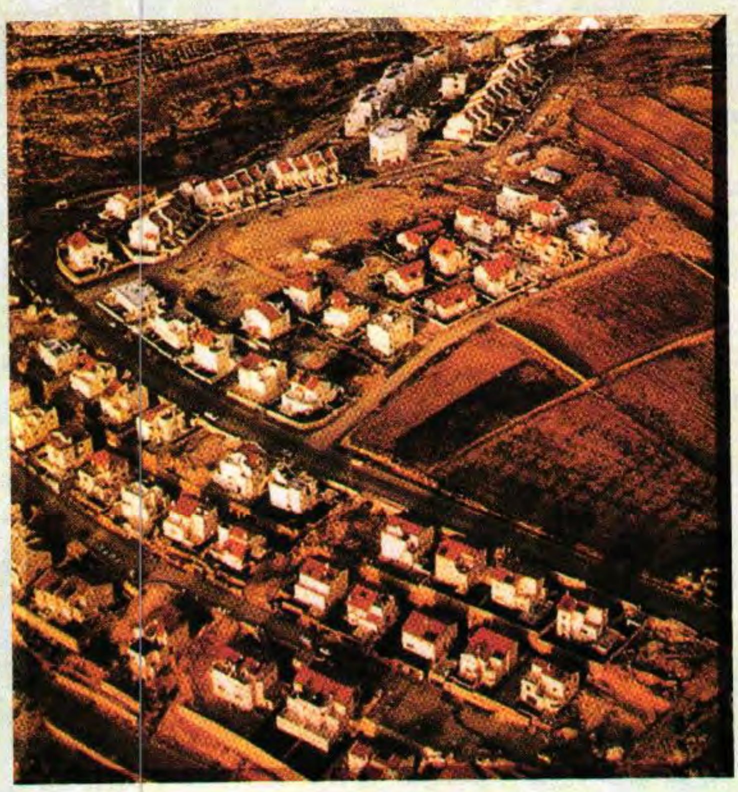
اطاريح ثلاث خابت جميعها تصب في نهاية المطاف في البحث عن حل لما تبقى من القضية او لدفن ماتبقى من الجسد المتناثر.

حق العودة -حق الهجرة

وجهة النظر العربية والفلسطينية وقرار الأمم المتحدة «١٩٤» ترى ضرورة تطبيق قرار حق «العودة» للاجئن الى ديارهم، وليس هناك مسوغ للتذرع بأن مساحة فلسطين تضيق بما رحبت، وانها لا تستوعب الفلسطينيين قاطبة والإسرائيليين معا فهذه اكذوبة وباطل من الأباطيل. أما وجهة النظر الاسرائيلية الصرف فترى في المقابل «حق العودة» لجميع يهود العالم الى الدولة العبرية. ويلاحظ انها تصّر على كلمة «العودة» التي ينبغي ان تكون «الهجرة» وكم من مغالطة تقدم عليها اسرائيل عندما تغير الحقائق فالعودة «من الفعل عاد...» لاتكون ولاينبغي ان تكون الا لمن كان في مكان ما وخرج منه ثم ينثني ويعود اليه فمن هم الأولى بحق العودة؟ يهود الفلاشا وروسيا ويهود العرب الى فلسطين ام ابناؤها الذين لا يزالون يحملون وثائق ثبوتية بممتلكاتهم وديارهم التي اخرجوا منها؟

حتمية التوطين...ولكن إلى أين؟

مخرجات اتفاقية مدريد واوسلو وماسيتلوهما من اتفاقيات ومواقف السلطة مهما تكن متشددة في المطالبة بحق العودة حيث لن تتمكن الا من إعادة كم هزيل من هذه الأعداد الكبيرة. تؤكد ان هناك حتمية للتوطين.. وكل مايخشاه المرء ان تكون السلطة في وضعها الحالي قد تواطأت على قبول مشروع التوطين وانها تباركه وترضى عنه... فاذا كان التوطين حتميا فيبقى السؤال... الى اين؟ ويبقى المشروع قائما وملّحا في التسوية النهائية، اذ لايعقل ان تظل مشكلتهم معلقة بعد



التسوية... هذا اذا كانت هناك تسوية نهائية، اذ يخيل إليّ ان هناك قضايا ستظل معلقة والى مالانهاية في الزمن المنظور، ومنها قضية اللاجئين وحقهم في العودة والتعويض.

الموقف الشرعي

لست من رجال القضاء الشرعي حتى أدلي برأيي في هذا الموضوع لذا فانني أهيب برجال الشرع ان يصدروا فتوى تقرر شرعا مسألة جواز التوطين او تحريمه، وكل مآمله ان ينظر المشرّع إلى هذه المسألة نظرة موضوعية بعيدة عن الانفعال او التأثر بالموقف السياسي لهذا البلد او ذاك، كما آمل ان يضع المشرّع في حسابه ان اقتلاع أسرة فلسطينية من موطنها الى موطن آخر سيؤدي الى زرع اسرة يهودية تحل محلها، وبذلك تتعاظم الدولة العبرية وتستعلي اكثر مما هي عليه.

ان حركة التوطين، وان شئت الدقة اللغوية «التوطن» بصفة عامة قديمة قدم البشرية، وكثيرا ماقرأ الواحد منا عن هجرات عربية وغير عربية عبر التاريخ جاست خلال الديار واقامت مدنا وشيدت العمائر، ولكننا هذه المرة أمام ظاهرة غريبة من نوعها في التاريخ، وهي توطين من له وطن في أماكن شتى من العالم وتحت الذرائع الإنسانية في مقابل استيطان شتات العالم من اليهود في وطن ليس لهم حق فيه. ■

اسرائيل دخلت في شراكة العدوان الثلاثي على مصر لتحقيق الكثير من أفكارها وطموحاتها

كانت هناك نية لمقايضة المهاجرين اليهود وأملاكهم باللاجئين الفلسطينيين وأملاكهم

دعوة

من آفاق الدعوة في عالم الغرب

بقلم : د. حسن عزوزي

تعرف مسيرة الدعوة في البلاد الإسلامية نشاطاً ملحوظاً في العقود الأخيرة حيث تمثلت في مجالات عدة مرتكزة على جوانب التصحيح والتقويم، تصحيح العقيدة والعبادات وتقويم الأخلاق والسلوك على أساس من الهدي الربّاني، وقد تعددت أساليب الدعوة وتنوعت مظاهرها وخصائصها وتم إنشاء كليات للدعوة والشريعة تهدف إلى ضبط الوسائل الدعوية ومعالجة مشكلات الدعوة وعقباتها، وبرزت منظمات وجمعيات وهيئات إسلامية تعمل على توفير مناخ دعوي أنسب وتنسق فيما بينها من أجل تيسير الخدمات اللازمة لذلك من حيث نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان وتوضيح مبادئها وتصحيح مناهجها وتطوير سبل إبلاغها إلى الناس.

وعرفت الدعوة الإسلامية أيضاً مرحلة جديدة تجاوزت فيها الاهتمام بهموم الدعوة بالبلاد الإسلامية ليتم التفكير في الأقليات المسلمة ودراسة أحوالها ودعم قضاياها، ولا يشك أحد في أن ثمة أخوة لنا يعيشون في أوساط غربية هم في أمسّ الحاجة إلى من يتخولهم بالدعوة والتوجيه ويتعهدهم بإرسال الدعاة والوعاظ وتشييد المساجد والمعاهد الإسلامية لناشئتهم وتوفير المصاحف والكتب الإسلامية اللازمة من أجل ضبط التزاماتهم الشرعية وواجباتهم الدينية.

الدعوة في صفوف الغربيين

إنه بالرغم من توجيه الدعوة الإسلامية وتعميق أسسها وأهدافها داخل البلاد الإسلامية ونحو الأقليات المسلمة، فإنها تبقى في حاجة إلى التوظيف نحو ساحات أخرى ومواقع جديدة قلّما تم التفكير فيها والاستعداد لاكتسابها واكتساحها، إنها المواقع الغربية ذاتها، ونقصد بذلك التفكير في توجيه وتصدير الدعوة الإسلامية داخل المعاقل النصرانية وغيرها بالأوساط الأوروبية والأمريكية، إن الدعوة الإسلامية في أصلها وجوهرها لم تكن قط مقتصرة - عبر التاريخ الإسلامي - على المناطق المسلمة فحسب، بل كانت تتجاوزها إلى تخوم الدول النصرانية المجاورة بقصد الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بُعث للناس كافة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(١)، ولا شك أن العالم الآخر غير الإسلامي - يشكل القطاع الأكبر الذي ينتظر سكانه... من حيث يشعرون أو لا يشعرون - وصول دعوة الإسلام إليهم بشكل قريب وبصورة أوضح وأنصع.

إننا ونحن نعيش الإسلام في مواقع متاحة لتؤدي مسؤوليتنا كاملة لانعدام القدرة على إبصار الساحة الكاملة التي يجب لمن يملأها الإسلام، وأن يرتادها العاملون في الحقل الإسلامي والدعوة إلى الله وتبقى العملية المطلوبة أنه عند عدم القدرة على الحمل الثقيل نقوم بعملية التقسيم على مراحل وبالتدريج، والمهم هو أن نملك نظرة واضحة وخطوة رائدة في مجال الدعوة في عالم الغرب من أجل البلوغ بمستواها إلى ما كانت عليه في صدر الإسلام عندما كانت الفتوحات الإسلامية وحملات الدعوة تتجه نحو القبائل والبلاد النصرانية واليهودية المتاخمة شعارها قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «عسى أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً» (٢).

نحن في أمسّ الحاجة إلى دعاة يتوافرون على خصائص عقلية مرنة ومتقدة

إن الإسلام ومنطق الدعوة إلى الله يفرضان على الداعية المسلم أن يبدأ بإصلاح بيئته وإعدادها أولاً فإذا ما أصلح جزءاً من الأرض التي يقف عليها بقدميه انتقل إلى أخرى لتتسع الرقعة وتشمل بقاعاً أخرى من العالم، إننا في أمسّ الحاجة إلى دعاة يتوافرون على خصائص عقلية مرنة ومتقدة تستطيع التحرك بالإسلام ودعوته في مواطن شتى ومواقع بعيدة، وقد يقول قائل: إن أمر الدعوة إلى الله في الغرب تكتنفه صعوبات جمة وعراقيل شتى من بينها ضرورة إتقان واكتساب لغات أجنبية وتوفير المناخ المتاح للدعوة وبخاصة أن الغرب بمؤسساته الدينية والسياسية يعارض ويحول دون إتاحة الفرصة لمخاطبة مختلف الشرائح الاجتماعية الغربية.

تقول: «إنه إذا ما قويت العزائم وشحذت الهمم، فإن كل صعب على الدعاة يهون، فمشكل الدعوة بلغات القوم أمر هين لا يتطلب أكثر من توفير أقسام تخصص لذلك بكليات الدعوة والشريعة بالجامعات الإسلامية.

أما مسألة إتاحة الفرصة وتوفير المناخ الملائم للاضطلاع بالعمل الدعوي داخل معاقل غربية بحتة، فلا يفهم منها توجيه ومباشرة خطاب الدعوة بشكل علني ومباشر، وإنما المفروض أن يتم ذلك عبر قنوات تواصل وتجاوب أخرى قد لاتبدو هادفة لأول وهلة، لكنها قمينة بتحقيق الخير الكثير والفضل العميم بإذن الله تعالى.

والمتتبع لحركة الدعوة في الغرب يلاحظ مدى الأهمية التي تشكلها المراكز الإسلامية المبثوثة في شتى المدن والعواصم الغربية وبخاصة أن كثيراً من المواطنين الغربيين يزورون

هذه المراكز بدافع حب الاستطلاع والشوق إلى معرفة أفضل وأوسع عن الدين الإسلامي، فتوفير دعاة قادرين على مخاطبة هؤلاء وائتلاف قلوبهم كفيل بأن يحقق نتائج ملموسة تؤدي بفضل الله إلى إسلام الكثير منهم.

ويجب ألا نغفل بهذا الصدد ما تشكله فئة مهمة من الذين دخلوا في الإسلام منذ مدة ـ ومنهم نخبة مثقفة ـ من وزن فعّال في إطار مسلسل الدعوة الإسلامية في عالم الغرب، إذ ـ ومن خلال ما لمسناه في بعضهم وبخاصة في فرنسا ـ يعتبرون أقدر على الاضطلاع بمهام الدعوة في صفوف الغربيين بحكم معرفتهم التامة بطبائع وعقليات بني جلدتهم ومدى استعدادهم وقابليتهم لتقبل الدعوة الإسلامية، ولا شك أن إشراف هؤلاء على تكوين دعاة وعاملين في الحقل الدعوي داخل المعاقل الغربية وإصدار مجلات إسلامية ونشرات تعريفية وتوجيهية ونشر كتب إسلامية باللغات المحلية سيكون إحدى وأهم الأسباب من حيث توفير الفعاليات اللازمة لملء الفراغ الذي تعاني منه مسيرة الدعوة الإسلامية في الغرب.

وبهذا يمكن التغلب على كل العوائق والمشاكل واحتواؤها وتذليلها إذا ما قويت العزائم وتكاثفت الجهود.

أهمية التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية

مما لا شك فيه أن مسألة تقديم الإسلام في الغرب بمختلف اللغات قد أصبحت مُلحّة الآن أكثر من أي وقت مضى، فالدعوة الإسلامية لم تعد قضية المسلمين في الديار الإسلامية فحسب، وإنما أصبحت مهمة توجيهها وتكريسها داخل البلدان الغربية وفي غيرها من الضرورات الأساسية، وإذا كانت بعض الجاليات المسلمة المهاجرة إلى الغرب لا تحتاج كثيراً إلى التثقيف والتوجيه الديني باللغات الأجنبية بحكم ارتباطها دعوياً ببلدانها الأصلية فإن المسلمين هناك من ذوي الأصل الغربي وحديثي العهد بالإسلام محتاجون إلى تبسيط مبادئ الإسلام وتعاليمه بلغاتهم الأصلية وبخاصة في ظل افتقادهم للكتب الإسلامية الصحيحة مقابل هيمنة صارخة للكتب الاستشراقية المغرضة.

إن مهمة التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية تعتبر من أوليات العمل الإسلامي الجاد الذي يجب على الدول والمنظمات الإسلامية أن تُعيره أكبر الاهتمام وبخاصة أننا على مشارف القرن الواحد والعشرين الميلادي الذي سيكون لا محالة عصر انفجار المعلومات والاتصالات وتيسير سبُل التواصل اللغوي مما يحتم المواكبة المسؤولة والتطوير العملي الملموس لآفاق ا لدعوة في عالم الغرب.

لقد استضافت العاصمة الأندونيسية جاكرتا في الفترة الأخيرة مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية وكان من بين أوراق العمل المقدمة خطة التعريف بالإسلام في الخارج بمختلف اللغات من أجل تحسين صورة الإسلام من جهة، وتوعية وإرشاد المسلمين في شتى بقاع الأرض من جهة أخرى.

ضرورة تحسين صورة الإسلام في الغرب تبدو مسألة ملحّة

إن ضرورة تحسين صورة الإسلام في الغرب تبدو مسألة ملحّة، إذ من المعلوم أنه لا يوجد في الغرب من صورة للإسلام غير الصور الكاريكاتورية العنصرية واللقطات الإسلامية السلبية الموظّفة لأبشع أساليب التشويه والتمويه والإثارة، أمام هذا الوضع بات من واجب الدول والمنظمات الإسلامية العمل على إنتاج وتقديم برامج دينية بمختلف اللغات تعبر عن الصورة الحقيقية للإسلام وتقوم بتعديل وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي ما فتئ الغرب يروّج لها، كما أنه يتوجب على رجال الفكر والثقافة المسلمين الذين يتقنون لغات الأجنبية الإسهام بقوة في الإعلام الغربي، وذلك عن طريق إيجاد واقتحام منابر ثقافية يُعبّر من خلالها عن وجهة النظر الإسلامية في جميع القضايا الراهنة وهو ما يتأتى عن طريق تقوية العلاقات، وربط الصلات والتعاون والتفاعل بالمؤسسات الغربية، وإقامة ندوات ولقاءات تُسْهم في الحوار الحضاري، وذلك بالكتابة الصحافية من جهة، والإسهام في الأنشطة الإذاعية والتلفازية من جهة أخرى، وهذا الأمر مُتاح بشكل أرحب للعاملين بالديار الغربية من أساتذة جامعيين ورؤساء المراكز الإسلامية وصحافيين وغيرهم.

أما فيما يخص الكتابات الإسلامية باللغات الأجنبية، فإنه بالرغم من أن الدعوة الإسلامية في امتداداتها خارج الوطن الإسلامي تتطلب توفير الأبحاث والدراسات حول التعريف بالإسلام وحقائقه ومبادئه بلغات أجنبية فإن نسبة الأبحاث العلمية حول الإسلام التي وضعها باحثون مسلمون هي أقل بكثير مما وضعه المستشرقون الذين لا يكاد يُجدي الرد عليهم باللغة العربية مادام الغربيون لا يفهمون لغة الضاد.

إن إتقان اللغات التي كتبت بها تلك البحوث يعتبر أمراً ضرورياً بالنسبة للباحث في الإسلاميات وبخاصة ممن يستأنس في نفسه القدرة على دحض المطاعن وتفنيد المزاعم بمناهج علمية رصينة تعيد للحقائق الإسلامية الثابتة مكانتها ونصاعتها، وهي قمينة بأن تحقق غايتين أساسيتين: الأولى: تتمثل في الرد على المستشرقين، وذلك عن طريق تصحيح المفاهيم وتحسين صورة الإسلام في أذهان الغربيين، والثانية: تتجلى في توفير مرجعية واسعة للمعرفة الإسلامية باللغات الأجنبية لإخوان لنا في الله يعدون بالآلاف المؤلفة، قد دخلوا في دين الله أفواجاً ولا يمكنهم الاطلاع على حقائق الإسلام وثقافته إلا عن طريق لغاتهم الأصلية.

ومما يندرج في سياق أهمية التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية ضرورة الاهتمام بترجمات معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات، وهذه مسألة ذات بال قلما يتنبه لها الدعاة والباحثون في الإسلاميات، ذلك أن ترجمة معانٍ في القرآن الكريم تتصدر أوليات الدعوة الإسلامية في صفوف الغربيين لأمرين اثنين: أولهما لأن في نشرها على نطاق واسع ما يساعد بشكل كبير على احتمال إقبال أكبر عدد من الغربيين على قراءتها، وبالتالي فإنها تكون مفتاحاً للدخول في الإسلام بهداية من الله، ثانيهما أن المواطن الغربي بعد إسلامه يكون أشد حاجة إلى ترجمة سليمة

لمعاني القرآن الكريم في لغته الأصلية إيماناً منه بأن القرآن الكريم هو دستور المسلمين الهادي إلى أقوم سبيل، من هنا تبرز إذا أهمية الاهتمام بانفتاح ترجمات لمعاني القرآن الكريم بمختلف اللغات في إطار جماعي ومؤسساتي لكي تنتظم جهود مختلف الباحثين المترجمين في أعمال موحدة متكاملة كفيلة بأن تضمن أكبر قدر من الأمانة والموثوقية ونشيد بهذا الصدد بالزيادة الكبيرة التي يقوم بها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الذي يشرف على طبع وتوزيع ملايين النسخ من ترجمات مختلفة لمعاني القرآن الكريم في شتى بقاع العالم.

وإذا علمنا أن عدد المسلمين العرب لا يكاد يتجاوز الثلاثمئة مليون مسلم من أصل أكثر من مليار مسلم تبين لنا بجلاء مبلغ الدور الفعّال والهادف الذي ينهض بأعبائه مجمع الملك فهد وغيره من المجمعات والمنظمات الإسلامية التي تقوم بالعمل نفسه وهذا الدور المهم لا يمكن أن يعيه سوى من عايش واقع الدعوة في بلاد غير إسلامية حيث تبرز الحاجة الماسّة إلى ترجمات لمعاني القرآن تكون سليمة من النواقص والأخطاء ينهض بالقيام بها - على مستوى جماعي - متخصصون في كل المجالات المرتبطة بالعلوم التي تشكل مفاتيح أساسية لفهم صحيح وسليم للقرآن الكريم وذلك لأن حل الترجمات الفردية تعتورها نقائص وعيوب تخل بجلالة وسمو معاني القرآن الكريم.

الترجمات الفردية تعتورها نقائص وعيوب تخل بجلالة وسمو معاني القرآن الكريم

الدعوة وأهمية استغلال البث الفضائي

يعتبر التلفاز والبث الفضائي بصفة عامة من أكثر وسائل الإعلام الغربية تأثيراً وفاعلية، إذ إنه يقتطع أكبر نصيب من وقت المشاهد الغربي الذي يفضل غالباً التزود بالأخبار والمعلومات عن طريق التلفاز، فهو أكثر جاذبية وأيسر تناولاً، وإذا كانت الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام تكرَّس قبل بضعة عقود من الزمان في إطار دوائر ومعاقل الاستشراق الأكاديمي، فإنه في الوقت الراهن يمكن القول إن ذلك الامتياز قد انتقل بشكل قوي ومذهل إلى دائرة أوسع وأرحب هي الدائرة الشعبية التي يقدمها البث الفضائي، وقد بات من الطبيعي طرح أي رأي كيفما كان في حق الإسلام والمسلمين عبر شاشة التلفاز الغربي كي يسود المشاهدين قابلية لا مثيل لها لتقبُّل تلك الآراء المتحاملة والخاطئة بشرط أن تكون جديدة وطريفة غير تقليدية أو شائعة التداول، فتصبح بذلك الصورة السلبية عن الإسلام أكثر تمكناً ورسوخاً في العقل الغربي.

ويمكن القول إن «وجبات الإسلام» التي أصبحت تقدم للمشاهد الغربي بين الفينة والأخرى - خصوصاً في أوقات الأزمات - قد تميعت بشكل صارخ زاد من حدتها ما يرافقها ويعززها من مشاهد وصور تمثل الإسلام والمسلمين في أشكال مقولبة موغلة في التضليل والتعمية والإثارة.

لذا بات من واجب الدول والمنظمات الإسلامية العمل على استغلال البث الفضائي قصد تقديم برامج إسلامية تعبِّر عن الصورة الحقيقية للإسلام وتقوم بتعديل وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي ما فتئ الغرب يروِّج لها، وقد أصبحت الفرصة في الآونة الأخيرة مواتية أكثر من أي وقت مضى في ظل وجود قنوات فضائية عربية تبث إرسالها إلى معظم الدول الغربية.

ويجدر التنبيه في هذا الصدد إلى أن تقديم معطيات الإسلام وتعاليمه السمحة قد يبدو أمراً غير ممكن عبر قنوات الصحافة العربية المكتوبة نظراً لحاجز اللغة، إلا أن القيام بذلك عبر قنوات البحث الفضائي وبلغات الغرب المختلفة يبدو أيضاً أمراً ميسراً لايدعو لأكثر من استقطاب علماء مسلمين أكفاء قادرين على أداء هذه الرسالة السامية بشتى اللغات الأجنبية.

وقد استوعبت في الفترة الأخيرة بعض الدول الإسلامية أهمية استغلال البث الفضائي في نشر دعوة الإسلام الصحيحة فعملت على إنتاج دروس دينية موجهة عبر الأقمار الصناعية إلى القاطنين في الدول الغربية على العموم وإلى الجالية الإسلامية هناك على وجه الخصوص ولا يجادل اثنان في أهمية هذا الدور وبخاصة إذا علمنا أن احتمال مشاهدة كثير من المواطنين الغربيين لتلك الدروس الدينية المعرِّفة بحقائق الإسلام وأسسه وتعاليمه يبقى أمراً وارداً، وبذلك يكون قد تم تحقيق أنجع سُبل الدعوة إلى الله في الغرب بعدما صُدت سبل تحقيقها عبر وسائل الإعلام الأخرى.

وفي انتظار تنفيذ قرار إنشاء محطة فضائية إسلامية تبث برامج إسلامية باللغات الأجنبية، وتعكس الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين «حسب ما تم التبشير به منذ وقت غير بعيد» نرجو أن يستمر وعي المسلمين بضرورة مجابهة الإعلام الغربي الرهيب قصد إبراز صورة الإسلام الناصعة وتلميعها والعمل على الدعوة إلى الله تعالى بما وجب علينا إعداده من قوة وعزيمة وهمة عالية، إنه جهاد إعلامي واجب، بل هو فرض كفاية يتحمل مسؤولية القيام به كل من أوتي بسطة من القدرة على ذلك.

هذه إذاً بعض سُبل ووسائل تحقيق نجاح أفضل وتطوير إحدى المهمة الدعوية في عالم الغرب، وهي كفيلة بأن تثمر نتائج طيبة وملموسة إن صحت العزائم وقويت الهمم، وإن أملنا كبير في أن يستشرف العالم الإسلامي القرن المقبل بتوجهات جديدة وتعبئة حازمة من أجل خدمة الإسلام والدعوة إليه في داخل بلاد الإسلام، كما في خارجها وجعل ذلك من أولويات العمل الإسلامي من أجل تحقيق المبدأ الخالد الذي يمثله قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس»(٤). ■

الهوامش

١ - سورة الأنبياء: ١٠٧.

٢ - رواه البخاري في صحيحه «كتاب بدء الخلق» ومسلم في صحيحه «كتاب الجهاد».

٣ - كان ذلك في يونيو ١٩٩٧م.

٤ - رواه البخاري في صحيحه «كتاب الجهاد» والإمام أحمد في مسنده ٢٣٨/٥.

تشريع

فلسفة نظام الإرث الإسلامي

أ.د. محمد الزحيلي

وضع الإسلام نظاماً فريداً عن الإرث، يختلف عن أنظمة الميراث في الشرائع والأنظمة الأخرى، وقام نظام الإرث في الإسلام على مبادئ عامة، وفلسفة خاصة، تميزه عن غيره، وتعتبر هذه الميزات والخصائص منطلقات أساسية لمعالمه وفلسفته، ونسلط الضوء على هذه المبادئ، وهي التي يتم تطبيقها والعمل بها في معظم البلاد العربية والإسلامية، والحمد لله، وهي:

أولاً: الوسطية

يمتاز الإسلام عامة بالاعتدال والوسطية في جميع أحكامه، وبخاصة في الإرث، فكان موقفه وسطاً معتدلاً، بعيداً عن الإفراط والتفريط اللذين وقعا في غيره، أو القسر الكامل والحرية المطلقة.

فالشيوعية ألغت الملكية الفردية في أصولها الماركسية، وبالتالي تنكر الإرث من أساسه، ولما تطورت الشيوعية وأقرت الملكية الفردية للأسرة في نطاق ضيق، بقيت مصرة على إلغاء الإرث، وأن ملكية الأسرة تنتقل بعد الموت إلى الدولة، مما أدى إلى التسيب، وقتل الوازع الذاتي على العمل، وإلغاء الحافز على زيادة الإنتاج، ثم اعترفت بإرث الملكية الضيقة إلى الورثة.

والرأسمالية تقرر الحرية المطلقة للأفراد عامة، ولأرباب الأموال خاصة، فيحتكرون، ويجهدون لتكديس الثروات، ولو على حساب الأفراد والفقراء، وسائر الشعب ومصالح الأمة، ثم تمنح الغني الثري المالك كامل الحق في التصرف بما له في حياته، وبعد وفاته، كيف يشاء، وله أن يعطي من يشاء، ويحرم من يشاء من ماله، وله أن يوصي بكامل ماله إلى شخص ما، ولو كان غريباً، ويحرم أقرباءه وذويه، كما له أن يوصي بماله كله لكلب أو قط أو عمل ما، بينما يعتري أهله وأقرباءه وشعبه الجوع والعوز، ويضوي الفقراء والمساكين من الناس والبشر جوعاً وكمداً، ويمتع الكلب والقط بالرفاهية والإسراف والتبذير.

وجاء الإسلام بمنهج وسط، فأقر الملكية الفردية، استجابة لفطرة الإنسان، وحمى له هذه الملكية، وأرشده إلى أقوم السبل في الكسب والإنتاج، والعطاء والإنفاق، ثم أقر الإرث لأقاربه تلبية لنوازعه في حبهم ورعايتهم، مما يدفعه إلى زيادة الإنتاج والإدخار، لأنه مطمئن أن المال له أولاً، يتمتع به في حياته، ثم يكون لأحب الناس إليه بعد وفاته، وكثيراً ما يحبُّ الإنسان لأولاده وأقاربه أكثر مما يحبه لنفسه، ويحرص على مستقبل أولاده أكثر من حرصه على نفسه، فأقر الإسلام عينه وقلبه وعواطفه، وجعل ميراثه لقرابته.

الإرث في الإسلام إجباري بعد وفاء الديون وتنفيذ الوصية

ثانياً: التوازن

حرص الإسلام في أحكامه عامة، وفي الميراث خاصة، على تحقيق التوازن بين مختلف الأطراف دون ميل أو تحكم، أو جور أو ظلم، فأعطى المالك الحرية بالتصرف بثلث ماله بعد وفاته، يوصي به إلى من يشاء، ويضعه حيث يشاء من جهات الخير والبر، أو الأقارب من غير الورثة، أو المصالح العامة، لتدرَّ له المورد الروحي في الثواب الدائم، والصدقة الجارية بعد وفاته، مع الذكر الطيب، والسمعة الحسنة، وكل ذلك حسب مشيئته وحريته الكاملة، ضمن أحكام شرعية، وآداب إسلامية، ورعاية دينية في توجيه الوصايا.

أما الثلثان الباقيان فأكثر، أو كل المال إن لم يوص، فقد تولى الشرع الحكيم توزيعه وتقسيمه، بما ينسجم مع الفطرة والدين والحياة حسب نظام الإرث الإسلامي الفريد.

ثالثاً: العدالة

يمتاز نظام الإرث في الإسلام بالعدالة في التوزيع، وتجنب الحيف والظلم، وأزال الانحراف والشطط الذي وقع في الشرائع والأنظمة الأخرى، فبعضها أقر الحرية المطلقة للمالك، ومنحه الاستبداد في التصرف بالمال بعد وفاته، وله الحق في حرمان أقاربه، وإعطاء الأجانب منه، وبعضها لاتورِّث الأصول مع الفروع، ولا تورث الزوجة من زوجها، ولا الزوج من زوجته، وبعضها تمنح الثروة كاملة لأرشد العائلة، أو للولد البكر من الأولاد، وتمنع الآخرين، أو تعطي الولد البكر نصيب اثنين من الذكور،

وبعضها تسوي بين الأقارب القريبين والأباعد، وبعضها تسوي بين الذكر والأنثى، وبعضها تمنع الميراث عن الأطفال والنساء حتى ولو كانت أماً، أو بنتاً، أو زوجة، وتورِّث الدخيل عليهم بالمحالفة أو التبني، وفي جميع هذه الصور ظلم بيِّن، وحرمان للضعيف، والصغير، والفقير، والمعدم، والقريب الذي يكون أولى من غيره، أو أكثر حاجة للمال والميراث.

أما نظام الإرث في الإسلام فقد تولى الله تعالى - وهو رب العالمين وأرحم الراحمين، وخالق الجميع - قسمته وتوزيعه بالعدل، فلا يستبد المورث بالتركة، بل وزعها الله تعالى بحكمة تتفق مع العدالة، والفطرة، والحاجة، والقرب، كما هو مفصّل في علم الفرائض.

رابعاً: الإجبار

إن نظام الإرث في الإسلام إجباري، بعد وفاء الديون وتنفيذ الوصية، وقد ألزم الشرع به الناس، ولم يتركه لحاكم، أو قاض، أو محكّم، أو شخص ما، ولا لنبي مرسل، ولا لملك مُقرب، ولا يحق للمورث أن يمنع أحد الورثة من ميراثه، ومن حرم وارثاً من ميراثه حرمه الله من الجنة، كما أن الإرث ينتقل إلى الورثة جبراً عنهم، وتنتقل الملكية حكماً وفوراً بمجرد الوفاة إلى الورثة، ومن أراد التعفف أو عدم الاستفادة من حصته، فله أن يتبرع بها إلى من يشاء من سائر الورثة، أو بقية الأقارب، أو المصالح العامة، أو أحد الأصدقاء أو الأشخاص، وله الأجر بهذا التبرع والعطاء.

والإرث إجباري في الإسلام، خلافاً للهبة في الحياة، والوصية بعد الوفاة، فكل منهما اختيارية للطرفين: للواهب والموهوب له، والموصي والموصى له، فلا يجبر الشخص على الهبة، ولا على الوصية، وإن تمت الهبة أو الوصية، فلا يجبر الطرف الثاني على القبول، التزاماً بحرية المتعاقدين وسلطان الإرادة، والطواعية في التصرفات والتملكات.، إلا الإرث فهو الوحيد في الشرع إنه تملك جبري، ولكن في حدود التركة والجانب الايجابي لها، دون زيادة عليها أو تحمل للديون الزائدة.

وهذا النظام الإسلامي يخالف النظام الفرنسي وغيره الذي يجعل الإرث اختيارياً بعد حكم القاضي، وإعلان الوارث بقبوله للإرث، ولكن متى قبل الميراث التزم بحقوق التركة وواجباتها، وإن كانت الديون عليها أكثر من المال الموجود التزم الوارث بوفاء الديون من ماله الخاص، لأنه رضي بالإرث طوعاً وباختياره، وإن لم يعلم مقدار الديون التي تحملها التركة.

خامساً: الإرث في نطاق الأسرة

الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، وهي الملاذ الطبيعي والآمن والنفسي والفطري للإنسان، ينشأ فيها، ويترعرع في جنباتها، وتحوطه من كل جانب، وترعاه وتحميه، وهي الامتداد الطبيعي له قبل الولادة وبعدها، وفي الحياة وبعد الممات، وهي الحصن المادي والمعنوي للإنسان.

يمتاز نظام الإرث في الإسلام بالعدالة في التوزيع وتجنب الحيف والظلم

لذلك قرر الإسلام حصر الإرث في نطاق الأسرة من الزوجين، والأبوين، والأولاد، والإخوة، والأعمام، ثم بسائر ذوي الأرحام، مع مراعاة الأقرب فالأقرب إلى الميت.

ومن هنا منع الإسلام الإرث عن الغريب عن الأسرة، والأجانب عنها، فأبطل التبني للولد الغريب أولاً، ثم أبطل الميراث له بالضرورة، وأبطل كل ما يترتب عليه، لأن ما بُني على باطل فهو باطل، وهذا ثابت بالنص والإجماع والمعقول، لما يترتب عليه من مفاسد، واعتداء على الأنساب، وسطو على الدم والعرض والشرف، وهو في الواقع كذب وافتراء فلا يقره الشرع.

كما لا يرث ولد الزنى، ولا المولود من نكاح باطل أو فاسد، ولا توارث بين امرأة ورجل بينهما نكاح باطل أو فاسد إذا مات أحدهما قبل فسخه وإنهائه.

وأبطل الإسلام الإرث بالعقد والمعاقدة، أو الحلف والمحالفة التي تقع بين الغرباء، ونسخ الإسلام ما كان في الجاهلية، وهو قول جماهير العلماء، والمطبق عملياً في حياة المسلمين، وتاريخهم، وهو ما أخذت به قوانين المواريث والأحوال الشخصية المعاصرة.

لكن قال الحنفية بعدم نسخ الإرث بالمحالفة والمعاقدة، لكن الإرث بها يأتي عندهم بعد مرتبة الفروض والعصبات وذوي الأرحام، لأن آية (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) الأحزاب: ٦، لم تنسخ الآية السابقة (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) النساء: ٣٣، وإنما جعلت ميراث الأقارب والأحرام مقدماً على ميراث الحلف والمعاقدة.

كما أبطل الإسلام الإرث بسبب الهجرة والمؤاخاة، لأنه شرع لسبب موقت، وظرف طارئ، ثم صارت القرابة والزوجية هما سبب الإرث حتى تقوم الساعة، قال تعالى: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) الأنفال: ٧٥.

سادساً: تقدير نصيب الوارثين:

قسم الشرع الإرث إلى فروض وعصبات، وحدد أصحاب الفروض، وأصحاب العصبات، واعتبر الفروض ركيزة للإرث ومنطلقاً للتوزيع وحل المسائل لقوله - صلى الله عليه وسلم - «أعطوا - وفي رواية ألحقوا» الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر» وحدد الشرع نصيب

أصحاب الفروض تحديداً دقيقاً، كالنصف والربع والثمن، والثلثين والثلث والسدس، وهذا في منتهى الدقة، ومما انفرد به الإسلام.

وسمي هذا العلم بالفرائض لوجود هذه الفروض المقدرة التي نصَّ عليها القرآن الكريم، فقال تعالى في آخر آية الفرائض والمواريث: (فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً) النساء: ١١، ثم أكدها القرآن الكريم، وسماها حدوداً، لايجوز تجاوزها، أو التلاعب فيها، فقال تعالى: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) النساء: ١٣ ـ ١٤.

سابعاً: شمول الأقارب

إن الإرث يشمل جميع الأقارب، سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً، وسواء أكانوا صغاراً أم كباراً، حتى يحفظ للجنين، وهو حَمْل في رحم أمه، يحفظ له حصته حتى الولادة ليأخذها، وقد يكون أكثر قرباً وحاجة من غيره.

والإرث يشمل الأقارب الأغنياء والفقراء، لأنه ذو طابع معنوي واجتماعي وديني في صلة الرحم، وليس مجرد علاقة مادية فحسب، فإذا أراد الغني التنازل والتبرع عن نصيبه فهذا له، لأنه يملك حرية التصرف بماله وملكه، ولا فرق بين الكبير والصغير، ولا بين البكر وغيره، فهم في الإرث والاستحقاق والنصيب سواء، لأنهم في القرابة سواء.

كما أن الإرث يشمل الزوجين، وإن لم يكونا أقارب، لأهمية العلاقة الزوجية في الإسلام، ولما بين الزوجين من علاقة وطيدة، ولحرص الإسلام على قدسية العلاقة الزوجية، والتضحية، والتعاون، والوفاء بين الزوجين.

ثامناً: توزيع الثروة وتفتيتها

إن المبدأ الإسلامي في نظام الإرث بتوزيعه على أصحاب الفروض والعصبات من الأقارب يؤدي إلى استحقاق كل وارث لجزء وحصة من التركة، ويستقل به بنفسه، ويتصرف فيه كما يشاء في الإنفاق والتبرع والتعامل والاستثمار، وهذا يؤدي إلى توزيع الثروة وتقسيمها، وتفتيتها وتوزيعها إلى حصص كثيرة، ولا يتركها مكدسة في يد واحدة، أو وارث واحد، كالابن الأكبر مثلاً، وهذا التوزيع والتفتيت يقلص من طغيان الرأسمالية الكبيرة التي قد تؤدي إلى الاستبداد بالثروة والأثرة فيها، وهكذا كلما تجمعت الأموال وتكدست بين شخص سرعان ما تتوزع من جديد بعد وفاته بما يقارب بين الورثة من جديد، ويعضد تشريع الزكاة والصدقات والكفارات في مدّ يد العون لأوسع طبقة في المجتمع من الفقراء وأصحاب الدخل المحدود، فتتحرك الأموال، ويعم الخير والإنفاق، ويزيد الاستهلاك وتزدهر الحركة الاقتصادية في المجتمع والأمة، تحقيقاً لقوله تعالى: (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) الحشر: ٧.

وهذا التوزيع والتقسيم مقيد بعدم الضرر والإضرار، فلا تقسم الأعيان الصغيرة، والأموال التي تضرها القسمة، أو ينقص الانتفاع بها، ويتم التوزيع حينئذ بطرق القسمة المعروفة كالتخارج، وقسمة المهايأة، ومبادلة الأعيان، أو التصفية بالبيع وقسمة الثمن، أو بالمحاصة بين الأعيان مع بعضهم بعضاً، أو بين الأعيان والنقود.

ألغى الإسلام نظام الجاهلية الجائر الذي كان يحرم المرأة نهائياً من الميراث

تاسعاً: إنصاف المرأة والصغار

ألغى الإسلام نظام الجاهلية الجائر الذي كان يحرم المرأة نهائياً من الميراث، وقرر القرآن الكريم حقها الكامل في أول آية من آيات المواريث، فقال تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) النساء: ٧.

كما ألغى الإسلام نظام الجاهلية العربية والأجنبية في حرمان الصغار من الميراث، واعتبر الإسلام مجرد القرابة سبباً للإرث الكامل للكبير والصغير على حد سواء، قال تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) النساء: ١١، فالولد ذكراً كان أم أنثى، ولو كان حملاً في رحم الأم، يستحق نصيب الولد الكبير سواء بسواء، ولا تمييز للبكر على غيره من الأولاد، بل كثيراً ما يكون الصغار أكثر حاجة للمال الذي ينفق عليهم، ويصون حياتهم، ويؤمن معيشتهم ومستقبلهم، وهم بحاجة لذلك أكثر من الكبار الذين أنهوا دراستهم، وتحصيلهم، وأتقنوا مهنة أو حرفة، وبدؤوا بالعمل والكسب، وقد يكون بعضهم جمع ثروة مستقلة لنفسه عن ثروة الأب.

عاشراً: تحديد نصيب المرأة

وإكمالاً لما سبق فقد حدد الإسلام نصيب المرأة من الميراث بدقة متناهية، وتقدير محدد، سواء أكانت زوجة أم أماً، أم بنتاً، أم أختاً، وذلك كالثلثين والثلث والسدس، والنص والربع والثمن، وذلك ليضمن للمرأة كرامتها وحاجتها، والنصف عن مذلة العيش وهوان الفاقة.

ولكن مرض الجاهلية لا يزال يستشري الآن في نفوس ضعاف الإيمان، وفي كثير من البلدان، فيحرمون المرأة من الميراث، ويكرهونها أدبياً على التنازل عن حقها، ويستعملون مختلف أساليب الضغط والحيل لذلك.

وهذا يوجب التنبيه والتحذير للالتزام بالشرع الحنيف، ولذلك صدر في ليبيا القانون رقم ٦ لسنة ١٩٥٩م لحماية

المرأة المسلمة، وإثبات حق النساء في الإرث، ونص في المادة الأولى: «يكون ميراث النساء، وتعيين أنصبتهن طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية»، وهذا ما يجب التركيز عليه، والتذكير به، والعمل بموجبه، والتحذير من مخالفته.

حادي عشر: مراعاة الأقرب

إن أقرباء الإنسان كثيرون، وعائلته متعددة، وعشيرته تحيط به من كل جانب، وله أصول من الأب والأم فأعلى، وله فروع كالابن وابن الابن وإن سفل، وله إخوة وأبناء إخوة، وأعمام وأبناء أعمام، ثم له ذوو الأرحام ممن ينتسب إليه، أو ينتسب لهم، أو ينتسب إلى أبويه، أو ينتسب إلى جديه من جهة الأب ومن جهة الأم، ثم العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة.

وأمام هذا التوسع في القرابة، والعدد الكبير من الأقارب، فقد جاء نظام الإرث في الإسلام يعتمد على استحقاق الإرث للأقرب فالأقرب عند عدم المانع، وكل من أدلى إلى الميت بوساطة حجبته تلك الوساطة غالباً.

وهذا في غاية الدقة والتنظيم من جهة، ويتفق مع الفطرة الإنسانية، ورغباته المورِّث من جهة ثانية، فهو يجمع الثروة، ويكدح في كسبها، ويعمل على زيادتها بفطرته، ودافعه الذاتي، وهو موقن بالموت وترك ما جمع، ولكنه موقن ومطمئن أن المال سيؤول إلى أقرب الناس إليه، وأحبهم له، وأحقهم بخلافته في ماله، وهم الذين يحوطونه بالرعاية والعطف، والحب والحنان، وهم أولياؤه وأنصاره، وهم العون له مادياً ومعنوياً عند الحاجة، ويرثهم ويرثونه، وينفقون عليه إن احتاج، وينفق عليهم، الأقرب فالأقرب، فكان الإرث لهم جزاء وفاقاً، والغرم بالغنم، فكانوا أحق الناس بخلافته في ماله، وإرثه بعد وفاته، فتقر عينه، وتطمئن نفسه، ويعمل بجد وإخلاص وتضحية لنفسه ولهم معاً.

ثاني عشر: الحاجة أساس التفاضل

إن الورثة ليسوا سواء قطعاً، فيقدم الأقرب، والأقوى، وإن استوى القرب والقوة فقد أثبت الشرع الحنيف التفاضل بينهم، ولم يأت ذلك عبثاً أو فوضى، بل لعدالة وحكمة ربانية، فجاء التفاضل في الميراث على أساس الحاجة، فالمرأة والصغار بحاجة قطعاً إلى المال، فلم يحرمهم الشرع من الميراث، والأبناء أكثر حاجة للمال من الأب والجد اللذين قضوا شطر عمرهم وزيادة، وأشرفوا على النهاية، وجمعوا الثروة، وتقل مطالب الحياة أمامهم، أما الأبناء فهم في الأغلب في مقتبل العمر، وترهقهم المطالب، ويستعدون لبناء المستقبل، وتواجههم المصاعب، وكثيراً ما يكونون في مرحلة البناء والتعليم، وأمامهم مسؤولية الزواج والمهر، بالإضافة إلى تكليفهم بالإنفاق على أنفسهم وأزواجهم وأهلهم وأولادهم، ولذلك كانت

أحكام الإرث ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع تبدل الزمان والمكان والأشخاص

أيضاً حصة الذكر ضعف حصة الأنثى لهذه المعاني السابقة، وكانت حصة الأنثى على النصف من حصة الذكر، لأنها مكفية من النفقة، وتعطى المهر، ولا تسأل عن غيرها، ولا تكلف بنفقة أو إعالة لزوجها، أو أبويها، أو أولادها، أو أقاربها.

وإذا عقدنامقارنة حقيقية بين ما يأخذه الذكر وما يطالب به من واجبات والتزامات وما تأخذه الأنثى مع إعفائها من كل مسؤولية مالية، لوجدنا النتيجة أن المحاباة للمرأة، نظراً لضعفها، وتكريماً لمكانتها، وإنصافاً لدورها، وإعزازاً لها، وصوناً عن الفاقة والحرمان.

ثالث عشر: الولاية والنصرة

يقوم نظام الإرث في الإسلام على ثبوت الولاية والنصرة بين الأقارب والأزواج الذين يتولون بعضهم بعضاً، ويسعون إلى نصرة كل منهم للآخر، وحمايته مادياً ومعنوياً، والتكافل معهم في نظام العاقلة في الإسلام، فإن فقدت الولاية والنصر، فلا توارث، كالقتل الذي هو اعتداء على حياة المورِّث، فلا يرث القاتل، كما أنه لا توارث مع اختلاف الدين لعدم الولاية والنصرة، ولا توارث مع الغريب عن الأسرة، والبعيد في القرابة.

رابع عشر: ثبوت أحكام الإرث

إن أحكام الإرث ثابتة لا تتغير، ولا تتبدل، مع تبدل الزمان والمكان والأشخاص، لأن الله تولى تحديدها، وبيان مبادئها، ومنطلقاتها وركائزها ومعظم تفصيلاتها بنص القرآن الكريم، وبيَّنت السنة القليل منها، وبقي الأقل للإجماع والاجتهاد، وجاء علم الميراث شبه كامل ومفصل في القرآن المجيد، فكان أول علم ولد كاملاً، ونشأ بين العلوم الشرعية والإسلامية.

والسبب في ذلك أن الإرث شرعاً معتمد على أسباب ثابتة، وعلاقات مطَّردة، لاتتغير ولا تتبدل، كالزوجية، والأبوة، والبنوة، والأخوة، والعمومة، وقرابة النسب عامة، كما أن تحديد الأنصبة والفروض لا مجال للعقل بإدراكه، كما لو مات شخص وله أخت شقيقة، وأخت لأب، وأخت لأم، فكيف توزع التركة؟ ولو كان معهن أب فمن يقدم ومن يؤخر عقلاً؟ وهذا ما تتفاوت فيه الأنظار والآراء، كما هو واقع في الأنظمة والقوانين الوضعية في العالم، لذلك تولى الله القسمة والتوزيع، والتحديد والبيان، في الأركان والأسباب والشروط والموانع، وإن بقي شيء من التفصيل فلا مانع من الاجتهاد والاختلاف، كتوريث الجد مع الإخوة، والوصية الواجبة قانوناً لأبناء الولد المحروم، وغير ذلك من الجزئيات.

نسأل الله التوفيق والسداد، والالتزام بشرع الله ودينه، والحمد لله رب العالمين. ■

أحكام

لقد وفد على المسلمين منذ مدة غير طويلة عادة تدخين التبغ، وقد تفننوا في تطويرها كغيرهم ممن ألفها، فتعاطوا التبغ في لفافات سموها السجاير، وبطريق الأنبوب وسموها الغليون، وبطريق جهاز يمر الدخان فيه على ماء سموه الأركيلة، أو النارجيلة، كما ظهر منذ مدة لفافات غليظة سموها السيجار، ومن يدري، فلربما تظهر بعد ذلك طرق وطرق أخرى لهذه العادة.

وأمام ذلك كله لابد لعلماء المسلمين من بيان حكم الله سبحانه وتعالى في هذه العادة الوافدة، أمباحة هي أم محرّمة، لأن حكم الله سبحانه وتعالى هو مناط أعراف المسلمين ومنطلق عاداتهم وتصرفاتهم، بل إنه منطلق تفكيرهم أصلا، قال صلى الله عليه وسلم:«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» رواه أحمد، وذلك لايكون إلا بدراسة ماعليه الناس من فكر وتصرفات، ثم وزنه بميزان الشرع الحنيف، فما وافقه كان مقبولا وجاز الاستمرار فيه، وماخالفه كان مرفوضا ووجب الإقلاع عنه.

حكم التدخين في الشريعة الإسلامية

بقلم : أ.د. أحمد الحجي الكردي

خبير في الموسوعة الفقهية (دولة الكويت)

ولقد قام فقهاء المسلمين بهذا الواجب منذ وفدت عادة التدخين إليهم، ودرسوها بما توافر لديهم عنها من المعطيات، وأصدروا فيها فتاواهم بحسب ماتبين لهم من الاجتهاد.

ذلك أن التدخين لم يكن في عصر النبوة أو عصر الصحابة، ولا في عصر تقعيد الفقه الإسلامي وتبويبه، ولهذا لم يرد فيه نص في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة، كما لم يرد فيه قول لأي من أئمة المذاهب المعتبرة، إلا أن هذا لايعني أنه ليس للإسلام حكم في التدخين، ذلك أن باب الاجتهاد والقياس مفتوح بأمر الله تعالى وإذن رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قاضيا وقال له:«بم تقضي يامعاذ»؟قال: بكتاب الله تعالى، قال:«فإن لم تجد»،قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال:«فإن لم تجد» قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله» رواه أبو داود وأحمد والدارمي.

لهذا فإنني سأعمد في هذه العجالة إلى استعراض اجتهادات ثلة من فقهاء المسلمين المتأخرين الذين عاصروا وفود عادة التدخين، متفحصا قدر الإمكان ماوصلوا اليه من الحكم، وما اعتمدوا عليه من الأدلة، ثم أعمد إلى توجيه مأراه الأقوى والأكثر توفيرا للمصلحة المعتبرة التي هي مناط الإباحة في الشريعة الإسلامية أو التحريم.

فقد اختلف الفقهاء المتأخرون الذين عاصروا التدخين في حكم التدخين بين مُحَرِّم ومبيح وكاره، كل حسب ماتبدى له من الدليل، وماتوافر له من المعطيات،وإنني سأقدم هذه الآراء في ثلاث زمر، ثم أذكر مايصلح من الأدلة لكل منها، ثم أبين ماترجح لي بعد ذلك، ومن الله تعالى التوفيق والسداد.

القائلون بالتحريم وأدلتهم

ممن قال بتحريم التدخين من الحنفية الإمام الشرنبلالي، والإمام اسماعيل النابلسي، والإمام المسيري شيخ النابلسي، والشيخ العمادي، والشيخ علاء الدين الحصكفي.

وقال بالتحريم من المالكية الشيخ إبراهيم اللقاني، والشيخ سالم السنهوري.

ومن الشافعية الشيخ شهاب الدين القليوبي، والشيخ النجم الغزي، والشيخ سليمان البجيرمي.

وممن أفتى بتحريم التدخين من المعاصرين لجنة الفتوى في الأزهر الشريف والمشاركون في المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المخدرات والمسكرات المنعقد في المدينة المنورة من ٢٧-٣٠ من جمادى الأولى/١٤٠٢هـ، والشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية السابق.

القائلون بالإباحة

وممن قال بإباحة التدخين من الحنفية الشيخ عبدالغني النابلسي، وألّف في ذلك رسالة سماها: «الصلح بين الإخوان في إباحة شرب الدخان» والشيخ محمد أمين عابدين صاحب الحاشية المشهورة على الدر المختار، والشيخ محمد العباسي المهدي.

ومن المالكية الشيخ علي الأجهوري.

ومن الشافعية الشيخ الشرواني.

ومن الحنبلية الشيخ مرعي الكرمي.

وممن أفتى بإباحة التدخين من المعاصرين الشيخ حسنين مخلوف، والشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر الشريف الأسبق.

القائلون بالكراهة

وممن قال بكراهة شرب الدخان من الحنفية الشيخ العمادي.

ومن المالكية الشيخ محمد عليش صاحب الشرح على متن خليل.

ومن الشافعية الشيخ عبد الله الشرقاوي.

ومن الحنبلية الشيخ مصطفى الرحيباني، والشيخ منصور البهوتي.

الأدلة:

١-مجمل مايستدل به لأصحاب الزمرة الأولى من القائلين بالتحريم مايلي:

أ- إضراره بالصحة العامة، فقد ثبت بتقارير الأطباء الموثوقين أن التدخين مضرّ بالصحة ومسبب للكثير من الأمراض، وكل ما كان كذلك كان محرّما، لقول النبي صلى الله عليه وسلم «لاضرر ولا ضرار» رواه ابن ماجة وأحمد ومالك.

ب- إنه من المخدرات أو المفترات، وكل ماكان كذلك فهو حرام، قياسا على الخمرة، ولحديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت:«نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتِّر» رواه أبو داود وأحمد.

ج- كونه كريه الرائحة، وماكان كذلك كان ممنوعا منه لحديث جابر رضي الله تعالى عنه: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» رواه مسلم والنسائي وابن ماجة وأحمد.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم:«من آذى أصحابي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» وكل مسلم مثل أصحابه في ذلك.

د- مافيه من الإسراف والتبذير وهو حرام لقوله تعالى:(ولاتبذر تبذيرا) الإسراء/٢٦، وقوله تعالى: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) ٢٧/الإسراء.

هـ- الاحتياط، وهو القول بالأشد عند تعارض الأدلة، فإذا سلّمنا بتعارض الأدلة فلا أقل من القول بالتحريم احتياطا.

٢-مجمل مايستدل به لأصحاب الزمرة الثانية من القائلين بالإباحة مايلي:

أ-القاعدة الفقهية الكلية:«الأصل في الأشياء الإباحة» ذلك أنه لم يثبت في الشرع دليل معتبر على تحريم التدخين، فكان مباحا لذلك.

ب- ليس من سبيل إلى القول بتحريم التدخين غير مافيه من الضرر، وهو غير ثابت بدليل معتبر، بل هو مشكوك فيه، فيكون مباحا على الأصل.

ج-القول إنه مسكر أو مفتّر غير صحيح، لعدم ثبوت ذلك بدليل معتبر، فلا يعد محرّما.

د- ليس الاحتياط بالأخذ بالأشد عند التعارض، بل الاحتياط القول بالدليل الأقوى، وهو هنا الإباحة لعدم ترجح الدليل المحرّم.

٣-مايستدل به لأصحاب الزمرة الثالثة من القائلين بالكراهة مايلي:

أ- مافيه من الإسراف والتبذير الممنوع شرعا.

ب- كونه كريه الرائحة تنفر منه الملائكة والناس.

ج- إخلاله بالمروءة والأخلاق، ذلك أن المدخنين يعدون بين الناس قليلي المروءة وسيئي الأخلاق.

تحليل الأدلة السابقة ومناقشتها ثم الترجيح بينها:

من استعراض الأقوال والأدلة السابقة يتبين أن العلماء المتأخرين والمعاصرين في حكم التدخين فريقان: فريق يمنعون منه، وفريق يبيحونه، والفريق الأول بعضهم يجعل المنع على سبيل التحريم، والآخرون يجعلونه على سبيل الكراهة.

ثم إن عمدة المبيحين تدور على أنه غير ثابت الضرر، ولا ثابت الإسكار أو التفتير، وعمدة المانعين المحرمين والكارهين تدور على أنه ثابت الضرر والإسكار والتفتير والتبذير.

ومن هنا نرى أن الحكم الراجح يدور على ثبوت هذه العلل الأربع: الضرر والإسكار والتفتير والتبذير، أو انتفائها، فإن ثبتت أو ثبت واحد منها ثبت المنع منه بالاتفاق، وإن لم تثبت ثبتت الإباحة فيه بالاتفاق ايضا، لأن الحكم يدور على علته وجودا وعدما.

لهذا فإنني سأستعرض هذه العلل الأربع بموضوعية، وأبين- على قدر الإمكان- ثبوتها أو عدمه، مستعينا بأقوال الخبراء والمختصين.

١- الضرر:

الأصل أن الضرر الكبير الغالب ممنوع شرعا بإجماع المسلمين، لقول النبي صلى الله عليه وسلم«لاضرر ولاضرار» وغيره من الأدلة الشرعية التي يعد سردها لكثرتها من باب الإعادة والتكرار. أما الضرر القليل فمغتفر لتعذر التنزه عنه في الغالب، ذلك أن كلا من الضرر والمصلحة أمر نسبي غالبا، فلاتكاد تخلو مصلحة من ضرر، ولاضرر من مصلحة، والعبرة دائما للجانب الغالب، من ذلك الخمرة والميسر، فإن فيهما مضارا ومصالح، إلا أن المضار فيهما هي الغالبة، ولهذا حرّما، مصداقا لقوله سبحانه : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهماأكبر من نفعهما) البقرة/٢١٩.

وضرر التدخين كان محل حديث الناس والفقهاء والأطباء منذ زمن طويل، وكان الجميع يلاحظون فيه ألوانا من الضرر، إلا أن البعض كان يراها أضرارا خفيفة مغلوبة لايناط بها منع، فيبيحه، وآخرون يرونها كبيرة غالبة يناط بها المنع، فيحرمونه، أو يكرهونه، وإن هذا الاختلاف في رأيي إن كان قائما قبل بضع سنين فلا يجوز أن يستمر إلى يومنا هذا، وذلك لأن أضرارا كبيرة للتدخين تكشفت للناس بعامة وللمتخصصين منهم بخاصة في السنوات القليلة الأخيرة، لم تكن معروفة من قبل، وهذه الأضرار بلغت درجة عالية من الخطورة في نواح متعددة من حياة الناس، الصحية والاقتصادية والاجتماعية.

ففي ميدان الصحة ثبت أن التدخين سبب لأخطار متعددة، منها: السرطان المودي بالحياة.

فقد ذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز سامي، أستاذ الأمراض الصدرية وعميد كلية الطب السابق في جامعة القاهرة فقال:«تدل الإحصاءات على أن نسبة الوفاة قبل سن الخامسة والستين ضعفاها في المدخنين عن غير المدخنين، وأن نسبة سرطان الرئة من سبعين إلى تسعين ضعفا في المدخنين بالقياس لغيرهم».

وذكر الاستاذ الدكتور إسماعيل السباعي عضو مجلس الاتحاد العالمي للسرطان، فقال:«والسرطان يكون ثلاثين بالمئة من مجموع الوفيات في أي دولة متقدمة».

وذكر الاستاذ الدكتور شريف عمر استاذ جراحة السرطان في جامعة القاهرة، فقال: «إن للتدخين اضرارا أكيدة على الصحة، إذ يسبب حدوث السرطان، وكذلك أمراض القلب، وغيرها من الأمراض، ومن تلك الأمراض سرطان الرئة، وسرطان الحنجرة، وسرطان الفم، وسرطان المريء، وسرطان المثانة، وسرطان الكلية، وسرطان البنكرياس».

وقد ورد مثل ذلك عن الاستاذ الدكتور محمد محمد المرزباني استاذ كيمياء العقاقير والعلاج التجريبي للسرطان في معهد الأورام القومي في جامعة القاهرة، والاستاذ الدكتور محمد علي البار عضو الكلية الملكية للأطباء وغيرهم.

ومن أضرار التدخين النزلات الشعبية، وانتفاخ الرئة.

فقد ذكر الاستاذ الدكتور عبد العزيز سامي ان نسبة الإصابة بهذه الأمراض يبلغ في المدخنين ستة أمثالها في غير المدخنين، وتبعه في ذلك عدد من الأطباء المشهورين.

ومن أضراره أيضا أمراض القلب والأوعية الدموية والجلطة وتصلب الشرايين التاجية والطرفية وقد جاء ذلك في تقرير تقدم به الاستاذ الدكتور شريف عمر وتابعه فيه الكثيرون من الأطباءالعالميين.

ومن أضراره ايضا تأثيره على الأجنة فقد ثبت أنه يسبب كثرة الإجهاض، وقلة وزن الوليد، وزيادة وفيات المواليد، وزيادة الأجنة الميتة، والالتهابات الرئوية للأطفال الرضع.

ومن أضراره التهاب عصب الإبصار، والعمى، وزيادة أمراض

الحساسية كالربو والتهابات الجلد، وأمراض الأذن والأنف والحنجرة وضغط الدم والبول السكري وارتفاع الكولسترول والسمنة المفرطة.

وقد ذكر الاستاذ الدكتور محمد علي البار أن خمسة وتسعين بالمئة من مرضى شرايين الساقين هم من المدخنين، وخمسة بالمئة فقط من غير المدخنين.

وفي ميدان الاقتصاد: تعرض الكثيرون من علماء الاقتصاد لبيان أضرار التدخين على الاقتصاد العالمي، وثبت أن ماينفق على التدخين في العالم يعادل أو يزيد على ماينفق على الغذاء، في وقت يعاني فيه ملايين الناس في العالم من ألم الجوع، بل الموت جوعا، هذا بالإضافة إلى مايلحق الاقتصاد من أضرار نتيجة مرض العمال وتخلفهم عن العمل، فقد اثبتت الإحصاءات أن المتخلفين عن العمل للمرض من المدخنين يعادل ثلاثة أضعاف من غير المدخنين، فإذا أضفنا إلى ذلك أن قطاعا كبيرا من العمال يعملون في إنتاج التبغ والتنباك زراعة وصناعة واتجارا، وأن أراضي جيدة شاسعة تشغل بزراعة هذه المواد، وأن ذلك كله على حساب زراعة وانتاج مواد الغذاء التي يعاني قطاع كبير في العالم من فقدانها لديهم، عرفنا مايلحقه التدخين من أضرار فادحة بالاقتصاد العالمي،وهو أمر تدل عليه الإحصاءات وتردده دائما الصحف والإذاعات العالمية، هذا فضلا عن الخسارات المالية التي تسببها الحرائق الناتجة عن إلقاء السجائر، ومنها حرائق البيادر والغابات..

وفي ميدان الأخلاق والعلاقات الاجتماعية فإن الناس على شبه الإجماع على أن التدخين نوع من التبذل، لهذا فإن الناس جميعا يبتعدون عنه في أوقات وأماكن الجد، فلا يدخن الأساتذة ولا الطلاب في قاعات الدراسة، ولا المؤتمرون في قاعات الاجتماعات والمؤتمرات، ولا العلماء في الندوات والمحاضرات... وإلا اتهموا بالشذوذ، ونظر إليهم نظرة استخفاف بهم، وماذلك إلا أمارة على مافيه من الدونية المقوتة، ثم إن فضلاء القوم يأبون دائما أن يدخن أحد في حضرتهم، وبخاصة الصغار، وإلا عُدّ ذلك في نظر الجميع رمزا من رموز الاستخفاف والتمرد عليهم، وماذلك إلا دليل على أنه مما يُغَضُّ منه الطرف.

ولو عدنا إلى إحصاءات المحاكم الشرعية لوجدنا ان كثيرا من حوادث الطلاق كان سببها تدخين الزوج أو تدخين الزوجة، حيث لم يستطع أحدهما احتمال الثاني ومن ثم لجأ إلى الطلاق،، وقد أخبرني الكثيرون من الناس- وشاهدت ذلك بنفسي- أن كثيرا من أولياء الفتيات بل الفتيات أنفسهن أحيانا قد رفضوا خُطَّابا بسبب أنهم من المدخنين، وماذلك كله إلا دليل على أن عادة التدخين من العادات المتفق على أنها سيئة ومعرقلة لنمو العلاقات الاجتماعية وتمتين الألفة بين الناس.

٢- الإسكار:

لم يقل أحد من المختصين - فيما أعلم - أن التبغ والتنباك من المسكرات، وإنما هو من السموم، ولهذا فإنني لا أرى أي مستند للقول إنه مسكر، والمسكرات غير السموم في التركيب والأثر.

٣- التفتير:

التفتير في اللغة الانكسار، والمراد به هنا الهدوء والسكون، والمفترات هي المهدئات، وهي ممنوعة شرعا لغير ضرورة كالمسكرات، للحديث السابق، والدخان فيه بعض التفتير القليل بشهادة المدخنين، بل إن رغبة المدخنين فيه اساسها مافيه من التفتير وإراحة الأعصاب بعد الضيق- على حد زعمهم.

٤- التبذير:

التبذير في عرف الشرع هو إنفاق المال على غير وفق العقل والشرع، وهو ممنوع للآية الكريمة المتقدمة، ولما كان التدخين لايوفر مصلحة معتبرة كان الإنفاق عليه تبذيرا مطلقا، هذا وإن لم يثبت إضراره، وإلا كان وجه التبذير فيه آكد وأوضح.

الترجيح والاختيار

من استعراض ماتقدم من الأدلة يتضح أن التدخين ضار بالصحة والاقتصاد والأخلاق ضررا بالغا غالبا على مافيه من المصلحة، -هذا إن ثبت فيه بعض المصالح وسلّم بها- كما أنه من المفترات الضعيفة والسموم، وأن الإنفاق عليه تبذير وإسراف، وكل ذلك ممنوع شرعا لما تقدم من الأدلة، وعلى ذلك يكون التدخين ممنوعا شرعا، أما درجة المنع منه أهي الحرمة أم الكراهة، فإنني أرى أنها الكراهة التحريمية، وهي عند الإمام محمد بن الحسن كالحرمة في المرتبة، وعند الشيخين أبي حنيفة وأبي يوسف دون الحرمة في المرتبة وإن كانت قريبة منها.

ذلك أن الحرمة لاتثبت إلا بالدليل القاطع دلالة وثبوتا، فإذا مادخلت الظنية الدليل المانع من الفعل ثبتت الكراهة التحريمية فيه وليس الحرمة، وإنني هنا أرى أن ضرر التدخين مظنون راجح وليس قاطعا، ذلك أنه لم يقطع أحد- فيما أعلم حتى الآن- بأن التدخين سبب حتمي لنوع معين من الأمراض لايتخلف عنه أبدا، وإنما هي احصاءات تشير إلى غلبة الظن بأنه سبب لأنواع من الأمراض تقدم ذكرها، وماكان كذلك يكون مكروها تحريما وليس حراما، وكذلك مافيه من تفتير أو سمية فإنه ضعيف وقليل الخطورة المباشرة، وأما مافيه من تبذير، فإن دخوله فيه ليس محل اتفاق، فلا يمكن أن يقطع بشموله له وإن كان راجحا، فإذا ماثبت للعلماء يوما أن التدخين سبب قاطع بحصول بعض الأمراض الخطيرة لاتتخلف عنه، أو ثبت بفحص إنسان معين أن التدخين يسبب له مرضا معينا قطعا، جاز لنا القول: بتحريمه، فإن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، ومثل التدخين في الحكم زراعته وصناعته والاتجار فيه، فإن ماأدى إلى الشيء يعطي حكمه.

لهذا فإنني أنادي بضرورة الإقلاع عن التدخين لكراهته التحريمية السابقة، ولما فيه من إلحاق الضرر بالآخرين غير المدخنين، واستنهض همم أولي الأمر من قادة ومنظمات شعبية ومربين وغيرهم، ليبذلوا قصارى جهدهم في سبيل منع هذه العادة الضارة، وذلك بوضع منهاج متدرج يضمن القضاء عليها واستئصالها في نهاية المطاف، لأنه من باب إنكار المنكر الواجب على كل إنسان على قدر طاقته، وليبدأوا بمنع التدخين في مواطن التجمعات العامة، كالمدارس، والجامعات، والمصانع...، وكذلك في المحلات العامة المغلقة، كالدوائر الرسمية، وسيارات النقل العام بين المدن، والطائرات، والبواخر، هذا وقد خطت كثير من البلدان الراقية المتقدمة خطوات حثيثة في هذا المجال، فمنعت التدخين في المحلات العامة والمغلقة، وعاقبت عليه بغرامات وعقوبات شديدة، وإنها لخطوة حضارية جيدة تلك التي حرم بموجبها المسؤولون في سورية وفي الكويت التدخين في سيارات النقل العام الداخلي، وقد كان لهذه الخطوة أثر طيب في نفوس المواطنين، وكلي رجاء ان تتبع هذه الخطوة المباركة خطوات أخرى حتى نهاية الطريق، ولابد أن أذكر الإخوة المدخنين بعد ما تقدم بأن الامتناع عن التدخين في المحلات العامة والمغلقة دليل على الذوق الرفيع، والمستوى الحضاري المتقدم للإنسان، وأن التدخين في مثل هذه المحلات فيه إضرار بالآخرين كبير بالإضافة إلى مافيه من إضرار بالمدخن ذاته، وأنه دليل على التخلف والهمجية والأنانية، ولا أعتقد أن واحدا ممن يحترم نفسه من الناس يرضى بأن يصفه الناس بمثل تلك الأوصاف.

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ٣٧/ق.

والله تعالى أجل وأعلم ■

قصة مدمن

شعر: رفعت محمد بروبي

ورأيتُه يمشي الهوينا ساهماً
واهي القوى متعثر الخطواتِ

ولعابه غطّى الشفاه بزرقة
مثل التي في العين والوجناتِ

ووراءه يجري الصغارُ بزفة
قد شيعوه بأقذع الشتمات

ثارت دمائي واستشاطت غضبتي
وهممتُ أدفع ـ عنه ـ شر أذاةِ

لكنما صوت رهيب ردّني
في غلظة متوعد النبراتِ

فوقفت مختلج المشاعر حائراً
وهمت لإشفاق به عبراتي

وسألتهم عماً به فتحدثوا
وسمعت ما لا أرتضي لعداتي

قد كان يوماً سيد الحي الذي
يسعى إليه ـ ضحى ـ ذوو الحاجات

شهمٌ كريم في الكريهة منقذ
ولديه ما يغنيه في الأزماتِ

حتى تزوج ـ عن هيام ـ كاعباً
أسرته بالنظرات واللفتات

وانكب ينهل من رحيق شبابها
وشبابه يذوي مع النهلات

يُبدي الفحولة في مراهقة ولا
هي عنه تمنع نفسها بأناة

وتنيله من ودّها ما يشتهي
في طاعة المغلوب ـ دون فواتِ

ويروح للأتراب تيّاه الخُطى
يحكى لهم عن عارم اللذاتِ

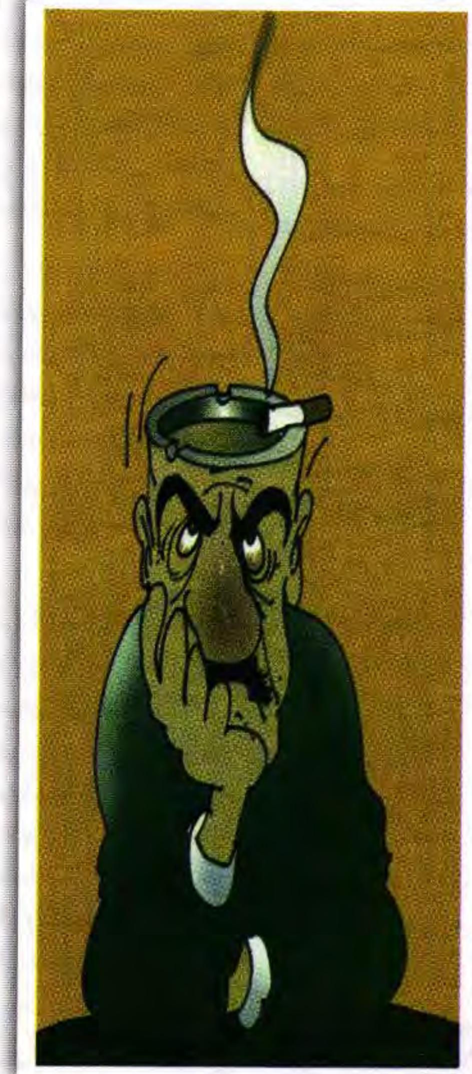
من بعد عام ثم شهر بعده
خَفَتَ الحوار وكان قبلاً عاتِ

وتحطمت منه القوى وتقلصت
شفتاه بعد البشر والبسمات

وأثاره أن الفحولة قد ونت
فمضى لأصحاب له بشكاة

وصفوا له «الأفيون» يرفع ما هوى
ويحيك ما قد رثّ من رغبات

ومضى يلبي نصحهم ومراده
وهو الشغوف ـ إعادة الصبوات



والزوجُ مشفقة تحاول رده
وتخيفه من هول يوم آت

لم يُجْدِ فيه النصح ليل نهارها
وكأنما هو صرخة بفلاة

وقد استبد بها العناء مبدداً
ألق الشباب وناضر الضحكات

واستعوضت رباً لها في زوجها
بل إنها احتسبته في الأموات

نضبت موارده وبات على الطوى
ومشى بأسمال له خلقات

قهر التعاطي فيه كل كرامة
وتبدد الإحساس بالأوقات

مد اليدين لكل صاحب رحمة
كي يشتري «الأفيون» بالصدقات

ما عاد يذكر بيته وعياله
يكفيه ما يعروه من رجفات

والزوج جاعت ثم باعت حُليها
ثم المتاع ولم تبح بشكاة

وتعذبت لتعول أطفالاً غدوا
في ـ مثل عُمر الزهر ـ كالموميات

يوماً به ضاق الرجاء ولم يجد
ثمن المزاج، فناء باللهثات

فغدا إليها هائجاً مترنحاً
والعين تومضُ ومضة الحيات

الغيظ فاض بها فلم تدفع له
وشكت له من كثرة الأزمات

وبأنه ـ أدمى الطريقُ نعالها
سعياً وراء الرزق بالخدمات

فهوى عليها باليدين ورجله
كي تستدين له من الجارات

فأبت، وناحت، واستثارت عطفه
لكن ما يعروه قاس عاتِ

وبكل ذعر المعدمين وبأسهم
أخذ الشقيُّ يضاعف اللكمات

حتى هوتْ ثم استفاضت روحها
وعيونها ترنو لبضع بنات

ومضت لبارئها يشيعها الأسى
وبات قيد البؤس واللعنات

دراسات أدبية

الأدب الإسلامي ودين الأديب ٣/٤

هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً ؟

هل يبدع غير المسلم أدبا إسلاميا ؟

ماموقف دعاة الأدب الإسلامي من الإبداع الذي استكمل كل عناصر الأدب الإسلامي ولكنه صادر عن غير مسلم؟

إنه سؤال يطرح مصحوبا بحسن نية حينا، ومصحوبا بسوء النية أحيانا، وقد يتبع السائل سؤاله باتهام صريح كقول أحدهم (١) في سياق حديثه عن النقاد والمنظّرين الاسلاميين «وصفوا شعر النصارى الغربيين بأنه إسلامي، وأن نقل مالدى الغرب من شعر اسلامي او ايماني هو أمر مهم ومطلوب كما يقول أحدهم (٢) لقد فتح الاستاذ محمد قطب الباب على مصراعيه امام النقاد والفنانين الاسلاميين، وبدأ الطريق فاختار نماذج من الأدب الإسلامي للشاعر الهندي طاغور وللكاتب المسرحي الايرلندي ج.م سينج. وعلى الأدباء والفنانين الإسلاميين أن يواصلوا المسيرة».

لم يحقق الدكتور مرزوق صحة نسبة هذا الرأي لمحمد قطب الأمر الذي يدل على انه يصحح هذه النسبة، ولايعترض عليها. ولو رجع إلى كتاب الاستاذ قطب لاكتشف انه لم يقل ذلك، بل قال بالحرف الواحد: و«الفن الإسلامي- من ثم- ينبغي ان يصدر عن فنان مسلم، أي إنسان تكيفت نفسه ذلك التكيف الخاص الذي يعطيها حساسية شعورية تجاه الكون والحياة والواقع بمعناه الكبير، وزود بالقدرة على جمال التعبير»(٣).

أما مايلتقي من الأدب- في بضع مضامينه مع التصور الإسلامي، وصدر عن غير مسلم كطاغور وغيره فيقول عنه إنه: «بكل مافيه من جمال وروعة يقوم ابتداء على قاعدة أدنى وأصغر من القاعدة التي ينبغي أن ينشأ عليها الفن الإسلامي الكوني الإنساني الشامل المتكامل، الذي يشمل كل الوجود وكل الإنسان» (٤). ويقول عن طاغور.. «وهو - في هذا الشأن - لايلتقي مع المنهج الاسلامي، ولكنه مع ذلك لايخرج تماما من دائرته فهناك نقط التقاء كثيرة بين طاغور وبين المنهج الإسلامي ... نقط التقاء جزئية كلها، ولكنها تكفي لايجاد روابط المودة بينه وبين هذا المنهج، بحيث يذكر معه في حدود هذا الالتقاء ...»(٥)

ولهذا فإنه من الخطأ أن ينسب للاستاذ محمد قطب أنه أدخل في الأدب الإسلامي أدبا لغير المسلمين، إنه قال : هناك نقاط التقاء، ولكن الأدب الإسلامي لايصدر إلا عن مسلم واضح التصور(٦).

بقلم الدكتور : جابر قميحة - أستاذ في الأدب العربي

والدليل على هذا أنه صدّر فصلاً « في الطريق إلى أدب إسلامي» (٧). بالحديث عن شاعرين اسلاميين مشهورين هما : محمد إقبال (٨) وعمر بهاء الدين الأميري (٩) وعرض لإقبال نموذجين شعريين، وللأميري نموذجين آخرين.

وكلها نماذج للشعر الاسلامي الخالص، الذي استوفى كل سمات هذا الشعر، وحلل هذه النماذج وعقد موازنة طيبة بين الأميري ومحمد إقبال.

وقدّم قطب كذلك نصا شعريا أيضا لسكينة بنت الحسين (١٠) ونصا آخر لابن الرومي (١١) ونموذجا للقصة الإسلامية لحميدة قطب (١٢) وكلها نماذج للأدب الإسلامي.

وماقدمه لطاغور وسينج يتميز بروح إنسانية متدفقة، ولكن الاستاذ قطب ذكر صراحة أن هذا الأدب ومادار في فلكه لايلتقي مع الأدب الإسلامي إلا التقاءات جزئية، فهو لايدخل فيه، وإن اقترب كثيرا منه.

ومن عجب أن الدكتور مرزوق لايقف عند هذه النماذج الإسلامية لإقبال والأميري وحميدة قطب وغيرها، بل يذكر، ويكرر ويلح في التكرار على أن محمد قطب قدّم إبداع طاغور وسينج كنماذج للأدب الإسلامي (١٣).

وأرى بعد ذلك أن الدكتور مرزوق كان يمكن أن يتفادى هذه السقطة المنهجية لو قرأ كتاب الدكتور عماد الدين خليل قراءة فاحصة: فعماد خليل ينقل عن محمد قطب قوله «ان الفن الإسلامي ينبغي ان يصدر عن فنان مسلم»(١٤).

ولكنه يرى بعد ذلك «أن إيراد محمد قطب لنماذج أدبية لأمثال طاغور البوذي، وسينج الأيرلندي الكاثوليكي .. إنما هي توسعة عملية لمفهوم الأدب الإسلامي» (١٥).

وهو يرى «أن محاولة كهذه ستزيد من رصيد الأدب الإسلامي، وتغنيه بالمعطيات الخصبة، وتضع قبالة الأدباء الاسلاميين نماذج متقدمة، على مستوى التقنية بوجه خاص، يمكن أن يحذو حذوها، وأن تعينهم على رفع وتأثير معطياتهم الإبداعية، وجعلها اكثر نضجا واكتمالا» (١٦).

واضح إذاً أنه رأي خاص للدكتور عماد الدين خليل، أما الاتجاه الغالب للإسلاميين فيخالفه فيه. وعماد الدين نفسه يرى أنها مسألة خلافية لم تحسم بصورة نهائية.

والخلاصة أن محمد قطب وغيره من النقاد الإسلاميين (١٧) لم يزعموا أن طاغور وسينج ومن نسج نسجهما مبدعون إسلاميون، أو أن إبداعهم إبداع إسلامي، كما أنهم لم يخرجوا أحدا من المسلمين من ملة الاسلام حتى لو جاء أدبه سيئا بذيئا.

واعتمادا على هذه الحقيقة نرفض بحق كثيرا جدا من العبارات الانفعالية الحادة التي تواجهنا في تضاعيف بحث الدكتور مرزوق ومنها على سبيل التمثيل:

«لكن الذي يستحيل قبوله والتصديق به هو ان يتحول الايمان عند (طاغور وسينج وكاسونا) إلى إسلام ويصبح أدبهم إسلاميا»(١٨).

« ... لماذا يخرج الأدباء الذين ينتمون الى الاسلام في الوقت الذي يدخل فيه أدب أقوام لا يؤمنون به، بل يحاربونه، ويعتنقون أديانا تحاربه وتضاده» (١٩).

«معيار الاسلام لايسمح بهذا الادعاء الواسع الذي يجعل عبّاد البقر وأهل التثليث إسلاميين في الوقت الذي يخرج عن دائرة الإسلام أبناؤه وأهله» (٢٠).

أعود فأقول إننا نرفض مثل هذه العبارات الانفعالية الهائمة المنفوشة، لأن مضمونها لم يقل به أحد من النقاد الإسلاميين إنما هي رؤية -بل رؤيا- خلعها عليهم الدكتور مرزوق دون وجه حق.

ونكرر ان هذا الأدب الإنساني الطيب من امثال طاغور وسينج لايسمى «أدبا إسلاميا» لأن إسلام المبدع شرط أساسي للحكم بإسلامية الأدب. وهذا اللون من الأدب سماه الإسلاميون «الأدب الموافق» ويسميه الاستاذ أبو الحسن الندوي «الأدب الجيد أو الأدب الصالح» (٢١).

ومن الغريب العجيب الذي يصعب تفسيره : أن الدكتور مرزوق بعد هذا القتال الفردي الضاري يصل إلى النتيجة نفسها فيقول: إن هذه النماذج «التي كتبها طاغور وسينج وغيرهما» ليست نماذج إسلامية، ولا إيمانية، وإنما تعد من أدب «الأخلاق الطيبة التي فطر الإنسان عليها، وجاءت الرسالات السماوية تتم مكارمها» (٢٢).

ومرة أخرى أقول سبحان الله !! وهل قال الإسلاميون غير هذا؟ فلماذا الهياج وإثارة النقع بلا مبرر؟ (٢٣).

عود إلى ماضٍ قريب ...

وحرصا على الحق، وحرصا على أخذ النفس بأمانة المنهج العلمي أذكر - في هذا المقام أن أحد الإخوة الصحافيين وجه إليّ السؤال التالي : ما الأدب الذي يمكن أن يطلق عليه أدب إسلامي؟(٢٤).

وجاء جوابي كمانشرته الصحيفة : ألخص لك الإجابة على هذا السؤال فيما يلي :

أولا : ليس من اللازم أن تكون كلمة الإسلام مذكورة في عنوان الابداع أو في مضمونه. فقد يكون الأدب إسلاميا، وليس فيه هذه الكلمة.

ثانيا: يقودنا هذا إلى أن هذا الاصطلاح يصدق في إيجاز شديد على كل إبداع شعري أو نثري ذي أبعاد إنسانية أخلاقية اجتماعية أو نفسية تربوية.

ثالثا: إذا أمنا بالمفهوم السابق للأدب الإسلامي، فهذا يلزمنا أن نغفل هوية المبدع اسما وجنسية ودينا.

رابعاً: قد يجد دعاة الأدب الإسلامي فيما ذكرته آنفا نوعا من الحرج في هذه التوسعة بالذات، وخصوصا إذا كان المبدع غير مسلم أو غربيا. ولكني أحاول أن أزيل هذا الحرج بأفعال الرسول - ﷺ - إذ جعل العقلية الاسلامية والسلوك الإسلامي يتسعان لحلف الفضول، وهو حلف جاهلي، حيث قال - ﷺ - بعد أن بعث نبيا ورسولا «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ماأحب أن يكون لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»(٢٥).

وذلك لأن حلف الفضول كان حلفا إنسانيا، نص على مناصرة المظلوم، والأخذ بيد الضعيف، وإعانته على القوي، فالنبي صلى الله عليه وسلم أجاز هذا الحلف لمضمونه الإنساني.

من هنا أرى أن يتسع مفهوم الأدب الإسلامي لكل الأعمال الأدبية التي تتفق في مضمونها مع قيم الإسلام، أو الأعمال ذات المضامين الإنسانية.

ولايعني هذا دعوة مني إلى أن يقوم القائمون على أمر الأدب الإسلامي بتبني هذه الأعمال أو طبعها، إذ المفروض هو تبني أعمال الأدباء المسلمين شعرا أو نثرا في المقام الأول (٢٦).

رأي منقوض ...

ويتحمس الدكتور سعد أبو الرضا للرأي السابق، وهو الرأي الذي رجعت عنه ويرى أن العبرة في الحكم والتوصيف «للنص» بصرف النظر عن النص، فيقول صراحة(٢٧) إن صفة - إسلامي - وهي ركن أساسي في تركيب «الأدب الاسلامي» قد دفعت بعضا منا إلى تصور أن ذلك الأدب الإسلامي لايصدر ولا يقبل إلا من المسلم الملتزم بدين الإسلام. مع أن ذلك قد يكون فيه تضييق واسع وإغلاق لباب قد يفتح طريق الهداية إلى إيجابيات هذه الفكرة، وهي أن يتسع الأدب الإسلامي ليشمل كل أدب تتحقق فيه خصائصه دون النظر إلى من قال، لأن اعتدادنا هنا إنما يكون بما قيل بعيدا عن الرؤية الضيقة، ولعل استيحاء حديث الرسول - ﷺ - «أوغلوا فيه برفق، ولن يشاد الدين أحداً إلا غلبه» مهيأ لاتساع رؤيتنا في هذه القضية، والابتعاد بها عن العصبية (٢٨).

ونأخذ على ماذهب إليه الدكتور أبو الرضا مايأتي :

١- أنه وصف الرأي الآخر - الذي يشترط مسلمية الأديب للحكم بإسلامية الأدب- بالرؤية الضيقة، مع أنه رأي له أسانيده القوية، بل إنه هو الأصل، وماخرج عليه يدخل في نطاق الاستثناء.

٢-الحديث النبوي الذي ساقه- وهو لم يورده بنصه ونسقه- لايصلح دليلا، ولا استدلالا، ولاحتى مجرد استئناس يؤيد رأيه من قريب أو بعيد.

٣- وكأني بالكاتب قد فاته ان المشكلة بالنسبة لهذا النوع من الأدب لاتتمثل في قبولنا أو رفضنا له، ولكنها مشكلة «توصيف» و«تصنيف» يثيرها هذا السؤال:هل يصدق على هذا النوع من الأدب اصطلاح «الأدب الإسلامي» أم لا؟ وكأني بالكاتب قد شعر بنوع من التحرج دفعه إلى نقض «حسمه» السابق، فأردف قائلا بعد الذي سبق مباشرة.

« بل يمكننا أن نصف الأدب ذا الخصائص الإسلامية الذي يصدر من غير المسلمين (بالأدب الموافق) وهي فكرة طيبة تساير سماحة الإسلام، وتوجهه لكل البشر، وكونه خاتم الأديان».

ونعود للدكتورعماد الدين خليل لنقف وقفة نقدية أمام النموذج التطبيقي الذي قدّمه (مثالا) للأدب الإسلامي الصادر من غير المسلمين، وهو (مركب بلا صياد) للمسرحي الأسباني المعاصر(اليخاندرو كاسونا) (٢٩) فهي في نظره تعد نموذجا للأدب والفن اللذين ينبثقان عن تصور إيماني للحياة والعالم والأشياء، دون اعتساف ولامباشرة ولاروح تعليمية»(٣٠).

وبعد أن يعرض خلاصة للمسرحية بأحداثها وشخصياتها وغير قليل من حوارها ينتهي إلى القول: إن «كل القيم التي طرحها (كاسونا) في مسرحيته تنبثق إلى حد كبير عن التصور الإسلامي للحياة والعالم والأشياء: الشيطان، العالم المشهود والغيب، إدانة الحضارة الجاهلية المعاصرة، الوجود مع الطبيعة الحب، الإيمان، الغفران والقدر.. حيث يمكن ان يجد الإنسان المعاصر الفن الذي يقدم له صورة أخرى للوجود الكوني والإنساني»(٣١).

ولكن ماالقيمة العملية لخلع مصطلح «الأدب الإسلامي» على هذه المسرحية ومادار في فلكها من أدب يحمل قيم الحب والسلام والإيمان؟إن هناك شعرا يحمل هذه القيم ويدعو إليها، وينشد في الكنائس كترنيمات تعبدية، وقد عرضنا بعضه في هذا البحث ضمن نماذج الأدب القبطي أو المسيحي، فهل من حقنا أن نطلق عليه مصطلح الأدب الإسلامي، وبذلك تنهار «تفردية» هذا الأدب ويفقد بالتدريج ملامحه الخاصة؟

إن كان الهدف هو «توسيع» مدارك الأديب الاسلامي وتوسيع ثقافته فإن عليه أن يقرأ مثل هذه الآداب ويفيد منها بما لايتعارض مع معتقده وتصوراته.

على أننا يجب أن نلاحظ أن «الكلمات العقدية» لها عند هؤلاء مفاهيم ومدلولات تختلف عن مفاهيمها ومدلولاتها في التصور الإسلامي مثل : الله والرب والغفران ... الخ ومن ثم كان على الدكتور عماد أن يتأنى قبل أن يحكم ان مثل الحديث التالي نابع من التصور الإسلامي :

استيلا: «اللهم بارك في الغابة فأس الحطاب، وفي البحر شباك الصياد. وبارك لنا مائدتنا حتى لاتخلو من الخبز والسمك، اللهم هبنا السلام والعمل والنوم الهادىء المطمئن،، وإذا كنا أسأنا إلى أحد فاغفر لنا يارب.. وأوزعنا أن نحسن ونعفو»(٣٢).

عماد الدين خليل والأدب الايماني ؟!

ولكن هل اختلفت رؤية الدكتور عماد بعد ذلك لهذا النوع من الأدب؟ في حوار صحافي (٣٣) وجه إليه السؤال التالي: في كتابكم (النقد الإسلامي المعاصر) وكذلك في كتابكم (المأسورون) استشهدتم في طرحكم حول الأدب الإسلامي بنصوص أدبية لغير المسلمين كنماذج أدبية إسلامية، هل تضعون فرقا بين الأديب المسلم والأدب الإسلامي؟

وجاء في جواب الدكتور عماد : إنها معضلة لايزال الجدل قائما حولها بين الأدباء الإسلاميين. بمقدور المرء في الوقت الحاضر- على الأقل- أن يجد ممرا للخروج منها وذلك باعتماد مصطلح (الأدب الايماني) بموازاة- أو مع- (الأدب الإسلامي): فإذا كان النص الإبداعي يعبر عن رؤية إسلامية متميزة يصوغها أديب مسلم كان (أدبا إسلاميا) أما إذا جاء هذا النص لكي يعبر عن رؤية إيمانية شاملة يصوغها أديب من غير المسلمين لكنها تلتقي في خطوطها العريضة وتوجهاتها الأساسية مع الرؤية الاسلامية عند حافات الأفق الإيماني الوضيء في عالم تحاصره المادية والتفكك والفساد كان هذا (أدبا إيمانيا).

وفي مواجهة الرأي السابق نبرز النقاط الآتية :

١-أن الايمان أعلى مرتبة من الإسلام بدليل قوله تعالى:(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)(٣٤).

وهذا هو المعنى المشهور. وبناء عليه يكون (الأدب الإيماني) أدب غير المسلمين أعلى مرتبة وأرفع قيمة من الأدب الإسلامي وهذا مالم يقل به أحد، ولاحتى الدكتور عماد نفسه.

٢- وقال النسفي في العقائد: (الإيمان والإسلام واحد) قال العلامة التفتازاني في شرحه: «لأن الإسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الأحكام والإذعان بها، وذلك حقيقة التصديق ويؤيده قوله تعالى:(فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين. فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)(٣٥).

وعلى هذا التخريج لايكون ثمة خلاف نوعي أو درجي بين الأدب الايماني والأدب الإسلامي، لأن التفريق لايقوم على اساس»

٣-وذكر الراغب الأصفهاني أن الإسلام في الشرع على ضربين : أحدهما دون الايمان كما يظهر في قوله تعالى:(قالت الأعراب آمنا) والثاني فوق الايمان وهو ان يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ماقضى وقدر، كما ذكر عن ابراهيم

عليه السلام في قوله (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)(٣٦) وقوله تعالى:(إن الدين عند الله الإسلام)(٣٧) وقوله تعالى:(توفني مسلما)(٣٨).

والوجه الثاني الذي ذكره الراغب غير مشهور، ولايكاد يعرفه إلا خاصة الباحثين، واعتقد أن الدكتور عماد لم يكن متمثلا هذا المعنى في التفريق بين الأدب الإسلامي والأدب الإيماني.

٤- لم يبق إلا أن يكون المقصود هو الإيمان بمفهومه العام الدارج بمعنى قوة الاعتقاد وحماسة الثقة وحرارة اليقين أيا كان موضوعه، على حد قولنا «فلان مؤمن بقضيته، وهذا كاتب يعوزه الإيمان بأفكاره» وفي هذه الحال يكون مصطلح «الأدب الايماني» في حاجة إلى الإشارة عند استعماله- إلى هذا المعنى الأخير للإيمان. وبذلك نُحمّل «المصطلح» تزيدا خارجا ينقص بل يسيء إلى «اصطلاحيته» كما أن هذا الاستعمال سيفتح الباب لعدد لايحصى من الإبداعات حتى مادار حول «قضية خاصة» مادامت تخاطب الحس الإنساني، وفي ذلك إرهاق لجهود الإسلاميين من الأدباء والنقاد، وتمييع لحدود الأدب الإسلامي نفسه.

أدب مقبول ولكن ...

وعودا على بدء أقول إن هذا النوع من الأدب الذي استوفى ملامح الأدب الإسلامي، ولكنه صدر عن -غير مسلم- مقبول مرحّب به. وليس من دعاة الأدب الإسلامي من يرفضه، ولكن مشكلته لاتعدو أن تكون مشكلة «نسب» و«تصنيف» فمصطلح الأدب الإسلامي، والتعريفات التي عرضناها لهذا المصطلح لاتتسع لإدراج هذا النوع من الأدب تحت مظلتها... ومن ثم رأينا أن يطلق عليه الأدب الموافق أو الملائم أو الموائم أو المساير أو المواكب، أو أي تسمية تحمل معنى اقترابه الشديد من الأدب الإسلامي.

وحتى لايكون هذا «الوصف» مفتوحاً غير مانع يمكن تقييده بطريقة «النحت» فيقال «أدب موا إسلامي» أي موافق للأدب الإسلامي. وقد يكون في هذا الاستعمال غرابة وثقل في النطق، ولكن اطراد الاستعمال- لو أخذنا بهذا المصطلح- كفيل بالتغلب على هذين المأخذين الشكليين. ■

المراجع والتعليقات :

١- هو الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك في بحث له بمجلة الدارة عنوانة مطلع الأدب الإسلامي «العدد الثالث السنة الثامنة عشرة» انظر ص ١٠٦.
٢- يقصد الدكتور عماد الدين خليل : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ٢١٧.
٣- محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ١٨٢.
٤- محمد قطب : السابق ١٨٣.
٥- السابق ٢٠٠.
٦- محمد حسن بريغش : الأدب الإسلامي : أصوله وسماته ١١٠.
٧- محمد قطب : السابق ١٨١.
٨- السابق ١٨٤ - ١٩٢
٩- السابق ١٩٢ - ٢٠٠
١٠- السابق ٢٣٠
١١- محمد قطب : السابق
١٢- السابق ٢٠٦ - ٢١١
١٣- انظر الدارة : السابق ١١٤
١٤- عماد الدين خليل : مرجع سابق ٢١٣
١٥- انظر السابق ٢١٤
١٦- السابق : الصفحة نفسها
١٧- باستثناء الدكتور عماد الدين خليل : وهو لم يقل إن هؤلاء إسلاميون في كل أدبهم، بل الذي يأخذه هذه الصفة هو ماتفق مع التصور الاسلامي في مفهومه الإنساني العام.
١٨- الدارة : السابق ١٠٦
١٩- الدارة : السابق ١٠٧
٢٠- الدارة : السابق : الصفحة نفسها
٢١- جابر قميحة : نعم لمطلح الأدب السلامي ١٢٩ بحث منشور في مجلة «الدارة» العدد الأول السنة العشرون - شوال ١٤١٤.
٢٢- مرزوق : الدارة ١٠٧-مرجع سبق
٢٣- قميحة: الدارة١٢٩- مرجع سبق. وللتفصيل راجع البحث ١١١- ١٦٠.
٢٤- نشر الحوار في «المسلمون» العدد ٣٩٤ (١٤١٣/٢/٢٣) - (١٩٩٢/٨/٢١)
٢٥- السيرة النبوية لابن هشام ١١٣/١، ١٣٥.
٢٦- وقد أثار رأيي هذا غضب بعض الاخوة منهم الأديب المغربي الاستاذ سعيد الكرواتي الذي تفضل وردّ عليّ بمقال نشر في «المسلمون» بتاريخ ١٤١٣/٤/٢٧.
وللحق تبينت خطأ رؤيتي فرجعت عنها، وأعلنت رجعتي على رؤوس الأشهاد في مؤتمر «رابطة الأدب الإسلامي» الذي عقد في اسطنبول بتركيا أواخر اغسطس ١٩٩٢، واخذت أعلن رأيي هذا في كل ماأكتب من بحوث ومقالات ولقاءات «انظر مثلا حواراً لي مع الاستاذ محمود خليل بمجلة المجتمع الكويتية العدد ١١٧٠-١٥ جمادى الأولى ١٤١٦- ١٠ اكتوبر ١٩٩٥.
٢٧- من مقال له بعنوان«الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح» مجلة الأدب الإسلامي : السنة الثانية العدد السابع (١٤١٦ - ١٩٩٥).
٢٨- المرجع السابق٩٥
٢٩- د. عماد الدين خليل: في النقد الإسلامي المعاصر ٦٧ - ٩٩، والمسرحية ترجمها الى العربية الدكتور محمود مكي.
٣٠- عماد الدين خليل المرجع السابق ٦٩
٣١- عماد الدين خليل المرجع السابق ٩٨
٣٢- عن عماد الدين خليل المرجع السابق ٩٥
٣٣- مجلة الحرس الوطني السعودية : عدد المحرم ١٤١١ - أغسطس ١٩٩٠ ص ١٠٢ - ١٠٧، أجرى الحوار عبد العزيز الداود.
٣٤- الحجرات / ١٤
٣٥- الذاريات / ٣٥ - ٣٦
٣٦- البقرة / ١٣١.
٣٧- آل عمران ١٩ وانظر الراغب الأصفهاني في ٢٤٠ : المفردات في غريب القرآن.
٣٨- يوسف ١٠١ للتفصيل راجع كتاب الراغب الاصفهاني السابق: ٢٤٠ - ٢٤١، وكذلك مجموعة قواعد الفقه التي جمعها السيد محمد عميم الإحسان المجددي المبركتي٥٠٠.

تاريخ اسلامي

قصة فتح عمورية في عهد المعتصم العباسي من غرر التاريخ، حيث نادت امرأة مسلمة أخذها الروم العلج أسيرة وامعتصماه !! فأجابها المعتصم بن هارون الرشيد لبيك !! لبيك !! فخرج في جحفل لجب حتى وصل عمورية، وأنقذ أسرى المسلمين وأدب الروم، ولم يصغ للمرجفين ولا المثبطين ولا المنجمين الذين أرادوا أن يثنوه عن عزمه على القتال في ذلك الوقت غير المناسب حسب زعمهم.

يوم المعتصم في عمورية ويوم الصلت في سقطرى

بقلم : د. محمد علي البار

حتى قال أبو تمام قصيدته المشهورة التي مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

وفيها :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت

عنك المنى حفلا معسولة الحلب

وقد فتحها المعتصم كما يقول ياقوت في معجم البلدان سنة ٢٢٣ حين استنجدت به العلوية الهاشمية المأسورة من قبل الروم، فلبى نداءها ثم فتح أنقرة على اثرها وكلاهما في تركيا اليوم.

وقد وقعت في الفترة نفسها تقريباً معركة قريبة منها إلا أنها مجهولة إلا من القلة المهتمة بتاريخ عمان وسقطرى واليمن. فقد كانت سقطرى الواقعة في بحر العرب (المحيط الهندي) تابعة للمهرة اليمنية، ولغتها مهرية حميرية، ثم دخلت المهرة وحضر موت في الإسلام في آخر العهد النبوي، ثم ارتدت معظم الجزيرة العربية بما فيها حضر موت والمهرة، وأخضعها خالد وعكرمة رضي الله عنهما في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت المهرة من نصيب عكرمة الذي أعادها إلى رحاب الإسلام. وبما أن المهرة كانوا أيضاً يحكمون سقطرى وبينهما وشائج القربى فإن الدعوة الإسلامية انطلقت من هناك .. وتركت أهل سقطرى الذين كانوا اعتنقوا النصرانية من قبل أحراراً في تقبل هذا الدين الجديد، وبقيت لهم كنائسهم وقسسهم، وبخاصة في المناطق الجبلية بينما أسلم أهل السواحل ومدنها. ووقعت سقطرى العام ١٣١هـ تحت حكم الجلندي بن مسعود من عمان حيث كانت الدعوة الاباضية قد أقامت لها دولة هناك. ولكن سرعان ما قضت الدولة العباسية عليها وعادت عمان وحضر موت والمهرة وسقطرى إلى حكم العباسيين.. ولكن ما لبثت الدعوة الأباضية أن قويت شوكتها مرة أخرى وتمت البيعة للإمام الصلت بن مالك الخروصي العام ٢٣٧ وامتدت دولته إلى المهرة وسقطرى. وكان واليه على سقطرى القاسم بن محمد الجهضمي السمدي (من أهالي سمد الشأن بعمان). وتمالأ بعض نصارى سقطرى مع نصارى الحبشة الذين هجموا على سقطرى في جيش لجب واحتلوها العام ٢٥٣، وقتلوا الحاكم القاسم بن محمد الجهضمي وعدداً من أفراد أسرته ورجاله، وساقوا النساء والأطفال سبايا. وكان من بين السبايا الزهراء فاطمة بنت حمد بن خلفان الجهضمية حيث كانت في زيارة قريبها الحاكم مع والدها وأفراد أسرتها.

وأنشدت الزهراء التي عرفت بالزهراء السقطرية قصيدة عصماء تستغيث وتستنجد بالإمام الصلت، وطوت القصيدة في أنبوبة فحملتها الأمواج حتى مرسى صحار، كما تقول الرواية، فظفر بها صياد كان يصيد السمك في قاربه فحملها إلى الإمام الذي اهتز عندما سمع القصيدة فأمر بإعداد الجيوش وجهز مئة سفينة وأمّر على الجيش محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال، فذهبت الجيوش وحررت الجزيرة وأعادت الزهراء ورفيقاتها وجميع الأسرى إلى رحاب الحرية..

لبى إمام الصلت نداء الزهراء السمطرية كما لبى المعتصم نداء المرأة في عمورية

وقد وصف المؤرخ والعلامة العماني نور الدين عبد الله بن حميد السالمي المتوفى سنة ١٣٣٢. في كتابه «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» هذه الواقعة وصفا تفصيليا كما ذكر القصيدة الرائعة، ووصية الإمام الصلت إلى قواده، وكتابه الذي يعتبر من أرقى ما كتب في الشؤون الدولية الإسلامية وبخاصة في محاربة الأعداء وكيفية معاملتهم وهي تمثل قمة عالية لم تصل إلى جزء يسير منها مواثيق الأمم المتحدة وعصبة الأمم في القرن العشرين.

نقض النصارى العهد وهجموا على سقطرى واحتلوها

قال السالمي: «وفي أيامه (أي الإمام الصلت)، خانت النصارى ونقضوا ما بينهم وبين المسلمين، فهجموا على سقطرى، وقتلوا والي الإمام وفتية معه وسلبوا ونهبوا وأخذوا البلاد وتملكوها قهرا».

«وسقطرى جزيرة طولها ثمانون فرسخاً، وبها الصبر وبها نخل كثير، ويسقط إليها العنبر وبها دم الأخوين (اسم شجرة)، وهي في جنوب عمان بينها وبين عمان بحر الحبشة (يدعى اليوم بحر العرب) فكتبت امرأة من أهل سقطرى يقال لها الزهراء للإمام قصيدة تذكر له ما وقع من النصارى بسقطرى وتشكوا إليه جورهم وتستنصره عليهم فقالت :

قل للإمام الذي ترجى فضائله
ابن الكرام وابن السادة النجب
وابن الجاجحة الشم الذين هم
كانوا سناها وكانوا سادة العرب
أمست سقطرى من الإسلام مقفرة
بعد الشرائع والفرقان والكتب
وبعد حي هلا صار مغتبطا
في ظل دولتهم بالمال والحسب
لم تبق فيها سنون المحل ناضرة
من الغصون ولا عوداً من الرطب
واستبدلت بالهدى كفراً ومعصية
وبالآذان نواقيساً من الخشب
وبالذراري رجالا لا خلاق لهم
من اللئام علوا بالقهر والغلب
جار النصارى على واليك وانتهبوا
من الحريم ولم يألوا من السلب
إذ غادروا قاسماً في فتية نجب
عقوى مسامعهم في سبسب خرب
مجندلين صراعاً لا وساد لهم
للعاديات لسبع ضاري كلب
وأخرجوا حرم الإسلام قاطبة
يهتفن بالويل والأعوال والكرب
قل للإمام الذي ترجى فضائله
بأن يغيث بنات الدين والحسب
كم من منعّمة بكر وثيبة
من آل بيت كريم الجد والنسب
تدعوا أباها إذا ما العلج هم بها
وقد تلقف منها موضع اللبب
وباشر العلج ما كانت تضن به
على الحلال بوافي المهر والقهب
وحل كل عراء من ملمتها
عن سوءة لم تزل في حوزة الحجب
أقول للعين والأجفان تسعدني
يا عين جودي على الأحباب وانسكبي
ما بال صلت ينام الليل مغتبطاً
وفي سقطرى حريم بادها النهب
يا للرجال أغيثوا كل مسلمة
ولو حبوتم على الأذقان والركب
حتى يعود عماد الدين منتصبا
ويهلك الله أهل الجور والريب
وثم يصبح دعا الزهراء صادقة
بعد الفسوق وتحي سنة الكتب
ثم الصلاة على المختار سيدنا
خير البرية مأمون ومنتخب

قال السالمي : «فجمع الأمام الجيوش وجهز المراكب وولى عليهم محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال فإن حدث بأحدهما حدث فالباقي منهما يقوم مقام صاحبه» فإن حدث بهما جميعاً حدث ففي مقامهما

حازم بن همام وعبد الوهاب بن يزيد وعمر بن تميم. وكتب لهم كتابا بين فيه ما يأتون وما يذرون. ويقال ان جملة المراكب التي اجتمعت في هذه الغزوة مئة مركب ومركب فساروا إليهم ونصرهم الله عليهم فأخذوا البلاد وهزموا الأعداء ورجعوا ظافرين مستبشرين. ومن ينصر الله ينصره الله».

وأين واقع المسلمين اليوم من ذلك الماضي المشرق حيث تدعو امرأة من عمورية فيستجيب لها خليفة المسلمين مسرعاً لإنقاذها ورفقتها (العام ٢٢٣هـ) .. ولما تمضي ثلاثون سنة (٢٥٣) إلا وتتكرر القصة في أقصى جنوب جزيرة العرب فتنادي امرأة في وسط جزيرة نائية في المحيط الهندي، فتبلغ إمام المسلمين في عمان، فيسرع بتجهيز حملة بحرية قوية تؤدب المجرمين الطاغين .. وأما اليوم فليل المسلمين طويل والسبايا من نساء المسلمين في البوسنة وكشمير وكوسوفا وفلسطين ينادين فلا يجيبهن أحد ويستغثن فلا يغيثهن مغيث.. فلا معتصم ولا صلت هناك بل الكل نيام لاهون في ملذاتهم،، والخطر يقترب منهم رويدا رويدا فتتكرر بذلك مأساة الأندلس وكارثة القرم. ورزايا المسلمين لم يعد لها آخر وليل المسلمين داج لا بصيص فيه من نور .. ولكن كلما ازدادت سجف الظلام قتامة كلما قرب الفجر، وإن وعد الله حق وإن نصر الله لقريب ..

كلما ازدادت سجف الظلام قتامة كلما قرب الفجر

نظرة في عهد الإمام الصلت لقواده وجنوده : يبدأ الإمام الصلت عهده العظيم بذكر الله وتوحيده يقول : «بسم الله الرحمن الرحيم إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ومقاليد كل شيء عنده الواحد الأحد العلي الجد، الذي ليس لعظمته حد ولا لملكه عد، ولا لقدره صاد، ولا لأمره راد، ولا له نظير ولا مضاد، تفرد بفطرة الخلق، ونصرة الحق ورتق الفتق، وعلا فدنا ودنا فنأى، وسمع ورأى، وعلم وأحصى وقدر وقضى وأعز وأذل.. ثم صلى على المصطفى وآله وكيف أقام الله به الحجة وتبر به الأوثان وشرع به شرائع الايمان ودفع به حزب الشيطان.

ثم أمر قواده وجنوده بإخلاص التوبة لله والمبادرة بإخلاص العمل لله .. «والزموا تقوى الله في الغيوب وداووا بها داء العيوب، وتجهزوا للقاء الله بالطهارة من العيوب، فإن الله يغفر لمن يحوب .. فتوبوا إلى الله من سيئ ما مضى واصلحوا فيما بقى بما عنكم به يرضى وصونوا دينكم، ولا تبيعوا دينكم بدنياكم ولا بدنيا غيركم. وقفوا عن الشبهات، وأحرموا عن محارم الشهوات، وغضوا أبصاركم عن مواقعة الخيانة، واحفظوا فروجكم عن الحرام، وكفوا أيديكم وألسنتكم عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم بغير حق، واجتنبوا قول الزور وأكل الحرام، ومشارب الحرام وجماعة السوء، ومداهنة العدو، وأدوا الامانات إلى أهلها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا. ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون.

أوصى الإمام الصلت جنوده بأن لا يبيعوا دينهم بدنياهم

وأمرهم طويلا بإقامة الصلاة في أوقاتها، والخشوع فيها، وكيفية صلاة الحرب، وعند الخوف. ثم قال: «واعلموا إني وليت عليكم يا معشر الشراة (أي الذين شروا أنفسهم) والمدافعة على جميع سقطرى أهل السلم منها وأهل الحرب، وعلى الصلاة، وقبض الزكاة، والجزية، والمصالحة والمسالمة والمحاربة لأهل النكث من النصارى، أو من حاربكم من المشركين في سفركم، أو في مستقركم على الأمر والنهي، وإعطاء الحق ومنع الباطل، وإنصاف المظلوم من الظالم، ووضع الأمور في مواضعها، وإعطاء كل ذي حق نصيبه من العدل من قريب الناس وبعيدهم، وقسم «ثلث» الصدقات على أهلها، وتزويج النساء التي لا يصح لهن أولياء في مواضعهن بمن يرضين به، وإذا كان لها كفؤا على ما تراضوا به من الصداق، ولا يكون الصداق أقل من أربعة دراهم، وإقامة الوكلاء لليتامى والأغياب الذين لا أوصياء لهم ولا وكلاء في أموالهم، وفرض الفرائض لليتامى في أموالهم وللنساء النفقات على أزواجهم بالعدل والمعروف، (وليت عليكم) محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال فاسمعوا لهما وأطيعوا لهما في طاعة الله، وفيما دعياكم إليه من حق ومجاهدة أعدائه مجتمعين أو متفرقين، في بر أو بحر، ولتصدق نياتكم وتحسن رعايتكم وتألوا على الحق قلوبكم. ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم».. ثم ذكرهم بآيات الله والنصح لمن ولاهم وأن يتناصحوا ولا يتباغضوا ولا يغش بعضهم بعضا، ولا يتفاخروا في الأحساب والأنساب، وأن يكونوا يداً واحداً على كلمة واحدة كالبنيان يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.. وذكرهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم قال «وقد بغى هؤلاء النصارى وطغوا ونقضوا عهدهم ونرجوا أن يديل الله عليهم.. فإذا سرتم أو نزلتم فاكثروا ذكر الله فإن بذكر الله تطمئن القلوب.. وشدوا على ربابنة السفن أن لا يتفرقوا، ولا يسبق بعضهم بعضا حيث يسمع بعضهم دعاء بعض، فإن عنّاهم معنّى تكيّف ووازر بعضهم بعضا إنشاء الله. فإذا أقدمكم الله إلى الجزيرة فتناظروا وتشاوروا، وأرجو أن لا يجمعكم الله على ضلال..

«ثم أمرهم بأن يقتربوا من القرية الناكثة فيحاصرونها ويرسلوا إلى أهل العهد الذين لم ينقضوا عهدهم فأعلموهم أنهم آمنون على أنفسهم ودمائهم وحريمهم وذراريهم وأموالهم، وأنكم وافون لهم بالعهد والذمة والجزيه على الصلح الذي يقوم بينهم وبين المسلمين فيما مضى، ولا ينقض ذلك ولا يبدله. واختاروا إليهم رجالا من خيارهم، فوجهوهم إلى هؤلاء الناقضين لعهدهم، الناكثين على المسلمين ببغيهم واجعلوا ممن توجهون رجلين صالحين ممن يوثق به من أهل الصلاة.. فتأمروهم أن يصلوا إلى الذين نقضوا العهد، فتدعوهم عن لساني وألسنتكم إلى الدخول في الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مع حقوق الله والانتهاء عن معصيته، فإن قبلوا ذلك

فهي أفضل المنزلتين لهم وذلك يمحوا ما كان من حدثهم .. وإن كرهوا أن يقبلوا الإسلام ويدخلوا فيه، فلتدعهم إلى الرجعة من نكثهم والتوبة من حدثهم إلى الدخول في العهد الأول الذي كان بينهم وبين المسلمين، على أن لهم وعليهم الحق بحكم القرآن وحكم أهل القرآن من أولي العلم بالله وبدينه فإن أجابوا وتابوا فلتقبلوا ذلك منهم ولتأمروهم بترك ما في أيديهم وأيدي أصحابهم من أهل الحرب من نساء مسلمات، ثم لا يتزوج رسلكم من عندهم حتى يقدم معهم رؤساء أهل الحرب، ويسلموا إليهم النساء المسلمات اللاتي سبوهن، واجعلوا لرسلكم أجلا في رجعتهم لمن أجابهم، وبالسبايا إلى ذلك الأجل، أن لا تظلموهم ولا تخادعوهم، ولا تماكروهم بالمطل والتواني في ذهاب الأيام، فإن وصلوا إليكم بمن أجابهم من أهل الحرب ، وقد استسلموا وتابوا من حدثهم وجاؤوا بالنساء المسلمات فأقبلوا ذلك منهم، ولا تعرضوا لأحد ممن جاءكم تائبا مستأمنا مستسلما بسفك دمه، ولا انتهاك حرمته ولا سبي ذريته ولا غنيمة ماله، وليكونوا مثلكم آمنين : يا الله !! هذه القمة السامقة في معاملة قوم غدروا وفجروا وقتلوا الأبرياء ونقضوا العهد وأخذوا أشراف المسلمين ونساءهم سبايا فقد أمرهم الإمام الصلت أن يدعوا أولاً القوم الذين لم ينكثوا العهد ولا يخلطوا بين الفريقين بل يعلموا الباقين على العهد بالأمان والوفاء. ثم يختاروا من هؤلاء القوم أرشدهم ويبعثوا منهم رسلا إلى الناكثين مع اثنين أو واحد من أهل الصلاة (أي أهل الإسلام) لينذروا الناكثين ويدعوهم إلى الإسلام فإن هم أجابوا فذلك يمحو حدثهم وقتلهم المسلمين، وهم إخوة للمسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. ولهم بعد ذلك المنزلة العلا عند الله ويتوب الله على من تاب، فإن هم أبوا إلا البقاء على دينهم فلهم ذلك ولكن يطالبونهم بالعودة والوفاء بالعهد الذي كان وان يسلموا السبايا من المسلمات فإن أجابوا لذلك فعفى الله عما سلف «ولا يضاروا ولا ينتقم منهم. بل إن طلبوا أجلا للنظر في هذه الأمور فأعطوهم الأجل وحددوا لهم الزمن». وفي تلك الفترة حذرهم أشد التحذير من الخديعة والظلم والكذب. بل لابد أن يحترم المسلمون أجلهم ومدتهم فإن رضى هؤلاء الكفار الناكثين للعهد الذين سفكوا الدماء وسبوا نساء المسلمين وذراريهم بإحدى الحسنيين: الإسلام أو العودة للعهد فقد أمرهم بقبول ذلك منهم والعفو عما سلف من جرائمهم وأن يؤمنوا على أموالهم وأنفسهم وذراريهم ويوفى لهم بالعهد، وإن أبوا إلا القتال فقد أمرهم بمقاتلتهم، والاحتساب والصبر بعد التيقن والتثبت وعدم الاستعجال والتأكد أنهم مصرون على النكث ونقض العهد. وقد أمرهم بعدم قتل النساء والأطفال والشيوخ والذين لا يقاتلون والزمنى والمرضى والقسس. «وأن لا يقاتلوا موليا إلا أن يقاتلهم فإن استأسر أخذوه ولم يقتلوه».

بادل المسلمون أهل سقطرى الإساءة بالإحسان والغدر بالوفاء

وأمرهم بالصبر والمصابرة والثبات عند اللقاء وذكر لهم من ذلك من آيات الله في كتابه الكريم وما جاء على لسان نبيه ورسوله من أجر المجاهدين والصابرين ثم أعلمهم بما يفعلون في الغنيمة مذكراً بقول الله تعالى (واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ونهاهم عن الغلول وأن تقسم أربعة أخماس الغنيمة على المقاتلة بالسواء ويعزل الخمس للإمام (الدولة). وأما السلاح والنساء والذرية ممن ولدوا بعد نقض العهد فيحملون إلى الإمام ليرى فيهم رأيه. وأما من ولد من هؤلاء القوم الكفرة من النساء والذرية قبل نقض العهد فلا سبيل عليهم ولا يحملون إلى الإمام بل يبقون في بلدتهم «وإذا ما التحمت الحرب بينكم وبينهم فلا تقتلوا صبيا صغيرا ولا شيخا كبيراً ولا امرأة.. ومن قتلتموه عند المحاربة فلا تمثلوا به فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة». وأمرهم بالمحافظة على الصلوات والذكر «ثم لا تغفلوا عن الحرس في الليل واجعلوه نوائبا بينكم في كل ليلة حول قريتكم، فإنه يقال أن الله يباهي بنفر من عباده من أهل أرضه ملائكته، فهم مقدم القوم إذا حملوا (أي على العدو)، وحاميهم إذ انهزموا، وحارسهم إذا ناموا».

وذكر لهم كيف يؤدون الصلاة في الحضر والسفر وفي الأمن والخوف وعند اشتداد القتال. ووجه القادة إلى منع مجالس اللهو والخمر والطرب فمن شرب الخمر أقيم عليه الحد إلا من تاب منهم واستغفر فاقبلوا توبته وأقيلوا عثرته، وردوا عليه نفقته ورزقه «واعلموا أن لا يحل لأحد من المسلمين نكاح نساء النصارى من أهل سقطرى، لا نساء أهل العهد منهم ولا نساء أهل الحرب إلا نساء الذين يقرؤون الإنجيل منهم» ذلك لأن من لا يقرأ الإنجيل فقد بعد بهم العهد عن النصرانية واشبهوا المشركين من غير أهل الكتاب في ذلك فلذا أخذوا حكمهم «فلا يحل نكاح نسائهم ولا أكل ذبائحهم ولا طعامهم».

وصية الإمام الصلت لا تختلفوا في آرائكم ولا في سلمكم ولا في حربكم

ثم ينهي الإمام الصلت وصيته مرة أخرى بقوله: «لا تختلفوا في آرائكم، ولا في سلمكم ولا في حربكم، وليكن رضاكم واحداً وغضبكم واحداً، وواليكم واحداً، وعدوكم واحدا.. فإني أسأل الله أن يهديكم للائتلاف وأن يؤمنكم ويؤمن بكم من المخاوف، وأن يعيذكم ويعيذ بكم من الارتجاف والاختلاف، وأن يكسيكم كل خلق واف، وكل علم كاف، وكل عمل صاف.. وقد تحقق للإمام الصلت ما أراد فنصر الله سبحانه وتعالى جنده وأعز دينه، وهزم الفئة الباغية الناقضة للعهود من نصارى سقطرى، وعادت راية الإسلام عالية، وارتفع ذكر الله من المآذن، وحقق الله لعباده الذين اصطفى النصر والعز والتمكين.. وانتشرت بذلك عدالة السماء في الأرض ودخل الناس في دين الله أفواجاً لما رأوه من الأخلاق الربانية التي لم تعهد لبشر من قبل، حيث قابل المسلمون الاساءة بالإحسان والغدر بالوفاء، والثبات عند اللقاء، فتم بذلك نصر الله والفتح، وانتشر دين الله في آفاق الأرض. ■

أدب

التعبير بالقصة من بين وجوه الإعجاز

بقلم: ناصر مصطفى مرسي

القضية في القرآن ليست ضرباً من التاريخ المحض، قصد به إبراز الأمكنة والأزمنة، وسرد الحوادث جافة دون أهداف، فيها كثير من الحشو والتكرار، بل هدفها أولاً وقبل كل شيء إرسال الموعظة وأخذ العبرة من الأمم الماضية في ثوب بياني معجز(١)، ولتقرأ في ذلك قول الله تعالى (وكلا نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) هود: ١٢٠، ولتقرأ أيضاً: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) يوسف: ١١١.

إن القصص القرآني فيه إيناس صاحب الرسالة المحمدية بأخبار إخوانه من الرسل الكرام، فما كانت هذه الأخبار لتعلم إلا لمن شاهد، وما شاهد أحداثها، ولكنه تلقاها وحياً مرسلاً.

قال تعالى وهو يذكر قصة مريم ويؤكّد تلقي الرسول للوحي ليثبّت فؤاده: (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) آل عمران: ٤٤، وقال تعالى في خبر موسى وقصته: (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) القصص: ٤٦.

والقصص القرآني ذاته فيه من مظاهر الإعجاز الكثير، وهو إعجاز إخباري عن أمم سابقة جاء على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب، إذ هو النبي الأمي الذي لم يشاهد الوقائع ولم يقرأها فكانت القصص تثبيتاً له، وإيناساً، والقرآن الكريم وهو يعرض في قصصه أحداث الأمم السابقة، يهدف من ذلك إلى إبراز أغراض دينية متعددة كالعبرة، والتوحيد، والتسلية، والتوجيه.(٢)

«فالقصص أحفل بالأسوة، وأعمل في النفس، وأبعث على الطمأنينة والرجاء، إنه أخف على السمع، وأرعى للانتباه، لا يأمر ولا ينهى، ولكن يقص الأنباء ويصف الأحداث، ويقرن العمل بعاقبته والجزاء عليه، في بيان رائع وتصوير صادق، يجيش بالحياة والحركة فتسري الحكمة منه والموعظة إيحاء وانفعالاً لا طاعة لأمر، ولا تأثراً بوعظ، فينزل من أعماق النفس في قرار مكين، حتى كأنه من نبع الوجدان وإشعاع الذات»(٣). وقد حدا بالدكتور عبدالله حسين أن يذكر أن:

«القصص القرآني يختلف اختلافاً تاماً عن سائر الأجناس التي نعرفها للأدب، لأن جمال اللغة والنظم فيه جمال مستقل بجوهره، فريد من نوعه، خالد بذاته في عالم الجمال الأدبي كله... مادته ألفاظ دقيقة موحية منتقاة، وعباراته شامخة النظم في التفسير القرآني الرفيع، وبنيانه البلاغي نسيج وحده يعجز عن مثله أساطين القصة وفحول البيان، لقد كان القرآن الكريم بحق الرائد السبّاق إلى سائر ما يشدو به الأدباء والنقاد من عناصر البناء الفني القصصي المتمثلة في الأحداث والشخصيات والحوار والصراع والعقدة والحبكة ووحدة الزمان والمكان والتشويق والإثارة، والمفاجأة والابتهال، والقضاء والقدر والخوارق والمعجزات، وقد جاءت اللغة المعبرة عن سائر هذه العناصر قمة في التحدي والإعجاز»(٤).

ولقد عُدَّت القصة من بين وجوه الإعجاز حتى أنك لترى بين ثنايا القصّ القرآني تكاملاً عضوياً يرباً به ليكّون نظرية تكاملية تصلح أن تكون أساساً في التربية والتعليم وقد تتبع ذلك الدكتور حسين علي محمد في كتابه النفيس «القرآن ونظرية الفن... محاولة لتأصيل نظرية إسلامية في الفنون»، حيث عالج القصة القرآنية من جميع جوانبها باغياً من وراء ذلك إلى تقديم نظرية إسلامية في الفنون الأدبية، وقد حدا بالإمام الشهيد سيد قطب أن يبيّن لنا أن «وظيفة الفن الأولى هي إثارة الانفعالات الوجدانية، وإشاعة اللذة الفنية بهذه الإثارة، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات، وتغذية الخيال بالصور لتحقيق هذا جمعية... وكل أولئك تكفله طريقة التصوير والتشخيص للفن الجميل»(٥).

ومن قبل وجدنا أن التعبير بالقصة من بين أساليب التصوير الفني في القرآن وهذا ما قام بمعالجته والكشف عنه الإمام الشهيد سيد قطب في كتابه القيّم «التصوير الفني في القرآن» ومازال الطريق مفتوحاً أمام الباحثين من الدارسين ليوجهوا للقصِّ القرآني خلاصة أبحاثهم والله يقول: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) ص: ٢٩. ■

الهوامش

١ ـ من نسمات القرآن الكريم ـ للدكتور عبدالرحمن عبدالحميد علي ص ٢٣، الجزء الأول ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ مطبعة التقدم بالقاهرة.

٢ ـ القصة في القرآن ـ مقاصد دينية ـ قيم فنية ـ لمحمد قطب عبدالعال ص ٤٩ ـ إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ مكتبة الشباب ٤٩ ـ ١٩٩٦م ـ شركة الأمل للطباعة والنشر.

٣ ـ مع القرآن في دراسة مستلهمة ـ علي النجدي ناصف ـ دار المعارف ـ ص ٢٣.

٤ ـ ملحق جريدة الأهرام القاهرية ـ الجمعة ١٩٩٥/٥/٥م، ص ٨.

٥ ـ التصوير الفني من القرآن ـ للإمام الشهيد سيد قطب ـ ص٢٤٢ ـ الطبعة التاسعة ١٩٨٧م ـ ١٤٠٧هـ ـ دار الشروق.



حقيقة التوراة والصهيونية

يتبادر للذهن سؤال تاريخي صعب قد يحتاج إلى زمن للحصول على جواب في مستوى السؤال نفسه: هل التوراة كتاب سماوي مقدس؟ وأن دواعي هذا السؤال هو ما يتضمنه هذا الكتاب من آراء وسلوكيات لاتنسجم ولاتتفق مع الروحانية الإليهة التي كانت الإنسانية بحاجة إليها في ذلك الزمان والتي يألفها الإنسان المعاصر من دعوة للخير ونهي عن الشر.

بقلم : عبدالغفار نصر

ما تحمله التوراة من آراء وسلوكيات

لا تنسجم ولا تتفق

مع الروحانية الإلهية والدعوة للخير

مسألة فهم التوراة

إن مسألة فهم التوراة «العهد القديم» مسألة شائكة ومعقدة في آن، وإن كانت تسير نحو الوعي بها ببطء شديد، بل مازالت العودة إليها وإلى أسفارها بعيدة عن برامج الباحثين والمفكرين العرب والمسلمين، إلا أن قلة قليلة كتبت في فصول التوراة واستخرجت منها تعاليم ومناهج توحي بهدم الإنسانية ولا تشير إلى عبادة الله الخالق الواحد الأحد الذي «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، أو علينا القبول في نهاية القرن العشرين بعد ميلاد السيد المسيح بتعدد الآلهة وتقديم الضحايا.

يتألف العهد القديم من تسعة وثلاثين سفراً وتسعمئة وتسعة وعشرين إصحاحاً من سفر التكوين إلى خروج بني إسرائيل ثم أخبار أنبيائهم وقضاتهم وملوكهم ومزاميرهم وأمثالهم، دون تحديد سنوات وعصور التكوين ولا أعتقد أن الباحثين قد تمكنوا من تحديد الأعمال الزمنية إلا بصورة تقريبية للأحداث الموصوفة، أما مضامين هذا الكتاب «التوراة» فهو توصيف أخلاق اليهود وبني إسرائيل في كيفية تعاونهم مع بني البشر في أزمان لم تكن البشرية بهذه السعة العددية الكمية، أو المعرفية التقنية المرعبة والمذهلة، أو في زمن تقدم فيه العقل البشري إلى مستوى تسخير كل شيء للإنسان، لأن عهد الأنبياء منذ سيدنا إبراهيم إلى سيدنا محمد عليهما السلام هو تربية البشرية وصقل ذهنية الخليقة وتقويم سلوكها وتصحيح إعوجاجها وهدايتها نحو الخير وتعميم روح الإنسانية.

تتجسد المأساوية الصهيونية في ماضيها وحاضرها فهما وجهان لعملة واحدة

فإذا كانت التوراة كتاباً سماوياً مقدساً تميز بين الإنسانية والحيوانية لابد وأن آياتها وإصحاحاتها تحوي منهجية خلقية ودعوة إنسانية خالصة، ولابدَّ ثانية من أن يأسف إنسان نهاية القرن العشرين في استمرار جهل العالم المتمدن للمحتوى التوراتي، ثم عقد مقارنة نقدية بين هذا الكتاب «التوراة ـ العهد القديم» وسلوكيات الحركة الصهيونية المعاصرة التي يخرجها الكيان الصهيوني إلى صعيد الواقع الحالي، حيث تتجسد المأسوية ونحن نرى ماضيها وحاضرها وجهين لعملة واحدة من خلال تصرف هذه الحركة اليهودية الصهيونية في عدائها للإنسانية لكل بني البشر، ولشدة حرص الولايات المتحدة على أهمية دولة إسرائيل، أصبح يحق للدارس المتأمل إطلاق تسمية إمبراطورية الولايات المتحدة الإسرائيلية، بدلاً من الأميركية، فالتلازم العقائدي الأيديولوجي الذي يحتوي تلازماً سياسياً اقتصادياً عسكرياً صبغ الواقع الحالي في منظومة تلازمية عدوانية مرعبة، والأكثر مأسوية أن شعوب العالم المتحضر وحكوماته الممثلة في الهيئات الدولية سلمت أو أخضعت نفسها كلية، وانساقت خوفاً، أو طواعية وراء السياسة الأميركية المؤيدة بإطلاق الدولة اليهودية الصهيونية العنصرية التوراتية، واتخذت لنفسها حق قيادة العالم ونهب خيرات الشعوب الضعيفة.

المعتقدات الدينية عن بني إسرائيل

لسنا في صدد التوسع في الحديث السياسي اليومي، مع أنه ولد من رحم السلوك التوراتي تماماً، لكننا نهدف إلى إلقاء بعض الأضواء على المعتقدات الدينية عند بني إسرائيل من خلال توراتهم التي تنطوي على انغلاق قومي شوفيني يتصف بالعرقية والعنصرية الحاقدة منذ أن وُلد ادعاء الانتساب إلى يعقوب، وخروجهم من مصر نحو الجزيرة العربية وبلاد الشام.

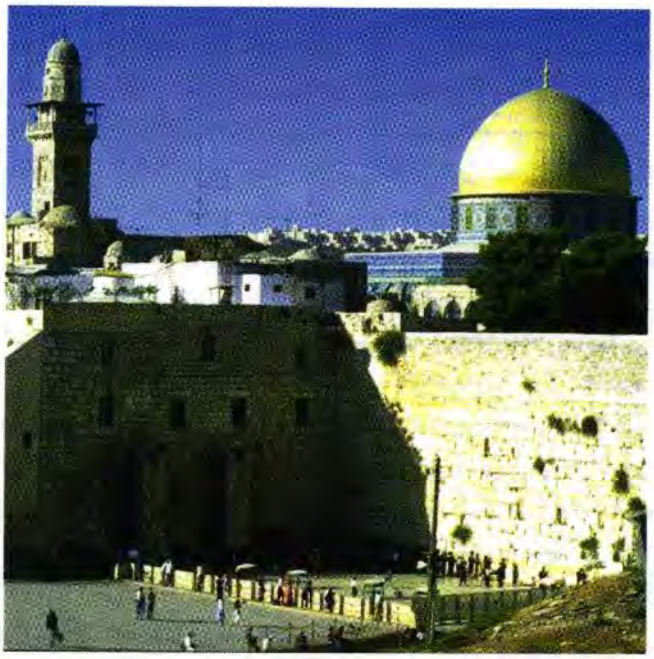
إن أي باحث في التاريخ المعاصر يهتم صراحة في تفسير التصرفات اليهودية الصهيونية وبواعثها واستخراجاتها واستنتاجاتها من العقلية الدينية التي خلعها عليهم إلههم «يهوه» وفيهم «موسى» وصفاتهم الخلقية التي خلعوها أيضاً على إلههم الذي اتصف بصفاتهم اليهودية العنصرية الشرسة، فكيف نفسر أوامر الرب بإبادة بني البشر: «فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة وطفلاً رضيعاً، بقراً وغنماً جملاً وحماراً» صموئيل الأول ١٥:٣، ومن يصدق أن الله يقول: «اجمع عليهم شروراً وأنفذ سهامي فيهم. إذ هم خاوون من جوع ومنهكون من حُمَّى وإسام أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة زواحف الأرض... استر سهامي بدم ويأكل سيفي لحماً بدم القتلى والسبايا ومن رؤوس قواد العدو» تثنية ١٥: ٢٤، ٤٢، وهذه العقلية الدينية هي التي تشكل في المجتمع اليهودي الصهيوني القاعدة الأساسية في فكرهم المجتمعي السائد منذ قرون وقد تكوّنت معه العقلية الصهيونية أو الفكر والإيديولوجيا الصهيونية التي بها ومن خلال نهجها قامت وولدت إسرائيل بعد نضال فكري وعملي استمر قروناً طويلة إلى أن كان ضعف العرب والمسلمين الفرصة الذهبية التي لا تعوض بالنسبة لهم.

ربط الماضي بالحاضر

إن ربط الماضي بالحاضر مسألة مهمة على مسار البحث، إذ من خلال هذا الربط تتضح نقاط الاختلاف والوفاق بين العقل التوراتي والعقل الصهيوني في نهاية هذا القرن، وعندما نقرأ آياتهم وأصحاحاتهم أو أخبار ملوكهم ونسمع ونشاهد كيف كسَّر «إسحق رابين» أيادي الأطفال وهدم البيوت على رؤوس ساكنيها، وقطع الماء عن العطشى، فهل هي أوامر «يهوه» الذي لقنهم: «لأنه هكذا قال السيد الرب هأنذا أسأل عن غنمي وافتقدها كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه المشتتة. هكذا أفتقد غنمي وأخلصها من جميع الأماكن التي تشتت إليها في يوم الغيم والضباب وأخرجها من بين الشعوب وأجمعها من الأراضي وآتي بها إلى أرضها وأرعاها على جبال إسرائيل في الأودية وفي جميع مساكن الأرض» حزقيال ٣٤: ١١، ١٣، إن ما تفعله الصهيونية اليوم هو بأمر السيد الرب

القديم والحديث بنت أفكارها وانسلّ نهجها من هذا الماضي الدموي الذي إما أن يتجاهله العالم المتحضر اليوم، أو يسكت عنه تتويجاً للدوافع الاستعمارية المعاصرة، لذلك تغافل الباحثون الغربيون بسبب حقدهم وكراهيتهم للإسلام عن حقائق التاريخ الذي يصف ويتحدث عن اليهود بدواً انتشروا على أطراف الصحراء العربية لا يتصلون جنساً ولا عرقاً ولا لغة بيهود الخزر الذين فرقتهم الحروب والمنازعات مع جيرانهم في أصقاع أوروبا الشرقية.

هذه تعني كيف نمت وترعرعت الذات اليهودية الممزوجة، أو المستخرجة من اعتقادات نسبوها إلى إله يخصهم من دون البشر، والذات اليهودية مبنية على فكرة الشعب المختار، وهو شعب فريد في تاريخ البشرية، وفي هذه المقولة التي تنشطر صراحة إلى شطرين متناقضين: تفوقهم أخلاقياً، وهذا ادعاء باطل تكفر به التوراة نفسها، أما تفردهم عن البشرية والامتياز والاختيار فهذه بدعة يكذبها التاريخ لأن تعداد الآلهة ارتبط بتعدد القبائل والشعوب، أما اليوم فقد انتهى عصر تعدد الآلهة.



مسألة التفوق الأخلاقي المزعوم

لكن سبقني أمام مقولة التفوق الأخلاقي التي خصهم بها الله، الله عند بني إسرائيل هو «يهوه» دون أن يعني تعريف الله بالعبرية بـ«يهوه» كما نقول في اللاتينية GOD أو كما سماه السومريون دينجر dinger أو عند الساميين إيل، إنما هو إله بني إسرائيل يخصهم وحدهم، كما كانت شعوب بلاد ما بين النهرين أو بلاد الشام ومصر لكل منها إله متميز بخصوصية وتفرد، وهذه حال الشعوب القديمة، فآلهة الآشوريين تتسم في الأعم الأغلب بسمات عسكرية وذلك مثل الإله نيونرتا Ninurta إله الحرب والصيد، وربما كان هو نفسه نمرود Nimrodالذي يؤكده الكتاب المقدس،(٢) التوراة «والإله يهوه هو إله الحرب عند بني إسرائيل قاد مؤمنيه في المعارك التي خاضتها القبائل الإسرائيلية مع جيرانها وتخلق بأخلاقهم وعاداتهم، ونسج كاتب التوراة تفسيره للوقائع الكسمولوجية والمعتقدات على شكل أساطير وخرافات وسقط يهوه في حبائل هذه الأساطير التي لم يعرف لها قرار ومستقر.

تفرد اليهود عن البشرية بالامتياز والاختيار بدعة يكذبها التاريخ

ويبقى في الأعم الأغلب أن يهوه اسم كأي إله من آلهة الجزيرة العربية، ولا يخرج تفسيره عن الصنمية بدليل أن الإسرائيليين كانوا يعودون إلى الصنمية بين الحين والآخر: «وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب» قضاة ٢:١١، ١٢. وفي إصحاح آخر يقول كاتب التوراة: «وكان بعد موت جرعون أن بني إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم وجعلوا لهم بعل بريث إلهاً. قضاة ٨:٣٣،

وقد فسر كثير من الباحثين(٣) هذه الوضعية الصنمية الوثنية التي بنت عليها القبائل الإسرائيلية معتقداتها ثم صنّفها كاتب التوراة وأخرجها أساطير لها بداية وليس لها نهاية، بل كتب عليهم ميثاقاً وعهداً: «لذلك قل هأنذا أعطيه ميثاقي السلام. فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدي... عدد ٢٥: ١٢، ١٣. والمدهش الذي حيَّر عقول البشر أن هذا الإله الذي يعبدونه حتى اليوم هو كأي بشري همجي في معظم حياته وتصرفاته وحاقد وعنصري يكره بني البشر يخاطبهم ويعاتبهم ويسير أمامهم ينتصر ويتراجع فينهزم ويعاتب عندما يتركونه «وأنتم قد تركتموني وعبدتم آلهة أخرى. لذلك لا أعود أخلصكم» قضاة ١٠: ١٣.

إذا كان اليهود أو بني إسرائيل يمتازون ويتصفون بالتفوق الأخلاقي على بني البشر وأنهم شعب الله المختار، لابد وأن يتصف كتابهم وإلههم بالصفات التي تفوق الصفات الإنسانية يجب أن يكون للإله امتيازاً وخصوصية وتفرداً، أما الإله الذي يتحدث عنه كاتب التوراة يتصف بالأخلاق الشريرة يسعى وراء القتل والذبح والتشريد والغدر والخيانة وفعل الرذيلة، إنها صفات لا يقبل بها الإنسان العادي، فكيف يكون سكوت وصمت أهل التوحيد مسيحيين أو مسلمين، وبتقديري هذه الديانة المزورة أعطت نتاجاً مزوراً فليس موسى الذي يتحدث عنه كاتب التوراة النبي الذي تحدثت عنه الأناجيل والقرآن الكريم.

حقيقة موسى في القرآن والإنجيل

وعند كل حديث عن موسى والتوراة يرى الباحثون أن بني إسرائيل شوّهوا حقيقة موسى التي أوردها الإنجيل والقرآن

الكريم، في الوقت نفسه لم يطرح الأوروبيون المتحضرون الذين يذهبون إلى كنائسهم صباح كل أحد ويصومون في كل مناسبة ويحلمون بالحج إلى بيت المقدس، لم تطرح الأسئلة حول حقيقة التوراة أو حقيقة موسى؟ وأي توراة على المسيحي المؤمن أن يتلوها في كنيسته وهل البراءة التي تُعطى بين الحين والآخر تعبر عن الحقيقة التاريخية وتتجاوب مع أحداث التاريخ الذي يدونه المؤرخون من خلال المكتشفات الأثرية وما يحصلون عليه من قيم ولغات ولهجات الشعوب القديم في جزيرة العرب؟، أم توراة البغي والزنا والغدر والتجسس يقبل بها إنسان القرن العشرين، وهذه هي أهم أسباب دهشتنا فيما وضعه «مارتن لوثر» الكهنوتي وهو في مستوى عال من المعرفة الابستمولوجية يتخذ من فساد الكنيسة الكاثوليكية الإداري حجة في قبوله طرح التوراة، وبمزاعم أرميا بدلاً من الدعوة إلى التحقيق ومتابعة الجدل الديني في صحة هذا الكتاب، فقد وضع الإنجيل كتاباً ثانوياً إلى جانب التوراة وقبل الصلاة والتراتيل، ومزامير داود بدلاً من أناجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا وضرب برسائل بولص عرض الحائط، فتحولت الخرافة إلى تاريخ، والادعاءات المتعلقة بهذا التركيب التاريخي المصطنع بغية تقويم سياسته إلا في قضية محددة هي تحويل النصوص التوراتية إلى أداة، من هنا بدأت الحقيقة المشوهة التي لم يدركها الغرب وقد أشار إليها الإنجيل صراحة في محاكمة السيد المسيح أمام الوالي الروماني بيلاطس: «فقال لليهود هوذا ملككم فصرخوا خذه خذه، اصلبه، قال لهم بيلاطي أصلب ملككم؟ أجاب رؤوساء الكهنة ليس لنا ملك إلا قيصر» إنجيل يوحنا ١٩:١٥، ١٦.

كان على لوثر إما أن يرفض المعتقد الإيماني الذي توج عيسى المسيح ابناً للإله أو يقبل بما جاء به تلامذة السيد المسيح، والحقيقة أن اللوثرية أيقظت من جديد الروح الصهيونية عند اليهود الذين نظروا إليه بأنه يهودي، وراع يهودي، أما مبادئه وبخاصة هجومه العنيف على الأشكال الوثنية وعبادة الآثار المقدسة فقد جعلته يوصف بأنه شبه يهودي، أو نصف يهودي.

لذلك لا يمكن القبول أن حملته الإصلاحية كانت حملة على المفاسد التي تعاني منها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من الداخل، فهي حركة إحياء صهيونية استجابت للآيات والإصحاحات التوراتية وأناشيد سليمان، وبالتالي راح يدعو إلى إعادة اليهود إلى فلسطين من دون دراسة أخلاقهم الإجرامية وسوء ائتمانهم (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهوم يعلمون) آل عمران: ٧٥، والقرآن الكريم يعني اليهود وكعب بن الأشرف الذي استودعه قرشي ديناراً فجحده.

اليهود كدين سماوي

لا نريد التوسع في هذا الاتجاه الآن، فله مكان آخر، لكنه قد ينظر بعض الدارسين أن مثل هذه المقدمات تخص المعتقد الديني الإيماني وتتعرض له ويريدون أن نميز بين اليهودية كدين من الأديان السائدة في العالم، وبين اليهودية باعتبارها جزءاً من التراث اليهودي الذي ساعد على تكوين الوجدان الصهيوني الذي تأثر بهذا التراث تأثراً عميقاً، مما يستوجب الخوف من أن نخوض في غمار الايمان وفقد النص الذي هو أساس البحث العلمي بالنسبة لليهودية والكتاب المقدس «العهد القديم».

فالاتصال بالنص التوراتي مادة مهمة في تاريخنا المعاصر، ونحن نرى كيف تسيطر الصهيونية على السياسة العالمية وتتحكم بالاقتصاد وتحقيق المصالح الاستعمارية والبطش والرغبة في إبادة الفلسطينيين، في الأسلوب والمنهجية نفسها التي عاشتها الصهيونية قبل آلاف السنين، هنا يأتي التساؤل عن حقيقة موسى وتوراته كمسألة ملحّة، والإسلام أقرَّ بهما - موسى والتوراة - إنما يتخذ التساؤل اتجاهاً آخر: أين هو موسى الذي تحدث عنه القرآن الكريم؟ وهل هناك حدود بين الصهيونية واليهودية والإسرائيلية؟ والصهيونية هي المحتوى الأيديولوجي لليهودية والإسرائيلية، ومن هذا المحتوى ولدت الهرتزلية، أو الصهيونية الحديثة تكرس عقلاً دينياً عنصرياً، يعيد المفهوم التوراتي: «لنسلك اعطي هذه الأرض» لكن من خلال شعار: انتظار ظهور المسيح، والعودة إلى فلسطين التي أطلقوا عليها مقولة: «أرض الميعاد».

الصهيونية هي المحتوى الأيديولوجي لليهودية والإسرائيلية

فمن الأمثلة الحديثة الحاخام «مورتيزغودمان» الذي تحمَّس كثيراً للدعوة الهرتزلية حتى طغى حماسه على عقله وهو يخاطب هرتزل: «كأنني أرى موسى بلحمه وعظمه استمر في كونك ما أنت عليه ربما كنت ذاك الذي اصطفاه الله، ولم ينس تقبيله»(٧).

فهل يرقى المسلمون إلى وعي إسلامهم ويستلون من القرآن حقيقة التاريخ؟ ■

الهوامش

١ - جورجي كنعان: العنصرية اليهودية ص٢١.
٢ - جفري بارندر: المعتقدات الدينية، عالم المعرفة ٤/١٧٣ ص ١٩.
٣ - راجع: ذوقان قرموط: في تكوين الأمة العربية، أيضاً أحمد سوسة: العرب واليهود.
٤ - روجيه جارودي: الأساطير المؤسسة، ص ٥٠.
٥ - ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية: عالم المعرفة ٤، ٩٦ ص ٤٥.
٦ - راجع بهجة المعرفة ٤/٤٢ ص ٢٢٠.
٧ - أسعد رزوق: إسرائيل الكبرى ص٢٩.

تراث

أخلاقيات الطب في التراث الإسلامي

بقلم: محمد عودة السلمان

من المعلوم أن الإسلام يهدف إلى تكوين الذات الإسلامية لدى الفرد منذ الطفولة بحيث يمتزج الخلق الإسلامي مع تكوين الفرد وطباعه، والطبيب المسلم الذي يحمل أمانة الإسلام أولاً وأمانة المحافظة على صحة المسلمين ودفع الضرر عنهم ثانياً، أولى الناس أن تكون تربيته إسلامية وسلوكه محمدياً والتزامه بخلق الإسلام جزءاً من طبعه يمارسه بلا تكلف في سره وعلانيته.

هذه القاعدة الأساسية تندرج تحتها كل الفضائل والأخلاقيات التي أوصى بها القرآن الكريم والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي لا يتسع المجال لذكر نصوصها هنا، ومنها: الصبر والإحسان في العمل والكلام الطيب والابتسام والحياء والرحمة والرفق والتواضع، وهناك بعض الجوانب الأخلاقية المعينة تمس عمل الطبيب أكثر من غيره ويلزمه أن يتذكر دائماً حكم الإسلام فيها، من ذلك:

١ ـ غض البصر، قال تعالى: (قل للمؤمنين يغضو من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) النور: ٣٠، فلا يجوز أن يكون الترخيص بالاطلاع على عوارات الناس عند الضرورة مبرراً للتخلي عن الحياء الواجب على كل مسلم، وعلى الطبيب ألا يطلع إلا على ما هو ضروري، وأن يراعي حرمة الميت كما يراعي حرمة الحي.

٢ ـ لا يجوز إخبار المريض بخطورة مرضه ولو كان ميؤوساً من شفائه، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله فإن ذلك لا يرد شيئاً ويطيب نفسه» (رواه الترمذي وابن ماجه).

٣ ـ تطبيقاً للقاعدة الشرعية: «لا ضرر ولا ضرار» فإن على الطبيب أن يحفظ المريض المصاب بمرض معدٍ ويدعوه إلى الاعتكاف لمنع الضرر عن المسلمين، فعندما علم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن مريضاً بالجذام قادم إليه يبايعه مع المسلمين، أرسل إليه ليرجع قائلاً: «ارجع فقد بايعناك» (صحيح مسلم).

٤ ـ الطبيب معرض في مهنته للاطلاع على أسرار المريض، فيجب أن يتخلق بخلق الإسلام في هذا المجال «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة» (صحيح مسلم)، وإذا استشاره المريض فليلتزم بالأمانة في إبداء المشورة وليحافظ على ما استشير فيه، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «المستشار مؤتمن».

٥ ـ فحص الطبيب للمريضة يجب أن تحضره ممرضة أو أحد محارم المريضة تطبيقاً لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم» (صحيح البخاري).

٦ ـ ألا يقدم على ممارسة المهنة إلا إذا كان مطمئناً إلى كفايته، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «لا حكيم إلا ذو تجربة» (رواه ابن ماجة) ويحترم التخصص المهني تنفيذاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «من تطبب ولم يعلم عنه طب فهو ضامن» (سنن أبي داود)، ويحافظ على كفاءته العلمية بالتعليم المستمر، يقول صلى الله عليه وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها ينشدها» (جامع الترمذي).

٧ ـ توجيه عمله لله حتى يثاب عليه، وتجنب ما حرم الله في العلاج لقوله ـ صلى الله عليه وسلم: «ما جعل الله شفاءكم فيما حُرِّم عليكم» وتجنب الممارسات كالإجهاض والوشم، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لعن الله الواشمات والمتوشمات والواشرات والمتوشرات».

٨ ـ أن يتعامل مع زملائه الأطباء على أسس من تعاليم الإسلام، فيتجنب الغيبة والتجريح ويحترم الكبير ولا يتعالى على الصغير، ويقدم النصح لمن يحتاجه وأن يسعى لتعليم زملائه الأقل خبرة، يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (صحيح مسلم).

وعندما وضع الدارسون الأقدمون من أطباء ومؤرخين وفقهاء تصوراتهم الواقعية لمهنة الطبيب صاحب المكانة الخاصة المتميزة في المجتمع، كان رائدهم في ذلك الاقتداء بالقيم السمحة والمبادئ السامية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية الغراء، ولأجل تهيئة من سيقوم بشرف معالجة هذه النفس البشرية التي كرمها الله سبحانه وتعالى بقوله: (ولقد كرمنا بني آدم)، فقد أجمعوا على وجوب تحلي الطبيب ببعض القواعد الأخلاقية الكريمة والآداب المهنية العالية، إضافة للكفاءة العلمية، ويمكن تفصيل ذلك بما يلي:

١ ـ الشهادة الطبية وإجازة ممارسة المهنة : من الالتزامات المطلوبة اليوم من الطبيب أن يكون كفؤاً في مزاولته لمهنته من الوجهة العلمية والعملية، وأول إشارات الكفاءة هذه حصوله على

الشهادة الطبية، إذ من دونها لايمكن أن يحصل على إجازة ممارسة المهنة، والمشرفون على أمور الدولة العربية الإسلامية تنبهوا إلى ضرورة ذلك، وكان الخليفة العباسي المقتدر أول من سن هذا النظام، والسبب الذي دعاه إلى إيجاد هذا النظام ما رواه ابن أبي اصيبعه على لسان سنان بن ثابت بن قرة رئيس الأطباء في عصره: «لما كان العام ٣١٩هـ اتصل بالمقتدر أن غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل، فأمر الخليفة إبراهيم بن محمد بن بطيحة بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه سنان بن ثابت بن قرة، وكتب له رقعة بخطه يطلق له التصرف فيه من الصناعة».

٢ ـ القسم الطبي: فقد اشترطوا على كل من يريد ممارسة الطب أن يؤدي قسماً طبياً يقطع به عهداً على نفسه بتطبيق بنوده.

والقسم هذا شمل أغلب بنود وفقرات قسم أبقراط المعروف مع تغيير وتحوير فيه جعله أوفى تقنيناً لآداب المهنة، وأكثر ملاءمة للمفاهيم الإسلامية الداعية للطهارة والفضيلة في ممارسة مهنة الطب، ولم يلتزم الجميع بقسم واحد ثابت، بل نرى في كتبهم أنماطاً مختلفة لها تدور جميعها في المفهوم الأدبي والأخلاقي نفسه، مشددة على الالتزام بقدسية المهنة وعدم الخروج عن حدودها المرسومة.

٣ ـ اتقان العمل ومتابعة التحصيل العلمي: فقد أعطى الأطباء العرب والمسلمون مسألة اتقان العمل والمحافظة على مستوى جيد من مزاولة مهنة الطب أهمية قصوى لأن المسألة تتعلق بحياة الإنسان وموته، يقول الكندي: «ليتق الله تعالى المطب، ولا يخاطر فليس عن الأنفس عروض، فكما يجب أن يُقال إنه كان سبب عافية المريض، وبرئه، وكذلك أن يحذر أن يُقال إنه كان سبب علته وموته».

ونصائح الرازي لطلاب الطب والأطباء شملت إلى جانب قراءة الكتب والمطالعة والتتبع تأكيدات ضرورة تحكيم العقل والاعتماد على التجربة الشخصية لكي تؤتي المعالجة ثمارها فيقول:

ـ الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والوقوف على أسرارهم نافع لكل حكيم عظيم الخطر.

ـ متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل.

ـ ما اجتمع الأطباء عليه وشهد عليه القياس وعضدته التجربة فليكن أمامك.

ويؤكد علي بن العباس المعنى نفسه، عندما يتكلم عن صفات الطبيب الجيد حيث يقول: «ولا ينبغي أن يكون أكثر تشاغله إلا بقراءة الكتب والحرص على النظر فيها أعني كتب الطب، ولا يمل من ذلك ولا يضجر منه في كل يوم ويلزم نفسه حفظ ما قرأه...».

وشدد الرازي على مسألة الخبرة الشخصية في معالجة المرضى محذراً المريض من الأطباء المقلدين والأحداث، منبهاً الأطباء إلى عدم التسرع ومساءلة المريض بشكل تفصيلي عن المرض حيث يقول : «الأطباء الأميون والمقلدون والأحداث الذين لا تجربة لهم ومن قلت عنايته وكثرت شهواته قتالون».

وفي وصايا ابن عبدالله محمد الحاج العبدري (المتوفى سنة ٧٣٧هـ ـ ١٣٣٦م)، في كتابه (المدخل) نجد لوناً من ألوان آداب الطبابة التي تحتوي على حيوية وحركة نشيطة تكاد تربط حاضرنا بماضينا وتلامس أوضاعنا وكأنها وضعت ليومنا وكأن ما يتحدث عنه قد شاهده في حياتنا المعاصرة يقول:

«فيتعين على الطبيب أن يسمع كلام المريض إلى آخره، فلعل آخره ينقض أوله، ولربما يغلط المريض في ذكر حاله أو يعجز عن التعبير عنه، فإذا تأنى الطبيب وأعاد عليه السؤال برفق أمن الغلط، فإن الغلط في هذا خطر لأن أصل الطب والمقصود منه معرفة المرض، فإذا عرف سلمت مداوامته غالباً».

ويتعين على الطبيب إن كان غير عارف بدوائه الا يكتب شيئاً من الأدوية لما في ذلك من إضاعة المال.

وينبغي للطبيب الا يقتصر على سؤال المريض وحده، بل يسأل من خدم المريض، إذ ربما يعرف عن المريض أكثر مما يعرفه هو، وينبغي للطبيب أن يعرف حال المريض في حال صحته في مزاجه ومرباه واقليمه وما اعتاده من الأطعمة والأدوية سواء بالسؤال من المريض أو ممن يلوذ به وإذا تعذر عليه ذلك فليسأل عن والدي المريض ويطبه بمقتضى حالهما».

٤ ـ حسن الخلق والهيئة: لقد تنبه فلاسفة الطب منذ زمن ابقراط إلى أن العلاقة بين الطبيب والمريض علاقة إنسانية نفسية إلى جانب كونهامسألة علمية وعملية، لذلك نجدهم يؤكدون ضرورة اتصاف الطبيب بحسن الخلق والشكل والهيئة، لما لذلك كله من موقع حسن في نفس المريض وأثر طيب في العلاج والشفاء.

وقد بلغ الأطباء العرب والمسلمون في ذلك شوطاً بعيداً، يقول علي بن العباس: «ينبغي لمن أراد أن يكون طبيباً فاضلاً، أن يتخلق بالأخلاق الفاضلة والا يتهاون فيها، فإنه إن فعل ذلك كانت مداواته للمريض مداواه صواب».

ومن بين الشروط التي ذكرها ابن رضوان في الطبيب: «أن يكون تام الخلقة صحيح الأعضاء، حسن الذكاء، جيد الرواية عاقلاً ذكوراً، خير الطبع».

ـ أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة، نظيف اليدين والثوب.

ـ أن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة، لا يخطر بباله من أمور النساء والأحوال التي شاهدها في منازل الأعلاء فضلاً عن أن يتعرض إلى شي منها.

وجملة القول في آداب وأخلاقيات مهنة الطب في الإسلام أن الأطباء العرب والمسلمين كانوا ملتزمين بمنهاج متكامل يربط كل فرد منهم لا بالمجتمع فحسب، بل بالله تعالى الذي يعبدونه، وان التزامهم هذا لم يأت قسراً، وإنما جاء عن طواعية واختيار في ظاهرهم وباطنهم ومن غير خشية من عقاب المجتمع أو القانون، بل رغبة في طاعة خالقهم وطلباً لرضاه التي جعلوا حياتهم كلها وسيلة لها وطريقاً إليها. ■

البيت المسلم

عدد ٣٩٣ - الوعي الإسلامي - جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - أغسطس / سبتمبر ١٩٩٨ م



كيف تستثمر وقت طفلك ؟

عبارات خطيرة (١)

سيعاقبك والدك عندما يأتي مساء !

حتى يسعد زواجكم

اربح عقد

حكاية زوجية

زواج لم يتعد شهر العسل !!

كيف ننمي المهارات الاجتماعية عند الأطفال ؟

إليك يا بني

نتائج المسابقة

مازال مئات من الإخوة الكتّاب والقراء يبعثون بمشاركاتهم في مسابقة «البيت المسلم» التي لقيت استجابة واسعة طيبة لم نكن نتوقع أن تكون بهذا القدر من الإقبال.

ولا شك في أن هذا يدل دلالة واضحة على أهمية الرسالة التي تحملها «الوعي الإسلامي» وعلى المكانة الطيبة التي تحتلها في نفوس قرائها.

ولم يكن في وسعنا تأجيل إعلان نتائج المسابقة أكثر مما أجلناه، ولهذا فإننا ننشر أسماء الفائزين في المسابقة، مع وعدنا باستمرار نشر المشاركات المتميزة التي تصلنا ومكافأة أصحابها مكافآت يستحقونها إن شاء الله تعالى.

ونرجو من الإخوة الفائزين المنشورة أسماؤهم في هذا العدد إرسال أسمائهم الكاملة وعناوينهم المفصلة لإرسال جوائزهم إليهم، سواء أكانت جوائز مالية أم اشتراكات سنوية في مجلة «الوعي الإسلامي».

ولعل بعض قرائنا يسألنا: ألن تكون هناك مسابقات أخرى؟ ونجيب: بلى، ستكون هناك مسابقات أخرى في القريب العاجل إن شاء الله تعالى.

يبقى أن نذكر الإخوة الذين يكتبون إلينا بضرورة إثبات أرقام الآيات القرآنية الكريمة التي يوردونها في مقالاتهم، وكذلك تخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

وفق الله الجميع إلى ما يحبه ويرضاه، إنه سميع مجيب.

محمد رشيد العويد

أسماء الفائزين وجوائزهم

● **الجائزة الأولى** وقدرها ثلاثون ديناراً فاز بها: ممدوح جمعة عبدالمجيد - المنصورة - مدينة السلام - شارع الجامع - جمهورية مصر العربية.

● **الجائزة الثانية** وقدرها خمسة وعشرون ديناراً فاز بها: محمد رمضان الأحمر - مدرسة زايد الأول الثانوية - العين - الإمارات العربية.

كلمة العدد



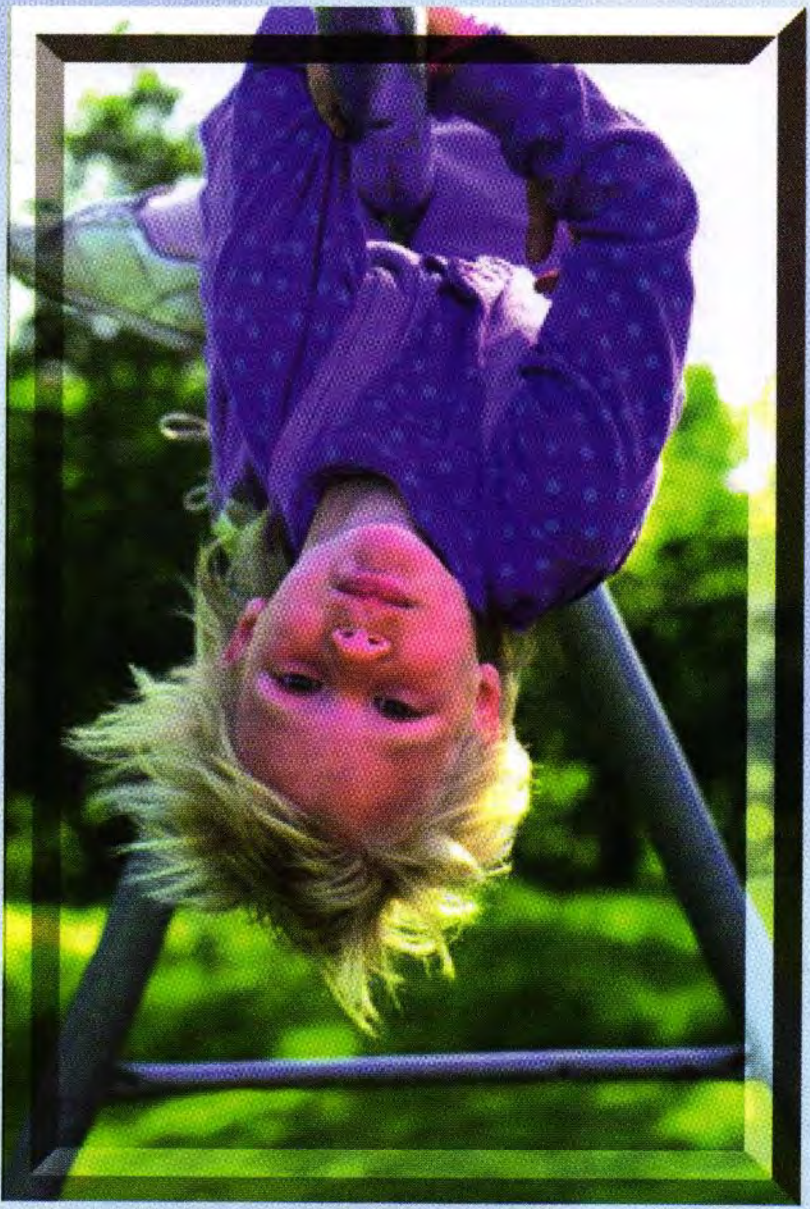
● **الجائزة الثالثة** وقدرها عشرون ديناراً فاز بها: السيد عبدالرحمن عبدالواحد.

● **الجائزة الرابعة** وقدرها خمسة عشر ديناراً فاز بها: محمد عبدالظاهر حمد.

● **الجائزة الخامسة** وقدرها عشرة دنانير فاز بها: محمد حمدي محمد الحديدي.

● **الجوائز السادسة إلى العشرين** اشتراك سنوي في مجلة «الوعي الإسلامي» فاز بها كل من:

- خالد محمد أحمد النيباري - ص.ب ٨١ - الفروانية - الكويت.
- عمر عبداللطيف إبراهيم علي - محافظة الشرقية - جمهورية مصر العربية
- محمد حسن علي عليوة - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية
- رمضان محروس محمد رشدان - الجيزة - جمهورية مصر العربية
- مريم محمد إبراهيم - هدية - دولة الكويت
- مصطفى قاسم مصطفى عبدالعال - محافظة الغربية - جمهورية مصر العربية
- محمد علي ماضي - دمياط - جمهورية مصر العربية
- عبدالرحمن عبدالقادر الطحاوي - محافظة الشرقية - جمهورية مصر العربية
- حامد مسعود خير الله - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية
- محمد كوريا عبدالله - تايلندي الجنسية - طالب في جامعة الأزهر الشريف - جمهورية مصر العربية
- أشرف شعبان شحاته محمد - طبيب - المنيا - جمهورية مصر العربية
- أحمد عز الدين عطية سكران - كفر الشيخ - جمهورية مصر العربية
- إقبال خضير الشهاب - الكويت
- محمد محمود بعجر - دمنهور - جمهورية مصر العربية
- عبدالفتاح عبدالجواد عيد - ديروط - جمهورية مصر العربية
- نجاح محمد الكيلاني - الرياض - المملكة العربية السعودية
- ليلى العباش - الحسيمة - المملكة المغربية



تردد الأمهات - وربما الآباء - عبارات متوارثة منوعة أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن مبادئ مخالفة للإسلام، ومعلومات خاطئة تؤثر على المفاهيم والقيم الاجتماعية والسلوكية والأخلاقية - وربما المشاعر الإنسانية - لأولادنا لتسبب لهم آثاراً نفسية سيئة، أو مفعولاً سلبياً أو سلوكاً معادياً... فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، فلننتبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

عبارات خطيرة (١)

سيعاقبك والدك عندما يأتي مساء!

عابدة المؤيد العظم



يزعج الطفل الصغير أمّه ويسبب لها الضيق، ويمتنع عن الانصياع لأوامرها فلا يحترم رغباتها ولا يلتزم بقيودها، ويعبث بأدوات المنزل ويفسد قسماً منها، ويحرجها أمام ضيفاتها بسلوكه، ويتطاول على جدته بكلامه، ويضرب ويؤذي أخاه الصغير...

فلا تؤنبه أمه ولا تعاقبه ولا تضربه، وإنما تقول له وقد نفد صبرها وعلا صوتها: «سيعاقبك والدك عندما يأتي مساء»، أو: «انتظر، وسوف ترى ما الذي سيفعله والدك عندما يحضر!؟»، وأمثال هذه العبارات، ويستمر الولد في سلوكه العدواني وتستمر أمه في تكرار عباراتها تلك على مسامعه طوال اليوم، كما فعلت في اليوم السابق، وكما ستفعل في اليوم اللاحق، وغالباً ما تتسامح الأم مع طفلها - عندما يأتي والده مساء - فتتجاهل الأمر وتتناسى العقاب رأفة بولدها! وقد تنفذ الأم تهديدها في مرات قليلة فتشكو الصغير إلى والده ليوقع عليه العقاب المنتظر.

يعلق الدكتور سبوك على هذا السلوك بقوله: «إن أعداداً كبيرة من الأمهات يقلن لي في دهشة: «إن الآباء يسيطرون على الأبناء بطريقة أفضل من الأمهات»، والحقيقة أن الطفل يسمع كلام الأب ويطيع أوامره رغم أن الأب لا يتدخل في شؤون الطفل إلا لمدة دقائق»، ثم يعلله بقوله: «إن طريقة الأم في معاملة ابنهاتفقد فاعليتها، لأنها تعاشر الطفل معظم النهار وتستخدم الكلمات نفسها تقريباً، كما أن الأم نفسها تقول للابن أنها ستشكوه إلى الأب»(١)

أين خطورتها ؟

من أجل ذلك كانت لهذه العبارات خطورتها: فهي تدل - أولاً - على عدم جدية الأم في إيقاع العقاب، وإلا فما الذي يحول دونها ودون طفل صغير أذنب فاستحق العقاب؟ ولماذا تتسامح مع ولدها أحياناً؟ ولماذا تنتظر حضور والده ليعاقبه؟

وتدل هذه العبارات - ثانياً - على اتكالية الأم على الأب في أمر يخصها، بل هو من أهم مهامها: «التوجيه والتربية»، ففي هذه العبارات تخل من الأم عن حصتها من مسؤولية التربية وفيها ترك للأمانة: «الأم راعية في البيت

ومسؤولة عن رعيتها»، والأولاد هم رعية الأم وعليها أن تقوم عليهم وحدها في غياب والدهم فتغرس المبادئ والدين والأخلاق، وعليها أن تقوّم سلوكهم بنفسها وتعدل طباعهم بمعرفتها، فلا ينبغي أن تترك ولدها يسرح ويمرح في البيت ويؤذي من حوله دون أن تبادر إلى منعه وتوجيهه وتهذيبه وتأديبه.

حتى لا تفقدها

وهي توحي ـ ثالثاً ـ بضعف الأم وتكرّس هذا الضعف في نفس الطفل وعقله اللاواعي، وكيف سيحسّ الطفل بقوة أمه إن كانت عاجزة عن إنزال أي عقاب ولو كان يستحق أقسى العقاب؟ إنها لابد لها من الاستعانة بالعقاب «في موضعه الصحيح» في قيامها بأمانة رعاية أبنائها وتربيتهم وتوجيههم، وليس شرطاً أن تضرب ولدها أو أن تقسو عليه، فالنظرة تكون كافية في كثير من الأحيان، وللكلمة تأثيرها العميق في أغلب الأوقات، وعلى الوالدة أن تتدرج في العقاب وأن تقدر للذنب قدره فتعاقب حسب حجم الذنب لا بمقدار غضبها وانزعاجها! إنما المهم أن تعاقب هي والمهم أن تعاقب بنفسها «في الأحوال العادية وفي المشكلات اليومية، ودون مساعدة الوالد»، حتى لا تفقد هيبتها أمام ولدها، وحتى لا تفقد مكانتها، وحتى لا تفقد سلطتها، فإنها إن فعلت خسرت الكثير وصعبت عليها عملية التربية والتوجيه، كما أنها هي التي عاينت الذنب بنفسها وشهدت الخطأ بعينها فهي أكثر تقديراً من والد الطفل بمقدار العقاب الذي يستحقه طفلها، فقد يعاقبه والده عقاباً صارماً، أو قد يضربه ضرباً مبرحاً لا يتناسب مع الذنب الذي فعله فيفقد العقاب أهميته في عملية التربية، ويصبح أمراً مألوفاً وشراً لابد منه!.

وقد توحي هذه العبارات للطفل ـ أخيراً ـ بأن والده مخيف ومرعب، فهو الذي يعاقب، وهو الذي يوبخ، وهو الجلاد الذي يضرب، فيهابه خوفاً منه لا تقديراً واحتراماً له، الأمر الذي يوجد فجوة بين الابن وأبيه ويمنع التواصل بينهما ويقف عائقاً أمام علاقة أبوية ناجحة مثمرة.

خير الجزاء عاجله

ولا تنسوا ـ بعد ذلك كله ـ أن ترك العقاب للأب «حين يعود إلى البيت في المساء» فيه تأخير للعقاب وفصل طويل له عن زمن وقوع الذنب الموجب له، وعلماء التربية يؤكدون وجوب إيقاع العقاب بالطفل فور وقوع الذنب: «ومما وجده ثور نديك وغيره أن أثر الجزاء ـ ثواباً كان أم عقاباً ـ يبلغ أقصاه حين يعقب السلوك مباشرة، ولكن أثره يضعف كلما طالت الفترة بينه وبين السلوك. فلكي يكون الجزاء مثمراً يجب أن يكون عاجلاً مباشراً، أو على الأقل لا يكون متأخراً إلى حد كبير وبخاصة مع الأطفال، فخير الجزاء عاجله»(٢)، فإن تأخر العقاب نسي الطفل الذنب الذي فعله ولم يتضح له سبب العقاب، الأمر الذي لايفيده في الإقلاع عن الذنب، بل يشعره بالظلم والاضطهاد.

حين لا ينفع الندم

أرأيتِ أيتها الأم أي أثر خطير تركته هذه العبارات؟ فاجعليها في قاموسك من المحرمات، وإياك ـ في أي يوم كان ـ أن يسمع منك طفلك هذه الجملة: «سيعاقبك والدك عندما يأتي مساء»، أو: «انتظر، وسوف ترى ما الذي سيفعله والدك عندما يحضر!؟»، أو «إن لم تنته عما تفعله لأخبرن والدك بسلوكك ليوقع عليك أقسى العقوبات!؟». وتذكري أنك ـ حين تفعلين ذلك ـ تتخلين عن سلطتك وقدرتك على الضبط والتوجيه، فربما غاب الأب يوماً «في سفر» أو ضَعُفَ «في مرض» فتفتقدين السلطة فلا تجدينها، فيومئذ تندمين حيث لا ينفع الندم، وتأسفين حين يكون الداء قد تجاوز القدرة على العلاج! ■

الهوامش

١ ـ دكتور سبوك: حديث إلى الأمهات ص ٥٠٦.

٢ ـ د. أحمد عزت راجح: أصول علم النفس ص ٢٢٦.

بالنية الخالصة يعظم أجر العمل القليل

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إن الرجل إذا نظر إلى امرأته، ونظرت إليه، نظر الله إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما». الجامع الصحيح ـ الحديث ١٩٧٤. هذا حديث نبوي جامع لكثير من معاني الألفة الأسرية والتي يفتقدها كثير من الأزواج في هذا العصر، والذي أدى في الواقع إلى كثرة حالات الطلاق بين حديثي الزواج.

فالحياة الزوجية الحقة المبنية على اتباع هدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما هي حياة مليئة بالشفقة والرحمة والعطف المتبادل بين الزوجين، فقد يظن كثير من الأزواج من أصحاب الأفهام القاصرة، أن الزواج عبارة عن علاقة وقتية، أو هو عبارة عن علاقة فراش فقط، سرعان ما يزول أثرها في السنة الأولى من الحياة الزوجية! وهذه ليست قاعدة عامة!!

ولكن الحق الأبلج الذي لا ريب فيه أن علاقة الزوج بزوجته علاقة كلها رحمة وألفة وحب طاهر عفيف صاغته التوجيهات النبوية، والتي من أمثلتها هذا الحديث النبوي الذي بين أيدينا. فالحديث فيه دلالات كثيرة تحث الزوجين عليها، هذه الأعمال مع بساطتها إلا أنها تحمل في طياتها الكثير من المعاني العظيمة، ومنها:

١ ـ النظرات المتبادلة بين الزوجين، وما تحمله مثل هذه النظرات إذا تكررت في اليوم الواحد، فإنها تدل على حب عميق بين الزوجين، وتدل على الرقة والحنان الموجودين بين الزوجين المتوافقين، فالزوجان غير المتوافقين، المتنافرين، تجدهما مقصرين في النظر إلى بعضهما بعضاً، ما يولد جفافاً في العلاقات الزوجية والتي عادة ما يلطفها مثل تلك النظرات الرحيمة.

٢ ـ والأخذ بكف الزوجة يدل على التلامس الجسدي المليء بالعاطفة، ففي علم النفس «الأخذ باليد بين المحبين من الجنسين فيه إشارة إلى الترابط القلبي المتبادل»، بجانب أن التلامس نوع من أنواع التعبير عن المحبة، وأقصد بالأخذ اللطيف الذي تعقبه كلمات الحب والعطف.

٣ ـ سعة رحمة الله بعباده، حيث دلّهم على الأفعال التي فيها مغفرة للذنوب وتكفير للخطايا حتى ولو كانت مثل هذه الإشارات اللطيفة بين الزوجين.

٤ ـ عدم الاستهانة بالفعل القليل الذي يحمل المغفرة للذنوب، فالنية الخالصة لوجه الله يعظم أجر العمل القليل، ويعظم ثواب فاعله، وكما قال العلماء «ربَّ عمل قليل تكثره النية وربَّ عمل كثير تقلله النية».

٥ ـ ويدل الحديث على عظم حياء المرأة العفيفة، حيث إن مثل هذه الأعمال لايبدأ بها إلا الرجل الذي من صفاته الجراة والشجاعة، ومثل هذه الأفعال لاتجرؤ عليها المرأة، لما في تكوينها من الضعف والحياء.

٦ ـ مغفرة الله العظيمة لكل الأعمال والأفعال التي فيها طاعة لله أو فيها مرضاة للربّ، وليس أعظم من مغفرة الله لعباده الذين يبتغون مرضاة الله ورضوانه.

هذه بعض الدلائل النورانية والدروس الأسرية استقيناها من الحديث النبوي الشريف، لعل الله أن ينفع بها كل أسرة وزوج وزوجة، إنه قريب مجيب.

خالد محمد أحمد النيباري

الميثاق الغليظ

حتى يسعد زواجكم

عبدالغني ناجي



السعادة مطمح الناس جميعاً، وهم ينشدونها في مواطن كثيرة من دروب الحياة، ولكن سعيهم نحوها ربما لا يحقق الهدف المنشود، والغاية المبتغاة بعد أن يصلوا إلى ما يشبه السراب والضباب، ومن ثم جاءت تعاليم السماء في هديها البنّاء، وإرشادها الحاني لتأخذ بالناس على الجادة السوية التي تسلم في النهاية إلى السعادة الحقة الممثلة في الاستقرار النفسي، والرضا القلبي، إذ من هذين النبعين تتفجر ينابيع السعادة غامرة كل من سار على نهج الإسلام الرشيد.

وإذا كانت سعادة الفرد لا تتحقق أو لا تتم إلا إذا استقر في جنبات أسرة هانئة - فإننا نجد الإسلام يُولي الأسرة المسلمة عناية بالغة لهدفين أساسيين:

أولهما: إشعار كل فرد فيها بفيض من السعادة حتى يرضى فينتج الخير له، ولمن حوله.

وثانيهما: تكوين المجتمع السعيد الذي حار المصلحون قديماً وحديثاً في إيجاده، ولم يحققه - كما ينبغي - سوى الإسلام الحنيف بهديه الحصين، وإرشاده السديد.

ولما كانت الأسرة - وهي نواة المجتمع - تتكون في أولى خطواتها عبر الحياة من زوجين، فقد عمد الإسلام - وهو يكوّنها صالحة سليمة - إلى هاتين الدعامتين الأساسيتين في الأسرة، وهما الزوج والزوجة - بالتربية الهادفة، والتوجيه الرشيد على نهج قويم، يحقق لهما السعادة المبتغاة.

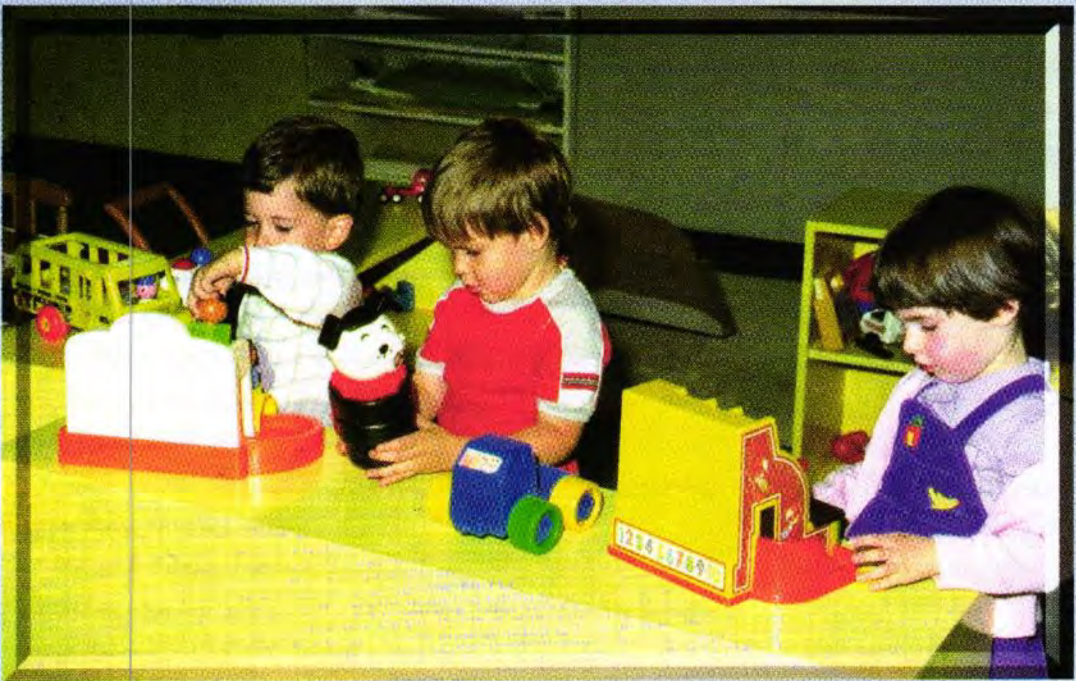
فهذا هو الإسلام في هديه يقف بجانب المسلم وهو يريد الانطلاق لتكوين الأسرة، فيسمعه في هذا المنطلق ذلك التوجيه آخذاً بيده إلى مواضع الطهر والصلاح، نائياً به عن مواطن الشر والفساد، لهدف أسمى، وغاية سليمة، فيسكب في أذنه هذه النصائح: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) البقرة: ٢٢١، «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»، «فاظفر بذات الدين تربت يداك»، «الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة»، والإسلام في حصافته وتوجيهه لا ينصح الزوج بحسن اختيار شريكة حياته، وينسى هذه الشريكة، وإنما يتوجه إليها أيضاً بهذا التوجيه الواعي: عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

هذه هي المرحلة الأولى من مراحل الاختيار: اختيار من بعيد يتم على أساس السمعة الطيبة، والميل النفسي، والارتياح القلبي، ثم تأتي المرحلة التالية التي يوجب الإسلام فيها أن يكشف كل من الشريكين للآخر عن عيوبه حتى لا يحدث ندم يؤدي إلى الفرقة بعد الزواج بسبب تغرير أو خداع، فلا بد من الصراحة التامة، والوضوح المبيّن حتى تكون العلاقة الزوجية قائمة على الرضا الكامل، والقبول المستنير، وفي هذا المجال نذكر هذا الأثر: «روى أبو عبيد بإسناده عن سليمان بن يسار أن ابن سندر تزوّج بامرأة وهو خصي، فقال له عمر: أأعلمتها؟ قال: لا، قال: أعلمها ثم خيّرها «المغني لابن قدامة ج٦ ص ٦٥٠»، وقد جعل الإسلام العيوب المنفّرة - كالجنون والجذام والبرص، من أسباب فسخ النكاح، حتى تقوم الحياة الزوجية على الحب دون شوائب تعكر صفوها، أو تنال من استقرارها وهناءتها.

فإذا تم الزواج على هذا الأساس المتين، والوضوح المريح جاءت وصايا الإسلام إلى الزوج تجاه زوجته، وإلى الزوجة تجاه زوجها، شأن الوالد الرحيم حينما ينصح أولاده بغية أن يشبوا على الألفة والمحبة، فتأتي نصائح الإسلام إلى الزوج مركوزة في هذه الآية الكريمة: (وعاشروهن بالمعروف) النساء: ١٩، والمعروف كلمة منداحة المعنى والمغزى تشمل كل وسائل الخير التي ينبغي أن يعامل بها المسلم من يعاشر أو يعايش من زوجة أو صديق، والإسلام لا يكتفي بهذا، وإنما يفصِّل حقوق الزوجة على زوجها، ويجعل أهمها الإنفاق في حدود السعة والطاقة، ثم الاحترام والتقدير، قال تعالى: (لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) الطلاق: ٧، وعن معاوية ابن حيدة - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه، قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت» رواه أبو دواد.

ثم يترك الإسلام الزوج بعد أن أوقفه على مبدأ الطريق السوي في الحياة الجديدة التي تواجهه - ليتجه إلى الزوجة صابًّا في أذنها هذا النصح الرشيد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»، رواه الترمذي، وقال تعالى: (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) النساء: ٣٤، وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - «إذا دعا الرجل امرأته فلم تأته، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» متفق عليه، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه» متفق عليه.

بعد هذه التوجيهات والنصائح التي أسداها الإسلام إلى دعامتي الأسرة: الزوج والزوجة، وبعد انصياعهما انصياع اقتناع تتحقق السعادة الزوجية المنشودة، ويعيش الزوجان في حب متجدد وألفة دائمة، ووئام جامع لقلبيهما على استعذاب الحياة، والشعور بالسعادة الوارفة الظلال. ■



يقصد بمصطلح المهارات الاجتماعية: قابلية الفرد أو قدرته، من جهة، على بث سلوكات تكون محببة للآخرين، أو على الأقل مقبولة لديهم في المواقف الحياتية التي يعيشونها، واستبعاد سلوكات تنفّر الآخرين وتؤدي إلى رفض صاحبها، ومن جهة أخرى، استقبال سلوكات الآخرين بطريقة لبقة والاستجابة لها بالكيفية التي تظهر فاعلية تلك الاستجابة.

كيف ننمي المهارات الاجتماعية عند الأطفال ؟

إعداد: ليلى محمد محمد

وبكلام آخر، يمكن القول مع فوستر: «إن أي ولد يوصف بأنه كفؤ اجتماعياً، وإذا امتلك هذا الولد مهارات ذلك المجال الذي يمكّنه من تحقيق وضع إيجابي بين الآخرين في حين أن الولد الذي تعوزه مهارات المجال نفسه، لا يوصف عادة، بالسوى، ويلقى، من جراء ذلك، نتائج سلبية من الآخرين، ويكون بحاجة إلى علاج، (فوستر ١٩٧٧، ص ٦٢٧)، والمعنى نفسه أكده (آشر) وزملاؤه (١٩٨٠، ص٧)، وقد صنف (آشر وهايمل) صفات الولد المقبول اجتماعياً، في أربع فئات رئيسية هي: الإسهام والتعاون والتواصل والدعم، وهذه الصفات، على الرغم من تمايز إحداها عن الأخرى تتكامل مع بعضها بعضاً، وتؤدي إلى إقامة علاقات إيجابية بين من يمتلكها والآخرين.



أما التعريف الأكثر تحديداً للمهارات الاجتماعية هو: استجابة بين شخصية «متبادلة بين الشخص والآخرين»، مثل هذا التعريف يتطلب تحديد هذه الاستجابات بحيث يمكن قياسها، وهذا ما يركز عليه علماء النفس.

إلا أن الطفل ذا المهارات الاجتماعية هو الذي يتكيف جيداً مع بيئة الموجودين فيها «وبخاصة بالنسبة للأطفال»، والذي يتجنب الصراع والمواجهة «اللفظية أو الجسدية» خلال تواصله مع الآخرين، ومن جهة أخرى، فإن الطفل الذي تنقصه المهارات الاجتماعية على الأغلب يعاني من مشكلات سلوكية في التواصل مثل الاقتتال مع الأطفال الآخرين، كما أنه ليس له شعبية أو تقدير من رفاقه ومن الآخرين، ونادراً ما يتواصلون معه، مثل هذا الطفل لا يعير اهتمامه للمعايير والقواعد الاجتماعية.

إن الكثير من أشكال السلوك هذه التي يعانيها الأطفال مضطربو السلوك، تدخل أساساً في المهارات الاجتماعية، حيث يبدو عندهم نقص فيها، وهكذا فإن الأطفال الذين يعانون في ضعف المهارات الاجتماعية لا يوافقون على قواعد المجتمع ومعاييره ولكنهم ينغمسون في أشكالية من السلوك غير المقبول اجتماعياً مثل شتم الآخرين، الحديث مع الراشدين والتكلم معهم من الخلف دون مواجهة، الجدال مع الإقران رفض الاعتراف بحقوق الآخرين في حين الشخص يتميز بالمهارات الاجتماعية لممارسته السلوك المقبول اجتماعياً.

ومن الجدير ذكره، أن الطفل الذي يفتقر إلى لمهارات الاجتماعية من جهة وعدم قبوله اجتماعياً من جهة أخرى، ما يدفعه إلى العدوانية وإزعاج الآخرين... لذا لابد من البحث عن معالجة الوضع

- من قبل المربين - وهذا ما أكده الدارسون من خلال اقتراحاتهم باستخدام تقنيات للتدريب على المهارات الاجتماعية، إما لإكسابها لمن لا يمتلكها، أو تعزيز وجودها وتأصيله عند من يتلكأ في تطبيقها، لسبب أو لآخر، أو تعليم من يعرفها كيفية الأداء الحقيقي لها، وبخاصة بعد أن رأى (جوتمان): «العيب عند بعض الأولاد قد لا يكون في معرفة هذه المهارات وإنما في تحديد المناسبات التي تقتضيها وكيفية أدائها.

وثمة سؤال: «كيف يمكن التعرف على كل من هؤلاء لمساعدتهم»؟

وللإجابة على ما سبق، لابد من اتباع النقطتين الآتيتين:

أولا: تعيين السلوكيات النوعية التي تدل على المهارات الاجتماعية، وذلك بالاستعانة بقائمة أو أكثر مما كان قد وضعه المربون وعلماء النفس لذلك، كقائمة (STEPHENS) التي ذكر فيها ١٠٦ مهارات اجتماعية صنفها في الفئات الأربع التالية:

- مهارات ترتبط بالمحيط.

- مهارات بناء شخصية «أي تفاعل الأشخاص مع بعضهم بعضاً».

- مهارات ترتبط بالذات.

- مهارات ترتبط بأداء المهمات (استيفانز ١٩٧٨ ص ٢٥).

وكذلك قائمة (أشر وهايمل)، والتي تضمنت أربع فئات رئيسية وهي: الإسهام والتعاون والتواصل والدعم.

ثانياً: اختيار واحدة أو أكثر من الطرائق التي تستخدم لتعيين من هم بحاجة إلى رعاية أو علاج وهذه الطرائق هي:

أ - الملاحظة الميدانية الحياتية.

ب - المقاييس السوسيومترية.

ج - تقدير المعلمين.

والآن، بعد أن يكون المربون أو الباحثون قد عينوا الأطفال الذين يعانون من إشكالات في جانب أو أكثر من الجوانب الاجتماعية باستخدامهم تقنية من التقنيات السابقة أو غيرها، ووجدوا أنهم بحاجة لبرامج تدريبية من أجل علاجهم، يكون، عليهم اختيار أو وضع برنامج أو أكثر من البرامج التي تختلف عادة فيما بينها بمضامينها وأساليب تطبيقها، وذلك بسبب خلفيات واضعيها أو منتقيها تبعاً للنظريات السيكولوجية والتربوية التي يؤمنون بها، من جهة، وتبعاً للفلسفة التي يأخذون بها من جهة أخرى.

فوائد المهارات الاجتماعية

١ - إنها تساعد في تكوين علاقات اجتماعية، وهذه العلاقات ضرورية جداً للطفل خلال مراحل نموه.

٢ - اللعب وطرق التواصل، والاستجابات غير اللفظية، أيضاً ضرورية خلال التفاعل مع الأقران، فمن المهم بالنسبة للطفل أن يعرف كيف يكوّن علاقات مع الراشدين كما هي الحال مع أقرانه، حيث نرى أن الكثير من الأطفال ينجحون في تكوين علاقات اجتماعية معينة ويخفق في تكوينها مع جماعات أخرى «مثل الآباء مقابل المعلمين، أقران المدرسة مقابل أقران الحي...».

٣ - إنها ضرورية ومفيدة كأسلوب في التصرف ما يلقى الدعم والمساندة والإطراء من الأهل.

٤ - تمكنه من السيطرة على أشكال سلوكه المختلفة، وتزيد من قدرته على التكامل مع السلوك غير المنطقي الصادر عن الآخرين.

فالأطفال الذين يعانون من مشكلات في مهاراتهم الاجتماعية في المنزل والمدرسة غير قادرين على التعامل مع أشكال السلوك غير المناسب اجتماعياً الذي يواجهونه... ويلاحظ ذلك عند الأطفال المعاقين سمعياً أو بصرياً، حيث لا يمكنهم الانتباه إلى بعض الإشارات التي ينتبه إليها الآخرون الأسوياء «الطبيعيون»، وذلك بسبب عجزهم عن التمييز في المواقف الاجتماعية وبخاصة إذا تطلب الموقف تمييزاً بصرياً أو سمعياً. وفيما يلي بعض المهارات الاجتماعية المناسبة والضرورية في التكيف مع عينة من المهارات غير المناسبة.

أولاً: المهارات الاجتماعية المناسبة والضرورية «السوية»:

- النظر إلى الشخص الآخر حين التحدث معه.

- تكوين علاقات اجتماعية وصداقات.

- مساعدة صديق تعرض لمشكلة أو أزمة.

- الشعور بالسعادة عندما يكون الآخر سعيداً.

- القول للآخرين بأنهم جيدون.

- البدء في دخول مناقشات وأحاديث مع الناس.

- نداء الآخر وتسميته باسمه.

- الشعور بالسعادة حين تقديم مساعدة للآخرين.

- طرح أسئلة معينة حين التواصل مع الآخرين الاستفسار عن بعض الأمور.

- الشعور بالأسف حينما يؤذي الطفل غيره.

ثانياً: بعض أشكال السلوك «المهارات» الاجتماعية غير المناسبة «الشاذة»:

- إيذاء مشاعر الآخرين.

- النظر للآخرين باشمئزاز.

- عدم الالتزام بالمواعيد.

- الكذب للحصول على ما يريد.

- إيذاء مشاعر الآخرين للحصول على ما يريد.

- الحديث بصوت مرتفع، والدخول في عراك ومناقشات دائمة والشعور بالغيرة والحسد بسبب تفوق آخر.

تنمية وتطوير المهارات الاجتماعية:

هناك الكثير من الأساليب السلوكية في تنمية المهارات الاجتماعية السوية والتدريب عليها وفي معالجة السيئة والشاذة أيضاً: ومن هذه الأساليب:

١ ـ الاشراط الإجرائي.
٢ ـ أساليب السلوك المعرفي.
٣ ـ التعلم الاجتماعي.

أولاً: الاشراط الإجرائي

«يستند على تجارب عالم النفس الأمريكي سكينر»

ـ المبادئ الرئيسية في هذه التقنية هي التركيز على السلوك الظاهر والأحداث السابقة للسلوك، واللاحقة له، وتطبيق مبادئ التعزيز والعقاب.

ففي إحدى الدراسات السريرية، تم معالجة طفل عن طريق زيادة لعبه الجماعي المشترك مع الآخرين، هذا الطفل عمره خمس سنوات، حيث تم وضعه مع أطفال في الصف ذاته، واستخدمت المعززات الاجتماعية، إن اللعب التعاوني المشترك يتطلب منه أن يذهب ويشاركهم وأن يجلب اللعبة، أو أن يسلك سلوكاً معيناً مع الأخذ بيده، ودعمه من الناحية الجسمية، ووضعه بعيداً أو بناء بيت، وقد اتبع طريقة التشكيل والتعزيز بصورة متتالية، حيث تحسن السلوك الاجتماعي للطفل وأصبح يلعب بصورة فعّالة وجيدة، ومن المدعمات الاجتماعية التي يمكن استخدامها: إظهار الانتباه والاهتمام بالطفل «كالابتسام والإيماء بالرأس والتواصل البصري»، وإظهار الحب عن طريق تقبيله والربت على كتفه، وعن طريق الاستحسان واستخدام ألفاظ تدل على ذلك كالشكر والموافقة والتصفيق (إبراهيم ٤٠ـــ١٩٩٣).

أما بالنسبة للعقاب فيمكن حرمانه من لعبة، أو الصراخ في وجهه، أو إنقاص درجاته ويمكن استخدام الإبعاد الموقت حين يسلك سلوكاً اجتماعياً غير مناسب، ويجب أن يكون الإبعاد الموقت لفترة قصيرة يحرمه من المدعمات، فإذا ما تشاجر الطفل مع زميله يمكن إرسالهما فترة قصيرة وإبعادهما في مكان مستقل «أي وضعهما في غرفة منعزلة» حيث يتاح للطفل أن يتأمل في سلوكه بهدوء، كما يتيح ذلك للأهل أن يتحكموا في انفعالاتهم، وعندما يستخدم هذا الأسلوب يجب الانتباه إلى الشروط التالية:

١ ـ تجنب الجدل مع الطفل عندما لا يسلك السلوك الاجتماعي غير المقبول ويتم إبعاده موقتاً.

٢ ـ يجب تذكيره فقط بأنه قام بسلوك خاطئ «وليس الدخول في نقاش».

٣ ـ تجنب الاهتياج، وإعلامه بأن إبعاده فقط من أجل إعطائه فرصة للتفكير بسلوكه.

ثانياً: أساليب السلوك المعرفي

استندت الأساليب المستخدمة في هذا المجال إلى النظريات المعرفية للتعلم ـ كنظرية «بياجية» مثلاً، وعلى نظرة الإنسانيين للتربية كنظرية «كارل روجرز»، وأكثر من حرك هذا الأسلوب ودعا إليه «ميتشمباوم» منطلقاً من مقولة مفادها: إن الولد إذا علم استجابات بديلة عن تلك التي يمتلكها فإنه يقلع عن التصرف بصورة اندفاعية، ويمتلك سلوكات جديدة دالة، على مهارات اجتماعية، وأهم التقنيات التي استخدمت في هذا المجال هي:

أ ـ تقنية التعليم والتدريب الخصوصيين:

وهي تقنية تعليم لفظي مباشر حيث يتم فيها: «شرح» القواعد التي يجب الالتزام بها عند القيام بسلوك معين في مناسبة محددة وتحديد المعايير التي يقوِّم السلوك في ضوئها، بعد ذلك «يدرّب» الولد المستهدف على القيام بهذا السلوك، وحده أو مع الزملاء، عن طريق لعب الأدوار وبطريقة عادية مع تقديم تغذية راجعة في كل مرة يتم فيها أداء السلوك، على أن يتم في كل مرة «مناقشة» الولد المدرّب فيما قام به، وتقديم اقتراحات لأداءات مستقبلية، فعماد التقنية إذن يقوم على الأفهام واستخدام اللغة بالدرجة الأولى ليدرك المتدرب ويقتنع بما يجب عليه أن يقوم به من سلوكيات تقتضيها ظروف معينة، «فآشر، وأودن» مثلاً درّبا عدداً من تلاميذ الصفين الرابع والخامس الابتدائيين على مهارات اجتماعية تتعلق بالإسهام بعمل جماعي، وبمشاركة الآخرين ودعمهم والتواصل معهم فزاد هذا التدريب، من قبل الأولاد المستهدفين للعب مع الآخرين، كما أن «جوتمان» درّب بالتقنية نفسها، أطفالاً انعزاليين على الترحيب بزملائهم وتقديم معلومات لهم عندما يطلبونها، فلاحظ تقدماً ملحوظاً في هذا المجال، وأكثر من ذلك لوحظ أنه لم يقتصر هؤلاء المدربون على استخدام المهارات التي اكتسبوها مع زملائهم فحسب، بل عمموها على رفاق جدد.

كما أن «آشر» عاد فاشرك مع «زهيفي» في تجربة أخرى على أطفال الرياض، حيث حاولا إنقاص السلوكيات العدوانية عند عدد محدد منهم، كانت إجراءات التدريب تتضمن ثلاثة مفهومات تتعلق بأن:

ـ العدوانية تصدم وتؤذي الشخص الآخر فتجعله غير سعيد.

العدوانية لا تحل المشكلات، وإن التفاهم والطرائق الإيجابية هي التي تحل المشاكل وقد درّب كل من هؤلاء لمدة عشر دقائق في زاوية منفصلة في الصف، على سلوكيات إيجابية تتعلق بالمفهومات السابقة، فلوحظ نقص في السلوك العدواني عندهم.

غير أن ما يجب ملاحظته في التجارب التي استخدمت هذه التقنية في العلاج، هو أنها كثيراً ما استخدمت أيضاً إلى جانب تقنيتها هذه، النمذجة من جهة والتعزيز من جهة أخرى، وهذا يعني أن النتائج الإيجابية لا يمكن إرجاعها إلى هذه التقنية فحسب.

ب ـ تقنية مراقبة الذات وضبطها:

وتقوم هذه التقنية على تدريب الأولاد على مراقبة أنفسهم والتفكير في السلوكات التي يقومون بها من أجل تقويمها ذاتياً، وبعد عملية التقويم يعززون أنفسهم ذاتياً في كل مرة يجدون أن سلوكهم يتطابق مع معايير مطلوبة، وتعزز الذات يكون بأن

يسمحوا لأنفسهم بالقيام أو الحصول على أشياء مرغوبة «تعزيز مادي» أو بالشعور بالرضى والاستحسان والتقدير... «تعزيز معنوي»، وقد يشارك هذا التعزيز الداخلي بتعزيز خارجي يأتي ممن يهتم بهؤلاء الأولاد ويراقب سلوكهم.

وتجربة «أولري» العام ١٩٧٣م تبين مدى فعالية هذه الطريقة «تقنية مراقبة الذات وضبطها».

ومضمون هذه التجربة: علم هذه التقنية لثمانية أولاد بعمر عشر سنوات في جلسات بعد الصف «صيد الانتهاء من اليوم الدراسي» وذلك من أجل الإقلاع عن سلوكات فوضوية كانت بادية عندهم، وقد روقبت سلوكاتهم فيما يتعلق بمظاهر محددة «الانخراط في العمل، الجلوس في المقعد، الهدوء، عدم إزعاج الآخرين».

فلوحظ تقدم ملموس عند هؤلاء بصدد المظاهر المذكورة، أما «كامب» فقد درب أولاداً بطريقة التقويم الذاتي وكانت النتائج إيجابية... أما «بولستاد» فعلق على هذه الدراسات قائلاً: «إن التقويم الذاتي والتعزيز الذاتي أكثر فعالية، بصورة ظاهرة، في ضبط السلوك الفوضوي، من الضبط الخارجي له» (ذكر في آشر ١٩٨٠)، وباختصار: إن هذه التقنية، ضيقة لكونها بحاجة أن ترافق بتقنية أخرى كالنمذجة من نماذج حياتية أو حقيقية ونماذج مصورة «عبر شريط فيديو»... لذا يجب أن تستهدف التربية والتعليم «التربية المدرسية» وبخاصة في المراحل الأولى منها، أن تعنى بالمهارات الاجتماعية التي هي من أهداف التعليم الأساسية.

ثالثاً: التعليم الاجتماعي

إن التقنية المستندة إلى نظرية التعلم الاجتماعي توضح، أن أشكال السلوك جميعها والمهارات الاجتماعية السوية والسيئة تكتسب عن طريق مشاهدة الطفل للآخرين وهم يقومون بها.

إن عملية التعلم الاجتماعي عملية نشطة، وتحتاج إلى شروط وهي:

إعطاء تعليمات للطفل من خلال ملاحظة للقدوة وهو يسلك السلوك الاجتماعي المناسب وإن المطلوب منه هو الاقتداء به، وكذلك إثارة دوافع الطفل واهتماماته حيث يتعلم بسرعة.

وهكذا فإن أشكال المهارات الاجتماعية المطلوبة من الطفل أن يتدرب عليها ويكتسبها إنما تتم بأن يكون هناك قدوة أو نموذج يسلك هذه المهارات الاجتماعية أمام الطفل، وعليه أن يشاهده وأن يقلده بحيث يكتسبها بصورة تدريجية.

لقد بين عالم النفس «باندورا» أن أكثر أشكال السلوك غير المناسب إنما يتعلمه الطفل بسبب رؤيته الآخرين وهم يسلكونه، ولذلك يمكن تعديل هذا السلوك بالأسلوب نفسه ورؤية الطفل للشخص الذي يسلك السلوك السوي. ■



إليكَ يا بُني

فكري عبدالسميع ناموس

كُنْ كحلمي يا بني
لا تخف بطش البغيْ

واملأ الأجواء نوراً
واستعد مسرى النبيْ

آه لو أذَّنت فينا
قائلاً: الله حيْ

يا مناة النفس ناضل
جاهد الليل العتيْ

يا حياة الروح كن لي
مقلة عند العشيْ

كُنْ صديقي ورفيقي
يا نضال الحقِ فيْ

فإذا ما صرت كهلاً
كُنْ ذراعي يا بُني

وإذا ما مِتُّ فادعُ
واطلب الغفران ليْ

ربِّ أنبت لي غلامي
ذا فمٍ صدقٍ عليْ

واستجب فيه دعائي
وبه كُنْ بي حفيْ



كيف تستثمر وقت طفلك؟

كتاب للبيت المسلم

تأليف : د. فرماوي محمد
د. عصام أحمد حسن
د. سمير يونس
عرض: محمد أحمد عويس علي
دار النشر : سفير (سلسلة سفير التربوية)

يتناول هذا الكتاب موضوعاً من أهم موضوعات حياتنا لأن استثمار وقت الطفولة هو أفضل أنواع الاستثمار وأكثرها صعوبة في الوقت نفسه، وأبعدها أثراً في حياة الفرد والمجتمع... لماذا؟ لأنه ليس مسؤولية الطفل وحده بل لأن مفهوم أغلب الآباء عن الطفولة يشوبه كثير من المفاهيم الخاطئة.

وقبل التطرق إلى حل هذه المشكلة يجدر بنا التعرف على أهمية الوقت بالنسبة إلى الإنسان أولاً والتعريف بمفهوم وقت الفراغ ثانياً ثم التعرف على أهم السمات الجسمية والعقلية والنفسية للطفل لحل هذه المشكلة ومن المعروف أن الإحساس بأهمية الوقت يعكس مدى رُقي الأمم والشعوب وسعيها نحو التقدم لذا يقع على الآباء والأمهات والمربين بصفة عامة مساعدة الأطفال على تنظيم أوقات حياتهم كلها سواء ما كان منها مخصصاً للمذاكرة أو للنوم أو للترويح أو للغذاء أو للاسترخاء.

وأطفال المرحلة العمرية من ٦ إلى ١٢ سنة هم أطفال المرحلة الابتدائية حيث تتكون لديهم كثير من الخبرات والمهارات التي يكتسبونها من خلال أقران الدراسة وهنا يكون الطفل أكثر استعداداً لإجراء مناقشات مع الوالدين والأخوة كما يهتم بمظهره الخارجي ويستطيع إدراك ذاته وإدراك الآخرين. ومن الناحية الجسمية يولون القوة الجسمية أهمية كبرى والطفل القوي تكون له شعبية تزيد عن الطفل الذكي ومن الناحية العقلية فإن عالم الطفل يتسع في هذه المرحلة فهو يكتسب اللغة أكثر من ذي قبل، أما النمو اللغوي فإن عالم الطفل يتسع حين يكتشف أن الكلام أداة مهمة في الانتماء الاجتماعي كما تلعب المهارة الحركية دوراً مهما في نجاح الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة سواء في أداء نشاطه المدرسي أو في لعبه مع غيره من الأطفال، ومن حيث النمو الانفعالي لأطفال هذه المرحلة فإن الطفل يتجه سلوكه نحو الهدوء الانفعالي والاستقرار، أما الجانب الاجتماعي في شخصية الطفل فإنه يتحول

من كائن متمركز حول ذاته إلى كائن اجتماعي متعاون ومتوافق مع الجماعة التي ينتمي إليها ينتقل بنا مؤلفو الكتاب إلى إيضاح ثلاثة جوانب يمكن من خلالها استثمار أوقات فراغ الطفل في مزاولة الأنشطة وهي: الجانب الثقافي، الجانب الحركي «الرياض»، الجانب الفني «التشكيلي». كيف تستثمر وقت طفلك في رفع ثقافته؟ يتضمن الفصل الأول الإجابة عن هذا السؤال حيث، يُعرّف «ثقافة الطفل بأنها مركب يشتمل على العقائد والأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين والمعارف وأنماط السلوك التي يكتسبها الإنسان داخل المجتمع».

ولكن ما الأهداف التي يجب أن يسعى ولي الأمر إلى تحقيقها من خلال ثقافة الطفل؟

تهدف ثقافة الأطفال إلى اكتساب الطفل العادات الصحية والرياضية وعادات النوم والمآكل والإيجابية، أن يبدي اهتماماً بالنظافة والنشاط والعمل وأن يظهر ذلك في سلوكه، يتقن فنون اللغة، استخدام قدراته في فهم نفسه وفهم ما حوله، تفسير ما يجري حوله من ظواهر اجتماعية، طبيعية، سياسية، اقتصادية في مبادئها الأولية، التعاون مع غيره على البر والخير، أن يتقن المهارات الأولية في استخدام الأدوات والآلات الشائعة الاستعمال، توضيح أساسيات دينه... ولكن من أين يستقي الطفل ثقافته هذه؟ أو بصيغة أخرى ما أهم مصادر ثقافة الطفل؟ وأهم مصادر ثقافة الطفل:

أولاً: المسجد إذ يجب على ولي الأمر أن يدفع بطفله إلى المسجد وبخاصة إذا كان هذا المسجد يهتم بتربية الطفل وتنشئته وتهيئة الأنشطة المناسبة له على أن يراعي في ذلك ترغيب الطفل لا إجباره وبخاصة في السنوات الأولى واستخدام الثواب قبل العقاب.

ثانياً: الأسرة وهي أول مؤسسة تربوية تتلقى الطفل وتتعهده بالرعاية إذ ينبغي لولي الأمر أن يخصص وقتاً ثابتاً لأطفاله وإفادتهم مما درسوه في مواقف الحياة بالإضافة إلى تنمية مهارات الاستماع والتحدث لدى الطفل.

ثالثاً: الصحافة ومنها صحافة الأطفال،

الأسرة أول مؤسسة تربوية تتلقى الطفل وتتعهده بالرعاية

حيث يجب على ولي الأمر أن يشجع طفله على قراءة صحف الأطفال لدورها البالغ في تنمية الطفل عقلياً، عاطفياً، اجتماعيا، لأنها أداة توجيه وإعلام وإمتاع وتنمية للذوق الفني وإشباع لخيالاتهم وتنمية ميولهم القرائية.

رابعاً: برامج الأطفال الإذاعية حيث تعتمد هذه البرامج على حاسة السمع وهي ذات تأثير كبير في بناء شخصية الطفل إذ إنها تنمي لديه القيم الإيجابية اللازمة، والعادات الصحيحة وتزوده بالمعارف والمهارات التي تجعل منه إنساناً سوياً.

خامساً: برامج الأطفال التلفازية، لا ننكر أن التلفاز وسيلة جذابة ومشوّقة لإكساب الأطفال الثقافة وبخاصة القيم والعادات والميول والأفكار وطرق اللعب، كما يوفر لهم فرص إشباع خيالاتهم، كما يعد في الوقت نفسه وسيلة لنقل الخبرات الواقعية، ولكن هناك برامج تترك أثراً سيئاً في شخصية الطفل، لأن الطفل شغوف بتقليد غيره فيحاول التشبه بالشخصيات التي تقوم بأعمال إجرامية وهنا يجب على ولي الأمر أن يُبصّر طفله بما يفيده من برامج وما يجب عليه تجنبه شرط أن يجلس معه من حين لآخر ويطلب منه إبداء رأيه فيما شاهده ووجه الإفادة منه.

سادساً: قراءات الأطفال وهي التي تساعد على توسيع دائرة خبرات الطفل وتفتح أمامه

التلفاز وسيلة جذابة ومشرقة لإكساب الأطفال الثقافة

أبواب الثقافة وتحقق التسلية والمتعة وتهذب مقاييس التذوق، ومن مهام أولياء الأمور توجيه أطفالهم إلى الكتب التي يقرءونها، ولكن ما الكيفية التي يمكننا بها جعل أطفالنا قُرَّاء؟ ذلك من خلال اصطحابهم في التردد إلى المكتبات، وتشجيعهم على شراء المجلات والقصص، وتنمية الألفة بينهم وبين الكتب عن طريق قراءة بعض القصص المشوّقة وعرض الصور واللوحات والأشكال عليهم، شرح أهمية القراءة للطفل، مساعدة الطفل على اكتساب المعلومات.

وأخيراً هناك بعض التوجهات نذكر منها: يجب معاونة الطفل على أن يعبر بوضوح عما يجول في خاطره، النظر إلى خطأ الطفل على أنه خطوة طيبة في سبيل الطريق السليم، الصبر على أسئلة الطفل، اختيار الكتب المناسبة لسن الطفل من حيث الطباعة، حجم الحرف، الإخراج الفني. وماذا عن الأنشطة الفنية كوسيلة لاستثمار وقت الفراغ لدى الأطفال؟ هذا ما يجيب عنه المؤلفون في الفصل الثاني حيث تعد ممارسة الطفل للنشاط الفني في فترة راحته أثناء الدراسة أو العطلات تساعد على إرضاء حاجات الطفل ورغباته، كما يعبر أيضاً عن فرحته وسعادته وسخطه ومشكلاته واحتياجاته وإبداعه وشذوذه وانحرافاته ونمط التربية الذي يخضع له، ومن الأنشطة الفنية التي يمكن أن يمارسها الأطفال: الرسم، الكولاج، التشكيل المجسم بالورق والكرتون، الطباعة، النسيج، وقد أكدت دراسات عدة أهمية أنماط التربية الأسرية في التنشئة والبعد عن نمطي التدليل الزائد واستخدام الديموقراطية والاستقلالية مما يساعد على تفجير طاقات الطفل الابتكارية ومن هنا يجب على المربين وأولياء الأمور الاهتمام بالتربية الخلاّقة «الابتكارية».

ويختتم الكتاب بالإشارة إلى أهمية ممارسة الأنشطة الترويحية التي تعمل على الارتقاء بالمستوى الصحي حيث تُكسب الممارسة الرياضية في وقت الفراغ الطفل القوام الجيد وتمنحه أيضاً السعادة والسرور والمرح والانفعالات الإيجابية السارة فتجعله قادراً على المذاكرة والتحصيل والتفوق وتكوين الشباب المجتهد الذي هو لب الأمة وصلب المجتمع. ■



حكاية زوجية

محمد رمضان الأحمر

يُحكى بأنَّ امرأة تقيَّةْ
تزوَّجتْ منْ صالح البريَّةْ
كان وفيّاً والتقى وفيَّةْ
خصاله محمودة مرضيَّةْ
لكنَّها من غير ما أذيَّةْ
وبعد أعوام مضت نديَّةْ
سعيدة طيّبة رضيَّةْ

قالتْ له، لم تشأ الصراحةْ
طالبة ملحَّة سراحهْ
قد جرحت وعمَّقت جراحهْ
وبدلت أفراحه أتراحهْ
فحار فيها كانت المراحةْ
هيّنة ليّنة مزّاحةْ
لقلبه وعينه فراحةْ

واحتال حتى يعرف الأسبابا
فأغلقت من دونه الأبوابا
ولم تحره مُصرَّةً جوابا
والفكر كان قلقاً جوّابا
والقلبُ عانى يومها العذابا
وكلُّ حلو الأمس صار صابا
وسئم الطعام والشرابا
قالت له والعزمُ منها ماضٍ

وحاضرٌ أسودُ ضدُّ الماضي
ستعرفُ الجوابَ عند القاضي
الأمرُ لله فإني الراضي
إن قضاء الله فيَّ ماضٍ
حرمتني من لذَّة الإغماضِ
ذبحتني بمدية الإعراضِ

ثمَّ مضى وأحضر الركابا
كان حماراً لا يُعاني عابا
ممتلئاً فتوة شبابا
يكاد يُعطي السائل الجوابا
ينصبُ في طريقه انصبابا
كطائر جوَّ السماء اجتابا
أو مركب وقد جرى منسابا

علاهُ وهو يقرأ الدعاءَ
أردفها مصابراً مُستاءَ
يكظمُ ناراً يستحي البكاءَ
حتى الحمار عاين البلاءَ
من فطنة اتقدت رواءَ
وفطرة تخالطُ الدماءَ
قد اهتدى سبيلها اهتداءَ

سار وباسم الله كان المسعى
يجرعُ مُرَّ الصبر كلَّ جرعا
وتنبعُ اللهفةُ كانت نبعا
وقد جرى ظهر الحمار دمعا
منها ومنه والحمارُ يسعى
قد أجهداه صرخة وصفعاً
وحيراه وهو كان طوعا

وإذ به قد هدَّه الإجهادُ
وعنده قاربُ الاستشهادُ
دربُ طويل شمسه تكادُ
تشوي الحصا وظهرُه ينآدُ
ومنهما القسوة لا يعتادُ
كلُّ مكان بهما يرتادُ
والرِّفق من كليهما يعتادُ

واليومِ ... ما لليوم ما أقساهُ
فكل خير منهما أنساهُ
قد أظلمت في عينه دُنياهُ

فما عسى يفعلُ ما عساهُ
خارت ولم ينتبها قواهُ
ولم تعد تسعفه عيناهُ
أكبٌ لا صبرٌ ولا سواهُ

أيقظت الحمار هذي الكبوةْ
وأبدلت غفلتهُ بصحوةْ

والزوجُ قام رجله كسيرةْ
وزوجه تضحكُ كالأميرةْ

تخرجُ منديلاً قديم العهدِ
تمسح للزوجِ كابن المهدِ

ماذا جرى وما الذي قد جَداً
لطفاً؟ وكان الأمرُ منها جِداً!!

قالت له: يا صاحبي وزوجي
عُجْ يا مليك القلبِ نلتُ حوجي

لقد قضى الإلهُ فيما بيننا
ولم يشأ فراقنا وبيْننا

وإنني مفضية بسري
فعجِّلي إني عيل صبري

إني قضيتُ معك الأعواما
وكنتَ صوّاماً بها قواما
وبالحقوقِ كلِّها قوّاما

لكنَّني قرأتُ يوم الأمسِ
من يُبتلى بالمالِ أو بالنفسِ
يُحبُّه الله بغير لَبْسِ

وإنَّني لم أشهد ابتلاء
من قبل هذا اليوم مما ساء
أما وقد نفسي تكن فداء

يا ليتني بمثل هذي أعثرُ
روحي ومالي فوقها سأنثرُ
لكن زوجي مثلها وأكثرُ

أحوال أهل التمثيل

زواج لم يتعدَّ «شهر العسل» !!

كم يدوم زواج الممثلين والممثلات، الذين «تعارفوا» كثيراً قبل الزواج، و«تفاهموا»، ويعرف كل من الزوجين صاحبه معرفة تامة ... أو هكذا يفترض أن يكون قد تمَّ.

«هالة صدقي» دام زواجها من رجل الأعمال مجدم مكرم ثلاثين يوماً!، أجل، دام ثلاثين يوماً، لا ثلاثين سنة، ولا ثلاثين شهراً، ولا ثلاثين أسبوعاً !، ولم يتم الطلاق، بعد الزواج الذي لم يكمل شهر «العسل» بسلام وأمان ! فقد دبّت الخلافات بينهما، ووصلت إلى حد تبادل الاتهامات على صفحات الجرائد والمجلات.

و«رانيا فريد شوقي» التي عقد قرانها على وليد السعيد، ابن مذيعة التلفزيون أحلام شلبي، في ليلة شهدها حشد من الممثلين والممثلات، والإعلاميين والإعلاميات، رانيا هذه تطلقت بعد شهرين فقط من عقد قرانها.

و«نهلة سلامة» تزوجت بالمخرج محمد خان سريعاً، وكان طلاقها منه سريعاً أيضاً !، لماذا هذا الطلاق السريع ؟ نقول ببساطة : «اختلفت وجهات نظرنا فانفصلنا في هدوء» !

أي «وجهات نظر» هذه التي تنهي ميثاق الزواج بتلك البساطة؟ أما كان يمكن أن يظهر الخلاف حولها قبل الزواج !؟

و«نورا» قبل اعتزالها وحجابها، تزوجت من حاتم ذي الفقار، في حفل وصفوه في المجلات بأنه «زفاف الموسم» وكان بعد التقائهما في أحد الأفلام واشتراكهما في تمثيله، حيث حدث بينهما «مودة وتفاهم» كما ذكرت إحدى المجلات.

استمر الزواج خمسة أشهر وخمسة أيام، حيث اشتد الخلاف بين الزوجين، وتم الطلاق !

وهكذا، فإن أغلب زواج الممثلين والممثلات لا يستمر طويلاً، وما أوردته ليس إلا نزر يسير من كثير.

أليس هذا دليلاً على دعواهم الباطلة بأنه لابد للخاطب والمخطوبة من أن يفهم أحدهما الآخر!

زواج يستمر خمسة أشهر، وآخر شهران، وثالث شهر واحد ... ! ألا يستحي كل من يدافع عن مجتمع الممثلين والممثلات، أو يظهره ويتحدث عنه حديث المعجب المهتم!

تقول «علا رامي» التي انتهى زواجها إلى الطلاق: «غلطة عمري أنني تزوجت بالقلب وليس بالعقل» ! لماذا إذاً تثيرون في أفلامكم ومسلسلاتكم عواطف البنات، وتضللونهن بالمشاعر، وتوهمونهن بأن الزواج الذي يأتي نتيجة ما تسمونه «بالحب» هو الناجح، على الرغم من أن الوقائع والإحصاءات والدراسات تؤكد عكس ذلك تماماً! بل حتى تجاربكم الزوجية الفاشلة تؤكد هذا أيضاً!!؟ ■

أبرزُ صفة عُرف بها صديقي أبو أحمد هي «الجد»، وأظهر خلق لازمه هو العمل الدؤوب، ولهذا فقد كان من الأوائل دائماً في جميع مراحله الدراسية، قليل اللعب واللهو، بل لعل اللعب واللهو لا يعرفانه ولا يعرفهما.

ورافقه جده في حياته الدراسية، مع حياته العملية، بعد التخرج في الجامعة، ولهذا سرعان ما ارتقى في المناصب، حتى صار مدير الشركة التي بدأ العمل فيها، ونال ثقة أصحابها الذين أعطوه كثيراً من الصلاحيات التي زادته حباً لعمله وإخلاصاً فيه، إلى درجة كان فيها يستمر في العمل حتى بعد ساعات انتهاء الدوام الرسمي، بل كان يأخذ كثيراً من الأوراق والملفات إلى بيته، ولم ينس أصحاب الشركة جهده هذا... فكانوا يجزلون له المكافآت، وكانت تتوالى في معاشه الزيادات.

قال بحماسة: لـن تذوق في حياتك أطيب منه

أربــح عقــد

محمد رشيد العويد



قالت لي زوجتي يوماً، وكانت صديقة حميمة لزوجته، إن أم أحمد تشتكي انشغال زوجها الدائم عنها، وانصرافه شبه التام إلى عمله، وإيثاره له على كل أحد، وكل شيء، وإنها لترجو أن أكلم زوجها بما ينبهه إلى تقصيره تجاه أهله وبيته، دون أن يعلم مني أنها هي التي اشتكت منه هذا.

في اتصالي به، للاتفاق معه على زيارته في بيته، حدثني عن مشاغله الكثيرة، وفراغه القليل، ولم أظفر منه بموعد لزيارته في بيته، ولم أجد معدى عن القبول بزيارته في مكتبه في الشركة... ولكن في غير ساعات الدوام الرسمي... حتى لا أكون مثل أولئك الذين يزورون الناس في أماكن عملهم... ويأخذون من أوقاتهم، في قضايا لا صلة لها بالعمل.

زرته في الموعد، وجلست معه أتحدث إليه ويتحدث إليَّ، في العمل، وفي غير العمل... ثم قلت له:

ـ ألا تتضايق زوجتك من طول غيابك عن البيت... وكثرة انشغالك عنها؟

قال: ولِمَ تتضايق..؟

قلت: حاجات البيت كثيرة... فمن يلبيها؟

قال: أمام بيتنا بقالة فيها كل شيء... ليس على زوجتي إلا أن تتصل بالهاتف وتطلب ما تحتاجه منها، ليكون عندها بعد دقائق... وأنا أحاسب صاحب البقالة كل شهر... ولا أسألها عن شيء اشترته: لم اشتريته؟!

قلت: هل هذا كل شيء؟

قال: لعلك تقصد الأولاد؟ سيارة بسائقها رهن إشارتهم في أسفل البيت... يأخذهم إلى حيث يريدون... ويوصلهم إلى أبعد ما يتوقعون.

قلت: ما أردت هذا...!

قال: أي شيء إذاً؟

قلت: أنت حدثتني عن الجانب المادي وأنا...

قاطعني: وأنت تسأل عن الجانب غير المادي... أحمد منتسب إلى نادٍ رياضي يمارس فيه هوايته في لعبة كرة القدم، وعبدالرحمن يشبع هوايته في القراءة وعنده مكتبة أشجعه على إغنائها بالكتب دائماً، وفاطمة منتسبة إلى جمعية «......» الدينية، وهي تملأ وقت فراغها فيها، كما أنها تتلقى التوجيه الديني اللازم.

قلت: وزوجتك؟

قال: زوجتي لا هواية لها... اللهم إلا تربية الأولاد.

قلت: إذا كان أحمد يذهب إلى ناديه الرياضي... وعبدالرحمن يجلس في مكتبته يقرأ... وفاطمة تذهب إلى جمعيتها... وأنت تعمل في الشركة بعد الظهر أيضاً... فكيف تقضي أم أحمد وقتها في البيت وحدها؟

قال: تشاهد التلفزيون... تقرأ... تزور جاراتها... تزورها صديقاتها... الخيارات أمامها كثيرة!

قلت: أهذا كل شيء؟

قال: ماذا تريدني أن أفعل لها؟

قلت: متى سابقت زوجتك آخر مرة؟

(نظر إليَّ والدهشة والاستغراب يملآن وجهه لهذا السؤال المفاجئ له).

قال: متى سابقتُ زوجتي آخر مرة؟!!

قلت: أجل... متى سابقتها آخر مرة؟

(صمت لحظات وكان كمن يبحث عن جواب)

قال: أبعد هذا العمر يا أخي؟

قلت: تعني أنك سابقتها حين كنت أصغر؟

قال: أصدقك القول... لم أسابقها قط!

قلت: ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سابق أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها... وسنه قد تجاوزت الخمسين هل تجاوزت سنك الخمسين يا أبا أحمد.

قال: أنت تعرف يا أخي كثرة أشغالي ومسؤولياتي.

قلت: لن تكون أكثر انشغالاً ومسؤوليات من نبي الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يحمل رسالة الله الخاتمة إلى العالمين، ولم يمنعه هذا أو يشغله عن مسابقة زوجه مرتين.

تقول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - إنها كانت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر، وهي جارية «أي صغيرة السن» قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن «أي لم تكن سمينة»، فقال لأصحابه: تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالي أسابقك! فسابقتُه، فسبقتُه على رِجْلَيَّ، فلما كان بعدُ، وفي رواية: فسكت عَني، حتى إذا حملت اللحم «أي سمنت» وبدنت ونسيت، خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: تقدموا فتقدموا، ثم قال: «تعالي أسابقك»، ونسيتُ الذي كان، وقد حملت اللحم، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله... وأنا على هذه الحال؟ فقال: لتفعلن فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وقال: «هذه بتلك السبقة». رواه أبو داود والنسائي وأحمد في المسند.

قال: صلى الله عليه وسلم... ما أعظم خلقه، كم نحن بعيدون عنه!

قلت: ولماذا لا نقترب منه وهو أسوتنا، ألم يقل لنا رب العز جل شأنه: (ولكم في رسول الله أسوة حسنة)؟

قال: بلى، ولكن أين أسابق زوجتي اليوم؟ في الشارع أمام الناس؟ أم في السفر، كما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والسفر اليوم ما عاد مثل سفر الأمس البعيد؟!

قلت: ألم تخرج مع زوجك وأولادك إلى خيمة نصبتها في البر... بعيداً عن أعين الناس؟ ألم تكن الفرصة مواتية لإجراء مثل هذه المسابقة؟ ثم أريد أن أسأل: أليست هناك مسابقات أخرى، غير الجري، تسابق بها زوجتك؟

قال: مثل ماذا؟

قلت: مثل لعبة إلكترونية، أو مسابقة ثقافية تطرح فيها عليها أسئلة، أو غيرها... فالغاية ليست نوع المسابقة... إنما الغاية هي التواصل مع زوجتك... في غير قضايا الحياة الجادة ومسؤولياتها... لتضفي جواً من المرح والمودة على علاقتك بها.

قال: يبدو أنني كنت غافلاً عن هذا كله.

قلت: كم تحادث زوجتك كل يوم؟

قال «بعد تفكير قصير»: ربما ربع ساعة... نصف ساعة أحياناً... أنت تعلم مسؤوليات الشركة.

قلت: أتحادث زوجتك نصف ساعة يومياً؟

قال: بعض الأيام.

قلت: وبم تحادثها؟

قال: تعلم...

قلت: عن الشركة وما تحققه فيها من نجاح؟

قال: وماذا عندي غير الشركة؟

قلت: أنت تحدثها عن الشركة... لا تحادثها... لأن المحادثة تقتضي المشاركة... تحدثها وتحدثك، وقد لا يهم زوجتك حديثك عن الشركة قدر ما يهمك أنت!

قال: عم أحدثها إذاً؟

قلت: أي حديث مرح خفيف... تشيع فيه روح المودة... وتتخلله المداعبة.

قاطعني قائلاً: المداعبة؟!

قلت: وما يمنع؟

قال: أتريد أن تهدم جدار احترام زوجتي لي... وتضيع بقية هيبة في نفسها لي؟

قلت: لماذا لا تعود معي إلى أسوتنا؟!

قال: صلى الله عليه وسلم.

قلت: كان يرخِّم اسم أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فيقول لها: «يا عائش» ويجعل ملاعبة الرجل امرأته أول أربعة ليست من اللهو المنهي عنه، يقول - صلى الله عليه وسلم - «كل شيء ليس من ذكر الله... لهو لعب... إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته... وتأديب الرجل فرسه... ومشي الرجل بين الغرضين «أي الهدفين، ويُراد به الرماية والسباق» وتعليم الرجل السباحة» حديث صحيح رواه النسائي.

قال: لقد جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ملاعبة الرجل زوجته في المرتبة الأولى من الأربعة التي حضّ عليها.

قلت: ... وتأمل أيضاً هذا الحديث الذي ترويه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - تقول: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إني لأعلم إذا كنت عني راضية... وإذا كنت عليَّ غضبى! فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد... وإذا كنت عليَّ غضبى قلت: لا ورب إبراهيم» أخرجه البخاري وغيره.

قال: إنه - صلى الله عليه وسلم - يتودد إليها في هذا الحديث.

قلت: أرأيت؟ ثم لاحظ أن فيه إشارة إلى أن السيدة عائشة - رضي الله عنها - كثيراً ما تكون غضبى على النبي، ولا يجد النبي صلى الله عليه وسلم أي حرج أو رفض لهذا... بل ربما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حدثها بهذا الحديث في حال من حالات غضبها ليخرجها منه ويسترضيها، ألم تلحظ أنه لم يخبرها مباشرة بعلمه بكل حال من حاليها... بل أثار فيها فضول المعرفة لتسأله هي: من أين تعرف ذلك؟

قال: إنهاحقاً أخلاق نبي... وحكمة نبي.

قلت: لكننا مدعوون للتخلق بهذه الأخلاق... والاقتباس من هذه الحكمة.

قال: مسكينة زوجتي... لقد حرمتها من هذه الملاطفة والملاعبة التي علّمنا إياها النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت حياتي معها جادة كل الجد.

قلت: عفا الله عما سلف... وعوّض عما فات يا أخي.

قال: ولكن كيف يا أخي...؟ كيف أنقلب مرة واحدة من تعاملي الجاد معها... إلى الملاعبة والملاطفة؟ ألن تتساءل زوجتي: ماذا جرى للرجل؟ ألن تستنكر مني؟

قلت: هناك كثير من الأمور يمكن أن تفعلها في مرحلة الانتقال من جفافك القديم... إلى ربيعك الجديد.

قال: تفضل.

قلت: كيف طبخ زوجتك؟

قال بحماسة: لن تذوق في حياتك أطيب منه، أكلت في مطاعم كثيرة في مختلف أنحاء العالم أثناء سفراتي في أعمال للشركة... لم أجد أطيب مما تطبخه زوجتي، وسأدعوك إلى الغداء لتذوق بنفسك.

قلت: شكراً سلفاً... ولكن هل أثنيت على طبخ زوجتك ما دامت تجيده إلى هذا الحد؟

(رفع حاجبيه وقد فطن إلى ما أردته من سؤالي عن طبخ زوجته)

قال: أذكر أني قلت لها مرة: أنت يا أم أحمد تتقنين الطبخ جيداً.

قلت مستنكراً: مرة واحدة.... و«يا أم أحمد»...؟!! لماذا لا تخاطبها باسمها؟ وكيف تثني على طبخها مرة واحدة وأنت تعترف بأنك لم تذق مثله في مطاعم العالم كلها؟ لماذا هذه العبارة المختصرة الجامدة.... وكأنك تذكر نتيجة علمية: «أنت يا أم أحمد تتقنين الطبخ جيداً»!!!

قال: (وقد ظهر عليه بعض خجل ممزوج ببعض حرج): وماذا كان عليَّ أن أقول؟

قلت: كان عليك أن تقول هذه الحقيقة عشرات المرات... وبعبارات كثيرة مبهجة مفرحة لزوجتك، كان عليك إثر كل عودة من سفر من أسفارك أن تقول لها وأنت جالس إلى مائدة الطعام: صدقيني يا «وتذكر اسم زوجتك...» أني لن أجد من يطبخ أطيب منك... كنت أفتقد أكلاتك اللذيذة هناك... وما رأيك لو تكتبين طرائق طبخك لنجمعها لك في كتاب تستفيد منه باقي النساء... ولكن لا... ليست القضية قضية طريقة وكميات... القضية قضية فن ونَفَس... حتى لو عرفوا الطريقة منك، فمن أين يحصلوا على نَفَسك في الطبخ.

قال: أتريد أن تهدم جدار احترام زوجتي لي!

والتفتْ إلى ابنتك فاطمة وقل لها: تعلّمي من أمك يا فاطمة، تعلّمي منها طرائق الطبخ... ولازميها لتأخذي منها هذا النَفَس، أريد أن يستطيب زوجك في المستقبل طبخك، كما أستطيب طبخ أمك.

قال: سيسرها هذا الكلام كثيراً ويملأ قلبها بهجة وسعادة.

قلت: وهل يقلل هذا الكلام من اهتمامك بالشركة وعملك فيها؟

قال: لا ... أبداً.

قلت: لعله يأخذ من وقتك!

قال: أي وقت يأخذه وأنا جالس إلى مائدة الطعام؟!

قلت: كلام طيب... لا يكلفك مالاً... ولا يأخذ من وقتك... ولا ينقص اهتمامك بعملك... وفي الوقت نفسه يدخل المسرة والبهجة والرضا إلى نفس زوجتك... ماذا كان يمنعك من قوله؟

قال: (وهو يحك بيده أعلى جبهته): لعله النسيان... أو الإهمال، أو انشغال البال في العمل... أو... والله لا أدري ما أقول لك! لكني أعدك أن أبدأ غداً بالتغيير... وحين أجلس إلى مائدة الغداء... سأردد تلك العبارات المادحة لطبخها الرائع.

جعل النبي ﷺ ملاعبة الزوجة أول أربعة حضّ عليها

قلت: لا ترددها ترديداً... اجعلها نابعة من قلبك... ولا تتقيد بألفاظ محددة... ثم لماذا تقصر ملاطفتك لزوجتك على ثنائك على طبخها؟ لقد ضربتُ الثناء على طبخها مثلاً أظهر لك فيه مجالاً من المجالات الكثيرة لمحادثة زوجتك وإدخال البهجة إلى نفسها.

قال: وماذا غير الثناء على طبخها؟

قلت: الثناء على لبسها... على شكلها... على حسن رعايتها لأطفالها وتربيتها لهم... على ذوقها في ترتيب البيت... على إخلاصها لك... على صبرها على بعدك عنها طوال النهار... ما أكثر المناسبات التي تحدث فيها زوجتك بالكلام الطيب ... وتُسمعها فيها الثناء عليها... والرضا عنها.

قال: يبدو أن جلستنا هذه ستتكرر، لتشرح لي بالتفصيل، ما أقوله في كل مناسبة من هذه المناسبات، أريد أن أعوض أم أحمد عن السنوات الماضية.

قلت: على الرحب والسعة... لكنني متفائل بأنك لن تحتاجني كثيراً في المستقبل... لأن الكلمات ستجر بعضا ... والنتائج الطيبة ستشجعك على المزيد.

قال: هذا ما أرجوه.

قلت: يبقى شيء يبدو أنني نسيت أن أذكرك به.

قال متلهفاً: قل لي...

قلت: إن كلامك الطيب لزوجتك... ومسامرتك لها... لن تكسبك مودتها فحسب... بل ستريحك أيضاً كما يريحك عملك في الشركة مرتباً عالياً وعلاوات متتالية.

قال فرحاً: كيف؟

قلت: لقد أخبرنا الحبيب - صلى الله عليه وسلم - أن الكلمة الطيبة صدقة، وأن اللقمة التي تضعها في فم زوجتك صدقة، بل حتى تلبية شهوتك في زوجتك صدقة، فانظر أي رصيد من الحسنات يدخره لك ربك يوم القيامة... من إحسانك لزوجتك فقط.

قال: ما أكرمك يا رب وما أعظم عطاءك.

قلت: اتفقنا على التغيير.

قال: اتفقنا. ■

ثلاث معجزات منسية

بقلم : د. علي حسين عبدالله

إن كانت المعجزة هي كل ما يعجز الإنسان الإتيان بمثله ويكون خارج المألوف والمتعارف عليه فإني أرى أن هناك معاجز عظيمة انشغل عنها الناس ونسوها! الأولى معجزة الخلق من العدم، ويكفيها معجزة أنه يصعب تصور عملية الخلق من العدم!! جرب أن تتصور العدم!! فكيف بالخلق من العدم؟، نحن وسائر ما على الأرض ومجموعتنا الشمسية (الشمس وكواكبها) نأخذ حيزاً صغيراً في أحد أطراف لإحدى المجرات في هذا الكون الواسع المترامي الأطراف ونتساءل كيف وجد هذا الكون من العدم؟

إنها قصة الخلق ... المعجزة الحقيقية!! وكفى بها معجزة لمن أراد أن يعتمد في إيمانه على المعجزات!!

أما المعجزة الثانية فهي معجزة وجود الحياة أي وجود كائنات ذات أجسام صغيرة وكبيرة ويميزها أن لها القدرة على أن تنتج مثيلاتها!!

والمعجزة الثالثة أن يكون بين هذه الأحياء حي عاقل يدرك هذا الخلق ويتساءل عن الخلق وعن سرّ وجوده على هذه الأرض!!

المعجزة الأولى بدء الخلق من العدم

أكبر معجزة ... لأنها تخص الخالق فقط ولا يمكن أن يتمكن الخلق من العدم لغير الخالق، ولكن لأننا تعودنا أن نكون موجودين ومن الصعب بل استحالة تصور العدم لذا أخذناها على ما هي عليه وتعودنا وجودنا في هذه الحياة!!، إن تفسير بدء الخلق والخروج من الوجود إلى العدم قد شغل الفلاسفة والحكماء منذ القدم، وكانت مسألة تخصهم إلى وقت قريب، ولكن في الوقت الحاضر أدلى علماء الفيزياء والفلك والرياضيات بدلوهم في مسألة بدء الخلق، فلقد شرح هؤلاء العلماء كيفية نشأة الكون على أساس علمي وتوصلوا إلى نظرية يتفق عليها أغلبهم واسموها نظرية الانفجار العظيم، وحسب هذه النظرية تولد الكون من انفجار عظيم من مادة صغيرة جداً ذات درجة حرارة عالية جداً وكثافة عالية جداً وبعد الانفجار تمددت المادة ونمت على مر السنين إلى أن وصلت إلى حجم هذا الكون الذي نعيشه!!.

ومازال في حال تمدد إلى يومنا هذا!! كون بهذا الاتساع وبهذا الحجم بدأ من نقطة صغيرة أليست هذه من أكبر المعجزات! إن الصورة التي أقدمها بين يدي القارئ هي من محاولات العلماء لفهم أول وأكبر معجزة! وهي محاولة جيدة ولنتذكر أن هذه المحاولة ليست من فراغ وسبحان الذي «علّم الإنسان ما لم يعلم».

من غير الدخول في التفاصيل الدقيقة لنظرية الخلق أتركك عزيزي القارئ لتتأمل هذه المعجزة المنسية! وأنتقل بك إلى معجزة أخرى.

المعجزة الثانية بدء الحياة واستمرارها

قبل البدء في المعجزة الثانية أرجو أن تتأمل المقارنة التالية، ما الذي جعل قطعة من الصخرة فاقدة للحياة وقطعة من شجرة فيها حياة؟ ما الذي أعطى الحياة لخشب الشجر وماذا فقدت ذرات قطعة الحجر لتكون من الجمادات؟ لمعرفة الفرق بين هاتين الحالين يجب الإجابة على السؤال ... ما الحياة؟ من الصعوبة إعطاء تعريف للحياة، وكما قال أحدهم عندما نتكلم عن الزمان الكل يعرف عن ماذا نتكلم ولكن عندما يُطلب تعريف للزمان تجد أن الأمر ليس باليسير، وكذلك الأمر بالنسبة لتعريف الحياة... من باب تبسيط الأمور نقول للتمييز بين الأحياء والجمادات هناك مميزات للكائن الحي غير متوافرة للجماد مثل التكاثر أي أن الحي يُخرج أحياء مثله! وهذه العملية متكررة عبر الزمان، وميزة أخرى النمو بالنسبة للكائن الحي، لكن لو تمعنا في المميزات السابقة لوجدنا أنها تنطبق على غير الأحياء فمثلاً النار تنمو وتنتج مثلها!! ما الحل؟ لابد من إعطاء تمييز أكثر للحياة نقول إن الخلية الحية تتكون من تركيب معقد من الذرات وتتكاثر وتتضاعف أعدادها بعملية منتظمة ويوجد داخلها جزيء يتحكم بها وهو المشهور باسم DNA مع جزيء آخر أي RNA أليست هذه معجزة؟! جزيئات ذات تركيب معقد تنمو وتتكاثر، من الذي وضع هذه الآلية فيها؟ كيف بدأت الحياة؟ الإجابة على هذين السؤالين هو الجانب الآخر من هذا الإعجاز، فالحياة نشأت على الأرض بشكلها البدائي البسيط من نحو ٣,٥ بليون سنة مضت هذا ما اتفق عليه أغلب العلماء ولكن كيف نشأت هذه الخلية؟ أين مصدرها؟ هل أتت من خارج الأرض ووجدت لها أجواء مناسبة فنمت وتطورت؟ هل وجدت الخلية نتيجة لتفاعل المكونات الموجودة على الأرض تحت تلك الظروف؟ الإجابة على هذه الأسئلة تحتاج إلى مجلدات ومتخصصين ليدلوا كل بما يعلم، أما إذا نظرنا إلى نشأة الحياة من حيث الكون، فإن المسألة أيضاً هي معجزة أخرى فوضع الأرض وعلاقتها بالشمس من الأمور التي يعتبرها العلماء من الأسس التي ساعدت على وجود الحياة على الأرض فالشمس نجمة متوسطة الحجم وهذا يساعد على أن تكون مصدراً للطاقة المستمرة والمستقرة وأن تكون الطاقة التي تبعثها ذات توزيع خاص يتناسب مع طول الموجة التي تمكّن الأحياء الإفادة منها للحياة!! أيمكن بعد كل هذه الأمور التي ترتبت للحصول على الحياة على هذه الأرض، هل يعقل أن تكون بلا تخطيط؟ ولا يوجد من يخطط لهذا الأمر أليست هذه معجزة تستحق منا التفكير والتأمل؟

المعجزة الثالثة المخلوق الحي العاقل

المعجزة الثالثة هي أنا وأنت! هذا المخلوق له القدرة على الفهم والتصرف بما في الأرض لصالحه واستعمال العقل في إدارك الأبعاد سواء في الكون الواسع أو أصغر جزيء من الذرة! مخلوق يريد أن يخرج من الأرض ليصل إلى أبعاد في الفضاء ليكشف المجهول مخلوق كثير السؤال لا يستقر على حال كما هي الأحياء الأخرى!! كيف وجد هذا المخلوق الذكي العاقل من بين جميع هذه المخلوقات الحية ولماذا هو بالذات؟ لو استعرضنا الآراء العلمية لنشأة الإنسان أو الآراء الإسلامية الموجودة في فهم علماء الدين لنظرة القرآن لوجود الإنسان لوصلنا إلى شيء مشترك وهو أن سراً عظيماً وراء هذا المخلوق! ألم أقل لكم إنها معجزة ويطرح سؤال، هل هذا الكائن العاقل الوحيد في هذا الكون؟ إذا كان الجواب نعم ستكون معجزة أن يكون هو الوحيد من نوعه في هذا الكون وتكون معجزة أيضاً لو تكرر هذا المخلوق في طرف آخر من هذا الكون!!، من هذا الاستعراض للمعجزات الثلاث أود أن أبين أن الهدف من هذا المقال هو التأمل وعدم الركون إلى الألفة في التعامل مع هذا الكون وما فيه، وأختم مقالتي في هذين البيتين من الشعر:

تأمل في سطور الكائنات فإنها
من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت سطورها
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ترجمات

في مقال مطول للكاتب «فيليب ستيفنس» نشرته أخيرا «الفاينشال تايمز» تحدث فيه عن أمراض القارة السمراء والمشكلات التي تعاني منها وهل يمكن عزلها عما يجري في باقي إنحاء العالم؟ وهل قضية الغاء الديون عن دولها يسهم في دفع عجلة التنمية؟! كل هذه التساؤلات ناقشها الكاتب من خلال ثنايا هذا المقال :

دول أفريقيا تنفق على الديون ثلاثة أمثال إنفاقها على الخدمة الصحية

إعداد : عبدالمنعم أحمد

تقع افريقيا خارج نطاق افقنا، وهي تتلألأ أمام ضمائرنا فقط كسلسلة من الحوادث المزعجة التي تقع بين الفينة والأخرى، فبين وقت لآخر تواجهنا أجهزة التلفاز بصور رهيبة عن حرب أخرى أو مجاعة أخرى، أو نسمع عن انقلاب دموي في بلد لانستطيع تحديد موقعه على الخريطة، ونقوم بوضع تبرع صغير في ظرف ونغلق أذهاننا عن المآسي المستمرة في تلك القارة.

فمن الذي يهتم لو أن افريقيا سقطت من حافة السوق الكونية؟ فبانتهاء الحرب الباردة فقدت القارة أهميتها الاستراتيجية، هي فقيرة للغاية بحيث لايمكن أن تثير الاهتمام كما أن الأفارقة ليست لديهم الأموال الكافية لشراء الكوكاكولا، ويفتقرون إلى التعليم اللازم لاستخدام برنامج ويندوز٩٥ والقارة أيضا ليس في مقدروها سداد ديونها. كما أن انتاج جنوب الصحراء الأفريقية حسب قيمة الدولار الحالية إنما يقل عن إنتاج سويسرا. وفيما عدا تلك المنارة الواقعة على الطرف الجنوبي للقارة، فإنها تحولت إلى موقع من الأفضل تركه لجماعات المرتزقة والمبشرين.

ولقد سئمنا ايضا من الاحصاءات التي تصيب بالكآبة، فالدخل السنوي بالنسبة للفرد مازال يقف عن أقل من ٥٠٠ دولار. بينما يصل معدل هذا الدخل في الدول الغربية الغنية إلى قرابة ٢٦ ألف دولار كما أن نسبة الوفيات في أوساط الأطفال ممن هم دون الخامسة تصل إلى ١٤٧ بالألف بينما نجد في الدول ذات الدخل العالي فإن الرقم يصل إلى سبعة دولارات فقط ومن بين الدول الاثنتين والثلاثين المصنفة رسميا بأنها تعاني من أعباء ضخمة من الديون، خمس وعشرون منها تقع في منطقة افريقيا جنوب الصحراء.

الحكام الطغاة في أفريقيا أهدروا المعونات الغربية في الحروب القبلية

كما ان الديون المستحقة عليها والبالغة ١٤٠ بليون دولار تشكل أكثر من ثلاثة أرباع الدخل السنوي لهذه الدول وهي تنفق على خدمة هذه الديون ثلاثة امثال المبلغ الذي تنفقه على الخدمات الصحية فبعض الأوبئة التي كان يظن أنه قد تم القضاء عليها مثل السل والحمى والصفراء وغير ذلك من الأوبئة، لايمكنها الحصول على مكان اكثر من افريقيا لاحتضانها كما اننا لم نعد قادرين على متابعة أعداد ضحايا الحروب هناك فالكثير منا يتذكر الآن انه قبل أربع سنوات مضت فقط قتل ٨٠٠ألف شخص في المذابح التي وقعت في رواندا.

فضيحة الأسلحة

ولقد ووقع ضمن هذه البحيرة الآسنة ماطلق عليه فضيحة الاسلحة إلى أفريقيا حيث اتهم وزراء أو مسؤولون في حكومة طوني بلير بالتواطؤ مع المرتزقة البريطانيين في العملية التي تمت أخيراً لإعادة الحكومة الديموقراطية في سراليون الى السلطة.

وقد أبلغنا أن هذا التوطؤ المزعوم قد يكون أدى إلى انتهاك الحظر المفروض من قبل الأمم المتحدة على الأسلحة بعد الانقلاب الدموي الذي وقع في العام الماضي في ذلك البلد الفقير الذي يقع في غرب افريقيا. ولقد استهلكت أوراق الصحف والمجلات غابات في سعيها للتوصل الى من قال ماذا، وأين؟ قال ذلك خلال الأشهر التي سبقت الانقلاب المضاد الذي أعاد الرئيس احمد تيجان إلى السلطة كما أن السياسة الخارجية القائمة على الأسس الأخلاقية التي ظل يدعو لها وزير الخارجية البريطاني روبين كوك، وصفت بأنها سياسة خادعة.

وهذا ليس هو الوقت المناسب لإطلاق الأحكام حول إذا ماكان «روبين كوك» مذنبا أو غير مذنب. بل إنه يكفي القول! إن هناك مستصغراً من الشرر نتجت عنه كمية كبيرة من الدخان. وربما أبلغنا ذلك بعض الأمور حول ثقة المواطنين في الديموقراطية حيث يفضل البعض تصديق مايقوله المرتزقة أكثر من تصديقهم للسياسيين.

غير أن مالفت نظري هي الطريقة التي تم بها التغاضي عن ظروف سيراليون واعتبارها شأنا ثانويا، فهذه المستعمرة البريطانية السابقة ظلت منذ فترة طويلة تنزلق نحو الفوضى الاقتصادية، والاجتماعية فدخل الفرد فيها الذي يصل إلى ٢٠٠ دولار يصل الآن إلى أقل من معدل الدخل المتدني للفرد في منطقة افريقيا جنوب الصحراء كما أن معدل عمر الإنسان يصل إلى أقل من أربعين عاما. وأن حكومة البلاد مستمرة في البقاء بسبب الدعم الذي تقدمه حكومة نيجيريا السابقة بقيادة الجنرال ساني أباشا الذي «توفي فيما بعد».

التساهل والتواطؤ

ولكن من الذي يهتم بهذا الأمر؟ فالنقطة المهمة، كما قيل لنا، هي إذا ماكان كوك قد قرأ الأوراق الرسمية فيما يتعلق بالانقلاب، بإمعان والحقيقة، بالطبع، هي أن ذنب الحكومة البريطانية انما هو التساهل المستمر، وليس التواطؤ الذي يقع بين وقت وآخر. وأنه إذا لم يكن الرئيس «كبا» قد أعيد إلى السلطة بمساعدة المرتزقة البريطانيين، لما كنا قد سمعنا عن سيراليون. وليس هناك ماهو غير طبيعي في عدم الاهتمام هذا حيث إن بريطانيا قد بدأ يصيبها السأم من تحمل عبء مسؤولية الرجل الأبيض. إذ إنه من السهل إلقاء اللوم فيما يختص بالمشكلات التي تعاني منها أفريقيا على عاتق الحكام الطغاة الذين أهدروا المعونات الغربية في الحروب القبلية، وفي نظم ظلت تسرق قوت مواطنيها. ولقد انتهت مسؤولية بريطانيا مع زوال امبراطوريتها. والأمر المهم الآن إنما هو الدفاع عن مصالحها التجارية المتبقية. فالطاقات الديبلوماسية الجادة يجب أن تخصص للأمور التي تستحق ذلك في كل من واشنطن وباريس، وبروكسيل، وبكين.

وعليه، فإنه بينما كان الآخرون يشددون الحظر ضد حكومة الجنرال أباشا الدكتاتورية البائسة السابقة، فضلت حكومة بلير مساندة جهود شركة الخطوط الجوية البريطانية لتحقيق الأرباح من خط لندن- لاغوس الجوي.

غير أن طغيان نظام الرئيس الكيني «دانيال آراب موي» تم التغاضي عنه حتى لا تتضرر المصالح التجارية. كما أن بريطانيا مهددة بموجة نزوح قد يقوم بها الآسيويون من شرق أفريقيا، كما أن زامبيا، وزيمبابوي ليس لديهما حتى موقع مظهري ضمن السياسة الخارجية الأخلاقية.

كل ما نستطيع القيام به تجاه أفريقيا أن نضع تبرعاً صغيراً في ظرف ونغلق أذهاننا عن المآسي هناك

إلغاء الديون

بيد أن هناك أمراً بسيطاً، ومباشرا يمكن أن ينفذ لكن نبدأ في تخفيف آلام إفريقيا، حيث يمكن للدول السبع الصناعية الكبرى دعم حملة مجموعة الوكالات غير الحكومية التي تعمل في مجال تقديم المعونات الهادفة لإلغاء الديون عن عاتق الدول الأفقر.

فتكلفة هذا الأمر ستكون ضئيلة للغاية، حيث لاأحد يتوقع أن يتم سداد هذه الديون بالكامل، غير أن مجموعة الدول السبع الصناعية الكبرى قد تفضل بدلاً من ذلك إضفاء تحسينات ثانوية على برنامج تخفيض الدين القائم حاليا، وغيرالمناسب تماما، إذا إن موزامبيق التي تعتبر من المستفيدين من هذا السخاء المفترض. ستجد أن ديونها ستزيد في الواقع بموجب هذا البرنامج.

ويجري تطميننا في هذا الصدد بأن القضية هي قضية مخاطرة أخلاقية، فإذا ما تم إلغاء الديون التي تعاني منها هذه الدول الآن فإنه لن يكون لديها حافز لسداد قروضها في المستقبل، كما أن الغرب يود أن يحتفظ بنفوذه لإرغام هذه الدول على الالتزام ببرامج صندوق النقد الدولي الهيكلية الصارمة. وذلك بغض النظر عن الهجوم الذي شنه «جوزيف ستيغليتز» كبير الاقتصاديين في البنك الدولي علنا على وصفه الالتزام التام بالأرثوذكسية الاقتصادية المتمثلة فيما يطلق عليه بإجماع واشنطن.

غير أن التغاضي عن المخاطرة الأخلاقية مبدأ يجب أن يطبق على المدينين فقط، أما المقرضون الذين اقرضوا سرا مبلغ ٨,٥ بليون دولار إلى نظام الرئيس «موبوتو سيسي سيكو» في زائير خلال الثمانينات لايمكن أن يعرضوا لمخاطر عدم السداد فالحكومة التى أطاحت به يجب أن تسدد فاتورة تواطؤ الغرب مع فساد موبوتو. أما البقية الباقية منا فعليها في هذه الأثناء تجاهل الواقع القائل إن جزءا كبيرا من ديون القارة المستحقة للسداد إنما يعود إلى ميراث مبيعات الغرب للأسلحة التي اسهمت بنجاح في إشعال فتيل النزاعات هناك.

بيد أن تخفيض الديون بالطبع قد يُعدّ بداية وليس حلا لمشكلات افريقيا الكثيرة المختلفة كما يمكن ان يتم تحقيق الكثير من خلال العمل الديبلوماسي، فالعصا السياسية في بعض الأحيان قد يكون لها دور إلى جانب دور جزرة التجارة والمعونات غير أن مساعدة أفريقيا أمر أكبر من كونها قضية اخلاقية، أو إنسانية، فالمشكلات التي تعاني منها القارة مثل الجريمة، والأمراض، والبيئة والمخدرات والهجرة، قد بدأت تحدث تأثيرها خارج نطاق افريقيا ونحن يمكننا إغلاق أجهزة التلفاز وعدم الاستماع إلى نشرات الأخبار إلا أنه لايمكننا عزل قارة بأكملها!!. ■

إعداد: تمام أحمد



أسرع كمبيوتر من الطراز الكبير يغزو الأسواق العالمية

اعلنت شركة «اي بي إم» ان طرازها المقبل من الكمبيوترات الكبيرة التي ستنزل إلى الأسواق خلال أيام قد تجاوزت معدلات الانجازات الصناعية الحالية.

وذكرت «أي بي إم» ان سلسلتها الجديدة من هذه الكمبيوترات الكبيرة المسماة «جي٥» قادرة على القيام بـ ١٠٤٠ مليون عملية ارشادية في الثانية، أو ما يقابل ١٠٤ مليارات عملية حسابية في الثانية الواحدة.

وتستخدم هذه الاجهزة كأحصنة شغل لتشكيل القوة الكامنة وراء الأنظمة والمعدات الاوتوماتيكية في المصارف وشركات الهاتف ودور البورصة في «وول ستريت» التي تحتاج إلى معاملات كثيرة ومعقدة، وكمية هائلة من معالجة المعلومات بسرعة. ويأتي هذا الكمبيوتر الجديد نتيجة الطلب الكبير على مثل هذه الاجهزة من المؤسسات المختلفة ما سيساعدها على تحقيق ارباح أفضل خلال النصف الثاني من العام الحالي.

وذكرت ا«ي بي إم» أن الأداء المتفوق لجهازها هذا قد يعطيها بعض الافضلية على منافساتها اليابانيات مثل هيتاشي وفيوجيتسو التي لها مراكز في الولايات المتحدة تنتج مثل هذه الاجهزة التي تتوافق مع اجهزة «أي بي إم».

ومن المعلوم ان ثمة شركات قليلة في الولايات المتحدة واليابان فقط تنتج مثل هذه الاجهزة المتفوقة ويبدو أن «اي بي إم» بعدما تخلفت كثيرا في الآونة الأخيرة عن منافساتها اليابانيات استطاعت الآن قلب المعادلة، متجاوزة جهاز هيتاشي الذي تبلغ سرعته ٩٠٠ مليون عملية ارشادية في الثانية.



الحياة على الأرض قد يكون مصدرها الفضاء الخارجي

اكتشف فريق دولي من علماء الفلك أخيراً في الفضاء مايمكن ان يشكل المفتاح الذي يساعد على معرفة البنية الخاصة للعناصر الاساسية التي تتكون منها الحياة على الأرض الأمر الذي من شأنه ان يثبت بأن مصدر الحياة يعود بجزء منه إلى عالم الفضاء كما اوردت مجلة «ساينس» في عددها ولاحظ عالم الفلك جيريمي بايلي من مرصد ايبينغ في استراليا وزميلاه الأنكليزي والفرنسي في المجموعة الفلكية «اوريون» حيث يتكون الكثير من الكواكب الجديدة استقطابا ضوئيا دائريا.

وكما يشرح هؤلاء الباحثون فإن بنية الجزئيات التي تعتبر في اساس الحياة مثل الحمض الأميني أو السكر تنطوي على خاصيات لم يلحظوها إلا في نوع ضوئي عاينوه في مجموعة النجوم هذه ولم يكن موجودا على الأرض لدى ظهور الاجسام الحية وقال أحد أصحاب الدراسة جون هوج في جامعة هيرتفور دشاير «بريطانيا» نعلم ان الكثير من النجوم الحديثة تتشكل هنا ونعلم ان جزئيات عضوية موجودة فيها.

وبحسب هذه الفرضية فإن هذه الجزئيات تعرضت لتحولات في الفضاء بسبب هذا النور حتى قبل ان يتشكل نظامنا الشمسي أي قبل ٥ مليارات سنة. ثم انتقلت بعد ذلك إلى الأرض عبر اصطدام المذنبات او النيازك قبل بدء عملية تفاعل طويلة أدت إلى ظهور الحياة.

جدل حول علاقة الذكاء بنوعية الطعام والبيئة



الدماغ من أعقد التركيبات الحية الموجودة في الطبيعة. وما زال لغزا كبيرا نعرف عنه القليل والذكاء بدوره تعبير فلسفي مثل العقل والوجدان...الخ.

ويختلف العلماء في تعريفه فمنهم من يصفه بسرعة اعطاء الأجوبة، ومنهم من يشرحه بالقدرة على إيجاد الحلول السريعة في الأوقات الحرجة ،والبعض الآخر يصفه بقدرة التحليل والتركيب بطريقة تختلف عن الآخرين، ولقد قسّم العالم الفرنسي بنية القدرات الدماغية لدى الانسان إلى درجات مختلفة تبدأ من العته والبله وعدم القدرة على الفهم والاستيعاب بسهولة، وتنتهي بالذكاء الحاد الذي يمكن أن يصل إلى ٢٠٠ على مقياس«L.Q».

جدل

ورغم حديث الفلاسفة وقصة الحضارة التي تناولت الدماغ البشري منذ قرون طويلة، الا ان الخلاف قائم حتى الآن والسؤال المطروح دائما من هو المسؤول الأول عن الذكاء، هل العامل الوراثي بما نحمله من مورثات «جينات» ومواصفات مأخوذة عن الآباء والأجداد، أم العامل البيئي الذي يتمثل في التعلم الجيد والتثقيف والمتابعة الصحيحة للاطفال ضمن منهاج علمي صحيح؟

قد يستبق البعض الاجابة بقولهم طبعا المورثات، وقد يكون ذلك صحيحا لكن دراسات كثيرة بينت ان الموسيقى والعامل النفسي والحياة داخل الرحم لها ادوار مختلفة في تنحية الذكاء البشري اضافة إلى العوامل البيئية الاخرى ويعتقد بعض العلماء ان الحياة الطويلة وتأثير البيئة المزمن على سلوكيتنا قد يبدل من الاستجابة الوراثية التي حملناها من الأجداد.

دراسات جديدة

وقد بين بعض الباحثين في مؤتمر جمعية علم النفس البريطانية الذي عقد اخيرا في لندن ان تناول الفيتامينات الداعمة للغذاء يمكن ان تزيد من معدلات الذكاء لكن قال ديفيد بينتون ان تحسن المقدرات الذكائية يحدث لدى الاطفال الذين يعانون من نقص التغذية فقط ولايوجد تأثير واضح للفيتامينات على الذكاء لدى الاطفال الطبيعيين وقد درس الباحثون في المؤتمر عشرة ابحاث عملية تم نشرها في العقد الحالي حول تأثير الدعم الغذائي على المقدرات الذكائية لدى الأطفال وتبين ان ٧٠٪ من هذه الأبحاث وجدت علاقة محددة بين الراتب الفيتاميني والمقدرة الذكائية لدى الأطفال المصابين بعوز الفيتامينات.

ولقد حذر الأطباء من ان هذه النتيجة لاتعني ان يسرع الآباء بشراء الفيتامينات وإعطائها لأطفالهم بشكل عشوائي. فإعطاء بعض انواع الفيتامنيات«المنحلة بالدسم» يؤدي إلى تأثيرات تراكمية سمية اذا كانت نسبة الفيتامين طبيعية لدى الطفل اضافة الى ذلك فإن الفيتامينات الطازجة موجودة بكثرة في الخضراوات والفواكة ويفضل أن تؤخذ من مصادرها الطبيعية بشكل عام.

للإجابة عن تساؤلات علاقة البيئة والوراثة مع الذكاء قام الباحث روبرت بلومين وزملاؤه في قسم الوراثة والسلوك النفسي في لندن بدراسة مطولة عن هذا الموضوع بعدما حلل شخصية نحو٢٤٠ توأما من الناحية النفسية والمقدرات الفكرية، وقد قسّم هذه التوائم إلى مجموعتين: الأولى توائم حقيقية «اي الجنس ذاته المولود من مشيمة احدة» والثانية غير حقيقية مختلفة وقد تراوحت اعمار التوائم المدروسة بين ٨٠ و٨٥ سنة والجميع كان لديه مقدرات دماغية جديدة. وقد خضع الجميع لدراسة فيزيولوجية وكهربائية ودراسة فكرية من ناحية الذاكرة وقدرة الحفظ والتحليل والقراءة... الخ بينت دراسة بلومين ان التطابق الفكري لدى التوائم الحقيقية وصلت الى ١٠٠ في المئة تقريبا، حيث كان التقارب كبيرا جدا، في حين لم تزد نسبة التطابق الفكري لدى التوائم غير الحقيقية عن ٥٠٪.

وماتوحي إليه أبحاث بلومين أن المورثات لها السيطرة العظمى على تحديد الذكاء. وأكد هذه النتيجة الباحث جارد جوب من المعهد الوطني للطب النفسي في واشنطن حيث بين أن العامل الوراثي يلعب الدور الاكبر في تحديد الذكاء.

وبينت دراسات جديدة أخرى في الوقت ذاته ان العامل البيئي لا يقل أهمية عن العامل الوراثي، اذ بين لورنس ماك ان البيئة وظروف الحمل والعوامل الوراثية لها ادوار متشابهة تقريبا في تحديد الذكاء فالعامل البيئي الذي يشمل التغذية والتعليم والظروف النفسية وغيرها يلعب دورا بمعدل ٣٤ في المئة في تحديد الذكاء ،كذلك ظروف الحمل والتطور داخل الرحم التي تسهم بنسبة٢٤٪ ثم العامل الوراثي بمعدل ٣٥٪ وهذا يعني أن الذكاء عبارة عن مجموعة عوامل تشترك في صنعه.

الشرق الاوسط ٩٨/٨/١



البنك الإسلامي يعتمد ٥٦٥ مليون دولار تمويلات جديدة

اختتم مجلس المديرين التنفيذيين للبنك الإسلامي للتنمية اجتماعات دورته رقم ١٧٩، التي عقدت في مقر البنك في مدينة جدة برئاسة الدكتور أحمد محمد علي، رئيس البنك، وقد اعتمد المجلس خلال هذه الدورة تمويلات جديدة بأكثر من ٥٦٥ مليون دولار لصالح عدد من الدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية في الدول غير الأعضاء، وأعلن رئيس البنك أن المجلس، وتقديراً منه للظروف الاقتصادية الراهنة التي تمر بها أندونيسيا بسبب الأزمة الاقتصادية الآسيوية، قد وافق على اعتماد تمويلات جديدة لها بمبلغ ٣٨٠ مليون دولار منها ٢٨٠ مليون دولار لشراء كميات من الأرز وفول الصويا وأغذية متنوعة للأطفال وأدوية ومنها ١٠٠ مليون دولار لتمويل عدد من مشروعات التنمية بما فيها المدارس والمستشفيات والتنمية الريفية وغيرها.

وقال إن المجلس ناقش عدداً من الموضوعات الرامية إلى تحسين أداء البنك، وتفعيل أنشطته بما يدعم دوره في الإسهام في تحقيق التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي للدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية، ومن ذلك مذكرة تفاهم مع مجموعة الوكالة الفرنسية للتنمية بشأن التعاون في مجالات عدة منها تحديد المشاريع المؤهلة في الدول المستفيدة والبحوث والتدريب، وتبادل المعلومات، كما بحث المجلس ورقة تصور عن تمويل مشاريع التعليم المزدوج في الدول الأعضاء الأقل نمواً في غرب أفريقيا، وناقش المجلس أيضاً جدول أعمال ووثائق الاجتماع السنوي الثالث والعشرين لمجلس محافظي البنك الإسلامي للتنمية الذي سيعقد في كوتونو في جمهورية بنين في رجب ١٤١٩هـ «نوفمبر ١٩٩٨م» المقبل على مستوى وزراء المالية والاقتصاد والتخطيط في الدول الأعضاء، كما ناقش عدداً من التقارير الإدارية وتقارير المتابعة المتعلقة بسير العمل في المشروعات الإنمائية التي يسهم البنك في تمويلها في الدول الأعضاء.

وقال رئيس البنك إن المجلس قد اعتمد خلال هذه الدورة أكثر من ١٠٣ ملايين دولار لتمويل عشرة مشروعات تنموية لصالح عشر دول أعضاء، ومبلغ ٥٤٠ ألف دولار مساعدة فنية لصالح دولتين عضوين ومبلغ ٣٧٨ ألف دولار لصالح المجتمع الإسلامي في الهند، واعتمد المجلس تمويلاً من صندوق حصص الاستثمار بمبلغ ٨,٣ مليون دولار لصالح الجزائر، وتمويلاً من محفظة البنوك الإسلامية بمبلغ ٣٩ مليون دولار لصالح الشركة السعودية الوطنية للنقل البحري، كما أخذ المجلس علماً بالتمويلات التي اعتمدها رئيس البنك بتفويض من المجلس وهي أكثر من ٣٤ مليون دولار.

موقع للأزهر على الإنترنت

قرر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر تشكيل لجنة لمتابعة ما ينشر على شبكة «الإنترنت» العالمية من معلومات تسيء إلى الإسلام وتعاليمه وإعداد المادة العلمية الصحيحة رداً عليها.

وصرح الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر بأن اللجنة ستقوم أيضاً بإعداد المفاهيم العلمية الصالحة للبث على الشبكة العالمية بهدف التعريف الصحيح بالإسلام وشرح تعاليمه وتفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وأشار إلى أنه تم توحيد المؤسسات الدينية الإسلامية الأربع في مصر وهي الأزهر ووزارة الأوقاف ودار الإفتاء وجامعة الأزهر لتكوين رأي ديني موحد لا اختلاف فيه.

تقرير للأمم المتحدة حول السكان

قطاع غزة يتصدر العالم في الخصوبة

أفاد تقرير رسمي صادر عن لجنة النشاطات السكانية التابعة للأمم المتحدة أن قطاع غزة التابع للسلطة الفلسطينية سجل الرقم القياسي العالمي في زيادة السكان، وأوضح التقرير الذي جرى توزيعه على الدول الأعضاء في اللجنة ومنها الأردن أن الزيادة السكانية في قطاع غزة بلغت العام الماضي نسبة ٣,٦ في المئة سنوياً وهي أعلى نسبة لزيادة السكان في دول العالم، علماً بأن المعدل العالمي لزيادة السكان في جميع دول العالم بلغ العام الماضي ما نسبته ١,٨ في المئة.

وأشار التقرير إلى أن ليبيا تأتي في المرتبة الثانية لازدياد السكان تليها اليمن والنيجر، وأوضح التقرير أن عدد سكان العالم سيبلغ العام ٢٠٢٥ ثمانية مليارات نسمة أي بزيادة نحو ٢,٥ مليار نسمة عما هو عليه عدد سكان العالم البالغ في الوقت الحاضر نحو ٥,٥ مليار نسمة.

وأظهر التقرير أن قطاع غزة يحتل المرتبة الأولى بين دول العالم في مجال الخصوبة، حيث بلغت نسبة الولادة للمرأة الواحدة نحو ٧,٩ أطفال يليها اليمن والصومال وأثيوبيا وتنزانيا، علماً بأن المتوسط العالمي هو ثلاثة أطفال للمرأة الواحدة.

سكان العالم العربي سيكونون ٤٧٥ مليوناً العام ٢٠٢٠

قال مدير مكتب المساندة الفنية للدول العربية وأوروبا في صندوق الأمم المتحدة للسكان الدكتور عاطف خليفة، إن عدد سكان العالم العربي سيصل إلى ٣٦٠ مليون نسمة العام ٢٠١٠م وسيقفز إلى ٤٧٥ مليون العام ٢٠٢٠م.

جاء ذلك في كلمة له لمناسبة الاحتفال بيوم السكان الوطني في عمان مضيفاً أن العرب يتضاعفون كل ٣٠ عاماً، وأن ٣٣ دولة معدل إنجابها فوق الـ٦ أفراد لكل عائلة منها ٩٠ في المئة من دول العالم الثالث. وأشار إلى أن سكان العالم العربي يبلغون اليوم ٢٧٥ مليون نسمة، يقطن منهم في أفريقيا ١٨٠ مليوناً، و ٩٥ مليوناً في آسيا، مبيناً في الوقت نفسه أن عدد سكان العالم الآن هو ٦ مليارات نسمة، وسيصل عددهم العام ٢٠٢٠ إلى ٩,٥ مليار نسمة.

وفي السياق نفسه، أوضحت المديرة التنفيذية لصندوق الأمم المتحدة للسكان الدكتورة نفيس صادق في رسالة وجهتها لمناسبة هذا اليوم، أن عمر مليار شخص في العالم يتراوح ما بين الخامسة عشرة والرابعة والعشرين، مطالبة باعتماد التعليم الحل الأمثل لمواجهة هذه المعضلة لأنه يمنح الثقة، إضافة إلى مطالبتها باعتماد نظام المباعدة بين فترات الحمل.

وبالنسبة للوضع السكاني في الأردن أكد وزير العمل الأردني رئيس اللجنة الوطنية للسكان الدكتور مهدي الفرحان أن المجتمع الأردني يتميز بكونه مجتمعاً فتياً تصل فيه حالياً نسبة الأعمار الصغيرة دون سن الـ ١٥ إلى ٤١,٤ في المئة مشيراً إلى أن إحصاءات العام ١٩٩٧ بينت أن عدد سكان الأردن ٤,٦ مليون نسمة، ويتوقع ارتفاع هذا الرقم إلى ٥,٢ مليون نسمة بحلول العام ٢٠٠٠ و ٧,١ مليون العام ٢٠١٠م.

سكان الولايات المتحدة ٢٧٠ مليوناً

أشارت إحصائية أميركية حديثة إلى أن تعداد السكان في الولايات المتحدة الأميركية في تزايد مستمر حيث بلغ في بداية العام ١٩٩٨ ـ ٢٦٩ مليون نسمة.

وذكرت الإحصائية أن هذه الزيادة بلغت ٢,٤ مليون نسمة في العام ١٩٩٦م.

وأضافت أن عدد سكان الولايات المتحدة في العام ١٩٤٠م كان ١٣٢ مليون نسمة.

الفقر ينتشر في آسيا وله تداعيات ضخمة مستقبلية

قال رودولفو سيفير أمين العام رابطة دول جنوب شرقي آسيا «اسيان» إن الفقر ينتشر في آسيا، وأن له تداعيات كبيرة على المستقبل.

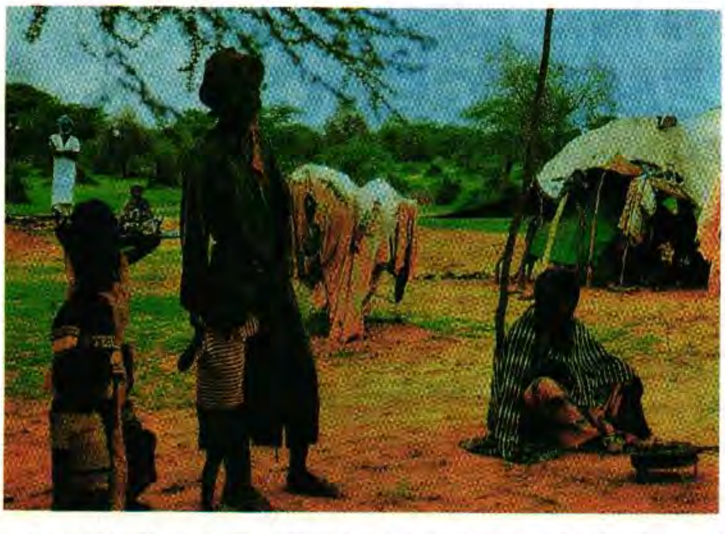
وأضاف سيفيرينو في التقرير السنوي للرابطة الذي صدر قبيل اجتماعها الوزاري أن الأزمة المالية الآسيوية قد تبدد سريعاً المكاسب الكبيرة التي حققتها اقتصادات الدول الأعضاء في الرابطة على مدى العقدين الماضيين.

وأكد انتشار البطالة وكرر تقديرات البنك الدولي التي تقول إن الأزمة الآسيوية أدت بالفعل إلى فقد ٢,٤ مليون شخص لوظائفهم.

وقال: نتيجة لفقد الوظائف والتراجع في القوى الشرائية بشكل عام زاد الفقر في الكثير من الدول، وفي بعض الدول تراجعت الرعاية الصحية وزادت الفجوة الغذائية واضطر الأطفال إلى ترك مدارسهم، وهذا الأمر له تداعيات ضخمة على المستقبل. وتابع: «ما لم يتغير هذا الاتجاه سريعاً فإن المكاسب الكبيرة التي حققتها اقتصادات الآسيان خلال العقدين الماضيين قد تتبدد بسرعة كبيرة».

وأضاف سيفيرينو أن الرابطة يجب أن تشارك بنشاط في صندوق طرح في الاجتماع الآسيوي الأوروبي الثاني في أبريل الماضي الذي عقد في لندن لمساعدة الدول الآسيوية المتضررة من الأزمة الاقتصادية في المنطقة، ويضم الاجتماع الآسيوي الأوروبي دول الاتحاد الأوروبي الخمس عشرة وعشر دول آسيوية.

وتابع سيفيرينو أنه يتعين أن يستفيد أعضاء الرابطة كذلك من



إسهامات الحكومة اليابانية في الصندوق التابع للبنك الدولي للمساعدات الفنية لإعادة هيكلة القطاع المالي وإيجاد سبل فعالة لمواجهة الفقر.

وتضم اسيان بروناي وأندونيسيا ولاوس وماليزيا وميانمار والفلبين وسنغافورة وتايلاند وفيتنام.

وأكثر الدول تضرراً من تفاقم حدة الفقر هي أندونيسيا حيث يتوقع الاقتصاديون أن ينخفض إجمالي الناتج المحلي بما بين ١٥ و ٢٥ في المئة هذا العام، ويقولون إن أكثر من مئة مليون نسمة أي نحو نصف عدد السكان سيصبحون تحت خط الفقر بحلول نهاية هذا العام.



ازدياد كبير في عدد الأميركيات المرتكبات للجرائم

أوضحت إحصاءات رسمية نشرت في واشنطن أن أعداد الأميركيات اللاتي يتم اعتقالهن لارتكابهن جرائم يعاقب عليها القانون تزايدت بنسبة كبيرة تثير المخاوف من احتمالات المستقبل.

وقال البروفسور ميشيل راستيجان أستاذ علوم الجريمة في جامعة سان فرانسيسكو ان الأرقام الرسمية تشير بوضوح إلى نزوع نسبة كبيرة من الإناث إلى الجريمة المنظمة، حيث صار من المألوف أن نسمع عن جريمة قتل مثلاً من تدبير وتنفيذ امرأة.

وأضاف راستيجان قائلاً : إن «الجريمة الأنثوية» كانت في الماضي غالباً ما ترتبط بالرجل بصورة أو بأخرى، لكننا اليوم بتنا نرى الأنثى تخطط بمفردها للجريمة وترتكبها بدم بارد، وعلى الرغم من أن نسبة الإناث المتورطات في الجرائم لا تزال في حدود ١٥ في المئة من مجموع الجرائم المسجلة في الولايات المتحدة، فإن عمليات اعتقال الإناث المتورطات في ارتكاب الجرائم قد قفزت بنسبة ٢٥ في المئة في الفترة الممتدة من العام ١٩٨٣ إلى ١٩٩٢ وبالنسبة لجرائم المراهقة، فقد زادت الاعتقالات بين المراهقات خلال الفترة ذاتها بنسبة ٨٥ في المئة، مقابل ٥٠ في المئة بين المراهقين.

٥٠ ألف طفل روسي يهربون من أهليهم سنوياً !!

كشفت إحصاءات مركز أبحاث حقوق الإنسان في موسكو إن نحو ٥٠ألف طفل يهربون من بيوتهم سنوياً في روسيا خوفاً من بطش الآباء والأمهات، ويوجد في البلاد اليوم نحو مليون طفل شريد، علماً أن أكثرهم يأساً يلجأ إلى الانتحار، وطبقاً لمعطيات منظمة الصحة العالمية يحتل الانتحار المرتبة الثالثة من بين أسباب وفاة الأطفال واليافعين في روسيا، وعادة يقدم الأطفال على هذه الخطوة اليائسة بسبب الأوضاع العائلية.

لكن حوادث مقتل الأطفال على أيدي والديهم أصبحت كثيرة في الأعوام الأخيرة، فغداة العام الجديد ألقت إحدى الأمهات في نوفمبر في نوفو سيبرسك بطفلتها ٥ أعوام من شرفة الشقة في الطابق العاشر فلقيت حتفها فوراً، وجدير بالذكر أن رجال النيابة العامة لم يجدوا لدى التحقيق معها أي بوادر ندم على فعلتها، وكانت الأم يلينا تمزح حين أخذت بصمات أصابعها، وذكر الجيران أن الأم غالباً ما كانت تضرب ابنتها ولا سيما حين تكون مخمورة، وكان الطفل فوفكا ٦ أعوام يلقى أصناف التعذيب من زوج أمه الذي كان يرغمه على التسول، وعندما لا يجلب كمية كافية من النقود كان يربطه بجهاز التدفئة الساخن وبطنه العارية إليه، وفيما بعد كان يعلقه من رجليه بحبل إلى السقف ثم ينهال عليه بالضرب حتى فارق الحياة.

ولا يعرف بالضبط عدد الأطفال من ضحايا الوالدين السكيرين، ويضطر الأطفال إلى تحمل عذاب البقاء مع الآباء والأمهات حتى تقرر المحاكم سلبهم حقوق الأبوة، وهي عملية طويلة، ولا يقدم عليها رجال الأمن لعلمهم بأن دور اليتامى مزدحمة بنزلائها، ولهذا فإن قسماً من الأطفال يبقون تحت رحمة الوالدين القاسين ويتحملون شتى أصناف التعذيب والإذلال.



الشيخ عبدالعزيز بن باز :

لا يجوز تجنيد المسلمات في الجيوش

أفتى الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية بعدم جواز تجنيد النساء والفتيات المسلمات في جيش دولة غير مسلمة.

وقال: إنه لا يجوز أصلاً تجنيد المسلمات في أي جيش لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «للنساء جهاد لا قتال فيه... الحج والعمرة».

كما استنكر عدد من علماء المملكة العربية السعودية محاولة الجيش البريطاني تجنيد المسلمات البريطانيات في قواته البحرية.

وكانت البحرية البريطانية كشفت أخيراً عن عزمها تجنيد المسلمات في صفوفها ما أثار ردود أفعال واسعة في أوساط الهيئات الإسلامية في عدد من دول العالم حيث استنكرت هذه الهيئات فكرة الزج بالنساء المسلمات في بريطانيا في العمل العسكري تحت مظلة قوات غير مسلمة، ودعا الشيخ ابن باز النساء المسلمات في كل أنحاء العالم إلى الالتزام بشرع الله الذي يحفظ لهن كرامتهن ويصون حقوقهن وعدم الانسياق وراء الدعوات التي تخالف الشريعة الإسلامية السمحة.

مصر تشيد أضخم محطة كهرباء شرق أوسطية

تشرع مجموعة دولية برئاسة شركة «اينترجن» المملوكة جزئياً من أطراف مصرية في تشييد أضخم محطة توليد كهرباء في منطقة الشرق الأوسط بتكلفة أولية تقدر بنحو ٤٥٠ مليون دولار ممولة من استثمارات تشارك فيها أطراف دولية، وقالت مصادر هيئة «اينيل» الايطالية للكهرباء المشاركة في الجوانب الفنية للمشروع كطرف ثالث إن المحطة التي ستقام في منطقة سيدي كرير قرب الإسكندرية على الساحل الشمالي من المقدر أن تبلغ قدرتها التشغيلية ٦٥٠ ميغاواط، ويتوقع أن يبدأ العمل في المشروع في بداية العام المقبل، والجديد في المشروع هو أنه يمثل أول مشروع للطاقة يقوم بتنفيذه القطاع الخاص المصري بمشاركة مصادر أجنبية متعددة الأطراف.

والشركة الأم المشرفة على بناء محطة سيدي كرير، مملوكة لشركة «شل» الهولندية بنسبة ٧٤ في المئة بالاشتراك مع مؤسسة «بيشتل» الألمانية، فيما تملك أسهم الشركة المتبقية شركتان مصريتان هما «الشركة العربية الأولى للتنمية والاستثمار»، وشركة «كاتو» للاستثمارات، وستتخذ صيغة التمويل تشكيل شركة مشتركة خاصة بالمشروع ستتولى الإشراف عليه وتدبير التمويلات الإضافية من الاستثمارات تتضمن مؤسسات تجارية أجنبية وبنوكاً مصرية وهيئات تمويل دولية.

١٧٥ ألف «مجرم موتور» بين تلاميذ المدارس الألمانية

أجرت جامعة دريسدن التكنولوجية في ألمانيا بحثاً شاملاً حول ممارسات العنف في المدارس الألمانية وأسباب ميول العنف بين الشباب وعدد التلاميذ من مرتكبي الجنايات، وصنفت نحو ١٧٥ ألف تلميذ تتراوح أعمارهم بين ١٢ ـ ١٧ عاماً في خانة «مجرم موتور».

وتوصلت الدراسة في هذا إلى نتيجة مفادها أن ٥ في المئة من تلاميذ المدارس هم من مرتكبي الأعمال الإجرامية، إضافة إلى نسبة توازي الضعف من التلاميذ الذين يبدون استعداداً لارتكاب الجرائم وممارسة العنف، كما أن هناك نسبة ٤ في المئة من عدد التلاميذ بين الصفين الخامس والتاسع، والذين يبلغ عددهم نحو ٥ ملايين، ممن يمارسون الضغط النفسي على زملائهم الآخرين. وصنفت الدراسة المعنوية «العنف كمشكلة اجتماعية في المدارس» معطيات مدارس ولايتي هيسن وسكسونيا بين ١٩٩٥م ـ ١٩٩٧م وشملت استفتاءات بين ٣٠٠٠ تلميذ في كل ولاية، واختيار ولايتي هيسن «الغربية» وسكسونيا «الشرقية» كان يرمي إلى مقارنة أعمال العنف بين المدارس الشرقية والغربية، وتبين من خلال ذلك أن العنف في مدارس الشطر الشرقي لا يختلف عنه في مدارس الشطرالغربي عدا بعض الاختلاف في جذور هذا العنف، إذ لا يزال الفرق بين أنظمة التدريس الشرقية والغربية ظاهراً ولعب هذا الفرق دوراً في تعجيل أعمال العنف في المدارس الشرقية ومساواتها بالغرب خلال سبعة أعوام من الوحدة فقط.

إذ تسود في أجواء مدارس الشرق ظواهر، «الخوف من المدرسة» وضع «محاولات التفوق» في حين تسود« المتعة» في أجواء مدارس الغرب. وقدر البروفسور فولفجانغ ميلتس الذي أشرف على مشروع البحث أن شعور التلاميذ الشرقيين بضغط «ضرورة التفوق» ناجم عن الوضع الاقتصادي المتدهور وقلة فرص العمل بعد التخرج ورواج ظاهرة «الاستهلاك» بين التلاميذ. عدا أعمال الابتزاز واستخدام الأسلحة التي وجدتها الدراسة «نادرة» في الغالبية العظمى من أعمال العنف في المدارس تتراوح بين «الضرب الشديد» وأعمال التخريب والإساءة الجنسية والبذاءة، وإذ يرى معلمو المدارس الغربية أن العنف خلال التسعينات ارتفع بشكل ضئيل في مدارسهم ويعتقد ثلاثة أرباع معلمي المدارس المتوسطة والإعدادية و٨٥ في المئة من معلمي مدارس «التقوية» في شرق ألمانيا، أن أعمال العنف في المدارس ازدادت بشكل «مرعب» منذ العام ١٩٩٠ «عام الوحدة الألمانية». ويرى البروفسور ميلتس أن أسباب العنف في المدارس تكمن أساسا في البيت لا في المدارس إذ تعاني عوائل معظم الأطفال «الموتورين» من التمزق الاجتماعي وظواهر الإدمان والمرض وما إلى ذلك، هذا إضافة إلى تأثر الأطفال بظواهر العنف عموما في المجتمع وبسينما الإثارة وانتشار فيديو العنف والجريمة والجنس.. إلخ وتبقى الفتيات بمعزل تام تقريبا عن الإحصائية ووصف ميلتس ظاهرة العنف في المدارس بأنها «ذكورية بحتة».

حفريات إسرائيلية لطمس التاريخ الفلسطيني

قال عبدالله كلبونة ـ مدير دائرة الآثار الفلسطينية في نابلس: إن سلطات الاحتلال تقوم بتدمير المقبرة الإسلامية الكائنة على جبل جرزيم وذلك بدعوى القيام بأعمال الحفر والتنقيب في منطقة المقبرة وداخل محيطها. وأضاف : إن أعمال الحفريات التي تجريها السلطات الإسرائيلية مخالفة لكل الأعراف والمواثيق الدولية، وبخاصة أنها تعمل على طمس التاريخ في المنطقة المذكورة من خلال الكتابة والنقل والاستيلاء على الموجودات الأثرية فيها.

وقال : إن الدلائل التي ظهرت حتى الآن نتيجة أعمال الحفر تبين أن تاريخ المنطقة لا يحمل أي معالم أثرية يهودية، بل إن المنطقة مرتبطة بالتاريخ البيزنطي والإسلامي، غير أن سلطات الاحتلال تحاول جاهدة طمس التاريخ وتستولي على ما تجده من آثار بزعم أن المنطقة مرتبطة بالتاريخ اليهودي رغم أن الحفريات عجزت عن تقديم دليل واحد على هذه المزاعم، وأكد المسؤول الفلسطيني ضرورة دراسة هذا الموضوع بكل أبعاده من قبل لجنة دولية تختص بتقويم الآثار وربطها بعصرها وتاريخها والحضارة التي نشأت بها لسد الطريق على التزوير والتوثيق الذي تمارسه سلطات الاحتلال.

من هدي كتاب الله

﴿ ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم. ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد ﴾.

التغابن ٥ - ٦

من هدي رسول الله ﷺ

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

«صلوا أيها الناس فى بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبه».

متفق عليه

الغافلون الأربعة عن أمور أربعة !

قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه : عجبت لأربعة كيف يغفلون عن أربع :

عجبت لمن ابتلي بالخوف كيف يغفل عن قول الله تعالى :
(حسبنا الله ونعم الوكيل).

وعجبت لمن ابتلي بمكر الله به كيف يغفل عن قوله تعالى :
(وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد).

وعجبت لمن ابتلي بالضر كيف يغفل عن قوله تعالى :
(رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين).

وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف يغفل عن قول الله تعالى :
(لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

نصيحة

قال حاتم الأصم لرجل أتاه يستنصح : الزم بيتك، فإن أردت الصاحب، فالله يكفيك، وإن أردت الرفيق فرفيقك رقيبك، وإن أردت أنيساً، فالقرآن يؤنسك، وذكر الموت يعظك.

ريح الولد من ريح الجنة

قال الأحنف بن قيس لمعاوية، وقد وجده غاضباً على ابنه يزيد: أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، إن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم، ولا تكن قفلاً فيملوا حياتك، ويتمنوا وفاتك.

ويقول: الولد قرة العين وريحانة الأنف، وثمرة القلب، وقالت إعرابية وهي تُرقِّص ولدها:

يا حبذا ريح الولد ... ريح الخزامى في البلد
أهكذا كل ولد ... أم لم يلد قبلي أحد

عز الأدب

قال حكيم لابنه: يا بني عزّ السلطان يوم لك ويوم عليك، وعز المال وشيك ذهابه، جدير انقطاعه وانقلابه، وعزّ الحسب إلى خمول ودثور وذبول، وعزّ الأدب راتب واصب لا يزول بزوال المال، ولا يتحول بتحول السلطان.

حديقة



إعداد :
أحمد عبدالجبار

دعاء

«اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا إليك، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

أضغاث أحلام

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده :

رأيتك في المنام كسوت جلدي
ثياباً جمة وقضيت ديني
فكان بنفسجي الخز فيه
وساج ناعم فأتم زيني
فصدق يا فدتك الناس رؤيا
رأته في المنام كذاك عيني

فأمر المنصور له بذلك وقال :

لا تعد فتحلم، واجعل حلمك أضغاثاً!!

عمى القلب أشد من عمى العين!

قال يحيى بن بسطام: دخلت يوماً على نفر من أصحابنا على غفيرة العابدة الضريرة، وكانت قد تعبدت وبكت خوفاً من الله جل شأنه حتى عميت، فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جانبه: ما أشد العمى على من كان بصيراً، فسمعت عقيرة قوله فقالت: يا عبدالله، عمى القلب أشد من عمى العين عن الدنيا، وإني لوددت أن الله وهب لي كنه محبته وإن لم يبق مني جارحة إلا أخذها.

عدل

دخل الأشعث بن قيس - وهو من كبار القوم - على القاضي شريح وهو في مجلس الحكم، فقال له شريح هاشاً باشاً: مرحباً وأهلاً بشيخنا وسيدنا، وأجلسه معه، وبينما هو جالس معه إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث بصوت عال، فظهر الغضب على وجه الأشعث، ولكن القاضي شريح قال له: قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك.

قال الأشعث: لا، بل أكلمه في مجلسي الذي أجلستني فيه أنت، فقال الخصم: انظر يا حضرة القاضي ماذا يقول؟ فقال شريح: صه! سيقوم ويقف إلى جوارك وأسمع منكما بالتساوي، فلم يقبل الأشعث قول القاضي، فقال شريح: يا أشعث لتقومن أو لآمرن من يقيمك، فقام امتثالاً، وقضى بينهما شريح بالحق، وبعد ذلك أجلسه معززاً مكرّماً كأن لم يحدث شيء!!

كيف تعرف الرجال

جاء لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رجل يشهد لرجل آخر

فقال له عمر : هل تعرف هذا الرجل ؟

قال : نعم إني أعرفه.

قال : هل صاحبته في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق ؟

قال : لا.

قال : هل عاملته بالدرهم والدينار الذي يعرف به ورع الرجل ؟

قال الرجل : لا.

فصاح عمر : لعلك رأيته قائماً وقاعداً يصلي في المسجد ؟

قال الرجل : نعم.

قال له عمر : اذهب فإنك لم تعرفه.

والتفت إلى الرجل الأول

وقال له : اذهب أنت وائتني بمن يعرفك ... !!

لغويات

- كل شيء من متاع الحياة الدنيا فهو عرض.
- كل ما شبت به النار بعد إيقادها فهو حَصَبٌ.
- كل نازلة تؤذي الإنسان أذى شديداً فهي قارعة.
- كل بناء مربع فهو كعبة.
- كل بناء عال فهو صرح.
- كل أمر يخالف الحق فهو فاحشة.
- كل نبت يؤخذ منه دواء فهو عقّار.
- كل مدينة جامعة فهي فُسْطاط.
- كل ما يلي الجسد من الثياب فهو شعار، وكل ما يلي الشعار فهو دثار.

المنظور الإسلامي لحقوق الإنسان

صدر أخيراً ضمن منشورات النادي الجراري في الرباط مؤلف جديد للدكتور عباس الجراري تحت عنوان: «الذات والآخر» يقع في ١٥٢ صفحة من الحجم المتوسط.

ويضم الكتاب الكثير من الموضوعات منها: تميز المنظور الإسلامي لحقوق الإنسان، خصوصيات مستقبل الهوية المغربية في مواجهة التحديات، مشاكل الأجيال الصاعدة في حفظ الهوية، الحضارة بين الهيمنة والتواصل، رؤية إسلامية، تسامح الإسلام مع الذات والآخر، والتواصل بالترجمة وصعوبة نقل النصوص الأدبية، وتتناول هذه الموضوعات كما جاء في مقدم الكتاب الخصوصيات التي تميز المنظور الإسلامي لحقوق الإنسان، كما تتناول الهوية في مستقبلها ومواجهتها للتحديات وفي مشاكل الأجيال الصاعدة من المغتربين لحفظها واستمرار التمسك بها، إنها كما يقول عباس الجراري: تصب في سياق العلاقة بين الذات والآخر، الذات باعتبارها رديف الكيان والشخصية، أي الوجود في حقيقة كينونته المتكاملة، وما هيته التامة بما يشكلهما من قيم ومقومات وما لها من قدرة على التفاعل وتبادل التأثر والتأثير، وليس باعتبارها انطواء نفسياً أو مركزية أنانية، أو محورية وهمية، مما لا شك يقود إلى تحكيم أحوال النفس المزاجية، وإلغاء ما سواها، ربما في ذلك الآخر وجميع ما يتصل به، وعدم الاعتراف بعد ذلك بكل ما يخالف تلك الأحوال أو يغايرها في نزوع للهيمنة والتسلط.

إشكاليات العمل الإعلامى بين التراث والمعطيات العصريه



• غلاف الكتاب

ضمن سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة الرابع والستون للأستاذ الدكتور محيي الدين عبدالحليم تحت عنوان: «إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية»، هذا الكتاب يعتبر إحدى المحاولات لبلورة رؤية إعلامية وتحديد بعض الملامح والمعالم الرئيسية للمنهج الإسلامي في الإعلام، وذلك أن الجهود التي تناولت المنظور الإسلامي للإعلام بما فيها ما يطلق عليه «الجهود الأكاديمية» لاتزال متواضعة لاترقى إلى مستوى المنبر الإسلامي المطلوب، ولا يحقق الاضطلاع بمهمة البلاغ المبين، كما أنها لاترقى إلى مستوى العصر بكل عطائه وتقنياته الإعلامية، وكأن الإعلام في عالم المسلمين لايزال يعاني غربة الزمان والمكان، ولعل السبب في ذلك اتساع فجوة التخلف بين الماضي المشرق والواقع المتخلف، شأنها في ذلك شأن الفجوة القائمة بين ما يسمى بالإعلام الإسلامي والإعلام العالمي، حتى انتهى عالمنا الإسلامي إلى موقع التلقي لكل ما يُصب عليه بحيث تكاد تكون معظم مشاركاته تمثل رجع الصدى للإعلام العالمي وإعادة إنتاجه وإرساله.

تقويم الطلبه لأداء أعضاء هيئه التدريس



• غلاف الكتاب

في نحو ٣٣٤ صفحة من القطع المتوسط صدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج كتاب «تقويم الطلبة لأداء أعضاء هيئة التدريس» من إعداد سهير فهمي، أحمد فرحات، والكتاب الذي جاء في خمسة فصول يتضمن دراسة تحليلية لنظام تقويم الطلبة لكفاءة التدريس في جامعة الملك سعود في المملكة العربية السعودية، ففي الفصل الأول تحدث الكتاب عن مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وأسئلته وحدوده ومصطلحاته، أما الفصل الثاني فقد تضمن الإطار النظري الذي اشتمل على تقويم الطلبة للممارسات التدريسية في مؤسسات التعليم العالي والدراسات السابقة وأخيراً تقويم الممارسات التدريسية في جامعة الملك سعود، واحتوى الفصل الثالث على تصميم البحث وإجراءاته من حيث منهج البحث ومجتمعه وأدواته وأساليب المعالجة الإحصائية وتضمن الفصل الرابع عرضاً وتفسيراً وتحليلاً لنتائج الدراسة الميزانية كما اشتمل الفصل الخامس على ملخص الدراسة واستنتاجاتها وتوصياتها.

قضايا وهموم المجتمع المدنى فى الخليج

صدر عن منتدى التنمية وتنفيذ دار قرطاس، كتاب يجمع فعاليات وأوراق اللقاء السنوي التاسع عشر الذي عقد في دبي تحت عنوان «قضايا وهموم المجتمع المدني في دول مجلس التعاون الخليجي: المؤسسات والتشريعات والأقليات»، وتضمن الكتاب الدراسات والأبحاث التالية:

- مؤسسات المجتمع المدني في دول الخليج العربية لريما الصبان - مسألة الأقليات في الخليج، رؤية من الداخل لمنيرة فخرو - المجتمع والديموقراطية والدولة في الجزيرة العربية «دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تعريف المدينة العربية» لمتروك الفالح - المجتمع المدني في الكويت منذ الاستقلال إلى الاحتلال لعبدالمالك التميمي - عرب الخليج وقضايا قطرية وقومية لعبدالعزيز محمد الدخيل.

العرب والغرب على مشارف القرن الحادي والعشرين
مؤشرات استراتيجيه

صدر عن المركز العربي الأوروبي في باريس كتاب جديد للدكتور قيس جواد الغزاوي عن «العرب والغرب على مشارف القرن الحادي والعشرين... مؤشرات استراتيجية». هذا الكتاب يبحث في التحولات الدولية المتسارعة ويشتمل على مقدمة وأربعة فصول، وفي المقدمة يتساءل الكاتب: ما الذي يمكن أن يفعله العرب في ظل الانهيار الكامل للبنى النظرية للنظام القديم التي أذنت بقيام النظام الجديد؟ كيف سيحاول العرب الاستفادة من تفكك المركزية العالمية وتعدد القطبية مع بداية الألفية الثالثة؟ وما موقع العرب من صراع «القوة» و«المعنى»؟ وأخيراً أين يقف العرب من مجتمع المعلومات؟

وفي أول فصول الكتاب «تصدع في جبهة الغرب أم بداية عصر جديد»؟ بحث في مفهوم الغرب بعد أن أصبح الغرب غربين: غرب قديم أرسى النظام العالمي الذي نحن بصدد توديعه وتمثله أوروبا، وغرب جديد هو الولايات المتحدة الأميركية يحاول ما أمكنه أن يهيمن على البشرية من خلال الأمركة ومحاولة فصلها عن العولمة، وإمكانات تحول أوروبا من واحة سلام إلى ساحة احتدام، وفي الفصل الثاني «العالم الثالث نهاية فكرة سياسية»، عاد المؤلف بهذه الفكرة الحالمة إلى بداياتها كمفهوم، ومن ثم بحث عن هوية العالم الثالث السياسية والاقتصادية فوجد تراجعاً في المستوى الفكري تجسد في إخفاق المساعي الوحدوية العربية وبروز الإسلامية على حساب القومية عربياً... وفي أفريقيا لاحظ انتكاس راية الوحدة الأفريقية وارتفاع راية الزنجية، وفي الأميركيتين فإن الجامعة الأميركية التي ظهرت لأول مرة العام ١٩٨٩م وأدت إلى تأسيس منظمة الدول الأميركية العام ١٩٤٨م، لم تؤد إلى توحيد هذه الدول، بل تحولت إلى وسيلة لتبرير هيمنة أمريكا الشمالية على الجنوبية، وفي هذه المظاهر انتكاسة كبيرة لمفهوم ولمسلمي العالم الثالث باعتبار المفهوم يعني محاولة الانفلات من الهيمنة الدولية ولم يتغافل الكتاب عن بحث المستوى الاستراتيجي للعالم الثالث ولا التحديات الأمنية التي توجت النادي النووي الدولي كقوى وحيدة متحكمة في العالم.

ولكن هل من مخرج لهذا العالم الثالث؟ ذلك ما بحثه في الفصل الثالث «نظرات في حاضر القوى الكبرى... بصائرها» حيث وجد الولايات المتحدة الأميركية قوة لا منازع لها في العالم، ومع ذلك فهي لا تسيطر على العالم كلياً دون اللجوء إلى الحلفاء، وتأييد الأمم المتحدة، كما وجد أن القوى الكبرى اليوم سواء الاتحاد الأوروبي أو اليابان أو الصين تمتلك من القدرات ما يمكنها من التحول إلى قوى نووية قادرة على فرض نفسها دولياً... وبالتالي فإن النظام الدولي نظام انتقالي سيتجه سريعاً إلى قطبية متعددة على المستوى الاستراتيجي وفي خضم هذه التحولات يتوافر هامش مناورة للعرب يعد فرصتهم الذهبية للتحرر، فلديهم كل مقومات هذا التحرر من الإرادة للقاعدة الاقتصادية اللازمة، وأخيراً فأي شكل من أشكال الصراعات والحروب تنتاب العالم اليوم بعد نهاية الحرب الباردة؟ سؤال يقوم عليه الفصل الرابع والأخير حيث يقدم لنا خارطة الحروب والصراعات والتدخلات العسكرية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة.



● غلاف الكتاب

أخبـــار ثقافيــه

● وافق الاجتماع التنسيقي الثامن بين منظمات الأمم المتحدة والمنظمات العاملة في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي الذي عقد في جنيف أخيراً، على تعيين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» - نقطة اتصال بين المنظومتين في مجال تطوير العلوم والتكنولوجيا والبيئة.

● في إطار برامج العلوم الهادفة إلى خدمة المجتمع ومعالجة المشكلات التي تعوق التنمية وبأحدث الطرق العلمية في بلدان العالم الإسلامي، أصدرت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» أربعة كتب علمية جديدة تحمل العناوين التالية: منهاج تدريس تدبير الموارد المائية في جامعات العالم الإسلامي، والوقاية من الفيضانات، تجربة بنغلاديش، مراقبة الزلازل في أندونيسيا، مقاومة زحف الرمال وتثبيت الكثبان الرملية.

● عن الهيئة المصرية العامة للكتاب صدرت الطبعة الثالثة من كتاب: تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩١٨م - ١٩٣٦م للدكتور عبدالعظيم رمضان في جزءين في ما يزيد عن ٩٠٠ صفحة من القطع الكبير، وقد أضيفت إلى هذه الطبعة كشافات الاعلام والهيئات والبلاد والأماكن والحوادث والدوريات، وعدد من المقالات المنشورة التي تعلق على صدور الكتاب في طبعته الأولى.

● صرح الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار المصري الدكتور جاب الله علي جاب الله أن دولة الكويت ستنظم في الخريف المقبل معرضاً للآثار الإسلامية ولمدة ثلاثة أشهر في قاعة «أفق الفنون» في متحف محمد محمود خليل التي تعتبر أحدث القاعات الفنية في مصر.

فتاوى

مراقبة الأفلام السينمائية

عُرضت على اللجنة الأسئلة التالية:

ما رأيكم في عرض الأفلام العادية في السينما؟ هل يجوز أم لا؟ وإذا كان الجواب بالنفي فلماذا تعرض في التلفاز هذه الأيام؟

أجابت اللجنة:

أنه ليس عرض كل الأفلام محرماً وليست كلها مباحة، ولابد أن ينظر إلى كل فيلم نظرة خاصة، فإن كان مما يثير الغرائز أو يدعو إلى ما يخالف الدين، فعرضه محرّم والنظر إليه محرّم أيضاً، والمسؤول عن عرضه أو عدم عرضه هم القائمون على برامج التلفاز.

تعليم الموسيقى والأناشيد للأطفال

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

سافر أحد أقاربي وزوجته لأداء العمرة، بعد أن سبق لهم الحج في العام الماضي، وهناك سمعنا أن عملهم الوظيفي حرام، فطلبا مني اللجوء إليكم لطلب الفتوى في المسألة التالية:

السيدة تعمل بوظيفة مدرسة للموسيقى في روضة أطفال تابعة لوزارة التربية في دولة الكويت، وحاصلة على شهادة بكالوريوس في الموسيقى، وطبيعة عملها تدريس مبادئ الموسيقى والإيقاعات الموسيقية والأناشيد للأطفال ممن هم دون السادسة من العمر داخل الفصل، ولا يصاحب ذلك أي خروج على السلوك القويم أو مجون أو خلاعة، فهل عملها هذا حلال أم حرام؟

وسألته اللجنة: هل الموسيقى للأطفال فقط؟

قال: نعم.

أجابت اللجنة بالتالي:

إن عمل هذه المدرّسة لا بأس به، لأنه لايعتبر من اللهو، بل من قبيل الإيقاع للانضباط وللترويح عن الأطفال.

شهادة غير المسلم

عُرض على اللجنة السؤال بما يلي:

بحكم وظيفتي نرسل العينات الغذائية إلى «المختبر الكيمياوي» لمعرفته ما إذا كانت العينات الغذائية تحتوي على دهن خنزير أو مادة الكحول، وعندما تصل نتيجة المختبر الكيمياوي نقوم نحن إما بمنع دخول تلك المادة الغذائية أو السماح لها على ضوء تلك النتيجة، ولما كانت رئيسة المختبر هي امرأة غير مسلمة، ويوجد معها ثمانية معاونين محللين كيمياويين للأغنية من بينهم اثنان من غير المسلمين؟، فموقفي أنا حائر، هل أقبل النتيجة التي قام بتحليلها عناصر من غير المسلمين، وقالوا لي: إن العينة تحتوي أو لا تحتوي على دهن خنزير أو كحول، وما موقفي بشكل عام أمام النتائج الصادرة بموافقة الرئيسة التي تسهم في إبداء رأيها في النتيجة النهائية للعينة الغذائية؟

وبسؤاله عن دور رئيسة المختبر الكيمياوي في إعطاء النتيجة:

أجاب: بأنها هي وحدها التي تتلقى طلبات الاختبار وتحيل العينات إلى المحللين ثم تتسلم النتائج وتعطي النتيجة بتوقيعها.

وسئل المستفتي: هل لها دور في إبداء الرأي؟ قال: نعم.

أجابت اللجنة:

بعدم جواز اعتماد النتيجة فيما يتعلق بدهن الخنزير أو الكحول وسائر ما يتصل بالأمور الشرعية، لأنه لا يقبل في هذه الأمور إلا خبر المسلم ويتعين في ذلك أخذ رأي المحلل المسلم المؤتمن بتوقيع معروف، والله أعلم.

موسيقى الجيش

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

أنا أعمل ضابطاً في الجيش، وتخصصي ضابط موسيقى، ولما كانت الموسيقى في نظر الإسلام تحتمل أوجهاً كثيرة، وفيها أقوال متعددة، ولي رغبة أكيدة أن أترك تخصصي هذا لأعمل في مجال آخر في الجيش الكويتي، فأرجو التكرم بإفادتي عن موقف الدين من الموسيقى، وهل هي حرام أم حلال على الإطلاق؟ أم أن الموسيقى جائزة في وقت معين ولغرض معين وفي غير أغراضها المعينة لاتجوز؟

أجابت اللجنة:

إن موسيقى الجيش لا بأس بها لأنها تثير الحماس في نفوس الجنود. والله أعلم.

تصوير ورسم أحد الأنبياء تداول ما فيه صليب وتماثيل

عرض على اللجنة السؤال التالي:

يوجد في بعض المحلات التجارية في الكويت سجاد مصور عليه صور، منها:

أ - صورة سيدنا عيسى عليه السلام مع الحواريين إلى جانب المائدة.

ب - صورة سيدنا عيسى - عليه السلام - وفي عنقه صليب وعليه هالة، فما حكم استيراد هذه الصور وأمثالها إلى البلاد الإسلامية؟ وما حكم تداولها في الأسواق واقتناء المسلم لها؟

ج - كما يوجد في بعض محلات الصاغة وأصحاب التحف قطع ذهبية، أو فضية، أو عاجية، أو خشبية على شكل صليب، أو عليها صورة المسيح «كما يتخيلون».

فما حكم استيراد مثل هذه الأشياء وتداولها واقتنائها؟

أجابت اللجنة:

إن كل ذلك سواء أكان استيراداً أم عرضاً أم تجارة حرام شرعاً، لأنها من الشعائر التي نص دين الإسلام على بطلانها، وفيها مساس بكرامة الأنبياء، وفيها دعوة إلى تبني وترويج تلك العقائد المخالفة للحق الذي جاء به دين الإسلام، وقد سبق للجنة الفتوى أن أفتت بحرمة تصوير أي واحد من الأنبياء، وتزداد الحرمة إذا كان التصوير يتضمن افتراء على الله ورسله، فإن المسيح عيسى ابن مريم رسول الله لم يقتل ولم يصلب، كما قال الله عز وجل: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً) (النساء: ١٥٧: ١٥٨).

ويجب على ولي الأمر ومن ينوب عنه بما أوجب الله عليهم من صيانة الدين وحراسة العقيدة والشريعة أن يمنعوا استيراد مثل هذه الأشياء وعرضها في الأسواق، كما يحرم على المسلمين أن يبيعوا أو يبتاعوا أو يقتنوا شيئاً من مثل ذلك، بل عليهم أن يتحاشوا كل ما فيه إقرار للشعائر المخالفة للإسلام، وقد روت عائشة رضي الله عنها: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه». رواه البخاري.

بل من الثابت أيضاً أن عيسى - عليه السلام - ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب إنكاراً له وتبرءاً من فعل من افترى وتكذيباً لفكرة الصليب، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لاتقوم الساعة حتى ينزل فيهم عيسى ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير» والله أعلم.

بيع الصحف والمجلات وملاحقها

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

ما حكم الإسلام في بيع الصحف اليومية، خصوصاً وأنها تصدر ملاحق ذات صور لا أخلاقية ومواضيع تافهة؟

أجابت اللجنة:

إن إخراج الصحف وبيعها وتوزيعها يعتبر حاجة من حاجات العصر الملحة، لأنها تطلع المواطنين على ما يجري في العالم من أحداث، أما نشر بعض الصور الفاضحة، فهو عمل غير مشروع فيجب منعه سواء أكانت الصحف عالمية أم محلية، ولكنه لايوجب منع إصدار الصحف وبيعها، فإن لم تمنع الصور الفاضحة يكون إصدار الصحف من قبيل خلط عمل صالح بعمل سيئ.

تمثيل أدوار الصحابة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

نتقدم بهذا الكتاب آملين إعطائنا فتوى حول مشروعية تمثيل الصحابة على هيئة رسوم كرتونية للأطفال، حيث تحكي أمجاد ومواقف المسلمين الأول كي تكون مثالاً واقعياً للمسلمين في هذا العصر وسنلتزم بعرض السيناريو عليكم قبل البدء بعرض شيء من هذا القبيل.

أجابت اللجنة بما يلي:

إنه يجب تجنب التمثيل على هيئة رسوم كرتونية للأطفال بالنسبة للخلفاء الأربعة الراشدين وزوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبناته، وكذلك تجنب تمثيلهم على المسرح أو السينما أو التلفاز.

ثم بالنسبة لسائر الصحابة غير هؤلاء لا مانع من تمثيلهم وتصويرهم برسوم كرتونية للأطفال.

المرسى

هنا يرسو القلم،
ينفض عن كاهله وطأة الأيام
وازدحام الأعمال وهموم الواقع،
فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه..
وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين
للجميع ...

الانحراف ... إهدار للثروة البشرية !!

بقلم: عبدالستار خليف

الاهتمام العالمي - في كل دول العالم - ينصب بالدرجة الأولى... على الإنسان، الإنسان أولاً وأخيراً، من حيث هو قيمة في حد ذاته، قيمة ذات تكريم من رب العباد.

الإنسان بما يبذله من طاقة بشرية إبداعية، هو ثروة ذات معين لا ينضب ولا يتوقف، إلا عندما يتوقف نبض الحياة في الشرايين، ويسكن القلب ويخمد... ما عدا ذلك فإنه يستمر في ديمومة العطاء والإبداع والإنتاج وتقديم الجهد، والعرق، لتقدم البشرية وازدهارها.

ومن هنا، كان حرص دول العالم أجمع، على ثرواتها البشرية... على هذا الكنز المتدفق، المستمر في العطاء... لا ينضب.

هذا الكنز البشري الرائع، الإنسان، الذي يعد العمود الفقري في تقدم الأمم والشعوب ورقيها، ولذا نسمع المقولة التي تتردد دوماً على أسماعنا «إن الجسم السليم في العقل السليم».

أحياناً... يكون العكس، يذهب العقل، أو يغيب، هذا الغياب بكثير من المسببات التي يفعلها الإنسان في لحظة خطأ وعدم تقدير للأمور، وربما يسوده النسيان، أو الهروب من الهموم والمشكلات التي تصادفه، فيهرب إلى المشروبات الكحولية ويظل يشرب حتى الثمالة... لا يفيق!" ويغيب العقل، ويغيب الوعي، ويصبح صورة لشبه إنسان، صورة مهزوزة، وهزيلة لهذه القيمة التي كرّمها رب العباد... بالعقل. وفي حال معاقرة الإنسان للخمرة، يذهب العقل، ويصبح المرء خاملاً ومشلولاً وشارداً، وفي حال هذيان وضعف غير قادر على الإنتاج والعطاء، والتركيز والتفكير السليم المتزن. ومن هنا... ربما يؤذي نفسه ويتلف بدنه بالانتحار، حيث نجده في الصباح معلقاً بحبل إلى سقف البيت، أو فاقداً الحياة، نائماً مستريحاً، في الحمام، بعد أن تجرع الخمرة حتى غاب عن الوعي، وعن الحياة وسقط في «بانيو» الاستحمام، السقطة الأخيرة له.

والخمرة والمخدرات وباء ووبال على ثروة الأمم والشعوب، من حيث فقد الشباب والرجال الذين هم قوة البلاد وعمادها، هذا بالإضافة إلى إهدار أموال طائلة في المشروبات التي يصنعها الغرب ويحاربنا بها، وهي متعددة ومتنوعة، وقد يلجأ المنحرف إلى مشروبات غريبة، يتعاطاها، وهي أصلاً مخصصة للزينة وللمظهر العام للنساء والرجال!! فإن الشارب يتفنن في إيجاد المشروبات ويبتكر الوسائل التي بها يغيب عن الوعي، وربما عن الحياة!!

وربما تفقد الأسرة العائل الوحيد من جراء ذلك، وتصبح بين عشية وضحاها، عالة على المجتمع والدولة بعد فقد رب العائلة، ومن المعروف أن الأسرة هي النواة الأولى في بناء المجتمع والدولة، وإذا انهار جزء من هذا البناء فلا بد أن يتداعى بقية البنيان القوي المتماسك، ربما يتحول المجتمع في ليلة واحدة إلى مجتمع بلا وعي، بلا عقل، بلا تفكير، بلا ثروة بشرية قوية وسواعد فتية تعمل على البناء والإنتاج. والمخدرات، والمشروبات المسكرة، هي بمثابة مسامير تدق في نعش الثروة البشرية، وإهدار لبناء وسعادة المجتمع، وعرقلة في سبيل التقدم والنماء. ■

ملف البيت المسلم

الوعي الإسلامي

إسلامية - شهرية - جامعة

العدد ٣٩٤ - السنة الخامسة والثلاثون - جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ - سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٨ م



الإذاعات الموجهة

بعد نصف قرن على انطلاقاتها .. ماذا حققت؟

أبناؤنا وآدابنا الاجتماعية

مادة الزراعة في القرآن .. ودلالاتها التربوية

إلى أي حد نكون علميين ؟

الصدق مع الله منجاة

هديتك مع العدد براعم الإي

الوعي الإسلامي

On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet



ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٤ . السنة الخامسة والثلاثون
جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ . سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٨م

المراسلات
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

الفهم الشمولي للإسلام

عزيزي القارئ

في ثنايا هذا العدد، تطالعك الكثير من الموضوعات والقضايا والدراسات والحوارات الإسلامية، التي تهم المسلمين في مسيرتهم المعاصرة، وتنير لهم طريق مستقبلهم المنشود، ولقد حازت القضايا الفكرية والفقهية والإعلامية والدراسات القرآنية على الحيز الأكبر من موضوعات هذا العدد، نظراً لما تمثله من أهمية في مواجهة التحديات التي تحاول جاهدة ودونما كلل أو ملل، صرف أمتنا عن نهجها، وتعريتها من مقومات وجودها، وحملها على تقبل أفكار غريبة ودخيلة لا تمت بصلة إلى هويتها الإسلامية الأصيلة.

إن فهم الإسلام بكل جوانبه فهماً صحيحاً وشمولياً بعيداً عن الأهواء والتعصب، وتشكيل عقلية إسلامية قادرة على الإحاطة بكل قضايا العصر، هو السبيل الوحيد لتحقيق الآمال والتطلعات المنشودة، فهل تستطيع هذه المعاني أن تجد طريقها إلى عقول أبنائنا وشبابنا، هذا ما نأمله، والله من وراء القصد.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا ـ السعودية: ٤ ريالات ـ البحرين: ٣٠٠ فلس قطر: ٤ ريالات ـ الامارات: ٤ دراهم ـ سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة الأردن: ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع: جنيه مصري واحد ـ السودان: ٥ جنيهات موريتانيا: ١٢٠ أوقية ـ تونس: دينار واحد ـ الجزائر: ٥ دنانير اليمن: ٥ ريالات ـ لبنان: ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا: ٢٠ ليرة ـ المغرب: ٦ دراهم ليبيا: ٥٠٠ مليم ـ اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع: شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد



الوعي الإسلامي
أبناؤنا وأدابنا الاجتماعية
مادة الزراعة في القرآن.. ودلالاتها التربوية
إلى أي حد نكون علميين ؟
الإذاعات الموجهة
بعد نصف قرن على انطلاقاتها .. ماذا حققت؟
الصدق مع الله منجاة

تاريخ



62

عقاب ابن رشد ومعركة العقاب

هل الأمة التي تعاقب مفكريها تبقى دون عقاب؟ إن معركة العقاب كانت بداية النهاية للأندلس الإسلامية، وقد حدثت فترة من الظلام الفكري وضيق الأفق والتعصب، وأسفرت عن أفدح الآثار التي يمكن تصورها...

في الأعداد المقبلة

الموضوع	الكاتب
إطلالة تاريخية على مأساة قوصوه.	د. جمال الدين سيد محمد
اللغة المعلم الوحيد في تحديد هوية الأدب.	د. رفيق حسن الحليمي
زراعة القوقعة الإلكترونية	د. كمال الدين أحمد أبو المجد
الأبناء والغذاء الآخر.	د. حسن أبو غدة
حقائق علمية في الإعجاز القرآني.	د. قطب عامر فرغلي
التربية الأسرية بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية	د. محمد السيد علي بلاسي
أخلاقيات الإعلان في أجهزة الإعلام العربية والإسلامية	د. محيي الدين عبدالحليم

الفهرس



أيها الأساتذة كفوا

لقد لاحظت في الفترة الأخيرة ملاحظة خطيرة، ينبغي عليّ كمسلم أن أشير إليها وأن أنبه إلى خطورتها - لاحظت - أن الباحثين في الشريعة الإسلامية المقارنين بالقوانين الوضعية وبخاصة قانون حقوق الإنسان يحاولون جاهدين أن يُوفقوا بين الشريعة الإسلامية ومبادئ ومواثيق حقوق الإنسان ولاحظت إسراعهم إلى دراسة الموضوعات التي يرون أن الشريعة تتفق فيها مع قانون حقوق الإنسان وهروبهم من الموضوعات التي يرون أن الشريعة تختلف فيها مع هذا القانون البشري.

وهذه ظاهرة خطيرة للغاية.

فكون هؤلاء الباحثين يسعون جهد سعيهم لتوضيح مواضع اتفاق الشريعة مع القانون وهروبهم من مواضع الخلاف فكأنهم يرون أن تلك التقنيات البشرية أفضل من الشريعة الإلهية، وكأنهم بهذا العمل يحاولون الوصول بالأدنى «الشريعة واستغفر الله» إلى الأعلى والأفضل وهو قانون الإنسان.

ولقد نسي هؤلاء أو تناسو أن أحكام الشريعة الإسلامية هي من عند الله تعالى الذي لا يضل ولا ينسى وهوالعليم بأحوال عباده وما يصلح دينهم ودنياهم، أما قانون حقوق الإنسان فهو من صنع البشر الذين يخطئون وينسون ويخضعون لحكم الهوى والشهوات.

فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسة والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من إعلانات ومواثيق حقوق الإنسان بالرغم من كونها تسعى إلى إقرار السلم والأمن والعدالة وغيرها من المثل العليا، وبالرغم من أن الذين صاغوها من كبار العلماء إلا أنها تحتمل الخطأ، بل فيها من الأخطاء والمتناقضات الكثير الكثير، هذا فضلاً عن عدم قدرتها على مُسايرة تغير الزمان والمكان، هذه المسايرة التي تعدُّ من أهم خصائص الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان.

فترى الواحد من هؤلاء العلماء يتجنب جاهداً أن يقول: إن الشريعة الإسلامية تخالف القانون في هذا الأمر أو ذاك وكأنه يرى أن في ذلك سبة للشريعة ويحاول أن يجد في الشريعة من الأدلة ما يوفق به بينها وبين القانون، مع أن الواجب عليه أن يقف ويعلن أن القانون هو الذي يخالف الشريعة وعليه أن يدرس هذه الموضوعات حتى يبين للناس مدى تفوق التشريع الإلهي على هذه التقنيات البشرية.

ولقد عايشت بنفسي تجربة إعداد رسالة للحصول على درجة الدكتوراة في الحقوق مقارنة بالشريعة الإسلامية، وعرضت موضوع الرسالة على عدد من أساتذة الشريعة والقانون في مصر: فكان كل أستاذ من هؤلاء الأساتذة ينظر في مواضيع الرسالة فيُسر من المواضيع التي يرى أن الشريعة توافق القانون فيها ويتمعض من المواضيع التي تخالف فيها الشريعة القانون، وكأنه يقول يجب علينا ألا ندرس موضوعاً تخالف فيه الشريعة القانون، أو كأنه يقول يجب علينا أن نخفي أي خلاف بين الشريعة والقانون وكأن ذلك الخلاف من وجهة نظره يعد سبة للشريعة.

فمن خلال دراستي لموضوع الجنسية كحق من حقوق الإنسان تناولته الإعلانات والمواثيق الدولية، ومحاولة تقنين قواعد الجنسية الإسلامية مستخلصة من الكتاب والسنة وغيرها من الأدلة الشرعية - من خلال هذه الدراسة - تبين لي مدى تفوق الشريعة الإسلامية على قانون حقوق الإنسان في هذا المجال، ومدى استيعاب ركن الشعب في الدولة الإسلامية لجميع طوائف البشر بغض النظر عن دياناتهم أو لغاتهم أو عناصرهم أو أجناسهم أو غيرها من الاختلافات بين بني البشر، ولقد كنت أتوقع التشجيع من الأساتذة ولكن حدث العكس، فالبعض رفض الإشراف على الرسالة، والبعض الآخر قال: «لا يصح لباحث لم يحصل إلا على درجة الماجستير أن يعارض إعلانات ومواثيق صاغها كبار العلماء والفقهاء».

فكان جوابي على هذا الكلام أن هذه المعارضة ليست من عندي ولكن بناء على ما جاء في الكتاب والسنة ولكن أين من يسمع هذا الكلام.

فيا علماء الإسلام كفوا !!

لقد وصلتم بتصرفاتكم هذه «بالقوانين البشرية» إلى حد التقديس فاحذروا وعودوا إلى شريعتكم.

أحمد محمد بكر موسى - مصر

جزاء عقوق الوالدين

يقول الإمام الحسن بن علي ، رضي الله عنه ، بينما أنا أطوف مع أبي حول البيت في ليلة ظلماء وقد رقدت العيون وهدأت الأصوات إذ سمع أبي هاتفاً بصوت حزين شجي يقول :

يا من يجيبُ دعاء المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت عينك يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو عن جرمي
يا من إليه أشار الخلقُ في الحرم
إن كان عفوك لا يُدركه ذو سرف
فمن يجود على العاصين بالكرم

قال : فقال أبي: يا بني: أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقبل لربه ؟ الحق فلعلك تأتيني به.

فخرجت أسعى حول البيت أطلبه، فلم أجده حتى انتهيت إلى المقام، وإذا هو قائم يصلي،

فقلت : أجب ابن عم رسول الله ﷺ، فأوجز في صلاتك واتبعني، فأتيت أبي، فقلت :

هذا الرجل يا أبت !

فقال له أبي : ممن الرجل؟

قال: من العرب.

قال : وما اسمك ؟

قال : منازل بن لاحق.

قال : وما شأنك وما قصتك؟

قال : وما قصة من أسلمته ذنوبه وأبقته عيوبه فهو مرتطم في بحر الخطايا.

فقال له أبي على ذلك : أشرح لي خبرك.

قال: كنت شاباً على اللهو والطرب لا أفيق، وكان لي والد يعظني كثيراً ويقول : يا بني احذر هفوات الشباب وعثراته، فإن لله سطوات ونقمات ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألحّ عليّ بالموعظة ألحت عليه بالضرب، فلما كان يوماً من الأيام ألحّ عليّ بالموعظة فأوجعته ضرباً، فحلف بالله مجتهداً ليأتين بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبة ويدعو عليّ. فخرج حتى انتهى إلى البيت فتعلق بأستار الكعبة وأنشأ يقول :

يا من إليه أتى الحجاج قد قطعوا
عرض المهامة من قرب ومن بعد
إني أتيتك يا من لا يخيب من
يدعوه مبتهلاً بالواحد الصمد
هذا منازل لا يرتدُ عن عققي
فخذ بحقي يا رحمان من ولدي
وشلُ منه بحول منك جانبه
يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال: فوالله ما أتم كلامه حتى نزل بي ما ترى ثم كشف عن شقه الأيمن، فإذا هو يابس قال: فأبيت ورجعت، ولم أزل أترضاه وأخضع له وأسأله العفو عني إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الذي دعا عليَّ به.

قال : فحملته على ناقة وخرجت أقفو أثره حتى إذا صرنا بوادي الأراك طار طائر من على شجرة فنفرت الناقة فرفق به بين أحجار فرضخت رأسه فمات، فدفنته هناك وأقبلت آيساً، وأعظم ما بي ما ألقاه من التعبير أني لا أعرف إلا بالمأخوذ بعقوق والديه.

فقال له أبي : أبشر فقد أتاك الغوث، فصلي ركعتين ثم أمره فكشف عن شقه ودعا له مرات يرددهن فعاد صحيحاً كما كان.

وقال له أبي : لولا أنه قد كان سبقت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لك.

قال الحسن : وكان أبي يقول لنا، احذروا دعاء الوالدين، فإن في دعائهما النماء والاستئصال والبوار.

مصطفى إبراهيم مرسي مخيمر - مصر

ردود خاصة

● **القارئ سيد حامد عبدالحافظ - مصر :**

عنوان الداعية الإسلامي الدكتور عبدالكريم زاكير هو :

Dr. Zakir Naik Islamic Resarch Foundation
56/58 Tamdel Street (North) Dongri,
Bombay - 400009
India

● **القارئ حسين عمر موسى حسين - مصر :**

شكراً على عواطفكم الصادقة تجاه المجلة والقائمين عليها وبخصوص موضوع العمل فنحن في المجلة لسنا الجهة المختصة بهذا الأمر وبارك الله بكم.

● **القارئ أحمد خليفة - سورية - خير النظام بن أبي هاشم - ماليزيا، عبدالقادر محمد إبراهيم - مصر :**

أعانكم الله على تجاوز المحنة التي أنتم فيها ... يمكنكم مراسلة الجمعيات الخيرية المختصة وشكراً لكم.

● **القارئ محمد عبدالواحد حجازي - مصر :**

يمكننا التعريف بالكتاب فقط، أما إعادة نشره فهذا ليس من اختصاصنا، يمكنكم القيام بهذا العمل عن طريق دور النشر المعروفة.

● **القارئ د. عدنان بدر الدين سعيد - الرياض :**

يمكنكم إرسال شيك بقيمة الاشتراك السنوي ليصار إلى إرسال المجلة إليكم وجزاكم الله كل خير.

الحبة السوداء حبة البركة

طالعت في مجلتنا العزيزة «الوعي الإسلامي» في العدد ٣٩١ رداً لدكتور الباطنية عبدالله صالح، وما أثار انتباهي كلامه حول نقطة مفادها أن الحبة السوداء ليست هي بالخصوص «حبة البركة»، ولقد كنت طالعت كتاباً في هذا الشأن أثبت فيه خلاف هذا فأردت أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع بصفتي أحد كتّاب المجلة، فإنني مرسل إليكم بعضاً من صفحات من هذا الكتاب الذي يؤكد فيها المؤلف أن الحبة السوداء هي حبة البركة.

وأشرت إلى مواضع التأكيد بالخط الأحمر تحت كل عبارة.

د. خالد سعد النجار

المنظمة الإسلامية لأميركا اللاتينية على الإنترنت

www: islamerica. org. ar

قامت المنظمة بوضع صفحة إلكترونية على موقع في الإنترنت يتميز بتعريف الإسلام والدعوة إليه باللغة الإسبانية.

وهو أول عمل عبر هذه الشبكة يصدر في أميركا الجنوبية لخدمة المسلمين الناطقين بهذه اللغة وغير المسلمين الذين يريدون معرفة الإسلام ومحاسنه، كما يشمل بعض المعلومات والصور ومواقيت الصلاة في عواصم دول أمريكا اللاتينية، وأن وسيلة الاتصال به عبر العنوان التالي: www: islamerica. org. ar.

نأمل في حال اطلاعكم على هذه الصفحة الكتابة إلينا وتزويدنا بآرائكم عن المواضيع والمادة المنشورة، ونشر هذا الخبر وعنوان الصفحة في مجلة الوعي الإسلامي الغراء، مع جزيل الشكر وخالص التقدير لتعاونكم وحسن اهتمامكم.

المهندس محمد يوسف هاجر

لكي نعود إلى جذورنا

منذ ما يقرب من خمسة عشر قرناً من الزمان، تنبأ الرسول - ﷺ - بما سيكون عليه حال أمته في أيامنا هذه، فقال ﷺ : «توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أوَ من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، قالوا: وما الوهن يا رسول الله، قال: «حب الدنيا وكراهية الموت». وفي ظل عالم تقوده قوة عظمى واحدة تستقطب جميع الأطراف، ويدور الكل في فلكها فيما يسمى «بالنظام العالمي الجديد»، نجد أن أمتنا الإسلامية مفككة الأوصال، ممسوخة الهوية، لا شأن لها بين الأمم مع أن منهج الإسلام في بناء القوة وفي بناء الدولة يؤهل هذه الأمة لقيادة البشرية من جديد في ضوء القرآن والسنة، وهما الدستور الخالد للمسلمين.

يقول الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، ويقول تعالى: (وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين).

إن انتصار أي فئة مؤمنة تدخل حلبة الصراع الدولي القائم الآن وفي أي وقت لا يتم إلا بتعاون أفرادها والتزامهم بأوامر الله ورسوله والعودة إلى دين الله هي بداية الطريق، وإذا توافر القائد الكفء فإن عناصر القوة المتبقية من العتاد والسلاح ستكون أهميتها نسبية، فهي تطلب من المسلمين قدر استطاعتهم، يقول تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...).

هذا أبو بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقف موقفاً حاسماً من المرتدين عقب وفاة النبي - ﷺ - وكلنا يردد مقولته الشهيرة: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها لرسول الله - ﷺ - لقاتلتهم عليه».

وفي موقف خالد بن الوليد يوم غزوة اليرموك درس كبير، فها هو يجمع الطوائف التي تقاتل تحت راية واحدة ويكتب الله النصر على يديه.

وللكلمة المجتمعة أثر كبير في توحيد الصف المسلم وتعزيز قوته، ومطلوب منا جميعاً كمسلمين أن نتفق في الأهداف والتوجهات.

نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.... فلولا اجتماع الجنود حول أبي بكر، وخالد، وسعد، وصلاح الدين، لما وجد النصر، ويد الله مع الجماعة حيثما تكون، وهو سبحانه وتعالى يقول: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) نعود فنؤكد أن الله تعالى عودنا كمسلمين أن التمكين لن يكون إلا بمقدار قربنا منه (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، وتخيل أن التغيير - تغيير واقع المسلمين الآن، يبدأ كما كان من قبل بحركة أو إجراء أي فعل قد لا يتعدى حجم الذرة، ولكنه بداية «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره»، وينتهي بإقامة حدود الله الحلال والحرام إلى ما فوقها من اتقاء الشبهات. ويؤكد الفقهاء أن شؤم كل معصية يأتي وفق حجمها وأن الذي نعانيه اليوم ما هو إلا نتيجة كثرة المعاصي.

ويكفي أن الإثم يقع على المسلمين جميعاً بترك الجهاد في سبيل الله.

إن وجود العصاة في صف المسلمين سَبَبٌ لتخاذلهم وضعفهم، وغير المسلمين يصرون على تدمير المسلمين والفتك بهم، (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)، ورغم ذلك فإن خلاص الصف المسلم وعدم الاستعانة بأهل الكفر والضلال من مجرمي العصر الحديث، وقادة النظام العالمي الجديد سيكون مؤهلاً قوياً للنصر وساعتها سيشرق فجر الإسلام من جديد ليكون مدعاة لحرمة الإنسانية وتقدمها.

إن جماع الأمر كله يأتي في تضحية المسلم بما لديه من غال ونفيس في سبيل نصرة دينه وعقيدته، ولأن العالم يبني قوته واستراتيجيات تحركه من منطلقات عقيدته... فلماذا يهمل المسلمون عقيدتهم ولا تنبعث غيرتهم عليها في ظل هوان يلقونه الآن؟؟

محمد السيد عامر

الافتتاحية

الصدق مع الله منجاة

يحثنا إسلامنا الحنيف على وضع الأمور في مكانها، فذلك العدل والإنصاف، ولعل من أهم ما تدعو إليه ظروفنا الحاضرة، هو اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، واعتزال الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ذلك أن الملمات اليوم بلغت من الخطورة درجة كبيرة، جعلت المسلمين في العالم، في تشتت وضياع وتمزق هنا وهناك، لذا فإنه يلزم التوكيد أن اللجوء إلى الله سبحانه، والاحتماء بكنفه، والاعتصام بكتابه - جل وعلا - وسنة نبيه - ﷺ - يمثل حقيقة الصدق مع الله تبارك وتعالى، ولعل ما جاء عن جمع من العلماء في ذكرهم الإخلاص، يصوِّر ويرسم الأثر الحقيقي لتلك المسألة المهمة في الخلاص والنجاة والفوز والفلاح، وهذا المعنى ما جاء عن التابعي الفقيه سفيان بن عيينة - رحمه الله - إذ قال: «كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض هؤلاء الكلمات: «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص «انظر مقدمة كتاب الإيمان لابن تيمية».

إن تأمل هذه الكلمات الرفيعة تجعلنا نعيش ما فيها من سمو إيماني وروحي من تبين لمعنى الإخلاص العميق في إصلاح النفس والسريرة، وأداء حقوق الله سبحانه، والعمل للآخرة الباقية الدائمة، كذلك فإن العيش في معاني هذه الكلمات، يجعلنا في ترفّع عن مطامح ومطامع الحياة الدنيا الهزيلة الفانية، ليس بمعنى عدم السعي لكسب الرزق والرفاه والثراء، ولكن بعدم التمسك بها والتشبث بحطامها الزائل، وهذا التصور يعد ضرورة ملحة في واقعنا المعاصر، نتيجة ما بلينا به من أحداث جسام، وملمات عظام، فيما يعيشه المسلمون اليوم في مختلف أصقاعهم وبقاعهم من مصائب وآلام وضعف وفرض الاستضعاف، وبالرغم من كونه واقعاً مؤلماً مشيناً، إلا أن الأمة الإسلامية، لا تعدم من إيجابيات هنا أو هناك، فهذه أعمال الخير المنتشرة، ولجان التكافل والتراحم، وبذل سبل العلم والعطاء، وإنشاء المشاريع التنموية وغيرها، وإن ذكرنا ما يخصنا في الكويت والخليج من مظاهر الخير بشكل خاص، فإننا لا نعدم ما يزخر به العالم العربي والإسلامي من معطيات علمية وفكرية وخيرية، تمتد إلى مختلف بقاع العالم، إلا أن السلبية الظاهرة، وسوء التصرف في المواقف التي لا تتناسب في التعامل مع القوى الغالبة، ومواجهة الأحداث الأكبر بالتهديد والكلام دونما إيجاد قوة رادعة، وحجة ظاهرة، مما يثير الحفيظة، ويوغر الصدور، هو الأمر الذي يجلب الشر والأذى بخلاف ما حثّت عليه الشريعة من الرفق والاعتدال وتقدير الأمور.

إن المخرج من أزمة العالم العربي والإسلامي اليوم، سواء أكنا أمماً أم أفراداً، هو صدق التوجه إلى الله سبحانه وتعالى، ورجاء الفرج منه سبحانه، وذلك بمواجهة الأحداث بوعي وإدراك، والتسليم للقوي بقوته، وطلب الاستعانة من الله وحده، والتحلي بالصبر والحكمة، والجدية في العمل، وعدم الانشغال بالترهات، فقد كان شأن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - هو الصبر والعمل إلى أن يأتي فرج الله وأمره، ويلزم الرجوع إلى الله سبحانه، كثرة الدعاء فهو سلاح المؤمن، كالتعوذ به - سبحانه - من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وكثرة الاستغفار، وأن يرفع - سبحانه - مقته وغضبه، وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منَّا.

إن الفقيه الحكيم والرشيد هو من لايغالب الأحداث ويصادمها، وأنه يلزم المسلم وأمة المسلمين اليوم سبل الحكمة والرفق والحلم، وعدم الغوغائية، دونما دراسة وتأكد، وتفويض الأمر لله - سبحانه - فهو الهادي إلى سواء السبيل، ولابد من اليقين بأن العاقبة للمتقين.

الوعي الإسلامي

أنشطة الوزارة

خلال تسلم الأوقاف مسجد أمغرة

وكيل الوزارة يشيد بجهود جمعية الهلال الأحمر الكويتي

سلمت جمعية الهلال الأحمر الكويتي مسجد «أمغرة» إلى وزارة الأوقاف أمس بعد إنجازه. وأشاد وكيل وزارة الأوقاف خالد عبدالله الزير بجهود جمعية الهلال الأحمر الكويتي على إسهاماتها الإنسانية في داخل الكويت وخارجها مشيراً إلى أن الوزارة ستقوم بالإشراف على مسجد أمغرة. وأضاف أن هذا المسجد يوجد في منطقة مكتظة بالعمال وأنه تم افتتاح مسجد أمغرة للمصلين تسهيلاً لهؤلاء العمال من الانتقال إلى مناطق أخرى لإقامة شعائر الصلاة.

من جهة أخرى، ذكر المدير الإداري لجمعية الهلال الأحمر الكويتي نبيل حافظ أن المسجد يعد ثمرة التعاون بين الجمعية ووزارة الأوقاف التي قامت مشكورة بالإشراف على هذا المسجد فأرسلت الأئمة والمؤذنين لخدمة العمال في المنطقة السكنية «أمغرة» مبيناً أن المسجد يتسع لـ ٨٠٠ مصل. يذكر أن رئيس مجلس إدارة جمعية الهلال الأحمر الكويتي برجس حمود البرجس، قام بتسليم وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المسجد في أمغرة، واستمع وكيل وزارة الأوقاف إلى شرح من نائب رئيس مجلس إدارة الجمعية يوسف الغانم عن الهدف من إنشاء المسجد في هذه المنطقة، وعن التكلفة المادية للمسجد التي قامت الجمعية بالتبرع بها.

وحضر حفل الافتتاح مدير إدارة الإسناد في قطاع المساجد بوزارة الأوقاف وليد الشعيب والمدير الإداري لجمعية الهلال نبيل حافظ.



● وكيل وزارة الأوقاف خالد عبدالله الزير

وزير خارجية غامبيا وسونيا غاندي يشيدان بالمسجد الكبير ودوره في حياة الأمة

استقبلت إدارة المسجد الكبير وزير خارجية جمهورية غامبيا د. محمد الأمين سادات جوب والوفد المرافق له والسفير جاسم محمد الصباغ، وقد نظم للوفد برنامجاً خاصاً بعد أدائه صلاة الظهر في المصلى اليومي، حيث اشتمل البرنامج على مشاهدات لمعالم وأجزاء المسجد الكبير، وقدم عرض بقاعة المحاضرات عن برامج وأنشطة المسجد الكبير والتي تهدف إلى إعطاء صورة حقيقية للمسجد ودوره في حياة الأمة، كما تم عرض صفحات المسجد الكبير في شبكة الإنترنت.

وفي نهاية الزيارة أثنى وزير الخارجية الغامبي على النشاط العام للمسجد، وذكر أن المسجد في الإسلام لم يكن يوماً من الأيام فقط للصلاة، بل كان مدرسة وجامعة، ومركزاً للعلم والتعليم بأمور الحياة عموماً، وبعد ذلك، تم إهداء الوزير والوفد المرافق له مطبوعات وإصدارات المسجد الكبير وشهادة «شكر على الزيارة» والتي تهدى لزوار وضيوف المسجد الكبير.

كما استقبلت إدارة المسجد الكبير سونيا غاندي زوجة رئيس وزراء الهند السابق، وزعيمة حزب المؤتمر الهندي، برفقة وفد كبير المستوى، وقد نظم للضيفة برنامج شامل، احتوى على عرض ـ بقاعة المحاضرات ـ لفكرة بناء المسجد الكبير ومعالمه الرئيسية ودور المسجد في خدمة الإسلام، ومعلومات عن فن الحضارة والعمارة الإسلامية، كما تم عرض وشرح لصفحات المسجد الكبير في الإنترنت.

وقد قامت الضيفة بجولة في رحاب المسجد، حيث اطلعت على الأجزاء الرئيسية للمسجد الكبير، مثل المحراب والمنبر وبيت الصلاة والقاعة الأميرية في المسجد.

وفي نهاية الزيارة سطرت سونيا غاندي كلمة أثنت فيها على هذا الصرح الإسلامي، كما قامت الإدارة بإهدائها شهادة «شكر على الزيارة» وبعض مطبوعات المسجد الكبير بلغات مختلفة.



● وزير خارجية غامبيا يستلم شهادة الشكر على الزيارة

وفد وزارة الأوقاف يعود من الأراضي المقدسة

العامر: أداء مناسك العمرة هي المكافأة الحقيقية للطلبة المتميزين بالحلقات

عاد وفد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المنبثق من إدارة الدراسات الإسلامية «مراقبة حلقات القرآن الكريم»، من الأراضي المقدسة وذلك بعد الانتهاء من مناسك العمرة، وقد تمثلت هذه الرحلة بترشيح الطلبة المتميزين بحلقات تحفيظ القرآن الكريم على مستوى المحافظات الخمس وفق الشروط التي وضعت، وهي حفظ ١٠ أجزاء أو أكثر، وأن يكون مقيداً بحلقات وزارة الأوقاف، علاوة على التحلي بالأخلاق الرفيعة وجدير بالذكر أن رحلة العمرة تقام سنوياً على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وذلك تكريماً وتشجيعاً للطلبة، ورفع مستواهم من الناحية الإيمانية والخلقية والثقافية.

وبهذا الصدد حدثنا رئيس وفد وزارة الأوقاف «لرحلة العمرة» عبدالرحمن أحمد العامر، عن خط سير الوفد، وقال إنه غادر بتاريخ ١٩٩٨/٨/٢٣م، متوجهاً إلى المدينة المنورة، حيث مكث فيها أربعة أيام وقد تخللت فيها زيارات إلى معالم المدينة التالية :

١ ـ مسجد الرسول ﷺ.
٢ ـ مسجد قباء.
٣ ـ نادي الأنصار الرياضي.
٤ ـ مطبعة الملك فهد للمصحف الشريف.

وبعدها اتجه الوفد إلى مكة المكرمة، حيث مكث فيها ٥ أيام وتم من خلال الزيارة التعرف على معالم مكة، ومنها :

زيارة مصنع الكسوة «للكعبة المشرّفة» علاوة على التنزه في مدينة الطائف، ثم الاتجاه إلى مدينة جدة والمكوث فيها يوماً واحداً.

ومن جانب آخر، تطرق رئيس الوفد عبدالرحمن العامر ـ إلى الحديث عن عدد الطلبة المشاركين بالرحلة، فقال إن : عددهم بلغ ٣١ طالباً و ٧ مشرفين إداريين وفنيين، وأوضح أن الأهداف التي وضعت لإقامة هذه الرحلة تتركز على الجانب الإيماني والثقافي والتربوي والاجتماعي ـ أما الجانب الإيماني فهو أداء مناسك العمرة ومن ثم التعبد في الحرم وإعداد مسابقة حفظ سورتي «الكهف والإسراء»، وتلاوة القرآن الكريم وإحياء دور الحلقات والاعتكاف بعد صلاة الفجر والمغرب يومياً، ولا شك أن هذا المكان الطاهر يربي على التحلي بالإيمان والأخلاق الحميدة واحتساب الأجر والتفكر بالأرض التي وطأها الرسول ـ ﷺ ـ وصحبه الكرام.

أما الجانب الثقافي، فيتركز على الاستفادة من الدروس التي تقام عادة في الحرم، وإعداد المسابقات الثقافية في الأحاديث الشريفة والأدعية وبعض المسامرات الترفيهية الهادفة وبعض الزيارات الميدانية لمختلف المعالم. وأيضاً حرصنا على أن تكون هناك علاقة أخوية وودية بين الطلبة وأعضاء الوفد المرافق من خلال إقامة حفل للتعارف والمشاركة مع برامج الطلبة في جميع مراحلها.

هذا، وقد شكر رئيس الوفد جميع الجهات التي أسهمت في إنجاح هذه الرحلة، وأثنى على الوفد المرافق على حسن التجهيز والإعداد المتكامل.



● وفد الحلقات قبل أداء مناسك العمرة في مكة



● الوفد في مصنع الكسوة



● الوفد في مطبعة الملك فهد للمصحف الشريف

الصندوق الوقفي لرعاية المساجد والعناية ببيوت الله تعالى


مسجد فاطمة بعد الترميم

المسجد هو الملتقى الجامع لأفراد المجتمع كافة، على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم وأفكارهم، وذلك في رحاب الإخاء والتآلف، وهو قلب المجتمع الإسلامي وروحه وضميره المجسّد، ومركز توجيهه، ومدرسته وملتقى أفراده، وعين مائه التي لا ينضب معينها فضلاً عن أنه ساحة للعبادة والطاعة والطمأنينة والخشوع التي يلجأ إليها المسلم فتهدأ نفسه ويسكن فؤاده ومن هنا فإن المسجد كان ولا يزال ملاذاً للمسلمين، وكهفهم الآمن الذي يأوون إليه أجمعين طائعين، وعاصين ليجدوا في رحابه الراحة لنفوسهم.

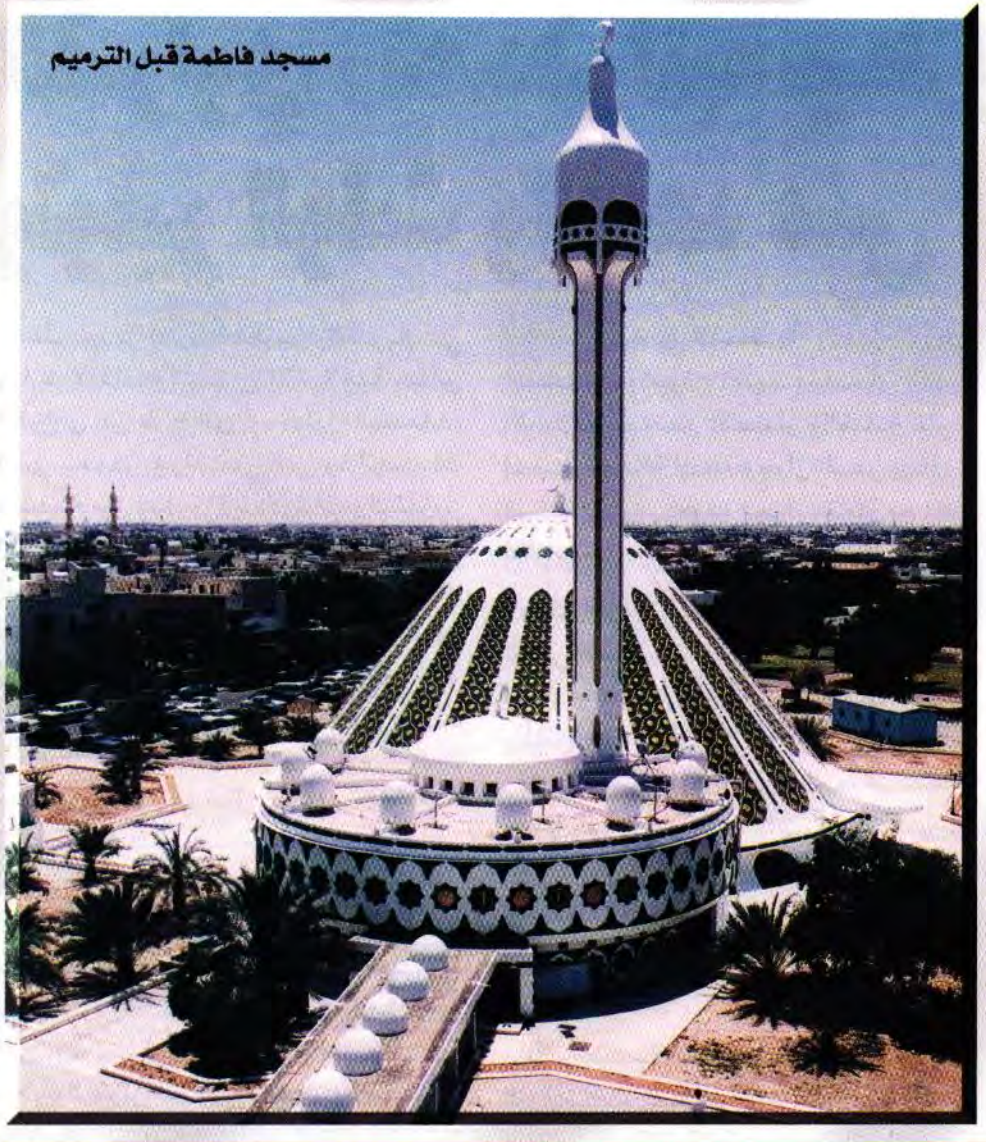
وتنفق وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت جُلّ ميزانيتها على صيانة المساجد ورعايتها وتوفير المستلزمات اللازمة لها، حيث تعهد إلى شركات النظافة العامة بتولي نظافة بيوت الله تعالى وتجميلها حتى تظهر بالمظهر الجمالي الذي يليق بها، وذلك تحت إشراف ورقابة قطاع المساجد، وحيث إن عدد المساجد الموجودة في دولة الكويت ٨٥٧ مسجداً موزعة على كل المناطق، فإن توفير المبالغ المالية اللازمة لصيانة وتجديد تلك المساجد لا يمكن توفيرها عن طريق الميزانية العامة للدولة بالكامل، ومن هنا فإن الأمانة العامة للأوقاف وهي المسؤولة عن إدارة أموال الوقف قد أنشأت الصندوق الوقفي لرعاية المساجد وذلك لتعزيز الاهتمام بالدور الرائد للمسجد في حياة المسلمين، وتقديم الدعم المالي بهدف تشجيع الأنشطة الثقافية والاجتماعية التي تمارس من خلاله، وتوفر وتقدم مختلف أوجه الرعاية المناسبة للمسجد والعاملين به، ومن أهم أهداف الصندوق دعم الجهود التي تستهدف إنشاء المصليات وتطوير مرافقها، ومنذ إنشاء الصندوق الوقفي لرعاية المساجد بالقرار الوزاري رقم ١٩٩٥/٢١م، وهو يقوم بدوره في توفير الاعتمادات المالية اللازمة لصيانة بيوت الله تعالى في حال عدم كفاية المبالغ المعتمدة بميزانية الوزارة، وقد قام الصندوق في الفترة الأخيرة بتنفيذ مشروع صيانة وتجديد مسجد الشيخة فاطمة في ضاحية عبدالله السالم، ومسجد الشملان في منطقة المرقاب، ومسجد النويصيب على الحدود الكويتية وقد بلغت جملة المبالغ التي تم صرفها ٢٦٠,٣٧٥ د.ك.

وفيما يلي بيان بأعمال التجديد والصيانة التي نفذت على النحو التالي:

- مشروع تجديد وصيانة مسجد الشيخة فاطمة، حيث تم استبدال وحدات التكييف القديمة للحرم والحوش لضعف مستوى أدائها وتركيب وحدات جديدة ومعالجة الأخطاء التصميمية الموجودة مع عزل وسد فتحات مجاري الهواء الموجودة في الأرض وبذلك قد تم معالجة ضعف التكييف بالمسجد، كما تم زيادة عدد دورات المياه في المسجد، حيث إن العدد الموجود لا يفي بالغرض خصوصاً يوم الجمعة، كما تم استبدال لوحات الكهرباء الرئيسية وذلك للقضاء على مشكلة الكهرباء، وقد بلغت التكلفة النهائية لعمليات الصيانة مبلغ ١٢٧٧٥ د.ك.

كما قام الصندوق أيضاً بتنفيذ مشروع تجديد وصيانة مسجد الشملان في منطقة المرقاب في العاصمة، حيث تم استبدال وحدات التكييف القديمة.. وعمل عازل حراري لمداخل ومخارج الهواء، وبذلك انتهت مشكلة ضعف التكييف بالمسجد، كما تم تنفيذ نظام كامل للصوت داخل الحرم والحوش، وعمل تحديث لأساليب الإنارة الداخلية والخارجية لترشيد استخدام الطاقة بالمسجد، كذلك تمت زيادة عدد دورات المياه في المسجد، وتغطية الحوش مع إعادة صباغة المسجد ومعالجة الشروخ الموجودة فيه، وقد بلغت التكلفة النهائية مبلغ ٨٠,٠٠٠ د.ك.

وقام الصندوق أيضاً بتنفيذ مشروع صيانة وتجديد مسجد النويصيب في منطقة الحدود، حيث تم عمل توسعة شاملة للمسجد،



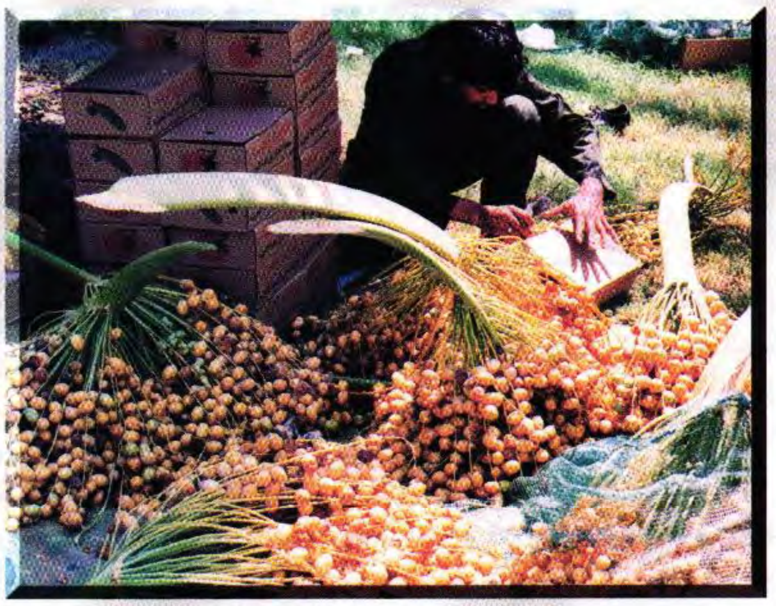
مسجد فاطمة قبل الترميم

واستبدال وحدات التكييف القديمة، وإنشاء مصلى للنساء مع إعادة صباغة المسجد، وقد بلغت التكلفة النهائية مبلغ ٥٣,٠٠٠ د.ك فقط. واستكمالاً لدور الصندوق الوقفي لرعاية المساجد في دعم المشاريع التي تخدم بيوت الله تعالى، فقد تم اعتماد مبلغ ٣٥٠,٠٠٠ د.ك لتنفيذ الصيانة لعدد ٢١ مسجداً موزعة على مناطق الكويت.

ومن الأنشطة الأخرى التي يقوم بها الصندوق:

سداد رواتب الأئمة والمؤذنين المعينين على بند الايرادات، حيث بلغت جملة المبالغ التي تم صرفها حتى تاريخه ما يقرب من مليون ونصف المليون دينار كويتي. وطباعة المصحف الشريف، حيث قام الصندوق بطباعة ١٠٠ ألف نسخة من المصحف الشريف، وتوزيعها على المساجد بتكلفة إجمالية ١٥٠ ألف دينار كويتي. وإنشاء ٢٦ مكتبة ملحقة بالمساجد مجهزة بأهم المراجع الإسلامية، وأجهزة الحاسب الآلي بتكلفة إجمالية ١٠٠ دينار كويتي. وإصدار سلسلة رسائل المسجد، حيث صدر حتى الآن ١١ إصداراً، تعالج المشاكل التي تهم المسلمين. وفرش عدد ٢٠٠ مسجد موزعة على مناطق دولة الكويت، حيث تم فرش المساجد بفرش جديدة بتكلفة إجمالية قدرها مئتا ألف دينار كويتي.

توزيع ثمار نخيل المسجد الكبير على الفقراء بالتعاون مع بيت الزكاة



● توزيع ثمار نخيل المسجد الكبير للفقراء

سلمت إدارة المسجد الكبير كميات كبيرة من ثمار النخيل في حدائق المسجد الكبير لبيت الزكاة لتوزيعها على الأسر الفقيرة والمحتاجة.

صرح بذلك أحمد العنجري مراقب الخدمات في المسجد، وأضاف أن المسجد الكبير وللمرة الخامسة، يقوم وبنجاح بتوزيع هذه الكميات حرصاً من إدارة المسجد على تفعيل هذا العمل الإسلامي والذي يهدف إلى إبراز الدور الاجتماعي للمسجد، وضرورة المشاركة في خدمة شرائح المجتمع المختلفة.

وبين العنجري أن النشاط الزراعي في المسجد الكبير يلاقي عناية خاصة من إدارة المسجد، حيث تبلغ مساحة حدائق المسجد ١٥ ألف متر مربع وتحتوي على عدد ١٦٠ نخلة من النوع الممتاز بالإضافة إلى الأشجار والنباتات الأخرى.

القراوي: نهدف لتبسيط إجراءاتنا وتوفير الوقت والجهد على المراجعين

أعلن مدير إدارة التطوير والتدريب في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مطلق القراوي عن طرح الوزارة «دليل الخدمات» الذي يعرض لمراجعي الوزارة الخدمات المقدمة من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والشروط والمستندات والرسوم المطلوبة للاستفادة من تلك الخدمات، وأكد القراوي حرص وزارة الأوقاف على تطوير وتبسيط إجراءاتها وسعيها إلى دعم التواصل والود مع المراجعين، مشيراً إلى أن الدليل الجديد سيوفر وقت المراجعين وجهدهم، كما سيحقق رضاهم وتفاعلهم الإيجابي مع خدمات الوزارة، وأضاف أن الدليل الجديد يحتوي على التعريف بثماني خدمات تقدمها الوزارة، وكيفية الاستفادة منها، موضحاً أن الخدمة الأولى تتعلق في دور القرآن الكريم، والتي أنشأتها وزارة الأوقاف ليتمكن الدارسون والدارسات من تلاوة القرآن الكريم وتجويده وحفظه بالإضافة إلى تدريس بعض العلوم الشرعية كالفقه والحديث والتفسير والعقيدة والسيرة والتاريخ واللغة العربية لمدة أربع سنوات ويحق لخريجي الدور بعدها مواصلة دراستهم من خلال التسجيل في معهد الدراسات الإسلامية والذي يضم شعبة الدعوة وشعبة القرآن الكريم.

وأوضح أن شروط تقديم هذه الخدمة هي أن لا يقل سن الدارس أو الدارسة عن ثماني عشرة سنة وأن لا يقل المستوى الدراسي عن الرابع المتوسط وأن يجيد المتقدم اللغة العربية كتابة وقراءة، مضيفاً أن الوثائق المطلوبة للتسجيل هي: البطاقة المدنية وصورة آخر مؤهل دراسي، ، وصورتان شخصيتان وقال إن الخدمة الثانية هي «إشهار الإسلام»، وذك من خلال قسم يستقبل من يرغب في دخول الإسلام ومن يود تقرير إسلامه، وعمل الإجراءات اللازمة لهذه الخدمة، مبيناً أن من شروط تقديم هذه الخدمة الحضور شخصياً، وتعبئة نموذج استبيان، ونموذج تعهد باعتناق الدين الإسلامي بمحض الاختيار والقناعة شرط إحضار البطاقة المدنية وجواز السفر وصورة شخصية ويتم بعدها إجراء مقابلة مع أحد المشايخ ومن ثم النطق بالشهادتين.

وذكر القراوي: أن خدمة الاشتراك في مجلة الوعي الإسلامي تتطلب أن يكون للمشترك عنواناً واضحاً وأن يوقع الاشتراكات اللازمة والمقدرة بخمسة دنانير للأفراد داخل الكويت وعشرة دنانير للمؤسسات موضحاً أن اهتمام مجلة الوعي الإسلامي التي تصدر شهرياً ينصب على فروع المعرفة الإسلامية كافة إلى جانب الاهتمام بالناشئة من خلال مجلة «براعم الإيمان» والتي تصدرها كملحق لمجلة الوعي الإسلامي.

وعن خدمة الفتوى، ذكر القراوي أن الوزارة تقدم ثلاثة أنواع من الفتاوى، الأولى الفتوى الهاتفية وذلك من خلال اتصال المستفتين الراغبين في الاستفسار عن قضايا مستعجلة ما عدا الطلاق الذي تم إحالة المستفتين عنه إلى لجنة الفتوى.

وأضاف أن النوع الثاني من اختصاص لجنة الأحوال الشخصية، والتي تستقبل الاستفتاءات المتعلقة بالطلاق والميراث والرضاعة ... إلخ وأما النوع الثالث، فهو لجنة الأمور العامة التي تستقبل جميع الاستفتاءات ما عدا تلك المتعلقة بالأحوال الشخصية، مبيناً أن من شروط تقديم خدمة الفتوى هي وضوح السؤال واسم صحاب السؤال والعنوان وتقديم رقم الهاتف وصورة البطاقة المدنية، وحضور الزوج والزوجة في قضايا الطلاق.

وقال إن حلقات تحفيظ القرآن هي إحدى الخدمات التي تقدمها الوزارة وتهدف منها إلى تشجيع الناشئة على حفظ كتاب الله وبث روح المنافسة وعلى العناية به وتخريج الحفظة القادرين على الإمامة والخطابة والتدريس وتوفير مناخ إيماني تربوي للطلبة المنتمين للحلقات مشيراً إلى أن شرط تقديم الخدمة الوحيد هو: أن لا يقل سن المشارك عن ست سنوات، وأضاف أن الخدمة السادسة التي يقدمها الدليل، هي «خدمة الاستعارة الخارجية»، والتي تعتبر من الخدمات التقليدية التي تقدمها المكتبات التابعة لإدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية في وزارة الأوقاف لجميع الفئات من دون استثناء، بشرط توفير الكتاب المراد استعارته، وألا يكون هذا الكتاب مرجعاً أو نسخة أخيرة وألا تزيد الكتب المعارة للشخص نفسه عن ثلاثة كتب في المرة الواحدة، وأن يلتزم المستعير بفترة الاستعارة وهي أسبوع واحد كحد أقصى لرد الكتاب، موضحاً أن على الراغب في الاستفادة من هذه الخدمة مراجعة إدارة المخطوطات في الوزارة، أو مكتبة الروضة العامة، أو مكتبة المسجد الكبير وتقديم البطاقة المدنية الأصلية.

وأضاف أن الخدمة السابعة هي خدمة «رخصة تسيير حملة حج» والمشروطة بأن يكون المتقدم كويتي الجنسية ولا يقل عمره عن ٣٥ سنة، وأن يكون حسن السيرة والسلوك وأن يتقدم بشهادة بنكية بمبلغ ٣٠ ألف دينار وأن يحضر صاحب الطلب شخصياً لإجراء المقابلة الشخصية، وعن آخر الخدمات المقدمة في الدليل، ذكر القراوي أنها تختص في زيارة المسجد الكبير والذي يستقبل الجمهور عن طريق المؤسسات المختلفة للاطلاع على معالمه وفنون العمارة الإسلامية التي يحتويها ودور المسجد في تنمية الحضارة الإسلامية مبيناً أن شروط تقديم الخدمة هي: الحجز المسبق من خلال كتاب رسمي والتنسيق مع إدارة المسجد والمحافظة على آداب وقدسية المسجد. ■

الكويت تحتفل والعالم باليوم العالمي لمحو الأمية

د. عماد الدين عثمان

حث الإسلام جميع المسلمين على طلب العلم، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع كثيرة، كما أشارت أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى فضل طلب العلم، يقول الله تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط) آل عمران: ١٨، وقال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة: ١١، ولم يسو بين العالم والجاهل فقال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) الزمر:٩.

كذلك حضّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على طلب العلم، وفي ذلك قال: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة» رواه مسلم، وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال: «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة».

ومن وصية لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وصى بها صديقه كميل بن زياد: يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، وضيع المال يزول بزواله، يا كميل بن زياد: معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل: هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق .. ويقول الإمام الشافعي رحمه الله :

أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

ومن ذلك نرى مدى حرص الإسلام على أن يكون المسلم متعلماً رافضاً للأمية بكل صورها وأشكالها.

وتعتبر تجربة دولة الكويت في مجال محو الأمية تجربة رائدة يحتذى بها على مستوى منطقة الخليج والعالم العربي، وقد جاء في كلمة للدكتور عبدالعزيز الغانم - وزير التربية وزير التعليم العالي - لمناسبة احتفال دولة الكويت باليوم العالمي لمحو الأمية: إن الكويت تشارك دول العالم في الاحتفال باليوم العالمي الثالث والثلاثين لمحو الأمية، كما أن الكويت تفتخر بما حققته من إنجازات في سبيل القضاء على الأمية، ما جعلها في مصاف الرائدين على مستوى منطقة الخليج والعالم العربي.

وأوضح الدكتور الغانم في حديثه أن تجربة دولة الكويت في مجال محو الأمية يحتذى بها على مستوى منطقة الخليج والعالم العربي، وقد أتت ثمرة للتعاون بين المسؤولين والعاملين في هذا المجال خلال سنين طويلة من العمل والجهد والعطاء.

وبيّن أن الكويتيين منذ القدم سعوا إلى فتح دور العلم والمعاهد المختلفة لكل طالب وراغب، ولم يألوا جهداً في نشر العلم والمعرفة بين صفوف المواطنين جميعاً، ذكوراً وإناثاً، على السواء، وقد سعوا جاهدين إلى القضاء على الأمية، وتوجت جهودهم بإصدار القانون رقم (١٩٨١/٤) الخاص بمحو الأمية الإلزامي، الذي بدأت أحكامه بنطق سام من سمو أمير البلاد، وجهه إلى الأميين والأميات حثهم فيه على الالتحاق بفصول محو الأمية لتحرير أنفسهم من الجهل، كي يصبحوا مواطنين عاملين عالمين، إذ لا مجال في هذا العالم لجاهل، وذكر أن سمو أمير البلاد دعا إلى تضافر جهود جميع الجهات المعنية لتحقيق أهداف القانون والتمسك بروحه قبل حَرْفيته.

وأشار الغانم في كلمته بهذه المناسبة إلى أن المواطنين استجابوا استجابة واعية لتوجيه سمو الأمير، فأقبلت أعداد كبيرة من الأميين والأميات على مراكز الدراسة، وازداد عدد المتعلمين في البلاد، وقل عدد الأميين، وآتى التوجيه أكله، وقطف المواطنون ثماره، معرباً عن أمله في أن يأتي اليوم الذي نحتفل فيه بتخرج آخر أمي في هذا البلد الطيب.

وأثمرت جهود منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة والجهاز العربي لمحو الأمية، وتعليم الكبار، إضافة إلى الأمانة العامة للمجلس الاستشاري لتعليم الكبار ومحو الأمية في وزارة التربية في القضاء على الأمية ونشر العلم والمعرفة بين الناس.

وفي ختام كلمته بهذه المناسبة، وجه الغانم الشكر والتقدير لجميع الأجهزة الدولية والإقليمية والمحلية، لما بذلوه ويبذلونه من جهود خيِّرة مثمرة في الإسهام بالقضاء على الأمية ونشر العلم والثقافة والمعرفة بين الناس، كما ثمَّن موقف الرجال العاملين في مختلف الوزارات والهيئات والمؤسسات لتعاونهم بكل صدق وإخلاص مع الأمانة العامة للمجلس الاستشاري لتعليم الكبار ومحو الأمية في وزارة التربية، في تنفيذ أحكام قانون محو الأمية كل في جهة عمله. ■

بيت الزكاة يصدر تقريره السنوي عن إنجازاته للعام ١٩٩٧م

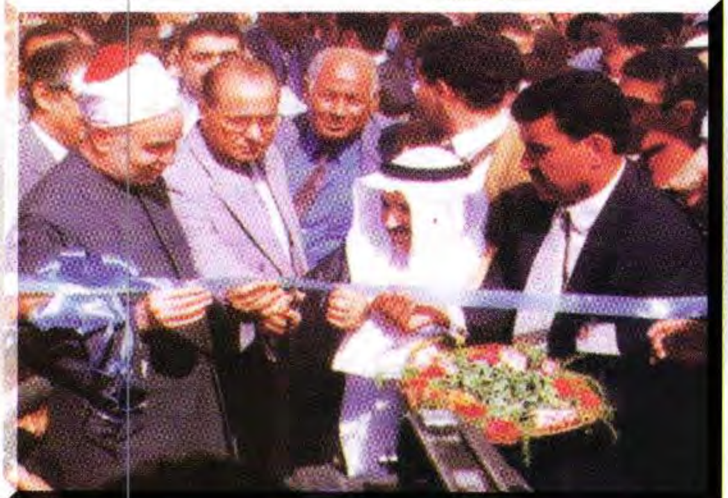




أصدر بيت الزكاة الكويتي كتاباً تضمن إنجازاته العام ١٩٩٧م، وجاء في التقرير أن بيت الزكاة أنفق داخل الكويت العام ١٩٩٧م ما مقداره ٩٤٥٢٩١١ د.ك، وبلغت نسبة هذا الإنفاق من إجمالي نفقات البيت ٦٨,٥٪، قدمت على شكل مساعدات دائمة ومقطوعة وقروض حسنة استفادت منها ٣٤٦ أسرة متعففة و ٢٠٤٥٢ أسرة محتاجة تمثل جميع الفئات المحتاجة من أيتام وأرامل، ومطلقات، عجزة، منكوبين، ضعفاء، دخل محدود... وغيرها، منها ٤٠٪ أسر كويتية و ٣٤٪ من الأسر غير محددة الجنسية و ٢٦٪ أسر من جنسيات أخرى.

كما وزع البيت المساعدات العينية والمواد الغذائية شهرياً، على ٣٣٠٠ أسرة منها ٣٨٪ أسر كويتية و ٤٥٪ أسر غير محددة الجنسية و ١٧٪ أسر من جنسيات أخرى، هذا بالإضافة إلى ٦٤٠٣٣٧ د.ك أنفقها البيت على تنفيذ الأنشطة والمشاريع الخيرية ودعم الهيئات والمؤسسات الخيرية والإنسانية داخل الكويت.

أما على الصعيد الخارجي، فقد أنفق البيت ٤٣٤٤٦٦٨، وتبلغ نسبة هذا الانفاق من الإنفاق الإجمالي العام ٣١,٥٪ وهي في مجملها تبرعات مشروطة، ينفذها البيت كوكيل عن المحسنين الكرام، ووفق رغبتهم الشخصية، لتقوية أواصر الأخوة الإسلامية بين أبناء المسلمين، وذلك من خلال كفالة الأيتام ورعاية طلاب العلم، وتنفيذ المشاريع والأنشطة الخيرية الموسمية وغيرها، وإغاثة المنكوبين في العالم الإسلامي، ودعم الهيئات الإسلامية الموثوقة.



ولم يكتف البيت بهذا القدر للنهوض برسالته السامية في إحياء فريضة الزكاة، بل أولى الجوانب الشرعية والعلمية والفنية حقها من الاهتمام، فعقد ندوته السابعة لقضايا الزكاة المعاصرة التي استضافتها الكويت، ونظم الدورة السابعة لمحاسبة الزكاة، فيما تُواصل الفرق الاستراتيجية عملها لتنفيذ مشاريع استراتيجية البيت للفترة (١٩٩٥م - ٢٠٠٠م).



ومن ناحية أخرى، صدر عن مكتب بيت الزكاة في القاهرة «جمهورية مصر العربية» تقرير تضمن مسيرة إنجازات البيت للعام ١٩٩٧م، وقد غطت هذه الإنجازات معظم المحافظات المصرية وفقاً لسياسة بيت الزكاة الكويتي، حيث تم تنفيذ وافتتاح نحو ١٩ مشروعاً بلغت تكاليفها ٥٥٠٠٠٠٠ جنيه مصري، كما تم التعاقد على ٢٧ مشروعاً متنوعاً يجري تنفيذها في ١٦ محافظة مصرية، بتكلفة قدرها ٦٥٠٠٠٠٠ جنيه مصري، وهناك مشاريع مستقبلية عددها ١٢ مشروعاً ستنفذ في عشر محافظات وبتكلفة قدرها ٥٥٠٠٠٠٠ جنيه مصري، وقد وصلت قيمة المبالغ المنفقة على هذه المشاريع الإنسانية خلال العام ١٩٩٧م نحو ١١٠٠٠٠٠٠ جنيه مصري، بالإضافة إلى المشاريع المستقبلية التي مازالت تحت التنفيذ. ■



B777 ... إضافة جديدة لإسطولنا



بالرغم من إمتلاكنا لواحد من أحدث أساطيل الطيران في العالم فهنالك عزم دائم على الاستمرار في التجديد والتطوير. فالحركة الدؤوبة لسافرينا تستحق منا بذل قصارى الجهد لتوفير الأحدث والأفضل دائماً. لذلك فعند سفرك معنا، فلن تجد فقط اسطولاً مكوناً من أحدث طائرات البوينغ وطائرات الباص الجوي، بل سوف تجد ايضاً مقاعد متطورة تواكب القرن الحادي والعشرين. هذا فضلاً عن وسائل الترفية والتسلية وخدمات رجال الأعمال. غايتنا دائماً اكتساب ثقتكم لنفخر بكم على متن الخطوط الجوية الكويتية.

الخطوط الجوية الكويتية
ثقتكم غايتنا

ALSIHAM FP7

قضايا دولية

حرب البحيرات العظمى والموقف العربي والإسلامي منها

تمثل الحرب الدائرة راهناً في منطقة البحيرات العظمى حديث الساعة في وسائل الإعلام العالمي المختلفة، إلا أن الموقف العربي والإسلامي منها مازال متسماً بالغموض والضبابية رغم وجود مصالح وقضايا إعلامية وعربية واضحة تدخل في تشابك وتداخل الاستراتيجيات الدولية والمخططات العالمية بشكل أو بآخر وبخاصة تلك التي تنفّذ وتصاغ من قبل قوى دولية غالبة ومتنفذة.

بقلم: محمد سالم الصوفي

وهذا ما يبيّنه تحمّس أطراف عدة لرعاية التكتل القائم على سيطرة أقليات لا تتجاوز نسبتها في الدول الست المعنية بالصراع بشكل مباشر أكثر من ٢٪ من عموم السكان.

وفضلاً عن التنافس التقليدي بين القوى الأجنبية على تعزيز نفوذها من خلال الوجود السياسي والاقتصادي، فإن معظم المراقبين يؤكدون اهتمام تلك القوى بمنح السلطة لأقليات بعينها قادرة على صد ومضايقة الدول العربية المحيطة، وفي الإطار ذاته، فإن الهيمنة على منطقة البحيرات وتلغيمها يعد خطراً حقيقياً لوقوع التوتر في نطاق منابع النيل ذات البعد الحيوي في الأمن القومي العربي بشكل عام، وضرورة حمايتها من الخلف، وقد تكون المنافسات التي ترددت في بداية شهر يوليو الماضي والمتعلقة بدفن نفايات نووية في المنطقة نفسها تدخل في سياق تعريضها لشتى المخاطر.

ولا شك في أن استمرار الحرب الدائرة الآن في الكونغو الديموقراطية بين لوران كابيلا المدعوم من زيمبابوي وأنغولا، ومعارضيه من أقلية التوتسي «البانيامولونغي» المدعومين من رواندا وأوغندا، سوف تقود المنطقة إلى هاوية الدمار الرهيب، ليس فقط بسبب الحال الإثنية والقبلية المعقدة، وإنما أيضاً بسبب حال الاستقطاب المتفاقمة التي تفتح الباب أمام مزيد من التدخلات الأجنبية التي تفرضها حاجة الأطراف المتناحرة إلى الدعم والمساندة مقابل منح الامتيازات وفتح الأسواق والمجالات الأخرى.

ولعل قدر الكونغو التي هي مسرح الاقتتال والتنافس الحالي أن تكون ضحية الصراعات الموسمية ففي ذروة الحرب البارة

استمرار الحرب في الكونغو الديموقراطية ستقود المنطقة إلى هاوية الدمار الرهيب

بين المعسكرين في الستينات أزيحت حكومة باتريس لومومبا المنتخبة لتوضع البلاد في ظل دكتاتورية عمياء بقيادة موبوتو سيسوسيكو على مدى ثلاثين سنة أوصلت أكبر وأغنى بلد في وسط القارة الأفريقية إلى الهاوية والإفلاس والحضيض وما كاد سكان الكونغو «زائير سابقاً» يفرحون بسقوط هذا الكابوس الرهيب وانتصار لوران كابيلا في شهر مايو ١٩٩٧م حتى بدأت بوادر مأزق جديد تلوح في الأفق حيث تحفظ التوتسي الذين أوصلوا كابيلا إلى الحكم على طريقته في إدارة شؤون البلاد بعد أشهر قليلة معدودة من حكمه وظل الخلاف يتسع بين كابيلا والتوتسي حتى وصل إلى ذروته في بداية شهر أغسطس ١٩٩٨م عندما أمر كابيلا القوات الرواندية بمغادرة بلاده نهائياً، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير وأعلن التوتسي ثورتهم الجديدة، وكاد تمردهم أن يسقط الحكم المركزي في كينشاسا لولا التدخل الكثيف من حكومات زيمبابوي وأنغولا، حيث استطاع هذا التحالف أن يلحق هزيمة واضحة بالمتمردين وأن يعيدهم القهقرى إلى شرق البلاد.

لكن المراقبين يتوقعون أن تستمر رواندا وأوغندا في دعم ومؤازرة المتمردين التوتسي في إطار الخطة المعروفة المتعلقة بإقامة دولة لهم في المنطقة تسيطر ليس فقط على الكنغو الديموقراطية التي يصل تعداد سكانها إلى ٤٠ مليون نسمة وإنما تمتد سيطرتها لتشمل بروندي ورواندا وأوغندا.

وقد درج الرئيس الأوغندي موسفيني على تبني دعم حركات التمرد، كما يتهمه الكثيرون بتغذية نزعات الكراهية والعداء في أكثر من اتجاه، حيث يوفر دعماً لوجستياً ومعنوياً كبيراً لحركات التمرد في جنوب السودان، كما تربطه علاقات متميزة وطيدة، مع قائد الحركة الشعبية لتحرير السودان - فصل جنوب السودان - جون غارانج، حيث يشتركان في موقفهما المتعصب ضد اللغة العربية والثقافة الإسلامية ومحاولة محاصرتها في وسط وشرق أفريقيا. ■

حوار

نعمل لإحياء المشروع الحضاري الإسلامي في روسيا

نبع دافق وعطاء متجدد في قلب العاصمة الروسية ـ موسكو ـ إنها مؤسسة زمزم الخيرية الروسية التي قامت من أجل نشر الخير والحب والتعريف بديننا الإسلامي العظيم وسط المجتمع الروسي بكل طوائفه وتقديم ما تستطيع من المساعدة لليتامى والمحتاجين والمشردين. مجلة الوعي الإسلامي كان لها هذا اللقاء مع السيدين دامير صدر الدينوف المدير التنفيذي للمؤسسة وسعد الدين اللبان العضو المؤسس في مؤسسة زمزم الخيرية ومدير مؤسسة التنمية العالمية خلال زيارتهما الأخيرة للكويت حيث سلطا الضوء على أهداف المؤسسة وأنشطتها المختلفة وإنجازاتها.

أجرى الحوار : تمام أحمد

المدير التنفيذي لمؤسسة زمزم الخيرية في موسكو للوعي الإسلامي :



● السيد دامير صدر الدينوف المدير التنفيذي للمؤسسة

● متى قامت مؤسستكم وما أهدافها التي تعملون لتحقيقها في المجتمع الروسي؟

■ زمزم مؤسسة خيرية روسية محلية تأسست في أغسطس عام ١٩٩٦م، وتم تسجيلها في وزارة العدل الروسية ومقرها الرئيسي مدينة موسكو التي تضم نحو المليون مسلم من أصل ٢٠ مليون مسلم يشكلون العدد الكلي لمسلمي جمهورية روسيا الاتحادية.

وتهدف المؤسسة إلى النهوض بمستوى النشاط والعمل الإسلامي والخيري بمجالاته المختلفة على الساحة الروسية ووسط شعوب آسيا الوسطى والقوقاز وتهتم بإظهار الوجه الناصع الوضاء لديننا العظيم وإحياء المشروع الحضاري الإسلامي والتعريف به في كل بلاد ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي السابق.

● نفهم منكم أن عملكم ليس مقصوراً على روسيا فقط فهل للمؤسسة فروع خارج روسيا؟

■ هدفنا كل المسلمين في نطاق ما كان يسمى الاتحاد السوفييتي لذا فإننا افتتحنا فروعاً في كل من كازاخستان وقرغيزستان وأوكرانيا وروسيا البيضاء وقباردين وبلغاريا.

● من خلال عملكم الفكري

والدعوي كيف تقيمون حركة إقبال غير المسلمين على الإسلام؟

■ في الحقيقة حركة دخول الروس في الإسلام لازالت في بداياتها والأمر يعود لعدة أسباب منها: ضعف العمل الإسلامي في المنطقة بصورة عامة وقلة الإمكانات المتاحة والتشويه المستمر لصورة الإسلام من قبل اتباع بعض الدعوات الأخرى والأحداث المحيطة بالمنطقة كالشيشان وأفغانستان وطاجكستان ونحن نحاول من خلال الندوات والمؤتمرات التي ندعو إليها المسلمين وغير المسلمين إلى تصحيح هذه الصورة، وقد عقدنا في رمضان الماضي ندوة بعنوان «الإسلام والمسلمون في روسيا»، حاضر فيها عضو البرلمان الروسي نادير خاتشيلايف والداعية محمد قاراتشاي والصحفي المعروف حيدر جمال وأعقب الندوة أسئلة من المسلمين وغير المسلمين وقد تبين لنا من الندوة أن الإسلام مغيب حتى عن كثير من المسلمين فكيف إذاً بشرائح المجتمع الروسي الأخرى والتي هي في أمّس الحاجة إلى من يشرح لها هذا الدين ويقدم لها المطبوعة الإسلامية باللغة الروسية خاصة وأن المجتمع الروسي مجتمع مثقف ويحب القراءة والأمية شبه معدومة.

● **النظام الداخلي للمؤسسة مم يتكون وهل هو قاصر على الروس فقط؟**

■ مجلس إدارة المؤسسة يتكون من عدد من الشخصيات الإسلامية الروسية والتترية وهي مستقلة في عملها الخيري والإسلامي وفق نظامها الداخلي، وتتعامل مع كل الطوائف وشرائح المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة، كما تتعاون مع غيرها من المؤسسات والهيئات المماثلة سواء كانت محلية أو أجنبية داخل روسيا أو خارجها وخاصة بالبلاد العربية والإسلامية.

● **لو طلبنا منكم ترتيب أولويات المسلمين في روسيا فما الاحتياجات التي تضعونها على رأس القائمة؟**

■ الاحتياجات المطلوبة وسط مسلمي روسيا كثيرة لكن هناك قناعة كاملة بأن العمل التعليمي والتربوي يأتي أولاً، ثم العمل الثقافي والحضاري، ثم ترجمة الكتب، وأخيراً تأتي الأعمال الإغاثية والخيرية، إذاً العمل الفكري والثقافي يحتل رأس القائمة وهناك فراغ فكري كبير في المنطقة، وهناك صراع بين أصحاب الثقافات لملء هذا الفراغ ومن واجبنا كمسلمين أن نعمل أولاً للحفاظ على هوية أبنائنا وبناتنا إنقاذاً لهم من الانحراف، وفقدان الهوية، وثانياً: علينا أن نعمل لتوضيح الصورة المشرقة لمبادئ الإسلام العظيم ونظرته الحضارية والإنسانية لجميع الأمم والشعوب لهذا فإن دعوتنا موجهة للجميع.

● **من أين تحصل المؤسسة على التمويل لدعم مشاريعها؟**

■ تعتمد المؤسسة في تمويلها على التبرعات الداخلية من مسلمي روسيا وعلى بعض التبرعات من اللجان الخيرية في الدول الإسلامية، وفي مقدمها لجنة مسلمي آسيا في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ومؤسسة الراجحي في المملكة العربية السعودية، ولا يفوتني هنا إلا أن أذكر بأن أغلب العاملين في المؤسسة يعملون متطوعين مقدرين الظروف المالية الصعبة للمؤسسة.

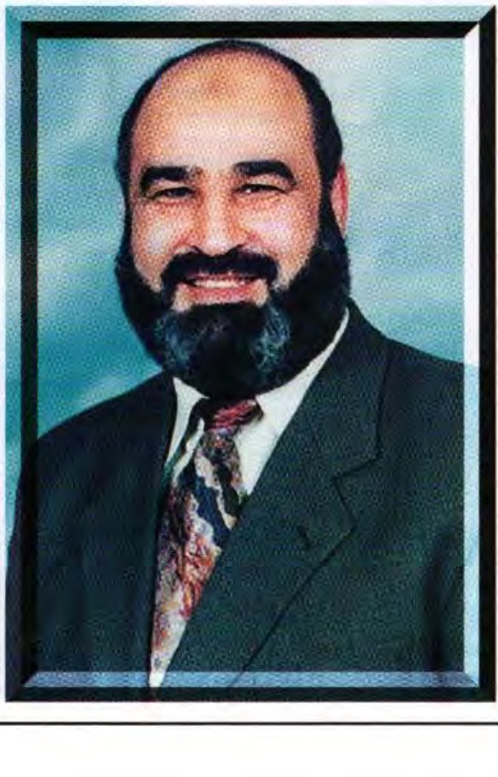
● **هل حاولتم إيجاد وقف إسلامي لدعم مشاريعكم الخيرية على غرار الوقف الذي أنشأته العديد من الأقليات والجاليات الإسلامية في الأقطار الأوروبية وغيرها؟**

■ هذا موضوع في غاية الأهمية ونحن نفكر



● حفل افطار صائم أقامته المؤسسة

تهدف المؤسسة إلى النهوض بمستوى النشاط والعمل الإسلامي والخيري بمجالاته المختلفة



● سعدالدين اللبان
العضو المؤسس في مؤسسة زمزم الخيرية
ومدير مؤسسة التنمية العالمية



● لقطة من الحوار

حركة دخول الروس في الإسلام لازالت في بداياتها والأمر يعود لعدة أسباب

به حتى يكتب لعملنا الاستمرار والديمومة، وبهذه المناسبة نتوجه لكل المسلمين القادرين على تقديم المساعدة لنا حتى يظهر مشروعنا الوقفي إلى حيز الوجود، وقد اطلعنا خلال وجودنا في الكويت على التجارب الوقفية الرائعة التي تقوم بها الهيئات والمؤسسات الخيرية الكويتية وفي مقدمها الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ولجنة السنابل وجمعية إحياء التراث الإسلامي، والأمانة العامة للأوقاف ونرجو الله تعالى أن يشد من عزائمنا ويقوي جهودنا لنحذو حذوهم وليس ذلك على الله بعزيز إذا ما صدقت النوايا وخلص العمل لوجهه سبحانه وتعالى.

● جولتكم التي تقومون بها الآن ما الغاية منها ؟

■ في الحقيقة نحن نهدف من وراء جولتنا إلى التعرف على المؤسسات الخيرية العاملة في الساحة الكويتية وفي الإمارات والسعودية وغيرها من أقطار الخليج وإجراء اللقاءات مع بعض الشخصيات التي لها صلة بالعمل الخيري لعرض مشاريعنا عليهم، وخاصة ممن لها اهتمامات بروسيا وآسيا الوسطى لأننا وحدنا لا نستطيع أن نفعل الكثير، والمؤمن قوي بأخيه، ونحن مطالبون بالتشاور والتناصح لتحقيق أفضل النتائج التي تخدم الإسلام والمسلمين في كل مكان.

● المسلمون في روسيا هل لهم إدارة موحدة ترعى شؤونهم وتحقق مطالبهم ويتعاملون من خلالها مع الحكومة الروسية ؟

■ للأسف هذا شيء غير متحقق على ارض الواقع في روسيا وهناك جهود تبذل لتحقيق هذا الهدف ونرجو من الله سبحانه وتعالى ان يتوحد المسلمون في روسيا ويعملوا في ظل ادارة دينية واحدة حفاظاً على وجودهم ومكانتهم اللائقة بهم خاصة وان عددهم كما ذكرت يفوق الـ ٢٠ مليون نسمة..

● الإعلام في عصرنا الحاضر يلعب دوراً مهماً في صياغة رؤى الامم والشعوب. ترى هل انتبهت المؤسسة إلى هذا الجانب وهي تضع خططها وبرامجها ؟

■ نشاطرك الرأي بأن هذا الجانب في غاية الخطورة والاهمية ولهذا أوليناه كل اهتمام وبدأنا في يونيو عام ١٩٩٧م وبدعم من مؤسسة التنمية العالمية في انشاء مركز زمزم الإعلامي بهدف توفير المادة الإسلامية المسموعة والمرئية والمقروءة باللغة الروسية وتقديمها للمسلمين أهل البلاد بلغة سهلة وبعرض شيق ومن دون أخطاء لغوية أو شرعية. وقد استطعنا ولله الحمد تجهيز الأشرطة المسموعة في مواضيع مختلفة مثل: توحيد الخالق، والاربعون النووية، ومعنى الصوم، وقصص الانبياء، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وكذلك اشرطة القرآن الكريم بصوت مشاهير القراء وفي مجال التسجيلات المرئية تم ترجمة مادة الشريط الكرتوني باسم «رحلة الخلود» والذي يحكي قصة اصحاب الاخدود، وعند مراجعة هذه الترجمة يجري الاتفاق مع احد استديوهات «التلفزيون» لادخال الصوت الروسي على الشريط الاصلي، وسيكون هذا الشريط باكورة انتاج المؤسسة في هذا الجانب، كما تم الاتفاق مع بعض المتخصصين لانتاج شريط مرئي عن اركان الاسلام.

● وماذا عن مشاريعكم الأخرى القائمة والمستقبلية ؟

■ في الحقيقة لدينا مشاريع وطموحات كثيرة بعضها نفذ وبعضها يحتاج إلى دعم ومن أبرز هذه المشاريع :

مشروع المسلمون الجدد للتعريف بالدين الإسلامي وسط الروس بصورة أساسية، ويتخذ المشروع من تجمعات التتار الطبيعية منطلقاً لتحركه للوصول الى كل مسلم في مكان وجوده ثم مده بالعلم النافع الصحيح، وهناك مشروع تأهيل الدعاة، ومشروع جريدة زمزم الشهرية، ومشروع الندوات الثقافية، ودورات إعداد الخطط الاستراتيجية والإدارة، ومشروع كفالة يتيم، ومشروع حلقات زمزم التعليمية، ومشروع افطار صائم، ومشروع كسوة العيد، ومشروع مجمع زمزم الخيري في موسكو، وتقدر تكاليف ميزانية مشروعات زمزم لعام ١٩٩٨م بنحو ١٩٨ الف دولار امريكي نرجو الله تعالى ان يعيننا على تنفيذها. ■

قضايا فقهية

الشهادة في الشرع هي إخبار صدق لإثبات حق، في مجلس القضاء والقاعدة العامة أن الشهادة لايجوز كتمانها، إلا في الحدود، فالشاهد مخيّر بين الستر والإظهار، والستر على الجاني أفضل نقلاً وعقلاً، لما جاء في أخبار الرسول ﷺ في أنه كان يأمرنا بالستر، وقوله - ﷺ - «... من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ...».

هـل الشهادة واجبة ؟

بقلم: د. ماجد أحمد المومني

من شروط الشاهد

١ ـ العقل، لأن من لا يعقل لا يعرف الشهادة.

٢ ـ البلوغ، لأن الصبي لا يقدر على الأداء.

٣ ـ الحرية، فلا تقبل شهادة العبد لأنه لا يقدر عليها.

٤ ـ العدالة، بحيث تكون حسناته أكثر من سيئاته، والعدل هو الذي تعتدل أحواله في دينه وأفعاله.

٥ ـ أن يكون الشاهد عالماً بالمشهود به وقت الأداء، ويلزم في الشاهد أن يكون عدلاً بحيث تعتدل أحواله في دينه وأفعاله، فلا يرتكب كبيرة ولا يداوم على صغيرة مع الإصرار على ارتكابها، وأن يتجنب الأمور الدنيئة المزرية التي تحط من قدر صاحبها، كشرب الخمر وحضور مجالسه ولعب الميسر والقمار والزّنا والتعامل بالربا، والمجرم الذي ارتكب جريمة بغير حق ومن ثبت عليه أنه قد شهد شهادة الزور ... ومن عُرف عنه أنه يُحارب الله ورسوله ويسعى في الأرض فساداً، جميع هؤلاء لا تقبل شهاداتهم بإجماع الفقهاء ... إلا من تاب وأخلص في توبته لقوله تعالى :

(إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) المائدة : ٣٤.

أما إذا لم تكن التوبة خالصة لله فلا تقبل شهادته لقوله تعالى:

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا...) المائدة : ٣٣

فجزاء هؤلاء القتل والصلب ولا تُقبل شهاداتهم.

والشهادة الصادقة إظهار للحق والله يريد أن يحق الحق ويُبطل الباطل لقوله تعالى :

(...ويريدُ الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) الأنفال: ٧

التزكية

المزكّي هو الذي يشهد بعدالة الشهاد والقاضي يختار المزكي من جيران الشهاد، فإن لم يجد فمن أهل حيه، فإن لم يجد فمن أهل محلته، فإن لم يجد يأخذ عنهم بتواتر الأخبار.

أما إذا علم القاضي عدالة الشهود لا يلزمه السؤال لأن علمه أقوى من الحاصل له من المزكّي والتزكية نوعان : تزكية سر، وتزكية علانية.

أما تزكية السر فإنها تتم بعيداً عن نظر الجمهور خارج مجلس القضاء وصورتها أن يبعث القاضي ورقة يكتب فيها اسم الشاهد ونسبه وصفاته ويبعثها سراً بيد أمينة ويلتمس في المزكي تعريف حاله فيكتب المزكي تحت الاسم «هو عدل مقبول الشهادة».

فإن كان الشاهد فاسقاً أو مجرحاً لا يكتب المزكي شيئاً احترازاً عن هتك سمعته أو يكتب «الله أعلم» إلا إذا زكاه غيره وخاف أنه لو لم يصرح بذلك يقضي القاضي بشهادة الشاهد بناء على تزكية الآخر، فإنه في هذه الحال يصرّح بتجريحه.

أما إذا كان المزكي لا يعرف عن الشاهد أهو عدل أم فاسق يكتب تحت اسمه «هو مستور» ثم يعيد المزكي الرقعة بعد ذلك إلى القاضي.

ولا ينبغي للقاضي أن يصرح للمدعي بأن شهودك جرحوا بل يقول: «زدني شهوداً آخرين».

والصدق مبدأ أساسي في المزكي والشاهد، وهو خُلق إسلامي عظيم، أساسه الالتزام بالحق في الأقوال والأعمال، وهو في أهم أسس تربية الأفراد وبناء المجتمعات واستقرارها، به يطرّد التعاون بين الناس وتعمّهم الثقة ويشملهم التحاب.

قال عليه الصلاة والسلام :

«دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة» أخرجه الترمذي.

وقال تعالى :

(إن الله لا يهدي من هو مسرفٌ كذاب) غافر : ٢٨.

أما تزكية العلانية فتتم بأن يجمع القاضي بين المزكي والشهود في مجلس القضاء ومثل هذا ما حدث مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

حينما دخل عليه رجل ليؤدي شهادة ... فقال له عمر : هل جئت بمن يعرفك؟ وذهب الرجل إلى حيث أتى برجل آخر أثنى عليه أمام عمر ... فبادره عمر بقوله :

ـ هل أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه؟

ـ قال الرجل : لا ... فسأله عمر :

ـ هل كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟

ـ فأجاب الرجل : لا ... وعاد عمر يسأله :

ـ هل سبق لك أن عاملته بالدينار والدرهم؟

ـ فقال الرجل : لا ... وهنا قال عمر للرجل : أظنك رأيته قائماً في المسجد يهمهم بالقرآن ويخفض رأسه طوراً ويرفعه طوراً آخر.

وهنا فرح الرجل بالخروج من المأزق ... وقال على الفور نعم !!... عندئذ التفت أمير المؤمنين إلى الشاهد ... وقال له في جِدّة اذهب وجئني بمن يعرّفك !

تُرى كيف يؤدي الناس شهاداتهم هذه الأيام، وكم من شهود الزور يدخلون المحاكم؟ ممن لا ضمائر ولا ذمة لهم! وكم عدد ضحاياهم الأبرياء؟

إن الشهادة أمانة من يكتمها فإنه آثم ... والآثم من أضاع دنياه بعرض بخس، وخسر آخرته، والتزكية واجبة وبخاصة في القضايا التي يترتب عليها عقوبة بالغة.

التزكية واجبة بخاصة في القضايا التي يترتب عليها عقوبة بالغة

قال تعالى :

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) البقرة : ٤٢

وقد ذم الله الكذب بقوله تعالى :

(إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) النحل : ١١٦.

وامتدح الله الصدق بقوله تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) التوبة : ١١٩.

من هو الفاسق الذي لا تُقبل شهادته ؟

الفسوق هو الخروج عن طاعة الله وأوامره.

وعند الشافعية أن الفاسق ليس في أهل الشهادة، وكذا الحنابلة، ويقول بعض الفقهاء إنه يلزم التفرقة بين الفسق الذي يطرأ على الشاهد بعد أدائه الشهادة مما يستتر على الناس مثل الخمر والزنا فهذا الفسق ترد به الشهادة اتفاقاً.

ويرى البعض الآخر أنه إذا كان الفاسق قد شهد وهو فاسق ثم تاب ومضى عليه زمان وهو على توبته فالقاضي لا يقضي بتلك الشهادة، بل يأمر بإعادتها فإن أعادها وعدله المعدل فالقاضي يقبل شهادته.

كما أن الفساق عند البعض الآخر من أهل الشهادة وإنما ردوها اجتهاداً... فما يراه البعض أنه فسق قد لا يراه آخرون أنه كذلك مع إجماع على أن الفاسق هو مرتكب الكبيرة بسبق الإصرار وهذا لا تقبل شهادته قطعاً. وعلى العموم ففي عُرف المشرّعة ـ أهل التشريع ـ الفاسق لا تقبل شهادته، والعرف هو حجة شرعية، والعرف في اللغة هو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول، وهو حُجّة، والعادة كذلك دليل، وهو ما استمر الناس عليه وعادوا إليه مرة أخرى. قال الخادمي فيما يروي عنه القاسمي : أما التعامل هو استعمال الناس فيما بينهم بالأخذ والعطاء حسب العرف إن لم يكن هذا العرف يخالفه نصّ شرعي بالقرآن والسنة.

والخلاصة : الفاسق وشاهد الزور لا تُقبل شهادتهما، إلا من تاب لله وأخلص في توبته لقوله تعالى :

(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصّل الآيات لقوم يعلمون) التوبة : ١١.

وقوله تعالى :

(ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) التوبة : ٢٧.

وقد شدد الإسلام في محاربته للكذب ودعوته للصدق : قال تعالى :

(وقد خاب من افترى) طه : ٦١.

وقال سبحانه :

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الأحزاب : ٢٣.

من هو المؤمن القوي الذي تُزكّى شهادته ؟

الإسلام دين الحياة الحقة، وهو يريد هذه الحياة في الدنيا عزيزة كريمة، فياضة بالعمل والقوة ويريدها في الآخرة سعيدة هانئة بما فيها من متعة ونعيم مقيم. هو دين متين يحرص على أن تكون الأمة الإسلامية عالية الكلمة، وأن يكون المسلم قوياً: في عقيدته، وفي إرادته، وفي جسمه، وفي خلقه وعمله، وفي ترفعه، عما تضطرب به الحياة في صغائر، وتيارات فاسدة منحرفة، وعن مواقف الضعف والعجز أمام مشاقها، ومواقف الأحلام والأوهام الخادعة التي تجعله حين يصيب منها منها شيئاً يطيرُ فرحاً وإذا لم يصب منها يتحسر على ما فاته حسرة تنقطع به وترديه في اليأس والمآتم.

والإسلام لا يريد القوة الجسمية الطائشة، أو المخرّبة المدمرة، وإنما يريد القوة التي تصرفها إرادة حازمة، تضبطها وتوجهها وجهة خيّرة رشيدة.

إن الضعف في كل صورة ليس من هذا الدين في شيء، فليس منه ضعة النفس المنافقة التي تتلون بكل لون، وتظهر في كل موقف بالوجه الذي تراه ملائماً له، وليس منه القعود عن العمل والكفاح والانصراف إلى عالم الهوى والأماني، يطلق له المرء عنانة ثم يعود

منه بغير شيء إلا الحسرة والضياع.

وليس منه العجز عن مواجهة الصعاب والتغلب عليها، أو الهروب منها بالتخلص من لحياة ومما في الحياة.

هذه بعض قسمات المسلم القوي، تعرضها عليك الأحاديث التالية :

قال عليه الصلاة والسلام :

«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلتُ كذا كان كذا ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان ...».

وعن ابن مسعود ﵁ قال النبي ﷺ :

« ... ما تعدون الصُرعة فيكم ؟ قلنا: الذي يصرعُ الرجال، قال : ليس كذلك، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب».

وقال عليه الصلاة والسلام :

« ... الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتْبعَ نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

وقال سبحانه وتعالى :

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليتْ عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) الأنفال: ٢.

وقال سبحانه وتعالى :

(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) النحل: ١١٦.

وقال عليه الصلاة والسلام :

«كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدّق وأنت له كاذب» رواه أحمد وأبو داود.

العاقل من يعمل لآخرته، كما يعمل لدنياه، والعاجز من يترك لأهوائه وشهواته العنان، فيضعف أمام مطالب النفس التي تأمره بالسوء، والضعف غير مرغوب فيه، لما فيه في التضييع في الحقوق والتقصير في الطاعات والقعود عن السعي إلى الجهاد، الذي به عزة الإسلام.

بينما المؤمن القوي قوي العزيمة والشكيمة والإرادة قوي الإيمان في توكله على الله.

المؤمن القوي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلّ الطيبات ويحرّم على نفسه الخبائث مصداقاً لقوله تعالى :

(يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) الأعراف: ١٥٧.

فقد بينت الآية أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكرات وعمل المعاصي والذي يبتغي الرزق الحلال ويأكل الطيبات ويبتعد عن الخبائث ـ كالدم ولم الخنزير وأكل الميتة جميعها من الخبائث ـ وتناول المخدرات وما هو بدرجتها جميعاً صفات في شروط تزكية الشاهد.

وعلى العموم، فالشاهد العدل وبخاصة في القضايا الكبيرة، يجب أن يكون عدلاً تقياً بعيداً عن الخبائث، وبعض الفقهاء اشترط صحة الحواس لدى الشاهد: فلا يجوز لأعمى أن يقول إنني رأيت فلاناً يرتكب كذا ... أو الأطرش الذي لا يسمع أن يقول سمعت فلاناً يقذف المحصنات الغافلات ... أو الأخرس ... أن يدّعي أنه قال كذا وكذا وعلى العموم المؤمن القوي التقي ـ قوي العزيمة والشكيمة والإرادة مع سلامة الحواس هو الذي تقبل شهادته، وبخاصة في القضايا الكبيرة.

حُكم الشهادة

وحكم الشهادة وجوب الحكم على القاضي بموجبها بعد التزكية، والقياس يأبى كونها حجة ملزمة لأنه خبر محتمل للصدق والكذب، ولكنه ترك بالنصوص والإجماع.

ولا يجوز للقاضي تأخير الحكم بموجبها بعد وجوب شروطها إلا في ثلاثة أمور، وجاء الصلح بين الأقارب واستمهال المدعي، وإذا كان عند القاضي ريبة.

الشاهد العدل يجب أن يكون عدلاً تقياً بعيداً عن الخبائث

وقد روي عن عمر بن الخطاب، الإمام العادل أنه بعث رسالة إلى أبي موسى الأشعري قال فيها:

«... البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحلَّ حراماً، أو حرّم حلالاً، واجعل لمن ادَّعى حقاً غائباً، أو بينة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهديت إلى رشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حدٍّ، أو مجرباً عليه شهادة الزور».

الفرق بين الشهادة والرواية

الشهادة إخبار ناشئ عن علم لا عن ظن أو شك، وهو معنى قول بعضهم الشهادة إخبار بما حصل فيه الترافع وقصد به القضاء وبت الحكم، والرواية إخبار بما لم يحصل فيه الترافع ولم يقصد به فصل القضاء وبت الحكم، بل قصد به مجرد عزوه لقائله بحيث لو رجع عنه رجع الراوي.

والمبدأ العام أن الأدلة القانونية هي طريق الإثبات في المواد المدنية ولكنها قد تكون في بعض الأحوال إقناعية، بينما في الشرع تعني إخبار صدق لإثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء وتخرج شهادة الزور فإنها ليست شهادة وإطلاق الشهادة على الزور مجاز من قبل إطلاق البيع على بيع الحق، أو هي إخبار بحق للغير على

آخر سواء كان حق الله تعالى أو حق غيره، وناشئاً عن يقين لا عن حسبان وتخمين وقد روي عن الرسول ﷺ قوله :

«... إذا رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع...» وهذا هو الحكم المطلق في الشهادة.

وجوب الشهادة

القاعدة العامة أن الشهادة لا يجوز كتمانها فهي مأمور بها، وقال الله تعالى في محكم كتابه :

(كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) النساء : ١٣٥

وعند الشافعي أن الشاهد ملزم بالشهادة وأنها فرض عليه أن يقوم بها ولو كانت على والديه وولده والقريب والبعيد والبغيض والحبيب ولا يكتم عن أحد ولا يحابي بها ولا يمنعها أحداً في كل القضايا ما عدا الحدود. ففي الحدود الشاهد مخيّر بين الستر والإظهار، فهو مخيّر بين أن يشهد حسبة لله فيقام على الجاني الحد، وبين أن يتوقى عن هتك ستر الجاني حسبة لله، وقد رجّح الفقهاء الأربعة أن الستر في الحدود جائز بينما في حقوق الناس تجب الشهادة.

وعلى العموم لا تصبح الشهادة حُجة ملزمة إلا أمام مجلس القضاء، فعلى الشاهد أن يُدلي بشهادته أمام مجلس القضاء فلو أدلى بها أو شهد أمام قاض واحد فلا تعتبر حُجة قاطعة وهي عُرضة للتعديل أو التجريح حسب ما يقرره مجلس القضاء.

كما لا يجوز التخلف عن الشهادة وعلى القاضي أن يطلب الشاهد للإدلاء بشهادته وسماع أقواله وأحواله، فإن انطبقت عليه شروط تزكية الشاهد، التي جاءت في أول المقال - وجبت عليه الشهادة لأن المصلحة العامة تقتضي ذلك.

والمصلحة في اللغة مأخوذه من الصلاح، والصلاح ضد الفساد، وأما في العُرف فهي السبب المؤدي إلى الصلاح والنفع، أما المصلحة في الشرع فهي السبب المؤدي إلى حفظ مقصود المشرّع في العبادات، ونعني بها المصلحة من دون تقييد فالإرسال يعني الإطلاق وعدم التقييد وهو أمر ينطبق على الإدلاء بالشهادة.

أحكام الشهادة في الشريعة الإسلامية

الأصل في الشهادة أن يكون الإثبات بشهادة رجلين عدلين غير متهمين في شهادتهما عند تحمل الشهادة وعند أدائها واستثنى من ذلك حدّ الزنا الذي جعله بأربعة شهود رجال، وهذا متفق عليه عند الفقهاء والأئمة الأربعة. واشترط الأئمة الأربعة أن إثبات الزنا يكون بشهادة أربعة شهود ليس من بينهم الزوج باعتبار أنه متهم بدعواه أن الزوجة خانته وأنه يوجه إليها تهمة الزنا.

وشهادة الشهود جائزة مجتمعين أو متفرقين - وهذا هو رأي الشافعية - بينما رأى الحنابلة والحنفية في وجوب الشهادة أن يكونوا مجتمعين وفي مجلس واحد عند أداء الشهادة فإذا جاؤوا متفرقين يشهدون واحداً بعد واحد - ولا واحد - في رأيهم - لا تقبل شهادتهم.

أما عن وجوب توافر الرواية في الشاهد في جرائم الحدود، فهذا متفق عليه عند الشافعية، والحنفية والمالكية، لأن الشهادة تقتضي العلم بالواقعة وتميزها بأوصافها، ومعرفة المشهود له والمشهود عليه على نحو لا يتطرق إليه الشك، واشترطوا أن يكون الشاهد قادراً على التعبير قولاً أو كتابة عند تحمّل الشهادة وعند أدائها، وبذلك يكونون قد أباحوا شهادة الأخرس، إذا أداها كتابة، وهذا الشرط هو رأي المالكية والحنابلة، أما رأي الشافعية والحنفية حول هذا الموضوع هو عدم قبول شهادة الأخرس في الحدود. واتفق الأئمة الأربعة على مبدأ قبول تقادم الشهادة في الحدود وعدم سقوطها في باب تحريم الخمر وإقامة حد الشرب وأقروا جميعاً أنه لا تنقضي الدعوى الجنائية عن الجريمة الحدية، كما لا يُمنع سماع الشهادة عليها أو الإقرار بها بمضي المدة.

العاقل من يعمل لآخرته كما يعمل لدنياه
والعاجز من يترك لأهوائه وشهواته العنان

وبالنسبة لحد القذف فقد اتفق الأئمة الأربعة والفقهاء من بعدهم على عدم جواز رفع الدعوى إلا بناء على شكوى من المدّعي، ولكنهم اختلفوا في المدة فبعضهم حددها بستة أشهر، حيث لا يجوز إقامة الدعوى بعد مضي ستة أشهر من يوم علم المقذوف بالجريمة، ومرتكبها وتمكّنه من الشكوى. واتفق الشافعية والمالكية أن يكون الإسلام شرطاً أصيلاً في الشهادة ولكن الحنفية والمالكية أجازوا قبول شهادة غير المسلمين بعضهم على بعض واتفقوا مع الشافعية والمالكية أن الإسلام شرط أساسي في الشهادة بين المسلمين، هذا. ■

المراجع :

- أصول الدين الإسلامي، الأستاذ الدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري - جامعة آل البيت.
- بُنية الفكر الديني - الأستاذ الدكتور عادل العوا - جامعة دمشق.
- دراسات في الفكر الإسلامي - د. موسى أبو الريش - الجامعة الأردنية.
- معالم الشريعة - فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري - معهد الدراسات الإسلامية.
- الثروة في ظل الإسلام - د. البهي الخولي - جامعة القاهرة.
- الموارد الإسلامية - د. إبراهيم فؤاد - القاهرة.
- الثقافة الإسلامية - د. صالح الهندي - جامعة السلطان قابوس.

إعلام

لاشك أن الكلمة المُذاعة، عبر موجات الأثير، لها تأثيرها الخطير... وهي من أقوى الوسائل تأثيراً في اتجاهات الجماهير... وتكمن قوتها، ليس فقط بما يُبث فيها من برامج تستخدم في إعدادها وإخراجها طُرقٌ فنية وتعبيرية متباينة تُخاطب المشاعر والوجدان، وتترك أثراً قوياً على العقل والعاطفة معاً...(١) ولكن أيضاً، لكونها تستطيع بسهولة، الوصول إلى المستمع، أينما كان، وفي أي وقت.

الإذاعات الموجهة بعد نصف قرن على انطلاقتها ماذا حققت؟

دراسة بقلم : حسني عبدالحافظ

وإذا كان قد كثر الحديث عن التأثيرات السلبية، التي تُحدثها إذاعات الغرب، وبخاصة الموجهة منها، على الأنماط السلوكية والفكرية لدى الفئات السنية المختلفة في عالمنا الإسلامي ... فإنه قد آن الآوان لفتح ملف إذاعاتنا العربية الموجهة. ونتساءل ... ماذا حققت هذه الإذاعات بعد نصف قرن على انطلاقها ...؟

ماهية الإذاعة الموجهة

تعرف دولياً بـ «أوفرسيز بروغرامز»(٢) ... أما عربياً، فقد اختلفت مُسمياتها، فثمة من أطلق عليها «إذاعات ما وراء البحار»(٣)، وهناك من أطلق عليها «إذاعات ما وراء الحدود»(٤)، وآخرون أسموها «الإذاعات الخارجية»(٥) ... والحقيقة، أن هذه المسميات في جوهرها اللغوي والجغرافي أيضاً غير دقيقة... وقد اتفق جل الإعلاميين العرب على تسميتها بـ«الإذاعات الموجهة»، وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن «الإذاعات المحلية» فهذه تُخاطب جماهير الشعب داخل القطر، بهدف رفع المستوى المعرفي والثقافي، بينما تلك تُقدم شعبها إلى الشعوب الأخرى.

وقد بدأت بث الإذاعات الموجهة، لأول مرة، في بدايات العقد الثاني، من القرن الميلادي الحالي ... انطلاقاً من إيطاليا... ثم ألمانيا، فكانت سلاحاً قوياً لدعاية كل من الدولتين، الموجهة إلى الرأي العام في أوروبا ... ثم انطلقت تقنياتها إلى الدول الأوروبية الأخرى ... وكانت بمثابة الحصان الجامح، الذي امتطى الروس صهوته، لنشر أفكارهم الشيوعية في البلدان الخاوية عقائدياً، وذلك عبر ما يُسمى بـ «إذاعات السلام والتقدم»، التي رصدت الحكومة الماركسية أموالاً ضخمة لبناء هيكليتها... وقد بدأت بث برامجها بنحو ثلاثين لغة. وعرف العرب الإذاعات الموجهة، في أواخر الثلاثينيات (٦) ... عندما بدأت مصر بث برامج تثقيفية عدة على موجات الأثير القصيرة، ولم تتجاوز مدة الإرسال آنذاك ثلاث ساعات، تبدأ من الثامنة والنصف مساء بنشرة إخبارية، يتبعها أحاديث ولقاءات تستهدف إبراز الهوية العربية الإسلامية، وكانت لغة البث الوحيدة هي «العربية».

الحكومة الماركسية رصدت أموالاً ضخمة لنشر الأفكار الشيوعية

وبشكل تصاعدي كبير، تطورت تقنيات البث عبر الموجات القصيرة... ودخلت دول عربية عدة الدائرة الأثيرية الدولية، وأصبح كل منها يسهم في البرامج الإذاعية الموجهة... وفي منتصف الخمسينيات، حدثت طفرة كبيرة في البيت العربي الموجه(٧)، واكبت حركات الاستقلال الوطني، ودعوات التحرر للشعوب النامية التي كانت ماتزال تئن تحت وطأة براثن الاستعمار الغربي، وقبل أن يكتمل العقد الخمسيني كان للعرب إذاعات موجهة تبث برامجها بأكثر من أربعين لغة ولهجة محلية ويغطي إرسالها مساحات واسعة من العالم... وأصبح لكل إذاعة هيكليتها الخاصة، وكوادرها الفنية والتقنية، بعد أن كانت في السابق مجرد جزء ملحق بهيكلية الإذاعات المحلية. وفي أواخر العام ١٩٦٨م ... وقَّعت الدول العربية على اتفاقية تأسيس اتحاد للإذاعات ... بدأ يُمارس نشاطه الفعلي العام ١٩٦٩م(٨) ... وهو يضم مراكز وهيئات تدريبية وبحثية، من أبرزها: المركز العربي للتدريب الإذاعي...(٩) والهيئة العامة لبحوث المستمعين.(١٠) وفي الوقت الحاضر ... لم يعد سنتيمتراً واحداً على وجه هذه البسيطة، إلا ويغطيه إرسال إذاعاتنا العربية الموجهة.

الأهداف

في ظل اتفاقية اتحاد الإذاعات العربية، وتحت مظلة «ميثاق الشرف الإذاعي»... تعهد القائمون على الإذاعات الموجهة، بالالتزام والسعي نحو تحقيق ما اتفق عليه من أهداف، على أفضل ما يكون... وأن يضعوا ما له الأولية منها في المقدم، ويمكن إيجاز أهم هذه الأهداف في نقاط بعينها:

- أولاً : تعريف الرأي العام العالمي، بقضايانا المصيرية
- ثانياً : التعريف بمظاهر حضارتنا في الميادين المختلفة... دينية، واقتصادية، وصناعية... إلخ.
- ثالثاً : نشر اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، في العالمين.

ـ رابعاً : نقل الصورة الحقيقية للأحداث التي يهم العرب أن يعرفها الرأي العام العالمي عنهم.

ـ خامساً : المواجهة السريعة الواضحة لمروجي الفتن وناشري الإشاعات، ودحض ما يثيره المغرضون من شُبهات ومغالطات، عنا.

ـ سادساً : تعريف الأجانب ببلادنا... وما تزخر به من معالم وآثار ... وبخاصة الإسلامية منها.

ـ سابعاً : تعزيز روح الأخوة بين الأشقاء في الدول العربية والإسلامية، وتنمية الاتجاهات المشتركة.

ـ ثامناً: تقديم العون للمهتدين الجدد.

وماذا تحقق .... ؟

هذا هو السؤال، الذي يفرض نفسه. وقبل الإجابة عليه ... لا مناص من توضيح أمر مهم، حتى يكون كلامنا منطقياً وواقعياً... إن الإعلام الغربي يشن حرباً شاملة، عبر محطاته الموجهة إلينا، وهذه الحرب تأخذ طريقين:

ـ علني : وتمثله الإذاعات التي تُعلن عن هويتها.

ـ سري : وتمثله الإذاعات التي لا تفصح لمستمعيها عن هويتها ... وجلها إذاعات تنصيرية وطائفية إلحادية هدامة.

ورغم ما يرصده الغرب لهذه الإذاعات، من مبالغ ضخمة... وما يقدمه من تقنيات لتقوية بثها وتغطية إرسالها، ليصل أرجاء العالم... ورغم أيضاً التشجيع الدائم للمستمعين للإقبال عليها، بالمزيد من المسابقات المغرضة والجوائز التي غالباً ما تكون عبارة عن «رحلات سياحية وترفيهية».... رغم كل هذا، فإن الإذاعات العربية الموجهة نجحت في تحقيق بعض الانتصارات المهمة، وبخاصة على الساحتين الإفريقية والشرق آسيوية، بفضل ما يُبث من برامج دينية... وقد اعترف بذلك غير واحد من الإعلاميين الغربيين المعنيين ببحوث الاستماع في الإذاعات الموجهة... وصرخ يوماً مسؤول كبير في إذاعة لندن الموجهة إلى قلب إفريقيا، بلغة «الهوسا» «إن أسباب تفوقهم علينا، الناحية الدينية التي لا تقبل هذه الشعوب منا أن ننافسهم فيها»(١١).

وبنظرة عامة لموقع البرامج الدينية، مقارنة بالبرامج الأخرى، في إذاعاتنا العربية الموجهة، عبر تاريخها... نجد أن نسبة البث خلال الفترة من بدء الانطلاق وحتى الستينيات لا تتعدى الـ٧٪، زادت النسبة لتصل إلى ١٠,٤٪ خلال السبعينيات، ثم ١٤٪ خلال الثمانينيات... ونحو ٢١,٧٪ حتى العام ١٩٩٦م «مستثنى من هذه النسب... برامج الإذاعات الدينية الموجهة التي صارت ـ ولله الحمد تغطي مساحات واسعة من العالم، بتقنيات البث عبر الأقمار الصناعية... وكان ظهور هذه الإذاعات رداً منطقياً على الإذاعات التنصيرية والطائفية والإلحادية الهدامة».

وإننا إذ نطالب القائمين على الإذاعات العامة الموجهة، أن يزيدوا مساحة بث البرامج الدينية.... فليس من المعقول أو المقبول أن نرى نسبة ٤٣٪ للبرامج الترفيهية، ونسبة ٢١,٧٪ للبرامج الدينية. ونأمل أن يكون وقت إذاعة البرامج الدينية ملائماً للمستمع في الجهة التي يغطيها الإرسال... مع العناية القصوى بالإعداد الجيد لهذه البرامج، بحيث تحقق الأغراض المطلوبة، وهي :

١ ـ الإعلام عن الدين ... وتحققه البرامج التي تقدم صوراً صحيحة تتعلق بالأثر الديني في الترابط الاجتماعي الوثيق على مستوى الأسرة، وعلى مستوى المجتمع... بحيث يستشعر المستمع كما لو كان ابناً من أبناء هذه الأسرة، وفرداً من أفراد هذا المجتمع.

إن مثل هذه البرامج تترك أثراً طيباً لدى المستمع... وهي، كما يؤكد كبار الإعلاميين في وطننا، تصلح للبث إلى شعوب العالم كافة.

بعد أن استمع الطيار الكندي للقرآن شعر بأن شيئا شديدا استولى على مشاعره لم يدرك كنهه

٢ ـ الدفاع عن الدين ... فالإذاعات الموجهة تتحمل في ذلك قدراً كبيراً من المسؤولية، ولابد لها من أن تجابه الدنايا والمطاعن التي توجه إلى ديننا السمح من قبل إذاعات لا هم لها سوى تشويه صورة الإسلام والمسلمين... خذ على ذلك مثلاً مؤتمر (١٢) دولي في أسبانيا، جمع عدد كبير من الباحثين،، ويشاء القدر أن يجتمع نفر من باحثي أمريكا اللاتينية وأحد باحثينا المسلمين، حول مائدة واحدة... فلما علموا أنه مسلم، أمطروه بوابل من الأسئلة حول الإسلام وأوضاع المسلمين ... كيف يعيش من يعبدون الشمس منكم مع من يعبدون محمداً؟؟ .. كيف تعبدون ٩٩ إلهاً في عصر الحضارة والمدنية ...؟! دُهش الباحث المسلم، وأخذ يستفسر عن مصادر هذه المغالطات الخبيثة... فعرف أنها الكلمة المذاعة، الموجهة لهدم الصورة المضيئة للإسلام وتشويه صورة المسلمين ... وأوضح لهم أن هذه مغالطات وافتراءات، مؤكداً أننا أمة واحدة، تعبد إله واحد لا شريك له وأن محمداً عبدالله ورسوله الأمين الذي بعثه بالحق لهداية العالمين ... وأن الـ٩٩ ليست آلهة، بل هي الأسماء الحسنى. إن الدفاع عن الدين، وتصحيح المفاهيم، لهؤلاء المستمعين، واجب ... لابد أن تؤديه إذاعاتنا الموجهة، عن طريق المزيد من الدعم لهيئات بحوث الاستماع، التي تستطيع أن تترصد الإذاعات الملحدة والحاقدة، وتراقب برامجها وتحلل مراميها وتكشف سمومها، وبالتالي يُمكن تفنيدها ودحض مغالطاتها، قبل أن تتفشى بين المستمعين... كما يُمكن أن تقوم مكاتبنا الإعلامية في الخارج ـ وما أكثرها ـ بالمساهمة في ذلك.

٣ ـ الدعوة إلى الدين... بالإعداد الجيد للبرامج التي تُقدم الإسلام، أركانه، ومبادئه... بأسلوب سلس... فمازالت هناك شعوب في حاجة ماسة إلى من يُنقذها من براثن الشرك والضلال، إلى الهداية وعبادة الواحد الرحمن... أليس هذا واجباً ... (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل: ١٢٥).

ولكي ندرك أهمية استخدام الكلمة المذاعة في نشر الدعوة إلى الدين ... أذكر مثالاً : في العام ١٩٣٧م (١٣)،

الإذاعات العربية الموجهة نجحت في تحقيق بعض الإنتصارات المهمة

كان هناك برنامج ديني موجه، يستهدف هداية الضالين، وقد تم إعداده إعداداً جيداً، حيث اشتمل على تلاوة من آيات الله تبارك وتعالى، للقارئ الشيخ محمد رفعت، تبع التلاوة تفسير وابتهالات... وقد تمكن طيار كندي من استقبال هذا البرنامج... فما الذي حدث؟"... كندي يستمع إلى قرآن بلسان عربي مبين..!!، أترك معد البرنامج وهو الأستاذ محمد فتحي ليجيب عن هذا السؤال بنفسه: «كنت في مكتبي ذات مساء ـ قيل لي إن ضابطاً إنجليزياً يريد مقابلتك، فليدخل، وإذا به طيار كندي لا إنجليزي... كان في أواخر الثلاثينيات من عمره، قال: إني جئتك في استيضاح، وكنت إذ ذاك كبير الإذاعيين في الدار، قال: إن مصر أذاعت العام ١٩٣٧م برنامجاً على موجة الإذاعة البريطانية نقلته عنها إذاعة كندا، وكنت في أقصى الساحل الغربي في مزرعتي... استمع بالليل إلى هذه الإذاعة، قال مُقدم البرنامج في بدايته إن قارئاً كفيفاً سيتلوا من كتاب المسلمين المقدس، وتلا القارئ دقيقة أو دقيقتين... فهل لك أن تدلني على هذا القارئ؟!

قلت للكندي: نعم، أستطيع، فقد كنت أنا ـ للمصادفة الطيبة ـ الذي قدمت هذا البرنامج، قلت له وكان الفضول قد أخذ مني مبلغاً متصاعداً... ولكن لماذا؟! قال الكندي: تلا القارئ... وبالطبع لم أفهم شيئاً مما تلا.... ولكني شعرت لحظتها أن شيئاً شديداً استولى على مشاعري لم أدر كنهه. واستمعت إلى بقية البرامج، ولكن ذلك الشعور الذي تملكني ظل معي، فجئت بترجمة للقرآن وقرأت فيه، وجئت بما استطعت أن أحصل عليه من كتب بالإنجليزية عن الإسلام... وقرأت... وأسلمت، وجئتك الأن لتدلني على هذا الرجل الكفيف الذي أنار طريقي إلى الإسلام ـ لكي أشكره...»(١٤).

٤ ـ تعليم الدين.... ويأتي ذلك عن طريق البرامج التي تُقدم تعاليم ديننا الإسلامي السمح بشكل صحيح، للمهتدين الجدد، وما أكثرهم ولله الحمد، الذين هم في أمس الحاجة لمثل هذه البرامج الهادفة... فأعرف أن هناك فتيات مسلمات كثيرات تزوجن بغير مسلمين، وأنجبن، وهن لا يدرين أهذا صحيح أم خطأ... وهناك من يرث خاله، ولا يرث أباه أو أمه...(١٥)!! أليس هؤلاء، وغيرهم، في حاجة ماسة لمعرفة التعاليم الصحيحة لدينهم العظيم..؟

خاتمة

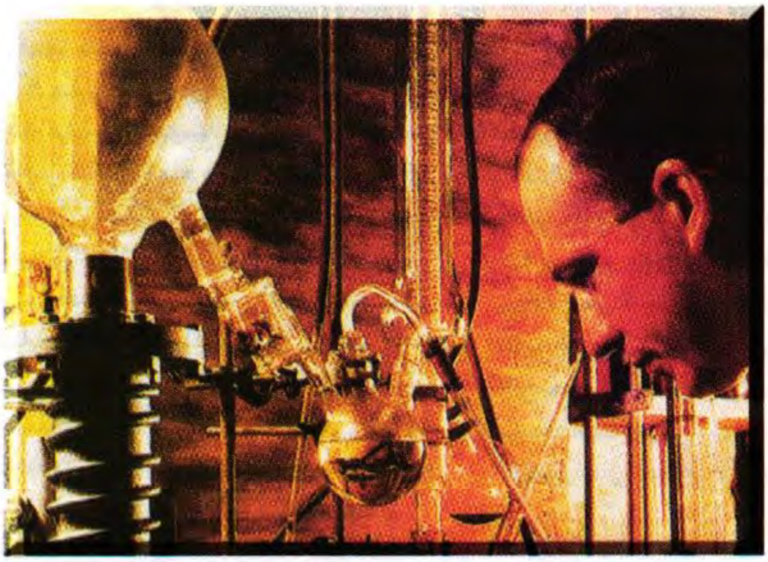
فيا أيها القائمون على إذاعاتنا الموجهة... أكثروا من البرامج الدينية... اجعلوا الدين في مقدم أهدافكم التي تسعون إلى نشرها في العالمين... واعلموا أن هذا واجب عليكم، فأنتم تحملون راية الدعوة الإسلامية في عالم تسوده صراعات فكرية واجتماعية خطيرة... اربطوا دينكم بأمور دنياكم في برامجكم كافة... طوروا باستمرار من آدائكم، إلى ما هو أفضل.... لنصرة دين الله.. فهذه رسالتنا جميعاً في سفينة الحياة.. ■

الهوامش :

١ـ مرزوق، يوسف: الإذاعة الإقليمية وتحقيق أهداف التنمية ـ دراسات إعلامية ـ القاهرة ١٩٨٠م ص ٢٧.
٢ـ الحديدي، عبدالحميد: الإذاعات الموجهة ـ معهد الإذاعة والتلفاز ـ القاهرة ١٩٧٧م ـ ص٣.
٣ـ الحديدي: سابق ـ ص٣.
٤ـ الحديدي: سابق ـ ص٤.
٥ـ الحديدي: سابق ـ ص٤.
٦ـ فتحي، محمد: عالم بلا حواجز في الإعلام الدولي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٢م ـ ص ٦٨.
٧ـ فتحي: سابق ـ ص ٧٣.
٨ـ مصالحة، د. محمد: السياسة الإعلامية الاتصالية في الوطن العربي ـ دار الشروق ـ بيروت «دون تاريخ» ـ ص ٥٢.
٩ ـ مصالحة: سابق ـ ص٥٢.
١٠ـ مصالحة: سابق ـ ص٥٢.
١١ـ عبدالوهاب، محروس: البرامج الدينية في الإذاعات الموجهة ـ مجلة الفن الإذاعي ـ العدد ١٠٤ ـ فصلية تصدر عن معهد الإذاعة والتلفاز ـ القاهرة يناير ١٩٨٥م ـ ص٦٣.
١٢ـ عبدالوهاب: سابق ـ س٦٢.
١٣ـ فتحي: سابق ـ ص٧٢.
١٤ـ فتحي: سابق ـ ص٧٣.
١٥ـ نصر، د. محمد معوض إبراهيم: الإذاعات الإسلامية وحمل لواء الدعوة الإسلامية ـ مجلة الفن الإذاعي ـ العدد ١٠٤ ـ ص٣٧.

المراجع المعتمدة للدراسة :

١ـ متابعات مستفيضة للإذاعات العربية الموجهة قام بها الكاتب.
٢ـ فتحي، محمد: عالم بلا حواجز في الإعلام الدولي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٢م.
٣ـ مصالحة، د. محمد: السياسة الإعلامية الاتصالية في الوطن العربي ـ دار الشروق ـ بيروت ـ بدون تاريخ.
٤ـ مرزوق، يوسف : الإذاعة الإقليمية وتحقيق أهداف التنمية ـ دراسات إعلامية ـ القاهرة ١٩٨٠م.
٥ـ الحديدي، عبدالحميد: الإذاعات الموجهة ـ معهد الإذاعة والتلفاز ـ القاهرة ١٩٧٧م.
٦ـ مجلة «الفن الإذاعي» ـ فصلية متخصصة تصدر عن معهد الإذاعة والتلفاز ـ الأعداء :
(أ) العدد الثالث ـ إبريل ١٩٥٧م.
(ب) العدد ١٠٤ ـ يناير ١٩٨٥م.



بقلم : د. عبداللطيف الخياط

إلى أيّ حدّ نكون علميين ؟

هناك في العالم الإسلامي عدد من الأسئلة العالقة التي لو أحسنا الجواب عليها فإن هذا سيزيح من طريقنا عقبات كبرى نحو أخذ مكاننا في العالم، قد لاتكون تلك الأسئلة كثيرة من حيث عددها، ولكنها على قلتها كافية لتمنعنا من التحرك المناسب لهذا العصر، إن الشيء الطبيعي أن نتقدم، فلدينا كل ما نحتاجه للتقدم، وكون تقدمنا متعثراً أمر غير طبيعي، تقوم أسبابه داخل عقولنا، فإذا أزحنا بعض هذه العقبات الفكرية من طريقنا تحسّن سيرنا وصار سوياً، إن الفرق بين التقدم النشيط والتقدم المتعثر ليس إلا فرق في الدرجة، فإذا أضفت إلى التقدم المتعثر بضع عوامل من عوامل النجاح صار تقدماً ناجحاً، أقول هذا ليبعث الأمل في قلوب اليائسين، وأنا أختار هنا عقبة فكرية واحدة، تاركاً الأسئلة الأخرى لمناسبات أخرى، أطرحها أنا أو غيري.

السؤال المطروح اليوم هو ما تجده في العنوان، إلى أي حد نكون علميين؟ وهو كما يرى القارئ سؤال ملحّ، له أثر حاسم على تقدمنا، فهناك أمم أعطت العلم قيمة كبرى، ولها اليوم السيطرة والعزة، بينما مكاننا في العالم ضعيف، وهذا يتوازى مع موقفنا المتردد مع العلم، فلا العلم له مفهوم واضح في المنطقة الإسلامية، ولا موقفنا منه حاسم: نقول إنه لابد منه وإنه

الفرق بين التقدم النشيط والتقدم المتعثر ليس إلا فرق في الدرجة

مفيد، ولكننا نتحدث في الوقت نفسه عن أننا إذا وثقنا بالعلم أصبح صنماً، ونخاف أن يحل العلم محل الوحي، ونتحدث عن أن العلم جيد ولكنه ليس كل شيء، ونتحدث عن أن العلم يعامل الإنسان على أنه آلة، ونتحدث عن طغيان العلم وهكذا، ويمكن أن نلاحظ ضعفاً في همتنا العلمية بقدر ما في تصورنا من تردد حول الثقة بالعلم، ونرى مقدار ضعف اسهاماتنا في بناء صرح العلم، وكيف أننا بالتالي عالة على غيرنا نعيش على فتات موائدهم في العلم.

وإذا تساءل القارئ عما نعنيه حينما نبحث في العلم هنا فيمكن أن نعتبره بذل الجهد في كشف قوانين الكون، ثم نقل ما يكتشف من قوانين إلى خدمة الإنسان «وهذا تعريف يصف الجهد العلمي»، أو يمكن أن نتبنى تعريف قدماء علماء المسلمين، حيث كانوا يقولون إن العلم هو معرفة الشيء على ما هو عليه مع الدليل، وأنا يعجبني تعريف مفكّر مسلم حديث للعلم على أنه تطابق الصورة الذهنية مع الحقيقة الخارجية، وبرهانه هو التنبؤ أو التسخير أو كلاهما معاً.

موقفنا من العلم ؟

سؤالنا إلى أي حد نكون علميين عجيب، فإذا كان ما يفعله العلم هو أن يكتشف قوانين الله في الوجود حتى يسخّرها لمصلحة الإنسان، وإذا كان العلم يبصرنا بحقائق الكون، فإن سؤالنا إلى أي حد نكون علميين هو مثل سؤالنا إلى أي حد نكون مبصرين، ومثل سؤالنا إلى أي حد نكون أخلاقيين، أو مثل سؤالنا إلى أي حد نكون موضوعيين أو صادقين، فهل علينا

أن نسير في العلم خطوات ثم نتوقف وبعدها نعتمد على شيء آخر غير العلم؟ إن العلم والأخلاق والتقوى والصدق لايتوقف المرء فيها عند حد معين في التقدم، فشأن العلم هو مثل شأن الأخلاق، ونحن لن نصل إلى نقطة نكون قد أنهينا فيها الالتزام بالأخلاق، بل سنشعر أننا مهما تقدمنا في اتجاه الأخلاق، فسيبقى هناك المزيد، فمن المستحيل أن نصل إلى قمة الأخلاق، ولكن من الضروري أن تبقى الأخلاق مثلاً أعلى مطلوباً نسعى إليه ولا نسقطه من حسابنا بحجة أننا لانستطيع أن نوفيه حقه، لأن من يسقط المطلب الأخلاقي، فإنه يهبط إلى مستويات سحيقة، لابد أن يبقى مطلب الأخلاق مثل نجم القطب في الليل يسعى المسافر بهديه وإن لم يصل إليه.

وهكذا العلم، وهكذا التقوى، وهكذا الموضوعية وهكذا الصدق، وهكذا العدل، هذه أمور لا يطلبها الإنسان طلباً موقتاً، ثم يتوقف عنها، ليس طلبها مثلما يحاول إنسان أن يبني بيتاً، ثم بعد أن يصبح البيت حقيقة واقعة فإنه يستطيع أن ينسى التفكير فيه لأن بناءه قد تم وانتهى، إن التقوى والعلم والصبر والصدق والعدل أمور لا ينتهي طلبها، بل نحن بحاجة إلى أن نبذل جهداً كافياً ومن دون توقف حتى نتغلب على الجاذبية التي تبعدنا عن الأخلاق والتقوى والعلم، ونحن في حاجة من ناحية أخرى إلى العلم كل يوم، لأن كل يوم يأتي بتحديات جديدة ويحتاج لعلم جديد.

إننا في الأصل نعيش في شبه ظلام دامس، ثم يأتي العلم وينير شيئاً من هذا الظلام، وكل جهودنا تؤدي إلى توسيع دائرة النور قليلاً، فمساحة الجهل واسعة جهداً، (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) الإسراء: ٨٥، ولكن إذا كنا لا نملك من العلم إلا قليلاً، فلا بأس طالما أننا لم نفقد قدرة السعي الحثيث للتغلب على بعض جهلنا، ولكن المصيبة أن نشك في حاجتنا إلى العلم، وأن نكون وجلين في كل خطوة، ونتردد في قبول العلم لأنه سيلتهم الدين،

فما هو هذا الدين الذي سيلتهمه العلم إذا زاد عن الحد المتواضع الذي توصلنا إليه؟ «ونحن وإن كنا لا نصرّح كثيراً بأن العلم خطر على الدين، فإننا نتصرف على هذا الأساس في غالب مواقفنا»، فحين ينادي بعض المسلمين بأن زيادة الثقة بالعلم خطأ، لأنه سيضر بالدين، فإنه مثل من ينادي أن زيادة الفهم والعقل خطأ، وأن علينا أن نفهم إلى حد ما ونعقل إلى حد ما ونصدق إلى حد ما ونعدل إلى حد ما، وهكذا، لا يوجد طلب جزئي للعلم، ولا يفيد نصف الإقبال على العلم، لأن هذا سيبقينا في

من لم يبلغ مستوى عصره في العلم لا يستطيع أن يعالج مشكلاتنا بكفاءة

تخلفنا، فقد سمعت قولاً لعله عن أبي حنيفة: «العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك»، فطلب العلم على وجل وتردد مثل أن تصنع نصف سيارة أو نصف طائرة ثم تظن أن هذا يكفي عن صنع النصف الآخر، إن من طلب قليلاً من أحد العلوم كعلم النفس أو التاريخ، فإنه إذا حضر في محافل العلماء فسيجلس صامتاً لا حق له أن يدلي بدلوه، ولو تكلم لفضح نفسه، ومن لم يبلغ مستوى عصره في العلم لا يستطيع كذلك أن يعالج مشكلاتنا بكفاءة.

ليس هناك من مصدر لمعرفة البشر إلا أن نرى البشر

وقد يوضح موضوع الموقف من العلم في العالم الإسلامي أن ننظر في طريقة استعمال كلمات مثل «العلمانية» و«العقلانية»، إن استخدامها يعكس خوفاً من العلم وخمول الهمة العلمية في العالم الإسلامي، إن الناس يستخدمون كلمة «علماني» ليصفوا شخصاً بالغ في الثقة في العلم ومضى أكثر مما ينبغي في الاعتماد عليه، غير أن الحقيقة أنه لا يوجد

مبالغة في العلم، ومن مضى في العلم أكثر خفف من جهله واقترب من القرآن: (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) سبأ: ٦.

إنني أريد أن أقول هنا، إنه لا يجوز أن تبقى ولو معلومة صغيرة صارت متاحة عن الإنسان والمجتمع إلا وتكون تحت تصرف الدعاة، وكل تقصير عن تحصيل هذا هو تقصير في حق الدين والأمة، وحين يقصّر المتخصصون والكتاب في تيسير العلم الذي يلزمنا فإن كل مثقف يحتاج لبذل جهد مضاعف في سدّ ثغراته الثقافية، صحيح أن هناك مجالات من العلم هي أكثر إلحاحاً من غيرها في مرحلة معينة، ففي مرحلتنا أرى أن كل علم يتصل بالإنسان والمجتمع واللغة والعقل والبيئة والمفاهيم والتربية وأمثال ذلك لها الأولية، ويجب أن تسير خطوة خطوة مع فهم الإسلام بقوة وعمق وعقل منفتح.

إن ما ندعو إليه هنا هو انتقال يشابه الانتقال من الطب الشعبي إلى الطب الحديث، إنه مثل الانتقال من العمل في غرفة مظلمة إلى العمل في غرفة مضيئة، إن استيعاب العلم نعمة تشابه النعمة التي حصل عليها مرضى السكري بعد اكتشاف الأنسولين، إن البشر سيمكن نقلهم إلى إيمان ناضج يرون بركته في حياتهم، وسيعيشون حياة طيبة كريمة وستتدنى العصبيات والعداوات إلى أدنى حد، صحيح أن الشر لن يزول، ولكنه سيكون على حافة الحياة تماماً كما أن أي مدينة كبيرة ينتج عنها نفايات. صحيح أن ما تحصل عليه حينما تدرس علماً ليس الحق الصافي، ولكن أين الحق الصافي في معرفة الإنسان؟ وإنما حينما توسع دائرة العلم فأنت تقلل من الظلام، فهل يشك أحد في أن هذا خير لديننا وأمتنا؟ فهذا علم الطب علم غير كامل، فهل يعني هذا أن نترك الإفادة مما توافر من هذا العلم؟ وعلم التربية لم يكتمل فهل يعني هذا ألا يتعلم

المدرسون منه شيئاً حتى يكتمل؟ إنه في الحقيقة لن يكتمل، وهكذا بقية العلوم المتصلة بالإنسان والمجتمع لن تكتمل، ولكن هل يجوز أن نترك معلومة صغيرة تفيدنا في تحسين فرص نجاحنا؟ هل يجوز أن نترك معلومة تقصّر الطريق ولو خطوة، أو تقلل المعاناة ولو خطوة؟

إن ما نحتاجه ليس علوم الاجتماع والنفس والتاريخ فحسب، بل عشرات العلوم الأخرى مما يتصل بفهم واسع لما حصل لنا وما حصل لغيرنا، فلا توجد مشكلة تعاني منها المنطقة الإسلامية إلا وقد مرّت الأمم الأخرى في شبيهاتها، ومن العجز العجيب أن نقبل دفع الثمن مرات ومرات بدل بذل الجهد في فهم أوضاعنا وأوضاع الأمم الأخرى في الماضي والحاضر.

لا يجوز أن تبقى معلومة صارت متاحة إلا وتكون تحت تصرف الدعاة

لماذا العلم ؟

إن هناك أمماً كثيرة سبقتنا في العلم، وإن كانوا هم أيضاً لم يحصلوا إلا قليلاً، ولكنهم أمامنا، وتقدمهم يجعل ما ليس جميلاً يبدو جميلاً إذا كان من عندهم، ويجعل ما هو جميل يبدو غير جميل إذا كان من عندنا، ونحن لا نتابع الأمور إلا على وجل وتردد، فكيف سنبدو في عيون شبابنا، هل سنبدو أهلاً للاحترام، وهل سيبدو الدين الذي ندعو إليه أهلاً للاحترام؟ هل نجد في القرآن الكريم أو في السنة أمراً أن نسير في العلم خطوات ثم نتوقف؟ هل نجد أن زيادة العلم شيء خطير على الدين؟ إن ما أجده في القرآن هو بالعكس إنه يحذر من التوقف عند مرحلة من العلم، مثل قوله تعالى: (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) الروم: ٧، أو قوله تعالى: (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) غافر: ٨٣، أو قوله: (وقل ربّ زدني علماً) طه: ١١٤، إن ما تدعو إليه أمثال هذه الآيات مزيد من العلم لا نقص من العلم.

إنه لا يوجد شيء عميق في تركيبنا يمنعنا من طلب العلم بهمة وقوة ومن دون حدود، لأن الشيء الطبيعي أن يصبح العلم أجمل وألذّ ما يطلبه الشباب، كل ما يحتاجه الشاب أن نلغي من قاموسنا أي كلمة تدين العلم أو تجعل الاندفاع نحو العلم خطراً على الدين.

وتعود بعض مسؤولية الخوف من العلم إلى أن أكثر الباحثين في أمور الإنسان والمجتمع لايزالون يعرضون الأمور بقصور وتشويه كبيرين، فقد يجعلون جانباً من الشخصية الإنسانية هي كل الإنسان، يركزون على الجانب الغريزي أو اللاواعي أو العقلاني فحسب، وقد ينفون الحاجة إلى الدين عند الإنسان، وهذا ليس من العلم، بل من نقص العلم.

ومن الخطأ الشائع كذلك ما يظنه كثير من الناس أن المجتمعات التي تكون في حال حضارة، مثل المجتمع الإسلامي في عصره الذهبي والمجتمعات المتقدمة المعاصرة يكون الناس عقلانيين وعلمانيين فيها، بينما الحقيقة أن الإنسان في الغرب كثيراً ما يحب الفن الجامح المنطلق، ويحب العناية بالمتعة بلا قيود، فليست المشكلة هي العلم، بل قلة العلم، هل التعصب الأمريكي ضد الأمم هو علم؟ إنه في الحقيقة من نقص العلم، وهكذا كل جانب سلبي في الشخصية لا يمكن أن يكون نتيجة العلم، فالإنسان حينما تسوء حاله يكون كما وصفه القرآن الكريم: (ظلوماً جهولاً). وقد يكون مما ييسر سبيل الثقة بالعلم أن كثيراً من جوانب النفس الإنسانية التي كانت مهملة كالخيال والعواطف والحاجة الروحية عادت فاحتلت مكانها وصار العلم يهتم بها وبدأ يعطيها قدرها، فبعد أن وصل العلم إلى درجة من النضوج عاد إلى تلك الجوانب من شخصية الإنسان التي كانت مغفلة فبدأ يعترف بها ويعطيها مكانها، وفرق كبير بين من يعترف بجوانب الإنسان المختلفة ويعطيها دورها عن علم ومن يتمسك بجوانب الخيال والوجدان حتى لا يدخل مرحلة العلم، وكأن الجوانب غير العلمية تغنيه عن العلم.

المصيبة أن نشك في حاجتنا إلى العلم ونتردد في قبوله لأنه سيلتهم الدين

إن أمامنا أسئلة صعبة، بل إن أمامنا ولادة فكرية، ولا بد أن يكون لنا مئات وألوف الرجال والنساء ممن يسامون أقوى العلماء في مختلف العلوم، وبخاصة فيما يتعلق بمشكلات الإنسان والمجتمع، هل عندنا عدد من المؤرخين نفخر بهم، ويكفي عددهم ليوازي ضخامة المشكلات التي تواجهنا؟ كيف نخدم الدين من دون علم؟ هل عندنا أجوبة لا نخسر بها ديننا وندخل بها العصر؟ نحن نشكو من أن الناس لا يفهمون هذا الدين العظيم ولا يعملون بموجبه ثم نتردد هل من الأفضل أن نستزيد في دراسة الناس أم لا؟ كيف نفهم الناس إلا من خلال دراسة ماضي البشر وحاضر البشر: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت: ٢٠، (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) الحج: ٤٦.

ليس هناك من مصدر لمعرفة البشر إلا أن نرى البشر وندرس ملاحظات من درسوا البشر، هل هناك من طريق أخرى؟ يقولون إن هذه العلوم كعلم النفس وعلم الاجتماع فيها سمّ في الدّسم، فما الحلّ؟ أن نترك هذه العلوم! إذا كان هذا هو الجواب فليس عجباً ما يصيبنا، وليس عجباً مكاننا على هامش العالم، بل العجب ألا يصيبنا أكثر، نعم إن هذه العلوم تحتوي على أخطاء كثيرة، وأي علم لا يحتوي على أخطاء كثيرة؟ فما الحلّ، كيف يحلُّ الناس مشكلة الأخطاء إلا بالدراسة الجادة أكثر وأكثر؟ ■

فكر

العلمانية والماسونية بين

بقلم: سامي الجيتاوي

إن علاقة الدين بالدولة من القضايا التي شغلت الإنسانية منذ نشأتها، فكانت دائماً موضع اهتمام السياسيين وعلماء الاجتماع والفلاسفة... وقد رافقها فيض من الخلافات والمجادلات.

وقد نشأت الدعوة للعلمانية في أوروبا من خلال الصراع الدائر منذ القرن السادس عشر بين الكاثوليك والبروتستنت من جهة وبين ملوك أوروبا والكرسي البابوي من جهة أخرى... وبين اليهود والمسيحيين من جهة ثالثة... والذي استمر إلى قيام الثورة الفرنسية العام ١٧٨٩ فكانت الثورة الفرنسية الماسونية شبه خاتمة التوتر الذي ساد في الأوساط الشعبية ضد طبقة الأكليروس... إذ إن أول التدابير التي اتخذها الثوار الفرنسيون... هو وضعهم للدستور المدني للأكليروس ومن بنوده:

«وجوب اختيار الأساقفة من قبل الشعب... بدل تعيينهم من قبل البابا ومصادرة أملاك الكنيسة...» ثم جاء إعلان حقوق الإنسان الذي نصت مادته الأولى والثانية على ما يلي:-

المادة الأولى: يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق ... فقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة الثانية: لكل إنسان حق التمتع بالحقوق والحريات كافة الواردة في هذا الإعلان دون أي تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي شيء آخر... فكرّس هذا الإعلان القطيعة بين الدولة الفرنسية والأكليروس... إذ لم يأت على ذكر الدين ... بل أعلن الحرية والإخاء والمساواة بين الناس بما في ذلك حرية المعتقد الديني ... فكان من جراء ذلك أن أعلنت الكنيسة في أواخر القرن التاسع عشر في عهد البابا «لاون الثالث عشر» مبدأ التفريق بين السلطتين الدينية والمدنية ... واستقلال كل منهما في حقل نشاطه وصلاحياته... فميزت بين المجتمع الديني والمجتمع المدني ... باعتبار أن الأول مكلف بالنظام الروحي، والثاني بالنظام الزمني ... وكل منهما سيد في مجال اختصاصه ... كما أعلنت أنه لا يجوز إلزام أحد من الناس اعتناق الدين الكاثوليكي بالقوة ... وتواصل تطور القضية في فرنسا ... حتى استقرت على صفة قانونية أقرّها المجلس النيابي الفرنسي في قانون سنة ١٩٠٥م الذي نصّ على حرية المعتقد وعلمانية الدولة.

فالعلمانية بإيجاز: هي عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد وعن شؤون الإدارة والتعليم والحكم.

لقد عرف اليهود ما للدين من أثر على الأفراد والجماعات... فقد تشتتوا تحت كل سماء وفوق كل أرض ... واندثرت لغتهم أو كادت ... ولكن رابطة الدين اليهودي هي

العلمانية عزل الدين عن الإدارة والتعليم والحكم

التي مكّنتهم من تحقيق حلمهم في استيطان فلسطين... وإليك نبذة من أقوال حكمائهم تبين معرفتهم بما للدين من أثر على الأفراد والجماعات ... وتكشف سر حربهم للدين ... الذي يعلمون أنه وحده القادر على تكتيل الجهود للوقوف كالطود الشامخ في سبيل أطماعهم الخبيثة ...

١ - قال يوسف الحاج - والذي كان ماسونياً ثم خرج منها ... وفضح الماسونية في كتابه الشهير «هيكل سليمان» إذ قال (ص٧٣) ما نصه: «ويشهد الله ... أننا ما قصرنا في شيء من العطف على أبناء إسرائيل طيلة السنين التي خالطناهم فيها في محافل - الحرية ... والإخاء ... والمساواة.

وكم من مرة مشينا وإياهم في نشر المبادئ الإنسانية العامة ... غافلين عما كانوا يدبرونه في الخفاء وبمعزل عنا... للمّ شعثهم وجمع أشتاتهم من أقاصي الأرض للحصول على السيادة العالمية باسم الدين والقومية!! الذين كانوا يظهرون لنا تذمرهم من التمسك بها وأضرارهما بالمجتمع الإنساني ...» ا.هـ.

٢ - وقال يوسف الحاج في ص ١٠٢ - ١٠٣ في كتابه «هيكل سليمان» تحت عنوان: - زبدة المحاضرات والقرارات الصهيونية - ما نصه: - «إن من شأن الإيمان أن تحمل الشعب على الامتثال لنصائح رعاة الرعية المخلصين ... وبهذا الامتثال ينمو الشعب ويترقى بهدوء وسكينة، وتحت إدارة رؤسائه الأتقياء ... ولذلك وجب علينا أن نُقوِّض أركان كل إيمان، وننزع من عقول الخوارج... أي غير اليهود ... الاعتقاد بالله... شاغلينهم بقوانين رياضية وقوانين مادية ... ومتى

أصبحنا أسياداً لاندع في الوجود سوى ديانتنا... التي تنادي بالإله الواحد... الذي يتعلق به مصيرنا... لأننا نحن شعبه المختار!!

ولأن مصيرنا يقرر مصير العالم ... ولذلك علينا أن نلاشي سائر الأديان، فإن أدى عملنا إلى قيام كفرة محدثين فإنهم لا يكونون إلا عنصراً زائلاً... فلا يؤثرون على خطتنا ... إلى أن يقول: وحينئذ يكون وكلاء جميع البلدان يهوداً ومن صنائع اليهود ... ويبدأ العهد اليهودي ... ويبقى كل تنظيم وكل تدبير في أيادي اليهود دون غيرهم ... ويكون الخوارج - أي غير اليهود - حراساً ومأموري تنفيذ ليس إلا ...» ا.هـ.

٣ - ألقى الحاخام - ريجهورن - في اجتماع سري عقده اليهود في «براغ» سنة ١٨٦٩م خطاباً جاء فيه: «شعبنا محافظ مؤمن متدين ولكن علينا أن نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية ...!! فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد... وسنجعل رجال الأديان الأخرى باستهزاءاتنا وتهجمنا عليهم «كما هو حاصل في التمثيليات والأفلام والمسرحيات العربية!!» أضحوكة أولاً... ثم نجعلهم مكروهين ... وسنجعل أديانهم مهزلة ...» ا.هـ.

٤ - ألقى الحاخام - عمانوئيل رابينويج - في مجلس الحاخامات الملتئم في بودابست

المفكر اليهودي عمانويل: بقاء الأديان سيكون خطراً دائماً لكيان حاكميتنا

بتاريخ ١٩٥٢/١/١٢م خطاباً جاء فيه ما نصه: «لانريد بقاء دين فوق الأرض غير ديننا... إذ إن بقاء الأديان سيكون خطراً دائماً لكيان حاكميتنا ... لأن الإيمان بالبعث بعد الموت يقوي معنويات الأشخاص ويعطي الإمكانية لمثل هؤلاء الناس لمقاومتنا ومعارضتنا... فلذا سنفني الأديان ... أما نحن فسنبقى متمسكين بشعار قومنا وهو الشريعة العبرانية الموروثة لنا ...

٥ - جاء في مجلة أكاسيا الماسونية العام ١٩٠٤م... ما نصه: «إن طريقتنا السياسية هي الحرب ضد الأديان وإيجاد حكومات علمانية ...».

٦ - وجاء في المجلة نفسها السالف ذكرها... الصادرة العام ١٩٠٣م ما نصه: «إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة...»

٧ - ولو رجعنا إلى العام ١٩٢٤م ... إلى مؤتمر لوزان ... لرأينا ماذا كان مطلب اليهوديين - حاييم ناعوم(١) واللورد كردون(٢) - من الأتراك نيابة عن الحلفاء ... كي يمنحوا تركيا استقلالها ... إذ كانت مطالبهم:

أ - أن يلغي الأتراك الخلافة الإسلامية.

ب - أن تكون تركيا دولة علمانية ...».

٨ - جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني المنعقد العام ١٩١١م ما يلي: «ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ... وعلينا ألا نألوا جهدنا في القضاء على مظاهرها ...»

هذه بعض الأقوال التي تميط اللثام عن حقيقة الماسونية ... والتي هي الوجه العصري لحقد تلك الحركات الهدامة القيمة على الإسلام ... رفعت الماسونية لواءها في كل مجتمع ابتلي بها ... وغرضها من ذلك هو القضاء على أي دين ما عدا الدين اليهودي ... وعلى المجتمعات والأفراد كجزء من خطة جهنمية ترمي إلى تفكيك عرى المجتمع ... وإثارة البلبلة بين صفوفه ليخر صريعاً تحت أقدام اليهود ... وإن يقيننا الذي لا يتزعزع أن العاقبة للإسلام والمسلمين ... فكل المؤامرات الدنيئة والهجمات الشرسة التي تعرض لها الإسلام قد انتهت واندثرت ... وبقي الإسلام يتحدى ببقائه كل العملاء والمأجورين ... وكما تخطى المسلمون الحركات الماضية وتغلبوا عليها... فهم قادرون على تخطي الحركات الهدامة الحديثة - بعون الله -

(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف: ٢١. ■

الهوامش :

(١) كان عضواً في المجلس الماسوني السامي المصري والمحفل الأكبر الوطني المصري، وحائزاً على الدرجة ٣٣ ... ولد في مدينة مغنيسيا التركية العام ١٨٨٤م وهو من سلاسلة اليهود الذين هاجروا من أسبانيا العام ١٤٩٢م ... وكان من مؤسسي «حزب الاتحاد والترقي» واشترك مع اليهودي الدونمي «أحمد مدحت باشا في اغتيال السلطان عبدالعزيز وكان مع الذاهبين إلى قصر السلطان عبدالحميد ليبلغه أمر التنازل عن العرش... لأنه رفض أثناء مقابلته لهرتزل بيع فلسطين لليهود... وكان دولاب المؤتمرات في استنبول، وفي العام ١٩٢٤م اشترك في مؤتمر لوزان مع صديقه «عصمت اينونو» حيث طالبا بأن تكون تركيا دولة علمانية ... ثم عين سفيراً لتركيا العام ١٩٢٦م - ١٩٢٧م في الولايات المتحدة ... ومن هناك انتدبته المنظمات اليهودية ليذهب إلى الحبشة للبحث عن سلالة سيدنا سليمان «يهود الفلاشا» وعاد بعد ذلك كله إلى القاهرة ... لتنفيذ المؤتمرات الدولية اليهودية... وكان أحد أعضاء المجمع اللغوي في القاهرة...!! «انظر كتاب جهاد ناطق ص ٦١ - ٦٢ لعمر مفتي زادة، وكتاب الخطر المحيط بالإسلام ... ص ٢٤٩ - لجواد رفعت آتلخان».

(٢) اللورد كردون: يهودي بريطاني ... متزوج من يهودية إيطالية ... تعلم العربية في معهد شملان في لبنان ... وعمل في الإدارة البريطانية في حيفا أيام الانتداب البريطاني على فلسطين، ثم انتقل إلى «جاميكا» واسمه الحقيقي: السير هيونوت ... وقد مُنح لقب لورد بعد استقلال الجزيرة ... وهو يتقن العربية ويعرف معظم قرى فلسطين المحتلة ولبنان ... وهو واضع قرار مجلس الأمن الصادر العام ١٩٦٧م وهذا هو سر الغموض فيه. انظر مجلة الصياد اللبنانية العدد (١٤٨٥) الصادر بتاريخ ١ - ٨ آذار ١٩٧٣م.

علم النفس من منظور إسلامي

لايكاد يختلف اثنان على أن الدراسات الإنسانية في الجامعات والمعاهد الإسلامية بوجه عام تقتفي في مناهجها وقضاياها الفكر الأجنبي وبخاصة الغربي منه، ومن يطلع على المؤلفات العربية في موضوعات هذه الدراسات تطالعه تلك الحقيقة المريرة، وهي حقيقة تمثل خطورة كبيرة، لأن كثيراً من هذه المؤلفات يفرض على طلاب الجامعات فرضاً، ومن ثمَّ يتسرب ما يستوعبونه من الأفكار والآراء الأجنبية إلى عقولهم، ليكون جزءاً أساسياً من ثقافتهم، التي تحدد إطار أسلوبهم الفكري وهم في الوقت نفسه يتخرجون في الجامعة ومعرفتهم بثقافتهم الأصيلة، وواقع أمتهم، وما يجري في أقطارها من مشكلات محدود أو شبه معدوم.(١)

بقلم : أ.د. محمد الدسوقي (*)

ويعد علم النفس من أهم العلوم التي تهتم بالدراسات الإنسانية لأنه يتعلق بالإنسان ومشكلاته المختلفة، وهو علم حديث النشأة نسبياً فقد أنشئ أول معمل تجريبي لهذا العلم في ألمانيا العام ١٨٧٩م.

وقد تضاعف الاهتمام بعلم النفس في الغرب في القرن العشرين، وبخاصة في النصف الثاني منه، وتعددت مدارس هذا العلم، كما تعددت آفاقه وفروعه التي كادت تشمل كثيراً من نواحي الحياة الإنسانية.

ولم تتفق كلمة علماء النفس الغربيين على تحديد فلسفة لعلم النفس، فمنهم من يرى أن هذه الفلسفة تتمثل في اكتشاف قوانين كلية مهمة عن العالم والسلوك، ومنهم من يذهب إلى أن الغاية منها هو محاولة حل المشكلات.(٢)

ومادام علم النفس من أهم الدراسات الإنسانية المعاصرة، ومادامت هذه الدراسات، قد وضع أسس نظرياتها علماء غربيون غير مسلمين طوعاً لنتائج بحوث ودراسات أجريت في مجتمعات غربية غير مسلمة لها أساليبها الخاصة في الحياة والتفكير ولها فلسفتها الخاصة في طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة وغايته منها، ولها معاييرها الخاصة في دور الدين في حياة الإنسان(٣)، فإن علم النفس في العالم الإسلامي لا يعبر عن تراث وحضارة هذا العالم، وأن علماء النفس المسلمين في العصر الحديث، قد وقعوا في شرك التبعية العلمية عن وعي أو عن غير وعي، وهيأوا بذلك كل الفرص للطعن في العلم الذي ينتسبون إليه.(٤)

نقد علم النفس

كان وضع علم النفس كما يدرس في الجامعات الإسلامية مثال انتقادات ومآخذ كثيرة من الباحثين المسلمين لهذا العلم، ومع تفاوت بعض آراء هؤلاء الباحثين ومآخذهم تكاد انتقاداتهم لا تخرج عما يلي:

أولاً : إن علم النفس يسوده الاتجاه المادي في تفسير الظواهر النفسية.

ثانياً : سيطرة الفكر «الدارويني» على كثير من بحوث علم النفس وهذا الفكر يعتبر الإنسان سلالة متطورة عن الحيوان.

ثالثاً: إغفال الجانب الروحي من الطبيعة الإنسانية.

رابعاً: استبعاد الدين في دراسة الدوافع لدى الإنسان.

وفضلاً عن هذه القضايا يلاحظ على الدراسات النفسية في الغرب أنها ليست على وعي بالإنسان المتكامل الذي يعيش بحقيقته المتكاملة في دنيا الواقع فانحرف معظمها إلى دراسة أجزاء متفرقة من الإنسان على أنها الإنسان.

وهذه الدراسات مع هذا لا تميز كثيراً بين الحالات السوية والحالات المنحرفة، لأنها فقدت المقياس الذي ترجع إليه لمعرفة الاستواء والانحراف، وعاملت كل شيء على أنه هو الواقع النفسي الذي تستخلص فيه النظريات والتطبيقات، ومن ثم صار الواقع المنحرف الذي يعيشه الناس في الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين هو المقياس الذي تُقاس به النفس الإنسانية، وتصاغ النظريات على أساسه، وهو الصورة الطبيعية السوية التي يتعامل معها العلماء.(٥)

ومن الانتقادات التي توجه إلى علم النفس أنه يستخدم المنهج التجريبي، والنفس الإنسانية لا يمكن إخضاعها للتجارب كما تخضع المادة، فالإنسان ليس جسماً فقط حتى يخضع للعلم كما تخضع الآلة، ولكنه جسم وروح وعقل وقلب وإرادة، ومن قصر النظر أن تنظم الحياة المادية وحدها من غير أن يكون للروح دخل في هذا التنظيم، ومن خطل الرأي أن يشترك في التنظيم العقل وحده دون الاستعانة بالقلب ومن المضحك أن تجرى على الإنسان التجارب التي تجرى على المادة بطريقتها الجافة الحسابية ويكون فيها الإنسان جماداً لا يملك إرادة حرة.(٦)

ويبدو أن عدم تحديد مفهوم التجريب في الدراسات النفسية كان من وراء هذا النقد، وذلك لأن المنهج التجريبي منهج إسلامي وهو في مجال دراسة النفس يحلل خصائص السلوك والأفعال ولا يحلل الأشخاص أو النفس كجوهر لا يمكن إخضاعه كالمادة للتجربة.(٧)

على أن علم النفس مع ما أسلفت من نقد له من قبل كثير من الباحثين المسلمين لا يصدق عليه مفهوم العلم بمعناه الدقيق، أي بمعنى العلم ا لذي تحكمه الموضوعية، والحقائق المجردة من الميول والأهواء، ويبدو ذلك في تعدد الاتجاهات والمدارس الخاصة بهذا العلم، ومدى تأثرها بالثقافة البيئية، والعقائد الدينية، والموجهات السياسية، فمثلاً يعزو بعض الباحثين اهتمام فرويد بالغريزة الجنسية في دراساته النفسية إلى ثقافة العصر الذي عاش فيه، والتي كانت تنظر إلى الجنس نظرة استقرار، وترى أنه يجدر بالإنسان الفاضل أن يقاوم رغباته الجنسية وأن يكبتها، وكان لذلك أثره في توجيه اهتمام فرويد بالجنس بطريقة مبالغ فيها إلى درجة كبيرة بحيث فسر المرض النفسي على أنه ناشيء عن كبت الواقع الجنسي.(٨)

ولعلم النفس السوفييتي خصائص تمثل الفلسفة الماركسية اللينينية، والتي تعرضت لتغيرات عدة منذ قيام الثورة البلشفية وحتى الآن.(٩)

وفي فلسطين المحتلة كما في غيرها من بعض دول العالم مراكز أبحاث للدراسات النفسية خاصة بالدعوة الصهيونية، وبناء الإنسان الصهيوني، مع الاهتمام بالهوية الفلسطينية والتي عجز البطش الصهيوني في فلسطين عن اقتلاع جذورها الإسلامية.

ومع أن علماء النفس المحدثين في المجتمعات الغربية تماشياً مع الاتجاه المادي الذي يغلب على فلسفتهم في الحياة يهملون أثر الدين والنواحي الروحية في الصحة النفسية توجد مراكز بحث علمية مسيحية متخصصة تنظمها فرق من علماء السلوك المسيحيين أو الرهبان المسيحيين، وتهتم هذه المراكز بوضع الخطط الرئيسية المشتركة بين أصحاب جميع العقائد المسيحية،، وكذلك التخطيط لإشراك أكبر عدد من جمهور المسيحيين في النشاط الديني المسيحي والدعوة المسيحية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.(١٠)

إن هذه المراكز تتغيا توظيف علم النفس حماية للعقيدة المسيحية، وتأميناً لمستقبلها.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن علم النفس الغربي يختص بالإنسان الأبيض أكثر من غيره من الشعوب، ليس فقط لأن مجال دراسته كان مقتصراً على دراسة الإنسان الراشد ذي البشرة البيضاء، بل لأن أهداف دراسته خدمة الرجل الأبيض، وهذا يشير إلى الطابع القومي أو الاهتمامات القومية في أبحاث ودراسات علم النفس، وأن هذه الاهتمامات لا تخلو منها هذه الدراسات في مختلف الشعوب والأقطار.(١١)

إن الذي لا مراء فيه أن ثقافة المجتمع وقيمه وفلسفته في الحياة، وتصوره للإنسان والكون ولرسالة الإنسان في الحياة وغايته منها تؤثر في توجيه الدراسات النفسية، وفي تفسير نتائج هذه الدراسات.

وجملة القول: إن علم النفس وجهت إليه انتقادات كثيرة من بعض الباحثين المسلمين، وحتى من بعض الغربيين، وهي انتقادات لا تلغي أو تقلل من جهد العلماء الذين درسوا النفس الإنسانية، وحللوا مشكلاتها، أو عدم الانتفاع ببعض الآراء والنتائج التي انتهى إليها هؤلاء العلماء في أبحاثهم، وإنما مرد تلك الانتقادات من قبل الباحثين المسلمين إلى أن علم النفس وغيره من العلوم الإنسانية التي تدرّس في الجامعات الإسلامية لم تخضع للتحليل النقدي لمعرفة مدى اتفاق مفاهيمها ونظرياتها مع المبادئ الإسلامية، فقد نقلت مقررات هذه العلوم من الجامعات الغربية دون أدنى تفكير في مدى اتفاقها مع مبادئنا وقيمنا الإسلامية، ويرجع ذلك إلى أن الذين تخصصوا في هذه العلوم من المسلمين درسوا في الجامعات الغربية على الأغلب، وتتلمذوا على علماء غربيين، وهم على الأغلب يجهلون تراثهم الإسلامي، أو على الأقل على غير إلمام دقيق به، بسبب ثنائية التعليم التي خرّجت أجيالاً من الدارسين معظمهم لا علاقة له وثيقة بالدراسات الدقيقة للإسلام وقيمه، وهؤلاء هم الذين درسوا في الخارج، وعادوا ليدرّسوا في الجامعات الإسلامية، ومن ثم كانوا عاجزين عن التحليل النقدي لفلسفة العلوم الإنسانية، ومنها علم النفس لمعرفة مدى اتفاقها أو عدم اتفاقها مع مبادئ الإسلام.(١٢)

علم النفس من منظور إسلامي

كان من مظاهر الصحوة الإسلامية التي عرفها العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري الدعوة إلى أسلمة العلوم، وقد عُقدت

ندوات ومؤتمرات وألّفت كتب، وأعدت أبحاث في موضوع هذه الأسلمة، بل إن هناك بعض الدوريات التي تحمل اسم «إسلامية المعرفة» تحاول أن تقدم دراسات في مختلف العلوم من منظور إسلامي من أجل تصحيح المفاهيم، وتوجيه الدراسات والأبحاث وجهة إسلامية حتى يمكن أن يتحقق الحل الإسلامي بمفهومه الشامل.

دعائم العلم في الإسلام

قبل الحديث عن أسلمة علم النفس تجدر الإشارة إلى منزلة العلم في الإسلام، والدعائم التي يقوم عليها العلم في هذا الدين.

إن الإسلام دين العلم بمعناه الشامل، العلم الذي يكفل للإنسان حياة كريمة تخلق بمكانته في الكون ورسالته في الحياة، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تأمر بطلب العلم والتي تبين منزلة الذين يعلمون، وأن الله يرفع درجات الذين أتوا العلم كثيراً، ومن ثم لم يكن الإسلام الذي بعث به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنقاذاً للبشرية من ظلمات الوثنية والضلالة فحسب، وإنما كان إنقاذاً لها من ظلمات التخلف والأمية والجهالة كذلك.

وللعلم في الإسلام دعائم أساسية يقوم عليها أهمها

أولاً: إن العلم في الإسلام غايته تكريم الإنسان وتأكيد معنى عبوديته لخالقه، ولهذا كان الأمر للملائكة بالسجود له، لأن الله منحه القدرة على المعرفة والعلم، وهي قدرة تتيح له أن يعرف بعض آيات الله في كونه فيزداد بالوقوف عليها خشية لله، وصدق الله العظيم إذ يقول: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر: ٢٨، وكلمة العلماء في الآية عامة تنسحب على كل عالم يفقه علماً نافعاً ويعمل به.

ثانياً: إن العلم في الإسلام مطلوب مادام الإنسان قادراً عليه، فليس له مرحلة تعليمية يقف عندها، فهو علم يقوم على الاستمرار في الطلب من المهد إلى اللحد، لأن الأمة التي خاطبها الوحي الإلهي أول ما خاطبها بالقراءة والتعليم (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان مالم يعلم) العلق: ١ ـ ٥، هذه الأمة التي خاطبها الوحي الإلهي بهذه الآيات لن تفارق العلم، لأنها تلازمه ملازمة الظل أو ملازمة الغريم.

ثالثاً: وكما ينهض العلم في الإسلام على دعامة الاستمرار والطلب الموصول ينهض كذلك على الانفتاح على كل الثقافات والعلوم، فهو لا يعرف الانغلاق، ولا يهاب ما لدى الآخرين من فكر وعلم، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها وعند من رآها طلبها.

وإذا كان العلم لا يعرف الانغلاق ويتلمس المعرفة حيث تكون فإنه يكون علماً حياً نامياً متطوراً يلاحق كل جديد ويسهم في تقدم الحياة الإنسانية، ولا ينفصل عن مشكلات الزمان والمكان، وهكذا كان العلم في تاريخنا الحضاري.

رابعاً: يجمع العلم في الإسلام بين الروح والمادة، فليس في هذا الدين مفاضلة بين العلوم، ولا صراع بينها، فكل علم يحقق للإنسان خيراً يدعو إليه الإسلام، ويحض على التعمق فيه.

ولأن العلم في الإسلام ينطلق من عقيدة التوحيد والإيمان بالوحي الإلهي مصدراً للمعرفة الإنسانية كان الصراع منفياً بين العلم والدين، وكان البناء الفكري للعالم المسلم مزاجاً من الجمع بين الروح والمادة، وكان العلم لهذا في خدمة العقيدة والحياة الإنسانية الكريمة.

خامساً: إن العلم بكشفه عن بعض سنن الله في كونه، وبكشفه عن أحكام الله فيما يقع من أحداث ويمارس الإنسان من تصرفات ينبغي إسلامياً أن يكون هادياً لليقين، ومرسخاً للإيمان، وسبيلاً للتطبيق، فالعلم في الإسلام ليس ترفاً عقلياً ولا متعة ذهنية، ولا غاية في ذاته، ولكنه وسيلة للعمل الصالح، وحسن الاستخلاف في الأرض، وتحصيل القوة التي أمر الله بإعدادها إرهاباً لأعداء الله وأعداء الحياة.(١٣)

وتلك أهم دعائم العلم في الإسلام، ومنها يتضح منزلة هذا العلم ورسالته في دنيا الناس، إنها رسالة الطاعة والعبادة والخشية وإعلاء كلمة الله، واستعمار الأرض بالخير والبر واحترام آدمية الإنسان.

تكريم الإنسان

الإنسان أكرم مخلوقات الله، فقد خلقه في أحسن تقويم، وسخّر له كل ما في الكون، وهداه النجدين، وأرسل إليه الأنبياء لتذكيره بما يجب عليه نحو خالقه، حتى لا يضل ولا ينسى، فتكون عاقبة أمره خسراً، إنها رحمة الله بالإنسان، رحمة سابقة تتجاوز عن الهفوات والسيئات، وتفتح باب الأمل في فضل الله، لأنه سبحانه يغفر الذنوب جميعاً، قال الله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) الإسراء: ٧٠.

وبنو آدم في الآية يشمل الرجال والنساء، فالتكريم للإنسان ذكراً أو أنثى، وقد أومأت الآية إلى طرف مما أنعم الله به على هذا الإنسان المكرم، فقد يسرالله له وسائل الانتقال في البر والبحر، لينتفع بما أودع الله في الأرض والبحار من خيرات، وليعتبر بما كان من الأمم التي بغت وأفسدت، وما آل إليه مصيرها، ولينظر في سنن الله في كونه، حتى لا تهجم عليه وساوس الشيطان، أو يقع فريسة لكل من يزين له الانحراف والفساد.

كذلك أغدق الله على الإنسان الطيبات من كل شيء، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، فلا غرو أن كان هذا الإنسان مفضلاً على كثير ممن خلق المولى سبحانه تفضيلاً.

إن الإنسان بنيان الله، خلقه من صلصال كالفخار، ونفخ فيه من روحه، ومنحه عقلاً يميز به بين الخير والشر، والحق والباطل، والنافع والضار، وأعطاه إرادة ليختار ما يطمئن إليه فؤاده، وبهذا كله كان مكلفاً ومسؤولاً ومحاسباً على ما قدمت يداه.

وحديث القرآن والسنة النبوية عن الإنسان حديث طويل، لذا يمكن القول من دون إسراف إن النص الشرعي كله موجه إلى الإنسان وهذا النص يكشف بجلاء عن خصائص الإنسان النفسية والعقلية والمادية، وأسباب سعادته وشقوته، ووسائل شفائه مما يلم به من أمراض عضوية أو غير عضوية، وسوى ذلك مما يكفل للإنسان حياة سوية تلائم فطرته، وتؤكد كرامته، وتدفع عنه كل ما يهبط بمنزلته، أو ينال من رسالته في الحياة.

علم النفس من منظور إسلامي

يتضح من النقد الذي وجه إلى علم النفس كما يدرس في الجامعات الإسلامية الآن، وما أشرت إليه عن منزلة العلم وأهم دعائمه في الإسلام، وتكريم الله للإنسان أن هذا العلم بقيمه وفلسفته الأجنبية لا يلتقي مع قيمنا الدينية، وهويتنا الثقافية، وميراثنا الحضاري وأنه في سبيل هذا أقيمت بعض الندوات، وصدرت بعض الدراسات حول إسلامية علم النفس، وحاصل الآراء في موضوع هذه الأسلمة يتناول ما يلي:

أولاً : تحديد أهداف علم النفس من منظور إسلامي.

ثانياً : النظرة الإسلامية للإنسان.

ثالثاً : وجوب التعاون بين فقها ء الشريعة وعلماء النفس في التأصيل الإسلامي لعلم النفس.

أما تحديد أهداف علم النفس من منظور إسلامي فإن هذه الأهداف لا تخرج عن مهمة العلم في الإسلام، وهي مهمة جليلة تسعى للكشف عن سنن الله وآياته في خلقه، ليزداد المؤمنون بذلك إيماناً، وليستطيعوا مقاومة الضلال والانحراف عن طريق الله بالحجة الدامغة والكلمة الفاصلة والموعظة الحسنة، كما أن من مهمة العلم في الإسلام الانتفاع الأمثل بما أودع الله في الكون من نعم، وكذلك حل كل المشكلات التي تعترض طريق الإنسان، حتى يظل أهلاً لرسالة الاستخلاف في الأرض.

ويمكن القول إن الأهداف المباشرة لعلم النفس من منظور إسلامي تدور في نطاق الكشف عن المبادئ والقوانين التي تنظم سلوك الإنسان في الحياة وفق مشيئة الله تعالى، ومعرفة المنهج الصحيح لحياته وفق هذه القوانين الإلهية ما يحقق له السعادة في الدارين، ثم معرفة أسباب انحراف الإنسان عن الحياة المثلى السوية، ما يسبب له القلق والشقاء والمرض النفسي.(١٤)

إن تحديد الهدف لكل عمل أو نشاط ذهني أو بدني يضبط هذا العمل، ويحول دون بذله في غير غاية واضحة، ويسدد خطاه نحو الهدف المنشود، وعلم النفس إذا حدد هدفه بما أومأت إليه آنفاً يصبح علماً إسلامياً يحمي الحياة الإنسانية من غوائل المادية والمفاهيم التي تنأى بهذه الحياة عن شرع الله.

ويطول الحديث عن النظرة الإسلامية للإنسان، لأن النص الشرعي جاء كله خطاباً له، وبياناً لما يجب عليه ويسأل عنه، ويكفي هنا أن الإسلام وهو دين الفطرة لا يرى الإنسان جسماً فقط ولا عقلاً فقط ولا روحاً فقط، ولكنه كل متكامل من هذه العناصر جميعاً.

إن طبيعة الإنسان ذات أبعاد ثلاثة: الجسم والعقل والروح، وبقدر ما بين هذه الأبعاد الأساسية لشخصية الإنسان من توافق وانسجام يكون تكامل شخصية الإنسان ويكون تقدمه وسعادته.

يقول الله تعالى: (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ص: ٧١ ـ ٧٢.

تدل هذه الآية على أن الإنسان كائن متفرد في كل ما نعلم من مخلوقات هذا الكون التي تمثل طبيعة واحدة ذات وجهة واحدة، على حين أن الكيان البشري كيان مزدوج الطبيعة، فالإنسان قبضة من طين ونفخة من روح الله، أما الحيوان حتى في أعلى درجاته التي تشابه الإنسان في تركيبه الجسماني فهو مخلوق ذو طبيعة واحدة تتحدد بحدود الجسد والغرائز والتصرفات الغريزية.

أما الملك ـ كما حدثنا القرآن عنه ـ فهو مخلوق ذو طبيعة واحدة وذو اتجاه واحد، مخلوق يعيش في نطاق روحه ويطيع توجيهاته بلا إرادة ذاتية ولا تصرف ذاتي.

ولأن الإنسان وحده ـ فيما نعلم من الكائنات ـ هو الكائن المزدوج الطبيعة القادر على أكثر من اتجاه كانت حياته مزاجاً من المادة والروح، وكان بنعمة العقل يقيم التوازن بين قبضة الطين ونفخة الروح، فلا تطغى هذه على تلك أو العكس.(١٥)

وبنعمة العقل التي يتحقق بها التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي في الكيان الإنساني يتحقق بها أيضاً اختيار أحد الطريقين، طريق الخير وطريق الشر، قال الله تعالى: (ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها) الشمس: ٧ ـ ١٠.

وإذا كان الإنسان لديه الاستعداد الفطري لتمييز الخير من الشر فإنه يميل فطرياً إلى فعل الخير، ويشعر بالارتياح لفعله، كما يميل فطرياً إلى تجنب الشر، ويشعر بعدم الارتياح وعدم الرضا لفعله، وقد روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يشير إلى هذا بقوله: «استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»(١٦).

ولا مراء في أن التصور الإسلامي للإنسان، وأنه خيِّر بالفطرة يرفض رأي فرويد وغيره من علماء النفس الذين يذهبون إلى أن في الإنسان ميلاً فطرياً إلى العدوان والشر، كما لا يقبل رأي بعض علماء الاجتماع وعلماء الجريمة الذين يذهبون إلى أن بعض الأفراد يولدون مجرمين بالوراثة.

صحيح أن فطرة الخير لدى الإنسان قد تقع تحت تأثير بعض العوامل التربوية والاجتماعية غير الملائمة مما يطمس فيه استعداده الفطري للخير ويغرس فيه بذور الشر والعدوان، ويدفعه إلى فعل الشر وارتكاب الجريمة، وهذا شيء، وما يقول به بعض علماء الاجتماع حول ميراث الجريمة شيء آخر.

إن الإنسان في الإسلام روح ومادة وعقل وإرادة، وفطرته تجنح إلى الخير وتهش له، وتؤثر في سلوكه ظروف التربية والبيئة، وكل علاج لمشكلات هذا الإنسان لن تحقق الصحة النفسية أو الشخصية السوية إلا إذا راعت كل خصائص الإنسان المادية والروحية والعقلية.

ولأننا في عصر لا يقيم للنظريات والآراء المجردة وزناً، وإنما يحترم النظريات والآراء إذا عرفت طريقها للتطبيق، وكانت في صورة منهجية علمية في تناول القضايا وتحليلها ووضع الحلول العملية لها.

وعلم النفس من منظور إسلامي لا يكفي فيه أن نؤكد أن الإسلام قد جاء بالقيم والمفاهيم التي تحفظ على الإنسان فطرته وآدميته

وكرامته، وأن نصوص هذا الدين وضحت المبادئ القويمة التي تحمي الفطرة الإنسانية، وترسم لها طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، وإنما يجب أن تصبح مفاهيم الدين وقيمه في مختلف مجالات الحياة في صورة دراسات منهجية مؤصلة ترتبط بالواقع وتأخذ بكل جديد نافع من المعرفة دون نظر إلى مصدره أو قائله. إن المنظور الإسلامي لعلم النفس لا يعني سرداً للنصوص وشرحها، والأخذ بالأسلوب الخطابي الذي يحرك المشاعر والوجدان، ولا يثير الفكر والعقل، وإنما يعني توظيف النصوص وما اشتمل عليه تراثنا العلمي من آراء في النفس الإنسانية من أجل تأصيل القواعد والمبادئ لهذا العلم حتى يمكن أن نقدمه لأهل الذكر، وعلماء النفس في كل الجامعات والمعاهد العلمية، ونستطيع أن نرفع الصوت عالياً بأن لدينا علماً للنفس يفوق ما لدى الآخرين، فكراً وتأليفاً.

إن من يتصدى للتأصيل الإسلامي لعلم النفس يجب أن يكون متمكناً من هذا العلم تمكناً تاماً، وعلى معرفة شاملة ودقيقة بموضوعات هذا العلم وتطوره التاريخي ومناهجه في البحث وإسهاماته ونتائجه ونظرياته والمشكلات التي تجري حولها البحوث في الوقت الحاضر.

ولما كان علم النفس الحديث قد تشعب إلى فروع وتخصصات كثيرة يصعب على عالم واحد أن يتمكن منها جميعاً تمكناً دقيقاً، فقد أصبح من الضروري أن يشترك في التأصيل الإسلامي لعلم النفس فريق من علماء النفس المتخصصين في مجالات التخصص المختلفة في الجامعات الإسلامية.

ومن الضروري أيضاً أن من يتصدى للتأصيل الإسلامي لعلم النفس أن يكون على معرفة دقيقة بالأصول والمبادئ الإسلامية، حتى يستطيع أن يبحث عما يوجد في هذه الأصول من موضوعات تتعلق بموضوعات علم النفس.

ولما كان علماء النفس في الأغلب غير ملمين إلماماً كافياً بالأصول والمبادئ الإسلامية، فإنه يصبح من الضروري أن يستعينوا بالعلماء المتخصصين في الشريعة. وأصول الفقه ليقوموا بمهمة الكشف عما يوجد في الأصول الإسلامية من موضوعات تتصل بموضوعات علم النفس.(١٧). إن التعاون بين علماء النفس وعلماء الشريعة ضرورة حتى يمكن الوصول إلى تقديم تصور علمي مبوب لقضايا علم النفس من منظور إسلامي، ودراسة هذه القضايا وفق منهج مقارن يوازن بين الاتجاهات والمدارس المعاصرة لعلم النفس وبين القيم الإسلامية والإسهامات العلمية لكثير من المفكرين المسلمين من علماء الكلام والمتصوفة والفلاسفة والفقهاء في الدراسات النفسية وذلك لتوضيح الخصائص العامة لعلم النفس من منظور إسلامي، وتقديم الدراسات النقدية التحليلية لعلم النفس المعاصر على ضوء مبادئ الإسلام.

إن تلك المبادئ الثلاثة: تحدد أهداف علم النفس من منظور إسلامي، والنظرة الإسلامية للإنسان، والتعاون بين فقهاء الشريعة وعلماء النفس، ومراعاة الأخذ بالدعائم الأساسية للعلم في الإسلام يمكن أن ينتهي بالجهد العلمي في مجال التأصيل الإسلامي لعلم النفس إلى دراسات تكشف بجلاء عن المنظور الإسلامي لهذا العلم، وهو منظور يدرس الإنسان روحاً وجسماً وعقلاً، ويلتزم بالقيم الإسلامية التي تكرّم الإنسان، وترسم له طريق فلاحه وسعادته في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الناس لرب العالمين.

إن هذا المنظور الإسلامي يكفل للإنسان الاطمئنان والأمن في النفس، كما يكفل له الصحة النفسية الحقيقية التي تقود حياته نحو العطاء الطيب والعمل الصالح. ■

(*) أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول ـ كلية الشريعة ـ جامعة قطر

الهوامش:

١ ـ انظر: بحوث المؤتمر الأول للاجتماعيين العرب حول الأسس الاجتماعية في الوطن العربي (١/١٥١) ـ الجمعية العراقية للعلوم الاجتماعية ـ بغداد.

٢ ـ انظر: نحو دستور عمل لعلماء النفس المسلمين للأستاذ الدكتور عبدالحليم محمود، ندوة علم النفس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٣ ـ انظر: منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس للأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي ـ أبحاث ندوة علم النفس ـ ص ٣٢١ ـ المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٤ ـ انظر: نحو وجهة إسلامية لعلم النفس للأستاذ الدكتور فؤاد أبو حطب ـ ص ١٦١ ـ المصدر السابق.

٥ ـ انظر: دراسات في النفس الإنسانية للأستاذ محمد قطب ـ ص ١٤.

٦ ـ انظر: الإسلام نظام إنساني للدكتور مصطفى الرافعي ـ ص ٤٩.

٧ ـ انظر: نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ـ ص ١٥٧.

٨ ـ انظر: منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس ـ ص ٣٢١.

٩ ـ انظر: نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ص ١٦٧.

١٠ ـ انظر: نحو دستور عمل لعلماء النفس المسلمين للأستاذ عبدالحليم محمود ـ ص ٧٩ ـ وما بعدها ـ كتاب ندوة علم النفس.

١١ ـ انظر: نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ـ ص ١٥٧.

١٢ ـ انظر: منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس ـ ص ٣٢٢.

١٣ ـ انظر: دعائم العقيدة في الإسلام: للكاتب، ص ٧٧ ط. كلية الدعوة الإسلامية ـ ليبيا.

١٤ ـ انظر: منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ص ٣٢٦، مرجع سابق.

١٥ ـ انظر: دراسات في النفس الإنسانية ص ٤١ ـ ٤٢.

١٦ ـ رواه الإمام أحمد.

١٧ ـ انظر منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس ص ٣٣٧.

دراسات

الإدارة الإسلامية

بقلم : مطلق القراوي

مدير إدارة التطوير والتدريب في وزارة الأوقاف

خلق الله تعالى البشر منذ خلق آدم عليه السلام على نمط تنظيمي معين يكفل لهم استمرار الحياة ورغد العيش... ويتخذ هذا النمط أشكالاً عدة تبدأ بالفرد ثم بالأسرة فالمجتمع والأمة وتنتهي بالدولة التي تمثل نظاماً إدارياً متكاملاً يعيش تحته مجموعة من البشر... كما توجد من خلال هذه المراحل علاقات عدة ومستويات معيشية مختلفة تقوم على أساسها عملية التعايش والتكافل بأسلوب تعاوني يدار بشكل متوازن خلال هذه المتسويات بما يحقق الهدف المنشود والغاية المطلوبة.... وقد بين لنا القرآن الكريم هذه الصورة في قول الله عز وجل (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) الزخرف: ٣٢. لذا فإننا نجد ـ في ذلك ـ أن الإدارة ليست علماً مستحدثاً بل هي سلوك إنساني وجد مع وجود البشر على هذه الأرض، حيث فطر عليه الإنسان وتداوله لا إرادياً إلى أن تم تنظيره وتقنينه وإخراجه كعلم إنساني يخدم البشر.

ما الإدارة ... ؟

عرف المتخصصون الإدارة بتعريفات شتى... فقد عرفها الدكتور محمود عساف في كتابه (أصول الإدارة) مسترشداً بالآية الكريمة السابقة بقوله: «إن الإدارة هي الهيمنة على الآخرين لجعلهم يعملون بكفاءة لتحقيق هدف منشود»... وعرفها الدكتور مدني علاقي في كتابه «الإدارة» (بأنها العملية الخاصة بتنسيق وتوحيد جهود العناصر المادية والبشرية عن طريق تخطيط وتنظيم وتوجيه ومراقبة هذه الجهود من أجل تحقيق الأهداف النهائية)... ومهما تعددت هذه التعريفات فإن الإدارة لا تعدو عن سلوك معين يوجه كل الجهود المادية والبشرية للوصول إلى الهدف... فهي علم وفن، علم بما يحتاجه الإداري من معرفة إدارية واطلاع على أدوات التحليل والقياس... وفن يؤديه الإداري من خلال مهارات وقدرات فنية متميزة تساعده في تحقيق الهدف.

الإدارة الإسلامية

يقول الإمام حسن البنا في رسائله (الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً: فهو دولة ووطن... أو حكومة وأمة... وهو خلق وقوة... أو رحمة وعدالة... وهو ثقافة وقانون... أو علم وقضاء... وهو مادة وثروة... أو كسب وغنى... وهو جهاد ودعوة... أو جيش وفكرة.... كما أنه عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء).

فالإسلام احتوى جميع أمور الحياة منذ أن بدأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعوته في مكة، بدأ بالإدارة المتميزة التي تحكمها تعاليم الدين وأخلاقه وينتهجها الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بصورة جعلت من هذه الزمرة البسيطة في بداية الدعوة دولة تحكم الأرض من مشرقها إلى مغربها... حتى إن العالم بأسره أقر تميز الإدارة الإسلامية بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه، وأشاد بها من خلال الدراسات والأبحاث المتخصصة.

خصائص الإدارة الإسلامية

تتميز الإدارة الإسلامية بخصائص عدة منشؤها الدين الإسلامي وتحكمها قواعده وسلوكياته... نذكر منها ما يلي:

١ ـ الدافعية الدينية:

وهي منطلقة من مبدأ الثواب والعقاب في الإسلام حيث يقول الله عز وجل: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة: ٧ و٨. فالمسلم سواء كان رئيساً أو مرؤوساً يدير عمله في ظلال هذه الآية الكريمة يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه... يقوده إلى ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم... في إخلاصه له تعالى (إنما الأعمال بالنية....) متفق عليه.

وفي همته القوية (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...) رواه مسلم، وفي أدائه المتميز (إن الله ـ تعالى ـ يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) رواه البيهقي

٢ ـ حسن الخلق :

وهو خير ما تتميز به الإدارة الإسلامية بعد الإخلاص، حيث التعامل مع البشر يحتاج إلى معرفة النفوس والتعامل معها بالتي هي أحسن... حتى وإن تطلب العمل الشدة فإن ذلك يكون في حدود الخلق الحسن، فحسن التعامل... وإحسان الظن... والابتعاد عن الاخلاق الذميمة والألفاظ البذيئة أسلوب يساعد بشكل كبير على حسن الأداء ونجاحه... حيث يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيّ) رواه أحمد والبخاري في الأدب.

٣ ـ الثقة :

وهو مصدر القوة في العمل... فإن تزعزت أنهار العمل وتشتت الجهود... فتظهر الصراعات التي تدفعها النوايا السيئة... وتطغى المشاحنات على جميع وسائل الحوار... حتى تغلق جميع المخارج في وجه جهود الإصلاح والوصول إلى الغاية، فالثقة المتبادلة بين القائد والمرؤوس هي السند الفعلي لسريان العمل وتحقيق النتائج المطلوبة.

٤ ـ التواضع:

يقال... من تواضع لله رفعه فالتواضع واجتناب الكبر ميزة في التعامل الإسلامي بكل أشكاله بما فيه التعامل الإداري... والتواضع هنا ليس الخضوع والمسكنة... بل هو من متطلبات المحبة الإسلامية التي قام عليها الرباط الروحي الإسلامي وجمع بها الرسول صلى الله عليه وسلم شمل المسلمين وجعلهم على قلب رجل واحد... فيقول عز من قائل (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح: ٢٩...

فقوة الشخصية مطلوبة والجد في العمل واجب لكن التواضع المصحوب بالرحمة والرأفة يؤدي إلى زيادة التفاعل وحب العمل وتحقيق الأهداف.

٥ ـ العدالة :

وبها تحفظ الحقوق وتؤدى الواجبات... فالإدارة الإسلامية تأصل هذه الخاصية التي يدعو إليها الإسلام ويحفظ بها حقوق العاملين، كما أنها تقر المساواة في الحقوق والواجبات على كل مسلم، وترفض التفرقة والمحاباة حتى في أعلى مستوى... فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حق من أراد أن يشفع لإحدى النساء عندما سرقت «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد!! وايم الله، لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت، لقطعت يدها» متفق عليه.

٦ ـ الشورى:

يقول الله عز وجل واصفاً عباده المؤمنين (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) الشورى: ٣٨... فقد ربط الله عز وجل الشورى بالإيمان وحسن العبادة... وأعطاها منزلة عظيمة بأن جعلها كذلك صفة خاصة للمؤمنين... وهذا ما تميزت به الإدارة الإسلامية فأقرت مبدأ المشاورة واتساع قاعدة اتخاذ القرار حتى يكون القرار أكثر سلامة وصحة، يقول أبو هريرة رضي الله عنه «ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم» رواه الترمذي. ■

دراسات قرآنية

التربية الأسرية العملية من خلال سورة يوسف عليه السلام

٢ / ٢

استعرضنا في الحلقة السابقة دور تفاعل الأب مع ابنه يوسف، وحسد الأخوة الذي كاد أن يودي بحياة أخيهم في الجب، ثم استمرارهم في كتم الحقيقة أمام أبيهم ظناً منهم أن الحقيقة ماتت، كما استعرضنا معاناة الأب لفقده ابنه الصغير، ثم انتقال يوسف من الجب العميق إلى بيت العزيز، ثم ما حدث معه من فتنة الجنس بعد أن تخطى محنة الصبر الأولى، فإذا به ينتقل من الجب إلى السجن، وهناك يمارس الدعوة في دور تعبير الرؤيا للملك في طريق الخلاص ليوسف من المحنة الأخيرة :

بقلم : محمد نور سويد

١٥ ـ ثم يأتي المشهد الذي ينتظره كل سجين بإذن الخروج منه، إلا أننا نشاهد يوسف يفاجئ الناس في السابق واللاحق، فلا يخرج حتى تصدر شهادة البراءة من أعلى سلطة في الحكم، ألا وهو الملك الذي فُسّرت رؤياه، وأصبح في شوق للتعرف على مفسر رؤياه، بعد أن أدبه الله تعالى في السجن بضع سنين، وهنا لم تجد امرأة العزيز مهرباً من الاعتراف بالحق والحقيقة التي غابت سبع سنين، نتج عنها قطع الحرية عن أحد أفراد الشعب ظلماً وعدواناً، وإيمان رجلين في السجن: (وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليهم(٥٠) قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين (٥١) ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين (٥٢) وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم (٥٣) قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم (٥٥).

ولكن الرسول ﷺ يضيف أمراً آخر،: (ففي المسند والصحيحين من حديث الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي) وفي لفظ لأحمد: (لو كنت لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر) وروى وهكذا يفتي رسول الله ﷺ لأمته بالمسارعة للخروج من السجن من دون إذن التبرئة، كما يسمح باتباع يوسف في تقواه في طلب التبرئة حتى يتم الخروج، وهكذا تصبح التربية القرآنية والنبوية تدور مع الضعيف بالفتوى، وتفتح المجال أمام الهمم العالية في تحقيق التقوى، وبذلك تصبح تربية واقيعة في الفتوى ومثالية في التقوى، وهذا لا يتحقق في أي مبدأ تربوي أو عقدي في الوجود إلا في التربية القرآنية والنبوية. ومن هنا يتعلم الأبوان أن تربية أولادهم تدور بتحقيق الحد الأدنى وهو الفتوى وذلك بتعويد أولادهم إقامة الفرائض ثم الواجبات، ثم ترقية من يترقى إلى التقوى وذلك بتعويدهم إقامة السنن والمستحبات:

١٦ ـ ثم يصبح سيدنا يوسف مستشاراً خاصاً للملك، بعد أن نصره الله على إخوته وامرأة العزيز، وهكذا يمتحن الله عباده المؤمنين بالبلاء، ليظهر معدن صدقهم ولينكشفوا أمام الملأ الأعلى والملأ الأدنى على حقيقتهم، فيحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، وتلك حكمة الله تعالى في جميع خلقه: (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين (٥٤) قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم (٥٥) وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٥٦) ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون (٥٧).

ونستفيد من قوله: (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) صفات التربية القيادية، فنحتاج أن نربي قادة المستقبل بتوفير صفتي العلم والحفظ والأمانة، وبخاصة في القيادة الاقتصادية التي تحتاج إلى أمانة شديدة، وفي قصة طالوت زيادة أمر آخر يجب توافره في القائد العسكري والسياسي ألا وهو قوة الجسم (وزاده الله بسطة في العلم والجسم) فأصبح لدينا ثلاث مقومات تربوية لتكوين القادة:

١ ـ قوة الجسم فضعيف الجسم لا يقوى على تحمل المسؤلية، لأن القيادة فيها نوع من الإرهاق الجسمي.

٢ ـ العلم والتخصص في الميدان القيادي المنوط به. إذ الجاهل سيصبح ألعوبة لمن هو دونه، أو دمية في الخصوم.

٣ ـ الحفظ والأمانة: إذ الناسي سيضيع أشياء كثيرة، وغير الأمين سيسيل لعابه في الخيانة ضد الأمة، وسينفذ إليه الخصم في شراء ذمته.

١٧ ـ وشاءت قدرة الله أن يحتاج إخوة يوسف للطعام فيسافرون إليه، للحصول على تموين الغذاء من مستشار الملك، وهنا تخبرنا الآيات كيف استدرج يوسف إخوته لإحضار والده، بوساطة خطة محكمة مع جنوده، وذلك بتزويدهم بالغذاء وبرد بضاعتهم إليهم، حتى

يحضروا له أخاهم من أبيهم، وهنا نعلم أن إخوة يوسف الذين كادوا له لم يكونوا إخوة أشقاء، وإنما إخوة لأب، وهنا نحصل على معلومة جديدة أن الغيرة تكون أكثر من إخوة لأب منها لإخوة أشقاء، وهذا يعني أن يتنبه كل معدد في الزواج لمكر الزوجات بعضهن مع بعض، وكذلك مكر أولادهن بعضهن لبعض، وكان ذلك واضحاً للأب يعقوب منذ البداية عندما أمر ابنه الصغير أن لا يحدث إخوته برؤياه: (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (٥٨) ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين (٥٩) فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون (٦٠) قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون (٦١). فذهبوا بالبضاعة والغذاء وهم فرحون مستبشرون، وهم لا يدرون خطة يوسف بأنه لم يأخذ منهم ثمناً، فأرجع لهم بضاعتهم مع الغذاء. (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون (٦٢). وقد تحققت خطة يوسف باستدراجه لإخوته بتكريمه لهم، وعدم أخذه بضاعتهم ثمناً لما قدمه لهم، فيرونه كريماً محسناً، ترغيباً لهم في العودة إليه معهم أخيهم لكرمه: (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون (٦٣). وهنا يجدر الوقوف عند أمر يوسف: (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) لماذا لم يبادر يوسف لتعريف إخوته به، ولم يوصل خبره لوالده بسرعة؟! صحيح إن يوسف يتصرف هنا كرسول ونبي، فإذاً الأمر لم يكن عبثاً في تأخير يوسف لكشف هويته لإخوته، فما الحكمة التربوية المستفادة من ذلك؟ فيما يبدوا لي أنه أراد تربية إخوته تربية عملية واقعية يذوقون فيها الألم، لما جنته أيديهم معه، ولو أنه بادرهم بمعرفته لبقوا مستعلين عليه، ولبقيت نفوسهم مريضة بالحسد والغيرة، بل لربما زادت. فالأمر التربوي مقدم على العاطفة والحب والأخوة والبنوة، أرأيت كيف تسقي الأم الحنون ولدها الرضيع الدواء المر، والطفل يبكي بين يديها، وهكذا الأمر التربوي، فهو مقدم على المشاعر، لأنه سيبني الولد ويضعه في الطريق الصحيح. كثير من الآباء يظن أن إيقاظ طفلهم لصلاة الفجر بعيد عن الحب، وأنه قسوة على الطفل، لست أدري أهم أرحم من رسول الله ﷺ الذي وصفه الله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقوله تعالى: (بالمؤمنين رؤوف رحيم). ولما يوقظن أطفالهن للذهاب إلى المدرسة ليتعلموا علوم الدنيا، ولا يوقظونهم لعلم الدنيا والآخرة؟! إنه تناقض في التفكير، وتسيب في التطبيق، وعدم إدراك أهمية التربية الصحيحة.

أما بقاء كتمانه أمره عن والده، فهو أن يوسف يعرف أن والده نبي يتحمل ألم الفراق شيئاً قليلاً، بالإضافة إلى إرساله بعض الإشارات التي وصلت إلى والده مما زادت في تفاؤله إلى لقائه.

١٨ ـ وهنا يعرض القرآن الحوار مجدداً بين الأب وأبنائه المشكوك في نواياهم، إذ جرح فقدان يعقوب لابنه الصغير ما زال يؤثر في نفسه، لذلك قدموا لوالدهم الحجة التي مهد لها يوسف، بكرمه وتكريمه لهم، وسخائه عليهم: (قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين (٦٤) ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير (٦٥).

وأمام ضغط الواقع يطلب الأب من أبنائه موثقاً من الله تعالى بأن يحافظوا على أخيهم من أبيهم: (قال لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل (٦٦).

١٩ ـ ثم يبين القرآن حقيقة أن: (العين حق) (٣)؟ وأن تأثير الحسد أو عدمه هو بإذن الله، وهذه المشكلة تنتاب الأسر جميعها، وعلى الأخص الأسر ذوات الأولاد الكثر، وقد نزلت المعوذتان لحل المشكلة، فكان رسول الله ﷺ يقرأ بهما مع سورة الإخلاص ثلاثاً وينفث على يديه ويمسح بهما ما وصلت يداه إلى جسده الشريف وذلك كل ليلة قبل النوم، وذلك تعليماً لنا: (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون (٦٧) ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦٨). وهنا نلاحظ أن تدبير الأب كان سبباً في إظهار مطلب ولده يوسف؛ بحيث أعانه على الخلوة بأخيه؛ وإخباره بحقيقة الأمر: (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون (٦٩). وهنا نستفيد بضرورة كشف الحقيقة أمام الأخ البريء وذلك حتى لا ينتابه الخوف والذعر، وأما الأخ المتآمر فلابد له من التأديب وهذا ما فعله يوسف.

٢٠ ـ ثم تستعرض الآيات التخطيط الهادف البريء، بإحكام خطة عملية واقعية، ليأخذ يوسف أخاه، وأن الحاكم والقاضي يحتاجان لوسائل غير اعتيادية لإظهار الحق، وذلك حتى يفاجئ الباطل فيقر بذنبه، فيتوب عن فعلته، وأن الأسلوب المادي في القضاء خير دليل على إقامة البينة، ثم نستفيد أمراً تربوياً من يوسف حيث لم يتسرع في تسمية العقوبة، وإنما أخذها منهم، ليكون أدعى لإقامة الحق والعدل، وحتى لا يعودوا عليه بالتبرير: (فلما جهّزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون (٧٠) قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون (٧١) قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم (٧٢) قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين (٩٧٣ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين (٧٤) قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين (٧٥). وهنا نلحظ التخطيط المحكم ببدئه بتفتيش أوعيتهم حتى يفرحوا ببراءتهم ومن ثمَّ يسهل عليهم تطبيق نتيجة الحكم: (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه). ثم تختم الآية بأن ذلك كله بتدبير من الله تعالى، وليس من عبقرية يوسف، كما قال لنبيه محمد ﷺ عن رميه للتراب في وجوه المشركين ببدر: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فجاء البيان عن خطة يوسف: (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم (٧٦). ثم يعود الحوار بين يوسف الحاكم وبين إخوته، فنلحظ ضبط يوسف لأعصابه، وأنه لم يكشف أمره رغم التهمة الكبيرة التي وجهها إخوته لأخ لهم رموه في غيابت الجب، ونجد يوسف ينبه إخوته إلى ضرورة تذكر الخوف من الله، وأمام ظاهرة عدم انصياعه للظلم مرة ثانية، بأن يأخذ أحد الإخوة مكان الذي وجد متاعه عنده، فيكرر يوسف: (معاذ

الله) كما قال لامرأة العزيز ذلك لما دعته، إنه درس إيماني عملي في كيفية مواجهة الدعوة إلى المعصية، بالاستعاذة بالله تعالى: (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون (٧٧) قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين (٧٨) قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون (٧٩). ونريد أن نقف محللين لحال الإخوة: (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) فقد تنصل الإخوة من أخيهم لأب، وبكل جرأة اتهموا أخاهم من قبل بالسرقة وهو بريء، فهذا يدل على غطرستهم في الباطل، فهم يحتاجون لمزيد من التأديب، لذلك (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون). ثم نرى مشهداً شورياً بين الإخوة، وفي هذه المرة يكون العرض صحيحاً وسليماً، لأن الأمور بدأت تتعقد أمامهم، ولم يعد إلا الصدق للتخلص من المأزق، ونلاحظ استيقاظ ضمير الأخ الأكبر، وهنا ندرك أهمية الأخ الكبير في توجيه إخوته الأصغر منه، والعناية به ستعين الوالد في تربية الإخوة الباقين. (فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين (٨٠) ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (٨١) واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون (٨٢).

وتظهر الآيات كيفية استبانة كذب الابن من صدقه، فعندما كذبوا على أبيهم قالوا: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين)، وذلك بأسلوب الاستفهام الاستنكاري المدلس، وعندما صدقوا أباهم قالوا: (وإنا لصادقون) وفي المرة الأولى (جاؤوا على قميصه بدم كذب ليراه، وفي المرة الثانية قالوا: (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها)، ولما كانوا كاذبين أكدوا صدقهم بالدم الكاذب على القميص، وعندما كانوا صادقين لم يؤكدوا. وتلك من علامات الصدق والكذب في الأبناء مع والديهم، أو يمكن القول إنها حال عامة في الصدق والكذب.

٢١ ـ وأمام فقد الأب لابنه الثاني يظهر إيمان سيدنا يعقوب ويتكرر مشهد الصبر الجميل من قبل الوالد المؤمن الواثق بالله تعالى، فيعطي أبناءه درساً إيمانياً في التوكل على الله تعالى، وعدم اليأس من رحمة الله في أشد المصائب الأسرية وذلك بفقدان أصغري أبنائه، وأن الابن يستمد الصمود على مواجهة الأحداث من موقف أبيه، فيستفيد منه رجولة الصبر على مواجهة الأحداث: (قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم (٨٣) وتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (٨٤) قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين (٨٥). وأمام فقد الأب لبصره وولديه يتكرر المشهد الإيماني أمام أولاده معلماً ومربياً لأولاده، بخمس قواعد إيمانية تربوية، تعلمهم كيفية مواجهة الأحداث :

١ ـ قال إنما اشكو بثي وحزني إلى الله
٢ ـ وأعلم من الله ما لا تعلمون (٨٦)
٣ ـ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه
٤ ـ ولا تيئسوا من روح الله
٥ ـ إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون (٨٧).

٢٢ ـ ثم تعرض الآيات ثمرة طاعة الأبناء لوالدهم، فإذا بالمشكلة تبدأ بالحل، وإذا بهم يحصلون على أضعاف ما كانوا يتوقعون، فيحصلون على الغذاء والإخوة ومنصب أخيهم مستشاراً عند الملك، وشفاء أبيهم من العمى، ويعلم يوسف إخوته وهو في مركز الحكم كيفية التقوى عن طريق الصبر والصفح عن الذنب بعد اعتراف المذنب بذنبه: (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين (٨٨) قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون (٨٤٩) قالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد مَنّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين (٩٠) قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين (٩١) قال لا تثريب عليكم اليوم ويغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (٩٢) اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين (٩٣).

٢٣ ـ ثم يأتي مشهد الأب المؤمن الواثق بلطف الله تعالى وكرمه: (ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون (٩٤) قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم (٩٥) فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم أني أعلم من الله ما لا تعلمون (٩٦).

ثم يأتي مشهد المواجهة بين الأب الصادق المنتصر على محنة البلاء على يد أولاده فيطلبون منه العفو والمغفرة فيعد الأب أبناءه، وهذا هو المطلوب من كل أب العفو والصفح عن أخطاء أولاده بعد إقرارهم بخطئهم وطلبهم السماح مهما كان خطؤهم فادحاً إلا الكفر: (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين (٩٧) قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم (٩٨).

٢٤ ـ ثم يأتي مشهد تفسير رؤيا الطفل الصغير يوسف بعد سنين من الصبر والمحن، فيعلن أمام إخوته رؤياه المكنونة، بلا خوف من إخوته، إذ الجميع أصبحوا كباراً متساوين في القوة والعضلات، وزاد يوسف عليهم بالملك والسلطان، فلابد للكبير أن يعامل أخاه الصغير معاملة حسنة، حتى يترك في نفسه الأثر الطيب، وأن الصغير سوف يصبح كبيراً يوماً ما، وسلطان الكبير على الصغير لن يستمر إلا بالحب والوفاء والإخلاص لإخوته الأصغر منه، ويظهر هنا ولأول مرة دور الأم وحضورها: (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين (٩٩) ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم (١٠٠).

وهكذا يتكرر نزغ الشيطان بين الأخوة داخل الأسرة، فتحتاج كل أسرة معرفة حل ذلك (٤).

٢٥ ـ ويستمر يوسف في إظهار الخضوع والذل لله تعالى، ودعائه له، وطلب الوفاة على الإيمان، وهو مطلب الأنبياء فكيف ببقية العباد (ربِّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين (١٠١).

٢٦ ـ ثم تختتم السورة بالتوجه لخطاب سيدنا محمد ﷺ، فيتصل حاضر الأمة الإسلامية بماضيها، ويظهر ابتلاء الرسل، وامتحانهم وظهور ثباتهم وقوة أيمانهم، وتفويض أمرهم إلى الله والتجاؤهم إليه في كل مواقف الحياة العصيبة، ومحنها الشديدة، وتتصل بداية السورة بنهايتها في إقامة الحجة على اليهود من كون النبي ﷺ رسول من عند الله تعالى، وإلا لما استطاع أن يأتي بمثل دقائق قصة يوسف، وأن طريق الدعوة إلى الله تعالى أجره ومكافأته من الله تعالى لا من البشر، وأن الله يهدي من يشاء، وليس على الداعية الهداية وإنما البلاغ، وأن ما يوجد في الكون تنبيه للإنسان للإيمان بالله تعالى، فهذا طريق واضح بيّن مستقيم، ويتبين أن هدف تربية المسلم لأسرته، من أجل أن تكون أسرته مع ركب الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ لا مع ركب فرعون وقارون وأبي جهل، فكل آية تمثل قاعدة كلية من حياة الفرد المسلم والأسرة المسلمة والدعوة الإسلامية، إنها التربية القرآنية التي ترفد المؤمن في كل آن لمن يريد أن يكون عبداً لله تعالى، وذلك نلحظه في الآيات التالية: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون (١٠٢). وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين (١٠٣). وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين (١٠٤) وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون (١٠٥) وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١٠٦). أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (١٠٧) قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين (١٠٨) وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون (١٠٩) حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كُذبوا جاءهم نصرنا فنجّي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين (١١٠) لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (١١١) صدق الله العظيم.

من خلال ما تقدم نستخلص الحقائق التربوية التالية:

١ ـ التربية باللغة العربية الفصحى (قرآنا عربياً لعلكم تعلقون). واللغة مفتاح العلوم، ومفتاح بناء الشخصية، وطريقة الوصول إلى التفاهم، وتنمية القدرات الفكرية.
٢ ـ التربية بتعبير الرؤيا.
٣ ـ التربية بالحوار.
٤ ـ التربية بالقصة الواقعية الحقيقية.
٥ ـ التربية بالتنبيه من خطورة عاقبة الفعل والمخالفة.
٦ ـ التربية بزرع التوبة بعد حصول الخطأ.
٧ ـ التربية بتعرف نعمة الله على العبد بدلاً من حسد الآخرين.
٨ ـ التربية بالصدق إذ هو المنجاة من المآزق.
٩ ـ التربية على بر الوالدين.
١٠ ـ التربية على الصفح عن الخطأ.
١١ ـ التربية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ورفعهما كشعارات تربوية عملية. كما هو شعار جامعة الكويت الآية: (وقل ربِّ زدني علماً).
١٢ ـ التربية بالنموذج الحي من حياة الأنبياء والمرسلين.
١٣ ـ التربية بزرع الأمل والتفاؤل وعدم اليأس والقنوط.
١٤ ـ التربية بالعدل إذ هو سيد الأحكام.
١٥ ـ التربية على التواضع حتى لو كان في سدة الحكم.
١٦ ـ التربية بالدعوة إلى الله تعالى مهما كانت الظروف قاسية.
١٧ ـ التربية على الالتجاء إلى الله ودعائه لمواجهة الكرب والبلاء والباطل.
١٨ ـ دور الأب في الولاية حيث لاحظنا أن دور الأب يعقوب ـ عليه السلام ـ قد شغل القصة كلها، ولم تذكر الأم إلا في النهاية (ورفع أبويه على العرش) بينما نجد في قصة سيدنا موسى دور أمه في رضاعته، ولم يذكر دور والده، وهذا يؤكد دور الأم في الحضانة ودور الأب في الولاية. فإذا أخل أحدهما أو كلاهما بدوره، ذاقا ويلات ذلك عند كبر الابن في الانحراف والعقوق.
١٩ ـ وإن في خروج يوسف من السجن ورجوعه إلى والديه وإخوته لأمل في خروج أسرى الكويت وأسرى المسلمين من سجونهم وعودتهم إلى أهلهم وذويهم إن شاء الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

الهوامش

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه وأحمد وعبد الرزاق في مصنفه وابن حبان في صحيحه.

(٤) ولدى استعراض الآيات القرآنية، وجد أن علاج ذلك يكون :

١ ـ بذكر الله تعالى وطاعة الرحمن: قال الله تعالى: (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (٩١) المائدة. قال الله تعالى: (إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون (٢٠١) الأعراف. وقال تعالى: (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون (١٩) المجادلة.

٢ ـ واختيار الكلمة الحسنة الطيبة: قال الله تعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً (٥٣) الإسراء.

٣ ـ الاستعاذة بالله تعالى دائماً: (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم (٢٠٠) الأعراف.

دراسات قرآنية

مادة «الزراعة» في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية

بقلم : أ.د. مصطفى رجب

وردت مادة زرع في القرآن الكريم مرات عدة منها:

أولاً: ماجاء في تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك وتدبيره القوت لقومه وهو في السجن حتى نجّاهم الله بحسن رأيه وعظيم حكمته من خطر المجاعة، وذلك قوله تعالى لتعبير يوسف للرؤيا:

(قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن إلا قليلا مما تحُصنون .ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يَعْصِرون) يوسف/٤٧-٤٩.

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: وهذه مشورة أشار بها نبي الله على القوم ورأى لهم رأيا صالحا يأمرهم فيه باستبقاء طعامعهم. أي بقوله: ماحصدتم في كل سنة من السنين المخصبة فذروا ذلك المحصود في سنبله ولاتفصلوه عنها لئلا يسوس وليكون أبقى (إلا قليلا مما تأكلون) ثم قال عليه السلام (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) أي من بعد السنين المخصبة ستأتي سبع سنوات مجدبة يصعب أمدها على الناس(يأكلن ماقدمتهم لهن) من تلك الحبوب المتروكة في سنابلها، وإسناد الأكل إلى السنين مجاز، والمعنى: يأكل الناس فيهن أو يأكل أهلهن ماقدمتهم لهن (إلا قليلا مما تحصنون) أي:ماتحبسون من الحب لتزرعوا به، لأن في استبقاء البذر تحصيناً للأقوات.

ثم قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام(ثم يأتي من بعد ذلك عام) وهذا خبر من يوسف عليه السلام عما لم يكن في رؤيا الملك ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله(فيه يغاث الناس) أي يمطرون(وفيه يَعْصِرون) قال ابن عباس: يعصرون الأعناب والدهن ذكره البخاري. وقيل يعصرون العنب خمرا والسمسم دهنا، والزيتون زيتا.

ثانيا: جاء الزرع بمعنى تذكير الله لخلقه بنعمه في إنبات الزرع وتعهده حتى يخرج أطيب الثمرات وذلك قوله تعالى:(أفرأيتم ماتحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون) الواقعة/٦٣-٦٥. يقول أبو سعيد الشيرازي «البيضاوي/٦٧٩» أي: أفرأيتم ماتبذرون حبه أأنتم أم نحن المنبتون.

ويقول الإمام النسفي «٢١٢/٤» في الحديث:«لايقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت» وقوله تعالى:(لو نشاء لجعلناه حطاما) الواقعة/٦٥. أي هشيما متكسرا قبل إدراكه. وقال عطاء: تبناً لا قمح فيه، وقيل هشيما لاينتفع به في مطعم وغذاء «فظلتم» وأصله «فظللتم»، حذفت إحدى اللامين تخفيفا. «تفكهون» تتعجبون بما نزل في زرعكم وهو قول عطاء والكلبي وقيل تندمون على نفقاتكم وهو قول بيان. وقال البغوي «٢٨٧/٤ . ٢٨٨» قال الحسن: تندمون على ماسلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة.

ثالثا: تمثيل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في نصرتهم للإسلام وجهادهم في الدعوة إليه بزرع أخرج فراخه فقواه وعاونه فصار من الرقة إلى الغلظ فاستقام على سوقه وصار يعجب الزراع بكثافته وغلظه وحسن منظره، وذلك قوله تعالى:(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) الفتح/٢٩.

فقوله تعالى:«مثلهم» أي صفتهم «في التوراة» ههنا تم الكلام أي أن وصفهم في التوراة أن وجوههم مضيئة بالإيمان تظهر فيها علامات



تذكير الله لخلقه بنعمه في إنبات الزرع وتعهده حتى يخرج أطيب الثمرات

السجود، ثم ذكر نعتهم في الإنجيل، فقال: «ومثلهم» أي صفتهم «في الإنجيل كزرع أخرج شطأه» أي فراخه، يقال أشطأ الزرع فهو مشطىء إذا أفرخ،و قال مقاتل: هو نبت واحد فإذا أخرج مابعده فهو شطؤه وقال السدي: هو ما يخرج معه الطاقة الأخرى، وقوله «فآزره» أي قواه وأعانه وشد أزره «فاستغلظ» ذلك الزرع، «فاستوى» أي تم وتلاحق نباته وقام «على سوقه» أصوله، «يعجب الزراع» أعجب ذلك زراعه.

وقال الإمام النسفي «١٦٤/٤» :هذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قوّاه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع مايحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع «ليغيظ بهم الكفار» تعليل لما ورد عليه تشبيههم بالزرع في نوباتهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعبر به (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع مايعدهم به في الدنيا غاظهم ذلك....

رابعاً: ورد ذكر الزرع مع ذكر النخيل والأعناب للدلالة على قدرة الله تعالى التي تدعو الناس إلى الإيمان به أولا، وقدرته على البعث ثانيا، وذلك بأن الأرض تكون مساحتها واحدة وتقسم إلى قطع متجاورات يغرس في بعضها النخيل وفي بعضها العنب، وفي بعضها القمح، وفي بعضها الليمون وغير ذلك من أنواع الفواكة حلوها وحامضها، ومع أن كل الأرض تسقى بماء واحد إلا أنها تختلف في الألوان والطعوم والروائح والمنافع، أليس في ذلك مايدعو أصحاب العقول الى التفكير والتدبر حتى يصلوا الى تدبر وفهم قدرة الإله الواحد وبديع حكمته وذلك قوله تعالى:(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الرعد/٤.

قال الطبري «٦٤/١٣»أي: في الأرض قطع متقاربات متدانيات بقرب بعضها بالجوار وتختلف بالتفاصيل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض، فمنها قطعة سبخة لاتنبت شيئاً في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع.

وقال الخازن «٥/٣»: (وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد) والجنات البساتين والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك، سمي جنة لأنه يستر بأشجاره الأرض وإليه الإشارة بقوله (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) والصنوان جمع صنو وهي نخلات مجتمعة من اصل واحد، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس: عم الرجل صنو أبيه يعني أنهما من اصل واحد «وغير صنوان» هي النخلة المنفردة بأصلها.

وروى عن الإمام الثوري: «الصنوان: النخل المجتمع وغير الصنوان: النخل المتفرق» وقوله تعالى:(يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) أي أن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل الصنوان وغير الصنوان تسقى بماء واحد عذب لاملح فيه ويخالف الله بين طعوم ذلك فيفضل بعضها على بعض في الطعم فهذا حلو وهذا حامض. وقوله تعالى:(إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون).

قال الإمام الطبري «٦٨/١٣ ، ٦٩»:إن في مخالفة الله عز وجل بين هذه القطع الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها دليلاً واضحا وعبرة لقوم يعقلون، اختلاف ذلك أن الذي خالف بينه على هذا النحو هو المخالف بين خلقه فيما قسم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان فوفق هذا وخذل هذا وهدى ذا وأضل ولو شاء لسوى بين جميعهم كما لو شاء سوى بين جميع أكل ثمار الجنة التي تشرب شربا واحدا وتسقى سقيا وهي متفاضلة في الأكل.

وقال العلامة أبو السعود «١٨٧/٦»: «إن من عقل هذه الأحوال العجيبة لايتلعثم في الجزم بأن من قدر على إبداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الأشكال والألوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على إعادة ما أبدأه بل هي أهون في القياس.. وحيث كانت دلالة هذه الأحوال على مدلولاتها أظهر مماسبق (من ذكر الأرض ورفع السماء من غير عمد) علق كونها آيات بمحض التعقل، ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الأكل ظاهر لكل عاقل فلا يحتاج إلى كثير تفكير وتأمل».

خامسا: ورد ذكر الزرع في مقام امتنان الله سبحانه بنعمه الكثيرة على عباده وأمرهم بشكره عليها وذلك بالإنفاق على المحتاجين قال تعالى:(وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين)الأنعام/١٤١.

فالمقصود الأصلي من هذه الآية هو إقامة الدلائل على اثبات ذاته سبحانه وتعالى ووجوب توحيده فقال تعالى:(هو الذي أنشأ) أي أظهر وأنشأه الله ينشئه إنشاء أظهره ورفعه (جنات معروشات وغير معروشات) يقال عرشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فإن بعض الأعناب تعرض وبعضها يبقى على وجه الأرض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات فما يحتاج إلى أن يتخذ له عروش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وماتجرى مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وقوة

ورد ذكر الزرع مع ذكر النخيل والأعناب للدلالة على قدرة الله تعالى



ساقه عن التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما أنبته الله وحشيا في البراري والجبال فيبقى غير معروش (والنخل والزرع) فسر ابن عباس الزرع هنا على أنه جميع الحبوب التي تقتات، (مختلفا أكله) والأكل كل مايؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى بإعادة الذكر على احدهما والمراد أن لكل شيء منهما طعما غير طعم الآخر أي أنشأه مقدرا اختلاف أكله (متشابها وغير متشابه) في القدر واللون والطعم ثم قال (كلوا من ثمره إذا أثمر) وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه. وقوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال النيسابوري «٣٦/٦»:اختلف العلماء بالمراد بالحصد فقال البعض هو الزكاة المفروضة، وعلى هذا تكون الآية مدنية، أما البعض الآخر فقال أن هذا حصد في المال سوى الزكاة، وعلى هذا تكون الآية مكية.

وأولى الأقوال عند الإمام الطبري من قال كان ذلك فرضاً فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لاخلاف بينهم على أن صدقة الحرث لاتؤخذ إلا بعد الدراس والتنقية والتذرية وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الجفاف «الطبري/٣٤».

سادسا: ورد ذكر الزرع على لسان إبراهيم عليه السلام حينما أوحى إليه أن يذهب بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى جوار بيت الله الحرام فدعا الله أن يرزقهم من الثمرات ويجعل القلوب تميل إليهم فيعمر هذا المكان ويحصل لهم الأنس والراحة، قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)ابراهيم/٣٧.

روى الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ،اتخذت منطقا لتعفّي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت ياإبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لايلتفت إليها فقالت له الله الذي أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لايضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لايرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الكلمات ورفع يديه فقال رب(إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم) حتى بلغ (يشكرون) وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبّط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هي ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ماتغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم علينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لاتخافوا الضيعة فإن ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لايضيع أهله.

وقوله تعالى: «من ذريتي» ادخل من للتبعيض ومجاز الآية أسكنت من ذريتي ولدا، (بواد غير ذي زرع) وهو مكة لأن مكة واد بين جبلين (عند بيتك المحرّم) سماه محرما لأنه يحرم عنده مالا يحرم عند غيره كما قال الإمام البغوي «٣٧/٣».

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيره: لو قال أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم، ولكن قال «من الناس» فاختُص به المسلمون وقوله (وارزقهم من الثمرات) أي ليكون ذلك عونا لهم على طاعتك وكما أنه واد غير ذي زرع فاجعل لهم ثمارا يأكلونها، وقد استجاب الله لذلك كما قال(أو لم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا)القصص/٥٧.

قال ابن كثير«٥٤١/٢»: وهذا من لطفه تعالى ورحمته وبركته أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة وهي تجبى إليها ثمرات ماحولها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام.

سابعاً: ذكر الزروع في مقام بيان مآل آل فرعون وحالهم بعد أن تكبروا وتجبروا وعصوا رسول الله موسى عليه السلام ولم يؤمنوا بالله ولا برسوله فأظهر الله قدرته وجبروته وأغرقهم في البحر فلم ينج منهم أحد وتركوا ماكانوا يتمتعون به من نعم وغيره من جنات وعيون وزرع وعيش رغيد وعافية قال تعالى:(كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين) الدخان/٢٥/٢٧.



تؤخذ صدقة الحرث بعد الدراس والتنقية والتذرية وصدقة التمر تؤخذ بعد الجفاف

قال الشوكاني في تفسيره لهذه الآيات «٣/٨٠٤، ٨٠٥» «كم» هي الخبرية المفيدة للتكثير قرأ الجمهور «مقام» بفتح الميم على انه اسم مكان للقيام، وروي عن نافع بضمها اسم وكان للإقامة والمقام الكريم ماكان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابرو «نعمة» والنعمة بالفتح من التنعيم وبالكسر من الإنعام، وقال الزمخشري«٣/٤٣٢»: وقوله تعالى «فاكهين» قرأ الجمهور «فاكهين» بالألف وقرأ أبو رجاء والحسن وأبو الأشهب والأعرج وشيبة «فكهين» بغير ألف والمعنى على القراءةالأولى متنعمين طيبة أنفسهم وعلى القراءة الثانية: أشرين بطرين.

ثامنا: ورد لفظ «الزرع» ايضا في معرض بيان قدرة الله على إحياء الأرض بعد موتها وذلك بسوق الماء إليها بالمطر فتنبت وتخرج أطيب الثمرات وذلك يدعو إلى التأمل والإيمان بالله : قال تعالى : (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) السجدة/٢٧.

قوله تعالى:(أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز) أي الأرض اليابسة الغليظة التي لانبات فيها «فنخرج به» أي بذلك الماء «زرعا تأكل منه أنعامهم» يعني العشب والتبن «وأنفسهم» أي من الحبوب والأقوات«أفلا يبصرون» أي أفلا يعتبرون. والأرض الجُرُز هي الأرض التي لاتمطر إلا مطراً لايغني عنها شيئاً، إلا مايأتيها من السيول.

ومعنى الآية أو لم يروا أنا نجري المطر والأنهار إلى الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء أو لأنه رعي ولا يقال التي لا تنبت كالسباخ جُرُز فنخرج بالماء زرعا تأكل أنعامهم من عصفه وأنفسهم من حبه أفلا يبصرون بأعينهم فيستدلوا به على قدرته سبحانه على إحياء الموتى وفي هذا المقام يقول الحافظ ابن كثير«٣/٢٩٠»:يبين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إسالة الماء، إما من السماء أو من السبخ وهو ماتحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته، ولذلك قال تعالى:(إلى الأرض الجُرُز) وهي التي لانبات فيها.

وإذا نظرنا في هذه الآية وجدنا أن الأنعام تقدمت على الأنفس في الأكل، وفي هذا المقام يقول الإمام الرازي «٦/٦٠٢»: تقدمت الأنعام على الأنفس في الأكل لوجوه:

أحدها: أن الزرع أول ماينبت يصلح للدواب ولايصلح للإنسان.

الثاني: أن الزرع غذاء الدواب وهو لابد منه، وأما غذاء الإنسان فقد يحصل من الحيوان فكأن الحيوان يأكل الزرع ثم الإنسان يأكل من الحيوان.

الثالث: إشارة إلى أن الأكل من ذوات الدواب «أي من غير عقل» والإنسان يأكل «بحيوانيته» أو بما فيه من القوة العقلية فكما له بالعبادة. وماذكر ه الإمام الرازي كلام جيد وحسن لولا أن الله تعالى ذكر في سورة طه مثل هذه الآية وقدم الإنسان في الأكل على الأنعام، فقال عز وجل (الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى. كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى) طه/٥٣، ٥٤.

إلا أن يقال- كما ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم- أنه قدم الإنسان هنا في الأكل لأنه الأصل الذي من أجله خلقت النعم وسخر الله له مافي السماوات وما في الأرض، كما أنه في سورة طه كانت الدعوة إلى الإيمان موجهة إلى فرعون وقومه فناسب ذكر نعم الله على الإنسان أولا، أما في سورة «السجدة» فكانت الآية مسوقة لبيان قدرة الله على البعث وذلك يتحقق سواء ذكر الإنسان أولا او ذكر الأنعام.

نظرة تربوية:

وهكذا نرى أن دوران مادة «زرع» في القرآن الكريم قد تضمن معاني امتنان الله تعالى على خلقه بنعمة من أجل النعم تتعلق بطعامهم وطعام ماسخره الله لهم من دواب وأنعام، كما تضمن معاني القدرة المطلقة التي لاتدانيها قدرة. وتضمن أيضا معاني التدبر في بديع صنع الله وهذا التدبر يقتضي من الإنسان المؤمن أن يزداد تعلقاً برضا ربه وعفوه ومغفرته ويزيده خشوعاً ويقيناً بما وعد الله به عباده المتقين في جنات النعيم.

ويقتضي تدبر قدرة الله تعالى من الكافرين أن يثوبوا إلى رشدهم فيعلموا أن صاحب القدرة على الإتيان وتنويع الثمرات جل شأنه قادر على إنفاذ وعيده الذي توعدهم به فعليهم- إذا أدركوا هذا المعنى- أن يتجاوزوا عنادهم وكبرهم ويؤمنوا بخالق الخلق القادر على بعثهم كما خلقهم أول مرة. إنه على مايشاء قدير.

وفي الدلالات العامة لمعاني الزرع والإتيان دروس تربوية عظيمة للقائمين على مؤسساتنا التربوية والإعلامية تتعلق بأساليب تعهد النشء بالرعاية والتوجيه كما يتعهد الزارع زراعته، وتتعلق بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين كما أن النباتات تسقى بماء واحد وتختلف ثمارها حلاوة وحموضة، فكذلك المتعلمون يدرسون منهجاً واحداً على يدي معلم واحد فيتفوق بعضهم ويرسب بعضهم ويظل بعضهم في مرحلة وسطى بين العبقرية والتخلف. فعلى المعلمين ألا يقسوا على ضعاف التحصيل ليصنعوا منهم عباقرة فهذا مخالف للطبيعة البشرية. بل عليهم أن يتخذوا من الرفق مطية لهم حتى يبلغوا بطلابهم بعض مايريدون لاكل مايريدون. ■

صاحب القدرة على الإتيان وتنويع الثمرات جل شأنه قادر على إنفاذ وعيده







المصحف الإمام في الآفاق

بقلـم : لقمان محمود

بقلـم : لقمان محمود

من الثابت تاريخياً أن جمع القرآن الكريم تمَّ في العام ٦٥٢م في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان، الذي استنسخ منه مصاحف عدة، ترك منها واحداً لنفسه حيث سُمي «المصحف الإمام»، كانت تلك بداية التاريخ العجيب لهذه النسخة المحفوظة اليوم في طاشقند عاصمة أوزبكستان السوفييتية في أواسط آسيا، ولكن كيف وصل مصحف عثمان إلى طاشقند؟

من الواضح أن المصحف، وهو يحمل آثار دم الخليفة الراشد الثالث، قد قطع رحلة طويلة وعجيبة من المدينة المنورة إلى أن استقر به المقام أخيراً في أواسط آسيا... وسنستعرض ذلك بشكل موجز.

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

القرآن هو كتاب الله، ومعجزته الكبرى، نزل على رسول الله محمد - ﷺ - منجماً في بضع وعشرين سنة حسب الحوادث والمناسبات، أغلبه نزل في مكة وضواحيها وتسمى سوره في هذا المقام مكية، ونزل الباقي في المدينة المنورة وضواحيها وتسمى سوره في هذا المقام مدنية، وقد اتخذ الرسول - ﷺ - كتَّاباً يكتبون كل ما ينزل من القرآن الكريم أمثال زيد بن ثابت، وأبي ابن كعب، وكانوا يكتبون ما يملى عليهم وينسخون منه صوراً أحياناً يحفظونها، ويعطون واحدة منها للنبي، وكانوا يكتبون كعادة العرب على الجلود والأخشاب والعظام والأحجار والجريد، والنسيج وكل واحدة منها تسمى صحيفة.

وتشير المراجع إلى أن القرآن بقي أثناء حياة النبي محفوظاً على هذه الصورة في تلك الصحف المتفرقة والموزعة بينه وبين الكتَّاب وفي صدور الحُفَّاظ. وقد رتبت السور والآيات في القرآن الكريم بتوقيف من النبي - ﷺ - وبعد موقعة اليمامة، في السنة الثانية عشرة للهجرة بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب التي استشهد فيها سبعون رجلاً من حفظة القرآن، ندب أبو بكر - بناء على اقتراح عمر - زيد بن ثابت لجمع القرآن كتابة، إذ كان أحد كتاب الوحي ومن أوثق الحفّاظ، ولما جمع المصحف حفظ في بيت أبي بكر وانتقل إلى عمر من بعده، ثم أودع بيت حفصة ابنة عمر بعد وفاة أبيها، وقد أثارت «دائرة المعارف الإسلامية» تساؤلاً: ألم يكن عثمان أجدر أن تودع هذه الصحف عنده؟ ويجيب الدكتور صبحي الصالح: «بل حفصة أولى بذلك وأجدر»، لأن عمر أوصى أن تكون الصحف مودعة لديها، وهي زوجة رسول الله أم المؤمنين، فضلاً عن حفظها القرآن كله في صدرها وتمكنها من القراءة والكتابة، وكان عمر قد جعل أمر الخلافة شورى من بعده، فكيف يُسلَّم إلى عثمان المصحف قبل أن يفكر أحد في اختياره للخلافة؟ وقد ظفر مصحف أبي بكر بإجماع الأمة عليه وتواتر ما فيه.

جمع القرآن على عهد عثمان

حين اتسعت الفتوح، وتفرق المسلمون في الأمصار، أخذوا يقرؤون القرآن بقراءات مختلفة، فجمع عثمان الصحابة واستشارهم في تجميع القرآن في مصحف واحد تنسخ منه نسخ ترسل إلى الأمصار، فأقروه على ذلك، وندب له جماعة من الحفاظ على رأسهم زيد بن ثابت، حيث اعتمدوا على الصحف المودعة لدى حفصة، واستنسخوا منها مصاحف عدة وبعثوا إلى كل قطر بمصحف سمي باسم قطره: فقيل المصحف البصري «نسبة إلى البصرة»، والمصحف الكوفي «نسبة إلى الكوفة»، والشامي ... وغيرها، وسمي المصحف الذي احتفظ به عثمان «المصحف الإمام»، وتذكر الرواية أن النسخة هذه كتبها عثمان بنفسه، وعنها نسخت جميع المصاحف في العالم.

وقد اختلف في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فمنهم من قال إن عددها أربع نسخ، بعث إلى كل ناحية واحداً: الكوفة والبصرة والشام، وترك واحداً عنده، والرأي الغالب أن اللجنة استنسخت سبعة مصاحف أرسل ستة منها واحتفظ عثمان بالمصحف السابع لنفسه.

وقد تماثلت تلك المصاحف في اشتمالها على القرآن كله: مئة وأربع عشرة سورة خالية من النقط والشكل، ومن أسماء السور والفواصل اقتداء بأبي بكر، لأن صحفه كانت مجردة من كل ذلك، وفوق هذا جردت المصاحف العثمانية مما ليس بقرآن من الشروح والتفاسير.

مصاحف في الآفاق

إن السؤال الذي يدور في الأذهان: أين أصبحت المصاحف العثمانية الآن؟ ويؤسفنا أن السائل لن يظفر بجواب شاف على هذا السؤال، ويكتفي بهذا الخصوص بما جمعه بعض المستشرقين من الرويات التاريخية التي تؤكد رؤية بعض العلماء القدامى للمصاحف أو السور منها في أمصار إسلامية معينة، وقد ورد في المراجع أن ابن بطوطة رأى بنفسه بعض تلك المصاحف التي يظن أنها عثمانية أو بعض صحائف منها فقط، في غرناطة، ومراكش، والبصرة، وبعض المدن الأخرى خلال رحلاته الكثيرة.

هذا ومن المعروف أن ابن كثير - وهو من علماء القرن الثامن الهجري - قد رأى مصحف الشام، وهو يقول في كتابه «فضائل القرآن»: «أما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق، وقد كان قديماً في مدينة طبرية، ثم نقل منها إلى مدينة دمشق في نحو سنة ٥١٨هـ تقريباً، وقد رأيته كتاباً عزيزاً جليلاً عظيماً ضخماً بخط حسن مبين قوي بحبر محكم، في ورق أظنه من جلود الإبل»، ويبدو كذلك أن الجزري صاحب «النشر في القراءات العشر» وابن فضل الله العمري صاحب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» قد رأيا كلاهما هذا المصحف الشامي نفسه، ويميل بعض الباحثين إلى أن هذا المصحف أمسى زمناً بحوزة قياصرة الروس في دار الكتب في لينينغراد، ثم نقل إلى انكلترا، بينما يرى آخرون أن هذا المصحف بقي في مسجد دمشق حتى احترق فيه سنة ١٣١٠هـ، وقد ذكر منير ناصيف في استطلاعه أنه شاهد القرآن الكريم الذي كان يتلوه ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عندما استشهد في منزله، وعلى صفحة منه آثار دمائه الطاهرة. وقد جاء في إشارة أخرى بناء على مشاهدات شخصية أن النسخة الأصلية الوحيدة من القرآن الكريم، التي كتبت بأمر الخليفة الراشد عثمان بن عفان كانت موجودة في سمرقند حيث احتفظ بها في مسجد «خوجه أحرار فالي» وقد نقلت في العام ١٩٤١م، ووضعت في حافظة بمتحف طاشقند لتاريخ شعوب أوبكستان.

وإذا كانت بعض المشاهدات والرويات يناقض بعضها الآخر، فإن ما نعرفه بكل يقين، ويعلمه كل دارس منصف أن كتاباً غير القرآن لم يحط بالعناية التي أحيط بها، ولم يصل التواتر كما وصل ، فجاء «أكمل وأدق مما يتوقعه أي إنسان»، ولا غرو في ذلك فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

إلى أواسط آسيا

نترك المصاحف العثمانية لنركِّز اهتمامنا على «المصحف الإمام» والمصحف الذي احتفظ به عثمان لنفسه، ولكن كيف وصلت نسخة القرآن هذه إلى طاشقند؟

هناك روايات عدة تفسر ذلك، وإحدى هذه الروايات تذكر أن تيمور العظيم أحضر هذه النسخة معه إلى عاصمته في سمرقند إبان حملته الشهيرة على سورية، وقد بقيت هذه النسخة محفوظة في جامع خوجة أحرار حتى الاحتلال الروسي لتركستان في القرن الماضي، وهناك رواية أخرى يستدل عليها من الرسالة التي كتبها المستشرق الألماني أدالبرت كوهن بناء على أقوال سمعها من علماء الدين في جامع الملا عبدالجليل والملا محسني «المفتي»، وقد جاء في الرسالة المحفوظة في أرشيف الجامع ما يلي: «قبل نحو ٤٠٠ سنة كان يعيش في مدينة طاشقند رجل تقي ورع اسمه عبيد الله خوجا، وهو يعد من أولياء الله، وفي إحدى السنوات قام بعض مريديه بالحج إلى مكة والأماكن الإسلامية المقدسة، وتشاء الأقدار أن يعود أحد هؤلاء المريدين - بعد إتمامه المناسك - إلى وطنه عن طريق آسيا الصغرى، ووقتها كان الأمير هناك يعاني من مرض عضال عجز جميع أطباء البلاد آنذاك عن معالجته، ولدى وصول المريد إلى المدينة تناقل الناس على الفور الأخبار المتعلقة بالمقدرات الطبية الهائلة لعلماء تركستان، وعندما علم الأمير بالأمر طلب استدعاء هذا المريد الصالح إلى قصره، وبالفعل قام هذا الأخير بمعالجة الأمير باستعمال الأدعية بالإضافة إلى الوسائل الأخرى، وخلال أقل من ثلاثة أيام تحسنت صحة الأمير وتماثل إلى الشفاء بمشيئة الله، وعندما شفي تماماً أعرب لطبيبه الورع عن استعداده لتقديم أي شيء يطلبه كمكافأة على الجهد الذي بذله، فأجاب العالم الكبير أنه يريد الحصول على «المصحف الإمام»، وبهذا الشكل وصل مصحف عثمان إلى تركستان، وفي ٣٠ مايو سنة ١٨٦٩م، أرسل

الجنرال ابراموف، رئيس المنطقة العسكرية ظرف شان، رسالة إلى الحاكم العام كاوفمان يقول فيها إن نسخة من القرآن يعود تاريخها إلى زمن طويل، محفوظة في أحد مساجد سمرقند، وعلى الفور أرسل المقدم سيروف إلى المسجد لتحري إمكان شراء نسخة القرآن تلك، على أن يتم ذلك دون الإساءة إلى مشاعر المسلمين الدينية، فأوزبكستان كانت آنذاك إحدى مستعمرات الإمبراطورية الروسية قبل أن تتحول في العقد الثاني من القرن الحالي إلى إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي، وتقول إفادة سيروف المحفوظة حتى الآن، إنه تحادث مع أئمة المسجد، وفهم منهم أن المصحف بقي قروناً طويلة دون أن تمتد إليه أيدي القراء، لأن أحداً لم يكن قادراً على قراءته وقد عرض الأئمة عليه أن يأخذه لقاء إيداع مبلغ كبير من المال كرهينة.

وهكذا أبلغ سيروف رؤساءه أنه تمكن من إنجاز العملية التي أوفد من أجلها بنجاح دون أن يخدش مشاعر المسلمين في سمرقند، الذين تقبلوا الأمر بسعادة بالغة، وبهذا الشكل وصل مصحف عثمان إلى سانت بطرسبورغ «لينينغراد حالياً» حيث بقي فيها حتى الثورة الاشتراكية في أكتوبر سنة ١٩١٧، بعدها مباشرة، أرسل المصحف، بناء على طلب المسلمين إلى أوفا أولاً، حيث بقي فيها من العام ١٩١٨م إلى العام ١٩٢٣م، ثم أعيد ثانية إلى طاشقند، حيث بقي معروضاً في متحف إيبك لشعوب أوزبكستان حتى يومنا الحاضر.

ترجمة معاني القرآن الكريم

لقد حاول بعض المسلمين ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأوروبية والفارسية والجاوية والملاوية والصينية وغيرها من اللغات الشرقية وذلك لتيسير فهمه على هذه الأقوام، ومعظم هذه الترجمات تتضمن الأصل العربي بين أسطر اللغة المترجم إليها، وقد حاول كثير من علماء أوروبا ترجمة معاني القرآن بالرغم من الصعوبات الكثيرة، فظهرت أول ترجمة إلى اللاتينية في أوروبا في منتصف القرن الثاني عشر، وإلى الفرنسية والألمانية والروسية في القرن الثامن عشر، وقد صدرت في السنوات الأخيرة ترجمة إيطالية «ميلانو ١٩٢٩م» وأخرى تشيكية (١٩٣٤م)، وتوجد ترجمة بلغة الإسبيرانتو، اضطلع بها المسلم الإنكليزي خالد شلدريك «لندن ١٩١٤م».

وقد أجريت محاولات عدة لترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأوزبيكية الحديثة، ولتبرير ذلك يقول أحد المترجمين «عبدولايف» وهو دكتور في علوم اللغات وأستاذ في معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية العلوم الأوزبيكية: «على مدى زمن طويل كانت ترجمة القرآن محظورة، كما أن الترجمات التي ظهرت في أقطار عدة أثارت الريبة والشك لدى المسلمين، فمن الصعب أن تكون أميناً على النص الأصلي، وفي بعض الأمكنة قد يكون ذلك مستحيلاً، وبالتالي فليس من قبيل الصدفة أن يطلق على النسخة الإنكليزية الأكاديمية التي ظهرت في العام ١٩٥٩م، اسم «تفسير القرآن»، وكل من يتصدى لهذا العمل الجبار يجب أن يكون ضليعاً ليس باللغة فحسب، بل بأسباب النزول ومناسباته «مصحف عثمان كُتب باللغة العربية الخاصة المعروفة بالكوفية، وهذه اللغة لايستطيع أن يقرأها في العالم بأسره أكثر من مئة شخص»، وإنما يجب أن يعرف كذلك الشروط التاريخية التي ظهر فيها القرآن و«أسباب النزول ومناسباته» بالإضافة إلى عادات سكان الجزيرة العربية وارتباطاتهم، وكذلك جغرافية ذلك الزمان».

وبعد، ففي مطلع العام ١٩٨٥م، كان في الاتحاد السوفييتي ٣٩٢ مسجداً عاملاً فقط، بينما كان قبل ثورة ١٩١٧م عشرات الآلاف، وخلال هذه الفترة (١٩١٧م - ١٩٨٥م) تقلص عدد المساجد كثيراً إلى حد كبير بسبب الضغوط الإدارية الفظة على المسلمين والتدابير القمعية التي كانت تتبع حيالهم، أما الآن، فقد ازداد عدد المساجد المسجلة فأصبح أربعة أضعاف ما كان عليه وتجاوز ١٥٠٠ مسجد عامر، ويعود المسلمون الآن إلى مباني المساجد القديمة فيرممونها ويحيونها، كما يجري تشييد أخرى جديدة، وهكذا تسلمت الهيئات الإسلامية في أواسط آسيا أبنية المساجد المعروفة في العالم أجمع مثل جامع أقليات في بخارى، والجامي في فرغانه، ومسجد بهاء الدين النقشبندي في منطقة بخارى وغيرها.

لقد كانت عودة مصحف عثمان الذي كان محفوظاً في خزائن الدولة إلى الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى حدثاً كبيراً في حياة المسلمين في الاتحاد السوفييتي خصوصاً بعد السنوات والعقود الطويلة من القمع والكبت، وقد استعاد السكان الآن حريتهم لأداء الشعائر الإسلامية بعد سنوات طويلة من الاضطهاد والتعسف. (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون) الصف: ٨.

المراجع :

١ - بإشراف أشرف غربال - الموسوعة العربية الميسرة - القاهرة، العام ١٩٦٥م.

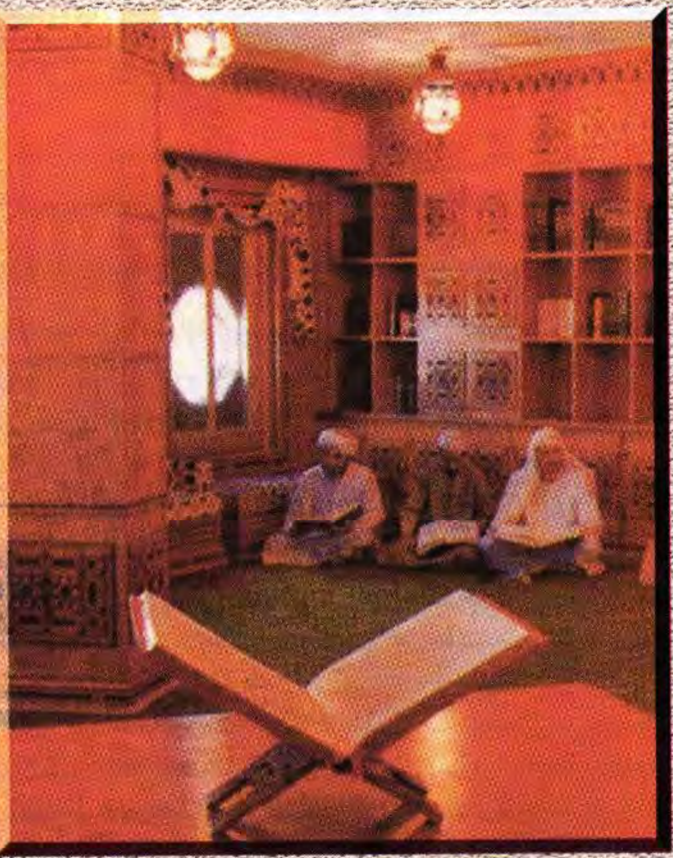
٢ - جان ألكسان - كنوز الحضارة الإسلامية وتراثها في الولايات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي - المجلة العربية - سبتمبر العام ١٩٩٠م، ص ٥٥.

٣ - مسابقة مرتلي القرآن - مجلة المدار - العدد ٣٢٧ شهر أغسطس العام ١٩٩٠م.

٤ - د. صبحي الصالح - مباحث في علوم القرآن - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨٢م، ص٧.

٥ - آثار الرسول في مدينة المساجد والجوامع - استانبول - مجلة العربي - العدد ١١٠ يناير ١٩٦٨م، ص ٤٢.

٦ - البيريسترويكا والإسلام - مجلة المدار - العدد ٣٣٣ فبراير العام ١٩٩١م.



القرآن الكريم يهدي الناس للتي هي أقوم

بقلم: علال البوزيدي

مما يتفرد به الإسلام من أخلاقيات ومثل عليا سامية، وقيم وفضائل، إقراره للعلاقات الإنسانية العامة التي جاءت مصاغة في تعاليمه التي نص عليها القرآن المجيد، وهو دستور الأمة الإسلامية، والذي نزل جملة وتفصيلا على الرسول الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وقال في حقه جل شأنه: (وإنك لعلى خلق عظيم) القلم: ٤.

إن بهذا الاصطفاء وهذه المكانة التي تتميز بها شخصية نبي الرحمة ورسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام قيل في حقه ﷺ (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١٠٧.

وبالفعل، فمن رحمة الرسول الكريم بالناس كافة أن جاءهم بالإسلام - الذي هو دار للسلم والمحبة والتكافل، ومصدر للحريات واحترام حقوق الإنسان - لتحرير الناس من ربقة الاستغلال وقيود الرق والاستعباد، وأشاع بين الناس الخير والتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن الإثم والعدوان.

وبقليل من التفكير واستخدام العقل السليم، يتضح أن ما يخالط سلوكيات وأخلاقيات الناس في هذا العصر من موبقات، هو نفسه الذي كان يخالط حياة البشرية سلوكياً وأخلاقياً ومعاملات وعلاقات عامة قبل مجيء الإسلام، وقبل نزول القرآن، أي في غابر الأزمان وسالف العصور، حيث كانت الإنسانية غارقة في أوحال الجاهلية وغياهب العصبية، والرذيلة والمجون والانحلال والظلم، فأي إنسانية تقوى على الظلم والعصبية والجهل والشر، أي لم تكن في الحقيقة بالإنسانية، بل كانت حياة بدائية أقرب إلى الحيوانية الشرسة التي لا عقل لها ولا ضمير، بل أنانية وحب الذات، وجور وظلم وظلام دامس مطبق، إلى أن شاع في الربوع نور الإسلام وانبثق فجره الجديد، وصدع صوت الحق، وبدأت دعوة محمد ﷺ تنتشر في الآفاق، وتستقطب من هداهم الله إلى الصراط المستقيم.

ولنا الأسوة الحسنة في السيرة المحمدية المطهرة، وفي الأدب النبوي الشريف إذ فيهما الدروس والعبر، ولو تمسك بهما الناس، وسار الكل على هديهما فلن تجد أثراً لما يتمسرح على خشبة المجتمع الحديث من هزل وزور وبهتان ودس وخداع، وانحراف وسوء أخلاق وخبث، وما إلى ذلك من سلوكيات المجون والانحطاط والفراغ الأخلاقي والروحي، ذلك لأن القرآن الذي هو منهج الحياة، وأساس السلوك والمعاملات والعلاقات والروابط كفيل بتحقيق الحياة الأفضل، والانسجام الأشمل، والتعاون الأكمل بين الناس، وإشاعة المودة والرحمة بين البشر بصفة عامة، والمسلمين بصفة خاصة، وقد جاء ذلك واضحاً في كون القرآن يهدي المسلمين للتي هي أقوم في الدنيا والآخرة، لكونه يبرمج

كانت الإنسانية غارقة في أوحال الجاهلية وغياهب العصبية والرذيلة والمجون والانحلال والظلم

الحياة على أساس الإصلاح، وينظم هذه الحياة تنظيماً محكماً.

لذلك نجد أن الإسلام - الذي هو دين القرآن عقيدة وشريعة وسلوكاً وأخلاقاً - يمتاز بخصائص ومرونة تساير كل الأزمنة والأمكنة، وهو الذي جعل الأمة الإسلامية أمة وسطاً، إذ لا إفراط ولا تفريط، الكل سواسية أمام الحق، وتلك قمة الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، إذ لا مجال للظلم والاعتداء واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، ولذلك استحق القرآن المكانة المهمة التي يحتلها منذ نزوله على الرسول ﷺ.

واستمر العقل البشري في تحليل معانيه، والتمعن والشرح والتفسير لنصوصه وآياته الجامعة الشاملة، ويكفي المسلمين المؤمنين فخراً واعتزازاً - بانتسابهم لأمة القرآن - أن يلمسوا ويدركوا أن هذا القرآن أخذ في هذا العصر يحظى باهتمام واسع، يتجلى في البحوث والدراسات التي تصدر من حين لآخر في أوروبا والعالم الغربي، وهذا الاهتمام يبحث جوانب من القرآن الكريم، دفع الباحثين والدارسين إلى بحث حقائق عن الإسلام، ولم يخف بعض الباحثين في تحليلاتهم وأبحاثهم أن الإسلام يمتاز بعظمة القرآن وشموليته الديناميكية الصالحة لكل زمان ومكان، بحل كل ما يعترض الإنسانية من إشكالات..

قضايا شائكة، نتيجة العصبية والأنانية وحب الذات، والتوتر والقلق، والفراغ الأخلاقي والروحي، والتوسع الجغرافي والتفوق الاستراتيجي.

ومن دوافع الاقتناع، أن العديد من أصحاب الرأي والعقلاء والحكماء، توصلوا في أبحاثهم إلى أن عظمة القرآن، وشموليته المنهجية للحياة، ترجع إلى كونه خاتم الكتب السماوية، التي ربطت بين الحياة المادية والروحية برباط موضوعي وأخلاقي، خرج بالإنسانية من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، وتأكد البعض أن غير القرآن مجرد فلسفات تقحم الناس في مجاهل المعرفة، وتجعلهم في تيه دائم يصعب عليهم الوصول إلى رأي سديد، أو حل موضوعي لأي مشكلة من إشكالات العصر، وما أكثرها في العالم المعاصر، وكلما أشكل عليهم الأمر، واستحال عليهم الحل، رجعوا إلى القرآن، فوجدوا فيه ضالتهم المنشودة، وتوصلوا من خلاله إلى ما هم محتارين فيه، لكن يبقى بعد نتائج الأبحاث ذلك التصادم المعروف بالتحجر الفكري، والإلحاد العقائدي، الذي يروم إلى التغيير فيما لا يحتاج إلى التغيير، إذ هناك ثوابت لا تقبل قيماً غير القيم التي أقرتها، ومناهج غير المناهج التي حددتها، ونجد أن القرآن لم يغفل هذا الجانب حفاظاً على استمرار التوازن، ومراعياً لكون أي اختلال يمس القيم الأساسية والمثل الإنسانية العليا، من شأنه أن يؤدي إلى التصادم الحضاري، ومنه إلى التصادم الفكري والعقائدي، وتلك هي أسباب الصراع الذي نبه القرآن إلى عواقبه الوخيمة على الحياة البشرية، وبالتالي حذَّر القرآن من مغبة الخطر الذي من شأنه أن يؤدي إلى التصدع الكوني.

القرآن فتح للناس أبواب الاجتهاد

لقد فتح القرآن للناس أبواب الاجتهاد، وجعل مجالات واسعة مرتبطة بالحياة وتطوراتها رهن اجتهاداتهم، وذلك لتحسين الأوضاع الإنسانية، وضمان أكبر قدر ممكن من النفع العام، وربط الأرزاق بإمكانات الاجتهاد، بل فضل بعض الناس على بعض في الرزق، تحفيزاً لإشاعة روح الاجتهاد ونبذ الخمول والكسل والتقاعس والاتكال، بل حث الإسلام في ضوء القرآن الكريم على العمل، وجعله مفتاح وطريق النجاح، موصياً بضرورة الاعتماد على النفس، وتحريك الأسباب المشروعة، التماساً وسعياً للرزق الحلال الطيب.

مما يؤكده النص القرآني المبين: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى) إلى آخر الآية النجم/٣٩ و٤٠، لذلك ففي مجال السعي، تبرز روح الاجتهاد الحقيقي، وبخاصة إذا كان ذلك ينطبق على ما تشير إليه الاجتهادات الهادفة إلى بلورة الفعاليات الإنسانية، بالأخص فعاليات الطاقات الكادحة التي تبذل العرق من أجل إبقاء الرمق، وما أروع القرآن الكريم، الذي يجزي كلاً حسب اجتهاده ونيته، وهذه الروعة البيانية في القرآن نالت إعجاب كبار المفكرين بمن فيهم أولئك الذين لا يدينون بدين القرآن، وأذكر منهم المفكر الغربي «سدني فيشر»، الذي قال في كتابه بعنوان: «الشرق الأوسط في العصر الإسلامي» «إن القرآن صوت حي يروع فؤاد العربي، وتزداد روعته حين يتلى عليه بصوت مسموع، ولكنه لا يفهم هذه الروعة، كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه إلى الاعتراف ببلاغة القرآن، اعتماداً على أثره البليغ في قلوب قرائه وسامعيه، ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع، أنه كتاب تربية وتثقيف، وليس كل ما فيه كلاماً عن الفرائض والشعائر، وأن الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجمل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق، وتتجلى هداية الكتاب في نواهيه، كما تتجلى في أوامره، فلا يجوز للمسلم أن يشرب الخمر، ولا أن يقامر، ولا أن يتعدى وأن يستسلم للترف والرذيلة...» انتهى.

وهكذا نجد أن الأقلام تجد وتجتهد، انطلاقاً من نصوص القرآن وقصصه، وحسن بيانه وروعة بلاغته، وكم يكون الأمر مهماً للغاية، أن ينتزع القرآن - بما حباه الله من عظمة - اعترافات أصحاب الرأي وحملة الأقلام ورجال الفكر، حتى وإن كانوا أعداء للإسلام، يبقى - جدير بالإشارة - أن هذا القرآن قمين بكل اجتهاد من طرف من يدينون بدينه الحنيف، ويتمسكون بما جاء به من تعاليم تسمو بالإنسان المسلم نحو مدارج الرفعة والارتقاء الفكري والتقدم

عظمة القرآن وشموليته المنهجية للحياة ترجع إلى كونه خاتم الكتب السماوية

المعرفي، غير أنه ومع شديد الأسف، نجد العكس، فالبعض من الناس ينتهجون في حياتهم نهجاً مخالفاً لما يوصي به القرآن، وتلك هي الطامة الكبرى، إذ يقوم البعض بما يجلب له الهوس والصداع، معه والقرآن منزل من عند الله على نبي الرحمة محمد ﷺ وبهذا التنزيل، تمت تسوية الكثير من الإشكالات، وتحولت الحياة تحولاً حاسماً بأمر الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

هذا القرآن الذي ينادي بالعمل والخير في ضوء اليسر والاعتدال، لذلك فإن الذين لايهتدون بهدي القرآن، ويركبون أهواءهم، أولئك في ضلال بعيد، والذي ينبغي بالأساس هو العمل بتعاليم القرآن، وهضم معانيه ومضمونه الشمولي العام، إنه كتاب متناسق الآيات، قوي الحجة، مما جعل له تأثيراً في أخلاق الأمم والشعوب على مستوى العلاقات الاجتماعية، ويتضح ذلك من خلال التوحيد والاحترام للمرأة وحقوقها، وإقرار مبدأ المساواة، ومن هذه المنطلقات ينبغي أن يتنافس المتنافسون، غير أن الملاحظ عكس هذه التعاليم النيرة الخيرة، التي تكفل مصلحة الإنسانية ونفعها على كل المستويات، والاجتهاد في هذه السبل يعتبر اجتهاداً إيجابياً، ذلك أن كل نوع من أنواع الاجتهاد الهادف إلى الخير، وترسيخ العقيدة السليمة، والتربية القويمة، والأخلاق الحميدة في النفوس، إنما هو اجتهاد مقبول، وما يروم إلى دعم قوى الشر والخذلان والرذيلة وكل الموبقات المهلكة للإنسان، والمضرة بالإنسانية، إنما هو اجتهاد مرفوض، حتى وإن كان الهدف منه علمي أو تكنولوجي يُراد به تدمير الإنسانية، ونشر الفتنة بين الناس، وزرع الأحقاد والصراعات بين بني البشر، وتنشيط النزاعات على أساس عنصري وطبقي، قومياً وإقليمياً، مع أن الخلق عيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله.

هذه جوانب من أخلاقيات القرآن وأدبياته، لكن هل تعمل بمقتضاها الإنسانية الحديثة التي تأثرت بأيديولوجيات الفكر المعاصر، إلى درجة أصبحت تسيطر على تفكيرها أوهام لا تحدها حدود، حتى أصبح الناس يقولون ما لا يفعلون، ويقومون بأشياء ويتخذون مواقف لايؤمنون بجدواها، ولا يدركون عواقبها، ولعل ما تعرفه بعض الأمم والشعوب من تمزق وصراع وحروب، دليل على خروج الناس عن الجادة والصواب، والزيغ عن المحجة البيضاء، تلك المحجة التي رسمها القرآن الكريم.

من معالم الاجتهاد: التفاسير القرآنية نموذج

سيلاحظ بعض المختصين في الكتابات الإسلامية من أساتذة الشريعة والفقهاء أن الأسلوب الذي تناولت به موضوعي هذا يميل بعض الشيء إلى البساطة في التعبير، وغايتي من ذلك، تكمن في

عظمة القرآن وشموليته المنهجية للحياة ترجع إلى كونه خاتم الكتب السماوية

عظمة القرآن وشموليته المنهجية للحياة ترجع إلى كونه خاتم الكتب السماوية

الابتعاد عن التكلف والعمق، وحتى لا أقع في الخلط الذي قد يؤدي إلى الغموض، أفضل الأسلوب المبسط القريب إلى فهم العامة، ذلك لأن المستهدف بالأساس هم بعض الحائرين الذين كاد الشك - والتشكيك - أن ينال منهم، إن لم يكن قد استحوذ على أدمغتهم بالفعل، فهذا النمط من الناس وبخاصة الشباب أصبح في حاجة ماسة إلى عملية غسل الأدمغة مما علق بها من أفكار زائغة عن الجادة والاستقامة، ومن دون أن أتوغل في تحليل هذا المحور من الحديث، أنصح هذا النمط من العنصر البشري المسلم على وجه الخصوص، إلى استيعاب النصوص القرآنية المفسرة، واعتماد التفاسير المهمة، كظلال القرآن «لسيد قطب»، رحمه الله وابن كثير، وأشباه ذلك من التفاسير القيمة التي تزخر بها المكتبة العربية الإسلامية، ففي هذه التفاسير ما يقنع ويرشد إلى الخير والفلاح، وللإشارة فإن هذه التفاسير قادرة على أن تجعل المسلم يفهم ويحس بقيمة القرآن وشموليته، ذلك لكونه كثيراً ما يقرأ آيات من القرآن، لكنه لا يتدبر معناها وأبعادها التوحيدية، بعيداً عن الفلسفات والتأويلات، إذ فكل آية من القرآن لها دلالات ومعان ليس من السهل إدراكها، لأن الإدراك الحقيقي، والفهم الصحيح لهذه الدلالات والمعاني القرآنية، يحتاج بالأساس إلى عنصر الايمان والاقتناع بأهمية التوحيد، وقد تنافس علماء الإسلام في شروحهم وتفاسيرهم لأوجه الإعجاز القرآني، وقد أثبت التاريخ أن الباحثين والنقاد، وكل الذين يهاجمون القرآن - أو حاولوا الرد عليه بكتب فلسفية جوفاء، وافتراءات مفضوحة، بكونهم أنصار الحرية والعدالة - كاذبون، لكونهم ينادون بأفكار دون أن يطبقوها.... غير أن الإشكالات التي تعاني منها الإنسانية منذ القديم تتجسد في السلوكيات والأخلاقيات، وهي ما أوضحتها وأبانت عنها مختلف التفاسير القرآنية، لكن أين العقول التي تستوعبها...؟ وأين الأفكار التي تتشبع بها وتعمل بمقتضاها...؟

وقد حصل تراجع ملحوظ من حيث المناهج السلوكية والأخلاقية، فإذا أخذنا الإنسان العربي المسلم نموذجاً، وحاولنا مقارنة السلوكيات والأخلاقيات السائدة في العصر الحديث مع ما عرف به الإنسان قديماً من خصائص ومواهب، تتمثل في: الفصاحة وقوة البيان وحب الحرية والأنفة والفروسية والشجاعة والحماسة والصراحة في القول وجودة الحفظ وقوة الذاكرة وحب المساواة وقوة الإرادة والوفاء والأمانة.

فهذه الصفات والفضائل، لا ينبغي أن يُقال إنه وقع التراجع عنها كلياً، بل خالطتها بعض السلوكيات والأخلاقيات الدخيلة بوساطة الفلسفات الإلحادية، ونتيجة التصادم الحضاري والصراع العقائدي والأيديولوجي، وهذا جانب آخر نترك الحديث عنه إلى فرصة أخرى بحول الله. ■

تشريع

منزلة النوافل بين العبادات

فرض الله تعالى على عباده فرائض عدة كي يتقربوا بها إليه : (وماتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه)(١) وتشمل هذه الفرائض فعل الواجبات وترك المحرمات، فإن ذلك كله من فرائضه سبحانه التي افترضها عليهم كما أنه تعالى دعا إلى الاجتهاد في النوافل، فإنها مما يتقرب به إلى الله بعد الفرائض.

بقلم : عبدالرحمن العمراني

النافلة لغة واصطلاحا

أ) النافلة لغة هي: مازاد على الأصل وفضل عليه قال ابن منظور: النفل بالتحريك: الغنيمة الهبة(...) والجمع أنفال ونفال (...) وجماع معنى النفل والنافلة، ماكان زيادة على الأصل وسميت الغنائم أنفالا لأن المسلمين فضلوا بها سائر الأمم، الذين لم تحل لهم الغنائم (...) والنَّفْلُ بالسكون، وقد يحرك الزيادة. وفي الحديث أنه بعث بعثا قبل نجد، فبلغت سهمامهم اثني عشر بعيرا، ونفلهم بعيرا بعيرا أي:زادهم على سهامهم(...) وبه سميت النوافل في العبادات لأنها زائدة على الفرائض(٢)

ب) أما في الاصطلاح فيمكن تحديد معناها في كليتين اثنتين هما:

١) كل خير أو معروف أو نفع رغب فيه الشرع من غير إيجاب، فهو نافلة طبقا للأصول العامة للإسلام للداعية إلى رفع الحرج عن الناس.

٢) كل أذى خفيف لم يحرمه الشرع فاجتنابه نافلة، عملا بالأصول العامة الناهية عن الضرر.

وهاتان الكليتان إذا اعتبرناهما معا، علمنا مدى اتساع دائرة النوافل، وشساعة الفرصة أمام طالبيها. والشواهد على ذلك كثيرة منها:

● أولا : ماأخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»(٣).

● ثانيا : ماأخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة. قالوا: فإن لم يجد؟ قال فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق. قالوا فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف.قالوا فإن لم يفعل؟ قال: فليأمر بالخير أو قال بالمعروف. قالوا فإن لم يفعل؟ قال: فليمسك عن الشر فإنه له صدقة»(٤).

من هنا نجد أن هناك نوافل تقتضي الفعل ونوافل تقتضي الترك مثلما أن هناك فرائض للفعل وفرائض للترك، وكلها أعمال يتقرب بها إلى الله تعالى قال ابن رجب الحنبلي في شرحه للحديث القدسي:«من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب» «فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين أحدهما: من تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات (...) والدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين: وهم الذين تقربوا إلى الله، بعد الفرائض، بالاجتهاد في نوافل السابقين المقربين: وكذلك الذين تقربوا الى الله بعد الفرائض، بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع» (٥)

إذاً فالنوافل أعم وأوسع مما شاع في الناس معناه: حيث جعلوها محصورة في بعض العبادات، من صلاة غير مكتوبة، وصيام بعض الأيام، وذكر الله تعالى ومن يرجع إلى كتاب الحافظ المنذري «الترغيب والترهيب» يدرك هذا، فإنه حصر النوافل في كتاب قارب حجمه المئة صفحة، لكنها كلها أو جلها في نوافل الصلاة والقرآن.

اعتراضات على أهمية النوافل

قد يعترض معترض فيقول: مادامت النوافل غير واجبة، بحيث

النوافل أعم وأوسع مما شاع في الناس معناه

إن الله تعالى لم يفرضها على عباده، وإنما وكلّ أمرها إلى اختيار كل واحد منهم، فإنا في حلٍّ منها، ومن مشقتها، وحسبنا مافرض الله علينا.

وقد يضيف آخر: إن العلماء عرفوا المندوب وهو حكم النوافل- بأنه ماكان في فعله أجر وليس في تركه إثم، وإنهم عرفوا المكروه - وتركه نافلة - بأنه ماكان في تركه أجر وليس في فعله إثم. وإذا، فلا إثم على من اقتصر على فعل الواجبات وترك المحرمات، للحديث الذي رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن جابر الأنصاري أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئا، أأدخل الجنة؟ قال: نعم(٦). والرد على هذا الاتجاه وتصحيحه يكون من وجهين :

● الأول : أن العبادة في الإسلام تعني الخضوع لله تعالى ومحبته، وإن إتيان الفرائض إن كان خضوعا لله تعالى، وعملا يتقرب به العبد إليه سبحانه فإن محبته تقتضي - بعد أداء الفريضة - الاجتهاد في النوافل، لما رواه رسول الله ﷺ عن ربّه عز وجل قال: «ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه».

● والثاني : أن حديث عبد الله بن جابر المستدل به، قد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بمعناه، أو مايقاربه، لكنا نجد أن رسول الله ﷺ يربط دخول الجنة بتحقق الشرط فيختم كل واحد منها بقوله: «إن تمسك بما أمر به دخل الجنة»(٧) أو بقوله : «أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق»(٨) أو بقوله: «لئن صدق ليدخلن الجنة»(٩) فمن يضمن لنا أن نؤدي العبادات كما يجب؟ ومن يضمن لنا أن نقيم الصلاة كما أمر الله تعالى ونصوم كما يجب؟ ومن يضمن لنا أن نحقق الشرط الذي شرطه رسول الله ﷺ في الحديث؟

ثم ألا يمكن أن يكون رسول الله ﷺ أجاب بذلك، وكان جوابه من قبيل التدرج التربوي، الذي كان ينهجه مع بعض الناس؟ أو من قبيل الحالات التي كان صلى الله عليه وسلم يجيب فيها بما يناسب السائلين، حين يعلم منهم صدق سؤالهم وقوة عزيمتهم، خاصة وأنه عليه الصلاة والسلام أخبر الصحابة بأن السائل من أهل الجنة؟ ففي الصحيحين عن أبي هريرة «أن أعرابيا قال : يارسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذي بعثك بالحق لا أزيد على هذا شيئا أبدا، ولاأنقص منه فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»(١٠). ومما يؤكد هذا الوجه مارواه بشير بن الخصاصية قال: «أتيت النبي ﷺ لأبايعه، فشرط عليّ شهادة أن لاإله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأوتي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت:يارسول الله أما اثنان فوالله ماأطيقهما: الجهاد والصدقة. فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها، وقال :فلاجهاد ولاصدقة؟ فبم تدخل الجنة اذاً؟ قلت يارسول الله أنا أبايعك فبايعته عليهن كلهن» (١١) فقد تضمن هذا الحديث زيادة ذكر فريضة الجهاد، وهي غير مذكورة في حديث عبد الله بن جابر، وقد وردت أحاديث أخرى تشترط للجنة شروطا بالإضافة إلى ماذكر، كما وردت أحاديث أخرى تفيد أن ارتكاب المحرمات مانع منها كقوله ﷺ : «لايدخل الجنة قاطع»(١٢) وقوله ايضا:«لايدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»(١٣) وقوله كذلك:«من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا: - ونصب أصبعيه - مالم يعق والديه»(١٤).

دور النوافل وأهميتها

إن من شأن النوافل أن تحقق أربعة مقاصد هي :

● المقصد الأول : تعويض النقص في أداء الواجبات :

والنقص يكون إما بالتهاون في الأداء، أو بعدم الاتقان كما يجب (...) ومن رحمة الله بعبده أن جعله يكمل بعض النقص بالأعمال التطوعية. ويدل على هذا المقصد مارواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح ونجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضته شيئا قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل منها ماانتقص من الفريضة ثم يكون سائر أعماله على هذا»(١٥).

ولاشك أن المؤمن رغم مايقوم به من امتثال للأوامر، واجتناب للنواهي، فإنه يخاف أن لايقبل منه عمله فيسارع في الخيرات ويكثر من الطاعات. قال تعالى: (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لايشركون. والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون. أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون» المؤمنون/٥٧-٦١.

قالت عائشة : يارسول الله الذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة (...) هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟قال:لايابنة الصديق! ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل» وفي رواية الترمذي : «ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات»(١٦).

● المقصد الثاني : التكفير عن الذنوب

كما يحتاج فعل الواجبات إلى تكميل، تحتاج المحرمات إلى

النافلة ما زاد على الأصل وفضل عليه

تكفير. والنوافل تكفر هذه كما تكمل تلك، قال تعالى:(إن الحسنات يذهبن السيئات)هود-١٤ وقال ﷺ «واتبع الحسنة السيئة تمحها»(١٧) وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من أمرة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره فأنزل الله تعالى : (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) هود/١١٤ فقال الرجل: أليّ هذا؟ قال:«لجميع أمتي كلهم»(١٨) وكل هذه النصوص تبين أن الأعمال التطوعية، من قيام وصيام وغيرهما، هي كفارات كلها، فضلا عما تكفره الفرائض فقد قال ﷺ: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهما، مالم تغش الكبائر»(١٩).

وإن مما ينبغي التحذير منه هو أن يستقل المؤمن ذنوبه، وهي أكثر من أن تحصى والرسول ﷺ يقول فيما يرويه عن ربه عز وجل: «ياعبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، أنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم»(٢٠)

● المقصد الثالث : تحصين النفس وصيانتها من الوقوع في المحظورات :

لقد صان الشارع الحكيم الحد الأدنى من العبادات، الذي هو أداء الواجبات وترك المحرمات، بسياج من الأعمال التطوعية، ولاشك أن الاستخفاف بالمندوبات بصفة كلية، يؤدي إلى الاستخفاف بالواجبات! كما أن الجرأة على المكروهات مطلقا، تدفع إلى الاقتراب من المحرمات: (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه»(٢١) قال الإمام الشاطبي: «إذا كان الفعل مندوبا بالجزء، كان واجبا بالكل كالأذان في المساجد والجوامع، وصلاة العيد، وصدقة التطوع(...) وإذا كان الفعل مكروها بالجزء كان ممنوعا بالكل، كاللعب بالشطرنج، والنرد بغير مقامرة، وسماع الغناء المكروة(٢٢) ومن هنا نفهم السر في تذكير رسول الله ﷺ من سألة، بالأعمال التطوعية فإنها حاجز عن التهاون في الواجبات أو إتيان المحرمات، فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال:«جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد حاسر الرأس، نسمع دوي صوته، ولانفقه مايقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : « خمس صلوات في اليوم والليلة» قال : هل عليّ غيرهن؟ قال: «لا إلا أن تطوع» فقال رسول الله ﷺ : «وصيام شهر رمضان» قال هل عليّ غيره؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال:وذكر ﷺ الزكاة فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع» فأدبر الرجل وهو يقول: والله لاأزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ : «أفلح إن صدق»(٢٣).

● المقصد الرابع : حصول القربى من الله ومحبته وتسديدة :

ويدل على هذا المقصد مارواه رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل قال:«وماتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يشمي بها»(٢٤) وهذا حظ المؤمن في الدنيا، وفي الآخرة رضوان من الله أكبر.

درجات النوافل

تتوزع النوافل إلى درجات من حيث ماينتج منها، وتتقدمها تلك التي ترتبط مباشرة بإصلاح القلب، من صلاة وقراءة، وذكر، وتفكر في خلق الله. ثم تأتي بعد الأخرى، حسب تأكيد الشرع لها وحضه عليها، وحسب ماتحققه من نفع معتبر وعلى المؤمن أن يبحث عن واجب الوقت، ماذا يتطلب من اعمال تطوعية، فقد علمنا الشرع أن الصدقة على القريب تعتبر صدقة وصلة... وأن أفضل الذكر قراءة القرآن، دون أن يعني هذا ترك بقية الأذكار المسنونة، إذ روى عبدالله بن بسر قال : «أتى النبي ﷺ رجل فقال : يارسول الله ! إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فباب نتمسك به جامع؟ قال : لايزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل»(٢٥).

وبهذا الهدي يكون التزاور بين المؤمنين مرغوبا فيه، ويكون أكثر نفعا إذا جمع إلى الزيارة هدفاً خيريا ودعويا أو علميا (...) ومثل هذا يراعى في الأعمال التطوعية كلها ذلك أن المسلمين يريدون من الغني أن يكثر من نوافل الإنفاق ومن العالم أن يكثر من نوافل التعليم(...) ومن الحاكم أن يكثر من نوافل العدل والإحسان، زيادة على حدهما المفروض، حتى يقف كل واحد على ثغره!.. وفي الصحيحين عن أبي صالح عن أبي هريرة «أن فقراء المهاجرين أتوا النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال: وماذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولانعتق، فقال رسول الله ﷺ : «أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولايكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ماصنعتم؟ قالوا: بلى يارسول الله ! قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة» قال أبو صالح : فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال رسول الله ﷺ : (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)المائدة/٥٤.

ومن النوافل ذات الأسبقية: فروض الكفاية، فإنها أحيانا ترقى إلى درجة فرض العين، من أجل ذلك، ذهب بعض العلماء إلى أن الاشتغال بفرض الكفاية يتقدم في بعض الأحيان على بعض الفروض العينية:«لأن فاعله ـ كما قال إمام الحرمين ـ ساع في

الجرأة على المكروهات مطلقا تدفع إلى الاقتراب من المحرمات

صيانة الأمة كلها عن المآثم. ولاشك في رجحان من حلّ محل المسلمين أجمعين، في القيام بهم من مهات الدين»(٢٦) وبهذا يمكن أن نفسر رسالة عبدالله بن المبارك «ت١٨١هـ» إلى الفضيل ابن عياض يدعوه فيها إلى الجهاد لأن الوقت يقتضيه أكثر من غيره حيث قال :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك بالعبادة تلعبُ

من كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعبُ

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رهج السنابك والغبار الأطيبُ

ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لايكذبُ

لايستوي غبار خيل الله في
أنف امرىء ودخان نار تلهبُ

هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت، لايكذبُ !

وعلى هذا، ومن باب أولى يكون الاشتغال بفروض الكفاية أولى من الاشتغال بالنوافل المحضة والنوافل لايمكن بحال من الأحوال تقديمها على فرض من فروض العين مثلما وقع لرجل في بني إسرائيل يقال له جريج حيث آثر الاستمرار في صلاته «وهي نافلة» على إجابته لنداء أمه «وهي فرض عين عليه» فقد أخرج البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب إذا دعت الأم ولدها في الصلاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

:«نادت امرأة ابنها وهو في صومعته، قالت ياجريج ! قال: اللهم أمي وصلاتي! قالت اللهم لا يموت جريج حتى ينظر وجه المياميس وكانت تأوي إلى صومعته راعية ترعى الغنم فولدت. فقيل لها: ممن هذا الوالد؟ قالت من جريج نزل من صومعته! قال جريج: أين هذه التي تزعم أن ولدها لي؟ قال يا يابوس! من أبوك؟ قال راعي الغنم»(٢٧).

قال ابن حجر معلقا على طرف الحديث في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم إذ أنتبذت من أهلها) مريم/١٦ .وفي الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع لأن الاستمرار فيها نافلة، وإجابة الأم وبرها واجب (٢٨).

وفي الختام، تجب الإشارة إلى أن النوافل، كما توجب محبة الله للعبيد، فإنها تكشف عن محبة العبد لله، وأن إتيانها دليل العلم بها، ودليل الهمة وسمو المقصد وتجسيد لفعالية المسلم. من أجل ذلك شجع رسول الله ﷺ عليها، حيث روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر:أنا قال: فمن تبع اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا . قال: فمن أطعم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا .فقال رسول الله ﷺ : ماإجتمعت في امرىء إلا دخل الجنة»(٢٩). ■

النوافل تكشف عن محبة العبد لله

الهوامش :

١- رواه البخاري رقم ٦٥٠٢
٢-لسان العرب مادة نفل ومثله في القاموس المحيط :نفل
٣- رواه البخاري ٢٧٠٧و٢٩٨٩ ومسلم
٤-رواه البخاري ١٤١٥و٦٠٢٢ ومسلم ١٠٠٨
٥-جامع العلوم والحكم شرح الحديث:٣٨.
٦-رواه مسلم:١٥
٧- رواه البخاري:١٣٦و٥٩٨٢.
٨- رواه البخاري: ٤٦
٩-رواه مسلم برقم:١٢
١٠-رواه البخاري ١٣٩٧ ومسلم١٤
١١-مسند أحمد
١٢-مسند أحمد ج١٤ ص ٨٠و٨٤
١٣-رواه مسلم ٩١
١٤-صحيح ابن حبان ٣٤٣٨
١٥-رواه الترمذي
١٦-انظر تفسير ابن كثير
١٧-مسند أحمد ج٥/١٥٣و١٥٨و١٧٧و٢٣٦
١٨-متفق عليه
١٩-رواه مسلم
٢٠-رواه مسلم ٢٥٧٧
٢١- رواه البخاري٦٥٠٢
٢٢-الموافقات: ١/١٣٢-١٣٣ ط دار المعرفة
٢٣-متفق عليه
٢٤- رواه البخاري ٦٥٠٢
٢٥-رواه أحمد ٤/١٨٨و١٩٠
٢٦-التمهيد للأسنوي:٨٥
٢٧-متفق عليه
٢٨-فتح الباري :٦/٤٨٢ ط دار الفكر
٢٩- رواه مسلم

الأدب الإسلامي ودين الأديب ٤/٤

هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً ؟

هل يبدع غير المسلم أدبا إسلاميا ؟

بقلم الدكتور : جابر قميحة . أستاذ في الأدب العربي

رؤيا.. وأمل..

وللدكتور صالح آدم بيلو ـ في هذا النطاق ـ رؤية طيبة ترتكز على موروث تاريخي كريم (١) فهو يبدأ متسائلا عن هذا اللون من الأدب: هل نسميه أدبا إسلاميا؟ هل نسميه المقارب أو المشابه للأدب الإسلامي؟... أم نسميه الإسلامي دلالة ومؤدى دون المصدر والمنبعث؟ ويرى أن التسمية ـ مادام هذا الأدب مقبولا اسلاميا ـ لا تشكل عائقا كبيرا أو صغيرا في سبيل قبولنا وإقبالنا عليه. ويرى ـ قبل فعل أي شيء في هذا الصدد ـ الاستهداء بما رواه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الشعر – عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ فقال

هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟قلت نعم .قال: هيه، فأنشدته بيتا فقال هيه، فأنشدته بيتا، فقال هيه، حتى أنشدته مئة بيت، وفي رواية قال «إن كاد ليسلم» وفي رواية «فلقد كاد يسلم في شعره».

فالواضح البيّن أنه عليه الصلاة والسلام يصف أدب أمية البناء وشعره الموافق لمفهومات الإسلام بأنه قارب أن يصير إسلاميا، وأن الشاعر قد اقترب من الإسلام كثيرا كثيرا بهذا اللون من الأدب وإن كان في قلبه وحقيقته على خلاف ذلك. واستحق هذا الأدب أن يثير الاعجاب، ويلقى الحظوة والتقدير من سيد الناس عليه أزكى الصلوات والتسليم (٢) فإذا كنا مصرّين على إطلاق اسم على هذا اللون، فإنني أحب أن نستفيد ونستعين بهذا الموقف النبوي الكريم(٣).

عروي والكادية..

وماذكره الدكتور صالح بيلو سنة ١٩٨٥ على سبيل الاشارة أو الأمنية فتح الباب- بعد ذلك بسنوات عدة- لناقد جليل هو الاستاذ محمد إقبال عروي (٤) فالتقط الخيط، وحقق هذه الأمنية في منطوق صريح منطلقا من الموروث نفسه النبوي الذي انطلق منه الدكتور بيلو: فهو يرى أن الرسول ﷺ يعاين هنا تجربة نقدية أصيلة، وحريصة على الانطلاق من المفهوم الإسلامي للدخول في دين الله، ومن ثم فالنتيجة الموضوعية هي رفض أمية ابن أبي الصلت وإبعاده عن ساحة الإسلام. ومن ناحية أخرى: فقد لمس الرسول ﷺ في شعره مفاهيم وأفكارا ونفحات اسلامية يمكن إدراجها في حقل الأدب الاسلامي ولكن مادام صاحبها لم يعرف الإسلام عقيدة ومسلكا، فليس من المشروع أن نطلق على شعره مصطلح الإسلام أو «الإسلامية».. ومن فقد كان التعبير النبوي البليغ المشبع بالإيحاءات الدالة «لقد كان يسلم في شعره». إننا – كما يرى الاستاذ العروي- بين يدي بنيتين: بنية الإسلامية، والبنية التي تضم الفعل «كاد» بالنسبة للأولى فلقد أضحى من البدهي أن نصفها بالإسلامية، أما بالنسبة للبنية الثانية فكيف سيصاغ مصطلحها انطلاقا من تعبير الرسول ﷺ ؟

وينتهي الاستاذ الناقد إلى أن الفعل «كاد» هو الذي يقدم المعنى الدقيق الذي عناه الحديث الشريف، فإذا ماأضيفت إليه «ياء النسب» وتاء التأنيث، وأصبح مبناه «الكادية» أشير به إلى كل إنتاج لم يلتزم صاحبه بالإسلام غير أننا نلمح فيه نفحات إيمانية، تكون إقرارا طبيعيا للفطرة البشرية السليمة حين تنتابها لحظات الصفاء والشفافية سواء أقلت نسبتها أم كثرت (٥). وقد يتعرض هذا المصطلح الجديد للمآخذ الآتية:

١- أنه منسوب إلى الفعل، والأصل- كما يقر الاستاذ العروى صاحب المصطلح- أن تكون صياغة المصطلح بعد إرجاعه

إلى المصدر كما في الإسلامية والواقعية والبنيوية وغيرها. ولكن مصدر الفعل كاد هو «كود» ومامن شك في أنه مصدر غريب غير متداول، فلاداعي إذاً إلى صياغة المصطلح منه، ونكتفي بفعله نظراً لتداوله ومعرفة الناس به (٦). ويمكن أن يضاف إلى دفاع الكاتب أن العرب ينسبون إلى العلم المصوغ على هيئة الفعل مثل :يشكر، ويزيد، وجاد فيقولون:يشكري، ويزيدي وجادي.

٢- غرابته على السمع مما يقلل ويعطل من شهرته، ويدفع هذا المأخذ بأن الغرابة على السمع تزول بالشهرة والانتشار وكثرة الاستعمال والترداد.

٣-اقترابه في بنيته من «الكيد والكُدْية» (٧) وقد يجد من أعداء الأدب الاسلامي غير قليل من السخرية، فيلوون ألسنتهم بقولهم: أدب الكدية والأدب الكيدي. والسخرية ليست عيبا في المصطلح ذاته، ولكنها مأخذ يسجل على هؤلاء الساخرين الذين مازالوا يسخرون ويعارضون حتى الآن مصطلح الأدب الاسلامي ذاته والسخرية بالأنبياء والدعاة والقيم واصحابها باقية مابقى صراع بين الحق والباطل، وهو قائم الى يوم القيامة. ويبقى الساخرون في ذاكرة التاريخ :

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وهناك نقاط متعددة تحسب لهذا المصطلح الجديد: مصطلح الكادية تتخلص فيما يأتي:

١- السهولة النسبية في نطقه، وخفته على اللسان، ومن ثم سهولة حفظه ونشره، فهو أسهل من المعروضات الاصطلاحية السابقة مثل: الأدب المساير، أو المقارب، أو الموافق أو الموائم.. الخ..

٢- أحادية المعنى والدلالة، فالفعل «كاد» لايستعمل- على وجه التحديد - إلا بالمقاربة. ولايحتمل التأويل والخروج إلى معنى آخر شأن المشترك اللفظي (٨).

٣- ارتكاز المصطلح - عمليا - على واقع تاريخي تراثي كريم لاينكره أحد فشهادة النبي ﷺ لأمية بن أبي الصلت جاءت

في الروايتين بالنص الآتي : «إن كاد ليسلم» (٩). «قد كاد يسلم في شعره».

وكلتا الروايتين تؤكدان «المقاربة من إسلام الشاعر بإبداعه الشعري: فهو أدب كان يمكن أن يكون إسلاميا لو أن صاحبه كان مسلما يؤيد ذلك أغلب مانظمه شعرا، فقد عالج فيه معاني دينية فطرية، وحكما وقيما علوية جاء الإسلام وبشر بها (١٠).

وهناك رواية ثالثة (١١) وهي قول النبي ﷺ : آمن لسانه وكفر قلبه، والعبارة الأولى (آمن لسانه) شهادة (للنص) بأنه ناطق - في ذاته- عن قيم إيمانية جليلة. والعبارة الثانية (وكفر قلبه) توصيف لشخصية (الناص) من الجانب العقدي: فهو كافر غير مسلم، ولكن كفره لم يكن دافعا لرفض شعره، كما أن سمو شعره لم يصلح أن يكون مسوغا لوصفه بأنه «شعر إسلامي» كشعر حسان بن ثابت، وكعب بن زهير وعبدالله بن رواحة وعبدالله بن الزبعرى «بعد اسلامه»

وبذلك علّمنا رسول الله ﷺ ان العبرة ليست بما قيل فحسب. ولكن بما قيل ومن قال (١٢).

وعن المجال العملي التطبيقي لمصطلح «الأدب الكادي» يرى الاستاذ العروي انه يصدق على إبداعات غير المسلمين التي تحمل قيما إيمانية وأخلاقية، وتدعو إلى المثل العليا كتلك النماذج التي عرضها الاستاذ محمد قطب لطاغور وسينج، وماعرضه عماد الدين خليل لكاسونا وكل مادار في فلك هذه الإبداعات، وذلك مانوافق عليه الاستاذ العروي، وندعو إليه مرجحين هذا المصطلح الجديد «الأدب الكادي» على غيره من المصطلحات المعروضة سابقاً كالأدب المقارب أو الأدب الموافق.. الخ.

وذلك للأسباب التي سردناها آنفا.

ولكن الاستاذ العروي يتحمس لمصطلحه ويرى أنه يجب أن يصدق كذلك على مثل هذا النوع من الأدب إذا صدر من مسلمين - بالهوية - اشتهروا بسوء سلوكهم، فنراه يقول (١٣) وحتى تأخذ الأمور صورتها العلمية الواضحة فإني أحرص على تقديم نموذج أدلل به على إمكانية استثمار ذلك المصطلح بجميع خلفياته السابقة، والنموذج هو «نزار قباني» وهو يختار الشاعر الحي ليؤكد أمرين مهمين في نظره، وهما :

أ- أن مصطلح «الكادية» لايلغي إمكانية الانحراف السلوكي لصاحب الإبداع، بل يعترف بذلك، وماالمصطلح إلا إقرار بوجوده وبرهنة عليه.

ب- نتيجة لما سبق يصبح إدراج هذا النوع من الأدب «ضمن الإسلامية» خلطا انطلاقا من التعليل السابق، لأن أدبهم إن كان فيه نفحات إسلامية فإن سلوكهم اليومي يخالف الرؤية الإسلامية. وفي تجربة نزار قباني نموذج حي يرى العروي انه يصدق ماذهب إليه إذ إن قصائده الأخيرة مثل «تقرير سري جدا من بلاد قمعستان» و«السمفونية الجنوبية الخامسة»و«ولماذا يسقط متعب بن تعبان في امتحان حقوق الإنسان» تجسد من الناحية الفكرية اعترافا بضرورة الإسلام، وإيمانا قويا بدور الصحابة واعترافا بتفريط الأمة العربية في هويتها، وكل أولئك يدل على «كادية» واضحة.

غير أن سلوك صاحب تلك القصائد لايشجع على إدراجه ضمن «الإسلامية» ومن هنا تأتي قيمة مصطلح «الكادية» ليؤطر الانتاجات تأطيرا سليما، ويبعد بنا عن السلبيات التي يقع فيها بعض النقاد وتتمثل- في نظر العروي - في الحرص على إدراج مثل ذلك الإبداع في دائرة «الإسلامية» دونما سند شرعي مقبول أو مسوغ موضوع معقول (١٤).

نعم ... ولكن ...

ولكننا نجد أن من المبررات العملية الواقعية مايدفعنا إلى مخالفة الكاتب في رؤيته التي مدت نفوذ الكادية إلى شعراء مسلمين :

(١) فمن عجب ان يصرح ان استعمال مصطلح «الكادية» في الحكم على إبداع الأديب (المسلم المنحرف) يمثل- على حد قوله- إقرارا بوجود الانحراف وبرهنة عليه وهو منطق غريب لأن الحكم «بكادية» أدب الأديب يتحول في هذه الحال من تقييم نقدي إلى قرار بالإدانة والتجريم، والمفروض المنطقي هو العكس أي يكون سرد السيئات دليلا وبرهانا على استحقاق الأدب وصف «الكادية».

(٢) ماالمعيار الذي نحتكم إليه في الحكم بانحراف الأديب؟ هل هو معيار الدين الذي يصنف الأفعال في كبائر وصغائر، أو جرائم حدود وجرائم تعازير؟ أم هو معيار القانون الذي يقسم الأفعال الخارجة إلى جنايات وجنح ومخالفات؟ ثم علينا ألا ننسى نسبية «التجريم» على مستوى البلاد العربية والإسلامية:فالتدخين - مثلا - أصبح في مصر من قبيل اللمم، بينما هو في بعض مناطق السعودية يعتبر خطيئة تسقط صاحبها من أنظار الناس، وهذا الازدواج المعياري في التجريم سيؤدي بالتبعية إلى ازدواج الحكم في تقييم العمل الأدبي، ويتضح ذلك من المثل الآتي:

شاعر مصري إسلامي «من هواة التدخين» ألقى قصيدة من قصائده الاسلامية في القصيم بالسعودية ـ وهي قصيدة من الشعر الاسلامي في مصر بلا خلاف ولكنهم ـ أخذا بالكادية ـ سيجعلونها في عداد الأدب الكادي بلا خلاف ايضا لأن حكم التدخين هنا يختلف عن حكمه هناك.

ونكون بذلك قد أدخلنا «عرف المكان» عاملا حاسما في الحكم، وتدخل القصيدة التاريخ بوصفين مختلفين : الإسلامية والكادية.

(٣) ثم ما الحكم في شاعر عرف بحسن السلوك، أبدع روائع استحقت وصف «الأدب الإسلامي» ثم ثبت بعد ذلك بأدلة قاطعة ان الشاعر كان منحرفا سيء السلوك في الأيام أو الأشهر التي نظم فيها هذه القصائد.. فهل نلغي قرار «اسلامية» أدبه، ونستبدل به حكما «بكادية» هذا الأدب، ونجعله ساريا بأثر رجعي؟

(٤) ثم هل نقوم برصد عيون تتابع سلوكيات الأدباء للحكم عليهم. ثم ننطلق من هذا الحكم إلى الحكم على أدبهم بالإسلامية أو بالكادية، ونحن المسلمين منهيون عن التجسس وتتبع عورات الآخرين؟

(٥) ثم ماالحد الزمني للانحراف الذي يخلع على الأدب صفة «الكادية» ويحجب عنه صفة «الإسلامية»؟ هل هو الانحراف الدائم؟ أم هو الانحراف قبل إبداع النص؟ أهو الانحراف في آنه؟ أم هو الانحراف بعده؟ ومَنْ مِنَ النقاد الإسلاميين يملك من الوقت والقدرة واليقظة مايمكنه من متابعة ذلك والتحقق منه؟ قد يقال: فليكن الاعتماد على شهادة الشهود من الجيران والأصدقاء وزملاء العمل والصحف...الخ.

هنا ستنشأ مشكلة جديدة وهي ضرورة الوثوق من عدالة «الشاهد» وتنزهه عن المنكرات وخوارم المروءة.

(٦) ثم هل تدخل «الجرائم السياسية» في منظومة الانحراف؟ إننا نعرف كثيرا من الأدباء والمفكرين سجنوا وبعضهم أعدم بتهمة الخيانة الوطنية «ومحاربة الله ورسوله» ثم ظهر «بعد أن قضي الأمر» انهم من كل ذلك براء.

(٧) ومن المشكلات المتوقعة كذلك ماقد يجر الحكم بكادية أدب مسلم «منحرف» إلى مساءلة قانونية إذا أعلن الناقد الانحراف تبريرا لهذا الحكم وذلك إذا لجأ المبدع إلى القضاء حرصا على سمعته، وفي هذه الحال يكون الناقد مطالبا بتقديم الدليل على هذا الانحراف من وقائع ثابتة محددة، حتى لايقع تحت طائلة المسؤولية.

وبهذه التوسعة لمنطقة نفوذ «الكادية» يتحول المصطلح الذي قدمه صاحبه ليقوم بدور المنقذ الذي يحل مشكلات ويحسم قضايا قائمة بالفعل الى عامل قوي لتوليد مزيد من المشكلات. ومن ثم أرى أن ينحصر إطلاق هذا المصطلح الرائع على الأدب ذي المواصفات الإسلامية الذي ينتجه غير المسلمين.

أما مثل هذا الأدب الذي ينتجه مسلمون بالهوية ـ حتى لو كانوا مخدوشين سلوكيا من الأموات أو الأحياء ـ فهو أدب إسلامي يتسع لقصائد نزار قباني التي أشار إليها الأستاذ العروي وتوبيات أبي نواس الحسن بن هانيء، لأن هذه القصائد ومادار في فلكها إنما نظمها الأديب في ساعة من ساعات تفتح الفطرة الإنسانية. والحكم (بإسلامية) هذه القصائد لايتعداها طبعا إلى «الشعر الآخر» لهؤلاء الشعراء، كما لايتعدى إلى (شخصية الشاعر) فيوصف بأنه (شاعر إسلامي) إن كان شاعرا مسلما، وحسابه في سلوكه على الله. ■

المراجع والتعليقات :

١- انظر كتابه من قضايا الأدب الإسلامي ١٢٢-١٢٥.

٢- كان أمية بن أبي الصلت ـ كما يذكر محمد بن سلام الجمحي ـ كثير العجائب يذكر في شعره خلق السموات والارض ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك مالم يذكره أحد من الشعراء، وكان قد شام أهل الكتاب «أي اقترب منهم» طبقات فحول الشعراء١/٢٦٣. وقد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل، ورغب عن عبادة الأوثان وكان يخبر أن نبيا يبعث قد أظل زمانه، ويؤمل أن يكون ذلك النبي .. وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء ويأتي بالفاظ كثيرة لاتعرفها العرب «الشعر والشعراء لابن قتيبة١/٤٦٦». وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية، وحرم الخمر، وشك في الاوثان، وكان يقول «كل دين يوم القيامة عند الله ـ إلا دين الحنيفية زور»الاغاني٤/١٣٣٩».

٣- د. بيلو: مرجع سبق ١٢٤/١٢٥.

٤- في دراسة بعنوان «قراءة في نظرية الأدب الإسلامي» لمؤلفه الدكتور عماد الدين خليل١٧/٢٥ في مجلة الأدب الإسلامي العدد السادس السنة الثانية.

٥- انظر: المرجع السابق٢٢/٢٤.

٦- العروي : مرجع سبق ٢٤

٧- للكدية في الأصل هي الأرض الغليظة أو الصلبة التي لاتعمل فيها الفأس، والكدية حرفة السائل الملح. «المعجم الوجيز٥٢٩».

٨- محمد سعيد اسبر، وبلال جنيدي: الشامل ٦٩٣ .وأذكر في هذا المقام أن أهل شمال الدلتا في مصر يستخدمون «كاد» اسما فيقولون :فلان ادرك القطار بالكاد «أي أدركه في آخر لحظة» وفلان نجح بالكاد كأنه كان معرضا للرسوب أو قريبا منه و«ولم يعطه حقه إلا بالكاد» اي بعد لأي ومشقه، وهي استخدامات لم تحلق بعيدا عن جو المقاربة.

٩- (إن) بالسكون مخفف (إن) ويجمع النقاد على إهمال عملها إذا جاءت بعد فعل، والأرجح أن يكون هذا الفعل ناقصا او ناصبا المفعول(الشامل:السابق١٩٠).

١٠- انظر على سبيل التمثل مطولته الدالية التي مطلعها: لك الحمد والنعماء والملك ربنا.. فلاشيء أعلى منك مجدا وامجد «ديوان امية بن أبي الصلت ٣٤-٣٧».

١١- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١/٤٦٦ .

١٢- ويؤيد ذلك ماجاء في حديث طويل منه قول الشيطان لأبي هريرة رضي الله عنه: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي:(الله لا إله الا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية فإنك لايزال عليك من الله حافظ، ولايقربك شيطان حتى تصبح.. فلما نقل: أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم ماحدث قال:« أما إنه صدقك وهو كذوب». انظر الحديث بتمامه رقم ٢٣١١ في صحيح البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر.

١٣- العروي : مرجع سابق: ٢٤.

١٤- العروي : السابق الصفحة نفسها.

المراجع :

١- الأدب الإسلامي: إنسانيته وعالميته: د. عدنان النحوي دار النحوي: الرياض -١٤٠٧- ١٩٨٧.

٢- أدب ونقد: محمد المجذوب نادي المدينة الأدبي.ط (١) ١٤٠٨-١٩٨٨.

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين بن الأثير دار الشعب. القاهرة(د.ت).

٤- الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني. دار الشعب. القاهرة .د.ت

٥- الالتزام في الأدب الإسلامي: د. محمد مصطفى هدارة «بحث نشر ضمن بحوث ندوة الأدب الإسلامي المنعقدة في الرياض بتاريخ ١٦/٧/١٤٠٥»

٦- ثقافة الأسئلة : عبد الله الغذامي : النادي الأدبي بجدة. ط(١)١٩٩٢.

٧- خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب «طبعة الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية ١٩٧٨».

٨- ساعات بين الكتب: عباس العقاد «بيروت ط (٢) ١٩٦٩ .

٩- السيرة النبوية لابن هشام: مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ط (٢) ١٣٧٥- ١٩٥٥ .

١٠- الشامل معجم في علوم العربية ومصطلحاتها: محمد سعيد اسبر وبلال جنيدي «دار العودة- بيروت١٩٨٥»

١١- الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د. عز الدين اسماعيل. دار الفكر العربي القاهرة. ط(٣).

١٢- الشعر والشعراء: ابن قتيبة تحقيق الشيخ احمد شاكر «دار التراث العربي. القاهرة ط(٣) ١٩٧٧.

١٣- صحيح البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني ط (١) الدار السلفية - القاهرة.

١٤- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي: شرح محمود شاكر- مطبعة المدني. القاهرة- د.ت

١٥- في الأدب الإسلامي المعاصر: دراسة وتطبيق: محمد حسن بريغش مكتبة المنار- الزرقا- الأردن ط(٢) ١٩٨٥ .

١٦- في النقد الإسلامي المعاصر: د. عماد الدين خليل مؤسسة الرسالة - بيروت ط(٣) ١٤٠٤-١٩٨٤.

١٧- قراءة في نظرية الأدب الإسلامي: محمد إقبال عروي «دارسة نشرت في العدد (٦) من مجلة الأدب الإسلامي».

١٨- قضايا معاصرة في الأدب والنقد د. محمد غنيمي هلال «دار نهضة مصر- القاهرة د. ت

١٩- لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي دار احياء العلوم - بيروت ط (١) ١٩٧٨ .

٢٠- اللزوميات «لزوم مالايلزم» أبو العلاء المعري «مكتبة الخانجي القاهرة ـ ١٩٤٩ .

٢١- المدخل إلى القيم الإسلامية: د. جابر قميحة -دار الكتاب المصري اللبناني- القاهرة ط(١) ١٩٨٤ .

٢٢- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي: د.عماد الدين خليل «مؤسسة الرسالة بيروت. ط(١) ١٤٠٧-١٩٨٧.

٢٣- مصطلح الأدب الإسلامي: د. مرزوق بن تنباك «بحث نشر في الدارة السعودة العدد ٣- السنة ١٨- ربيع الآخر ١٨١٣ .

٢٤- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني. المكتبة المرتضوية- طهران- د.ت

٢٥- من قضايا الأدب الإسلامي: د. صالح آدم بيلو «دار المنارة- جدة- ط(١):١٤٠٥-١٩٨٥.

٢٦- منهج الفن الإسلامي: محمد قطب (دار الشرق- القاهرة ط٧) ١٤٠٨- ١٩٨٧ .

٢٧- موت المؤلف: رولان بارت. ترجمة منذر العياشي «دار الأرض- الرياض. ط(١) ١٤١٣ .

٢٨- نعم لمصطلح الأدب الإسلامي: د. جابر قميحة «دراسة نشرت بمجلة الدارة: العدد الأول- السنة (٢٠) شوال ١٤١٤»

من الدوريات :

١- الحرس الوطني

٢- الدارة

٣- المجتمع

٤- مجلة الأدب الإسلامي

٥- المسلمون.

تاريخ

عقاب ابن رشد ومعركة العقاب

بقلم: د. خالص جلبي

حتى يمكن فهم أين يقف العلم اليوم لا بد من معرفة كيفية بدئه؟ فكل علم له بدايات أولية، وتشكلات جنينية.

كل حدث هو نتيجة لما قبله وهو بالوقت نفسه سبب لما سيأتي بعده، فهناك علاقة جدلية بين الأحداث وهناك ترابط محكم بين الوقائع.

في هذه الحلقة سوف نستخدم المفهوم القرآني لاستجلاء التطور العلمي في ضوء وقائع التاريخ وأحداثه. ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ العنكبوت / ٢٠. فلنحاول تأمل خلق العلم.

بينما كنت أتأمل جدران قصور غرناطة في رحلاتي المتكررة إلى اسبانيا لفت نظري تكرر عبارة (لاغالب إلا الله) منقوشة في الجدران بشكل واضح مكرر لايضل في قراءتها أي قارىء للغة العربية، فسرح بي الخيال في محاولة «استنطاق» لهذا النص وخلفيته المعبّرة.

إنهم يرون أنهم يهزمون ولكن «وللتعويض» في وجه خصومهم الذين قهروهم وبقوا في أرضهم القرون الطوال، يجب أن يقولوا إن الذي يهزمهم ليس خصمهم بل «الله» الذي لاطاقة لأحد به ولاقدرة. إذاً كان حلاً نفسياً مريحاً، ولكن هذا الترنح كان قبل الهزيمة النهائية، والطرد من شبه الجزيرة الإيبرية، وإبادة من بقي فيه رائحة من بقيتهم.

كل هذا بدأت قصته بشكل مبكر أبكر بكثير مما يرويه الحجر الميت الذي كنت أقرأ فيه بقايا هذه الكلمات (لاغالب إلا الله).

وبينما كنت مع صديقي المقيم في اسبانيا نمر بالسيارة بجانب مدينة «رويال ثيوداد» سألته عن المدينة متجاهلاً هل تعرف عن تاريخها شيئاً ،فأجاب بالنفي قلت له ألا تذكر علاقتها بالتاريخ أبداً؟ فكرر بالنفي، فكرت في نفسي: إننا أمة نُكبت مرة أخرى لإنها لاتعرف أفظع شيء مر عليها!!

قلت له إن المؤرخ محمد عبد الله عنان كتب موسوعة كاملة عن تاريخ المسلمين في الجزيرة وجاء بنفسه إلى هذا المكان قريباً من هذه المدينة ونبش في أرضها، بل اكتشف في بعض الحفر بقايا «رؤس رماح وأنصال» من آثار أخطر معركة تمت في هذا المكان في العام ١٢١٢م الموافق ٦٠٩هـ. ولكن مالنا والقصة الآن. دعنا لانستبق الأحداث. ولنكشف اللثام عن صفحة سوداء من النكبة العلمية في تاريخنا، بل في تاريخ الجنس البشري لنستعرض رحلات العلم والتفتح الذهني المترافقة بالمعاناة والعذاب.

في قرار لعن العالم المسلم والطبيب النطاسي أبو الوليد «ابن رشد» ملهم النهضة الإنسانية الحالية، ذكر صاحب كتاب «الذيل والتكملة» ابن عبد الملك نص الإدانة الكامل سننقل منه بعض الفقرات لمقارنتها بنصوص إدانة أخرى، وأحكام مرعبة تاريخية رهيبة تالية في مسيرة نهضة العقل الإنساني على مدار رحلة الجنس البشري في بقاع منوعة وثقافات متباينة، وأديان شتى، في محاولة لإمساك وفهم سنة الله التي تتكرر ولاتخيب في المستوى الإنساني، مستوى قانون الأحداث النفسية الاجتماعية في معركة الخرافة والعلم «وقد كان في سالف الدهر قوم، خاضوا في بحور الأوهام... فخلّدوا في العالم صحفاً، مالها من خلاق، مسودة المعاني والأوراق... يوهمون أن العقل ميزانها، والحق برهانها...ونشأ منهم شياطين يخادعون الله والذين آمنوا... فكانوا أضر عليها من أهل الكتاب ...وهؤلاء قصارى همهم الغمومة والتخييل، وبث عقاربهم في الآفاق.. فاحذروا– وفقكم الله– هذه الشرذمة حذركم من السموم السارية في الأبدان. ومن عثر له على كتاب من كتبهم فجزاؤه النار التي بها يعذب أربابه، وإليها يكون مآل مؤلفه وقارئه... والله تعالى يطهر من دنس الملحدين أصقاعكم ويكتب في صحف الأبرار تضافركم على الحق واجتماعكم إنه منعم كريم».؟!

هذا كان مصير الفيلسوف المبدع الذي استفادت منه اوروبا اكثر من العالم الاسلامي، ففي الوقت الذي أطلق فيها شرارة العقل المفكر، كان هذا الصك يحكي لنا حرق كتبه أينما وجدت!!. وبذا أعدمت



مؤلفاته من أمثال «شروحات أرسطو» و«تهافت التهافت» و«فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» وهي اليوم كتب نادرة لايستفيد منها أحد، كما لم يستفد منها أحد سابقاً «باستثناء الغرب»!!.

كان مصير ابن رشد أفضل حظاً من غيره لإنه لم يحرق حياً، بل اكتفى بنفيه الى «الليسانة» ليقضي فيها ماتبقى من أيام شيخوخته، لأنه أُلقي هناك معزولا منبوذاً مدحوراً وهو في السبعين من عمره، ولم يعش بعدها إلا سنوات قليلة.

كان ذلك التاريخ المشؤوم العام ٥٩١هـ الموافق ١١٩٤م حيث مات المفكر المبدع بعدها في العام١١٩٨م أي مع خاتمة القرن الثاني عشر الميلادي ونهاية القرب السادس الهجري.

ولكن الأمة التي تفعل بمفكريها هذه الفعلة هل تبقى دون عقاب؟ لنسمع إذاً خبر التاريخ عن معركة «العقاب»؟!

بعد موت الفيلسوف العظيم بأربعة عشر عاماً نكبت «اليتيمة والأيتام» على حد تعبير الخليفة الموحدي «المنصور» الذي وصف الأندلس وأهلها بها، وأوصى بهم على فراش الموت، بنكبة عسكرية لم يقم لهم قائمة بعدها كان ذلك في معركة «العُقاب» في يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة ٦٠٩هـ «ليلة ١٦ يوليو سنة١٢١٢م».

وكما كانت معركة «الزلاقة» هي «الفرملة التاريخية» للسقوط الأندلسي عندما جاء الخليفة المرابطي «يوسف بن تاشفين» في العام ١٠٨٦م –٤٧٩هـ لينقذ الأندلس المنهار بعد فترة حكم الطوائف التي دامت ثمانين عاماً «من العام٣٩٩هـ حتى العام٤٧٩هـ» فإن معركة العقاب هذه كانت بداية النهاية للاندلس.

وحتى يمكن ان نعي الوضع التاريخي المكرب للمسلمين في ذلك الوقت والآثار المأساوية لتلك المعركة، ولإلقاء الضوء على هذه الفترة من الظلام الفكري وضيق الأفق والتعصب الذي انتهى في صورة مأساة ابن رشد فإننا ننقل عن المؤرخ محمد عبد الله عنان مايلي:«وأما في التواريخ الإسلامية فإنها تعرف بموقعة العُقاب، من مفردها عقبة، وذلك فيما يرجّح لوقوعها بين الربى والتلال المانعة، وليس بمعنى المعاقبة على الذنب، وان كان بعض الكتاب والشعراء قد نسبوا إليها مثل هذا المعنى، في معرض التلويح بغضب الله وعقابه للموحدين، لأنهم حادوا على جادته، وبغوا وتجبروا، واعتمدوا على كثرتهم ولم يعتمدوا على عونه. ومن المسلم أن خسائر المسلمين في معركة العقاب كانت فادحة جداً. والروايات

إننا أمة نُكبت مرة أخرى لإنها لا تعرف أفظع شيء مر عليها !!

الإسلامية تجمع كلها على أن الجيش الموحدي قد هلك معظمه. ويصف صاحب الحلل الوشية المعركة بالهزيمة العظمى التي أفنى فيها أهل المغرب الأندلس.

وقد أسفرت هزيمة العقاب الساحقة عن أفدح وأروع الآثار التي يمكن تصورها، سواء بالنسبة للأندلس أو المغرب أو الدولة الموحدية. فأما بالنسبة للأندلس فقد قضت هذ الهزيمة نهائياً على سمعة الموحدين العسكرية في شبه الجزيرة، وتحطم ذلك الدرع الذي كانت تسبغه الجيوش الموحدية، القادمة من وراء البحر، على الأندلس وعلى دولة الإسلام بها. وتضعضع سلطان الحكم الموحدي بالأندلس، وأخذت الأندلس منذ ذلك الحين تنحدر إلى براثن الفوضى الطاحنة، وانتثرت غير بعيدة إلى أحزاب وشيع جديدة قامت لتضرب بعضها بعضاً، ولتبدأ عهداً جديداً من المعارك الانتحارية الصغيرة التي لانهاية لها، والتي تذكرنا بعهد الطوائف، وضمن ذلك النصر الباهر الذي أحرزته الجيوش النصرانية المتحالفة في هضاب تولوسا، لاسبانيا النصرانية تفوقها السياسي والعسكري في شبه الجزيرة وفتح الباب واسعاً لغزو الاسترداد النصراني المنظم، الذي سيستمر من ذلك الحين في جني ثماره، بانتزاع القواعد الأندلسية، واقتطاع أشلاء الأندلس الكبرى بصورة متتابعة، وفي فترات قصيرة مذهلة.

وقد تردد هذا الفزع الذي سرى إلى الاندلس يومئذ، وماكان يفوح لها من شبح الفناء، من جراء كارثة العقاب واضحاً في الأدب والشعر فمن ذلك ماقاله أبو إسحق إبراهيم بن الدباغ الاشبيلي:

وقائلة أراك تطل تفكرا
كأنك قد وقفت لدى الحساب

فقلت لها أفكر في عقاب
غدا سببا لمعركة العقاب

فما في أرض أندلس مقام
وقد دخل البلا من كل باب

ويلخص لنا صاحب الروض المعطار أثر الهزيمة في الدولة الموحدية بقوله: «وكانت هذه الوقيعة أول وهن دخل على الموحدين، فلم تقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة».

وإذا كانت هذه عقوبة من عقاب ابن رشد، أو كانت عقوبة ابن رشد لهذه الأوضاع التي تمشي في طريق الاحتضار فإن المحصلة النهائية واحدة، وهي نتيجة بائسة بكل المقاييس لأمة تعامل الفكر المشرق هذه المعاملة، وهي مؤشر خطير لتوقف الحياة العقلية، أو انحدار مخطط الحضارة بصورة عامة لأن الحضارة هي حياة العقل قبل كل شيء.

وقد انتبه المفكر الجزائري «مالك بن نبي» إلى هذه الوقفة التاريخية المفصلية فاعتبر ان الحضارة الإسلامية توقفت لتفرز بعد ذلك الإنسان المتخلف عن ركب الحضارة، العاجز عن حل مشاكله، الذي يتوقف عنده الزمان «دون سرعة النسبية!!» كما توقف عند أصحاب الكهف من دون رسالة أصحاب الكهف. فاعتبره إنسان «مابعد الموحدين» أي إنسان مابعد مصيبة معركة العقاب.

ولم تتوقف معاقبة أهل قرطبة الذين يصفهم «الفيلسوف العالم التقي ابن رشد» بأن من أعظم المواقف الصعبة التي مرت عليه عندما أراد الصلاة في أحد المساجد هو وابنه فقام عليه الغوغاء وأخرجوه وابنه من المسجد ومنعوهما من الصلاة، قال عنها إنها كانت من أصعب اللحظات التي مرت عليه في حياته. ولاغرابة فإذا كان الخوارج قديماً قد أخرجوا الإمام علياً من الإسلام وكفروه واستباحوا دمه. ثم سفكوا دمه من أجل الاختلاف معه في وجهة النظر. فإن هذا المشهد قد يتكرر تاريخياً في صور شتى في إطار التعصب وعدم التسامح.

كان عقاب أهل قرطبة مخيفاً بل عقاب أهل الأندلس جميعا فقد سقطت بعد ذلك «بالنسيا في العام ١٢٣٦م وهي العاصمة الشرقية للأندلس» ثم سقطت قرطبة نفسها في العام ١٢٣٨م بعد عامين من سقوط بالنسيا أي بعد موت ابن رشد بأربعين سنة«ولعل الذين طردوه من المسجد رأوا طردهم جميعاً هذه المرة» لأن عادة الأسبان جرت على تحويل كل مسجد إلى كنيسة فور دخولهم أي بلدة إسلامية. ثم تكلل الانهيار بعد ذلك بسقوط مدينة اشبيلية في العام ١٢٤٨م وبذلك سقط الجناح الغربي للعالم الاسلامي بتمامه، ليتبعه بعد عشر سنوات بالضبط سقوط الجناح الشرقي للعالم الإسلامي أعني بغداد على يد هولاكو العام

كان مصير ابن رشد أفضل حظاً من غيره لإنه لم يحرق حياً بل اكتفي بنفيه إلى «اليسانة»

١٢٥٨م وهكذا سقط جناحا العالم الإسلامي في ظل الظروف والمناخات العقلية السائدة تلك التي دشنت نفي وتعذيب ابن رشد في شيخوخته. وليسطر العلاّمة ابن خلدون بعدها ملاحظته اللامعة بأن مناخاً جديدا يسيطر على العالم الإسلامي أعني «الانهيار والسقوط أو تفسخ الحضارة الإسلامية» حينما أشار بقوله وكأن لسان الكون نادى بالخمول فاستجاب.

إن الكثيرين من باحثي المعجزات العلمية في الآيات القرآنية أعيوا أنفسهم في محاولة اكتشاف «الاكتشاف العلمي» من الآية القرآنية، في الوقت الذي لم نسمع شيئاً عن ذلك قبل «الاكتشاف العلمي» وهذا ليس توجه القرآن بحال، بل ان القرآن وضع لنفسه توجهاً خاصاً وهو عدم الاستجابة لمطالب المشركين في إنزال المعجزات وورد هذا في عشرات الآيات القرآنية. القرآن أراد بالأحرى إيجاد «المناخ العقلي» الذي يكتشف آفاق العلم والإنجازات العلمية من دون حدود لأن الكون كله آيات. الكهرباء والجاذبية وميكانيكا الكم والنسبية والحرارة والجيولوجيا والانثروبولوجيا كلها فضاءات معرفة وآيات».

هذا المناخ العقلي الذي كان يكتشفه ابن رشد أضاء في مكان آخر وشق طريقه بصعوبة بالغة في ٤ نوفمبر من العام ١٤١٥، جاء المصلح الديني «جان هوس» وهو من تشيكوسلافاكيا سابقاً الى مدينة كنستانس الواقعة على الحدود النمساوية السويسرية ليعرض على المجمع الديني المنعقد هناك وليستجوب بسبب نقده المتواصل للكنيسة، وبخاصة في تصرفات الرهبان المالية وبيع صكوك الغفران. وجمع الثروات الحرام تأمل الآية: (إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) التوبة/٣٤.وقد أغراه الملك الألماني «سيجيسموند» بالحضور مع توفير الحماية له إلا انه اعتقل ثم قُدّم للمحاكمة بتهمة الهرطقة، واتهم في المحاكمة بكتاباته في ثلاثين موضعاً منها ،تدينه بالكفر والزندقة والمروق عن الدين، وأعطي مهلة للتراجع عن آرائه، وعندما اعترض على ذلك وبين أنه مؤمن وأن الأمر لايخرج عن تأويلات سيئة لأقواله حكم عليه بالحرق حياً ونفذ الحكم في اليوم نفسه حيث وضع على منصة خشبية أمام المتفرجين تأكله النيران!!!

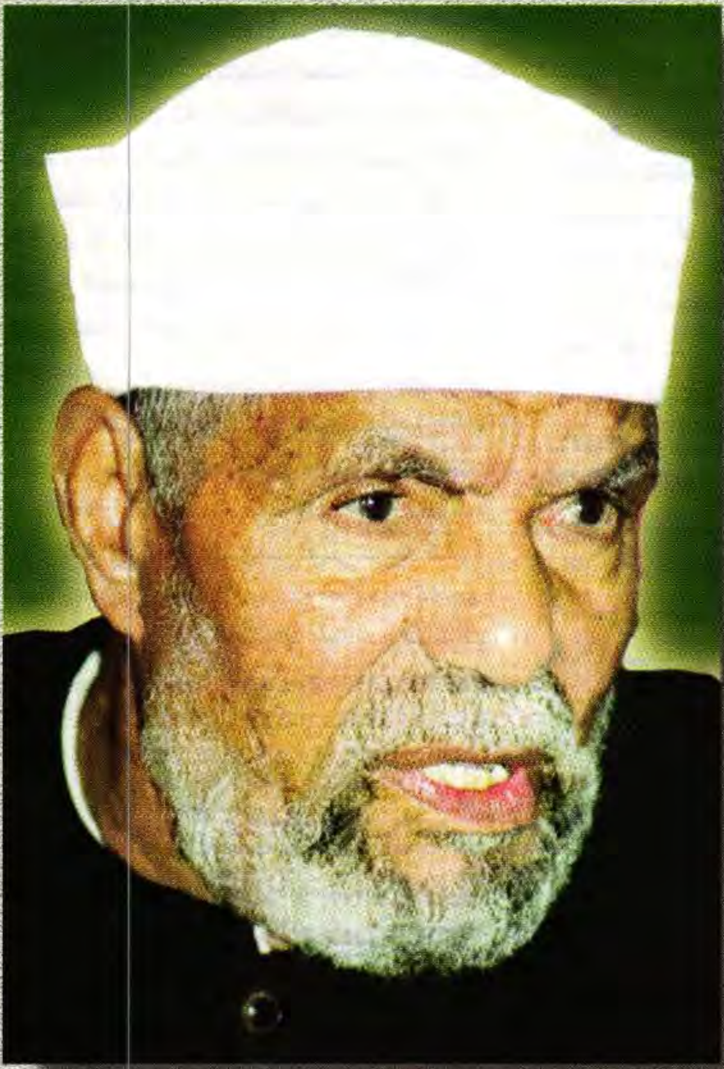
وهذا الحرق أو إلغاء الإنسان من الوجود لأفكاره فقط كانت رحلة رهيبة اثناء بدء الحركة العقلية في أوروبا، حيث تعرض جيوردانو برونو بدوره في السابع عشر من فبراير العام ١٦٠٠م للحرق أيضا من اجل أفكاره ولم يتراجع.

والآن إذا كنا رسمنا بانوراما تاريخية لأولئك الذين يشقون الطريق إلى الحرية الفكرية والمناخ العقلي الجديد الذي سيشق الطريق للحضارة يبقى أن نختم البحث بقرار اللعنة الذي صدر أيضاً ضد اسبينوزا المفكر الهولندي الذي كتب في حياته كلها أربعة كتب فقط منها «رسالة في اللاهوت والسياسة» و«رسالة في تحسين العقل» وكما يذكر صاحب كتاب «قصة الفلسفة» ويل ديورانت، أنه لم يتجرأ على نشر كتابه الأخير «الأخلاق مؤيدة بالدليل الهندسي» الذي فرغ من كتابته العام١٦٦٥م فبقي عنده حتى الموت وعندما جاءته المنية وعمره ٤٤عاماً، بعد أن افترس السل صدره، سلّم مفتاح غرفته لصاحب البيت مع نسخة كتابه «الأخلاق» للطباعة الذي حفظ لحسن الحظ.

يقول قرار اللعنة:«بقرار الملائكة وحكم القديسين نحرم ونلعن وننبذ ونصب دعاءنا على باروخ اسبينوزا.. وليكن مغضوباً وملعونا، نهارا وليلاً وفي نومه وصبحه، معلونا في ذهابه وإيابه، وخروجه ودخوله، ونرجوا الله أن لايشمله بعفوه أبدا، وأن ينزل عليه غضب الله وسخطه دائما ... وأن لايتحدث معه أحدا بكلمة، أو يتصل به كتابة، وأن لايقدم له أحد مساعدة أو معروفا، وأن لايعيش معه أحد تحت سقف واحد، وأن لايقترب منه أحد على مسافة أربعة أذرع، وأن لايقرأ أحد شيئا جرى به قلمه أو أملاه لسانه».

بالطبع نحن نتذكر قرار مقاطعة قريش للرسول (ص) كما أن القرآن يذكرنا بأن إبراهيم كان أقوى من النار لأنه اعتمد الحجة الدامغة التي تبهت (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) الأنعام/٨٣ لذا فإن حريق العلماء في أوروبا ايضاً لم ينفع لأنهم اعتمدوا سلاح إبراهيم الذي قدح زناد النور في الظلام المخيم. ■

الحضارة الإسلامية توقفت لتفرز بعد ذلك الإنسان المتخلف عن ركب الحضارة



في رثاء الشيخ شعر: محمد عبدالله القولي

محمد متولي الشعراوي

العينُ تدمعُ للعظيمِ الشانِ
والقلبُ يخشعُ مُثقَلَ الأحزانِ
والنفسُ تجزعُ بعد فقدِ «محمدٍ».
علَمٍ ثوى والعلمُ في ثورانِ
هو أمّةٌ كالسيلِ في نفحاته
و«خواطرٍ» فيضٌ من الإحسانِ
«صورٌ» تدفَّقُ تستقي من سورة
أو آيةٍ نبعاً مدى الأزمانِ
هو أمّةٌ سعدتْ به أممُ الهدى
وتزودتْ من حوضه الريّانِ
قد غابَ عنّا إنما هوَ حاضرٌ
بعطائه والفضلُ في الميزانِ
علمٌ يظلُّ على الدهورِ منارة
تهدي الحيارى شاطئَ الإيمانِ
لسنا نُزكّي عابداً بل حَسْبُنا
أنا نظنُّ بأنّه نوراني
ونظنُّهُ عبداً تفضّلَ ربُّه
رقّاهُ من إنعامِه لمكانِ
بل حَسْبُنا الرحمنُ يهدينا لما
يرضى من التسليمِ والسلوانِ
أو حَسْبُنا أن لا نقولَ سوى الذي
يرضيه منّا - أمّةَ - العدناني
«أمحمدٌ» أولاكَ ربُّك نعمة
فشعرتَ بالقرآن فيضَ معانِ
وحبَاكَ من إحسانه فهماً به
باللطف تنفذُ للعظيمِ الشانِ
وجلا لك الأشياءَ بعضَ نواله
فبصرتَ ذوقاً حكمةَ الديانِ
فنهلتَ تُهدي للعبادِ وتستقي
من فضله بحراً من الرحمنِ
فإذا بنهركَ دافقاً تجري لنا
وإذا العطاءُ على الأثيرِ الهاني
تُعطي وتأخذُ ما يشاءُ إلهُنا
وتجودُ نبعاً دافقَ الإيمانِ
سيظلُّ علمُكَ للعبادِ ونفعهم
أولاك ربُّكَ ختمةَ القرآنِ
فسلامُنا لك طيباً متجدداً
ودعاؤنا الفردوسَ خيرَ مكانِ
أرجوكَ ربي نفعنا بعلومه
ونفوزُ يومَ الحشرِ بالرضوانِ
واخلِفْ لنا علاّمةً نزهو به
ويظلُّ مجدٌ دائمَ الثورانِ
واحقنْ دماءَ المسلمين إلهنا
واجمعهمو في جنةِ الديّانِ

البيت المسلم

العدد ٣٩٤ ـ **الوعي الإسلامي** ـ جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ ـ سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٨ م



متى تبدئين بتقديم الوجبات الصلبة لطفلك ؟

عبارات خطيرة (٢)

الرجال لا يبكون

تحريرها من أنصاف الرجال

الأخت المخطوفة

أبناؤنا وآدابنا الاجتماعية

حكم الزواج إن استكتم الشهود

الأسرة وتنشئة الفرد وبناء المجتمع

اهتمام عالمي بالشيخوخة

اعتذار

في الصفحة ٦٧ و ٧٦ في العدد الماضي (٣٩٣) نُشرت صورة طفل يعزف على آلة موسيقية هي «الكمان» مع موضوع «كيف تستثمر وقت طفلك؟» باختيار قسم التنفيذ في المجلة دون علم رئاسة تحرير المجلة وإدارتها.

و«الوعي الإسلامي» تعتذر إلى قرائها الكرام عن هذا التصرف الخطأ، وتؤكد عدم رضاها عن نشر الصورة، وتوضح أنه تمت محاسبة من قام بالعمل في قسم التنفيذ على ذلك.

ندعو الله أن يقيل العثرات ويعفو عن الزلات ويتجاوز عن الأخطاء.

رئيس التحرير

تحريرها من أنصاف الرجال

محمد رشيد العويد



قيد من القيود التي تُفقد المرأة عامة، والمرأة المعاصرة خاصة، جانباً كبيراً من أمنها النفسي وأمنها الاقتصادي.

وهو قيد، لأنه يحمّلها مسؤوليات جديدة، وأعباء إضافية، كانت من مسؤويات الرجل وأعبائه.

و«أنصاف الرجال» هؤلاء هم رجال، لكنهم لا يقومون بما يجب أن يقوموا به من أعمال، ولا يحملون ما ينبغي عليهم أن يحملوه من مسؤوليات، ومن ثم يتركون المرأة تواجه وحدها مصاعب جديدة، تقلل وقت راحتها أو تلغيه، وتقلل ما في يديها من مال، إن لم تزد حاجتها إلى المال من أجل تلبية حاجات أساسية لها ... ولأولادها إن كانت أماً.

وإذا كان أنصاف الرجال هؤلاء قلة في الأزمان الماضية، فإنهم كثيرون في هذا الزمان، وهم يزيدون يوماً بعد آخر، ومع زيادتهم يزيد عدد النساء المبتليات والخاضعات لهذا القيد الجديد.

إنه قيد يكبل المرأة، إذ كيف تكون المرأة حرة وهي محاطة بمشكلات جديدة ألقاها الرجل، أونصف الرجل، ومضى لا يلوي على شيء؟! إن المرأة الغربية اليوم، من المفترض أنها نالت حريتها، وهي أكثر من تعاني من هذا القيد، وتتحمل من تكبيله لها، وتضييقه عليها، الشيء الكثير.

وأرجو أن تقرؤوا معي تقريراً عن نوع واحد من أنصاف الرجال الذين يزيدون في الغرب، وهم الأزواج الهاربون من بيوتهم في بريطانيا، تاركين زوجاتهم وأولادهم دون رعاية ونفقة، ومحملين زوجاتهم أعباء ومسؤوليات جديدة. جاء في التقرير:

«الأسرة الإنكليزية تعيش منذ فترة، أزمة اجتماعية ونفسية خاصة، وأسباب الأزمة تعود إلى أن الكثيرين من الأزواج يهجرون بيوتهم، أو يهربون منها، تاريكن زوجاتهم وأولادهم يعيشون حالاً نفسية، تمتزج فيها مشاعر الأحزان والحيرة واليأس.

وتشير التقارير الخاصة بموضوع هرب الأزواج من بيوتهم متسائلة: تصوروا كيف تكون مشاعر امرأة خرج زوجها لشراء قنينة حليب ولم يعد قط إلى بيته، كيف ستواجه المشكلة وهي لا تعرف إذا كان زوجها على قيد الحياة أو لقي مصرعه؟

ومثل هذه الأزمة تعيشها أو تجسدها الممثلة «روزماري لينغ» وهي تمثل مسرحية عنوانها «مغادرة البيت»، والقصة ليست خيالية، بل هي قصة واقعية تعالج مشكلة الأزواج الذين يهربون من بيوتهم بأعداد كبيرة سنوياً وبريطانيا، وأمام هذا الوضع تعيش الزوجات مع أولادهن وضعاً يتسم بالحيرة والاضطراب النفسي دون أن يعرفن ما إذا كُنَّ سيجدن أزواجهن أم لا... وتقول «جوليا كيرسلي» التي كتبت مسرحية «مغادرة البيت» إن القضية أشبه ما تكون بحياة الموت أمام هرب الأزواج، حيث تعيش الأسرة وضعاً نفسياً سيئاً لشعورها بأنها أصبحت منبوذة، وتقول الكاتبة المسرحية إنه من السهل على الأسرة مواجهة حال الموت من خلال الحزن على فقيدها، ولكن في حال الهرب تترك الأسرة في حال من الإهمال واليأس دون أن تعرف أسباب هرب الزوج وأين هرب، ولقد لجأت الكاتبة إلى كتابة مسرحيتها عندما واجهت بشعور مأساوي، ظاهرة تزايد حالات هرب الأزواج وهم في الغالب رجال في منتصف أعمارهم، يخرجون من بيوتهم ولا يعودون إليها.

وتعلل الكاتبة هذه الظاهرة بقولها: إن أسباب هرب الأزواج مختلفة ومتنوعة، والبعض من الأزواج يهربون لعدم استطاعتهم التكيف مع الضغوط، أو لا يستطيعون تحمل مسؤولية الأسرة، والبعض الآخر يشعرون بالملل بحيث يهربون لقناعتهم بأنهم سيحققون سعادتهم بطريقتهم الخاصة أو من خلال العيش وحدهم، وتقول الكاتبة إن هناك حالات من فقدان الذاكرة، حيث يفقد الرجل فجأة ذاكرته وينتهي به المطاف إلى بناء حياة جديدة لنفسه مقطوعة الجذور عن ماضيه، وبذلك تعيش الأسرة المنكوبة فترة حافلة بأسباب القلق والصراعات النفسية، فربُّ الأسرة كان يشكل دعامة البيت وبعد هربه لابد أن تنهار الأسرة لعدم قدرتها على تلبية حاجاتها الاقتصادية والمعيشية. وأمام مثل هذا الوضع المأساوي ماذ تفعل الزوجة إذا ما وجدت نفسها مهجورة تركت مع أطفال يحتاجون إلى الغذاء. ويقول: «روبن انفلش» وهو باحث اجتماعي يعمل في الخدمة الاجتماعية العائلية إن الناس بحاجة إلى دعم عاطفي إضافة إلى الدعم الاقتصادي، وذلك لأن الزوجة والأبناء يشعرون بأنهم منبوذون،

ويقول الباحث الاجتماعي إن الأبناء لا يستجيبون بسرعة لهذه الأوضاع ولذلك فسيعبّرون عن حالات إحباطهم وغضبهم بطرق مختلفة فيما بعد، وأمام ذلك فهو يقول: إن النصيحة الأولى للعوائل المهجورة هي دفعها لمراجعة المراكز الخاصة بالخدمة الاجتماعية لتتلقى المشورة والإرشادات والمساعدة على دفعها لممارسة حياتها والاعتماد على نفسها وإيجاد العمل المناسب لتوافر حاجاتها الاقتصادية والمعيشية وبذلك تستطيع الأسرة الوقوف على قدميها بدلاً من مواجهة انهيارها وتفككها.(١) وإذا كان الأزواج السابقون يهربون من بيوتهم بأجسادهم ونفوسهم، فإن هناك كثيرين غيرهم يهربون مع ترددهم على بيوتهم، يهربون من الإنفاق على زوجاتهم وأولادهم، بل يأخذون نفقتهم من زوجاتهم إذا كُنّ عاملات أو مالكات للمال، أو يدفعونهن لبيع مصوغاتهن ومجوهراتهن لينفقوا منها على أنفسهم، وأحياناً على شهواتهم وملذاتهم، دون حمل لمسؤولية الإنفاق.

ومن الأزواج ممن قد يتحمل مسؤولية الإنفاق، لكنه لا يحمل واجبات تربية أولاده، وتأمين حاجاتهم، ومتابعة أمورهم، وشراء الأشياء والسلع للبيت، ويترك مسؤولية هذا كله على زوجته لتقوم به هي، على الرغم من أنه يدخل ضمن واجباته. والإسلام العظيم، حرر المرأة من هذا القيد، القيد المكبّل لجزء من طاقة المرأة ووقتها، حين تُبتلى بنصف رجل، وذلك حين ألزم الرجل زوجاً كان أو أباً أو ابناً بحمل مسؤولياته كاملة تجاه أمه وزوجته وأخته وابنته، مسؤولية الإنفاق، مسؤولية الحماية، مسؤولية الرعاية، مسؤولية التوجيه والهداية، كما هو واضح في كثير من آيات القرآن الكريم:

(لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) الطلاق:٧. (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) التحريم:٦. (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) النساء: ١٩. (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) الطلاق: ٦.

وفي كثير من أحاديث الرسول ﷺ:

«خيركم ... خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» حديث صحيح. «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيارهم خيارهم لنسائهم» رواه الترمذي وأحمد. «ألا فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم» من خطبة حجة الوداع. ■

الهامش:

١- ملحق جريدة «الرأي العام» الكويتية الصادرة في ٢٨/٨/١٩٨٧م.

الأخت المخطوفة

أيها العربي الكريم، أنا في بابك، فابسط لي رداءك، قال يهودي شيم من الأندلس المخطوفة.

أنت من الأندلس الزهراء، فيا أهلاً، قال العربي المفجوع بواحدة من حبات القلب، بأندلس الأمويين، بـ«غرناطة» يفتضها «فرديناند» و«إيزابيلا»، أحداق «ابن زيدون» و«ولادة» سالت ورداً أحمر في شعر «الرندي»، فلا طير ولا نجم ولا بُستان إلا ارتج وبارح سيرته الأولى، اختل الميزان، أندلس التوحيد وجنات التوشيح تُجرجر في السبي، وتستصفى على مأدبة «الوندال» يا أسفا، يا أسفا، «أبو عبدالله الأحمر» صار إلى أرزق، صار يصيحُ كما الأطفال على أحضان النسوة، أي حليب ترضعه، يا من كنت تقيتُ الشمس بنور العقل وكحل المجد، أتبكي مُلكاً لم تزرعه ولم تمنعه، يا بن سُلالات الأعراب، إذا احتربت في عنقود من عنب أو فرس أصهب، لم تترك شبراً للصلح، ويا بن الثارات تُمزق أحشاء الأرحام الواشجة العرباء، أفاً للقيسية واليمنية إذ تقتتلان، تقتتلان وتقتتلان على قشة فخر، وتجودان بكل كنوز الدهر، فلا دين يجمعنا، ولا خطر يفزعنا! وا أسفا، وا أسفا!

رائحة الأخت المخطوفة كالنارنج التهبت في آفاق الشاميين المعثورين، يا أهلاً، يا أهلاً، قالوا للضيفان، ومدوا أذرعهم والبسط وريحان البستان، ودارت دائرة الأيام، فإذا الضيفان غُزاة في ثوب مساكين، اصطادوا أزهار الرمان، وراحوا يحتقرون الأنفاق، ويقتلعون الأحداق، ويزرعون الأسوار.

أيها العربي، أنا عمك، فامنحني دارك، قال يهودي جاء من القفقاس، وغامت رائحة «الفيتو» والعجل الذهبي المعجون بأبخرة «التلمود»، فلا طير ولا نجم ولا بستان إلا ارتج، وبارح سيرته الأولى، أرض الأسراء ارتاعت، وانداحت أسراب الجُرذان، على الشرفات، على العتبات، على الأحداق، في كل مكان، جُرذان جرذان.



يا «أبا عبدالله الأحمر»، من فينا يبكي مُلكاً، لم يزرعه، ولم يمنعه غائلة الغيلان؟ ثارات العربان انبعثت شمطاء، كما تعهدها «يا بن الأحمر» من «طنجة» حتى «جاكرتا»، تأكلنا الثارات، فلا دين يجمعنا، لا خطرٌ يفزعنا، وا أسفا، وا أسفا للأمويين والعباسيين، وللخلفاء الميمونين!

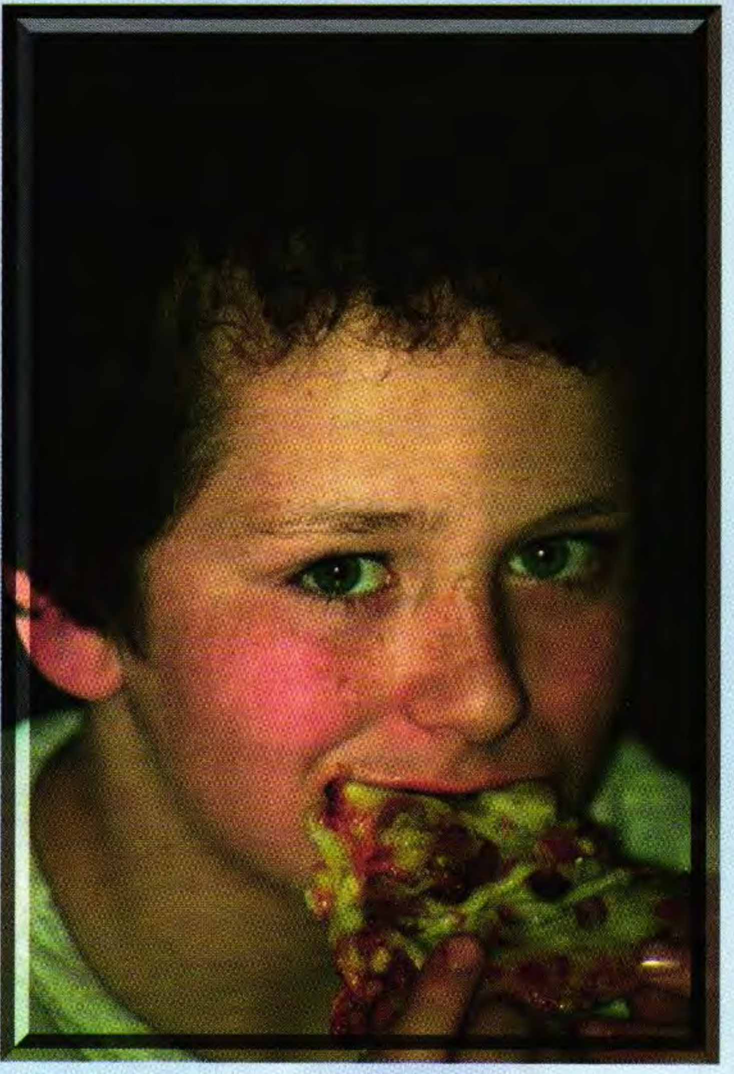
من «طنجة» حتى «جاكرتا» تحرثنا الغيلان، وتقرضنا الجرذان ونحن نزغرد في أذن الأخت المخطوفة.

من منّا يبلع سكيناً، ويقول: أنا «عنترة العبسي»، من منّا يلحس مبردة، ويقول: أنا «القعقاع» أخو الصهوات، ألا تباً للأوراق المسكوكة من دمع العذراء، وللذهب الأسود مجبولاً بدماء الشهداء ولعن الأجداد!

أيها العربي استعصم بعصا الإيمان، سيبطل سحرك كل أباطيل الغيلان وأنفاق الجرذان.

هل تسمع مثلي: وامعتصماه، وا معتصماه، وا معتصماه؟ ■

محمد الحسناوي



من الأمور المهمة في حياة الأسرة المسلمة تربية الأولاد منذ نعومة أظفارهم على بعض الآداب الاجتماعية التي يحتاجون إليها في محيطهم، وتخليقهم على التزام هذه الآداب، حتى إذا كبروا ونموا وأصبحوا يدركون معاني الأشياء وحقائقها، كان تعاملهم مع الآخرين ينبعث من سجية ثابتة وعادات أصيلة يحكمها البر والإحسان واللطف واللباقة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة الرقة واللطف في معاملة الناس لما لهما من آثار حسنة في النفوس، قال الله تعالى عن فتية أهل الكهف وما أوصوا به بعضهم بعضاً: (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً) الكهف: ١٩.

إن ربط الطفل بهذا النحو من السلوك الاجتماعي الفاضل يجعله متكيفاً بشكل طبيعي مع وسطه الذي يعيش فيه، فيكون فعالاً إيجابياً مع الصغار والكبار، بعيداً كل البعد عن الانطواء والعزلة والخجل، يأخذ ويُعطي، ويخالط ويعاشر، ويتكلم وينصت، ويبيع ويشتري، بكل هدوء واتزان وثقة وطمأنينة.

هل تعتمد الأسرة على أطفالها ؟

هذا، وقد حفلت السيرة النبوية وحياة الصحابة بمعالم هذا المنهج التربوي في تكوين الطفل وتنشئته اجتماعياً، وإعداده سلوكياً للتفاعل مع المواقف المحيطة به، ومن تلك الأساليب والمعالم: اصطحاب الطفل المميز إلى مجالس الكبار لمخالطتهم والأخذ عنهم والسماع منهم، والتعرف على طريقة إدارة الأعمال والتعامل مع المشكلات، من خلال تلقيح عقله وتهذيب نفسه بما يدور حوله في مجتمع الكبار، وهكذا يتهيأ الطفل شيئاً فشيئاً لتحمل المسؤولية، ويتطبع على مكارم الأخلاق وأدب الحديث وإدارة الأعمال وبناء المجتمع.

آداب البيت المسلم

أبناؤنا... وآدابنا الاجتماعية

د. حسن أبو غدة

روى ابن سعد وابن جرير والطبراني أن عمر - رضي الله عنه - كان يُدخل ابن عباس وهو فتى ناشئ مع أشياخ الصحابة الذين حضروا بدراً، كما يُذكر في هذا المقام اصطحاب النبي - ﷺ - ابن عمه عبدالله بن عباس وإركابه معه ومخاطبته بالحديث المشهور: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك...» إلى آخر الحديث المتفق عليه.

ومن معالم تكوين الطفل اجتماعياً اعتماد الأسرة عليه وتدريبه على الذهاب خارج البيت لقضاء حاجات الأسرة، وغرس الثقة في نفسه واستغلال طاقاته وتطلعاته فيما يعود بالفائدة عليه وعلى أسرته ومجتمعه، وهو بهذا التصرف يكتسب خبرة عملية ذاتية، تمكنه من السير في حياته بخطى ثابتة وقدم راسخة بعيدة

عن التردد والتشكك، روى الشيخان أن رسول الله - ﷺ - بعث أنس بن مالك وهوغلام في حاجة له فقضاها له.

آداب السلام!

ومما ينبغي على الأسرة تأصيله اجتماعياً في نفس الطفل أن تعوده على آداب السلام والتحية، وطريقة مقابلة الآخرين والوقوف معهم ووداعهم، وأن تعرفه أن السلام والتحية من شعائر الإسلام وسننه، وأن رده من الواجبات الدينية والكمال الاجتماعي، وأن السلام بحد ذاته يدل على اعتدال المزاج وحسن المعشر، وأن الألفاظ المختارة للسلام والتحية هي قول: السلام عليك، إذ فيها تطمين للغير وملاطفته وإكرام إنسانيته، وقد كان رسول الله - ﷺ - حريصاً على تعليم أبناء المسلمين هذه القيم الإنسانية ودمجها بالمعاني الدينية حتى تؤتي ثمارها في الأفراد والمجتمع.

روى الترمذي أن النبي - ﷺ - قال لأنس بن مالك: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك»، وروى الشيخان: أن رسول الله - ﷺ - كان إذا مرّ على الصبيان سلم عليهم، ومن المؤكد أنه بهذا التصرف يُشعرهم بقيمتهم الاجتماعية، ويغرس فيهم مشاعر الرجولة، ويبني معالم شخصياتهم المستقبلية.

هذا، وان للسلام بعض الآداب التي ينبغي على الأسرة ملاحظتها في تعليم أبنائها، ومن ذلك: أن يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، كما يستحسن أن يسارع الصغير إلى التسليم على الكبير إكراماً وبراً، وينبغي أن يعرِّف الأبناء أيضاً: أنه ليس من المستحب السلام على من هو منشغل في نحو صلاةٍ وقراءة قرآن واستماع درس أو خطبة أو هو في قضاء حاجة.

آداب الاستئذان

ومما ينبغي على الأسرة غرسه في عادات الناشئ آداب الاستئذان وقرع الأبواب حين زيارة الآخرين أو الدخول عليهم في بيوتهم ومكاتبهم ومقار أعمالهم وخلواتهم، قال الله تعالى في الآية ٥٨ من سورة النور: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عوراتكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض) ثم قال سبحانه: (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) النور: ٥٩

فقد شرع الله في هذه الآيات أن تعلم الأسرة أبناءها غير البالغين سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً أنهم إذا أرادوا دخول غرف بيوتهم في أوقات الراحة الثلاثة فيجب عليهم أن يطرقوا الأبواب للاستئذان في الدخول خشية أن يروا الأب والأم أو غيرهما من الإخوة والأخوات في حال لا يحسن الاطلاع عليها من انكشاف الجسم ونحوه، فإذا ما صار هؤلاء الصغار كباراً بالغين يشرع لهم الاستئذان وطرقُ الباب على الآخرين في عامة الأوقات، كما قال الله تعالى في الآية ٢٧ من سورة النور: (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون)، وروى مالك أن رجلاً قال للنبي - ﷺ - «أستأذن على أمي؟ قال : نعم، قال : إني معها في البيت؟ فقال رسول الله - ﷺ - «استأذن عليها، قال الرجل: إني خادمها؟ فقال رسول الله - ﷺ : استأذن عليها، أتحب أن تراها عُريانة ؟ قال: لا، قال: فاستأذن عليها.

هل يدرب الطفل على الذهاب خارج البيت لقضاء حاجات الأسرة ؟

آداب الجلوس بين الناس

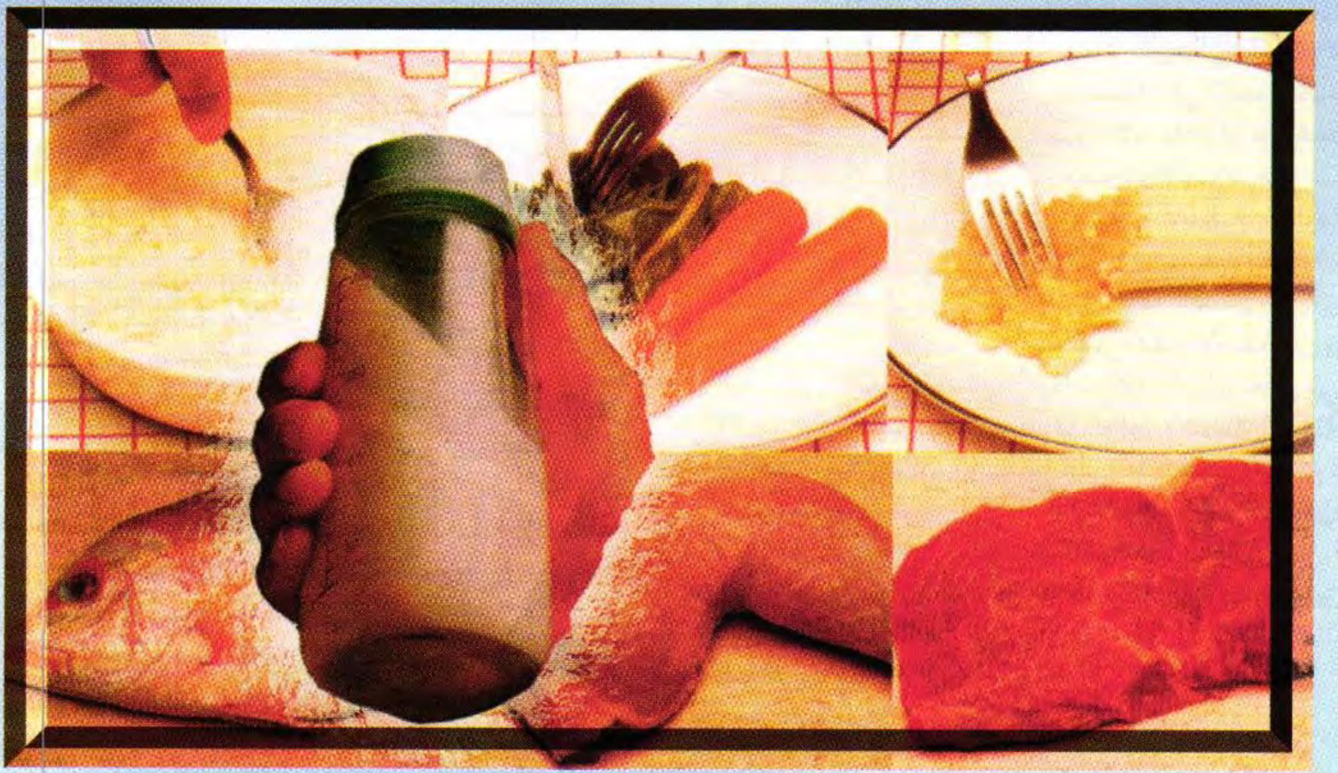
هذا ومن السلوك الاجتماعي الذي يتعين على الأسرة تبيينه لأولادها وتعويدهم عليه آداب الجلوس بين الناس والدخول عليهم، حيث يستحب للداخل أن يصافح من يلتقي بهم ويجلس في المكان الذي أعده له رب المنزل، لأنه أدرى بحاله وما يناسب زائره، ومن المستحسن توجيه الطفل إلى تجنب الجلوس وسط الناس أو استدبارهم بظهره ويعرف بوجوب الإقبال عليهم بوجهه وجسمه، روى الترمذي عن جابر - ﷺ - قال: «كنا إذا أتينا النبي - ﷺ - جلس أحدنا حيث ينتهي به المجلس».

وهذا إن لم يصحبه رب الدار إلى مكان كان قد أعده له خاصة، وروى أبو داود عن النبي - ﷺ - أنه قال: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا».

كما يُرشد الطفل إلى وجوب تجنب الجلوس بين اثنين كانا يتحدثان معاً، لما في ذلك من إساءة وتصرف غير لائق ولا مستساغ في الذوق الاجتماعي العام، روى الترمذي عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «لا يحل لرجل أن يفرّق بين اثنين إلا بإذنهما».

وهكذا نرى أن هناك مجموعة من الآداب الاجتماعية اليومية التي لا ينبغي للأسرة المسلمة أن تهملها في تعاملها مع أبنائها، بل يجب عليها أن تعرفهم بها وتمارسها معهم وأمامهم ليتقيدوا بها ويكرروها في علاقاتهم مع إخوانهم وأخواتهم وذويهم، فإن هم فعلوا تأسست العلاقات الاجتماعية عامة على قواعد واحدة متجانسة في الفضيلة واللباقة واللطافة، وتحقق وقتئذ قول الله تعالى في المسلمين: «كنتم خير أمة أخرجت للناس» آل عمران: ١١٠. ■

للسلام آداب يحسن التبكير في تعليمها أبناءنا



متى تبدئين بتقديم الوجبات الصلبة لطفلك؟

د. رضوان أحمد بيطار

صحة الطفل



استمري بالرضاعة الطبيعية لأطول مدة ممكنة، وابتداء من الشهر السادس سيحتاج طفلك إلى أطعمة أخرى أيضاً لتغطية حاجاته الغذائية المتزايدة، بالإضافة إلى ذلك فإن تقديم الوجبات شبه الصلبة مثل الحبوب تساعد الطفل على تعلم مضغ وابتلاع الغذاء الصلب، وتجعله يألف طعماً وملمساً جديداً، كما أنها خطوة لجعل الطفل مستعداً لمزيد من وجبات الكبار دون الاستغناء عن الحليب.

ومع هذا يبقى حليب الثدي أو تركيبة الحليب مصدراً مهماً لتغذية الطفل في النصف الثاني من السنة الأولى، اعط طفلك ٥٠٠ ملليمتر «أي نصف لتر» من الحليب يومياً عند هذه المرحلة.

ومنذ الشهر الرابع يمكن أن تبدئي بإعطاء طفلك الوجبات شبه الصلبة، وتزود وجبات الحبوب الطفل بالأحماض الدهنية الأساسية والفيتامينات، وبخاصة مجموعة«ب» والمعادن، حيث تتكامل مع المكونات الغذائية الموجودة في الحليب. ابدئي بإطعام طفلك نوعاً واحداً من الطعام في كل مرة وبكميات قليلة فقط، وقدمي له الطعام الجديد قبل رضعة الحليب، بينما هو جائع، وبالتدريج زيدي الكمية حتى تستبدلي رضعة الحليب بوجبة حبوب «أو وجبة شبه صلبة» حيث تتوافر في الأسواق تشكيلة واسعة من الأغذية شبه الصلبة المجهزة خصيصاً للأطفال والمعدّة من الحبوب مع الحليب والتي تحتوي أحياناً على الفواكه أوالخضار.

في البداية قدمي لطفلك تشكيلة الوجبات الخالية من الغرويات «المصنوعة من الأرز أو الذرة» ولا حقاً تستطيعين تقديم الحبوب التي

تحتوي على الغرويات «المصنوعة من القمح والشوفان». قد يحتاج طفلك إلى سوائل إضافية وبخاصة في الجو الحار «عند البدء بإطعامه وجبات شبه صلبة» قدمي له القليل من الماء البارد الذي سبق غليه أو القليل من عصير الفاكهة الطازجة المخففة بالماء.

كوني صبورة عند تقديم الوجبات شبه الصلبة، لأن طفلك معتاد على امتصاص الحليب، فالطعام واستخدام الملعقة في تناوله يعتبران تجربة جديدة بالنسبة له، وإذا رفض طفلك الأكل أو بصق الطعام فلا تجبريه على تناول هذه الوجبة، ولكن حاولي مرة أخرى في اليوم التالي.

وإذا ظهر على طفلك طفح جلدي أو أخرج برازاً ليناً بعد تقديم الطعام الجديد، يجب عليك في هذه الحال التوقف عن إطعامه هذا النوع من الغذاء بالتحديد والمحاولة ثانية في وقت لاحق.

وربما ترغبين في إطعامه وجبة صلبة تحضرينها في المنزل، فاحرصي على أن تكون مهروسة وممزوجة جيداً بحيث لا تحتوي على أجزاء كبيرة قد تجعل الطفل يَشْرَق وتذكري أن الملح والسكر الزائدين أو أي نوع من التوابل قد تضر بطفلك، ويجب أن تكون كل الأواني التي تلزم لتحضير الوجبة نظيفة تماماً واعتباراً من الشهر السادس لا داعي لتعقيم أوعية الطعام، إنما نظفيها جيداً فقط. كما يجب الامتناع عن إطعام الطفل أي نوع من أنواع الطعام المعلب غير المخصص للأطفال لأنه يحتوي على الكثير من الملح والسكر. وعندما تبدأ أسنان طفلك بالظهور، ويتمكن من حمل الأشياء ليضعها في فمه، فمن المناسب أن تعطيه البقسماط أو البسكويت ليقضمه، ويملك البقسماط المصنّع خصيصاً لتسنين الطفل طعماً لذيذاً محبباً يمنح طفلك تنوعاً في الوجبات.

بعد ظهور الأسنان احذري أن تتركي زجاجة الحليب في سرير الطفل يمصها أثناء نومه لأن الحليب يحتوي على سبعة بالمئة من السكر والذي يتحول بفعل البكتيريا الموجودة عادة في الفم إلى حمض يتلف مينا الأسنان، وبذلك تتعرض أسنان الطفل للنخر، ويحدث هذا بسبب قلة انسياب اللعاب أثناء نوم الطفل ليلاً، بينما انسياب اللعاب الوافر وحركة الفم النشطة في النهار تمنع الأسنان من بقائها مغمورة بالحليب لفترة طويلة.

ويوضح الجدول المرفق العمر المناسب لإدخال كل نوع من أنواع الغذاء

استخدام الملعقة في اطعام الطفل

دعي طفلك يستعمل الملعقة بنفسه ويجرب مهاراته التي اكتشفها حديثاً، متى رغب في ذلك، فهذا سيساعده على التعلم بسرعة أكبر، وإن سبب ذلك لك بعض الفوضى والتعب، فهذا هو السبيل الوحيد للتعلم في بادئ الأمر. أما إذا كنت في عجلة من أمرك فيمكنك إطعامه بنفسك بالملعقة مما يوفر عليك الجهد ويجعلك تشعرين بالسعادة وأنت تطعمينه.

مراقبة وزن الطفل

ينمو الأطفال في العام الأول بمعدل أسرع مما هو في أي وقت آخر من حياتهم، ويعتبر نمو الطفل معياراً دقيقاً لكفاية غذائه وصحته العامة.

لذلك فإن وزن الطفل بانتظام يعتبر طريقة سهلة للتأكد من أنه بصحة جيدة وأنك تغذينه جيداً.

ففي الأشهر القليلة الأولى من عمر الطفل يزداد وزنه نحو ١٨٥ غراماً كل أسبوع، بحيث يتضاعف خلال الأشهر الأربعة الأولى من نحو ٣، إلى ٦,٢٥ كيلو غرامات، ويصل إلى نحو ١٠ كيلو غرامات في تمام السنة الأولى، ويبلغ نصف وزن الشخص البالغ عندما يبلغ من العمر تسعة إلى أحد عشر عاماً.

ولكن عند النظر فيما إذا كان طفلك ينمو بسرعة كافية أم لا، تذكري أن كل فرد فريد ومتميز عن غيره، لذلك فقد يتبع نمطاً مختلفاً قليلاً عما ذكر، وأن وزن الطفل لايزداد بالمقدار نفسه كل يوم، فقد يبقى ثابتاً لأيام عدة، ليقفز بعد ذلك، ولا يستهويك وزن طفلك مراراً، لأن ذلك قد يسبب لك القلق دون داع، عندما ترين أن وزنه لا يزداد بتعاقب الأيام.

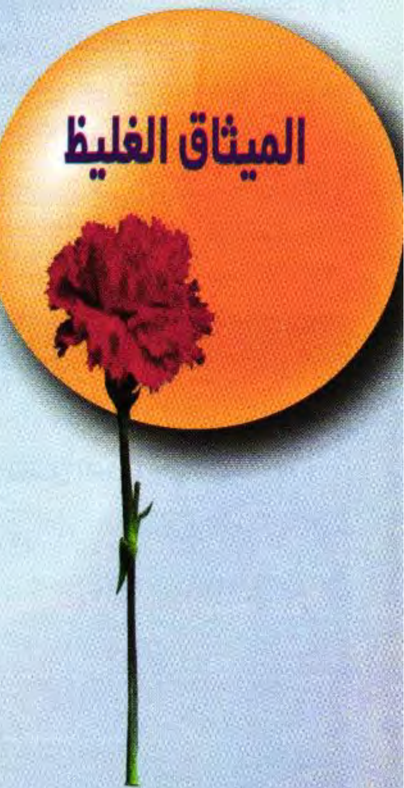
زني طفلك مرة في الأسبوع وذلك في الأسابيع الستة الأولى، ثم كل أسبوعين حتى الشهر الثالث، ثم شهرياً بعد ذلك. ■

العمر	التوصيات العامة
٠-٦ أشهر	حليب الأم أو تركيبة حليب الأطفال الابتدائية
٤-٦ أشهر	حبوب الأرز أو الذرة، ثم الحبوب الأخرى المصنوعة من القمح أو الشوفان حسب تقبل الطفل لها
٥-٧ أشهر	الخضار المطبوخة جيداً والفواكه كالموز والبرتقال والتفاح وعصائرها نوع واحد في كل مرة
٦-٨ أشهر	تركيبة الحليب المكملة، الأطعمة البروتينية (الجبنة ولبن الزبادي «الروب»، اللحم المفروم والسمك والدجاج وصفار البيض
٩ أشهر	التوست وبقسماط التسنين
١٢ شهراً	حليب «بقري» كامل الدسم أو الاستمرار بتركيبة الحليب المكملة

حكم الزواج إن استكتم الشهود

محمود النجيري

يـنـتـشـر بـين كـثـير من الـنـاس في هـذه الأيـام استكتام الشـهـود الـذيـن يـشـهـدون على عـقـود الـزواج، وذلـك لأسـبـاب كـثـيرة، وفي هـذا المقـال نـتـنـاول حـكـم هـذا الاسـتـكـتـام وإخـفـاء الـزواج قـاصـدين ظـاهـرة الـزواج الـسـري الـتـي تـفـشـت بـين الـشـبـاب فـي بـعـض المجـتـمعـات الإسـلامـيـة، حـتـى أنـهـم يـتـزوجـون دون عـلـم أولـيـائـهـم، ومـن خـلـف ظـهـر المجـتـمـع



النكاح بين الإعلان والإشهاد

يمكن أن نجمل حالات عدة للنكاح مع الإعلان والإشهاد كالتالي:(١)

١ - إذا اجتمع الإشهاد والإعلان، فهذا لانزاع بين الفقهاء في صحته.

٢ - إن خلا النكاح عن الإشهاد والإعلان فهو باطل عند جميع العلماء.

٣ - إن كان النكاح مع الإعلان صح بلا ريب في ظاهر مذاهب المسلمين، وإن لم يشهد العقد شاهدان.

٤ - إن كان النكاح بإشهاد شاهدين مع الكتمان، فهذا عند علمائنا المتقدمين مما يُنظر فيه، إذ وقع بينهم الخلاف فيه على قولين:(٢)

القول الأول :

إن الشهادة وحدها هي الإعلان ولو تواصى الشاهدان بالكتمان، وهذا قول أبي حنيفة والشافعي وابن حزم، فبشهادة اثنين يخرج عن أن يكون سراً، وحجتهم ما استفاض من الأخبار في اشتراط الشهود وتعيينهم طريقاً للإعلان، مثل قوله - صلى الله عليه وسلم:(٣) «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»، وبمجموع هؤلاء لا يكون الأمر سراً، وإن كتموه.

القول الثاني :

إن الشهادة ليست شرطاً لإنشاء العقد، بل الشرط لإنشاء العقد مطلق الإعلان، والشهادة شرط لحل الدخول، أي أنها ليست شرطاً للانعقاد، ولكنها شرط لترتب الآثار، والشهادة وحدها لا تكفي للإعلان، وأن الشاهدين إن تواصيا بالكتمان لا ينشأ العقد، فيكفي شهود النكاح والإعلان به، وبذلك خرج عن أن يكون سراً، وهو قول مالك ومن تبعه.

ونُقل عن مالك قوله :(٤) «لو زوج ببينة وأمرهم أن يكتموا ذلك لم يجز النكاح لأنه نكاح سر، وإن تزوج بغير بينة على غير استسرار جاز، وأشهدا فيما يستقبلان».

وروى ابن وهب عن مالك إن الرجل يتزوج المرأة بشهادة رجلين ويستكتمهما، قال :(٥) يفرق بينهما بتطليقة ولا يجوز النكاح، ولها صداقها إن كان أصابها، ولا يعاقب الشاهدان».

اختلاف مفهوم السرية بين العلماء

من الواضح أن الاختلاف بين القولين السابقين ليس في الإعلان وإظهار الزواج، ولكن في مفهوم الإعلان، والقدر الذي يتم به، ولذلك يقول ابن الهمام، وهو من فقهاء الحنفية:()

«فالتحقيق أنه لا خلاف في اشتراط الإعلان، وإنما الخلاف بعد ذلك في أن الإعلان المشترط: هل يحصل بالإشهاد حتى لا يضر بعده توصيته للشهود بالكتمان؟ إذ لا يضر بعد الإعلان التوصية بالكتمان، أو لا يحصل بمجرد الإشهاد حتى يضر؟ فقلنا «أي الحنفية»: نعم وقالوا «أي المالكية»: لا.

ولو أعلن من دون الإشهاد لا يصح «عند الحنفية» لتخلف شرط آخر، وهو الإشهاد، وعنده «أي مالك» يصح، فالحاصل أن شرط الإشهاد يحصل في ضمنه الشرط الآخر، فكل إشهاد إعلان، ولا ينعكس، كما لو أعلنوا بحضرة صبيان أو عبيد».

وبعبارة أخرى فإن الاختلاف هو في مسألة ما تقع فيه الشهادة، هل ينطلق عليه اسم السر أم لا؟ وسبب اختلافهم: هل الشهادة في ذلك حكم شرعي عند العقد أم المقصود منها سد ذريعة الاختلاف أو الإنكار؟ فمن قال هي حكم شرعي، قال هي شرط من شروط الصحة، ومن قال توثق فقط، قال: هي من شروط التمام.(٧)

وعلى القول الأول، فإن نكاح السر هو ما لم يحضره شاهدان، فأما ما حضره شاهدان فهو نكاح علانية، لا نكاح سر، إذ السر إذا جاوز اثنين خرج عن أن يكون سراً كما يقول به ابن الهمام مستشهداً بقول الشاعر:

وسرك ما كان عند امرئ
وسرُّ الثلاثة غير الخفي

وينبغي أن ننبه إلى أن أصحاب هذا القول ذهبوا إلى كراهة كتمان النكاح أو التواصي بذلك على الرغم من قولهم بصحته، كما يجب أن نفهم قولهم هذا في إطار مذهبهم في الولي، وما اشترطوا من حق للأولياء، وهذا يظهر مفارقته للطريقة التي يجرى بها الزواج السري في عصرنا، فعلى مذهب الشافعي وابن حزم: «لا نكاح إلا بولي»، ولذلك يقول ابن حزم:(٨) «ليس سراً ما علمه خمسة: الناكح والمنكح والمنكحة والشاهدان، قال الشاعر: ألا كل سر جاوز اثنين شائع.

وقال غيره:

السر يكتمه الاثنان بينهما
وكل سر عدا الاثنين منتشر

لا يصح النكاح مع الإخفاء عن الولي

وأما على مذاهب الحنفية، فلا يعني صحة النكاح بلا ولي عندهم الإخفاء عن الولي، إذ قد مر بنا أنهم احتاطوا له احتياطاً شديداً: فلا بد من علمه ورضاه قبل العقد، ولابد من تحقق الكفاءة ودفع مهر المثل، فإن وقع الزواج دون تحقق الكفاءة وقع باطلاً ابتداء عند الحنفية، وإن كان دون مهر المثل توقف على إجازة الولي، فإما يكمل الرجل مهر المثل أو يفرق القاضي، وفوق كل ذلك ألا يجلب الزواج لأهل الفتاة عاراً أو تعييراً بين الناس.

وفي عصرنا لا عار أكبر من أن تتزوج الفتاة سراً من أهلها بشاهدين غير عدلين على ورقة سرية، ولم يعن علماؤنا قديماً شيئاً مثل ظاهرة الزواج السري المعاصرة، فقد كان يُجرى زواج سري في عصرهم على وجه آخر، إذ يرغب الرجل في إخفاء زواجه الثاني عن زوجته الأولى، وكان يصحب بكثير من الشروط الباطلة أو المكروهة، ولكنه كان بولي وشاهدين وبيت أسرة وحياة أسرية كاملة(٩)، ومثل هذا الزواج يوجد في حياتنا المعاصرة كثيراً، ويكون أحياناً بمأذون وأحياناً عرفياً، ولكن يعلمه عدد محدود من الناس أولهم أسرة المرأة، وهذا نكاح لا يمكن أن نقول ببطلانه.

وإنما الذي نحكم عليه بالبطلان هو الزواج المستكتم عن الأهل الذي تجلب به الفتاة لأهلها عاراً يغسله الدم، فهي تخطت وليها، وحاولت استكمال الشكل القانوني للزواج احتيالاً منها بشاهدين تستكمهما علاقة عاطفية محرمة تغطت بورقة زواج لا يعترف بها أحد، وكما في الأصول: «المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً»، والمعروف هو إعلان النكاح وإظهاره بالصوت والدف والزفاف والاحتفال من الأسرتين المصهرتين والأقارب من الجانبين، فهو كالمشروط في النكاح، والكتمان عكس النكاح، فكان الإعلان بذلك جزء من مفهوم الزواج عرفاً.

ومادامت حكمة الإشهاد هي إخراج العلاقة الزوجية من السر إلى العلن، فلا يصح استكتام الشهود لأنه يعني نفي الحكمة من الإشهاد(١٠)، والكتمان قام مقام عدم الشهادة، أو ألغى الهدف منها، ووضع علامة استفهام كبيرة على هذه العلاقة غير الطبيعية، وعلى الأسباب التي تدفع إلى استكتامها، وهي أسباب تكون عادة ضد المجتمع وأمنه واستقراره.

وفيما نرى، فإن مذهب المالكية أولى بالأخذ به هنا، لأنه يتلاءم مع خطر عقد الزواج وأثره الكبير، وهو الحل الناجع للمشكلات التي أفرزتها ظاهرة الزواج السري المعاصرة. ■

الهوامش:

١ ـ انظر مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ص ٣٢ ـ ١٣٠.

٢ـ انظر الأحوال الشخصية، قسم الزواج للشيخ محمد أبي زهرة، مطبعة مخيمر، القاهرة، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م، ص ٤٧ ـ ٤٨.

٣ـ أخرجه أحمد وأصحاب السنن عن أبي موسى به مرفوعاً، وصححه الترمذي وابن حبان، وفي مسند الإمام أحمد عن عمران بن حصين مرفوعاً: «لا نكاح إلا بولي وشاهدين» انظر تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، لابن الربيع الشيباني، مكتبة صبح، القاهرة، د.ت، ص.٩٠.

٤ـ ٥ ـ تفسير القرطبي ط٣، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧، ص ٣/٧٩ ـ ٨٠.

٦ـ فتح القدير لابن الهمام، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣١٥هـ، ص ٢/٣٥٢، وانظر أيضاً: الفقه على المذاهب الأربعة، لعبدالرحمن الجزيري، دار الإرشاد، القاهرة، د.ت ٤/٨١.

٧ـ انظر بداية المجتهد لابن رشد الحفيد، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ص ٢/١٥.

٨ـ المحلى لابن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة، د.ت، ص ٨/٤٦٦.

٩ـ انظر المغني لابن قدامة المقدسي، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص ٦/٥٥٠ ـ ٥٥١.

١٠ـ انظر ابن تيمية: المرجع السابق، ص ٣٢/ ١٣٠ ـ ١٣١.



الرجال لا يبكون

عبارات خطيرة (٢)

تردد الأمهات - وربما الآباء - عبارات متوارثة منوعة أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن مبادئ مخالفة للإسلام، ومعلومات خاطئة تؤثر على المفاهيم والقيم الاجتماعية والسلوكية والأخلاقية - وربما المشاعر الإنسانية - لأولادنا لتسبب لهم آثاراً نفسية سيئة، أو مفعولاً سلبياً أو سلوكاً معادياً... فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، فلننتبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

عابده المؤيد العظم



تربيه

«الرجال لا يبكون»: عبارة «تُلقَّن مذ يكونون صغاراً، فيعاب عليهم البكاء عند المرض والألم، ويمنعون من البكاء عند الحزن والأسى.

وفي كل موقف وفي كل مناسبة وفي كل يوم تكرر هذه الكلمات على مسامع الأبناء: «الرجال لايبكون»، وتناقل الناس هذه العبارة «الرجال لايبكون» حتى ظفرنا بجيل تغلب على رجاله الجلافة والغلظة، فهم قساة القلوب لا يعرفون حقيقة الرحمة ولا يقيمون وزناً للمشاعر، فقد يعقون ويقطعون الأرحام لأنهم لايهتمون بالعواطف الأبوية والأخوية، وقد يظلمون ثم لا يشعرون بتأنيب الضمير، وقد يفسقون ثم لا يتأثرون بالمواعظ حق التأثر ...

وكانت هذه هي النتيجة الخطيرة التي حصلنا عليها من ترديد هذه العبارة الخطيرة ! وإن الذي جعل الناس يستهجنون البكاء ويحرمونه على ذكورهم أنهم اعتبروه - على إطلاقه - ضعفاً فمنعوه مطلقاً، فهل تعلمون أن للبكاء أسباباً متفاوتة وأن من الخطأ أن ندرجها جميعاً في سلة واحدة فنحكم عليها حكماً واحداً ؟

هذا البكاء نرفضه

فالبكاء قد يكون لضعف أو لعجز واستسلام، ومثل هذا البكاء نرفضه - نحن المسلمين - ولا نقبله حتى لبناتنا فضلاً عن أولادنا الذكور، فالإسلام يفضّل المؤمن القوي على الضعيف، ولكن للبكاء أسباباً أخرى حبذها الإسلام وحث الناس عليها، وكان النبي - ﷺ - يبكي لأجلها ! وكان لبكائه المحبذ المشروع هذا أسباب عدة ينبغي أن نعرفها لنتمثلها:

- فتارة هو الشفقة والمحبة والرحمة : «... فأتاهم رسول الله - ﷺ - فيجد عائشة متسترة بباب دار أبي بكر تبكي بكاء حزيناً ... فدمعت عينا رسول الله - ﷺ(١)، وأيضاً : «أرسلت بنت النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قبض» «يحتضر» فأتنا ... فرفع إلى رسول الله الصبي ونفسه تتقعقع «تتحرك وتتضطرب بصوت».. ففاضت عيناه، فقال سعد : يا رسول الله، ما هذا ؟ فقال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب

عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»(٢)، وأيضاً : «أخذ النبي ﷺ بيد عبدالرحمن بن عوف فانطلق به إلى ابنه إبراهيم، فوجده يجود بنفسه، فأخذه النبي ﷺ في حجره فبكى، فقال له عبدالرحمن : أتبكي ؟ أو لم تكن نهيتنا عن البكاء ؟ فقال : لا، ولكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند مصيبة - خمش وجوه وشق جيوب - ورنة شيطان»(٣)، وبكى ﷺ لما شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض.

بكاء الحزن على الفراق

وتارة هو الشوق والحزن على الفراق : «أتى رسول الله ﷺ قبر أمه بالأبواء في ألف مقنّع فبكى، وأبكى من حوله»(٤)، «شهدنا بنتاً لرسول الله ﷺ تُدفن ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان...»(٥)، ولما مات ابنه إبراهيم، دمعت عيناه وبكى رحمة له، وقال : «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزنونون»(٦)، وبكى لما مات عثمان بن مظعون: «عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قبّل عثمان بن مظعون، وهو ميت، وهو يبكي، أو قالت : عيناه تذرفان»(٧).

- وتارة من باب الخشوع وخشية الله : «عن عبدالله بن الشخير العامري رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»(٨)، وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود القرآن : «قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ عليَّ القرآن، فقلت : يا رسول الله، أأقرأ عليك القرآن وعليك أُنزل ؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري، قال : فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً(٩)، قال : حسبك الآن، فالتفتّ إليه فإذا عيناه تذرفان»(١٠)، وبكى لما كُسفت الشمس : «انكسفت الشمس على عهد النبي ﷺ فقام إلى الصلاة ... فجعل ينفخ في آخر سجوده من الركعة الثانية ويبكي»(١٠).

بكاء الضعف والعجز والاستسلام أمر مرفوض

فكيف تمنعون الذكور من البكاء وقد بكى النبي ﷺ ؟ وكيف تستهجنون البكاء والنبي ﷺ قال : «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»؟ وكيف ترفضون البكاء وقد جعله النبي ﷺ واحداً من أسباب النجاة من النار: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله»(١٢).

انتبهوا لهذه العبارة

وبهذا تبدو الخطورة الحقيقية لهذه العبارة ! إذ كيف تلقنون الصبية مخالفة نبيهم جهاراً، وقد أمرهم وإيانا بالبكاء أمراً، وفي مواضع عدة:

١ - خشية لله وخوفاً من عقابه «وابْكِ على خطيئتك»(١٣).
٢ - وعند قراءة القرآن : «فإذا قرأتموه فابكوا»(١٤).
٣ - وعند المرور بديار المعذَّبين : «لا تدخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم يصيبكم ما أصابهم»(١٥)

فيأيها الناس، انتبهوا من هذه العبارة الخطيرة : «الرجال لايبكون»! وكفوا عن ترديدها وتلقينها الصغار، فقد بكى النبي - ﷺ - وهو رجل، بل هو أفضل الرجال !!، وقد بكى وهو النبي، وبكى وهو المشرّع، وبكى وهو القدوة، فكان لا يحبس مشاعره، ولا يكبت عواطفه، بل يبكي مما يُبكى منه، ويتأثر لما ينبغي التأثر له، ولكن لم يكن بكاء النبي ﷺ بشهيق ورفع صوت، بل كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويُسمع لصدره أزيز «كما وصفه ابن القيم في زاد المعاد» إنما كان يبكي ولا يجد في ذلك حرجاً، وكان يبكي ولا يجد بأساً، وكان يبكي ويبكي معه صحابته، وقد بكى صحابته من بعده!؟

بكى النبي - ﷺ - شفقة وبكى خشوعاً وبكى شوقاً

فأي شيء - بعد ذلك - تقولون في بكاء الرجال؟ ■

الهوامش :

١ - الطبقات الكبرى ج٨ ص ٧٨.
٢ - البخاري ومسلم.
٣ - الترمذي.
٤ - من زيادة رزين على حديث أبي داود والنسائي.
٥ - البخاري.
٦ - البخاري.
٧ - الترمذي وأبو داود.
٨ - أبو داود والترمذي.
٩ - النساء: ٤١.
١٠ - البخاري ومسلم.
١١ - النسائي.
١٢ - الترمذي.
١٣ - الترمذي.
١٤ - الترمذي.
١٥ - البخاري.



دور الأسرة في تنشئة الفرد وبناء المجتمع

بقلم: محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

يعتمد الإسلام في بناء الفرد المسلم على أسلوب فريد، وهو حرصه على توحيد القوتين الكبيرتين في الإنسان: قوة الروح، وقوة الجسد، ليعملا سوياً لصالح الفرد، ولصالح الجماعة، تفادياً للازدواجية، التي تعمل في كثير من الأحيان على تقوية إحدى هاتين القوتين على حساب القوة الأخرى، الأمر الذي يعود بأسوأ النتائج على الفرد، وعلى المجتمع، وتصيب إحدى هاتين القوتين بالشلل، أو توجهها لغير الوجهة السليمة التي كان يجب أن تتجه إليها، وليس هدف الإسلام سوى تكوين الفرد الذي يتصف بالتكيف السليم.

تربية الطفل



وتعد التربية الخلقية والدينية من أهم الشروط الأساسية للوصول إلى التكيف السليم، وذلك لأن التعاليم الدينية، والمبادئ الأخلاقية، والقيم الروحية، تجنب الفرد الوقوع في الزلل، وتبعده عن ارتكاب الخطأ، ومن هنا فهي تخفف إلى أبعد الحدود من حدة التوتر لدى الفرد، والذي ينتج الكثير من الأضرار، وما قد يترتب على ذلك من تردي الفرد في الإحساس بالذنب، واتهام الذات بالناتج عن ارتكاب الأخطاء.

ومما لا شك فيه أن الفرد يشعر بالأمان النفسي، والطمأنينة الروحية، عندما يسلك طريقاً معيناً يراه المجتمع قبل أن يراه هو مقبولاً، ولابد من أن يكون هذا الطريق مشتقاً من قانون أخلاقي يستند إلى الدين.

ولهذا فإن من أهم ما يعنى به المهتمون بالتربية، والقائمون عليها، ويبذلون في سبيله أقصى ما في وسعهم واستطاعتهم، هو دراسة أفضل الوسائل التي تستطيع بها الأسرة والمدرسة أن تساعد الأفراد، على أن يجدوا لأنفسهم نظاماً من القيم والمبادئ الخلقية، يستمدون منه موجّهات سلوكهم، واتجاهاتهم الفكرية.

وهذا النظام من المبادئ، والتعاليم، والقيم الأخلاقية، يعد ركيزة أساسية، تقوم عليها عملية التكيف السليم، باعتباره المحدد للسلوك، والموجّه للتفكير.

وليس السلوك سوى النشاط الذي يقوم به الفرد، وهو يتفاعل مع بيئته، ويتكيف معها، والمقصود بالبيئة هو مجموع العوامل الخارجية، والتي يمكن أن تؤثر في نمو الكائن الحي، وفي نشاطه، منذ تكوينه وإلى آخر حياته.

ومن هنا يجب أن يبدأ إعداد الفرد لحياة سليمة مستقيمة، خالية من الاعوجاج، وبريئة من الانحراف منذ الصغر، إذ كلما صلحت البيئة صلح الفرد والمجتمع.

والأسس التي يقوم عليها الإصلاح تبدأ من البيئة الأولى، بيئة المنزل، لأنه هو المدرسة الأولى للفرد، ففيه يولد، وفيه ينمو، وفيه يترعرع، وفيه يشب عن الطوق، حتى يصير رجلاً يستطيع الاعتماد على نفسه، ويصير في مقدوره أن يكون أسرة جديدة، يكون هو أساسها.

النواة الأولى في المجتمع

تعد الأسرة هي النواة الأولى في المجتمع، وبناء الصرح الاجتماعي يقوم على سواعدها، وذلك لكونها البيئة الطبيعية التي ينشأ فيها الأبناء، وينمون ويكبرون، حتى يدركوا أمور الحياة ويتفهموها

وينطلقوا في معركتها بأسلحتهم الكاملة، ويبدؤوا في تكوين خبراتهم وشخصياتهم، وتتوقف صلاحية هذا الصرح ومدى قدرته على مواجهة الحياة على صلاحية الأسرة نفسها، باعتبارها الخلية الأولى فيه.

والأسرة هي الوحدة الاجتماعية التي ينشأ فيها الأبناء، ويتفاعلون مع بعضهم بعضاً، وهي التي تسهم بالقدر الأكبر في الإشراف على نمو الأبناء ورعايتهم، وتقوم بتلقينهم أصول التطبيع الاجتماعي، الذي يرجع إليه تكوين شخصياتهم وتحدد فهم الطبيعة الطبيعية للإنسان، وهي الحضن الاجتماعي الذي يعود إليه العمل الحاسم في عملية الميلاد الثاني للأبناء، كجماعة أولية، حيث إنها تهيء استعداداتهم البيولوجية والنفسية، ليصيروا لبنة صالحة، متهيئة لعملية التنشئة الاجتماعية، التي تكسبهم ثقافة الجماعة، ونظمها، وحكمتها.

وتسعى الأسرة إلى تحقيق الأمن والأمان، والطمأنينة والاستقرار لأفرادها، وذلك عن طريق بذر بذور المحبة والمودة، والتعاطف والتراحم، حتى يسود بين الجميع جوّ من الألفة، والإحساس بالرضا، يقول الحق سبحانه وتعالى في محكم آياته: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم: ٢١.

إن علماء النفس والتربية، وعلماء الاجتماع، وعلماء الأخلاق، يضعون الأسرة في المقام الأول، عندما يتحدثون عن بناء المجتمع، ويدللون على أهميتها في صنع أخلاق الأبناء، وتهذيب سلوكهم، وتقويم أخلاقهم، إذ إن الحياة الأسرية بما فيها من صلات وارتباطات وما تحويه من سلوك ومعاملات، وما تدين به من مبادئ ومثل، وقيم ومعتقدات، تؤثر تأثيراً كبيراً في تكوين شخصياتهم، كما تؤثر في تكوين ميول الأبناء ونزعاتهم.

ومن هنا تنشأ الأخلاق الفاضلة أو الأخلاق الرديئة، التي يتصف بها الأبناء، وبالتالي تنعكس على المجتمع.

وعلى هذا الأساس فالأسرة هي المجال الأول، والدعامة التي يتم فيها وضع الخطوط، ورسم الاتجاهات الأساسية للشخصية، وإذا كانت الشخصية قابلة للتأثر والتغيير خلال مراحل العمر المختلفة، وعن طريق مجالات وميادين الحياة الأخرى، فإن الأسرة والعلاقات بداخلها تكون أشد خطراً وأبعد أثراً في تكوين شخصيات الأفراد وتشكيلها، وذلك من خلال مرحلة الطفولة المبكرة، وهذا خاضع لأسباب عدة من أهمها:

١ ـ أن الفرد في هذه المرحلة لا يكون خاضعاً لتأثير أي جماعة غير أسرته.

٢ ـ ان الفرد في هذه المرحلة يكون سهل التأثر... سهل التشكيل... شديد القابلية للإيحاء والتعلم.

٣ ـ ان الفرد في هذه المرحلة، يكون ضئيل الخبرة، عاجزاً عن التفكير البعيد، ضعيف الإرادة، قليل الحيلة، وهو في حاجة دائمة إلى من يعوله، ويرعى حاجاته العضوية والنفسية المختلفة.

دور الأم في الأسرة والمجتمعا

ان مسؤولية المرأة في البناء الأسري كما هي في المجتمع ككل، تعد من أخطر المسؤوليات وأعظمها، فهي التي تقوم بالجهد الأكبر في تربية الأبناء وتنشئتهم، والتأثير فيهم وبخاصة في السنوات الأولى من حياتهم، والأسلوب الذي تستخدمه ـ لا شك ـ له أكبر الأثر في تكوين شخصياتهم.

وهذا الأسلوب يجب أن يستند إلى خلفية ثقافية مناسبة في أساليب التربية، وكذلك في أساليب التعامل مع الأبناء، حسب حاجاتهم المتعددة، ومراحل نموهم، وسمات كل مرحلة من المراحل، حتى يمكن من خلال هذه الخلفية الثقافية تحقيق قدر كافٍ من التوافق النفسي للأبناء، فالأسوة الحسنة، والقدوة الصالحة في البيت، تعد خير وسيلة لتربية الأبناء التربية القويمة.

والإسلام من ناحيته يولي القدوة عنايته الفائقة، لما لها من الأثر البالغ في بناء الشخصية الفردية وتكاملها، وبخاصة في أولى مراحل العمر، عندما تتفتح عينا الفرد على مظاهر الحياة التي تحيط به، ويرى نماذج وأشكال وصور أنواع السلوك المختلفة، والتي تنطبع في نفسه، وتوجهه الوجهة السليمة، التي قدّر له أن يستأثر بها، ويفاعل معها، يقول الحق سبحانه وتعالى في محكم آياته: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) البقرة: ٤٤.

وتعتبر الأم أقرب الأفراد إلى أبنائها، لأنها تلعب دوراً كبيراً ومهماً في أساليب التعامل مع الأبناء، ولابد أن تكون واعية ومقدّرة لهذه الرسالة العظيمة أكبر تقدير، حيث إن الجهل، وعدم المعرفة يؤديان بالقطع إلى نتائج عكسية، وبالتالي لا ينشأ الأبناء نشأة سليمة.

إن حاجة الأبناء إلى عطف ومحبة الأم على جانب كبير من الأهمية، وذلك لسلامة نموهم النفسي والعضوي معاً، وبطريقة صحيحة، وكذلك يعد شعور الأبناء بالأمن والأمان، والطمأنينة والاستقرار، والهدوء النسبي، والمحبة والتفاهم، أمر ضروري في حياتهم، ولابد من توافر كل هذا حتى يأتي نموهم سليماً.

ولقد قرّر علماء النفس المحدثون أن وجود الأمن العاطفي شرط أساسي لانتظام الحياة النفسية للفرد في مرحلة حياته الأولى، واستقرار مشاعره الاجتماعية، وأنه من دون الحب والحنان في هذه المرحلة يفشل الفرد في التفتح والازدهار، من الناحية: النفسية، والجسدية والعقلية.

ومن هنا كانت الأم في الأسرة هي حجر الزاوية، وموضع الثقل، وهي صاحبة الدور الرئيس في تقويم أفرادها، وجمع شملهم، وهي التي تتصرف بكل عواطفها وبكل مشاعرها لإسعاد أسرتها، معطية لها من وقتها أكثر مما تعطيه لأي جانب آخر.

ويعد دور الأم في الأسرة دوراً قيادياً، ولها أكبر الأثر في خلق الجيل الواعي المتفتح، وهي وراء كل نجاح يحققه أبناؤها، بما تقوم به من مشاركة فعلية، واستشارة في الرأي، وبما تهيئة لهم من جو هادئ يضفي على الأسرة الحب والاحترام والحياة الأسرية الهانئة، فينعكس أثر ذلك كله على تعامل الأبناء مع بعضهم بعضاً، ومع غيرهم.

العمر مراحل مختلفة

إن عمر الفرد يتكون من مراحل عدة، فإذا أخذنا في الاعتبار طبيعة كل مرحلة من هذه المراحل، وعوامل الأبناء على أساسها، فلسوف يتوصل الآباء والأمهات إلى فهم أبنائهم فهماً دقيقاً، وعندئذ يضعون

أيديهم على الخيط الرفيع، الذي يربط بين السيطرة وبين انفلات الزمام.

وهذا هو ما أوضحته الشريعة الإسلامية الغراء، فلقد جعلت لكل مرحلة من مراحل العمر المختلفة أسلوباً خاصاً في التربية:

ففي المرحلة الأولى يحتاج الابن إلى المداعبة والملاطفة، وعدم استخدام أي نوع من أنواع العنف أو القسوة، بل بالحب والحنان يتم تصحيح الأخطاء التي توجد.

ويبدأ أسلوب الثواب والعقاب في المرحلة الثانية، حتى يستطيع الابن التمييز بين ما هو صواب فيفعله، وبين ما هو خطأ فيتجنبه، وبين ما يجب أن يستمر فيه، وبين ما يجب أن يكف ويمتنع عنه.

أما في المرحلة الثالثة، وهي مرحلة «المراهقة»، فعلى الأم أن تهتم بها اهتماماً جيداً، بحيث تجعل نصب عينيها جميع تصرفات أبنائها، إذ إن هذه المرحلة هي التي يتم فيها تشكيل شخصيات أبنائها تشكيلاً كاملاً.

وهذه المرحلة لها مالها من الخطورة، فيجب على الأم أن تستخدم العقل استخداماً سليماً في التربية، حتى لا تفاجأ بتصرفات غير مبررة، ومحاولات مستميتة للتخلص من القيود، والتمرد عليها، تلك القيود التي تعتبر القواعد الأساسية في التربية، والتي من أبرز ما فيها «الطاعة» والامتثال لأوامر الوالدين امتثالاً تاماً.

و«الطاعة» هي لب التربية وجوهرها، وهي في الوقت نفسه الأمر الذي له قيمته وتقديره عند بعض الآباء والأمهات، وكذلك الأبناء، فالوالدان يعتقدان أن تغير سلوك أحد الأبناء هو خروج عن الطاعة، والابن يظن أن الطاعة ليست سوى مظهر من مظاهر الاستبداد والسيطرة، وكبت للحرية، وكلاهما ممعن في الخطأ.

وحتى لا يكون هناك اصطدام بين الجيلين: جيل الوالدين، وجيل الأبناء... فلابد من وضع خطة تغيير تدريجية، تساير عمر الأبناء، وتتماشى مع رغباتهم إلى حد ما، وبحيث لا تظهر وكأنها بمثابة تنازل من جانب الوالدين لمشيئة الأبناء، أو الاستسلام لارادتهم.

وفي الوقت نفسه، يجب أن يشعر الأبناء بأنهم قد بدأوا يحتلون مكانة الكبار عند الوالدين، كأن يستشارون في بعض الأمور العائلية، ويؤخذ برأيهم إن كان صواباً، أو يناقشون فيه في حال عدم الأخذ به.

ومما يفيد في هذه المرحلة أن يقوم الوالدان بتكليف الأبناء ببعض الأمور، التي تحرك فيهم الإحساس بالمسؤولية، والشعور بأنهم قد صار لهم رأي مستقل، وفي استطاعتهم التعبير عنه.

إن الأبناء في هذه المرحلة هم في أشد الحاجة إلى الصديق الوفي، والناصح المخلص، وليس هناك أحد في الوجود كله أوفى ولا أخلص من الوالد لابنه، ولا أوفى ولا أخلص من الأم لابنتها.

الإسلام وتربية النشء

إن في تعاليم الإسلام ومبادئه الكثير من المعايير التي تهدف إلى تربية النشء، وفي توجيهات الإسلام ما هو أساس لإعداد النشء، وفي أحكام الإسلام ما هو تكليف للوالدين بتربية الأبناء، ومراقبتهم المراقبة الدقيقة داخل المنزل وخارجه، والمراقبةالتي تحفظ عليهم سلامة الفطرة، وتقيهم أمراض البيئة، وانحراف السلوك، يقول الحق سبحانه في محكم آياته: (يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) التحريم:٦.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: «الزموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم».

ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».

إن الأبناء يتشربون من الأسرة القيم الدينية والخلقية، التي تشكل معايير السلوك المقبول وغير المقبول في المجتمع، وذلك لحاجة الأبناء إلى الاستحسان والتقبل، ولخوفهم من النبذ والعقاب، ولرغبتهم في أن يتقمصوا أو يتوحدوا مع النموذج، المتمثل في الوالدين، أو في أحدهما.

والتوجيه في الأسرة لا يجب أن يكون عبارة عن نصح وإرشاد، أو مجرد نصائح وتوجيهات، بل هو في المقام الأول أسوة حسنة، وقدوة صالحة، فالأبناء الذين يجدون من آبائهم محافظة على المبادئ والقيم، والتزاماً بالعادات والتقاليد، ومراعاة للمعايير السلوكية، المأخوذة عن الدين، والمستنبطة من توجيهات الشريعة، في كل مظهر من مظاهر حياتهم، فسوف يكونون بالضرورة مثلاً أعلى لأبنائهم، ونموذجاً يحاولون على قدر إمكانهم الاقتداء به، حتى ولو لم يوجه إليه نصح أو إرشاد.

ولا يجوز أن تقتصر التربية على تلقين الأبناء المعلومات، أو اكتساب المهارات الفنية، وإنما تهدف التربية إلى أبعد من ذلك، فهي تهدف إلى تهذيب الأخلاق، سواء ذلك في أخلاق الفرد أو أخلاق المجتمع.

ومن الواضح أن الاقتصار على العلم المادي وحده ينحرف بالفرد والمجتمعات إلى شرور لا نهاية لها، فلابد إذاً من أن يقترن التعليم بالأخلاق.

وخير ما يكفل للابن النشأة الإسلامية الصحيحة، هو أن يأخذ نصيبه من التربية الإسلامية، حتى كلما نما جسده في نشأته المادية، كان له تطور أدبي في عقليته، وفي تدينه، وفي خلقه، وازدادت معرفته بما له، وما عليه، نحو وطنه، ونحو أمته، ونحو المجتمع الذي يعيش فيه.

وبعد:

فإن الأم هي المدرسة الأولى، وهي صانعة الأبناء، والأبناء هم صناع المستقبل، وحاملو مشعل الحضارة، وهم امتداد الأمة ورجاؤها، وهم الذين سيكونون بإذن الحق سبحانه أداة التغيير والتقدم، والرقي والازدهار.

ومن هنا يجب العناية بالأبناء، عناية تتصل بنموهم الجسدي والعقلي والروحي، والانفعالي، وإعدادهم لتنمية المهارات التي يحتاج إليها المجتمع بالفعل، وذلك وفق ما يصلحون له، وما يبدعون فيه.

إن الأسرة هي التي تخرج للحياة أو للمجتمع أفراده، الذين يتعاونون في بناء كيانه العام، بتفاعل بعضهم مع بعض، في نطاق ما لهم من مبادئ وقيم، وغايات وسلوك، وباحترام ما للآخرين من خصوصيات ومقدسات. ■

اهتمام عالمي بالشيخوخة

إعداد :
المهندس حواس محمود

لقد أضحت الرعاية الصحية والاجتماعية للأشخاص المسنين جزءاً أساسياً من برامج الرعاية الصحية الأولية، والبرامج الاجتماعية المختلفة في عدد كبير من بلدان العالم، وهذا بدوره يدعو إلى تضافر الجهود الحكومية والأهلية، مع جهود عائلات المسنين والمسنين أنفسهم من أجل الإسهام في تأمين حياة أكثر صحة وسعادة لهذه الفئة الجليلة من أبناء المجتمع.

إن قدرة كل جهاز من أجهزة الجسم وكل خلية من خلاياه تتأثر عبر السنين وتتغير في كل مرحلة من مراحل الحياة والإنسان يحس بذلك ويقدره، وما كان يقوم به طفلاً ويافعاً وشاباً يقل عما يقوم به كهلاً وشيخاً، وتعد الشيخوخة مرحلة طبيعية يمر بها الإنسان وهي تتميز عادة بدرجة من النقص في النشاط الاجتماعي والاقتصادي، مع زيادة في ظهور بعض الأمراض والإعاقات المختلفة واستفحالها، وقد تختلف تأثيرات الشيخوخة هذه من شخص إلى آخر وفق الكثير من العوامل الفردية المختلفة كالعوامل الوراثية والاجتماعية والمهنية والصحية وغيرها، لقد أحسّ بالشيخوخة نبي الله زكريا الذي نادى ربه وتضرع وهذا ما تبين في قوله تعالى في الآية ٤ من سورة مريم : (قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربي شقياً)، وفي هذا الصدد نشير إلى قول أبي العتاهية :

ألا ليت الشباب يعود يوماً

فأخبره بما صنع المشيب

الشيخوخة مفهوم اجتماعي

تشير الباحثة الدكتورة تماضر حسون إلى أنه تبين من دراسة بسيطة شملت ٦٠ مسناً من كلا الجنسين، ومن مجتمعات أقطار عربية متنوعة، أن الشيخوخة مفهوم اجتماعي وليست قضية بيولوجية، فالإنسان العربي المسن فاقد الأمل بأن يكون له غد أو حياة أو دور أو موقع، كما أنه يصنف نفسه بالمكان، وخارج الزمان، ويصبح جزءاً من الأشياء فتنتفي معه الإرادة لتحقيق أي شيء، وطالما انتفت الإرادة والأمل، فوقته يذهب هدراً، ويعيش في الفراغ وطوال الوقت إنه لا يحاول اكتساب خبرات جديدة أو حتى يتكيف معها، موقعه الرفض لكل ما هو خارج إطار حيازته، فالشيخوخة في المجتمع العربي مرحلة يفقد فيها الإنسان الأمل بدور ومستقبل، ويصبح سلبي الإرادة، يشعر بأن الوقت يمر عليه دون فائدة، تتناقص خبراته وتقل يوماً بعد يوم، ويصبح قليل الحركة، مضيقاً دائرة الحياة، والسبب في هذا الوضع ليس بيولوجياً، وإنما هو نتاج وحصاد لعدم تحضير الفرد نفسه لاستقبال الشيخوخة، فهو لم يع ضرورة بناء أرصدة خلال شبابه لشيخوخته، إذ لم يراع وضعه الصحي، ولم يحسب حساب الحالات الصحية التي من الممكن أن يصل إليها عندما يبلغ سن الشيخوخة، ومن الناحية المادية، يصل المسن العربي لتلك المرحلة من العمر دون تخطيط مسبق لكيفية توفير رصيد من المال يكفي لإعالته، فقد أنفق العمر والجهد والشباب والمال في سبيل إعالة الأبناء ونسي نفسه، أما من الناحية العائلية، فغالباً ما تكون علاقة المسن بأسرته سلبية في شبابه، وبالتالي تنعكس عليه في مرحلة شيخوخته، فالمسن كان في سن الشباب يمارس سلطة قوية تتسم بالتسلط والقسوة على الآخرين، ممن يحيطون به، وبالتالي عندما يصل إلى مرحلة الشيخوخة تنعكس تصرفاته، كمعاملات وعلاقات بينه وبينهم، وإذا تطرقنا إلى العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، نجد أن المسن يشعر بأنه معزول، لأنه في شبابه لم يقم ببناء علاقات اجتماعية متينة، لأن العلاقات القليلة التي كان يقوم ببنائها في سن الشباب كانت تبنى على أساس الاستفادة الوقتية، لذا فعندما يصل لسن الشيخوخة، يكون خالي الوفاض من أي علاقة اجتماعية تردُّ لنفسه المتعبة بعض الأمان والاستقرار.

ظاهرة تشيخ المجتمع

تبين الدراسات الإحصائية للسكان في البلدان العربية شأن سائر البلدان النامية أن فئة السكان ممن هم فوق الستين من العمر، تتراوح بين ٣ ـ ٩٪ من مجموع السكان، أما البلدان الصناعية المتطورة في كل من أوروبا واليابان وأميركا، فتتراوح نسبة فئة المسنين فيها بين ١٢ ـ ١٨٪، وهي آخذة في الازدياد والنمو ومن المتوقع أن تصل إلى نسبة ٢٠ ـ ٢٥٪ من السكان بحلول العام ٢٠٢٠م، وهذا الارتفاع في نسبة فئة المسنين يعرف بظاهرة «تشيخ المجتمع»، وهذه الظاهرة تعود إلى عوامل عدة أهمها المعدلات العالية لزيادة المواليد في الماضي، مقارنة مع الحاضر، إضافة إلى زيادة معدلات البقاء وارتفاع العمر الوسطي المتوقع والذي هو في حد ذاته ناجم عن انتشار وتطور خدمات الرعاية الصحية والاجتماعية والخدمية والإدارية وتطورها في المجتمع، وزيادة الوعي الصحي لدى الأفراد والأسرة. لقد شهدت البلدان الصناعية منذ عقود عدة تطوراً ملحوظاً تناول مختلف أشكال الخدمات الصحية والاجتماعية التي تحتاج إليها هذه الفئة



المتزايدة من السكان، وقد شهد العالم أيضاً الكثير من الإنجازات والتحضيرات في هذا المجال إلى أن توّج هذا الاهتمام، والتوجه العالمي باعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة العام ١٩٩٩م عاماً دولياً للأشخاص المسنين، تلقى فيه الأضوء على حقوقهم وواجباتهم وإنجازاتهم، وتدعى فيه جميع الجهات المعنية من حكومية وأهلية ودولية، وغيرها إلى بذل المزيد من الجهود تحت الشعار الذي اختير لهذا العام الدولي وهو «نحو مجتمع واحد لجميع الأعمار».

إنجازات الشيخوخة

إن أعظم الإبداعات والإنجازات إنما تمت بناء على القوى الذهنية والعقلية ولم تكن بفعل القوى الجسدية، وفي هذا الصدد يقول شيشرون: «إن جلائل الأعمال لم تكن في يوم من الأيام وليدة القوى الجسمية أو الرشاقة البدنية، بل هي قد كانت وليدة المشورة، والسلطة، والخبرة الطويلة، والحكمة الرزينة، وكل هذه مزايا لا تجيء إلا مع الشيخوخة».

في مجال الفلسفة

لعله لم يكن من قبيل الصدفة أن يكتب «كانت» الفيلسوف الألماني المشهور، أجمل كتبه «وهو نقد ملكة الحكم» في سن السادسة والستين، وأن يقدم لنا برجسون، المفكر الفرنسي الكبير درته الثمينة «منبع الأخلاق والدين» في الثالثة والسبعين، وأن يطالعنا ديوي الفيلسوف الأميركي العظيم - بكتاب هائل في «المنطق أو نظرية البحث» في التاسعة والسبعين وأن يبدأ المفكر الإنكليزي المعروف «الفرد نورث وايتهد» كل حياته الفلسفية في سن الواحد والستين بعد بلوغه سن التقاعد في انكلترا وارتحاله للعمل في أمريكا!

في مجال الأدب

وفي مجال الأدب يمكننا أن نذكر «فولتير» الذي كتب روايته الشهيرة «كانديد» في الخامسة والستين من عمره، وكذلك فكتور هيغو الذي كتب أجمل قصائده في مرحلة متأخرة من حياته «وجوته» الشاعر الألماني الكبير الذي قدم لنا في شيخوخته النهاية الرائعة للجزء الثاني من فاوست وبول كللودل الروائي الفرنسي المعروف الذي كتب الكثير من رواياته بعد سن السبعين.

في مجال الفن

وأما في مجال الفن فإننا نعلم أن «فاغنر» الموسيقار الألماني الشهير، قد فرغ من «بارسيفال» في التاسعة والستين من عمره، وأن مصورين كثيرين من أمثال سيزان ورنوار وبراك وبيكاسو وماتيس وغيرهم قد قدموا لنا أعمالاً فنية رائعة في مرحلة متأخرة من مراحل حياتهم.

الاهتمام والعناية بالشيخوخة

لاتزال المجتمعات العربية من المجتمعات الفتية التي تشكل فيها شريحة الأطفال والشباب القسم الأعظم من أفراد المجتمع ومع ذلك فإن الدراسات السكانية تبين أن العقود المقبلة ستشهد ازدياداً ملحوظاً ومتنامياً في نسبة المسنين وأعدادهم في مختلف بلدان العالم العربي، الأمر الذي يترتب عليه ضرورة توافر الخدمات الصحية والاجتماعية، وتطويرهما لتلائم هذا التحول التدريجي وتلبي الحاجات التي تترتب على ذلك، ولابد هنا من الإشارة إلى المستلزمات المطلوب توافرها والإعداد لها «مع بعض النصائح الضرورية»، على طريق توافر الخدمات الصحية والاجتماعية وتطويرها لتلبي الحاجات المتنامية لهذه الفئة الجليلة من المجتمع، وهي تعيش المرحلة الذهنية من العمر ومنها :

١ - إصدار التشريعات المختلفة الخاصة برعاية الأشخاص المسنين.

٢ - إعداد الاختصاصيين من أطباء وممرضات وعاملين اجتماعيين ونفسيين وغيرهم من ذوي الاختصاصات في الجوانب المختلفة المتعلقة بالشيخوخة، وإجراء الفحص الدوري الشامل للأشخاص المسنين لكشف أي حال مرضية، وتقديم العلاج الباكر لها.

٣ - إعداد الأسرة وإرشادها لتقوم بدورها المهم في الرعاية المنزلية اللازمة للمسنين.

٤ - إعداد دور السكن والمرافق العامة لتلائم احتياجات الأشخاص المسنين.

٥ - تشجيع المنظمات الأهلية العاملة في هذه المجالات وتقديم جميع التسهيلات اللازمة لها.

٦ - تقديم الوسائل التأهيلية اللازمة لبعض المسنين كالنظارات الطبية، والمعنيات السمعية والوسائل المساعدة على الحركة والتنقل وغيرها.

٧ - الممارسة المنتظمة للرياضة البدنية غير المجهدة كالمشي والتمارين الرياضية.

٨ - تشجيع الأشخاص المسنين على مزاولة العمل الملائم لهم لما له من أهمية صحية واجتماعية واقتصادية.

٩ - تشجيع الأشخاص المسنين على المشاركة في المناشط الاجتماعية والدينية والترويحية للأسرة والمجتمع وتسهيل مشاركتهم فيها.

١٠ - الالتزام بالعادات الصحية الحميدة والامتناع عن التدخين والمشروبات الكحولية وختاماً - فإن الاهتمام بالشيخوخة ضرورة موضوعية وواجب إنساني يحتمه علينا واقع الحياة الإنسانية لأن أي إنسان منا سيمر بهذه المرحلة، وهنا يمكن الإشارة إلى أن الصحافة العربية مقصرة في هذا المجال إذ إنها تهتم بالطفولة من خلال الدراسات والمقالات المنشورة والتي تتناول واقع ومشكلات الطفولة وتهمل إلى حد بعيد مرحلة الشيخوخة علماً أن هذه المرحلة حساسة من حياة الإنسان وهناك مثل يقول «الشيخوخة هي الطفولة الثانية» فلماذا يتم الاهتمام بالطفولة الأولى وتهمل الطفولة الثانية فعسى أن يكون هذا المقال دعوة للاهتمام بالمتقدمين بالسن لكل من يهمه الأمر. ■

المراجـع :

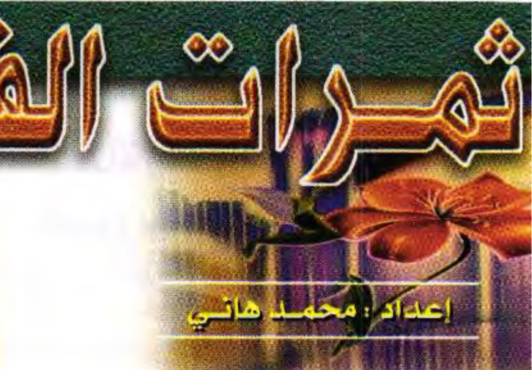
١ - د. غسان شحرور «اليوم العالمي لكبار السن...» مجلة بناة الأجيال عدد ٢٤ تشرين أول ١٩٩٧م ص١٥٧ دمشق سورية.

٢ - د. زكريا إبراهيم «الخوف من الشيخوخة» مجلة «العربي» عدد ١٠٣ حزيران ١٩٦٧م.

٣ - د. محمد محمد أبو شوك «الشيخوخة لها أمراض خاصة» العربي عدد ١٥٨ يناير ١٩٧٢م.

٤ - د. تماضر حسون «الشيخوخة ليست مسألة تتعلق بالبيولوجيا» مجلة الفصل عدد ٢١٢ ص٩٥.

٥ - م. حواس محمود «إقرار العام ١٩٩٩م عاماً دولياً للمسنين» مجلة الحصاد السعودية عدد مقبل.



إعداد: محمد هاني

فهرس مخطوطات مكتبه مكه المكرمه

صدر حديثاً عن مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض «فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة» والفهرس يتضمن بيانات «بيبلوغرافية» شاملة لمخطوطات مكتبة مكة المكرمة والتي احتوت على عدد كبير من مكتبات علماء مكة المكرمة وأدبائها في القرن الماضي، والجدير بالذكر أن هذا الإصدار من إعداد نخبة من الأساتذة الأفاضل، ويقع الكتاب مع الفهرس في إحدى وتسعين وخمسمئة صفحة من القطع المتوسط.

طبعه جديدة من الحضارة البيزنطيه

بعد مرور ثلاثين عاماً على صدور الترجمة العربية لكتاب «الحضارة البيزنطية» لـ(ستينفي رنسيمان)، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ظهرت طبعة جديدة من الكتاب. يقول العالم الجليل الراحل محمد شفيق غربال في مقدمه للطبعة الأولى: إن بيزنطة هي التي يسميها العرب دولة الروم وهي عند الفرنجة الدولة الرومانية الشرقية ويوضح أن العلاقة بين العرب والروم هي علاقة حرب دائمة لا تمنع التفاهم والتعاون وقد انتصر العرب انتصارات رائعة وأقاموا دولتهم في معظم بقاع الروم، ويقول مترجم الكتاب: إن بيزنطة عاشت قروناً عدة مسيطرة متحكمة في حوض البحر الأبيض المتوسط لا ينازعها سلطانها فيه منازع، إلى أن أشرقت شمس الإسلام، والكتاب يقوّم هذه الحضارة وتكوينها وحروبها وجهازها الدبلوماسي والفرق فيها بين حياة المدينة والريف وعلاقاتها بالعالم المجاور لها ويخصص الكتاب فصلين للأدب البيزنطي والفن البيزنطي.

حقيقه الإسلام

بحث فى الجذور ودعوة للفهم الحقيقى

الإسلام يعاني من عدم معرفته معرفة جيدة من قبل الكثيرين وحتى من المسلمين أنفسهم أو ممن تعمد من البعض تقديمه على غير حقيقته... فصوروا الإسلام في صورة الدين الجامد الحقود المتطرف الداعي للعنف وبالتالي التشبث به والدعوة إلى العودة إلى ينابيعه في عصر التطور والتقدم رجعية ممقوتة ونكسة تعيد المجتمع إلى الوراء.

من هذا الواقع انطلق عبدالهادي بوطالب عضو أكاديمية المملكة المغربية في إصدار كتاب جديد تحت عنوان «حقيقة الإسلام» لدحض المزاعم المشوهة للإسلام واعتبره «إسهاماً متواضعاً لتقديم الإسلام في صورته الحقة... المسالم الذي تطبع تعاليمه الرحمة والعدل وتناهض العنف والعدوان وقتل النفس بغير حق».

بدأ عبدالهادي بو طالب بسطه لحقيقة الإسلام بالحديث عن جذور الإسلام وشخصية رسوله محيطاً بالظروف الحياتية التي سادت منطقة الجزيرة العربية ومركزاً على صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، «الإنسان والنبي والرسول»، ليتناول بعد ذلك «القرآن المنزل وجمعه وتدوينه والتعريف به وبأسلوبه» باعتباره المعجزة التي أتى بها النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبرزاً إعجازه، وبخاصة في ميدان المعرفة والعلم بما فيه العلم الحديث، «حيث حفل بآيات تتحدث بثراء عن الأرض والسماء، وعن كيفية خلقها وعما يهم عوالم الحيوان والنبات والتناسل البشري»، ووضع بو طالب بدايات الإسلام في طابعها الشمولي حيث قدم صورة دقيقة عن المجتمع العربي قبل البعثة النبوية سواء من الجانب الديني أو السياسي أو الاجتماعي وربطها بأوضاع العالم آنذاك، مشيراً إلى أوضاع المنطقة المتاخمة للبحر المتوسط، وبخاصة الأمبراطورية الرومانية، كما استعرض في السياق نفسه حال أمبراطورية الفرس والحضارات الصينية والهندية واليابانية.

وانتقل إلى الحديث عن شمولية المنهج الإسلامي ومظاهرها المتعددة «فالإسلام ليس ديناً فحسب، ولكنه عقيدة وسلوك ونمط حياة للناس»، و«المسلمون مجمعون على أن المنهج الإسلامي شامل وكامل إن لم يكن في فروعه وتفاصيله ففي أصول أحكامه وقواعد مبادئه» مشدداً على مبادئ الحوار والتعايش والسلام مع الديانات السماوية كاستراتيجية سمت بالإسلام منذ ظهوره.

ويقول الأكاديمي المغربي بوطالب في حديثه عن النظام السياسي الإسلامي إن «الإسلام أقام نظاماً سياسياً متكاملاً متميزاً بما يتميز به النظام السياسي اليوم من مقومات وخصائص وتشريعات وتنظيمات ومؤسسات» مفنداً بذلك «ما شاع في الغرب من أن التنظيمات الدستورية حديثة العهد وأنها لا تتجاوز قرنين» واستعرض الركائز الأساسية للنظام السياسي الإسلامي وهي البيعة والشورى والرقابة المتبادلة بين طرفي الحكم وثنائية المسؤولية.

أما بخصوص النظام الاجتماعي فقد تناوله انطلاقاً من أن الإسلام «لم يقم بنيانه على خلايا الجنس أو العرق أو اللون... أو على التمايز بين الذكر والأنثى ولا على تقويم الطبقات» فهو مجتمع أخلاق وعدل ومساواة وسماحة وتسامح، كما أنه مجتمع التكافل الذي يشكل أحد أسس البناء الاقتصادي في الإسلام.

وأولى المفكر المغربي كذلك أهمية لقضايا حقوق الإنسان في الإسلام، ونظام الأسرة والمرأة والميراث والحجاب وكلها قضايا تثير نقاشات وسوء فهم، وبخاصة في البلدان الغربية، كما تناول الرد على المغتربين عن الشريعة الإسلامية الذين «حرّفوا عن قصد مفهومها عن محتواه وهو يعني نظاماً حضارياً متكاملاً وجعلوا من العقوبات هي وحدها الشريعة»، ولم يكتف بوطالب بشرح المبادئ العامة لمختلف جوانب الدين الإسلامي، إذ استعرض في فصول عدة تاريخ الدولة الإسلامية بدءاً من دولة المجتمع النبوي والدولة الإسلامية الأولى، مروراً بالدولة الأموية إلى اكتمال الحضارة الإسلامية، كما خصص فصلاً لـ «الإسلام والتجديد الذاتي» استعرض فيه قضايا مثل الدعوة السلفية وحركة الإخوان المسلمين وثورة جمهورية إيران الإسلامية وحركة العنف التي يشهدها العالم حالياً، بالإضافة إلى الحوار العالمي بين الديانات والحضارات، وفي هذا السياق استخلص بوطالب أن «المطلوب أن يقوم كل فصيل إنساني بحوار الذات والنقد الذاتي وتقويم السلوكيات ليقوم بعد ذلك الحوار الشامل بين الحضارات والديانات أفقياً وعمودياً من دون أحكام مسبقة، ولينتهي ذلك في آخر المطاف إلى «عولمة» الإنسان... في نظام واحد يطبعه التنوع وتمايز الخصوصيات». كتاب «حقيقة الإسلام» لعبدالهادي بوطالب صدر في ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط في دار «أفريقيا الشرق» بالدار البيضاء. ■

علم النفس البيئى



● غلاف الكتاب

عن سلسلة كتب جامعة الكويت والتي يصدرها المكتب التنفيذي للجنة التأليف والتعريب والنشر صدر كتاب «علم النفس البيئي» للمؤلف د. فرانسيس مالك أندرو ـ ترجمة الدكتور عبداللطيف محمد خليفة والدكتور جمعة سيد يوسف يقع الكتاب في ٣٧٩ صفحة ونظراً لنقص المؤلفات العربية في هذا المجال، فقد تم اختيار هذا الكتاب وترجمته من بين كتب عدة متاحة في هذا المجال. يعالج الكتاب موضوع البيئة من معظم جوانبه في اثنى عشر فصلاً تحدث عن أمور من أبرزها، انتقال المعلومات الحسية من البيئة إلى الفرد، الوقع الانفعالي الذي تحدثه البيئة على البشر، الضغوط التي يؤججها الأشخاص عندما تصبح المدخلات المقبلة من البيئة متطرفة ومكثفة وغير معتادة، أشكال السلوك المكاني الإنساني والخصوصية والملكية الخاصة والازدحام، أعماق البيئة المشيدة، الإنسان في سياق البيئة الطبيعية، تأثير البشر في البيئة الطبيعية.

رسائل إلى أهل البلاء



● غلاف الكتاب

رسائل إلى أهل البلاء كتيب من تأليف الأستاذ عبدالرحمن علي فلاح، وهذا الكتيب يقع في نحو مئة صفحة من القطع الصغير يتحدث عن نفس مطمئنة أكرمها الله تعالى وابتلاها في وحيدها، فصبرت واحتسبت واستطاعت أن تستعلي على آلامها وأحزانها وتحول كل ذلك إلى رسائل موجهة إلى من هم في حاجة إلى المواساة والصبر والتصبر من أهل البلاء لأنها نبضات قلب جريح وأنّات نفس حزينة ولكنها صابرة على قضاء الله تعالى وقدره.

نشأة وتطور الصحافه المدرسيه فى الكويت

صدر حديثاً أول كتاب من نوعه يتناول بالمتابعة والتحليل الصحافة المدرسية في الكويت نشأتها وتطورها. واحتوى الكتاب ـ الذي ألّفه د. جاسم الشمري تحت عنوان «الصحافة المدرسية» ـ على خمسة أبواب تضمنت ١٨ فصلاً، وجاء في ٢١٤ صفحة من القطع الكبير، واستعرض فيه بدايات الصحافة في منطقة الخليج والجزيرة العربية، مركزاً على تطور الصحافة في الكويت، تضمن الباب الأول البدايات الصحافية في الوطن العربي ونبذة عن الاتحاد العام للصحافيين العرب ودوره كمنظمة تعني بشؤون العاملين في هذا القطاع الحيوي، بينما خصص الباب الثاني لتاريخ الصحافة الكويتية عبر خمسة فصول هي البدايات الأولى، وصحافة ما قبل الاستقلال، وظهور الأندية الثقافية في فترة الخمسينيات، وصحافة ما بعد الاستقلال. ثم تناول بالبحث والتحليل البناء الإداري والفني للصحيفة وفنون الكتابة الصحافية وتطورها وتعريف الصحافة والصحافي، ثم تعرض للصحافة ولجريمة الاحتلال العراقي للكويت العام ١٩٩٠م، وخصص د. الشمري الباب الخامس للصحافة المدرسية في الكويت كرافد من روافد العمل الإعلامي، مستعرضاً الصحافة في المدارس الثانوية أنواعها، وكيفية بناء المواهب الصحافية في الوسط الطلابي والأندية الصحفية ودور الصحافة المدرسية في تنمية المواهب الشابة والتثقيف.

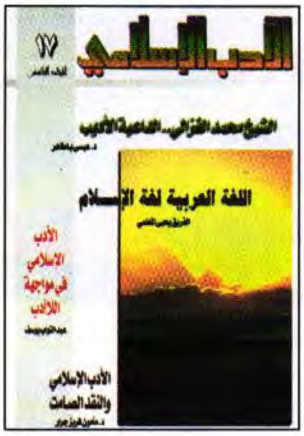
الصحوة الإسلاميه فى روسيا الحديثه

صدر بالروسية أخيراً كتاب جديد للباحث المختص بالشؤون الإسلامية الدكتور الكسي مالاشينكو بعنوان: «الصحوة الإسلامية في روسيا الحديثة» أثار اهتمام الأوساط الإسلامية والمهتمين بالشؤون الإسلامية في البلاد، لأنه يتضمن دراسة موضوعية دقيقة لوضع المسلمين وتنامي العامل الإسلامي في المجتمع الروسي، ويتألف الكتاب من سبعة أبواب هي :

الإسلام في روسيا، الإسلام من أجل روسيا، نبذة تاريخية عن المسلمين، الإسلام في فترة السلطة السوفييتية والصحوة الإسلامية، المفتون وأئمة المساجد، الإسلام والسياسة والشيشان، روسيا والإسلام.

ولعل باب الصحوة الإسلامية هو أهم الأبواب، إذ يحاول المؤلف فيه أن يقدم الخلفية التاريخية لهذه الصحوة ومبرراتها الموضوعية في فترة تصاعد الصحوة الإسلامية في العالم أجمع بعد أن فشلت النزعة المادية الغربية في فرض نفسها على العالم الإسلامي، وبرأيه أن المجتمع عموماً ينهار، إذا ما سقطت الأركان الأخلاقية التي يقوم عليها، ويتجسد ذلك في المجتمع الإسلامي في روسيا في القرآن الكريم والسنة الشريفة، حين حاول البلاشفة حظر الأديان بزعم أنها «أفيون الشعوب»، فإنما عملوا بذلك على تهديم أركان المجتمع الإسلامي الأخلاقية في روسيا ولحسن الحظ فإنهم فشلوا في هذه المحاولة، ولو أنها تركت آثارها السلبية، ومن جانب آخر فإن حظر نشر الفكر الإسلامي وممارسة الشعائر الدينية أعطى رد فعل معاكساً حالما سقط النظام السوفييتي، ولهذا ترى أن العقيدة الإسلامية عادت للظهور بكل عنفوانها في أوساط المسلمين منذ مطلع التسعينيات، لكن غياب المراجع والكتب الإسلامية، وعدم وجود علماء مسلمين قادرين على قيادة عملية الصحوة نفسها، تركت آثارها السلبية المتمثلة بحدوث الصراعات بين الشخصيات والمراكز الدينية للاستحواذ على مراكز القوة والانتفاع مادياً، وفي ما يتعلق بنشر الدعوة الإسلامية يعطي المؤلف أمثلة عن اعتناق السلافيين «الروس والأوكرانيين والبيلاروس» للإسلام، ولا سيما في فترة الحرب الأفغانية، ويفسر المؤلف ذلك بأن الجنود والضباط السوفييت شعروا في فترة الحرب بقوة المجتمع الإسلامي الروحية وتلاحمه، هذا وقد أثرت النشاطات الدعوية والإغاثية الإسلامية كثيراً في إكساب الصحوة الإسلامية في روسيا بإعطائها زخماً قوياً بعد أن جرى توزيع مئات الآلاف من المصاحف والكتب الإسلامية المترجمة إلى الروسية، وإقامة عدد من المؤتمرات الدولية في موسكو وغيرها من المدن السوفييتية الإسلامية.

مجله الأدب الإسلامى فى عامها الخامس



● غلاف المجلة

جاء في افتتاحية العدد «بهذا العدد السابع عشر تستهل مجلة الأدب الإسلامي سنتها الخامسة بتوفيق من الله العزيز الحميد... بارك لها في زادها القليل، وذلل لها وعورة الطريق، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليها، فتضاعف ما يطبع منها، وهي المجلة الأدبية المتخصصة».

وقد تضمن العدد الجديد موضوعات أدبية ونقدية متنوعة منها «الأدب الإسلامي في مواجهة اللاأدب» للكاتب الكبير الأستاذ عبدالتواب يوسف الحائز على جائزة الملك فيصل رحمه الله، ومنها «الشيخ محمد الغزالي - الداعية الأديب» للدكتور ابن عيسى باطاهر، و«أدونيس وديوانه الجديد (الكتاب: أمس)، المكان: الآن» للدكتور غازي التوبة.

وفي مجال الإبداع اشتمل العدد على قصة تاريخية للأديب الكبير الدكتور محمد رجب البيومي بعنوان: «نورجهان أمبراطورة الهند»، وعلى قصة مترجمة بعنوان «الحمامة» لزيتون بانو، مع باقة من الشعر الإسلامي المتنوع.

أما الأبواب الثابتة، فكان أولها: «لقاء العدد» مع أحد رواد الأدب السعودي المعاصر، ألا وهو الشيخ عبدالله بن إدريس رئيس النادي الأدبي في الرياض وعضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ومن هذه الأبواب: «ثمرات المطابع» وقد اشتمل على دراسة أدبية رائعة لقصيدة «سفر أيوب» للسياب، بقلم الناقد الإسلامي الدكتور عبدالباسط بدر وتضمن باب «من تراث الشعر» قصيدة من الشعر العالمي بعنوان: «مصرع الذئب» للشاعر الفرنسي ألفرد دوفيني مع قصيدة الفرزدق «الذئب في ضيافة الشاعر»، وتضمنت مكتبة الأدب الإسلامي عرضاً موجزاً لكتابين مهمين: أولهما «أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية، للدكتور محمد عادل الهاشمي، قام بعرضه الأستاذ صلاح أحمد الطنوبي، وثانيهما «الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام» للدكتور شوقي حمادة، قام بعرضه الدكتور عمر الساريسي، ويتلو ذلك باب الأقلام الواعدة وباب «بريد الأدب الإسلامي» ثم باب «الرسائل الجامعية» وأخيراً باب «من أخبار الأدب الإسلامي».

أخبار ثقافيه

● بمشاركة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، تنظم «كلية العمارة والتخطيط» في جامعة الملك سعود بالرياض ممثلة لوزارة التعليم العالي، الندوة العلمية الأولى عن عمارة المساجد والتي تجاوز عدد البحوث المقدمة إليها ٣٠٠ بحث من جميع أنحاء العالم من الفترة بين ٣ - ١٧ شوال المقبل، والتي ستعقد في رحاب جامعة الملك سعود وستكون فعاليات هذه الندوة ضمن الاحتفالات لمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

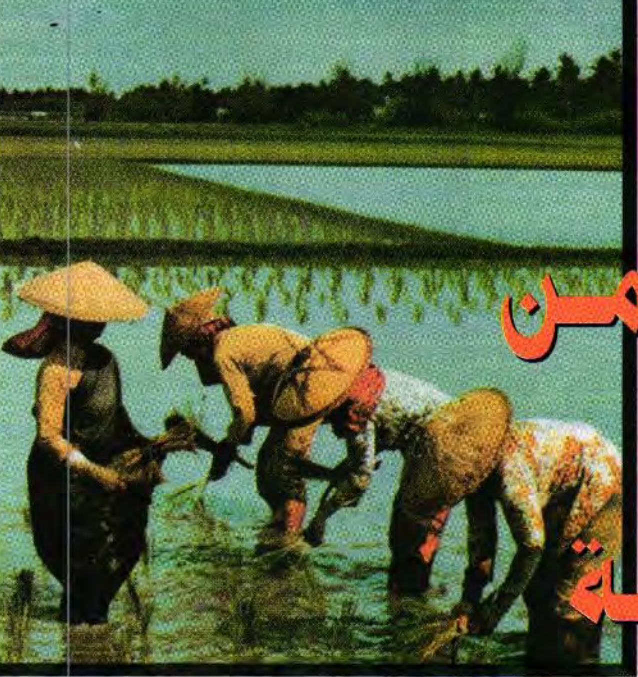
● صدر حديثاً كتاب عن أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة «الفرقان للتراث الإسلامي» الذي عقد في لندن بين ١٨ - ١٩ نوفمبر من سنة ١٩٩٥م وصدرت أعمال هذا المؤتمر من قبل باللغة الإنكليزية سنة ١٩٩٦م والكتاب يتحدث عن صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية من إعداد مجموعة من الباحثين.

● تحت شعار «مشاكل البحث في المنظمات» يعقد مركز البحوث العربية بالتعاون مع وزارة التعليم العالي في الكويت مؤتمر «البحث العلمي الثاني» وذلك خلال الفترة ٢٥ - ٢٦ يناير ١٩٩٩م برعاية كريمة من سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء معالي الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح وسيتناول المؤتمر بصفة رئيسية المشاكل والعوائق التي تواجه البحوث في المنظمات والهيئات البحثية، وسيشارك ضمن هذا المؤتمر نخبة من الباحثين والأكاديميين من جميع الوزارات والهيئات الحكومية والأهلية والدينية.

● صدرت الموافقة المبدئية - عن وزارة التعليم العالي السعودية - على إنشاء أول كلية أهلية للبنات في جدة تحت رعاية مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وستمنح الكلية درجة البكالوريوس في سبعة تخصصات علمية وأدبية.

● تنظم جامعة الأزهر مسابقة دينية كبرى بالتعاون مع بيت الزكاة الكويتي في القاهرة، تقدر جوائزها بـ ١٠٠ألف جنيه مصري، وتدور حول عشرة موضوعات تناقش أهم قضايا الساعة، وستقوم لجان التحكيم باختيار عشرة بحوث فائزة في كل موضوع ليحصل كل فائز على جائزة مالية قيّمة يسلمها السفير الكويتي في القاهرة فيصل عبدالرزاق الخالد، والأستاذ عبدالمحسن العثمان الأمين العام لإدارة الوقف بالكويت في شهر أكتوبر المقبل.

ماليزيا والخروج من الأزمة الاقتصادية



إعداد : عبدالمنعم أحمد

الأزمة الاقتصادية التي تلقي بظلالها على دول شرق آسيا تركت آثاراً سلبية للغاية في كل مجالات الحياة، وتحاول تلك الدول وفي مقدمتها ماليزيا الخروج من هذه الأزمة، في أقرب وقت ممكن ترى كيف تنظر ماليزيا في الوقت الراهن لهذه الأزمة وطريقة معالجتها ... «الفاينشال تايمز» كتبت مقالاً مطولاً للكاتب «شيلا ماكنولتي» تناول فيه الأزمة الاقتصادية في ماليزيا من جميع جوانبها يقول المقال :

عندما ضربت الكارثة المالية الدول الآسيوية في العام الماضي، قال مهاتير محمد، رئيس وزراء ماليزيا ان الأزمة، فيما يتعلق ببلده على الأقل سوف تنتهي خلال ستة أشهر، وماليزيا لا تحتاج إلى إصلاحات هيكلية، فاقتصادها سوف ينمو، وإن كان بنسبة متواضعة في عام ١٩٩٨م، كما أن النظام المصرفي لا يواجه أي مخاطر، وماليزيا لن تنفذ البتة الإصلاحات التي أوصى بها صندوق النقد الدولي، وذلك مقابل تقديمه لمساعدات مالية للبلاد. إلا إنه وبعد مضي ١٢ شهراً، لم يعد هذا القول يحمل أي معنى، فالاقتصاديون يتنبأون بانكماش الاقتصاد بنسبة تصل إلى ٥ في المئة على الأقل خلال هذا العام وهو الانكماش الأول خلال ١٣ عاماً. كما أن هناك احتمالاً متزايداً أن تضطر ماليزيا إلى السعي للحصول على مساعدة صندوق النقد الدولي.

ويقول «دراغ ماهر»، الاقتصادي في بنك أي - إن - جي بيرنغز: «إنهم لا يحتاجون لهذا الأمر الآن، ولكن حالما يبدأ الاقتصاد في التدهور، ستظهر مخاطر أكبر». بل إنه حتى الخبراء أصابتهم الدهشة من جراء السرعة التي بدأ يسوء بها الاقتصاد، كما أن غياب الشفافية في الحسابات الخاصة يجعل من تقييم عمق الأزمة أمراً بالغ الصعوبة، فضلاً عن ان القيود الصارمة المفروضة على أجهزة الإعلام سوف تجعل الأمر أكثر صعوبة.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن وتيرة تباطؤ الاقتصاد أصبحت تسير بسرعة بحيث لم تعد الإجراءات الشكلية كافية، ويصح القول ان ماليزيا ليست لديها نسبة ديون مرتفعة كتلك التي تثقل كاهل جاراتها، فتخفيض عملة «الرينغيت» إلى نصف سعرها تقريباً لم يضر البلاد بالمستوى نفسه الذي أحدثه تخفيض سعر العملات في الدول الأخرى، غير أن الدين المحلي الذي تبلغ نسبته ١٧٠ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، كان يعتبر الأعلى في منطقة جنوب شرق آسيا عندما حدثت الأزمة، وتعاني البنوك من تزايد القروض التي لم يتم سدادها، حيث يعتقد البعض أنها ستمثل ثلث جميع القروض بحلول عام ١٩٩٩م، وقد أوشكت هذه البنوك على وقف الإقراض كما هبطت أسعار الأسهم إلى درجة أصبحت فيها أسهم ٩٧ شركة يتم تداولها بسعر أقل من سعرها الذي بيعت به في الأصل عندما عرضت أسهمها للبيع خلال هذا العام.

ماليزيا ليست لديها نسبة ديون مرتفعة

لاتوجد رغبة في الشراء

كما تعاني الشركات من شح السيولة فهي ترغب في بيع أصولها، إلا أنه لايوجد إلا عدد قليل من الماليزيين

ممن لديهم رغبة في شرائها، وقد ذكرت لجنة الأسهم في عرض نادر للجرأة، أنها ترغب أن يتم رفع الحد المفروض على حجم الأسهم الأجنبية في شركات السمسرة المحلية إلى نسبة ٧٠ في المئة (من نسبة ٤٩ في المئة)، وذلك حتى يتم دعم تلك التي تواجه صعوبات، ولقد أشار «أنور إبراهيم» وزير المالية، ونائب رئيس الوزراء إلى أن ماليزيا قد تعيد النظر في القيود المفروضة على الملكية الأجنبية لبعض الشركات. وهي قد تضطر للقيام بذلك، لأنه حتى الشركات الكبرى ذات الأوضاع الراسخة بدأت تضعف بسبب الضربات الاقتصادية، ولقد أصبحت شركة «تايم انجينيرنغ»، وهي فرع من شركة «رينونغ» الضخمة التي تعمل في مجال تشييد البنيات الأساسية، ولديها روابط سياسية جيدة، آخر شركة في سلسلة الشركات تسعى للحصول على حماية القضاء من ملاحقة الدائنين.



شهادة الوفاة

بيد أن الدكتور «مهاتير» ظل يقاوم بشدة أي محاولات لتمكين المستثمرين الأجانب من فرض سيطرتهم على الشركات المحلية، فهو يخشى أنه إذا ما فتح الباب أمامهم، وبالتالي، أمام صندوق النقد الدولي، فإن ذلك قد يكون بمثابة إعلان وفاة للنظام الذي ظل يرعاه لفترة ١٧ عاماً. فمن خلال نظامه لـ «الخدمة الوطنية» تمنح الشركات مزايا مقابل تقديم خدمات عامة «غير مربحة» كما أن هناك سياسة دعم إيجابي تقوم على أساس عرقي، تم تمويلها خلال أعوام النمو السريع، وهي التي مكنت الأغلبية من المالاي الفقراء تاريخياً من تحقيق التقدم. ويلقي الاقتصاديون الآن باللوم على عاتق تلك السنوات القائمة على أساس المحاباة بأنها أدت إلى خنق التنافس، كما يقولون إن سياسة «النمو بأي ثمن» أدت إلى منح القروض دون ضوابط وهو الأمر الذي تسبب في الديون التي تعاني البنوك منها.

هناك سياسة دعم إيجابي تقوم على أساس عرقي

كما يرى العديد من الاقتصاديين أن على ماليزيا أن تطبق الإصلاحات مثلها مثل جاراتها، فهي إما أن تستمر في إطالة أمد هذه العملية أكثر من اللازم، على الطريقة اليابانية، أو أن تقوم بتنفيذها. ويقول «كوستاس باناغيوتو»، كبير الاقتصاديين في شركة «كيم اينغ» للسندات، «لابد أن يمر الاقتصاد بعملية التأقلم، ولا يوجد أي سبيل للتراجع عن ذلك، عن طريق صندوق النقد الدولي أو من دونه». وبينما بدأت الأنباء الاقتصادية تنتقل من السيئ إلى الأسوأ، يبدو أن الدكتور «مهاتير» قد أدرك هذا الأمر، فخلال الأسابيع القليلة الماضية قام بتفكيك برنامج ماليزيا للتقشف، وأبعد «أنور إبراهيم» الذي صاغ ذلك البرنامج، كما رقى «دائم زين الدين» المستشار الاقتصادي المقرب لديه بمنحه منصباً وزارياً للإشراف على السياسة الاقتصادية التوسعية الجديدة.

محاولة أخيرة

ولكن بالرغم من تغيير آرائه، فإن «مهاتير» يقوم بمحاولة أخيرة بأسلوبه الخاص وهو يأمل في الحصول على الأموال اللازمة بطرق أخرى ومن دون قيود يفرضها صندوق النقد الدولي، وماليزيا تود إنفاق ١٢ بليون دولار ماليزي «ما يعادل ٢,٩ بليون دولار» على البنية الأساسية، والتنمية الاجتماعية، وهي تحتاج إلى ٢٥ بليون دولار ماليزي لشراء الديون الهالكة، وأصول المؤسسات المالية، ويتوقع الاقتصاديون أن الأمر سوف يتطلب مبلغاً يصل إلى ٤٠ بليون دولار ماليزي لتعزيز رؤوس أموال البنوك. ويسعى مهاتير للحصول على معونات من الوكالات المتعددة الجنسية، كما يرغب في جمع الأموال من خلال إصدار سندات تباع للأجانب، والحصول على قروض أمر ممكن إذا ما وضعنا في الاعتبار انخفاض ديون ماليزيا النسبي، ولكن جمع الأموال اللازمة من سوق رؤوس الأموال العالمي قد يأخذ وقتاً أكثر مما تتمكن ماليزيا من احتماله.

والدكتور «مهاتير» لم يستطع كسب ود المستثمرين وذلك بسبب خطبه الحادة التي لا تنتهي، فخلال الاثني عشر شهراً الماضية، اتهم الأجانب بتخليهم عن أسواق ماليزيا ضمن مؤامرة موجهة ضدها، كما أنه قبل أسابيع قليلة، حذر من ردة فعل آسيوية عنيفة إذا ما استغل الأجانب الأزمة عن طريق فرض سيطرتهم على الاقتصاديات الإقليمية.

كما أن المستثمرين غير متأكدين أي نوع من العلاج المحلي سيختاره «مهاتير» كهدف للتمويل في الخطوة التالية، وفضلاً عن ذلك فإنه لاتوجد ضمانات بأن هذه الأموال لن تهدر في عمليات إنعاش المصالح التجارية لذوي الاتصالات الجيدة، وان أي سندات تصدرها ماليزيا ستتضمن، دون شك قسط تأمين كبير لمواجهة المخاطر، ويعد هذا آخر جهد يبذله الدكتور «مهاتير» لتفادي فتح أبواب الاقتصاد غير أن هناك بوادر تدل على استعداده لتقديم تنازلات فمجرد اعتراف حكومته بأن الاقتصاد سيشهد انكماشاً ـ بالرغم من ـ أنها مازالت لا تقدر عمق الكساد حق قدره ـ، إنما يشير إلى أنها تعرف أنه إنما يواجه أكبر أزمة في حياته العملية.

كما تشير التعليقات الأخيرة إلى أن الدكتور «مهاتير» يفضل أن يتذكره الناس بأنه قد أنعش الاقتصاد وذلك بدلاً من جعل بلاده تواجه الإفلاس، فقد عبر في إحدى اللحظات التي يمر فيها عن سريرته وما يجول في نفسه: «إذا كنا لا نزال لا نستطيع حل المشكلة الاقتصادية، ربما قد نضطر في يوم ما من الخضوع لصندوق النقد الدولي».

وهذا اليوم قد يأتي في وقت أبكر مما يتوقع. ■

حديقة

إعداد:
أحمد عبدالجبار



من هدي كتاب الله

﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعه فإياي فاعبدون. كل نفس ذائقه الموت ثم إلينا ترجعون. والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم من الجنه غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين. الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾

العنكبوت: ٥٦ ـ ٥٩

من هدي رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ :

«ينادي مناد يوم القيامه من بطنان العرش : ألا فليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم من عباد الله إلا المتفضلون».

السلامة من الناس

لما قدم حاتم الأصم إلى أحمد بن حنبل قال له أحمد بعد بشاشته به :

أخبرني كيف التخلص إلى السلامة من الناس ؟.

فقال له حاتم :

بثلاثة أشياء.

فقال :

أحمد ما هي ؟

أجاب حاتم :

تعطيهم مالك، ولا تأخذ مالهم، وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك، وتصبر على أذاهم ولا تؤذهم.

علم الصمت

قال أبو الدرداء رضي الله عنه :

تعلموا الصمت كما تتعلمون الكلام، فإن الصمت علم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك على أن تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك، ولا تكن مضحاكاً من غير عجب ولا مشاء إلى غير أرب.

روح الخشية

مر عمر رضي الله عنه بمعاذ بن جبل، وهو يبكي فقال :

ما يبكيك؟.

قال : حديث سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ :

«إن أدنى الرياء شرك، وأحب العبد إلى الله تبارك وتعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يعرفوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم».

إضاعة الحق

ثلاثة يضيعون الحق في ثلاثة مواطن :

مخلص يسكت عند قوم مبطلين، وعالم يسكت بين قوم جاهلين، ومنافق يتقرب إلى قوم ظالمين.

من فضلك ابتسم

ليس هناك أجمل من ابتسامة صادقة تضيء الوجه وتجعله أكثر حيوية وجمالاً، والابتسامة تسعد من يراها وهي عمل سهل وبسيط لكنه في الوقت نفسه من أكثر التعابير النفسية والإنسانية تعقيداً.

والابتسامة الصادقة تبعث على السعادة التي لها آثار إيجابية على الجهاز العصبي، ويساعد الضحك على تنشيط الدورة الدموية.

والابتسامة تؤثر على مشاعر الناس من حولك وتنقل الألفة والسعادة للآخرين.

وصدق الرسول ﷺ إذ يقول :

«تبسمك في وجه أخيك صدقة».

خاطئ ومخطئ

من الأخطاء اللغوية الشائعة في استعمال كثير من الناس، معنى كلمة خاطئ بدلاً من مخطئ، ويقول علماء اللغة: شتان بين الاستعمالين.

فالخاطئ : هو الذي تعمد الخطأ من الفعل: خطئ يخطأ

والمخطئ : هو الذي لا يتعمد الخطأ، بل جاء الخطأ منه عفواً دون قصد من الفعل : أخطأ يخطئ.

قال تعالى في المعنى الأول : (ولا طعام إلا من غسلين. لا يأكله إلا الخاطئون» الحاقة: ٣٧ ـ ٣٨

وقوله تعالى : (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) القصص: ٨

وقال سبحانه وتعالى في المعنى الثاني : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) الأحزاب: ٥

وقال أيضاً : (ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) البقرة : ٢٨٦.

أركان السعادة

أركان السعادة ثلاثة: أن تجد شيئاً تعمله، وشيئاً تحبه، وأملاً ترجو تحقيقه أو تسعى إليه.

اختبارات !

يُختبر الذهب بالنار، وتختبر المرأة بالذهب، ويختبر الرجل بالمرأة.

أقوال في العفو

- وصية والد لابنه :

يا بني لا تزهدن في معروف، فإن الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوباً إليه، وطالب كان مطلوباً ما لديه.

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه.

وقال أيضاً:

أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه.

- وقال الأحنف :

ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث :

إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي منه.

- وقال معاوية وكان مشهوراً بالحلم :

إني لآنف أن يكون في جهل لا يسعه حلمي، وذنب لا يسعه عفوي، وحاجة لا يسعها جودي، وهذه مروءة عالية المرتبة.

الأيام خمسة

الأيام خمسة :

يوم مفقود، ويوم مشهود، ويوم مردود، ويوم موعود، ويوم محدود.

فالمفقود : أمسك الذي فاتك على ما فرطت فيه.

والمشهود : يومك الذي أنت فيه تتزود فيه بالطاعات.

والمورود : هو غدك لا تدري هل هو من أيامك أم لا ؟.

والمحدود : هو آخر أيامك من الدنيا فاجعله نصب عينيك.

والموعود : هو آخرتك، وهو يوم لا انقضاء له فاهتم له، فإنه نعيم دائم أو عذاب مخلد.

أقبح الجبن

أقبح أنواع الجبن : الجبن من الجهر بالحق خشية ألسنة المبطلين ... لا تتأخر عن كلمة الحق بحاجة إنها لا تسمع، فما من بذرة طيبة إلا ولها أرض خصبة ... ليس عليك أن يقتنع الناس برأيك الحق، ولكن عليك أن تقول للناس ما تعتقد أنه حق.



إعداد: تمام أحمد

مجموعات مناهضة للتكنولوجيا تنذر بفناء الحضارة الصناعية

مثلما يحتفي العالم مبتهجاً بتطوير أحدث منجزات العلم والتكنولوجيا، ترتفع الأصوات هنا وهناك محذرة من الآفاق المظلمة أمام البشرية بسبب التقدم التكنولوجي المتسارع.

وإن كانت مفردات التقدم قد دخلت قواميس الحياة اليومية معلنة انتصار الإنسان على المصاعب، مثل مفردات البنسلين، وأجهزة الفحص الشعاعي بالأشعة السينية «أشعة إكس»، والأسبرين، وشتى الآلات الحديثة التي تسهل عمل الإنسان، فإن مفردات مخيفة تربطها بعض مجموعات الدفاع عن الأرض مع الموت والمجاعة والحروب، وخصوصاً مع التكنولوجيا، تقدم بوصفها تجسيداً للرعب التكنولوجي الجديد.

وتجسد هذه المفردات منجزات مخيفة، مثل العامل البرتقالي المدمر للوسط المحيط ومواد «دي دي تي والانتراكس، والهواتف الجوالة، التي لا يزال الجدال دائراً حول أضرارها على سلامة دماغ مستخدميها، والمنتجات من ملابس النايلون الضارة بجسم الإنسان.

الهاوية التكنولوجية

ويؤكد الدعاة المناهضون للتكنولوجيا الذين يستخدمون أنفسهم لأحدث منجزاتها مثل المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت، إن التكنولوجيا تقود العالم نحو الهاوية.

وتتحدد مخاوفهم في مجموعة من الميادين التي تشكل جبهة التطوير والأبحاث الحديثة وهي ميادين التقنيات الحيوية وهندسة الموروثات، والنقل وتلويث السيارات للبيئة، والكمبيوترات، والأسلحة والطاقة النووية، وتقنيات الطب الحديث، وظاهرة تسخين الأرض وانحسار طبقة الأوزون، وظهور الأمراض الجديدة.

وتمثل هندسة المورثات أحد أهم الميادين التي يوجه المدافعون عن الأرض والمناهضون للتكنولوجيا، سهامهم نحوها، فهم يؤكدون أنها قد تقود إلى استنساخ هتلر جديد يتحكم في مصائر العالم إضافة إلى تمكين مجموعات من العلماء المشبوهين والشركات الكبرى من الحصول على المعلومات عن المورثات والتحكم فيها لصالحها وليس لصالح البشرية.

ولا يختلف الكثير مع هؤلاء الدعاة حول دور السيارات التي تحرق وقود الأرض من تلويث البيئة، فقد اعتبر آل غور نائب الرئيس الأمريكي محرك السيارة أكبر تهديد للبشرية في الوقت الراهن، وتطرح مشاكل التلوث بوصفها مشاكل لا تقل حدة عن مشاكل المجموعة وانتشار الأمراض المميتة.

أما ميدان الكمبيوترات فإنه يخيف مناهضي التكنولوجيا مع التقدم في مجالات تطوير ذاكرة صناعية ونظم ذكاء قد تتمكن من التحكم في الإنسان، إضافة إلى ذلك، فإن صناعة الكمبيوترات تستنزف طاقات الأرض، ويشير هؤلاء إلى حادثة قيل إنها وقعت في معمل لإنتاج السيارات في اليابان قام فيها أحد الروبوتات بمسك رأس عامل فيها بوصوفه أحد أجزاء السيارات المطلوبة.

مخازن مشروعة

وتظل الطاقة النووية والأسلحة النووية أحد الميادين المفضلة لحماة البيئة ومناهضي التكنولوجيا، حيث يؤدي ردم النفايات وخزنها إلى آثار تتحملها الأجيال المقبلة في وقت تطور فيها مختلف الدول الأسلحة وتبني المنشآت النووية.

ويشكك المناهضون بدور الطب الحديث الذي تحول من ميدان مخصص لمعالجة المرض إلى توظيف شتى التطويرات الجديدة من دون قيود، فقد ازداد استخدام المضادات الحيوية على نطاق واسع ما يؤدي إلى ظهور جراثيم متفوقة لا يمكن مكافحتها.

ومع ازدياد ذوبان ثلوج القارة القطبية الجنوبية المتجمدة وازدياد مستويات مياه البحار التي تهدد السواحل التي تقطنها مجموعات كبيرة من السكان، فإن ظاهرة تسخين الأرض بسبب الاحتباس الحراري داخلها تتحول إلى مسألة تطرح يومياً.

ويؤدي استغلال الطبيعة العذراء للأرض بشكل جشع للحصول على فوائد للشركات الكبرى وتطوير عقاقير أو منتجات سكانية هائلة، خصوصاً في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، بسبب اختلال التوازن الطبيعي.

معارضة على الإنترنت

وتتشكل هنا وهناك حول العالم مجموعات متفرقة تنادي بالحفاظ على الأرض.

وتعود أصول هذه الظاهرة العالمية إلى بداية القرن التاسع عشر، حين قامت مجموعة من العمال المهرة العاملين في معامل إنتاج النسيج في بريطانيا عامي ١٨١١ و ١٨١٢ بتدمير الآلات، وقاد هذه المجموعة نيد لاد، وقد حشدت الحكومة حينذاك ما يقرب من ١٤ ألف جندي للمحافظة على الأمن في منطقة بلاك كاونتري في وسط بريطانيا.

وقد لجأ العمال إلى هذه الأعمال بسبب حال البطالة التي تعرضوا لها بفضل إدخال الآلات.

وتوجد على شبكة الإنترنت حالياً مواقع إلكترونية لمجموعة مناهضة للتكنولوجيا يحمل أحدها اسم «لاديتيز» الذي يشير كما يبدو إلى مجموعة من «اتباع لاد» يحمل شعاري «الحياة كانت أفضل قبل ظهور الخبز المنتج صناعياً» و«نبحث عن خط مخصص لسير الدراجات الهوائية على طريق المعلومات السريعة».

كما ينشط موقع «إيرث فيرست» الأرض أولاً، على الإنترنت، ومواقع إلكترونية أخرى.

وإن كانت هذه المواقع تبشر بمناهضتها السلمية للتكنولوجيا، فإن المهووس الأمريكي الذي أطلق عليه اسم Unabombera

مفجر القنابل الوحيد، كان جاداً في قتل كل من لا يتفق مع آرائه المعادية للتكنولوجيا.

ويعرض النص الذي يحتوي على ٣٥ ألف كلمة، على عداء صريح للمجتمع الصناعي برمته، وقد شارك كازينسكي في حملة لإرسال الرسائل الحاوية للمتفجرات قبل إلقاء القبض عليه.

حماية الأرض

وبدأت حركة «الأرض أولاً» على يد مجموعة متطرفة قادها ديف فورمان في الولايات المتحدة لحماية الوسط الطبيعي من التخريب باستخدام طرق لخلق حال من الفوضى.

إلا أن التسعينات شهدت سيطرة مجموعات بيئية أقل تطرفاً رغم أن بعضها يلجأ إلى حماية الطبيعة بقوة، ويطلق على هذا البعض «المحاربون البيئيون».

ويعتقد أن «الأرض أولاً» تعمل في ١٣ دولة حالياً، وتوجد في بريطانيا ٦٣ مجموعة تنتمي إليها.

وقادت هذه المجموعات عمليات الاعتصام ضد مشاريع إنشاء طرقات جديدة تم تغطيتها إعلامياً بشكل واسع.

وتستخدم هذه المجموعات أفضل منجزات التكنولوجيا في حملتها المعادية للتكنولوجيا، وهنا تكمن المفارقة!.

نذر المستقبل

ويبدو كيركباتريك سايل وهو أحد منظري نهاية العالم وصاحب كتاب «المتمردون ضد المستقبل» أكثر تشاؤماً بمستقبل العالم، ويعتقد سايل أن نذر المستقبل تبدو ملامحها حالياً، فهو يتوقع أن البشرية قد تشهد بعد ٢٠ عاماً ثورة للدول الفقيرة ضد الدول الغنية، وسلسلة من الكوارث البيئية ستقود إلى نهاية الحضارة التكنولوجية.

ويؤكد سايل في أفكاره أن التقدم الصناعي هو عامل يقود إلى تدمير الماضي ويحول المستقبل إلى موقع مجهول ويشير إلى حقيقة أن مهارة الإنسان اليدوية لا يمكن أن تعوض.

التكنولوجيا ومنجزاتها وضعت الإنسان، على مدى تطوره، في أعلى طبقات التطور الطبيعي على الأرض وجلعته سيد المخلوقات، وهي تدفعه لبناء مستقبل أفضل، إلا أنها قد تدمر الأرض وتهلك البشرية، إن ظلت محتكرة على مجموعة من أصحاب القوة والمال التي تستنزف خيرات الأرض وتنهب ثرواتها من أجل الربح الجشع ومن دون الالتفات إلى مصير الملايين.

عن الشرق الأوسط ١٠ / ٨ / ١٩٩٨

أسرار جهاز المناعة البشري قد تكشفها مادة وراثية

عن الحياة ٢١ / ٨ / ١٩٩٨

قال باحثون إن مادة جينية انتقلت إلى الحيوان ربما من ميكروب قد تفسر جهاز المناعة المعقد لدى الإنسان.

وأضافوا أنهم وجدوا أدلة قوية على كيفية وصول هذا «الجين المنقول» لجسم الإنسان فيما يفسر كيف يمكن لجهاز المناعة البشري محاربة مجموعة ضخمة من الفيروسات والبكتيريا والطفيليات.

وكتب ديفيد شاتس وزملاؤه في جامعة يال في مجلة «نيتشر» يقولون إنهم يعتقدون أن هذا الجين المعروف بقدرته على التحول ربما تصرف على غرار الفيروسات وتسلل إلى المادة الوراثية لحيوان كان قد أصابه قبل ٤٥٠ مليون عام.

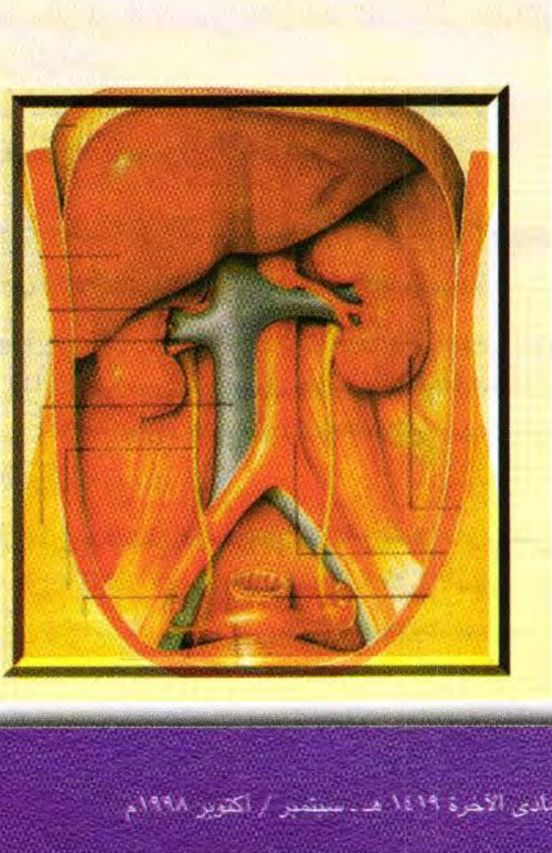
وقال شاتس في حديث تلفازي «اعتقد أنه كان هناك ميكروب يحتوي على هذا الجين المتحول الذي قفز بدوره من جينات هذا الميكروب إلى جينات أجدادنا».

وأضاف: «هذا يساعد في تفسير كيف أن الفقريات ذات الفك هي الكائنات الوحيدة التي لديها نظام مناعة ثانٍ مكتسب بالإضافة إلى نظامها المناعي الأصلي الذي تتمتع به الكائنات الأخرى».

وجهاز المناعة الأصلي يضع دفاعاً بدائياً في حال الإصابة بالعدوى، إذ يدمر أي خلية غريبة، ولكن يمكن لبعض الميكروبات أو الفيروسات المهاجمة اختراق هذا الجهاز بقليل من التنكر.

أما الخط الدفاعي الثاني فهو جهاز المناعة المكتسب الذي يولد المضادات وهي بروتينات على سطح المهاجم تعلمه باعتباره جسماً غريباً لمساعدة الخلايا الليمفاوية على التعرف عليه.

وتستخدم الخلايا الليمفاوية نظاماً لمكافحة كل مهاجم بالأسلوب الذي يناسبه، فلكل خلية ذاكرة تعيد تشكيل سطحها ليقابل المهاجم ويمكنها «تذكّر» هذا الشكل للهجوم التالي، إنها القدرة على «قص ولصق» المادة الوراثية وهي التي قفزت إلى الحيوان من الميكروب القديم.







تقرير إسرائيلي: المسلمون خطر على كياننا

ذكر تقرير إسرائيلي أعدته حكومة بنيامين نتنياهو أن مسلمي المناطق المحتلة في فلسطين العام ١٩٤٨م يشكلون تهديداً استراتيجياً للدولة العبرية، مشيراً إلى أن هناك أسساً ومبررات يمكن في ضوئها قيام هؤلاء بالمطالبة بالحكم الذاتي كمرحلة أولى في عدائهم السافر للكيان الصهيوني، وحسب التقرير الذي أعده فريق من الأجهزة الأمنية المختلفة بناء على طلب نتنياهو فإن المسلمين يشكلون تهديداً واضحاً لمستقبل إسرائيل، ذلك لأن لهم علاقات متشعبة مع منظمات إسلامية في العالم ومن ضمنها حركة حماس في الضفة والقطاع.

وذكرت صحيفة معاريف الإسرائيلية أن التقرير خصص فيه جزء مهم للنشاطات التي يقوم بها المسلمون.

ووصف التقرير المسلمين من فلسطينيي ١٩٤٨م بأنهم يشكلون الصحوة الإسلامية لعرب فلسطين، ومع أنها ما زالت في بداياتها إلا أنها أخذت تشكل بديلاً لأجهزة السلطة الإسرائيلية وبالذات في مناطق جنوب فلسطين في النقب من خلال المساجد وتبني إصلاح وترميم المقابر، وبث روح الجهاد في نفوس المواطنين.

جنرال إسرائيلي يعترف بقتل الأسرى العرب

اعترف الجنرال احتياط «هارون دورون» علانية أن الإسرائيليين مارسوا قتل الأسرى المصريين بشكل جماعي خلال الحروب التي نشبت بين العرب والكيان الصهيوني.

وكان تم كشف النقاب في الأيام الأخيرة عن تقرير قدمه الجنرال الإسرائيلي دورون إلى رئيس الوزراء السابق شيمون بيريز قبل عامين من الآن حول حقيقة معاملة الجنود الإسرائيليين للأسرى من الجيش المصري خلال المعارك التي دارت بين الطرفين، حيث كان دورون قائداً لإحدى الكتائب العسكرية الإسرائيلية.

وقال «دورون» في اعترافات صحافية إن تقريره المشار إليه عرض خلاله وبشكل سري على رئيس الحكومة في حينه بيريز شهادته عن حقيقة ما يعلمه عن فضيحة قتل الأسرى من الجنود المصريين التي أثيرت قبل أكثر من عامين، حيث أكد في تقريره أنه وجد شخصياً حالات لقتل الأسرى من الجنود المصريين.

مجلس الوزراء الكويتي يقر قانونين لتأسيس البنوك الإسلامية وشركات الإجارة

وافق مجلس الوزراء الكويتي في جلسته العادية المنعقدة يوم ١٩٩٨/٨/٩م على مشروع قانون بإضافة قسم خاص بالبنوك الإسلامية إلى الباب الثالث من القانون ٣٢ لعام ١٩٩٨م الخاص بالنقد وبنك الكويت المركزي وتنظيم المهنة المصرفية.

ويهدف هذا المشروع إلى إصدار تشريع ينظم تأسيس ونشاط البنوك الإسلامية في دولة الكويت، ويحدد علاقتها ببنك الكويت المركزي كسلطة رقابية على الجهاز المصرفي في الدولة.

ويذكر أنه لا يوجد في الكويت سوى مصرف إسلامي واحد هو «بيت التمويل الكويتي»، ولكن توجد شركات استثمارية تمارس جزءاً من الأعمال المالية الإسلامية إلى جانب الاستثمارات التي لا تخالف الشريعة الإسلامية منها شركة المستثمر الدولي.

كما وافق مجلس الوزراء على مشروع اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٢ من السنة الحالية والذي يسمح بالترخيص لتأسيس شركات للإجارة والاستثمار، الذي أعدته وزارة التجارة والصناعة.

في الأراضي الفلسطينية سموم اسرائيلية تنشر السرطان

أكدت مصادر فلسطينية أن السلطات الإسرائيلية تقوم بدفن النفايات السامة في الأراضي الفلسطينية، وأن جهات فلسطينية مسؤولة شاهدت بنفسها أبخرة سامة تصدر عن بعض المناطق حيث ثبت أنها نفايات سامة مدفونة فيها.

وتعتبر بلدة «عزون» جنوب نابلس بالضفة الغربية من المناطق «النموذجية» لدفن النفايات السامة من وجهة نظر إسرائيلية، حيث يتم نقلها من مدن استيطانية يهودية من مناطق ١٩٤٨م ومستعمرات من مناطق ١٩٦٧م، وتدفن في أراضي بلدة عزون.

وأضافت المصادر الفلسطينية أنه يمكن لزائر المنطقة أن يصاب بالتهاب في العينين مصحوب بدموع، وكذلك التهاب بالحنجرة في غضون ساعات قليلة فقط من زيارة المكان.

ورغم النفي المتكرر من مسؤولين في الكيان الإسرائيلي لهذا الأمر إلا أن صحيفة «الغارديان» اللندنية أكدت ذلك في سياق تقرير مشفوع بشهادة فلسطينيين أكاديميين وأطباء فلسطينيين يقومون بمعالجة أهالي بلدة عزون منذ ١١ سنة من آثار الأبخرة السامة المتصاعدة من دفن النفايات في المنطقة حيث ارتفعت نسبة الإصابات بالسرطان في أوساط أهالي البلدة المذكورة.

وتشكل عزون رأساً لمثلث خطير على البنية الفلسطينية إضافة لمدينتي طولكرم وقلقيلية بسبب كونها أماكن للنفايات السامة، حيث تأتي الشاحنات الإسرائيلية ليلاً والمحملة بتلك النفايات من المنطقة الصناعية الإسرائيلية على بعد ٢٠ ميلاً إلى الغرب لتفرغ حمولة الموت في المناطق المذكورة.

من دون آباء أو أمهات أو رعايه

أطفال كوسوفا لاجئون في الحارات

وصل عدد اللاجئين من كوسوفا إلى ٢٨٥ ألفاً خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة، ذكر ذلك مكتب رعاية حقوق الإنسان في العاصمة الكوسوفية «برشتينا» حسبما ذكرت جريدة «بويكو» الألبانية، وقال إن من هؤلاء ٢٦ ألفاً في الجبل الأسود، و ٢٠ ألفاً في ألبانيا، و ٢١ ألفاً في مقدونيا، و ١٦ ألفاً في البوسنة، و٥ آلاف في أوروبا، والبقية في الداخل. وأكد المكتب أن عدد القتلى وصل إلى ٤١٥ شخصاً، والمفقودين ٤٠٠ شخص، وأكدت الرقم الأخير وسائل الإعلام الصربية في بلغراد دون أن توضح مصيرهم.

ويقول شاهد عيان من برشتينا إن عدد اللاجئين في الحارة التي يقطن فيها زاد عن عدد السكان الأصليين، حيث وصل إليها أخيراً ٢٠ طفلاً تتراوح أعمارهم بين ٦ و ١٢ عاماً، من دون ذويهم.

قطع هؤلاء الأطفال ٤٠ كم من قرية «راموفيتش» إلى برشتينا، حيث أرسلهم من تبقى من آبائهم وأمهاتهم إلى العاصمة لينعموا بالأمان، بينما انضم الآباء إلى جيش التحرير، وهربت الأمهات إلى القرى المجاورة.

هذا وارتكبت القوات الصربية في الأيام الأخيرة مذبحة وحشية مروعة ضد ٢٠ فرداً معظمهم من عائلة واحدة بعد أن أعلنوا أنهم مدنيون عزل وخرجوا من المنزل رافعين العلم الأبيض، ولكن القوات الصربية أخذت



فوضى عالمية وكوارث إنسانية ترافق الأخطاء المتوقعة للكمبيوترات العام ٢٠٠٠ م

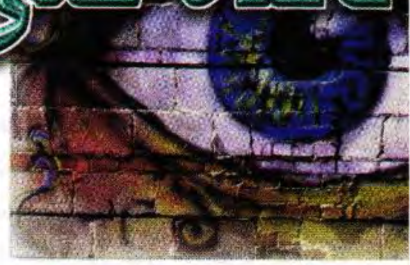


عبَّرت وزارة الدفاع السويدية عن خشيتها من عدم قدرتها على اتخاذ جميع الإجراءات المطلوبة لإدخار تعديلات على نظم الأسلحة التي يتم التحكم فيها بوساطة الكمبيوتر قبل نهاية القرن الحالي.

وجاءت هذه المخاوف ضمن رد على أسئلة توجهت بها الحكومة السويدية عن مدى استعداد وزارة الدفاع لمواجهة التغيرات التي ستطرأ على أنظمة الكمبيوتر كنتيجة لدخول العالم في الألفية الميلادية الثالثة بعد أقل من عام ونصف العام.

ويخشى العديد من العلماء والخبراء في مجال الحاسوب الآلي حصول فوضى عالمية قد تؤدي إلى كوارث اقتصادية وإنسانية إذا لم تتخذ الإجراءات اللازمة لتفادي الحسابات الخاطئة للكمبيوترات كسبب مباشر لتغير الزمن وعدم استيعاب هذه الأجهزة للتحول المفاجئ لها منذ العام ١٩٩٩م حتى العام ٢٠٠٠م، وأكثر ما يخشاه الخبراء أنظمة الحاسوب المستخدمة في قطاعات الصناعة والمصارف والطيران.

وتضمن تقرير وزارة الدفاع السويدية أيضاً إلى حكومة بلادها مخاوف من أن عدم الاستعداد الكافي لمواجهة هذه الظاهرة المنتظرة قد يؤدي إلى نتائج خطيرة منها سقوط الطائرات وتعطل وظائف التحكم في الغواصات والسفن الحربية وبعض المركبات البرية.



ازدياد تعاطي المخدرات بين أطفال أميركا



أظهرت دراسة حكومية نشرت في واشنطن يوم ١٩٩٨/٨/٢١م أن تعاطي المخدرات بين الصبية الأميركيين في تزايد وبالأخص الماريغوانا.

وزاد تعاطي المخدرات بين الأطفال الذين تراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٧ عاماً إلى ١,٧ في المئة في العام ١٩٩٧م مقابل تسعة في المئة في العام ١٩٩٨م.

وأوضحت الدراسة التي أجرتها وزارة الصحة الأميركية أن تعاطي الماريغوانا خلال الفترة نفسها في المجموعة العمرية عنيها، زاد من ٧,١ في المئة إلى ٩,٤ في المئة، وشملت الدراسة ٢٤٥٠٥ أشخاص.

وقالت دونا شالالا وزيرة الصحة الأميركية: «نواجه مشكلة ماريغوانا خطيرة بين شبابنا، هذه الدراسة توضح أن عملنا في مكافحة المخدرات لابد أن يركز على هؤلاء الصغار».

وأضافت أن عدداً أكبر من الصبية يتعاطى الماريغوانا لاعتقادهم أنها غير خطيرة، مشيرة إلى تحول في تصور الأطفال لأخطار الماريغوانا بدأ في العام ١٩٩٠م.

وقالت شالالا: «أطفالنا مخطئون، الماريغوانا غير آمنة، الماريغوانا تضعف القدرة على التعلّم والذاكرة».

وزاد تدخين السجائر بين شبان أميركا أيضاً في العام ١٩٩٧م، حيث ارتفعت النسبة في الفئة العمرية من ١٢ إلى ١٣ عاماً من ٧,٣ في المئة إلى ٩,٧ في المئة العام ١٩٩٧م.

منع البسملة في طاجيكستان !

تفيد الأنباء الواردة من دوشانبه أن السلطات بدأت حملة مكثفة ضد الهيئات والشخصيات الإسلامية.

كما مُنعت محطات الإذاعة والتلفاز من بث تلاوة آي الذكر الحكيم أو أي عبارة إسلامية مثل «بسم الله الرحمن الرحيم» أو «إن شاء الله» بذريعة محاربة التطرف الإسلامي.

وبموجب ذلك، يمنع الجنود من الصلاة في الثكنات، ويحظر على الجندي إطلاق لحيته.

رابطة العالم الإسلامي تدين استمرار العدوان الإسرائيلي على المسجد الأقصى

أكدت رابطة العالم الإسلامي أن المسجد الأقصى المبارك وما حوله ملك للمسلمين ولا تجوز ولاية غيرهم عليه وعلى مدينة القدس التي تحتضنه، وأعربت عن أسفها الشديد لاستمرار العدوان الإسرائيلي بأشكاله المختلفة على المسجد.

وقال الأمين العام للرابطة الدكتور عبدالله العبيد في بيان له لمناسبة الذكرى ٢٩ للعدوان الإسرائيلي على المسجد الأقصى أن للمسجد الأقصى المبارك مكانة مرموقة في قلوب المسلمين، منددأ بامتهان السلطات الإسرائيلية لهذه القدسية، بما تقوم به من إجراءات عدوانية مستمرة ضده تمهيداً لهدمه، وإقامة هيكل سليمان

منظمة العمل الدولية تدعو الحكومات للاعتراف بتجارة الجنس !

في سابقة خطيرة وبعيدة كل البعد عن القيم والأخلاق والمثل الإنسانية العليا التي يجب أن تسعى إليها المنظمات العالمية حثت منظمة العمل الدولية يوم ١٩/٨/١٩٩٨م الحكومات على أن تعترف رسمياً بتجارة الجنس المزدهرة وأن تعاملها معاملة أي نشاط اقتصادي آخر.

وقالت المنظمة التابعة للأمم المتحدة في تقرير عن جنوب شرق آسيا إن تجارة الجنس في المنطقة شهدت نمواً سريعاً حتى أنها أصبحت الآن تدر ما بين اثنين و ١٤ في المئة من إجمالي الناتج المحلي في اقتصادات دول المنطقة، ولم تصل منظمة العمل الدولية إلى حد الدعوة إلى إباحة الدعارة، غير أن المنظمة تحدثت عن منافع الاعتراف بها كقطاع اقتصادي من أجل «مد شبكة الضرائب لتشمل كثيراً من النشاطات المربحة المتصلة بها وصوغ سياسات عمالية تشتد الحاجة إليها للتعامل مع ما يقدر بنحو بضعة ملايين يعملون في مجال الجنس».

وقد يكون تقرير المنظمة مثيراً للجدل بالنسبة إلى الحكومات والشعوب التي تعتقد أن الدعارة يجب اعتبارها جريمة.

وكررت منظمة العمل الدولية دعوتها إلى القضاء على دعارة الأطفال، وقالت إن تقديرات عدد الأطفال المنغمسين في ذلك تراوح بين ٥٠ إلى ٧٠ ألفاً في الفليبين وما يصل إلى ٨٠٠ ألف في تايلاند. وذكر تقرير منظمة العمل عن تجارة الجنس في أندونيسيا وماليزيا والفليبين وتايلاند أن بين ٠,٢٥ في المئة و ١,٥ في المئة من جميع النساء في هذه الدول يعملن غانيات. وفي تايلاند أوضحت دراسة حكومية العام ١٩٩٧م أن هناك ٦٥ ألف امرأة غانية، لكن منظمة العمل الدولية قالت إن الرقم غير رسمي وربما يصل العدد إلى ٣٠٠ ألف، وقالت إن الغانيات في أندونيسيا يتراوحن من ١٤٠ ألف إلى ٢٣٠ ألف غانية، وفي ماليزيا ١٤٢ ألفاً والفلبين نحو نصف مليون.

وقالت دراسة منظمة العمل إن هذا القطاع يتسع وينمو متخطياً الحدود وأن كثيراً من مؤسسات الجنس في الفلبين تبين أنها تتلقى دعماً مالياً أجنبياً ومن ذلك أعمال التهريب الدولية للغانيات.

وقالت منظمة العمل في أندونيسيا تقدر العوائد المالية لتجارة الجنس بنحو ٣,٦ بليون دولار كل عام ومن ذلك ما يقرب من ١٠٠ مليون دولار سنوياً وقالت إنها تجنى من نشاطات جنسية في العاصمة جاكرتا وحدها.

البنك الإسلامي يخصص ١,٤ بليون دولار لتمويل التجارة

خصص البنك الإسلامي للتنمية ١,٤ بليون دولار لتمويل التجارة في السنة المالية الجارية بهدف توسيع نطاق المبادلات التجارية والاستثمارات بين الدول الأعضاء.

وقال رئيس البنك أحمد محمد علي: تشمل هذه المخصصات ٨٣٠ مليون دولار لتمويل الواردات و ٢٠٠ مليون دولار للصادرات، و ٣٠٠ مليون دولار لعمليات القطاع الخاص من خلال محفظة المصارف الإسلامية التي يديرها البنك من مقره في جدة، ويشارك فيها ٢٠ مصرفاً ومؤسسة مالية إسلامية.

وحدد البنك ثلاثة مجالات عمل للتركيز عليها في السنوات الثلاث المقبلة: هي توسيع التجارة والاستثمارات، وتنمية الموارد البشرية، وتلبية الحاجات الأساسية في مجالات الصحة والتعليم والغذاء، كما حدد تسعة أهداف لفريق العمل المنبثق عن اجتماع طهران في يونيو الماضي، من أهمها البحث في الوسائل الكفيلة بحفز المؤسسات الإسلامية لزيادة نشاطاتها التمويلية.

المزعوم مكانه، وأوضح الدكتور العبيد أن السلطات الإسرائيلية استولت على المزيد من أراضي الوقف المحيطة بالمسجد الأقصى، بالإضافة إلى المقابر الإسلامية بحجة توسيع الطرقات وتحديثها، وإجرائها حفريات تحت بنيانه ومن بينها الأنفاق الخطيرة التي تهدده بالسقوط والانهيار.

وشدد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي على أن ما تقوم به إسرائيل من سياسات عدوانية على المسجد الأقصى والقدس الشريف يعد انتهاكاً لقرارات الأمم المتحدة التي تؤكد أن القدس المحتلة جزء من فلسطين، لا يجوز العبث بأراضيها وتغيير معالمها الجغرافية وأوضاعها السكانية.

وحذر الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور العبيد في بيانه من استمرار السلطات الإسرائيلية في العدوان على القدس الشريف ومحاولات تهويدها بإزالة معالمها الإسلامية، وشمول ذلك للمسجد الأقصى المبارك وما يجاوره من مواقع تابعة لأوقافه، مشيراً إلى أن السلطات الإسرائيلية المحتلة لم تلتزم بما قرره المجتمع الدولي في شأن مدينة القدس وما فيها من مقدسات وعلى رأسها المسجد الأقصى الذي نصبت فيه المذابح الدموية مرات كثيرة.

وأضافت أن السلطات الإسرائيلية تسعى إلى تنفيذ مشروع القدس الكبرى لاستكمال إجراءات التهويد وبناء المزيد من المستوطنات اليهودية حولها وإحلال المزيد من المستوطنين اليهود مكان السكان الأصليين بعد اغتصاب أملاكهم وتهجيرهم وطردهم من أراضيهم، وأوضح أن رابطة العالم الإسلامي تتابع هذه الإجراءات العدوانية بألم شديد، وهي تحذر من استمرار هذا العدوان.

وقال الدكتور العبيد إن الرابطة التي تمثل بها الشعوب الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم تطالب الهيئات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي بالعمل من أجل عودة المسجد الأقصى المبارك إلى أهله، وعدم السماح للسلطات الإسرائيلية باستمرار الهيمنة عليه وعلى مدينة القدس العربية المسلمة.

فتاوى

الطلاق المعلق على شيء ما

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

حصل خلاف بيني وبين زوجتي، فأمرتها أن تترك بعض الأعمال، فقلت لها: إن عملت كذا فأنت طالق، وكنت أقصد بذلك مجرد التهديد، فخالفت أمري وفعلت ما أمرتها بتركه، وقد استفتيت بعض علماء الفقه فأمروني بإرجاعها، وفي مرة ثانية قلت لها: إن لم تخبريني بالشيء الفلاني فأنت طالق، فأخبرتني به بعد مدة، ومنذ خمسة أيام اتفقنا على الانفصال، وقلت لها: أنت طالق منذ هذه الساعة، والآن أرغب في إرجاعها.

أجابت اللجنة بما يلي :

يلزم السائل كفارة اليمين بالنسبة للمرة الأولى، ولا يقع عليه شيء للمرة الثانية لأنها فعلت ما حلف عليه، وبقوله لها منذ خمسة أيام، «أنت طالق» تقع طلقة واحدة رجعية، له مراجعتها ما دامت في العدة، وقد راجعها فعلاً أمام اللجنة.

تعمد الخطأ لبيان الصواب في القرآن الكريم

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

إني أمارس عملية تعليم القرآن الكريم حسبة لوجه لله تعالى، ولضرورة تعليم النطق بالحكم السليم كالإدغام بغنة، والإخفاء ونحو ذلك، أضطر للنطق بالكلمة بشكل غير صحيح، ثم النطق بها بشكلها الصحيح ليتبين الفرق بين النطقين، واستبعاد النطق غير الصحيح، وإقرار القراءة على الوجه الصحيح.

السؤال : هل في عملي هذا شيء من المخالفة الشرعية ؟ أرجو بيان ذلك.

أجابت اللجنة :

ليس في هذا العمل شيء من المخالفة الشرعية، مادام القصد منها التعليم فقط.

تقسيم دية المقتول على الورثة

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

رجل يطلب قسمة الدية الشرعية، المقرر قيمتها بستة آلاف دينار كويتي على ورثة المجني عليها، وهم والدتها، وشقيقاها، وزوج المجني عليها المتهم بقتلها خطأ.

أجابت اللجنة :

إن الدية تقسم قسمة الميراث، وحيث إن الزوج تسبب في قتل زوجته فهو ممنوع من الميراث شرعاً، وحيث إنه ظاهر في السؤال أن الورثة محصورون في الأم والأخوين الشقيقين، فيكون للأم السدس، والباقي للأخوين بالتسوية، فإن كان هناك ورثة غير هؤلاء فتقسم حسب الوجه الشرعي.

نسبة المولود لأبيه

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

أنا امرأة موجودة في الكويت منذ العام ١٩٨٢م، وبعد هذا التاريخ دخل زوجي إلى البلاد دون تأشيرة دخول رسمية، ومكث معي مدة شهرين، وأنا زوجته على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - وخلال هذه الفترة حصل حمل وبعدها سافر، ثم وضعت مولودة، والآن انتهت خدماتي، وحجزت في الطائرة وأردت الحجز لطفلتي فمنعت من ذلك، ورفضت وزارة الصحة أعطائي إثباتاً بذلك على أن الطفلة ابنتي، ولا يوجد أحد من الذين مكثنا عندهم خلال الفترة الماضية يشهد لي بأن هذه الطفلة ابنتي لأنهم ممن لا يحملون إقامة صالحة.

أجابت اللجنة :

بما أن الولادة حصلت في الفترة الصالحة «شرعاً» لثبوت النسب حيث هناك زوجية سابقة قائمة.

لذا، فإن نسب هذه الطفلة ثابت من زوج هذه المرأة، ولا ينتفي نسب هذه الطفلة من أبيها، إلا إذا نفاه بنفسه شرعاً، وليس لأحد حق نفي هذا النسب سوى زوجها.

وقد نصحت اللجنة هذه الزوجة المذكورة بأن تقدم ما يدل على رضا زوجها بهذه الطفلة أنها ابنته، وأن تقدم ذلك للجهات الرسمية توكيداً لبراءتها.

حضانة الأم الزانية

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

هل تصلح من ثبت عليها الزنى بإقرارها أن تكون حاضنة لأولادها؟

أجابت اللجنة بما يلي :

المنصوص عليه شرعاً في جميع المذاهب أنه يشترط في الحاضنة أن تكون مأمونة في الدين، وتفسير الأمانة في الدين ألا تكون فاسقة، فإذا كانت الحاضنة فاسقة، فلا يحق لها شرعاً أن تمسك المحضون، سواء أكان ولدها أم لا، وتسقط حضانتها بالفسق لئلا ينشأ الصغير أو الصغيرة متأثراً بسلوكها، فالزانية لا تصلح أن تكون حاضنة.

صالونات التجميل... زينة المرأة وعورتها

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

ما حكم استعمال «المكياج» للمرأة: طبعاً لغير زوجها، كالحمرة والبودرة وصبغ الأظفار، كذلك الذهاب إلى صالونات التجميل النسائية وقص الشعر؟

أجابت اللجنة :

أ - إن وضع مادة المناكير على الأظفار تمنع وصول الماء إلى الأظفار وبالتالي عدم صحة الوضوء والغُسل من الجنابة والعادة الشهرية حتى ولو وضعت على طهارة فإن حدوث الحدث الأكبر بعد وضع المناكير على الأظفار يمنع وصول الماء إلى جميع الجسم وبالتالي لا يصح الوضوء مع وجود الحائل كما تقدم.

ومثل ذلك يُقال في تصفيف الشعر فإن كان هناك ما يمنع من وصول الماء إلى أصول الشعر عند الاغتسال من الجنابة أو من العادة الشهرية، فإنه يكون محظوراً لأن تحت كل شعرة جنابة ولا عبرة بقول بعضهم إنه يكفي وضع المناكير أو تصفيف الشعر على طهارة.

ب - ثم إن تزين المرأة لزوجها لا غبار عليه، كما أن ظهورها على محارمها بالزينة الظاهرة التي تكون على الوجه أو اليدين والرأس وما يظهر غالباً لا بأس بها، وينبغي أن نعلم أن زوج الأخت ليس من المحارم، كما يظن بعض الناس لأن المحرَّم إنما هو الجمع بين الأختين ومثله زوج العمة والخالة.

وأما إظهار زينة المرأة لغير هؤلاء فهو محرّم لقوله تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) النور: ٣١.

ج - على أنه لو كان في كشف وجهها فتنة وجب أن تستر وجهها أيضاً، والإسلام يحرص على العرض حرصه على الأنفس، بل ربما أكبر لأن المرأة وعاء الولد وهي التي تحفظ الأنساب ففي تعريضها للفتنة ما فيه من الخطر على المجتمع الذي يريده الله أن يكون مجتمعاً طاهراً.

د - ولا شك أن الذهاب إلى صالونات التجميل فيه خطر كبير إذا كان الرجال هم الذين يقومون بتجميل النساء أو كان ذلك بحيث يرون جمالها، كما هو مشاهد في بعض الصالونات وكأن يُراد تجميل المرأة لغير زوجها أو لمن لا يباح لهم النظر إليها، ومن المعلوم أن التسريحة التي يُنفق عليها مال كثير تكون المرأة حريصة على بقائها أطول مدة مع وجوب الغسل عليها غالباً في هذه المدة، فإن كان ما يمنع من وصول الماء إلى جذور الشعر، فإنه يمنع صحة الغسل، وعندها لا تصح الصلاة.

سفر الزوجة بدون المحرم

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

هل يجوز لزوجتي أن تسافر بمفردها من النرويج متوجهة إلى أهلها في المغرب؟ مع العلم بأن المسافة في الطائرة لن تستمر أكثر من عشر ساعات (أي من الصباح حتى المساء) وأنها لن تبيت إلا في بيت أهلها.

أجابت اللجنة :

إن المَحْرَمَ أو الزوج يشترط أحدهما للمرأة في حال السفر فقط «ولا يشترط وجوده في بلد إقامة المرأة» ومع ذلك إذا تعذر أو شق أن يصحبها في حال السفر زوج أو محرم وكان السفر مأموناً «كما هو الحال في السفر بالطائرة في رحلة مباشرة من بلدها الأصلي إلى بلد العمل أو بالعكس، مع عدم تعرضها للانفراد وذلك بأن يصحبها الزوج أو المحرم إلى مطار المغادرة، ويستقبلها أهلها أو أحد المحارم في مطار الوصول» ولا تزيد مدة السفر عن يوم وليلة، فإن سفرها في هذه الحال يكون مباحاً.

شرب ما اختلط بالكحول

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

مسؤول مصنع للمرطبات يقول: «وردت إلينا كمية من شراب «الأبرتن المركز»، وبما أن هذه المادة تستخلص من مادة الكحول، والتي تصلح بعد التصنيع النهائي للاستهلاك الآدمي حيث تكون خالية تماماً من الكحول.

لذا نرجو التكرم بأخذ رأي الشرع بمدى صلاحية هذا الشراب هل يجوز شرعاً أم لا؟

أجابت اللجنة:

ليس للمسلم أن يتعامل مع الخمر في «أي طور من أطواره»، ولكن لو كان عنده عصير فتخمر بنفسه، ثم تخلل من غير أن يعمل فيه عملاً فإنه يطهر، ويكون خلا جائز الاستعمال، أما إن عمل فيه عملاً حتى صار خمراً فإن عمله به حرام، ولا يجوز استعماله والخل الناتج من العصير يكون طاهراً جائز الاستعمال، وهذا التفصيل بالنسبة إلى المسلم، حتى ولو عمل العصير غير المسلم وصار خلاً فإن الخل لا شك يكون حلالاً، وعلى هذا فإن هذه المادة وهي «الأبرتن المركز» إذا وصلت إلى درجة ليس فيها كحول فإنه يباح استعمالها.

المرسى

هنا يرسو القلم،
ينفض عن كاهله وطأة الأيام
وازدحام الأعمال وهموم الواقع،
فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه..
وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين
للجميع ...

سهام الأسحار

لئن كان لبعض الأحداث ذكريات في النفس تظل محفورة في الذاكرة لا تجرؤ الأيام ولا السنون على محوها مهما تقادمت، فتراها تطلُّ بين الفينة والأخرى كلما عبر المجال الفكري أو البصري أمثالها أو نظائرها، فإن لبعض الكلمات وقعاً ورنيناً - أيضاً - يثير شجون النفس ويحرك فيها الرواكد وربما انفتحت بها قلوب مغاليق.

ومن أقوى تلك الكلمات أثراً وأثراها معنى وأعظمها وقعاً ما كتبته السيدة نفيسة - رضي الله عنها - لأحمد بن طولون... كلمات ما وقعت على سمع ظالم إلا زلزلت أركانه وحطمت جبروته وأعادته إلى رشده وصوابه ما بقيت عنده مسكة من عقل وذرة من رحمة.

على رقعة كتبت : «ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا، وقد علمتم أن سهام الأسحار غير مخطئة ولاسيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم، ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»، فعدل الحاكم لوقته حين قرأها.

وعندما مر بخاطري حال إخوتنا المأسورين لدى بعض الأشقاء منذ بضع سنين، استوقفتني الكلمات بقوتها، فاستلهمت المعاني واستوعبت المباني فهالني ما تفيض به من قوة تعبير وعظم نذير فارتعدت فرائصي واقشعر بدني وخلت أنني معهم أرددها في الظلمتين ظلمة الليل وظلمة السجن وظلمه، وما بينها وبين الله حجاب، فأيقنت أنها مجابة لا محالة.

إنها كلمات تكسو القلب طمأنينة، وتضفي على النفس سكينة، وتعيد صبراً مفقوداً وحلماً معهوداً، وتجدد أملاً معقوداً، فتقرُّ بها الأعين وتسمو الأرواح وتهون معها الغربة والفرقة.

ثم ساءلتني نفسي؟ ... أليسوا رجالاً؟ أشجاعة تداني شجاعتهم، ألم تر كيف ضربوا لنا الأمثال في التضحية والإيثار؟ وهل أتاك صنيعهم حين الغدر؟ إنهم قاوموا وصمدوا ما وهنوا وما استكانوا وما ولوا الأدبار حين قصرت الأعنة واستجرت الأسنة، وتنازل الأقران، وتكافح الأبطال، وأقبلت الآجال تفترس الآمال.

أما الأهل والعشيرة فلهم حقاً أن يفخروا، فمن أصلابهم أنجبوا هؤلاء الرجال الأفذاذ، فطوبى لهم ونصر قريب وعود بإذنه تعالى حميد، ولله در البحتري حين قال :

وما هذه الأيام إلا منازلُ
فمن منزل رحب إلى منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وإنما
صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبكِ
أما في رسول الله يوسف أسوة
لمثلك محبوساً على الظلم والإفكِ
أقام جميل الصبر في الحبس برهة
فآل به الصبر الجميل إلى الملكِ

محمود علي عبدالرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

وما لنا ألا نتوكل
على الله وقد هدانا
سبلنا ولنصبرن على
ما آذيتمونا وعلى الله
فليتوكل المتوكلون

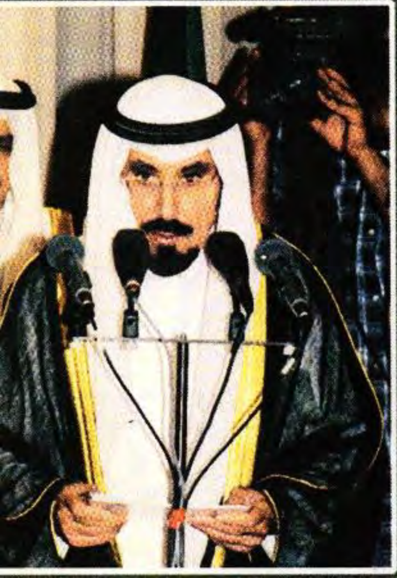
صدق الله العظيم

الآية ١٢ سورة إبراهيم

الوعي الإسلامي

اسلامية - شهرية جامعة

العدد ٣٩٥ - السنة الخامسة والثلاثون - رجب ١٤١٩ هـ - أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٨ م



في لقائه بحملة الدكتوراة الكويتيين

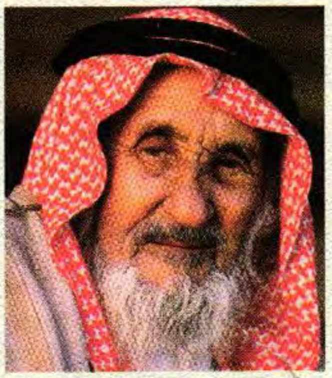
سمو الأمير:

- قضية التربية هي قضية بناء الإنسان
- «فنحن جميعاً جسم واحد في سفينة واحدة إما أن نحسن التصرف والتدبير فننجو وإما أن نسيء التصرف والتدبير فنغرق»



الجامعة المفتوحة العربية هل تحقق حلم الوحدة الغائب؟

الاختلاط في ظل الشريعة الإسلامية

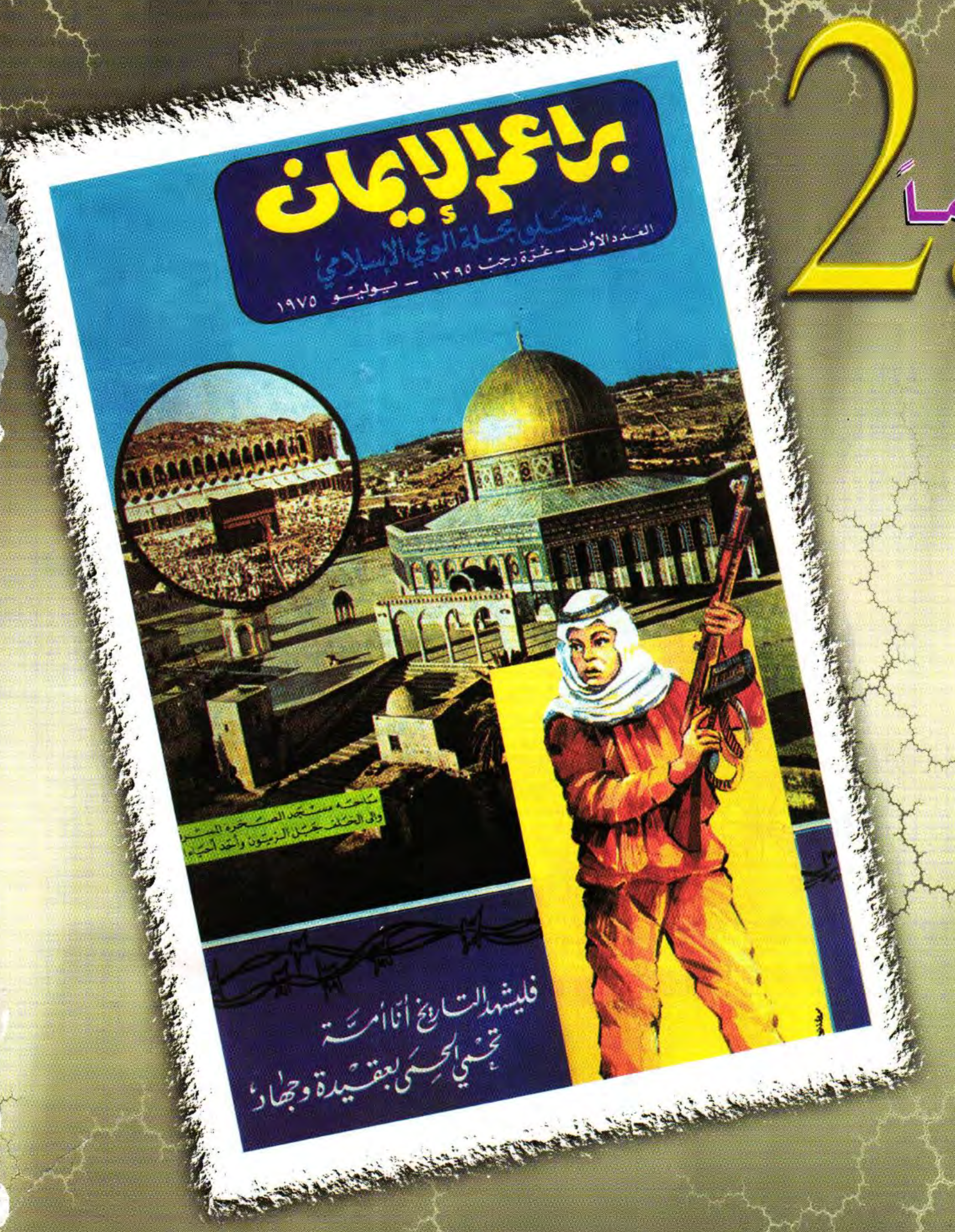


رعاية المسنين في الإسلام

أخلاقيات الإعلان في أجهزة الإعلام العربية

هديتك مع العدد براعم الايمان

25 عاماً



ويتجدد العطاء لأبنائنا الأحباب

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٥. السنة الخامسة والثلاثون
رجب ١٤١٩ هـ. أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٨م

المراسلات
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740
e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet
هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

الإسراء والمعراج رباط السماء بالأرض

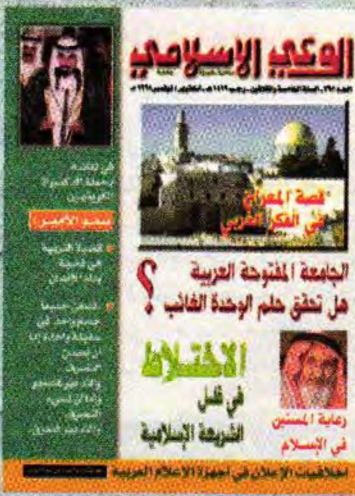
أعزاءنا القراء:

معجزة الإسراء والمعراج بكل أبعادها وأحداثها وحيثياتها نبع دائم فياض ينهل منه المسلمون عبر القرون والدهور العبر والعظات والدروس التي تفيدهم في حاضرهم وتنير لهم طريق مستقبلهم الزاهر المنشود، إن من واجب المسلمين في العصر الحاضر وهم يعيشون أجواء هذه الذكرى الخالدة في هذا الشهر أن يعودوا إلى هذا المعين الثرّ يستلهمون منه أسباب العزة والقوة والمنعة، فهذه الرحلة السماوية وثقت الرباط بين السماء والأرض، وجعلت الفوز والنصر والفلاح والتقدم والازدهار حقائق واقعة لا محالة مادام الرباط قائماً، ومن هنا فإن حالنا لن يتغير وقدسنا لن تعود إلينا، إلا حين تهفو قلوبنا من جديد إلى السماء التي صعد إليها صاحب الإسراء والمعراج، واستمد منها مبادئ الرسالة الخالدة، التي تحطمت على صخرتها كل هجمات الكائدين والحاقدين من صليبيين وصهاينة وغيرهم، فهل يدرك المسلمون هذه الحقيقة... هذا ما نأمله والله من وراء القصد.

الوعي الإسلامي

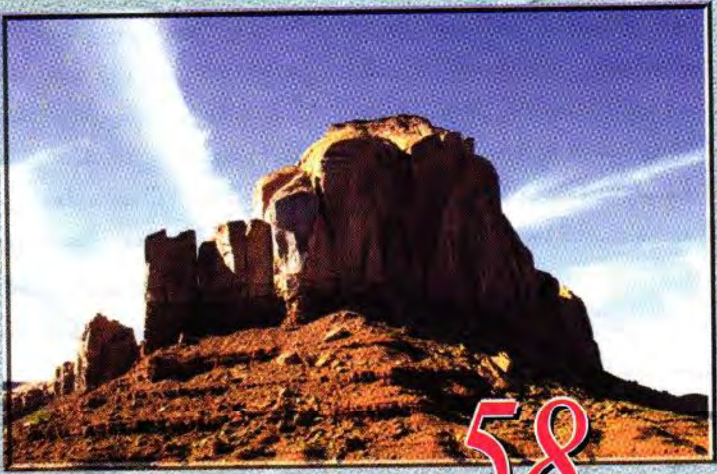
في هذا العدد





الوعي الإسلامي
قصة المعراج في الفكر الغربي
الجامعة المفتوحة العربية
هل تحقق حلم الوحدة الغائب
الاختلاط في ظل الشريعة الإسلامية
رعاية المسنين في الإسلام
أخلاقيات الإعلان في أجهزة الإعلام العربية

علوم



58

الجبال بين علم التكتونية والشريعة الإسلامية

علم التكتونية فرع من علم طبيعة الأرض يبحث في بنية القشرة الأرضية... ترى هل الشرع يقر جوانب المنفعة في العلوم التكتونية؟ وهل معجزات الإسلام العلمية حول الجبال تتطابق والدراسات المتخصصة في علوم الطبيعة؟

في الأعداد المقبلة

- انتداب الموظفين في النظام الإسلامي — د. محمد ضياء الحق
- من أعلام القيروان - الإمام محمد بن سحنون — د. محمد أبو الأجفان
- آليات المنهج الاستشراقي في دراسات مصنفات علوم القرآن — د. حسن عزوزي
- سمات اتجاه ابن القيم الأصولي — د. عبدالله الخضر
- لماذا حرمت الخمر؟ — محمد الجاهوش
- الانتقاء الجنسي بين تكنولوجيا الجينات والشريعة الإسلامية — د. رضا عبدالحكيم إسماعيل
- من قواعد الإثبات والتحقيق في قصة يوسف الصديق — محمود علي محمد عبدالرحمن

الفهرس



رحب الوعي الاسلامي
رسائل القراء وتنشر
نها ما يتوافق مع
ياسات النشر لديها
ما لا يتعارض مع
قوق الآخرين وحرية
رأي. وتحتفظ المجلة
حق تنقيح الرسائل
اختصارها.

تعقيب وتصحيح

جذبتني مقالة نشرت في العدد رقم ٣٩٣ الصادر في شهر جمادى الأولى ١٤١٩هـ في الصفحات المتتالية والتي تبدأ من صفحة ١٩ حتى ٢٢ ودفعني ذلك إلى أن أحرّك القلم لتصحيح بعض المعلومات الواردة في المقال حيث إن هذه تصحيحات معلوماتية.

أما فيما يتعلق بالطباعة فوجدت هناك أخطاء كثيرة جداً أذكرها فيما يلي:

١ - المكتوب فيه «الرئيس بشار الدين حبيبي» والصحيح «بحر الدين حبيبي».

٢ - التردد وعدم الاطمئنان في الكتابة حيث أجد اسم «حبيب» للمرة الأولى مكتوباً بلا ياء ويجب أن تزاد في نهاية الاسم وهكذا.

كلمة «ميشومي» ذكرت أيضاً «شيومي» وكلاهما خطأ والصحيح «مشومي»، اقتصاراً لكلمة مجلس شورى مسلمي أندونيسيا.

٣ - النقص والخطأ في الكتابة على الخريطة، حيث وردت كلمة«جابا» والصحيح «إربان جايا».

٤ - المكتوب فيه «البنشاتلا» والصحيح البنتشاسلا وهي مأخوذة من Pancasila بمعنى المبادئ الخمسة.

٥ - وكذلك مكتوب «نهضة الأمة» ولم أسمع بهذه التسمية من قبل، والصحيح نهضة العلماء وفق التاريخ.

٦ - وذكر الكاتب أيضاً كلمة جايون والصحيح جاويون وهم السكان الذين يسكنون في جزيرة جاوه.

٧ - ثم هناك خطأ في كتابة أرقام التاريخ، فهو مكتوب في ١٩٦٥/٦/٣٠م كما شهده التاريخ.

أما فيما يتعلق بالحقائق، فإني لا أفهم ما كتبه المصنف في جملة «ومع مجيء - سوهارتو إلى السلطة والذي تجددت رئاسته للمرة الرابعة هذا العام» (١٩٩٨م) على أن رئاسته استمرت منذ سنة ١٩٦٦م إلى ١٩٩٨م بإقالته وكانت تجدد كل خمس سنوات مرة واحدة.

ومن جانب آخر، فإني أشك في حيدة ونزاهة المصادر التي أخذ منها المصنف، حيث إن جمعية المحمدية تضم في عضويتها نحو عشرين مليون شخص، وجمعية نهضة العلماء تضم بين صفوفها عشرة ملايين شخص، وأعتقد أن المصنف لو كان من رجال الاطلاع على تاريخ أندونيسيا لن يقول ذلك إلا أن تؤخذ الأرقام من الوثائق الرسمية.

وقال أيضاً إن جمعية نهضة العلماء التي تقتصر بـ (NU) لم تكن لها أي تجارب سياسية مع أن هذه الجمعية قد مارست السياسة قبل خروجها من حزب مشومي، وفيما بعد عندما صارت مستقلة عن حزب مشومي وقد شهد التاريخ أنها من أكثر الأحزاب السياسية عضوية بعد حزب الوطن الإندونيسي والمشومي.

ومن جانب آخر قال الكاتب إنها تؤيد الحزب الشيوعي ، فكيف يكون ذلك، والرئيس سوهارتو في عهده قام بحل ومنع هذا الحزب ومؤيديه بصرف النظر عما إذا كان قائماً حتى الآن بزعامة حفيده المؤسس الأول عبدالرحمن وربما بشكل سري.

أحمد مفضال مظهر
مدينة البعوث الإسلامية - القاهرة

من هو المسلم ؟

المسلم هو ذلك الإنسان الذي يحمل في قلبه كل المشاعر والأحاسيس الطيبة، فإنك تعرفه حين تراه، يأخذ بيد ضعيف ليعبر به الشارع المزدحم بالمواصلات، وتعرفه جيداً حين تراه يمسك بقلمه ليدافع عن حقوق المظلومين، وتعرفه جيداً حين تراه بطلاً جسوراً في المعركة يدافع عن أرضه وعرضه، وتعرفه حين تراه يعرّض حياته للخطر لينقذ إنساناً لا يعرفه قد أوشك على الهلاك، وتعرفه حين تراه يحمل إنساناً لا يعرفه في محاولة جادة لإسعافه، وتعرفه حين تراه يبذل قصارى جهده ليرسم البسمة على شفاه المريض والمحتاج، وتعرفه حين تراه يدافع عن أخيه العربي في قضيته وتعرفه حين تراه متفوقاً في كل أنحاء العالم في مختلف العلوم، وتعرفه حين تراه يفيض قلبه بالحب لكل الناس.

ردود خاصة

● **الإخوة في الجمعية العربية للشباب في هلسنفور ـ الدنمارك:**
مجلة براعم الإيمان ملحقة بمجلة الوعي الإسلامي، ويمكنكم إرسال قيمة الاشتراك وقدره عشرة دنانير كويتية أو ما يعادل ٣٢ دولاراً أمريكياً، ليصار إلى إرسال المجلة إلى جمعيتكم وشكراً على عواطفكم وثقتكم بالمجلة.

● **القارئ مصطفى إبراهيم مرسي مخيمر ـ مصر :**
حولنا طلبكم لقسم التوزيع والاشتراكات ليصار إلى إرسال العددين المفقودين لديكم.

● **القارئ خالد بن سيف بن علي المنذري ـ سلطنة عُمان :**
أن تضع قيمة الاشتراك في رسالة أمر خاطئ، وغير مضمون، والصحيح إرسال قيمة الاشتراك في شيك إلى إدارة المجلة، كما يمكنك مخاطبة وكيل التوزيع لمعرفة سبب عدم وصول المجلة إلى ولايتكم وجزاكم الله كل خير.

● **القارئ عبدالله حامد ـ ألمانيا :**
يمكنك إرسال شيك بالمارك الألماني بما يعادل ٣٢ دولاراً أمريكياً لتسجيل اسمكم في قائمة المشتركين.

● **القارئ محمد بو مرداس إبراهيم ـ الجزائر :**
عنوان اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا هي :
Uoif - 20, Rue De Ld Pr´evot´e - 93120 La Xourneuev - France - Tel. 33 1 43 11 10 60 - Fax 33 1 43 11 10 61

حملة دعاية لإقامة جامعات إسلامية في أفريقيا

إنني أتابع مجلة الوعي الإسلامي الكويتية منذ أربع سنوات، وقد وجدت فيها ثقافة إسلامية شاملة وصحيحة، ومن خلال هذا المنبر الإعلامي الضخم، آمل أن تتبنى الوعي الإسلامي حملة دعاية لإقامة أكثر من جامعة إسلامية في القارة السمراء (أفريقيا)، لأن هذه القارة تمثل المستقبل الواعد للأمة الإسلامية، نظراً لأن فيها الآن أغلبية مسلمة في معظم الدول التي تمثل ٥٤ دولة، والتي تعتبر هي وقارة آسيا نصف العالم في المساحة والسكان، فأرجو أن تتبنى الوعي الإسلامي حملة إعلامية لإقامة عدد من الجامعات الإسلامية في أفريقيا، وأن تكون تحت إشراف الأزهر الشريف، بما أنه أشهر وأكبر جامعة إسلامية في العالم بأسره وأقدمها أيضاً، وأحب أن أشير إلى أن قارة أفريقيا هي الأقرب لقلوب العرب والمسلمين جغرافياً ودينياً، وهي قارة المستقبل اقتصادياً، نظراً لأنها أرض بكر.

عادل محمود إبراهيم - مصر

السعـادة بين الوهـم والحقيقـة

تلك القصة العجيبة التي تؤكد أن المال مهما زاد أو تنامى، لا يمكن أن يكون سبباً للسعادة، فكرسيتينا أوناسيس تلك الفتاة اليونانية ابنة المليونير ـ أوناسيس ـ الذي يملك المليارات ويملك الجزر والأساطيل، هذه الفتاة مات أبوها وقبل ذلك ماتت أمها وبينهما مات أخوها وبقيت هي الوريثة الوحيدة مع زوجة أبيها امرأة تملك أكثر من خمسة آلاف مليون دولار بقصورها وسفنها وطائراتها، أليست في مقياس الناس أسعد امرأة في العالم؟؟!!

أما أمها: فقد ماتت بعد حياة مأساوية كان آخر فصولها الطلاق؟!

وأخوها: فقد مات بعدما سقطت طائرته الخاصة التي كان يقوم بألعاب بهلوانية فيها؟!

أما أبوها: فقد اختلف مع زوجته الجديدة ـ جاكلين كندي ـ زوجة الرئيس الأمريكي السابق، ومع ذلك عاش معها في شقاء تام، وكان من بنود عقد الزواج ألا تنام معه في فراش واحد، ولا يسيطر عليها.

وعندما مات اختلفت مع ابنته، ولقد تزوجت أثناء حياة أبيها برجل أمريكي عاش معها شهراً ثم طلقها أو طلقته!!

وبعد وفاة أبيها تزوجت برجل يوناني وعاش معها أشهراً ثم طلقها أو طلقته!!

ثم انتظرت طويلاً تبحث عن السعادة وللمرة الثانية، أغنى امرأة في العالم!! تتزوج برجل شيوعي روسي، يا للعجب!! قمة الرأسمالية تلتقي مع قمة الشيوعية!!! وعندما سألها الصحافيون أنت تمثلين الرأسمالية فكيف تتزوجين بشيوعي!!، قالت أبحث عن السعادة! وبعد الزواج ذهبت إلى روسيا والنظام هناك لا يسمح بامتلاك أكثر من غرفتين، ولا يسمح بخادمة فجلست تخدم في بيتها، بل في غرفتيها فجاءها الصحافيون وهم يتابعونها في كل مكان، فسألوها: كيف يكون هذا؟! قالت: أبحث عن السعادة، ثم عاشت معه سنة ثم طلقها أو طلقته، ثم بعد ذلك أقامت حفلة في فرنسا، وسألها الصحافيون!؟ هل أنت أغنى امرأة في العالم؟!

قالت: نعم، أنا أغنى امرأة في العالم، ولكني أشقى امرأة!!

وآخر فصل من فصول المسرحية الحقيقية تزوجت برجل أعمال فرنسي، وبعد فترة يسيرة أنجبت بنتاً، ثم طلقها أو طلقته!!

ثم عاشت بقية حياتها في تعاسة وهمّ وبعد فترة وجدت ميتة في شاليه بالأرجنتين لا يعلمون هل ماتت ميتة طبيعية أم قتلت... ثم دفنت بجزيرة أبيها!!

انظر إلى هذه وأمثالها هل أغنى عنها مالها!!

مصطفى إبراهيم مرسي مخيمر - مصر

اقتراح

في البداية أود أن أسجل شكري لأسرة التحرير الفاضلة على ما تبذله من جهود عظيمة أظهرت مجلتنا الحبيبة «الوعي الإسلامي» في ثوبها الجديد. وأود أن أقدم اقتراحاً أرجو أن ينال منكم القبول والإحسان وهو: على السادة كتاب المجلة إزالة للقلق الذي يعتري بعضهم من تأخر بعض المقالات في النشر أرجو من أسرة التحرير بعد وصول أي مقال لها إرسال خطاب لكاتب المقال بقبول المقال على أن يكون هذا القبول وعداً من المجلة بأن يظهر في أحد الأعداد المقبلة، دون تحديد رقم العدد أو الاعتذار عن نشر المقال دون إبداء أي سبب لهذا الاعتذار.

د. خالد سعد النجار - مصر

خاطرة

أول ما يطالع المرء من مجلتكم الغراء كلمة العدد، وهي في كل عدد تحمل معاني وتستدعي خواطر ففي كلمة نشرت أخيراً تحت عنوان: «الأزمة والمخرج»، هذه الكلمة على الرغم من سطورها القلائل وعنوانها الجذاب، إلا أنها لمست وتراً حساساً لدى جماهير الأمة، فقد حصرت الأزمة بسبب «البعد عن جوهر الإسلام وصفاء عقيدته»، والذي نتج عنه «تحكم الطغاة بزمام الأمور في بعض بلداننا الإسلامية والابتعاد عن مسرح الحضارة الإنسانية، وقيادته، كما حددت المخرج في «مراجعة الحسابات، وتقويم الواقع وتحديد أسلوب العلاج والمعالجة على أساس من ثوابت التراث» فإنه باختصار مقرون بصلاح اثنين:

الأمراء والعلماء فإذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة، فدور العلماء بيان جوهر الإسلام وصفاء عقيدته، ومن دون ذلك، فإن الأمر يصبح مشاعاً ومباحاً لكل من هبَّ ودبَّ، وعلى الأمراء تنفيذ البيان والالتزام به.

فإن الله عز وجل يزع بهم ما لا يزع بالقرآن وبالله التوفيق.

وشكراً لكم على سعة صدركم.

قارئ مصري

التخلف العقلي كيف نواجهه؟

التخلف العقلي مشكلة تعاني منها المجتمعات المتقدمة والمتخلفة على السواء، وفي السنوات الأخيرة تضاعفت جهود الباحثين والمتخصصين في علوم الكيمياء الحيوية، والهندسة الوراثية وعلم النفس من أجل فهم أعمق لهذا المرض ومواجهة أكثر فعالية وأكثر إنسانية لمشكلاته الاجتماعية والنفسية والاقتصادية. ثبت من خلال الإحصاءات العلمية أن نسبة المصابين بنوع من أنواع التخلف العقلي تبلغ ٣,٥ في الألف لدى الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وأربع عشرة سنة وتزداد هذه النسبة حتى تصل نحو ٦ في الألف بين جميع الأعمار، وهذا في الغالب يكون البلاد الصناعية، حيث تظهر حالات كثيرة من المصابين بالتخلف العقلي بدرجة شديدة عندما يكتشف المدرسون أو علماء النفس والتربية، أن نسبة أولئك المصابين بالتخلف العقلي بدرجة شديدة ليست أكثر من ١٠٪ ممن يمكنهم الاشتغال بمهام بسيطة في مجال الصناعة، أما الباقون وهم ٩٠٪ فلا يستطيعون القيام بأي عمل. حسب مقاييس القدرة العقلية: إن المقياس الشائع لقياس القدرة العقلية هو معدل الذكاء الذي يبلغ عند الناس العاديين مئة نقطة، وعلى هذا الأساس فإن الذين يقل معدل ذكائهم عن سبعين نقطة يعتبرون تحت المستوى العادي والذين يقل معدل الذكاء عندهم عن خمس وأربعين نقطة يعتبرون في حال شديدة من التخلف على مقاييس الكفاءة الاجتماعية، ولكن هذه المقاييس تستخدم بوساطة الأطباء والاختصاصيين والمخططين الاجتماعيين الذين يهتمون بتحديد نوع التخلف العقلي عند الأطفال، لما لذلك من أهمية في التخطيط بالنسبة لمجالات التربية والتعليم، أما بالنسبة للبالغين فإن مقاييس الذكاء تستخدم لتمييز تلك الطائفة من الناس المصابين بالتخلف العقلي حتى تتمكن السلطات المسؤولة من الحجر على حقوقهم المدنية، ومعرفة أين وكيف يعيش أولئك الناس، وهل يسمح لهم أو لا يسمح لهم برعاية أطفالهم، وهل يعفون أم لا يعفون من الاضطلاع بمسؤولياتهم المالية والاجتماعية.

أنواع التخلف العقلي: يوجد نوعان من أنواع التخلف العقلي:

النوع الأول: ويشمل الحالات المرضية الصريحة والتي تكون مصحوبة بعوائق اجتماعية وتعليمية تعوق المتخلف عن القيام بدوره الاجتماعي والتعليمي، وأهم الحالات المرضية من هذا النوع ما يطلق عليه اسم المريض المنغولي، أو مرض «داون» ولكن توجد حالات أخرى نادرة مثل أنواع الشذوذ في تركيب الجمجمة.

أما النوع الثاني: وهو الأكثر شيوعاً فيشمل أولئك الذين يعجزون عن بلوغ المراحل العادية من الأداء الوظيفي الحركي والاجتماعي والعقلي سواء كان هذا العجز مصوحباً أو غير مصحوب بتغيرات مرضية.

وقد تجمعت في السنوات الأخيرة أدلة كثيرة على المتخلفين عقلياً، وهم الذين يزيد معدل الذكاء عندهم على ٥٠ نقطة، قد تتحسن حالهم بعد تركهم المدرسة، وكثير منهم عاديون من الناحية الاجتماعية ويستطيعون إعالة أنفسهم بأنفسهم، وبذلك لايمكن تمييزهم عن الناس العاديين، ولكنهم قلة نادرة فهم قد تضطر السلطات إلى حجزهم في مستشفيات الأمراض العقلية، ولكن لا يعني أن هذه الطريقة هي الوحيدة أو المثلى للتصرف إزاءهم وإنما يعني أن أولئك المرضى يعانون من نوع من العجز يتطلب نوعاً من الرعاية الخاصة لهم ولعائلاتهم طوال بقائهم على قيد الحياة. من الناحية الإكلينيكية يمكن تقسيم التخلف العقلي إلى الأنواع التالية:

١ ـ الأبلة ويبدو عليه النقص في قواه العقلية منذ ولادته في أغلب الأحيان.

٢ ـ العبط وهذا يمكن أن يحمي نفسه من الأخطار الخارجية ولكن لا يمكن أن يكسب عيشه بنفسه بسبب ضعف قواه العقلية.

٣ ـ ضعيفو العقل وهؤلاء تنمو قدراتهم العقلية أكثر من العبط، ولكنهم يحتاجون للمراقبة والعناية وهم انفعاليون بطبيعتهم.

الموقف إزاء التخلف العقلي

في السنوات الأخيرة حدثت ثورة في تفكير الاختصاصيين وسلوكهم إزاء الأشخاص المصابين بالتخلف العقلي فقد ساعدت أجهزة الإعلام المختلفة على جذب الاهتمام بالأبحاث النوعية في مجالات الكيمياء الحيوية وعلوم الجينات والهندسة الوراثية، وعلم النفس مما ساعد كثيراً على فهم مشكلة التخلف العقلي وهناك نقطة مهمة نود أن نلفت النظر إليها هي مسؤولية رجال التربية عن إنشاء المعاهد الخاصة في إيواء المتخلفين عقلياً، حيث يقوم الاختصاصيون بدراسة المشكلات الشخصية، والعائلية والاقتصادية الخاصة بالمتخلفين عقلياً، والعمل على إيجاد الحلول لها عن طريق الاهتمام أولاً بسبل الوقاية ثم نواحي العلاج الطبي والنفسي وحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية وإنشاء مراكز للتدريب والتأهيل، والعمل على تنمية معدل الذكاء بالوسائل العلمية الحديثة، وبذلك يمكن التقليل قدر الإمكان من الإصابة بالتخلف العقلي وخفض الأعباء التي تطرحها هذه المشكلة على مشكلات الدول النامية.

نبيل حسن عبدالعزيز سلطنة عُمان

الافتتاحية

رعاية سمو أمير البلاد للعلم والعلماء

بلغ من اهتمام الإسلام بالعلم أن جعل العلماء ورثة الأنبياء، كما جاء في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ وكان من حثه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن من أخذ بالعلم أخذ بحظ وافر، وفي الحديث ما معناه، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»، وقد وردت آيات وأحاديث تبين فضل العلم، والحث عليه، والاهتمام به، وسبل تلقينه ونشره، وهكذا، فقد أكد النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه المعاني بأنها سبيل إلى الجنة، وذلك في الحديث ما معناه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة».

على درب العلم وهداياته المنيرة، كان دأب صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح ـ حفظه الله ـ دأباً مستمراً في رعايته واهتمامه بكسب العلم وتقدير العلماء، وقد تمثل هذا بصور مختلفة متنوعة، شملت مختلف مدارج التعليم والتربية، وتعدت إلى توفير الإمكانات الداعمة لصرح العلم، ولعل أجمل وأبرز صورة لهذا المعنى قيامه على تأسس ورئاسة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، تلك المؤسسة العلمية الرفيعة التي تظهر إسهاماتها لمختلف الأنشطة العلمية ودعم الباحثين، وتشجيع الدارسين ارتقاء بهم لخدمة العلم، ولهذا البلد الطيب، ويترافق مع اهتمام سمو الأمير ـ حفظه الله ـ بتلك المؤسسة العلمية، اهتمامه بجهاز الدراسات في الديوان الأميري، وما قدمه هذا الجهاز من دراسات، كانت موضع العناية والإفادة لشرائح عديدة في المجتمع، ولعله مما يكون على نسق هذا الجهاز، بادرات سموه بتأسيس اللجنة العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ومكتب الشهيد، ومكتب الإنماء الاجتماعي، وما تقدمه تلك الجهات من أعمال ودراسات في خدمة المجتمع.

كما يظهر اهتمام صاحب السمو الأمير بارزاً في تكريمه للطلبة المتفوقين كل عام، ودعمه لأنشطة العلم المختلفة، ورعايته للمسابقة الكبرى في حفظ القرآن بإشراف الأمانة العامة للأوقاف، ولعل من عظيم وجليل هذا الاهتمام الرفيع دعوة سموه ـ حفظه الله ـ لأصحاب الشهادات العليا بالعمل الجاد لخدمة الوطن وبيانه لهم إيلاء الاهتمام بقضايا مركزية هي الأمن والتربية والاقتصاد، وذلك في لفتة كريمة منه حفظه الله، بأن أولم لهم يوم الاثنين ٨ جمادى الآخرة، الموافق ٢٨ من شهر سبتمبر ١٩٩٨م، وألقى فيهم كلمة جامعة، جاء فيها الحث على التكاتف والتضامن والمحافظة على الكويت وأمنها واهتمامه البالغ رعاه الله بما يقدمون من اقتراحات وآراء وأن هناك قنوات اتصال لكل ذلك، كما أبدى عنايته ـ حفظه الله ـ بأن نكون مواكبين لتقدم العصر وأنها فرصة مناسبة أن يتم اللقاء ونحن نطل على القرن الواحد والعشرين، ولا شك أن هذا التعبير يحمل في طياته مدى الاهتمام بالمستقبل، وما يجب علينا إعداده رقياً بالبلد، واستقراراً للمجتمع.

إنه مما لا شك فيه، أن عناية صحاب السمو الأمير ـ حفظه الله ـ بالعلم والعلماء، شملت مدى اهتمامه بالتلميذ وطالب العلم المتعلم، وبالأستاذ المعلم، ومنهج التعليم ومؤسسة التعليم، ودور الكفاءات العلمية في علاج مشكلات وقضايا المجتمع، وعليه، فقد جاء اهتماماً شاملاً جامعاً، فطوبى له هذا التكريم، وبارك الله بسموه ـ حفظه الله ـ راعياً للعلم، داعماً للعلماء، وأبقاه سبحانه ذخراً لهذا البلد الطيب الكريم.

الوعي الإسلامي

في لقائه بحملة الدكتوراة الكويتيين

سمو الأمير : قضية التربية هي قضية بناء الانسان





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين.

إخواني وأخواتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لعل مطلع القرن الحادي والعشرين فرصة مناسبة، نلتقي فيها على هدفنا الدائم، وهو الحفاظ على الكويت عزيزة كريمة، والنهوض بها دائماً وباستمرار وتحت هذا الهدف نفكر ونجتهد ونعمل.

وأول ما يجب التنبه له أن الكويت قامت على التكاتف والتضامن والتآزر بين سكانها، ونمت وازدهرت طوال مراحل تاريخها على هذه الأسس الراسخة، ونظرة واحدة على تاريخها تظهر بجلاء أنها ليست لفئة دون أخرى، فنحن جميعاً جسم واحد في سفينة واحدة، فإما أن نحسن التصرف والتدبير فننجو، وإما أن نسيء التصرف والتدبير فنغرق.

والحفاظ على الكويت، والنهضة بها، لا تستقل به جهة واحدة، ولا تستطيع حمله شريحة واحدة، مهما أوتيت من القدرة والعبقرية، إنه عمل جماعي تتضافر فيه الجهود وتتآزر له الطاقات، وتتحاور حول الآراء والأفكار.

والكويت، بحمد الله، غنية بإنسانها ذكراناً وإناثاً، غنية بخبراتها، وفي نصف القرن المنصرم شهدنا من التطورات المتسارعة ما تمخض عن تجارب ثرية: اجتماعية وتربوية واقتصادية وسياسية وغيرها، بل تجارب الغزو والتحرير، وأصبح لدينا من ذوي الشهادات العليا بعد التعليم الجامعي أعداد كبيرة في جميع التخصصات.

وهؤلاء جميعاً يؤدون أعمالهم، من خلال مواقعهم بأمانة وإخلاص، ولكنني واثق أنهم من خلال خبراتهم وثقافتهم الواسعة، والتخصصية أيضاً، تنطوي صدورهم على كثير من الآراء، وتجول بخواطرهم كثير من الرؤى والأفكار والمقترحات، وهذه الخبرات والآراء والمقترحات هي في الحقيقة ملك الكويت، وملك شعبها، فيجب الاستفادة منها لصالح الكويت وشعبها.

وإذا كانت جماعة من هؤلاء يستطيعون التعبير عن آرائهم والمشاركة بأفكارهم من خلال وجودهم في السلطتين التشريعية والتنفيذية، فإن الغالبية منهم تظل أفكارهم حبيسة نفوسهم، وتبقى رؤاهم داخل صدورهم، ولا يجدون متنفساً لها، ولحوارها والاستفادة بها.

وقضايا الكويت هي قضايا وطن وشعب، منها الآني ومنها المستقبلي، وهما في الحقيقة شيء واحد، لأن المستقبل عما قليل يصير حاضراً، ثم يصير ماضياً.

ولا ريب أن هذه القضايا رغم كثرتها وتشعباتها التي تصعب الإحاطة بها، يأتي



على رأسها في تقديري قضايا ثلاث: قضية الأمن، وقضية التربية، وقضية الاقتصاد، وهذا لا يعني أن قضايانا الأخرى تقل أهمية عنها.

فقضية الأمن هي سياج كل القضايا، فالوطن الآمن قادر على ممارسة مناشط الحياة دون ضغوط.

وقضية التربية هي قضية بناء الإنسان والنمو به، من المهد إلى اللحد، وهي قضية مركزية تضعها الدول المتقدمة في أولى أولياتها، لأنها مقياس الفاعلية والرقي والإبداع.

وقضية الاقتصاد هي في الحقيقة قضية الاستقلال وحرية الإرادة وأن شعباً لا يستند إلى اقتصاد قوي عرضة للزعازع والتبعية أمام الحاح الضرورات، ولقد غدا التنافس الاقتصادي والعلمي اليوم، هو المضمار المفتوح للتسابق بين جميع الدول من أكبرها إلى أصغرها.

لهذا، فإني أدعو المختصين الكويتيين من رجال التربية ونسائها، من ذوي الشهادات العليا أو الخبرات الطويلة... أدعوهم أن يسهموا في رسم سياسة تعليمية متطورة تلبي حاجات الكويت، وطموحات شعبها، وبحيث تكون وثيقة قومية تضع أصولاً جامعة وقواعد عامة، لها صفة الشمول والمرونة، تقبل التكيف مع الجديد، ولا تتغير بتغير المسؤولين، خطة ممتدة للربع الأول من القرن الحادي والعشرين.

والدعوة نفسها موجهة إلى المختصين في المجالات الأخرى أن يعربوا عن اجتهاداتهم، ويعرضوا مقترحاتهم، خاصة ما يتعلق منها برؤى مستقبلية تستشعر التغيرات العالمية وحركتها الدائمة.

فدعوتي من ثم موجهة للطاقات الكبيرة، والخبرات العميقة، كما هي موجهة للطاقات الشابة الطموحة المستنيرة، حيث أطلب من هؤلاء جميعاً أن يضاعفوا مسؤوليتهم تجاه وطنهم، ويحملوا معي الأمانة ببلورة آرائهم، ثم النظر في أولوياتها والتفكر في أساليب مناسبة وآليات ممكنة لتنفيذها.

ولسوف تكون هناك قنوات اتصال تبلغني هذه الآراء، وتلك المقترحات التي ستشمل كل تخصصات أصحابها، آملاً أن نجعل ذلك قربى لله عز وجل فيما وكله إلينا من أمانة البلاد والعباد... رحم الله شهداءنا، وفك قيد أسرانا، إنه سميع مجيب.

اللهم احفظ هذا البلد، واجعله حصناً من حصونك، وجنداً لدينك، وأيدنا بتوفيقك، وخذ بأيدينا لمرضاتك، إنك على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



في إطار زيارته إلى لبنان

وزير الأوقاف افتتح مدرسة شهداء الكويت الأبرار



افتتح وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب يوم ١٩٩٨/١٠/١م، مدرسة شهداء الكويت الأبرار في مدينة طرابلس «لبنان».

وحضر الافتتاح وزير النقل اللبناني عمر مسقاوي ممثلاً عن رئيس الحكومة رفيق الحريري، ومفتي لبنان محمد رشيد قباني وسفير دولة الكويت لدى لبنان، محمد الصلال، وعدد كبير من علماء ومفكري ونواب الشمال.

وقال الكليب في كلمة افتتح بها المدرسة: يسعدني أن أنقل إليكم تحية اعتزاز وتقدير من الكويت أميراً وحكومة وشعباً، للبنان الشقيق لوقفتكم الشجاعة والمبدئية بجانب الحق الكويتي، عندما تعرضت الكويت للغزو العراقي الآثم.

وأضاف: إن هذا الصرح العلمي الكبير قام بتمويل الجزء الأكبر منه أهل الخير والإحسان في دولة الكويت، وبخاصة بيت الزكاة الكويتي،

اجتمع إلى وزير الحج السعودي

الزير: تسيير باصات كويتية في منطقة المناسك

اجتمع وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خالد عبدالله الزير في جدة يوم ١٩٩٨/٨/٢٣م إلى وزير الحج السعودي الدكتور محمد بن محمد سفر.

وصرح الوكيل الزير أنه سلّم الدكتور سفر رسالة من وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب تتضمن شكر الكويت لما تقدمه الحكومة السعودية للحجاج الكويتيين من خدمات طبية كما قدم له درعاً تذكارية مقدمة من وزارة الأوقاف الكويتية إلى الوزير السعودي لمناسبة الاجتماع.

وقال الوكيل الزير إنه جرى خلال الاجتماع بحث التسهيلات الممنوحة من الحكومة السعودية للحجاج الكويتيين.

وأضاف أن الاجتماع الذي حضره القنصل العام لدولة الكويت في جدة جمال الغانم والوفد المرافق للمسؤول الكويتي



تطرق إلى تخصيص أراضي الحجاج في منى وعرفات موضحاً أن الجانب الكويتي التمس حصرها في موقع واحد حتى تتمكن البعثة الكويتية من التعامل مع الحجاج بسهولة ويسر.

وأوضح أن الاجتماع تناول تسيير الباصات الكويتية في منطقة المناسك مضيفاً أن اجتماعاً آخر سيعقد مع المسؤولين في وزارة الحج السعودية في وقت لاحق للوصول إلى حل يتناسب والظروف الدقيقة التي يمر بها موسم الحج.

وقال إن الجانب الكويتي سيكون حريصاً على تطبيق ما يتعلق بالحجاج الكويتيين في حال تسلم أي تعليمات أو أنظمة تصدر عن الحكومة السعودية.

وعبّر الوكيل الزير في ختام زيارته عن شكر الكويت لحكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لما تقدمه من خدمات للحجاج الكويتيين وبقية حجاج الدول الإسلامية بما يسهم بتسهيل أدائهم لمناسكهم.

ورافق الوكيل الزير وفد يضم رئيس بعثة الحج في الأوقاف مبارك العجمي ونائبه جاسم الفرحان.

الدكتور الفلاح يشارك في فعاليات المؤتمر السادس حول المخدرات والمواد النفسانية

عقدت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومع منظمة الصحة العالمية، مؤتمرها العالمي السادس للطب الإسلامي تحت عنوان: «المخدرات، المواد النفسانية، التأثير والتدخين، مخاطر تهدد الأجيال القادمة»، وذلك خلال الفترة من ٧ ـ ١٠ جمادى الأولى ١٤١٩هـ الموافق ٢٩ أغسطس ـ ١ سبتمبر ١٩٩٨م، في مدينة استنبول في الجمهورية التركية برعاية فخامة الرئيس سليمان ديميريل رئيس الجمهورية التركية، وقد شارك الدكتور عادل عبدالله الفلاح الوكيل المساعد للدراسات الإسلامية وشؤون الحج في وزارة الأوقاف الكويتية، في هذا المؤتمر الذي دُعي إليه ما يربو على سبعين مشاركاً في مختلف التخصصات ذات الصلة بمحاور المؤتمر، وكان الوجود الكويتي متميزاً وفعالاً، وقد اتفق الحاضرون في نهاية فعاليات المؤتمر على جملة من المبادئ العامة من أبرزها:

١ ـ إن مشكلة معاقرة مواد الإدمان على اختلافها، من مسكرات ومخدرات وتبغ وسائر المواد ذات التأثير النفسي «المواد العقلية»، قد صارت مشكلة عالمية الأبعاد، لا تكاد تنجو منها أي أمة، وأن حلها كذلك لا يتأتى إلا بتكاتف الدول جميعاً عليه، وأن من واجب الدول الإسلامية أن تكون في طليعة هذا التكاتف العالمي لدرء هذا الخطر الداهم عن لجيل الحاضر والأجيال القادمة.



٢ ـ إن المخاطر المتعددة التي تهدد البشرية بسبب هذه المشكلة هي أفدح بكثير مما يتصوره كثير من الناس، حتى ضحاياها، ما يستدعي توعية فعالة تنتهج أسساً ومناهج تقوم على أساس علمي صحيح.

٣ ـ إن الدول الإسلامية بالذات ينبغي أن تكون قدوة في محاربة هذا الخطر تحكمها في ذلك مبادئ من مثل قوله تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم) وقوله سبحانه: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)، وقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «لا ضرر ولا ضرار» ـ أخذاً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ـ فضلاً عن أن العقل هو مناط التكليف وأحد مقاصد الشريعة الخمسة والعدوان عليه بالتغييب أو التفتير أو أي شكل من أشكال المخاطرة مخالف للشريعة ومجاف لمقاصدها.

٤ ـ إن مراقبة الله عز وجل والوازع الايماني والرادع النفسي تؤلف جميعاً خط الدفاع الأول في هذا المجال الذي تفضل فيه الوقاية على العلاج، وهو خط دفاعي ينبغي تقويته وتعزيزه بشتى السبل المكنة.

٥ ـ إنه لابد لإنجاح مكافحة هذا الوباء من انضمام جميع الدول لاتفاقات الأمم المتحدة الخاصة بمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمواد النفسانية التأثير.

٦ ـ إن من دواعي النجاح كذلك دعم القرارات التي اتخذتها الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة والتي انعقدت من ٨ ـ ١٠/٦/١٩٩٨م وكرست لمكافحة المخدرات غير المشروعة والتي من بينها تعزيز الرقابة على المخدرات، والرقابة على سلائف المخدرات، ومكافحة غسيل الأموال والعمل على تخفيض الطلب على المخدرات، والقضاء على محاصيل المخدرات غير المشروعة ودعم جهود التنمية البديلة، ومحاربة المنشطات الامفيتامينية.

ـ إن الوقاية تصادف فرصتها في النجاح إذا بدأت من الأعمار الصغيرة وقبل أن يقع المحظور، مما يوجب إدراج المقررات التثقيفية حول هذه المواد في مناهج المدارس الابتدائية ومواصلة تدريسها في المرحل التعليمية التالية، والاهتمام بتدريب الأهل والمعلمين والموجهين، ووضع الإجراءات الخاصة بذلك في مرونة تسمح بالاستعانة بالقيم الدينية والأعراف والتقاليد الفعالة في الوقاية أو المعالجة أو فيهما معاً.

٨ ـ إن الاهتمام بالأجيال القادمة يحتم أن يهيأ للجنين فرصته في أن يكون رحم أمه محضناً نظيفاً من هذه الأوبئة فتكثف العناية بالمرأة الحامل توجيهاً وعلاجاً.

السفير لاروكو زار المسجد الكبير

قام سفير الولايات المتحدة الأمريكية لدى دولة الكويت جيمس لاروكو وأعضاء السفارة بزيارة للمسجد الكبير. وكان في استقبال الوفد وليد الفاضل مدير إدارة المسجد، ومراقب الزيارات محمد المتعب، ومسؤولو وموظفو مراقبة الزيارات.

ونظم برنامج خاص للزيارة، اشتمل على عرض فكرة عن بناء المساجد ودور المسجد التاريخي في حياة المسلمين، كما تم عرض برامج وأنشطة المسجد الكبير، ومعلومات عن معالمه ومرافقه، وعرضت صفحات المسجد على شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت»، واشتملت الزيارة أيضاً على جولة ميدانية لأقسام المسجد ومعالمه.

وأعرب السفير لاروكو والوفد المرافق له عن سروره بهذه الزيارة الخاصة، وسطر في سجل الزائرين كلمة قال فيها: «حقيقة المسجد جميل ورائع وتعلمنا الكثير من هذه الجولة التي قضيناها في المسجد الكبير، وأياً كانت فهي ممتعة للغاية، ونتطلع لزيارات أخرى قريباً».

لقاءات



● ابن حميد «شيخ الحرم المكي»، الشيخ نعمة الله، في زيارة المركز

شمس الإسلام تشرق على اليابان

اليابان «بلاد الشمس المشرقة» كما يحلو لأبنائها تشهد منذ فترة زمنية بسيطة شروقاً لشمس الإسلام، ازداد بازدياد أعداد المقيمين القادمين من العالم الإسلامي للدراسة أو العمل، وقد التقت «الوعي الإسلامي» وفد «المركز الإسلامي في اليابان» بعضوية كل من د. صالح مهدي السامرائي، والداعية الشيخ/ نعمة الله، لمناسبة زيارتهما للكويت للتعريف بأحوال الجالية الإسلامية المتنامية في اليابان، ولاستكمال بناء المدرسة الإسلامية الأولى هناك.

تغطية : د. صلاح الدين أرقه دان

انفتاح حديث العهد

يؤكد د. صالح السامرائي أن اليابان لم تعرف شيئاً عن الإسلام إلا منذ أربعة قرون، وهي فترة حديثة بالقياس لمسيرة الإسلام التاريخية، ولعراقة اليابان، ويبرر ذلك بظروف موضوعية تتعلّق بطبيعة العزلة اليابانية وبظروف الامتداد الإسلامي نفسه، فالدعوة الإسلامية التي انطلقت من جزيرة العرب توجهت باتجاهات الدنيا الأربع وكانت حثيثة في رحلتها شرقاً، حيث عبرت إيران فأفغانستان فالصين ثم الهند فملازيا فأندونيسيا فالفلبين ولم تدخل اليابان.

واليابان نفسها لم تكن منفتحة على العالم الخارجي، وبالتالي لم تحتك بالمسلمين ودولهم، وأول معرفة عارضة وقعت منذ ٤٠٠ سنة عندما ترجمت بعض كتب الغربيين إلى اللغة اليابانية، وعرف المثقفون ورجال السلطة شيئاً عن الإسلام، ولكن بشكل ضبابي.

والعالم الإسلامي نفسه انشغل بعد وصوله إلى الفلبين بمعركة الدفاع عن الذات والوجود بعد سقوط الأندلس والتفاف الأسبان والبرتغال لمحاصرته شرقاً، فقد دخلت الجيوش الإسبانية مانيلا «تحريف للفظة أمان الله» وقتلت سلطان سليمان، وكانت حادثة القتل هذه سبباً من أسباب معرفة اليابان بالإسلام وبالنوايا الغربية التوسعية في وقت واحد، وقد انعكس مقتل سلطان سليمان بشكل سلبي على المنصّرين الغربيين ومن استجاب لهم في اليابان نفسها.

التنصير يمهّد للاستعمار

والياباني، كما يؤكد د. السامرائي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدولته ومجتمعه، منذ اعتاد ذلك داخل مؤسسة «السامُراي» ذات التنظيم العسكري الهرمي، وهو ناقل دقيق لكل ما يقع تحت عينه أو أذنه إلى رؤسائه وإلى الجهات المسؤولة في الدولة. وقد نقل التجار اليابانيون إلى حكومتهم ما فعلته جيوش إسبانيا في «أمان الله» مانيلا، وكيفية قتلهم لسلطان سليمان، وأسهم في تعزيز روايتهم، وفي تخوّف الحكومة اليابانية من الغربيين ما نقله موظف رسمي التقى بقبطان سفينة اسبانية جانحة على الشواطىء اليابانية، فقد سأله: «كيف استطعتم، وأنتم قلة قليلة، أن تنتشروا في جنوب أمريكا وهي قارة ضخمة»؟ وكان جواب القبطان المتباهي: «إننا نرسل المنصّرين قبل الجيوش العسكرية، فإذا انتشرت النصرانية أرسلنا جيوشنا، ولم يعد للأمم المحتلة أمل في الفكاك من قبضتنا».

كان هذا الجواب بالإضافة إلى ما وقع من مذابح في الفلبين، كافياً ليأمر الإمبراطور بإيقاف عمل المنصّرين، وإكراه اليابانيين الذين تنصّروا على العودة إلى ديانة آبائهم، وعادت الإمبراطورية إلى العزلة لمدة زادت عن ٢٥٠ سنة خوفاً على استقلالها الذي تهدده جيوش المنصّرين وجيوش المقاتلين.

ولم يعد من اتصال بين اليابان والعالم الخارجي، إلا من خلال بوابة التجارة في البرّ الصيني، ولم يكن الاحتكاك العابر كافياً للفت نظر اليابانيين إلى الإسلام، كما أن المسلمين أنفسهم لم يلتفتوا إلى اليابان ولم يولوها اهتمامهم كما فعلوا في المناطق الجغرافية الأقرب منها إليهم كالهند والصين مثلاً، وبقيت صورتها ضبابية في كتاباتهم وأدبياتهم، فهل هي «الواق واق» كما ورد عند بعض الرحّالة العرب، وبالمناسبة؛ يطلق اليابانيون على قراصنة البحار لفظة «واكو واكو» Waku Waku.

عمر ياموكا.. أول حاج ياباني حج عام ١٩٠٩م

ولو قدّر الله تعالى للإسلام أن يصل إلى الجزر اليابانية كما وصل قبلها إلى الفلبين لدخلها كما «تدخل السكين في البطيخ» بحسب قول د. السامرائي، إذ أن اليابانيين يتحرّكون ككتلة واحدة، وما يقنع به كبير القوم يتبعه به الآخَرون. وفي ثقافتهم أمور كثيرة تتشابه مع ما دعا إليه الإسلام من الأدب وحسن الخلق، والكلام هذه المرّة للشيخ نعمة الله.

اليابان والدولة العثمانية

قدّر الله أن يتأخر اهتمام اليابانيين إلى أواخر القرن المنصرم، عندما اهتموا بمعرفة العالم حولهم، ووجدوا دولة واحدة مستقلة في آسيا هي الدولة العثمانية، وأدركوا أن كثيراً من سكان آسيا مسلمون.

وتطور هذا الاهتمام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وتم تبادل وفود بين الدولتين، ففي العام ١٨٩٠م وصلت الباخرة العثمانية «أرطغرل» وعلى متنها حوالي ٦٠٠ ضابط وجندي وبحري، في زيارة ودية إلى اليابان، وغرقت في طريق عودتها في بحر اليابان، وقضى ٥٥٠ من أفرادها شهداء بسبب إعصار مدمّر، وأقام اليابانيون، المعروفون بالوفاء لأصدقائهم، صرحاً ومتحفاً تخليداً لذكرى هؤلاء الشهداء المسلمين، وما زالوا يحتفلون كل خمس سنوات في التاريخ نفسه بهذا الحدث، حيث تزور باخرة تركية على متنها وفد يمثل جميع القطع العسكرية التركية، مكان الحادث نفسه، ويخرج السكّان المحليون لإقامة المراسم وكأن الحادثة قد وقعت بالأمس القريب.

ويتذكر د. صالح فيقول: اشتركت في الاحتفالات ما قبل السابقة، ورأيتها تبدأ بقراءات دينية يابانية، وكنت أشعر أن غمامة من أرواح ٥٥٠ شهيداً فوق رأسي، فطلبت أن أقرأ الفاتحة عن أرواح الشهداء المسلمين، فقدّموني، وكانت مبادرة استمرت، فقد أوقفوا كل طقوس الشنتو، وصار الاحتفال يبدأ بقراءة الفاتحة.

المسلمون اليابانيون الأوائل

بعد سنة من حادثة غرق السفينة «أرطغرل» «العام ١٨٩١م» قام صحفي ياباني اسمه نودا Noda بجمع تبرعات مالية لأسر الشهداء العثمانيين وزار استنابول «إسلامبول»، عاصمة الخلافة، وهناك طلب منه السلطان عبد الحميد البقاء لتعليم بعض ضباط الجيش اللغة اليابانية، وأسلم وتسمّى بعبد الحليم نوده، ولعله أول ياباني مسلم معروف.

ومما يذكره د. السامرائي أن نودا كان سبب إسلام «عبد الله جوليان» الإنكليزي القادم من ليفربول، الذي زار استنابول العام ١٨٩١م والتقى بنوده وأسلم على يديه، وعاد إلى بلده داعية إلى التوحيد.

وفي السنة التالية «١٨٩٢م» قام صحفي آخر بالحملة نفسها والزيارة نفسها، وأسلم، وتسمى بخليل يامادا، ولعله ثاني ياباني مسلم معروف.

العام ١٩٠٠م قام مدير شركة اسمنت نصراني ياباني بزيارة بومباي، ولفت نظره أحد المساجد، وكان سبباً في سؤاله عن الإسلام، ثم اعتناقه، وتسمى «أحمد أريكا» وشارك في ترجمة معاني القرآن الكريم، وقدّم خدمات عدة للدعوة الإسلامية في اليابان.

ويذكر علي أحمد الجرجاوي في كتابه «الرحلة اليابانية» أنه زار اليابان العام ١٩٠٦/ ١٩٠٧م، ومعه مسلم صيني من هونكغ كونغ، والتقيا بمسلمين «روسي وهندي» في طوكيو، وكونوا جمعية إسلامية فيها، وأسلم على أيديهم اثنا عشر ألفاً من مختلف شرائح المجتمع الياباني.

وفي العام ١٩٠٩م وصل إلى اليابان داعية تتري الأصل، هو عبد الرشيد إبراهيم، بقي فيها ستة أشهر ودعا إلى الإسلام، وألف كتاب «عالم إسلام» - أي العالم الإسلامي - ويقول د. صالح السامرائي انه أنهى ترجمته إلى العربية في ألف صفحة، وهو في طريقه الآن إلى المطبعة، وقال د. عبد الوهاب عزام؛ يرحمه الله: إن كتاب «عالم إسلام» أهم من كتاب «ابن بطوطة» في الرحلات والسياسة والدعوة.

في الفترة من ١٩١٤/١٩١٩ م أقام في اليابان أستاذ لغة الأوردو في «جامعة طوكيو للغات الأجنبية» الداعية المسلم الهندي، الشيخ بركة الله، وساعد عبد الرشيد إبراهيم في عمله الإسلامي. وخلال التوسع الياباني في الحرب العالمية الثانية في الصين وغيرها من دول شرق آسيا، أسلم بعضهم بسبب الاحتكاك المباشر بالمسلمين في البلدان المفتوحة.

باكورة المؤسسات الإسلامية

أول تجمع إسلامي في اليابان أقامه المهاجرون التتار الروس، في العشرينيات، في حدود سنة ١٩٢١م.

ثم أسس بعض التجار المهاجرين من الهند مسجد كوبه Kobe سنة ١٩٣٥م. ومما يذكره د. صالح أن المسجد هو المبنى الوحيد الذي بقي قائماً بعدما دمّر الزلزال الأخير «منذ سنوات قليلة» وسط المدينة، فالكنائس والمعابد والمؤسسات التجارية كلها أصبحت قاعاً صفافاً وبقي المسجد دون غيره، واليابانيون يؤمنون بهذه الظواهر ويقدرونها، وقد اهتمت وسائل الإعلام بنقل هذه الظاهرة، وعلق التلفاز على مشهد الجامع بقوله: «إنها معجزة».

بعد الحرب العالمية الثانية أسس عمر ياموكا «أول حاج ياباني، حج العام ١٩٠٩م» مع عبد الرشيد إبراهيم، الكاتب الرحالة الباحث والمغامر، مع المسلمين الجدد العائدين من الحرب «جمعية مسلمي اليابان» وهي أول جمعية إسلامية معروفة في البلاد، وما زالت تعمل حتى الآن.

بين عامي ١٩٥٦-١٩٦٠م قامت جماعة التبليغ بأربع رحلات دعوية إلى اليابان، كانت سبباً في تنشيط المسلمين اليابانيين أنفسهم، وفي هداية



● رئيس التحرير مع وفد المركز الاسلامي في اليابان

أول تجمع إسلامي في اليابان أقامه المهاجرون التتار

عدد جديد من خيرة مسلمي اليابان، منهم البرفسور عبد الكريم سايتو Saito – يرحمه الله – والأستاذ خالد كيبه Kiba، وغيرهما. واصطحبوا معهم – كما هي عادتهم – بعض الوفود إلى الباكستان والهند ومكة المكرمة منهم عمر ميتا Mita، الذي استضافته «رابطة العالم الإسلامي» في بدء إنشائها، وأشركته في ترجمة معاني القرآن الكريم، كما أسهم في المشروع نفسه المرحوم مصطفى كومورا أحد الأعلام المعروفين في اليابان، وكان قد ألف موسوعة كبيرة عن تاريخ الإسلام في اليابان، وربى أجيالاً من المسلمين، وأقام في العاصمة القديمة كيوتو ثم انتقل إلى طوكيو داعياً ومربياً وكاتباً متخصصاً بالإسلام.

ويذكر د. صالح بوفاء صادق المهندس عبد الرشيد أرشد، الذي زار اليابان مع رحلة جماعة التبليغ الثالثة، وكان د. صالح ما زال طالباً في جامعة طوكيو، وهو الذي شجعه على الاستقرار في اليابان والاشتغال في الدعوة إلى الله.

المركز الإسلامي في اليابان

في العام ١٩٧٣م أرسل الملك فيصل بن عبد العزيز مجموعة من الدعاة «تألفت من مصري وسوري وسوداني وتركي وياباني»، وعهد إلى د. صالح السامرائي شؤون المجموعة، ومن الجدير بالذكر أنهم جميعاً نشأوا أو درسوا في اليابان، مما أسهم في تسهيل مهمتهم، لمعرفتهم السابقة بالمجتمع الياباني وعاداته وتقاليده وثقافته.

وأنشأ هؤلاء الدعاة «المركز الإسلامي في اليابان» الذي تولّى مساعدة مسلمي اليابان، وغرس بذرة الإسلام في كثير من حواضر اليابان ومدنه، وأصدر – حتى الآن – ٤٠ كتاباً وكتيباً ونشرة تعريفية عن الإسلام باللغة اليابانية. وكان سبباً لهداية ألوف من اليابانيين والمقيمين في اليابان. وهو يصدر مجلة «السلام» ربع السنوية باللغة اليابانية.

ويذكر د. السامرائي في معرض حديثه عن تعاون المؤسسات الإسلامية، إنشاء لجنة تنسيق مشتركة بين جمعية الطلبة المسلمين في اليابان وجمعية مسلمي اليابان، وكيف أسهم كل من «لجنة التنسيق المشتركة» في الستينيات، و«المركز الإسلامي» في السبعينيات، و«جمعية مسلمي اليابان» في إرسال عدد من الطلبة المسلمين اليابانيين إلى الأزهر الشريف، وجامعات المملكة العربية السعودية. وهم يحتلون الآن مناصب أكاديمية في الجامعات اليابانية، ومراكز إدارية قيادية في كثير من الشركات.

واقع المسلمين في اليابان

قدّرت الإحصاءات الحكومية عدد المسلمين في العقد الماضي بخمسين ألف مسلم، ويقدّر د. صالح والشيخ نعمة الله عددهم الحالي ما بين ٢٠٠ – ٣٠٠ ألف نسمة، بينهم ٦٠ ألف من أصل إيراني «عدد سكان اليابان ١٢٢ مليون نسمة».

وتكاد لا تخلو حاضرة من حواضر اليابان من المسلمين، الذين يملكون عدداً من المصليات المملوكة أو المستأجرة، وأعداد المقبلين على الإسلام – من اليابانيين والمقيمين – في تزايد ملحوظ، ولله الحمد.

وتكثر ظاهرة الزواج المختلط باليابانيات، وهي تسهم في ترسيخ الوجود الإسلامي من جهة، وتبرز مشكلة الجيل الثاني من جهة أخرى، وذلك لعدم وجود مدارس ومؤسسات تربوية إسلامية، الأمر الذي دفع «المركز الإسلامي في اليابان» إلى شراء قطعة أرض بجانب مسجد طوكيو المركزي، بلغت تكلفتها ٢,٥ مليون دولار، تم تسديد مليون واحد منها واقتراض الباقي من أهل الخير، وذلك بهدف إقامة مدرسة. وبلغ عدد الطلبة المسلمين التقديري لا يقل عن ٧٠ ألف طفل وناشىء.

الطريقة المحمدية

وحين سوئل الشيخ الجليل نعمة الله عن أسلوبه في الدعوة، فأجاب هو باللغة العربية الفصحى، أنه الداعية التركي الأصل الذي يتقن عدداً من اللغات من جملتها الأوردو والانكليزية واليابانية، يقول والابتسامة تعلو وجهه: لقد بدأ رسول الله /ص/ بكلمة التوحيد، ولم يطلب من الناس أكثر من النطق بالشهادتين، وقوله في ذلك معروف مشهور: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، وأنا أتبع هذا التكتيك، أحمل معي كتيبات التعريف باللغتين اليابانية والإنكليزية، ولا أتردد في عرض كلمة التوحيد على كل من أقابله، وكل زادي كلمة التوحيد، من نطق بالشهادتين كان مسلماً.

تتشابه الآداب اليابانية كثيراً مع تعاليم الإسلام الأخلاقية

أعترضه: شيخنا، وماذا عن الالتزام؟ ماذا عن الصلاة والصيام؟ وماذا عن الحلال والحرام؟

فأجاب مرّة أخرى بابتسامة بريئة: «هل نربط الناس لنراهم كيف يفعلون؟ وهل كان النبي ﷺ يمسك من يسلم عنده أم ينطلق الرجل إلى قبيلته ويعرض عليهم ما سمعه من النبي ﷺ وما لفظه بلسانه؟ نحن نزرع، ونحرّك في نفوس الناس معنى التوحيد، ونقرّب إليهم المفاهيم الإسلامية. ولطالما خاطبت اليابانيين فقلت لهم: إن أخلاقكم الحميدة، وآدابكم الاجتماعية، وعلاقاتكم الأسرية تنفيذ عملي لمطالب الإسلام في هذه الميادين، إنكم أقرب إلى الإسلام من أي إنسان آخر، بقي فقط أن تلفظوا الشهادة وأن تستكملوا الأركان والعبادات، والركوع الذي تستخدمونه في صلاتكم وتحيتكم، تشبه الركوع الإسلامي، ولكن الإسلام يريدكم أن تركعوا لله لا لعباده».

ويتابع حديثه فيقول: «إن كلمة التوحيد بسيطة شاملة يسمعها المدعو بأذنه، وينطقها بلسانه، ويملأ نورها قلبه. وركناها في الحقيقة الاهتمام والشجاعة، اهتمام الداعية بدعوة كل الناس، مهما كانوا وأينما كانوا، وشجاعته في التحدث إلى الغير وتلقينه الكلمة الطيبة. ونطق الشهادة يكسر الحاجز النفسي، ويطلق بصيص النور، وينير درب المدعو، وهذا هو المفتاح، ولقد أثبتت



● صلاة العيد في إحدى الحدائق العامة بطوكيو

هذه الطريقة فعاليتها مع الأفراد والجماعات».

يهودي أسلم

وفي إجابته على سؤالي عن حوادث فردية طريفة يذكرها، أجاب الشيخ نعمة الله: «كثيرة هي القصص والطرائف والمواقف المميزة. فلقد عرضت الشهادة على رجل في وسط السوق، فقال لي: أنا يهودي، فهل تقبلونني في صفوفكم! فقلت: إن الإسلام يفتح ذراعيه لكل مقبل، وكل الخلق مسلمون بالفطرة. فنطق الشهادة وأخذ مني نشرة تعريفية، وبعد لحظات عاد مهرولاً ومعه صديقته اليابانية، قائلاً: أرجو منك أن تعلمها ما علمتني وأن تزودها بنشرة مما معك.

ولقد التقيت مرة بمدرسة إنجليزية الأصل، وعرضت عليها الإسلام، فسألتني: إن قلت أنا لا إله إلا الله، ما الذي أحصل عليه؟ فقلت لها: تحل لك مشاكلك. وأعطيتها نشرة مما معي، بعد مدّة اتصلت هذه المدرّسة بالمركز وسألت عنّي، وأضافت: لقد ظننت فيه الظنون، ولكنني خلال هذه المدة وبعد نطقي بالشهادة تخلصت من مشاكل متراكمة منذ سنوات، أريد لقاء هذا الشيخ لتلقّي المزيد من علمه. وهي اليوم من أكثر الأخوات التزاماً، صلاة وصياماً وتلاوة، وتسهم في كل نشاطات المركز حتى قيام الليل، وتحضر معها زميلاتها عسى أن يهديهنّ الله. ومثل هذا يطول سرده».

حرية كاملة واحترام وفير

يجيب د. صالح على سؤالي عن حرية الدعوة الإسلامية في اليابان، بقوله: إن المسلمين يملكون مطلق الحرية في العمل والحركة والدعوة، والياباني لا يمس الأجنبي بسوء، ولا يمارس ضده التمييز العنصري، والمسؤولون اليابانيون هم الذين ينبّهون المسلمين العاملين في مؤسساتهم لأوقات الصلاة. والشرطة يتولون بنفسهم حماية المسلمين ومؤسساتهم.

ولما سألته عن وضع المسلم داخل الأسرة اليابانية، أجاب بكل ثقة: إن أحداً ما لا يتدخل للضغط عليه، فالحرية الشخصية من الأمور المسلّم بها بين اليابانيين. والمسلمون الجدد بدورهم لا يتدخلون لإلزام أفراد أسرهم بالإسلام، وكثيراً ما تبقى الزوجة والأولاد على ديانتهم. وعن اعتراف الحكومة اليابانية بالديانة الإسلامية رسمياً، أجاب د. صالح: إن الحرية التي يمارسها الدعاة والمراكز الإسلامية من الحريات العامة التي تحترمها الحكومة، ولكننا لم نصل بعد إلى مرحلة الاعتراف بالإسلام نفسه كدين رسمي في اليابان، وجل ما حققناه حتى الآن اعتراف الحكومة بمؤسساتنا والترخيص لبناء المساجد والمصليات وافتتاح المراكز، ونسعى لإقامة مدرسة كما نسعى لإنشاء

لم تعرف اليابان شيئاً عن الإسلام إلا منذ أربعة قرون

مقبرة خاصّة بموتى المسلمين.

وماذا عن الأحوال الشخصية، كيف تتم معالجة مشاكل الأسرة في ضوء الشريعة الإسلامية؟

أجاب د. صالح: لا يوجد في اليابان محاكم شرعية، ولكننا أقمنا «لجنة الإصلاح بين الزوجين» وهي تقدم كل نصيحة ممكنة، وتقوم ببعض الضغوطات الأدبية، ولا تملك أي صلاحية، وإن لم تفلح اللجنة في معالجة الأمور، فإن الأزواج يلجؤون إلى المحاكم اليابانية، ونحن في الأصل لا نعقد عقود النكاح إلا بعد تسجيلها في الدوائر الرسمية المختصة.

وعن المشاكل المميزة، أجاب د. صالح: لقد حدث أن تزوجت بعض الجزائريات المسلمات من يابانيين غير مسلمين، وحرص الشيخ نعمة الله على أن تبقى الزوجة وأولادها ملتزمون بالإسلام، مع الحرص طبعاً على إسلام الزوج ما أمكن.

المقبرة الإسلامية

بالعودة إلى موضوع إنشاء مقبرة خاصّة بالمسلمين، يقول د. صالح: عادة أهل اليابان إحراق الميت، وهو أمر محرّم في الإسلام، ونحن نواجه بعض المشاكل مع المسلمين الجدد لاسيما عندما يكون الوالدان أو أحدهما مسلم، ولا يكون الأولاد كذلك، ففي حال الوفاة يرغب الأولاد في إحراق الجثمان، ونستخدم نحن كل ضغط أدبي ممكن معهم، ونعتصم أحياناً أمام منزلهم نقرأ القرآن ونبتهل إلى الله تعالى لثنيهم عن رأيهم، وتسليم الجثمان للمركز الإسلامي ليقوم بدفنه بحسب الشريعة.

وتكمن المشكلة الثانية بتكاليف الدفن الباهظة، إذ تعادل ١٥ ألف دولار، ولذلك نسعى لشراء قطعة أرض وتخصيصها لدفن المسلمين بالمجان.

عنوان المركز الإسلامي في طوكيو

Islamic Centre, Japan
1-16-11 Ohara, Setagaya-ku,
Tokyo 156, Japan
Tel. :03-3460-6169
Fax :03-3460-6105

ولا يخفى عليكم أسعار الأراضي الباهظة. ولقد شكلنا لجنة تمثل جميع الهيئات الإسلامية اليابانية لتنفيذ هذا المشروع البالغ الأهمية لنا.

الإسلام والإعلام الياباني

الإعلام الياباني نفسه مكلف جداً، ولذلك يصعب على المركز أو أي جهة أخرى من الجالية أن تقوم باستئجار ساعات بث في وسائل الإعلام اليابانية، ولكن أقنية التلفزة تقوم بين فترة وأخرى باستضافة شخصية إسلامية لحوار أو النقاش حول الإسلام، أو للحديث عن قضايا عامّة وطنية يؤخذ فيها آراء الجماعات المختلفة، والمسلمون في مجموعهم. وقد بث التلفاز الياباني حلقات عن الحضارة الإسلامية وانتشارها وإنجازاتها ودورها، وحلقات عن العالم الإسلامي.

وإذا وقعت أي إساءة واشتكى المسلمون منها، سرعان ما يعتذر المسؤولون عن الإساءة، وسرعان ما تهتم وسائل الإعلام باستضافة أحد المسلمين لسماع وجهة نظره في موضوع الشكوى، ومن ذلك مثلاً اعتراضنا على كرة قدم كتبت عليها كلمة التوحيد «لا إلا الله محمد رسول الله» وقالوا يومها إنها العلم السعودي إلى جانب الأعلام الأخرى، بإحدى المناسبات الرياضية، ومع ذلك، سحبوا البضاعة كلها واعتذروا، وكذلك تم مع اسطوانة CD تحمل تسجيلاً لموسيقى يتخللها الأذان، فقد تم إعدام الإسطوانات تلبية لطلب المسلمين الذين رأوا في ذلك إساءة لدينهم ومقدساتهم.

كلمة أخيرة

الياباني إنسان خلوق، وأخلاقه تتوافق مع كثير من مطالب الإسلام، وفي الوقت نفسه يعيش حال الفراغ الروحي، ويحتاج إلى ملء هذا الفراغ، وربما كانت فرصتنا لحمل الرسالة الإسلامية إليهم.

والياباني وجداني متفاعل، وكثيراً ما لاحظنا تفاعله مع مطالبنا، حتى أن لقاءات مع ممثلي الأديان تبدأ دائماً بالفاتحة والأذان، الذي يوزع نصه على الحضور مترجماً، ويردده الجميع مشاركة منهم لممثلي الجالية الإسلامية.

إننا نسعى إلى توطين الدعوة، بل نحن بدأنا توطين الدعوة، وننظر بعين الرعاية والأمل إلى الجيل الثاني، وزيارتنا للكويت من أجل مستقبل أبنائنا وملؤنا الأمل بأن نجد كل عون على البر والتقوى.

شاكرين لوزارة الأوقاف اهتمامها ورعايتها للعمل الإسلامي بين الجاليات والأقليات، كما نشكر مجلة الوعي الإسلامي على اهتمامها ومتابعتها لقضايا المسلمين في العالم. ■

فكر

قصة المعراج في الفكر الغربي

بقلم : د. حسن عزوزي

تعددت روايات وأسانيد الإسراء والمعراج في السنة النبوية واختلفت صور ذلك وتباينت بين الاختصار والإسهاب، غير أن هذه الروايات جميعها تتفق في جوهرها المتواتر، ومعلوم أن الجدل قد احتد حول رحلة المعراج منذ أن روى رسول الله ـ ﷺ ـ تفاصيل ذلك للناس الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام، ولذلك قال تعالى في سور الإسراء :

﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾

الإسراء: ٦٠، أي : وما جعلنا الرؤية التي أريناكها عياناً ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء إلا امتحاناً وابتلاء لأهل مكة، حيث كذبوا وكفروا وارتد بعض الناس لما أخبرهم بها، واختبر الرسول ـ ﷺ ـ في وقائعها حتى أنه طلب منه وصف بيت المقدس وهو لم يسافر إليه من قبل فوصفه لهم وصفاً دقيقاً وصدّقه في ذلك أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وكثير من الصحابة.

وإذا كانت معجزة الإسراء والمعراج قد خرق الله فيها لرسوله الأمين قوانين الأرض وقوانين السماء ليريه من آياته الكبرى، فإنه لا داعي للجدال حول طريقة ذلك، وهل كان الإسراء بالجسد أم بالروح، أم بهما معاً، لأن قدرة العقل البشري مهما كانت لا تستطيع أن تقيد قدرة الله الواسعة، ولا يجوز لنا أن نضع قيوداً على قدرة الله تعالى في أن يفعل ما يشاء.

وقد أكدت رحلة المعراج حقائق علمية حديثة توصل إليها علماء الذرة والفضاء وتنبه عقلاؤهم إلى ضرورة دراستها والتمعن في إسرارها، وهذا الموقف الايجابي من علماء الأرض والفضاء يقابله موقف سلبي عبَّر عنه المستشرقون، وبخاصة منهم أولئك الذين تخصصوا في دراسة السيرة النبوية ونقدها، حيث ذهب معظمهم إلى إنكارها والاستهزاء بها معتمدين على منطقهم العقلي المحض ومنهجهم التاريخي التجريبي الذي يفرض عليهم عرض كل واقعة تاريخية على مختبر التشريع البرهاني المنطقي، الذي لا يؤمن بغير العقل معياراً للحكم على الأشياء وظواهرها.

من هنا يمكن القول: إن دراسات المستشرقين لمعجزة المعراج تندرج في إطار الأبحاث الغربية التي تمس البداهات التي يؤمن بها المسلمون على اعتبار أنها من الأمور المسلمة الصحيحة التي لا تقبل أدنى شك أو ريبة.

وإذا كانت معجزة الإسراء والمعراج لم ير فيها المستشرقون سوى الزعم بأنها أسطورة من أساطير الأولين التي حفلت بها الروايات والملاحم الشرقية، فإن الذي نود تأكيده في هذه المقالة هو الحديث عن الصدى الذي أحدثته معجزة المعراج في الكوميديا الإلهية لدانتي

مصادر معجزة المعراج في ثقافة الغرب الوسيط

قبل الحديث عن مدى التأثير الذي أحدثه المعراج الإسلامي في الكوميديا الإلهية لدانتي، لابد من بحث مختلف الطرق التي أمكن عبرها دخول روايات المعراج إلى الثقافة الغربية في العصر الوسيط، ولا شك أن أول ما يمكن القول إنه شكل أول المصادر الرئيسية لذلك هو الترجمة اللاتينية الأولى لمعاني القرآن الكريم التي ظهرت العام ١١٤٣م، وكانت تمثل الشرارة الأولى لبدايات الاستشراق، وقد كانت معظم الترجمات القرآنية القديمة تقرن بشروح وتفسيرات واهية، ومملوءة بالأكاذيب والمغالطات، إلا أنها كانت كافية لكي تكوّن أفكاراً ساذجة ومغلوطة عن مضامين القرآن الكريم، يتم التسليم والتصديق بها، ومن بينها قضية المعراج التي وردت الإشارة إليها في قوله تعالى: (والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى... إلى قوله: ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى) النجم: ١ ـ ١٨.

بالإضافة إلى ذلك، كانت مؤلفات ابن سينا وابن رشد وغيرهما من علماء الإسلام وفلاسفته تترجم إلى اللاتينية ويتم انتشارها على أساس كونها تمثل قمة العلم المستنير الذي هيمن في أوروبا في الوقت الذي كانت فيه أرجاء هاته القارة لاتزال قابعة في

ظلمات الجهل والوهم، ومما لا شك فيه، أن الثقافة الإسلامية التي تضمنتها أعمال ابن رشد وابن سينا وغيرهما قد أشارت من قريب أو بعيد إلى المعراج الإسلامي.

أما أبرز مصادر معجزة المعراج في الثقافة الغربية الوسيطية فهي من دون شك كتابات صوفية الإسلام، ومنها على وجه الخصوص كتابات الغزالي (ت٥٠٥هـ) وابن عربي الحاتمي (ت٦٣٨هـ)، ويشكل كتاب هذا الأخير: «الإسراء إلى مقام الأسرى»(١) العمدة الأساسية التي ارتكز عليها دانتي في ملحمته «الكوميديا الإلهية»، وقد نسج ابن عربي كتابه الذي يقع في نحو خمسين صفحة على منوال المعراج النبوي، إلا أنه شحنه بأساليب الصوفية التي تغص بالرموز والتأويلات والإشارات الصوفية الممعنة في الغموض والتعقيد.

تأثر «الكوميديا الإلهية» بقصة المعراج الإسلامية

في العام ١٩٤٩م، أثبت الباحث الإيطالي انريكو تشيروللي في كتابه: «المعراج ومشكلة الأصول العربية الأسبانية لكتاب الكوميديا الإلهية لدانتي»، أن إحدى روايات المعراج النبوي قد ترجمت من العربية إلى الأسبانية القشتالية بأمر من الملك الأسباني ألفونسو العاشر العام ١٢٦٤م، وفي السنة نفسها، أمر الملك نفسه بترجمتها من القشتالية إلى اللاتينية والفرنسية قصد نشرها خارج الحدود الأسبانية.

بعد سنة من ذلك ولد دانتي الياري (١٢٦٥ ـ ١٣٢١م)، وقد وضع ملحمته الشعرية «الكوميديا الإلهية» التي يبلغ مجموع أبياتها ١٤٢٣٣ بيتاً، دون إشارة أو إيماء إلى مصادره في ذلك، مما جعل الباحثين يختلفون في إدراك مدى استئناسه لرحلة المعراج النبوي، وبخاصة أنه من السهل أن يكون قد استفاد من الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم، وكتابات ابن سينا، وابن رشد وغيرهما، مما كان متداولاً باللغة اللاتينية، والكوميديا الإلهية لدانتي تنقسم إلى ثلاثة أناشيد متساوية الطول هي: الجحيم، والمطهر، والفردوس، وهي تصور رحلة خيالية قام بها الشاعر دانتي إلى العالم الأخروي، ونحن لا يهمنا في هذا المقام الحديث عن مضمون الرحلة الخيالية بقدر ما يهمنا استعراض النتائج التي تم التوصل إليها في بدايات هذا القرن، من طرف بعض المستشرقين الأسبان الذين أثبتوا بالحقائق العلمية والأدلة الثابتة أن الكوميديا الإلهية قد تأثرت إلى حد كبير بالكتابات الإسلامية المتعلقة بموضوع المعراج النبوي.

لقد أثبت كثير من الباحثين الغربيين أنه باكتشاف الترجمة الأوروبية المذكورة لقصة المعراج التي تم إنضاجها للملك ألفونسو أمكن القول: إن موضوع المعراج كان في متناول عامة الناس، وبخاصة أنها كتبت على مستوى شعبي وبثلاث لغات أوروبية.

ولما كان المستشرق الأسباني أسين بالاثيوس (١٨٧١ ـ ١٩٤٤م) من أبرز المستشرقين المعاصرين الذين اهتموا بجانب تأثير الحضارة الإسلامية عامة والتجربة الأندلسية بصفة خاصة في الحضارة والفكر الأوروبيين، فقد أولى اهتماماً كبيراً لقضية تأثر الكوميديا الإلهية بالكتابات الإسلامية حول موضوع المعراج، ويمكن اعتبار كتابه: «الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية»(٢) أخطر عمل قام به بالاثيوس في نطاق تأكيد مدى تأثير قصة المعراج في الفكر المسيحي الأوروبي.

ولقد ظلت ملحمة دانتي موضع إجلال وإكبار من طرف الأوروبيين، ظناً منهم أنها من إنتاج وتفكير دانتي الأصيل، لكن ما أن تم نشر كتاب بالاثيوس العام ١٩١٩م، حتى ثارت ضجة عارمة، تمثلت في نقاش وجدال مستمرين حول مدى مصداقية العمل الدانتي الذي ما لبث ينزلق من عليائه ويبدو عملاً مقتبساً ومنقولاً فكرة وتخطيطاً من معجزة المعراج.

لقد فضح بالاثيوس دانتي في ملحمته، فتتبع خيوط نظريته من شتى الجوانب والوجوه إلى أن ظهر له التشابه الشديد الذي يعتري جميع الأحداث والمواقف في كل من المعراج والكوميديا الإلهية، وهكذا استطاع أن يرد وفق منهج علمي استقرائي فاق كل حلقات القصة الدانتية إلى أصولها في الذخيرة الوافرة من حكايات المسلمين المتعلقة بقصة المعراج.

وهكذا أصبحت مسألة اطلاع دانتي على قصة المعراج الإسلامية أمراً مسلماً به عند الباحثين المحدثين، ويقول المستشرق الإيطالي ليفي دلافيدا: «وهكذا يتأكد لنا اليوم أن نظرية «اسين بالاثيوس قد أصبحت فوق مستوى النقاش، إن القضية لم تعد قضية إمكان اطلاع دانتي على المصادر العربية وإنما هي قضية حقيقية ينبغي التسليم بها»(٣)

ختاماً، نرى أن قصة المعراج الإسلامية، كان لها تأثير قوي على الأدب الغربي في العصور الوسيطة، ولئن كان معظم الغربيين من مستشرقين وغيرهم قد أمعنوا في تكذيب أصل القصة وحلقاتها، وهو أمر طبيعي بالنسبة لأقوام لا يؤمنون بثوابت الإسلام وحقائقه، فإن خلوص بعض الباحثين المعاصرين إلى استنتاج حقيقة اعتماد كبار الأدباء والشعراء الغربيين على أحداث ووقائع المعراج في سبيل استلهام ملاحمهم وأدبياتهم المتنوعة ما يعطي دلالة واضحة على مدى الأثر البالغ الذي أحدثته ولا تزال تحدثه قصة المعراج الإسلامية في تحريك المشاعر الإنسانية، والدفع إلى التفكير في العالم الأخروي الذي تتوق النفوس غير المؤمنة إلى معرفة أسراره وسبر أغواره، وهو ما حاولت ملحمة دانتي فعله بعدما اقتبست معالم ذلك من قصة المعراج الخالدة. ■

الهوامش :

١ ـ طبع بحيدر أباد في الهند العام ١٩٤٨م.

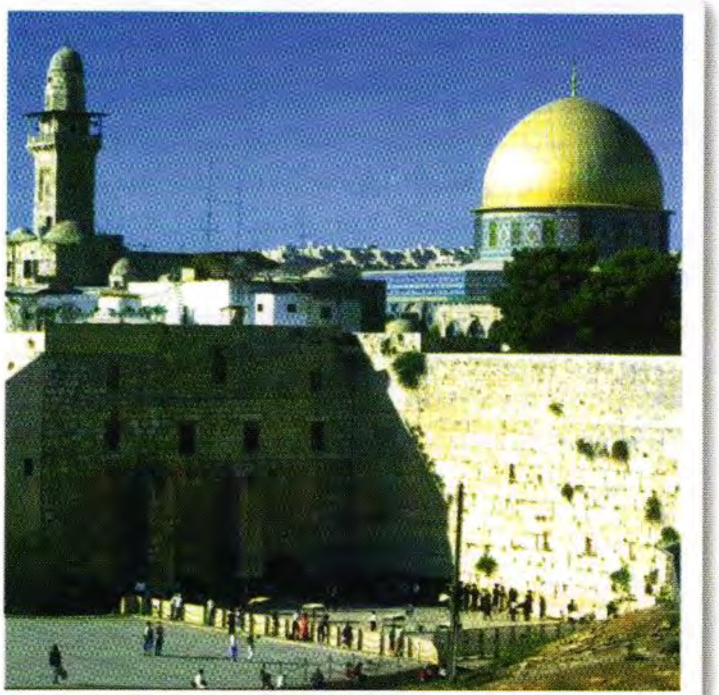
٢ ـ انظر عن دانتي وملحمته كتاب الدكتور عبدالرحمن بدوي «دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي» بيروت ١٩٦٥م، ص ٦٣ ـ ٨٤.

٣ ـ تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا، ترجمة د. حسين مؤنس، ص ٥٦٤.



دراسات تاريخية

جاء مع الحملة الصليبية الأولى التي غزت العالم الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عدد من المؤرخين الأوروبيين الذين سجلوا أحداث هذه الحملة منذ بدايتها إلى نهايتها، ودوّن هؤلاء المؤرخون أعمال أمراء الحملة التي شاهدوها وشاركوا فيها، ولذا تعد مؤلفاتهم مصادر أصلية لتاريخ الحملة من وجهة النظر الأوروبية المسيحية، وكان من أبرز هؤلاء المؤرخين، فوشيه الشارتري، ريموندا جيل والمؤرخ المجهول.



الهجمة الصليبية والهجمة الصهيونية على القدس

بقلم : أحمد عبدالعظيم

أما فوشيه الشارتري فكان مؤرخا فرنسيا جاء في صحبة الجيش الفرنسي القادم من إقليم اللورين السفلي بقيادة الأمير جودفري بوايون وأخيه بلدمين، وكان فوشيه قسيس بلدوين وكاهنه ومؤرخه الخاص، ويعالج فوشيه الشارتري في تاريخه المسمى «تاريخ الحملة إلى القدس» الأحداث التي وقعت من سنة ١٩٠٥ إلى ١١٢٧م، ويصف بالتفصيل حصار الصليبين للقدس، واستيلائهم عليها بالقوة والفظائع التي ارتكبوها ضد المسلمين من قتل وسلب ونهب، ومما يثير العجب أن فوشيه الشارتري يتحدث، مثل غيره من المؤرخين اللاتين عن الاحتفالات الدينية التي أقامها الصليبيون في القدس عقب استيلائهم عليها وكأن الدين يبيح القتل والنهب والتعذيب، ويشير فوشيه الشارتري أيضا إلى سماح الصليبين لـ«افتخار الدولة» الذي كان نائبا عن الفاطمين في حكم القدس والحامية الإسلامية، بالانتقال من القدس إلى عسقلان بأمان فكانوا الفئة الوحيدة من مسلمي القدس التي نجت من الذبح والتعذيب.(١)

وبالمثل، جاء ريموندا جيل في صحبة الجيش البروفنسالي بقيادة ريموند الصنجيلي، كونت تولوز، وأدهيمار ده بوي، المندوب البابوي - وكان ريمونداجيل رجل دين أيضا ويصطبغ كتابه بصبغه دينيه واضحة، ويحمل هذا الكتاب عنوان: «تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس»، وقد أفرد ريمونداجيل فصلا في كتابه لحصار الصليبين للقدس واستيلائهم عليها، اعترف فيه بالمقارنة العنيدة التي أبداها المسلمون عن مدينتهم والمذبحة الرهيبة التي ارتكبها الصليبيون في القدس بعد استيلائهم عليها في ١٥ يوليو ١٠٩٩م الموافق ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ.(٢)

وعلى العكس من فوشيه الشارتري وريمونداجيل كان المؤرخ المجهول فارساً من فرسان الحملة الصليبية الأولى جاء بصحبة الأمير بوهمند النورماني، ولا توجد أي معلومات دقيقة عن اسم هذا المؤلف أو موطنه، ولكن يبدو أنه كان من سكان جنوب إيطاليا ويغطي كتاب المؤرخ المجهول المسمى «تاريخ الفرنجة وغيرهم من حجاج بيت المقدس» أحداث الحملة الصليبية الأولى منذ دعوة البابا أوربان الثاني لها في مؤتمر كلير مونت سنة ١٠٩٥ - ٤٨٨هـ إلى استيلاء الصليبيين على القدس سنة ١٠٩٩م - ٤٩٢هـ، ويصف المؤرخ المجهول هجوم الصليبيين على القدس والأعمال الوحشية التي ارتكبوها ضد المسلمين.(٣) كما

يعتبر تاريخ وليم الصوري من أهم المصادر المسيحية التي سجلت أحداث الاحتلال الصليبي للقدس سنة ١٠٩٩م ـ ٤٩٢هـ، فقد كان وليم من مواطني مدينة القدس ذاتها، على الأرجح، كما كان متعلما مثقفا ومجيدا لعدة لغات: منها العربية والفرنسية واللاتينية واليونانية، وكان المؤلف يتولى منصب رئيس أساقفة مدينة صور، ولهذا اشتهر باسم وليم الصوري، وعلى الرغم من أنه لم يكن معاصرا للاحتلال الصليبي للقدس، لأنه ولد سنة ١١٣١م، فإن روايته تتصف بالدقة والوضوح والتفصيل والإسهاب.(٤)

الهجوم الصليبي الأول على القدس

وفقا للمصادر اللاتينية وصلت الجيوش الصليبية أمام أسوار القدس يوم ٦ أو ٤ يونيو سنة ١٠٩٩م ـ ١٤ أو ١٥ من رجب ٤٩٢هـ، وبلغ عدد القوات الصليبية عشرين ألفا من المشاة، وألف وخمسمئة من الفرسان، وفي الحال نصب الصليبيون الحصار على المدينة من أغلب نواحيها، فحاصرتها القوات الفرنسية بقيادة روبرت كونت نورمانديا، وروبرت كونت فلاندرز، من الجهة الشمالية، والقوات الفرنسية والإيطالية بقيادة الدوق جودفري بوايون والأمير تانكرد النورماني، من الجهة الغربية، ووقف الأمير ريموند الصنجيلي وقواته في الوسط، من ناحية جبل صهيون، أما الجهات الشرقية والجنوبية من المدينة فقد تركت دون حصار، لصعوبة تضاريسها من جهة، ولأنه لم يكن لدى الصليبيين قوات كافية لحصارها، من جهة ثانية.(٥)

وفي يوم ١٢ يونيو الموافق ٢٠ رجب ٤٩٢هـ، بعد خمسة أيام من وصولهم إلى القدس، شن الصليبيون هجوما ضاريا على المدينة من شتى النواحي المحاصرة، ولكنهم فشلوا في الاستيلاء عليها لحصانتها وقوة أسوارها، ولعدم توفر السلالم والأبراج الخشبية وآلات الحصار اللازمة لدك الأسوار لذلك قرر الصليبيون وقف القتال إلى حين تجهيز الآلات اللازمة.(٦)

استمرت عملية إحضار الأخشاب وبناء آلات الحصار نحو شهر، وفي تلك الأثناء عانت الجيوش الصليبية المحاصرة لأسوار القدس من مشاكل كثيرة: فكانت هناك، قبل أي شيء آخر، مشكلة نقص المياه الصالحة للشرب وبقيت الحقول والجياد ودواب الحمل من دون ماء، فالقدس تقع «في أرض مجدبة تماما خالية من الماء، أما القنوات والينابيع والآبار العذبة فكانت بعيدة عنها»(٧)، وإلى جانب ذلك لما علم «افتخار الدولة» باقتراب الجيوش الصليبية من القدس، أمر بتسميم الآبار والينابيع، وإلقاء الفضلات والقاذورات فيها، كما أمر بثقب الصهاريج وخزانات المياه، فلم تعد قادرة على حفظ الماء.(٨) أما بركة السلوان، الواقعة عند سفح جبل صهيون، فكانت مياهها تتدفق مرة كل ثلاثة أيام، كما كان القادرون فقط، بسبب الزحام الشديد، يستطيعون الوصول إليها بينما اضطر الضعفاء إلى الاكتفاء بالماء القذر، أما الخيول والبغال والمواشي والأغنام فكانت «تذوى وتموت عطشا، وتتعفن في مواقعها وتملأ الجو براحئة الموت المتعفنة»(٩)، لذا اضطر الصليبيون إلى السير بمواشيهم إلى عين تبعد ستة أميال لسقيها هناك، لكن المسلمين نصبوا لهم الكمائن على طول الطريق«وقتلوا الكثيرين وأسروا الكثيرين، واستولو على مواشيهم وقطعانهم»(١٠)، وكان الماء المجلوب في أوعية يُباع بثمن مرتفع جداً.(١١)

وزاد من شدة العطش، ارتفاع حرارة الجو في شهر يونيو الشديد الحرارة، التي لم يعتادها الأوربيون لبرودة أجواء بلادهم، وإلى جانب ذلك، عانى الصليبيون من نقص الخبز والطعام، فراحوا يبحثون عنه وعن العلف اللازم للجياد في المناطق المجاورة، ولذلك أخذت أعداد الصليبيين في التناقص يوما بعد يوم، بسبب من ماتوا من الجوع أو العطش أو الحر أو قتلوا أو أسروا في أثناء تجولهم للبحث عن العلف والطعام.(١٢) في الوقت نفسه، كانت أعداد المسلمين في تزايد مستمر، فقد بلغت الحامية الإسلامية الموجودة داخل المدينة للدفاع عنها أربعين ألفا من المحاربين الشجعان المزودين بأحسن السلاح(١٣)، وفقا لما يذكره وليم الصوري، مع ما في هذا التقدير من مبالغة واضحة، وبالإضافة إلى ذلك، كانت القوات الإسلامية الآتية من القلاع والحصون المجاورة تتدفق على المدينة وتدخلها من الجهات التي لم يفرض عليها الحصار، وتنضم إلى الحامية الإسلامية لقتال الصليبيين، كما توافرت المياه الكثيرة والأزواد والأخشاب والحبال والحديد والنحاس داخل المدينة، وقد استغل المدافعون عن المدينة هذه المواد في صنع آلات الحرب، التي تفوقت على آلات الصليبيين في الارتفاع وجودة الصنعة نظراً لتوافر العمال والصناع المهرة داخل المدينة، ولم يدخر المدافعون عن القدس وسعا في وضع الكشافين على الأسوار والأبراج لكشف كل ما يجري في معسكر الصليبيين والإتيان إليهم بأخبارهم، لمقابلة كل جهودهم بنفس البراع كذلك حرص «افتخار الدولة» على إخراج السكان النصارى من المدينة حتى لا يكشفوا للصليبيين عن عورات البلد الخفية، ولكي يخفف من حدة المشكلة الغذائية في أثناء الحصار.(١٤)

وفي ١٧ يونيو ١٠٩٩م الموافق ٢٧ رجب ٤٩٢هـ وبينما كان الصليبيون يعملون في بناء آلات الحصار، وصلت ست سفن مسيحية، جنويه «أي من مدينة جنوه الايطالية» وانجليزية، إلى ميناء يافا وهو أقرب ميناء إلى بيت المقدس وكانت هذه السفن محملة بالمواد الغذائية والرجال والعتاد والمواد اللازمة لبناء آلات الحصار مثل الأخشاب والحبال والعتاد والمطارق والمسامير والفؤوس والبلطات وغيرها، وفي الحال أرسل البحارة الجنويون رسولا إلى الأمراء الصليبيين يطلبون إرسال قوة عسكرية من الجيش لحراستهم وقيادتهم بسلام إلى القدس، واستجاب الأمير ريموند الصنجيلي لهذا الطلب وأرسل قوة من الفرسان والمشاة إلى ميناء يافا تمكنت من حماية البحارة الجنويين وما كان معهم من أمتعة، أما السفن نفسها فقد تم تدميرها إلا واحدة، في أثناء اشتباك مع أسطول مصري قادم من عسقلان، واتجه البحارة الجنويون ومن كان معهم من الجند والمهندسين والعمال، بالإضافة إلى الأخشاب والمواد الأخرى، في صحبة الحراسة المسلحة إلى القدس حيث استقبلتهم الكتائب المعسكرة هناك بالسرور والغبطة، لأن الجنويين كانوا بارعين في صنع آلات الحصار، كما كان الصليبيون في أمسّ الحاجة إلى ما أحضروه معهم من أخشاب ومواد أخرى لازمة لبناء الأبراج والآلات والمعدات الحربية، وقد دب النشاط العظيم في معسكر الصليبيين بعد انضمام الجنويين واجتهدوا جميعا لاستكمال بناء أدوات الحصار وكان الأمراء الصليبيون يخرجون بأنفسهم على رأس طوائف كبيرة من العمال لجمع الخشب وتقطيعه وسلخ الحيوانات وإعداد جلودها لتغطية أسطحة الآلات لحمايتها إذا قذفت عليها النيران في أثناء المعركة، وتمخضت جهود الجنويه والصليبيين عن بناء ثلاثة أبراج متحركة كانت أكثر ارتفاعا من سور المدينة، وبعد أن انتهى الصليبيون من تجهيز آلات الحصار، حددوا فجر يوم الخميس ١٤ يوليو الموافق ٢٤ شعبان موعدا للهجوم مرة

ثانية على المدينة.(١٥)

الهجوم الصليبي الثاني على القدس

في فجر يوم الخميس ١٤ يوليو الموافق ٢٤ شعبان وقف الجيش الصليبي بأكمله وفي كامل عدته أمام مدينة القدس، وما أن بدأ الصليبيون بتقريب الأبراج والآلات من الأسوار، حتى أمطرهم المدافعون عن المدينة بوابل هتان من النبال والسهام ورموهم بالأحجار والقذائف المشتعلة من الخشب والقش والقار والزيت والشمع والكبريت، وقد حالت هذه النيران المشتعلة دون اقتراب الصليبيين من الأسوار، كما منعهم الخندق العميق الواسع الذي كان يحيط بالمدينة من دفع آلاتهم إلى الأمام وكذلك عرقلت المقاومة العنيدة التي أبداها المسلمون جهود الصليبيين من أجل إحداث ثغرة في سور المدينة، إذ عمد الأهالي إلى تدلية زكائب مملوءة بالقش، وتعليق كتل خشبية ضخمة ووسائد محشوة بالحرير فأفسدت هذه الأشياء اللينة اللدنة مفعول ضربات القذائف وقضت على جميع محاولات المهاجمين، وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف الهجوم الصليبي العنيف على المدينة، ولذلك استمرت المعركة منذ الصباح وحتى المساء.(١٦)

ويصف وليم الصوري المعركة بقوله: «وكانت معركة حامية الوطيس موصوفة بصورة تجاوز كل ظن، فكانت الرماح والقسي تنهال كصيب من السماء على كلا الجانبين، وكانت قذائف الأحجار التي يرمي بها كل خصم تصطدم ببعضها بعضاً وهي ما زالت في الجو، ثم تسقط فتهلك المقاتلين وتصيبهم بشتى أنواع الهلاك.(١٧) مع حلول الليل توقف القتال وحصل المقاتلون على قسط من الراحة الجسمانية، ولكن سيطر عليهم الفزع والقلق النفسي، فلقد تمكن الصليبيون من تحطيم السور الخارجي وردم الخندق في أثناء النهار وبالتالي أصبح الوصول إلى السور الداخلي أمراً سهلاً لذلك خاف المسلمون أن يدخل الصليبيون المدينة بغتة في تلك الليلة أو في اليوم التالي.(١٨) فاهتموا اهتماما كبيرا بحراسة المدينة في أثناء الليل فأقاموا في كل برج ضباطا للحراسة الليلية، كما اهتموا بحراسة الأبواب وضبط الطرق، حتى لا يباغتهم العدو بالهجوم عليهم من أي جهة من الجهات، أما الصليبيون فخافوا أن يتمكن المسلمون من إحراق الآلات القريبة من الأسوار، ففرضوا عليها الحراسة المستمرة طوال الليل، «هكذا كانت الكروب تضرب هذا الجانب بما تضرب به الجانب الآخر، فلم يذق أحدهما طعما للراحة لانشغال باله، وكان الفزع العقلي الدائم ران على قلوبهم قد وقر في أذهانهم من الاضطراب، هو أشد هولاً في الواقع من معركة الأمس».(١٩)

لما بزغ فجر اليوم التالي الجمعة ١٥ يوليو الموافق ٢٥ شعبان، استأنف الطرفان القتال «بعزيمة وهمة أشد»(٢٠) فأخذ الصليبيون في تقريب الأبراج ومعدات الحرب من الأسوار ولكنهم قوبلوا بمقاومة شديدة من جانب المسلمين الذين أخذوا يرمونهم بالسهام والأحجار الثقيلة والمواد المشتعلة مما أنزل أضراراً جسيمة بالمقاتلين والآلات التي احترق بعضها وتفكك البعض الآخر، ولذلك أصيب الصليبيون بالتخاذل واليأس والتعب والإرهاق، نتيجة للمقاومة العنيدة والمهارة الدفاعية الهائلة للمسلمين، فأخذ كثيرون منهم يتسللون خلسة من صفوف القتال ويلوذون بالفرار، وفي تلك الأثناء شاهد الصليبيون فارساً مجهولاً ينحدر من فوق جبل الزيتون ويلوح بدرعه لزعماء الصليبيين يحثهم على التقدم، وكان لهذا تأثير نفسي كبير على معنويات الصليبيين المنخفضة وفقا لما يذكر يموندا جيل فدبت فيهم الحياة من جديد، وشنوا هجوما عنيفا قاسيا على المدينة، وكان الدوق جورفري بوابون وقواته الفرنسية أول من نجحوا في إحداث ثغرة في السور تسللوا من خلالها إلى داخل المدينة، وفي الحال رفع جددنمري رايته على السور، فلما رآها المدافعون عن المدينة، عرفوا أنها صارت في قبضة الصليبيين فتركوا مواقعهم في الحصون والأبراج ولاذوا بالفرار إلى أزقة المدينة وشوارعها الضيقة، وأعقب ذلك اقتحام الجيش الصليبي كله للمدينة عن طريق الصخور والصعود بالسلالم وتسلق الجبال إلى الأسوار، والدخول من الأبواب.(٢١) وبعد أن اقتحم الصليبيون مدينة القدس انطلقوا في شوارعها ينهبون ويسلبون ويقتلون ويصف المؤرخون اللاتين المعاصرون المذابح البشعة التي أحدثها الصليبيون في المدينة المقدسة ... يقول المؤرخ ريموندا جيل :

«وسفك تانكرد وجودفري في المقدمة كمية لا تصدق من الدماء وأنزل زملاؤهم الذين كانوا في أعقابهم آلاما شديدة بالمسلمين ..... فقد قطعت رؤوس بعض المسلمين بلا رحمة، بينما اخترقت الآخرين الأسهم الموجهة من الأبراج فيما عذب آخرون لوقت طويل، وأحرقوا حتى الموت في اللهب المتأجج وتكدست في الطرقات والبيوت الرؤوس والأيدي والأقدام، وفعلا كان الفرسان والرجال يجرون جيئة وذهاباً فوق الجثث»(٢٢) وفرت أعداد هائلة من المسلمين إلى فناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة للاحتماء بهذه الأماكن الطاهرة المقدسة، ولأن منطقة المسجد كانت محصنة «أشد التحصين بسور وأبراج وأبواب»(٢٣) ولكن الصليبيين لم يراعوا حرمة هذه الأماكن المقدسة ولم يرحموا المسلمين الفارين إليها إذ تعقبهم تانكرد النورماني على رأس قوة عسكرية كبيرة اقتحم بها فناء المسجد وأعمل الصليبيون السيف في الآلاف المؤلفة من الرجال والنساء والأطفال المحتشدين في هذا المسجد الشريف ويقدر فوشيه الشارتري أن عدد من ذبحوا في المسجد الأقصى بعشرة آلاف شخص، ويضيف هذا المؤرخ أنه بعد أن انتهى الصليبيون من ذبح المسلمين أخذوا «يبقرون بطون من ذبحوا ليستخرجوا من أمعائهم الدنانير الذهبية التي كانوا قد ابتلعوها وهم على قيد الحياة، وللسب ذاته، وبعد بضعة أيام، جمع الصليبيون كومة عظيمة من الجثث وأحرقوها حتى صارت رمادا لكي يسهل عليهم الحصول على هذا الذهب».(٢٤)

وبعد ذلك بعدة أيام أصدر زعماء الصليبيين أوامرهم بإخراج جثث المسلمين من المدينة للتخلص من الروائح الكريهة المتصاعدة منها، ويصف المؤرخ المجهول منظر الجثث بعد أن سحبت وألقيت خارج المدينة فيقول: «وتعالت أكداسهم حتى حاذت البيوت ارتفاعا، وما تأتى لأحد قط أن يسمع أو يرى مذبحة كالتي ألمت بالشعب الوثني «وهو التعبير الذي استخدمه المؤرخون الصليبيون عند الإشارة إلى المسلمين»(٢٥). ظلت القدس تحت حكم الصليبيين إلى أن تمكن البطل صلاح الدين الأيوبي من استردادها سنة ٥٨٣هـ - ١١٨٧م، ومنذ ذلك الحين بقيت المدينة تحت حكم المسلمين إلى أن احتل اليهود نصفها في العام ١٩٤٨م، وأتوا على جميعها في في العام ١٩٦٧م.(٢٦)

ومن الجلي الواضح أن الحركة الصليبية الاستعمارية التي قام بها الغرب الأوروبي وساندتها وباركتها البابويه، في العصور الوسطى تشبه في كثير من أحداثها الحركة الصهيونية، فالفظائع التي ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين في القدس تشبه الجرائم التي يرتكبها الإسرائيليون ضد الفلسطينيين، ويرجع ذلك إلى كراهية كل من

الصليبيين والصهاينة للإسلام والمسلمين، فلما رغب الصليبيون في استرجاع القدس إلى حوزة المسيحية، عمل الصهاينة على تهويد مدينة القدس.(٢٧) وكان ذلك عن طريق تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وترحيل السكان العرب من أرضهم. فقد أكد تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية في كتابه المعروف «الدول اليهودية» أن ضرورة استخلاص ملكية الأرض تدريجيا وبهدوء، وتشجيع فقراء السكان على النزوح إلى البلدان المجاورة رافضين إعطاءهم أي عمل في الدولة اليهودية، وهكذا لم يدر ببال رواد الفكر الصهيوني أن لشعب فلسطين العربي حقاً في الحياة أو تقرير المصير وإنما على العكس جاء شعار حاييم وايزمان لجعل «فلسطين يهودية كما انكلترا انكليزية» بمثابة دعوة إلى طرد وتشريد العرب لتصبح فلسطين حكرا على اليهود، كما قال دافيدين جوريون مخاطبا لجنة التحقيق الانكلو - أمريكية في العام ١٩٤٦م: «عندما نقول استقلال يهودي ودولة يهودية - نقصد بلدا يهوديا، ولهذا نعني عملا يهودياً، مستوطنات يهودية، زراعية وصناعية يهودية، نقصد لغة ومدارس وحضارة يهودية، نقصد سلامة وطمأنينة واستقلال كامل.(٢٨) وفي خطاب ألقاه الربان رابينوفتش في مؤتمر بوادبست للحاخاميين سنة ١٩٥٢م جاء ما يلي:

«إني أستطيع أن أعدكم وأنا صادق في هذا الوعد أنه قبل مرور عشر سنوات يصبح كل صهيوني سيدا ويصبح من غير الصهيوني عبدا» وأضاف: «ولن تكون هناك أي ديانات أخرى إذ سنقضي على طبقة القساوسة ورجال الدين الإسلامي حتى لا يبذروا بذور العداء ضدنا»(٢٩). وفي تصريح للمستر بيرنشتين، وزير التجارة والصناعة الأسبق ورئيس حزب الصهيونيين العمومين قال: «على شعب إسرائيل أن يقلل من استهلاكه للكماليات ويتكتل وراء زعمائه استعداداً للساعة الرهيبة التي نمحي فيها الدول العربية من الوجود».(٣٠)

وقد عملت العصابات الصهيونية في أرض فلسطين على تطبيق هذه الأقوال بإبادة قرى بأكملها كدير ياسين، كما تم تشريد آلاف السكان العرب فنزح كثيرون منهم إلى الدول العربية المجاورة كسورية ولبنان، ولا ننسى الذي فعله الصهاينة في مذابح مخيمات صبرا وشاتيلا في لبنان، وما فعلوه في أطفال الانتفاضة من تكسير للأيدي ودفنهم أحياء، وأخيرا لا ننسى تدمير البيوت «بالبلدوزرات» لمن يشكون في أنه من رجال المقاومة، وهذه أعمال يومية تسير وفقا لمخطط مستمر ومحكم، وكذلك بناء المستوطنات حول القدس لتهويدها.

وإذا كانت الجبهة الإسلامية المتحدة تمكنت من القضاء على الاحتلال في القرنين الثاني والثالث عشر، فإن وحدة العالم الإسلامي في الوقت الحاضر ستكون، بعون الله، كفيلة بالقضاء على الاحتلال الإسرائيلي وإعادة فلسطين والأراضي المقدسة إلى أصحابها العرب المسلمين، وما ذلك على الله بعزيز. ■

الهوامش :

١ - فوشيه الشارتري - تاريخ القدس، ترجمة د. زياد العسلي «عمان - الأردن ١٩٩٠م» ص ١٠ - ١٢، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية «القاهرة ١٩٦٢)، ص ٣٧ - ٤٣، هاري المربانز، تاريخ الكتابة التاريخية، محمد عبدالرحمن برج القاهرة - ١٩٨٤م ص ١١٠.

٢ - ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة جون شيوم هي لولوريتال هيل، نقله إلى العربية د. حسين محق عطية «الإسكندرية - ١٩٩٠م، ص ٣٠ - ٣٤، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية ٢٢ - ٢٦.

٣ - السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٢٦ - ٣٧، بيريل سمالي المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة د. قاسم عبده قاسم «القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٣٧ - ١٤٢.

٤ - بيريل سمالي المؤرخون في العصور، ص١٤٢ - ١٤٨، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٩٩ - ١٠٧.

٥ - المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجة وغيرهم من حجاج بيت المقدس، في حسن جيشي، الحروب الصليبية الأولى «القاهرة: ١٩٥٨م»، ص ١٧٣، يموندا جيل تاريخ الفرنجة، ص٢٣٥ - ٢٣٦، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة د. حسن جبشي «القاهرة، ١٩٩٢م) ج٢ ص ٩٤ - ٩٧.

٦ - المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجة، ص ١٧٣، فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٣، ريموندا جيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٦ - ٢٣٧، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢ ص ٩٧ - ٩٨.

٧ - وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢ ص ٩٩.

٨ - فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٣، ريموندا جيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٧، المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجة، ص ١٧٣، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٩٤، ٩٩ - ١٠٠.

٩ - ريموندا جيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٧.

١٠ - ريموندا جيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٨، المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجه، ص ١٧٣.

١٢ - ريموندا جيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٨، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٠٠ - ١٠١.

١٣ - وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٩٥.

١٤ - وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢ ص ٩٥، ١٠٢ - ١٠٣.

١٥ - ريموندا جيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٨ - ٢٤٠، ٢٤٤، المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجة ص ١٧٣، وليم الصوري الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٠٤ - ١٠٩.

١٦ - ريموندا جيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٤٤ - ٢٤٥، فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٣ - ٧٤، المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجه، ص ١٧٤، وليم الصوري الحروب الصليبية ج٢ ص ١١٣ - ١١٥.

١٧ - وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢ ص ١١٥.

١٨ - ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص ٢٤٥.

١٩ - وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١١٧.

٢٠ - فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٤.

٢١ - ريموندا جيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٤٦، فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٤، المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجه، ص ١٧٥ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢ ص ١١٨ - ١٢٤.

٢٢ - ريموندا جيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٤٧.

٢٣ - وليم الصوري، الحروب الصليبية ج٢ ص ١٢٦.

٢٤ - فوشيه الشارتري، وتاريخ الحملة، ص ٧٥.

٢٥ - المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجه، ص ١٧٧.

٢٦ - عبدالحميد زايد، القدس الخالدة القاهرة - ١٩٧٤م، ص ٨٢٨٠.

٢٧ - عبدالحميد زايد، القدس الخالدة، ص ٢٨٩ - ٢٩٦.

٢٨ - مجلة الموقف العربي، السنة الثانية، العدد الخامس عشر، شعبان ١٣٩٨هـ - يوليو تموز ١٩٧٨م، ص ٢٩ - ٣٠.

٢٩ - مجلة رسالة مصر، يصدرها المركز الثاني للشرق الأوسط، العدد الثالث السنة الأولى، يناير ١٩٥٦م.

٣٠ - مجلة رسالة مصر، نفس العدد.

قضايا

حبال اليهود



اليهود جيل من الناس يتميز عن غيره من أجناس الأرض قاطبة بصفات جبلية خاصة، منشؤها نفس شريرة ألفت الفساد، واستمرأت العلل منذ أمد سحيق.

ذلك أن الناظر في تاريخ بني إسرائيل وكيف كان مسلكهم مع أنبيائهم ومن بعد مع نبي الإسلام وأهله ليستقر في قلبه يقين أن نفساً سوية خيرة لا يمكن أن يكون هذا مسلكها مع دعاة الهدى والرشاد.

فهذه الصور العجيبة مع الاضطهاد والأذى والخديعة والمكر واللجاج والمكابرة لا يمكن أن تصدر إلا عن نفس شيطانية شريرة يزعجها أن ترى لله طاعة في الأرض، ومن ثم فهي تأبى إلا أن تقعد للخير كل مقعد وتسد عليه كل طريق.

وقوم هذا شأنهم أتراهم يقر لهم قرار وهم يرون الدعوة المحمدية تسري بين الناس سريان النار في الهشيم!! ماحيلتهم إذاً تجاه هذه الجموع الغفيرة التي ملك الإسلام عقلها وقلبها حتى إن الواحد منهم ليتخلى ـ عن طواعية وحب ـ عن وطنه وأهل وولده وما له، بل عن روحه من أجل نصرة هذا الدين الحنيف!!

بقلم : زينب عبدالسلام أبو الفضل

لقد أظهر القوم من أنفسهم الرغبة في الموادعة والمسالمة فأبرموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبرموا من عهود ومواثيق ولكن، ما فتئ شيطانهم يوحي إليهم بزخرف من القول كلما رأى جموعاً من الشر تتكاتف فيما بينها لوأد الدعوة المحمدية وإخمادها في مهدها، كان يوحي إليهم شيطانهم بضرورة الانضمام إلى قوى الشر وجيوش الكفر علهم يظفرون بالنصر فيعودون إلى سابق عهدهم يتطاولون على الذين كفروا بما أوتوا من علم ورسالة.

ولكن هل يقف الإسلام عاجزاً أمام تأديب وتربية هذه الفئة التي استخفت به وبنبيه ولم ترقب في مؤمن إلاً ولا ذمة؟ كلا...

لابد إذاً من المواجهة العسكرية، بل من المواجهات العسكرية وكانت نتيجتها أن خليت جزيرة العرب نهائياً من هذا الجنس البغيض. والمسلمون فوق ما أعطاهم القرآن من ساحة تعبيرية كبيرة أخبرهم فيها عن قصة وتاريخ بني إسرائيل مع أنبيائهم وما جبلوا عليه من لؤم وخسّة وغدر وفرقة وذلة وصغار ودناءة ونكوص، وما حملته لهم فترة السيرة النبوية من مواقف ذاخرة بالأحداث تضيء أمامهم الطريق كلما عنَّ لهم أمر مع اليهود لديهم رصيد ضخم وتجارب شتى غنية كان سببها قبول اليهود كمواطنين معاهدين في ديار الإسلام بعد استقرار الحكم الشرعي للمسلمين. من هنا، فإنه من المثير للعجب أن نجد أنفسنا ـ نحن المسلمين ـ حتى اليوم نتعامل مع هذه الطائفة من الناس على غير هدى أو علم أو كتاب منير. فاليهود هم هم على اختلاف أجناسهم وأجيالهم وعصورهم، طبيعتهم واحدة وسلوكهم واحد، وصفاتهم التي خاطبهم بها القرآن خالدة خلود النص القرآني نفسه، ودليلنا على ذلك أن القرآن الكريم خاطب يهود عصر المبعث بما خاطب به أجدادهم، بل حمّلهم جرائم أجدادهم: (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون) البقرة: ٧٢، (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) البقرة: ٦١، (وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) الأعراف: ١٤١ مع أنه معلوم عندنا في الإسلام أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، فكأني بالقرآن يهيب بنا نحن المؤمنين به، أن نكون كيسين فطنين، فما دام الداء واحداً، فلا شك أن أسلوب العلاج لن يكون سوى أسلوب واحد ولن يستأصل الداء حديثاً إلا بما استؤصل به قديماً.

وهذا يسوقني إلى القول إن سقوطنا اليوم فيما ينصبه لنا اليهود من أفخاخ تحت مسميات عدة برّاقة مثل: (السلام ـ التطبيع ـ التعاون الثقافي والاقتصادي... إلخ) لا يحتمل إلا معنى واحداً، هو أن جهلنا بكتابنا وسيرة نبينا وأحداث تاريخنا وصل إلى درجة مزرية قبيحة وما ذلك إلا نتيجة لغياب الوعي الديني، وشحن عقولنا بمعلومات مضللة من شأنها أن تغيب فينا الحسّ الديني أو تقيم ستراً كثيفة بيننا وبين أن نمضي في حياتنا على هدى من ديننا وبصيرة من



قرآننا. وإلا، فما معنى أن نجد ذلك الركون إلى عهود اليهود ومواثيقهم وفينا كتاب الله يتلى علينا صباح مساء يقول: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) المائدة: ١٣، (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف) النساء: ١٥٥. ما معنى هذا الضعف والتخاذل والانهزام والإحساس بالضعف والضعة أمام بني يهود مع أن الله سبحانه وتعالى بيّن لنا أنهم أمة جبانة ذليلة في نفسها ليس هذا فقط، بل وضع أيدينا على مفاتيح قوتهم وذكرها لنا صراحة، وإذا كنت قد عرفت نقاط ضعف خصمك ونقاط قوته، فمن الحماقة إذاً أن تكون له الغلبة عليك.

مفاتيح قوة اليهود

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) آل عمران: ١٩٢. فالحبل في الآية ـ كما يقول ابن جرير الطبري ـ هو السبب الذي يأمن به اليهود على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم من عهود وأمان لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام.

ويقول الشيخ الإمام محمد عبده في تفسير الآية الكريمة: (... أي إن حالهم معكم أن يكونوا أذلاء مهضومي الحقوق، رغم أنفوفهم إلا بحبل من الله وهو ما قررته لهم الشريعة إذا دخلوا في حكمكم من المساواة في الحقوق والقضاء وتحريم إيذائهم وهضم شيء من حقوقهم «حبل من الناس» وهو ما تقتضيه المشاركة في المعيشة من احتياجكم إليهم واحتياجهم إليكم في بعض الأمور.

أي فهذا القدر المستثنى من عموم الذلة لم يأتهم من أنفسهم وإنما جاء من غيرهم فهم لا عزة لهم ولا سلطان في أنفسهم لأن السلطان والملك قد فقدا منهم.

و«المسكنة» حال للشخص منشؤها استصغار لنفسه حتى لا يدعي له حقاً و«الذلة» حال تعتري الشخص من سلب غيره لحقه وهو يتمناه فمنشؤها وسببها غيره لا نفسه كالمسكنة.

وأما الذل فقد كان ارتفع عنهم في بلاد

الإسلام بحبل من الله وهو وجوب معاملتهم بالمساواة واحترام دمائهم وأعراضهم وأموالهم والتزام حمايتهم والذود عنهم بعد إنقاذهم من ظلم حكامهم السابقين الظالمين وبحبل من الناس مما تقدم بيانه.

وربّ سائل يسأل: إذا كان الشيخ الإمام ومن قبل شيخ المفسرين الطبري ولفيف آخر من المفسرين قد ذهبوا في تفسير الآية إلى ما ذكرنا معتمدين في هذا اعتماداً كبيراً على ما ورد من تفسير مأثور عن الصحابة والتابعين فمن أين ليهود هذا الزمان هذه القوة وهم الآن ليسوا داخلين في حكم المسلمين كمواطنين في ديار الإسلام، نقول إن منبع قوتهم يأتيهم مما فرض لهم الإسلام من حقوق؟ بل إن العكس تماماً هو الصحيح.



لقد أصبح أهل فلسطين من المسلمين هم الداخلون الآن تحت وصاية يهود وحكمهم، فصاروا بهذا أذلاء هذا الزمان.

وإذا كنا قد اتفقنا على أن اليهود قوم أذلاء ولا تأتيهم قوة إلا بحبل من الله وحبل من الناس فهل لليهود حبال في عصرنا ومن هم؟

أقول: لليهود حبال كثيرة في عصرنا وهي وإن اختلفت عن ذي قبل إلا أنها تعد سبباً أساسياً في رفع الذلة عنهم وإمدادهم بمدد كبير من القوة وأسباب البقاء. وفيما يلي مزيد من التفصيل.

الحبل الأول من حبال اليهود: «أمريكا وحلفاؤها»

بالرغم من انسحاب الاستعمار القديم بعد أن زرع في قلبنا «إسرائيل» ذلك الجسم البغيض والشوكة الجارحة التي تمثل نقطة توتر وضيق لكل عربي مسلم وفي الوقت ذاته تمثل راعياً وحارساً أميناً على مصالح الغرب في منطقتنا والتي تتضارب الضرورة مع مصالحنا جمعاء.

لقد عملت إسرائيل منذ قيامها على إفساد خططنا الاقتصادية والإصلاحية بل على تخريب وتدمير كل ما من شأنه أن يسهم في تقدمنا ونضهتنا.

وإذا كان الاستعمار القديم هو الذي مكّن لهذا الكيان البغيض وزرعه في قلبنا، فإن الاستعمار الجديد والقوة الصاعدة «أميركا» هي التي أمدت إسرائيل حتى الآن بعناصر



البقاء بعد أن مكّنتها من أن تصبح القوة العسكرية الأولى والترسانة النووية الوحيدة في المنطقة، وبذلك أصبحت حبلاً من حبال اليهود وامتداداً لحبل فرنسا وبريطانيا من قبل، بل أصبحت هي الآن أقوى حبل يتشبث به اليهود ليحموا أنفسهم من الذلة والمسكنة التي ضربها الله عليهم.

ذلك أن الكيان الإسرائيلي في حقيقته كيان عنصري طائفي يفتقر إلى إمكانات الدولة الحقيقية ولولا انحياز أمريكا إلى إسرائيل ضد العرب كما يؤكد ذلك الكاتب الأمريكي «ستيفن عزيز في كتابه: الانحياز» ما كان لليهود أن يحققوا هذه السلسلة من الانتصارات، بدءاً بحرب ١٩٤٨م وحتى الآن، معززاً قناعته بتلك المجموعة من الوثائق السرية التي عثر عليها في ملفات الاستخبارات الأمريكية وغيرها من الدوائر المعنية.

إسرائيل تصنع نفسها بمدد من الحبل الأميركي

والحقيقة أنه على الرغم من الإغداق الأمريكي الكبير - غير المشروط - على الكيان الصهيوني ليكون دولة ذات ثقل اقتصادي وسياسي وحربي في المنطقة تخدم مصالحها وترعى أهدافها لم يمنع هذا الصهاينة من التفكير في عاقبة ما إذا منعت عنهم أميركا هذا السيل الجارف من المعونات لسبب أو لآخر، ومن ثم كان حرص إسرائيل على أن تكون هي المتلكة لعقل أميركا وقلبها والموجهة الحقيقية لسياستها في المنطقة إن لم يكن في العالم بأسره.

دليلنا على ذلك هذا العدد الضخم من اللوبي اليهودي الذين ازدحم بهم الكونغرس يتابعون كل ما يدور وينتزعون ما يرفضونه من قرارات من أعضاء الكونغرس حتى لقد أصبح هؤلاء الأعضاء بوقاً لأصواتهم وصدى لمواقفهم وما حيلتهم وهم يعلمون تماماً أن وصولهم إلى مقاعدهم واستمرارهم فيها لن يكون إلا عن طريق هذا اللوبي الخبيث!! إضافة إلى ما سبق نجد حرصاً شديداً من جانب إسرائيل على استغلال ذلك الإغداق الأميركي الكبير في العمل على ضمان تفوقها العلمي على دول المنطقة بأسرها.

لقد أدرك اليهود بشكل أبكر دور التخصص وإتقان العمل في التحكم بالمجتمعات والتأثير فيها، فكان منهم العلماء والمفكرون والباحثون الذين يحتلون اليوم معظم المنابر العلمية والتقنية المؤثرة سواء في تلك العلوم الإنسانية أو التطبيقية على حد سواء.

ففي علم النفس وعلم الاقتصاد والاجتماع والكيمياء والفيزياء وعلوم الذرة وعلوم الأسلحة الاستراتيجية «حرب النجوم» وفي الجامعات ومراكز البحوث والدراسات وفي مجال الصحافة والإعلام والإنتاج والسينما لهم ريادات وقيادات، فاسم فرويد في علم النفس، ودوركهايم في علم الاجتماع، وأنشتاين في الرياضيات، ووايزمن في الكيمياء، وغيرهم من حاخامات اليهود، لا

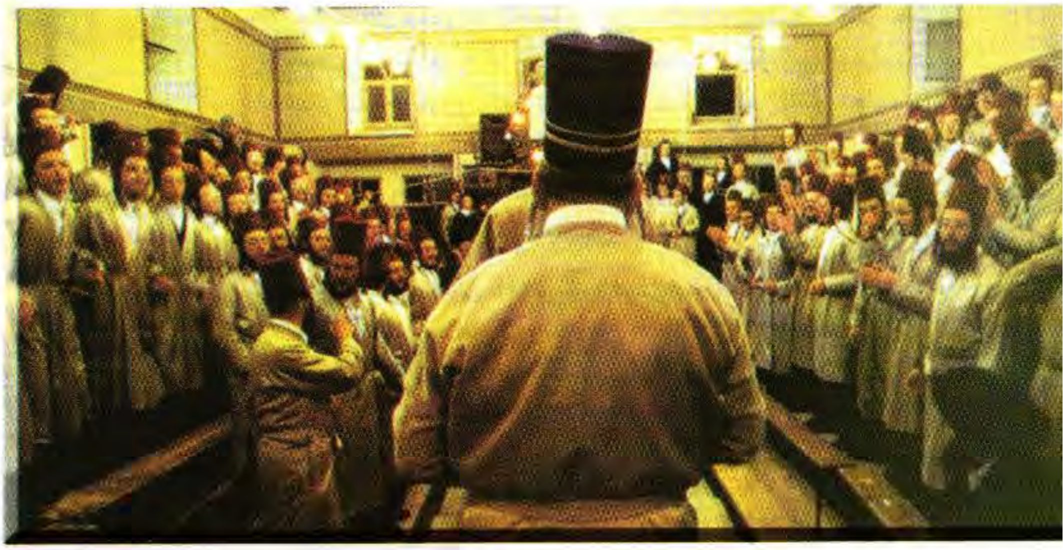
يزالون يثيرون الجدل ويخطفون الأبصار حتى يومنا هذا.

لقد بلغ التطور العلمي في إسرائيل إلى الحد الذي شغلت به أذهان الباحثين والعلماء ودول العالم قاطبة سوى الدول الإسلامية، التي لا تزال فقط في سبات عميق في هذه الناحية.

ففي مقال نشرته التايمز أخيراً تحت عنوان: «ما الذي سيحدث عندما تهيمن إسرائيل على صناعة الإنترنت»، وكان موضوع المقال هو التطور العلمي المهم في إسرائيل في صناعة الإلكترونات والمعلومات وتأثير ذلك على موازين القوة والصراع بينها وبين جيرانها العرب.

ثم انتهى الكاتب إلى أن الكل سيخطب ود إسرائيل بعد أن تصبح شركة إسرائيلية واحدة في العالم بالقرب من طبريا هي الوحيدة في العالم التي تصنع رقاقة تحويل رئيسية للإنترنت.

ثم نقل الكاتب عن باحث اقتصادي إسرائيلي قوله: «إذا كنت تملك التكنولوجيا التي يحتاجها الآخرون فمن يعبأ إذا كنت تقمع الفلسطينيين». وفي بحث أجراه د. نادر فرجاني خبير التنمية البشرية حول تقويم القدرات البشرية والثقافية لدى عرب إسرائيل، توصل الباحث إلى أنه بالرغم من أن العرب يمثلون قرابة خمسين ضعفاً بالنسبة لإسرائيل، فهم يعيشون على رقعة من الأرض تعادل ستمئة ضعف بالنسبة



للأرض التي تعيش عليها إسرائيل، إلا أن إسرائيل متفوقة علمياً على العرب بمعدل عشر مرات في الأفراد العلميين وأكثر من خمسين مرة في وصلات الإنترنت، وأكثر من سبعين مرة في النشر العلمي وقرابة ألف مرة في براءة الاختراع.

ومما ورد في هذا المقال إن إسرائيل تعد الآن في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث عدد الشركات ذات الصلة بالكمبيوتر. وتساءل «فريدمان» كاتب هذا المقال: ماذا يعني بالنسبة للشرق الأوسط أن تكون بعض الدول العربية لا تزال تبحث في دخول الإنترنت، في حين أن إسرائيل تقوم منذ الآن بتصنيع الجيل الثاني منه، ثم يجيب قائلاً: إن ذلك يعني الكثير، فالهوة تزداد اتساعاً بين إسرائيل وجيرانها العرب، خصوصاً أن الناتج المحلي الإسرائيلي يعادل تقريباً مجموع إجمالي الناتج المحلي لكل من مصر وسورية، الأمر الذي سيجعل إسرائيل أقل عرضة لتهديد الضغوط السياسية والمقاطعة الاقتصادية من جانب العرب.

أرقام مخيفة مفزعة تنبئ عن أن المعركة المقبلة مع إسرائيل لن تكون سوى معركة العلم والتكنولوجيا، وهذا يلقي علينا عبئاً ثقيلاً ويتطلب يقظة ونهضة من الجميع حكاماً ومحكومين، فالخطب جُدُّ خطير، وبخاصة أن إسرائيل تُدعم تدعيماً كبيراً من أميركا، ليس ذلك فقط، بل لديها رصيد ضخم من الاستثمارات الأجنبية الأخرى، حيث يوجد لدى إسرائيل علماء كثيرون من الهند والصين واليابان يعملون في المعامل الإسرائيلية، وهكذا أصبحت إسرائيل منطقة جذب للعقول العلمية من جميع دول العالم، على حين مازالت بلادنا تحتل منطقة طرد لهذه العقول نتيجة فقد الإمكانات، بل فقد الثقة في أنفسنا، وفي أبنائنا وعقولهم إلى جانب عوامل كثيرة أخرى، لعل أهمها ما ابتلينا به من قديم بالرغبة في تحطيم الرموز والحقد على كل ناجح والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

لكن ماذا عن حلفاء أميركا

إذا كانت أميركا حتى الآن بلامنازع هي راعية مصالح اليهود الأولى في المنطقة المدافعة عن بقائهم وكيانهم، فإن دول الكفر الأخرى - استعمار الأمس - بلا شك شريك أساسي لأميركا في رعاية تلك المصالح اليهودية.

ذلك أن التعصب الأميركي لليهود وسياسة الكيل بمكيالين التي تتبعها أميركا مع شعوب المنطقة واضحة وشاهدة أمام الجميع، ومع ذلك لا نكاد نرى أو نسمع تصريحاً أو تلميحاً من جانب هذه الدول ينتقد تلك السياسة الأميركية، بل إن العكس تماماً هو الصحيح، فهذه الدول جميعها تعد مدداً كبيراً للحبل الأميركي، بل إن الحبل الأميركي في حقيقته ليس إلا امتداد لذلك الحبل الصليبي القديم.

ولعل أقبح ما أطلت به علينا هذه الدول التي تتزيا وتتقنع بقناع الصديق، تلك الوثيقة البغيضة التي طلب فيها الفاتيكان الغفران من اليهود، وأعلن عن ندمه وأسفه حول دور الكنيسة الكاثوليكية خلال مذابح الإبادة الجماعية «الهولوكوست» التي ارتكبها النظام النازي ضد يهود أوروبا، مع علم الفاتيكان بكذب هذه الادعاءات اليهودية، وأن هذه في حقيقتها ما هي إلا أساطير مختلقة اختلقها اليهود لتبرير هجرتهم وإقامتهم كياناً بغيضاً في فلسطين.

وهكذا تتعاون دول الكفر اليوم، كما تعاونت بالأمس، لا على إضعاف المسلمين فقط، بل يتجلى هدفهم الأكبر في إسكات صوت المؤذن، ومحو كلمة التوحيد من الأرض، ولكن هيهات... فالله غالب على أمره ولو كره الكافرون. ■

الجامعة المفتوحة العربية هل تحقق حلم الوحدة الغائب ؟

مكتب القاهرة

إنشاء جامعة عربية مفتوحة تبث برامجها ومناهجها الموحدة عن طريق القنوات الفضائية العربية المنتشرة في الفضاء فكرة عرضت على مجلس جامعة الدول العربية منذ أشهر عدة، ونالت موافقة جماعية من جميع وزراء التعليم العالي في الوطن العربي.

كما حظيت باهتمام القيادات السياسية بها حتى أعلن الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية أن وزارات التعليم بدأت بالفعل في اتخاذ الخطوات التنفيذية لأن تصبح هذه الفكرة واقعاً خلال الأشهر القليلة المقبلة.

وفي هذا التحقيق نستعرض تاريخ التعليم المفتوح وتجارب إنشاء جامعات مفتوحة في الدول المتقدمة وعلى رأسها انكلترا وأميركا واليابان، كما نستعرض تجربة مصر في التعليم المفتوح وآراء خبراء التعليم والإعلام في طبيعة المناهج وأفضل القنوات لتوصلها بحيث تكون الجامعة العربية المفتوحة بالفعل بداية حقيقية لحلم الوحدة الشاملة.

الأصول التاريخية

بدأت الخطوات الأولى نحو فكرة التعليم العالي المفتوح عندما تأسست مدرسة لتعليم اللغات بالمراسلة في ألمانيا، ثم أخذت الفكرة تتبلور وتنتشر على مستوى التعليم العالي في كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأميركية، حيث ابتكرت بريطانيا نظاماً مشابهاً للتعليم المفتوح عن طريق منح جامعة لندن درجات جامعية للدارسين دون الحاجة إلى حضورهم إلى الجامعة، وكان ذلك العام ١٨٥٨م، وطبقاً لهذا النظام، أصبح من حق أي شخص التقدم للحصول على الدرجة الجامعية بشرط اجتياز امتحان خاص، وفي حال نجاح الدارس في هذا الامتحان يدفع المصروفات الدراسية ومختارات المناهج المرتبطة بالشهادات الراغب في الحصول عليها، بشرط أن يكون الحد الأدنى لمدة الدراسة خمس سنوات، وكانت المقررات الدراسية تقدم من خلال مراكز وكليات التعليم بالمراسلة أو من خلال المقررات المسائية التي تنظمها بعض المؤسسات العامة والخاصة، لبعض الوقت أو من خلال مقررات العطلة. وفي جامعة كمبردج فكر جيمس ستوران العام ١٩٦٦م، في إنشاء جامعة متنقلة بتوزيع أساتذتها بين المدن الكبرى ليتيح للناس فرصاً أوسع لتلقي تعليم رفيع، وبدأ ستوارت العام ١٨٦٧م في إلقاء محاضرات للمعلمين في المدارس، حتى بدأت جامعة كمبردج العام ١٩٧٣م، بتنظيم هذه الخدمة التعليمية بشكل مستمر.

ومع بداية القرن العشرين، قامت هيئة الإذاعة البريطانية بتقديم خدمة تعليمية عبر الهواء، وفي العام ١٩٢٧م، خصصت الإذاعة قسماً لتعليم الكبار، ومع بدايات التلفاز وانتشاره في العالم اقترح أستاذ تربية إنكليزي العام ١٩٦٢م إنشاء جامعة مفتوحة تقدم برامجها التعليمية من خلال المراسلين ووسائل الإعلام، وبخاصة التلفاز على أن تقوم جامعة لندن بمنح الشهادات للطلاب الدارسين.

وفي العام ١٩٦٢م، طالب هارولد ويلسون زعيم المعارضة في مجلس العموم البريطاني بإنشاء جامعة مفتوحة تحت مسمى جامعة الهواء لتخدم المملكة البريطانية ككل.

ولم تجد هذه الفكرة طريقها إلى التطبيق الفعلي إلا عندما تولى ويلسون نفسه رئاسة الحكومة في بريطانيا العام ١٩٦٤م، وكلف وقتها جانيت لي وزير التربية والتعليم العالي بدراسة مشروع جامعة الهواء، وبدأت الدراسة بالجامعة بشكل محدود العام ١٩٦٧م، حتى بلغ عدد الدارسين فيها العام ١٩٧٠م ٤٠ ألف طالب، وفي العام ١٩٧١م، تم بث الدروس على الهواء مباشرة.

وكانت مناهج الجامعة في ذلك الوقت تركز على الدروس الأساسية في الفلسفة والآداب والرياضيات والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية.

الولايات المتحدة الأميركية

كانت بداية الجامعة المفتوحة في أميركا عندما أصدر

الكونغرس الأميركي العام ١٨٦٢م قانون موريل الذي يخصص لكل ولاية من الولايات منحة من الأرض تستخدم لإقامة جامعات تهدف إلى تقديم التعليم العالي لأبناء الميكانيكيين والفلاحين، دون ارتباط بمؤهلات تعليمية سابقة أو رسوم دراسية مرتفعة، وأطلق على هذه الجامعات اسم منحة الأرض، لأنها كانت تهدف في المقام الأول إلى تعليم الفلاحين والميكانيكيين أساليب جديدة في رفع إنتاجية الفدان واستخدام الميكنة الحديثة الزراعية.

خبراء التعليم الإعلامي يحددون ضوابط تربوية ومهنية للمناهج وطرق بثها عبر القنوات الفضائية

وفي العام ١٨٨٧م أقيم في الجامعات الأميركية النظام البريطاني في التعليم بالمراسلة وبخاصة جامعة شيكاغو، إلا أن العام ١٨٩١م، شهد عقد مؤتمر قومي حضره المهتمون بقضايا التعليم الذين رفضوا فيه تقليد التجربة البريطانية كنوع من تحقيق الاستقلال التربوي والثقافي عن المجتمع الإنكليزي بعد أن تحقق لهم الاستقلال السياسي والفكري من العرش البريطاني.

ومن هنا بدأت الجامعات الأميركية بالاهتمام بعمل برامج تعليم مفتوحة في كل التخصصات، مستندا إلى فلسفة أن توصيل المعرفة يجب أن تكون للجميع وأن هذه المعرفة يجب أن تصل للناس حتى ولو لم يطلبوها، ومن ذلك فإن المجتمع الأميركي رأى أن تتحمل الجامعات التقليدية مسؤولية فتح فروع للتعليم المفتوح من خلال أقسام دراسية مستقلة في العمليات التقليدية بدلاً من عزل هذا النظام في جامعات متنقلة كما حدث في بريطانيا.

تجربة اليابان

تميزت تجربة اليابان في التعليم المفتوح بأنها استغلت خبرة مؤسسات المجتمع الياباني في تقديم برامج تعليمية للجميع، من خلال الراديو والتلفاز، حيث بدأ استخدام المذياع كوسيلة للتعليم العام ١٩٣٥م، والتلفاز العام ١٩٥٣م، وتم تخصيص قناة تعليمية مستقلة العام ١٩٥٩م.

إلا أن المجتمع الياباني بدأ يفكر وينادي بإنشاء جامعة مفتوحة وبخاصة أن ٤٥٪ من شباب اليابان ملتحقون بالتعليم العالي، ومنذ بداية مايو العام ١٩٦٩م، تشكلت لجنة من وزارتي التربية والتعليم والمواصلات بهدف الإعداد لجامعة مفتوحة أو جامعة الهواء.

وأوصت اللجنة أن تبدأ الجامعة مهامها في أبريل العام ١٩٧١م، على أن تستخدم في بث مناهجها موجات معينة وتتمتع باستقلاليتها كجامعة للتعليم عن بعد وتمنح شهادات معتمدة ومعادلة لبقية الشهادات التي تمنحها الجامعات اليابانية الأخرى بما فيها جامعة طوكيو.

كما أوصت هذه اللجنة أن تكون المواد العلمية مطبوعة في كتاب دراسي عادي لمساعدة الدارسين على عمليات المراجعة، ورغم إسهامات فكرة الجامعة المفتوحة في تأسيس عدد من الجامعات بالمراسلة حتى أصبح في اليابان ١٧ جامعة تقدم برامج للتعليم بالمراسلة.

إلا أن فكرة الجامعة المفتوحة أو جامعة الهواء، ظلت أسيرة برامج معينة استمرت اللجان التحضيرية الخاصة بها من العام ١٩٦٧م، وحتى الافتتاح الرسمي لها العام ١٩٨٥م، ولقد كان المعهد القومي لوسائل الاتصال التربوي المتعددة في العام ١٩٧٨م، نواة لهذه الجامعة، حيث بدأ هذا المعهد في بث البرامج التعليمية وتحديد شروط التعليم فيها، كما ساعد الجامعات الحكومية في تقديم برامجها خارج أسوار الجامعة، وكان الافتتاح الرسمي لجامعة الهواء اليابانية التي تعد أفضل جامعات التعليم عن بعد على مستوى العالم العام ١٩٨٥م، حيث أكد أول رئيس لها أنه يهدف من تأسيس هذه الجامعة الخدمة التعليمية للأفراد في المنازل وأماكن عملهم أو حتى في الجبال، وقال إن التعليم لم يقتصر على سن معين، بل يستمر مدى الحياة وفي كل مراحل العمر.

الجامعة المفتوحة في مصر

كانت نواة التعليم المفتوح في مصر، كما يقول الدكتور علي السلمي وزير التنمية الإدارية المصري السابق ورئيس أول مركز تعليم مفتوح في جامعة القاهرة إن الفكرة بدأت بتقديم برامج تعليمية عن طريق التلفاز العام ١٩٦١م، ومع بداية العام ١٩٦٩م، تم الاتفاق بين المسؤولين في وزارة التربية والتعليم على ضرورة تقديم البرامج التي تصلح تلفزتها في المواد العلمية المختلفة للشهادات العامة.

ومع بداية الثمانينات، تزايد الاهتمام بفكرة التعليم عن بعد، حيث قرر المجلس الأعلى للجامعات بتاريخ ١٩٨٣/٣/١٠م، الموافقة على تأهيل جامعي لمعلمي المرحلة الابتدائية من حملة دبلوم المعلمين والمعلمات نظام السنوات الخمس بعد الإعدادية، كما قرر المجلس الموافقة على أن تعتبر دراسة هذا البرنامج معادلة لدرجة البكالوريوس في التربية والعلوم أو الليسانس الذي تمنحه الجامعات المصرية.

مفيد شهاب وزير التعليم المصري يؤكد أن مصر تضع جميع إمكاناتها لتحقيق هذا المشروع

وكان تدريس البرامج التأهيلية يتم عبر التلفاز كنوع من التعليم عن بعد بهدف رفع مستوى مدرس المرحلة الابتدائية وكان نظام الدراسة طبقاً للساعات المعتمدة والذي يمثل ٢٠٠ ساعة في ٤ أعوام جامعية.

في نهاية العام ١٩٨٩م

تجارب أمريكا وبريطانيا واليابان تؤكد أهميتها في ترسيخ الثقافات

دعا وزير التعليم إلى إنشاء مراكز التعليم المفتوح في الجامعات المصرية، وفي أقل من عام قامت كلية التجارة جامعة الإسكندرية بإنشاء مركز للتعليم المفتوح اعتباراً من العام الجامعي ١٩٩٠/١٩٩١م، للحصول على بكالوريوس التجارة «شعبة المال والأعمال» وفي منتصف العام الجامعي نفسه ٩٠/٩١، قامت جامعة القاهرة بإنشاء مركزين للتعليم المفتوح الأول في كلية التجارة للحصول على بكالوريوس التجارة في المعاملات المالية والتجارية، والثاني في كلية الزراعة للحصول على بكالوريوس تكنولوجيا استصلاح واستزراع الأراضي الصحراوية.

ويقول د. علي السلمي أول رئيس لمركز التعليم المفتوح في جامعة القاهرة: إن التعليم المفتوح كان الهدف منه إنشاء جامعة تتيح فرصة التعليم المستمر للطلاب والعاملين لرفع المستوى الثقافي وتحديث مهارات ومعلومات واتجاهات العاملين بمختلف مجالات الاقتصاد القومي.

ورغم مطالبة معظم الجامعات المصرية بالتوسع في التعليم المفتوح بإنشاء فروع لها، إلا أن الأمر توقف عند هذا الحد.

ويؤكد د. محمد عبدالله الأستاذ في كلية التربية جامعة حلوان أهمية تقويم هذه التجربة على المستوى العربي والإسلامي مشيراً إلى أن وجود جامعة مفتوحة على المستوى العربي سيساعد في التغلب على حال الاغتراب التي تعيشها بعض الشعوب العربية.

أما الدكتور مجيد أمين محمد الأمين العام للمجلس الأعلى للجامعات في مصر فيرحب بفكرة إنشاء جامعة عربية مفتوحة مشيراً إلى أن المجلس الأعلى قد وافق مبدئياً على التوسع في التعليم المفتوح في مصر باعتبارها دولة رائدة في التعليم يمكن أن تسهم تجربتنا في إفادة تجربة إنشاء جامعة عربية مفتوحة.

ويؤكد الدكتور حامد عبدالرحيم مدير معهد بحوث التراث العلمي أن إنشاء جامعة مفتوحة على المستوى العربي سيساعد في ترسيخ الهوية العربية والانتماء للثقافة العربية الإسلامية مشيراً إلى أن المناهج يجب أن تراعي التراث المشترك للأمة العربية والإسلامية بحيث تعمق الدراسات الإنسانية والتربوية البعد الحضاري، بالإضافة إلى البعد العلمي الذي يجب أن يسمح لأكبر عدد ممكن من المسلمين والعرب للحصول على تعليم مميز.

ويطالب د. عبدالرحيم بعمل استطلاعات للرأي بين جموع العرب على ماهية المناهج التي يجب أن تدرّس في هذه الجامعة المفتوحة المقترح إنشاؤها.

القنوات الفضائية

القنوات الفضائية العربية المنتشرة يمكن أن تكون هي قنوات الإرسال لمناهج الجامعة المفتوحة العربية، كما يؤكد الدكتور محمود علم الدين أستاذ الإعلام ومدير مركز بحوث الرأي العام في جامعة القاهرة قائلاً إن الحكومات يجب أن توفر أجهزة الاستقبال بسعر مناسب للدارسين في البلاد العربية التي ينخفض فيها مستوى الدخل.

ويشير د. عادل فهمي أستاذ الإذاعة في جامعة القاهرة، إلى أهمية دراسة التاريخ بطريقة تكون بعيدة عن الخلافات العربية وفي الوقت نفسه تكرس الانتماء العربي والإسلامي للمواطن العربي المسلم.

ويؤكد د. فهمي أن استخدام الفضائيات العربية كقناة إرسال للتعليم المفتوح على المستوى الجامعي سيسهم في ارتباط المشاهد العربي بالفضائيات العربية والبعد عن الفضائيات الأجنبية.

ويحذّر من تحول هذه القنوات إلى مجرد وسيلة للتسلية مؤكداً أن التعليم من أهم وظائف وسائل الإعلام.

الخطوات التنفيذية

وإذا كان الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، قد أعلن الفكرة على جميع وزراء التعليم العالي في الوطن العربي ونال هذا الاقتراح موافقة الجميع، فهل تبدأ وزارات التعليم في وضع تصور لهذا المشروع لاتخاذ خطواته التنفيذية؟

الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي المصري، يؤكد تحمسه شخصياً لفكرة إنشاء مثل هذه المشروعات التي تدعم وتقرب حلم الوحدة العربية، مشيراً إلى أن مشروع الجامعة العربية المفتوحة لو أنشئ بضوابط ومعايير تربوية جيدة سيساعد على ارتفاع نسبة التعليم الجامعي بين العرب الذي مازالت نسبته أقل من ٢٧٪ في مقابل أكثر من ٤٥٪ في اليابان.

وزراء التعليم العالي العرب يجمعون على أهميتها خلال اجتماعهم بجامعة الدول العربية

ويقول د. شهاب إن مصر تضع كل إمكاناتها التعليمية وخبرات أساتذتها في هذا المجال بالذات «التعليم المفتوح» لإنجاح هذه التجربة مؤكداً أن المهم ليس من يرأس الجامعة، ولكن الأهم أن تصبح حقيقة تساعد على صهر الثقافات العربية في بوتقة الوحدة الشاملة. ■

إعلام

أخلاقيات الإعلان في أجهزة الإعلام العربية الإسلامية

بقلم: أ.د محيي الدين عبدالحليم

لايستطيع أحد أن ينكر الدور الكبير الذي يلعبه الإعلان في الصحافة أو الراديو أو التلفاز باعتباره الممول الحقيقي الذي من دون يصعب على هذه الأجهزة الاستمرار في نشاطها الثقافي والإخباري والترفيهي، ذلك أن الإعلان يشكل نحو ٧٥ في المئة من دخل هذه الأجهزة، ولاسيما في عصر الخصخصة، وانتشار القنوات الفضائية والصحف التي يصدرها أفراد وجماعات وهيئات لا تحصل على دعم من الحكومات أو الأجهزة الأخرى، إلا أن هذا لا يعني أن تتحول هذه الوسائل إلى قنوات لبث السموم ونشر الرذيلة والانحطاط بالغريزة البشرية، وانهيار السلوك الإنساني والتباس الحق بالباطل، والهدى والضلال والخير بالشر، ولا سيما وقد درجت الكثير من أجهزة الإعلام على الحصول على الإعلان بأي شكل أو صورة.

ويتعامل المعلن مع المساحة الزمنية التي اشتراها التلفاز أو الراديو، والمساحة المكانية التي اشتراها من الصحيفة باعتبارها جزءاً من ممتلكاته الخاصة يتصرف فيها كيف شاء حتى لو أدى ذلك إلى تدمير الإنسان والقضاء على فكره السليم، ودفعه دفعاً إلى السلوك غير السوي، وإحداث البلبلة والفتنة بين أفراد المجتمع وجماعاته، وتنمية السلوك الاستهلاكي لدى الناس، وأخطر ما في الإعلان هو تأثيره على السياسات العامة للدولة باعتباره قوة اقتصادية كبيرة تؤثر على صانع القرار، وتدفعه دفعاً إلى اتخاذ المواقف حسبما يريده المعلن.

وقد ظهرت في الفترة الأخيرة في الصحف العربية إعلانات غاية في الغرابة تسهم في هدم البنية الأساسية للإنسان، وتجاوزت هذه الإعلانات كل حدود حتى طالت العقيدة الدينية وتراث الأمة وحقائق التاريخ، فأصبحنا نرى إعلاناً طبياً يزعم صاحبه القدرة على القضاء على مرض العقم بصورة نهائية، وينص الإعلان على أنه: «لا عقم بعد اليوم» متجاهلاً النص القرآني الذي حسم فيه الحق جل وعلا هذا الموضوع في قوله عز من قائل: (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير)، والإعلانات التي تعلن عن «سحور راقص في رمضان»، وكذلك الإعلانات التي تروج لكتب هابطة ومنشورات تسيء لثوابت الأمة وأصولها.

وإذا أضفنا إلى ذلك الإعلانات التي تروج لسلع فاسدة وبضاعة راكدة بهدف ترويجها ولو على حساب صحة الإنسان وحياته ومستقبله، وكذلك الإعلانات التي تعمل على تسويق الخمور، وتعمل على بث الرذيلة والفساد في المجتمع كإعلانات السهرات الليلية والفن المبتذل والطرب الهابط والذي يعمل على الانحطاط بأذواق المشاهدين والمستمعين والقراء.

ووصل الأمر في بعض الإعلانات إلى الاستخفاف بعقول المتلقين ومخاطبة غرائزهم الدنيا وحاجتهم إلى الطعام والشراب والجنس، والتي تشجع على الانفتاح بين الشباب والفتيات، والرجال والنساء تقليداً للمجتمعات الغربية التي حققت أعلى درجات التقدم بسبب إطلاق هذه العلاقة بلا حدود، ومن اللافت للنظر في هذا اللون من الإعلانات إقحام المرأة في كل إعلان، حتى لو لم تكن لها به علاقة كالإعلان عن شفرات الحلاقة والملابس الرجالية، والروائح التي تجذب المرأة إلى الرجل، وتجذب الرجل إلى المرأة، وتجعل منه شخصية محبوبة بين النساء.

وأخطر أنواع الإعلانات هي تلك التي تستهدف الطفل الذي لا يكاد يميز بين الخطأ والصواب أو بين الهدى والضلال، ولكنه ينساق بحكم تكوينه الغريزي نحو المضمون الذي يقدمه له الإعلان، وقد كشفت الدراسات العلمية عن التأثير الخطير الذي يتركه الإعلان على عقلية الأطفال ووجدانهم بفعل غريزة التقليد والمحاكاة التي تلعب دوراً فاعلاً في سلوكهم في هذه المرحلة العمرية، وهكذا يكشف عن خطورة هذا اللون من الإعلانات ولا سيما إذا أدركنا أن الأطفال يقضون أمام التلفاز أربعاً وعشرين ألف ساعة في العام، مقابل اثنتا عشرة ألف ساعة في قاعات الدرس، هذا ما أكدته دراسة لليونسكو أخيراً.

وأخطر أنواع الإعلان هو الذي يسعى للترويج للمبادئ والمعتقدات، والذي يلتبس فيه الأمر، فلا يعرف المشاهد أو المستمع أو القارئ ما إذا كان هذا إعلاناً أو مقالاً، فيخلط بين المادة الإعلامية والمادة الإعلانية، وهنا يتم وضع السم في العسل، فيلتهمه المتلقي دون أن يشعر، وما أكثر الضحايا الذين سقطوا ضحية إعلانات وهمية حتى أن المعلنين أصبحوا في كثير من دول العالم يتحكمون في صناع القرار أنفسهم.

وعلى الرغم من مواثيق الشرف، وقوانين الصحافة والتوصيات التي انتهت إليها الندوات التي طالبت بوضع حد للإعلانات التي تؤثر على سيكولوجية الجماهير وعلى أخلاقهم، إلا أن كل هذه المحاولات لا تزال حبراً على ورق بينها وبين الواقع بون كبير، وهذا يتطلب وقفة جادة لوضع حد لهذا النهم المادي الذي يقضي على الزرع والضرع، ويؤدي في النهاية إلى التأثير على القيم وانحطاط الأخلاق. ■

تاريخ

إطلالة تاريخية على مأساة قوصوه



بقلم : د. جمال الدين سيد محمد

تشكل منطقة البلقان حتى الآن بؤرة للتوترات والصراعات وتمثل عقدة خطيرة للغاية في أوروبا، عقدة استعصت على الحلول السلمية، وبخاصة أنها تحمل أكثر من سابقة في اندلاع الصراعات العرقية، بل حتى في نشوب الصراعات الدولية، حيث إن ذكرى الحرب العالمية الأولى واندلاع شراراتها الأولى في سراييفوا مازالت عالقة في الأذهان.

ومازلنا نشهد حتى الآن استمرار تداعيات المذابح الدموية التي ارتكبها النظام الصربي ضد مسلمي البوسنة تحت رماد اتفاقية دايتون للسلام التي أوهمت مختلف الأطراف بعودة السلام إلى المنطقة بمجرد توقيعها، ونسيان كل طرف ما وقع له على يد الطرف الآخر، وهذا أمر كشفت الأحداث الجارية في المنطقة عن أنه كان مجرد سراب وحلم خيال. ومن هنا جاء الإلحاح المبكّر المستمر على الغرب من جانب الألبانيين في قوصوه، «أي كوسوفا»، لكي يتم إنقاذهم من العمليات الوحشية للقمع والتطهير العرقي التي تقوم بها القوات الصربية ضدهم، ولكي يتم مد مظلة حفظ السلام من البوسنة إلى قوصوه.

وبدأ لابد أن نشير إلى أن الصحف والمجلات العربية التي اعتادت على كتابة اسم هذا الإقليم «كوسوفو» نقلاً عن وسائل الإعلام الصربية واليوغسلافية والغربية، ثم بدلته خلال الأحداث الأخيرة إلى «كوسوفا» نسبة إلى النطق الألباني لاسم الإقليم، وأرى أن الاسم الأصح والأقرب إلى الواقع هو الاسم العربي للإقليم «قوصوه»، وهو الاسم الذي سنجده في المراجع العربية والعثمانية القديمة. ومن الطريف أن المصدر الأساسي لاسم إقليم «قوصوه» هو «قوص» وهي كلمة تعني طائر الشحرور، وهو طائر مغرد من فصيلة الشحروريات.

وإقليم قوصوه يقع في الجنوب الغربي من صربيا، وعلاوة على حدوده مع صربيا، له حدود مع مقدونية وألبانيا والجبل الأسود، وتبلغ مساحة الإقليم ١٠,٨٨٧ كيلو متراً مربعاً، ويعيش على أرضه نحو مليون وثلاثمئة ألف نسمة، ٩٠ في المئة منهم من أصل ألباني، وعاصمته برشتينا، وأهم مدنه بيتش، بريزرن، كوسوفسكا ميترفيتسا وجاكوفيتسا.

ويتمتع إقليم قوصوه بمناخ قاري معتدل مع وجود تأثيرات مناخية من منطقة البحر الأبيض المتوسط، وبه أراض زراعية خصبة، كما يمتلك ثروات معدنية ضخمة، ففيه كميات هائلة من الفحم، ويعد منجم تريبتشا أكبر منجم للفحم في يوغسلافيا السابقة وأوروبا، هذا علاوة على إنتاجه لكميات كبيرة من الرصاص والزنك والذهب والفضة والنيكل، أما سكانه فيشتغلون بالزراعة والرعي والتعدين وصناعات الأغذية والنسيج وصناعة الأخشاب والكيماويات. وبالرغم هذا الثراء في الخامات والموارد الطبيعية، إلا أن إقليم قوصوه يعد من أفقر المناطق اليوغسلافية والأوروبية من ناحية الدخل، وأقلها نمواً، فمع نهاية الثمانينات، لم يتجاوز عدد المشتغلين في أعمال منتظمة ١١,٥٪ من إجمالي عدد سكان الإقليم، ويمثل متوسط الدخل في الإقليم ثلث متوسط الدخل على المستوى اليوغسلافي، هذا بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الأمية والوفيات في الإقليم، ولذا فإن الخبراء يرجعون أساساً أسباب التوتر السايسي في الإقليم إلى تردي الأوضاع الاقتصادية فيه، ونحن نرى أيضاً أنه أحد الأسباب الرئيسة.

تاريخ الإقليم

وإذا أردنا استجلاء جذور أزمة قوصوه واستقراء أسباب الموقف الصربي المتشدد تجاه استغلال الإقليم يتعين علينا ضرورة سبر أغوار تاريخ هذا الإقليم من خلال إطلالة تاريخية سريعة يمكن أن تلقي مزيداً من أضواء الحقيقة على الأوضاع السابقة والحالية في الإقليم وعلاقة الصرب بالألبانين في قوصوه.

وتفيد المراجع التاريخية أنه منذ العصر الحجري وقوصوه مستوطنة بالسكان الأصليين من قبائل الايليريين الذين هزموا الرومان في عامي ٧٥ - ٩ قبل الميلاد، وبعد تقسيم الإمبراطورية الرومانية في العام ١٩٥م، أصبحت قوصوه تابعة لبيزنطة، وفي أواخر القرن السادس الميلادي استوطنها السلاف، ويمكن القول إن هذه هي بداية الصراع بين الألبانيين الذين ينتمون إلى الإيليريين، وبين الصرب الذين ينتمون إلى السلاف، ويوضح هذا قدم الصراع بين الجنسين على الصعيدين التاريخي والنفسي.

وعقب وفاة الأمبراطور البيزنطي ما نويلا في العام ١١٨٠م استولى الحاكم الصربي ستيفان نيمانيا

(١١٦٨م - ١١٩٦م)، بشكل نهائي على منطقة قوصوه وغيرها من مناطق الجنوب مؤسساً بذلك أول دولة للصرب، وحصل على التاج الملكي من روما، كما منحته بيزنطة الاستقلال للكنيسة الصربية.

وينكر الصرب تتابع حقب التاريخ ويقلبون الواقع ويبنون على هذه الحقيقة التاريخية بمفردها ادعاءهم الباطل بأن منطقة البلقان وبخاصة إقليم قوصوه هو موطنهم الطبيعي ومهد حضارتهم ومكان مولد أول دولة صربية ولذا يعتبرون أن لهم فيه حقوقاً تاريخية، وذلك بالرغم من حقائق التاريخ التي تفيد بأنه في عهد الدولة الإقطاعية الصربية كان يعيش في قوصوه سكان من جنسيات مختلفة «الصرب السلاف، الألبان الإيليريون، الغلاس الرومانيون».

وقام الفتح العثماني لمنطقة البلقان بتغيير خرائطها، حيث جرت في أغسطس العام ١٣٨٩م المواجهة الحاسمة بين الأتراك العثمانيين والصرب على أرض قوصوه، ولقي الصرب بقيادة الملك لازار كربليانوفيتش شر هزيمة، وتم أسره وإعدامه، كما لقي السلطان مراد العثماني مصرعه على يد فدائي صربي يدعى ميلوش أوبليتش.

وبناء على هذه المعركة يستند الصرب أيضاً في دعواهم إلى أن قوصوه هي الأرض المقدسة التي ارتوت بدماء أجدادهم في حربهم ضد العثمانيين، وهي دعوى غير منطقية، وهناك العديد من الباحثين والمؤرخين ممن يدحضون ادعاءات الصرب في قوصوه، بل ينعتونهم بأنهم محتلون لأرضها.

ومنذ معركة قوصوه والصرب يتوارثون التطلع إلى قوصوه باعتبارها أرض ميعادهم، ويعتبرون التفريط فيها بمثابة التفريط في أساس وجودهم، ويتناسون أنها في الوقت نفسه أرض ميعاد الألبانيين، وتتجه إليها أنظار كل الألبانيين الموجودين خارج ألبانيا والمشتتين في أنحاء مختلفة من البلقان وباقي دول أوروبا.

وانعكست هذه الهزيمة العثمانية للصرب انعكاساً سيئاً على تاريخ صربيا التي فقدت تماماً استقلالها وأصبحت دولة تابعة للدولة العثمانية، كما تركت انطباعاً عميقاً للغاية لدى أفراد الشعب، وانعكس ذلك أيضاً في مجموعات القصائد الشعبية وغيرها من أجناس الأدب عن هذه المعركة المأساوية.

ولاحظ المتخصصون الأهمية التاريخية والمعنوية والرمزية الكبيرة لإقليم قوصوه في التراث القومي الصربي، باعتباره رمزاً لمقاومة الاحتلال العثماني ومهداً للأرثوذكسية الصربية.

وبعد معركة قوصوه واستيلاء العثمانيين على السلطة في هذه المنطقة، استغل النمساويون «الكاثوليك» سخط الشعب وجذبوا إلى صفوفهم الصرب والألبان الكاثوليك في حروب مضادة للعثمانيين على فترات مختلفة، وفي تلك الفترة نفسها، قام الصرب بهجرة جماعية من قوصوه إلى المناطق عبر نهري السافا والدانوب، وسرعان ما استوطن مكانهم السكان المسلمون وأغلبيتهم من الألبانيين.



ولما انهزم الأتراك العثمانيون في حرب البلقان في العام ١٩١٢م، تم ضم قوصوه إلى صربيا، الأمر الذي تم تأكيده باتفاق لندن للسلام في العام ١٩١٣م.

وخلال الحرب العالمية الأولى، وقعت قوصوه في الفترة من العام ١٩١٥م وحتى ١٩١٨م تحت احتلال الإمبراطورية النمساوية الهنغارية، ومنذ العام ١٩١٨م أصبحت مرة أخرى في إطار صربيا، أو بتعبير أدق في إطار مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين، واستغلت الحكومة البرجوازية لهذه المملكة أصوات الألبانيين في التصويت على الدستور في العام ١٩٢١م.

إلا أن هذه الحكومة لم تف بوعودها، ولم تمنح الألبانيين والأتراك حقوقهم القومية والديموقراطية الأساسية، ونظراً لأن هذه الدولة كانت لا تعترف إلا بوجود ثلاث قوميات فيها، فقد كان الألبانيون والبشانقة المسلمون شيئاً زائداً في هذه الدولة السلافية، وكانوا يشكلون حالاً شاذة في إطارها، وللتخلص من هذه الحال الشاذة، مارست السلطات في هذه الدولة سياسة علنية استهدفت طرد الألبانيين خارج حدودها، وتحولت هذه الدولة آنذاك باعتراف كل المؤرخين إلى بلد نموذجي من حيث الاضطهاد القومي في أوروبا، وتركز الإرهاب على الألبانيين والبشانقة المسلمين مما جعلهم محرومين من أي حقوق قومية وثقافية وذلك بهدف وضعهم في حال تخلف كاملة اقتصادياً وثقافياً لدفعهم إلى البحث عن الخلاص في الهجرة إلى خارج البلاد.

الاسم العربي للإقليم «قوصوه» هو الأصح والأقرب إلى الواقع

وبعد حرب أبريل واستسلام المملكة في العام ١٩٤١م، قسم المنتصرون (إيطاليا وألمانيا وبلغاريا) قوصوه فيما بينهم، وإبان هذه الحرب تعاون بعض الألبانيين في إقليم قوصوه مع قوات النازيين المحتلين، الأمر الذي زاد الطين بلة، وأضاف نقطة سوداء أخرى في تاريخ العداء بين الصرب والألبانيين، وولّد موجة من الرغبة في الانتقام لدى الصرب بعد انتهاء الحرب، إلا أن الأغلبية العظمى من الألبانيين اشتركوا مع البارتيزان في حرب التحرير الشعبية اليوغسلافية، وتم تحرير قوصوه في أواخر نوفمبر العام ١٩٤٤م، وفي العام ١٩٤٥م أصبحت قوصوه إقليماً ذا حكم ذاتي في إطار صربيا، غير أنه لم يتم تطبيق هذا بشكل عملي، وأكد دستور العام ١٩٦٣م على هذا الوضع.

وفي دستور العام ١٩٧٤م، تم الاعتراف بقوصوه على

أنها وحدة مساوية لغيرها من وحدات الاتحاد الفيدرالي اليوغسلافي، ووفقاً لهذا الدستور، تمتعت قوصوه بنظام سياسي متطور أتاح لها عقد اتفاقات دولية في المجالات الاقتصادية والثقافية وغيرها، واستغل سكان الإقليم هذه الأوضاع في مد جسور التعاون مع الجارة الأم ألبانيا الطامحة إلى إقامة دولة ألبانية كبرى في منطقة البلقان، ونتيجة لذلك نمت المشاعر الانفصالية في الإقليم وإن كانت قد ظلت تحت الرماد بسبب القبضة الحديدية للجنرال تيتو.

إلا أن الأمر تغير كلية بعد وفاة تيتو في العام ١٩٨٠م، فقد أخذت النزعات الانفصالية لدى مختلف القوميات تظهر على السطح، وتصاعد التوتر في إقليم قوصوه بتكرار المظاهرات الانفصالية وصاحبها نمو بعض المشاعر العدائية تجاه الأقلية الصربية في الإقليم، التي هاجمت القيادةالصربية لعدم تدخلها لحمايتها، وفي الوقت نفسه تصاعد التعصب الصربي ونجم عنه تولد تيار قوي لأن يستعيد الصرب دولتهم الكبرى، وأخذ زعماء صربيا المتعطشون للتوسع والسيطرة يحيكون الخطط ويدبّرون المؤامرات لإقامة دولتهم، ودفعهم حقدهم الدفين للإسلام والمسلمين إلى التحرش بمسلمي قوصوه الذين قاوموا هذه المحاولات.

وفي مارس العام ١٩٩٠م وضع الصرب دستوراً جديداً قضوا بمقتضاه على الحكم الذاتي لقوصوه من غير موافقة رئاسة الاتحاد اليوغسلافي وهي القناة الشرعية آنذاك لكل تغيير يراد القيام به، وتم ضم الإقليم إلى الأراضي الصربية وحرمانه من كل الامتيازات التي كان قد حصل عليها خلال حكم تيتو، كما تم طرد الكثير من الألبانيين بزعم أنهم ينتمون إلى ألبانيا، وأرسلت صربيا عشرات الآلاف من رجال الشرطة الصرب لإحكام سيطرتها على الإقليم، وقاوم الألبان هذه النزعة التوسعية وخرجت مظاهراتهم مطالبة بحقوقهم الشرعية، وكان رد الصرب هو استخدام القوة العسكرية وقمع المظاهرات وقتل عشرات من الألبانيين وجرح المئات منهم. وامتد القمع إلى أعضاء برلمان قوصوه، الذين ردوا على ذلك بإعلان جمهورية قوصوه وإعلان دستور جديد في العام ١٩٩٠م.

ومع انهيار الاتحاد اليوغسلافي ونمو الحركات الانفصالية داخله واستقلال وحداته السياسية الفيدرالية اجتمع البرلمان في قوصوه في ١٩٩٢/٩/٢٢م، وأعلن قوصوه دولة مستقلة ذات سيادة وتم إجراء استفتاء خاص على هذا القرار وتشكلت حكومة ألبانية جديدة وأجريت انتخابات رئاسية فاز فيها الأديب د. إبراهيم روجوفا بمنصب رئاسة جمهورية قوصوه، إلا أنه حتى الآن لم تعترف أي دولة باستقلال قوصوه.



هناك حملة تطهير عرقي ضخمة لاستئصال الوجود الإسلامي من منطقة البلقان

إبراهيم روجوفا

وجدير بالذكر أن د. إبراهيم روجوفا البالغ من العمر ٥٣ عاماً ناقد ومترجم ومؤرخ للأدب، وهو رجل أكاديمي كان يعمل أستاذاً في جامعة برشتينا قبل توليه منصب الرئاسة، كما أنه شخصية تتمتع بصلات دولية واسعة.

وتخرج في قسم اللغة الألبانية وأدابها في جامعة برشتينا وتابع دراساته العليا في باريس، ومنذ العام ١٩٧٢م وهو يعمل في معهد الدراسات الألبانية في برشتينا وله مؤلفات أدبية عدة، وتم في العام ١٩٨٨م انتخابه رئيساً لرابطة كتاب قوصوه.

وتجرى في الوقت الحالي حلقة جديدة من حلقات التوتر المتفجرة في هذا الإقليم، حيث يتصاعد العنف الدموي المتبادل بين قوات الشرطة والميليشيات الصربية المسلحة من جهة، وقوات التحرير الألبانية المطالبة باستقلال قوصوه من جهة أخرى، وفي هذا المضمار مارس الصرب ضد الألبانيين في قوصوه كل ألوان التعذيب والقتل والاعتقالات.

والمعن في الأساليب الوحشية التي استخدمها أفراد الشرطة والميليشيات الصربية ضد سكان قوصوه يلحظ أنها لا تخرج عن نمط المحاولات المماثلة السابقة، بل ترقى في رأي البعض إلى حد شن حملة تطهير عرقي ضخمة لاستئصال الوجود الإسلامي من منطقة البلقان بكل صورة ممكنة، ولكنها حتى الآن لم تنجح في تحقيق هذا الهدف. وحتى يجدوا من أوروبا آذاناً صاغية، أشاع الصرب أنهم يعتبرون أنفسهم حماة أوروبا المسيحية في منطقة الحدود الجنوبية الغربية من خطر الأصولية الإسلامية، ومن الإرهاب والتطرف، وصرح زعماء الصرب علناً بأن الصراع في قوصوه ليس بين الصرب والألبان، وإنما بين الإسلام والمسيحية، والحقيقة التي أصبح الجميع يعرفونها أنهم يتهمون المسلمين بالتطرف والإرهاب فقط لإيجاد مبرر للقضاء عليهم.

ومما لا ريب فيه أن من سوء حظ مأساة قوصوه أن الوقائع التاريخية قد اختلطت بالأساطير الخيالية والموروثات والمعتقدات الدينية والأطماع الدفينة بالمكنونات النفسية والأحقاد الكامنة، ونجح الصرب في أن يصنعوا من كل هذا توليفة عنصرية لا مثيل لها في التاريخ، وهي التوليفة العجيبة التي تستند إليها مزاعمهم وادعاءاتهم بأن قوصوه تمثل جزءاً مهماً للغاية في ضمير الشعب الصربي وتاريخه.

ومادامت تجيد الكذب وتجد الآذان الصاغية التي تصدقك، فالخطأ ليس خطأك، وإنما خطأ من يصغون إليك ويصدقون أكاذيبك، دون وعي وموضوعية ومنطق، وربما عن عمد. ■

دراسات قرآنية

إن المفترض في المسلمين، أن يفوق اهتمامهم بالقرآن كل اهتمام، لأن الاهتمام بالقرآن، يعني الاهتمام بكل شيء في الحياة، حيث إن القرآن قد حوى جميع الأسس العلمية والعملية التي يمكن أن يرجع إليها الإنسان في قواعد سيره، ولكن الذي وقع مع الأسف هو القرآن، أصبح الوثيقة التي تعتبر آخر ما يذكر في الحياة العامة والخاصة، رغم أن الكثير من قضايانا لا يمكن فهمها إلا بالعودة للقرآن، من خلال هذا الموضوع أحاول لفت الانتباه إلى قضية من قضايا القرآن، التي أحسب أن لها خطرها على حياتنا الفكرية والدعوية، وهي محاولة، شأنها شأن كل محاولة تبدأ وتطالب الغير بالاتمام والإكمال.

معجزة القرآن وعجز المسلمين

بقلم : التهامي إبراهيم مجوري

معجزة القرآن بين الأمس واليوم

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ليكون معجزته الرئيسية لخلقه، كما كانت نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - حجة عليهم، فهو تلازم غير قابل للانفكاك، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أراد لرسالته الخاتمة الخلود والدوام، غير مرتبطة بزمان ولا بمكان ولا بشخص، بل إن الله امتنع عن ربط النبوات بالمعجزات المادية القابلة للزوال والانطفاء، كما كانت معجزات الأنبياء السابقين، كعصا موسى، وإبراء الأكمه، والأبرص لعيسى، وناقة صالح... وغيرها من المعجزات المرتبطة بزمان أو بقوم أو بنبي (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) الإسراء:٥٩، وشاء سبحانه أن يكون القرآن هو الوحي والرسالة العقدية والتشريعية والأخلاقية والتربوية، إضافة لكونه المعجزة الخالدة التي تحدى بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - قومه، المتضمنة للنبوة ومقاصدها في الحياة.

فقد صدع الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن في بداية الدعوة بمكة، وأذعن العرب للمعجزة الجديدة طوعاً وكرهاً، وكان لطرقات القرآن للقلب العربي، ووقعها عليه بادياً ولم يكن خافياً على أحد، ولولا «الأنانية» الجاهلية والاعتداد بالذات لأسلم كل العرب للقوة الفكرية وصلابة الإعجاز اللذين يحملهما القرآن، وقد ظهر شيء من ذلك في قصة سجود المشركين عند سماعهم لأواخر سورة النجم عند قوله تعالى: (أفمن هذا الحديث تعجبون. وتضحكون ولا تبكون. وأنتم سامدون. فاسجدوا لله واعبدوا) النجم: ٥٩ - ٦٢.

وبقي هذا الوقع القرآني وإعجازه حتى بعد انتقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة رغم اختلاف الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع المدني عن المجتمع المكي، فقد أسلم كبير أحبار اليهود «ابن سلام» الذي سئل عن آية في القرآن (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فقال: بل يعرفونه أكثر مما يعرفون أبناءهم... وهذه الإجابة إبراز لجانب جديد من جوانب الإعجاز التي يتضمنها القرآن الكريم، حيث إن العرب قبل ذلك وفي مكة على وجه الخصوص قد لا تكون مهتمة بأكثر من الجانب الفني الأدبي دون سائر جوانب الإعجاز، ولذلك نلاحظ في السيرة النبوية أن الكثير من المعجبين بالقرآن وأسلوبه سواء من الذين أسلموا أو من الذين لم يسلموا قد سحرهم القرآن بحلاوته وطلاوته ورفعة أسلوبه كما وصفه عتبة.

فأهل المدينة هم غير أهل مكة، وما تأثر به أهل مكة ليس بالضرورة يؤثر على أهل المدينة، وبالتالي فقد انتبهوا لما أغفله المجتمع المكي، واكتشفوا ما لم يكتشفه أهل مكة لأن معجزة القرآن وخلودها تقتضي أنها تتجدد بتجدد الحاجة الإنسانية وقدراتها العقلية لتقوم الحجة على الإنسان.

ولظروف تاريخية معروفة، مرت بها الأمة الإسلامية، تخلّف المسلمون عن المعجزة الكبرى «القرآن الكريم»، وتخلّف تجدد المعجزة عن المعطيات والواقع الذي وصل إليه الإنسان بسلبياته وإيجابياته، وتحوّل القرآن الكريم من «معجزة» تهز الدنيا ويذعن لها العقل البشري بما أوتي من عطاء علمي وفكري إلى وثيقة يتبرك بها في المآتم والمناسبات الأليمة.... وتحول تبنيه إلى صورة شاحبة تنفث المهدئات والمسكنات لعقل ساكن لا يحرك شيئاً، فأصبح المسلم الذي كان يستنطق «اللفظ» القرآني استنطاقاً لا يتجاوز التغني بأمجاد الماضي وما فعل أجداده وما قام به أسلافه، وفي أحسن الأحوال يبحث في القرآن علّه يجد من الألفاظ ما يؤكد أو يشير إلى كشف علمي جديد قام به أحد من علماء الغرب أو من علماء المسلمين، في حين أن القرآن وما

يحوي من إعجاز أكبر وأقدس وأعلى من أن تستعار له صورة من صور الكشف العلمي حتى يصدق، ولا سيما أن روح الإعجاز القرآني قد تجاوزت التدليل على صحة النبوة والوحي إلى التدليل على صحة الفكرة ذاتها وعلى صحة علاقتها بالله من غير نبي يدعى محمد أو عيسى أو موسى عليهم الصلاة والسلام، وقد ارتقى الإنسان من مستوى الاعتراف بالوحي اعتماداً على المادة إلى مستوى الايمان بالفكرة الصحيحة مجردة عن الماديات الملموسة، والمعجزة كما جاء بها القرآن الكريم ليست متروكة للصدفة، وإنما هي لاصقة بالقرآن الكريم وبالنبوة، غير منفصلة عنهما، والقرآن لا ينتظر البحّار «كوسطو» حتى يقوم بجولته البحرية ليظهر معجزة القرآن، أو الآية المعجزة، أو غيره من أصحاب الكشوفات العلمية.

علاقة المسلمين بالقرآن

قبل الوصول إلى مدى علاقة القرآن بالسنة، وعلاقة الوحي بالمعجزة، ليتسنى لنا فهم مدى حاجة العالم للقرآن وللمعجزة كما أرادها الله، وإقامة الشهادة التي هي من صفات هذه الأمة ـ أمة الرسالة الخاتمة ـ لابد من النظر في علاقة المسلم المعاصر بالقرآن الكريم، ومستوى تفاعله معه (لتكونوا شهداء على الناس) الحج: ٧٨.

لا يشك عاقل في أن علاقة المسلم المعاصر بالقرآن ضعيفة جداً لا ترقى إلى مستوى وجوب التمسك به وبمقاصده، فضلاً عن إدراك مراميه ومواطن الإعجاز المتجددة فيه، ولا أدل على ذلك مما نشاهده من يوميات المسلم، فهو يقرأ القرآن، ويحافظ على ورده اليومي، ويستشهد به في كثير من المواطن، ويستحضر قصصه، ومع ذلك نجد هذا المسلم بعيداً كل البعد عن روح ذلك القرآن الذي يقرؤه ويستشهد به ويستحضر قصصه.

والسبب في ذلك في تقديرنا هو الضعف الذي اعترى المسلم عبر العصور، بدءاً من عصر توقف الاجتهاد إلى يومنا هذا، حيث سقطت من حساب المسلم الروح الاجتهادية التي تكشف عن مكونات القرآن، التي تغوص في أغواره العميقة، متأثراً في ذلك بالمحيط العام الذي فرض قيمه المتخلفة على الدين والوحي فرضاً.

فاللغة التي نزل بها القرآن الكريم (... بلسان عربي مبين) لم يعد لها وجود في الواقع، إلا في أذهان بعض النخبة، بل إن النخبة لم تسلم من تأثيرات المحيط السيئة، لأن اللغة في أساسها، هي معاني قائمة بأذهان الناس، وليست مجرد ألفاظ تتناقلها الأقلام أو تتقاذفها الألسن، فهي معانٍ قبل ذلك، ولو بحثنا عن معانٍ لألفاظ معينة قرآنية كانت أو حديثية في أذهان المسلمين لوجدناها مشوهة، ولا تعبر عن اللفظ الوارد في القرآن أو السنة، خذ مثلاً لفظ «الحكم» الوارد في كثير من الآيات القرآنية، فإنه في أذهان الناس والخاصة منهم أو النخبة المثقفة لا يعني غير «السلطة السياسية» بالرغم من أن اللفظ عام يشمل كل مستويات الحكم، فقول الله سبحانه: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون... الفاسقون... الظالمون)، لفظ ينسحب على كل من لم يحكم بما أنزل الله سواء كان هذا الذي لم يحكم بما أنزل الله في السلطة أو خارجها، فالذي لا يصلي لا يحكم بما أنزل الله، والمرأة التي لا ترتدي الحجاب، والإمام الذي لا ينصح مأموميه، والقاضي الذي لا يقتضي بما أنزل الله... كلهم لا يحكمون بما أنزل الله، ولكن الظاهر أن غياب السلطة التي تتبنى تحكيم شرع الله هو الذي جعل الأنظار تتجه إلى الاهتمام بحكم السلطان دون غيره، اعتقاداً في أن صلاحه يعني صلاح الباقين، إلى أن انحرف المعنى المقصود عن معناه الصحيح.

وكذلك معنى لفظ «الخير» الوارد في قوله تعالى في سورة آل عمران: ١٠٤: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير...)، فما معنى الخير؟ الظاهر من موقعها في الآية، أن لها شأن عظيم ومعانٍ ضخمة، ولكن ما تحمله عقليات المسلمين المعاصرة لا تتجاوز تصورها للجمعيات الخيرية، والتي تهتم بالتطوع والمساعدات بفضول المال والوقت والجهد... أما ما يبني الحضارات وما يضاهي الجهود الكاملة فهو عمل أكثر من الخير، أو هكذا نتخيل الأمور على الأقل، وما قلناه من ضعف في تصور الحكم والخير نقوله عن تصورنا للدين فنقول هذا متدين، في الوقت الذي يكون فيه المتدين مبتدعاً، وغير المتدين قد يكون كافراً أصلاً، أو مقصراً، بل ربما مؤمناً معتدلاً لا يظهر عليه المبالغة في التعبد والزهد وتشوه هذه المصطلحات وغيرها ينعكس سلباً على فهمنا للقرآن وللسنة، لأن اللغات تتأثر بالمحيط الاجتماعي والمحلي، واللغات المؤثرة والصانعة للذهنيات هي مع الأسف اللغات اللاتينية، وإذا أضفنا إلى ذلك ضعف اهتمامنا بلغتنا، نجد أنفسنا في واقع لا نحسد عليه، ويؤثر حتماً على علاقتنا بالقرآن من خلال سياقاته وفق الأسلوب العربي، فقوله تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ...) النساء:٣ فمن خلال هذا السياق القرآني، فإن المتبادر إلى الذهن هو ما علاقة الخوف من عدم القسط في اليتامى، والأمر بالتعدد في الزواج؟ وليس البحث مباشرة في حكم التعدد... وخوفاً من الإطالة والاستطراد، اكتفي بالقول إن المتتبع لأقوال المفسرين، يضع يديه على الكثير من الانزلاقات التي لا يبررها غير الاحتكام إلى التراث الفقهي، بدل من أن يحتكم الفقه إلى القرآن وإلى لغة العرب.

وسبب آخر لضعف علاقة المسلمين بالقرآن، وهو ضعف النظر السنني وكأن قداسة القرآن وقدسيته، ولدا في الذهنية الإسلامية أن الوجود لا يفسر.

وما يصعب من القرآن فهمه يقابل بالإيمان والتسليم ولا يبحث في كنهه، أما الكون، فهو كذلك غير قابل للكشف على خلاف ما كان عليه السلف، كانوا لا يقبلون الأمور هكذا مسلمة، ولعل من أقرب الصور التي أثارتها هذه الذهنية، موضوع النزول على سطح القمر، وإمكانات معرفة جنس الجنين في الأشهر الأولى من الحمل، فقد طال فيها البحث، وقامت المناقشات ولم تقعد ردحاً من الزمان، ولكن الواقع هو الذي فرض نفسه، ولم تعد

هذه القضية من المشكلات، بل إن من يعتبرها مشكلة يعد من الدراويش ومن المتخلفين.

إن هذه الظاهرة تعرف بالخرافية، أو البعد عن السننية، ولو كان ذلك على حساب الواقع المعيش، هي ظاهرة مجانبة للعلم والصواب، لأنها تنكر قضايا ظاهرة وتامة الوضوح نتيجة فهم قاصر للقرآن الكريم، كما مر معنا في قضية جنس الجنين ذكراً أو أنثى في الأشهر الأولى من الحمل، فقد نفاها كثير من الناس ردحاً من الزمان، بحجة أن ذلك يتعارض مع اعتقادنا في «علم الله» والمعنى المراد من قوله تعالى: (ويعلم ما في الأرحام)، ولكن تحت ضغط الواقع، تبخر ذلك الفهم وحل محله فهماً آخر أرشد من الذي كنا عليه، وإذا كنا قد تداركنا الأمر هذه المرة، فإن السلامة لا تحالفنا دائماً إذا لم نؤسس لأنفسنا منهجاً سننياً، ينظر لسنن الله في خلقه، وإلى القوانين التي جعلها الله تحكم الحياة والكون، كنظرتنا لآياته في القرآن الكريم، ولا سيما أن التطور العلمي والكشف عن سنن الكون وعن الحياة قد أجراها الله على أيدي غيرنا من الكفار، وبالتالي فإننا سنجد فهومنا للقرآن مصطدمة مع الواقع الذي كشفت عنه العبقرية الغربية.

إن الله الذي أنزل القرآن، واختاره دستوراً للبشرية، هو نفسه سبحانه وتعالى الذي خلق الخلق وأخضعهم لسننه والكون الذي يعيشون فيه، والمفترض في الفاهم لكتاب الله والحريص على تطبيق آياته، أن لا يعجزه فهم المكتشف من أسرار الكون وهي أسهل من فهم آيات الكتاب، لأن آيات الكون ذات علاقة وطيدة بالحياة وبالدنيا، أما آيات الكتاب فهي نظرية وذات علاقة بالدنيا التي نعيشها وبالآخرة التي لها معادنا، ولذلك عجز الكفار عن إدراك الآخرة مع تمكنهم من التحكم في الكثير من الأسرار والآيات التي تحكم الدنيا (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فصلت: ٥٣.

ورغم التطور الفيزيائي الذي أحرزه الغرب، فإنه في أمسّ الحاجة إلى كشوفات المسلمين التي يحملها القرآن في مكوناته، إذا استيقظ المسلم وكشف عن عجزه في التعامل مع القرآن واستوعب المرحلة التي هو فيها، ورفع التحدي بتصحيح العلاقة التي بينه وبين القرآن الكريم، بالإضافة المعجزة التي تعاني من العجز الذي أصاب الأمة قروناً طويلة.

القرآن والنبوة والمعجزة

المعجزة كما عرّفها العلماء هي خارقة للعادة تظهر على يدي نبي أو مدع للنبوة لتيحدى بها قومه، وهو ما ينطبق على القرآن الكريم، فهو خارق للعادة في جملة من جوانبه ومن المعاني التي يحملها، من بشارة مستقبلية، ومن تحدي الله سبحانه وتعالى العرب أن يأتوا بشيء من مثله... إلخ، (وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين...) البقرة:٢٣، (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الإسراء: ٨٨، (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون. فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) الطور: ٣٣ - ٣٤.

إن وجوه الإعجاز في القرآن كثيرة أهمها أن هذا القرآن يحوي النبوة التي اختفى ظاهرها بوفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذلك لأن الوحي في الرسالة الخاتمة، هو القرآن المتضمن للأوامر والنواهي، شريعة للبشرية جمعاء، وهو المعجزة التي تحدث بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع قومه، ثم هو النبوة بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بحيث لو ظهر نبي الآن لا يزيدنا شيئاً عما ورد في الوحي، كما قال الأستاذ حاج حمد.

إن خلود رسالة الإسلام وعالميتها، يقتضي استمرار النبوة، واستمرار النبوة يتطلب بقاء محمد النبي المرسل بهذه الرسالة، عليه الصلاة والسلام، وهو ممتنع بحكم بشرية هذا الرسول، والذي حل محل الرسول الراحل هو القرآن نفسه الذي لا تنقضي عجائبه، فهو متجدد باستمرار، ومستجيب لكل تحديات العصور وما تجود به من تطورات، ومظاهر التقدم.

لا شك في أن العالم الآن لا يزال حائراً في هذا الكتاب الذي لم يتأثر، والذي لم يفقد قوته، رغم المحاولات المستمرة العاملة على تشويهه، بحسن نية المسلمين كما فعل النصارى مع كتابهم، أو بسوء نية غيرهم كما فعل اليهود، ومع ذلك بقي القرآن على صورته التي أنزله الله عليها، غير قابل لأي تحول أو تغير.

وإن كان الناس منصرفين باهتماماتهم صوب الكشوفات العلمية بحكم تأثرهم بالمادية والفلسفة الوضعية، فإن روح القرآن أوسع وأرحب من ذلك بكثير، وإن كان الإنسان المعاصر وبخاصة المسلم قد بهرته تلك «الظواهر الطبيعية» التي تناولها القرآن، وأشار إليها أو لمح لوجودها، فإن ما هو موجود ولم يكتشف بعد أكثر وأعمق وأدق، وأكثر فقهاً للحياة الإنسانية، وهي الآيات التي وضعت أسس «علم الإنسان»، كما أطلق عليها المرحوم «محمد إقبال» الأجنة القرآنية.

إننا نسمع بين الحين والآخر، أن هناك محاولة لتحريف القرآن، ولكنها سرعان ما تكتشف، وعندما يسمع أياً كان هذا السامع - صوتَ مرتل - فإنه مباشرة يميزه عن غيره من القراءات والألحان... وعندما نقرأ القرآن، فإننا نقرأ كلاماً عرفناه في معاجم اللغة العربية، ونقرأ معاني نفهمها كما نفهم لغة العرب وأساليبهم، ولكنه كلام ليس ككل كلام، بل إن للقرآن معاني أعمق مما اعتدنا... إنه كلام الله اللطيف الخبير، فقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم، وهذا الوحي ليس القرآن فقط، وإنما هو السنة أيضاً «إلا إني أوتيت الكتاب ومثله معه إلا إني أوتيت القرآن ومثله معه لا يوشك رجل ينثني شبعاناً على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال، فأحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه...» رواه أحمد في المسند. ■

المسلم المعاصر بين القيم الإسلامية والمصالح الشخصية

بقلم: حيدر قفة

يسمع الناس ويقرأون هذه الأيام عن القيم الإسلامية، في مجال الحفاظ عليها، والدعوة إلى ترسيخها وتنشئة الأبناء عليها، في مقابل من يحاول - باسم التطور - تجاوزها، وتبني قيماً أخرى وافدة من الشرق أو من الغرب، في ظل التحذير من رياح السموم التي تهب على هذه الأمة منذ زمن، واشتدت ضراوتها بدخول الأطباق اللاقطة إلى بيوت كثير من الناس، ولن يلفظ القرن العشرين أنفاسه بعد سنوات إلا ويكون هذا الاختراع، «الأطباق اللاقطة» قد دخل كل بيت تحت ألف مبرر ومبرر، مما يدفع الغيورين على هذه القيم إلى الاستنفار للدعوة إلى هذه القيم.

وقد يكتب الكُتَّاب، ويخطب الخطباء، ويصيح المصلحون، لكن الكلمة تبقى مبهمة عند كثير من الناس، ولا سيما البسطاء منهم، عندما يسمعون كلمة «القيم الإسلامية»، ما معنى القيم؟ ولماذا يدعو الناس لها؟ ولماذا يحذر العقلاء من فقدانها؟ وما خطورة تجاوزها؟... أسئلة كثيرة في حاجة لتجلية، بوضع النقاط على الحروف، حتى لا يلتبس الأمر على البسطاء والعوام، وتبقى الكلمة مجرد لغز مبهم.

وقبل الحديث عن هذه القيم، لابد لنا من الإشارة إلى بداية تاريخ هذه الأمة، فقبل بعثة النبي - ﷺ - كانت الجزيرة العربية في وضع لا تحسد عليه، والقبائل التي فيها لا تشكل أمة بالمفهوم الحضاري للأمة، فعلى المستوى السياسي كانت قبائل متناحرة تشغلها التوافه من الأمور، لأنه لم يكن لهم هدف عظيم يسعون إليه، فلأي سبب تافه كانت تشتعل الحروب الضروس، وتستمر عشرات السنين، وتأكل الأخضر واليابس، وتورث الأحقاد والثارات والأحزان، مما جعلهم مستضعفين في شبه جزيرتهم، فأطرافها مستعمرة لجيرانها من الفرس والروم والأحباش، بولاءات هذه القبائل لهذه القوى الثلاث، أما على المستوى الاجتماعي، فكانت العلل والأدواء تنهش في كيان القبائل، لكثرة ما في حياتهم من سوءات الربا، والخمر، والبغاء العلني، والاستعباد... إلخ هذه الرذائل، فضلاً عن الداء الأكبر الذي تتولد عنه كل الشرور، وهو الشرك بالله، وعبادة الأصنام، فأنى لقبائل هذه أحوالها أن تقوم لها قائمة، أو تشكل دولة، أو تكوّن أمة؟

بعث الله محمداً - ﷺ - والقبائل العربية على هذه الحال، فدعاها إلى التوحيد، ونبذ كل فرقة واختلاف، وإلغاء كل نقيصة، والتجاوز عن الأحقاد، فلما امتثلوا لذلك، ووحد الإسلام شتاتهم، وألف بين قلوبهم، وارتفع بهم عن سفاسف الأمور، وشغلهم بِهَمٍّ عظيم ومبدأ كريم، وهو حمل هذه الرسالة إلى العالمين، انطلق جحفلهم، وانداح في الأرض يبلغ رسالة الله إلى الناس، ففتح الفتوح، وأنار القلوب، وبدأت مسيرة الألف ميل في تكوين الأمة الإسلامية، التي عمودها تلك القبائل العربية التي كانت من قبل تضرب في تيه الأرض.

كيف استطاع محمد - ﷺ - أن يفعل ذلك؟ إنه توفيق الله أولاً، ثم القيم العظيمة التي جاء بها، فحملها الناس بقوة، بالتطبيق والسلوك والالتزام، لا بالحفظ والاستظهار والكلام.

فالقيم الإسلامية إذاً، هي تلك المبادئ العظيمة، التي التزم بها المسلمون الأول، فطبقوها سلوكاً عملياً في حياتهم، وألزموا بها أنفسهم وأهليهم وذراريهم، بإرشاد من القرآن، وتوجيه من الرسول - ﷺ - حيث يصحح لهم أخطاء التطبيق حتى استقامت حياتهم على هذه القيم، وأصبحت تجري في حياتهم مجرى العادات. وتطاول الزمان، والقيم الإسلامية في حياة الناس كالعادات، ونسي كثير من الناس أنها قيم إسلامية، وابتدع الناس عادات من عند أنفسهم استحسنوها واستملحوها، فاختلطت العادات هذه بالقيم الإسلامية تلك، ولم يعد أحد يفرق بين ما هو عادة، وما هو قيمة من قيم الإسلام. وبتنا نسمع بعض الناعقين والناعقات، الذين ينادون بمحاربة العادات البالية، والتقاليد الرجعية، دون التفريق الدقيق بينها، فأدخلوا القيم الإسلامية من حيث لا يدرون أو من حيث يدرون!! في الأمور التي يريدون محاربتها وإلغائها وتجاوزها.

وهنا، لابد من التفريق بين القيمة الإسلامية، وبين العادة الاجتماعية أو التقليد الاجتماعي حتى تتضح الأمور. فالقيم الإسلامية تميزها أربعة أمور:

أولاً: إنها مدعومة بنص من القرآن الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت: ٤٢.

ثانياً: إنها تكون مدعومة بنص من سنة المصطفى - ﷺ - قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

ثالثاً: إنها طبقت في حياة النبي - ﷺ - وتحت إشرافه والتزم بها الصالحون من لدن الرعيل الأول، جيل الصحابة «رضوان الله عليهم» الذي شهد الله له بأنه كان خير أمة «جماعة» أخرجت للناس.

رابعاً: إن التاريخ يشهد أن هذه القيم عندما طبقت تطبيقاً سليماً، بعثت العرب من مرقدهم، وأحيتهم من مواتهم، وكونت بهم النواة للأمة الإسلامية التي دالت لحضارتها حضارات الأمم الأخرى حيناً من الدهر.

أما العادات والتقاليد، فتنشأ في ظل أصحاب النفوذ والقوة «مال أو جاه أو سلطان» فيقلدهم لأقل حظاً بدافع الانبهار والاستلاب ظناً منهم أن هذا التقليد يسلكهم في طبقة أولئك الأقوياء أو يقرب الشبه بينهم، ثم تنتقل العادة أو التقليد من فرد إلى فرد حتى تسري في جماعة ما سريان النار في الهشيم، فإذا تطاول العهد، أحلوها محل القدسيات في حياتهم، وهذا باطل، لأن العادة أو التقليد قد تنشأ عن قوي مريض فلا يجارى في مرضه وهوسه، وحتى تتضح الأمور نضرب مثالين من حياة الناس. في الأعياد مثلاً، قد يتباهى قوي «مال أو جاه أو سلطان» بتقديمه نوعاً من الضيافة لزواره، ونتيجة للانبهار والاستلاب اللذان يعاني منهما الأقل حظاً أو رتبة يحرص على تقليده في ذلك، فيصبح هذا الصنف من مستلزمات الضيافة في الأعياد في منطقة ما.

في الزواج مثلاً، قد يتباهى قوى «مال أو جاه أو سلطان» في إظهار قوته وسلطانه وجاهة حباً في التعالي والتميز والتفرد، ورغبة في بُعد الصيت، فيسرف في حفل الزفاف في المكان أو الهيئة أو الحضور أو... أو...، فيأتي الأقل حظاً فيقلده، وقد يدخل حلبة الصراع قوي آخر من باب المنافسة ورد الصاع صاعين، فتتأصل هذه العادة في هذه المنطقة من الأرض. فإذا كان الإسراف، والمباهاة، والافتخار، وطلب الصيت، والتعالي... إلخ، أمراضاً نفسية تأباها العقول السليمة والأخلاق الكريمة، فكيف نجعل ما يصدر عنها من سلوك، أدى إلى عادة أو تقليد، في منزلة قيمة من قيم الإسلام التي صورت عن رب العالمين، وإرشاد رسول أمين، وتطبيق خيرة البشر بعد الأنبياء؟! ولكي تتضح الأمور أكثر، لابد لنا من عرض بعض قيم الإسلام، لنرى كيف أصّلها القرآن والسنة، ورسّخها التطبيق من الرعيل الذي رضي الله عنهم: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) الفتح:١٨، وجذرتها عمليات الالتزام من الصالحين في الأجيال المتعاقبة.

أولاً: احترام العالم وتبجيله

هذه قيمة من قيم المجتمع الإسلامي، عرف بها، وحرص عليها، فكيف كان تأصيلها وترسيخها؟ فمن حيث التأصيل نجد آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة، نختار منها للتدليل فقط: قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر:٩، ويقول أيضاً: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة:١١.

ويقول رسول الله - ﷺ : «... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء»(١)، وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: ذُكر لرسول الله - ﷺ - رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال - ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته، وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»(٢)، وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا»(٣). ونلاحظ في النصوص السابقة المنزلة التي اختصها الإسلام للعلماء في الدنيا والآخرة، ولعل في حديث أبي أمامة ما يفيد تحديد فئة العلماء المقصودين بهذه المنزلة «معلم الناس الخير» فتحصرها فيمن نذروا أنفسهم لتبليغ دعوة الله وإرشاد الناس، وإن كنت أميل إلى إدخال أي عالم اخترع أو توصل لشيء ينفع البشرية، لأن النص لا يحجر واسعاً وعلى كل فهو تابع للمعنى الأصلي الذي يتبادر للذهن من العبارة السالفة، ونلحظ أيضاً التهديد الرعيب الذي يتوعده الإسلام لمن خالف هذه التعليمات فأساء للعلماء أو انتقص من قدرهم، فلكأنه يهدد بسحب الجنسية منه «ليس من أمتي» مما يجعل السفهاء يتراجعون عن غيهم. أما التطبيقات التي رسخت هذه القيمة في المجتمع الإسلامي، فهي من الكثرة بحيث يعجز الباحث عن حصرها، وحسبنا أن نشير إلى بعضها.

أ - ركب زيد بن ثابت - رضي الله عنه - فأخذ ابن عباس - رضي الله عنهما - بركابه، فقال: لا تفعل يا بن عم رسول الله - ﷺ - قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال زيد: أرني يديك، فأخرج يديه فقبلهما، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.(٤)

ب - كانا لمأمون قد وكل الفراء النحوي أن يلقّن ابنيه النحو، ففي ذات يوم أراد الفراء أن ينهض إلى حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء ليقدماها له، فتنازعا، أيهما يقدمها له؟ ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة، وكان للمأمون وكيل على كل شيء خاص، فرفع ذلك إليه في الخبر، فوجه إلى الفراء واستدعاه، فلما دخل عليه، قال له: من أعز الناس؟ فقال: لا أعرف أحداً أعز من أمير المؤمنين، فقال: بل من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله وليّا عهد المسلمين حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فرداً.(٥)

ج - مرض أحمد بن حنبل، فجاء الشافعي ليعوده، فوثب أحمد وقبّل ما بين عينيه، وأجلسه مكانه، وجلس بين يديه، فلما قام الشافعي ليركب قام أحمد فأخذ بركابه، ومشى بجوار بغلته يودعه.(٦)

د - قال أبو محمد الجريري: وافيت من الحج فابتدأت بالجنيد فسلمت عليه، وقلت: حتى لا يتعنّى، ثم أتيت منزلي، فلما صليت الغداة، وإذا بالجنيد خلفي، فقلت: يا سيدي، إنما ابتدأت بالسلام عليك لكيلا تتبعني إلى هنا، فقال: يا أبا محمد، هذا حقك وذاك فضلك.(٧)

هذه بعض السلوكيات في غابر أيامنا الرائعة، فماذا نجد في واقعنا المعاصر؟ تلميذاً يأتي من سفر، فيتثاقل عن زيارة أستاذه متعللاً بأن الحق له وعلى الأستاذ أن يأتيه، أو نجد أباً يقدم ابنه من عمله في مكان بعيد، أو يأتيه زائر من سن أولاده، فيتصل هاتفياً بعالم لينبهه لوجود فلان عنده، وليتفضل بالقدوم للسلام عليه!! حتى في يوم العيد، يبدأ الناس بالأغنياء والكبراء والوجهاء وكل من ينفع في الدنيا أو يضر، بينما يؤخر العلماء وأهل الفضل، ذلك أن الأمر عندهم لم يصعد إلى إدراك مغزى التوجيه الإلهي، وربطه دوماً بقوله: (ابتغاء وجه الله) ولو أن المرء أدرك هذا المغزى لعرف أن إرضاء الله وابتغاء وجهه أهم ألف مرة من إرادة الدنيا وابتغاء رضى أهلها.

ثانياً: احترام كبير السن

وهذه قيمة أخرى من قيم المجتمع الإسلامي، وقد تبدو للناظر أنها القيمة السابقة نفسها «احترام العلماء» بيد أنها تفرق عنها في شمول كبار السن سواء أكانوا علماء أو غير علماء، الاحترام لمجرد فارق السن، وتقدم العمر، فكيف أصّل الإسلام هذه القيمة؟ قال رسول الله - ﷺ : «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم»(٨)، وقال أيضاً: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا»(٩)، ونصوص أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، أما في مجال التطبيق لهذه القيمة العظيمة في المجتمع الإسلامي فحدث عن الكثرة ولا حرج، بيد أننا سنقتطف بعضاً منها.

أ - عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - يوماً لأصحابه: «أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن» فجعل القوم يذكرون شجراً من شجر البوادي، قال عبدالله: وألقي في نفسي أو روعي أنها النخلة، فجعلت أريد أن أقولها، فإذا أسنان القوم «أي من هم أكبر مني سناً» فأهاب أن أتكلم، فلما سكتوا، قال رسول الله - ﷺ : «هي النخلة»(١٠).

ب - عن قيس بن عباد قال: أتيت المدينة للقاء أصحاب محمد - ﷺ - ولم يكن فيهم رجل ألقاه أحب إليّ من أُبي، فأقيمت الصلاة، فقمت في الصف الأول، فجاء رجل فنظر في وجوه القوم، فعرفهم غيري، فنحاني وقام مقامي، فما عقلتُ صلاتي، فلما صلى، قال: يا بني! لا يسوؤك الله، فإني لم آت الذي أتيت بجهالة، ولكن رسول الله - ﷺ - قال لنا: «كونوا في الصف الذي يليني»، وإني نظرت في وجوه القوم فعرفتهم غيرك، وإذا هو أُبي - رضي الله عنه (١١).

ج - وعن ابن أبي الزناد عن أبيه عن الثقة، قال: كان العباس إذا مرَّ بعمر أو بعثمان، وهما راكبان، نزلا حتى يجاوزهما، إجلالاً لعم رسول الله - ﷺ (١٢).

د - ولما ولي عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - جاءته الوفود للتهنئة، فقام

غلام ليتكلم عن وفد الحجاز، فقال عمر: كبر... كبر... ليتحدث من هو أسنُّ منك.(١٣)

اغترفنا هذه المواقف من بحر حياتهم الفياض المليء بحكايات سلوكهم الرفيع، فماذا في واقعنا المعاصر؟! التزاحم في الشوارع، ركوب الحافلات في المدن الكبيرة وإصرار الشباب على البقاء في مقاعدهم لأنهم الأسبق أو لأنهم دفعوا الأجرة تاركين عجوزاً أو أكثر يكابد السقوط لأي اهتزاز في المركبة، بل قد يصل الأمر أن يؤثر الناس السلامة بعدم الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر لشباب نزق يرتكب تجاوزات كثيرة مخافة أن يسمع كلمة نابية أو توبيخاً.

ثالثاً: تيسير الحلال

وهذه قيمة عظيمة من قيم المجتمع الإسلامي، حيث دائرة الحلال وساعة ميسرة، ودائرة الحرام ضيقة معسرة، ونحن لا نستطيع في هذه المقالة ذكر مجمل ما يندرج تحت هذا العنوان، ولكننا نأخذ طرفاً منه وهو الزواج مثلاً، كيف عالج الإسلام هذه القضية الحيوية في حياة الناس توسيعاً لدائرة الحلال، وتضييقاً لدائرة الحرام؟ أما في النصوص، فقد قال رسول الله - ﷺ - «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»(١٤)، وقال أيضاً - ﷺ - : «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»(١٥)، فحصر النبي - ﷺ - الكفاءة في الدين والخلق، ولم ينكر الغنى وسعة المال وغيرها من عروض الدنيا ضمن الشروط، قال عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - ألا لا تغالوا صَدُقَة النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، وتقوى عند الله، لكان أولاكم بها نبي الله - ﷺ - ... (١٦)، وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - قال رسول الله - ﷺ - : «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»(١٧). وإذا كانت هذه هي النصوص، فكيف كان تطبيق الصالحين من أمة محمد - ﷺ - بدءاً نقول: إن الصالحين يهمهم بالدرجة الأولى صلاح الحال والتقوى، ولا يهمهم الغنى والجاه والسلطان، لأنهم يريدون الله والدار الآخرة، وهذه نماذج ثلاثة من عصور مختلفة.:

أ - خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء ابنته «الدرداء» فرده، فقال رجل من جلساء يزيد: أصلحك الله، أتأذن لي أن أتزوجها، قال: اغرب ويلك، قال: أتأذن لي أصلحك الله؟ قال: نعم، فخطبها فأنكحها أبو الدرداء، فسار ذلك في الناس، أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فرده، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه، «فلما بلغ القول أبا الدرداء» قال: إني نظرت للدرداء، ما ظنكم بالدرداء، إذا قامت على رأسها الخصيان، ونظرت إلى بيوت يلتمع فيها بصرها... أين دينها منها يومئذ.(١٨)

ب - ومن عصر التابعين، نجد العلم الفرد أوحد زمانه سعيد بن المسيب - رحمه الله - يزوج أحد تلاميذه «عبدالله بن أبي وداعة» على درهمين، ويرفض مصاهرة الوليد بن عبدالملك، رغم التهديد والوعيد، والإغراء بكل زينة الحياة الدنيا، فلم تلن له قناة، واختار لابنته الأصلح في دينها ولآخرتها.(١٩)

والخير في أمة محمد - ﷺ - إلى يوم القيامة، ولا يخلو عصر من عصور هذه الأمة من رجال صالحين وضعوا الدنيا وزخرفها تحت أرجلهم، وتطلعوا لما يرضي الله فقط، وحسبهم بذلك غنى، وفي جعبتي الكثير عن هؤلاء، ولكني أسوق نموذجاً واحداً، أمثل به للعصر الحديث.

ج - حدثني صاحب الشأن وهو محل ثقتي، أنه خطب إليه أحد شباب الإسلام ابنته، وكان شابا متعلماً امتحن في ذات الله فصبر واحتسب، ولكنه قليل المال، والعروس مازالت صغيرة السن، لكنها صالحة للزواج، فسأله: كم تملك من المال؟ قال: لا أملك إلا راتبي - وهو يسير - لكنه يكفيني وزوجتي إذا قدر الله لنا ذلك؟ قال: كم معك الآن؟ قال: ما تبقى من راتب هذا الشهر بضع دنانير «لا تزيد عن خمسة عشر دولاراً» فقال: امض فاشتر بعض الحلوى «قطع كيك» وادع من شئت من معارفك ليشهدوا فقد قبلت مصاهرتك.

وكان الأمر، ودعوا عشرة من الرجال، وأشهروا النكاح، فلما كان الشهر الذي يليه اشترى الزوج «العريس» فرشتين، ووسادتين، وبطانيتين، وحصيرة، وبعض مستلزمات الطبخ، ولم يكن يملك ثمن ستائر للنوافذ، فستر زجاجها بأوراق الجرائد، ودخل على عروسه، هم «اليوم» أسرة مكونة من الأب والأم وسبعة من الأطفال، وقد وسع الله عليهما فجددا فراش البيت، وملكا من الأثاث والرياش والأدوات كما يملك نظرائهما إن لم يكن أحسن. المجتمع الإسلامي مازال مليئاً بأهل الخير، وأنا على يقين أن فيه مئات من أمثال سعيد بن المسيب، كما فيه مئات من أمثال عبدالله بن أبي وداعة، لكن الأمر يحتاج إلى تنسيق، فليس كل أحد في جرأة عمر بن الخطاب.

وبعد، هذه نماذج لبعض القيم الإسلامية، وهي في صراع مع القيم الاجتماعية من جانب، والمصالح الشخصية من جانب آخر، وما لم يتدارك العقلاء أمر بعث قيم الإسلام وترسيخها في المجتمع، فسنجد أنفسنا ومجتمعاتنا نهباً لقيم وافدة عبر البحار والمحيطات تزلزل كيان الأمة، حتى يُصبح باطن الأرض خير من ظهرها عند أهل المروءة والأحرار من الناس. ■

الهوامش :

١ - حديث حسن، انظر الترغيب والترهيب ج١ ص٩٤، رقم ٧.
٢ - حديث صحيح، انظر الترغيب والترهيب ج١ ص ١٠١، رقم ٣١.
٣ - حديث صحيح، انظر الترغيب والترهيب ج١، ص١١٤، رقم ٦.
٤ - كتاب عبدالله بن عباس للدكتور مصطفى الخن، ص ٧٦.
٥ - كتاب من أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان، ص ١٤١
٦ - كتاب الإمام الشافعي لعبدالغني الدقر، ص ١٢٠.
٧ - كتاب عوارف المعارف للسهروردي «ملحق بالإحياء» ص ٢٠٥.
٨ - حديث حسن، الترغيب والترهيب، ج١، ص١١٣، رقم ٢.
٩ - حديث صحيح، الترغيب والترهيب، ج١، ص ١١٣، رقم٥.
١٠ - حديث صحيح، صحيح مسلم، ج٤، ص٢١٦٥، رقم ٦٤.
١١ - إسناده صحيح، سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ٣٩٦.
١٢ - سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٢، ص ٩٣.
١٣ - كتاب عمر بن عبدالعزيز، لعبدالعزيز سيد الأهل، ص ١٣٥.
١٤ - رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، انظر الترغيب والترهيب، ج٣، ص ٤٣، رقم ١٢.
١٥ - رواه الترمذي، وقال الألباني عنه: حديث حسن، انظر مشكاة المصابيح، ج٢، ص ١٦٠، رقم ٣٠٩٠.
١٦ - رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة، والدارمي، وقال عنه الألباني، إسناده صحيح انظر المشكاة، ج٢، ص ١٨٩، رقم ٣٢٠٤.
١٧ - رواه البيهقي في «شعب الإيمان، وسكت عنه الألباني، انظر المشكاة ج٢، ص١٦١، رقم ٣٠٩٧.
١٨ - كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، ص ١٤١ - ١٤٢.
١٩ - القصة ممتعة، وهي موجودة في ترجمة سعيد بن المسيب، انظر - على سبيل المثال - الطبقات الكبرى لابن سعد.

أحكام

الاختلاط في ظل الشريعة الإسلامية

بقلم: د. أ. أحمد الحجي الكردي

الاختلاط معناه العام هنا، هو: اجتماع الرجال مع النساء في مكان واحد، وهو أمر وارد وواقع في حياة الناس جميعاً، على اختلاف أعرافهم ودياناتهم ومجتمعاتهم، وهو حاصل في الأسواق والشوارع، ويحصل بين المسلمين في صلاة الجماعة، وفي الطواف حول الكعبة المشرفة، والوقوف بعرفة، ورمي الجمرات.... وهو مأذون به شرعاً بشروطه، كما يحصل بين القاضي والشهود والمدعي والمدعى عليه، إذا كان بعضهم من الرجال والبعض الآخر من النساء، وربما صعب على الإنسان حصر حالات الاختلاط التي تعم بين الناس في أعمالهم اليومية.

والاختلاط بمعناه السابق الأصل فيه المشروعية، وفاء بحاجات الناس التي لا مندوحة لهم عنها، إلا أن بعض صوره ينتج عنها أضرار ومفاسد فيمنع لأجلها، هذا إذا لم تقم ضرورة تتطلبه، فإذا تطلبته ضرورة أو حاجة ولم يمكن تلبية هذه الضرورة أو الحاجة إلا بالاختلاط، أذن به في حدودها، تقديماً للأهم على المهم، للقواعد الفقهية الكلية التالية: (الضرورات تبيح المحظورات) و (الضرورات تقدر بقدرها) و(الحاجة تنزل منزلة الضرورة) و(الضرر الأشد يدفع بالضرر الأخف).

ولابد أن نفرق بين الاختلاط المباح والخلوة المحرمة، فإن الاختلاط كما تقدم تعريفه الأصل فيه الإباحة، ولا يمنع منه إلا لمحظور غالب، تيسيراً على الناس في أعمالهم، أما الخلوة فهي وجود رجل مع امرأة أجنبية عنه في مكان واحد من غير أن يكون مع المرأة زوج أو محرم، والأصل فيها التحريم إلا لضرورة أو حاجة غالبة في حدودها، دفعاً للفتنة.

وعلى ذلك نستطيع أن نبين حكم الاختلاط وحكم الخلوة وشروط كل منهما:

فالاختلاط بالمعنى المتقدم - هو اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد - الأصل فيه الإباحة بالشروط التالية:

١ - أن يكون مع الحجاب الكامل للمرأة وستر عورة الرجل، لقوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الأحزاب/٥٩.

٢ - ألا تكون المرأة متطيبة أو متزينة بزينة تعلم من وراء الحجاب، لقوله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) النور/٣١، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»، رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد والدارمي.

٣ - ألا يحصل في الاختلاط ملامسة الرجل للمرأة الأجنبية عنه، كالمصافحة مثلاً، لقوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) النور/٣٠ و ٣١، لأن النظر إذا كان ممنوعاً فالملامسة أولى منه بالمنع، وذلك محل اتفاق الفقهاء.

٤ - ألا يحصل بين النساء والرجال الأجانب عنهن حديث فيه تكسر أو إثارة للشهوات، لقوله تعالى: (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً) الأحزاب/٣٢، بل يقصر الكلام بينهم على الحد الذي تتطلبه المصلحة والحاجة، مع الأدب والاحتشام.

٥ - ألا تتقصد المرأة النظر إلى الرجال الأجانب عنها لغير حاجة غالبة، وألا يتقصد الرجل النظر إلى النساء الأجانب عنه لغير مصلحة غالبة، لقوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) النور/٣٠ و ٣١.

٦ - ألا يقصد كل من الرجال والنساء حين النظر لبعضهم بعضاً - الشهوة أو الإثارة، لأن ذلك مفسدة يُحرمها الشارع، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لاتتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والآخرة عليك» رواه أحمد والدارمي.

٧ - أن يحاول كل من الرجال والنساء التقليل من ساعات الاختلاط بينهم إلى الحد المحتاج إليه دون زيادة، وذلك لما يترتب على الاختلاط في كثير من الأحوال من مفاسد ينبغي التنزه عنها لقوله صلى الله عليه وسلم: «... كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه...» رواه مسلم.

٨ - ألا ينتج عن هذا الاختلاط مفسدة غالبة على ما فيه من المصلحة.

فإذا توافرت هذه الشروط كلها في الاختلاط بين النساء والرجال جاز، وإلا منع منه، لا لأن حكمه التحريم في الأصل، ولكن لاختلال شروطه.

أما الخلوة بالأجنبية - وهو وجود رجل مع امرأة أجنبية عنه في مكان واحد بعيداً عن أنظار الآخرين - فالأصل فيها التحريم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»، رواه الترمذي، ولا تباح إلا لضرورة أو مصلحة غالبة لا يمكن توفيرها إلا بها، كالطبيب في غرفة العمليات الضرورية مثلاً إذا تعذر حضور آخر معه. ■

من قضايا الطلاق في الفقه الإسلامي

صيـغ الطـلاق

بقلم : أ. د. محمد الدسوقي

الصيغ جمع صيغة، ويُراد بها ترتيب الكلام على نحو معين صالح لترتب الآثار المقصود منه، ومنه قولهم: صيغة البيع، وصيغة النكاح، وصيغة الطلاق. ويُقال : اختلفت صيغ الكلام، أي تراكيبه وعباراته. وصيغة الطلاق تنقسم باعتبار التقييد والإطلاق ثلاثة أقسام : منجزة، ومعلقة، ومضافة إلى زمن.

والصيغة المنجزة هي التي خلت من التعليق والإضافة، وأراد بها من أصدرها وقوع الطلاق، وترتب آثاره في الحال، كقول الرجل لزوجته: أنت طالق، وهذا هو الأصل في الطلاق، وحكم هذه الصيغة أن يقع الطلاق بها في الحال بشرط أن يكون الزوج أهلاً لإيقاعه، والمرأة محلاً له.(١)

وأما الصيغة المعلقة فهي التي تجعل وقوع الطلاق معلقاً على أمر سيحصل في المستقبل، فهي ترتب وقوع الطلاق على حصول ذلك الأمر بأداة من أدوات الشرط أو ما في معناها: كإن، وإذا، ومتى ونحوها، فيقول الرجل مثلاً لامرأته: إن زرت بيت فلانة فأنت طالق، أو كلما خرجت من دون إذني فأنت طالق. والتعليق نوعان : تعليق لفظاً ومعنى، وتعليق معنى فقط.

والنوع الأول هو ما ربط فيه وقوع الطلاق بحصول أمر في المستقبل بأداة من أدوات الشرط سواء كان الأمر المعلق عليه اختيارياً يمكن فعله، أو الامتناع عنه، أو غير اختياري.

والاختياري قد يكون من أفعال الزوجة نحو إن خرجت من دون إذني فأنت طالق، وقد يكون من أفعال الزوج نحو إن لم أسافر اليوم فأنت طالق، وقد يكون من فعل غيرهما نحو إن لم يسافر أخوك اليوم فأنت طالق. وغير الاختياري كقول الزوج: إن مات ابني فأنت طالق، فالموت لا دخل فيه لأحد من الناس.

فإذا كان المعلق عليه من فعل أحد الزوجين سمي تعليقاً وسمي يميناً أيضاً، لأنه يفيد ما يفيده اليمين من الحمل على الفعل، أو الامتناع عنه.

وإن كان المعلق عليه من فعل غير الزوجين، أو كان أمراً غير اختياري فهو تعليق بالاتفاق، وبعض الفقهاء يسميه يميناً للشرط والجزاء، وبعضهم الآخر لا يسميه يميناً، لأنه لا يفيد ما يفيده اليمين.(٢)

والنوع الثاني من التعليق، وهو التعليق معنى فقط، هو ما يفهم منه التعليق من دون ذكر أداة من أدواته كقول الزوج: عليّ الطلاق، أو يلزمني الطلاق لا أفعل كذا، فإنه في معنى: إن فعلت كذا فزوجتي طالق، وكقوله: عليّ الطلاق لأسافرنّ اليوم، فإنه في معنى إن لم أسافر اليوم فامرأتي طالق. وإذا كان هذا النوع من التعليق يُراد به تقوية العزم على فعل شيء في المستقبل، أو تركه فإنه يُراد به أيضاً نفي التهمة فيما يخبر به أو يفعله الزوج، كأن يقول عليّ الطلاق أن الثمن الذي أبيع به هذه السلعة أقل من ثمن شرائها، أو عليّ الطلاق أني لم أسرق فلاناً أو أضر به. وهذا اللون من التعليق هو الذي يسمى بالحلف بالطلاق، أو اليمين بالطلاق، فهو يفيد ما يفيده اليمين من الحمل على فعل شيء، أو تركه، أو تصديق المخبر فيما يخبر عنه.

حكم الطلاق المعلق

اختلف الفقهاء في حكم الطلاق المعلق، ومنشأ اختلافهم عدم ورود نص من الكتاب(٣)، أو السنة في هذا الطلاق، وعدم ورود النص الشرعي في مسألة من المسائل يفتح باب الاجتهاد، وتعدد الآراء فيها. ويرى جمهور الفقهاء أن هذا الطلاق بنوعيه يقع عند تحقق ما علق عليه، لعدم ورود النص، ولأن الطلاق قد شرّع للحاجة، وقد تدعو الحاجة إلى أن يكون بصيغة التعليق ولأن الزوج يملك إيقاع الطلاق منجزاً فيملك تعليقه، لأن الطلاق من قبيل الإسقاطات كالإبراء من الدين فيصح منجزاً ومعلقاً. وهذا الحكم بوقوع الطلاق المعلق مشروط بأن يكون الأمر المعلق عليه محتمل الوقوع في المستقبل، لأنه إن كان أمراً مستحيلاً كان التعليق لغواً، وإن كان أمراً محقق الوقوع أخذ الطلاق حكم التنجيز(٤)، كما أنه مشروط بأن يحصل هذا الأمر والرجل أهل للطلاق، والمرأة محل له.

وروي عن الإمام علي - كرم الله وجهه ورضي الله عنه - وبعض فقهاء الصحابة والتابعين أن هذا الطلاق باطل لا يقع به شيء، وذهب إلى هذا بعض الظاهرية.(٥)

ووجهة نظر هؤلاء الذين لا يرون صحة الطلاق المعلق أنه إذا كان لا يصح الزواج بصيغة معلقة، ولا تصح الرجعة كذلك بهذه الصيغة، فلا يقع الطلاق بها أيضاً.

ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى أن الطلاق المعلق الذي بمعنى اليمين غير واقع، وتجب فيه كفارة يمين إذا حصل المحلوف عليه «المعلق عليه الطلاق»، لحنثه في يمينه، وأن الطلاق المعلق على الصفة واقع عند حصول الذي علّق عليه الطلاق، وذلك أن الطلاق المعلّق الذي بمعنى اليمين يتضمن حضاً أو منعاً أو تصديقاً، بخلاف الطلاق المعلق على الصفة، فإنه يقصد به إيقاع الطلاق عند

وقوع الجزاء(٦) ومن ثم لا يقع الأول على حين يقع الثاني.

ولكن لماذا يلجأ الرجل إلى تعليق طلاق زوجته على أمر ما، سواء أكان منها أم من غيرها؟ هل يعد جاداً وصادق الرغبة في مفارقة زوجته؟ إنه لو كان صادق الرغبة في التطليق لما كان في حاجة إلى التعليق، فهو لا يلجأ إليه في الواقع لا ليطلق زوجته، وإنما ليحملها على ما يريد منها، أو ليدفع عن نفسه تهمة الكذب مثلاً، ولم يرد في الكتاب والسنة ما يدل صراحة على أن التعليق في الطلاق يؤدي إلى التفريق بين الزوجين، فكانت المسألة نظرية للاجتهاد فيها مجال ولهذا أميل إلى أن الرأي الذي يذهب إلى عدم وقوع هذا الطلاق أرجح الآراء وأقربها من مشروعية الطلاق، وهذا ما أخذت به بعض(٧) قوانين الأحوال الشخصية المعاصرة، حيث نصت على أن الطلاق الواقع هو الطلاق المنجز فقط، وأن ما سواه لا اعتبار له، استناداً إلى قول كثير من السلف والخلف، ومراعاة لمصلحة الأسرة، ومنعاً لسوء استخدام بعض الأزواج لحقه في الطلاق، والقول إن الزوج يملك الطلاق فيوقعه كما يشاء غير مسلم، لأن على الزوج أن يطلق وفق الشروط والقواعد التي وضعها الشارع وهي كثيرة، ومنها أن تكون الزوجة طاهرة من الحيض، وألا تكون في طهر واقعها فيه، وألا يدخل الطلاق على الطلاق، وأن يشهد على الطلاق على الرأي الراجح، وذلك حرصاً على تقليل الطلاق أو ندرته، فالشيء إذا كثرت شروطه وقيوده عز وجوده، فضلاً عن أن الطلاق ليس أمراً محبوباً ولا مرغوباً فلا يجوز أن نتلمس الأسباب لإيقاعه، وعلينا أن نسد كل المنافذ التي يمكن أن تفرق بين الزوجين، اللهم إلا إذا استحالت العشرة، واستحكمت النفرة وكان الزوج صادقاً في مفارقة زوجته، ولا يرغب في العيش معها، فإن الطلاق يصبح أمراً لابد منه، ويقع طوعاً للضوابط الشرعية.

الصيغة المضافة

الصيغة المضافة هي التي تقترن بظرف زمان بقصد وقوع الطلاق فيه، وهذا الزمان قد يكون مستقبلاً وهو الأغلب، كأن يقول الرجل لزوجته: أنت طالق في أول الشهر المقبل، وقد يكون ماضياً، كأن يقول: أنت طالق منذ أسبوع. وكما اختلف الفقهاء في الصغية المعلقة اختلفوا في الصيغة المضافة، فمنهم من يرى أن الصيغة إذا أضيفت إلى زمن مستقبل وقع الطلاق عند حلول الوقت الذي أضيفت إليه، مادامت المرأة عندئذ محلاً للطلاق، ولا يشترط أن يكون الزوج أهلاً للطلاق مادام كان أهلاً له وقت صدوق ما يدل عليه منه.(٨)

ومنهم من ذهب إلى أن الطلاق يقع في الحال، لأن بقاء الزواج من الإضافة إلى المستقبل يجعل عقد الزواج في حكم الموقت، بل قد يكون هذا التصرف ذريعة إلى نكاح المتعة، وهو منهي عنه، ويتعارض مع مبدأ التأبيد في هذا العقد، وذلك بأن يقول الرجل للمرأة بعد العقد عليها مباشرة، أنت طالق بعد شهر. وإذا أضيف الطلاق إلى زمن ماض يقع في الحال لدى طائفة من الفقهاء، بشرط أن يكون الزوج أهلاً لإيقاعه، والمرأة محلاً لوقوعه عند إنشائه فقط، كما يذهب بعض الفقهاء، أو عند إنشائه وفي الوقت الذي أضيف إليه كما يذهب بعضهم الآخر.(٩) والرأي الراجح أن الطلاق المضاف إلى زمن لا يعتد به فلا يقع، لأنه إن كان مضافاً إلى زمن مستقبل ففيه شبهة توقيت عقد الزواج، كما أن هذا الزمن قد يأتي ولا تكون المرأة فيه محلاً لطلاق، بالإضافة إلى ما يدخله على المرأة من ألم نفسي، فكيف تعيش مع رجل حياة زوجية طبيعية، وهي تنتظر اللحظة التي ستنهي علاقتها به وبحياتها معه، فكل يوم يمر عليها يدنيها من هذه النهاية المؤلمة وليست هناك ضرورة تحمل الزوج على أن يضيف الطلاق إلى المستقبل، وإذا كان قد عزم على أن يطلق زوجته في وقت ما فليمسك عن التلفظ بما عزم عليه حتى يأتي هذا الوقت، فيطلق إذا كانت المرأة محلاً للطلاق وكان هو أهلاً له. إن إضافة الطلاق إلى زمن مستقبل يجعله لفظاً باطلاً، لأن الإنشاء إنما يكون في الحال فقط، ولا يمكن أن يكون في الاستقبال.(١٠)

وأما المضاف إلى زمن ماض فإن الزوجية إذا لم تكن قائمة في الزمن الذي أضيف إليه الطلاق لم تكن الزوجة محلاً له، وإن كانت قائمة فيه فقد اقترن الطلاق بصفة لا يمكن تحقيقها، إذ لا يمكن رفع الحل في الزمن الماضي بعد أن تحقق وترتبت عليه آثاره(١١)، وهذا يعني أن الطلاق المضاف إلى زمن ماض لا اعتداد به، ولهذا لا يقع.

وجملة القول إن الصيغة المعلقة، وكذلك الصيغة المضافة لا تعبر عن جدية أو رغبة حقيقية في الطلاق، وهي تعد لهواً وتلاعباً بالحياة الزوجية التي يحرص الإسلام أبلغ الحرص على حمايتها واستمرارها، ولا يبيح انفصامها إلا عند الضرورة الملجئة ووفق الضوابط والآداب التي قررها، والتي لا يملك الزوج خروجاً عليها، ومن ثم لا يقع الطلاق بالصيغة المعلقة أو المضافة، وإنما يقع حسب الصيغة المنجزة. ■

الهوامش:

١ - انظر الفرقة بين الزوجين، لأستاذنا الشيخ على حسب الله ص ٤٨، ط الفكر العربي - القاهرة.

٢ - انظر: أحكام الأسرة في الإسلام للشيخ محمد مصطفى شلبي ص ٤٩٥ط، بيروت.

٣ - انظر: الطلاق المعلق، هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ص ١٠٥، ط. دار التقوى - بلبيس - مصر.

٤ - التعليق المستحيل كأن يقول الرجل لزوجته: إن دخل الجمل في سم الخياط فأنت طالق، ومثله التعليق على مشيئة الله تعالى لتعذر الوقوف عليها، وكذلك التعليق على أمر محقق الوقوع، فالتعليق في مثل هذا صوري، ويقع الطلاق في الحال.

٥ - انظر: الفرقة بين الزوجين ص ٥٠.

٦ - انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية المجلد ٣٣ ص ١٤١، ١٤٢، ط. قطر، وإعلام الموقعين (٣/٦٦).

٧ - انظر: قانوني الأحوال الشخصية الكويتي والمغربي.

٨ - انظر: أحكام الأسرة في الإسلام ص ٤٩٤.

٩ - انظر: الفرقة بين الزوجين ص ٤٩.

١٠ - انظر: نظام الطلاق في الإسلام للشيخ أحمد محمد شاكر ص ٢٠، ط مكتبة السنة بالقاهرة.

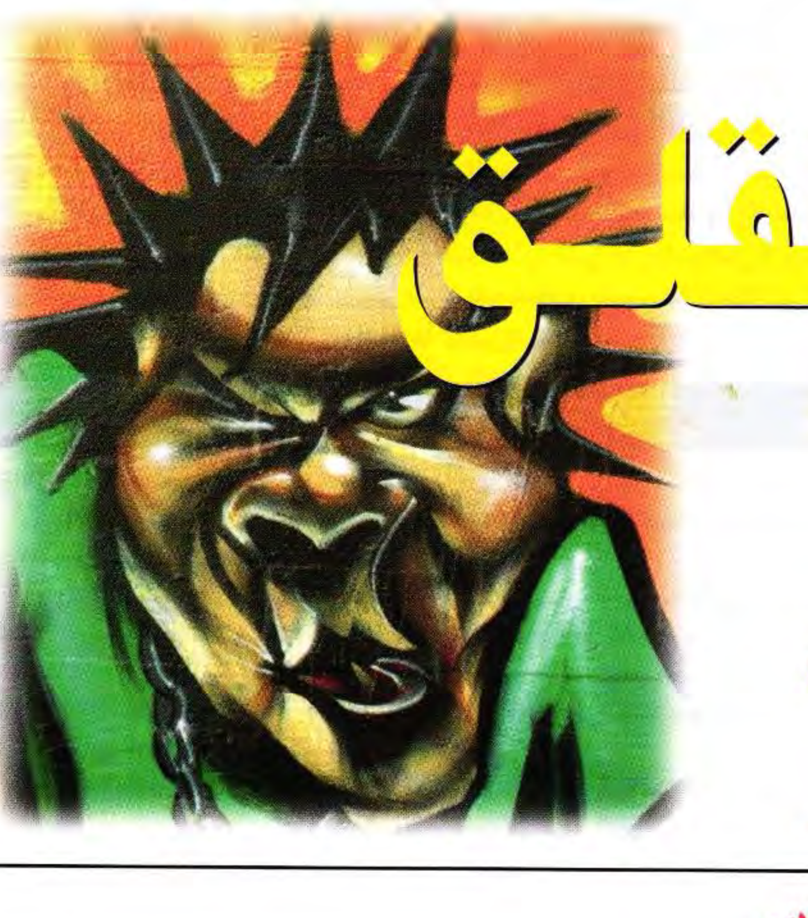
١١ - انظر: الفرقة بين الزوجين ص ٤٩، أي كيف يمكن أن تكون الزوجة مباحة وغير مباحة في الزمن الذي أضيف إليه الطلاق.

ظاهرة القلق لدى الإنسان المعاصر

بقلم : علال البوزيدي

الإيمان أساس الإشراق الدائم في القلوب والإطمئنان في النفوس والسعادة في الحياة عني الإسلام عناية شاملة بالفرد والأسرة والمجتمع وشملت اهتماماته العمل الاجتماعي بوجه عام وخير مايستدل به الباحث والمهتم في هذا المجال هو ماورد في نصوص الشريعة الإسلامية الخالدة وما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة وباختصار سنحاول التعرض إلى ذلك على سبيل الإلماح، وهكذا تطالعنا في هذا الباب توجيهات الرسول - ﷺ - الذي وصى الضمير الإنساني بالرحمة، التي هي علامة من علامات الإيمان الصحيح، وما أحوج المجتمع الإنساني إلى الرحماء فهم وحدهم القادرون على خلق التوازن واستمرار الحياة في جو من الانسجام والوئام بعيدا عن الصراع والحقد وهم مصدر الأمراض الاجتماعية التي فقدت أو تكاد تفقد السكينة والاطمئنان النفسي والإشراف القلبي مما ضاعت معه على الإنسان في هذا العصر لذة الممارسة لحياته الطبيعية نتيجة ما انتابه من القلق والتوتر والانفعال لأتفه الأشياء ولقاء تأثره بالمذاهب المادية وتهالكه على جمع الأموال وكأنه سيخلد في هذه الدنيا متناسيا المقولة التي تفيد: بأن طالب الدنيا كشارب الماء المالح، كلما ازداد شربا أزداد عطشا، ولعل طغيان هذا السلوك في حياة الناس هو الذي سبب ضياع السكينة وهداءة الأعصاب وأقحمهم في دوامة من التوتر والقلق وجلب لهم الهوس والصداع وما أروع قول النبي الكريم سيدنا محمد ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ في مناجاته لربه إذ يقول : «اللهم أحييني مسكينا وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين» وفي قول آخر للرسول - ﷺ - يؤكد فيه مواساة الضعفاء والأخذ بيد المحتاجين، من الأعمال التي يستجاب فيها الدعاء.

من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر ولما كان العمل الاجتماعي والرعاية الاجتماعية للفرد عملية لها قيمتها الكبرى في ترسيخ البناء المجتمعي وتصحيح الأوضاع الاجتماعية وتوطيد العلاقات الانسانية فقد ارتقى ذلك إلى أن يدخل في اعتبارها ما هو في حساب العوالم الأخرى والصورة المعبّرة عن ذلك هي تلك التي رسمها - ﷺ - في قوله: احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيّ الجبارون المتكبرون... وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم.. فقضى الله بينهما... فقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء.. وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء.



وتواترت الأحاديث والمواعظ والتوجيهات لتصحيح موقع الإنسان وتعزيز مكانته في المجتمع الإنساني وتم إرساء قواعد البناء الطبيعي للإنسانية على أساس المساواة الحقيقية والديموقراطية الفعلية في المجال الاجتماعي وعلى أساس التعامل الهادف إلى الخير عملا بقوله تعالى: (وتعانوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان) [المائدة/٢] والاعتناء بالإنسان كفرد ورعاية شؤونه ورفع مستواه المادي والمعنوي والفكري والأخلاقي والروحي، وانطلاقا من هذه الخصائص المثالية اهتم الفكر الإسلامي بمسألة رفع المستوى الاجتماعي للإنسان العادي الذي لا تتوافر

لديه أسباب الحياة الميسورة عملا بالميزان الذي يزن الله به أعمال العباد وهو ميزان العدل والإنصاف الذي لايبخس الناس أشياءهم والذي لاينفع معه إلا العمل الصالح والقلب المؤمن المشرق الذي لا أثر فيه للغلو والحقد وكما جاء في الأثر: (ان الله لاينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). وكم كان الرسول ﷺ يهتم بالفقراء وذوي الحاجات ويسعى الى مساعدتهم وفي هذا يقول: «لأن امشي مع أخ في حاجة احب إليَّ من أن أعتكف في مسجدي هذا شهرا».

النساء شقائق الرجال في الأحكام لهن مثل الذي عليهن بالمعروف

ومن هذا المنظور كان رسول الله ﷺ يعتني كثيرا بالعمل الاجتماعي والانساني وما ذلك عليه ﷺ بعزيز وهو المبعوث رحمة للعالمين والمنقذ للبشرية من الظلمات إلى النور.

ولنورد حديثه في الإشادة بأهمية الأعمال الصالحات التي جعل من ضمنها خدمة الجانب الاجتماعي حيث قال: «إن لله خلفاء خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله».

والفكر الإسلامي يعتبر استمداداً من نفحات النبوة واستلهاماً من نصوص السُنة والكتاب يرى في العمل الاجتماعي هدفا لرفع مستوى الضمير الاجتماعي واحترام حيويته وفعاليته، ولم يفرق في ذلك بين المرأة والرجل، بل يرى أنه لابد من تكامل العمل وتضافر الجهود بين الجنسين وفي هذا المجال يقول رسول الله - ﷺ - «إنما النساء شقائق الرجال في الأحكام لهن مثل الذي عليهن بالمعروف».

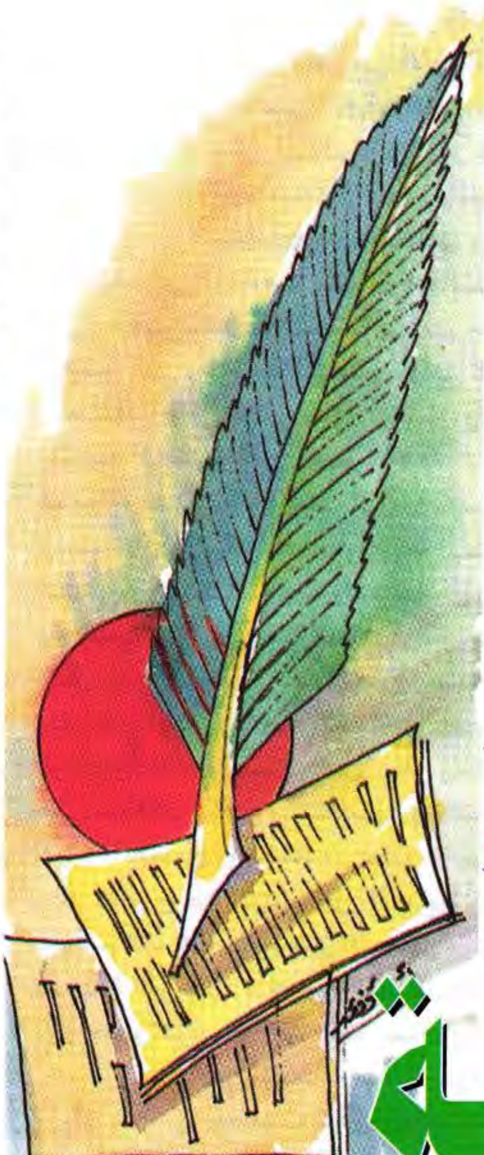
ومن هنا تأكدت عناية الاسلام بالمرأة بوصفها نصف المجتمع ولاخير في المجتمع اذا كان نصفه مشلولاً ونصفه الآخر متحركاً كما يقال، وقد اتفقت الآراء التي حددها الفكر الإسلامي والتي تقضي بوجوب العناية بالمرأة واحترام وجودها وتعزيز مكانتها في المجتمع بحسن تربيتها وتعليمها واعدادها الاعداد السليم كما هو الشأن لصنوها الرجل، ذلك لأن إهمالها يجعل منها عنصرا هامشيا وإنسانا يستحمل وهو غائب عن المجتمع رغم حضوره بل الأخطر من ذلك آفة من الآفات، كما تشير الى ذلك المقولة المعروفة: المرأة الجاهلة آفة على الاسرة إن لم تكن على المجتمع كله. خصوصا اذا استحضرنا الكثير من الاقوال المأثورة التي جاءت في هذا الباب والتي تشيد بدور المرأة في إصلاح المجتمع وتنشئة الأجيال باعتبارها المدرسة الاولى وهي وراء كل عظيم ولقد ساعد التطور الذي جاء به العصر الحديث المرأة ان تقوم برسالتها على الوجه المطلوب وتمارس الحياة ممارسة جريئة وصريحة اذا تسلحت بالوعي الاجتماعي، فليس معنى تحررها من الاحتجاب الذي كان يفرض عليها ان تظل حبيسة البيت وأن لا تجعل ذلك مطية الى الاستهتار والانحلال والتبرج والإباحية والتخلص من الأصالة والانسياق وراء تيار المعاصرة بكيفية عمياء، بل ينبغي لها ان تحافظ على أصالتها وتسير على أثر سلفها متحلية بالحشمة والمروءة والحياء حتى تكون للمرأة حرمة ووقاراً وتقديراً وإكراماً مستعملة العقل والضمير في الممارسة والسلوك والتصرف ولنبق في محاولة شرح مفهوم العمل الاجتماعي من منظوره الاسلامي وبحث الكيفية التي عالج بها الإسلام ظواهر التوتر او القلق والامراض الاجتماعية التي يعاني منها الإنسان وتسترشد في هذا السبيل بالمنهج المحمدي الذي يجعل للعلاقات الاجتماعية نمطا شاملا تنتظم به مختلف الحاجيات الفردية والجماعية على أساس الأدب وحسن المعاشرة والمعاملة وطيبة الاخلاق ،ففي الأدب النبوي الشمولية والحكمة فيه وللمجالس آدابها وللصداقة أدبها وللنصيحة وللسير في الطريق وللحديث وللزيارة وللمصافحة ولكل شيء يتصل بالعلاقات الإنسانية العامة والخاصة آدابه حتى في الأكل والنوم والمقابلة والجلوس والتحية، فهذا الأدب الرائع والخالد والصالح لكل زمان ومكان، ينبغي أن يظل مبنيا على علاقات الناس مع بعضهم بعضاً وهو الكفيل بتبديد كل غيوم البغضاء والشحناء والحقد والحسد والاستهتار بالقيم، وهو الذي يوطد الودّ ويعزز الروابط بين الناس كل هذا تحت تعاليم الاسلام إذ يوصي الرسول -عليه الصلاة والسلام - بالحفاظ على حرارة الود واعتبار كل المناسبات واغتنامها فرصا للتراحم والتواصل وبذلك يتم اندماج الانسان اندماجا ايجابيا في المجتمع بحيث يؤهله هذا الاندماج داخل جماعته للارتقاء بنفسه ويعالجه من عقده ويخلصه من أنانيته وينقله من عنصر سلبي يأخذ ويعمل لذاته إلى عنصر إيجابي يسهم ويعطي بقدر ما يأخذ وأكثر من ذلك نكران الذات وهذه الصفات لابد من توافرها في الإنسان الاجتماعي ومنها على الخصوص: الآثار والأريحية والتطوع والتواضع ونكران الذات والاهتمام بالمصلحة العامة أكثر من الاهتمام بالمصلحة الخاصة وكل هذه الخصائص والصفات نص عليها الأدب النبوي وجاءت في الكتاب والسنة والله يقول الحق وهو يهدي سواء السبيل. ■

يجب اغتنام الفرص للحفاظ على حرارة الود والتراحم والتواصل

دراسات أدبية

اللغة المعلم الوحيد في تحديد هوية الأدب

بقلم :
د. رفيق حسن الحليمي



ماهية اللغة

لم يثبت عند علماء اللغة - على وجه التحديد - أن العالم خضع في يوم من الأيام إلى لغة واحدة، والمعروف أن هناك أمماً وشعوباً تعددت لغاتها - على الأقل في التاريخ القريب حتى يومنا هذا - وقد ورد في الذكر الحكيم أن من آياته تعالى (واختلاف ألسنتكم) الروم: ٣٠.

لقد أصبحت اللغة بما تمثله من طرق كتابة ومفردات ذات دلالة معينة وأداء خاص بأصواتها، أو كما يقول ابن جني في حدِّها بأنها: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»(١)، معلماً أساسياً على هوية هذا الشعب من البشر أو ذاك، وهذا يبدو واضحاً قبل أن يبدأ الغزو اللغوي الذي رافق - في العصور القديمة والوسطى - الحركات الاستيطانية المصاحبة للغزو الاستعماري لمناطق مختلفة من العالم. ووقفة عاجلة عند ماهية «اللغة» نجد أنها لا تعدو أن تكون موافقات أو «مواضعات» جماعية على معنى يُعبَّر عنه بصوت لغوي... بحيث يصبح مع التعايش الحياتي لدى هذه المجموعة من البشر أو تلك «كمٌّ» من هذه الأصوات وهذا الكمُّ يصبح مع التطور الاجتماعي واللغوي بمثابة «قاموس» اللغة ومعجمها، كما يصبح لها في مرحلة التطور وسائلها الخاصة وقواعدها وضوابطها، ويأتي يوم تحمل اللغة اسماً خاصاً بها يميزها من غيرها وفقاً لاسم الأمة التي تتحدث بها أو لاسم بقعة الأرض التي تعيش عليها، وهذا هو الغالب في أسماء اللغات، ويتبع ذلك أن تودع هذه المجموعة من البشر أو تلك أحاسيسها ومشاعرها، أفراحها وأتراحها، نظراتها وتصوراتها إلى الحياة في لغتها بحيث تصبح اللغة هي المستودع لآدابها، ويصبح في سجل التاريخ أن هناك أدباً عربياً وأدباً إغريقياً وأدباً رومانياً، وآخر إنكليزياً أو فرنسياً... إلى آخر تلك القائمة لسجل الآداب في العالم، ومن البدهي على سبيل المثال أن هذا الأدب لا يكون عربياً إلا إذا صيغ باللغة العربية وكانت اللغة العربية أداته ووسيلته إلى القارئ والمستمع، ولا يكون الأدب فرنسياً إلا إذا صيغ باللغة الفرنسية وكانت اللغة الفرنسية أداته ووسيلته إلى ... الآخر، وهذا ينطبق على الأدب الإنكليزي وغيره من آداب.

غير أن هذه المقولة تلقى بعض التحفظات التي تظهر من جراء اتساع دائرة المحيط اللغوي خارج نطاق «الوطن» الأم للغة، كاللغة الإنكليزية في أمريكا وكندا وأستراليا وغيرها من المناطق التي هجرت لغاتها الأصيلة، وأخذت بلغة الفاتح، وقد جرى العرف على تسمية آداب هذه البلاد باسم أماكنها ودولها فهناك الأدب الأمريكي والأدب الكندي والأدب الأسترالي... رغم صياغة هذه الآداب باللغة الإنكليزية، وهذا ينطبق على آداب أخرى كتبت بلغات

وافدة عليها... ولكن هذه التحفظات لا تغير من تلك المقولة شيئاً، وهي أن اللغة هي المعلم الوحيد في تحديد هوية الأدب، فتلك الآداب إنكليزية من حيث اللغة أميركية من حيث النسبة إلى الموطن.

اتساع محيط اللغة العربية

عاشت اللغة العربية في مناطق مختلفة عن وطنها الأم، وبخاصة بعد الفتح الإسلامي ولم تك تمضي فترة زمنية «قرنان أو ثلاثة قرون»(٢) حتى تعرَّب أكثر تلك المناطق والأقاليم وأصبحت العربية هي اللغة السائدة، فيما أخذت لغات تلك الأقاليم الأصلية تنحسر شيئاً فشيئاً مع مرور الزمان، وكانت للغة العربية آدابها المعروفة في وطنها الأم منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا، وأصبح إلى جانب ذلك آداب تنتمي إلى تلك المناطق التي اتخذت العربية لساناً، وهي تلك التي تعربت منذ الفتوحات الإسلامية، وهي آداب عربية في جملتها بغض النظر عما نجده في بعضها من خصوصيات تمثل طبيعة الحياة في هذا الإقليم أو ذاك.

وعاشت اللغة العربية في الأندلس مع من عاش فيه من أبنائها، وكانت لهم آدابهم وعلومهم ومجمل كتاباتهم على اختلافها، وهي من غير أدنى شك آداب عربية، لأنها استخدمت العربية أداة للتعبير ووسيلة للكتابة، كما عاشت العربية في بلاد فارس وغيرها مما يليها أو يتصل بها، وكانت هناك آداب عربية ردحاً من الزمان، وعاش نفر من أبناء اللغة العربية في الأميركيتين الشمالية والجنوبية، وكانت لهم آدابهم المعروفة بأدب المهجر، وهو أدب عربي لأنه كتب باللغة العربية.

تصنيف الآداب العربية

كان للباحث العربي ذكاؤه وفطنته حين أدرك هذه الحقيقة وجعلها نصب عينيه ولم يغفل عنها لحظة وهو يصنف الأدب العربي، فراح يصنف آداب تلك الأقاليم على اتساعها وفقاً للعصور التاريخية حيناً، متجاوزاً بذلك الكثير من الخصائص الفنية التي تقوم عليها تلك الآداب، ووفقاً للأقاليم الجغرافية حيناً آخر ووفقاً لمضامينها أو موضوعاتها في أحيان أخرى، فهناك العصر الجاهلي وله آدابه بمحدداتها الزمنية، وهناك العصر الإسلامي والأموي والعباسي وغيرها من عصور حتى العصر الحديث، وهي تقسيمات خاضعة في أكثرها للسياسة وأنماط الحكم المتعاقبة، وهناك أدب عربي في الشام وأدب عربي في الحجاز أو في نجد أو في اليمن أو في الأندلس... وهناك شعر المديح، وشعر الهجاء والرثاء والغزل والوصف... إلى آخر ما هو معروف في هذا الشأن، على أن بعض الدارسين المعاصرين يعترضون على تسمية الأدب بإقليمه أو بموطنه مباشرة فيعترضون على قولنا: الأدب الشامي أو المصري أو التونسي، ويرون أن الأدق أن يُقال: الأدب العربي في الشام، أو في مصر، أو في الأندلس... وهم بذلك يلتقون مع المصنف القديم العماد الأصفهاني في كتابه: «خريدة العصر»... بما قام عليه من تقسيمات معروفة للأدب العربي.(٣)

وهذه الآداب العربية على امتدادها مع الزمان طولاً واتساعها مع رقعة الأرض عرضاً، قد شارك فيها أقوام يتحدرون من أصول عربية وآخرون يتحدرون من أصول غير عربية، وقد برز هذا أكثر ما برز في العصر العباسي، حيث امتزجت الثقافات واختلطت الأعراق وكان لأبناء تلك الشعوب التي دخلت في الإسلام نصيب في الإسهام في البناء الثقافي والحضاري للأمة العربية، وقد توهم أحد الباحثين المعاصرين ـ ممن يفتقرون إلى المنهجية العلمية ـ أنهم من أدباء تلك الديار وعلمائها قلباً وقالباً فنسبهم إليها اعتباطاً، وكان من الممكن ـ وفاء للمنهج العلمي ـ أن يقول إنهم من ثنائيي اللغة أوإنهم من أصول فارسية أو فينيقية أو هندية أو سلجوقية أو غيرها من الأعراق، ولا أحد ينكر أن الحضارة الإسلامية بكل معطياتها ليست إلا نتاجاً لروافد ثقافية مختلفة ولجماعات تتحدر من أصول عربية وأخرى غير عربية... التقت وتمازجت في صعيد واحد، ولكن هذا الصعيد أينما ذهبنا شرقاً أو غرباً شمالاً أو جنوباً كان يستظل باللغة العربية، وأن هذه الحضارة الإسلامية، وما كتب فيها على أيدي العديد من متعددي الأصول والأعراق، إنما كتبت باللغة العربية وليس بلغة أخرى من فارسية أو هندية أو آرامية أو فينيقية أو غيرها من لغات عاشت جنباً إلى جنب مع العربية وعاش الناطقون بها ردحاً من الزمان مع المتحدثين باللغة العربية، وقد تفوقوا فيها وذاع شأنهم وعرف أمرهم بها، ولو أنهم كتبوا بغير العربية لما عرفنا من أمرهم شيئاً ولما كان لهم على أغلب الظن والاحتمال شأن يذكر حتى في مجتمعاتهم التي انحدروا منها، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى ما كانت تتمتع به اللغة العربية في عصورها الزاهية من مكانة وظيفية في المجتمع العربي.

ظاهرة النبوغ والإبداع

على أن ظاهرة التفوق والنبوغ التي بدت على نفر غير قليل ممن يتحدرون من أصول غير عربية تستأهل التوقف قليلاً، ولهذا التفوق أسبابه ودواعيه المختلفة عند أبناء الأقليات العرقية التي يقدر لها أن تعيش حياتها كمجتمعات هامشية في وسط مجتمع كبير، فهو لا يبعد أن يكون تحقيقاً للذات وإثباتاً للهوية الجماعية في شخص أو أشخاص ممن يتفوقون وينبغون من أبناء تلك الأقليات، فيبذلون أقصى طاقتهم وأقوى ما في قدرتهم ليحققوا التفوق على منافسيهم، وليصلوا إلى المكانة التي تصبو إليهانفوسهم، وكأنهم بذلك يعيدون للأقلية شيئاً غير قليل من كرامتها واعتبارها أو يعيدون شيئاً كأنه سلب منهم في وسط هذا الخضم الهائج من أبناء المجتمع الكبير، ولعل هذا النبوغ لهذا النفر من أبناء هذه الأقلية فيما لو قدر لهم أن يكونوا في مجتمعهم الأصلي قد لا يكون له هذا الانبهار وهذا البريق الأخّاذ وهذا التميز الفريد، لأن المنافسة قد لا تكون بهذه الحدة والدافعية، وكم من نابه في مجتمعه الأصلي قد لا يجد من يلتفت إليه كثيراً «لأنه يكون ـ إذ ذاك ـ في وضعه الطبيعي وفي سياقه الاجتماعي، ينطبق هذا الأمر أكثر ما ينطبق على من عاش من أبناء الفرس في بلاد العرب وفي حاضرة بني أمية وحاضرة بني العباس، على أن هذا النبوغ من جملة تداعياته وعلى الرغم من

خصوصيته العرقية والذاتية، يظل نبوغاً في إطار المجتمع العربي وفي ظل اللغة العربية بكل أبعادها الثقافية ودلالاتها المعجمية والتعبيرية ورموزها الإشارية وسماتها العربية والأعرابية البدوية.

وليس معنى ذلك أن هذا التفوق الذي بدا على نفر من الكتّاب والشعراء والعلماء ممن يتحدرون من أصول فارسية أو غير فارسية لم يكن يوازيه أو يتفوق عليه في كثير من الأحيان تفوق مماثل ونبوغ باهر، لدى أبناء اللغة الأم، وعودة إلى التاريخ في نظرة فاحصة إلى الأعلام من هؤلاء وأولئك ترجح المقولة السابقة، وتؤكد ما ذهبنا إليه.

أدباء من أصول غير عربية

فهذا بشار بن برد الشاعر العباسي المعروف أو كما قيل عنه: رأس المجددين في الشعر، أصله من طخارستان، لكن المعروف أنه ولد ومات في البصرة، ومولده في هذه المدينة يعني شيئاً كثيراً، فقد كانت مركزاً إسلامياً من مراكز الثقافة والأدب والعلم وقد نهل بشار وغيره ممن عاشوا فيها من ينابيع الثقافة والمعرفة، وكان بشار يعب منها بشغف، ونبغ في الشعر وقد علل - يوماً - لعدم ما يقع في شعره من لحن أو خطأ بأنه أقام بين قوم نساؤهم أفصح من رجالهم - مبالغة في فصاحة من أخذ عنهم وأقام عندهم - وكان يحرص في شعره على التمثل الدقيق والمحاكاة التامة للأنماط اللغوية الأعرابية. ويروى أنه أنشد خلفاً الأحمر «الشاعر والراوية المعروف» وقوله :

بكّرا صاحبيَّ قبل الهجيرِ

إن ذاك النجاح في التبكيرِ

فقال له خلف : لو قلت «بكّرا فالنجاح في التبكير» كان أحسن، فقال له: إنما بنيتها أعرابية وحشية كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: بكرا فالنجاح في التبكير، كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذاك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة، فقام خلف الأحمر وقبّل ما بين عينيه(٤)، وليس هناك في حياة بشار أكثر دلالة من هذه الرواية على مدى انخراطه في الثقافة العربية بكل أبعادها ودقائقها، وبذلك يظل نتاجه الشعري ضمن منظومة الأدب العربي، لأنه جاء بلغة عربية رغم أن بشاراً تحدر من أصول غير عربية.

ومن قبله ابن المقفع «عبدالله» الذي ينتمي إلى الأصل الفارسي، وقد قيل إنه نقل كتباً فارسية إلى العربية، وله مؤلفات بالعربية «كليلة ودمنة - الأدب الكبير - الأدب الصغير»، وإذا كانت ولادته بجوار فارس، فإنه نشأ وتعلم في البصرة، فكان ضليعاً في اللغة العربية حتى قال عنه الأصعمي «أحد علماء اللغة ورواتها»: قرأت أدب ابن المقفع فلم أر منها لحناً إلا قوله: العلم أكثر من أن يحاط «بالكل» فاحفظوا «البعض»، وموضع اللحن إدخال «ال» على كل وبعض، ونحن إذ نقف على ما خلف من آثار أدبية، لا نجد أمامنا إلا أدباً عربياً، مكتوباً باللغة العربية، ولعلنا إذا أمسكنا بطرف هذه السلسلة من الأدباء والشعراء والعلماء والمفسرين، فسيطول بنا المقام والمقال كثيراً.

أدباء عرب مغتربون

الاغتراب عن الوطن الأم أو الهجرة والارتحال إلى مواطن أخرى والاستقرار فيها من الظواهر التي عرفتها البشرية في تاريخها الطويل... ويعنينا في هذا السياق ما قد يترتب على هذه الهجرات من آثار تمسُّ نتاجهم الأدبي وخصوصاً بالنسبة إلى الجيل الأول والثاني من المهاجرين، أما الأجيال التالية فستندمج قلباً وقالباً ولغة في المجتمعات الجديدة التي تستقر فيها، وكل ما في الأمر أنهم في خلواتهم يذكرون أن أصولهم من هنا أو من هناك.

ويأتي في مقدم هؤلاء - تحديداً - أدباء المهجر وأدباء من الجزائر، أما أدباء المهجر، فقد كان في حدود ما نعلم للرعيل الأول إسهاماتهم البارزة في الحركات الأدبية المعاصرة وكان لهم نشاطهم المعروف، وقد ظل أدبهم يحمل سماته العربية وملامحه الشرقية، ففيه حنين إلى الشرق، وتفاعل مع قضاياه، ولا أحد ينكر أن أدبهم ليس أدباً عربياً، ولكن واحداً منهم وهو «جبران خليل جبران ت ١٩٣١م»، الذي كانت له مشاركته في الحياة الأدبية في المهجر كتب إلى جانب ما كتب باللغة العربية مؤلفاً باللغة الإنكليزية وهو كتاب «النبي» الذي يعد من أحسن ما كتب على الإطلاق، إذ تكاملت فيه مواهبه الشعرية والوعظية.(٥)، وهنا يبرز سؤالنا الذي يشترك فيه الكثير من السائلين: هل يمكن أن نعد كتاب «النبي» ضمن الأدب العربي كباقي كتبه، أم أن كتابه ينبغي أن يعد من الأدب الإنكليزي، مع أن مادة كتابه هذا مستمدة من الشرق ومؤلفه من الشرق؟ الواقع الذي لا يقبل الجدل أن كتاب «النبي» لابد أن يسلك ضمن الأدب الإنكليزي «الأميركي» لأنه بكل بساطة كتب باللغة الإنكليزية، رغم اعتزاز الشرقيين بهذا الكتاب وبصاحبه، فقد عرفوا الكتاب وقرأوه كما عرفوا كتبه الأخرى وقرأوها، لكنهم قرأوه باللغة الإنكليزية، ولو ترجم الكتاب لظل ضمن الكتب المترجمة ذات الأصول الأجنبية.

وهناك مجموعة من أدباء الجزائر أتيح لهم أن يعيشوا حياتهم في فرنسا، وأن يبلغوا درجة من إتقان اللغة الفرنسية مكنتهم من كتابة أدبهم بهذه اللغة، وعند تصنيف هؤلاء لا بد أن يدرج أدبهم ضمن الأدب الفرنسي، لأنه كتب باللغة الفرنسية، أما تصنيف ذواتهم فلنقل إنهم عرب ويتحدرون من أصول عربية، وهذا ينطبق على الكثير ممن هاجروا إلى العالم الجديد، وكتبوا ما كتبوا بلغات مختلفة عن لغتهم الأم، فقد تكون أصولهم من أسبانيا أو من البرتغال أو من ألمانيا أو غيرها.

إشكالية المضمون الأدبي واللغة

قد يتذرع من يعترض على هذه المقولة - التي ارتكزت عليها هذه الدراسة - بقوله: إن المضامين وهي المادة الأساسية التي شكلت هذه الآداب، عادة ما تكون شديدة الاتصال بالحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية والتجارب الذاتية التي يعيشها الأدباء والتي تعبر عن خصوصية معينة لهذا المجتمع أو ذاك، ولابد من هذا

الطرح أن يكون لهذه الاعتبارات مكانة ما عند تصنيف هذه الآداب العالمية... ووضعها في سياقاتها الصحيحة، وعلى سبيل المثال فإن الأدب العربي في أي عصر من عصوره يعكس جانباً أو جوانب من الحياة العربية بما فيها من تقاليد وعادات وأساليب معيشية وطرائق مختلفة في الثقافة والفكر... وهذه الخصوصية لابد أن تتجاوز اللغة باعتبارها شكلاً من أشكال التعبير أو ثوباً يلف الجسد ويغطيه، وبمعنى آخر ليست اللغة وحدها التي تحدد هوية الأدب، واستناداً إلى هذا كله يصبح نتاج نفر من أدباء الجزائر الذين كتبوا أدبهم باللغة الفرنسية أدباً عربياً، كما يصبح كتاب «النبي» أدباً عربياً لما تتسم به هذه الأعمال من خصوصية معينة تتصل بالحياة في الشرق، ولأن هذه الأعمال قدّمها أدباء ينتمون إلى الشرق... كل ما في الأمر أنهم اتخذوا اللغة الأجنبية وعاء للتعبير.

وأود أن أذكر أن هذه الدراسة تقوم على دفع هذا الطرح ورده، فإذا كان لكل مجتمع خصوصيته التي أشرت إلى بعضها من قبل ويمكن التشبث بها لدعم تلك المقولة، فإن لكل لغة أيضاً خصوصية تتفرد بها عن غيرها، من رموز إشارية وسمات دلالية ومعجمية تضرب بجذورها في تاريخ اللغة، وليست اللغة مجرد شكل من أشكال التعبير أو مجرد ثوب يمكن أن يغطي الجسم، ففي الأعمال الأدبية تلتحم اللغة مع المضمون ولا تنفصل عنه، أما في الشؤون الحياتية اليسيرة والاحتياجات الضرورية فالأمر قد يختلف.

حين يختار الأديب اللغة التي يريد أن يكتب بها يكون قد تعايش مع خصوصياتها وتفاعل مع ثقافتها وأنماط التفكير السائدة فيها... ولا يكون اختيار اللغة مجرد اختيار عابر أو مجرد اختيار عشوائي مفاجئ، فقد يقتضي الموقف - وخصوصاً عند متعددي اللغات - اختيار لغة ما لتوصيل الفكرة التي يريدونها إلى الآخر، ويدخل ضمن هذا العمل الترجمات الفورية والأعمال المترجمة إلى لغات أخرى، ولكن الأمر يختلف مع الأعمال الأدبية، ولذلك تبقى اللغة هي السمة الأساسية والمعلم الأوحد في تحديد هوية الخطاب الأدبي، على أن في الأعمال الأدبية ما يؤكد ما ذهبنا إليه، فقد نجد أن مادة أدبية معينة تناولها أكثر من كاتب، فماذا نقول حينئذ؟ لابد أن ننسب كل عمل إلى اللغة التي كتب بها.

فقد وردت في القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام واستغرقت سورة كاملة تقريباً، ولو نظرنا في أحداثها وأشخاصها وأزمانها لوجدنا أنها تحمل خصوصية تتصل بحياة «إسرائيل» يعقوب وبنيه وجانب من حياة مصر الفرعونية في فترة زمنية قديمة موغلة في القدم، وربما كانت تلك الفترة تتزامن مع بداية تشكل اللغة العربية وبداية وجودها في مكة وما حولها... وأحداث القصة من بدايتها التي تجسدت في حب يعقوب لابنيه يوسف وأخيه من بين إخوته الأسباط... ورؤيا يوسف وما تبعها من تداعيات... حتى نهايتها في تحقق الحلم... جديرة بأن تكون مادة قصصية خصبة تناولها القرآن الكريم وعرضها على مسامعنا منذ قرون بلسان عربي مبين. ولو أن القصة تناولتها لغة غير العربية لكانت ضمن موروثهم وتراثهم الأدبي والديني.

وهناك قصة «كفاح طيبة» للكاتب المصري نجيب محفوظ، استمد أحداثها من الحياة الفرعونية القديمة، فقد سجلت انفجار الثورة على الهكسوس الغزاة، والمعارك التي دارت حتى تحقق النصر، فالمادة القصصية من حيث المضمون والأشخاص والأحداث والزمان والمكان تعود إلى مرحلة تتصل بماضي الحياة في مصر الفرعونية، وعند تصنيف هذه القصة، فإننا نتجاوز مع غيرنا مادتها ومضمونها ونتشبث باللغة التي صيغت بها، فهي من الأدب العربي لأنها كتبت باللغة العربية، ولو أن هذه القصة تناولها كاتب آخر بلغة غير عربية، فلا بد أن تنسب إلى تلك اللغة.

وهناك مادة معروفة وهي شخصية «كليوباترة» السابعة، فقد كانت مادة لأعمال أدبية كثيرة، لعل أشهرها ما كتبه «شكسبير»، و«برناردشو» باللغة الإنكليزية وما كتابه عنها مصنف ضمن الأدب الإنكليزي، وجاء «أحمد شوقي» وكتب مسرحية شعرية: «مصرع كليوباترة»، وهي من غير شك مصنفة ضمن الأدب العربي الحديث.

وهناك أعمال كثيرة تدخل ضمن هذا السياق وهي مادة خصبة للآداب المقارنة التي يكون الحد الفاصل بينها اختلاف اللغة، وهو شرط أساسي لعقد مقارنة بين أدبين أو أكثر، وليس المضمون، لأنه مادة مشتركة، وهو المحك لمجالات التأثير والتأثر، كقصة ليلى والمجنون أو الحياة العاطفية بين الأدب العربي والأدب الفارسي التي قدمها في دراسة مقارنة د. محمد غنيمي هلال، وكذلك الكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالي دانتي والأصول الإسلامية التي غذتها وأثرت فيها ابتداء من قصة الإسراء ومروراً برسالة الغفران لأبي العلاء المعري وغير ذلك من أعمال، وخلاصة القول: إن اللغة هي المعلم الوحيد في تحديد هوية الأدب. ■

المراجع :

١ - ابن جني، «أبو الفتح عثمان»، الخصائص ج١ ص٣٣، دار الهدى - بيروت - ط الثانية.

٢ - الدوري، عبدالعزيز، «الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب»، ص٧٥ (مركز دراسات الوحدة العربية ط الثانية ١٩٨٢م) بيروت.

٣ - العماد الأصفهاني، الخريدة «شعراء الشام»، تحقيق د. شكري فيصل، (المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٥٥م).

٣ - العماد الأصفهاني، الخريدة «شعراء العراق»، تحقيق محمد بهجت الأثري وزميله (مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥م).

٤ - الجرجاني، عبدالقاهر، (دلائل الإعجاز) ص ٢٧١، شرح محمد عبدالمنعم خفاجة، (مكتبة القاهرة، الأولى ١٩٦٩م).

٥ - الموسوعة الميسرة ص ٦١١، ط الثانية ١٩٧٢م.

قصة قصيرة

صرخة أم
لا تنسوا ولدي !!

بقلم : عبدالستار خليف

أنا أم عجوز، أسر المعتدون ولدي الوحيد، ورحلوا، رحلوا بلا رجعة، تركوا في القلب الكليم، حزناً عميقاً، لا يمحى، إلا بعودة فلذة كبدي، وقرّة عيني، سندي في الحياة!! ترك وراءه زوجة شابة، وأولاداً صغاراً، وترك في قلوبهم لوعة حزن، وفي عيونهم دمعة ألم، وسؤال حائر: متى يعود؟!!

ها قد مرت سنوات طويلة، ومريرة، وحتى الآن... لا أعلم عنه شيئاً!! هل هو على قيد الحياة، حي يرزق، أم مات في ذل القيد والأسر؟! يا حبة القلب ولدي، يا قرة عيني، وساعدي في سنوات ضعفي... يا عكازتي في بقية عمري، وسنوات الوهن المقبلة، أين أنت؟! أود أن أكحل عيني بنظرة منك، قبل رحيلي عن الدنيا؟!

أحفادي - أولادك - دوما يسألونني، أين ذهبت؟ ماذا أقول لهم؟!، غداً ستعود، أو أصمت ولا أجيب؟ أنا لا أعرف أين ذهبت؟! أين أخذوك، وهل قتلوك، يا عمري، أم مازلت ترسف في الأغلال والقيود، بين جدران قاسية صماء، تتعذب - يا قلبي - على يد جلاديك، القتلة!! تموت - في كل يوم - ألف مرة ومرة.

أنا أمٌّ، ما زلت أنتظر ولدي المفقود، منذ سنوات، مازلت أنتظر.. عودته، لم أفقد الأمل، سأظل بقية عمري أنتظر، متى ستعود يا نور عيني، أعرف بأنك مازلت على قيد الحياة، وقلبي دليلي، إحساس الأمّ صادق، لا يكذب، ولدي حيّ، لكنه يعاني مرارة القيد، يعاني شدة الشوق والحنين وعطر الزوجة وابتسامة الصغار.

كل يوم أنتظر، أظل طوال النهار أصيخ السمع لطرقاته الهينة التي أعرفها على باب البيت، يحلو له أن يطرق ببراجم أصابعه، ولا يستخدم الجرس حتى لا يزعجني بصوته الحاد المرتفع، هيه!! يمر النهار ويأتي الليل، وما أطول الليل على الساهر المنتظر، الحالم بعودة الأمل وشعاع الشمس وضوء القمر وراحة البال!! ما أقصر الليل على الراقد قرير العين مستريح البال، وما أطولك أيها الليل على أمّ حزينة فقدت وحيدها وتنتظر عودته بفارغ الصبر، ودموع الأسى التي جفت في المحاجر، فلا ينام الليل إلا من قلبه خلا من الهموم والأحزان، ربما يأتي في المساء، سأظل ساهرة حتى أكون أول من يفتح له الباب، وأكحل عيني برؤياه، ولا أدعه ينتظر طويلاً في الخارج.

وعندما يغلبني النوم، أهبُّ مذعورة، كيف غفلت عيناي دون مشاهدته يدخل من الباب؟! وتمر الأيام وتتحول إلى أسابيع وأشهر، ويمر الشتاء ويأتي الربيع، ويمر الربيع ويأتي الخريف، ثم الصيف، وأنا أنتظر، سوف يعود، أعرف بأنه موجود في مكان ما، أحسّ به وبوجوده وبالضيق الذي يعاني منه ويقيم فيه، بُنيّ، سوف يأتي الفرج، بعد هذه الشدة، فرجه قريب، قريب، لا تقنط من رحمة الله.

أنا في انتظارك، أولادك كلهم يترقبون عودتك، يسألون عنك، اطمئن عليهم، فهم في عيني يا حبة عيني، هم قطعة منك، أشاهدك في وجوههم كل يوم، وحشتني وحشتني، وحـ..شـ..تـ..نـ..ي..

الدموع جفت في محاجري، متى ستعود أيها الغائب الحاضر في كياني؟! لا، لا، إنني أقول لهم غداً ستعود، ويأتي الغد، يمر كالأمس، وأنا لا أفقد الأمل في عودتك لنا، زوجتك في انتظارك، في شوق إلى لقياك، أصبحت يابسة، ضاوية، مشتتة الفكر حائرة، كان الله في عونها يا ولدي، نحن نعاني مثلما أنت تعاني!! تكاد أمّ أولادك أن تفقد الأمل في عودتك، تقول في يأس: طال الغياب يا خالتي!! أقول لها، فرجه قريب. إن معك عذرك في الغياب، عندما يفكون قيدوك ويطلقون سراحك، سوف تأتي، ستأتي كالريح، كالطير، محلقاً، سريعاً، وتحط أمام البيت، فاليوم عيد، وفي كل الأعياد التي مرت علينا، افتقدناك فيها، واشتقنا إلى رؤياك، إلى مجلسك، وجودك بيننا، ابتسامتك التي غابت عنا منذ سنوات.

منذ سنوات مضت، أتذكر هذا اليوم، هذا الصباح، لن يغيب عن بالي، عندما حملت السلاح ودافعت عن البيت والعرض والأولاد، دافعت عن الكرامة، حتى احتاطوا بك عندما نفدت ذخيرتك، وانهالوا عليك ضرباً في أعقاب بنادقهم، منعوني من الدفاع عنك، منعوني من أن أرتمي عليك لأحميك بجسدي، حرموني من تلقي الضربات بدلاً منك، أضاعوا عليَّ أعزّ فرصة في حياتي، يا فلذة كبدي وقرة عيني، جرجروك، نزفت دماؤك الغالية أمام مدخل البيت، وأنا أصرخ وأولادك يبكون وزوجك المسكينة تصيح وتهتف عليك، وأنت، أنت غائب عن الوعي!!

مازال هذا المشهد ماثلاً أمام عيني، لا يفارقني لحظة واحدة، لن يمحى إلا بعودتك، لتعود لنا الحياة، والأمل والحلم.

منعونا من الخروج من البيت، حملوك في شاحنة ضخمة مع من حُملوا من رفاق السلاح، وانطلقوا بعيداً، وغاب كل شيء عن الأنظار، الشاحنة، والغادرون، والرجال، والغبار، الحلم، الألم... وأنت يا ولدي.

منذ ذلك اليوم المشؤوم ونحن ننتظر، وها نحن ننتظر عودتك بفارغ الصبر، لم نيأس، لم تهزمنا الأيام الصعبة القاسية التي مرت علينا، بلا رجعة، أيام الترقب والحيرة والانتظار، لم يتوقف السؤال عنك في كل مكان، عن أخبارك ومصيرك، لم نصمت، لن نسكت، طرقنا كل الأبواب الموجودة، ودلفنا في كل الطرقات والسبل المفتوحة، ومازلنا نسأل عنك، عن أخبارك، عن كلمة نسمعها تبل الريق الجاف وتوقف الحيرة وتسكن القلب القلق، نود أن نعرف بأنك حي موجود، ولست مفقوداً، لقد حملوك أمام عيني، التي سيأكلهما الدود، حملوك يا روحي وانتزعوك، انتزعوك من بدني، مثل لحظات المخاض القاسية، يا أغلى جزء فيه، يا حبة القلب، أرادوا وأد الحلم الذي أعيش عليه!! أرادوا قتل الحلم الباقي لنا، بأن نستسلم بالأمر الواقع، نقرّ بأنك قد انتهيت، تلاشيت كالدخان في الهواء، لا.. فأنت الجذوة، الجمرة المتقدة في الأعماق، في قلوب الأمهات، يا عذاب الأمهات!! كل الأمهات الثكالى اللائي بذلن العرق والجهد والدم في سبيل تراب الوطن، ولن تتوانى أو تتوقف أو تضعف حتى لا يضيع الحلم ويندثر. أنا أم، وأنت ابن، وصاحب بيت ولك زوجة وفيّة، مازالت مقيمة على العهد، ترعى أولادك وتنتظر قدومك.

الباب، هيه... أحس بطرقات هينة، رتيبة، ليست غريبة على مسامعي، لابد أنه قد عاد، ولدي، افتحوا المزلاج، أين الأحفاد، هيا افتحوا النوافذ والأبواب كلها، ها قد عاد... ولدي، نور عيني، فلذة كبدي، لست أحلم في وضح النهار، إنها حقيقة تعيش بداخلي، ها قد عاد، قلت لكم سيعود، قلب الأم دليلها، أسرع أيها الولد حتى لا يمل أبوك من الانتظار، ماذا؟! ماذا وجدت في الخارج؟! لا يوجد شيء!! كيف... سمعت طرقاته المعهودة، وقع خطواته وهو يرتقي الدرج ويقترب من الباب، رائحة أنفاسه هبت مع رائحة زهور الحديقة التي زرعها بيديه، لم تجده... كانت الريح يا جدتي هي التي تهز فروع الأشجار فتصطك بالأبواب والنوافذ.

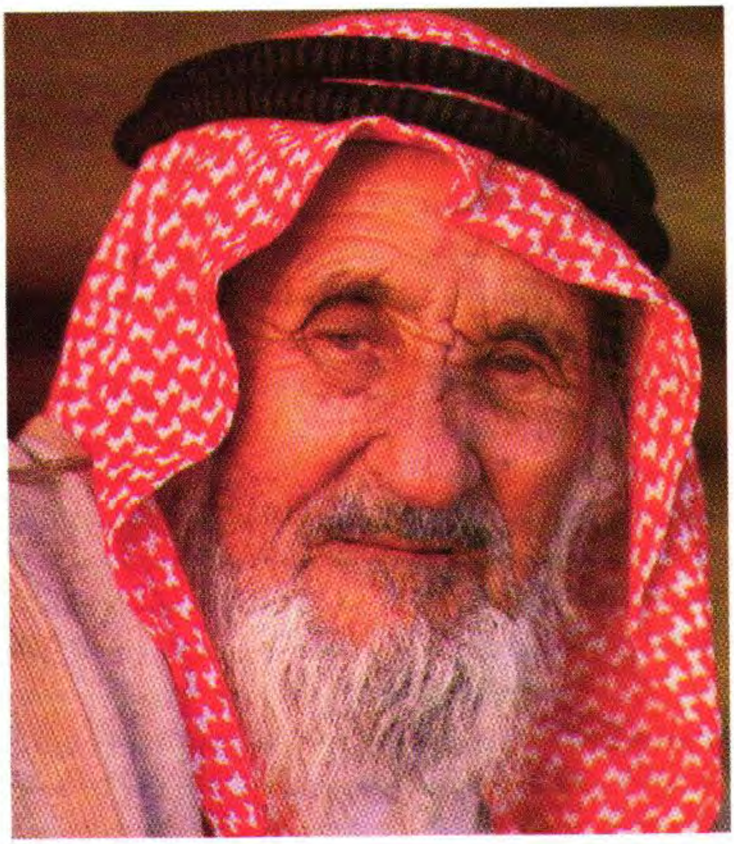
هيه... لقد تأخرت كثيراً يا ولدي... ولكننا لن نمل من الانتظار، لن نفقد الحلم الذي نعيش فيه، حتى لا نفقدك إلى الأبد، فأنت مازلت تسري في دمي، في عروقي وشراييني، وأنا مازلت أصرخ، وسأصرخ بأعلى صوتي، ولن أتوقف، حتى يسمع العالم صرختي، صرخة أمّ فقدت ولدها، تقول لكم:

- «لا تنسوا ولدي... فقد طال انتظاره!!». ■



مجتمع

تزخر الحضارة الإسلامية بالكثير من الأحكام الشرعية التي كفلت رعاية المسنين، وضمنت حقوقهم، وبالغت في تكريمهم، انطلاقاً من مبدأ تكريم الإنسان من حيث هو إنسان، سواء طفلاً كان أو مراهقاً، أو شاباً أو كهلاً أو شيخاً هرماً، وذكراً كان أو أنثى.



رعاية المسنين في الإسلام

بقلم : محمد عودة السلمان

وإذا كان علماء الاجتماع الغربيين قد عالجوا مشكلات الشيخوخة في المجتمعات المعاصرة، ومنهم العالم الأمريكي «ليون سيمونز» الذي لم يكتف كغيره من الكتاب الاجتماعيين بتصوير الزوايا السلبية في حياة الشيوخ، تحليلاً لعجزهم عن مواجهة أمور الحياة، بل دعا إلى إحصاء الإمكانات المتاحة للشيخوخة، ونادى بالكف عن تسميتها «لعنة» تصبها الأقدار على الذين طعنوا في السن، وأكد أن في وسع المجتمع العصري أن ينمي قدرات الشيوخ، ويفيد من طاقاتهم الكامنة إذا سلم الجميع بأن الشيخوخة مرحلة طبيعية وعادية من مراحل العمر الإنساني يمر بها عدد كبير من الخلق.

وهناك مع ذلك فارق أساسي بين نظرة «سيمونز» وأشباهه إلى الشيخوخة ونظرة الإسلام إليها، فمجتمع الاستهلاك المعاصر بكل ما يصطرع فيه من روحية الإنتاج، هو الذي يغري الباحثين اليوم بالتصدي لانتقاء أفضل الأساليب لمعالجة مشكلات الشيخوخة، بينما أحاط الإسلام مرحلة الشيخوخة بما تستحقه من رعاية وعناية، غير واقع تحت ضغط الظروف القاهرة التي بات المسنون خلالها كماً مهملاً ونسياً منسياً.

إن القلق على المسنين الذين يزداد عددهم في مجتمعنا المعاصر بشكل ملحوظ، ربما ضاعف عدد الدراسات التي تتناول قضاياهم نظرياً، لكنه لم يخلص الباحثون حتى الآن من عقدة الشعور بالتناقض بين النظرية والتطبيق، ولم يكن سبباً كافياً للتحول من عمق الدراسة إلى مفهوم الرعاية الحقيقية.

وفي هذه الدراسات، يتبين بجلاء مفهوم «العائلة الممتدة» الذي كان النمط السائد في معظم العائلات الغربية قبل الثورة الصناعية ومقارنة أوضاع الشيوخ ومشكلاتهم في المجتمعات الغربية بعد تلك الثورة، ففكرة الانتماء إلى العائلة قبل الثورة الصناعية كانت تكفل يومئذ للفرد، وللشيخ بوجه خاص، كل أسباب الأمن والطمأنينة في مجتمع متكافل، وخلية اجتماعية صالحة تفيض بعواطف المحبة والرحمة وتوقير الطاعنين في السن ببساطة تامة خالية من التعقيد.

وفكرة الانتماء العائلي لم تنحصر في نطاق التوقير والإكبار للمسنين، بل فسحت المجال أمامهم للقيام بوظيفة اجتماعية جليلة في نصح البالغين، وإرشاد أفراد العائلة جميعاً في الأزمات والملمات، في ضوء ما عاناه الشيوخ وعالجوه من المعضلات والمشكلات.

إن هذا الانتماء العائلي، الذي اتخذ في كثير من المجتمعات البدائية شكل الضمان الاجتماعي، واعترف للشيوخ بكيانهم الذاتي الخاص، كان معروفاً في التقاليد والأعراف الجاهلية، وقد أقر الإسلام بعض صوره وأصلح بعض أوضاعه، ولكنه لم يجده كافياً لرعاية المسنين وضمان حقوقهم، ومن هنا كان الإسلام بتشريعاته

الإيجابية أول نظام اجتماعي عادل نسّق بين معاني الرعاية العاطفية ومظاهر العدالة الاجتماعية الحقيقية في تكريم الشيوخ وتحديد حقوقهم وواجباتهم، وتمكينهم من تأدية وظيفتهم وممارسة نشاطهم في جميع الميادين على أكمل وجه.

وعلى هذا الأساس، أقام الإسلام رعايته التكريمية الإيجابية للشيوخ المعمّرين، ولم يأذن لأحد مهما يتوهم في نفسه العجز بالتقاعد عن العمل والكد والعناء بما يناسب عمره من التحرك والنشاط.

وذلك يعني أن رعاية المسنين في الإسلام لم تتخذ شكلها العاطفي السلبي المعروف في المجتمعات الريفية والتقليدية والبسيطة عموماً، والقائمة على أساس «عفوي» بسيط خال من التنظيم، والتي عجزت عن إبراز مكانة الشيوخ وتحديد طبيعتها الفعلية الحقيقية، بل ارتكزت هذه الرعاية في الإسلام على مواقف إيجابية وأحكام قانونية، واستبدلت مفهوم التوقير الإكبار بمفهوم العطف والإشفاق على الشيوخ المعمرين، يدل على ذلك قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا».

ومن توقير الشيوخ بهذا المعنى الإيجابي أن يتعلم الذين دونهم في السن من الغلمان والشبان، بل من الكهول أيضاً، كيف يخاطبونهم، وكيف يتجنبون خدش مشاعرهم، ولو بالكلمة العابرة، ولا سيما إذا كانوا من الآباء والأمهات، أو الأجداد والجدات، وإلى هذا دعت وصية البر بالوالدين والإحسان إليهما في سورة الإسراء: (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤.

ومن توقير الشيوخ أن يفضلوا على كل من دونهم سناً، حتى على النفس والأهل والعيال، في الخدمة والطعام والشراب واللباس، لكيلا يشعروا بعقدة النقص في المجتمع الذي يعيشون فيه، وحول هذا المعنى النبيل دارت قصة الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى غار، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، وإذا أول الثلاثة يقول: «اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق عليهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما...».

كل هذا من توقير الشيوخ، ولكن أعلى درجات توقيرهم وأسماها تتجسد في تخفيف وطأة الشيخوخة عليهم، وإشعارهم بأنهم ليسوا عبئاً ثقيلاً على المجتمع، وأنهم على العكس من ذلك قيمة أساسية كبيرة فيه لابد من صونها والاسترشاد بها، وأنهم بخبرتهم الطويلة في شؤون الحياة قادرون على الدخول طرفاً مهماً في شبكة العلاقات الاجتماعية، وإن الذين قدموا منهم في شبابهم أعمالاً جليلة يباهون بها ما انفكوا قادرين على إيجاد بديل جديد يعوضهم عما سلف، وإنهم ليسوا مضطرين حتماً إلى الانكفاء على أنفسهم والاستسلام إلى وحشة العزلة، وأنهم في نهاية المطاف يستطيعون أن يمسكوا بزمام المبادرة في اتخاذ القرارات الملائمة لها، ورسم الخطوط العريضة لأسلوب حياتهم، وذلك ما صنعه الإسلام لهم تحقيقاً لاستقلالهم، وضماناً لحريتهم في التحرك وفقاً لطبيعة الظروف التي تحيط بهم.

والشيوخ قادرون بلا ريب على طلب العلم ومواصلة التفكير بالمقدار الذي يُتاح لهم، إذا لم يكونوا مرضى أو زمنى، ولأمثالهم وجهت هذه العبارة المأثورة: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد»، ومن العجيب أن أكثر فقهائنا وأئمتنا استلهموا من مثل هذه الحكمة مزيداً من الحماسة، والاندفاع إلى الإنتاج الفكري عندما تم لهم النضج واستحكمت ملكاتهم العلمية والفنية التي اكتسبوها أيام الفتوة والشباب، ويؤكد بعض الباحثين أن تسمية العلماء بالشيوخ والأشياخ إنما صدرت عن هذا المعيار، على وجه المحاكاة والتشبيه، وهم قادرون على القيادة الدينية، بل هم عليها أقدر من الشبان والكهول لأن هذه القيادة تستدعي مهابة تتاح لطبقتهم أكثر مما تتاح لطبقة الشباب، ولعل هذا هو السر في تقديم الشيخ على الفتى في إمامة الناس بالصلاة، مثلما يقدم العالم على الجاهل، والمقيم على المسافر، وحسن الوجه على القبيح الدميم.

إن إشعار الشيوخ بقدرتهم على التحرك، وعلى التخرج من الإثم والمعصية، وعلى تحمل نوع من التبعات ينسجم مع طبيعتهم، لهو منهج إسلامي متفرد أصيل في التعامل مع هذا النموذج من الناس الذين لا يجوز أن يفضل عليهم الأطفال والمراهقون، إن كان السبب الظاهري ضعفهم أو استضعافهم، ومهما يكن من شيء، فإن حال الضعف أو الاستضعاف، وما يترتب عليها من تخفيف التبعات، ليس هو المعيار الطبيعي السوي، ما دام اللجوء إليه لا يقع إلا في الظروف الاستثنائية أو التخفيفية، ولقد آثرت الشريعة الإسلامية فيما عدا ذلك أن تحمل الشيخ تبعة أعماله وتصرفاته، بل ربما حملته من الشعور بالمسؤولية أكثر مما يطيقه الولدان والشبان، حتى قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر».

ومن جهة أخرى، نجد من الزاوية الدينية الخالصة، أن الشريعة أسقطت بعض التكاليف والفرائض عن الشيوخ إذا بلغوا حداً من العجز لا يمكنهم من أدائها، فقد أعفي العجزة ولا سيما إذا كانوا مرضى من صيام رمضان، وخففت عنهم الصلاة قياماً، إذ يؤدونها قاعدين أو متكئين أو مضطجعين على النحو الذي يتيسر لهم، وأذن لهم في الحج بالطواف والسعي على محفة لا سيراً على الأقدام، وكما أعفي الأعمى والأعرج من الجهاد، أعفي منه الشيوخ، وإذا نسي الشيخ أو غفل فأكل في نهار رمضان، ما كان لنا أن ننبهه لأنه ـ كما قال الفقهاء ـ في ضيافة الرحمن.

ومرة أخرى نؤكد أن إسقاط بعض التكاليف عن الشيخ أو التسامح معه في بعض الظروف الاستثنائية، لا يسجل عليه الضعف الذاتي المستقر في داخله، بقدر ما يقرر ناموساً طبيعياً وسنة اجتماعية، يشارك فيها كل شيء تناقص وتراجع حين بلغ تمامه

وتكامل، كما تصرح الآية من سورة يس: (ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون) يس: ٦٨، فإذا قال المفسرون هنا: «إن الشيخوخة نكسة إلى الطفولة من غير ملاحة ولا طرافة ولا إبداع، فإنهم لا يقصدون الغض من قيمة الشيخوخة، بل يومئون إيماء من حيث لا يشعرون إلى أن الشيخوخة بحد ذاتها قيمة أساسية في المجتمع، وهي قيمة تزداد ثقلاً حتى تصبح بذاتها رمزاً للحكمة والوقار، لكن انتكاس الشيخوخة، رمز الكمال المتقلص، يستدعي بهذا المعنى الرعاية والحماية، شرط أن تتما داخل الأسرة وفي نطاق المجتمع، وفي أجهزة الدولة، دون إذلال لكرامة الشيوخ ولا تقليل من أهمية شخصيتهم الفريدة.



إن صفة الشيخوخة وحدها في الأسرة تكسب صاحبها حقوقاً ليست الحماية أقلها، وليست النفقة أكثرها، ولكن أسماها على الإطلاق هو حق التكريم لمن هو به جدير، وفي الحديث، اقتران الإجلال لله تعالى بإكرام ذي الشيبة المسلم، كما في كتاب البر من سنن الترمذي عن أنس بن مالك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إن من إجلال الله تعالى، إكرام ذي الشيبة المسلم»، وشبيه بذلك ما ورد في سنن أبي داود مرفوعاً: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله من يكرّمه عند سنه».

وذلك هو المظهر الخارجي لتكريم الشيخ ذي الشيبة، أما مفهوم التكريم الداخلي العميق له فتبرزه على أكمل والوجوه أحكام النفقة المفصلة أدق التفصيل في كتب الحديث والفقه والتفسير، ويلاحظ أن أحكام الفقه الإسلامي أوسع في باب النفقة والإنفاق منها في سائر الأبواب، وقد تقرر فيه بوضوح أن القرابة التي تستحق بها النفقة هي قرابة الوالدين وإن علوا، فيجب على الولد نفقة أبيه وأمه وجده وجدته، من أي جهة كانوا، مصداقاً لقوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) العنكبوت: ٨، ومقتضى الإحسان إليهما تأمين نفقاتهما ودفع الحاجة والفقر والمرض عنهما، وإن كانا قادرين على العمل، لأن إرغامهما على العمل ينافي الإحسان المطلوب منه إليهما، ولا شيء يمنع أن يكون أبواه كافرين أو يؤمنان بدين آخر، فقد وصاه الله بهما في جميع أحوالهما، وأمره عند اختلاف الدين أن يواسيهما ويقوم بحاجاتهما ويصاحبهما في الدنيا معروفاً، قال تعالى: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً) لقمان ـ ١٥.

ونفقات التكافل الاجتماعي مؤمنة للشيخ العاجز، ضمن مصارف الزكاة الثمانية، حتى لكأن كل مصرف منها يشمله، بل يتجه بشكل خاص إليه، ولا سيما في الاثنين الأولين فيها، وهما سهم الفقراء وسهم المساكين، وإذا لم تكف الزكاة حاجات التكافل الاجتماعي، ولم يكن في بيت المال ما يسد تلك الحاجات، ولا سيما للمستضعفين وكبار السن، فرض النظام الإسلامي، على كل أهل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويكفوهم الضروري من حاجاتهم الغذائية والمعيشية، كما يقول ابن حزم الأندلسي.

وعندما نضيف إلى هذا كله ما عرفه المجتمع الإسلامي من صور الوقف وأشكاله، وما تضمنه من معونة للعميان والمقعدين، وإيواء لليتامى واللقطاء، وتطبيب للحيوان العاجز المريض «كما في وقف المرج الأخضر بدمشق»، ندرك أمرين:

أحدهما أن حماية المستضعفين وكبار السن من البشر لن تكون فيه أقل شأناً من العناية بالقطط والهرر!

وأما الأمر الآخر، فهو أن الإسلام تسامى بمدلول العدالة العام، ومدلول الرعاية الخاصة بالشيوخ المتقدمين في السن، عن أن تكون مقتصرة على الجانب المادي البحت، أو تكون مجرد أحكام وقوانين تشريعية، فمن أعماق الضمير الإنساني يحاول الإسلام إصلاح ما أفسده الإنسان لأخيه الإنسان، عن طريق التنسيق بين مراحل العمر الإنساني وطبقاته، وبين جيلي الشباب والشيوخ بوجه خاص، ليظل معيار التفاضل بين الجميع قائماً على الإنتاج والبر والعمل الصالح. ■



حضارة

من الرعب من القنبلة الباكستانية إلى التهويل من خطر الصاروخ الإيراني الجديد، تُثار من جديد مسألة الحوار/ الصراع بين الإسلام والغرب، وبينما يتقاسم الفكر الإسلامي تياران أحدهما ينتمي إلى العصور الوسطى، ويرى في نظره أن العالم دار حرب، ويتشبث بنظرية المؤامرة، ويعتبر الحروب الصليبية مستمرة حتى إشعار آخر، وتحت أسماء شتى، والثاني هو الأكثر حضارة وثقة، حيث يرى أن الإنسانية تشكل أفقاً مشتركاً واحداً للجميع، وأن الحوار الحضاري بين المركز والأطراف بإمكانه أن يبدد الهواجس ويمتص الشكوك ويمد جسوراً للتعاون.

بقلم : د. محسن خضر

الإسلام والحضارة الغربية :

وعلى الضفة الأخرى، تنتشر في الشمال حمى استعداء الإسلام، ويشترك فوكوياما وهينتنغتون وبرنارد لويس في ترويج مقولة الصدام الحتمي بين الحضارتين العربية والإسلامية، وهو ما دفع سكرتير حلف الأطلسي السابق كلايس إلى مطالبة المخططين العسكريين للحلف للتأهب لصراع محتمل ومتوقع بين الشمال والجنوب «هل نرى في رحلات كلينتون وشيراك إلى أفريقيا تحضيراً لمسرح المواجهة المقبلة»؟

وتمثل العولمة، روح فلسفة ما بعد الحداثة، في سعيها الدؤوب لإقصاء الأرقام غير الغربية من معادلة الحضارة، وبالتالي تجد شعوب العالم الثالث أمام خيارين: إما خيار «المكانونلدة أو الكوكلة»، أي خيار التبعية والتهميش والخروج من التاريخ، أو خيار المواجهة والصراع، وكلاهما مر.

وإذا كنا من أنصار الحوار، فمن المهم أن نتخلى عن موقف خاطئ هو موقف الاستحواذ على الطرف الآخر، وإرغامه على التخلي عن موقعه، والانصياع إلى وجهة نظرنا، لأننا نشكو من سعي الغرب إلى جرنا إلى هذا الموقف، وبالتالي ليس من المنطقي أن نكرر الازدواجية.

ومن أخطر ما يجهض نجاح الحوار الثقافي - الحضاري بين الغرب والشرق الإسلامي، التشويه الذي يتعرض له الإسلام في الغرب، وهو موقف له جذوره التاريخية من - وقبل - أن وضع دانتي الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - في قاع جهنم في «الكوميديا الإلهية»، وقرنه تراث العصور الوسطى بصورة الشيطان ونعته بالدجال، والشهواني، وكلب الجحيم، وتلاحظ آنا ماري شيميل أن شخصية محمد «أثارت أكثر من أي شخصية تاريخية أخرى الخوف والكراهية والاحتقار في العالم المسيحي، ويعبر دانتي - في موقعه السابق - عن مشاعر عدد لا يحصى من مسيحيي العصور الوسطى».

إن كتباً من عينة «التحدي الإسلامي» لكونزيلمان (١٩٨١م)، «الملأ على ضفاف



بديل أو منافس؟

الراين. الزحف الإسلامي نحو أوروبا» (١٩٩٤م) تمثل هذه الروح الغربية العدوانية.

ومنذ الثورة الإيرانية اقترنت صفة الإرهاب بالإسلام، بحيث يعتبر كل مسلم متعصباً أو إرهابياً، وتعبر مجلة مثل Bunlo الألمانية عن هذا المناخ حيث تتساءل (عدد ١٩/١/١٩٩٥م) من المجلة المذكورة عما إذا كان مركز التهديد قد انتقل من موسكو إلى مكة.

ويلاحظ مراد هوفمان - المستشرق والدبلوماسي الألماني المسلم - أن الغرب بعد صمود الإسلام ورفضه الانسحاب من مسرح الأحداث، خروجاً عن سياق الزمان والتاريخ، بل إنه يمثل إهانة بالغة للغرب، وبخاصة بعد انهيار الغريم الشيوعي، وهو ما أصاب الغرب بمرض زهو انتصار ثقافي أمبريالي غربي.

وتنتقد الرؤية السابقة الفلسفة الحياتية للغرب، ونظاميه الاقتصادي والسياسي، وفرضياته العلمية، وتكنولوجياته، ومفهومه عن حق الشعوب، وغيرها من معطيات الفكر والحياة، بما يمثل نموذجاً إلزامياً لما يسمى بالعالم الثالث.

ويلاحظ أن رسول الإسلام، الذي يحظى باحترام مليار إنسان، لا يتمتع حتى الآن في الغرب بأي حماية قانونية في الوقت نفسه، الذي يتمتع به أتباع البوذية، ومذهب التكهنية الهندوسية، وعابدو الشيطان، واليهود بحماية قانونية، فكل شيء مسموح إلا أن تكون مسلماً.

ويلاحظ هوفمان أنه إذا كانت الكنيسة الكاثوليكية قد أعلنت في ختام المجلس المحلي الثاني بالفاتيكان العام ١٩٦٥م أنها تتخلى عن تفردها وحدها «بخلاص الأرواح من الذنوب، وأنها تعترف بالإسلام كطريق للخلاص»، إلا أنها لم تتقدم إلى الخطوة المنطقية التي تتبع هذا الاعتراف، وهي الاعتراف بمحمد كقائد لهذا الطريق ومرشد له، «وبالقرآن كوحي إلهي».

ويرى هوفمان أن الإسلام يجرؤ على طرح نفسه كبديل للحضارة الغربية، ويتساءل حول التحامل الألماني على الإسلام «إلى أين سيصل بنا المطاف، إذا ما كممت الأفواه في ألمانيا، لأنها تتحدث عن خصائص لا تتوافق مع أيديولوجية بعينها؟ ماذا سيحل بنا، إذا ما استباح الأساتذة، والعلماء الحق لأنفسهم في إملاء مشاعر بعينها على مليار من البشر (غير المرغوب فيهم)؟

يعترف صمويل وهينتنغتون نفسه في كتابه «صدام الحضارات» بأن العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت لكليهما تعني الآخر بالنسبة للآخر، وإن صراع القرن العشرين بين الديموقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية ليس سوى ظاهرة سطحية وزائلة، إذا ما قورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية، وعبر القرون كانت خطوط العقيدتين تصعد وتهبط من نوبات انبعاث مهمة، فوقفات، وانتكاسات.

ويرصد دلالة الطبيعة العنيفة للعلاقات المتغيرة بين الإسلام والغرب في حقيقة أن ٥٠٪ من الحروب الثنائية بين عامي ١٨٢٠م و ١٩٢٩م كانت حروباً بين مسلمين ومسيحيين، ويفسر هينتنغتون طبيعة الصراع من خلال أوجه الاختلاف والتشابه بين الديانتين والحضارتين، فمن ناحية الاختلاف يأتي مفهوم المسلمين للإسلام كأسلوب حياة متجاوز ويربط بين

الدين والسياسة، ضد المفهوم المسيحي الغربي الذي يفصل بين مملكة الرب ومملكة قيصر، أما صدور الصراع عن أوجه التشابه فيأتي من أن كليهما دين توحيد يختلف عن الديانات التي تقول بتعدد الآلهة، وكلاهما ينظر إلى العالم نظرة ثنائية: «نحن» و«هم»، وكلاهما يدّعي أنه العقيدة الصحيحة الوحيدة التي يجب أن يتبعها الجميع، وكلاهما دين تبشيري يعتقد أن متبعيه عليهم التزام بهداية غير المؤمنين وتحويلهم إلى ذلك الإيمان الصحيح.

كما كان مستوى الصراع العنيف بين الإسلام والمسيحية عبر الزمان يتأثر دائماً بالنمو الديموغرافي وهبوطه، وكذلك بالتطورات الاقتصادية والتحول التكنولوجي وشدة الالتزام الديني ويمثل لعامل النمو الديموغرافي بأكبر عملية هجرة في التاريخ تدفقت على أراضي المسلمين منذ القرن التاسع عشر بسبب النمو السكاني الهائل الذي أدى إلى انفجار أوروبي يشبه الذي حدث إبان الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر.

وثمة إشارة برنارد لويس الذي لاحظ أن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك وبالنسبة للقرن العشرين يحدد هينتنغتون مجموعة من العوامل زادت مع الصراع من الإسلام والغرب في أواخر القرن العشرين، وهي:

أولاً: النمو السكاني الإسلامي الكبير الذي خلف أعداداً كبيرة من الشبان العاطلين والساخطين الأصوليين الذين شكلوا ضغطاً على المجتمعات المجاورة وخصوصاً بهجرتهم إلى الغرب.

ثانياً: إن الصحوة الإسلامية أعطت للمسلمين ثقة متجددة في قدرة قيمهم مقارنة بقيم الغرب.

ثالثاً: جهود الغرب المستمرة لتعميم قيمه ومؤسساته من أجل الحفاظ على تفوقه العسكري والاقتصادي، والتدخل في الصراعات في العالم الإسلامي التي تولد استياء شديداً في صفوف المسلمين.

رابعاً: سقوط الشيوعية أزال عدواً مشتركاً للغرب والإسلام وترك كلاً منهما لكي يصبح الخطر المتصور على الآخر.

خامساً: الاحتكاك المتزايد بين المسلمين والغربيين يثير في كل من الجانبين إحساساً بهويته الخاصة المختلفة عن هوية الآخر.

ونلاحظ أن التفسير السابق يجعل من الصدام بين الجانبين أن يكون حتمياً نتيجة لترتبه على مجموعة من المواصفات والعوامل التي لا يمكن تجنب قوتها وتأثيرها على اشتغال الصراع.

كما أن التفسير السابق ينحو إلى إذكاء قيمة الوجه الثقافي على حساب الأوجه الأيديولوجية والاقتصادية، مما يجعل خطوط التماس بين الأمم والمجموعات الممثلة لحضارات وثقافات مختلفة - هي خطوط معارك المستقبل.

وبالطبع يتضمن ما هو ثقافي مكونات التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد والدين.

ثمة تفسير سياسي مبعثه الديموقراطية، نجده في نظرية فرانسيس فوكوياما في كتابه «نهاية التاريخ، حيث يرى أن الديمقراطية الليبرالية حققت انتصارها النهائي على الشيوعية، وبالتالي أصبحت النظام السياسي السائد في شتى أنحاء العالم.

وبالطبع يرفض الأصوليون الإسلاميون هذه النظرة فالسيادة الحقيقة ليس مبعثها مبدأ سيادة الشعب الممثلة في الجمعيات التشريعية وعلى أساس مبدأ الإجماع الذي يفسره الممثلون المنتخبون، والقيم المستمدة من حركة التنوير الأوروبي، بل السيادة الحقيقية في الإسلام تقع بين يدي الله وحده حسب الشريعة الإسلامية، وهو ما يعبر عنه قول أبو الأعلى المودودي «إن مبدأ وحدة الله يبطل تماماً مفهوم السيادة القانونية والسياسية لبني الإنسان، فرادى أم جماعات، إن الله وحده هو المهيمن على شؤون العباد وشريعته «هو قانون الإسلام».

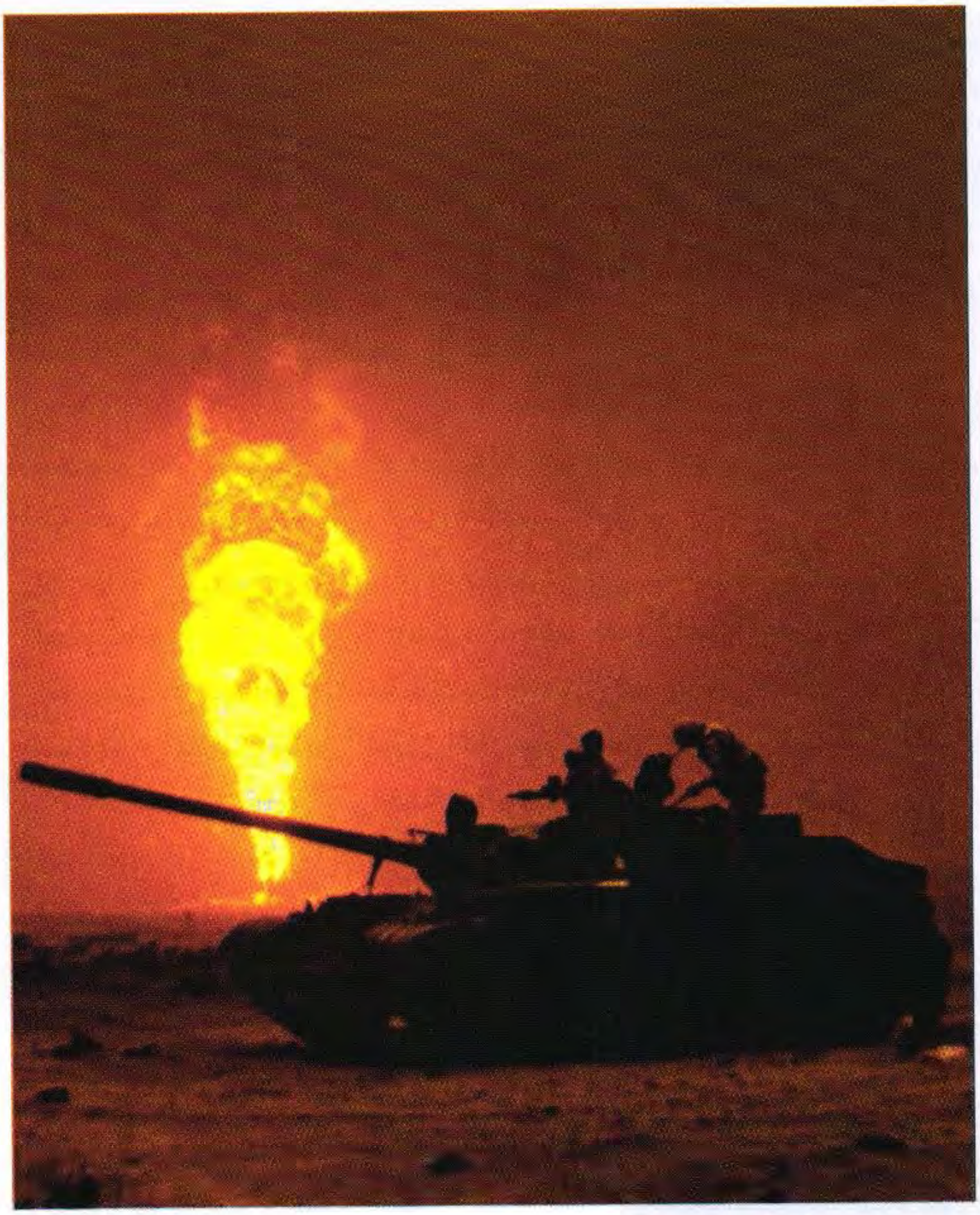
ويذهب إلى هذا الاتجاه منظّرون إسلاميون كثيرون يروون في قيم الحضارة الغربية «تسميماً غربياً للمجتمعات الإسلامية»، وفي نظرهم فإن العلمانية اللادينية وبالتالي اللاأخلاقية، هي شرور أشد سوءاً من المسيحية الغربية التي أنتجتها وإذا كانت ثمة «شيوعية كافرة» فإن هناك «غرباً كافراً» أيضاً.

وإلى جانب التناقض القيمي، فإن التطور التكنولوجي، وبخاصة في مجال الاتصالات من شأنه تأجيج الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية، فيرى المفكر الاسكتلندي أليس ريفن أن استمرار سيطرة الغرب على موجات الأثير، سيفرض هيمنته الثقافية على بقية العالم، مما سيذكي شعور الفقراء والمحرومين بضغوط صور أساليب الحياة التي تتمتع بها الأقليات المرفهة، وستولد مشاعر الظلم وعدم المساواة نيران التشدد، سواء الديني أو العلماني، وبالانتشار العالمي للحضارة والثقافة الغربية سيجد منظّرو الثورة الإسلامية أنفسهم مقاتلين في معركة يائسة خاسرة، وسيكون ملاذهم الوحيد في مواجهة الخروج الغربي على المبادئ وانهيار القيم المعنوية هو أسلوب «المشاركة»، وذلك عن طريق إضافة الرؤية المميزة للإسلام بعمقها الديني والتاريخي الغني، وإذا حدث الصدام بين الحضارات، فسيحدث في عالم الالكترونيات «المعلوماتية»، وليس بين الجيوش والكتل الإقليمية، إن الثقافي في الرؤية السابقة سيتضافر مع التقني وبخاصة في مجال المعلوماتية مما يعمق من الفجوة بين العالمين.

ويعيد هينتنغتون صياغة العلاقات بين الإسلام والغرب في فقرة محددة محكمة واضحة بقوله:

«المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية، بل الإسلام: فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته».

المشكلة المهمة بالنسبة للإسلام ليست المخابرات المركزية الأميركية ولا وزارة الدفاع، المشكلة هي العرب، حضارة مختلفة شعبها مقتنع بعالمية ثقافته، ويعتقد أن قوته المتفرقة إذا كانت متدهورة، فإنها تفرض عليه التزاماً بنشر هذه الثقافة في العالم.



وهذه هي المكونات الأساسية التي تغذي الصراع بين الإسلام والغرب «إن الحوار، والتشارك، والمراجعة، والاعتراف بالخطأ تشكل في نظرنا مدخلاً لإعادة التوازن بين الحضارتين، وتمهد إلى إيجاد أرضية مناسبة للتلاقي: فالاعتراف بالأخطاء المتراكمة، ونقد الذات، وإبداء الرغبة الحقيقية في التفاعل المتكافئ والتداخل الحضاري المبني على أرضية من التسامح الرحب في مواجهة أنانية الغرب وصلفه التي يعبر عنها ادوارد سعيد في مؤلفه الرائع: «الإمبريالية والثقافة» بقوله: «لقد عززت الإمبريالية خليط الثقافات والهويات على مستوى كوني، غير أن أسوأ هباتها وأكثرها ضدية هي أنها حملت الناس على الاعتقاد بأنهم بيض، أو سود، أو غربيون، أو شرقيون، وكما أن البشر يصنعون تاريخهم الخاص، فإنهم يصنعون أيضاً ثقافاتهم وهوياتهم الأعراقية، ليس بوسع أحد أن ينكر الاستمرار الملحّ للتراثات العريقة، والمساكن المفرزة المتصلة، واللغات القومية، والجغرافيات الثقافية، لكن المضي في الإلحاح على تمايزها وانفصالها يولّد الخوف والتحيز، إنه لأعظم نفعاً ـ وأكثر صعوبة أن نفكر بتعاطف وإحساس بالآخرين بدلاً من أن نفكر بـ«أنفسنا فقط»... بيد أن ذلك يعني أيضاً ألا نحاول أن تحكم الآخرين، ونصنفهم في تقسيمات، ويعني فوق كل شيء ألا نلح على تكرار أن «ثقافتنا» أو بلادنا هي الأولى، إن أمام المفكر قدراً كافياً مما هو قيم ليستغني به عن ذلك».

ويستشهد سعيد بعبارة أليوت: «إن الواقع لا يمكن أن يحرم من الأصداء التي تقطن الحديقة».

لا جدوى من المواجهة المحتدمة بين حضارتي الإسلام والغرب، وبخاصة في ظل النية الغربية على إقصاء الآخر، وتغييبه، وتشويهه، بل إن الحوار هو البديل الحقيقي الذي يحقق مصلحة الطرفين، ولا نجاح لهذا الحوار في غياب الشروط المهيأة له وفي مقدمها اعتراف الغرب بالإسلام كهوية متميزة، واحترامه، واحترام أتباعه، وحقهم في الوجود، وهو ما يمكن أن توفره الرؤية المنصفة للآخر، كما نستبعد بدورنا خطأ تكتيل الغرب بوضعه في سلة واحدة، معادية كافرة بالضرورة، ويعبر مفكر إسلامي بارز هو أحمد كمال أبو المجد عن هذا المعنى بقوله: «إن التسامح الحقيقي من الضروري أن يتوافر سلفاً لتحقيق تعددية ذات مغزى، إذاً كوننا نؤمن بإله واحد وبكرامة إنسانية وبالتعددية، فهذه في اعتقادي عناصر مشتركة كافية لتبرير بذل جهود مشتركة لعبور الهوة التاريخية بين العالمين.

إن العالمية الحقيقية ـ لا المزيفة ـ تعني وجود أقوام متعددين يحتفظون بالاختلافات بينهم مع سعيهم في الوقت نفسه لإثراء جهودهم المشتركة من خلال العناصر المتضمنة في هذه الاختلافات».

إن كل ما يطلبه المسلمون هو أن تتاح لهم الفرصة لكي يقدموا ـ بكل تواضع ـ ما تحتويه ثقافتهم ويمكن أن يفيد إقامة نظام المراكز سلاماً وتقدماً وإنسانية.

ولعلي أستعير عنوان التقرير الأخير لليونسكو ـ في نهاية هذه الداخلة ـ: «تنوعنا الخلّاق»، نعم، فالإيمان ـ واحترام ـ هذا التنوع بين الكتل الثقافية المختلفة، واحترام هذه التعددية الثقافية، هو الشرط الحقيقي لإقامة حوار ناجح بين الكتلة الإسلامية والحضارة الغربية، ولا غنى عنه أبداً بدلاً من حتمية المواجهة الثقافية التي بشَّر بها هينتنغتون وأترابه. ■

الجبال

بين علم التكتونية والشريعة الإسلامية

بقلم : د. رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان

الجبل Mont ou Mortagne ... إنه أنموذج طبوغرافي عظيم البنية، شكل طبيعي من تشكيلات الأرض ... تضريس أرضي هو الأكثر ارتفاعاً عن سائر تضاريس الطبيعة ... نظمه الحق تبارك وتعالى، وأقامه ميزاناً في الأرض بعد أن دحاها، يقول جل شأنه : (والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها) النازعات: ٣٠ ـ ٣٢، وقوله تعالى : (والجبال أوتادا) النبأ:٧، إنه كيان جيولوجي منصوب في وجه المكذبين بوجود الموجود الأعلى الذي أوجده بقدرته، يقول رب العالمين في محكم آياته مخاطباً كل ذي عقل : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت) الغاشية: ١٧ ـ ٢٠.

والهدف من هذه الدراسة الوقوف على آخر فرضيات علماء الطبيعة، وأحدث مكتشفاتهم المادية حول الجبال ... تلك الظواهر الطبيعية الفذة الدالة على قدرة من أبدعها ـ سبحانه وتعالى ـ وكان للقرآن العظيم قصص فيها ... فما بين دلالات قدرة الخالق في خلقه الجبل... في ضوء البحوث المستجدة ... وما ورد في الأثر الإلهي الموثوق ... نعرض السطور التالية... ليدرك العقلاء من أهل المادة أن فوق كل ذي علم عليم.

الجبال ونظريات علم التكتونية

علم التكتونية Tectonique «بنيوية الأديم» وهو فرع من علم طبيعة الأرض، يبحث في بنية القشرة الأرضية، وما ينشأ فيها من تغيرات بفعل القوى الباطنة، ويعرف علم طبيعة الأرض بـ Geophysique ... والجبال عموماً تدرس في كنف التخصصات العلمية المنبثقة عن هذا العلم، كما في علم الجيومورفولوجيا Géomorphologie، ويتناول بحوث شكل الأرض وتطوره، وعلم الجيولوجيا Géologie المختص بدراسة طبقات الأرض وعلم الجيوديزية في مساحة الأرض Géodésie ... ويستعين علماء التكتونيات في معارفهم بنتائج علم «الأراضة الديناميـة» Géodynamique - بصفة أساسية - ويدرس هذا العلم تبدل القشرة الأرضية بتأثر العوامل الداخلية والخارجية ... وبصفة ثانوية يعتمد عالم التكتونية على نتائج بحوث علمي الجغرافيا Géogrpahie والطبوغرافيا...

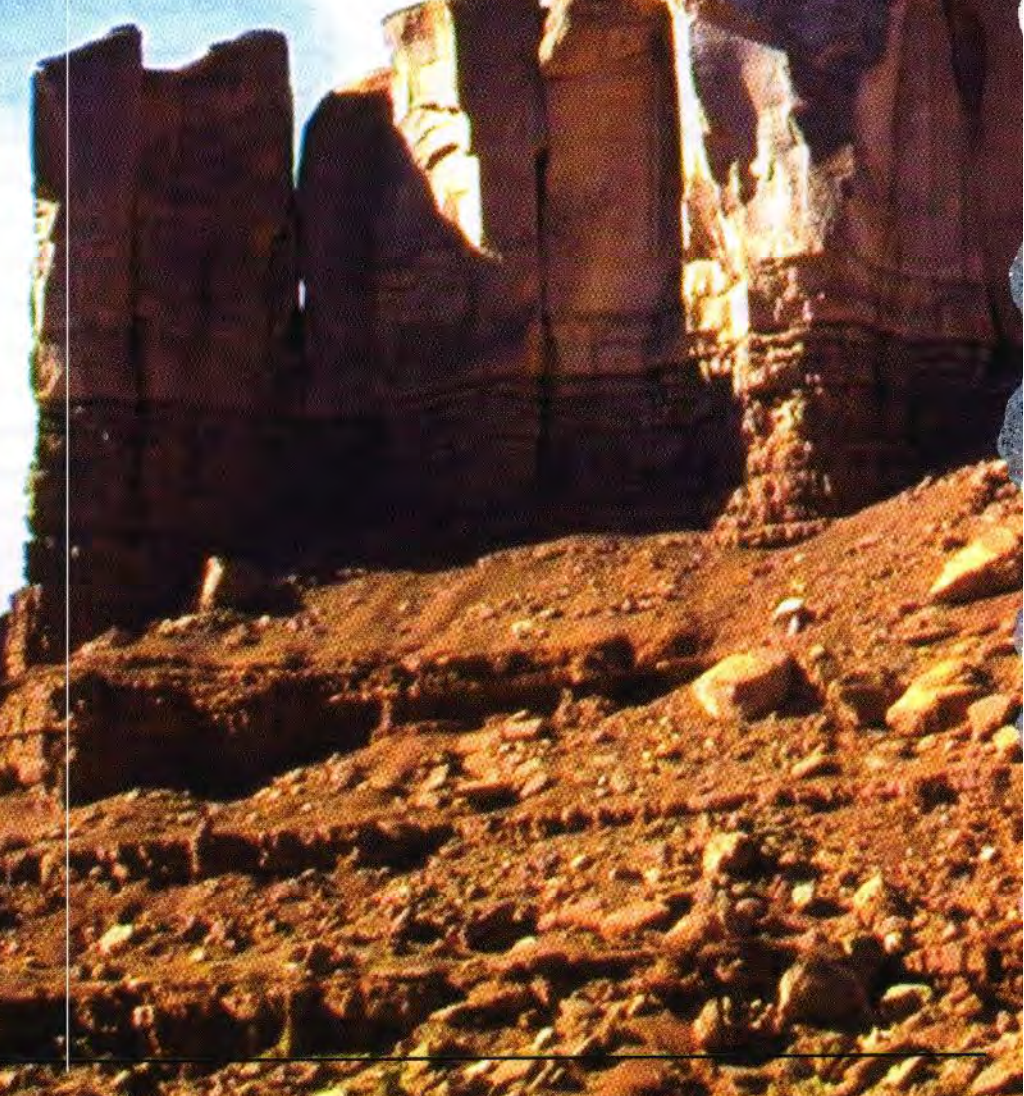
إن التكتونيين شأنهم شأن علماء الطبيعة ينشدون معرفة تاريخ الكرة الأرضية... ووسيلتهم في ذلك فرضياتهم العلمية التي تدور حول معرفة الطريقة التي تتفاعل فيها القوى التكتونية والانجرافية والمنافية لتشكل الجبال، ولأن الشريعة لا تصادر من علوم المادة سوى المتعارض مع أصولها وقواعدها، فإنه من العظة والاعتبار جذب القارئ إلى نتائج الفرضيات العلمية من زوايا الأهمية الجيولوجية والجغرافية المنظومة من نظم الخالق، وقدر لها كيانها الشرعي الفريد... كما سيجيء بإذن الله.

الثابت في أحدث التقارير العلمية(١) أن عملية تشكل الجبال تعتمد على قوى الهدم الانجرافية بقدر ما تعتمد على القوى التكتونية البنائية... يقول العلماء - طبقاً للأبحاث الحديثة - إن الجبال لم تتكون وتتخذ أشكالها فقط بموجب حركات الصفائح التكتونية الضخمة التي تشكل المظهر الطبيعي للأرض، وإنما يتم ذلك أيضاً بوساطة التغيرات المناخية وعمليات الانجراف... ومن هنا تقوم معيارية أشكال الجبال وارتفاعها... وذلك من شأنه تقديم المعلومات التاريخية لتشكل أو هدم السلاسل الجبلية.

وبسبب أهمية تشكل الجبال في تطور الكرة الأرضية، فإن نتائج هذه الأبحاث لها أهمية كبيرة في علوم الأرض، وبالنسبة إلى الجيولوجي، فإن سهول الكرة الأرضية ووديانها العميقة وبخاصة صورة جبالها، تكشف له عن النمط العام وسيرة تطور الكوكب خلال مئات الملايين من السنين، فعبر هذا التاريخ الطويل، تُعد الجبال دليلاً على أمكنة الأحداث التي انتابت القشرة الأرضية، أو بالأحرى تحت هذه القشرة تماماً، مثل أحداث تصادم الصفائح التكتونية التي دفعت هذه الطبقة السطحية نحو الأعلى، وهكذا فإن الجبال هي أفضل مظهر مرئي عن القوى التكتونية الضخمة الفاعلة وعن الفترات الزمنية الطويلة التي من خلالها قامت تلك القوى بمهامها.(٢)

لقد تشكلت الجبال على مدى تاريخ طويل ... هكذا يدرس شراح العلم التكتوني... وكانت الفرضية السابقة المفسرة لكيفية تطور الجبال عبر الزمن، قد أرساها العلماء العام ١٨٩٩، وتُسمى نظرية الدورة الجغرافية The Geolruphic Cycle ... فهناك دورة حياة افتراضية لسلاسل الجبال، بدءاً من نشأة عنيفة سببها نشاط رفع تكتوني قصير الأمد، ولكنه عنيف جداً، إلى تدهور تدريجي نحو «شيخوخة» سببها انجراف بطيء ولكنه مستمر.

ولقد كشفت التكنولوجيا المتقدمة «سواء في مجال هذا العلم أو



العلوم المتصلة بالطبيعة» عن قصور في الفرضية السابقة، فعدل العلماء إلى فرضية أخرى، ففي الستينات، فُسرت طريقة تشكل الجبال، بأن ذلك ناتج عن التحرك الأفقي لكتل ضخمة من الغلاف الصخري الذي لا يمثل الجزء الخارجي الصلب والبارد نسبياً من الكرة الأرضية، وبحسب هذا الإطار العريض، فإن طاقة الحرارة الداخلية تشكل سطح الكوكب نتيجة انضغاط وتسخين وتكسير الغلاف الصخري الذي تتراوح ثخانته ما بين ١٠٠ كيلو متر أو أقل تحت المحيطات، و ٢٠٠ كيلو متر، أو أكثر تحت القارات، ولا يكون الغلاف الصخري على شكل طبقة واحدة مستمرة، بل يكون - بالأحرى - مقسماً إلى عشرات من الصفائح، وهذه الصفائح، مدفوعة بالعمل الحراري الذي تحتها، وتتحرك بالنسبة إلى بعضها بعضاً مفسرة بذلك معظم ظواهر ومعالم سطح عالمنا المألوف مثل الزلازل وأحواض المحيطات والجبال.(٣)

والمستقر عليه علمياً الآن أن تكتونية الصفائح ليست هي الوحيدة كقوة مشكلة للجبال، بل يسهم بتأثير ليس أقل أهمية من عمليات الانجراف والمناخ ... إذن يسهم في تشكيل الجبال الصفائح التكتونية مضاف إلى ذلك الانجرافات الطبيعية وظروف المناخ... وترتبط هذه المركبات الثلاث فيما بينها بارتباطات وعمليات تغذية مرشدة Feedbacks معقدة ومتعددة.(٤)

يقول التكتونيون إن جبال الهيمالايا والأبالاش أكبر السلاسل الجبلية على الكرة الأرضة، قد تشكلتا معاً من تصادم قاري، وجبال الهيمالايا تمتد ٢٥٠٠٠ كيلو متر عبر شمال الهند وجنوب التيبت ملكة السلاسل الجبلية وأعلى جبالها قمة إفرست ٨٨٤٨ متراً، وتمثل جبال الهيمالايا مع هضبة التيبت الواقعة في شمال السلسلة وجنوب غرب الصين أكبر كتلة جبلية على الكرة الأرضية، ويفترض العلماء أن هذا النطاق الجبلي هو أعلى كتلة مرتفعة وصلتها الأرض عبر الألف مليون سنة الماضية، إن كل هذه الطبوغرافيا المثيرة والمتنوعة تطورت خلال الخمسين مليون سنة الماضية، نتيجة لتصادم بين الهند وصفائح آسيا التكتونية، كما أن تشكل جبال الهيمالايا وهضبة التيبت يوضح الكثير من مبادئ نظام تشكل الجبال الغني بالتغذية المرتدة... ويرى العلماء وحدة العمليات الجيولوجية التي شكلت جبال الأبالاش والهيمالايا، ولكن بفارق زمني قدره نحو ٢٥٠ مليون سنة... لقد أعطت السنون الكثيرة والطويلة إلى جبال الأبالاش «الأقدم» مظهراً أقل وعورة من جبال الهيمالايا «الأحداث»، والتي لاتزال ترتفع باستمرار بفعل قوى تكتونية شديدة. إن الجبال كظاهرة طبيعية تحير العلماء، وعموماً هم مستبشرون خيراً في كشف المزيد عن أسرارها لذلك نجدهم يلجؤون حالياً إلى عمليات المحاكاة الحاسوبية إنهم يحاولون تأريخ الجبال جيولوجيا ويرغبون في إدراك تفصيلات أكثر عن الطريقة التي أدت إلى ارتفاع سلاسل جبال الأرض الرائعة وتطورها وانحطاطها.

الجبال في العلوم الشرعية

في مقدم المصادر شرعاً فيما يزعمون فرضياتهم الرامية لتأريخ الجبال، ذلك أن بدايات تشكل الجبال تتصل اتصالاً تاريخياً بمنشأ الأرض في العلوم الغيبية التي لا علم لنا بنظرياتها سوى ما ينبئنا به الحق عز وجل في محكم آياته، فالأرض ... ذلك الكوكب الذي نسكن مسطحه... كان يسكنه الجن قبل ظهور الإنس... بشأن تلك الحقيقة الشرعية في العلوم الغيبية.. ذكر الطبري(٥): «أن الأرض كان فيها قبل آدم الجن، فبعث الله إبليس قاضياً يقضي بينهم، فلم يزل يقضي بينهم بالحق ألف سنة، حتى سمي حكماً وسماه الله به، وأوحى إليه اسمه، فعند ذلك دخله الكبر، فتعظم وتكبّر، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حكماً، البأس والعداوة والبغضاء، فاقتتلوا عند ذلك في الأرض ألفي سنة، حتى أن خيولهم تخوض في دمائهم، ذلك قوله تبارك وتعالى: (أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) ق: ١٥، وقول الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) البقرة: ٣٠، وعن جيولوجيا الجبال في علم الأرض الغيبي الذي أرّخ فجره المتكبر سبحانه، كانت الجبال قائمة منصوبة، أوتاداً ظاهرة للعيان، تسهم الطبيعة الأرضية في تشكيلها على طول الزمان، شأنها شأن جنس الموجودات على شاكلتها مرتفعة أو منخفضة قريبة من البحار والمحيطات أو بعيد...» روى ابن كثير(٦) عن غيره «كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، فبعث الله جنداً من الملائكة فضربوهم حتى ألقوا بجزائر البحور، وكان محمد بن إسحاق يقول في قوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) يقول ساكناً وعامراً يعمرها ويسكنها خلقاً ليس منكم، وقال ابن عباس إن أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضاً، قال فبعث الله إليهم إبليس فقتلهم ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ثم خلق آدم فأسكنه إياها».

إذاً الجبال شهدت حقبتين تاريخيتين منفصلتين، حقبة تبدأ منذ خلق الأرض وحتى نزول الإنسان إليها، وحقبة تبدأ منذ نزول الإنسان وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها... والحقبة الأولى زمنها زمن غيبي علمها عند الله فيها الجبال شاهدة على ما يجريه السكان الأوائل وما يفعلونه والحروب الضروس بينهم وتدخل إبليس على نحو ما سلف ذكره... فإن استطاع التكتونيون والجولوجيون - جدلاً - أن يحددوا تاريخ جيولوجيا الجبال، فإنهم - طبقاً للمنطق العقلاني الصرف - لن يستطيعون التاريخ سوى منذ الوجود الآدمي، وهي المرحلة التاريخية الثانية، أما المرحلة التاريخية الأولى فهي ضرب من ضروب المعرفة يحكمه ناموس علوم الغيب، والجبال موجودات عُظمى وأثر مادي بدأ مع بداية تاريخ ما قبل البشر... بل إنها - أي الجبال - هي التي استقبلت البشر الأول... وفي أكثر من قصص مشوق في روايات الطبري(٧) قال الحسن بن يحيى: «أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض، وكان مهبطه بأرض الهند، وهو قول عمرو بن علي نفسه المنسوب إلى ابن عباس وقول ابن سنان كذلك وأبو همام، وروى الحارث: اهبط آدم على جبل بالهند يُقال له: بَوْذ». فطبقاً لمصادرنا الشرعية ندحض التأريخ الجيولوجي للجبال طبقاً لفرضيات علماء التكتونيا والجيولوجيا وما يقرر شراح العلوم الطبيعية... إذ تقف معارفهم العلمية المادية عند حافة التاريخ الفاصل بين الوجود الآدمي على الأرض وما قبل وجود آدم... وما ملايين السنين المضروبة سوى مجرد تخمينات مستنبطة من الفكر المادي الشاغر من المعلومات الكونية الشرعية، وصدق رب العالمين يقول وقوله الحق: (ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) الإسراء: ٣٧.

وينبغي أن يكون معلوماً أن الشرع يقر جوانب المنفعة في العلوم التكتونية... فهي تضع مؤشرات جيولوجية وتوقعات علمية لا يدحضها الشارع عز وجل بأي حال من الأحوال، ويستمد أي مكتشف علمي يصل إليه التكتونيون قيمته وأهميته من تفاعل العنصر البشري مع ما سخرته الطبيعة له عرفاناً بتكريمه، على سائر المخلوات... ذلك قوله

سبحانه: (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً) الأعراف:٧٤، وقوله تعالى: (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين) الحجر:٨٢، وقوله: (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين)الشعراء: ١٤٩، إن البحوث والدراسات التكتونية بفضل ما تقدمه من معارف حول تكوين الجبال ومدى تأثير آليات الطبيعة في حركتها ومعالمها وتضاريسها، تضيف إلى رصيد البشرية احتياطات تحميها وتحمي البيئة الحيوانية والنباتية في المجتمعات المقامة على الجبال، يقول سبحانه وتعالى: (والله جعل لكم مماخلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً) النحل:٨١، وقوله: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) فاطر:٢٧، تنوع إحيائي تشهده البيئة الجبلية، فلا يمكن التضحية ببحوث العلم الذي يكتشف علاقة مسخرات الطبيعة بالجبل، وقد قارب العرش «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) النحل:٦٨.

اعلم أن الله بقدرته لم يوجد الجبال العملاقة على أرضه بخصائصها المشهودة صخرية أو جيرية أو طينية... بل بعزته وجلاله أوجد الجبال الثلجية في القطبين الباردين، وأعلى قمم المناطق الاستوائية، بل جعل في السماء القريبة جبال الثلج تسير مع الرياح، يقول الجبار تبارك وتعالى: (ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) النور:٤٣، إنها معجزات علمية وردت في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، والباب مفتوح على مصراعيه أمام المتخصصين في علوم الطبيعة حتى يعرضوا خلاصة دراساتهم التخصصية مبرزين أوجه الإعجاز القرآني... برد ثلجي جامد مصدره جبل يسبح في السماء حول المعمورة، وقد قال ابن كثير - طيب الله ثراه - في تفسيره الآية(٨): (من جبال فيها من برد) معناه أن السماء فيها جبال برد ينزل الله منها البرد، وأما من جعل الجبال ههنا كناية عن السحاب فإن من الثانية عند هذا الابتداء الغاية أيضاً لكنها بدل من الأولى والله أعلم».

لقد شهدت جبال الأرض اطمئنان قلب الخليل إبراهيم عليه حينما التمس من المولى عز وجل التثبت من كيفية إحيائه - عظم شأنه - الموتى، يقول تبارك في محكم آياته: (وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم) البقرة: ٢٦٠.

والجبل هذا المخلوق الجامد في فكرنا القاصر على علوم الله، من فضل الله علينا أعلمنا بالتوجه الخفي إليه من قبل الجبل... يقول الرحمن: (ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال) الحج:١٨، نعم الجبل يسبح الله خالقه الذي أبقاه، يقول المعز: (ولقد آتينا دواد منا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطير وألنا له الحديد) سبأ: ١٠، وقوله: (وسخّرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) الأنبياء:٧٩، وقوله: (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق) ص:١٨، إنه الجبل الذي أقامه الله فإنه يخشاه، يقول تبارك وتعالى: (وتخرُّ الجبال هدّاً) مريم:٩٠، وهذا ما شهده موسى عليه السلام، ورأى بعينه، تصديقاً لذكره الحكيم: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربّه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) الأعراف:١٤٣. يرى علماء الطبيعة في سلاسل جبال الهيمالايا تضاريس عظمى راسخة تحتاج إلى زمن طويل كي تزال أو تتبدل أو تتغير معالمها، نقول إنه في مقدور المولى أن يصدعها ويطمسها في الأرض بلحظة واحدة، يقول رب العالمين: (وحُمِلَتِ الأرض والجبال فدكّتا دكّة واحدة) الحاقة: ١٤، وقوله: (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً) المزمل: ١٤، وقوله: (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) طه: ١٠٥.

اللهم لا تجعلنا ممن رفض الجبل إيوائه بالهروب يوم الطوفان العظيم، فصدق إذ يقول وقوله الحق: (قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) هود: ٤٣. ■

الهوامش :

! 2 Landform Development By Tectonics And Denudation, T. Yoshikawa In Themes In Geomor Phology, Edited By A. Pitty. Croom Helm, 1985.

Erosilnal Control Of Active Campressional, Orogens, C. Beaumont, P. Fullsck And I. Hamilton In Thrust Tectonics, Edited By K.r. Mc Clay, Chapman And Hall, 1992.

@ 2 Megageomorphology. E. A. Keller And N. Pinter In Active Tectonics: Earthquades, Uplift And Land Scape, Prentice Hall, 1996.

٣ - بحث مشترك بين الأستاذين «بنتر» و«براندون» وعنوانه «دور التحات في تشكيل الجبال» منشور في مجلة العلوم، المجلد ١٣ العددان ٨، ٩ أغسطس، سبتمبر ١٩٩٧م، ترجمة فؤاد العجل - إبراهيم الرفاعي... ص ٥٨: ٦٣، مكملة بـ ص٧٤.

٤ - لمزيد من التفصيلات التي تهم المختصون بعلوم الطبيعية... تراجع فكرة تشكل الجبال كنظام يتكيف مع الظروف system - Oriented View بالمقارنة مع تأثير النشاط البركاني في تشكيل الجبال «ظاهرة الاندساس أو التصادم بين الصفائح»... عملية التوازنية isostasy، وتدفق اللابات Lava واندساس المصل وتكشف الصخور.

Tectonic Forcing Of Lake Cenogoic Climate, R.e.raymo And W,f. Ruddiman In Nature, Vol . 329. No, 6391, Pages 117 - 122, September 10. 1992.

٥ - تاريخ الطبري، لمحمد جرير الطبري، مكتبة التراث الإسلامي، ج٢، ص ١٠٠.

٦ - تفسير القرآن العظيم الحافظ ابن كثير، دار الحديث، ج١، ص ٦٨.

٧ - الطبرى ج٢، الفقرات من ٢١٧: ٢٢٣ ص ١٢٨ و ١٢٩.

٨ - ابن كثير ج٣ ص ٢٨٧.

ضيف السماء

شعر : محمد عبدالله القولي

يا ربِّ هل للمصطفى نصراء
إن تكثر الأحزان والأعداء
صبرت على كل المصائب نفسه
لا يتمه أضنى ولا ضراء
لم يثنه من قومه إعراضهم
لم تحنه من كيدهم أنواء
مستعصم بالله ينشر دينه
إن شط أعداء وزاد بلاء
إن أهل مكة سلطوا سفاءهم
وثقيف(١) أشقى حظها جهلاء
آذوا رسول الله أجروا دمعه
أدماه من أصلابهم سفهاء
كلا فرب الكون ليس بغافل
والنور لن تغتاله الظلماء
عز المضيف وتاهت الأجواء
وأتى لأحمد نصرة(٢) ونداء
أسرى» بأحمد مكرما من ربه
فالركب نور والطريق سماء
والنجم يبسم بهجة من موكب
والبشر فيض في الدنى وعطاء
والطير تصدح والظلام مخيم
والنور يشرق والقلوب ظماء
والضيف يدعو والملاك بقربه
يطوي الطريق وشأنه الإرضاء
والمسجد الأقصى تألق وازدهى
لما ترامت سمعه الأنباء
أن الحبيب محمدا سيحله
والصخرة العظمى هي المرقاء
وصل البراق إلى الديار فأشرقت
راياتها وتحلق السمحاء
فالمرسلون يقدمون إمامهم
ويبجلون وهكذا الفضلاء
عرفوا لأحمد قدره وجلاله
فهو الرسول الخاتم الوضاء
وهو الحبيب إلى الإله وكلهم
في المصطفين السادة العظماء
في حبهم له طاعة لإلههم
والمصطفون إلى الرضاء ظماء
فهو الرسول إلى الأنام جميعهم
والمرسلون لقومهم نذراء
لاقوا بأحمد بهجة وسعادة
فهو الهمام وصحبه كرماء
حتى إذا حان الرحيل تجمعوا
من حول أحمد والدموع سخاء
قد ودعوه على قريب لقائه
وقلوبهم في حبه غناء
الصخرة العظمى تشرف قدرها
لكأنها من نوره زهراء
سعدت بمرقاه وهيج وجدها
أن ودعته وعينها سحاء

فإذا الملاك يحله معراجه

وإذا المكان بلحظة علياء

وإذا السماء تفتحت أبوابها

وإذا الفضاء من الهدى أضواء

ومحمد يلقى الملائكة العلا

جاد الزمان فكان منه لقاء

سبع السماوات الطباق تهللت

لقدومه وتبسمت أجواء

جاء الحبيب إلى الحبيب بدعوة

أزجى بها المولى فجل عطاء

فأراه من آياته مستورها

من أجله أضحى لهن جلاء

فرأى مشاهد في القيامة قدمت

من جنة تزهو بها الأفياء

تدني لأرباب الصلاح ثمارها

يهنا بها الأبرار والشهداء

أو شقوة بجهنم قد أكرموا

وتنوع التعذيب والبلواء

باري الوجود أعز دعوة ضيفه

والله ليس لجوده أنحاء

من عرشه أدناه دون عباده

وسماء به من فضله إثراء

يرقى الرسول إذ الملاك مؤخر

متوقف قد ناله الإعياء

مستأذن فإذا خطوت بقدر أنملة

فنيت وحرق الأشلاء

السدرة العظمى ستلقاها وما

بعد السديرة يكرم السعداء

وقف الرسول بقرب من فطر الدنى

متشوقا تهنا به الأرجاء

ألقى التحية والفؤاد مسبح

وصلاته في صدره أنداء

فإذا السلام أتاه يثلج صدره

وإذا سرور لفه وهناء

أوصاه بالخمس الفرائض تنتشي

من نهرها الأرواح والأعضاء

وإذا الملائك تزدهي بشهادة

والمصطفى قد طاب فيه ثناء

صلى الإله على النبي محمد

هادي الأنام وكلنا شهداء

إيماننا بإلهنا معرجنا

ودعاؤنا لنبيه إسراء

---

(١) قبيلة ثقيف التي جاءها الرسول ﷺ في الطائف فلقي منها الأذى.

(٢) جاء جبريل ﷺ بدعوة الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ للإسراء والمعراج.

قضايا إسلامية

أهمية العالم الإسلامي

بقلم : سامي الجيتاوي

شاء القدر للإسلام - أن يكون حارس الإنسانية والحرية في وجه الاستعمار، لم يكن للاستعمار منذ نشأته طريق إلى الشرق إلا من خلال بلاد إسلامية.

أراد المستعمرون أولاً أن يصلوا إلى الهند فوجدوا الإسلام قائماً في طريقهم على مفترق القارات الثلاث ممتداً من مصر إلى العراق، ومنهما إلى الأناضول وبينهما سورية وفلسطين... وعلى مقربة من هذه البلاد شواطئ البحر الأحمر وشواطئ البحر الأبيض عند مدخل المشرق من جميع نواحيه، ولما وصل منهم من وصل إلى الهند تارة على السفن التجارية وتارة على سفن الاستكشاف حول القارة الإفريقية، وجدوا الإسلام في الهند عقبة يحسبون حسابها، فوضعوا خططهم على أساس ترويض الهند باضطهاد المسلمين فيها، ودق أسافين الفتنة فيما بينهم.

وأعلن اللورد «ألنبرو شيئاً» من هذه الخطة فقال : «لا يسعني أن أغمض نظري عن حقيقة لا شك فيها، وهي أن العنصر الإسلامي عدو أصيل العداوة لنا، وأن سياستنا الحقيقية ينبغي أن تتجه إلى تقريب غير المسلمين من الهنود».

وجد المستعمرون هذا الحارس المخيف على شواطئ الجزر والبحار وفي كل مكان وصلوا إليه من شواطئ المحيط الهندي المترامية، حيث وجدوه في جزر أندونيسيا، كما وجدوه في خليج العرب، وفي سواحل زنجبار «التي تم هضمها» ولم يكن بعيداً منهم عن شواطئ الهند الصينية والفلبين.

شبح هائل في طريق الاستعمار يلقاه أمامه، حيث سار، وتأخر من تأخر من أفواج الاستعمار، فوجدوه أمامهم، كما وجده المتقدمون من قبلهم ... وجدته روسيا القيصرية في القفقاس، وأذربيجان وآسيا الوسطى، ووجدته فرنسا في أفريقيا الشمالية وأفريقيا الغربية، وليست كلمة «السنغال» إلا كلمة «صنهاجة» قبيلة الموحدين حرّفها المستعمرون قبل أن يطأوا بلادها الأولى بأعوام طويلة، وكانت ألمانيا في أوروبا الوسطى مشغولة عن الاستعمار بولايتها المتفرقة، وسلالتها الجرمانية المختلطة، فلما فرغت من هذا الشاغل، وصاحت صيحتها: إلى الشرق... إلى الشرق... إذ بالإسلام في الطريق على البسفور بين أوروبا وآسيا... وإذ بالطريق كله قبل ذلك وبعد ذلك في أيدي المسلمين.

ومن المضحكات أو المبكيات، أن الاستعمار الألماني حاول من باب الصداقة ما تعب فيه الآخرون من باب المناجزة والاضطهاد، فأبدى عاهل «هونزلن» أسفه لخلو آسيا الصغرى من السكان على اتساعها وصلاحها لعمران الزراعة والصناعة، واقترح على ساسة الترك أن يعاونهم بمليونين من الألمان يحرثونها ويقيمون فيها دور الصناعة ومعاهد الفنون.

فقبل ساسة الأتراك هذا الاقتراح ... ولكن بشرط واحد... وهو: أن يكون توزيع الألمان بين السكان وفي المناطق التركية المختلفة بإشرافهم، وعلى حسب تقديرهم.

القوى الاستعمارية تعرف قيمتنا منذ قديم الزمان بطريقة أدق مما نعرفها

فأدرك هذا الاستعمار «الصديق» ما وراء ذلك، وأراح نفسه من التوجع لخلو المكان وحاجته إلى السكان والعمران، ثم جاء دور الفاشية الإيطالية أخيراً، فجعلت غزوها لطرابلس الغرب جهاداً صليبياً ضد الإسلام ... ووضعت على ألسنة المجاهدين!! نشيداً لحنوه موسيقياً... يقول في ختامه وهو يخاطب أمه:

«إن سألك السائلون لِمَ لا تلبسين عليه السواد... فقولي إنه مات شهيداً في قتال الإسلام».

فالعداوة بين الاستعمار والإسلام عداوة تاريخية جغرافية نفسية وتلك أصعب العداوات وأعمقها وأعصاها على التوفيق والنسيان... هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فالسياسة سوق تجارية كبرى... على حد تعبير الأستاذ أمين هويدي، فعلى قدر ما في جيبك من نقود يمكنك أن تشتري، إذاً أن تعرف القيمة الحقيقية لما في جيبك شيء مهم، وأن تعرف قيمة ما يمكنك أن تشتريه من السوق التجارية كمقابل ذلك شيء أهم وإلا كسب التاجر الجولة، فقد يعطيك بضاعة كاسدة، أو فاسدة، وقد يعطيك أقل مما تستحق، أو قد يأخذ كل ما في جيبك... دون أن يعطيك شيئاً.

ويبدو أن القوى الاستعمارية تعرف قيمتنا من قديم الزمان بطريقة أدق مما نعرفها - فالمساحات التي يمتد فيها الإسلام كظاهرة مكانية لا يجاوزها من حيث الامتداد المساحي سوى المسيحية.

ومن الناحية العددية، فإن الهيكل السكاني للمسلمين يبلغ حسب تعداد سنة ١٩٧٥م أكثر من (٧٠٠) مليون، وهذا يمثل (١٧.٥٪) من الهيكل السكاني في العالم، وهذا الكم العددي يوزع قارياً إلى (٦٧.٥٪)

من مجموع السكان في آسيا، في حين يتركز (٣٢.٥٪) في أفريقيا.

والإسلام يأتي في المرتبة الثالثة من الهيكل الديني العالمي بعد البوذية والمسيحية ... وتأتي من بعده الهندوكية.

فنحن إذاً بصدد دين عالمي.

بل إن لأقليات المسلمة في كثير من الدول ذات ثقل سياسي يتجاوز مقدارها العددي - وهذا العالم الإسلامي يقع ضمن إطار عالم المصادر الأولية... ففيه النفط - عصب الحضارة المعاصرة - والفوسفات والحديد واليورانيوم والنحاس، وفي الوقت نفسه نظراً لتخلفه وتعداد سكانه، فإنه يعتبر سوقاً استهلاكية ضخمة لهذه القوى الخارجية.

- ومن ناحية المكونات الاستراتيجية، فلا توجد كتلة جغرافية على هذه الدرجة من الأهمية على الصعيدين الاستراتيجي والجغرافي، لأنها تقع في قلب العالم، فهي نقطة التقاء ووصل بين الشرق والغرب، وبذلك فهو مركز حركة المواصلات البرية والبحرية والجوية العالمية... بكل انعكاسات ذلك على الاقتصاد... واستراتيجياً... يضم أهم مجموعة مضائق العالم.

- مضيق جبل طارق حيث يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي.

- مضيق باب المندب الذي يصل البحر الأحمر بالمحيط الهندي.

- مضيق البسفور والدردنيل الذي يصل البحر الأسود بالبحر المتوسط.

- مضيق هرمز ويتحكم في طريق نقل النفط من المنابع إلى الأسواق.

- مضيق ملقا الواقع بين شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة، حيث هو نقطة الوصل بين المحيط الهندي والمحيط الهادي.

- قناة السويس، تصل البحر الأحمر بالبحر المتوسط.

هذه المضائق تتحكم في طرق نقل التجارة الدولية، فضلاً عن أهميتها الاستراتيجية.

- وتشكل المسطحات المائية الواسعة التي تقع في الكتلة الإسلامية... في مجموعها محاور الاستراتيجية العالمية بلا منازع.

فقد أصبح البحر المتوسط يدخل في نطاق التخطيط الاستراتيجي والأمني للقوى العظمى، علاوة على أنه يؤدي إلى البحر الأسود وإلى قناة السويس... أقصر طريق إلى المحيط الهندي بكل ما في ذلك من أهمية اقتصادية...

والمتوسط هو أقرب الطرق المائية إلى مخزن الطاقة النفطية في العالم، والبحر الأحمر في موقع متوسط بين القارات، وهو نقطة الوصل بين آسيا وأفريقيا، وهو أحد مناطق مرور النفط، وبذلك فهو يدخل ضمن نطاق التخطيط الاستراتيجي للدول العظمى وأوروبا الغربية، وكلنا قرأ وسمع الأخبار التي تحدثت عن انفجار ألغام بحرية في مداخل البحر الأحمر الجنوبية وفي مداخل السويس.

وكيف هبت الدول الكبرى عارضة إرسال كاسحات الألغام ودوريات التفتيش عن الألغام... مما يدل على أهمية هذا الممر المائي.

- وهنالك الخليج العربي... وهو يشكل القلب النابض للعالم المعاصر... وهو أيضاً قلب العالم الإسلامي «حسب تعبير ماكندر» ومن يتحكم في القلب يتحكم في العالم الإسلامي!!

- وعلاوة على ذلك فإن الكتلة الإسلامية تشكل العمق الاستراتيجي لكل من حلفي «الأطلسي ووارسو»، وكذلك جنوب شرق آسيا... ويعتبر في الوقت نفسه نقطة وثوب إلى الخط المار بجنوب أفريقيا والهند وأستراليا.

وواضح أنه إذا كانت الكتلة الإسلامية تشكل كتلة استراتيجية حيوية... فإن الكتلة العربية تعتبر قلب هذه الكتلة.

والاستعمار والامبريالية لم يركزا هجومهما

حركة الاستشراق تعمدت بث روح الهزيمة في عقول أبناء الأمة

العداوة بين الاستعمار والإسلام عداوة تاريخية جغرافية نفسية

على شعب من الشعوب كما ركزاه لقرون متتالية على العرب المسلمين بالذات... لا للأسباب السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التي ذكرناها فحسب، بل لتفتيت شخصيتهم ومقاومة جهودهم من أجل تمكين الفكر الاستعماري الغربي وثقافته المضادة للثقافة الإسلامية وليتمكنوا من اقتلاع جذور المقاومة الحضارية العربية الإسلامية للموجات الاستعمارية المنظمة ضده تدريجياً.

ولذلك فإن الامبريالية ليست فقط نظاماً اقتصادياً وسياسياً ولكنها نظام سياسي واقتصادي لخدمة هدف استعماري... وهو: سيطرة الحضارة الغربية على شعوب الشرق، وليس نهب مواردها الاقتصادية فحسب بل لكسر شوكة الإسلام في الشرق.. وما وجود اليهود على أرض فلسطين اليوم... إلا تكرار لمحاولة الصليبيين إنشاء مملكة القدس بأسلوب عصري جديد، بوصفها القاعدة المتقدمة للغزاة... من دول أوروبا في القرون الوسطى.

- وأخيراً فإن أهمية المنطقة العربية والإسلامية تهم جميع مراكز القوى في العالم، فإذا درسنا تغيير هذه المراكز بعد مؤتمر «يالطا» نجد أن العالم يتكون من ثلاثة مراكز حضارية:

- دائرة الحضارة الغربية الرأسمالية برئاسة الولايات المتحدة.

- دائرة الحضارة الغربية الاشتراكية برئاسة الاتحاد السوفييتي سابقاً.

- دائرة حضارة الشرق ... وفيها اليابان والصين.

والدائرة الأولى تحتاج إلى النفط ... وهو في الشرق الأوسط.

والدائرة الثانية تحتاج إلى تأمين حدودها ... وتحتاج إلى همزة وصل بين آسيا وأفريقيا ... وذلك في الشرق الأوسط.

والدائرة الثالثة تحتاج إلى النفط ... وهو في الشرق الأوسط.

وتُقدِّر القوى الاستعمارية هذه القيمة البالغة الأهمية للكتلة الإسلامية وقلبها هو الشرق الأوسط... وتتخذ مواقفها وتحركاتها تبعاً لذلك... وبينما هذا يحدث من جانبهم، فإننا بالرغم من وجود الركائز الموضوعية لقيام كتلة إسلامية متحدة... إلا أن هذه الكتلة مقسّمة إلى نظم إقليمية متصارعة مفتتة، وهذا وضع مناسب لتحرك القوى الاستعمارية من أجل السيطرة.

ويمكننا أن نلخص ما أسلفناه في سطور فنقول : إن القوى الاستعمارية تطمع في القارتين الآسيوية والأفريقية وفي هاتين القارتين يسكن المسلمون بمئات الملايين... ولو كان هؤلاء قوة سياسية ليس إلا، لهان خطبهم على الاستعمار بجميع أنواعه، ولكنهم قوة روحية تندفع كالسيل إذا اندفعت وتستقر كالصخر إذا سكنت، وتفارقها قدرتها على الغلبة والسيادة حيناً، ولكن لا تفارقها قدرتها على الصمود والثبات، لذلك لابد من تفتيت هذه القوة... وهذا ما أجمعت عليه القوى الخارجية المستعمرة، وليس في نيتنا في هذه العجالة على الأقل، أن ننبش أوراق التاريخ لنلقي الضوء على أنماط تلك الخطط التي اتبعها الاستعمار بأشكاله لتفتيت القوة الإسلامية والعربية، والتي أسفرت عن استعمار أغلب البلاد العربية والإسلامية، وتقسيمها بين الأفاقين من دهاقنة الاستعمار الشرقي والغربي، وكانت أولى هذه الوسائل هي أن يتعلم الأوروبيون علوم المسلمين التي كانت السبب في قوتهم، وقد نتج عن هذا القرار ذلك الحدث الضخم الذي يعرفه العالم بـ «عصر النهضة»، فأوروبا التي تعلمت علوم المسلمين، وأضافت إليها حتى قويت وسادت العالم قاطبة، لم تلتفت بادئ ذي بدء إلى ثقافة المسلمين وآدابهم إلا في مرحلة تالية، بحيث قرروا فيها أن يتعلموا ويتخصصوا بدراسة جوانب الثقافة الإسلامية ليقدموها بصورة مشوهة حتى ينفر المسلمون من دينهم وحضارتهم، وهذا ما أطلق عليه الأوروبيون اسم «الصليبية الروحية» وذلك بهدف إقناع العربي المسلم أنه مهزوم تاريخياً في الماضي، كما هو الحاضر، وكما يجب أن يكون في المستقبل، وأنه ليس متخلفاً بحكم ظروف سياسية واجتماعية وتاريخية، بل هو متخلف بالفطرة ليلهث العرب والمسلمون خلف نفايات الشعارات، وجيف النظريات التي يلقيها الغرب عند شواطئنا، وبين ربوعنا بوساطة من ربّاهم على عينه، وقد قامت حركة الاستشراق بمجملها، والتي تعمدت بث روح الهزيمة في عقول أبناء الأمة وقلوبهم، بإبراز الجانب المظلم من تراث أمتنا الذي دسَّه على التراث تلاميذ ابن سبأ وردِّها كل إيجابيات التراث إلى تراث اليونان الأوروبي، الأمر الذي رسَّب في بعض العقول الخاوية أن أمتنا لم تصنع مجداً غابراً متميزاً، فأنى لها أن تصنع شيئاً من ذلك في المستقبل وهي على ما هي عليه من الضعف الذي بلغ بها إلى حد الهزيمة أمام أبناء الحضارة الأوروبية المنتصرة.

وسارت مراكز التبشير - الدينية والفكرية والتعليمية - بحضارة الغرب على درب الاستشراق في نزع ثقة أمتنا بذاتها، ولقد كانت تلك المراكز كما كانت حركة الاستشراق طلائع للمد الاستعماري الغربي لدرجة أن المبشر «جون فان إيس» أعلن عن وجود إسرائيل قبل أن تعلن إسرائيل عن وجودها بخمس سنوات، وقال إنها ستشمل أرض الجليل وتصل إلى شرق الأردن وخليج العقبة.

وقد نازل المبشرون والمستشرقون عقول أبناء الأمة بالأسلحة الفكرية منازلة الجيوش الاستعمارية لجيوشنا الوطنية سواء بسواء، وكانت جامعات الغرب ومؤسساته العلمية والفكرية المصنع الذي هيأ «الكوادر»

الامبريالية ليست فقط نظاماً اقتصادياً وسياسياً ولكنها نظام سياسي واقتصادي لخدمة هدف استعماري

المبشر «جون فان إيس» أعلن عن وجود إسرائيل قبل أن تعلن إسرائيل عن وجودها بخمس سنوات

السياسية والفكرية التي أخذت تشارك السلطة المحتلة في إدارة مرافق البلاد، حتى أصبحنا ندرس على أيدي أعداء الإسلام والعروبة هؤلاء كل شيء بما في ذلك اللغة العربية وعقائد الإسلام... وكانت الثمرة لكل ذلك «تيار التغريب» الذي علا صوته فترة من الزمان، حتى انفرد بالساحة في المدرسة والجامعة والصحيفة والكتاب، وكانت «العَلْمانية» واحدة من أبرز ثمار «تيار التغريب»، وأخذ دُعاة هذا التيار من العلمانيين يحاولون فرض أيديولوجية الحضارة الأوروبية على المسلمين، ومحاولة إقناعهم بأن عصر أيديولوجيتهم الإسلامية قد انتهى... إذ لا يمكن للقرن العشرين أن يستلهم قيماً من حضارة ونماذج إنسانية عاشت في القرن السابع، وذلك بعد أن قامت - الجهات المختصة - بتلميعهم ودفعهم إلى واجهات المجتمعات العربية والإسلامية الثقافية والسياسية ليقيموا ستاراً من الجهل والتجهيل بين الجيل الحاضر وتراثه، وماضيه ليقتلعوه من جذوره، لأن الغزاة القراصنة يعرفون أن أمة بلا ماض، هي أمة بلا مستقبل، والذين لم يكتب أسلافهم تاريخاً يعتزون به لن يكتبوا هم ولا أحفادهم شيئاً في سفر التاريخ.

لذلك عملوا على صرفنا عن الاهتمام بتراثنا والسخط عليه والخجل منه وتحميله كل ما ينزل بنا من كوارث حتى أصبحت كلمات مثل التجديد والعصرية التي تنطلق من أفواه المتشدقين والثرثارين لا تعني إلا نبذ التراث والسخرية منه... ونحن عندما ننادي بالاعتزاز بتراثنا وحضارتنا الإسلامية لا نستهدف إلا استلهام قيمه ومُثُله الخالدة، لكي نصوغ بوحيها وعلى هديها مستقبلنا، ولن نتمكن من بناء مستقبلنا المشرق إلا إذا آمنا بأننا حفدة أولئك الذين منحوا البشرية عصراً من أزهى عصورها. ■

البيت المسلم

العدد ٣٩٥ - الوعي الإسلامي - رجب ١٤١٩ هـ - أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٨ م

رعاية الأمومة والطفولة في التراث الطبي الاسلامي

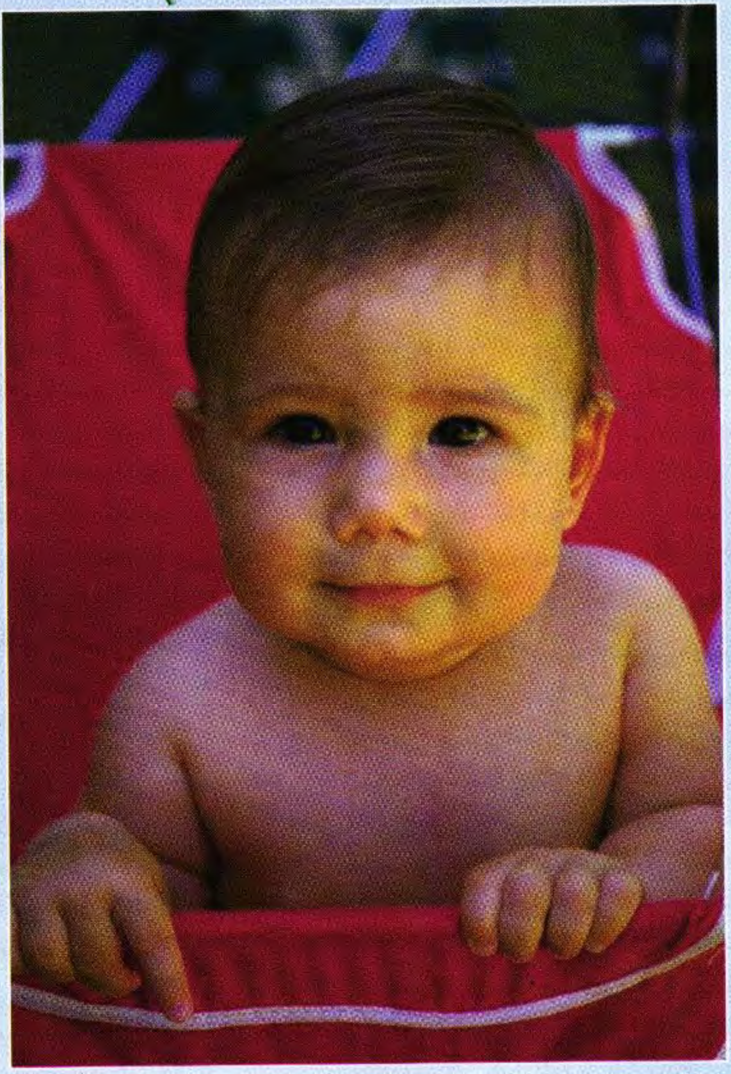
أطفال المشركين في الجنة هم أم في النار ؟

عبارات خطيرة

يجب أن تكون الأول دائما !

حقوق الجنين في الإسلام

اختيار الوالدين الصالحين



العنوسة : هل تعود أسبابها إلى المغالاة في المهور ؟

لا تترددي ولا تتأخري في تلبية احتياجات طفلك

الطريق العصري ذو الإتجاهين

تردد الأمهات ـ وربما الآباء ـ عبارات متوارثة منوعة أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن مبادئ مخالفة للإسلام، ومعلومات خاطئة تؤثر على المفاهيم والقيم الاجتماعية والسلوكية والأخلاقية ـ وربما المشاعر الإنسانية ـ لأولادنا لتسبب لهم آثاراً نفسية سيئة، أو مفعولاً سلبياً أو سلوكاً معادياً... فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. فلنتبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

عبارات خطيرة (٣)

يجب أن تكون الأول دائماً

بقلم: عابده المؤيد العظم

في كل بيت ـ تقريباً ـ طلاب وطالبات في مراحل دراسية مختلفة، منهم من جعل التفوق هدفاً وغاية لأن من ورائه آباء وأمهات لا يقبلون بغير «الأولية» ولا يرضون إلا بأعلى الدرجات. من أجل ذلك يبدأ هؤلاء الطلاب المتفوقون عامهم بالتوتر وينهونه بالتوتر وهم مترقبون حذرون، قد وضعوا عبارة والديهم: «يجب أن تكون الأول دائماً» نصب أعينهم، فعملوا لها ودأبوا عليها وانكبوا على الكتب ـ على الغالب ـ من أجلها، فحفظوا المناهج دون فهم، ودرسوا المعلومات دون تعمق لأن هدفهم وغايتهم أن يتفوقوا وأن يكونوا الأوائل، فكانت هذه هي النتيجة الأولى الخطيرة لهذه العبارة:

«الدراسة من أجل التفوق لا من أجل الفهم والاستزادة من العلم».



وبتأثير هذه العبارة: «يجب أن تكون الأول دائماً» صار هدف الطالب أن يكون الأول على طلاب صفه أو مدرسته، فهو يهتم جداً بلقب «الأول» ويسعى إليه قدر استطاعته، لكنه لا يأبه كثيراً أن يصل إلى أعلى مستوى ممكن ولا أن يحصل على أعلى مجموع، إنما يعتمد على مقارنة نفسه بطلاب سنته الدراسية ثم يجتهد بالقدر الذي يؤهله للتفوق عليهم، لأن عبارة والديه: «يجب أن تكون الأول دائماً» تحتم عليه أن يسبق هؤلاء دون غيرهم فهذا هو مجال التنافس وهذه هي حلبة التفوق، فإن تفوق عليهم ـ ولو بمجموع قليل وجهد يسير ـ كان نجيباً ورائعاً، وقد فاز طالب بلقب «الأول» مع أن مجموع درجاته ما تجاوز التسعين بالمئة! ففرح فرحاً عظيماً، وحزن آخر حزناً شديداً لأن زملاءه تفوقوا عليه وقد تجاوز تقديره النهائي ستاً وتسعين من المئة بثمانية أعشار! فبتأثير هذه العبارة تغيرت المفاهيم وتبدلت الحقائق، وكانت هذه النتيجة الثانية الخطيرة: «الرضا والفرح بالمجموع القليل إن أدى إلى لقب «الأول». والحزن والهم من الدرجات العالية إن لم تؤد إلى لقب «الأول»!

وأدت هذه العبارة: «يجب أن تكون الأول دائماً» إلى التنافس الشديد بين الطلاب الذين يسعون للأولية، فكلهم يسعى إلى مرتبة «الأول» ولن ينالها على الأغلب إلا واحداً منهم، وهنا يكمن الخطر الحقيقي في هذه العبارة؛ إذ جعلت التنافس بين مجموعة من الطلاب على مرتبة واحدة لا غير، فأصبح اهتمام كل طالب متفوق منصباً على إزاحة الباقين للتفوق عليهم، الأمر الذي جعل المنافسة غير شريفة وغير إنسانية، حيث أفسدت المنافسة المحمومة العلاقات الاجتماعية بين الطلاب وأوجدت الحقد والحسد والكيد والكراهية بينهم. وإليكم ما قالته لي أم لواحد من هؤلاء المتفوقين في هذا المقام: «إن ولدي يقضي أيام الامتحان كلها بالدعاء على منافسه على «الأولية» بالمرض الأليم الذي يقعده عن الدرس، أو بحادث خطير يصرفه عن حضور الامتحان، أو بالموت المحقق حتى يتخلص من منافسه إلى الأبد»، وقد ورد هذا في كتب علم النفس: «التنافس بطبيعته يحمل في ثناياه قدراً كبيراً من الكراهية المدمرة، وبهذا يكون عامل هدم وتحطيم للعلاقات الإنسانية الطيبة في الصف أو المدرسة بأسرها... الواقع أن التنافس هو في جوهره صراع يستهدف الانتصار والتفوق على الغير، ويتضمن إحباط نجاح الغير وجهوده، أي يتضمن تعارض المصالح. وكثيراً ما

يرى المتنافس في منافسيه أعداء له، أو على الأقل حجر عثرة في سبيل تقدمه، وقد يصبح التنافس محقق الضرر وباعثاً على الحسد والبغضاء وثبوط الهمة في أحوال معينة... «ولذلك فليس غريباً أن يكون الأوائل - على الأغلب - غير محبوبين، لأنهم متكبرون ومتعالون على إخوتهم من الطلاب».

ومن خطورة هذه العبارة «يجب أن تكون الأول» أيضاً أنها ذهبت بروح التعاون والمشاركة والاهتمام بالغير والذي يجب أن يتوافر في كل مكان حتى في المدرسة بين الطلاب، وألغت إغاثة الملهوف، وتفريج الكرب وغيرها مما أمر به الإسلام؛ فنرى «الأول» - على الأغلب - مستأثراً بكتبه ودفاتره لا يطلع عليها أحداً، ولا يساعد زملاءه على فهم ما صعب عليهم، ولا يشرح لهم ما استشكل خوفاً من تفوقهم عليه. فلنمتنع - إذاً - عن ترديد هذه العبارة «يجب أن تكون الأول دائماً» ولنستبدل بها عبارة أخرى: «يجب أن تفهم المنهج جيداً. ويجب أن يكون مجموع علاماتك في أعلى مستوى ممكن»، وبذلك يتحول الأمر من تنافس بين الطلاب بعضهم مع بعض إلى تنافس بين الطالب وبين المجموع النهائي، فتقل الأحقاد بين الطالب وإخوته الطلبة، ويصبح الصراع بين كل طالب وبين الدرجة العليا، فيسعى الطالب إلى المعالي بدل أن يسعى إلى إزاحة إخوته الطلاب، ويكون التحدي بهذا المسلك أبعد عن المشاحنة والبغضاء والكراهية. ثم لنجتهد - بعد ذلك كله - في حث أبنائنا الطلاب على حب الخير للآخرين بالفرح لما يفرحهم وبالسرور لما يسرهم، فيتمنون لغيرهم كما يتمنون لأنفسهم، ويهنئون من تفوق عليهم بغبطة وبهجة لا بحسد وحقد.

وأخيراً لنعلّم أولادنا أن يبذلوا غاية جهدهم فيجتهدوا ويدرسوا ويراجعوا، ثم يتركوا الأمر لله فلا يحزنوا ولا ييئسوا إن فاتتهم «الأولية» لأن الأمر كله بيد الله. والله هو الذي ييسر الخير والدرجات لكل طالب بحسب علمه وحكمته، وبحسب نية الطالب، ثم بمقدار توكله ودعائه.

أيها الآباء (آباء الطلاب المتفوقين)... نهنئكم على تفوق أولادكم، وإنه لشيء رائع أن تكونوا آباء للمتفوقين، لكن الأروع منه أن يتفوق أولادكم في علمهم، وفي علاقاتهم الاجتماعية مع إخوتهم الطلاب بكسب ثقتهم ومحبتهم واحترامهم، وفي دينهم وخلقهم الإسلامي الرفيع فيتمنوا الخير لغيرهم كما يتمنونه لأنفسهم، ويذروا ما يؤدي إلى التحاسد والتباغض، وإن هذا لهو التفوق الحقيقي، وإن هذه لهي أعلى الدرجات.

كثير من الناس يعتبرون كلمة «الأولوية» صحيحة بمعنى الأولية، وهذا خطأ شائع، والصحيح أن نقول «أولية» مراعاة للفصحى. ■

فتاة الغلاف.. !! ورسالة لم تنشر

صحافة



الموضوع الذي نحن بصدده هو «فتاة الغلاف»، الذي لا شك في أنه يضايق كل مسلم غيور، ولكنها فرصة للتذكير بأننا كثيراً ما نتحدث عن الغربيين، وأنهم يتاجرون بالمرأة، ويستغلونها في الدعاية، وننسى أن مجتمعاتنا تغص بكميات هائلة من المجلات التي تصرّ على وضع صورة فتاة على الغلاف، وقد سئل رئيس تحرير مجلة عربية معروفة عن السر في وضع صورة فتاة في الصفة الأخيرة من جريدة كذا (...)، أو صفحة الغلاف من مجلة كذا (...)، فأجاب باختصار: لضرورات التسويق؛ مما ينبهنا إلى أن أصحاب المشاريع التجارية في مجتمعاتنا - إلا من رحم الله - يقلدون الغربيين في أساليبهم في أكثر الأحيان، ولولا أن في مجتمعاتنا بقية من الخوف من الله، وهناك قوانين أكثر تشددا، لرأينا في أعمالهم التجارية أساليب أكثر جراة على حدود الله.

المهم أن هذه الرسالة قد ارسلت - قبل بضع سنوات - إلى مجلة معروفة، وهي من المجلات التي يشتريها الناس حتى لو لم تكن على غلافها صورة فتاة، ومن هنا كانت الدهشة على هذا الإصرار العجيب. وكانت هذه الرسالة:

سعادة رئيس تحرير مجلة (...)، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. انا من القراء المواظبين على قراءة مجلتكم، اكتب إليكم هذه الرسالة معاتبا، وأرجو أن يلقى عتابي أذنا صاغية، والنقطة التي أعتب عليكم فيها هي إصراركم على وضع صورة فتاة على الغلاف. إن مجلتكم مجلة متميزة، ومجرد وضع صورة فتاة على الغلاف يزيل عنها هذا التميز حيث تصبح مجلة كغيرها، تلهث وراء زيادة عدد القراء بمختلف الأساليب. وأنا أعلم - كما يعلم غيري - أنكم لستم بحاجة إلى ذلك. لن أكتب هنا موعظة دينية، بل ساكتب عن بعض الخطوط العريضة للحرفية الإعلامية والإبداع الصحفي، ومن ذلك أن يكون المقال مناسبا لمقتضى الحال، وتكون الصورة أو الكلمة في مكانها الصحيح، بحيث تسهم في بيان المعنى المراد، ونقل مزيد من حيثيات الواقع المراد إيصال صورة منه إلى القارئ. وقد طبقت هذا على مجلتكم، فكان هذا ما رأيت.

في الثاني من أكتوبر ١٩٩٠م أعلنت وحدة ألمانيا، وكان حدثاً عالمياً، رصدته وتابعته كل وسائل الإعلام، ولكن العجيب أن مجلتكم تجاوبت مع الحدث بطريقة مخيبة لآمال كل عربي ذي عقل رصين، فقد رمزتم لهذا الحدث الكبير بأن وضعتم صورة فتاة شقراء على الغلاف، على أساس أنها ألمانية، وليس هناك ما يدل على أي علاقة لها بألمانيا، بل يمكن أن تكون أي فتاة شقراء في بلدكم. وحتى لو كانت ألمانية، فما كان لصورتها المنشورة أن تعطي القارئ أي إحساس بالحدث المقصود، أو الانعكاسات السياسية والاقتصادية العالمية المترتبة عليه. بل أقول لكم الحق بأني تساءلت عن مدى جدية مجلتكم في معالجة أمر كهذا.

في المقابل، فإنني ارجو أن تنظروا إلى مجلة عالمية توزع أسبوعياً ما بين أربعة إلى خمسة ملايين نسخة، وهي مجلة تايم الأمريكية، ماذا وضعت على الغلاف؟ لقد وضعت صورة للنسر الفولاذي، رمز ألمانيا الموحدة، وكان هذا أفضل وأولى، من الناحية الصحافية البحتة، وبغض النظر عن أي اعتبارات أخرى. حيث إن القارئ كان يلتقط المجلة، وهو يشعر بأن لديه مصدراً للمعلومات يجيب على تساؤلاته، وربما كان مصدرا أوثق وأكثر جدية في التصدي لهذا الموضوع.

هل تحتاج مجلتكم إلى وضع صورة فتاة على الغلاف لتزيد من مبيعاتها؟ أم أنكم قمتم بتعيين موظفين حديثي التخرج في مدرسة الصحافة والإعلام، فقاموا بتطبيق ما تعلموه حرفياً؟

هذا هو النص التقريبي للرسالة، كما حفظته الذاكرة، وليس من المؤكد أن تكون كل كلمة أو جملة قد وردت كما هي بالضبط، لكن المؤكد أن الرسالة لم تنشر...

بقلم: حسن بن حسين المهنا

من حقوق الجنين في الإسلام ٤

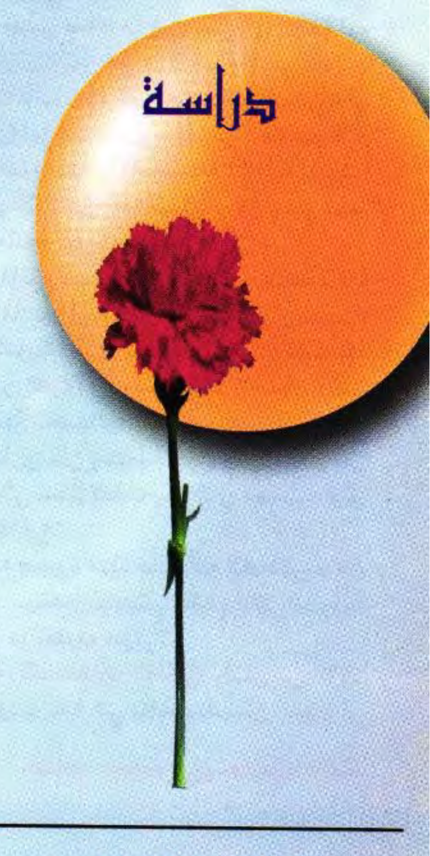
اختيار الوالدين الصالحين

قال تعالى: (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهرا) (الفرقان/٥٤) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني اعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيي» (رواه أبو داود) وجاء تفسير (شر المني) بأن يضعه في حرام.

من هنا كانت عناية الإسلام بالأجنة والحرص عليها من أن تختلط في أنسابها، أو تتعرض للتزوير بأن ينسب لغير أصحابها الشرعيين، أو أن يعتدى عليها في أي مرحلة من المراحل.

وفي خضم الحديث المعاصر عن الأجنة، والتلقيح الصناعي والاستنساخ يتصدى عدد من علماء المسلمين لإبراز أحكام الفقه الإسلامي، وحفظه للنسل وللجنس البشري كله والأستاذ / عمر محمد إبراهيم غانم في مقدمته هذه عن وسائل رعاية الإسلام للجنين يبين اهتمام الإسلام بالإنسان من قبل ولادته على أن يتبع ذلك دراسات عن حقوق الجنين ومنها الإجهاض والاغتصاب مما ابتليت به المجتمعات المعاصرة.

بقلم : عمر محمد إبراهيم غانم



اختيار الأم الصالحة والأب الصالح

من حق الجنين على أبويه أن يحسن كل منهما اختياره للآخر، ولهذا وردت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ التي تحضّ الأزواج على حسن اختيار زوجاتهم منها:

(أ) ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم»(١).

(ب) وروى الدار قطني عن عائشة رضي الله عنها أيضاً قوله ﷺ : «اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة» (٢).

(ج) حذر رسول الله ﷺ الأزواج من الاغترار بالمظهر والحرص عليه، بقوله ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء» (٣).

(د) اعتبر رسول الله ﷺ أن المرأة الصالحة هي خير مكسب للزوج الصالح بقوله ﷺ : «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة،، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» (٤).

(هـ) بين رسول الله ﷺ للأزواج القاعدة التي يجب أن يستند إليها زواجهم واختيارهم لزوجاتهم، فقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي يرويه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه : «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (٥).

فقد اشتمل هذا الحديث على المرغبات المادية والمعنوية، كالمال بأنواعه، والحسب وما يعنيه من وضع اجتماعي للمرأة أو لأسرتها، أو الجمال الظاهر للمرأة، ولكن دين المرأة هو حجر الزاوية في هذا الاختيار، الذي إذا سار عليه الأزواج صلح أمرهم في الدنيا والآخرة بإذن الله، لأن المواصفات الأخرى ليست ثابتة، فالمال ظل زائل معرض للنفاد، والحسب كذلك، فلا وزن لحسب دون التقوى، وقد قال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٦)، وكذلك الجمال فهو شيء نسبي ووقتي، يختلف من إنسان إلى آخر، ومن زمان إلى آخر، وبخاصة أن وضع المرأة يتبدل ويتغير بعامل تقدم السن والحمل والولادة، وتعرضها للآلام والأمراض، فلم يبق من تلك الصفات سوى صفة الدين، فهي التي تعصمها وتعينها على تحمل نوائب الدهر إذا تعرض لها زوجها وأسرتها، وهي بتلك الصفة أمينة على تربية أولادها، وعلى مال زوجها، وعلى عرضها كذلك، مصداق قوله ﷺ في الحد يث الرابع: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل...».

(و) وقد رغب ﷺ الأزواج باختيار ذات الدين في حديث آخر، حيث قال ﷺ فيما رواه

عنه عبدالله بن عمرو بن العاص: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» (٧)، وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل» (٨).

يقول الدكتور علي حسب الله: «ولما كانت المرأة رئيسة البيت لأنها راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، وهي عماد نظام الأسرة ومبعث سعادتها، فإذا كانت صالحة أقامت بيتها على نظام وطيد، وملأته بأسباب السعادة، وعنيت بتربية أولادها فبثت فيهم كل خلق حميد وعودتهم كل عادة حسنة، وجنبتهم سيئ الأخلاق وقبيح العادات، وإذا كانت فاسدة بذرت فيهم بذور الفساد وزودت أولادها للحياة بأسوأ زاد» (٩).

ويؤيد هذا الكلام قول الدكتور محمد عقله في كتابه «نظام الأسرة في الإسلام»: «إن حاضر الأمة ومستقبلها، يعتمد على نوعية أجيالها وناشئتها، والأسرة هي المسؤول الأول عن تحديد نوعية أولئك الناشئة قوة أو ضعفاً، ولما كانت المرأة هي نصف المجتمع، وأحد عمودي الحياة الإنسانية، فإن إحسان اختيارها يضمن تربية جيل صالح، يبني الحياة الفاضلة، بما تزرعه من حميد الأخلاق وكريم الخلال، وإلا بذرت فيهم بذور الفساد، مما يفضي إلى انحلال الأمة وسقوطها» (١٠).

ولأهمية الاختيار بالنسبة للجنين، أذكر قول أبي الأسود الدؤلي لبنيه: «لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا، قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها» (١١).

وقد سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما حق الولد على أبيه؟ فقال: «أن ينتقي أمه، ويحسن أسمه، ويعلمه القرآن» (١٢).

ولهذه الأهمية نهى القرآن الكريم المؤمنين عن الزواج بالمشركات، أو تزويج المشركين للمؤمنات، بقوله سبحانه وتعالى: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) (١٣)، والسبب الذي لأجله كان النهي بينته الآية (أولئك يدعون إلى النار - والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه).

أما الزواج من الكتابيات - يهودية كانت أو نصرانية - فلأن لها كتاباً سماوياً، فهي في الأصل مؤمنة قبل التحريف والتبديل الذي فعلته الأيدي الآثمة في كتب الله المنزلة، وكما أنه يرجى بالزواج منها أن تتعرف إلى الإسلام، وتسمع عقيدة التوحيد الصافية، التي لم ولن تتطرق إليها يد البشر، وكان هذا الأمر بيناً واضحاً يوم أن كان الإسلام له قوته وعزته، صولته وجولته، أما وقد تبدلت الأيام، وضعف حال المسلمين، وتشتت أمرهم، وفقدوا عز دولتهم وسلطانهم، ولم يعد لكثير من الرجال من أمور نسائهم شيء، فإنني أرى ألا يتردد أهل الفتوى بمنع أبناء المسلمين من الزواج من الكتابيات، وذلك لتغير الزمان وتبدله، حيث أصبحت النساء الكافرات من أهل الكتاب يعملن على صبغ أبنائهن بطابع حياتهن المنحرفة، والتي هي بعيدة كل البعد عن تعاليم الإسلام.

أضف إلى ذلك أن قوانين البلاد الكافرة تلحق الأبناء بأمهاتهم، فإذا حدث طلاق أو وفاة بين الزوجين، عاد الأولاد إلى أمهاتهم، وفي هذا تكثير لسواد الكافرين، وزرع النطفة المسلمة في أرحام كافرات، لا يرجى فيهن خير، وفي المسلمات غنى عن الكافرات، مع ملاحظة أن أغلب نساء أهل الكتاب في هذا الزمان أصبحن ملحدات وثنيات في معظم الأحيان.

ولهذا المعنى ولغيره رأى الفاروق عمر رضي الله عنه بحكمته وفطنته، أن يطلق حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل امرأة له نصرانية، ولما سأله حذيفة ﷺ: أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها يا أمير المؤمنين، فقال: «لا أزعم أنها حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن» (١٤).

فهذا الأمر لاحتمال أن يكون بين نساء أهل الذمة من تكون مومساً، وذلك في زمن الفاروق، فما بالك بزمن ندر فيه من لا تكون مومساً من نساء أهل الكتاب، وقد تكون حاملة للأمراض الخبيثة كالايدز فتنشره إلى زوجها وأبنائها وإلى المجتمع المسلم من بعدهم.

اختيار الأب الصالح

كما أن الجنين بحاجة إلى أم صالحة ذات دين ترعاه ويتربى في رحمها، فهو كذلك بحاجة إلى أب صالح يتعهده ويتعهد أمه، وهنا تقع المسؤولية على أهل الزوجة ووليها، أن لا يزوجوا ابنتهم لأي خاطب، فلابد من التأكد من سلامة هذا الخاطب في معتقده، وبخاصة في زمن كثرت فيه التيارات المنحرفة والأفكار الهدامة، ولهذا أمر رسول الله ﷺ بزواج الخاطب صاحب الدين والخلق، بقوله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (١٥).

يقول العلامة المباركفوري في شرحه لهذا الحديث: «وذلك لأنكم إن لم تزوجوها إلا من ذي مال، أو جاه، ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج، وأكثر رجالكم بلا نساء، فيكثر الإفتتان بالزنا، وربما يلحق الأولياء عار فتهيج الفتن والفساد، ويترتب عليه قطع النسب وقلة الصلاح والعفة» (١٦). ويقول صاحب كتاب (دستور الأسرة في ظلال القرآن): «وأي فتنة أعظم وأي فساد أشمل وأعم على الدين والأخلاق في الأسرة والمجتمع، حين توضع الفتاة المؤمنة بين يدي رجل متحلل، أوزوج ملحد لا يعرف معنى الشرف والغيرة والعرض، يكرهها على السفور والاختلاط، وقد يجبرها على شرب الخمر ومراقصة الرجال، ويهزأ من دينها ويحملها على التفلت من عصمة دينها وأخلاقها» (١٧). ومما لا شك فيه أن من حق الولد على أمه أيضاً أن ترفض الزواج إلا من صاحب الدين وأن لا يمنعها الحياء من استمتاعها بهذا الحق الذي أكرمها به الإسلام.

فهذه أم كلثوم بنت أبي بكر ترد خطبة أمير المؤمنين وتقول لها أختها عائشة حين قالت لها معترضة: «أتردين أمير المؤمنين؟»، فأجابتها بما يجعلها ترفض الزواج منه بقولها: «إنه خشن العيش، شديد على النساء» (١٨)، وليست هذه هي المرأة

الوحيدة التي ترفض الزواج من أمير المؤمنين الفاروق عمر، فهذه أم أبان بنت عتبة أخت هند بنت عتبة ترد خطبة عمر بقولها: «إنه يغلق بابه ويمنع خيره ويخرج عابساً ويدخل عابساً» (١٩)، واختارت طلحة دون عمر وعلي والزبير رضي الله عنهم أجمعين.

بل أكثر من ذلك كانت المرأة المسلمة تشترط على زوجها، فهذه عاتكة بنت زيد القرشية يخطبها عمر، وتشترط عليه ألا يمنعها من الخروج إلى المسجد فيجيبها على كره منه.

ويعقب المرحوم عمر التلمساني على هذه الحوادث بقوله: رئيس الدولة يتقدم خاطباً وتفضل المرأة غيره عليه، أفلا يكون في ذلك مثار العجب؟!، لأنها استمتعت بحقها الذي يقرها عليه الإسلام، «فعلى المرأة المسلمة أن تقتدي بسلفها، ولا تتزوج إلا بصاحب الدين الذي ترتضيه صيانة لها ولذريتها» (٢٠).

صحيح أن العرف يجعل الرجل هو الذي يبحث عن شريكة حياته ويختارها، وما ذلك إلا لحياء المرأة وعفتها التي تمنعها من التصريح وإبداء الرغبة في الزواج من شخص ما ولكن ليس في الشريعة الغراء ما يمنع المرأة المسلمة من مزاولة هذا الحق الذي مارسته سلفها من الصالحات كما رأينا في الأمثلة السالفة.

يقول الدكتور محمد عقلة: «وكلنا أمل أن تقتدي المرأة المسلمة في عصرنا هذا بأمها وأختها من سلفها الصالح، حيث كانت المرأة مثالاً يحتذى في الأمومة والزوجية والجهاد والعطاء، نتمنى أن تعود بعض المسلمات اللاتي استبدلن الجرأة في الحق والشجاعة في طاعة الله بالجرأة على الباطل، والتمادي في الخروج على حرمات الله، وتعدي حدوده، بفعل غواية شياطين الأنس والجن، في حين استكانت وتقاعست عن ممارسة حقوقها التي منحها إياها دينها، والتي هي عنوان استقلال شخصيتها ومظهر رقيها وتحضرها الفعلي، ولن يكون ذلك إلا بأن تستلهم تعاليم دينها، وتترسم خطا هديه، وليس ذلك على الله بعزيز» (٢١). ■

الهامش :

(١) سنن ابن ماجة - دار الكتب العلمية - بيروت - ج١ ص٦٣٣ - كتاب النكاح، سنن الدار قطني - علي بن عمر الدار قطني - عالم الكتب - ط٤ ج٣ - باب النكاح ص٢٩٩، قال عنه السيوطي في الجامع الصغير - حديث صحيح، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير - دار الفكر - مجلد ١ ص٥٠٣. وقال عنه الألباني حديث صحيح، صحيح سنن ابن ماجة - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت ط٣ ١٩٨٨ - ج١ ص٣٣٣ - حديث رقم ١٦٠٢.

(٢) سنن الدار قطني ج٣ ص٣٩٩.

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والافعال - للعلامة علاء الدين علي المتقي الهندي - مؤسسة الرسالة - بيروت طبعه ١٩٧٩ - ج١٦ ص٣٠٠ - رقم ٤٤٥٨٧ - جاء في كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني نشر مكتبة التراث الإسلامي حلب ج١ ص٣١٩: رواه الدار قطني في الافراد والرامهرمزي والعسكري في الأمثال وابن عدي في الكامل عن أبي سعيد مرفوعاً وقال عنه الدار قطني لا يصح من وجه، وقال القاري لا يكون موضوعاً سواء كان موقوفا أو مرفوعا، وورد عن عمر موقوفا.. قال في اللسان - دمن - الدمن: البعر، دمنت الماشية المكان: بعرت فيه وبالت. ودمن القوم الموضع: سودوه واثروا فيه بالدمن، الدمن: جمع دمنة: وهو الموضع القريب من الدار.

إياكم وخضراء الدمن: شبه المرأة الحسناء بالمنبت السوء بما ينبت في الدمن من الكلا يرى له غضارة وهو وبيء المرعى منتن الأصل - لسان العرب ج١٣ ص١٥٧.

(٤) أخرجه ابن ماجة في باب أفضل النساء، وقال عنه الالباني حديث ضعيف، انظر ضعيف سنن ابن ماجة - محمد ناصر الدين الالباني - المكتب الإسلامي بيروت - ط١ سنة ١٩٨٦ ص١٤٤.

(٥) البخاري - كتاب النكاح - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - باب الأكفاء في الدين - ج١١ ص٣٦.

وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الرضاع - باب استحباب نكاح ذات الدين - ج٢ - ص١٠٨٦ حديث رقم ١٤٦٦ سنن أبي داود للإمام أبي سلميان بن الاشعث السجستاني - دار الفكر للطباعة - بيروت ج٢ ص٢١٩ حديث رقم ٢٠٤٧ والنسائي ج٦ ص٦٥ - سنن النسائي - أحمد بن شعيب النسائي - دار الكتب العلمية بيروت - وابن ماجة حديث رقم ١٨٥٨ - سنن ابن ماجة - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - دار الكتب العلمية بيروت ج١ ص٥٩٧. قال في اللسان: حسب: في أسماء الله تعالى الحسيب: وهو الكافي. الحسب: الكرم، الحسب: الشرف، الثابت في الآباء، وقيل هو الشرف، في الفعل، الحسب: ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، والحسب: الفعال الصالح، وماله حسب ولا نسب: الفعال الصالح، والنسب: الأصل. وقال أنشد تغلب: ورب حسيب الأصل غير حسيب: أي له أباء يفعلون الخير ولا يفعله هو، والجمع: حسباء. والحسب: الدين (لسان العرب - ابن منظور - مجلد ١ ص٣١٠ باب حسب). وقال في اللسان في معنى «تربت يداك» ترب الشيء بالكسر: أصابه التراب، وترب الرجل صار في يده التراب وقيل لصق بالتراب من الفقر ويقال: تربت يداه وهو على الدعاء: أي لا خيراً، قال: ويرون - والله اعلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر، ولكنها كلمة جارية على ألسن العرب يقولونها وهم لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر بها، وكثيراً ترد للعرب ألفاظ ظاهرها الذم وإنما يريدون بها المدح كقولهم: لا أب لك، ولا أم لك، ولا أرض لك ونحو ذلك، ويقال أترب الرجل فهو مترب: إذا كثر ماله، فإذا أرادوا الفقر قالوا: ترب يترب. ج١ ص٢٢٨ - ٢٢٩.

(٦) سورة الحجرات آية ١٣.

(٧) صحيح مسلم ج٣ ص٦٥٦ كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء.

(٨) سنن ابن ماجة - ج١ ص٥٦٧ كتاب النكاح - باب تزويج ذات الدين - ضعفه الالباني - انظر ضعيف سنن ابن ماجة - ص١٤٤ - حديث ٤٠٩.

قال في النهاية: خرم: أصل الخرم الثقب والشق، الأخرم: المثقوب الأذن والذي قطعت وترة أنفه أو طرفه شيئاً لا يبلغ الجدع. وقد انخرم ثقبه: أي أنشق - النهاية في غريب الحديث والأثر - ج٢ ص٢٧.

(٩) الزواج في الشريعة الإسلامية - علي حسب الله - دار الفكر العربي - القاهرة، ص١٧.

(١٠) نظام الأسرة في الإسلام - الدكتور محمد عقلة - مكتبة الرسالة الحديثة - عمان - ط٢ سنة ١٩٨٩م - ج١ - ص١٦٣.

(١١) الزواج في الشريعة الإسلامية - علي حسب الله - ص١٧.

(١٢) تربية الأولاد في الإسلام - عبد الله علوان ج١ ص٤٠ - دار السلام - بيروت - ط٣ ١٩٨١.

(١٣) سورة البقرة آية ٢٢١.

(١٤) القرطبي - مجلد٣ ص٦٨، أخبار عمر وعبد الله بن عمر للطنطاويين «علي وناجي الطنطاوي» - دار الفكر - بيروت ط٣ سنة ١٩٧٣ ص٢٠٤.

(١٥) ابن ماجة - كتاب النكاح - حديث رقم ١٩٦٧ ج١ ص٦٣٢، الترمذي - في كتاب النكاح ج٣ ص٢٩٤، رقم ١٠٨٤ - سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(١٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري - دار الفكر - بيروت ط٣ سنة ١٩٧٩ ج٤ ص٢٠٤.

(١٧) دستور الأسرة في ظلال القرآن - أحمد فائز - مؤسسة الرسالة ط١ سنة ١٩٨٠م ص١١٦.

(١٨) نظام الأسرة في الإسلام - دكتور محمد عقله - مؤسسة الرسالة الحديثة - عمان - ط٢ سنة ١٩٨٩ - ج١ ص١٧٠ نقلاً عن كتاب صور من حياة الصحابة ١/٩٩.

(١٩) عيون الاخبار - ابن قتيبة - ج٤ ص١٨ - ١٩ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢٠) شهيد المحراب عمر بن الخطاب - عمر التلمساني - مكتبة دار الأنصاري - القاهرة ص٢٠٨.

(٢١) نظام الأسرة في الإسلام ج١ ص١٧١.

الطريق العصري ذو الاتجاهين

بقلم : محمد منذر الشعار

يعرف كل الناس اليوم أن الطريق الحديث في العالم للسيارات يكون قسمين: فواحد للذاهبين والثاني للراجعين، فلكل طريق عصري اتجاهان، معروف هذا في داخل المدن، وبين المدن، والمناطق والبلاد كافة، تسهيلاً وتأميناً، وإن كان طريق واحد للذاهبين والعائدين... أي طريق واحد للاتجاهين معاً، فهو خطر، ويضايق السائقين، ويكون مظنة أكثر للحوادث «أي يظن أكثر أن تقع فيه حوادث تصادم»، وهذه الطريقة، في الطرق، لا يعرف أحد في العالم اليوم أن مبتكرها ومخترعها: طفل كان في السادسة من العمر.

نعم...

طفل صغير هو مبتكر هذه الطريقة في أن يكون للطريق العام اتجاهان، تسهيلاً على الناس، ومنعاً للتصادم.

فمن ... هذا الطفل العجيب؟

إنه سابور ذو الأكتاف، كسرى الفرس، في الزمن القديم، وهو سابور بن هرمز، توفي أبوه، هرمز وكان من أكاسرة الفرس العظام، وسابور في بطن أمه جنين، وأحس بذلك الوزراء والكبراء في المملكة، أن إحدى نساء الملك الراحل حامل.



وقد وصف مؤرخونا هرمز ذاك بقولهم: كان عدلاً في القضية، متحنناً على الرعية... فلما مات جزعوا وليس له وريث، وإنما الممالك بالرأس، لكن «موبذ موبذان» وهو من يشغل أعلى منصب ديني عندهم، وإليه يرجعون في الملمات «أي الأحداث الكبار» أستأذن على نساء هرمز الراحل، فأذن له، فقال لهن :

- هل تحس إحداكن، كما سمعنا حملاً؟

قالت إحداهن : أنا.

فاطمأن إلى اتصال ذرية الملك، لكن بقي أن يكون الجنين ذكرا، فقال لزوج الملك الحامل :

- إن المرأة الحازمة تفطن من أمارات جنينها، «أي علامات جنينها» إلى أنه ذكر أو أنثى، على الظن والاحتمال، فماذا تحسين؟

قالت :

- إني أرى من نضارة لوني، وخفة حملي، وقوة تحرك الجنين في بطني، وميله إلى شقي الأيمن، ما يدلني على كونه ذكراً في أغلب ظني.

فبنى «موبذ موبذان» على هذا الظن القوي، والاحتمال المبني على أمارات معروفة موقفه ورأيه، فذهب فبشر أهل المملكة، وجاؤوا فعقدوا التاج عى بطن المرأة، وولوا جنينها العهد، ودانوا له بالطاعة، فلما وضعته كان بتقدير الله تعالى ذكراً، فنصبوه ثانية، حتى إذا بلغ ست سنوات، كان منه ما هو صُلب قصتنا.

وذلك أنه في بعض الأيام، كان نائماً في النهار، وكان الناس يعبرون على جسر دجلة، متزاحمين مختلطين، يتدافعون ويتصادمون، ومعهم دواب وأحمال ونساء وأطفال، فعلا صياحهم ولغطهم وشجارهم حتى وصل إلى مسامع سابور الطفل وهو نائم، فاستيقظ مزعجاً وسأل:

- ما القصة؟ ولِمَ هذا الصياح؟

قالوا:

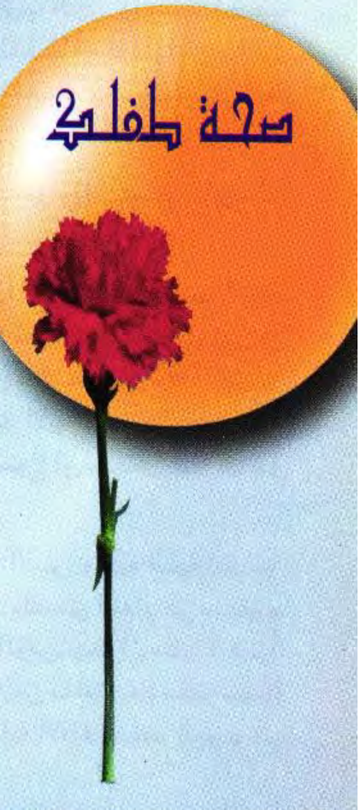
- الناس مزدحمون على الجسر، ذاهبون وعائدون، يتصادمون فأطل سابور من نافذة قصره، فرآهم، فقال للحاشية:

ولِمَ هذا العناء؟ ابنوا جسراً آخر قرب الأول، واجعلوا أحدهما للذاهبين والآخر للعائدين، وتنتهي المشكلة، ففعلوا، وهذا أول اقتراح في الدنيا لاتجاهي الطريق المعمول به - بقوة - في هذا العصر.

ولا يظن أحد أن ما قاله سابور الصغير سهل يسير، يقوله كل إنسان... لا

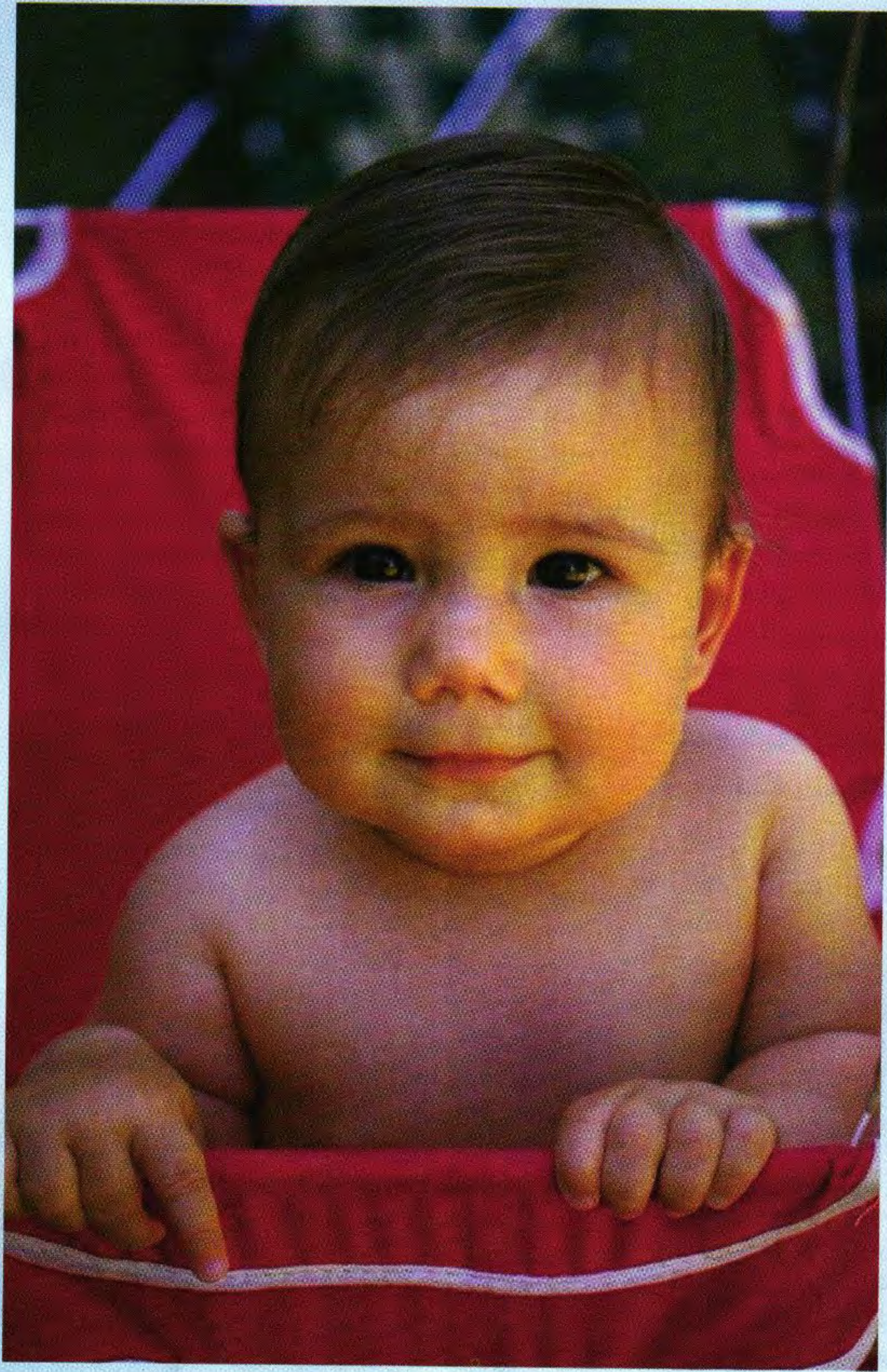
فقد بيّن علماء التاريخ، في كل الأمم، أن أشياء في مسيرة تقدم البشرية كانت يوم اقترحت لأول مرة فتحاً عظيماً، مثل أول من ابتكر السلّة... في عمر البشرية، كان فعله عظيماً، وكذا أول من اخترع العجلة، ودل عليها، وكذلك الآن سابور الذي ابتكر اتجاهي الطريق، والجديد في الموضوع أن مبتكر هذا العمل الأخير، كان طفلاً.

وإن المسلمين هم الذين رووا هذا الأمر، وهذه الحادثة، عن سابور وهرمز وموبذ موبذان، التقطوا ذلك من أخبار من سبقهم، ولو كانوا غير مسلمين، فحيثما وجد المؤمن سمواً وسلوكاً عالياً، وحكمة... أسرع إليها، وقد روينا هنا من سابق: «الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها التقطها»، وإن نجابة الأطفال عند العرب من الحكمة. ■



لا تترددي ولا تتأخري في تلبية احتياجات طفلك

د. رضوان بيطار



عندما تعودين مع طفلك من المستشفى إلى البيت، ستنشغلين مباشرة بإطعامه، وتبديل حفاظاته، واستحمامه، والحرص على راحته، فهو يحتاج منك كل اهتمام ورعاية، فاقضي وقتاً طويلاً مع مولودك قدر الإمكان.

إن الاتصال الوثيق بين الأم وطفلها يتوطد بالرضاعة الطبيعية، فضلاً عن أن حليب الأم يزود الطفل بالتغذية المتوازنة وبالوقاية اللازمة من الأمراض.

إذا بكى طفلك فلا تترددي بحمله وتهدئته، وإذا بدا يقظاً وراغباً باللعب فاحمليه وداعبيه حسب ما ترغبين، فإذا بدا نعساً أو راغباً في التحديق فيما حوله فضعيه ثانية في سريره.

نوم الطفل

إن الأطفال في الأسابيع الأولى يميلون إلى قضاء معظم اليوم نائمين ما عدا الوقت الذي يحتاجونه فيه إلى إطعامهم واستحمامهم وإلباسهم.

وقد يقضي بعض الأطفال فترات أطول وهم مستيقظون دون مشكلة

، ويبدي الطفل عادة سلوكاً يظهر فيه عدم ارتياحه عندما يشعر بالنعاس، أما إذا كان نشيطاً فهو غير مستعد للنوم مهما كان الوقت من الليل، وعادة ما يتعلم الأطفال النوم طوال الليل خلال الأشهر القليلة الأولى بينما يستيقظون في الصباح الباكر ليأخذوا قسطاً من النوم أثناء النهار.

غرفة الطفل

يجب أن تكون الغرفة التي جُهّزت لطفلك نظيفة، مريحة وآمنة، وأن تبقى درجة حرارتها معتدلة، ومن الضروري تأمين سرير أو مهد مريح لطفلك لينام عليه، واختاري فراشاً صلباً نسبياً ليضمن له وضعاً جيداً ومن الأشياء التي ستحتاجينها لغرفة الطفل والتي يفضل شراؤها قبل الشهر السابع من الحمل:

- شراشف قطنية.
- بطانيات (قطن أو صوف تبعاً للفصل ولحال الطقس).
- حوض استحمام.
- مناشف حمام صغيرة وكبيرة.
- دلو للحفاظات.

إلباس الطفل

أثناء الحمل ويفضل قبل الشهر السابع أن تشتري الملابس التالية للطفل:

- «أوفارول» عدد ٤ .
- قمصان ويفضل النوع الذي له أربطة على أحد الجانبية عدد ٦.
- حفاظات قماش مع دبابيس آمنة وكبيرة الحجم، أو من النوع المستخدم لمرة واحدة عدد ٢٤.
- سراويل مطامية إذا كنت ستستخدمين حفاظات القماش.
- صدرية عدد ٤ ـ ٦.
- قبعة للرأس للوقاية من أشعة الشمس.
- زوجين من الجوارب.
- بطانية أو أغطية عدد ٢.

ماذا ينبغي توفيره في غرفة نوم الطفل ؟

وفي الشتاء قد يحتاج طفلك إلى قبعة صوفية، وحذاء (جورب) صوفيا وقفازات من نوع خاص تكسو الأصابع الأربع معاً وتكسو الإبهام منفرداً.

وغالباً ما تميل الأمهات إلى إلباس أطفالهن ولفهم وتغطيتهم أكثر مما يجب، فإذا تعرق الطفل واحمر وجهه، انزعي عنه طبقة من الثياب، لكن إذا كانت غرفة النوم باردة جداً في الليل فسيحتاج ثياباً لتغطية يديه وقدميه.

هل يضيق زوجك من اهتمامك بطفلكما ؟

إن تحريك الطفل لأطرافه وتمرينها تحفز عمل الدورة الدموية لديه والعمليات الحيوية (الأيض والبناء)، ولكي يستطيع تحريك ذراعيه وساقيه فمن الأفضل أن تكون ملابسه من النوع الذي لا يعيق حركته وأن تكون أغطية سريره خفيفة نسبياً، وبهذا تمنحين طفلك مجالاً كافياً ليشعر بالراحة.

كيف تلبسين طفلك

١ ـ ضعي الطفل على حصير على الأرض أو على ركبتيك وانتبهي أن لا تلبسيه على طاولة أو سرير فقد يتدحرج ويسقط على الأرض.

٢ ـ شدي فتحة عنق قميص الطفل لتتسع وبحذر أدخلي رأسه فيها وانتبهي ألا تجري معها أنفه أو أذنيه أو تجري رأسه.

٣ ـ افتحي كم القميص بإبهامك وإصبع السبابة وأمسكي أصابع الطفل ثم اسحبي الكم بيدك الأخرى فوق ذراع الطفل، وألبسي الكم الآخر بالطريقة نفسها، ثم اسحبي القميص للأسفل.

٤ ـ إذا وجدت صعوبة في إلباس القميص لطفلك الصغير فربما تجدين من الأسهل استعمال قميص من النوع الذي يلف حول جسم الطفل.

٥ ـ انتبهي عند إلباس الطفل «الأوفارول» أن لا تجري ذراعي أو رجلي الطفل، وإنما اسحبي الكم فوق ذراع الطفل بدلاً من جر الذراع خلال الكم، وكذلك وبالطريقة نفسها ألبسي الرجلين ثم زرري «الأوفارول» من الأمام.

العلاقة بين الأم ووليدها

بعد ولادة الطفل تقلق بعض الأمهات لأنها لم تشعر بذلك الحب الذي كانت تتوقعه من نفسها ولعل السبب أنها منهكة أو متألمة أو مضطربة بسبب قلة النوم ومهما يكن السبب فإن هذا



كيف تفعلين إذا غار طفلك الأكبر من أخيه الصغير؟

الشعور سيزول في مرور الأيام والأسابيع ويحل محله إحساس بالحب والحنان نحو الطفل.

مشاعر الأب نحو طفله

تختلف مشاعر الآباء تجاه أطفالهم فقد يكون الأب فخوراً أو مسروراً، وعلى العكس قد يكون ساخطاً أو غاضباً وبخاصة إذا لم يكن راضياً عن الحمل منذ البدء أو كان يعاني من مشاكل مالية مما يجعل ولادة طفل جديد يشكل عبئاً مالياً إضافياً.

وبعض الآباء يجدون صعوبة في بناء علاقة وطيدة مع مولود حديث الولادة، ربما لإحساس الأب بالغيرة وبرفض المولود ولكن هذه المشاعر تزول عندما يكبر الطفل فيبدأ الأب بالاهتمام أكثر بطفله ويشعر بالارتباط به أكثر يوماً بعد يوم.

لا تهملي طفلك الأكبر

إذا كان لديك طفل آخر فقد يشعر بأنه قد فقد الاهتمام الذي كان يحظى به ويشعر بالاهمال عند مقدم المولود الجديد، وبخاصة إذا كان عمره لم يتجاوز ثلاث سنوات بعد، لذلك هيئيه في الأوقات المناسبة لمقدم المولود الجديد، وبعد ولادة الطفل أشغليه قدر الإمكان عنك أثناء اعتنائك بالمولود، وانتبهي ألا تتركيهما معاً وحدهما، واجتهدي أن تخصصي جزءاً من وقتك كل يوم له خاصة وأخبريه كم تتطلعين إلى هذا الوقت وكم تكونين سعيدة معه، فهو يحتاج إلى تطمين دائم بأنك مازلت تحبينه، وهو بدوره سيظهر حبه لك وللمولود الجديد.

لا تنسي الاهتمام بنفسك

لن تعودي إلى شكلك الطبيعي السابق فجأة فور ولادتك، ولكن إذا لم تأكلي كثيراً فسيعود وزنك إلى ما كان عليه سريعاً، لأن جسمك سيتخلص من السوائل التي تراكمت في فترة الحمل خلال الأيام القليلة الأولى لما بعد الولادة، كما أن إرضاع طفلك من ثديك سيساعد على الانطمار السريع للرحم وعودته إلى حجمه الطبيعي، ولا داعي لأن تأكلي كثيراً (من أجل اثنين) إذا كنت ترضعين طفلك إرضاعاً طبيعياً، وكل ما ستحتاجينه أن تشربي كمية من السوائل أكثر، وقد تتحسن شهوتك للطعام قليلاً. وإن عضلات البطن التي ارتخت أثناء الحمل والتي تجعل بطنك تبدو مترهلة، ستصبح أقوى مع الوقت وبإمكانك تسريع هذه العملية بالتمارين المناسبة المنتظمة.

اهتمي بنظافتك الشخصية وبخاصة خلال فترة النفاس وعليك زيارة طبيبتك في الأسبوع السادس بعد الولادة للتأكد من انطمار الرحم وعودته إلى وضعه الطبيعي. ■

العنوسة: هل تعود أسبابها إلى المغالاة في المهور؟

اهتم الإسلام بتكوين الأسرة، لأنها جزء أساسي من نظام الحياة الإنسانية، وهي حجر الزاوية في بناء المجتمعات، والقاعدة التي يقوم عليها كيان الأمم، لذلك نظّم أحكامها أكمل تنظيم، ورعاها بالتشريعات الضامنة لاستمرارها في أمن وطمأنينة، وحباها بيسره وسماحته، في سبيل تقوية بنيانها واستدامة وجودها.

ومما شرعه في ذلك رؤية الخاطبين بعضهما بعضاً، فقد حث الإسلام على ذلك، ليتعرف كل طرف على ما عند الطرف الآخر من ملامح خَلقية بدنية، وخُلُقية نفسية، فيقدمان على الزواج بقناعة ورضا، بعيداً عن الاحتمالات والمفاجآت الناشئة من عدم النظر والرؤية.

أخرج النسائي وابن ماجة والترمذي أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: «انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» أي: رؤيتكما أدعى للألفة ودوام العشرة، وأبقى لكيان الأسرة.

بقلم: د. حسن أبو غدة



أما المهر: فإن الإسلام لم يجعل له حداً أعلى لا ينبغي تجاوزه، لكننا إذا تصفحنا نصوص ما شرع فيه وجدنا الآفاق الرحبة والسماحة الندية، لأولئك الشباب الذين يتضورون من العادات السيئة، والشكليات المعقدة، المعمول بها في أمر المهر وهدايا الزواج المكلفة.

أخرج أحمد وابن ماجة والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة».

أي: ما ليس فيه تكلف أو مغالاة أو دَيْن، يكبل الزوجين ويجبرهما على وفائه في فترة قد يطول أمدها.

وأخرج الترمذي عن عمر - رضي الله عنه - قال: لا تغلوا مهور النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى في الآخرة، كان أولاكم بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما علمته أصدق امرأة من نسائه، ولا أُصدقت واحدة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية، أي ما يساوي خمسمئة درهم فضي تقريباً، وهو مقدار يسير إذا قورن بالمهور التي يجري العمل بها في زماننا.

لقد حرص الإسلام على ألا ينقلب المهر إلى عبء وثقل ومغرم، يخيف الشباب - ضعاف الحال - فيعجزهم عن إرواء مطالبهم الجسمية والنفسية من خلال الزواج المشروع، وتكوين الأسرة وإنجاب الأبناء وتحصيل الاستقرار والطمأنينة والسعادة.

وإن كثيراً من حالات عزوف الشباب عن الزواج وانتشار العنوسة بين الفتيات، يعود سببه إلى المغالاة الفاحشة في المهور وتكاليف الزواج وشكلياته الاجتماعية، وذلك أمر لا يبشر بخير على صعيد المستقبل.

هذا، ولأن الزواج في الإسلام عقد مقدّس وميثاق غليظ، أمر الأزواج بإحسان معاملة الزوجات، والتسامح معهن، والصبر عليهن، ومعاشرتهن بالمعروف، والابتعاد بهن عن أدنى خلاف، قد يفسد العلاقات الزوجية، ويعرّض الأسرة إلى التفكك والتمزق، يقول الله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف) النساء: ١٩.

وقد أرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بعض صور هذه العشرة بالمعروف، ودعا الأزواج إلى التسامي عن أخطاء الزوجات، وإلى التسامح معهن فقال: «لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً، رضي منها آخر» أخرجه مسلم وأحمد، ومعنى لا يفرَك: لا يبغض ولا يكره كرهاً يؤدي إلى الطلاق.

حيث جعل الطلاق ثلاث مرات، يراجع الزوج نفسه في كل مرة، ضمن الفسحة التي أعطيها، بعيداً عن الانفعالات النفسية والغضب.

بل عدّ الإسلام إيقاع الطلاق الثلاث دفعة واحدة، تعجلاً غير محمود، بل هو تصرف سيئ ولعب بأحكام الله، وإعراض عن هديه.

روى النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أُخبر عن رجل طلق زوجته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام غضبان ثم قال: «أيُلعب بكتاب الله، وأنا بين أظهركم؟ فقام رجل فقال: يا رسول الله، ألا أقتله».

إن الإسلام لا ينفك عن إحاطة الحياة الزوجية بأسباب الاستمرار والديمومة، ومما شرعه في ذلك أنه فتح الطريق لمعاودة الحياة الزوجية بعد الطلقة الأولى والطلقة الثانية، فشرع الرجعة، مادامت الزوجة في عدتها، وذلك من غير حاجة إلى مهر جديد ولا عقد جديد، بل شرع للزوجين العودة إلى بعضهما بعضاً حال البينونة - ولو بعد الطلقة الثانية - بعقد جديد ومهر جديدين.

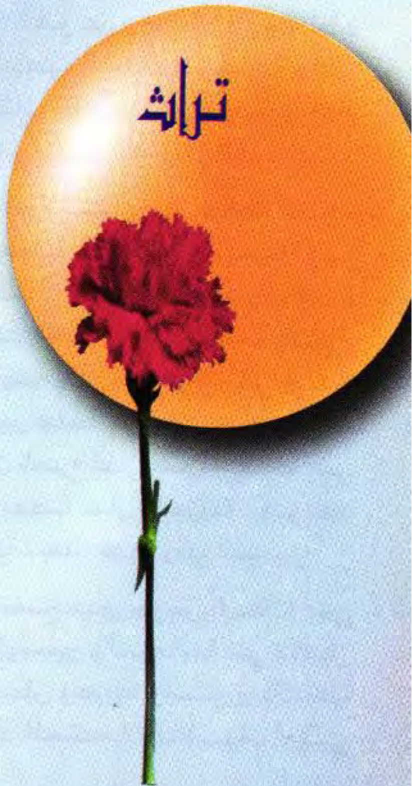
وهكذا يتضح مدى حرص الإسلام على مراعاة التيسير والسماحة في تكوين الأسرة، لضمان وجودها واستمرارها، خلية فطرية، تمدّ المجتمعات بالأسباب المثلى للبقاء. ■



تعتبر الرعاية الصحية للطفولة والأمومة من أهم منجزات الطب في العصر الحديث، ولا شك أن رعاية الطفولة التي تشكل نسبة عالية من السكان في العالم النامي ومنه البلاد الإسلامية «عربية وأعجمية» تعتبر حجر الزاوية في الرعاية الصحية الأولية والطب الوقائي... ففي البلاد الإسلامية «باكستان، وبنغلاديش وإندونيسيا... إلخ»، والبلاد العربية «مصر - العراق - السودان - المغرب - الجزائر - اليمن - السعودية»، يشكل الأطفال أقل من ١٥ سنة نحو ٤٥ في المئة من السكان... وتشكل الأمهات اللائي لديهن أطفال «أقل من ١٥ سنة»، أو هن في مرحلة الحمل ما لا يقل عن ٢٠ في المئة من السكان في هذه المناطق. وهذا ببساطة يعني أن رعاية الطفولة والأمومة تمثل رعاية ما لا يقل عن ٦٥ في المئة من جميع السكان.

رعاية الأمومة والطفولة في التراث الطبي الإسلامي

بقلم: د. محمد علي البار



لهذا نجد أن الإسلام بتعاليمه الشمولية قد اعتنى عناية فائقة برعاية الأمومة والطفولة عناية لا تدانيها النظم الحديثة على ما قدمته هذه النظم من إنجازات باهرة في القرن العشرين خاصة. ولذا نجد أن القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع في الإسلام قد اعتنى عناية فائقة بالأمومة والطفولة ووضع التشريعات التي التي تكفل حقوقهما في إطار تشريعات الأسرة... ولم يكتف القرآن الكريم بوضع هذه التشريعات التي تلزم المجتمع والأفراد بتنفيذها وهو ما يعرف لدى الفقهاء بوجوبها قضاء «أي أن التقاعس في تنفيذها يجعل الحق للقاضي في تنفيذها عنوة»، بل تعدى ذلك إلى ما يمسّ شغاف القلب فوضع تشريعات تلزم المجتمع بتنفيذها ديانة، أي أن التقاعس عن تنفيذها يؤدي إلى المساءلة في يوم الحساب العسير... وهو أمر يضطرب له كيان كل من داخل الإيمان شغاف قلبه.

كما نجد المصدر الثاني للتشريع وهو السنة المطهرة حافلة برعاية الأمومة والطفولة، حاثة على تنفيذ ما جاء بها من تعليمات راقية قضاء وديانة. ولم يكتف علماء الإسلام الأجلاّء بتوضيح ما جاء في الكتاب والسنة في مؤلفاتهم الكثيرة، بل أفردوا لرعاية الطفولة والأمومة كتباً كاملة أو أبواباً كاملة من كتبهم الفقهية والدينية العامة والطبية.

أطباء المسلمين ورعاية الأمومة والطفولة

ولعل أبو بكر بن زكريا الرازي (٢٥٢ - ٣١٣هـ/ ٨٦٥ - ٩٢٥م) كان أول من ألّف رسالة كاملة عن أمراض الأطفال والعناية بهم، وقد تمّ تأليف هذه الرسالة في حدود سنة ٢٨٧هـ - ٩٠٠م، وقد ترجمت هذه الرسالة إلى الكثير من اللغات وترجمها إلى اللغة الإنكليزية صامويل رادبل ونشرها في مجلة أمراض الأطفال الأميركية «العدد الخامس مجلد ١٢٢ سنة ١٩٧١»، عن اللغة الايطالية، وقد قام الدكتور محمود الحاج قاسم بترجمتها إلى اللغة العربية «المؤتمر

القطري للطفولة ٩ ـ ١٣ كانون الأول ١٩٧٩م بغداد»(٣).

كما أفرد الرازي فصولاً ضافية لرعاية الطفولة والأمومة في كتابه الموسوعي الحاوي الذي قالت عنه المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»، إنه ظل المرجع الأساسي للطب في أوروبا لمدة أربعة قرون.

وجعل الرازي المقالة الرابعة من كتابه المنصوري في تدبير الأطفال حيث تكلم فيها عن كيفية العناية بالوليد ثم كيفية الرضاعة والنظام واختيار المرضعة وتدبيرها... إلخ.

وألّف الرازي أيضاً كتابه المشهور: كتاب في الجدري والحصبة الذي ترجم إلى اللغات الأوروبية منذ عهد بعيد، وكان هذا الكتاب كما تقول زيغريد هونكه «آية من نوعه، وقد نشر في أوروبا أربعين مرة ما بين الأعوام ١٤٩٨ وحتى ١٨٦٦»، وفي هذا الكتاب الذي لم يتجاوز ٦٨ صفحة من القطع الصغير فرّق الرازي تفريقاً تاماً بين الحصبة والجدري، وكان بذلك أول من استطاع التفريق بينهما.

وقد سبق الرازي مجموعة من الأطباء كتبوا عن طب الأطفال ورعاية الأمومة، ولكنهم لم يفعلوا مثله بأفرادها بكتب مستقلة نذكر منهم علي بن سهل الطبري المروزي «ومدينة مروفي تركمنستان في الاتحاد السوفييتي السابق»، كان ـ يهودياً ـ فأسلم على يد الخليفة العباسي المعتصم فقربه إليه وجعله من خاصته، وقد اشتهر باسم ابن ربن الطبري نسبة إلى جده، وله كتاب فردوس الحكمة الذي يعتبر أقدم تأليف جامع لفنون الطب باللغة العربية.

وقد خصص ابن ربن الطبري الباب الأول والثاني من المقالة الرابعة عن تربية الأطفال وحفظ صحتهم... وله أيضاً كتاب حفظ الصحة وكتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير وكتاب في ترتيب الأغذية، وفي هذه الكتب تحدث عن الحامل والمرضع وغذائهما كما تحدث عن أغذية الأطفال المناسبة لهم.

وقد عاش ابن ربن الطبري في القرن الثاني والثالث الهجري ١٥٣ ـ ٢٤٧هـ (٧٧٠ ـ ٨٦١م، وكان مقرباً للمعتصم ثم للمتوكل واشتهر بالحكمة والطب.

ويعتبر يوحنا بن ماسويه (١٦١ ـ ٢٣٤هـ) (٧٧٧ ـ ٨٥٧م) المعاصر لابن ربن الطبري أحد الأطباء القلائل الذين أفردوا الجنين بمقالة مستقلة، وتعتبر هذه المقالة أول مؤلف مستقل في علم الأجنة باللغة العربية، وتبدأ الرسالة بهذه الجملة: «إن أول ابتداء الإنسان نطفتان يجتمعان في الرحم من الرجل والمرأة»، وهذا أمر لم يكن معروفاً في الطب، حيث كان الاعتقاد السائد هو أن الجنين إنما يتكون من دم الحيض، كما كان أرسطو يقول: والقرآن الكريم والسنة المطهرة هما اللذان أوضحا بكل جلاء أن الجنين إنما يتكون من نطفة الرجل ونطفة المرأة حينما يمتشجان ويختلطان، فيكون بذلك النطفة الأمشاج.

وكتب ثابت بن قرة المتوفى سنة ٢٨٨هـ ـ ٩٠٠م مجموعة من التآليف المتعلقة بطب الأطفال وهي:

١ ـ جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر.

٢ ـ رسالة في الجدري الحصبة.

٣ ـ مقالة في صفة كون الجنين.

٤ ـ الذخيرة في علم الطب وفيه فصل عن أوصاف الحليب وحفظ الصحة ابتداء من الجنين إلى المولود فالطفل فالصبي فالبالغ.

ويعتبر حنين بن اسحاق العبادي (١٩٤ ـ ٢٦٠هـ ـ ٨١٠ ـ ٨٧٣م) أحد العلماء الأعلام الذين قربهم المأمون واشتغلوا له بالترجمة والتأليف، وقد كتب في طب الأطفال كتباً عدة منها كتاب المولود لسبعة أشهر وكتاب فيمن يولد لثمانية أشهر ومقالة في كون الجنين وكتاب في اللبن.

وقد أسهم أحمد بن محمد الطبري (٣٢٠ ـ ٣٦٦هـ) بكتابه المسمى «المعالجات البقراطية» نسبة إلى أبي قراط، الذي أسهم في الكتابة عن رعاية الأطفال وعلاجهم، وقد تحدث في كتابه هذا عن علل الأطفال وتدبيرهم حين يولدون وآداب المرضعة، وتحدث عن أنواع الجرب الذي تصيب الطفل... ويعتبر أول من اكتشف حشرة الجرب حيث يقول: «اعلم أن الجرب أنواعه كثيرة: منها رطب يسيّل يده وصديدي وأكثر حدوده للرأس... شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان «أي مثل صبيان القمل» وهي مختلفة الصور... ويتحدث عن حالات صرع الأطفال وأنها قابلة للبرء والشفاء بعكس حالات الصرع في الكبار التي تكون مزمنة، وتحدث كذلك عن الكزاز «الاصطكاك» وهو التتانوس ووصفه وصفاً جيداً في الأطفال.

وقد قسّم الطبري حالات استرخاء الأطفال إلى نوعين مكتسب ووراثي، كما تحدث عن مختلف الأمراض التي تصيب الأطفال بدءاً من الجهاز الهضمي وحتى الجهاز التنفسي إلى الأنف والأذن إلى أمراض العيون حتى النواحي النفسية... إلى غذاء الطفل في مختلف مراحل عمره منذ ولادته حتى تنبت أضراسه. وظهر ابن الجزار القيرادني «أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن خالد»، كأحد الأطباء البارزين في المغرب العربي في القرن الرابع الهجري (٢٨٥ ـ ٣٦٩ أو ٣٧٧هـ)، وله كتاب سماه «سياسة الصبيان وتدبيرهم»، وهو من الكتب المهمة في رعاية الطفولة، وقد حقق هذا الكتاب ونشره الدكتور محمد الحبيب الهيلة العام ١٩٦٨م، وقد قال ابن الجزار في مقدم كتابه هذا ما يلي: إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر جليل القدر ولم أر لأحد من المتقدمين المرضين من ذلك كتاباً كاملاً شافياً، بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقاً في كتب شتى، وقد قسّم المؤلف الكتاب إلى اثنين وعشرين باباً تناول فيها تدبير الأطفال عند خروجهم من الرحم، ثم صفة المرضعة وصفة لبن الظئر، وأطعمتها وأشربتها وسبب قلة لبنها وكيفية تدبيرها، ثم تناول الأمراض التي تصيب الأطفال حسب أعمارهم والأمراض الخلقية وأنواعها، وأنهى كتابه بالتحدث عن طباع الصبيان وتربيتهم.

وقد وضع عريب بن سعد الكاتب القرطبي الذي عاش في عهد المستنصر بالله (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ) كتابه «خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين» وذلك العام ٣٥٣هـ بإشارة من المستنصر بالله.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة التي جمعت رعاية الأمومة في فترة الحمل والرضاعة ورعاية الطفولة منذ بداية الحمل إلى الولادة ثم مراحل الطفولة المختلفة. وقد نشر هذا الكتاب بوساطة كلية الطب

والصيدلة بالجزائر سنة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م، وحققه وترجمه إلى الفرنسية الأستاذان نور الدين عبدالقادر وهنري جاييه.

وكتب علي بن العباس المجوسي (المتوفى سنة ٤٠٠هـ ـ ١٠١٠م) كتابه المشهور باسم كامل الصناعة الطبية وخصص فيه ثلاثة أبواب لطب الأطفال وهي الباب العشرون ويبحث في تدبير أبدان الأطفال، والباب الحادي والعشرون ويبحث في تدبير الظئر، «المرضعة»، والثاني والعشرون، ويبحث في تدبير الصبيان الذين جاوزوا الرضاع وكيفية العناية بهم حتى سن الثانية عشر.

ملحوظة: لم يكن علي بن العباس مجوسياً بل كان على ذلك وغلب عليه اللقب، وكان هو وأبوه مسلمين.

وظهر أحمد بن أبي الأشعث في الموصل واشتهر كطبيب، ومعلم وله في طب الأطفال كتاب في الجدري والحصبة والحميقاء، وكانت وفاة ابن أبي الأشعث في سنة ثلاثمئة ونيفاً وستين للهجرة. ويعتبر أحمد بن محمد البلدي العراقي من مدينة بلد «إسكي موصل الحالية» من أبرز تلامذة أحمد بن الأشعث المتقدم ذكره، ويتميز البلدي بأنه كان أحد القلائل الذين اهتموا برعاية الطفل منذ فترة الحمل الأولى ويعتبر كتابه «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم» من أهم الكتب التي أسهم بها الأطباء المسلمون في رعاية الأمومة والطفولة، وقد قام الدكتور محمود الحاج قاسم بتحقيق الكتاب، ونشره في العام ١٩٨٠م عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية «دار الرشيد للنشر» وكانت وفاة البلدي العام ٣٨٠هـ، وتنبه البلدي إلى أهمية الرضاع من الأم، حيث يقول: «وفي ملائمة لبن الأم للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منها وحفظ صحتها». وقد اهتم أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي (٣٢٥ ـ ٤٠٤هـ ـ ٩٣٦ ـ ١٠١٣م)، أعظم جرّاح في القرون الوسطى وصاحب الكتاب المرجع في علم الجراحة لقرون عدة «التصريف لمن عجز عن التأليف»، اهتم الزهراوي بجراحة الأطفال وأفرد لها فصولاً خاصة من كتابه العظيم. واشترك أحمد بن عبدالرحمن بن مندويه الأصفهاني المتوفى سنة ٤١٠هـ ـ ١٠١٩ بمؤلف في طب الأطفال أسماه رسالة في أوجاع الأطفال.

ويعتبر ابن سينا «أبو علي الحسين بن عبدالله» بحق أشهر أطباء المسلمين وأكثرهم نبوغاً وتأليفاً، حيث بلغت مؤلفاته ٢٧٦ كتاباً في مختلف فنون المعرفة ابتداء من اللغة مروراً بالفلسفة والفقه والشعر وانتهاء بالطب، ويعتبر القانون في الطب أشهر مؤلفات ابن سينا، ولقد بقي هذا الكتاب الفذ المرجع الأول للأطباء لمدة سبعة قرون في معظم جامعات العالم بما في ذلك جامعات أوروبا.

وابن سينا من مواليد بخارى في أوزبكستان، وأبوه من بلخ في شمال أفغانستان، ولقد عاش ابن سينا في القرنين الرابع والخامس الهجريين (٣٧٠ ـ ٤٣٢هـ ـ ٩٨٠ ـ ١٠٣٦م)، وكانت حياته مليئة بالاضطراب حيث تولى الوزارة في همدان «إيران» ثم ثار عليه الجند واستقر في أصفهان وتفرغ فيها للعلم والكتابة والتأليف فأثرى المكتبة العربية والإنسانية أيما إثراء.

وقد خصص ابن سينا فصولاً عدة من كتابه الموسوعي في الطب «القانون» لرعاية الأطفال وجعل في الجزء الأول من القانون أربعة فصول لرعاية الطفولة وهي:

فصل في تدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض.

فصل في تدبير الإرضاع والنقل.

فصل في الأمراض التي تعرض للصبيان وعلاجها.

فصل في تدبير الأطفال إذا انتقلوا إلى سن الصبا.

ثم اتبع ذلك بقسم آخر سماه «التدبير المشترك للبالغين وهو سبعة عشر فصلاً، معظمها في الرياضة والغذاء وبدأ ذلك بقوله: لما كان معظم تدبير حفظ الصحة هو أن يمارس الرياضة ثم تدبير الغذاء ثم تدبير النوم وجب أن نبدأ الكلام بالرياضة»

وفي الجزء الثالث من القانون وضع ابن سينا فصلاً في الحصبة والجدري وآخر في الحميات وفصلاً في تشنج الأطفال.

وذكر ابن سينا أهمية الرضاعة من الأم فقال: «أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم، ولابن سينا لفتات لطيفة في رعاية الطفل حيث يقول: «فإنه من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضاً لتقوية مزاجه أحدهما التحريك اللطيف والآخر الموسيقا والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال».

ولابن سينا أيضاً أرجوزة في الطب عدد أبياتها ١٣٢٦ بيتاً خصص منها أربعين بيتاً للأم والطفل هي الأبيات ٩١٣ إلى ٩٥٢، وقد قسمها أيضاً، كما فعل في القانون إلى أربعة أقسام:

١ ـ تدبير الطفل في بطن أمه: حيث يتحدث في ارجوزته عما يجب على الحامل من الاحتياط في تناول الطعام ومنع من فصد دم الحامل، كما منع من إعطاء الحامل مسهلات قوية، وإذا كان لديها إمساك فعليها بالملينات الخفيفة.

٢ ـ تدبير المخاض والولادة: وفيها ينصح ابن سينا بتدليك الحامل قبيل الوضع في حمام ساخن ويأمر بالغذاء الجيد والمرق الدسم، ويحذر من إزعاج الحامل، ويأمر القابلة بأن تجعل الحامل تقوم بتمرينات رياضية قبل الوضع حتى تقوى عضلات البطن.

٣ ـ اختيار الظئر «المرضعة»: ويصف فيها صفات المرضعة الجيدة من امتلاء للجسم وتوسط للسن غير مترهلة معتدلة المزاج، خالية من الأمراض، كما يصف تغذية المرضع وعدم إزعاجها وتفريغها لمهمة الإرضاع.

٤ ـ تدبير الطفل في خاصته: ويشرح فيها ابن سينا كيفية العناية بالطفل حديث الولادة من حيث دهن جلده والتوسط في إرضاعه، وكيفية تنظيفه وشد قماطه، ومعاملته لينام نوماً هادئاً ثم تغذية الطفل بإضافة العسل كما ينصح بمناغاة الطفل بصوت منغم ملحن ويتحدث عن تأثير الموسيقا عليه، كما يتحدث عن أهمية تعليمه الكلام.

ولا يكتفي ابن سينا بذلك، بل يتحدث عن التشوهات في الجنين والمولود ويرجعها إلى الرحم الرديء أو ماء الرجل أو الولادة السيئة، أو نتيجة سوء رعاية المولود من ناحية تقميطه أو وقوع الطفل حيث تنكسر ساقه أو يده، ثم يتحدث ابن سينا بعد ذلك

عن ارتخاء العصب والتشنج، وميل الرقبة، ويختم ذلك بأثر الأورام والقروح في إفساد الشكل الظاهري للأعضاء.

وقد ترجمت أرجوزة ابن سينا إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي... ونشر الدكتور محمود الحاج قاسم الأبيات الأربعين المختصة برعاية الأطفال والحوامل في مجلة العربي العدد ٢٧٢، كما نشرها كذلك في كتابه القيم: تاريخ طب الأطفال عند العرب.

ولم يكتب ابن سينا بذلك كله، ولكنه وضع رسالة في سياسة الرجل ولده وقد شملت هذه الرسالة ما يلي:

١ ـ اختيار الاسم الحسن والمرضعة الجيدة، حيث يقول: إن من حق الولد على والده إحسان تسميته ثم اختيار ظئره كي لا تكون حمقاء ولا ذات عاهة.

٢ ـ تأديب الطفل وعقابه منذ الصغر.

٣ ـ تعليم الطفل واختيار المؤدب الصالح: حيث يقول: وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا دين بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً رزيناً غير كز ولا جامد، بل يكون حلواً لبيباً، ذا مروءة ونظافة ونزاهة.

ويقول: ينبغي البدء بتعليم القرآن، وصوِّر له حروف الهجاء، ولقن معالم الدين، وينبغي أن يروى الصبي الرجز ثم القصيدة، ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وما حث على بر الوالدين، واصطناع المعروف وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

ويحث ابن سينا على تعليم الصبي مع أقرانه لا منفرداً، فإن الصبي عن الصبي ألقن وعنه آخذ وبه آنس.

كما يهتم ابن سينا بميول الصبي وتوجيهه بعد إعطائه الثقافة الدينية الأولية حسب رغباته وميوله، حيث يقول: «وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يُراد أن تكون صناعته فوُجِه لطريقه، فإذا أراد به الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس وما أشبه ذلك وطروح الحساب، ودخل به الديوان، وإن أريد أخرى أخذ به فيها بعد أن يعلم مدبر الصبيان أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية لكن ما شاكل طبعه وناسبه... فلذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزيد أولاً طبع الصبي وسبر قريحته ويخبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك، فإذا اختار له إحدى الصناعات تعرف قدر ميله إليها ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا؟ وهل أدواته وآلاته مساعدة عليها، أم خاذلة، ثم يبتُّ العزم».

وبهذه الطريقة الفذة يكتب ابن سينا عن رعاية الأمومة والطفولة في مراحلها المختلفة رعاية شاملة كاملة، وإن كان ذلك متفرقاً في كتبه ورسائله.

ولذا فإن من أتى بعد ابن سينا وبخاصة من الأطباء كان عالة عليه إلى حد كبير، ولم يأتِ بالجديد منهم إلا القليل وبخاصة في موضوع رعاية الطفولة والأمومة الذي نحن بصدده، أما الفقهاء وعلماء الدين فقد توسعوا في هذا الباب من زوايا كثيرة لم يطرقها ابن سينا وإن طرقها لم يتوسع فيها كما توسعوا.

وسنكمل أولاً ما أضافه الأطباء إلى رعاية الأمومة والطفولة ثم نلتفت بعد ذلك إلى ما كتبه علماء الدين والفقه.

يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي المتوفى سنة ٤٩٣هـ ـ ١٠٩٧م

لم يضع يحيى بن عيسى بن جزلة كتاباً مستقلاً لرعاية الطفولة والأمومة، ولكنه تناول ذلك بشيء من الإسهاب في كتابه: «تقويم الأبدان في تدبير الإنسان» وفي هذا الكتاب فرق بين أمراض الأطفال والشباب والشيوخ وكيفية علاجها وقارن بينها مقارنة جيده.

علي بن رضوان المتوفى سنة ٤٥٣هـ ـ ١٠٦١م بمصر، وقد كتب في موضوع طب الأطفال ما يلي:

١ ـ مقالة في أن جالينوس لم يخلط في أقاويله في اللبن على ظن قوم.

٢ ـ رسالة في علاج صبي أصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الأسد.

أبو الحسن علي بن هبل البغدادي المتوفى سنة ٦١٠هـ ـ ١٢١٢م صاحب كتاب المختارات في الطب الذي عقد في الجزء الأول منه أربعة فصول عن تدبير المولود وتغذيته ومداواة أمراض الأطفال، ووضع فصلاً بعنوان «خلق الإنسان» لخص فيه معلومات علم الأجنة إلى زمنه.

أبو مروان عبدالملك بن زهر الأندلسي ٤٨٧ ـ ٥٥٨هـ/ ١٠٩٤ ـ ١١٦٢م.

ورغم شهرة ابن زهر في الطب، إلا أنه لم يفرد طب الأمومة والطفولة بشيء من تأليفه، بل تحدث عن ذلك باختصار في كتابه الأغذية، حيث ذكر ما يحفظ الأجنة في الأجواف ثم القول في تدبير الطفل.

ابن النفيس «علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي المشهور بابن النفيس» ٦٠٧ ـ ٦٨٧هـ/ ١٢١٠ ـ ١٢٨٨م

أحد أعلام الطب البارزين في التاريخ الإسلامي، صاحب التصانيف الكثيرة في الطب والفقه وغيرهما... وأشهر كتبه في الطب شرح كتاب التشريح من قانون ابن سينا وموجز القانون، ولم يكتف فيه بإيراد وأقوال ابن سينا وجالينوس وغيرهما من الأطباء، ولكنه انتقد بعض أخطائهم، ويعتبر ابن النفيس أول من وصف الدورة الدموية الصغرى، كما كان أول من وصف الشرايين التاجية المغذية للقلب وأول من أوضح أن القلب له بطينان لا ثلاثة، كما زعم ابن سينا، وأول من كشف خطأ جالينوس في قوله: «إن الجدار الفاصل بين البطينين في القلب له فتحة ومسام».

ورغم أن إسهامات ابن النفيس في الطب كانت رائدة ومهمة، إلا أن إسهاماته في طب الأطفال ورعايتهم كانت محدودة برسالة في أوجاع الأطفال، ويبدو أن المنية عاجلت ابن النفيس، حيث لم يتم سوى ١٨ جزءاً من كتابه الموسوعي الشامل في الطب الذي كان يرفع كتابته في ثلاثمئة جزء.

ابن القف «أبو الفرج بن موفق الدين بن إسحاق بن القف» كان جده من نصارى الكرك بالشام، ثم أسلم وصار أبوه من أعلام الدين ولد سنة ٦٣٠هـ ـ ١٢٣٢م، تتلمذ على ابن أبي أصيبعة صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء وترجم له.

وله من الكتب الشافي في الطب وشرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا في ست مجلدات، وله مقال في حفظ الصحة، وكتاب العمدة في صناعة الجراح وهو كتاب فذ في علم الجراحة.

وقد تكلم في كتبه هذه فصولاً لاتتعلق

برعاية الأمومة والطفولة، ففي كتابه «جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض»، تكلم عن تكوين الجنين وحفظ صحة الحبالى وحفظ صحة الرضيع والمرضع وحفظ صحة الطفل قبل النظام وبعده وفي أيام الصبا والشباب والكهولة.

وتكلم في كتاب العمدة في صناعة الجراح وتكلم عن علاج الحصبة وعلاج الماء الذي يجتمع في رؤوس الصبيان وعلاج من يولد من الأطفال وكمرته ومقعدته غير مثقوبه، كما تكلم عن ختان الأطفال وأمور أخرى تتعلق بجراحة الأطفال مثل الأصابع الزائدة والملتصقة إلخ... وكانت وفاة ابن القف العام ٦٨٥هـ - ١٢٨٦م.

داود الأنطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨هـ - ١٦٠٠م داود بن عمر الأنطاكي.. ولد في أنطاكية وحفظ القرآن الكريم ودرس الأدب والطب حتى صار من الأعلام... له مؤلفات كثيرة في الطب والأدب أشهرها كتاب: تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب» المعروف باسم تذكرة داود «مطبوع»، وقد تحدث في هذا الكتاب عن كيفية العناية بالمولود، وتحدث عن الرضاع والمرضع وشروطهما وصفات الحليب الجيد وكمية اللبن التي ينبغي أن يرضعها الطفل حيث يقول: «وأقل ما يرضع الطفل في اليوم والليلة مئة وخمسين درهماً، والأكثر فيما قالوا خمسمئة درهم»، ويساوي الدرهم ٣,٨٩٨ غرام، وينصح داود المرضعات بأن يتوقفن عن الرضاعة إذا اضطررن لاستخدام الأدوية القوية التي تفرز في لبن الثدي حيث يقول: «وتعالج المرضع إن لم يكن ولابد من دواء قوي فلا ترضع يومه».

ويهتم داود بإضافة طعام آخر للطفل لعدم الاكتفاء بالرضاع وبخاصة قبيل النظام، والغريب حقاً أن داود الأنطاكي كان ضريراً، ورغم ذلك انتهت إليه رئاسة الأطباء في زمنه، وله بجانب التذكرة المشهورة كتاب «نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان» و«ألفية في الطب» وكفاية المحتاج في علم العلاج، ورسالة في علم الهيئة وشرح عينية ابن سينا، وزينة الطروس في أحكام العقول والنفوس، وغاية المرام في تحرير المنطق والكلام، والنزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأفرجة». ■

أطفال المشركين أفي الجنة هم أم في النار؟

ما حكم من مات صغيراً من أبوين غير مسلمين؟ هل يدخل النار مع الداخلين؟ أم ينعم الله عليه بالجنة مع المسلمين؟

بقلم: محمد سلامة جبر

قلت: اختلف العلماء في حكم أولاد المشركين يوم القيامة، وسبب الخلاف تعارض النصوص الواردة في المسألة، فقال بعضهم: «إن الله يمتحنهم يوم القيامة» واستدلوا بما رواه أحمد والبزار، وفيه أن الله يمتحن من مات صغيراً، ومن لم يدرك الرسول، أو أدركه وهو هرم لا يعي، أو أبله لا يعقل، فيأمرهم أن يقذفوا بأنفسهم في النار! فإن أطاعوه أدخلهم الجنة وإن عصوه دخلوا النار! غير أن هذا ضعيف، رده جماعة من العلماء المحققين منهم ابن عبد البر، فقد قال ما نقله عنه ابن القيم في طريق الهجرتين ص٣٩٩: «أهل العلم ينكرون أحاديث هذا الباب، لأن الآخرة ليست دار عمل ولا ابتلاء، فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين؟! والله لا يكلف نفساً إلا وسعها».

والقول الثاني: التوقف، قلت: توقف بعضهم في الحكم على أهل الفترة وأطفال المشركين وقالوا: «الحكم فيهم راجع إلى المشيئة الإلهية» واستدلوا بما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

قلت: الحديث صحيح بلا ريب، غير أن الاستدلال به على التوقف غير صحيح، لأن قوله: (الله أعلم بما كانوا عاملين) لا يدل على أكثر من علم الله بعملهم لو أنهم أدركوا سن التكليف، ولا يدل على مؤاخذتهم بعلمه فيهم!

والقول الثالث في المسألة إنهم في النار تبعاً لآبائهم، واستدلوا بحديث ضعيف رواه يحيى بن المتوكل عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين: «أين هم يوم القيامة»؟ فقال: «في النار» قالت عائشة: «لم يدركوا الأعمال، ولم تجر عليهم الأقلام؟!».

قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

قال ابن القيم في طريق الهجرتين: «يحيى بن المتوكل - راوي الحديث - لا يحتج بحديثه، فإنه في غاية الضعف».

والقول الرابع في المسألة: (أنهم خدم أهل الجنة) وهو مردود لضعف ما جاء فيه من الحديث.. أما القول الصحيح إن شاء الله، فهو قول من قال: (إنهم في الجنة) لصحة ما جاء في ذلك من الأحاديث، ولموافقته ما علمناه من سعة رحمة الله..

وقد جاء في مستخرج البرقاني على البخاري من حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «كل مولود يولد على الفطرة». فقال الناس: «يا رسول الله، وأولاد المشركين؟». قال: «وأولاد المشركين».

وروى الإمام أحمد وأبو داود أن حسناء بنت معاوية قالت: حدثني عمي قال: قلت للنبي ﷺ: «يا رسول الله، من في الجنة؟». قال: «النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والوئيد في الجنة».

وحسبنا في ذلك قوله تعالى في سورة (الإسراء: ١٥): (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا). وقوله سبحانه في (القصص: ٥٩): (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمّها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون).

وأصرح من ذلك قوله تعالى في (الأنعام: ١٦٤): (ولا تزر وازرة وزر أخرى). وقوله سبحانه في (يس: ٥٤): (فاليوم لا تظلمُ نفسٌ شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون).

وقد استوفى الإمام ابن القيم أدلة القائلين بأن أطفال المشركين في الجنة في كتابه طريق الهجرتين (ص٣٩٣) ثم قال: «وهذه حجج كما ترى قوة وكثرة، ولا سبيل إلى دفعها».

ومع شهادته تلك يبدو أنه اختار قول من قال بامتحان أطفال المشركين يوم القيامة، وهو ما تقدم في صدر الجواب.. غير أننا نلزمه بشهادته لحجج القائلين بنجاة أطفال المشركين من النار، ونرجو أن يكون ذلك هو الحق عند الله، فإن الله غني عن تعذيب من مات ولم يبلغ الحلم من أطفال المشركين، وهذا هو رجاؤنا بأرحم الراحمين، فنسأله بفضله ورحمته أن يجعلنا من أهل فضله ورحمته في الدنيا والآخرة، بمنه وكرمه آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

قضايا إسلامية

واجب العلماء تجاه القضية الأفغانية

د. محمد فضائل محمد صديق القرشي

الحمد لله الذي هيأ لهذه الأمة علماء مصلحين ودعاة مبصرين يجمعون شتات الأمة، ويسعون إلى توحيد الكلمة، والصلاة والسلام على إمام المصلحين، ورسول رب العالمين، سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: العلماء في الإسلام لهم منزلة سامية ومكانة عالية، فهم حياة الأمةوقلبها النابض، وشريانها المتدفق، وهم حماة الشريعة، فكم من جاهل بصرّوه، وكم من تائه أرشدوه، وكم من شبهة أو افتراء على الإسلام وأهله إلا وأدحضوه أو فندوه، وكم من تخاصم وتقاتل بين المسلمين إلا وأخمدوه وأدفنوه، وكم... وكم... فلا غرو أن تشيد بفضلهم النصوص الكريمة من الكتاب والسنة... نقرأ في كتاب ربنا عز وجل قوله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة: ١١، وقوله سبحانه وتعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر: ٩.، ولا عجب أن يكونوا هم أكثر الناس خشية لله تبارك وتعالى، لقوله سبحانه وتعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر: ٢٨، وفي الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن رسول الله صل الله عليه وسلم - قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم قال - صلى الله عليه وسلم - «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير»، حديث حسن، ولله در القائل:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء

ومن منطلق هذه المنزلة والمكانة فإن مسؤولية العلماء بلا شك تجاه القضايا المصيرية للأمة كبيرة وضخمة، تستوجب منهم السعي الحثيث والعمل المتواصل دونما كلل أو ملل من أجل الحفاظ على وحدة الأمة وقوتها، وتلافي المشكلات وتفاقم الأزمات حتى لا تصل الأمور إلى ما لا يحمد عقباه، ولا يدرك منتهاه. وإن من القضايا التي تستوجب على علماء الأمة التعامل معها بكل جدية وحزم والعمل الدؤوب من أجل إخماد نيرانها حتى لا تلتهم الأخضر واليابس تلك الخلافات والنزاعات بين أبناء الأمة، والتي لا تؤدى إلا إلى زرع الفتنة، وتفرق الكلمة وتشتيت الجهود... نعم للنقد البناء والخلاف من أجل الوصول إلى الحل الأمثل فيما نختلف فيه في جو من المحبة والمودة والإخاء، فاختلاف الأمة في هذا رحمة، أما الخلاف الذي يهدم ولا يبني، يدمر ولا يعمر، يفسد ولا يصلح فهو خلاف مذموم، وداء خطير وشر مستطير، يودي بحياة الأمة، ويقوض أركانها، وصدق الله العظيم إذ يقول: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) الأنفال: ٤٦.

إن من جراحات الأمة النازفة، وآلامها المريرة ولياليها المظلمة، والتي يعتصر لها الفؤاد ألماً ما آل إليه الجهاد الأفغاني... هذا الجهاد الذي سطر فيه المجاهدون أروع الملاحم والبطولات في القرن العشرين قرابة عقد ونصف العقد من الزماني ... هذا الجهاد الذي كان سبباً في هز صروح المعتدين، وإزاحة الظلم والأغلال عن المظلومين والمضطهدين في بلاد ما وراء النهر حتى ارتفعت نداءات الله أكبر فوق المآذن والقباب في تلك البلاد ليعلنوها مدوية أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، نرى هذا الجهاد قد تحول إلى صراع مذموم وتقاتل وتناحر بغيض بين أحزاب المجاهدين، وصار هذا البلد الذي كان يضرب به المثل في التضحية والبطولات مسرحاً للصراعات والاختلافات بين تلك الأحزاب، وكأن الجهاد كان حلماً تحلم به، ولم يكن له حقيقة في أرض الواقع!

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام وإيمان

لاشك أن أعداء الإسلام لهم يد طولى فيما يجري في أفغانستان فهم لا يريدون للإسلام أن تقوم له قائمة، أو تكون للمسلمين قوة ومنعة، مصداقاً لقوله تعالى: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) البقرة: ١٠٥، وقوله تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) البقرة: ١٠٩، وقوله تعالى: (لا يأتونكم خبالاً ودوا لو عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) آل عمران: ١١٨، ولكن الله لهم بالمرصاد، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، (يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) التوبة: ٣٢، ولا يعني كلامنا هذا أبداً أن نبرأ ساحة تلك الأحزاب، فإنها مسؤولة أمام الله عز وجل إن لم تتق الله في أنفسها، وتضع خلافاتها وراء ظهورها، وتفكر تفكيراً صادقاً من أجل مستقبل أفغانستان.

إن على علماء الأمة وحماة الشريعة مسؤولية عظيمة تجاه ما يجري في أفغانستان إن عليهم أن يبذلوا كل سبب مشروع يرتجى منه الوصول إلى حل عادل للمأساة التي يعاني من ويلاتها الشعب الأفغاني المسلم، قد يقول قائل: إنه قد بذل الكثير من الجهود من أجل إنهاء الأزمة ولكن دون جدوى، نقول: إن اليأس لا يعرف إلى نفس المؤمن سبيلاً، فاليأس ليس من شيمة المؤمن، قال تعالى: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف: ٨٧.

فيا علماء الشريعة: إن أفغانستان أمانة في أعناقكم ... إنكم مسؤولون أمام الله عز وجل عن آهات اليتامى، وبكاء الثكالى، وصرخات الأيامى إن فرطتم أو قصرتم في واجبكم تجاه أفغانستان، إن كل قطرة دم تراق ظلماً وعدواناً لهي أشد عند الله من حرمة الكعبة، فلا تدخروا وسعاً في بذل كل ما فيه بارقة أمل وبصيص نور لحل هذه الأزمة التي طال ليلها... كفانا سماع أزيز الطائرات وأصوات المدافع ... كفانا قتل الأبرياء ودموع البؤساء.

يا علماء الأمة: إن أفغانستان قطعة غالية وجزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي الكبير، فإياكم والتفريط فيها أو بشيء من أرضها التي ارتوت بدماء أولئك الأبطال الفاتحين من المجاهدين الأوائل أيام الخلفاء الراشدين، الذين أبوا إلا أن يقطعوا البوادي والقفار، ويحملوا أمانة الدعوة إلى جبال هندوكش وربا أفغانستان وبلاد ما وراء النهر، ويرووا شجرة الإسلام بدمائهم الزكية الطاهرة فوق أراضيها، حتى يبقى الإسلام عزيزاً شامخاً يشع نوره وتنعم البشرية تحت ظلاله الوارفة، إن أعداء الإسلام يتربصون بنا الدوائر، فهل نفوت عليهم الفرصة؟ يا علماء الأمة: رب كلمة تصنع ما عجزت عن صنعه الطائرات والدبابات، ورب دعوة حكيمة خرجت من في صادق مخلص شرحت قلوباً غلفاً، وأنارت أعيناً عمياً، وأسرت آذاناً صماً، ما بذلوا غاية ما في وسعكم، ولا ييأسوا من روح الله، والله معكم. ■

إعداد: محمد هاني

أوهام حقيقية عن الأصولية الإسلامية

هذا الكتاب الذي يقع في نحو ٣٤٨ صفحة من القطع المتوسط هو من تأليف الدكتور أحمد موصلي الأستاذ المشارك في دائرة العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية في بيروت، ونشرته دار «جارنيت للنشر البريطانية ضمن إصدارات «ايثاكابرس».

يتألف الكتاب من جزأين، الجزء الأول يتضمن الدراسات النظرية وهو دراسة للمؤلف بعنوان «تمهيد للأصولية الإسلامية»، حقائق وأيديولوجيات وسياسات دولة»، ودراسة للباحثة كيرستن وولف بعنوان «جديد الاستشراق الجديد»، ودراسة للباحث أرماندو سالفانوري بعنوان «إشكاليات منطقية من المصطلحات الإسلامية»، ودراسة للباحث «رونالد جودي» بعنوان: «الإسلامية وبناء الإنسان».

أما الجزء الثاني فيشتمل على دراسات ميدانية لحالات معينة هي: «الدولة والمجتمع المدني والأصولية الراديكالية في الجزائر» (ليحيى زبير) و «الإسلاميون في مرحلة الليبرالية في الأردن» لجلين روبنسون و «النهج الإسلامي والمجتمع المدني في قطاع غزة» لمايكل ايرفنج جانسن، والبرامج التنموية للجماعات الأصولية الإسلامية في لبنان كمصدر للشرعية الشعبية لهلال خشان، ومستقبل الحركات الإسلامية في لبنان لنزار حمزة، والدولة الإسلامية الرأسمالية في المملكة العربية السعودية لميشال نعمة، وأسباب شعبية الأصولية في مصر لميرنا حمود، واللافت في محتويات الكتاب إنها عصرية المعايشة لظاهرة الأصولية، كما عرفت في الغرب والمتابعة الدقيقة للمعلومات في دراسات الميدانية والتي هي الجزء الثاني من الكتاب في حين يطرح الجزء الأول أفكاراً وتعاريف ويدخل في معالجة مثيرة للنقاش قد يوافق عليها القارئ وقد يرفضها لكنها تطرح اليوم عناصر منظمة للبحث والجدل حول إحدى أهم المسائل الفكرية والسياسية وأكثرها حدة في عالم اليوم.

مركز دراسات الوحدة العربية يعلن عن جائزة عبدالله الطريقي

أعلن مركز دراسات الوحدة العربية عن إنشاء جائزة تقديرية أو تشجيعية باسم «جائزة عبدالله الطريقي، تمنح في ذكرى وفاته يوم ٧ سبتمبر مرة كل عامين، ويشرف المركز على وقفية أقيمت باسم «وقفية عبدالله الطريقي»، تبلغ قيمتها مليون دولار تم الاكتتاب بنصفها حتى الآن، وينتظر أن تتزايد قيمتها بعد الإعلان عن إنشائها، أما قيمة الجائزة فتبلغ ٢٥ ألف دولار، يتم توفيرها من عائد الوقفية، وسيجري الترشيح لنيل الجائزة عن طريق المؤسسات العلمية والسياسية والمهنية والأهلية، بالإضافة إلى الشخصيات القومية في الأقطار العربية، ثم يتم اختيار الفائز بالجائزة بواسطة لجنة تحكيم تشكل خصوصاً لهذا الغرض.

الأوقاف أصدرت الجزء ٣٨ من الموسوعة الفقهية

أعلن مدير إدارة البحوث والموسوعة الإسلامية في قطاع الإفتاء والبحوث خالد عبدالله الشعيب عن صدور الجزء ٣٨ من الموسوعة الفقهية، ويحتوي الجزء ٣٨ على ٩٦ مصطلحاً موسوعياً، منها ٢٣ مصطلحاً أصلياً كبيراً و ٢٩ مصطلح إحالة.

ندوات إسلامية

الإعلام الدولي وقضايا المسلمين

تنظم رابطة الجامعات الإسلامية نهاية نوفمبر المقبل ندوة موسعة تجمع قادة الإعلام في مختلف المؤسسات الإعلامية في الدول الإسلامية والخبراء لبحث موضوع الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي.

وتهدف الندوة التي تستمر ثلاثة أيام إلى تجميع جهود العالم الإسلامي لوضع استراتيجية كاملة للإعلام الذي يبث على مختلف الوسائل، كما يساعد على تكوين رسالة إعلامية تعبر عن الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخاً وسلوكاً، وتعطي القدوة من أفعال وسير الرسول الكريم وخلفائه على أن تشمل هذه الاستراتيجية استبعاد كل ما ينشر مخلاً بقيم الإسلام وأصوله والآداب والأخلاق التي يقوم عليها.

وقال الدكتور جعفر عبدالسلام، الأمين العام للرابطة إن المؤتمر سيبحث محاور عدة تتضمن الإسلام والمسلمين في النظام العالمي، ويشمل الإسلام وعولمة الرسالة الإعلامية، ويتضمن المحور الثاني دراسة الاتجاهات الحديثة في صناعة الإعلام الدولي وتأثيرها على وسائل الإعلام في العالم الإسلامي، فضلاً عن محور حول حدود المنافسة وضرورة التكامل بين وسائل الإعلام الإسلامية وأوليات الإعلام بالقضايا الإسلامية.

الاجتهاد المقاصدي حجيته .. ضوابطه .. مجالاته



في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة الخامس والستون «الجزء الأول» تحت عنوان «الاجتهاد المقاصدي حجيته... ضوابطه... مجالاته» للدكتور نورالدين بن مختار الخارجي وهذا الكتاب الذي صدر في نحو ١٧٠ صفحة من القطع الصغير يعتبر محاولة جادة لإعادة طرح موضوع الاجتهاد المقاصدي، واستدعائه إلى ساحة الاهتمام الفقهي والفكري، وفتح ملفه من جديد، وإن كان هذا الملف لم يغلق تماماً، إلا أن الساحة الإسلامية بحاجة مستمرة إلى هذه الرؤية المقاصدية، أو الثقافة المقاصدية، التي تمنح العقل المسلم المعاصر أقداراً مهمة من ضرورة التقويم والنقد والمراجعة ودراسة الجدوى لطبيعة الأداء، كما تسهم إلى حد بعيد ببناء عقلية التخطيط وتحديد الأهداف والمقاصد في ضوء الإمكانات والاستطاعات المتوافرة والظروف المحيطة، ذلك أن بناء العقلية المقاصدية تخلص العمل الإسلامي من العشوائية والارتجال وعدم الإفادة من التجارب، والتعرف على مواطن الخلل، كما تحمي العاملين من الإحباط واليأس، الذي يجيء ثمرة لاختلاط الأماني بالإمكانات، فيؤدي إلى مجازفات، كنا وما نزال ندفع تجاهها الأثمان الباهظة.

ولئن جاء الكتاب في الإطار الفقهي التشريعي، بحيث قد ينحصر خطابه في شريحة محدودة من المتخصصين تخصصاً دقيقاً، فإنه يسهم - فيما نرى - إسهامات واضحة في تشكيل الثقافة المقاصدية، بما ينضحه من رؤى فكرية وفقهية معاً، قد لا تتوقف عند حدود الاستعراض التاريخي لمسيرة الاجتهاد المقاصدي، بحيث يمنح استشراف هذا التاريخ قدراً مهماً من رؤية المستقبل واستشرافه، للامتداد بخلود هذا الدين، وبسط تعاليمه الإنسانية على المجتمعات البشرية.

أخبار ثقافية

- أعلنت اليونسكو أسماء الهيئات والبرامج التي فازت بالجوائز الدولية لمحو الأمية للعام ١٩٩٨م، وكانت لجنة التحكيم الدولية المكلفة باختيار الفائزين قد اجتمعت في مقر المنظمة، وقررت تقديم جوائز هذا العام إلى عدد من المؤسسات التربوية والتعليمية في مختلف مناطق العالم.
- تبدأ فعاليات الدورة العاشرة لوزراء الثقافة العرب في الشارقة في شهر نوفمبر المقبل، وتناقش الدورة التراث الثقافي للقدس الشريف، وتأسيس قناة فضائية عربية ومشاريع الثقافة في الدول العربية.
- أعلن وقف المستشار الدكتور محمد شوقي الفنجري لصالح جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي أن آخر موعد لاستلام بحوث الجائزة للعام ١٩٩٩م هو نهاية شهر مارس للعام نفسه، والجدير بالذكر أن محاور الجائزة هي: حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام، التقريب بين المذاهب الفقهية، الإعلام الإسلامي المعاصر ودوره في مواجهة مشكلات العالم الإسلامي.

الإرهاب في أوروبا الشرقية

من أبرز الكتب التي صدرت في ألمانيا الكتاب الذي وضعه الباحثان السياسان «هرمان فيبر وأولريش مالرت» تحت عنوان «الإرهاب الشيوعي في أوروبا الشرقية»، وأصدرته دار نشر «شونينج» الألمانية في مدينة «بادبورن»، ويقع في نحو ٦٥٠ صفحة من القطع المتوسط، وهو يقدم نماذج حية من أعمال الظلم والاضطهاد وتصفية الخصوم في دول الأنظمة الشيوعية وبخاصة في الاتحاد السوفييتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وألمانيا الشرقية سابقاً.

وقد أفرد الكتاب فصولاً عدة مطولة، حول أعمال القتل والتصفية الجسدية منذ أواخر الثلاثينات، حتى انقضاء العهد الستاليني، مشيراً إلى أن عامي ١٩٣٨/٣٧م قد شهدا اعتقال ما يزيد على ٢,٥ مليون شخص في الاتحاد السوفييتي، وتمت تصفية نحو ٦٨٠ ألفاً منهم جسدياً، الأمر الذي كشفت عنه الوثائق التي نشرت أو تسربت بعد انهيار النظام فيه، مؤكداً أن عمليات التصفية الستالينية التي بلغت قمتها خلال الفترة الواقعة بين الأعوام ١٩٣٥م و ١٩٤١م، قد أدت إلى اعتقال ٢٠ مليون شخص، وإعدام ٧ ملايين منهم، وذلك في إطار عمليات التنظيف التي طبقها ستالين والتي لم تقتصر على خصومة فقط، بل شملت عشرات الألوف من أقرب أعوان النظام البلشفي، بما فيهم أعضاء الحزب الشيوعي وكبار قادة الجيش الأحمر، وكذلك الشيوعيون والاشتراكيون في ألمانيا الشرقية.

وقد فسَّر مؤلفا الكتاب أن عمليات التصفية والاعتقال والقتل الجماعي والفردي لم تكن دليلاً على قوة النظام الحاكم في الاتحاد السوفييتي آنذاك، بقدر ما كانت تعكس الخوف الذي كان يسيطر على الطبقة الحاكمة، وضعف النظام الشيوعي نفسه، الأمر الذي ظهر بوضوح داخل دول المعسكر الشرقي بعد انتقال هذه الموجة من التصفية والإرهاب إليها من الاتحاد السوفييتي السابق، وحتى في الدول التي خرجت عن خطه بعد الحرب العالمية الثانية، وفي مقدمها يوغسلافيا التي شهدت في العام ١٩٤٨م موجات هستيرية رهيبة من عمليات الاضطهاد والمحاكمات الصورية والتصفية الجسدية.

وقد أورد المؤلف «هرمان فيبر» المتخصص في تاريخ الحكم الشيوعي في ألمانيا الشرقية معلومات وأرقاماً جديدة استطاع الحصول عليها من مصادرها الأصلية بعد انهيار حكم «أولريش هوينكر» الشيوعي في برلين الشرقية، تتعلق بعمليات الاعتقال والتعذيب والتصفيات الجسدية التي نفذها أتباع الحزب الشيوعي بعد تولي الحكم في البلاد بزعامة «فالتر أولبريشت» ومجموعته الستالينية التي رافقت الجيش الأحمر عند احتلاله الأجزاء الشرقية من ألمانيا النازية في أواخر الحرب العام ١٩٤٥م، وتحالف الحزب الشيوعي الألماني مع الاشتراكيين الألمان تحت اسم «الحزب الاشتراكي الألماني الموحد»، بزعامة أولبريشت، ثم هوينكر، إذ إن عملية الاندماج هذه بين الشيوعيين والاشتراكيين الألمان أدت إلى عمليات تصفية واسعة وفرار الملايين من الألمان الشرقيين إلى الغرب قبل إنشاء جدار برلين العام ١٩٦١م.



زراعة القوقعة الإلكترونية



تعتبر الأذن من أعضاء الحواس المهمة التي فضل الله بها بني البشر، إن فقد الفرد للسمع مشكلة يعاني منها كثير من البشر من جميع الأعمار في مختلف أنحاء العالم وقد يكون الفقد للسمع بسيطاً جداً وقد يكون فقداً كلياً، وفقد السمع قد يكون توصيلياً أو عصبياً أو توصيلياً عصبياً، وهناك حلول علاجية وجراحية لفقد السمع التوصيلي، أما فقد السمع العصبي فلا يوجد غير المعين السمعي كمكبر للصوت وحل لمختلف درجات فقد السمع العصبي ما عدا الفقد الكلي للسمع العصبي والذي ظل مشكلة كبيرة حتى بداية العقود الثلاثة الأخيرة، حيث بدأ ما يسمى زرع القوقعة الإلكترونية لفاقدي السمع العصبي الشديد جداً كحل ناجح لهذه المشكلة ويعتبر البروفسور «وليم هورس» ـ أول من قام بزرع القوقعة الإلكترونية في بداية السبعينات أي في العام ١٩٧٣م.

بقلم: د. كمال الدين أبو الحمد

إن عملية زرع القوقعة الإلكترونية للأذن الداخلية هي عملية الغرض منها إعادة قدرة المريض المصاب بالصمم الكلي على الاتصال سمعياً بالبيئة الخارجية عن طريق الاستثارة الكهربائية لقوقعة الأذن الداخلية للمرضى الذين لايفيدون من المعين السمعي القوي.

والمعين السمعي هو مكبر إلكتروني للصوت سهل الارتداد يعمل على مساعدة ضعيفي السمع وتوجد منه أنواع كثيرة ومختلفة منها ما هو محمول خلف الأذن ومنها ما يوضع داخل الأذن أو مرتبط بالنظارة (شكل ١) ومنها ما يحمل داخل ملابس الأصم.

ويتطلب لإجراء هذه العملية ما يلي:

١ ـ أن يكون المريض فاقداً للسمع فقداً كاملاً بكلتا أذنيه.

٢ ـ ألا يمكن أن يفيد من المعين السمعي القوي جداً.

٣ ـ أن يكون على دراية ومتوقعاً للإمكانات المحدودة للجهاز.

٤ ـ ألا يكون مختلاً نفسياً وعقلياً.

٥ ـ ألا يكون هناك مانع طبي لزرع القوقعة مثل الضعف الصحي الشديد أو عدم قدرته على احتمال التخدير الكلي أو عدم وجود عصب السمع.

٦ ـ ألا يكون هناك مانع عظمي للأذن الداخلية بالأشعة المقطعية مثل عدم تكون أذن داخلية (شكل ٢) أو وجود خلل في عظام قناة القوقعة للأذن الداخلية.

٧ ـ أن يكون عمره أكبر من سنتين وأقل من سبعين عاماً.

وهناك موانع لإجراء عملية زرع القوقعة الإلكترونية مثل:

أ ـ أن يكون المريض مولوداً فاقداً للسمع كلياً وعمره أكثر من ست سنوات.

ب ـ ألا يكون هناك قوقعة أذن داخلية بكلتا أذنيه (شكل ٢).

ج ـ أن يكون لديه قدرة ولو بسيطة جداً على السمع.

د ـ عدم قبوله نفسياً لتركيب القوقعة الإلكترونية.

وللقوقعة الإلكترونية أنواع مختلفة ولكنها تتكون من عناصر أساسية متشابهة (كما في شكل ٣) وهي:

- الميكروفون.
- منسق الكلام والملف الناقل.
- الملف المستقبل.
- الأقطاب التي توضع داخل قناة قوقعة الأذن أو خارجها.

وتوجد أنواع مختلفة من القواقع الإلكترونية مثل:

١ - قواقع إلكترونية ذات القطب الواحد وتركب داخل القناة الداخلية لقوقعة الأذن الداخلية.

٢ - قواقع إلكترونية ذات قطب واحد ويتم إلصاقها بجدار القوقعة للأذن الداخلية.

٣ - قواقع إلكترونية متعددة الأقطاب، ويتم إلصاقها بجدار قوقعة الأذن الداخلية.

٤ - قواقع إلكترونية متعددة الأقطاب وتركب داخل القناة الداخلية لقوقعة الأذن الداخلية.

وأشهر هذه الأنواع على مستوى العالم القوقعة الإلكترونية ذات الاثنين والعشرين قطباً.

وعملية زرع القوقعة هي عملية يتم فيها إدخال أقطاب القوقعة إلى داخل قناة القوقعة للأذن الداخلية أو ملصقة لجدارها بالأذن الوسطى ويتم فيها أيضاً تثبيت الملف المستقبل للقوقعة بجدار عظمة الجمجمة خلف الأذن تحت الجلد وبعد التئام الجرح يقوم المريض في أثناء استخدام الجهاز بوضع الملف الناقل على الجلد مقابلاً للملف المستقبل وعن طريق التجاذب المغناطيسي بينهما، تثبت في مكانها والميكروفون يستقبل الموجات السمعية ويحوّلها إلى منسق الكلام وعن طريق نظام إف إم تنتقل إلى ملف المستقبل، ثم إلى الأقطاب وبإشارتها الكهربائية إلى بقايا عصب السمع الحية ثم إلى مراكز السمع بالمخ، وبذلك يتم سماع الصوت لكن قدرة فاقدي السمع على تميز الكلام تختلف لاختلاف عوامل كثيرة، منها نوع القوقعة المزروعة، وفترة فقد المريض للسمع وحاله قبل فقده للسمع وقدرة مجموعة التأهيل التخاطبي ومدى مداومة المريض على برامج التأهيل.

إن عملية زرع القوقعة الإلكترونية على الرغم من أنها توضح مدى ما توصل إليه العلم من تقدم وتكنولوجيا في خدمة الإنسان إلا أنها باهظة التكاليف في الوقت الحالي وتكلف عملية زرع القوقعة ما يساوي خمسة وعشرين ألف جنيه استرليني، منها أربعة عشر ألف جنيه للجهاز فقط، لكننا على أمل في المستقبل القريب أن تقوم بعض الشركات العالمية بتصنيع أجهزة بأسعار أقل ومناسبة للدول النامية التي فيها نسبة كبيرة من فاقدي السمع الكلي.

ومن حسن الحظ أن هذه العملية لها مضاعفات بسيطة قد لا تذكر حتى الآن ومن هذه المضاعفات:

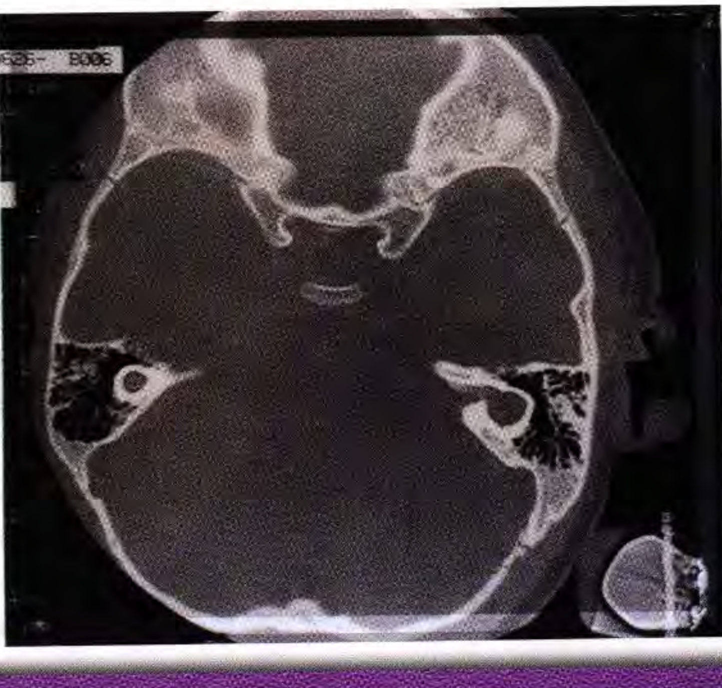
١ - التهاب الجرح.

٢ - تحرك الأقطاب من أماكنها أو التوائها أو تكسرها.

٣ - تحرك الملف المستقبل وخروجه من خلال الجلد.

٤ - فشل القوقعة الكترونياً.

وفي كل حالة يتم استقصاء النواحي الآتية، التاريخ المرضي، الفحص الإكلينيكي، الفحص السمعي، عمل أشعة مقطعية، ويختتم بقرار فريق زرع القوقعة ثم يتم إجراء عملية زرع القوقعة لمن تكون حاله تستوجب ذلك.



ومن ناحية التاريخ المرضي يتم استقصاء عناصره الثلاثة: الحاضر - والماضي - والعائلي - ويستقصى في التاريخ المرضي الحاضر عن عمر المريض وجنسه والسبب المفترض لفقده، ومدة فقده للسمع ويستقصى في التاريخ المرضي الماضي عن تعرض المريض لمشاكل في أثناء الولادة أو بعد الولادة وعن فترة الحمل عما إذا كان المريض قد تعرض لمرض الالتهاب السحائي الوبائي، أو تعرضه لخبطة أو صدمة على رأسه، أو أذنه أو عما إذا كان قد تم حجزه بالمستشفى من قبل وسبب دخوله المستشفى، أما استقصاء التاريخ المرضي العائلي، فيشمل حدوث حالات ضعف للسمع في محيط العائلة من عدمه ويستتبع ذلك الفحص الإكلينيكي للمريض ويشمل أذنيه وأنفه وحلقه للبحث عن سبب موضعي لضعف سمعه من عدمه، ثم يتم إجراء الفحوصات السمعية كمقياس السمع من دون استخدام المعين السمعي، ثم باستخدامه ومقياس ضغط الأذن ومقياس قدرة الأجهزة العصبية السمعية بالمخ والمخيخ والأذن الداخلية على السمع بالأجهزة الإلكترونية ثم يتم إجراء أشعة مقطعية على الأذنين لتحديد مدى ملائمة القناة الداخلية لقوقعة الأذنين لإدخال أقطاب القوقعة الإلكترونية.

وبعد إتمام إجراء العملية وقبل قفل الجرح يتم إجراء فحوصات سمعية للأطفال للتأكد من أن الأقطاب في أماكنها المطلوبة وأنها تعمل بكفاءة ثم يتم إجراء برامج تأهيل تخاطبية لمدة شهرين إلى ثلاثة أشهر.

إن عملية زرع القوقعة الإكترونية للأذن الداخلية أصبحت عملية سهلة الإجراء في أماكن مختلفة من العالم ويوجد مركزان لإجرائها في مصر أحدهما في جامعة عين شمس، والآخر في جامعة الإسكندرية، كما أن الجهاز المقبول لدى الأطفال، والكبار رجال ونساء وحل مشكلة معضلة من المشاكل الطبية، ولكن هل يسمح لمن يستخدم القواقع الإلكترونية القيام بكل أنشطته السابقة الجواب : لا ... هناك بعض الموانع مثل الأنشطة الرياضية التي تتطلب التحاماً جسدياً مثل رياضة الملاكمة والتي قد تحرك الملف والمستقبل من مكانه كما يمنع استخدام الأشعة ذات الموجات المغناطيسية واستخدام جهاز الكي الكهربائي أو العلاج بالأشعة بالقرب من الجهاز. ■



٤٥ ٪ من اليهود في فلسطين يستعدون لمغادرة إسرائيل

أكد استطلاع رسمي إسرائيلي بين اليهود في فلسطين أن ما نسبته ٤٥٪ منهم يعدون العدة لمغادرة الكيان الصهيوني.

نسب المشرفون على الاستطلاع سبب المغادرة أو الرغبة فيها إلى سوء الأحوال الاقتصادية إلا أنهم تجاهلوا سبباً آخر وهو ارتفاع نسبة الجريمة بين الخليط اليهودي في فلسطين لدرجة يصعب كبح جماحها حسب المعطيات والمسببات الدافعة لها.

قالت مصادر إسرائيلية إن «يهود فيلك» المفتش العام للشرطة قدم تقريراً للحكومة يستعرض فيه النصف الأول من العام الجاري والجرائم التي ارتكبت خلاله، ونسبتها إلى الفترة نفسها من العام الماضي ١٩٩٧م.

وعلى الرغم من التعتيم والتكتم المبالغ فيه حول معطيات التقرير، إلا أن المصادر أكدت أنه تقرير سوداوي متشائم لأبعد الحدود، وذلك لطبيعة المعلومات المخيفة التي يضمها.

وحسب صحيفة «معاريف» العبرية، فإن النزر اليسير الذي تسرب من التقرير يشير إلى وقوع أكثر من ٩٢ ألف جريمة في إسرائيل، وهي جرائم من النوع الخطير كالمخدرات والقتل واقتحام المنازل والممتلكات، حيث سجلت بعض الجرائم الخطيرة ارتفاعاً بأكثر من ١٣٪ قياساً بالفترة نفسها من العام الماضي.

وعدد التقرير أنواع الجرائم الخطيرة التي زادت نسبتها على مثيلتها في العام الماضي وبشكل مفزع.

ويبدو الحديث في إسرائيل عن تبلور عصابات منظمات ذات سطوة ونفوذ كبيرين على بعض كبار المسؤولين السياسيين والأمنيين في إسرائيل، بحيث أصبح اليهودي العادي يتكلم في مجالسه الخاصة عن مجتمع تحكمه قوة العصابات التي تمارس الابتزاز وأعمال الخطف أو إحراق «الممتلكات» في حال عدم رضوخ الضحية للدفع، الأمر الذي جعل المستعمرين اليهود الذين جاؤوا من شتى أرجاء العالم للعيش في«الجنة الموعودة»، يعملون على سرعة انتقالهم إلى خارج إسرائيل.

عدد المستوطنين في غزة والضفة يقفز إلى ١٧٠ ألفاً

قالت صحيفة ها آرتس الإسرائيلية إن عدد المستوطنين اليهود في الضفة الغربية وقطاع غزة قفز ٨,٨ في المئة العام ١٩٩٧م ثم زاد ٣,٣ في المئة في النصف الأول من العام ١٩٩٨م ووصل بذلك إلى نحو ١٧٠ ألفاً.

وأكد متحدث باسم وزارة الداخلية الإسرائيلية دقة الإحصاءات.

وجاء في التقرير إنه بحلول يونيو وصل عدد المستوطنين اليهود في الضفة وغزة إلى ١٦٩٣٣٩ مستوطناً، وأرجع التقرير نصف الزيادة إلى النمو الطبيعي للسكان والنصف الآخر لاستيعاب مستوطنين جدد.

وانهارت محادثات السلام الفلسطينية الإسرائيلية العام الماضي بسبب قضية توسيع المستوطنات، ودعت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية إسرائيل إلى «وقف» أنشطتها الاستيطانية.

وجاء في التقرير أن نصف عدد المستوطنين اليهود يعيشون في تسع مستوطنات من بين ١٤٤ مستوطنة في الضفة وغزة.

وقالت وزارة الإسكان الإسرائيلية إن نحو ربع الوحدات السكنية التي أقامتها الحكومة في مستوطنات الضفة في الفترة ما بين الأعوام ١٩٨٩م و ١٩٩٢م، لا تزال شاغرة.

أحفاد الصليبيين يحملون رسالة اعتذار

أعلن رئيس مسيرة المصالحة في الشرق الأوسط مافيد هاند «إطلاق مسيرة المصالحة المؤلفة من مواطنين مسيحيين غربيين منحدرين من نسل الصليبيين آتين إلى الشرق لمد يد المصالحة إلى شعوبه».

أضاف هاند في مؤتمر صحافي عقده في نقابة الصحافة أن المسيرة «بدأت العام ١٩٩٦م، في ذكرى مرور ٩٠٠ عام على بدء الحروب الصليبية، وتسعى إلى الإسهام في مستقبل أكثر تفاؤلاً من خلال المصالحة الشخصية وجهاً لوجه مع أهل الشرق الأوسط.

وقال: «إن جميع المتدربين يحملون رسالة اعتذار وتوبة إلى المسلمين واليهود والمسيحيين الشرقيين، وإلى أي جماعات أخرى قاسى أسلافها المذابح»، موضحاً أن «منظمي هذا النشاط لا يمثلون أياً من الجماعات المسيحية المحلية في الشرق الأوسط، ولم يسعوا بالتالي إلى إشراك ممثل تلك الجماعات في البرنامج».

وأمل هاند «في أن ينجح في تتبع خط سير الصليبيين معتذرين عما فعلوه ومظهرين المعنى الحقيقي للصليب، ونحن نأسف أشد الأسف لما اقترفه أسلافنا من جرائم شنيعه متسترين باسم المسيح».

منظمة الصحة العالمية

مدمنو المخدرات تجاوزوا ١٩٠ مليون شخص

كشف تقرير لمنظمة الصحة العالمية أن حجم تجارة المخدرات على مستوى العلام تجاوز ٤٠٠ مليار دولار سنوياً، وأن عدد المدمنين في العالم تجاوز ١٩٠مليون شخص، ورجح التقرير أن تجارة المخدرات تعد أحد المصادر المهمة لتمويل الحروب الطائفية في أنحاء العالم.

وأوضح التقرير، الذي من المقرر أن تخصص لجنة الصحة في مجلس الشعب المصري واجتماعات خاصة لمناقشته، أن هناك نحو مئة مليون طفل مدمن يجوبون شوارع العالم، على الرغم من الجهود الدولية التي تبذل من أجل الحد من انتشار المخدرات بشتى أنواعها، وأضاف التقرير أن هناك تحولاً عالمياً من تعاطي المخدرات التقليدية المنتجة من مواد نباتية مثل الحشيش والهيروين إلى المخدرات التخليقية مثل عقار النشوة «اكستاسي».

وقالت المنظمة في تقريرها إن عدد الذين توفوا من تعاطي المخدرات خلال حقبة الثمانينات تجاوز المئة ألف نسمة في العالم، مؤكدة أن متعاطي المخدرات ينتشرون في أفريقيا وآسيا وأوروبا بالدرجة الأولى.

وذكر التقرير أن جنوب أفريقيا من أكثر الدول تضرراً من المخدرات من بين دول جنوب وشرق أفريقيا، وأن ٦٠ في المئة من الكوكائين يصنع عملياً في جنوب أفريقيا وغربها.

ورصدت منظمة الصحة العالمية أن منظمة غرب آسيا من كبرى مناطق توريد المخدرات في العالم، حيث تشكل أفغانستان وباكستان مصدراً لنحو ٧٥ في المئة من الهيروين المضبوط في أوروبا و ٢٥ في المئة من الهيروين المضبوط في الولايات المتحدة.

حجم قوة العمل الخليجية ٣٦٪ من إجمالي العاملين في الخليج

قالت دراسة أصدرها مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية إن القوى العاملة المحلية في دول المجلس لا تشكل إلا ما نسبته ٣٦ في المئة من إجمالي القوة العاملة في هذه الدول والبالغة ٨ ملايين عامل تقريباً من أصل ما يقرب من ٢٥ مليون هم عدد سكان دول مجلس التعاون.

لكن الدراسة التي أعدها الدكتور سليمان القدسي أوضحت أن معدل نمو القوة العاملة في منطقة الخليج ينخفض سنوياً وبشكل واضح حيث كانت نسبة النمو في الفترة من العام ١٩٧٥م وحتى العام ١٩٨٠م ١٠ في المئة، ثم انخفضت في الفترة من ١٩٨٥م وحتى العام ١٩٩٥م إلى ٥,٣ في المئة، وأرجعت الدراسة انخفاض نسبة نمو القوة العاملة إلى انخفاض أسعار النفط.

وفي مقابل انخفاض نسبة النمو الكلية في القوة العاملة سجلت الدراسة ارتفاع نسبة نمو المعروض من العمالة المحلية أي من أبناء دول المنطقة وليس العمال الوافدين حيث ذكرت الدراسة أن هذا المعروض كانت نسبته ١,٥ في المئة بين الأعوام ١٩٧٥م - ١٩٨٠م ثم تطورت إلى ٤ في المئة بين الأعوام ١٩٨٥م و ١٩٩٥م.

وأكدت الدراسة أن المواطنين الخليجيين



يميلون إلى العمل في القطاع العام ويعود ذلك لأسباب اقتصادية، حيث يوفر القطاع العام لهم فرص العمل الدائم والأمن الوظيفي والعلاوات الإضافية والحقوق التقاعدية إضافة إلى مرونة ساعات العمل في هذا القطاع.

ويستعرض الباحث بعض نسب احتمال التوظيف في القطاع العام، مستقياً هذه النسب من دراسته على سلطنة عُمان، إذ تبلغ هذه النسبة نحو ٧٧ في المئة، وهي عند النساء ٨٨ في المئة ، وعند الرجال ٧٥ في المئة، وتوصلت الدراسة إلى أن احتمالية التوظيف في القطاع العام تزداد بشكل واضح مع التعليم، فالمتعلمون تعليماً أعلى يتمتعون باحتمالية أعلى للتوظيف في القطاع العام، الأمر الذي يزيد من الطلب على التعليم، وتوصلت الدراسة ومن خلال الإحصاءات إلى أن التوظيف في القطاع العام يميل نحو الزيادة مع التقدم في السن بالنسبة للعمالة الوافدة، وذلك بعكس الحال بالنسبة للمواطنين، فالعمالة الأجنبية الأفضل تعليماً أكثر ميلاً للتوظيف في القطاع العام من أقرانهم تعليماً.

وتؤكد الدراسة أن الطلب على العمالة الأجنبية هو في جوهره طلب على المهارات الأجنبية التي يسعى مواطنو دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية لاكتسابها حالياً، لذا فمن المفترض أن الطلب على العمالة الأجنبية كما تشير الدراسة هو طلب عابر ويهدف إلى تحسين الإنتاجية.



الملتقى المصرفي الإسلامي الخامس ينعقد في البحرين

يناقش الملتقى المصرفي والمالي الإسلامي الخامس الذي من المقرر انعقاده في البحرين خلال الفترة ما بين ٥ ـ ٧ ديسمبر المقبل الدور الذي ستلعبه المصارف الإسلامية خلال العقد المقبل.

وقال فيكتور هوكن الرئيس التنفيذي للملتقى إن القطاع المصرفي الإسلامي يشهد نمواً قوياً في الوقت الحالي وأنه يتطور بسرعة، وأشار إلى أن البنوك العالمية تنتشر بسرعة أكبر من نظيرتها التقليدية حيث بدأ منافسون جدداً بدخول الأسواق وشرعت البنوك الاستثمارية بنشر أجنحتها المتخصصة في هذا المجال الاستثماري فيما بات التعامل مع المصارف والعمليات البنكية الإسلامية خياراً جذاباً للمستثمرين والمقترضين على حد سواء.

ونظراً لانتقال هذا القطاع المصرفي نحو عصر جديد من التطور والتنافس سيخصص الملتقى الخامس لهذا العام موضوعاً رئيسياً لفعالياته تحت عنوان «العمل المصرفي الإسلامي نحو عصر جديد».

وأشار هوكن إلى أن هدف الملتقى تعزيز تبادل المعلومات في القطاع والتوعية الشاملة بمفاهيم العمل المصرفي الإسلامي وممارساته في أنحاء العالم.

ومن المواضيع الرئيسية الأخرى التي ستناقش موضوع التغييرات الإدارية، وموضوع التحضيرات اللوجستية للعام ٢٠٠٠ في القطاع المصرفي الإسلامي، والاقتصادات الاجتماعية ومسؤوليات القطاع المالي الإسلامي بهذا الخصوص.

وأضاف هوكن أن ملتقى هذا العام سيشهد مشاركة خبراء في مجال العمل المصرفي الإسلامي وكبار المسؤولين الحكوميين وكبار رجال الأعمال.

وسيضم الملتقى المصرفي والمالي الإسلامي أربعة عناوين رئيسية هي: البنى الأساسية، وتمويل المشروعات، إدارة الصناديق الإسلامية، التكنولوجيا للمؤسسات المالية الإسلامية والتأمين الإسلامي «التكافل».

ويتوقع أن يتيح ذلك للمشاركين التركيز على المجالات المطروحة ضمن نطاق اختصاصاتهم وفي الوقت نفسه الاحتكاك مع المشاركين الآخرين المتخصصين في حقول قريبة وبالتالي الاستفادة المشتركة بين الأطراف المختلفة.

وسيتم خلال الملتقى عقد الكثير من المحاضرات وتشمل «تسويق النشاط المصرفي الإسلامي للقرن الحادي والعشرين» وأخرى حول مبادئ الشريعة من خلال دراسة حال خاصة سلمت لمجلس الشريعة الاستشاري التابع للملتقى، والمحاضرات الأخرى تشمل تصنيف الأدوات والمؤسسات المالية الإسلامية، تطوير النشاط المصرفي الإسلامي الخاص، الإجراءات المحاسبية للمؤسسات المالية الإسلامية، وأخيراً مبادئ إدارة الأصول في إطار التمويل الإسلامي.

محفظة البنوك الإسلامية تدعم أسطول النقل البحري السعودي بـ ٣٩ مليون دولار

قرر البنك الإسلامي للتنمية عبر محفظة البنوك الإسلامية التي يديرها البنك الإسهام في بناء سفينة شحن حاويات بمبلغ ٣٩ مليون دولار، ما يعادل ٧٠ في المئة من قيمة السفينة لصالح الشركات الوطنية للنقل البحري ومقرها العاصمة السعودية الرياض وذلك بطريقة الإجارة المنتهية بالتمليك لمدة عشر سنوات بما فيها سنتان فترة الإعداد.

وأوضح بيان صحفي صادر عن البنك أنه وقع الاتفاق عن محفظة البنوك الإسلامية نائب رئيس البنك الإسلامي للتنمية للعمليات عثمان سيك وعن الشركة الوطنية للنقل البحري مدير الشركة عبدالله الشريم، يذكر أن محفظة البنوك الإسلامية أنشئت العام ١٩٨٧م، برأسمال ٣٨٠ مليون دولار وتضم في عضويتها ٢٠ بنكاً ومؤسسة مالية إسلامية، وهي صندوق استثماري يتولى البنك الإسلامي للتنمية إدارته وتهدف إلى تجميع واستثمار السيولة المتاحة لدى البنوك الإسلامية، وتوجيه هذه السيولة نحو تمويل عمليات التجارة والإجارة في الدول الأعضاء مع التركيز على القطاع الخاص، ووقع أمس البنك الإسلامي للتنمية اتفاقين لتمويل عمليتي تجارة خارجية لاستيراد مواد خام من دول أعضاء بالبنك لصالح الجمهورية التونسية بمبلغ إجمالي قدره ٢٠ مليون دولار، وينص الاتفاق الأول حسب بيان صحفي صادر عن البنك أمس على قيام البنك بتمويل استيراد فحم حجري وحديد وزنك خام من دول أعضاء بالبنك بمبلغ عشرة ملايين دولار لصالح الشركة التونسية لصناعة الحديد، بينما ينص الاتفاق الثاني على قيام البنك الإسلامي للتنمية بتمويل استيراد كميات من عجينة الورق بنوعيها «طويلة وقصيرة الألياف» من دولة عضو بالبنك بمبلغ عشرة ملايين دولار لصالح الشركة الوطنية التونسية لعجين الحلفا والورق.

يذكر أن إجمالي التمويلات المعتمدة من البنك للتنمية لصالح الجمهورية التونسية بلغت حتى الآن ٧٨٠ مليون دولار شملت الاسهام في تمويل الكثير من مشاريع البنية الأساسية وتمويل الكثير من عمليات التجارة الخارجية.

الإيدز يخفض معدل الأعمار عشرين عاماً في جنوب أفريقيا

قال اختصاصي في انتشار الأوبئة يشارك في مؤتمر حول احتواء نتائج فيروس الإيدز أن الإيدز قد يخفض معدل الأعمار في جنوب أفريقيا من ٦٠ إلى ٤٠ عاماً بحلول العام ٢٠١٠م.

وأعلن أنطوني كينغهورن: «إنه أحد الدلائل المتوقعة على خطر تفشي هذا الوباء أن يزيد في العقود المقبلة، مشيراً إلى أن جنوب أفريقيا التي تعد ثلاثة ملايين من إيجابيي المصل وفق إحصاءات الأمم المتحدة تعتبر ثاني دولة في العالم بالنسبة لعدد الأشخاص المصابين بفيروس الإيدز.

وبما أن هذا البلد شديد الكثافة فإنه نسبة إيجابيي المصل ١٢ في المئة من السكان، تبقى أدنى مقارنة مع الدول الأفريقية الأخرى.

وبصورة عامة فإن أفريقيا الجنوبية هي المنطقة الوحيدة في العالم التي يزيد فيها معدل الإصابة بوتيرة سريعة إذ إن عدد الأشخاص الذين يصابون بالفيروس يومياً يقدر بـ ١٥٠٠ شخص، ويرى كينغهورن أن فيروس الإيدز قد يضر بالجهود الرامية إلى تنمية البلاد، فقال: «إن العبء على المجتمع سيكون ثقيلاً لدرجة نعجز معه عن تلبية الحاجات الناجمة عنه».

وتابع من الأهمية بمكان أن يأخذ التخطيط الآن في الاعتبار «نتائج المرض» للتأكد من إمكانات مواجهته»، وأعرب عن ارتياحه بأن الحكومة تواجه المشكلة من جميع نواحيها وبأنها لم تعد تعتبرها مجرد مشكلة صحية.

وأطلق نائب الرئيس في بومبيكي حملة حكومية ترمي إلى إشراك جميع قطاعات المجتمع في مكافحة مرض الإيدز.

انخفاض معدل الخصوبة في المغرب

أفاد تقرير يتعلق بالوضعية الديموغرافية والصحة الإنجابية في المغرب أن معدل الخصوبة سجل انخفاضاً محسوساً وذلك منذ الثمانينات وبخاصة في الوسط الحضري بعد أن كان في حدود ٢,٨ في المئة خلال الفترة الممتدة من سنة ١٩٦٠ إلى سنة ١٩٧١م.

وأوضح التقرير الذي وزعته وزارة الصحة المغربية في المؤتمر الطبي حول أمراض النساء والولادة الذي انعقد أخيراً في مدينة مراكش المغربية بمشاركة أكثر من ٤٠٠ اختصاصي دولي في ميدان الصحة الإنجابية أن وتيرة النمو الديموغرافي في الوقت الحالي أصبحت ١,٦ في المئة سنوياً، مما يبين أن المغرب شرع بالفعل في ولوج المرحلة المسماة «بالانتقال الديموغرافي»، وأضاف أن ٥٠ في المئة من النساء اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين ١٥ و ٤٥ عاماً استعملن سنة ١٩٨٥م إحدى وسائل منع الحمل المتعارف عليها في حين لم يتعد هذا الرقم نسبة الـ ١٩ في المئة سنة ١٩٨٠م، مبرزاً تبني الوزارة لنظام «صحي ذي مرجعية تراتبية.

وأشار التقرير إلى أن معدل الحياة في المغرب سجل ارتفاعاً بلغ ثلاث سنوات تقريباً وبخاصة ما بين سنتي ١٩٨٧م و ١٩٩٤م، لينتقل من ٦٥ عاماً إلى ٦٨ عاماً.

المغرب يضع برنامجاً للتصدي لمشكلات العنف التي تواجه المرأة

أفاد مصدر رسمي في الرباط أن المغرب وصندوق الأمم المتحدة للسكان وقعا يوم ١٩٩٨/٩/١٨م اتفاقاً ينص على تطبيق برنامج للتصدي للمشكلات التي تواجهها المرأة المغربية في ميادين «الزواج والطلاق والعنف».

ووصف وزير العدل المغربي عمر عزيمان ونائب صندوق الأمم المتحدة للسكان في الرباط فانسان فوفو الاتفاق الذي وقعه بأنه الأول من نوعه في العالم العربي.

وينص البرنامج على تطبيق نظام لجمع المعلومات ومراقبة العنف الذي تتعرض له النساء في المغرب لفترة عامين وسيسمح للمحاكم المغربية بالنظر في ١٢ ألف ملف سنوياً، حيث غالباً ما تتعرض المرأة للعنف أثناء الزواج أو بسبب الطلاق كما تستفيد من البرنامج بعض المنظمات غير الحكومية المدافعة عن حقوق المرأة لتوعية الرأي العام في شأن العقبات التي تعوق عملية تحرر المرأة في المغرب.

وقال عزيمان أثناء حفل التوقيع إن الدراسات تسمح لنا التعرف بدقة على المشكلات التي تلاقيها النساء وتحديد نقاط الضعف والخلل والظلم.

وأكد أننا نعرف في المغرب أن العنف الموجه ضد النساء يكون متعدد الأشكال مضيفاً أن الدراسات والتحليلات التي سيتم التوصل إليها في إطار هذا البرنامج ستسمح لنا بأن نتعرف على هذا المرض الاجتماعي بشكل أفضل، وبالتالي احترام «القوانين» التي تعاقب الاعتداءات على المرأة.

يذكر أن عدد سكان المغرب يبلغ ٢٧ مليون نسمة ٥٠ في المئة منهم من النساء وتفيد الأرقام الرسمية أن ٥٥ في المئة من سكان المغرب أميون.

ترجمات

أوضاع المسلمين ... في فرنسا

ترجمة : منصور أبو العينين عن مجلة الأيكونومست

طالما افتخر الفرنسيون بقدرتهم على إذابة هويات الوافدين الأجانب في بوتقة المجتمع الفرنسي، حتى يصبحوا جزءاً لا يتجزأ منه، لدرجة أنه يصعب التمييز بينهم وبين مواطني البلاد الأصليين، ويعكس هذا ما يحدث في الدول الغربية الأخرى، ذات الجنسيات المتعددة، كالولايات المتحدة وبريطانيا، فإن الهدف الرئيسي للفرنسيين هو تشويه الخصائص الثقافية والدينية للقادمين الجدد للإقامة والعيش في بلادهم إلى أن يصبحوا جزءاً من المجتمع الفرنسي لا يمكن تمييزهم بسهولة عن مواطني البلاد الأصليين.

فقد يكون الوافد أسمر البشرة، أو مجعد الشعر، لكن يجب عليه أن يحيا بين أفراد المجتمع الفرنسي كما لو كان واحداً منهم، إذ من الواجب عليه أن يتحدث اللغة الفرنسية، وأن يتناول الأطعمة الفرنسية ويرتدي الملابس الفرنسية، ويراعي التقاليد التي تميز المجتمع الفرنسي.

غير أن هذا الأسلوب الذي يسمونه «التماثل أو الاندماج والاستيعاب»، لا يتطور ليصل إلى الإجبار على التحول الديني بالنسبة للمهاجرين الجدد لاعتناق الديانة المسيحية الكاثوليكية التي يعتنقها الفرنسيون، ففي فرنسا ـ الشديدة العلمانية ـ تتمتع جميع الأديان بالحرية الكاملة، لكن ممارسات الشعائر والطقوس الدينية لمختلف الجاليات يجب أن تتم بشكل متحفظ ومقيد ومحدود، وحتى تذكر فرنسا المسلمين بهذا المبدأ، كتب «جين كلود بارو» مستشار وزير الداخلية الفرنسي لشؤون الهجرة، وهو قس كاثوليكي سابق، يقول: «للإسلام مكان في فرنسا، بشرط ألا تتم ممارسة شعائره بشكل مثير، فقد بدأ الأمر يتفاقم منذ السبعينات من هذا القرن لأن مبدأ الدمج العنصري الذي تنتهجه فرنسا لم يكن يسير بالشكل الذي يجب أن يسير عليه: فقد اعتادت فرنسا أن تتعامل مع الديانات الأخرى بمبدأ الامتصاص والاستيعاب، وهي أن تتوقع من تلك الجاليات أن تذوب في المجتمع الفرنسي، لكن الواقع أن ما حدث في تلك الفترة لم يكن كذلك، ربما كان ذلك بدعوى احترام الأصول العرقية والعادات المختلفة... إلى آخر هذه الدعاوى، ومع ذلك فإنه عندما يهاجر شخص، فمن المتوقع أن يبدل ليس وطنه فحسب، وإنما تاريخه أيضاً».

إن الأجانب الذين يأتون للإقامة في فرنسا يجب أن يدركوا جيداً أنه من الآن فصاعداً قد بات عليهم أن يؤمنوا بضرورة أن يلتزموا بالتقاليد العريقة لفرنسا كما لو كانوا أحفاداً لأجداد فرنسيين، وأنه قد أصبح لهم وطناً جديداً هو فرنسا، لكن المتطرفين الإسلاميين قد وفدوا إلى فرنسا وقد امتلأت عقولهم بمعتقداتهم كما امتلأت حقائبهم بالأسلحة والمتفجرات، إن فرنسا تعاني الآن من تهديدات حقيقية تعتبر جزءاً من موجة هائلة للأصولية الإسلامية التي تجتاح العالم كله.

كان هذا هو الحال منذ عامين مضيا، وفي قمة تفاقم أزمة ما أسموه «قضية الحجاب الإسلامي في فرنسا، والتي أثيرت عندما قامت بعض المدارس هناك بطرد طالبات مسلمات بسبب ارتدائهن الحجاب الإسلامي في مدارسهن، وقد رافقت هذه الأحداث موجة اعتقال العشرات من مؤيدي الجماعات الإسلامية المتطرفة في الجزائر، غير أن الواضح الآن قد تغير إلى حد ما، وإن كانت قضية الحجاب الإسلامي في المدارس الفرنسية لم يتم حلها بشكل نهائي بعد.

ولقد عبّر كثير من البريطانيين الذين يزورون فرنسا ـ والذين كانوا قد تعودوا على رؤية الشباب الهنود السيخ في انكلترا مرتدين عماماتهم ـ عن دهشتهم لإصرار المسؤولين الفرنسيين على إرغام الطالبات المسلمات على عدم ارتداء الحجاب الإسلامي، مع العلم بأن المحكمة الدستورية الفرنسية قد قررت في أكتوبر الماضي أنه بالرغم من قيام وزارة التعليم بمنع أي مظاهر دينية واضحة، فإنه ليس من حق المدارس أن تمنع الطالبات المحجبات من دخول المدارس، طالما كانت هذه المظاهر الدينية لا تحرض بشكل سافر طالبات أخريات على تغيير دياناتهن.

غير أن تضييق الخناق على من يشتبه فيهم بدعم أو مساندة المتطرفين الجزائريين في فرنسا لايزال مستمراً، وربما زاد حدة على أثر انتشار موجة التفجيرات التي نسبت إلى العناصر الجزائرية المتشددة في فرنسا العام الماضي، والتي كانت حصيلتها مقتل عشرة أشخاص، وإصابة مئة وخمسين آخرين، وقد تمت محاكمة عدد كبير من المشتبه فيهم انتهت بإيداع نحو مئتي إسلامي متشدد السجون الفرنسية لينفذوا أحكاماً بعقوبات مختلفة، بينما لا يزال الجدال يحتدم حول ما أصاب فكرة «الاستيعاب والذوبان» في أسلوب الحياة الفرنسية للمهاجرين الجدد من ضعف نتيجة الإجراءات الأخيرة.

القانون الفرنسي يمنع أي ذكر أو استفسار حول الديانة في إحصاءات تعداد السكان، الأمر الذي يجعل الحصول على أرقام دقيقة للفئات الدينية المختلفة هناك أمراً عسيراً، لكن يعتقد أن ما بين أربعة إلى خمسة ملايين مسلم يعيشون في فرنسا، وبهذا الرقم تعتبر فرنسا ـ من دون أدنى شك ـ الدولة الأولى التي يقيم فيها أكبر جالية إسلامية من بين دول أوروبا الغربية، كذلك يعتبر الدين الإسلامي هو الديانة الثانية في فرنسا بعد الديانة المسيحية.

مواطنو دول شمال أفريقيا، المستعمرات الفرنسية السابقة، ومن أهمها الجزائر، إضافة إلى تركيا، يشكلون أكبر جالية إسلامية في فرنسا، حصل نحو نصفهم على الجنسية الفرنسية منذ وصولهم إلى البلاد، إما لأنهم ولدوا هناك لآباء غير فرنسيين، أو بسبب الزواج من فرنسيات أو بالتجنيس العادي.

من هؤلاء المسلمين يتمسك نحو ٦ في المئة بالعقيدة الإسلامية بشكل قوي ومتشدد، في حين يمارس ١٠ إلى ١٥ في المئة منهم الشعائر الدينية في المساجد بصورة عادية «وهي نسبة المسيحيين نفسها الذين يترددون على الكنائس هناك»، بينما يلتزم أغلبية المسلمين في فرنسا بالشعائر والقواعد الإسلامية من صلاة وصوم وامتناع عن تناول لحم الخنزير، وشرب المسكرات وغيرها، بالرغم من كل ذلك، فإنه من الصعب التعميم بشأن جميع المسلمين في تلك البلاد، فهم لا يشكلون جماعة

متماسكة ومترابطة ومتحدة، فقد جاؤوا من ١٢٠ دولة مختلفة، وينتمون إلى جماعات عرقية متنوعة، فمنهم السود والآسيويون والعرب والأوروبيون، وقد فشلت محاولات سابقة لإنشاء اتحاد يمثلهم ويتكلم باسم جميع الجاليات الإسلامية في فرنسا.

المواطن الفرنسي العادي لا يهتم كثيراً بهذا التنوع في أصول المسلمين المقيمين في بلاده، فهو يعتبر المسلم مرادفاً «للعربي»، وينظر إليه هناك باعتباره عربياً، لا يفرق بين كلمة «مسلم» و«عربي» من حيث دلالة ومعنى كل كلمة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى الذكريات المؤلمة لماضي فرنسا الاستعماري، ولا سيما خلال الحرب الجزائرية ومقاومة الجزائريين للاستعمار الفرنسي في بلادهم خلال الأعوام من ١٩٥٤م إلى ١٩٦٢م.

كذلك، فإن هذا الخلط بين «العربي» و «المسلم»، يرجع إلى تصاعد التطرف الإسلامي حول العالم وربطه بالإرهاب العربي.

وقد كشف استطلاع للرأي نشر أخيراً، أن هناك نحو ثلثي الفرنسيين يعتقدون أن فرنسا يقطنها «عرب كثيرون جداً»، كما يقطنها «مسلمون كثيرون جداً».

وقد عبّر نحو نصف الفرنسيين الذين اشتركوا في الاستفتاء عن شعورهم بالكراهية الفطرية والغريزية لما يسمونهم «المغاربة»، نسبة إلى مواطني المستعمرات الفرنسية السابقة في شمال أفريقيا، هؤلاء الفرنسيون الذين عبروا عن هذا الرأي بلغ عددهم ضعف أقرانهم الذين اعترفوا بكراهيتهم للسود في فرنسا.

وقد تزايد كره الفرنسيين للمسلمين، ولاسيما بعد أن بدأت أعدادهم تتزايد هناك منذ الحرب العالمية الثانية، وقد كانوا في البداية موضع ترحيب كقوة عمل تحتاجها البلاد خلال ما أسموه «الثلاثين عاماً المجيدة» لسرعة النمو الاقتصادي الفرنسي حينذاك، ولكن سرعان ما بدأ المسلمون يواجهون الكراهية والبغض بعد الأزمة الاقتصادية التي عانت منها البلاد في أعقاب أول صدمة سببتها أزمة البترول الشهيرة في بداية السبعينات.

وقد أصدرت الحكومة قانوناً في العام ١٩٧٤م يحظر السماح للأيدي العاملة الأجنبية بالعمل في البلاد، ورغم ذلك استمر تدفقهم بمعدل مئة ألف مهاجر سنوياً بسبب قدوم عائلاتهم من الخارج.

وقد رافق هذه الموجات من المهاجرين ارتفاع معدل البطالة الذي كان دون نصف مليون عاطل في منتصف السبعينات إلى أن وصل عددهم إلى أكثر من ثلاثة ملايين عاطل الآن، وتشير أصابع الاتهام إلى المهاجرين باعتبارهم يسرقون الوظائف من الفرنسيين أصحاب البلاد الأصليين، ولعل هذه الأسباب هي التي دعت شخصاً مثل «جين ماري لوبان» رئيس الجبهة الوطنية إلى المطالبة بطرد ثلاثة ملايين مهاجر من فرنسا وإصدار قانون يعطي المواطنين الفرنسيين حق الأولية في التعيين بالوظائف والإسكان والرعاية الاجتماعية.

وهكذا، ضاعت في زحام الأوضاع المتغيرة تلك الأصوات التي تطالب بضرورة إذابة المسلمين في المجتمع الفرنسي، إذ يقول كثير من الفرنسيين والمسلمين على السواء: إن ذلك غير ممكن بسبب الاختلاف الهائل في الثقافات، بينما يعترض على هذا الرأي أصحاب نظرية «الاستيعاب والامتصاص» قائلين إنها مسألة وقت، مستشهدين في ذلك بموجات المهاجرين الأول مثل البولنديين والإيطاليين الذين عانوا من التفرقة عندما وفدوا إلى فرنسا، لكنهم الآن أصبح من الصعب تمييزهم عن الفرنسيين الأصليين، ويعبّر أصحاب هذه النظرية عن ابتهاجهم بما يدعونه من ظهور بوادر تؤكد أن المسلمين في فرنسا يفقدون هويتهم المميزة تدريجياً، وعلامات ذلك هو عجز أطفالهم عن تكلم لغتهم الأم، وارتفاع نسبة الزيجات المختلطة بين المسلمين والفرنسيين، إضافة إلى حالات أخرى تؤكد صدق هذه النظرية، كذلك يقولون إن الصعوبات الاقتصادية التي تمر بها فرنسا حالياً، ولا سيما ارتفاع معدلات البطالة فيها، إضافة إلى الخصائص العرقية المميزة للمسلمين العرب تعني ببساطة أن استيعابهم في المجتمع الفرنسي قد يستمر وقتاً أطول، إلى حد ما، أكثر مما استنفذه البولنديون والإيطاليون من قبل.

من ناحية أخرى، يعبّر الكثيرون من المسلمين في ابتهاجهم ببطء سير عمليات الاستيعاب والامتصاص أو الذوبان لهوياتهم في المجتمع الفرنسي، قائلين إنها ستفشل تماماً، ولن يكتب لها النجاح، والدليل على ذلك أن المهاجرين المسلمين الأول لا يزالون متمسكين بدينهم وعقيدتهم، أما الذين وفدوا إلى فرنسا خلال العقد الماضي فهم أكثر ورعاً وأشداً التزاماً.

والدليل على ذلك، أنه حتى منتصف السبعينات كان عدد المساجد في فرنسا لا يتعدى اثني عشر مسجداً، بينما فاق عددهم الآن عن ألف مسجد، ومن بينها ثمانية مساجد ضخمة يتسع الواحد منهم لأكثر من ألف مصلّ، كما بدأ ظهور النوادي الرياضية والتعليمية الإسلامية في المناطق التي يقطنها المسلمون، كذلك انتشرت محلات بيع اللحوم المذبوحة طبقاً للشريعة الإسلامية في كل مكان يقيم فيه هؤلاء المهاجرون.

كما أن أعداد الطالبات اللائي يرتدين الحجاب في فرنسا في ازدياد مضطرد، وعلاوة على ذلك، فإن المساحات المخصصة لمدافن المسلمين قد ظهرت على خرائط البلدية وقد اتسعت رقعتها، ويطالب المسلمون هناك بأن تقوم الدولة بإنشاء مدارس إسلامية بتمويل حكومي كما هو الحال بالنسبة للمدارس المسيحية الكاثوليكية واليهودية، كما يطالبون بأن توافق الدولة على اعتبار الأعياد الدينية الإسلامية أعياداً رسمية تعطل فيها الأعمال.

ولقد سببت كل هذه الأمور إحباطات عميقة للكثيرين من غير المسلمين في فرنسا، الذين يعتقدون أن المهاجرين المسلمين وأبناءهم وأحفادهم قد بدأوا يشكلون تهديداً، ليس فقط في مجال العمالة وتوظيف الفرنسيين فقط، بل للهوية الفرنسية ذاتها، على حد قولهم، وهناك أقاويل يثيرها أعضاء الجبهة الوطنية الفرنسية بأن فرنسا تواجه خطر الغلبة والسيادة الإسلامية، وبالرغم من هذه التصورات، فإن كل الدلائل تؤكد أن مثل هذه المخاوف تبدو سخيفة ولا أساس لها في الواقع، ذلك أن معظم العرب، حتى هؤلاء الذين ولدوا ونشؤوا في فرنسا يجدون أنفسهم منبوذين من المجتمع الفرنسي الذي يعيشون فيه منذ ولادتهم وذلك من خلال نسبة البطالة العالية التي يعانون منها، ومن خلال المساكن الحقيرة التي يعيشون فيها، ومن التفرقة العنصرية اللاإنسانية التي يعاملون بها، وعلاقات الشرطة السيئة معهم.

ولعله من غير المثير للدهشة أن هناك قطاعات من الناس، معظمهم من اللادينيين، وغيرهم من الشباب العربي الساخطين على أوضاعهم، يعتنقون الدين الإسلامي، إلا أن الوضع لا يعدوا منهم أكثر من بحث عن جالية أو مجتمع يحتضنهم، وهوية تميزهم أكثر من كونه تطرفاً دينياً، ومع أن القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية وثقافتهم وتقاليدهم قد تساعد، أو تؤدي إلى تمسكهم بالعقيدة الإسلامية نصاً وروحاً، فإنه من السابق لأوانه القول إن ما يسمى «إعادة الأسلمة» ستنتشر في فرنسا. ■

من هدي كتاب الله

قـال تعالـى :

﴿ إن المـتـقين في جـنات وعيـون. ادخلوها بـسلام آمنين. ونزعنا ما في صـدورهم مـن غـل إخواناً عـلى سـرر متـقابلين. لا يمسهـم فيـها نَصب وما هم منها بمخرجين. نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﴾.

الحجر : ٤٥ ـ ٤٩

من هدي رسول الله ﷺ

عـن أبي مـسـعـود الأنـصـاري رضي الله عنه قال: قـال النبي ﷺ :

«إن ممـا أدرك الـنـاس مـن كـلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت»

رواه البخاري

حكمة

« البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت ! اعمل ما شئت فكما تدين تدان ».

ألفاظ يجوز فيها التذكير والتأنيث

في اللغة العربية كلمات يجوز فيها التذكير والتأنيث ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

كلمة «السبيل» أي الطريق، فيذكر كما جاء في قولـه تعالـى في سـورة الأعـراف آية ١٤٦: (وإن يروا سـبيل الرشـد لا يتـخـذوه سبيلاً) والجمع على التذكير «سُبُل» ويؤنث كما جاء في قوله تعالى: (قل هذه سبيلي) والجمع على التأنيث «سُبُول».

ومن الكلمات التي يجوز فيها أيضاً التذكير والتأنيث «السِّكين»، وسمي بذلك لأنه يسكن حركة المذبوح، وحكى ابن الأنباري فيه التذكير والتأنيث والتذكير أكثر.

أما التأنيث فعلى معنى «الشفرة» وأنشد الفراء : (بسكين موثقة النصاب).

واجبات العاقل

حق الله عز وجل التعظيم والشكر.

حق السلطان الطاعة والنصيحة.

حق العاقل على نفسه الاجتهاد في الخيرات واجتناب السيئات.

حق الخلطاء الوفاء والبذل للمعونة.

حق العامة كف الأذى وبذل الندى وحسن المعاشرة.

حديقة



إعداد :
أحمد عبدالجبار

جمال وليس كالجمال

في القرآن الكريم ثلاث كلمات وصفها الله سبحانه بوصف واحد هي :

١ ـ الصبر : قال تعالى : فصبر جميل.

٢ ـ الهجر : قال تعالى : واهجرهم هجراً جميلاً.

٣ ـ الصفح : قال تعالى : فاصفح الصفح الجميل.

وقد فسر الإمام ابن تيمية رحمه الله هذا الوصف لهذه الكلمات فقال : الصبر الجميل هو الذي لا مشتكى فيه إلا لله سبحانه وتعالى، والهجر الجميل هو الذي لا إيذاء فيه للشخص الذي هجرته، والصفح الجميل هو الذي لا منَّة فيه على من صفحت عنه.

التلخيص والخلاصة

التلخيص هو إبراز النص الأصلي في عدد قليل من الكلمات مع الحفاظ على صلب النص المكتوب.

أما الخلاصة فهي استخراج جوهر المقال في أقل عدد ممكن من الألفاظ وهي بذلك تمثل قدرة القارئ على صهر المقال واستخراج جوهره.

وفي العدد المحدود من الكلمات تعطي صورة أمينة لأصل المقال ومن ثم يمكن القول إن الخلاصة هي لب التخليص.

ثلاث

قال عمر بن عبدالعزيز ﷺ : ثلاث من كن فيه كمل :

من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق.

وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل.

وإذا قدر عفى وكف.

أمثال

جاء في كتاب معجم الأمثال العربية :

السعيد من وعظ بغيره.

والشقي من وعظ بنفسه.

والفرص تمرُّ مَرَّ السحاب، وآفة العلم النسيان.

أي الأحمال أثقل؟

قيل لحكيم : أي الأحمال أثقل؟ فقال: الغضب، سئل ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن الغضب والحزن أيهما أشد؟ فقال: مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضباً، ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزناً، ومن هنا أخذ المتنبي قوله: وحزن كل أخي حزن أخو الغضب

موعظة

كان صالح اللخمي الدمشقي شاعراً وحكيماً، وقد ذُكر عنه أنه وعظ ابنه مرة فقال: يا بني إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيهما دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله تعالى فكم مسلوب دينه ونزوع ملكه ومهتوك ستره ومقصوم ظهره في ذلك اليوم وأنت في عافية.

في الجنة ألين منك

كان عبدالعزيز بن رواد إذا جنَّ الليل يأتي فراشه فيتحسسه بيده ويقول: إنك للين، والله إن في الجنة لألين منك، ولا يزال يصلي الليل كله، وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراشاً فنام عليه حتى فاته ورد فحلف ألا ينام بعدها على فراش أبداً.

فصيح

إن يختلف ماء الوصال فماؤنا
عذب تحدر من غمام واحد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا
أدب أقمناه مقام الوالد

الوعي

فتاوى

الزينة عند النساء والذهاب الى الأسواق

أ ـ هل يسمح الإسلام للمرأة أن تتزين... كيف ومتى؟

أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز، بل يستحب أن تتزين المرأة لزوجها، ولا بأس أن تتزين في بيتها على ألا تظهر بذلك أمام الأجانب لقوله الله تعالى: (ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن) النور: ٣١.

ب ـ هل يجوز للمرأة أن تصبغ أظافرها؟

أجابت اللجنة بما يلي:

صبغ الأظافر نوع من الزينة، وحكمه حكم سائر الزينة، ولكن إذا كان الصبغ بمادة عازلة فيجب إزالته عند الوضوء أو الغسل من الحيض والنفاس والجنابة.

ج ـ هل يجوز للمرأة أن تنمص من حاجبيها؟ وهل يجوز أن تقص شعرها مع تغطية الرأس؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان قصها لشعر رأسها يجعلها متشبهة بالرجال فهو محرّم، وفيما عدا ذلك يجوز لها أن تقصه تخفيفاً أو تجميلاً، ولا يجوز لها الحلق إلا أن يكون ذلك لضرورة، وأما تغطية الرأس فهو جائز إلا أنه واجب أمام الرجال الأجانب، ولا يجوز للمرأة أن تنمِّص من حاجبيها.

د ـ هل يجوز للمرأة أن تذهب إلى السوق «سوق الخضراوات» لقضاء حاجات المنزل، أو هل من الواجب على الرجل أن يترك للمرأة حرية التصرف في نفسها في البيت وحرية التصرف في إدارة البيت بما في ذلك شراء لوازم البيت وغيرها من حاجيات وضرورات المنزل دون أن يقوم هو بهذه المهمة؟ وهل يجوز للزوجة أن تعمل خارج البيت؟

أجابت اللجنة بما يلي:

ذهاب المرأة إلى السوق وحرية تصرفها في المنزل وفي إدارة البيت وشراء لوازم البيت ... والعمل خارج البيت كل ذلك من المباحات، ما لم يترتب على ذلك مفسدة بأن تهمل شؤون بيتها أو تتبرج أو تتزين بحيث تلفت أنظار الأجانب أو نحو ذلك، كما يجب أن يكون خروجها من المنزل لمثل هذه الأمور بإذن الزوج.

حكم المأكولات المضاف إليها لحوم الخنزير

ما حكم المأكولات التي تُضاف إليها مواد مصنوعة من شحوم أو عظام الخنزير؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إذا استحال دهن الخنزير أو عظمه عن طبيعته، ثم أضيف إلى المأكولات فلا مانع من أكلها. أما إن بقي دهن الخنزير أو عظمه على طبيعته ثم أضيف إلى المأكولات فإنه لا يجوز أكلها.

التعزير بأخذ المال

هل يجوز للبلدية الاستيلاء على الحيوانات السائبة في الشوارع؟ وهل يجوز بيع هذه الحيوانات بالمزاد؟ وهل يجوز لنا شراء هذه الحيوانات السائبة التي استولت عليها البلدية؟

أجابت اللجنة :

إذا كان صاحب الحيوانات معروفاً لا يجوز بيعها إلا برضاه، وترد إليه وتحصّل منه الغرامة، أما إذا لم يُعلم صاحبها تجرى عليها أحكام اللقطة، فمن تعرف عليها ردت إليه بعد تحصيل ما أنفق عليها، أما إذا لم يعرف صاحبها بقيت مدة إلى أن يغلب على الظن أنه لا يطلبها أحد، ثم تُباع ويحفظ ثمنها إلى فترة يغلب معها أن لا يطلبها أحد أيضاً، ثم تنفق هذه الأموال بعد ذلك في المصالح العامة.

خروج المعتدة للعمل

المرأة الموظفة المتوفى عنها زوجها حاملاً كانت أو غير حامل، هل يجوز لها الاستمرار في العمل أم الانقطاع طيلة مدة العدة؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن المتوفى عنها زوجها لا يجوز لها الخروج من بيتها إلا لضرورة، فمثلاً يُباح لها أن تخرج بالنهار لعملها المعتاد على ألا تتزين بأي نوع من أنواع الزينة سواء باللباس أو غيره، كما أنه يجب عليها أن تبيت في منزل الزوجية الذي كانت فيه عند الوفاة وذلك مدة العدة وهي مدة الحمل لمن كانت حاملاً أو أربعة أشهر وعشرة أيام إن لم تكن حاملاً.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.

والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عنها.

ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساءا على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

الوصية بالثلث

١ - أرجو الإفادة عن كيفية إخراج الزكاة لنقود مودعة لدى بنك ربوي ومجمّدة منذ نحو خمس سنوات ونصف السنة الميلادية، علماً بأن هذه النقود لوالدتي المتوفاة منذ العام ١٩٧٩م، وقد أوصت شفوياً قبل موتها بأن يكون ثلث المبلغ المودع نتصرف نحن ورثتها به بما هو خير، كما أرجو بيان كيف نتصرف في الأرباح والفوائد؟

- أجابت اللجنة:

يجب عزل المبلغ الذي حصل من الربا «الفوائد» على أن ينفق هذا المبلغ كله «أي الفوائد» في وجوه الخير العامة، ما عدا الصرف على المساجد وطبع المصاحف.

ثم يجب تنفيذ الوصية بإخراج ثلث المبلغ الباقي بعد عزل الفوائد وإخراج الزكاة إن علم الورثة أنها لم تكن تخرج الزكاة عن تلك الأموال.

وفي حال عدم إخراج الزكاة بعد وفاة المورثة فالواجب ما يلي:

إخراج الأموال الربوية ثم إخراج ثلث ما بقي بعد ذلك تنفيذاً للوصية، ثم يوزع المبلغ على الورثة بحسب أنصبتهم الشرعية، ويكون كل وراث مسؤولاً عن إخراج الزكاة عن ماله في هذه الفترة منذ وفاتها إلى أن وصل إليهم المبلغ.

كما أن عليهم نقل هذه الأموال إلى بنك غير ربوي أو استثمارها في وجه شرعي، على أنه إذا كان تجميد المبلغ بعد الوفاة قد حصل رغم إرادة الورثة، فإنه لا زكاة فيه إلا بعد قبضه عن سنة واحدة فقط.

٢ - أرجو الإفادة عن كيفية إخراج الزكاة عن الذهب وشهادات الأسهم الموجودة منذ وفاة الوالدة؟ هل نخرج الثلث من الذهب وشهادات الأسهم؟ وإذا كان يجب إخراج هذا الثلث هل تجب عليه الزكاة وما مقدارها؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كانت المتوفاة قد أوصت بإخراج ثلث مالها فيجب على الورثة إخراج ثلث الذهب وإخراج ثلث مقدار الأسهم الموجودة يوم وفاتها، أما إذا اقتصرت الوصية على المبالغ المودعة في البنك فالجواب كما تقدم ذكره آنفاً.

٣ - أرجو الإفادة عن عقار مستأجر لوالدتي وهذا الدخل (أي الإيجارات الشهرية) يتم توزيعها بالتساوي على الورثة شهرياً ولم نحتفظ بالثلث المطلوب حسب الوصية الشفوية وذلك منذ تاريخ الوفاة، والاستفسار كما يأتي: هل يجب حصر قيمة الإيجارات منذ تاريخ الوفاة وإخراج ثلث الوالدة؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

يعرف جواب هذا السؤال من جواب الأول والثاني، فإن كانت الوصية منصرفة إلى ثلث المال كله فعليهم إخراج ثلث قيمة العقار وثلث الإيجارات التي حصلت منه منذ الوفاة، وهي ديون في ذمتهم تصرف مصرف الوصية، أما إن كانت الوصية محصورة في الأموال النقدية فقط، فلا يجب إخراج شيء عن الإيجارات المتحصلة عن المدة اللاحقة أي فيما بعد الوفاة.

تعدد لفظة الطلاق

حدث شجار بيني وبين زوجتي وقلت لها مرة في حال غضب ومن دون نية: إن دخلت معهم إلى البيت فأنت طالق لأنها تركتني وأنا واقف معها ودخلت مع أخيها ووالدي البيت، وقلت لها اللفظة نفسها ثلاث مرات أخرى وجميعها في حال غضب وعصبية وبعد كل مرة كان ينفض الخلاف ونمارس حياتنا العادية الزوجية وربما في اليوم نفسه.

وسألته اللجنة :

متى تزوجت وكم مرة نطقت بالطلاق؟

قال: تزوجت منذ أربع سنوات وتلفظت على زوجتي بلفظة الطلاق أربع مرات.

ما ظروف الطلقة الأولى؟

قال: هذه الطلقة حصلت بعد سنة ونصف السنة من زواجنا بسبب خلاف عائلي وسوء تفاهم فتدخل أخوها فقلت لزوجتي: إن دخلت معه تبقي طالقاً وأقصد به تخويفها.

ما ظرف الطلقة الثانية؟

بسبب خلافات بيننا قلت لها أنت طالق، بسبب عصبيتي، والطلقة الثالثة مثل الطلقة الثانية.

- ما ظروف الطلقة الرابعة؟

قال: حصلت هذه بسبب مشكلة، وقد تدخل أخي في الموضوع، وقالت لي زوجتي قبل أن تذهب مع أخي: مش أنت ستطلقني فقلت لها أنت طالق.

هل فعلت شيئاً أثناء الطلاق؟

قال: يحصل مني التلفظ به أثناء الشجار وأحياناً أكسر التلفاز أو المروحة أو الأطباق، وهذا في المرتين الثانية والثالثة، وحصل أيضاً أن أشتمها وأشتم نفسي وهي لم تشتمني وقد ذكرت لفظة الطلاق أثناء التكسير.

- أجابت اللجنة بما يلي:

أنه وقع على زوجته طلقتان رجعيتان وتبقى معه على طلقة واحدة له مراجعتها مادامت في العدة، وبالنسبة للمرة الأولى فعليه كفارة يمين، وقد راجع زوجته بمعاشرته لها ونصحته اللجنة باتقاء الله في زوجته.

الحلف بالطلاق معلقاً

والدي خصص أرضاً لأخي الكبير من أجل أن يسكن فيها، وأصرّ أخي الكبير على السكن في هذه الأرض، فاعترضت أنا، وأردت أن أسكن في الأرض، ولكن والدي اعترض، وقال: اترك أخاك الكبير يسكن في الأرض، وأنت اسكن معي في البيت، فقلت: «عليَّ الطلاق لا أسكن في الأرض ولا أسكن في البيت»، مع العلم أن والدي غير راض عني، إلا إذا وافقت على السكن معه في البيت.

- أجابت اللجنة بما يلي:

أنه إذا حنث في يمينه بأن سكن في الأرض أو مع والده فعليه كفارة يمين، وهي: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، فإن لم يستطع فصيام ثلاثة أيام.

المرسى

هنا يرسو القلم،
ينفض عن كاهله وطأة الأيام
وازدحام الأعمال وهموم الواقع،
فيبث القارئ ما يتفاعل في نفسه..
وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين
للجميع ...

الأهواء المجنّحة

علي مدني رضوان الخطيب

إنَّ أهواء البشرية المجنحة اليوم لهي أشد عليها من عدو ظاهر بيِّن في عداوته وربما تحملها تلك الأهواء على هتك المستور وتدميره، ثمة علائق أو وشائج تربط الأسر ببعضها بعضاً.

ولعل تهذيب وترشيد هذه الغرائز والعمل الدؤوب على توجيهها التوجيه الأمثل لهو خير مخلِّص لها من «أسر الضياع والعبث» الذي يحيط بكثير منها ويصرفها عما هو أجدى لها وأنفع... ولن يجد الشيطان في تزيينه وبث عداوته أسرع ولا أقدر من هذه النفوس البليدة والتي لا تملك حتى إرادتها، وعليه فلا يمكنها مجرد التفكير في غد أفضل وعيش طيب أو مظلة آمنة تدفع بها وعنها كمد العيش وصروف الزمان.

وكما أن العصفور لا يسعه إلا أن يخرج من قفصه طليقاً مختاراً يجوب فضاءات الزمان في نشوة وأمان، فكذلك النفس الحرة الأبية لن ترضى عن الحرية بديلاً... حرية الانعتاق من قيود الأسر ورتابة العيش، وقوانين التحكم، والسيطرة الجائرة والتي نسج الإنسان خيوطها بيده ليحرم إنساناً آخر. أنبته الله من طين الأرض. من حقه الطبيعي الحصول على هواء منعش معطر بعيداً عن شؤم المعصية، وزخم العيش، وملالة النفوس الكليلة، والقلوب القاتمة.

أوَليس من جناية النفس على النفس أن يصبح الإنسان ثم يمسي وهو لا يشعر بالعلة. رغم الصراخ والمعاناة والألم. لكن هيهات هيهات فقد سار الركب، وبلغ المنزل، وبقي هو ينعق من شدة الألم يبكي على الماضي التليد فيضغط أسنانه، ويعض أصابعه وهو يطلب فسحة أخرى، أو زمناً جديداً، (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد)، هذا فليتأمل العاقل.


الوعي الإسلامي
On The Internet على الانترنت
e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet
براعم الإيمان
الوعي الإسلامي
سمو الأمير وشخصية العام الخيرية
دروب العمل الخيري عطاء ونماء
تأملات تربوية في أحاديث الصيام
مؤتمر استقرار البيت الكويتي
نهاية رجل بخيل
في ذكرى الاحتلال البغيض
ص.ب. : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت - هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)
P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

استرح وتذوق أجوائنا المتجددة



عند إستقبال ضيوفك فإنك ترغب أن يكون كل شيء على ما يرام، وهذا ما فعلناه على متن طائراتنا. ولإكتساب المزيد من ثقتكم يوماً بعد يوم فقد صممنا ديكورات داخلية جديدة، ومقاعد مريحة وأواني خدمة جديدة على أرقى مستوى لنقدم لكم خدماتنا ووجباتنا المتميزة. كل هذا لأننا نسعى لراحتك والإستمتاع بصحبتك.

الخطوط الجوية الكويتية
ثقتكم غايتنا

ALSIHAM FP/

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة
al-Waei al-Islami
العدد ٣٩٦ ـ السنة الخامسة والثلاثون ـ شعبان ١٤١٩ هـ ـ نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٨ م



سمو الأمير يفتتح الاجتماع الأول للهيئة الاستشارية لدول مجلس التعاون :

تكوين الهيئة الاستشارية تزامن مع تطورات عالمية هائلة

حقائق علمية في الإعجاز القرآني

الخلاف في الرأي بين الغلو والإعتدال

- الوعي الإسلامي تفتح ملف العمل الخيري في الكويت



بيت الزكاة

- تأسس بطموح وخبرة رواد أهل الكويت
- جميع المعاملات المالية والمساعدات تخضع لرقابة ديوان المحاسبة
- المتبرع يتابع تنفيذ مشروعه بالتقارير المصورة والزيارة

هديتك مع العدد براعم الإيمان

انتداب الموظفين في النظام الإسلامي


الوعي الإسلامي
On The Internet على الانترنت
e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet
براعم الإيمان
الوعي الإسلامي
سمو الأمير وشخصية العام الخيرية
دروب العمل الخيري عطاء ونماء
تأملات تربوية في أحاديث الصيام
مؤتمر استقرار البيت الكويتي
الوعي الإسلامي
براعم الإيمان
نهاية رجل بخيل
الوعي الإسلامي
في ذكرى الاحتلال البغيض
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت - هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)
P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٦ . السنة الخامسة والثلاثون
شعبان ١٤١٩ هـ . نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٨م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR

بدر سليمان القصار
BADER S. AL-QASSAR

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR

خالد عبد اللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER

صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ . الصفاة . 13097 . الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+)
فاكس : ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

الكويت والمسيرة الحضارية

الإخوة القراء

بدءاً من هذا العدد الذي يتزامن مع اقتراب شهر رمضان المبارك ... شهر الخير والبر والإحسان، تقوم الوعي الإسلامي بفتح ملف العمل الخيري للهيئات والمؤسسات الخيرية . الرسمية والشعبية . العاملة في الكويت لتسليط الضوء على أهم إنجازات هذه الهيئات التي باتت ممثلة بالكويت وسفيرها في الداخل والخارج، كما قامت المجلة بمتابعة وتغطية الكثير من الأنشطة والمؤتمرات والندوات التي شهدتها الساحة الداخلية في الآونة الأخيرة وفي مقدمها افتتاح دور الانعقاد العادي الثالث من الفصل التشريعي الثامن لمجلس الأمة الكويتي، وانعقاد الاجتماع الأول للهيئة الاستشارية لدول مجلس التعاون الخليجي، وعقد الندوة الخامسة لبيت التمويل الكويتي، وانعقاد المؤتمر الخامس لبيت الزكاة الكويتي، ولا شك أن هذا الكم الزاخر من الأنشطة يدلل على أهمية دولة الكويت كمركز من مراكز الفكر والثقافة والسياسة والاقتصاد في المسيرة الحضارية المعاصرة التي تشهد تطورات ومتغيرات سريعة وهائلة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من قبل، ولا شك أن مواكبة دولة الكويت لهذه التطورات يدلل على استيعابها لحركة المتغيرات ونظرتها الإيجابية لها وحُسن استشرافها للمستقبل.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ كويتية دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا ـ السعودية : ٤ ريالات ـ البحرين : ٣٠٠ فلس قطر : ٤ ريالات ـ الامارات : ٤ دراهم ـ سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة الأردن : ٥٠٠ فلس ـ مصر : **جنيه** واحد ـ السودان : ٥ جنيهات موريتانيا : ١٢٠ أوقية ـ تونس : **دينار** واحد ـ الجزائر : ٥ دنانير اليمن : ٥ ريالات ـ لبنان : ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا : ٢٠ ليرة ـ المغرب : ٦ دراهم ليبيا : ٥٠٠ مليم ـ اوروبا : **جنيه** استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى : **دولاران** او مايعادلهما.

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت . برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد

ندوات

المؤتمر الخامس للزكاة



نظراً لما للزكاة من تأثير كبير في تحقيق التكافل والتراحم والتنمية في المجتمعات الإسلامية، بيت الزكاة الكويتي عقد مؤتمره الخامس للزكاة تحت شعار «مؤسسات الزكاة واستطلاع متغيرات القرن الواحد والعشرين».

20

تراث

انتداب الموظفين في الإسلام

34

عملية انتداب الموظفين ذوي الكفاءة والمقدرة على تسيير أمور الأمة أمر موجود عند كل الأمم والشعوب... ترى ما الأسس والمبادئ التي وضعها الإسلام لاختيار الأعوان في تصريف شؤون البلاد؟

قضايا دولية

اللوبيات الصهيونية في العالم

32

التنظيمات الصهيونية في الدول الكبرى تلعب دوراً كبيراً ومؤثراً لصالح الكيان الصهيوني من أجل مدّه بكل أسباب البقاء والوجود سواء عن طريق المال أو الإعلام أو السياسة أو الاقتصاد وغيرها.

استشراق

آليات المنهج الاستشراقي في دراسة مصنفات علوم القرآن

38

على الرغم من أن كل الدراسات القرآنية التي قام بها المستشرقون لايمكن الاعتداد بها البتة لكن لابد من محاولة استكشاف واستبيان بعض طرق وآليات المنهج الاستشراقي في توظيف كتب علوم القرآن والتفسير في أبحاثهم وكيفية دراستهم لها؟



ندوات



17 الندوة الفقهية الخامسة

البنوك والمؤسسات الإسلامية أثبتت نجاحها على الساحة الاقتصادية والمصرفية وعلى الرغم من ذلك فهي بحاجة دائماً إلى مزيد من التحرير والتأصيل من جانب أهل العلم والاختصاص... بيت التمويل الكويتي من أجل تحقيق هذه الغاية عقد ندوته الفقهية الخامسة.

في الأعداد المقبلة

- الصيام وسيلة وقائية لأمراض النفس البشرية — د. محمود صالح العادلي
- بدر ... من هنا انطلق التاريخ — سعيد كامل
- الصهيونية التاريخية في تنظيماتها السرية — عبدالغفار نصر
- الإمام المراغي قمة الإيمان يغلب السلطان — مكتب القاهرة
- الميراث في الإسلام هل يقوم على أساس الأقربية أم الأحقية؟ — د. رفيق يونس المصري
- دور اليهود في اغتيال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب — سامي الجيتاوي

الفهرس



من نتنياهو إلى أبناء الأمة العربية

«يا هو»

أيها العرب في كل زمان ومكان.

سأحدثكم بلسان «عربي مبين، سأخبركم الخبر اليقين، وسأذكّركم بعد أن نسيتم، لعلَّ الذكرى تنفع المؤمنين... أنتم تعشقون كل بدعة وجديد، وتنسون كل ماض مجيد، أما نحن فذاكرتنا حيّة لا تشيخ، تحيي الماضي وتعيدنا إلى بداية التاريخ. القدس لنا، كانت فيما مضى مهداً لسادتنا ومملكة لديانتنا، ولن تكون إلا عاصمة أبدية لدولتنا، اسمها أورشليم، منقوش في صحفات العهد القديم، ولن يعيش فيها إلا شارون ورافائيل وحاييم.

القدس لنا، فنحن نقدّسها ونفديها ونحفر في ذاكرتنا أسماء الذين يضحون في سبيلها، وأنتم لا مقدسات لكم، تذرفون من أجلها دموعاً كاذبة، ولا تبذلون في سبيلها إلا سيلاً من الأناشيد الحماسية والخطب العاطفية ولا تتورعون عن ملاحقة واغتيال من يحلم بالصلاة في مسجدها. إلهنا لنا، وإلهكم لكل الناس، إلهنا لا يحاسبنا على جرائمنا، وإلهكم يحاسبكم بالعدل والقسطاس، إلهنا يعبدنا، ويقاتل في سبيلنا وإن كنا به جاحدون وعن سبيله منصرفون، وأنتم عند إلهكم مكلفون ومسؤولون، وما خلقكم إلا لتعبدون.

نحن أحفاد سارة العبرية، وأبناء الست البديعة، وأنتم أحفاد هاجر المصرية وأبناء الجارية الوضيعة. نحن نعيش الآن جنتنا في فلسطين، وأنتم تعيشون دنياكم الفانية، وجنتكم مؤجلة إلى يوم الدين، لن تنفعكم كثرة العويل والبكاء، لأننا أقدر منكم على هذا الأداء، فلدينا حائط المبكى، وعندنا أساطير تروى وأقاصيص تحكى. سنعيد بناء مملكة داود وسليمان، وسنهدم إرث محمد وعمر وعلي وسلمان ... لا مكان لكم فوق أرضنا، ولا حق لكم في مُلكنا، تتباكون على المسجد الأقصى وأنتم تلاحقون الناس بتهمة الغلاة، وممارسة الصوم والصلاة... تريدون الخليل، وهي مدينة جدنا إبراهيم الخليل، وحق ورثته أبناء إسرائيل. نحن لا نفرّق بين الكنيست والكنيس، وأنتم لا تفرقون بين دعوة المسجد ووسسة الشيطان وإبليس.

أنتم بحاجة إلى الغرب، والغرب بحاجة إلينا، أنتم تدورون في فلكه، ونحن مركز حركته، نحن أسياده وأنتم عملاؤه، نحن قلبه وعقله وأنتم حقله وأدواته، يهبنا المال والسلاح، لكي نتفوق ونجتاح، ويغرقكم بالسلع والبضائع التي تؤمن له المزيد من الأرباح. نحن أبناء الشمال وأنتم أبناء الجنوب، نحن أبناء التقدم والصناعة وأنتم أبناء التخلف «والصياعة»، نحن من عالم التمدن والحضارة، وأنتم من عالم التأخر والقذارة. بأي أوهام تتعلقون؟ وعلى أي مراهنات تراهنون؟

تريدون الأرض مقابل السلام، ومقايضة الفعل بالكلام... أي أرض والأرض لنا منذ أبد الآبدين، أهدانا إياها إلهنا، وأمرنا أن ندخلها فاتحين، وأن نبيد سكانها أجمعين، وبعد تشرد دام آلاف السنين، عدنا إليها محرومين، ودخلت تحت سيادتنا في سنة ثمانية وأربعين وفي عام سبعة وستين، وها نحن نوسعها ونملؤها باليهود المستوطنين الى يوم القيامة والدين. أي سلام تَعِدون ؟ وأنتم تحت مظلة سلاحنا ولا ترجون إلا رحمتنا ... فلماذا تدّعون إعطاء السلام وأنتم عاجزون عن الحرب ولا تجيدون إلا تنميق الكلام؟ نعم نحن ضد السلام فماذا ستفعلون بعد هذا الكلام؟

تريدون من الضمير العالمي أن يستيقظ؟ ومن هيئات حقوق الإنسان أن تتحرك؟ إنكم واهمون، مازلتم عرباً تنتظرون نخوة الشرفاء ومروءة الصالحين! لقد ملأتم جوارير الأمم المتحدة بالشكاوى والقرارات، والمشاريع والبيانات، تدين جميعها اغتصاب الأرض، والتعدي على الحق والعرض، ولم ينفذ منها أي قرار، ولا أوصلتكم إلى واحة الأمن والاستقرار... سنخلق لكم في كل يوم مشكلة تتلهون بها، سنحفر لكم أنفاقاً لا تستطيعون الخروج منها، سنجعل أمسكم أفضل من غدكم، ولسوف تطالبون في المستقبل بتنفيذ ما رفضتموه في الماضي... ما يخيفنا يخيفكم أكثر، وما يشكل خطراً علينا، فعلى عروشكم يشكل خطراً أكبر... إذا عجزنا عن استئصال الأصولية فأنتم على استئصالها قادرون، وإذا فشلنا في ضرب الحركات «الإرهابية»، فأنتم من دون شك لها قاهرون.

لا نريد منكم مهمة غير تلك المهمة، ولا نتوخى طلباً غير هذا المطلب، وإلى حين إنجاز تلك المهمة لكل حادث حديث.

قاسم القادري

ردود خاصة

● **القارئ عصام إبراهيم المهدي ـ مصر :**
توزيع الوصية التي أرسلتها إلينا وأمثالها أمر لا يمت للشرع بصلة، فالخير والشر بيد الله وحده... وفقنا الله وإياك لما فيه الخير.

● **القارئة آمال بالحجام ـ الدار البيضاء :**
يمكنك إرسال ما تشائين من تحقيقات مصورة واستطلاعات وحوارات ومقالات على أن تكون متلائمة مع منهج المجلة وشكراً على ثقتك بالمجلة.

● **القارئ هشام جمال شحاته ـ مصر :**
المجلة ليست جهة مختصة بتأمين العمل، بارك الله فيك ويسّر لك فرصة عمل مناسبة.

● **القارئ أشرف حسين علي مرجان :**
شكراً على ملاحظاتك القيمة وسنعمل بإذن الله على تلافي ذلك مستقبلاً، وجزاك الله كل خير على عواطفك وثقتك بالمجلة والقائمين عليها.

● **القارئ فتحي مفتاح سالم ـ بولندا :**
يمكنك إرسال عنوان المركز الإسلامي في مقر إقامتك حتى نرسل لك المجلة في المستقبل وشكراً لكم.

● **القارئ أشرف محمد السيد محمد حسن :**
إجازة البحث للنشر أو عدمه أمر خاضع للجنة المراجعة في المجلة، يمكنك إرسال صورة عنه لدراسته وتقييمه، وفي حال صلاحيته للنشر يمكن نشره على ثلاث حلقات وشكراً لكم.

السياسة والدين

في الآونة الأخيرة انتشرت ظاهرة عجيبة بين شباب الصحوة تدعو إلى التوقف والتأمل فيها، ألا وهي ظاهرة الاهتمام بالأحداث السياسية سواء أكانت عامة أم خاصة، وهذا شيء جميل، فمما يثلج الصدر أن نرى الشباب قد بدأ ينظر إلى واقع أمته نظرة جادة، وبدأ يتفهم ما يدور حوله من خطط ومؤامرات، ولكن الذي يدعو إلى العجب أن يكون هذا الموضوع هو شغل الناس الشاغل، ففي كل مكان حديث سياسي في السيارة وفي الكلية وفي المجالس! حتى ما عدنا نتلذذ بالرقائق أو دروس العقيدة أو الفقه، وأنا لا أقول إن السياسة ليست من الدين، بل الذي أقوله إن السياسة ليست كل الدين، بل هي جزء مهم منه وكم يحز في نفسي أن أرى الشخص الذي تزين وجهه اللحية وقد ألم بكل الأحداث السياسية في العالم الإسلامي بتفاصيلها، بل بما لم ينشر في الأجهزة الإعلامية، ثم إذا سألته عن أهم مسائل الطهارة في حياة المسلم ـ مثلاً ـ تجده يقف حائراً وكأنه أمام مسألة في الفرائض، فنحو مفهوم صحيح لهذه القضية أدعو كل مسلم يلتزم بشعائر هذا الدين الحنيف أن يتوازن في أخذ جوانب هذا الدين فلا يغلّب جانباً على آخر وليضع في مخيلته شعار «الوسطية في كل شيء».

عمر نوح فوفانا غينيا كوناكري

انصروا كوسوفا... يرحمكم الله

لم تزل الحرب مستمرة في البلقان إلا أنها زحفت من البوسنة في الاتجاه الجنوبي، حيث إقليم كوسوفا...

والذي تسكنه أغلبية مسلمة وأقلية صربية لا يزيد عددها عن ١٠٪ من سكان الإقليم، يدعمها ٨٠ ألف جندي من قوات الطاغية سلوبدان ميلوسيفيتش رئيس يوغسلافيا.

والمسلمون في كوسوفا يعانون من فقدان أبسط مقومات الحياة من حق التعبير والتملك والعمل والتعليم والخدمات وتعريف العالم بقضيتهم، وليس هذا عن ضعف في إمكاناتهم، ولكن هذا نتيجة للحرب الضروس الضارية في إقليم كوسوفا... ولا نعني الحرب العسكرية القائمة الآن فحسب، ولكن نعني الحرب المستمرة في هذا الإقليم منذ عشر سنوات منذ تفكك الاتحاد اليوغسلافي.

إن ما يعانيه الإقليم المسلم اليوم من قتل للنساء والأطفال والشيوخ والشباب على السواء يعد بمثابة إثبات جديد على مدى تفكك المسلمين وبعدهم عن روح الرابطة الدينية التي ينبغي أن توحدهم وتجمعهم.

فأين الجسد الإسلامي الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر...

بل أين حكام المسلمين وأين الشعوب العربية والإسلامية.

إننا نهيب بالمسلمين أن يتحركوا قبل أن تحدث بوسنة جديدة، وكفانا مآسي في هذا القرن... وكفانا تفككاً وتشرذما.

ولذلك وجب على الأمة الإسلامية أن تعي جيداً حقيقة المؤامرة العالمية والخطر الذي يهدد الوجود الإسلامي في دول البلقان...

ويشوّه صورة الإسلام في العالم بأسره.

ويكفينا عاراً أن الذين بدؤوا حرب البوسنة والهرسك هم الذين يقتلون إخواننا اليوم... فالعدو هو العدو وما من مجيب.

ولنتذكر كلمات الرئيس البوسني علي عزت بيغوفيتش في اتفاق دايتون الأمريكي الذي أنهى الحرب البوسنية قائلاً: «اتفاق ظالم خير من حرب جائرة ليس معنا فيها صديق، وعسى أن يعيد أطفال اليوم الدولة التي فقدناها»...

فهل حقاً ليس هناك صديق ولا أخ يدافع عن هؤلاء المسلمين... فيا شباب الأمة ويا علماء الأمة، ويا حكام الأمة، أجيبوا إخوانكم في كوسوفا... انصروا كوسوفا يرحمكم الله.

عماد محمود مصطفى حسن مصر

التدخين والجهاز الهضمي

من المعروف أن الفم هو خط الدفاع الأول للجسم وقوام هذا الخط اللسان، والأسنان، والبلعوم، وباقي أعضاء الجهاز الهضمي، وتشمل المعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة، وصحة جسم الإنسان تتوقف على سلامة هذه الأعضاء لأن بها نتذوق أنواع المآكل والمشارب، وهي مصدر تنظيم اللعاب الذي يعمل على تحويل المواد النشوية إلى دكسترين وسكر كما ييسر عملية المضغ والبلع، وهذه كلها وظائف مهمة.

وعلم الوقاية «الطب الوقائي» يقضي بالاعتناء بهذه الأعضاء، بمعنى أن لا يمسها سوء ولا يأكل الإنسان ولا يشرب ولا يتعامل إلا مع الطيب من كل مأكول أو مشروب.

فما بالك بالتدخين الذي يعتبر من أهم العوامل التي تفسد هذا الجهاز، بل تجهز عليه تماماً ويقضي على وظائف هذه الأعضاء كلية.

صلاح حسين محمد

الأقصى يستغيث

يسألونني. لماذا أنت حزين؟
قلت ومن أين يأتي الفرح؟ والقدس سجين.
من أين يأتي الفرح؟ وأنا أرى ما يحدث بفلسطين.
اليهود يعربدون - يقتلون غير مبالين.
بالأمس اقتحموا الحرم الإبراهيمي وقتلوا المصلين.
واليوم يريدون هدم الأقصى أولى القبلتين.
الأقصى يصرخ ينادي يستغيث يا أمة المسلمين
من يفك أسري من أيدي اليهود الغاصبين.
من يكسر الأغلال والقيود فأنا ثالث الحرمين.
من يطهر أرضي من دنس اليهود الغادرين.
لا أحد يجيب
وضعوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعون
مع أنهم يبصرون
أهكذا صارت أمة محمد الأمين!
أمة عقيمة بلا منقذين
أين أنت يا صلاح الدين ... أين أنت يا صلاح الدين

عصام أبو الدهب مصر

هل مازال البعض يعتقد في عهود اليهود ؟!

الشغل الشاغل لدول المنطقة المحيطة بالعدو الصهيوني هو محاولة أن تضغط الدول الغربية على العدو الصهيوني لتنفيذ وعوده بشأن ما قطعه على نفسه في شأن الانسحاب بنسبة ضئيلة جداً من الأرض العربية المحتلة ونسوا أن الاستجابة لوعود العدو الصهيوني كانت بؤساً كلها، وامتلأت بهزائم وإخفاقات ونقض العهد صفة من صفات اليهود.

وإذا بحثت عن أبرز صفة لهم برز لك «نقض العهد»، كأول معلم لتلك الأمة وهذا أول ما يقفز إلى الذهن، الذهن النظيف واليقين المطمئن.

لقد تولو منذ أن بعثت الرسالة فيهم: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون) البقرة: ٨٣.

لقد كانت هذه الطبيعة ملازمة لهم عبر العصور، ورذيلة صارت طبعاً وسلوكاً... إنهم الذين صدق قول الله فيهم: (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) البقرة: ١٠٠.

ولنعلم أن ما يتحقق من السلام المزعوم الذي تريده الصهيونية حصاداً لمكاسب في صالح الكيان الصهيوني والخسائر من نصيب العرب.

وبعد فهل مازال البعض يعتقد في عهود اليهود ؟

الخضري عبدالمنعم علي السيد

وقفة مع النفس

إن فوات الحظوظ من الأمور التي قد تؤلم النفس أحياناً، وتومئ لها بالحسرة والندم لعدم القدرة على تحصيلها أو تحقيق ما فات منها.

ولو أسرف العبد في تأمل ذلك لضيع كثيراً من معاني الجد في الحياة، وقيّد حركة نفسه عن أن يدرك معاني الأشياء.

فما الدنيا إلا درب واسع من دروب البلاء والاجتباء والاصطفاء... ولو تحقق لكل مأموله ومرغوبه فأين موطن النفس عند المقادير؟! وأين موضع الرضا عند منافذ القضاء؟! وأين حظ العبد للترقي في مقامات الكمال؟! وأين السعي والكد والجد الذي يدفع النفس للتصويب والمراجعة؟! وليس ما فات العبد حتماً لن يعود!

بل قد يفوت عليه لحكمة لا يدركها وربما بقى حظه إلى وقت يستلذ فيها بكنهه ويستطيب له في أوانه.

وإن زمان الفوت قد يُدرك إن استقام العبد على الطريقة... فالجنة مجمع المتقين، وواحة المتعبين، فأي حظ أشهى للعبد من شربة بيد نبيه أو رشفة بيد ربه؟! (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية).

فتأمل حكمة الباري!

علي مدني رضوان

الافتتاحية

ظاهرة مرضية جديدة في الغرب !!

خلال الشهر الماضي وبفارق زمني بسيط تناولت وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية خبرين مثيرين منفصلين عن بعضهما بعضاً ظاهرياً إلا أنهما مرتبطان ببعضهما بعضاً ارتباطاً وثيقاً، وسيدرك القارئ العادي أن أحدهما إفراز طبيعي للآخر، فقد كشف الخبر الأول عن ظاهرة مرضية تسري اليوم في المجتمعات الغربية سريان النار في الهشيم ألا وهي ظاهرة «أسرة الأمر الواقع»، حيث كشف تقرير لجهاز الإحصاء الأوروبي «يوروستات» أن معدلات أسرة الأمر الواقع أي الإنجاب خارج إطار الزوجية الشرعي في دول الاتحاد الأوروبي قد تضاعف خلال العقد الأخير، ووصل إلى ثلاثة أضعاف في بعض دول أوروبا، وتبوأت السويد وإيسلندة مركز الصدارة بين هذه الدول، وعلّل علماء الاجتماع الأوروبيين أن السبب الرئيسي وراء ازدياد إنجاب المواليد خارج رباط الزوجية يكمن في وجود صراع اجتماعي جار تحت السطح بين الرجل والمرأة نتيجة التحرر المغالى فيه للمرأة الأوروبية بسبب استقلاليتها الاقتصادية والاجتماعية، ما أصاب الرجل العادي بحال من التردد والخوف من الارتباط بامرأة بعهود وقوانين رسمية في علاقة معرضة للانفصال في أي لحظة، ويدللون على ذلك بارتفاع حالات الطلاق مقابل انخفاض شديد في حالات الزواج حيث تراجعت معدلات الزواج في دول الاتحاد الأوروبي بنسبة ١١٪ عما كانت عليه في مطلع التسعينات!

والشيء المؤلم أن دول الغرب بدلاً من معالجة هذه الظاهرة المرضية، التي تتنافى وسائر الأديان السماوية وتناقض القيم الاجتماعية والثقافية الراسخة لجأت إلى تكريسها من خلال استمرارها في نشر الانحلال والإباحية وهذا ما دلل عنه الخبر الثاني حيث عقد في لوس أنجليس في منتصف أغسطس الماضي، وعلى مدى أربعة أيام مؤتمر عالمي للإباحية نظمه مركز الأبحاث المتعلقة بالجنس في جامعة كاليفورنيا في «نورثريد» شارك فيه نحو ٧٥٠ شخصاً من الناشطين في عالم الإباحية أكثرهم من الجامعيين والمحامين وممثلي صناعة الجنس وممثلين عن جمعيات الدفاع عن الحريات المدنية وعلى هامش المؤتمر عرضت للبيع مواد كثيرة منها أشرطة فيديو وكذلك كتب ومجلات إباحية.

وهكذا تحولت علاقة الرجل بالمرأة في ديار الغرب إلى علاقة حيوانية والقائمون على الأمر في المجتمعات الغربية إنما يسعون من وراء هذا الانحطاط البهيمي إلى تحديد النسل عن طريق إطلاق الحريات الجنسية وتنفيس الغرائز عن طريق المخاللة والعلاقات غير الشرعية بين الجنسين، وهذا ما حرّمه الإسلام تحريماً قاطعاً حيث جعل الزواج الشرعي مصدر السكينة والرحمة والمودة، وموئلاً حصيناً وخصباً لتنشئة الأطفال، ووسيلة للوصول إلى مجتمع الفضيلة والطهر والنقاء مع الحفاظ على النسب ودائرة الأرحام، والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة كثيرة في هذا المجال يقول تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) النور: ٣٢، ويقول أيضاً: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) النور: ٣٣، ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

إن الإسلام لا يعرف ما يسمى بمشكلة المرأة فهي من افراز حضارة غريبة تقوم على الاستغلال والتفرقة ولا تتوافق مع ما يعلنه الإسلام من خلق الرجل والمرأة من نفس واحدة مع المساواة بينهما في الحقوق والواجبات.

إن أسرة الأمر الواقع إفراز طبيعي لظاهرة الانحلال الخلقي وإباحة الزنى والفجور في بلاد الغرب أكثر من أي منطقة أخرى في العالم، وهو الآن ـ أي الغرب ـ يحصد ثمرة هذا الانحلال، وما لم تبادر المجتمعات الإنسانية كلها إلى إيقاف سيل الانحرافات الخلقية وتحريم العلاقات الشاذة بين الجنسين والقضاء على الفساد بجميع أنواعه وأشكاله وتشجيع قيم الفضيلة التي جاءت بها كل الأديان، فإن هذه الظاهرة وغيرها ستأخذ طريقها في التوسع والانتشار والظهور ولات ساعة مندم وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه العزيز ضارباً لنا الأمثال في الأقوام السابقة التي انحرفت عن جادة الصواب فأذاقها الله لباس الخوف والجوع والقلق والعذاب: (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) الأنعام: ٤٢ ـ ٤٣.

الوعي الإسلامي

كلمة سمو أمير البلاد في افتتاح دور الانعقاد العادي الثالث من الفصل التشريعي الثامن لمجلس الأمة



● سمو أمير البلاد أثناء إلقاء النطق السامي

تفضل سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، وشمل برعايته افتتاح دور الانعقاد الثالث من الفصل التشريعي الثامن لمجلس الأمة، وذلك يوم ٧ رجب ١٤١٩هـ الموافق ٢٧ أكتوبر ١٩٩٨م، وبحضور سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح، والوزراء والشيوخ وكبار رجال الدولة وقد تفضل سموه بإلقاء النطق السامي التالي نصه:



● جانب من الجلسة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه.

إخواني:

بعون الله وبركاته نفتتح دور الانعقاد العادي الثالث من الفصل التشريعي الثامن لمجلس الأمة آملاً منكم جميعاً التعاون البنّاء بعيداً عن كل ما يمس نهجنا الديموقراطي والحرص التام على أمن وسلامة وطننا العزيز وشعبنا الكريم، والعمل الدؤوب على تقوية اقتصادنا وتنمية احتياطنا لنملك كامل إرادتنا بعيداً عن هيمنة أي جهة خارجية، وفقكم الله جميعاً وأخذ بأيديكم لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سمو أمير البلاد افتتح الاجتماع الأول للهيئة الاستشارية لدول مجلس التعاون



● سمو أمير البلاد يفتتح الدورة الأولى للهيئة الإستشارية لدول مجلس التعاون

تفضل سمو أمير البلاد وشمل برعايته الكريمة افتتاح الدورة الأولى للهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في تمام الساعة العاشرة من صباح ١٩ رجب ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١١/٨م، في قاعة التحرير بقصر بيان.

وحضر حفل الافتتاح سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح، ورئيس مجلس الأمة أحمد السعدون، والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح ووزير شؤون الديوان الأميري الشيخ ناصر المحمد الأحمد الجابر الصباح، والوزراء والشيوخ وأعضاء الهيئة الاستشارية في دول مجلس التعاون الخليجي الست وكبار رجالات الدولة والوجهاء وأعضاء السلك الديبلوماسي العربي والأجنبي.

وفي النطق السامي الذي تفضل به سمو أمير البلاد في الافتتاح المراسمي للهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى لدول مجلس التعاون أكد سموه أن تكوين الهيئة يتزامن مع التطورات العالمية الهائلة التي لا تعرف الثبات ومع التطورات الإقليمية التي تتغير فيها الروابط والمواقف وفقاً لمواقع المصالح.

وأضاف سموه أن كل ذلك مسائل تلقي اعتباراتها وحساباتها على مهمتكم أعباء إضافية ليست بالهينة ولا باليسيرة وفيما يلي النص الكامل للنطق السامي :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين.

إخواني :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، باسم الإخوة الأعزاء قادة مجلس التعاون وباسمي أحييكم وأرحب بكم في هذا اللقاء الأول للهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى.

وأهنئكم بثقة القيادات الخليجية بكم وهي ثقة غالية تعبر عما تتمتعون به من سجايا وخبرات أهّلتكم لهذا العمل الكبير وتلك الأمانة الثقيلة فلكل منكم من مسيرته العملية سجل حافل بالخبرات والإنجازات وخصوصاً في مجال العمل العام والجماعي والشأن الخليجي.

إخواني:

إن معرفة العامل بعمله أوثق سبل النجاح والهيئة الاستشارية كما أراد الإخوة القادة الأجلاء جهاز أصيل ليس تكراراً لجهاز قائم ولابديل عن جهة... إنما الهيئة الاستشارية سند وعون فيما يرى الإخوة القادة أنه بحاجة إلى استيفاء وجهات النظر واستمزاج كل الآراء تحرياً منهم، حفظهم الله، صالح دولنا وشعوبنا أي أنها ترجمة لتطلعات القادة وتفعيل لمبادئ التعاون الخليجي تحقيقاً للأهداف التي نص عليها النظام الأساسي لمجلس التعاون.

وإذا كانت قرارات وتوصيات القمم الخليجية قد حرصت على تلبية إرادة الشعوب الخليجية ورغباتها في حاضر كريم ومستقبل آمن فإن هيئتكم تترسم الطريق نفسه في ترجمة ما يحيله القادة إليكم من قضايا حتى تكون آراؤكم ومقترحاتكم بشأنها نابعة من الأهداف الأساسية لمجلس التعاون ومستهدفة صالح الشعب الخليجي الكريم.

إخواني:

إن تكوين الهيئة الاستشارية يتزامن مع التطورات العالمية الهائلة التي لاتعرف الثبات ومع التطورات الإقليمية التي تتغير فيها الروابط والمواقف وفقاً لمواقع المصالح وكلها مسائل تلقي اعتباراتها وحساباتها على مهمتكم أعباء إضافية ليست بالهينة ولا باليسيرة.

وتعلمون أن الاخوة القادة ينطلقون في كل قراراتهم وتوصياتهم من حقائق وجودنا الخليجي بكل أبعاده التاريخية وبكل مستجداته الحاضرة على أسس من وحدة المصير ووحدة التحديات أيضاً كبيراً كان هذا الشأن أو صغيراً حتى تسير كل مفردات العمل في مسار متناغم يصل إلى الغايات المنشودة.

إخواني:

إننا لواثقون بعون الله من نجاحكم في المهمة المسندة إليكم لإيماننا أن إخلاصكم وتفانيكم في عملكم هو سبيلكم الذي يعبر عن ثقة قادتكم فيكم.

فعلى بركة الله نبدأ مسيرتكم.

ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ومن يعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم والله يوفقكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تنظمه الأمانة العامة للأوقاف

ولي العهد يرعى المؤتمر الخامس حول الوقف والمجتمع الأهلي

يرعى سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح الملتقى السنوي الخامس الذي يقام هذا العام تحت شعار «الوقف والمجتمع الأهلي» وتنظمه الأمانة العامة للأوقاف.

وأكد المنسق العام للملتقى صلاح الغزالي أن رعاية سمو ولي العهد كل عام لهذا الملتقى، هو في حقيقته دعم مبارك لجهود الأمانة العامة للأوقاف من خلال مسيرتها التنموية لإحياء سنة الوقف الشريفة.

وأضاف إلى أن الملتقى يعقد هذا العام في مقر الأمانة الجديد في منطقة الدسمة، مؤكداً القيمة الثقافية والدينية المستفادة من الندوات المقامة خلال الملتقى، حيث سيناقش باحثون ومسؤولون من الكويت ودول عربية وإسلامية أخرى تجارب بلادهم الوقفية، لما لذلك من أهمية في تبادل المعلومات والتجارب بين مسؤولي الوقف.

وأكد الغزالي أن الأمانة لن تتخلى عن عرف تكريم الواقفين الذين أوقفوا أموالهم لأعمال الخير والمتبرعين من الأفراد والمؤسسات وأعضاء مجالس إدارة الصناديق والمشاريع. وضيوف الأمانة من خارج الكويت والشخصيات الإعلامية وغيرها من الشخصيات ممن كان لهم دور مميز في دعم مسيرة الأمانة وذلك إيماناً من الأمانة بفضلهم وبذلهم في وجوه الخير.

وسيتم تنظيم مؤتمر صحافي، يتناول الجوانب المهمة في الملتقى كالأبحاث المتقدمة وأسماء الضيوف من الدول المشاركة في أوراق عمل مهمة في الملتقى بالإضافة إلى التعرف بالمعرض والجهات المشاركة.

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية كرّمت ٥٥ إماماً وخطيباً ومؤذناً

كرّمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ٥٥ إماماً وخطيباً ومؤذناً يتبعون إدارة مساجد العاصمة في حفل أقيم يوم الاثنين ١٣رجب ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١١/٣م، برعاية وكيل الوزارة خالد عبدالله الزير على مسرح دور الرعاية الاجتماعية التابعة لوزارة الشؤون، وبحضور رئيس قطاع المساجد الأستاذ مطلق القراوي، وقد ألقى الوكيل الزير كلمة دعا فيها المكرمين إلى بذل المزيد من الجهد والعطاء الذي تتطلبه طبيعة عمل الأئمة والخطباء معرباً عن أمله في أن يسهم هذا التكريم في الارتقاء بأدائهم في المجال الدعوي. وأهاب الزير: بالعاملين في المساجد تهيئة الأجواء الإيمانية التي تؤدي في النهاية إلى تهيئة أجواء السكينة التي تشعر كل مسلم أن المسجد ملاذه مشدداً على ضرورة قيام المسجد برسالته العلمية من خلال التركيز على تأصيل المفاهيم الشرعية والمعارف الإسلامية وفقاً للكتاب والسنة.

كما حض الأئمة على إبلاغ رسالة المسجد الثقافية بعد الاجتهاد في تمثلها وتيسير فهمها لكل المستويات الذين يقصدون المسجد للمعرفة والعلم مشيراً أن الإمام هو المسؤول الأول عن إدارة المسجد.

وأعرب الزير عن بالغ تقديره لجهود الأئمة والخطباء والمؤذنين في التوجيه والإصلاح والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة متخذين كتاب الله منهاجاً وسنة نبيه نوراً وهداية.

من جانبه أكد مراقب الشؤون الثقافية في إدارة مساجد العاصمة صالح السليطين تقدير الإدارة للدور الذي قام به المكرمون في التوجيه والإرشاد وقال: تكريمنا لكم لأنكم أنتم الهدف الأسمى والاهتمام الأول لدينا، فنحن جميعاً في خدمتكم ونحترم ما تقومون به، وأضاف: نسأل الله أن يعيننا على تكريمكم ويعينكم على تكريم أنفسكم وأداء رسالتكم التي أوكلت إليكم بأمانة وصدق ووفاء بهدف تفعيل دور المسجد في إرشاد الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم ألقى الشيخ ناصر المعيلي كلمة نيابة عن المكرمين شكر فيها وزارة الأوقاف على اختيارها هذه النخبة للتكريم مؤكداً أنه سيعطي المكرّمين الدافع ليكونوا عند حسن ظن الإدارة وأهلاً لما يتمنونه منهم.



● وكيل الوزارة خالد الزير

وقال علينا أن نكون متعاونين فيما بيننا وبين إدارة المساجد على البر والتقوى والعمل فيما يرضي الله عنا فما المسجد إلا بناء وما الإمام إلا قلبه النابض. ثم قام الوكيل الزير ومدير إدارة مساجد العاصمة خالد الجيران بتكريم الأئمة والخطباء والمؤذنين بتوزيع الشهادات التقديرية عليهم.

تكريم المتفوقين وخريجي مشروع الختمة



أقامت دار القرآن الكريم ـ مركز الفيحاء ـ حفلاً لتكريم الطلبة المتفوقين، أقيم الحفل تحت رعاية وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون الحج والدراسات الإسلامية الدكتور عادل الفلاح، والذي أناب عنه الأستاذ عبدالله الناجم.

بدأ الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم قرأها الطالب حميد محمد، ثم ألقى الأستاذ عبدالله الناجم كلمة رحّب فيها بالحضور من طلبة وأساتذة وشيوخ، وبين أهمية العلم ومكانة العلماء، ثم تحدث عن الدور الذي تلعبه دور القرآن الكريم في تثقيف المجتمع بالثقافة الإسلامية السليمة.

ثم ألقى الشيخ محمد الفوزان ناظر دار القرآن الكريم كلمة أدخلت السرور إلى قلوب الحاضرين، عندما تحدث عن الخطط والبرامج والدورات التي تحققت في السنة الماضية، وكيف أن هذه البرامج والخطط أسهمت إسهاماً فعالاً وكبيراً في الارتقاء والنهوض بالدار، كماً وكيفاً، منها الزيادة الكبيرة في عدد منتسبي الدار، كما تحدث عن الخطط والبرامج والمشاريع التي سيقوم المركز ـ إن شاء الله ـ بتركيز جهوده لتحقيقها في هذه السنة ٩٨ ـ ٩٩، والتي يتوقع أن يكون لها آثار إيجابية كبيرة في جعل الدار مركزاً مهماً من مراكز خدمة المجتمع.

وفي الختام، قام الأستاذ عبدالله الناجم والشيخ محمد الفوزان بتوزيع شهادات التفوق والجوائز على الطلبة المتفوقين وخريجي مشروع الختمة.

العتيبي: نطمح لتحقيق قفزة هائلة في الإعلام الديني

إدارة الإعلام الديني أوشكت على الانتهاء من البرامج الإذاعية والموضوعات الصحافية استعداداً لرمضان

قال خالد ساير العتيبي مدير إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إن الإدراة أوشكت أن تكمل كل استعداداتها المتعلقة بأنشطتها الإعلامية في شهر رمضان المبارك مضيفاً خلال المؤتمر الصحفي الذي أقامه العتيبي أن فعاليات الإدارة ستشهد هذا العام تطوراً نوعياً وكمياً ملحوظاً وبخاصة بعد الانتهاء من إعداد الاستراتيجية العامة التي أنجزتها الإدارة أخيراً والتي تتناول بالتفصيل ملامح الرسالة الإعلامية التي ستقدمها الإدارة ومجالاتها ورسائلها المختلفة.

وأشار العتيبي إلى أن البدء بتنفيذ هذه الاستراتيجية يعني قفزة هائلة في مجال الإعلام الديني موضحاً أهمية وجود إعلام ديني هادف يحمل رسالة قيمة ونبيلة باعتبار ذلك من صميم أهداف الإدارة، مشيراً إلى أن الإدارة ستكون لها إسهامات صحفية في شهر رمضان المبارك، حيث أنهت الإدارة دراسة ستتقدم بها إلى إحدى الصحف المحلية لنشر صفحة أسبوعية تركز على كبريات المسائل المهمة والقضايا المستجدة تستضيف فيها نخبة من العلماء والمفكرين لمناقشتهم حول الأمور الفكرية والشرعية.

واختتم العتيبي مؤتمره الصحافي بقوله: أما بخصوص البث الإذاعي والتلفازي فإن الاستعدادات تقوم على قدم وساق للانتهاء من تسجيل سلسلة من البرامج الإذاعية والتلفازية على نحو يليق بهذا الشهر الذي تتزايد فيه حاجة المسلمين إلى مضاعفة زادهم الروحي، مشيراً إلى أن عدداً كبيراً من المشايخ والعلماء سيشاركون في إحياء هذه البرامج موضحاً أن الخطة تتضمن إعداد برامج مباشرة سيعلن عن أوقاتها قبل حلول الشهر الفضيل، وفي نهاية المؤتمر تقدم بالشكر إلى وزارة الإعلام ممثلة في إدارة الإذاعة والتلفاز وإلى رؤساء تحرير الصحف اليومية لتعاونهم مع الإدارة كما وجه الشكر للعلماء والمشايخ الذين أسهموا في هذه الفعاليات.

دورة تدريبية للمعينين حديثاً في دور القرآن الكريم

بدأت بمراكز التدريب في إدارة الدراسات الإسلامية في الفروانية، دورة تدريبية للمدرسين والمدرسات المعينين حديثاً للتدريس في دور القرآن الكريم.

وصرّح الموجه العام لدور القرآن الكريم السيد/ عبدالله محمد الناجم، أن أربعين مدرساً ومدرسة يشاركون في هذه الدورة، التي تستمر لمدة شهرين، بواقع يومين في الأسبوع، مشيراً إلى أن المواد المقررة في الدورة هي: طرق تدريس العلوم الشرعية، وعلوم التجويد، وأعرب الناجم عن تمنياته بأن تسهم الدورة في رفع كفاءة ومستوى المشاركين فيها مما ينعكس إيجاباً على المسيرة التربوية والتعليمية في دور القرآن الكريم، يذكر أن إدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومن منطلق حرصها على توفير كادر تعليمي متخصص ومتميز تقوم بإجراء مقابلات لخريجي وخريجات كلية الشريعة الذين يتقدمون للعمل في دور القرآن الكريم، وتنظم دورات تدريبية لهم ليزدادوا خبرة ومعرفة بأفضل طرق تدريس العلوم الشرعية والإسلامية.

أمانة الأوقاف تدرس إنشاء مشتل للأوقاف بثلاثة ملايين دينار

أعلن مصدر مسؤول في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عن وجود دراسة لإنشاء مشتل خاص بالوزارة يغذي جميع المساجد بالأشجار والزراعات التجميلية، ويعمل على زيادة المسطحات الخضراء في الساحات المقابلة للمساجد لإعطائها منظراً جمالياً.

وأكد أن هذه الفكرة طرحت منذ سنوات على الوزارة وكانت تؤجل لعدم توافر الموازنات المالية الخاصة لهذا المشروع.

وأضاف أن الوزارة حولت الموضوع إلى الأمانة العامة للأوقاف التي تدرس في الوقت الحاضر إمكانات تحمل تكاليف هذا المشروع والتي تتجاوز الثلاثة ملايين دينار.

وأوضح أن الوزارة لمست من الأمانة العامة للأوقاف تفهماً للموضوع وتتوقع موافقة الأمانة خلال الشهرين المقبلين على تمويل المشروع بعد الانتهاء من دراسة جميع جوانب المشروع.

يذكر أن زراعة الساحات داخل وخارج المساجد تتبع في الوقت الحاضر للهيئة العامة للزراعة والثروة السمكية.

وتفتقر الكثير من هذه الساحات للزراعات التجميلية، وفي حال الموافقة على المشروع وإنجازه سيعمل المشتل على تغذية جميع المساجد بأنواع الأشجار المثمرة وأشجار الزينة وستقوم الوزارة كما أكد المصدر بتوزيع ثمار هذه الأشجار على الفقراء والمساكين والجمعيات الخيرية.

ينظمها قسم الجاليات بالتنسيق مع وزارات الصحة والتربية والجامعة والتطبيقي

العنجري: ٨ دورات ثقافية في الأوقاف حتى ديسمبر المقبل

قالت مسؤولة النشاط النسائي في إدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية منال العنجري: إن قسم الجاليات الإسلامية يعتزم إقامة ثماني دورات ثقافية بواقع ٢٤ جلسة للدورة الواحدة... وبمعدل ١٩٢ محاضرة خلال الفترة المقبلة «أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٨م»، والتي تشمل مجموعة من المواضيع التربوية والإيمانية والاجتماعية مقدمة باللغتين العربية والإنكليزية، وذلك بالتنسيق مع وزارات ومؤسسات عدة في الدولة كوزارة الصحة ممثلة بإدارة الخدمات التمريضية في المستشفيات التالية: مبارك، العدان، الفروانية، الولادة، ووزارة التربية ممثلة بإدارة الخدمات الاجتماعية والنفسية وجامعة الكويت ممثلة بإدارة الإسكان الطلابي والهيئة العامة للتعليم التطبيقي.

وقالت العنجري إن القسم قد أتم إعداد منهج متكامل للدورات خلال شهر نوفمبر الماضي، حيث بدأت الدورات اعتباراً من ٤/١٠/١٩٩٨م، وهي دورات تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية وتأصيل المفاهيم الشرعية بين أوساط الجاليات الإسلامية للناطقين بالعربية وغير العربية والقسم يسعى لتحقيق أهداف عدة برعاية واهتمام الجاليات الإسلامية وتعريفهم التعريف الصحيح بالدين الإسلامي، وربط المسلمين بالمبادئ الإسلامية وتأصيل المفاهيم الشرعية وذلك في تقديم الأنشطة والبرامج والمحاضرات والدورات الثقافية، فضلاً عن احتضان المهتدين الجدد بتقديم الرعاية الدينية والاجتماعية المناسبة لهن بما يساعدهن على تجاوز المشكلات التي يتعرضن لها نتيجة اعتناقهن الدين الإسلامي.

وأضافت: عهدنا بهذه الدورات إلى مجموعة من الواعظات المتخصصات في الجانب الشرعي والتربوي والاجتماعي وتتناول الدورة موضوعات عدة، كموضوع القلق سمة العصر، وموضوع الحياة شعبة الإيمان، وموضوع حسن استثمار الوقت، وموضوع بر الوالدين، وموضوع وقفات تربوية لقصة يوسف، وموضوع آداب النفوس، وموضوع تعرّفي على خالقك، وموضوع بشارات النبوة، وموضوع فن التعامل مع الآخرين وغيرها من الموضوعات التربوية والأخلاقية، كما تقدم دورة للتاريخ الإسلامي لطالبات سكن وزارة التربية، بالإضافة إلى الدورات الشرعية المتعلقة بالجوانب الفقهية والعقائدية، ويتم عرض هذه الدورات بطريقة مبتكرة باستخدام وسائل تعليمية متنوعة كما تعتمد على أسلوب المحاورة والنقاش الثري... وسنمنح المشاركات في الدورة اللاتي سيجتزن الاختبارات الشفهية والتحريرية شهادات تقديرية.

وفد جمهورية موريتانيا يزور المسجد الكبير

قام وفد من جمهورية موريتانيا الإسلامية برئاسة الشيخ طالب أخيار بن مامين رئيس مجلس إدارة الأوقاف، والشيخ أحمد والد النين محمد الأمين المدير العام للمؤسسة الوطنية، والأستاذ عماد الماجد عضو مكتب الدراسات والعلاقات الخارجية بالأمانة العامة للأوقاف بزيارة المسجد الكبير. وقد قامت إدارة المسجد الكبير باستقبال الوفد وشرحت له جميع أنشطة ومعالم المسجد وبرامجه المختلفة والمتعلقة ببرامج الدعوة الإسلامية، والبرامج الخاصة بإبراز جمال وروعة الفن الإسلامي المميز. وبعد انتهاء الزيارة أهدت إدارة المسجد الكبير للضيفين شهادة شكر على الزيارة بالإضافة إلى بعض إصدارات المسجد.

الأوقاف تكرّم حفظة القرآن الكريم

العوضي : الدراسات الإسلامية تقوم بواجبها لنشر الثقافة والمعرفة الإسلامية الصحيحة



● يوسف العوضي وكيل الوزارة بالإنابة يلقي كلمة راعي الحفل



● د. صالح الراشد يتسلم جائزته من السيد محمد صقر المعوشرجي والسيد وكيل الوزارة بالإنابة

كتب : د. عماد الدين عثمان

في إطار اهتمام وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالقرآن الكريم - تم تكريم الفائزين في المسابقة الصيفية الأولى لحفظ القرآن الكريم - والتي نظمتها مراقبة حلقات تحفيظ القرآن التابعة لإدارة الدراسات الإسلامية في الوزارة، وبالتعاون مع الصندوق الوقفي للقرآن الكريم التابع للأمانة العامة للأوقاف.

وأقيم حفل التكريم تحت رعاية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ أحمد خالد الكليب، بحضور السيد الوكيل/ يوسف العوضي، وكيل الوزارة بالإنابة الذي هنأ الفائزين بالمسابقة، وقدم شكر وزير الأوقاف إلى كل الذين أسهموا في تنظيم وإعداد المسابقة، كما شارك في فعاليات الحفل السيد/ محمد صقر المعوشرجي رئيس الصندوق الوقفي للقرآن الكريم.

وقد شمل التكريم الفائزين في المستوى الأول (٢٠ جزءاً)، والمستوى الثاني (حفظ عشرة أجزاء)، والمستوى الثالث (حفظ خمسة أجزاء)، كما تم تكريم المشاركين في المسابقة النهائية، والبالغ عددهم ثلاثين متسابقاً.

وقد فاز بالمركز الأول في المستوى الأول (محمد عبدالمنعم محمد)، وفاز بالمركز الثاني (خليفة رهيف منشد)، وفاز بالمركز الثالث (محمد أحمد نبيل). وفي المستوى الثاني: فاز بالمركز الأول (عدنان أسد الكندري)، وفاز بالمركز الثاني (أحمد رخيص هليل) وبالمركز الثالث (يوسف طريوش شتات). وفي المستوى الثالث: فاز بالمركز الأول (فهدسالم الحيص) وفاز بالمركز الثاني (أحمد نواف المجلاد).

ومن جانب آخر فقدتم تكريم جميع المشاركين في المسابقة النهائية، والبالغ عددهم ثلاثين متسابقاً. كذلك تم تكريم مجلة الوعي الإسلامي لجهودها في تغطية الأنشطة ومجلة النور، والصحافة المحلية.

وألقى الأستاذ/ يوسف العوضي وكيل الوزارة بالإنابة كلمة راعي الحفل جاء فيها:

إن المسابقة الصيفية الأولى، التي نجتمع اليوم لمناسبة تكريم الفائزين فيها لدليل على أن إدارة الدراسات الإسلامية تمد اهتماماتها في مجال نشر الثقافة، والمعرفة الإسلامية الصحيحتين، عن طريق تحفيظ وتجويد كتاب الله الكريم، وعلومه، إلى جميع الأعمار، مستثمرة كل مناسبة، ولاسيما وقت عطلة الأبناء الطلبة حيث تصرف جهودهم وتستثمر أوقاتهم، فيما يقوي صلاتهم بربهم، ويعمّق معرفتهم بأمور دينهم، ويزيد وشائج الصلة بهذا الدين القويم، وينأى بهم، ويبعدهم، عما يتركه الفراغ من عبث قد يؤدي إلى الضياع، مسترشدة في ذلك كله بقوله تعالى: (اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون)، وقوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به).

فأعظم الشكر، وجزيل الامتنان للإخوة الأفاضل في إدارة الدراسات الإسلامية على ما يقدمونه لشبابنا من معارف دينية، وثقافة إسلامية، تعينهم على توظيف أوقات فراغهم بما يعود عليهم، وعلى أسرهم، ووطنهم، بالخير الكثير، لنكون وأبناءنا قائمين على



● وكيل الوزارة بالإنابة يوسف العوضي يسلم أحد الفائزين جائزته



● عبدالله سنان مراقب حلقات تحفيظ القرآن

النهج الإسلامي المنبعث من قول رسول الله ﷺ «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران». في الوقت ذاته، فإننا ندعو الإدارة، إلى أن تضاعف جهودها في هذه المجالات، ولا سيما في هذه الحقبة التاريخية، التي يسودها فكر ما يسمى «بالعولمة»، التي اختلطت فيها الثقافات، وتعددت قنوات المعرفة، ودفعت لشبابنا بالغث والسمين، ودخلنا ما يسمى بالسموات المفتوحة، التي يطوف من خلالها الإنسان وهو جالس في بيته، بأرجاء العالم، من خلال زر صغير، يحرك به شاشات «التلفزيون» أمامه، فتنقله من نمط حضاري إلى نمط آخر، وتقدم له الضار والنافع، والأخطر من ذلك، أنها تفتح شهيته على عسل مملوء بالسُّم، وقد حذرنا ربنا سبحانه من اتباع الآخرين بقوله: (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم...) وفي قوله تعالى (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) صدق الله العظيم.

ففي هذا الهجوم الإعلامي والذي يتوقع أن تزداد خطورته في المستقبل، نحن مطالبون، بأن نبذل قصارى جهدنا في تحصين أبنائنا، عن طريق ربطهم بدينهم، وتزويدهم بمعارفه، وثقافته، وكشف زيف ما يخالفه، أو ما لايتماشى معه، من نظم، وعادات، وأساليب للحياة منتشرة لدى الآخرين.

قال الله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) ونحمد الله تعالى أن وزارة الأوقاف يقظة لهذا الدور الجديد المهم الذي تقوم به، وتنشط أجهزتها وإداراتها للقيام بمسؤولياته، وهو دور يتطلب من كل مسلم غيور على دينه، وعلى هوية أمته، ووطنه، أن يسهم قدر جهده فيه.

بقي أن أهنئ الأبناء الفائزين، والذين بجدارتهم وجهدهم نالوا مراتب التكريم في هذا المجال، وأتمنى لهم مزيداً من التوفيق والنجاح، وأدعوهم إلى مواصلة الاهتمام بحفظ وتجويد القرآن الكريم، والمزيد من الاهتمام بالعلوم الشرعية، وأدعو الله تعالى أن يجعلهم دائماً من المتفوقين، والفائزين من المؤمنين العاملين. وأكرر شكري للإخوة الأفاضل الذين فكروا في هذه المسابقة وأعدوا لها، وشاركوا في تنفيذها، كما أشكر كل من أسهم في إقامة هذا الحفل الطيب.

وألقى بعد ذلك الشيخ عبدالله سنان مراقب حلقات تحفيظ القرآن الكريم كلمة في الحفل جاء فيها:

إن جهود الأمة الإسلامية ومنذ عصور الخير والمجد في جميع بلاد المسلمين شرقاً وغرباً مستمرة في خدمة كتاب الله عز وجل وتسخير الإمكانات وتوفير المستلزمات لحفظه ودراسته، فظهرت طبقات القراء والحفّاظ الذين يتلقونه بالسند والمشافهة في حلقات متصلة إلى يومنا هذا، ونشأت لذلك المدارس والحلقات القرآنية، ولكل بلد إسلامي جهود طيبة في هذه الميادين، ونحن ولله الحمد في بلدنا الحبيب الكويت كان لنا الشرف العظيم للقيام بخدمة كتاب الله عز وجل، حيث قامت وزارة الأوقاف بإنشاء مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم، التي كان لها جهود ونشاط في مختلف المناطق رغم أنه لم يمض على إنشائها سوى سنين معدودة.

وقد وصل مجموع الحلقات إلى مئتين وثماني عشرة حلقة، منها مئة وسبعون حلقة للبنين، وثمان وأربعون حلقة للبنات، يدرس فيها أكثر من ثلاثة آلاف طالب وطالبة وهي موزعة على مختلف المناطق في المحافظات الخمس.

أيها الإخوة

لقد اشترك في هذه المسابقة التي نحتفل اليوم بتكريم الفائزين فيها ثلاثمئة وخمسون متسابقاً فازوا في التصفية الأولى على مستوى الحلقات في كل المحافظات، ووصل إلى التصفية النهائية إلى خمسة وأربعون متسابقاً، فاز منهم تسعة متسابقين على مستوى الكويت.

أيها الإخوة:

إن الواجب يقتضينا أن نصرف كل الجهود ونبذل كل الإمكانات لخدمة القرآن الكريم الذي هو مصدر قوتنا ووحدتنا، والذي به يحفظنا الله ويرفع عنا البلاء، جاء في الأثر: «أن الله تعالى يريد العذاب بأهل الأرض، فإذا سمع تعليم الصبيان القرآن الكريم صرف ذلك عنهم»، وقال بعض العلماء: إذا ضرب الناقوس في الأرض ودعي بدعوى الجاهلية، اشتد غضب الرب تعالى، فإذا نظر إلى صبيان المكاتب ورأى عمّار المساجد وسمع أصوات المؤذنين حلم وغفر، فلذلك قال تعالى: (إنه كان حليماً غفوراً).

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نتقدم بعظيم الشكر والامتنان، لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمسؤولين فيها على دعمهم المتواصل للحلقات، والصندوق الوقفي للقرآن الكريم وعلومه بالأمانة العامة للأوقاف، كما نتقدم بالشكر لكل من أسهم في خدمة القرآن الكريم، وعمل على نشره وتعليمه، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من أصحاب القرآن الكريم لتنالنا شفاعته، قال ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيام شفيعاً لأصحابه». ■

من أجل التوعية العلمية في مجال المعاملات المصرفية الإسلامية

بيت التمويل الكويتي عقد الندوة الفقهية الخامسة

متابعة :
تمام أحمد

تحت رعاية أحمد بزيع الياسين رئيس هيئة الفتوى والرقابة الشرعية في بيت التمويل الكويتي، وبمشاركة عدد كبير من رجال الفقه والاقتصاد الإسلامي الذين يمثلون مجموعة من المؤسسات المالية الإسلامية عقد البيت ندوته الفقهية الخامسة لبحث مستجدات العمل المصرفي الإسلامي، وذلك خلال الفترة ١٣ - ١٥ رجب ١٤١٩هـ الموافق ٢ - ٤ نوفمبر ١٩٩٨م، في قاعة الاجتماعات الرئيسية بمبنى المنظمات العربية في الكويت.

افتتحت الندوة بتلاوة من آي الذكر الحكيم، ثم ألقى رئيس مجلس الإدارة العضو المنتدب لبيت التمويل بدر المخيزيم كلمة قال فيها:

إنه تعميماً للفائدة، فقد أصدر البيت تصنيفاً يجمع الفتاوى التي أصدرتها هيئة الفتوى والرقابة الشرعية خلال سنوات عملها ضمتها أجزاء أربعة لتكون مرجعاً للمهتمين. وأضاف أن هذه الفتاوى تتناول جوانب مختلفة من التعاملات اليومية الاقتصادية ومن الطبيعي بمكان أن تشهد خلافاً في الرأي بين أهل الفقه وهذا ما يجعلها دوماً بحاجة إلى مزيد من التحرير والتأصيل من جانب أهل العلم والاختصاص. وأضاف المخيزيم أن هذا الاختلاف كان سبباً من الأسباب الداعية إلى إقامة مثل هذه الندوة التي تضم نخبة من رجال الفقه والعلم المتخصصين في الاقتصاد الإسلامي للإدلاء بآرائهم في الموضوعات المختارة لهذه الندوة.

من جهته قال رئيس اللجنة التحضيرية للندوة الدكتور عجيل النشمي إن البنوك والمصارف والشركات الإسلامية بدأت المعترك الاقتصادي بمنهج جديد وغايات اقتصادية ووسائل جديدة لتبدأ بمزاولة منهجها متفردة متميزة به. وأضاف النشمي إن مرحلة التجربة والتخوف قد تم تجاوزها وأصبح للبنوك والمؤسسات الإسلامية قاعدة عريضة تؤمن بمنهجها وتقوم بتنمية مواردها بعوائد تنافس عوائد البنوك الربوية أو تزيد.

وقال: إن ذلك لا يعني أن تطمئن المؤسسات الإسلامية إلى أمنها واستقرار حالها لأن التحديد لنهجها وممارستها وأهدافها قائم وسيشتد كلما اشتد عودها وصلب بنيانها. واستعرض الدكتور النشمي مجموعة من الأمور التي رأى أنها يمكن أن تقوي هذه المؤسسات ومنها معايشة المؤسسات الإسلامية للواقع الاقتصادي غير الإسلامي معايشة المصالح لا معايشة الاختلاط والذوبان، إضافة إلى فتح أبواب التعامل مع غير المسلمين، شرط التميز بمنهج الاقتصاد الإسلامي.

مصرف إسلامي

من ناحيته دعا رئيس هيئة الفتوى والرقابة الشرعية في بيت التمويل أحمد بزيع الياسين في كلمته إلى تأسيس مصرف إسلامي كبير مقره الكويت يكون هدفه تنمية الزراعة والصناعة والعمران على أسس مدروسة ومتقنة ومربحة بعيدة بقدر الإمكان عن المخاطر، وقال الياسين إن اختيار الكويت مقراً لهذا المصرف إنما ينبع من دورها المتمثل في مناداة سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح بإلغاء الفائدة عن الدول الفقيرة وإنشاء محكمة عدل إسلامية واقتراحه بإنشاء مجلس للشورى لمجلس التعاون الخليجي.

تأمين الديون

وناقشت الندوة الفقهية بحثاً قدمه الشيخ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي حول «التأمين على الديون المشكوك فيها من خلال شركة تأمين تعاونية إسلامية». وأوضح الدكتور الزحيلي في مقدم البحث أهمية التأمين الذي شاع وانتشر في العصر الحديث، وأصبح ضرورة من ضرورات المعاملات المالية المعاصر. وقد جاء البحث في ثلاثة فصول ليحدد أنواع التأمين وحكمة وتعريف الدين وأنواعه وحكمه، ثم الجزء الثالث حول الحكم الشرعي في التأمين على الديون المشكوك في تحصيلها.

وقسم الباحث التأمين الشائع اليوم إلى ثلاثة أنواع، وهي التأمين الاجتماعي في نظام التقاعد والمعاشات، والضمان الاجتماعي والضمان الصحي، وهذا جائز شرعاً، والتأمين التبادلي الذي تقوم به الجمعيات الخيرية والتعاونية، وهذا جائز أيضاً، لأنه تعاون مخلص، والتأمين التجاري القائم على الربا والميسر والقمار، والمراهنة والجهالة، وهذا حرام قطعاً باعتباره وسيلة، ولابد من إيجاد وسائل بديلة مكانه، وهو ما ابتكره علماء الشرع المعاصرون باسم التأمين التعاوني الإسلامي الذي يقوم على التبرع ويخلو من الربا، ويقصد منه الثواب والأجر، ويخضع للضوابط العامة في اعتباره تعاونياً، وليس ربحياً.

التأمين التعاوني

وقد أفتى الشيخ الدكتور الزحيلي بجواز التأمين التعاوني على الديون المشكوك فيها، لأن هذا التأمين يعتمد على التعاون الإيجابي المثمر، والمتكامل والتضامن البناء، وتحقيق رابطة الإخاء بين المسلمين وحق المسلم في المعونة والصداقة من سائر المسلمين، ولإغاثة الملهوف والمكروب، ومشروعية أداء الدين من بيت المال، ودخول وفاء الديون في مصارف الزكاة من الغارمين ولذلك يجوز التأمين لأنه يحقق معنى التعاون على البر والتقوى، ويترجم مبدأ التكافل والتضامن إلى صورته العملية في التطبيق والواقع ويشجع الناس على الاقتراض وبخاصة التعامل بالدين والاعتماد على الذمة، مما يشجع الحركة الاقتصادية، والتجارية بين الناس ويوفر الادخار، لأعمال الاستثمار بالطرق الشرعية.

وإذا تم التأمين التعاوني على الدين المشكوك فيه حلت شركة التأمين محل الدين باعتباره نائباً ووكيلاً عنه، ثم تجرى عملية المقاصة، وإذا حصل الدائن المؤمن له على الدين المشكوك فيه بعد حصوله على التعويض من شركة التأمين فيجب عليه أن يرد إلى الشركة المبلغ الذي أخذه، وإن حصل على جزء منه رد مقابله، وهي

في جميع الحالات مكلف ديانة بالسعي إلى تحصيل الدين والمطالبة به من المدين.

محفظة تعاونية

وفي ختام البحث دعا الدكتور محمد مصطفى الزحيلي إلى ضرورة إنشاء شركات التأمين التعاوني في كل الأقطار الإسلامية، مع الدعوة لإنشاء مؤسسات رديفة تحقق الغرض والهدف نفسيهما من أجل تحصيل الديون المشكوك فيها، وغير ذلك، كإنشاء محفظة تعاونية تبرعية لسداد الديون وتخصص حصة في بيت الزكاة أو بيت المال لمصرف الغارمين المدينين، وإنشاء صندوق وقفي خيري لرعاية المدينين وإنشاء صندوق التكافل الاجتماعي، وإنشاء صندوق القرض الحسن، مع ضرورة وضع ضوابط للمساعدة للديون التي يمكن وفاؤها من المؤسسات الخيرية بالتنسيق مع وسائل الإعلام عامة، والإعلام الإسلامي بخاصة لزيادة التربية الإسلامية، والالتزام بالأحكام الشرعية بالحلال والمشروع، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن والحرص على الكسب الحلال، وتجنب الحرام أو المشبوه.

خلاف فقهي

وتحت عنوان: «التأمين على الديون المشكوك فيها» قدم الدكتور الشيخ عبدالستار أبو غدة بحثاً اشتمل على فصول عدة هي الخلاف الفقهي في التأمين وأهم الآراء فيه، ومدى حاجة المصارف الإسلامية إلى التأمين على الديون، وأثر ذلك على أرباح المستثمرين والمودعين، وحكم التأمين التقليدي على الديون المشكوك فيها، والفرق بين التأمين التقليدي والتعاوني على الديون المشكوك فيها، وحكم التأمين التعاوني على الديون المشكوك فيها، وأخيراً التكييف والضوابط الشرعية للتأمين على الديون المشكوك فيها وعلاقة بيع الدين على الديون المشكوك فيها، ثم اختتم الباحث بحثه باستعراض حال المؤسسة الإسلامية لتأمين الاستثمار وائتمان الصادرات والمؤسسة العربية للاستثمار.

ضمان اجتماعي

وأشار الدكتور أبو غدة إلى جواز التأمين الحكومي الضمان الاجتماعي استناداً إلى القرار الصادر عن مجمع البحوث الإسلامية بجواز هذا التأمين، لأنه من قبيل التكامل المنظم وليس فيه معارضة مع القرار. وقد عرض موضوع التأمين وإعادة التأمين في كل من القرارات الفقهية لبيت التمويل الكويتي «الأولى، والثانية، والرابعة». وصدرت بشأنه هذه الفتوى في الندوة الأولى، التي أكدت ما انتهى إليه



مجمع الفقه الإسلامي في جدة من عدم إباحة التأمين المشروع بصورته الحالية، وأن البديل المشروع المتفق على جوازه التأمين التعاوني، كما صدرت في الندوة الرابعة فتاوى في ضوابط التأمين التعاوني.

حاجة المصارف

وأشار الدكتور أبو غدة إلى حاجة المصارف الإسلامية إلى التأمين على الديون، حيث تشتمل عمليات البنوك الإسلامية على تأجيل المبالغ المستحقة سواء كانت ناشئة عن البيع الآجل أو على المرابحة المؤجلة أو على الإجارة مع تأجيل أقساطها وهذه الديون فيها ربح نظير الأجل، بالإضافة إلى الربح الأصلي للعملية، ومن المقر شرعاً اشتمالها على ربح زائد عن قيمة البيع الحالي، وهي زيادة لا تنفصل عن ثمن السلعة وهو الثمن الذي لا يتغير لو لم يقم المدين في موعد الأداء.

خروقات كثيرة

وأكد الدكتور أبو غدة أن هناك فروقاً كثيرة بين التأمين التجاري المحرم شرعاً والتأمين التعاوني الذي يقوم على التكامل، والذي يمارس التأمين بعيداً عن الربا وعن أي محظور شرعي، وبما يطابق الشريعة الإسلامية، ويحقق مصلحة المؤمن لهم، بما نضمن تعاونهم والذي يخضع أيضاً لرقابة الهيئة الشرعية، والتي تحدد مجالات توزيع الفوائض. والقيام باستثمار الأموال المحصلة من المؤمن لهم والفوائض والمخصصات والاحتياجات. وأكد الدكتور أبو غدة التأمين على الديون المشكوك في تحصيلها إذا وقع الأسلوب التعاوني الإسلامي فإنه صورة من صور التكامل والتضامن المطلوب بين المسلمين، وأما إذا وقع بالأسلوب التقليدي فإنه لا يعدو أن يكون كفالة بمقابل والكفالة استعداد للمداينة وأخْذ العوض عنها ممنوع شرعاً.

المتاجرة بأسهم الشركات

وحول المتاجرة بأسهم شركات غرضها ونشاطها مباحان، لكنها تقرض وتقترض بفائدة من البنوك بصفة مستمرة عرضت في الندوة ستة أبحاث بدأها مفتي تونس الشيخ محمد المختار السلامي ببحث بتعريف السهم وعرض لحكم إحداث شركات المساهمة، وأجاب عن سؤال: هل هذه الشركات جائزة شرعاً؟ ثم عرض لأنواع شركات المساهمة حسب التزامها بأحكام الشريعة الإسلامية وعدم التزامها فقسّمها إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ الشركات التي ميدان نشاطها محرّم شرعاً، وهي بدورها تنقسم إلى قسمين :

أ ـ شركات تنتج سلعاً يحرم إنتاجها شرعاً.

ب ـ شركات تقوم بخدمات محرمة.

وذكر الباحث أنه لا يحل للمسلم أن ينشط فيها مع غيره، واقتناء سهم أو أكثر في هذا النوع من الشركات.

٢ ـ الشركات التي يكون ميدان نشاطها حلالاً، وهي بدورها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ شركات أعلنت في عقد التأسيس أنها ملتزمة في معاملاتها بالحلال، وأنها لا تدخل في نشاط لا تتوافر فيه شروط الصحة التي جاء بها الإسلام.

ب ـ الشركات التي لم تعلن عن التزامها بأحكام الشريعة الإسلامية وميدان نشاطها السلع التي يحل تملكها أو الخدمات الحلال.

ج ـ شركات مركبة من التملك الحلال والحرام.

وختم بحثه ببيان الحكم في شراء أسهم في شركات أمرها بيد غير المسلمين.

حكم المتاجرة

ثم عرض الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية ورئيس محكمة تمييز في مكة المكرمة بحثاً في موضوع حكم المتاجرة بأسهم الشركات المساهمة والقيود والضوابط التي تقتضيها قواعد الإسلام وأصوله، شارحاً واقع تلك الشركات ثم أبدى أربع ملاحظات على حكم تداول أسهمها بيعاً وشراء.

أما الأستاذ الشيخ عبدالله بن بيه فقد خلص بحثه إلى أنه لا يجوز الإسهام في شركات تتعامل أحياناً بالربا، وأن هذه الشركات وإن كان فيها نفع وفائدة فإثمها أكبر من نفعها، فهو محرم تحريم المقاصد لأنه من باب ربا الديون، والشريك يده كيد المشارك لا فرق بينهما، والشريك وكيل.

تعريف السهم

بعد ذلك عرض الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد الحجي الكردي بحثه حول تعريف السهم، والتكييف الشرعي له ـ شرعية بيعة وشرائه ـ وطرح أسئلة عدة تضمنت هل الاستثمار في الأسهم يعتبر استثماراً ضرورياً أم أن هناك مجالات أخرى أولى وأجدى بتوجيه الاستثمار إليها؟ وما الهدف من المتاجرة بأسهم الشركات الأجنبية ولماذا تلجأ الشركات إلى إقراض البنوك والإيداع لديها؟ وما حكم ذلك شرعاً؟ وهل تدخل هذه المسألة تحت صور مسألة اختلاط المال الحلال بالمال الحرام؟ وهل تدخل هذه المسألة تحت صور مسألة عموم البلوى؟ وما ضوابط تطبيقاتها؟ وكيف يمكن تجنيب أرباح الشركة الأموال المشبوهة؟

مجموعة قواعد

وكان البحث السادس والأخير في هذه الجلسة للدكتور عجيل النشمي عميد كلية الشريعة السابق في جامعة الكويت حيث عرض لمجموعة من القواعد الفقهية. ثم تعرض لحكم الإسهام في شركات تتعامل أحياناً بالربا فذكر أن المشاركة أو الإسهام في هذه الشركات يحتاج بيان حكمها الوقوف على معرفة الحكم الشرعي التكليفي والوضعي لأمور عدة هي حكم التجارة والشركة، حقيقة السهم، نشاط الشركة المساهمة، صفة المساهم وصلته بإدارة الشركة، حكم الإسهام في هذه الشركات، ما يستخلص من أقوال الفقهاء.

سوق لرأس المال الإسلامي

وحول موضوع التنمية عن طريق الأدوات التمويلية الإسلامية، أشار الدكتور سامي حسن حمود في بحثه إلى أهمية الأدوات التمويلية الإسلامية في أنها تجمع بين العمل المالي الحلال والتوجه التنموي المنظور حتى تتهيأ المصارف الإسلامية لدخول القرن الواحد والعشرين وهو محتاج للتزود بالأدوات التي تمكنه من الصمود في عالم التكتلات الاقتصادية والمالية العملاقة وقد استعرض الدكتور سامي حمود التجارب الدولية في مجال سندات الحكومة، حيث قدم ست تجارب دولية هي التجربة الأردنية والباكستانية والتركية والماليزية والبحرينية والمصرية، مشيراً إلى غلبة إصدار سندات حكومية مبنية على أساس الفائدة الأعم الأغلب، وهي لا تعرف طريقة المشاركة أو الإجازة أو البيع وبذلك تطلب الأمر البحث عن أدوات شرعية بديلة وقد عرض البحث لصور كثيرة من سندات المضاربة بأنواعها والمشاركة بأشكالها والإجارة والسلم والاستصناع وسندات التمويل بما يسد الحاجة في مختلف الاتجاهات. ودعا الدكتور سامي حمود في بحثه القيم إلى ضرورة بناء سوق لرأس المال الإسلامي باعتباره من بدهيات العمل بما يؤدي إلى تنظيم قانوني وإداري محدد ومن المفضل أن يكون التشريع موحداً لتشمل الأدوات الإسلامية بمختلف جهات إصدارها سواء كانت صادرة عن الحكومة أو مؤسساتها العامة أو الشركات المساهمة ويحظى من باب التنظيم إصدار الأدوات التمويلية الإسلامية من قبل الأفراد أو شركات الأشخاص. وحدد الدكتور سامي ضوابط التعامل والتسويق المتكامل لهذه الأدوات في ثلاثة عناصر رئيسية هي الضوابط التأسيسية والتي تشتمل على التعاقد عند الإصدار وتنفيذ التعهدات وتحقيق الأرباح والإطفاء والتسييل، والعنصر الثاني هو أحكام التداول والإطفاء والتسييل أما العنصر الأخير فهو تنظيم الإصدارات وتسويتها. وأشار الدكتور سامي محمد في ختام بحثه إلى الدور الريادي المنتظر من البنك الإسلامي للتنمية باعتبار أن الاتفاقية التي أسس عليها البنك تتيح له فرصة إصدار هذا النوع من السندات الذي يعالج مشكلة رئيسية أمام البنوك وهي مشكلة فائض السيولة، وبذلك يحقق «التنمية عن طريق الاستثمارات المتوسطة والطويلة الأجل لوسائل سندات المقارضة وسندات المشاركة وسندات التأجير وسندات الاستصناع» حيث تفتح هذه الوسائل حقائق تدور في حياة الناس ليستشعروا ما تحتويه.

أما البحث الثاني، فقد قدم من الدكتور منذر قحف، الخبير الاقتصادي في البنك الإسلامي للتنمية وناقش سندات الاستثمار المتوسطة والطويلة الأجل التي تسهم في تمويل المشروعات التنموية من قبل الحكومات والمؤسسات، وقد تم تقسيم الورقة إلى أربعة عناوين رئيسية هي المقدمة التي ركزت على أهمية فكرة السندات والتنمية الاقتصادية يليها بحث سندات التمويل الإسلامية بشكل عام وأساسها في الاقتصاد الإسلامي، ثم بحث سندات الأعيان المؤجرة وسندات الخدمات وخصائصها، ثم بحث شروط وظروف إصدار وتداول سندات الأعيان المؤجرة وسندات الخدمات من قبل مؤسسات مالية إسلامية بنسب للقطاع الخاص، وقد فصل الدكتور منذر قحف في مزايا السندات الشرعية المطلوبة، ثم اتبع ذلك ببحث الشروط اللازمة لإصدار وتداول الأعيان المؤجرة وسندات الخدمات وحددها في ثلاثة جوانب هي الجانب القانوني وهو ما يتطلب صدور تنظيمي قانوني للتوسع في سندات الإجارة بجميع أنواعها على أن يتوافر في هذا التنظيم ما يلي:

١ ـ أنواع سندات الإجارة التي يمكن إصدارها وتعريف كل منها.

٢ ـ الشروط التي تحمي حملة السندات.

٣ ـ الشروط التي تحمي الجهة المصدرة تجاه إدارتها.

٤ ـ دور وشروط الوساطة المالية في إصدار وترويج سندات الإجارة.

٥ ـ تحديد الجهة الرقابية «الحسبة» على مصدري سندات الإجارة.

٦ ـ تحديد وتنميط شروط تداول السندات في سوق رأس المال.

أما الشرط الثاني: فهو الجانب الشرعي لإصدار هذه الأدوات ولا سيما الجوانب الشرعية حول سندات الأعيان المؤجرة، أما الشرط الثالث والأخير فهو أهمية الجوانب العملية.

توصيات المؤتمر

هذا، وقد أوصى المشاركون في الندوة الفقهية الخامسة بإنشاء مصرف إسلامي تنموي متخصص للقطاع الخاص في الكويت ومحاربة الربا.

ودعا البيان الختامي للندوة الحكومات والشعوب الإسلامية إلى تشجيع التوسع في إنشاء المصارف والشركات الإسلامية ووضع الأطر الشرعية والتنظيمية والرقابية الكفيلة بنجاح المشاريع الاستثمارية. ■

بيت الزكاة الكويتي عقد المؤتمر الخامس للزكاة

إن الاقتصاد هو مشكلة العالم الرئيسية اليوم، والزكاة ذات تأثير اقتصادي إيجابي يعود بالنفع على المجتمع الإسلامي مما ينعكس على البشرية عامة، هذا ما جاء في كلمة وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب والتي ألقاها نيابة عن سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح، في حفل افتتاح المؤتمر العالمي الخامس للزكاة الذي عقده بيت الزكاة الكويتي تحت شعار: (مؤسسات الزكاة واستطلاع متغيرات القرن الحادي والعشرين) وذلك خلال الفترة بين ١١ ـ ١٠ رجب ١٤١٩هـ الموافق ٣١ أكتوبر ـ ١ نوفمبر ١٩٩٨م.

مواكبة التقدم

وأضاف السيد الوزير إن التقدم العلمي في هذا العصر وصل ذروة عالية، ونحن مقبلون على القرن الواحد والعشرين وما يحمله من مزيد التقدم العلمي والتطور التقني، ما يجعل مسؤوليتنا في مواكبة هذا التقدم والتطور عظيمة، لافتاً إلى أن التطبيق العلمي لفريضة الزكاة أظهر الحاجة الماسة إلى معالجة ما استجد منها في قضايا معاصرة ناتجة عن تطور الأنظمة المالية.

وأعرب الوزير الكليب عن ترحيب الكويت باستضافة المؤتمر، متمنياً أن تسهم جلسات المؤتمر في إيجاد الحلول الشرعية للقضايا الاقتصادية المعاصرة.

رؤى مستقبلية

من جانبه أكد المدير العام لبيت الزكاة بالإنابة عبدالقادر ضاحي العجيل الدور الذي يقوم به البيت في إحياء فريضة الزكاة وتقوية عرى التعاون والتنسيق بين المؤسسات الزكوية الرسمية والشعبية بهدف تفعيل دورها في خدمة برامج التنمية في عالمنا الإسلامي.

وقال إن البعد الزماني الذي ينعقد فيه

متابعة :
د. عماد عثمان

مؤتمرنا هذا يقتضي منا أن ننعم النظر في الاستراتيجيات والرؤى المستقبلية للعمل الزكوي الذي أصبح لزاماً على القائمين عليه مواكبة مستجدات القرن الواحد والعشرين بعد استطلاع آفاقه وتحدياته المتوقعة في ظل السعي العالمي الحثيث للانتقال إلى عصر النهضة الثقافية والاقتصادية والعمل على توظيف التطوير التقني لإحداث النقلات النوعية في مسيرة العمل الزكوي منوهاً بشعار المؤتمر الذي يحمل عنوان: (مؤسسات الزكاة واستيعاب متغيرات القرن الحادي والعشرين).

وثمّن العجيل استجابة المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب في البنك الإسلامي للتنمية والذي شارك بيت الزكاة في عملية التحضير لهذا المؤتمر متمنياً أن يوفق المشاركون فيه للتوصل للاقتراحات والتوصيات والحلول المناسبة لقضايا المؤتمر.

ثم ألقى الدكتور محمد عبده يماني نائب رئيس مجموعة دلة البركة ورئيس جمعية اقرأ الخيرية كلمة الضيوف والتي أشار فيها إلى ما تحمله الأبحاث المقدمة من معالجات موضوعية وأطاريح واعية وآراء نيرة واقتراحات موفقة مؤكدة ضرورة وضع هذه الجهود بصورة تطبيقية تيسر للناس الاطلاع عليها والتعامل معها والاستفادة منها.

وشدد على ضرورة الاستفادة من القنوات الفضائية والقدرات الاتصالية التعليمية لتتمكن من الوصول إلى عمق الأمة لنطلعها على ما انتهى إليه بعض أفرادها من أبحاث ونظريات، كما أكد أهمية الاعتناء بالخطوات التنفيذية لمتابعة التوصيات التي ستصدر عن المؤتمر وتهيئة مؤسسات وفرق من الباحثين لمواصلة العمل على وضع هذه الأمور في متناول الناس وحثهم عليها، وتقدم د. يماني بالشكر إلى أمير البلاد، وإلى ولي العهد «راعي المؤتمر» ووزير العدل والأوقاف، لاستضافة دولة الكويت لهذا المؤتمر العالمي المهم.

التعاون المستقبلي بين مؤسسات الزكاة

عقب ذلك بدأت فعاليات الجلسات الرئيسية للمؤتمر في جلسة عمل بعنوان: «آفاق التعاون المستقبلي بين مؤسسات الزكاة في إطار عولمة الاقتصاد» للدكتور فؤاد عبدالله العمر والذي أكد أن تحسس توجيهات المستقبل والتحديات المرتبطة به غير مستحيلة التحقيق معرباً عن أمله في استفادة المشاركين من المحاور التي اشتملت عليها ورقة العمل التي قدمها للمؤتمر.

وعدد د. العمر أهم القوى المؤثرة على مستقبل وآفاق التعاون العالمي بين مؤسسات الزكاة في إطار عولمة الاقتصادي ومنها: ضمور دور الدولة مما سمح للقطاع الخاص والقوى الاقتصادية المقبلة من خارج الدولة إلى التأثير على مجريات الحياة الاقتصادية والتجارية وهو ما يستوجب على المؤسسات الزكوية الحكومية الاهتمام بتطوير أدوات الفاعلية في مؤسسات الزكاة والسعي نحو تكوين المؤسسات غير الحكومية لتكون النواة المثلى لجمع الزكاة بصورة أكثر فاعلية.

وأضاف أن من القوى المؤثرة على مستقبل التعاون بين مؤسسات الزكاة سرعة التقدم التكنولوجي والاهتمام بالتخصص في الأعمال والأنشطة والإبداع وتخفيض الكلفة والثروات وسهولة انتقال الثروات المالية وتوجهها نحو البلدان الأكثر تقدماً ورفع مستوى القدرة الفقهية ومؤسسات الاجتهاد الجماعي.

وطالب د. العمر بإجراء مزيد من الدراسات المتعمقة حول آثار التغيير المتوقعة على كل قطاع من قطاعات الزكاة وتقنين تجارب المؤسسات الزكوية في جمع الزكاة وتضافر جهودها في تنظيم أنشطة جماعية لجمع الزكاة خارج حدودها الجغرافية والاتفاق على

إدراج الزكاة كإحدى الضرائب المعتبرة ضمن اتفاقات التبادل والإعفاء الضريبي التي تعقدها الدول الإسلامية مع غيرها من الدول، والعمل على تكوين الكثير من التحالفات الاستراتيجية والتعاون الثنائي فيما بينها.

الزكاة وعلم الاجتماع

كما ناقش المؤتمر في الجلسة الثانية بحثاً للدكتور أبو بكر محمد باقادر - أستاذ علم الاجتماع في جامعة الملك عبدالعزيز - بعنوان «الزكاة وعلم الاجتماع: آراء في أهمية النظر في أثر الزكاة في المجتمع المعاصر» طرح خلاله مسألة إمكان معالجة موضوع الزكاة في أبعادها المختلفة من منظور علم الاجتماع، واعتماداً على الاستعانة ببعض مفاهيمه وأطاريحه، مشيراً إلى أنه بالرغم من تعدد وتنوع البحوث الفقهية والاقتصادية التي تناولت موضوع الزكاة والتي أغنت بالتالي البحث العلمي من ناحية وأفادت في تقديم فهم أعمق لأبعاد دور الزكاة وأهميتها في المجتمع والنظام الإسلامي، إلى أنه في المقابل يوجد ندرة - غير مبررة - في الأبحاث التي تناولت الموضوع من زاوية علم الاجتماع الحديث بمدارسه المختلفة.

دور أساسي

وفي الجلسة الثالثة ناقش المؤتمر بحثاً للدكتور عبدالرحمن السميط بعنوان: «مستقبل دور الزكاة في تنمية المجتمعات ذات الأقليات المسلمة» أكد خلاله أن المسلمين في المجتمعات ذات الأقليات ليس لهم دور يذكر في تحديد أولية مشاريع التنمية والتعليم، ولا وضع ثوابت الحكم، ومن الطبيعي أن يعامل المسلمون معاملة أقل مما يستحقون في هذه المجتمعات نتيجة ابتعادهم عن مراكز القرار.

وتساءل د. السميط: هل بإمكان الزكاة أن تؤدي دوراً في رفع الظلم والحيف الذي يحيق بالمسلمين؟ واستطرد قائلاً: إن الزكاة يمكن لها إذا ما وجهت التوجيه الصحيح واستغلت استغلالاً أمثل أن تؤدي دوراً كبيراً في تنمية المجتمع وبخاصة في المناطق ذات الأقليات الإسلامية، مشيراً إلى صدور الكثير من الفتاوى التي تجيز دفع الزكاة للمشاريع التنموية إذا كان المستفيد منها هم الفقراء.

ودعا السميط إلى إعادة النظر في طريقة صرف الزكاة التقليدية والتي تعوّد عليها البعض بإعطاء الفقير مالاً أو طعاماً يأكله، بحيث يتم تغيير واقع هذا الفقير بصورة دائمة.



الركن الثالث

وفي الجلسة الرابعة ناقش المؤتمر بحثاً للدكتور محمد عبده يماني بعنوان: (الزكاة والتنمية في العالم الإسلامي) أشار خلاله إلى أن الزكاة ركن أساسي عطلته بعض الفئات من أمتنا الإسلامية وهجرت أحكامه، فيما نظر إليها البعض كصدقة عابرة وأخذوا يخلطون بين صدقة التطوع وبين الزكاة المفروضة.

وقال د. يماني إن الأصل أن تتولى الدولة جمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها، لكن إذا لم تقم الدول بهذا الواجب لبسبب أو لآخر فإن المسؤولية تنتقل إلى أصحاب الأموال، فعليهم أن يؤدوا هذا الركن الثالث المهم في حدود الضوابط التي بيّنها الشارع الحكيم.

توصيات

وفي ختام مناقشات المؤتمر أصدر المشاركون التوصيات التالية:

● التأكيد على التوصية الواردة في المؤتمر العالمي الرابع للزكاة المتضمنة مناشدة شعوب الدول الإسلامية وحكوماتها السعي لإصدار القوانين والأنظمة التي تقيم فريضة الزكاة في واقع المجتمعات المسلمة، إحياء لركن الإسلام الثالث، وتكافلاً بين المسلمين وتراحماً وتحقيقاً لدورها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

● حتى صدور هذه القوانين والأنظمة يوصي المشاركون في المؤتمر بأن تكلف في كل مجتمع إسلامي جهة موثوقة أو أكثر للقيام بهذه الشعيرة جمعاً وتوزيعاً وتشجيع وحث المسلمين أفراداً وجماعات على القيام بهذه الشعيرة.

● يؤكد المشاركون في المؤتمر على ما جاء من توصيات في المؤتمر العالمي الرابع للزكاة وكذلك ندوة التطبيقات المعاصرة للزكاة التي عقدت في بيروت بشأن تنظيم دورات تعريفية وتدريبية حول قضايا الزكاة المختلفة.

● تأكيد ضرورة عقد ندوة علمية متخصصة لتحديد معايير الفقر لدى المجتمعات الإسلامية في ضوء المتغيرات الاقتصادية يراعى في ذلك الضوابط الشرعية وقواعد الشريعة العامة.

● تأكيد ما جاء في مؤتمرات وندوات علمية سابقة على ضرورة قيام مؤسسة عالمية تعنى بالتنسيق بين المؤسسات الزكوية وذلك تمهيداً لقيام المؤسسة الزكوية العالمية لاحقاً.

● تأكيد أهمية دور الإعلام في نشر الوعي الزكوي وتعميقه بين أفراد الأمة، وكذلك نشر الوعي بأوضاع المجتمعات الإسلامية كافة، وبخاصة الأقليات المسلمة.

● توجيه بعض موارد الزكاة في الدول والمجتمعات الإسلامية نحو إيجاد فرص عمل من خلال إنشاء مشاريع استثمارية تنتهي بالتمليك للفقراء والمساكين كما أشار إلى ذلك قرار مجمع الفقه الإسلامي في دورته الثالثة ١٤٠٨هـ في عمّان.

● يرى المشاركون أنه في إطار العولمة التي يتجه إليها العالم والتي تذوب فيها الحواجز الاقتصادية ينبغي على المؤسسات الزكوية في العالم الإسلامي أن تتكامل فيما بينها مستفيدة من التطور التقني، تقليلاً للتكلفة الإدارية التي ترتبط بجمع الزكاة وتوزيعها والاستفادة من الإمكانات التي تهيئ التواصل المستمر.

● تأكيد أهمية دور المرأة المسلمة في العمل الزكوي في ضوء ما تتيحه إمكانات الاتصال عبر الشبكات المعلوماتية المعاصرة. ■

B777 ... إضافـة جديـدة لإسـطولنـا



بالرغم من إمتلاكنا لواحد من أحدث أساطيل الطيران في العالم فهنالك عزم دائم على الاستمرار في التجديد والتطوير. فالحركة الدؤوبة لمسافرينا تستحق منا بذل قصارى الجهد لتوفير الأحدث والأفضل دائماً. لذلك فعند سفرك معنا، فلن تجد فقط اسطولاً مكوناً من أحدث طائرات البوينغ وطائرات الباص الجوي، بل سوف تجد ايضاً مقاعد متطورة تواكب القرن الحادي والعشرين. هذا فضلاً عن وسائل الترفية والتسلية وخدمات رجال الأعمال. غايتنا دائماً اكتساب ثقتكم لنفخر بكم على متن الخطوط الجوية الكويتية.

الخطوط الجوية الكويتية
ثقتكم غايتنا

الوعي الإسلامي تفتح ملف

العمل الخيري في الكويت

كيف أصبح الخير صناعة وطنية تصدر لقارات العالم؟

امتاز أهل الكويت منذ القدم بحب الخير، والعمل من أجله والحرص على التراحم والتكافل في السراء والضراء. وقد سجل التاريخ مواقف خالدة لأهل الكويت في حبهم للخير رغم ضنك الحياة.

ومع ظهور النفط، اتسعت دائرة العمل الخيري بعد أن شملت المحتاجين داخل البلاد، انتقلت إلى الإخوة المسلمين في كل أرجاء المعمورة، لتقديم مساعدات أهل الكويت إلى الأيتام وطلاب العلم والفقراء.

وانتشرت مصانع الخير الكويتية في كل دول العالم الإسلامي، ولدى الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية وراجت هذه الصناعة وأصبحت مصدر فخر واعتزاز لتقديم الدعم والتواصل مع الفقراء والمحتاجين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومع حدوث الغزو العراقي الغاشم لأرض الخير والعطاء لم تتوقف مصانع الخير عن الإنتاج والعطاء لإيمان أهل الكويت الراسخ بعدل قضيتهم، وعودة حقوقهم، فإن ما قدموه قبل الغزو كان تصديقاً لقول رسول الله - ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»، وبالفعل كانت صنائع المعروف وقاية حقيقية للفرد والمجتمع والدولة، حيث البركة والطمأنينة والتوفيق في العمل والرزق وتجنب الشرور والعقبات.

والوعي الإسلامي تسلط الضوء على مسيرة العمل الخيري الكويتي من خلال هذا الملف الشهري لتأكيد دور الكويت الخيري والحضاري دون منة ولتأكيد أصالة هذا الشعب وتمسكه بالقيم الإسلامية التي نادى بها كتاب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - لتحقيق العدالة والمساواة والإخاء بين المسلمين في كل مكان.

بيت الزكاة الكويتي ١

تأسس بطموح وخبرة رواد أهل الكويت

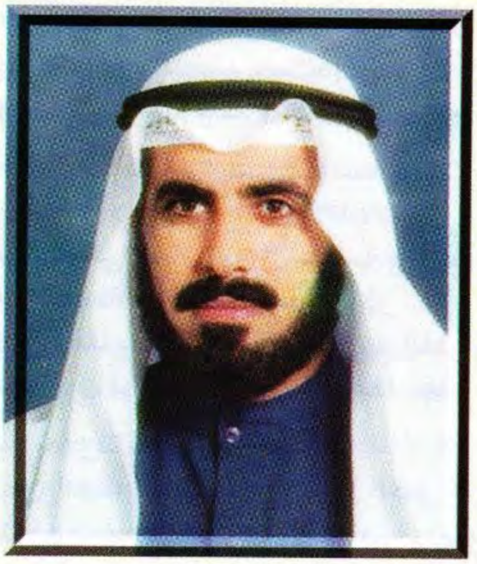
في الحلقة الأولى من ملف العمل الخيري في الكويت نستطلع أحد مناراته المضيئة في سماء الخير والعطاء ألا وهو بيت الزكاة، وهو هيئة حكومية مستقلة، تم تأسيسه بموجب القانون رقم ٥ لسنة ١٩٨٢م، ويسعى لتحقيق أهدافه السامية.

وقد كان لمجلة الوعي الإسلامي هذا اللقاء مع نائب المدير العام لبيت الزكاة عبدالقادر ضاحي العجيل ومدير إدارة العلاقات العامة والإعلام عبدالرحمن عبدالله حسن الكندري وكان هذا الحوار المشترك والشامل :

كتب: أحمد عثمان

مراحل تطور مشروع ماء السبيل

البيان	البرادات
١٩٨٦	١
١٩٨٧	٣
١٩٨٨	٣
١٩٨٩	١٢
١٩٩١	٩
١٩٩٢	١٨
١٩٩٣	٩
١٩٩٤	٤٤
١٩٩٥	٢٩
١٩٩٦	٣٢
١٩٩٧	٧٥



● عبدالقادر العجيل

● هل لنا أن نتعرف على بيت الزكاة وأهدافه ؟

ـ كان تأسيس بيت الزكاة بمثابة طموح خير يراود عقول وقلوب أهل الكويت، ويدل على سلامة فطرتهم وحبهم لعمل الخير، والإنفاق في سبيل الله، وهو اليوم مفخرة الكويت وأهلها، والصورة المشرقة لديرة الخير في الداخل والخارج.

وقد أسهم البيت خلال مسيرته الخيرة في تحقيق أهدافه ومنها تأصيل روح التكافل الاجتماعي التي عُرف بها أهل الكويت منذ القدم، كما يهدف إلى بذل جهود متواصلة ودؤوبة لإحياء فريضة الزكاة وتبيان دورها في خدمة المجتمع بشتى الوسائل النظرية والعملية.

هذا ويقوم بيت الزكاة بدور مهم في علاج الأمراض والظواهر الاجتماعية السلبية التي لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات في زمننا

الحاضر فهو يعالج حالات الفقر ويؤهلها لتدفع عجلة الاقتصاد بصورة طبيعية وتمارس دورها في توفير الحياة الكريمة لجميع أبناء المجتمع، وهو بذلك يساعد على سد الأبواب المؤدية للجريمة ويمنع انتشارها.

وتمتد يد الكويت الخيرة لتصل إلى أبناء المسلمين في أرجاء العالم، حاملة معها العون للأيتام والفقراء وطلاب العلم والمحتاجين، لمساعدتهم في التغلب على مصاعب الحياة.

● هل لنا أن نتعرف على الأنشطة والمشاريع المحلية أولاً؟

- تهدف المشاريع المحلية لتحقيق رسالة بيت الزكاة محلياً، وتكريس مبدأ التكافل الاجتماعي وتتضمن الأنشطة والمشاريع التالية حيث أنفق عليها في العام ١٩٩٧م (٩٤٧٧٠١٤) ديناراً كويتياً.

● الخدمة الاجتماعية: وتهدف إلى علاج ظاهرة الفقر وبعض الظواهر الاجتماعية الأخرى، وبخاصة الاهتمام بالأسر المتعففة وتقديم العون لها، وقد بلغ مجموع الأسر التي ساعدها بيت الزكاة العام ١٩٩٧م (٢٠٧٩٨) أسرة بمبلغ قدره (٨٨١٢٥٧٤) ديناراً كويتياً.



● عبدالرحمن عبدالله حسن الكندري

● القرض الحسن: بلغت قيمة القروض الحسنة التي تم توزيعها في العام ١٩٩٧م (١,٥٤٧,٠٠٠) دينار كويتي واستفادت منها (٥٦٠) أسرة.

الأنشطة والمشاريع الخيرية

● الأسرة المتعففة: أنفق بيت الزكاة على الأسر المتعففة (٤٢٦٦٣٥) ديناراً كويتياً، وبلغ عدد الأسر (٣٤٦) أسرة.

● التبرعات العينية: استفادت (٣٣٠٠) أسرة من (١٠٩٩٩٦٥) كغم من المواد الغذائية التي وزعها البيت وبلغت تكلفتها (١٥٩٢٤٢) ديناراً كويتياً.

● زكاة الفطر: وزع البيت (١٠٨٧٤٦)كغم من زكاة الفطر العينية، وبلغت قيمتها (١٨١٧٩) ديناراً كويتياً واستفادت منها (٣٣٠٠) أسرة.

● حقيبة الطالب: نفذ هذا المشروع العام ١٩٩٧م بأسلوب متميز فقد نظم معرضاً للوازم المدرسية والقرطاسية شاركت فيه ١١ شركة متخصصة واستخدم البيت نظام الكوبونات الشرائية التي وزعها على (٢٣١٦) طالباً من أبناء الأسر التي يرعاها البيت، وبلغت نفقات هذا المشروع (٢٤٨٤٥) ديناراً كويتياً.

● كسوة اليتيم: تعاون البيت العام ١٩٩٧م مع خمس جمعيات تعاونية لتنفيذ هذا المشروع الذي استفاد منه (١٠٣٢) يتيماً، وزعت عليهم كوبونات شرائية بقيمة (٢٠٩٧٥) ديناراً كويتياً.

● مصليات الواجهة البحرية: استكمل البيت هذه المصليات مع إطلالة العام ١٩٩٧م، حيث أقام (٩) مصليات في مواقع مستوية على الواجهة البحرية وبلغت تكلفتها (٨١٧٢٩) ديناراً كويتياً.

● دعم الهيئات المحلية: أسهم البيت في مساعدة ٢٩ مؤسسة محلية بمبلغ (١٠١٢٢٦) ديناراً كويتياً.

● مشروع ولائم الإفطار: أقام بيت الزكاة ولائم الإفطار في ٣٧ مسجداً في مناطق الكويت الداخلية وزع خلالها (١٩٨٥٥٢) وجبة بتكلفة إجمالية (١٦٥٩٩٣) ديناراً كويتياً.

● مشروع الأضاحي: بلغ عدد الأضاحي التي وزعت لحومها على الأسر المستحقة العام ١٩٩٧م (١٩٠٢) أضحية وقد بلغ حجم نفقات هذا المشروع (٤٣٩٨٤) ديناراً كويتياً، واستفادت منه (٢٤٨٠) أسرة.

● ماء السبيل: بلغت نفقات مشروع ماء السبيل العام ١٩٩٧م (٢٤١٦٤) ديناراً

إحصائية بعدد المشاريع وتكلفتها

السنة	عدد المشاريع	أجمالي التكلفة
١٩٨٣	٦	٥٨١٠٠
١٩٨٤	٢٣	٢٣٣٨٢٤
١٩٨٥	٧٠	٢٣٦٤٠٠
١٩٨٦	٧٨	٣١٥٣٣٥
١٩٨٧	١٤٧	٥٧٨٥٥٩
١٩٨٨	٢٧٧	٩٢٤٢٦١
١٩٨٩	٤٠٦	١١٥٤٢١٩
١٩٩٠	٢٠٥	٧٦٨٥٤٥
١٩٩١	٨٢	١٧٧٢١٠
١٩٩٢	٥١٤	١٣٥٠٢٤٤
١٩٩٣	٣١٣	١٢٧٣٤٢٢
١٩٩٤	١٨٩	١٤٢٨٧١٠
١٩٩٥	١٧٠	١٨٠١٣٠٠
١٩٩٦	١٨٨	١٣٦٢٦٣٨
١٩٩٧	٢٥٣	١٣٩٧٥٩٠
١٩٩٨	١٣٦	٩٧٠٨٨١
المجموع	٣٠٥٧	١٤٥١٢٣٨

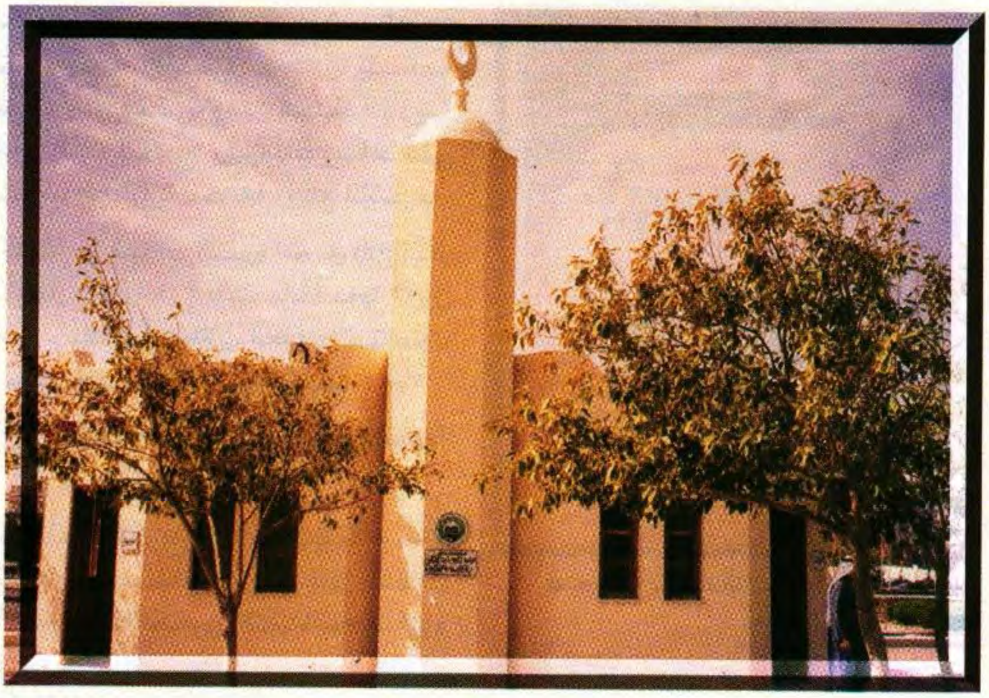
إحصائية مشروع حقيبة الطالب

البيان	عدد الطلبة
١٩٩٣	٣٣٧٠
١٩٩٤	٣٧٣٦
١٩٩٥	٢٠٣٨
١٩٩٦	٣٢٧٨
١٩٩٧	٢٣١٦

إحصائية مشروع ضيوف الرحمن

البيان	عدد الحجاج
١٩٨٧	٤٤
١٩٨٨	٤٣
١٩٨٩	٢٤
١٩٩٠	١١
١٩٩٣	٨
١٩٩٤	٨
١٩٩٥	٧

جميع المعاملات المالية والمساعدات تخضع لرقابة ديوان المحاسبة



كويتياً، حيث بلغ عدد البرادات الصغيرة (٥٢) براداً والكبيرة المميزة (٢٣) براداً.

إنفاق الزكاة

● كيف يتم إنفاق أموال الزكاة التي يجمعها البيت من المتبرعين ؟

ـ الزكاة التي يجمعها بيت الزكاة من المتبرعين تصرف بالكامل داخل الكويت على الأسر المحتاجة، وذلك مساهمة للبيت في محاربة الفقر ودفع عجلة الاقتصاد محلياً.

ولا شك في أن هناك ضوابط ومعايير يضعها مجلس إدارة بيت الزكاة الذي يتم اختيار أعضائه عن طريق مجلس الوزراء الموقر وبرئاسة وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية، وهذه الضوابط خاصة بطريقة توزيع المساعدات والمبالغ للحالات المتقدمة لطلب المساعدة.

● هل هناك إشراف كامل على نفقات البيت للمساعدات الخارجية ؟

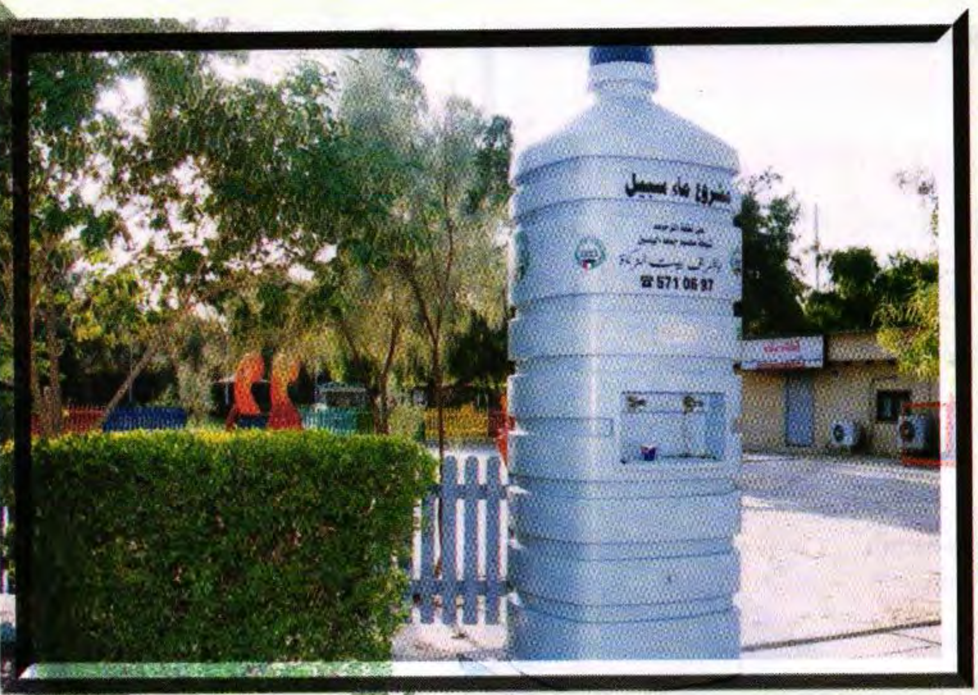
ـ جميع المعاملات المالية التي يعدها البيت من مساعدات وقروض ومشاريع تخضع لمراقبة ديوان المحاسبة، حيث يوجد مكتب

المشاريع الخيرية حسب النوع

نوع المشروع	عدد المشاريع	إجمالي التكلفة
المشاريع الصحية	٦٠	٤٧٦٨٣٠
المراكز والمجمعات	٢٨٢	٢١٤١٧١٧
المساجد	٨٣٦	٥١١٨٠٣٦
المشاريع الثقافية	١٥٧	١٢٩١٣٠١
المشاريع الإسكانية	٢٧٢	٧١٨٤٥٠
المشاريع الإنتاجية	١٣٠	١٨٩٤٦٥٥
المشاريع التأهيلية	٦٩	١١٢٣٢٨٩
المشاريع الصحية	١	٦٠٠٠٠
تأمين مصادر المياه	١٢٥٠	١٣٢٦٩٦٠
المجموع	٣٠٥٧	١٤٥١٢٣٨

تطور مشروع كسوة اليتيم

البيان	عدد الأيتام
١٩٨٣	٢٤٣٨
١٩٨٤	٢٤٧٥
١٩٨٥	٢٨٠٩
١٩٨٦	١٨٣٤
١٩٨٧	٢٥٦٨
١٩٨٨	١٩٩٠
١٩٨٩	١٦٦٧
١٩٩١	١٤٥٢
١٩٩٢	–
١٩٩٣	٨٥٦
١٩٩٤	–
١٩٩٥	٦٧٥
١٩٩٦	١٢٠٤
١٩٩٧	١٠٣٢



للديوان في بيت الزكاة يتابع مع إدارة الشؤون المالية جميع الأعمال المالية الخاصة في البيت. كما أن ميزانية بيت الزكاة تخضع لموافقة مجلس الوزراء ومن ثم إقرار موافقة مجلس الأمة الكويتي وذلك كله دليل على أنه توجد مراقبة حكومية وشعبية على أعمال البيت مما يبعث على الطمأنينة في قلوب المتبرعين.

● وماذا عن المشاريع الخارجية ؟

- بالنسبة للمشاريع الخارجية لبيت الزكاة هناك ثلاثة مكاتب للبيت في كل من جمهورية مصر العربية، والبحرين، والسنغال، وهذه المكاتب متعاونة مع حكومات هذه الدول لتزويدها بالمناطق التي تحتاج إلى مشاريع خيرية من مدارس ومستشفيات ومساجد وغير ذلك من المشاريع الحيوية والضرورية.

أما الدول الإسلامية الأخرى التي لا توجد فيها مكاتب لبيت الزكاة، فهناك إدارة خاصة لمتابعة هذه المشاريع وهي إدارة النشاط الخارجي فهي تستقبل المتبرعين الذين يودون إنشاء مشاريع خيرية في إحدى الدول الإسلامية، ومن ثم تبدأ بدراسة جدوى المشروع عن طريق فريق متخصص وبعدها يذهب مندوب عن لإدارة للدولة المراد إقامة المشروع فيها ويتم التعاون والتنسيق مع إحدى الهيئات المعترف بها وذات الثقة ومن ثم يبدأ تنفيذ المشروع بمراقبة ومتابعة بيت الزكاة، وهو بدوره يطلع المتبرع أولاً بأول على ما وصل إليه المشروع وما حققه من أهداف سواء بالتقارير المصورة شبه الدورية أو بزيارة المتبرع إلى مقر المشروع.

لذا فإنه المتبرع يشعر بأنه وضع أمواله في أيادٍ أمينة ومخلصة ويرى بأم عينيه المشروع على أرض الواقع.

المشاريع المنفذة

● ما المشاريع الخيرية التي تم تنفيذها منذ تاسيس بيت الزكاة حتى اليوم في الخارج ؟

- بلغ عدد المشاريع حتى ١٩٩٨/٨/٣١م (٣٠٥٧) مشروعاً بمبلغ (١٤١٥١٤٣٨) ديناراً كويتياً.

مراحل تطوير مشروع ولائم الإفطار داخل الكويت

البيان	عدد المساجد	عدد الوجبات	عدد المستفيدين
١٩٨٣	٦	٩٠٠٠	٢٠٠
١٩٨٤	١٠	٢١٠٧٥	٢٠٢
١٩٨٥	١٥	٢٢٠٠٠	٤٥٦٧
١٩٨٦	٢٥	٥٨٠٠٠	١٩٣٢
١٩٨٧	٤٥	١٠٢٢٠	٣٤١٠
١٩٨٨	٤٥	١٠٤٧١٠	٣٦١٠
١٩٨٩	٤٩	١٣٥٦٢٧	٤٥٩١
١٩٩١	٤٥	١٢٦١٦٥	١٢٠٥
١٩٩٢	٢٩	٩٣٧٣١	٣١٢٥
١٩٩٣	٣١	١٢٥٧٥٠	٤١٩٢
١٩٩٤	٣٢	١٥٦٩٥٤	٣٩٣١
١٩٩٥	٣٢	١٥٠٢٠٧	٥٠٠٩
١٩٩٦	٣٣	١٨٣٥٤١	٩٩٧٩
١٩٩٧	٣٧	١٩٨٥١٢	٧٣١١
١٩٩٨	٤١	٢٢٥٠٠٩	٧٧١٢

مراحل تطور مشروع الأضاحي

البيان	عدد الأضاحي	الأسر المستفيدة
١٩٨٣	١٤٠	١٠٠٠
١٩٨٤	١٠٠	١٢٠٠
١٩٨٥	١٣٠٠	١٧٠٠
١٩٨٦	٥٤٩	١١٦٩
١٩٨٧	٥٣٥	١٦٧٠
١٩٨٨	٤٦٣	١١٢٣
١٩٨٩	٦٤٨	١١٧٣
١٩٩٠	٥٠٧	١١٢٧
١٩٩١	٤١٧	٢١٢٣
١٩٩٢	٧١٣	١٣٢٨
١٩٩٣	٨٢٩	٢٣٠٦
١٩٩٤	١٩٠٨	٣٢٨٢
١٩٩٥	٢٢٠٩	١١٠٤
١٩٩٦	١٧٩٠	٢٤٠٤
١٩٩٧	١٩٢٠	٢٤٨٠

المتبرع يتابع تنفيذ مشروعه بالتقارير المصورة والزيارة بعد التنفيذ



التوزيع الجغرافي

● **وكيف يتم التوزيع الجغرافي لهذه المساعدات؟**

ـ يخضع التوزيع الجغرافي للمشاريع والمساعدات الخيرية خارج الكويت لاحتياج المنطقة لهذا المشروع وعدم الازدواجية في المشاريع المشابهة.

أنواع المساعدات

● **ما أنواع المساعدات الخارجية التي تقدم للمسلمين في تلك الدول؟**

ـ هناك مشاريع خيرية ومساعدات تقدم للدول الإسلامية وللمسلمين في الدول غير الإسلامية وتتضمن مشاريع للرعاية الصحية ومشاريع المراكز والمجمعات والمساجد ومشاريع ثقافية ومشاريع إسكانية،

إحصائية المشاريع حسب القارة حتى ٣١ / ٨ / ١٩٩٨ م

التوزيع الجغرافي	عدد المشاريع	إجمالي التكلفة
آسيا	١٦٥٨	٧٣٢٨١٧٤
أفريقيا	١٣٨٠	٦٦٥٦٩٦٤
أمريكا الجنوبية	١	٤٠٠٠
أوروبا	١٨	١٦٢١٠٠
المجموع	٣٠٥٧	١٤١٥١٢٣٨

تطور مساعدة الهيئات المحلية

البيان	عدد المساعدات
١٩٨٤	٦
١٩٨٥	١٢
١٩٨٦	١٠
١٩٨٧	٢٢
١٩٨٨	٢٩
١٩٨٩	٣٦
١٩٩١	٢٧٧
١٩٩٢	٨٦
١٩٩٣	١٢٥
١٩٩٤	٨٦
١٩٩٥	٣٥
١٩٩٦	١٨
١٩٩٧	٢٩

وإمكانات المشاركة الإنتاجية ومشاريع تأهيلية ومشاريع صحية ومصادر مياه، وهذه المشاريع تكفل للسكان الحياة الاجتماعية المناسبة وتحقق الاكتفاء الذاتي لحاجة الفرد والأسرة بحيث لا يكون عالة على مجتمعه وأمته.

المشاريع الخيرية حسب النوع

● **هل هناك مساعدات أخرى يقوم بها بيت الزكاة للإخوة المسلمين في الخارج؟**



- بالطبع هناك مساعدات إغاثة ومشاريع موسمية منها ولائم إفطار وأضاحي ورعاية أيتام ورعاية طلبة وغير ذلك من المساعدات.

وبلغ عدد المشاريع ٣٠٥٧ مشروعاً، وعدد الأيتام المكفولين حالياً ١٧٤٩٨، كما أن عدد الطلبة المكفولين للدراسة ٥٨٠ طالباً.

المشاريع المستقبلية

● ما المشاريع المستقبلية لبيت الزكاة ؟

- للبيت مشاريع مستقبلية عدة في الداخل والخارج.

ومن هذه المشاريع مشروع التأهيل الإنتاجي للأسر المحتاجة داخل الكويت والذي يهدف إلى تدريب الأسر المحتاجة على حرفة معينة يتكسبون بها فتتحول هذه الأسر من أسر مستهلكة إلى أسر منتجة.

افتراءات باطلة

● أخيرا ما قولكم في الافتراءات التي يطلقها أعداء العمل الخيري عليه في الخارج؟

- إن الافتراءات التي يطلقها أعداء العمل الخيري باطلة وليست لها أي دليل على ذلك، وعارية عن الصحة قولاً وفعلاً.

فبيت الزكاة كما هو معروف هيئة حكومية مستقلة، أنشيء بقرار وزاري رقم ٥ العام ١٩٨٢م، وهو يخضع لرقابة الدولة، وهذا دليل على دقة عمله الخيري الذي يهدف إلى إحياء فريضة الزكاة، والقيام بأعمال الخير والبر العام التي دعا إليها ديننا الحنيف وبث روح التكافل والتراحم بين أفراد الأمة الإسلامية لتكون أكثر تلاحماً وتعاضداً وتعاونلاً وهذا ما يخاف منه أعداء الله وأعداء الإسلام وأعداء العمل الخيري. ■

مراحل تطور مشروع زكاة الفطر

البيان	عدد المساعدات
١٩٨٤	٥٠٠
١٩٨٥	١٠٣٤
١٩٨٦	١٥٦٦
١٩٨٧	١٣٠٤
١٩٨٨	٣٠١٨
١٩٨٩	٣٣٣١
١٩٩١	٣٢٧٦
١٩٩٢	٧٣٧٨
١٩٩٣	٤٠٧٢
١٩٩٤	٣٣٢٠
١٩٩٥	٣٥٠٤
١٩٩٦	٢٧٠٠
١٩٩٧	٣٣٠٠

مراحل تطور المساعدات العينية

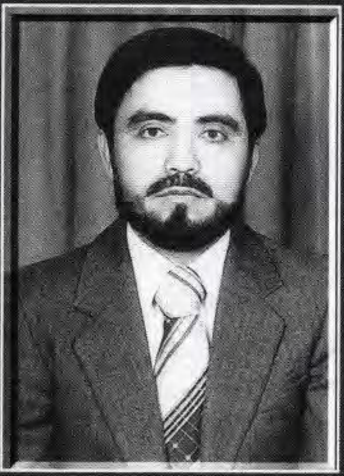
البيان	عدد المساعدات
١٩٨٥	٨٤٤
١٩٨٦	٢٢٧٨
١٩٨٧	٥٠٣٥
١٩٨٨	٩٧٤١
١٩٨٩	١١٢٠٩
١٩٩١	٣٠٠٠٨
١٩٩٢	٢٤٤٨١
١٩٩٣	٣١٩١٩
١٩٩٤	٢١٨٦٣
١٩٩٥	٢٩٦٨٦
١٩٩٦	٣٢٥٨٥
١٩٩٧	٣٢٢٨٠

إجمالي المساعدات منذ تأسيس الشركات وحتى ١٩٩٨/٨/٣١م

القارة	دعم	إغاثة	ولائم + أضاحي	مشاريع خيرية	أيتام	طلبة	أخرى	المجموع
آسيا	٣,٤٢٩٠٨٣	١,٢٨٥,٦٨٨	١,٦١٠,١٧٢	٧,٣٢٨,١٧٤	١٢,٠٨٦,٨٢٧	٣٥٥,٤٢٠	١٦٠,٨١٢	٢٦,٢٥٦,١٧٦
أفريقيا	١,٤٥٤,١١١	٥٨٨,٥٩٨	١,١٤٧,٤٠٩	٦,٦٥٦,٩٦٤	٧,٩٦٢,٤٣٤	٩٤٣,٤٨٥	٧٦,٤٣٣	١٨,٨٢٩,٤٣٤
أوروبا وأستراليا	١,٠٢٢,١٨٦	٧٨٢,٧٥٠	١٦,٠٤٥	١٦٢,١٠٠	١,٠٧٩,٣٥٦	١,٠٧٩,٣٥٦	١٦٤٧٠	٤,١٥٨,٢٦٣
أميركا	٣٤٨,٨٠٠	٧,٠٠٠	٣٠٠٠	٤٠٠٠	٣٤,٢٨٠	-	١٨٩	٣٩٧,٢٦٩
المجموع	٦,٢٥٤,١٨٠	٢,٦٦٤,٠٣٦	٢,٧٧٦,٦٢٦	١٤,١٥١,٢٣٨	٢١,١٦٢,٨٩٧	٢,٣٧٨,٢٦١	٢٥٣,٩٠٤	٤٩,٦٤١,١٤٢

في ذمة الله

الدكتور محمد عمر فائق



انطفأت شمعة من شموع العلم وأفل عن الساحة العلمية عَلَمٌ من أعلام الفقه الإسلامي، ورحل عن هذه الدنيا الفانية أستاذ فاضل وشيخ مصابر عرف برباطة جأشه، وقوة تحمله وصبره، فقد توفي يوم الخميس ١٣/٤/١٤١٩هـ - الموافق ١٩٩٨/٨/٦م الدكتور محمد عمر فائق.

كان باحثاً بالموسوعة الفقهية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت عاش صراعاً مريراً مع مرض عضال، دام أكثر من عشر سنوات كان فيها كالجبل الشامخ لا يلين ولا ييأس من روح الله، كان دائماً عالي الهمة متفائلاً بالشفاء، وكم كانت تمر الليالي تلو الليالي وهو يتقلب في الفراش ألماً من شدة المرض وبالرغم من هذا لم يثنه ذلك عن عمله، بل كان يخرج إلى عمله باكراً في صبيحة اليوم الذي يشعر به بشيء من الراحة والتحسن، كان - رحمه الله - شديد الحرص على الالتزام بعمله والحضور إليه باكراً.

- عرف الدكتور بشغفه لتلقي العلم، فقد تخرج في دار العلوم العربية بكابل العام ١٩٧١م.

- واصل دراسته الجامعية، فالتحق في العام نفسه بكلية الشريعة في «جامعة كابل».

- وبما أنه كان من الطلبة المتفوقين فقد اختير ضمن البعثة الدراسية الحكومية إلى كلية الإمام الأعظم بجامعة بغداد وذلك في العام ١٩٧٢م.

- تخرج في كلية الإمام الأعظم العام ١٩٧٦م.

- حصل على الماجستير في جامعة الأزهر الشريف، تخصص في الفقه المقارن العام ١٩٨٢م، وكان موضوع رسالته تحقيق كتاب لعبدالغني بن إسماعيل النابلسي حمل عنوان : «تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية»، ومن ثم سجل رسالة الدكتوراه في التخصص نفسه، وكان موضوع الرسالة : «نظرية النماء المتصل والمنفصل في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة».

- عُين مساعداً علمياً بالموسوعة الفقهية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت العام ١٩٨٢م.

- كان رحمه الله حريصاً على الانتهاء من رسالة الدكتوراة باكراً، إلا أن انشغاله بأمور الجهاد إبان الغزو السوفييتي لأفغانستان، وبالرغم من إصابته بمرض تليف الكبد لم يحل هذا دون تحقيق هدفه، كان قلبه كبيراً، وهمته عالية، لم يعرف اليأس إلى نفسه سبيلاً، فمع كل الظروف والمعوقات تمكن من الحصول على الدكتوراة في الفقه المقارن في جامعة الأزهر العام ١٩٩٢م.

تمت ترقيته إلى وظيفة باحث علمي في الموسوعة الفقهية في العام ١٩٩٥م، عمل في تلك الوظيفة إلى حين وفاته - رحمه الله.

رحم الله فقيد الأمة رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وجمعنا به في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وألهم أهله وذويه الصبر والسلون.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

ابن صهيون

عزيزي القارئ

هذه القصيدة تصور جانباً من حقيقة الصهاينة وتكشف عن مكرهم وخبثهم عبر التاريخ، وتندد من طرف خفي بوعد بلفور بإقامة وطن قومي لهم، ويتمنى كاتبها أن ما تشبثت به إسرائيل من وجود معابد لها في أرض فلسطين أن تكون تلك المعابد في أرض صاحب الوعد المشؤوم وغيره ليذوقوا ما ذاقه العرب من شرور وتعذيب وتشريد. كما تشير إلى وهن الاتفاقية الهزيلة بين إسرائيل وسلطة الحكم الذاتي، وتؤكد أن إسرائيل لن تمنحنا حقنا «مثل غزة... وغيرها»، إلا لتأخذ القدس والجبل في إشارة إلى جبل «أبو غنيم»، علماً بأن القصيدة نظمت قبل أن تظهر مشكلة «جبل أبو غنيم»، وقبل أن تتوسع السلطة قليلاً في بعض الأراضي، وهذا ما يتضح من قراءتها.

شعر : د. رفيق حسن الحليمي



إن ابن صهيون لا يعطيك نعجته
إلا ليأخذ منك الثورَ والجملا
فلا يغرَّنك من صهيون بسمته
فكم تباسم صهيون وكم ختلا
فالغدر والقتل والتشريدُ ديدنُه
وفي «القرآن» مواعيظ لمن غفلا
دُورُ الدعارة في التاريخ أوجدها
وفي عقيدته كان الرّبا عملا
في وجه شايلوك(١) كم من بصقة علقت
لسوء فعلته والفحش ما فعلا
إن كنت تجهل شايلوكاً فذا حكَمٌ
من الفرنج «شكسبير» وقد عدلا
أو كنت تجهل غدراً كان ديدنهم
فالطفلُ «هيو»(٢) الذي بالغدر قد قتلا
من غضبة الرّب قد تاهت جموعهمُ
وخالفوا ربنا المعبودَ والرسلا
قد كان هذا من التاريخ في زمن
فلتنظر النفسُ ما في يومنا فعلا
إن أنسَ لا أنسى أمراضاً يروِّجها
ويدفعُ الثمنَ الغالي لكي يصلا
هذا الذي كان في الماضي بلا ذمم
قد أصبح اليوم جلاداً ومعتقلا
من بعد ما كان في الماضي تروِّعُه
أشباحُ قومي فيخشى الفأرَ والحملا
في دولة ليتها في صفحة نسختْ
من الوجود وليت الخصبَ قد محلا
يا ليتَ أرضي صحارى لا قرار لها
يا ليتها دمِّرت والغيث ما هطلا
ليت المعابد في أرضي بأرضهمو
فيشعروا ما أعاني اليوم ما فعلا
أبكي عليكِ بكاء لا انقطاعَ له
وكم بكينا فلم يحيِ البكا أملا
لا لن تعيدَك يا أرضي معاهدةٌ
فثورةُ «الحبِّ» إفلاسٌ غدا قبلا
إن ابن صهيونَ لا يعطيكَ «غَزَّتنا»
إلا ليأخذَ منك القدسَ والجبلا

الهوامش

(١) شايلوك رمز المرابي الجشع في مسرحية تاجر البندقية للشاعر وليام شكسبير.

(٢) هيو طفل مسيحي بريطاني استدرجته فتاة يهودية إلى الحي اليهودي وتم اغتياله وإلقاء جثته في بئر مهجورة، وبعد اكتشاف الجثة، فرض على اليهود الجلاء عن بريطانيا مدة مئتي عام، ويرى البعض أن الطعام المقدس عند اليهود «الكشور» لابد أن تدخل فيه قطرات من دم غيرهم، وقد حُرِّفت كلمة كاشور إلى «الكشري» وهو الأكلة الشعبية في مصر منذ العصر الفاطمي الذي يعد العصر الذهبي لليهود.

قضايا دولية

اللوبيات اليهودية ودورها في الضغط على الدول الكبرى

منذ أن وافقت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين في نهاية شهر نوفمبر ١٩٤٧م، واللوبيات اليهودية ذات النفوذ الرهيب في الدول الكبرى توجه سياسات هذه الأخيرة نحو التأييد المطلق للدولة الصهيونية، وتعزيز استبدادها، يقول وكيل وزارة الخارجية في الولايات المتحدة في عهد الرئيس الأمريكي ترومان بشأن خطة تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، إنه بناء على أمر مباشر من البيت الأبيض، تمت ممارسة كل أشكال الضغط على دول مثل فرنسا وأثيوبيا وهاييتي وليبيريا ولوكسمبورغ وبروغواي والفلبين، لتأييد الخطة، وفرض نظام دولي خاص بالنسبة لمدينة القدس في وقت كان اليهود لا يمثلون ثلث السكان ولا يملكون أكثر من ٦,٥٩ في المئة من أراضي فلسطين.

إعداد : محمد سالم الصوفي

اللوبيات اليهودية والسيطرة الإعلامية

تتخذ اللوبيات اليهودية في العالم من وسائل الإعلام، أداة فعالة في بث أفكارها وتوجيهها للرأي العام، ودعمها للدولة العبرية.

وبنظرة سريعة إلى الأرقام الهائلة لأعداد المؤسسات الإعلامية في العالم، والمملوكة لليهود، كشف الدكتور محمد شعبان - جامعة القاهرة - في دراسة له عن وجود ٣٥ مركزاً إعلامياً يهودياً في جميع أنحاء العالم، تخصص لها ميزانية سنوية قدرها مليار و ٣٠٠ مليون دولار.

وأكدت الدراسة أن هناك ما يقرب من ٤٠ محطة تلفاز أوروبية وأميركية مملوكة لمراكز وجهات وشركات يهودية و ١٥٥٠ محطة راديو و ٢٨٨٠ صحيفة ومجلة، وأن هناك ما يقرب من ٤٩٠ دار نشر تصدر نحو ثلاثة آلاف كتاب سنويا بجميع اللغات.

وأن ٨٧ في المئة من مضمون الرسائل الإعلامية لهذه المحطات موجهة ضد الإسلام والمسلمين، وأنها تستخدم الدعاية غير المباشرة ضد العرب والشعوب الإسلامية والدين الإسلامي والأفكار التي تدعو إليها.

اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الأميركية

يعد اللوبي اليهودي في أميركا أكبر قوة ضاغطة ومؤثرة في السياسة بشكل عام.

حيث يعيش في أميركا ستة ملايين يهودي، يشكلون ٣٪ من عدد السكان، ولإعطاء فكرة عن الدور الفاعل لهذه الجماعة السكانية من اليهود، يورد بول فيندلي في كتابه القيم «الخدع المدروسة» :

أن إسرائيل تلقت من حكومة الولايات المتحدة منذ ١٩٤٩م، وحتى نهاية ١٩٩١م، ما يعادل ٥٣ بليون دولار في شكل مساعدات وهو رقم يمثل ١٣٪ من إجمالي حجم المساعدات العسكرية والاقتصادية الأميركية لكل أنحاء العالم ويشير بالأرقام إلى ضمانات القروض التي قدمتها الولايات المتحدة لإسرائيل، وقضية العشرة بلايين دولار ضمانات القروض الأخيرة، وإلزام إسرائيل بعدم الإنفاق من القروض في الأراضي العربية المحتلة.

أبرز اللوبيات اليهودية في أميركا

أهم الروابط والمنظمات والتشكيلات السياسية في الولايات المتحدة، يمكن إجمالها في ست تجمعات رئيسية، وتشكل في مجموعها نظاماً أشبه ما يكون بدولة داخل دولة، وهذه الروابط والمنظمات هي :

١ - اللجنة الأميركية - الإسرائيلية للشؤون العامة، وهي التي تسمى إيباك :

وتعتبر أهم المنظمات اليهودية في أميركا، وقد أنشئت العام ١٩٥٤م، وتم تسجيلها في الكونغرس كجماعة مصالح قانونية «لوبي» لها الحق في عرض وجهات نظرها، والدفاع عن مصالحها أمام لجان الكونغرس المختلفة، ويزيد عدد أعضائها عن ثمانين ألف عضو، وتشرف على أكثر من مئتي تجمع يهودي في الولايات المتحدة.

وتجند أكثر من مليون يهودي يهتمون بها، إما سياسياً على مستوى الزعامات في الولايات المتحدة، وإما بتحصيل التبرعات المالية، ثم تحويلها

إلى إسرائيل، وإما للتأثير على الرأي العام الأميركي في محاولة دائبة لتوجيه القرار الأميركي لصالح إسرائيل.

٢ ـ مؤتمر المنظمات اليهودية الأميركية والمعروفة باسم «مؤتمر الرؤساء» :

وقد أعلن عن تشكيله بصورة غير رسمية في سنة ١٩٥٥م، بهدف إيجاد ربط عضوي بين مصالح المجتمع اليهودي والأمريكي وإسرائيل.

ويضم هذا المؤتمر ٤٨ منظمة يهودية والتي تحتوي في عضويتها جميع اليهود الذين يعيشون في جميع أنحاء الولايات المتحدة.

٣ ـ رابطة مناهضة تشويه السمعة «الافتراء» :

وهي منبثقة عن «بني بريت» (التنظيم اليهودي العالمي الذي يهتم بالنشاطات التعليمية والإنسانية والثقافية بين اليهود في جميع أنحاء العالم)، والتي تأسست في سنة ١٨٤٣م في الولايات المتحدة.

ومهمة هذه الرابطة هي ملاحقة أي شخص أو عضو كونغرس بالاتهامات والتهديدات، واعتبار ذلك النشاط مستمراً، حتى يعود هذا الشخص إلى الخط الذي ترتضيه الرابطة، ويسري نشاطها بالطبع على هؤلاء الذين يفكرون في معاداة إسرائيل.

٤ ـ الصندوق الوطني اليهودي والنداء اليهودي الموحد :

ويضم كل يهود الولايات المتحدة في عضويته، وهدفه هو جمع ضريبة سنوية بنسب معينة مطابقة للدخل، وبحد أدنى معين للإسهام في تدعيم «الدولة اليهودية» في فلسطين.

على أن يقوم الصندوق بتوظيف التبرعات والإسهامات المالية المختلفة واستثمارها في مشروعات المقام الأول بقدر ما تستهدف خدمة الدولة اليهودية ومواطنيها.



٥ ـ منظمة النساء الصهيونية، ورابطة العمل الصهيوني، ومؤسسة هداسا المهتمة بالجوانب الصحية :

وهي جميعاً منظمات صهيونية تستهدف التغلغل داخل كل قطاعات الشعب الأميركي والارتباط بتلك القطاعات من خلال تبادل المنافع.

٦ ـ لجنة الدفاع عن الحقوق المدنية :

وتهتم بالدفاع مجاناً عن الأميركيين، كأفراد أو كمجموعة، الذين يعانون من ظروف اقتصادية صعبة أو ظروف اجتماعية سيئة، بهدف خلق التعاطف بين هذه الأقليات الأميركية والمجتمع اليهودي في الولايات المتحدة من ناحية، وإسرائيل من ناحية أخرى.

والحقيقة أن هذه التنظيمات تلعب دوراً كبيراً في الحياة العامة في الولايات المتحدة، ويمكن أن نلمس ذلك من حقيقتين :

أ ـ نظراً لتركيز العدد الأكبر من يهود الولايات المتحدة في نيويورك، يحرص المرشحون في هذه الولاية على كسب أصوات اليهود التي تصل إلى ٢٥٪ من القوة الانتخابية الفعلية.

ب ـ سيطرة تلك المنظمات على معظم مراكز الأبحاث والدراسات، وبخاصة المهتمة بالشرق الأوسط.

ومن منطلق هاتين الحقيقتين، نستطيع أن نعرف الدور الذي تقوم به هذه المنظمات لحل جميع المشاكل التي أدت كثيراً إلى توتر العلاقات بين أميركا وإسرائيل.

ومن بين هذه التوترات التي تدخلت فيها المنظمات اليهودية وحلتها، مشكلات صفقات الأسلحة للدول العربية، وضم إسرائيل للقدس، ثم للجولان، وعقب قصف المفاعل النووي العراقي.

وكان تدخل جماعات الضغط اليهودية في كل هذه المشكلات غالباً ما أدى ليس فقط إلى إزالة الخلافات، وإنما إلى تعميق العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل مثلما حدث في بداية الثمانينات، حين توترت العلاقة بينهما بعد صفقة طائرات الأواكس الأميركية إلى السعودية، وبعدها تم توقيع اتفاق التعاون الاستراتيجي بينهما. ■

تراث

الانتداب هو عملية استخدام الموظفين الذين يملكون الكفاءة اللازمة، وجعلهم أكثر كفاءة بعد الانتداب بالتدريب، واكتساب الخبرة، لذلك يتسم انتداب الموظفين واختيارهم دائماً بالتدقيق في صفائهم وقدراتهم، ويتطلب ذلك شروطاً معينة لكي لا ينتدب للمهمة إلا القادر على حمل أعبائها والكفء الذي يستطيع أداءها على أكمل وجه.(١) وتختلف الدول في أساليب الانتداب، فكل دولة لديها قواعدها الخاصة، ونظامها المتميز لذلك، ولكن هناك بعض القواعد التي تتبعها كل البلدان، ونعثر عليها أيضاً في أغلب النظم التاريخية، وبخاصة في النظام الإسلامي الذي وضع لنا أسلوبه في هذا الصدد.

انتداب الموظفين في النظام الإسلامي

إعداد : د. محمد ضياء الحق

وهكذا سنتعرض بالتحليل إلى ما يلي :

نظام الانتداب في الإسلام

يجب على الدولة الإسلامية اختيار أعوانها لاستخدامهم في تصريف وحسن تسيير شؤونها الخارجية والداخلية، ولذا تحدد الدولة الإسلامية مبادئ الانتداب وشروط المترشحين لذلك العمل، وتسلك في سبيل ذلك أسلوب الاختبار دون تدخل عامل القرابة أو الصداقة(٢)، ملغية كل الطرق غير الشرعية وغير الموضوعية لتقلد المناصب والوظائف العامة، وهذا ما سنبينه في العناصر التالية :

المطلب الأول : مبادئ الانتداب في الإسلام :

يخضع الانتداب في النظم الإسلامية إلى المبادئ التي وضعها العلماء على ضوء تعليمات القرآن والسنة، وهي كما يلي :

١ ـ التأهيل الشامل :

لقد عني الإسلام بهذا المبدأ عناية بالغة، لأنه حريص على وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم حيث قال تعالى :

(إن الله يامركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (٣).

وقد نزلت هذه الآية في ولاية الأمور، والمقصود منها ألا يولى العمل إلا أهله ومن يستحقه بسبب أهليته لذلك(٤)، وقد أكد رسول الله ـ ﷺ ـ ضرورة هذا المبدأ عندما رفض تعيين أبي ذر الغفاري (ت٣٢هـ ـ ٦٥٢م)، على عمل من أعمال الدولة، وقال له :

«يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذ بحقها وأدى الذي عليه فيها» (٥).

هذا الحديث أصل في منع الولايات العامة لمن ليسوا أهلاً لها، ولا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الدولة.(٦)

نستنتج من هذا أن أساس الاختيار لوظائف الحكومة بوصفها ولاية من الولايات العامة هو صلاحية الفرد وأهليته لذلك، وصلاحيته تحدد بقدراته الفعلية على أداء العمل(٧)، وعلى ذلك فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل.(٨)

٢ ـ الوظيفة أمانة ومسؤولية وليست حقاً :

نجد هذا المبدأ في القرآن والسنة، حيث يقول الله تعالى :

(يايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) (٩).

وقال رسول الله ـ ﷺ :

« فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قيل يا رسول الله كيف إضاعتها ؟، قال : «إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » (١٠).

يتضح لنا من هذه الآية ومن هذا الحديث أنّ كل من أوكلت له وظيفة عامة من المسلمين هو مسؤول عنها يوم القيامة ومحاسب على أسلوب أدائها لقول الله تعالى :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (١١).

فالإسلام لا يقبل منح الوظائف حسب المراتب الاجتماعية، كما لايرى الاعتبارات التي ليست لها علاقة مباشرة وموضوعية

بطبيعة العمل في إسناد الرتب والأعمال، لأن التمييز الاجتماعي مرفوض في نظر الإسلام مبدئياً، حيث يتساوى في نظره الناس في كل شيء، وميزان التفاضل الإسلامي بين المسلمين هو العمل، والقدرات التي يتمتع بها كل واحد منهم، فحمل أعباء المسؤولية لايقوم على المقدرة والأمانة فحسب، بل يلغي الاعتبارات الاجتماعية والعرقية في عملية الانتداب لوظائف الدولة.(١٢)

وهذا ما ورد في حديث النبي - عليه الصلاة السلام - حين سأله رجلان الولاية، فقال :

« **إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله، ولا أحد حرص عليه** » (١٣).

كما رفض رسول الله - ﷺ - طلب أبي ذر لتعيينه على الولاية لعدم توافر الكفاءة اللازمة فيه للقيام بهذا العمل الصعب، ولو كان أهلاً لذلك لما رفض الرسول - ﷺ - طلبه، وهو الصحابي الجليل(١٤).

الوظيفة العامة واجب وتكليف اجتماعي لها شروطها وأعباؤها، وينبغي ألا تسند إلا لمن توافرت فيه شروطها ومؤهلاتها.(١٢)

المطلب الثاني : صفات الموظفين في الإسلام :

تتطلب مهمة الموظف شروطاً معينة فيمن يؤديها، وعملية التعيين في الإدارة الإسلامية لا تحقق أهدافها إذا أقصت ذوي المؤهلات الجيدة من العمل فيها(١٦)، لذلك كان يقع الانتداب في الإسلام من الناس الذين تتوافر فيهم الصفات المطلوبة، وفيما يلي نستعرض صفات الموظفين في الإسلام :

١ - القوة والشجاعة :

تعتبر القوة شرطاً جوهرياً لصلاحية من يتولى أعمال السلطة، وقد قال الله تعالى :

(إن خير من استأجرت القوي الأمين) (١٧).

ومفهوم القوة يختلف باختلاف نوع العمل وطبيعة الواجبات المطلوبة فيمن يقوم به كما قال ابن تيمية «القوة في كل الولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، والخبرة بالحروب، والمخادعة فيها، فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام. (١٨)

فالقوة تعني القدرة على القيام بالعمل الذي يوكل إلى من يولى عليه، وهذا شرط أساسي فيمن يولى عملاً من أعمال الدولة (١٩)، وقد كان الخلفاء الراشدون يبحثون عمّن يكون قوياً على حمل الأعباء والمسؤوليات (٢٠)، وقد قال عثمان بن عفان واصفاً عمر بن الخطاب : « هذا والله القوي الأمين » (٢١).

ويذكر ابن تيمية أن الإمام أحمد بن حنبل سئل عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو أحدهما قوي فاجر، والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يغزو ؟ فقال: «أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف، فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع القوي الفاجر»(٢٢).

وقد روى هذا المعنى عن النبي - ﷺ - حيث قال :

« **إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر** » (٢٣).

والواجب أن يكون المسؤول في الدولة الإسلامية قوياً.

٢ - الأمانة :

الأمانة هي الصفة الثانية التي تعتبر أساساً للتوظيف في الإسلام، وهي تدل على ثلاث خاصيّات، منها خشية الله في أداء الواجب لتعجيل أحكام الله، وعدم الخوف من الإنسان (٢٤)، وقد قال الله تعالى في أهمية هذا الوصف :

(إن خير من استأجرت القوي الأمين) (٢٥).

والأمانة مسؤولية كل مسلم، فيجب على كل واحد تمثلها في تصرفاته كما قال رسول الله - ﷺ - :

« **ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم وعبدالرجل مسؤول على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** » (٢٦)

٣ - العلم والثقافة :

الإدارة علم وفن والدول عادة تختار لها من هو أعلم الناس بها(٢٧)، لذا اهتم العلماء بالعلم كصفة أساسية في أعوان الدولة، لذا يجب أن يكون المختارون من أفضل الناس في العلم والدين(٢٨)، وقد قيل : «إذا كان الملك جاهلاً ووزراؤه عالمين استقام أمره، وإن كان عالماً ووزراؤه جاهلين تفرّق عليه أمره واضطرب عليه رأيه.(٢٩)

فذلك لابد للموظفين المسلمين أن يزيّنوا أنفسهم بهذا الوصف ولم يكن يطلب من الموظف التدقيق في تحيل على كل علم، وإنما الهدف أن يكون له إلمام بكل علم بحيث يمكنه من أن يتكلم إلى من هم حوله إذا اضطرّ إلى ذلك.(٣٠)

والخلاصة أن العلم جامع للخصال، فلابد للموظف المسلم من أن يكون على اطلاع بمسائل العلوم المتنوعة والمعارف المختلفة حتى يقوى بها في محاوراته ومحادثاته.

٤ - القدوة الحسنة :

لا يكفي أن يكون الموظف كريم الأصل مقبول المنظر، حسن المظهر، بل ينبغي أن يجمع إلى ذلك صفات من حسن الخلق، وقد قيل: «العلم خليله والحلم وزيره والعقل دليله، والرفق ولده واللين أخوه والصبر جنده» (٣١)، ولذلك ينبغي أن يتحلى ممثل الدولة الإسلامية بالأخلاق الحميدة لكي يكون ممثلاً حقيقياً للحضارة الإسلامية.

٥ ـ الخبرة والمهارة :

عبّر عنها الماوردي بقوله: الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح (٣٢)، وقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ لا يولي منصباً إلا لمن يكون كفؤاً خبيراً قادراً على إتمام عمله بأحسن الوجوه، فقد عين خالد بن الوليد قائداً للجيش، لما رأى فيه من الشجاعة وحسن الرأي والخبرة في أمور القتال ما رشحه لشغل هذه المهمة، مع أن في أصحابه من هو أكثر ورعاً منه، وأفقه منه وأسبق إسلاماً، لذلك لا يكفي أن يكون الموظف عالماً كبيراً وتقياً صالحاً، بل لابد مع عمله وحسن خلقه من الخبرة والحكمة.(٣٣)

المطلب الثالث : تعيين الموظف في النظام الإسلامي

١ ـ الترشيح للانتداب في عملية التوظيف :

الانتداب لوظائف الدولة مسؤولية الدولة، لذا على ولي الأمر البحث عن الموظفين للتعيين (٣٤)، لكن الإسلام يجنب المترشح الحريص على المنصب لأن التعيين لايكون بالطلب، بل إن ذلك سبب للمنع (٣٥)، لقول الرسول ـ ﷺ ـ :

« **إنا والله لا نولي من سأله، ولا من حرص عليه** » (٣٦).

وقد ورد هذا النهي حتى لا يكون المسلم حريصاً على الولاية لأجل حاجياته الخاصة، وبهذا يسد باب من أبواب المفسدة، لأن الولايات أمانات وتصرّف في أرواح الخلائق وأموالهم، والحرص على مسك الأمانة، دليل على الخيانة، وإنما يخطبها من يريد استغلالها لخدمة المصالح الخاصة، فإذا ائتمن الرجل الخائن على موضع الأمانات، كان كمن استرعى الذئب على الغنم.(٣٧)

فالإسلام لا يولي الوظيفة إلا مَنْ يستحقها، بسبب مقدراته العلمية والخلقية ولأجل هذا، تمنح الدولة الإسلامية طلب الولايات دون استحقاق.(٣٨)

إن في منع الحكومة لطلب الوظيفة إفساحاً لمجال الاختيار بين عدد محدود معروف لديها ممن يصلحون لعلم معين، حينئذ يستطيع ولي الأمر أن يختار أي واحد منهم دون أن يتقدم أحد من هؤلاء بالطلب، كما يختار رئيس الدولة وزراءه من البرلمان وهو يعرف قدرات النواب ومؤهلاتهم، لذا يمكن له أن يختار أجدر واحد منهم للمهمة دون تقديم الطلب والسعي من المترشحين (٣٩).

لكن حين يكون عدد المترشحين كبيراً غير معروف لدى الحكومة، ففي هذه الحال لا يمنع الإسلام تقويم مطالب الترشحات، لأن الحكومة لاتعرف قدرات الناس بسبب كثرة مواطنيها، فيكون هذا المطلب لإرشاد الحكومة إلى صفات كل شخص على حدة ومؤهلاته إلى حين يختبر ويتأكد من صحة أهليته لشغل المنصب المعين، وتعريفها بمن يملك القدرات المطلوبة، وتتوافر فيه الكفاءة والأمانة (٤٠)، فمن يملك القدرات المطلوبة يجوز له ترشيح نفسه لوظيفة معينة، وهذا ما فعله نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ فقد رشح نفسه أمام الملك قائلاً :

(**اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم**) (٤١).

كان يوسف ـ عليه السلام ـ واثقاً من إمكاناته التي وهبها الله له، لذا قرر إعلانها أمام من لا يعرف بواطن الأمور وأسرارها، ولا يعلم خصائصه وفضائله، كما أنه يرى الأعمال والولايات تمنح لمن ليس لها أهل، فيجوز اليوم أن يذكر الرجل خصاله وفضائله ليعلم ولي الأمر قدره حتى لا يولي الأمر من ليس له أهل، ولهذا قال بعض أصحاب الشافعي : «من كملت فيه آلات الاجتهاد وشروط القضاء جاز له أن ينبه السلطان «الحكومة» على مكانه ويخطب خطبة القضاء»، وقال بعضهم : «بل يجب ذلك عليه إذا كان الأمر في يد من لا يقوم به. (٤٢)

ومن هذه الأقوال يمكن أن نستنتج أن الرئيس إذا اختار مسؤولاً أو ممثلاً للدولة من عدد محدود معروف لديه، فلا يجوز للمترشحين السعي لهذا المنصب، حتى يبقى للرئيس الحرية في اختيار الرجل المناسب للمنصب المناسب، لكن حين يصبح العدد كبيراً ممن يجهل صفات أفراده وقدراتهم، وتريد الدولة الإسلامية انتداب معاونيها وموظفيها منهم، فلا بأس من تقديم المطالب والتعريف بالنفس حتى تعرف الحكومة الأشخاص الذين يملكون القدرات المطلوبة.

٢ ـ الاختبار في عملية التوظيف :

يجب على رئيس السلطة في الإسلام أن يعمل فكره في اختيار من يفوض إليه شيئاً من أعمال الدولة (٤٣) والاختبار سنة الله ورسوله ـ ﷺ ـ فقد اختبر الله آدم عندما عيّنه خليفته في الأرض، يقول تعالى في كتابه الكريم :

(قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) (٤٤)،

وأرسى الرسول ـ ﷺ ـ مبدأ الاختبار، فقد روى أنه بعث معاذ ابن جبل والياً وقاضياً على اليمن، فقال :

« **كيف تقضي، قال : أقضي بكتاب الله قال : إن لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «فإن لم تجد في سنة رسول الله ؟ قال أجتهد رأيي، فقال الرسول ـ ﷺ ـ « الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله ﷺ » (٤٥).**

وقد سار الخلفاء الراشدون على هدي المنهج النبوي الشريف في اختيار الولاة والعمال، فكانوا لا يولون إلا الأكفاء والأمناء والأصلح من غيرهم على القيام بالأعمال، ويتحرّون في الاختيار والمفاضلة غاية جهودهم.(٤٦)

أساليب الاختيار في النظام الإسلامي

لم يحدد العرف السياسي الإسلامي طرقاً بعينها للاختبار، ولكنه حرص على معرفة المقدرات الفنية والخلقية في المترشحين، وأمثلتها كثيرة، فكان المأمون يبحث عن المواصفات المطلوبة من المترشحين قائلاً : «إني التمست لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير ذا عفة في خلائقه، واستقامة في طرائقه قد هذبته الآداب، وحنّكته الوقائع، وأحكمته التجارب، إن ائتمن على الأسرار قام

بها، وإن قُلِّد مهمات الأمور نهض فيها، تسكته الحكمة، وينطقه العلم، تكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة، له صولة الأمراء، وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، إن أحسن إليه شكر، وإن ابتلي بالإساءة صبر، لا يبيع نصيباً من يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه (٤٧).

وقد فسّر لنا المرادي أبو بكر محمد الحسن (ت ٤٨٩ هـ - ١٠٩٥ م)، كيفية الاختبار، وماذا ينبغي معرفته في المترشح، حيث قال: «وينظر إلى علومه وآدابه وأحواله، فيحمل على مروءة جنسه حتى يدل على خلافها بفعله، وإذا أشكل عليك عقل الرجل فشاوره في مهم من الأمر الذي لم ينزل بك ولا أنت محتاج إليه في وقتك، فإنك تستدل برأيه على موضع عقله، وإذا أحببت أن تعرف قدر سخائه، فشاوره في شيء تجود به على من تعرف قدر علمه، فسله عن مشكلات المسائل، وعن أنواع العلوم المختلفة، وإذا أحببت أن تعرف قدر العالم فعرّض به إلى الشبهات، فإن رأيته متسامحاً فيها من غير ضرورة إليها فاقض بلطافة دينه (٤٨)، وقد اختار النبي - ﷺ - مسؤولي الدولة الإسلامية وكان عارفاً بقدراتهم، ومؤهلاتهم، ومن حسن سياسته - ﷺ - في اختيارهم حسب الشروط المطلوبة. (٤٩)

والخلاصة إن الدولة الإسلامية لا تعيّن إلا من يستحق مناصب الدولة، وذلك على ضوء قدراته العلمية والخلقية، ولمعرفتها بحب اختبار المترشحين، وقد ترك لنا الإسلام مجالاً واسعاً في أساليب الاختبار، ويحق لكل دولة أن تنظم اختبار موظفيها على ضوء الحاجات والمتطلبات العصرية حتى تتمكن من انتداب الموظفين في أحسن الظروف. ■

الهوامش:

١ - انظر كول بليس والابن استيفن «بليوهاينز» إدارة المنشآت العامة، ترجمة عبدالكريم، «الدار الدولية للنشر ١٩٩٦» ص ١٥٥.

٢ - يوسف محمد مصطفى، نظام الحكم في الإسلام، معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٦٢، ص ١٣٠.

٣ - النساء: ٥٨.

٤ - الجصاص أبو بكر أحمد الرازي، أحكام القرآن، دار الفكر بيروت: ٢٠٧/٢.

٥ - مسلم بن حجاج القشيري الصحيح، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة: ١٨٢٥: (ج٣) ١٤٥٧.

٦ - النووي «أبو زكريا يحيى بن شرف الخراجي، صحيح مسلم بشرح النووي «دار الكتب العلمية - بيروت».

٧ - أبو ركبة حسن عبدالله وأبو عنيمة عبدالعزيز، التنظيم الإداري في الفكر الإسلامي، ٢٧٠/١٢، ١٩٨١ السعودية ص٣٠.

٨ - ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص ١١.

٩ - الأنفال: ٢٧.

١٠ - البخاري «أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا دار ابن كثير ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، كتاب العلم، باب فضل العلم، ٥٩: ٣٣/١.

١١ - التوبة: ١٠٥.

١٢ - أبو سن «أحمد إبراهيم»، الإدارة في الإسلام، المطبعة العصرية، دبي ١٩٨١م، ص ٤٤.

١٣ - مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، ١٧٣٣: ١٤٥٦/٣.

١٤ - الشوكاني، نيل الأوطار: ٢٩٧/٨.

١٥ - ابن تيمية، م.ن، ص ١٣، ١٤.

١٦ - جوزف في جانت، إدارة التنمية، مفهومها، أهدافها، وسائلها، دار المعارف، القاهرة، ص ٣٣٤.

١٧ - القصص: ٢٦.

١٨ - السياسة الشرعية، ص ١٩.

١٩ - محمد المبارك، نظام الإسلام، الحكم والدولة، دار الفكر، بيروت ١٩٨٤ ص٩٥.

٢٠ - أبو سن، الإدارة في الإسلام، ص ٨٢.

٢١ - الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ١٨/٥.

٢٢ - ابن تيمية، م.ن، ص ٢١.

٢٣ - البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، ٢٨٩٧: ١١١٩/٣.

٢٤ - kamali mahammad haslim, "Siyasah Slrariyah or the Folitics of Islamic Gouerument" The Awerican Journal of Islamic Secial Scieuces V. 6 No1 September 1984, P 196.

٢٥ - القصص: ٢٦.

٢٦ - البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: (واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، ٦٧١٩: ٢٦١١/٦، مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، ١٨٢٩: ١٤٥٩/٣.

٢٧ - محمد المبارك، م.ن، ص٦١.

٢٨ - أبو يعلى «محمد بن الحسن الفراء»، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٢٠.

٢٩ - المرادي، أبو الحسن محمد بن الحسن، كتاب السياسة، المغرب ١٤٠١-١٩٨١، ص ١٥١.

٣٠ - ابن الفراء «أبو علي الحسن بن محمد»، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، ص ١٠.

٣١ - ابن الأزرق «عبدالله محمد بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٧م، ج١ - ١٥١.

٣٢ - الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م، ص ٦.

٣٣ - محمد المبارك، م.ن، ص ٦٣.

٣٤ - ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١١.

٣٥ - القطب محمد القطب، نظام الإدارة في الإسلام، القاهرة، ص ١١.

٣٦ - البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمار، ٦٧٣٠: ٢٦١٤/٦.

٣٧ - الطرطوشي أبو بكر بن الوليد محمد بن خلف، سراج الملوك، الإسكندرية، ١٢٨٩، ص ٨٦.

٣٨ - Ased Muhammed, "The Princpals of Stote and Gouermment in Islam P 47.

٣٩ - القطب محمد القطب، نظام الإدارة في الإسلام، ص ١٢١.

٤٠ - Kamali Mohammed Haslim, Ibid, P68.

٤١: يوسف: ٥٥.

٤٢ - الطرطوي، م.ن، ص ٧٤، ٢٤٠.

٤٣ - القطب محمد القطب، م.ن، ص ١٢١.

٤٤ - البقرة: ٣٣.

٤٥ - الترمذي «محمد بن عيسى بن سورة»، السنن، كتاب الأحكام، باب ماجد في القاضي كيف يقضي، ١٣٢٧: ٦١٦.

٤٦ - حسيني «س.ا.ق الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم أحمد العدوي، مكتبة الآداب، مصر، ص ٣٣٣.

٤٧ - الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٣.

٤٨ - المرادي، كتاب السياسة، ص ١١٧، ١١٨.

٤٩ - محمد التابعي، السفارات في الإسلام، ص ٨٦.

استشراق

آليات المنهج الاستشراقي في دراسة مصنفات علوم القرآن

بقلم : د. حسن عزوزي

إن من الصعوبة بمكان بحث آليات المنهج الاستشراقي في دراسة مصنفات علوم القرآن والتفسير بحثاً شاملاً وافياً وترجع هذه الصعوبة إلى عوامل عدة منها:

أ ـ طبيعة الموضوع واختلاف المناهج: فتناول المستشرقين لحقل القرآنيات شديد التعقيد والتداخل لا يمكن حصره وتصنيفه بيسر لاختلاف مناهج المستشرقين وخلفياتهم الفكرية والثقافية التي ينطلقون منها في دراساتهم، فالمدرسة الألمانية في دراسة علوم القرآن بزعامة تيودور نولدكه (ت١٩٣٠) ليست هي المدرسة الفرنسية مع أمثال رجيس بلاشير (ت١٩٧٣م)، أو الإنكليزية مع بيل أو وات، ويرجع التعقيد أيضاً إلى تنوع مداخل وطرق تناول الموضوعات المرتبطة بالقرآن التي طبقها القوم من حيث الزمان والمكان على السواء، لذلك جاءت دراسات المستشرقين للقرآنيات متفاوتة ومختلفة.

ب ـ صعوبة كشف وتبين آليات المنهج: وهذا الأمر يعني أنه ليس من السهل معرفة طريقة تعامل وتناول المستشرق للمصادر العربية المرتبطة بعلوم القرآن، فالباحث الغربي عندما يدرس موضوعاً معيناً لا يكشف دوماً عن مصادره ـ وإن أوهم القارئ بعكس ذلك ـ وحتى إذا ما كشف عن شيء منها، فإنه يتعذر في كثير من الأحيان استبيان طرائق المعالجة وآليات المنهج الموظف والمطروق، ولهذا فإن الأمر يحتاج بالتأكيد إلى كثير من التنقيب والبحث واستعمال الحس النقدي الكفيل بمتابعة المستشرق في عمله خطوة بعد خطوة من أجل الوقوف على طريقة استبطانه واستقرائه للأفكار والآراء والمعلومات من كتب علمائنا الأسلاف.

لقد اهتم المستشرقون بدراسة كتب علوم القرآن والتفسير اهتماماً بالغاً، على اعتبار كونها علوماً خادمة للقرآن ومعينة على فهم وإدراك مقاصده وأغراضه، ولا شك أن القرآنيات تشكل المجال الخصب الذي تواردت عليه أقلام كثير من علماء المشرقيات سواء بالدراسة والبحث أو بالتحليل والنقد، ولقد بات من المألوف أن كل ما تعلق بالقرآن في دراسات القوم لا يمكن الاعتداد به ألبتة لأنه لا محالة محطِّم للمسلمات التي يجزم بها المسلمون ومشكك في البداهات التي يؤمنون بها، وبالتالي فإنه لا مدعاة للاستفادة منهم في هذا المجال، وهذ رأي وإن كان يأخذ به قطاع عريض من باحثينا ومثقفينا ويعتبر صحيحاً فيما يخص نسبة كبيرة في مجال البحث الاستشراقي إلا أن هذا لا يمنع من الاطلاع على ما يُقال في حق القرآن الكريم، وبالتالي تبيُّن مناهج وآليات البحث لدى المستشرقين.

وإذا كان موضوع بحثنا لا يتعرض لدراسة طرق بحث المستشرقين للقرآن الكريم، لأن ذلك موضوع شاسع قد تم بحثه مراراً في كثير من الدراسات التي رمت الإحاطة بكل جوانبه، فإن طبيعة الموضوع الذي نقترحه تنصب بالأساس على محولة استكشاف واستبيان بعض طرق وآليات المنهج الاستشراقي في توظيف كتب علوم القرآن والتفسير في أبحاثهم وكيفية دراستهم لها، ولا شك أن الأحكام التي سنطلقها لن تكون إلا نسبية وغير شاملة أو مرتبطة بمنهج معين، فالموضوع بكر غير مطروق من قبل، كما أن المادة التي تساعد على إنضاجه لا تتوافر إلا عن طريق تجربة طويلة وممارسة مستمرة في قراءة كتب المستشرقين في مجال القرآنيات بشكل فاحص ومتعمق.

ومهما يكن الأمر، فإن بعض الشذرات التي تكونت لدينا من خلال مطالعات فاحصة وناقدة لأبرز كتب المستشرقين في مجال القرآنيات قد كانت كافية لتكوين فكرة عامة وشاملة تبرز لنا بعض ملامح ومعالم آليات المنهج الاستشراقي في دراسة مصنفات علوم القرآن والتفسير.

وللحديث عن هذا الموضوع نرى تقسيم العرض إلى مبحثين رئيسيين، يتعرض أولهما لمنهج المستشرقين في دراسة مصنفات علوم القرآن والتفسير نشراً وتحقيقاً، أما الثاني، فيتطرق للحديث عن آليات المنهج الاستشراقي في دراسة هذه المصنفات بحثاً وتحليلاً.

أولاً: منهج المستشرقين في نشر وتحقيق كتب علوم القرآن:

يعتبر هذا الجانب من أبرز الجوانب المشيعة في تاريخ الاستشراق على اعتبار كونه جانباً خدم التراث الإسلامي، وأسهم في إحيائه وإخراجه إلى الوجود، وتكمن ميزة هذا الجانب في كون هذا العمل قد تم الشروع فيه في وقت كان فيه مجال النشر والتحقيق في العالم العربي والإسلامي لم يشق طريقه بعد إلى الأمام، لقد تم التفكير في أوروبا في نشر وتحقيق التراث القرآني في نهايات القرن الماضي وأوائل هذا القرن، فكان ذلك خير معين ومساعد على تطور الدراسات القرآنية وتوسيع آفاقها بفضل بروز أمات المصادر القرآنية المعتمدة، لقد لجأ المستشرقون إلى القيام بنشر وتحقيق كثير من كتب علوم القرآن والتفسير والقراءات القرآنية على وجه الخصوص، وذلك للاستعانة بها في إنضاج أبحاثهم ودراساتهم حول مختلف جوانب ومناحي الدراسات القرآنية، ويمكن القول إن هذا السبب يعتبر أكبر دافع وحافز لهم على البحث عن أبرز الكتب المخطوطة في هذا المضمار ونشرها، ولعل أهم ما تم نشره من ذلك: كتاب «الإتقان» للسيوطي (ت٩١١هـ)، وكتاب «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، وكتاب «المقنع في الرسم» له، وكتاب «مختصر شواذ القراءات» لابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، وكتاب «المحتسب في شواذ القراءات» لابن جني (ت٣٩٢هـ)، وكتاب «معاني القرآن»

للفراء (ت٢٠٧هـ)، وكتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، وغيرها ومن كتب التفسير: «الكشاف» للزمخشري (ت٢٣٨هـ)، و«تفسير البيضاوي» (ت٦٩١هـ)، وكتاب المصاحف لابن أبي داود (ت٣١٦هـ)، وهو في جمع مصاحف الصحابة والتابعين الخاصة وغير ذلك.(١).

فجميع هذه الكتب وغيرها، وإن وجدت بين أيدينا اليوم في طبعات جديدة ومحققة في البلاد الإسلامية، فإن الفضل في إخراجها من غيابات الخزانات النائية بعدما ساد الاعتقاد بفقدان البعض منها إنما يرجع لهؤلاء الذين دفعهم الصبر الجميل إلى ارتياد هذا المجال الصعب.

وإذا ما تساءلنا عن منهج المستشرقين في إخراج هذه الكتب إلى الوجود وكيفية معالجتهم لموضوعاتها، يتبين لنا أن ذلك يتفاوت من مدرسة إلى أخرى، ومن مستشرق إلى آخر، فهناك من كان يكتفي بمجرد النشر دون أدنى تعليق أو تحقيق، وهذا هو الغالب، كما هو الشأن بالنسبة لـ برتزل الألماني في نشره لكتاب «التيسير للداني»، وكذا عمل برجستراسر في إخراجه لكتاب: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الخزري (ت٨٣٣)، وهناك من كان يهدف إلى نشر الكتاب مع دراسته دراسة وافية، فيكون الكتاب منشوراً في أصله العربي، وتلحق به الدراسة التي تكون في الغالب بلغة المستشرق الأم، وهذا العمل قلَّ من المستشرقين من ينشط له، ويُعد له عدته، ويمكن أن نعطي مثالاً لذلك بنشر أرثر جفري لكتاب «المصاحف» لابن أبي داود، والذي ألحق به دراسته للكتاب باللغة الإنكليزية.(٢)

وإذا كان المستشرقون المهتمون بمجال النشر والتحقيق يبذلون قصارى جهودهم من أجل النقل الأمين والقراءة الصحيحة للكتاب المخطوط المراد نشره، فإن قلة الضلوع في أسرار اللغة العربية وتراكيبها وصعوبة قراءة المخطوطات العربية المختلفة الخطوط والرسوم تجعلهم يقعون في كثير من الأحيان في أخطاء تؤدي إلى حصول بتر في الكتاب المنشور أو يتم على الأقل تغيير المعنى المراد كما حصل ـ على سبيل المثال ـ في تحقيق كتاب «مختصر شواذ القراءات» الذي قام به الألماني برجستر أسر، حيث صحَّف عبارة أبي عمرو بن العلاء «فقد تربع في لحنه» فجعلها «فقد تربع في الجنة»، مع أن المقام مقام ذم.

ومهما يكن الأمر، فإن المستشرقين في مجال نشر المخطوطات قد تفانوا في أعمالهم، وأبدوا صبراً عجيباً ونادراً في البحث والدرس والتمحيص، وقد أشار الشيخ مصطفى عبدالرزاق إلى الإعجاب بصبرهم ونشاطهم وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم(٣)، كما أشاد الشيخ أمين الخولي ببحث ألقته المستشرقة الروسية كراتشوفسكي في مؤتمر المستشرقين الدولي الخامس والعشرين في موضوع «نوادر مخطوطات القرآن الكريم في القرن السادس عشر فقال: «لقد قدمت السيدة كراتشوفسكي بحثاً عن نوادر مخطوطات القرآن في القرن السادس عشر الميلادي وإني أشك في الكثيرين من أئمة المسلمين يعرفون شيئاً عن هذه المخطوطات، وأظن أن هذه مسألة لا يمكن التساهل في تقديرها»(٤)، ومن المعلوم أن منهج المستشرقين في النشر والتحقيق وما يتوقف عليه ذلك من بحث واسع عن النسخ الخطية في جميع خزانات العالم والحرص على الحصول عليها والتزام الدقة في المقابلة يعتبر منهاجاً صارماً ودقيقاً يمكن الاطمئنان إليه وبخاصة فيما أنتجه كبار المستعربين الملمين بكثير من أسرار اللغة العربية ونخص بالذكر هنا مدرسة نولدكه الألمانية التي نجد من أبرز تلامذتها: برتزل، وشغالي، وبرجستراسر.

ونشير بهذا الصدد إلى أن المجمع العلمي البافاري عندما قرر جمع المصادر الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه وضبط قراءاته قصد نشرها تولي المهمة برجستراسر، وساعده في بعضها زميله أوتوبرتزل ولما توفي الأول العام١٩٣٣ انتدب المجمع برتزل لاستكمال العمل غير أن قنابل الحرب العالمية الثانية قد وقعت على معهد الأبحاث القرآنية الذي أسس لهذا الغرض وتم إتلاف كل ما كان فيه.

ويتمثل العمل الذي قام به الباحثون في هذا المعهد بما يلي:

١ ـ جمعوا فيه أهم ما يوجد من المطبوعات العربية في مجال التفسير وعلوم القرآن والقراءات.

٢ ـ جمعوا بالعكوس الشمسية من جميع العالم ما لم يطبع من كتب القراءات القرآنية.

٣ ـ حصلوا على العكوس الشمسية لآلاف من نسخ القرآن الخطية من جميع العصور، وجمعوا من النسخ القديمة كل ما عثروا عليه ولو كان ورقة أو ورقتين.

٤ ـ بدأوا بأوسع تفسير للقرآن، فجعلوا لكل آية علبة خاصة وضعوا فيها تفسير الآية حسب جميع مفسري القرآن منذ عهد الصحابة إلى عصرنا هذا، ورتبوا تلك الاقتباسات حسب زمن المفسر الأقدم فالإقدام، فكان من الممكن أن يعرف تطور التفسير لكل لفظة ولكل آية من القرآن، ولا شك أن هذا المشروع ـ المأسوف عليه ـ كان بإمكانه أن يعطينا فكرة عن طرق تعامل وتداول الباحثين الألمان لكتب علوم القرآن والتفسير التي جمعوا المخطوط منها والمطبوع واستخرجوه منها بعد الدراسة والتنقيب في كل التفسيرات القديمة والقراءات المختلفة لآي القرآن.

ثانياً: قيمة مصادر علوم القرآن المعتمدة في الدراسات الاستشراقية وطرق توظيفها بحثاً وتحليلاً:

لا شك أن فعالية ونجاعة المنهج المتبع في أي دراسة تتوقف على قيمة وطبيعة المصادر والروافد المعتمدة، إذ هي القاعدة المغذية والمادة الخام التي ترتكز عليها الدراسة، فكلما كانت المصادر رئيسية وأصيلة وذات علاقة مباشرة بالموضوع كلما كانت الدراسة أقرب إلى حصول المراد المنشود والمبتغى المقصود من طرف الباحث.

وفي إطار البحث الاستشراقي يتبين أن لمنهج المتبع في انتقاء وتخيُّر المصادر المعينة على بحث الموضوعات المرتبطة بالقرآنيات يتنوع ويختلف تبعاً لطبيعة الموضوعات المطروقة من جهة ولمدى موضوعية الباحث المستشرق وأمانته العلمية في توظيف تلك المصادر والنقل عنها من جهة ثانية، وسنتحدث فيما يلي عن بعض النقاط التي تبرز لنا نوع الخلل الذي يُطال أحياناً بعض دراسات المستشرقين في هذا المضمار إيماناً منا بأن دراسات المستشرقين في مجال القرآنيات ليست كغيرها لا لشيء إلا لأنها تنصب على موضوع حساس يرتبط بمسألة الوحي المحمدي الذي لا يؤمن به الباحث ولا يمكن أن يتعاطف معه مبدئياً، وبالتالي لابد من أن تؤثر عليه قناعاته الدينية في مجال البحث، ولعل أبرز مواطن الخلل التي يمكن الإشارة إليها ما يلي:

١ ـ اعتماد عدد معين ومحدود من مصنفات علوم القرآن دون غيرها:

وهذا أمر يمكن أن يلاحظه كل من تتبع عن كثب أعمال القوم في مجال القرآنيات، فعدد المصنفات العربية المتعلقة بعلوم القرآن المعتمدة من طرف المستشرقين محدود جداً، ولا يكاد يتجاوز إلى ما عداه، وهي في معظمها كتب كلاسيكية جامعة لم تتحرّ الصحة والنقد والرواية السليمة.

من جهة أخرى، يلاحظ أن المصنفات المعتمدة لدى المستشرقين المعاصرين هي نفسها التي كان يعتمدها أسلافهم وبالتالي يمكن القول إن حصر المصادر ونوعيتها يكاد يكون تقليديا في البحث الاستشراقي، فالمطلع على لائحة المصادر والمراجع المنشورة في كل بحث أو دراسة من دراساتهم يلاحظ هذا الأمر بشكل بارز، وقد تتميز الدراسات المعاصرة باعتماد عدد آخر من المصنفات العربية الحديثة لكن يجمعها جميعها إطار معين ويخدم أغراضاً معينة، فالنتائج المغلوطة في حقل تاريخ النص القرآني والمكتسبة خلال أكثر من قرن من ظهور كتاب تيودور نولدكه «تاريخ القرآن» قد أريد لها منهجياً أن تبقى كما هي خدمة لمنهج معين يرمي إلى الإبقاء على الشبهات والافتراءات نفسها، التي نسجها المستشرقون الأول، إذ لا يريد هؤلاء التحرر من نظريات أشياخهم في مجال القرآنيات، وهو ما يدفع بشكل طبيعي إلى اعتماد المصادر نفسها، والإشارة إلى الاقتباسات والإحالات نفسها، ثم الاستنتاجات والافتراضات نفسها، وإذا ما كانت هناك مصادر جديدة وحديثة، فإنما يستأنس بها فيما من شأنه تبرير وتسويغ وتعزيز الطروحات والنظريات المستنتجة نفسها، وهذا ما يلاحظ من خلال مادة «القرآن» التي حررها المستشرق «ا.ت.ويلش»، في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الثانية.(٦)، وهي مادة جامعة لأبرز علوم القرآن التي درج المستشرقون على الخوض فيها ودراستها، فهذه المادة تقدم موازنة نقدية بين معطيات البحث الاستشراقي في مجال القرآنيات قديماً وحديثاً، وعلى الرغم من تنوع المصادر المعتمدة واللجوء إلى مصادر جديدة، فإن النتائج المكتسبة والنظريات المتوصَّل إليها تبقى هي نفسها التي تم تكريسها على مدى قرنين من الزمان، وإذا ما كانت هناك اختلافات بسيطة، فهي لا تمس جوهر الموضوعات الذي يحرص المستشرقون على توحيد المنهج المتبع في بحثها، ولعل ما أسهم بشكل كبير في الاحتفاظ بهذا الواقع في البحث هو أن كتاب نولدكه المشار إليه أعلاه بقي حتى الآن دستور المستشرقين في مجال بحث تاريخ النص القرآني، فهم لا يكادون يخرجون عن طوقه ولا يستطيعون التعبير عن خلاف ما جاء به إلا لماماً، وبهذا أمكن اعتبار كتاب نولدكه القاعدة الأساسية التي ينطلق منها الباحثون في مجال القرآنيات مع تطوير أبحاثهم وتنقيحها بما جد في الموضوع وتلاءم مع المنهج العام المتبع.

ومن نواحي الضعف المنهجية التي تدخل في السياق نفسه، محاولة دراسة اتجاه معين في التفسير، أو تيار معين في مجال من مجالات علوم القرآن من خلال نموذج أو نموذجين يتم اختيارهما والوقوف عندهما، دون غيرهما، مثال ذلك ما اعتمد غولدزيهر في كتابه «مذاهب التفسير الإسلامي»(٧)، فقد كان يرمي إلى تحقيق افتراض بعينه اعتنقه مقدماً، واعتسف من المقدمات واختار من الوسائل والأمثلة في تاريخ التفسير ما يوصله إلى ذلك الغرض، ويحقق له تلك النتيجة بعينها، فاقتصر على دراسة تفسيرين: تفسير الطبري وتفسير المنار، وقد يكون من حق المؤلف أن يلتزم منهجاً يُسعف على تصوير افتراض يتخيله، ولكن ليس من الحق أن يُقال إن جهده في هذا الصدد كشف صادق عن حقيقة التفسير عند المسلمين، لقد تخير غولد زيهر من مناهج المفسرين ما يخدم فكرته، ويكشف عن أثر الالتزام المذهبي في توجيه النص وإنطاقه بمبادئ المذهب وعقائده، وقد يكون من حق الباحث أن يسلك أي الطرق المنهجية في بحثه لكي يصبح من الواجب عليه حينئذ أن يلتزم أصول هذا الطريق طوال بحثه وألا يؤمن ببعض المنهج ويكفر بالبعض الآخر، ولو فعل المستشرق ذلك واستقصى جوانب التفسير المذهبي كلها، من تشريعية فقهية إلى لغوية نحوية أو أثرية موسوعية من خلال جميع كتب التفسير التي كانت موجودة - على الأقل - في وقته لتكشفت له حقيقة مغايرة وهي أن النص القرآني نص خصيب متجدد وثري، فليس سهواً إذاً أن يغفل غولد زيهر عن آثار أخرى في التفسير وإنما هو التجاهل المتعمد ليبدو محصول المسلمين من التفسير في النهاية رذاذاً متناثراً فرَّقته الأهواء الحزبية والفكرية.(٨)

٢ - انتقاء الروايات الضعيفة والمتقطعة من مصادر علوم القرآن:

يكاد يتفق منهج المستشرقين العام في داسة علوم الشريعة الإسلامية على تعمُّد اختيار وانتقاء الأخبار الضعيفة والروايات المنقطعة في بطون المصادر العربية قصد بناء الأحكام عليها والتدليل بها على مقاصد وأغراض معينة.

ولقد وجد المستشرقون في كتب معينة ما أفادهم في ضرب بعض الرويات ببعض، قصد كشف تناقضها وتعارضها حسب زعمهم، وبالتالي التشكيك في مصداقية وموثوقية النص القرآني، كما أنهم قد يعتمدون بعض الروايات المنقطعة التي ترمي إلى نقض ما هو مشهور ومعروف لدى المسلمين عن تاريخ النص القرآني، وقد وجد معظمهم في كتاب «المصاحف» لابن أبي داود (ت٣١٦هـ) ضالتهم المنشودة، حيث عثروا فيه على روايات متناقضة ومنقطعة في الموضوع الواحد، كان هدف المؤلف من وراء ذكرها جمع كل ما بلغه في شأن جمع القرآن، واختلاف مصاحف الصحابة والتابعين، دون تمحيص أو تثبت، فكان أن وجد فيه المستشرقون مادة خصبة يبنون عليها أفكارهم ونظرياتهم.

فقد حاول المستشرقون مثلاً إثارة الخلاف حول أول من جمع القرآن، وذلك بالاستناد إلى روايات متقطعة، يقول كاتب مادة القرآن المشار إليها أعلاه: «حسب بعض الأحاديث المروية يكون عمر قد سأل عن أي من كتاب الله فقيل له: «كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال عمر: إنا لله وأمر بالقرآن فجمع، فكان أول من جمعه في المصحف»، وهذه الرواية اقتنصها المستشرق ويلش من كتاب «المصاحف» لابن أبي داود(٩) وهي رواية ضعيفة جداً حكم الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) بانقطاعها وحمل عبارة «فكان أول من جمعه» على معنى أنه أول من أشار بجمعه.(١٠)

واستناداً إلى بعض الأحاديث الضعيفة أيضاً استنتج بعض المستشرقين أن القرآن قد سقطت منه بعض الآيات أثناء جمع الصحابة للقرآن، فمثل هذه الأحاديث تنسب للرسول - ﷺ - قوله: «رحم الله فلاناً لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت «سقَّطتهن» ومن ذلك أيضاً قولهم بضياع الكثير من الآيات القرآنية أثناء الجمع، استناداً إلى قول عمر - رضي الله عنه -: «لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، قد

ذهب منه كثير، ولكن ليقل: قد أخذت ما ظهر منه»(١١)

فهاتان الروايتان ضعيفتان لا أساس لهما من الصحة، واعتماد المستشرقين عليهما وعلى غيرهما من الضعيف والموضوع في نسج الأحكام وبنائها يدل على سوء النية وقصد تحطيم المسلمات الإسلامية، وهذا أمر يشين منهجهم العلمي ويعيبه على مستويات عدة، ولا شك أن كثرة اعتماد القوم على كتاب ابن أبي داود وبخاصة في مجال تحقيق تاريخ النص القرآني واعتماد الروايات المنقطعة التي يعج بها كتاب «الإتقان» للسيوطي تبين لنا طبيعة المنهج المسلوك لدى المستشرقين في دراسة واعتماد مصنفات علوم القرآن، ومن معالم هذا المنهج أيضاً إطلاق الحكم أولاً ثم البحث في مصادر علوم القرآن والتفسير عما يعززه ويصلح لأن يكون شاهداً ومسوِّغاً لذلك، مثاله ما ادعاه جُلُّ المستشرقين من أن الرسول - ﷺ - لم يكن أمياً كما يعتقد المسلمون ذلك، فمعنى الأمية في القرآن لا تعني الجهل بالقراءة والكتابة، وإنما تعني الذين لم يتلقوا أي وحي أو كتاب، فهم الجاهلون بالشريعة الإلهية، كما يقول بلاشير.(١٢)، ويعززون رأيهم المتهافت هذا بما أورده الطبري في تفسيره من معنى موافق لهذا الرأي، مستنداً إلى رواية مأثورة، وبالرجوع إلى تفسير الطبري عند تفسير قوله تعالى: (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني)(١٣)، نجد الطبري قد أورد روايات متعددة منها قوله فيما رواه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ولا كتاباً أنزله الله، فكتبوا كتاباً بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال «هذا من عند الله»، وقال: قد أخبر الله أنهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله، لكن الطبري عقَّب على هذا القول بأن قال: «وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب»، ثم يعزز حديثه بقوله ﷺ : «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»، ثم ختم بقوله: «فإذا كان معنى الأمي في كلام العرب ما وضعنا فالذي هو أولى بتأويل الآية ما قاله النخعي من أن معنى قوله «ومنهم أميون»، ومنهم من لا يحسن أن يكتب.(١٤)، فاعتماد المستشرقين على تأويل ضعيف دون غيره من التأويلات من جهة ورجوعهم إلى الطبري الذي استقل بإيراد التأويل البعيد من جهة ثانية، وإغفالهم لنقل تعقيب الطبري على تلك الآراء والتأويلات بترجيح الرأي المعروف والسائد من جهة ثالثة، كل ذلك يؤكد خطأ منهج هؤلاء في الرجوع إلى المصادر العربية واعتماد المعلومات والرويات المبثوثة فيها.

٣ - توليد النصوص والشواهد بتصيدها من كتب الأدب والتاريخ وغيرها:

يعتمد المنهج الاستشراقي في دراسته مصنفات علوم القرآن على اقتباس النصوص والشواهد المعينة على بناء الأحكام واستخلاص النتائج، غير أنه في بعض الأحيان قد لا يُسعف مصادر علوم القرآن في تقديم ما يبرر ويسوِّغ آراء القوم التي يرمون إليها، فيلتجئ هؤلاء إلى مصادر أخرى بحثاً عما يعينهم على بلوغ مأمولهم فيجدون بغيتهم في كتب التاريخ والأدب وغيرها دون أدنى اكتراث بما يشكله اعتماد تلك المصادر في أمور جوهرية ترتبط بمجال القرآنيات من خلل منهجي كبير ربما كان المستشرقون أول من نبهوا إلى خطورته وعواره في أبحاثهم الأخرى.

وهكذا مثلاً يتم الاعتماد على كتاب مروج الذهب للمسعودي وكتاب الأغاني للأصفهاني وكتاب الفهرست لابن النديم وكتاب الإحياء للغزالي وكتاب الحيوان للدميري وغيرها.(١٥) في دراسة علوم القرآن والتفسير، فغولدزيهر مثلاً في كتابه «مذاهب التفسير الإسلامي» لا يتوانى في اعتماد كل المصادر العربية، كيفما كانت مجالاتها واتجاهاتها في سبيل تدعيم آرائه وأفكاره في حقل التفسير القرآني، والمستشرق الفرنسي بلا شير في كتابه «مدخل إلى القرآن الكريم» قد نحا المنحى نفسه، فتصيد كثيراً من النصوص والشواهد من بطون كتب الأدب والتاريخ، وقد يهدف أحياناً من وراء ذلك إلى خلق نوع من التشويش والبلبلة في الأذهان، ففي معرض حديثه عن عدد السور المكية والمدنية أحال أحد الهوامش على كتاب «الإتقان» ثم قال بعد ذلك: حسب رواية يقدمها لنا ابن النديم في كتابه «الفهرست» فإن عدد السور المكية ٨٥ وعدد السور المدنية ٢٨، ثم يعقب بقوله: لاحظوا فالمجموع ١١٣ سورة(١٦)، وهنا نجد الرجل الذي عُرف بمنهجه الصارم، وحسه النقدي في البحث لم يشأ أن يقول: ربما وقع سهو في كلام ابن النديم أو أن العدد ٨٦ تحول إلى ٨٥ خطأ أثناء النسخ أو شيء من هذا القبيل مادام إجماع الأمة الإسلامية، وكذا ما تنطق به الملايين من المصاحف المطبوعة على أن عدد سور القرآن ١١٤ سورة.

٤ - تجاهل اختلاف منازل تلك المصادر في الثقة والتعويل

لا شك أن من يسعى إلى اقتناص وتصيُّد الروايات والأخبار من مختلف المصادر دون تمييز بينها لا يُلقي بالاً إلى قيمتها، وبالتالي فهو يتجاهل تفاوتها من حيث الثقة والمصداقية، وهذا ما ينطبق على البحث الاستشراقي في مجال القرآنيات الذي يختلف عن البحث الإسلامي المؤسس على منهج اعتماد الموثوق من المصادر والمشهود له بالأولية والتميز، لذلك فإن معظم المستشرقين وهم يبحثون في علوم القرآن والتفسير يعمدون إلى تقديم كتب ثانوية وغير موثوقة على ما هو معروف لديهم من كتب موثوقة ومعوَّل عليها، ولعل هذا المنهج الخاطئ كفيل بأن يؤدي إلى نتائج مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك، فالمصادر الموثوقة ليس فيها ما يُسعف القوم تبرير وتسويغ ما يرمون إليه من الاستنتاجات والأحكام المغرضة.

ويبدو أن من أعظم أخطاء هذا المنهج المتمثل في عدم ترتيب المصادر حسب موثوقيتها، وقيمتها تقديم كتب المستشرقين على غيرها من كتب العلماء المسلمين الأوائل في نقل الروايات والمأثورات، فهذا بلاشير مثلاً في كتابه السالف الذكر لا يتوانى في كل مرة في الإحالة على كتاب نولدكه فيما يتعلق بذكر أحاديث نبوية.(١٧) أو روايات ترتبط بجمع القرآن مثلاً والتي نقلت في البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي وغيرهما.

والمثير للغرابة أن يلجأ بلاشير في هامش واحد إلى الإحالة على كتاب نولدكه أولاً ثم يقفيه بكتاب الواحدي في أسباب النزول وتفسير أبي حيان ثم الإتقان للسيوطي.(١٨)

٥ - الخطأ في النقل الذي ينتج عنه الخطأ في الفهم والحكم:

مما عُرف عن المستشرقين الولع الشديد بالتحقيق العلمي الصارم والحس النقدي العميق إلا أنهم يسقطون أحياناً في هفوات ناتجة عن الخطأ في النقل من مصادر علوم القرآن، وهذا الخطأ قد يكون أمراً عادياً إذا لم يترتب عنه خطأ آخر في استنتاج حكم ترتب عنه، ولكن

عندما يتطور الأمر إلى ذلك فإن الخطأ يصبح حينئذ فظيعاً يصيب المنهج المتبع بخلل وعيب كبيرين.

مثال ذلك ما وقع فيه جُلُّ المستشرقين الباحثين في تاريخ للنص القرآني من وهم تاريخي عندما يتحدثون عن السنة التي تم فيها استنساخ المصاحف في عهد عثمان - رضي الله عنه - فهم متفقون جميعاً على أن ذلك كان سنة (٣٠هـ)، وهو ما تذكره بعض كتب التاريخ خطأ (١٩)، والصحيح الذي لا شك فيه أن ذلك كان سنة (٢٥هـ)، وقد حقق الحافظ ابن حجر في المسألة تحقيقاً دقيقاً بقوله: «وكانت هذه القصة «أي جمع القرآن» في سنة خمس وعشرين في السنة الثانية أو الثالثة من خلافة عثمان»(٢٠).

فهذا الخطأ في النقل كان من الطبيعي أن يقع فيه باحث عادي، لكن أمثال بلاشير الذين عرفوا بصرامتهم ودقتهم في التأكد من الحقائق التاريخية ووقعائها، ومقارنتها بملابساتها والظروف التي وقعت فيها يستغرب منهم الوقوع في مثل هذا.

والمشكلة لا تكمن في هذا النقل الخاطئ وإنما في الأحكام التي استنتجها بلاشيرو ونسج حولها كثيراً من التساؤلات الغريبة والتشكيكات المثيرة، أولها قوله إن لوائح أسماء الصحابة المكلفين بمهمة جمع القرآن في عهد عثمان - رضي الله عنه - يبدو فيها اضطراب كبير، فهناك على سبيل المثال لائحة قدمها ابن أبي داود فيها لرسم أبي بن كعب، وهذا الأخير قد توفي قبل العام (٣٠هـ) بسنتين على الأقل، فيكون بلاشير بذلك قد أوقعه الخطأ في تعيين تاريخ الجمع الثالث للقرآن في التشكيك في وجود اسم أبي ضمن لوائح جمّاع القرآن، فهو إذاً خطأ في الحكم نتج عن خطأ في النقل.

من جهة أخرى استنتج بلاشير أن إدراج اسم سعيد بن العاص في اللائحة الرباعية المشهورة إنما كان على سبيل التشريف فحسب، لأنه في العام ٣٠هـ كان سعيد بن العاص والياً على الكوفة ويستحيل أن يكون قد زاول مهمة الجمع عملياً.(٢١)

وهناك مثال يبين لنا وقوع المستشرق pierre croppondelepsna في خطأ في الفهم ترتب عنه خطأ في الحكم، فقد أورد الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه: «مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد»(٢٢)، وفهم منه أنه لم يكن يحفظ القرآن قبل موت النبي - ﷺ - إلا أربعة، وهذا خطأ كبير، إذ لا يفهم من الحديث حصر حفظة القرآن من الصحابة في هؤلاء الأربعة، بل المراد إن الذين جمعوا القرآن كتابة هم هؤلاء، ولذلك قال الإمام الماوردي (ت٤٥٠هـ): «وكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكمله سوى أربعة والصحابة متفرقون في البلاد وإن لم يكمله سوى أربعة فقط حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون وقال الشيخ: وقد سعى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام القراء من الصحابة في أول كتاب القراءات له قسمي عدداً كثيراً»(٢٣).

أما الخطأ في الحكم الذي وقع فيه هذا المستشرق فهو قوله إن هؤلاء الأربعة كلهم مدنيون وبذلك يكون هناك ثمة ضعف يتخلل حفظهم مادامت تسعون سورة كلها مكية.(٢٤)

وهكذا يكون اقتصار الرجل على اللائحة الرباعية أمراً كفيلاً بالحكم على أن جُمّاع القرآن كانوا مدنيين وليس منهم مكيون ليخلص بالتالي إلى نتيجة مفادها أن القرآن الذي وصل إلينا لم يكن عن طريق مباشر مادام هؤلاء الأربعة إنما أخذوا ثلثي القرآن «القرآن المكي» بوساطة المهاجرين ولست أدري ماذا فعل هذا المستشرق بأسماء لامعة في مجال جمع وحفظ القرآن أمثال عبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وسالم بن معقل وغيرهم كثير، إنه لو أنصف المستشرق وتنزه عن أغراضه في البحث لوجد عشرات الشواهد والأدلة التي تبطل ما ادعاه واستنتجه بشكل تعسفي يدل على انحراف منهجه عن سبيل النقل الأمين والفهم السليم ثم الحكم السديد. ■

الهوامش:

١ - انظر معلومات أخرى عن هذا الموضوع في كتاب «المستشرقون» لنجيب العقيقي «تراجم مختلفة».

٢ - Arthur Jeffery: Materiels for the history of the text of the cluran Istanloul 1930.

٣ - مصطفى عبدالرزاق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٧.

٤ - نجيب العقيقي: المستشرقون، طبعة دار المعارف بالقاهرة الرابعة ٣٥٢/٣.

٥ - الكتاب وضع في أصله باللغة اللاتينية العام ١٨٥٦، ثم نشر باللغة الألمانية العام ١٨٦٠م، ثم أعيد طبعه وتنقيحه من طرف تلامذة المؤلف برتزل وشوالي وبرجستراسر ما بين الأعوام ١٩٠٩ و ١٩١٩م في ثلاثة أجزاء.

٦ - Al Quran in encyclafedie de l,islam. 2 ed, tome puos lenis 1986.

٧ - إنياس غولد زيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة د. عبدالحليم النجار، دار اقرأ بيروت.

٨ - انظر كتاب «اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر للدكتور محمد إبراهيم شريف، دار التراث بالقاهرة ١٩٨٢م ص ٧.

٩ - كتاب «المصاحف» نشر جفري ص ١٠.

١٠ - ابن حجر: فتح الباري ٣١٠/٩.

١١ - مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢٦٣/١.

١٢ - Refis Bla chere:Iutoductin on coron, 2ed-parid 1973 p78

١٣ - البقرة: ٧٨.

١٤ - تفسير الطبري: ٥٢٨/١.

١٥ - انظر اعتماد غولد زيهر على هذه الكتب في كتابه السالف الذكر في الصحفات التالية: ٧٨ - ٨٣ - ٩٠ - ٩١، وانظر اعتماد بلاشير على مروج الذهب في كتابه ص ٢٩ و ٧٦.

١٦ - Blachere: op cit p243, Mote: 350.

١٧ - انظر مثلاً ٦٩، حيث أحال في الهامش ٨٩ على كتاب نولدكه فيما يخص حديثاً رواه أنس بن مالك.

١٨ - Blacere: opcit p243, nate 349.

١٩ - انظر مثلاً كتاب الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ٣٠، وكتاب النشر لابن الجزري ص ٧.

٢٠ - فتح الباري: ١٥/٨.

٢١ - Blachere: op cit p56.

٢٢ - صحيح البخاري ١٠٣/٦، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

٢٣ - البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٤٢/١.

٢٤ - Pierre crappan de crapsna: le coron aur sowcesde la parale araculaire Paris 1981 p 153.

دراسات فقهية

تعتبر مباحث أصول الفقه من أهم العلوم الشرعية إذ عليها مدار الفتوى والاجتهاد، وابن القيم (ت: ٧٥١هـ) قد أفصح عن جل المباحث الأصولية، مازجاً إياها بالأحكام الفقهية، كاشفاً عن أسرارها، وتحقيق ما يلائم سياسة الأمة بالعدل في كل زمان ومكان.

سمات اتجاه ابن القيم الأصولي

بقلم : د. عبدالله الخضر

أولاً : الموضوعية في عرض الآراء

ابن القيم وإن كان متكلماً حاذقاً على طريقة الأشاعرة والحنابلة، فطريقته في الأصول تبدو أقرب إلى طريقة الفقهاء (١) منها إلى طريقة المتكلمين ... (٢) لكثرة الأمثلة الفقهية التي يوردها للاستدلال والاحتجاج.

فبعد أن يستهل المسألة الأصولية بتقرير القضية المطروحة بسببها، ينتقل إلى التذكير بمختلف الآراء التي قدمت لحلها، في أوساط الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية، وأحياناً الشيعة والمعتزلة.

ثم يحاول نصرة مذهبه والاستدلال لما يختاره من أقوال، معتمداً على الأمثلة الفقهية، مستشهداً بها بعد أن يكون قد دعمه بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أقوال الصحابة والتابعين، وعندما يفسح المجال لخصمه من أي مذهب كان، فإنه يستعرض معه ما ساقه من حجج وأدلة واستشهادات، وذلك في صورة مفصّلة موفية بالغرض المقصود من حيث الدقة والبيان.

وغالباً ما يأتي عرضه مسهباً لمختلف الآراء الفقهية الخلافية، في أي كتاب تناول ذلك من كتبه، وابن القيم من هذه الناحية يبدو أكثر موضوعية.

ثانياً : مزجه بين الفقه والأصول

من المؤكد أن لب المنهج الذي سلكه ابن القيم في تناوله للمباحث الأصولية، إنما هو ربط الفروع بالأصول، والدليل على ذلك أنك لا تكاد تمر بمسألة إلا وتجده قد ربطها بأصلها الذي استمدت منه.

وغاية ابن القيم ليست الإحاطة بالفروع، وإنما هي غاية تعليمية منهجية، القصد منها معرفة طرق العلماء وأساليبهم في استنباط الفروع من الأصول، فالهدف إذاً أن يتمكن الفقيه من الأصول ليحيط بالفروع إحاطة منهجية من ناحية، ولكي يتمكن بدوره من الاجتهاد، ذلك أن الإحاطة بالفروع بمعزل عن الأصول أمر لاسبيل إليه، لتعددها لا يقع تحت الحصر.

إن ابن القيم يمزج بين الفقه وأصول الفقه، فالأحكام التي اعتمد ما هي إلا قواعد استنبطها الأصوليون قبله، وعمدتهم في ذلك كتب الخلافيات في الفقه، وقد أرادوها كالمعايير يرجعون إليها عند الدفاع والتسويغ أو الهجوم والنقص.

وابن القيم لم يشذ عن هذه السنة، فهو وإن تعرض لمختلف الآراء الخلافية حول المسألة الواحدة، ونقلها بما يجب من التحري والتفصيل، إلا أنه مع ذلك يكون له موقف يدافع عنه بأدلة وحجج وافية، وهو في هذا المجال يعبر عن تفتح ذهني نادر في عصره.

وموقف ابن القيم هذا جدير حقاً بكل اهتمام، إذ طريقته تعتبر نموذجاً لتطبيق أصول الفقه تطبيقاً منهجياً على كامل أبواب الفقه، يعتمدها الفقيه كالمعيار وكالمرجع للبيان والتأويل.

> **ابن القيم كان متكلماً حاذقاً على طريقة الأشاعرة والحنابلة**

فمزج ابن القيم الفقه بأصوله الغرض منه تكوين ملكة الفقيه، وجعل الفقيه يترك السعي وراء الفروع وحفظها، وعن الاجترار والتقليد، ودفعه إلى النظر والاستنباط واتباع مناهج الفقهاء المجتهدين الذين لم يكونوا يفرقون بين الفقه وأصوله، وإنما الفقه عندهم معرفة الأصول.

وانظر إليه يعبر عن هذا الهدف فيقول: «والفقيه من يطبق بين الواقع والواجب وينفذ الواجب بحسب استطاعته، لا من يلقي العداوة بين الواجب والواقع، فلكل زمان حكم» (٣). ومن التطبيقات التي يمكن أن نسوقها لابن القيم في ربطه بين الفقه والأصول، ما ذكره عن الآية الكريمة : (**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**) (٤).

حيث قال : «وهذا فيه عموم من ثلاث جهات: أحدها عموم المخبر عنه، وهو أولات الأحمال، فإنه يتناول جميعهن، والثاني: عموم الأجل، فإنه أضافه إليهن، وإضافة اسم الجمع إلى المعرفة يعم، فجعل وضع الحمل جميع أجلهن، فلو كان لبعضهن أجل غيره، لم يكن جميع أجلهن، الثالث : أن المبتدأ والخبر معرفتان، أما المبتدأ: فظاهر، وأما الخبر - وهو قوله : (**أن يضعن حملهن**).

ففي تأويل مصدر مضاف، أي أجلهن وضع حملهن، والمبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين، اقتضى ذلك حصر الثاني في الأول، كقوله تعالى :

(يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) (٥) وبهذا احتج جمهور الصحابة على أن الحامل المتوفى عنها زوجها، عدتها وضع حملها (٦)، ولو وضعته والزوج على المغسل.

ثالثاً : توخيه التأصيل واهتمامه به

إن توقف ابن القيم عند الفروع والجزئيات، يكون في الغالب بهدف التأصيل، أكثر مما يكون بهدف البيان والإيضاح والتفسير.

فالتأصيل عنده هو الهدف الأسمى والغاية المثلى، ونظراً لكثرة اهتمامه بالتأصيل وميله إليه، نجده كلما وجد فرصة مناسبة انتهزها لتأصيل أصل ما، كقوله : «إن الله حرّم نكاح الأمة على القادر على نكاح الحرة، إذا لم يخش العنت، لأن ذلك ذريعة إلى إرقاق ولده، حتى لو كانت الأمة من الأيسات من الحبل والولادة لم تحل له سداً للذريعة، ولهذا منع الإمام أحمد الأسير والتاجر أن يتزوج في دار الحرب خشية تعريض ولده للرق، وعلله بعلة أخرى، وهي أنه قد لا يمكنه منع العدو من مشاركته في زوجته. (٧)

بعد أن تحدث ابن القيم في كتابه «الطرق الحكمية» على فروع فقهية كالتسعير والمشاركات والمساقاة والمزارعة، قال : «والمقصود : أن هذه أحكام شرعية : لها طرق شرعية، لا تتم مصلحة الأمة إلا بها، ولا تتوقف على مدع ومدعي عليه، بل لو توقف على ذلك: فسدت مصالح الأمة واختل النظام ...» (٨)

فنرى من خلال ما تقدم كيف أن ابن القيم يتوقف عند جزئيات ليس غرضه الأساسي بيانها وشرحها، وإنما تأصيل أصل من الأصول : فهو في النص الأول إظهار أصل سد الذرائع، وفي النص الثاني: هدفه بيان أصل المصالح، وبالضبط المصالح الضرورية.

رابعاً : ربطه المقاصد بالأصول

علق ابن القيم أهمية كبيرة على مراد المتكلم، وعنى بالقرآن يدرّسه، فلا غرو أن يعرف مراد الله من الاستعمال القرآني، يؤازره فقهه في الشرع.

يقول ابن القيم: «وكم من مسألة ظاهرها ظاهر جميل وباطنها مكر وخداع، فالغر ينظر إلى ظاهرها، ويقضي بجوازه، وذو البصيرة يتفقد مقصدها وباطنها» (٩)

وليس فقط لقوله : «يتفقد مقصدها» نعده مع زمرة أهل المقاصد من الأصوليين، فالأمثلة كثيرة، وتوكيده لهذا المعنى يعزز اتجاهه ومنهجه نحو استنباط الأمور وبيان قصد الشارع.

ويذكر قاعدة شرعية في هذا الصدد، وهي أن الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفاً ودلالة على ما في نفوسهم، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئاً عرفه بمراده وما في نفسه بلفظه، ورتب على تلك الإرادات والمقاصد أحكامها بوساطة الألفاظ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول، ولا على مجرد ألفاظ، مع العلم بأن المتكلم بها لم يرد معانيها، فإذا اجتمع القصد والدلالة القولية أو الفعلية ترتب الحكم (١٠)، ولهذا ألغى الشارع الألفاظ التي لم يقصد المتكلم معانيها، بل جرت على غير قصد منه، كالنائم والناسي والسكران والجاهل والمكره والمخطئ من شدة المرض أو الغضب أو الفرح، ولهذا لم يكفر من قال من شدة فرحه براحلته بعد يأسه منها : «اللهم أنت عبدي وأنا ربك» (١١).

وقد ضرب ابن القيم أمثلة لاتخلو من سخرية لمن يلتزمون بحرفية معنى الألفاظ، كما إذا قيل لأحدهم : اذهب فاملأ هذا الجرة، فذهب فملأها ثم تركها على الحوض، وقال : لم تقل لي : ائتني بها. (١٢)

وليس ينفع شيئاً أن نسمي السحت هدية، أو الربا بيعاً، أو الزنى زواجاً، فدلالة النص عند ابن القيم هي دلالة اللفظ على الحكم في شيء يوجد فيه معنى يفهم لغة من اللفظ أن الحكم في المنطوق لأجل ذلك المعنى، يقول ابن القيم: «ومعلوم أن التحريم تابع للحقيقة والمفسدة، لا للاسم والصورة ...» (١٣).

لب منهج ابن القيم في تناوله للمباحث الأصولية هو ربط الفروع بالأصول

خامساً : سعيه نحو التقعيد

لقد حرص ابن القيم على الاقتصار على القواعد والأصول من القضايا الجديرة من أن تصبح قانوناً ودستوراً، وكذلك على الأمهات منها :

وفيما يلي نماذج من ذلك :

- «لا ضمان على من قصد حفظ مال غيره ولو أتلف بعضه» (١٤).
- «كل دعوى يكذبها العرف وتنفيها العادة فإنها مرفوضة غير مسموعة»(١٥).
- «ما لا يمكن قسمة عينه، فإنه يباع ويقسم ثمنه»(١٦).
- «اجتهاد الرأي يباح للمضطر كما تباح له الميتة عند الضرورة»(١٧).
- «الأحكام تتغير بتغير الاجتهاد» (١٨).
- «الأصل في الأحكام المعلقة بأسماء عامة ثبوتها لكل فرد من تلك المسميات» (١٩).
- «الأحكام المعلقة على المجموع، يؤتى فيها باسم يتناول المجموع دون الأفراد» (٢٠).
- «ما استبان لك فاعمل به، وما اشتبه عليك فكله إلى عالمه» (٢١).
- «تحصيل أعلى المصلحتين وإن فات أدناهما، ودفع أعلى المفسدتين وإن وقع أدناهما» (٢٢).
- «المفسدة تزيد بالحيلة ولا تزول، وتضاعف ولا تضعف» (٢٣).

- «لا واجب مع عجز ولا حرام مع ضرورة» (٢٤).

- «الأصل في العبادات البطلان، حتى يقوم دليل على الأمر، والأصل في العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم» (٢٥)

- «كلما كان الرجل إلى الحديث أقرب كان قياسه أصح» (٢٦).

- «الحكم يعم بعموم علته» (٢٧).

سادساً : الاستيعاب والشمول

نجد ابن القيم في تناوله للقضايا الأصولية إذا عرض لمسألة من المسائل، غالباً ما يستوعب الكلام فيها من جميع جوانبها، وذلك بأن يورد أقوال الطوائف فيها، ثم يتبع هذا بمناقشة أدلتهم، ثم ينتهي إلى رفض الآراء التي لا تثبت أمام النقد، واختيار الرأي الذي يتفق مع العقل والنقل الصحيح في نظره.

ويصرح ابن القيم بأن هذا الطابع الموسوعي في التأليف هو طريقته التي من الله تعالى بها عليه، فيقول - بعد حكاية أقوال كثير من العلماء في مصير الأرواح بعد الموت - :

«فهذا ما تلخص لي من جميع أقوال الناس في مصير أرواحهم بعد الموت، ولا تظفر به مجموعاً في كتاب واحد غير هذا ألبتة، ونحن نذكر مأخذ هذه الأقوال وما لكل قول وما عليه، وما هو الصواب من ذلك الذي دل عليه الكتاب والسنة على طريقتنا التي منَّ الله بها، وهو مرجو الإعانة والتوفيق» (٢٨).

وكذلك يصرح بأن هذه الطريقة الموسوعية من الجود الذي يحبه الله

الضوابط التي أسسها ابن القيم تعتبر من الضوابط التي لا يستغني عنها البحث العلمي

ورسوله، وفي ذلك يقول : «فمن جود الإنسان بالعلم : أنه لا يقتصر على مسألة السائل، بل يذكر له نظائرها ومتعلقها ومأخذها بحيث يشفيه ويكفيه، وقد سأل الصحابة رضوان الله عليهم النبي - ﷺ - عن المتوضئ بماء البحر، فقال : « **هو الطهور ماؤه الحل ميتته** » (٢٩).

فأجابهم على سؤالهم، وجاد عليهم بما لعلهم في بعض الأحيان أحوج إليه مما سألوه عنه » (٣٠).

فهو يستفرغ الجهد في التبويب والتفصيل والتقسيم والتنويع والتحديد والجمع والتفريق، يقوم ويعدل، ويهذب وينمق، ويبالغ في كل شيء فيه حتى يأتي على آخر ما يبلغه الجهد، بحيث لا يدع لباحث بعده مجالاً لأن يقول شيئاً.

والخلاصة لما تقدم

إن الضوابط المنهجية التي أسسها ابن القيم والتزم بها تعتبر من الضوابط التي لا يستغني عنها البحث العلمي الموضوعي في أي وقت. إنه منهج ينم عن قدرته على تمثيل علم الأصول الذي أصبح من المميزات الكبرى لفكره وينم عن قدرته على توظيفه توظيفاً لو لم يكن له سواه لكفاه شرفاً وفخراً، ولكان ذلك وحده مؤهلاً كافياً لتصنيفه ضمن الأصوليين الكبار.

إنه منهج ينبني على التنويع الذي يجنب القارئ السأم والملل، ويشده شداً، ويجعله يستفيد دون أن يحس بحواجز بين علم الأصول وما يرتبط به من العلوم، كما يجعله يدرك إدراكاً عميقاً أهمية أصول الفقه وغايته. ■

الهوامش :

١ - طريقة الفقهاء أو الأحناف: هي طريقة متأثرة بالفروع وتتجه لخدمتها وإثبات سلامة الاجتهاد فيها، وتمتاز هذه الطريقة بأخذ القواعد الأصولية من الفروع والأحكام.
٢ - طريقة المتكلمين أو الشافعية: من خصائصها تجريد صور المسائل الأصولية عن الفقه والميل إلى الاستدلال العقلي ما أمكن.
٣ - إعلام الموقعين لابن القيم: ٢٢٠/٤، «تعليق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣».
٤ - الطلاق: ٤.
٥ - فاطر: ١٥.
٦ - زاد المعاد لابن القيم: ٥٩٤/٥: «تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: ٦: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م».
٧ - أعلام الموقعين: ١٥٢/٣.
٨ - الطرق الحكمية لابن القيم: ٢٦٥، «تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت».
٩ - أعلام الموقعين: ٢٢٩/٤.
١٠ - نفسه: ١٠٥/٣.
١١ - نفسه: ٦٣/٣ و ٩٥.
١٢ - نفسه: ١١٥/٣/٣.
١٣ - نفسه: ١١٦/٣.
١٤ - الطرق الحكمية: ٢٣.
١٥ - نفسه: ٨٩.
١٦ - نفسه: ٢٥٩.
١٧ - أعلام الموقعين: ٢٨٤/٢.
١٨ - نفسه: ١١١٠/١.
١٩ - ٢٠ - نفسه: ١٢٧/٤.
٢١ - نفسه: ٢٥٠/٢.
٢٢ - نفسه: ٢٧٩/٣.
٢٣ - نفسه: ٢٨٧/١.
٢٤ - نفسه: ٤١/٢، ٢٩/٣، ٣٠/٢٠.
٢٥ - نفسه: ٣٤٤/١.
٢٦ - نفسه: ٣٤٩.
٢٧ - مفتاح دار السعادة لابن القيم: ٣٩/١، «دار الفكر».
٢٨ - الروح لابن القيم: ٩٣، «مطبوعات محمد علي صبيح، مصر، ط: ٢: ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م»، وانظر مثل هذا الكلام في: مفتاح دار السعادة: ٣٢/١، ١١٠/٢.
٢٩ - تنوير الحوالك للسيوطي: ٤٥/١، (دار الكتب العلمية بيروت).
٣٠ - مدارج السالكين لابن القيم: ٢٩٤/٢، «تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

العلمانيون

فكر

العلمانية فكر غريب عن ديارنا الإسلامية، نشأ في أحضان أوروبا، وكان له دوافعه ومبرراته، فلقد حاولت أوروبا بوساطته الخروج من قيد الظلام والطغيان الذي سادها في القرون الوسطى، تتلمس سبيل النجاة والرقي، ولكنها خرجت من قيد إلى قيد آخر، والغريب محاولة إدخال هذا الفكر إلى ديارنا الإسلامية عن طريق قوى خارجية وطائفة من أبناء الأمة الإسلامية الذين نشأوا في أحضان الغرب العلماني، حيث تشرَّبوا هذا الفكر الخاطئ وظنوا كما ظنت أوروبا أول الأمر أنه سبيل النجاة فحملوا أوزارهم على ظهورهم ومن أوزار الذين يضلونهم فبئس القوم الظالمين.

الاعتصام بالإسلام سبيل النجاة

قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) المائدة: ١٥ - ١٦، وقال تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) النور: ٦٣، وقال تعالى: (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) الأعراف: ١٧٠.

إن الصيغة اللفظية «يمسكون» تصور مدلولاً يكاد يحس ويرى إنها صورة القبض على الكتاب بقوة وجدّ وصرامة الصورة التي يجب الله أن يؤخذ بها كتابه وما فيه في غير تعنت ولاتنطع ولا تزمت، فالجد والقوة والصرامة لاتنافي اليسر ولكنها تنافي التميع ولا تنافي سعة الأفق ولكنها تنافي الاستهتار، والتمسك بالكتاب، في جد وقوة وصرامة وإقامة الصلاة - أي شعائر العبادة - هما طرفا المنهج الرباني لصلاح الحياة والتمسك بالكتاب في هذه العبارة مقروناً إلى الشعائر يعني مدلولاً معيناً، إذ يعني تحكيم هذا الكتاب في حياة الناس لإصلاح هذه الحياة مع إقامة شعائر العبادة لإصلاح قلوب الناس فهما طرفان للمنهج الذي تصلح به الحياة والنفوس ولا تصلح بسواه والإشارة إلى الإصلاح في الآية (إنا لانضيع أجر المصلحين)(١).

وعن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي - ﷺ - قال: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فاطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق» رواه مسلم.

بقلم: د. خالد سعد النجار

تعريف العلمانية

لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة Secularism في الإنكليزية أو Secularite في الفرنسية وهي كلمة لا صلة لها بلفظ «العلم» ومشتقاته على الإطلاق فالعلم في الإنكليزية والفرنسية معناه Science والمذهب العلمي تطلق عليه كلمة Secientism والنسبة إلى العلم هي Scientitic أو Scientitique في الفرنسية ثم إن زيادة الألف والنون غير قياسية في اللغة العربية أي في الاسم المنسوب وإنما جاءت سماعاً ثم كثرت في كلام المتأخرين كقولهم «روحاني وجسماني ونوراني...» والترجمة الصحيحة للكلمة هي «اللادينية» أو «الدنيوية» لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد وتتضح الترجمة الصحيحة من التعريف الذي تورده المعاجم ودوائر المعارف الأجنبية للكلمة.

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة Secularism: هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها.

ويقول معجم اكسفورد شرحاً لكلمة Secular:

١ - دنيوي أو مادي ليس دينياً ولا روحياً: مثل التربية اللادينية الفن أو الموسيقا اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

٢ - الرأي الذي يقول إنه لاينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية.

ويقول المعجم الدولي الثالث الجديد مادة Secularism: اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لاتتدخل في الحكومة أو استبعاد

هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً فهي تعني مثلاً «السياسة اللادينية البحتة في الحكومة» وهي نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين.

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو «فصل الدين عن الدولة» وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة ولو قيل إنها «فصل الدين عن الحياة» لكان أصوب(٢).

نظرة تاريخية حول أسباب نشأة العلمانية الأوروبية

لقد ساد المجتمع الأوروبي أحقاباً طويلة فساد في التصورات والسلوكيات كان له الدور الأكبر في أن تعيش أوروبا ردحاً من الزمان في تخلف فكري وعملي نذكر من مظاهره على سبيل المثال:

١ـ «عقيدة التثليث» التي تناقض الفطرة البشرية السوية التي تهتف بوحدانية الخالق.

٢ـ «عصمة البابوات» فلقد أعطي البابوات العصمة من الخطأ بقرار من مجمع روما المنعقد العام ١٨٦٩م وصار للبابا حق الطاعة العمياء.

٣ـ «المجامع المقدسة»: التي تحل ما رأته حلالاً وتحرّم ما رأته حراماً، وفي ذلك يقول د. وليام تامبل أسقف كنيسة كنتربري وحبر من أحبار إنكلترا «إن من الخطأ الفاحش أن نظن أن الله وحده هو الذي يقدم الديانة أو القسط الأكبر منها».

٤ـ «صكوك الغفران»: ففي العام ١٢١٥م صدر عن مجمع روما قرار خطير يعطي البابا حق غفران الذنوب استناداً إلى نص محرّف ينسب إلى المسيح في قوله لبطرس: «وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحلله على الأرض يكون محلولاً في السموات» كما صدرت «قرارات الحرمان» إذ من يملك حق المغفرة يملك حق الطرد من رحمة الله.

٥ـ «حياة الرهبنة»: وتقوم على ركيزة أن عملية الخلاص من الخطيئة لا تتم إلا بإنكار الذات وقتل كل الميول الفطرية والرغبات الطبيعية والاحتقار البالغ للجسد وشهواته ولاسيما الشهوة الجنسية، وتمارس حياة الرهبنة داخل الأديرة بالانقطاع عن الحياة العامة ونتيجة مصادمتها الفطرة الطبيعية للإنسان شهدت الأديرة أحط ألوان الفساد.

٦ـ «محاكم التفتيش»: التي بدأت في إسبانيا العام ١٤٧٨م حين أراد البابا جريجوري التاسع محاكمة الهراطقة مخالفي الكنيسة وبوساطتها أدخل آلاف العلماء ودعاة التنوير إلى السجون.

٧ـ «النظام الاقطاعي»: والذي كان رجال الدين أحد أركانه يقول «ديورانت»: أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي وأكبر السادة الاقطاعيين في أوروبا، فقد كان دير «فلدان» مثلاً يمتلك خمسة عشر ألف قصر صغير، وكان دير «سانت جول» يملك ألفين من رقيق الأرض، وكان «الكوين فيتور» أحد رجال الدين سيداً لعشرين ألفاً من أرقاء الأرض، وكان الملك هو الذي يعين رؤساء الأساقفة والأديرة، وكانوا يقسمون يمين الولاء كغيرهم من الملاك الإقطاعيين ويلقبون بالدوق والكونت، وغيرهما من الألقاب الإقطاعية. وكانت الكنيسة تملك ثلث أراضي انكلترا، وتأخذ الضرائب الباهظة من الباقي، أما في فرنسا فكان لها ربع الأرض وكان على الناس أن يعملوا يوماً كل أسبوع في أراضي الكنيسة وعشر أموالهم هبة لها.

٨ـ «احتكار العلم والهيمنة على الفكر»: كان هذا الطغيان يفرض على العقول ألا تفكر في أمور الكون المادي بما تقتضيه الملاحظات والمشاهدات العلمية وأن تلتزم بالتفسيرات الكنسية لما جاء من إشارات في التوراة عن شكل الأرض وعن الإنسان ولو خالفت هذه التفسيرات كل حقائق العلم النظرية والعملية على السواء.

تعبير «فصل الدين عن الدولة» لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية

نذكر على سبيل المثال ما قاله العلماء بعد البحث والدراسة من أن الأرض كروية وأنها ليست مركز الكون، وتم ذلك على يد «كوبر نيكوس» العالم الفلكي البولندي، فاصطدمت تلك النظرية بالآراء الكنسية التي تقول: إن الأرض مركز الكون لأن الأقنوم الثاني «المسيح» تجسد فيها وعليها تمت عملية الخلاص والفداء وفوقها يتناول العشاء الرباني، كما أن التوراة قالت: إن الأرض مستوية «مسطحة» وكان هذا سبباً في أن يقع ذلك العالم في قبضة محكمة التفتيش ولكن المنية أدركته قبل إنزال العقوبة به، إلا أن الكنيسة حرّمت كتابه «حركات الأجرام السماوية»، ومنعت تداوله، ثم ابتكر «غاليلو» التلسكوب فأيد نظرية «كوبر نيكوس» بطريقة عملية فكان ذلك مبرراً للقبض عليه ومحاكمته وقضى عليه سبعة من الكرادلة بالسجن ولما خشي على حياته أعلن ارتداده عن رأيه.

وكان من ضمن الآراء التي فرضتها الكنيسة أن الكون مؤلف من أربعة عناصر وأن الله خلق العالم ابتداء من سنة ٤٠٠٤ق.م، وتوج ذلك بخلق الإنسان في جنة عدن على مسيرة يومين من البصرة، وتاريخ الطوفان وقع بعد خلق آدم بنحو ٢٢٦٢ سنة، أما في الطب فقد كانت أفضل وأنجح الوسائل العلاجية في نظر الكنيسة إقامة الطقوس لطرد الشياطين التي تجلب المرض ورسم إشارة الصليب ووضع صور العذراء والقديسين تحت رأس المريض ليشفى، وتهاوت كل هذه الخرافات أمام نور العلم الصحيح والتجربة العملية ما أدى إلى صراع مرير بين رجال الدين والعلماء.

كل هذه القيود دفعت أوروبا إلى كسرها والانطلاق في عالم ليس فيه حجر على العقول والأفكار والحريات، بعيداً عن الخرافة

والدجل آخذاً بأساليب البحث العلمي الصحيح فانطلقت أوروبا، ولكن من دون دين وهذا هو الخطأ الذي وقعت فيه المدنية الأوروبية الحديثة، فالإنسان كما أن له حاجات مادية له حاجات وجدانية وخلقية وسلوكية لابد أن تستمد من الدين مصدر القيم والفضيلة، وبدلاً من أن تبحث أوروبا عن الدين الحق، نبذت الدين كله فخرجت من محنة العصور المظلمة، إلى محنة الأنظمة الرأسمالية والشيوعية في العصر الحديث وكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار. وظهرت العلمانية في كل المجالات في السياسة والعلم والأخلاق والفن والأدب وتقدمت أوروبا تقدماً مادياً وصناعياً، ولكنها فشلت وجدانياً وأخلاقياً، ولم ينجح الفلاسفة وعلماء الاجتماع في سد النقص الذي أحدثه غياب الدين، وفقدت أوروبا السعادة الحقيقة والاستقرار النفسي والحب والوئام ولم تتغير إلا صورة المعاناة.

أسباب تسرب العلمانية إلى الشرق الإسلامي

كان «انحراف الأمة الإسلامية وتأخرها» في القرون الأخيرة الطويلة أكبر عامل ساعد على تسرب الفكر العلماني إلى الشرق الأوسط ونموه فيه، وكان من أهم سمات هذا الانحراف هو ذلك الانحراف عن فهم الإسلام نفسه وانحسار مفهوماته التصورية في معان ضيقة ومدلولات محدودة ولعل هذا الانحراف بدأ مع إغلاق باب الاجتهاد ثم مع البعد شيئاً فشيئاً عن النبع الصافي الذي كان يستقي منه الأولون (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) النور: ٤٠، وأدى ذلك الشطط إلى تخلف حضاري ومادي وسلوكي ظهرت آثاره في جميع مناحي الحياة.

ومن أهم الأسباب أيضاً «التخطيط الغربي اليهودي، فلقد أدرك الغرب من تجربة الحروب الصليبية أن قوة المسلمين في دينهم، وأنه لا سبيل إليهم إلا بتحطيم هذا الدين، ويصرح بذلك الهدف الخبيث رئيس وزراء بريطانيا غلادستون عندما وقف في مجلس العموم البريطاني يتحدث عن خطة الاستعمار البريطاني في العالم الإسلامي فقال: «مادام هذا القرآن موجوداً بين أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان»، من هذا المنطلق بدأت المخططات الماكرة لإخراج الأمة الإسلامية من دينها وتعريتها من مقومات وجودهاوحملها - كما يقول جب: عن العلمانية وانتظمت جيوش الغزو في أربعة أجنحة «قوى الاحتلال المباشر، المستشرقون، المبشرون، الطوائف اليهودية والنصرانية والباطنية في العالم الإسلامي».

دور العلمانيين في انتشار العلمانية في العالم الإسلامي

اندفع العلمانيون المنتسبون إلى الإسلام اسماً يطرحون الدين من كل نواحي الحياة بتدعيم من الغرب الاستعماري وتقليداً أعمى لكل ما هو غربي، ولكن في هذه المرة كانوا يطرحون الدين الإسلامي دين السماحة والنقاء الذي ما عرف يوماً من الأيام العقائد الشركية ولا المجامع المقدسة ولا صكوك الغفران ولا الحجر على العقول والأفكار ولا عادى العلم والعلماء وصنع العلمانيون كل هذا تحت شعارات الإصلاح والرقي والتنوير ومسايرة ركب الحضارة واصطنع كل فريق منهم له زعيماً وأضفوا عليه من الألقاب والهتافات ما يضللون به العامة، كالإمام وأستاذ الجيل، ومحرر المرأة، وعميد الأدب العربي، وغيرها من الألقاب الرنانة وها هو أحدهم يصرح في غير وجل ولا خجل عن منهج العلمانية في الشرق ويقول: «والأمم تقوى بمقدار ما يضعف الدين فهذه أوروبا لم تصبح قوية ومتمدنة فعلاً إلا عندما حطم الإصلاح والثورة الفرنسية سلطة الاكليروس على المجتمع، وهذا يصح أيضاً على المجتمعات الإسلامية».

مظاهر العلمانية في العالم الإسلامي

- في الحكم والسياسة: كانت الخلافة الإسلامية في تركيا هي الهدف الأول للعلمانيين، فلقد كان منصب الخليفة هو الممثل الأعلى للإسلام، والرباط المسؤول عن وحدة العالم الإسلامي، وبضرب هذا الهدف وتدميره، يسهل على العلمانيين تحقيق خطتهم، وكانت البداية بحركة «الاتحاد والترقي» المكونة من يهود الدونمه والمأجورين والمغفلين من أدعياء الإسلام، وكانت هذه الحركة تسير وفق طقوس الماسونية العالمية، واستطاعت إقصاء السلطان عبدالحميد عن الخلافة سنة ١٩٠٩م بمساعدة القوى الأجنبية، ومن يومها فصلت الخلافة عن السياسة، والغيت فكرة الجامعة الإسلامية، ونادوا بفكرة القومية الطورانية، كما اقتضت الخطة صناعة بطل تتراجع أمامه جيوش الحلفاء الجرارة، وتم ذلك بالفعل، وكان «الرجل الصنم» الذي تفاوض مع الحلفاء في اتفاقية «كيرزن» ذات الشروط الأربعة: «إلغاء الخلافة الإسلامية نهائياً من تركيا، وأن تقطع تركيا كل صلة مع الإسلام، وأن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية النامية في تركيا، وأن يستبدل الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت».

ظهرت العلمانية في كل المجالات في السياسة والعلم والأخلاق والفن والأدب

وكان أول مظهر لعلمنة القانون سنة ١٨٥٧م ومع إلغاء الخلافة تم إصدار قانون مدني مستمد من القانون السويسري وقانون جنائي مستمد من القانون الايطالي وقانون تجاري مستمد من القانون الألماني.

وفي مصر ظهر دعاة القومية العربية ومع معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية العام ١٩٣٧م اشترط المؤتمرون أن تستمد مصر تشريعها من التشريع الغربي ومع زوال المحاكم المختلطة صدر القانون المدني العام ١٩٤٨م ناصاً في مادته الأولى على مصادر القانون جاعلاً في مقدمها التشريع الوضعي ثم العرف الوضعي ووضع في الدرجة الثالثة مبادئ الشريعة الإسلامية، ثم قضى على الازدواج في القضاء بإلغاء المحاكم الشرعية بالقانون

رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥م، وأحيل اختصاصها للمحاكم الوطنية وتبعها في ذلك أكثر الدول العربية بعد الاستقلال.

- في التعليم: ففي مصر حاول محمد علي في أول الأمر أن يدخل العلوم الحديثة ضمن مناهج الأزهر، إلا أنه خشي معارضة الأزهريين، فقام على الفور بإنشاء نظامه التعليمي الحديث وهكذا انقسم التعليم في مصر إلى نظام ديني ونظام مدني حديث.

ثم سارت علمنة التعليم في اتجاهين «الاتجاه الأول» يقوم على كتم أنفاس التعليم الديني وحصره، بل محاولة القضاء عليه، ففي عهد الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٢م أصدر القانون الخاص بتنظيم الأزهر وإصلاحه وتنص إحدى فقراته على «تحديد الدراسات التي تعطى بالأزهر بإحدى عشرة مادة هي الفقه وأصول الدين والتوحيد والحديث والتفسير والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق». وبذلك قطع الطريق أمام وعي ذاتي لإصلاح الأزهر حقيقة، ثم أكمل المسيرة اللورد كرومر العام ١٩٦١م بإصدار قانون تطوير الأزهر، وقد كان هدفه خبيثاً بإزالة التركيز الذي تتميز به الدراسات الأزهرية، فقد صار إلى جوار الكليات الثلاث التقليدية أضعافها التي تحمل اسم الأزهر وليس لها من دراستها إلا قشر القشور، كما سُخّر الإعلام للسخرية من الرجل الأزهري والتعليم الديني ومعلمه وطالبه، كما قاموا بغلق باب الوظائف اللامعة أمام خريجي الجامعة أو الكلية أو المعهد الديني وقصرت وظائفهم على الوعظ وعقود الزواج والتدريس في المعاهد الدينية.

وكان «الاتجاه الثاني»: يقوم على نشر التعليم العلماني وتشجيعه، وذلك بإضفاء اهتمام الدولة على هذا اللون من التعليم وإفساح المجال أمام خريجيه لتولي الوظائف اللامعة والمناصب العليا المهمة في الدولة، كما كان لهم الحق في السفر للبعثات الخارجية لحمل الألقاب العلمية الرفيعة، ثم العودة ليمسكوا بزمام الأمور بعدما تربوا على المبادئ العلمانية والفكر الغربي.

ولم يكن الأمر في حاجة إلى مزيد من الإغراء فمن ذا الذي يبعث ابنه بعد اليوم إلى الأزهر إلا الفقير الذي يعجز عن دفع المصروفات وهو يرى المستقبل المضمون لابنه في وظيفة حكومية مرموقة حيث يرطن بلغة السادة المستعمرين.

- وفي الإعلام: وجد العلمانيون والإعلام بجميع أجهزته منبر صدق لترويج بضاعتهم والسيطرة على الرأي العام وتوجيهه الوجهة اللاإسلامية ولعبت دور النشر والصحافة دوراً مهماً في هذا المضمار حتى أن أحد المستشرقين يقول: «إن في القاهرة مئتي مطبعة وسبع عشرة تصدر ما معدله كتاب أو نشرة واحدة في اليوم وأن أكثر ما يصدر هو ترجمات للقصص الغرامية» هذا في وقت كنا أحوج ما نكون فيه إلى ترجمة العلوم النافعة.

وقصفت الأقلام النظيفة وترك المجال لكل فكر شاذ غريب أن ينمو ويترعرع على صفحات الجرائد والكتب كالدعوة إلى تحرير المرأة ومساواة المرأة بالرجل في الميراث، والعمل والدعوة إلى العامية، والدعوة إلى الارتماء في أحضان الحضارة الغربية والأخذ بها حلوها ومُرِّها، خيرها وشرها وإحياء الحضارات القديمة والارتباط بها ليذوب في المسلم الارتباط بإسلامه.

أما الإذاعة والتلفاز فأخذا على عاتقهما عرض الروايات الغرامية وظهرت المرأة المتبرجة والعارية على شاشات التلفاز بدعوى الفن والواقعية والرمزية والحرية فاستمرأ الناس رؤية الرذيلة صباح مساء.

وعُرض أهل المجون والفسق على أنهم نجوم يُقتدى بكفاحهم في مجال الفن للوصول إلى النجومية والتألق في حين طمس كل ما هو إسلامي وكان حظ البرامج الدينية بخس بالنسبة لغيرها.

بعد هذا العرض السريع بقي لنا سؤال يفرض نفسه.

انحراف الأمة الإسلامية وتأخرها ساعد على تسرب الفكر العلماني إلى الشرق الأوسط

هل استطاع العلمانيون تحقيق التقدم والرقي الذي هللوا له وصفقوا وزعموا أنهم مخلصون في السعي إليه؟ والإجابة يتكفل بها التاريخ وأحداثه ليفضح فعلهم ويثبت أنهم كاذبون، فما حرروا المرأة بزعمهم وما كان نتاج جهدهم إلا ظهور الكاسيات العاريات في الطرقات في معظم أنحاء العالم الإسلامي، كي تشيع الفاحشة والرذيلة وما حققوا التقدم المنشود لبلادهم، فما زال العالم الإسلامي يعاني من أعراض الوهن والتخلف الفكري والاقتصادي بين الدول، وما وصلوا للعدل المنشود بقانونهم الغربي الذي طبق في المحاكم المدنية ومازالت آلاف القضايا معلقة على أبواب المحاكم تنتظر لها حلاً وحكماً منذ عشرات السنين وما ارتفعت في أيامهم معايير الأخلاق والقيم، بل ازداد الناس عن الإسلام بعداً وانحطت مستويات القيم ورصيد الأخلاق والواقع يشهد بذلك.

إن موعدهم يوم القيامة يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. ■

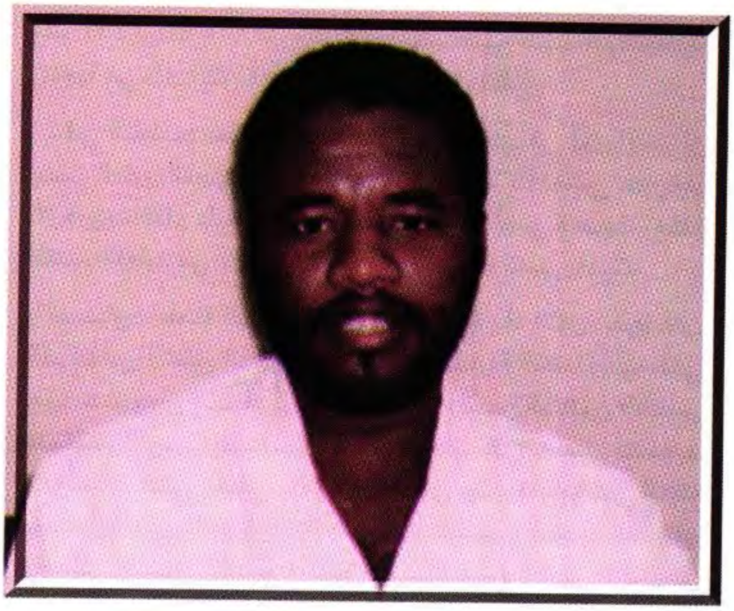
الهوامش:

١ - في ظلال القرآن ١٣٨٨/٣.
٢ - العلمانية نشأتها وتطورها - سفر الحوالي.

المراجع:

- شرح السنة - البغوي.
- مذاهب فكرية معاصرة - محمد قطب.
- الاتجاهات الفكرية المعاصرة - د. علي جريشة.
- العلمانية - سفر الحوالي.

حوار



المهندس حسن حسن صالح رئيس تحرير صحيفة الحوار التشادية للوعي الإسلامي:

بلادنا مازالت بحاجة لبنية أساسية تحتية

قام أخيرا المهندس حسن حسن صالح - رئيس تحرير جريدة الحوار التشادية بزيارة للكويت لمد جسور التعاون الإعلامي مع وسائل الإعلام الإسلامية فيها وتسليط الضوء على أوضاع المسلمين في تشاد وقد انتهزت مجلة الوعي الإسلامي هذه الفرصة وأجرت معه هذا الحوار:

أجرى الحوار: تمام أحمد

● حبذا لو تعطينا نبذة تاريخية عن دخول الإسلام إلى تشاد؟

دخل الإسلام إلى تشاد عن طريق التجار المسلمين بعد فتح مصر من قبل المسلمين، وكان في العام ٢١ هجرية، ثم امتد منها إلى العمق الأفريقي بسبب الموقع الاستراتيجي لبحيرة تشاد التي كانت ومازالت تشكل ملتقى طرق القوافل التي تربط بين شرق القارة وغربها وبين شمال القارة وجنوبها.

وقامت حول بحيرة تشاد مملكة كانم الشهيرة وكان ذلك في العام ٨٠٠م كأول مملكة إسلامية جنوب الصحراء على الإطلاق، وبسطت نفوذها في عصرها الذهبي على المنطقة الممتدة بين نهر النيجر غرباً ونهر النيل شرقاً.

وقامت فيما بعد ممالك أخرى في تشاد منها مملكة وداي ومملكة باقرمي، وظلت هذه الممالك تدير البلاد ولغتها الديوانية هي اللغة العربية حتى مجيء الاستعمار الفرنسي العام ١٨٩٨م، أي قبل مئة عام تقريباً، تحولت اللغة إلى الفرنسية، وكان ذلك بسبب الاستعمار الفرنسي

● ما الآثار التي خلفها الاستعمار الفرنسي وما تأثيرها على واقع المسلمين اليوم؟

بعد دخول الاستعمار الفرنسي إلى تشاد حدثت نقطة تحول كبرى، فلو تتبعنا خطواته لوجدنا أنه بدأ أعماله الميدانية بإنشاء مركز أبحاث كارنوت في أفريقيا الوسطى المجاورة للقيام بدراسات علمية ميدانية حول تشاد، وإمكاناتها، وذلك العام ١٨٩٤م وكان المركز برئاسة العالم الفرنسي كلوزل ونتائج هذه الدراسة العلمية هي التي مهددت الطريق إلى احتلال العام ١٨٩٨ حيث تم إخضاع تشاد بكاملها فيما بعد.

> **جامعة الملك فيصل في تشاد لها أثر كبير في دعم الحركة العلمية في وسط أفريقيا**

وهكذا نجد أنه بعد أن استخدم العلم في إخضاع التشاديين، قام الاستعمار بالتجهيل المتعمّد والمنظّم للمسلمين، فعمد إلى تغيير لغة التعليم ومناهجه ومنع الأهالي من تعليم أبنائهم بطريقتهم التي اعتادوا عليها، ثم وصل الأمر إلى أبعد من ذلك في يوم ٢٥ يناير ١٩١٧م بإقامة مذبحة جماعية علنية قتل فيها مئات العلماء التشاديين من حفظة القرآن الكريم، وهي المذبحة التي عرفت بمذبحة الكبكب، وهذه بمثابة حرب علنية شرسة ضد العلم والعلماء، وظلت الإدارة

الفرنسية المباشرة في تشاد حتى العام ١٩٦٠م، وهو العام الذي استقلت فيه تشاد عن فرنسا، ولا شك أن لفترة الاستعمار آثارها السلبية على أوضاع البلاد بعد الاستقلال وبعد ٣٨ عاماً، مازالت البلاد تفتقر إلى البنية التحتية الأساسية من مرافق التعليم، والطرق، والصحة، وغيرها، وأكثر السكان معاناة هم المسلمون بلا شك.

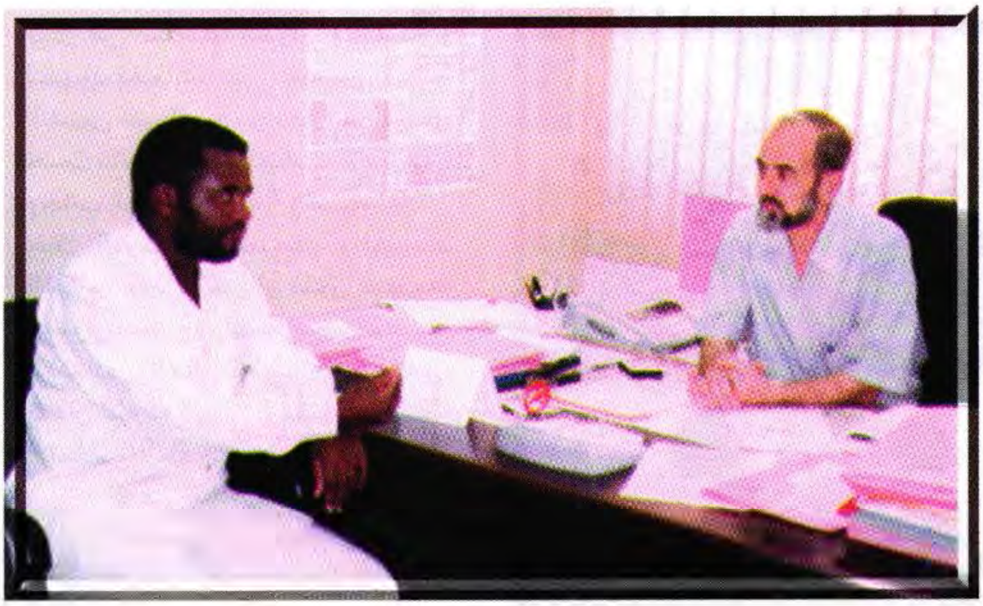
● ماذا عن واقع المسلمين اليوم في تشاد ؟

في ديسمبر العام ١٩٩٠م، استولت الحركة الوطنية للإنقاذ برئاسة الفريق إدريس ديبي على زمام الأمور في البلاد، ومنذ ذلك التاريخ، وللحقيقة أقول: تطورت حال المسلمين إلى الأفضل، فالآن أصبح للمسلمين مجلس أعلى للشؤون الإسلامية في تشاد، وهذا بمثابة وزارة الأوقاف وهو برئاسة فضيلة الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر - حفظه الله - ينهض المجلس بمهام جليلة في تنظيم أمر المسلمين وتقديم الخدمات الأساسية لهم من رعاية للأيتام، وبناء للمساجد والمعاهد والمدارس القرآنية، وحفر للآبار... وهو الذي ينظم شؤون الحج والعمرة ويتصدى للفتوى وتنظيم الأحوال الشخصية للمسلمين.

ومن منبر مجلة الوعي الإسلامي، أناشد المجتمع الإسلامي عامة، والمعنيون منهم بأمر المسلمين في أفريقيا وبخاصة من الخيرين والمحسنين بالإضافة إلى الهيئات والمنظمات الإسلامية جميعاً التعاون مع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ودعمه للقيام بمسؤوليته الكبرى تجاه المسلمين في تشاد.

وبالرغم من الصعوبات وضيق ذات اليد تمكن المجلس من بناء عشرات المساجد، وأشرف على حفر عدد كبير من الآبار وأنشأ عشرات المدارس والمعاهد الدينية والمدارس القرآنية، بالإضافة إلى رعايته لمئات الأيتام.

وأعظم إنجازات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية على الإطلاق هو إنشاء جامعة مستقلة خاصة بأبناء المسلمين في تشاد، أنها جامعة الملك فيصل في انجامينا وقد أسست العام ١٩٩٠م، وقد تكرمت الحكومة التشادية مشكورة بالاعتراف بها، ومنحتها أرضاً شاسعة.



وتضم الجامعة اليوم كلية للغة العربية، وكلية للتربية، وقسماً للتاريخ والجغرافيا، وبدأت الدراسة فيها منذ ٦ سنوات، ومن ضمن مشروعها المبدئي إنشاء كلية للعلوم، وكلية للشريعة، ومدير الجامعة البروفسور عبدالرحمن عمر الماحي - حفظه الله - وهو من كبار العلماء في تشاد، نسأل الله أن يمد في عمره، ويحقق على يديه الفتوحات العلمية والامتداد للمد الإسلامي في أفريقيا، وهنا نضم صوتنا إلى صوت البروفسور الماحي لمناشدة الحكومات والمؤسسات والهيئات الإسلامية في الدول العربية والإسلامية للإسهام في تطوير وتوسعة جامعة الملك فيصل لأنها جامعة أنشئت من أجل تعميق دين الإسلام ولغة القرآن في نفوس الدارسين من التشاديين وغيرهم من الدول المجاورة.

فواقع المسلمين أخي الكريم كما ترى مبشر جداً، وواعد ويرجع الفضل في ذلك بعد الله إلى الأسلوب الحكيم الذي ينتهجه الفريق إدريس ديبي في إدارة البلاد.

● باعتباركم رئيساً لتحرير صحيفة الحوار التشادية، حدثنا عن الصحافة في تشاد بصفة عامة وعن صحيفة الحوار بصفة خاصة ؟

من حسنات الحركة الوطنية للإنقاذ أن نظّمت مؤتمراً وطنياً جامعاً للتشاديين بكل فئاتهم وتوجهاتهم في العام ١٩٩٣م، عرف بالمؤتمر الوطني المستقل، ومن نتائج هذا المؤتمر قيام مؤسسات الدولة من برلمان وحكومة مركزية رئاسية، وتم إقرار دستور للبلاد يتيح قدراً كبيراً من الحرية للمواطنين وبخاصة حرية التنظيم السياسي، وحرية التعبير عن الرأي، ووفقاً للدستور صدر قانون للمطبوعات والصحافة يفتح الأبواب على مصاريعها للمواطنين التشاديين في العمل الإعلامي، وصدرت بموجب ذلك عدد كبير من الصحف والمجلات منها أسبوعية وبعضها شهرية، وأغلب الصحف النشطة هي التي تصدر باللغة الفرنسية.

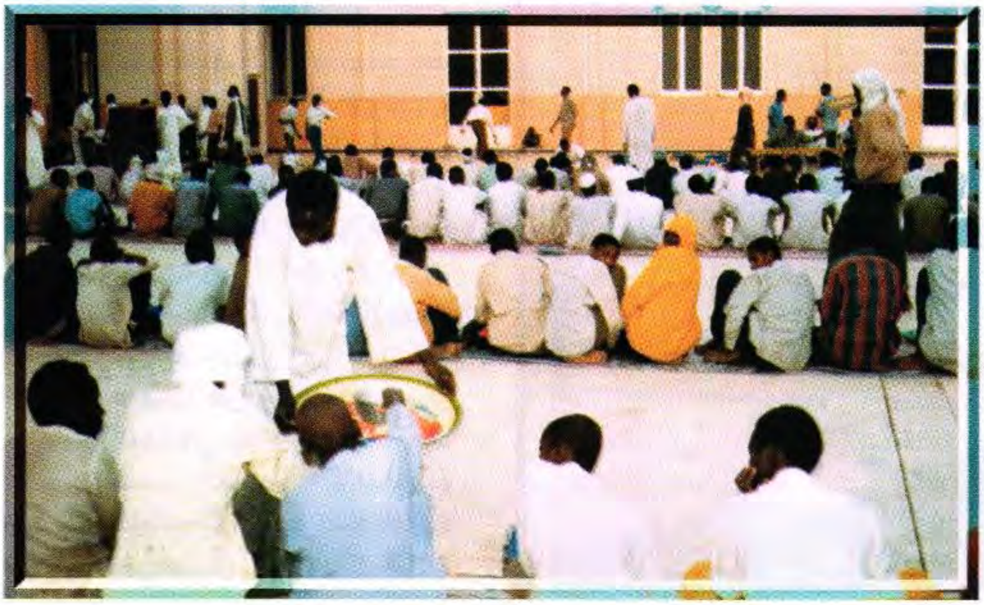
وصحيفة الحوار التشادية تم التصديق عليها العام ١٩٩٤م، حيث صدر عددها لأول في ٧ ديسمبر العام ١٩٩٤م، وتعد هذه مبادرة جادة لسد فجوة صحافية حيث تصدر بصورة أسبوعية، وغير منتظمة نسبة للصعوبات المادية تُطبع بواقع ٥٠٠٠ نسخة، ولكننا جادون في تطويرها إلى صحيفة يومية تكون منبراً للمسلمين تعمل على نشر الوعي والمعرفة في أوساط التشاديين إن شاء الله.

وهكذا كما ترون فإن الجهود التي

تبذل في صحيفة الحوار، هي مكملة لجهود إخواننا في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وجامعة الملك فيصل حيث تتولى عبء الجانب الإعلامي، وجانب التوعية الثقافية والسياسية من خلال التحليلات الصحفية والمنتديات الفكرية، كما نرجو أن تكون صحيفة الحوار جسراً رابطاً بين المجتمع التشادي والعالم العربي و الإسلامي، نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى خدمة الإسلام والمسلمين.

● في نظركم ما أوليات المسلمين في تشاد ؟

أولى أوليات الشعب المسلم في تشاد هي تحقيق الأمن، إذ لا بد من توافر الأمن بحيث يأمن الإنسان على ماله ونفسه في حله وترحاله، ويتحقق هذا بما قامت به الحكومة التشادية برئاسة الفريق إدريس ديبي طوال السنوات السبع الماضية من استقرار، الأمر الثاني موضوع العلم والمعرفة فهو الركن الثاني الذي يجب أن يتوافر للشعب المسلم التشادي... وهذا هو الهدف الأساسي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية من خلال إنشائه للمعاهد والمدارس القرآنية وجامعة الملك فيصل ، والأمر الثالث هو الوعي وتحديات الواقع، والقدرة على توظيف المعارف المتاحة من أجل تحقيق نهضة ثقافية واقتصادية شاملتين في البلاد، وهذا الجانب هو الذي نرجو، ونطمح في صحيفة الحوار أن تسهم فيه، وأملنا بالله أن نتمكن من تطوير هذه الصحيفة حتى تصدر في القريب العاجل وبصورة يومية وهذا لن يتحقق إلا بعد أن تكتمل إدارات الصحيفة.



● ما الموارد الرئيسية التي يعتمد عليها الاقتصاد التشادي؟

تعتمد تشاد على الزراعة وتربية المواشي وأهم المنتجات الزراعية التجارية الرئيسية القطن الذي يعود على البلاد بالقسم الأكبر من مواردها المالية وكذلك الفستق وبعض المزروعات المحلية والثروة الحيوانية هي قليلة، حيث تربى بعض قطعان الماعز والغنم والبقر والإبل وعندنا بعض الصناعات المحلية المتعلقة بالإنتاج الحيواني والإنتاج الزراعي.

● هل من كلمة أخيرة توجهونها عبر صفحات مجلة الوعي الإسلامي؟

أشكر الإخوة في مجلة الوعي الإسلامي الذين أتاحوا لي هذا اللقاء، كما أنتهز هذه الفرصة لأقدم الشكر والعرفان لدولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً، ممثلة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأشكرها ثانية على أياديها البيضاء ودعمها اللامحدود للثقافة العربية والإسلامية في تشاد، كما أشكر الجمعيات الإسلامية الخيرية في هذا البلد الطيب على دعمهم آملين المزيد من التعاون والدعم للنهوض بأعباء الدولة الإسلامية هناك. ■

تشاد في سطور

- تعتبر تشاد من الدول ذات الأهمية الاستراتيجية في وسط القارة الأفريقية الناطقة باللغة الفرنسية، إذ تبلغ مساحتها ٤٩٥٩٤٤ ميلاً مربعاً، تحدها دول عدة: السودان من الشرق، وليبيا من الشمال، والنيجر ونيجيريا من الغرب، والكاميرون من الجنوب الغربي، وأفريقيا الوسطى من الجنوب، تنقسم جمهورية تشاد إلى أربع عشرة محافظة، تسع في الشمال ذات مد إسلامي حضاري وخمس في الجنوب ذات أغلبية وثنية ونشاط كنسي.
- يبلغ عدد سكان تشاد سبعة ملايين نسمة، ونسبة المسلمين ٨٥٪، ونسبة النصارى ٥٪، ونسبة الوثنيين ١٠٪.
- يتحدث الشعب التشادي اللغة العربية والفرنسية وقد اعتمدت الدولة اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب الفرنسية.
- عاصمة البلاد «أنجامينا» وهناك مدن أخرى : « أبيش، مومور، بنفور، مايا لارجو ».

شخصيات إسلامية

آل سحنون أسرة قيروانية من أصل شامي ذات مجد علمي، أنجبت أعلاماً من الفقهاء في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وكنا قدمنا تعريفاً مجملاً بها في العدد ٣٨٩، من هذه المجلة الرائدة «الوعي الإسلامي»، ونريد اليوم أن نتوقف عند واسطة عقد هذه الأسرة الإمام محمد ابن ـ مؤسس مجدها ـ سراج القيروان عبدالسلام بن سعيد الشهير بسحنون، لنعرف بسيرته وأعماله الجليلة في خدمة العلم، ودعم هذا المجد السحنوني الذي دام نحو مئة سنة وثلاثة عقود من السنين.

من أعلام القيروان : الإمام محمد بن سحنون

بقلم : أ.د. محمد أبو الأجفان

ولادته ونشأته وشيوخه في القيروان

ولد أبو عبدالله محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي سنة ٢٠٢هـ ـ ٨١٧م، في القيروان عاصمة الدولة الأغلبية في عهد ثالث أمرائها زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١ ـ ٢٢٣هـ)، وعاصر ستة من أمراء هذه الدولة التي استقلت عن الخلافة العباسية، ووطدت الأمن في إفريقية، وأسهمت في نشر الإسلام، ودعم العربية، وشجعت العلماء وناصرتهم.

نشأ محمد بن سحنون في القيروان مستفيداً من المناخ العلمي الذي كانت تحتضنه، فقد كانت سوق العلم نافقة بها، وكان الكثير من طلبتها يرحلون إلى المشرق، ويعودون بعلم جم، ويروون الأحاديث وينشرونها، وكانت تستقبل الوافدين من أعلام المشرق، ومنهم المتضلّعون في فنون علمية مختلفة، وفي جامع عقبة بن نافع وفي غيره من مساجدها تنتظم حلقات الدروس، وتنعقد المناظرات العلمية التي تتناول مسائل العقيدة وفروع الفقه في مستوى الخلاف العالي.

وقد شاءت العناية الإلهية أن يتولى تربية محمد والده الإمام سحنون الذي كان في الثانية والأربعين عندما ولد محمد، فكان الوالد شديد التعلق بقرة عينه محمد، يخاف ألا يطول به العمر، فلا يراه في مراتب العلم السامية، وكان يقول: «ما غبنت في ابني محمد إلا أني أخاف أن يكون قصير العمر»(١)، وقد أنعم الله على الإمام فعاش حتى رأى ابنه يكاد يختم العقد الرابع من عمره، ويتبوّ مكانة فائقة بين علماء عصره.

وكان سحنون يجتهد في تربية ابنه محمد على الأخلاق الحميدة،، ومن ذلك أنه كان يقول له: «يا بني سلّم على الناس، فإن ذلك يزرع المودة، وسلّم على عدوك وداره، فإن رأس الإيمان بالله المداراة بالناس»(٢).

وكان يتفرس فيه أن يكون له شأن في مجال العلم، وأن يبلغ فيه درجة الإمامة، كما كان يلحظ ما امتاز به منذ طفولته من ذكاء ونباهة وإحساس مرهف، فكان يوجه مؤدبه إلى الطريقة المناسبة في معاملته قائلاً: «لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، ليس هو ممن يؤدَّب بالضرب والتعنيف واتركه في نحلتي، فإني أرجو أن يكون نسيجاً وحده وفريد أهل زمانه»(٣).

وكان سحنون يشبِّه ابنه بعلم شهير من أعلام المالكية، وهو أشهب بن عبدالعزيز المصري، صاحب مالك، فيقول: «ما أشبهه إلا بأشهب»(٤)، وكان سحنون يقول عن الفقيه أشهب: «رحم الله أشهب ما كان أصدقه وأخوفه لله تعالى، ما كان يزيد حرفاً واحداً... ما كان أحد يناظر أشهب إلا اضطره بالحجة حتى يرجع إلى قوله...»(٥).

والشيوخ الذين أخذ عنهم محمد بن سحنون في القيروان كثيرون، وفي مقدمهم والده الإمام، فقد كان يلازم دروسه في البيت والجامع الأعظم يسمع منه ويستفيد من علمه الغزير «وعليه معتمده» كما قال المؤرخ أبو بكر المالكي(٦):

ثم إن المعروفين من مشيخة محمد بن سحنون بالقيروان هم:

١ ـ أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي (٢٢٥هـ):

٢ ـ عبدالله بن أبي حسان اليحصبي (٢٢٧هـ) على الراجح. وكان سحنون نفسه يستفيد من هذا الشيخ، فيقول: «كنت أول طلبي إذا انغلقت عليّ مسألة من الفقه أتي ابن أبي حسان، فكأنما في يديه مفتاح لما انغلق».

٣ ـ عبدالمؤمن بن مستنير الجزري.

٤ ـ أبو محمد عبدالعزيز بن يحيى المدني الهاشمي وهو وافد على القيروان سنة (٢٢٥هـ).

٥ ـ بقي بن مخلد القرطبي المحدّث الأندلسي الشهير (٢٧٦هـ)، دخل القيروان للأخذ عن إمامها سحنون، وعن ابنه محمد أيضاً، فسمع منه محمد، يروى عنه أنه قال: قدمت على سحنون، فكان ابنه محمد يسمع مني في داخل بيت سحنون بمحضر سحنون»(٧).

رحلته المشرقية

رحل محمد بن سحنون إلى المشرق سنة (٢٣٥هـ)، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، لأداء فريضة الحج ولأخذ العلم عن أعلام المراكز المشرقية، وهو يقتفي أثر أبيه الذي رحل، ثم عاد بعلم جم وبالمدونة الكبرى التي أخذها عن الإمام عبدالرحمن بن القاسم في مصر وبها انتشر المذهب المالكي في المغرب والأندلس وكانت عمدة المالكية في دراسة مذهبهم.

قال الإمام سحنون، وهو يودع ابنه: «إنك ستقدم على بلدان - سماها - إلى أن تقدم إلى مكة، فاجهد جهدك، فإن وجدت عند أحد من أهل هذه البلدان مسألة خرجت من دماغ مالك بن أنس، وليس عند شيخك - يعني نفسه - أصلها، فاعلم أن شيخك كان مفسرها»(٨).

وكان ابن سحنون حريصاً على تنفيذ وصاية أبيه كثير الاتصال بالشيوخ الذين كانوا يكتشفون فيه بوادر النبوغ وسعة الاطلاع، يقول عنه المالكي المؤرخ: «لما وصل إلى مصر نزل على أبي رجاء بن أشهب ... فكان علماء مصر يأتونه ويسلمون عليه، فأتاه المزني صاحب الشافعي، فيمن أتاه، وجلس معه كثيراً ليقل الناس ويخلو معه، فلما خرج قُدّمت إليه دابته ليركب، فقيل له: كيف رأيته؟ قال: لم أر - والله أعلم منه، ولا أحدَّ ذهناً على حداثة سنه»(٩)

وقد اختلف المزني مع هارون بن سعيد الأيلي، فتحاكما إلى محمد بن سحنون(١٠)، لما عرفا له من المكانة العلمية الفائقة.

وكما لمع نجمه في مصر، لمع في المدينة المنورة عندما شارك في حوار علمي بمجلس في الحرم المدني.

وكان له اتصال بكثير من الأعلام المشارقة، استفاد منهم، ولكن مصادر ترجمته كانت ضنينة بالمعلومات الوافية عن هذه الرحلة، فلم تذكر من شيوخه فيها إلا ثلاثة، وهم:

١ - يعوب بن حميد بن كاسب المدني نزيل مكة (نحو ٢٤٠هـ).

٢ - أبو مصعب أحمد بن القاسم الزهري القرشي قاضي المدينة (٢٤٢هـ).

٣ - أبو عبدالرحمن سلمة بن شبيب النيسابوري الحجري نزيل مكة (٢٤٧هـ).

وأفادنا أبو بكر بن اللباد أن أهل الموقف في الموسم الذي حج فيه ابن سحنون غلطوا في يوم عرفة، فأفتاهم ابن سحنون، بأن ذلك يجزئ من حجهم.(١١)

لقد رجع محمد بن سحنون من رحلته ملء الوطاب علماً، فقد زكت بها ملكته العلمية، وسمع الحديث، وحاور العلماء وناظرهم، فكانت رحلة مثمرة كونت رافداً مهماً من روافد تكوين شخصيته.

انتصابه للتدريس وتلاميذه

بعد اكتمال الملكة العلمية لمحمد بن سحنون، وظهور بوادر نبوغه، انتصب للتدريس في القيروان أثناء حياة والده، قال المالكي: «كانت له حلقة غير حلقة أبيه»(١٢)، وأفادنا بقي بن مخلد الأندلسي سالف الذكر ضمن شيوخ ابن سحنون أنه «سمع من محمد بن سحنون في داخل بيت سحنون بالقيروان»(١٣)، وكان لابن سحنون مسجد بالقيران منسوب إليه يعقد فيه حلقات الدرس، وتواصلت عنايته بالتدريس بعد وفاة والده الإمام، فقد قال ابن حارث: «جلس مجلس أبيه بعد موته»(١٤).

ومن الفنون التي كان يدرسها الفقه والكلام.(١٥)

وقد تخرجت على يديه طبقة من الأعلام الأفريقيين والمغاربة والأندلسيين لم تذكرهم جميعاً كتب التراجم وإنما صرحت بالمشاهير منهم، وقد عرفنا منهم:

- ابنه محمد بن محمد بن سحنون.
- أبا عبدالله محمد بن زرقون المعروف بالطيارة (٢٧٨هـ).
- أبا الربيع سليمان بن سالم القطان المعروف بابن الكحالة (٢٨٩هـ).
- أبا عبدالله محمد بن غالب الأموي المعروف بابن الصفار القرطبي (٢٩٥هـ).
- عيسى بن مسكين من فقهاء وطن صفاقس (٢٩٥هـ).

- كان يقول عن شيخه محمد بن سحنون: «خير من رأيت محمد بن سحنون كان جامعاً لخصال من الخير: العلم والورع ومعرفة الأثر وكثرة الأخبار والتفقد للإخوان... ما رأيت بعد سحنون مثل ابنه».

- أبا عبدالله محمد بن مسرور الفقيه المفتي المتعبد (٢٩٥هـ).
- أبا سعيد بُجيج بن خداش (٢٩٦هـ).
- محمد بن مسكين (٢٩٧هـ) من أهل الأدب والعلم والفتيا.
- أبا العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي (٣٠٣هـ) من أهل الحفظ والفهم.
- أبا الأسود موسى بن عبدالرحمن بن حبيب القطان (٣٠٦هـ) ثقة فقيه أعجب به المصريون لما قدم عليهم.
- عيسى بن دينار قاضي طليطلة (٣٠٦هـ).
- أبا محمد سعيد بن حكمون (٣٠٧هـ) من أهل الفقه والرواية.
- أبا عمرو هاشم بن مسرور التميمي (٣٠٧هـ).
- أبا عبدالله محمد بن نصر المعروف بابن الغفمي (٣٠٩هـ).
- عبدالله بن محمد بن أبي الوليد القرطبي الأعرج (٣١٠هـ).
- أبا جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري.
- أبا عثمان سعدون بن أحمد الخولاني (٣٢٤هـ).
- أبا عبدالله محمد بن العباس الهذلي (٣٢٩هـ).

مناظرات محمد بن سحنون

تجلى نبوغ الإمام محمد بن سحنون وبراعته في مجال المناظرة التي هي ضرب من الحوار العلمي يناقش فيه الرأي المخالف، ويدعم الرأي المنصور بالحجة، والدليل لإقناع المعارض به، وشملت مناظراته إثبات صحة العقيدة الإسلامية، وإثبات صحة الاتجاه السني الذي أخلص له ابن سحنون، ودعم ما رجحه من الأحكام والفروع الفقهية التي كان له فيها اجتهاد.

ومن مناظراته الشهيرة، تلك التي خاضها بمصر مع يهودي ينافح عن عقيدته، وانتهت باقتناع اليهودي في العقيدة الإسلامية وإعلان إسلامه(١٧)، وقد طالت هذه المناظرة وأظهرت براعة ابن سحنون ومقدرته على إثبات ما يؤمن بصحته.

ولاشتهاره بهذه المقدرة، أصبح بعض الأمراء يدعونه للمناظرة في مجالسهم التي يبدو فيها تفوقه وغزارة علمه وقوة حجيته.

وللمناظرة والجدل أدب معلوم، وسلوك مضبوط أُلّفت فيها مصنفات حددت قوانينها وأوضحت منهج المناصرة السليم، لتؤدي غرضها المقصود، وتنتفي عنها أو شاب التعصب المقيت والشحناء البغيضة والأساليب الشائنة والهوى الذي يعمي ويصم.

وكان لابن سحنون إسهام في التأليف في هذا المجال النظري، فقد ألّف كتاباً في جزءين وسماه بـ «آداب المتناظرين».

وهكذا خاض في المناظرة مجالي التطبيق والتنظير والتقنين، وشهد مترجموه له بالبراعة في المناظرة فمن ذلك قول يحيى بن عمر: «كان ابن سحنون من أكثر الناس حجة وألقنهم بها، وكان يناظر أباه».

ومن ذلك قول ابن حارث الخشني: «كان عالماً فقيهاً مبرزاً متصرفاً في الفقه والنظر ومعرفة اختلاف الناس والرد على أهل الأهواء والذب عن مذهب مالك»، ومن ذلك أيضاً قول ابن أبي دليم: «كان الغالب عليه الفقه والمناظرة وكان يحسن الحجة والذب عن السنة والمذهب»(١٨)

مؤلفاتـه

إن محمد بن سحنون من العلماء المكثرين في التأليف في مختلف فنون العلم، ولكن أغلب مؤلفاته لم تصلنا، كان يصرف أوقاته في خدمة العلم تدريساً وتدويناً، وأحياناً يصل الليل بالنهار مستمراً في التأليف عندما يشده الموضوع ويملك لبه، روى المالكي أنه «كانت له سرية يُقال لها: أم مدام، فكان عندها يوماً من بعض الأيام، فقال لها: ما عندك الليلة يا أم مدام؟ فقالت: «زوج فراخ» فقال: اصنعيهما لنا الليلة، ففعلت ذلك، وقد أخذ فيما هو فيه من التأليف في كتاب يرد فيه على بعض المخالفين، فاشتغل في ذلك إلى الليل، فلما حضر الطعام استأذنته، فقال لها: أنا مشغول الساعة، فلما طال ذلك عليها، أقبلت تلقمه الطعام، إلى أن أتى على الفرخين، ثم تمادى فيما هو فيه، إلا أن أذّن في الجامع لصلاة الصبح، فقال لها: يا أم مدام! شغلنا عنك الليلة، قربي ما عندك من الطعام، فقالت: قُـدّ، والله يا سيدي، أطعمته لك، فقال: ما شعرت بذلك، لشغله وتعلق قلبه بما كان فيه من التأليف».(١٩) وقد ألف ابن سحنون في المجالات التالية :(٢٠)

- العقيدة والرد على المنحرفين من الكفار والمبتدعة.
- الفقه والأحكام وآداب السلوك والفرائض.
- الرد على بعض فقهاء المذاهب التشريعية.
- التاريخ والتراجم.
- شرح الحديث النبوي الشريف.
- أحكام القرآن الكريم
- التربية والتعليم.
- منهج المناظرة.

وقد يكون له في المجال الواحد من هذه المجالات أكثر من كاتب، وأكبر كتبه وأكثرها بسطاً هو كتابه الكبير المسمى بـ«الجامع»، وهو متضمن أجزاء عدة ذكر القاضي عياض أنها مئة جزء وذكر غيره أنها مئة وعشرون جزءاً.

وقد لقيت مؤلفاته القبول والاستحسان والرواج خارج حدود أفريقيا، فوصلت إلى مصر والعراق شرقاً، ووصلت إلى الأندلس غرباً، ونوه ببعضها ابن حزم، كما نوه بالبعض الآخر القاضي إسماعيل البغدادي، وقال محمد بن عبدالحكم المصري لما قرأ واحداً منها: «هذا كتاب رجل يسبح في العلم سبحاً» (٢١)، وجعلها عبدالله بن أبي زيد القيرواني من مصادر كتابه الشهير: «النوادر والزيادات»، فصار هذا الكتاب متضمناً لنصوص ما فقد من مؤلفات ابن سحنون، وفي مصر كُتِبَ مصنفه في الإمامة بماء الذهب وأهدي إلى الخليفة، وفي العراق كتبت مؤلفات أخرى له بماء الذهب.

كتابه «آداب المعلمين»

هذا أحد كتابين، من مؤلفات ابن سحنون، وصلانا، ثانيهما «الأجوبة»، وهو مجموعة فتاوى أجاب بها عن أسئلة تلميذه محمد بن سالم وقد حققه الأستاذ حامد العلويني ويعتزم نشره قريباً.

وكتاب آداب المعلمين نشر أكثر من مرة في تونس والجزائر ومصر، وانصبّ عليه اهتمام الباحثين دراسة وتحقيقاً. ومسائله تتعلق بأحكام المعلمين والمتعلمين والعلاقة بينهما، وبين الولي والمعلم، والإجارة على التعليم، وتوجيه الأطفال على منهج الشرع.

إنه كتاب تربوي كان به صاحبه من رواد البحث في مسائل التربية والتعليم، وهو مصطبغ بالصبغة الفقهية، مشتمل على فتاوى لنوازل حدثت، وعلى إشارات لعادات جرت في عصر مؤلفه، مثل عادة رمي الفاكهة على الناس عندما يختم الطفل حفظ القرآن، وقد عارضها ابن سحنون وأفتى بمنعها. وقد أسهم هذا الكتاب في تجلية النظرية التربوية في الإسلام، وكان له أثر في توجيه المعلمين وإرشاد المربين وأولياء الناشئة.

خاتمة

تفخر المدرسة المالكية في القيروان بأنها أنجبت علماً جليلاً من أسرة نابهة، هو محمد بن عبدالسلام سحنون الذي بلغ رتبة الاجتهاد الفقهي وتفانى في خدمة العلم ونشره بهمة وعزيمة وتواضع وورع، وأقبل على التقرب إلى ربه بالعبادة والنوافل والمرابطة بقصر المنستير منافحاً عن الأرض الإسلامية وحوزة الدين بشجاعة وبسالة، وامتاز بصفات نبيلة أخرى، كانت من عوامل رفعة مكانته في المجتمع القيرواني مثل الثقة والأمانة والشفقة على المساكين والإحسان إلى الناس والسماحة في معاملتهم.

وفي عصر محمد بن سحنون في القيروان تتوافر ثلة من أقرانه العلماء كانوا نجوماً في سماء حضارتنا الإسلامية الزاهرة، ولكن ابن سحنون كان واسطة عقدهم. ■

الهوامش :

١ـ ترتيب المدارك للقاضي عياض : ٢٠٥/٤ ط المغرب.
٢ـ المصدر نفسه : ٧٤/٤.
٣ ـ رياض النفوس للمالكي : ٤٤٣/١ ط بيروت
٤ـ المدارك : ٢٠٥/٤ ـ معالم الايمان : ١٢٤/٢.
٥ـ المدارك : ٢٦٣/٣.
٦ـ الرياض : ٤٤٤/١.
٧ـ تاريخ علماء الأندلس، لابن القرضي : ١٠٧/١.
٨ و ٩ـ الرياض : ٤٤٤/١.
١٠ـ معالم الايمان : ٢٠٩/٢.
١١ـ المصدر نفسه : ٢١١/٢.
١٢ـ الرياض : ٤٤٤/١.
١٣ـ أخبار الفقهاء والمحدثين لابن حارث : ٦١ ط إسبانيا.
١٤ـ المعالم : ٢٠٥/٢.
١٥ـ الرياض : ٤٥٠/١.
١٦ـ المصدر نفسه : ٢٦٥/٢.
١٧ـ المصدر نفسه : ٤٥٩/١ ـ ٤٥١.
١٨ـ المدارك : ٢٠٥/٤.
١٩ـ الرياض : ٤٤٨/١.
٢٠ـ انظر كتاب العمر لحسن حسني عبدالوهاب : ٥٩٥/٢/١.
٢١ـ المدارك : ٢٠٦/٤.

الخلاف في الرأي بين

الغلو والاعتدال

بقلم : د. عبدالصبور فاضل

الاختلاف والخلاف معنيان متقاربان يشير كل منهما إلى نهج الشخص طريقاً مغايراً للآخر، فإذا اشتد تمسك أحد المختلفين أو كليهما برأيه أسمينا ذلك جدلاً، فإذا تعذر أن يقوم بين المتجادلين تفاهم أو اتفاق واشتدت الخصومة انقلب ذلك إلى شقاق يصل إلى التناحر والتقاتل في الكثير الغالب.

ولما كان الإسلام ديناً كاملاً ومتكاملاً في الوقت نفسه، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووضع ضوابطها، فأركان الإسلام وما يتصل بها من غيبيات ليست موضع خلاف أو اجتهاد لأنها كليات وبمثابة أعمدة للدين، أما الفرعيات فقد أعطى الإسلام رخصة الاجتهاد للعقل الإنساني ممثلة في إعمال العقل بالبحث والنظر والاستدلال للوصول إلى الحقيقة والغاية النبيلة المجردة من كل هوى بما ينفع الناس في دنياهم وأخراهم.

والاختلاف في تلكم الفرعيات له ضوابطه وأصوله، ويوم التزم المسلمون بتلك الضوابط بلغوا ذروة الاجتهاد ووضعوا تراث أعظم الحضارات، ولكن المشكلة التي نعاني منها اليوم أننا افتقدنا آداب الاختلاف وأخلاقياته فوقعنا فريسة للنزاع والشقاق وانشغلنا بالهنَّات والهيِّنات وانصرفنا عن عظائم الأمور وأعتى المشكلات التي تقف حجر عثرة في طريق تقدمنا ونهضتنا، فذهبت ريحنا وتفرَّق جمعنا، لأننا لم نستجب لأمر الله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) الأنفال: ٤٦.

وقد حذرنا الحق تبارك وتعالى من الفرقة لأنها سبيل المشركين فقال : (ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) الروم : ٣١ و ٣٢، كما أشار الحق أيضاً إلى أن الافتراق والتمزق يبعدنا عن هدي النبوة ويسلبنا انتسابنا إلى رسولنا الكريم - ﷺ - حيث يقول : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) الأنعام: ١٥٩.

باب خطير

ومن هذا المنطلق يمكن القول: إن الاجتهاد أو الاختلاف ينبغي أن يكون قاصراً على العلماء الذين فقهوا أمور دينهم حقاً، ولكن على مر العصور وجدنا أقواماً يتسللون إلى هذا الباب الخطير حظهم من الفقه قليل فأصبح منهجهم في الاختلاف ضرباً من التحزب والتعصب، يؤولون النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بما يوافق هواهم فضلوا وأضلوا مصداقاً لقول الرسول - ﷺ - : «من سئل فأفتى بغير علم فقد ضلَّ وأضلَّ»، وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :وما أبردها على القلب إذا سئل أحدكم فيما لا يعلم أن يقول الله أعلم ... وأن العالِمَ من عرف أن ما يعلم فيما لايعلم قليل.

فقد وضع الفقهاء شروطاً للتأويل نذكر منها: ألا يناقض التأويل نصاً قرآنياً، وألا يخالف قاعدة شرعية أجمع عليها العلماء والأئمة، وألا يرفع التأويل ظاهر المعنى المفهوم من اللفظ وفقاً للقواعد اللغوية، كما يجب أن يتوافق مع الغرض الذي سيق النص له من خلال أسباب النزول، وألا يكون صادراً عن غير مؤهل لذلك ممن لا يتمتع بتحصيل علمي كاف، وألا يقر مذهباً فاسداً ومخالفاً للكتاب والسنة والإجماع، وألا يكون تأويلاً قائماً على الهوى مثل تأويلات الباطنية وأمثالهم من أصحاب الملل والنحل المخالفة للإسلام ... إلخ.

اختلف ابن مسعود رضي الله عنه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مئة مسألة فقهية فما زادهم الاختلاف إلا حبا

والتأويل والاجتهاد في الإسلام ليس رخصة لكل من هب ودب حتى ولو كان قد نال قسطاً كبيراً من العلم إنما هو قاصر على العلماء الفاقهين، وتلك ملكة يختص الله بها من يشاء من عباده، فالرسول - ﷺ - عندما دعا لابن عباس - رضي الله عنه - نجده يقول : «اللهم فقهه في

الدين وعلمه التأويل » كما ضرب لنا المثل على هذه الفئة القليلة من العلماء الذين وهبوا رجاحة العقل حتى أنه - صلى الله عليه وسلم - جعلهم يتقدمون الناس في صفوف الصلاة من خلفه وهاكم الحديث الذي رواه أبو مسعود البدري - رضي الله عنه - إذ يقول: كان رسول الله - ﷺ - يمسح مناكبنا في الصلاة - أي يسوي الصفوف بيده الشريفة - ويقول: «استووا ولاتختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم... ثم الذين يلونهم».

كانت محاكمة عباس بن فرناس بسبب « مفاعيل ... مفاعيل » !!

مئة مسألة

وكان لهذه التعاليم السامية أثر كبير في منهج العلماء المخلصين في القول والعمل والفتيا والاجتهاد والاختلاف، فاختلفوا وما تنازعوا وما تفرقوا، واجتهدوا فما هووا وما شططوا حتى أن صحابة رسول الله - ﷺ - كانوا يختلفون في بعض المسائل ولكنهم كانوا يلتزمون أدب الاختلاف ومنهج الإسلام، وعندما يقع الاختلاف بينهم في مسألة معينة ردوها إلى كتاب الله ورسوله فيلتزمون بحكم الله ورسوله، ويحرصون على الكلم الطيب في الحوار والاختلاف، ويتجنبون هابط القول وجارحه، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، فهذا عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - وهو أقرأ أصحاب رسول الله لكتاب الله، ومن أعلمهم بسنة رسول الله - ﷺ - كان يختلف مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في بعض المسائل حتى أن ابن القيم ذكر في كتابه « إعلام الموقعين » أن ابن مسعود خالف عمر بن الخطاب في مئة مسألة فقهية فما زادهما الاختلاف إلا حباً وتقديراً، ومن بين تلك المسائل أن ابن مسعود كان يطبق يديه في الصلاة وينهى عن وضعهما على الركبتين بينما كان عمر بن الخطاب ينهى عن تطبيق اليدين ويرى وضعهما على الركبتين.

الإمامان

وهذا الإمام الليث بن سعد فقيه مصر وعالمها الورع يقع بينه وبين الإمام مالك - رضي الله عنهما أجمعين - خلاف رغم ما كان بينهما من حملة حميمة فيرسل الإمام مالك رسالة إلى فقيه مصر يوضح له فيها مواطن الخلاف فيما أصبح عليه أهل مصر مغايرين بذلك ما عليه أهل المدينة بسبب فتواه فيرد عليه الإمام الليث رداً رفيع الأدب فيقول في مقدم رسالته إليه : «سلام الله عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد : عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة، فقد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم، وأتمه بالعون على شكره والزيادة من إحسانه، ثم يستطرد قائلاً : وإنه بلغك إني أفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه الناس عندكم، وإني يحق عليَّ الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على ما أفتيهم به وأن الناس تبع لأهل المدينة التي كانت إليها الهجرة، وبها نزل القرآن، وقد أصبت الذي كتبت به من ذلك - إن شاء الله تعالى - ووقع مني بالموقع الذي تحب ... إلخ

محاكمة ابن فرناس

وعلى النقيض من ذلك ... هناك نفر في كل العصور ضلوا الطريق فاتبعوا الهوى وارتدوا عباءة الدين فأفتوا جهلاً وقالوا وزراً وتبعهم أعوان زينوا لهم سوء ما يقترفون، فكان لهم ضحايا إلا من حفظ ربي، فهذا عباس بن فرناس الذي برع منذ شبابه في علم الطبيعة والفلك وهو الفيلسوف الكيمياوي الشاعر الأديب الموسيقي، كاد أن يدفع حياته ثمناً لكيد الحاقدين والأدعياء والمضللين، فزعموا أن الرجل مارق يتمتع بقوى شيطانية، فاعتقل وقدم للمحاكمة بتهمة الكفر والزندقة، وعند مثوله أمام المحكمة التي انعقدت في المسجد الجامع برئاسة قاضي « قرطبة » سليمان بن أسود الغافقي جمعوا له شهوداً من دهماء القوم ورعاعهم فقال بعضهم في شهادته ضد الرجل: سمعنا ابن فرناس يتمتم بكلمات فيقول : مفاعيل ... مفاعيل !! .. فهل رأيتم إلى أي حد أصبحت تفعيلات بحور العروض رجساً من عمل الشيطان يكفّر بها الإنسان ويتزندق في نظر هؤلاء الضالين ؟ ورغم ذلك فإن القاضي كان رجلاً ملتزماً فشاور أصحابه وحكم ببراءة ابن فرناس.

وقد وصلت حدة الخلاف في الرأي في بعض العصور إلى درجة أصبح المشرك يأمن على نفسه عند بعض الفرق أكثر من المسلم الذي يخالفهم اعتقادهم فقد ذكر المبرد في كتابه «الكامل في اللغة والأدب » رواية غاية في الغرابة وهي أن واصل بن عطاء أقبل مع بعض أتباعه، وبينما هم في الطريق شعروا بجماعة من الخوارج فخشي أتباعه على أنفسهم فقال لهم واصل بن عطاء : هذا ليس شأنكم دعوني وإياهم، فلما اقتربوا منهم خرجوا عليهم وقال لابن عطاء : ما أنت وأصحابك ؟ فرد عليهم : مشركون مستجيرون لنسمع كلام الله ونعرف حدوده، فقالوا له : قد أجرناكم، فقال لهم : علمونا، فجعلوا يعلمونه أحكامهم وهو يقول لهم : قد قبلت أنا ومن معي، فقالوا لهم : امضوا مصاحبين فإنكم إخواننا، فقال لهم واصل بن عطاء : ليس ذلك لكم، فقد قال الله تبارك وتعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) التوبة : ٦، فأبلغونا مأمننا، فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا لواصل ورفاقه : ذلك لكم فساروا جميعاً حتى بلغوا المأمن!! ■

أحكام

لماذا حرمت الخمر؟

بقلم : محمد يوسف الجاهوش

لنتأمل الآية الكريمة التي جاءت جواباً على هذا السؤال : (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة : ٩١. ففيها الجواب الشافي، ذلك أن الخمر حُرّمت لما اشتملت عليه من أضرار كثيرة، في سلوك الإنسان، وعقيدته، وفي جسمه، وعقله.

١ - الأضرار الدينية

الخمر صدّ عن ذكر الله، وملهاة عن الصلاة، وأي ضرر أشد على المسلم من أن يصاب في دينه وعقيدته، ويعيش عابثاً، لاهياً عن ذكر ربه - عز وجل - وكيف لا تكون كذلك وصاحبها لا يفيق من سكره إلا لماماً، وإن هو صحا كان مشتت الذهن، شارد اللب، لا يلبث أن يعود لما فارق، لأن الشيطان استحوذ على قلبه، وأنساه ذكر الله، وماذا بقي للمسلم من عقيدته، إذا ما هدم عمودها - الصلاة - وتشاغل عن أوامر ربه بالتافه من شؤون الحياة، فضلاً عما يهدم الحياة نفسها.

٢ - الأضرار الاجتماعية

إن الخمر سبب للعداوة بين الناس - كما أوضح القرآن الكريم - وأصحابها أعداء في ثياب أصدقاء، تجمعهم مجالس الشراب، ثم لا يلبثون أن يتفرقوا، وقد ضرب بعضهم بعضاً، وشتم بعضهم بعضاً، ونال كل منهم من عرض الآخر نيلاً قبيحاً، وكيف لا يكونون أعداء وقد اجتمعوا على معصية الله تعالى، ومخالفة دينه.

أضف إلى ذلك أن موائد الخمر لا تخلو غالباً من لعب القمار، ووجود النساء البغايا، وكل ذلك من أسباب التخاصم والشجار، والعداوة والبغضاء، وهذا الصنف من الناس محتقر اجتماعياً، منبوذ حتى من أقرب الناس إليه - أهله وأولاده - ولذا نجد أن أُسر مدمني الخمر أسر مفككة تعيسة، حيث غابت رقابة الوالد وتوجيهاته، فعاش الأولاد في أسوء حال، من دون رعاية ولا توجيه.

ونظراً لهذه الأضرار الاجتماعية التي تسيء إلى سمعة الإنسان ومكانته، رأينا بعض عقلاء الجاهلية قد حرموا الخمر على أنفسهم عندما أخبروا بسوء تصرفاتهم وهم سكارى - أفيليق بعاقل - فضلاً عن مسلم - أن يقدم على شرب الخمر ؟

٣ - الأضرار المالية

إن الخمر تستهلك المال، وتبدد الثروة فيما لا نفع فيه، وبخاصة عندما يصاحبها لعب القمار، ومجالس النساء، ولم تكن الخمر في يوم من الأيام كما هي في يومنا هذا، نظراً لتعدد أصنافها، وغلاء أثمانها، وبخاصة في الدول حديثة الغنى، التي لم يرع الكثير من أبنائها حرمة لله، ولا لرسوله، فأمعنوا في شربها وتعاطيها.

٤ - الأضرار الجسمية والعقلية

أثبت الأطباء حتى - المدمنون منهم - أن للخمر ضرراً أكيداً على كل أعضاء الجسم، والأجهزة العاملة فيه، نظراً لاحتوائها على مادة الكحول - ذات التأثير الضار المؤكد لجسم الإنسان وعقله، فالخمر سبب في :

أ - اضطراب جهاز الهضم :

لأن الكحول تثير الخلايا التي تغطي جدار المعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة، وبسبب هذه الآثار تزداد الإفرازات الحامضة في المعدة، وهذه الزيادة تقلل كثافة «البيبسين» اللازمة لمساعدة هضم المواد «الآجينية» ونتيجة لكل ذلك يختل الهضم ويتبعه التهابات في المعدة، وقد أثبتت الإحصاءات العلمية أن ثلث المدمنين مصابون بالتهاب مزمن في المعدة، أضف إلى ذلك أن كمية الطعام تقل عند المدمنين مما يحدث أثراً سيئاً على صحتهم.

ب - تأثير الخمر على الدورة الدموية :

إن الكحول سبب في تصلب الشرايين، وإضعاف مجهود القلب، وغير خفي ما تسببه هذه من أضرار أكيدة في جسم الإنسان.

ج ـ أضرار الكبد :

إن الخمر تضعف الكبد عن القيام بوظيفته، وتؤدي إلى إصابته بالتليف، مما يجعله في حال عجز تام عن أداء مهامه في الجسم.

د ـ والأمر المتفق عليه عند جميع الأطباء: أن الخمر سبب في :

١ ـ القرحة المعدية، أو زيادة الحموضة.
٢ ـ أمراض الكبد.
٣ ـ أمراض الكلى، كالالتهابات الحادة المزمنة.
٤ ـ أمراض العقل، كالصرع والجنون، بسبب إتلافها لخلايا الدماغ.

التجارة بالخمر أمر حرّمه الإسلام تحريماً قاطعاً، لا شبهة فيه

التأثير الوراثي

إن ضرر الخمر يتجاوز شخصية المدمن إلى أولاده، فهي سبب في إصابتهم بالبله، أو الصرع، وغيرها من الأمراض، وقد ثبت في إحصاء أجري في مدينة باريس بفرنسا : أن هناك بين كل ألف أبله، أربعمئة وسبعين أبلهاً من أب مدمن على تعاطي المسكرات، وإنها نسبة مذهلة كما نرى. (١)

حكم التداوي بالخمر

لم يبح الله تعالى التداوي بالخمر ـ وقد حرّم شربها ـ فهي كما وضح لك من أضرارها، « ليست بدواء ولكنها داء » (٢)، ولم يجعل الله تعالى شفاء أمة محمد ﷺ فيما حرّم عليها، فلا يجوز لطبيب أن يصفها علاجاً، ولا لمريض أن يتعاطاها، ولو وصفها له الطبيب، إذ إن من يفعل ذلك من الأطباء يكون مستهتراً بدينه، غير مدرك لما يفعل، وما أكثر الأدوية التي تغني عنها!

حكم التجارة بالخمر

إن التجارة بالخمر أمر حرّمه الإسلام تحريماً قاطعاً، لا شبهة فيه، حيث لعن الرسول ـ ﷺ ـ « شاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه » (٣)، كلهم في اللعنة سواء، حيث يسهل بعضهم لبعض الوصول إلى ما حرّم الله تعالى، بل يُحرّم بيع التمر أو العنب، أو غيرهما إلى من ـ أكدنا أنه سيصنع منها خمراً.

وإذا كان الأمر كذلك، فما حكم ما يصادره رجال الأمن من الخمر؟ إن الواجب يقضي عليهم إتلافه فوراً، لأن شربه محرم عليهم، وبيعه كذلك، وتقديمه ضيافة أكثر حُرمة من بيعه، لأن فاعله يسهل الحصول على الشراب المحرم دون ثمن، وهذا إغراء شديد على ارتكاب المحرمات.

مقارنة

يهدف الإسلام إلى حفظ الضرورات الخمس : (النفس. والمال. والعرض. والعقل. والنسل).

وقد شرع من الأحكام والحدود ما يكفل صيانتها وحمايتها، ولو أنعمنا النظر لوجدنا أن الخمر له تأثير ضار على هذه الضرورات جميعاً، كما أوضحنا ذلك.

ولو ألقينا نظرة على مجتمعات الغرب التي تفشى فيها شرب الخمر بصورة بشعة ـ لوجدنا أن حرمة هذه الضرورات كلها قد أهدرت، ولم يعد الإنسان يأمن على واحدة منها، وهو نفسه يسهم في ذلك، فضلاً عن غيره.

ولو أننا قارنا أحوال تلك الأمم ـ وهي أمم الحضارة المزعومة ـ بأحوال بعض الشعوب الإسلامية، التي لم تنحدر إلى هذه الهاوية لوجدنا الفرق كبيراً، والبون شاسعاً، حيث مازال الإنسان يشعر بالأمن على نفسه وعرضه وماله، وينعم بالطمأنينة التي فقدها غيره.

المقدار المحرم من الخمر

هل المقصود تحريم القدر المسكر أم تحريم تناوله مطلقاً؟

إن المقصود تحريم القليل والكثير على السواء.

أخرج أحمد، والأربعة، وصححه ابن حبان: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

وقال أبو المظفر السمعاني : «والأخبار في ذلك كثيرة لا مساغ لأحد في العدول عنها. (راجع فتح العلام).

وقد سئل ابن عباس عن عصير العنب ؟ يطبخ ثم يحفظ للشراب ؟

فقال : هل يسكر ؟ قالوا : إذا شرب بكثرة، فقال : إنه حرام.



عقوبة شارب الخمر

ثبت حَدّ شارب الخمر بسنة رسول الله ـ ﷺ ـ فقد أخرج أصحاب السنن، عن النبي ـ ﷺ ـ «من شرب الخمرة فاجلدوه، ثم إن شرب ثانية فاجلدوه، ثم إن شرب فاجلدوه».

وثبت أن النبي ـ ﷺ ـ ضرب شارب الخمر بالنعال والجريد أربعين جلدة، وضرب أبو بكر أربعين، وفي خلافة عمر أفتاه عليّ أن يضاعف العدد، ليكون أكثر ردعاً للفساق، فضرب ثمانين.

ويستحق هذا الحد كل من شرب الخمر، سواء أكان ما شربه

قليلاً أم كثيراً، أسكره، أم لم يسكره، «لأن كل مسكر خمر، وما أسكر كثيره فقليله حرام» (٤) سواء أضبط متلبساً بشرب الخمر، أم شهد عليه شاهدان عدلان: أنه شربها.

حكم تناول الحشيش والأفيون والبنج وحبوب الهلوسة :

١ - الحشيشة :

لقد اتضح أن الخمر تطلق على كل مسكر، أياً كان اسمه، ومهما كانت صفته، دون اعتبار للمادة التي صنع منها.

ولو أننا تأملنا مادة الحشيش، لوجدنا أن أعراض الخمر وأضرارها كلها تجتمع فيها، فالحشيش - إذاً - محرم تعاطيها، كالخمر تماماً.

لم يبح الله تعالى التداوي بالخمر وقد حرم شربها

متى ظهرت الحشيشة

ظهرت في بلاد الإسلام في أواخر المئة السادسة من الهجرة، عندما غزا التتار بلاد المسلمين، حيث جلبوا معهم هذه المادة القاتلة، التي يعتبر ضررها أشد من ضرر الخمر، وقد نقل الإمام ابن تيمية : الإجماع على تحريمها، ومنكر ذلك كافر، ولا اعتبار بكلام من قال : إنها مفترة، وليست مسكرة، فقد نهى رسول الله - ﷺ - عن كل «مسكر ومفتر» (٥).

ب - الأفيون :

إنه يعمل بالجسم عمل الحشيش، الذي اتضح لك أنه مثل الخمر في التحريم.

ج - البنج :

إنه يفقد العقل، ويجعل الإنسان لا يعي مما حوله شيئاً، فهو كالخمر والحشيش والأفيون في التحريم، ولا يغير من حكم تحريمه استعماله كمخدر أثناء العمليات الجراحية، فإن ذلك من باب الضرورة، للتخفيف عن المرضى، وتسهيل إجراء العمليات الجراحية.

د - حبوب الهلوسة :

وما أحسب أننا نحتاج - بعد ما ذكرنا - إلى بسط القول في حكم هذه الحبوب، إذ إن حرمتها لم تعد بخافية بعد أن علمنا أن كل ما خامر العقل فهو حرام.

خاتمة

وهكذا نجد أن شرب الخمر محرّم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله - ﷺ - وإجماع الأمة.

١ - وأن الخمر أم الخبائث، لا يشربها إنسان وهو مؤمن «لا يشرب الخمر شاربها حين يشربها وهو مؤمن» رواه مسلم.

٢ - وأنها لم تحل في شريعة من شرائع السماء أبداً، وإنما تفشت الجاهلية بعدما درست النصرانية الحقة، حتى هدم الإسلام الجاهلية وآثارها.

٣ - وأنها متلفة للمال، مضيعة للوقت، مفسدة للعقل، مهلكة للجسم.

٤ - لايقتصر ضررها على متعاطيها، وإنما يتعداه إلى ذريته ونسله، وقد أثبت ذلك علم الطب بشكل جازم وقاطع.

٥ - وأنها سبب للصد عن ذكر الله، وترك الصلاة التي هي عمود الدين.

فماذا حصل من أعرض عن ربه، وهدم عمود دينه ؟

وأي عاقل يقدم بعد هذا الذي تبين من أضرار الخمر - على شربها وتعاطيها؟

ما أحسب أن عاقلاً يفعل ذلك وهو يعقل ما يفعل، فضلاً عن المؤمن الذي يخشى الله ويرجو ثوابه.

ألا ما أعظم الإسلام في تعاليمه، وما أدق توجيهاته وأحكامه، وهو يوجه المسلمين نحو الصالح من كل شيء، في الدنيا والآخرة، إن اتباع الإسلام هو السعادة كل السعادة، ولن يهنأ الناس أو يطيب لهم عيش إلا بالعودة الصادقة إلى تعاليم الإسلام، قولاً وعملاً.

(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل: ٩٧.

ولسوف يرافق أمتنا الشقاء والعناء، وضيق العيش مادامت بعيدة عن أسباب سعادتها التي جاء بها الإسلام (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً) طه: ١٢٤.

فما بال أقوام أعزّهم الله بعد ذلةٍ، وبصرَّهم بعد عمى، وأغناهم بعد فاقة، يبادرونه بالذنوب والمعاصي، وبالجحود وكفران النعم!

فقد أفسدهم المال، وغرهم من الله الإمهال، فطغوا وتجبروا، (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) الأعراف: ٩٩.

فاحرصوا شباب الإسلام، أن تكونوا اللبنات القوية في صرح بناء إسلامي شامخ، يلفت الدنيا إلى نور ربها، ويقودها إلى شاطئ الأمان بسلام واطمئنان، فأنتم الأمل، وفيكم الرجاء.

(والله معكم ولن يتركم أعمالكم) محمد: ٣٥.

وقاكم الله مصارع السوء، وتقلبات الأيام، وهداكم لأقوم سبيل، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

الهوامش :

١ـ كتاب الخمر ومضارها : نبيل الطويل.

٢ـ أخرجه مسلم.

٣ـ رواه أبو داود.

٤ـ أخرجه أحمد وأصحاب السنن.

٥ـ أخرجه أبو داود.

دراسات قرآنية

حقائق علمية في الإعجاز القرآني

بقلم : د. قطب عامر فرغلي

تعرف الأرض بالكرة الحية أو المحيط الحيوي لتميزها من بين أخواتها اعضاء المجموعة الشمسية بوجود الكائنات الحية النباتية والحيوانية فيها.

هذا المحيط الحيوي يتكون من وحدات متعددة تسمى بالمنظومات البيئية، وكل منظومة تشتمل على مكونات حية وأخري غير حية، وفيما بينهما يحدث التفاعل والتبادل للعناصر الكيماوية، وبما يضمن للنظام الاستمرار والاتزان الديناميكي، مؤثرا ومتأثرا بما يحيط به من قوى وعوامل بيئية متعددة، ولقد اصلح الله جلت قدرته الأرض وأنزل فيها كل مقومات العيش للكائنات الحية، واختار الإنسان خليفة في الأرض، وفضله على كثير ممن خلق ومنحه القدرة على التفكر والتدبر والتأمل فيما حوله من موجودات عمرت بها الأرض والسماء لعبادة الله الواحد القهار. إن التدبر في آيات القرآن الكريم هو علم اليقين، والتفكر في آيات خلق السموات والأرض هو عين اليقين، وكلها دلائل إيمان لمن تفضل الله عليهم بنعمة الإسلام والإيمان، وعكس ذلك لمن أعرض ونأى بجانبه أن يكون هو الخسران المبين.

لقد سمع معشر الإنس والجن قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد، فأصبحوا يتعجبون ويحومون بفكرهم حول معاني كلماته التي جاءت متوافقة ومنسجمة مع الفطرة الأولى فطرة الإسلام التي فطر الله الناس عليها، ولايعلم تأويله إلا الله. إن القرآن الكريم يحمل أطيب كلمات في هذا الكون الموسع، كلمات أصلها ثابت في لوح محفوظ، وتتدلى ثمار معانيها في كل عصر لمن تفتحت بصيرتهم بالإيمان وإسلام الوجه لله سبحانه وتعالى حسب ماأمدهم الله من عطائه ويقول الله عز وجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)(٢٤ - ٢٥) (ابراهيم) فإذا زاغت الأبصار، واختلت العقول ومرضت القلوب بهوى النفوس، فآيات القرآن وآيات ما أبدع الرحمن تهديهم إلى الإيمان وإلى طريق الرشاد. والحقائق التي أعلمنا بها القرآن وتكشفت عبر ايام الزمان ظلت وستظل هي الروح التي يتجدد بها إيمان المؤمنين بالله عز وجل وتثبيتا لقلوبهم ومن هذه الحقائق :

زوجانية المخلوقات

اختص الله سبحانه وتعالى بالوحدانية، وخلق الأشياء خلقا زوجانياً ومن ذلك قوله في محكم التنزيل (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) الذاريات: ٤٩. وزوجانية الأشياء تعني أن الله خلق كل شيء من زوجين اثنين وكل زوج منهما له كينونته واستقلاليته الفردية لضمان الاستقرار والسكون والاتزان وتواصل عمارة الأرض وزينتها. ونجد القرآن الكريم يوضح لنا ذلك في قوله تعالى:(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) الروم/٢١. وكلمة زوج قد تعني أيضا إنها شق، وعليه فإن كل شيء عبارة عن شقين وهذا ما بيَّنه رسول الهدى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من أن النساء شقائق الرجال فالإنسان شيء خلق من ذكر وأنثى مصداقا لقوله تعالى(ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)الحجرات/١٣. وكذلك الأمر في الكائنات الحية خصوصاً الأكثر تعقيدا في تركيبها، أيضا نجد أشياء خلقت من مانح ومكتسب أو من موجب وسالب أو من شق حامضي وشق قاعدي.. وهكذا مانعلمه ومالا نعلمه ومايعلمه إلا الله. والشق من الشيء يكون في حال من عدم الاستقرار أو الإثارة والنشاط فإذا تلاقى كل شق مع الآخر أحدث ذلك سكونا وتعادلا.

إن كل كائن حي جديد يبدأ الله تعالى خلقه من خلية واحدة تكونت طبيعيا من اندماج نواة الخلية التناسلية أو الأمشاج أحادية المجموعة الكرموسومية (N) المذكرة مع نظيرتها المؤنثة لتكوين مايعرف باللاقحة «النطفة» وهي خلية واحدة ثنائية المجموعة الكرموسومية (2N) ويقول القرآن المجيد في خلق الإنسان:(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيراً) الإنسان/٢.

والأمشاج تحمل العوامل الوراثية وتتحكم في انقسام الخلية، وعددها ثابت في الأنواع المختلفة من الكائنات الحية، إن الأمشاج أحادية المجموعة الصبغية لاتستطيع بمفردها اعطاء كائن حي (إلا في حالات خاصة) ولابد من التكامل بين صفات المجموعة الأحادية المذكرة والمجموعة الأحادية المؤنثة وتكوين الزوج الكرموسومي المتماثل وبهذا يحدث التزاوج بين العوامل الوراثية أو صفات الكائن الحي الجديد وبالتالي يعطي زوجا لكل صفة ومن ثم تظهر المجموعة الصبغية المذكرة والمؤنثة معا ويكون هذا العدد زوجيا (شكل١) وتصبح للخلية زوجية الأمشاج القدرة على الانقسام لتعطي خلايا لها العدد نفسه من الأمشاج (2N) لتتكون منها العلقة ثم المضغة ثم العظام «أو الهيكل العظمي» كما يحدث في عالم الإنسان وعالم الحيوان أما في عالم النبات فتعطي هيكلا آخر.

يسمى بالهيكل الوعائي. إن اساس الإنسان وغيره من الأحياء خلية

واحدة تكاد لاترى تحت المجهر وينشأ منها بعد ذلك خلايا شتى مختلفة الاشكال والأحجام والأوزان والوظيفة والألوان ودرجة الصلابة والقدرة على تحمل ظروف البيئة المحيطة بها والتي منها تظهر الأنسجة والأعضاء والأجهزة التي تكون جسم الكائن الحي وماأعظم قول الله سبحانه وتعالى مخاطبا الناس (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)الذاريات/٢١. إن الزوج عبارة عن وحدتي تكوين أما الزوجان فهما وحدتا تكامل تنتقل من خلالهما الصفات والعوامل الوراثية من الآباء إلى الأبناء لتستمر الحياة وعمارة الأرض وخلافتها كما قدره الله سبحانه وتعالى. وإن كلمة «زوج» التي وردت في القرآن الكريم والتي فسّرت «بالصنف» كلمة غاية في الدقة اصابت كبد الحقيقة، وقد يشير ماسلف إلى تلك المعجزة القرآنية.

إن التأمل في الأشياء يعطيها سمات التكوين الزوجاني فمثلا: جسم الإنسان تتمتع مكوناته بالزوجانية فالأطراف عبارة عن يدين ورجلين والقلب عبارة عن أذينين وبطينين ... الخ.

كذلك في الجماد مثلا جزئيات المادة هي اتحاد بين زوجين فملح كلوريد الصوديوم كمثال يتكون من شق قاعدي، الصوديوم (NA) وآخر حامضي (الكلور ـ CI) والشق الأول يزيد فيه عدد البروتونات عن الإلكترونات فتكون موجبة الاقتران، أما (CL) فتزيد فيها عدد الألكترونات عن البروتونات فهي سالبة الاقتران فإذا التقى الاثنان حدث الترابط «التزاوج» بينهما عن طريق الشحنة الموجبة في الصوديوم مع السالبة في الكلور مكونا جزءي كلوريد الصوديوم المتعادل .. وهكذا بالنسبة للجزيئيات الأخرى. وصدق الله العظيم : (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون) يس/٣٦.

الموت والحياة

وردت كلمة «الموت» في القرآن الكريم قبل كلمة «الحياة» وماجاء على لسان الحق مثل قوله تعالى:(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)الملك/٢. كما أنهما شقان لشيء يدل على درجة الحيوية. ولقد كتب الله على جميع مخلوقاته الموت والحياة وكل منهما مقترن بالآخر مثلما نجده في الأشياء الأخرى فلا موت إلا من حياة ولا حياة إن لم يسبقها موت. كما في قوله تعالى:(وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) آل عمران/٢٧

والموت زوج والحياة زوج أي أنهما زوجان معاً ككل شيء ونجد ذلك في آيات قرآنية متعددة مثل قوله تعالى:(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)البقرة/٢٨. (قالوا ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)غافر/١١.

(وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم)الحج/٦٦. وغير ذلك من الآيات القرآنية التي توضح أن الانسان يمر بمراحل من الموت والحياة على فترات متسلسلة فيبدأ بالموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة الأبدية. والموت والحياة مرهونان بغياب الروح أو وجودها بالجسد. كما أن حياة الإنسان في الأولى تبدأ من لحظة نفخ الروح بالجسد وذلك هو عمره الحقيقي أما العمر الظاهري فهو الذي يبدأ مع الميلاد حتى نهاية حياته الأولى.

إن الإنسان بطبيعة الحال لم يدرك الموت الأول وكان بالنسبة له ماض لذلك فإن القرآن الكريم أشار عليه بفعل ماض «كنتم أمواتا فأحياكم» وأما كلمة فأحياكم فهي حاضره الذي يعيش فيه أما المستقبل فقد ذكره الله بقوله:(ثم يميتكم ثم يحييكم) وعن الموت الأول الماضي وماسبقه من خلق لم يدركه الإنسان يقول الله عز وجل (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) الكهف/٥١. ولم يكن ذلك الأمر مقصورا على بني الإنسان أو الحيوان ولكن كتبه الله تعالى ايضا على عالم النبات، الشق الثاني من عالم الأحياء. وماتختص به النباتات الراقية يقول القرآن المجيد(إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون)الأنعام/٩٥. وعن أصل اجساد هذه الأحياء وهو احياء الأرض بها يقول الله تعالى:(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون)الروم/١٩ إن ذلك يوضح وجود نمط منسق واسلوب متشابه في عالم النبات وعالم الانسان ودلالة على قدرة الله الواحد الخالق، وآيات القرآن الكريم كثيرة في هذا الصدد مثل قوله تعالى:(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا)الكهف/٤٥. ولكن إذا عرفنا كيف تتم عملية تكوين أجنة النباتات بطريقة مبسطة لظهر الإعجاز القرآني جلياً ومؤكدا للإعجاز العلمي فيه.

وبالمقارنة مع أرقى أنواع النباتات وهي ذات الفلقتين وذوات الفلقة الواحدة والتي يطلق عليهما بمغطاة البذور «وعاء» لأن اجنتها تتخلق في قرار مكين غير مكشوف «مكشوف في معراة البذور» ويبدأ التكوين باندماج النواة التناسلية المذكرة أحادية المجموعة الكرموسوميه (N) مع نظيرتها المؤنثة نواة البيضة(N) ويتكون الزيجوت (2N) الذي ينقسم بعد ذلك انقسامات عدة متتالية حتى يتم تكوين أعضاء الجنين. إن تطور جنين النباتات سالفة الذكر يكون في قرار مكين خلق من بعد خلق في ظلمات ثلاث كما يحدث في الإنسان حيث يقول تبارك وتعالى: (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث) الزمر/٦. وهذه الظلمات الثلاث في النبات هي: الكيس الجنيني، غلاف البويضة «الذي يغطي القصرة» وجدار المبيض«الذي يؤدي إلى تكوين الغلاف الثمري» (شكل ٢) وهذا يؤكد تفسير معنى الظلمات الثلاث في الإنسان.

وهناك أوجه أخرى للتشابه مع الإنسان مثل اتصال ذلك الجنين بالنبات الأم عن طريق الحبل السري الذي يتصل بالمشيمة حيث تمده بالمواد الغذائية كذلك، وجود غذاء مختزن يستفيد منه الجنين عند الإنبات في مراحله الاولى لمواجهة الحياة على سطح الأرض وفوق كل هذا فإن النباتات الراقية والإنسان يغلب عليهما الطور الجرثومي «خلايا زوجية المجموعة الكرموسوميه» بينما الطور الجاميتي «خلاياه أحادية المجموعة الكرموسومية» مختزل إلى خلية أو خلايا معدودة. ولكن قبل حدوث الإنبات يمر الجنين بفترة من الكمون والسكون وهي الزمان مابين اكتمال تكوين الجنين وتسويته وقبيل حدوث الإنبات الذي لايبدأ إلا بعد المرور بالكمون مهما توافرت الظروف المناسبة

للإنبات. وهذه فترة يمر بها أجنة النباتات ولكن تختلف فيما بينها زمنيا، إن الكمون في أجنة النباتات يشبه الموت الأول في الإنسان الذي يسبق الحياة الأولى ولِمَ لا وقد أدركنا مدى التشابه بينهما بالدراسة والعلم من القرآن الكريم. لذلك فإن هناك بعض الأدلة الخاصة بهذا الموضوع:

إن أبا البشر سيدنا آدم عليه السلام مر بتلك المرحلة مابين تمام التسوية ونفخ الروح. كما أن ذريته تمر بمرحلة الموت نفسها في البداية وبعد اكتمال التسوية والأعضاء لجسد الإنسان من دون روح فيه والقرآن الكريم يقول ضمن سرد مسيرة الإنسان.. (فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون/١٤ وكلمة «ثم» تشير إلى التراخي والفترة الزمنية الفاصلة بين تمام التسوية أو اكتمال الجسد عضويا وبين نزول الروح فيه حيث يكون الإنسان في مرحلة موت.

في النباتات الراقية المتشابهة في أسلوب نشأتها وحياتها مع الإنسان توجد هذه المرحلة وهي الكمون أو السكون.

هذه بعض من الحقائق العلمية التي وردت في القرآن العظيم وذكرت منذ مئات السنين قبل أن يتعرف عليها أهل هذا العصر والتي ظهرت منذ سنوات قليلة. ولقد شرفت اللغة العربية وفازت بآيات القرآن العظيم دون سائر اخواتها، كما أنها شرفت بخير إنسان وأشرف رسول أنزل عليه القرآن الكريم وهو سيدنا محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام بالاضافة الى ان الله تعالى أوجد القرآن في اللوح المحفوظ قبل خلق الإنسان وبالتالي قبل تعدد ألسنة البشر. إن اللسان العربي له الفضل على سائر لغات العالم والذي أمدها بكثير من كلماتها ومنها كلمة «كفر» التي أصابت نفوس بني البشر دون غيرهم من المخلوقات وأصبحت أعظم قضية تعرض لها الإنسان لحيوده عن الإيمان وإنكاره الحق. وفي أكثر اللغات انتشارا في عالمنا الإنكليزية والفرنسية، نجد هذه الكلمة لفظا ومعنى وهي «COVER»، «COUVERCLE» بالانكليزية والفرنسية على التوالي.

ومعناها الغطاء أو الستر للشيء. أما القرآن الكريم فيعطينا لفظها ومعناها حيث يقول سبحانه وتعالى (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا. الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لايستطيعون سمعا) الكهف ١٠٠ ـ ١٠١ وهذه هي قضية كل عصر عاش فيه الإنسان الذي يولد أساساً على الفطرة والإيمان ثم يستبدل ذلك بعبادة غير الله ويكفر به. وهذا نوع من التلوث الذي يصيب قلوب كثير من الناس بالابتعاد عن الحق والتوجه إلى الضلال ومن ثم نجد القرآن المجيد يقول :(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فصلت/٥٣.

كل ذلك يدل على الإعجاز القرآني وتلك هي اللغة العربية التي أنزل بلسانها ونالت هذا الشرف العظيم الذي لم ينله أي لسان آخر وصدق الله العظيم حيث يقول : (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) النحل/١٠٣ كذلك (نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥. ■

قضايا إسلامية

خطوة على الطريق غرباً

لايستطيع المرء ان يكتم دهشته من مقدار السلبية والاتكالية بيننا نحن المسلمين، والتي لايفوقها إلا مقدار اختلافنا وتنازعنا فيما بيننا، مما يجعلنا نتساءل: هل نحن حقاً «خير أمة أخرجت للناس»؟ وهذا التساؤل ليس من قبيل الاستنكار، بل من قبيل التذكير بأننا مقصرون في أداء الأمانة التي في اعناقنا.

بقلم : حسن بن حسين المهنا

منذ سنوات عدة عقدت مؤتمرات للمرأة والأسرة، في القاهرة وبكين وغيرها، وسمعنا أن بعض شذاذ الآفاق دعو بدعوات تخرجهم من الانسانية إلى البهيمية،حتى سمعنا بأن كل فرد من الشرطة في مؤتمر بكين قد أعطي ملاءة مطوية يحملها طيلة أيام المؤتمر، لتغطية أي امرأة قد يخطر ببالها ان تقف أمام الجميع عارية!! ونحن إذا لانختلف على المستوى المنحط الذي وصل اليه بعض الأفراد والجماعات، بل يمكننا تأييد ذلك بأدلة إضافية تملأ صفحات عدة، لكن النقطة التي نتوقف عندها طويلا هي موقفنا نحن المسلمين من كل ذلك، فقد دأب الكثيرون منا على المناداة بإغلاق الطريق بيننا وبين الآخرين، وسد المنافذ والانعزال عن العالم، وتمثل هذا الموقف في كثير من الأمور، مثل الدعوة إلى مقاطعة بعض المؤتمرات الدولية، ودعوة البعض الى منع القنوات الفضائية وشبكة الانترنت وغيرها، فهل هذا موقف صحيح ؟

قد يكون موقفا صحيحا لو كان المجتمع العربي أو الإسلامي نفسه خاليا من هذه الأمراض، وان هذه الأمراض موجودة في الخارج فقط، وقد يكون موقف الانعزال صحيحا إذا كانت هذه الأمراض موجة موقتة ستنحسر، وقد يكون صحيحا اذا كانت المنافذ التي نطالب بسدها تعمل في اتجاه واحد، فترسل إلينا ولاتستقبل منا، وقد يكون مطلب الانعزال صحيحا لو كان ديننا دين رهبانية وانعزال في صوامع ومغارات، أما مادام ديننا الإسلام، وهو خاتم الأديان على الأرض، فإن الانعزال ليس أسلوبا خاطئا وغير فعال فقط، بل إنه يمنعنا من توضيح مفاهيم الإسلام، ويبرر لنا تقصيرنا في ذلك.

بالإضافة إلى ذلك فأن الانعزال مستحيل بصفة عملية، لأن الدول متصلة ببعضها بعضا تجاريا وسياسيا ولايمكن عزلها، والناس يذهبون ويجيئون ويسافرون من بلد إلى آخر، فكيف نعزل شعبا عن آخر؟كما أن منع وسائل الاتصال الحديثة- مثل شبكة الانترنت- يحرمنا من فوائدها العظمى التي تستفيد منها الأمم الأخرى، مما ينتج عنه تزايد في الفجوة العلمية والتقنية التي تفصل بيننا وبينهم كما أن منع الانترنت بالذات يحرمنا من أهم قناة اتصال يمكن أن توصل وجهة نظرنا إلى الآخرين.

إن وصول المنكرات إلى مجتمعاتنا ليس سببا كافيا للانعزال عن العالم، بل يدل على عدم كفاية تحصين المجتمع ضد هذه الأمراض، وهاهي فريضة الحج في كل عام تثبت لنا هذه النقطة، فهل يمكن ان نمنع اختلاط الناس في الحج لمنع انتقال الأمراض بينهم؟ كلا إذا فالحل هو التحصين ضد الأمراض، وإذا فعلنا ذلك، حصلنا على فوائد الحج الدينية والدنيوية، ومنعنا السلبيات المتمثلة في انتقال الأمراض.

وقد قرأنا أخيراً مقالتين، تعرضت كل منهما لموقف غربي معين، ثم اختتمت أسطر كل مقالة بدعوة تقليدية ومكررة إلى التصدي لهذه المواقف، وان يقوم بعض المؤلفين المسلمين بالكتابة للغربيين ، لتفنيد مواقفهم من الإسلام والمسلمين. ونحن في هذه السطور لا نتفق مع معاني التحدي والتصدي، حيث تنم عن روح تصادمية، كما أنها تعبّر عن ردّ فعل وقتي قصير الأمد، وهو الأمر الذي اتسم به تعامل المسلمين مع أغلب القضايا المعاصرة.

ورغم كل ذلك فإننا في الوقت نفسه نؤيد المسعى الذي دعا إليه هؤلاء الكتاب والمفكرون من التواصل والتخاطب مع غير المسلمين، بل مع المسلمين غير الملتزمين. والذين لا يحملون الفكر الإسلامي، على أن تكون حلقات التواصل بعيدة النظر طويلة الأمد، لاتنتهي مدتها بالتصدي لموقف معين، بل كون استراتيجيتها التواصل المباشر مع الأفراد والجماعات في الغرب، لخلق نوع من الوعي بينهم بماهية الإسلام والمسلمين، حتى لاتبقى وسائل الإعلام العالمية التي يملكها اليهود هي «السمسار» الذي يملك جميع الروابط والعلاقات بين الشعوب والمجتمعات.

وموارد هذا التخاطب كثيرة، منها شبكة الانترنت، والقنوات الفضائية، والمقالات الإسلامية في غير المجالات الاسلامية ولكننا سنركز في هذه الأسطر على هذا المورد الأخير، أي كتابة المقالات، حيث إنه متاح لكل المفكرين الاسلاميين مهما كانت مهارتهم واطلاعهم في المجال التقني «المتعلق بالحساب الآلي وشبكة الانترنت وغيرها».

ففي مجال المقالات والمجلات، من الملاحظ ان هناك انعزالية تجعل كل فئة تتقوقع على نفسها، وتتجمع حول مجموعة من المطبوعات التي تنطق بلسان حالها، فالمسلمون الملتزمون يهتمون بالمجلات الإسلامية، وأهل الموضة لهم مجلاتهم، وبطبيعة الحال فإن لأهل الاقتصاد والتجارة مجلاتهم ولأهل الأدب مجلاتهم، وكل هذا مفهوم، ولكن مايثير التساؤل هو أن يتركز عرض الفكر الإسلامي في المجلات الإسلامية والسؤال الذي يجب أن نتفكر فيه: هل نحن نكتب في المجلات الإسلامية للتنفيس عن صدورنا، وإراحة نفوسنا، وإسعاد قرائنا فقط؟ أم نكتب فيها للدعوة في سبيل الله ؟ والسؤال الذي يليه بطبيعة الحال هو : هل الدعوة تكون بين الملتزمين، أم بين غير الملتزمين ؟

من هذين السؤالين يتبين لنا أننا مقصرون في إيضاح المفاهيم الإسلامية للآخرين، ويتضح أننا قد نفضّل الكتابة وإرسال المقالات إلى المجلات الإسلامية حيث يقرؤها أناس مسلمون ملتزمون، لايعترضون على مافيها، بل يدعون لنابالخير والثواب على ماكتبناه. فكم من مرة قرأنا في مجلات إسلامية مقالات تبين سيئات الغرب وتحث على عدم الانبهار به، وهذا أمر يثير التساؤل أترى القراء الملتزمين بحاجة إلى مثل هذه المقالات، أم أن مقالات كهذه يجب أن تنشر في المجلات التي يقرأها أناس منبهرون بالغرب؟ الجواب واضح، فالقضية ليست في إبراء ذمة الكاتب فقط بإلقاء هذه الكلمات على صفحات مجلة إسلامية، بل لابد من محاولة ايصال معاني الفكر الاسلامي الى أذهان الآخرين ولأكثر نسبة ممكنة.

ومن ناحية أخرى فنحن نشكو دائماً من الغزو الثقافي (الغربي بالذات) ونكتفي بالشكوى، دون أن نفعل شيئا، فلا بد من الدفاع عن الإسلام بالوسيلة نفسها، أي بطرح الفكر الإسلامي في المطبوعات الأخرى، وبخاصة أن المطبوعات الغربية تتمتع بتوزيع أعداد هائلة، قد تصل إلى ملايين النسخ شهريا، ولاتقل عن مئات الآلاف، ويدل ذلك على انتشار قراء الاطلاع هناك أكثر من العالم العربي، الذي نخجل من ذكر أرقام توزيع الكتب فيه مقارنة بالغرب، كما تدل كميات التوزيع الكبيرة لبعض المجلات الغربية في انحاء العالم على أن كثيراً من شعوب العالم ومنهم العرب والمسلمون يتابعون المطبوعات الغربية المختلفة، لذا يجب طرح الفكر الإسلامي في المطبوعات الغربية.

وقد يتساءل بعض القراء عن واقعية طرح كهذه، فكيف يمكننا أن نكتب عن الإسلام في مجلات غير ملتزمة، أليس هذا امتهانا للفكر الإسلامي؟ وكيف نستدل عليهم بالآيات والأحاديث وهم لايؤمنون بها أصلا، ولا يتخذونها نبراسا يهتدون به ؟ والجواب هو أن علينا بالطبع أن نفهم نفسية المخاطبين والقراء، فالغربيون مثلا، أو المسلمون غير الملتزمين لن يقرأوا مقالات وعظية مطولة، ولن يلتفتوا

إلى الأساليب الرتيبة المكررة... ولهذا لابد من تغيير اسلوب عرض الفكر الإسلامي لمثل هذه الحالات.

إذا كان الكاتب المسلم صاحب المقالة عالما او فقيها أو مفكرا إسلاميا بارزا فيمكن ان يرسل المقالة أو البحث إلى المجلات الغربية المتخصصة «في الفلسفة أو التاريخ مثلا» التي يقرؤها باحثون متخصصون، ولاتحتاج مقالته إلى قدر كبير من التغييرات، ماعدا الترجمة اللغوية طبعاً، حيث يفترض أن قراءها من المتخصصين، ويفهمون مصطلحات وأساليب المقالة الإسلامية.

ولكن هذه الأسطر موجهة بصفة خاصة إلى حملة الفكر الإسلامي من الأطباء والمهندسين والعلماء المتخصصين في العلوم الطبيعية أو الأدباء أو الاقتصاديين وغيرهم، فهؤلاء يمكن ان يكتبوا في مجال تخصصهم إلى المجلات سواء أكانت عربية أم غير عربية بحيث يقرؤها أغلب الأشخاص، وعلى الكاتب من هؤلاء مهمة كبيرة تتعلق بتغيير شكل المقالة جذريا. لتصبح مفهومة للقارىء المعاصر، وبالأساليب التي تعود عليها، من حركية المقالة، واحتوائها على الأسلوب القصصي، الذي يمتلىء بالصور «المعنوية والفوتوغرافية».

بالنسبة للربا مثلا، لابد أن تستبدل بالمقالة قصة واقعية لأشخاص استدانوا لشراء كماليات يستمتعون بها، ثم تدهورت أحوالهم المادية بسبب الفوائد الربوية، ولابد أن تحدد القصة أسماء الأشخاص، بل تضيف صورهم، لتكون المقالة واقعية اكثر مايمكن، لأن قراء هذا العصر «سواء من الغربيين أو المسلمين» لايحبون أسلوب السرد المكرر، الخالي من الأمثلة الحية من واقع الحياة ... كما أن أكثر مايؤثر فيهم الأساليب المادية، وهي في هذه الحال تعني التدهور المالي، وخسارة أحلام المستقبل، بسبب الربا.

اتوقع أن يقول القارىء الكريم : مسألة الربا سهلة، ولكن كيف يمكن ترجمة القضايا الأخرى في الفكر الإسلامي إلى اللغة المعاصرة؟ كيف سنكتب عن الحجاب والحضارة الإسلامية والعبادات في الإسلام، افترض انك ستكتب مقالات عن الصوم والعمران الإسلامي وغيرهما، فكيف ستحول هذا إلى مقالات صالحة للنشر في المطبوعات العالمية ؟ والجواب أن نبدأ بترجمة الأسلوب من السرد النمطي، المعتمد على الروايات التاريخية إلى الأسلوب الديناميكي الواقعي العصري، وهذه امثلة على المقالات والمجلات التي يمكن ان ترسل إليها، ونرجو أن توضح المقصود.

المقالة : (الآثار الاجتماعية والاقتصادية السلبية للربا) يصبح عنوانها : «لافائدة في الفائدة»، وتضاف إليها تجارب شخصية لعائلة آسيوية وأخرى غربية، وإحصاءات حديثة جدا صادرة عن البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، والبنك الإسلامي للتنمية، وترسل إلى إحدى هذه المجلات :

● مجلة ريدرز دايجست الأمريكية مثلاً، يوزع منها أكثر من عشرين مليون نسخة شهريا بلغات عدة.

● مجلة إنك الأمريكية، المتخصصة في الأعمال والتجارة، ويوزع منها ٦٤٠ ألف نسخة شهريا.

المقالة : (عظمة الانتاج العلمي في الحضارة الإسلامية) يصبح عنوانها «عجائب لاتنسى» وتضاف إليها صور لمخطوطات إسلامية علمية محفوظة في متاحف غربية، وترسل إلى :

● مجلة سميثسونيان العلمية الاميركية، التي يوزع منها اكثر من مليوني نسخة شهريا.

● مجلة هيستوريا الفرنسية المتخصصة في التاريخ، يوزع منها أكثر من ٣٢٠ ألف نسخة شهريا.

المقالة : (جمال العمران الإسلامي) يصبح عنوانها (فنون الهندسة الإسلامية) وتضاف مقدمة قصيرة جدا عن العقيدة الإسلامية التي تحرم رسم وتصوير ذوات الأرواح، وأنها هي التي دفعت المسلمين إلى التوجه إلى ابتكار بدائل فنية رائعة، وعلوم هندسية مثل حساب المثلثات، ثم تضاف صور خلابة لفسيفساء وزخارف إسلامية نادرة، وأثاث مزخرف صنع يدويا في تركيا أو سورية أو مصر، وترسل المقالة إلى:

● مجلة الجغرافيا الوطنية، التي تنشر في أميركا، ويوزع منها عشرة ملاين نسخة شهريا.

● مجلة بيوت وحدائق أفضل، التي تنشر في اميركا، ويوزع منها ثماني ملايين نسخة شهريا.

● مجلة جيو الفرنسية التي يوزع منها اكثر من ٦٠٠ ألف نسخة شهريا.

المقالة : (العمران الإسلامي وانعكاساته على الثقافة والمجتمع) يصبح عنوانها (من أرياف الشرق) وتحتوي على استطلاع واقعي لبعض دول المغرب العربي، بما فيها من تركيز على طبيعة المجتمع الإسلامي وروابط الأسرة، وترسل المقالة إلى:

● مجلة المعيشة الريفية في اميركا، التي يوزع منها مليون وسبعمئة ألف نسخة شهريا.

● أو تنشر كملحق لمجلة المنظمة الأميركية للمتقاعدين، التي يوزع منها ٣٣ مليون نسخة شهريا

المقالة : (حماية البيئة في الإسلام) يصبح عنوانها (الصدقة الخضراء) وتتحدث باختصار عن إسهام منظمة الإغاثة الإسلامية في نظافة البيئة المدنية، وتزود المقالة بصور للحاويات المنتشرة في المدن، والتي ترفع هذا الشعار البليغ «صدقتان حتى وهي فارغة» وترسل المقالة الى :

● مجلة جماعة السلام الأخضر في الولايات المتحدة، وهي فصلية، ويوزع منها ٩٠٠ ألف نسخة.

● مجلة جماعة السلام الأخضر في ألمانيا، وهي فصلية، ويوزع منها ٧٥٠ ألف نسخة.

المقالة:(مكانة المرأة في الإسلام) يصبح عنوانها (حكاية امرأتين) وتحذف العبارات المتعلقة بما كان عليه وضع المرأة قبل خمسة عشر قرنا، وبدلا من ذلك تتحدث المقالة عن مجتمعات إسلامية معاصرة

تجاور مجتمعات هندوسية وبوذية ووثنية، وتتضمن قصصا مشوقة وطريقة تبين الفرق بين هذه المجتمعات، مع التركيز على وضع المرأة المسنّة في المجتمع الإسلامي، وترسل المقالة إلى:

● مجلة تايم الأميركية، يوزع منها اكثر من أربعة ملايين نسخة أسبوعيا.

● مجلة عالم الجغرافيا الوطنية، يوزع منها في الولايات المتحدة مليون وربع المليون نسخة شهريا.

المقالة : (التربية في الإسلام)، يصبح عنوانها (قصص تربوية من هنا وهناك) ويصبغ أسلوبها بشيء من المرح والطرافة، وتضاف إليها بعض القصص الرائعة، وترسل المقالة إلى :

● مجلة الأبوة والأمومة، تصدر في أميركا ويوزع منها ٩٠٠ ألف نسخة شهرياً

● مجلة الآباء والأمهات، تصدر في فرنسا ويوزع منها ٧٠٠ ألف نسخة شهريا.

المقالة : (الحجاب، واجب شرعي) يصبح عنوانها (أزياء شرقية) وتصبغ المقالة بأسلوب أدبي رومانسي جميل، يفوح منه عطر الشرق، ويثير في الماديين حنينا جارفا إلى أمور كثيرة يفتقدونها، وترسل المقالة إلى:

● مجلة التطريز والصناعات الريفية، تصدر في أميركا كل شهرين، ويوزع منها مليونا نسخة

● مجلة برافو، تصدر في كندا مرة في كل شهرين، ويوزع منها مليون نسخة.

● مجلة فيرينا، تصدر في ألمانيا، ويوزع منها ٥٦٠ ألف نسخة شهريا

المقالة : (الصوم وفوائده الصحية) يصبح عنوانها (شباب في جبال القوقاز) وبدلا من الحديث المكرر عن فوائد الصوم تتضمن المقالة استطلاعات حية عن عدد من المسلمين المسنين في القوقاز، وأسلوب معيشتهم، مع التركيز بالذات على تمسكهم بالصلاة والصوم، وتوضح التأثير النفسي الذي أضفاه الإيمان على النفوس، كل ذلك بأسلوب استطلاعي قصصي مشوق، وترسل المقالة إلى:

*مجلة النضج المعاصر، يوزع منها في الولايات المتحدة ٢٢ مليون نسخة كل شهرين

● مجلة الوقاية، وهي مجلة أميركية، يوزع منها نحو ثلاثة ملايين نسخة شهريا

● مجلة مراقبة الوزن، وهي مجلة أميركية، يوزع منها مليون نسخة شهريا

هذه بعض الأمثلة التي نرجو أن تسهم في توضيح الصورة ، بل نرجو أن توضح لنا كم نحن مقصرون، وكم أسهمنا في جهل الغربيين بنا، فضلا عن جهلهم بديننا الإسلامي، وقد كان المسلمون من السلف الصالح يسهمون في نشر الإسلام حول العالم، بحسن التعامل، وكرم الخلق، فكيف نطلب اليوم أن ننعزل عن العالم ونسد جميع المنافذ من حولنا؟ ألا يعتبر ذلك اعترافا ضمنيا أننا مستسلمون وعاجزون منذ البداية، وغير عازمين على بذل جهد كاف للحوار مع الآخرين؟

الأمر اليوم اسهل منه بالأمس، فما على المهندس المسلم إلا أن يرسل بعض انطباعاته ومعلوماته إلى المجلات الهندسية الغربية، وعلى الطبيب المسلم أن يكتب إليهم عن بعض تجاربه الميدانية، وعندئذ فإن كثيرا من الغربيين سيدركون أن هناك في العالم الإسلامي أقواما لديهم ثقافة ومفاهيم متميزة ومختلفة، وفيها ما قد يجذب الآخرين، بل إن كثيرا من مفاهيم سكان الأرياف الغربيين محافظون كما هو عندنا، وهم ضد التيار المادي الجارف مثلا، ومع ذلك فإن انعزلنا عن هؤلاء يجعلنا بالنسبة إليهم كأننا سكان كوكب آخر.

وقد يظل بعضنا غير مقتنع تماما بهذه الفكرة، وقد يتساءلون: أليس هذا نوعا من التبسيط المخل للفكر الإسلامي؟ الإسلام ليس انطباعات أو فوائد مادية، والعبادات أعظم وأجلّ من ذلك، فكيف نختزل الصيام بأنه برنامج لتخفيف الوزن مثلا؟والجواب: إن الدعوة يمكن أن تبدأ من الأساس: «وهو ترسيخ العقيدة» وتنطلق منها إلى الأمور الأخرى أو يمكن للدعوة أن تبدأ من المظاهر الاجتماعية للإسلام ثم تتوسع إلى النواحي الأخرى، وبعبارة أخرى إما أن يعمل الداعية على ترسيخ مفهوم العبودية والطاعة لله، وبعد ذلك يبين العبادات والسلوك الشرعي للناس، وتكون قدسية الدين والإيمان بالله كافيين لأن يتبع الناس هذا التشريع، وإما أن نبدأ من الطرف الآخر، وهو بيان السلوك الاسلامي الجميل والفوائد المادية العظيمة في الشريعة الإسلامية، وخصائص المجتمع الإسلامي، ونأمل أن يجذب هذا الناس إلى الإسلام والعقيدة الإسلامية.

إن الغربيين حين غزونا، لم يأت فلاسفتهم ووعاظهم ليكرروا الكلام مئات المرات بأن حضارتهم ونظرياتهم هي الأفضل، ولم يعملوا على تلقيننا الأمر حفظا عن ظهر قلب، كما هو اسلوبنا للتعريف بالإسلام، بل غزونا بنتائج حضارتهم، وأحسن مافيها، مثل الأجهزة الحديثة ونحوها، التي لم يكن لدينا مثلها، وعن طريقها تغلغل الفكر الغربي (الليبرالية) في أذهان كثير من المسلمين، وهذا ما يجب أن يجربه بعض المسلمين، وذلك بعرض النواتج المادية الملموسة لديننا، بأسلوب عصري مفهوم. فإن لم تنجح في تحويلهم إلى الاسلام فلا أقل من ان نجعلهم يعرفوننا على حقيقتنا، فلا يعودون إلى تصديق أقاويل المستشرقين وأمثالهم.

ولديننا العظيم نواتج كثيرة، يتمتع بها المسلم الملتزم إذا ذاق حلاوة الايمان، مع أنه يعبد الله لوجوب العبودية في ذاتها، ولكن الله عز وجل لاتنتهي نعمه، ولايتوقف عطاؤه، فللإيمان نتيجة طيبة في هذه الدنيا هي الطمأنينة والسكينة، وللصوم والصلاة نتيجة طيبة هي الصحة الجيدة، وللشريعة نتيجة طيبة هي المجتمع المتراحم المتكافل، وللحجاب والحياء نتيجة طيبة هي الجمال الدائم والسعادة الكبرى، فلنعرض هذه البضاعة جيدا، وليتذوقها الآخرون، لعل وعسى. ■

البيت المسلم

العدد ٣٩٦ - الوعي الإسلامي - شعبان ١٤١٩ هـ - نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٨ م

صحة المرأة الحامل في شهر رمضان

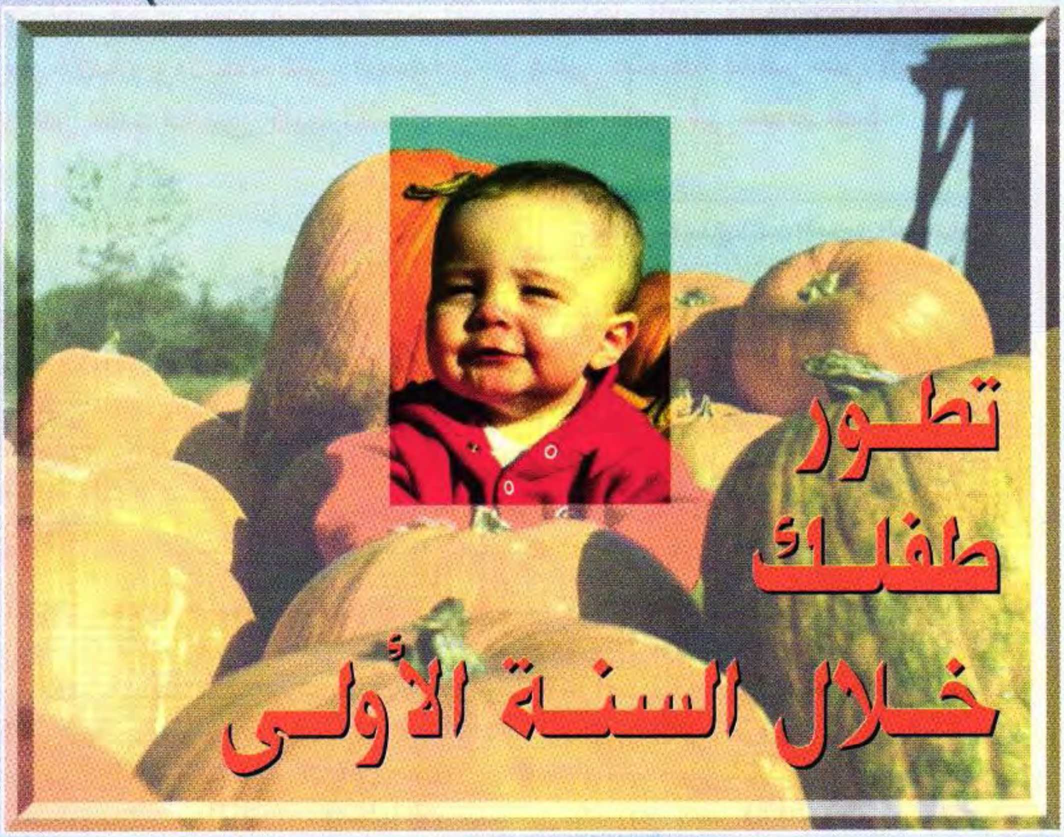
تأخر سن الزواج المشكلة والحل

عبارات خطيرة

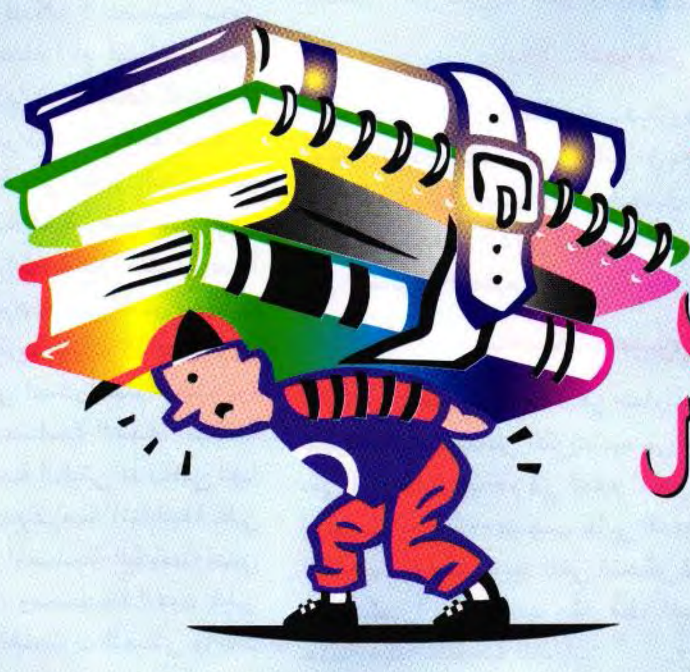
عبارات متوارثة تتضمن مبادىء مخالفة للإسلام

جناح الأحداث أسبابه - علاجه

لحن في الغربة



تطور طفلك خلال السنة الأولى



التأخر الدراسي عند الأطفال وعلاجه

الاهتمام بصحة الجنين وأمه

تأخر سن الزواج ... المشكلة والحل !!

إن الناظر عن قرب إلى بيوت المسلمين يجد مشكلة من أكبر المشاكل التي تهدد كيان الأسر وتعرقل توازنها وتحطم نفوس الآباء والأبناء على السواء، ألا وهي مشكلة تأخر سن الزواج في الآونة الأخيرة، وإن الناظر عن كثب لجذور هذه المشكلة يجد أنها تكمن في نقاط عدة:

بقلم : حمدي عبدالعزيز السعداوي

أولاً : النظرة إلى الزواج

إن الناس ـ على اختلاف ثقافتهم وطبقاتهم ـ لا يزالون في حاجة لفهم دقيق لنظرة الإسلام إلى تشريع الزواج وتكييفه على أنه علاقة بين زوجين تربطهما أواصر المودة والرحمة لابتناء الحياة السعيدة بما ارتضاه الله لعباده وذلك كي يتحقق السكن المنشود والمودة المرجوة... إذا فهم ذلك الأمر وصار مؤصلاً تأصيلاً دافعاً للعقول ومحركاً للقرائح لم يعد للنظرة المادية مجال بعدئذ.

ثانياً : أولياء الأمور

إن البعض من أولياء الأمور نظروا إلى الزواج بمفهوم ضيق، فضيقوا واسعاً وكادوا أن يحرّموا حلالاً، وشقوا على بناتهم فلحق الناس من جراء ذلك عنت وحرج فأخذوا يبتغون أموراً فيها تعسف من جانب وحرج من جانب آخر بدلاً من أن تحقق النعمة والسعادة لكلا الزوجين ...



ولِمَ ذلك كله ؟ ألمصلحة تعود على الفتاة ؟ أو لمصلحة تعود على بعلها أو لمصلحة كليهما ؟؟ الأمر غير ذلك فلا نظلم المصلحة الداخلة في إطار الشريعة الإسلامية فنضعها في غير محلها... بل إنهم فعلوا ذلك ليرضوا هوى في نفوس تمردت على الشرع وقلبت الفطرة ... نفوس تريد إثبات الذات وتنزيل الناس جبراً على احترامهم، وضربوا عرض الحائط بمصلحة الفتاة البالغة الراشدة ومصلحة الفتى المكافئ لها وفوتوا على المجتمع فرصة المحافظة على الفضيلة فقدموا المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، ومصلحة الفرد على مصلحة المجموع فتعثرت الخطى وزادت البلية وعظمت المشقة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثالثاً : ارتفاع المهور

استفحلت ظاهرة ارتفاع المهور حتى كاد أن يصبح ذلك عرفاً متبعاً وعادة محكمة وفي ذلك من تضييق الواسع بالناس ما لا يخفى على أحد حتى وصل الأمر بالفقير إلى أن عجز عن أن يتقدم لامرأة ذات مستوى معيناً وجد فيها عفة وصلاحاً.

وإن حدث ذلك منه فربما كان مثاراً للسخرية والنكال به، وأعرف من الأمثال ما لا يعد ولا يحصى نذكر منها على سبيل المثال أن رجلاً تقدم لابنته رجل وكان هذا الأخير دونه في الجاه والنفوذ، فما كان من ولي الفتاة إلا أن أرسل رجلاً ليأخذ الهدايا التي أحضرها الخاطب، ثم قام بوضعها أمام بيته على شاطئ ترعة صغيرة تحقيراً له وعقاباً فعوقب بكسر نفسه بعد كسر قلبه لتحطيم كل معنويات الإنسان أمام جبروت الكبر والطغيان وغمط الناس.

رابعاً : العوامل الاقتصادية

إن بعض بلدان المسلمين تعيش ظروفاً غير عادية ولا يستطيع الرجل العادي فضلاً عن الفقير أن يعيش فيها من حيث افتقاد المأوى وارتفاع قيم الأشياء ارتفاعاً يمثل شبحاً مروعاً للشباب قبل أن يتقدم، فيضعف إقدامه ويبدد ثقته ويحطم أمله ويجعله بعيداً يتطلع إلى الأماني والأحلام.

خامساً : قصور الحكومات

تقصّر بعض الحكومات في معاونة الشباب من راغبي الزواج وذلك بتهيئة أسباب العيش الكريم لهم في دروب الحياة المختلفة وتشجيعهم على استثمار جهدهم في النفع المثمر المفيد «أي لابد من القضاء على أسباب البطالة» فيجب على الدولة المسلمة أن تبني المساكن الاقتصادية والشعبية التي تتحقق فيها الشروط الشرعية وتتحمل جزءاً كبيراً من تشييد مثل هذه المساكن مساهمة منها في تقديم خدمة عينية ملموسة للشباب.

سادساً : العصبيات الموروثة

إن كثيراً من الفتيات يصلن إلى سن العنوسة مبكراً بسبب العصبيات الموروثة من أن عائلة فلان لا تصاهر عائلة فلان، وأن ابنته لابد وأن تتزوج من شاب من العائلة نفسها، بحجة أن بناتهم لا يخرجن إلى زوج غريب عن العائلة فيدنس هذا الشرف المصون في نظرهم.

سابعاً : تعنت الفتيات

ما يحدث من بعض الفتيات أنفسهن من رفض ممن يتقدم لهن إذا كان من خارج البلد التي هنّ فيها، كأن تكون إقامتها في بلد مثلاً ويتقدم كفؤ لها من بلد آخر فترفض متعللة بأن مثل هذا الزواج سيباعد بينها وبين محل إقامة أهلها.

وأيم الله ما يضر المرأة أن تجد كفؤاً لها صحاب سريرة نقية وخلق فاضل حتى ولو كان من أقصى الدنيا، ولو رجعنا إلى تكييف الشرع لهذه المسألة لوجدنا أن مصلحة المرأة تكمن في الضرورة والجوهر هو زواجها من صاحب الدين والخلق القويم الذي إن أحبها أكرمها وإن بغضها لم يظلمها.

أما كون أن هذا الخاطب يقترب من بيت أسرتها وموطن محلتها فهذا أمر تحسيني لا يترتب عليه مشقة أو عنت أو تفويت أمر شرعي، وإذا ترتب عليه ذلك، ينبغي مراعاته إذ لا ضرر ولا ضرار وقد حدث لكثير من الشباب أن تقدموا لأكثر من فتاة بعيدة عن مكان إقامتهم، فكانت الموافقة شرط أن يقطن الشاب بجوار محل إقامة أسرة الفتاة.

آثار المشكلة

مشكلة تأكل سن الزواج في بيوت المسلمين كأي مشكلة تترك آثاراً متعددة في مناحي الحياة على اختلافها وتعددها وليست هذه الآثار على طرف بعينه يكتوى بنارها ويلتهب بلسعها ولكنها تصيب الفتيات الفضليات، وكذلك الفتيان وتصيب أسرهم وتصيب المجتمع، بل تصيب الأمة بأسرها وهذا ما نعاني منه اليوم أشد العناء.

أما عن آثارها بالنسبة للفتيات

فهذه المشكلة تترك آثاراً نفسية في نفوس الفتيات اللاتي ينظرن إلى أقرانهن من الفتيات وقد تزوجت كل واحدة منهن... فيعود ذلك على الفتاة بآلام نفسية مبرحة ربما تودي بمسار حياتها الطبيعية فيظهر ذلك على تصرفاتها وتعاملها مع المخالطين لها، ويترتب على هذه الآثار النفسية آثار صحية سيئة فتكاد الفتاة التي تأخرت عن الزواج أن تذهب نضارتها وبخاصة الوجه الذي يحوي جملة المحاسن.

وقد يتطور الأمر أكثر من ذلك فتصاب الفتاة بآلام عضوية نتيجة الحزن والاكتئاب ونفور الناس منها... فقد يحدث في وظائف الجسم خلل لا يجبر أبداً، وللحزن تأثير كبير على الصحة العاملة للإنسان... قال تعالى في الآية ٨٤ من سورة يوسف: (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) ... وأشد ما يخاف على المرأة منه آثار خلقية مدمرة، أن تنحرف عن طريق الجادة ـ في ساعة ضعف إرادتها ـ وبخاصة إذا لم تكن على التربية الإسلامية الراشدة، ومع انفتاح الأسرة على حياة المجتمعات المتحررة باسم التحضر... التي ربما تكون قد انغمست في سيئات الرذيلة وعرّضت نفسها لسخط الله وعقابه.

وهذه الآثار وبخاصة الآثار النفسية لا تصيب الفتاة فقط، بل تصيب الأسرة كذلك لأن العضو المصاب يؤثر على بقية الجسد في شدة الألم ومعاناته فكذلك الأسرة في الإسلام كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ويترتب على هذه المشكلة أيضاً آثار خلقية مدمرة على المجتمع لأننا كما ذكرنا إن لم يكن لهؤلاء الفتيات وازع من دين أو خلق أو ضمير ولم يعد لهن قليل من الحياء فإن كثيرات منهن ـ وهنا مكمن الخطر ـ سيتحولن إلى حمأة الفساد بعيداً عن تعاليم الإسلام وقيوده الرشيدة، لتهذيب السلوك وتقوية الروابط الكريمة في إطار إسلامي كريم.

كيفية القضاء على المشكلة

إن القضاء على مشكلة ما يستتبع حتماً هو القضاء على جذورها وأسبابها الناشئة عنها ولما عرفنا فيما مضى أسباب هذه المشكلة كان علاج ذلك ما يلي :

أولاً: تصحيح مفاهيم الجاهلية الراسخة في الأذهان واستبدالها بمناهج الدين القويم.

ثانياً: ترغيب الشباب في الزواج المبكر وطرد الخوف من الأذهان.

ثالثاً: حض أولياء الأمور على تيسير أمر الزواج عند توافر الدين والخلق للشاب.

فليس مطلوب في الزوج المتقدم ـ صاحب الدين والخلق الذي جاء ليستر ابنتك ويرضاها زوجة له يغمرها بحنانه وعطفه، ويرضاك طهراً له ـ أن يكون من أصحاب الثراء الذين يملكون المال والعقار والذهب والفضة، ويرفل فيما منعه الإسلام من حلل الحرير والديباج ـ بل الأمر أيسر من ذلك ـ وأنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه ـ الأمر أهون من أن تجلس ابنتك قعيدة حبيسة الأوهام فتصاب بكثير من الأمراض العصبية والعضوية، فالذي يحتاجه المرء لأمر زواجه أن يكون لديه مكان يأويهما ولباس يستر عورتهما.

والذي يعول عليه ليس هذه الشكليات الزائفة، بل ما ينبغي أن يشدد عليه ولي أمر الفتاة هو توافر الأخلاق الفاضلة والصفات الكريمة مع كمال السيرة وجمال السريرة.

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير». وفي رواية وفساد عريض... (رواه الترمذي).

رابعاً : دور الحكومات في النهوض ببناء وتشييد المساكن الشعبية... وتمليكها أو إجارتها بأجر زهيد وجعل الأولية للذين أنهوا إجراءات زواجهم أمام موظف التوثيق المختص بذلك.

خامساً: دور العلماء والمربين والموجهين بأن يذكّروا هؤلاء الفتيان وهؤلاء الفتيات بالعودة إلى إسلامهم، والحض والترغيب في الزواج، وبيان مقاصده... الفردية، والأسرية، والخلقية، والاجتماعية،

الطفل في حاجة إلى أن يتبسط معه المعلم وينزل إلى مستواه ويخاطبه على قدر عقله وفهمه لأن التدرج في التعلم يثبّت المفهوم العلمي في ذهن الطفل لأنه بلا شك توجد فروق بين الناس في الذكاء والقدرات العقلية، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قول الله تعالى في الآية ٢٢ من سورة الروم :

(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين).

وقوله سبحانه في سورة الزخرف الآية :٣٢

(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون).

ومن هنا نجد أن الناس درجات في الذكاء والقدرة على التحصيل والتعلم، لذا يعاني الأطفال المتأخرون دراسياً من مشاعر النقص



قضايا الطفولة

التأخر الدراسي عند الأطفال وعلاجه

بقلم : أشرف سعد

والإحساس بالعجز عن مسايرة غيرهم وغالباً ما يحاول هؤلاء الأولاد التعبير عن مشاعرهم السلبية بالسلوك العدواني، أو بالانطواء أو الهروب من المدرسة وأحياناً من المجتمع ككل، والطفل المتأخر دراسياً هو الذي يقل مستواه عن زملائه في التحصيل الدراسي.

نتائج التأخر الدراسي

يترتب على التأخر الدراسي كثير من النتائج منها إصابة الطفل المتأخر ببعض الأمراض النفسية، مثل الغيرة والخوف وضعف الثقة بالنفس والتخريب، وقد يصاب الطفل المتأخر دراسياً بالسلبية والانطواء، وأحياناً

تنتابه العدوانية ويميل للتكسير والتخريب في المدرسة أو المنزل.

أسباب التأخر الدراسي

أسباب خاصة بالتلميذ نفسه:

- من الناحية الجسمية يعاني الطفل المتأخر دراسياً من ضعف عام وذلك بسبب سوء التغذية أو ضعف السمع أو البصر مما يترتب عليه عدم متابعته للدرس.
- من الناحية العقلية قد يكون الطفل المتأخر دراسياً مستوى ذكائه أقل من أقرانه في الفصل مما يجعله غير متابع للدرس فيتخلف عن زملائه.
- من الناحية النفسية الطفل ربما يصاب بعاهة وبالتالي يتولد لديه شعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس فيكره المدرسة.
- والعناية الزائدة بالطفل وزيادة الإفراط في التدليل يؤثر سلباً على الطفل ويدفعه للتخلف الدراسي.

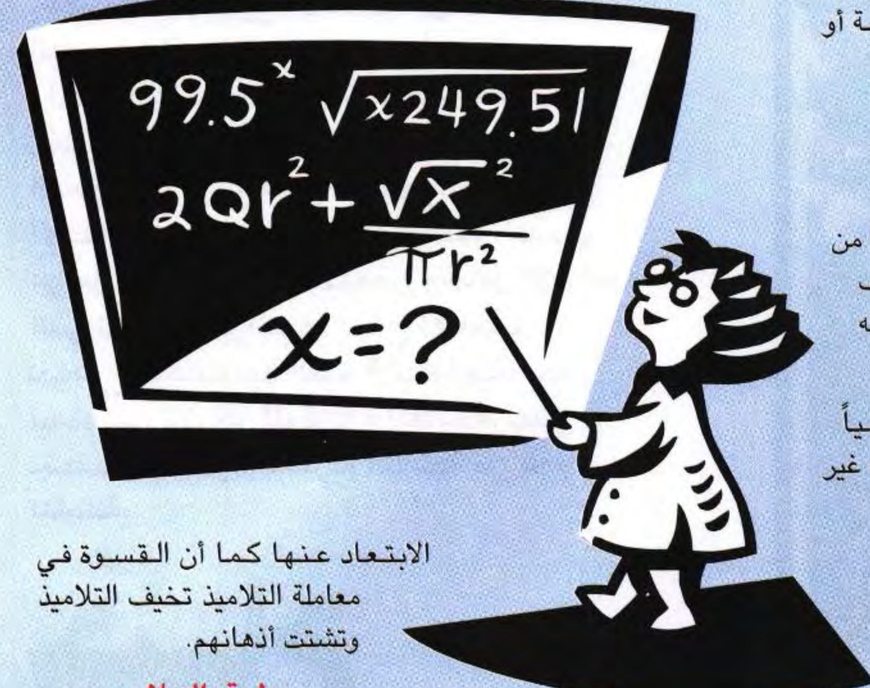
الأسباب الاجتماعية

ضعف المقدرة المالية للوالدين والمشاحنات الأسرية تؤثر نفسياً على الطفل وتؤخره دراسياً، وانخفاض المستوى التعليمي للوالدين له أثر كبير على تحصيل الأطفال.

الأسباب المدرسية

زيادة الواجبات المدرسية يجعل جو المدرسة خانقاً بالنسبة للتلميذ، فيحاول





الابتعاد عنها كما أن القسوة في معاملة التلاميذ تخيف التلاميذ وتشتت أذهانهم.

طرق العلاج

أ - الأسباب الفردية :

يجب الاعتناء بصحة الأطفال العامة والكشف الدوري على التلاميذ في المدرسة، والاهتمام باستعمال الوسائل التعليمية الحديثة في التدريس لترغيب الطفل في الدراسة، مراعاة للفروق الفردية بين الأطفال أثناء الشرح، ويجب أن تتعاون المدرسة مع المنزل في توجيه الطفل لتلافي أسباب القصور لديه وعلاجها مع توفير جو من الحب للطفل مع أسرته والعناية بتغذية الطفل والاهتمام به.

ب - الأسباب الاجتماعية :

توفير اللعب التي تشبع رغبات الطفل تحت إشراف الأسرة والمدرسة وتقليل الخلافات المنزلية أمام الطفل لأن ذلك يؤثر على مدى شعوره بالأمن في المنزل ويجعله طفلاً خائفاً ويميل إلى الانطواء ويبعد عن أصدقائه.

ج - الأسباب المدرسية :

يجب الإكثار من الأنشطة الترويحية التي تحبب الأطفال في المدرسة، كما ينبغي أن يسود الحب والمودة بين المدرّس وتلاميذه، ويجب تنقية الجو المدرسي من شوائب التفكك والاضطرابات حتى ينشأ الأطفال في صحة نفسية سليمة، والتأخر الدراسي مشكلة يمكن علاجها إذا تضافرت جهود الأسرة والمدرسة معاً في توجيه الطفل وتوفير الجو النفسي الملائم لنموه والبعد عن التوبيخ والقسوة في المعاملة. ■





تعد مشكلة جنوح الأحداث، من المشكلات النفسية والاجتماعية، التي تواجه الأسرة، والمدرسة والمجتمع، إن تفاقم هذه الظاهرة، أخذ يلقى اهتمام مسؤولي التربية، ورجال القانون والأمن، بعد أن لاحظوا أن عدد الأحداث الجانحين في تزايد مستمر، بسبب عوامل متعددة، تتحدد ببعض وسائل الإعلام، التي تهيئ في برامجها المناخ المناسب للجنوح، وكذلك نبذ القيم الاجتماعية، مما يستوجب التدخل للوقاية والمعالجة، حتى نتجنب الخسارة البشرية الناتجة من هذه المشكلة.

جُناح الأحداث

أسبابه ـ علاجه



بقلم : عبدالرزاق زعال

أعراض ظاهرة الجنوح

الكذب، السرقة والنشل، التزييف، التخريب، الخطورة على الأمن، الهروب من المدرسة، والفشل الدراسي... التشرد والبطالة، العدوان والتمرد، عدم ضبط الانفعالات، إضافة «لحدة الطبع والغضب».

وينجم عن السلوك المنحرف: الإدمان وتعاطي المخدرات، وغير ذلك من السموم الناجمة عن سلوك الفرد الإجرامي، الذي يحدث ضرراً جسيماً في كيان الأسرة والمجتمع، ويشعر الفرد الجانح بالرفض والحرمان، نتيجة لنقص الحب، والشعور بعدم الطمأنينة داخل كيان أسرته، والشكوى الدائمة من عدم فهم الآخرين له، والشعور بالعجز الحقيقي أو المتخيل،

بالإضافة إلى مختلف مشاعر النقص، أيضاً مع أقرانه وزملائه في المدرسة، وكذلك الشعور بالمرارة والغيرة، نحو شخص أو أكثر من الإخوة، بسبب التمييز في المعاملة داخل الأسرة، مما يعكس شعوراً بالذنب لدى هذا الشخص، كما يعكس شعوراً بعدم الارتياح، إزاء تصرفات الأسرة، وحول سلوك الوالدين، وأخطائهم في الطريقة التربوية المتبعة، لتنشئة الأطفال والأبناء المراهقين.

ويُعزى الجنوح في العادة نتيجة لوجود صراعات نفسية عنيفة «مكبوتة» غالباً مع شعور بالتعاسة والكآبة في مختلف أنماط الحياة.

إلى جانب هذا كله، فإن تشوه الذات، واهتزاز الشخصية في نظر الجانح، والذي ينجم عنه مفهوم سلبي، إذ إن صورة الذات المشوهة، شائعة بين الأحداث الجانحين. إن اتجاهات الجانح نحو ذاته تتميز بالسلبية والعجز نتيجة الخبرات السيئة، التي كونها عن نفسه، مما جعله لا يتقبل ذاته، وإن تقدير الشخص الجانح لذاته، يتميز بالدونية والقصور، وعدم الواقعية، وإنه أقل رضاً عن نفسه، بالنسبة لمثله الأعلى، أو توقعات الجماعة عنه، وبخاصة أسرته، مما يكوّن تشوهاً ذاتياً في بناء الحكم، وإصدار مفاهيم سلبية عاجزة، يحاول تعميمها في الحياة على الناس كافة.

أسباب الجنوح

هناك عوامل كثيرة تدفع الحدث إلى الجنوح، ومن أهم هذه العوامل:

الفقر، والجهل، وتفكك الأسرة، إلا إن كل عامل من هذه العوامل، لا يلعب دوراً منفرداً، بل إنها تتفاعل جميعها، فتؤثر على كيان الحدث، وعلى نموه الاجتماعي والنفسي، هذا بالإضافة إلى أن انحراف الأحداث ليس وليد الصدفة، أو حادثاً طارئاً، بل هو سلسلة متصلة من التغييرات، تنشأ في السنوات الأولى من حياة الحدث، وتؤثر بدورها على جهازه العصبي، فتجعله هدفاً للصراعات الانفعالية التي تعبّر عن نفسها، بشكل أو بآخر من مظاهر الانحراف السلوكي، ولقد أثبتت الأبحاث المختلفة أن اضطراب التعلاقات بين الطفل وأبويه، في السنوات الأولى، من العوامل المهمة، في حياة كثير من الأحداث الجانحين.

فليس بالضرورة أن يعبر كل حدث، عن عدم إشباع حاجته إلى الطعام، عن طريق السرقة، فإذا تضافر الحرمان - بسبب الفقر - مع عنصر آخر كسوء التربية مثلاً، أو ازدواجية ما بين قول أحد الوالدين وفعله، كأن يصعق الوالد من قيام ابنه باختطاف قطعة حلوى من أخته، أو التحايل عليها للحصول على أشيائها الخاصة، في الوقت نفسه الذي لا يقوم الوالد فيه بالتزام الأمانة، في تعامله مع

الفقر، والجهل، وتفكك الأسرة من أهم عوامل جنوح الحدث

الآخرين - كان ذلك مدعاة لقيام هذا الحدث، بارتكاب جريمة السرقة، كما أن أسلوب التربية الخاطئ في الأسرة والمجتمع، والنقص في عملية تعلّم القيم، والمثل والمعايير الاجتماعية والأخلاقية وإهمال الجانب الأخلاقي، والجمالي كعنصرين رئيسيين في التربية، تؤدي إلى تكوين البنية الخصبة لظاهرة الجنوح وانتشارها، وكذلك نقص وسائل الترفيه، ومشكلات ملء وقت الفراغ، والإفراط في اللين والتساهل، والإفراط في الرعاية والحماية، وقلة الضبط والمراقبة، وكذلك القسوة الزائدة، والعقاب القاسي، واضطراب العلاقات العائلية، وانعكاسها على حياة الطفل، يجعل الطفل يفقد الأمن، ويصاب بعدم التوازن، بسبب اهتزاز صورة الوالدين في نظره، وحال التفكك التي تعيشها بعض الأسر، لسبب من الأسباب كالهجر، والطلاق، والموت، والغياب بسبب السجن وما يرافق هذه الحالات من اضطراب الناحية الاقتصادية مثل: الفقر والازدحام في المسكن، وانعدام وسائل الراحة، تؤدي بشكل حتمي إلى تكوّن الجنوح، وتأتي الناحية الأخلاقية، الحاصلة من جملة العوامل المتشابكة، لتلقي بظلالها آثاراً سلبية، في حياة الناشئة، وبخاصة تلك العوامل المتعلقة بالمجون والإدمان على المخدرات، وأنواع أخرى من السلوك، الذي يشجع على انحراف الناشئين.

يُعزى الجنوح نتيجة لوجود صراعات نفسية عنيفة «مكبوتة»

علاج الجنوح

مع أن طرق الوقاية من الجنوح خير من علاجه، إلا أن الأحداث والمراهقين، يتعرضون أكثر من غيرهم، إلى التأثر بالتطورات السريعة التي تحدث بالمجتمع، بسبب حساسيتهم الزائدة، والتفاوت الكبير بين طموحهم وإمكاناتهم الاقتصادية والعقلية، فيتعرضون باستمرار إلى حالات شديدة، من الإحباط الذي يمنع إشباع حاجاتهم، ولا يحقق مطامحهم، فيلجؤون في مثل هذه الحالات إلى ارتكاب الأخطاء والجرائم المخالفة لقوانين المجتمع وقيمه. لذلك علينا اتخاذ كل التدابير الوقائية اللازمة في إطار الأسرة، والمجتمع عن طريق المراقبة الدائمة، في المدرسة والبيت، والمؤسسة الاجتماعية.

والاهتمام من قبل الجهات المعنية، برفع مستوى المعيشة، والإشراف على البرامج الخاصة بالتوعية ورفع سويتها، وعدم تشجيع المظاهر الهجينة والمستوردة، والعناية بغرس القيم الاجتماعية، والأخلاقية الأصيلة في نفوس النشء، من خلال برامج هادفة، واكتساب العلوم والمعارف المستخدمة في الآداب، والقيم الدينية والجمالية، والتركيز على الأساليب الوقائية، من خلال الاهتمام بالأسرة والمدرسة، باعتبارهما أهم المؤسسات في عملية التنشئة الاجتماعية، وإعداد برامج خاصة لشغل وقت فراغ طلبة المدارس والشباب، تتضمن الأنشطة المفيدة، والبرامج الثقافية المتنوعة للوقاية من الجريمة. ■

تردد الأمهات - وربما الآباء - عبارات متوارثة منوعة أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن مبادئ مخالفة للإسلام، ومعلومات خاطئة تؤثر على المفاهيم والقيم الاجتماعية والسلوكية والأخلاقية - وربما المشاعر الإنسانية - لأولادنا لتسبب لهم آثاراً نفسية سيئة، أو مفعولاً سلبياً أو سلوكاً معادياً... فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. فلنتبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

عبارات خطيرة (٤)

عبارات متوارثة تتضمن مبادئ مخالفة للإسلام

بقلم : عابده المؤيد العظم

أنت بنت وهو صبي

«أمي ... أريد أن أذهب مع أبي إلى السوق»، فتجيب الأم: «لا»، فتحاجج البنت ذات الخمسة الأعوام الأم بقولها: «ولكن أخي الصغير ذاهب معه؟»، فتعلق الأم: «هو يستطيع الذهاب، لأنه صبي، أما أنت فلا، لأنك بنت»!

«أمي أخي يرفض أن يشاركني الركض واللهو معه في الحديقة، أرجوك قولي له أن يفعل».

الأم : «لا لن أقول له لأنه لا يمكنه مشاركتك اللعب فأنت بنت».



«أمي... أريد أن أسبح في ماء البحر مع أخي»، فتقول الأم: «لايمكنك السباحة أمام الناس»، البنت الصغيرة: «ولكن أخي يسبح أمام الناس؟!»، الأم: «هو يمكنه ذلك لأنه صبي، أما أنت فلا، لأنك بنت»!

«أبي ... أريد أن تشتري لي سيارة صغيرة كما اشتريت لأخي لألعب بها فهو لا يعيرني سيارته»، فيجيبها الأب: «ماذا، سيارة لك؟! لا يمكن ذلك، فأنت بنت، ألعبي بالدمى، واتركي السيارات لأخيك»!

«أبي.. أريد أن أشارك رفيقاتي في رحلة نظمتها المدرسة إلى مصنع العطور»، فيرد الأب بلا مبالاة: «كم مرة قلت لك إن البنات لا يذهبن في رحلات مدرسية»، «ولكن أخي ذهب في رحلة قبل أيام قليلة؟»، فيرد الأب : «هو صبي بإمكانه الذهاب، وأنت بنت»!

هذه المشاهد الصغيرة تحدث يومياً في بيوت كثيرة، فكلما همت البنت بأمر منعت منه لأنها بنت، في حين يتمتع أخوها بكل شيء، ويسمح له أن يفعل ما يشاء، وقد يكون أخوها ذاك أصغر منها بسنوات أو قريباً من سنها، فماذا تتوقعون أثر هذه العبارة على البنت وهي تسمعها منذ مولدها وحتى موتها، وتسمعها وقد اقترنت بالحرمان والمنع، وتسمعها وقد اقترنت بالتفريق المجحف في المعاملة ؟!

لابد أن تنتبه البنت إلى أشياء لم تكن تخطر ببالها فتفكر وتقارن وتوازن، وقد تخرج من هذا بعقدة أو عقد نفسية لا علاج لها ثم تحملها معها لتؤذي بها زوجها أو لتسبب بها الشقاء لبناتها، أو تحذو حذو من سبقها من النساء فتمقت هذه البنت نفسها، وتمقت أنوثتها لأنها تسببت في حرمانها من ملذات كثيرة يتمتع بها أخوها، وسيؤدي هذا المقت إلى انطوائها أو فشلها في الحياة أو سلبيتها وعدم فعاليتها، وقد تؤدي هذه العبارة إلى تمردها والتحاقها بإحدى الجمعيات التي تدافع - كما يزعمون - عن حقوق المرأة.

كما أن هذه العبارة لا تجوز شرعاً ولايصح قولها أبداً لأنها مخالفة لأبسط الحقوق الإنسانية الإسلامية: «العدل»، فالعدل واجب على الآباء والأمهات تجاه أولادهم بنصوص محكمة واضحة، ولا يجوز أبداً التفريق بين الجنسين في المعاملة المعنوية والمادية : «من كانت له أنثى لم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله تعالى الجنة»، والحديث : «روي أن رجلاً كان عند النبي - ﷺ - فجاء ابن

له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه فقال - ﷺ - ألا سويت بينهما؟»، ولحديث:

«اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»، ولحديث: «اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم»، ولحديث: «سوِّ بينهم»، وعلل ذلك بقوله: «أيسرك أن يستوو في برك» قال: نعم، قال: «فسوِّ بينهم»، ولحديث: «ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً على أحد لفضلت النساء».

قد يعتقد بعض الآباء أنهم بترديد هذه العبارة «أنت بنت، وهو صبي» يعدون أولادهم من الجنسين للمستقبل، فيعدون البنت لدورها، والصبي لدوره، وهذا خطأ لأن الإعداد لا يكون بالإحباط، والتحضير للأمر لا يكون بالتنفير منه، فالعبارة تلك «مع ما يتبعها من تفرقة وظلم» تسبب اليأس والاستسلام وتورث الكره والبغض لكل ما يتعلق بالأنوثة، إنما يكون الإعداد بالاهتمام بالبنت وتعويضها بالبديل المناسب لها «هذا لو افترضنا جدلاً أنه تجوز التفرقة بينها وبين أخيها» فيقال لها: «لأنك بنت سنخصك بمزايا لم نقدمها لأخيك ولن نقدمها له لأنه صبي!! فلأنك بنت سنؤثرك بملابس أجمل وأغلى من ملابسه، ولأنك بنت سنشتري لك حلياً فاخرة، ولأنك بنت ستخرجين مع أمك للعب مع بنات في مثل سنك في الحدائق والمتنزهات، وستصحبين والدتك إلى الزيارات والحفلات الممتعة، ولأنك بنت سنهتم بتعليمك كل ما تحتاجينه من علوم ومهارات لتكوني زوجة ناجحة وأماً رائعة، فعليك يتوقف المستقبل وبك يتحدد صلاح الجيل»، وبذلك نصرف البنت عن الشعور بالنقص إلى الشعور بالزهو، ونعدها لدورها دون أن نقلل من قيمتها، ونعرّفها أنها لا تتماثل مع أخيها، ولكنها تكمله وتساويه في الإنسانية، ونؤكد لها أن المجتمع والبشرية كلها لا يمكنها الاستغناء عن الخدمات التي تقدمها النساء بحال من الأحوال.

أيها الناس، إن الفروق بين الصغار من الجنسين ليست متفاوتة إلى الدرجة التي يتصورها الآباء والأمهات، ثم يلقنونها لأبنائهم وبناتهم، والأحكامُ الشرعية الخاصة بالصغار من الجنسين واحدة إلا فروقاً بسيطة جداً، فالإثنان لا عورة لهما، والإثنان لا يحاسبان قبل البلوغ والإثنان لا تقبل شهادتهما...

فهذه العبارة «أنتِ بنت، وهو صبي» خطيرة لأنكم تلقنون النشء مفاهيم مغلوطة، وقناعات مرفوضة، وعادات وتقاليد فاسدة حاربها الإسلام منذ قرون وأبدلنا بها خيراً منها، لماذا تريدون إحياء هذه الجاهلية؟ ■

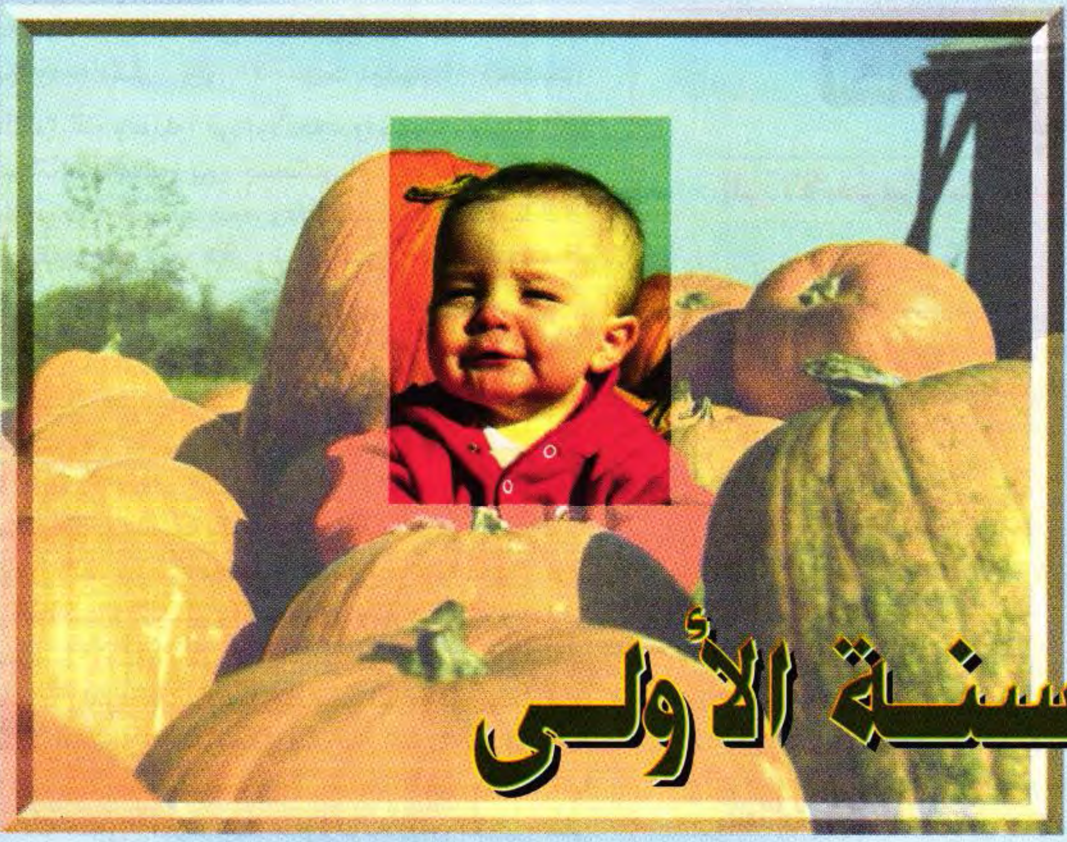
لحن في الغربة

إلى الأخوين العروسين عبدالقادر ونبراس

شعر: محمد الحسناوي

عصفور ناغى عصفورة
في دار الهجرةِ والهجرةُ كأس مكسورة
يا من يجمعني من أشتاتي يعيدُ عظامي موفورة
للنافورة
للحاكورة
للأم الـ ماتت مقهورة؟
قالت في خجل النرجس مبهورة
أشقيق الروح
منك ومني يزدهرُ الدوح
تتجدد أفراح الأعراس
الغرب هو الشرق، وإن طال البنيان
والأرض هي الأرض ستمضي ولا يبقى إلا وجهُ الديّان
فلنشرب كأس الأقدار
أياً كانت في هذي الدار
ما النافورة، ما الحاكورة إلا أضغاث
المستقبل كان ومازال المحراث
فلنزرع ما نجني من بسمات في أرض الشوك
ولتحل أطيارُ الشوق
قال: لك الحكمة يا بنت الأضلاع
سأغالب شوقي ودمائي من أجلك من أجل المستقبل
سأطلق أحلامي الخضراء أطاعنها بالمنجل
تباً لتهاويل التذكار
تباً لفراشات الطفل الذهبية
للفضة تدرج غزلاناً في البرية
للجنة تبسطها أمي في أغنية
الأمس مضى
اليوم قضى
يا حبة قلبي ما شئت يكون
ما نفعُ الروض إذا غاب الحَسُّون
لم تضحك لم تنطق
عيناها صوب المشرق
العش بزُغب الطير يزقزق
فرخٌ يزقو، فرخ يُطرق
قالت في همس مُشرق:
السَّمت خيولٌ عربيةٌ
اللحنُ فيوضٌ قدسية
لا منطق في تزوير المنطق





تطور طفلك خلال السنة الأولى

لايتطابق طفلان في طريقة تطورهما، والقائمة التالية هي دليل تقريبي لما يمكن توقعه في اثني عشر شهراً الأولى، وحيث إن كل طفل يمثل فرداً متميزاً، وبالتالي مختلفاً، فلا تقلقي إذا لم يتطابق تطور طفلك تماماً مع هذه القائمة، فبعض الأطفال يتطور على نحو غير مألوف، فقد تتطور بعض المهارات والفعاليات عند طفل ما باكراً، بينما يتأخر بعضها الآخر في الطفل نفسه أو في طفل آخر، ويكون الوضع طبيعياً، وعلى سبيل المثال يستطيع بعض الأطفال الوقوف قبل أن يستطيعوا الجلوس!



ومع ذلك إذا ساورك القلق حول تطور طفلك فلا ترددي في استشارة الطبيب، حيث يقوم باختبار مهارات وفعاليات الطفل ويراقب تصرفات الطفل بشكل عام وبذلك يكون قادراً على طمأنتك حتى ولو كان طفلك متأخراً في اكتساب بعض المهارات.

الأيام الأولى

ينام المولود حديث الولادة معظم الوقت ويستيقظ فقط لتناول الغذاء، وإذا وضع مستلقياً على ظهره يدير رأسه إلى أحد الجوانب، أما إذا وضع منكباً على بطنه يستدير برأسه مباشرة إلى أحد الجوانب

بقلم: د. رضوان أحمد بيطار

أيضاً ويثني أطرافه تحت جسمه رافعاً مقعده إلى لأعلى.

الشهر الأول: يستجيب للأصوات مثل صوت الجرس، وبمقدوره القيام باتصال بصري «للعين» لدقائق عدة.

الشهر الثاني: مع نهاية الشهر الثاني يتعرف طفلك على الوجوه المألوفة، ويبتسم للمرة الأولى، ويستيقظ لفترات أطول خلال النهار، وربما يبدأ بالنوم طوال الليل.

الشهر الثالث: يتمكن طفلك من رفع رأسه لفترة قصيرة وهو مستلق على بطنه، ويصبح قادراً على التقلب، ويبتسم كثيراً ويكتشف أنه بتحريك شفتيه ولسانه يستطيع أن ينوع الجلبة التي يصدرها.

الشهر الرابع: إنه وقت اللعب، حيث يرغب طفلك بحمل ومسك الأشياء لفترة أو وضعها داخل فمه، إنه يحب الألوان الساطعة ويتبع حركات الأشياء بعينيه، ويستدير نحو مصدر الأصوات وبخاصة الكلام.

الشهر الخامس: يستطيع طفلك رفع رأسه والالتفات إلى جميع الجهات، ويستطيع أيضاً الجلوس مسنوداً لفترات طويلة، كما يصبح قادراً على تنسيق حركات اليدين والعينين، وربما يبدأ ظهور الأسنان في هذا الوقت.

الشهر السادس: يحاول الطفل الجلوس دون مساعدة، ويجلس لفترة قصيرة دون استناد، الظهر مستقيم والرأس منتصب تماماً، ويلعب بأصابع قدميه إذا كان مستلقياً على ظهره، ويرفع رأسه وصدره عن الأرض مستنداً على ذراعيه إذا كان منكباً على وجهه،

ويبدأ أول حركات الزحف «الحبو» وينقل الأشياء من إحدى يديه إلى الأخرى، ويضع كل شيء داخل فمه، ويغدو قادراً على الإمساك بالكوب ليشرب منه.

قبل الشهر السادس لا يستطيع الطفل أن يتابع جسماً ساقطاً، لذلك فإن اللعبة التي تسقط من مهده يبدو أنها تختفي تماماً من عالمه، بينما في الشهر السادس يستطيع الطفل أن يتابع كرة متدحرجة وأن يتابع ببصره لعبته التي سقطت من مهده.

الشهر السابع: يبدأ طفلك بالزحف بشكل أكثر نشاطاً، لذا وفِّري له محيطاً آمناً، وفي الشهر السابع يصبح قادراً على نطق الأصوات البسيطة مثل «ماما» و«بابا» كما أنه يرغب في تناول البسكويت أو البقسماط والفواكه.

الشهر الثامن: يغدو متوقعاً أن يسحب طفلك نفسه إلى الأعلى ليقف على قدميه، ويصبح قادراً على الجلوس لفترات أطول دون حاجة لأحد لكي يسنده.

الشهر التاسع: قد يتمكن طفلك من الوقوف لوحده أو مستنداً بيد واحدة، ويجلس تماماً بمفرده ويصل إلى الأشياء القريبة الموضوعة أمامه، ويستدير ليصل إلى الأشياء التي خلفه، ويصل إلى الأشياء التي تقع أعلى منه.

ويظهر تطور وعيه بديمومة الأشياء بإيجاده للأشياء المخبأة فيرفع الكوب ليجد المكعب الذي اختفى عن نظره بتغطيته بالكوب، ويضرب المكعبات ببعضها بعضاً وقد يسير حول الأثاث مستنداً إليه.

الشهر العاشر: إذا أمسكت بيدي الطفل عند هذه السن، فإنه قد يمشي خطوات قليلة، ويبدأ بفهم الكلمات البسيطة، كما يحاول أن يقلد الأصوات، ويقول «بابا» لأبيه و«ماما» لأمه، ويتطور عنده الخجل نحو الغرباء، ويصبح قادراً على التقاط الأشياء الصغيرة بين إبهامه وإصبع يده الصغيرة.

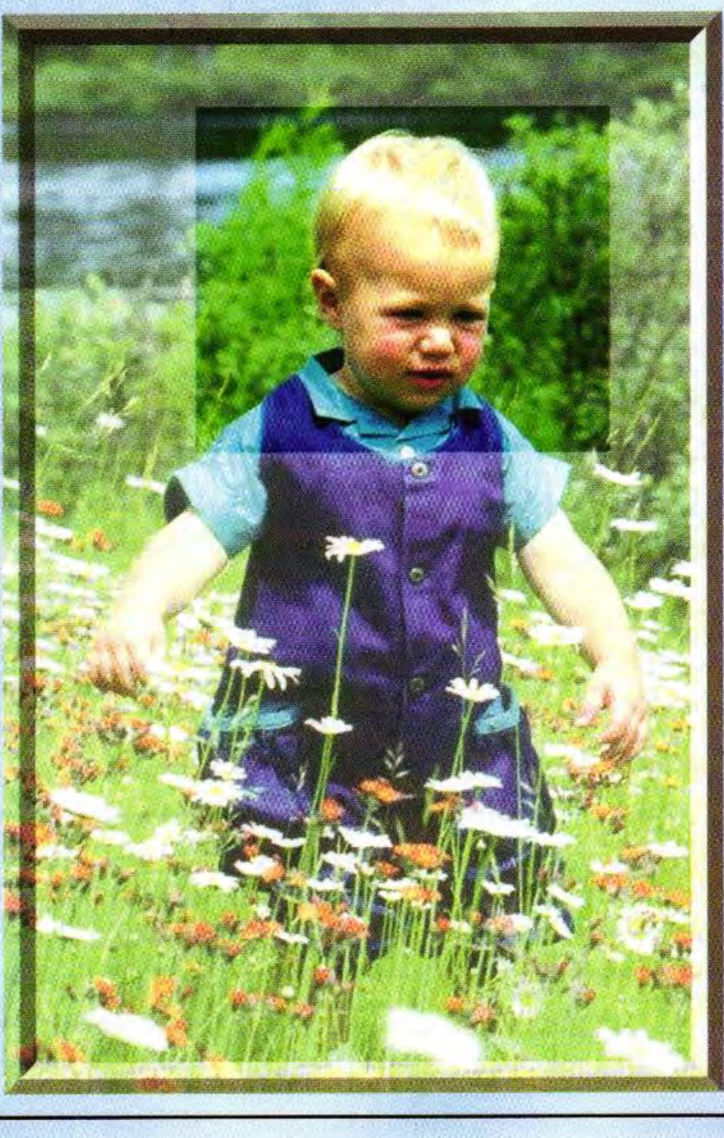
الشهر الحادي عشر: يصبح طفلك في غاية النشاط عند هذه السن، ويحب أن يلعب مع نفسه لبعض الوقت، ولا يكون راغباً في النوم كثيراً، ويحاول أن يلبس جورباه وحذاءه بنفسه ثم ينزعهما مرة أخرى، وقد يغدو قادراً على الوقوف لوحده من وضع الجلوس، مرة أخرى دون مساعدة، ويحاول أن يأكل بالملعقة بإحدى يديه، ويحتوي كلامه على بعض الكلمات المفهومة.

الشهر الثاني عشر: قد يغدو طفلك قادراً على تسلق حظيرة اللعب أو السرير، ويصبح قادراً على أخذ خطواته الأولى لوحده، وهو الآن ثابت تماماً على قدميه بحيث إنه يستطيع الانحناء ليلتقط شيئاً ما، كما يُظهر فهماً لاستخدام الأشياء المألوفة كالملعقة والكوب، كما يحاول أن يضع مكعباً فوق الآخر، وهو الآن يأخذ الألعاب ويدعها حسب رغبته، ويحب الاستماع، كما تنمو مفردات اللغة لديه، وربما يقدر على نطق كلمات ذات معنى.

تعلم الطفل

يتعلم الطفل ببطء نسبياً في الأشهر التسعة الأولى لكنه يتعلم بسرعة بعد ذلك، فحركة الطفل خارج محيط غرفته في النصف الثاني من العام الأول يزيد من الحاجة إلى المثابرة بمحادثة الأم له ليوازي الاتصال السمعي الاتصال البصري بعد اتساع محيطه.

ويكتشف الطفل في الأشهر الأولى من عمره أنه بتحريك شفتيه ولسانه يستطيع أن ينوع الجلبة التي يصدرها من فمه وهنا يبرز دور الأم بتكرار الأصوات المناسبة أمامه مثل دادا، بابا، بحيث تجعله يكرر مثل هذه الأصوات وإن إبداء سرورها الواضح بإنجازاته تجعله يجرب أكثر فأكثر.



إن اللعب أساسي للتعلم وأهميته يجب التأكيد عليها للوالدين، لأن كثيراً منهم لايعرف كيف يلعب مع الأطفال، فالطفل سرعان ما يشعر بالملل باللعب مع نفسه، على الرغم من أن وجود الأم في الغرفة معه يكفي أحياناً لتوافر الحافز الضروري لاستمراره باللعب.

إن الخطأ الذي غالباً ما ترتكبه الأم هو أنها تتجاهل طفلها الذي يلعب مسروراً فتغادر الغرفة وتنغمس بعمل المنزل، كما أن بعض الأمهات لايدركن أهمية التركيز الذي يبديه الطفل في أحد أشكال اللعب فيقطعن عليه فترة لعبه هذه بإعطائه أشياء بديلة ليلعب بها.

إن من المهم توافر فرص مثلى للتعلم، بتفهم حاجات الطفل في أي وقت من الأوقات، وهذا يتطلب مشاركة فعّالة من الأم، لكنه قد لايحتاج أكثر من أن تراقب الأم طفلها فقط، مع بعض كلمات التشجيع والإطراء أحياناً. ■

صحة المرأة الحامل والمرضع في شهر رمضان

بقلم: د. حسان شمسي باشا

هل يؤثر صيام رمضان على صحة الحامل؟

سؤال تطرحه كل حامل وهي تقبل على شهر رمضان، والحقيقة إن الدراسات العلمية الحديثة قد أوضحت أن صيام رمضان يؤدي إلى تغيرات فسيولوجية وكيماوية في الدم، ولكنها لاتؤثر على المرأة الحامل السليمة التي لا تشكو من أمراض عضوية.

كما أظهرت دراسات علمية أخرى أن المرأة الحامل التي تشكو من بعض الأمراض العضوية، كالسكر والكلى، تستطيع القيام بصيام شهر رمضان، شرط أن تكون تحت رعاية وملاحظة دقيقة من قبل الطبيب المختص، وشرط أن تتناول العلاج اللازم أثناء فترة الإفطار.

وقد نشرت مجلة Britsh Journal of Nutrihon العام ١٩٨٩م دراسة لمعرفة تأثير الصيام على النساء الآسيويات المسلمات على التبدلات الاستقلابية في جسم الحامل.

وقد لاحظ الباحثون حدوث انخفاض طفيف في سكر الدم، وارتفاع خفيف في نسبة الأجسام الكيتونية، إلا أنه لم يعلم أي تأثير ضار سريري للصيام على الحوامل.



وفي دراسة أخرى أجريت في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، وجد الباحثون حدوث تغير طفيف في عدد من الفحوص المخبرية التي شملت خضاب الدم وكريات الدم البيضاء ووظائف الكبد والكلى، إلا أن هذه التغيرات لم تجاوز الحدود الطبيعية للقياسات المخبرية.

وأثبتت الدراسة أن صيام شهر رمضان لم يسبب أي ضرر يذكر على الحامل السليمة البدن، ولا يمكن إطلاق قول حاسم على كل الحوامل والمرضعات، بحيث نقول إن هناك حاملاً أو مرضعاً تستطيع الصيام، وأخرى لا تقدر عليه، وعلى المرأة أن تتأكد من حقيقة مهمة وهي: هل يؤدي الصيام إلى انخفاض شديد في سكر الدم أم لا. فإذا ما شعرت الحامل أو المرضع بصداع شديد، أو حدوث زغللة في العينين، أو هبوط وإجهاد عام، أو عدم القدرة على القيام بأي نشاط، فإن ذلك يعني حدوث انخفاض واضح في نسبة سكر الدم، أو هناك أمر غير طبيعي، ففي هذه الحال عليها استشارة الطبيب المعالج.

ما الأحوال المرضية التي تجيز للحامل الإفطار؟

١ ـ انخفاض ضغط الدم الانقباضي «الرقم الأعلى» عن ١٠٠ملم زئبقي، حيث قد يسبب هذا الانخفاض الإحساس بالإغماء، بالإضافة إلى عدم القدرة على التركيز.

٢ ـ القيء المصاحب للحمل وبخاصة خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل والقيء يسبب فقدان جزء كبير من السوائل وبعض الأملاح المعدنية.

٣ ـ التسمم الحملي: حيث يحدث ارتفاع في ضغط الدم، ويظهر الزلال في البول، كما تحدث وزمة في الأطراف.

٤ ـ حدوث انخفاض في سكر الدم.

وصايا للحامل التي تصوم

ينبغي على الحامل إذا صامت أن تنتبه إلى أمور عدة أهمها :

١ ـ عدم تناول كمية كبيرة من الطعام عند الإفطار، فمن الأفضل تقسيم وجبة الإفطار إلى وجبتين صغيرتين.

٢ ـ تأخير تناول وجبة السحور قدر الإمكان.

٣ ـ عدم الإكثار من الأطعمة الدسمة والحلويات، فإنها تسبب عسراً في الهضم.

٤ ـ تناول منقوع البلح أو التمر أو التين عند الإفطار وفي السحور، فإن ذلك يقي من حدوث الإمساك.

٥ ـ الإكثار من تناول اللبن الزبادي فهو يمد الحامل بما تحتاج إليه من الكالسيوم.

هل يؤثر صيام رمضان على صحة الجنين؟

لابد من بعض التغيرات التي قد تحصل عند الجنين كقلة الحركة أثناء الصيام، أو تغير معدل ضربات قلب الجنين.

لذا على الحامل، في هذه الحال، استشارة الطبيب المسلم المتخصص في شؤون الحوامل، فقد ينصح بعدم الصيام تلافياً لأي

ضرر على نمو الجنين داخل الرحم.

وقد نشرت المجلة العالمية الشهيرة Archives of diseases of childhood العام ١٩٩٠م دراسة أجريت في مستشفى برمنغهام في بريطانيا، حيث تمت الدراسة على ١٣٣٥١ رضيعاً تمت ولادتهم بين الأعوام ١٩٦٤م و ١٩٨٨م لأمهات آسيويات مسلمات، وذلك لمعرفة ما إذا كان لصيام رمضان أي تأثير على إمهاتهم حين كُن حاملين بهم.

دراسة بريطانية لا تأثير سريرياً ضاراً للصيام على الحوامل

وقد استنتج الدكتور «كروس» أنه لم يكن لصيام رمضان أي تأثير على وزن الوليد في أي فترة من فترات الحمل أتى شهر رمضان خلالها، ولم يكن هناك زيادة ملحوظة في معدل ولادات الأطفال «ذوي وزن قليل».

والخلاصة : فإن موضوع صيام الحامل في شهر رمضان يعتمد على صحة الحامل والجنين قبل دخول شهر رمضان، فإن كانت كل المؤشرات والفحوص السريرية تشير إلى تمام صحة الحامل والجنين، فإن الطبيب على الأغلب سيشير إلى الاستمرار في الصيام ومع ذلك يعود الأمر إلى الطبيب الاختصاصي المسلم.

الرضاعة ... والصيام

يمكن للمرأة المرضع صيام شهر رمضان شرط أن يكون هناك تعويض في نوعية الطعام والشراب أثناء شهر رمضان وبخاصة في الفترة المسائية، بحيث لا تتأثر كمية ونوعية الحليب على الطفل الرضيع. أما إذا خافت المرضع على نفسها، أو رضيعها من جراء الصيام، أو أثَّر ذلك على الرضاعة، جاز لها أن تفطر.

وصايا للمرضع إذا صمن

على المرضع أن تتذكر أموراً مهمة تساعدها على الاستمرار في الإرضاع :

متى ينبغي على الحامل الصائمة مراجعة الطبيبة ؟

١ ـ ينبغي أن توفر الأم المرضع للمولود كمية إضافية من الماء والسوائل ليشربها خلال ساعات الحر بجانب الرضاعة من ثدييها.

٢ ـ يجب أن تهتم الأم بغذائها من حيث الكمية والنوعية، وزيادة كمية السوائل التي تشربها.

٣ ـ يجب زيادة عدد الرضعات في الفترة بين الإفطار والسحور.

٤ ـ ينبغي على المرضع إنهاء صومها وقت إحساسها بالتعب والإرهاق واستشارة الطبيبة أو الطبيب المسلم الثقة في ذلك.

ما الحكم الفقهي للحامل أو المرضع إذا خافت على نفسها أو على وليدها في شهر رمضان ؟

هل تفطر وتطعم وتقضي ؟

أم تفطر وتقضي ولا تطعم ؟

أم تفطر وتطعم ولا تقضي ؟

وتجيب على ذلك اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية :

«إذا خافت الحامل على نفسها أو جنينها من صوم رمضان أفطرت، وعليها القضاء فقط، شأنها في ذلك شأن الذي لا يقوى على الصيام، أو يخشى منه على نفسه مضرة.

قال تعالى في سورة البقرة الآية ١٨٣ :

(فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر).

وكذا المرضع إذا خافت على نفسها إن أرضعت ولدها في رمضان، أو خافت على ولدها إن صامت ولم ترضعه أفطرت وعليها القضاء فقط».

وبعد أن يستعرض الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه « فقه الصيام » آراء الفقهاء في هذا الموضوع يقول :

«والذي أرجحه هو الأخذ بمذهب ابن عمر وابن عباس في شأن المرأة التي يتوالى عليها الحمل والإرضاع، وتكاد تكون في رمضان إما حاملاً، وإما مرضعاً، وهكذا كان كثير من النساء في الأزمنة الماضية، فمن الرحمة بمثل هذه المرأة ألا تكلف القضاء، وتكتفي بالفدية، وفي هذا خير للمساكين وأهل الحاجة.

أما المرأة التي تتباعد فترات حملها كما هو الشأن في معظم نساء زماننا في معظم المجتمعات الإسلامية وخصوصاً في المدن، والتي قد لا تعاني الحمل والإرضاع في حياتها إلا مرتين أو ثلاثاً، فالأرجح أن تقضي كما هو رأي الجمهور. إذاً الحكم مبني على مراعاة التخفيف، ورفع المشقة الزائدة، فإذا لم توجد ارتفع الحكم معها، إذ الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً». ■

المراجع :

١ ـ د. حسان شمسي باشا: «الدليل الطبي والفقهي للمريض الصائم في شهر رمضان»، مكتبة السوادي جدة ـ الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٢ ـ د. يوسف القرضاوي: «فقه الصيام» مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٣ ـ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: فتاوى الصيام ص ٦٩.

٤ ـ د. علي أحمد الشحات: الصيام بين الطب والإيمان «أخبار اليوم» ـ القاهرة.

٥ ـ د. حسن صالح جمال وغيره «وإن تصوموا خير لكم»، إصدار جمعية جدة للخدمات الاجتماعية.

٦ ـ ARch. dis child 1990, 85: 1053 - 6

٧ ـ BR. J. Nut, 1989, 61, 663 - 72

الاهتمام بصحة الجنين وأمه

قال الله تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن) (١). وقال سبحانه : (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) (٢).

يقول القرطبي - رحمه الله - : « حملته أمه وهناً على وهن » أي حملته في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف، وقيل « المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل » (٣)

ثم يقول في تفسيره للآية الثانية : « والآية تشير إلى المشقة والمتاعب التي تتحملها الأم أثناء الحمل » (٤).

ويقول ابن كثير رحمه الله : « حملته أمه وهناً على وهن، أي قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعباً من وحم وثقل وكرب، مما تنال الحوامل من التعب والمشقة » (٥).

بقلم : عمر محمد إبراهيم غانم

وظاهر هذه الآيات ضرورة العناية بالمرأة الحامل التي عانت وقاست في حملها ووضعها، ولهذا طلب الحق سبحانه وتعالى من عباده أن يشكروا نعمة الوالدين بعد الله عز وجل، فقال سبحانه : (أن أشكر لي ولوالديك) (٦).

يقول صاحب كتاب « المجتمع المتكافل في الإسلام » : من شكر النعمة لله وللوالدين رعاية المرأة التي حملته، ورعاية كل امرأة تحمل، وفيها أيضاً حث الأزواج على رعاية الحوامل، وإذا قصرت الأزواج فالمسؤولية تقع على المجتمع بأكمله، دولة وأفراداً وجماعات وجمعيات » (٧).

ورعاية للمرأة الحامل ألحق الكثير من العلماء هذه المرأة - إذا خافت على نفسها أو ولدها أو على نفسها وولدها الضعف - بالشيخ الكبير الفاني في جواز الفطر وإخراج الفدية.



وأورد القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما(٨) في قوله تعالى: (وعلى الذين يطيقونه فدية...»(٩)، قال: كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، وهما يطيقان الصوم أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكيناً، والحبلى والمرضع إذا خافتا على أولادهما أفطرتا وأطعمتا.

وروي عنه أيضاً أنه قال لأم ولد له حبلى أو مرضع: «أنت من الذين لايطيقون الصيام عليك الجزاء ولا عليك القضاء»(١٠)

وأورد ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره للآية السابقة: (وعلى الذين يطيقونه فدية)(١١)، أن مما يلحق بالشيخ الكبير الذي لم يطق الصيام، الحامل والمرضع، إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما، مع الخلاف بين الفقهاء فيما يترتب عليهما، فمنهم من قال: «يفطران ويفديان ويقضيان، وقيل يفديان فقط ولا يقضيان، وقيل يجب القضاء بلا فدية، وقيل : يفطران ولا فدية، ولا قضاء»(١٢)، وقد سئل الحسن البصري - رحمه الله - عن الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولدهما، فقال: أي مرض أشد من الحمل؟ تفطر وتقضي(١٣)، وقد لخّص ابن رشد رحمه الله آراء الفقهاء في هذه المسألة بقوله: «الحامل والمرضع إذا أفطرتا ماذا عليهما؟ وهذه المسألة للعلماء فيها أربعة مذاهب أحدها: أنهما يطعمان ولا قضاء عليهما، وهو مروري عن ابن عمر وابن عباس، والقول الثاني أنهما يقضيان فقط ولا إطعام عليهما، وهو مقابل الأول، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وأبو عبيد وأبو ثور، والثالث أنهما يقضيان ويطعمان وبه قال الشافعي، والقول الرابع أن الحامل تقضي ولا تطعم، والمرضع تقضي وتطعم، فمن شبههما بالمريض : قال عليهما القضاء فقط ومن شبههما بالذي يجهده الصوم قال عليهما الإطعام فقط (١٤)، ولا شك أن الحمل بحاجة إلى مجهود كبير من المرأة، وقد صور القرآن الكريم هذه الحال، وهو يوصي الإنسان بالإحسان لوالديه بقوله سبحانه: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير) (١٥)، وبقوله سبحانه: (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) (١٦).

وهذا المجهود بحاجة إلى رعاية صحية واجتماعية ونفسية، بالإضافة إلى الإنفاق المتناسب مع حال الزوج الاقتصادية، ولهذا فإن إنشاء المراكز لرعاية النساء الحوامل، وتوافر المختصين من الطبيبات والموجهات للحوامل، والأخذ بالإرشادات الطبية المستمرة، ومتابعة وضع الحامل بما يتناسب وروح الشريعة الغراء، وقد جاء في الحديث الشريف: «إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحامل والمرضع الصوم»(١٧).

الرعاية الصحية للجنين وأمه

بينت فيما سبق حرص الإسلام على أن تكون للجنين - الذي هو عدة المستقبل - أم صالحة، وأب صالح كذلك، وصلاح الأبوين لا يعني فقط صلاح الخلق والدين، وإنما يشمل أيضاً عدم وجود الأمراض الوراثية، أو حتى المعدية التي يمكن أن تنتقل إلى الزوجة ومنها إلى الذرية، وفي هذا الزمان الذي انتشرت فيه الرذائل، لا يوجد مانع شرعي من إجراء الفحوصات الطبية اللازمة للراغبين في الزواج، عند أطباء موثوقين مؤتمنين، حتى يثبت خلوهما من الأمراض المعدية والعيوب الوراثية الظاهرة، أو الموجودة في تاريخ الأسرة، ولا يشترط القيام بهذا الإجراء لكل الأزواج، بل لمن يرغب في ذلك دونما حرج، أو موانع اجتماعية تحول دون ذلك، وبخاصة إذا كان الأزواج في مجتمع لا يقبل مثل هذا الإجراء، أو كانت هذه الفحوصات ستؤدي إلى إحجام الكثير عن الزواج، أو أن تكون عائقاً أمام الراغبين في الزواج.

وفي المجتمعات الغربية التي أنهكتها الأمراض المعدية بسبب شيوع الفاحشة بشكل لا مثيل له، بدأ عندهم ما يسمى في باب الطب «بالاستشارة الوراثية»(١٨)، وهذه تبدأ قبل الزواج في المرحلة الأولى، حيث يبحث الطبيب عن الأمراض الوراثية في أسرتي الخاطب والمخطوبة، والمرحلة الثانية تكون بعد الزواج وقبل الإنجاب، حتى يكون الزوجان على علم بالأمراض الوراثية التي يحتمل أن تصيب نسلهما.

والاستشارة الثالثة تأتي عند بداية الحمل وإجراء الفحوصات اللازمة للجنين، وبخاصة إذا كان هناك احتمال لولادة جنين مشوه وذلك كأن يكون لهذه الأسرة أطفال مشوهون، أو تكررت حالات الإجهاض.

وإذا كان هذا الموضوع لم يصل إلينا على نطاق واسع، فلا مانع من أن يستفيد منه المسلمون ولو أن الأسباب الداعية إليه في بلاد الغرب غير تلك التي في المجتمعات المسلمة، ولكن أخذ الأسباب والحيطة والحذر، دونما فزع أو ترويع، هو من كياسة المسلم وفطانته وبحثه عن الحكمة التي هي ضالته، وبخاصة إذا كانت هذه القضايا مما يصب في مصلحة الجنين وأهله، لإخراج نسل قوي معافى يضاف إلى ذلك فحص فصيلة الدم لكل من الوالدين والجنين، مما يسهل اكتشاف الأمراض ومعالجتها، وهذا من أهم ما تدعو إليه الشريعة الغراء، وهو المحافظة على النسل، وكان من دعاء الأنبياء كما ذكره القرآن الكريم أن يرزقهم الله الذرية الطيبة، فقال سبحانه على لسان زكريا - عليه السلام (ربِّ هبْ لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء)(١٩).

ومن دعاء المؤمنين في القرآن: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً)(٢٠).

ولا تكون الذرية قرة عين إذا كان فيها مشوه الخلقة، ناقص الأعضاء متخلف العقل(٢١)، وذلك لما تسببه من عناء ومشقة وحرج للوالدين.

ومن أهداف الشريعة السمحة رفع الحرج والمشقة عن العباد، والأحاديث النبوية التي مرت معنا، والتي يطلب منا رسولنا الكريم - ﷺ - تخير مكان النطفة قبل الزواج والتحذير من خضراء الدِّمن، كلها تؤكد أهمية الصفات الوراثية التي تنتقل من الآباء والأمهات إلى الأبناء والأحفاد، ولم يقصرها النبي - ﷺ - على الأعراض الجسمانية بل تعداها إلى ما هو أهم وأعمق، وهو الأمراض الأخلاقية والنفسية.(٢٢)

وزيادة في رعاية الحامل وجنينها، فلابد أن تستجيب لتعليمات الأطباء الثقات في المحافظة على غذائها بالنسب التي يحددها أهل الاختصاص، وأن تستجيب لكثير من التعليمات التي من أهمها:(٢٣)

١ - ينبغي أن لا تتعرض الحامل لصور الأشعة، وقد صار الأطباء يحذرون المرأة التي في سن الحمل من التعرض للأشعة، وبخاصة التي فيها كمية كبيرة من الإشعاعات إلا للضرورة، مع أخذ الاحتياطات اللازمة.

٢ - أن تأخذ الفتيات قبل سن الزواج المصل الواقي ضد الحصبة الألمانية التي إذا أصيبت بها الحامل أدت إلى تشوه الجنين.

٣ - أن تمتنع الحامل عن تعاطي التبغ «الدخان» بكل صوره وأشكاله، وقد أخذ كثير من العلماء بالقول بحرمته على الرجال فكيف إذا ثبت أن التبغ يؤدي إلى تشوه الجنين وصغر حجمه وإلى زيادة الإجهاض إذا تناولته المرأة الحامل، عندها تكون الحرمة أشد.

وهناك في بلاد الغرب الكثير من الأسباب والأمراض التي تؤدي إلى تشوه الأجنة مثل فيروس الهربس، وفيروس الإيدز، اللذين يسببهما الوقوع في رذيلة الزنى واللواط، حيث تنتشر هذه الفيروسات عن هذا الطريق، ولا يمكن الوقاية منها إلا بالابتعاد عنها، وعن كل أسبابها كالاختلاط والسفور، إضافة إلى أن المخدرات بأنواعها، كالحشيش والأفيون ومشتقاته من المورفين والهروين، تصيب الأجنة بأضرار بالغة، وقد توقف تنفس الجنين، وتجعله ينزل إلى الدنيا مدمناً له، بسبب إدمانه - للمخدرات - وهو لا يزال في رحم أمه.(٢٤)

فمن نعمة الله عز وجل أن الإسلام اجتث هذه الشرور من جذورها بمحاربتها ومنعها، وإن كان أعداء الإسلام يحرصون على نشرها بين بعض الجهلة من أبناء المسلمين.

وبلغ من رعاية الإسلام للحامل ولجنينها، أن منع من تخويفها بما يؤدي إلى إسقاط جنينها، مما لم تعهده المدنية الحديثة في كل ما توصلت إليه من تشريعات، فقد حدث أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - استدعى امرأة، يُقال إنها كانت تتحدث مع الرجال، فخافت ولما علمت بذلك أجهضت، واستشار أصحابه - رضي الله عنهم - فيما يتوجب عليه أن يفعله فقال له بعضهم «إنما أنت مؤدب ولا شيء عليك».

وأما الإمام علي - رضي الله عنه - فقال : عليك الغرة يا أمير المؤمنين، فأخذ برأيه وطلب منه أن يقسمها على مستحقيها.(٢٥)

ففي أي حضارة تجد أمير المؤمنين أو الوالي أو الحاكم يحاسب

نفسه ويدفع هذا المال لمجرد التخويف فقط؟ إنها دعوة الإسلام.

خطر زواج الأقارب على صحة الجنين

كان من عادة العرب أنهم يستحبون الزواج بالغرائب، ويرون ذلك أنجب للولد وأقوى للبدن، وأبهى للخلقة، فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لبني السائب ـ وقد اعتادوا التزوج بقريباتهم : « مالي أراكم يا بني السائب قد ضويتم» (٢٦) غربوا النكاح ولا تضووا» (٢٧)، وفي قول آخر له: «فانكحوا في النزائع» (٢٨).

وقال الأصمعي فيما روي عنه «بنات العم أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رؤوس الأبطال كابن الأعجمية»(٢٩).

يقول الدكتور علي حسب الله : «ولعل هذا لما بين الزوجين القريبين من الألفة التي تكون من أسباب ضعف الميل وفتور الرغبة، ولأن الزواج بالغرائب يغذي النسل بطبائع وغرائز وأذواق يزداد بها قوة وحسناً، فهو أشبه بتطعيم نوع من أشجار الفاكهة بنوع آخر يزيده بركة وجودة»(٣٠).

وقد ورد عن الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ كراهته لزواج الرجل من عشيرته الأقربين، وذلك لأن من مقاصد النكاح اتصال القبائل لأجل التعاضد والمعاونة واجتماع الكلمة، ولا يناقضه فعل النبي ـ ﷺ ـ في زواجه من زينب، وفي تزويج فاطمة من علي، فهذا تشريع منه ـ ﷺ ـ لبيان جواز الزواج.(٣١)

ويقول الدكتور عزالدين فراج: «ويمكن القول إن زواج الأقارب يزيد الصفة الغالبة في الأسرة ويؤكدها ويبرزها، خصوصاً إذا كانت من الصفات السيئة عكس زواج الأباعد فهو يقلل من العيوب الجسمية والمرضية، ويهدد زواج الأقارب بإنجاب أطفال مصابين، لأن بعض الأمراض الوراثية قد تكون كامنة وسجينة بفعل عواملها الوراثية، ويستدل بقول الدكتور كارل جورج أستاذ الوراثة في الجامعة الأمريكية جاء فيه : إن زواج الأقارب في ذاته ليس عاملاً على إضعاف النسل أو تشويهه بالأمراض والعاهات في كل الأحوال، فإذا لم تكن السلالة نفسها ضعيفة، فلا يمنع من أن تظل نقية قوية لكنه يستدرك ويقول: إلا أن هذه الحالات التي تظل فيها هذه الأسر صحيحة قليلة جداً، ويؤكد ألف مرة بأن زواج الأقارب مضر، وقد كان الرئيس الأمريكي «روزفلت» يتباهى أنه يجري في عروقه ثلاثة دماء هي: الدم الإيرلندي، والبريطاني، والألماني، وهذا يدل على أن تزواج الأباعد قد منحه مزايا كثيرة.(٣٢).

وقد نقل ابن حجر العسقلاني عن بعض الشافعية كراهتهم للزواج من القرابة القريبة، لأنه ثبت من التجربة في الغالب أن الولد بين القريبين يكون أحمق.(٣٣)

وهكذا نجد أن ديننا الحنيف وعلماءنا الأفاضل قد نبهوا إلى أمر لم يفطن له الأطباء إلا حديثاً، فالحمد لله على نعمة الإسلام. ■

الهوامش :

١ ـ سورة لقمان: آية ١٤.

٢ ـ سورة الأحقاف: آية ١٥.

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن مجلد ١٤ ص ٦٤.

٤ ـ المرجع السابق ـ تفسير سورة الأحقاف ج١٦ ص ١٩٣.

٥ ـ تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير ـ دار الفكر ـ ط٢ سنة ١٩٧٠م مجلد٦ ـ تفسير سورة الأحقاف ص ٢٨٠.

٦ ـ سورة لقمان آية: ١٤.

٧ ـ المجتمع المتكافل في الإسلام ـ عبدالعزيز الخياط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ سنة ١٩٨١م ص ٢٧١.

٨ ـ القرطبي مجلد ٢ ص ٢٨٩.

٩ ـ سورة البقرة: آية ١٨٣.

١٠ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ج٢ ص٢٨٩.

١١ ـ سورة البقرة: آية ١٨٣.

١٢ ـ تفسير ابن كثير ـ ج١ ص٣٧٩.

١٣ ـ تفسير آيات الأحكام ـ محمد علي الصابوني ـ ج١ ص ٢٠٩.

١٤ ـ بداية المجتهد ج١ ص٣٠٠، راجع في المسألة آراء الفقهاء في «المغني ج٣ ص٩٩، مغني المحتاج ج٢ ص ١٧٤، شرح فتح القدير ج٢ ص ٣٦٣، الخرشي ج٢ ص ٢٦١.

١٥ ـ سورة لقمان: آية ١٤.

١٦ ـ سورة الأحقاف آية ١٥.

١٧ ـ سنن النسائي ج٤ ص ١٨٠.

١٨ ـ الجنين المشوه والأمراض الوراثية ـ د.محمد علي البار ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ سنة ١٩٩١م ص ٣٦٦.

١٩ ـ سورة آل عمران: آية ٣٨.

٢٠ ـ سورة الفرقان: آية ٧٣.

٢١ ـ ٢٢ ـ الجنين المشوه والأمراض الوراثية ص ٣٦١ ـ ٣٦٢.

٢٣ ـ المرجع السابق ص ٣٦٣.

٢٤ ـ الجنين المشوه والأمراض الوراثية ـ ص ٣٦٤.

٢٥ ـ المصنف لأبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني ـ منشورات المجلس العلمي ـ باب من أفزعه السلطان ـ ج٩ ص ٤٥٨ ـ رقم ١٨٠١٠، المغني ج٧ ص ٥٥٧.

٢٦ ـ ٢٧ ـ المغني ج٦ ص ٣٩٧، عيون الأخبار ج٤ ص٥، قد ضويتم: ضعفتم، قال في مختار الصحاح ص٣٨٥، الضوى: الهزال وغلام ضاوٍ: أي نحيف.

٢٨ ـ وقال في القاموس المحيط ج٣ ص ٩١، النزيع الغريب وجمعه نُزّاع، وهو البعيد، والنزيعة من النجائب التي تجلب إلى غير بلادها، والمرأة التي تزوج في غير عشيرتها فتنقل، وجمعه نزائع.

٢٩ ـ عيون الأخبار ـ ابن قتيبة ـ مجلد ٤ ص٥.

٣٠ ـ الزواج في الشريعة الإسلامية ـ علي حسب الله ص ١٨.

٣١ ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ـ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط ١ سنة ١٩٩٤م، ج٤ ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

٣٢ ـ نظام الأسرة في الإسلام ـ ج١ ص ١٨٧.

٣٣ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ ج٩ ـ ص ١٣٥.

قضايا تربوية

مسؤولية الإنسان عن نفسه

بقلم : د. أحمد عبدالرحيم السايح

لما كان الإنسان أشرف كائنات الله في خلقه، وقد جعله في مقام الخلافة في الأرض، وأهّله لوظيفة السيادة في الكون، فإنه لا يستطيع أن ينهض بوظيفته إلا إذا أدرك مسؤولياته الشخصية، وعرف كيف يحملها بأمانة، ويؤديها بشرف، ويؤكد بذلك ذاته، ويثبت وجوده. ومسؤولية الإنسان تجاه نفسه، إنما تنبع من ذاته، وتفيض من وجدانه، لتعمر كيانه، وتعمر مقوماته جميعاً، مظهراً ومخبراً، شكلاً وموضوعاً، بدءاً من نفسه التي يحتويها حتى كسائه الذي يستره ويقيه.

ومعرفة النفس، والبصر بها، ومراقبتها، ومتابعتها، ومحاسبتها، وإيقاظها، وإعلاء ميولها، وضبط اتجاهاتها، إنما هي أمور من الأهمية بمكان في حياة الإنسان ومصيره، حتى يحكم مساره طبق ما أراد الله سبحانه، وينضبط شكلاً وجوهراً، عملاً وسلوكاً، على موازين الحق، والخير، والعدل، والفضيلة.

لقد خلق الله الإنسان ومنحه فطرة سوية يعرف بها الخير، وينكر بها الشر، والنفس الزاكية هي التي تستجيب لنداء فطرتها، وسوي خلقتها، فتقبل على الخير، وتتعرف على المعروف فتهفو إليه، وتجفل من الشر، وتتنكر للمنكر، وتلوم عليه، كل ذلك في بصيرة واعية، وإدراك يقظ، ومراقبة كاملة ومتابعة دقيقة، لأنها توقن أنها مجزية عن الخير خيراً، وعن السوء سوءاً .. ومن ثم حتّم على كل ذي عقل آمن بالله واليوم الآخر، أن يدرك مسؤوليته تجاه ذاته، فلا يغفل عن مراقبة ربه، وإيقاظ ضميره، ومحاسبة نفسه ومناقشتها في كل ما تأتي وما تذر، ففي ذلك طهرها وفلاحها.

قال تعالى في سورة الشمس : (**ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها**) .

فالله سبحانه وتعالى أقسم بالنفس ومن سواها، وركب فيها قواها الباطنة والظاهرة، ثم بيّن بعد ذلك أثر هذه التسوية فقال : (**فألهمها فجورها وتقواها**) أي فألهم كل نفس الفجور والتقوى، وعرفها حالها، بحيث تميز الرشد من الغي، ويتبين لها الهدى من الضلال.

ولا شك أن نفساً هذه حالها (**قد أفلح من زكاها**) قد ربح وفاز من زكى نفسه ونماها حتى بلغت غاية ما هي مستعدة له من الكمال العقلي والعملي، حتى تثمر بذلك الثمر الطيب لها ولمن حولها.

قال تعالى في سورة فاطر الآية ١٨ : (**ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه**) أي ومن يتطهر من أدناس الشرك، وأوضار الذنوب والمعاصي فنفع ذلك عائد إليه، وقال تعالى في سورة فصلت الآية ـ ٤٦ : (**من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها**) فمن عمل بطاعة الله في هذه الحياة، فأتمر بأمره، وانتهى عما نهى. فلنفسه عمل لأنه يجازى عليه الجزاء الذي هو أهل له.

ولما كانت النفس أولى مدارج السالكين في مقامات المحاسبة والمراقبة، حيث يشعر الإنسان بمسؤوليته عن كل ما يفعل، وبضرورة محاسبة ذاته، ومراجعتها في كل ما يأتي وما يذر، حتى ينجو من الحساب، ويحظى بالفوز يوم القيامة، فقد زاد الله من شرفها، وجمع بينها وبين يوم القيامة في قسمه، فقال تعالى في سورة القيامة في الآية ١ ـ ٢ : (**لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة**).

يقول ابن كثير في تفسيره : إن الحسن البصري قال في هذه الآية : إن المؤمن ما نراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلمتي ؟ ما أردت بأكلتي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً، ما يعاتب نفسه.

وقد جمع الله بين القيامة والنفس اللوامة في القسم بينهما تعظيماً لشأنهما، وتناسباً بينهما، إذ النفس اللوامة هي المصدقة بها، المقررة بوقوعها، المهيئة لأسبابها، لأنها تلوم نفسها أبداً في التقصير والتقاعد عن الخيرات، وإن أحسنت لحرصها على الزيادة في الخير، وأعمال البر، تيقناً بالجزاء، فكيف بها إن أخطأت وفرطت، وبدرت منها بادرة غفلة ونسيان.

لقد خلق الله الإنسان، وحمله مسؤوليته، عن كيانه كله، فجعله مسؤولاً عن بدنه، وعن نفسه، وعن عمله، وعن خلقه... إنه إذاً مسؤول عن كيانه كله، والقائد لسفين النفس، والبصير عليها، والحسيب على جميع تصرفاتها.

فإذا خطمها، وضبطها على الحق، فاز وغنم، وإلا اختل أمرها فضل وغوى وفسق عن أمر ربه، وفي هذه المسؤولية يقول الله تعالى في سورة القيامة الآية ١٤ ـ ١٥ : (**بل الإنسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيرة**)، أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله، ولو اعتذر وأنكر، كما قال تعالى في الآية: ١٤، من سورة الإسراء : (**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**) .

فالحصيف من راقب ربه، وحاسب نفسه، وانتهز حياته، فضبطها على معايير الحق، والخير، والحكمة، وعمرها بالصالحات، وقدّم من يومه لغده.

أما الأحمق العاجز، فهو من اتخذ إلهه هواه، فاتبعه نفسه، فغدت حياته فارغة إلا من خداع النفس، وأمانيها الكاذبة.

جاء في رياض الصالحين: روى الترمذي عن أبي يعلى شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني** ».

وإذاً ... فالمؤمن العاقل هو الذي يرتب أمره، وينظم حياته، ويوزع وقته على مسؤولياته، وتبعات حياته، ومستلزمات دنياه وآخرته، بحيث يكون في ذلك آية قسطاس، وميزان عدالة، لا يطغى جانب على آخر.

فساعة في طاعة ربه، وتوثيق الصلة به.

وساعة أخرى : يراجع فيها نفسه، ويناقشها ليحكم مسيرتها، ويضبط أمرها على صراط الله فلا تضل ولا تغوى.

وساعة ثالثة : يرى نفسه في مرآة الإيمان، وكيف أمره في عقل مجتمعه. وعن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب: « زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وحاسبوها قبل أن تحاسبوا ». ■

قصة قصيرة



عيون ... خلف النقاب

بقلم: محمد مكين صافي

«.. لا أحبها... لا أحبها... كلامها لا يروق لي... وابتسامتها تثير حنقي... ولباسها الأسود لا يريحني... بل يرعبني... لكأنها من فصيلة «الغربان» يا ناس!... ماذا؟... هل تتوقع أن يبتلعها الشباب؟... أم سيخطفون منها أنفها؟!...»

هكذا راحت «رولا» تردد نقدها لصديقتها «هدى»... ثم ضربت الهواء بيدها في هياج وتمتمت: «أف...» وانصرفت تتبعها نظراتنا جميعا بكثير من الدهشة.

من جهتي لم يكن شيء من ذلك يلفتني... فلا «هدى» صديقتي الحميمة.. ولا مسلك «رولا» يعنيني في شيء... فقد وضعت لنفسي هدفا وحيدا ومحددا... التفوق... وما سواه لا يهمني ولا أسمح له بأن يشغلني لحظة واحدة.

لكنني أذكر مرة - وكنا في الردهة ننتظر المحاضرة التالية - أن اقتربت منا «هدى» وألقت السلام بشيء من العصبية. وهمست إلينا ونظراتها تتطاير خلف النقاب:

- «ذلك الشاب... أخشى أنه لا يفكر في خير... نظراته المريبة إلينا تقلقني ولا توحي بالبراءة!...».

فضحكت «رولا» بصوت ملفت وقالت:

«سأثبت لك يا عزيزتي أن ما يعشش في رأسك الجميل هذا ما هو إلا أوهام».

ثم مضت إلى ذلك الشاب ذي الشارب الخفيف... فلم أجد ما أفعله إلا أن أسحب «ميساء» صديقتي ونتجه إلى المحاضرة لئلا يفوتنا منها شيء.

بعد أيام مالت «ميساء» نحوي وهمست مخترقة هدوء القاعة:

- «ألا تلاحظين؟!... صديقتنا الجريئة وطائرها الغريد يكثر غيابهما عن المحاضرات هذه الأيام...»

فلكزتها برفق وهمست: «كُفّي عن فضولك يا مراهقة... والتفتي إلى ما نحن هنا من أجله».

ولكن... لا شيء يطول إخفاؤه على ما يبدو... ففي الغد قدمت علينا «هدى» أو الأخت «هدى» كما تحب أن ندعوها وقالت بصوت فيه خوف:

«صديقتنا» «رولا» مريضة... في المشفى.

تبادلت «ميساء» نظرة غير مبالية... وماذا لو أن «رولا» في المشفى أو السينما!؟

لو انشغلنا بكل من يدخل إلى الكلية ويخرج لما وجدنا وقتا للدراسة... وسحبت «ميساء» من يدها... أليست المحاضرة أولى من «رولا» بالمتابعة؟!

في القاعة وجدنا المحاضر الشاب دكتور الفلسفة يرتب

أوراقه بأناقة ثم يرفع إلينا ابتسامته ويقول بصوت كأنه الهمس: «الحق... الخير... الجمال... كانت ولا تزال غاية الفكر البشري في دأبه الحثيث نحو السعادة منذ عرف الإنسان العاقل وحتى الآن...»

ثم أخذ يشرح كيف تدرج المسار المتنامي للفكر البشري وهو يبحث في تلك الغايات الثلاث والمصاعب والمقومات... وكيف أن هذه المسيرة الصاعدة أبدا والتي هي سمت الفكر البشري في مختلف مراحله تؤكد نسبية الأشياء والمفاهيم وأن ما يبدو حقيقة اليوم سيبدو غير ذلك في مرحلة تالية.

ولدهشتنا وجدنا الأخت «هدى» تستأذن للكلام وتقول:

«ربما تكون نسيت غاية مهمة... كان وسيظل الفكر والجهد البشري يتشوق إليها... إنها الجنة....»

ودب صمت عميق بيننا... قطعه الدكتور بضحكة أنيقة وقال:

«يبدو أن الآنسة بدورها نسيت أننا في محاضرة فلسفة لا في حلقة دين...».

وقهقه الجميع بما فيهم أنا إلا «هدى» لم تهتز وتابعت:

«يخطئ كثيرا يا دكتور من يتصور أن الحياة بطبيعتها وواقعها يمكن أن تقبل هذا التجزئ المتعسف الذي طرحته... جزء للفلسفة... وجزء للدين... وثالث للعلوم... ورابع للفنون... ويحسن أن يكون واضحا أن الدين هو الأساس بما أنه المعصم الجامع لكل نشاط وحركة وجهد واجتهاد قام أو يقوم به البشر خلال مسيرتهم الفكرية والعملية. المعصم الجامع والواقي معا. وبهذا تكون الجنة كغاية هي الإطار المعنوي الذي يحصن البشر في اندفاعاتهم فلا ينحرفون أو يغالون أو ينزلقون...».

طرق الدكتور الطاولة بقلمه الأنيق وتمتم:

- «مهما يكن... فلن نمضي بالحوار في هذا الاتجاه لئلا نجور على المسار الأصلي للمحاضرة وشكرا للآنسة على مداخلتها الجريئة...»

لا أخفي أنني فوجئت بالأخت «هدى» ولم أكن أتوقع أن لديها كل هذا الرصيد الثقافي... لقد غرت منها... أعترف... ولكن الأهم هو أن كلامها عن الجنة كغاية عليا للبشر جذبني وشدني إلى بعيد... وبدأ في داخلي عالم آخر يتحرك... وشغلت عن المحاضرة وصاحبها... وبدا لي الدكتور مثل صورة تلفاز تنفصل وتتحرك وقد انقطع عنها صوتها.

وبعد المحاضرة دنت منا «هدى» وقالت:

«أنا ذاهبة إلى «رولا» فمن يرغب بمصاحبتي فليتفضل...».

تقاعسنا للحظة بدافع العادة التي أورثتنا الحياد... وتركناها تسرع وحدها... ولكن دافعا خفيا أهاب بنا أن نلحق بها ونصاحبها في سيارتها... وفي قلوبنا أمل أن يكون العارض الذي ألم بصديقتنا خفيفا... ووجدتني أسأل بلهفة:

«ما الذي أصابها... لقد كانت مثار الإعجاب بحيويتها ونشاطها؟!... لقد كانت منذ أيام تقفز بدل أن تمشي لفرط صحتها!... فما الذي أصابها...»

لم يكن هنالك إجابة دقيقة... فهرولنا فور وصولنا إلى الطبيب المعالج ذي اللحية الخفيفة وكانت «هدى» أسبقنا إليه... فتركناها تتقدمنا... لكنها عادت كسيفة ببطء... وقالت وهي تغطي فمها بأصابعها من الهلع: «نزف شديد في الرحم!...».

ندت عنا صرخة مكتومة... وارتددنا بحركة لا شعورية ونحن نغطي أنوفنا كأننا نتقي رائحة خبيثة كي لا تنفذ إلينا ... ونظرت إلى «ميساء» نظرة فهمتها وتراجعنا نريد الانسحاب من موقف لا نريد أن نحشر فيه ... لولا أن صوت «هدى» أدركنا في حنان:

- «ليس الآن! ... لن نحاكمها الآن!! ... إنها بحاجة إلى دم.. فلماذا لا نجرب الآن إنقاذها وبعد ذلك... يفعل الله ما يشاء!...»

جمدنا لحظة... فتقدمتنا إلى حيث نتبرع... فما وجدنا سبيلا إلا أن نستجيب لذلك النداء الشفيف الذي هب في الأعماق... وانطلقنا خلفها.

ولما أذن لنا ... ودخلنا عليها وهي ممددة في بحر البياض... كانت الرائحة الخبيثة قد اختفت عنا. وحل مكانها عبق كأنه هب من هناك ... من الجنة ... وقبلناها... صديقتنا وأختنا ... وقرأت صديقتاي وأنا ما حضرنا من آي الذكر الحكيم وودعناها وانصرفنا تتطاير من داخلنا ومن حولنا طيور أخاذة ترفرف في سعادة وحبور كأنها توحي إلينا أن في الحياة أشياء كثيرة يسعدنا تقديمها.

وفي الطريق دعونا لها وتمنينا أن تعود إلينا كما كانت ... دعوة خرجت من أعماق قلوبنا...

وبعد أيام طلعت علينا في شرفة الكلية الواسعة فتاة تتقافز بعباءتها ... وتبرق من خلف نقابها عيون جميلة جذابة ... لم تكن عيون الأخت «هدى» كما توقعنا! ... بل كانت عيون «رولا» الرائعة. ■

من هدي كتاب الله

قال تعالى :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمّةٌ هي أربى من أمّةٍ إنما يبلوكم الله به وليُبيِّننّ لكم يوم القيامه ما كنتم فيه تختلفون ﴾

النحل : ٩٠ ـ ٩٢

من هدي رسول الله ﷺ

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« يا عبدالله لا تكن مثل فلان: كان يقوم الليل فترك قيام الليل »

متفق عليه

مكارم الأخلاق

قال الحسين بن مطير :

أحب مكارم الأخلاق جهدي
وأكره أن أعيب وأن أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلماً
وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه
ومن حقر الرجال فلن يُهابا

صفات الجاهل

سُئل محمد بن منصور الطوسي عن الجاهل فقال:

إنه يعرف بست خصال، الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعظة في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، وعدم تمييز الصديق من العدو.

نعم الله فينا

جاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو له ضيقاً فقال له يونس :

أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مئة ألف.

قال : لا.

فقال : فؤادك الذي تعقل به يسرك به مئة ألف؟.

قال : لا.

وجعل يونس يذكر نعم الله تعالى ثم قال للرجل :

أيكون معك مئات الألوف وتشكو الحاجة.

حديقة



إعداد :
حمد عبدالجبار

من ثمار الحكمة

روي أن الحجاج سأل يوماً الغضبان بن القبعثري عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها أنه قال له :

من أكرم الناس ؟

قال : أفقههم في الدين وأصدقهم لليمين، وأبذلهم للمسلمين، وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين.

قال: فمن آلأم الناس ؟

قال : المعطي على الهوان، المقتر على الإخوان، الكثير الألوان.

قال : فمن شر الناس ؟

قال : أطولهم جفوة، وأدومهم صبوة، وأكثرهم خلوة، وأشدهم قسوة.

قال : فمن أشجع الناس؟

قال : أضربهم بالسيف، وأقراهم للضيف، وأتركهم للحيف.

قال : فمن أجبن الناس ؟

قال : المتأخر عن الصفوف، والمنقبض عن الزحوف، المرتعش عن الوقوف، والكاره ظلال السيوف.

قال فمن أثقل الناس ؟

قال : الضنين بالسلام، المهذار في الكلام، المقبقب على الطعام.

قال : فمن خير الناس ؟

قال : أكثرهم إحساناً، وأقومهم ميزاناً، وأدومهم غفراناً، وأوسعهم ميداناً.

إياكم والمزاح

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه : امتنعوا عن المزاح تسلم لكم الأعراض.

وقال أحد الحكماء حول هذا المعنى: المزاح يذهب ببهاء العز.

وكان سعيد بن العاص يقول: لا تمازحن الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجترئ عليك.

أصوات وأسماء

للأصوات أسماء في لغتنا العربية فيطلق على :

صوت المحتضر : حشرجة.

صوت النائم : غطيط، وعلى صوت الرياح: حفيف، وعلى صوت الرعد: هزيم، وعلى صوت الدجاجة: نقنقة، وعلى صوت العصفور: شقشقة، وعلى صوت العندليب: عندلة، وعلى صوت الأفعى: فحيح، وعلى صوت النحل: طنين، وعلى صوت النمل: دبيب، وعلى صوت الصقر: قعقعة، وعلى صوت النسر: صفير، وعلى صوت الغزال: سليل.

لغويات

يقول بعضهم في مناسبات الأعياد والتهنئة: مبروك بدلاً من مبارك، وهذا الاستعمال غير مقبول كما يقول علماء اللغة، والصواب: أن يُقال : مبارك، وهم اسم من تبارك مأخوذ من البركة وهي النماء والزيادة.

الإمام الغزالي وعذاب القبر

قيل للإمام أبي حامد الغزالي: نحن نسمع عن عذاب يكون في القبر، وإنا لنفتح القبر أحياناً فلا نجد فيه من شؤون العذاب شيئاً، فلا نرى ناراً ولا حيات ولا عقارب، فأطرق الإمام قليلاً ثم قال: هل رأيت النائم وهو يتلوى في فراشه من رؤيا وأحلام في المنام؟... فقد يرى أن قاتلاً يطلبه، أو حية تركبه، أو ناراً تلسعة، فتنظر حول النائم فلا ترى من ذلك شيئاً، ولكن النائم يتصبب عرقاً فكيف ذلك؟ إن النوم مثلٌ أصغر لما يحدث في النوم الأكبر في القبر، فالألم يقع لمن يستحق ولو لم نره بأبصارنا هذه.

قالوا

الشكر محتاج إلى القبول، والحسب محتاج إلى الأدب، والقرابة محتاجة إلى المودة، والمعرفة محتاجة إلى التجارب، والشرف محتاج إلى التواضع، والنجدة محتاجة إلى الجد.



رئيس جامعة الأزهر يدعو إلى إقامة سوق إسلامية مشتركة

دعا الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الدول العربية والإسلامية مشتركة لمواجهة التكتلات العالمية، مشيراً إلى أن القرن المقبل لن يكون فيه مكان للضعفاء.

جاء ذلك في الندوة التي عقدها مركز الاقتصاد الإسلامي في جامعة الأزهر يوم ١٤/١٠/١٩٩٨م، بعنوان «آداب وأحكام التجارة في الإسلام»، وقال إن الإسلام دين القوة ولا يرضى لأتباعه أن يكونوا ضعفاء في آخر الأمم.

وطالب بالربط بين الاقتصاد المعاصر والأسس الإسلامية التي تقوم على الوضوح والصراحة والأمانة في المعاملات وترفض الغش وتمنع الاحتكار.

وأشار إلى أن ربط الاقتصاد بالعقيدة الإسلامية يؤدي إلى زيادة الإنتاج والتعاون بين الدول الإسلامية، موضحاً أن هذا من شأنه أن يحقق الرخاء والتقدم للشعوب الإسلامية وبذا تسود روح التضامن في المجتمع الإسلامي.

وأكد أن تقاعس الدول الإسلامية عن إنشاء السوق المشتركة سيطيل فترة تبعيتها ودورانها في فلك الغرب.

وأوضح أن العولمة لن ترحم أحداً، مؤكداً أن عجلة العولمة ستدهس المسلمين وتجعلهم يعيشون على هامش الحياة، إذا لم يقم بينهم أي شكل من أشكال الوحدة الاقتصادية.

وطالب العالم الإسلامي بالاقتداء بالدول الأوروبية التي كافحت لإقامة السوق الأوروبية المشتركة وأصبحت اليوم تجني ثمار هذا التعاون والتوحد.

أكثر الدول فساداً في أفريقيا

أظهر مسح شمل ٨٥ دولة قامت به منظمة دولية تراقب الفساد أن كينيا وتنزانيا وأوغندا أكثر الدول فساداً فيما حلت تنزانيا ونيجيريا في المرتبة الرابعة في اللائحة، واشتركت كينيا وفيتنام في المرتبة الحادية عشرة، وجاءت أوغندا في المرتبة الثالثة عشرة في اللائحة التي أعدتها منظمة الشفافية الدولية.

وتتحدث حكومات الدول الثلاث عن معركة ضد الفساد ولكن محللين يقولون إن ما حققته، يكاد لا يذكر، وقال روبرت شو المدير في معهد الشؤون الاقتصادية في نيروبي: «تشهد في كينيا وتنزانيا اعترافاً بأن هذا الفساد، أكبر عنصر في التخلف الاقتصادي»، ورأى شو أن أوغندا حال منفصلة إذ إن الفساد هناك يستشري بين العسكر، وأضاف أن الفساد مستأصل بصفة خاصة في تنزانيا وكينيا.

وقال محللون إن الفساد يشكل حملاً ثقيلاً على مجتمعات تعاني أصلاً من الفقر، حيث يراوح متوسط الدخل السنوي للفرد بين ٢٠٠ دولار «في تنزانيا» و ٣٠٠ دولار «في كينيا».

وعندما اختفى من ميزانية كينيا في التسعينات مبلغ مئة مليون دولار مخصص لشركة «غولدنبرغ انترناشيول للذهب والألماس» بموجب اتفاق لتعويض صادرات، أدرك الجميع أن الفساد استشرى في المستويات العليا.

وفي العام ١٩٩٧م، أعلن مانحون أنهم سئموا الفساد في كينيا، ما حدا بصندوق النقد الدولي إلى تعليق مساعداته لكينيا، فسقط اقتصادها في هوة الكساد.

وميز المانحون بين تنزانيا وأوغندا رغم فضائح فساد على مستويات عليا في الدولتين، وهاجموا بشدة منح عقد مشروع للطاقة الكهربائية في تنزانيا إلى شركة ماليزية وقالوا: إنه غير اقتصادي.

وفي أوغندا، أوقف البرلمان عملية التخصيص، بسبب تقرير قال: إن البرنامج موبوء بالفساد، كما حامت شبهات حول عقود مشتريات عسكرية سرية.

١٥ دولة أوروبية تستعد لتخصيص يوم عن الإسلام

أقرت مفوضية بروكسيل اقتراحاً للبرلمان الأوروبي بتخصيص يوم تذكاري للإسلام في الدول الخمس عشرة الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، ولم يحدد بعد موعد لهذه المناسبة، لكن من المنتظر أن يترافق ذلك مع الذكرى المئوية الثامنة لرحيل الطبيب والفيلسوف العربي ابن رشد، المفكر الذي حاول مد جسور معرفية بين فلسفة أرسطو وبين تعاليم الإسلام.

وكان النائب الإسباني العربي الأصل عبدالقادر محمد علي قد تقدم إلى البرلمان الأوروبي بهذه الفكرة، بهدف إتاحة الفرصة أمام المعنيين بدراسة قضايا عدة معلقة تهم الجالية المسلمة في أوروبا، من ذلك الإقرار بالثقافات المختلفة لهذه الجالية، ومساعدة أبنائها على تعلم لغتهم الأم، وتأمين أماكن العبادة اللائقة وتأهيل أئمة لها، وإنشاء مدافن خاصة بأبناء الجالية الإسلامية.

يذكر أن الهجرات المتعاقبة قد ضاعفت من أعداد المسلمين المقيمين في الدول الأوروبية خلال السنوات العشر الماضية، وتأتي فرنسا على رأس الدول المضيفة، إذ يبلغ عدد المسلمين فيها نحو الخمسة ملايين نسمة، جلّهم من أبناء شمال أفريقيا.

١,٤ مليون كيني يحملون فيروس الإيدز

نقلت صحيفة «ستاندرد» الكينية عن إحصاءات بيانية لوزارة الصحة أن عدد حاملي فيروس الإيدز في كينيا بلغ ١,٤ مليون شخص في نهاية العام ١٩٩٧م، وأفادت الإحصاءات نفسها أن بين هذا العدد أكثر من ٢٠٠ ألف شخص مصابين بالمرض فعلاً، وأوضحت الصحيفة أن نحو ٩٠ ألفاً ممن يحملون الفيروس هم من الأطفال، مضيفة أن الأغلبية الكبرى من الأشخاص المصابين يجهلون ذلك، وفي ١٩٩٣م، جرى إحصاء لـ ٧٥٥ ألف شخص يحملون فيروس الإيدز كان بينهم نحو ٣٠ ألف عامل.

سكان أثيوبيا ستون مليوناً

أظهرت الإحصاءات الصادرة عن مكتب الإحصاء في أديس أبابا أن تعداد سكان أثيوبيا قد وصل إلى ستين مليون نسمة بنسبة زيادة تبلغ ٢ في المئة.

وأشارت الإحصاءات إلى أن هذه الزيادة ظهرت بعد استكمال عملية حصر السكان في إقليمي عفر وأوغادين اللذين لم تجر فيهما عملية التعداد في الفترة السابقة لانعدام الأمن فيهما بسبب وجود المعارضة المسلحة في الإقليمين.

تحذير من ارتفاع منسوب البحار

حذر تقرير أعده فريق علمي مشترك من الولايات المتحدة وهولندا وبريطانيا من أن ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية في القرن المقبل، ما سيؤدي إلى ارتفاع منسوب المياه في البحر مما يهدد ملايين عدة في أنحاء متفرقة من العالم. وذكر التقرير أن مئة العام المقبلة ستشهد سخونة كافية لإغراق مناطق عدة مزدحمة بالسكان وبخاصة مع الذوبان التدريجي للكتل الثلجية في منطقة القطب الشمالي.

الصحفي الألماني فولفجانغ في بون: الإسلام لا يشكل خطراً على أوروبا

أكد الصحفي الألماني فولفجانغ غونزليرتر المتخصص في قضايا العالم الإسلامي والشرق الأوسط أن الإسلام لا يشكل خطراً على أوروبا، إذا ما نهض المسلمون، مشيراً إلى أن أوروبا شهدت ازدهاراً كاملاً وتقدماً حضارياً هائلاً من العلوم الإسلامية.

وقال ليرتر الذي كان يتحدث في محاضرة لمجلس الشورى الإسلامي في مدينة بون، أن معركة بلاط الشهداء التي انتصر فيها كارل مارتيل على الجيش الإسلامي، أعادت الأوروبيين إلى عهود مظلمة امتدت أكثر من أربعمئة عام قبل أن تنهض وتستفيد من المسلمين، وما قدموه من العلوم في كل فن.

أضاف أن الشريعة الإسلامية فيها عطف على كل البشر، وأن الإسلام لا يشكل أي خطر على الأمن الأوروبي، ودعا الحكومات الأوروبية إلى العمل بجدية على تفهم الفكر الإسلامي ونشر الدعوة الإسلامية في أوروبا.

ثلث الموارد الطبيعية دمرها البشر في ربع قرن



جاء في تقرير نشر في لندن أن الإنسان دمر أكثر من ٣٠ في المئة من الموارد الطبيعية لكوكب الأرض منذ العام ١٩٧٠م.

ونشر الصندوق العالمي للطبيعة تقريراً بعنوان «دليل كوكب الأرض» يحلل التدهور الذي لحق بالغابات والمياه والحياة البحرية على كوكب الأرض في الفترة ما بين عامي ١٩٧٠م و ١٩٩٥م، وجاء في التقرير أن التدهور حدث بنسبة ٣٠ في المئة، وهو ما يعني أن الأرض فقدت نحو ثلث ثرواتها الطبيعية خلال ٢٥ عاماً.

وجاء في التقرير أن الاستهلاك العالمي للبيئة تضاعف خلال الربع الأخير من القرن وأنه أخذ في الزيادة.

ويشكل الإنسان ضغوطاً على البيئة الطبيعية من خلال إنتاج واستهلاك موارد مثل القمح والأسماك والغابات والمياه ونشر ملوثات مثل غاز ثاني أكسيد الكربون.

ثمرات الفكر



إعداد: محمد هاني

المخيم التربوي واستخدامه في الدعوة

عن دراسة المجتمع للنشر والتوزيع في جدة بالمملكة العربية السعودية، صدر كتاب «المخيم التربوي واستخدامه في الدعوة إلى الله تعالى» (دراسة تأصيلية)، للأستاذ إبراهيم عبدالرحيم إبراهيم عابد، وهذا الكتاب عبارة عن دراسة تهدف إلى تأصيل أنشطة المخيم التربوي وآدابه من خلال دراسة مخيمات الجهاد في عهد رسول الله - ﷺ - وما بعده ومناقشة حكم التمثيل والأناشيد الإسلامية بوصفهما نشاطين من أنشطة المخيم التربوي، والتعرف على استثمار الدعوات العالمية المختلفة للمجتمعات التربوية وقد اتبع المؤلف في منهج البحث أسلوب جمع المادة العلمية، من الكتاب والسنة والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، والكتابات حول المخيمات التربوية والدوريات والمعايشة الشخصية ، ثم قام بتحليلها للتعرف على خصائص المخيم التربوي كوسيلة دعوية واستنباط حكم المخيمات وأنشطتها من خلال النصوص الشرعية واستخلاص معايير محددة لتقديم المخيمات التربوية.

مناسك الحجيج والأخطاء والأوهام والبدع

في نحو ١٨٢ صفحة من القطع المتوسط، صدر عن شركة ٩٩٩ للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع، كتاب «مناسك الحجيج والأخطاء والأوهام والبدع»، لمؤلفه الأستاذ محمد ياسر القضماني، والكتاب قسمان، القسم الأول سلك فيه المؤلف مسلك السابقين من المؤلفين بين نية فريضة الحج، وشروطه، وأنواعه ومراحله ومحظوراته، وتناول أحكامها حسب ترتيبها في الأداء بدءاً من الإحرام إلى الطواف والسعي والنزول من منى... إلخ.

وقد عرض الكاتب هذا القسم بأمانة وتوثيق في المذاهب الفقهية الأربعة المعتبرة باختصار واضح مكتفياً بالترجيح أحياناً وأجاد الكاتب في هذا القسم وأعطاه حقه من حسن العرض واستيعاب الأحكام، وأما القسم الثاني من الكتاب فهو خاص بأعمال الحجيج «أفعالهم وفعائلهم» وتصرفاتهم ما حسن منها وما ساء، وهنا يظهر فضل الكتاب وميزته، إذ هو يمشي مع الحاج خطوة خطوة، فيحسّن له ما يفعله من المشروع وينبهه إلى ما يقع منه من مخالفة وهذا القسم بالذات يعد دراسة ميدانية عملية ينشد من خلالها الكاتب الكمال ويرشد إليه ويبغض النقص وينفر منه، ويحذر من انخرام العبادة وفسادها بسببه، ويسعى بكل جهده لتؤدى الشعائر كاملة متأسية بمناسك الرسول - ﷺ - الذي قال: «خذوا عني مناسككم»، وبذلك ننال الجزاء الأوفى الموعود بقوله عليه الصلاة والسلام: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

منهج التربية للطفل

في مجلدين أنيقين وطباعة فاخرة، صدرت الطبعة الثالثة من كتاب: «منهج التربية النبوية للطفل» ١٩٩٨م، للأستاذ محمد نور سويد، وقد أطلق المؤلف على هذه الطبعة اسم الإصدار الموسوعي، تمييزاً عن الطبعتين السابقتين اللتين سماهما الإصدار التمهيدي، وهذه الطبعة الجديدة تمتاز بأن فيها زيادات ومستجدات أضافهما المؤلف إلى بحثه، كي يستفيد منها من يريد التوسع من الباحثين والأساتذة والمربين ممن يطلبون المزيد من الأفكار التربوية، والزيادات في هذا الإصدار الموسوعي، أعادت هندسة الكتاب إلى فكرتين أساسيتين: الأولى: التهيئة والإعداد للزوجين، والثانية تكوين وبناء شخصية الطفل، فالأولى تمثل مرحلة التصميم لرفد الوالدين بالأفكار، وتهيئتهما، والثانية: تمثل مرحلة التنفيذ في عكس الأفكار على الواقع العملي، وبناء على ذلك جرت في الكتاب عملية تقديم وتأخير حسب تلك الفكرتين الأساسيتين، وأما الزيادات الرئيسية، فهي شرح رواية أوصاف الرسول - ﷺ - بتوسع وذلك بهدف تعريف المسلم الكبير والصغير بتلك الأوصاف الشريفة، وحتى تقترب شخصية الرسول - ﷺ - من النفوس أكثر فأكثر، كما تم إضافة باب أخبار طفولة الرسول - ﷺ - من الحمل إلى الولادة لما فيها من عبر وعظات، وأضيفت أيضاً في ملاحق الكتاب أقوال مفكرين غير مسلمين وإعجابهم بالتربية الإسلامية وأقوال الكبار ممن أسلموا وأقوال الأطفال من غير المسلمين في أطفال المسلمين، وتقرير المديرة العامة لليونسيف عن معاناة الطفل وحال الطفولة في الغرب وأمريكا.

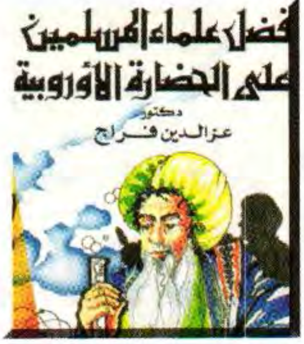
صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية ـ التركية

عن مركز دراسات الوحدة العربية صدر كتاب «صناعة القرار» في تركيا والعلاقات العربية - التركية، للدكتور جلال عبدالله معوض، وهذا الكتاب الذي يقع في نحو ٣٥٠ صحفة يتناول تحليل عملية صنع القرار في تركيا، من خلال بحث إطارها القانوني والدستوري من ناحية، وإطارها الفعلي - الديناميكي بما يشمله من عناصر القيادة والنخبة السياسية والقوى المؤثرة من ناحية أخرى، فضلاً عن تحليل العلاقات العربية - التركية، وعناصر الاستمرار والتغير والتناقض فيها، ويبحث الكتاب أيضاً في تأثير مشكلة البيئة الداخلية والخارجية لتركيا في عملية صنع القرار فيها، وفي علاقاتها مع المنطقة العربية، ودول الجوار الإقليمي وتأثير التغيرات الإقليمية والدولية، ويتألف الكتاب من مقدمة وسبعة فصول وخاتمة، وهو مقسّم إلى قسمين رئيسيين هما: الإطار العام لتحليل عملية صنع القرار في تركيا، ومشكلات البيئة الداخلية، والخارجية لعملية صنع القرار في تركيا والعلاقات التركية - العربية.

الإسلام والبيئة

صدر كتاب الاسلام والبيئة للمؤلف : د. السيد الجميلي، يتحدث عن التلوث وهو مشكلة العصر الكبرى الجديرة بالتقويم والدراسة والمتابعة والإسلام كان منذ البداية قد وضع الضوابط وحذر من هذا منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، ثم إن السنة النبوية اعتنت بالإنسان وصحته وحياته البدنية والنفسية إلى جانب العناية بالصحة الروحية له، هذا ما يتناوله المؤلف بالإضافة إلى تناوله لأسباب التلوث وصوره المختلفة وإيضاح مدى أهمية الطب الوقائي ومدى إسهامه في دفع غائلة الأمراض قبل وقوعها.

فضـل علمـاء المسلمـين على الحضـارة الأوروبيــة

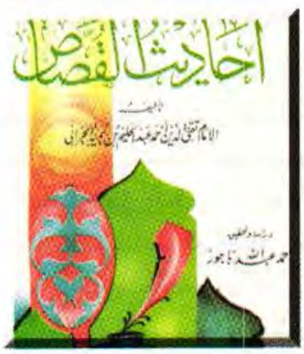


المؤلف : دكتور عزالدين فرج

دار النشر: دار الفكر العربي

المضمون : جاءت أمة الإسلام فكانت أول أمة جمعت بين قوة الإيمان وحب العلم فنشرت عقيدة وأقامت حضارة أضاءت بها الدنيا في وقت كان فيه العالم في ظلام وبؤس وحروب طاحنة، وفي البيئة الإسلامية الصالحة انطلق العلماء في البحث العلمي فنشأت بذلك نهضة علمية في كل فروع العلم والمعرفة وهذا الكتاب يقدم صورة عامة لفضل الحضارة الإسلامية على الإنسانية كلها وعلى الحضارة الأوروبية.

أحاديث القصاص



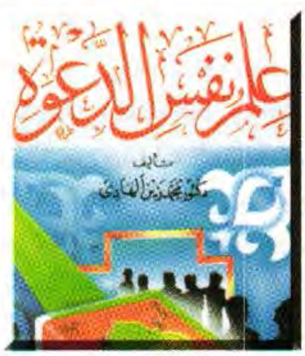
المؤلف : الإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية

تحقيق : أحمد عبدالله باجور

دار النشر: الدار المصرية اللبنانية

المضمون: قال رسول الله - ﷺ : «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، من هنا كان اهتمام ابن تيمية بتجلية الحقيقة فيما يفتريه القصاص وينسبونه إلى رسول الله - ﷺ - حتى يقف الناس على كذبهم واختلافاتهم فكان هذا الكتاب القيم الذي جمع فيه سبعة وسبعين حديثاً من أحاديث القصاص ليحذر الناس من سلوكهم وطريقهم وقام المحقق بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها.

علم نفس الدعوة

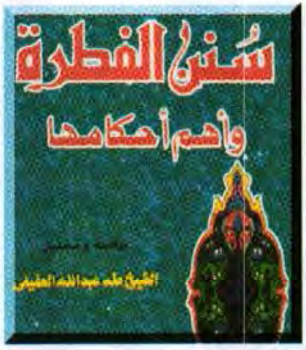


المؤلف : د. محمد زين الهادي

دار النشر : الدار المصرية اللبنانية

المضمون : يبين كيف أن نصوص الإسلام المتمثلة في القرآن والسنة من السعة والتنوع والسهولة بحيث تتيح لكل متخصص أو متبحر في علم أو فنّ بعينه يستطيع أن يكشف الكثير من خفايا هذا الفنّ المتخصص فيه ويعالج هذا الكتاب موضوعاً من أعقد الموضوعات العلمية وهو موضوع النفس البشرية ويعالجه من زاويتين قديمة وتتمثل في علم النفس العام، وجديدة تتمثل في علاقة هذا العلم بالدعوة الإسلامية.

سنن الفطرة وأهم أحكامها



المؤلف : الشيخ طه عبدالله العفيفي

دار النشر : دار الرشاد

المضمون : سنن الفطرة متعددة فقد حددت في حديث لرسول الله - ﷺ - بخمس وفي حديث آخر بعشر، وهذا الكتاب قد استوعبها جميعاً مبيناً أحكامها وآراء العلماء فيها فقد حصرها في: الاستحداد «حلق العانة» - ختان الذكور والإناث - قص الشارب - نتف الإبط - تقليم الأظافر - إعفاء اللحية - السواك - المضمضة والاستنشاق - غسل البراجم «عقد الأصابع ومفاصلها» - الاستنجاء - شعر الرأس وما يتعلق به من أحكام فقهية مهمة.

أخبار ثقافية

- تنظم اللجنة العليا للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية مؤتمراً علمياً عالمياً تحت عنوان: «المملكة العربية السعودية في مئة عام». وسيتم خلال هذا المؤتمر الذي تبدأ أعماله في السابع والعشرين من يناير المقبل، والذي سيستمر لمدة أربعة أيام، مناقشة الكثير من البحوث العلمية المقدمة من عدد من الباحثين والمفكرين والعلماء والأدباء من مختلف دول العالم.

- يخطط المتحف البريطاني لإصدار كتب تربوية تحتوي على رسومات إسلامية متعلقة بعلم الرياضيات والتي ستكون مخصصة لمناهج المرحلة الابتدائية.

- قرر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية طبع ٢٠٠ ألف نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الفرنسية والألمانية والإنكليزية وتوزيعها على الدول الناطقة بها بهدف توصيل مفهوم القرآن الصحيح لشعوب هذه الدول والأقليات، وتوضيح صورة الإسلام من خلال هذه الترجمات.

- تستضيف سلطنة عُمان خلال الفترة ما بين ٥ - ٦ ديسمبر المقبل منتدى عُمان الاقتصادي الدولي الثاني، وينعقد المنتدى هذا العام تحت عنوان: «التحديات السياسية والاقتصادية في القرن الحادي والعشرين».

- تم في أميركا أخيراً الإعلان عن تأسيس جامعة «ويسترن جافرنرر» على شبكة الإنترنت التي يحضر الطلاب دروسها بضغط الفارة الكومبيوترية فقط، وهذه الجامعة تتعاون ضمنها ٢٥ كلية وجامعة في ١٧ ولاية، إضافة إلى بوام، كما يتعاون معها الكثير من شركات الأعمال، ويستطيع الطلاب من جميع أنحاء العالم الالتحاق باختصاصات الدراسة فيها للحصول على شهادات باجتياز الصفوف من كلياتها أو الحصول على الشهادة من الجامعة.

مشكلة العام ٢٠٠٠م في الكومبيوتر تهدد الخدمات الصحية الأميركية

إعداد: تمام أحمد

يتوقع الخبراء أن تصاب الخدمات الصحية بهزة عنيفة بسبب «علة القرن» وهي مشكلة عدم تعرف الكومبيوتر على العام ٢٠٠٠م، حيث سيشمل الأضرار كل المعدات الطبية مثل الأجهزة التي تنظم الضربات القلبية للمرضى، وكذلك الأجهزة التي تراقب المرضى في ردهات العناية المركزة، إضافة إلى الحاضنات التي ترعى الأطفال الخدج لحين اكتمال نموهم، ومثلها الأجهزة المتطورة التي تشرف على صحة الأشخاص الذين تستوجب حالهم المراقبة المستمرة على مدار الساعة.

إجراءات فورية

ويأمل الخبراء أن تبادر المستشفيات لاتخاذ إجراءات فورية لإصلاح البرامج العاملة في أجهزة الكومبيوتر التي تدير خدماتهم الطبية وأجهزتهم المهنية، ويعود ذلك الخلل في التصنيع إلى عدم قدرة هذه الأجهزة للعمل بصورة سليمة في القرن المقبل، فتغيير السنين يعتمد على تبديل الرقمين الأخيرين فقط، وهو أمر سيؤدي إلى الارتباك العام ٢٠٠٠، لأن هذين الرقمين سيكونان (٠٠) لتتمثل بعد ١٩٠٠، حسب التقويم المبرمج على الكومبيوتر.

ويتوقع المتخصصون أن الأمر سيضطرهم لإغلاق وحدات العناية المركزة في اليوم الأول من يناير العام ٢٠٠٠م، خوفاً من المجهول الذي لايستطيع أحد تخمينه.

ومن المؤسف أن بعض المستشفيات لم تبادر لإيجاد الحلول المناسبة لهذا الأمر، حتى الآن، وتعتبر مستشفى ايجلستون للأطفال في أتلانتا رائدة في إجراءاتها الحازمة للتصدي لعلة القرن مقارنة بمثيلاتها من المستشفيات، فالعاملون قائمون بهمة ونشاط لفحص وتدقيق كل القطع المكونة للأجهزة الطبية لتشخيص الوحدات التي تعتمد في أدائها على الرقائق الإلكترونية للكومبيوتر، كي يمكن تشخيصها ومحاولة التخلص من علتها قبل نهاية هذا القرن

وهذه المهمة الشاقة تطلبت تدقيق الأجهزة والمعدات الطبية لكل مرافق المستشفى بما فيها من وحدات العناية المركزة، والمعدات المهنية العاملة في جميع الطوابق دون استثناء، ويقول المتخصصون إن تقاعس هذا المستشفى عن تلافي المشكلة سيعني شلّ الخدمات الـ١٠ في المئة من الأجهزة الفنية والطبية في الأول من يناير العام ٢٠٠٠، ورغم أن هذه النسبة تعتبر بسيطة، لكن تأثيرها على الخدمات الطبية سيكون هائلاً.

فوضى طبية

سيشهد الكثير من المعدات والخدمات الجانبية إخفاقات من نوع آخر، فالطفل المولود في منتصف ليلة الأول من يناير العام ٢٠٠٠م، سيتم تسجيله وكأنه مولود في العام ١٩٠٠م، حسب القراءات التي ستظهرها أجهزة الكومبيوتر في حينه، وعلى أثرها سيكون علاج هذا الطفل وكأنه شيخ عمره مئة عام.

وهناك حلول يستوجب مراعاتها من قبل إدارات المستشفيات، وذلك بالاستعانة بشركات الكومبيوتر في بادئ الأمر رغم أن ذلك ليس من الأمور اليسيرة، فلقد تمت الكتابة لآلاف الشركات المتخصصة لإعادة تزويد المستشفيات بالمعدات الطبية لتلافي المحاذير المحتملة في بداية القرن المقبل، لكن الاستجابات لهذا الأمر كانت مخيبة للآمال، رغم تعامل هذه الشركات بملايين الدولارات سابقاً مع تلك المستشفيات، لكن التعاون تغير بعض الشيء وأظهرت الشركات استجابات لهذه الدعوات أخيراً نتيجة لضغط المسؤولين الحكوميين وتدخلاتهم الشخصية، حيث أظهر قسم منها اهتماماً حقيقياً بالأمر وبادرت بإجراءات جديدة لتنسيق الجهود والتوصل لحلول مقبولة في المستقبل.

فالإجراءات المتخذة لعلاج علة العام ٢٠٠٠، تعتبر متخلفة في المجالات الطبية الأمر الذي يستوجب الإسراع في الإجراءات الفنية قبل حلول بداية العام ٢٠٠٠، فهذا التاريخ هو الحد الفاصل الذي لا يمكن تمديده أو تجاوزه عند التفكير في الخلاص من المحنة المقبلة. ■



يحمل رسائل من سكان الأرض إلى الحضارات البشرية المقبلة

قمر صناعي فرنسي يعود إلى الأرض بعد ٥٠٠ قرن



يشرف جان مارك فيليب الباحث الفرنسي في الجيوفيزياء الذي تحولت اهتماماته نحو الفضاء، إلى بناء قمر صناعي صغير جداً يرسل نحو الفضاء ويظل هناك لفترة تمتد إلى ٥٠ ألف عام، ويحمل القمر كل ملامح الحضارة البشرية على الأرض على مدى الـ ٥٠ ألف عام الماضية وذلك بهدف تعريف الحضارات البشرية المقبلة على تاريخ الأجيال التي سبقتها.

رحلة عجيبة

يعرض الموقع الإلكتروني www. keo. org على شبكة الإنترنت أفكار هذا المخطط الفضائي العجيب، ويطلق على القمر الصناعي الصغير اسم «كيو» وسيطلق العام ٢٠٠١م، ويعود إليها بعد ٥٠٠ قرن، وسيحمل صوراً ومعلومات ورسائل بالملايين من القرن العشرين. وقد اختيرت هذه الفترة الكبيرة لتثبيت تاريخ أولى الإشارات والبصمات التي وضعتها البشرية على سطح الأرض، خصوصاً فنون الإنسان الأول.

وقد أقنع فيليب أفضل المراكز الفرنسية في العلوم والصناعة بدعم مشروعه، ولذلك تعمل سبع شركات فيه، حيث تقدم المواد اللازمة لبناء القمر الصناعي مجاناً إضافة إلى خبراتها، وقد أعلنت مجموعة «آيروسباتيال» أنها ستدعم برنامج بناء القمر الذي يستطيع الاستمرار في عمله لفترة طويلة جداً، من مواد التيتانيوم والتنجستين والزجاج وتجهيزه بأجنحة كبيرة.

أجنحة ذكية

وتصنع الأجنحة من المواد التي تتذكر أشكالها أي المواد الذكية التي تغير خصائصها للعودة إلى شكلها مع عودة الظروف الخاصة بها، ويتغير الشكل بتغير درجة الحرارة مع تعرض القمر لضياء الشمس أو انحساره عنه.

كما أعلن مركز الدراسات الفضائية الخاصة الفرنسي عن دعمه للمشروع بتأمين عملية إطلاق القمر الصناعي مجاناً ووضعه في مدار يعلو عن الأرض ١٥٠٠ كيلو متر، يقل ارتفاعه مع الزمن ليعود إلى الأرض مجدداً بعد نهاية الفترة الموعودة. أما لجنة الطاقة الذرية الفرنسية فإن باحثيها يسهمون في الأبحاث الخاصة بدراسة قابلية القمر على البقاء والديمومة لفترة طويلة، فيما أعلنت شركة الخطوط الجوية الفرنسية عن عزمها على المساعدة في المشروع.

زمن فضائي

ويقول فيليب إن قمر «كيو» أفضل من العبوات التي يحاول بعض العلماء دفنها بعد خزن المعلومات عن الحضارة البشرية على أمل العثور عليها لاحقاً من قبل أجيال الحضارات البشرية اللاحقة، فالقمر الصناعي سيكون مستقلاً ويدور بشكل ذاتي من دون أي تدخل أو تحكم خارجي، كما أن المعلومات التي توضع على متنه ستكون عالمية ولن تخضع لأي دولة من دول العالم. لكن المخاوف الحقيقية تتمثل في احتمال تعرض القمر للشظايا الفضائية المتناثرة التي تتزايد مخاطرها مع امتلاء الفضاء بالأقمار الصناعية الجديدة. وحسب التقديرات الحديثة، فإن ملء الفضاء بالأقمار بالمعدلات الحالية سيؤدي إلى احتمال اصطدام الشظايا الفضائية بالقمر «كيو» بحلول العام ٢٠٥٢م، لكن الاحتمال قد يقع في وقت أقرب من العام ٢٠١٠ .

نماذج أرضية

وسيحمل «كيو» نماذج من هواء الأرض ومياه البحار وعينات من التربة ومن الحامض النووي للإنسان، كما سيحمل أقراصاً مدمجة تحمل كل المعلومات عن الأرض، أو ما يطلق عليه الباحث الفرنسي «مكتبة الاسكندرية».

وتوضب المعلومات وتصنف على أمل إتمامها العام المقبل، ولأن الحضارات البشرية المقبلة لن تكون على علم بالأقراص المدمجة، فإن معلومات إضافية توضع حول طريقة صنع أجهزة لعرض الأقراص والتعرف على محتوياتها.

وتحتوي الأقراص على رسائل يتسلمها الباحث الفرنسي من سكان الدول المتقدمة صناعياً، عبر الإنترنت، ومن دول العالم النامي بالبريد وذلك بالتعاون مع منظمة اليونسكو، ويؤكد فيليب أن كل الرسائل ستتمتع بالأهمية نفسها، سواء أكانت من أديب أم عالم حائز جائزة نوبل، أو من طفل من أفقر بقاع العالم، وقد أرسل فيليب قبل عقد من الزمان ١٠ آلاف رسالة نحو الفضاء، قد تستفيد منها العوالم الأخرى، إن وجدت، إلا أنه يرسل الآن الملايين من الرسائل لفائدة سكان الأرض بعد ٥٠ ألف عام. وهو يعلن عن رغبته العميقة في إرسال رسالة بشرية واحدة تؤكد أن كل الأجناس على الأرض ليست سوى وحدة متكاملة تؤسس الأمل الحقيقي في انطلاقة بشرية جديدة. ■

عن الشرق الأوسط

ترجمات

أوضـاع المسلمـين في الصحافـة الغربيـة

المسلمون في أميركا

نشرت صحيفة «لوس أنجليس تايمز» مقالاً تناولت فيه التنظيمات الإسلامية في أميركا ودورها في المجتمع الأميركي من أجل مد جسور العلاقات مع المنظمات العرقية الأخرى وكسبها إلى جانبها في معركة الحقوق التي تخوضها، وفيما يلي نقدم ترجمة للمقال:

في الأسابيع التي تلت تفجير السفارتين في تنزانيا ودار السلام، شنت المنظمات الإسلامية في الولايات المتحدة حملة علاقات عامة كبرى لإحباط الانطباع العام بأن الإسلام مرادف للإرهاب.

وجود مهم للمنظمات الإسلامية

وبعد أن قامت هذه المنظمات بإرسال بيانات ورسائل عاجلة بالفاكس إلى البيت الأبيض، ووسائل الإعلام، وبعد أن ألقى رجالها محاضرات، وعقدوا مؤتمرات صحافية واجتماعات احتجاجية، ونبهوا أفراد الجالية الإسلامية إلى كيفية حماية أنفسهم في حال تعرضهم للعنف، أصبح لهذه المنظمات وجود مهم في الحوار الوطني الأميركي الذي كان المسلمون غائبين عنه إلى حد كبير حتى الآن، لكن بمقدورهم اليوم القول: إنهم حققوا تقدماً ثابتاً إلا أنه بطيء.

فبعد تفجير المبنى الفيدرالي في مدينة «أوكلاهوما» العام ١٩٩٥م، سجلت إحدى المجموعات الإسلامية ٢٢٠ حادث عنف ومضايقة ضد المسلمين الأميركيين، لأن الكثير من وسائل الإعلام في البداية أنحت باللائمة خطأ ـ بالطبع ـ على من أسمتهم بـ«الإرهابيين العرب».

غير أن الأميركيين المسلمين، لم يتعرضوا في الآونة الأخيرة إلا للقليل من أعمال العنف بالمقارنة مع السابق، رغم أن المسؤولين الأميركيين قالوا إن منظمة إرهابية يرأسها «أسامة بن لادن» المناهض للأميركيين هي التي تقف وراء تفجير السفارتين الأميركيتين.

قيـادات المنظمات الإسلامية في أميركـا ترفـض قبـول أي أمـوال من الحكومات الأجنبية

إعداد : عبدالمنعم أحمد

كما حققت المنظمات الإسلامية في أميركا نصراً رئيسياً حينما أكد الرئيس كلينتون في خطابه للأمة أن الإسلام لايقبل الإرهاب، وذلك عند تحدثه عن الضربات الانتقامية التي وجهها ضد ابن لادن.

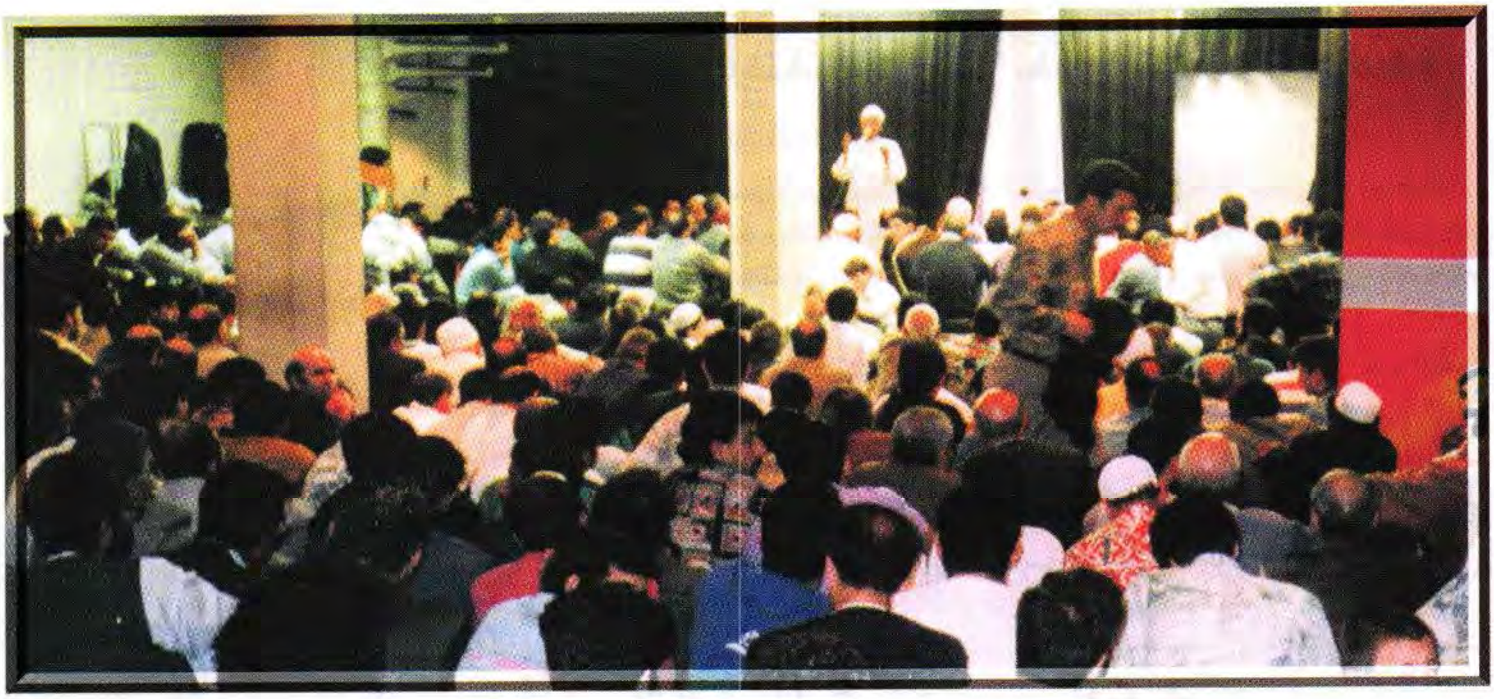
تحرك إسلامي

وفي إطار حملتهم عقد المحتجون المسلمون مؤتمراً صحافياً لمهاجمة فيلم «الحصار» الذي أنتجته شركة فوكس للقرن العشرين، لأنها أعطت فيه انطباعاً سلبياً عن الديانة الإسلامية، ومن الملاحظ أن مجلس الشؤون الإسلامية في «لوس أنجليس» ومركز العلاقات الإسلامية الأميركية في «أتاهايم» في كاليفورنيا هما أبرز نشطاء الحملة، حيث يقومون بإرسال المقالات للصحف وإصدار التقارير وتزويد الصحافة بكل شيء عن الإسلام بدءاً من آسيا الوسطى وحتى «صوت المسلمين الأميركيين» وغيابهم الخطير عن عملية سلام الشرق الأوسط، بيد أن بعض المنظمات الإسلامية تثير الجدل في بعض الدوائر الأميركية، فالنقاد يتهمونها بأنها واجهات لمجموعات شرق أوسطية مثل «حماس» و«حزب الله»، التي تعتبرها الحكومة الأميركية إرهابية.

فقد كتب « ستيفن ايمرسون » مقالاً في صحيفة «وول ستريت ـ واشنطن» قال فيه : إن مجلس الشؤون الإسلامية دافع أكثر من مرة عن « حزب الله » وغيره من الحركات الإرهابية الأخرى.

ادعـاءات غريبـة

وأضاف : « إن جماعات الحقوق المدنية الإسلامية تعمل في الحقيقة كذراع دعائية وسياسية للحركات الأصولية الإسلامية »، بيد أن « سلام مراياتي » المدير التنفيذي للمجلس الإسلامي، رد على ذلك بالقول: إن تأكيدات ايمرسون «غريبة ولا أساس لها من الصحة».



ويؤكد سلام ومنظمته ومجلس العلاقات الإسلامية أنه تم تأسيس المنظمتين بأموال التبرعات التي جاءت بشكل رئيسي من المسلمين الأميركيين، ويقول مجلس الشؤون الإسلامية إنه يرفض تحديداً قبول أي أموال من الحكومات الأجنبية، ومن الواضح أن مراياتي وحسام علوش من مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية في «أتاهيم»، هما من أبرز الشخصيات العاملة في أوساط الجالية الإسلامية، وكلا الرجلين في الثلاثينيات، وهما مهندسان سابقان يحملان الجنسية الأميركية، ويتحدثان الإنكليزية بطلاقة، ونشيطان في العلاقات الشخصية، ولو سألت مراياتي عن السبب الذي دفع الأصوليين الإسلاميين للتحرك نحو الإرهاب، لقال لك بأسلوب من تعرض لهذا السؤال أكثر من مرة: إن أولئك الذين يلجؤون للإرهاب ليسوا مسلمين أساساً، بل هم متطرفون في طريقة تفكيرهم، ولذا، إن أي شخص يشجع على الإرهاب هو إرهابي، ومن هنا ليس هناك إرهابي مسلم أو إرهابي مسيحي.

ولأن الكثيرين من الأميركيين يرون في الإسلام كلمة مرادفة للإرهاب، يحتل هذا الموضوع رأس قائمة التصورات الخاطئة التي يسعى «مراياتي» لتصحيحها، ويقول: يتهمنا الآخرون بأننا نضرب زوجاتنا، ونضطهد النساء، وأننا عرب لا أميركيون، وأننا طائفة معادية للمسيح، وأننا نؤمن بتعاليم متماثلة مع الهندوسية والبوذية متباينة مع التعاليم الغربية، وأننا ضد السامية، رغم أننا ساميون،

الأمريكيون المسلمون في يسعون سعياً حثيثاً لتصحيح التصورات الخاطئة في أذهان الأميركيين عن الإسلام

ويضيف مراياتي بابتسامة متعبة: إنها قائمة طويلة، لكن أقسى ما فيها هو أنه عليك أن تبرهن أنك طبيعي.

إعلام مضلل

والواقع أن هذه الأوصاف كانت هدف احتجاج المنظمات الإسلامية الأميركية على شركة «فوكس» السينمائية، لكن على الرغم من أن الكثير من المتحدثين الإسلاميين ذكروا أن «فوكس» اجتمعت مع أفراد الجالية الإسلامية، وأنها جعلت بعض صور مواقف الفيلم ألطف، إلا أن مطالبهم بتغيير خط عقدة الفيلم الأساسية لم تلق الاستجابة، ومن المعروف أن الفيلم يركز على مؤامرة يحيكها المسلمون للقيام بتفجير في نيويورك مما يجعل الجيش الأمريكي يعلن حال الأحكام العرفية، ويعتقل أعداداً كبيرة من المسلمين!!

إلا أن المؤتمر الصحفي الذي عقدته المنظمات الإسلامية الأميركية بعد ذلك، أكد أن المسلمين بدؤوا يدفعون قضيتهم إلى الأمام، فلو تجاوزنا دور وسائل الإعلام الكبير، لتبين لنا أن ذلك المؤتمر الحدث أثار تأييد الجاليات الأميركية الأفريقية واللاتينية، ويقول المؤيدون: إن بناء الجسور مع المنظمات العرقية والدينية والسياسية الأخرى مفيد في تكامل الجالية الإسلامية مع المجتمع الأميركي العام، ويلاحظ مراياتي أنه عندما بدأ عمله قبل عقد مضى كان يجاهد كي يحصل على رد لنداءاته، لكنه يقول الآن: لقد حققنا الكثير من التقدم اليوم غير أنه يبقى، على أي حال، خطوة على طريق طويل. ■

فتاوى

وضع المصحف الشريف في السيارة

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

هل وضع المصاحف في آخر السيارات معرضة للشمس والطوز صحيح أم خطأ ؟ وهل هذا المكان لائق لكتاب الله عز وجل ؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي :

لا مانع من وضع المصحف في السيارة في أي مكان ولو في آخرها على أن يكون في مكان طاهر، وأن يكون المصحف مصوناً عما يشعر بالإهانة مرفوعاً عن مواضع الأذى ولا يضر ذلك تعرضه للشمس أو الغبار.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.

والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عنها.

ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

كتابة آيات قرآنية على شكل رسوم

عرض على اللجنة السؤال التالي :

طي رسالتي هذه صورة من آيات كتاب الله الكريم على شكل طائر جاءني أخ لي وقال: إن هذا حرام ويجب ألا تكون هذه معلقة على حائط في مكتب، لأن اسم الله يجب ألا يكون بهذه الرسوم، ولما كنت اعتقد أن كلامه لا يمت إلى سند فقهي أو حديث شريف، جئت طالباً الجواب من لجنة الفتوى.

هل هذه الرسمة المذكور شكلها حرام، وهل وضعها في مكان ظاهر من باب التبرك والاستفتاح باسم الله حرام ؟.

وفقنا الله وإياكم وسدد على الخير خطانا.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

بعدم جواز ذلك لتنزيه الله عن أن يرمز إليه بالصورة، وتنزيه أسمائه وكلامه سبحانه وتعالى عن أن يدخل في تشكيل أجزاء الحيوانات أو غيرها.

الاستثناء بالمشيئة بعد الكلام

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

(ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا. إلا أن يشاء الله) (الكهف : ٢٣، ٢٤).

هل هذا الأمر للوجوب ؟ وإن لم يكن للوجوب ما القرينة المانعة من ذلك؟ وما أقوال المفسرين في ذلك؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

النهي في قوله (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً. إلا أن يشاء الله) ليس للتحريم ولا للكراهة وإنما هو للإرشاد، والقرينة التي تصرفه عن التحريم أو الكراهة هي فعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد ثبت عنه في أواخر أيام حياته «بعد نزول هذه الآية وهي مكية» قوله: إنه سيفعل كذا دون أن يستثني بالمشيئة، وذلك في قوله: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» رواه مسلم من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وهذا الفعل وأمثاله يدل على أن المراد بالنهي هنا الإرشاد، وعلى ذلك تدور أقوال المفسرين، وهذا ما صرح به كل من الطبري وابن كثير، بأنه للإرشاد، ويرجع للوقوف على ذلك إلى أحكام القرآن للجصاص ٢٦٢/٣، وإلى تفسير الطبري ٢٢٨/١٥، وإلى تفسير ابن كثير ٣٧٨/٤.

أخذ الأجرة على السمسرة في البيوع ؟

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

ما حكم أخذ العمولة ؟ وهي تتم كالتالي : مثال : مستثمر أراد أن يشتري كمية من الذهب وأنا أبيع له عن طريق أحد البنوك الموجودة في العالم، وآخذ العمولة بعد أن يدفع المبلغ كاملاً، أو أراد أن يبيع نفطاً أو معدناً من المعادن المتعامل بها في العالم لقاء عمولة يتفق عليها بين المكتب والعميل.

وقد حضر المستفتي إلى اللجنة وأفاد بما يلي: بأنه يقوم بدور الوسيط بين الشركات ـ التي تريد الحصول على المعادن من الذهب أو الفضة أو الفحم أو النفط ـ وبين الشركات أو الدول التي تتوافر عندها هذه المعادن، فيقوم بدور الوسيط بين الطرفين ويأخذ عمولة على هذا الدور وهي محدودة ولا شأن لي إذا تم البيع والشراء أم لا، وإنما أنا أعرّفهم على بعضهم بعضاً وبعدها آخذ عمولتي فهل يجوز لي أخذ هذه العمولة من المشتري؟

ـ أجابت اللجنة:

يجوز أخذ عمولة على مهمة الوساطة بين البائع والمشتري «السمسرة» على أن تكون معلومة ويجوز أن تكون من المشتري أو من البائع أو من كليهما حسب الاتفاق بين القائم بالعمل وبين الطرفين.

مسائل متنوعة

يُرجى موافاتنا برأي اللجنة في المسائل التالية :

١ ـ هل يجوز تحقيقاً للفائدة المستمرة توزيع المصاحف كعهدة بجانب أسرّة المرضى في أجنحة المستشفيات علماً بأنها ستكون في تناول يد كل مريض، بغض النظر عن دينه سواءاً كان مسلماً أم لا؟ مع الأخذ في الاعتبار أن أغلب المرضى من المسلمين.

٢ ـ هل يجوز توزيع المصحف المترجم «من اللغة العربية إلى اللغة الإنكليزية» على المرضى غير المسلمين ؟

٣ ـ لما كان ترتيب الأسرّة من اختصاص الممرضات فهل هناك خشية من أن تمس هذه المصاحف بأيدي ممرضات غير مسلمات؟ وهل هناك مانع من تعميم توزيع المصاحف على النحو المبين علماً بأن أغلبية الممرضات غير مسلمات؟

٤ ـ هل يشترط في مس المصحف طهارة المريض من الحدثين «الأصغر والأكبر» عند استعمال المصحف، علماً بأن ذلك قد يولد مشقة على المريض؟

٥ ـ هل يشترط في مسّ المصحف طهارة المسلم السليم الجسد من الحدثين عند حمل المصحف لنقله من مكان إلى آخر؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز توزيع المصاحف بجانب أسرّة المرضى المسلمين على أن يكون المصحف في علبة منفصلة لتحاشي مسّه من غير المسلم أو من مسلم غير متوضئ، ويجوز توزيع ترجمة معاني القرآن إن كانت الترجمة باللغة الأجنبية دون أن يكون معها نص القرآن، وكذلك يجوز إذا كان مع الترجمة نص القرآن بشرط أن تكون الترجمة وما معها من التعليقات والشروح باللغة العربية أو غيرها أكثر من النص القرآني، أما إذا كان النص القرآني وما معه من التعليقات أكثر من الترجمة، فلا يجوز لغير المسلم وغير المتوضئ من المسلمين أن يمسه، وأما المريض الذي لا يستطيع الوضوء، فإن له أن يمسّ المصحف إذا تيمم، فإن عجز عن التيمم فلا بأس أن يمسّ المصحف ولو كان غير متوضئ أو كان على غير طهارة.

هل يصح الإقراض من أموال الزكاة للمشاريع الخيرية ؟

يُرجى التكرم بتزويدنا بالرد على الأسئلة التالية :

٢ ـ إذا تبرع أحد للمهاجرين وآخر للمجاهدين فإننا نرى صرف الأموال على كل مشاريعنا بلا استثناء وندمج الأموال، فما رأيكم بهذا حيث إن الاثنين «التبرع للمجاهدين ـ التبرع للمهاجرين» متداخلان تداخلاً شديداً؟

٣ ـ هل يجوز تنفيذ مشروع من مال الصدقات أو الزكوات العامة واعتبار ذلك قرضاً حسناً لأي مشروع؟، وهل يجوز عند الحصول على تبرع مخصص أن نعتبر هذه الأموال مسددة لهذا الدين وننوي ونعتبر ونسمي هذا المشروع باسم المتبرع بعمله؟ يُرجى إبداء الرأي في ذلك؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

ـ بالنسبة للسؤال الأول: يعمل برغبة المتبرع، فإن كانت الأموال عامة للمساعدة فتجتهد اللجنة في صرفها حسب المصلحة، وإن كان المتبرع قد خصص أمواله لجهة معينة فيجب التقيد بها، ولا ينبغي إهمال هذا التخصيص إلا عند الضرورة، ويحسن من اللجنة أن تحصل على تفويض من المتبرعين لتسهيل مراعاتها المصلحة في الصرف.

ـ وبالنسبة للسؤال الثاني: إذا كانت الحاجة قائمة فعلاً إلى صرف أموال الزكاة في مصارفها الشرعية المعروفة فلا يجوز الإقراض من أموال الزكاة، أما إذا كان هناك وفر زائد عن الحاجة القائمة فلا بأس من إقراض هذه الأموال للمشاريع الخيرية بشرط التوثيق الكامل لاستعادة هذه الأموال برهن أو كفيل، أما أموال الصدقات من غير الزكاة فلا تجب فيها مراعاة ذلك، بل يجوز الإقراض منها للمشاريع الخيرية.

شراء العملات وبيعها

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

يقول سائل هناك بعض الدول تضع سعراً خاصاً لعملتها، وتحرم الزيادة عليها لظروف خاصة باقتصادها، ولكن هذه العملة لها سعر آخر يزيد كثيراً عن السعر الرسمي خاضع للأسواق الحرة.

فما حكم الشرع لمن يشتري أو يبيع العملة المذكورة بسعر السوق؟

ـ أجابت اللجنة :

إن الأصل في المعاملات الحل إذا كانت عن تراض، ولا مانع من الاتجار في العملة ضمن شروط الشرع بشرطه، ولو نهى الحاكم عنها إلا إذا تحقق ضرر عام.

وعُرض على اللجنة السؤال التالي :

ما حكم الشرع لمن يشتري إحدى العملات في حال انخفاض سعرها والاحتفاظ بها مدة من الزمن، فإذا ما ارتفع سعرها باعها بسعر أكثر من السعر الذي اشتراه بها؟

ـ أجابت اللجنة:

شراء عملة في حال انخفاض سعرها ثم بيعها عند ارتفاع سعرها لا يخرج عن عقد الصرف الجائز شرعاً، ولا يختلف الحكم بين أن يتم هذا العمل في مكتب من مكاتب الصرافة أو خارجها، وذلك لأن الأصل في مبادلات السلع والأثمان الجواز رغبة في الربح، وهذا ما جاء في آخر حديث عبادة من قوله ـ صلى الله عليه وسلم: «فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»، وهذا الجواز مقيد بشروط منه الاحتكار وهو: ألا يقصد المتعامل بهذه الطريقة إلحاق ضرر بالناس بشراء كميات كبيرة تؤدي إلى رفع الأسعار بصورة مفتعلة سواء فعل ذلك وحده أو بالتواطؤ مع غيره.

المال المنسي

أرجو التكرم بعرض موضوعي هذا على لجنة الإفتاء في وزارتكم الموقرة: أنا شخص مسلم ولديَّ مبلغ من المال في أحد البنوك وقد مرَّ على هذا المال نحو خمس أو ست سنوات، وحيث إنني نسيت هذا المال ولم أتذكره حتى الآن، والآن لا أعرف هل بعد مرور هذه السنوات يجب عليَّ إخراج زكاة عن كل السنوات التي مضت على المال المنسي لهذه المدة الطويلة؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

يزكيه عن جميع ما مضى من السنين زكاة سنة واحدة فقط.

المرسى

هنا يرسو القلم،
ينفض عن كاهله وطأة الأيام
وازدحام الأعمال وهموم
الواقع،
فيبث القارىء ما يتفاعل في
نفسه..
وهي زاوية رأي مفتوحة
الذراعين للجميع ...

الوعي الإسلامي ... رسالة خير

بدر سليمان النصار

كان للجهد المخلص في إصدار العدد الأول لمجلة الوعي الإسلامي الذي بذله مسؤولو الوزارة في ذلك الوقت والنشاط المتميز للشيخ المرحوم د. عبدالمنعم النمر وفريق عمله ومن سار بعدهم في الإشراف عليها أثر طيب في دفع مسيرتها، وهكذا خطت المجلة خطوات ثابتة رغم الصعاب لتحقيق هدفها الذي حددته لنفسها ... وهو « إشاعة الوعي الإسلامي »، وهو ما يعني نشر الفكر والثقافة الإسلامية والعربية وبخاصة تنمية الوعي الإسلامي لدى المسلمين، وتأكيد الهوية العربية والإسلامية لدولة الكويت، ومتابعة المشكلات المعاصرة، والإسهام في حلها ونشر الدراسات الخاصة بها، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية.

ولتحقيق هذا الهدف قامت باستكتاب أشهر الكتاب وأصحاب الأقلام المتميزة والشيوخ الأفاضل والمتخصصون لإثراء المجلة بشتى الفنون، فكانت الاستجابة منقطعة النظير. ولتوسيع دائرة الانتشار والوعي العام قامت الوزارة بتوزيعها في الداخل والخارج وبسعر رمزي لتكون في متناول الجميع.

صدرت مجلة الوعي الإسلامي في مطلع محرم ١٣٨٥هـ ـ مايو ١٩٦٥م، في زمن كانت تفتقر فيه الساحة للكتابات الصحفية الإسلامية ... وتندر فيه المجلات والجرائد الإسلامية ... والإعلام الإسلامي المتطور، ومن ثم سدت هذا النقص الشديد، وأسهمت في إثراء الساحة الفكرية والثقافية والعلمية وأعادت الأمل والثقة إلى نفوس المسلمين بغدٍ مشرق... واستمر هذا العطاء... وأثمرت جهود العاملين في المجلة والوزارة مرة أخرى في إصدار مجلة براعم الإيمان في رجب ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ... « ملحق مجلة الوعي الإسلامي ». وكان الهدف من إصدارها توعية وتوجيه أبناء المسلمين إلى أمور دينهم قولاً وعملاً وغرس القيم الإسلامية والتربوية وتوسيع دائرة المعارف من العلوم الشرعية والأدبية والعلمية والإنسانية.

وتوالت إصدارات الوعي الإسلامي ... واستمر العطاء دون انقطاع إلا فترة غزو النظام العراقي لدولة الكويت ... وبعد التحرير عاودت الإصدار ... ولكن بثوب جديد، شكلاً ومضموناً ... واستخدمت فنون العمل الصحفي الأخرى ... والتي منها : الندوات، والمقابلات، والتحقيقات، والاستطلاعات، وغطت أنشطة الوزارة والمؤسسات الأخرى، بكل ما فيها من نشاطات ثقافية ومؤتمرات وحلقات نقاش، بالإضافة إلى تنفيذ المشاريع مثل استطلاع الرأي حول مجلة الوعي والبراعم، وإصدار فهرس المجلة بأجزائه الثلاثة، وتحقيقها أهداف الوزارة الاستراتيجية حتى أصبحت المجلة مدرسة تربوية، ومكتبة للثقافة والفكر ومركزاً للمعلومات، ومرجعاً علمياً ومنبراً للدفاع عن حقوق المسلمين، كما تقدمت بمشاريع أخرى وأهمها إصدار ملحق المرأة والأسرة، وإصدار مجلتي الوعي والبراعم على أقراص CD Rom ، وإقامة احتفالٍ بمرور ٣٥ عاماً على إصدار مجلة الوعي و ٢٥ سنة على إصدار براعم الإيمان ... ومشاريع أخرى ...

شيوخنا الأفاضل وأساتذتنا الكرام ... الإخوة الأعزاء ... كتّاب مجلة الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان ... منكم من عاصر استعدادات الإصدار الأول، وكان له السبق والفضل في إثراء المجلة بالمقالات والأبحاث والدراسات والحوارات المفيدة ... ومنكم من أسهم ـ بعد ذلك ـ بعطائه ومازال ... لكم منّا أطيب الدعاء والشكر الجزيل.

قراءنا الأعزاء ... الذين واكبوا الإصدار الأول من مجلة الوعي ... منكم من تربى على كتاباتها ومنكم من التحق بركب قرائها بعد ذلك. للجميع منّا كل حب وتقدير، وشكراً على تفاعلكم حول ما يطرح في المجلة وعلى إفادتكم لها بملاحظاتكم ومقترحاتكم بقصد علاج القصور والأخطاء وتطوير العمل، وما الكم الهائل من البريد الذي يردنا يومياً إلا دليل على هذا التفاعل الإيجابي وكذلك المشاركة في الإجابة عن استطلاع الرأي الأخير حول مجلتي الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان. أما العاملون في المجلة ـ من إداريين وفنيين منذ إصدارها وحتى الآن ممن بذلوا الجهد الكثير، وصبروا على مصاعب العمل، وقلة الإمكانات ... فلهم الشكر على استمرارهم في وفائهم وعطائهم على إصدارها في هذه الصورة الجديدة.

شيوخنا الأفاضل، أساتذتنا الكرام، إخواني الأعزاء ... أنا واثق بإذن الله أن المجلة سيستمر عطاؤها، وستتطور وترتقي نحو الأحسن والأفضل، لأنها رسالة خير ... وستبقى عطاء مستمراً ـ إن شاء الله.

وإلى اللقاء على دروب العطاء والنماء في كل مكان...

وختاماً لكم منا كل حب وتقدير... والحمد لله رب العالمين. ■

تكريم



أقامت إدارة مجلة الوعي الإسلامي يوم الاثنين ٢٠ رجب ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١١/٩م، حفل تكريم لبعض موظفيها السابقين ممن انتهت خدماتهم أو انتقلوا إلى إدارة أخرى. ويبدو في الصورة التي التقطت خلال حفل التكريم الأخ رئيس التحرير وعلى يمينه الأستاذ عقاب الخالدي سكرتير التحرير السابق الذي انتقل إلى إدارة الدراسات، كما يبدو إلى يساره الأستاذ أحمد شوق عريبة الذي انتهت خدماته بعد أن أعطى المجلة من جهده وعرقه لمدة تزيد عن عشرين عاماً وقد ألقيت خلال الحفل كلمات طيبة، أثنت على جهود الإخوة المكرمين، وتمنت لهم النجاح والتوفيق في حياتهم المستقبلية، وأعقب ذلك حفل شاي على شرف الإخوة المكرمين.

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٩٧ ـ السنة الخامسة والثلاثون ـ رمضان ١٤١٩ هـ ـ ديسمبر ٩٨ / يناير ١٩٩٩ م

رمضان... علاج لأمراض الأمة



الأمة الإسلامية بين الحملات الصليبية والحروب اليهودية

العقوبات في الإسلام هدفها مصلحة الفرد والجماعة

ندوة الوعي الإسلامي:

الخطاب الإعلامي الأولويات والضوابط

هديتك مع العدد براعم الإيمان


الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
إسلامية
شهرية جامعة
On The Internet على الانترنت
e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet
براعم الإيمان
نهاية رجل بخيل
سمو الأمير وشخصية العام الخيرية
دروب العمل الخيري عطاء ونماء
تأملات تربوية في أحاديث الصيام
مؤتمر استقرار البيت الكويتي
في ذكرى الاحتلال البغيض

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٧ . السنة الخامسة والثلاثون
رمضان ١٤١٩ هـ . ديسمبر ١٩٩٨ / يناير ١٩٩٩ م

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ . الصفاة . 13097 . الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (+٩٦٥)
فاكس : ٢٤٣١٧٤٠(+٩٦٥)

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً

الإخوة القراء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطالعكم هذا العدد الجديد من مجلة الوعي الإسلامي «عدد رمضان» والمسلمون في شتى أصقاع المعمورة قد دخلوا شهر الصوم منيبين إلى ربهم بالعبادة، والتقوى ومضاعفة البذل، والعطاء على الفقراء والمساكين والمحتاجين، والإكثار من العمل الصالح لما فيه خير الدنيا والآخرة.

وانطلاقاً من الأهداف السامية النبيلة لمجلة الوعي الإسلامي في توعية المسلمين وترشيدهم وتأصيل الخير في نفوسهم وإيماناً منها بأهمية هذه الفريضة التعبدية التي هي ركن من أركان الإسلام الخمسة قامت بنشر ملف خاص عن شهر رمضان تناولت فيه هذه الفريضة من كل جوانبها الإيمانية والتربوية والنفسية والصحية... حتى يجني المسلم من نفحاتها الروحية زاداً يمتد أثره ليشمل شهور العام جميعاً. وتصير أيام السنة عنده كلها رمضان فلا فسوق ولا عصيان ولا خروج عن النهج القويم، بل عيش كريم في ظلال وسطية الإسلام العادلة التي قال الله سبحانه وتعالى عنها في كتابه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة: ١٤٣.

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام في هذا الشهر الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ كويتية دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

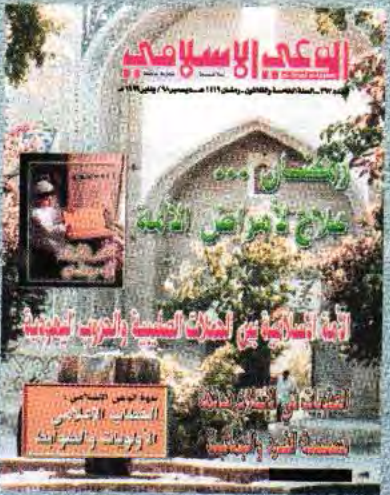
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا ـ السعودية : ٤ ريالات ـ البحرين : ٣٠٠ فلس قطر : ٤ ريالات ـ الامارات : ٤ دراهم ـ سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة الأردن : ٥٠٠ فلس ـ مصر : جنيه واحد ـ السودان : ٥ جنيهات موريتانيا : ١٢٠ أوقية ـ تونس : دينار واحد ـ الجزائر : ٥ دنانير اليمن : ٥ ريالات ـ لبنان : ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا : ٢٠ ليرة ـ المغرب : ٦ دراهم ليبيا : ٥٠٠ مليم ـ اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد



تيارات هدامة



51

الأمة الإسلامية بين الحملات الصليبية والحروب اليهودية

لماذا نجحت الأمة المسلمة في التصدي للخطر الصليبي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ولماذا كان التعثر والفشل في التصدي للخطر اليهودي المعاصر، وهل يمكن الاستفادة من النجاح الأول في مواجهة الخطر الحالي؟

في الأعداد المقبلة

- الهجرة من المراكز الأندلسية الساقطة بأيدي النصارى — أ.د محمد أبو الأجفان
- مسلمو أوغندا من مملكة «البوجندا» إلى عصر الانقلابات العسكرية — شعبان عبدالرحمن
- العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية في العالم الإسلامي — مصطفى دسوقي كسبة
- مسؤولية الإنسان عن عمله. — د. أحمد عبدالرحيم السايح
- الإسلام والغرب والاستشراق، حوار مع الدكتور حسن عزوزي — سومع عبدالسلام

الفهرس

شباب بلا ... سلاح

شباب اليوم «إلا من رحم ربي» في المجتمعات المسلمة يعيش في مرحلة انعدام الوزن الناتجة من فقدانه لقوة الجذب المتمثلة في «القدوة الحسنة» في الواقع الذي يعيشه شبابنا، الذي يرزح تحت ضغط إعلامي موجه سواء أكان هذا الإعلام داخلياً أم خارجياً.

والحقيقة أن بعضهم يتخوف من التدفق الإعلامي الخارجي وبعضهم يعتبر أن الإعلام الداخلي المشوّه هو السلاح الفتّاك بقيم هذا المجتمع وبطاقته الحيوية المتمثلة في الشباب.

إن الشباب المسلم لا يملك سلاحاً في مواجهة هذه الضغوط إلا بالرجوع إلى المصادر الأصيلة للإسلام المتمثلة في «القرآن والسنة» وكل المصادر المتفرعة عن هذين الأصلين والتي لاقت قبولاً وإجماعاً من فقهاء الأمة وعلمائها من بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى يومنا هذا، هدفها تحصين شبابنا ضد الموجات التغريبية التي يدعو لها بعض من أبناء جلدتنا المتغربين، إن التحصين ضد المرض لهو أفضل طريق لاكتساب المناعة ضده، والبضاعة الفاسدة لا تجد سوقاً رائجة إلا في بيئة فاسدة مستعدة لاستقبالها، فاحتضانها بل إرباؤها، أما في البيئة المحصّنة بالقيم، فلا مكان لأمثال هؤلاء المرضى في أخلاقهم. علينا أولاً إصلاح التربة وبعدها ننتظر يوم الحصاد، ويا له من حصاد، وأطمئنكم، بفضل الله سترتد تلك الهجمة التغريبية خاسرة إلى نحور من أطلقوها.

مخلص عبدالرحمن سيد

تعقيب وتصحيح

قرأت في مجلتنا الغراء «الوعي الإسلامي» مقالاً جميلاً للأستاذ سامي الجيتاوي تحت عنوان: «أهمية العالم الإسلامي».

أوضح لنا فيه قيمة العالم الإسلامي، وحثنا على ألا نستهين بأنفسنا، ولكن أحب أن أشير إلى خطأ وقع فيه الكاتب - وفقه الله - حيث ذكر أن الإسلام يأتي في المرتبة الثالثة عالمياً في عدد المعتنقين بعد البوذية والمسيحية.

ولكن الحقيقة هي أن الإسلام هو الدين الأول عالمياً من حيث عدد المعتنقين به، وهذا ليس توقعاً مني بذلك، بل هو ما ذكرته شبكة CNN الإخبارية الأميركية، حيث أكدت سنة ١٩٩٧م أن الإسلام هو الدين الأول في عدد المعتنقين له بالنسبة للأديان الأخرى. ويبدو أن الكاتب جاء بهذا الترتيب من الإحصاء الذي ذُكر في تعداد لسنة ١٩٧٥م أن تعداد المسلمين وصل إلى ٧٠٠ مليون مسلم، ويشكلون ١٧,٥ في المئة من تعداد سكان العالم.

ولكنني قرأت في مصادر كثيرة موثوقة أنه في تعداد لسنة ١٩٨٠م، وصل سكان العالم إلى ٤٢٠٠ مليون نسمة، وعدد المسلمين إلى ٨٥٠ مليون مسلم، أي ٢٠ في المئة من إجمالي سكان العالم، والآن أصبح تعداد المسلمين مليار و مئتي مليون مسلم يمثلون أكثر من ٢٠ في المئة من سكان العالم «أي أكثر من خمس سكان العالم»، وهؤلاء يمثلون الدين الأول عالمياً، تحقيقاً لقوله تعالى:

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) سورتي التوبة والصف، ليعلم كل مسلم أننا الأكثر عدداً ولكننا غثاء كغثاء السيل، وأصبحنا في ذيل الأمم على مستوى العالم، ونرجو الله أن يعيد لنا مجدنا القديم.

محمد عبدالحميد السيد أحمد - مصر



بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

أسلمة المجتمع

إزاء هذا التنوع والتباين في ظهور التيارات الفكرية الداعية إلى مذاهب واتجاهات شتى، كان لابد من وقفة وخصوصاً أننا نحمل في صدورنا خير مذهب وأفضل اتجاه وهو الإسلام، ومن هذه الوقفة كان لابد من انطلاقة نحو إعادة صياغة المجتمع إسلامياً، حيث تحمل هذه الانطلاقة الدعوة إلى أسلمة المجتمع بمعنى أن يتأسلم فكره ويتأسلم اقتصاده، وتتأسلم سياساته وذلك أمر طبيعي مادمنا نعيش في بلاد إسلامية، ولكل فرد منا دور مهم يجب عليه تحمل تبعاته والقيام بأعبائه إزاء هذا العمل العظيم، فبعد أن يجتهد الفرد في إصلاح نفسه، عليه أن ينطلق إلى إصلاح ما حوله ومن حوله.

وأعتقد بأنه يضمن لهذا العمل الاستمرار وإخلاص الفرد بما يقوم به من عمل، أي أن يتصل بالله وأجره وثوابه عند الله عز وجل، وأن من ترك هذا الواجب تخاذل عن نصرة الإسلام وتقهقر إلى الوراء في فترة اشتد فيها الوطيس في معركتنا مع هذا التخلف الحضاري الذي بدأ ببدء التنازل عن مبادئ الإسلام وتعاليمه.

وهذا الدور الذي وجّب على الفرد القيام به والمتمثل في مشاركته في مشروع أسلمة المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يجب أن يتخذه الفرد في ظل عمله بل يأخذ بكل الوسائل التي يعتقد بأنها توصله إلى مبتغاه ولا يتراجع العامل في هذا الحقل عن عمله ولو افتقد رد الفعل الناجح لأن عمله يرتبط بالنتيجة وهو في المقام الأول لله عز وجل.

ثم إن العامل لايدري مدى حجم رد الفعل فربما يكون قد تكوَّن فعلاً، لكنه لم يحن وقت ظهوره أو أن يتهم العامل نفسه بالتقصير فيظل على عمله دوماً.

مجدي السعدني

خواطر رمضانية

أيّ نفحات ندية تحملها أجواؤك يا رمضان

أتراها السماء تنثر أنوار نجومها... فيكون الجمال الأخّاذ

أتراه الصائم ينشد عطره الفريد نسيمات تتهادى في كل فضاء فيكون السلام... ويكون الرقي... ويكون الانفتاح على الخير... والحب... والعطاء.

في رمضان

تصير النفوس في وقاية من الأذى.

وتصير القلوب في خفق المحب والمشتاق إلى الانعتاق

وتصير الأفواه لا تنطق إلا طيباً أو تصمت في جلال

مآذن العالم كلها مضاءة بأنوار المصلين تعلن سموهم

أنوار لا تبقي عتمة أو سواداً أو شحوباً

ومن المآذن صوت لا مثيل له... ونداء هو العدة والقوة والحياة... نداء ينهض به الضعفاء... ويخشع له الأقوياء

مآذن عالية تمس السماء فتزيدها سحراً... ورونقاً

تهفو قلوب الصائمين نحو هذه المآذن... أليست تعبيراً حياً عن حنينهم إلى الشموخ

الطفولة في رمضان جوهرة معلقة على أهداب القمر

ويكتسب رمضان بالطفولة لوناً جذاباً... وبإيقاعها يصير رمضان أغنية على شفاة عشاقه.

ومن الطفولة يتعلم الكبار فن الصوم... وأخلاق الصوم الصدق... الصمت... الابتسامة... الصبر... التصميم... الكرم...

فإن غفل الكبار عن معزوفة رمضان... جاءت الطفولة لتكون الذكرى ... إلى التحرر... والانتصار.

ميسون صافي

ردود خاصة

● **القارئ طه عبدالعزيز علي ـ مصر:**

شكراً على ملاحظتك بشأن الفتوى المنشورة في العدد (٣٩١) ـ يوليو ١٩٩٨م، ولا شك أن مثل هذه الفتاوى متروكة لأهل العلم والاختصاص.

● **القارئ كمال عبدالرزاق :**

نحن لسنا جهة تقوم بتقديم المساعدات المالية، يمكنك مراسلة الجمعيات الخيرية وجزاكم الله كل خير.

● **القارئ محمد عباس قنديل ـ مصر:**

المجلة في الوقت الحاضر لا تعتمد أسلوب تعيين المراسلين، يمكنكم إرسال المواد الإعلامية المتنوعة وفي حال نشرها أو نشر جزء منها سنقوم بإرسال المكافأة المستحقة حسب القواعد المتبعة، وشكراً على ثقتكم بالمجلة.

● **القارئ قيبو أحمد ـ الجزائر :**

يمكنكم مراسلة إدارة الثقافة في الوزارة للاستفسار عن الكتب التي تطلبونها.

مزيداً من الاهتمام بالمراهقين

في عصرنا هذا ومع انتشار وسائل الإعلام والقنوات الفضائية واهتمامها برعاية الأطفال ومستقبل الشباب غاب عن أنظارها مرحلة أشد خطورة وهي «سن المراهقة» هذه الفترة التي يجب أن تكون وسائل الإعلام مهتمة بها أكثر لأنها الفترة التي تمهد لبناء شاب مسلم صالح إذا أحسنت رعايته وتهدم شاباً آخر إذا أهملت رعايته ومن هذا المنطلق يجب أن تقف القنوات الفضائية في الدول الإسلامية إلى جانب الآباء وأن تسلط الضوء على هذه المرحلة الحرجة من عمر الشاب المسلم، حتى لا يأتي اليوم الذي يضيع فيه الشباب من بين أيديكم.

علي أمين أمين

ابن سناء الملك
أبرز شعراء العصر الفاطمي الثاني

في سنة ٥٥٠هـ، فتحت الدنيا ذراعيها لاستقبال مولود جديد هو ابن سناء الملك الذي ولد ونشأ وترعرع في بيئة جمعت بين الغنى والعلم والمنزلة والجاة. رعاه أبوه في صباه فحفّظه القرآن الكريم، ولما شب عن الطوق، واشتد عوده عهد به إلى أساطين العلم في زمانه أمثال الصفدي والقاضي الفاضل وغيرهما، فأخذ عنهم اللغة والنحو والفنون الأدبية بشقيها النثري والشعري. وابن سناء الملك هو أبرز شعراء العصر الفاطمي الثاني الذي بدأ في عصر المستنصر بالله (٤٢٧/٤٨٧هـ) وهو شاعر مجيد متميز تدور أغراضه الشعرية حول الغزل والرثاء والهجاء والفخر والوصف والزهد والاعتداد والاستعطاف والحكمة. ويقف الناظر في ديوانه الشعري الذي حققه وعلق عليه وشرح أبياته الأستاذ محمد إبراهيم نصر على تأثره بالشعراء العرب الفحول أمثال البحتري وأبي تمام، وإلى انحيازه التام إلى التأنق اللفظي والصنعة في الإنشاء الإبداعي. ويعتبر ابن سناء الملك واحداً من الشعراء المعدودين الذين تغنوا بأمجاد وبطولات صلاح الدين الأيوبي، فقد بعث الحماسة في نفوس المسلمين، وأثار الحمية والشجاعة في قلوب المحاربين ضد الغزاة الصليبيين. رحم الله ابن سناء الملك، ومتعنا بشعره.

محمد فؤاد محمد علي - مصر

التدخين والاستعمار

من المعلوم أن عادة التدخين لم تتفش في البلاد الإسلامية والعربية إلا مع دخول الاستعمار في أوائل القرن العشرين. ومن هنا نبدأ، فأصابع الاتهام تشير بما لديها من وثائق ومستندات خطيرة إلى أن أعداءنا خططوا بخبث ودهاء يحدوهم الأمل في انتصار مؤثر على العالم الإسلامي، فتمثلت خطتهم في نشر التدخين كاستعمار جديد من نوع فريد غير ما ألفه الناس من قبل، فأصبح بحق أسوأ استعمار أصيبت به بلادنا، ونظراً لضعف الوازع الديني وقلة الوعي الصحي بين المسلمين تثبت أقدام الدخان وتعلو سيطرته يوماً بعد يوم ويساند بالمال وتسهل مأموريته حتى أصبح الصاحب والصديق والمنقذ والدواء للكثير من أفراد المجتمع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!! أرأيتم أيها المدخنون كم تخسرون وكم يربح أعداؤنا؟

هزمنا أنفسنا بالفقر والمرض، فانتصر علينا أعداؤنا، يكفيهم أن نكون ضعفاء وفقراء والسبب الدخان بكل صوره، وهذا فقط يثلج صدورهم المريضة، ويعطيهم الأمل في أن الشرق الإسلامي مازال يغط في نوم عميق وتآمرهم واضح من واقع الماضي الأسود وخبث النوايا، والهدف واضح والنية مبيتة والعداوة مستحكمة والتخطيط مستمر والحقد دفين والحسد ظاهر. أرأيتم كيف يتآمرون علينا؟ شغلهم الشاغل هو المكسب المادي إنهم يتاجرون حتى في صحة الشعوب الإسلامية ويستنزفون أموالها. أيها المدخن: خدعوك فقالوا: التدخين حرية، ورجولة فأوقعوك في شباك الدخان، لتفقد أغلى ما لديك من الصحة والرجولة ونتمنى لك بحق أن تخرج بسرعة من هذا السجن الانفرادي الذي سجنت نفسك فيه مختاراً فهل ستكون رجلاً وتقلع عن التدخين، نتمنى ذلك وإنا لمنتظرون.

الشيخ ربيع عبدالعظيم الخياط - مصر

التكنولوجيا الإسلامية
ضرورة عصرية

إن الدعوة لقيام مجتمع إسلامي «تكنولوجي» وبدء عصر «تكنولوجيا إسلامية» إنما هو استمرار طبيعي لموقف الإسلام المفتوح من معطيات العلم في آفاقه، واستكمالاً للدعوة إلى إعادة تشكيل العقل الإسلامي من أجل أن يكون أكثر قدرة على استيعاب المتغيرات وتطوير الحياة الإسلامية وحمايتها - في الوقت نفسه - ومن التفكك والعدوان، وإعمالاً لمنهج الله ومنهج الرسول - صلى الله عليه وسلم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف».

«فالبأس الشديد» متمثلاً في استخدام الإنسان للحديد كأساس للتسلح والإعداد العسكري والمنافع التقنية في مجالات نشاطه وبنائه المسلمي.

من ثم «فالعلم الحديث ليس ابن الحضارة الغربية وحدها، لكي نتردد في احتضانه وتنشئته، ولكنه تمخض أبدي لتراكم في الخبرة البشرية، وحضارات شتى أسهمت بها معظم شعوب الأرض الحية، وكان لحضارة الإسلام نصيب وافر في وضع دعائمه، وتصحيح مناهجه، وطرح الكثير من معطياته».

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر

الافتتاحية

رمضان علاج لأمراض الأمة

أمراض كثيرة وأزمات مستعصية وتحديات خطيرة تفتك بأمتنا، بل بالبشرية جمعاء، والإحصاءات الصادرة عن أصحاب القرار والاختصاص في كل مجال من مجالات التنمية الحياتية في دولنا العربية والإسلامية تقدم لنا الأدلة الدامغة على كنه وعمق الأزمة التي تعيشها... صحيح أن هناك مؤشرات إيجابية ونقاطاً مضيئة في بعض جوانب الأزمة، لكن الواقع المنظور على الأقل لايبشر بالخروج منها في المستقبل القريب، بسبب عمق الهوة التي انحدرت إليها الأمة وكثافة التراكمات والإفرازات السلبية عبر عشرات السنين والتخبط في اتخاذ القرارات وعدم وضوح الرؤية لدى صانعي القرار.

إن أزمة أمتنا وعالمنا كله هي أزمة أخلاق شاملة على الرغم من التقدم التكنولوجي الهائل، والثورة الصناعية الكبيرة التي قلبت الموازين وقربت ما بين الأمم والشعوب، وأصبح العالم بسببها قرية صغيرة، واستطاع الإنسان أن يغزو الفضاء ويحرك كل شيء بالآلات والأجهزة الإلكترونية الحديثة، وابتكر الحاسوب وتفنن في إنتاج برامجه المختلفة وخاض في غمار العلوم الدقيقة، ولكنه مع كل ذلك لم يستطع أن يصل إلى السعادة والطمأنينة والراحة النفسية، بل هو يعيش في قلق دائم مستمر على مستقبله ومستقبل أبنائه، بعد أن عجزت الثورة العلمية والتكنولوجية عن إيجاد الشخصية الآمنة السعيدة ذات الثقل الاجتماعي والتميز الأخلاقي، وأصبحت هذه الثورة سبيلاً إلى شقاء البشرية وخوفها وإحساسها بالخطر الدائم في ظل التسابق في إنتاج أسلحة الرعب الشامل.

إنَّ القضية الأخلاقية قضية متكاملة الجوانب، تمتد جذورها إلى كل مناحي الحياة، فالفكر يحتاج إلى أخلاق، والتعليم يحتاج إلى أخلاق، والسياسة تحتاج إلى أخلاق، وكذلك الاقتصاد والاجتماع، وبناء على ذلك، فالإسلام يرى أن التعاليم الخلقية في الاقتصاد والسياسة والفكر والاجتماع في مرتبة الفرائض والإلزاميات، ولا يمكن للدولة أن تتقدم وتزدهر إلا بضم هذه العناصر من تعاليمه جنباً إلى جنب، لأنها متعاونة ومتساندة وكل منها يؤثر في العناصر الأخرى، ويتأثر بها، فبغير التعاليم الأخلاقية يختل النظام الاقتصادي فيما تدعو إليه من تعاون وتكافل بين أفراد المجتمع، والإسلام في تعاليمه الخلقية الاقتصادية جعل من المجتمع الإسلامي بيئة تعاونية عليها أن تسعى جادة لتحقيق رخائها المادي بصورة متكاملة على أساس نظرة الإسلام إلى العمل والمال، وبغير التعاليم الخلقية يختل النظام السياسي ويتعذر توجيه الأمة في اتجاه واحد، ونحو أهداف مشتركة، والحاكم في الإسلام يحكم بالعدل والمساواة والشورى وينشر الأخلاق والفضائل وأفراد الأمة متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات، فلا حزبية ضيقة ولا طغيان ولا تسلط، وبغير التعاليم الخلقية يختل النظام الاجتماعي كما رأينا سابقاً، والفرد في المجتمع الإسلامي لبنة صالحة في كيان المجتمع والمسلمون جميعاً كالجسد الواحد، والأسرة هي البيئة الطبيعة لنشوء الأطفال وتربيتهم التربية السليمة القائمة على الأخلاق الفاضلة، وهكذا يستطيع المسلم أن يعمل وينتج في ظلال الحضارة الإسلامية محققاً أهداف الإسلام في إسعاد الفرد وتحقيق أمنه وذاتيته، وفي إسعاد المجتمع وتحقيقه لطمأنينته، وشخصيته ورسالته، بل في إسعاد البشرية كلها، حينما تسير على مبادئه الخلقية.

إن العبادات في الإسلام - ومنها الصوم - من أهم الوسائل لتقويم الشخصية وبذر بذور الأخلاق فيها، والتعود على العادات الحسنة وتقوية الإرادة، والصوم يؤهل الإنسان المسلم لارتقاء درجة الإنسان المثالي المتسلح بالأخلاق الكريمة، فلا يغش ولا يخدع، ولا يظلم الناس ولا يهضم حقوق الآخرين، ولا يسعى للإفساد في الأرض، وهذا ما يكسبه معالم الشخصية السوية التي تعرف حقوقها وواجباتها في الحياة، فيعيش في رغد من العيش وفسحة من الأمل والمحبة يعمل لخير نفسه وخير مجتمعه وأمته وللبشرية جمعاء. ■

الوعي الإسلامي

وزير الأوقاف يستقبل وفد حلقات تحفيظ القرآن الكريم

أنشطة الوزارة





● السيد الوزير مع وفد حلقات تحفيظ القرآن



● مسؤولون من وزارة التربية في زيارة احد الحلقات المتميزة

قام وفد من حلقات تحفيظ القرآن الكريم بمقابلة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد أحمد خالد الكليب وذلك بحضور الوكيل المساعد للدراسات الإسلامية الدكتور عادل عبدالله الفلاح، وضم الوفد في عضويته كلاً من: عبدالله السنان مراقب حلقات تحفيظ القرآن الكريم، ومشعل العتيبي رئيس قسم الحلقات، وعبدالله الكمالي رئيس القسم الإعلامي بالحلقات.

وقد عرض الوفد على الوزير أبرز إنجازات وإصدارات الحلقات وبعض الأنشطة الإعلامية التي تقوم بها حيث أشاد الوزير بهذه الجهود والبرامج والإنجازات، وأعرب عن أمله في استمرارها وتطويرها نحو الأفضل خدمة لكتاب الله عز وجل وليتمكن أبناؤنا وبناتنا من حفظ أكبر قدر ممكن من القرآن الكريم من خلال أيسر الطرق وأسهلها.

وتطرق الوفد خلال اللقاء لشرح المشاريع والبرامج المستقبلية التي تعتزم مراقبة الحلقات تنفيذها ومعرفة مدى إمكان إقرارها ودعمها حيث أبدى الوزير تفهماً لهذه البرامج والخطط ووعد بمساندتها ومؤازرتها.

وفي ختام اللقاء حضّ وزير الأوقاف الوفد على إبراز أنشطة الحلقات والدور الذي تقوم به في المجتمع والرسالة السامية التي تضطلع بها وذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة، تشجيعاً لأولياء الأمور لحضّ أبنائهم على الالتحاق بالحلقات وحفظ القرآن الكريم.

وفي غضون ذلك قام مسؤولون من وزارة التربية بالتنسيق مع وزارة الأوقاف بزيارة إحدى الحلقات المتميزة في حفظ القرآن الكريم التابعة لمراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم في وزارة الأوقاف، حيث اطلع الوفد على سير الحفظ لدى الطلبة كما تم عرض الإحصاءات والإنجازات التي قامت بها تلك الحلقة، وأثنى المسؤولون على تلك الجهود الطيبة التي قامت بها مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم في دعم مسيرة الحلقات وتطويرها.

أعدتها إدارة الإعلام الديني

برامج إعلامية متميزة خلال شهر رمضان المبارك

أعدت إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عدداً من البرامج التلفازية والإذاعية تتناول القضايا الإسلامية الفكرية والتربوية التوجيهية والقيمية وستركز البرامج على بيان فرصة المسلمين الكبرى في الاستفادة من هذا الشهر الفضيل الذي تتضاعف فيه أعمال البر والخير، جاء ذلك خلال المؤتمر الصحافي الذي عقده السيد الوكيل المساعد للشؤون الثقافية عبدالعزيز البدر القناعي، وحضره ممثلو الصحافة المحلية ووكالات الأنباء.

تعاون وتنسيق

وأضاف القناعي أنه تم إنجاز كل البرامج الإعلامية بالتعاون والتنسيق الكاملين مع وزارة الإعلام ممثلة بجهازيها التلفاز والإذاعة واللذين تفضلا مشكورين بتسخير كل الإمكانات وتذليل كل الصعوبات حتى تم تنفيذ وإنجاز البرامج المتعلقة بالخطة الإعلامية لموسم شهر رمضان العام ١٤١٩هـ وقد كان هذا الاستعداد والتعاون محل شكر وتقدير من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى كل أركان وزارة الإعلام بدءاً بمعالي الوزير وصولاً إلى جميع المسؤولين في الجهازين الإذاعي والتلفازي.

البرامج التلفازية

وأوضح أن إدارة الإعلام الديني أعدت عدداً من البرامج التلفازية لبثها على القناة الأولى والفضائية وكذلك البرنامج الثاني في تلفاز الكويت ومن أهمها:

١ - برنامج «ومضات فكرية» وهو برنامج تسجيلي مدته عشر دقائق ويستمر طوال شهر رمضان وموزع على ثلاثين حلقة ويركز على أسس وغايات مهمة أبرزها بيان الأسس الحضارية للإسلام في إقامة حقوق الإنسان ورعايته لمفهوم الوحدة الوطنية والدور البارز للزكاة في معالجة مشكلات الاقتصاد في المجتمع.

٢ - برنامج «ثقافة فقهية» وهو برنامج تسجيلي عدد حلقاته ١٥ حلقة مدة الحلقة الواحدة ١٥ دقيقة وينطلق البرنامج من أسس مهمة منها الاعتداد بالهوية الإسلامية وتكريس المرجعية لأجهزة الإفتاء فضلاً عن الإسهام في تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية.



● عبدالعزيز البدر القناعي

٣ - برنامج «صوموا تصحوا» وهو برنامج تسجيلي عدد حلقاته ثلاثون حلقة مدة الحلقة الواحدة ١٥ دقيقة ويركز هذا البرنامج المنوّع «صوموا تصحوا» على القضايا الصحية المتعلقة بشهر رمضان والصيام في صورها الشرعية من خلال تقديم ثقافة إسلامية أصيلة تبرز الجوانب الصحية بما يتناسب مع أجواء رمضان.

٤ - برنامج «قصص وعبر» وهو برنامج تسجيلي عدد حلقاته ثلاثون حلقة تستمر مدته ثلاثون دقيقة كل يوم وسيركز هذا البرنامج على استخلاص الحكم والعظات والعبر من التاريخ والتراث الإسلامي عبر عصوره النيرة ويقدم في شكل قصصي ممتع يشد المشاهد.

٥ - برنامج «التعريف بالإسلام» وهو باللغة الإنكليزية ومدته ١٥ دقيقة، وعدد حلقاته ثلاثون حلقة يتناول تعريفاً مختصراً ومفيداً بأهم الأركان والعبادات وتحبيبها لدى الناطقين باللغة الإنكليزية.

البرامج الإذاعية

وفيما يتصل بالبرامج الإذاعية فقد أعدت الإدارة عدداً من البرامج الإذاعية لتقديمها خلال موسم رمضان المبارك لسنة ١٤١٩هـ في إذاعة البرنامج العام وإذاعة القرآن الكريم ومن أهم هذه البرامج:

١ - البرنامج الديني وهو برنامج مباشر ثقافي توجيهي مدته ٦٠ دقيقة على مدى ثلاثين حلقة.

٢ - «إعادة النظر» وهو برنامج مسجل مدته ٥ دقائق وعدد حلقاته ٣٠ حلقة، يركز على بيان الجوانب السلبية في السلوكيات التي درج الناس على عملها وهي تحتاج إلى مراجعة أو إعادة نظر.

المشاركون في البرامج

ولقد حرصت إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف على أن تختار كوكبة متميزة من العلماء والمفكرين والكتّاب ليقوموا بالإسهام في تقديم وإعداد هذه البرامج بشكل يضمن الفائدة ويحقق الهدف للجميع إن شاء الله.

الرعاية

لقد قامت برعاية هذه البرامج جهات مهمة في البلاد جديرة بتلقي الشكر والتقدير من الوزارة ومن بين تلك الجهات «المجموعة الدولية للاستثمار» التي تفضلت برعاية برنامج «صوموا تصحوا» وكذلك صندوق إعانة المرضى الذي أسهم بفاعلية كبيرة في إعداد هذا البرنامج المهم.

المسابقة

وتجدر الإشارة إلى أن الإدارة قد أعدت مسابقات ثقافية تعرض من خلال برنامج «صوموا تصحوا» وستنشر المسابقات في إحدى الصحف اليومية لتمكين الجمهور الكريم من المشاركة فيها حيث رصدت لها جوائز مهمة وقيمة.

وزارة الأوقاف كرّمت المتفوقين من الجاليات الناطقة بالأردو

الفلاح: العالم الحديث يعاني الإفلاس والويلات

أكد وكيل وزارة الأوقاف المساعد للدراسات الإسلامية وشؤون الحج الدكتور عادل عبدالله الفلاح أن الكويت تولي اهتماماً خاصاً بخدمة القرآن الكريم، مؤكداً أن العالم الحديث والمتطور يعاني من الخواء الروحي والإفلاس والويلات والأمراض وأن القرآن نزل وفيه هدى وشفاء للمؤمنين.

وأضاف في حفل توزيع الجوائز على المتفوقين في حلقات تعليم القرآن الكريم للجاليات الناطقة بالأردو «أن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، ودستور المسلمين في الحياة وهو تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يرفع الله به أقواماً ويضع به آخرين. وقد وعد الله سبحانه بحفظ هذا الكتاب قائلاً: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). وأنتم خير شهود على ذلك حيث إن الله اختاركم لحفظ كتابه مع اختلاف لغاتكم.

وقال: إن الرعيل الأول من المسلمين استطاع امتلاك ناصية العالم وتوجيه الأمم والشعوب وقيادة الركب البشري لتمسكه بالقرآن الكريم واهتدائه بهدي المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وتطبيق ما في القرآن الكريم من أحكام، وأن المسلمين في هذا العصر قادرون بفضل الله سبحانه على استعادة مجدهم والتغلب على معاناتهم من خلال التمسك بالقرآن الكريم.

وأوضح أن العصر الحديث عصر العلم والتكنولوجيا، عصر الإدارة والمعلومات، عصر غزو الفضاء، وتسخير الكائنات وقد تحول فيه العالم إلى قرية صغيرة وقد زاد في هذا العصر الإمكانات والتحدثات على حد سواء.

ورأى أن إنسان اليوم رغم كل ما حقق من نجاح في الإبداع والابتكار يعاني من الخواء الروحي والإفلاس، ويعاني من كثير من الويلات والأمراض الروحية والجسدية والنفسية والاجتماعية، وأن القرآن الكريم





● لقطات من حفل التكريم

الذي نزل وفي نسخته هدى وشفاء للمؤمنين هو الوحيد الكافل للشفاء مما تعاني منه الإنسانية، وعلى المسلمين مسؤولية كبيرة لإرشاد الناس إلى صيدلية الإسلام وإلى دار الشفاء المحمدية وإلى الماء العذب الزلال الذي طالما اشتاقت الأمم والشعوب إليه.

وزاد: نحن نعيش عصراً كثرت فيه الشعارات مثل النظام العالمي الجديد، والعولمة كما أننا على أبواب القرن الواحد والعشرين فعلينا أن نعي واجباتنا ومسؤولياتنا نحو أنفسنا ونحو العالم تجاه هذا الكتاب المبين ودين الله المتين.

وأكد الفلاح أن الكويت منذ نشأتها تولي اهتماماً خاصاً بخدمة القرآن الكريم وتعليم وتحفيظ كتاب الله فقد كانت مساجد الكويت مدارس قرآنية في بداية العهد شأنها في ذلك شأن البلاد الإسلامية الأخرى ثم تطورت المسيرة وأنشئت الكتاتيب لتعليم وتحفيظ

القرآن الكريم، وفي منتصف السبعينات تم إنشاء دار القرآن الكريم لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه وخدمته حفظاً وتجويداً وترتيلاً وتفسيراً وشهدت الدار تطوراً كبيراً حتى أصبحت إدارة الدراسات الإسلامية إحدى الركائز الأساسية لتخريج أفواج من العلماء وحفظة كتاب الله تعالى ومازالت إدارة الدراسات الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تؤدي دورها في هذا المجال ولها جهود وأنشطة معروفة وملموسة في جميع مناطق الكويت ويوجد فيها قسم خاص للناطقين بالأردو أيضاً.

وأضاف أن الأمانة العامة للأوقاف أنشأت الصندوق الوقفي للقرآن الكريم، وفتحت آفاقاً جديدة لخدمة القرآن الكريم وأعلنت المسابقة الكبرى باسم سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح لما له من اهتمام بالغ بخدمة القرآن الكريم، كما أن هناك مؤسسات شعبية تقوم بتنظيم المسابقات القرآنية مثل مشروع مسابقة المحسن الراحل محمد عبدالمحسن الخرافي ومشروع مسابقة مرزوق البحر، بالإضافة إلى الجمعيات واللجان الخيرية التي تقوم بالإشراف على الحلقات القرآنية وتنظيم دورات ومسابقات خاصة للحفظ والتجويد.

وأن اهتمام دولة الكويت بالقرآن الكريم لم يقتصر على نطاق الكويت، بل إن أنشطتها عمت مناطق عدة. من جهته قال رئيس حلقات تعليم القرآن الكريم للجاليات الناطقة بالأردو أحمد علي سراج إن الجالية الباكستانية من الجاليات النشطة في الكويت التي تعتني بحفظ كتاب الله تعالى ونشره بين الناس جميعاً، وتم افتتاح ١٨ مركزاً لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم للناطقين بالأردو في جميع المحافظات ويتولى تدريس كتاب الله وينتظم في حلقاته نحو ١٢٠٠ طالب في مختلف مراحل العمر عملاً بقول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - «اطلب العلم من المهد إلى اللحد»، وتضم الحلقات المهندس والطبيب والتاجر والعامل والجميع يجلسون في المكان نفسه لأنها جلسة في سبيل الله، وفي بيوت الله.

وأضاف: وتحقق الهدف من خلال إسهامات المشاركين وتشجيعهم لنا بالاستمرار والتوسع في إقامة حلقات القرآن الكريم، ونتوجه بالشكر العميق لجميع المسؤولين في الوزارة على مؤازرتهم لهذا العمل المبارك ونخص بالشكر إدارة الدراسات الإسلامية وإدارة الثقافة الإسلامية وإدارة المساجد على رعايتهم الكريمة لدور القرآن الكريم.

المفتي العام لجمهورية قازاقستان يزور دولة الكويت



● وكيل الوزارة المساعد عبدالعزيز البدر القناعي في استقبال فضيلة المفتي

قام المفتي العام لجمهورية قازاقستان ورئيس الإدارة الدينية فيها الحاج راتبك بن نيسانباي بزيارة لدولة الكويت دامت أياماً عدة، قابل خلالها وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ووكيل الوزارة خالد عبدالله الزير والوكلاء المساعدين وبحث معهم سبل التعاون المشترك بما يخدم الإسلام والمسلمين.

كما التقى فضيلته خلال وجوده رؤساء بعض الجمعيات الخيرية وفي مقدمهم يوسف جاسم الحجي رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، حيث قدم له شرحاً وافياً عن أوضاع المسلمين في قازاقستان والأوليات التي يحتاجونها في فترة ما بعد الشيوعية، والجدير بالذكر أنه لا توجد وزارة للأوقاف والشؤون الإسلامية في جمهورية قازاقستان، إنما الإدارة الدينية لمسلمي قازاقستان تقوم مقام هذه الوزارة، وتتشكل الإدارة الدينية من إدارة رئيسية يتبعها إدارات فرعية في المحافظات، حيث تشرف الإدارات الفرعية على نشاطات المساجد والأنشطة الدينية هناك.

وفد الجمعية الإسلامية في دولة البحرين يزور المسجد الكبير

قام وفد من الجمعية الإسلامية - فرع البحرين - برئاسة أسامة الجيران بزيارة المسجد الكبير، اطلع خلالها على شرح شامل لجميع أنشطة ومعالم المسجد الكبير وبرامجه المختلفة والمتعلقة ببرامج الدعوة الإسلامية والبرامج الخاصة بإبراز جمال وروعة الفن المعماري الإسلامي المميز والبرامج الشاملة للمحافظة على هذا الصرح الإسلامي.

وكذلك اطلع الوفد على صفحات المسجد بالإنترنت.

وفي نهاية الزيارة تم إهداء الوفد شهادات شكر على الزيارة ومطبوعات وإصدارات المسجد الكبير.

ندوة
الوعي الإسلامي

١ / ٢

إعداد :
د. عمادالدين عثمان
تمام أحمد



● الأستاذ عبدالعزيز البدر القناعي



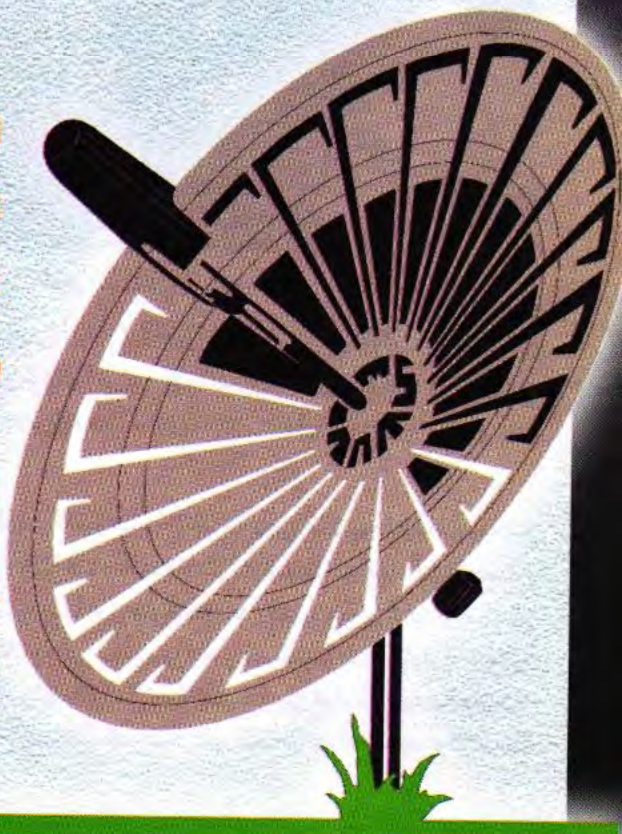
● د. محمد الرميحي

الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط»

في إطار اهتمام مجلة الوعي الإسلامي بالكثير من القضايا والموضوعات التي تهم قطاعاً كبيراً من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، نظمت ندوتها الثالثة تحت عنوان : «الخطاب الإعلامي - الأولويات والضوابط».

طرحت فيها الكثير من النقاط المتصلة بالخطاب الإعلامي، أدواته وتقسيماته، أولياته، حدوده وضوابطه وأخيراً أهم المعايير والأسس في اختيار الخطاب الإعلامي.

وقد شارك في فعاليات هذه الندوة الخاصة العديد من





القناعي:
للمسلمين رصيد ثقافي هائل على مر التاريخ

الرميحي:
الإعلام هو الذي يضع «أجندة» المجتمع

الشخصيات الكويتية المهتمة بهذا الجانب منهم «الدكتور محمد الرميحي الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، رئيس تحرير مجلة العربي ـ الدكتور عادل الفلاح وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للدراسات الإسلامية وشؤون الحج ـ الدكتور وائل الحساوي رئيس تحرير مجلة الفرقان والأستاذ في جامعة الكويت ـ والأستاذ زهير المزيدي المستشار الإعلامي. وتولى إدارة الندوة الوكيل المساعد للشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف الأستاذ عبدالعزيز البدر القناعي.

والوعي الإسلامي تبدأ بنشر الحلقة الأولى من هذه الندوة في هذا العدد والتي تحدث فيها كل من الأستاذ عبدالعزيز البدر القناعي والدكتور محمد الرميحي، على أن تنشر الحلقة الثانية في العدد المقبل ـ إن شاء الله تعالى.



الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط»

افتتح الأستاذ عبدالعزيز البدر القناعي وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية الندوة مرحباً بالمشاركين في فعاليات الندوة من متحدثين وضيوف، موضحاً أن هذه الندوة الثالثة هي من ندوات الوعي الإسلامي التي تنظمها خلال هذا العام لمناقشة الكثير من القضايا التي تهم المسلمين في يومهم وغدهم.

وتناول الوكيل القناعي في حديثه كيف أن الأمة الإسلامية والعربية تمتلك مبادئ وقيماً وأخلاقيات ومناهج يفتخر بها الإنسان، ولكنها تعيش واقعاً «على المستوى الثقافي والعلمي والإعلامي والتكنولوجي...» لا يعكس ما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية والعربية، كما لا يعكس الدور المنوط بها، وكذلك التحدي الذي فُرض عليها.

ومن جانب آخر فإن شباب الأمة الإسلامية لديهم رغبة في التطلع إلى استشراف المستقبل... وأن هناك قيماً ومبادئ وأخلاقيات ومُثلاً تمثلها هذه الأمة، وواقعاً نعيشه اليوم مليئاً بالإحباطات والتحديات التي تعيق الأمة عن النهوض بالواجب الذي عليها.

ونحن المسلمين لنا رصيد ثقافي هائل في التاريخ كله... ولنا دور كبير كان مشهوداً... وهذا الدور كان فاعلاً وصانعاً في الحضارة الإنسانية... والإعلام اليوم يعد من أهم الوسائل وأخطرها القادرة على طرح ومعالجة مثل هذه القضايا... وعلى ذلك، فنحن نطرح قضية «الخطاب الإعلامي» من خلال هذه الندوة لنلقي الضوء حول كيف يستطيع خطابنا الإعلامي أن يتحرك من خلال ثلاث دوائر أساسية، الدائرة الأولى هي الدائرة المحلية... أي «واقعنا الذي نعيشه»، وكيف يمكننا أن نواجه خطابنا الإعلامي لطرح ومناقشة قضايا مجتمعنا المحلي بالتوجيه الصحيح الذي يتصف بالصدق والدقة والأمانة والموضوعية، كما أن على الخطاب الإعلامي في هذه الدائرة أن يرفع حاجات ومتطلبات القاعدة العريضة إلى القمة وإلى مؤسسات صنع القرار، ويسهم في رسم السياسات العامة... وهذه الدائرة تتسع قليلاً إلى الدائرة الإقليمية «واقعنا في الخليج» ونحن دول خليجية تعيش قضايا خاصة... ثم هناك دائرة أخرى وهي الدائرة العربية، فنحن أمة عربية بيننا حدود مشتركة، ولغة مشتركة، وبيننا صلات أخرى بما فيها من وشائج النسب... فنحن بحاجة أيضاً لأن تكون لنا هذه الدائرة وهذا المحيط الذي نتحرك فيه... ثم بعد ذلك هناك الدائرة الثالثة والأخيرة أي «الدائرة العالمية» سواء كانت لأمتنا الإسلامية أو للعالم بأسره.

فحول هذه الدوائر الثلاث... ومن خلال ما لدينا من تراث وما نمتلكه من إمكانات وهبها لنا الله سبحانه وتعالى... وما علينا من دور كلفنا به المولى عز وجل، كأمة إسلامية، أن نقوم به، (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).

فهذا الدور يفرضه علينا الواقع الذي نعيشه ومع هذا يجب أن يكون لنا مساهمة وأن يكون لنا صوت... وهذا ما ستتطرق إليه محاور الندوة.

ثم تحدث الدكتور محمد الرميحي موجهاً الشكر لمجلة الوعي الإسلامي والقائمين عليها لدعوته لحضور هذه الندوة والإسهام مع الزملاء الآخرين، في بلورة بعض المفاهيم حول الخطاب الإعلامي ... وسائله وأهدافه.



- شباب الأمة الإسلامية لديهم رغبة صادقة لاستشراف المستقبل
- واقعنا لايعكس ما يجب أن نكون عليه ولا الدور المنوط بنا
- طرح قضية الخطاب الإعلامي يجب أن تتحرك من خلال ثلاث دوائر أساسية محلية وإقليمية وعالمية

وقد أوضح الدكتور الرميحي أن المشكلة الحقيقية في ثقافتنا العربية تكمن في «تحديد المفاهيم» ففي بعض الأحيان ندخل في نقاشات طويلة مع بعضنا بعضاً مختلفين في وجهات النظر وكل واحد منّا يتبنى مفهوماً مغايراً حول القضية نفسها دون أن ندخل في صلبها ولكن نكتفي بالدوران حولها... وأننا لو اتفقنا على تحديد المفاهيم بدقة منذ البداية لوصلنا إلى نتائج أسرع وأوضح.

مفاهيم متغيرة

وذكر أننا نحن في ثقافتنا العربية نخلط بين مفهومي «الخطاب الإعلامي» و«السياسة الإعلامية»، وفي بعض الأوقات يستخدم أحد المفهومين بديلاً عن الآخر... وكل منهما في حقيقة الأمر صعب التحديد، فلا يمكن أن نحدد بدقة ما الخطاب الإعلامي، ولا أن نحدد بدقة أيضاً، ما السياسة الإعلامية لأن من يتحدث في هذه المفاهيم يتعامل مع مفاهيم متغيرة شديدة السيولة.

إطار

ففي كل مجتمع هناك أكثر من خطاب إعلامي، و هناك أكثر من سياسة إعلامية، إلا أنه هناك إطار يجمع ما نسميه بالخطاب الإعلامي والسياسة الإعلامية في مجتمع ما، ولكنه إطار مرن وليس إطاراً دقيقاً.

العام والمشترك والجوهري

وقد اجتهدت في وضع مفهوم للخطاب الإعلامي وقلت إنه: «محصلة للتوجهات العامة في وسائل الإعلام في مجتمع ما، وهو الذي يجمع العام والمشترك والجوهري

في هذه القضايا»، وحتى هذا المفهوم ربما يكون مفهوماً فضفاضاً لأننا نستطيع أيضاً أن نتحدث من خلاله عن خطاب إعلامي لفئة من المجتمع «المجموعة السياسية - الاقتصادية... الطلابية...».

المجتمعات الشمولية

لايوجد شيء اسمه خطاب إعلامي في المجتمعات التي تتمتع بشيء من الحرية... في حين يمكننا أن نحصل على خطاب إعلامي قد يحتوي أو لا يحتوي على شيء من المرونة، ولكنه متقارب في المجتمعات الشمولية.

ففي المجتمع الشمولي تستطيع أن تحصل على خطاب أو سياسة إعلامية واضحة المعالم، أما في المجتمعات المفتوحة والمخيمات الحرة لا تستطيع أن تحصل على هذا الإطار.

الخطاب الإعلامي الكويتي

وإذا انتقلنا من الحديث حول المفاهيم وتحدثنا عن الخطاب الإعلامي الكويتي سنجد أن هناك خطاباً إعلامياً كويتياً رسمياً بشكل عام، وخطاباً إعلامياً كويتياً غير رسمي... وفي الخطاب الإعلامي الرسمي تتعدد فرص (المناورة) - إذا كانت هذه الكلمة صحيحة - فهناك هامش واسع من المناورة لبعض وسائل الإعلام، وهامش ضيق من المناورة للإعلام الآخر.

فإذا ذكرنا الإذاعة والتلفاز وجدنا أن هناك هامش مناورة ضيقاً وهو خطاب رسمي... ولكن إذا قلنا شيئاً في مجلة العربي مثلاً، فإننا نحصل على هامش واسع من المناورة رغم أن الاثنين خطاب رسمي تقريباً، لأن توجه مجلة العربي هو لمجموعة واسعة من مثقفي العالم العربي وبالتالي تتخطى حدود الوطن الضيق لتلتقي بالآفاق الواسعة لجموع الفكر العربي وهذا يعطيها قدراً أكبر من الحرية من التبعات الرسمية.

قضية الأسرى

ويتم تحديد مفهوم الخطاب الإعلامي وفق الهدف الذي نسعى إليه، ولكن نستطيع أن نرى بعض الثوابت في الخطاب الإعلامي سواء الرسمي أو غير الرسمي «العام والجوهري والمشترك»، فلو أخذنا «قضية الأسرى» مثلاً نجد أنها متفق عليها من جميع التجمعات «الطلاب - السياسيين - اليسار - اليمين - الاقتصاديين ... وكل فئات المجتمع...» وعلى هذا نجد أن قضية الأسرى تأخذ الداميك الرئيسية للخطاب الإعلامي الكويتي.

الخطاب الإعلامي العربي

أما إذا أخذنا الخطاب الإعلامي في المجتمع العربي، فسنجده يحظى بدرجات مختلفة من الحريات... فالحرية الموجودة في الكويت، وربما إلى حد ما في مصر، ليست مثل الحرية الموجودة في ليبيا أو العراق... ففي بلد مثل العراق نجد أن هامش الحرية محدود سواء أكان للخطاب الإعلامي الرسمي أم غير الرسمي.

لذلك فمن الخطأ أن نتحدث عن خطاب إعلامي عربي واحد، أو نتحدث عن خطاب إعلامي إسلامي. السبب في ذلك أن البيئات مختلفة ولديها أولويات تختلف عن البيئات الأخرى، فإذا قلنا إن هناك خطاباً إعلامياً عربياً سنجد أن «الجوهري والعام والمشترك» فيه أكبر... وهذا الاتساع يختلف من بلد إلى آخر أيضاً وذلك لعوامل مختلفة، ومن هذه «العوامل المختلفة» ينضج المجتمع ومؤسسات المجتمع المدني.

ملكية وسائل الإعلام

أيضاً من العوامل الأخرى «ملكية وسائل الإعلام»، فإذا كانت هناك ملكية لوسائل الإعلام كما في سورية مثلاً «الدولة تمتلك جميع وسائل الإعلام، التلفاز - الصحافة - الإذاعة - هذه الملكية العامة تحدد بإطار واحد، لذلك فهناك بعض الكتاب يقولون إذا ذهبت إلى بعض البلدان العربية التي فيها حكم شمولي أو إلى إحدى الدول الشمولية الأخرى، فلا داعي لأن تقرأ جريدتين، بل يمكن أن تقرأ جريدة واحدة، وتجد فيها معظم ما تجده في الجرائد الأخرى.

وكالات الأنباء

وهناك أمر آخر يحدد لنا ماهية الخطاب الإعلامي هو وكالات الأنباء - فهي تحدد بشكل مباشر أو غير مباشر أولويات الخطاب الإعلامي العام... حيث تعتمد الكثير من الصحف ووسائل الإعلام الأخرى على خمس وكالات رئيسية للأنباء في استقاء الأنباء التي تقوم بنشرها وإذاعتها.

انتقاء الأنباء

ويتم الدكتور الرميحي حديثه بالقول : إن هناك عاملاً آخر يحدد الخطاب الإعلامي، وهو تدريب العاملين في وسائل الإعلام وقدرتهم على الانتقاء من بين الكم الكبير من الأنباء والمعلومات الواردة عن طريق وكالات الأنباء وغيرها من المصادر الخارجية ... حيث نجد أن هناك قدرة كبيرة على الانتقاء لدى البعض واختيار ما يناسب الصحيفة أو





- **قراءة الخطاب الإعلامي للآخر من الأمور المهمة**
- **البث الإعلامي المباشر أسقط الجغرافيا**
- **تحديد المفاهيم مشكلة حقيقية في ثقافتنا العربية**
- **الخطاب الإعلامي في العراق محدود الحركة**

الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط»

المؤسسة الإعلامية وهناك قدرات أخرى متفاوتة على الاختيار والانتقاء.

أجندة المجتمع

فالإعلام إذاً هو الذي يحدد أجندة المجتمع... وفي بعض الأوقات يسمى الإعلاميون بحراس البوابة، لأن هؤلاء الإعلاميين يحرسون البوابة الإعلامية، فيدخلون منها ما يريدونه ويمنعون من الدخول فيها ما لا يريدونه.

مجموعة من النهايات

والخطاب الإعلامي كما سبق وتحدث الأخ الوكيل المساعد عبدالعزيز البدر القناعي في بداية الندوة.

حيث ذكر بأننا الآن في عصر يشهد مجموعة من النهايات ... نهاية الأيديولوجيا وهذه القضية تحدث فيها كثير من الباحثين وقالوا لم يعد هناك أيديولوجيا بالمعنى القائم وبخاصة بعد سقوط وانهيار الاتحاد السوفييتي، وتحدث «فوكوياما» عن نهاية التاريخ بأن التاريخ الإنساني انتهى إلى هذا الحد، وأن الإنسان سيكون ملتزماً بالسوق الحرة والديموقراطية بمعنى الالتزام بما وصل إليه الغرب من نتائج.

وذكر الدكتور الرميحي أنه تحدث في إحدى الندوات حول ما أسماه بـ«نهاية الجغرافيا»... فحتى الجغرافيا بدأت الآن تسقط أو تنتهي - بمعنى - أنه إذا فكرنا في نهاية الجغرافيا عسكرياً... فالعالم يستطيع أن يرسل صاروخاً من البحر الأحمر أو البحر الأبيض إلى بغداد... ولم يعد بحاجة إلى قاعدة أو أرض ثابتة ينطلق منها.

وأيضاً ليس بالضرورة أن يكون الكاتب جيداً على أنه من لبنان أو من مصر... بل من الممكن أن يكون الكاتب الجيد من الكويت أو عُمان كمثال... وبالتالي فحتى الجغرافيا هذه سقطت... وما أسقطها تماماً هو البث التلفازي المشفّر وغير المشفّر، وستسقط أيضاً بشكل أكبر عندما نتحدث بالتلفون دون رقيب مباشرة عن طريق الستالايت، وتحصل على معلوماتك عن طريق الإنترنت.

تدفق هائل

إذاً نحن أمام تدفق هائل من المعلومات يكتسح اكتساحاً كبيراً وليس أمامنا إلا الدخول فيه ... كيف ندخل فيه ؟ ... هذا موضوع آخر ... كما أن الإعلام بشكل عام ليس محايداً ... لا يوجد إعلام محايد ... ونحن في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب نشرنا كتاباً بعنوان : «المتلاعبون بالعقول»، وهذا الكتاب يتحدث عن الإعلام في الولايات المتحدة، ويذكر الكتاب أن الإعلام في الولايات المتحدة، التي هي قمة الرأسمالية والحريات .. ليس حراً ... ونحن كما قلنا إنه في دول العالم الثالث الدولة تسيطر على وسائل الإعلام ... وفي العالم المتقدم رأس المال هو الذي يسيطر على وسائل الإعلام ... وبالتالي ما نشاهده ونلمسه هو في حقيقة الأمر انتقاء مصالح رأسمالية، رغم أنه يصل إلينا بحد أدنى من المهنية.

المجتمع الكويتي

وفي الحقيقة، فإن كل مجتمع يطبع خطابه الإعلامي ويتفاعل مع «الجوهري والعام والمشترك» بشكل خاص.

فالمجتمع الكويتي - على سبيل المثال - نجد فيه ظواهر مختلفة ومتناقضة في الوقت نفسه، ونحن نعيش مرحلة ما بعد الغزو في مجتمع يبحث عن تأكيد هوية ما ... وهذه الهوية حتى الآن لم تتبلور تبلوراً دقيقاً ... لذلك نجد حتى في صحافتنا من يشذ عن الشمال، وآخر عن اليمين... والهامش المشترك المفترض أن يكون موجوداً غير مطروق إلى حد كبير.

فإذاً هذا المجتمع يطبع الخطاب الإعلامي ويتفاعل معه بهذا الشكل فهناك فئتان اجتماعيتان تريدان أن تدفعا المجتمع إلى طريق يعتقد أنه الصحيح وليس بينهما حوار «لا يوجد حوار مطروح بين هاتين الفئتين ماذا نريد على وجه الدقة..؟».

في حين أن الواقع يفرض علينا أن نتحدث بلغة حوارية هادئة لأننا في مجتمع صغير ومهدد... فعندما جاء الاحتلال لم يفرق بين شخص وآخر ولكن كل الكويتيين كانوا أمامه سواء... فالضيق والقلق وعدم الرضى وعدم اليقين هي التي تسبب بعض الظواهر غير المرغوبة في المجتمع الكويتي.

العنف في الكويت

وأردف الدكتور الرميحي قائلاً: كتبت مرة مقالاً مطولاً حول «العنف في الكويت» وتحدثت فيه ليس عن العنف العضلي فقط، بل حتى عن العنف اللفظي، فقد أصبح لدينا عنف لفظي في الكتابات والمخاطبات، في حين أن أحد الأسس التي انتشر بها الإسلام كانت (وجادلهم بالتي هي أحسن) و(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)، وهذا يوضح أنه في ذلك الوقت

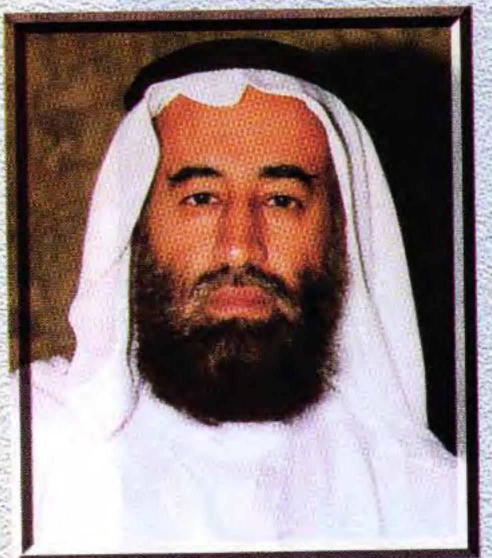




● د. عادل الفلاح



● الأستاذ زهير المزيدي



● د. وائل الحساوي

الذي كان فيه الإسلام جديداً فإنه اراد أن يقنع الناس بالتي هي أحسن ... وكلما تحدثنا بالتي هي أحسن فإن الناس يقتنعون أكثر بكثير من الاندفاع السلبي... إذاً فالعنف في المجتمع الكويتي ظاهرة من ظواهر عدم اليقين وهو أيضاً ظاهر في خطابنا الإعلامي بشكل أو بآخر.

الخبر مقدّس

ولو تحدث أحد أساتذة الإعلام حول الإعلام فسيقول لنا ما هو مكتوب في الكتب: «إن الخبر مقدّس والرأي حر»، في حين تبين بعد الدراسات الصحيحة أن أسوأ ما يمكن أن يغرر بنا هو الخبر... حيث من الممكن أن يُصاغ خبر ويتم التغرير بمجتمع كامل بسبب هذا الخبر، وليس بسبب الرأي، لأننا نعرف أن هناك رأياً، وهناك رأياً آخر.

خطاب الصوت العالي

وأريد أن أمر بسرعة على الخطاب الآخر ... على الخطاب الذي أسميه أنا «الخطاب الصائت» أي خطاب الصوت العالي - وأبرز مثال له هو خطاب النظام العراقي ... وأنا أريد أن أرجع الإخوان إلى مجموعة من الموضوعات كتبتها ونشرتها في صحيفة «الحياة» في ١٨/٩/١٩٩٦م، حيث كتبت: «التباكي على مصالح الشعب».

وكتبت أيضاً عن الخطاب الإعلامي العراقي - الذي كما أشرت في بداية حديثي إلى أنه خطاب كلاسيكي شمولي واضح المعالم، هذا الخطاب يقول مثلاً إنه: في «سنة ٩٠/٩١ انتصرنا» إذ لا نجد واحداً في الخطاب العراقي إلا انتصر في سنة ٩٠/٩١



- الموضوع الثاني مثلاً يقول: «إننا دخلنا الكويت أو غزونا الكويت لأن الكويت استفزتنا»، ولذلك لا تجد أحداً يقول لك: إن كانت لنا رؤية في الموضوع، أو وحدة عربية أو غير ذلك، من الخطاب الإعلامي المستقر لدى إخواننا في العراق بأننا دخلنا الكويت من أجل تحرير فلسطين رغم خطأ المقارنة إلا أنه مُصرّ على هذا الأمر.

وهناك مجموعة من المراكز الأساسية في الخطاب الإعلامي العراقي فنجده كما قلت لديه شمولية وشيء جوهري وشامل في مثل هذا الموضوع.

وقد كتبت فيما كتبت ضمن مقال التباكي على مصالح الشعب في ١٨/٦/١٩٩٦م - أما ثالث نماذج خلط الأوراق فهو الحلف الشيطاني الذي أقامه البرزاني مع النظام في بغداد، وهو حلف يتميز بميزات كثيرة منها أن الجانبين البرزاني والصدامي يعتقدان جازمين أنه حلف موقت، وتبين طبعاً أنه حلف موقت.

بعد ذلك يختتم الدكتور محمد الرميحي الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، رئيس تحرير مجلة العربي حديثه حول هذا المحور بتأكيد أن قراءة الخطاب الإعلامي للآخر من الأمور المهمة. ■



B777 ... إضافة جديدة لإسطولنا



بالرغم من إمتلاكنا لواحد من أحدث أساطيل الطيران في العالم فهنالك عزم دائم على الاستمرار في التجديد والتطوير. فالحركة الدؤوبة لمسافرينا تستحق منا بذل قصارى الجهد لتوفير الأحدث والأفضل دائماً. لذلك فعند سفرك معنا، فلن تجد فقط اسطولاً مكوناً من أحدث طائرات البوينغ وطائرات الباص الجوي، بل سوف تجد ايضاً مقاعد متطورة تواكب القرن الحادي والعشرين. هذا فضلاً عن وسائل الترفية والتسلية وخدمات رجال الأعمال. غايتنا دائماً اكتساب ثقتكم لنفخر بكم على متن الخطوط الجوية الكويتية.

الخطوط الجوية الكويتية
ثقتكم غايتنا

الوعي الإسلامي
تفتح ملف
العمل الخيري في الكويت

امتاز أهل الكويت منذ القدم بحب الخير، والعمل من أجله والحرص على التراحم والتكافل في السراء والضراء. وقد سجل التاريخ مواقف خالدة لأهل الكويت في حبهم للخير رغم ضنك الحياة.

ومع ظهور النفط، اتسعت دائرة العمل الخيري بعد أن شملت المحتاجين داخل البلاد، انتقلت إلى الإخوة المسلمين في كل أرجاء المعمورة، لتقديم مساعدات أهل الكويت إلى الأيتام وطلاب العلم والفقراء.

وانتشرت مصانع الخير الكويتية في كل دول العالم الإسلامي، ولدى الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية وراجت هذه الصناعة وأصبحت مصدر فخر واعتزاز لتقديم الدعم والتواصل مع الفقراء والمحتاجين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومع حدوث الغزو العراقي الغاشم لأرض الخير والعطاء لم تتوقف مصانع الخير عن الإنتاج والعطاء لإيمان أهل الكويت الراسخ بعدل قضيتهم، وعودة حقوقهم، فإن ما قدموه قبل الغزو كان تصديقاً لقول رسول الله - ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»، وبالفعل كانت صنائع المعروف وقاية حقيقية للفرد والمجتمع والدولة، حيث البركة والطمأنينة والتوفيق في العمل والرزق وتجنب الشرور والعقبات.

والوعي الإسلامي تسلط الضوء على مسيرة العمل الخيري الكويتي من خلال هذا الملف الشهري لتأكيد دور الكويت الخيري والحضاري دون منة ولتأكيد أصالة هذا الشعب وتمسكه بالقيم الإسلامية التي نادى بها كتاب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - لتحقيق العدالة والمساواة والإخاء بين المسلمين في كل مكان.

كيف أصبح الخير صناعة وطنية تصدر لقارات العالم؟

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ٢

كتب: أحمد عثمان

في هذه الحلقة من ملف العمل الخيري في الكويت نسلط الضوء على مؤسسة محلية الإشعاع، عالمية الانتشار، إنها الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية التي تأسست بالمرسوم الأميري رقم ٦٤ لسنة ١٩٨٦م برئاسة وزير الأوقاف الأسبق يوسف جاسم الحجي، أحد رموز العمل الخيري في الكويت، وكان لمجلة «الوعي الإسلامي» هذا اللقاء معه:

يوسف الحجي رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية:

أمير البلاد وولي العهد قدما كل التسهيلات لإنجاح أهداف الهيئة

منظور تاريخي

● بداية: كيف ترى العمل الخيري الكويتي الشعبي من منظور تاريخي وعالمي؟

ـ الكويت بلد طُبع على الخير حتى قبل حقبة الرخاء، وظهور النفط التي أنعم الله بها على الكويت وأهلها أصحاب الأيادي البيضاء والمكرمات التي وصلت شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، تحدثاً بنعمة الله وأداء لحق الله سبحانه في مساعدة الفقراء والمحتاجين، وإقامة المشروعات، وبناء المساجد والمنشآت الطبية والتعليمية في بلدان كثيرة.

ولم يكن هذا العمل بتوجيه سياسي أو حزبي لعدم وجود شبه هذه التوجهات على الساحة في تلك الفترة، وإنما كان ومازال خالصاً لوجه الله تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها)، وفي الوقت نفسه، كانت الأعمال الخيرية والتكافل النابع من مجتمع الكويت المسلم بطبعه، الحريص على إرضاء ربه، والارتباط الأسري والقبلي الذي تتم من خلاله كثير من جهود الاكتفاء الذاتي،



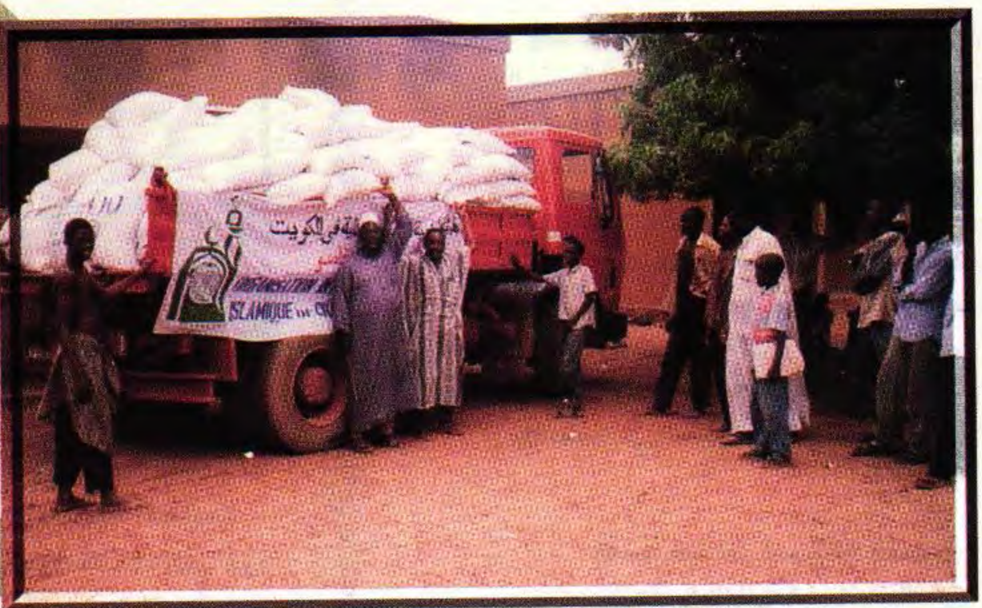
● يوسف جاسم الحجي

وسد الاحتياجات التي تنشأ على مستوى أفراد العائلة أو القبيلة بصورة تلقائية.

ثم جاءت حقبة الوفرة التي تولت فيها الدولة تلبية جميع الاحتياجات، من بنية أساسية إلى خدمات متكافلة، وامتدت الوفرة بحمد الله إلى الأفراد والقطاع الأهلي،

واستمرت طبيعة الخير، ولم يفتنها إقبال الدنيا، وكان من الطبيعي أن تتجه إلى خارج دولة الكويت، حيث تولت الدولة تغطية احتياجات الداخل، وأصبح من غير المنطقي أن يقوم القطاع الأهلي والخيري بإقامة منشآت تزيد على الحاجة، حيث يكون الأقربون في غير حاجة لمعروف سوى التكاتف والتآزر.

هذا ما نلاحظه في العمل الخيري في الكويت، فالاهتمام بالمساعدات الخارجية موجود وقديم ومستمر، ولكن اهتماماً بالعمل الخيري الداخلي بدأ يظهر وينمو، كما هو حاصل في الكثير من المشروعات المحلية.



بلورة جديدة

وها هي الهيئة بصدد بلورة خططها وأنشطتها لتواجه المتطلبات المحلية إلى جانب المسؤولية العالمية الملقاة على عاتقها.

كما أن لجانها وفروعها تحقق الدور المطلوب وفق تخصصاتها، فهناك لجنة ساعد أخاك المسلم، ولجنة مسلمي آسيا، ولجنة فلسطين، ولجنة وقفية الألف ألف، ولجنة الشروق، وهي خاصة بالشباب.

وليس غريباً أن ينطلق العمل الخيري في مسيرة التطور في الكويت وهي الرائدة في مجال الخير، والتي يمثل أميرها قمة الخير في العالم، حيث اختير الشخصية الخيرية لعام ١٩٩٥م. وعليه، فإن شجرة الخيرة الكويتية تتسابق فروعها بجذور راسخة في أرض الخير والعطاء.

فكرة التأسيس

● كيف كانت فكرة تأسيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ؟

نهدف إلى تعليم الجاهل وتشغيل العاطل، وإطعام الجائع، وكساء العريان، وإيواء المشرد وعلاج المريض

ـ التقت مشاعر كل المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية في ١٧ رمضان ١٤٠٤هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٨٤م، على أرض الكويت الطيبة، وتوحدت قناعتهم بضرورة إنشاء هيئة إسلامية عالمية، وكان ذلك في مؤتمر ضم ١٥٠ شخصية من شتى أنحاء العالم.

وقد قام صاحب السمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، وحكومة الكويت بتقديم جميع التسهيلات لدفع عجلة الهيئة مادياً ومعنوياً وتسخير جميع الإمكانات لتؤدي رسالتها على الوجه الأكمل. وتهدف الهيئة إلى جمع ألف مليون دولار لاستثمار المبلغ والإنفاق من أرباحه على أعمال الخير في كل دول العالم، فجمعت بعضها وقررت أن تستثمر الأموال المجمعة حتى يشعر كل مسلم في كل مكان أنه عضو فعّال في هذه الهيئة.

مرسوم أميري

بعد الاطلاع على المواد ١٢، ١٤، ١٥ من الدستور، وافق مجلس الامة على القانون الآتي نصه وقد صدقنا عليه وأصدرناه :

مادة أولى :

تنشأ في الكويت هيئة خيرية إسلامية تسمى «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية»، تكون لها الشخصية الاعتبارية ويكون مقرها دولة الكويت، ولها أن تنشئ فروعاً لها خارج الكويت، وتباشر نشاطها وفقاً لأحكام النظام الأساسي الذي يصدر بمرسوم.

مادة ثانية :

تخضع الهيئة للقوانين السارية في دولة الكويت، ويصدر قرار من مجلس الوزراء بتحديد الوزارة المختصة التي تتولى الإشراف على هذه الهيئة.

مادة ثالثة :

على الوزراء ـ كل فيما يخصه ـ تنفيذ هذا القانون ويُعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

أمير دولة الكويت

جابر الأحمد

صدر بقصر السيف في شوال ١٤٠٦هـ. الموافق ٢١ يونيو ١٩٨٦م



«إننا من واقع الغيرة على الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، نوجه النداء إلى ذوي الغيرة الإسلامية من حكام المسلمين وشعوبهم، لمد يد العون للهيئة، مستشعرين صفتها العالمية وغاياتها النبيلة، فإن إتاحة الفرص الجديدة لها لممارسة أنشطتها وتسهيل إجراءاتها عون لها على فعل الخير».

أمير دولة الكويت
جابر الأحمد

وقد تم افتتاح مكاتب خارجية للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في كل من قطر والبحرين والنيجر والسودان والأردن وأوغندا وجزر القمر وغيرهم.

وللتاريخ نذكر أن الفكرة نبعت من خلال فكرة طموحة طرحها فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي في حوار مؤتمر المصارف الإسلامية وتحولت الصرخة والفكرة إلى هيئة إسلامية عالمية تقدم الخير للإسلام والمسلمين في العالم.

أهداف الهيئة

● ما أهداف الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ؟

ـ للهيئة أهداف عدة وطموحات رائدة في مجال خدمة الإسلام والمسلمين، فالهيئة تقوم على تعليم الجاهل، بإنشاء المدارس والمراكز التعليمية، وتشغيل العاطل، وتدريس العامل، وذلك ببناء المعاهد العلمية ومراكز التدريب المهني، وإطعام الجائع، وكساء العريان، وعلاج المريض، وإيواء المشرد، ورعاية اليتيم.

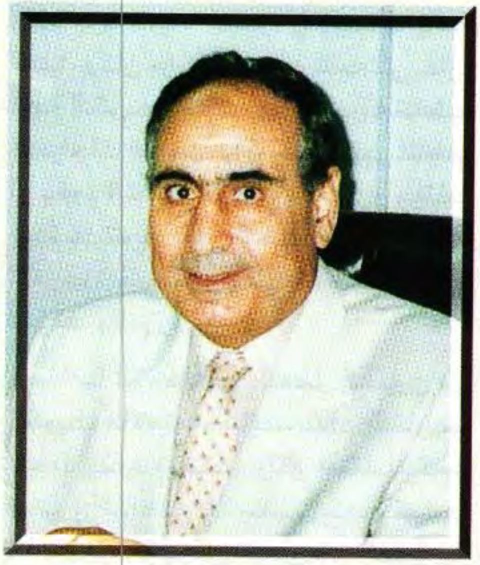
وإقامة هذه المؤسسات من معاهد ومدارس ومصانع، ومساجد يكون في النهاية الهدف منه رعاية المسلمين مما يتعرضون له من مشاكل وهموم دنيوية وحماية دينهم وعقيدتهم السمحة، مما يواجهونه من ضغوط وفتن، لذا كان شعار الهيئة: «ادفع ديناراً تنقذ مسلماً».

النظرة الخارجية

● ما نظرة الجهات الخارجية للعمل الخيري الكويتي ؟

ـ لقد حظي دور الهيئة وعملها بالتقدير من العالم حكومات وشعوب، الأمر الذي توجته بالعضوية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة، وبهذا تنطلق لتؤدي واجبها وتسهم في التخفيف من حدة الفقر في العالم، وتخفف من معاناتهم، وانطلقت الهيئة تشارك بفعاليات المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة واللجان المنضوية تحته.

كما شاركت بالعضوية في هيئات عالمية كاليونسكو ومنظمة العمل الدولية، ومنظمة الزراعة والأغذية الدولية، والصندوق الدولي للتنمية الزراعية، واليونيسيف، والهلال الأحمر، والصليب الأحمر، ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين، ومنظمة المؤتمر الإسلامي.



● ابراهيم حسب الله

وقد لاقت الهيئة كل ترحيب من كل الدول وشعوبها، بعد أن حظيت بالثقة الكاملة وحققت الأهداف النبيلة والإنسانية لمختلف الدول.

معايير وانضباطات

● ما المعايير التي تضعونها لتقديم المساعدات للجهات المستفيدة ؟

ـ تخضع أعمال الهيئة ومشاريعها لأدق النظم وفقاً لمعايير وانضباطات محدودة،

إنجازات الهيئة خلال العام الماضي

المشروع	العدد
المساجد	١٢٧٣
الآبار	٨٧٧
المدارس والكليات	٤٧
المراكز الصحية	٤١
المراكز الإسلامية	٢٧
المشاريع الإنتاجية والمباني	٤١
مراكز التدريب المهني	٢٠
دور الأيتام	٥
الأضاحي	١٧٧٧٧
ولائم الإفطار	٨٦٧,٤٤٢
مدارس تحفيظ القرآن	٧٢
كفالة الأيتام	٣٠٧٥

وهي تسعى جاهدة إلى إنشاء ودعم المشروعات الخيرية، سواء كانت اقتصادية أو تنموية أو تعليمية أو صحية أو اجتماعية، فهي تسهم عن طريق هذه المشروعات في تنمية المجتمعات المسلمة، والارتقاء بها ضمن استراتيجية واضحة ونظام دقيق ودراسات علمية وميدانية مع التوسع في استخدام إمكانات وتقنيات عصرية، والاستفادة المثلى من تجارب الآخرين، وبما لا يتعارض مع قواعد الشريعة الإسلامية، وبما يحقق أفضل الخدمات للفقراء ليكونوا عاملين ولبنات صالحة في مجتمعاتهم وذلك خلال رسالتها الواضحة.

ولعل من أسباب نجاح الهيئة واكتسابها هذه الثقة محلياً وعالمياً، يرجع إلى المعايير الدقيقة التي وضعتها الهيئة لتقديم المساعدات.

فالهيئة تصلها التقارير اليومية من خلال مكاتبها، فتخضع هذه التقارير للدراسات العلمية والتقييم، وتشبع درساً وتمحيصاً، من قبل الإدارة المختصة، فتمر على لجنة المساعدات، وقد يحتاج الأمر في بعض الأحيان للزيارات الميدانية لمواقع المشاريع المقترحة، وبعدها يتم توزيع الأعمال وفقاً لمبدأ الأولويات وعدم الازدواجية، وحاجة المسلمين في تلك المنطقة لهذا المشروع.

فتبدأ الهيئة بالتنفيذ تحت إشراف ومتابعة في غاية الدقة، من قبل مبعوثها الذين يقومون بزيارات دورية للتأكد من مطابقتها للشروط المتفق عليها، وهكذا اكتسب العمل الخيري مصداقية واسعة في قلوب أهل الكويت وخارجها.

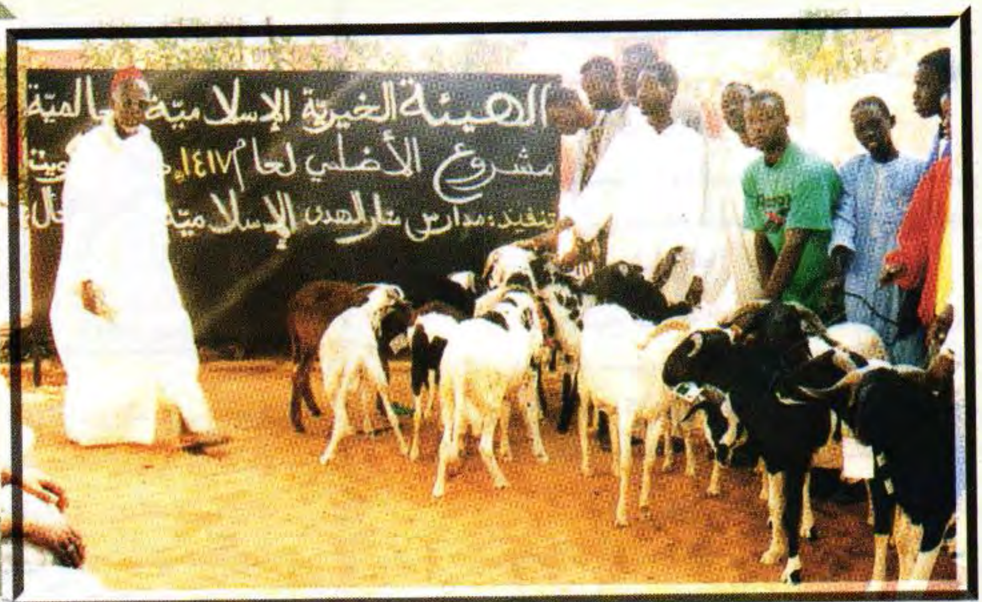
وعلى مستوى الهيئة تتعمق مشاركتها العالمية ودورها العالمي وفق استراتيجية مستقبلية واضحة المعالم.

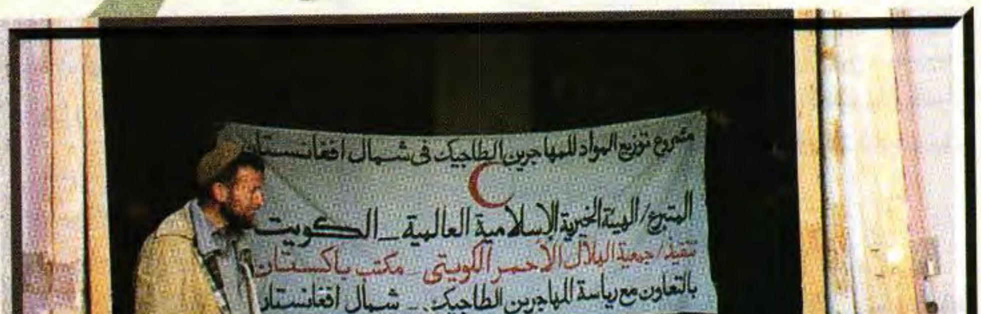
كما يصل للمتبرع أو المحسن عادة تقرير دوري بالمشروع المقدم منه منذ وضع حجر الأساس حتى الاحتفال بافتتاحه بالصورة والفيديو والتقارير والتكاليف.

استراتيجية العمل

● **ما استراتيجية الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ؟**

ـ تتركز استراتيجية الهيئة على دعم المشروعات التي تسهم في تنمية المجتمعات المسلمة والارتقاء بها بناء على أسس ومتطلبات من أهمها :





رغم محنة الاحتلال العراقي الغاشم واصلت الهيئة أنشطتها الخيرية العالمية

١ ـ ترسية معالم الأسلوب المؤسسي في العمل الخيري تنظيراً وممارسة.

٢ ـ تحقيق البعد العالمي الخيري تأسيساً وتحويلاً وإنفاقاً وتنسيقاً.

٣ ـ الوصول إلى منهجية تكاملية في تخطيط وإقامة المشروعات التنموية في المجتمعات.

٤ ـ الاهتمام بالإنسان وتنمية قدراته وإمكاناته وتمكين الفقير والمحروم ليكون عنصر إنتاج وبناء يساعد نفسه وأهله وغيره.

٥ ـ البعد عن المنازعات السياسية وتأكيد خيرية العمل وشفافية ووضوحه.

٦ ـ تقديم نموذج مشاكل للعمل الخيري التطوعي يوازن الأصالة والمعاصرة.

«إن الدور الذي ستقوم به هذه الهيئة كبير وضخم، وسنبذل كل ما نستطيعه لكي نمكّنها من تحقيق أهدافها وطموحاتها والتي تعود حقيقتها على المسلمين بالخير في كل مكان».

ولي عهد دولة الكويت ورئيس مجلس الوزراء سعد العبدالله الصباح

٧ ـ تقوم الهيئة باستثمار أصول التبرعات والصدقات وتنفق من عائدها على مصارف الخير ويبقى الأصل.

٨ ـ تتحول كل الصدقات والتبرعات في الهيئة إلى صدقة دائمة النفع ومتصلة الأجر والثواب إن شاء الله.

٩ ـ تتيح الهيئة الفرصة للمتبرع للتقرب إلى الله سبحانه ومضاعفة الأجر بإذن الله مع تحقيق توجهاته الخيرية بما يفيد الإنسان والمجتمع والدولة.

١٠ ـ تولي الهيئة اهتماماً خاصاً بالتأهيل ومراكز التدريب المهني والمشروعات الإنتاجية الزراعية الغذائية والمهنية وكأسلوب دائم النفع للمجتمعات الفقيرة.

١١ ـ التنسيق والتعاون مع الهيئات والمنظمات الخيرية المحلية والإقليمية والدولية لتحقيق أفضل النتائج بأقل التكاليف وفي أسرع وقت.

مشاريع تحققت

● ما أهم المشاريع التي تم تنفيذها من قِبَل الهيئة حتى الآن ؟

نسعى إلى إنشاء جامعة أهلية في الكويت تستوعب من تعذر دخولهم في الجامعة والمعاهد

إحصائية مبسطة عن السنوات الأخيرة وعدد المشاريع

السنة	عدد المشاريع	التكلفة بالآلاف
١٤١٤	٨٢	١٨٢,٩٥٧ د.ك
١٤١٥	٩٥	١٧٠,٧٢٢ د.ك
١٤١٦	١٢٢	٣٨٢,٢٠٢ د.ك
١٤١٧	١٤٠	٤٧٤,٩٤٢ د.ك
١٤١٨	٤٤٦	٧٧٨,١٧٠ د.ك

ـ لقد تمت مشاريع الهيئة بشكل يدعو للفخر والاعتزاز في كل المجالات، وقد بلغت نسبة الزيادة الإجمالية في تكلفة المشاريع المنفذة للعام ١٤١٨هـ عن العام الماضي ٢٥٥,٨٪ في حين بلغت نسبة الزيادة في عدد المشاريع عن العام الماضي ٢١٨,٦٪ حيث بلغت عدد المشاريع ٤٤٦٨ مشروعاً للعام ١٤١٨هـ، وقد اختلفت فيها أنواع المشاريع في أكثر من ٦٠ دولة.

وقد ثمن الجمهور للهيئة هذه المشاريع، حيث ظهر ذلك جلياً من خلال مواصلة دعم المشاريع وأنشطة الهيئة وتخصيص التبرعات لصالح هذه المشاريع، وبما يخدم استراتيجيتها وتطبيق نظريتها في مجال تنفيذ المشاريع.

الاحتلال الغاشم

● ما تأثير الاحتلال العراقي الغاشم على مسيرة الهيئة والعمل الخيري ؟

ـ أصاب الهيئة الخيرية العالمية في الكويت ما أصاب كل المؤسسات الحكومية والأهلية واللجان الخيرية نتيجة الاحتلال العراقي الغاشم لدولة الكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م.

ولم تسلم الهيئة من الأضرار في مبانيها وممتلكاتها، حيث تم نهب مرافقها وأجهزتها، إلا أن الضرر البالغ وقع على المسلمين في العالم نتيجة تعطل خدماتها لهم، حيث إن نشاط الهيئة وخدماتها ممتدان على طول وعرض العالم، ويشمل البلدان العربية والإسلامية وأوساط الأقليات المسلمة.

وأمام هذه الضربة العراقية الموجعة لدولة الكويت على يد جار لم يرع حق العروبة والإسلام والأنساب والأرحام والأخوة والجوار، قامت الهيئة وغيرها من المؤسسات الخيرية بالتحرك لاستئناف عملها الخيري خارج الكويت. وكان للمملكة العربية السعودية حكومة وشعباً وبقية دول مجلس التعاون الدور الذي جعل الحركة تدب وتدور من جديد في كل المشاريع الخيرية التي ترعاها الكويت عن طريق صندوق خاص لتمويل الهيئات الخيرية الكويتية.

وقد كان للبنك الإسلامي للتنمية في جدة فضل دعوة جميع المؤسسات والهيئات

الخيرية التي تعمل في الكويت لاستئناف نشاطها مرة أخرى خارج الكويت. فكان التجاوب، حيث التقى ممثلون عن الهيئة الخيرية ووزارة الأوقاف وبيت الزكاة وجمعية الإصلاح ولجان التكافل مع ممثلي البنك للنظر في استئناف العمل الخيري، وقام البنك مشكوراً بتقديم الدعم المالي لما أعطى هذه الهيئات والجمعيات واللجان الخيرية دفعة قوية لاستئناف عملها وأنشطتها.

وهكذا، رغم محنة الاحتلال العراقي الغاشم، عملت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ومازالت على مساعدة المعوزين والمحتاجين، وخدمة الإسلام والمسلمين في كل أصقاع الأرض، ولتبعث في النفس البشرية الاطمئنان والسكينة على مر العصور والأزمان، ونجحت الهيئة ولله الحمد وبرزت لأنها محل ثقة المجتمع الكويتي والإسلامي والدولي.



صعوبات وعقبات

● هل من مواقف تعرضتم لها خلال مسيرتكم الخيرية ؟

ــ لم يكن طريق العمل الخيري مليئاً بالزهور، فكل عمل خيري أو تجاري لا بد أن يواجه بالصعوبات والعقبات والمشكلات، ولكن ما يميز العاملين في المجال الخيري عن غيرهم أنهم يعملون لتحقيق أجر ديني، وأن هذا الأجر يزداد ويتنامى كلما ازدادت المشقة وازداد الجهد المبذول، وكلما تعرض العامل فيه للمشقة والمخاطر، في سبيل الوصول لغايته وهدفه المنشود كان أفضل بالنسبة له.

لذا نرى العاملين في المجال الخيري يتعرضون لبعض المخاطر، وبخاصة أثناء الزلازل والحروب الأهلية والفيضانات والكوارث المختلفة، لكن ذلك لا يمنع من تنفيذ ومزاولة الأعمال، خدمة للفقراء والمرضى وطلباً للأجر من رب العالمين.

وهناك صعوبات أخرى مثل : صعوبة التنقل وعدم توافر وسائل النقل بين المناطق الوعرة، وبخاصة في المناطق المحاصرة بالمستنقعات والجبال الشاهقة، والوديان المنخفضة، والغابات الموحشة لدى بعض الدول التي ترغب الهيئة في تنفيذ مشاريع الخير فيها، الأمر الذي يعطل ويؤجل تنفيذها. وأؤكد بأن رغبة العمل الخيري جاوز كل الصعوبات.

مشاريع مستقبلية

● ما مشاريعكم المستقبلية ؟

ــ استشرافاً للمستقبل، فإن الهيئة وضعت استراتيجية العمل المستقبلي ضمن رؤيا ودراسة موضوعية، ورغم عملها وتكوينها العالمي، فإنها لم تغفل العمل الخيري داخل الكويت.

فقد خصصت لجنة ساعد أخاك المسلم في كل مكان للعمل التعليمي والإنساني والخيري في الداخل، تسهم في مساعدة الفقير وتنوي التوسع المطرد والمدروس في مشاريع الخير في الكويت، بما يخدم فئات معينة كالمسنين وغيرهم، كما تسعى إلى إنشاء جامعة أهلية تستوعب من تضرر دخولهم في جامعة الكويت والمعاهد التطبيقية.

الافتراءات الموجهة إلى العمل الخيري تَجنٍّ واضح وباطل ويهدف لتجفيف منابع الخير

كما أن الهيئة تستعد حالياً لافتتاح مقرها الرئيسي في منطقة جنوب السرة، وهو صرح «خيري كبير» يجمع الفعاليات الخيرية للهيئة في مكان واحد، والهيئة آخذة كذلك بالتوسع الأفقي في مشاريع التمكين والمشاريع التنموية والإنتاجية تحقيقاً لشعارنا الذي نرفعه معاً: «لا يعود السائل إلى السؤال».

افتراءات باطلة

● ما ردكم على الافتراءات والأكاذيب بشأن العمل الخيري الكويتي ؟

ــ إن ما يثار من افتراءات حول العمل الخيري هو تجنٍّ على العمل الخيري، وادعاء باطل، ويهدف إلى تجفيف منابع الخير التي تقدمها الأيادي البيضاء من أهل الخير.

والحقيقة واضحة جلية ظاهرة، بأن العمل الخيري بعيد عن تلك الأكاذيب.

وشرعياً فإن ديننا الإسلامي المسلم ينبذ الإرهاب ويرفضه، بل يحاربه، ولذا أطلقها واضحة وأقولها بصراحة إن إلصاق الإرهاب بالعمل الخيري تهمة باطلة يسعى الحاقدون من ورائها إلى الإساءة للإسلام، ولكن (يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين). ■

حضارة وفكر

يصاب القارئ عموماً بالدهشة حينما يقرأ التاريخ الفلسفي العلمي الحضاري من مثل قصة الفلسفة لـ «ويل ديورانت» ـ وهو كتاب ممتع بحق ـ أو تاريخ الطب، حيث يرى فجوة تاريخية يُحار أمامها، بل هناك قفزة لا يمكن تفسيرها ما بين أرسطو وفرانسيس بيكون، أي ما بين النهضة العقلية الهلينية والنهضة الأوروبية الحالية؟

هل وقف التاريخ ألف عام فلم يتحرك؟! أم هل بدأ العقل الغربي يتحرك من لا شيء؟! أم أن عقلية قتل المفكرين لأنهم سحرة ومارقين، تحولت من تلقاء نفسها إلى الحرية الفكرية، والبحث الخالد عن الحقيقة، والنهم بغير حدود عن المعرفة، والعطش الإبراهيمي إلى اليقين، والتعامل مع الطبيعة من خلال مفهوم السنن لتسخير نواميسها؟!

يبقى التساؤل القرآني الخالد ينطبق تماماً على هذه الحال كما كان في حواراته مع العقل الجاهلي القديم: (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون). لا يتم الخلق من لا شيء ولا يخلق الخلق نفسه، لا يستطيع الخلق أن يخلق نفسه لأنه غير مخلوق فكيف يخلق نفسه؟ ولا يأتي الخلق من مصدر غير موجود فكيف يوجد أو كيف ينبثق ولا وجود قبله؟

بل يبقى أمامنا مهمة اكتشاف هذه الحقيقة المهمة لمعرفة نظم التاريخ ونبضه الخلاّق، وبالتالي لا نصاب بالإحباط أو الحسرة والحزن، حينما يستولي علينا الشعور بأننا كنا على هامش التاريخ.

الحلقة المفقودة

بقلم: د. خالص جلبي

عندما أراد المؤرخ البريطاني جون أرنولد توينبي(١) دراسة التاريخ البريطاني وجده غير قابل للفهم وحده، بل لابد من دراسته ضمن حقل أوسع، وهو ما اهتدى إليه أخيراً في فهم المجتمع البريطاني ضمن حقل أعظم يمكن فهم تطور المجتمع البريطاني من خلاله بشكل واضح، أي فهمه من خلال «الحضارة الغربية»، عندها انتقل توينبي ـ وهو المؤرخ والحجة في التاريخ ـ لفهم حقول جديدة، فالحضارة الغربية هي خلق من خلق الله، وليست الحضارة الوحيدة التي مرت على ظهر البسيطة، كما أنها لن تكون الأخيرة والأفضل، ذلك أن حياة الحضارات قصير فلا تزيد عن ستة آلاف سنة، فيما لو قورن مع عمر الإنسان على ظهر الأرض ٢,٣ مليون سنة، على الأقل حسب كشف «الإنسان لوسي» شرق الحبشة على يد الانثروبولوجي «دونالد جوهانسون»، أو لو قورن مع بداية الثدييات أو عديدات الخلايات «٥٣٠ مليون سنة» أو عمر الأرض التي نعيش عليها (٤,٦ مليار سنة).

وصل توينبي إذاً إلى حقول جديدة وحضارات متنوعة، هي متمايزة عن بعضها بعضاً، ولكنها متجانسة للغاية ضمن حقلها الخاص، هذه الدراسة قادته وفي مدى يزيد عن نصف قرن إلى فهم عميق لظاهرة قيام «الحضارات» ونموها ثم تحللها وتفسخها واندثارها، كمثل أي كائن عضوي ينمو ويشتد عوده ثم يشيخ ويهرم ويسلمه الموت إلى انقطاع.

(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)(٢).

يرى توينبي ضعف الروح النقدية عند من يشتغل في التاريخ ويكتب فيه فيقول: «المؤرخون على وجه العموم، أميل إلى توضيح آراء الجماعات التي يعيشون ويكدحون في محيطها، منهم إلى تصحيح تلك الآراء»(٣)، وسبقه إلى المفهوم نفسه مع عبارة أوضح في الدلالة، وأعمق في الأثر «ابن خلدون» حينما انتبه إلى «مطب» العقلية النقلية دون تكوين العقلية النقدية، فسطّر قلمه هذا المفهوم «السنني» ولكن بعبارات متألقة ومثيرة «لأن الأخبار إذ اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تُحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران، والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يُؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم، والحيد عن جادة الصدق»(٤).

كما انتبه العلامة ابن خلدون إلى فكرة القانون الاجتماعي الذي ينتظم حركة نهوض الدول وانبثاقها، ثم تطورها وقوتها، ثم شيخوختها وإذعانها إلى الأرض لتكمل دورة الحياة والموت: (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين)(٥).

ووصل في اكتشافه المدهش هذا إلى أن عمر الدولة في المتوسط هو (١٢٠سنة)، وإذا بقيت دولة تحكم بعد هذا العمر، فليس لأنها خرقت القانون، بل لـ«عدم وجود الطالب!»، ولكن ابن خلدون لم يتوصل إلى إدارك «فكرة القانون الحضاري» الأشمل وكان على مرمى حجر منه، وإن كان قد أشار إلى كلمة حضارة بمفهوم مجتمع المدينة، وليس على النحو الذي وصل إليه بعد توينبي أو شبينجلر، والذي ينتظم دولاً، وأنظمة حكم شتى، ولكنه حقل موحد يتنفس فيه الإنسان من

نفس الهواء الحضاري، ويسبح في البلاسما الثقافية نفسها.

يعتبر مفهوم «الحضارة» حديثاً نسبياً، وانتبه له المؤرخون المحدثون منهم توينبي الذي كرَّس عمره لدراسة هذه الظاهرة على وجه البسيطة منذ أن تشكلت بدايات الحضارات، واستطاع الكشف ما لا يقل عن ٢٨ حضارة، انبثقت من «٦٠٠ مجمع بدائي»، مثل مجتمعات النمل والدجاج، فحيث يقف المجتمع في التاريخ لا يدخل الحضارة، وحيث يبدأ في التطور وهو يملك وسائل تطوره يدخل الحضارة، فالنمل أو النحل أو الطيور أو النمور، بل حتى أرقى الكائنات القريبة من الإنسان، مثل الشمبانزي والغوريلا والقرود من أمثال أورانج أوتان هي هي منذ آلاف السنين، تعيد دورة الحياة اليومية من دون أي رقي أو تطور في حياتها، في حين أن الإنسان «الذي دخل الحضارة» قفز في حياته الاجتماعية من اختراع الكتابة إلى الكمبيوتر، إلى الاتصال بسرعة الضوء، إلى بناء الحكومات والبرلمانات، إلى أسرار الذرة والنسبية وميكانيكا الكم والشيفرة السرية للوراثة.

إذاً فليس كل مجتمع بدأ بالحضارة، وليس كل مجتمع بدائي استطاع القفز إلى الحضارة، وهناك حتى اليوم مجتمعات لم تدخل الحضارة بعد، كما هو الحال في مناطق من الفيلبين أو أوستراليا، كما أن نكس مجتمع حضاري وارد، بل إن موت الحضارة هو قانون مرعب، والقرآن أشار إلى موتين: «موت الأفراد»، و«موت الأمم»، فأما موت الأفراد فقال عنه: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)(٦)، وأما موت الأمم فقال عنه: (لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)(٧)، وساعة الأمم ليست كساعة الأفراد، وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، كما أن هناك ظاهرة (القضم والهضم) بين حضارة ماتت وحضارة تبني نفسها، من مواد الخام «الخردة» من الأمة المتبقية، والحضارة حين تموت، لا يموت أفرادها لأن موتها ليس نوعياً مثل موت الأفراد بالضبط، فالفرد حينما يموت يحافظ على شكله أولاً ولكن من دون فعالية، ودون نبض حياة، ثم يدخل المرحلة المريعة الثانية حيث يبدأ بالتفسخ، وهو ما يحصل للجثث، بل إن الجثة قبل أن تتفسخ تمر في مرحلة عجيبة، يعرفها الأطباء هي مرحلة «الصمل الجيفي» حيث تتصلب الجثة، وقد تمر الأمم في مرحلة تشبه هذا حين تتخشب في شكلها، فيظن الجاهل أنها علامات قوة وعافية، وهي قد فارقت الحياة منذ زمن طويل!! وفي النهاية يرجع كل شيء إلى مصدره الذي خرج منه، فالإنسان في حقيقته ليس أكثر من برميل ماء وقبضة من كالسيوم العظام، وحفنة من حديد الدم و«يود» الدرق، ونثارة من «فوسفور» الدماغ، و«كلور» المعدة، و«آزوت» البول، وبذا فمع الموت يضيع الإنسان ككيان ووحدة عضوية وشخصية، ولكن لا يضيع منه شيء كـ «وحدات بناء أولية»، وهو ما أشار إليه القرآن: (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ)(٨)، كذلك يحصل للأمم حينما تموت حيث تتوقف «الوظيفة الحضارية» أولاً، ثم تدخل المرحلة الثانية من ضياع الشكل، والتحول إلى الوحدات الأولية، وهي هنا الأفراد، ليتم استخدامهم كـ«طوب ولبنات بناء» في حضارة ثانية، كما حصل مع الأمبراطورية الرومانية وهي تبتلع مخلفات ثلاثة مجتمعات ماتت «القرطاجني والغالي والفرعوني».

درس المؤرخ البريطاني ٢٨ حضارة بشكل موسع، منها خمس حضارات بشكل مكثف واعترف بحضور خمس حضارات في الوقت الراهن في التاريخ العالمي، منها الحضارة الغربية وخصيمتها الحضارةالإسلامية!!... وبذا بدأنا في الاقتراب من ملء الفجوة السحرية والحلقة الناقصة المفقودة!!.

لقد اتفق المؤرخون على «ظاهرة الحضارة» ولكنهم اختلفوا في النشأة والحياة، والمصير والمنتهى، ويعتبر المؤرخ والفيلسوف الألماني «اشبنجلر»(٩) من المتشائمين، لأنه وضع سفراً ضخماً بعنوان «سقوط الحضارة الغربية»، مدشناً النهاية التي لا محيص عنها للحضارة الغربية، وبخاصة إذا علمنا الفكرة التي فهم بموجبها تطور الحضارة، فهو يرى مثلما رأى «ابن خلدون» مع الفرق في مستوى الرؤية، حيث يراها ابن خلدون في مستوى الدولة في حين يراها اشبنجلر في مستوى الحضارة، أن الهرم إذا نزل بها فلا يرتفع فلا «يصلح العطار ما أفسد الدهر» (ومن نعمره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون)(١٠)، واختلف توينبي في هذا، الذي يتفاءل بمد فسحة الحياة للحضارة الغربية، من خلال التدخل في قانون نمو الحضارة الذي ينتظم نموها وتطورها.

مع هذا، فإن حديثنا الآن هو ليس عن النهاية التي هي في عالم الغيب والتي يُرجم فيها كما رجم الناس في عدَّة أصحاب الكهف!! بل حديثنا عن البدايات... والآن إذا كانت الحضارة الغربية قد ولدت فهل لها أب وجد وأم وجدة؟ أي هل ولدت بالقانون الذي يسري عليها وعلى غيرها أم ولدت من دون قانون؟ هل هي كائن غير شرعي ولد سفاحاً وترك لقيطاً، فلا تريد الحضارة الاعتراف بأب وأم؟ أم هي كائن خارق فوق العادة، وكأنه المسيح الذي خلق من بويضة من دون نطفة؟

هذا السؤال عذبني كثيراً، ولم يشفني فيه مجرد كلمات المديح والثناء والانتفاخ، عن أثر الحضارة الإسلامية في إنجاب هذا الطفل «العاق والمتمرد» والمتنكر لأصله؟ فرحت أحاول مسك الخيوط التاريخية، وبالأسماء والتواريخ على وجه الدقة، فاصطدمت بمعالم واضحة ارتسمت محياها عبر التاريخ، وبخاصة منعطف منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، الموافق لمنتصف القرن السابع الهجري، حيث يشكل هذا لتاريخ «انعطافاً نوعياً» ليس في تاريخ الغربيين فحسب، بل في تاريخ الجنس البشري قاطبة، حيث خسر العالم الإسلامي قيادة الجنس البشري وبدايات تحول حضاري نوعي، من خلال التراكم المعرفي وتكدس الثروة.

في هذا المنعطف بدأ في التشكل تياران، مشى فيه المخطط الأول باتجاه القوم والتقدم، والثاني باتجاه الانحطاط والتراجع، وبذا انقلبت محاور العالم ليصبح الشمال جنوباً، والجنوب شمالاً، ولنولد نحن في خط الجنوب، حيث تنقل لنا الإذاعات الأخبار التي لا تسر تنصب علينا مع كل شروق شمس!!

ولكن ما بالنا نستعجل التحليل التاريخي من دون مقدماته!!

لنرجع إلى التحليل التاريخي عند توينبي في محاولته فهم التاريخ البريطاني... عندما أراد توينبي فهم تاريخ الأمة البريطانية بشكل مستقل عجز في ذلك ورأى أنه «لن نقع على أمة بمفردها، أو على

دولة قومية في أوروبا تطلعنا على تاريخ يمكن أن يقوم مفسراً لنفسه بنفسه»(١١)، ثم يتساءل المؤرخ لو كان هناك حقل قابل للفهم بذاته ماذا يجب أن يكون تاريخ بريطانيا العظمى؟ الذي كانت والدته تقص عليه كل ليلة طرفاً منه!!.

يقوم المؤرخ توينبي بعملية عودة إلى الخلف، في محاولة تفكيك هذه الظاهرة للوصول إلى وحداتها الأولية، وللكشف عن جذورها الأصلية، أي القيام بعملية «حفريات» للمعرفة على حد تعبير فيلسوف الحداثة «ميشيل فوكو» لاكتشاف الطبقات الجيولوجية التاريخية التي تغطي الحقبة التي يعيش فيها المؤرخ، وهذا الشيء ينطبق أيضاً على الكيان النفسي المتراكم من خلال الخبرات عبر الزمن، حيث نرى دوماً طبقات اللاوعي مختبئة تحت طبقة الوعي، كما في القانون الجدلي التراكمي، فالإنسان هو المحصلة التراكمية البطيئة الجدلية للجهد الواعي من خلال وحدات الزمان.

عندما مشى توينبي في رحلته المثيرة هذه وصل إلى منعطفات متدرجة عبر التاريخ، وصلت فيها الطبقات الجيولوجية الفكرية التاريخية الاجتماعية الحضارية، إلى سبع طبقات منضدة فوق بعضها بعضاً «كما هي تماماً في حفريات شليمان الألماني في اكتشاف مدينة طروادة ذات الطبقات السبع ولكن أركيولوجياً»، هذه الطبقات كل منها يأخذ برقبة الأخرى، ويتداخل معها، ويولدها ويخرجها إلى النور، بحيث إن كل طبقة تفسّر التي بعدها، هذه الطبقات السبع عند توينبي بدأت منذ ولادة العصر الصناعي، ومرت بالحكومة البرلمانية، فالتوسع عبر البحار «يرجى الانتباه أننا نرجع إلى الخلف عبر الزمان»، فالإصلاح الديني، فالنهضة «وهي بشكل واضح من الفسائل التي غرست ما يشبه المحميات النباتية في شمال إيطاليا» فإقامة النظام الإقطاعي، فالتحول للمسيحية، وعندما يضع توينبي كل حقبة جيولوجية تحت الدراسة الأركيولوجية التاريخية، فإنه يكتشف أن العنصر الخارجي يشتد مع حركة القهقرى التاريخية بشكل مكثف أكثر، وهكذا فالمسيحية من الشرق الأوسط، والنظام الإقطاعي من الغزو النورماندي، والنهضة نسمة حياة هبت من شمال إيطاليا، والبرتستانتية التي شكلت المناخ النفسي للتحول الصناعي على النحو الذي شرحه «ماكس فيبر» في كتابه (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) هي حركة ألمانية، ويصل المؤرخ توينبي إلى تقرير هذه الحقيقة «توضح هذه اللمحة العكسية التي ألقيناها على مجرى التاريخ الإنكليزي ابتداء من يومنا هذا أنه كلما رجعنا القهقرى ضعفت شواهد الاستكفاء الذاتي أو العزلة»(١٢).

فإذا كانت حلقات الارتباط على هذا النحو من الوضوح والترابط العضوي ضمن الحضارة الواحدة، فهل تشذ عن ذلك علاقة التأثير المتبادل المزدوج بين الحضارات المتعاصرة والمتصلة؟ فضلاً عن مجتمعات ممتلئة بالحضارة، في جوار مجتمعات تعتبر التفكير هرطقة، والعلم سحراً يُعاقب عليهما بالحرق، والمرض لعنة من إبليس يستخدمه فيها الله كأداة تعذيب للمذنبين، وانتشار الطاعون متعلق بالأبراج السماوية؟؟!! هل يعقل أن يصل نيوتن إلى قوانين الميكانيكا من دون مقدمات؟ أو باسكال إلى قانون الأواني المستطرقة من دون علم متراكم؟ أو غاليليو إلى حركة الأجرام السماوية من دون إرهاصات مبدئية؟

أما في كتاب قصة الفلسفة لـ«ويل ديورانت» فإننا نقفز قفزة أكبر من أبطال السيرك من دون أن تدق لنا عنق، متجاوزين ألف سنة بجرة قلم، توقف خلالها التاريخ، فنضبت العصارات الذهنية عن أي عمل خلاّق، وشح العقل الإنساني عن أي إنتاج مبدع، وعقمت الأرحام عن إنجاب أي عبقرية؟! ولا غرابة لأنه لا إبداع إلا مع جلد أبيض!! ولا عبقرية إلا مع عيون زرقاء! هكذا يفهم العقل الأوروبي المتمركز حول نفسه نبض التاريخ وحركته التي تطوي أكبر منه (وتلك الأيام نداولها بين الناس)(١٣) (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً)(١٤) (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها)(١٥).

أما في تدريسنا الطب عندما كنا طلاباً، فكانت فنون الطب تنشط بشكل سحري من غالينوس وأبقراط إلى هارفي ومالبيكي!! وكأن أدلارد الباثي وألبرت ماغنوس، وروجر بيكون، لم يقولوا: «لقد تعلمت عن أساتذتي العرب أن أسترشد بالعقل... إذ لا شيء أكثر ضماناً من العقل»(١٦). أين تم التحول الغربي الإسلامي؟ وفي أي وقت؟ وتحت أي ظروف؟ ما الملابسات التي طوقت ظاهرة الصعود ـ الهبوط؟ في مراجعة كتاب «قصة الفلافسة العظام» لمؤلفه الألماني إيرهارد أورثباند(١٧) يقف المؤلف عند حادث مهم وفريد بل مفصلي في تاريخ العقل الأوروبي: إنه العام ١٢١٨م حيث انعقد المجلس الكنسي الرابع في «لاتيران».

في هذا المجلس وبحضور البابا «إينوسنس الثالث» وبتاريخ الثالث عشر من نوفمبر من العام المذكور، تمت مناقشة طبيعة الأمراض وانتشارها وكيف يمكن تعليلها؟ وخرج المجلس بالأفكار التالية: إن المرض وسيلة يستخدمها الله لغرض ينفرد بعلمه، قد يكون عقوبة للمذنبين، أو للكمال من خلال المعاناة، حيث يستخدم الله الشيطان كوسيلة لهذا الغرض، وهو يطابق ما جاء من تعليمات المسيح في الإنجيل، وبناء على هذا فكل وباء ينتشر يجب اعتباره عقوبة من الله، تخيم فوق رؤوس الناس، وعليهم مكافحتها بالصلوات وممارسة التطهير الروحي ودفع أموال الندم، من أجل تخفيف غضب الله، أو أن أمامهم الموت أو العذاب!! هكذا كان يفسر انتشار الأمراض في أوروبا في تلك الأيام، وهكذا كان يعالج مرضاً خطيراً مثل الطاعون، وبذا خلدت الكثير من اللوحات الفنية عقلية أناس تلك الأيام.

يقول المؤلف الألماني (أورثوباندت) معقباً على ما مر: في الوقت نفسه كان هناك طراز آخر من التفكير، وبشكل معاكس تماماً، ومن خلال الفهم السببي لعلوم الطبيعة، تلك التي كان المسلمون يمارسونها في الأندلس مثل الطبيب العربي الأندلسي «ابن الخطيب»، الذي كان يرى أن انتشار الأوبئة يحدث من خلال العدوى، وهنا يستشهد بما كتبه ابن الخطيب بالذات: «إن واقع العدوى يمكن الوصول إليها من خلال الخبرة، والبحث، والنظر في الواقع، وتشريح الجثث، والشهادات الميدانية، هذه الوقائع تعطينا الحجج التي لا يمكن دحضها أن المرض ينتشر من خلال العدوى المرضية عبر الاتصال بالمريض، وأن الذي لا يتصل بالمريض يبقى محفوظاً من المرض، كما أن الذين يحملون المرض ويأتون إلى الموانئ ينقلون المرض فإذا عزلوا لم ينتشر المرض».

يقول المؤلف الألماني معقباً على ما مر من هذا الاستشهاد «يمكن أن نقرر وجهة نظر المسلمين في كيفية فهمهم لآلية انتشار الأمراض أنها: «استخدام الحواس للفهم والإدراك، الخبرة العملية، جمع الوقائع وتقييمها الإحصائي، البحث في الأسباب وتقسيم وحدات الواقعة المذكورة، ويمكن إيجاز كل هذا بكلمات قليلة: المراقبة الدؤوبة الدقيقة لكيفية عمل الطبيعة، وكأن الطبيعة تقوم بالتجارب التي لا تنتهي، ولكن النتائج فقط هي التي تُكشف للعيان، وبهذه العقلية السببية للطبيعة بدأ تشكل الفلسفة المدرسية في أوروبا».(١٨)

إذاً مع منتصف القرن الثالث عشر الميلادي حصلت بدايات التحول الأولى، في توليد ما عرف بالمدرسة «السيكولاستيكية» ولكنها لتولد نتائج مريعة بسبب خروجها من بوتقتها الأصلية لتصطدم بمناخ ديني غير مناسب، وهكذا حصل الفصام النكد بعد ذلك بين الإيمان والعلم، وأصبحت كلمة «الظن» باللغة الألمانية تعني العقيدة، وهو الشيء الذي اصطدمت به أثناء إقامتي الطويلة في ألمانيا، في حين أن كلمة العلم تعني اليقين، وهي شيء آخر غير الاعتقاد الظني الوهمي الهلامي غير الراسخ، وتشبث في أرض سبخة من هذا النوع، يعني تمسكاً أخرق يطلق عليه (الدوغما)، وهو الشيء الذي حصل معي أثناء مناقشتي لهم، حيث كانوا يقولون لي هل «تعتقد= تظن» أو «تعلم = توقن»، بالطبع كان جوابي أن لا عقيدة من دون يقين، والعقيدة تبنى بالعقل، وهو المطمح الإبراهيمي الدائم ولكن ليطمئن قلبي (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)(١٩).

هنا أدركت عمق وجذر هذه الكلمة «الظن = العقيدة» المتصلة بالتاريخ، وفي هذا الوقت منذ ومنتصف القرن الثالث عشر الميلادي، بدأت أوروبا في التشكل بخلق جديد، ونشأة مستحدثة، وطور مستأنف، حيث قام بعض الرواد الذين لا نسمع عنهم الكثير، مثل روجر بيكون، ودنس سكوتس، وأوكهام، ومارسيليوس، يشقون الطريق إلى عالم فكري جديد عبر مغامرة كبرى للعقل الأوروبي.

هذه الفلسفة المدرسية السيكولاستيك كانت هي النواة الجنينية الأولى المختبئة تحت الأرض، والتي ضربت جذورها لتقوم عليها بعد ذلك الحركة الإنسانية والنهضة الأوروبية العقلية الجبارة بعد ذلك.

كان من أخطر توجهات العقل الجديد المتأثر بالعقلية الإسلامية سواء من الأندلس أو صقلية مناطق حواف الاحتكاك، هي أن الفكر الكنسي لا يمكن أن ينتظم مع العقل العلمي، وبدأت بوادر الانشقاق الفكري التي ترى أن الحرية الفكرية لا يمكن أن تتماشى مع الفكر الديني جنباً إلى جنب، وبالطبع فإن الكنيسة تحمل الوزر الأكبر في هذه المعركة المشؤومة، ومازالت ذيول هذه المعركة تمتد حتى الوقت الراهن إلى الدرجة التي نشرت فيها مجلة الشبيغل الألمانية في عددها ٥١ - ٩٣ صورة لقس جديد يقول: نعم... لله لا ... للكنيسة تحت عنوان «الثائر الجديد دروبرمان».

بالطبع قامت الكنيسة بمحاولة توفيقية، من خلال الجهود الفكرية التي نظمها توماس الأكويني، في محاولة منه لبناء العقيدة مع العقل، واعتبر فكرة درع الكنيسة الحصين ضد فكر أبو الوليد ابن رشد، ثم قامت الكنيسة في بناء المراكز العلمية لمقاومة الغزو الفكري الإسلامي بالسلاح نفسه، ونشطت حركة الترجمة، حيث تمت ترجمة معظم الفكر الإسلامي - لحسن الحظ - لأن مئات الآلاف من المجلدات كانت تحرق في ذلك الوقت بيد الآلة الجهنمية المغولية الزاحفة من الشرق.

تمت الترجمة من اللغة العربية التي كانت لغة العلم العالمية في ذلك الوقت والتي كان يتقنها فلاسفة الفترة السيكولاستيكية، وتخمرت هذه الجهود في مدى قرنين من الزمان، إلا أن الذي حدث هو أن هذه المراكز تحولت فيما بعد إلى جامعات تكرس الفكر العلمي وتودع الكنيسة الوداع الخير، وبذلك وضع الختم النهائي على علاقة العلم - الإيمان.

وإذا كانت بدايات الصعود الأوروبي، قد تم إلقاء بعض الضوء على خلفياتها، فما سر الانحطاط الإسلامي المرافق في الوقت نفسه، حيث نلاحظ وفي مدى عشر سنوات بالضبط بين عامي ١٢٤٨م، التي تؤرخ سقوط اشبيليا، و ١٢٥٨م، التي تعلن سقوط كعبة العلوم بغداد، ومعهما يعلن سقوط جناحي العالم الإسلامي، كما يسقط الطير من السماء من دون جناحين مخضباً بدمه في مذابح مروعة، وحرائق مخيفة، تأخذ مع ألسنتها عصارات الفكر الإنساني في نكبة لا يضارعها شيء، ذلك أن ذبح ثمانمائة ألف إنسان في بغداد قابل للتعويض، فطبيعة الوجود هي بين أرحام تدفع وقبور تبلع، ولكن الذي لا يعوّض ولم يعوّض، هو ذلك التراكم المعرفي الذي كدّس في المكتبات العامرة للمدن الإسلامية الزاهية أمثال سمرقند وبخارى والرها ومرو وخراسان وأصفهان وتبريز وحلب، والذي يشكل أساس التحول النوعي الحضاري فتقوض تحت السيف المغولي الرهيب.

هذا الالتقاء المشؤوم في الصعود والهبوط، هو المنعطف الذي يشكل واقع العالم الإسلامي، ووضع العالم الغربي الذي يقول: (أنا أكثر منك مالاً، وأعز نفراً ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً)؟! ■

الهوامش والمراجع :

١ - الدارسة القيمة: مختصر دراسة التاريخ - أرنولد توينبي - ٤ مجلدات - ترجمة فؤاد شبل.
٢ - سورة الروم الآية رقم:٥٤. والآية في صدر المقالة سورة الطور الآية رقم ٢٥.
٣ - مختصر دراسة التاريخ - الجزء الأول - الفصل الأول - بحث وحدة دراسة التاريخ ص٣.
٤ - مقدمة ابن خلدون - فصل فضل علم التاريخ - ص٩.
٥ - الآية سورة الأنبياء رقم ١٠٤.
٦ - الآية ق: رقم١٩.
٧ - يونس: رقم ٤٩.
٨ - سورة ق: رقم٤.
٩ - اشبنجلر سقوط الغرب - ثلاث مجلدات ترجمة أحمد الشيباني.
١٠ - سورة يس: رقم ٦٨.
١١ - مختصر دراسة التاريخ - توينبي - الجزء الأول ص٤.
١٢ - مختصر دراسة التاريخ - الفصل الأول - ص٤ - ٧.
١٣ - سورة آل عمران الآية ١٤٠.
١٤ - سورة الكهف الآية: ٥٩.
١٥ - سورة الروم الآية ٩.
١٦ - قصة الحضارة - ويل ديورانت - المجلد - المجلد ١٧ ص٢٠٠.
١٧ - كتاب ايبرهارد أورثوباندت - مرجع ألماني - نشر داراداوسين.
١٨ - أورثوباندت ص ٢٢٠ / ٢٣٤.
١٩ - آل عمران الآية رقم ١٩٠.

حوار

رئيس مجلس علماء زيمبابوي لـ «الوعي الإسلامي»

الحفاظ على الهوية العقائدية ودعم مسيرة التعريب

أكد الشيخ «عمر بيلي» رئيس مجلس علماء الإسلام في زيمبابوي - إحدى دول أفريقيا - أن أحوال المسلمين في بلاده قد تحسنت في السنوات الأخيرة إلى درجة كبيرة... وأن زيمبابوي تشهد صحوة إسلامية معاصرة... تتمثل في إنشاء المساجد والمعاهد والمدارس الإسلامية... وتأسيس الكثير من المؤسسات الإسلامية العاملة من مجالات الدعوة والتعليم.

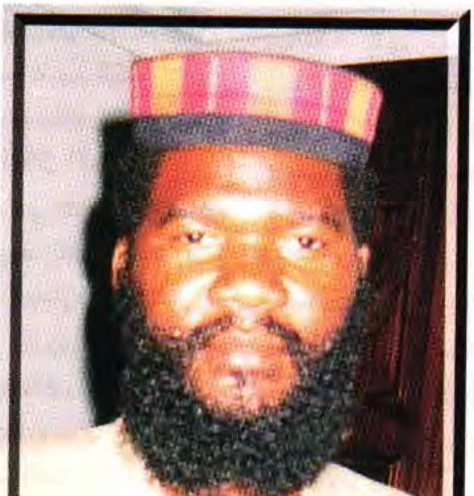
وأوضح في حواره أن الأقلية المسلمة في زيمبابوي من الأقليات النشطة... التي تسعى لتأكيد هويتها العقائدية والحفاظ على النشء المسلم وتربيته تربية إسلامية صحيحة... وتعمل على استرداد أمجاد المسلمين في الجزء الجنوبي من القارة الأفريقية... وقال إن الإقبال على اعتناق الإسلام يتزايد بشكل ملحوظ في زيمبابوي... وأن رقعة الخصوبة الإسلامية ستتزايد خلال السنوات القليلة المقبلة.

وأشار إلى أن المسلمين في زيمبابوي قد شيدوا مئة مسجد وجامع، بالإضافة إلى مئات المساجد المخصصة للصلوات الخمس يومياً... كما قام علماء الإسلام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات المحلية المتداولة في زيمبابوي، وأنه تم إنشاء قسم للدرسات الإسلامية والعربية في الجامعة... وتناول الحوار العديد من القضايا الإسلامية المهمة.

تصحيح التاريخ الإسلامي

● الشيخ بيلي هل بإمكانك أن تعطينا نبذة عن تاريخ الإسلام والمسلمين في زيمبابوي؟

ـ لقد تعرض تاريخ الإسلام والمسلمين في بلادنا للتشويه خلال الفترة الاستعمارية... وذلك لقطع صلة المسلمين في زيمبابوي بأمجادهم الإسلامية وعزلهم عن إخوانهم المسلمين في إفريقيا وبلدان الأمة العربية والإسلامية... في حين كان الوجود الإسلامي قد تأصل في روديسيا الجنوبية - زيمبابوي حالياً - ... حيث قامت حضارة إسلامية راقية في بلادنا منذ القرن الهجري الأول... والقبائل الأفريقية التي يتكون منها سكان البلاد قد امتزجت فيها الدماء العربية بالدماء الأفريقية منذ وقت باكر. وأضاف الشيخ بيلي: لقد عثر على آثار إسلامية نادرة أكدت أن الإسلام كان حقيقة موجودة في زيمبابوي منذ القرن الهجري الأول ومن هذه الآثار بقايا مسجد بني في العام ٩٥ هجرية، كما عثر على بعض الأحجار المدوَّن عليها بعض الآيات القرآنية الكريمة وأسماء لبعض الدعاة، منهم الشيخ «سلام بن صالح» الذي ينتمي إلى قبيلة «وارمبا» الأفريقية... كما توجد بعض القبائل التي تدعي أن أصولها عربية... كما قامت في زيمبابوي دولة إسلامية في القرن العاشر الهجري... وقامت في ظل هذه الدولة حضارة إسلامية راقية... لذا فقد عملنا على تصحيح تاريخ الإسلام في زيمبابوي بناء على ما عثرنا عليه من آثار ترجع إلى القرن الهجري الأول.



● الشيخ عمر بيلي

حوار أجراه: محمود بيومي

أقلية مسلمة نشطة

● ما عدد المسلمين في زيمبابوي؟ وما المؤسسات الإسلامية التي تتولى الإشراف على شؤون المسلمين؟

ـ بدءاً أود أن أوضح أن المسلمين في زيمبابوي كانوا أغلبية في العام ١٨٨٨م، حيث كانوا أكثر من مليوني نسمة، في الوقت الذي كان فيه عدد سكان البلاد أقل من مليوني نسمة... وعندما تمكن المستعمر «سيسيل رودس» في العام المذكور آنفاً من إقامة علاقة صداقة مع الملك «لوبنجويلا» ملك زيمبابوي... كان ذلك بدءاً لوقوع البلاد تحت وطأة المستعمر البريطاني. وأضاف: ولم يوافق المسلمون في زيمبابوي على منح الإنكليز العديد من الامتيازات لاستغلال ثروات البلاد... بل قاوموا المستعمر البريطاني، إلا أن الغلبة كانت للمستعمر الذي قام باضطهاد

المسلمين وعزلهم في محاولة للقضاء نهائياً على المقاومة الإسلامية. وأضاف رئيس مجلس علماء الإسلام في زيمبابوي: أما اليوم، فإن نسبة المسلمين ٢٪ فقط من إجمالي عدد السكان البالغ أكثر من عشرة ملايين نسمة... وبالرغم من أن المسلمين أقلية، إلا أنهم أقلية مسلمة نشطة، حيث قاموا بتأسيس الكثير من المؤسسات والجمعيات الإسلامية منها: مجلس علماء الإسلام، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وبعثة مسلمي زيمبابوي... وهناك الكثير من الجمعيات الإسلامية الأخرى العاملة في مجال الدعوة والتعليم الإسلامي.

الإسلام لا يقر التفرقة العنصرية

● عانى شعب زيمبابوي من التفرقة العنصرية... فكيف واجه المسلمون هذه التحديات وكيف تغلبوا عليها؟

ـ فعلاً، لقد عانى المسلمون وكل سكان زيمبابوي من سياسة التفرقة العنصرية، التي مارسها المستعمر الإنكليزي ضد الأفارقة... فكان رودس يتسلى بقتل المسلمين في بنادق الصيد، كما انتهج رودس سياسة الاستيطان فمكن البيض من الاستيلاء على ممتلكات الأفارقة وبخاصة المسلمين... وعزل المسلمين واعتقلهم في سجون مفتوحة في مناطق جرداء بحجة استصلاح الأراضي هناك... وأرغمهم على العمل في المناجم في ظل ظروف اجتماعية وصحية قاسية. وأضاف: لقد نظم المسلمون إضرابات متتالية منذ العام ١٩٢٧م، وتأسست الجمعيات الإسلامية السياسية في عام ١٩٤٦م للمطالبة بالاستقلال، وقد نجح المسلمون في رفض الاتحاد الذي أعلنته الأقلية البيضاء بين روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية - زامبيا وزيمبابوي - وبين نياسالاند - مالاوي - فاستقلت مالاوي العام ١٩٦٤م، واستقلت زامبيا في العام نفسه، بينما أعلن المستوطنون الإنكليز في زيمبابوي استقلالهم عن بريطانيا في نوفمبر ١٩٦٥م، وزادت موجات الاضطهاد العنصري في بلادنا... ونظراً لأن الإسلام لا يقر العنف ولا التفرقة العنصرية أو التمييز بين البشر بسبب اللون أو العقيدة، فقد قاد المسلمون المقاومة حتى نال الأفارقة حقهم في حكم أنفسهم بأنفسهم... حيث أعلن استقلال زيمبابوي في ١٨ أبريل العام ١٩٨٠م وعاد الوطن الأفريقي إلى الأفارقة.

التعليم الإسلامي

● نرجو تسليط دوائر الضوء على واقع التعليم الإسلامي في زيمبابوي؟

ـ يقول الشيخ عمر بيلي: لقد خرج الأفارقة من تحت وطأة المستعمر الإنكليزي... ليجدوا أنفسهم أمام واقع تعليمي هش... فكانت نسبة تعليم أبناء الأقلية البيضاء ١٠٠٪ في المراحل الدراسية الابتدائية، و ٩٠٪ في المراحل الدراسية الثانوية... أما بالنسبة للأفارقة فكانت نسبة التعليم العام ٠,٣٪ حيث وضعت خطة التعليم لإبعاد الأفارقة عن التعليم... كما تم إغلاق ألف مدرسة إسلامية في العام ١٩٧٨م، وطرد أكثر من ٣٥٠ ألف تلميذ من مدارسهم. وأضاف: أما واقعنا التعليمي اليوم فقد تحسّن إلى حد كبير... حيث تأسست في البلاد مئات المدارس الإسلامية، كما يوجد مئة مسجد جامع ومئات المساجد المخصصة للصلوات الخمس يومياً، وملحق بكل مسجد منها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم النشء المسلم اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، بالإضافة إلى المواد الدراسية الأخرى، كما أنشأ مجلس علماء الإسلام في زيمبابوي الكثير من المعاهد الإسلامية الثانوية - للبنين والبنات - وكما أسست بعثة مسلمي زيمبابوي معاهد إسلامية مماثلة. وأضاف الشيخ بيلي: تأسس في جامعة زيمبابوي قسماً للدراسات الإسلامية والعربية... وقد تخرج في هذا القسم عدد لا بأس به من الدعاة والمسلمين... كما خصصت الكليات الإسلامية في بعض دول العالم العربي العديد من المنح الدراسية لأبناء المسلمين في زيمباوي لدراسة علوم الإسلام واللغة العربية.

مسيرة التعريب

● ما دور المؤسسات الإسلامية في زيمبابوي لنشر اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم ولغة الثقافة الإسلامية الصحيحة؟

ـ لا أخفي عليكم أن جهودنا في مجال نشر اللغة العربية مازالت في المهد في زيمبابوي... فالجهود قاصرة إلى حدّ كبير بسبب عدم وجود المدرسين اللازمين للعمل في مجال التعريب، والمدارس القرآنية تقوم بدور إيجابي في تحفيظ القرآن الكريم وتعويد النشء المسلم على التحدث باللغة العربية... بل لا أخفيكم القول إن كثيراً من علماء المسلمين في زيمبابوي لا يجيدون التحدث بها... ونحن نحرص على إبقاء الدعاة للتدريب في معهد إعداد الدعاة التابع للأزهر... كما نعقد دورات تدريبية لأئمة المساجد والمعلمين من أجل نشر اللغة العربية في البلاد... فاللغة العربية غير منتشرة بين المسلمين في زيمبابوي. وأضاف: إن المجتمع المسلم في زيمبابوي حريص على نشر اللغة العربية بين المسلمين في البلاد... وقد توصلنا إلى إصدار قرار يقضي بأن من حق كل ٥٠ أسرة أن تنشئ مدرسة إسلامية عربية في المنطقة التي توجد بها، بالإضافة إلى حقهم في إقامة مسجد... وقد تم إنشاء هذه المساجد وهذه المدارس فعلاً... ولكن المشكلة التي تواجهنا حتى اليوم أننا في حاجة إلى مدرسين للغة العربية. وقال: إنني أناشد الدول العربية أن تدعم مسيرة التعريب في زيمبابوي... عن طريق إبقاء وإرسال المزيد من المعلمين والمدرّسين اللازمين للعمل في مدارسنا بالإضافة إلى توسيع دائرة المنح الدراسية لأبناء المسلمين في بلادنا لدراسة علوم الإسلام واللغة العربية.

ترجمات معاني القرآن الكريم

● هل توجد ترجمات لمعاني القرآن الكريم باللغات الأجنبية واللغات الأفريقية المتداولة في زيمبابوي؟

ـ نعم لدينا ترجمات لمعاني القرآن باللغة الإنكليزية، كما توجد ترجمات لمعاني القرآن الكريم بلغتي «الشونا» و «الزولا» وهما من أهم اللغات الأفريقية انتشاراً في زيمبابوي... كما قامت المؤسسات الإسلامية بترجمة بعض الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة... وبعض الكتب الدينية في الفقه والشريعة والعقيدة وغيرها من المعارف والعلوم الإسلامية... وتوجد لدينا بعض المخطوطات الإسلامية النادرة نقوم بتحقيقها ونشرها بعد ترجمتها للتأكيد أن المسلمين في زيمبابوي قد أسهموا في ترقية المعارف الإنسانية.

الخريطة العقائدية

● ما أهم معالم الخريطة العقائدية في زيمبابوي؟

ـ الحقيقة التي أود أن أؤكد عليها أن أكثر من ٧٥٪ من سكان زيمبابوي من القبائل الوثنية مازالت تعيش على الفطرة... وأن ٢٪

من المسلمين... وتوجد نسبة ٢٣٪ أتباع للديانات الأخرى، وقد اتضح أن القبائل الوثنية تشيع بينهم العادات والسلوكيات الإسلامية، فهم لا يأكلون الأطعمة التي حرَّمها الإسلام، كما يدفنون موتاهم في اتجاه القبلة ويكرمون الضيف ويتجاوبون مع دعوة الإسلام. وأضاف الشيخ بيلي: لقد ثبت لنا أن هذه القبائل تقبل على اعتناق الإسلام... حيث أشهر ٢٠٠ شخص إسلامهم حديثاً، كما أن بعض أبناء قبيلة «الوارمبا» قد اعتنقوا الإسلام بصورة جماعية في قرية اسمها «موهير» وغيروا اسم قريتهم إلى «إسلام أباد» لأن الدعاة الذين نشروا الإسلام بينهم من أصل آسيوي، وقد أجريت بعض الدراسات حول قبائل «الوارمبا» فاتضح أنهم ينتمون إلى أصول عربية، لذا تنتشر الأسماء العربية بينهم. وقال رئيس مجلس علماء الإسلام في زيمبابوي: إن جهود الدعاة تتجه إلى القبائل الوثنية لترشيدها إلى الإسلام ونشر هدايات الدين الحنيف بينهم... حتى يمكن زيادة رقعة الخصوبة الإسلامية في بلادنا... فأكثر من سبعة ملايين وثني مهيأون لاعتناق الإسلام.

حزام الأمن الإسلامي

● ترى المؤسسات المعادية للإسلام والمسلمين أن القارة الأفريقية سيتم تفريغها من الوجود الإسلامي مع مطلع القرن المقبل... فما ردكم على هذه الافتراءات؟

ـ لقد عرفت أفريقيا الإسلام منذ العهد النبوي الشريف، كما انتشر الإسلام سلماً من شرق القارة الأفريقية وفي غربها وجنوبها، بينما أدت الفتوحات الإسلامية دورها الإيجابي في شمال أفريقيا، وقامت ممالك إسلامية زاهرة في أفريقيا أسست حضارة إسلامية راقية، وانتشرت اللغة العربية انتشاراً كبيراً في الكثير من المجتمعات الأفريقية المسلمة، ومازالت اللغات الأفريقية وثائق حيّة تؤكد مدى التأثير القرآني في هذه اللغات مثل «السواحيلية» و «الفولاني» و«اليوربا» وغيرها... فالواقع يؤكد أن حزم الأمن الإسلامي يلف القارة الأفريقية كلها... ولولا وقوع القارة الأفريقية في براثن المستعمر الغربي لكانت قارة إسلامية خالصة. وأضاف: نحن نتابع مسيرة الإسلام في أفريقيا، ونرى كيف تحولت الأقليات

الإقبال على اعتناق الإسلام يتزايد في زيمبابوي و ٧ ملايين وثني مهيؤون لاعتناق الإسلام

المسلمة إلى أغلبيات في الكثير من الدول، فالإسلام بخير في أفريقيا، وستتسع رقعة الخصوبة الإسلامية، وستتزايد أعداد المسلمين في السنوات القليلة المقبلة إن شاء الله، مما يؤكد أن الافتراءات والمزاعم المعادية باطلة ولا أساس لها من الصحة لأن أفريقيا هي قارة الإسلام والمسلمين ولو كره أعداء الإسلام والمسلمين.

زيمبابوي: الدولة والناس

● نرجو أن نتعرف على زيمبابوي الدولة الأفريقية... فما رأيك في ذلك؟

ـ زيمبابوي هي إحدى دول القارة الأفريقية... التي كانت تعرف باسم «روديسيا الجنوبية»... نسبة إلى الحاكم الإنكليزي «سيسيل رودس»، أما زيمبابوي فهذا الاسم نسبة إلى أحد الأنهار الشهيرة... وقد حصلت زيمبابوي على استقلالها في ١٨ أبريل العام ١٩٨٠م.

وتبلغ مساحة زيمبابوي ٣٩٠,٧٥٩

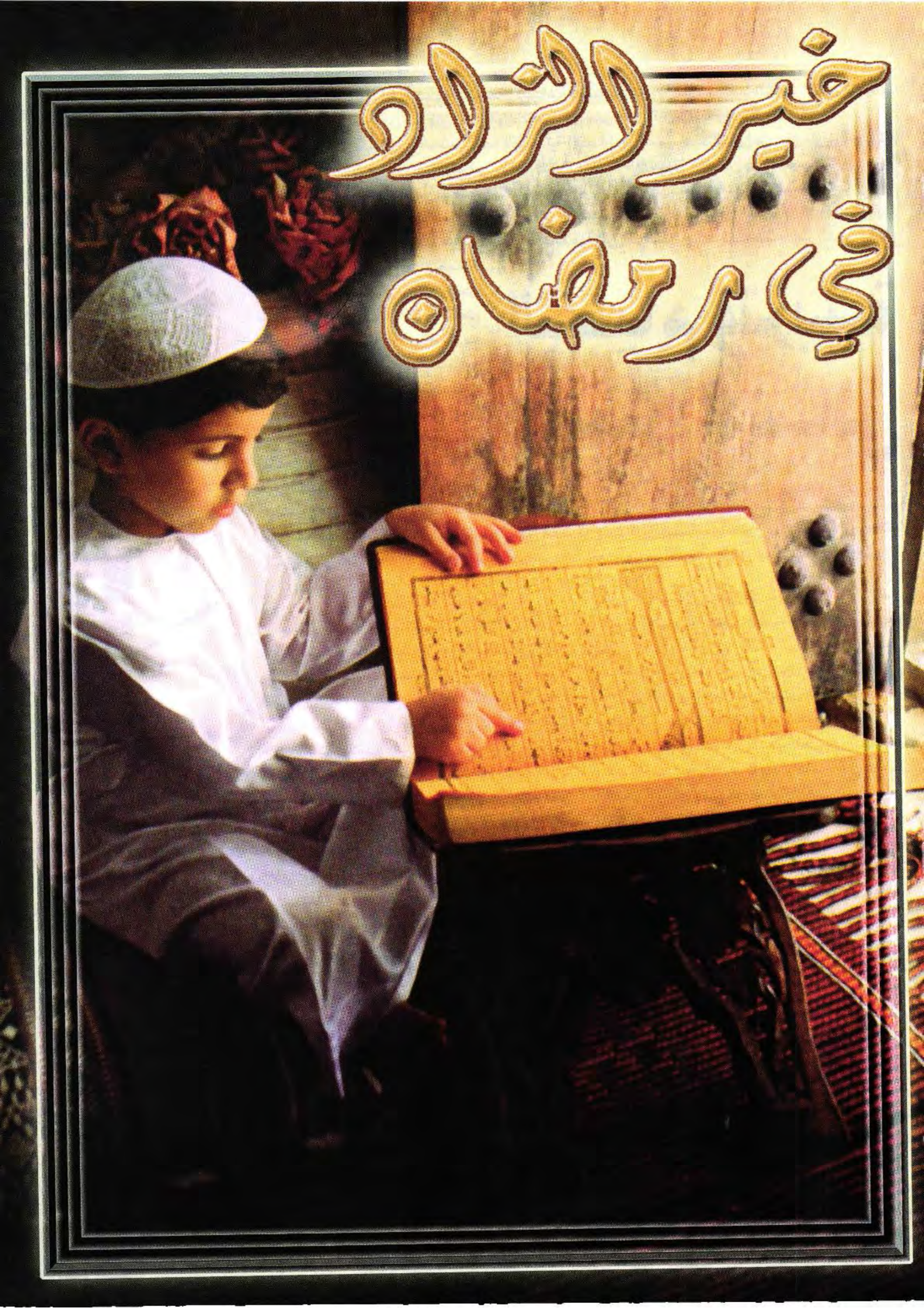
جهودنا في مجال التعريب ما زالت في المهد !! ولدينا ترجمات لمعاني القرآن الكريم باللغات الأفريقية

كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ١٠ ملايين نسمة، وتقع زيمبابوي في منطقة الجنوب الأفريقي، والعاصمة هي مدينة «هراري»، أما العاصمة القديمة فهي مدينة «سالسبوري»... ونظام الحكم فيها جمهوري، تحدها من الشرق موزمبيق، ومن الغرب بتسوانا، ومن الشمال زامبيا، ومن الجنوب جمهورية جنوب أفريقيا، وعلى هذا زيمبابوي ليس لها إطلالات على المحيط، سواء الهندي أو الهادي، وتعتمد على جيرانها من ناحية الشرق للوصول إلى مياه المحيط الهندي. وأضاف: أما سكان زيمبابوي فينتمون إلى قبائل «البانتو» الأفريقية، فأكثر من ٩٥٪ من إجمالي السكان من الأفارقة، وتوجد هناك قبائل أفريقية منها قبائل «الماشوان والوارمبا»، وتوجد في البلاد أقلية بيضاء أكثر من ربع مليون نسمة، وأقلية آسيوية يبلغ عددها أكثر من ٣٠ ألف نسمة.

مطالب المسلمين

● ما أهم مطالب المسلمين في زيمبابوي من إخوانهم المسلمين في بلدان العالم العربي والإسلامي؟

ـ نحن نعلم أن الأمة العربية والإسلامية تدرك أن الأقليات المسلمة في العالم جزء من كيان الأمة الإسلامية، ونحن نعمل بكل طاقاتنا لتبليغ هدايات الدين الإسلامي الحنيف إلى المسلمين في بلادنا، ولكن أمامنا مهمة إبلاغ الإسلام إلى القبائل الوثنية، ونحن في حاجة ماسة إلى مساعدة المؤسسات الإسلامية العالمية في هذا المجال، وذلك عن طريق إيفاد قوافل الدعاة إلى زيمبابوي، ودعم مسيرة التعريب في بلادنا عن طريق إنشاء المدارس العربية الإسلامية، وتأسيس الكثير من المراكز الإسلامية، وموافاتنا بالكتب الدينية وترجمات معاني القرآن الكريم باللغة الإنكليزية، ومراقبة الترجمات التي قمنا بإعدادها باللغات المحلية، بالإضافة إلى تطوير مدارسنا الإسلامية وتزويدها بالمناهج الدراسية والمعلمين، وزيادة المنح الدراسية لأبنائنا بالجامعات الإسلامية، ودعوتنا للمشاركة في المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في بلدان العالم العربي والإسلامي. وأضاف: كما نرجو أن تنظم المؤسسات الإسلامية العالمية مؤتمراً يعقد في زيمبابوي لدراسة أحوال المسلمين والتعرف ميدانياً على أهم مطالبهم وذلك من أجل ترقية الأقلية المسلمة في بلادنا. ■


خير الزاد
في رمضان



الصيام وتربية الضمير الإنساني

بقلم : د. عبدالفتاح محمد العيسوي

من القضايا البارزة في محيط الفلسفة الإنسانية قضية ثنائية الإنسان، والتقاء الجانب المادي بالجانب الروحي في تكوينه، ومن هنا فإن حياة الفرد تعاني من صراعات المثل العليا والمطالب الدنيا.

ولما كان الدين الإسلامي الحنيف يتجه إلى هداية الإنسان في خضم هذه الصراعات عن طريق الوسطية العادلة، تلك التي تتآخى وتتكيف في كنفها الروح والمادة، فلا يهوي الإنسان إلى حضيض المادية ولا يسلك مسلكاً روحياً صرفاً يجعله يتجاهل حقيقة الحياة ويعيش على هامشها فتتعطل معها رسالة الإنسان التي خلق من أجلها مصداقاً لقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) البقرة:١٤٣، وقوله: (يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) الجمعة: ٩و١٠. والتشريع الإسلامي هو الإطار الذي يحوي الإنسان منذ لحظة الإخصاب حتى الكهولة أو الشيخوخة. والعبادات من بين ضروب التشريع الإسلامي تتحمل هذا العبء التربوي الكبير حتى تتحقق الوسطية المنشودة في الإنسان وتتسلم الروح قيادة المادة حتى تستفيد الإنسانية من خيراتها، ويتحقق العمران وترفرف الحضارة وتستمر دون تطرف أو مغالاة، والصيام من بين العبادات يتحمل جانباً كبيراً من هذا العبء ويقطع شوطاً عظيماً شطر هذه الغاية النبيلة.

تعريف الصيام لغة واصطلاحاً

الصيام في اللغة هو الإمساك والكف عن الشيء، وفي اصطلاح علماء الشرع هو الإمساك عن الأكل والشرب والاتصال الجنسي، من الفجر إلى غروب الشمس ابتغاء مرضاة الله، ولقد حدد القرآن مهمة الصيام في قوله: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة:١٨٣. فالصيام فريضة قديمة كتبها الله على المؤمنين في كل دين سبق الإسلام وفي ذلك ما تستريح له النفوس وييسر القبول والطاعة والامتثال وعدم الحرج لأن المسلمين ليسوا منفردين بما يطالبون به.

الآثار النفسية للصيام

لاشك أن الصيام يزكي النفوس ويطهرها وينقيها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة ويرهف الحس وينقي الوجدان، ويوقظ الضمير فلا يهزم الإنسان أمام الشهوات والملذات ولا تعصف به الأهواء والنزوات وفي ذلك يقول الرسول - ﷺ - : «طاعة الشهوة داء وعصيانها دواء»، رواه الماوردي في آداب الدين والدنيا، والصيام يذكر بألم الجوع والعطش، فيولد في النفس عاطفة البر والإحسان على الفقراء، كما أن فيه كبح لجُناح النفس عن الشهوات والملذات والنزوات، فضلاً عن أن الصائم تمنعه تقواه وخشيته عن إبطال ثواب صومه بالمعصية، لأنه يعلم أن الله تعالى فرض الصيام ليكون أداة للتقوى، وهي ولا شك خير زاد، إذ يقول الحق: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) البقرة:١٩٧. ولتكون لها الآثار الواضحة في ضمير صاحبها وفي ذلك يقول الرسول - ﷺ - : «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخاري.

فالصيام عبادة تربوية جاءت من السماء وباعتبارها عبادة تلزم كل من اهتدى إلى عقيدة الإيمان الخالص في كل زمان، لتقوي إيمانه إلى مرتبة الورع، تلك التي يستشعر معها المؤمن الحق بمراقبة الله له، وعلمه بسره ونجواه، فيدفعه ذلك الشعور النفسي إلى التقى حتى يقي نفسه من غضب الله تعالى عن طريق اتباع أوامره واجتناب نواهيه، فيتربى الوازع الداخلي أو ما يسمى في علم النفس الحديث بالضمير الأخلاقي، ويكاد يكون الصيام العبادة الوحيدة التي تؤدي إلى الصلة الوثيقة بين الخالق والمخلوق، حيث ترتبط مشاعر الإنسان وعواطفه وأحاسيسه ووجدانه بالله العظيم، ولذا لا يستطيع الرياء أو النفاق أن يتسلل إلى قلب المؤمن الصائم لأن جوهر عبادة الصيام وفحواها يقوم على الصلة الخفية التي هي سر بين الإنسان وخالقه، وتنمو هذه الصلة وتتوثق عراها بممارسة المؤمن المخلصة لعبادة الصيام وصدق الله العظيم القائل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» رواه البخاري، وإذا

وصل الإنسان بصيامه إلى هذا المستوى العقائدي والروحي سما إلى أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها إنسان حيث تستضيء المادة فيه بنور الروح وتسخر لتحقيق المثل العليا في هذا الوجود ولكن كيف يحقق الصيام هذه الأهداف والغايات؟

أهداف الصوم

من بين أهداف الصيام أنه درع يحمي إيمان المؤمن من ضلالات الأهواء مصداقاً لقول الرسول - ﷺ - «الصيام جُنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل» رواه البخاري، وطالما كان الصيام قويماً استحكمت حلقات الجنة، فضلاً عن أن عبادة الصيام رياضة بدنية تقي الجسم من الإصابة بالأمراض كالسكر والتخمة وضغط الدم وتصلب الشرايين وأمراض القلب والكلى ومن آفات الجوارح والأعضاء، فالصيام وسيلة تربوية تهدف إلى تعود البُعد عن الحرام والتمسك بالعفة والرضا والقناعة والزهد وكل الفضائل. هذا وقد صرح التشريع الإسلامي لصاحب العذر كالمريض أو المسافر أو الرجل الكبير أو المرأة الحامل أو المرضع أن تفطر في رمضان: (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)البقرة:١٨٤. ولكنه لايتسامح لمسلم أو مسلمة أن يتخلف عن الوصول إلى الهدف أو الغاية، وهي الخوف من الله تعالى، وما يستتبع ذلك من آثار في النفس والسلوك ومن هنا فإن للصيام أهدافاً حيوية وغايات عملية ترتبط كلها بخواطر الوجدان والشعور وجوانب الأخلاق والسلوك وتدور جميعها في فلك المنهج الرباني لتربية النفس البشرية وتكوين ضميرها وإعداد مقوماتها، وصقل أمرها لتنهض بأمانة الدين وأمانة الدنيا، والتقوى بطبيعة الحال أول هذه الأهداف وأوسعها دائرة وأكثرها حجماً وأجزلها عطاء وأبرزها بأمور الدنيا وأوفاها بشؤون الآخرة.

فالإسلام الحنيف يدعونا أن نمنح التقوى حقها وقدرها المستطاع من الطاقات والقدرات والإمكانات في النفوس والضمائر والأخلاق والسلوك وفي شتى مناحي الحياة لنجعلها زادنا إلى الله، ونستلهم منها يقظة الحس وحيوية النفس وصحوة الضمير واستواء الخلق واستقامة السلوك فتكون بمثابة الوقاية الذاتية والمتابعة الأمنية والمحاسبة الدائبة والمراجعة الدقيقة لكل ما يصدر عن الإنسان، فالتقوى حال تتكون في النفس نتيجة الإيمان بالله، والصيام هو المعاناة العملية لتوطين النفس ورياضتها على تربية النزعة الإيمانية في الفرد والمجتمع، ويتخذ ذلك مظهرين:

أ - مظهر الرياضة على الصبر والخشونة في مواجهة متاعب الحياة.

ب - مظهر المراجعة العامة وكشف الحساب مع النفس وهو عمل مناط بالضمير الإنساني في تلك الدورة التدريبية أمدها شهر عربي إسلامي يتجه فيه الإنسان المسلم إلى الله طالباً العون على مجابهة التحديات ويتكاشف فيها الإنسان مع نفسه، محاسباً لها قبل أن تحاسب ثم يعود إلى ربه تائباً.

فإذا الضمير حي، والنفس شفافة وصافية والوجدان دقيق ورقيق والشعور حساس ومرهف والصدر سليم ونقي، والقلب طهور وزكي والخلق سوي، والسلوك راض والمجتمع كله في استقامة وسلام ووئام وألفة وانسجام، وحب وإيثار ومشاركة روحانية رفيعة المستوى إنها جميعها إشراقات الصوم التي يصل مداها إلى كل بعد ويتغلغل أثرها إلى أعماق الضمير، والصائم بسلوكه هذا تتربى عنده مراقبة الله له في السر والعلن والحركة والسكون والخلوة والجلوة وصدق الحق إذ يقول: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) المجادلة:٧. ويكفي أن القرآن الكريم نزل في هذا الشهر: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) البقرة:١٨٥.

رمضان شهر الانتصارات

وكما ينتصر المؤمن على نفسه بالصيام، فإن الله تعالى قد نصره على غيره في كل زمان خلال شهر رمضان، حيث كان أول نصر للمسلمين على المشركين في غزوة بدر، وكان فيه فتح مكة دون إراقة دماء، وكذلك كان فيه انكسار الروم في تبوك حينما ولوا مدبرين من الرعب بفضل جنود الرحمن التي سخرها لنصرة أمة محمد - ﷺ -، وكان فيه أيضاً انتصار المسلمين في معركة عين جالوت على الزحف التتاري، كما تم فيه فتح الأندلس على يد القائد المغوار طارق بن زياد، وفي العصر الحديث انتصر المسلمون على دولة البغي والعدوان «إسرائيل» في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، بهذا العرض السريع تتضح لنا أبعاد المهمة الكبيرة التي تؤديها عبادة الصيام في النفس البشرية تخلصها من أهوائها باتصالها بربها، وتثبتها على قيم الحق والخير والجمال والزهد والقناعة والعفة والكرم والجود والبذل والعطاء والبر والإحسان والتقوى والورع وتحيي فيها الوازع الذي يرفع الإنسان إلى مرتبة الملائكة، ولن يتحقق ذلك إلا على قاعدة من الإيمان الصادق، هذا وقد كرم الله تعالى الصائم بأن جعل دعاءه مستجاباً حيث قال تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) البقرة:١٨٦، وفي هذا الصدد قال الرسول - ﷺ - «إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد» رواه ابن ماجة، ويقول أيضاً: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» رواه البخاري، ويؤدي ذلك إلى الراحة النفسية.

نسأل الله أن يوفق الأمة المسلمة إلى الاستجابة للحق الذي أنزله الله ليحيوا في الدنيا حياة السعداء، ويكون لهم في الآخرة جزاء الأوفياء. ■

المراجع:

١ - القرآن الكريم.
٢ - صحيح البخاري.
٣ - عفيفي عبدالفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين - بيروت لبنان.
٤ - عمر محمد النومي الشيباني، من أسس التربية في الإسلام - منشورات الجامعة المفتوحة - ليبيا - ١٩٩٠م.
٥ - أبو بكر محمد ذكرى، الأخلاق الاجتماعية والعملية ونصوص الأخلاق الإسلامية، دار التأليف، القاهرة، ١٩٦٨م.
٦ - أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه - القاهرة ١٩٥٥م.
٧ - أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٧م.
٨ - محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار القلم، بيروت.
٩ - محمد شديد، منهج القرآن في التربية، دار الأرقم، بيروت.
١٠ - عبدالكريم عثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٣م.



الصـوم تربيـة وإعـداد

بقلم : محمد يوسف الجاهوش

ها نحن نستقبل الوافد الحبيب، والشهر المبارك العظيم، شهر رمضان.

ليت شعري! هل علم المسلمون حقيقة هذا الشهر المبارك الكريم؟

إنه شهر الصيام، والقيام، وغض البصر، وحفظ اللسان.

شهر نزول القرآن، الذي أنشأ أمة، وبنى جيلاً، وأسس دولة.

شهر ليلة القدر، التي جعلها الله خيراً من ألف شهر.

شهر الدعاء المستجاب، والعمل الصالح المقبول.

إنه شهر الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الأعداء، على كل الأصعدة، وفي شتى الميادين.

إن شهر الفرقان، فيه نصر الله نبيه ببدر يوم التقى الجمعان ـ ففرق ـ بذلك ـ بين الحق والباطل، إلى يوم الدين.

شهر جعل الله أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النيران.

شهر حبا الله فيه أمة الإسلام من الإنعام، والإكرام، والأفضال، ما لم تنله أمة نبي قبل محمد ﷺ.

روى البيهقي عن جابر ـ رضي الله عنه ـ : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «أعطيت أمتي في رمضان خمساً، لم يعطهن نبي قبلي :

أما واحدة :
فإنه إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً.

وأما الثانية :
فإن خلوف أفواههم ـ رائحتها ـ حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

وأما الثالثة :
فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة.

وأما الرابعة :
فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا، إلى داري وكرامتي.

وأما الخامسة :
فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً.

فقال رجل من القوم : أهي ليلة القدر ؟

فقال ﷺ : لا، ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم»؟

أرأيتم أيها الإخوان هذا الخير العظيم، والجود العميم، يتفضل به الرب الكريم على عباده الصالحين؟ لقد وعى المسلمون الأولون هذه الحقائق، فكان رمضان عندهم غنيمة من الغنائم، يتسابقون لنيل أكبر قدر من ثوابه العظيم.

إن للناس في صيامهم ألواناً من العادات والتقاليد، توارثوها على مر الأجيال، منها البعيد عن الإسلام بعداً كاملاً، ومنها ما يقترب من الإسلام قرباً يجعله ذا صبغة إسلامية، ومنها ما هو من صميم الإسلام ولبه.

فمن الناس من يرى الصوم أسلوباً صحياً، وعلاجاً وقائياً، يبعده عن الأمراض، أو يكسبه مناعة ضدها، فأيام رمضان عنده وصفة طبية يتناول حباتها الثلاثين، في كل يوم حبة، ولا علاقة له بعد ذلك بأخلاق الصيام، ولا بآداب الصيام، ولا بالحكمة الربانية التي شُرع من أجلها الصيام.

ومن الناس من يرى الصوم إمساكاً عن الطعام، والشراب، وسائر المفطرات، فإن هو فعل ـ بزعمه ـ فقد برئت ذمته، وأدى الذي عليه، وفات هذان الصنفان من الناس أن عملهم هذا بعيد كل البعد عن الحكمة التي كان صوم رمضان من أجلها ركناً من أركان الإسلام.

آداب الصيام

١ ـ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ «الصيام جُنة ـ أي وقاية ـ فإذا كان يوم

صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم».

٢ - روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

٣ - روى ابن حبان، وابن خزيمة في صحيحهما: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث».

الصوم نظام حياة

من هذه الأحاديث الشريفة وأمثالها، نلاحظ أن للصوم آداباً رفيعة، وأن له حكمة سامية، وأن الصوم نظام حياة متكامل، وليس موسماً عابراً.

إنه دعوة إلى كل فضيلة، ورادع عن كل رذيلة، وسياج دون كل معصية، فلا صخب في حياة الصائمين، ولا شتيمة ولا شجار.

صامت ألسنتهم، فلا كذب، ولا بهتان، وصامت أبصارهم: فلا تقع على حرام، وصامت أسماعهم عما سوى الحلال، استجابة لتوجيهات قائدهم الكريم - عليه أزكى الصلوات وأتم التسليم - «إنما الصيام من اللغو والرفث».

وهكذا نرى الصائمين نماذج ربانية، عافت لذيذ الشراب والطعام، وأقبلت على الصلاة والقيام، وجادت ابتغاء مرضاة الله بالأقوات والأموال.

تسامت أرواحها، وعلت نفوسها، وتعلقت منها القلوب بما عند الله من نعيم لايزال، لقد رأت هذه الدنيا على حقيقتها، رأتها لقمة طعام فعافتها، وشربة باردة فتركتها، أو شهوة عابرة فتسامت عنها، وخلعتها، ولسان الحال منها يردد «وعجلت إليك ربي لترضى». هذه غاية النفوس المؤمنة، وأمنية القلوب الصادقة، أن تفوز برضاء الله، ليس لها غاية سواه، وهل هناك غاية أسمى وأغلى من رضاء الرحمن؟

الصوم جهاد

لذلك نجد أمة الصيام أمة جهاد وتضحيات، أمة تعلمت صناعة الموت في ظلال القرآن، وأتقنت حياة المجاهدين في مدرسة النبوة، كلما ذهب إلى ربه قائد مجاهد تلقف اللواء من بعده مجاهد آخر، يفديه بالنفس والولد والمال، حتى غدا نشيد المؤمنين على الأجيال: «الموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

نعم، نحن أمة الصيام، ورثنا البطولات كابراً عن كابر، وخلفاً عن سلف، فيوم بدر كان يوم الفرقان، فيه اندحر الشرك وأهله أمام عصبة الصائمين، وفي رمضان كان الفتح العظيم - فتح مكة - الذي فتح للإسلام مغاليق القلوب، ومنيعات الحصون، فانطلق الصائمون ينشرون دين الله فوق كل مكان، بعدما أعلن مؤذنهم الأذان من فوق الكعبة، بيت الله الحرام. ولا تزال هذه بطولاتنا حتى في العصر الحديث، عصر المادة والفساد، والانحراف والإلحاد.

فهل لقي اليهود الويلات في ربى فلسطين، وذاقوا مر الهوان إلا من الأيدي المتوضئة، والنفوس الصائمة عن كل ما حرم الله.

سلوهم فهم لا ينكرون: كم ليلة باتوها آمنين من كل الجيوش التي انتهت مسرحية قتالها بتسليم فلسطين، ولم يقلقهم إلا تلك الهجمات المؤمنة من شباب الإسلام، التي كانت تدك عليهم مستعمراتهم، وتحرق حصونهم على من فيها من الرجال، وما فيها من العتاد والأموال. سلوهم فهم لا ينكرون: أليست تلك الهجمات المؤمنة الصامدة هي التي جعلتهم يخططون لنشأة كيانات هزيلة، وحكومات عميلة من حولهم، حتى تقضي على الإسلام وشباب الإسلام.

نعم، هم الذين فعلوا ذلك، وصنائعهم هم الذين نفذوا ولا يزالون ينفذون لهم ما يريدون، لأنهم كلهم يعلمون أنه لا حياة لليهود مع وجود هذه النماذج العفة النظيفة المؤمنة النقية، التي تربَّت في مدرسة الإسلام، وتحلت بأخلاق الأنبياء.

الصوم تكافل

يحقق الصوم في نفوس الصائمين معنى الرجولة والتضحية والجهاد، فهو كذلك يربي النفوس على البذل والسخاء، وعلى الجود والكرم والعطاء.

إن الغني الذي يعضه الجوع، ويضنيه الظمأ في شهر رمضان، تتبدل مشاعره، ويختلف إحساسه، ويدرك أن هناك إخواناً له يعانون طوال العام مثل الذي يعانيه في رمضان، فيسارع إلى مواساتهم، ويستجيب لنداء الرسول الكريم الذي يؤكد له أن الصوم معلق بين السماء والأرض، لا يقبل عند الله إلا بإخراج صدقة الفطر، وتطالعه سيرة الرسول الكريم الجواد السخي الذي كان في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة، عندها تهون في نفسه الأموال، ويتلفت إلى من حوله من المحتاجين، يواسيهم، ويؤازرهم، ويقدم لهم ما يصلح حالهم، ويسد حاجتهم من غير منٍّ ولا أذى، إنما واجب الأخوة التي فرضها الإسلام، وحقق معانيها الصيام، وبذلك نجد المجتمع الإسلامي قد تحقق بالتكافل بين أبنائه، وقامت حياتهم على المحبة والمودة والإخاء.

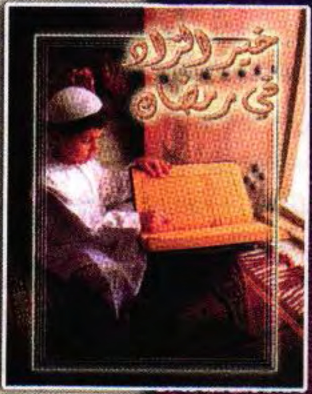
خاتمة

أمة الإسلام : إذا صام الناس عن الطعام والشراب وسائر المفطرات، فاعلموا أن صومكم يجب أن يكون كصوم الأنبياء والصديقين.

وإذا رأى الناس في رمضان موسماً لألوان الطعام والشراب، فلابد أن يكون رمضان عندكم موسماً للطاعات والعبادات وزيادة القرب من الله.

وإذا ما سهر الناس في رمضان مع وسائل الإعلام - غثها وسمينها - ليناموا بعدها ما طال من النهار، فإن ليلكم يجب أن يكون قياماً بين يدي الله - تعالى - ضارعين، خاشعين، متبتلين، قانتين، تطلبون من الله نصر دينه، وإعزاز شريعته، والأخذ بأيدي إخوانكم الذين يحملون السلاح، ويقاومون الظلم والطغيان، ويجب أن يكون نهاركم عملاً دائباً، وسعياً حثيثاً لتبلغوا مرضاة ربكم.

فما شهر رمضان بشهر كسل، ولا نوم ولا خنوع، إنه شهر الجهاد، فيه كانت غزوة بدر، وفيه كان الفتح العظيم - فتح مكة - وغير ذلك من الغزوات. فهنيئاً لكم صومكم، وهنيئاً لكم صلاتكم وقيامكم، وثقوا بأن الله معكم ما دمتم معه، ناصركم، ومؤيديكم، فأصبروا، وصابروا، ورابطوا واتقوا الله، لعلكم تفلحون. ■



الصيام... وسيلة وقائية لأمراض النفس البشرية

بقلم : د. محمود صالح العادلي

جاءت الشريعة الإسلامية لعلاج النفس البشرية وهدايتها إلى الطريق القويم، وتتعدد سبل هذا العلاج، ويمثل العقاب الوسيلة الأخيرة لذلك، إذ يسبق العقاب وسيلتين أخريين، هما: تهذيب النفس وتكوين رأي عام فاضل.

ويكون تكوين هذا الرأي بعدم إظهار الشر، ووضوح الخير، لذا، فإن الجريمة المعلنة تعتبر جريمتين: جريمة الفعل، وجريمة الإعلان، إذ يقول النبي - ﷺ - : «أيها الناس من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات، فاستتر فهو في ستر الله، ومن أبدا صفحته أقمنا عليه الحد».

أما وضوح الخير فمن أبرز صوره: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، حيث يقول الله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران:١٠٤.

أما تهذيب النفس البشرية فيكون بتربية الضمير، والعبادات جميعها تشترك في تربية الضمير، ومن ثم تهذيب النفس، وإذا اقتصر الحديث على الصوم، فإننا نلاحظ أنه له مكانة سامية وظاهرة في كبح جماح النفس البشرية.

ولفظ «الصوم» يشترك مع لفظ «الصيام» في المصدر، فكلاهما مصدره «صام»، ويستخدمان دون تفرقة بينهما، والمعنى الأولى للكلمة هو «يهدأ أو يستريح»، أما المعنى الشرعي للصوم فينصرف إلى: الإمساك عن المفطرات مع النية على اليقين بالنسبة لليوم كله.

ويدّخر الإسلام للصوم قيمة عالية، فهو عبادة تضم أسراراً عظيمة، فالصوم في ذاته وفي آثاره يرتكز على مجموعة أسرار، فهو في حد ذاته ليس فيه عمل يُشاهد، وجزاؤه له خصوصية عظيمة، ألا وهي أن تقديره من الأسرار الإلهية، إذ قال فيه النبي - ﷺ - عن ربه: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

ويفرض الصوم - ضمن ما يفرض - على المرء الامتناع عن الطعام والشراب، وهذا الامتناع - في نفسه - هو جهاد للنفس البشرية من أن تنجرف إلى تيار المعاصي والجرائم.

إذ يقول رسول الله - ﷺ - : «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش».

الجوع والعطش في اليهودية والمسيحية

والدعوة إلى الجوع والعطش كوسيلة للتقرب لله تعالى عرفتها - أيضاً - المسيحسية واليهودية، إذ يقول عيسى - عليه السلام - «يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل»، وقيل مكتوب في التوراة: «إن الله ليبغض الحبر - أي العالم - بكسر اللام - السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل، وذلك قبيح خصوصاً بالحبر.(١)

لا ينحصر الصوم في الجوع والعطش

ولكن، ليس بالجوع والعطش فحسب يُحتسب الإنسان ضمن زمرة الصائمين، إذ يستحسن أن تسكن وتهدأ جوارح الإنسان جميعها، فلا تتحرك تجاه ما يغضب الله سبحانه وتعالى.

فاللسان يكف عن الحديث غير النظيف وعن النميمة والأكاذيب والشتائم، ويحبذ أن يتحرك هذا اللسان تجاه حمد الله - سبحانه وتعالى - وشكره، كما يحبذ - من باب أولى - أن يتحرك لتلاوة القرآن الكريم للصائم نفسه أو لغيره.

وعلى العموم يُستحسن أن يتجنب المرء الأفعال التي وإن لم تكن منهياً عنها بالفعل، إلا أنها قد تثير الشهوة في المرء أو في غيره، إذ روي عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال : «إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم»، متفق عليه، كما روي عن أبي هريرة - أيضاً - أنه قال: قال

رسول الله - ﷺ - : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». (رواه الجماعة إلا مسلماً والنسائي).

الصوم وقاية من الانزلاق في المعاصي

والصوم بهذا المعنى يمثل سياجاً قوياً يمنع الصائم من اقتراف المعاصي التي يستفزه «غيره» للوقوع فيها، ومن باب أولى يستحسن أن يتجنب الصائم المعاصي التي يمكن أن تحدث منه تلقائياً دون استفزاز من أحد كالكذب وشهادة الزور والغيبة والنميمة.

وجلي من ذلك أن الصوم يلعب دوراً كبيراً في كبح جماح النفس البشرية، ومن هنا نستطيع أن نفهم ما كتبه حجة الإسلام الإمام الغزالي، بشأن تقسيم الصوم على ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص، أما صوم العموم فهو: كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، أما صوم الخصوص فهو: كفُّ السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، أما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية.(٢)

وينبع الدور الوقائي للصوم من كونه يكبح الشهوات، تلك الشهوات التي يتوسل بها الشيطان لبلوغ غاياته، فالشهوات هي مرتع الشياطين ومرعاهم، ومادامت مخصبة لم ينقطع ترددهم، وماداموا يترددون لم ينكشف لعبد جلال الله - سبحانه وتعالى - وكان محجوباً عن لقائه.

من أفضل الكلام

روي عن النبي - ﷺ - أنه قال : «أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكراً في الله سبحانه وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب».

الهوامش :

١ - راجع: حجة الإسلام الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين - دار الكتبي بالقاهرة - ج٣ - ص٧٠.

٢ - المصدر السابق - ج١ - ص٢١٠.

أهلاً يا رمضان

بقلم : ميسون صافي

ملاذ الروح ..

لتهنأ بأريجة ... وتقتات بسراجه

والناس في رمضان أشبه بالملائكة... يسرحون في رحابة إنهم خفيفو الظل... كأنهم الفلّ.

ابتسامة الصائم كأنما رسمت بريشة القمر... ولوّنت بإشعاعه... شفافة... نديَّة... سخيَّة بالصدق... والحبّ.

ونظراته وديعة.... وكلمته مهابة.

ابتسامة ومشاعر عبقة برضي الله تعالى هدية الصائم إلى العالم من حوله ليسبح في عوالم الخير والبرّ والإحسان في أرقى صورة وأبهى لون... وأنضر وجه.

الصائم...

ذلك الحرّ المنتصر...

فقد علا فوق التخمة والشهوة والهوى وأسر العادة

صار نقيّاً صافياً بريئاً...

صار الجمال بعينه.

وهو إذ يعيش رمضان بهذا التحليق الفريد فهو يؤكد أن الإيمان واليقين أقوى من الفتن.

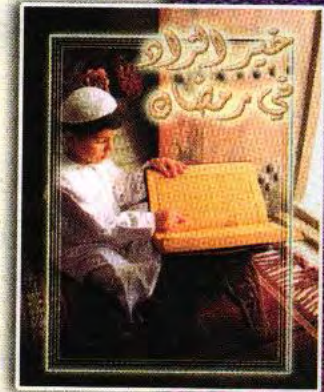
وأن حب الله تعالى ورسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - فوق أي هوى ويجتمع الصائمون في صلاة ... أو في محراب عالم... أو في ساحة جهاد ضد العدو

يا له من اجتماع عظيم... كمثل اجتماع النجوم... لا تخفت... ولا تضعف إنما تتلألأ.

وتتبادل الأفراح والمسرات والأنوار.

ومثل اجتماع العصافير في بستان الربيع... رفرفة أجنحة وروعة دائمة.

ومثل اجتماع الورد عند صحوة الفجر... عطر دائم وألحان أمل.



رمضانيات

شهر الخيرات والانتصارات العظيمة

بقلم : محمد مرسي محمد مرسي

ان شهر رمضان من اعظم المواسم الاسلامية ومن أجل الشهور قدراً، واكثرها خيراً، واعمها براً، هو خير كله. في اوله وفي اوسطه وفي آخره، فهو كالروضة المزهرة الفيحاء، او كالحديقة المثمرة الغناء، من اي نواحيها اتيتها تشم أريجها، وتستمتع بشذى طيبها، فأوله رحمة، واوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال يوما وقد حضر رمضان : «اتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى الى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته. فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل» أخرجه البيهقي والطبراني.

وحسب هذا الشهر المبارك من الفضل وعظم القدر أن الله تبارك وتعالى : اختصه بما لم يختص به غيره، واختاره من بين الشهور، ليكون غرة في جبين الدهر، ولتكون لحظاته الباسمة اسعد لحظات نَعم بها الكون.. وأي زمان أكرم على الإنسانية من شهر كريم، تنزل فيه القرآن العظيم هبة السماء للارض وهداية الخلق الى الحق، ومشكاة تضيء للناس طريق العظمة والخلود، قال الله تعالى:(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام أخر يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) البقرة/١٨٥.

ومن هنا نعلم ان شهر رمضان شهر القرآن، بماله من صلة قدسية، ففيه تنزَّل فشع النور على العالم الضارب في الظلام، الغارق في بحار الجهالة والأوهام قال تعالى:(آلر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) ابراهيم/١ ففي ليلة من لياليه جليلة القدر، عظيمة الشأن أشرقت الارض بنور ربها، وبزغت فيها كواكب العرفان بنزول القرآن على أكرم انسان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. (نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين) الشعراء/١٩٣/١٩٥.

وانه ليس في الليالي والايام اشرف من ليلة كانت فاتحة السعادة، وبداية الهداية، ومشرق النور، ومبعث الخير والفلاح تلك هي ليلة القدر: (انا انزلناه في ليلة القدر. ومأادراك ماليلة القدر. ليلة القدر خير من الف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر) القدر

وقال جل شأنه : (حم. والكتاب المبين. إنا انزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم. أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين. رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) الدخان/١-٦. أي ان الله بدأ بإنزال القرآن العظيم في ليلة مباركة هي ليلة القدر التي تفضل الله بها على عباده بما أنزل فيها من هداية وارشاد وتعليم وتهذيب فقد اراد الله انذار الناس واخراجهم من الظلمات الى النور فبعث رسوله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق، وانزل عليه القرآن في تلك الليلة، التي اعلى فيها منزلته بالوحي، وشرفه بالرسالة، ورفع ذكره بالكتاب الخالد الجامع لألوان الهداية الإلهية .. ونزل القرآن الكريم في هذه الليلة المباركة من شهر رمضان، وكلما هلّ هلاله طاف بالأذهان ذكرى نزول هذا الكتاب الخالد الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه معجزة الاسلام الكبرى، التي ستظل باقية الى ان يرث الله الارض ومن عليها. عن أبي هريرة رضي الله عنه : ان النبي ﷺ قال : « مامن الانبياء نبي إلا أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي فأرجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة»اخرجه البخاري وكان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ كل ليلة من ليالي رمضان فيدارسه القرآن، ويتبادلان التلاوة والاستماع حين يسجو الليل،

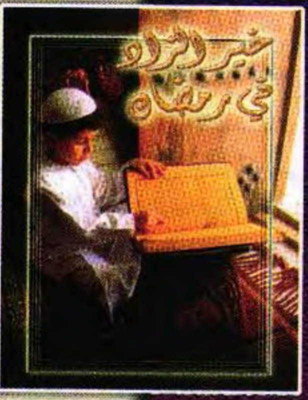
ويهدأ الكون فيواطيء القلب اللسان، ويتذوقان حلاوة القرآن وعذوبته. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ : اجود الناس وكان أجود مايكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن وكان جبريل يلقاه كل ليلة من ليالي رمضان: فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل : أجود بالخير من الريح المرسلة» أخرجه البخاري لقد كان رسول الله ﷺ اجود الناس وأكرمهم واكثرهم سخاء، كان جوده قبل ان يبعث كرما إنسانيا فلما اكرمه ربه بالرسالة صار جوده كرماً ربانياً، ومَن أوْلى من رسول الله ﷺ في ان يتخلق بأخلاق مولاه، فإذا جاء شهر التنزيل: فمن دونه البحر فيضا وصفاء، ومن دونه الريح انطلاقا ورخاء. ان شهر رمضان هو شهر الأمة الاسلامية، والدولة الفتية وهو كما اراده الله لنا شهر التدريب الروحي والجسمي لتخريج النماذج الربانية الصلبة في إرادتها، الشفافة في صفاء روحها، القوية التي تتغلب على نزواتها ونزعاتها. الأبية التي لاتستكين لاعدائها، ولاتعطي الدنية في دينها.. إنه شهر الصبر بكل ماتحتمله هذه الكلمة من معني ومدلول، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم والصيام نصف الصبر»رواه ابن ماجة. فلن يؤدي الصوم رسالته التهذيبية إلا اذا زجّ بالصائم الى ساحة الصبر الجميل، والخلق النبيل، فهو بهذا وسيلة المقاومة، ومبعث القوى النفسية التي تقارع الشدائد، وتدافع الاهوال، وفيه تمرين للنفس على تحمل متاعب الحياة، ومقاومة الاحداث فيها.. وقد اظهرت ازمات الحياة وشدائدها كثيراً من الصفات الجيدة في الانسان، ولاجدال في أن أمجدها واشرفها قوة الاحتمال التي يتحلى بها افراد وهبهم الله قلوبا كبيرة، ونفوسا عظيمة تجعلهم يتحملون في سبيل مبادئهم، ومصالح بلادهم واوطانهم اعنف الصدمات.. فهذه الفضيلة استطاعت ان تقيم بناء المجد في ربوع البلاد، وتمكن بها القادة المصلحون،والزعماء المخلصون من ان يصدوا تيارات الانحراف والفساد، ولهذا كان شهر رمضان على مر التاريخ شهر العروبة والاسلام بأمجاده وانتصاراته.. والتاريخ الاسلامي حافل بطاقات هائلة، ومواكب انتصارات ساحقة كان مسارها وميقاتها شهر رمضان .ففي السابع عشر من هذا الشهر من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى وهي اول لقاء مسلح بين شعبتي الحق والباطل بين الايمان والكفر.. ولقد تجلى في هذه الغزوة الميمونة قوة إيمان الصحابة وشدة شكيمتهم رغم قلة عددهم وضآلة عُددهم، وكثرة عدوهم لانهم كانوا قد خرجوا لايريدون حربا، ولايحسبون للعاقبة حسابا، ولكن ايمانهم بالله كان امضى من الحسام، واقوى من الحديد، واحمى من النار.

وفي الحادي والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة وصل المسلمون مكة بقيادة النبي ﷺ فتم فتحها، واستسلم اهلها دون قيد أو شرط .. وكان فتح مكة درساً قاسياً للطغاة، حطم ماتبقى في نفوسهم من عنجهية وطغيان، وصلف وغرور وكبرياء، كما كان تعبيراً صادقاً عن ان الله عز وجل لن يتخلى عن دعوته ولن يدعها نهباً لاعدائها.. وإذا كان فتح مكة قد أقام صرح الحق على أساس من القوة والعدل، فإنه ايضا اقام صرح السلام على اساس من الخير والرحمة لقد وقف رسول الله ﷺ يخاطب قريشا: ماتظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فإن تعف فذاك الظن بك، وان تنتقم فقد أسأنا!!قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا أقول لكم إلا كما قال أخي يوسف من قبل: (لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) يوسف/٩٢. وفي رمضان من السنة التاسعة من الهجرة. وقعت غزوة تبوك بين المسلمين والروم، وبالرغم من ان هذه الغزوة لم يحدث فيها قتال بين الجيشين إلا انها سجلت للمسلمين نصراً عظيماً، فقد انسحبت الجيوش الرومانية وحلفاؤها من البيزنطيين والقبائل العربية المقيمة على حدود الشام من مواقعهم بعد ان عرفوا قوة الجيش الاسلامي، والروح العالية التي يتميز بها جنوده المتشوقون الى خوض المعركة، مع هذا العدو المتفوق المتجبر، وعاد الجيش الاسلامي الى قواعده، بعد ان قضى على خرافة الجبروت الروماني.

وفي شهر رمضان من العام الخامس عشر من الهجرة وقعت معركة القادسية وانهزمت فيها جيوش الفرس، وارتفعت بعدها رايات الاسلام عالية خفاقة على ارض فارس. وفي شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة عبر المسلمون البحر بجيش جرار يقوده الشاب المسلم الاسمر والبطل المغوار طارق بن زياد، ليخلص الاندلس من الاستبداد، والظلم، وتم النصر على مائتي ألف قوطي كان قد عبأهم حاكم الاندلس الطاغية. وفي شهر رمضان سنة خمسمائة وثلاث وثمانين من الهجرة حدثت موقعة حطين كعلامة بارزة على طريق النصر الاسلامي، فقد حقق صلاح الدين الايوبي نصره الخالد بإجلاء الصليبيين عن الارض العربية وبخاصة فلسطين بعد احتلال استمر ثمانية وثمانين عاما.. وفي الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ستمائة وثمان وخمسين من الهجرة وقعت موقعة عين جالوت، لتسجل نصرا للعرب والمسلمين على موجة التتار العارمة التي جرفت العالم العربي والاسلامي فترة من الزمن في بربرية ووحشية لم يعرفها التاريخ إلا في العصر الحديث.

وفي شهر مضان سنة ستمائة وست وستين من الهجرة استولى الملك الظاهر على إنطاكية، وأخرج منها التتار، واسر منهم عشرة آلاف مقاتل واذا كان التاريخ يعيد نفسه، ووعد الله لايتخلف، حسبما قال الله تعالى:(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) غافر/٥١.

ففي العاشر من رمضان سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين استطاع العرب والمسلمون ان يستردوا كرامتهم، وان يستعيدوا امجادهم فلقنوا اسرائيل درساً لن تنساه، ولن ينساه التاريخ، فحطموا الكبرياء، وقضوا على الغرور المصطنع، وحطموا اكبر سد مانع عرفه التاريخ، وهو خط «بارليف» لقد ظهرت الروح الاسلامية في العاشر من رمضان قوية ظافرة. وكان لصيحة.. «الله اكبر» دوى زلزل حصون الباطل وأذهب سحره، واوقع الرعب في قلوب العدو الذي ولى مدبراً ولم يعقب. وكان لسلطان هذه الكلمة النوارنية قوة دحرت جبروته فضل ضلاله، وضاع صوابه، واعتراه التخبط، فالتوت امامه السبل فوقع فريسة للشجعان الابطال، والجنود البواسل المناضلين عن دينهم وعقيدتهم ووطنهم وامتهم، وتم النصر الذي قلب موازين العالم الذي خُدع طويلاً بالدعايات المسمومة. قال تعالى: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) الروم/٤٧ ■



بدر...
من هنا انطلق التاريخ!

بقلم: سعيد كامل معوض

(وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يُحقّ الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) الأنفال:٧.

إذا أتيح للأماكن أن تمتلك لغة الكلام .. لتفصح عما شهدته من مشاهد أو أحداث كانت لها أو عليها، فإن بدراً أولى بذلك لتشهد بمعجزة، مشيرة إلى حدث غيّر وجه التاريخ وحوّل مسار البشرية، لكن الله - جلّت حكمته - لم يمنح الأماكن مزية الكلام، وتركنا نستقرئ ما وراء الأماكن من تاريخ، لنكتب - نحن البشر - التاريخ !

فإذا استقرأنا تاريخ بدر وجدنا أن هذه العين رغم ما كان لها من أهمية حيوية، إلا أن الأيام كانت ستجعلها نسياً منسياً، فقد كانت - كغيرها من العيون - تنفع الناس والدواب بالماء وحسبها ذلك، إلا أن الله منّ عليها بالذكر فصارت بين عشية وضحاها ملء الأسماع والأبصار ... ففي صبيحة الجمعة السابع عشر من شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة، وقعت عند بدر تلك الواقعة التي غيّرت ملامح التاريخ الإنساني، ورسمت خريطة جديدة للعالم كله بصفة عامة، والعالم الإسلامي بصفة خاصة، فكانت في القرآن الكريم: «يوم الفرقان»، و«يوم التقى الجمعان» و«يوم البطشة الكبرى»، وكانت في كتب التاريخ «غزوة بدر الكبرى» و«غزوة بدر العظمى»، و«يوم وقعة بدر» إلى غير ذلك من أوصاف التعظيم والإجلال. ولأن بدر اً لن تتكلم فلننوب عنها فنروي ما رأته في ذلك اليوم المشهور.

قبل الحدث

سمع رسول الله - ﷺ - بقافلة تجارية لقريش قادمة من الشام تحت إشراف أبي سفيان بن حرب، فندب المسلمين إليها لينالوها نظير ما تركوا من أموال في مكة.

وبلغ أبا سفيان عزم المسلمين وهو في طريقه إلى مكة، فسارع إلى إرسال ضمضم بن عمرو الغفاري ليخبر قريشاً بالخبر، فتهب لنجدته واستنقاذ أموالها ... وسرعان ما تجهزت قريش برجالها الصناديد الذين خرجوا فيما يقرب من الألف مقاتل. «وشاء الله أن تنجو القافلة عندما غيّر أبو سفيان مسارها»، وبلغ الرسول خبر خروج قريش، وكان ومن معه لا يزيدون عن ثلاثمئة وأربعة عشر رجلاً - وقد خرجوا لا يبغون حرباً - إذ لا تكافؤ بين القوتين، وكان لابد من اتخاذ قرار... إما الإقدام وإما التراجع، فالقافلة التي خرج المسلمون للاستيلاء عليها قد نجت، وخروج المسلمين لم يكن خروج حرب فعددهم وعدتهم لا يسمحان بقتال أبطال قريش الذين خرجوا للقتال ... وكان لابد من الشورى، فهي من الأسس الثابتة التي أقام عليها الرسول مجتمع الدولة الإسلامية، واستشار الرسول من معه: هل يقدمون على معركة لم يخرجوا لها؟ أم يتراجعون؟! .. وكان الجواب دليلاً على الثقة في الله ورسوله : «يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك» هكذا تكلم المقداد بن عمرو من المهاجرين، ومضى غيره يتكلمون، والرسول - ﷺ - ينظر إليهم، فكأنه يستشف ما في داخل صدورهم، ولم يتخذ القرار بعد!، وهنا تكلم سعد بن معاذ قائلاً: (والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟... قال أجل، فقال سعد: لقد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك!)، وهنا ملأ البِشْر وجه الرسول وتملكته السعادة فقال: «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»... وكان القرار!

الحدث

نزل الرسول ومن معه عند أدنى ماء من بدر،

فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الحرب والرأي والمكيدة، فقال: فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغوّر ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فنهض الرسول وتحوّل إلى المكان الذي أشار به الحباب ﷺ . (سيرة ابن هشام). وفي مساء الخميس السادس عشر من شهر رمضان أخذ الرسول يضرع إلى ربه، ويجأر إليه بالدعاء قائلاً في يقين صادق: «اللهمّ هذه قريش أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذّب رسولك، اللهمّ نصرك الذي وعدتني، اللهمّ احنهم الغداة» (سيرة ابن هشام).

وفي صبيحة الجمعة التقى الجمعان... جمع يدافع لله عن الحق، وجمع يدافع للشيطان عن الباطل، وبدأ القتال فأخذ الرسول حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً وقال: شاهت الوجوه، ثم نفخهم بها فلم يبق فيهم رجل إلا امتلأت عيناه منها، واحتدم القتال، واشتد البأس، وإذا بجنود من السماء تهبط إلى صفوف جنود الحق فتقاتل معهم وتشد أزرهم (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) الأنفال:٩. وأعلن ميزان المعركة النهاية، فكان الانتصار الساحق للمسلمين، وكانت الهزيمة النكراء للمشركين، وانكسر الطاغوت بمقتل سبعين من جند العدو وأسر سبعين، واحتسب المسلمون عند ربهم أربعة عشر شهيداً.

وجيء بالأسرى إلى رسول الله - ﷺ - فاستشار أصحابه في أمرهم، فأشار أبو بكر أن يفتدوا بالمال، عسى أن يرشدهم الله إلى الحق، ويكون المال عوناً للمسلمين، وأشار عمر بن الخطاب بقتلهم حتى تقطع دابرة الكفر ويقهر الكفار، وأخذ الرسول برأي أبي بكر، لكن الله أنزل في ذلك قرآناً عاتب فيه الرسول وأيّد رأي عمر: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم. فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم) الأنفال: ٦٧ - ٦٩.

وتبقى كلمة

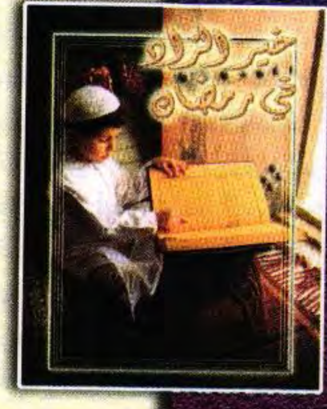
قلنا في بداية حديثنا هذا، إن انتصار بدر غيّر وجه التاريخ، وأعاد رسم خريطة العالم، ولعل سؤالاً يفرض نفسه بقوة علينا في هذا المقام: كيف تحقق هذا الانتصار؟! والسؤال لا يخرج من فراغ... فهناك أسباب عدة تدعو إليه أولها: إن خروج المسلمين لم يكن خروج حرب، بل كان لمهاجمة القافلة التجارية والاستيلاء عليها فحسب، بمعنى أن المسلمين لم يكونوا مستعدين للقتال لا بالعدد ولا بالعدة، وثاني الأسباب: عدم التكافؤ بين القوتين... فعدد المسلمين تجاوز الثلاثمئة بقليل، بينما قارب عدد المشركين الألف، وعدة المسلمين لم تتجاوز السبعين من الإبل، بينما عدة المشركين تساوي عددهم، وثالث الأسباب : أن خروج المسلمين كان في رمضان، ورمضان عند العرب من الأشهر الحرم التي لا قتال فيها ولا سفك دم، اللهم إلا إذا اقتضت الضرورة القصوى ذلك كرد الاعتداء والدفاع عن المال أو الأرض أو العرض، إذاً كل الظروف لم تكن مهيأة لحدوث هذا الانتصار أو حتى لنشوب هذا القتال الشرس الذي فوجئ به المشركون بقوة عقيدة المسلمين وثقتهم بالنصر رغم قلة عددهم وعدم استعدادهم!

ولكن حدث هذا الانتصار الحاسم، لأن الله عندما فوّت على المسلمين اقتناص قافلة التجارة، كان يخفي لهم ما هو أعظم وأثمن... وأراد أن يعلّمهم الدرس الأول من دروس العزة والشموخ، وأراد أن يثبت لهم بالدليل العملي القاطع أنهم إذا نصروا الله ورسوله فلن يهزمهم عدو مهما كانت قوته وجبروته، وأراد الرسول ما أراد الله فوضع أمام أصحابه حقيقة الوضع: العير أو النفير؟!، ومادامت العير قد نجت لم يبق أمام المسلمين إلا النفير!، ولأن الرسول لا ينطق عن الهوى فقد أجابه المسلمون إلى ما يرمي إليه، ودخلوا المعركة... كانوا يعلمون أنهم أقل عدداً وعدة، ولكن العقيدة الصادقة كانت سلاحاً قاطعاً لهم، والرغبة في الشهادة كانت قوة لهم لا تقهر، والثقة في قائدهم الرسول كانت عوناً يشد من أزرهم ويدفعهم دفعاً إلى الأمام، وكانت معركة، وقف أمام طرفيها العقل البشري حائراً... فمن يتصور أن النصر سيكون من نصيب الفئة القليلة؟! ومن يتصور أن الهزيمة ستحيق بجيش كبير صنعته القتال؟! ولم يكن نصر المسلمين محض مصادفة أو مجرد ضربة حظ، بل كان عن جدارة واستحقاق، فرغم قوة جيش الشرك، إلا أن جند الحق كانوا على يقين من نصر ربهم الذي نصروه، فأمدهم الله بجنود لم يروها... الملائكة... وكانت هذه هي المعركة الوحيدة التي أنزل الله فيها ملائكته ليقاتلوا في صفوف المسلمين، وكان لابد من نزولهم، فقد كان نصر المسلمين كفيلاً بنشر الدين الجديد، وتقوية من آمنوا به، وكان لابد من نزولهم ليثبتوا لأهل الشرك أن هذا الرجل الذي كذبوه وعذبوه وحاربوه وسخروا منه، أنه رسول الله بحق، ونزول الملائكة معجزة تضاف إلى معجزته الخالدة القرآن الكريم.

ولابد في هذه العجالة أن نقف قليلاً عند موضوع الأسرى فقد قال الرسول - ﷺ - في عمر بن الخطاب : «إن الحق على لسان عمر وفي قلبه» ... ومع هذا لم يأخذ برأيه الذي أشار بقتل الأسرى، ونزل القرآن معاتباً الرسول في هذا الأمر كما أسلفنا، وهذا يدلنا فيما يدل على مدى سماحة الرسول ورحمته، ومدى رغبته في هداية قومه باللين، ولعل قولته الخالدة لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، مازال صداها يتردد في أسماع الدنيا شاهداً على عظمة هذا الرسول وحُسن خلقه وصدق رسالته التي كان قوامها الرحمة والدعوة بالموعظة الحسنة لا العنف وفرض الدعوة بالسيف كما يدعي البعض!

وبعد ... فقد كانت بدر الدرس الأول للمسلمين تعلموا فيه أن للنصر مقومات أهمها الإخلاص لله، والانقياد لتوجيهات القائد، وقوة العزيمة، والثقة في النصر، وكانت تجربة مفيدة رفعت هامات المسلمين ومنحتهم الثقة في أنفسهم، وأثبتت لأعدائهم مدى قوتهم، ولعل موضوع الأسرى كان من أعظم دروس هذه الموقعة الخالدة، فمنه تعلّم المسلمون أن الدنيا يجب ألا تكون غاية همهم، وإنما الغاية هي إعلاء كلمة الله في الأرض. ■

مفاهيم خاطئة في الصيام



لشهر رمضان منزلة عظيمة في نفوس الأمة الإسلامية، ذلك لأنه شهر الخيرات وأكثرها زخراً بالنفحات الروحية دون غيره من الأشهر، والمسلم العاقل من يغتنم هذا الشهر المبارك في طاعة ربه عز وجل حتى يحظى بالمنزلة العالية، فقد روي عن النبي - ﷺ - أنه قال : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه».

وإذا كان هذا الشهر الفضيل يأتي في العام مرة واحدة، فليس معنى هذا أن أثره يقف عند هذا الشهر، بل إن الدروس التي يجنيها المسلم الصائم من هذا الشهر يمتد أثرها ليشمل الأحد عشر شهراً الأخرى فتصير السنة كلها رمضان، والصوم يُعَدّ قمة امتثال المؤمن لربه عز وجل، فهو صائم دائماً عن الحرام ويأتي رمضان ليصوم عن الحرام والحلال فيكون أشبه بالملائكة: (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم:٦.

ولن يتحقق الامتثال الكامل لله سبحانه، ولن يستفيد الصائم من صومه استفادة كلية إلا إذا تخلص من بعض المفاهيم الخاطئة التي اعتاد عليها بعض الصائمين، والتي لا تمت للصوم بأي صلة، ولا تتناسب مع سلوكيات المسلم الحضاري.

وفي هذه السطور سنلقي الضوء على بعض هذه المفاهيم الخاطئة والسلوكيات التي تنقص ثواب الصائم ذلك إن لم تفسده :

بقلم : عدلية محمد علي

الإسراف في الطعام والشراب

الإسراف في الطعام والشراب في وجبة الإفطار من الأمور المعتادة عند كل أسرة، حيث تُحشد ألوان مختلفة ومتعددة من الأطعمة والأشربة ولا يُتناول منها إلا القليل والباقي مصيره القمامة!! ومعلوم أن الإسراف ليس من أخلاق المسلم الصائم، بل هو من أخلاق الشياطين، وقد نهى المولى تبارك وتعالى عن هذا الخلق فقال: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأعراف :٣١.

والإسراف يعود بالضرر على المجتمع صحياً ومالياً، والصوم يصلح الجسم ولا يرهق ميزانية الأسرة، وهذا السلوك عكس ذلك تماماً.

ولما نبتعد عن الهدي النبوي؟! ألسنا مقتدين بالرسول - ﷺ - في كل أفعاله وأقواله ؟! إنه - ﷺ - كان يفطر على تمرات، فإن لم يجد فعلى قليل من اللبن فإن لم يجد فعلى ماء، وهذه الأنواع التمر - اللبن - الماء، لها فوائدها الصحية كما أنها متوافرة ولا ترهق مالية الأسرة، ثم كيف نفعل هذا الإسراف، ولنا أخوة في أنحاء كثيرة لا يجدون ما يفطرون عليه؟! ألسنا نسأل عنهم يوم القيامة؟! ماذا قدمنالهم؟! وهل ساعدناهم؟!

تأخير الإفطار وعدم تناول السحور

البعض يبالغ في صيامه، وتأخذه العاطفة الدينية، فلا يتناول إفطاره إلا بعد صلاة المغرب، ويظل صائماً، وهو في ذلك ربما لا يعرف أن الرسول - ﷺ - يحث على تعجيل الفطور، ثم الصلاة.

ولايعني التعجيل هنا الإقبال على الإفطار قبل تحقق غروب الشمس، بل يعني أنه بمجرد أن تحقق غروب الشمس، وأعلن عن ذلك، فإن على الصائم أن يفطر ثم يصلي بعد ذلك.

ومن الأفضل صحياً أن يعجّل الصائم بالإفطار لئلا يصاب الجسم بهبوط عام وإنهاك

واضطراب، فالجسم بحاجة عاجلة إلى ما يعوض النقص الذي يحدث في سكر الدم نتيجة الصيام، وهو بحاجة كذلك أن يعوض ما فقده من ماء في نهار رمضان حتى يزول عنه الظمأ أو تبتل لديه العروق.

وأما في السحور فقد روي عن الرسول - ﷺ - قوله: «تسحروا فإن في السحور بركة»، والحق إن السحور بركة وخير وضرورة، ومن بركاته أن الصائم يتوسل به إلى استكمال حاجته الغذائية اليومية التي لا يمكن لوجبة الإفطار وحدها أن تسدها، والصائم الذي لا يتسحر يشعر بصداع شديد وإعياء، وربما تصيبه رعشة، كما يصاب بالإرهاق عند قيامه بأقل مجهود هذا فضلاً عن العطش الشديد الذي يستشعره، ولابد أن ينتهي به الشهر وهو منهك، ناقص الوزن، تبدو عليه أعراض نقص التغذية.

كما أن الصائم الذي لا يتسحر ويكتفي بوجبة إفطار كبيرة، يجلب على نفسه الكثير من المتاعب والاضطرابات وبخاصة في جهازه الهضمي.

ولذا فإن السحور ضروري لجميع الصائمين، وخصوصاً المراهقين وكبار السن والناقهين والحوامل.

وإذا كنا قد عرفنا أن السحور ضروري من الناحية الصحية، فإن لتأخيره استجابة طيبة لأمر الرسول - ﷺ -: «لاتزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور»، وهذه الاستجابة لها الكثير من الفوائد الصحية منها: أن تأخير السحور يمنح الجهاز الهضمي فرصة زمنية مناسبة «بمتوسط ٧ - ٩ ساعات»، لاستكمال هضم الطعام بصورة شبه كاملة وفي يُسر وسهول.

كما أنها خلال هذه الفترة يتخلص الجسم من فضلات الطعام المتراكمة، وتصبح قناة الهضم خالية تماماً من كل المراحل الهضمية، وتكون على استعداد لتلقي وجبة السحور دون أن يختلط طعام لاحق ببقايا طعام سابق.

وأخيراً فإن الصائم ينتفع بما أكل في سحوره أطول فترة ممكنة في اليوم التالي، مما يقلل ساعات صيامه الفعلية، ولذا يقل لديه الإحساس بالجوع والعطش.(٢)

السهر في غير طاعة

هذا السلوك في غير رمضان منهي عنه، لذا في رمضان يجب أن يغتنم الصائم ليل هذا الشهر العظيم في الصلاة وقراءة القرآن، فقد روى أبو هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»(٣).

لكن البعض ما أن ينتهي من تناول إفطاره حتى يجلس أمام التلفاز الذي يحشد مجموعة من البرامج المقننة في كيفية إفساد صيام هؤلاء، ناهيك عما يسمى بالبث الفضائي المباشر الموجّه من شعوب لا تعرف شيئاً عن الحياء والأدب ويظن البعض أن هذا يُسَلِّي يومه وليله وأنه الآن في إفطار فليجلس كيف يشاء، ويمتد هذا العبث حتى طلوع الفجر فبالله عليكم كيف لهؤلاء أن يعملوا وينتجوا؟!!

ونقول لهؤلاء إن مشاهدة هذه البرامج في غير رمضان غير مباح، وبالتالي فهو أكثر وأشد حرمة في رمضان نهاراً وليلاً.

أين نحن من المسلمين الصائمين الذين يشغلون وقتهم نهاراً في الصوم والعلم وفي الليل بالقيام وقراءة القرآن لقد أطاعوا رسول الله - ﷺ - فقد كان: «إذا دخل عليه العشر الأواخر أحيا الليل كله وأيقظ أهله وجدَّ وشدَّ المئزر».(٤)

اختصار ساعات العمل والبطالة

تلجأ كثير من قطاعات العمل في وطننا الإسلامي إلى اختصار ساعات العمل في هذا الشهر العظيم، وذلك تخفيفاً على الصائمين العاملين، فضلاً عن ابتداء العمل متأخراً، فإنه ينتهي مبكراً، وهذا وقوع في الكسل لا يعرفه الإسلام ولا الصوم.

ففي الوقت الذي نحتاج فيه إلى مضاعفة العمل لزيادة الإنتاج، نأتي في رمضان لنحد من أوقات العمل حتى أن سويعات العمل التي يقضيها العامل في عمله لا يُخْرِج الإنتاج على أكمل وجه والحجة في ذلك «رمضان والصوم». إن رمضان وصومه بريء من كل هذه التهم.

وانظر - أخي القارئ - في تاريخنا الإسلامي، هل عرف المسلمون الكسل والركون في رمضان؟

ألم تقرأ عن بدر الكبرى، وفتح مكة، وعين جالوت، وحطين...؟! فهل كان يختصرون الساعات الحربية فانتصروا؟! إن رمضان والصوم لا يعرفان الكسل، بل هو شهر النشاط والاجتهاد ومراقبة الله في أداء الأعمال فلنتقِ الله فيما نفعل.

نفسية الصائم

شيء عجيب حقاً، ولا يليق في هذا الشهر الكريم ولا يعبر عنه في هذا الشهر أن نجد العبوس يرتسم دائماً على وجوه البعض، وإن سألت قيل لك أما تدري أننا في رمضان!! ويكون أقرب إلى الغضب منه إلى الرضا. وإني أتساءل هل الصوم يتطلب ذلك؟! هل الصوم مكروه إلى هذا الحد؟!!

هل هذا خلق الصائم حتى لا يفسد صومه؟! أم تلك عادة ورثناها ولا نعرف لها سبباً؟ هل الابتسام يتعارض مع الصوم؟!

أخي الصائم الكريم: اعلم أن رمضان موسم الخير واكتساب الحسنات، فيجب اغتنامه؟ ألا تعرف أن تبسمك في وجه أخيك صدقة؟

أما تدري أن الغضب يدل على ضعف المؤمن، وأنه من الشيطان؟ إن المسلم الصائم في كل حركاته وسكناته، وظاهره وباطنه، يعطي مفهوماً حضارياً لمن حوله فهو مسرور بحلول هذا الشهر المبارك بكظم غيظه عن الجهلة والسفهاء.

وبعد - أخي الصائم - هذه بعض المفاهيم الخاطئة التي ورثناها عن جهل منّا، فعليك أيها الصائم الكريم أن تأخذ حذرك من ذلك حتى يكون صومك مقبولاً. ■

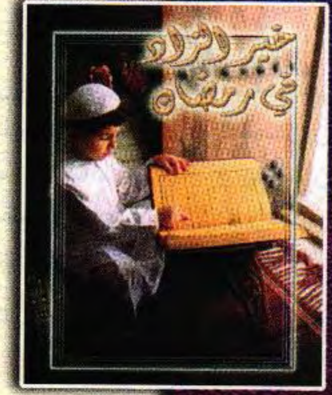
الهوامش:

١ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المكتبة التوفيقية - القاهرة - ب.ت،ص ٤٤٥.

٢ - مجلة الفيصل، شهرية عدد ٢٠٧، رمضان ١٤١٤هـ - ثلاثون وصية حول مائدة رمضان الصحية، د. فوزي عبدالقادر الفيشاوي ص ١٠٤، ١٠٥، الرياض.

٣ - رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ٤٣٥.

٤ - رياض الصالحين، ص ٤٣٦.



لعل تأثير الصيام على جهاز الهضم هو في طليعة ما يُسأَل عنه الطبيب في رمضان، فالصيام بالنسبة للأصحاء راحة للمعدة والأمعاء، فيجد الصائم نفسه مضطراً لتنظيم أوقات طعامه خلال شهر كامل، وهو ما يعطي جهاز الهضم فرصة كافية لأن يصلح الكثير من اضطراباته التي تراكمت طوال العام.

بقلم : د.حسان شمسي باشا



مريض جهاز الهضم يصوم أو لا يصوم؟

فوائد الصيام لمرضى الجهاز الهضمي

وفي حين يُحذر الطبيبُ المريضَ من الصيام في حالات محددة معينة، فإنه ينصح بالصيام في بعض أمراض المعدة والأمعاء.

فشهر رمضان يعتبر شهر إجازة لجهاز الهضم الذي يستريح من هضم الطعام خلال النهار، وفيه تخف الأعباء الملقاة على المعدة والأمعاء.

والمصابون ببعض الاضطرابات الوظيفية في المعدة والأمعاء يجدون في الصيام راحة من عناء، إذ إن إبعاد الطعام عن جهاز الهضم مدة طويلة «في نهار رمضان» يساعد في شفاء الكثير من تلك الاضطرابات، ويعطيها دفعة إلى الأمام في طريقها للشفاء بإذن الله.

عسر الهضم

كلمة شائعة تشمل عدداً من الأعراض التي تعقب تناول الطعام وتشمل هذه الأعراض: الألم البطني والغثيان وغازات البطن، والتجشؤ، وحس لعدم الارتياح.

وكثيراً ما تتحسن أعراض هؤلاء المرضى بصيام رمضان، شرط ألا تكون لديهم قرحة حادة في المعدة أو الاثنى عشر، أو التهاب في المريء أو مرض عضوي آخر.

وينصح هؤلاء المرضى بتناول وجبات صغيرة من الطعام، وتجنب التخمة والأطعمة الدسمة والحلويات.

قرحة المعدة أو الاثنى عشر

يشكو المصاب بالقرحة الحادة من آلام في المعدة عند الجوع، أو ألم يوقظه من النوم، ويخف ألم قرحة الاثنى عشر بتناول الطعام، ويتم تخشيص المرض بتنظير المعدة أو بإجراء تصوير ظليل للمعدة.

والسؤال المطروح دوماً: هل يستطيع مريض القرحة الهضمية الصوم؟

والحقيقة أن ذلك يعود إلى تقدير الطبيب للحال، وفيما إذا كانت القرحة قد شفيت تماماً بالعلاج أم لا.

فالصوم قد يزيد في آلام المصابين بالقرحة المعدية أو الاثنى عشرية إذ إن بقاء المعدة فارغة لدى المصاب بالقرحة ساعات طويلة، يجعل الإفراز المعدي الحامض يتراكم في جوف المعدة الفارغة، وهذا الإفراز الحامض يحتاج إلى ما يعدّله، ويبدد أذاه، وقد اعتاد المريض أن يستخدم الأطعمة في فترات متعددة من اليوم لتعديل تلك الحموضة.

كما قد يحتاج المريض إلى تناول مضادات الحموضة لمرات عدة في اليوم.

وقد يستطيع المصابون بقرحة مزمنة ولا يشكون من أي أعراض صيام رمضان شرط تناول الأدوية المثبطة لإفراز الحمض المعدي عند السحور وعند الإفطار.

متى يجب على مريض القرحة الإفطار ؟

يجب على مريض القرحة الإفطار في الحالات التالية:

١ ـ القرحة الحادة: حين يشكو المريض من أعراض القرحة الحادة كالألم عند الجوع في المعدة أو في حال الشعور بألم يوقظه في الليل من النوم.

٢ ـ عند حدوث انتكاسة حادة في القرحة المزمنة.

٣ ـ عند حدوث مضاعفات القرحة، كالنزيف الهضمي، أو في حال عدم التئام القرحة رغم الاستمرار بالعلاج الدوائي.

فتق المعدة

قد يحدث لبسبب أو لآخر اتساع في عضلة الحجاب الحاجز عند الفتحة التي يمر بها المريء فيعود جزء من المعدة من تجويف البطن إلى تجويف الصدر.

ويكثر حدوث هذه الحال عند البدينين، وبخاصة عند النساء في أواسط العمر، كما يزداد حدوثها عند المدخنين، وقد يولد الإنسان بهذا العيب خلقياً، وقد يشكو البعض من حرقة وحموضة في المعدة وبخاصة عند امتلاء المعدة أو الانحناء إلى الأمام.

ويُعطي المريض مضادات الحموضة لتخفيف حموضة المعدة، وعلى البدينين أن يتوقفوا عن التدخين، وينصح المريض بمراجعة الطبيب الاختصاصي المسلم، فهو الذي يقيّم حالته، وينصحه بتناول وجبات صغيرة بين الإفطار والسحور، مع تناول الأدوية بانتظام.

هل يستطيع المصاب بالإسهال الصيام ؟

الإسهال نوعان :

الأول : هو النوع الحاد: وفيه يبدأ الإسهال بشكل مفاجئ ويستمر من ساعات إلى يومين أو حتى ثلاثة أيام أو أكثر، أسبابه التهاب المعدة والأمعاء الحاد.

والثاني : هو الإسهال المزمن: وفيه يحدث الإسهال على شكل نوبات متكررة.

ومن أسبابه التهاب القولون التقرحي، وتشنج القولون والزحار المزمن وغيرها.

والإسهال مضعفٌ للجسد، مفقدٌ لسوائل الجسم ومنهكٌ للقوى، ويحتاج المريض إلى تعويض السوائل والأملاح المفقودة بالإسهال، فقد يكون الجفاف قاتلاً إذا لم يعالج.

وقد يحتاج الأمر إلى تعويض السوائل عن طريق الوريد، وينصح المصاب بالإسهال بالإفطار، وبخاصة إذا كان الإسهال شديداً.

وإذا صام المصاب بالإسهال الحاد فقد يصاب بالجفاف وهبوط ضغط الدم، أو الفشل الكلوي.

مريض الكبد في شهر الصيام

ينصح المصابون بأمراض الكبد المتقدمة التي يحدث فيها تليف شديد في الخلايا الكبدية بالإفطار، حيث تنقص في تلك الحالات قدرة الكبد على اختزان المواد السكرية الضرورية، فقد يؤدي الامتناع عن الطعام إلى حدوث غيبوبة «سبات»، كما ينصح بالإفطار المصاب بالتهاب الكبد الفيروسي الحاد، والمصابون بدوالي المريء أو الاستسقاء«الحبن».

حصيات المرارة

يختلف تأثير الصوم على مرضى الحصيات المرارية، فمنهم من تزداد نوباته

بالصيام، ومنهم من تهدأ آلامه، وينبغي على المريض استشارة الطبيب المسلم المعالج قبل بدء رمضان.

وصايا للحفاظ على سلامة الجهاز الهضمي

للأسف الشديد فإن جهاز الهضم معرّض لتعب وبخاصة في بلادنا العربية، حيث يمتاز الطعام الشرقي بكثرة دسمه، وتعقد طرائق طبخه، وتعدد أنواعه.

ومثل هذا الطعام المعقد يحمِّل جهاز الهضم أعباء شديدة خلال فترة طويلة من السنة، حتى يأتي رمضان فيعطي المعدة والأمعاء فترة راحة ضرورية، ولا شك في أن الإكثار من خلط الطعام، واختيار الأنواع الثقيلة منه يزيد من اضطرابات الهضم والتخمة.

وليس هناك أدنى شك في أن الإفراط في الطعام والمشروبات عند الإفطار مدعاة لمشاكل هضمية وبدنية تبدأ فور الانتهاء من الطعام، وقد تستمر لأيام عدة، هذا إضافة إلى الشعور بالخمول والكسل والنعاس، حيث يتجه قسم كبير من الدم إلى الجهاز الهضمي لإتمام عملية الهضم.

فينصح بالاعتدال في تناول الطعام وتجنب المقالي والمسبكات والإقلال من التوابل والشطة والبهارات والمخللات، والإكثار من الخضراوات والفواكه والسلطات.

ورحم الله الشاعر معروف الرصافي حين وصف بعض الصائمين الذين يتهافتون على الطعام غير مبالين بالعواقب.

ولو أني استطعتُ صيام دهري
لصمتُ فكان ديدني الصيامُ

ولكن لا أصومُ صيامَ قوم
تكاثرَ في فطورهم الطعامُ

فإن وضح النهارُ طووا جياعاً
وقد نهموا إذا اختلط الزمانُ

وقالوا يا نهارُ لئن تُجعنا
فإن الليلَ منك لنا انتقامُ

وناموا متخمينَ على امتلاءٍ
وقد يتجشؤونَ وهم نيامُ

فقل للصائمين أداءَ فرض
ألا ما هكذا فُرِضَ الصيامُ

رمضان

للشاعر: يس الفيل

أقبل علينا رحمة وسلاماً
إنَّا بصومك لم نزل نتسامى

رمضان ... يا أملاً يداعب أمة
في البدء سابقت البكور قياما

نشرت على الظلمات ستر ضيائها
فارتد ليلٌ ... وانحنى أقداما

ومشت إلى جزر اليقين ... يظلها
عدلٌ ... به الشرك المكابر هاما

عزَّت بعزة دينها وتطلعت
لذرى عليها البغي حط وناما

وتلاحقت ضرباتها، فإذا به
وأمام سطوتها.. يخرُ حطاما

وإذا بها تتسيد الملأ الذي
كم صال جندا ... وازدهى أعلاما

وإذا بصوت الحق يهتف: يا ربا
تيهي عطاء ... واصدحي أنغاما

رمضان جاء ... فكبري لجيئه
واستقبليه محبة ووئما

● ■ ●

أقبل علينا رحمة وسلاماً
وأنر مشاعر، ماخبت إلهما

إنَّا - وإن قصم الخلاف ظهورنا
ثقة نعيش، ولا نمل غراما

ننحاز للإيمان، ندرك أنه
إن صح فينا، عالج الأسقاما

لكننا ... والصحو مدَّ بساطه
من حولنا، لما نزل نتعامى

الكيل فاض... وتلك بعض جراحنا
ما أيقظت - رغم النزيف نياما

فإلامَ يا رمضان، نركض لا تعي
وَمَنْ الذي يهب الحشود إماما؟

ومن الذي يحيي عزائم أمة
ما هادنت - عند اللقاء - صداما؟

رمضان ... عد بالمؤمنين لأمسهم
وأعد لسابق عهده الإسلاما

وأعد «أبا بكر» ينافح ردة
عن كل أرض ألّهت أصناما

وأعد لنا «عمراً» يلم شتاتنا
فقد انفرطنا عدة ونظاما

وأعد لنا «عثمان» يصرخ هامساً
يا قوم نحوّا عنكم الأوهاما

وأعد «علياً» في رابطة جأشه
لم يخشَ عند الالتحام سهاما

إنا وحقك لا نزال كما ترى
نكبوا وننهض ... لا نمل خصاما

● ■ ●

أقبل علينا رحمة وسلاما
وارفع من التمسوا خطاك مقاما

ما أضيع الأيام إن هي أدمنت
شرهاً ... وزلت ملبساً وطعاما

إنا نصوم ... وللصيام حلاوة
ليست تحق لمن أضاع صياما

إن الشهور تمر دون توقف
لكن أمامك أنت... كلٌ قاما

كلٌ يود لو التحفت على الربا
أشواقنا، وأقمت فينا العاما

يا ليت... معذرة... فأنت كما ترى
ضيف يروح... كما أتى - بسّاما

فانقل إلى ملأ السماء غرامنا
بك ما رحلت، وما أطلت مقاما

وارجع إلينا بالهداية... إننا
بسواك أنت، على الصراط يتامى

دراسات تاريخية

مقارنة ونتائج

لمناسبة مرور خمسين سنة على قيام الدولة العبرية:

الأمة الإسلامية بين الحملات الصليبية والحروب اليهودية

قامت الدولة اليهودية في ١٥ مايو ١٩٤٨م في فلسطين، وكانت قد قامت مملكة صليبية في القدس في ١٥ يوليو ١٠٩٩م، وشكلت هاتان الهجمتان الصليبية واليهودية حالياً خطراً على الأمة، وقد نجحت الأمة في التصدي للخطر الصليبي وإزالته، وما زالت تعاني في مواجهة الخطر اليهودي، وتنتقل من تعثر إلى آخر. فكيف كان النجاح في التصدي للخطر الصليبي؟ ولماذا كان الفشل في التصدي للخطر اليهودي؟ وهل يمكن الاستفادة من النجاح السابق في مواجهة الخطر الحالي؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في السطور التالية.

بقلم: غازي التوبة

الحملات الصليبية

خطب أربان الثاني بابا روما لمناسبة انتهاء مجمع كليرمون في نوفمبر ١٠٩٥م داعياً فرسان أوروبا إلى حملة صليبية لإنقاذ فلسطين من أيدي المسلمين، فلسطين التي وصفها الكتاب المقدس بأنها أرض اللبن والعسل وبأنها ميراث المسيح، وحدد لها موعداً في أغسطس ١٠٩٦م، وبدأت الحملة الصليبية الأولى لتتبعها ست حملات أخرى استمرت مائتي عام، وقد اشتركت فيها كل أصناف المجتمع الأوروبي: الملوك، والنبلاء، والفرسان، ورجال الدين، والفلاحون، والأثرياء، والفقراء إلخ...، وقد استولت الحملة الصليبية الأولى على نيقية عاصمة السلاجقة في ١٩ يوليو ١٠٩٧م، ثم استولت على مدينة الرها في شرقي تركيا وأقامت فيها أول أمارة صليبية، ثم حاصرت أنطاكية في ٢١ أكتوبر ١٠٩٧م ثم فتحتها وهكذا قامت الإمارة الصليبية الثانية، وتحركت جموع الصليبيين نحو القدس في يناير من العام ١٠٩٩م، ثم فتحتها في ١٥ يوليو ١٠٩٩م، وأعقب ذلك مذبحة رهيبة، وأبيحت المدينة للسلب والنهب والقتل أياماً عدة وفاض الدم، وظلت الجثث مطروحة في الشوارع إلى أن اجتمع الصليبيون وقرروا اختيار ريمون السانجيلي حاكماً لبيت المقدس تحت لقب «حامي الضريح المقدس» ثم تحولت القدس إلى مملكة تحت حكم بلدوين، وهكذا أسفرت الحملة الصليبية الأولى عن مملكة في القدس وأمارتين في الرها وأنطاكية.

ثم تتابعت الحملات الصليبية، والواضح أن كل الشعوب والدول الأوروبية اشتركت في الحروب الصليبية: الإنكليز، والألمان، والفرنسيون، والإيطاليون إلخ...، ولم تقتصر الحروب الصليبية على تهديد أرض فلسطين وبلاد الشام، بل تعدت ذلك إلى تهديد مناطق أخرى مثل مصر وتونس، فقد تعرضت الأولى لغزوات عدة، وقد اختصها الصليبيون في إحدى المرات بحملة صليبية خاصة هي الحملة الرابعة، أما تونس فقد غزتها الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا الذي لقي حتفه في تلك الغزوة.

فماذا كانت ردود فعل الأمة الإسلامية؟

لقد أدرك المسلمون هول الغزو وأخطاره، فأخذ الفقهاء والعلماء يخطبون من فوق منابر المساجد في فضل القدس الشريف، وفضل الجهاد والمجاهدين، ولم تكن حلقات الدروس تخلو من حديث حول القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين، كما أُلّفت الكتب والقصائد التي تحرض وتتناول هذا الموضوع بشكل أو بآخر، وقد أثارت أعداد اللاجئين الهاربين من مذابح الصليبيين مشاعر الاستياء في كل مكان ذهب إليه اللاجئون. لقد أدرك المسلمون أن الصليبيين جاءوا إلى بلادهم بقصد البقاء، وكانت تلك صدمة مؤلمة.

وبدأت الدعوة إلى الجهاد تسري بين أبناء الأمة، وتجاوبت معها جماهيرها، وأصبحت حركة يقودها الأمراء، وفي خضم هذه الحركة ولدت القيادات المقاتلة وعلى رأسها عماد الدين الزنكي الذي برز عام ٥٢١هـ - ١١٢٧م رافعاً راية الجهاد، حاكماً للموصل، ثم حكم حلب عام ٥٢٢هـ، ثم استولى في العام التالي على حماه، ثم استولى على حمص عام ٥٣٢هـ - ١١٤٣م، ثم انتزع الرها من أيدي الصليبيين عام ١١٤٤م، بعد حصار دام ٢٨ يوماً، وكان سقوطها صدمة نفسية مؤلمة للصليبيين في كل مكان، لأنها كانت أول إمارة صليبية تقوم على الأرض الإسلامية، ولأنها كانت مرتبطة بتاريخ المسيحية المبكر، وكان سقوط الرها من الناحية العسكرية كسباً كبيراً لأنه جعل وادي الفرات منطقة تخضع للسيطرة الإسلامية، وكان هذا الانتصار بداية النهاية للصليبيين.

خلف نور الدين الشهيد والده عماد الدين

الزنكي إثر اغتيال الأخير على يد الباطنية ١١٤٦م، وسار على نهج والده في توحيد البلاد الإسلامية، وكانت دمشق هي البلد الوحيد الخارج عن نطاق التوحيد شمال الخلافة الإسلامية، وكان حاكمها معين الدين أَنَرْ يمثل عقبة في وجه نور الدين محمود، وفي كل مرة كان يظهر فيها نور الدين محمود أمام أسوار مدينة دمشق كان الصليبيون يهبون لنجدتها، ثم عقد تحالفاً ضعيفاً معها بعد موت حاكمها، إلا أنه استطاع أن يدخلها في النهاية برغبة أهلها الذين سئموا ظلم حاكمهم.

وهكذا استطاع نور الدين محمود أن يوحد الجبهة الشرقية، ثم اتجهت أنظاره إلى مصر، وكانت تحكمها الخلافة الفاطمية، وتسابق في الوصول إليها مع الصليبيين، واستغل المنازعات الداخلية، فأرسل أسد الدين شيركوه وبرفقته شاب في السابعة والعشرين من عمره هو ابن أخيه صلاح الدين يوسف الأيوبي، الذي خلف أسد الدين شيركوه في الوزارة بعد وفاته عام ٥٦٤هـ - ١١٦٩م، ثم استطاع صلاح الدين أن يلغي الخلافة الفاطمية ويلحق مصر بالخلافة العباسية، وذلك عام ٥٦٧هـ - ١١٧١م.

وهكذا توحدت كل من بلاد الشام والعراق والجزيرة ومصر تحت راية واحدة، ثم حدثت معركة حطين في ٤ يوليو ١١٨٧م، والتي كانت مقدمة لأخذ القدس من أيدي الصليبيين في ٢/ أكتوبر/١١٨٧م، وسارعت بعد ذلك المدن والقلاع الصليبية إلى الاستسلام لصلاح الدين فلم يبق في أيدي الصليبيين إلا بعض مدن محدودة هي: صور، أنطاكية، طرابلس، وهكذا تأكدت نهاية الحروب الصليبية كثمرة لعملية التوحيد التي قامت بها الدولتان: الزنكية والأيوبية.

لقد حققت القيادات الإسلامية الانتصار على الصليبيين بعد أن قامت بخطوتين مهمتين هما:

الأولى: الاستفادة من الرصيد الثقافي الذي تقوم عليه الأمة، والذي يعد محوراً أساسياً من أساسيات وجودها وهو الجهاد والمجاهدين، وفضلهما، وأهميتهما في الحفاظ على المقدسات الإسلامية والحرمات الشرعية، واستثارته وتحريكه، والبناء عليه.

الثاني: التوحد تحت راية الجهاد، وهو ما

توحدت بلاد الشام والعراق والجزيرة ومصر تحت راية واحدة في معركة حطين والتي كانت مقدمة لتحرير القدس الشريف

بدأه عماد الدين الزنكي، حيث حكم الموصل ثم حكم الرها وحماه وحمص، ثم جاء نور الدين الشهيد واستمر حاملاً راية الجهاد، وضم دمشق إلى الدول المتوحدة، ثم جاء صلاح الدين الأيوبي وضم مصر، وأصبح الصليبيون محصورين بين جناح الأمة الشرقي الذي يضم الموصل والجزيرة وبلاد الشام، والجناح الغربي الذي يضم مصر، ثم كان الإطباق الذي حقق الانتصار على الصليبيين في حطين، هذا ما يتعلق بالحروب الصليبية. والآن: كيف سارت الأمور بالنسبة للحروب اليهودية؟

الحروب اليهودية

عقدت القوى اليهودية في أوروبا المؤتمر الصهيوني الأول لها في بازل في سويسرا عام ١٨٩٧م، وحددت أرض فلسطين هدفاً لإقامة دولتها، واختارت هرتزل أميناً عاماً لها، ثم وقعت الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤م، وانهزمت الخلافة العثمانية التي وقفت إلى جانب ألمانيا في الحرب، وكانت

في أغسطس ١٠٩٦م بدأت الحملة الصليبية الأولى لتتبعها ست حملات أخرى استمرت مائتي عام

نتيجة الحرب سقوط الخلافة العثمانية، وتقسيم بلاد الشام، ووقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ثم بدأت الهجرة اليهودية تتوالى إلى فلسطين، ومكن الانتداب البريطاني اليهود من إقامة دولتهم، فساعد الوكالة اليهودية على شراء أراضي العرب المسلمين، ونقل إليها كثيراً من الأملاك الحكومية، ثم أصدرت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، واندلعت المواجهات بين العرب واليهود، ودخلت الجيوش العربية فلسطين في ١٥ مايو١٩٤٨م، وانهزمت أمام الجيش اليهودي، وقامت الدولةالعبرية على أرض فلسطين، ونزح نتيجة ذلك عشرات الآلاف من الفلسطينيين، ثم خاض العرب حروباً عدة بعد ذلك مع الدولة اليهودية هي حروب ١٩٥٦م، ١٩٦٧م، ١٩٧٣م، ثم دخل العرب في سلام مع اليهود، فوقّعت مصر اتفاقات كامب ديفيد مع مناحيم بيغن عام ١٩٧٨م، ثم وقّعت منظمة التحرير اتفاق أوسلو مع إسحاق رابين عام ١٩٩٣م، ووقعت الأردن اتفاق وادي عربة مع إسحاق رابين أيضاً عام ١٩٩٤م، والسؤال الآن: ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين الحملات الصليبية والحروب اليهودية؟

١ ـ تتفق الحملات الصليبية والحروب اليهودية بأن أوروبا كانت ذات دور رئيسي في الحربين، وقد حلت الآن أميركا مكان أوروبا في دعم الكيان اليهودي بعد أن ضعف وضع أوروبا الاقتصادي والعسكري، وتقلص نفوذها السياسي.

٢ ـ تتفق الحملات الصليبية والحروب اليهودية بأنهما استهدفتا العالم العربي والإسلامي وليس أرض فلسطين وحدها، فقد أقامت الحملات الصليبية دولاً وممالك لها في نيقية، والرها، وطرابلس، وأنطاكية، والقدس، وهاجمت مصر وتونس. وأفرزت الحروب اليهودية احتلال أرض في لبنان، وسورية، ومصر، وتتطلع إسرائيل الآن إلى السيطرة على العالم العربي انطلاقاً من مقولة «أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل».

٣ ـ تتفق الحملات الصليبية والحروب اليهودية بأنهما تستهدفان اقتلاع الوجود الإسلامي واستبداله بوجود آخر صليبي في

الماضي، ويهودي في الحاضر. ولذلك لا تتوقف أهداف الصليبيين واليهود على الاستغلال الاقتصادي، إنما تتعداه إلى إقامة وجود مغاير ودائم.

٤ ـ تختلف الحملات الصليبية عن الحروب اليهودية بأن بداية النهاية بالنسبة للحملات الصليبية بدأت بعد أقل من خمسين عاماً عندما احتل عماد الدين الزنكي الرها في عام ٥٢٨هـ ـ ١١٤٤م، في حين أن الدولة اليهودية مازالت تزداد تمكيناً بعد مرور خمسين عاماً على قيامها، ويدل على ذلك اتفاقات الاستسلام التي وقعتها أكثر من دولة عربية معها، فما السبب في ذلك؟

السبب في ذلك ثلاثة أمور:

الأول: لقد تواصلت القيادات العباسية أثناء الحملات الصليبية مع ميراث الأمة الثقافي المرتبط بقيم البذل والعطاء والتضحية والجهاد والشهادة والمقدسات وتفضيل الآخرة على الدنيا الخ...، فاستفادت منه وحركته لدفع الأمة إلى الجهاد والقتال، في حين أن بعض القيادات العربية المعاصرة التي تصدرت الساحة السياسية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية وبعدها تنكرت لميراث الأمة الإسلامية الثقافي، فهونت من شأن الدين ورابطته وأعلت القومية ورابطتها بحجة تجاوز العصر لرابطة الدين، ولقد قال أحد شعراء القومية:

سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

وشككت في بعض حقائق القرآن الكريم بحجة العلم حيناً والتاريخ حيناً آخر، كما حدث مع طه حسين عندما شكك في حديث القرآن الكريم عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبنائهما الكعبة، وزينت السلوك الغربي القائم على انفلات العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى بحجة الحرية الشخصية وعدم توليد الكبت حسب نظريات فرويد، وروّجت الفنون الهابطة القائمة على العري بحجة تذوق الجمال، ونادت بأنه لا حكم في الإسلام، وأن الحكم الذي مارسه الرسول كان شيئاً خاصاً به، لذلك فإننا يمكن أن نختار الحكم الذي يناسبنا كما جاء في دعوى علي عبد الرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم»، ثم زاد الطعن في الدين والاستهزاء به في المرحلة الاشتراكية التي بدأت في الستينات من هذا القرن في معظم الدول العربية، ولم يتوقف الأمر عند هذا فحسب بل تعداه إلى اعتباره أساس التخلف، ويجب اقتلاعه من واقع الحياة والمجتمع والاقتصاد والأسرة والتربية لأنه أفيون الشعوب، ولأنه يقوم على الخرافة والأوهام ومناقض لأصول العقل والنهضة، وقد روِّج لهذه المقولات كثير من الكتَّاب منهم: جلال صادق العظم، نديم البيطار، غالي شكري، لويس عوض الخ...، وبالفعل وضعت البرامج والمناهج التي تحقق ذلك في أجهزة الإعلام والتربية والاقتصاد والاجتماع والسياسة الخ...، فكانت نتيجة ذلك تمزيق أوصال الأمة، وتوليد التناقضات في كيانها، واضطهاد علمائها، وتغييب طلائعها المؤمنة في السجون، وانهزامها في المعارك التي خاضتها أمام اليهود.

لم تقتصر الحروب الصليبية على تهديد فلسطين وبلاد الشام بل تعدت إلى تهديد مناطق أخرى مثل مصر وتونس

الثاني: لقد اعتبر المجتمع العباسي أن مقاتلة الصليبيين واجب الأمة جميعها، لذلك اشتركت في مجاهدتهم كل الأعراق والأجناس: العرب، والفرس، والأكراد، والأتراك الخ...، ثم سارت القيادات في خطة توحيدية شملت مختلف المدن الإسلامية، ومنها: الموصل، وحماه، وحمص، وحلب، والشام، والرها الخ...، حتى توصلت إلى إجلائهم عن الأرض الإسلامية، لكن القيادات السياسية المعاصرة اعتبرت أن مقاتلة اليهود واجب الفلسطينيين، لذلك أنشأ مؤتمر القمة العربية عام ١٩٦٤م منظمة التحرير الفلسطينية التي اعتبر دورها الدور الرئيسي والأساسي في مواجهة اليهود، واعتبر دور الدول العربية دور الداعم ويكون ذلك حسب ظروفها وإمكاناتها، لقد أدى هذا التقسيم إلى حصر الصراع بين منظمة التحرير وإسرائيل، وجعل انتصار إسرائيل مؤكداً لأنه أبعد طاقات الأمة وإمكاناتها عن ساحة الصراع.

استهدفت الحملات الصليبية والحروب اليهودية اقتلاع الوجود الإسلامي واستبداله بوجود صليبي ويهودي

الثالث: رفعت القيادات العباسية شعار الجهاد منذ اللحظة الأولى لبدء الحملات الصليبية، واستمرت في رفعه إلى أن انتهى الوجود الصليبي، وكانت تتولد الأسر المجاهدة واحدة تلو الأخرى: فكانت الأسرة الزنكية، ثم الأسرة الأيوبية، ثم المماليك الشراكس، ثم المماليك البحرية. في حين أن القيادات المعاصرة أنزلت راية الجهاد بعد أقل من خمسين سنة من مقاتلة اليهود عندما اعترفت منظمة التحرير بالقرار ٢٤٢ وبإيقاف الانتفاضة والكفاح المسلح ضد إسرائيل وذلك قبل أن تعترف إسرائيل بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على الأقل، لذلك صارت تهمة الإرهاب تهمة جاهزة لكل من يفكر بمقاتلة اليهود، ولكل من يعد العدة لاسترداد حقه وأرضه السليبة، مع أن أطماع اليهود في قيام إسرائيل الكبرى مازالت تداعب خيال قطاع كبير من المجتمع الإسرائيلي، ومازال السعي إلى تحقيق ذلك قائماً وتدل عليه مؤشرات عدة.

الخلاصة

لقد انتصرنا على الحملات الصليبية لكننا خسرنا الحروب اليهودية لأن القيادات المعاصرة حاربت ميراث الأمة الثقافي وتنكرت لثوابتها الدينية، ولأنها غلّبت الجانب القطري على حساب توحيد الأمة، ولأنها أنزلت راية الجهاد قبل انتهاء المعركة. ■

أحكام

العقوبات في الإسلام هدفها مصلحة الفرد والجماعة

إن رسالة الدين في الحياة هي السمو بالعواطف والمشاعر، وتهذيب الأخلاق والسلوك، وتطهير النفوس والضمائر، ورعاية كرامة الإنسان خليفة الحق سبحانه وتعالى في أرضه، والدفاع عن حقوق الأفراد والجماعات، والنهوض بالمجتمع البشري، والسير به قدماً نحو النور والهدى، والطهر والخير، والعزة والحرية، والأمن والأمان، والطمأنينة والسلام.

والدين هو شريعة الإصلاح، ينظمها قانون سماوي، له في النفوس الحب والتقديس، وهو الناموس الخالد لدعوة التجديد والبناء، والنهضة والحضارة، والنبع الأزلي للحقيقة والإيمان، والعدالة.

ويعد الإسلام هو الشريعة التي احتفلت بالإنسان، واهتمت بشؤونه، ورعته في كل ما يتصل به: مبدؤه، ونفسه، وروحه، وعقله، وعقيدته، وفكره، وعمله، وبدايته، ونهايته، وثوابه، وعقابه، وتفرده، ووحدته، واندماجه، وجماعته، وأبناؤه، وزوجته، وأمواله، والأمل فيه، واليأس منه... إلى غير ذلك من الأمور الأخرى التي تتصل به، من قبل أن يخلق آدم عليه السلام وحتى آخر الزمان، هي مصدر كل أحكام القرآن الكريم، بل كل الإسلام بكتابه وسنته، وإجماعه وأقيسته، ووسائله كلها في التشريع والتقنين.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي جعل الإنسان أساساً ومصدراً، ثم جعله وسيلة وغاية، ثم جعله مجالاً للبحث، ثم جعله رائداً يبحث وينقب، وينظر في نفسه، وفي الآفاق، وفيما حوله، وفيما سبقه، ليهتدي عن بصيرة، وإعمال فكر.

والتشريع الإسلامي الإلهي استوعبه كتاب جامع لمعاني الرشد والخير، وأفاض في شرح الحقوق والواجبات إفاضات واسعة، وأعطى أحكاماً جامعة، ولم يترك المجتمع يتخبط في غير نظام، أو البشر يسيرون دون أحكام.

الخير والشر والجزاء

للخطيئة أنواعها، وللأوزار أشكالها، ولها نتائجها الشريرة التي تصاحبها على الدوام، وهذه النتائج تعمل عملها بطريقة ظاهرة أو خفية، في نفس مرتكب الخطيئة، فقد قيل قديماً: إنه لأنكى على المرء أن يرتكب الشر من أن يتحمله.

وهذه القضية صادقة كل الصدق، إذ إن الأضرار التي تلحق بمن يصيبه الشر أضرار خارجية، لأنها تؤذي النفس، ولا تلحق بها خبثاً، بخلاف الأضرار الناتجة عن ارتكاب الفرد للشر، فمرتكبه يحط من نفسه في ميزان الحياة، ويجني على نفسه ما لا يستطيع غيره أن يجني عليه.

بقلم : محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

بيد أنه لا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن الآثار التي تلحق بالفرد من جراء جنايته ليست على الدوام ظاهرة له أو لغيره، فكثيراً ما يظهر له أو لنا أنه قد خرج من الأمر سالماً، إلا أننا نترقب بنظرتنا الجزاء لكل فرد أقدم على جرم وارتكبه، وهذا هو الذي يتفق مع المعنى الطبيعي للعدالة.

ومن هنا كانت القاعدة العامة للإسلام أن العقوبة تسير مع الجريمة بالنسبة للكبر وللصغر سيراً مضطراً، فتكبر الجريمة من الكبير وتتبعها العقوبة، وتصغر الجريمة من الصغير وتتبعها العقوبة.

العقوبات في الإسلام

إن الشريعة الإسلامية وضعت نظاماً كاملاً لكل ما يتطلبه المجتمع الإسلامي، في جميع مجالات الحياة على اختلاف أنواعها، لكي ينعم بالأمن والهدوء والاستقرار.

والعقوبات في الإسلام وضعت على أساس علم الحق سبحانه وتعالى بالنفس البشرية، وتقدير دقيق للغرائز والميول والاتجاهات، وشرعت لمحاربة الجريمة، والحفاظ على مصلحة المجتمع.

ولقد حرصت الشريعة الإسلامية وهي تضع نظام العقوبات، على أن تسبق العقوبة بأمرين اثنين، هما:

١ ـ إصلاح نفسية الجاني.

٢ ـ كفالة الوسائل الضرورية لحفظ حياته.

فالبنسبة لإصلاح نفسية الجاني، وضعت الأسس التالية:

أ ـ مقاومة الجريمة قبل وقوعها: وذلك عن طريق توجيه الأفراد إلى الإيمان الكامل، الذي يحقق الخوف من الحق سبحانه، وتقويم الأخلاق وتهذيبها، وترويض النفس على حب الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأليف القلوب بالتعاون والتناصح.

ب ـ تشريع العقوبة: لأن تشريع العقوبة يمنع الكثيرين من الاقتراب من الجريمة، ويدفعهم إلى عدم اقترافها، وذلك لأن العقوبة جزاء وضعه الشارع للردع عن ارتكاب المنهي عنه، أو ترك ما أمر بتركه، فهي قبل الفعل موانع، وبعد الفعل زواجر.

ج ـ فتح باب التوبة أمام كل مذنب مهما كثرت جرائمه: ونجد هذا في قول الحق سبحانه وتعالى، الذي يخاطب فيه عباده الذين أسرفوا على أنفسهم بدعوتهم إلى التوبة، وعدم اليأس من رحمته، فهو غفّار لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، يقول سبحانه وتعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله

يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) الزمر:٥٣.

د ـ الإعلام العملي من الشريعة الإسلامية بأن العقوبات الواردة فيها لا يقصد بها تعذيب الجاني: فالقصد ليس هذا، وإنما المقصود كفّ الجاني عن ارتكاب الجريمة، وحماية المجتمع من الأذى، وذلك بما أخذت به من التشدد في إثبات الجريمة، ودرء الحدود بالشبهات.

وأما بالنسبة لكفالة الوسائل الضرورية لحفظ حياته، فالشريعة الإسلامية تفرض على المجتمع المسلم أن يوفر لأفراده جميع حقوقهم بمختلف أنواعها، بحيث لا تتجاوز حدود الضرورة.

أقسام العقوبات

لقد قسّم الفقهاء العقوبات إلى قسمين، هما:

١ ـ القسم الأول: العقوبات المحددة، وهي الجزاءات والعقوبات النصية، التي حددها القرآن الكريم، والسنّة النبوية الشريفة، تحديداً دقيقاً، كمًّا وكيفاً.

والعقوبات المحددة تتنوع إلى نوعين :

النوع الأول : الحدود

وهي وصف للعقوبات التي تجب حقاً خالصاً للحق سبحانه وتعالى، عن جرائم بالغة الخطورة على المجتمع الإسلامي، ولذلك قدرت من المولى سبحانه مقدماً، فلا يملك القاضي أو الحاكم إلا أن ينزلها بالجاني كما هي دون زيادة أو نقصان، كما أنها لا تقبل التنازل عنها مادام لا حقّ للأفراد فيها، ومن هنا كانت الجرائم التي تستوجب هذه العقوبات، والتي تسمى بـ «جرائم الحدود» محصورة في عددها، إما بالنص القرآني الكريم، وإما بالسنة النبوية الشريفة.

والجرائم التي تستوجب الحدود فيها اعتداء على حقوق المولى سبحانه وتعالى، وعلى حقوق المجتمع، وتعد انتهاكاً لحمى الفضيلة التي أوجب التشريع الإسلامي حمايتها.

وبناء على هذا، فعقوبة الحد يجب أن يتوافر فيها شرطان، أن تخلّف أحدهما لا تسمى عقوبة حد، وهذان الشرطان هما:

١ ـ أن يكون في الجريمة اعتداء على حق المولى سبحانه وتعالى، وقد مسّت حداً من حدوده التي رسمها وعيّنها، ومنع الناس من ارتكابها، أو أن يتجاوزوها.

٢ ـ أن تكون العقوبة مقدّرة من الشارع، ولم يترك للعباد تقديرها، بل تولى الشارع تقديرها.

وإذا كانت الجريمة فيها اعتداء على حق المولى سبحانه وتعالى، وعلى حق المجتمع، فإن العبرة في هذه الحال تكون بغلبة أحد الحقين على الآخر، وتبعاً لذلك يكون الحق إما خالصاً لله، وإما غالباً على حق العبد.

وتفسير ذلك: أن حق المولى سبحانه وتعالى يمسّ المجتمع، والجناية الشخصية تكون فيه مطلوبة في جانب المعنى الاجتماعي العام، وربما لا يكون هناك اعتداء واضح على شخص، ولكن المعنى الاجتماعي العام هو الأوضح، وحينئذ يكون مناط العقاب صالح المجتمع، وذلك كحد الزنى، وحد القذف، وحد السرقة.

النوع الثاني: القصاص

جرائم القصاص، هي جرائم الاعتداء على النفس، سواء أدّى هذا الاعتداء إلى إزهاق الروح، أو إتلاف بعض أعضاء الإنسان، كالعين، والساق، والأيدي، والأرجل.

والقصاص هو: المقابلة، أو المماثلة... والأصل فيه أن يوقّع على الجاني مثلما أوقعه بالمجني عليه من اعتداء، فإن قتله قُتل، وإن جرحه جُرح، وإن أتلف له عيناً أو أنفاً، أو قطع له إصبعاً، عوقب بمثل هذا الإتلاف تماماً، عملاً بقول الحق سبحانه: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) المائدة:٤٥.

وكما قضى الحق سبحانه: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) النحل:١٢٦.

ومثلما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم» رواه البخاري.

وقد يُصاب المجني عليه بإصابة في موضع من جسده، يصعب إنزال مثلها تماماً في جسد الجاني، فقد لا تقطع الأنف كلها، أو اليد كلها، أو الذارع كله، ومن هنا فقد أجاز الشرع أن يحل محل القصاص الفعلي القصاص المالي، وهو ما يسمى في الشرع بـ«الدية»، ولذلك فقد قسَّم الفقهاء القصاص إلى قسمين:

١ ـ قصاص صورة ومعنى: وهو الاقتصاص من جسم الجاني مباشرة، بإنزال جرح به مشابه لما أحدثه في جسم خصمه.

٢ ـ قصاص معنى فقط: وهو القصاص المالي، أي: التعويض، وهو المسمّى بـ«الدية».

وفي القصاص تطبيق لمبدأ المساواة بين الناس، فيد القوي كيدٌ الضعيف، والعكس، ويدُّ الحر كيدٌ العبد.

ولقد حدد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نطاق هذا القصاص، فمن حقّ المجني عليه أن يقتصّ، أو يعفو، أو يأخذ الدية، أما إذا ابتغى ما وراء ذلك، عن طريق تجاوز حقه، بالإسراف في العدوان، فلا يحق له ويُمنع.

بيد أن عفو المجني عليه لا يزيل عن الجاني صفة الجرم، ولذلك فمن حق القاضي أو الوالي أن يعاقبه تعزيراً، إذ إن التعزير يعد من العقوبات التي يفرضها القاضي أو الوالي على أفعال لم يرد بشأنها حكم في الكتاب، أو في السنة النبوية الشريفة.

٢ ـ القسم الثاني: العقوبات غير المحددة، وهي جرائم التعزير:

تعد الجرائم التي عاقب عليها الإسلام بنص صريح في الكتاب، أو في السنة النبوية الشريفة جرائم قليلة، وجرائم القصاص وهي: القتل، والجرح، والضرب، وما عدا ذلك من المفاسد والشرور والآثام، والأعمال التي تلحق بالأفراد والجماعات الضرر، فلم يرد بشأنها نص يجرّمها، ولم تُوَضَّح العقوبة المساوية لها، فالوالي تجاه هذه الأعمال يستهدي بأقرب الجنايات التي يعاقب عليها الدين بنصّ صريح من الكتاب أو السنّة، عن الفعل الذي يريه أن يفرض عليه عقوبة.

ولقد قال «ابن تيمية» في كتابه «السياسة الشرعية» عن مرتكبي هذه الجرائم غير المنصوص عليها مانصه: «فهؤلاء يعاقبون تعزيراً، وتنكيلاً، وتأديباً، بقدر ما يراه الوالي، على حسب كثرة الذنب في الناس وقلته، فإذا كان كثيراً زاد في العقوبة، بخلاف ما إذا كان قليلاً، وعلى حسب حال المذنب، فإذا كان من المدمنين على الفجور زيد في عقوبته، بخلاف المقلّ من ذلك، وعلى حسب كبر الذنب وصغره».

وقد أورد «ابن تيمية» ثبتاً طويلاً من الأعمال التي تقع من الأفراد على اختلاف مسؤولياتهم، مثل: جرائم الرشوة، وخيانة الأمانة.

وتتراوح العقوبات بين القتل - على ما قرر أكثر الفقهاء - إذا لم تحقق غرض التشريع عقوبة سواها، وبين مجرد التوبيخ، أو مجرد إحضار مرتكب الجرم إلى مجلس القضاء أحياناً.

«وإباحة القتل كعقوبة تقريرية، تستند إلى حديثين رويا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولهما: «ستكون هنّات وهنّات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمّة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان».

وثانيهما: ما روي من أن «ديلم الحميريّ»، قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنّا بأرض نعالج بها عملاً شديداً، وإنّ نتّخذ شراباً من القمح نتقوّى به على أعمالنا، وعلى برد بلادنا»، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «هل يسكر؟»، قلت: «نعم»، قال: «فاجتنبوه»، قلت: «إن الناس غير تاركين»، قال: «فإن لم يتركوه فاقتلوهم».

وقد تكون الجريمة من جرائم الحدود أو القصاص، ولكن لم يقم الحدّ أو القصاص لشبهة، فيجوز في هذه الحال أن يعاقب القاضي أو الوالي تعزيراً على جزء من العمل المنهي عنه المتيقن، والذي لا يكفي وحده للحد أو القصاص.

وقد ينهى الوالي عن الجرائم التعزيرية، ويقوم بتحديد عقوباتها، ويجعل لها حدّين: «أعلى، وأدنى، ليعمل القضاة رأيهم في هذه الحدود، وقد يترك تقدير العقوبة كلية لرأي القاضي».

أساس العقوبات في الإسلام

إن أساس العقوبات في الإسلام هو المصلحة، فأحكام الشريعة الإسلامية في العقاب هي «دفع المضرة، وجلب المصلحة»، فما من أمر جاء به القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة في موضع نهي إلا وكان لدفع ضرر ناشئ عن ارتكاب الفعل المنهي عنه، أو في موضع طلب إلا وكان فيه جلب مصلحة، وقد ثبت ذلك بالاستقراء، وبتقدير العقل السليم للمصالح والمضار.

ولقد جاءت العقوبات للمخالفة على المصالح المعتبرة في الإسلام، ولم يترك تقدير هذه المصالح يجرى تبعاً لأهواء الناس، بل إن الفقهاء قرروا عن طريق الاستنباط من مصادر الشريعة أن الإسلام إنما جاء للمحافظة على أمور خمسة، وهذه الأمور تقوم عليها الحياة الإنسانية الكريمة، وهي من المصالح المقررة الثابتة.

يقول الإمام «الغزالي» ما نصه: «إن جلب المنفعة، ودفع المضرة، مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة».

موقف الإسلام من العقوبة

إذا كانت المسؤولية نتيجة طبيعية للالتزام بما يأمرنا به الحق سبحانه، أو ينهانا عنه، فإن الجزاء هو النتيجة الحتمية المترتبة على قيام الإنسان بمسؤولياته أو مخالفته لها، فالجزاء أمر مترتب على المسؤولية وناشئ عنها.

ولقد حدد الإسلام للعقوبة أموراً، من بينها:

١ - كون العقوبة غير قاتلة للضمير الإنساني، بل تكون حامية للمجتمع من سيئات الإثم، مع الاحتفاظ بكرامة الفرد، وحماية حياته التي هي مناط الأخلاق الفاضلة.

٢ - العناية بتهذيب الضمير والوجدان، وذلك عن طريق تربية روح الإحساس بالواجب في نفس المؤمن، حتى يفعل الخير، استجابة لداعي الحق سبحانه، والرغبة في طاعته، والقيام بالواجب، لا لمجرد الخوف من العقاب، لأن الخوف من العقاب وحده للامتناع عن المعاصي ليس هو المرتبة العليا لأهل الإيمان، بل طلب رضوان الله سبحانه، هو الغاية المثلى لأعمال المؤمنين.

٣ - الاتجاه إلى العدالة، مصداقاً لقول المولى سبحانه: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) النحل: ٩٠.

فالإسلام مع عنايته في شرائعه بالمصلحة العليا الإنسانية، وتربية الوجدان والأخلاق ليتجه نحو الكمال، وكل مبادئ الإسلام وقيمه ومثله تتجه نحو العدالة.

والعقوبة في الإسلام تتكافأ بين العقوبة والجريمة، بالمماثلة في الفعل ذاته، أو في آثاره، ولذلك يقول الحق سبحانه: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) النحل: ١٢٦.

والصبر يكون خيراً في حال ما إذا كانت الجريمة فردية، لأن الصبر تهذيب للجاني، أو تنمية للعلاقات الشخصية، يقول سبحانه: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فصلت: ٣٤، ٣٥.

إن العقوبة في الإسلام - وهي تحمي المصالح المقررة تتفاوت بتفاوت مقدار ما تحميه من منافع، فإذا كان ما تحميه ضرورياً كانت العقوبة أشد في موضعها وبطريقة حاسمة، وإذا كان ما تحميه العقوبة حاجياً كانت العقوبة دون ذلك، وإذا كان ما تحميه تحسينياً فهي دون الأمرين، وربما تكون موضع عفو إذا كان مرتكب الخطأ لم يتعود على ذلك.

فالعقوبة يجب أن تكون موافقة للجريمة، لأن وجود المناسبة بينهما يجعل العقاب حاضراً في ذهن من يريد الجناية، مؤثّراً في تفكيره، والقصاص أعظم عقوبة تتوافر فيها هذه الصفة، فالعين بالعين، والسن بالسن، هو أعظم ما تكون المطابقة، فمن يفكر في ارتكاب أي

جناية سيتذكر العقوبة مهما قصر عقله.

ومن هنا رأى الإسلام أن العقوبة يجب أن تكون مقيدة بأحد أمور ثلاثة:

١ - العقوبة يجب أن تكون متناسبة مع الجريمة، دون أدنى مغالاة أو شطط، لأن العقوبة ضرر، فلا يجوز أن ينزل ضرر لا حاجة إليه، ولو كان هذا الضرر بالجاني.

٢ - العقوبة يجب أن تكون مساوية بين الناس، فكل بني آدم متساوون في جرائمهم على أعمالهم، فلا يكون لطائفة عقاب، ولآخرين عقاب أشد منه أو دونه.

٣ - يجب أن يكون هناك تناسب بين العقوبة، والحال النفسية لمرتكب الجريمة.

الهدف من العقوبات

لقد وضع الإسلام قواعد ثابتة، وأسساً علمية، فيما يتعلق بالعقوبات، شملت جميع جوانبها، وأحاطت بها إحاطة تامة، وقد نشأت في العصر الحديث مذاهب مختلفة، تباينت آراؤها في العقوبة، ويرمي كل مذهب منها إلى غاية يبغي تحقيقها، ولقد سبق الإسلام كل هذه المذاهب بنظرياتها، وكان له فضل الوصول إليها، إذ جعل العقوبة مصلحة، لأن الأمر يتعلق ببناء الأخلاق، وغرسها في نفوس الأفراد، فيجب أن تهدف العقوبة إلى غرض واحد وهو «الإصلاح».

ربما أن كل صور العقوبة تؤدي عملها عن طريق الخوف من الألم، وجب أن نهتم بالبحث في إمكان جعل الألم أو الخوف منه وسيلة من وسائل الإصلاح، فيجب أن تترك العقوبة أثراً في الجاني، وأن يكون الألم سبباً في الإصلاح، وذلك عن طريق أن يتولد في الجاني الإحساس بأنه قد اقترف إثماً، والشعور بالرغبة الصادقة في التكفير عن الذنب.

وهذا هو أهم دور للعقوبة، ولا سبيل إلى تقدم الأخلاق إذا لم يتغير رأي الجاني في نفسه، وتتحول عقيدته من صاحب حق إلى معتدٍ، وذلك باعترافه بخطيئته، حتى ولو كان هذا الاعتراف سراً بينه وبين نفسه، إذ إن الاعتراف يؤدي إلى التوبة.

ومن هنا كانت القيمة الأخلاقية تنحصر في هاتين الخطوتين:

١ - الاعتراف.

٢ - التوبة.

كما يجب أن تكون السلطة المعاقبة سلطة أخلاقية، لأن الجاني لن يثمر فيه التأثير ثمرته المرجوة إلا إذا شعر بأن السلطة التي تعاقبه سلطة أخلاقية، يخشى بأسها، ويحاشى غضبها، ومن ثم يصبح لنقمتها عليه أثر في إرادته، لأنها تلقّنه الدرس الأخلاقي الذي تعجز أي محكمة تحكم بالقانون الوضعي عن تلقينه. وهنا يدرك الجاني أنه قد ارتكب بجرمه خطيئة كان ينبغي أن يعصمه منها ضميره، فإن أدرك ذلك فما عليه سوى خطوة واحدة توصّله إلى تأنيب الضمير، الذي يؤدي إلى التوبة والإنابة. وبعد: فإن العقوبات في الشريعة الإسلامية لها فائدتها القاطعة، ونتائجها الإيجابية في مكافحة الجريمة، وإن أي نظام وضعي ليعجز عن الوصول إلى بعض النتائج التي وصل نظام الشريعة الإسلامية الجنائي إليها.

والمتأمل في تشريع العقوبات يجد أن في علاج النفس الإنسانية تتجلى الحكمة والرحمة معاً، ويتضح هذا في أن لكل جرم عقوبة معينة، ولكل مخالفة عقوبة خاصة، دون أدنى زيادة أو نقصان، لأن التشريع الإسلامي قد سار في هذه الأمور كما سار في غيرها على أدق المقاييس وأعدلها.

ولو تتبعنا النظريات الحديثة والمذاهب المختلفة التي تناولت العقوبات، لوجدنا أنها لم تأت بجديد، فلقد أحاط الإسلام بجميع تفاصيلها، وتناول أبعادها المختلفة.

ويرجع الأصل في نجاح العقوبات أن الذي شرع الحدود، وحدد العقوبات، هو المولى سبحانه، الخبير بمسالك النفوس ودروبها، والعليم بما يصلحها وما يقومها، على أساس طبيعة الإنسان، ففي طبيعة كل فرد أن يخشى ويرجو، وهو لا يأتي بأي عمل إلا بقدر ما ينتظر من منافعه، ولا ينتهي من عمل إلا بقدر ما يخشى من عواقبه، فكلما اشتدت العقوبة ابتعد الناس عن الجريمة، وكلما خفّت العقوبة استهانوا بها، وازدادوا إقبالاً عليها. أما من يصفون حدود الحق سبحانه بالبدائية، وأنها إهدار للكرامة الإنسانية، يرون أن القوانين الوضعية فيها غناء عن هذه الحدود، لأنها تؤدي المطلوب منها مع حفظ المقومات الجسمية في شخص المعاقب بها، فإننا نقول لهم: إن الحدود فيها تطهير للوسط الإسلامي من أفراد ألفوا الشر، حتى عمق فيهم، وأن من يقام عليه الحد أو يعاقب لا يعد بعد ذلك من أرباب السوابق كما فعلت به القوانين الوضعية، وإذا تاب صاحب الجريمة قبلت توبته، ويصبح عضواً صالحاً في المجتمع، وقبله الحق سبحانه، عبداً صالحاً في الآخرة، فلا يتشرد، ولا يهمل، ولا يتكفف الناس، ولا يعود مرة أخرى إلى حياة الإجرام. إن التشريع الإسلامي هو التشريع الملائم للفطرة الإنسانية في جميع أحوالها، والمساير للزمن في جميع مراحله المختلفة، والمصلح لكل أمة، ومن هنا كان هو الأولى بالتطبيق من أي تشريع سواه.

ولقد صدق الحق سبحانه وتعالى، حيث يقول في محكم آياته: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام:١٥٣.

هذا... وبالله التوفيق، ومنه السداد. ■

المراجع:

١ - من فلسفة التشريع الإسلامي: فتحي رضوان.

٢ - التشريع الجنائي الإسلامي: عبدالقادرة عودة.

٣ - فلسفة التشريع الإسلامي: صبحي محمصاني.

٤ - الحكومة الإسلامية: أبو الأعلى المودودي.

٥ - نظرة إلى العقوبة في الإسلام: الشيخ محمد أبو زهرة.

٦ - فلسفة العقوبة: محمد مهدي علام.

٧ - إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي.

٨ - فلسفة العقوبات في الإسلام: دراسة من إعداد محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي، منشورة بجريدة «العالم الإسلامي» العدد ١٣٥٩، الصادر في ١٩٩٤/٦/٦م، والعدد ١٣٦١ الصادر في ١٩٩٤/٦/٢٠م.

تيارات هدامة

الصهيونية التاريخية في تنظيماتها السرية

مجلس السنهدرين

بقلم : عبدالغفار نصر

إن جميع الذين يكتبون في الصهيونية يرون ولادتها من خلال مؤتمر بازل العام ١٨٩٧م وما قام به الصهيوني «تيودور هرتزل» من نشاط مكثف على جميع الصعد الإقليمية والدولية في ذلك التاريخ، ونحن لا نرى في ذلك عجباً ولا دهشة، إذ إنه ما من شيء في الصهيونية قابل لأن يفهم على حقيقته، أو على وجه يريح العقل ويحفظ له ألفته وانتظامه واطمئنانه إلا بالفطنة إلى هاتين الخصيصتين في النفس اليهودية وهما : الهمجية والخرافة، فبغيرهما لن نفهم شيئاً عن تاريخ الصهيونية وعقائدها وأخلاقها ومسالك أبنائها في تاريخهم القديم والحديث(١).

وقد أدرك الإسلام اليهود وألاعيبهم وخياناتهم وغدرهم وتحدث القرآن الكريم في آيات عدة عن هؤلاء المتلاعبين بمفهوم وعقيدة الوحدانية، لكن المسلمين هم الذين - وبسبب من تخلفهم وجهلهم - غاب عن ذهنهم ماهية سلوكهم وشذوذهم الجنسي والخلقي الذي لم يتغير ولم يتبدل منذ آلاف السنين، لأن الفكرة الصهيونية التي وُلدت من رحم هذه الألاعيب والمراوغات منذ قرون بقيت وجهاً من وجوه الفكر اليهودي المسيحي، فقد نشأت في الفكر اليهودي نتيجة اتحاد اليهودية بمملكة العبريين الغابرة في فلسطين، ونشأت في الفكر المسيحي منذ عهد «كرمويل» حين كان الاعتقاد بأن حكم المسيح على الأرض لألف سنة سيصحبه استعادة اليهود لفلسطين؟ وهذه كانت نتيجة ومحصلة تاريخية استطاعت الثورة «اللوثرية» أن تعممها في العالم المسيحي.

والصهيونية في نظر دعاتها ومحبيها هي قومية اليهود، بمعنى هي الوجه القومي في اليهودية، كما أن اليهودية هي الوجه الديني في الصهيونية، وإسرائيل تحقيق سياسي للاثنتين معاً (٣)، ويرى الدكتور جورجي كنعان أن الصهيونية لم تبدأ من مؤتمر بازل في سويسرا، ولا من جماعة محبي صهيون في روسيا، وليست فكرة حديثة، وإن لم تتكشف سماتها وتظهر للعالم إلا في غضون القرن التاسع عشر تحت اسم اليهودية العالمية إلى أن عرفت في أخرياتها باسمها الحالي، وإنما هي قديمة قدم هذه النصوص الدينية (٤).

ويؤكد بن غوريون يوم إعلان قيام الكيان الصهيوني في فلسطين هذه المسألة التي يعتبرونها حقيقة تاريخية: فيقول : « ليست هذه نهاية كفاحنا، بل إننا اليوم قد بدأنا وعلينا أن نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات » (٥).



هذه المقولة التوراتية استمدها بن غوريون من وعد الرب لإبراهيم «لنسلك أعطي هذه الأرض»، كما يدعي كاتب التوارة، وجميع قادة الصهيونية بعد أن دانت لهم الأمور، وقبضوا على حكومات الاستعمار الغربي باتوا يتحدثون في وعد الرب ويعتبرون حكومات الحلفاء المنتصرين أنهم سلبوهم حقهم بعد أن شكلوا إمارة شرق الأردن في أعقاب وعد بلفور ومعاهدة سايكس بيكو.

ولا نتعمق في طرح المقولات المعقدة، فحقيقة الصهيونية اليهودية سطرها أنبياء اليهود بأنفسهم واعتمدوها في كتابهم المقدس «العهد القديم» وهو الذي يُتلافى أماكن عبادتهم وقد نسبوا هذا العهد إلى النبي موسى، وفي دراسة الماضي ومقارنته مع الحاضر، يتأكد لنا أن هناك تنظيماً سرياً ربط هذه المبادئ الهمجية الخرافية على طوال التاريخ فشكلت عقلاً «عصبوياً» حافظ على تماسكهم منذ سبي بابل، وما قام به حزقيال ابن بوزي الذي يعتبر منظم حال الجالية اليهودية في السبي، فقد أخذوا بآرائه ودعواته يساعده «عزرا» الذي رفعه اليهود إلى مستوى الربوبية، بل قالوا إن التوراة لو لم تتنزل على

موسى لنزلت عليه.(٦).

واستمر اليهود في هذا الادعاء حتى نزول الوحي على سيدنا محمد - [- وهنا ما أروع أن نستل حقيقة اليهود من القرآن الكريم: (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) التوبة : ٣١ - ٣٢، وأنذرهم الله على لسان جبريل \ : (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم) الأعراف : ١٦٧.

ألحّ «عزرا» على الدين اليهودي ورأى أهمية وضرورة التمسك به لأن الدين سيكون جامعهم، ولم يخرج شيوخ بني إسرائيل الذين انتظموا في تنظيمات سرية منذ السبي البابلي، وهي التي عُرفت بمجالس «السنهدرين»، والتهال، والقبالا، تعمد التوراة المكتوب المدون والشفوي المتناقل، وقد ورد والوصف متعالياً وربوبياً لـ«عزرا» وإنه الكاتب الماهر : «عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء» عزرا/٧:٥، ١٠.

كما خاطبهم هذا الكاتب مؤنباً وموبخاً دينه: «إنكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا لمرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة». عزرا/١٠: ١٠، ١١.

لقد كان لليهود أماكن عبادة خاصة تعرف باسم «مجمع» وجمعها «مجامع» أشار إليها السيد المسيح في أناجيله: فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة لكي يُمجدوا من الناس» متى ٦:٢، ثم يصف صلاتهم: «ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس» متى٦:٥.

لقد استطاع شيوخ وحاخامات بني إسرائيل أن يفرضوا طاعتهم بعد أن شكلوا مجالس تنظيمية للمحافظة على أبناء دينهم، وقد عُرفت هذه المجالس باسم «السنهدرين» أو «السنهدريم» ويعني «المقعد» أو المجلس، أو المجمع الأعلى، الذي كان قد ظهر أيام خلفاء «الإسكندر المقدوني» عند «البطالسة والسلوقيين، لكن اليهود من بني إسرائيل احتكروا هذه التسمية التي يعود أصلها إلى اليونانية حتى أصبحت وكأنها من أصل عبري.

هذا المجمع، أو مجلس السنهدرين هو الذي حاكم السيد المسيح المحاكمة المبسوطة في الإنجيل، على الرغم من أنه كان قد ألغي سنة ٥٧ق.م، عندما عمل الرومان على إزالة وتصفية آثاره (٧)، لكن هذا المجمع لم يختف نهائياً، بل تمكن بعد هذا التاريخ من أن يستمر بيكانه ووجوده استمراراً غير معلق، ومما لا شك فيه أن الشيوخ والحاخامات، أعضاء السنهدرين، كانوا وراء تشكل، أو تأليف التلمود الذي استمر العمل فيه قروناً عدة وخضع لاجتهادات الشيوخ وتعديلاتهم.

إن السبي الذي تعرض له بنو إسرائيل دفع أنبياءهم إلى التفكير والاجتهاد في التوصل إلى صيغ يحافظون من خلالها على بني جلدتهم ومذهبهم ويعود الفضل في هذا الاجتهاد إلى «عزرا ونحميا» اللذين وجدا أن الحاجة أصبحت ملحة إلى وجود تنظيم بعد عملية السبي التي قام بها نبوخذ نصر إلى بابل وتشتيتهم في بلاد الرافدين، في هذا الشتات شرع الإسرائيليون ينسجون الأقاويل والقصص والأساطير والخرافات والغرائب ويختلقون صوراً من الأشباح يحشونها في رؤوس أبنائهم تسعفهم وتسوّغ تشردهم وتشتتهم ولا شك سادت التوراة والتلمود مثل هذه الخرافات التي كونت دينهم ومعتقدهم وسوغت للباحثين وعلماء الانتروبولوجيا مسألة الشكوك في سماوية الموسوية.

في جميع الحالات أصبح مجلس «السنهدرين» المؤلف من شيوخ بني إسرائيل يقوم على أسس ودعائم ومبادئ دينهم، أو الموجد للدين تسري السياسة في أحشائه وعروقه، أما في التاريخ المعاصر - اليهود لا يتخلون عن صهيونيتهم العنصرية التمييزية، وبات هذا المجلس يقود السياسة ويوجهها، وأضحى آلة السياسة الخفية لجميع يهود العالم يضرب جذوره في أعماق التاريخ اليهودي بسريته وخفته وعلنيته، عندما تستوجب القضايا العلنية، فهو يحدد سلوك اليهود مع الشعب اليهودي والشعوب الأخرى ويرسم خططهم ومستقبلهم وكيفية التعامل وتبادل المنافع مع الأغيار، بل أصبح تعبير يهودي - بفعل سريتهم - يتوافق أساساً مع المعنى الذي فهم اليهود أنفسهم أنه يعبر عن هويتهم، كان هذا المعنى دينياً، ولكن العقلية الدينية كانت تحكم تفاصيل السلوك اليهودي اليومي في كل مناحي الحياة سواء كان ذلك بين اليهود أنفسهم، أو فيما يتعلق بعلاقاتهم مع غير اليهود(٨)، وهكذا وعلى الرغم من ذلك، استمرت الحقيقة السياسية والرابطة اليهودية في العالم مكتومة خفية جداً، حتى اليوم، كما أرى، لم يدركها الباحثون المتعمقون في المسألة الصهيونية، كل ما لديهم عن هذه السرية التي هي تتوازى في توصيفاتها ومسوغاتها قوله أن السنهدرين امتداد للقرون الماضية، ويوصف على أنه الهيئة اليهودية السرية لا يعلم أين مكانها وكيفية هيكليتها.

هنا أسمح لنفسي أن أقتبس عن «عجاج نويهض» فيما كتبه في بروتوكولات حكماء صهيون الجزء الرابع منه :

١ - الكُتاب اليهود، يحاولون أن يجعلوا بداية وجود السنهدرين على الأقل بعد الرجوع من السبي، ومنهم من يعيِّن البداية في خلال السبي، وهناك هيئتان باتتا بارزتين بعد الرجوع من السبي، نظام الهيئة عند اليهود - أي السنهدرين - ونظام الكنيس، وهذا يعزى أساسه .... إلى عزرا ونحميا».

٢ - يقول أكوهين صاحب كتاب «التلمود لكل مريد» إن بعد السبي ظهر الكتبة، ثم السنهدريون، وكوهين هذا يعرِّف السهندرين بقوله: «هو هيئة أخرى عهد إليها في رعاية شؤون اليهود في بلاد اليهودية، أي المنطقة المحيطة بالقدس، وقد تعاقب على رياسة هذا المجمع خمسة أزواج من الرؤساء».

٣ ـ «وكان يُقال لأحد الاثنين في الرياسة «ناسي» بمعنى «رئيس» ويُقال لندّه الآخر «اب بيت دين» أي رئيس المحكمة، والأول له حق التقدم والصدارة، ثم يقول كوهين في أمر السنهدرين: «لكن الدراسة التاريخية الحديثة تقول إن السنهدرين هيئة مؤلفة من الكهنة العلمانيين».

٤ ـ «لقد انقسمت هذه الهيئة (المجمع) إلى أحزاب أهمها ظهور الحزبين اليهوديين الكبيرين وهما: الصدوقيون والفريسيون، وهؤلاء الفريسيون مع العشارين هم الذين قاوموا المسيح وورد ذكرهم في الأناجيل».

٥ ـ «إن التوراة السماعية الشفوية، كانت جزءاً متمماً للتوراة المكتوبة، فهما من مخرج واحد»(٩).

لقد عمل الفريسيون على مقاومة السيد المسيح، فرفضوا خطابه، ولم يصدقوه وهو يحاجهم بالحسنى، ولم يؤمنوا بدعوته، فكان يتوعدهم ويصفهم بالمرائين : «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون بالبحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ... » (١٠).



هذا الحضور الخطابي أوغر صدر اليهود فزاد حقدهم وكراهيتهم، وبدؤوا يفكرون في التخلص منه إلى أن اجتمع مجلس السنهدرين وقرر نهايته المحتومة، فطلب المجلس من الحاكم الروماني محاكمته بعد أن اتهموه ونسبوا إليه ادعاء الكذب، وأنه يجدّف على الله وهي تهمة يحاكمه القانون الروماني عليها بالموت.

كذلك لم يرد ذكر التلمود في القرآن الكريم، ولا في الحديث الشريف، واليهود يعتبرون التلمود كتابهم الجامع للتوراة الشفوية، وهم لايبيحون بأسراره وخفاياه، ربما لم يكن شيئاً مذكوراً في عهد النبي الكريم - [- فبقي سراً، إنما كان هناك أقاصيص وأساطير، وما كانوا يجمعونه ويشرحونه كان من الممكن الإباحة به، لكن استمرت الرغبة في إخفاء ما تعلموه عن العالم الخارجي، وعندما نهضت البروتستانتية بزعامة أو قيادة، أو من خلال عقيدة «مارتن لوثر» في مطلع القرن السابع عشر، ساعدت على إظهار وفضح الكثير من أسرار وخفايا التلمود الذي يتضمن تعاليم تخالف كل الأديان السماوية، وتميز اليهود بقوة عن المعتقدات الأخرى، فاستمرت نصوصه خاضعة لتعاليم الحاخامات وشيوخ اليهود الذين يضيفون ويعدلون على النصوص، لذلك يعتبر التلمود دوماً الأحدث بين جميع الشرائع اليهودية.

ومن هنا نستطيع أن نستنتج وجود هوّة واسعة بل تتسع بين اليهودية والديانات السماوية الأخرى، فالتلمود يقيم حاجزاً أيديولوجياً يمنع التواصل والحوار، ويقوم بعملية انغلاق، وهو بالنتيجة رسّخ قدم مقولة «شعب الله المختار» التي تتأفف منها الديانات الأخرى.

والتلمود يحتاج إلى بحث مستقل وتفصيلات في مفهوماته التي مصدرها شرائع شيوخ السنهدرين، وهنا يرى «دوغلاس ريد» في «جدل حول صهيون» أن أول مجلس تشكل كان في مدينة «يبنّه»(١١)، أو «يمنا» الذي يعتبر المصدر التشريعي والتنفيذي والقضائي للسلطة، ويورد ما كتبه المؤرخ اليهودي «أوغسطين»، فقد كتب هذا: «أن مجموعة من المعلمين والعلماء والمرابين توجهوا إلى «يبنّه» أو «يمنا» ووضعوا على عاتقهم مصير جميع اليهود وتحملوا المسؤولية في القرون اللاحقة... وقد أقاموا في يبنّه، أو يمنا هيئة قيادية مركزية لجميع اليهود، وكقاعدة عامة، لـ«الأمة» التي تحطمت بقسوة مثل اليهودية كان يجب أن تموت»(١٢)

ولم تكن مدينة «يبنّه» أو يمنا مركزاً ثابتاً للسنهدرين، فذلك يرتبط بالظروف التي تحيط باليهود وباليهود أنفسهم، فعلى امتداد قرن فقط انتقل بعدها مركزهم إلى مدينة «عوشا» في الجليل، حيث شكل الشيوخ مجلس سنهدرين جديد لمجابهة قرارات الأمبراطور الروماني «قسطنطين» سنة ٣٢٠م، عندما أعلن الديانة المسيحية ديانة رسمية في البلاد جميعها، في الوقت نفسه، أصدر قانوناً وسلسلة من التشريعات، حرّم بموجبها الزواج بين المسيحيين واليهود، وحرّم على اليهود امتلاك عبد مسيحي، وكان هذا رداً طبيعياً على التمييز العنصري، واستعباد الشعوب الذي فرضته الحكومة التلمودية في عوشا .(١٣)

هذه الأوضاع الجديد في أعقاب تشريعات قسطنطين سنة ٣٢٠م فرضت على اليهود الانتقال إلى بابل وعاش اليهود فيها قرابة ٨٠٠ عام، أما مركز حكومتهم التلمودية، فاستقر في مدينة «سورة»(١٤) كما أصبح لديهم أكاديمية عُرفت باسم «فاومبدينت»، وهو الاسم الذي أطلقه يهود السبي البابلي على مدينة الأنبار العراقية على ضفة نهر الفرات اليسرى، وفي هاتين المدينتين انتهى التلموديون من كتابة تلمودهم الذي استمر حكمه في هذه المدن مدة ستمئة عام، وهو الزمن الذي عاشه يهود سبي بابل وقد تعوّدوا فيه على حياة الانغلاق والانعزال وما عُرف بحياة الجيتو.

لم يحصل الانغلاق الحياتي لدى الديانات الأخرى لأنها لم تأمر

بذلك ولم تميز شعوبها عن الشعوب الأخرى، كما ورد في العهد القديم وادعاء شعب الله المختار، إن كاتب التوراة هو المسؤول إلى حد كبير عن هذه العزلة والانغلاق وعدم الاندماج مع الأغيار، فقد وضع شيوخ الديانة اليهودية تعاليم وشعائر الحياة الجيتو المعقدة التي تغلغلت إلى أبسط أمور الحياة، وعلى الرغم من هذا الانغلاق ومحدودية الكم لم يحافظ بنو إسرائيل على جوهر العقيدة الموسوية، فمدينة بابل تعتبر مركزاً أكاديمياً يصدّر الأوامر والتشريعات الدينية الملزمة لجميع اليهود، وفي مدينة سورة سمى اليهود أنفسهم بالمخيمين أو المعسكرين، وبدؤوا فرض سلطة كاملة على يهود الشتات في جميع أنحاء العالم، واعتقد أن ما يُراد بالشتات هو النفي بين أورشليم وبلاد الرافدين، لذلك كانت التلمودية في صيغها الأخيرة تحدد مسار شعبها في جميع المستويات الدينية والدنيوية طيلة قرون في منطقة الشرق قبل أن تدخل اليهودية إلى القارة الأوروبية.

لكن حياة الانغلاق وسلطة السنهدرين كانت تتعرض أحياناً للخسوف والهجوم الحاد من قبل جماعات يهودية آمنت بالاندماج والتعايش مع الجوار والخروج من الانغلاق والعزلة، وهو ما عرف بحركة «التنويريين» العقلانيين، الذين هاجموا فكرة «الماشيح» المنتظر، وأسطورة العودة إلى فلسطين وشرعوا يكافحون من أجل الاندماج اللغوي وأهمية تقبل الواقع التاريخي في رفض الغيبيات والخرافات والأساطير، حتى هرتزل نفسه كان اندماجياً وعمل في الصحافة بعقل أوروبي.

وفي التاريخ الحديث تصادفنا مقولة ظهور السنهدرين لأول مرة زمن الثورة الفرنسية في عهد «نابليون بونابرت» الذي أعلن سنة ١٨٠٦م عن تجميد الأحكام التي كانت قد صدرت لصالح اليهود، وفي العام ١٨٠٧م دعا مجلساً من زعماء وشيوخ وشخصيات يهودية مرموقة سماه «السنهدرين» لمناقشة المسألة اليهودية ووضع اليهود بشكل جذري(١٥)، فهذا لايعني عدم وجود مثل هذا المجلس تاريخياً، إنما أصبح لمجلس السنهدرين منذ قيام الثورة الفرنسية صفة عالمية وسلطة على جميع الحركة اليهودية في العالم كله، هم حكماء صهيون ودستورهم هو البروتوكولات(١٦).

فلا يعقل أن اليهود عاشوا كل تلك القرون بلا ناظم أو منظم، فاجتماع الشيوخ كان قائماً، وقد تشكلت لجان تطورت في العهد الروماني، فمنذ نحو ٢٠٠م وحتى أوائل القرن الخامس، كان الوضع القانوني لليهود في الأمبراطورية الرومانية كما يلي : بطريرك يهودي وراثي مقيم في طبريا في فلسطين معترف به كصاحب مقام رفيع في التراتب الرسمي هو الرئيس الأعلى لكل اليهود في الأمبراطورية، وكموظف رسمي روماني كان البطريرك رفيع المقام ومن الطبقة الرسمية نفسها التي تضم القناصل وكبار القادة العسكريين، وكبار الوزراء المحيطين بالعرش ولا يعلوه رتبة سوى العائلة الأمبراطورية.(١٧)

فالقبول بمقولة تشكل مجلس السنهدرين لأول مرة في عهد نابليون يتبعد كثيراً عن الحقيقة، ويقدم رؤية تناقض الواقع التاريخي لليهود، حيث تؤكد جميع المصادر أن تنظيماً ما كان يسيّر الطائفة اليهودية في كل بلاد العالم، وإلا كيف حافظوا على وجودهم حسب أو أمر الرب التي وردت في التوراة كما يزعمون؟ وهي أسباب تاريخية لنشوء الحياة الجيتوية، يقول كاتب التوراة: «والآن فلا تعطوا بناتكم لنبيهم ولا تأخذوا بناتهم لنبيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكي تنشدوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا نبيكم إياها إلى الأبد» عزرا ١٢:٩، هذا المعتقد هو الذي رافق التاريخ اليهودي ومنه أسباب فشل الحركات الاندماجية التي رافقعت عصر التنوير في جميع مراحل تاريخهم من بابل إلى اسبانيا زمن الحكم العربي الإسلامي أو مملكة الخرز قبل أن يدمرها الروس. ■

الهوامش :

١ - بولص حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية، ص ٤٣.

٢ - د. إلن تايلور: تاريخ الحركة الصهيونية، ترجمة بسام أبو غزالة، ص ١٠.

٣ - د. جورجي كنعان: العنصرية اليهودية ص ٢٣.

٤ - د. جورجي كنعان: العنصرية اليهودية، المصدر نفسه ص ٢٢.

٥ - د. جورجي كنعان: العنصرية اليهودية، المصدر نفسه ص ٢٢.

٦ - عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون، ج٢، ص٦٧.

٧ - عجاج نويهض: المصدر نفسه ج٤ ص ١٤٠.

٨ - إسرائيل شاحاك: التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، ترجمة صالح علي سوداح، ص٢٧.

٩ - عجاج نويهض: المصدر نفسه راجع ج٤ الصفحات: ١٤٠: ١٤٢.

١٠ - راجع إنجيل متى: الإصحاح ٢٣، الآيات: ١٣ - ٢٣.

١١ - مدينة : يبنّة أو يمنا: وردت في سفر يشوع بن نون كانت مقراً لمدرسة شهيرة ولمجلس السنهدريين وهي يبنة الحالية الواقعة على بعد ١٨كم جنوب يافا وعلى بعد ٦كم شرق شاطئ البحر الأبيض المتوسط على طريق غزة، وفيها قبر «غمالائيل» رئيس السنهدرين في القرن الأول للميلاد.

١٢ - دوغلاس ريد: جدل حول صهيون، ترجمة غياث كنعو، ص ٧٣.

١٣ - مدينة عوشا: تقع في الجليل في المكان الذي تمّ فيه من جديد تشكيل مجلس السنهدرين.

١٤ - سورة: مدينة بابلية قديمة قرب مدينة الحلة على نهر الفرات بين بغداد والكوفة، وعند ياقوت الحموي هي موضع بالعراق من أرض بابل، وهي مدينة السريانيين، معجم البلدان باب: سود، ج٣.

- فاومبدينت: كلمة مأخوذة عن الآرامية وهي تعني النشأة الأولى، أطلقها اليهود على مدينة الأنبار.

١٥ - د. عبدالوهاب المسيري: الأيديولوجيا الصهيونية، ج١ ص٦٥.

١٦ - عجاج نويهض: المصدر نفسه، ج٤ ص ١٤٨.

١٧ - إسرائيل شاحاك: المصدر نفسه، ص ٨٧.

شخصيات إسلامية

بعد مرور ٥٢ عاماً على وفاته

الإمام المراغي

قمة الإيمان يغلب السلطان

مكتب القاهرة

رغم مرور ٥٢ عاماً على رحيله إلا أن الإمام محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر رقم ٢٩ والذي تولى المشيخة في ظل ظروف عصيبة مرتين لا يزال يعيش بين تلاميذه ومحبيه وذلك من خلال أعماله ومواقفه من أجل تطوير الأزهر، ورفعة الإسلام وبخاصة أنه توفي في مثل هذه الأيام العام ١٩٤٥م، وهو لم يتجاوز الخمسين عاماً.

وقد احتفلت الجمعية الخيرية الإسلامية في ذكرى وفاة الشيخ المراغي في احتفال كبير تحدث فيه الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ونجل الإمام الراحل أحمد مدحت المراغي رئيس محكمة النقض وعضو مجلس القضاء الأعلى المصري والدكتورة نعمات أحمد فؤاد المفكرة والكاتبة، والكتَّاب أنور الجندي، ولمعي المطيعي، ومحمد نايل عميد كلية اللغة العربية الأسبق.

تخرج الشيخ المراغي في الأزهر العام ١٩٠٤م، وهو دون الرابعة والعشرين من عمره، واختاره أستاذه الشيخ محمد عبده ليعمل قاضياً في سنة التخرج نفسها في دنقلة بالسودان، واستمر في وظيفته حتى العام ١٩٠٧م، حيث قدم استقالته من العمل بسبب خلافه المستمر مع الحاكم العسكري الإنكليزي للسودان، وعاد لمصر العام ١٩٠٨م، وتدرج في مناصب القضاء حتى تولى رئاسة المحكمة الشرعية العليا، ثم تم تعيينه شيخاً للأزهر للمرة الأولى العام ١٩٢٩م وكان عمره ٤٧ عاماً.

وفي العام ١٩٣٥م عاد مرة أخرى للمشيخة لمدة عشر سنوات حتى توفي في ١٤ من رمضان الموافق ٢٢ أغسطس العام ١٩٤٥م.

يقول الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر إنه بالرغم من أن حياة الشيخ المراغي قصيرة، إلا أنها كانت طويلة وكبيرة بالنسبة للأعمال التي قام بها في خدمة الأزهر من إصدار قوانين وتطوير للمناهج وإنشاء كليات اللغة العربية وأصول الدين والشريعة والقانون.

ويضاف إلى ذلك نبوغه العلمي الذي لم تشغله الوظائف التي وصل إليها من التحصيل والاستزادة من العلم، ويكفيه أنه كان الأول على دفعته العام ١٩٠٤م، وقد كان رئيس تحرير الإنتاج العلمي وقد استفدت شخصياً في تفسيري للقرآن بما ألفه من تفسير لسورة الحجرات وهي إحدى إنتاجه العلمي.

ويشير شيخ الأزهر إلى أن المراغي لم يكن فلتة في عائلة، بل أحد أعضاء عائلة كلها علماء أثروا المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات والتراجم، والتحقيق لكتب التراث.

أما عن الجانب القضائي في حياة المراغي، فقد تحدث فيها نجله المستشار أحمد مدحت المراغي رئيس مجلس القضاء الأعلى المصري الحالي ورئيس محكمة النقض فقال: كان إصلاح القضاء هو الاهتمام الأول للمراغي لتحقيق العدل والإصلاح بين الناس وكان يتبع أسلوباً جديداً مع المتقاضيين حيث كان يحاول أن يوفق بينهما دون اللجوء للتقاضي، وهو الذي تولى منصة القضاء قبل بلوغه الثلاثين عاماً.

وكشفت التجربة عن نجاح المراغي في إنزال النصوص الشرعية على الواقع وهو ما لفت إليه نظر أستاذه محمد عبده الذي أرسله مبعوثاً للسودان لتولي القضاء هناك.

وقد عرضت عليه حكومة السودان آنذاك أن يتولى منصب قاضي قضاة السودان، فرفض إلا بشروطه التي تمثلت في أن يكون تعيينه بقرار من حاكم مصر، وليس من الحاكم الإنكليزي، لمعرفته أن القاضي يستمد أحكامه وقراراته من القرآن والسنة، ولا سلطان لأحد عليه سوى الله وضميره، وحتى يستطيع أن يؤدي رسالته في العدالة بين الناس، وليس تحت سيف الاحتلال.

ويضيف المستشار المراغي أن والده كان له الكثير من المآثر أثناء توليه القضاء في السودان، حيث كان يرى أن إصلاح القانون «إصلاح لنصف القضاء» أو منها أنه شكل لجنة لإعداد قانون للأحوال الشخصية في مصر وكان ذلك للمرة الأولى ولا يزال هذا القانون هو الركيزة الأساسية للأحوال الشخصية حتى اليوم، ومن أهم ما جاء به تحديد موقف المفقود بمضي سنة يمكن لزوجته أن تطلب الطلاق، وحقوق من الورثة الأيتام.

وتقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد: إن الشيخ المراغي جمع بين علوم الدين والعلوم الكونية ومنها الأدب، فقد كتب الشعر والنثر واهتم بالعلوم الحديثة، ودعا الطلاب إلى دراسة اللغات الأجنبية ليكونوا أكثر قدرة على نشر الثقافة العربية وتوصيل الإسلام لغير العرب، ونادى بدراسة الأديان دراسة مقارنة بالأزهر تتجلى فيها الصورة المشرقة للإسلام وأكد أن التقدم العلمي والفلسفي ليسا بقادرين على منع الحروب وأسبابها فقد شهدت الأيام أن الحروب تزداد وحشية وقسوة بتقدم العلم، وأن الأديان وحدها القادرة على وقف هذه الحروب.

وتضيف د.نعمات فؤاد: بأن المراغي أصلح الأوقاف، وجدد خطب المنابر وأساليب الوعظ ووقف في وجه حملات التبشير التي اجتازت الشرق، وأدخل العلوم الحديثة إلى الأزهر ودعا لترجمة القرآن، وسعى لوحدة إسلامية نحن في أشد الحاجة إليها الآن.

وفي هذا يقول المراغي: «إن لدى الأمة الإسلامية ماض يبرز أسباب العز والشرف في كل ميادين الحياة، سواء في العلوم أو الفنون أو التشريع، لكن البعض يريد أن يقطع الصلة بين الماضي والحاضر لصالح التغريب».

وتسرد د. نعمات فؤاد عدداً من مواقف المراغي التاريخية عندما أعلن في الحرب العالمية الثانية: «أن مصر لا ناقة لها ولا جمل في الحرب»، وأن المعسكرين المتحاربين لا يمتان لمصر بصلة، فلماذا تُدك الإسكندرية بالقنابل، وهنا فزع الملك والحكومة، فاتصل رئيس الوزراء حسين سري باشا بالإمام قبل الفجر طالباً منه أن يحيطه علماً بأي شيء يريد أن يقوله بعد ذلك، فرد عليه قائلاً من أنت لكي أفعل ذلك، إنني أستطيع إقالتك بخطبة واحدة من على منبر الأزهر.

موقف آخر تذكره الدكتورة نعمات فؤاد، عندما أراد أصحاب الوقف أن يعطوه عشرة آلاف جنيه مصري مقابل أن يتنازل عن حق الشعب فيه، رفض فأطلقوا عليه النار، وحرقوا رقبته، لكنه تحمل وذهب للمحكمة لكي ينطق بالحكم في إحدى القضايا، ثم ذهب بعد ذلك - رغم آلام الإصابة إلى المستشفى.

موقف آخر عندما توفي المحامي الذي كان يترافع له في قضية تعويض تقدر بآلاف الجنيهات، وبعد أن أُعلن الحكم تنازل عن التعويض لأسرة المحامي كاملاً.

ومن المواقف التاريخية للإمام رفضه طلب «الملك فاروق» بإصدار فتوى تحرم زواج الأميرة «فريدة» بعد طلاقها منه فرفع رأسه قائلاً: أما الطلاق فلا أرضاه وأما التحريم فلا أملكه.

كما تزعم المراغي حملة تبرع في مصر لصالح المجاهدين في السودان ضد الاحتلال الإنكليزي، وبلغت حصيلته ستة آلاف جنيه مصري آنذاك تساوي اليوم نحو ٦ ملايين جنيه، وأمر بتوزيعها على الجمعيات الخيرية القبطية والإسلامية.

وعندما سأله المندوب السامي البريطاني «لورين» عن النتيجة إذا أجريت الانتخابات الجديدة من يفوز الوفد أم الأحرار «الدستوريين»، وكانا الحزبان المتنافسان آنذاك، فقال: سينالها الوفد، فعجب لورين من رده وقال: أنا أعرف أنك أعز أصدقاء محمد محمود باشا زعيم حزب الأحرار، فلماذا لم تعطه شهادتك، فقال: إن شيخ الإسلام لا يكذب، الصداقة شيء والحق شيء آخر، وبعد سقوط محمد محمود قال أصدقاؤه: إن شهادة المراغي أسقطتك لكنه - المراغي - كان يقول إنها شهادة حق.

وعندما اشتد عليه المرض، وكانت أيام امتحانات الأزهر كان يصرّ على الذهاب يومياً، لمكتبه حيث كانت تطبع أوراق الامتحانات ويبرر ذلك بقوله: إنني أتقبل تعرض صحتي للخطر وهو أمر أهون عليّ من أن تتعرض سمعة الأزهر للخطر.

ويذكر لمعي المطيعي أحد المتابعين لسيرة وتاريخ الإمام المراغي حوادث عدة تمت بينه وبين ملكي مصر «فؤاد الأول» و«فاروق» فيقول: إنه لم يكن على علاقة طيبة بالملك فؤاد، والذي تطلع لأن يكون خليفة للمسلمين بعد انهيار الخلافة في تركيا العام ١٩٢٤م، وشجعه الإنكليز على ذلك، لكن قطاعاً كبيراً من الشعب كان لا يرضى عن سلوكيات فؤاد، وهنا أعلن الإمام رفضه لهذا التعيين بطريقته، حيث قال: «إن الخلافة واجبة شرعاً، ولم يتحدث عن من يتولى هذه المكانة».

ويقول أنور الجندي: إن نصرة الإسلام وتطوير الأزهر كانت على رأس أوليات المراغي، والتي كانت تقوم على إظهار العلوم التي خلفها العلماء المسلمون، وعرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضاً صحيحاً غير مشوهاً وحذف المتكلف منه، والعمل على إزالة الفوارق المذهبية والخلاف بين أصحاب المذاهب، فالأمة - كما يرى المراغي - تحتاج لمعرفة الدين بعيداً عن المذهبية والتعصب والتي ترتكز على مواقف سياسية تعدتها الأزمنة، ومزقت الأمة في وقت يتجه فيه العالم نحو التكتل.

كما كان يرى الإمام المراغي ضرورة العمل على تحرير مناهج الأزهر من التقليد والتلقين في التدريس، والأخذ بالأساليب الحديثة، والتوسع في الاجتهاد.

ويذكر الدكتور محمد نايل - عميد كلية اللغة العربية الأسبق ورفيق الإمام الراحل: أن المراغي كان ثورة لا يهاب أحداً في سبيل الحق، ويقول: إنه بدأ معرفته بالمراغي بعد استقالته من المشيخة عندما قدّم قانوناً لإصلاح وضع الأزهر للملك فؤاد، والذي كان يشرف على شؤون الأزهر آنذاك، فأوعز البعض للملك بأن المراغي يريد استقلال الأزهر عن القصر، فرفض القانون، وأعاده إلى المراغي، فوضع المراغي القانون في ظرف واستقالته من مشيخة الأزهر في ظرف آخر، وطلب من الملك فؤاد الاختيار... فقبل فؤاد الاستقالة، وخرج المراغي من الأزهر.

ولكننا نحن طلاب الأزهر قمنا بموقف موحد وأضربنا عن الدراسة في كل الكليات، وكان هتافنا بالاشتراك مع العلماء «المراغي أو المنازل والقرى» واستمر الإضراب ١٤ شهراً، والأزهر بمعاهده مغلق حتى تقرر عودة المراغي، وذكر لي المرحوم المفكر خالد محمد خالد أنه شاهد الملك فؤاد وهو يبكي على تراجعه وعودة المراغي للمشيخة رغم أنفه. ■

دراسات قرآنية

الخطاب القرآني بين التفسير والتأويل

بقلم: أحمد بزوي الغاوي

ـ التفسير والتأويل لغة

للغويين في معنى التفسير أقوال طريفة ومتعددة وكلها تلتقي في معنى الإيضاح والبيان والكشف، فقد ذكر الليث عن الخليل بن أحمد أنه قال: مأخذ التفسير من الفَسْر وهو البيان، وقال والتفسرة اسم البول الذي تنظر فيه الأطباء وتستدل به على مرض البدن، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء «فهو تفسرته»(١).

وقد وردت لفظة «التفسير» في القرآن الكريم في موضع واحد وهو قوله تعالى: «ولا يأتونك بمثلٍ إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً»(٢)، وقال ابن عباس في معنى الآية: أي تفصيلاً.(٣)

ومن معاجم اللغة يتبين لنا أن التفسير يستعمل لغة في الكشف الحي ـ ولعل قول الخليل السالف الذكر يقوم دليلاً على ذلك ـ وقلما يستعمل في المعاني المعقولة.

وأما التأويل في اللغة فهو من آل يؤول إلى كذا، أي يرجع إليه، ويقول الرازي في مختار الصحاح: «التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أوله تأويلاً وتأوله بمعنى، «آل الرجل أتباعه وعياله، وآله أيضاً أتباعه»(٤).

وقد وردت كلمة «التأويل» في سبعة عشر موضوعاً من القرآن الكريم، وكلها تحوم حول هذه المعاني:

ـ تأويل الأحاديث: «وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث»(٥).

ـ تفسير الأحلام: «وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين»(٦)

ـ تأويل الأعمال وبيان ما يقصد منها: «سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً»(٧).

ـ ما يتعلق بالمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله: «وما يعلم تأويله إلا الله»(٨).

ويرى جلة من العلماء أن التأويل مرادف للتفسير في أشهر معانيهما اللغوية(٩)، ومما يؤكد ذلك ما ذهب إليه الدكتور الجليند من أن التأويل بمعنى «نقل ظاهر اللفظ إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل، أي صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله اللفظ»، لم يرد في المعاجم التي ألفت قبل القرن الرابع الهجري، ويخلص من ذلك إلى القول إن «كلمة التأويل كانت تستعمل على ألسنة اللغويين من رواة ومحدثين حتى بداية القرن الخامس الهجري في معنى: المرجع والمصير، والعود، حيث لم يرد إلينا في المعاجم التي وضعت في هذه الفترة وهي المصدر الوحيد لكل المعاجم التي وضعت بعد ذلك مما يخالف ذلك.(١٠).

وليس معنى هذا أن التفسير هو عين التأويل لغة، فقد أثبتت الدراسات اللغوية أن الترادف لا يعني التماثل والتوافق التام في المعنى، بل هناك تشابه في المعنى العام مع وجود فروق دقيقة لابد من التنبه إليها، ومن ثم يمكن القول إن التفسير يرتبط بتفسير الأمور الحسية في الغالب، أما التأويل فيستعمل ـ غالباً ـ في الأمور التي تحتاج إلى أعمال الفكر والنظر.

وقد نبه الراغب الأصفهاني إلى ذلك حيث قال: «والتفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا، والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يستعمل في الجمل.

التفسير والتأويل اصطلاحاً

بسط العلماء القول في تعريف التفسير اصطلاحاً، ولعل أجمع أقوالهم ما أثبته الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن» من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»(١١).

ويستعان في التفسير ببعض العلوم المساعدة كعلم الفقه، والقراءات والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والفقه وأصول الفقه، مع الإلمام بأصول الدين وقواعده، ويؤكد هذا المعنى قول الزركشي عند تعريفه لمصطلح التفسير فهو «علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها ومفسرها، وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها

التأويل هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به

ونهيها، وعبرها وأمثالها.(١٢)

أما مصطلح التأويل، فمصطلح مشكل، ذلك أن استعمالاته تختلف من قرن لآخر، ومن قوم إلى آخرين، ومن ثم تعددت وتنوعت تعريفاته، فمنها ما يفتقر إلى الدقة العلمية، ومنها ما يتسم بالتدقيق والتحديد التام الذي يصبح معه دلالة المصطلح واضحة جلية.

والتأويل كما يوضح ابن تيمية ينبغي في تحديد دلالته الاصطلاحية التفريق بين جيلين:

- السلف الصالح.

- متأخرو المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم.

معظم تفاسير القرآن الكريم لا يمكن تصنيفها ضمن اتجاه أو منهج معين إلا بالتغليب والترجيح

فعند الأوائل نجد له معنيين:

- تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أكان موافقاً لظاهره أم مخالفاً له، ومن ثم كون التأويل والتفسير شيئاً واحداً، أي مترادفين.

وهذا هو المعنى نفسه الذي استعمله محمد بن جرير الطبري، حيث يقول عند تفسير لآي الذكر الحكيم: القول في تأويل قوله كذا وكذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك، وكله محمول - كما أسلفنا - على التفسير والبيان.

- هو المراد بالكلام نفسه، فإذا كان الكلام عن طلوع الشمس فالتأويل هو طلوعها نفسها، أي هو الحقيقة نفسها الموجودة في الواقع الخارجي، وهذا في نظر ابن تيمية - رحمه الله - هو لغة القرآن التي نزل بها.

أما عند متأخري المتفقة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة

فالتأويل هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به(١٣)، وهذا التأويل هو الذي نجد المتكلمين قد استعملوه في معظم كتبهم، وتجلى ذلك في موقفهم من آيات الصفات، ومن ثم يتضح لنا أن القول بالباطن هو الأساس الذي جعلهم يقصرون دلالة التأويل على هذا المعنى.

واستغلت الباطنية المعنى الأخير للتأويل - بعد أن استندوا إلى حديث ينسب إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - للقرآن ظهر وبطن» أو «للقرآن باطن» - فراحوا يفسرون القرآن الكريم وفق هواهم وتبعاً لأذواقهم ومواجيدهم الباطلة شرعاً، وقد رد ابن تيمية - رحمه الله - هذا الحديث فقال: «أما الحديث المذكور فمن الأحاديث المختلقة التي لم يروها أحد من أهل العلم، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث»(١٤).

والتأويل بهذا المعنى ينقسم إلى قسمين أحدهما يوافق العلم الظاهر، وهو إما صحيح مقبول أو باطل مردود أو ملتبس فيتوقف عنه.

أما إذا كان التأويل مخالفاً للعلم الظاهر فهو باطل شرعاً، والقائل به إما ملحد زنديق أو جاهل ضال.(١٥)

والمتأول بالمعنى الأخير مطالب بأمرين:

١ - أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد منه.

٢ - أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح.

ومن دون ذكر ذلك يكون التأويل فاسداً وضرباً من التلاعب بالنصوص وحملها على الهوى وصرفها عن معناها الحقيقي المستفاد من ظاهرها، وتعطيل لشرائع الله، وكل ذلك ملاحظ في تفاسير الفرق الضالة من معتزلة وغيرهم من غلاة الصوفية والفلاسفة.

وقد دأب العلماء على التفريق بين التفسير والتأويل، ولهم في ذلك أقوال متعددة فمنهم من قال: «التفسير هو تحقيق المعنى وذلك لا يكون إلا من قبل الله تعالى، والتأويل هو على احتمال اللغات، فلكل واحد من أهل اللغة أن يتأول بلغته.(١٧)

«ومنهم من قال التفسير هو ذكر القصص وما أنزل فيه، والتأويل هو ما يحتمله معنى الكلام»(١٨)

ويشير الزركشي إلى السبب العلمي والمنهجي في التفريق بين التفسير والتأويل وجعل كل منهما ذا دلالة محددة وواضحة ومتميزة ومخالفة لدلالة الآخرة، وذلك حيث يقول: «والحق أن علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم، وتبيين المجمل، ومنه ما لا يتوقف ويكفي في تحصيله التفقه على الوجه المعتبر، وكأن السبب في اصطلاح بعضهم على التفرقة بين التفسير والتأويل، التمييز بين المنقول والمستنبط يحمل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط تجويزاً له وازدياداً، وهذا من الفروع في الدين.(١٩)

يرى جلة من العلماء أن التأويل مرادف للتفسير في أشهر معانيهما اللغوية

ويفهم من هذا الكلام ومن الذي قبله أن التفسير يتعلق بالرواية، وأما التأويل فمرتبط بالدراية وإعمال النظر، ولكل منهما شروط صحة وقبول.

وخلاصة القول، إنه يتعين علينا التفريق بين جيلين من المفسرين، فالأول منهما كان يستعمل اللفظين بمعنى واحد، وعلى أساس أنهما مترادفان، أما الجيل الثاني منهما، فقد فرق بينهما، فعين التفسير للمنقول،

والتأويل للمعقول، ولهذا دلالة واضحة على طبيعة التفسير ذاته، ذلك أن السلف الصالح، كانوا يعتمدون في تفسيرهم النقل والعقل معاً دون التفريق بينهما، وكان شعارهم في ذلك أن صريح المعقول يوافق صحيح المنقول، وهذا الاتجاه واضح في تفسير الإمام الطبري، والإمام ابن تيمية وابن كثير وغيرهم من مفسري أهل السنة.

أما الخلف فقد أصبحت تفاسيرهم للذكر الحكيم ـ في الأعم والأغلب ـ تشكل ثنائية ضدية حادة، فهناك تفاسير بنيتها الأساسية النقل، وأخرى تعتمد أساساً العقل، فكان تفريقهم بين اصطلاحي التفسير والتأويل تقريراً لواقع التفسير وطبيعته في عصرهم.

يستعان في التفسير ببعض العلوم المساعدة كعلم الفقه والقراءات والناسخ والمنسوخ

وعلماء التفسير غالباً يقسمونه إلى منهجين أساسيين هما:

١ ـ التفسير بالمأثور.

٢ ـ التفسير بالمعقول أو الرأي.

يرجعون إليهما كل ضروب وأنواع التفاسير التي ألّفها العلماء إلا أن هذا التقسيم يتسم بالخطورة والخلط، فخطورته تتجلى في إسهاماته في إحداث انشطار شخصية وعقلية الإنسان المسلم إلى ثنائية ضدية حادة وصارمة: العقل والنقل. وكأن الأمرين لا يمكن الجمع بينهما. في حين يثبت واقع ديننا الإسلامي الحنيف أن النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح، وهذا المبدأ المنهجي العظيم يخلصنا من الوقوع في مطب الانشطار الذي جنى على أمتنا وما زال، ويمكننا من تجاوز ثنائية العقل والنقل إلى حلول وإمكانات أخرى متاحة.

أما الخلط فيتبين لنا في تجاهل أنواع التفسير الأخرى، والتي لها مميزاتها وصفاتها التي تجعلها متميزة عن التفسير المأثور أو المعقول، كالتفسير الإشاري أو الصوفي، والتفسير الموضوعي، والتفسير الأدبي ـ الاجتماعي، والتفسير العلمي وغيرها من أنواع التفسير الكثيرة التي يعبر تجاهلها عن خلط في تصور طبيعة المناهج التفسيرية.

ونشير هنا إلى أن معظم تفاسير القرآن الكريم لا يمكن تصنيفها ضمن اتجاه أو منهج معين إلا بالتغليب والترجيح، ذلك أننا نجدها تستفيد من كل المناهج والمعارف والعلوم المتاحة، مما يجعلها تسمو وترتفع فوق التصنيف المقرر لتعبر عن شمولية الدين الإسلامي الحنيف، ولتبرهن عن تآزر النقل والعقل من أجل إبراز الحقيقة وتجليتها.

وقد تنبه أهل السنة عند كتابتهم عن مناهج واتجاهات التفسير إلى أن اتجاهات التفسير ثلاثة وهي:

١ ـ التفسير النقلي.

٢ ـ التفسير العقلي.

٣ ـ التفسير الصوفي.

وهذا يتماشى وينطبق مع مبدئهم الأساسي، ألا وهو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، فتجاوزوا بذلك الوقوع في مطب ثنائية الرواية والدراية، أو العقل والنقل.

والمناهج التفسيرية ـ حسب ما يتضح لنا من استعراض المراحل التاريخية للتفسير ـ تختلف باختلاف ما يستعين به المفسر من أدوات علمية مساعدة، وهي التي يسميها العلماء بعلوم الآلة، كما أنها تختلف باختلاف مصادر التفسير، وباختلاف الاتجاه الفكري والسياسي واختلاف الواقع المعيشي لمفسر الذكر الحكيم وهذا هو ما سنحاول الكشف عنه عند تحليلنا لأهم تفاسير الذكر الحكيم الحديثة. ■

الهوامش:

١ ـ مقدمتان في علوم القرآن: (مقدمة كتاب المباني، ومقدمة ابن عطية، ص ١٧٣، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م مكتبة الخانجي.

٢ ـ سورة الفرقان: آية ٣٣.

٣ ـ البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، ج٢، ص١٤٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

٤ ـ مختار الصحيح: للإمام أبي بكر الرازي، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٣٣، مادة (أول).

٥ ـ سورة يوسف: ٢١.

٦ ـ سورة يوسف: ٤٤.

٧ ـ سورة الكهف: ٧٨.

٨ ـ سورة آل عمران: ٧.

٩ ـ علوم الدين الإسلامي: د. عبدالله شحاتة، ص٩٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٠ ـ الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل: د. محمد السيد الجليند، ص٣٠، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

١١ ـ مقدمة التفسير: للعلامة أبي القاسم الراغب الأصفهاني، ص٩، المطبعة الجمالية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ.

١٢ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبدالعظيم الزرقاني، ج٢، ص٣، طبع عيسى الحلبي، د.ت.

١٣ ـ البرهان: الزركشي، ج٢ ص١٤٨.

١٤ ـ فتاوى ابن تيمية، ج١٣، ص٢٨٩/٢٩٠ بتصرف كبير.

١٥ ـ فتاوى ابن تيمية، ج١٣، ص٢٣١/٢٣٢.

١٦ ـ فتاوى ابن تيمية، ج١٣، ص٢٣٥/٢٣٦ بتصرف.

١٧ ـ مقدمتان في علوم القرآن، ص١٧٢.

١٨ ـ مقدمتان في علوم القرآن، ص١٧٢/١٧٣.

١٩ ـ البرهان، الزركشي، ج٢، ص١٧١/١٧٢.

البيت المسلم

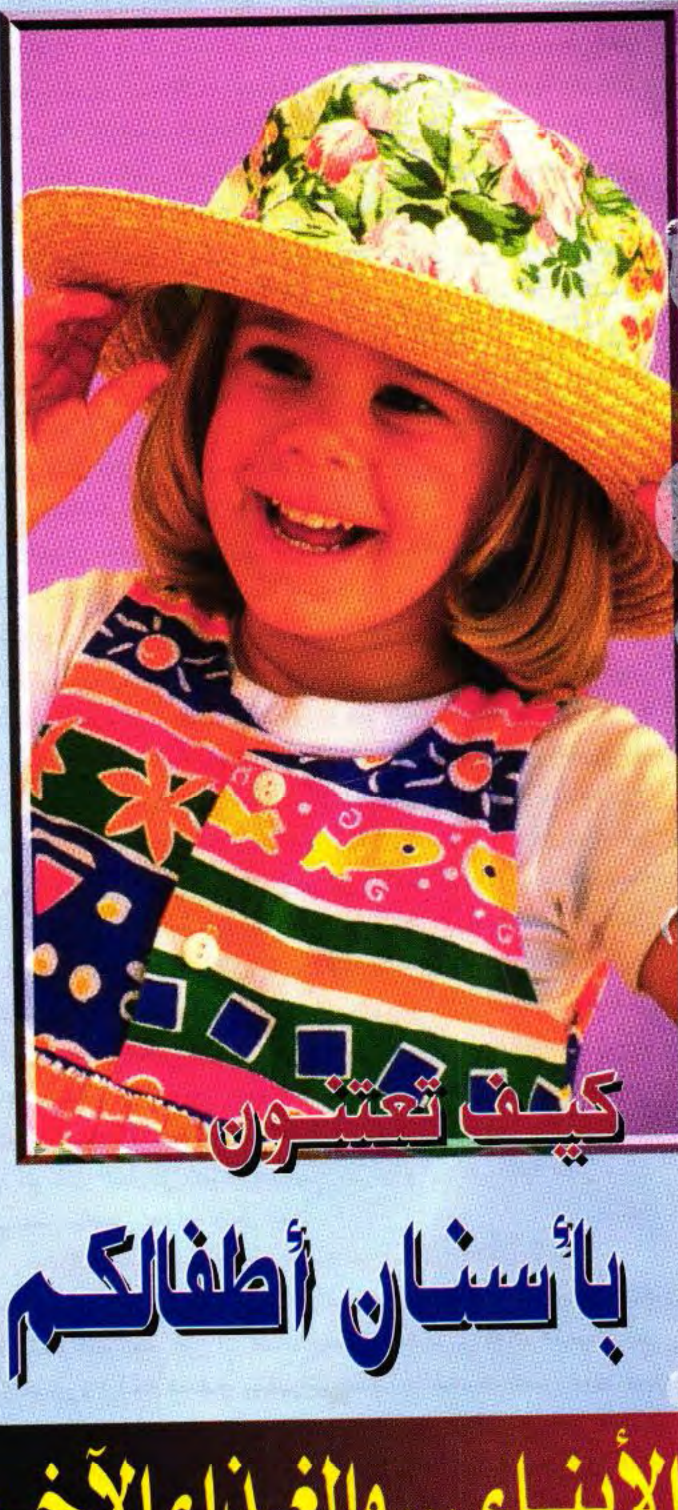
العدد ٣٩٧ - الوعي الإسلامي - رمضان ١٤١٩ هـ - ديسمبر / يناير ١٩٩٨ م

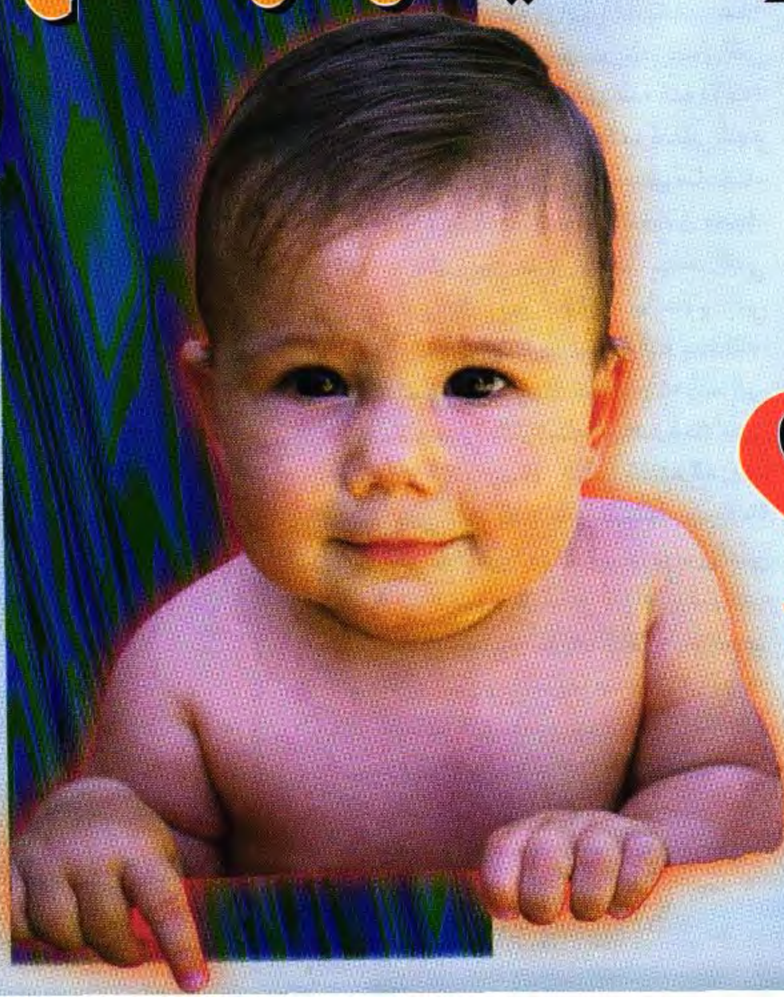
فقه الطلاق في زواج المبتوته

التربية الأسرية

بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية

الرضاعة الطبيعية فوائد لا يمكن أن تصنع





كيف تعتنون بأسنان أطفالكم؟

الأبناء ... والغذاء الآخر

الأبناء ... والغذاء الآخر!!

بقلم: د. حسن عبدالغني أبوغدة

الأبناء بهجة الحياة الدنيا، وأُنسُ المرء في حياته، بهم تحلو الأيام، وعليهم تعلّق الآمال، وببركتهم تنزل الرحمات ويضاعف الثواب، بَيْد أن هذا كله يتوقف على حسن تربيتهم، الذي يجعل منهم في المجتمع عناصر خيْر وبر، فإذا توافر هذا كله للإنسان في أبنائه، كانوا سعادة الحياة الدنيا وزينتها بحق، كما وصفهم القرآن الكريم: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) الكهف: ٤٦، أما إذا غفل الوالدان عن رعاية الأبناء، وتساهلا في تربيتهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة، فإنهما يسهمان من حيث لا يريدان في جعلهم عوامل همّ وشقاء، وأسباب بلاء وهدم في الأسرة والمجتمع. عِظَم المسؤولية: من الطبيعي أن يدرك الإنسان الواعي عظم المسؤولية المُلقاة عليه إزاء أبنائه، وليس أدل على ضخامة هذه المسؤولية من قول النبي ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في بيته، وهو مسؤول عن رعيته» (١)، وليست هذه المسؤولية - بنص هذا الحديث - قاصرة على الأب وحده، أو الأم إلى جانبه، بحكم التصاقهما المباشر بالطفل في سنواته الأولى، بل إن هذه المسؤولية تشمل الكثير من الجهات الاجتماعية الإعلامية والتربوية، مع اختلاف وتباين وتفاوت في حجم المسؤولية، ذلك لأن الجميع يؤثّر في تكوين الأبناء، لصفاء قلوبهم ونقائها، وسرعة اغترارهم بكل برّاق يلقى إليهم، وهم لا يدرون أن فيه الضرر والأذى.

أوليّات هذه المسؤولية

من أهم أوليّات المسؤولية عن الأبناء أن يُغرس في نفوسهم الايمان بالخالق العظيم، فيُعرّفون إلى أفضاله على الخلق، ويُوجّهون إلى الخضوع له وطاعة أوامره، لينمو هذا الإحساس معهم، وهم يتدرجون في سُلَّم الحياة، ويُغفل هذا مع الأبناء حين تؤنس فهم القدرة على فهم هذه المعاني واستيعابها، وامتثالها وحسن التعامل معها، قال ابن عباس: «كنت خلف النبي - ﷺ - يوماً، فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرَّفْ إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدَّة...»(٣). ومثلُ الذي تقدم تدريبُ الأبناء على أداء الفرائض الدينية، ومراعاة الآداب الاجتماعية، فيعلمون ويدرَّبون على الصلاة والصوم، ويعمق في قلوبهم حب الله تعالى وحب رسوله - ﷺ - ويوجَّهون إلى تلاوة القرآن الكريم، وحفظ ما يتيسر منه، إضافة إلى حثهم على مكارم الأخلاق كالصدق والأمانة ومراقبة الله تعالى، وفي هذا يقول النبي - ﷺ - : «مروا أولادكم



بالصلاة وهم أبناء سنين»(٤)، وفي حديث آخر: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ آل بيته، وتلاوة القرآن»(٥). ولا شك في أن استيعاب الأبناء لهذه المعاني الفاضلة والقيم الدينية والخلقية، يمنحهم طاقات روحية عالية، وقدرات نفسية ممتازة، ويقوم سلوكهم، ويعينهم على تجاوز مشكلات الحياة، وحل معضلاتها المفاجئة بمواقف سلوكية موزونة، تتصف بالايجابية والبناء، ومما يروى في نحو هذا: أن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - كان في سفر، فرأى صبياً يرعى الغنم، فأراد أن يختبره، فناداه وقال له: يا غلام، أتبيعني واحدة من هذه الأغنام؟ قال الصبي: إنها ليست لي، فقال ابن عمر: بعني واحدة، وقل لصاحبها: إن الذئب قد أكلها، فقال الصبي: فأين الله إذاً، فدمعت عينا ابن عمر، وصار يردّد: فأين الله إذاً؟ فأين الله إذاً؟

والقيم الأخرى يحتاجها الأبناء: ومما تتطلبه المسؤولية عن الأبناء، وينبغي الاهتمام به أيضاً غرس القيم الإنسانية والفضائل الاجتماعية ومكارم الأخلاق في نفوسهم، وبيان أهميتها في حياتهم، فآثارها الخيّرة في معاملة الآخرين والتحبب إليهم وكسب ثقتهم، ومما يحسن في هذا الميدان، توجيههم إلى استعمال هذه القيم والفضائل في مواطنها الحقة، وعند الحاجة إليها، بوعي وإدراك وتعقل، دون اضطراب وتسرع، متجنبين ردود الفعل المرتجلة، ما استطاعوا إلى هذا سبيلاً، ومن هذه القيم والمكارم: القوة والجرأة في الحق، والشجاعة والحزم في معالجة الأمور، وحب الخير للآخرين، وإيثارهم به عند الحاجة، ورعاية الجار، وصلة الرحم، والرحمة بالضعفاء واحترام الناس وتقديرهم، والعمل على التعاون معهم، واكتساب روح الجماعة، وحب العلم والاستزادة من الثقافة والمعرفة، والرجوع عن الخطأ حين وضوح الحق. ومما يروى في تنشئة الأبناء على الشجاعة والثقة بالنفس، والتعقل عند المفاجآت، والتعامل معها دون انفعال وردود فعل مذمومة: أن نفراً من الأولاد كانوا يلعبون في إحدى ساحات المدينة، فما أن وقعت أبصارهم على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو مقبل نحوهم حتى فرُّوا، وتنحوا عن الطريق مختبئين، إلا غلاماً واحداً هو عبدالله بن الزبير، حيث مكث مكانه ولم يبرحه، فلما دنا منه عمر سأله: لِمَ مكثت مكانك يا غلام، ولم تفرَّ مع أصحابك؟ فقال الغلام: لم تكن الطريق ضيّقة فأوسِّع لك، ولم أرتكب ذنباً فأفرَّ منك، فأُعجب عمر بحسن جوابه وسُرَّ منه.

تعرّف على مستقبل الأبناء من خلال حاضرهم

إن من أصعب مسؤوليات الأولياء القيام باستكشاف مستقبل الأبناء والتنبؤ بأحوالهم فيه، غير أن هناك بعض الأسس والمعالم المعينة على تكوين صورة أولية عنهم، وذلك من خلال التعرف على ميولهم، وتشخيص اهتماماتهم، والنظر في سلوكهم، والاطلاع على أوقات فراغهم، وبماذا يملؤونها؟ إضافة إلى معرفة هواياتهم وقرنائهم وأصدقائهم، وبماذا يفكّرون؟ وعن أي شيء يتحدّثون؟ وأين يذهبون؟

ومن خلال هذه المتابعة أو المراقبة الهادفة، البعيدة عن التخوين والتشكيك، يمكن الوقوف على واقع الأبناء الفكري والنفسي والسلوكي، والتنبؤ بمستقبلهم، مع استمرار عملية التوجيه والبناء، وتعميق القيم الفاضلة في ضمائرهم، وتشجيعهم على التمسك بها والاستكثار من أمثالها، وإشاعتها بين زملائهم وقرنائهم، في الوقت الذي تُلفت فيه أنظارهم إلى ضرورة تجنب مظاهر اللهو القبيح والمفاسد وأخلاق السوء، بأسلوب حكيم، لا يخلو من الرفق والمؤانسة والحوار والنصح الجميل. وذكر الغزالي في كتابه: «إحياء علوم الدين» عن سهل بن عبدالله التستري قال: كنتُ وأنا صبي ابن ثلاث سنين أقوم في الليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يوماً: يا غلام، ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك: الله معي، الله شاهدي، الله ناظر إليّ، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت وأعلمته، فزادني إلى إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علَّمتك وداوم عليه، ثم قال لي: يا سهل، من كان الله معه، وشاهده، وناظراً إليه، هل يعصيه؟ قلت: لا، قال: إياك والمعصية، قال سهل: ثم لما بلغت ست سنين، حفظت القرآن كله، وكنت أصوم الكثير من الأيام.

أمور لا بدَّ منها في التربية

إن المتأمل في هذه القصة، يلحظ فيها معالم عدة لابد منها في ميادين التربية والتعليم، إن على مستوى الآباء والأمهات، أو على مستوى الأساتذة والمربين، ومن هذه الأمور ما يلي:

١ ـ إثارة كوامن الطفل، وحفزه إلى الاهتمام بما يُلقي إليه والتفكير فيه، ويظهر ذلك في قول الخال لابن اخته: «ألا تذكر الله الذي خلقك؟» وجوابه: «وكيف أذكره؟».

٢ ـ التدرّج في تكليف الطفل بمجموع ما يلقى إليه، فيبدأ معه بالقليل اليسير، ثم بأزيد منه، وهكذا... مع رصد النتائج وردود الفعل، وقياس مدى الاستجابة والتنفيذ، ويتّضح هذا التسلسل في تكليف الخال ابن أخته بذكر الله تعالى في نفسه فقط ثلاث مرات، ثم سبع مرات، ثم إحدى عشرة مرة، وهو يلاحظ تنامي الاستجابة عند الطفل، الذي وقع في قلبه حلاوة ذلك الكلام.

٣ ـ الاهتمام والتركيز على غرس الوازع الديني في نفوس الناشئة، ليظل هذا معهم أينما كانوا، فلا تزال ضمائرهم حية، ونفوسهم عامرة بمراقبة الله تعالى، الذي يراهم ويبصرهم، وإن غابت عنهم أعين الرقباء من الناس.

٤ ـ استثمار الحصيلة المعرفية والوجدانية وتوظيفها لخدمة الجانب السلوكي التطبيقي وتحقيقه، وهو الهدف الأهم والغاية الكبرى في النشاطات والعمليات التربوية، ويتجلى هذا واضحاً في قول الخال محمد بن سوار لابن أخته: «يا سهل، من كان الله معه وشاهده وناظراً إليه... هل يعصيه؟... إياك والمعصية».

٥ ـ تحمل المربي وصبره وأناته وطول نفسه في ملاحظة الطفل ومتابعته، ولو في أمر هو بسيط ويسير بحسب الظاهر، لكنه جليل الأثر في تكوين الطفل، وتحديد ملامح شخصيته وسلوكه، وقد قضى الخال ـ في القصة ـ أكثر من سنة وهو يبني ويعمّق مفهوم ثلاث جمل قصيرة في ضمير ابن اخته... وهناك في القصة فوائد تربوية أخرى لا تخفى على المتأمل فيها.

في التربية حزم ورحمة

إن الوالد الحصيف، والأم العاقلة، والمربي الناجح، هم الذين يسلكون مسلكاً معتدلاً في التربية والإرشاد، والتوجيه والتعليم، ويمارسون ذلك بحزم رحيم، فيه الجد والحب، لا القسوة والبغض، ولا «التدليل» المذموم، وبهذا الأسلوب الوسط توضع الأمور في موازينها، ويتعرف الأبناء إلى حدود المسؤولية، ويقفون على أمورهم بأنفسهم، يؤدون الواجبات ويهتمون بها، ليصبحوا معالم خير للمستقبل. قال عبدالله بن بُسْر المازني: بعثتني أمي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بقطف من عنب، فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت، أخذ بأذني وقال: يا غُدَر(٦)، أي: يا من لم توفّ الأمانة حقها، وهذا القول والفعل من النبي ـ ﷺ ـ إشعار حازم رحيم، فيه لفت نظر الطفل إلى الخطأ الذي ارتكبه، لئلا تتكرّر أمثاله في المستقبل.

إن الحزم مع الأبناء ضرورة تربوية، وليس عملاً انتقامياً، كما أن الرفق معهم ضروري أيضاً، وبهذين المسلكين يروّضون على القيام بالمسؤولية والتزام الواجب والوفاء به، وتوصلاً إلى هذه المعاني في تعويد الأطفال على تحمل المسؤولية بجد من خلال الرفق بهم، والصبر عليهم والتحبب إليهم، كان رسول الله ـ ﷺ ـ يستثمر أوقاتهم فيما ينفع حاضرهم ويبني مستقبلهم، بحسب الظروف المتاحة وقتئذ، حيث روي أنه كان يصفّ عبدالله، وعبيدالله وكثيّر ـ أبناء عمه العباس ﷺ ـ ويسابق بينهم قائلاً: «من سبق إليّ، فله كذا وكذا، فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبّلهم»(٧). وفي هذه القصة فوائد منها:

١ ـ حزم النبي ـ ﷺ ـ وجدّه فيما ألقاه إلى الأولاد، حتى ان بعضهم ـ بدافع من تحمل المسؤولية ـ كان من شدة الجري يقع على صدر النبي ـ ﷺ ـ وبعضهم ممن لم يجد مكاناً على صدره كان يقع على ظهره.

٢ ـ رحمة النبي ـ ﷺ ـ ورفقه بالأبناء، والتحبب إليهم بالقبلات، لإضفاء السعادة والرضا على قلوب الجميع، من سبق أولاً، ومن أتى لاحقاً.

٣ ـ توجيه الأبناء إلى الاستفادة من أوقات الفراغ بالأنواع المتاحة من النشاطات المفيدة، وهي هنا التسابق والجري لتحصيل اللياقة البدنية.

٤ ـ تعويد الأبناء على النشاط الجماعي، وغرس صفة التسامح فيما بينهم، ومحاولة الارتقاء في أداء الأعمال، وهذه قيم خلقية واجتماعية مهمة في حياة الناس.

٥ ـ عدم الأنفة من الجلوس إلى الأدنى والتنزّل إلى مستواه لتعليمه وإفادته، فقد فعل النبي ـ ﷺ ـ ذلك مع الأطفال وهو رئيس دولة المسلمين.

تلكم هي بعض المبادئ والمنطلقات التي جاء بها الإسلام لتنشئة الأبناء، وهي جديرة بأن تجد الاهتمام في كل أسرة ومجتمع، من أجل حسن صياغة شخصية من هم عماد المستقبل المشرق، ورجال الغد المنتظر، فهل نفعل ذلك. ■

الهوامش:

١ ـ رواه البخاري ومسلم.
٢ ـ رواه الإمام أحمد.
٣ ـ رواه أبو داود.
٤ ـ رواه الطبراني.
٥ ـ رواه ابن السني.
٦ ـ رواه الإمام أحمد.

التربية الأسرية بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية

اعتبر الإسلام الرجل والمرأة عنصرين متعادلين في بناء الحياة، كما اعتبر الأسرة هي الخلية الأساسية في بناء الحياة الاجتماعية، فهي أصغر وحدة تنظيمية في بناء المجتمع ... وهي مصدر الراحة والاستقرار والحب والحنان والرعاية لجميع أفرادها: الأب، الأم، الأبناء، الأقارب ... (١).

وتشكل الأسرة في نظر الإسلام القاعدة الأساسية في بناء المجتمع، لذلك اهتم ببناء وتنظيم العلاقات بين الزوج والزوجة والأبناء والآباء، واعتبر العلاقة بينهما قائمة على أساس الود والرحمة والحب والاحترام المتبادل.

بقلم: د. محمد السيد علي بلاسي



شرع الإسلام الأحكام والقوانين التي تنظم شؤون الأسرة وحقوق الأفراد فيها من النفقة والميراث والالتزامات المختلفة

قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم: ٢١. وقال عز وجل: (وعاشروهن بالمعروف) النساء: ١٩. وقال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) البقرة: ٢٢٨. ووضَّح الرسول - ﷺ - أهمية الزواج والأسرة فقال: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله - عز وجل - من التزويج». وقال ﷺ : «من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الآخر».

وبالتأمل في النصوص والمفاهيم الإسلامية، نجد أن الإسلام اعتبر الأسرة مؤسسة مهمة ومقدسة في الحياة، فأرسى قواعدها على أساسين : أساس قانوني، وأساس أخلاقي.

فقد شرع الإسلام الأحكام والقوانين التي تنظم شؤون الأسرة وحقوق الأفراد فيها من النفقة والميراث والالتزامات المختلفة، بالإضافة إلى أنه أرسى بناء الأسرة على أسس الأخلاق والأحاسيس والعاطفة والوجدان، التي تتعهد بتوافر أجواء الحب والتعاون والاحترام والطاعة، وحسن المعاشرة بين أفراد الأسرة. فتلك أخلاق الإسلام العامة، وتلك دعوته إلى أفراد الأسرة بشكل خاص أن يتعاملوا بأفضل أساليب التعامل وأكثرها رقة وعذوبة! (٣)

حقوق وواجبات

وقد حرص الإسلام على الأسس الكفيلة ببناء الأسرة من الهدم والتخريب، فجعل بناءها قائماً على أساس متين ونظام سديد، فبين الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة والآباء والأبناء، وكيفية العلاقة بينهم، والتعامل معهم. وأقوى هذه الأسس، هو الأساس التعبدي وطاعة الله سبحانه، فكل واحد من أفراد الأسرة يؤمن - كمسلم - بأن هذه الحقوق والواجبات المحددة للزوج، والزوجة، والآباء، والأبناء، هي فريضة إلهية ويجب الوفاء بها، وأنه مسؤول عنها يوم القيامة، ومجازى بما يناسب عمله من الثواب والعقاب.

فبر الوالدين، والإحسان إليهما، مقرون بطاعة الله : (أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير) لقمان: ١٤. وهو مكلف به، قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً) الأحقاف: ١٥. والإنسان معاقب على تركه، ومثاب على الوفاء به.(٤)، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله : «نظر الولد إلى والديه حباً لهما عبادة». كذلك أمر الإسلام الآباء بحب الأبناء والعطف عليهم وتربيتهم والنفقة عليهم، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) التحريم:٦. وورد عن الرسول الكريم - ﷺ - قوله : «أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فإنهم لايدرون إلا أنكم ترزقونهم».

وكما أوجب الشارع الحكيم على الآباء النفقة على الأبناء الصغار لأنهم عاجزون عن النفقة على أنفسهم، أوجب على الأبناء النفقة أيضاً على آبائهم حين العجز عن النفقة على أنفسهم.(٥) كذلك أشار الشارع الحكيم إلى أن حقوق كل من الزوجة والزوج فريضة، يحاسب الله عليها العباد. قال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) البقرة: ٢٢٨. وقال عز وجل: (وعاشروهن بالمعروف) النساء:١٩. وقال في النفقة على الزوجة: (لينفق ذو سعة من سعته) الطلاق: ٧. وقال تعالى: (الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) النساء: ٣٤.

وقد أعطى الإسلام «الأب» الولاية والقيمومة، ودور القيادة في الأسرة، ذلك لأنها مؤسسة من المؤسسات الاجتماعية، وعلى صلاحها تتوقف سعادة الأفراد، وصلاح المجتمع، لئلا تدب الفوضى في الحياة، في الوقت الذي أكد فيه الإسلام أن لهذه القيمومة والولاية حدودها القانونية والأخلاقية.

وألزم الإسلام الزوجة بطاعة زوجها، والأبناء بطاعة الأب، شرط أن لا يصدر عنه ما يضرهم، أو يسيء إليهم، أو يدخلهم في معصية الله، أو يخرجهم من طاعته. فقد ورد في الحديث الشريف: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

لقد آمن الإسلام بأن الرجل والمرأة متساويان في الإنسانية، قال الله تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: ١٣.

وجعل الحب والاحترام بين الرجل والمرأة أمراً مقدساً، فقال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم: ٢١. وروي عن الرسول - ﷺ - قوله: «من أخلاق الأنبياء - عليهم السلام - حب النساء». وروي عنه - ﷺ -: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وهكذا جعل الإسلام الحب بين الرجل والمرأة، وأوجب احترامها، كما أوجب نفقتها على زوجها، وإن كانت غير محتاجة، نفقة الطعام واللباس والزينة والعلاج، وسائر حواجها الاجتماعية، بحدود استطاعته، ووضعه المالي بشكل يليق بوضعها الاجتماعي المعتاد.

قال تعالى: (لينفق ذو سعة من سعته) الطلاق: ٧.

وجعل للزوجة نصيباً من الميراث، فأعطاها ربع التركة، إذا لم يكن للزوج أبناء، وثمن التركة إذا كان له أبناء، وأعطاها نصف تركة الرجل إذا مات ولم يكن له وراث يرثه، فترث الربع بالفرض والربع الآخر بالرد عليها على مصطلح الفقهاء.

كما جعل للزوج نصيباً من تركة زوجته بالحصص المبيّنة في كتب الفقه، هذا، ولم يلزم الإسلام المرأة بالعمل في بيت زوجها، كإعداد الطعام، أو تنظيف المسكن، أو غسل الثياب... إلخ. ولكن حبب إليها ذلك، وجعله مندوباً، وهي مثابة عليه، ومجزية بالخير عند الله سبحانه وتعالى، بل المرأة في الإسلام ليست مسؤولة عن تربية الطفل ورضاعته، ولها الحق في أن تطالب الأب بأجرة الرضاع والحضانة.

وقد شرع الإسلام الطلاق بقوله تعالى: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) البقرة: ٢٢٩. كعلاج للمشاكل المستعصية في الأسرة، والعلاقة الزوجية المعقدة التي لا يمكن حلها إلا بهذه الطريقة، وليكون المجال مفتوحاً أمام كل منهما لاستئناف حياة مستقرة سعيدة، عندما تتعذر إقامة حياة ودية بينهما، واعتبروه من أشد الأمور كراهية، فقد ورد عن المصطفى - ﷺ - «ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق». ودعا الإسلام إلى الصلح بين الرجل والمرأة قبل إيقاع الطلاق، بل اعتبر العلاقة الزوجية قائمة بينهما في عدة الطلاق الرجعي، فمن حقه أن يرجعها من دون عقد أو مهر.(٦)

ضوابط تربية الأبناء

أولاً: اختيار الزوجة:

الزوجة سكن للزوج، وحرث له، وهي شريكة حياته، وربّة بيته، وأم أولاده، ومهوى فؤاده، وموضع سره ونجواه، وهي أهم ركن من أركان الأسرة، إذ هي المنجبة للأولاد، وعنها يرثون كثيراً من المزايا والصفات، وفي أحضانها تتكون عواطف الطفل، وتتربى ملكاته، ويتلقى لغته، ويكتسب كثيراً من تقاليده وعاداته، ويعرف دينه، ويتعود السلوك الاجتماعي، من أجل هذا عني الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه. يقول الرسول - ﷺ - «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

ويضع - عليه الصلاة والسلام - تحديداً للمرأة الصالحة، وأنها الجميلة المطيعة البارة الأمينة، فيقول: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك»(٧)

ثانياً: حق الابن في الحياة:

كان الطفل قبل الإسلام يعتبر من خلق والديه، ومن هناك كان للدولة حق قتل الطفل الضعيف مثلما كان في أسبرطة وأثينا، وقد كان قتل البنات شائعاً عند بعض قبائل العرب في الجاهلية، وجاء الإسلام ليبطل هذه المعتقدات الفاسدة ويبين أن الله - سبحانه وتعالى - وحده هو المبدئ المعيد، قال تعالى: (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون: ١٤. وحرم قتل الأولاد في قوله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) الأنعام: ١٥١.

ثالثاً: حق الابن في اسم حسن:

وقد حرص الإسلام كذلك على حق الطفل في التسمية الحسنة، فقال ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم».

رابعاً: حق الطفل في التغذية:

قرر الله - سبحانه وتعالى - في قوله: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) الإسراء: ٣١. حق الطفل في الغذاء وأنه ضروري بالنسبة للطفل منذ ولادته حتى يتزود بالطاقة التي يحتاج إليها للقيام بنشاطه العقلي والجسمي

والنفسي، كما أكد الإسلام أهمية الرضاعة من الأم وأنه أفضل غذاء للطفل، فقال تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة: ٢٣٣.

خامساً : حق الطفل في معاملة طابعها الحب :

فليس بالغذاء وحده يحيا الطفل، فهو يحتاج إلى الحنان والود من الآخرين، كما أنه يحتاج إلى أشخاص يلتصق بهم مادياً في صورة الاحتضان والتقبيل والمداعبة.

سادساً : العدل بين الأولاد في المعاملة :

فكلما عدلنا في معاملة الطفل مع بقية إخوانه، ولم نفضل واحداً على الآخر، كلما كانت الفرصة مواتية لنموه نمواً سليماً، وقد اهتم الإسلام بهذه الناحية في تربية الطفل ولم يفرق بين الذكر والأنثى، ولقد كانت نصيحة النبي ﷺ : «اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف»، وقوله - ﷺ - : «من كانت له أنثى ولم يعدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها - يعني الذكور - أدخله الله الجنة»، كما أكد الإسلام على أن العدل في معاملة الطفل يحميه من كل صور الاضطراب النفسي والاجتماعي.

سابعاً : حق الطفل في الحرية واللعب :

والإسلام كفل للطفل حق اللعب واللهو المباح باعتباره فطرته التي فطره الله عليها، ويرى بعض علماء المسلمين منذ زمن بعيد أن من يعارض الأطفال في لعبهم إنما يعارض الحياة عندهم. وكان الرسول - ﷺ - يدع حفيديه الحسن والحسين يلعبان مع أترابهما، وقد اقتدى الصحابة بالنبي - ﷺ - في هذا الشأن، وقد أدرك المسلمون أهمية اللعب في نضج الطفل اجتماعياً واتزانه انفعالياً، فمن دون اللعب يصبح الطفل أنانياً ضيق الأفق غير محبوب ومن ثم فإن للعب مزايا عدة في العملية التربوية وليس مضيعة للوقت.

ثامناً : حق الطفل في الأمن الاجتماعي والحماية من الظلم :

يحرص الإسلام على إشباع حاجة الطفل إلى الأمن بكل الوسائل المشروعة، وأهمها ألا يكون مسرحاً لصراع الوالدين وشقاقهما، وقد قال تعالى: (لا تضار والدة بولدها) البقرة: ٢٣٣، ويرى الإسلام أن الأمن الاجتماعي يجب أن يتوافر للطفل وبخاصة اللقيط أو اليتيم، لأنه أكثر الأطفال تعرضاً للإساءة والظلم والقسوة والإهمال، وندد القرآن بمن يسيء للطفل الضعيف أو اليتيم: (كلا بل لا تكرمون اليتيم) الفجر: ١٧، (فأما اليتيم فلا تقهر) الضحى:٩. وقول الرسول ﷺ : «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين - يشير بأصبعيه».

تاسعاً : حق الطفل في التربية والتعليم :

وهذا الحق مأخوذ من قوله تعالى: (وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً) الإسراء: ٢٤. والمقصود بالتربية هنا: عملية الإعداد والرعاية في مرحلة النشأة الأولى للإنسان، والتربية في هذه المرحلة مسؤولية الأسرة، فقد ألزم الإسلام الآباء بضرورة تربيتهم وتأديبهم: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) التحريم: ٦، وقد أدرك المسلمون أهمية السنوات الأولى لحياة الطفل في التربية والتعليم في بناء شخصيته، ولذا أقر الإسلام نظام الالتزام في التعليم فأوجب على الوالد تعليم ابنه القرآن والصلاة فإذا لم يستطع أن يرسله إلى الكتّاب، فنفقته على أقربائه، وإلا فالمحسنون أولى، وإلا فبيت المال ملزم بذلك.(٨)

علل ... وأدوية

من أهم الأسباب التي أوجدت تلك الأزمة التربوية والسلوكية التي وضحت معالمها في واقع حياتنا الأسرية ما يلي:

أولاً : غياب قوامة الرجل :

وهذه من أخطر الأمور التي أوجدت الخلل التربوي والسلوكي في كثير من الأسر؟، ونسوا أن اختصاص الرجل بالقوامة التي منحه الله إياها لا يغض ولا ينقص من قدر إنسانية المرأة، لأنه توزيع إلهي نشأ من مفارقات عضوية جسدية ونفسية عاطفية، ولا من تفرقة في جوهر الإنسانية المشترك بين النساء والرجال، قال الله تعالى: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) آل عمران: ١٩٥.

فالقوامة التي قررها الإسلام للرجل في أسرته تقوم على اعتبارين: مادي حسي، ومعنوي أدبي : ويتمثل الاعتبار المادي الحسي فيما يقوم به الرجل من سعي خارج البيت، لجلب سائر احتياجات الأسرة ومتطلباتها، علماً أن تقرير هذه الحقيقة، لا يمسّ شخصية المرأة بأي سوء أو انتقاص، لأنه تقرير لأمر واقع مشهود ومسلم به في حياة الناس قديماً وحديثاً. ولا شك في أن هذا الواقع يستند إلى مبرر فطري وظيفي، ذلك أن المرأة بطبيعتها تحمل وتضع وترضع وتحضن وهي في هذه الأحوال والظروف تلاقي ضعفاً وألماً وعجزاً عن مباشرة شدائد الحياة وقسوتها التي ينهض لها الرجل دونها، ومن هنا فرض الله تعالى الجهاد على الرجال دون النساء.

أما الاعتبار الأدبي والمعنوي الذي لاحظه الإسلام في قوامة الرجل على الأسرة، فهو أن عمل الرجل خارج بيته يوسع أفقه، ويكسبه التجارب والخبرات، وينوع علاقاته ومعاملاته مع كل مستويات البشر، فيطلع على أساليب تفكيرهم وطرق تعاملهم، ويتعرف على مكايدهم وحيلهم ويميز بين محسنهم ومسيئهم، وهذا ما لا يتوافر للمرأة بحكم وظيفتها وميدان نشاطها الفطري.

وبالإضافة إلى ذلك: فإن تقسيم الوظائف الفطرية بين الرجل والمرأة يستند إلى تعليلات معقولة مشاهدة الآثار، حيث إن الوضع الطبيعي للمرأة أن تقوم على رعاية البيت وتدبير شؤون الأبناء وحضانتهم بما عرف عنها من طبع لطيف، وعاطفة رقيقة فياضة ويسهل معها أن تنزل إلى مستوى أبنائها، فتفكر بعقولهم، وتملأ أرواحهم أملاً وإشراقاً، وتسعد قلوبهم مودة وصفاء، وتنمي أحاسيسهم الطفولية، فإذا ما كبروا تناولتهم يد الأب ليأخذوا عنه تجارب الحياة، ويتحملوا بأسها بقوة وإرادة وتدبير سليم.(٩)

ثانياً : التشرذم وعدم الاهتمام بأمر المسلمين :

من أخطر أمراض المسلمين المعاصرين، انفراط عقدهم وتشرذم

أمتهم، فصاروا تجمعات صغيرة مبعثرة، واستبدلوا رابطة العقيدة بروابط دنيوية، وضعفت رابطة العقيدة والأخوة، حتى وصل الأمر إلى تبلد الحس الإسلامي نحو رابطة الأخوة الإسلامية. ونسوا أن رسول الله - ﷺ قال: «من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم». ولكن... كيف نربي أولادنا على الاهتمام بأمور المسلمين:

١ - متابعة أخبار المسلمين.

٢ - اهتمام البيت المسلم بالقضايا الإسلامية الكبرى وشرحها للصغار بما يناسب عقولهم، مثل قضية فلسطين، وكشمير، والبوسنة والهرسك، والشيشان، وكوسوفا، وأسرى الكويت وغيرها.

٣ - من الاهتمام بالمسلمين: التعرف على الدعوات الهدامة التي تكيد للمسلمين: كالحركة التنصيرية ووسائلها في دس السم في العسل، وأماكن وجودها، والمؤسسات المختفية وراءها، والتعرف كذلك على القاديانية والباطنية والشيوعية والعلمانية والصهيونية وغيرها، وتحصين الناشئة ضد هذه الحركات الهدامة.(١٠)

ثالثاً: وسائل الإعلام الهابطة:

نتائج الأبحاث والدراسات تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الطفل العربي المسلم يتعرض لمؤثرات خطيرة، وأن شخصيته وهي في مراحل تكوينها تخضع لضغوط سلبية متنوعة، وتتفاقم المشكلة في ظل تراجع دور الأب والأم في العملية التربوية، وبسبب نقص المواد التعليمية في أكثر من بلد عربي، فإن دور المدرسة أيضاً قد أصابه قصور كبير، ومع هذا الغياب والتقصير المتعدد الصور والأشكال تأتي أجهزة الإعلام المعتمدة في جزء كبير منها على الإنتاج الأجنبي، لتسد الفراغ، ولتحدث هزة قيمية خطيرة قد ندفع ثمنها باهظاً في المستقبل. ولنتذكر على الدوام مقولة شمعون بيريز - رئيس وزراء إسرائيل السابق - الذي يؤكد: «لسنا نحن الذين سنغير العالم العربي، ولكنه ذلك الطبق الصغير الذي يرفعونه على أسطح منازلهم»(١١).

رابعاً: الفراغ الديني:

وبسببه كانت تلك الأزمة التربوية والسلوكية التي وضحت معالمها في واقع حياتنا، فوجدنا ما لم نكن نسمع عنه من قبل: فمن قتل الأم لأبنها من أجل عشيقها، إلى قتل الولد لأبيه وأمه بسبب المخدرات، إلى رجل يرتكب الفاحشة مع ابنته. وغير ذلك من الانتكاسات الفطرية التي تصطك آذاننا بسماع أخبارها كل يوم؟ فضلاً عن الظواهر المتفشية في الأبناء: من تدخين ومسكرات ومخدرات وزنى ولواط وسحاق... كل هذا نظراً لأننا ابتعدنا عن التربية الإيمانية والطريق إليها، فربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تميزه مبادئ الشريعة الغراء يقوده للخير.

ومن المسلّم به: أن الشاب حين يستشعر من أعماق وجدانه أن الله سبحانه يراقبه ويراه، ويعلم سره ونجواه، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه سيحاسبه إن قصّر وفرّط، ويعاقبه إن انحرف وزل - لا شك أنه سينتهي عن الموبقات والقبائح، ويكف عن المنكرات والفواحش.

ومن المعلوم يقيناً: أن حضور مجالس العلم والذكر، والمداومة على صلاة الفرض والنفل، والمواظبة على تلاوة القرآن، والتهجد في الليل والناس نيام، والاستمرار على صيام المندوب والتطوع والاستماع إلى أخبار الصحابة والصالحين، واختيار الرفقة الصالحة، والارتباط بالجماعة المؤمنة، وذكر الموت وما بعده، كل ذلك يقوي في المؤمن جانب الخشية من الله والمراقبة له، والاستشعار لعظمته.(١٢)

وبعد: فلنتأكد أنه «لن يصلح حال آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها». فقد انتصر محمد بن عبدالله - ﷺ - يوم صنع أصحابه - عليهم رضوان الله - صوراً حية من إيمانه، تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، يوم صاغ منهم كلاً على حدة قرآناً حياً يدب على الأرض، يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسّماً للإسلام، يراه الناس فيرون الإسلام.

إن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلاً، وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً.

ومن ثم: جعل محمداً - ﷺ - هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يلقي مواعظ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبج خطباً، وأن يبني أمة لا أن يقيم فلسفة، أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم، وكان عمل محمد - ﷺ - أن يحول الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدي، وتراهم العيون، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي، وتقول بالفعل والعمل ما الإسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله - ﷺ - من عند الله.(١٣). ■

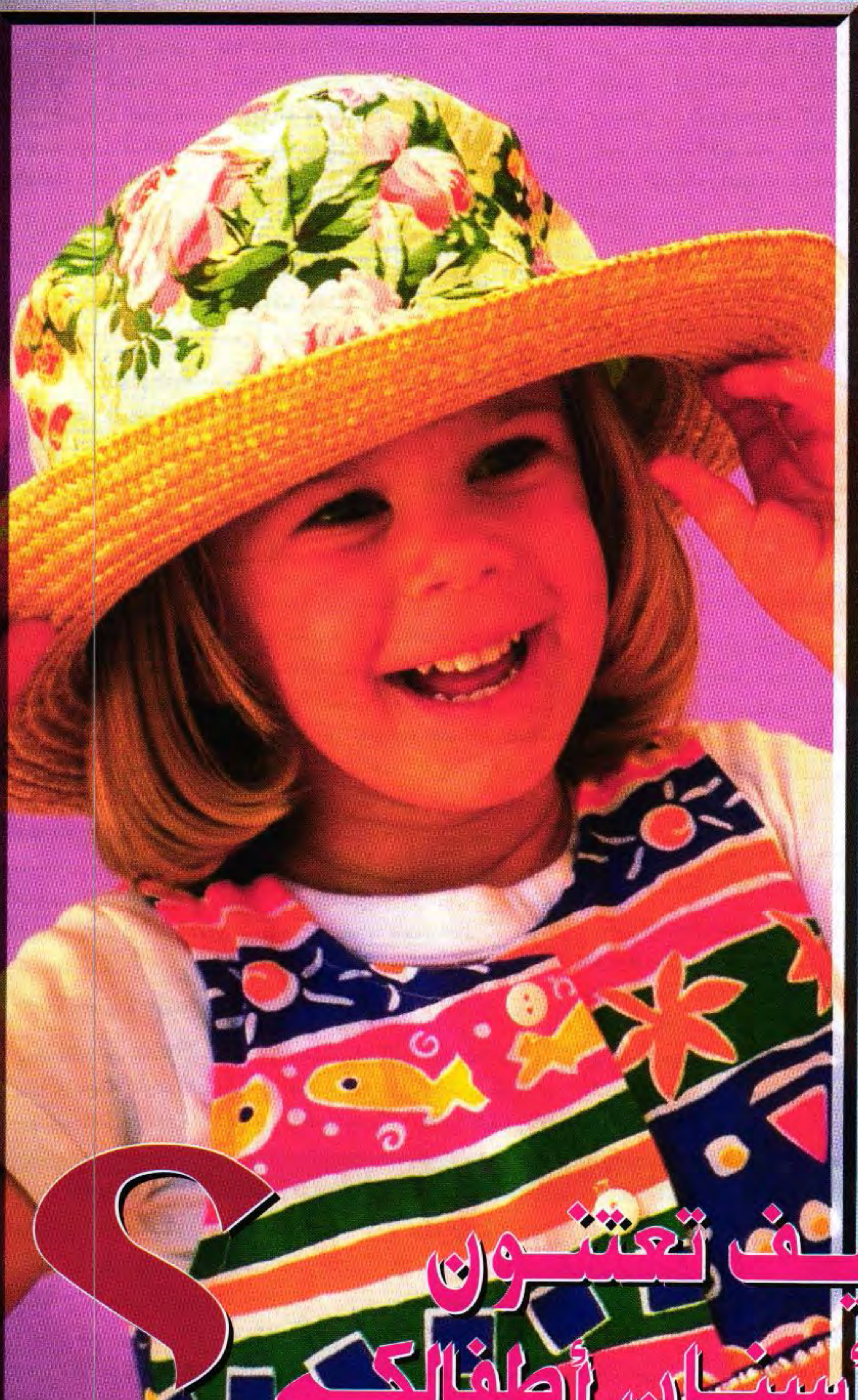
الهوامش:

١ - المبادئ الإسلامية: ص ١٣١.
٢ - نحو فهم صحيح عن الكون والحياة: ص ٨٥.
٣ - المبادئ الإسلامية: ص ١٣٣، ١٣٤.
٤ - المرجع السابق: ص ١٣٢.
٥ - نحو فهم صحيح عن الكون والحياة: ص ٨٧.
٦ - المبادئ الإسلامية: ص ١٣٢ وما بعدها، ولمزيد من التفصيلات، راجع: فقه السنة: للشيخ سيد سابق، ١١٥/٢، وما بعدها.
٧ - فقه السنة: ١٤/٢، ١٥.
٨ - حقوق الطفل في الإسلام: د. حلمي محمد القاعود، ص ٣، (مقال منشور بمجلة: «الخفجي»: عدد يوليو ١٩٩٥م).
٩ - القوامة على الأسرة لماذا هي للرجل: د. حسن أبو غدة، ص ٥٧، «مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي - عدد ذي الحجة ١٤١٨هـ».
١٠ - كيف نربي أولادنا على الاهتمام بالمسلمين؟: خالد أحمد الشنتوت، ص ٨٢، وما بعدها: (مقال منشور في مجلة منار الإسلام: عدد شوال ١٤١٨هـ».
١١ - الأطفال ومشاهدة العنف في التلفاز: عبدالرحمن غالب، ص ٨٠.
١٢ - تربية الأولاد في الإسلام: عبدالله ناصح علوان، ١٤٧/١، ٢٢٩.
١٣ - دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب، ص ٢٥.

كيف تعتنون بأسنان أطفالكم؟

صحة الطفل

د. رضوان أحمد بيطار



تبرز أهمية العناية بالأسنان منذ الطفولة، ليس بسبب ضرورة الأسنان لقطع الطعام ومضغه فحسب، وإنما باعتبارها جزءاً من الناحية الجمالية للوجه ودورها في تعلّم النطق السليم للطفل.

يسنن الطفل مرتين :

- التسنين اللبني أو الأولي وبه يظهر لدى الطفل عشرون سناً لبنياً.

- التسنين الدائم وبه يظهر اثنان وثلاثون سناً دائمين.

إن أول سن لبني يظهر هو القاطع الأوسط السفلي عادة وتكتمل الأسنان اللبنية ببروز الضرس الثاني في نهاية العام الثاني، بينما أول ما يبرز من الأسنان الدائمة هو الضرس الدائم الأول والذي يبرز في العام السادس ولهذا يسمى أحياناً ضرس العام السادس.

ويختلف موعد بزوغ الأسنان

اللبنية من طفل لآخر ولا داعي للقلق إذا بزغت الأسنان مبكراً أو تأخرت قليلاً عن موعدها:

- القواطع السفلية الأمامية «اثنان» وتظهر بين الشهر الخامس والعاشر.

- القواطع العلوية الأمامية والجانبية «أربعة» وتظهر بين الشهر الثامن والثاني عشر.

- القواطع السفلية الجانبية «اثنان» وتظهر بين الشهر الثاني عشر والرابع عشر.

- الأضراس الأولى العلوية والسفلية «أربعة» وتظهر بين الشهر الثاني عشر والرابع عشر.

- الأنياب «أربعة» وتظهر بين الشهر السادس عشر والشهر الثاني والعشرين.

- الأضراس الثانية «أربعة» وتظهر بين الشهر الرابع والعشرين والشهر الثلاثين

هل لبزوغ الأسنان تأثير مرضي

ليس لعملية التسنين أي تأثير مرضي على الطفل، لكنه قد يشعر بعدم الارتياح خلال فترة التسنين، فعملية التسنين أمر طبيعي ولا تسبب أي مرض، وأكبر الخطر ينشأ من الاعتقاد أن أعراضاً لبعض الأمراض تنشأ نتيجة للتسنين، وهكذا لا ينتبه أحياناً للمرض المسبب لهذه الأعراض والذي قد يكون خطيراً.

إن التشنجات لايجوز أن تعتبر بحال نتيجة لعملية التسنين، كما أنه لا شيء أكثر خطورة من أن يعتبر التسنين سبباً في عدم نمو الطفل. إن ما قد يحدث في عملية التسنين هو أن يحمر باطن الخد واللثة في الجانب الذي يحدث فيه بروز السن، كما يحدث زيادة في إفراز اللعاب مما يسبب سيلانه من الفم، فعملية التسنين الطبيعية غير مؤلمة ولا تزعج الطفل بحال، وإن تدليك اللثة بالإصبع بعد غسل اليدين جيداً بالماء والصابون له تأثير ملطّف على لثة الطفل، أما في حال ظهور أي أعراض مرضية على الطفل خلال فترة التسنين، فيجب مراجعة طبيب الأطفال، فالتسنين لا يسبب الإسهال أو ارتفاع درجة الحرارة، كما تعتقد كثير من الأمهات، فهذه الأعراض قد تكون خطيرة على صحة الطفل ولا يجوز إلقاء اللوم على التسنين في ظهورها.

تسوس الأسنان

يزداد حدوث نخر الأسنان بين أولاد المدارس، وللأسف، فإنه حالما يظهر نخر في سن فإنه يدوم، ويرجع إلى تناول الكثير من السكريات، فهو تغذوي في منشئه، وهذا لا يعني أن النخر يزداد بازدياد كمية السكر التي يتناولها الطفل أثناء الوجبات، إنما ينتج عن طول الفترة التي يبقى السكر أثناءها في الفم، إنه العامل الرئيسي في إحداث النخر في الأسنان.

لا يجوز أن تعطى الحلويات والسكاكر والبسكويت بحال للأطفال وهم في أسرّتهم ليلاً، لأن جريان اللعاب ينخفض أثناء النوم ويتوقف البلع تقريباً، لذلك فإن محتويات الفم من السكر قد تبقى هناك لساعات وتحدث نخراً في الأسنان.

الوقاية من أمراض الأسنان

إن أمراض الأسنان الأكثر شيوعاً هي تسوس الأسنان وأمراض اللثة، ومن الممكن تقليل حدوثها والوقاية منها من خلال العناية الدائمة اليومية بنظافة الفم، والأسنان، بالإضافة إلى العناية اللازمة المتوافرة في عيادات الأسنان، ويقصد بالعناية المنزلية اليومية للأسنان تنظيفها بمجرد ظهورها في الفم، فبالنسبة للطفل قبل الثانية من العمر يمكن استخدام قطعة من الشاش أو القطن المبلل بالماء لتنظيف أسنانه يومياً قبل ذهابه للنوم، وعندما يصبح عمر الطفل سنتين يجب البدء باستعمال الفرشاة والمعجون الحاوي على الفلوريد يومياً بعد تناول الطعام وقبل النوم، ويتطلب ذلك بالطبع مساعدة الأهل ومراقبتهم حتى يصل الطفل إلى الثامنة من عمره.

ولا تهدف عملية تنظيف الأسنان بالفرشاة والمعجون إلى إزالة بقايا الطعام من الفم فقط، وإنما إلى إزالة طبقة الصفحية الجرثومية «البلاك» أيضاً، وهي طبقة رقيقة غير مرئية، تتكون باستمرار على الأسنان وتلتصق بها، وتحتوي على البكتيريا الضارة التي تخمّر السكريات التي تبقى في الفم بعد الأكل لتنتج حمضاً يهاجم ميناء الأسنان محدثاً حفراً بها أو ما يعرف بالنخر أو التسوس، كما تلعب هذه الطبقة دوراً كبيراً في حدوث أمراض اللثة.

ما الطريقة المثلى لتنظيف الأسنان

إن من أسهل الطرق تنظيف الأسنان بالفرشاة من الأعلى إلى الأسفل في الفك العلوي مروراً بحافة اللثة، ومن الأسفل للأعلى في الفك السفلي، ويجب مراعاة تنظيف جميع سطوح الأسنان الداخلية والخارجية بالإضافة إلى السطوح المضاغة والقاطعة، كما يجب التركيز على حافة الفرشاة لتنظيف السطوح البعيدة للأسنان.

ما الفرشاة النموذجية للأطفال ؟

ينصح معظم أطباء الأسنان باستخدام الفرشاة التي تكون:

- شعيراتها ناعمة إلى متوسطة النعومة.
- قبضتها مستقيمة.
- حزم أشعارها متقاربة وسطحها المنظف مستوٍ.
- رأسها صغير بشكل يمكّنها من الوصول إلى كل سن.

عادات الطعام الجيدة

كل الطعام المفيد لصحة الطفل العامة مفيد أيضاً لصحة أسنانه كالفواكه والخضراوات والخبز والحبوب والحليب والجبن واللحوم، ويجب التركيز في فترة بناء وتكوُّن الأسنان على الطعام الذي يحتوي على الكالسيوم والفلوريد والفوسفور كالسمك والبيض والحليب... فهي جميعاً تساعد على تقوية الأسنان لدى تناولها بالكميات الكافية، كما يجب التقليل من استهلاك الأطعمة السكرية وبخاصة بين الوجبات.

دور عنصر الفلوريد في الوقاية من تسوس الأسنان

لسوء الحظ لا يوجد شيء يقي الأسنان من التسوس تماماً ولكن الفلوريد هو الوسيلة المثلى المتوافرة لدينا الآن للمساعدة على الوقاية من التسوس، حيث يساعد الطلاء السطحي لعنصر الفوريد على حماية ميناء الأسنان من التسوس وهو ذو أهمية خاصة للأطفال الذين يعيشون في مناطق لا وجود للفلوريد في مياه الشرب، وثبت أن إعادة هذا الطلاء كل ستة أشهر «بوساطة طبيب الأسنان» يحسّن تكون طبقة الميناء ويجعلها أكثر مقاومة للتسوس.

وتكمن الفائدة من الفلوريد في الاستخدام اليومي له ويتم ذلك بإحدى الطرق التالية :

- شرب الماء الحاوي على الفلوريد وهذا الإجراء يعتمد على سياسة البلد في فلورة مياه الشرب، لتعم الفائدة من عنصر الفلوريد على الجميع، وإن لم يكن موجوداً في مياه الشرب فمن الممكن استخدام الطرق الأخرى.
- المضمضة الحاوية على الفلوريد.
- حبوب أو نقاط الفلوريد «تبعاً لإرشادات طبيب الأسنان فقط».
- استعمال المعجون الحاوي على الفلوريد.

متى تصحبين طفلك إلى طبيب الأسنانس

الأفضل أن تصحبي طفلك إلى طبيب الأسنان قبل بلوغه العام، فكلما كانت الزيارة باكراً كلما كان باستطاعة طبيب الأسنان وقاية الطفل من مشاكل الأسنان، أما إذا تعرض الطفل قبل الثانية من العمر إلى ألم في أسنانه أو أصيب بحادث أضر بأسنانه فيجب أن يراجع طبيب الأسنان للفحص وعمل اللازم. إن الانطباع الحسن عند الطفل عن الزيارة الأولى له أثر بالغ فاجعلي حديثك عنها وكأنها مغامرة مثيرة، فهي كأي تجربة جديدة له يجب أن يكون حديثك عنها مشجعاً وإيجابياً فلا تقولي له مثلا: «إن هذه الزيارة لاتؤلم» وإنما قولي: «إن طبيب الأسنان صديق له وسيساعده على بقاء أسنانه وفمه صحيحين وسليمين». وقد تسألين لماذا يجب عليَّ أن أعالج أسنان طفلي اللبنية إذا كانت ستتبدل فيما بعد بالأسنان الدائمة، والجواب: أن بقاء الأسنان الملتهبة المتسوسة في فم الطفل تؤثر على صحته العامة، وقد تنتشر في الفم والفكين.

ما سبب سهولة تسوس الضرس الدائم الأول

- يظهر الضرس الدائم الأول في سن السادسة، وهو كباقي الأضراس يحتوي على شقوق ووهاد طبيعية تشريحية، وإنَّ تجمع الصفيحة الجرثومية داخل الشقوق وعدم إزالتها بانتظام بوساطة الفرشاة والمعجون تعرض الضرس للتسوس.
- وجوده خلف الأسنان اللبنية وظهوره الباكر، وعدم معرفة الأهل بأنه دائم وبأهمية تنظيفه ومراجعة طبيب الأسنان لفحصه واتخاذ الإجراءات للوقاية من تسوسه وعلاجه الباكر إن اقتضى الأمر. ■

كثر الحديث عن الرضاعة الطبيعية، وكثرت الأصوات التي تنادي بالعودة إلى الرضاعة الطبيعية بعد أن سادت موضة عدم إرضاع الطفل من ثديي أمه، وإعطائه الحليب الصناعي باعتباره البضاعة التي يشتريها عِلْيَة القوم. لكن لماذا هذه الدعوة ولماذا هذه العودة؟ وما فوائد الرضاعة الطبيعية؟

الرضاعة الطبيعية ... فوائـد لا يمكن أن تُصنَّع

بقلم: د. عبدالرزاق السباعي

فوائد الرضاعة الطبيعية للطفل

كلنا يعرف أن بداية إدرار الحليب يسمى اللبأ «الحليب المائي أو لبن المسمار أو السرسوب أو الصمغة» وهو سائل مقداره ٤٠سم٣ مكعب يومياً يميل لونه للاصفرار، ويتم إفرازه خلال الأيام القليلة التالية للولادة قبل إفراز الحليب العادي أو الحقيقي «يتدفق الحليب العادي في اليوم الثاني للأم المتكررة الحمل، وفي اليوم الثالث أو الرابع للأم التي تحمل للمرة الأولى»، وهذا السائل غني جداً بالمواد الغذائية والمواد المناعية.

من الناحية الغذائية يحتوي اللبأ على البروتينات أكثر من الحليب العادي، ويحتوي على كمية أقل من المواد السكرية ولا يحتوي على الكازينوجين، لذلك فهو سهل الهضم وذو قيمة غذائية عالية، ويمنع من حدوث حمى الجفاف.

ومن الناحية المناعية يحتوي اللبأ على المواد المناعية «التي تسمى الغلوبولينات المناعية» وهذه المواد تحمي الطفل من الجراثيم التي قد يبتلعها أثناء الولادة بعد أن كانت أمعاؤه عقيمة وخالية من الجراثيم، فعندما يأخذ الطفل اللبأ من أمه يكون قد أخذ أول تطعيم له، وهو تطعيم متعدد الفوائد حيث يحمي الطفل من الكثير من الجراثيم والفيروسات والفطريات والأمراض مثل الحصبة والسعال الديكي «الشاهوق» والإسهالات المعوية والتهاب المعدة والأمعاء.

كما يحتوي اللبأ على كريات الدم البيضاء بكميات كبيرة وهي بمثابة جنود مقاتلة تمنع دخول الجراثيم إلى الجسم وتخلّصه منها.

ولا يوجد أي حليب صناعي في العالم يملك هذه الصفات، فلماذا نحرم الطفل منه وهو في أمسّ الحاجة إليه أثناء مواجهته الأولى للحياة؟

* خلق الله سبحانه وتعالى حليب الأم بحيث يناسب طفلها، وخلق حليب البقر بحيث يناسب عجلها، فتركيب حليب الأم مناسب جداً لحاجة الطفل ومناسب جداً لتركيب أجهزة جسم الطفل، حيث إنه مصنّع حسب «شفرة» وراثية خاصة بالإنسان وحاجته، بينما حليب البقر مناسب لحاجة العجل ولتركيب أجهزته لأنه مصنّع حسب «شفرة» وراثية خاصة بالبقر، وهذه بعض الأمثلة:

البروتينات

من المعروف أن البروتينات تتكون من سلسلة من الأحماض الأمينية، وحليب الأم يحوي كمية مناسبة من هذه الأحماض تكفي حاجة الطفل - لا زيادة ولا نقصان - كما أنه يحوي نوعية مناسبة من هذه الأحماض يستطيع الطفل أن يهضمها ويستفيد منها كلياً، حيث يحوي حليب الأم أكثر من ١٥ بروتيناً، وما المواد المناعية إلا نوع من البروتينات الموجودة في حليب الأم فقط، أما الحليب المصنّع فيحوي على كميات كبيرة منها «تزيد أضعافاً عدة عن حليب الأم»، وعلى نوعيات مختلفة لا يستطيع الطفل

هضمها والاستفادة منها، وبالتالي تتراكم في دمه وتدخل إلى أعضائه، مُحدِثة ما يعرف باسم الحساسية لبروتين حليب البقر، وهذه لها علاقة مباشرة بإصابة الطفل بحساسية الجهاز التنفسي وحساسية الجلد «الأكزيمة» والإسهالات، ومهما حاول أصحاب المصانع إضافة وحذف البروتينات فلن يتمكنوا من الوصول إلى تركيب مشابه لحليب الأم لأن في حليب الأم «شفرة» وراثية ربانية.

السكريات

يحتوي حليب الأم على سكر اللاكتوز «سكر الحليب»، وهو سكر بسيط، لكنه مهم جداً للحفاظ على الضغط الأزمولي عند الطفل وللحفاظ على توازن الأيونات «الشوارد» أيضاً وهو مصدر مهم للطاقة اللازمة للطفل، حيث يعطي طاقة تبلغ ضعف الطاقة المتولدة من الغلوكوز «سكر العنب»، وهو ضروري لبناء بعض الدهون الأساسية اللازمة لتطور مخ الطفل وتناميه.

يوجد سكر اللاكتوز بكمية مناسبة في حليب الأم (٦٥غراماً لكل ١٠٠ غرام»، بينما تكون كميته قليلة جداً في حليب البقر (٣٨غراماً لكل ١٠٠ غرام)، ولذلك يقوم مصنعو الحليب بإضافة أنواع أخرى من السكريات لتأمين الطاقة «مثل السكروز والفركتوز والمالتوز» وكلها سكريات صعبة الهضم.

كما أن حليب الأم لايحتوي على سكر اللاكتوز فقط، وإنما يحتوي على الأنزيمات الهاضمة له في الوقت نفسه «حيث تكون هذه الأنزيمات قليلة عند المولود حديثاً»، وهذا من فضل الله تعالى، فالطاقة الموجودة في حليب الأم وطريقة الاستفادة منها غير موجودة إلا في حليب الأم ولذلك يصاب الأطفال الذين يرضعون حليباً صناعياً باضطرابات هضمية وتلبك في المعدة وهذه حال تعرف طبياً بعدم تحمل سكر اللاكتوز.

لن أشرب ماء أو سكراً
أمعائي بهما تتعكر

الدهون

تتكون الدهون من سلسلة من الأحماض الدهنية، وظيفتها تأمين الطاقة اللازمة للنمو - وبخاصة نمو دماغ الطفل - ويوجد منها نوعان: أحماض دهنية مشبعة، وأحماض دهنية غير مشبعة.

الأحماض الدهنية غير المشبعة هي المفيدة للجسم وتوجد في حليب الأم بكمية مناسبة جداً لنمو الدماغ وبخاصة الحمض الأميني المسمى حمض اللينوليك الذي يوجد في حليب الأم بنسبة ١٠ أضعاف مما هو في حليب البقر، وهذه الأحماض تؤمن اكتساء الألياف العصبية بطبقة الميلين «النخاعين» الضرورية لوظائف الجهازالعصبي، حيث إن ٨٠ في المئة من دماغ الطفل ينمو خلال العامين الأولين من حياته، وقد يكون هذا هو السر وراء الأمر الرباني للأم بأن ترضع طفلها عامين كاملين (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة:٢٣٣، حيث حددت هذه الفترة للوصول إلى نمو مثالي من غذاء مثالي.

أما الأحماض الدهنية المشبعة فغير مفيدة للجسم - وقد تكون ضارة وهذه تكثر في الحليب الصناعي، مما يضطر مصنعو حليب الأطفال إلى نزع بعضها وتعويضها بدهون نباتية لا تتوافق وحاجة الطفل ولا تركيب أجهزته.

إضافة لذلك، فإن حليب الأم يحتوي إنزيم الليباز الذي يساعد على هضم الدهون في أمعاء الطفل حتى قبل أن يبدأ الهضم عنده وهذه معجزة ربانية أخرى «كما في السكريات»، وهذا لا يتوافر إطلاقاً في أي حليب صناعي.

المعادن والأيونات والأملاح

توجد بعض المعادن في حليب الأم مثل الفوسفات والصوديوم والبوتاسيوم والكلوريد والمغنزيوم بكميات قليلة مناسبة ودقيقة حسب حاجة الطفل، لكنها توجد في الحليب الصناعي بكمية كبيرة جداً، وقد حاول مصنعو حليب الأطفال تعديل هذه النسبة لتقارب حليب الأم، لكن الذي يحدث هو أن هذه النسبة تتغير مرة ثانية أثناء تحضير الحليب، حيث كثيراً ما يحدث أن تضع الأم كمية من الحليب المجفف أكثر من المطلوب أو أقل من المطلوب فيختل التركيز ثانية.

وقد ثبت علمياً وجود علاقة قوية بين



كمية الأملاح المستهلكة في السنوات الأولى للحياة والمعاناة من بعض الأمراض، فالأطفال الذين يرضعون حليب الأم «القليل الأملاح» أقل عرضة للسمنة ولارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين، كما أنهم أكثر هدوءاً وأقل عدوانية فهم أصحاء جسمياً وعقلياً.

فحليب البقر يساعد على اكتساب الوزن ربما لأن الأهل يشجعون أولادهم على إنهاء كل الحليب في الرضاعة، ففي دراسة في منطقة بوسطن في الولايات المتحدة وجد أن البالغين في سن الثلاثين الذين أرضعوا حليب الأم خلال الشهرين الأولين من حياتهم أقل عرضة للإصابة بارتفاع الكولستيرول وبالتالي تصلب الشرايين وأمراض القلب.

كما أن الكالسيوم الموجود في حليب الأم يمتص من أمعاء الطفل بنسبة كبيرة لأن تركيبه مناسب لأمعاء الطفل، وهذا يجنب الطفل الإصابة بانخفاض مستوى الكالسيوم في الدم، أما الفسفور في حليب الأم فقليل مما يسمح بامتصاص الكالسيوم بعكس الحليب الصناعي الذي يحتوي على كمية كبيرة من الفسفور التي تعيق امتصاص الكالسيوم، أما الصوديوم فقليل وهذا ما يحمي الطفل من الإصابة بالجفاف.

وهناك أصناف من الحليب الصناعي تحتوي على مادة البالميتيك وهي مادة تتعارض مع امتصاص الكالسيوم من الأمعاء، ولتعديل هذا التأثير يضيف مصنعو حليب الأطفال الكالسيوم إلى الحليب للتخلص من هذا التعارض وهذا يؤدي إلى حدوث تلبك في المعدة واضطراب في الهضم.

الحديد والفيتامينات

حليب الأم فقير بالحديد - ولكن نسبة الحديد الذي فيه سهلة الامتصاص بعكس الحليب الصناعي الغني بالحديد، لكنه حديد صعب الامتصاص مما يدفع مصنعو حليب الأطفال لإضافة كميات كبيرة منه مما يسبب صعوبة في الهضم، والتأثير على الجراثيم المفيدة الموجودة في أمعاء الطفل، والإصابة بفقر الدم «الأنيميا»، فعلى الرغم من أن كمية الحديد الموجودة في حليب الأم قليلة فقد وجد أن الطفل الذي يرضع حليب الأم أقل إصابة بمرض فقر الدم من الطفل الذي يرضع الحليب الصناعي.

وحليب الأم غني بالفيتامينات التي يحتاجها الطفل مثل (أ، ج) وبكميات مناسبة مما يجعل حدة الإبصار عند الأطفال الذين يرضعون حليب الأم أفضل بكثير من الأطفال الذين يرضعون الحليب الصناعي.

مواد أخرى

يحتوي حليب الأم على مادة الميلاتونين التي تلعب دوراً في تنظيم الساعة البيولوجية للطفل فتنظم ساعات نومه ورضاعته.

كما يحتوي حليب الأم على مادة الإندروفين وهي مسكن للألم وبخاصة تشنجات الأمعاء.

١ - يحوي حليب الأم جراثيم نافعة للطفل تسمى العصيات اللبنية، حيث تنمو في أمعاء الطفل وتقوم بدور مهم في هضم وامتصاص الحليب، كما يحتوي على عوامل تساعد على نمو الجراثيم المنشقة المفيدة في أمعاء الطفل وهذه العوامل لا توجد في الحليب الصناعي.

٢ - يساعد حليب الأم على مقاومة الإنتانات المعوية المختلفة، لأنه يجعل البراز حامضياً، ومعروف أن الوسط الحامضي يقتل جرثومة السلمونيلة والإشريكية «إي كولي».

٣ - تكون الإصابة بأكزيما الرضيع عند الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم أقل بسبع مرات عن الذين يرضعون حليباً صناعياً.

٤ - حليب الأم طاهر ومعقم «لا يحوي جراثيم» وجاهز في كل زمان ومكان ولا يحتاج لأي أدوات أو إعداد، فكل ما في الأمر أن الأم تخرج ثديها وترضع طفلها، بينما يحتاج الحليب الصناعي لزجاجات الإرضاع «الرَّضَّاعة»، وماء مغلياً ومبرداً وحليباً مجففاً و... وقد لا تكون هذه الأدوات متوافرة في كل زمان ومكان، وقد لا تكون هناك إمكانات لشرائها، أو قد يتم تحضير الحليب بطريقة ملوثة فيصاب الطفل بالأمراض، فبدلاً من أن نرضعه حليباً يقوي جسمه، يرضع حليباً ملوثاً بالجراثيم، ولذلك تكون نسبة الوفيات الناتجة عن الرضاعة الصناعية أكثر بـ٣ - ٤ مرات من الرضاعة الطبيعية، كما أن لحليب الأم درجة حرارة ثابتة في كل الرضعات، بينما على الأم أن تبرد الحليب أو تسخّنه عند تحضير الرضعات من الحليب الصناعي.

٥ - تتحدد كمية حليب الأم ونوعيته تلقائياً أثناء الرضاعة وحسب حاجة الطفل، ففي البداية يفرز الثدي حليباً مخففاً «يسمى الحليب المختزن» وهو حليب قليل الدهون والبروتين، غني بالماء والسكريات، وهذا ضروري لإرواء عطش الطفل وتنشيط حركة المعدة وتنشيط إفراز العصارة اللازمة للهضم، وبعد فترة تزداد كمية الدهون والبروتينات أي تزداد القيمة الغذائية للحليب «ويسمى الحليب المنتج» وتكون المعدة جاهزة للهضم وهذا إعجاز إلهي لايمكن لأي رضاعة أن تشابهه.

٦ - تختلف عملية مص الحليب من الثدي أو الرَّضَّاعة ففي حال الرضاعة من حلمة الثدي يمر الحليب مباشرة إلى البلعوم دون أن يتراكم في جوف الفم والحلق وبذلك يمكن للطفل أن يرضع ويتنفس بصورة منتظمة بفضل الانسياب المعتدل.

أما في حال الرَّضَّاعة من حلمة الرَّضّاعة فيمر الحليب بشكل مستمر ويتراكم في فم الطفل حتى يبلعه ولذلك نراه يتنفس بصورة متقطعة أثناء الرضاعة وقد يدخل الحليب إلى الرئتين بدل المعدة مما يسبب له مشاكل خطيرة أحياناً.

باختصار نقول الرضاعة من ثديي الأم تتم حسب حاجة الطفل ورغبته بينما الرضاعة من الرَّضَّاعة هي «تغذية بالقوة» وليس حسب حاجة الطفل.

٧ - منعكس المص:

عندما يجد الطفل حلمة الثدي يدفع بلسانه للأمام ثم للخلف ضاغطاً على الحلمة حتى تلامس سقف الحلق، ثم تنقبض عضلات الوجنتين لتحدث ضغطاً سلبياً يسمح بامتصاص الحليب، وهذا ما يجعل عضلات الفك قوية عند الطفل، أما في حالات الرضاعة الصناعية، فالحليب يتدفق من الحلمة دون جهد مما يؤثر على نمو عضلات الفك عند الطفل.

٨ - منعكس التوجه.

خلق الله سبحانه وتعالى الطفل وزوده بمشعرات خاصة كثيرة ومنها أنه عندما نلمس الفم من أحد جوانبه، فإن رأس الطفل يتجه تلقائياً إلى ذلك الجانب ويبدأ بالبحث عن حلمة الثدي حتى يجدها ويبدأ الرضاعة، ويساعده على ذلك رائحة الشم، حيث يستطيع أن يميز رائحة الثدي ودرجة

حرارته.

في الحال سنفتح أفواهاً

ما إن مس الثدي شفاها

وقد ثبت ذلك بالتجربة فبعد تعطيل حاسة الشم عند حيوان التجربة تقل قدرة الحيوان على البحث عن ثدي أمه، وطبعاً ليس هناك رائحة خاصة بالرضاعة وبالتالي يجب على الأم أن تضع الرَّضَّاعة في فم الطفل وتحافظ على وضعها قدر الإمكان، وقد يسبب ذلك الاختناق أو الإعاج للطفل.

٩ - يحتوي حليب الأم - إضافة للغلوبولينات المناعية المذكورة سابقاً - على الكثير من العوامل المساعدة على زيادة المناعة عند الطفل وأهمها:

- مادة الليزوزيم التي تحلل الخلايا وتقتلها، وهي متوافرة بنسبة تزيد آلاف الأضعاف عن نسبة توافرها في حليب البقر.
- مادة اللاكتوفيرين التي توقف نمو الجراثيم العقدية والعنقودية.
- مادة الموسين المضادة للفيروسات.
- مادة المتممة التي تلعب دوراً في استجابة الطفل المناعية.
- مادة تنشيط نمو البشرة عند الطفل.

١٠ - موت السرير أي «موت الطفل المفاجئ».

تكثر لدى الأطفال الذين يرضعون من الرَّضَّاعة حوادث الوفيات التي يطلق عليها الأطباء وفيات السرير وهي غير موجودة تقريباً عند الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم.

١١ - تؤدي الرضاعة الطبيعية إلى تأخر الحمل وبذلك تتأمن للطفل تغذية أفضل وعناية أكثر حيث تتفرغ الأم له فلا أحد يزاحمه أو يشاركه غذاءه.

فوائد الرضاعة الطبيعية للأم

● الرضاعة الطبيعية عامل طبيعي لمنع الحمل وهي وسيلة آمنة لتنظيم النسل، وخالية تماماً من المضاعفات والمشاكل، فقيام الطفل بمص الثدي يعمل على إفراز هرمون البرولاكتين من الغدة النخامية وهذا ما يزيد من إفراز الحليب من الثدي وفي الوقت نفسه يقلل من إفراز هرمونات التبويض فلا تحدث إباضة وبالتالي يمتنع الحمل طوال فترة الإرضاع وهذا يقلل نسبة وفيات الأطفال.

● إذاً هناك شركة ناجحة تعم فائدتها على الطرفين ليس فقط أثناء الرضاعة وإنما تتخطاها إلى المستقبل البعيد فهي كنز في بناء الأسرة والجو العائلي المترابط والمتلاحم.

● تبين أن الأم التي ترضع طفلها أقل تعرضاً للإصابة بسرطان الثدي من الأم التي تعتمد على الحليب الصناعي لتغذية طفلها.

● تستعيد الأم التي ترضع طفلها رشاقتها وجمالها قبل الحمل وذلك لسببين: الأول لأن الرضاعة الطبيعية تمنع الحمل وبذلك تجد الأم الوقت الكافي لتستعيد حيويتها وصحتها وترتب أمورها، والثاني لأن الرضاعة تستهلك بعض الطاقة (٨٠٠ حريرة)، وهذا أيضاً يعيد لها رشاقتها بعد أن ازداد وزنها أثناء الحمل.

● يؤدي الهرمون الذي يفرز نتيجة مصّ الطفل للحلمة إلى إدرار الحليب وتقبض عضلات الرحم ومساعدة الرحم على العودة إلى حجمه ووضعه الطبيعي كما يعيد عضلات البطن إلى حالها الطبيعية.

● التوازن الهرموني الذي يحدث نتيجة الرضاعة الطبيعية مفيد في تأثير الاضطرابات في سن اليأس.

فوائد مشتركة للأم

● تعطي الرضاعة الطبيعية راحة نفسية وسعادة للأم والطفل فالأم تشعر بأهميتها وبالدور الكبير الذي تقوم به والتضحية التي تقدمها لطفلها، كما يشعر الطفل بالاطمئنان والأمان الذي يعوضه عن الأمان داخل الرحم، فيرضع المحبة قبل الحليب، وغذاء الروح قبل غذاء الجسد، فطريق المحبة يمر عبر ثديي الأم وليس عبر الرَّضَّاعة.

الحدث يروع صاحبه

والضم لصدرك يذهبه

وهذا ينشئ علاقة حميمة وعاطفية بين الأم وطفلها ويقوي الرابطة الروحية بينهما عن طريق لمس اليد والنظر في العيون والصوت والرائحة المنبعثة من الطفل والأم، وبكاء الطفل الذي يدر حليب الأم ولو لم يكن الطفل يرضع.

وحليبك من ثدييك يغدق

مادامت عينك بي تحدق

فوائد الرضاعة الطبيعية للمجتمع

أ - حليب الأم اقتصادي وعملي يوفر المال والوقت فيوفر على المجتمع ثمن الحليب الصناعي وثمن الرَّضَّاعات والحلمات والوقود لغلي الماء... وبعملية حسابية بسيطة نجد أن الأسرة تدفع ما يعادل ٧٥ ديناراً سنوياً ثمن علب الحليب، وإذا علمنا أن في العالم الإسلامي ٢٠ مليون طفل يرضعون فستكون التكلفة الإجمالية ١,٥ بليون دينار ثمن علب الحليب فقط ناهيك عن ثمن الحلمات الصناعية.

ب - سبق وذكرنا أن نسبة الوفيات والأمراض تكون مرتفعة عند الأطفال الذين يغذون بالحليب الصناعي مقارنة بأولئك الذين يرضعون من ثُديّ أمهاتهم، حيث يقدر أن عدد الوفيات نحو مليون طفل سنوياً، وهذه خسارة كبيرة للمجتمع بأسره، كما أن أمراض الأطفال نتيجة الرضاعة الصناعية تكلف المجتمع الكثير الكثير من المال والجهد.

ج - ذكرنا الرابطة القوية التي تنشأ بين الأم والطفل وهذا يؤدي إلى تكوين أسرة مترابطة في المستقبل القريب والبعيد وتقلل من نسبة الجرائم والانحراف والإدمان وهذا ما يعرفه كل عاقل.

ولأصبح طفلاً ذا شان

أحتاج لنوم الأحضان

د - يؤدي الحمل المتكرر وسوء تغذية الأم إلى سوء تغذية وصحة الطفل، ولو صرفت الأموال التي تدفع ثمناً لعلب الحليب على تغذية الأم لانعكس ذلك على الأم وطفلها والمجتمع بأسره، وقد تبين نتيجة الدراسات أن كل دينار يصرف لتغذية الأم يوفر ثلاثة دنانير على الأقل في معالجة سوء تغذية الطفل - علماً أن هناك أمراضاً لا يمكن شفاؤها ولا بملايين الدنانير.

وأخيراً: من حق كل طفل أن يرضع من ثديي أمه ويتغذى على حليب أمه، ولا يجوز بأي شكل من الأشكال أن نحرمه هذه النعمة الإلهية إلا لمبرر أو عذر مطلق، وما أخطأ من قال: حليب الأم هو الدم الأبيض، فالإرضاع حق للطفل وواجب على الأم وهذا ما أمر الله سبحانه وتعالى أم نبيه موسى - عليه السلام - عندما قال: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) القصص:٧، وكذلك أوصى الله الوالدين إن حدث خلاف بينهما أن ترضع الأم ابنهما امرأة أخرى (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) الطلاق:٦.

فهذا أمر الله، وهذا نداء العقل... فهل من مجيب؟؟ ■

فقه الطلاق في زواج المبتوتة

بقلم : محمد سلامة جبر

المراد بالمبتوتة من طلّقها زوجها ثلاثاً متفرقات، وبذلك تكون قد بانت منه بينونة كبرى بحكم الشرع، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره! وفي وقوع الثلاث بكلمة واحدة خلاف بين الفقهاء.

والسؤال :

هل يحل لمطلقة أن تتزوج من آخر وفي نيتها العودة إليه بعد طلاقها منه ؟

وهل له أن يساعدها الزوج الثاني في ذلك رغبة منه في تسهيل رجعتها ؟

وما الحكم لو امتنعت الزوجة من تمكين الثاني منها، وطُلّقت قبل الدخول ؟!

وهل تصيبهما اللعنة التي وردت في قوله ﷺ : «لعن الله المحلِّل والمحلَّل له».

يجب التحقق من وقوع الطلاق البائن قبل الحكم به

قلت:

أولاً: ينبغي أن نتحقق من وقوع الطلاق الثالث شرعاً فأكثر حالات الطلاق التي سئلت عنها لا يعتد بها، ولا ينبغي اعتبارها، لوقوعها في حال الغضب الشديد، أو لكونها من قسم الطلاق المعلق الذي يعطى حكم اليمين، وكفارته كفارة يمين، وهذا كقول الزوج لامرأته :



«إن خرجت من الدار فأنت طالق».

ومن الطلاق الذي يوقعه على الناس جمهور الفقهاء، وأرجّح عدم وقوعه اتباعاً لمن أفتى بذلك من الأئمة الأعلام «الطلاق البدعي» وهو أن يطلق الرجل امرأته في حال الحيض، أو في طهر جامعها فيه!

والأخذ بعدم وقوع الطلاق في الحالات المذكورة أولى من الحكم بالوقوع، وتحريم المرأة على زوجها تحريماً باتاً حتى تنكح زوجاً غيره!!

وقد أفتى بعدم وقوع الطلاق في الحالات المذكورة أئمة ثقات أعلام، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، ومن علماء هذا الزمان، الشيخ عبدالعزيز ابن باز رئيس لجنة الفتوى في المملكة العربية السعودية.

وأرى أن الفتوى بقول أولئك الأئمة المتبعين خير من حمل الزوجين على اللجوء إلى التحليل الممقوت والمهين للمرأة!!

ثانياً: إذا صدر حكم القاضي بوقوع الطلاق الثالث، ولم يلتفت إلى آراء العلماء الميسرين، فإن الحكم يلزم الزوجين كليهما، وليس بوسعهما مخالفته، لأن حكم القاضي ملزم إلا إذا نقضه استئناف أو تمييز.

ثالثاً: إذا ثبتت البينونة الكبرى بحكم القضاء الشرعي، فهل يحل لأحد الزوجين أو كليهما أن يسعيا للتحليل؟

وما الحكم إذا تطوع من علم برغبة الزوجين بالعودة، وتزوج المبتوتة وفي نيته تحليلها للأول؟!

قلت: إذا اشترط على الزوج الثاني أن يطلق بعد الدخول، وكان ذلك الشرط في صلب العقد، فالنكاح باطل، ولا يثبت به تحليل.

أما إذا اشترط عليه أن يطلق بعد الدخول قبل العقد، ولم يذكر الشرط في العقد، ففي صحة ذلك خلاف، وقول المجيزين هو الراجح.

ومن المانعين من صحة العقد على الوصف المذكور الإمام مالك رحمه الله، فقد قال ما حاصله:

«إن نوى الزوج الثاني أن يتزوجها ليحلها للأول، فهو نكاح فاسد مفسوخ، ولها عليه المهر المسمى بما استحل منها، ولا تحل للأول بوطء الثاني لها بذلك العقد الفاسد».

وقال الشافعي وأبو ثور رحمهما الله: «المحلِّلُ الذي يفسد نكاحه هو الذي يُشترطُ عليه في عقد النكاح نفسه أنه إنما يتزوجها ليحلّها ثم يطلقها، فأما من لم يُشْترط عليه ذلك في عقد النكاح، فهو عقد صحيح لا داخلة فيه «أي: لا شائبة تشوب صحته» سواء شُرط عليه ذلك في عقد النكاح أو لَم يشترط، نوى ذلك أو لم ينو».

هل يحل للمطلقة أن تتزوج وفي نيتها العودة إلى زوجها الأول ؟

بل زاد أبو ثور على مطلّق الجواز فقال: «هو مأجور!».

«وروى بشر بن الوليد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول الشافعي سواء بسواء» (اهـ -

المحلَّى لابن حزم ١٠/١٨٢).

قلت: يتبين مما تقدم أن نية الزوج المحلِّل لا تؤثر في صحة العقد عند الشافعي وأبي حنيفة وأبي ثور، بل زاد أبو ثور فقال: «هو مأجور» فهل هي كذلك نية المرأة؟!

ما الحكم لو امتنعت الزوجة من تمكين زوجها منها وطُلّقت منه قبل الدخول؟

جاء في الحديث الصحيح ما يدل على أن نية المرأة الرجوع إلى زوجها الأول بزواجها من الثاني لا يقدح في صحة العقد، فقد جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: «إني كنت عند رفاعة فطلقني فَبَتَّ طلاقي «تعني طلقها ثلاثاً» فتزوجني عبدالرحمن بن الزبير وما معه إلا مثل هدبة الثوب «كناية عن عدم قدرته على الوصول إليها».

فتبسم النبي - ﷺ - وقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عُسَيْلَتَكِ» اهـ.

قلت: وذوق العسيلة كناية عن الجماع، وهو شرط لصحة التحليل، فكيف تعود إلى رفاعة، ولم يصل إليها عبدالرحمن؟!

وقد استنبط العلماء من الحديث جواز أن تسعى المرأة إلى العودة إلى زوجها الأول، وعدم تأثير نيتها تلك على صحة زواجها من الثاني، وأن رغبتها تلك رغبة سوية لم يلمها عليها النبي - ﷺ - غير أنها لما اعترفت بعدم الدخول للعجز، بقيت على حالها من التحريم!

وكما لا تقدح نية المبتوتة في صحة التحليل، كذلك لا تقدح نية زوجها الأول أو وليها في صحة العقد، ولهما أن يسعيا إلى تزويجها دون أن يشترطا - في صلب العقد - على الثاني تطليقها بعد الدخول، وهكذا لأن الطلاق من الثاني ليس بيد الزوجة أو الزوج أو الولي!!

وهذا نص ما جاء في المغني والشرح الكبير لابن قدامة (٥٧٧/٧) قال رحمه الله:

«العقد إنما يبطل بنية الزوج لأنه الذي إليه المفارقة والإمساك، أما المرأة فلا تملك رفع العقد، فوجود نيتها وعدمها سواء، وكذلك الزوج الأول لا يملك شيئاً من العقد ولا من رفعه، فهو أجنبي كسائر الأجانب» اهـ.

قوله: «إنما يبطل العقد بنية الزوج الثاني لأنه الذي إليه المفارقة والإمساك».

هذا على مذهب مالك وأحمد، أما الشافعي وأبو حنيفة، فقد تقدم أن نية الثاني لا تقدح في صحة العقد، وهو الصحيح الراجح إن شاء الله.

الإمام ابن حزم الأندلسي

اتفق الإمام ابن حزم الأندلسي مع الأئمة القائلين بجواز نكاح التحليل إذا لم يُشرط في العقد، فقال رحمه الله:

«لو رغب المطلق ثلاثاً إلى من يتزوجها ليحلها له، فذلك جائز إذا تزوجها بغير شرط لذلك في عقده لنكاحه نفسه إياها، فإذا تزوجها فهو بالخيار، إن شاء طلقها، وإن شاء أمسكها، فإن طلقها حلت للأول».

«ولو شرط في عقد نكاحها أنه يطلقها إذا وطئها، فهو عقد فاسد مفسوخ أبداً، ولا تحل له به». (اهـ - المحلَّى لابن حزم١٠/١٨٠).

ومما استدل به ابن حزم والقائلون بالجواز هذه الرواية التي ذكرها في المحلّى عن ابن سيرين قال: «قدم من أهل المدينة رجل ومعه إخوة له صغار، وعليه إزار من بين يديه رقعة، ومن خلفه رقعة، فبينما هو كذلك إذ نزغ الشيطان بين رجل من قريش وبين امرأته فطلقها «يعني الثالثة» فقال لها «بعد انقضاء عدتها»: «هل لك أن تعطي ذا الرقعتين شيئاً ويُحِلَّك لي؟».

قالت: «نعم إن شئت».

فأخبروه بذلك، فقال: «نعم» وتزوجها، ودخل بها، فلما أصبحت أدخلت إخوته الدار، فجاء القرشي يحوم حول الدار، ويقول: «يا ويله! غُلِب على امرأته!».

فأتى عمر فقال: «يا أمير المؤمنين، غُلِبتُ على امرأتي!!»

قال عمر: من غلبك؟

قال القرشي: ذو الرقعتين.

قال عمر: أرسلوا إليه.

فلما جاءه الرسول قالت المرأة لذي الرقعتين:

«كيف موضعك من قومك؟»

قال: ليس بموضعي بأس!

قالت: إن أمير المؤمنين يقول لك طلّق امرأتك،، فقل: لا والله لا أطلّق! فإنه لا يُكْرِهك، وألبسته حلَّة، فلما رآه عمر من بعيد قال: «الحمد لله الذي رزق ذا الرقعتين.

أفتى بعدم وقوع الطلاق في بعض الحالات أئمة ثقات أعلام كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم

فدخل عليه فقال: أتطلق امرأتك؟

قال: لا والله لا أطلقها!

قال عمر: لو طلّقتها لأوجعت رأسك بالسوط! اهـ

قالت: وقد أُعلّت تلك الرواية بالإرسال، لأن ابن سيرين لم

يذكر الراوي عن عمر، غير أن الظن به أنه لا ينسب إلى عمر إلا ما صح عنده، ومع ذلك فتلك الرواية ليست هي العمدة في الاستدلال، بل عدم الدليل على النهي هو الدليل على الجواز، لأن الأصل في الأشياء الإباحة، وفي تقرير هذا يقول ابن حزم:

«وما نعلم لمن خالف قولنا حجة أصلاً، لا من قرآن ولا سنة صحيحة، ولا سقيمة، ولا قياس، ولا سيما قول مالك الذي خص نية الزوج الثاني دون نيتها، ودون نية المطلق» (اهـ - المحلى ١٠/١٨٥).

الوقاية خير من العلاج

إذا تبين ما تقدم، فإن الحيلولة دون وقوع البينونة الكبرى أولى من إيقاعها، وذلك إذا أخذنا بأقوال العلماء الذين لا يوقعون طلاق الغضبان والسكران، وطلاق من طلق امرأته وهي حائض، أو في طهر جامعها فيه، وذلك ما تأخذ به لجنة الفتوى في المملكة العربية السعودية برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ترجيحاً لقول من أفتى بذلك من أئمة السلف والخلف.

ولا ريب أن هذا مما يقلل كثيراً من حالات الطلاق البات الذي يحمل كثيراً من الناس على التحليل المقوت، وفيه ما فيه من امتهان لكرامة المرأة!

شيخ الإسلام ابن تيمية:

ولقد كان مما يُفتى به إلى أواخر القرن السابع للهجرة إيقاع البينونة الكبرى بالطلاق الثالث بكلمة واحدة، حتى قيّض الله للأمة مجدد المئة الثامنة بحق: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٦٦١ - ٧٢٨هـ) وخالف إجماع علماء عصره، وأثبت بالدليل القاطع أن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة يقع واحدة، وكانت الفتوى على ذلك في صدر الإسلام إلى أن تجرأ الناس وأكثروا من إيقاع الطلاق، فقال أمير المؤمنين عمر:

«لقد تعجل الناس أمراً كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم!» فأمضاه عليهم!

وكان ذلك منه في زمنه اجتهاداً صحيحاً، لأن الناس كانوا من خيرة الناس، ويسهل ردعهم بأدنى سبب، فأمسكوا عن الطلاق إلى أن تطاول الزمان، وعاد الناس إلى الاستهانة بالطلاق، واستمر علماء الأمصار على الأخذ بفتوى ابن عمر التي قصد بها الردع، فوقعت مآس كثيرة، وتفككت أسر صغيرة وكبيرة، والتجأ الناس إلى التحليل، ولو نظر العلماء في المسألة في ضياء الإسلام ويسر أحكامه، لأدركوا ما أدركه ابن تيمية من حكمة التشريع، غير أنه قدر وقضاء ودهر قد انقضى، فلنأخذ اليوم بما أخذ به علماء السعودية، لِنُضَيِّق من دائرة وقوع الطلاق ما أمكن. ■

حقوق الزوجين

بقلم: صالح بن سعيد بن حمد الصخبوري

الزواج في الإسلام عقد مبارك بين الرجل والمرأة، يحل به كل منهما للآخر، ويبدآن به رحلة الحياة الطويلة، متحابين متعاونين متآلفين متسامحين، يسكن كل منهما إلى الآخر، فيجد في صحبته السكينة والأنس والأمن والطمأنينة ولذة العيش وقد صوّر القرآن الكريم هذه العلاقة الشرعية السامية بين الرجل والمرأة تصويراً رائقاً شفيفاً، يشع فيه ندى المحبة والألفة والثقة والتفاهم والرحمة، ويفوح منه عبير الود والسعادة والبهجة والنعيم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم: ٢١.

إنها الصلة الربانية في أوثق وشائجها، يعقدها رب العزة بين نفسي الزوجين المسلمين، فإذا هما يلتقيان على الحب والتفاهم والتعاون والتناصح، فيؤنسان الأسرة المسلمة التي تدرج فيها الطفولة، وتتفتح بها أكمام العقول، وتصاغ النفوس على هدي من مكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام الحنيف، فإذا الأسرة المسلمة كبنية صلبة في بناء المجتمع المسلم الراشد، وإذا أفرادها أعضاء منتجون بناؤون متعاونون على البر والتقوى متسابقون متنافسون في الصالحات من الأعمال.

قال تعالى: «هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها» الأعراف: ١٨٩، يقول ابن كثير: أي ليألفها ويسكن بها فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين.

فقد وصف القرآن العظيم هذه العلاقة وصفاً لطيفاً يعطي هذه العلاقة معناها الإنساني العظيم قال تعالى: «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» البقرة: ١٨٧، تصف الآية الزوجين بأن كلاً منهما لباس الآخر.

واللباس هو: الشيء الذي يلتصق بجسد الإنسان ويستره ويحميه من العوامل الخارجية الضارة، والمقصود من استخدام كلمة اللباس للزوجين أن علاقة الزواج بينهما من الناحية المعنوية يجب أن تكون مثل ما بين اللباس والجسد من علاقة، يعني أن يتصل قلباهما وروحاهما كل بالآخر وأن يستر كلاهما الآخر ويحمي كل منهما قرينه من المؤثرات التي تفسد أخلاقه وتحط من عزته وكرامته وهذا هو مقتضى المودة والرحمة. ولكي يتم الوفاق والحياة السعيدة - بإذن الله - فلابد من تأمل هذه الحقوق الواجبة للزوج أو الزوجة أو المشتركة بينهما وتدبُّرها وتطبيقها كل حين وإذا قام كل من الزوجين بما لصالحه من الحقوق والواجبات استفاد فائدتين عظيمتين من مرضاة الله:

الأولى: حياة سعيدة واجتماعاً حميداً.

الثانية: ينشأ الأطفال ويتربون على كرم الطباع وحسن الشمائل ولطيف الأخلاق.

وإذا وقع العقد صحيحاً نافذاً ترتب عليه آثاره، ووجبت بمقتضاه الحقوق الزوجية «وهذه الحقوق ثلاثة أقسام» : منها حقوق واجبة للمرأة على زوجها، ومنها حقوق واجبة للزوج على زوجته، ومنها حقوق مشتركة بينهما، وفيما يلي أكتفي بذكر الحقوق المشتركة بين الزوجين:

- حِلّ العشرة: الزوجية واستمتاع كل من الزوجين بالآخر، وهذا الحل مشترك بينهما، فيحل للزوج من زوجته ما يحل لها منه، وهذا الاستمتاع حق للزوجين، ولا يحصل إلا بمشاركتهما لأنه لا يمكن أن ينفرد به أحدهما.

- حرمة المصاهرة: أي أن الزوجة تحرم على آباء الزوج، وأجداده، وأبنائه وفروع أبنائه وبناته، كما يحرم هو على أمهاتها، وبناتها، وفروع أبنائها وبناتها.

- ثبوت التوارث بينهما بمجرد إتمام العقد، فإذا مات أحدهما بعد إتمام العقد ورثه الآخر ولو لم يتم الدخول.

- المعاشرة بالمعروف : فيجب على كل من الزوجين أن يعاشر الآخر بالمعروف حتى يسودهما الوئام ويظللهما السلام : قال الله تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) النساء: ١٩. ■

ترجمات

هل تقوم ثورة إصلاحية في روسيا تضع الأمور في نصابها ؟

بينما يستمر الجدل في الغرب حول طبيعة الأزمة المالية في روسيا وسبل العلاج نشرت «الغارديان» مقالاً مطولاً حول مشكلات روسيا بقلم «جيمس ميك» تناول فيه أوضاع روسيا في جميع المجالات وتكهن بحدوث انفجار حاد في المستقبل يضع الأمور في نصابها يقول المقال :

إعداد : عبدالمنعم أحمد

قبل انفجار الأزمة المالية الروسية الأخيرة بفترة طويلة، كان المفترض أن تقرع أجراس الإنذار في البيت الأبيض حول جدوى علاقة الرئيس كلينتون مع الرئيس بوريس يلتسين في موسكو. أما وقد انفجرت قنبلة القروض الروسية، فإن أي نتائج لزيارة الرئيس كلينتون إلى روسيا، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم إنسانية، لم تعد مجدية، فهذه ليست من الأزمات المعتادة التي يستطيع بوريس يلتسين خوضها، أو حتى الاختباء منها والخروج بعد ذلك سليماً معافى، هذه الأزمة لا نهاية لها.

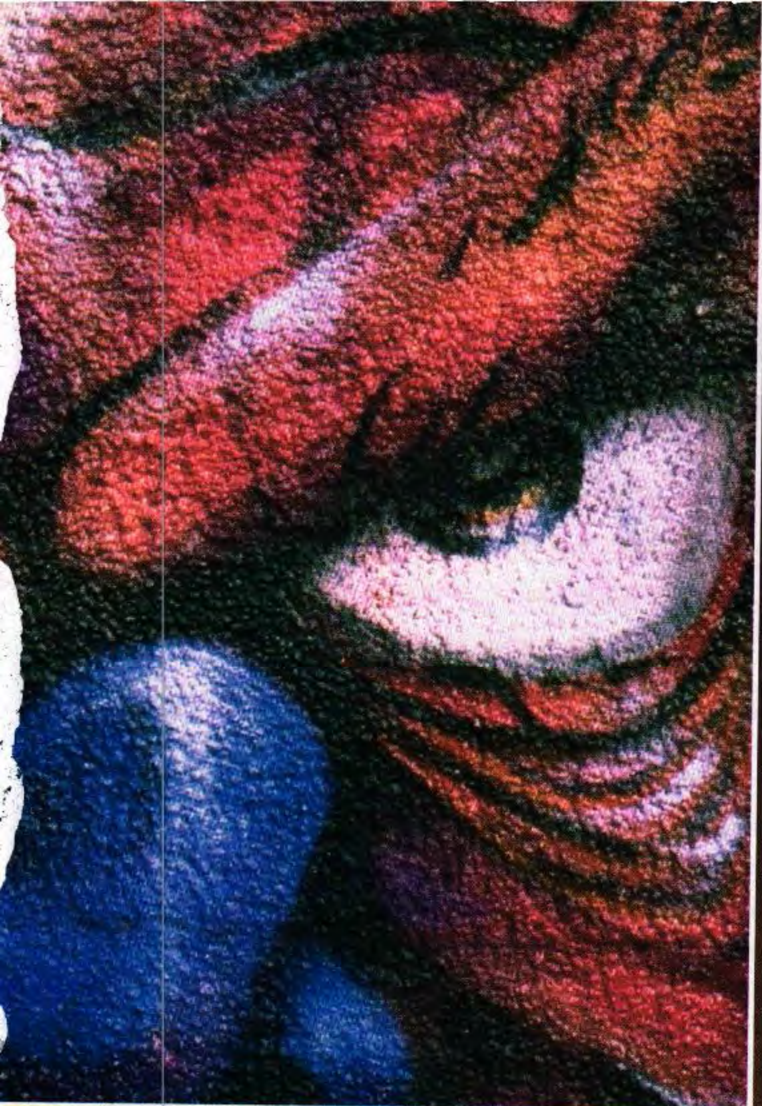
ولاشك أن العالم أصبح معتاداً على الجدل السخيف الذي يبرر به كلينتون تأييده ليلتسين، ويبدو أن رئاستيهما تزامنتا في الخطوات على مر الأعوام، فقد بدأتا بالكثير من الآمال، وها هما اليوم يتعثران معاً. لقد صفح الغرب عن جميع أخطاء يلتسين بدءاً من حَلّه غير المشروع للبرلمان العام ١٩٩٣م، إلى كذبه المتواصل إزاء الحرب الدموية في الشيشان، وكان هو البادئ بها، إلى تبذيره للأموال الحكومية إبان الحملة الرئاسية العام ١٩٩٦م، وكل ذلك بسبب وجود حليف له على رأس ثاني أكبر ترسانة نووية في العالم.

كان الاتجاه السائد في واشنطن - ولا يزال - أنه مهما كان يلتسين سيئاً، فإنه حتماً أفضل من بديل قومي الاتجاه ومعاد لأمريكا، ومع ذلك، وحتى في إطار ذلك الاتجاه المريب، ظل يلتسين يمثل خطراً متنامياً على المصالح القومية لأمريكا وأوروبا لسنوات عدة، وإذا كان هناك ما هو أخطر من دولة محايدة نووية ، فهي الدولة النووية الصديقة التي لا يحصل فيها العاملون على الأسلحة النووية على رواتبهم لأشهر عدة !!

إن فشل يلتسين في التفاوض حول تسوية في الشيشان والدول المجاورة هو العامل الذي يهدد بتحويل المنطقة إلى مركز جديد للتطرف الديني، والأهم من ذلك أن يلتسين نفسه هو الذي دأب على تخريب الإصلاحات الاقتصادية الليبرالية التي أيدتها الحكومات الغربية، وكانت من عمل أشخاص مؤيدين للغرب مثل، ييغور غيدار وسيرجي كيريينكو. ومن الإنصاف القول إنه ليس من السهل على أصدقاء يلتسين، كالرئيس كلينتون، أن يتوقف عن تأييد زعيم منتخب لدولة تنتهج قدراً معقولاً من الصداقة تجاه الغرب، ولكن من الأمور التي ثبت الآن عدم جدواها، تلك العلاقة الحارة غير الضرورية تجاهه، والجهود الهادفة إلى الاستجابة لرغبته بتلقي الإطراء من قادة العالم، عوضاً عن إجباره على خوض نقاش جاد حول الأوضاع في بلاده، وتفويت الفرص التي سنحت لانتقاده بشكل مؤدب. وهكذا فقد ولت حقبة يلتسين، وولى معها اعتماد روسيا على مساعدات الإنقاذ المالية الأجنبية، ولا يستطيع أحد أن يتنبأ إلى أين ستتجه روسيا من هنا، وفي الغرب يستمر الجدل حول السبب في ضياع روسيا هل هو الدعم الكثير أم الدعم القليل؟ هل هو تطبيق سياسات غربية صحيحة ولكن بطريقة خاطئة أم أنها السياسات الغربية الخاطئة المطبقة بشكل خاطئ !! وهو جدل مثير للشفقة، ذلك لأن روسيا لم تكن ملكاً للغرب يخسره فجأة، ومع عدم إنكار الأخطاء الفادحة التي ارتكبها المستشارون المستثمرون الغربيون في روسيا، فإن روسيا لا يمكن إنقاذها إذا لم يكن بوسعها إنقاذ نفسها. إن طوق النجاة من جانب صندوق النقد الدولي لا يكفي لإنقاذ غريق دأب على وضع أوزان الرصاص الثقيل في جيوبه. وهناك في الغرب ميل نحو اعتبار روسيا ضحية تجربة رهيبة، تجربة شيوعية من وجهة النظر الليبرالية الاقتصادية، أو تجربة سياسية من وجهة النظر المعادية للتاتشرية.

لقد تحركت المؤسسة الروسية السياسية الصغيرة ببطء، ولكن بتصميم مشجّع، في طريق التغيير الصعب، ويبدو أن النتيجة لن تكون - حتى الآن - تدفق الدماء في الشوارع، أو بروز ديكتاتورية قومية متعصبة، إن النتيجة هي تخلي يلتسين عن معظم صلاحياته، وانتقاله بشكل تدريجي إلى مرحلة التقاعد، وتولي القيادة من قِبَل الحكومة، وإعطاء دور أكبر للأغلبية البرلمانية في صياغة السياسية الحكومية، وتطبيق برنامج اقتصادي جديد يقوم على الاتفاق على الاستثمار في مجالي الزراعة والصناعة، وعلى تنظيم رسوم الاستيراد ووضع ضوابط نقدية أكثر تشدداً، والحد من الاتجاه القومي المتشدد. وقد يبدو ذلك عملاً ثورياً، وهو بالفعل كذلك... إنه عمل جدي، ولكن طالما لم يتم التوصل إلى اتفاق حول التطبيق بين الرئيس والبرلمان والحكومة، فإن المشاكل ستزداد سوءاً وسيهز التضخم أركان البلاد، ولن يكفي ذلك لمواجهة مشاكل روسيا الأساسية، لأنه لا يكفي لمعالجة الفساد وعجز الحكومة الفيدرالية عن فرض سياساتها على الأقاليم، فهو لا يعالج فوضى الإقطاعيات العرقية التي تنتهك الحريات المدنية وتشفط المساعدات، ولا يفعل شيئاً لمساعدة ملايين الروس المحاصرين في المجتمعات القطبية.

كما أنه ليست هناك أغلبية برلمانية، فالشيوعيون أنفسهم منقسمون انقساماً عميقاً، وإذا ما قرر البرلمان أين سيتم ضخ الروبلات التي تم صكها أخيراً، فإننا لابد سنرى مشاريع تعود بالفائدة على الأنصار والمحاسيب، ولابد والحال هذه أن تصب الأموال الجديدة في المصانع العسكرية والمزارع الجماعية الفاشلة، ليملأ المديرون والإداريون جيوبهم، وليسرق العمال ما يستطيعون سرقته، من دون تحقيق أي فائدة. ومع تقدم الأزمة الروسية، ثمة شعور يوحي بأن هناك في الغرب من ينتظر بفارغ الصبر حدوث انقلاب حاد أو انفجار اجتماعي، ربما اليوم وربما غدا. ■



قصة قصيرة

هذه قصة متنها حقيقي، حدثت في أرض فلسطين وهي واحدة من القصص اليومية التي يعاني منها الشعب العربي الفلسطيني منذ عقود أضفيت على القصة روح التقنية القصصية، ومسحة من الخيال لكي تخرج من حدود الخبر أو الحكاية»

بقلم: محمد السيد

اعتقال حمار؟!

لابد أن العوالم من حولي قد ارتدت ألبسة تنكرية حتى جعلت للغرباء وجوهاً أشبه بالوجوه الأصلية. كانت تلك همهمات دارت في حنجرة العجوز وهو يضع أول قدم له خارج عتبة الباب الخارجي لبيته الريفي العتيق.

كان الوقت باكراً عندما خرج العجوز أبو حامد من منزله، وكان الهواء الندي ينشر أجنحة رخية، ممزوجة برذاذ ناعم، ينفثه ذلك الصباح التشريني الغائم، ومع ذلك فقد كان إصرار العجوز على متابعة السير نحو عمله عنيداً، لذا فقد بدأ خط سيره بقولته: فليكن ما يكن، لقد تعلمت في المدارس والكتاتيب كثيراً، وعملت كثيراً، وعشت كثيراً.

كان الجو الماطر ينمو شيئاً فشيئاً، كلما ابتعد العجوز عن منزله، وبين الحين والآخر يمد أبو حامد كفه فيمسح لحيته الكثة البيضاء، ليزيل عنها القطرات المتراكمة ثم يميل بالكف إلى مساحة وجهه الخالية من الشعر، فيفرك به الجلد والأنف، قابضاً على أرنبة أنفه، التي يبللها الرذاذ المتبوع بالهواء الرطب، ومع ذلك الإصرار العنيد على الذهاب إلى العمل الذي أبداه أبو حامد، فإن حركة قدميه كانت مثقلة بالثمانين عاماً التي تكدست فوق كاهله المنحني، ورسمت على سحنته أخاديد واضحة المعالم متميزة الخطوط.



«إيه، هموم العيش كثيرة! حتى الحمار استكثروه عليَّ! إنهم يحاولون إسكات أنين الأرض».

خرجت الكلمات من حنجرته حشرجة، فقد اختلطت هناك بدمعة غالبت جفنه، وضيقت في قلبه مساحة الصبر، إذ انتمت تلك اللحظة التي ساومته إلى عصر البراكين.

عند آخر حرف نطقه أبو حامد من تلك الجملة، مد إحدى يديه بصورة «لا إرادية»، ورفع طاقية الصوف التي كان يعتمرها، بينما راحت يده الأخرى تمسح جلدة رأسه الذي خلا من الشعر إلا قليلاً منه، بقي شاهداً على ما كان من عز لذلك التاج، مثلما بقي هو يمثل البقية الباقية ممن ذاقوا طعم العز لحظات من الزمن فوق تراب هذه الأرض.

«إيه يا زمن، ما أعجب ما يجري! لو أن بي قوة ما تركته لهم، لكنها مغامرتي الأخيرة، في عالم من حولي تتنكر فيه الوجوه!

ردد الشيخ هذه الكلمات في حسرة، ولكنه لم يتوقف عن الكلام، حتى أضاف كلمات ترددت مع موجات الريح مسموعة حية رطبة.

«لا تتماوت أيها العجوز، فأنت الزيتونة العتيقة والمئذنة التي لا تنحني».

فجأة توقف أبو حامد عن المشي، واستدار بجميع جسده نحو قريته القريبة من رام الله، ومد بصره الواهن خلال الضباب المتقطع، فلم يتبين له من منازل القرية سوى أشباح تغيب وتظهر برتابة وحينئذ نقل بصره نحو قدميه اللذين لفهما نعل متهافت، لم يرق له المنظر فتمتم ببضع كلمات:

«رحماك يا رب ... وحدنا كتب علينا أن نتجرع هذا البلاء القيم»!.

وفي الحال عاجلته دمعتان حارتان، نالتا من أطراف فمه، فجعلت الملوحة ترتاد حنجرته، فتتحدث موجات من السعال الحاد، الذي اضطره لوضعية القرفصاء، ريثما ذهبت الموجة الداهمة، فسوى ثيابه المبتلة وغذ السير الثقيل من جديد، واضعاً الأفق الغربي نصب عينيه آملاً أن يصل باكراً إلى مكان العمل، بينما كانت تدور في رأسه فكرة تلح عليه ولم تغادره منذ لحظة خروجه.

غير أن كل ما تحدث به الشيخ، وكل ما لاقاه من متاعب الطريق لم ينسه موضوع الحمار المعتقل، بل إنه وجد لسانه يدير الكلام عنه قائلاً:

«كل شيء ولا حكاية الحمار، الذي اتهموه بمساعدة ابني عمرو في القيام بأعمال مقاومتهم... ها... ها... ها... إنه يستحق التهمة، وإلا كيف يُترك عمرو يركبه، أو ينقل عليه الخضار المبطنة بأدوات المقاومة؟! عاش المدعي العام، الذي اكتشف جناية الحمار بعبقرية! فأمر بشاحنة عسكرية حضرت إلى منزلي مع ثلاثة جنود، واعتقلوا الحمار بتهمة المشاركة في عمليات الإخلال بالنظام العام.

لقد قلت لهم وقتها: إنني كما ترون شيخ عجوز، وقد قتلتم ولدي قبل فترة.

وهذا الحمار ينقلني إلى حيث عملي، فأبقوه لي، إنه دابة لا تعقل ولا تقدر، وقد انتقمتم ممن كان يسخره كما تدعون..!

لكن جوابهم لي لم يكن أكثر من نكتة، إني أسمعه هذه اللحظة يتردد، فيسحق بضجيجه وغبائه حفيف الرذاذ الناعم، ويطحن بآلته العجماء ذرات الإنسانية.

أتدرون ماذا قالوا لي: «أنتم وحيواناتكم تتآمرون على دولتنا، حتى حميركم تقض مضاجع زعمائنا!!».

«إيه شر البلية ما يضحك»، واستغرق أبو حامد في قهقهة صاخبة، وهو يردد بلهجة متهدجة: لقد أكلوا المواسم، وأشعلوا نيران القتل بمواعيد السلام...!! لكنه فجأة صمت واتجه بكليته إلى مكان عمله، وفتح ثيابه عن صدره الأشيب مستقبلاً به الريح والرذاذ، حاثاً

الخطى بهمة لم يعهدها من قبل، بينما رفرفت روحه الشفيفة خلف ذكريات ولديه وأشياء أخرى. نقلت من قلبه كلمات لامست أطراف شفتيه وكأنه حلم يقول:

« تلألأت سنوات العمر نجوماً بين جفني، حملت شلالاتها الصدق والإيمان والزيتون، وجنات القرية الحالمة، وحبات التين المعسولة ».

« هدلت بضع حمامات على مقربة من النهاية التي تناوشني » قالت إحداهن: « الليل لا يمحوه إلا النهار ».

وقالت ثانية: غصن الزيتون لا يحمله إلا السيل الجارف ».

وقالت ثالثة: « الموت لا يحجبه برق الجبن ».

وقالت رابعة: « والسواعد الناصعة المتينة أشرعة النهار... ».

وعند نهاية قولة الرابعة: خُيِّل إليه أنه يسمع صوت نداء يقول: « يا شيخ يا شيخ. كان الصوت عميقاً رخيماً، وبلا إرادة منه دار ببصره إلى الجهة التي أتاه منها الصوت، بينما كانت ابتسامة عريضة مستبشرة تناوش محياه، فتمتلىء بها أساريره رويداً رويداً... إذ تراءت له في الفضاء صورة عمرو فانطلق لسانه يصيح:

- هذا أنت يا عمرو؟ ابني عمرو...!! ابني عمرو! كيف أنت يا بني؟ ولكن قل لي: ألم ... أل... ألم... تعلم أنهم يريدون مني أن أقدم لهم طلباً لاسترداد حمارك ».

- يا إلهي ... هذا هو أخوك محمد أيضاً... لقد اجتمعنا من جديد!!

وفجأة مرت سيارة جيب عسكرية فرشت وجه العجوز أبي حامد بماء انطلق من تحت عجلاتها حيث لامست بركة، تجمع فيها الماء وسط الطريق.وهنا أفاق العجوز من الحلم الذي كان يعيش معه فترة غير قليلة من الطريق، فأخذ يدور حول نفسه، يتفقد الرؤى ويبحث عن الأولاد، غير أن صوتاً أتاه من الخلف يقول:



- أهلا بالعجوز « المتشبشب »، ماذا فعلت بنفسك يا رجل؟! أبهذا الجو البارد تفتح صدرك للريح، وتلقي بقدميك له.

- أبو صالح لا تمزح.

قالها أبو حامد دون أن يلتفت إلى صديقه وابن قريته، ثم تابع سيره، متظاهراً بالتوجه لاستلام العمل الذي وصل إلى مكانه للتو، لكن أبا صالح لم يدعه يذهب دون أن يقول له:

- ولكن يا شيخ. يا أبا حامد، لقد جاءتك رسالة من الحاكم العسكري.

- ها... هل تعرفوا إلى حماري الذي اعتقلوه؟ ومضى أبو حامد بعيداً مضيفاً: لماذا يفطنون ويركزون على موضوع الحمار، وينسون كل شيء القتل... الاحتلال... الإذلال.

- يا أبا حامد ... إن رسالة المستشار قالت:

« إن هناك حماراً معتقلاً منذ سنة لدى جيش الدفاع، بتهمة القيام بأعمال عدائية ضد الدولة، ولم يتعرف أحد على ذلك الحمار، بل لم يتقدم أحد للمطالبة به، إننا نعرف أن الحمار المعتقل ملك للعجوز أبي حامد، وأن العجوز يذهب إلى مكان عمله مشياً على الأقدام، لذا قررنا الإبقاء على اعتقال الحمار جزءاً من العقوبة لأبي حامد ». لم يحفل أبو حامد بما قاله صديقه أبو صالح، بل توجه مسرعاً إلى غرفة رب العمل... وهو يتمتم، اليوم سوف أكشف عن الوجوه التنكرية إن شاء الله.

وفي الطريق إلى غرفة رب العمل تناول قضيباً حديدياً غليظاً، ثم دخل الغرفة من دون أي مقدمات، راح يضرب رب العمل الصهيوني على رأسه، بكل ما أوتي من قوة، ومن دون كلل، حتى سقط العدو على الأرض، وعندئذ راح الشيخ يصيح بأعلى صوته... رغم الوجوه التنكرية، فأنا ولي الدم... أنا ولي الأرض... هل تفهمون؟!. ■



قلق في صفوف شباب فرنسا !



ذكر تقرير أصدرته وزارة الصحة الفرنسية أن وضعية الشباب تبعث على القلق بحكم تزايد نسبة الانتحار وتناول المخدرات والخمر واستهلاك السجائر بين أعوام ١٩٩٤م و ١٩٩٨م.

وذكر التقرير أن نسبة الانتحار ارتفعت في أوساط الشبان الذين تقل أعمارهم عن الخامسة والعشرين من ١١,٥ في المئة إلى ١٤ في المئة، بينما لم تتجاوز نسبة ٢,٢ في المئة بين أعوام ١٩٧٥م و ١٩٩٦م، وأكد التقرير أن الانتحار أصبح السبب الثاني في وفيات الجيل الجديد بعد حوادث المرور.

وبعد ارتفاع نسبة تناول الكحول في أوساط الشباب الذي صار هاجساً لا يقل خطورة عن الانتحار، إذ لم يعد استهلاك الكحول يقتصر على الذين تجاوزوا سن الخامسة والعشرين، وإنما امتد إلى المراهقين أيضاً، وحسب التقرير، فإن ٦٠ في المئة، من الشبان يتناولون الكحول اليوم بصفة منتظمة مقابل ٤٠ في المئة عام ١٩٩١م، والأدهى من ذلك إقبال بعضهم على تناول أنواع الكحول القوية والمضرة للصحة، واحتل التدخين بدوره مكانة بارزة في تقرير خبراء وزارة الصحة، حيث كشف أن ٣٥ في المئة من الشبان والمراهقين الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة يدخنون بشكل مستمر، ويبدو أن هدف تخفيضها إلى ٢٠ في المئة قبل عام ٢٠٠٠ أصبح بعيد المنال، وربما يعد ضرباً من المستحيل، علماً أن نسبة تدخين الفتيات تزداد من يوم لآخر.

وتبلغ نسبة الفتيات اللاتي يتعاطين المخدرات «الحشيش والماريغوانا» ١٢ في المئة بينما تصل نسبة الشبان الذين يتعاطونها إلى ١٨ في المئة، وخلافاً للتوقعات، فإن أبناء الكوادر العليا يعدون من أكثر الشبان استهلاكاً للمخدرات، إلى جانب أبناء المطلقين أو المنفصلين.

السعوديون يرمون ألف طن من الورق سنوياً

قدّر موظفون في القطاعين الحكومي والأهلي بالسعودية كمية الورق التي لا يستفاد منها بأكثر من ألف طن من أصل ٥٣٤ طناً تستورد سنوياً. ولأهمية هذا الموضوع يعقد معهد الإدارة العامة في الرياض ندوة عن ترشيد استخدام الورق ومنتجاته في القطاعين الحكومي والأهلي، حيث يناقش على مدار ثلاث جلسات بحث ميداني معدّ من قبل معهد الإدارة بالإضافة إلى ١٢ ورقة عمل أعدتها جهات حكومية وأهلية، وفي هذا الصدد قال الدكتور صلاح بن معاذ المعيوف مدير إدارة الندوات والمؤتمرات في المعهد أن الموضوع الذي تبحثه الندوة مهم جداً، إذ إن الأرقام تؤكد أن الكمية المستهلكة من الورق ومنتجاته في السعودية ضخمة جداً ومكلفة ونسبة تدويرها بعد استخدامها متدنية جداً، مما يضاعف الكلفة المادية ويشكل عبئاً على الاقتصاد الوطني.

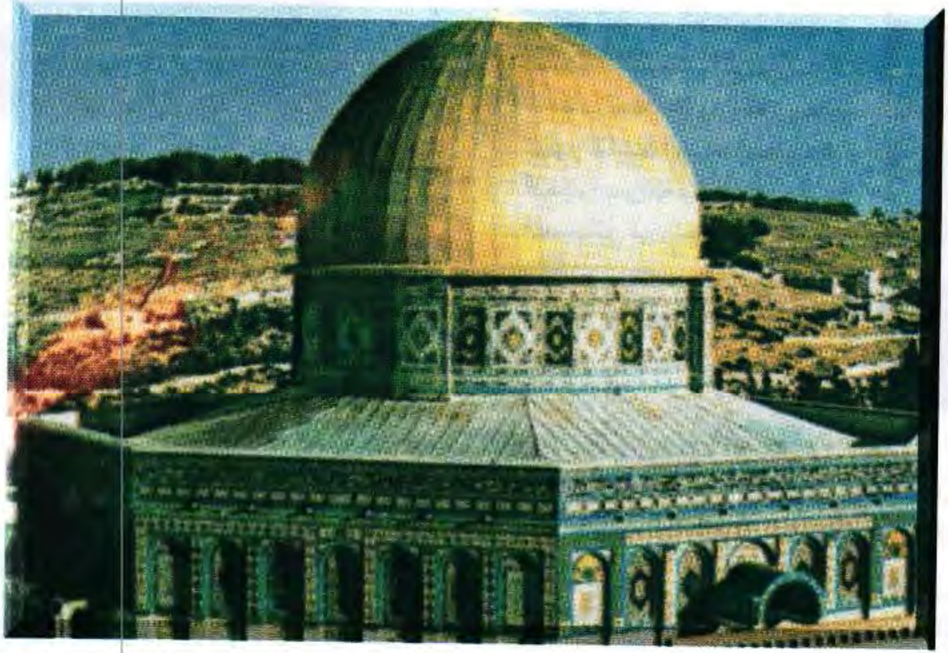
وأوضح: «إن الإحصاءات الرسمية تشير إلى أننا استوردنا عام ١٩٩٦م كمية من الورق بلغت ٥٣٤ طناً بتكلفة ٢٢٩٥ مليون ريال (٦١١ مليون دولار). وبالرغم من أن عدد مصانع إنتاج الورق في السعودية قد تجاوز ١٠٠ مصنع، فإن معدل الاستيراد ما زال في حال ارتفاع كبيرة». من جهة أخرى وجه فرع المعهد النسوي الدعوة للمسؤولات في الأجهزة الحكومية والأهلية لحضور هذه الندوة في قاعة الخنساء في فرع معهد الإدارة النسوي بالرياض، حيث ستنقل فاعليات الندوة عبر شبكة الميكروويف مباشرة بالصوت والصورة.

حصة الفرد العربي من الاستثمار التكنولوجي ٢٠ دولاراً في السنة

قدّرت دراسة أعدها اتحاد المصارف العربية أن متوسط حصة الفرد في الدول العربية من الاستثمار في التكنولوجيا وتطويرها لا يزيد حالياً عن ٢٠ دولاراً في السنة، في حين أن هذا المتوسط بات يزيد عن ٢٠٠ دولار في الولايات المتحدة.

وشددت الدراسة على ضرورة توسع المصارف والمؤسسات المالية العربية في الإنفاق على التكنولوجيا، مشيرة إلى التطور الذي تحقق في السنوات الأخيرة، أسهم في رفع معدلات النمو بواقع ٢ في المئة سنوياً، إلى ٨ في المئة العام الماضي، بعدما كان بحدود ٦ في المئة في العام ١٩٩٦م، وشملت خطط تطوير التكنولوجيا التي باشرت المصارف العربية اعتمادها، استخدام أنظمة الكمبيوتر وأجهزة الصرف الآلي، واستخدام أنظمة الحواسب المتطورة إلى جانب المشاركة في أنظمة الدفع والمقاصة الفورية.

مشـروع احتلالـي جديـد في القـدس



بدأ المجلس الإسلامي الأعلى ومجلس الأوقاف في مدينة القدس بتنظيم حملة إعلامية واسعة النطاق في الداخل والخارج لكشف مؤامرة احتلالية جديدة تأخذ شكل مشروع بريء تعمد بلدية القدس إلى تنفيذه يتلخص بإقامة مترو للأنفاق تحت الأرض يصل أحد الأسوار الغربية للمدينة القديمة بحائط البراق الغربي للحرم القدسي الشريف والذي يطلق عليه اليهود «حائط المبكى». وتهدف الحملة إلى كشف النقاب عن المخطط الإسرائيلي الجديد الذي يحاول التسويف على أهدافه الحقيقية، لأن القدس كما أكد مفتي الديار الفلسطينية الشيخ عكرمة صبري والمهندس رائف نجم أحد كبار الخبراء بتاريخ القدس قائمة على عدد كبير من الأنفاق والقنوات والممرات الأرضية مما يعني أن أي عمل تقوم به السلطات الإسرائيلية الاحتلالية باتجاه تنفيذ مخططها بإقامة النفق يعني تعرض أساسات مدينة القدس القديمة بما فيها المقدسات الإسلامية والمباني التاريخية والأثرية إلى خطر الانهيار. وفيما أعلنت سلطات الاحتلال الإسرائيلي أن مشروع الأنفاق الذي يمتد قرابة الـ ١٠٠٠ متر يهدف إلى تخفيف الضغط والازدحام وإيجاد وسائل نقل إضافية تساعد على حل هذه المشكلة، إلا أن المجلس الإسلامي الأعلى في مدينة القدس أكد أن الخطورة الداهمة للمشروع على مدينة القدس بأكملها وفي حال تنفيذه تتلاشى أمامه جميع الحجج والمبررات الاحتلالية، حيث لا يمكن لها أن تصمد أمام الآثار السلبية الداهمة والمؤكدة على المدينة في حال تنفيذ المشروع لا قدر الله.

واعتبرت أوساط المجلس الإسلامي الأعلى في القدس وفلسطين أن مجرد تفكير سلطات الاحتلال بمثل هذا المشروع هو بحد ذاته يشكل خرقاً فاضحاً لاتفاقات واي بلانتيشن الأخيرة، لأنه تصرف من جانب واحد، ومن قبل إسرائيل في أرض محتلة لا يجوز لها الإقدام على أي عمل منفرد كما أكد ذلك الاتفاق علاوة على أن القدس عربية إسلامية ظاهرها وباطنها وما فيه حاضرها ومستقبلها.

عدد سكان إسرائيل ستة ملايين

بينهم ١,٢٤ مليون فلسطيني



بلغ عدد سكان الكيان الصهيوني حتى نهاية شهر سبتمبر من العام الحالي ستة ملايين نسمة منهم أربعة ملايين و ٧٦٠ ألف يهودي، ومليون و ٢٤٠ ألفاً من العرب وقوميات أخرى. ونقلت صحيفة «هاآرتس» الصهيونية عن مكتب الإحصاء المركزي الصهيوني أن التقديرات الإحصائية أظهرت أن عدد سكان الكيان الصهيوني خلال السنوات السبع الماضية زاد مليون نسمة وأن ما نسبته ٥٩٪ من هذه الزيادة ناتجة عن الزيادة السنوية الطبيعية و ٤١٪ ناتجة عن الهجرة الخارجية، حيث وصل إلى إسرائيل خلال السنوات السبع الماضية ٥٢٠ ألف مهاجر جديد معظمهم من رابطة الدول المستقلة التي انفصلت عن الاتحاد السوفييتي السابق بعد انهياره عام ١٩٩١م.

نافذة على العالم



الأموال «المغسولة» ٧٠٠ مليار دولار

تضاعفت المبالغ التي غسلت عبر عصابات المافيا ثلاث مرات خلال فترة ثماني سنوات، وأوضح نورمان انكستر رئيس الانتربول السابق ورئيس مؤسسة التحقيقات والأمن في مؤسسة «كي.بي.أم. جي» فخرو البحرينية أن مجموع هذه الأموال زادت من ٢٣٣ مليار دولار العام ١٩٩٠م إلى نحو ٥٠٠ مليار دولار العام ١٩٩٦م، إلى ٧٠٠ مليار دولار في أكتوبر ١٩٩٨م، وطالب انكستر في ندوة عقدت أخيراً في المنامة بتنسيق الجهود محلياً وإقليمياً وعالمياً لمجابهة هذه الجريمة التي تهدد الأمن الاقتصادي. وأكد أن الهدف الرئيسي من هذه الندوات، التي سيعقد مثلها في كل من مسقط ودبي وأبو ظبي والرياض والدوحة والقاهرة، هو التعاون مع المراقبين والمشرعين وقطاع البنوك في البحرين والمنطقة للمساعدة على حماية سمعة عملاء البنوك والمؤسسات المالية، وفي نهاية الأمر حماية البحرين كمركز مالي ومصرفي مهم في الخليج والمنطقة العربية.

تحذير من مجاعة جديدة في الصومال

أعلن برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة أن آلاف الصوماليين الجائعين بدؤوا ينزحون بحثاً عن طعام في أول بادرة على أزمة غذاء تلوح في الأفق وتهدد نحو ثلاثة أرباع السكان البالغ عددهم مليون نسمة، وقال بوركي أوبرلي ممثل البرنامج في الصومال: «هناك بوادر أزمة إنسانية في حين يشهد الصوماليون الآن ضعفاً في المحاصيل للعام الثالث».

وأكد البرنامج أن الصوماليين يتحركون جماعياً إلى المناطق الساحلية وإلى الحدود الجنوبية مع كينيا، وقال: إن نحو ٧٠٠ ألف صومالي يواجهون نقصاً وشيكاً في الغذاء منهم ٣٠٠ ألف يواجهون تهديداً أكبر في وسط الصومال. وقال البرنامج: إن محصول الحبوب الرئيسي في الصومال حقق أقل إنتاج له منذ خمس سنوات في أغسطس الماضي، وأكثر المناطق تضرراً هي باي وباكول الكثيفتا السكان في الجنوب، وأكد مسؤولون محليون أن الفيضانات اجتاحت كذلك ٢٥ قرية في الجنوب في منطقة وسط جوبا بعدما فاض نهر جوبا على ضفتيه، وفرت مئات الأسر من ديارها بعد أن غمرت مياه الفيضان مزارعها، ويقول البرنامج إن هناك حاجة ماسة للمعونات فوراً «للحد من أزمة إنسانية أوسع» في الصومال وطلب مبلغ ١٨ مليون دولار للوفاء بحاجات الأكثر تعرضاً للخطر حتى يونيو العام المقبل في حين ان القتال المستمر بين الفصائل المتناحرة في جنوب البلاد يعرقل أعمال الإغاثة.

أول كلية إسلامية باللغة العربية في بريطانيا

قرر المجلس البريطاني التصديق للهيئة الرسمية المخولة إعطاء الجامعات والمعاهد العليا في بريطانيا الحق في ممارسة التعليم العالي، منح هذا الحق لأول كلية إسلامية في بريطانيا لتدريس الشريعة الإسلامية باللغة العربية على المستوى الجامعي، وقال علي مرسل مدير قسم التسجيل في «الكلية العالمية للعلوم الإسلامية» التي تأسست العام ١٩٩٠م، وتتخذ من لندن مقراً لها، لـ «الشرق الأوسط» إن هذا الاعتراف يعطي الثقة للطلاب في المؤهلات التي تمنحها الكلية ويساعد على استقطاب الكثير منهم. وأضاف: «إن المجلس صادق في أكتوبر الماضي على طلب الكلية بعد أربعة أعوام من تقديم الطلب وتخريج ٤٠ طالباً بدرجة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية.

وقال: «إن هذا الاعتراف سيشجع الطلاب على الانتساب للكلية مباشرة والتعليم عن بعد، بالإضافة إلى أنه سيشجع الطلاب الإنكليز على الانتساب أيضاً، حيث إن الكلية مازالت تفتقر إلى هذا النوع من الطلاب».

وحالياً تقدم الكلية خدماتها التعليمية لـ٢٥ طالباً «تعليم مباشر» و٤٠٠ طالب منتسب «التعليم عن بعد» من العالم العربي وآسيا وأفريقيا، وتطمح في إنشاء ٢٦ مركزاً في جميع أنحاء العالم وذلك لإتاحة الفرصة للطلبة لتقديم امتحاناتهم في بلدانهم دون الحاجة للقدوم لمركز الكلية في بريطانيا، وفي فبراير هذا العام، قبلت الكلية كعضو عامل في اتحاد جامعات العالم الإسلامي بعد مؤتمره الذي عقد في جامعة قناة السويس في مصر أبريل العام ١٩٩٧م.

كل مواطن تركي مديون بألفي دولار

بينت أرقام معهد الإحصاء الحكومي التركي أن كل مواطن تركي مديون بمبلغ (٢٠٠٠) دولار من الديون الخارجية أو الداخلية التي تتحملها تركيا.

وقال معهد الإحصاء إن ديون تركيا الخارجية بلغت ٩٤ مليار دولار، بينما بلغت الديون الداخلية نحو ٤٥٦ مليار دولار منها ٢٣,٥ مليار ذات الأمد القصير.

وذكر المعهد أن الموازنة الوطنية لتركيا للعام المقبل لم تتجاوز ٦١ مليار دولار يتوقع أن تخصص ثلثي هذه الموازنة لفوائد الديون الداخلية والخارجية وأقساطها المتراكمة والتي تدفع الحكومة للسعي من أجل إيجاد مصادر جديدة للاستقراض الداخلي والخارجي.

١٢٠ ألف حالة طلاق سنوياً في فرنسا

جاء في استطلاع جديد أجرته وكالة النصائح والإرشادات والاستطلاعات والتحليل الفرنسية أن ٩٠٪ من الفرنسيين يخشون الطلاق ويعتبرونه مشكلة شخصية واجتماعية مؤلمة، كما أن ٧٨٪ منهم يرونه دليل فشل في الحياة الشخصية في حين ذهب ٧٤٪ منهم إلى أنه من أعقد الحالات الاجتماعية، في الوقت الذي اعتبره ٢١٪ قضية عادية. ويذكر أن المحاكم الفرنسية تفصل في ١٢٠ ألف حال طلاق سنوياً (١ من كل ٣ حالات زواج)، والملاحظ أن الطلاق يكثر في المدن، وفي باريس بوجه خاص (٢ من ٣ حالات زواج)، وأن حالات الطلاق لم تكن تتجاوز الأربعين ألف حالة سنوياً عام ١٩٧٠م، وأكد الاستطلاع المذكور أن ٧٣٪ من حالات الطلاق تتم بطلب من المرأة و ١٥٪ فقط من الرجال يحصلون على حق رعاية أطفالهم.

الاكتئاب مرض العصر

بقلم: عبدالرزاق زعال

ما الاكتئاب؟

الاكتئاب هو نوع من المرض النفسي يشبه الرشح الجسماني، وحالات الاكتئاب تتراوح بين الإحساس بالتعاسة والخمول وبين أفظع الأحاسيس السوداء المؤدية إلى الإقدام على الانطواء.

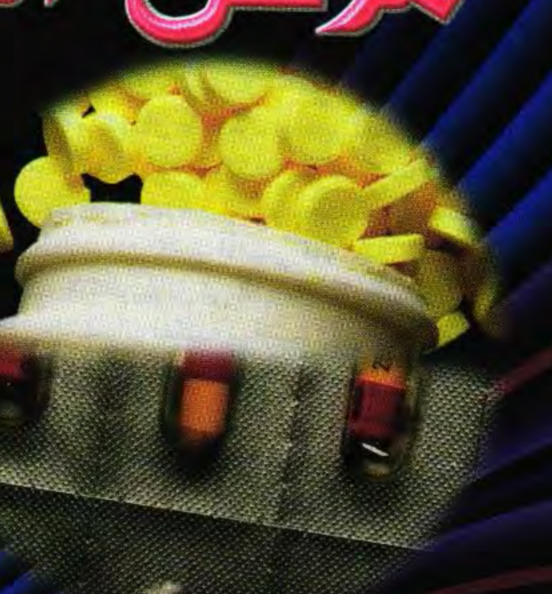
وقد يحدث أحياناً أن يكون الإنسان مصاباً بالاكتئاب سنوات طويلة من دون أن يدرك ذلك، وهو لا ينتبه إلى وضعه النفسي إلا إذا لاحظ عليه الطبيب ذلك، وعلامات الاكتئاب تتجسد عموماً بعدم الرغبة بالحياة والإحساس بأنه لا طعم للأشياء وصعوبة الإحساس بالفرح والبهجة وأسباب السعادة الأخرى التي تفرح الآخرين.

إن الاكتئاب كما ورد في كتب الطب النفسي اكتئاب شديد ومتوسط وخفيف وقديماً كان يقسم إلى اكتئاب ذهاني واكتئاب عصابي وهو أخف وطأة ولكن في الحقيقة أن التقسيمات لأنواع الاكتئاب مسألة نسبية والحالات تتداخل أحياناً، فالاكتئاب الذهاني هو شديد الدرجة وقد يتضمن حالات ذهانية من هلوسة ومخاوف ويقترب من الجنون والرغبة في الانتحار والاكتئاب كغيره من الأمراض النفسية قد تكون له أسباب وراثية أو لا تكون، ووجود العامل الوراثي يعني أن الشخص يولد وعنده استعداد للإصابة بالاكتئاب بسبب أن الأم أو الأب أو كليهما كانا مصابين به ولكن إصابته ليس قطعية إلا إذا توافرت لها الظروف، كذلك فإن الظروف الاجتماعية السلبية قد تساعد على الإصابة بالاكتئاب إذ إن الشخص في هذه الحال يفقد الصلة بالواقع ويصل به الأمر إلى النفور والعزلة وأحياناً الرغبة في الانتحار.

أما الاكتئاب العصابي فيبقى أخف وهو يتجسد بالإحساس بالحزن واليأس من الحياة والتشاؤم وانخفاض الطاقة الجسمانية مع أعراض أخرى كاضطراب النوم والدخول في نوبات رعب وهذه الأعراض المتعلقة بالاكتئاب العصابي إذا استشرت قد تؤدي إلى الرغبة أيضاً في الانتحار.

أسباب الاكتئاب

أكد تقرير أصدرته جامعة كولومبيا أن الإصابة بالاكتئاب في تزايد مع كل جيل من أجيال القرن العشرين، حيث يظهر الاكتئاب على نطاق واسع في مختلف الأوساط الثقافية، جاءت النتيجة بناء على دراسات مستمرة منذ العام ١٩١٥ وحتى الآن... أن ٤٣ ألف شخص من أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية والمنطقة العربية وآسيا والدول المطلة على المحيط الهادي يعانون من الاكتئاب، وقد اكتشف فريق من العلماء أن الاكتئاب يمكن أن يكون مرضاً معدياً وقد اتجهت الشكوك إلى مرض «البورنا» الذي يصيب الحيوانات بالاضطراب والخمول، ووجد أن هناك عناصر جينية لهذا الفيروس لدى مرضى الاكتئاب بنسبة ٣٠٪ مقابل ٥٪ لدى الأفراد الطبيعيين، كما أن العلماء المتخصصين يبذلون قصارى جهدهم لمعرفة أسباب الاكتئاب، هل هي بسبب الظروف المحيطة فقط؟ أم هي عوامل وراثية وجينات محدودة أيضاً؟ ما هي هذه الجينات وكيف يتم اكتشافها وتحديدها؟ وبناء على ذلك سيتم صنع العلاج الجديد في هذا المجال وجد العلماء أن هناك جينات تتحكم في حال الاكتئاب والقلق الذي يصيب الناس، بعض العلماء المتخصصين يعتقدون بأن الأسباب الوراثية تشكل نصف المشكلة فقط، وأن الظروف المعيشية والحياتية تلعب دوراً مهماً، فمثلاً: رئيس حملة مكافحة الاكتئاب البريطانية البروفسور «روبن بريست» يقول: إن المشكلة تزداد حدة ولا



نعرف إن كانت موجة الاكتئاب سببها البطالة أو اتجاه عام يسيطر على حال المجتمع، أما العوامل الوراثية فإنها تشكل نصف الأسباب المرضية.

والمعلومات المتوافرة لدى «حملة مكافحة الاكتئاب» المذكورة تقول إن ٦٥٪ من الرجال الذين يصابون بالاكتئاب تكون مشاكل الطلاق والانفصال سببا في اكتئابهم.

الاكتئاب ينتقل بالعدوى

من المعروف أن الإنسان المكتئب أو المحزون، إذا ما اتصل بإنسان مرح متفائل، فإنه، مهما بلغت كآبته، لابد وأن ينتقل إليه، ولو شيء قليل، من عدوى المرح والتفاؤل، ومثل هذه العدوى لا تحدث اعتباطاً ولا تنتقل كضربة حظ، تصيب أو تخطئ، بل إن لها، على ما يبدو جذوراً علمية، فقد ثبت للبحاثة النفسانيين بعد دراسات وأبحاث كثيرة، أن عواطف الإنسان، جيّدها ورديئها، قابلة للانتقال من شخص إلى آخر عن طريق العدوى، وإن قوة عدواها لا تقل عن قوة عدوى فيروسات الزكام.

وإذا أردنا التبسط في ذلك، جاز لنا الادعاء بأن الإنسان يستطيع أن يقتبس من محدثه أو جليسه بعضاً من بهجته وسعادته، وكذلك كآبته.

وأهم من مجرد العلم بهذه الحقيقة، كما يقول الخبراء، أنه ما أن يفهم الإنسان كيف يستطيع حماية نفسه من آثار العواطف المعدية، فإنه يصبح قادراً على تلقيح نفسه بالمصل الواقي من العواطف السيئة.

والشيء الملاحظ على الدوام أن العدوى المزاجية بنوعيها السوداوية والمستبشرة تنتقل من شخص إلى آخر كلمح البصر، وتفسر الدكتورة إيلين هاتفيلد أستاذة علم النفس في جامعة هاواي ـ هونولولو، هذه الظاهرة الخاطفة السرعة، بقولها إن تأثر الشخص بمزاج جليسه، بهذه السرعة التي لا تصدق، متأصل الجذور في غريزته البدائية، بمعنى: أننا أثناء انخراطنا في الحديث مع بعضنا بعضاً، نكون ميالين بطبعنا إلى محاكاة ومطابقة تعابيرنا الوجهية وحركاتنا وإيقاع كلماتنا حتى تكون مماثلة لتعابيره وحركاته وإيقاعات كلام الشخص الآخر، وعن هذا السبيل، كما تقول هذه العالمة الأمريكية، تكاد تتمازج مشاعر الاثنين، المتحدِّث والمتحدَّث إليه، أي أن هذا التطابق يجعلنا مكشوفين لمشاعر الطرف الآخر ومتأثرين به عاطفياً.

الكآبة وعلاقتها بأمراض القلب

إن الأشخاص الذين يعانون من كآبة شديدة معرضون لخطر الإصابة بالذبحات القلبية أكثر من الأشخاص الذين لا يشعرون بالكآبة أبداً وذلك وفقاً لدراسة نشرت في صحيفة سيركيوليشن. الباحثون في مدرسة جون بكنزل للصحة البشرية الذين درسوا التاريخ الطبي لـ ٢٠٠٠ شخص اكتشفوا أن الأشخاص الذين تعرضوا لكآبة شديدة كانوا مستعدين أكثر من غيرهم للإصابة بالذبحات القلبية.

قالت: «لورابرات» المساهمة في هذا البحث إنه يمكن لنتائج هذه الدراسة أن تغير طريقة العناية الأساسية التي يتبعها الأطباء في معالجة الكآبة.

وأضافت أنه يمكن للأطباء الآن أن يدخلوا في اعتبارهم حال الكآبة عندما يحللون العوامل التي تسبب ذبحات قلبية مثل التدخين والكوليسترول المرتفع وضغط الدم المرتفع.

أيضاً أشار الباحث وليم إيتون إلى أنه بما أن الدواء يؤخذ لأننا نشك بأن الكآبة هي التي تسهم في النوبات القلبية، بياناتنا تقترح أن الكآبة هي التي تسبب خطر الإصابة بالنوبات القلبية وليس دواء معيناً.

هل هناك علاقة ما بين نوعية الغذاء وحالات الاكتئاب؟

ليس هناك دليل علمي على وجود علاقة بين الغذاء والاكتئاب ولكن عموماً يجب على الإنسان أن يتناول غذاء متوازناً للحفاظ على صحته وأن سوء التغذية هو أحد أسباب الاكتئاب، بمعنى أن فقدان بعض الفيتامينات الضرورية لصحة الإنسان قد يساعد على ظهور حال الاكتئاب ولا سيما مجموعة فيتامينات «ب» وينصح بالنسبة للأطفال المصابين بالاكتئاب تجنب إعطاء الحلويات والشكولاته لأنها تسبب زيادة في الطاقة والتوتر، وأخيراً فإن المشروبات المحرّمة وكذلك المخدرات من أهم دواعي الاكتئاب فالمدمن عليها لابد وأن ينتهي به الأمر إلى الاكتئاب.

علاج الاكتئاب

إن علاج الاكتئاب قد يكون بإعطاء الحبوب المضادة للاكتئاب والتي تقوم بتغيير المعادلة الكيماوية في الدماغ وقد يكون العلاج علاجاً للأعراض إذا كان العارض قلة النوم فتعطى الحبوب التي تساعد على النوم وإذا كان العارض هو قلة الشهية فتعطى الحبوب المنشّطة للشهية، كذلك يجب على الطبيب النظر في الظروف الاجتماعية المحيطة وإرشاد الأسرة إلى تحسينها من خلال جلسات جماعية نفسية وجلسات عقلية للمريض والتي يكون هدفها تحسين طريقة تفكير المريض حتى يحسن الظن ويتخلص من تفكيره السلبي بالناس والأحداث. ■

المراجع والمصادر:

١ ـ دراسات نفسية واجتماعية.
٢ ـ دراسات في الطب النفسي.
٣ ـ مجلة طبيبك العدد ٤٦١ أيلول سبتمبر ١٩٩٦م.
٤ ـ صحيفة تشرين السورية الأعداد: ٦٢٤٥ ـ ٦٧٧٢ ـ ٦٨١٨.
٥ ـ صحيفة الثورة السورية العدد: ١٠٢٩٧.

حديقة

إعداد :
أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال الله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فديه طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾

البقرة : ١٨٣ ـ ١٨٤

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال :

«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليله القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

رواه البخاري ومسلم والنسائي

الدعاء في رمضان

لكي يعيش المسلم في أجواء رمضان وحتى لايستغرقه الطعام يستحب له الدعاء عند الإفطار بقول الرسول ـ ﷺ : «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى» رواه أبو داود، أما إذا تناول المسلم طعام الإفطار عند غيره، فيدعو لهم بقول رسول الله ـ ﷺ ـ : «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وصلّت عليكم الملائكة» رواه أبو داود، والدعاء عند الفطر مجاب لقول الرسول ـ ﷺ ـ : «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم» رواه أحمد.

حكمة

قال أحد الحكماء: إن الدنيا تقبل إقبال الطالب، وتدبر إدبار الهارب، وتصل وصول الملوك، وتفارق فراق العجول، فخيرها يسير، وعيشها قصير، وإقبالها خديعة، ولذاتها فانية، وتبعاتها باقية، فاغتنم غفوة الزمان، وانتهز فرصة الإمكان، وخذ من نفسك لنفسك، وتزود من يومك لغدك.

المروءة

سأل ابن زياد أحد الأعراب يوماً : ما المروءة فيكم؟ قال : هي أربع خصال : أن يعتزل الرجل الريبة، فلا يكون في شيء منها، فإنه إذا كان مريباً كان ذليلاً، وان يصلح ماله، فإن من أفسد ماله لم تكن له مروءة وإن يقوم لأهله بما يحتاجون إليه بلا توان، حتى يستغنوا به عن غيره، فإن من احتاج أهله إلى الناس لم تكن له مروءة، وإن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه، فإن المروءة ألا يختلط على نفسه في مطعمه ومشربه.

ماذا نجد في القرآن الكريم؟

حُكي أن أم غزوان الرقاشي قالت لابنها غزوان، وكان من الأتقياء الصالحين، وقد رأته يقرأ في المصحف يا غزوان.. أما تجد في هذا القرآن بعيراً قد ضلّ لي في الجاهلية؟ فما نهرها غزوان، بل قال: أمة الله.. أجد والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً.

ألفاظ يجوز فيها التذكير والتأنيث

الذراع: اليد من كل حيوان وهي أيضاً ما يزرع بها ويجوز في كل منهما التذكير والتأنيث، والغالب التأنيث، والجمع ذرع وذرعان، وقال سيبويه: لا جمع لها غير أذرع.

- الكأس: هي القدح المملوء من الشراب، ولا تسمى كأساً إلا وفيها الشراب، جمعها كؤوس وأكؤس قال تعالى: (بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين) وقال أمية بن أبي الصلت:

من لم يمت عبطة يمت هرماً

للموت كأس والمرء ذائقها

عظة

قال بعض الصلحاء : لنا من الناس كل بيت عظة بحاله، وعبرة بماله، وقال آخر: من لم يتعظ بموت ولد، ولم يتعظ بقول أحد.

وكان الربيع بن خيثم يقول لأصحابه : أتدورن ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا. قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود.

تربية

قال أردشير لابنه: يا بني إن الملك والعدل إخوان لا غنى لأحدهما عن الآخر، فالملك أُسٌّ والعدل حارس، والبناء ما لم يكن له أُسٌّ فمهدوم، والملك إذا لم يكن له حارس فضائع!

ثلاثة لا تعرف إلا عند ثلاثة

ذو البأس لا يعرف إلا عند اللقاء، وذو الأمانة لا يعرف إلا عند الأخذ والعطاء، والإخوان لا يعرفون إلا عند النوائب.

خير من أن يكون بليداً

يروى أن الحجاج قال للغضبان بن القبعثري: لأحملنك على الأدهم، فقال: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، قال: إنه الحديد: قال: لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً، يريد الحجاج بالأدهم القيد، وبالحديد المعدن المعروف، وقد حمل القبعثري الأدهم على الفرس الأدهم وهو الأسود، وحمل الحديد على الفرس الذي ليس بليداً».

أربع تولد المحبة

قالوا: أربع تولد المحبة: حسن البشر، وبذل البِّر، وقصد الوفاق، وترك النفاق.

صحبة الرجال

قال الأحنف بن قيس لابنه وهو يعظه: يا بني إذا أردت أن تصاحب رجلاً فأغضبه، فإن أنصفك من نفسه فلا تدع صحبته وإلا فاحذره.

قالوا في إناث الحيوان

قال أهل اللغة في إناث الحيوان: الأنثى من الذئاب سلقة وذيبة، والأنثى من الثعالب ترملة وثعلبة، والذكر ثعلبان، والأنثى من الوعول أُروية، وثلاث اراوٍ إلى العشرة، فإذا جاوزت فهي الأروى، والأنثى من القرود قشبة وقردة، والأنثى من الأرانب عكرشة، والأنثى من الأسود لبؤة، بضم الباء والهمزة، والأنثى من العصافير عصفورة، ومن النمور نمرة، ومن الضفادع ضفدعة، ومن البرذون برذونة.

الجبان

قال أحدهم يصف جباناً: إذا أحس بعصفورة طار فؤاده، وإن طنت بعوضة طال سهاده، ويفزع من صرير الباب، ويقلق من طنين الذباب، وإذا نظرت إليه شزراً أغمي عليه شهراً، يحسب حفيف الرياح قعقعة الرماح وقد عبر عن هذا المعنى قول الشاعر:

إذا صوت العصفور طار فؤاده

وليث حديد الناب عند الشدائد

الوعي

ثمرات الفكر

إعداد: محمد هاني

دراسات عن الرسول الكريم ﷺ

صدر عن المشروع القومي للترجمة الذي يرعاه المجلس الأعلى للثقافة والترجمة العربية كتاب «مصادر دراسة التاريخ الإسلامي» تأليف جان سوفاجيه وكلودكاين.

الكتاب يرصد الكتب الأجنبية المكتوبة عن التراث الإسلامي في مجال الدين والتاريخ والجغرافيا والحملات الصليبية والمماليك.

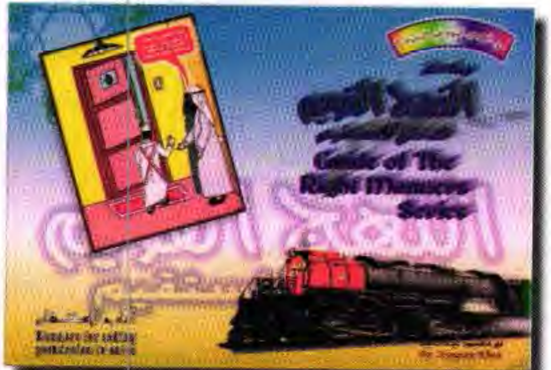
من أهم فصول الكتاب ما تم رصده من مصادر وأبحاث عن الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد أورد المؤلفان عدداً من هذه الدراسات منها «تاريخ الإسلام» لـ«كاتياني»، وهو في عشرة مجلدات، وحياة محمد وتعاليمه لـ«شبرنغر»، وهو في ثلاثة مجلدات، وكتاب «محمد» وكتاب «حياة محمد» لـ«موير»، و«حياة محمد» أيضاً.

ويصدر المؤلفان كتباً أخرى عن الرسول منها «محمد - حياته وعقيدته» باللغة السويدية، وترجم إلى الإنكليزية والألمانية والفرنسية والايطالية، وكتاب «محمد في مكة»، لـ«ريمومبين» و«وات» وللمؤلفين أيضاً كتاب: «محمد في المدينة».

وبجانب هذا، يسرد المؤلفان ما تم جمعه من المصادر العربية عن الرسول ونوها بكتاب «السيرة» لابن هشام، وقد نشره فوستفلد في مجلدين (١٨٥٨ - ١٨٦٠)، والسقا والأبياري العام ١٩٣٦م، وترجمه إلى الإنكليزية جييوم العام ١٩٥٥م.

وقد قدم المستشرق منهاوزن العام ١٨٨٢م تحقيقاً لكتاب: «المغازي للواقدي في القاهرة العام ١٩٤٨م، ونشر جونز تحقيقاً له العام ١٩٦٤م، أما كتاب «الطبقات» فقد نشره «ساخا» وآخرون في خمسة عشر مجلداً صدرت بين ١٩٠٥م و ١٩٤٠م.

النهج القويم للخلق السليم



إن إعوجاج السلوك الذي يعانيه مجتمعنا اليوم إنما هو نتاج بعدنا عن الآداب الإسلامية المنبثقة من التشريع الرباني الحكيم، وليعيد المسلم شخصيته المتسمة بصفات المعالي لابد من تقويم السلوك فهو الأساس الذي يبنى عليه الصرح، ولابد من غرس هذه السلوكيات منذ الطفولة حيث التكوين الحقيقي لشخصية الإنسان.

يتناول «كتاب النهج القويم للخلق المستقيم» سلوك المسلم في شتى مجالات الحياة، ويقدمها للأطفال الأعزاء مع صور ملونة وتمارين ممتعة، وهو من إعداد نيرة محمد عبدالعليم، وإصدار دار المجتمع للنشر والتوزيع في جدة بالمملكة العربية السعودية. يتألف الكتاب من أجزاء متعددة، كل جزء يتناول النهج الذي سلكه معلم البشرية خير البرية في أحد جوانب الحياة، مدعماً بالأدلة من السنة النبوية، وفي النهاية يحوي الكتاب تدريبات وتمارين وألعاب تناسب سن أطفالنا الأعزاء ليتعلموا أمور دينهم، والجزء الأول يتحدث عن الهدي النبوي في آداب الزيارة وهو منهج للوالدين لتعليم الأطفال الآداب الإسلامية ومساعد للمعلمين والمعلمات في المراحل التعليمية الأولى. سيصدر الكتاب باللغتين العربية والإنكليزية، ثم يتبع الإصدار الأول إصدارات بلغات أخرى.

دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية

عن دار المنارة صدر كتاب «دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية» للكاتبة ثريا شاهين، ترجمة د. محمد حرب، حوى الكتاب الكثير من الوثائق والحقائق التي تكشف دور الإرساليات والمدارس والمؤسسات التي عملت على تقويض بنيان الدولة العثمانية بالتنسيق مع القوى الخارجية التي كانت تتربص بها الدوائر وتنتهز الفرصة المناسبة للإجهاز على ما أسموه «الرجل المريض» وفي رسالة وجهها البطريرك «جريجويوس» إلى قيصر روسيا، والتي توضح الكيفية التي يتهم بها الدولة العثمانية من داخلها، تقول الرسالة: إن كل مزايا الأتراك العثمانيين وبطولاتهم وشجاعتهم إنما تأتي من قوة تمسكهم بدينهم، وارتباطهم بأعراضهم، وتقاليدهم، وصلابة أخلاقهم، لذا لابد من كسر شعور الطاعة عندهم تجاه سلطانهم وقادتهم، وتحطيم روحهم المعنوية وروابطهم الدينية، وأقصر الطرق لتنفيذ هذا تعويدهم التعايش مع أفكار وسلوكيات غريبة غريبة لا تتواءم مع تراثهم الوطني والمعنوي».

أطفالنــا والــدواء



صدر الكتاب الخامس من سلسلة «نحن والدواء» للصيدلي حسام الدين أبوالسعود الذي يتناول فيه الثقافة الطبية الدوائية باللغة العربية للقارئ العادي والمتخصص لتجنب الأضرار الناجمة عن الاستخدام السيئ للدواء. وقد تناول الكتاب مواضيع عدة خاصة بالطفولة مثل: الرضاعة الطبيعية ومزاياها المختلفة ومشاكلها للأم والطفل... والدواء ولبن الثدي... مساوئ الرضاعة الصناعية... الفطام... تغذية الأطفال وأمراض سوء التغذية تطعيمات الأطفال وجداولها وجرعاتها... أمراض الأطفال الشائعة مثل الكساح والإسهال والإمساك وأنيميا الفول والسكري... إلخ، أدوية الأطفال وكيفية تحديد الجرعة الدوائية المناسبة للطفل... الأخطار التي يتعرض لها الأطفال مثل التسمم... بالإضافة إلى جدول يوضح أهم الاختصارات المستخدمة في كتابة الوصفات الطبية. هذا وقد صدر ضمن السلسلة الكتب الآتية:

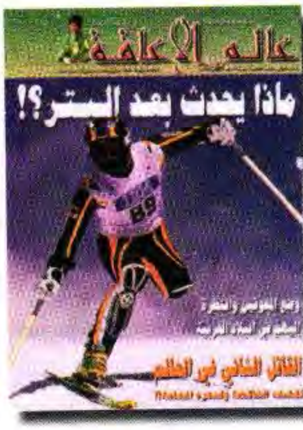
١ - كتاب «الدواء شفاء وداء»: وقد فاز بجائزة أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا في جمهورية مصر العربية لعام ١٩٩٧م، في مجال الثقافة العلمية وتبسيط العلوم باعتباره أول كتاب في المكتبة العربية يتناول الثقافة الدوائية بأسلوب يفهمه القارئ العادي والمتخصص.

٢ - كتاب «حواء والدواء»: وتناول كل ما تريد المرأة معرفته حول الأدوية وتأثيرها عليها أثناء المراهقة والدورة الشهرية والحمل والرضاعة وعلاج العقم... وأمراض فوضى الطعام وطرق الريجيم المختلفة.

٣ - كتاب «دواء من القرآن والسنة»: وقد تناول بعض المعلومات حول القيمة الغذائية والدوائية والطبية لبعض الأشياء التي ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مثل عسل النحل والتمور والألبان.

٤ - كتاب الـ«فياغرا والأدوية الجنسية»: وهذا يعتبر أول كتاب ظهر في العالم العربي يتناول الـ«فياغرا» ويوضح أسباب الضعف الجنسي المختلفة والأدوية المستخدمة في علاجه قديماً وحديثاً بجانب الاحتياطات الواجب مراعاتها قبل تناول دواء الـ«فياغرا» بالإضافة إلى أنه أوضح الحقيقة الكاملة حول هذا الدواء وآثاره الضارة التي ظهرت - ومازالت حتى الآن - وقد صدر هذا الكتاب في مايو الماضي ١٩٩٨م.

العدد الخامس من «عالم الإعاقة»



صدر العدد الخامس من مجلة «عالم الإعاقة» حافلاً بالكثير من القضايا الحيوية والتحقيقات الجادة التي تناقش وضع المعاقين والنظرة إليهم في البلاد العربية. وأول ما يطالعنا فيه افتتاحية الدكتور محمد بن حمود الطريقي رئيس التحرير تحت عنوان: «عندما يتحول التقدم العلمي إلى لعنة تاريخية» الذي يعالج فيها قضية غاية في الأهمية وهي القوة الروحية في الإنسان، ويقول: «نعلم أن البشرية عاجزة عن المكابرة، بعد اليوم فهي مدعوة إلى وضع ديكارت في قفص الاتهام، ومحاكمته بتهمة الخيانة العظمى للإنسانية، لأنه أنكر القوة الروحية في الإنسان وخدع البشرية بدور المادة المطلق فجعلها كافية لحياة الإنسان وسعادته.

ويحتوي العدد على ملف كامل عن السرطان بعنوان: «القاتل الثاني في العالم: تقتله الفاكهة وتدمره المناعة» وفيه كل المعلومات عن السرطان في حياة الإنسان وطرق علاجه والوقاية منه. وتحت عنوان خطط، يبرز حواراً مع وزير الشؤون الاجتماعية اللبناني ووزير التربية والتعليم الأردني حول الإعاقة في الوطن العربي.

وجاءت قضية العدد بعنوان: «ماذا يترتب على المعاق بعد البتر؟» وكذلك السلوك المرتبط بلبس الطرف الصناعي لتغطي جانباً مهماً جداً للمعاقين، كما تتناول زاوية الشيخوخة والرعاية الصحية الأولية للمسنين وشباب النفس وشباب الجسد، والاستراتيجية الدولية نحو شيخوخة صحية، وكذلك فن تغذية المسنين وتحت عنوان «دنيا الطفولة» جاء موضوع صحة الطفل وتعليمه على مشارف القرن الحادي والعشرين كقضية مهمة يطرحها العدد، وكذلك قضية ضرب الأطفال من أجل التهذيب... مرفوض!

أخبــار ثقافيــة

- تدشن مؤسسة الملك فيصل الخيرية خلال شهر يناير الجاري أول مشروعاتها الأكاديمية «الجامعية الأهلية» بافتتاح كلية البنات الأهلية في جدة، ويأتي هذا المشروع انطلاقاً من اهتمامات المؤسسة في تلبية احتياجات المجتمع السعودي العقلية ومواكبة الخطط التنموية لحكومة المملكة العربية السعودية من خلال تطوير وتأهيل العنصر النسائي الوطني.
- عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت صدر لرفعت سيد أحمد كتاب بعنوان «الحركات الإسلامية الراديكالية في مصر» حيث تناول فيه الكاتب خريطة الحركات الإسلامية في مصر تاريخياً وواقعاً معاصراً.
- وافق وزراء الثقافة العرب يوم ١٩٩٨/١١/٢١م على انطلاق عقد عربي للتنمية الثقافية (١٩٩٨م - ٢٠٠٧م) يتزامن مع العقد العالمي الذي أعلنته اليونيسكو في وقت سابق من العام الحالي وسيساعد العقد الذي أقره المؤتمر الحادي عشر لوزراء الثقافة العرب في إطلاق مشاريع نموذجية تكرس التكامل بين روافد الثقافة العربية مع مراعاة الخصوصيات المحلية في إطار الخطة الشاملة للثقافة العربية التي وضعت في العام ١٩٨٥م.
- عن مركز الدراسات الشرقية في جامعة القاهرة صدر كتاب «الصهيونية الدينية - مدخل تاريخي» للدكتورة «أنيتا شابيرا» وترجمه إلى العربية «الدكتور محمد أبو غدير»، وقدم له الدكتور محمد خليفة حسن، والكتاب يتناول طبيعة الحركة الصهيونية والخلافات الدائرة حول هذه الطبيعة بين المذاهب الصهيونية المختلفة من ناحية، وتيار «الحريديم» الذي رفض الفكرة الصهيونية لإنشاء دولة لليهود في فلسطين، واعتبر ذلك استعجالاً للنهاية، لعدم ظهور المسيح المخلص على عكس التيار الديني القومي الذي قبل الفكرة الصهيونية.

فتاوى

عذاب القبر

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد/ عبداللطيف ونصه كالتالي :

ما حكم عذاب القبر ونعيمه في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة؟ وما حكم من أنكر عذاب القبر ونعيمه؟ وما موقف الحاكم «ولي الأمر» في حكم منكر عذاب القبر ونعيمه؟

أجابت اللجنة بما يلي : ثبت عذاب القبر في القرآن بطريق الإشارة في قوله تعالى في شأن فرعون وآله: (النار يعرضون عليها غدوا وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) سورة غافر: ٤٦، وثبت صراحة في أحاديث صحيحة وكثيرة حتى قيل بتواترها، فيجب الإيمان بثبوته فمن أنكره فهو فاسق ولا يحكم بكفره، لأن عذاب القبر وإن قيل بتواتره فهو ليس من الأمور التي علمت من الدين بالضرورة، وعلى الحاكم أن يعلم ذلك ويكشف شبهته، فإن أصرّ بعد كشف الشبهة يؤدب، ولا سيما إن كان يدعو لإنكار عذاب القبر. والله أعلم.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.

والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها.

ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا وحتى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا حتى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

أخذ الأجرة مقابل العمل ورخصة المحل

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد/ عدنان ونصه كالتالي :

أنا مواطن كويتي كنت موظفاً بوظيفة جيدة ولله الحمد، وقد عرض عليّ شخص صديق تاجر، الدخول معه في تأسيس ترخيص شركة ذات مسؤولية محدودة، وذلك لعمل صناعي وتجاري قائم أساساً منذ سنين يملكه هو ويديره، وهو يعلم أنه ليس لديَّ رأس مال.

ونظراً لحاجته إلى ترخيص يكفل استمرار عمله التجاري مع عماله عرض عليَّ راتباً شهرياً يفوق مرتبي الحكومي بنسبة معقولة، مع التأمين على مرتبي لدى مؤسسة التأمينات الاجتماعية، كما في راتب الحكومة، وقد أخبرته أن قانون الخدمة المدنية لا يسمح للموظف أن يؤسس شركة أو يعمل بالتجارة، فأخذ يغريني ويرغبني بالعمل التجاري وبزيادة مرتبي مستقبلاً، وأخبرني أن عملي سيكون بالشركة «مديراً إدارياً»، والعمل يعتمد على توقيع بعض الأوراق الإدارية الخاصة بالشركة مع المراجعة لبعض الدوائر الحكومية حين الحاجة ودون الالتزام بدوام معين.

ومما يجدر الإشارة إليه أنه قال لي حرفياً وبصراحة : إنه كان باستطاعته الحصول على ترخيص لعمله التجاري عن طريق الايجار بمبلغ ١٠٠ دينار شهري، لكن حبه لأمانتي وثقته بي كما يقول جعلته يحرص على العمل معي أنا بالذات في هذه الشركة، وهذا ما دعاه إلى ترغيبي لترك الوظيفة ونظراً لاطلاعي على فتوى لشخص كويتي لديه ترخيص فردي تجارة ومقاولات استفتي لجنتكم الموقرة في :

١ - تأجير الترخيص ؟

٢ - أخذ نسبة من قيمة العمل التجاري ؟

٣ - تقييم الترخيص بملغ من المال ... وقد أجزتم له تقييم الترخيص.

ونظراً لحرصي ولله الحمد على استبيان طرق الحلال والتحرز من أكل الحرام أستفتي لجنتكم الموقرة في :

١ - هل في مرتبي شبهة أو حرمة أم لا شيء فيه ؟ علماً أن شريكي هو الذي دعاني للاستقالة من وظيفتي نظير العمل معه.

٢ - إذا كان في مرتبي شبهة أو حرمة ما حكم الرواتب التي استلمتها طيلة الثلاث سنوات وأنا متزوج ولدي أولاد وأسكن بالإيجار.

٣ - إذا لم يكن هناك سبيل ولا حل إلا تقييم الترخيص، فهل المقصود تقييم ٥١٪ من الترخيص التي تمثل حقه.

٤ - فرضاً أني عرضت موضوع تقييم الترخيص على شريكي ورفض الفكرة وطلب الاستمرار على طريقة الراتب فما الخيار؟ وجزاكم الله خيراً.

أجابت اللجنة بما يلي :

إن الطريقة التي تعامل بها صاحب السؤال مع صاحب الشركة «بأن يمكنه من استخدام الترخيص الصادر باسمه وأن يقوم بمهام مدير إداري حسب الحاجة لقاء مبلغ شهري» ليست مندرجة في إحدى الطرق الثلاث الواردة في سؤال الفتوى ٨٣/٢٥، التي اطلع عليها السائل، لأن تلك الفتوى بشأن أخذ مقابل على الترخيص دون عمل.

وأما هذه الصورة الواردة في السؤال فإن الراتب جزء منه مقابل العمل، وجزء منه «وهو المقدر بمئة دينار شهرياً» مقابل التمكين من استخدام الترخيص، أي مقابل الكفالة والضمان.

وبناء على ذلك أضافت اللجنة :

إن الراتب الذي يتقاضاه السائل سابقاً أجر على عمل مشروع، باستثناء المبلغ المقدّر لقاء استخدام الترخيص، فإنه مقابل الكفالة، والأصل في الكفالة أنها من باب التبرع وفعل المعروف، فعلى السائل أن يتخلص من ذلك المقابل فيصرفه في وجوه الخير.

والله أعلم.

استثمار أموال القُصّر

عُرض على اللجنة السؤال الاستفتاء المقدم من السيد عبدالله ونصه التالي:

نرجو الإحاطة أن هيئة رسمية بصفتها وصياً وقيماً على المحجور عليهم من الكويتيين تتولى إدارة عقاراتهم وأموالهم فيها العقارات المملوكة على الشيوع مع آخرين لا تمثلهم الهيئة.

ونظراً لأن الهيئة تقوم باستقطاع الزكاة سنوياً عن لأموال السائلة التي تحت يدها ثم تقوم بتجنيبها ورصدها في حساب خاص للزكاة يتم الإنفاق منه حسب طلبات ومقتضيات الأمور المعروضة على لجنة الزكاة والخيرات المنبثقة عن مجلس إدارة الهيئة.

فإنه قد ترتب على ذلك وجود فائض في أموال الزكاة يصل إلى نحو مليوني دينار.

ولما كانت الهيئة تمثل القُصّر في الحاضر والمستقبل، وكانت الأزمة الاقتصادية الحالية قد أثّرت في الإيرادات وفي الأرباح، بل نتج منها وجود خسائر غير منظورة تمثل الفرق بين ثمن شراء العقارات خلال فترة ارتفاع أسعارها وبين ثمنها الحالي الذي انخفض إلى النصف أو يزيد، وهذه الخسارة لا يظهر أثرها إلا عند بيع هذه العقارات وهو ما تتجنبه الهيئة أملاً في ارتفاع الأسعار فإن لجنة الزكاة والخيرات قد رأت التوجه إليكم لبيان الرأي الشرعي في الأمور التالية:

١ - هل يجوز حفظ بعض أموال الزكاة لسد العجز في الخسارة الناجمة عن انخفاض العقارات.

٢ - هل يجوز أن تقوم الهيئة بشراء عقارات أو منشآت صناعية وتجارية من أموال الزكاة لتظل الأصول ثابتة لحساب الزكاة وتوزع الهيئة ريعها في مصارف الزكاة، كما أنه عند الأزمات الاقتصادية والاجتماعية يمكن بيع بعض هذه الأصول وتوزيعها على المحتاجين من الأفراد أو الجهات.

٣ - هل جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على توزيع أموال بيت المال كلها بحيث لا يبقى شيء لمواجهة الظروف الطارئة المتجددة، وهل يوجد نص في القرآن أو السنة أو إجماع من الصاحبة في هذه الأمور أو بعضها.

وقد حضر المستشار في تلك الهيئة الأستاذ سالم بناء على طلب اللجنة وأفاد توضيحاً للسؤال ما يلي:

بأن سر الخسارة المشار إليه في السؤال ليس المراد به انخفاض قيمة العقار وإنما المراد به الحال التي يحتمل أن يصل إليها بعض أصحاب هذه العقارات، إذ يحتمل أن يؤول بعضهم إلى درجة الفقر والمسكنة واستحقاق الزكاة وهو غير قائم حالياً ولكن يخشى وقوعه وهو محتمل، والمقترح هو حجز أموال لهذه الاحتمالات.

وأضاف: بأن الغرض من السؤال الثاني الاستفسار عن جواز توظيف الزكاة في مشاريع ذات ريع أو نفع مع بقاء الصفة الزكوية لها وإمكانية بيعها كلها أو بعضها.

وأفاد أيضاً أن بإمكان الهيئة إعداد وثيقة تسجيل خاصة تسجل رسمياً لدى الجهة المختصة تبين طبيعة هذه المشاريع الاستثمارية الخاصة المنشأة من أموال الزكاة بحيث تتوافر الضمانات لعدم تغير طبيعتها ولتسهيل تسييلها عند الحاجة إلى أموال نقدية تصرف في مصارف الزكاة كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

وأفاد بالنسبة للسؤال الثالث: بأن الغرض من السؤال هو أموال الزكاة وليس أموال بيت المال الأخرى من الفيء ونحوه.

أجابت اللجنة بما يلي: بالنسبة للسؤال الأول من أسئلة الهيئة المذكورة إذا كانت حاجة المستحقين للزكاة من الأصناف الثمانية قائمة للصرف من أموال الزكاة فلا يجوز تأخير الصرف عليهم منها إلا في حدود تأخير الصرف للحاجات الدورية لمدة سنة كاملة من حين وجوب الزكاة لا أكثر من سنة ومع وجود المستحقين لا يجوز تأخير الصرف لأكثر من سنة بغرض الاحتياط لمجرد أمر محتمل وهو غير واقع الآن هو عودة بعض مالكي تلك العقارات إلى حال الفقر والمسكنة في المستقبل كما أفاد السيد المستشار القانوني للهيئة.

وأما بالنسبة للسؤال الثاني، فبعد أن اطلعت الهيئة على جواب الهيئة الشرعية في بيت الزكاة محضر اجتماع (٨٤/٣٨) عن موضوع مماثل لهذا السؤال، وعلى قرار مجمع الفقه الإسلامي في جدة الدورة الثالثة المنعقدة في عمان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م القرار الثالث بشأن توظيف أموال الزكاة في مشاريع ذات ريع بلا تمليك فردي للمستحق.

انتهت اللجنة إلى الإجابة التالية: يجوز توظيف أموال الزكاة في مشاريع استثمارية عقارية أو صناعية أو تجارية إذا زادت أموال الزكاة عن الحاجة الفورية أو الدورية «لسنة كاملة» وذلك بالشروط التالية:

أ - أن يقصر الانتفاع بريع تلك المشاريع على مستحق الزكاة من الأصناف الثمانية وعلى النفقات الضرورية لتلك المشاريع نفسها.

ب - إذا اقتضى الأمر صرف أعيان تلك الأصول لقيام الحاجة إلى ذلك لوجود وجوه صرف عاجلة لأهل استحقاق الزكاة ولا يوجد ما يسدها من أموال أخرى، فإنه يجب بيعها وصرف أثمانها في مصارف الزكاة إذ لا يجوز تأخير صرف الزكاة سواء ظهرت في صورة مبالغ أو أصول مادامت الحاجة قائمة، ولا يغيِّر هذا الحكم اشتراك المزكي خلافه.

ج - يحدد مصير هذه المشاريع بأحد أمرين إما تمليكها لمستحقي الزكاة طبقاً للأوضاع الشرعية في ذلك وإما مآلها إلى الجهة المسؤولة عن جمع الزكاة وتوزيعها لبيعها ورد أثمانها إلى أموال الزكاة للصرف على المستحقين أو لشراء مشروع بديل يخصص لنحو ما كان مخصصاً له المشروع السابق.

د - اتخاذ الاحتياطات الكافية للحفاظ على الطبيعة الزكوية لهذه المشاريع عن طريق التوثيق الرسمي الكافي ومن جملة ذلك التسجيل العقاري كلما كان ممكناً مع تضمين وثيقة التسجيل الصفة الزكوية لهذا المشروع.

هـ - تحاشي الدخول في مشاريع هي مظنة للخسارة أو التقلبات السوقية الكثيرة قدر الإمكان. والله أعلم

وأما بالنسبة للسؤال الثالث فلما كان الغرض منه تطبيقه على شأن إدخار الزكاة فقد حصل البيان المطلوب منه بجواب السؤال الأول. والله أعلم.

المرسى

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع ...

مدرسة رمضان

بقلم: يمن محمد المنلا

للدين في حسّنا صورة قاتمة متجهمة.. ترتبط هذه الصورة دائماً في أذهاننا بتكرار آلي ممل، يكرر ذواتنا من غير جديد في حين أننا دائماً نلتفت إلى الوراء راجعين خطوات بحثاً عن الطمأنينة ورضى النفس والتجديد والحياة والأمل في أي مكان هنا كانت أو هناك، ولكن بعيداً عن هذا الدين. متجاهلين أن الحياة تنبع من أعماقنا وأعماق هذا الدين، وأن النبتة - إن كانت صالحة أو فاسدة تنمو في داخلنا.

ومن يك ذا فم مر مريض

يجد مرا به الماء الزلالا

نبحث عن الكثير من الأشياء التي تلزمنا ونحتاجها حيث يمكن ونتوقع أن نجدها لا حيث يجب أن نجدها. توقعاتنا هذه تخضع لتجاربنا مع هذا الدين وبعيداً عن هذا الدين. (قد أفلح من زكاها) ظلال مشرقة عند أصحاب الحسّ الفطري من الذين يفهمون هذا الدين الفهم الصحيح الجاد المعتدل. إن الركون إلى الدنيا والأنس بها يميت هذا الحسّ الفطري، فتصبح تلك الظلال باهتة وخاملة وخامدة في حسّنا فنكتفي عندها بممارسة عادات دورية وشعائر لا تحرك ساكناً في قلوبنا.

نضيّع على أنفسنا فرصاً عظيمة لتربية ذواتنا تعديل أسلوب تفكيرنا، ونمط معيشتنا بالكثير من التجديد الباعث على الحياة بقوة... والثبات بقوة.. والانتصار بقوة. رمضان كواقع نعيشه لا يحمل لنا أكثر من تشكيلة متنوعة من الأطعمة... وكم هائل من البرامج التلفازية الجديدة التي تعد خصيصاً لهذا الشهر «الترفيهي» إضافة إلى الأُنس بالسهر الجماعي هذا حول الشاشة الصغيرة أو هناك في تجمعات فاسدة.

رمضان مدرسة تصلح كل أوقاتها للتعلم... الانضباط... الالتزام... الشعور بقيمة الوقت. تنقية ذواتنا باقتلاع سلوكيات جاهلية. تصحيح مفاهيم عدة ... السمو بأفكارنا وأفعالنا وقدراتنا وطموحاتنا. رمضان وقت مناسب لنعيد النظر في علاقاتنا مع من حولنا إن كانت خالصة وصادقة لله أم لدنيا ومنفعة. هناك فرص لنعوّد أنفسنا تكوين علاقات بناءة تؤتي أكلها كل حين بقدر من أخلاق المؤمنين والصالحين، وكم من الفهم والتسامح وحسن الظن. «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

إذا استطعنا تحديد درجة انتمائنا لهذا الدين، ومستوى طموحنا في فهمه، وما مدى فاعلية وتأثير ما تؤديه من شعائر وعبادات في معيشتنا. إذا حاولنا ما أمكن الإجابة بروح إيجابية سيكون في أعماقنا قدر من الإيمان بالله، وحسن الظن به، يكفي لتفجير ينابيع الرضى والطمأنينة وحب الحياة: «من أمسى آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»، مفهوم للاستقرار والرضى أشمل وأعمق من كل عيادات الطب والعلاج النفسي التي تحاول جاهدة أن تعلّم مرضاها كيف يبتسمون ويحبون الحياة: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) آل عمران. ■



زكاتك لبيت الزكاة
تنمية إجتماعية. صحية. تعليمية
فساهم معنا في بناء بلدك
574 5000
السالمية ـ شارع قطر
ص . ب: 23865 الرمز البريدي: 099
عنوان البيت على شبكة الإنترنت
www.ZakatHouse.org
البريد الإلكتروني
Zakbat@Kuwait.net
بيت الزكاة
هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت
%2.5

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
إسلامية شهرية جامعة
العدد ٣٩٨ ـ السنة الخامسة والثلاثون ـ شوال ١٤١٩ هـ ـ يناير / فبراير ١٩٩٩ م



سمو الأمير لمناسبة العشر الأواخر من رمضان:

« مازال بيننا من يمارس سلوكيات ترفيّة وكأن الكويت لم يصبها ما أصابها »

العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية

المكتبات الإسلامية بين كيد الأعداء وجهل العامة

مسلمو أوغندا من مملكة البوجندا إلى عصر الانقلابات العسكرية

هديتك مع العدد براعم الإيمان

كل عام وأنتم بخير

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وأسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد

وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء

ورئيس وأعضاء مجلس الأمة

وأعضاء الحكومة الموقرة

بأطيب التهاني وأجمل الأماني
لمناسبة عيد الفطر السعيد
سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يعيده على
المسلمين قاطبة باليمن والخير والبركات
وأن يرحم الشهداء الأبرار
ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين غانمين
إنه سميع مجيب

عيدكم مبارك
وعساكم من عواده

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٨ . السنة الخامسة والثلاثون
شوال ١٤١٩ هـ . يناير / فبراير ١٩٩٩ م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
BADER S. AL-QASSAR

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ . الصفاة . 13097 . الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+)
فاكس : ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

مطابع السياسة . الكويت

كلمة العدد

أمتنا والعيد

أعزاءنا القراء

يطالعكم هذا العدد من مجلة الوعي الإسلامي، والأمة المسلمة في كل أصقاع الدنيا تحتفل بعيد الفطر السعيد بعد انقضاء شهر رمضان المبارك، حيث تزودت النفوس المؤمنة بشحنات إيمانية تساعدها على اجتياز طريق مستقبلها المنشود.

إن الأمل يحدونا جميعاً بأن تحتفل الأمة في عيدها المقبل، وقد تهيأت لها جميع السبل الإيجابية والصحية لدخول القرن الحادي والعشرين، لتستأنف مسيرتها الذاتية التي تقوم على ركائز ثابتة في مجتمعنا وتستمد اندفاعها من الطاقات الكامنة في حضارتنا الإسلامية العريقة، وترتوي من ينابيعها العذبة حلولاً ناجعة لكل القضايا المستعصية، وتجتهد لإجراء عملية الهضم الحضاري لتجارب الأمم والحضارات غير الإسلامية ضمن الأطر الشرعية السائدة.

وكل عام وأنتم بخير ،،،

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ كويتية دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم
مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

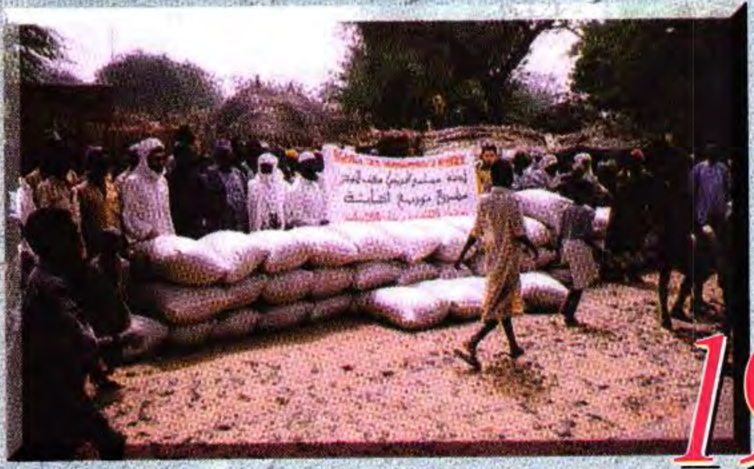
الكويت : ٣٥٠ فلسا . السعودية : ٤ ريالات . البحرين : ٣٠٠ فلس
قطر : ٤ ريالات . الامارات : ٤ دراهم . سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة
الأردن : ٥٠٠ فلس . مصر : جنيه واحد . السودان : ٥ جنيهات
موريتانيا : ١٢٠ أوقية . تونس : دينار واحد . الجزائر : ٥ دنانير
اليمن : ٥ ريالات . لبنان : ١٠٠٠ ليرة . سوريا : ٢٠ ليرة . المغرب : ٦ دراهم
ليبيا : ٥٠٠ مليم . اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله
امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت . برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد



ملف العمل الخيري



19

لجنة مسلمي أفريقيا الكويتية

لجنة مسلمي أفريقيا الكويتية منارة تشع بالخير والعطاء في قارة أفريقيا دون تمييز قبلي أو ديني أو عرقي.

في الأعداد المقبلة

- الميراث في الإسلام هل يقوم على أساس الأقربية أم على أساس الأحقية؟ — د. رفيق يونس المصري
- الإنسان بين صبر الاضطرار وصبر الاختيار — محمود علي محمد عبدالرحمن
- دور اليهود في اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» — سامي الجيتاوي
- التأصيل الإسلامي للإعلام — عبدالله بدران
- أهداف الدراسة في دور القرآن الكريم — عبدالهادي دحاني

الفهرس



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

التحديات منبهات حضارية

لا شك أن التحديات، والنكبات التي لحقت وتلحق بالأمة ما هي في الحقيقة إلا «منبهات حضارية» تحمل الأمم الحية للعكوف على ذاتها، والقيام بالمراجعة الشاملة لمواريثها الفكرية، ومواقفها العملية، بجرأة وشجاعة، فالأزمات هي التي توقظ الشعوب والأمم من سباتها. وأمامنا مثالان جديران بالدراسة والتأمل، المثال الأول والأكثر شهرة، اليابان التي خرجت من الحرب العالمية الثانية مشوهة وفقدت في لحظة أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة، ولكن سرعان ما لمت الشعث لتدخل عالم ما بعد هيروشيما، ويظل المؤشر البياني في صعود طيلة نصف قرن، وقد عقد رؤساء الدول في السوق الأوروبية المشتركة مؤتمراً خاصاً في صيف ١٩٨٥م لاتخاذ ما يلزم من قرارات حتى لا تتخلف دول غرب أوروبا عن اليابان في مجالات التكنولوجيا المتقدمة.

والمثال الآخر... عندما أطلق السوفييت القمر الصناعي «سبوتنيك» العام ١٩٥٧م، والذي اعتُبر - آنذاك - سبقاً تكنولوجياً، عبّرت الجهات المختلفة في الولايات المتحدة الأميركية عن سخطها على مناهج العلوم والرياضيات، وعبَّر العلماء أنفسهم وحتى خريجو الجامعات ورجال الصناعة أيضاً عن عدم الرضا، ودعوا إلى تكوين طالب متمرس فنياً لتدخل أميركا أيضاً على عالم ما بعد «سبوتنيك».

فهل نلحق - نحن المسلمين - بركب الأمم مع ما معنا من إرث حضاري يضرب في أعماق التاريخ، وتكون الإصابات والجراحات منبهات ومحرضات حضارية تحمل لنا بصائر الحاضر وبشائر المستقبل.

عبدالكريم أحمد عوض الله

الشريعة الإسلامية وشهادات الغرب

إن سماحة الإسلام ستظل معيناً واضحاً لكل ذي لب والإسلام غني كل الغنى عن أن يشهد له الغرب، ولكن إنما قصدت هنا إظهار كلمة حق هنا قالها الأعداء، «والحق ما شهدت به الأعداء»، ولنبدأ بحديث الدكتور بنوه الفرنسي حيث قال: «إن نصوص بعض آي الكتاب الموحى به إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً تتناسب وأحدث مبادئ العلوم العصرية، وكان من جراء هذه الملاحظات أن آمنت نهائياً»، إن هذه المقالة ترد وتثبت كذب من قال إن هذا العصر يحتاج إلى تشريع يتناسب والتقدم العلمي الملحوظ ينفي بذلك أحقية الكتاب الكريم بأنه لايصلح، فأي جهل هذا، وأيضاً مقالة أخرى تردُّ على جهل كل من يحقد على الإسلام ويتهمه بأنه يقف عقبة في سبيل التقدم والتفكير فيقول «أتين دينييه»: إن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير، وكما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع المدنيات، وها هو «جيبسوت» يقول معلنا للعالم: إن هذا الدين خال من الشك والظن فيقول: «إن دين محمد خال من الشكوك والظنون، والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله وهذا الدين أكبر من أن تدرك عقولنا الحالية أسراره ومعانيه غير المتناهية»، ويقول «تولستوي» في رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: «... ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الماء وتقديم الضحايا ويكفيه فخراً أنه فتح طريق الرقي والتقدم ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال». واختتم هذا المبحث بمقالة وزير مسيحي قال في حفل المولد النبوي «إن محمداً أعظم عظماء العالم، ولم يَجُدْ الدهر بمثله بعد، والذي جاء به أو في الأديان وأتمها وأكملها إن محمداً الذي تحتفلون به وتكرمون ذكراه أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم وإنشاء أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ».

خالد محمد أمين

ملاحظات

مما لا شك فيه، أن مجلتنا العظيمة الوعي الإسلامي تعتبر موسوعة دينية وثقافية وعلمية لكل من يقرأها ونريد لمجلتنا العظيمة أن تكون في أبهى صورة لها ولكن لي بعض الملاحظات أرجو أن تتقبلوها بصدر رحب وهي:

١ - نلاحظ في بعض الأعداد مثل العدد (٣٩٦) زيادة المساحة المخصصة لأنشطة الوزارة (نحو ٢٠ صفحة)، وهذه المجلة يقرؤها المسلمون في معظم البلاد، وليس في الكويت فقط، أرجو أن تقل هذه المساحة ليحل محلها المقالات العظيمة لشيوخنا وأساتذتنا الكرام.

٢ - أرجو زيادة المساحة المخصصة لبريد القراء، لأنها تعبر عن آراء المسلمين الحرة في كل أنحاء العالم الإسلامي.

٣ - بالنسبة لمجلة براعم الإيمان أرجو أن تكون القصة المصورة مرقَّمة بحيث أن تحمل الصورة رقمها حتى يستطيع القارئ متابعة القصة بترتيب الصور.

أشرف محمد أحمد سكر - مصر

المحرر:

شكراً على ملاحظاتكم الطيبة، ونأمل أن نأخذ بها مستقبلاً، وأما بخصوص زيادة مساحة أنشطة الوزارة في العدد ٣٩٦، فهذا أمر استثنائي أملته ظروف معينة، والأنشطة عادة لا تأخذ كل هذه المساحة... بارك الله بكم وجزاكم الله خيراً.

ردود خاصة

الأخ عبدالناصر جناحي - دولة البحرين:
يمكنكم الحصول على المعلومات المطلوبة من كشاف الوعي الإسلامي في أجزائه الثلاثة، وجزاكم الله خيراً على ثقتكم بالمجلة.

الطلبة الماليزيون الدارسون في القاهرة:
وان روهيشام بن وان إبراهيم، عثامن بن صوفي، خيرالدين مختار بن يوسف، وان عبدالعزيز محمود، يمكنكم مخاطبة المؤسسات الخيرية لحل مشكلتكم المالية.

القارئ حسين أحمد عبداللطيف - مصر:
ليس لدينا فهرست لموضوعات البراعم حتى نعرف العدد الذي نشرت فيه القصة، يمكنكم موافتنا برقم العدد فقط حتى نقوم بإرساله إليكم.

القارئ عبدالله خالد حسن - الجزائر:
عنوان وكالة الأنباء الإسلامية «إيتا» هو: جدة - شارع الأمير فهد - ص.ب: ٥٠٥٤ الرمز البريدي (٢١٤٢٢).

الطفرات التقنية وترويج السقوط

ربما كان هذا العصر الذي نعيشه أجدر بأن يسمى عصر الطفرات التقنية إذ إن منحنى التقدم التكنولوجي حقق وثبات عالية ومتتابعة وسريعة خلال حقبة زمنية صغيرة نسبياً وذلك على محاور متعددة.

ففي عالم الاتصالات مثلاً، صار الحديث عن ثورة الاتصالات وما حققته من إتاحة الاتصال السريع بين بقاع العالم المتباعدة حتى غدا العالم كله كقرية صغيرة، وصار متاحاً لأكثرية من الناس أن يعايشوا أحداثاً شاسعة البعد ساعة حدوثها، بل قد يرونها حية، وتمكنت وسائل التجسس من التقاط أخفى الأسرار وأدقها، وفي عالم الإنتاج الصناعي أدمجت شركات عملاقة لتكون اخطبوطاً صناعياً هائلاً لا يمكن أن تقف له منافسة وصارت أسماء هذه الشركات علماً على حاجات معينة، أو هي احتكرت ضرورات ملحّة، ولقد تضخم الإنتاج وتعملق إلى الحد الذي فاق معدلات الاستهلاك في كثير من السلع وجعل الخطر الماثل أمام الفقراء ليس هو ندرة السلعة، وإنما هو خطر الإغراق» «أي إغراق أسواق بسلع رخيصة وافدة تفتك بالمنتج المحلي المشابه»، وعلى المسرح العسكري تبارت الشركات الكبرى في إنتاج وسائل التدمير المخيفة حتى ليعجب الإنسان من إنتاج كل هذه الكميات والنوعيات التي ربما تكفي لإبادة سكان الأرض عشرات المرات، قد يسأل سائل هل الإنسان هو المستهدف من كل ذلك أم أنه كائن آخر مجهول.

وإذا كان من الطبيعي أن يصب التقدم الصناعي في مصلحة هذه البشرية الضائعة ويسهل لها سبل العيش المترف، إلا أنه في الواقع حقق العكس، فالبشرية الآن تتخبط أكثر مما مضى في أوحال التخلف رغم كل ما تحقق من إنجازات لا تنكر في جميع المجالات.

إن هذا التقدم العلمي الصناعي قد وُظِّف لمحاربة الإنسان في أخص خصائصه وفي إنسانيته بالذات، إن تجار الجنس ومروجي المخدرات ومافيا الأسلحة لم يضيعوا فرصة واحدة من هذه الفرص لتصب في مصالحهم، فالفيديو واللواقط الهوائية وشبكة الأنترنت كلها وظفت جيداً لترويج السقوط والدعارة، بل للسرقة أحياناً، وأصبحت هنالك نوعيات من الناس تقتني هذه الأشياء ليس إلا للتمتع بالمشاهد الجنسية الساقطة، وإذا كان نقل الأفلام الجنسية عبر الحدود يشكل - فيما مضى - صعوبة على مروجيها، فالتقنية الصناعية تكفلت بحل هذه المشكلة، وبإمكان اللاقط الهوائي «الدش» أن يستقبل هذه المشاهد المبثوثة عبر الأثير، وإذا كان ذلك سيضيع على المتاجرين فرصة لتحقيق الكسب المادي من وراء ذلك، فالتقنية الصناعية أيضاً ستحل هذه المشكلة عن طريق تشفير هذه القنوات وتحصيل الاشتراكات من راغبي المشاهدة.

إن العنف والفسوق أصبح على قمة صادرات البلاد التي تسمى متقدمة، وإن بلادنا الإسلامية هي الأسواق المستهدفة، فما المخرج إذاً.

إن علينا كمسلمين أن نواجه هذه الحرب في جميع ميادينها بأسلحة مكافئة حتى لا يقذفنا السيل مع الزبد. علينا أن نبث ثقافتنا النظيفة عبر هذه الوسائل التقنية ذاتها وبأداء رفيع وبلورة حسنة وعرض ممتع علينا أن نمسك بزمام المبادرة، وأن نلفت ذوي الألباب إلى كنوزنا وجواهرنا المطمورة فنقدم مثلاً الثقافة الجنسية العلمية المحترمة كبديل لهذا العفن الأخلاقي الذي يزكم أنوفنا تحت مسمى الثقافة الجنسية، ونقدم الفهم الصحيح لعقائدنا بدلاً من التعارك الدفاعي حول تهم ألصقت بنا، ونقدم النموذج الحي للمارد الإسلامي القوي الذي لا يخيف الضعفاء، بل يأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة، فهل نحن فاعلون؟

محمد عبدالظاهر محمد - مصر

لمناسبة العشر الأواخر من رمضان:

الأمير : مازال بيننا من يمارس سلوكيات ترفيّة وكأن الكويت لم يصبها ما أصابها

حذّر صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد من «أن الذي لا يفيق والسيل منهمر جرفه التيار» و«الذي يصم أذنيه عن نداء الوطن ابتلعه الضياع».

وركزت كلمة سمو الأمير التي ألقاها لمناسبة العشر الأواخر من رمضان على بناء الإنسان الكويتي «لأنه الرصيد الدائم والباقي لوطننا العزيز»، معتبراً دعوته إلى ذلك «أشد ضرورة وأكثر إلحاحاً». وربط سمو الأمير بين الدعوة لبناء الإنسان وبناء الاقتصاد في دعوة «مقترنة بترك المبالغة في الإسراف والترف»، معتبراً أمن الكويت «نابعاً في الأساس من وعي شعبها وإسهاماته وبسواعده وتضحياته».

وأشار صاحب السمو إلى أن «المشكلات التي نعانيها والتحديات التي تواجهنا كثيرة ومتنوعة»، طالباً مقابلتها بالوعي والدراسة والرأي المتحد والصف المرصوص، محذراً من أن «مداراة الجرح بالمسكّنات تنطوي على خطر كبير»، مؤكداً أن المطلوب «هو العلاج والعلاج العاجل مهما كانت مرارة الدواء تجنباً للخطر وارتقاباً للعافية». وفي ما يلي النص الحرفي للنطق السامي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين

إخواني وأخواتي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأدام الله تعالى علينا طاعته وخشيته، وأعاننا على أداء ما افترض، وتقبّل صيامنا وقيامنا، وجعل عملنا خالصاً لوجهه سبحانه، وفي الحديث الصحيح «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك».

ولقد منّ الله تباركت نعماؤه علينا، بالالتفاف حول ديننا، والتعظيم لخالقنا عزّ وجلّ، والمحبة لرسولنا - صلى الله عليه وسلم - وتلقينا ذلك جيلاً بعد جيل عن آبائنا وأمهاتنا، سلوكاً عملياً وتعليماً بالحسنى، فكان تديننا سجية، وصارت قيم ديننا منارة نهتدي بها، ونرجع إليها، من وُفق إلى الطاعة ازداد بها تواضعاً، ومن انحرف عن الجادة دعونا الله سبحانه له بالهداية.

تخلّق آباؤنا بشرف العمل، وتحلوا بالعفاف، وشاع فيهم الإيثار والتعاون حتى صارت مفردات سلوكهم أشبه بملحمة أسطورية، تعزّ أحياناً على التصديق، وهي واقع يومي مازال كبار السن يذكرون بعضاً من نماذجها. وإذا كان الولد سرّ أبيه كما تقول الحكمة العربية، فإنني واثق أن هذه الأخلاق كامنة فينا، باقية بيننا، وإن توارت أحياناً في غبار التغيرات التي أصابت القيم والمثاليات.

إخواني وأخواتي

من موقع الأمانة التي في عنقي تجاه الوطن والمواطنين، أجدد دعوتي لبناء الإنسان الكويتي فهي اليوم أشد ضرورة وأكثر إلحاحاً، لأن هذا الإنسان هو الرصيد الدائم والباقي لوطننا العزيز.

فقد عاشت الكويت قبل النفط عزيزة مستقلة، لأن المواطنة هي في الولاء والعطاء والبناء لها ولأن الكويت هي بإنسانها، هي لنا الحنايا والأضلاع حيث الدفء والحماية، ونحن لها القلب حيث الدم المتدفق بالحياة.

كما أجدد دعوتي لبناء اقتصادنا، المقترنة بترك المبالغة في الإسراف والترف وهي الآن أشد ضرورة وأكثر إلحاحاً، لأنها تعني كويتاً حراً، يعيش على أرضه شعب حر الإرادة، بمنجاة من ذلّ الحاجة.

وكذلك دعوتي لأن يكون أمن الكويت نابعاً في الأساس من وعي شعبها وإسهاماته، وبسواعده وتضحياته.

إخواني وأخواتي:

إن المشكلات التي نعانيها، والتحديات التي تواجهنا كثيرة ومتنوعة، بل ومتجددة



أيضاً، وهي محتاجة إلى مقابلتها بالوعي والدراسة، والصبر والأناة، والرأي المتحد والصف المرصوص، حتى نصل إلى حلول يتوافر لها أكبر قدر من الصواب والموضوعية، كما يتوافر لها روح الاقتناع والمثابرة على التنفيذ.

إن مداراة الجرح بالمسكنات، تنطوي على خطر كبير، فالمطلوب هو العلاج، والعلاج العاجل، مهما كانت مرارة الدواء، تجنباً للخطر وارتقاباً للعافية.

إخواني وأخواتي

ماذا يعني الصيام إن لم نتعلم منه الصبر؟

وماذا يعني إن لم نتعلم منه العفاف والتقوى؟

إنه إذا فقد مدلوله التعبّدي في الترقي بالصائم استحال إلى نوع من العادة أو التقليد، مصداقاً لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش».

مازال البعض يخلطون الذاتي بالموضوعي، والخاص بالعام، مازال بيننا من يمارس سلوكيات ترفيّة أو مستجلبة وكأن الكويت لم يصبها ما أصابها، إن الذي لا يفيق والسيل منهمر، جرفه التيار، والذي يصم أذنيه عن نداء الوطن، ابتلعه الضياع.

إخواني وأخواتي :

وهذا عيد الفطر يظلنا عما قليل، وفي قلوبنا ضراعات خاشعة لله جل وعلا أن يرفع درجات شهدائنا، ويعيد أسرانا إلى وطنهم وذويهم، ويومئذ يفرح المؤمنون.

وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الافتتاحية

الأقليات المسلمة ... هموم وآمال

استضافت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت خلال شهر رمضان الفائت عدداً لا بأس به من الوفود التي قدم معظمها من دول ذات أغلبية غير مسلمة، وكان لمجلة الوعي الإسلامي لقاءات عدة مع رؤساء هذه الوفود لاستطلاع آرائها حول عدد من القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية، حيث أثارت هذه الوفود خلال اللقاءات جملة من الهموم التي تؤرقها وتقض مضاجعها وتشكل هذه الهموم قاسماً مشتركاً للمسلمين في تلك البلدان والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١ - تباين الثقافات والأفكار والولاءات وغياب السلطات المرجعية.

٢ - ضعف الإعلام الإسلامي الموجه لهذه الأقليات مما حطم جسور التواصل بينها وبين العالم الإسلامي.

٣ - ضعف الوعي الإسلامي الشرعي بين أفراد الأقليات المسلمة.

٤ - ضعف عوامل المناعة والحصانة والقوة لدى أبناء الأقليات المسلمة بسبب النقص الكبير في المؤسسات التربوية وقلة التمويل الكافي لها.

٥ - نقص خطير في وسائل الإعلام التي تمتلكها مقابل هجوم إعلامي كاسح على الإسلام وأهله من قبل الأكثرية التي تمتلك كل الوسائل التكنولوجية الإعلامية.

٦ - شح كبير وخطير في الموارد المالية مما أثر سلباً على أنشطة وبرامج هذه الأقليات وطموحاتها المستقبلية.

٧ - حرمان عدد كبير من المسلمين من ممارسة حقوقهم السياسية وعدم الاعتراف بمؤسساتهم في كثير من بلدان الأكثرية غير المسلمة.

إن مسلمي الأقليات المسلمة يشكلون اليوم نحو ثلث التعداد العام لسكان العالم الإسلامي ويتوقع الخبراء أن يصل عددهم مع بداية القرن المقبل الحادي والعشرين إلى نحو ٤٥٠ مليون نسمة، وهم بذلك يشكلون طاقة بشرية لا يستهان بها إذا أُحسن توظيفها لصالح الإسلام والمسلمين.

إن قضية الأقليات المسلمة قضية جديدة العهد نسبياً، إذ لم تكن تشغل بال أحد قبل عشرات السنين بسبب انغلاق كل دولة على نفسها، وضعف وسائل الاتصال بين بلدان العالم، لكن مع تطور وسائل المواصلات ودخول العالم عصر الإعلام والفضائيات، بات العالم كله قرية صغيرة يعرف بعضها بعضاً، تكشفت لنا نحن المسلمين في بلدان الأكثرية المسلمة المشاكل المختلفة التي تعاني منها الأقليات المسلمة، والتي من واجبنا أن نسعى حثيثاً لحلها بهدوء وروية دونما إثارة لمشاعر الآخرين، وذلك بالتنسيق والتعاون مع ممثلي هذه الأقليات حتى تتجسد الأخوة بين المسلمين في أحلى صورها، ويصدق فينا قول المصطفى - صلى الله عليه وسلم -: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى أن مواقف الأكثرية غير المسلمة من الأقليات المسلمة وظاهرة الإحياء الإسلامي المنتشرة في كل مكان من العالم تراوح بين سيناريوهين:

الأول: سلبي يقوم على الخوف من الإسلام والمسلمين، ويعتبر الإسلام العدو الجديد بعد انتهاء الحرب الباردة.

والثاني: إيجابي يدعو إلى ضرورة التلاقي مع الإسلام على أن يقوم ذلك على أساس فهم جديد، ومن واجب الأقليات المسلمة أن تبذل كل جهودها من أجل ترسيخ وتقوية السيناريو الثاني لأن ذلك سيساعدها بلا شك على تحقيق أهدافها ويقدم الصورة الصحيحة للإسلام وأهدافه النبيلة، ويصنع التواصل بينها وبين عالمها الإسلامي، ويخترق الحواجز التي تحول بين هذه الأقليات وانتمائها الإسلامي، وينبذ الفرقة الجغرافية بين المسلمين.. وفي الوقت ذاته نحن نأمل من بلدان الأكثرية أن تمنح الأقليات المسلمة مزيداً من الحريات لإبلاغ دعوة الإسلام السمحة التي هي في أمسّ الحاجة إليها، إذ يجب أن تتلاشى كل المعوقات التي توضع أمام المسلمين مع دراسة الإسلام دراسة موضوعية بعيداً عن ذلك الإرث من التعصب أو الكراهية، وإقامة حوار متكافئ يقوم على التفاهم، ويسد الطريق أمام دعوات الترويع والتخويف من الإسلام كدين له قابلية الصراع والتصادم، كما ادّعى ذلك صموئيل هنتنغتون الأمريكي في نظريته الأخيرة، متجاهلاً قضية بدهية وخطيرة وهي «أن الصراع والعنف والجريمة والتناقض موجودة داخل الحضارة الغربية نفسها».

الوعي الإسلامي

أنشطة الوزارة

وزارة الأوقاف كرمت حفظة القرآن الكريم



كرّمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية يوم ٢٦ شعبان ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١٢/١٥م في حفل أقامته مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم بالوزارة في قاعة مسجد الدولة الكبير حفظة القرآن الكريم كاملاً كما كرّمت خريجي حلقة السند بالقرآن الكريم كاملاً. وقد أقيم الحفل تحت رعاية السيد وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ أحمد خالد الكليب الذي أناب عنه وكيل الأوقاف خالد عبدالله الزير لحضور هذا الحفل.

تنافس في خدمة كتاب الله

هذا، وقد افتُتح الحفل بآيات من الذكر الحكيم ثم ألقى وكيل الوزارة كلمة لهذه المناسبة أعرب فيها عن سروره بهذه النخبة من حفظة القرآن الكريم قال فيها:

إنه لما يشرح الصدر، ويثلج القلب، أن تتنافس جهات رسمية، وجهات شعبية متعددة، في خدمة كتاب الله تعالى، بتهيئة وسائل وأدوات حفظه، وفهم أحكامه، والقيام على خدمته، وجذب المواطنين والمقيمين إلى ساحة تعلّمه، وتذليل المصاعب التي تواجههم، ومد يد العون العلمي لهم (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون). وقد أثمر هذا التنافس المحمود، في ميدان من أنبل وأشرف الميادين، وأقربها إلى مرضاة الله تعالى، ونيل ثوابه ومرضاته، أثمر أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساء، يتعلقون بكتاب ربهم، ويتذوقون حلاوته ويتزودون بتعاليم دينهم وينهلون من ذلك النبع الصافي (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى).

وما أحوجنا إلى استمرار هذه الجهود، بل تنميتها وزيادتها، والتركيز على فاعليتها، لتجذب أكبر عدد من الصغار والشباب، لتعميق ارتباطهم بدينهم، وزيادة معرفتهم بأحكامه، وتعاليمه، وثقافته، لمواجهة الآثار السلبية للانفتاح العالمي الذي ذابت فيه الحدود، وتقلصت المسافات بين الأمم والشعوب، وتلاشت فيه كثير من الكيانات الفردية والثقافات الخاصة، فالمحافظة على هوية المجتمع الكويتي المستمدة من إسلامه الحنيف، تتطلب منا مضاعفة الجهود، وتكثيفها، لربط الأجيال الصاعدة بدينها، وتوثيق علاقتهم به، وتعميق انتمائهم له. ومن جهة أخرى، فإن جذب الشباب والأجيال الجديدة إلى ساحة الثقافة الدينية، وانصرافهم إلى حفظ كتاب ربهم، يحميهم من المخاطر الكثيرة التي يتعرض لها الشباب حينما يفتقد الثقافة الدينية، ولا يذوق حلاوة وعذوبة، المتع الروحية، في رحاب الدين القويم، ومن خلال تجلياته الروحية العميقة، فيلجأ إلى ساحات أخرى، تسيطر فيها المتع الحسية، وتحركه فيها محاولات الهروب من الخواء الفكري، والجدب الروحي، والقحط الذهني، وذلك باللجوء إلى ما لا يرضي الله ورسوله الكريم، ويبدد آمال وطنه وأسرته فيه، وبدلاً من أن يكون عوناً لهما، يصبح عبئاً عليهما، وطاقة مريضة، تهدم ولا تبني حتى يصدق فيهم قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب». لذلك، فإني أدعو الإخوة في إدارة الدراسات الإسلامية، وجمعيات النفع العام، إلى أن يولوا عظيم اهتمامهم للشباب، وأن يبدعوا في وسائل جذبهم إلى هذه الساحة الطيبة المباركة، وأن يطوروا وسائلهم وأدواتهم، لتتلاءم مع هذه المرحلة العمرية، وليكن هذا الهدف العظيم هو التحدي الكبير لكل الأجهزة العاملة في هذا الميدان، وليكن هو مقياس التميز في ساحة هذه المنافسة الخيرة.

القرآن هو الحصن المنيع لأمتنا

ثم ألقى الدكتور عادل الفلاح الوكيل المساعد لشؤون الدراسات الإسلامية والحج كلمة قال فيها: إنه لمن دواعي الفأل الحسن والتوافق اللطيف أن تتزامن إقامة هذا الاحتفال الذي تنظمه مراقبة حلقات تحفيظ القرآن لتكريم حفظة القرآن الكريم وخريجي حلقة السند مع اقتراب إطلالة هلال شهر رمضان المبارك ويجدر بنا أن نتعرف على أثر القرآن الكريم في إصلاح النفوس والمجتمعات والدول، فإن لهذا الكتاب العظيم قوة ذاتية خارقة تبهر الألباب وتأخذ بالعقول، وله تأثير عجيب في النفوس والقلوب، وعجائبه لا تنقضي ولا تتوقف، ومظاهر إعجازه ليس لها عد أو حد. وقد أوجد القرآن الكريم أمماً وأحيا شعوباً، وأقام دولاً، وأنشأ حضارة إنسانية رائعة في فترة قياسية من عمر الزمان، وغير معالم الحياة ومجرى التاريخ، وحرر العقول والأفكار من جمود التقاليد وسلطان العادات ورواسب الجاهلية، وأحدث هزة عنيفة وثورة كبرى في كيان الوجود الإنساني، فنقله من حال إلى حال ومن طور إلى طور. إن حلقات تحفيظ القرآن الكريم التي رعت هؤلاء الحفظة الذين نحتفل اليوم بتكريمهم، تسعى إلى صناعة المناخ القرآني وإيجاد الجو الإيماني، وتعمل على توثيق صلة شبابنا بالقرآن الكريم تلاوة وتجويداً وحفظاً وتطبيقاً وفهماً، واستثمار أوقاتهم وتوظيفها بما يعود عليهم وعلى أهليهم ومجتمعهم بالخير والمنفعة، كما أنها تسهم في حفظ وتحصين الأبناء والبنات من التيارات الوافدة والأفكار المنحرفة والثقافات المسمومة. ولعل مما يدل على نجاح هذه الحلقات في أداء رسالتها، ذلكم الإقبال الكبير عليها من قبل الشباب والشابات، فبعد أن كان عدد المنتسبين إليها منذ سنوات لا يجاوز المئات ارتفع هذا العدد اليوم ليصل إلى أكثر من ثلاثة آلاف طالب وطالبة يدرسون أكثر من مئتي حلقة منتشرة في مختلف المناطق في المحافظات الخمس. وإننا لنتطلع دوماً إلى أداء أفضل، ونتائج أحسن بإذن الله، والأمل معقود على الإخوة المسؤولين في الحلقات من مشرفين ومحفّظين وإداريين، لتحقيق النتائج المرجوة والثمار المطلوبة. هذا وقد جرى بعد ذلك تكريم حفّاظ القرآن الكريم وتقديم الشهادات التقديرية لهم.

منتدى واقع العمل التطوعي الكويتي

كتب: تمام أحمد

تحت رعاية النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد وبحضور وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ أحمد خالد الكليب نيابة عن راعي الحفل افتتح الوزير الكليب فعاليات منتدى واقع العمل التطوعي الكويتي الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف يوم ١٠ رمضان ١٤١٩هـ الموافق ٢٨/١٢/١٩٩٨م في مبنى المقر الدائم للمنظمات العربية في الكويت.

روح تطوعية في الداخل والخارج

وفي حفل الافتتاح أشاد السيد وزير العدل وزير الأوقاف في كلمته بالعمل التطوعي الكويتي الذي أصبح جزءاً من حضارتها الحديثة وشكل ركناً مهماً في علاقاتها الداخلية والخارجية لذلك أصبح من الضروري وضعه تحت المجهر لقياس مردوده، وأشار إلى أن لجنة مسلمي أفريقيا، ولجنة مسلمي آسيا، ولجنة فلسطين، كلها دلالات قاطعة على أن الروح التطوعية لدى الشعب الكويتي لم يخمدها قيام الحكومة في فترات النمو الاقتصادي بالوفاء لاحتياجات المجتمع الكويتي، وكفالة غير القادرين من أبنائه، بل اتجهت الجهود التطوعية لتمديد الرحمة إلى إخوة لنا خارج دولة الكويت. وقال وزير العدل وزير الأوقاف «إنه لمن حسن الطالع أن يأتي هذا المنتدى في شهر رمضان الكريم، يسبغ علينا من نفحاته العطرة، وقيمه المباركة، والتي يأتي البذل والتطوع على رأسها وليؤكده ذلك التلازم والترابط، بين قيمنا الدينية الأصلية وبين تنمية وتزكية روح التطوع بالنفس والمال من أجل الآخرين».

نمو العمل التطوعي

واستطرد الوزير قائلاً: إذا كانت الدوافع الإنسانية فقط هي التي تحرك العمل التطوعي في إطار الحضارات غير الإسلامية، فإن لهذا العمل لدى المسلمين فضلاً عن دوافعه الإنسانية، بل قبلها وسابقة عليها في الأهمية الدوافع الدينية والعقائدية المستخلصة من كتاب الله وسنة رسوله وهدي الصحابة وغيرهم من رجالات الأمة في مراحلها التاريخية المختلفة. وقال لذلك نمت في إطار القيم الدينية الإسلامية الأصيلة لمجتمعنا الكويتي ظاهرة العمل التطوعي منذ نشأة ذلك المجتمع، حتى إبان فترات جفوة الحياة وقلة الموارد وقصورها عن الوفاء بالاحتياجات الأساسية، مشيراً إلى أن هذه الفترات أشعلت مبادئ التكافل الإسلامي وروح العمل التطوعي بالجهد والمال ليحمل الصحيح السقيم، ويعين الغني المحتاج ويتعاون أبناء المجتمع في الوفاء باحتياجاته المختلفة.

علامتان بارزتان

واعتبر الوزير الكليب أن المدرستين المباركية والأحمدية «علامتان بارزتان في تاريخ الكويت المعاصر على مدى أصالة وعراقة العمل التطوعي لدى المجتمع الكويتي، الذي ألفه منذ بداية نشأته، وترجمه رجالات الكويت الأوائل إلى ممارسات فردية وجماعية، وتحول مع الزمن إلى ظاهرة مؤسسية يشع نورها، ويمتد تأثيرها الإيجابي المعطاء، في داخل الكويت وخارجها إلى قارات الدنيا كلها». وأضاف الوزير: استشعارا من الحكومة الكويتية لأهمية الدور التطوعي في بناء المجتمع من خلال المؤسسات التطوعية أو المؤسسات غير الهادفة للربح والتي اتسع نطاق عملها ليشمل جميع جوانب التنمية بكل مفرداتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسة، فإن الحكومة أولت هذا القطاع الحيوي اهتماماً بالغاً، ترسيخاً لجهوده، ودعماً لرسالته، وتحقيقاً لوظائفه، حتى يصبح بحق أهم مفردات النسيج المجتمعي لدولة الكويت، وركناً مهماً في بنائها المؤسسي. وبيّن الوزير الكليب أن العالم كله أخذ يولي اهتماماً كبيراً للمؤسسات التطوعية، ويفرد لها أدواراً في ظل الفلسفة الجديدة التي تسود عالم اليوم، وستصبح حقيقة مؤكدة في عالم الغد وهو تقلص وظائف الحكومات، وتركها ساحة عمل للقطاع الخاص والقطاع التطوعي، وقال: في ظل هذه الفلسفة التي تعم العالم، ونحن جزء منه، ولأسباب أخرى كثيرة ومتعددة، فإن المستشرف لآفاق المستقبل في المنطقة يستخلص إلى أن القرن المقبل يحمل في طياته ظروفاً اقتصادية واجتماعية مختلفة عما ألفناه في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الحالي، وبالتالي، فإن الدول والحكومات لا تستطيع أن تواجهها بشكل منفرد مما يتطلب معه زيادة رقعة التكامل في الأدوار بين المؤسسات الحكومية ونظيراتها التطوعية تكاملاً يحدد المسؤوليات ويوزعها ليمارس كل الدور المأمول منه في مسيرة متزنة لا يطغى فيها دور على آخر».



● أحمد خالد الكليب

لسنا وحدنا

وأردف الوزير الكليب: نحن في ذلك لسنا بدعاً بين الدول، فقد سبقتنا إلى ذلك دول كثيرة لا مجال لحصرها، استطاعت أن تحقق معادلة التوازن بين القطاعين ومن ثم استفادت خيراً ونماء لمجتمعاتها.

وأضاف: إن أدواراً كتلك التي ذكرناها تتطلب منّا جميعاً حكومة وقطاعاً تطوعياً أعداداً واستعداداً يرقيان إلى مستوى الحدث، مما يتطلب منا أن نتوقف بين الفينة والأخرى لنتدارس ونتناقش ونتشاور ونتحاور لنقوم المسيرة ونرشد الظاهرة ونسأل أنفسنا، أين نحن من احتياجات مجتمعاتنا الحقيقية وكيف نتمكن من تلبيتها؟ وأشار إلى أنه لم يعد مقبولاً أمام هذه الرؤية المستقبلية إلا أن ينشط العمل التطوعي منطلقاً من رؤية متكاملة، تستعد للمستقبل بما يليق به، وبما يتناسب مع معطياته. وأثنى الوزير الكليب على جهود الأمانة العامة للأوقاف من أجل جمع المؤسسات والجمعيات التطوعية من خلال وقف الوقت، وفتح مجال حوار تتوحد فيه الرؤى وتتقارب الأفكار، مشدداً على ضرورة سعي هذه المنظمات إلى تجديد حيوتها، والاستفادة من المعطيات العلمية المعاصرة للانطلاق معاً، في تكامل وتساند وتعاضد.

وطالب الجميع من أبناء الوطن والجهات المسؤولة بدعم هذا القطاع الحيوي والأخذ بيده ليكون مشاركاً رئيسياً في العمل التنموي ولأخذ مكانه المأمول في صورة الكويت المرتقبة للقرن المقبل.

الضمان: الرغبة والجدية

من جانبه أكد الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف عبدالمحسن العثمان رغبة وجدية الأمانة في مشروع وقف الوقت، وذلك لأهميته، مشدداً على ضرورة توحيد الجهود التطوعية وتطويرها على هذه الأرض الخصبة للنهوض بمستواه الحقيقي لأنه يعبر عن حقيقة وواقع ملموس في مجتمعنا.

وقال العثمان: «مشروع وقف الوقت مسؤولية الجميع» وتمنى أن تكون خطة العام ١٩٩٩م أكثر طموحاً والتصاقاً لجمعيات العمل التطوعي، مؤكداً أن العمل التطوعي يعي دوره في بناء مستقبل الكويت.

محاور المنتدى

هذا، وقد تضمنت فعاليات المنتدى أربع حلقات نقاشية، أولها دراسة قياس الوعي التطوعي وقدمتها «شركة سيركل للخدمات الإعلامية»، وهي دراسة ميدانية أجريت على ٥٠٠ مواطن تم اختيارهم عشوائياً موزعين على كل المحافظات والشرائح التعليمية والعمرية وتهدف إلى تعرف ميول الوعي العام للتطوع الحضاري.

أما الحلقة النقاشية الثانية فقدمتها «شركة الاستثمار البشري» وتتناول دراسة حصر الاحتياجات التدريبية للمؤسسات التطوعية، كما أنها نفذت بطريقة ميدانية لعينة عشوائية ممثلة بجمعيات النفع العام الكويتية بمختلف أنشطتها، وتهدف إلى تحديد المهارات والاتجاهات والسلوكيات للعاملين في المؤسسة التطوعية ودراسة الأوضاع التنظيمية والإدارية للمؤسسات التطوعية.

وتتناول الحلقة النقاشية الثالثة المقدمة من المستشار «محمد العامر» دراسة الأوضاع التنظيمية والإدارية للمؤسسات التطوعية، وتعتبر دراسة ميدانية لعينة عشوائية ممثلة بجمعيات النفع العام بمختلف أنشطتها، وتهدف إلى التعرف على الأوضاع التنظيمية للمؤسسات التطوعية.

وبالنسبة للحلقة النقاشية الرابعة المقدمة من الدكتور «راشد العجمي» بعنوان «قيادات مستقبلية» فهي دراسة ميدانية لعينة عشوائية ممثلة بجمعيات النفع العام بمختلف أنشطتها، وتهدف إلى رصد ظاهرة الخط الثاني للمؤسسات التطوعية والتعرف على معوقات صناعة الخط الثاني للمؤسسات التطوعية، وطرح آلية التراكم الخبراتي والمعرفي لدى قياديي المؤسسات التطوعية. ■

ندوة
الوعي الإسلامي

٢ / ٢

الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط»

تستكمل الوعي الإسلامي في هذا العدد نشر الجزء الثاني من ندوة الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط» والذي يتحدث فيه كل من الدكتور عادل الفلاح وكيل وزارة الأوقاف المساعد للدراسات الإسلامية والحج حول أولويات الخطاب الإعلامي على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، كما يتحدث الدكتور وائل الحساوي رئيس تحرير مجلة الفرقان، والأستاذ في جامعة الكويت حول حدود وضوابط الخطاب الإعلامي، ثم يتحدث بعد ذلك الأستاذ زهير المزيدي المستشار الإعلامي حول المعايير والأسس في اختيار خطط الخطاب الإعلامي.

الفلاح:

الخطاب الإعلامي غير واضح داخل المؤسسات الرسمية

غياب الوقاية قد يعصف بأمن واستقرار المجتمع

- مطلوب الخطاب الإعلامي المتزن، المتوازن، الواعي، العميق، الشرعي، المفصل
- ما حدث في المجتمع الكويتي ليس بالأمر الهيّن



● الدكتور عادل الفلاح

- ستبقى الكويت بلداً عربياً إسلامياً إلى يوم القيامة
- الوقاية أحد أولويات الخطاب الإعلامي في المجتمع الكويتي



بدأ الدكتور عادل الفلاح وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للدراسات الإسلامية وشؤون الحج حديثه بتوجيه الشكر لمجلة الوعي الإسلامي على دعوته، وعلى اختيار هذه الموضوعات وهذه الصيغة من الندوات التي تثري الفكر الإسلامي، وتثري المادة الإعلامية من خلال هذه اللقاءات وهذه الحوارات وهذه الأطاريح لتضفي مزيداً من الفاعلية لمجلة الوعي الإسلامي في رسالتها وخطابها الإعلامي.

غياب التخطيط الإعلامي

ويستكمل الدكتور الفلاح حديثه بأن قضية أولويات الخطاب الإعلامي تعد من المشاكل التي تواجهنا في المجتمع الكويتي بشكل محدد، فيما يتعلق بغياب التخطيط الإعلامي، ومن ثم تفضل الدكتور محمد الرميحي بالحديث عن موضوع الخطاب الإعلامي والسياسة الإعلامية فقال: إنني أؤكد صعوبة تحديد المصطلح... فالسياسة الإعلامية صعبة التحديد أيضاً... كما أن الخطاب الإعلامي حتى في داخل المؤسسة الرسمية لا يبدو واضحاً من خلال العاملين والمسؤولين فيها، فهناك أكثر من سياسة في الوقت نفسه، بل في اللحظة نفسها. ومن ثم لابد من الاهتمام وتوضيح الرؤية الإعلامية ورسم الاستراتيجية الإعلامية سواء بالنسبة للسياسة ككل أو بالنسبة للسياسات والأدوات الموجودة سواء أكانت رسمية أم شعبية.

اختلاط في الأولويات

وعلى ذلك ... هناك اختلاط في الأولويات للخطاب الإعلامي، إلى جانب غياب أدوات تحديد هذه الأولويات... حيث لا توجد أدوات حسب علمي تحدد هذه الأولويات مثل «مجمع للمفكرين

إعداد :
د. عمادالدين عثمان
تمام أحمد

يلتقون فيه بين فترة وأخرى ومن ثم يحددون الخطاب الإعلامي - رؤية التربويين في المجتمع - رؤية الاجتماعيين - استخدام الدراسات التي تجرى في المجتمع الكويتي «دراسات مسحية وميدانية وغيرها»، ومن ثم تحدد مشاكل المجتمع من حيث حقيقتها - حجمها - وبناء على ذلك، يتم إعداد الخطاب الإعلامي أو السياسة الإعلامية أو المادة الإعلامية التي تأخذ الأولوية نتيجة رؤية علمية ورؤية منهجية.

أسلوب المخاطبة

وحتى بعد تجاوز هذه المشكلات فقد تغيب أشياء مهمة جداً في الخطاب الإعلامي وهي قضية «أسلوب المخاطبة» أو «أسلوب المعالجة» للمشكلة - فلربما تحمست بعض الصحف في علاج بعض المشكلات الاجتماعية، فطرحت أسلوب التهويل في القضايا الاجتماعية مثلاً «قضية الطلاق - قضية المخدرات - قضية الانحراف الأخلاقي - أو حتى قضية الخيانة الزوجية...» وغير ذلك، فطُرحت بشكل فيه تهويل، بل فيه مغالطات ومبالغات، فالإحصاءات التي طرحت أو النسب التي ذكرت نسب غير حقيقية، وغير منهجية، وغير علمية، ومن ثم فيما أظن أن مثل هذا الخطاب جاء بنتائج عكسية، وقد لمست بعضها من خلال حوارات مع بعض الشباب.

استشراف المستقبل

إذاً فاستخدام الأدوات السليمة للتخطيط، واحترام المفكرين وقادة الرأي واستشارتهم وأخذ رأيهم في وضع السياسة الإعلامية، وأيضاً أسلوب العلاج والمعالجة السلبية في الخطاب الإعلامي، بالإضافة إلى ذلك فالمجتمعات اليوم قطعت شوطاً كبيراً في مجالات كثيرة فيما يسمى باستشراف المستقبل، الرؤيا للمستقبل، تحسس المستقبل، الحدس لهذا المستقبل، ولكنها مؤشرات، أرقام، إحصاءات، ظواهر تتجمع مثل كرة الثلج تكبر شيئاً فشيئاً، فيكون هناك رؤية، إذا ظلت الظاهرة بمثل هذه الصورة أو الوضع بمثل هذه الصورة، فماذا سيكون بعد خمس أو عشر سنوات. واليوم لدينا أدوات متعددة تعطي أو تمنح رؤية إلى حد كبير ذات مصداقية، وأيضاً مثل هذا الشيء يغيب عن مجتمعنا، ويغيب عن الخطاب الإعلامي، ومن ثمَّ غياب الوقاية عن الأشياء أو الظواهر أو الأسباب التي قد تؤدي أو تعصف بأمن المجتمع أو استقراره أو كيانه أو وجوده أو نموه وازدهاره.

واقع موجود

هذه في الحقيقة مقدمة بشكل إجمالي عن واقع موجود نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى وجود مؤسسات تأخذ هذا الجانب من الدراسات وتشارك على المستويين الرسمي والشعبي في توجيه السياسات وتوجيه الخطاب الإعلامي ليكن أنفع في بناء المجتمع.



الخطاب الإعلامي المحلي

وتناول الدكتور عادل الفلاح قضية

الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط»

الوقاية قائلاً: قد تكون أحد أولويات الخطاب الإعلامي المحلي في المجتمع الكويتي - وقد ذكر الدكتور الرميحي أن هناك عنفاً في المجتمع الكويتي، وحدد هذا العنف بالعنف اللفظي، ثم يتساءل الدكتور الفلاح هل هناك عنف بدني؟ أو هل يتوقع أن يكون هناك تطرف في المجتمع الكويتي؟ واليوم من فضل الله عز وجل المجتمع الكويتي يتمتع بظاهرة الاستقرار، وإن ما نشاهده من تطرف في شتى أرجاء العالم الإسلامي، وتحت مظلة الدين قضية خطيرة، وموضوع الدين والحاجة إليه حاجة إنسانية وبشرية وفطرية لا يمكن الاستغناء عنها، وبقدر ما هي حاجة «ملحة» جداً، بقدر ما تعتبر من أسهل الوسائل لدى الكثيرين في توظيفه لمقاصدهم، فيما إذا كانت سياسية أو مصلحية أو ناتجة عن عقد نفسية أو اجتماعية يعيشها الإنسان، ومن ثم يضع غلاف الدين أو يحاول أن يغلف القضية التي ينطلق إليها بغلاف ديني ومن ثم تأتي مشاكل متعددة على المجتمع.

قضية التطرف

فقضية التطرف كما قلت ليست هي ظاهرة في الأساس، ولكن هل هناك بذور في المجتمع لها... ربما تكون موجودة، وأستطيع أن أقول إنها موجودة، وخطورة هذه البذور أو هذه النبتة أنها نبتة غريبة وشاذة... وربما تكمن وهي تُسْقى فترة طويلة من الزمان فتأتي بعد ذلك بشكل فجائي وسريع وتظهر في المجتمع وبمتوالية هندسية.

تحصين المجتمع

إذاً، فالخطاب الإعلامي في إعداد خطاب الوعي الإسلامي يتمثل في خطاب الأدوات الإسلامية: «خطاب وزارة الأوقاف - خطباء المساجد - خطاب العلماء - والمجلات» كلها حينما تنظر إلى قضية أولوية هذا الخطاب في تحصين المجتمع تحصيناً سليماً تنظر لمثل هذه القضايا الخطيرة بأن يكون هناك خطاب إعلامي متزن ومتوازن، واعٍ وعميق وشرعي، ومتأصل، يغلق الأبواب أمام من يريد أن يتلاعب بقضية من قضايا الدين، أو يريد أن يوظفها ويطرحها بشكل مشوه، أو حسب مقاصده الخاصة.

إذاً فمن أولويات الخطاب الإعلامي المحلي لابد أن يكون هناك حفاظ على درجة الوعي الموجودة، ومن ثمّ الحفاظ على هذا المكتسب وتعميقه وتأصيله وتأطيره.

قضية الوحدة الوطنية

وإذا انتقلنا إلى قضية أخرى في أولويات الخطاب الإعلامي المحلي، وهي قضية الوحدة الوطنية... فمما لا شك فيه أنه مما يفخر به المجتمع الكويتي عبر التاريخ خلال ٣٠٠ سنة الماضية التميز في هذه الوحدة الوطنية وفي هذا التكاتف والتعاون والتعايش والتآلف خلال القرون الثلاثة الماضية... وما يحدث أحياناً وما نسمعه الآن من أصوات تنبعث من هنا وهناك لتخدش هذه الوحدة الوطنية هي أصوات نشاز غير موجودة في قضية الطائفية عبر تاريخ الكويت، وهناك تعايش وتآلف بين الطائفتين في المجتمع الكويتي يلفهما حب وتعاون وترابط وتداخل اجتماعي عميق، وأن النبرات التي ظهرت منذ عشر سنوات أو خمس عشرة سنة ربما يرى الراصد أنها انخفضت، ولكنها مازالت موجودة!! فكيف إذاً نعد الخطاب الإعلامي لنحافظ على المكتسبات القديمة ونستمر في هذا المكتسب في قضية الوحدة الوطنية.

قضية الوطنية

وقضية الوطنية كتأصيل شرعي حتى اليوم لم تقدم من وزارة الأوقاف أو من الشرعيين أو الإسلاميين بالصورة الواضحة في تأصيلها... وربما البعض يرى أن القضية الوطنية قضية عنصرية... قضية إقليمية ممقوتة، أو غير ذلك، في حين أن بعض الأدلة والشواهد تحض على الوطنية وتأصيلها وتحافظ عليها في أطر معينة لا تكون دافعاً إلى عنصرية أو موقف تجاه الآخرين على قدر ما هو دفاع عن الوطن والأرض والمال، وعن النفس، وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي تحافظ على كيان المجتمع واستقراره، وهذا أيضاً جانب من الجوانب التي تعتبر من الأولويات.

التأطير والتأصيل النظري

ومن أولويات الخطاب الإعلامي المحلي أيضاً أن نخرج عن التأطير والتأصيل النظري «فالإسلام عالج المشكلات، والإسلام أوجد الحلول، والإسلام صالح لكل زمان ومكان...» هذه القضايا مؤصلة بحمد الله ومتأصلة في نفوس الناس والشعب الكويتي، ولكن تساؤل الناس ما الحل العملي الذي يقدمه الإسلام لمشاكل نعيشها في أيامنا، في حياتنا، في جزئياتنا؟... إذاً فالخطاب الإعلامي لابد أن يتوجه إلى المشكلات الواقعية التي يعاينها الناس.

تشاؤم... إحباط

ويستكمل الدكتور الفلاح حديثه فيوضح أن الخطاب الإسلامي الذي يوجه اليوم مشبّع جداً في التشاؤم ومشبع بالإحباط، فالإشراقة، الأمل، بصيص النور... في أحيان كثيرة لا نسمعها في خطبة الخطيب... إذاً فسياسة الخطاب يجب أن تتحول من التشاؤم والإحباط إلى الأمل والطموح، فهناك كثير من الإنجازات في العالم الإسلامي، ولكننا لا نرى إلا الجوانب السلبية ونضخمها، وربما أيضاً بعض الجوانب الإيجابية تطرح وكأنها أزمة من الأزمات، ولا شك أننا نريد أن نعالج السلبيات الموجودة، ولكننا نعالجها مع إبراز الإيجابيات الأخرى، فلنعالجها بموضوعية ودون استخدام منهج الإثارة في الخطاب الإعلامي.

تهيئة الأجواء

أيضاً هناك قضية تهيئة الأجواء لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية... فبما أن المجتمع الكويتي يتوجه من خلال رغبة صاحب السمو والرغبة الشعبية ورغبة المؤسسات إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، يكون من أولويات الخطاب الإعلامي وكل خطاب عليه أن يهيئ الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية، لأن المجتمع الكويتي ولله الحمد مجتمع مسلم، وربما في طفرة حضارية أو مرحلة تاريخية جاءت بعض القوانين وبعض الظواهر الاجتماعية، ليس فقط في المجتمع الكويتي، بل في المجتمعات كلها، فاستكمال هذا النقص الموجود في الجانب التشريعي أو التربوي أو الإعلامي أو الاجتماعي، على الخطاب الإعلامي أن يسهم في تهيئة النفوس والعقول لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وخصوصاً أن القضية لا تحتاج إلى عملية جراحية عميقة وخطيرة، قدر احتياجها إلى علاج لجزئيات أو جروح في الجسد إذا أحسن اختيار الدواء.

الخطاب العربي أو الإسلامي

وإذا انتقلنا إلى الخطاب العربي أو الإسلامي الإقليمي فأنا أؤكد البعد العربي للمجتمع الكويتي، فالمجتمع الكويتي جزء من الأمة العربية رغم كل الظروف التي حدثت وسيبقى عربياً إسلامياً إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى، وأن ما حدث في المجتمع الكويتي ليس بالأمر الهين، وهذا أيضاً ما يجب أن تعرفه المجتمعات الأخرى، ويجب أن يتم تذكير الأجيال الجديدة في المجتمعات الأخرى بما حدث... فيجب على المجتمع العربي أن يعرف أن القضية لتبقى بالنسبة للخدش الكبير الذي حدث في قيمنا العربية والإسلامية... وأيضاً تبقى صورة الكويت واضحة بموقفها العادل ويجب أن يتضح حجم المأساة التي يعاينها المجتمع الكويتي وليس معنى ذلك أن الكويت تجاوزت كل هذا وانتهى

الأمر.

كما أن الكويت تهتم بالعالم العربي وتشارك في كل القضايا العربية وكذلك تهتم بمصير المجتمع العربي... كما أنها تشارك في التنمية للمجتمعات العربية... الأمر نفسه ينطبق على البعد الإسلامي... فتأكيد المجتمع الكويتي في بعده الإسلامي العميق وفي دوره ونشاطه الإسلاميين، وإبراز المؤسسات الإسلامية في المجتمع الكويتي التي لها إسهامات كثيرة، والتي للأسف الشديد لم تقدم هذه الإنجازات في صيغتها الإعلامية المناسبة حتى الآن، ثم طالب الدكتور الفلاح في حديثه بأن تأخذ الكويت دورها في تقديم الفكر الإسلامي الناضج، الراقي، المتزن، المتوازن، الذي يحدث الاتزان في المجتمعات، بدل أن تدفع الضريبة الغالية الباهظة والمشوهة للإسلام من جانب، والمؤدية إلى تحطيم المجتمعات من جانب آخر، وفي بعض الأحيان يدفع الأطفال هذه الضريبة نتيجة للتطرف... وتأخر المجتمعات الإسلامية غني عن الأمثلة فيما يحدث في العالم الإسلامي.

فتقديم الرؤى الإسلامية الشرعية تكون كما يقدمها بيت الزكاة فهو يقدم الرؤية الإسلامية في الزكاة بتفاصيلها، كما يقوم الطب الإسلامي أيضاً بتقديم الرؤية الإسلامية في قضايا الصحة، وكذلك تقوم وزارة الأوقاف بتقديم الفتوى، وقضايا الفكر الإسلامي الناضج، كل ذلك يقدم من خلال الكويت، وأتمنى لها دوراً رائداً وكانت ومازالت لها دور في تقدم الفكر ونضج العقلية الإسلامية.

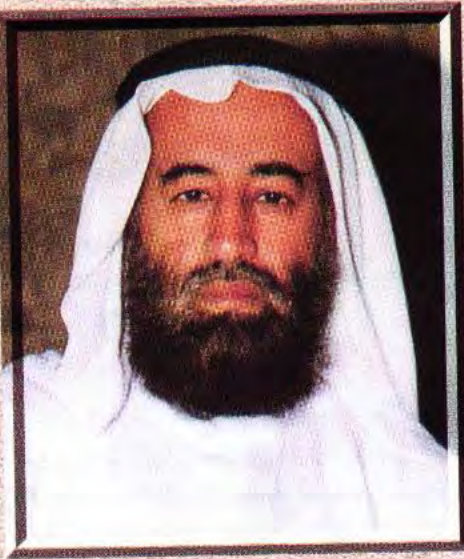
الخطاب الدولي... وقضايا الإسلام

ويختتم الدكتور الفلاح حديثه بتوضيح الخطاب الإعلامي في جانبه الدولي والذي يطالب فيه بأهمية إظهار الكويت المحبة للسلام، وبدورها في قضايا السلام، والدور الإنساني من خلال المؤسسات المتعددة التي تقوم بالعمل على تنمية المجتمعات النامية وتقديم هذه المساعدات التي تشكل أكثر من ١٠ في المئة من الدخل القومي للكويت.

وتحدث بعد ذلك الأستاذ الدكتور وائل الحساوي رئيس تحرير مجلة الفرقان والأستاذ في جامعة الكويت حول حدود وضوابط الخطاب الإعلامي فأوضح أن الحرية الإعلامية ترتبط بالركائز الفكرية للنظام الإعلامي السائد، وهو يرتبط بأصول النظام الاجتماعي العام ونظرته للكون والحياة والإنسان والقيم.

وتكاد الدراسات الإعلامية والاجتماعية تجمع على أن إعلام كل أمة إنما هو انبثاق من عقائدها وإطارها الفكري العام.

الحساوي



بعض ردات الفعل العارضة اليوم بسبب التطرف في تحدي مشاعر الناس، ونشر ما يسيء لهم

الإسلام يضع قضايا الحرية والعدل والمساواة والشورى والحكمة في حسابه

أسس الحرية الإعلامية:

١ - أساس فلسفي: مرتبط بالفلسفة المادية من لدن أفلاطون وأرسطو، ويرى بأن الإنسان حر بالفطرة وأن الحرية هي القاعدة وأن كل قيد يَرِدُ عليها هو استثناء «لا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا عاش الإنسان منفرداً».

٢ - أساس دستوري: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: «لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير».

٣ - أساس قانوني: قوانين النظم المعاصرة تنص على الحرية الإعلامية «الطبع والنشر والإذاعة والتلفاز - القيود على نشر الأخر ضماناً للمصلحة العامة وصيانة لحقوق الأفراد، حماية الإنتاج الأدبي والفكري - القيود».

١ - جاءت المناداة بحرية الإعلام في إطار الحرية المطلقة المرتبطة بنظرية الحقوق الطبيعية ونظرية العقد الاجتماعي.

٢ - كانت إعلانات الدساتير الدولية لكل من فرنسا وإنكلترا والولايات المتحدة تؤكد أن الحكومات لم تنشأ أصلاً إلا لكي تضمن هذه الحقوق ومنها حق الحرية بمعناها الشامل.

٣ - يقول الباحثان «ليونارد راي تيل» و«رون تيلور»: إن الأسلاف الذين وضعوا دستور الولايات المتحدة الأميركية فهموا بشكل بالغ الدقة كيف يمكن إساءة استخدام السلطة، لهذا السبب أنشؤوا داخل جهاز الحكومة نظاماً فريداً معقداً للحساب والمراجعة، فالكونغرس يراقب أعمال الرئيس، والمحكمة العليا تتابعهما معاً، وتجيء الصحافة بعد ذلك لتكشف كل الأسرار، ولضمان عدم تقييد الصحافة، كفل واضعو الدستور حرية الصحافة وأضفوا عليها قداسة، ضمنت لها مقعد السلطة «داخل المجتمع الأميركي».

«المادة الثانية من الدستور بعد التعديل»

وأوضح الحساوي أن الحرية في الدراسات الإعلامية الغربية ارتبطت بـ:

١ - المعيار الإنساني وهو العقل المجرد.

٢ - المعيار الاجتماعي وهو المصلحة الوطنية أو غيرها.

٣ - المعيار السياسي وهو الدستور.

٤ - المعيار الديموقراطي وهو احترام إرادة أغلب الرأي العام.

٥ - المعيار الدولي وهو وثيقة حقوق الإنسان وليس للشرع أي اعتبار.

وقد تحول مفهوم حرية الإعلام أو حرية المعلومات إلى أربع مراحل في الولايات المتحدة:

«التدفق الحر - التدفق الحر المسؤول - التدفق الحر المتوازن - حق الاتصال».

حيث يرى كثير من الكتّاب في حقل الإعلام أن الفكرة القائلة بحرية الإعلام قد أضحت فكرة بائدة مثل مبدأ عدم التدخل في الاقتصاد، وتوصلوا إلى أن «الحق في الاتصال ينبغي أن ينص على تأكيد المساواة لكل الأطراف في عملية الاتصال، وأن ينطوي على تدفق إعلامي متعدد الثقافات والاتجاهات، وأن يتضمن حقاً



الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط»

سلبياً وحقاً إيجابياً في الاتصال على نحو يسمح بأقصى قدر ممكن من التبادل والمشاركة وفرص الانتفاع».

إشكالية التدفق الإعلامي

يقول الدكتور مساعد العرابي الحارثي: «إن الذين يظنون أن البث المباشر سيكون نعمة للتقارب بين الثقافات وتوحيد الحضارات وتبادل الفكر مخطؤون لأن الذين يملكون القدرة على البث سيسيطرون بحضارتهم وأفكارهم ومذاهبهم على الساحة الدولية وسيصبح الاتصال في الواقع الآن في اتجاه واحد».

المشكلة هي أن حرية التعبير عن الرأي تعطى لمن يمتلك وسائل الإعلام «اليهود» فتعمل القلة المسيطرة على توجيه العقول كما تهوى وتريد، ومن أقوال اليهود: «سنمتطي صهوة الصحافة ونكبح جماحها». «لن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا». «يجب أن نشجع ذوي السوابق اللاأخلاقية على تولي المهام الصحافية الكبرى».

ويستطرد الدكتور الحساوي في بيانه إظهار دور اليهود في السيطرة على وسائل الإعلام ومن ذلك:

١ ـ المؤتمر الصهيوني الأول برئاسة «ثيودور هرتزل» العام ١٨٩٧م في مدينة بال السويسرية: لن يتم مخططهم لإقامة دولة إسرائيل ما لم تتم لهم السيطرة على وسائل الإعلام وبخاصة الصحافة.

٢ ـ البروتوكول ١٢ من حكماء صهيون:

ويرى الدكتور عبدالحكيم حسن العيلي: «أن بريطانيا كانت تنادي بحرية التجارة فاستعمرت العالم أو كادت، وأميركا تنادي بحرية تدفق المعلومات، فاستعمرت العالم ثقافياً أو كادت».

وما أظن المناداة بحق الاتصال إلا استعمار جديد، فحق الاتصال في الرؤية المادية مرتبطة بنظريتي الحقوق الطبيعية والعقد الاجتماعي وهما الركيزتان الأساسيتان لحق الحرية في الرؤية الليبرالية الغربية».

انتقاد الشيوعيين

يرى لينين أن المفهوم البرجوازي لحرية الصحافة لا يخدم سوى استمرار وجود الأقلية الحاكمة التي تملك وسائل الإعلام. وفي الشيوعية وضعت الحرية الإعلامية بيد الحزب المسيطر وهم قلة، بينما يخضع أفراد الأمة للكبت والقهر دون الحق في المناقشة «الحزب هو الذي يحدد مصلحة الشعب» (حرية الحزب لا الشعب). وبعد إلحاح دول العالم الثالث، وافق المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في العام ١٩٨٠م على مشروع لنظام عالمي جديد للإعلام والاتصال بعد ٣ سنوات من الاجتماعات طرحت تساؤلات كثيرة حول الإعلام: من يمتلكه، ويتصرف فيه؟ من أين يأتي وأين يذهب؟ وهل ستؤدي تكنولوجيا وسائل الاتصال الحديث إلى أن تحتكر البلاد الصناعية المتقدمة الإعلام، وتسيطر عليه سيطرة كاملة؟ وبالمقابل هل ستضع الدول النامية العراقيل أمام تداول الأخبار لأسباب أيديولوجية أو قومية؟

الاتفاق الوحيد الذي توصلوا إليه هو أن كل دولة يجب أن تحتفظ بسيادتها داخل حدودها في مجال الإعلام، هل هذا ممكن الآن بعد الثورة الرابعة أو الخامسة للإعلام؟

وبعد أن استشعر الغرب خطورة الحرية الإعلامية المطلقة:

١ ـ عُقد في لندن مؤتمر دولي حول حرية تبادل المعلومات بين الدول المتحالفة حضره مندوبون عن ٣٥ دولة غربية وشرقية، دار الحوار عن أهمية التفكير لإيجاد لغة إعلام جديدة تطهر وسائل الإعلام من السوقية والهبوط.

٢ ـ المؤتمر في الولايات المتحدة «كلينتون» «حماية الأطفال».

٣ ـ الرقابة على الإنترنت «إيطاليا» «الصين» «ماليزيا». شبكة Usenet في ألمانيا ـ مناقشات حامية في الولايات المتحدة «الكونغرس والمحكمة».

٤ ـ الصحف الصفراء «تابلويد» وكيف أحرجت الحكومات «قضية ديانا» وانفلات لا حد له.

ويستكمل الدكتور الحساوي حديثه بالقول:

ما حدود وضوابط الحرية بشكل عام؟ سئل الفيلسوف البريطاني برتراند رسل: لو قرر البرلمان البريطاني أن تكون بريطانيا شيوعية بالأغلبية فهل توافق أنت، فأجاب على الفور: لا بالطبع، لأن البرلمان في هذه الحال المفترضة يتنكر لأسس الديموقراطية والنظام البرلماني، فكأنه يلغي أسس وجوده ذاتها، وقد انتخب أعضاؤه لحماية تلك الأسس التي قامت عليها الدولة ودستورها ومؤسساتها السياسية كلها.

إذاً، هل يمكن السماح للخطاب الإعلامي بالتعرض لما يعتبر مسلمات أو قضايا بالغة الحساسية خصوصاً إذا كانت تتنافى مع قيم الشعب وعقائده؟

ففي الإسلام: تقييد الحدود والضوابط بالدين الإسلامي هو الذي يستطيع تحقيق التوازن في بلادنا، خصوصاً ونحن نتعامل مع أغلبية مسلمة.

بعض ردات الفعل الصارخة اليوم هي بسبب التطرف في تحدي مشاعر الناس ونشر ما يسيء لهم أو التصدي لهذا التطرف، ولكن الممارسة والمزيد من الفهم سيزيل تلك الصورة بإذن الله.

يجب عدم مقارنة الإسلام بمحاكم التفتيش الأوروبية أو القمع الديني ومصادرة الحريات لأن الإسلام يضع قضايا الحرية ـ العدل ـ المساواة ـ الشورى ـ الحكمة في حسابه.

الإسلام لا ينهى إلا عما يضر نشره حقيقة لا قولاً.

هناك جوانب ليس لها رأي كامل في الإسلام، ولكن تخضع للاجتهاد على هدي من تعاليم الإسلام: أخبار الجريمة ـ التعرض للشخصيات العامة ـ ما يضر الإنسان.

ويوضح الدكتور وائل الحساوي ضوابط الخطاب الإعلامي في الإسلام:

١ ـ غاية الإعلام الإسلامي: مرضاة الله تعالى من خلال:



أ ـ دعوة التوحيد ونشرها بين الناس وجعلها محوراً للحياة.

ب ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج ـ إقامة الحياة السعيدة وعلاج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية.

د ـ الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية والنهوض الفكري والسياسي والحضاري بها فكل ما يخالف هذه الدعوة يجب منعه.

٢ ـ مشروعية القول:

الأصل في القول الجواز ما لم يتعد حدود الله: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن).

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، «من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

الإعلام الحر هو الذي يقول الحقيقة كاملة، دون مواربة.

٣ ـ المسؤولية الإعلامية في الإسلام:

المسؤولية من أهم ضوابط الحرية الإعلامية وهي نابعة من ضمير الإنسان وليست إلزامية قسرية من خارج الذات الإنسانية: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).

لا ينبغي أن يدفعه النقد إلى إثارة الفتن وتفريق جماعة المسلمين.

٤ ـ رعاية المصلحة ودرء المفسدة:

«شاع العمل الإعلامي اليوم التعريض بالأبرياء ونشر الغسيل وإشاعة الفاحشة وفضح الأسرار من أجل السبق الإعلامي».

كلام ابن مسعود: «ما أنت بمحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

درء المفاسد مقدم على جلب المصالح «قضية الكبت».

أساس خطابنا الإعلامي

ثم استعرض بعد ذلك الأستاذ زهير المزيدي المستشار الإعلامي المحور الأخير من محاور الندوة والذي يدور حول «أسس توجيه الخطاب الإعلامي» موضحاً أن أساس خطابنا الإعلامي يدور حول محور (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)، وبين أن الأسلوب القديم في اختيار الخطاب الإعلامي كان يعتمد على اجتماع أصحاب الشأن لاقتراح شكل ومضمون معين لمجلة ما بناء على ما يؤمنون به من تطلعات ومبادئ ـ ويعتمد كذلك على قوالب معينة عن صورة الشرائح المستهدفة بالخطاب الإعلامي... وعلى هذا فالنتيجة تجيء باعتماد أسلوب «حدسي» غير علمي في التخطيط وبالتالي إنفاق مبالغ طائلة دون أن تصل الرسالة إلى الشرائح المستهدفة للخطاب، وقد تؤدي هذه النتيجة إلى «الانسحاب من الأسواق».



الأسلوب الحديث

أما الأسلوب في التخطيط الإعلامي وكما يراه المستشار زهير المزيدي فيتم اعتماد أهداف عامة تشمل «المبادئ والقيم، وما تود أن تدعو إليه» ويتم إعداد استبيان عام ودراسة ميدانية، تدخل فيه جميع هذه المعطيات والتوقعات من أجل التعرف على:

١ ـ نسبة وواقعية ما نطمح إليه من أهداف.

٢ ـ درجة عمق رسائلنا.

٣ ـ نسبة إدراج كل قيمة، ومسارنا العام في أسلوب الخطاب.

ومن النتائج المتوقعة: هل ما أوردناه من «أهداف، وقيم ومبادئ» يقع ضمن ما يتطلع إليه الجمهور المستهدف؟

ـ وهل من قيم ومبادئ أو رسائل يمكن إدراجها، أثارها الجمهور ويرغب في إدراجها ضمن خطابنا الإعلامي؟

ـ وهل من تفصيلات من قبل شرائحنا المستهدفة تجاه «الشكل أو المضمون»؟

ـ التعرف عن قرب على المنافسين، ماذا يقدمون، وكيف يمكن أن نميز خطابنا الإعلامي كي نكون أضفنا إضافة نوعية حقيقية لا شكلية في الساحة الإعلامية.

ـ معدلات الاطلاع، صفات المطلعين، أجناسهم، عاداتهم ومستوياتهم العلمية والثقافية، ومواقعهم الجغرافية.

وفيما يتعلق بالتنفيذ أوضح المزيدي أنه يكون في «الأسلوب الخطابي المفضّل «مباشر غير مباشر، فكري، التسالي، المرأة... وكذلك في كُتاب معينين يميل إليهم القراء...

ويستكمل المزيدي موضحاً أن أساليب الترويج للخطاب الإعلامي تجعلنا نسأل أنفسنا، ما الذي نستطيع أن نقوم به ولا يستطيع المنافسون القيام به؟! «عقد ندوات دولية، دعم حكومي...» وكذا كيف نصل إلى الشرائح التي لم تقرأ ولا نفكر بالاطلاع على إنتاجنا الإعلامي..

وعلى ذلك فعند التفكير في الترويج لابد من اعتماد أسلوب رجع الصدى مع القراء عن طريق تملئة بيانات رأي دائمة، وزيادة الجهد التسويقي بمختلف الطرق والتحالف مع كل المؤسسات الإسلامية لتحقيق الانتشار المطلوب. كذلك يجب دراسة ومراجعة دائمة لأركان العملية الإعلامية «المرسل والوسيلة، المرسل إليه، الرسالة، الضوضاء، رجع الصدى، التحليل».

وتتعدد أدوات قياس تخطيط الخطاب الإعلامي بين الاستبيان الميداني «الكمي ـ النوعي» عبر الهاتف، البريد.

واستعرض المزيدي أمثلة لمجلات ناجحة مثل: ADAGE - E, MEDIA.

واختتم حديثه بتناول دور كل من وكالة الإعلان ووكالة التوزيع، موضحاً أن وكالة الإعلان هي من يحدد الوجود الفعلي للوسيلة في الأسواق «محلياً وجغرافياً»، فمن الأهمية بمكان عدم إغفال دور الوكالة في منحها جميع البيانات الخاصة بالوسيلة، عن طريق إيصال الوسيلة بشكل دوري «مجاناً» إضافة إلى أي عروض تسويقية خاصة أو أي تحسينات تطرأ عليها، آخذين بعين الاعتبار أن الوكالة ستكون أقدر على إقناع العميل بالإعلان في هيئة تعاقدات سنوية.

وبخصوص وكالة التوزيع، فإنها تقوم بعملية التوزيع وتتمثل قوتها في عدد نقاط التوزيع التابعة لها ومن الممكن التفاوض معها بشأن المرتجع للتوزيع في مناطق جغرافية ليست بذات جدوى تسويقية، التفاوض على الترويج عن طريق الإعلان دون مقابل. ■



الوعي الإسلامي

تفتح ملف

العمل الخيري في الكويت

كيف أصبح الخير صناعة وطنية تصدر لقارات العالم؟

امتاز أهل الكويت منذ القدم بحب الخير، والعمل من أجله والحرص على التراحم والتكافل في السراء والضراء. وقد سجل التاريخ مواقف خالدة لأهل الكويت في حبهم للخير رغم ضنك الحياة.

ومع ظهور النفط، اتسعت دائرة العمل الخيري بعد أن شملت المحتاجين داخل البلاد، انتقلت إلى الإخوة المسلمين في كل أرجاء المعمورة، لتقديم مساعدات أهل الكويت إلى الأيتام وطلاب العلم والفقراء.

وانتشرت مصانع الخير الكويتية في كل دول العالم الإسلامي، ولدى الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية وراجت هذه الصناعة وأصبحت مصدر فخر واعتزاز لتقديم الدعم والتواصل مع الفقراء والمحتاجين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومع حدوث الغزو العراقي الغاشم لأرض الخير والعطاء لم تتوقف مصانع الخير عن الإنتاج والعطاء لإيمان أهل الكويت الراسخ بعدل قضيتهم، وعودة حقوقهم، فإن ما قدموه قبل الغزو كان تصديقاً لقول رسول الله - ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»، وبالفعل كانت صنائع المعروف وقاية حقيقية للفرد والمجتمع والدولة، حيث البركة والطمأنينة والتوفيق في العمل والرزق وتجنب الشرور والعقبات.

والوعي الإسلامي تسلط الضوء على مسيرة العمل الخيري الكويتي من خلال هذا الملف الشهري لتأكيد دور الكويت الخيري والحضاري دون منة ولتأكيد أصالة هذا الشعب وتمسكه بالقيم الإسلامية التي نادى بها كتاب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - لتحقيق العدالة والمساواة والإخاء بين المسلمين في كل مكان.

لجنة مسلمي أفريقيا

٣

إعداد: أحمد عثمان

ولنفتح صفحة جديدة مشرقة من صفحات ملف العملي الخيري في الكويت، فنرى منارة أخرى تشع بالخير والعطاء في قارة أفريقيا منذ العام ١٩٨١م وهي لجنة مسلمي أفريقيا. وقد اختصت اللجنة في مجالات التنمية الاجتماعية دون تمييز على أسس قبلية أو دينية أو عرقية أو غيرها للنهوض بمستوى السكان في المجالات الحيوية.

د. عبدالرحمن السميط أمين عام اللجنة:

اختيار سمو الأمير الشخصية الأولى للعمل الخيري دعم لمؤسساتنا الخيرية

من الطب للتجارة

وقد كان لـ«مجلة الوعي الإسلامي» هذا اللقاء مع أمين عام اللجنة الدكتور عبدالرحمن حمود السميط.

والدكتور السميط اختصاصي أمراض باطنية، عمل في مستشفيات كندا وبريطانيا لمدة خمس سنوات، ثم عمل في القسم الباطني في مستشفى الصباح في دولة الكويت.

وقد ترك مهنة الطب ليتفرغ تماماً للعمل الخيري وتجارة صناعة الخير الكويتية وهي التجارة الباقية التي لا تبور.

دخل في مجاهل وغابات أفريقيا السوداء وسط التخلف والمرض والجوع والقرصنة ليحقق أهدافه الطموحة في إنقاذ هذه الفئة من المرض والجوع والأمية، بعد أن أصبحت أفريقيا قارة المسلمين المنسيين، لقد دخلها الإسلام في هجرة الحبشة الأولى قبل أن يدخل المدينة المنورة على



● د. عبدالرحمن حمود السميط

ساكنها أفضل الصلاة والسلام... وفيها أول ملك دخل في دين الله.

ويواصل الدكتور السميط ليله بنهاره ويخوض في المياه الملوثة حتى رقبته ولمسافة

تصل إلى ٤ كيلو مترات للوصول إلى فقير يقدم له لقمة عيش.

لقد أصيب في الصومال وهو يمارس مهنته الإنسانية الفذة بذبحة قلبية نقل على أثرها بالطائرة إلى جدة وأجريت له عملية تبديل أربعة شرايين في القلب داخل المستشفى العسكري في الرياض.

لدغ مرات عدة من الثعابين والعقارب، وسقط من هيكل أحد المساجد فأصيب بانزلاق في إحدى فقرات عموده الفقري، وهو ما زال يعمل بكل إصرار ونشاط وحيوية وينام في مكاتب اللجنة التي تبلغ ٣٤ مكتباً في دول أفريقيا، فوق المكاتب أحياناً، وفي غرف تابعة للمكتب أحياناً أخرى، لهذا استحق تقدير الحكومات المختلفة ونال ثقتهم فحاز على أرفع الأوسمة.

فقد حصل على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام والمسلمين العام وهي ٢٠٠ ألف دولار وذلك في العام ١٤١٦هـ، وتبرع بهذه الجائزة لصالح مشروع وقف تعليمي لأبناء أفريقيا. كما حصل على وسام قادة وملوك دول مجلس التعاون الخليجي العام ١٩٨٩م، تقديراً لخدماته الإنسانية، وعن لجنة مسلمي أفريقيا وأنشطتها وطموحاتها كان هذا اللقاء:



العمل الخيري

● هل يمكنك أن تعطينا نبذة تاريخية عن العمل الخيري في الكويت قديماً؟ وكيف هي نظرة أهل الكويت للعمل الخيري بشكل عام؟

ـ الكويت بلد إسلامي والعمل الخيري جزء من لحم الشعب ودمه، بدأ عمل الخير في الكويت منذ أول يوم بدأت فيه الكويت، فالمسلم لا يعيش بمعزل عن المحتاج والفقير، وبخاصة أن نسبة كبيرة من الكويتيين هاجروا من نجد بسبب المجاعات التي اجتاحت نجد قبل مئتي سنة، وأغلب حكام الكويت غلب عليهم عمل الخير حتى اقترن اسم جابر الأول باسم جابر العيش لكثرة إحسانه وخيره.

جميع ميزانيات اللجان الخيرية تُراجع من مكاتب تدقيق الحسابات

والجمعية الخيرية التي تأسست في بداية هذا القرن والمدارس كالمباركية والأحمدية وغيرها مثال على العمل المنظّم، حيث استمرت أعمال الخير بلا انقطاع، وبرزت أسماء كثيرة في مجال العمل الخيري مثل إبراهيم المضف الذي أوقف الأوقاف للمساجد وتبرع للمدرسة المباركية وأحسن إلى كثير من المحتاجين، وصالح الإبراهيم الذي ساعد متضرري السيول في الثلاثينات وبنى المساجد وغيرها، وفرحان الخالد الذي دفع الكثير من ماله الخاص لأعمال الخير كبناء المستوصفات والتعليم والماء وإرسال الطلبة إلى الجامعات الإسلامية وتجهيز

اتفاقات تعاون بين اللجنة وبعض المنظمات الدولية والإقليمية

١. وقّعت اللجنة اتفاقات عدة مع UNGCR لتنفيذ برامج عدة مشتركة التمويل. مثال: «تطوير منطقة الطوارق شمال مالي. لاجئو سيراليون في غينيا كوناكري».
٢. اتفاق مع برنامج الغذاء العالمي في غانا.
٣. اتفاق مع منظمة الصحة العالمية في سيراليون.
٤. اتفاق مع برنامج الغذاء العالمي في أنغولا.
٥. اتفاق مع منظمة اليونسكو في السودان.
٦. اتفاق مع الاتحاد الأوروبي في أنغولا (برنامج الغذاء العالمي).
٧. اتفاق مع منظمة اليونسيف في الصومال.
٨. اتفاق مع مؤسسة البصر الخيرية العالمية لإنجاز مخيمات طب العيون والمخيمات الطبية.
٩. اتفاق مع البنك الإسلامي للتنمية لتمويل شراء أدوية ومعدات طبية إلى رواندا.
١٠. اتفاق مع البنوك الإسلامية والتنمية لمحاربة الجفاف والتصحر في السودان.
١١. اتفاق مع منظمة الصحة العالمية وذلك لتحديد مجالات التعاون في المستقبل بين المنظمتين بغية تحسين صحة المجموعات السكانية الريفية في أفريقيا وتشمل مكافحة أمراض المناطق المدارية، والتخلص من الجذام، وتحسين التغطية باللقحات، والوقاية من العمى والصم، كما ستتعاون لجنة مسلمي أفريقيا على توفير آبار المياه الصالحة للشرب.

الموتى وغيرها، ويوسف الصبيح الذي أعطى الكثير من ماله الخاص في أثناء المجاعة في أواخر القرن التاسع عشر ويوسف البدر وغيرهم كثير ولله الحمد.

وفي زماننا هذا، تبرز أسماء مثل الشيخ عبدالله النوري والعم يوسف الفليج، والشيخ يوسف الحجي والعم عبدالله العلي المطوع وأمثالهم بارك الله فيهم وبارك لهم بأموالهم.

نظرة كويتية

● ما نظرة الجهات الرسمية الكويتية للعمل الخيري؟

ـ لا أظن أي مسؤول كويتي لا يشعر بالفخر تجاه ما يراه من إنجازات للعمل الخيري الكويتي داخل وخارج الكويت، فلقد ذاع سيط العمل الخيري ورفع من سمعة الكويت بفضل الله في الداخل والخارج.

أهداف اللجنة

● ما أهداف لجنة مسلمي أفريقيا؟

ـ أهم الأهداف التي قامت من أجلها اللجنة:

أ ـ نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة حسبما ورد في كتاب الله وسنة نبيه بين المسلمين وغيرهم في أفريقيا.

ب ـ نشر روح التفاهم والتسامح بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى.

ت ـ نشر الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة.

ج ـ تطوير وتنمية المجتمعات الأفريقية بإنشاء المؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية والدينية والاقتصادية.

د ـ الإسهام في إعانة المجتمعات الأفريقية في أثناء النكبات والكوارث.

معايير المساعدات

● ما المعايير التي تضعونها لتقديم المساعدات للجهات المستفيدة؟

ـ ليس هناك معيار ثابت لتقديم المساعدات للجهات المستفيدة، لأن الحاجة في أفريقيا عامة وهي المعيار الأول لتقديم هذه السماعدات، وعليه تتقدم الجهة المحتاجة لأي مشروع كأن يطلب تبني مشروع لأي مكتب من مكاتبنا البالغة ٣٤ مكتباً في أفريقيا، ويقوم مدير المكتب بزيارة موقع المشروع والاطلاع على كل الأوراق والمستندات وصحتها ومدى حاجة المنطقة لهذا المشروع مع رفع دراسة مستوفية عن القرية أو المدينة ثم بعدها يرفع المدير الطلب إلى المكتب الرئيسي في الكويت لاعتماده، ثم يضم لقائمة المشاريع التي تبحث عن تمويل للعرض على المحسنين وأهل الخير.

الجهات الأفريقية

● ما الجهات التي يتم التعامل معها لإنجاز مشاريعكم، سواء أكانت حكومية أم أهلية؟

ـ عادة تقوم مكاتب لجنة مسلمي أفريقيا في الدول الأفريقية بتنفيذ كل المشاريع التي تبنتها اللجنة سواء أكانت مساجد أم مدارس أم مستشفيات أم دوراً للأيتام أم آباراً إلا أننا نحتاج في بعض الأحيان لاستشارات فنية وهندسية وفي هذه الحال نقوم بالاستعانة ببعض المكاتب الهندسية الأهلية الكبيرة والموثوقة، أما الجهات الحكومية، فهي مرجعنا بالنسبة لتصديق تصاريح البناء وبعض الأمور الإدارية والفنية.

ضمانات محاسبية

● ما الضمانات المستخدمة في التقارير المالية والمحاسبة، ومتابعة التقارير وتنفيذها؟

ـ أولاً: بالنسبة لمتابعة التقارير المالية والمحاسبة في مكاتبنا في أفريقيا، يوجد نظام مالي ومحاسبي في اللجنة ومتفق عليه، حيث تقوم الإدارة المالية في الكويت بمتابعة تنفيذ هذا النظام في مكاتب اللجنة في أفريقيا وذلك عن طريق الزيارات الميدانية التي يقوم بها المحاسبون إلى أفريقيا، ومراجعة جميع المستندات المالية والفواتير، مقارنة بالأسعار الفعلية للمواد من داخل البلد، بعد ذلك يقوم المكتب الفرعي بإرسال جميع المستندات إلى المكتب الرئيسي في الكويت، حيث يتم فرزها ومراجعتها مرة ثانية من قبل المدقق الداخلي في اللجنة، ثم بعد ذلك تعرض على رئيس اللجنة لتدوين ملاحظاته، ثم يشرف على مراجعتها مدقق

حسابات تابع لمكتب مراجعة معترف به رسمياً تهيئة لإصدار الميزانية السنوية والتي تطلع عليها الوزارة المختصة في شؤون جمعيات النفع العام في الكويت، أما تنفيذ المشاريع فيتم على أربع مراحل:

أ ـ حفر الأساسات ووضع القواعد.

ب ـ رفع مستوى البناء حتى العتبات.

ج ـ السقف والتشطيبات النهائية.

د ـ افتتاح المشروع بحضور المتبرع أو من ينوب عنه أو أحد مسؤولي اللجنة في الكويت أو في الدولة التي أقيم فيها المشروع؟

أسلوب الإشراف

● ما الأسلوب المتبع في إشراف المتبرعين على مشاريعهم؟

ـ تتم عملية إشراف المتبرعين على مشاريعهم عن طريق المتابعة الدورية للمشاريع بين المكتب الرئيسي في الكويت والمكتب الميداني في أفريقيا الذي يمدنا بالتقارير الدورية عن سير العمل في المشروع، والذي نقوم بدورنا بإرسال هذه التقارير إلى المتبرع بشكل دوري حتى المرحلة النهائية لافتتاح المشروع التي تعتمد على التواصل الإداري المستمر بين المكتب الرئيسي في الكويت والمكتب الميداني، وقد شجعت اللجنة أغلب المتبرعين على السفر ليس فقط لافتتاح المشروع، وإنما لتفقد المشروع في أثناء سير العمل به.

الأنشطة والمشاريع

● ما الأنشطة والمشاريع التي تم إنجازها منذ البداية وحتى اليوم؟

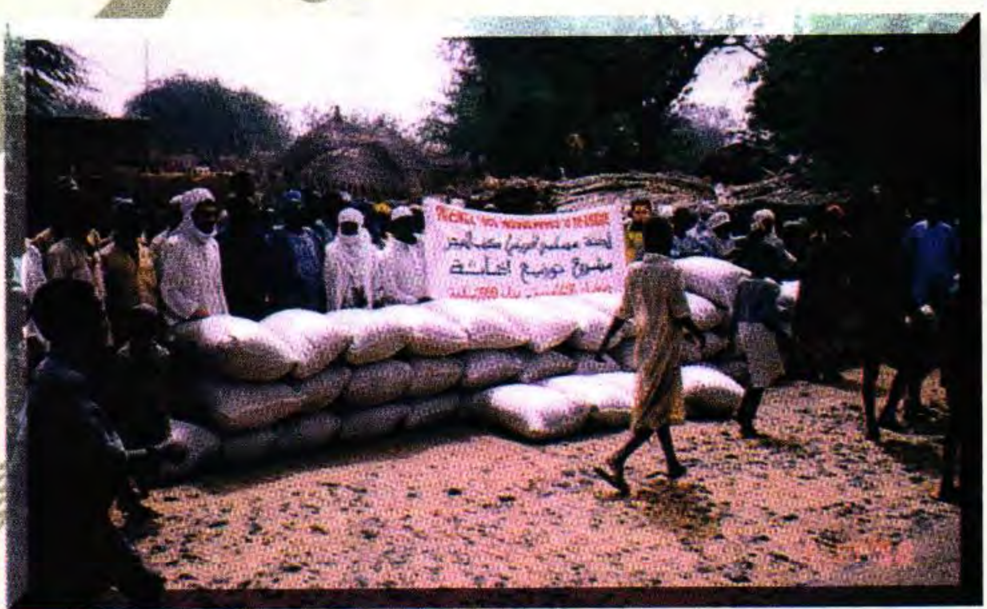
ـ لقد تم إنجاز الكثير من المشاريع على اختلاف أنواعها، وفي دول أفريقية عدة، وفيما يلي إنجازات لجنة مسلمي أفريقيا حتى مايو ١٩٩٨م:

كما قامت اللجنة بالأعمال التالية وسط اللاجئين في أفريقيا:

وسط اللاجئين

منذ تأسيس لجنة مسلمي أفريقيا العام ١٩٨١م كان العلم وسط اللاجئين والنازحين من أولياتنا، نظراً للمعاناة التي يشهدونها وكمثال على ذلك عمل اللجنة في الأوساط:





١ ـ اللاجئون الأثيوبيون في السودان العام ١٩٨٣م، حيث قُدمت إغاثة واهتمام خاص بالتعليم.

٢ ـ اللاجئون الاريتريون في السودان منطقة خشم القربة، كسلا، ومعسكر ود شريفي وغيرها ١٩٨٣م ـ ١٩٨٩م حيث تم كفالة ٥٠٠ يتيم كفالة كاملة، وفتحت مدارس عدة ومستوصفان وقُدمت منح دراسية للدراسة الجامعية في مصر والسودان، ودول أخرى وحُفرت آبار وقدمت مساعدات لمشاريع زراعية في شرق السودان.

٣ ـ اللاجئون التشاديون في غرب السودان وبخاصة في منطقة الجنينة العام ١٩٨٣م ـ ١٩٨٦م، خدمات طبية زراعية، إغاثة، تدريب

الغزو العراقي ضربة موجعة لآلاف الطلاب والمرضى والأسر الفقيرة والدعاة والأيتام

النساء منح دراسية تعليم.

٤ ـ اللاجئون الموزامبيقيون في مالاوي العام ١٩٩٢م إغاثة.

٥ ـ اللاجئون الروانديون في تنزانيا ١٩٩٤م إغاثة، رعاية أيتام، تعليم تدريب النساء.

٦ ـ اللاجئون الروانديون والصوماليون والبورنديون في جنوب أفريقيا العام ١٩٩٥م ـ ١٩٩٨م، إغاثة، تعليم، ومندوب لجنة مسلمي أفريقيا جنوب أفريقيا هو رئيس لجنة اللاجئين التابعة للحكومة في جنوب أفريقيا.

٧ ـ لاجئو غينيا بيساو في السنغال وغينيا العام ١٩٩٨م.

٨ ـ اللاجئون السنغاليون في غامبيا بالتعاون مع الصليب الأحمر الغامبي حيث أسكنت لجنة مسلمي أفريقيا المئات من اللاجئين في مراكزها وقدمت لهم المساعدات.

٩ ـ لاجئو ليبريا في غينيا بالتعاون مع المفوضية خلال الخمس سنوات الأخيرة، تدريب مهني، آبار مياه، تدريب نساء، تعليم، مساعدات، منح دراسية.

١٠ ـ لاجئو سيراليون في غينيا العام

إنجازات لجنة مسلمي أفريقيا حتى مايو ١٩٩٨

البيان	العدد
الطلبة الأفارقة المستفيدين من مدارس اللجنة	٥٠٠,٠٠٠ طالب
الطلبة الأفارقة الذين تدفع اللجنة عنهم رسوماً دراسية	٩٥,٠٠٠ طالب
عدد المدارس الريفية التي أنشأتها اللجنة	٨٤٠ مدرسة
ترجمة وطباعة كتيبات إسلامية إلى ١٨ لغة محلية	٦٥٠,٠٠٠ كتيب
توزيع مصاحف	٦,٠٠٠,٠٠٠ مصحف
شراء وتسيير إذاعة القرآن الكريم في سيراليون	١
بناء وتسيير مستشفيات	٣٤ مستشفى
بناء وتسيير مستوصفات طبية	١٠٠ مستوصف
أيتام تكفلهم اللجنة	٨٥٠٠ يتيم
آبار أرتوازية حفرتها اللجنة	٧٦٠ بئراً ارتوازياً
آبار سطحية حفرتها اللجنة	٢١٥٠ بئراً سطحياً
مساجد شيدتها اللجنة	١٢٠٠ مسجد
مراكز ثقافية إسلامية نفذتها اللجنة، وتشرف على تسييرها	١٠٠ مركز ثقافي
بناء وتسيير عدد من مراكز تدريب النساء المسلمات الفقيرات	١٠٤ مركز
مشاريع زراعية كبرى شيدتها اللجنة وتشرف على تسييرها	٨
سدود مائية قامت اللجنة بتنفيذها	٣ سدود
مخيمات طبية في المناطق المحرومة من الخدمات الطبية	٨
مخيمات طبية تخصصية لعلاج أمراض العيون	٢٢
منح دراسية للطلبة الأفارقة «دراسات عليا في الدول الغربية وجامعية»	٣٠٠ منحة
كفالة حجاج في أفريقيا	٩٢٠ حاجاً
دورات للمعلمين وأئمة المساجد وشيوخ القرى بالإضافة إلى دورات طبية	٢١٠ دورات
مساعدات عينية للدول التي عانت من الكوارث والمجاعات والحروب	١٦٥,٠٠٠ طن

١٩٩٧م - ١٩٩٨م مساعدات.

١١ - الطوارق والعرب في شمال مالي والنيجر ١٩٩٦م - ١٩٩٨م حيث تشارك لجنة مسلمي أفريقيا مع المفوضية العليا لوكالة غوث اللاجئين في تقديم برنامجاً إنمائياً كبيراً في الشمال بلغت تكاليفه نحو مليون دولار تحملت المفوضية منه نحو ٧٠ في المئة، وتحملت لجنة مسلمي أفريقيا الباقي.

١٢ - اللاجئون الصوماليون في شمال كينيا ١٩٩٢م - ١٩٩٤م، حفرت اللجنة أكثر من ٤٠٠ بئر، وأقامت ١٠٧ مراكز للتغذية، وقدمت خدمات صحية وتدريب نسائي وإعانات تعليمية وتوزيع مساعدات وتنمية بالمشاركة مع GTZ الألمانية ومؤسسات كندية وسعودية وإماراتية وغيرها.

كما أن لجنة مسلمي أفريقيا قدمت مساعدات كثيرة للنازحين في داخل دولهم، مثل الصومال والسودان وتشاد ومالي وغينيا بيساو والسنغال وسيراليون وموزامبيق ورواندا وغيرها وأسهمت مساهمة فعَّالة في إعادة تأهيل وتوطين اللاجئين في بلادهم مرة أخرى.

وأخيراً بلغت ما أسهمت به لجنة مسلمي أفريقيا من مساعدات للاجئين أكثر من ١٣,٢٥٠,٠٠٠ دولار أميركي.

مصادر التمويل

● ما مصادر تمويل اللجنة؟

- يتكون تمويل اللجنة من ثلاثة مصادر:

١ - التبرعات من أشخاص ذاتيين وهم من عامة الشعب بمختلف فئاته.

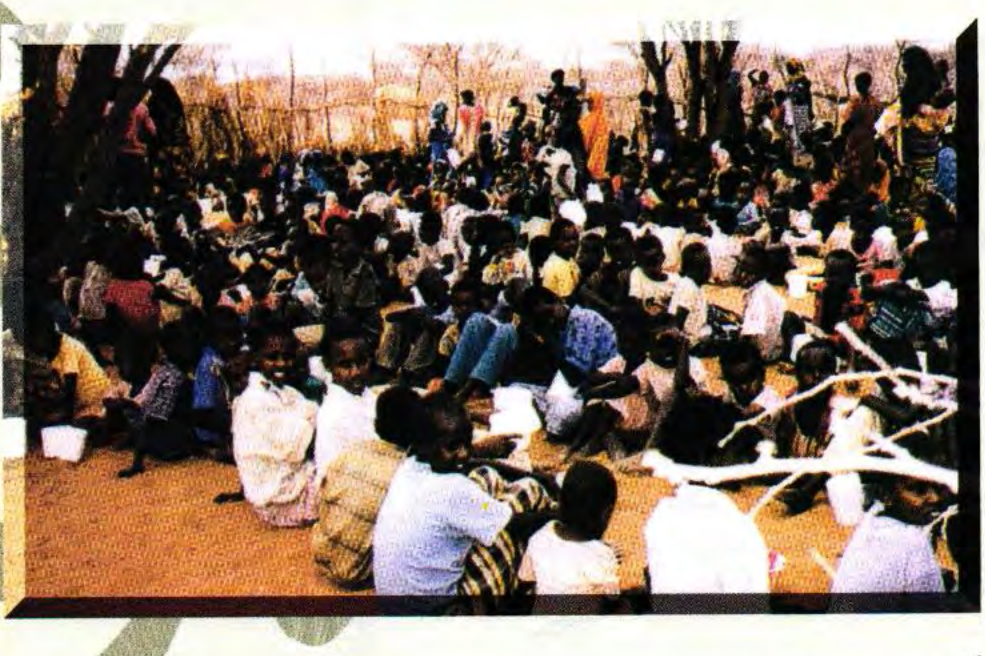
٢ - التبرعات من شخصيات اعتبارية ومؤسسات حكومية وأهلية.

٣ - الاستثمارات الخاصة في بعض القطاعات الاقتصادية.

ردود الفعل

● ما ردود الفعل الحكومية والأهلية على هذه المشاريع في الدول المختلفة؟

- الحكومات الأفريقية بصفة عامة متقبلة وشاكرة لنشاطات اللجنة وفي كثير من الأحيان متعاونة، إذ إنه لم يحدث طوال فترة





عمل اللجنة أنها تدخلت في أمور سياسية أو دعوة للتفرقة أو الدخول فيما لا يعنيها، ولقد ساعدنا في ذلك أنه ما من مرة يدس لنا أعداء الإسلام تهمة أو يتآمرون علينا «وفي أغلب الأحيان يأتي هذا من فئات أجنبية تكون لها وزن عند الحكومات» إلا ويظهر الله الحق ونبرأ مما نسب إلينا، بل نتلقى من بعد ذلك الأعذار والاعتذار والدعوة الطيبة لاستمرار العمل ويثبت الله أقدام اللجنة ويزيد احترام الناس لها ويرتفع شأنها وهذا فضل من الله.

نسعى لتطوير المجتمعات الأفريقية بالمؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية

المشاريع المستقبلية

● ما المشاريع المستقبلية لكم؟

١ - ترسيخ نظام للتسيير الذاتي.

٢ ـ اعتماد المشاريع التي تشارك في عملية التسيير الذاتي:

أ ـ نظم الوقف ـ عقاري ـ تعليمي ـ دعوي ـ عبادات وسنن.

ب ـ تنمية الموارد الطبيعية «الزراعية والثروة الحيوانية».

ج ـ التدريب المهني والحرفي والإنتاجي.

د ـ نظام المشاركة مع فقراء المسلمين بوساطة التعاونيات.

ه ـ الارتقاء بنظم التعليم والصحة بتجهيز المدارس والمراكز الصحية مما يستدعي فرض رسوم رمزية لاستمرار تقديم خدمات ممتازة.

فترة الغزو الغاشم

● ما تأثير العمل الخيري الكويتي خلال فترة الغزو العراقي الغاشم؟

ـ عندما سمعنا إطلاق النار وكان اليوم يوم خميس، وكنا آنذاك في مكتبنا في الطابق العاشر في مجمع الأوقاف، لم نأبه في البداية، وحتى بعد أن علمنا أن هناك غزواً عسكرياً عراقياً للكويت، استمر العمل كالمعتاد حتى الساعة الحادية عشرة عندما اخترقت رصاصة شباك النافذة واستقرت في السكن، ثم تبعها المزيد من الرصاصات، فطلبت آنذاك من العاملين ترك المكتب وإحكام إقفاله والانتقال إلى مكتبنا في منطقة الروضة.

لم يَدُر في خلدنا إطلاقاً أن يقابل حكام العراق إحسان الكويت وتضحياتها بهذه الطريقة بالنسبة لنا حاولنا أن نعمل كالمعتاد وعلى الرغم من أن التبرعات لأفريقيا لم تنقطع من بعض المحسنين حتى في أحلك الأيام رغم قلتها ولا يمكن مقارنتها بالأيام العادية.

تأثر العمل خارج الكويت وانقطعت الرواتب للدعاة والأطباء والمهندسين وغيرهم ومات بعض أيتامنا جوعاً رأيت وسمعت عن بعضهم من أول زيارة لي إلى الصومال وشمال كينيا بعد الغزو مباشرة، كما انطلق الكثير من معلمي القرآن وأساتذة المدارس وأئمة المساجد يبحثون عن لقمة العيش في أماكن مختلفة بعد أن هجروا وظائفهم، بعضهم عمل في تكسير الحجارة، وبيع أحجار البناء، وبعضهم ذهب للغابة يحتطب ويبيع الحطب للناس، توقفت المشاريع كلها تقريباً وعانى العمل الخيري في أفريقيا ضربة موجعة تشرد معها نحو ٤٠٠ ألف طالب كانوا يدرسون في مدارسنا، ولولا تدخل أخوة أفاضل في المملكة العربية السعودية والإمارات وباقي دول الخليج لكانت المصيبة أكبر والخطب أعظم.

هنا في الكويت تم احتلال مقر اللجنة في الروضة وتدميره من الداخل بشكل كامل، كما تم تدمير مقر اللجنة في الفحاحيل والجهراء وسرقة حتى أسلاك الهاتف والكهرباء.

عندما انضمت معظم مؤسسات الخير في الكويت تحت مظلة الهلال الأحمر الكويتي كانت لجنة مسلمي أفريقيا ممن شارك في العمل واعتقل ثلاثة من العاملين في اللجنة ضمن ستة أشخاص من أعضاء مجلس إدارة الهلال الأحمر لمدة ٢٦ يوماً في معتقل قصر نايف، كما اعتقل آخرون بعضهم مازال في غياهب السجون العراقية نتيجة قيامهم بأعمال إنسانية.

أسهمت لجنة مسلمي افريقيا خلال الأزمة بجمع المال وتوزيعه على المحتاجين من الكويت كما وزعت كميات كبيرة من الأغذية والأدوية، وعملت من خلال الهلال الأحمر في مراقبة المخزون الدوائي للمستشفيات وتزويدها بالأغذية ومحاولة حل مشاكل العمالة المساعدة «عمال فراشين وغيرهم».

لا يمكن لنا حصر خسائر لجنة مسلمي أفريقيا بسبب الغزو، ولكن بالتاكيد كان الغزو ضربة كبيرة للعمل الخيري احتجنا إلى سنوات، ونحتاج إلى وقت أكبر حتى نطهر آثاره التي حلت بنا.

وسترتفع آلاف الأيدي الصغيرة من الأيتام والأطفال تدعو على من تسبب بهذه النكبة على الأمتين العربية والإسلامية، وأسال الدماء وهتك أستار البيوت والأعراض وروع الآمنين وسرق الأموال، وأزهق الأرواح ثم كان سبباً في تأخر خير كثير لإخواننا في أفريقيا.

الصعوبات والعقبات

● ما الصعوبات التي تواجهونها لإنشاء المشاريع في بعض الدول؟

١ ـ صعوبة تنفيذ خطة ثابتة نسبة لسرعة التغيير في الأحوال الأمنية أو المناخية أو المالية والاقتصادية أو الإدارية.

٢ ـ بيروقراطية الإجراءات الإدارية بالمرافق الحكومية وتفشي الرشوة والفساد الإداري.

٣ ـ التغلغل الكنسي وامتداد نفوذه لدى بعض الحكومات مما يعرقل بعض الأعمال الخاصة باللجنة وجميع المنظمات الخيرية الإسلامية.

٤ ـ أسباب خارجية مفروضة على بعض الحكومات الأفريقية لتحجيم العمل الخيري الإسلامي.

الافتراءات والأكاذيب

● ما ردكم على الافتراءات والأكاذيب بشأن العمل الخيري الكويتي؟

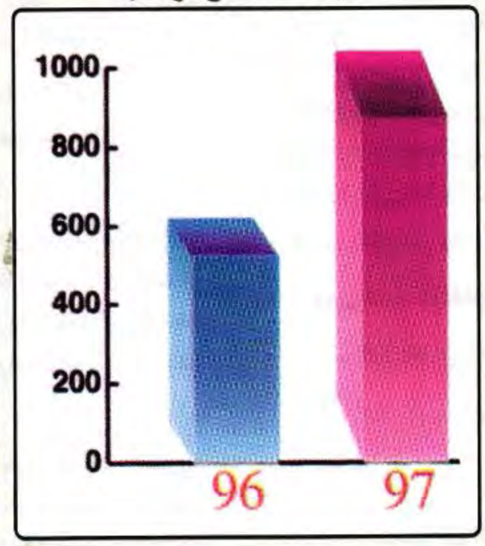
ـ الاتهامات والأكاذيب والافتراءات على العمل الخيري الكويتي تندرج تحت باب التشهير والصد عن سبيل الله، فالاتهام الموجه لمؤسسات الخير في الكويت هو اتهام باطل لجميع العاملين في هذا الحقل، ممن حملوا أرواحهم في أيديهم وتجولوا في مجاهل غابات وصحارى أفريقيا وآسيا، وتحملوا الصعاب... فإننا نطالب أي جهة كانت أن تظهر ما لديها من أدلة ووثائق ومستندات اعتمدوا عليها في هذه الاتهامات الباطلة التي تجعلهم تحت طائلة القانون.

إن مؤسسات الخير في الكويت يفخر بها كل مسلم، ولها الفخر أن تحظى بدعم حكومة وشعب الكويت، ومن حكومات وشعوب مجلس التعاون الخليجي والكثير من الدول العربية والإسلامية، كما تفتخر مؤسسات الخير بشهادة الآلاف من أبناء الكويت والسعودية وباقي دول الخليج ممن زاروا وشاهدوا أعمال هذه المؤسسات في مختلف بقاع العالم وهم اليوم أكبر وسيلة إعلام لهذه المؤسسات...

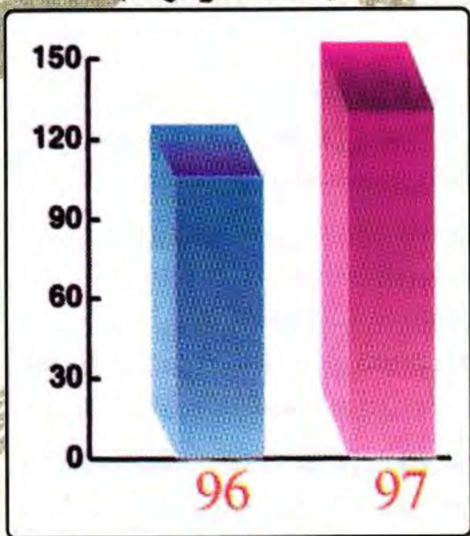
وتعتز مؤسسات الخير بتنفيذ الكثير من الأعمال الخيرية لحكومة الكويت وحكومات بعض دول الخليج، كما أن جميع ميزانيات



المشاريع التعليمية الجديدة
(آلاف الدولارات)



منح ورسوم دراسية
(آلاف الدولارات)





أهدافنا نشر روح التفاهم والتسامح بين المسلمين وغيرهم

مؤسسات الخير في الكويت تراجع من قبل محاسبين، ثم مكاتب تدقيق حسابات، ثم الجمعيات العمومية، ثم وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وأشك كثيراً أن يكون جميع هؤلاء على درجة من السذاجة حتى تمر عليهم ميزانية كاذبة دون أن يكتشفها واحد منهم، تاركين هذه المهمة لبعض الأذكياء الذين أرادوا تصفية حسابات سياسية مع خصوم لهم على حساب مؤسسات الخير.

وأخيراً نقول لهؤلاء الذين يقذفون بسهامهم السامة واتهاماتهم الباطلة، إن قيادات العمل الخيري في الكويت الذين نعتز بقيادتهم لنا في هذا المجال منهم العم يوسف الحجي، والعم عبدالله المطوع، والعم عبدالعزيز المطوع، وغيرهم من الذين وهبوا أنفسهم لهذا العمل الإنساني الجليل منذ سنين طويلة، أضف إلى ذلك، اختيار حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشخصية الأولى في عمل الخير للعام ١٩٩٦م، ما هو إلا دعم حقيقي معبّر عن مدى فعالية وجدية

القرافي العبقري واستثمار الموارد البشرية

بقلم : د.حسن عبدالغني أبو غدة

يحفل تاريخنا المجيد بأفراد من العلماء الأفذاذ، الذين يتميزون عن سواهم من ذوي العلم والمعارف، بالمهارة العجيبة والعبقرية الخارقة، ومن هؤلاء العلماء الأعلام: الإمام القرافي ـ رحمه الله.

اسمه ونسبه: هو أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجي الأصل «نسبة إلى قبيلة صنهاجة من برابرة المغرب» المصري المولد، المعروف بالقرافي، كان يكنى أبي العباس، ويلقب بشهاب الدين.

ولادته ونشأته وشهرته: ولد في مصر سنة ٦٢٦هـ ـ ١٢٢٧م، ونشأ فيها، واشتهر بالقرافي، نسبة إلى القرافة، وهي المقبرة القريبة من مسجد الإمام الشافعي في القاهرة.

وسبب شهرته بالقرافي: أنه كان إذا خرج من منزله ذاهباً إلى المدرسة، مرَّ في طريقه بالقرافة «المقبرة الآنفة الذكر»، وحدث أنْ غاب عن الدرس في أحد الأيام، ولم يتذكر عريف الطلاب اسمه، فأثبته غائباً في السجل باسم القرافي، لاعتياده المجيء من تلك الطريق، فلزمته هذه النسبة واشتهر بها.

أشهر أساتذته: تلقى القرافي العلم عن فحول علماء عصره، ومن أشهر هؤلاء: الإمام عز الدين بن عبدالسلام الملقَّب بسلطان العلماء، والإمام شرف الدين محمد بن عمران الشهير بالشريف الكركي، وقاضي القضاة «بمثابة وزير العدل اليوم» شمس الدين أبو بكر محمد بن الإدريسي، والإمام الشهير جمال الدين ابن الحاجب، وغيرهم من الجهابذة الأعلام وقد لازم القرافي أستاذه عز الدين بن عبدالسلام وأخذ عنه كثيراً من العلوم والفنون، واقتبس منه العقلية العلمية، والفكر الحر المتزن المستنير، وكان القرافي ـ حينذاك ـ في مطلع شبابه، يبلغ من العمر نحو ١٥ عاماً فلازم أستاذه نحو عشرين سنة، حيث توفي ابن عبدالسلام وعمر القرافي ٣٥ عاماً.

تحصيله للعلوم: جدَّ القرافي في تحصيل العلوم ومعرفتها ودراستها، حتى أتقن عدداً منها إتقاناً بلَّغه الريادة والإمامة فيها، وصار موسوعياً مشاركاً في الكثير من التخصصات والمعارف، بسبب ما آتاه الله تعالى من ذهن متَّقد، وذاكرة حافظة عجيبة، وبراعة فائقة، وفصاحة تأخذ بالألباب، ودأب وصبر على تحصيل العلم، ومناقشة مسائله، وكشف معضلاته.

ومن العلوم التي اشتهر بها: الفقه، وأصول الفقه، والتفسير، والعقيدة، وعلوم اللغة العربية، والمنطق، والفلك، والرياضيات، والميكانيك، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية.

مؤلفاته: ألف كتباً كثيرة مفيدة في مختلف العلوم والفنون والمعارف، انعقد على كمال محتواها إجماع من بعده من العلماء، وسارت شهرتها مسير الشمس، وتحلَّت كلها بالابتكار والتميز: لغة وأسلوباً، وبحثاً وتنقيباً، وجمعاً وتنسيقاً، حتى قال العلماء: لو لم يكن له في التأليف سوى كتابه: «الفروق» في القواعد الفقهية، لكفى دليلاً على علوِّ كعبه في العلم، فهو كتابٌ نسيج وحده، جاء فيه بالعجب العجاب، لم يُسبق إلى مثله، ولا أتى أحدٌ بعده بشبهه، فكيف وقد زادت مؤلفاته على عشرين مؤلفاً في فنون متعددة، وفيها النفائس والدرر؟!

ومن هذه المؤلفات:

١ ـ الانتقاد في الاعتقاد.

٢ ـ أدلة الوحدانية.

٣ ـ الذخيرة في الفقه المالكي «مطبوع».

٤ ـ الفروق في القواعد الفقهية «مطبوع مراراً».

٥ ـ تنقيح الفصول في علم الأصول «مطبوع».

٦ ـ الاحتمالات المرجوحة.

٧ ـ المناظر في الرياضيات.

٨ ـ اليواقيت في أحكام المواقيت «في الفلك».

٩ ـ الأجوبة الفاخرة في الردّ على الأسئلة الفاجرة «في مقارنة الأديان» مطبوع.

١٠ ـ الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام «مطبوع».

قال الشيخ شمس الدين بن عدلان الشافعي: أخبرني خالي الحافظ، شيخ الشافعية في الديار المصرية: أن شهاب الدين القرافي حرَّر «كتب كتابة علمية» أحد عشر علماً في ثمانية أشهر.

أشهر تلاميذه: كان رحمه الله تعالى بارعاً متقناً في طريقة

إلقاء الدروس، توضيحاً، ومناقشة، وغوصاً، وأسلوباً، ودقة وتحقيقاً، رحل إليه العلماء وطلاب العلم من الآفاق البعيدة، وقصدوه للسماع منه والأخذ عنه، وملاقاته ومشافهته.

وممن رحل إليه: الإمام محمد بن إبراهيم البقوري الأندلسي المراكشي، رحل إليه من مراكش «المغرب» إلى مصر وأخذ عنه.

ومنهم: الإمام راشد بن محمد البكري التونسي الذي قال عن القرافي: رحلت إلى مصر، وفيها شيخ المالكية في وقته، ذي العقل الوافي، والذهن الصافي، الشهاب القرافي، الذي كان جامعاً للفنون، ومعتكفاً على التعليم على الدوام.

أخلاقه وشمائله: كان رحمه الله تعالى شديد الذكاء، عميق الفكر، بعيد النظر، ألمعياً، لماحاً، ذا عقل وافٍ، صبوراً جلوداً على التعلم والتعليم، ويكرم العلم وأهله وطلابه، ويجلّهم، ويؤانسهم، ويحتفي بهم في داره، وينزلهم منزلة السواد من العين، والروح من الجسد.

وكان جميلاً في صورته، أنيقاً في مظهره، عفيفاً، متواضعاً، يحذّر من مخالطة الحسدة الفسدة ومناظرتهم، وكان كثيراً ما يتمثل بقول القائل:

وإذا جلست إلى الرجال وأشرقت

في جو باطنك العلوم الشرّدُ

فاحذر مناظرة الحسود فإنما

تغتاظ أنت وتستفيد ويجحد

وكان كثيراً - أيضاً - ما يتمثل بقول محيي الدين المعروف بحافي رأسه:

عتبتُ على الدنيا بتقديم جاهل

وتأخير ذي علم فقالت: خذ العذرا

بنو الجهل أبنائي، وكل فضيلة

فأبناؤها أبناء ضرّتي الأخرى

عبقريته الفلكية والميكانيكية: كان القرافي إلى جانب إمامته وتبحره في علوم الشريعة، والعربية، من الفلكيين الرياضيين، النابغين البارعين، العباقرة المتألقين، النوادر في عمل التماثيل المتحركة - المؤلفة من قطع وأجزاء عدة - في الآلات الميكانيكية والفلكية، التي يعاون بعضها بعضاً على أداء عمل معين، بنظام لا يتطرق إليه خلل.

قال القرافي في كتابه: «نفائس الأصول في شرح المحصول» وهو يبحث في موضوع الكلام في اللغات ودلالته الصوتية: هل مجرد الصوت يدل على صاحبه؟ ثم أجاب بقوله: لا يكفي أن تسمع الصوت فتقول: إنه لابد من شخص صاحب لهذا الصوت، لأن الصوت يُصنع في غير الإنسان.

ثم تابع يقول: بلغني أن الملك الكامل وُضع له شمعدان «عمود طويل من نحاس، له مراكز يوضع عليها الشمع للإنارة» كلما مضى من الليل ساعة، انفتح باب منه، وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك، فإذا انقضت عشر ساعات، طلع الشخص على أعلى الشمعدان، وقال: صبح الله السلطان بالخير والسعادة، فيعلم أن الفجر قد طلع.

ثم قال عن نفسه: وقد عملت أنا هذا الشمعدان، وزدت فيه، وأن الشمعة يتغير لونها في كل ساعة، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد، إلى البياض الشديد، إلى الحمرة الشديدة، في كل ساعة لها لون، وتسقط حصاتان من طائرين، ويدخل شخص ويخرج شخص غيره، ويغلق باب ويفتح باب، فإذا طلع الفجر طلع الشخص على أعلى الشمعدان، وأصبعه على أذنه، يشير إلى الأذان، ولكني عجزت عن صنعة الكلام، ثم صنعتُ صورة حيوان يمشي، ويلتفت يميناً ويساراً ويصفّرُ ولا يتكلم.(١)

ولا شك أن هذه مهارة نادرة، وعبقرية عجيبة، وذكاء فوّار خارق، من هذا الفقيه الألمعي المتوقّد الفرّاس.

وفاته: استمر هذا الإمام الفذ القرافي يفيد أهل العلم وطلابه، حتى توفاه الله تعالى في سنة ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م عن ٥٨ عاماً، ودُفن - رحمه الله تعالى - بالقرافة السابق ذكرها.

الخاتمة: إن هذه المهارة وأمثالها وأشباهها، توجد في الكثير من الأفراد في بلادنا العربية والإسلامية، الذين يعيشون مغمورين، كالخبايا في الزوايا، قلَّ من يتنبَّه لهم، ويُعيرهم الاهتمام والرعاية، والعون والتشجيع، وتطوير القدرات.

ولو أنه تكوَّنت في كل بلد لجان عالية متخصصة، تتحرَّى أمثال هؤلاء الموهوبين العباقرة، لتنتفع المجتمعات بمعارفهم وخبراتهم، ويُعهد إليهم بتدريب غيرهم وإفادتهم، لأسهم ذلك كثيراً في تنمية الأوطان وتقدمها وازدهارها، فضلاً عما في ذلك من رفع شأن العلم والعلماء العباقرة الأفذاذ، الذين تتسابق الدول إلى اجتذابهم، وتمكينهم من تحقيق مشاريعهم البناءة، في جوٍّ من التقدير والتبجيل والتشجيع. ■

الهامش:

١ - يبدو أن ما صنعه القرافي ليس من التماثيل المحرمة، لأنها تتركّب من أجزاء عدة منفصلة - لا يمكن أن تعيش بذلك - لكل منها وظيفة خاصة، ويعاون بعضها بعضاً على أداء عمل معين ، والقرافي إمام فقيه ورع، لا يُقْدِم على صنع محرَّم.

المراجع:

١ - الأعلام للزركلي.
٢ - التصوير عند العرب لأحمد تيمور باشا.
٣ - حُسْنُ المحاضرة للسيوطي.
٤ - الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، لابن فرحون المالكي.
٥ - شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكية لمحمد مخلوف.
٦ - نيْل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي.
٧ - نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي.

في صدر الإسلام رسائل غيَّرت وجه التاريخ

رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء ١

بقلم: د. جابر قميحة

كان النبي - ﷺ - أميّاً، بعث في أمة أمية، وقد جاء في القرآن الكريم (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الجمعة: ٢.

يقول صاحب المنار (٩/٢٥٥): «بعث الله محمداً عليه السلام أمياً - أي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يُنْقل لنا أن الله - سبحانه وتعالى - بعث نبياً أمياً غيره، فهو وصف خاص لا يشارك محمداً - ﷺ - فيه أحد من النبيين، والأمية آية من أكبر آيات نبوته: فإنه جاء بعد النبوة بأعلى العلوم النافعة، وهي ما يُصلح ما فسد من عقائد البشر وأخلاقهم وآدابهم، وأعمالهم وأحكامهم، وعمل بها فكان لها من التأثير في العالم ما لم يكن، ولن يكون لغيره من خلق الله».

فالأمية كانت متفشية في بلاد العرب، فلم يكن هناك من يكتب بالعربية حينما جاء الإسلام إلا سبعة عشر إنساناً ذكرهم ابن عبدربه في العقد الفريد على سبيل الحصر، وإن رفع غيره العدد إلى الضعف أو أكثر.

كُتَّاب النبي ﷺ

وذكر الجهشياري في «كتاب الوزراء والكتاب» أسماء ثمانية كانوا يكتبون للرسول - ﷺ - تلقياً منه - أي الوحي أو الرسائل أو المغانم - وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وخالد بن سعيد، ومعاوية بن أبي سفيان، ومعيقيب بن أبي فاطمة حليف بني أسد الذي كان يكتب مغانم الرسول، وعبدالله بن أبي السرح.

وذكر الجهشياري أسماء أخرى لرجال كتبوا في عهد النبي - ﷺ -: المغيرة بن شعبة، والحصين بن نمير، وكانا يكتبان ما بين الناس.

وعبدالله بن الأرقم، والعلاء بن عقبة، وكانا يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء، وحنظلة بن الربيع الذي كان خليفة كل كاتب من كتاب النبي ﷺ إذا غاب عن عمله.

وهذا يعني أنه كان للنبي - ﷺ - كتَّاب معروفون على سبيل الحصر، كما أنهم عرفوا نظام «الكاتب الاحتياطي» الذي يسد مسدَّ من يغيب، وما ذكره الجهشياري يدل على أن الكتّاب أيام النبي - ﷺ - كانوا نوعين:

النوع الأول: الكتّاب المباشرون: وهم الذين يتلقون من النبي - ﷺ - مباشرة فيكتبون له الوحي والرسائل.

والنوع الثاني: كتّاب الدولة: وهم يسجلون ما يحتاج إلى تسجيل من غنائم الحروب وأنصبة الناس وحاجات قومهم وما شابه ذلك.

وأقل من هؤلاء بكثير النساء اللائي كن يكتبن، وقد ذكر البلاذري في «فتوح البلدان» منهن: الشفاء بنت عبدالله التي كانت كاتبة في الجاهلية، وحفصة بنت عمر، وأم كلثوم بنت عقبة، أما أم سلمة زوجة النبي - ﷺ - فكانت تقرأ ولا تكتب.

وهناك توجيه طيب رائع من رسول الله - ﷺ - نراه في حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: أمرني رسول الله - ﷺ - أن أتعلم له كتاب يهود «أي لغتهم قراءة وكتابة»، قال: إني «والله ما آمن يهود على كتاب، قال زيد فما مرَّ بي نصف شهر حتى تعلمته له، فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم». (رواه الترمذي).

وبذلك فوَّت رسول الله - ﷺ - على اليهود ما يحرصون عليه من التحريف والمغالطة إذ كانوا لا يكتبون إليه إلا بلغتهم التي لا يعرفها أحد من المسلمين، مع أن كثيرين منهم كانوا يعرفون العربية جيداً، ومنهم شعراء ينظمون بالعربية، وبعد ذلك كان زيد بن ثابت يقوم بدور المترجم قراءة وكتابة، وفي هذا الحديث توجيه للمسلمين على مدار العصور بأهمية تعلم اللغات الأجنبية وخصوصاً لغة الأعداء.

الحديبية والانفتاح على العالم

مكث النبي - ﷺ - في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى الله على بصيرة، ودخل عشرات من الناس في الدين الجديد أغلبهم من المستضعفين، ولكن إسلام حمزة وعمر زاد من قوة المسلمين في مكة، ومع اتساع دائرة الدعوة اتسعت دائرة المعاناة، ومن ثم كان لابد من الخروج إلى دائرة أو دوائر أوسع، وكان هذا التوسيع أو هذا الخروج الذي يمثل أول العلائق بالخارج يتمثل في عملين:

الأول: هجرتان قام بهما بعض المسلمين إلى الحبشة بدأت أولاهما في العام الخامس من البعثة.

والثاني: هجرة النبي - ﷺ - من مكة إلى المدينة بعد التمهيد لها ببيعتي العقبة الأولى والثانية.

وفي المدينة أنشأ النبي - ﷺ - دولة كاملة الأركان لا بالمعايير القديمة، ولكن بما يشترطه القانون الدولي والفقه الدستوري الحديث في وقتنا الحاضر من وجود شعب دائم، وإقليم محدد، وحكومة، وأهلية الدخول في علاقات مع الدول الأخرى.

ودفاعاً عن العقيدة والدولة الناشئة، حارب النبي - ﷺ - أعداء الإسلام في معارك مشهورة، منها بدر وأحد والخندق ومؤتة والمريسيع... إلخ.

وفي العام السادس للهجرة كان «صلح الحديبية» بين النبي - ﷺ - وقريش، والحديبية موقع على بعد تسعة أميال من مكة... وقد تضمن الاتفاق ما يلي:

١ - هدنة عشر سنوات.

٢ - حق قريش في استرداد من يأتي محمداً مسلماً، وليس لمحمد مثل هذا الحق.

٣ - حرية دخول الآخرين في حلف مع أي الطرفين.

٤ - رجوع محمد ومن معه هذا العام إلى المدينة وعودته لزيارة البيت الحرام في العام القابل.

٥ - الالتزام بحسن النوايا وتجنب الخيانة والغدر.

وشعر كثير من المسلمين - وعلى رأسهم عمر بن الخطاب - بقساوة هذه الشروط عليهم، وخصوصاً الشرط الثاني، حتى قال عمر حزيناً أسفاً «كيف نعطي الدنية في ديننا؟» ولم يكن جواب الرسول - ﷺ - إلا قوله: «أنا رسول الله ولن يضيعني»، وأثبتت الأيام بُعد نظر النبي - ﷺ - وعبقريته في هذا الصلح:

١ - فقد اعترفت قريش «رسمياً» بتوقيعها هذا الصلح - بمحمد ﷺ قائداً وزعيماً، وبالمسلمين جماعة لها قوة وثقل وكيان وأهمية.

٢ - وجنى المسلمون كسباً سياسياً كبيراً بفتح الباب على مصراعيه لمن أراد من العرب الدخول في حلف محمد وفيه دخلت قبيلة خزاعة وقالوا: «نحن في عقد محمد وحلفه».

٣ - ولم تفد قريش من الهدنة شيئاً، بينما أفاد النبي - ﷺ - الكثير: إذ عاد النبي والمسلمون إلى مكة معتمرين في العام القابل، وقد دامت الهدنة عامين فحسب، ولكنهما كانا كافيين لمحمد - ﷺ - لتثبيت مركزه، ولمد نفسه بالقوة اللازمة لكسر شوكة قريش، وتقويض سلطانها.

وفي هذه الأثناء دك معاقل اليهود في خيبر، وفدك في العام السابع للهجرة، وبعث بحملة إلى مؤتة في العام الثامن من الهجرة، وانضم إلى صفوف المسلمين جماعات وجماعات، وأسلم أشخاص من ذوي الحيثية والقدرة والحنكة من أمثال خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص.

وبهذا الصلح الذي التقط المسلمون به أنفاسهم بدأ الانفتاح على مناطق وأقطار أخرى تحقيقاً لعالمية الإسلام، فكانت رسائل النبي - ﷺ - إلى الملوك والأمراء والرؤساء.

رسائل النبي ﷺ تحقيق لعالمية الإسلام

وأهم هذه الرسائل :

١ - رسالته إلى قيصر ملك الروم، وحملها دحية بن خليفة الكلبي.

٢ - رسالته إلى كسرى ملك فارس، وحملها عبدالله بن حذافة السهمي.

٣ - رسالته إلى المقوقس عظيم القبط بمصر، وحملها حاطب بن أبي بلتعة.

٤ - رسالته إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام، وحملها شجاع بن وهب الأسدي.

٥ - رسالته إلى هوذة بن علي الحنفي وإلى ثمامة بن أثال: رئيس اليمامة: وحملها سليط بن عمرو العامري.

٦ - رسالته إلى النجاشي ملك الحبشة وحملها عمرو بن أمية الضمري.

٧ - رسالته إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وحملها العلاء بن الحضرمي.

وتشترك كل هذه الرسائل في مضمون محوري واحد وهو الدعوة إلى الإسلام، وقد جاءت هذه الدعوة في أساليب متعددة وصور مختلفة تراعي شخصية المرسل إليه ومكانته السياسية والاجتماعية والدينية، ولكن - بجانب هذه الفكرة المحورية - كان هناك مضامين أخرى فرعية مشتركة بين هذه الكتب جميعاً أو أغلبها، وإن ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمضمون الرئيسي، ومن هذه المضامين المشتركة:

١ - في الإسلام السلامة ومن امتنع عن الإسلام أثم.

٢ - محمد هو رسول الله المبعوث للناس كافة.

٣ - الممتنع عن الإسلام لا يحمل إثم بقائه على الكفر فحسب، ولكن إثم رعاياه كذلك، لأنهم يتبعونه ضلالة أو هداية، «والناس على دين ملوكهم».

٤ - الاستشهاد بآية أو آيات من القرآن الكريم مناسبة للمقام، ومتعلقة بطبيعة المرسل إليه.

فكل هذه الرسائل كانت الفكرة الأساسية التي تحملها هي الدعوة إلى الإسلام، ثم هي تمزج في تضاعيفها بين الترغيب في اعتناق الدين الجديد، والترهيب المجمل من نتيجة المخالفة برفض اعتناق الإسلام، وهو الدين الخاتم الذي جاء به محمد بن عبدالله - ﷺ - مبعوثاً للناس كافة، ونعرض فيما يأتي نصوص بعض هذه الرسائل:

رسالته ﷺ إلى هرقل ملك الروم

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمِ تَسْلَم: أَسْلِمْ يؤتك اللهُ أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأَرِّيسيِّين و(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

والأريسيون هم الفلاحون من رعاياه يتحمل إثمهم لأنهم يتبعون وينقادون إليه.

ورسالته ﷺ إلى كسرى ملك الفرس

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم

فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله عز وجل، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس.

ورسالته ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط في مصر

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط، و(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

وجاء في «صبح الأعشى»: ذكر الواقدي أن كتاب النبي - ﷺ - إلى المقوقس كان بخط أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وأن فيه :

«من محمد رسول الله إلى صاحب مصر: أما بعد: فإن الله أرسلني رسولاً، وأنزل عليَّ قرآناً، وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني، ويدخل الناس في ملتي، وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانيته، فإن فعلت سعدت، وإن أبيت شقيت والسلام».

رسالته ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سِلْمٌ أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، حملته من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفر ونفراً معه من المسلمين فأَقْرِهم «أي أكرمهم»، ودع التجبر، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغتُ ونصحتُ، فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى.

ملامح فارقة

ورسائل النبي - ﷺ - وقد قدمنا بعضها - بينها سمات وملامح فارقة لا يخطئها النظر:

١ - فبعضها يأتي موجزاً في سطرين أو ثلاثة، ويدعو إلى الإسلام مباشرة دون تفصيل كرسالته إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من ابتع الهدى وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك.

٢ - في رسالة واحدة فقط وهي الموجهة إلى المنذر بن ساوى يذكر النبي - ﷺ - ملامح المسلم، فالمسلم - على حد قوله - عليه الصلاة والسلام - «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا».

٣ - وانفردت رسالته إلى النجاشي عن رسائله كلها بأمرين هما: ذكر بعض أسماء الله الحسنى: «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن»، وشرح طبيعة سيدنا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فهو «روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، حملته من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخة».

والعجيب أن يذكر النبي - ﷺ - ذلك في كتابه إلى النجاشي، وربما كان أولى به رجل كالمقوقس «عظيم القبط» حتى يبعث فيه حسه الديني... فهو زعيم ديني قبل كل شيء، ولكن معرفة الواقع التاريخي آنذاك تجعلنا نؤمن بأن النبي - ﷺ - في اختصاصه رسالته للنجاشي بذكر المسيح وكيفية ولادته - كان على حق، فقبل هجرة النبي إلى المدينة بعدة أعوام هاجر جعفر بن أبي طالب وعشرات من المسلمين إلى الحبشة، وأرسلت قريش في أثرهم وفداً منهم عمرو بن العاص لاستعادة هؤلاء «الفارين الخارجين» وإرجاعهم إلى مكة، أو على الأقل محاولة تأليب النجاشي عليهم، فلم يجدوا سبيلاً يتسللون منه إلى قلب النجاشي إلا طبيعة المسيح، ورأي المسلمين فيه «وهو سيء من وجهة نظر الكفار مما قد يغضب النجاشي»، وشرح المسلمون «الفارون» وجهة نظر الإسلام في خلق المسيح ومكانته عند المسلمين، فخابت مؤامرة الكفار، وعامل النجاشي المسلمين معاملة طيبة.

وقد أراد النبي - ﷺ - بإعادة ذكر هذه المسألة في رسالته - تأييداً لما ذكره المسلمون، وتأكيداً له، وكسباً لمشاعر هذا الملك العظيم، وقد تحقق ما أراد، فأرسل إليه النجاشي كتاباً يعلن فيه أنه أسلم على يد جعفر بن أبي طالب، ويعبر عن إيمانه بما ذكره الرسول في طبيعة المسيح عليه السلام.

٤ - كما انفردت رسالة النبي - ﷺ - إلى النجاشي بذكر «مطلب خاص» هو أن يحسن النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين إلى الحبشة، فهم في دار غربة فارون بدينهم من الشرك والظلم والعدوان.

٥ - وأكد النبي - ﷺ - في بعض هذه الكتب مسؤولية الحكام عن ضلال الرعية، وكان هذا التأكيد صريحاً قارعاً شديد اللهجة في رسائل ثلاث، وهي رسائله إلى كسرى الفرس وهرقل الروم، والمقوقس عظيم القبط في مصر، فالأولان هما أوسع حكام الأرض نفوذاً، والثالث هو صاحب الهيمنة الدينية على أقباط مصر، ففي كتابه إلى قيصر الروم: «... فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين»، وفي كتابه إلى كسرى الفرس «... فإن أبيت فعليك إثم المجوس...» وفي كتابه إلى المقوقس: «... فإن توليت فإنما عليك إثم القبط...».

ولكن هذه الفروق التي ذكرناها بين الرسائل آنفاً لا تبتعد، بل هي ترتبط بالفكرة المحورية الرئيسية في هذه الرسائل، وهي الدعوة إلى الإسلام.

الآثار ... وردود الفعل ...

وقد كان تأثير هذه الرسائل مختلفاً:

١ - فيروى أن هرقل بعد أن قرأ رسالة النبي - ﷺ - عاد إلى حمص دار ملكه، ونزل قصره العظيم بها، وأغلق أبوابه، وأمر منادياً ينادي: ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه، فأقبلت الأجناد في سلاحها، وطافت بقصره تريد قتله، فأرسل إليهم، إني أردت اختبار صلابتكم في دينكم، فقد رضيت، فرضوا عنه.

وهناك رواية أخرى خلاصتها أنه كتب كتاباً وأرسله مع دحية

الكلبي إلى رسول الله - ﷺ - يقول فيه: «إني مسلم ولكني مغلوب» فلما قرأه النبي - ﷺ - قال: «كذب عدو الله، ليس بمسلم».

٢ - وأما كسرى أبرويز، فإنه مزّق الرسالة، فقال رسول الله - ﷺ - : «مزّق الله ملكه» فسلط الله عليه ابنه شيرويه فقتله.

٣ - وقبّل المقوقس رسالة الرسول - ﷺ - وأهدى إليه ضمن ما أهدى مارية القبطية، فتسرّاها النبي - ﷺ - وأنجب منها ابنه الذكر الوحيد إبراهيم الذي مات رضيعاً، وماتت مارية مسلمة سنة ١٦ هـ.

٤ - وأما الحارث بن أبي شمر الغساني، فإنه لما أتته الرسالة قال: أنا سائر إليه «يعني محارباً»، فقال رسول الله - ﷺ - : باد ملكه.

٥ - وأما هوذة بن علي فبعث يطلب من النبي - ﷺ - أن يجعل له الأمر من بعده حتى يسلم، وإلا قصده وحاربه، فقال النبي - ﷺ - : اللهم اكفنيه، فمات بعد قليل.

٦ - وأما النجاشي، فإنه آمن برسول الله - ﷺ - واتبعه وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأرسل ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر، وبعث إليه رسول الله - ﷺ - أن يزوجه بأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت مهاجرة في الحبشة مع زوجها عبدالله بن جحش فتنصّر هناك، فزوجه إيّاها، وقام النجاشي بصداقها أربعمئة دينار من عنده.

٧ - وأما المنذر بن ساوى، فإنه أسلم، وأسلم معه أهل البحرين.

ولكننا نستطيع أن نقول إن التأثير كان إيجابياً إلى حد بعيد، والذين لم يسلموا في حياة النبي - ﷺ - أسلموا في حياة خلفائه.

المتابعات الجوابية

وفي بعض الأحيان لا تنتهي المسألة بالرسالة والرد عليها، بل تمتد المتابعة إلى كتابة رسالة تأتي الثالثة في الترتيب الزمني، وتكون جواباً أو رداً على الرد، ونكتفي بمثال واحد لهذه «المتابعة الجوابية:

جاء رد المنذر بن ساوى ملك البحرين على رسالة الرسول - بعد أن أعلن إسلامه - بالنص التالي :

أما بعد يا رسول الله : «فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث لي في ذلك أمرك» أي أشر عليَّ بما أفعل. فكتب إليه ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبدالله إلى المنذر بن ساوى : سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكّرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي، ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

وهذه الرسائل الديوانية أو الرسمية أو العامة تميل في أغلبها إلى الإيجاز والمباشرية في معالجة الموضوع، وغلبة عنصر الفكر على الوجدان، وجاء الأداء التعبيري فيها بالأسلوب المرسل دون تكلف أو تصيّد بعيداً عن السجع والتزين اللفظي، وهي مطعمة غالباً ببعض آيات من القرآن الكريم.

وفيما يتعلق بالدولة الإسلامية الناشئة في المدينة نقرأ للنبي - ﷺ - عشرات من الرسائل والكتب والعهود والوصايا ككتاب الموادعة أو دستور المعايشة بينه وبين اليهود ومن ساكنهم في المدينة وما حولها، ومنها الرسائل والكتب التشريعية التي كان يكتبها ويوجهها إلى الأفراد أو القبائل يعرض فيها أحكام الدين المختلفة في مجال العبادات والمعاملات وغيرها، ومنها كتب الإقطاع والغنائم التي يمنح بمقتضاها فرد أو قبيلة الحق في امتلاك أرض أو ماء أو شجر أو ما شابه ذلك، أو احتكار الانتفاع بذلك بصفة دائمة، أو وقت محدود.

ومنها الكتب الإدارية والتنظيمية التي تتعلق بتنظيم أمور الدولة وإدارتها في حالتي الحرب والسلم، وتصدق كذلك على كتب تولية الولاة والقادة والتكليف بمهام محددة، ومنها كتب التجسس والاستطلاع، وهي رسائل سرية أشهرها الرسائل المتبادلة بين النبي - ﷺ - وعمه العباس - رضي الله عنه - الذي بقي في مكة ليكون عيناً للنبي على قريش.

وللنبي - ﷺ - رسالة خاصة أو إخوانية واحدة لم ينقل التاريخ غيرها على ما أعلم، وهي الرسالة التي كتبها إلى الصحابي الجليل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - يعزّيه في ابن له مات.

شك في غير محله ...

وفي كتابه «تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ص ٣٤» يشكك الأستاذ أنيس المقدسي في رسائل النبي إلى الملوك سنة ٦ هـ بمقولة إن النبي - ﷺ - لم يكن قد بلغ في تلك السنة من القوة الحربية ما يرغم قبائل العرب القريبة على الخضوع التام، فكيف يعقل أن يهتم بإخضاع كبار الملوك يومئذ وهو لا حول حربياً له ولا طول...».

ونرى أنه شك في غير موضعه، وليس له ما يبرره:

١ - فالهدف من هذه الكتب لم يكن «إخضاع كبار الملوك» - كما ذهب الأستاذ المقدسي، بل كان دعوة هؤلاء إلى هدي الإسلام، وليس في هذه الكتب ما يوحي بطلب النبي خضوعاً واستسلاماً وتبعية.

٢ - والقول إن النبي - ﷺ - لم يكن له في تلك السنة حول وطول، قول غير صحيح، ففي هذا العام هابته قريش، وإلا لقاتلته في الحديبية، بل إنه والمسلمين - مع أنهم لم يكن معهم من السلاح إلا السيوف في أغمادها - تأهبوا لقتال قريش اعتقاداً منهم أن قريشاً قتلت عثمان بن عفان رسول رسولِ الله إليها في مكة.

٣ - والمسلمون خلال عامين فقط «الخامس والسادس من الهجرة» استطاعوا أن يقوموا بعشرين غزوة وسرية.

٤ - على أن النبي - ﷺ - والمسلمين معه كانوا يعوضون بقوة الإيمان وشجاعة القلب والتسليم بقاعدة «لن يصيبنا إلا مكتب الله لنا»، ما يعوضهم عن العدد والعُدَد وقوة السلاح.

٥ - وهذه الكتب بعث بها النبي - ﷺ - إلى الملوك والرؤساء بعد أن عزل «جبهة قريش» سياسياً وعسكرياً، وجنى بصلح الحديبية كسوباً سياسية كبرى.

٦ - وأخيراً: من يقرأ هذه الرسائل يرى أنها ذات سمات وملامح لا تختلف عن سمات الأسلوب النبوي في رسائله الأخرى. ■

شعوب إسلامية



مسلمو أوغندا

من مملكة «البوجندا» إلى عصر الانقلابات العسكرية

أوغندا هي واحدة من الدول الإفريقية التي تمثل ثقلاً استراتيجياً، وهي كذلك من الدول التي لعبت دوراً تاريخياً أو كانت مسرحاً لأحداث سياسية مهمة... فهي واحدة من دول حوض النيل، والتي يوجد فيها منابعه، وهي من دول الجوار السوداني التي تقوم بدور مؤثر في أحداث الحرب الدائرة في جنوبه، وهي كذلك من الدول الأفريقية القليلة التي دخلها الإسلام منذ بزوغه ... فقد أكدت الدراسات التي قام بها المؤرخون المسلمون هناك أن المسلمين حطوا برحالهم في هذه البلاد خلال الهجرات الإسلامية الأولى إلى دول شرق إفريقيا، ويقول الشيخ الحسيني رجب مفتي أوغندا - في لقاء لي معه - إن هذه الدراسات الدقيقة ترد على ما يروجه المؤرخون الأوروبيون من أن أوغندا عرفت الإسلام في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، عندما أرسل الخديوي إسماعيل «ملك مصر» حملة عسكرية من المسلمين إلى أوغندا العام ١٨٦٤م لاكتشاف منابع النيل ودارستها لإمكان السيطرة عليها، وذلك لأهمية نهر النيل القصوى للمصريين ...

دخلها الإسلام ونشره التجار المسلمون بسلوكهم النبيل وخلقهم الرفيع

بقلم : شعبان عبدالرحمن

ويضيف الشيخ الحسيني رجب أن المؤرخين المسلمين توصلوا إلى وثائق تاريخية تثبت أن ملوك أوغندا «كانوا يسمونها في القديم مملكة البوجندا» أرسلوا وفوداً إلى الحجاز منذ القِدَم لطلب الدعاة المسلمين من الجزيرة العربية، وقد تمت الاستجابة لطلباتهم.

كان للتجار المسلمين الذين ترددوا على هذه البلاد بعد دخول الإسلام إليها دور محوري في تثبيت الإسلام في قلوب أبناء مملكة «البوجندا» (أوغندا)، بسلوكهم الإسلامي الحميد، وأخلاقهم الرفيعة التي جعلت الناس يهفون إليهم، فقد كان هؤلاء التجار في ذواتهم وأخلاقهم دعوة عملية متحركة فتحت في صمت بلاداً عدة أمام الإسلام، وحمل هؤلاء التجار المسلمون راية

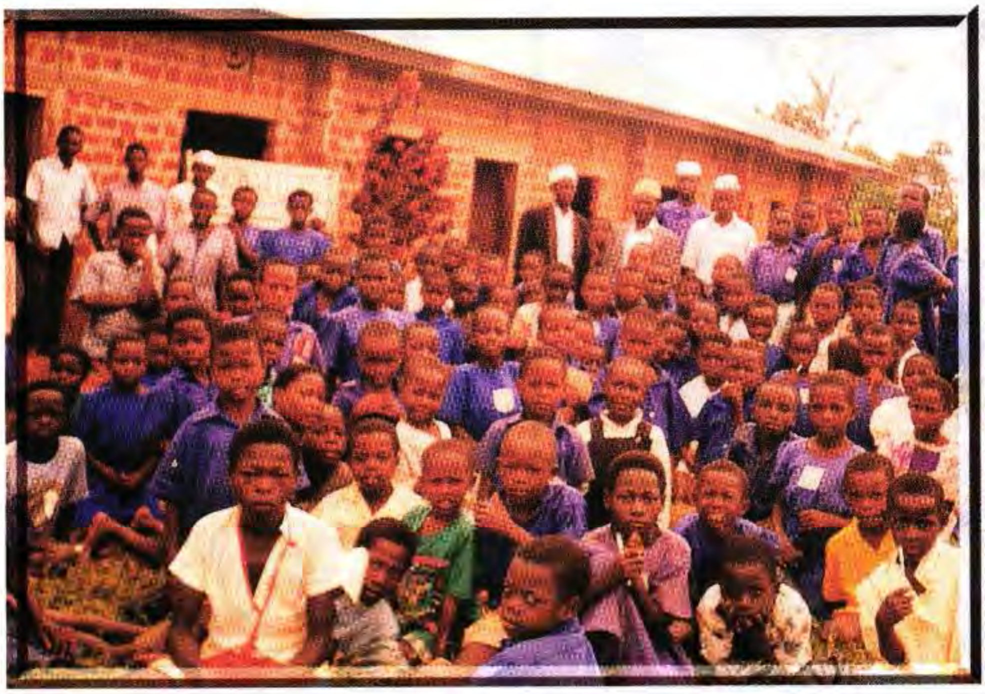
التوحيد وهم يتجولون بتجارتهم في شمال أوغندا وكان اهتمامهم مع ترويج تجاراتهم العمل على نشر الإسلام.

وبغض النظر عن تاريخ دخول الإسلام لهذه البلاد، فإنه من المؤكد هو أن الهجرات العربية المسلمة الأولى أو التجار المسلمين أو الجنود المصريين بدافع من ضميرهم الإسلامي قد بذروا بذوراً طيبة للإسلام هناك.

وبعد ذلك كان الدور المحوري في نشر الإسلام «للمسجد» فقد تحولت المساجد إلى مراكز ثقافية مهمة لنشر الإسلام، وكانت الدروس تلقى باللغة العربية، فقد كانت معرفة أوغندا باللغة العربية متواكبة مع معرفتها بالإسلام ذاته، وأصبحت هذه اللغة يوما - بعد انتشار الإسلام هناك - هي لغة الشعب ولهجة التداول بين أبنائه وبخاصة في المجالات التجارية، كما أنها صارت لغة القضاء، لأنها في الأصل كانت لغة التعليم.. ولذلك كان تركيز الاستعمار في ضربته للإسلام هناك على قتل اللغة العربية أولاً.

تاريخ مرير مع الاستعمار

ولأوغندا تاريخ مرير مع الاستعمار منذ نهايات القرن التاسع عشر، فقد احتلها الإنكليز العام ١٨٦٢م، ولم تكن البلاد يومها تعرف غير الإسلام، وكان الهدف الأول لحملات الاستعمار الإنكليزي هو محو الطابع الإسلامي لتلك البلاد، بتفكيك بنية المجتمع الأساسية وتذويبها من خلال جيوش التنصير التي صاحبت الجيوش العسكرية، وقد تنبه المسلمون لذلك بعد فترة قليلة من الممارسات الاستعمارية عندما اتخذت ممارسات المنصِّرين طابعاً استفزازياً، فاحتدم الصراع بين الجانبين، وتحول إلى قتال مسلح استمر نحو عشرين عاماً، وتدخلت فيها بريطانيا بقوتها العسكرية ضد المسلمين، تحت ستار المصالحة بين الطرفين، وتمكنت بريطانيا من فرض اتفاقية مصالحة جائرة بحق المسلمين العام ١٩٠٤م سميت اتفاقية «مانجو»... ومنذ ذلك التاريخ وبمقتضى تلك الاتفاقية بدأ المسلمون رحلة من المعاناة القاسية، هددتهم في هويتهم وحريتهم، وحياتهم المعيشية والتعليمية وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية، بل في عباداتهم الدينية... فقد وجهت تلك الاتفاقية ضربة قاصمة إلى المسلمين في قوتهم اليومي إذ تم بموجبها تسليم كل الأراضي الزراعية الخصبة للجمعيات الكنسية، ولم تترك للمسلمين موارد زراعية غير العمل في تلك المزارع كأجراء، وخلال سبعين سنة من بدء تنفيذ الاتفاقية، كانت الكنيسة قد نفذت بهدوء خطتها تحت حماية القوة العسكرية الإنكليزية في إحداث تحولات اجتماعية واقتصادية كبيرة لصالحها... وتسارعت آليات تجويع المسلمين وإفقارهم وحرمانهم من التعليم، بينما – وعلى القدر نفسه من التسارع – تم دعم حملات التنصير حتى سقطت البلاد في براثن الحكومات والسلطات العسكرية الكنسية، وتناقص تعداد المسلمين حتى وصل إلى نسبة ١٦ في المئة من عدد السكان (١٦ مليون نسمة) وفق آخر التقديرات الحكومية الرسمية.



اقتحمها الاستعمار الإنكليزي العام ١٨٦٢م مع جيوش المنصِّرين الذين ضيقوا الخناق على المسلمين

وعلى الصعيد السياسي، قررت اتفاقية «مانجو» أن يكون حاكم البلاد ورئيس الوزراء ووزير المالية من أتباع الكنيسة الإنكليكانية «الكنيسة البريطانية» أما الوزراء فيكونون من الروم الكاثوليك، ومازال الوضع في البلاد يسير على هذا النحو إلى حد قريب.

عيدي أمين

وكان تولي الرئيس الأسبق عيدي أمين رئاسة الدولة (١٩٧١ - ١٩٧٩م) هو الاستثناء الوحيد بين الحكام الذين حكموا البلاد، وجاء عيدي أمين المسلم في فترة هيأت فيها الظروف للمسلمين بين أن تميل كفتهم، وكان أول إجراء اتخذه بعد توليه رئاسة البلاد هو إعطاء مهلة زمنية للإنكليز والصهاينة الموجودين في البلاد بالرحيل، لكن الدوائر الغربية لم تقف مكتوفة الأيدي، فشنت حرباً إعلامية ضد المسلمين في أوغندا، وضد عيدي أمين بالذات، ووصفته بأنه لا ينتمي إلى الإنسانية بصلة لانتهاكه حقوق الإنسان، وتحويله البلاد إلى جحيم، حتى «حكاية» أكله للحوم البشر... وتحت ستار هذه الحملة استجمعت كل القوى الصليبية قوتها بدعم صريح من الغرب، حتى تمت إعادة الرئيس ميلتون أبوتي المسيحي على فوهات السلاح والذي كان عيدي أمين قد أقصاه... وبمجيء أبوتي إلى السلطة دخلت أوغندا في دوامة الانقلابات العسكرية والصراعات القبلية على

الحكم، فقد أطاح جوزيف أوكيلو بعد ذلك بأبوتي، وأذاق البلاد مزيداً من القهر والاضطهاد والفقر، واستمر مسلسل الحكام العسكريين على أوغندا حتى جاء يوري موسيفيني بعد حرب أهلية دامية.

وفي أجواء الكبت السياسي والضنك الاقتصادي ظل المسلمون أصحاب النصيب الأكبر من المعاناة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومع أنهم يشكلون ما يقرب من نصف السكان، إلا أنه تم حرمانهم حتى من بناء المساجد وإقامة الشعائر، وإن حدث السماح بذلك، فإنه يكون وسط تضييق شديد، في الوقت الذي يتمتع فيه كل أصحاب الديانات الأخرى بمن فيهم البوذيين بحرية بناء معابدهم وإقامة شعائرهم، وقد صار مشهداً مألوفاً لمن يتجول في هذه البلاد أن يرى الفرق الشاسع بين المساجد البالية المتهدمة، المفروشة بالحصر، وذات الأضواء الخافتة، والكنائس الأنيقة الجديدة التي تشع منها الأنوار... وتجسد المقارنة أكثر مجموعة المدارس التبشيرية التي زرعت خصيصاً في مواجهة المساجد والمدارس الإسلامية وإلى جوارها، حيث نرى المباني الضخمة والواسعة في مواجهة مدارس ومساجد قديمة ومتواضعة، ولمزيد من الجذب، فإن مدارس التبشير لا تتقاضى ممن يتقدم إليها من أبناء المسلمين رسوماً دراسية، كما تمدهم بالكتب والأدوات المدرسية أحياناً، في الوقت الذي تتقاضى فيه المدارس الإسلامية رسوماً باهظة لأن العملية تسير فيها بالكاد بسبب الفقر.

وقد صار من المناظر المألوفة - كما يقول الشيخ الحسيني رجب - أن يشاهد المار في الشوارع مجموعات من الدهماء الجهلة يقفون خلف أحد القساوسة وهو يقرأ ترانيم الإنجيل بأعلى صوته، ثم ينادي في الناس: هلموا إلى المسيحية!.. وفي الوقت نفسه، فإن الدعاة المسلمين يطاردون ويعتقلون، بل إن هناك عشرات المسلمات تم الزجُّ بهن في السجون وسط الأدغال بتهمة الدعوة وتعليم الأوغنديات المسلمات دينهن، وهناك واقعة شهيرة رصدتها أحد التقارير الصادرة عن إحدى الجمعيات الإسلامية - وقعت تحت أيدينا - في العام ١٩٩٢م وتم خلالها حبس خمس داعيات هن: أمينة بلجاي، وخديجة نامال، وسليمة نامبيرو، وأسيانا ميجو،



ونانيتزا هاكيرا... ولعل «السيد موسى» وهو وزير مسلم سابق يعد أشهر سجين سياسي هناك، حيث تم الزج به في السجن دون تهمة اللهم إلا مطالبته المتكررة بإصلاح أوضاع المسلمين، ورفع الظلم، ورد حقوقهم السياسية والمدنية إليهم.

حرمان سياسي

وعلى امتداد قرن من الزمان، ظل المسلمون - ومازالوا - يعانون الحرمان السياسي حتى بعد الاستقلال عن الاحتلال الإنكليزي العام ١٩٦٢م، وخلت اللجنة التي شكلتها حكومة يوري موسيفيني العام ١٩٨٦م لإعداد مقترح بدستور جديد للبلاد من أي مسلم مع أنها ضمت ٢١ عضواً من كل التيارات.

كما خلت قائمة الأحزاب السياسية التي سمح بتشكيلها في البلاد من أي حزب

اتفاقية «دمانجو» بين المسلمين والنصارى جردت المسلمين من كل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية

إسلامي، في حين أن الأحزاب الموجودة على الساحة هي:

حركة المقاومة الوطنية «الحزب الحاكم».

- حزب المؤتمر الشعبي الأوغندي «بروتستانتي».
- الحزب الديموقراطي «كاثوليكي».
- حزب المحافظين «كاثوليكي».

وهكذا لم يسمح للمسلمين أصحاب البلاد الأصليين بأن يكون لهم حزب وسط هذه الغابة من الأحزاب الدينية... فقط مسموح لهم بالذوبان في الأحزاب القائمة

وعلى العموم، فإن التعددية السياسية تعد معطلة على أرض الواقع العملي وليس هناك من صاحب حرية من الحركة سوى الحزب الحاكم «حركة المقاومة الوطنية»... وقد أكد الرئيس موسيفيني أكثر من مرة أن حزبه يتبنى الديموقراطية، لكن التعددية السياسية بمعناها الواسع لا تتناسب مع أوغندا لأنها تمزقها وأن البلاد غير مؤهلة لتعددية سياسية حقيقية قبل العام ألفين.

وليس الحال على المستوى العام في البلاد من الحال السياسية، فعلى الصعيد الاقتصادي تعاني أوغندا من تدهور حاد في مستوى المعيشة إذ انخفضت عائدات تصدير البن من مصادر الدخل الرئيسية العام ١٩٨٥م فقط من ٤٠٠ مليون دولار إلى مئة مليون، بعد أن أصيبت حركة التجارة بارتباك شديد، كما أن الخطة التي وضعتها الحكومة في أواخر الثمانينيات للنهوض

الاقتصادي أصيبت بالشلل التام، وصاحب ذلك ارتفاع نسبة التضخم وتدهور قيمة «الشلن» الأوغندي.

وعلى الصعيد الاجتماعي العام، تظل القبلية التي تنخر في عصب المجتمع تمثل مرضاً مزمناً لأوغندا مثل غيرها من الدول الأفريقية المجاورة وهي ما تلاعب بها الاستعمار كثيراً وسخرها لأغراضه وعمق جذورها في المجتمع حتى صارت تمثل قنبلة موقوتة تهدد بالانفجار في أي وقت.

لكن الأخطر من ذلك هناك طاعون «الإيدز» الذي يفترس المجتمع افتراساً كبيرا بعد أن أسقط ١,٥ مليون من الشعب طبقاً للبيان الرسمي الصادر عن وزارة الصحة الأوغندية، في يوليو العام ١٩٩٦م ومازالت خطط الحكومة عن مقاومته عاجزة.

في هذا لجو الخانق تتحرك جحافل التنصير بكل حرية مدعومة من الغرب والكنيسة لتنفيذ مخطط يقضي - وفق خططهم ودعاياتهم المعلنة - باستيعاب المسيحية لأوغندا خلال ست سنوات مقبلة، ووفقاً لبيانات مفتي أوغندا فإن الاستراتيجية في أوغندا لا تنفك عن الاستراتيجية العالمية في عموم أفريقيا وهي عدم السماح بأي حال للإسلام بأن يلعب دوراً مؤثراً من السياسة وقد سمعنا وقرأنا مراراً أن جيوش المنصرين الذين يقودهم أكثر من ألف أسقف كاثوليكي يؤكدون بكل ثقة أن عام ألفين هو عام الفخر للقارة الأفريقية دون بقية القارات!! إذ سيصبح أكثر سكانها من النصارى.

ويبقى السؤال المهم: هل استسلم المسلمون في أوغندا لهذه الموجات العاتية المتواكبة عليهم طوال هذه المدة؟!

مقومات الصمود

الواقع يؤكد أن صمود المسلمين فاق كل التوقعات، وقد كان الإيمان المركوز في النفوس منذ قرون هو عامل المقاومة الأقوى الذي ساعد المسلمين على الصمود حتى اليوم، كما أن حدوث الانفراجات خلال بعض الفترات أضاف عوامل مقاومة جديدة لصالح المسلمين، فمنذ حصول أوغندا على الاستقلال في ١٩ أكتوبر العام ١٩٦٢م، وزوال الاستعمار عنها، شهدت البلاد انفراجات استفاد منها المسلمون واستطاعوا تأسيس بعض الجمعيات والمراكز التي تقدم خدماتها للمسلمين هناك وتقوم بنشاط كبير في الدعوة للإسلام والتعليم الإسلامي ورعاية المساجد، وكانت ثمرة إنجازاتها طيبة وملموسة، ومن بين هذه الجمعيات تبرز: الجمعية الإسلامية، وجمعية مسلمي أوغندا، التي تأسست العام ١٩٦٦م، وجمعية «كاليما» الإسلامية نسبة إلى الملك كاليما، أول ملوك أوغندا الذي اعتنق الإسلام وشيد المساجد والمدارس الإسلامية، وجمعية الإخوة الدينية، وجمعية مساعدة المدارس الإسلامية، وجمعية التبليغ.

عيدي أمين الرئيس المسلم الوحيد الذي حكم البلاد واتهموه بأكل لحوم البشر!

وقد اكتسبت مقومات الدفاع عن الإسلام في أوغندا بعداً جديداً أقوى وأوسع بتأسيس المجلس الإسلامي في كمبالا العام ١٩٧٢م، وتقول لائحته التأسيسية: إن رسالته تأتي لتوحيد جهود الجمعيات الإسلامية والعمل على نشر الدعوة.

وأقام هذا لمجلس عقب الإعلان عن تأسيسه ثلاثة معاهد دينية لتأهيل المعلمين ومعهدين لتخريج الدعاة وعشر مدارس ثانوية وعدد كبير من المدارس القرآنية.

وتلاقى هذا النشاط الإسلامي مع الجذور الإسلامية الضاربة في أعماق الأرض الأوغندية وفي أعماق قلوب أبنائها لتزيد من صمود المسلمين على ضعفهم وفقرهم أمام مخططات التذويب، بل إنه رغم هذه الحال من الضعف مازال هناك مسلمون جدد يتدفقون على الإسلام، كما تمكن المسلمون رغم حال الخنق السياسي التي يعيشونها من إثبات أرضية لأنفسهم بدخولهم المناقشة الانتخابية البرلمانية في ١٩٩٤/٣/٢٨م، وتمكنوا من الفوز بـ٢٤ مقعداً من أصل ٢١٤ مقعداً في البرلمان... وكانوا مرشحين للفوز بمزيد من المقاعد لولا الخلاف والتفرق الذي وقع بين الأحزاب في حين اتحدت جميع الفصائل النصرانية تحت ما يسمى بـ «مؤتمر الاتحاد النصراني».

وتلك هي القضية الخطيرة ... قضية وحدة المسلمين... التي يراهن عليها الأعداء في مسيرة الصمود، ولم يكن المسلمون هناك في حاجة للتوحد والالتفاف حول راية واحدة مثل اليوم ... وخصوصاً أن البلاد تسير نحو حال اقتصادية واجتماعية وسياسية صعبة، سيكون المسلمون فيها أصحاب النصيب الأكبر من المعاناة. ■



أحكام

أدب الاقتراض

بقلم: عبدالقادر محمد السباعي

ليس هناك أحد لم يتعرض في يوم من الأيام لظروف طارئة أو ضائقة عابرة حلت به ألجأته لطلب المساعدة من غيره لكي يزيل ما طرأ عليه وما حلّ به دون أن يُعرّض نفسه لذل السؤال أو إهانة الكرامة أو الشعور بالمهانة، لذلك حفظ الإسلام للناس حياءهم، وحافظ على ماء وجوههم، وأعلى كرامتهم عندما فتح باباً للمعاملات بين الناس بالمعروف، يربط الصلة بين الغني والفقير، ويؤكد أواصر المحبة بين القوي والضعيف، ويساعد على وجود الرفق في حالات العسرة والضيق، وتوافر الرحمة بين العباد في تفريج كربهم وتيسير أمورهم.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «من نفَّس عن مسلم كُربة من كُرب الدنيا، نفّس اللهُ عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه».(١)

وبذلك يكون الإسلام قد فتح باباً من أبواب الخير على الناس في أن يتواصوا بينهم بالحق والمعروف، ويعرف مواطن المروءة والإقدام لإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج، دون أن يتركوه يسلك مسلك الردى ومهاوي الشيطان تحت ضغط الحاجة أو حجة المكروب.

فضله

يتصور البعض أن الإقراض ليس فيه ثواب، لأن المال يعود مثلما ذهب، فلا فضل فيه ولا ثواب عليه، ولكن الأمر على عكس ذلك، فإن فضله كبير وثوابه عظيم.

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «ما من مسلم يقرض مسلماً قرضاً مرتين إلا كان كصدقة مرة»(٢)

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً، الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: كان رجل يدائن الناس، فكان يقول لفتاه: «إذا أتيت معسراً تجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنَّا، قال: فلقي الله فتجاوز عنه».(٣)

حسن الوفاء

يجب على المسلم أن يعلم أن أموال الناس ليست كلأً مباحاً يرتع فيه كيفما شاء وحيثما أراد، ولكنها مصانة ومحفوظة ولا يجوز أكلها بالباطل، أو استمراء طلبها من أصحابها فيما يستحق وما لا يستحق.

ويجب عليه أيضاً أن يحافظ على إقامة المعروف بين الناس، ولا يساعد على إشاعة القطيعة بين المسلمين، وزرع بذور الشقاق بين المؤمنين، ونزع القدر المتبقي من الثقة بين الناس، ويُعجِّل بأداء ما عليه من دين إذا حل أجل الوفاء، أو يسَّر الله عليه بالرزق، ولا يكون شأنه شأن المسوفين والماطلين.

ولا يجوز للدائن اشتراط الزيادة في القرض، فإن ذلك من الربا المحرّم، لأن «كل قرض جرَّ نفعاً فهو ربا»(٤)، أما إذا زاد المدين شيئاً لأخيه المسلم عن رضا نفس، وطواعية فلا حرج فيه ولا مانع عنه، بل هو نوع من الاعتراف بالفضل لأهله.

عن عائشة - رضي الله عنها - قلت: يا رسول الله، إن الجيران يستقرضون الخبز والخمير، ويردون زيادة ونقصاناً، فقال: «لا بأس، إنما ذلك من مرافق الناس لا يراد به الفضل»(٥).

وسئل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن ذلك فقال: سبحان الله إنما ذلك من مكارم الأخلاق، خيركم أحسنكم قضاء، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول ذلك.

وتصديق ذلك، الواقعة التي حدثت مع رسول الله - ﷺ - فعن أبي رافع قال: استلف رسول الله - ﷺ - من رجل بَكْراً(٦) فجاءته إبل الصدقة، فأمرني أن أقضي الرجل بكراً فقلت: لم أجد في الإبل إلا جملاً خياراً رباعياً(٧) فقال النبي - ﷺ -: «أعطه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاء».(٨).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً تقاضى رسول الله - ﷺ - فأغلظ له فهمَّ أصحابه، فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، واشتروا له بعيراً فأعطوه إياه»، قالوا: لا نجد إلا أفضل من سنه، قال: «اشتروه فأعطوه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاء».(٩)

وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه -: (كان لي على رسول الله - ﷺ - حق فقضاني وزادني)(١٠)

كتابته

ويسن كتابة الدين لقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه)(١١).

وعن عمرو بن عوف المزني عن أبيه أن النبي - ﷺ - قال: «المسلمون عند شروطهم».(١٢)

والأمر بالكتابة هنا المراد به التسجيل والإشهاد، وقيل: المراد بالكتابة التذكير وعدم النسيان أو الجحود، وتكون الكتابة شاملة جميع الأوصاف المبينة له، المعرّفة إياه، قال الجمهور: الأمر بالكتابة ندب إلى حفظ الأموال وإزالة الريب.

الصبر على المعسر

وإذا تعرض المدين إلى ضيق وشدة، وحل عليه إعسار وكره، يستحب الصبر عليه والرفق به، وإنظاره إلى حين يأتي الفرج وتزول الضائقة والغمة، قال الله تعالى: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة)(١٣).

وعن أبي قتادة - رضي الله عنه - أنه طلب غريماً له فتوارى منه، ثم وجده، فقال: إني معسر فقال: آلله؟(١٤) قال: آلله، قال: فإني سمعت رسول الله - رضي الله عنه - يقول: «من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه»(١٥).

وعن كعب بن عمر قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله»(١٦).

التجاوز عن المعسر

هناك بعض الناس تسارع إلى المعروف وتحرص عليه، وبخاصة أصحاب الهمم العالية والمروءة وأصحاب الفضل، فعندما يجدوا كريماً وقع في إعسار ليس له به طاقة، أو سقط في ضيق، أو نزل به بلاء، وما أكثر البلاء في هذه الدنيا، فهناك الغني الذي أفلس فجأة نتيجة سرقة أو نصب أو حريق أو هدم وهناك القوي الذي مرض مرضاً أقعده عن الحركة والعمل والكسب الشريف، وغير ذلك من نوائب الدهر وصروف الأيام، فإن لم تكن هذه هي فرصة الأخيار من الناس للوقوف بجوار إخوانهم، وبذل المعروف لهم وإشعارهم بأنهم ليسوا وحدهم، ولكن لهم إخوان في الدين والعقيدة، يدركون إحساسهم ويعيشون همومهم ويقفون بجوارهم في محنتهم، فمن الذي يفعل ذلك؟ ومتى تكون الشهامة والمروءة والإقدام؟

في مثل هذه الأحوال يمكن التجاوز عن الدين كله أو جزء منه، بدافع من الضمير، طواعية ودون إجبار.

عن كعب بن مالك «أنه تقاضى ابن أبي حدرد ديناً له في عهد رسول الله - ﷺ - في المسجد، فارتفعت أصواتهما، حتى سمعها رسول الله - ﷺ - وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله - ﷺ - حتى كشف سجف حجرته(١٧)، ونادى كعب بن مالك، قال: «يا كعب قال: لبيك يا رسول الله، «فأشار بيده أن ضع الشطر من دَينك»، قال كعب: قد فعلت يا رسول الله، قال: «قم فاقضه».(١٨)

وذهب جمهور من الفقهاء إلى تحريم وضع قدر من الديْن نظير التعجيل بالقضاء قبل الأجل المتفق عليه، بينما يرى ابن عباس وزفر جواز ذلك، لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - لما أمر بإخراج بني النضير جاءه ناس منهم، فقالوا: يا نبي الله، إنك أمرت بإخراجنا، ولنا على الناس ديون لم تحل فقال رسول الله - ﷺ -: «ضعوا وتعجّلوا».

أكل الديْن من أكبر الذنوب

لا يترك الشيطان مدخلاً من مداخل السوء إلا ويزينه لأصحاب النفوس الضعيفة والقلوب المريضة، ليوردهم موارد التهلكة ويوقعهم في أوخم العواقب ويحبط ما لهم من عمل، ويفسد ما تبقى عندهم من خير، فينفث في روعهم ويوسوس في نفوسهم أن هذا الغنى أو ذاك الميسور لديه من الأموال الطائلة والمبالغ الوافرة التي لا يؤثر فيها مبلغ بسيط أو قدر محدود، يُقترض منه ويُسوّف في دفعه، ويماطل في وفائه، حتى يدب اليأس في قلب صاحب الديْن، فيكف عن المعاقبة وينتهي عن المطالبة، وما يحدث مع هذا يحدث مع غيره وهكذا ... ولا يدري صاحب هذا الفعل الشنيع أنه فتح على نفسه باباً من أبواب الدمار وجلب لنفسه مفسدة عظيمة لا يدرك سوء عاقبتها ولا يقدر سوء خاتمتها.

عن أبي قتادة - ﷺ - قال: «قال رجل: يا رسول الله أرأيت إن قُتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، يكفّر عني خطاياي؟ فقال رسول الله - ﷺ -: نعم، فلما أدبر ناداه فقال: «إلا الديْن كذلك قال جبريل».(١٩)

وعن أبي هريرة - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال : «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله».(٢٠)

وكان من عادة الرسول - ﷺ - السؤال عند صلاة الجنازة عن حال المتوفى من الديْن وهل خرج من هذه الدنيا نظيفاً من هذه الأدران، سليماً من هذه الأعمال، ولم تعلق في ذمته شيئاً من هذه الأموال، فإن كانت صفحته نقية وعمله طاهراً وحافظ على نفسه من أن يصيبها من أموال الناس شيئاً صلى عليه، واستغفر له (وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم)(٢١)، وأما إن كان من الذين ولغوا بغير خوف ورتعوا بغير وجل، وأكلوا ما لا يحل لهم، أعرض عنه وابتعد عنه.

عن أبي هريرة - ﷺ - قال: «رسول الله - ﷺ - كان يؤتى بالرجل الميت عليه الديْن فيسأل «هل ترك لدينه من قضاء؟ فإن حُدِّث أنه ترك وفاء صلى عليه، وإلا قال: «صلوا على صاحبكم» فلما فتح الله عليه الفتوح قام فقال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثته».(٢٢)

وعن البراء بن عازب - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «صاحب الديْن مأسور بدينه(٢٣) يشكو إلى ربه الوحدة يوم القيامة».(٢٤)

وعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - «أن رسول الله - ﷺ - قال: «يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الديْن»(٢٥).

وعن أبي موسى الأشعري - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال: «إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه بها عبدٌ بعد الكبائر التي نهى الله عنها، أن يموت رجلٌ وعليه ديْن لا يدع له قضاء»(٢٦) ■

الهوامش :

١ - رواه مسلم وأبو داود والترمذي.
٢ - رواه ابن ماجة وابن حبّان.
٣ - متفق عليه.
٤ - هذه القاعدة صحيحة شرعاً، وإن لم يثبت فيها حديث، والحديث فيه عن على إسناده ساقط، قال الحافظ وله شاهد ضعيف عن فضالة بن عبيد عند البيهقي، وآخر موقوف عن عبدالله بن سلام عند البخاري.
٥ - المقصود ربا الفضل.
٦ - البكر هو الثني من الإبل وهو بمنزلة الفتى من الناس.
٧ - المختار الذي قضى ست سنوات ودخل في السابعة.
٨ - رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن.
٩ - متفق عليه.
١٠ - رواه أحمد والبخاري ومسلم.
١١ - البقرة: ٢٨٢.
١٢ - رواه أبو داود وأحمد والترمذي والدارقطني.
١٣ - البقرة: ٢٨٠.
١٤ - الهمزة الأولى ممدودة على الاستفهام، والثانية من غير مد، والهاء فيها مكسورة.
١٥ - رواه مسلم.
١٦ - رواه مسلم.
١٧ - الستر الذي يفصل بين المسجد والبيت.
١٨ - متفق عليه.
١٩ - رواه مسلم.
٢٠ - رواه البخاري.
٢١ - التوبة: ١٠٣.
٢٢ - رواه مسلم.
٢٣ - محبوس.
٢٤ - رواه في شرح السنة.
٢٥ - رواه مسلم.
٢٦ - رواه أحمد وأبو داود.

أحكام

جريمة الزنى

بقلم: محمد يوسف الجاهوش

لقد أقام الإسلام مجتمعه على أسس خلقية متينة، وجعله مجتمعاً عفاً، نظيفاً محصّناً من الرذائل، وفعل السوء.

قضى على أسباب الفاحشة، وكل ما يغري بها أو يسهل ارتكابها، فحرّم التبرج، وإبداء الزينة لغير المحارم، وحرّم دفع الفتيات إلى البغاء، وأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر، وصون السمع.

رغّب في الزواج وحثّ عليه، وأوجبه على من يحتاج إليه، ووجه أبناءه نحو تسهيل مهام الزواج، وتيسير شأنه، وتذليل كل عقبة تقف في طريق راغبيه، من غلاء في المهور، وغير ذلك، حتى يتسنى لكل شاب وشابة الارتباط النظيف ـ كما شرعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإقامة حياة زوجية مستقرة وادعة.

حرّم الزنى، وجعله من أكبر الفواحش وأسوء الأعمال قال تعالى: (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) الإسراء:٣٢، ووصف عباد الرحمن بأنهم: (لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون) الفرقان:٦٨.

وبذلك تُصان الأنساب، وتحفظ الأعراض، وتسود الأخلاق الفاضلة، ويمسي الرجل ويصبح في مجتمع تظلله الفضيلة، ويأمن فيه على نفسه، وعرضه، وشرفه، ومقومات حياته.

فإذا أتى بعد هذا كله من يريد الخروج عن جادة الإسلام القويمة، وشرعة الله التي وضعها لعباده، فلا يبالي بخلق، ولا يتقيد بشرع، ولا يرعى لأعراض الناس وأنسابهم حرمة، فيرتكب جريمة الزنى، فإن الإسلام وضع له العقاب العادل الرادع، جزاء ما فرّط في جنب الله، وفي حق مجتمعه وأمته.

عقوبة الزنى

قال تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) النور:٢.

لقد أوضحت الآية الكريمة أن حد الزنى مئة جلدة مؤلمة، وأنه لا رأفة على من استحقها، وتوقع عليه في ملأ من الناس، ليجتمع له الايلام النفسي مع الايلام الجسدي، وليكون ذلك ردعاً لمن تسوّل له نفسه ارتكاب مثل هذا العمل الشنيع.

ولم تفرّق الآية بين الزاني المتزوج وغير المتزوج، وقد وضحت سنة الرسول ـ ﷺ ـ أن هذه العقوبة التي في الآية الكريمة خاصة بمن زنى وهو غير محصن، وأن عقوبة الزاني المحصن إنما هي الرجم حتى الموت، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «البكر بالبكر: الجلد وتغريب عام، والثيب بالثيب: الرجم».(١)

وقال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه، المفارق للجماعة».(٢)

وقد رجم رسول الله ـ ﷺ ـ وأمر أصحابه بالرجم، وممن رجمهم الرسول ﷺ:

١ ـ ماعز والغامدية.
٢ ـ العسيف وصاحبته.
٣ ـ الجهنية.
٤ ـ اليهودي واليهودية.

وكذلك رجم خلفاؤه الراشدون من بعده: أبو بكر، وعمر، وعلي، وهمَّ عثمان بالرجم، لكنَّه توقف لنكول أحد الشهود.

وأعلن عمر ـ رضي الله عنه ـ من على منبر رسول الله ـ ﷺ ـ أن الرجم حق على من زنى وهو محصن: من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو اعترف بزناه.

وهكذا نجد أن الرجم قد طبقه الرسول ـ ﷺ ـ وخلفاؤه الراشدون من بعده، فلا يغرنك ما يُثار من اعتراضات وشكوك حول هذا الحكم الإلهي.

ولقد شدد الإسلام في عقوبة الزنى، تماشياً مع بشاعة هذه الفعلة النكراء وكثرة مضارها: الخلقية، والدينية، والاجتماعية.

إن الإسلام وهو يضع العقوبة الصارمة الحاسمة لم يغفل الدوافع الفطرية أو يحاربها، ولم يغفل الوظائف الطبيعية التي ركبها الله ـ تعالى ـ في بني البشر، وإنما أراد محاربة النزعة الحيوانية التي همهما الجسد وملذاته.

وبنظرة واعية، نرى أن الإسلام حين جعل العلاقة الجنسية بالصورة التي هي عليها، إنما هدف إلى بناء بيت حصين، وإنشاء حياة مشتركة، على أساس المشاعر الراقية، والآلام المشتركة، وبناء جيل متين، يحمل على كاهله تبعات الإنسانية كلها.(٣)

ولا غرابة أن تكون عقوبة المحصن أشد، لأن الذي سبق له مباشرة الزوجة في نكاح صحيح ـ وهو مسلم بالغ عاقل ـ يكون قد عرف الطريق النظيف، فإن عدل بعد ذلك لغيره كان دليلاً على حبه للذة المحرّمة، واستهتاره بحرمات الناس وأعراضهم، واستخفافه بأمر الله.

فوجب أن توضع له عقوبة فيها من شدة الايلام وقوة التأثير ما يجعله يفكر كثيراً قبل إقدامه على الزنى ـ بخلاف البكر الغرّ الذي قد يندفع تحت ضغط الميل الجنسي وهو غافل عما لفعلته النكراء من أضرار جسيمة، وعواقب وخيمة.

شبهات ودحضها

ويحاول بعض الناس اليوم أن يشنعوا على الإسلام تقريره لهذه العقوبة، وهو قول لا تؤمن به قلوبهم، فلو رأى أحدهم ابنته أو امرأته ترتكب هذه الفاحشة لم يك تاركها وصاحبها يمشيان على الأرض إن هو تمكن من ذلك.

ويقول بعضهم الآخر: إن في هذه العقوبة قوة وشدة! وفاتهم أن الرجم بالحجارة إن هو إلا القتل ليس غير، وأن جميع قوانين العالم تبيح القتل جزاء لبعض الجرائم، فأي فرق بين أن يُقتل الرجل بالرصاص، أو الصعق، وبين أن يُقتل آخر رمياً بالحجارة؟

إن النتيجة واحدة بلا شك، بل إن الموت إذا تجرد من الألم والعذاب، كان أتفه العقوبات.

وأكثر الناس لا يخافون الموت لذاته، وإنما يخافون ما يصحبه من ألم وعذاب، وليس من مصلحة المجتمع أن يفهم أصحاب العقوبة هينة، لا تؤلم، ولا تدعو للخوف.

ولقد كان لعقوبة الزنى التي جاء بها الإسلام كبير الأثر في محاربة هذه الجريمة في كل زمان ومكان.

وقد نشأ عن تطبيق هذه العقوبة مجتمع صالح، يقوم على الخلق والفضيلة، ولا عجب، فقد جمع الإسلام بين الأساليب الوقائية والعقوبات الجزائية الرادعة.

وبنظرة فاحصة إلى عقوبة الحبس التي قررتها القوانين الوضعية لجريمة الزنى - يتضح الفرق جلياً بين العقوبتين.

فإن المجتمعات التي تطبق القوانين الوضعية يضج أفرادها من آثار الزنى الخطيرة، التي تهدد كيان مجتمعاتهم بالدمار والفناء، وكثير من مجتمعاتنا الشرقية أعرضت عن تطبيق الإسلام، واتجهت إلى القوانين الوضعية، لكن سلطان الإسلام لم ينحسر عن القلوب، ولا يزال مهيمناً على النفوس، مما كان سبباً في مخافة الله وتقواه، وحاجزاً منيعاً ضد الوقوع في هذه الجريمة، على أن عدم تطبيق الإسلام نتج عنه انتشار هذه الجريمة بلا شك، وإن كان بنسبة ضئيلة، ويتضح هذا من المقارنة بين المجتمعات التي تطبق عقوبة الرجم أو الجلد على الزناة - وهي بالطبع المجتمعات الإسلامية - وتلك التي تنصرف عن تطبيق هذه العقوبة إلى غيرها.

ولقد حرص الإسلام على ألا تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فشدد في ثبوت هذه الجريمة تشديداً لم يشدده في جريمة أخرى.

قال تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) النور: ٤.

إن هذا التشديد في عدد الشهود يظهر لنا حرص الإسلام على أعراض الناس وسمعتهم، وحرصه على طمس معالم الفاحشة، لأن انتشار التهم وكثرة سماع الناس لها يوحي إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب هذه الجريمة أن جو الجماعة المسلمة كله ملوّث، وأن الفاحشة شائعة ومنتشرة بين الأفراد، فتهون في حسّ ضعيف الإيمان بشاعتها، ويستسهل فعلتها مادام كثير غيره يقدم عليها، فيما يتراءى له.

سقوط عقوبة الزنى:

وتسقط العقوبة عن الزانى إذا رجع عن إقراره، أو عدل أحد الشهود عن شهادته، فالرسول - ﷺ - أمرنا أن ندرأ الحدود بالشبهات، وأن نجنب المسلمين الحدود ما وجدنا إلى ذلك سبيلا، بل من واجب الحاكم أن يوحي لمن يريد الإقرار بالزنى أن يستر نفسه، ويتوب لربه، ولا يتعجل العقوبة، تأسياً برسول الله - ﷺ - فقد قال لماعز: لعلك قبّلت؟ لعلك لا تدري ما الزنى؟

موقف الأمة من الزناة

أمر الله المسلمين أن يتخذوا من الزناة موقفاً حازماً صارماً، بحيث يُعزلون عن جسم الأمة عزلاً تاماً، ليذوقوا وبال أمرهم، ويشعروا ببشاعة فعلتهم، وما اقترفوه.

لذا، فقد حرّم الله على العفيف نكاح الزانية، وحرّم على العفيفة التزوج من الزاني، وقد اعتبر القرآن الكريم مرتكب هذه الفعلة القبيحة خارجاً عن إيمانه، وبذلك أسقط حرمته.

قال تعالى: (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحُرّم ذلك على المؤمنين) النور: ٣.

فالزاني عندما أتى ما أتى خرج عن دائرة الايمان، وانعدمت لديه مشاعر المؤمنين «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» رواه مسلم.

وحريٌ بالنفس المؤمنة ألا ترتبط - في نكاح - بنفس خرجت عن إيمانها، لأنها تنفر من هذا الرباط وتشمئز.

ويستمر هذا لتحريم قائماً حتى يتوب الزاني ويؤوب إلى الله، وباب التوبة مفتوح، يدخل منه كل من أراد العودة إلى ربه ودينه، لا يصد عنه قاصد، ولا يُغلق في وجه لاجئ، أياً كان ذنبه أو إثمه.

فإذا ما حصلت هذه التوبة عاد الجاني إلى جسم أمته، وطهّرته توبته من الدنس الذي انتكس فيه، وقبلته الجماعة عضواً في جسمها، لا يُعيَّر بفعلته، ولا يذكّر بجريمته، ولا يهوّن من شأنه بحال من الأحوال.

مما سبق يتضح لنا: أن الإسلام أقام مجتمعه على الطهر والنظافة، والخلق والتقوى، ووضع الأسباب الواقية من الانحدار في حمأة الرذيلة، وجعل للعلاقة الجنسية طريقاً عفاً طاهراً، وهيأ للأفراد كل سبب يحقق لهم ذلك، ثم وضع بعد ذلك العقوبات لمن شذ طبعه، وخبثت طويته، واختار طريق الدنس والفساد.

ومع ذلك لم يقفل الإسلام باب التوبة أمام كل عاص أو ضال أو مستهتر، بل جعله مشرعاً يلجه من أراد، متى أراد، دون وسيط أو شفيع «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم.

فالذين يظنون أن الساحات والميادين العامة ستضيق بجماعات المرجومين والمجلودين - متى طُبقت عقوبة الزنى - مخطئون واهمون.

«فالإسلام لا يأخذ الناس بالقانون وحده، إنما يصلت سيف القانون ليرتدع من لا يردعه إلا السيف، أما اعتماد الإسلام الأول فعلى تربية القلب، وتقويم الطبع، وهداية الروح، إلى جانب إقامة المجتمع الذي تنمو فيه بذرة الخير وتزكو، وتذبل فيه بذرة الشر وتذوي».

وما الناس بعد هذا إلا أحد رجلين:

جاهل بدينه، فسبيله أن يتفقه فيه.

وحاقد على شرع الله، فويل له مما هو ملاقيه.

فاحذر أيها المسلم الوقوع فيما حرّم الله تعالى، لتنال رضاه، وحافظ على نفسك، وخذ بزمامها نحو بارئها، واحرص على أن تدل غيرك على طريق الهداية، ليكون لك ثواب عملك، ومثل ثواب من أرشدت.

سدد الله الخطى، وحفظ الجميع، والحمد لله رب العالمين ■

الهوامش:

١ - وفي كتاب الحدود من صحيح مسلم، من حديث عبادة بن الصامت: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: البكر بالبكر: جلد مئة وتغريب عام، والثيب بالثيب: جلد مئة والرجم»، ويرى بعض الفقهاء أن يجلد الزاني المحصن بالزواج ثم يرجم.

٢ - رواه الستة، راجع جمع الفوائد ج١ ص ٧٢٣.

٣ - انظر التشريع الجنائي - للأستاذ عبدالقادر عودة ج(١).

حوار

يعد الأستاذ حسن عزوزي من المفكرين الباحثين والعلماء الشباب الذين سخروا قلمهم للدعوة وللذود عن الدين الإسلامي الحنيف، وذلك من خلال ما ينشره من مقالات حول قضايا الإسلام والمسلمين في عدد من الجرائد والمجلات العربية.

ولا شك أن قراء الوعي الإسلامي «يعرفونه من خلال المقالات التي ينشرها من حين لآخر في هذه المجلة، وقد ارتأيت أن أجري معه هذا الحوار حول جوانب متعددة من قضايا الإسلام والمسلمين.

الدكتور حسن عزوزي في حواره مع مجلة الوعي الإسلامي

روح الإسلام تنسجم مع مبدأ الحوار ومجادلة الآخر

● بصفتكم أستاذ في كلية الشريعة التابعة لجامعة القرويين العريقة، أوجو أن تعرفونا بالدور الثقافي والإشعاعي لهذه الجامعة؟

- جامعة القرويين كما يعلم الجميع تعتبر من أعرق الجامعات الإسلامية، وقد كانت خلال تاريخها المجيد قائمة بدورها الإسلامي الكامل في خدمة علوم الشريعة والحفاظ على التراث الثقافي والفكري الإسلامي، هذا فضلاً عن الإسهام الفعَّال في التطور الاجتماعي والحضاري لبلاد المغرب الأقصى، لم تكن جامعة القرويين حصنا للعلم والمعرفة فحسب، بل كانت قلعة من قلاع مقاومة الاستعمار وتكريس مفهوم الجهاد والنضال، فلا غرو إذاً أن يكون علماء الجامعة مناضلون ومجاهدون قد أوذوا في سبيل الله وعذبوا ونُكل بهم.

أما الإشعاع الثقافي والفكري كما جاء في سؤالكم فيتمثل في تلكم الأفواج الهائلة من العلماء الأفذاذ الذين تخرجوا فيها وعادوا إليها مدرّسين ومفتين، ناهيك عن المؤلفات والشروح والحواشي المختلفة التي أنضجتها قرائحهم والتي تزخر بها خزانة القرويين وغيرها من الخزانات المغربية.

وجامعة القرويين في العصر الحاضر ومن خلال كلياتها الأربع تمد الثقافة الإسلامية برصيد مهم وحظ لا بأس به، فعلماؤها وأساتذتها يعملون من خلال التدريس الجامعي على المحافظة على الارث الثقافي والفكري الذي تركه العلماء الأوائل، وذلك من خلال التركيز على أهمية اجتهاداتهم وفتاويهم والعمل على نشرها ومقارنتها بغيرها من اجتهادات العلماء المشارقة، ولعل في هذا الدور الذي تقوم به الجامعة ما يكفل لها إشعاعاً متميزاً وذا خصوصيات، بيد أن الذي تدعو إليه ونحن نحرص على أن يكون للقرويين إشعاع أوسع وتواصل أفضل مع محيطها الاجتماعي والثقافي هو نوع من التجديد والانفتاح والعمل على تطوير آليات ومناهج الدراسة والتدريس مما يساعد حتماً على أداء وظيفة الجامعة التعليمية على أحسن الوجوه وأكملها مع التطلع دوماً إلى مزيد من الفعالية المنتجة والمسؤولية الهادفة والإسهام الكامل في إنتاج المعرفة الإسلامية الصحيحة.



● الأستاذ الدكتور حسن عزوزي

أجرى الحوار : سومع عبدالسلام

● حبذا لو حدثتمونا عن إنتاجكم الفكري؟ وما الأسباب التي حفّزتكم إلى اختيار الإسلام والغرب ... والاستشراق كموضوعات لاختصاصكم العلمي والجامعي؟

- لعل أكثر حافز دفعني إلى اختيار موضوع علاقة الإسلام بالغرب مجال اهتماماتي البحثية بالإضافة إلى تخصصي في القرآنيات هو ما يلاحظه كل مهتم ومتتبع من تحامل الغرب الشديد على الإسلام دينا وحضارة وهو ما يتضح بجلاء من خلال العمل على تشويه صورة الإسلام ومحاولة تمييع مبادئه وتعاليمه ومثله وبث عوامل التخويف والترويع منه، لقد أصبح الإسلام يشكل إزعاجاً للغرب ولذلك يتهمه بأنه دين العنف والإرهاب ودين التخلف والانحطاط إلى غير ذلك من الإسقاطات المغرضة التي نبرئ الإسلام منها.

لذلك وجب الانتباه والاهتمام لهذا الأمر والبحث عن أسباب التهجم الغربي وتحامله الشديد على الإسلام، وذلك من أجل العمل على إيجاد سبل ووسائل تحسين صورة الإسلام وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تروّج عنه ولعل أبرز قاعدة يستند إليها

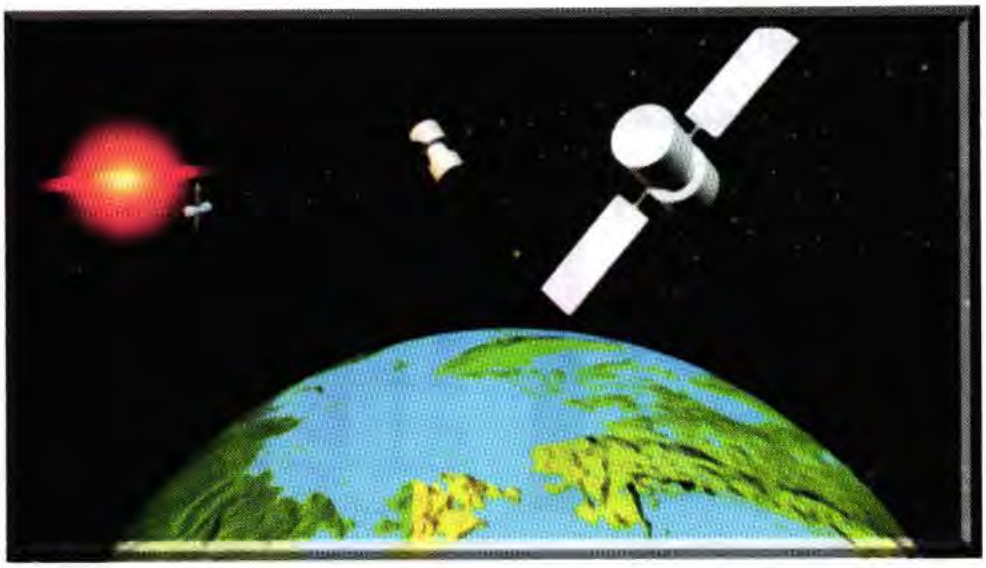
الغرب بجيمع مؤسساته الإعلامية والثقافية وغيرها من أجل تشويه صورة الإسلام هي قاعدة المنظومة الاستشراقية التي يتغذى من أطاريحها ونظرياتها، ومعلوم أن الاستشراق قد سخر كل آلياته وإمكاناته من أجل تقديم الإسلام للغربيين في صورة قاتمة ومظلمة.

لذلك باتت دراسة الاستشراق وخلفياته ومناهجه ومدارسه المختلفة أمراً ملحاً على الباحث في الإسلاميات، وهذا ما دفعني إلى تخصيص كثير من أبحاثي ودراساتي لهذا الموضوع البكر إلى حد ما، ونحن لا نعتبر الاستشراق شراً كله، فهناك مجالات الفهرسة والتكشيف والبليوغرافيا، وبحث معالم الحضارة الإسلامية، مما أجاد فيها القوم ووضعوا لنا فيها كتباً مفيدة لا يمكن للباحث الاستغناء عنها، نذكر منها على سبيل المثال: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الذي وضعه لفيف من المستشرقين في أواسط هذا القرن، وكتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان وغيرهما... بيد أن دراسات هؤلاء الباحثين المرتبطة بأصول التشريع الإسلامي من قرآن وحديث وفقه وسيرة قد طالها كثير من التشويه والتحريف.

أما عن إنتاجي الفكري في هذه المجالات فهو ينحصر بالأساس في مجموعة لا بأس بها من الأبحاث والدراسات المنشورة في المجلات والدوريات والجرائد العربية وأشير هنا إلى صدور كتاب منذ بضعة أشهر يحمل عنوان: «الإسلام والغرب» قضايا ومواقف، واشتغل الآن في موضوع الحوار بين الإسلام والغرب.

● إن الغربيين يخافون من الإسلام ويحاربونه بجميع الوسائل ويشوهون صورته الحقيقية، ما الأسباب، وما الطرق التي يكمن بوساطتها استئصال هذه الصورة المشوهة للإسلام والمسلمين في ديار الغرب؟

– نعم إن الغربيين يخافون من الإسلام، ولذلك فهم يُخَوِّفون منه، وقد أصبحت سياسة التخويف من الإسلام ظاهرة ملفتة للانتباه، حيث توالت الصيحات والنداءات التي تحذر الغربيين من خطورة الإسلام وسرعة انتشاره معتبرين أياه عدواً جديداً قد حل محل العدو



الشيوعي الذي انهار وتهافت، لذلك فالغرب يحاول تشويه صورة الإسلام بكل الوسائل المتاحة له، ولعل أبرزها وسائل الإعلام الغربية المكتوبة والمرئية والمسموعة وهي ما تمتلكه من قدرة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير واستطاعت أن تجعل الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام ضمن اهتمامات الإنسان الغربي حتى أصبحت وخصوصاً في أوقات الأزمات السياسية والاجتماعية حديث المجالس والمنتديات الشعبية وهنا تكمن الخطورة الجسيمة للدور الذي تقوم به التغطية الإعلامية الجماهيرية في الغرب، من أجل ترسيخ الصورة النمطية المشوهة للإسلام في مخيلة الفرد الغربي، ولبلوغ هذا الهدف يتنافس المطبوع والمرئي والمسموع من أجل التركيز المغالي على كل ما قد يبدو غريباً في الإسلام في زعم الغربيين.

أما عن الأسباب التي تدفع الغرب إلى تشويه صورة الإسلام، فتتجلى أساساً في الحقد الدفين الذي يضمره للإسلام كدين ما فتئ يكتسح الديار الغربية نفسها ويستقطب مزيداً من الاتباع فهو في تصورهم ينافس الديانة النصرانية وقد يتجاوزها في وقت من الأوقات، ثم هناك أسباب قديمة تعود إلى أيام الحروب الصليبية وأوقات الصراع الذي كان يجمع بين أتباع الديانتين، أما عن الطرق التي يمكن بوساطتها القضاء على هذه الصورة المشوهة للإسلام، فهي كثيرة لا تتطلب سوى تقوية العزائم وشحذ الهمم وتوفير الطاقات والإمكانات، يجب التفكير مثلاً في حسن استغلال وسائل البث الفضائي بقصد تقديم برامج عن الإسلام والمسلمين تبين الصورة الصحيحة والحقيقية عن الإسلام باللغات الأجنبية، وهناك أيضاً ضرورة ربط جسور الحوار والتواصل مع المؤسسات الإعلامية الغربية التي تعتبر المنتج الرئيسي لتلك الصورة المشوهة عن الإسلام وهذا يعني أن وزارات الإعلام في بلداننا الإسلامية يجب عليها أن تعني بخطورة هذا الأمر، ومن ثم تقوم بواجبها في إقناع الإعلام الغربي بضرورة التخلي عن سياستها التحاملية تجاه الإسلام، وهذا أمر متاح عن طريق اتفاقات التعاون بين الجانبين.

● يقال: إن الاستشراق هو المصنع الفكري الذي يغذي المنصّرين والمستعمرين والغزو الفكري الرجاء تحليل هذا لقول؟

– هذه مقولة كانت تصدق على أهداف الاستشراق قبل حدود العقود الثلاثة الأخيرة، فمع انحسار الاستعمار أصبح الاستشراق يتشكل في قوالب جديدة ويهدف إلى الغايات والأغراض نفسها، لكن بطرق مغايرة، فالتنصير مثلاً لا يزال موجوداً وربما بحدة أكبر مما كان عليه في الماضي، لكن لم تعد للاستشراق صلة به إلا بقدر ضئيل، لأن المؤسسات التنصيرية اليوم مستقلة بنفسها، لها دعاتها ومنظروها وطرقها الخاصة في استمالة الناس إلى النصرانية والتبشير بها.

أما الغزو الفكري، فصحيح أن الاستشراق لا يزال يغذي هذاالتيار بأطاريحه ونظرياته، والاستشراق ذاته ليس إلا شكلاً من أشكال الغزو الفكري المغرض والمتسلط أنه يبتغي فرض معرفة جديدة عن الإسلام قوامها

التشويه والتحريف وملؤها الطعن والافتراء.

فالمقولة التي استشهدتم بها إذاً كانت تنطبق على واقع معين فيما .... كان فيه المستشرقون يسهمون في الحملات التنظيرية ويرافقون دعاتها، وحاملي ألويتها وقد يرافقون أيضاً الحملات العسكرية، كما كان الشأن في حملة نابليون على مصر، والتي استعان فيها بعصبة من المستشرقين، أما الآن، فقد توجهت أنظار وهمم المستشرقين نسبياً نحو المجال الأكاديمي يدرسون في إطاره الإسلام بمناهج جديدة وطرائق متباينة، مما جعل مدارسهم واتجاهاتهم تتفاوت من حيث الجدة والجدية ومن حيث التزام الموضوعية والحياد والنزاهة.

● يقول المستشرق هانس دابير: إن إسهامات المسلمين في المجال العلمي والثقافي لم تعد كبيرة وتكاد تكون مقصورة على تقوية الوعي الأخلاقي لدى الأفراد. إلى أي حد يصح هذا الزعم؟

– هذا زعم خاطئ، يُراد به التمويه والتعمية واتهام الإسلام بأنه السبب في تخلف المسلمين ونكوصهم عن الإبداع في المجالات العلمية والفكرية واقتصارهم على المجالات الروحية والأخلاقية، وهذا الزعم يندرج في إطار نظرية عامة مفادها أن الإسلام ضد العلم.

وقد ظهرت منذ أكثر من قرن عندما نادى الفيلسوف الفرنسي رينان من خلال محاضرة شهيرة له «أعتقد أنها كانت العام ١٨٨٤» تحت عنوان: «الإسلام والعلم» اتهم فيها الإسلام بأنه ضد العلم، ولا يتلاءم معه، وقد رد عليه وقتئذ كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ونقول لهذا المستشرق وغيره ما فعلتم بتراث الإسلام الخالد في شتى العلوم التي برع فيها كبار علماء الإسلام في الطب والفيزياء والرياضيات وغيرها؟

أين هم من كتب ونظريات ابن سينا والرازي وابن رشد والخوارزمي وابن النفيس وغيرهم، ألم تكن كتبهم وأبحاثهم العلمية منارات مشعة في سماء الغرب الذي اقتات لقرون عدة من الزمان من موائدها بعدما استفاق من سبات عميق مترجماً إلى مختلف

باتت دراسة الاستشراق وخلفياته ومناهجه ومدارسه المختلفة أمراً ملحاً على الباحث في الإسلاميات

لغاته واستفاد منها، فكانت بذلك الأساس الذي لا ينكسر في الإقلاع الحضاري والنهضة العلمية اللذين شهدهما الغرب في عصر النهضة وهذه أمور أصبحت مسلمة لا ينكرها عقلاء الغربيين، فهم يعترفون بذلك ويقرون بأن إسهامات المسلمين في المجالات العلمية كان لها شأن عظيم وفضل عميم على التطور العلمي في الغرب.

● تنظر الديانات بعضها إلى بعض نظرة سلبية وبخاصة نظرة الغربيين إلى الإسلام. هل يمكن للحوار الإسلامي المسيحي الذي يعقد من حين لآخر أن تكون له نتائج إيجابية تخدم الإسلام والمسلمين؟

– قضية الحوار الإسلامي المسيحي من القضايا المثيرة للجدل في الآونة الأخيرة وهي قضية ترتبط بعلاقات الإسلام بالغرب بصفة عامة، وهي تثير ولا تزال كثيراً من تضارب الآراء بين مناصر ومعارض، إلا أن

باتت دراسة الاستشراق وخلفياته ومناهجه ومدارسه المختلفة أمراً ملحاً على الباحث في الإسلاميات

حقيقة الأمور وواقعها لا يمكن أن تظهر في غياب إدراك تام ووعي كامل بملابسات وحيثيات انعقاد مثل تلك المؤتمرات واللقاءات ذلك أن المسألة ليست مرتبطة بمبدأ قبول المشاركة أو رفضها بقدر ما هي مرتبطة أساساً بمعرفة ظروف وحيثيات انعقاد اللقاء وخلفيات الجهة القائمة بتحضير وترتيب أعمال اللقاء، وكذا معرفة طبيعة الأطراف المشاركة ثم التأكد من مدى الاستفادة التي يمكن أن يجنيها الطرف الإسلامي المشارك، وهي الاستفادة التي يؤمل أن تكون عبارة عن تحقيق نتائج إيجابية تخدم الإسلام والمسلمين.

مبدئياً يمكن القول إن الإسلام دين الحوار فهو دعوة سلمية محضة ودعوة إلى الله بالتي هي أحسن (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل:١٢٥.

لذلك جاءت الدعوة إلى الحوار في القرآن الكريم والمبادرة إليه من جانب المسلمين قال تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران: ٦٤.

ولهذا نجد أن روح الإسلام السمحة والمرنة تنسجم أتم الانسجام مع مبدأ الحوار ومجادلة الآخر وفق شروط معينة وضوابط مقررة لا تسمح بالتنازل عن أدنى مبدأ من مبادئ ديننا الحنيف أو الانسياق وراء بعض الشعارات الزائفة والمضللة التي أصبح ينادى بها في بعض اللقاءات الإسلامية المسيحية المحسوبة على الإسلام.

فالحوار الإسلامي المسيحي إذاً كفيل بأن يحقق نتائج ملموسة إذا التزم كل طرف بآداب الحوار وشروطه مع الاستعداد التام لتقبله آراء الطرف الآخر وتفهمها جيداً، فمثل تلك اللقاءات الحوارية كفيلة بأن تكرس توحيد الجهود من أجل وضع أسس التعايش بين الأقليات الدينية في مختلف البلدان، وكذا العمل على تقوية الجانب الروحي والأخلاقي لدى الشعوب، ناهيك عن الاسهامات الفعالة في التخفيف من حدة التوتر والصراع بين الإسلام والغرب. ■

تعقيب

حول موضوع الإدارة الإسلامية

بقلم: أحمد عبدالعظيم محمد

طالعت - باهتمام - في العدد ٣٩٤ (جمادى الآخرة ١٤١٩هـ) دراسة الأستاذ مطلق القراوي تحت عنوان «الإدارة الإسلامية»... وإذ أشكر لمجلتكم الغراء الاهتمام بهذا المجال الحيوي الذي لا يزال بكراً في حاجة إلى التنقيب عن كنوزه فإنه ليسعدني كباحث إسلامي في مجال الإدارة أن أشارك في جهودكم التنويرية بمقال حول الموضوع نفسه لعله يجد لديكم القبول.

(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون) سورة الزخرف:٣٢ صدق الله العظيم.

الإدارة من أهم العلوم التي تسهم في إقامة الحضارات وتنظيم المجتمعات، ويذهب بعض المفكرين إلى أننا نعيش الآن في «عصر الإدارة»... ولو أن مجتمعاً توافرت له كل مقومات النجاح المادية والبشرية ولم يجد إدارة ناجحة توظف هذه الإمكانات في تحقيق أهدافه فلن يلحق بركب التقدم... بل ربما ضاعت دون جدوى.

فما الإدارة؟

الإدارة كما يراها كثير من المفكرين هي عملية إنسانية مستمرة تعمل على تحقيق الأهداف المطلوبة باستخدام الجهد البشري وبالاستعانة بالموارد المادية المتاحة، وهي في ظل هذا الفهم تشمل مجالات كثيرة منها: الإدارة العامة، وإدارة الأعمال، وإدارة الأموال... إلخ.

والسؤال: هل عرف الإسلام الإدارة فكراً وتطبيقاً؟

ليس ادعاء أن نقول إن الفكر الإسلامي قد أمد العلوم الإدارية بأسسها ومبادئها ومقومات وجودها.

يشهد بذلك الأستاذ الدكتور «عبدالحميد بهجت» أحد أساتذة الإدارة البارزين في الجامعات المصرية فيقول:

«إن الفكر الإنساني في مجال الإدارة قد استمد جزءاً كبيراً من تكوينه الحالي من الثقافة الإسلامية.

إن الدين الإسلامي وما أفرزه من حضارة إسلامية باهرة هي إحدى مصادر الإلهام الرئيسية للفكر الإداري الأوروبي الحديث».(١)

بل إنه يذهب إلى أكثر من ذلك فيقول: «ليس عدلاً الادعاء بوجود مبادئ إدارية تم اكتشافها أو التوصل إليها مع بداية حركة الإدارة العلمية في أوائل القرن العشرين على الرغم من شيوعها نظرياً في أحكام الدين الإسلامي أو تطبيقاً في بناء الدولة الإسلامية».(٢)

والحقيقة أن كل مسلم درس العلوم الإدارية يدرك من أول وهلة أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقواعد السلوكية التي وضعها رجال الدولة الإسلامية تمثل أرقى النماذج الإدارية التي يدعى البعض أنها لم تكتشف إلا في العصر الحديث.

يؤكد ذلك أستاذ متخصص أيضاً في مجال الإدارة هو الدكتور «منصور أحمد منصور» فيقول: «لا مراء في أن الإسلام قد أمدنا بفيض من النظم والقواعد والمبادئ والفلسفات تمكننا من تطوير حياتنا وتنمية قدراتنا، وصياغة سلوكنا والتقدم عبر منعطفات تحقق أهدافاً متقدمة ومتطورة وهائلة، والمشاهد عملياً أن الدول المتقدمة قد استخدمت هذه الينابيع الإنسانية في شتى مجالات تقدمها بصفة عامة وفي نظم الإدارة بصفة خاصة، فقد قامت الدول المتقدمة باستخدام هذه المصادر في فكرها الإداري، وفي المبادئ والنظريات التي تغطي سلوك المنظمات وفلسفة الإدارة، وسياساتها بصفة عامة.(٣)

هذه الشهادات من رجال حصلوا على درجتهم العلمية «الدكتوراة» من جامعات أوروبية وشرقية وعايشوا التجارب الإدارية في الشرق والغرب إنما تثبت لها الحياد وتؤكد مصداقيتها... ولنقترب قليلاً قليلاً من الواقع لنرى أنه...

في مجال الإدارة العامة:

أرسى مبدأ الجماعية في الرأي والمشاركة في اتخاذ القرارات من خلال مبدأ الشورى ... يقول الدكتور منصور أحمد منصور: «كان نظام في الإسلام ركناً جوهرياً وركيزة من الركائز الإسلامية المتطورة التي يتكون منها نظام الإدارة، وكان هذا المبدأ يجري استخدامه في الإدارة الإسلامية حينما كان يقتضي الأمر الفصل في المسائل والأمور الخطيرة، هذا إلى جانب تطبيق هذا المبدأ في الشؤون اليومية، ومن ثم نرى أن الإدارة في الإسلام أرست مبدأ الجماعية في الرأي واتخاذ القرارات».(٤)

كما أن الإسلام قد أمد الفكر الإداري بمبادئ مهمة أخرى كالعدل والمساواة والطاعة لأولي الأمر... وكلها أسهمت في صياغة مناهج الفكر في مجال الإدارة العامة.

في مجال إدارة الأعمال:

قدم إلينا الإسلام نظرية النظام - أحدث النظم الإدارية - والتي ترى أن المنظمات تتكون من أجزاء فرعية يعتمد كل جزء منها على الآخر في بقاء ونموه ووظائفه بحيث إن فساد أي جزء منها يؤثر تأثيراً مباشراً في بقية الأجزاء الأخرى... هذه النظرية استلهمت من حديث الرسول ﷺ .

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»(٥). وانطلاقاً من هذا الحديث صاغ المفكرون الإداريون في الدول المتقدمة نظرية الأنظمة التي أفادت الفكر الإداري المعاصر في فهم ودراسة وتطوير الأعمال وحل المشكلات الإدارية في المنظمات العامة.

في مجال إدارة الأفراد:

أرسى الإسلام والنظم الخاصة بتعيين الأفراد وتحديد واجباتهم ومسؤولياتهم، فعند تعيين والٍ أو عامل كان يحتوي عقد تعيينه على تحديد سلطاته ومسؤولياته وواجباته، وقبل أن يبرح العامل المدينة يجتمع المواطنون في المسجد ويقرأ على الملأ الأمر أو عهد التعيين ليعرف كل مواطن حقيقة سلطات ومسؤوليات الولاة والعمال.

كما أن الإسلام وضع أسساً دقيقة لكل وظائف إدارة الأفراد من تعيين وتدريب وتقويم وتوجيه وتحديد الأجور والحوافز والجزاءات وتوفير مناخ العمل المناسب ... إلخ.(٦)

في مجال إدارة الأموال:

يمكن القول إن القواعد الأساسية التي توصل إليها علماء المالية العامة حديثاً وهي العدالة - اليقين - الملاءمة والاقتصاد، قد أخذ بها النظام الإسلامي فكراً وتطبيقاً منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

وفي مجال الإدارة العسكرية:

أرسى الإسلام مبادئ الحرب الشريفة فلا يقتل شيخ ولا صبي ولا امرأة ولا عامل ما لم يشتركوا في الحرب، ولا يقطع شجر ولا يخرب دار ولا يحرق زرع... إلخ.

وخلاصة القول: إنه منذ العام ٦١٢م بدأت الدولة الإسلامية تحت زعامة الرسول - ﷺ - في وضع قواعد الإدارة الإسلامية وإرساء مبادئ القيادة الديموقراطية، وأرست نظماً إدارية أخذت مسيرتها نحو النمو والتطور في عصور الدولة الإسلامية المتتابعة... وكان القرآن الكريم دستوراً راسخاً ومرجعاً علمياً وروحياً في هذا المجال... كما كانت السنة النبوية الشريفة نوراً يضيء كل غامض، ويشرح كل موجز، ويفتح سبل الهدى والرشاد.

ولعلنا نلتقي بمشيئة الله في لقاء آخر مع الإدارة الإسلامية فكراً وتطبيقاً. ■

الهوامش:

١ - د. عبدالحميد بهجت: الإدارة العامة - الفصل الحادي عشر «الإدارة العامة في الإسلام نموذج من الفكر والتطبيق - مجموعة محاضرات مقررة على طلبة كلية التجارة بجامعة أسيوط».

٢ - المرجع السابق: ص٣٩٨.

٣ - د. منصور أحمد منصور: قراءة في تنمية الموارد البشرية - المقدمة.

٤ - المرجع السابق - المقدمة.

٥ - متفق عليه: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

٦ - لمزيد من التفاصيل - انظر: أحمد عبدالعظيم «نحو منهج إسلامي في الفكر الإداري» - المؤسسة العربية الحديثة - مصر - ص١٨٥ وما بعدها.

فكر إسلامي

مسؤولية الإنسان عن علمه

بقلم: د. أحمد عبدالرحيم السايح

لقد جاء الإسلام، وفي أولى قطرات الوحي، الذي حبا الله البشرية به، ما يشيد بالعلم ويرفع من مكانته، ووسائله، وموضوعه، قال تعالى في سورة العلق: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم) وقال تعالى في سورة القلم: (ن. والقلم وما يسطرون) وقال تعالى في سورة الطور الآية ٢٨: (والطور. وكتاب مسطور)، وقال تعالى في سورة فاطر الآية ٢٨: (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

وليس العلم الذي عناه الإسلام قاصراً على ما وقر في نفوس البعض من العلم الديني فحسب - وإن كان في القمة - كلا، فإن العلم الذي عناه الإسلام إنما هو العلم بمفهومه العام، ومدلوله الشامل، الذي تضم مسائله جميع الأصول والفروع، في شتى العلوم والمعارف، سواء منها الإلهية، والإنسانية، أو المادية بكل مشتقاتها وألوانها.

والإسلام الحنيف لا يقيد الإنسان في طلب العلوم بأي قيد، اللهم إلا قيد الالتزام العلمي، والموضوعية المحايدة، ثم من قبل ذلك ومن بعده قيود الحق، والخير، والعدل، والفضيلة، والقصد، والإنصاف، على أن تكون الغاية منه معرفة الله، والقرب منه، بمعرفة أسراره في كونه، ونواميسه في حلقة، تلكم التي تكشف عن أزلية وجوده، ودقيق علمه،

كرامة الإنسان ذات صلة وثيقة باحتفاظه بسيادته

وعظيم قدرته، وبديع صنعه، وأن يكون من وراء ذلك هدف عام يعود على الإنسانية كلها بالخير والرفاهية والتقدم، وتحطيم كل أغلال القصور، وقيود التخلف، وتأكيد السيادة التي أرادها الله للإنسان على الكون.

ولا شك في أن كرامة الإنسان ذات صلة وثيقة باحتفاظه بسيادته، ولا شك أيضاً أن احتفاظ الإنسان بسيادته مرتبط بمدى استطاعته وقدرته على أن يتمكن مما جعل ذا سيادة عليه مما هو دونه في الكون.

والإنسان هو الكائن المتميز المتفوق، وما سواه من موجودات أخرى قضى عليها أن تكون في صالح الإنسان، وبهذا تنطق آيات كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى في الآية ٣٣ من سورة إبراهيم: (وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار).

وقال تعالى في الآية ١٤ من سورة النحل: (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون).

وقال تعالى في الآية ١٣ من سورة الجاثية: (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

فإذا لم يتمكن الإنسان مما خلق له، وسخر ما في الكون من أجله، فقد قطعا سيادته عليه، وبالتالي لم يحتفظ بتفوقه وميزته، وعندئذ لاتكون له كرامة الكائن الموجود الذي ارتبطت كرامته بممارسة خصائص طبيعته.

والإنسان لايتمكن مما سُخّر له من الموجودات الأخرى إلا إذا علم أسرارها ووصل في كشفها إلى معرفة القوانين التي تحكمها.

والإسلام في اللحظة التي أعلن فيها القرآن الكريم تكريم الإنسان في قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم)، وأعلن فيها خلافته في الأرض، وتسخير ما فيها وما فوقها وما يحيط بها للإنسان ولجنسه البشري، في هذه اللحظة أوجب الإسلام على الإنسان العلم والمعرفة، لا ليدرك ربه فحسب فيؤمن به ويعبده، وإنما أيضاً لينتفع بما سخّر الله له في كونه.

وآيات القرآن التي تدفع الإنسان - بطريق مباشر أو غير مباشر - إلى تحصيل العلم في صوره المختلفة، سواء في صورته النظرية العقلية، أو صورته الواقعية أو صورته التجريبية - آيات كثيرة ومتنوعة.

مسؤولية العالم توجب عليه العمل بما علم انطلاقاً من شعور الإنسان بواجبه نحو ذاته

قال تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون).

وقال تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون).

وقال تعالى: (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس).

فيستحيل علينا أن نقف على أنفسنا، وخواص هذه النفوس وطبائعها، وأن نقف على ما يعلو هذه الأرض، وما يحيط بها، مما فيه فائدة ورزق لنا، وأن نقف على الحديد مثلاً، وما فيه من بأس شديد، ومنافع للناس، وما فيه من قوة ترهب وتخيف، يستحيل علينا أن نقف على هذه الخواص الكونية وما وراءها من قدرة خالقة مصورة هي قدرة الله جل شأنه إلا إذا تصورنا ما يتصور منها على وجهه الصحيح، وأحسسنا بما يحس ويشاهد منها عن قرب، وتلك هي ضروب العلم وصنوفه، تبعاً لمجالات ما يعلم، وموضوعات ما يدرك أو يختبر.

ولا يخفى على عاقل: أن العلم والعمل به، والإخلاص فيه، والتجرد له، من شيم العلماء العاملين، وسمة المؤمنين الذين يطبقون العلم على العمل، ويربطون الحق بالواقع، فينقلون المجتمعات والأمم إلى نور العلم، وآفاق التقدم، وقويم الحضارة، والعلم لا قيمة له في حياة البشر وتقدمهم إلا حين يصبح في دنيا الناس واقعاً عملياً، وتجسيداً حياً، روى مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لايستجاب لها».

إن مسؤولية العالم توجب عليه العمل بما علم انطلاقاً من شعور الإنسان بواجبه نحو ذاته، وضرورة مساءلته يوم القيامة عن مدى انتفاعه بعلمه وتطبيقه له، حيث يوقف الخلق بين يدي الله، فيسأل كلاً منهم على رؤوس الأشهاد: ماذا عمل فيما علم.

العلم والعمل به والإخلاص فيه والتجرد له من شيم العلماء العاملين

فما أحرانا أن نتعلم العلم، ونُعلّمه غيرنا، وننفع به أنفسنا، ومجتمعاتنا.

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة».

وجدير بنا وأمتنا الإسلامية أن تخطو إلى مجد مشرق، وأن نضاعف من جهودنا العلمية لنسهم إسهاماً فعالاً في كل ما من شأنه أن يأخذ بالأمة إلى الطريق الصحيح.■

تـراث

لم تعرف أمة من الأمم المكتبات كما عرفها المسلمون، فقد عرفها المسلمون منذ صدر الإسلام، فكلمة «اقرأ» التي بدأ بها نزول القرآن الكريم كانت أول الغيث الذي روى القلوب القاحلة والعقول الجرداء فنمت وترعرعت وأثمرت وأعطت أكلها للبشرية جمعاء، كانت البداية في تدوين القرآن الكريم، ثم اتسعت الدائرة لتشمل التفسير وعلوم القرآن، ثم شمل التدوين السنة النبوية التي أوجدت عشرات العلوم والفروع كعلم الرجال والجرح والتعديل والطبقات وغيرها. كل هذه العلوم فرضت الحاجة لوجود مكتبات لحفظ التراث الإسلامي العظيم.

المكتبات الإسلامية بين كيد الأعداء وجهل العامة

بقلم : محمد الفقيه

وتعددت المكتبات في تاريخنا القديم، فكان منها المكتبات العامة والخاصة، ومكتبات المساجد والقصور والمدارس والمستشفيات والسجون وغيرها، وانتشرت في معظم البلاد والمدن، وازدهرت ازدهاراً عظيماً، وتعددت خدماتها للباحثين وللطلاب ولغيرهم.

وقد نشأت منها صناعات وأسواق، فازدهرت صناعة الورق والأقلام والمداد والتجليد في أسواق بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها، بيد أن هذا الازدهار لم يسلم من نكبات حلّت بعالمنا الإسلامي على مدى العصور، وكان للمكتبات حظ منها، فكم من مكتبة أُحرقت، وأخرى دُمِّرت وغيرها نُهبت، مما يدل على كيد الأعداء الذين اجتاحوا بلادنا، أو على جهل العامة الذين استغلوا ظروف الفتن والاضطرابات فقاموا بنهب المكتبات، وعبثوا بما فيها.

ولكن الكيد الخارجي كان الأشد والأقسى، فما من عدو قديم أو حديث اجتاح بلادنا إلا وانتقم من تراثنا العظيم، فحرق دور العلم والمكتبات ظناً منه أنه سيغير ثقافة المسلمين، ولكن الله الذي تعهد بحفظ كتابه الكريم حفظ معه كل العلوم الناشئة منه، ورغم الحرائق التي التهمت الكثير من مكتباتنا، نجد مقداراً غنياً من تراثنا لا يزال محفوظاً إلى يومنا هذا، وكذلك نجد مئات الآلاف من المخطوطات التي لا تزال تعمر مكتباتنا الكثيرة.

النكبات الخارجية

تعرضت بلادنا الإسلامية لكثير من الغزوات، وكان كل عدو يجتاح بلادنا يقوم بحرق المكتبات التي يجدها في طريقه.

فقد أقدم الصليبيون سنة ٥٠٢هـ على حرق مكتبة «بني عمار» في طرابلس الشام، وكانت تحتوي على أكثر من مليون كتاب(١)، ونالت هذه المكتبة شهرة عظيمة لما كانت تحتويه من كتب ونسّاخ ووكلاء وفهارس، ولم يكتف الصليبيون بهذه الجريمة البشعة، بل أحرقوا مكتبات عدة في بلاد المسلمين كما في القدس وعسقلان وغيرهما.(٣)

أما المغول، فعندما اجتاحوا بغداد سنة ٦٥٦هـ، أضرموا النار في بيت الحكمة التي كانت أشهر مكتبة في العالم الإسلامي، وألقوا ما بقي من المجلدات في نهر دجلة، فاسودت مياهه من كثرة ما ألقي فيه من كتب(٣)، ويذكر بعض المؤرخين أن هولاكو بنى اصطبلاً للخيول وطوالات للمعالف من مجلدات الكتب، وأقام ثلاثة جسور منها على نهر دجلة(٤)، فكان الفارس يعبر عليها من ضفة إلى ضفة.

أما دمشق، فقد اجتاحها التتار سنة ٦٩٩هـ، وخربوا أماكن ومعالم كثيرة، من بينها دار الحديث الأشرفية التي كانت تحتوي على كتب نفيسه، أوقفها كثير من العلماء كالسبكي والنووي، ونهبوا كتباً كثيرة من الرباط الناصري والضيائية وخزانة ابن البزوري، وصار الجند يبيعونها بأبخس الأثمان وهي مكتوب عليها الوقفية.(٥)

> **إن مكتبات أوروبا وأميركا الآن تضم نحو مئة ألف مخطوط عربي على أقل تقدير**

ذكر ياقوت الحموي أن المغول لم يتركوا مكتبة في طريقهم إلا أحرقوها، وقد ذكر في كتابه أن عشر مكتبات دُمرت كما حدث في مرو وساوة وغيرهما(٦)، وعندما اجتاح تيمور لنك بلاد المسلمين، عبث بكل ما وجده من آثار حضارية، فطالت يده أكثر المكتبات التي وجدها، وقد كانت دمشق سنة ٨٠٣ عامرة بالمكتبات، فأضرم النار بالمدينة، وبقيت تحترق ثلاثة أيام، وبعد تلك النكبة جُمع ما بقي من الكتب من مختلف الخزائن التي لم تُصب بالحريق، أو التي أصابها بعض الحرق من قبَلِ بعض العلماء، ثم وُضعت في مكان واحد

عرف فيما بعد بالمكتبة الظاهرية.(٧)

أما في بلاد الأندلس التي كان لها الفضل في نهضة أوروبا - التي كان يعارضها رجال الدين النصرانية الذين تسلطوا على الحياة الفكرية - فقد بدأت الكتب تنتقل منها إلى أوروبا، فلم يرق ذلك للمتعصبين والكنية، فأضمروا في أنفسهم الانتقام من المسلمين، فوجدوا الفرصة مواتية لهم عندما حلت بالبلاد النكبة المعروفة، فقد أمر المطران خمينس - رأس الكنيسة - سنة ٩٠٥هـ بجمع الكتب من أنحاء الأندلس، وكدّست في أكبر ساحات غرناطة، واحتفل بإحراقها، وقُدِّر عدد ما أحرق يوم ذاك بما لا يقل عن مئة ألف مخطوط(٨).

اليهود أسهموا كغيرهم من الأعداء في الكيد للتراث الإسلامي

وقد حصل الشيء نفسه في مختلف المكتبات التي كانت عامرة في بلاد الأندلس طوال نصف قرن.

وقد ضمت مكتبة الاسكوريال في مدريد بضعة آلاف من المجلدات سلمت من الحرق، ثم ضم إليها نحو أربعة آلاف مخطوط لتشكل قسماً مهماً من محتويات المكتبة، وتم ذلك سنة ١٠٣٠هـ، وذلك على الرغم من أن شروط تسليم غرناطة نصّت على السماح للمسلمين بالاحتفاظ بدينهم وملاكهم وثقافتهم وكتبهم ما شاؤوا ولكن ذلك لم يحدث ألبتة.

وعندما هاجم شارل الخامس «شارلكان»إمبراطور الإمبراطورية الرومانية مدينة تونس العام ١٥٢٦م، دمر جنوده المكتبة العامة في تونس، وأحرقوا مخطوطاتها النادرة(٩).

وعندما احتل الفرنسيون شمال أفريقيا العام ١٨٤٠م، اتبعوا سياسة الأرض المحروقة في طريقهم، فأقدموا على حرق مكتبة قسنطينة المشهورة بكتبها ومكانتها العلمية عن بكرة أبيها.(١٠)

وقامت منظمة التحرير الفرنسي السريَّة بعد مدة من الزمن بحرق مكتبة جامعة الجزائر المحتوية على أكثر من نصف مليون كتاب.(١١)

وفي العام ١٩٢٥م، أقدم الفرنسيون كذلك على ضرب مدينة دمشق بالمدافع، مما تسبب في حرق المدرسة الجوزية ومكتبتها العامرة، فانهارت وصارت ركاماً(١٢).

أما اليهود فقد أسهموا كغيرهم من الأعداء في الكيد للتراث الإسلامي، فقاموا بسرقة مخطوطات البحر الميت، وتكمن الخطورة في إخفائها ووضعها في مكان آخر آمن لا يستطيع أحد أن يطلع عليها فيه، وذلك لما تتضمنه من حقائق بالغة الأهمية من شأنها لو ظهرت أن تكشف زيف توراتهم وأكاذيبهم الكثيرة، وأكد كثير من المحققين أن المخطوطات توافق وتؤيد ما جاء في القرآن الكريم من آيات وتكشف كذب العقيدة التلمودية اليهودية.(١٣)

وقد كُشفت هذه المخطوطات بوساطة أحد الرعاة سنة ١٩٤٧م، ومازالت مودعة في الجامعة العبرية منذ ذلك الحين، مع الإحاطة بالسرية التامة، وقد كان في القدس وحدها قبل العام ١٩٤٧م، أربعون مكتبة أو أكثر(١٤) ذهب أكثرها نهباً للمحتلين.

النكبات الداخلية

من أسباب النكبات الداخلية التي حلت بمكتباتنا ما يرجع أحياناً إلى انتهاء بعض المكتبات الخاصة إلى بعض الورثة الجهلة الذين لا يقدرون العلم والعلماء وإلى بعض الفتن والحروب الداخلية التي كانت تحدث في بعض البلدان، وما يخلف الغزو الخارجي من قِبَلِ الأعداء من فوضى وعدم استقرار.

وكان بعض الورثة قد باعوا خلاصة عقول أسلافهم نتيجة لعدم إدراك قيمتها العلمية، أو للإفادة المادية من بيعها، وبيعت بعض الكتب المنهوبة وكتب المديونيين والمفلسين.(١٥)

فالعلامة ابن القيم كان مولعاً بجمع الكتب على اختلاف فنونها، وقد اقتنى منها ما لايحصى وما لم يحصل لغيره، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم(١٦)، وقد قام الشيخ طاهر الجزائري بجهود فائقة في القرن الماضي من أجل إحياء المكتبة الظاهرية بدمشق، فجال في أسواق دمشق وبيوتها من أجل جمع المخطوطات بعد أن دبت الغيرة في نفسه، ويذكر أنه ذهب إلى أحد حمامات دمشق فرأى غلاماً يوقد النار بمجلدات لمخطوطات يضعها بجانبه كلما خبت النار ألقى فيها حزمة من الكتب لتستعر، فدهش الشيخ ومنع الغلام من عمله، وسارع إلى صاحب الحمام يسأله عن هذه الجريمة، فقال له صاحب الحمام: إنه منذ زمن وهو يشتري الكتب من الجيران لاستعمالها بدل الحطب، فما كان من الشيخ إلا أن أشترى منه ما سلم من الحرق، وقام بجولة لشراء الكتب من الناس وضمها إلى المكتبة الظاهرية.

وأغرب النكبات التي تثير الضحك ما فعلته زوجة الأمير ابن فاتك من أمراء القرن الخامس الهجري، فقد كان له مكتبة ضخمة يجلس فيها أكثر أوقاته ولا يفارقها، فداخلت الغيرة زوجته من الكتب، فلما توفي نهضت هي وجواريها إلى خزائن كتبه، وفي قلبها لوعة منها، لأنه كان يشتغل بها عنها، فجعلت تبكيه وتندبه، وفي أثناء ذلك ترمي وجواريها الكتب في بركة كبيرة في وسط الدار.(١٧)

بعض الورثة باعوا خلاصة عقول أسلافهم نتيجة لعدم إدراك قيمتها العلمية

أما السبب الأهم في ضياع المكتبات فهو الفتن والاضطرابات، إذ كان العامة يستغلون تلك الأوضاع فيهرعون إلى مكتبات المساجد والمكتبات العامة، ويختلسون منها ما يقدرون على حمله فقد روت لنا كتب التاريخ الكثير من تلك الحوادث المؤسفة، ففي سنة ٤٥١، تعرضت خزانة سابور التي كانت تعرف بدار العلم لحريق

هائل إذ احترق بعضها، ونهب ما سلم من الحريق، وذلك أن العامة استغلوا الفوضى ونهبوا بعض كتبها(١٨)، ومن المؤسف أن الوزير عميد الملك الكندري سمع بما حدث فحضر بنفسه إلى الدار مع قوة من الجند وأزال العامة ونهب منها لنفسه أجودها وأحسنها.(١٩)

وكذلك تعرضت مكتبة الخلفاء الفاطميين في القاهرة سنة ٤٦١هـ إلى اقتحام الجنود من عبيد المغاربة بسبب التأخر في دفع مرتباتهم فمزقوا الكتب، واقتسموا جلودها واتخذوها نعالاً لهم، ثم أحرقوا الكتب، وما لم يحرق منها سفت الرياح التراب عليه فصار تلالاً، عرفت بتلال الكتب.(٢٠)

ضمت مكتبة الاسكوريال في مدريد آلاف من المجلدات سلمت من الحرق

وفي مطلع القرن الخامس الهجري حاصر البربر قرطبة، فتعرضت مكتبة الحكم المستنصر لهزات عنيفة بعد موته، وتبددت كنوزها، ثم تمَّ توزيعها بين ملوك الطوائف، وتعرضت مكتبة الصوفية في حلب إلى سرقة من قِبَلِ جيرانها في فتنة قامت بين سكان حلب في أيام عاشوراء.(٣١)

أما مكتبة البيمارستان المنصوري الكبير فقد ذهب معظم كتبها أو تفرقت بين أيدي الناس، ثم تعرضت خزانة الكتب فيما بعد لحريق أتى على كتب العلوم والمصاحف والوقفيات.(٢٢).

المستشرقون والمكتبات الإسلامية

يرجع اهتمام الفرنجة بالمخطوطات الإسلامية إلى القرن العاشر الميلادي، فقد جمعوا كثيراً مما ألفه المسلمون في الطب والرياضيات والأدب واللغة وغيرها.

وخلال الحروب الصليبية بهرتهم المكتبات المنتشرة في أكثر البلاد التي اجتاحوها، فأحبوا أن ينقلوا هذا الفن إلى بلادهم فاستولوا على الكثير من المجلدات التي سلمت من شرهم ونقلوها إلى بلادهم، حتى أن لويس التاسع ملك فرنسا ١٢٢٦م - ١٢٧٠م، لما عاد من الحرب نقل معه من دمياط مخطوطات عربية وقبطية زين بها خزائن قصره، واحتذى حذوه كثيرون من أمراء الفرنسيين وأغنيائهم الذين رافقوا الملك في زيارته للأماكن المقدسة.

وكذلك نقل الايطاليون بعض المخطوطات العربية وأرسلوا البعثات لاقتناء ما يناسبهم وقد جمع رجال الكنيسة كثيراً من المؤلفات العربية في مكتبة الفاتيكان في روما.(٢٣)

وبدأت حملات المستشرقين تجوب البلاد الإسلامية بحثاً عن المخطوطات وقد ساعدهم في ذلك جهل الناس في ذلك الوقت بأهميتها، فباعوها بأبخس الأثمان، واستبدلوا بها أدوات منزلية، وكانت جولاتهم تتم على المنازل والمكتبات والأديرة، ونقل معظم هذه المخطوطات إلى أوروبا.(٢٤)

إن مكتبات أوروبا وأميركا الآن تضم نحو مئة ألف مخطوط عربي على أقل تقدير، هذا عدا ما في مكتبات المستشرقين وأساتذة الجامعات، وما في أيدي الناس ممن لهم عناية بالمخطوطات العربية والآثار الشرقية.(٢٥). ■

الهوامش:

١ - وفي رواية لابن الفرات: كان عدد كتبها ٢,٨٠٠,٠٠ مجلد.

٢ - د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار القرآن الكريم - بيروت - ١٩٨٠م.

٣ - ابن خلدون، العبر، ج٥ ص ٥٤٣.

٤ - محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج١، ص٣٢٣.

٥ - د. يوسف العش، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة، دار الفكر - دمشق.

٦ - يا قوت الحموي، معجم البلدان.

٧ - د. محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة - عن محاضرة د.عبدالرحمن الحجي، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٠م.

٨ - المصدر السابق.

٩ - محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، مؤسسة الرسالة - بيروت: ١٤٠١هـ.

١٠ - الفرد بتلر، فتح العرب لمصر.

١١ - محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام.

١٢ - اكرم الحلبي - خطط دمشق - دار الطباع - دمشق ١٩٨٩م.

١٣ - أحمد علي المجذوب، أهل الكهف - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ١٩٩٥م.

١٤ - عبدالرحمن العودة - مجلة المكتبات والمعلومات العربية.

١٥ - مجلة الدارة عدد ١٣٤، سنة ١٤١٣هـ.

١٦ - الدرر الكامنة ٢٢/٤.

١٧ - مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا.

١٨ - يذكر بعض المؤرخين أن احتراق المكتبة كان سنة ٤٤٧هـ، أثناء دخول طغرل بجيشه إلى بغداد.

١٩ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨٨/٨.

٢٠ - المقريزي، الخطط المقريزية ٢٥٣/٢.

٢١ - د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا.

٢٢ - المقريزي - الخطط المقريزية ٣٨٠/٢.

٢٣ - خزائن الكتب العربية في الخافقين.

٢٤ - جريدة الحياة، عدد ١٠٦٥٤ - ١٩٩٢/٤/١٠م.

٢٥ - د. محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة، وانظر رحلات الأستاذ حمد الجاسر إلى مكتبات فيينا وألمانيا - مجلة الفيصل، الأعداد ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥.

ثقافة

العولمة من أكثر العناوين والقضايا حضوراً واهتماماً على النطاق العالمي الواسع.

وتعود بدايات استخدام مصطلح «العولمة» إلى كتابين صدرا العام ١٩٧٠م، الأول لمارشال ماك لوهان - عالم الاجتماع الكندي. «حرب وسلام في القرية الكونية»، والثاني «أميركا والعصر التكنتروني» لزبغنيو بريزنسكي - مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس الأميركي كارتر (١).

العولمـة الثقافيـة

وأثرها على التنشئة الاجتماعية في العالم الإسلامي

في أواخر الثمانيات انهار المعسكر الاشتراكي، وحققت «أيديولوجيا» السوق انتصاراً شبه كامل. وكان سقوط سور برلين يرمز إلى نهاية عهد، وجرفت العاصفة بعض الناس إلى درجة أنهم أعلنوا نهاية التاريخ. هذا، فضلاً عن أن التجارة الدولية منذ الحرب العالمية الثانية، ظلت تنمو بضعف معدل نمو الاقتصادات الوطنية، وهكذا أصبح الاقتصاد العالمي مترابطاً. وأصبحت الشركات المتعددة الجنسية هي الأكثر فاعلية في الساحة الاقتصادية. كما جرى تحديد الاستراتيجيات الصناعية في القطاعات الأكثر تقدماً على النطاق العالمي. وقد تعزز هذا الاتجاه بالثورة في مجال المعلومات والاتصالات التي تحول العالم معها إلى قرية صغيرة، كما أن الثورة في المجال المالي أصبحت تتجاوز الحدود السياسية.

وكان تحقيق تكامل الأسواق المالية وحركة رؤوس الأموال، والتقلبات في أسعار الصرف من العوامل التي أدت إلى زيادة ضخمة في الاستثمار والادخار على نطاق عالمي. وقد شجع الإطار المؤسسي الدولي هذا الاتجاه نحو العولمة إذ يتحكم البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في الاقتصاد العالمي. ومع إنشاء منظمة التجارة العالمية اكتملت الدائرة (٢). كما ظهرت ثلاث مشكلات اجتماعية رئيسية هي الفقر، والبطالة، والتفسخ الاجتماعي. ورغم أن هذه المشكلات الثلاث ليست جديدة، إلا أن تفاقمهما في السنوات الأخيرة، جعل آثارها تتعدى الحدود القومية. فالفقراء كاد عددهم في العالم يصل إلى الخمس أي ١.٥ مليار نسمة. والعاطلون عن العمل يصلون إلى مثل هذا الرقم. وأدت البطالة والفقر معاً إلى مزيد من التفسخ الاجتماعي في الكثير من المجتمعات: فأزدادت حدة الجريمة والعنف، والتطرف والفساد، والرقيق الأبيض، وتعاطي المخدرات، والتهريب بكل أنواعه. كما أن من هذه الآثار انفجار صراعات أهلية مسلحة، وسرعان ما تنتشر رقعتها إلى خارج حدود الدولة التي بدأ فيها الصراع. ومن ذلك تدفق المقتلعين واللاجئين والهاربين، والذين يقدر عددهم في الوقت الحاضر بأكثر من خمسين مليوناً (٣).

بقلم : مصطفى دسوقي كسبه

وحال الضعف الاقتصادي والسياسي في عدد ليس بالقليل من أقطار العالم الإسلامي، ربما يجعل جبهتها الداخلية أكثر هشاشة، وقابلة للاختراق من قوى خارجية قريبة أو بعيدة، فضلاً عن زعزعة الاستقرار واستمرار التخلف أكثر مما تساعد على التماسك الاجتماعي والتقدم.

ومسلسل الاعتداء على العالم الإسلامي، مسلسل تمتد حلقاته إلى يومنا هذا، لكن الغلاف الخارجي، يتغير بتغير الأحوال، فالذي كان «احتلالاً» أو «انتدابا»، أصبح يسمى مقتضيات «النظام العالمي الجديد»، والذي كان «تنصيراً مباشراً» أصبح ينعت «بالتنوير»، والذي كان اسمه «استعمار الشعوب المسلمة» أصبح يكنى بكنية لطيفة مستساغة هي «مقاومة الأصولية»، والذي كان يعرف بالقضاء على اللسان العربي أصبح اسمه الجديد «كونية الثقافة» أو «إنسانية المعرفة» (٤).

ولكن هذا الجيل ليس أول جيل يحيا ذروة تحول هائل. والتغيرات العنيفة التي شهدها العقد الماضي ليست مغايرة لتلك التي صاحبت انتشار الإسلام خلال القرن الذي أعقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو الاستعمار الأوربي للأميركيتين بعد العام ١٤٩٢م، أو بداية الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، أو إنشاء النظام الدولي الراهن في هذا القرن. بيد أن ثمة اختلافاً بين تجربة التغير المعاصرة وتلك التي حدثت في الأجيال السابقة: فلم يحدث إطلاقاً من قبل أن حدث التغير بمثل هذه السرعة - بل دفعة واحدة في بعض الحالات - على مثل هذا النطاق العالمي، وعلى هذا النمو المشهود عالمياً (٥).

وعصرنا الراهن عصر تحولات مدوخة ومثيرة وسريعة، عصر اتسم بالثورة التقنية والاتصالية العارمة، التي لم تستطع مجاراتها ثورة أخلاقية ودينية وروحية معاصرة لها.

وقد تطور العلم بشكل مذهل مما جعل الإنسان يكاد يفقد قواعده الروحية أمام اجتياح المادة. كأنما العالم اليوم منقسم إلى جنوبي متخلف اقتصاديا وصناعياً وتقنيا، وإلى شمالي متخلف روحياً (٦).

وفي كلتا الحالين فإن التخلف يعني الشقاء وانعدام الشعور بالأمان، الأول: «معوق مادياً»، والثاني: «معوق روحياً»، أي أن الأول يفتقد «الوسائل»، والثاني يفتقد «الغايات»، حسب تعبير المفكر الفرنسي «آلن توران» في كتابه نقد «الحداثة» (٧).

ولا شك أن العولمة تمثل تحدياً حقيقياً للشعوب المسلمة ولعموم الشعوب المستضعفة، ليس فقط لأنها مفروضة عليهم، بما هي نتاج لحضارة غير حضارتهم، ولكن لكونها تهدد في الصميم كيانهم المعنوي، بل ربما كيانهم الحقيقي أيضاً.

وللتعرف على الآثار المترتبة على العولمة الثقافية سواء على سلوك الأفراد، أم التنشئة الاجتماعية فإننا سنحاول الإجابة على التساؤلات التالية:

١ ـ هل لنا الاختيار أصلاً في قبول نتائج العولمة وقد أصبحت قدراً محتوماً من العبث تجاهلة؟

٢ ـ لماذا لا نتعامل معها كمكاسب إنسانية ونستثمرها لخدمة قضايانا المصيرية؟

وخطة الدراسة ستتناول ما يلي:

أولاً: مفهوم الثقافة.

ثانياً: مفهوم العولمة.

ثالثاً: العولمة الثقافية.

رابعاً: العولمة الثقافية وأثرها على السلوك الاجتماعي.

خامساً: العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية.

سادساً: الخاتمة.

أولاً: مفهوم الثقافة:

تقوم العلوم الاجتماعية على حقيقتين أساسيتين:

ـ إحداها أن الإنسان كائن اجتماعي.

ـ أما الأخرى فتتصل بالسلوك الإنساني الذي يصدر في أشكال أو إنماط منتظمة، وفي صورة كبيرة على قدر كبير من الاطراد والتواتر.

وهكذا عنى الباحثون في العلوم الاجتماعية بدراسة هذا التواتر في السلوك الإنساني وفي الحياة الجمعية.

وقد استخدموا لذلك مفهومين، مازالا من المفاهيم الأساسية في الحقل الاجتماعي، وهي الثقافة والمجتمع.

فالثقافة لا توجد إلا بوجود مجتمع، ثم إن المجتمع لا يقوم ويبقى إلا بالثقافة، وتلعب الثقافة دوراً مهماً في حياة الإنسان، ومن هنا تحتل الثقافة مكاناً بارزاً في دراسات علم الاجتماع والأنتروبولوجيا الثقافية والاجتماعية.

إن الثقافة هي التي تميز بين فرد وآخر، وبين جماعة وأخرى وبين مجتمع وآخر بل إن الثقافة هي التي تميز الجنس البشري عن غيره من الأجناس، لأن الثقافة هي التي تؤكد الصفة الإنسانية في الجنس البشري (٨).

إن الفرد في المجتمع يتفق مع بعض الناس في كل النواحي، كما يتفق مع بعض الناس في نواح أخرى، ولا يتفق مع أي من الناس في نواح ثالثة.

وتهتم علوم البيولوجي والفسيولوجي بدراسة الجانب الأول. كما تهتم علوم النفس بدراسة الجانب الثالث.

أما الجانب الثاني فيشكل مجالاً للدراسة في علوم الاجتماع والأنتروبولوجيا تلك هي مظاهر الاتفاق والاختلاف بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

بناء على ذلك، تصبح الثقافة عنصراً أساسياً في حياة المجتمع، وفي دراسة المجتمع كذلك. فالأسلوب الذي يسير عليه الناس في حياتهم إنما يعتمد على طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع، مع بعض الآثار التي تتركها العوامل الجغرافية والبيئية.

وهنا تبرز أهمية الثقافة كعنصر لا غنى عنه في الدراسة التي تهدف إلى التعرف على الحياة الاجتماعية للناس وتفسيرها وفهمها، وهي موضوع للبحث العلمي الذي يعني بالتحليل والتنظير (٩).

ومن أقدم التعريفات للثقافة، وأكثرها ذيوعاً حتى الآن لقيمته التاريخية تعريف «إدوارد تايلور» الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه عن «الثقافة البدائية» والذي يذهب فيه إلى أن الثقافة هي:

«كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق، والقانون والعرف، وغير ذلك من الامكانات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع».

وهكذا يُبرز هذا التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس في جماعة، كالأخلاق والقانون والعرف التي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي، وتأخذ طابعاً إلزامياً إلى جانب العنصر المادي للثقافة، علاوة على العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة (١٠).

ونظراً لتعدد وتنوع تعريفات الثقافة بشكل يصعب حصره، ركّز مؤلفو كتاب «نظرية الثقافة» (١١) على اتجاهين واضحين في تلك التعريفات، وإن كان بينهما تنافس. ينظر أحدهما للثقافة على أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والأيدلوجيات وغيرها من المنتجات العقلية.

أما الاتجاه الآخر فيربط الثقافة بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما، والعلاقات التي تربط بين أفراده، وتوجهات هؤلاء الأفراد في حياتهم. واستمدوا منهما ثلاثة مفاهيم تمثل الثقافة في نظرهم وهي:

ـ التحيزات الثقافية.

ـ العلاقات الاجتماعية.

ـ أنماط وأساليب الحياة.

ويتضح أنها ظواهر أو عناصر مرتبطة ببعضها بعضاً في الكل المركب للثقافة.

ـ فالتحيزات الثقافية تشمل القيم والمعتقدات المشتركة بين الناس.

- والعلاقات الاجتماعية تشمل العلاقات الشخصية التي تربط الناس بعضهم إلى البعض الآخر.

- أما نمط الحياة فهو الناتج الكلي المركب من الانحيازات الثقافية والعلاقات الاجتماعية (١٢).

ثانياً: مفهوم العولمة

العولمة هي وحدة المعمور من الأرض في مجالات التفاعل الإنساني وهي ذات مدلولين:

أ - مدلول سالب، وهو انفعال المغلوبين القابلين لتأثير أصحاب الغلبة في عصر من عصور التاريخ للمعمور من الأرض.

ب - مدلول موجب، هو فعل الغالبين في التاريخ بأدوات الفعل الغازي: غزواً بارداً (بالثقافة والاقتصاد)، أو حاراً (بالعنف والاضطهاد) منذ أقدم الأمبراطوريات الشرقية:

ومن المعلوم أن وسائل الهيمنة كانت ولا تزال مبنية على قواعد تعد قوائم اخطبوط السياسية الدولية منذ الدولة الفرعونية (١٣): - الغزو الروحي - العلوم النظرية وتطبيقاتها - العلوم العلمية وتطبيقاتها.

- أما الغزو الروحي فيزيل الأمم بتغير هويتها.

- العلوم النظرية وتطبيقاتها بالاستيلاء على شروط وجودها الرمزية بفضل التقنيات الثقافية والإعلامية.

- العلوم العلمية وتطبيقاتها بالاستحواذ على شروط وجودها المادية بفضل التقنيات الاقتصادية والعسكرية.

والتنوع الحضاري والثقافي وتعدد المراكز الاقتصادية المتنافسة اليوم أقدر على إدخال التوازن على العولمة، وذلك بحكم آليتين كانتا منعدمتين في القديم:

أ - آلية التراجع بين سرعتي التأثير وإزالة التأثير الأمر الذي يوفر فرصاً أكبر للصعود عند المغلوب.

ب - آلية تحصيل الوسائل المنتظم فما كان يتطلب قروناً للحصول عليه، ومثلها لإزالته صار الآن يحدث ويزول في أقل من عقد.

فما كان يتطلب قروناً عدة كي تساوي إمبراطورية لاحقه إمبراطورية سابقة، أصبح قابلاً للتحصيل السريع بحكم انتظام التعليم ونقل الخبرات النسقي، فكان بعض العقود كافياً لليابان مثلاً، أو لأميركا قبلها أو لمن نراه الآن يحقق المعجزة الاقتصادية. هذا، فضلاً عن أن ما حدث بعد الحرب العالمية الثانية وعودة ألمانيا واليابان إلى مسرح التاريخ الفاعل أمر يعد من أكبر الأدلة على أن روح الأمم وزادها الحضاري هو المحدد الحقيقي، وليس الاقتصاد.

وكل أمة مغلوبة تنتسب بالاستسلام إلى العولمة السالبة، وكل أمة غالبة تنتسب بالإقدام إلى العولمة الموجبة، خصوصاً إذا كانت هذه الأمة - الإسلامية - قد سبق لها أن أسهمت في تحديد آفاق الإنسانية لمدة ثمانية قرون على الأقل، ولم تفقد الطموح إلى استئناف الإسهام (١٤).

ويؤكد هذا المفهوم للعولمة الدكتور علي الدين هلال - عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، في جامعة القاهرة. فيقول: «إن الكوكبية كتطلع فلسفي وسياسي كانت موجودة دوماً، فعلى المستوى الفلسفي والعقيدي، كان للإسلام والمسيحية دور كوني، وكلا الرسالتين تطرح عقائد وأطاريح للإنسانية كلها، وليس لهما بعد عنصري أو إثني «عرقي» بأي شكل من الأشكال.. والكوكبية التي نحن بصددها الآن، مرحلة متقدمة من عملية تاريخية بدأت منذ وقت مبكر وارتبطت بتطور النظام الرأسمالي، ومصير الكوكبية يتأثر بما يحدث للنظام الرأسمالي» (١٥).

ويلاحظ أن العالم المعاصر له اتجاهان أحدهما توحيدي، والآخر تفكيكي:

أما الأول: فهو توحيدي تكاملي بمقتضاه يتم انتشار قيم ومفاهيم وسلوكيات معينة عبر أنحاء الكون.

وأما الآخر: تفكيكي: حيث نرى تزايداً لعدد من الحركات الاجتماعية التي تؤكد الخصوصية الثقافية والذاتية الحضارية، وترفض الانخراط في تلك العملية الكوكبية وتعدها خطراً، إن لم تكن مؤامرة على الثقافات الوطنية لكل شعب. ونرى أيضا التفجيرات الدامية للولاءات السلالية والإثنية التي تختلط أحيانا بالدين. وهنا يثور سؤال حول مدى حدود العلاقة بين هذين الاتجاهين، وهل هما وجهان لعملة واحدة؟ (١٦).

كما تثير العولمة في حقيقة الأمر مفارقات وأسئلة كثيرة منها:

أ - ففي الوقت الذي تهدد الولايات المتحدة - باعتبارها النموذج الكوني والعالمي - من يرفض الالتزام بقيم العولمة: كالديموقراطية والليبرالية السياسية واقتصاد السوق وحقوق الإنسان، نراها تغض الطرف عن ذلك كله عندما يتعلق الأمر في دولة إسرائيل أو في دول أخرى صديقة لها، أو عندما تفرض المصالح التجارية الأميركية ذلك.

ب - ما يطرح على بساط التفكير الجدي في التمييز بين حقيقة ما وصلت إليه العولمة وما تنسب إليها من انجازات. وما حصل في جمهوريات آسيا الوسطى بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وفي حروب البلقان من البوسنة إلى إقليم كوسوفو، وفي الشرق الأوسط وعلى أرض فلسطين.

ج - وفي تنامي الظاهرة الدينية بتعبيراتها الإسلامية والمسيحية واليهودية، له علاقة مباشرة بهذا التشبث بالهوية أو بالبحث عنها في ذروة العولمة أو «الأمركة» المفروضة على العالم حتى أن البعض يعتبر أن الهويات الثقافية الجماعية كانت دائما القاعدة التاريخية وليس الاستثناء لبناء الحياة والمؤسسات السياسية (١٧).

وظاهرة العولمة لا تقتصر على الاقتصاد بل أيضاً على السياسة والثقافة والاجتماع، والسلوك البشري، واستخدامنا اليوم لتعبير العولمة لأن فيها عامل فرض مباشر، وهذا الفرض ينطلق من قيم حضارية غربية، بعضها أورث التسلط. وأخطر ما في هذه الأزمة القيمية وجود العنصرية وفكرة الكسب، وفكرة النظر إلى الإنسان على أنه مجرد مستهلك.

وظاهرة العولمة موجودة فلنتعامل معها ولكن لنثق بقدرتنا على المواجهة. فعملية محاولة إنهاء الثقافات وتنميط البشر على ثقافة غربية واحدة يقيناً سيفشل.

ولنثق بأن هويتنا الحضارية (*) ستكون راسخة، والهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية كونية، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى.

ولنثق في أن قيم حضارتنا ستنجح في التغلغل في داخل دائرة تسيطر عليها العولمة وهي الدائرة الغربية، لأن في الإنسان نزعة للتطهر. وهناك قيم في داخل تلك المجتمعات تلتقي مع قيمنا. ولذا سيحدث تغلب لها على قيم الاستهلاك والتسلية وما تأتي به العلمانية التي لا تنظر إلى الإنسان إلا على أنه مستهلك مادي ليس إلا (١٨).

كما أن التقنية ملك عالمي ليست ملك دائرة بعينها، وما وصل الغرب إلى هذه الثورة التقنية إلا بفعل ما وصلت إليه في حضارتنا، وحضارتنا ما وصلت إليه إلا بفعل من سبقوها، ولذا، فالتقنية عامة، ويجب أن نستفيد منها إلى آخر مدى مع شرط واحد ألا تؤذي البيئة ولا تؤذي الإنسان (١٩).

ثالثاً: العولمة الثقافية:

يقول الدكتور جلال أمين: «نحن إزاء العولمة كالعميان إزاء الفيل. كل منا في وصفه للعولمة على صواب تماماً. وكلنا مستعد للإقرار بأن للعولمة تأثيراً في الهوية الثقافية، ولكن من الطبيعي أن كلا منا لا يرى إلا هذا الأثر الذي يصدر عن ذلك الجانب من العولمة الذي يلمسه بيده، ومن ثم كان من الطبيعي أن يختلف المحللون لظاهرة العولمة حول تحديد ذاك الأثر في الهوية الثقافية» (٢٠).

وكل من المواقف المؤيدة للعولمة أو المضادة لها يحمل جزءاً من الحقيقة، نعم العولمة تؤدي إلى تعظيم الإنتاج على الأقل من وجهة نظر العالم ككل. والعولمة تمثل تقدماً لا يمكن إنكاره في بعض القدرات المهمة للإنسان في المعرفة وفي السيطرة على الطبيعة، وفي بعض أنواع التنظيم السياسي والاجتماعي، وفي بعض أنواع الإنتاج العلمي والفني.

والعولمة تتضمن أيضاً اتجاهاً نحو مزيد من الاستغلال الاقتصادي من جانب الشركات العملاقة للمستضعفين في الأرض، وتتضمن قهراً لمعتقدات بعض الأمم ومقدساتها لصالح نظرة تتخذ على الأقل موقف اللامبالاه من العقائد الدينية، والعولمة، بلا شك، تهدد أنماط الحياة الخاصة بالأمم التي كانت أكثر انعزالاً عن العالم لصالح نمط معين من الحياة هو السائد في الدول الأكثر سطوة (٢١).

العولمة بنت التطور أو التقدم التكنولوجي، سواء تمثل هذا التطور في اختراع العجلة أو البوصلة أو المطبعة أو الآلة التجارية أو التلغراف أوالطائرة أو التلفاز أو الكمبيوتر.. إلخ.

والاعتقاد الشائع بأن العولمة ظاهرة حتمية لا يمكن صدها أو الوقوف في وجهها سببه الاعتقاد بأن التطور أو التقدم التكنولوجي هو كذلك ظاهرة حتمية. لكن العولمة أيضاً تحمل دائماً في طياتها نوعاً أو آخر من «الغزو الثقافي» أي من قهر الثقافة الأقوى لثقافة أضعف منها. فالذي فعله المهاجرون الأوائل إلى القارة الأميركية بالهنود الحمر كان نوعاً من «الغزو الثقافي» وإن كان بالغ القسوة. وكذلك ما فعله المهاجرون الأوربيون إلى استراليا لسكانها الأصليين، وسائر صور الاستعمار الأخرى، التي هي أيضاً صور للعولمة وللغزو الثقافي في الوقت نفسه (٢٢).

العولمة قديمة، وكذلك الغزو الثقافي، كذلك مقاومة هذا الغزو الثقافي. وكل الشعارات التي ترفع لتبرير العولمة مرة باسم نشر الحضارة ومرة باسم تعظيم الإنتاج. وقد قامت حركات المقاومة ضد كل ذلك باسم الدين مرة، وباسم القومية مرة أخرى، وباسم الاشتراكية ومقاومة الاستغلال مرة ثالثة.. الخ.

ولكن من الضروري تأكيد العامل الأساسي المسؤول عن نشأة ظاهرة العولمة، واستمرارها وتسارعها، وهو التقدم التكنولوجي.

إذ إنه يعتمد في وجوده على الميل الطبيعي لدى الإنسان لتخفيف ما يبذله من جهد وما يتحمله من مشقة في سبيل البقاء على قيد الحياة أو من أجل الإنتاج والاستهلاك (٢٣).

ليس صحيحاً أن العولمة الثقافية هي الانتقال من حقبة «من ظاهرة الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الكونية - كما يدعي مروجو فكرة العولمة الثقافية».

بل إنها فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات، فيهدد سائر الثقافات التي تبلغها عملية العولمة.

ومن الأهمية التعرف على الفارق بين التثاقف والعنف الثقافي من جانب واحد.

التثاقف: يعني الإصغاء المتبادل من سائر الثقافات بعضها إلى البعض الآخر، فضلاً عن الاعتراف المتبادل بينها، ومنه الاعتراف بحق الاختلاف وهو من أقدس حقوق الإنسان. ويرادف ذلك معنى الحوار والتفاهم.

العنف الثقافي: ينطوي على الإنكار والاقصاء لثقافة الغير، وعلى الاستعلاء والمركزية الذاتية في رؤية ثقافته ويرادف ذلك الإكراه والعدوان (٢٤).

أي أن العولمة الثقافية تعني السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بوساطة استثمار مكتسبات العلوم الثقافية في ميدان الاتصال.

وهي التتويج التاريخي لعمليات السيطرة منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون، وحققت نجاحات كبيرة من الحاق التصفية والمسخ بثقافات جنوبية متعددة وبخاصة في أفريقيا، وأميركا الشمالية والوسطى والجنوبية.

والثقافية الأميركية هي المسيطرة على الثقافة الغربية، وأوربا نفسها تنظم مقاومة ضدها وتعتبرها خطراً استراتيجياً يهدد استقلالها السياسي والاقتصادي وهويتها الثقافية، وقد تكون مقاومة فرنسا لها، أثناء مفاوضات الغات - ودفاعها عما بات يعرف باسم الاستثناء الثقافي أسطع دليل على وجودها ومخاطرها (٢٥).

إن أكثر ما يلفت الانتباه من ظواهر العولمة المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأميركية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم. فالموسيقا الأميركية والتلفاز من مايكل جاكسون إلى رامبو إلى دالاس، أصبحت منتشرة في مختلف أنحاء العالم، كما أن النمط الأميركي في الملابس، والأطعمة السريعة وغيرها من السلع

الاستهلاكية انتشرت على نطاق عالمي واسع وخصوصاً بين الشباب. إضافة إلى ذلك أخذت اللغة الانكليزية وبخاصة اللهجة الأميركية تصير لغة عالمية (٢٦).

ومن أهم أسباب هذا النفوذ الثقافي الأميركي الواسع:

١ - سيطرة الاقتصاد الأميركي بوصفة مستورداً ومصدراً، كما أن اعتماد اقتصادات أخرى على الاستهلاك في الولايات المتحدة إضافة إلى هيمنة شركات الاعلان الأميركية على التسويق العالمي، كل ذلك أدى إلى أن تكون أساليب الدعاية والتسويق عالمية الاتساع، ما جعل لها تأثيراً كبيراً في توجيه الأذواق عالمياً وفي قولبة الرموز الثقافية الناشئة.

٢ - للولايات المتحدة الأميركية تفوق واضح على منافسيها الاقتصاديين في المجالات الثقافية الشعبية، وخصوصاً في صناعتي الأفلام والموسيقا. وقد تمكنت الولايات المتحدة من استغلال قوتها في الإنتاج الفني التلفازي وفي الصناعات الترفيهية وشركات الأقمار الصناعية، فدخلت كل بيت على وجه الأرض وأثّرت في كل فرد.

ومن أهم أسباب الإقبال على هذه الصادرات الثقافية الأميركية:

أ - أن الصادرات الثقافية الأميركية لا تعكس إلا المستوى المتدني من الأنشطة الثقافية الأميركية، فخلافاً لأوروبا الغربية أدركت الولايات المتحدة مبكراً أن الحضارة الرفيعة سوقها محدود، وأن الثقافة المتدنية المستوى سوقاً أوسع كثيراً من سوق الثقافة الراقية.

ب - يبدو أن الثقافة الأميركية قابلة للتسوق العالمي أكثر من بعض الثقافات الأخرى لأسباب منها: أن الولايات المتحدة الأميركية بلد المهاجرين، وهي بالتالي مكّونه من مزيج عالمي من المجموعات العرقية والدينية والثقافية (٢٧).

الصورة هي اليوم - المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد: نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم.

كانت فاعلية الكلمة وقفاً على سعة الاطلاع اللغوي للمتلقي، أما الصورة اليوم فقد باتت قادرة على تحطيم الحاجز اللغوي تماماً، كما تستطيع العولمة الاقتصادية - اليوم - تحطيم الحاجز الوطني والجمركي كي تصل إلى أي إنسان في عقر داره.

النظام الثقافي المسيطر في حقبة العولمة الثقافية، هو النظام السمعي البصري، والمتمثل في عشرات الإمبراطوريات الإعلامية الضارية التي تبث ملايين الصور يومياً يستقبلها مئات الملايين من المتلقين في شتى أنحاء العالم وهذا النظام الثقافي الجديد ليس وسيلة بل هو - أكثر من ذلك - طريقة معينة لإدراك العالم والتعبير عنه (٢٨).

رابعاً: العولمة الثقافية وأثرها على السلوك الاجتماعي:

الهوية: معناها في الأساس التفرد. والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي، بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وميل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة

التكنولوجيا «التقنية» في الأساس مجرد طريقة للإنسان في إشباع حاجاته: طريقة إنتاج أو طريقة استهلاك ومن ثم فهي طريقة الإنسان في ممارسة عاداته ومختلف أنواع سلوكه وطريقته في التعبير عن ميوله وقيمه وعن نظرته للكون والحياة.

ومن البدهي أن أي تقدم في التكنولوجيا لابد من أن ينطوي على زيادة قدرة الإنسان على تحقيق تفرده والتعبير عن نفسه، فلماذا إذاً نفترض أن من الممكن أن ينشأ تضاد أو تعارض بين التكنولوجيا والهوية؟

أليست التكنولوجيا هي وسيلة تحقيق الهوية وطريقة التعبير عنها؟ أليست اللغة مثلاً تكنولوجيا التعبير؟

وهل خدمة اللغة وتطويرها (أي تطوير هذا النوع من تكنولوجيا الاتصال بين الناس لا يمكن أن تكون إلا خادمة الهوية؟

ويقال مثال هذا عن المطبعة التي تنشر ثقافة الأمة وتدعمها، وأدوات الكتابة والتسجيل والتخزين التي تحفظ تراث الأمة من الضياع.. الخ من أين إذاً يأتي هذا التضاد المزعوم بين التقدم التكنولوجي والهوية؟(٢٩).

ومنذ أن صنع الإنسان أولى أدواته الحجرية لتسهيل عملية الصيد، ضماناً لبقائه وتحقيقاً أكبر لذاته، كان هناك دائماً خطر في أن تستبد به هذه الأدوات نفسها وتتحول إلى أداة لقهره بدلاً من أن تكون أداه لتحريره.

إن هناك تفسيرات عدة ممكنة لانطواء أي تقدم تكنولوجي على إمكانات القهر:

- وقد يكون التفسير هو حاجة الإنسان إلى إثبات تفوقه على غيره، فإذا به يحاول أن يستأثر دون غيره بالأدوات المتاحة (سواء أكانت سلاحاً أم أداه إنتاج أم أداه من أدوات الاستهلاك) لمجرد الاستمتاع بتفوقه على غيره عن طريق قهره له.

- وقد يكون تفسير هذه القدرة الكامنة في التكنولوجيا، وبخاصة في التكنولوجيا الحديثة على أن تصبح أداة قهر، هو ما تنطوي عليه من زيادة درجة النمطية في عملية الإنتاج ومن ثم في عملية الاستهلاك كذلك. إذ إن النمطية بطبيعتها نقيض التفرد.

أيا كان السبب، فإن من المؤكد أن التكنولوجيا الحديثة، أي ما طوره الإنسان من وسائل للإنتاج والاستهلاك خلال القرنين الماضيين وخصوصاً خلال النصف قرن الأخير كانت تحمل خطر إخضاع الإنسان للقهر، وتهديداً لهويته وآدميته أكبر مما تعرض له الإنسان طوال تاريخه الطويل (٣٠).

هوية الإنسان وثقافة الأمة:

إن ما تفعله التكنولوجيا الحديثة بهوية الإنسان داخل الدولة، تفعل مثله ثقافات مختلف الأمم في العالم ككل، فكما خلبت التكنولوجيا الحديثة لب المستهلك الفرد حتى استسلم لها، خلبت لب الأمم، فضحت الواحدة بعد الأخرى بجزء بعد آخر من استقلالها الثقافي.

وكما استخدمت التكنولوجيا الحديثة من جانب طبقة لقهر الطبقات الأخرى داخل الأمة الواحدة، استخدمت من جانب الأمم المتقدمة تكنولوجيا لقهر سائر أمم العالم، وكما انتشرت النمطية في الإنتاج والاستهلاك داخل الدولة الواحدة، انتشرت في سائر أمم العالم حتى

أصبح من الصعب على المرء أن يعرف ما إذا كان يسير في شوارع أي مدينة من مدن العالم.

هذا الأثر من آثار التقدم التكنولوجي في طمس الهوية الثقافية للأمم لا يختلف في طبيعته عن أثره في الاعتداء على هوية الإنسان الفرد داخل الأمة الواحدة (٣١).

والأثر بشع في الحالين وإن كانت تستخدم في وصفه أسماء برّاقة. فما يرتكب ضد هوية الفرد داخل الأمة الواحدة يحدث تحت شعار «زيادة الرفاهية الاقتصادية» وكأن الرفاهية الإنسانية يمكن تجزئتها إلى جزء اقتصادي وجزء غير اقتصادي. وما يرتكب ضد الهوية الثقافية للأمم يحدث تحت شعار «التنمية الاقتصادية» وكأن نهضة الأمم لا تقاس إلا بمتوسط دخل الفرد من السلع والخدمات.

ومن الغريب أن القلق المتزايد داخل المجتمعات المتقدمة اقتصادياً، من التهديد الذي تتعرض له بعض أنواع الحيوانات والطيور التي يهددها التقدم التكنولوجي، بالانقراض، لا يقابله قلق لما يحدث لثقافات الأمم المختلفة من وراء هذا التقدم التكنولوجي نفسه، مع أن هذه الثقافات مهدده هي أيضا بالانقراض، والخسارة في هذه الحال فادحة جداً (٣٢).

خامساً: العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية وخصوصاً لدى الأسر والمدرسة:

الأسرة: هي أول وأهم المصانع الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي الوطني. ففي هذه المؤسسة يتلقن الطفل: لغته ومبادئ عقيدته والقوالب الأخلاقية العامة والعليا لسلوكه، كذلك يتلقن بعضاً من المبادئ المؤسسة للشعور بالجماعة أي هوية الجماعة الوطنية التي ينتمي إليها.

وقد تهتز في مراحل الشباب، ثقة الفرد في سلطة الأب وشرعيتها، أو قد يتعرض اعتقاده الديني إلى أزمة شك، أو قد يختلط عليه شعور الحنق على النظام السياسي والاجتماعي بالحنق على وطن مجحف، غير أن هذه السلطة جميعها تظل تتمتع بالاستقرار والرسوخ في وجدانه ووعيه طيلة فترات التربية التي يتلقاها داخل الأسرة، بل حتى حينما يجنح إلى التمرد عليها في طور «الشباب، لا يقطع معها قطيعة كاملة، إذ تظل آثارها في سلوكه فاعلة على هذا النحو أو ذاك (٣٣).

المدرسة: وتمثل المدرسة مؤسسة الإنتاج الاجتماعي الثانية التي تستأنف عمل الأولى وتنتقل بأهدافه إلى مدى أبعد من حيث البرمجة والتوجيه.

وربما كانت المدرسة أسرة ثانية للناشئة تمارس الوظائف التربوية عينها، غير أن موطن القوة فيها أنها تفعل ذلك على نحو نوعي متميز، فضلاً عن قدرتها على صقل تكوين الفرد الاجتماعي، وتنمية ملكة التحصيل والإدراك لديه بدرجة لا يستطيعها.

الفعل التربوي الأسري وتنفرد بكونها تنتقل بوعيه من حدود الجماعة الطبيعية «أي الأسرة إلى رحاب الجماعة الوطنية».

وعند هذه العتبة بالذات تؤدي المدرسة وظيفة إنتاج ثقافية وطنية أو أساسيات تلك الثقافة، وذلك من خلال توحيد الإدراك ومركزيته على برنامج تكوين عام على صعيد الوطن كله، أو من خلال بث وتكريس جملة من المبادئ التي تؤسس لقيام وعي وطني (٣٤).

ويبدو أن الضعف قد دبّ في أداء هاتين المؤسستين، ونال من وظائفهما التربوية والتكوينية، ومن قدرتهما على الاستمرار في أدوارها التقليدية في إنتاج وإعادة إنتاج منظومات القيم الاجتماعية ورصيد الوعي الوطني، للذين يؤسسان البنى التحتية للثقافة الوطنية وللسيادة الثقافية.

وهذا الخلل الطارئ على العمل الوظيفي الطبيعي للأسرة والمدرسة الوطنية إنما يرجع إلى إخفاق النظام التعليمي، وتفكك بنية الأسرة.

إخفاق النظام التعليمي

ويمكن رصد ذلك من خلال مؤشرين: كمي، ونوعي.

المؤشر الكمي: العجز عن تحويل التعليم في المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة إلى حق عام، وقصوره عن شمول جميع الفئات الاجتماعية الشابة والناشئة، وانحصاره في مجال اجتماعي محدود.

ما أدى إلى حرمان جيش اجتماعي هائل من حق التحصيل والتكوين، وذلك بسبب شحه وضعف الموارد والبنى الأساسية للتعليم. المؤشر النوعي: يتعلق بفقر محتوى برنامج التكوين التعليمي وقصوره عن الإجابة عن الحاجات المعرفية والعلمية، وتخريج أفواج ودفعات متلاحقة من أنصاف المتعلمين ممن لا تستفيد من طاقاتهم المتواضعة مؤسسات الإنتاج المادي والرمزي.

أما تفكك بنية الأسرة. فقد كان نتيجة لتحولات اجتماعية وثقافية عميقة لدخولها حداثة مرتبكة.

والمظهر المثير لهذا التفكك هو فقدان الأسرة المتزايد لقدرتها على الاستمرار كمرجعية قيمية وأخلاقية للناشئة، بسبب مصادر جديدة لإنتاج القيم وتوزيعها، وفي مقدمها الإعلام المرئي (٣٥).

فضلاً عن تخلي المرأة عن وظيفتها الأساسية في رعاية الناشئة، وإفراغ طاقتها في «الإنتاج المادي» و«صناعة الأدوات» على حساب «صناعة الإنسانية».

كل ذلك قد أدى إلى غياب البيئة الصالحة التي تنشئ وتنمي فيها القيم والأخلاق الإنسانية التي تتمثل في الجيل الجديد الذي يستحيل أن ينشأ في وحدة أخرى غير وحدة الأسرة المتخصصة، والنتيجة أجيال من الشباب الضائع الحائر الذي يفتقد إلى الحب والحنان.. والانتماء اللهم إلا إلى عصابات القتل والاغتصاب، والانتحار، بالهيروين أو بالايدز أو بغيرهما (٣٦).

والاضمحلال التدريجي للسلطة الأبوية في الأسرة وأثر ذلك على حريات الأفراد وانطلاق طاقاتهم وشعورهم بحقوقهم كما رافق ذلك انهيار نظام القيم الاجتماعية وكانت النتيجة حال من الاستباحة والتسيب القيمي تجعل الفرد مصابا بمرض فقدان المناعة القيمي.

ويتزامن تمدد العولمة الثقافية مع انحسار السيادة الثقافية وتراجعها في مجتمعات الجنوب بعامة وفي المجتمعات العربية والإسلامية بخاصة (٣٧).

سادساً: الخاتمة:

العلاقات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة التي خلقها الأفراد

والجماعات والتي تسير بالعالم باتجاه العولمة نابعة من إدراك هؤلاء الأفراد للإمكانات المتاحة لهم في هذا الظرف الجديد.

إن إدراكنا الزماني والمكاني للأشياء وعلاقتها ببعضها بعضاً وعلاقتنا بها قد تتغيّر تغييراً جذرياً في ظل الظرف الذي نعيشه اليوم.

أن نفكر في موضوع العولمة على أنه شيء خارج عنا، لنا الخيار في قبوله أو رفضه كأن نضع أمامنا خيارين، إما الاستسلام للخسارة أو الانسحاب من مبارة التدافع الحضاري:

- الاستسلام في مبارة التدافع الحضاري يعني الانحلال والانقراض.

- أما الانسحاب فيعني العدم (أو الانتقال إلى صفوف المتفرجين).

ويبدو أن مبارة التدافع الحضاري قد دخلت طوراً جديداً ما زال العرب والمسلمون يجهلون قوانين واستراتيجيات إدارتها.

السؤال الذي ينبغي أن ينشغل به المفكرون العرب والمسلمون هو ليس كيفية المحافظة على هويتنا وخصوصيتنا في ظل الهيمنة الغربية والنزوع نحو العولمة - فقط؟

وإنما كيف يمكننا، ضمن معطيات وحدود الوضع الراهن، تغيير مجرى أحداث مبارة التدافع الحضاري لصالحنا؟

وخصوصا إذا علمنا أنه بعد زمن طويل من الانحسار والتراجع الحضاري، حتى بات الاعتقاد عند أوساط كثيرة في الغرب والشرق بأن الإسلام لا عودة له، بعد أن اكتسحت الحداثة والعلمانية العالم برمته، وبعد كل هذا التقدم والتطور الشامل الذي جعل من هذا القرن الأخير فاصلاً حضارياً عن القرون السابقة عليه، يأتي الانبعاث الإسلامي الكبير ويفاجئ العالم به، وهو في أشد مراحله التاريخية حساسية حيث الهزات العنيفة في كل جهات العالم والمخاضات الخطيرة في كل جانب منه، في السياسة والفكر والاجتماع والاقتصاد والإعلام... الخ وهي المخاضات التي تسبق التحولات الحضارية المهمة.

فضلاً عن أنه تتأكد من وقت لآخر قناعة في هذا العالم على أن الإسلام من الممكن أن يكون أحد الخيارات الحضارية العالمية البديلة - أو كما عبر عنه «مراد هوفمان» في كتابه «الإسلام كبديل» أو «روجية جارودي» في كتابه «الإسلام دين المستقبل». أو عزت بغوفيتش في كتابه «الإسلام بين الشرق والغرب» والمهم في هذه الكتابات أنها تكشف عن ظاهرة أخذه في النمو والاتساع داخل المجتمعات الغربية. ■

الهوامش:

(*) رئيس قسم الاستشارات، ومنسق المؤتمرات والندوات في مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي - جامعة الأزهر، ومحاضر الاقتصاد الإسلامي في الجامعة الإسلامية للعلوم والتقنية - باكستان ١٩٨٨ - ١٩٩٢م.

(١) د. طلال العتريسي، «المناظرة حول العولمة»، مجلة شؤون الأوسط. العدد ٧١ (أبريل ١٩٩٨م)، ص٤.

(٢) د. حازم الببلاوي، «الهوية والمصلحة: الدولة الريعية والديموقراطية»، مجلة الاجتهاد، السنة العاشرة، العدد ٣٦، ٩٩٨م، ص١٦.

(٣) انظر: د. سعد الدين إبراهيم، من القاهرة إلى كوبنهاغن إلى بكين: متابعة مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية كوبنهاغن ٦ - ١٢ مارس ١٩٩٥م، مركز ابن خلدون، ص٥.

(٤) انظر وقارن: أفكار أولية بشأن تنظيم مؤتمر العالم الإسلامي والتحدي الحضاري، جامعة عين شمس، ٩٩٦م، ص٣٠٢.

(٥) انظر: جيران في عالم واحد: نص تقرير لجنة إدارة شئون المجتمع العالمي، ترجمة: مجموعة من المترجمين، مراجعة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة - العدد ٢٠١ - سبتمبر ١٩٩٥م، ص٣١ - ٣٢.

(٦) د. أحمد القديري، الإسلام وصراع الحضارات، كتاب الأمة رقم ٤٤، ذي الحجة ١٤١٥هـ، ص٦٠.

(٧) المرجع السابق، ص٥٣.

(٨) د. الفاروق زكي يونس، تقديم لكتاب نظرية الثقافة، سلسلة عالم المعرفة (٢٢٣)، يوليو ١٩٩٧م، ص٧.

(٩) د. الفاروق زكي يونس، المرجع السابق ص٨.

(١٠) المرجع السابق، ص٩.

(١١) مجموعة من المؤلفين، نظرية الثقافة، ترجمة د. علي سيد الصاوي، مراجعة: د. الفاروق زكي يونس، سلسلة عالم المعرفة ٢٢٣، يوليو ١٩٩٧م.

(١٢) د. الفاروق زكي يونس، تقديم الكتاب نظرية الثقافة، ص١٠.

(١٣) د. أبو يعرب المرزوقي، «أوهام علموية حول الحداثة الغربية»، مجلة المستقبل العربي «بيروت». العدد ١٩٩ - (سبتمر ١٩٩٥م)، ص١١٨.

(١٤) أنظر: د. أبو يعرب المرزوقي، المرجع سابق، ص١١٩ - ١٢٠.

(١٥) د. علي الدين هلال، «قضايا ومفاهيم جديدة: الشمال والجنوب»، حلقة نقاش، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٠١، (نوفمبر ١٩٨٥)، ص٩٠.

(١٦) انظر. د. علي الدين هلال، مرجع سابق، مجلة المستقبل العربي ٢٠١، ص٩١.

(١٧) طلال العتريسي، شؤون الأوسط، ص٧.

(*) الحضارة العربية الإسلامية، تضم ثقافات عدة، وذلك باعتبار أن الحضارة هي الدائرة الأوسع، والثقافة دائرة أضيق داخلها.

(١٨) انظر: د. أحمد صدقي الدجاني، «الثقافة العربية والإسلامية وتحديات العولمة»، مجلة الكلمة، العدد ١٨، (١٩٩٨م / ١٤١٩هـ)، ص١٤٢ - ١٤٣.

(١٩) المرجع السابق، ص١١٤.

(٢٠) انظر: د. جلال أمين، العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، مؤتمر: «العولمة وقضايا الهوية الثقافية» المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٢ - ١٦ ابريل ١٩٩٨م، والمنشور بمجلة المستقبل العربي، العدد (٢٣٤)، أغسطس ١٩٩٨، ص٥٨.

(٢١) المرجع السابق، ص٥٩.

(٢٢) المرجع السابق، ص٦١.

(٢٣) المرجع السابق، ص٦١.

(٢٤) عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٢٩) مارس ١٩٩٨م، ص٩٨.

(٢٥) عبد الإله بلقزيز، مرجع سابق، ص٩٩.

(٢٦) بول سالم، الولايات المتحدة الأميركية: معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين، مجلة المستقبل العربي، العدد (٩٩)، ص٨٦.

(٢٧) بول سالم، مرجع سابق، ص٨٧.

(٢٨) المرجع السابق، ص٩٦.

(٢٩) د/ جلال أمين، مرجع سابق، ص٦٢.

(٣٠) المرجع السابق: ص٦٣.

(٣١) المرجع السابق، ص٦٤.

(٣٢) المرجع السابق، ص٦٥.

(٣٣) عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٢٩)، مارس ١٩٩٨م، ص٩٣.

(٣٤) المرجع السابق، ص٩٤.

(٣٥) المرجع السابق، ص٩٤، ٩٥.

(٣٦) د. علي أحمد مدكور: الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي، مؤتمر العمل الإسلامي: الواقع والمستقبل جامعة الأزهر.

(٣٧) عبد الإله بلقزيز، مرجع سابق، ص٩٦.

تربية

واجه الضغوط النفسية بهدي رسول الله ﷺ

بقلم : د. حسان شمسي باشا

الحياة مليئة بالضغوط النفسية، وما من أحد إلا ويتعرض لنوع من أنواع هذه الضغوط، والضغط النفسي ليس سيئاً بحد ذاته، ولكن الطريقة التي نواجه بها تلك الضغوط قد لا تكون حسنة.

وتختلف استجابة الناس للشدائد والضغوط النفسية، فمنهم من يتكيف ويسيطر على الوضع الذي هو فيه، ويكون جاهزاً للمجابهة والمواجهة، ومنهم من يبقى ماقتاً للشيء، مبغضاً للحال الذي هو فيه Aversive، ويبقى حذراً لمدة طويلة.

ومنهم من يذعن للأمر الجديد ويخضع له Subnissive.

والذين يواجهون ضغوطاً نفسية شديدة يشكون عادة من صداع في السطح العلوي من الرأس، ومن آلام عضلية في الرقبة والظهر، ولا ينامون نوماً هنيئاً، وقد يشكو بعضهم من الخفقان، أو الإسهال... أو الإمساك.

وقد سئل ابن عباس - رضي الله عنهما - : أيهما أضرُّ على البدن الغضب أم الحزن؟ فقال: «مجراهما واحد، والمعنى مختلف، فمن نازع من لا يقوى عليه أكمنه(١) ذلك، فصار ذلك حزناً، ومن نازع من يقوى عليه أظهره فصار غضباً»(٢).

ورحم الله ابن عباس ما أحسن حكمته، صحيح مجراهما واحد، فكلاهما يرفعان مستوى هرمون الأدرينالين في الدم... وكلاهما يزيدان من ضغط الدم، ويضرّان بالقلب. ومعظم الناس يتعرض لنوع أو لآخر من الضغوط النفسية، أو الهموم اليومية، فقد أجريت حديثاً دراسة على عائلات أميركية، فتبين أن ١٨٪ من الناس هناك فقط، من يعتقد أنه ليس بحاجة لخفض الضغوط النفسية المتراكمة على حياته.

ومن الناس من يثور غضبه عندما يتعرض لضغط نفسي، أو نوع من الشدائد، وقد وصف الرسول - ﷺ - الغضب بجمرة تُوقد في القلب.

«إن الغضب جمرة تُوقد في القلب»(٣).

وحثَّ ﷺ على كظم الغيظ فقال: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً»(٤)

وقال تعالى: يمدح الكاظمين الغيظ:

(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) آل عمران:١٣٤.

ووصف ﷺ العلاج للغضب فقال:

«إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع».(٥)

وهذا ما يشير إليه في القرن العشرين الأطباء النفسيون بـ«تغيير الحال الجسمية الظاهرة»، ويعتقدون أن ذلك التغيير يؤدي إلى ضعف الانفعال وإخماد ثورته.

كما أثبت العلم الحديث أن هرمون الأدرينالين يزداد أضعافاً مضاعفة أثناء الغضب، ويرتفع إلى مستويات أعلى عند الوقوف، في حين ينخفض في حال الجلوس والاضطجاع، فمن علَّم رسول الله - ﷺ - هذه الحقائق العلمية؟!!

كما وصف الرسول - ﷺ - الوضوء والصلاة لمن أصابه الغضب أو الهمّ أو الحزن، قال ﷺ : «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»

«وكان النبي - ﷺ - إذا حَزَبَهُ أمرٌ فزع إلى الصلاة».

ويقول: «جعلت قرة عيني في الصلاة».

وفئة من الناس تستسلم للضغوط النفسية، وتصاب بالحزن والاكتئاب، والهموم.

ومن أبرز الأعراض في تلك الحال: الشعور بالكآبة والحزن، والإحساس بالعجز واليأس والرغبة في البكاء، وقد تكون الأعراض مزيجاً من القلق والاكتئاب، وقد يتفاعل

الجسد مع الضغوط النفسية، فيصيبه الاضطراب المؤقت أو الدائم، ويشكو حينئذ الإنسان من أعراض مختلفة، تستمر أشهراً ولا نعرف لها سبباً، وأهمها الصداع والغثيان والإقياء وآلام مختلفة، كالدوخة وغيرها من الأعراض.

وقد ينسحب الإنسان، ويبتعد عن الناس.

وهنا ينبغي على الإنسان أن يسأل نفسه:

أأستطيع مواجهة كل المسؤوليات اليومية؟ وهل أكبت مشاعري وأحاسيسي، أم أفرغها لشخص أمين يمكن أن يفعل شيئاً حول تلك الأحاسيس؟

وهل ينبغي أن آخذ شيئاً من الوقت للاسترخاء كل يوم؟

وكيف ينجو الإنسان من هذه الهموم، ويخفف وطأة الضغوط النفسية؟

وهل يستطيع الإنسان بجهد إرادي أن يتعامل مع الضغوط النفسية بشكل واقعي وصحي؟

والحقيقة أن الإنسان يستفيد من خبراته السابقة في مواجهة الأزمات، في التغلب على المشاكل الجديدة.

والإنسان الحكيم من يكون لديه ما يشبه جهاز امتصاص الصدمات، فتتلاشى آثار تلك الضغوط النفسية عليه.

ولا شك أن الإيمان بالله والاستعانة به يزيد من كفاءة جهاز امتصاص الصدمات، والإيمان بالله يجعلنا نصبر على المكاره، وعدم الاستسلام لها، والصبر معناه تلقي الصدمة، وعدم الانهيار أمامها.

ومع تلقي الصدمة بثبات يبدأ الإنسان في محاولة السيطرة عليها، واحتوائها ومعالجتها، وقد يحتاج الإنسان إلى مساعدة شخص آخر، وهذا هو معنى التعاون والتآخي والمحبة، وكلها تقوي جهاز امتصاص الصدمات.

وكما يقول الدكتور عادل صادق: «فإن الذين يمرضون حقاً بفعل الضغوط النفسية هم الذين يفتقدون الحب في حياتهم، ويفتقدون مساندة وفهم إنسان آخر، ولا يجد من هو على استعداد للتضحية من أجلهم وقت الملمات.

فالإيمان بالله... والصبر ... والعلم... والخبرات السابقة... ثم حب الإنسان للإنسان، كل ذلك يشكل أقوى جهاز لامتصاص الصدمات وتخفيف الضغوط النفسية»(٦).

هدي الرسول ﷺ في علاج الكرب والهم والحزن:

حذَّر رسول الله - ﷺ - من كثرة الهموم فقال: «من كثر همه سقم بدنه»(٧).

ووصف - ﷺ - الاستغفار والدعاء دواء للحزن والهمّ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هَمّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب»(٨).

وجاء في صحيح البخاري ومسلم أن رسول الله - ﷺ - كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض، ورب العرش الكريم».

وفي سنن أبي داود عن أبي بكرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «دعوات المكروب: اللهمّ رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح شأني كله لا إله إلا أنت».(٩)

وعن أسماء بنت عُمَيس قالت: قال لي رسول الله ﷺ :

«ألا أعلمك كلمات، تقولين عند الكرب، أو في الكرب: الله ربي لا أشرك به شيئاً»(١٠).

ودخل رسول الله - ﷺ - ذات يوم إلى المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يُقال له أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة ما لي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة؟! فقال: هموم لزمتني وديون يارسول الله. فقال: ألا أعلمك كلاماً، إذا أنت قلته أذهب الله عزَّ وجلَّ همَّك، وقضى دينك؟ قال: قلت بلى يا رسول الله. قال: قلْ: «إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال».

قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عزَّ وجلَّ همِّي وقضى عني ديني».(١١) ■

الهوامش:

١ - أكمنه: أخفاه، وكمن الغيظ في الصدر.
٢ - مساوئ الأخلاق للخرائطي ص٣١.
٣ - أخرجه الترمذي.
٤ - رواه ابن أبي الدنيا.
٥ - رواه أحمد وأبو داود وابن حبان «صحيح الجامع الصغير ٦٩٤».
٦ - العربي العدد ٣٨٢ سبتمبر ١٩٩١م.
٧ - أخرجه ابن السني وأبو نعيم.
٨ - رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد.
٩ - رواه أبو داود (٥٠٩٠) وأحمد ٥/٤٢، والبخاري في الأدب المفرد، وسنده حسن.
١٠ - رواه أبو داود (١٥٢٥) وابن ماجه (٣٨٨٢).
١١ - رواه أبو داود (١٥٥٥) وفي سنده غسان بن عوف البصري، هو لين الحديث.

تاريخ

الهجرة من المراكز الأندلسية الساقطة بأيدي النصارى

بقلم : أ.د محمد أبو الأجفان

امتد الفتح الإسلامي إلى ربوع شمال إفريقيا، فانتشر بها الدين الحنيف الذي كان للعرب دورهم الفعّال في تركيزه بها، فمنذ الربع الثاني من القرن الأول للهجرة، بدأت طلائع الفاتحين تصل إلى هذه المنطقة، ثم تغلغلت أفواجهم متجهة غرباً تؤدي رسالتها السامية في صقل عقول البربر من سكانها، وفي تطهير نفوسهم من أوشاب العقائد الزائفة، وتبشرهم بتعاليم الإسلام وشريعته العادلة، فدخلوا في دين الله أفواجاً، وأصبحوا من جنوده الأبطال، وأسهموا في دعمه، وخاضوا ميادين الجهاد مستبسلين، وما أن حلت سنة اثنتين وتسعين للهجرة، حتى فتح المسلمون جزيرة الأندلس(١) التي يفصلها عن طنجة المغربية مضيق، عرف بعد ذلك بمضيق جبل طارق بن زياد والي طنجة الذي كان أمير الجيش الإسلامي الفاتح، وبذلك بدأ التغلغل في القارة الأوروبية لرفع راية الإسلام بها، ونشر نوره في أرجائها، لإخراج أهلها من ظلمات الزيغ والضلال.

وعرفت الأندلس أزهى حضارة في ظل الحكم الإسلامي، وقد عاش بها كثير من العرب الوافدين من قبائل مختلفة، وكان للإسلام أثر في انصهارهم مع سائر السكان من أهل البلاد الأوروبيين المعتنقين للإسلام، ومن بربر المغرب الذين سبقوا إلى هذا الدين الحنيف.

وكانت قرطبة قاعدة العهد الأموي في هذه البلاد مركز إشعاع حضاري وتقدم علمي ومناخ ثقافي ممتاز، كان له أثر في دفع عجلة التقدم الأوروبي، ولكن الروح الصليبية أبت إلا أن تعكر صفو الحياة الإسلامية بالأندلس وتحرك العداوة، وتذكي جذوتها في نفوس النصارى، حتى لا تستمر عزة المسلمين في هذه الرقعة الأوروبية، وحتى ينحسر حكمهم عنها.

وها هو ذا الأستاذ «مكندريك» MEKENDRICK يحدثنا عن هذه الروح المقيتة: «إن هذه الروح الصليبية كانت قد انبعثت في أسبانيا منذ منتصف القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي ـ إذ كان البابا، بإلحاح من رهبان ديركلوني، وكانوا غلاة في تعصبهم للكاثوليك وعدائهم للمسلمين، قد سمى شبه جزيرة إيبيريا سنة ٤٥٦هـ ـ ١٠٦٣م منطقة حرب صليبية ضد المسلمين، وبالتالي فإن حرب «الاسترداد» الأسبانية أصبحت منذ ذلك التاريخ أمراً يهم كل مسيحي أوروبي»(٢)واستمر الصراع بين الصليبيين والمسلمين قروناً، كان المد المغربي خلالها يصل إلى الأندليسيين الذين توافرت لديهم قوة مناعة جعلتهم يصمدون فترة، ويستبسلون في الدفاع عن حوزة الإسلام ويذبون عن حماه.

وأخذت تظهر بوادر التقهقر عندما تمزق الشمل، وسيطر ملوك الطوائف على ممالك مشتتة تسرب إليها الضعف، لما استحكمت الأطماع وظهرت الفتن وتعذر رأب الصدع، فقويت لدى النصارى نزعة العدوان، وازداد تكالبهم على المراكز الإسلامية، وامتحن المسلمون في مواقع، وخسروا بعض مراكزهم ومواقعهم: «قرطبة سنة ٦٣٣هـ وبلنسية سنة ٦٣٦، ودانية ومرسية سنة ٦٤١، وجيات سنة ٦٤٣، وشاطبة سنة ٦٤٤، وأشبيلية سنة ٤٤٦».

وتعالت صيحات الفزع والرثاء ونظمت أبلغ القصائد مسجلة هول الفجائع فاضحة لوعة على ضياع مناطق أندلسية مسلمة، ومن أشهرها قصيدة أبي البقاء صالح النفزي الرندي المتوفى سنة ٦٨٤هـ ومنها:

لكلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نقصانُ
فلا يغرُّ بطيبِ العيشِ إنسانُ
هي الأمورُ، كما شاهدتها دُوَلٌ
من سرَّه زمنٌ ساءته أزمانُ
وهذي الدارُ لا تبقي على أحدٍ
ولا يدوم على حال لها شانُ

إلى أن يقول:

قواعد كنَّ أركان البلاد فما
عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاءُ من أسفٍ
كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية
قد أسلمت، ولها بالكفر عمرانُ
حيث المساجد قد صارت كنائس
ما فيهن إلا نواقيس وصلبانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ
حتى المنابرُ ترثي وهي عيدان(٣)

وانشغل الأندلسيون من سكان المناطق الباقية تحت الحكم الإسلامي بما أصبح يناوئهم ويجيرهم: حبل الأمن المنخرم، صراع الأمراء على السلطة، الفتن الملتهبة في بلدانهم، هجمات الأعداء الصليبيين، فقدان بعض الجنود في المعارك واستشهاد آخرين، الوضع السيئ لأسراهم والسعي لفك أسرهم، حال إخوانهم في المراكز والقواعد الساقطة بأيدي الأسبان، فقد حدا ضياعها بالكثيرين إلى الهجرة إلى البلاد الأندلسية المجاورة، وإلى اللجوء إلى المنطقة الغرناطية التي يحكمها بنو الأحمر، بل امتد ببعضهم طريق الهجرة إلى خارج حدودهم الأندلسية، فعبروا البحر إلى العدوة المغربية، وإلى البلاد التونسية، حيث وجدوا من إخوانهم الرعاية والمساعدة، مما خفف من هول مصابهم، فآووهم ومكّنوهم من الاستقرار ومن فرص العمل والإسهام في النشاط الاقتصادي، ثم كان الانصهار والاندماج الاجتماعي والتلاحم بين الأسر بالزواج والمصاهرة.

كان المهاجرون من مختلف طبقات المجتمع الأندلسي، ومنهم الماهر في بعض الصناعات وذو التجربة والمعرفة في الميدان الفلاحي، وفيهم ثلة

من العلماء والأدباء أسندت إليهم الخطط والمناصب في البلاد التي هاجروا إليها، فأثروا الحركة العلمية وعملوا على ازدهارها، يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «كان علماء الأندلس لشعورهم بسوء العاقبة - يعملون في الهجرة إلى ما جاورهم من بلدان، وكان مقصدهم من ذلك تلمسان والمغرب الأقصى ثم تونس، وبدخول رحالة الأندلس أصبحت هاته الأقليم وارثة العلوم الأندلسية»(٤)

هذا وإن بعض المهاجرين قد واصلوا الطريق - متجاوزين بلاد المغرب - ليستقروا ببعض بلدان المشرق الإسلامي.

ونذكر من العلماء الأندلسيين الذين هاجروا من الأندلس إلى البلاد التونسية وحطوا بها الرحال في عهد الدولة الحفصية التي احتضنت أهل العلم والأدب واستفادت من نبوغهم وطاقاتهم العلمية، نذكر هذه الثلة الممتازة:

- أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الأبار (ـ٦٥٨).
- أبو بكر بن سيد الناس اليعمري (ـ٦٥٩ على الراجح).
- أبو الحسن علي بن موسى بن عبدالملك الغرناطي (ـ٦٨٥).
- أبو العباس أحمد الفهري اللبلي (ـ٦٩١).
- أبو يعقوب يوسف بن محمد المرسي أندراس الطبيب (ـ٧٢٩).
- أبو عبدالله محمد بن جابر الوادي أكسي (ـ٧٤٩).

وقد نوه المؤرخون بالأثر الفعَّال الذي كان لهؤلاء المهاجرين في حياة البلاد التي حلوا بها واستقروا بين أهلها، ينعمون بحسن الاستقبال، ويرتبطون معهم بأواصر الأخوة الدينية التي تتحطم إزاءها الحواجز، وتذوب الفوارق، ويتم التآلف الذي تقتضيه الحياة الاجتماعية السلمية.

ومن المسلمين الذين سقطت بلدانهم من واصل إقامته بها ولم يهاجر، لم يهن عليهم ترك الوطن والتخلي عما يملكون، ولعلهم اعتبروا الهجرة مغامرة مصيرها مجهول، ولعل حواجز حالت بين بعضهم وبين الهجرة.. ولكن الخناق اشتد عليهم، وقبضة العدو الصليبي لم تهادنهم، فأجبر الكثير منهم على التنصر، وأخفى البعض إيمانه خوفاً من البطش الشديد، وأطلق على هؤلاء عبارة المدجنين «واحدهم مدجن» وسموا كذلك بالموريسكيين، «واحدهم موريسكي»، ومن الباحثين المعاصرين من اهتم بنبش الوثائق القديمة الأسبانية للبحث عن طبيعة حياتهم في المجتمع الصليبي الذي كان ينبذهم وعن عاداتهم وظروف عيشهم القاسية واستهدافهم لويلات العقاب والظلم، وما يكتنف وضعهم من أخطار داهمة، وما تتعرض له معالم دينهم من وسائل الطمس. ومن هؤلاء الباحثين نشير إلى باحث أوروبي هو الدكتور «لوي كاردياك» من جامعة «مونبيلياي» في فرنسا، فقد كتب دراسة نال بها درجة الدكتوراة عنوانها «المورسكيون الأندلسيون والمسيحيون: المجابهة الجدلية: ١٤٩٢ - ١٦٤٠» طبعت بالفرنسية سنة ١٩٧٧م في فرنسا، ثم ترجمت إلى الأسبانية وطبعت في مدريد سنة ١٩٧٩م، ثم ترجمت إلى العربية وطبعت في تونس سنة ١٩٨٣م.وقد أكد هذا الباحث أن الموريسكيين أصبحوا مجبرين على حمل أسماء أسبانية، وأن عادتهم الإسلامية استمرت معهم فترة طويلة بقوا فيها متمسكين ببعض المقومات الدينية، وأنهم أجبروا على إخفاء عقيدتهم على وجه التقية حذراً من عرضهم على محاكم التفتيش التي تسلط عليهم أقسى العقاب، وأن بعض تصرفاتهم تجلب لهم المحن، فمن ذلك أن جماعة من فلاحيهم سيقوا إلى دواوين التحقيق لأنهم كانوا يحصدون ولما قدم إليهم الغذاء أعرضوا عن تناوله لأنه مطبوخ بشحم الخنزير، فوشى بهم أحد المسيحيين(٥). ومن ذلك أن إحدى الموريسيكيات نبهت جارتها الموريسيكية التي تطبخ الخنزير إلى أنه حيوان نجس، فأجري معها التحقيق لدى محاكم التفتيش.

وهناك موريسكية أخرى لم تعلق صليباً في غرفة نومها، فبلغ خبرها ديوان التفتيش، فقام باختبارها فوجد أنها لا تحسن صلاة المسيحيين ولا تجيد طقوسهم، فاتهمت بممارسة العبادات الإسلامية في الخفاء واعتبر ذلك ضلالاً بيِّناً تستحق عليه العقاب(٦).

وتحدث الباحث المذكور عن موقف الآباء المسلمين من تعميد أبنائهم في الكنيسة جبرا، فقال: «نظراً إلى أن الآباء الموريسكيين لايقدرون على رفض تعميد أطفالهم، فإنهم يسارعون بعد رجوعهم من الحفل إلى غسل رأس الطفل غسلاً دقيقاً جيداً وفركة بعد ذلك بلباب الخبز، محاولة منهم لإلغاء تأثيرات التعميد».

وذكر أن المسلمين ينظمون لقاء ودياً في مساء يوم التعميد تتلى خلاله آيات من القرآن الكريم، للوقاية مما حصل من التعميد والطقوس المسيحية التي أجبروا عليها.(٧)

كما ذكر أن طائفة منهم لها معرفة بأحكام الإسلام كانت تتولى التعليم الديني والوعظ وبيان الأحكام الشرعية في كنف السر، وإذا بوغت أحدهم عند قيامه بذلك يساق إلى سجون محاكم دواوين التفتيش، وقد واصل أحدهم القيام بهذه المهمة داخل السجن الذي سجن فيه في مدينة طليطلة الساقطة.(٨)

وقدم الباحث إحصاءات تعرِّف بعدد الذين أحرقتهم دواوين التفتيش، وعدد الذين سلطت عليهم عقوبات أخرى.(٩)

مع هذا الجو الخانق لعيش الأندليسيين في المراكز الساقطة، تصبح الهجرة أفضل طريق للخلاص، يضمن النجاة من كيد العدو الصليبي والفرار بالنفس وسلامة العقيدة والأمن من الفتن، وهل يوجد لدى المؤمن ما هو أعز عليه وأغلى عنده من عقيدته وعقيدة أبنائه وأحفاده.

إن إيماننا هو أجلّ نعم الله علينا، وكل ما يصيب المؤمن في جسمه وأهله وماله يهون إذا سلمت عقيدته ولم يتزعزع إيمانه، ولم يفتن في دينه، ولم يتعطل أداء شعائره وعباداته التي يقوى بها إيمانه وتبرأ بها ذمته ويتقرب بها إلى ربه سبحانه.

والملاحظ أن هجرة الأندلسيين من البلاد الساقطة بأيدي الكفار إلى البلاد الإسلامية، في منطقة غرناطة التي تأخر سقوطها، أو في المناطق المغربية والمشرقية التي تعيش تحت ظل الحكم الإسلامي، قد صدرت في شأنها فتاوى اشتملت على آراء الفقهاء، وأوضحت الحكم الشرعي لها مع مراعاة الأحوال والملابسات، كانت تلك الفتاوى مواكبة للأحداث الأندلسية والأوضاع المتقلبة مبرهنة على مسايرة فقهائنا للحوادث والنوازل الطارئة، وسنرى بعض هذه الفتاوى في موضوع لاحق. ■

الهوامش:

١ - جذوة المقتبس، للحميدي: ٥.
٢ - بحث الأستاذ أمين الطيبي: مدينة لشبونة الإسلامية من الفتح العربي حتى سقوطها في أيدي الصليبيين، ضمن كتابه: «دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٤٢، وينقل عن كتاب «مجمل لتاريخ أسبانيا ص ٦٧ - ٦٨ بالإنكليزية».
٣ - أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، للدكتور رضوان الداية ص ١٣٤ وما بعدها.
٤ - اليس الصبح بقريب، لابن عاشور: ص ٧٩ - ٨٠.
٥ - الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، تعريب د. عبدالجليل التميمي: ص٢٨.
٦ - المصدر نفسه: ص ٢٦.
٧ - المصدر نفسه: ص٣٦.
٨ - المصدر نفسه: ص٧٨ - ٧٩.
٩ - المصدر نفسه: ص١٠٦.

لغة

العلمُ بالعربية ... واجب ديني!

بقلم: د. محمد السيد علي بلاسي

وُضعت اللغات لدى شعوب الأرض لإقدارها على التفاهم والتواصل، وحملت اللغات رسالات السماء إلى الأرض، وتمكّن الخلق بوساطتها من تنظيم فكره وتطويره. واللغة العربية حملت آخر تلك الرسالات، وأريد لها أن تكون لسان الوحي، وقُدر لها أن تستوعب دليل نبوة الإسلام، واختزال مضامين الرسالات السابقة، والانطواء على المنهج الذي ارتضاه الله لخلقه إلى يوم الدين.(١)

«قد كانت دراسة اللغة العربية عند الأقدمين مرتبطة بالعامل الديني، ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق، فقد خلفت لنا العصور الأدبية على امتداد التاريخ اهتماماً كبيراً بلغة القرآن سواء فيما يتصل برصد مروياتها من الآثار الأدبية من شعر ونثر، أو فيما يتصل بإحصاء مفرداتها، وتسجيل أوابدها وغرائبها في المعجمات والقواميس اللغوية، أو فيما يتصل باستنباط القواعد والأسس التي تُعنى بسلامتها، والمحافظة على أصولها الموروثة، ووضع الدراسات اللغوية الخاصة باكتناه أسرارها، والكشف عن خصائصها ومميزاتها»(٢).

ويقرر هذا أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ)، إذ يقول: «من أحب الله ـ تعالى ـ أحب رسوله محمداً ـ ﷺ ـ ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمداً ـ ﷺ ـ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء، والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة التبصر في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلاً، يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره»(٣). فاللغة العربية ليست مادة لفظية وأصواتاً مسموعة فحسب، لكنها ـ إلى جانب ذلك ـ طاقة فكرية وعلمية وشعورية تحمل في مضمونها فعاليات النشاط الإنساني والحضاري بأبعاده وألوانه. والعالم بدوله وشعوبه لن يفهم العرب حق الفهم، ولن يدرك الإسلام وحضارته تمام الإدراك إلا بوساطة اللغة العربية، ذلك المفتاح السحري القادر على إزاحة الستار الحديدي أمام العالم لفهم حقيقة العرب والمسلمين.(٤)

وجوب تعلم اللغة العربية

والعربية ليست كأي لغة من اللغات الأخرى! بل هي فريدة من نوعها، اصطفاها الله من بين اللغات جميعاً لتكون وعاء لكتابه الخالد: «القرآن الكريم»، كما اختارها لتكون لسان نبيه الأمين، لذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها، حتى يفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»(٥).

وأرجع شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ الخلط في الدين ـ عند أهل البدع ـ إلى قلة فهم اللغة العربية، فيقول: «لابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه، ومعرفة العربية التي خُوطبنا بها مما يُعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك ضلال أهل البدع كان لهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدَّعون أنه دالٌّ عليه ولا يكون الأمر كذلك»(٦)

ويؤكد هذه الحقيقة الجاحظ (١٥٩ ـ ٢٥٥هـ): إذ يقول: «للعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنيةٌ وموضعُ كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم... فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم، وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك»(٧).

من هنا، أوجب شيخ الإسلام ابن تيمية على المسلم تعلم اللغة، فقال: «إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب، وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»(٨).

ولعل هذا هو ما دفع العلامة أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) إلى إفراد باب في كتابه «الصاحبي» تحت عنوان: «باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية»، يقول فيه: «إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلم من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء لواحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله ـ ﷺ ـ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله ـ عز وجل ـ وما في سنة رسول الله ـ ﷺ ـ من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بداً»(٩)

وغاية القول: إن فهم النصوص هو منطلق البحث عن الأدلة الشرعية، والفهم موكول إلى المعرفة الدقيقة باللغة، وبتصاريف القول فيها: إذ لا يتأتى استنباط حكم لا تقتضيه طبيعة اللغة.

فالمعنى الشرعي يؤخذ من الدليل اللفظي، وقد يستدل عليه بغير اللفظ، ولكن يظل اللفظ دالاً على المعنى التابع لقصد المتكلم، فاللفظ في تصور الأصولي هو دليل الحكم على صحة الفكر أو خطئه، إذ اللغة ترجمة لما يجرى في الفكر، من هنا أخذت اللغة عند الأصوليين منحنى علمياً أصبحت به وسيلة لاستنباط الحكم، تتجه إلى الاصطلاح وتخاطب العقل.

والشافعي في وضعه للأصول المعتمدة في فهم النصوص وتأويلها

اعتمد منطق اللغة العربية، وقد أورد السيوطي (٩١١هـ) - قول حرملة بن يحيى: «سمعت الشافعي يقول: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان لعرب وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس... ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب، ومذاهبم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لاعلى مصطلح اليونان، ولكل قوم لغة واصطلاح»(١٠)

وهكذا يتضح أن المنهج في استنباط الحكم من النص أسس على منطق العربية، وابن خلدون وهو يؤرخ للعلوم في الحضارة الإسلامية أطلق علوم اللسان العربي على علوم العربية، وجعلها أركاناً أربعة: اللغة والنحو والبيان والأدب، وقرر أن «معرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة»(١١)

الحملة على اللغة حملة على الدين

بدهاء شديد ومكر خبيث اتخذ أعداء الإسلام اللغة العربية بوابة خلفية، للنيل من المسلمين وإبعادهم عن عقيدتهم، واستخدموا صنوفاً من المكائد للوصول إلى مآربهم الخسيسة ومراميهم الدنيئة، وهي كثيرة ومتنوعة!

ويحدد الأستاذ محمد قطب بعض الخطوات التي اتبعها أعداء الإسلام لضرب الدين عن طريق اللغة، فيقول(١٢): حينما تولى «المستر دنلوب» القسيس الثري عيّنه كرومر مستشاراً لوزارة المعارف - جاء دنلوب ليضرب الأزهر على الأسلوب البطيء الأكيد المفعول، ففتح مدارس جديدة تعلّم العلوم الدنيوية، ولا تعلّم الدين إلا تعليماً هامشياً، أما من ناحية اللغة العربية: لغة القرآن الذي يحترق قلب الصليبية حقداً عليه، فقد خطط دنلوب لقتلها والقضاء عليها، فكان الراتب الذي يتقاضاه المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا «اثني عشر جنيهاً» إلا مدرس اللغة الرعبية وحده يتقاضى «أربعة جنيهات!»، وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك سواء في داخل المدرسة أو في المجتمع.

ففي المدرسة: لم يعد مدرّس اللغة العربية هو المقدم، بل أصبح في آخر القافلة! يتقدمه المدرسون جميعاً حتى ذوو المؤهلات المتوسطة، بل يتقدمه - في الراتب - فراش المدرسة - أحياناً - إذا كان ذا أقدمية؟!! ومن ثم لم تعد له كلمة في المدرسة، فلا هو مستشار في شؤونها، ولا هو يشارك في شيء من إداراتها، ولم يعد له حتى عند التلاميذ أي احترام ولا أي حساب.

أما في المجتمع: فهو أشد ضياعاً منه في المدرسة، فالناس جميعاً يعلمون وضعه المالي، ويعلمون أنه في ذيل القائمة، وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه في الراتب والاحترام!

وهكذا يتحدد وضع مدرّس اللغة العربية في المجتمع بقدر ما يتحدد راتبه ويصبح مادة دائمة للسخرية، يتحدث الناس عن جهله وتخلفه وضيق فهمه وانحطاط مستواه الاجتماعي والفكري، وأشد ما يعاب عليه أنه لا يعلم اللغة الأجنبية! وحين أصبح مدرّس اللغة العربية في هذا الوضع المهين الذي لا يبعث على الاحترام، فإن وضعه يؤثر حتماً على المادة نفسها، وهذا هو الهدف المقصود.

وبالفعل، انتقل هذا الوضع المهين المزدري من المدرس إلى المادة، وبذلك أصبحت اللغة العربية موضع الازدراء والنفور، فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة من نحو وصرف وبلاغة ونصوص وأدب.

وهكذا صُوِّبت السهام إلى اللغة العربية من كل جانب، ولم تعد شيئاً يعتز به المسلم العربي كما كان يعتز به طيلة ثلاثة عشر قرناً من قبل، بل أصبحت معرة يسارع الإنسان إلى الانسلاخ منها وتمتين العيب فيها، والانتقاد عليها، لكي يصبح من المثقفين!! ولم يكن بد من أن ينتقل هذا الوضع المزري من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بتلك اللغة، وكان هذا هو الهدف الأخير المطلوب من ذلك التخطيط الخبيث!

فالمكتوب باللغة العربية هو ذات الأمر كله، وهو القرآن الكريم، والمطلوب هو: صرف الأمة عن تراثها كله وعلى رأسه القرآن الكريم، وانصرف الناس بالفعل عن قرآنهم وتراثهم بالتدريج، فلم يعودوا يشعرون أنه هو الزاد إنما الزاد هو المكتوب بلغة السادة الغالبين!

وقد تم بالفعل صرف المسلمين في تركيا عن تراثهم الإسلامي بتغيير الحروف العربية، وكتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية على يد كمال أتاتورك وتصفية اللغة التركية من معظم الكلمات العربية التي تتضمنها، لتنشأ أجيال تعجز عجزاً كاملاً عن الاتصال بتراثها الإسلامي، فتنقطع عنه وتنشأ بلا دين، وقد قامت في مصر محاولات مشابهة على يد عبدالعزيز فهمي وغيره، ولكنها ولدت ميتة ولم يقدر لها النجاح.

وبعد، فلنفسح المجال لأديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي، لنجدد معه صرخته التحذيرية التي تفضح النتائج المنشودة من وراء الحملة المسعورة على لغة القرآن الكريم، إذ يقول:(١٣) «ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة التي يستعمرها ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها، ويحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد: فالأول: تحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، والثاني: الحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، والثالث: تغيير مستقبلهم بالأغلال التي يضعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع».

أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تحل بكم الكارثة، وليت ساعة مندم ووقتها لا ينفع الندم! ■

الهوامش:

١ - العلم باللغة العربية... ضرورة عقيدية: للدكتور عباس أرحيله، ص٨٢ - بتصرف يسير - «مقال منشور بمجلة منار الإسلام: عدد محرم ١٤١٥هـ».

٢ - مقالات وآراء في اللغة العربية: للدكتور حمد بن ناصر الدخيل، ص٥٣، ٥٤، الطبعة الأولى - دار الشبل بالرياض، سنة ١٤١٥هـ.

٣ - فقه اللغة العربية وسر العربية: للثعالبي، (المقدمة) بتحقيق السقا وآخرين، ط. الحلبي سنة ١٣٩٢هـ.

٤ - مقالات وآراء في اللغة العربية: ص٥٨ - بتصرف يسير.

٥ - الرسالة: للإمام الشافعي، تحقيق أحمد شاكر.

٦ - الإيمان: لابن تيمية، ص ١١١.

٧ - الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ١٥٤/١، الطبعة الثانية - مصطفى الحلبي، د.ب.

٨ - اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ص ٢٠٧.

٩ - الصاحبي: لأحمد بن فارس، تحقيق أحمد صفر، ص ٥٠، الطبعة الأولى - عيسى البابي الحلبي، سنة ١٩٧٧م.

١٠ - العلم باللغة العربية... ضرورة عقلية: ص٨٧، وانظر صون الكلام عن فن المنطق والكلام: للسيوطي، شرح وتعليق الدكتور سامي النشار، ص٤٥، الطبعة الأولى - السعادة، سنة ١٩٤٧م.

١١ - المرجع السابق: ص ٨٧، وراجع مقدمةابن خلدون، تحقيق د. علي عبدالواحد وافي ١٢٢٤/٣، ط. ٣٠، دار نهضة مصر للطبع والنشر، سنة ١٩٧٧م.

١٢ - واقعنا المعاصر: محمد قطب، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

١٣ - وحي القلم: للرافعي، ٣٣/٢.

الحداثيون والتركيب المنسق للكون

بقلم: محمد السيد

١ - الحداثيون والترجمة والعقل

إن ترجمة رديئة ويائسة للحداثة «العملياتية» يجري تثبيتها، وقسر مجتمعاتنا العربية والإسلامية على التعامل مع املاءاتها المشوهة، التي أنتجت عقلية، حاولت شطب كل خطوط النفس الإنسانية الأخرى، الروحية والأخلاقية والتربوية، مستخدمة سلطات الدولة الغاشمة، في عملية تبادلية منفعية، توظف السلطة فيها سطور تلك الحداثة لتغطية أبراج التجبر المقيت، كما يوظف أصحاب تلك السطور السلطة من أجل الامتداد واحتلال المواقع المتقدمة في قاعات الثقافة والفكر، التي أصبحت نهباً لكل متسول لصرعات أتت أُكلاً مراً ودامياً في مواطنها الأولى، حيث نبتت نباتاً كأنه رؤوس الشياطين.

لقد كان للهزيمة النفسية، التي أنتجتها عملية الانبهار بالإنجازات العلمية والفلسفية الغربية فعلها السلبي في قطاع غير قليل من المثقفين العرب والمسلمين، سواء كان ذلك في المجال العلمي أو المجال الفكري أو حتى في المجال الأدبي، إذ خطا فيه الحداثيون خطوات شاسعة على طريق الفصام والتجزيء للنفس الإنسانية، وجعل العقل معياراً وحيداً يقود قافلة التقدم، مما أدى إلى تيه من التخبط العلماني، سار بركب الثقافة العربية والإسلامية في سبل انعزالية، لا تستند إلى أي مرجعية أو ثوابت تمنعها من الانسحاق والالتحاق بالآخر، أو حتى أن تحفظها من ذوبان لا تجد لها بعده أي وجود، مدعية: أن اعتماد أي مرجعيات أو ثوابت لا يشكل إلا قيوداً مثبطة لنقل القدم إلى الأمام ولو جزءاً من نقلة، جاعلة من العقل وما يفعل وما يفكر وما يرى نهجاً غائياً، يخضع له كل نص أو كل همس، أو كل قدم تنتقل، إلى الخلق... إلى الأمام... ليس مهماً، وكل ما عدا العقل من روح، من خلق من كتاب الله، من قدسي، من نوازع إنسانية، ومسارات تاريخية، وشواهد موحية ليست إلا مثبطات منصوبة على الطريق، القصد من وجودها تأخير انطلاقة العقل المنفلت عند هؤلاء، فهو يجوب معهم في ثنايا سطور مترجمة شوهاء، لا يفقه حاملوها ومحاولو نشرها - في أبسط الحالات - أبعاد مراميها، وذلك ضمن ظروف بدا فيها هؤلاء أنهم يخدمون ضد الأصالة، دون امتلاك روح نقدية انتخابية، تستطيع التمييز بين ما هو نافع وما هو مدمر، إلى درجة أن المفكر د. محمد عابد الجابري أطلق قوله المعروف: «اللغة العربية ليست لغة تاريخية... إنها لغة بدوية، مضادة للحضارة، إن انحطاط العقل العربي يرجع إلى اللغة العربية وعصر التدوين».

مع أنه يعرف حق المعرفة أن هذه اللغة الرائعة حملت الحضارة الإنسانية قروناً طويلة، وأنجبت من هذا الحمل أفكاراً ونظريات وقواعد علمية وفلسفية واجتماعية، أضافت لسابقتها من المواليد رائعات لم تُسبق إليها، وظلت شعوب العالم تدين لها ولنسقها التجريبي والإنساني والأخلاقي وحتى السلوكي أزماناً وأزماناً، ثم نام أصحابها بعد ذلك عن التقدم بها، بسبب رجال من أمثال هؤلاء الحداثيين، الذين يتخيلون التقدم بوساطة أفكار منبتة لا جذور لها تمدها بأسباب الحياة، وهي في الوقت نفسه تمد جذوعاً وأغصاناً شائهة «منغولية» الشكل والتفكير والتوجه، هجينة مذبذبة، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء هي منتمية.

٢ - بؤس ونتائج

ولقد تجلى بؤس أولئك الحداثيين أكثر ما تجلى في أحضان النقد الأدبي، حيث كان خطابهم النقدي الحداثي لا يقل في الغموض ومحاولات الإبهام عن المشاركة عن نصوص الإبداعيين الحداثيين، الذين راحوا يكتبون ما يكتبون ليتداولوه وحدهم، بعيداً عن الأحضان الدافئة للمشاركة والممازجة والتفاعل والتجاوب الإيجابي، الذي يبتغيه أي مزاول لمهنة الإبداع، وكان ما أنجبه هؤلاء من خلال تزاوجهم مع مترجمات النقد والإبداع شبيهاً بما كان يحدث في بعض قطاعات الإنشاءات في فترة من الفترات في بلد شآمي معروف، إذ كان المقاولون يرفعون أسعار الأبنية بشكل مبالغ فيه، بينما هي - في واقع الحال - لم تكن تتداول إلا فيما بينهم، والفرق بين هؤلاء الحداثيين وتجار البناء الذين ذكرنا، أن هؤلاء الأخيرين انتابتهم لحظة صحوة، بعد أن فقدوا السيولة، نتيجة لعدم التعامل مع الجمهور، فراحوا يبيعون ويبيعون بأي سعر ولو بالخسارة، كي يعوضوا لحظات الضياع والوهم التي عاشوها.

في حين ظل الحداثيون حتى اللحظة، يعيشون في حال إغماء عميقة، عن الحقيقة القائلة: إن معظم ما يكتبون، لا يستطيع أحد أن يتداوله، ولايستطيع عقل أن يحل رموزه المستغرقة في العبث، الذي لايحمل أي معنى، إن مزاولة الكتابة عن طريق العيش في حال الغياب هذه أورثت الأمة تلك النتائج التي تحيا فينا، قمعاً لكل ما هو جميل

ومفيد، وتهميشاً لكل رأي مخالف للسلطات التي دعمت نفسها بنصوص ذلك الغياب، ومحاولة عنيدة ولكنها يائسة لاختراق بناء هذا الكون المركزي التكوين والحركة، ذلك لأنه لا يمكن للأقزام المساس بشيء من هذا البناء القائم بقدرة الخالق، والمستمر في نسقه المنسجم إلى ما بعد هؤلاء وغيرهم، وإلى ما شاء الله.

٣ ـ كهنة وكهانة ورد

إن كلمات كهنة هذا الاتجاه لن تطاول أقدام البناء الكوني المتسق، وإنما هي محاولات لا تنم إلا عن بؤس أصحابها.

إن أدونيس الذي يقول: «ماتت مخيلة صديقي، فامتلأ عقله بالتعاليم والتوابيت والمسوخ»، وقصده من هذه الكلمات التي أصبحت بالية مع الرد معروف، والجابري الذي ينعى إلى العالم فقدان العقلانية من حضارة الإسلام، ليسا إلا مخلبين في أصابع القط الذي بدأ يفقد بريق عينيه، وراحت تتكسر مخالبه واحداً تلو الآخر، وأخذت أمراض جسمه تأكل انتفاخته شيئاً فشيئاً، وبدأت قفزاته ومحاولاته لاختراق البناء المنسق المنسجم تخمد رويداً رويداً ...

ولكن المواجهة المؤنسة، والثورة الشجاعة، والمراجعة الفذة، تحتاج كلها إلى حزم ولو من رجل واحد، يبدأ القصة من عند فيض نور الإسلام، فهو العز الذي لا ذل معه، كما قالت رابعة العدوية لسفيان الثوري.

لقد طال مكوثنا عند كيل الشتائم للحداثيين ونصوصهم النقدية والإبداعية، ولابد من تشمير أذرع الحزم والعزم، من أجل البناء فوق الأساس والأصول، رغماً عن أدونيس الضائع التائه في زورق ليس له قاع، تتناوشه التيارات، وهو معلّق بحوافه التي تهتز، وتكاد تنخلع من مكانها بفعل الأمواج العاتية.

كما أنه مضى علينا ردح طويل من الزمن، جعلنا فيه الآخر وثناً، وجعلنا محاولة الوصول إلى محاورته الركيزة الأهم في حياتنا الثقافية، النقدية منها والإبداعية.

ولما كنا داخلين في هذه المعركة، بلا سلاح من قراءة عميقة لأساساتنا، نبني فوقها نظريتنا النقدية الخاصة، ونتخذ لها مصطلحات مناسبة، استطاع هذا الآخر أن يدخل بيوتنا من دون استئذان، وأن يحتل كثيراً من غرف معيشتنا، ورحنا من خلال هذه الحال نفتش عن الهوية، لنبرزها في مواجهة هذا الدخيل الذي استخف بنا، فأبدى المعوَّمون منا في سوق الثقافة كثيراً من الجهل بهذه الهوية، وبدل الخروج من حال الهوان هذه، دخل هؤلاء في حال هوان أشد تتمثل في حيرة تامة في ظل التقليد المترجم، فأصبح حالهم كحال الغراب، الذي لم يستطع العودة إلى مشيته، ولا استطاع تقليد قفزات العصفور المنتشية بالنصر.

٤ ـ حالتان من حالات الذيلية

إن التعددية والانفتاح في الثقافة وغيرها أمران مشروعان، إذا كان الذي يمارسهما مستوفياً شروط الشخصية القابلة للتأثر النقدي الانتقائي، بعيداً عن قابلية الذوبان والانقراض، إن الذيلية هي أخطر ما يواجه الناقد العربي والإسلامي كمثقف، منذ بدء ما يسمى عصر النهضة في أوطاننا، وذلك بسبب أن هذه الذيلية تتماهى في صيغتين، وطنية وحضارية خادعتين، ففي حال التماهي بالصيغة الوطنية، يكون هذا المثقف ذيلاً للسلطات المختلفة الطاغية غير القابلة لأي رأي آخر، فهي استقصائية قمعية ترفض كل فكر أو رأي أو ممارسة خارجة عن الحدود التي رسمتها، ظانة نفسها خارجة من قمقم النقد، الذي لا يبارى، ولا يُرد عليه، من أجل عيون الوطن والصالح الوطني، اللذين اختزلا اعتسافياً في حكمه الشخصي وسلطاته التي يجب أن تستمر إلى الأبد، وإلا فإن عكس ذلك خيانة للأوطان، وخيانة للثقافة والحضارة، وداخل هذه الحال من التماهي عمل كثير من الناقدين والمثقفين على تثبيت وتطويل أمد محنة الثقافة، لاهثين وراء المنصب أو الشهرة أو الحظوة.

إننا ونحن نثبت هذه الملاحظة، لا نغمض العين عن الكثير من النصوص التي كتبها هؤلاء، وطرحوها في الأسواق السوداء، وهي تحمل وجهاً خادعاً من النقد للسلطات الحاكمة أو سلطات الفكر والثقافة، كما أنه لا يفوتنا في هذا المقام أيضاً أن نشير إلى قضية خدعت الملايين من المعجبين، الذين غابت عن بصائرهم تلك القضية المهمة، وهي أن معظم تلك النصوص الناقدة، لم يتطرق أبداً إلى جوهر وأسّ الخلل الذي صنعته السلطات، بل كانت تلامس عرض الخلل، والممارسات الظاهرة، دون أن تمسّ القاعدة والأسس، التي تقف عليها تلك السلطات، والتي تنطلق مع هذه الأصوات الناقدة من قاعدة واحدة، تؤكد أن روح العصر التي نريد أن نلحق بها، هي الروح السائدة في أوروبا وأميركا، تلك التي تريد أن ينتهي التاريخ عند أقدامها، لتكمل طوق الهيمنة المطبقة في كل أنحاء الدنيا، تحت مسمى جديد يدعى «العولمة».

أما في حال التماهي بالصيغة الحضارية، التي تتجلى فيها صورة المثقف «الناقد أو المبدع» فهي حال يقع فيها المثقف في مربع الوهم، الذي يجعله عائماً فوق سطح مسلمات مشكوك فيها دون أن يدري، أو أنه يدري ولكنه قبض الثمن، وهي حال وقع في وهمها الكثيرون، خصوصاً عندما وجد هؤلاء من يصفق لهم طويلاً، وقد زلت قدم الأستاذ محمد عابد الجابري في مثل هذا الوهم المبسّط، حين قال: إن الحضارة الإسلامية أنتجت عقلاً لا عقلانياً، وأن العقل اليوناني وحده المثل للعقل الإنساني.

ولقد أسقط هؤلاء جميعاً في هذا الوهم خضوعهم لتأثير مخدر التقدم بلا ثوابت، مما جعلهم في وضع نفسي وتركيبي يزري بكل ما هو تابع للهوية الذاتية، ويعلي ـ بشكل فاضح ـ كل ما يأتي من الضفة الأخرى، وهي حال شبيهة بحال «المضبوع» الذي يقع تحت تأثير الصدمة الأولى التي واجه فيها الضبع، فلحق به ذاهلاً عما يدور حوله، ظاناً أنه يخترق مسافات الطريق إلى حمى الأمان، وخادعاً نفسه ـ بل منتشياً ـ بذلك الاختراق الموهم الذي اجتاح كيانه، محدثاً نفسه بأنه سيقلب به موازين الناموس وانسجامه وتنسيقه، بينما يباشر الضبع أكل فريسته التي كانت تضحك عند كل نهشة، ظناً منها أن المفترس يداعبها، والجدير بالذكر هنا القول: إن الكثيرين من المفكرين والمثقفين المتمسكين بالأصالة المتفتحة، ممن وجدوا لهم طريقاً إلى سدة المنابر الإعلامية ـ التي ظلت حتى اليوم محتكرة من

قبل أولئك الحداثيين المتفلتة كلماتهم من كل مرجع - تنبهوا، ونبهوا، بل بحت أصواتهم من كثرة التنبيه بصوت عال إلى قضية الذيلية الحضارية تلك... فهذا روجيه جارودي ابن حضارة أوروبا والمتتلمذ على يديها، لم تغره تلك الإنجازات العلمية والحضارية التي أنتجها الغربيون أمام قولة الحق، لذلك فهو قد ملأ سطور كتبه بالتنبيه إلى أن الحضارة الأوروبية والغربية عموماً، ليست في مكان يؤهلها لتكون الرمز والقدوة، لأن المنهج المادي الذي تتبعه يفقد الإنسان خطوط نفسه الروحية والخلقية والمعنوية، تلك الخطوط التي تقوده إلى الله، وتربطه به بصلة متينة، تجعل من وجوده حقيقة ذات معنى ومغزى، لا يتركان للعبثية مسرباً يصل إليه أو إلى حياته، التي ترتسم معالمها نقطة متسقة منسجمة في صفحة الكون مع كل النقاط الأخرى لتشكل جميعها لوحة لا خلل في توازنها الروحي والمادي.

إن الله جعل هذا لكون منسقاً منسجماً، من أين نظرت إليه وجدته كذلك، (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور)، لذلك فإن الحداثيين المتفلتين لن يستطيعوا اختراق انسجام هذا الكون واتساق خلقه.

٥ - وعودة إلى النقد

والنقد والإبداع الأدبيان صورة من صور هذا الخلق المنسجم، يتحمل التعددية والانفتاح على نتاج الآخرين، لكنه لا يمكن أن يقبل بتلك الهلوسات التخريبية، التي تتباهى بميزات الغموض المعتم، واستعارة مصطلحات الترجمة المخرومة، التي تحتاج إلى شارح ومفسّر ليستطيع الناس فهم محتوياتها، وعندما يفهم الناس القول بعد الترجمة والشرح، يعطون شفاههم عجباً من نصوص لا تمت إلى حياتهم اليومية بصلة وإذاً لمن يكتب هؤلاء؟

ولابد عندئذ أن تستعيد الذاكرة قصة أولئك المقاولين التي جئنا على ذكرهم في سطور سابقة من هذا المقال، ولا نرى بأساً من الاستشهاد بقول الناقد المغربي نجيب العوفي الذي قال:

إن كثيراً من التجارب النقدية المتأخرة هي أقرب ما تكون إلى النقول والمترجمات النقدية، منها إلى النصوص والخطابات النقدية الأصيلة المبتكرة، ومن ثم توالت المآزق النقدية، وتفاقمت أعراض «المنهاجوية» القسرية، والاستعراضية بشكل لافت للنظر... والنقد الأدبي كان ولا يزال مشرعاً على الاحتمالات والتحولات، لكن مع عدم إغفال وإهدار القيم والثوابت الماسكة، التي من دونها يصبح هذا الأفق نهباً للرياح والتيارات.

«دعاة الحداثة في ضائقة لا يستطيعون الإفلات منها، إلا بأن يعترفوا بأن الإجادة والإبداع لا يكونان في التحوير والتبديل والهدم، وقد نص على ذلك العقاد - بل في الاتفاق والصدق والإتيان بالصورة البديعة والمعنى الطريف».

ولكننا مع كل ذلك ملزمون بالالتفات - قليلاً أو كثيراً - إلى ما دبّجته يراع المعلم الكبير عبدالقاهرة الجرجاني في دلائل الإعجاز حين قال: «وكما أن الصفة إذا لم تأتك مصرحاً بذكرها مكشوفاً عن وجهها ولكن مدلولاً بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها».

فهو ناقد حريف، وهو أحد الأساسات في البناء الذي يمكن أن نعليه فوق مقولاته ذات الهوية الصادقة، والمصطلحات ذات النكهة العربية والإسلامية. فأنت من هذا النص المكوّن من ثلاث جمل، تستطيع أن تخرج بخلاصة نقدية فخمة، تدور معك في العصور، ويمكنك من خلالها فتح إضافات إبداعية ونقدية، لا تؤدي إلى مصادمة جدار اللغة، أو إلى «استحالة الجمع بين الحداثة بمفهومها الفوضوي الهدام، والحفاظ على نواميس اللغة العربية» على حد قول يوسف الخال الذي يريد الهدم.

وعندما يتابع الجرجاني القول، يثبت الفهم الذي يحمل بين ثناياه عنقود التطورات المتلاحقة المسوكة بخيط لا يدع مجالاً لفرط عقدها، مهما تعددت وتخالفت في الأوجه والصور، وذلك من خلال قوله : «كذلك إثباتك الصفة للشيء، تثبتها له، إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية، والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق، ما لا يقل قليله، ولا يجهل موضوع الفضيلة فيه».

إنها كلمات في نقد النص، تفتح الأبواب أمام الناقد والمبدع، كي يبني فوقها، وينطلق بخفايا فهمها ليغطي أي حاجات تجديدية أو تطويرية ذات قيمة في النقد المنهج المضبوط، فهي تقوده بسلاسلة إلى الرمز، والإشارة، وبعض من الغموض، المفضي إلى جمال أخّاذ وعمق ماتع، بعيداً عن الإيغال المظلم في الطلاسم، التي إذا انكشف عنها الغطاء وجدتها خاوية من كل معنى ذي بال.

إننا مع الأستاذ ماهر الأعرابي حين تساءل :

«فما جدوى ثقافة لا تزيد الإنسان إلا غياباً وتمزيقاً، وتعيده إلى متعة اللامعنى».

ولكن روح الانتقام التي تسكن نفوس غلاة الحداثيين، تجعلهم لا يديرون الوجوه عن الأصيل وحسب، بل تراهم يسعون بكل قوة إلى هدمه وإزاحته من الوجود، كون ذلك التراث المسك بالأزمة، سيثنيهم عن فوضويتهم، مهما حاولوا التجمّل بالكلمات المراوغة.

لقد فتح لنا رجال تاريخنا الأدبي العربي الإسلامي، باب التعددية والانفتاح والتطوير، عندما قالوا بتغير المعنى وإمكانات التصرف بالكلمات التي تحمله تبعاً لتطور ظلاله، والزوايا التي يمكن الدخول منها عليه.

فلماذا يصرّ أولئك المتفلتون على فكر الهدم؟ «أحرق ميراثي.. أقول أرضي بكر ولا قبور في شبابي...»

ليس إلا أن يكون العجز عن مجاراة فخامة لغتنا، أو أن يكون ثمن ذلك التوجه مدفوع.

إن الجرجاني وابن قتيبة وأمثالهما من سلسلة النقاد في التراث مشرعو الأيدي، ينادون الأجيال كي يبنوا بناء متطوراً منضبطاً فوق أساسهم المتين، فهلا وجد أولئك الذين ينبذون التزمت والانفلات معاً، فيضعون أقدامهم فوق خط البداية للانطلاق المرسوم المتطور الذي ينظر إلى اختراق انسجام الكون واتساقه على أنه إثم موصل إلى الدمار؟! ■

البيت المسلم

العدد ٣٩٨ - الوعي الإسلامي - شوال ١٤١٩ هـ - يناير / فبراير ١٩٩٩ م



قراءات الأطفال وأثرها في تربية الوجدان



أغاريد الطفولة

محتويات حقيبتي

من أجل تحرير حقيقي للمرأة

قضايا في الصحافة

- بعد النظر في حياة المتزوجين حديثاً.
- مسكينة هي المرأة.
- فوائد صلاة الفجر.

- المهرج ... والحكيم
- الصبر
- إلى الشباب
- العدوان عند الأطفال
- جدة الأولاد

الإسلام يحرر المرأة من جشع الزوج، من طمعه في مالها، ويضع أمامه خطوطاً حمراء يمنعه من تجاوزها. ويحررها حين يحفظ لها جميع حقوقها المالية، ويصونها من أن تمتد إليها يد الزوج، إذا لم تكن راضية كل الرضا.

يحررها حين يمنع زوجها من أن يأخذ شيئاً من مهرها، إذا لم تطب نفسها بهذا الأخذ. ويحررها حين يمنع وليها أيضاً، سواء أكان أباها أم أخاها أو غيرهما، من أن يأخذ من مهرها، أو أي قدر من مالها، من دون رضاها.

تعالوا نتلو قوله تعالى في سورة النساء: (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) النساء: ٤.

من أجل تحرير حقيقي للمرأة

بقلم: محمد رشيد العويد

ولنتأمل في المعاني والدلالات التالية:

- الخطاب موجه لمن في قوله تعالى: (وآتوا النساء) هناك قولان: إن هذا خطاب لأولياء النساء، وذلك لأن العرب كانت في الجاهلية لا تعطي النساء من مهورهن شيئاً، ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له بنت: هنيئاً لك النافجة، ومعناه أنك تأخذ مهرها إبلاً فتضمها إلى إبلك، فتنفج مالك، أي تعظّمه، وقال ابن الأعرابي: النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان إذا زوّج ابنته، فنهى الله تعالى عن ذلك، وأمر بدفع الحق إلى أهله، وهذا قول الكلبي وأبي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة.

القول الثاني: إن الخطاب موجه للأزواج، أمروا بإيتاء مهورهن، وهذا قول علقمة والنخعي وقتادة واختيار الزّجاج، قال لأنه لا ذكر للأولياء هنا، وما قبل هذا خطاب للناكحين، وهم الأزواج، وهو قوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء).



قال القفال رحمه الله: يحتمل أن يكون المراد من الإيتاء المناولة، ويحتمل أن يكون المراد الالتزام. قال تعالى: (حتى يعطوا الجزية عن يد) والمعنى حتى يضمنوها ويلتزموها، فعلى هذا الوجه الأول: كأن المراد أنهم أمروا بدفع المهور التي قد حددوها لهن، وعلى التقدير الثاني: كأن المراد أن الفروج لا تستباح إلا بعوض، سواء أحدد ذلك أم لم يحدد. ثم قال - أي القفال - رحمه الله: ويجوز أن يكون الكلام جامعاً للوجهين معاً.(١)

ثم نُلاحظ هذا التقييد الدقيق على الرجال في أخذ شيء من المهر دون رضا الزوجة الحقيقي: (فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً).

يقول الرازي: «معنى الآية: فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق عن طيبة النفس، من غير أن يكون السبب فيه شكاسة أخلاقكم معهن، أو سوء معاشرتكم معهن، فكلوه وأنفقوه، وفي الآية دليل على ضيق المسلك في هذا الباب، ووجوب الاحتياط، حيث بنى الشرط على طيب النفس فقال: «فإن طبن» ولم يقل: فإن وهبن أو سمحن، إعلاماً بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة».(٢)

فما أعظم إكرام المرأة في تضييق المسلك على الرجل، في أن يأخذ شيئاً من المهر، بدعوى أن زوجته موافقة، وراضية، (واذهبوا واسألوها)، وقد يذهبون ويسألونها، وتعلن المسكينة رضاها، رغبة في وعد لزوجها أو رهبة منه، ونفسها ليست طيبة في هذا الأخذ، وزوجها يعلم بعدم طيبة نفسها، وهذا يعني أن ما أخذه محرّم عليه، ولهذا أجاز كثير من العلماء للمرأة أن ترجع عن هبتها شيئاً من مهرها وأن تسترده لأنه يُعلم من هنا أنها لم تطب عنه نفساً.

عن الشعبي أن امرأة جاءت مع زوجها إلى شُريح القاضي، وهي تطلب الرجوع عن عطية أعطتها إياه، فقال شريح: رُدَّ عليها، فقال الرجل: أليس قد قال الله تعالى: (فإن طبن لكم عن شيء)، فقال شُريح: لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه.

وحكى (أي الشعبي) أن رجلاً من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقاً كان لها عليه، فلبث شهراً ثم طلقها، فخاصمته إلى عبدالملك بن مروان، فقال الرجل: أعطتني طيبة به نفسها، فقال عبدالملك: فإن الآية التي بعدها (فلا تأخذوا منه شيئاً) النساء: ٢٠، اردد عليها. وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه كتب إلى قضاته: إن النساء يعطين رغبة ورهبة،

فأيما امرأة أعطته ثم أرادت أن ترجع فذلك لها.(٣)

وايم الله إنها لحماية محكمة لحق من حقوق المرأة المالية، تحول دون تحايل الرجل، ومكره، حيث لا يجوز له «أن يأكل شيئاً من مال امرأته إلا إذا علم أن نفسها طيبة به. فإذا طلب منها شيئاً وحملها الخوف أو الخجل على إعطاء ما طلب فلا يحل له، ألا ترى أن الله تعالى نهى عن أخذ شيء من مال المرأة في طور المفارقة فقال: (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً)، فالتحذير من أخذه في طور الرغبة والتحبب وإظهار القدرة على ما يجب عليه من أعباء الزوجية، من كفالة المرأة والإنفاق عليها، يكون أشد وآكد، ولكن حب المال جعل الرجال يماكسون في المهر كما يماكسون في سلع التجارة»(٤)

أجاز كثير من العلماء للمرأة أن ترجع عن هبتها شيئاً من مهرها وأن تسترده

لو تأملنا قليلاً، في ما يعنيه هذا كله، فإننا سنجد أن الإسلام يضع في يد المرأة ما يشد زوجها إليها، ويجعله يحرص على مودتها، وبخاصة حين تضطره الحاجة إلى الأخذ من مهرها.

ولن تقتصر مدة هذا التودد، على ما قبل إقناع الزوج زوجته بإعطائه مهرها أو شيئاً منه، بل سيستمر هذا التودد إلى ما بعد أخذه أيضاً، لأنها، في أي وقت، تستطيع أن تذهب إلى القاضي، شاكية زوجها، بأنه أخذ مهرها، بغير طيب نفسها، أفليس هذا حماية للزوجة من طمع الزوج، وحماية لها أيضاً من إغضابه لها وإحزانه لقلبها؟!

روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: «إذا اشتكى أحدكم شيئاً، فليسأل امرأته درهماً من صداقها، ثم ليشتر به عسلاً فليشربه بماء السماء، فيجمع الله له الهنيء والمريء والماء المبارك».(٥). هل رأيتم كيف يرى عليّ - كرم الله وجهه - مسترشداً بقوله تعالى: (فكلوه هنيئاً مريئاً) أن صداق الزوجة مع العسل والغيث، شفاء للزوج من المرض! ■

الهوامش:

١ - التفسير الكبير - ج٩ - ص١٧٩ - ١٨٠.
٢ - نفسه - ص١٨٢.
٣ - التفسير الكبير - ج٩ - ص١٨٣.
٤ - تفسير المراغي - ج٤ - ص ١٨٤.
٥ - الجامع لأحكام القرآن - ج٥ - ص٢٧.

بعد النظر في حياة المتزوجين حديثاً

من المهم أن يركز المتزوجون حديثاً النظر إلى اختلافاتهم حتى يحددوا كيفية التصرف حيالها والعمل على حلها لتستمر العلاقة ولا تكون هذه الاختلافات سبباً في قطعها. تقترح «مريام أروند» و «صامويل باوكر» في برنامج «أوبرا» الشهير على المتزوجين حديثاً هذه الخطوات التي قد تؤدي إلى تقليل الفجوة بين الشريكين وتؤدي إلى نجاح العلاقة الزوجية والكلام موجه منهما للمرأة على وجه الخصوص.

١ - تعاطفي مع زوجك، وضعي نفسك مكانه، فكما أن هناك أشياء في شخصك لا تحبين تغييرها فكذلك هو. انظري إلى الأشياء التي تؤدي إلى الاختلاف بينك وبينه من وجهة نظره هو، لعلك تقدرينها وتفهمينها وتتقبلينها.

٢ - لا تشكي دائماً في مقاصده، وستجدين أنك من السهل أن تتقبلي أي تصرف لزوجك عندما تتأكدين أن هذه التصرفات التي لا تعجبك منه ليست مقصودة لذاتها وليست موجهة ضدك، وكلما كانت ثقتك بنفسك كبيرة كلما زادت قدرتك على تعرف هذه الحقيقة، وهي أن زوجك شخصية مستقلة.

٣ - ركزي على الأشياء المشتركة بينكما، ففي أحيان كثيرة وفي بعض فترات الزواج تكون الاختلافات في الشخصية بين الزوجين أكثر ظهوراً وبروزاً من الأشياء المشتركة وأحياناً أخرى يحدث العكس. ولابد من مواجهة هذه الحقيقة وهي أن ما جذب أحدكما للآخر عند قبولكما الارتباط، هو الأشياء المشتركة بينكما، ولذلك لابد من أن يركز كل منكما على الأشياء المشتركة ويحاول تثبيتها بدلاً من إضاعة الوقت في إبراز الاختلافات ورعايتها لتؤدي إلى المشاكل.

٤ - اتفقا على ألا تتفقا: إذ ليس من السهل ولا من الطبيعي على الزوجين أو أي اثنين أن يتفقا دائماً على كل شيء، ولذلك لابد من تقبل هذه الحقيقة بقدر الإمكان، لأن هذا سيؤدي إلى أن يعرف كل منكما الآخر ويتقبل ويحترم في الوقت نفسه سلوك وشخصية الآخر كونكما شخصين مختلفين لكل منكما احتياجات ورغبات شخصية مختلفة. لن نقول إن هذه خطوة سهلة جداً، ولكنها ستكون مثل العادة عندما تتوقف الزوجة أو الزوج عن الإلحاح الدائم بأن يغير أحدهما من شخصية الآخر، وبالتدريج سيخف الانتقاد وتتحسن العلاقة الزوجية عندما لا يحس كل واحد منهما بالضغط من الآخر في محاولة لتغييره.



خولة العتيقي - الوطن الإسلامي

مسكينة هي المرأة

التقت فتاة جميلة عاقلة مع فتاة جميلة دخلت مسابقة ملكات الجمال، فقالت هذه لتلك بغرور ساذج: لقد صرت مشهورة تنشر الصحف صوري وتنقل وكالات الأنباء أخباري.

فقالت العاقلة: إن اللوحة الفنية التي لا تلمسها الأيدي أغلى ثمناً وأبلغ لفتاً للأنظار من التي لمستها الأيدي حتى غيرت روعة ألوانها الطبيعية.

افتتان كثير من الفتيات بدور العرض والأزياء أصبحت ظاهرة تؤرق الأمهات والآباء، واللباس غير المحتشم، والماكياج الصارخ أصبحا اليوم أبرز مظاهر وصيحات الموضة الجديدة، فإذا كان ذلك في الغرب فهو دليل واضح على رغبة الرجل الغربي في الاستمتاع بأنوثة المرأة ...

وإذا كان هذا التفسخ عندنا فهو تقليد أعمى للغرب وسلوك خاطئ ينافي قيم الدين وآدابه.

والفتاة اليوم التي تتعمد ارتداء اللباس الفاحش غير المحتشم، وتصبغ وجهها بكل ألوان الطيف، وتخرج به إلى الشارع، هل سألت نفسها لماذا تفعل كل ذلك؟ هل تحب أن تكون يوماً فريسة لأصحاب الأهواء والنزوات الطائشة؟

من الصعب أن نلوم الشباب الذي يرى كل هذه المغريات والأجسام والأجساد المتبرجة ثم نطالبه بعدم ملاحقة الشابات أو التحرش بهن.!

لقد وصلت درجة التفنن في انشغال الفتيات بالمغريات والموضات الحديثة إلى تزييف لبس الحجاب، فلم يعد حجاباً بموجب ما أمر الشرع، بقدر ما أصبح موضة عصرية تظهر من خلاله الفتاة ما طاب لها من شعرها وتخفي ما لا ترغب بإظهاره للناس.

إن الذين يزعمون أن من حقهم أن يلبسوا ما يشاؤون باسم الحرية وباسم مجاراة الموضات الغربية، ينسون أن للمرأة كرامة وحرمة لاينبغي التفريط بها، وما مسابقات ملكات جمال العالم إلا دليل على أن المرأة في الغرب أصبحت لا تهمها كرامتها بقدر ما يهمها لفت الأنظار إلى جمالها وأنوثتها.

نصيحة حكيم يقول: «كلنا نحب الدنيا وأجمل ما فيها، ولكن منا من يحب مع الدنيا حب النجاة في الآخرة...؟ ومنا من لا يبالي في أي واد هلك» فلتحذر المبالغات في زينة تبرجهن... وليحذر المتفرجون من هذه الفتنة.

«... فهل من مدكر؟».

عادل القصار - جريدة القبس

فوائد صلاة الفجر

قال الله تعالى: (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) الإسراء:٧٨.

يرغّب القرآن بالنوم باكراً، والاستيقاظ منذ الفجر، وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «بورك لأمتي في بكورها» كما قال صلوات الله وسلامه عليه: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» والفوائد الصحية التي يجنيها الإنسان بتيقظه عند الفجر كثيرة نذكر منها:

إن أعلى نسبة لغاز الأوزون (03) في الجو تكون عند الفجر، وتقل هذه النسبة تدريجياً حتى تضمحل عند طلوع الشمس، وغاز الأوزون له تأثير مفيد للجهاز العصبي، بحيث يجعل ذروة نشاط الإنسان الفكرية والعضلية تكون في الصباح الباكر، ويستشعر الإنسان عندما يستنشق نسيم الفجر الجميل المسمى بريح الصبا، لذة ونشوة لا شبيه لها في أي ساعة من ساعات النهار أو الليل.

إن أشعة الشمس عند شروقها قريبة إلى اللون الأحمر، ومعروف تأثير هذا اللون المثير والباعث على اليقظة والحركة، إضافة إلى أن نسبة الأشعة فوق البنفسجية تكون أكبر ما يمكن عند الشروق، وهي الأشعة التي تحرض الجلد على صنع فيتامين «د».

من الثابت علمياً أن أعلى نسبة للكورتيزون في الدم هي في وقت الصباح حيث تبلغ «٧ - ٢٢»، مكروغرام/١٠٠ مل بلاسما، واخفض نسب له تكون مساء حيث تصبح أقل من «٧» ميكروغرام/١٠٠ بلاسما، ومن المعروف أن الكوريتزون هو المادة السحرية التي تزيد فعاليات الجسم، وتنشط استقلاباته بشكل عام.

من هنا نجد أن المسلم الملتزم بتعاليم القرآن، هو إنسان فريد بالفعل، حيث يستيقظ باكراً ويستقبل اليوم الجديد بجد ونشاط، ويباشر أعماله اليومية في الساعات الأولى من النهار، حيث تكون إمكاناته الذهنية والنفسية والعضلية على أعلى مستوى، مما يؤدي لمضاعفة الإنتاج، وكل ذلك في عالم ملؤه الصفاء والسرور والانشراح، ولو تصورنا أن ذلك الالتزام أخذ طابعاً جماعياً فسيغدو المجتمع المسلم، مجتمعاً متميزاً فريداً، وأهم ما يميزه، هو أن الحياة تدب فيه منذ الفجر.

سمير زكريا الأنصاري - الإيمان

المهرّج ... والحكيم

بقلم : عبدالله عيسى السلامة

إنه رجل سيئ، كان يعق أباه ويضربه
يخرج على فطرته فينحدر إلى درك البهائم

قال المهرّج للحكيم :

قل لي يا سيدي الحكيم، ما الفرق بين الحصان والطاوس؟

قال الحكيم مقطباً يفكر :

وما الذي دفعك - ويحك - إلى الموازنة بينهما؟

قال المهرّج :

ما دفعني يا سيدي الحكيم، هو أنني قرأت أن بعض أمثال العرب تقول: «فلان أزهى من حصان» و«فلان أتيه من طاوس»، فظننت أن بينهما تشابهاً داخلياً - أعني نفسياً - مصدره إعجاب كل منهما بنفسه.

قال الحكيم جاداً :

صدقت ... إن كلاً منهما شديد الإعجاب بنفسه، بيد أن مصدر الإعجاب لدى كل منهما يختلف عن مثيله لدى الآخر، فالطاوس مصدر إعجابه بنفسه ريشه الجميل، والحصان مصدر إعجابه بنفسه سرعته في الجري ...



قال المهرّج :

ولِمَ لا تفترض أن شكل الحصان الجميل، هو مصدر إعجابه بنفسه كذلك؟

قال الحكيم :

لو افترضت هذا، لوجب تعميمه على أنواع الخيول كلها، ما كان منها للسباق وما كان لجر العربات أو المحاريث، والحقيقة هي غير ذلك، فخيول الجر ليس لديها الزهو الموجود لدى خيول السباق.

قال المهرّج :

فإذا أحسّ الحصان بالزهو، وهو يجر العربة أو المحراث، فماذا يكون شأنه؟

قال الحكيم باسماً :

كون قد جمع إلى شقاء بدنه فساد مزاجه.

قال المهرج :

فماذا تقول يا سيدي الحكيم لو أخبرتك بأني رأيت بعض البغال والحمير ينتابها الزهو أحياناً، وبعضها ينتابه الزهو دائماً، وبعضها مبتلى بعقدة زهو مزمنة!؟

نظر الحكيم متفرساً وقال :

أجل ... أهذه دواب حقيقية يا مهرّج؟

قال المهرّج باسماً :

أجل ... إنها دواب ... أعني أنها تدب على الأرض!

قال الحكيم :

ويلك ... أتتذاكى عليَّ ...؟ قل لي : أهي بهائم عجماء!؟

قال المهرّج متضاحكاً :

بل هي بهائم ناطقة يا سيدي الحكيم.

قال الحكيم متنهداً :

ويلك ... كدت تزعزع بعض قناعاتي الراسخة.

قال المهرّج :

كيف يا سيدي ؟

قال الحكيم :

إن مما أعلمه أن للمخلوقات العجماء سنناً لا تحيد عنها، لكل منها سنّة وضعها الله في تكوينه، فلا يجاوزها، وحين زعمت لي أنك رأيت بغالاً وحميراً تزهو، وحاولت إيهامي بأنها مخلوقات عجماء حقيقية، انتابني القلق وخامرني الشك في بعض معلوماتي.

قال المهرّج باسماً :

والآن ... بعد أن عرفت أنها مخلوقات ناطقة ما شعورك؟

قال الحكيم بهدوء:

الآن لا عليك ... إنها «شِنْشِنةٌ» أعرفها من أخزم والشنشنة «هي العادة يا عزيزي المهرّج».

قال المهرّج :

ولكن من أخزم هذا ؟

قال الحكيم :

إنه رجل سيئ كان يعق أباه ويضربه، وحين مات أخزم تولى أبناؤه اضطهاد جدهم وإهانته، وقد ضربوه مرة حتى شجوا رأسه وجلله الدم، فقال مرتجزاً

إن بنـيَّ زمّلونـي بالـدم
شنشنـة أعرِفُهَـا من أخـزم

فذهبت مثلاً.

قال المهرّج :

وهل أخزم هنا في هذا السياق هو الإنسان؟

قال الحكيم :

أجل ... لكنه ليس نوع الإنسان، بل هو الإنسان الذي يخرج على قيود فطرته وسنة الله فيه، فينحدر إلى درك من الحيوانية، تأبى الحيوانات العجماء الانحدار إليها.

قال المهرّج :

الآن فهمت. ■

الصبر

بقلم : زايد الزايد

حوار جرى ودار
وأمر حدث وصار
بين أفراد أسرة في دار
وقطفنا لكم منه بعض الثمار

ثمار يانعة للأخيار
من حديث أولئك الطيبين الأطهار
وسقناه لكم أنتم أيها الأبرار
فتعالوا نقرأ ما جرى وما دار



جلس أحمد وهو يتململ... فقد كان يتضور جوعاً ووالده تأخر عن موعد وصوله ولاحظت أمه ذلك فقالت:

خيراً يا أحمد مالي أراك جزعاً... لابد أنه الجوع قد فتك بك.

نعم يا أماه إني بحق جائع بل جائع جداً.

اصبر يا بني فإن والدك سيصل بعد قليل.

وما أن أتمت الأم كلامها إلا وجرس الباب يقرع وأسرع أحمد يفتح الباب...

أهلاً يا أبي لقد تأخرت كثيراً.

لقد كان حادثاً بسيطاً لكنه سد منافذ الطريق ولولا قدوم سيارة المرور لتأخرنا أكثر من ذلك.

وهل تضايقت من ذلك يا أبي.

نعم يا بني

أسمعت يا أماه... حتى أبي تضايق

أنا معك يا بني ولكن الصبر فضيلة جميلة

وما دخل الصبر في الموضوع يا أم أحمد

لقد شكى لي أحمد الجوع فقلت اصبر أن أباك على وصول وهو الآن شامت بي لأنك تضايقت من الحادث فكأنه يقول لي لماذا لم يصبر أبي؟

هنا قال الأب باسماً:

لكن أمك على حق يا أحمد فالصبر فضيلة جميلة... وصاحبه ذا مرتبه وجاه ووصول إلى الهدف... أما سمعت الشاعر وهو يردد.

أما والذي لا خلد إلا لوجهه
ومن ليس في العز المنيع له كفو
لئن كان بدء الصبر مراً مذاقه
لقد يجنى من غبة الثمر الحلو

نعم يا بني: وأصل كلمة الصبر هو المنع والحبس... فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما.

ويقال - يا بني - صبر يصبر صبراً وصبّر نفسه وقال جل وعلا في الآية ٢٨ من سورة الكهف: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) صدق الله العظيم.

من هذا افهم أن الصبر هو المنع والشدة وذلك باختصار.

هو كذلك يا بني وحتى أوضح لك الصورة أكثر... فيقال: صبر إذا أتى بالصبر، وتصبّر إذا تكلفه واستدعاه، واصطبر إذا اكتسبه، وصابر إذا وقف خصمه في مقام الصبر وصبّر نفسه إذا حملها على الصبر.

وأنا صابر عليكم لأني جائع وأنتم حولّتم الجلسة إلى درس في اللغة العربية.

يا بني: «يضحك».

لماذا تضحك؟

لأني أردت أن أضيف لك معلومة فتذكرت أن تفكيرك في معدتك لهذا ستذهب معلوماتي هباء فضحكت.

لكن الغداء جاهز فما المانع من أن يكون الحوار على المائدة.

قفز أحمد: ذلك جميل ولطيف هيا بنا.

وما أن أخذ أحمد لقيمات عدة وأحس بدفء معدته حتى قال:

الآن يا أبي أصبح تفكيري معك... فماذا تضيف عن الصبر.

الصبر يا حبيبي خُلق فاضل من أخلاق النفس... يُمتنع به من فعل ما لا يحسن وهو أيضاً قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

لهذا حينما سئل الجنيد بن محمد عن الصبر قال: هو تجرع المرارة من غير تعبس.

وأيضاً قالوا: الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

ارتسمت الدهشة على ملامح أحمد وأخذ يردد بصوت خافت: تجرع المرارة، الوقوف مع البلاء... إنها أمور تكرهها النفس

نعم يا بني إن ما تحدثت به صحيح... ولكن لابد لنا من الصبر ومواجهة الأمر وإلا حدث ما لا يحمد عقباه.

كيف ذلك؟

يقول زهير بن أبي سلمى ذلك الشاعر الفحل ...

ثلاث يعز الصبر عند حلولها
ويذهل عنها عقل كل لبيب

خروج اضطرار من بلاد يحبها
وفرقة إخوان وفقد حبيب

ولو لم نتمسك بالصبر في تلك المواقف التي عددها الشاعر لكان معنى ذلك أننا كلما مات لنا صديق أو قريب جزعنا حتى المرض وإذا ما غاب عنا أخ أو حبيب بلغت منا التعاسة مبلغ فقدان الأمل... وهذا معناه هدم للحياة والعمل.

وهذا يا بني ما لا يجوز للمؤمن، فالمؤمن قوي صابر محتسب وعزيز النفس أبيٌّ.

وهل لعزة النفس دخلٌ في الصبر يا أبي

نعم يا بني

وكيف ذلك

لن أشرح لك ولكن سأروي لك حادثاً... تأخذ منه توافق عزة النفس مع الصبر

وأنا أيضاً مشتاقة مع أحمد للسماع.

روي أن رجلاً كان يُجلد بالسياط جلداً عنيفاً ولم يتكلم أو يتأوه.. بل هو صابر على الجلد... فوقف عنده جماعة من الناس وقالوا: ألا يؤلمك الجلد، قال الرجل: بلى، قالوا: فَلِمَ لا تتأوه ولا تصيح؟

ذلك تساؤل في محلة يا أبي.

صبراً يا أحمد واسمع ماذا قال الرجل.

ماذا قال؟

قال الرجل: إن لي صديقاً كان يعدّني أشجع الناس، وهو الآن يقف يرقب ما يحدث لي، فأخشى إن أنا ضجيت أو تأوهت أن يذهب ماء وجهي عنده فلهذا أتصبّر.

يا إلهي ما أعظم عزة نفسه وصدق الشاعر حين قال:

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه
ويحمد منه الصبر مما يصيبه

فمن قلّ فيما يلتقيه اصطباره
لقد قال فيما يرتجيه نصيبه

يا الله... هذه القصة يقشعر لها البدن، نسأل الله العافية.

ذلك دعاء جميل... لكن أتعلم علاقة العافية بالصبر.

عجيب ... عزة النفس والصبر وعرفناهما فما دخل العافية بالصبر.؟

يقول محمد الحريري يصف الصبر أو يعرِّفه «الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما».

لكن هذا مردود عليه يا أبا أحمد فهو غير مقدور عليه ولا مأمور به.

لماذا يا أماه؟

لأن الله جلّ وعلا ركّب الطباع على التفريق بين الحالين وإنما المقدور حبس النفس عن الجزع لا استواء الحالين عند العبد.. بل إن ساحة العافية أوسع للعبد من ساحة الصبر

وما الدليل على ذلك يا أماه؟

الدليل يا حبيبي ما ورد عن القدوة والأسوة - صلى الله عليه وسلم - في الدعاء المشهور «إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي».

لكن هذا - يا أمي - يناقض قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «ما أُعطي أحد عطاء خيراً أوسع من الصبر».

نعم يا بني ليس في ذلك تناقض إطلاقاً فمدرسة الرسول - صلى الله عليه وسلم - واحدة وواضحة وجلية، فهو يقول ذلك لأن الصبر بعد نزول البلاء ليس للعبد أوسع منه وأما قبله فالعافية أوسع له.

هل معنى ذلك يا أماه أننا لانشكي.

ولكن قبل هذا السؤال يا بني هل تعرف أنواع الشكوى؟

وهل للشكوى أنواع إننا نشكو وحسب.

لا يا بني إن للشكوى نوعين... الأول: الشكوى إلى الله وهذا لا ينافي الصبر... ولذلك قاله الأنبياء والمرسلون

هل ضربت لي أمثلة عن ذلك يا أبي؟

نعم يا بني... ففي القرآن الكريم نجد أن سيدنا يعقوب يقول: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) مع قوله: (فصبر جميل).

ويقول سيدنا أيوب عليه السلام: (إني مسني الضر) مع وصف الله جل وعلا له بالصبر.

بل ها هو سيد الصابرين محمد - صلى الله عليه وسلم - حينما عاد مخذولاً مطروداً من أهل الطائف يرفع يديه إلى السماء ويقول: «اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس».

وهذا موسى - عليه السلام - يقول: «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك».

جزاكم الله خيراً هذا هو النوع الأول من الشكوى فما النوع الثاني.

النوع الثاني يا بني: هو شكوى المبتلى بلسان الحال والمآل وهذه لا تجتمع والصبر بل تضاره وتبطله.

وهنا يبرز الفرق بين شكواه والشكوى إليه وما أجمل قول الشاعر في هذا المجال:

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به
لكنت باركت شكراً صاحب النعم

واعلم بأنك إن لم تصطبر كرماً
صبرت قهراً على ما خط في القلم

اللهم عفوك ولطفك ومنك اللهم اجعلنا من الصابرين المرضي عنهم بفضلك ومنك يا أرحم الراحمين يا الله.

اللهم آمين اللهم آمين.

آمين آمين... كأنكما أنهيتما الحديث مع أنه شيق وجذّاب نعم يا بني فالساعة الآن الثامنة مساء ولابد لك من أن تحضر جدول الغد، ولا بد لي أن أكتب بعض الأمور الخاصة بي.

وأنت يا أماه ما عذرك.

نحن لا نعتذر، فالحديث معك ممتع ولكن لابد من معرفة أن هناك أموراً لابد أن ننتهي منها قبل النوم وإلا سرقنا الحديث وأهملنا الواجب.

أبي عرفنا أنه يريد كتابة بعض أعماله، فماذا عنك هل تكتبين أنت؟

أنا سأذهب لتلاوة الورد الخاص بي لكل ليلة من الكتاب المحكم القرآن الكريم... ثم أصلي صلاة الليل ثم الشفع والوتر... وبعد ها أنام.

وأنا سأحضر جدولي وأصلي الشفع والوتر، شكراً لك يا أماه على التنبيه المبطن.

أنت ذكي يا أحمد أسأل الله أن يكملك بعقلك.

آمين يا رب العالمين... وجزاك الله خيراً.

وقام أحمد بعد أن قبّل رأس والديه ليتوضأ ويصلي، بعد أن وعده والده بأن للحديث بقية. ■

إلى الشباب

بقلم: محمد نور سويد

روى البخاري في كتاب المغازي فقال: حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال كنا جلوساً مع ابن مسعود فجاء خباب فقال يا أبا عبدالرحمن أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤوا كما تقرأ قال أما إنك لو شئت أمرت بعضهم فيقرأ عليك قال أجل قال اقرأ يا علقمة فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير أتأمر علقمة أن يقرأ وليس بأقرئنا قال أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في قومك وقومه فقرأت خمسين آية من سورة مريم فقال عبدالله كيف ترى، قال قد أحسن، قال عبدالله ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه ثم التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب فقال ألم يأن لهذا الخاتم أن يُلقى، قال أما إنك لن تراه عليَّ بعد اليوم فألقاه. رواه غندر عن شعبة ورواه الإمام أحمد ٤٢٤/١.

ما يرشد إليه الحديث:

١ـ قيام الصحابة رضوان الله عليهم بواجب التبليغ والتعليم.

٢ـ عناية الصحابة رضوان الله عليهم بتربية وإعداد الشباب «عن علقمة قال: كنا جلوساً مع ابن مسعود «رضي الله عنه».

٣ - امتحان الشباب بالمسائل العلمية: «فجاء خباب فقال: يا أبا عبدالرحمن! أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤوا كما تقرأ».

٤ - التعليم بالتلقين: «قال عبدالله: ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه».



٥ - تعليم الشباب أدب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث قال الصحابي عبدالله بن مسعود للصحابي خباب: «ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقى، والظاهر أن خباب لم يعرف التحريم من قبل.

٦ - سرعة الصحابة في الاستجابة للأحكام الشرعية: «قال (أي خباب) أما إنك لن تراه عليَّ بعد اليوم فألقاه».

٧ - سماع القرآن من التلاميذ الشباب للتأكد من سلامة نطقهم وصحة تلاوتهم. «فقرأت خمسين آية من سورة مريم».

٨ - ثناء الكبار على صحة تلاوة التلاميذ وقولهم «قد أحسن» وما شابه ذلك، ففيه التشجيع والتحفيز على الاستزادة من القرآن. ■

الدّيْـــن

بقلم : عبد الستار خليف

● ١ ●

يوم جئت إلى هذه الدنيا، أخذت أمك إلى عالم الظلمات. رحلت ولم تعد. لا حول ولاقوة إلا بالله ..

قالوا عنك، كان يوم قدوم، يوم نحس.

قلت : لكل أجل كتاب !!

● ٢ ●

أنت عوضي و زندي و سندي في الزمان المقبل. حملتك على ذراعي. ضممتك إلى صدري. وضعتك في حجرة القلب، وقلت .. يا أملي في الأيام المقبلة !!

وقفت حياتي على رعايتك وتربيتك. قدمت لك الحب والحنان. لتنمو وتشب عن الطوق ..



● ٣ ●

الأمل، الأحلام، والواقع، الحياة تخفي بين طياتها .. أسرارها.

والإخفاق دوماً هو الطريق، والمحاولات لاتجدي، والأيام تبدل وتغير في البشر وفي البراءة. أهذا أنت قطعة اللحم الأحمر اللدن الذي جاء إلى هذا العالم بعد لحظات المخاض المريرة، وقضى على كل الأحلام!!

● ٤ ●

هجرت الدرس العلم والتحصيل وعملت معي. قلت لنفسي الحياة تجارب، والعلم بالتجارة والمكسب والخسارة، عندما يشتد ساعدك، ستأخذ على شيء، ويصير كل ما ادخرته للأيام المقبلة، خراباً يباباً. وأنت كحفنة من التراب هبت عليها الرياح والزوابع، فتلاشت وتلاشى معها كل شيء !!

ماذا فعلت بك لتفعل معي كل هذا ؟! آويتك، جائعاً .. فأطعمتك، وجدتك عاريا .. فكسوتك، قدمت لك كل شيء، ولكنك تغدر بي وتأخذ كل شيء!!

● ٥ ●

ماضاع قد ضاع .. لنبدأ من جديد، وما عليّ إلا أن ألزم بيتي ونكمل العشاء نوما، ونكبت الرغبات بين الضلوع، نطلق الحسرات والزفرات .. نموت بين أربعة جدران. ضاع العمر والقوت والزاد !!

سألت نفسي: أكان كل مافعلته خطأ ؟!

● ٦ ●

خارج الجدران ازدادت الجلبة والضوضاء كلما اقتربت من باب البيت المغلق دوماً، صياح الصغار ودقهم على الباب. عندما فتحته موارباً .. شاهدتك. عائداً أغبر مشوشاً. مهلهل الثياب، شاحباً. أهذا أنت يافلذة كبدي ؟!

ياسبحان مغير الأحوال !! قلت لك ادخل. طلبت الطعام والشراب والراحة. الدفء والحنان و .. والسماح.

كنت دائماً تأخذ. جئت الآن، الآن جئت. ماذا تريد ؟! الجدران تستر الخلق الآن جئت. ماذا تريد مني ؟!. التوبة. السماح.هيه .. مهما حاولت فلن توفي جزءاً ضئيلاً من هذا الدين!!

لن أسترد منك ـ الآن ـ شيئا، ولن تدفع لي أنا. لكنك ستدفع ماعليك، لمن سيأتي من بعدك، من صلبك .. في الأيام المقبلة ..

العدوان عند الأطفال

بقلم: عبدالرزاق زعال بن سمعو

ما العدوان؟

نقصد بالعدوان، كل المشاعر والدوافع التي تتضمن عنصر التدمير وسوء النية حيال الآخرين.

من أين يأتي العدوان؟

لكل وليد معافى قدرة تلقائية على أن ينمو حتى يصير شخصاً ناضجاً، ومعنى أن يصير ناضجاً هو أن يكتسب القدرة على استشعار شتى الاتصالات ذلك أن قدرة المرء على استشعار النبض والحب، والنفور والميل، والغبط والامتنان، جزء لا يتجزأ من كيانه الإنساني، والشخص المتكامل بوسعه أن يستشعر مختلف الانفعالات في أوقاتها الملائمة، يتفق علماء النفس والأطباء النفسيون على أننا نولد جميعاً ولدينا القدرة على استشعار الدوافع العدائية، ولكنهم لم يتفقوا بعد على إجابة حاسمة على السؤال «من أين لنا بمشاعرنا العدائية»؟ فيعتقد بعض الثقات أننا نولد وبنا حاجة إلى البغض والعدوان، ويقابل هذه حاجة أخرى إلى الحب والعطف، وعلى ذلك فإن ما تفعله خبراتنا هو أن نتحرك بحسب ما تنطوي عليه نفوسنا من الحب والبغض فالخبرات المؤلمة الخاذلة لرغباتنا تعلّمنا أن نبغض في حين تعلمنا الخبرات السارة أن نحب.



ولكن سواء أكان العداء فطرياً أم مكتسباً بعد الميلاد، فهو في الحالين انفعال حقيقي لا شك في وجوده في حياتنا الإنسانية، وهو يلعب دوراً لا يقل أهمية عن دور سائر الانفعالات الأخرى، إن القدرة على استشعار العدوان لمن مقويات الشخصية، وتنمو هذه القدرة لدى الطفل كما تنمو قدرة الكلام، والكتابة، والاستدلال، والتذكر، والتخطيط.

هل العدوانية صفة ملازمة لسلوك الطفل؟

يعتقد علماء التحليل النفسي أن انفعالات الغضب عند الطفل ما هي إلا ردات فعل عدوانية ترمي إلى إزالة الإحباط وتحقيق الإشباع، وهذه الأمور تترافق عادة بالصراع بين مشاعر الحب والكراهية إزاء الشخص الآخر.

ومسألة العدوانية مرتبطة بعلاقة الطفل مع أمه وما يطرأ على هذه العلاقة من إحباط وإشكالات تثير لديه الغضب والعدوانية.

ويعتقد فرويد أن العدوانية تلازم السلوك البشري وهي ترتبط بغريزة التدمير والموت، فالعدوانية عند الطفل دافع طبيعي وإيجابي وهي ترمي إلى الدفاع عن الذات والسيطرة على القلق والثأر من إهمال الآخرين، فتظهر العدوانية بين أفراد الجنس نفسه ومن خلال الرغبة في السيطرة والتنافس والتسلط، وهنا يظهر تفوق الذكر على الأنثى «التفوق البيولوجي والاجتماعي» من حيث السلوك العدواني والسيطرة.

إن التعبير عن العدوانية شيء ضروري وطبيعي في حياة الطفل هو يعبر عن عدوانيته بطرق مختلفة: المبارزة مع الآخرين، العراك، الغيرة بين الأخوة، الصراخ، الهجوم، الألعاب الحربية.

إن العدوانية عند الطفل هي ظاهرة طبيعية قد تخدم في بعض الأحيان متطلبات النمو وتساعد على التخلص من مشاعر الخوف والسيطرة على الواقع، ولكنها عندما تتخطى حدودها المعقولة عندئذ تصبح انحرافاً سلوكياً أو ظاهرة مرضية تستدعي العلاج.

أسباب العدوان

١ ـ الجنس: تدل الدراسات على أن الذكر هو أكثر عدوانية وانحرافاً من الأنثى، ويرد العلماء ذلك إلى الفروقات البيولوجية والهرمونية والاجتماعية، فالقوة العضلية والهرمون الذكري يعتبران من العوامل التي تدفع إلى التفوق والسيطرة.

٢ ـ العائلة: الأسرة تلعب دوراً بارزاً في تشكيل شخصية الطفل وتحديد مستقبله، إن معظم الأطفال العدوانيين يعيشون في عائلات يسودها الشجار والاضطراب.

٣ ـ دور التلفاز: إن أفلام العنف التي يشاهدها الطفل باستمرار على شاشة التلفاز تدفع به إلى تقليد ما يرى وبذلك قد يصبح عدوانياً.

٤ ـ العامل الاجتماعي: إن الحروب تؤدي إلى ارتفاع في نسبة العدوانية وأعمال العنف عند العسكريين والمدنيين بمن فيهم الأطفال.

التلفاز وسلوك العدوان

إن الصغار الذين يشاهدون الكثير من

برامج العنف في التلفاز يتسم سلوكهم بالعنف بدرجة تزيد مرتين على أولئك الذين لا يشاهدون إلا القليل من هذه البرامج.

ويرى بعض علماء النفس أن التلفاز نفسه لا يوجد مشكلات العدوان والانحراف، حيث ثبت لبعض علماء الاتصال أن الأطفال العدوانيين يختارون برامج عدوانية، بينما يرى عالم الاتصال «ولبور شرام» أنه كلما كان عند الطفل حصيلة ثابتة من الخبرات الواقعية، وكان على وفاق في علاقاته الشخصية بالناس فمن المحتمل جداً أن يمر سريعاً وبسهولة بالعناصر المثيرة من برامج التلفاز، وهذا يعني أن البيئة التي ينشأ فيها الطفل متمثلة في الأسرة، المدرسة، والعوامل المحيطة، تستطيع إذا كانت بيئة صحيحة أن تقلل إلى حد كبير من تأثير مشاهد العنف على الأطفال، وكمثال فإنه يجب على الأسرة العناية الكاملة بأطفالها وشرح الدوافع للسلوكيات التي تظهر في مشاهد العنف حتى يتفهم الأطفال الموقف تماماً... وبخاصة أن التلفاز يمارس تأثيره حينما يكرر عرض هذه المشاهد والصور العنيفة، فكلما تكررت الصور وعرضت القيم نفسها التي تحمل العنف كلما كان تأثيرها أشد فعالية.

ماذا نفعل حيال العدوان ؟

إننا لا نستطيع استئصال العدوان من نفوس الأطفال بإنكارها وجود العدوان في تلك النفوس، ولكننا نستطيع أن نساعدهم على تعلم مقاومة هذا الانفعال حتى لا يصبح من الشدة بحيث يعجزون - ونعجز معهم - على التحكم فيه، وإن من خير الطرق التي يمكن للكبار انتهاجها لمساعدة الأطفال في هذا الشأن، هو أن يعلموهم الفرق بين المشاعر العدائية «وهي انفعال طبيعي لا ينبغي أن نجعل الأطفال يستشعرون بسببه الإثم» وبين السلوك العدواني «الذي ينبغي فرض الحدود عليه»، وذلك أنه من اليسير على الأطفال إذ يحاولون تحقيق المعايير التي يفرضها مجتمع الكبار، أن يسيئو فهم ما ينتظره منهم الكبار، فقد يتوجسون خيفة من أن يلاموا على مشاعرهم قدر ما يلامون على أفعالهم. ■

جـدة الأولاد

بقلم: منى السعيد مصطفى الشريف

هرعت إلى مسجدي في بيتي الصغير، إنه واحتي وملاذي، ألوذ به كلما عصفت بي رياح نفسي والحياة افترشت الأرض وأسندت ظهري إلى الحائط، كم كان أسبوعاً ثقيلاً طويلاً مرّ كأنه شهور، بل سنوات ذاك أن جدة الأولاد وأم زوجي قد توفاها الله تعالى منذ أسبوع، نعم أسبوع كامل مرّ علينا خيم فيه الحزن على البيت الذي كان يموج بالسعادة. ومر في الأفق أمام عيني ذكريات كثيرة فما زلت أتذكرها ترن كلماتها في أذني... ذكريات أعوام وأعوام ورجعت بي الذكريات إلى أول عهد زواجي من ابنها الوحيد كنت فتاة صغيرة قليلة الخبرة بالحياة وسعدت بزوجي كثيراً وتمنيت أن أحظى بكل اهتمامه، ولا أنكر أن الغيرة كانت تأخذني أحياناً عندما أراه يغدق عليها من حبه ووقته وكانت هي الأخرى تنظر إليّ على أنني شريك جديد وغريب أستحوذ على كثير من وقت ولدها الوحيد وحبه ورعايته وكان هذا كفيل بأن يسبب الخلاف بيننا لأتفه الأسباب، ولكن التجربة والعشرة بدأت تذيب كل هذا اومع الوقت بدأت أفهم وأتعقل فكنت أتغافل عن بعض تصرفاتها التي قد تمسني وتثير غضبي، وعاهدت نفسي أن أنظر إليها على أنها أمي التي لابد من ارضائها مهما كلفني ذلك. نعم... إنني لن أسمح لنفسي أبداً أن أكون سبباً في غضب قلبها على زوجي وأنا أعرف ما يستوجبه ذلك من غضب الله ومر بخاطري قوله ﷺ : «إن من أبرّ البر أن يحفظ الرجل أهل ودّ أبيه» فلأن تحفظ المرأة أهل ود زوجها من باب أولى.

فكنت أسرع إليها أسترضيها إذا غضبت حتى لو كان غضبها دون وجه حق وهاهي قد فارقت الحياة وتركت لي زوجي وحدي، فهل حقق ذلك لي أي سعادة، على العكس، إنني الآن أفتقدها كثيراً، وأشعر أن حياتنا غاب عنها شيء مهم، وأحياناً أتساءل لو كان الخلاف بيننا قد احتدم واستمر، وفارقت الحياة وهي غاضبة عليّ وعلى زوجي... كيف سيكون شعوري الآن؟ وكيف كنت سأواجه زوجي؟ وهو يعتبر أنني فرّقت بينه وبين أمه وكنت سبباً في غضبها وسخطها عليه. يا إلهي - لابد وأن ذلك كان سيورثني الندم طيلة عمري وكنت سأجد حصاده في عقوق أبنائي لي، إن خدمتي لها في فترة مرضها الأخير وإكرامي لها قد قرّبت بيني وبينها كثيراً، بل بيني وبين زوجي، ورغم حزنه الشديد على فقدها، إلا أنني أرى في عينيه نظرة رضا وامتنان لأنني أكرمت شيخوخة والدته وأحطتها برعايتي في مرضها وهذا ما يخفف عني ألم فراقها... نعم لقد كانت لي العوض عن الأم فهي أم زوجي وجدة أولادي.



والآن أهمس في أذن كل زوجة أن تذكري دائماً عندما يشب خلاف بينك وبين «حماتك» أنها قبل أن تكون حماة فإنها أم، وأم أعز الناس وأقربهم لك وجدة أبنائك، وحب زوجك ورعايته لها لا ينقص من قدرك عنده، ويجب أن يكون هذا هو الأساس في تعاملك معها حتى لو أساءت فالتمسي لها العذر دائماً، وقابلي الإساءة بالإحسان، وإلا قتلك الندم حين لا ينفع الندم. ■

قراءات الأطفال وأثرها في تربية الوجدان

بقلم : مصطفى أحمد عبدالوارث

تلعب القراءة في حياة الأطفال دوراً بارزاً في تنمية عقولهم ورفع قدراتهم اللغوية والفكرية، كما يكون لها دور بالغ الأهمية في تربية الوجدان لدى أطفالنا، ومن ثم حرص المربون على استثمار وقت فراغ أطفالهم بتنمية وتشجيع القراءة لرفع قدراتهم مصداقاً للقول المأثور: «أريحوا القلوب ساعة فإنها إذا تعبت كلّت وإذا كلت عميت»، وتنقسم القراءة من حيث الأداء إلى نوعين:

القراءة الصامتة والقراءة الجهرية، وتختلف الأولى عن الثانية في كونها تعتمد على العين وإعمال العقل دون النطق بالكلمات، وتتميز بسرعة فهم المادة المقروءة ودقة الفهم، وتربي في الطفل القدرة على الاستقلال بالقراءة والاعتماد على النفس.

أهمية القراءة لدى الطفل في تربية الوجدان

للقراءة دور حيوي في حياة الطفل، فهي توسع دائرة خبراته، وتفتح أمامه أبواب الثقافة وتحقق له التسلية والمتعة، وتهذب مقاييس التذوق وتساعده على حل المشاكل والمواقف التي تواجهه، كما تساعد الطفل على أن يحدث نوعاً متوازناً من التوافق الشخصي والاجتماعي له.



وتأتي أهمية القراءة للطفل بأنه من منظور القراءة يتعرف الطفل على الكثير من الخبرات التي يعبر عنها الأدب وليتصل بحياة الآخرين ويعيشها بخياله ويكتسب مجموعة من القيم تجعله يقف في ثبات في العالم الواسع الذي يعيش فيه، والسبيل إلى خلق مجتمع من القراء لابد من أن يبدأ من الأطفال، وذلك بجعلهم يشغفون بالقراءة من خلال إنشاء المكتبات والذهاب إليها لتنمية مواهب القراء والمعرفة عندهم.

ماذا يقرأ أطفالنا في عالمنا المعاصر؟

إن من أهم مسؤوليات الأسرة بث روح القراءة وتوجيه الأطفال إلى قراءة الكتب وتشجيع وتنمية هذه المواهب إلى كل أنواع المعرفة الإنسانية التي تتفق مع ميول الأطفال من خلال مكتبات الطفل التي يوجد فيها الكثير من أنواع المعرفة المطلوب توجيه الطفل إليها.

ويجب على الآباء والمربين معرفة مدى ميول الأطفال نحو القراءة، وتقديم النصح والاستشارات المعرفية من حيث اختيار نوعية الكتب التي تناسب ميول الطفل، وكما تضيف مكتبة الطفل للطفل الذي يجب أن يكون لديه حب القراءة ومناسبة لميوله بداية من:

- كتب دينية - سور قرآنية قصيرة - شخصيات - تعليم العبادات.
- القصص «الديني - العلمي - الخيالي - الأدبي».
- مشاهير التاريخ والناس - معرفة تاريخهم وسيرتهم الذاتية.
- الجغرافيا - معرفة وصف البلدان - الرحلات.
- العلوم البحتة - الفلك - الجيولوجيا - الكيمياء.
- العلوم العملية - الصناعات - والصناعات اليدوية.

إن معرفة الطفل كيفية اختيار الكتاب الذي يناسب ميوله وحبه للقراءة يعتبر في حد ذاته تنمية لمواهب القراءة لديه، ويجعل أهداف القراءة تتحقق في أفضل صورها.

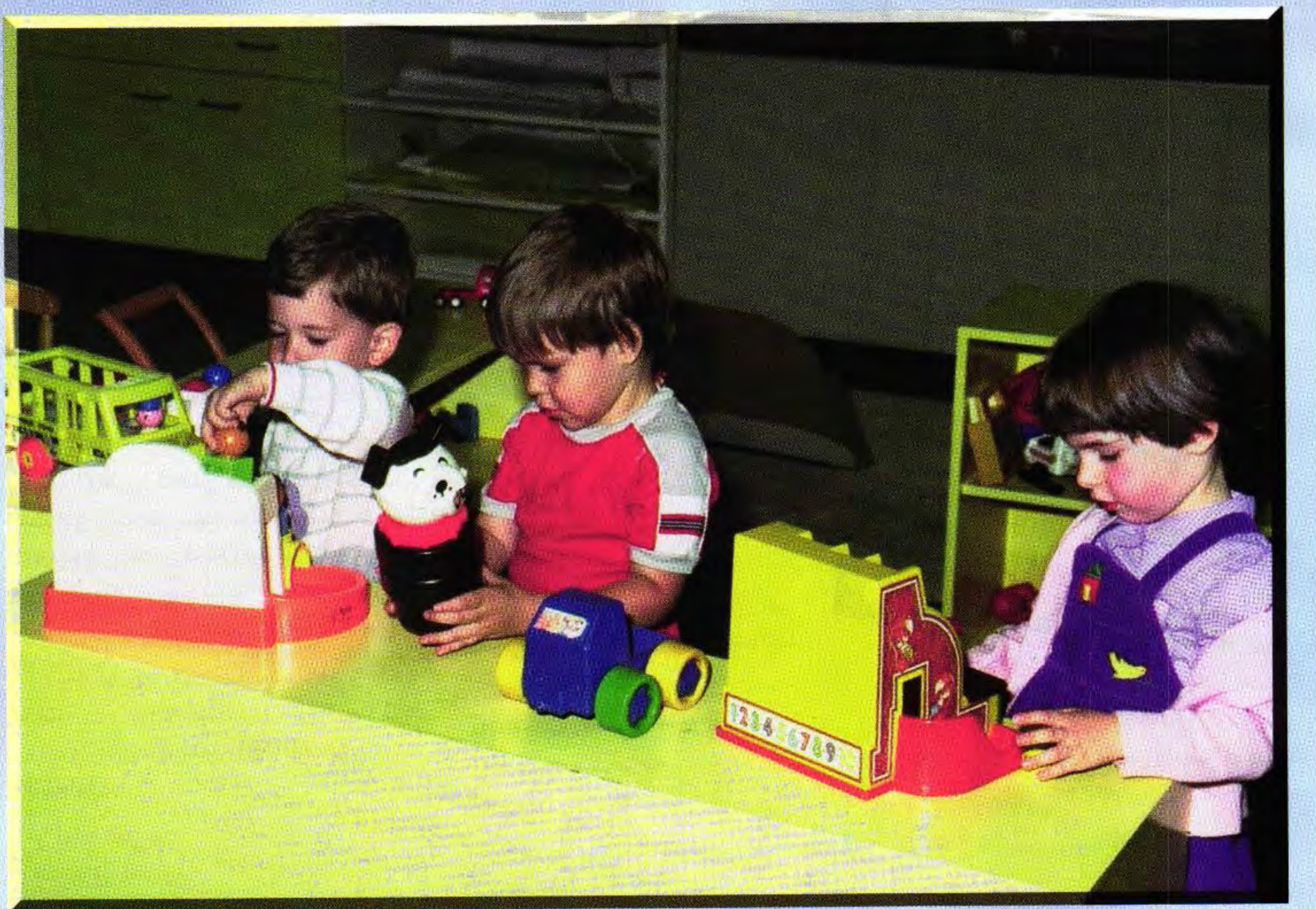
الطفل قارئ بالفطرة

إن من نعم الله تعالى على الإنسانية أن جعل التفكير والعقل إحدى الميزات التي يميز بها الإنسان عن جميع المخلوقات، لذلك إن الطفل بداية من عمر السادسة في عمره حتى الثانية عشرة يكون لديه استعداد حقيقي ليتعلم القراءة والإقبال على المعرفة، ولكن القراءة في حد ذاتها عملية معقدة إنها تجعله يتقن فهم معاني الجمل والربط بين تسلسل الأحداث مع القدرة على التركيز والاستيعاب وإعادة التعبير.

وهناك وصايا عشر لابد أن يتعرف عليها طفلك حتى يصبح قارئاً جيداً:

أولاً: عوِّد طفلك استخدام القراءة الصامتة في معظم قراءاته لأنها أسرع وأكثر عوناً على الفهم وتوفر الوقت والجهد له.

ثانياً: يجب أن تكون قدوة أمام الطفل في حب القراءة والإكثار منها وتوفير البيئة المشجعة على القراءة بتوفير الكتب والقصص



والمجلات.

ثالثاً: اصطحب طفلك دائماً إلى المكتبة وعلّمه كيف تتعامل مع الكتب في نظام وتقدير، ثم يسِّر له إجراءات الانتقال إلى المكتبات العامة.

رابعاً: يجب تنمية الألفة بين الطفل والكتاب عن طريق قراءة الوالدين لأطفالهم بعض القصص المشوقة وعرض الصور بصورة جميلة.

خامساً: من الضروري توفير مناخ من الهدوء والسكينة داخل البيت للإقبال على القراءة.

سادساً: يجب توفير الغذاء الجيد المناسب للطفل حتى يستطيع أن يمارس عملية القراءة بنجاح.

سابعاً: لابد من تدريب الأطفال على قراءة العلامات وبعض الكلمات ومعرفة أسماء الشوارع وعناوين الميادين العامة للوصول إلى المكان المطلوب وهذه القراءة العملية البسيطة، ضرورية للطفل لبيان مدى أهمية القراءة في حياته العملية.

ثامناً: من الضروري تدريب الأطفال على تعرف تسلسل الأفكار والأحداث عن طريق قراءة قصة بسيطة لها بداية ووسط ونهاية وعن طريق اطلاعهم على مجموعة من الأحداث.

تاسعاً: يجب تدريب الطفل على تنمية مهارات الفهم والربط والاستنتاج والقراءة الناقدة وإبداء الرأي.

عاشراً: يلزم مساعدة الطفل على اكتساب المعلومات وتنفيذ التوجيهات المكتوبة، وهذه القراءات تساعد الطفل على فهم المعنى عن طريق تعرف الكلمات وتصبح القراءة لها قيمة حقيقية لدى الطفل.

وكلما كان هناك دوافع لدى الطفل لحبه للقراءة وجب علينا أن نهيئ له: المكان الجيد ـ التهوية ـ البيئة النظيفة ـ المكان الهادئ وهذا بدوره يؤدي إلى تقوية دافع القراءة لدى الطفل، كما يكتسب الطفل من حبه للقراءة أنه يتعود على معرفة مفاهيم دينه وجوهر عقيدته مما يقوي لديه حب الإيمان وتقوى الله مصداقاً لقوله تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله).

من هنا نوجه دعوة إلى كل الآباء والأمهات والمربين أن يساعدوا أطفالهم على حب القراءة والمعرفة وأن يوفروا لهم كل السبل التي تعمل على خلق جيل مثقف ومسلح بشتى أنواع المعرفة الإنسانية لمواجهة أخطار الفكر المستورد ومحاربته بالمعرفة والثقافة الإسلامية. ■

محتويات حقيبتي

بقلم : رفاه أحمد مهندس

حمَّلت حقائبي بأشرطة «الكاسيت» تحمل عناوينها كطفلة غِرَّة تخشى على أشيائها الثمينة. الطفل والبحر ونشيد المستقبل ونبع الحب

هذه الأغاريد تحتفي بها الطفولة، فتشدو لها من ذات نفسها شدواً تطيب فيها نفوسهم، وتتلون أحلامهم شفافة كألوان قوس قزح لتترجم فيها مشاعر مخبوءة وأحاسيس دفاقة في قلوب وأخيلة الصغار.

رحمتك يا رب.. لقد أجبت دعاءنا.. ورحمت آهاتنا ... ولطالما استجرنا طويلاً مما كنا نسميه أغاريد الطفولة فكنا إذ نترنم نردد كالببغاوات:

يا بياع الكرزة
الله رزق الله رزق
حاج تصيح وتنادي
فيقتي لي وليداتي



يبتعلك «حمىً» تكون: واحد اثنين ثلاثة أربعة....

فيعلوا إذ ذاك نداء أمي الحبيب يقرّعني:

عيب يا رفاه.. الحمى تحدف على عدوك

فيكون ذاك درساً أتعلمه ولكني أبحث عن شيء أردده فيلهو به لساني، وألاعب به أترابي.

وإذا ما مرت أصوات الأطفال في الحارة تتظاهر حناجرهم في حماسة وتوثب:

يا حاج محمد يويو
أعطينا حصانك يويو
أشد وأركب يويو

إلى آخر ما يرددونه فنردد خلفهم ونحن لا نعي عمن يتكلمون:

محمد ما مات خلَّف بنات

حتى بدأت تكبر المعاني في أذهاننا ونكتشف أن الذين أجروا هذا الكلام إنما كانوا يسبّون به ديناً ونبياً، وأن الذين يرددونه لا يعون من حقيقته إلا تطابق القافية ليكون في آذانهم جرساً يقع من نفوسهم موقع الرضى والاستحسان.

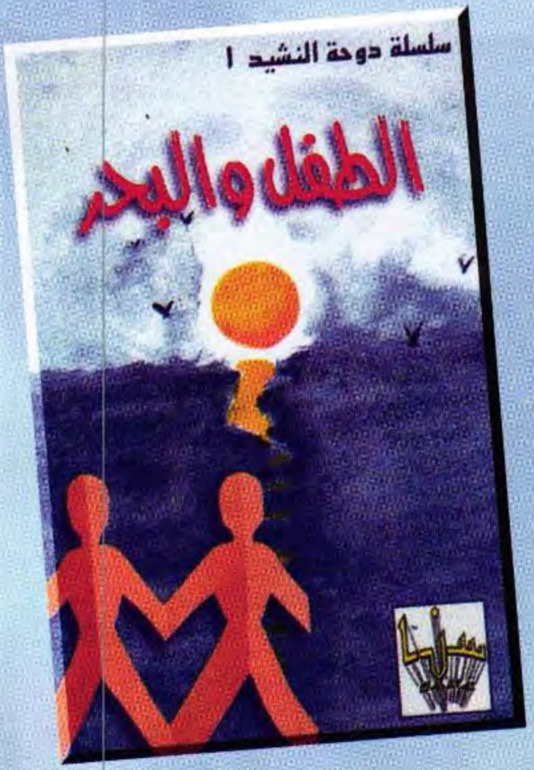
وكنا إذا رأينا طفلاً في مهده رددنا على مسامعه:

ماما زمنها جاية
جاية بعد شوية
جايبة لعب وحاجات

إلى آخر هذه الدعابة نسمعها صوتاً ونراها مغنَّاة صورة يحكم مقاطعها صوت طفل يناغي مناغاة محببة بإشارات جميلة.

وحقيقتها أنها تسلي بفرحتها لأنها تذكّر من يسمعها بأحلى أيامه... أيام الطفولة الحابية.

وكم كنت أظن أن فيروز تغني للأطفال عن



الطائرة، وما تحمله من أحلام جميلة تسكن مخيلتنا الصغيرة وهي تحاول أن ترسم للعالم من حولنا صورة جميلة نطير فيها مع ذرات الهواء.

ولكننا من بعد صرنا نناقش هذه الكلمات وهي غير ذات رقيّ في مدلولها:

طيري يا طيارة طيري
يا ورق وخيطان
بدي أرجع بنت صغيرة
على سطح الجيران
وينسانا الزمان
على سطح الجيران

وهذه الكلمات ترمي شباكاً لما هو أبعد من عالم الطفولة البريء الطاهرة مع بساطتها.

وكم كنَّا نبحث في القصائد المدرسية عن شيء ننغمه لنردده من بعد، ثم ننسى أنغامنا لأنها «انفرادية» ومع مرِّ الأيام صارت القصائد نفسها تُنسى..

وبقي الأمل حبيس الوجدان تكبر أحلامه في أن نصوغ لأبنائنا حاضراً أزهى من ماضينا.. حاضراً يرسمه خيال شاعر يحب أمته ويحسُّ بمواجد الصغار وما يؤهلهم ليكونوا رجالاً حماة كُماة.

إن أروع ما نقدمه لأرواح بريئة رفرافة كالنسيم العاطر أن نجعل العاطفة مترجمة

بين أسماعهم وأبصارهم في كلمات وأنغام يسمعونها بآذانهم ويكررونها بأفواههم تنبعث منها أنفاس الحياة، ويلهثون بتكرارها وكأنهم يتشبعون بمعانيها حسب لهثاتهم إلى أن تغني من حولهم الحياة وهم يكررون أجمل المقاطع، من وحي صورة حية... في إطار قصة شعرية... قدمتها لهم دوحة النشيد:

أمام البحر قد وقفا
صبي يجمع الصدفا
وحين الموج بلله
أحسَّ البرد فارتجفا

إلى أن تنبسط المعاني في روحانية غير مفتعلة:

وقال البحر يا ولدي
سل الأسماك في كبدي
وسل موجي تجد قلبي
بحب الله قد هتفا

كما أن في شخصية الإنسان روحاً كامنة ترسم ملامحها منذ اللحظة الأولى التي تعانقه فيها قوانين الحياة، تلك اللحظة التي يقضيها خائفاً متلهفاً في هذه الأرض التي هي قدره.

فكيف إذا ما حمَّلت طفولته معاني الحب، وغرست في روحه شتلات الإيمان بعمق جذورها تسقيها وترويها أنغام وكلمات وألحان..

فلا شك بأن الكون كله كأنما يشدو حينما تشدو القلوب:

حملت الحب في القلب
سكبت الحب في الدرب
تعالوا فتشوا عمري
فلن تلقوا سوى الحب
أحب الزهر في البستان
أحب الطير والغزلان
وموج البحر والشطآن
وما في العالم الرحب

كلمات بسيطة تفور في أعماق الوجدان فتحمله الرسائل الجليلة... بيد أن أعطاف الدنى لتهتز طرباً ونشوة ووليدها البرعم يحمل المعاني العظيمة، ليتردد صداها بين جدران قلبه الصغير حتى ليسمع الوجود نبضه.

نبسم نمرح نجري نحيا
في حب وصفاء
فلقد خلق الله الدنيا
باسمة الأرجاء
نهتف يا أبنائي هيا
هيا يا أبناء
عملاً سعياً جوداً هدياً

فالإيمان عطاء

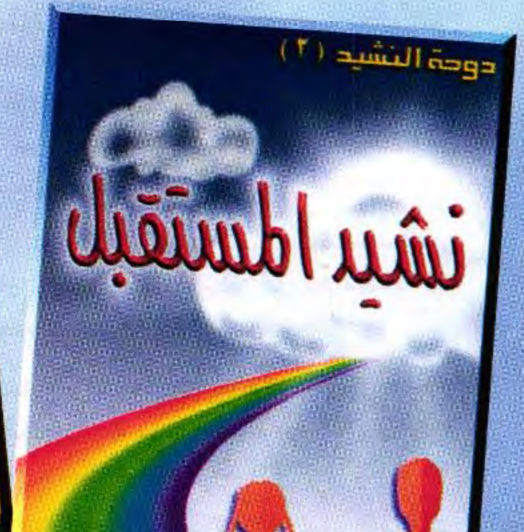
ولا شك كذلك أن قوة اللغة في بساطة تراكيبها حينما تؤدي معنى ينسكب في نفس سامعه وقائله ليكون أبلغ، أو تبلغ شأناً أعظم عندما تتسلل الكلمات اللطيفة برقتها لتعكس صورة الأشياء المألوفة ملونة بألوان جديدة تترجم أحاسيساها تحت وهج الشمس، أو مع انسياب أنوار القمر، أو بين أمواج بحر وجريان نهر، أو تحت ظل الشجر الوارف لتطير مع العصافير، وتحط على الزهر كالنحل، أو مع المطر ينهل بماء الحياة فيحييه.

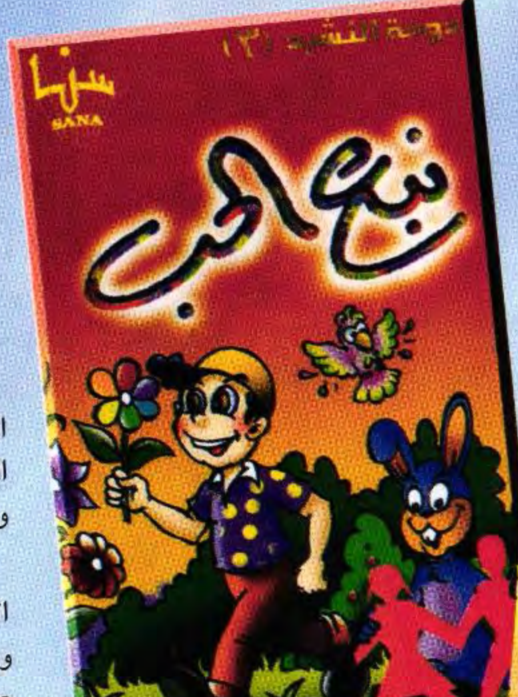
صور شعرية جميلة تتحرك ظلالها وتعابيرها في الأسماع الصغيرة مدوية بمعانيها الكبيرة... وبهذا تتفوق مجموعة السنا، وهي تلقي بإضاءاتها النيرة، ثم تترجم الصور شعراً.

على لسان الشمس يقول:
قالت لأشعتها سيري
ما بين بيوت وقصور
بالعدل فلا فرق لدينا
ما بين غني وفقير
وللقمر يغني:
قالت له نجمة
يا صاحب الهمة
لن تغلب الظلمة
فأجابها: سنرى
ورمى على الأرض
بشعاعه الفضي
ومشى إلى الروض
ليصافح الشجر
من نوره الهادي
الآسر الشادي
قد أشرق الوادي
وبحسنه افتخرا

إن الكثير من البيوت لم تعد تظلها إلا الستائر، ولم تعد تنيرها إلا أفكار القنوات الفضائية، ولم تعد تغذيها إلا «البيتزا» و«البرغر» على طريقة مشوهة رعناء.

لقد فقد الطفل المعاصر - في كثير من الأحيان - توازن العواطف وتوازن العطاء... والرحمة الهادية والكلام الجميل حينا يصوغ صور الأشياء. فلعل أصداء «دوحة النشيد» وهي تفيض:





بـ «نبع الحب» وتحمل معها بشريات «نشيد المستقبل». وتأبى إلا المواجهة بين «الطفل والبحر». لعلها تحمل في صدق غايتها... ونبل مراميها.. ورفعة المعنى في لطافة المغنى... إذ تحمل مناعة لهوية الطفل المعاصر من أن تذوب أمام تيارات «الباربي» و«البوكاهنتس» والـ«ستيفنس» وغيرها مما بين سمعهم وملء البصر لعل «دوحة النشيد» تعيننا في حماية صغارنا ورثة المستقبل من لوثات العصر وانتكاسات الذوق الإنساني الرفيع. ولعلها تعين في رفع الحصار أمام البيان المفيد في لثغة صغارنا وما يحملون من مشاعر تفيض إذ تفيض في قلوبهم ولا يستطيعون لها ترجماناً.

ولكني وأنا أحمل فرحة كلمات كُتبت من واقع تربوي ونظرة واثقة، وأدب رفيع أصيل، تحملها ألحان عفوية مطابقة لهدف الكلمة «أعتب إذ أعتب».

لأننا وعلى الرغم من أن لكل شريط كتاباً خاصاً به، قد كُتبت فيه القصائد بخط واضح «مشكّل» في غالب الأحيان إلا أننا في زمن الصورة المتحركة، نحتاج إلى تسجيل صوتي مرئي يقدم الصورة الأسرة بحسب موضوعات الأغاريد: صور عن البحر وعنفوانه، عن النهر وانعطافاته، عن العصافير ومحطاتها، حتى تؤدي دوراً في البناء أقْوَم، وتصيب هدفاً في الذاكرة أبلغ وأعظم. كما أن عتبي لا حدود له على كل تربوي ناجح، وعلى كل مدير أو مديرة لمدرسة، أو مسؤول أو مسؤولة في حقول التربية بكل اختصاصاتها، إن لم تُقرر هذه المواد الأدبية مصوغة بسلسلة للنشيد من أهم مواد الدراسة والتوجيه نصوصاً ومحفوظات، ترداداً تعليمياً ونشيداً تربوياً، وبخاصة إذا ما تأمل المعنيون بخبرتهم الصيغ التعبيرية، وما تحتويه من بساطة في الشكل، وقوة في المضمون.

ذلك إيماناً منا بأن أرواح أبنائنا وبناتنا كالزهر في الروض ينتظر الندى، وتتوق أعطافه إلى المطر، حتى يتسنى له من بعد أن يَهَبَ الشذىٰ ويمنح العبير، ويسمو على سوق قد استغلظت جذوره ضاربة في عمق الأرض. وبعد أفلا يحق لي أن أستمسك بمحتويات حقائبي الغالية...؟! ■

لا تيأسي

بقلم: محمد رشيد العويد

من أكثر ما أخشى عليك أختي المسلمة المؤمنة اليأس، اليأس الذي يضعفك، وينال منك، ويتعارض مع إيمانك بالله وحسن الظن به: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف: ٨٧، قال القرطبي: «إن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدة»، والآية «دليل على أن القنوط من الكبائر، وهو اليأس».

وحتى لا يكون الكلام نظرياً... اقرأي معي هذه الكلمات لفتاة كانت الأولى على زميلاتها في الثانوية العامة المصرية: «سر نجاحي وتفوقي يرجع أولاً وأخيراً إلى توفيق من عند الله وإلى رضاه عني، فأنا أصلي وأصوم وأتمنى زيارة بيت الله الحرام حينما تسمح الظروف».

ليست هذه الفتاة مبصرة، أجل... فقد فقدت نعمة البصر في العام الأول من حياتها بعد إصابتها بالحصبة، فأثرت حرارة جسدها على أعصاب عينيها فضمرت تماماً، ولم تنجح محاولات الأطباء في علاجها.

لم تيأس لأنها فقدت البصر، فهي مازالت تملك السمع واللمس، ها هي تذكر هاتين النعمتين وتقارن نفسها بالأديبة المشهورة هيلين كيلر، التي لم تفقد البصر فحسب، بل فقدت معهما السمع والنطق، تقول الفتاة، موضوع حديثنا «واسمها داليا»: «لماذا لا تكون هناك أكثر من معجزة؟ هيلين كيلر الأديبة المشهورة والمعجزة الصماء البكماء العمياء أنا أفضل منها... فأنا أملك حاستي السمع واللمس وهيلين لم تكن تملكهما ... فلماذا لا أحقق ما حققته بل أكثر؟».



هل رأيت كيف ترى نفسها في نعمة كبيرة لأنها تملك حاستي السمع واللمس؟ كيف قارنت نفسها بمن هي أقل منها في عدد حواسها ... وليس بمن هي أكثر منها في عدد حواسها؟

لماذا إذاً تشعرين أختي المسلمة باليأس إذ حلّت بك مصيبة تبقى أقل من مصيبة فقد البصر؟ وأنت المؤمنة بالله وقضائه؟

لماذا يحل بك القنوط إذا أصبت بمرض أضعف جسمك وأخذ من صحتك... لكنه - بإيمانك - لن يأخذ من روحك وعزيمتك وحسن ظنك بالله.

لماذا تشتكين إذا قلّ مالك... ولا تحمدين الله وأنت تنظرين إلى من هي أقل منك مالاً؟!

شرح الله صدرك إلى الرضى بما قضى الله وقدر، وألهمك الشكر على ما أنعم به وتفضل، وأخذ بيدك للعمل بما دعا إليه وأمر. ■

نافذة على العالم



حاول حلب أنثى الفيل فهشمت عظامه!!

أصابت أنثى فيل مزارعاً كينياً شاباً بجروح خطيرة عندما حاول حلبها أثناء تناولها الأعشاب مع صغيرها.

وقالت صحيفة ديلي نيشن إن المزراع (٢١ عاماً) زحف حتى وصل إلى أنثى الفيل، ونجح في الحصول على بعض الحليب منها قبل أن تدرك أن صغيرها ليس هو من يرضع.

وأطاحت الأم الغاضبة بالشاب ووعاءه في الهواء وتعقبته أثناء تسلقه شجرة قريبة حيث اقتلعت الشجرة من جذورها ولوحت بها في الهواء والشاب متشبث بفروعها.

ولم ينقذ الشاب سوى أصوات بعض النسوة التي شتت انتباه الأم، ولم يتضح سبب محاولة الشاب الذي أصيب بكسور في القفص الصدري والكتف للحصول على لبن أنثى الفيل.

الصين مهددة بالإيدز

توقع خبراء أن يصل عدد حاملي فيروس «ايتش: آي، في» المسبب للإيدز في الصين إلى عشرة ملايين بلحول العام ٢٠١٠م، إذا لم يتخذ إجراء ما وإذا لم تكن هناك خطة تعليمية للوقاية من الإيدز.

وقال خبراء من الصين والخارج لمناسبة اليوم العالمي للإيدز، إن الصين معرضة لانتشار الايدز بشكل وبائي نتيجة للجهل بالفيروس المسبب للمرض وانتشار المخدرات التي تتعاطى عن طريق الحقن.

كما حذرت وزارة الصحة الصينية من أن عدد الحالات الحاملة للفيروس في البلاد قد يزيد على مليون شخص بحلول العام ٢٠٠٠ إذا لم تطبق خطة فاعلة للتصدي لانتشار المرض بشكل وبائي.

٤٪ من الإيطاليات ضحايا الاغتصاب

كشف تقرير حديث صادر عن معهد الإحصاء الإيطالي «ايستات»، ومقره العاصمة روما، أن ما لا يقل عن ٤ في المئة من نساء إيطاليا من أعمار ١٤ إلى ٥٩ عاماً هن ضحايا للاغتصاب الجنسي، وأضاف التقرير أن مجموع النساء اللواتي تعرضن لعمليات تحرش ومضايقة جنسية يصل إلى تسعة ملايين. وأكد تقرير معهد الإحصاء الايطالي أن هذه الأحداث المروعة تكاد تمر من دون الإبلاغ عنها أو ملاحقة قانونية للجناة، نظراً لتفضيل الأغلبية العظمى من الضحايا السكوت وعدم الكشف عن الجريمة، سواء للشرطة أو للأهل، خوفاً من الفضيحة أو الإحراج أثناء التحقيق، ورغبة في الخروج من الحدث المأساوي في أسرع وقت ممكن عن طريق إدراجه في طي النسيان.

وتدور عمليات الاغتصاب على الأكثر في الشارع الإيطالي، وربما تجرى أيضاً في المنازل ومكاتب العمل ومحال اللقاء الاجتماعي بلا تمييز، ويحذر التقرير من أن ٢٩ في المئة من عمليات الاغتصاب ترتكب داخل البيوت المغلقة، بينما يقع ١٠,٥ في المئة منها داخل السيارات، ولا يُستثنى من هذه العمليات الأمكنة التي تعتبر «آمنة» تقليدياً وفي مقدمها مكاتب العمل أو الدكاكين وغيرها من الأماكن العمومية، كما تنتشر عمليات الابتزاز الجنسي بالنسبة للنساء العاملات سواء للتوظيف أو الترقية، أو حتى للاحتفاظ بالوظيفة تحت طائلة التهديد بالفصل لأسباب غير حقيقية.

وتعد نتائج المعهد الايطالي الرسمي الموثوق على درجة عالية من الدقة نظراً لشمول عينة البحث والاستقصاء ما لا يقل عن ٢٠ ألف فتاة وامرأة بين الرابعة عشرة والتاسعة والخمسين من العمر.

ومما كشف عنه التقرير أن شعوراً عارماً بانعدام الأمن يسود الشارع الايطالي، على عكس المعتقد حتى الآن بوصف إيطاليا من بلاد البحر المتوسط الآمنة نسبياً، حيث أزاحت نتائج الإحصاء الستار عن أن ما يصل إلى ١٤ مليون سيدة في إيطاليا يخشين السير بغير رفقة رجالهن في الشوارع المظلمة أو في الأمكنة المهجورة في أي وقت من النهار، كذلك يغلب إحساس عام بعدم الثقة في العثور على الجناة، حيث كشف استقصاء آخر عن أنه من بين ثلاثة ملايين و ٦٠٠ ألف جريمة ارتكبت في غضون العام الماضي، وحده في عموم إيطاليا لم تنجح الشرطة وقوات الأمن في ضبط أكثر من مليون و٤٠٠ ألف شخص من الجناة المسؤولين عنها، أي ما يزيد عن الثلث بقليل.

ولفت المعهد الإيطالي أيضاً إلى تزايد معدلات جرائم الابتزاز والتهديد، إذ يلجأ ما لا يقل عن ٦٠ ألف شخص إلى تغيير محال سكناهم كل عام هرباً من التهديد أو الابتزاز أو خوفاً من وقوع جرائم في مناطق يعتبرونها تفتقر إلى شروط الأمن العام وسط عجز قوات الشرطة عن فعل أي شيء لحمايتهم.

مليون جريمة و ٢٤ ألف قتيل خلال ١٠ أشهر في روسيا

كشفت المصادر الرسمية في موسكو عن ارتفاع معدلات الجريمة في روسيا ودعت إلى ضرورة اتخاذ الإجراءات الاستثنائية اللازمة لمواجهة هذه المشكلة، وكان الجنرال فلاديمير كوليسنيكوف النائب الأول لوزير الداخلية قد أشار في حديث تلفازي إلى أن دعوة يفغيني بريماكوف رئيس الحكومة وسيرغي ستيباشين وزير الداخلية بشأن اتخاذ إجراءات أكثر حسماً للتصدي للجريمة تتفق مع القانون بما في ذلك ما يُقال حول التصفية الجسدية للعناصر الإجرامية في حال المقاومة المسلحة.

وقال إن الأشهر العشرة الأخيرة من هذا العام شهدت ارتكاب ما يزيد عن مليوني جريمة، ومقتل ٢٤ ألف مواطن، وأضاف أنه مع نهاية هذا العام سيقتل ما يزيد عن ستة آلاف وخمسمئة مواطن، إلى جانب ارتكاب ما يزيد عن ١٤٨ ألف حادث سطو واعتداء مسلح.

وقال المسؤول الأمني الروسي إنه وبالرغم عن عدم توافر القاعدة المادية، والتشريعية اللازمة فقد استطاعت الأجهزة الروسية الكشف عن ملابسات ٨٠ في المئة من جرائم القتل منها ٢٢١ جريمة قتل مأجور و ٤٥٠ عصابة، إضافة إلى مئتي ألف قطعة سلاح وخمسة ملايين قطعة ذخيرة، وطالب بتشديد العقوبات لامتلاك السلاح من دون ترخيص رسمي.

عشر مراحل أنهتها إسرائيل لهدم المسجد الأقصى

عرض تقرير أكاديمي أعده مركز الدراسات المعاصرة في مدينة أم الفحم الفلسطينية في أراضي العام ١٩٤٨م مراحل تقود إلى سيطرة الاحتلال الإسرائيلي على المسجد الأقصى في إطار عملية التهويد وتقويض بناء المسجد الأقصى حيث مرت هذه العملية بعشر مراحل:

ـ المرحلة الأولى: تمتد من أواخر العام ١٩٦٧م حتى نهاية العام ١٩٦٨م وتميزت بحفر ٧٠ متراً أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي خلف المئذنة الفخرية.

المرحلة الثانية: من العام ١٩٦٩م حتى العام ١٩٧٠م وقد وصلت الحفريات الإسرائيلية خلالها إلى أسفل المحكمة الشرعية، وخمسة أبواب هي أبواب السلسلة والمطهرة والقطانين والحديد وعلاء الدين البصري، إضافة إلى أربعة مساجد ومئذنة قايتباي وسوق القطانين، وأدت الحفريات وأعمال التهويد إلى تحويل قسم من المحكمة الإسلامية إلى كنيس وتصدع المعالم التاريخية لرباط الكرد والمدرسة الجوهرية.

ـ المرحلتان الرابعة والخامسة امتدتا من العام ١٩٧٣م حتى أواخر ١٩٧٥م: وسملتا المنطقة الواقعة خلف الحائط الجنوبي الممتد أسفل القسم الشرقي للمسجد وسور الحرم القدسي الشريف، بطول ٨٠ متراً كما شملتا الأروقة السفلية للحرم الشريف.

ـ المرحلة السادسة: بدأت العام ١٩٧٥م وهدفت إلى إزالة قبور الصحابة وإقامة جزء من المتنزه الوطني الإسرائيلي.

ـ المرحلة السابعة: جاءت تطبيقاً لمشروع اللجنة الوزارية الإسرائيلية للعام ١٩٧٥ القاضي بضم الممتلكات الإسلامية نهائياً إلى حائط البراق والذي يطلق عليه اليهود «المبكى» واستمرار الحفريات تحت المحكمة الشرعية والمكتبة الخالدية وزاوية أبو مدين الغوث، وقد انهارت كلها إضافة إلى ٣٥ بيتاً.

المرحلة الثامنة: تعتبر هذه المرحلة التي انطلقت مع بدايات الثمانينات تحت شعار «كشف مدافن وملوك إسرائيل» من أخطر الحفريات التي طالت المسجد الأقصى، إذ حفر عدد كبير من الأنفاق التي لا تزال طي الكتمان، وأشار تقرير مركز الدراسات المعاصرة إلى افتضاح أمر هذه الحفريات على يد الشيخ رائد صلاح رئيس بلدية أم الفحم وجمعية الأقصى، ودائرة الأوقاف الإسلامية في القدس، وفي هذه المرة وقعت مواجهات دامية بين المصلين والمستعمرين اليهود وخلالها بدأ الحفر تحت المسجد الأقصى مباشرة.

ـ المرحلة التاسعة: بدأ تنفيذها العام ١٩٨١، وفيها أعيد فتح النفق الذي اكتشفه الكولونيل الإنكليزي تشارلز وران قبل أكثر من مئة عام وتم إغلاقه فيما بعد، بينما بدأت دائرة الآثار الإسرائيلية الحفر باتجاه الحرم الشريف مباشرة في الجانب الأسفل منه وفي منطقة المطهرة بين بابي الحرم والسلسلة والقطانين مخترقاً باب المغاربة ويمتد إلى المنطقة السفلى تحت المسجد الأقصى وزعمت إسرائيل أن الجدران المكتشفة في النفق تعود لهيكل سليمان وأطلقت عليه نفق «الحشمونئيم» رغم أن علماء آثار يهودا قضوا أكثر من عقدين من السنين في البحث عن أي أثر لما تذهب إليه مزاعم الحاخامات فلم يعثروا على ضالتهم، وأعلنوا قبل نحو العام في ١٩٩٧م أن لا آثار يهودية في منطقة الأقصى.



ورغم ذلك، فإن الإسرائيل بدأت المرحلة العاشرة بأن توجت هذه المرحلة بافتتاح جزء من نفق الحشمونئيم مساء يوم الاثنين ٢٤ من سبتمبر ١٩٩٦م طوله ٢٥٠ متراً، وأسفر الإعلان عن افتتاحه بحضور كبار المسؤولين الإسرائيليين إلى اندلاع موجة مواجهات هي الأعنف بسبب المسجد الأقصى، مما اضطر الحكومة الإسرائيلية إلى التراجع، وإشاعة إغلاق النفق، وكانت حفريات الحكومة الإسرائيلية قد امتدت على طول أساسات حائط المسجد الأقصى، ويبدأ من حائط البراق «المبكى» أسفل الحرم حتى يصل إلى شمال الحي الإسلامي.

وكان جزء من النفق قد فتح بعد احتلال القدس مباشرة وهو النفق نفسه الذي يمر بشبكة من الأقبية المفقودة في أيام حكم المماليك وفتح الجزء الثاني منه العام ١٩٨٧، وهو يعود للعهد الروماني، كما أكدت الحفريات الإسرائيلية نفسها.



قيمة عطور الغرب ضعف كلفة التعليم الأساسي في المعمورة

يتناول الخمس الأغنى من السكان اللحوم في فترات تزيد ١١ مرة عن فترات تناولها من قبل الخمس الأفقر من سكان العالم، وينفق الأميركيون والأوروبيون ١٢ مليار دولار على اقتناء الروائح والعطور سنوياً، وهذا مبلغ يكفي مرتين لتغطية نفقات التعليم الأساسي لكل شخص يحتاج إليه في شتى بقاع العالم، كما ينفق الأوروبيون ١٧ مليار دولار سنوياً على شراء غذاء الحيوانات المنزلية، فيما لا يتمتع ٤,٤ مليار من سكان الدول النامية بسكن لائق. هذه الأرقام جاءت في تقارير منظمات دولية وحكومية مختلفة نشرت أخيراً.

وجاء ضمنها أيضاً أن الدعارة في الدول الفقيرة تشكل مدخولاتها في أندونيسيا وتايلاند وماليزيا، والفلبين بين ٢ و ١٤ في المئة من الناتج الإجمالي القومي حسب تقديرات منظمة العمل الدولية، وتعتبر منطقة ماينمار في بورما المصدر الرئيسي لأكثر من ٦٠ في المئة من موارد زراعة الأفيون الذي يمكن أن يستخلص منه ٢٣٦ طناً من الهيروين، أي أكثر من الهيروين، أي أكثر من حاجات العالم منه، حسب إحصاءات وزارة الخارجية الأميركية.

وينفق الأميركيون والأوروبيون ٨ مليارات دولار على مستحضرات التجميل سنوياً، كما ينفق طفل واحد في الدول الصناعية، ما يعادل إنفاق ٣٠ طفلاً من الدول النامية، ويسهم في تلويث البيئة ٣٠ مرة أكثر من أي متهم، وفيما تعاني مناطق الدول النامية من ازدياد قطع الغابات، فإن نصف أخشابها تستخدم من قبل سكان الدول الصناعية. ويملك ٢٢٥ من أغنياء العالم، ضمنهم ٦٠ من الولايات المتحدة ثروات تصل مجموعها إلى تريليون دولار، أي ما يقابل مدخولات ٢,٥ مليار شخص فقير من سكان العالم النامي، ويمتلك أغنى ١٥ شخصاً في العالم أموالاً تزيد عن الناتج القومي لكل دول أفريقيا جنوب الصحراء.

وتشير تقديرات معهد «ورلدوتش» إلى اقتراب تفجر أزمة تعليمية في الدول النامية، فيما ستزدلد أعداد الأطفال في سن الدراسة الابتدائية ١٠ في المئة في أميركا بين عامي ١٩٩٥ و ٢٠٥٠م، فإنها ستزداد بنسبة ٧٧ في المئة في نيجيريا و ٥١ في المئة في باكستان، أما روسيا فستشهد هبوط الأعداد بنسبة ٣٩ في المئة، كما ستهبط في اليابان وفي الصين بنسبة ٢١ في المئة لكل منهما. وتظهر ٩٠ في المئة من حالات الوفاة بسبب تلوث أجواء الأرض في الدول المتقدمة صناعياً، ٨٠ في المئة منها بسبب التلوث الداخلي نتيجة عدم توافر منازل الفقراء على الوقود النقي واعتمادهم على الأخشاب والمخلفات في الطهي والتدفئة.

ويتضمن تقرير لهيئة التنمية البشرية التابع للأمم المتحدة بعض التفاؤل بخصوص انخفاض معدلات وفيات الأطفال في الدول النامية إلى أقل من نصف معدلاتها السابقة خلال الـ٣٥ عاماً الماضية، أي من ١٤٩ وفاة إلى ٦٥ وفاة لكل ألف منهم، وتتجهز كل عائلة في الصين حالياً بثلاجة منزلية فيما يمتلك فرد من كل عائلة في الهند على الأقل ساعة يدوية.

وتمثل الولايات المتحدة أغنى دولة في العالم من ناحية متوسط الدخل، إلا أن حصتها من الفقر هي الأعلى في العالم حسب المعايير التي وضعها برنامج الأمم المتحدة للتنمية، ويتعرض ٢٠ من العاملين في أميركا للقتل أسبوعياً، وأكثر المتعرضين المحتملين للقتل هم سائقو السيارات، وسيارات الأجرة، ورجال الشرطة، ورجال إطفاء الحرائق، كما تعتبر الولايات المتحدة من أكثر الدول استقبالاً للطلاب، حيث يسجل فيها ٤٥٣,٧٨٧ طالباً العام ١٩٩٧ حسب إحصاءات منظمة اليونسكو، يشكل الآسيويون الحصة الكبرى منهم: أكثر من ٧٢ ألفاً قدموا من الصين و ١٢ ألفاً من هونغ كونغ، وأكثر من ٤٥ ألفاً من اليابان.

وتحتل نيويورك، من حيث الكثافة السكانية، الموقع الرابع بين مدن العالم الكبرى بعد طوكيو ومكسيكو وساوباولو، لكن أغلى أسعار استئجار المكاتب في العالم يقع في منطقة ويست ايند في لندن، حيث يكلف إيجار القدم المربعة الواحدة أكثر من ١١٣ دولاراً في السنة، وتحتل منطقة مانهاتن الموقع الثالث في ارتفاع الإيجارات بعد منطقة لندن الكبرى ومدينة موسكو.

تحويل ٣٣ مسجداً في الخليل إلى كنس يهودية

أوضح تقرير ورد من مدينة الخليل أن السلطات الإسرائيلية عملت على تحويل ٣٣ مسجداً إسلامياً واقعة ضمن الأحياء الداخلية من مدينة الخليل الخاضعة للاحتلال إلى كنس لليهود.

وجاء في التقرير الذي قُدّم لمكتب الأمم المتحدة في عمان أن السلطات الإسرائيلية خالفت القوانين والشرائع الدولية التي تحظر إجراء أي تغيير على مواقع الأماكن الخاضعة للاحتلال العسكري الموقت، وأوضح التقرير أن من بين المساجد التي سيطرت عليها إسرائيل وحوّلتها إلى كنس في مدينة الخليل الحرم الإبراهيمي ومسجد عثمان بن عفان، والزاوية، والبركة، والتوفيق، وجبل الرحمة، وخالد بن الوليد، والريش، والإشراق، والقدري، والسواكنة، والشبلي، والشيخ رشيد، وعلي بكا، والصديق، وطارق بن زياد، وقيطون، والكيالي، والقزازين، والأربعين، والوكالة، والوهبة، والهدى، والزاهدة، والمؤمنون، وجوهر، والأقطاب، والشهداء، والفاروق، وأبوعبيدة، وحاضور.

وأشار التقرير إلى قيام السلطات الإسرائيلية بالسيطرة على الكثير من المقابر الإسلامية في وسط مدينة الخليل، وتحويلها إلى ثكنات دائمة لمعسكرات الجيش الإسرائيلي وسط مدينة الخليل.

خلجات شاعر ليلة العيد

شعر
محمود محمد إبراهيم أحمد

يا شريد الأفكار هل بك ما بي
من هموم ولوعة واكتئاب

لست تدري بأي عينيك تبكي
وبأي الألفاظ تلقى عتابي؟

ادن مني وبثّ كل شكاة
علّها أن تزول بعض الصعاب

أيها الواله المؤرّق هوناً
ربما كنت مخطئاً في الحساب

قد جعلت الهموم والغم زاداً
واتخذت الأحزان أروى شراب

يا قريح الأجفان هل أنت صبٌّ
شفك الوجد بالجوى والعذاب

ترقب النجم بازغاً وأفولاً
هل ترى صرت مولعاً بالتصابي؟

مقدم العيد يفرح الناس. عهدي.
فيتيهون في قشيب الثياب

ويطيرون في الفضاء سروراً
ويغنون فوق خضر الروابي

وتشع الأنوار من كل وجه
وتطل الأفراح من كل باب

بينما أنت مكفهرُ المحيا
لا تبالي بأغنيات عذاب

يا صديقي لو أن صدرك فيه
مثل قلبي لما نكرت ارتيابي

إن عينيَ فيهما كل سر
وجواب عن شقوتي وعذابي

فنحيبي يريك كل بلائي
ودموعي تريك هول مصابي

فتأمل هذي الدموع تشاهد
صور الحزن مفصحات الجواب

هذه دمعة لطفل يتيم
قذف الحقد أهله في التراب

وصغير يهوى رجوع أبيه
من سجون الطغيان والإرهاب

هذه رحمة لطفل ظمي
يُحرم الري من بحار السراب
صار بالجوع في العراء كسيحاً
طعمة الوحش وانتهاب العقاب
هذه حسرة لعذراء خدر
جرجرتها في العار كف الغلاب
نزعوها من بيت عزٍ تردى
كان أسمى من ناطحات السحاب
كان يوماً تنساب منه لحون
فاستحالت إلى نعيق غراب
هذه زفرة لشيخ يصلي
عاذ بالبيت من نذير الشهاب
مزّقته قذائف اللؤم غدرا
وهو يدعو قبالة المحراب
هذه شهقة لثكلى عجوز
وهي تبكي على فتيّ الشباب
ذبحوه في حجرها دون جرم
ثم سوّوا عظامه بالتراب
هذه لهفة لحقل نضير
أصبح الآن كالحزون الصلاب
هذه عبرة لروض بهيج
صار مأوى ثعالب وكلاب
هذه رأفة لشعب كريم
مزقته الأطماع بالأنياب
أيها الشاعر الذي ألهبته
صرخات الأشباح طيّ الثياب
كفكف الدمع يا أُخيّ وحاول
أن تعيش الحياة كالأتراب
يا صديقي أراك غير محق
لا تكن هكذا مرير العتاب
أيّ حرٍ في الأرض كيف يغني؟
كيف يرضى بدانيات الرغاب
لا يبالي بمقدم العيد مثلي
والأسارى قد أمعنوا في الغياب

لست طفلاً تروضه بعض حلوى
أو يُلَهّى بدمية في جراب
وحقوق الإنسان صارت خيالاً
وحروفاً مرموقة بالسحاب
فهو يحيا حياة هون ويرضى
بشعار مغلف بالكذاب
نحن في عالم عجيب مريب
شانه الوجه دون أي حجاب
ليس والله شاعراً من يغني
وضجيج الأحزان فوق القباب
أتريدون أن أروح وأغدو؟
وأصم الآذان كالمتغابي؟
أتريدون أن أغني لليلى
أو للُبنى وأشتكي من رباب؟
أتريدون أن يغني أسير
وهو للسيف دائماً في ارتقاب؟
إن هذا والله جدُ بعيد
دونه إن أردت حزّ الرقاب
أنا حيٌ ولي فؤاد وروح
لستُ جلفاً كهذه الأنصاب
ما بقلبي تلهف لحبيب
أو لقاء أو نظرة من كعاب
بيد أني أحار فيما أراه
وسؤالي يظل دون جواب
هل يرى الناس منقذاً ذات يوم
يخرج الخلق من خضم العباب؟
إن حال الإنسان في الكون يبكي
والى الله أشتكي كل ما بي
نحن في الهمّ والبلاء سواء
وكلانا يريد أسمى الطلاب
فتهيأ وسرْ وئيداً وكبّر
وامض للفجر في خطى الوثاب
كلما تحلك السماء فويقي
يشرق النور من ثنايا السحاب

ثمرات الفكر

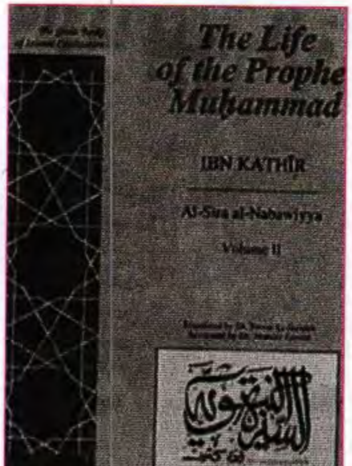
إعداد: محمد هاني

المياه واستراتيجية إسرائيل

صدر عن شركة رياض الريس للكتب والنشر بيروت كتاب جديد للمهندس طارق المجذوب بعنوان «لا أحد يشرب - مشاريع المياه في استراتيجية إسرائيل»، ويتألف الكتاب من أربعة فصول يتحدث المؤلف في الفصل الأول عن أطماع إسرائيل في مياه جنوب لبنان والجولان ومصر، وفي الفصل الثاني يتناول تكتيك إسرائيل في المفاوضات المتعددة الأطراف حول المياه، ويؤكد في الفصل الثالث أن المياه جسر عبر إسرائيل إلى المجتمع العربي، وفي الفصل الرابع يتناول المؤلف استشراف آفاق التعاون المائي بين العرب ودول الجوار الجغرافي، ويعالج هذا الكتاب الحافل بالجداول والخرائط والرسوم البيانية أطماع إسرائيل المائية، ومشاريعها المائية الجديدة والقديمة «قناة البحرين والقناة المائية العازلة في الجولان، والأكياس المائية العامة في تركيا ومشروع الأبراج الحرارية لتحلية مياه البحر».

ولا يكتفي الكتاب بطرح الاستراتيجية المائية الإسرائيلية، بل يبلور الرد العربي المقترح عليها بأسلوب ممتع ومفعم بالحجج المنطقية والاستشهادات الواقعية.

السيرة النبوية باللغة الانكليزية



صدر حديثاً كتاب يحمل عنوان «حياة الرسول محمد: السيرة النبوية» لابن كثير، قام بترجمته إلى اللغة الإنكليزية البروفيسور تريفور لوكاسيك وراجعه الدكتور أحمد فريد والدكتور منير فريد.

ويعتبر الكتاب من أهم الكتب التي صدرت عن دار جارنيت للنشر ضمن سلسلة الحضارة الإسلامية، بهدف وضع النصوص الإسلامية الكلاسيكية في متناول المتكلمين بالإنكليزية.

وكان الكتاب قد تم تجميعه في القرن الرابع عشر بفضل عالم بارز يدعى ابن كثير، قام فيه بدراسة شاملة حسب التسلسل التاريخي، لحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورسالته. وقد اعتمد في ذلك على مصادر عربية وأصلية ثابتة، والكتاب باللغة الإنكليزية يقدم أشمل دراسة حول الظروف والشخصيات التاريخية التي أسهمت في قيام الإسلام، وابن كثير يقدم عملاً راقياً دقيقاً حول العلم الإسلامي، وكل ما روي فيه وكل المقتطفات التي تشكل صلب الكتاب، تم شرحها وتقييمها حسب مصداقية أصلها ومصدرها، وتم تسجيل كل الاختلافات في نقل السيرة النبوية حتى ولو كانت اختلافاً في الكلمات فقط، كما أن ابن كثير لم يكتف بإعطاء شرحه فحسب، بل كان دائماً يدعمه بشرح وتفسير المصادر الإسلامية الأولى لتأكيد مصداقية وثائق الكتاب، وإلى جانب كل هذا، فإن التعليقات والحوارات المسجلة في هذا الكتاب والمقتطفة من النصوص القديمة تكون أساس المعرفة بالإسلام عند الأوروبيين الذين يودون تعلمه.

والكتاب مؤلف من أربعة مجلدات ففي المجلد الأول يربط المؤلف بين تاريخ القبائل العربية من أجداد النبي - صلى الله عليه وسلم، وحياة والديه، وروايات حول أحداث غريبة أحاطت بولادته، وبعد ذلك يربط الكاتب بين روايات طفولته وإشارات نبوية، وبداية الوحي.

وفي المجلد الثاني يتطرق الكاتب إلى السنوات الأولى من النبوة بما في ذلك الإسراء والمعراج وزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وبخاصة زواجه بعائشة - رضي الله عنها - والهجرة إلى المدينة.

كما يعطي الكتاب تفاصيل دقيقة عن السنتين اللتين تلتا الهجرة إلى المدينة، بما في ذلك بناء المسجد النبوي، وعدد من البعثات العسكرية، كما يشرح تطور الإسلام كدين وانتشاره في الأصقاع انطلاقاً من سياسة حكيمة تسامحت مع شعوب المناطق التي فتحها المسلمون.

ومع أن المترجم يعترف - بتواضع - أن الكتاب لابد وأن يحتوي على الأخطاء التي هي من «صفة البشر» فإن القارئ للنص الإنكليزي وبخلفية القارئ الغربي، سيكتشف حكماً الجهد الكبير الذي بذله في تقديم عمل مهم كالسيرة النبوية للمرة الأولى باللغة الإنكليزية وبصيغة كاملة فإذا كانت كتب السيرة والأحاديث النبوية باللغة العربية متوافرة في السابق للباحثين المستشرقين - وهم إجمالاً غير موضوعيين تجاه الإسلام والمسلمين - فإن وجود النص مترجماً وبأمانة إلى الإنكليزية لا يترك عذراً لأحد من الغربيين الراغبين فعلاً في معرفة الإسلام من مصادره الأساسية.

جوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

قدم وزير التربية والتعليم العالي الكويتي الدكتور عبدالعزيز الغانم نيابة عن أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح يوم ١٩٩٨/١١/٣٠م جوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي لـ١٤ باحثاً عربياً وكويتياً للعام ١٩٩٧م، وحجبت جوائز ٥ مجالات هي : العلوم الاقتصادية والاجتماعية والعلوم التطبيقية، وكذلك التراث العلمي العربي والإسلامي والتأليف والترجمة في العلوم، وأخيراً مجال أفضل كتاب مؤلف للطفل العربي. ونال الدكتور شيرين صلاح الدين عبدالحميد «مصر» جائزة مجال العلوم الأساسية «الفيزياء الحيوية»، والدكتورة فدوى مالطي دوغلاس «لبنان» المتخصصة في الأدب العربي الكلاسيكي جائزة مجال الفن والآداب «دراسات في النثر العربي القديم». وفيما يتعلق بجائزة معرض الكتاب العربي الثامن والعشرين للعام ١٩٩٧م، نال كتاب «روضة الأرواح» لمؤلفه محمد ناصر العجمي «الكويت» جائزة أفضل كتاب عن دولة الكويت، كما حصل الدكتور زاهي جوزف ناصر «لبنان» على جائزة أفضل كتاب بالفنون والآداب والإنسانيات عن مؤلفه «أمثالنا العامة»، وذلك مناصفة مع الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي «السعودية» صاحب كتاب «الخلف والخليف... أثرهما ونقوشهما الإسلامية».

وفي أفضل كتاب مترجم إلى اللغة العربية في الفنون والآداب، حصل على الجائزة كل من الدكتور، محمد نجيب الصبوة، والدكتور مصطفى كامل، والدكتور محمد الدقة «مصر» وذلك عن مؤلفهم «علم النفس المعرفي». وفي جائزة الإنتاج العلمي، نال الدكتور عبدالحميد الهاشم جائزة العلوم الهندسية، ونال أيضاً الدكتور ضاري العجمي «الكويت» جائزة العلوم الطبيعية والرياضية، كما حصلت الدكتورة سميرة أحمد سيد عمر «الكويت» على جائزة العلوم الحياتية، وجاءت جائزة العلوم الاقتصادية والإدارية من نصيب الدكتور نبيل اللوغاني «الكويت»، وجائزة العلوم الاجتماعية والإنسانية لصالح الدكتورة زينب علي الجبر «الكويت»، فيما حصل الدكتور ناصر حيات «الكويت» على جائزة العلوم الطبية، يذكر أن الجائزة التي تقدمها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي تبلغ قيمتها ٣٠ ألف دينار (نحو ١٠٠ ألف دولار أميركي) لكل عالم أو كاتب في مجال معين.

المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب

فتحي يكن - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م - ١٧٢ صفحة

يعرض المؤلف في كتابه المتغيرات العالمية التي ترتبت على انهيار المعسكر الشيوعي، وانفراط عقد المنظومة الاشتراكية وأحلافها العسكرية وما نتج عن أحداث الخليج والتفاعلات المختلفة التي يشهدها العالم اليوم في معظم دول القارات الخمس، ويعرض بالإضافة إلى ذلك النظام الدولي الجديد الذي لم تتضح معالمه بعد، ويركز في نهاية الكتاب على الدور الإسلامي المنتظر والمنشود في مواجهة هذه المتغيرات، وما نجم عنها من معادلات إقليمية ودولية، مؤكداً الحاجة إلى مشروع إسلامي حضاري ينهض بالأمة الإسلامية بعد تفككها إثر المؤامرة على الخلافة في مطلع هذا القرن، وزيادة المواجهة والحرب ضد الإسلام والمسلمين في كل مكان في الآونة الأخيرة.

في الباب الثالث والرابع يتحدث المؤلف عن مشروعه الحضاري بعنوان: «العمل الإسلامي بين النخبوية والجماهيرية وقضايا محورية في المشروع الإسلامي».

مصر بين التغريب والتكفير

عن دار الشروق المصرية صدر حديثاً كتاب بعنوان «مصر القادمة بين التغريب والتكفير» لمؤلفه الدكتور رفيق حبيب.

وهذا الكتاب يقدم محاولة لتصور أي محاولة لتقديم رؤية تحتاج إلى استكمالها وتطويرها وتعديلها، وهي رؤية تقوم في أساسها وجوهرها على تصور وتحديد وتعريف «الأنا» وعلى استيعاب ذاتنا الحضارية، ومن جانب آخر فإن الكتاب يركز على التيارات الأعلى صوتاً والأكثر تأثيراً، وكذلك التيارات النموذجية والأكثر تشدداً وتطرفاً بمعنى أن المعالجات تركز على الحالات النموذجية.

أخبار ثقافية

- تتواصل في قاعة الفن في العاصمة النمساوية حالياً وحتى الواحد والعشرين من شهر فبراير المقبل فعاليات معرض فني يحمل عنوان: اليمن والفن والآثار، تعرض في هذا المعرض نماذج لمجموعة الآثار التي ترجع إلى عصر ملكة سبأ وصورا فوتوغرافية تعبّر عن هذه الحضارة ومن بينها صورة لسد مأرب الشهير.
- أصدر المركز القومي للبحوث التابع لوزارة البحث العلمي المصرية موسوعة باللغة الإنكليزية عن أبرز العلماء الباحثين في المركز في مختلف التخصصات العلمية وتقع الموسوعة في أكثر من ٥٠٠ صفحة، وتتضمن تقريباً بـ ٤٧٠ عالماً من أبرز الأساتذة الباحثين في المركز القومي للبحوث بشعبه الثلاث عشرة وأقسامه الاثنتى والستين ووحداته التسع عشرة.
- أعلن السيد وسن وزير الثقافة البلجيكي أن العاصمة البلجيكية «بروكسيل» ستحتضن سنة ٢٠٠٠م مركزاً ثقافياً عربياً من أجل أبرز القيم ومحاربة مخاوف الآخر.
- أظهرت دراسة ميدانية أعدتها هيئة رسمية «ديوان الأسرة والعمران البشري» أن أكثر من ٧٥٪ من الشباب التونسي يفضلون مطالعة الصحف باللغة العربية فيما يميل أقل من ٤٪ إلى القراءة باللغة الفرنسية لكن أكثر من ١٧٪ من الشباب لا يقرأون أي نوع من الصحف.
- صدر في عمان عن مركز الأردن الجديد للدراسات كتاب جديد بعنوان: «المجتمع المدني ودراسة السياسة في الشرق الأوسط»، من تأليف «جيليان شويرلر» وترجمة صادق عودة واشتمل الكتاب على ٢٤ ملخصاً لدراسات حول الشرق الأوسط وضعت من قبل باحثين متخصصين في قضايا الشرق الأوسط.



روائـع الهندسـة المعماريـة الإسلاميـة

صدر في شهر أكتوبر الماضي كتاب يحمل عنوان قصة الهندسة المعمارية الإسلامية ضمن منشورات «جارنيت» بقلم «ريتشارد يومانز» منسق الفن والتصميم في معهد التربية بجامعة ورديك ويرى المؤلف أنه ليس هناك ما يفوق التمتع بعمل دين حي مثل الإسلام في قالبه الهندسي إلا في جامع دمشق الأكبر، كما أنه هو المكان المناسب لبداية الحديث عن تاريخ الهندسة المعمارية الإسلامية، إذ إنه تم بناء الجامع العام ٧١٥م، وهو أقدم جامع في العالم الإسلامي، ورغم قدم الجامع، فالنشاط الملاحظ فيه اليوم ما هو إلا برهان على الاستمرار في الإيمان والتصرف الاجتماعي المشترك الذي يرجع تاريخه إلى ما يقرب من ١٤٠٠ عام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، ويستكمل المؤلف الرواية التاريخية العريضة لشرح العوامل الدينية والاجتماعية والسياسية التي تشكل الهندسة المعمارية الإسلامية، وهكذا يكشف الكتاب عظمة الهندسة المعمارية الإسلامية، ويبين أنها على رغم اختلافها فإنها تتمتع بالالتحام والاستمرار.

وفي البداية يتحدث «ريتشارد يومانز» عن الدين الإسلامي، ويشرح كيف أن المواقف الدينية تحدد شكل ودور الفن الإسلامي والهندسة المعمارية، ثم ينتقل للحديث عن أصل الهندسة المعمارية الإسلامية منذ الآثار الأولى من عهد الخلفاء الأيوبيين، ويرى الكاتب أن هذه الآثار الأولى توضح أن قصة الهندسة المعمارية الإسلامية هي قصة التكيف المستمر والتغيير والتجديد تجاوباً مع طبيعة الاختلاف الثقافي والقومي الذي يكوّن الأمة الإسلامية، وبعد ذلك يتطرق الكتاب إلى التطور المرحلي وظهور الهوية العربية في العراق وتونس ومصر في القرن التاسع، إلى جانب كل ما سلف يتناول الكتاب بالدرس تطور وازدهار الفن المعماري الإسلامي عبر المراحل التاريخية المتسلسلة في مختلف مناطق العالم الإسلامي بما في ذلك أسبانيا والمغرب ومصر وسوريا وتركيا وبلاد الفرس وآسيا الوسطى وحتى أبعد نقطة في شرق الهند ويتضمن الكتاب ما يزيد عن ٢٠٠ صورة وتصميم.

مجلـة أنيـس الوالديـن

انسجاماً مع أهداف الصندوق الوقفي للثقافة والفكر في الإدارة العامة للأوقاف بتنمية ثقافة الطفل والاهتمام بغرس الثقافة في نفوس النشء، واتساقاً مع منطلقاته منذ تأسيسه لـ «أنيس» نادي القارئ الصغير في تحبيب القراءة والكتاب للأجيال الناشئة أصدر الصندوق مجلة «أنيس الوالدين» وهي مجلة تربوية تعليمية موجهة للأسرة الكويتية، حيث لا غنى عن دور الآباء والأمهات في تحقيق ما يهدف إليه من تنشئة الأطفال التنشئة المعرفية التي تجعل الثقافة والقراءة طريقهم إلى النمو والتقدم.

والآباء والأمهات هم ألصق الناس بأبنائهم لا يستطيعون أن ينهضوا بواجب الرعاية ما لم يكن لديهم إلمام بخصائص الطفولة في النمو النفسي والمعرفي وبما ينبغي أن يسلكوه من الطرق الصحيحة لتوجيه الأطفال إلى القراءة وربطهم بها، وهو ما تهدف مجلة «أنيس الوالدين» لتحقيقه.



عـدد جديـد من مجلـة الأدب الإسلامـي



صدر العدد ١٨ من مجلة الأدب الإسلامي العالمية وجاء حافلاً بالموضوعات والدراسات والمناقشات والأخبار الأدبية، ففي هذا العدد نقرأ في الافتتاحية عن الظاهرة النزارية وما فيها من سقوط وتردٍ ومجون وانحلال ودعوة مكشوفة إلى الفاحشة، وزندقة وكفر بالله وازدراء للأنبياء، وإذا كنا لا نعجب أن يعزز تردي العصر نزاراً وأشباه نزار فإن العجب كل العجب لأولئك الذين مضوا يمجدون من يكفر بالله ويطعن في أنبيائه ألا يخشون أن يخسف الله بهم الأرض بل يسلط عليهم اليهود وأشباه اليهود، وفي مجال المقالات والبحوث تضمن العدد مقالات عن «مفدى زكريا» شاعر العروبة والإسلام في الجزائر وقراءة نقدية لرواية ملكة العنب، وأدب المناجاة عند ابن الجوزي، وواقع الشعر الإسلامي في الجزائر وفي مجال الإبداع تضمن العدد موضوعات شتى من أبرزها: رحيل الشعراوي، إصرار، قصيدتان، من تراث الشعر، وفي مجال الردود والمناقشات تضمن العدد مقالاً للأستاذ حمد الجاسر حول الشيخ محمود محمد شاكر تحت عنوان: تصحيح في السياق التاريخي، ومقالاً آخر تحت عنوان: «بل الوسطية العربية وحدها هي الخلاص من المأزق».

ترجمات

تحت هذا العنوان نشرت مجلة التايم الأميركية مقالاً عن الصراع العنصري الحاد في إسرائيل، بين اليهود الشرقيين «الشبرديم» واليهود الغربيين «الاشكينازي» الذين يعاملون الشرقيين باحتقار، وكبرياء، وغرور، ويعتبرون أنفسهم مؤسسي دولة إسرائيل، فمنذ أن قامت إسرائيل، وهي تزعم أنها وطن اليهود من كل مكان، ورغم مساعي الحكومات المتعاقبة إنصاف اليهود الشرقيين، إلا أن الفجوة بينهم وبين الغربيين تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم، وهذا ما كتبته صحيفة التايم الأميركية في عددها الصادر في ٢٠ أبريل ١٩٩٢م ص ٦٤، الذي أحببنا أن ننقله لقراء العربية لأهميته، ولما يحمله من أبعاد ليست جديدة في بداياتها لكن لها مدلولات ومؤشرات للمستقبل:

هل هي قبيلة واحدة ؟

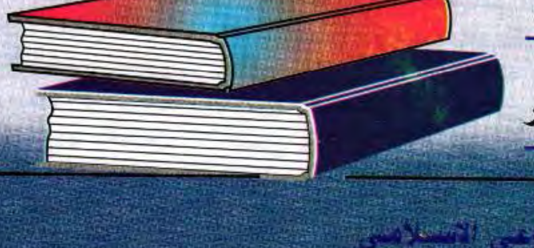
رابطة العالم الإسلامي . مكتب كندا

يعاني اليهود الشرقيون في إسرائيل من ويلات التعصب على يد الجهاز الاشكينازي، لكن كانت استقالة ديفيد ليفي خطوة محسوبة متشائمة.

لكن وزير الخارجية ليفي، لم يكن بذلك يقتحم معترك الصراع من أجل السلطة في حزب الليكود الحاكم، بل كان صوته مرتفعاً بالنقد، وعندما أعلن عن نيته باعتزال الوزارة أنحى باللائمة على التعصب العرقي داخل صفوف الليكود، وقال إنه تعب من وصفه بالقرد الذي نزل لتوه من على الشجرة، وهي إشارة إلى جذوره المغربية والحملة المشوهة داخل إسرائيل بأن اليهود من شمال أفريقيا وآسيا متخلفون بالقياس إلى أولئك القادمين من أوروبا. لقد كان ليفي مخادعاً إلى حد ما، ولم يكن محبوباً بين كثير من أعضاء الليكود تبعاً لخلقه الفظ المتعجرف أحياناً، لكنه بشكواه من التمييز العنصري قد فتح جرحاً قديماً في المجتمع الإسرائيلي، فلا يزال اليهود الأوروبيون والشرقيون منقسمين على أنفسهم تحجزهم فجوة من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية رغم معايشتهم لبعضهم بعضاً مدة أربعة عقود، وهذه الفجوة تزداد اتساعاً وعمقاً، تقول حناكيم محررة سابقة في مجلة هاباتيش التي تركز على القضايا الاجتماعية: لقد استغل ليفي هذه القضية لمآربه الخاصة، لكنه وضع يده على شيء حقيقي. وهذا الموضوع لا يحب الإسرائيليون الحديث عنه، ورغم استجابة إسحاق شامير رئيس الوزراء لمطالب ليفي للحصول على مزيد من السيطرة على الليكود مقابل سحب استقالته، فقد رفض شامير مزاعم زميله بشأن التعصب، وقال إنها نكتة، فنحن جميعاً أعضاء من قبيلة واحدة، إلا أن الحقائق والأرقام تبين أن بعض أفراد هذه القبيلة أكثر مساواة من الآخرين، وأن الآمال قد تلاشت لاستيعاب اليهود الشرقيين أو الشبرديم الذين قدم معظمهم إلى إسرائيل من شمال أفريقيا ومن بلاد الشرق الأوسط خلال العقد الذي تلا الاستقلال العام ١٩٤٨م. فكل دولار يكسبه اليهود الشرقيون لكل فرد يقابله ١,٨٠ دولار لكل يهودي غربي، كما أن عدد أفراد الأسرة بين الشرقيين أكبر منه عند الغربيين، فليفي وحده له ١٢ ولداً، ولعل هذا من أسباب الشقة والانقسام، لكنه ليس كل شيء. كما أن الاشكينازي أو اليهود الغربيين يتمتعون بوظائف وأعمال أفضل، لأنهم يتلقون تعليمهم في مدارس أفضل، ويستمرون في التعليم فترة أطول، فنحو ٢٥٪ من أطفال الشرقيين الذين التحقوا بالمدارس حصلوا على دبلومات من المدارس العليا، بينما كانت النسبة ٤٦ في المئة بين الاشكنازي، والنسبة ٣ - ١ بالنسبة للطلاب المقبولين في الجامعات من الاشكنازي والشرقيين، صحيح أن مستوى المعيشة قد تحسن كثيراً بين الشرقيين، الذين جاء كثير منهم إلى إسرائيل بلا تعليم ولا مال، إلا أن الحياة تحسنت بشكل أفضل بين الغربيين، يقول حنا هيرتزوح من جامعة تل أبيب إن الأرض ترتفع ولكن السقف يرتفع أيضاً. وهكذا فإن الاختلاف بين الطرفين اللذين يتساوى عددهما في المجتمع الإسرائيلي، هذه الخلافات تنبثق من جذور عدة، فمؤسسو إسرائيل أولاً: كانوا من الغربيين، الذين أصبحوا هم جهاز الدولة، وتركوا الشرقيين للمرتبة الثانية، ثانياً: تعمدت الحكومة وهي تسعى لحل مشكلة الإسكان، تشتيت الشرقيين في المناطق الجرداء، التي لا يكاد يجد فيها القادمون الجدد إلا القليل من الموارد وفرص العمل، وقد نجم عن ذلك الفقر والإحساس بالغربة، ولا يزال الوضع كذلك، وأخيراً، مازال الشرقيون ضحية التمييز الخفي، إذ يعتبرهم كثير من اليهود الأوروبيين غير مهذبين، بل يعتبرونهم متوحشين، كما أن اليهود القادمين من المغرب هدف للاحتقار، وحتى ليفي، فإنه يبدو غبياً في نظر كثير من الغربيين تبعاً للكنته العبرية الثقيلة المتأثرة باللغة الفرنسية. ويعترف بعض أعضاء الحزب داخل الليكود أن ليفي يتعرض كثيراً للاضطهاد العنصري، وتتمثل شكوى ليفي الأساسية في أنه يرى أن طريقه نحو رئاسة الحزب مسدودة بسبب خلفيته العرقية، وقد ظهر ذلك جلياً، عندما وضعه الحزب ومؤيدوه في حيز مهين من تذكرته للانتخابات العامة المقررة في شهر يونيو من العام ١٩٩٩م. ومما يثير السخرية أن الليكود قد باع نفسه منذ زمن طويل كمدافع عن اليهود الشرقيين «الشبرديم»، ففي السبعينات استغل مناحيم بيغن رئيس الحزب آنذاك إحساس الشبرديم بالمرارة بسبب إقامتهم في مخيمات قذرة ومدن جديدة مهملة في سنواتهم المبكرة، كل ذلك كان تحت سيطرة حزب العمل، وكانت مكافأة بيغن أن دفع الشبرديم حزب الليكود إلى سدة الحكم في العام ١٩٧٧م، وأبقوه فيها طوال الخمسة عشر عاماً الماضية، باستثناء عامين اثنين منها، واليوم يعتمد الليكود على ثلثي أصواته من «الشبرديم»، لكن هؤلاء لا يتمتعون بتمثيل كاف لهم في زعامة الحزب، يقول سامي سموحا، عالم الاجتماع في جامعة حيفا المتخصص في العلاقات العنصرية: «إن الحصول على أصواتهم شيء، والتنازل لهم عن السلطة شيء آخر»، كما أن نخبة الاشكينازي في حزب الليكود يشعرون أن الحزب تابع لهم، ومن العسير عليهم أن يتصوروا نقله السلطة للشرقيين الذين يعتبرونهم من طبقة أدنى، وأقل تعليماً وكفاءة وهذا بالضبط ما لديهم من تصور عن ليفي نفسه. وليفي يعتبر رمزاً يفرض نفسه على مجتمعه، فهو أقوى سياسي شبرديمي في تاريخ إسرائيل، ومن ثمة يعتبر تجسيداً لكل ما حققه هؤلاء، ولذلك بعدما وصل إلى ما وصل إليه يريدون له ولأنفسهم المزيد، وهكذا فإن رفض امتعاض ليفي من وضعه لتحقيق ذلك يعكس خيبة أمل جماعته في عدم تحقيقهم المزيد، هذا الضيق يعتبر إنذاراً لليكود، وهو يتوجه نحو حملة الانتخابات، فربما لا يكون تأييد اليهود الشرقيين لليكود بالحماس نفسه، الذي كانوا عليه في الماضي. ■

حديقة

إعداد:
أحمد عبدالجبار



من هدي كتاب الله

قال الله تعالى:

﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون. قل هل أنبئكم بِشَرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾

المائدة: ٥٩ ـ ٦٠

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي العباس عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنت خلف النبي ـ ﷺ ـ فقال لي:

«يا غلام إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

شاهد ومشهود

أخرج ابن عساكر ـ رضي الله عنه ـ بسنده: أن الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ كان يجلس في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ ويجتمع الناس حوله، ويتكلم بما يشفي غليل السائلين، ويقطع حجج القائلين.

من ذلك ما رواه الواحدي في تفسيره أن رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدِّث عن رسول الله ـ ﷺ ـ والناس حوله.

فقلت له: أخبرني عن شاهد ومشهود؟

فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر.

فجزته إلى غلام كأن وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله ﷺ.

فقلت له: أخبرني عن شاهد ومشهود؟

فقال: نعم، أما الشاهد فمحمد ـ ﷺ ـ، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعت قول الله تعالى: (يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً) وقوله تعالى: (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود).

فسألت عن الأول فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني فقالوا: الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما.

أنت طالق

نحر أعرابي جزوراً «أي غنمة فتية» وقال لامرأته: أطعمي أمي، فقالت: أيها أطعمها؟ قال: الورك، فقالت: التي ظهرت بلحمة وبطنت بشحمة؟ لا لعمري قال: الفخذ، قالت: الكثيرة اللحم الطيبة المخ؟ لا لعمري! قال: الكتف، قالت: الحاملة اللحم من كل مكان، قال: فما تطعمينها؟ قالت: اللحى التي ظهرت بالجلد وبطنت بالعظم. قال: تزودي إلى أهلك فأنت طالق!!

الفتاة... لا تكره على الزواج

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

«جاءت فتاة إلى رسول الله - ﷺ - فقالت: يا رسول الله، إن أبي زوجني ابن أخيه يرفع بي خسيسته، فجعل الأمر إليها.

قالت : فإني قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء».

من مسند الإمام أحمد.

- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن جارية بكراً أتت إلى رسول الله - ﷺ - فذكرت أن أباها زوّجها وهي كارهة، فخيّرها النبي ﷺ ...

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

- وعن الخنساء بنت خدام الأنصارية، أن أباها زوّجها وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله - ﷺ - فرد نكاحها...

أخرجه الجماعة إلا مسلماً.

أخطاء لغوية شائعة

يقول كثير من الناس: احتاج محمد مساعدة، وهذا التعبير كما يقول علماء اللغة يجافي الاستعمال الفصيح الشائع في اللغة العربية، والفصيح أن يُقال: احتاج محمد إلى مساعدة، أي أنه يتعدى بحرف جر.

- يفشو استعمال هذين اللفظين «ظرف ومظروف» في غير موضعهما، فيقال خطأ: وضعت الرسالة في المظروف، والصواب: وضعتها في الظرف.

لأن من معاني الظرف لغة: الوعاء يوضع فيه شيء، ومنه ظرفا الزمان والمكان، وعند النحويين، فالزمان والمكان ظرفان لأحداث تقع فيهما، إذ لا يتصور حدث أو شيء دون تصور زمانه ومكانه، كأنهما وعاءان، والمظروف: اسم مفعول لما يوضع في الظرف، سواء أكان رسالة أم عسلاً أم غير ذلك.

قالوا

● قال حكيم : من الحمق التماس الإخوان بغير الوفاء، والتماس الآخرة بالرياء، والتماس مودة النساء بالغلظة.

● وقال حكيم آخر: إياك وقرناء السوء، فإنك إن عملت قالوا: راءيت، وإن قصَّرت قالوا: أثمت، وإن بكيت قالوا: بهتَّ، وإن ضحكت قالوا: جهلت، وإن نطقت قالوا: تكلّفت، وإن سكتَّ قالوا: عييت، وإن اقتصدت قالوا: بخلت.

● قال بعضهم: من خصال الأحمق فرحه بالكذب من مدحه، وتأثره بتعظيمه، وإن كان غير مستحق لذلك.

- قال زيد بن خالد: ليس أحمق من غني قد أمن الفقر، وفقير قد أيس من الغنى.

● قال الأصمعي: إذا أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه، بحديث لا أصل له، فإن رأيته أصغى إليك وبقلبه فاعلم أنه أحمق، وإن أنكره فهو عاقل.

● قال أبو حاتم بن حيان: علامة الحمق سرعة الجواب... وترك التثبت وكثرة الالتفات، والوقيعة في الأخبار، والاختلاط بالأشرار.

الصدقة بالثوب

قال المهلب: ما رأيت أحداً بين يدي قط إلا أحببت أن أرى ثيابي عليه، واعلموا يا بني أن ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم.

صنف من الناس

من سمع القرآن فلم يخشع، وذكر الذنب فلم يحزن، ورأى العبرة فلم يعتبر، وسمع الكارثة فلم يتألم، وجالس العلماء فلم يتعلم، وصاحب الحكماء فلم يتفهم، وقرأ عن العظماء فلم تتحرك همته، فهو حيوان يأكل ويشرب، وإن كان إنساناً ينطق ويتكلم !!

رثاء حي

حكي أن أحد الشعراء مدح أحد الأثرياء بقصيدة فلم يعطه شيئاً، ثم أتاه في السنة التالية، فمدحه بقصيدة أخرى فكان نصيبه الفشل أيضاً، ثم جاء في السنة الثالثة، وقعد على باب الدار، وعندما خرج الغني وجد الشاعر نفسه فسأله: ما جلوسك عند باب دارنا؟ وأنت لا تنال على قصائد المدح فينا شيئاً؟ فقال: جئت أنتظر موتك لأرثيك بهذه القصيدة التي معي لعل من يرثك يعطيني شيئاً، فضحك وأجزل له العطاء.

إعداد : تمام أحمد

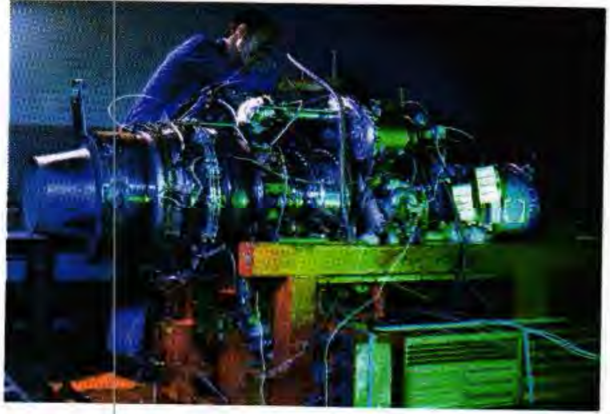
جيل جديد من الليزرات الدقيقة

ذكر العلماء أنهم طوروا تصميماً جديداً لتحويل أجهزة الليزر الدقيقة جداً إلى أجهزة أكثر قوة ومرونة.

ففي محاولة لإكمال الأجيال الجديدة، من الليزرات الصغيرة جداً العاملة بشبكة الموصلات، وجعلها أدوات أكثر تفوقاً قام العلماء في الولايات المتحدة وأوروبا بتغيير جذري في تصميم أحد أجزاء الليزر الرئيسية لجعلها أكثر فعالية مستخدمة طاقة أقل. ووصف العلماء الذين أشرفوا على هذا الإنجاز الكبير والذين ينتمون إلى جامعة ييل ومختبرات بيل ومؤسسة لوسينت للتكنولوجيا في الولايات المتحدة وبعض المؤسسات الألمانية النتائج بأنها أولية وتتطلب المزيد من البحوث الدقيقة رغم أن البعض الآخر وصفها ببداية مرحلة جديدة من الليزرات المتطورة. ومثل هذه الليزرات الجديدة ذات أهمية كبيرة خصوصاً في ما يتعلق باستخدامها في الاتصالات السريعة جداً استناداً إلى أبيل دايموند مدير التسويق في مجموعة ابتيوليكترونيكس.

وذكر العالم فرديركو كاباسو من مؤسسة ليوسينت الذي شارك في هذا البحث أن تقنية الليزرات الدقيقة هذه تحتاج إلى المزيد من الدروس والاستقصاء وأنه كلما غذيتها بالمزيد من الطاقة أنتجت طاقة أقوى وأشد، ولكن بتصميمها الجديد تستهلك طاقة أقل بشكل عام

والليزرات الجديدة هذه هي من الصغر بحيث إن المئات منها يمكن تركيبها على رأس دبوس من دون أن يؤثر هذا الحجم الصغير على قوتها العالية مما يمكن استخدامها للأغراض ذات التقنية العالية، منها مثلاً نقل المحادثات الهاتفية وصور الفيديو ووسائط الإنترنت وإن كان ذلك بجودة أفضل.



وتتمد هذه التقنية الجديدة التي يمكن تطويرها بشكل جذري على جعل الـ«ريزونيتور» يبث أحزمة ضوئية غير مرئية بعد تقدير حجمها وقوتها وشكلها وعلّق على هذا الاكتشاف العالم النمساوي اريخ جورنك الذي وصفه ببدء مرحلة جديدة التي من شأنها فتح الباب على مصراعيه أمام جيل جديد من الليزرات الدقيقة جداً القادرة على العمل بتيار كهربائي ضعيف جداً بفعالية وكفاءة.

شبكة الكترونية محلية لتأمين المعلومات للسكان الأكبر من نوعها في أوروبا

سيتمكن آلاف البريطانيين الساكنين في منطقة ميرسيسايد شمال انكلترا من التواصل بسرعة عبر شبكة من النظم المعلوماتية وشبكات الاتصالات مع إدارتهم المحلية أو مخزونات المعلومات في الإنترنت.

وذلك بعد إعلان مجلس بلدية ناوسلي عن منح عقد بقيمة ٨,٥ مليون جنيه استرليني لشركة «تيليويست» للاتصالات لوضع الشبكة الجديدة.

ويعتبر هذا المشروع الأكبر من نوعه في أوروبا على نطاق البلديات، وسيتوصل ١٦٣ موقعاً تابعاً لمجلس البلدية من ضمنها المقرات الإدارية والمكتبات والمدارس المحلية بالشبكة لتمكين المواطنين من الحصول على المعلومات وطرح الأسئلة.

وستكتمل أعمال المشروع العام ٢٠٠٠م ويتمكن السكان من جني فوائد جمة منها حصول كل ساكن على عنوان بريدي الكتروني للاتصال مع إدارة البلدية والحصول على الرسائل والإجابات منها.

وإمكانات تواصل السكان ورجال الأعمال مع شبكة الإنترنت من المكتبات أو مكاتب العمل.

كما يتمكن التلاميذ من الدخول إلى مخزونات المعارف المعروضة بوساطة الإعلام المتعدد لمساعدتهم في تنفيذ واجباتهم المدرسية.

وسيحصل ٦٠٠ من رجال الأعمال والشركات الصغيرة والمتوسطة على فرصة التواصل عبر الشبكة الإلكترونية المحلية والإقليمية للاتجار عليها بالبضائع والخدمات واكتساب المعارف والمهارات والتدريب.

مد شبكات استغلال ماء المطر مع بناء البيوت

منذ أن أقرت محكمة الدستور الاتحادية استخدام مياه الأمطار لأغراض الغسيل والتنظيف في البيوت، وشركات البناء البيئية تقدم خدماتها المتطورة لإنشاء شبكات استغلال ماء المطر مع بناء البيوت الجديدة، هذا إلى جانب وجود هياكل شبكات أخرى يمكن تأسيسها في البيوت القديمة أيضاً وتسهل على المواطن استخدام ماء المطر، ومن عاش صيف ألمانيا المطير يعرف كميات المياه الهائلة التي يمكن اقتصادها عن طريق استغلال مياه المطر. وكانت محكمة الدستور قد حسمت العام ١٩٩٤م معارك قانونية محتدمة دامت أكثر من خمسة أعوام بين حماة البيئة الداعين لاستخدام مياه المطر في أعمال التنظيف والغسيل، وبين شركات تنقية المياه وشركات المياه الغازية التي ترى أن ماء المطر ملوّث ولا يصلح للاستخدام في هذه الوظائف، وجاء قرار المحكمة النهائي واضحاً: يمكن استخدام ماء المطر في أعمال التنظيف والغسيل والسقي لأنه لا يحتوي على جراثيم خطيرة ولكن بشرط فصل شبكات الماء المصفى عن شبكات ماء المطر، وطبيعي فقد جاء قرار المحكمة بعد دراسة تحليلية طبية معمقة لمياه المطر ومحتوياتها.

ومنذ قرار المحكمة المذكور أصبح استغلال ماء المطر، وبالتالي الاقتصاد بماء الحنفيات، وهذا دليل وعي بيئي بين الألمان، وتتسابق العوائل المعنية بشؤون البيئة لإقامة هذه الشبكات ومدها على مستوى قرى بأكملها، وفي دراسة صدرت العام ١٩٩٧م عن «اتحاد اقتصاد الماء والغاز» فإن استهلاك الماء المصفّى ينخفض باطراد بفضل الوعي البيئي المتقدم وبفضل انتشار شبكات استغلال ماء المطر، إذ يحتاج الألماني العام ١٩٩٧م إلى ١٢٨ لتراً من الماء المصفّى يومياً في حين كان يحتاج إلى ١٤٥ لتراً يومياً العام ١٩٩٠م، ورغم أن طقس ألمانيا الماطر الذي يضمن لألمانيا أن تبقى أكبر بلد سياحي في أوروبا «سياحة إلى خارج ألمانيا بالطبع» فإن المواطن الألماني يستخدم ٥٠٪ من الماء المستهلك لأغراض الطبخ والشرب والتنظيف في حين تذهب الـ٥٠٪ الأخرى لأغراض سقي الحدائق والزهور.

إلا أن كلفة الـ ٥٠٪ الأولى هي ضعف كلفة الـ ٥٠٪ الثانية حسب مصادر الدراسة، وخصوصاً الجزء الخاص بتنظيف الملابس والبيوت وغسل السيارات. وقد أسهم استغلال ماء المطر ليس في تطور تكنولوجيا الاقتصاد في الماء فحسب وإنما في تطور مبيعات وتقنية شركات بناء شبكات ماء المطر، علماً أن «اتحاد اقتصاد الماء والغاز» يرفع مع المنظمات البيئية الأخرى شعار خفض استهلاك الفرد الألماني للماء المصفى إلى ٥٠ لتراً في اليوم، وبالتالي الاقتصاد باستهلاك المياه والحفاظ على مصادر المياه الجوفية.

إن أبسط وأضمن وأرخص شبكات استغلال ماء المطر تقدمها اليوم شركة فاجنر المختصة بتنقية شبكات مياه المطر.

وتعتمد الطريقة على تجميع ماء المطر على السقوف باتجاه ماسورة قمعية تحتوي في جزء منها على جهاز تنقية وترشيح، ويتم جمع ماء المطر في خزان كبير في قبو المنزل أو في أرض الحديقة ليضخ الماء منه إلى الشبكة التي تمتد إلى التواليت والغسالة الكهربائية وغيرها، ويجري الحفاظ على الماء جارياً لأقصى حد عن طريق حنفية ماء تنفتح على الحوض، إذ تنفتح هذه الحنفية لتملأ الخزان في حال وجود شحة في المطر، أما إذا زاد ماء المطر عن طاقة الخزان، فإن الماء الزائد يتم ضخه إلى الحديقة في الحال أوتوماتيكياً. وحسب تعليمات محكمة الدستور لا يجوز أن يختلط ماء المطر بماء الشرب مع ضرورة وضع علامة تحذيرية على الأنابيب الخاصة بماء المطر.

وطبيعي ليست كل السقوف ملائمة لهذه العملية فبعض السقوف ملوثة لماء المطر، وتشجع السقوف الأسمنتية أحياناً على تجمع نوع من الألياف في قاع الحوض، أما موقع الحوض فيبنى عادة في أرض الحديقة في البيوت الحديثة البناء ويوضع في القبو في البيوت القديمة التي رغب أصحابها باستغلال مياه المطر.

إن شبكة لمياه المطر مع خزان يتسع لـ ٣٠٠٠ لتر في القبو يكلف حالياً ٤٠٠ مارك، وهي شبكة نموذجية لعائلة من أربعة أشخاص، أما لشبكة أكبر مع حوض يتسع لاستخدام ٥ ـ ٦ أشخاص، فيتكلف ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ مارك. ولاحظت دائرة البيئة الاتحادية أن استخدام شبكات مياه المطر في السنوات الخمس الأخيرة لم يخل من مشاكل ومخاوف، واضطرت الدائرة لإجراء دراسة أعلنت في مارس الماضي وتوصلت إلى أن المضاعفات التي نجمت حتى الآن عن استخدام ماء المطر لم تكن خطيرة، لكنها لم تنجم بسبب ماء المطر، وإنما بسبب ضعف الوعي وضعف رعاية الشبكة، إذ يقع على صاحب الشبكة استبدال جهاز الترشيح «الفلتر» بين فترة وأخرى (١٠ سنوات من بدء التركيب)، وتنظيف الخزان والشبكة باستخدام المواد الطبيعية، كما لاحظت الدائرة إغفال بعض المواطنين للتعليمات الصحية وخلطهم لمياه الشرب مع مياه المطر، ونصحت الدائرة المواطنين بالعمل مع الشركات المؤسسة على توفير رعاية دائمة وفحص سنوي للشبكات كفيل ببعث الاطمئنان حول مياه المطر.

على صعيد آخر أعلنت مدينة فرانكفورت عن خطط لاستخدام مياه المطر في الغابات لأغراض الشرب بعد تنقيتها، وأعلن رئيس بلدية المدينة أن شركة المياه المحلية تخطط مع مطلع القرن المقبل لجعل ماء الغابات يشكل ربع كمية الـ٦٠ مليون متر مكعب من مياه الشرب التي تستخدمها فرانكفورت. وكانت بلدية فرانكفورت وظّفت ٢٠ مليون مارك في استغلال مياه مطر الغابات في جنوب المدينة، واستطاعت باستخدام الكاربون المنشّط تخليص مياه الغابات من السموم النباتية التي تختلط بها، وأدى استغلال مياه مطر الغابات المستخرج من عمق ١٤٠ متراً في رفع طاقة محطة جولد شتاين من مليون إلى ٧ مليون متر كعب للعام، وجرى رفع طاقة محطة هينلكستاين بالطريقة ذاتها من ٣,٥ مليون متر مكعب إلى ٥ مليون متر مكعب من المياه سنوياً.

وأعلن رئيس حكومة ولاية هيسن اعتبار ٧٢ كم مربعاً من الغابات المحيطة بمطار فرانكفورت مناطق محمية تستخدم لاستغلال مياه المطر في الغابات، وسيقع على محطات التصفية بالدرجة الأولى، تخليص مياه الغابات من المواد المستخدمة في منع «تجمد الطائرات عن طريق أحواض الكربون المنشّط»، وهي مواد توجد بكثرة في الغابات المحيطة بمطار فرانكفورت الدولي.

فتاوى

المراد بالذي عنده علم من الكتاب

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد سليمان ونصه كما يلي :

قوله تعالى : (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) النمل: ٤٠.

أجابت اللجنة بما يلي:

تعرف أوجه التفسير مما أورده الطبري ١٦٣/١٩، وابن كثير ٢٣٦/٥، وزاد المسير ١٧٤/٦، وتفسير الماوردي ٢٠١/٣ ـ ٢٠٢، وهو أجمع من أورد الأوجه فيها ونصه التالي:

قوله : (قال الذي عنده علم من الكتاب)، فيه أربعة أقاويل:

أحدها ـ أنه ملك أيّد الله به سليمان، والعلم الذي عنده من الكتاب هو ما كتب الله لبني آدم وقد أعلم الملائكة منه كثيراً، فأذن الله له أن يعلم سليمان بذلك وأن يأتيه بالعرش الذي طلبه، حكاه ابن بحر.

القول الثاني: أنه بعض جنود سليمان من الجن والإنس، والعلم الذي عنده من الكتاب هو كتاب سليمان الذي كتبه إلى بلقيس، وعلم أن الريح مسخرة لسليمان وأن الملائكة تعينه، فتوثق بذلك أن يأتيه بالعرش قبل أن يرتد إليه طرفه.

والقول الثالث: إنه سليمان قال ذلك للعفريت.

والقول الرابع ـ إنه قول غيره من الإنس، وفيه خمسة أقاويل «أحدها» أنه مليخا، قاله قتادة، «الثاني» أنه اسطوم، قاله مجاهد، «الثالث» أنه آصف بن برخيا وكان صدّيقاً، قاله ابن رومان، «الرابع» أنه ذو النور بمصر، قاله زهير، «الخامس أنه الخضر، قاله ابن لهيعة.

و«عِلْم الكتاب» هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب. «أنا آتيك به» يعني بالعرش.

«قبل أن يرتد إليك طرفك» فيه ستة أوجه أحدها قبل أن يأتيك أقصى من تنظر إليه، قاله ابن جبير، الثاني: قبل أن يعود طرفك إلى مد بصرك، قاله ابن عباس ومجاهد، الثالث: قبل أن يعود طرفك إلى مجلسك، قاله إدريس، الرابع: قبل الوقت الذي تنتظر وروده فيه من قولهم: أنا ممد الطرف إليك أي منتظر لك، قاله ابن بحر، «الخامس» قبل أن يرجع طرف رجائك خائباً لأن الرجاء يمد الطرف والإياس يقصر الطرف، السادس: قبل أن ينقص طرفك بالموت، أخبره أنه سيأتيه قبل موته.

زكاة الأسهم الخاسرة

عُرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد/ غازي وهو كما يلي:

يُرجى إفادتنا عن شخص يمتلك أسهماً، وقد هبطت القيمة واعتبر، خسران الآن، وهو من المزكين، فكيف يستطيع أن يبدأ بالزكاة في هذه الحالة، ومتى يعتبر المال نصاباً في هذه الحالة؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كانت الأسهم للتجارة أو حيزت للتجارة تقوّم قيمتها يوم وجوب الزكاة، فإن بلغت مع باقي أمواله الزكوية الأخرى نصاباً فإنه يزكي عن جملة هذه الأموال بمقدار ربع العشر والله أعلم.

فدية إفطار المريض

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيدة/ مريم ونصه التالي :

كنت أقضي ما عليَّ من الصوم الواجب فكان حالي كل ما أفطر يعتريني ألم بالمعدة، فلما اشتد الألم واستمر دون انقطاع، أجرى الطبيب عليَّ الفحوصات فاكتشف أنني مصابة بالقرحة النشطة بالمعدة وحجمها ٤سم، وأعطاني علاجاً حبتين في اليوم، فطلبت رأيه فيما إذا كان من الممكن أن أصوم مع تلك القرحة، فرد عليَّ أنه إذا كان لازماً أن أصوم فيلزم إضافة عدد الحبوب المتناولة يومياً بحيث تكون ست حبات بدلاً من حبتين واستطرد قائلاً: لكن تناول تلك الكمية «ست حبات يومياً» له تاثير جانبي سيظهر ضرره فيما بعد.

فعلى ضوء ما سبق من كلام الطبيب ماذا يكون موقفي من الصوم، حيث إن الصوم ركن من أركان الإسلام الخمس.

ـ أجابت اللجنة:

أن هذه السائلة إذا قرر الأطباء أن الصوم يؤخر شفاءها أو يزيد من آلامها فليس عليها أن تصوم في الحال، سواء كان صومها أداء أو قضاء عما فاتها، وإذا قرر الأطباء أن مرضها لا يرجى برؤه فعليها عن كل يوم تفطره فدية طعام مسكين من أوسط ما تطعم أهلها وجبتين مشبعتين، وأما إذا كان يرجى برء هذا المرض فعليها أن تنتظر إلى حال الصحة فتقضي ما أفطرته من أيام ولا يجزئها الإطعام والله أعلم.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.

والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عنها.

ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

المرسى

هنا يرسو القلم،
ينفض عن كاهله وطأة الأيام
وازدحام الأعمال وهموم الواقع،
فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه..
وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين
للجميع ...

عناقيد الشيطان

بقلم: محمود علي عبدالرحمن

تموج بحار الأسى في بعض بيوتات المسلمين بالكثير من المآسي المفجعة والفواجع المؤلمة، ويحار الكثيرون في علاجها، وقد يصير من هول بعضها الحليم حيران، وتؤدي بعضها إلى تفريق أزواج وهدم بيوت، وزعزعة أسر تنعم بالاستقرار والثبات، وإفشال طلاب كانوا مثلاً للتفوق والنجاح، وغير ذلك كثير مما هو بشع الثمر مر المذاق.

وما يترامى للأسماع والأبصار من بغيض أفعالهم، لا يندرج تحت حصر، فكم من بيوت خربت؟ وعروس عذبت؟ وفتاة عنست؟ وحامل أجهضت؟ وعاقل جنت؟ وسليم صرعت؟ وأحبة فرقت؟ وبلايا ارتكبت؟ ورزايا جنت؟ وعقدة عقدت؟ ونفثة نفثت؟ وفتن كقطع الليل طغت؟ وما خفي كان أعظم، ومن رحمة الخالق أن قال: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) (البقرة:١٠٢).

وفصيل من بني جلدتنا أوتوا القدرة على الصبر واستعانوا بشياطين الجن ليعيثوا في الأرض فساداً، وايم الله.. إنهم أناس اتخذوا الشياطين لأمرهم ملاكاً واتخذوهم له أشراكاً، فباض وفرخ في صدورهم، ودب ودرج في حجورهم فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل، يقول تعالى: (وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر) البقرة:١٠٢ أناس باعوا أنفسهم لشياطين الجن بثمن غال (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) البقرة:١٠٢، وباعوها لشياطين الإنس بثمن بخس دراهم معدودة، ونسوا يوماً سيساقون فيه إلى جهنم ورداً. إن نظرة ثاقبة للتشريعات الجنائية في جُلّ بلاد المسلمين لتصيبك بالفزع والجزع من هول تفريطها في عقاب مثل تلك الجرائم رغم جسامتها، ناهيك عن سهولة إتيانها وصعوبة إثباتها في حق السحرة، وذلك مكمن الخطر، لأن إفلات مجرم واحد من العقاب، لعدم كفاية الاستدلال أو لعدم تأثيم الأفعال كفيل بهبوب رياح الفتن وعواصف المحن في المجتمعات الآمنة، فما بالك وقد تُرك الحبل على الغارب لعشرات السحرة المجرمين الذين ينتشرون في بطون الأرض، يستترون وراء كواليس الإهمال فلا عقاب ينالهم فيزدجروا ولا قصاص يحيق بهم فيرتدعوا!

فيا ليت شعري .... كيف يظل الساحر ماكراً في كيده ماهراً في سحره يعبث بالحرائر ويفشي السرائر؟ وإلى متى يقترف كل هذه الكبائر ويبيت قريراً وغيره مكدوراً؟!

أما آن للقانون أن يكون سيفاً بتاراً وجذوة من نار يصطلي بها كل مجرم سحار، ليخسؤوا في جحورهم مع الأفاعي والحيات، فتنحسر جرائمهم وتستأصل شأفتهم حتى تنعم المجتمعات بالأمان من كيد عناقيد الشيطان، (ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً). ■

توحيد الأذان بجهاز تحكم آلي

اطلعت اللجنة على الاستفتاء المقدم بخصوص اقتراح لعمل نظام لإذاعة الأذان للصلوات الخمس ألكترونياً، ونص الاستفتاء كما يلي: **نتيجة للتطورات الحديثة للأجهزة الإلكترونية، وبخاصة في مجال الحاسب الآلي، وتعدد التطبيقات العلمية لها، فقد أصبح بالإمكان تسجيل الأصوات ألكترونياً في ذاكرة الحاسب الآلي عن طريق دوائر إدخال خاصة، ومن ثمَّ تصميم نظام متكامل يقوم بتسجيل الأذان ألكترونياً وتخزينه في ملفات ألكترونية خاصة بالنظام، ثم اختيار الأذان المطلوب وبثه إذاعياً حسب أوقات الصلاة، والتي يقوم الجهاز باحتسابها تلقائياً، ويتكون النظام المقترح من جهاز للحاسب الآلي المصغر الذي يحتوي على: ساعة زمنية فعلية، وأجهزة إدخال وإخراج للصوت مناسبة للاستعمال ترتبط مع شبكة المكبرات والموزعات الصوتية الموجودة داخل المسجد، نرجو إفادتنا برأي اللجنة الموقرة في ذلك.**

- وبعد التداول أقرت اللجنة الإجابة بما يلي: إن فكرة تسجيل أنواع وأصوات من الأذان ألكترونياً، وتخزينها في ملفات ألكترونية خاصة، ثم اختيار الأذان المطلوب، وبثه إذاعياً حسب أوقات الصلاة بوساطة أجهزة ترتبط مع شبكة المكبرات والموزعات الصوتية الموجودة داخل المساجد، لابد أن تستهوي كل قارئ وسامع، لاشتمالها على توحيد الأذان في البلد، وتخيّر الأصوات الندية للتأذين، وتحديد أوقات الأذان بوساطة جهاز الحاسب الألكتروني الذي يقوم بضبطها بدقة. لكن هناك سلبيات ومحاذير تقابل هذه المحسّنات، وتقلل من شأنها، منها :

أولاً: إن المطلوب في الشرع هو إنشاء الأذان والقيام بعملية التأذين فعلاً، وهذا البث الألكتروني إنما هو صدى للتأذين، وليس هو الأذان الفعلي المطلوب في الشرع. كما أن المطلوب شرعاً هو أن يؤدي المسلمون الصلاة فعلاً، لا أن توجد مجرد صلاة، كذلك المطلوب هو أن يؤذن كل جمع من المصلين قبل صلاتهم فعلاً، لا أن يكون هناك مجرد أذان أو صدى تأذين، لأن الأذان عبادة لابد من قصد التعبد فيها، وهو لا يحصل من الآلة.

ثانياً: إن الأذان سنة للصلاة وشعيرة من شعائر الدين تتقدم الصلاة فعلاً، ويؤذّن للصلاة نفسها بعض المصلين أنفسهم، بل الأفضل عند الحنفية أن يكون الإمام هو المؤذن، كما كان عليه أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - وكما ذكر ذلك الكمال في فتح القدير ١٧٨/١ط، بولاق، ونقله الطحاوي في حاشيته على مراقي الفلاح ص ١٢٤ ط، بولاق، وإذاعة الأذان الواحد المذكورة بوساطة الأجهزة يُخْلي الصلاة من هذه الشعيرة، لأنه كما ذكرنا ليس تأذيناً فعلاً، بل هو صدى. ولهذا يأثم أهل المنطقة بذلك، ويرتكبون الكراهة بسبب ترك سنة الهدى التي أشار إليها الإمام أبو حنيفة بقوله: «لو اجتمع أهل بلدة على تركه قاتلتهم، ولو تركه واحد ضربته وحبسته».

ثالثاً: إن هذا الأسلوب المقترح للأذان - لو سلّمنا بشرعيته - يحصر فضله في مؤذن واحد، بل قد يفقد المؤذن مطلقاً إذا كان تشغيل الجهاز أتوماتيكياً كاملاً، ويَحْرُم كثيرين من المؤذنين من فضل الأذان لعظيم، وقد صرحت به أحاديث وآثار كثيرة نذكر منها:

١ - حديث: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» رواه البخاري.
٢ - وحديث: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة» رواه مسلم.
٣ - وحديث: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه...» متفق عليه، ومعناه «لتنافسوا حتى يجروا القرعة للفوز عليه».

بل لقد تمنى عمر - رضي الله تعالى عنه - أن يكون هو المؤذن للصلاة، وقال: لولا الخلافة لأذنت.

٤ - أنه يفوت على الناس سنة مأثورة مشهورة، وهي أن يقيم للصلاة مَنْ أذَّنَ لها، كما روي في الحديث: «من أذَّنَ فهو يقيم» وهو حديث فيه ضعف، لكن عليه يحيل الفقهاء، وقد روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أذَّنَ في سفر بنفسه وأقام وصلى الظهر.

٥ - إن المأثور في أذان الجمعة أن يكون ابتداؤه حين يجلس الإمام على المنبر، فلو أريد تطبيق هذا النظام بصورة شاملة لما تأتى ضبط تلك اللحظة في كل المساجد، فقد يتأخر الإمام في جلوسه وقد يتقدم، والسنة أن يؤذَّنَ بين يدي الخطيب، ولا يقوم الجهاز مقامه بين يديه.

٦ - هناك فرق واضح بين أن يسمع المصلون الأذان من مؤذن من بينهم يرونه وهو يردد كلمات الأذان ويضفي عليها من نفسه وروحه، وبين أن يسمعوا الأذان من جهاز آلي، لا حركة فيه ولا حياة، وذلك كالفرق بين الحي والميت.

٧ - إن ربط هذه الشعيرة العظيمة، المشروعة للصلاة - وكأنها بنفسها هي صلاة بهذه الأجهزة - فيه تعريضها للاضطراب والفوضى كلما لحق الأجهزة خلل أو مسّها سوء، بمقدار ما فيه من استهواء توحيد الأذان، وتحديد مواقيت الصلاة وتخير الأصوات الندية، ومن أجل ذلك كله ترى اللجنة عدم شرعية استخدام هذا النظام المقترح للتأذين الموحد واستمرار العمل عى ما توارثته الأمة والله أعلم.

الاكتفاء بأذان المساجد المحيطة

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من مدرّسي مدرسة ما ونصه:

يحين أذان الظهر وقت انشغال المدرسين بالحصة، وبين دخول وقت الظهر وفرصة الصلاة ساعة تقريباً «أي دخول وقت الظهر الساعة ١١,٣٤ دقيقة، وتبدأ الفرصة الساعة ١٢,٢٥ دقيقة»، ونحتاج إلى عشر دقائق للوضوء.

والسؤال: هل نُؤذّن للصلاة في أول الوقت في إذاعة المدرسة ولو أدى ذلك إلى التشويش على المدرسين والطلبة أثناء انشغالهم بالحصة، أم نؤذن بصوت هادئ غير مزعج؟ أو نؤخر الأذان لحين فرصة الصلاة، وتكون غالباً بعد دخول الوقت «الساعة ١٢,٢٥ بدايتها، ونهايتها ١٢,٤٥»، أو نكتفي بأذان المساجد المحيطة بالمدرسة والتي نسمع أذانها بوضوح؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

يكتفى بأذان المساجد المحيطة بالمدرسة مادام أذانها يسمع، وذلك للأثر المروي عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - «أذان الحي يكفينا» ويمكن التنبيه إلى إقامة الصلاة برفع الصوت عند الإقامة.

وضوء مقطوع الرجل

(٧٠٤) عُرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد/ سلمان ونصه كما يلي:

إذا قطع عضو من جسم الإنسان «بترت رجله مثلاً» من فوق الركبة كيف يتم الوضوء؟

- أجابت اللجنة بما يلي: إذا قطع عضو واجب التطهير وبقي بعضه وجب تطهير ذلك البعض غسلاً أو مسحاً لحديث: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه استطعتم» ولقاعدة: «الميسور لا يسقط بالمعسور»، وإذا قطع العضو كله سقط الغسل أو المسح الواجب، وذهب بعض الفقهاء إلى أنه يندب غسل باقي العضو كالعضد أو الساق لئلا يخلو العضو عن طهارة، وليس هذا واجباً لسقوط المحل والله أعلم.

استرح وتذوق أجوائنا المتجددة



عند إستقبال ضيوفك فإنك ترغب أن يكون كل شيء على ما يرام، وهذا ما فعلناه على متن طائراتنا. ولإكتساب المزيد من ثقتكم يوماً بعد يوم فقد صممنا ديكورات داخلية جديدة، ومقاعد مريحة وأواني خدمة جديدة على أرقى مستوى لنقدم لكم خدماتنا ووجباتنا المتميزة. كل هذا لأننا نسعى لراحتك والإستمتاع بصحبتك.

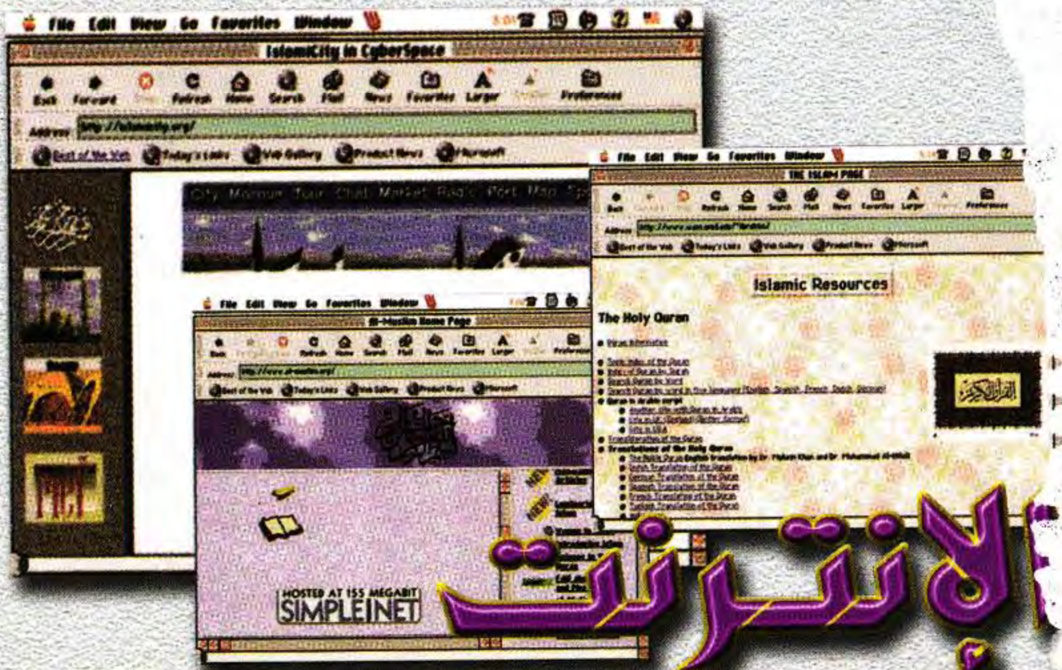
الخطوط الجوية الكويتية
ثقتكم غايتنا

ALSIHAM FP7



نعمة التحرير وشكر النعم

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
إسلامية شهرية جامعة
العدد ٣٩٩ ـ السنة الخامسة والثلاثون ـ ذو القعدة ١٤١٩ هـ ـ فبراير / مارس ١٩٩٩ م



الإنترنت (المعرفة والخدمات)... الخطر الدائم

- أهداف الدراسة في دور القرآن الكريم
- الصحوة الإسلامية تفسير وتقويم

الميراث في الإسلام

هل يقوم على أساس الأقربية أم على أساس الأحقية ؟



- التأصيل الإسلامي للإعلام
- هوية الإعلان في سياقه الحضاري

هديتك مع العدد براعم الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٩، السنة الخامسة والثلاثون
ذو القعدة ١٤١٩ هـ . فبراير / مارس ١٩٩٩ م

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ . الصفاة . 13097 . الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+)
فاكس : ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

وسائل الإعلام الإسلامي ... أمانة ومسؤولية

أعزاءنا القراء:

قضايا ومواضيع شتى تناقشها وتطرحها مجلة الوعي الإسلامي في ثنايا هذا العدد، الذي يتزامن صدوره مع ذكرى اليوم الوطني للكويت ويوم التحرير فيها، والمدقق في هذه القضايا والمواضيع المطروحة يجد أنها تركز على أهداف وغايات مثلى تسعى المجلة لتحقيقها باعتدال بعيداً عن التعصب الفكري، أو المذهبي وفي مقدمها: وحدة الأمة والقضاء على الفرقة والتفكك والانقسام في صفوفها، والتصدي لكل التحديات التي تواجهها في عالم تشابكت فيه المصالح والأهواء حيث لا مكان فيه لضعيف أو متخلف عن ركب الحضارة الإنسانية.

إن هدم الفجوة الحضارية بيننا وبين باقي الأمم المتقدمة، ودعم الجهود المشتركة لبناء حاضر الإسلام ومستقبله على هدي من كتاب ربنا وسنة نبينا محمد . صلى الله عليه وسلم . أمر يجب أن نسعى إليه جميعاً وهو مسؤولية كل فرد من أبناء هذه الأمة كل حسب موقعه، وعلى وسائل الإعلام الإسلامي أن تسخر كل طاقاتها وإمكاناتها للوصول إلى هذا الهدف في إطار من التعاون والتنسيق لتقديم عطاء الإسلام إلى البشرية بالصورة المشرقة التي تتناسب وجوهر هذا العطاء وأصالته الراسخة.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ كويتية دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم
مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا ـ السعودية : ٤ ريالات ـ البحرين : ٣٠٠ فلس
قطر : ٤ ريالات ـ الامارات : ٤ دراهم ـ سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة
الأردن : ٥٠٠ فلس ـ مصر : جنيه واحد ـ السودان : ٥ جنيهات
موريتانيا : ١٢٠ أوقية ـ تونس : دينار واحد ـ الجزائر : ٥ دنانير
اليمن : ٥ ريالات . لبنان : ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا : ٢٠ ليرة ـ المغرب : ٦ دراهم
ليبيا : ٥٠٠ مليم ـ اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله
امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت . برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد



حضارة

هوية الإعلان في سياقه الحضاري

الإعلان عصارة تجربة الغرب الحضارية فهو يجسد المدنية الرأسمالية ممزوجة بفن روح الحضارة التي أوجدتها... ترى ما سر المأساة

20

قضايا إسلامية

أمتنا الإسلامية على مفترق الطرق

12

إلى أين تسير أمتنا؟ وماذا ينتظرها في مستقبل أيامها بعد ما تألب عليها الأعداء من كل حدب وصوب؟ ومن الذي فجر الأزمة الطاحنة التي أصابت عقولنا بالحيرة وشلت تفكيرنا، وفجرت فينا مكان من الحزن والأسى؟

دراسات ميدانية

أهداف الدراسة في دور القرآن الكريم

48

هل دور القرآن الكريم أو الزوايا مؤسسات عفاً عليها الزمن ولم تعد تصلح في عصر الذرة والتكنولوجيا أم أنها مؤسسات قادرة على اللحاق بالركب الحضاري بما أدخل في برامجها ومفاهيمها من علوم تجريبية إضافة إلى العلوم الشرعية.

أحكام

الميراث في الإسلام

هل الميراث في الإسلام يقوم على أساس الأقربية أم على أساس الأحقية أم على كليهما معاً، وما أقوال العلماء في هذه القضية المهمة؟

22



دراسات إسلامية



30

الصحوة الإسلامية تفسير وتقويم

ما الأسباب التي توهم بعض الدارسين أنها أسباب للصحوة الإسلامية؟ وما حقيقة هذه الصحوة وماهيتها؟ وهل الصحوة تعبير صارخ عن الأمة الإسلامية التي ظن البعض أنها انتهت؟

في الأعداد المقبلة

- الحج ووحدة الصف والهدف — اللواء الركن محمد جمال الدين
- ميراث آدم عليه السلام — حيدر قفة
- من أسرار عالم النحل — د. حسان شمسي
- السلام في العالم أمن وأمان للفرد والمجتمع — د. أحمد محمود كريمة
- تعاطي المنشطات الجنسية في تشريع الطب الإسلامي — د. رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان
- بالرحمة تستمر الحياة — د. حسن أبو غدة
- الصهيونية وجدل الصراع العربي الصهيوني — عبدالغفار فاضل نصر

الفهرس



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

إثبات وفرة الموارد

تطالعنا بعض وكالات الأنباء من بين حين وآخر بأن مواردنا الطبيعية بكل صورها وأشكالها والتي هي شريان الحياة للبشرية على وشك النضوب وأن موجات الجفاف تجتاح دولاً كثيرة في العالم، وأن عدد الدول التي يعيش سكانها تحت خط الفقر في تزايد مستمر، وتصور لنا أعداداً من هؤلاء السكان عرايا في صورة هياكل عظمية وقد افترسهم المرض وأنهكهم الفقر وغلبهم الجوع يفترشون الأرض ويلتحفون السماء مجتمعين حول قصعة من الطعام لا تسمن ولا تغني من جوع، كما تنبئنا بأننا على وشك أزمة غذائية طاحنة وأن القرن المقبل سيشهد حروباً ضارية تبيد الأخضر واليابس من أجل البقاء والبحث عن الغذاء وسبل العيش.

وعلى العكس مما نسمعه ونقرأه وتعلنه هذه الوكالات التي لا تكل ولا تمل من أن تحذرنا ليل نهار بسوء عاقبتنا، تشير آيات كثيرة في القرآن الكريم إلى وفرة كل مستلزمات الحياة في الكون وكفايتها لإشباع حاجات جميع المخلوقات التي عاشت وتعيش على سطح البسيطة منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) فصلت: ٩ - ١٠، أي أن الله جل شأنه حين خلق الأرض باكر فيها وقدر فيها أقواتها وأودع في بطنها وعلى ظهرها من الخيرات التي تجعلها مهيأة لتخرج لكل من يولد عليها من الأحياء رزقه وقوته الذي يكفيه الحياة اللائقة به، كما قال تعالى: (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون) الأعراف: ١٠.

أشرف شعبان أبو أحمد

أين العرب من هذا التنافس ؟

يتحرك العالم ويتغير في صراع محموم والسؤال الذي يفرض نفسه هو: أين العرب وموقعهم في هذا التسابق؟

إن العولمة هي بداية تنافس قوي وجاد حول الهيمنة!... والأمر وإن كان يبدو اليوم وإلى حين... أن زمام المبادرة فيه تتملكه الولايات المتحدة... فسرعان ما سينقلب في معمعة قانون السوق... وقد بدت معالمه تنكشف على ضحايا نزل عليهم الدمار!، فيما يعرف «بزلزال البورصات الآسيوية» وهولاء هم أيضاً كانوا يشكلون حاجزاً يصدُّ تقدم الزحف الشيوعي

وعند نهاية الحرب الباردة، وتفتح الصين ومهادنتها لأميركا «سُلبوا وكُشفوا» وتُركوا لوحدهم أمام واقعهم!... وهذه الدول الصناعية تسيطر على أوراق اللعبة بدهاء!... إذ بينما تدعو دول العالم إلى الانفتاح والانخراط في العولمة تعمل جاهدة على وقاية سوقها الداخلية بالدعم لمؤسساتها الاقتصادية وحماية منتوجاتها... كما أن الولايات المتحدة لو تتغلب على خصمها العنيد اليابان في مجال الألكترونات إلا ببرنامج تمويل وتنظيم للبحث العلمي... محكم التخطيط والهيكلة... وقد يعتقد من يستمع إلى المثبطين للعزائم أن لا طاقة لنا أمام حجم التمويل والاستثمار التي ترصده الدول المتقدمة الولايات المتحدة واليابان... ولا مفر لنا إلا القعود والتسليم بدل المبادرة وتوظيف الطاقات المستعدة لخدمة بلادها بالإمكانات المتاحة وتنميتها لاكتساب المناعة... وتجاوز الخنوع والتخاذل... إذ إننا أمة ذات رسالة حضارية ورصيدنا التاريخي يحملها المسؤولية وواجب الوصول إلى مرتبة الخيرية بتحقيق منهجية الوسطية... لنكون شهداء على الأمم بشهادة ديننا علينا الحنيفية السمحة ...

لذلك ليس لهذه الأمة أن تتقاعس عن واجبها وتعيش عالة على أمم لا تفوقها في شيء غير أنها امتلكت زمام المبادرة حين تخلينا وتقاعسنا عن العمل وشرف المنافسة والامتياز.

فتحي بن حامد - تونس

الإجماع من أصول التشريع

يعتبر الإجماع من أصول التشريع الإسلامي، وهو إن دل على شيء إنما يدل على مدى تفتح ديننا الحنيف وصلاحية تعاليمه لكل زمان ومكان، لأنه لم يكتف بالمصدرين الأساسيين : الكتاب والسنة، بل قام بدعوة المسلمين إلى تحمل مسؤولياتهم في مواجهة ما استجد من القضايا والمشاكل التي لم تطرح أيام نزول الوحي في حياة المصطفى ﷺ.

كما ترك لهم الحرية في اختيار من يخلف الرسول - ﷺ - بعد وفاته، واكتفى بدعوتهم إلى الالتفاف حول من استقر عليه رأيهم كخليفة لهم، كما ترك لهم - كذلك - حرية إصدار الأحكام في النوازل التي تعترض معاملاتهم ويضطرهم إليها تطورهم ومسايرتهم لما يتجدد من وقائع لم تكن في عهد الرسول - ﷺ - شرط أن يجمع على هذه الأحكام أصحاب الرأي والاجتهاد منهم.

والإجماع لا يتأتى إلا إذا توافرت الظروف والمقتضيات التالية :

١ - وجود جماعة من المجتهدين في زمن وقوع الحادث يتأتى اتفاقهم على الحكم فيها.

٢ - أن يحصل الاتفاق من المجتهدين على وجه الخصوص ولا يتجاوزهم إلى غيرهم من العامة من الناس.

٣ - أن يتم الاتفاق بين جميع المجتهدين - دون استثناء - وإلا فلا يحتسب إجماعاً في حال موافقة الأكثرية على حكم ما ومخالفة بعضهم له.

٤ - أن يكون المجتهدون من المسلمين، بغض النظر عن جنسيتهم وبلدهم وطائفتهم وعمرهم.

٥ - أن يكون كل منهم صريح الرأي في النازلة.

٦ - أن يحصل الإجماع بعد وفاة الرسول ﷺ .

والإجماع نوعان: صريح وسكوتي.

فالصريح أن يتفق مجتهدو الأمة على حكم في واقعة وذلك باجتماعهم وإبداء كل واحد منهم رأيه فيها واتفاقهم على الحكم المناسب وأن يكون هذا الرأي صريحاً قولاً أو فعلاً عندما لا يتأتى الإجماع، وتكون تلك الآراء والأحكام موحدة المدلول.

والإجماع السكوتي هو أن يبدي بعض مجتهدي الأمة - في أي عصر - رأيهم في النازلة بفتوى أو قضاء ويسكت البعض الآخر عن المعارضة على ألا توجد حجة تثير شبهة أنهم سكتوا خوفاً أو تملقاً أو عجزاً.

ولا يسمى هذا النوع إجماعاً، وليس له في باب الحجية مكان، وعن حجية الإجماع، فقد ذهب الجمهور إلى أن الإجماع الصريح حجة وأصل من أصول الفقه مستدلين على ذلك بآيات وأحاديث عدة، منها قوله سبحانه وتعالى :

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصليه جهنم وساءت مصيراً) النساء: ١١٥.

ففي هذه الآية تَوعدُ لمن خالف المؤمنين واتبع غير سبيلهم وسلك مسلكاً يخالف ما أجمعوا عليه.

ومن الأحاديث المستدل بها في هذا الموضوع قول الرسول ﷺ :

«لا تجتمع أمتي على ضلالة»، وقوله: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن».

عبدالواحد إستينوا - المغرب

ردود خاصة

● **الأخ محمود علي محمد عبدالله - مصر :**

يمكنك مراسلة جمعية إحياء التراث الإسلامي في الكويت للحصول على الكتاب المذكور والعنوان هو: ص.ب: 5585 الصفاة - 13056 - الكويت.

● **الأخ نذير حمدان - دمشق - سورية :**

العدد رقم ٩١ غير متوافر لدينا في الوقت الحاضر، وجزاكم الله كل خير.

● **الأخ ابن المليح خديجة - المغرب :**

يمكنكم مراسلة صندوق إعانة المرضى في الكويت إلى عنوانه: ص.ب: ٢٤٤٠٩ الصفاة - 13105 - الكويت.

● **الأخ محمد خاطر محروس محمد - مصر:**

مشاركتكم «يا رمضان» وصلت متأخر، شكراً لكم وجزاكم الله كل خير.

تنويه

تعلن مجلة الوعي الإسلامي لقرائها الكرام، بأن الصورة المنشورة كأرضية في إمساكية شهر رمضان الماضي ١٤١٩هـ، هي من تصميم الفنان وليد الفرهود، ولذا اقتضى التنبيه.

سقط سهوا

في العدد ٣٩٨ من مجلة الوعي الإسلامي سقط سهواً في آخر المقال في الصفحة ٢٧ العبارة التالية: «عمل مؤسسات الخير في الكويت» مع اعتذارنا للإخوة القراء.



بدر القصار ... جهد مشكور

جاء في حديث المصطفى ﷺ: « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » الحديث، ومن الحق علينا أن نقدم الشكر جزيلاً خالصاً لشخص بذل الكثير نحو مجلة الوعي الإسلامي، وهي في عقدها الأول، وقد تعاقب على رئاسة تحرير مجلة الوعي الإسلامي عدد من العلماء والأساتذة الأفاضل، إلا أن الأستاذ بدر القصار كان له جهده المميز في استقطاب كتّاب للمجلة وإخراجها بشكل جديد، ولا سيما بعد أن اختير لها رئيساً للتحرير للمرة الثانية بعد التحرير، وحتى الوقت الحاضر، إذ كان من جهوده الطيبة مع إدارة المجلة، إصدار كشاف الوعي في ثلاثة مجلدات، والقيام بدراسة حول المجلة، كما أحدث القيام بعمل ندوات في المجلة في قضايا اجتماعية في الإطار الشرعي التربوي، تحدث بها نخبة من العلماء المختصين، وكانت بدعم من الأستاذ عبدالعزيز بدر القناعي وكيل الوزارة المساعد للقطاع الثقافي.

إنه مما لاشك فيه، أن نذكر الأخ أبا أحمد «الأستاذ بدر القصار» بكل خير على جهوده المميزة، لما لديه من خبرة إعلامية، فقد سبق أن كان رئيساً لمجلة المجتمع الكويتية، كما يجدر أن نشير إلى أنه الكويتي الوحيد على مدى تعاقب رؤساء تحرير المجلة منذ صدورها في شهر المحرم سنة ١٣٨٥هـ الموافق شهر مايو ١٩٦٥م.

والآن، بعد تلك الفترة الخصبة الزاخرة بالأعمال الطيبة في بث الوعي الإسلامي، يغادرنا الأخ أبو أحمد إلى موقع آخر هو أهل له. إن شاء الله. وسيقوم برئاسة تحرير المجلة «الوعي الإسلامي» مستقبلاً الدكتور صالح أحمد الراشد

داعين الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير والرشد والسداد.

الوعي الإسلامي

الافتتاحية

نعمة التحرير ... وشكر الله الدائم

من عظيم فضل الله سبحانه وتعالى، ما بيّنه المصطفى ـ ﷺ ـ من حبه جلَّ وعلا لعبده الشاكر حتى على أقل الأشياء، حيث يقول ـ ﷺ ـ «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة، فيحمده عليها» الحديث.

فهنا إذا كان حصول الرضى منه تبارك وتعالى بشيء بسيط هو أكلة أو شربة، فكيف إذا كان الشكر على شيء كبير وعظيم، كنعمة المال والولد والخير الكثير.

ولعل الأكثر من ذلك فضلاً نعمة التحرير، فقد مَنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ على هذا البلد الحبيب «الكويت» بعد أن ذاق أهلها الضيق والكدر من نظام ظالم أنكر حرمة الأخوة والجوار، وأذاق الشعب صنوف الخوف والألم ظلماً وعدواناً، فكان فضل الله العظيم ونعمته الوارفة، بأن اندحر هذا الكيد، وانعدم المكر، وعادت الأرض الطيبة لأهلها بخير وبركات.

إنه فضل الله العظيم، وإنها استجابته جلَّ وعلا للضراعات الصادقة المخلصة من المعذبين بالباطل، وإنها استجابته ـ تبارك وتعالى ـ من وجه آخر هو لأهل هذه الأرض الطيبة من إحسان كبير، وإنفاق في سبيل الله وصدقات هنا وهناك.

لايستطيع أحد أن ينكر خير أهل الكويت ووقوفهم مع القريب والبعيد والقاصي والداني بمد يد العون والمساعدة لكل محتاج داخل وخارج البلاد، بحيث أصبح هذا الشأن سمة بارزة حكومة وشعباً، وهكذا نجد اللجان والمؤسسات الخيرية تنتشر في كل أرجاء الكويت.

إن شأن الخير والعمل الخيري يؤكده حديث سيدنا المصطفى ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء» الحديث.

كما أن فعل الخيرات والقيام بها والدعوة إليها من مختلف الجهات في هذا البلد الكريم، لدليل إيمان صادق وإحساس بحاجات الناس ومشاعرهم، وتطبيق للآيات والأحاديث في هذا المجال.

إن نعمة التحرير نعمة عظيمة تستوجب الشكر والعرفان وحمد الله سبحانه، والثناء عليه بما هو أهله.

فنسأله سبحانه دوام النعمة، والثبات على شكره وحمده بشكل دائم متواصل لدوام فضله ونصره ... اللهم آمين.

الوعي الإسلامي

أنشطة الوزارة

من أجل راحة الحجاج الكويتيين

وكيل الوزارة زار المملكة العربية السعودية

توجه وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خالد عبدالله الزير والوفد المرافق له إلى مدينة جدة في المملكة العربية السعودية في زيارة رسمية استمرت ثلاثة أيام ناقش خلالها القضايا والأمور التي تتعلق بموسم الحج.

وصرح مدير إدارة الحج في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مبارك العجمي، أن الوكيل الزير التقى خلال الزيارة وزير الحج السعودي محمود بن محمد سفر وقدم له الشكر على الخدمات الجليلة التي تقدمها حكومة خادم الحرمين الشريفين لضيوف الرحمن، وقدم شكراً خاصاً لرعايتهم للحجاج الكويتيين وما توفره لهم من أسباب الأمن والراحة خلال موسم الحج.

وأفاد العجمي أنه تم خلال الزيارة مناقشة المسؤولين السعوديين حول زيادة المساحة في منى وعرفات للحملات الكويتية خلال تأديتهم مناسك الحج.

وأضاف أنه تم التطرق إلى موضوع وسائط النقل الكويتية من خلال السماح لها بنقل حجاج كويتيين من مطار جدة إلى مكة المكرمة.

وأشار العجمي بمستوى التطور والتقدم المطرد الذي تشهده جميع المنشآت والمرافق والخدمات التي تتعلق بالأماكن المقدسة أو الذي ترتبط بمناسك الحج، الأمر الذي يسهل على حجاج بيت الله الحرام أداء أعمالهم ومناسكهم بسهولة ويسر.

بدء المرحلة الشتوية لحلقات تحفيظ القرآن

أعلن مراقب حلقات تحفيظ القرآن الكريم عبدالله سلطان السنان عن بدء الفترة الشتوية الثانية، وذلك اعتباراً من السبت الموافق ١٣/٢/١٩٩٩م، ودعا السنان الطلبة إلى المبادرة بتسجيل أسمائهم لدى مكاتب المحافظات التابعة للمراقبة، مؤكداً ما تحتويه برامج الفترة الشتوية من فاعليات وأنشطة تعود بالنفع على المشاركين، فضلاً عما تشكله تلك المشاركة من تأكيد أهمية الاعتناء بكتاب الله حفظاً وتجويداً وتفسيراً. وأكد السنان رغبة وزارة الأوقاف في تجسيد رسالتها السامية في مختلف المجالات، مشيراً إلى أن الاهتمام بتحفيظ أبنائنا الطلبة القرآن الكريم يعد ترجمة حقيقية لتلك الرسالة، معرباً عن أمله في استجابة أولياء الأمور لدعوة المراجعة لحض الأبناء على المشاركة في تلك الحلقات.

وقال: إن المراقبة انتهت من إعداد خطة العمل للموسم الحالي، مشيراً إلى أن الفائزين في الاختبار الذي سيجري في نهاية الموسم سيحصلون على جوائز تشجيعية، بهدف حضّ الأبناء على مواصلة الالتحاق بحلقات تحفيظ القرآن التي تشهد إقبالاً متنامياً.

الفلاح: حملات جديدة للحج و٢٠ ألف حاج من الكويت

ترعى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المعرض الأول لخدمات الحج والعمرة الذي تنظمه شركة معرض الكويت الدولي في الفترة ما بين ١٣ و ١٩ فبراير على أرض المعارض الدولية في مشرف ويشارك فيه نحو ٢٦ مؤسسة وشركة وحملة حج من داخل الكويت وخارجها.

وقال وكيل الوزارة المساعد لشؤون الحج د. عادل الفلاح: إن رعاية الوزارة للمعرض وفكرته من شأنها أن تدفع بقوة نحو تطوير خدمات الحج والعمرة ويجمع المؤسسات المنتجة لتلك الخدمات مع أصحاب حملات الحج ومع وزارة الأوقاف في آن واحد.

وأضاف الفلاح أن المعرض من شأنه أن يجمع أيضاً الراغبين بأداء مناسك الحج ويوضح الرؤية لديهم تجاه الخدمات التي تقدمها الحملات ويعطي الفرصة كذلك لأصحاب الحملات للاطلاع على الخدمات التي تقدمها الشركات وما يمكن توفيره منها.

وأوضح أن من شأن المعرض تحريك وتنشيط العمل في الخدمات المقدمة للحجاج وترويج السلع والمنتجات التي يحتاجون إليها في رحلتهم إلى الأراضي المقدسة.

يذكر أن المعرض يلقي الضوء على جميع الاحتياجات السلعية اللازمة للحاج مثل الإحرامات والحقائب والمظلات والنظارات الواقية والفرشات الاسفنج والشراشف وغيرها من لوازم الحج.

وأكد وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون الحج دعم وزارة الأوقاف لأي معرض أو فكرة تطور عملية الحج وتخدم الحجاج وأصحاب الحملات.

وشكر جميع أصحاب الحملات والمشاركين في المعرض والمعارض المشابهة لما في ذلك من أثر في تقديم المشورة والرأي بما يخدم الجميع ويعمل على أن تكون المناسبة مجدية وتكاملية بين أصحاب الحملات والمؤسسات المعنية بتقديم خدمات الحج والعمرة، وحول استعدادات الوزارة لموسم الحج المقبل، قال الفلاح إنها تجري على قدم وساق، وأشاد بجهود المسؤولين عن الحج في المملكة العربية السعودية، مشيراً إلى التعاون الوثيق بينهم وبين المسؤولين في الكويت.

وتوقع الفلاح أن يتجاوز عدد الحجاج لهذا العام ٢٠ ألف حاج ولا سيما مع وجود حملات جديدة في ظل سوق تنافسية تتعدد فيها المصادر والخدمات والأسعار.

الجمعية العمومية لـ «وقف الوقت» أقرت ١٥ مشروعاً لهذا العام

اعتمدت الجمعية العامة لمشروع «وقف الوقت»، خطة المشروع للعام ١٩٩٩م، عقب اجتماع لها يوم ١/٢/١٩٩٩م، برئاسة الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف ورئيس المشروع عبدالمحسن العثمان، وبحضور عدد من ممثلي جمعيات النفع العام المشاركة في مشروع وقف الوقت. وأكد الأمين العام عبدالمحسن العثمان أن المشروع نجح في تحقيق جزء كبير من أهدافه خلال العام الماضي الذي شهد انطلاقته الرسمية.

وأوضح في تصريح للصحافيين عقب الاجتماع أن الأمانة العامة للأوقاف أعدت سلسلة من المشاريع التنموية الطموحة التي تعزز مكانة هذا المشروع وتترجم أهدافه الرامية إلى تنمية ميل الأفراد والمؤسسات للإقبال على العمل التطوعي، وإرشادهم إلى ميادين العمل التي تناسبهم والسعي إلى فتح مجالات جديدة تسهم في تنمية المجتمع وفق أحدث الأساليب العلمية، وأخيراً الدعوة للوقف على أغراض المشروع تعزيزاً لدوره البناء.

وأعلن العثمان أن خطة مشروع وقف الوقت للعام الحالي تتضمن تنفيذ ١٥ مشروعاً، حيث تم رصد ٥٢٥٠٠ الف دينار لها، بالإضافة إلى خمسة آلاف دينار قيمة المصاريف الإدارية والعمومية ليصل إجمالي الميزانية التقديرية للمشروع إلى ٥٧٥٠٠ دينار للعام.

مشاريع العام الحالي

وتطرق إلى المشاريع المحددة للعام الحالي، وهي مشروع جائزة التطوع الذي يهدف إلى تشجيع المؤسسات التطوعية المتميزة ودعم مسيرتها، والمساهمة في نشر الممارسات الإدارية السليمة وإبراز مساهمة القطاع التطوعي في تنمية المجتمع، مشيراً إلى أن إدارة المشروع بصدد وضع النظام الأساسي للجائزة خلال شهر أبريل المقبل، بالإضافة إلى اختيار لجنة المحكمين والفائزين.

وقال العثمان إن المشروع الثاني وهو مشروع المنهج المتكامل للتدريب التطوعي، يتضمن عقد ست دورات تدريبية تهدف إلى رفع المستوى المهاري للمتعاملين، وإيجاد ثقافة تطوعية مشتركة للعاملين في المؤسسات التطوعية وتعزيز الحافز المعنوي للمتطوعين.

وأشار إلى أن مشروع التواصل مع المؤسسات الرسمية، هو أحد المشاريع الهادفة إلى شرح فكرة المشروع وفلسفته وكيفية استفادة المؤسسات الرسمية منه من خلال الالتقاء بست مؤسسات رسمية خلال العام الحالي.

وأضاف العثمان أن الجمعية العامة باركت مشروعاً للحلقات النقاشية يهدف إلى فتح المجال للحوارات العلمية والموضوعية للعاملين في المؤسسات التطوعية، ونقل تميز القطاع الثالث في الدول الأخرى إلى القطاع التطوعي الكويتي، وإيجاد لغة مشتركة بين العاملين في هذا القطاع.

مجلة التطوع

أما بالنسبة لمشروع مجلة التطوع، قال العثمان إنه اعتمد كأحد المشاريع ضمن خطة العام الحالي، بحيث تصدر ستة أعداد من المجلة خلال العام ١٩٩٩م، بواقع عدد واحد كل شهرين، كما تم اعتماد تنفيذ حملة إعلامية للمشروع، بهدف استثمار جاذبية الوسائل الإعلانية لجذب اهتمام الشرائح المتوقعة للعمل التطوعي، والترويج لفكرة وقف الوقت والعمل على ترسيخ قيم التطوع في البلاد.

منتدى التطوع

وأعلن العثمان أن الجمعية العامة ستعتمد عقد منتدى التطوع خلال شهر ديسمبر المقبل، موضحاً أن المنتدى يهدف إلى التعريف إقليمياً وعالمياً، بالعمل التطوعي الكويتي، وإبراز التجربة الكويتية التطوعية، وتعزيز قنوات الاتصال بين المؤسسات التطوعية.

وقال: كما أن الجمعية اعتمدت مشروع الطفولة والتطوع، الهادف إلى غرس قيم العمل التطوعي لدى الناشئة، ومشروع تأسيس المركز الوطني لتأهيل المتطوعين والذي سيعني بتأهيل الراغبين في الانضمام إلى العمل التطوعي، وتقديم الاستشارات العلمية للمؤسسات التطوعية، وإيجاد مناهج تدريبية في مجال العمل التطوعي، وإيجاد آلية للتنسيق بين جمعيات النفع العام في مجال التدريب.

وبين العثمان أن تنفيذ هذا المشروع سيتم في الفترة من أبريل وحتى يسمبر المقبل.

توثيق العمل التطوعي

وأقرت الجمعية العامة لـ «وقف الوقت» تنفيذ دراسة لتوثيق العمل التطوعي الكويتي بهدف إيجاد مرجعية بحثية للعاملين في القطاع التطوعي والراغبين في البحث العلمي، والخروج بتوصيات تكون أساساً لاستراتيجية العمل التطوعي للقرن المقبل، مشيداً بالتعاون مع الدكتور سامي الخترش الذي سيترأس فريقاً وطنياً من جامعة هوبكنز للإشراف على هذه الدراسة.

وقال: لقد اعتمدت الجمعية مشروع ترجمة أدبيات العمل التطوعي، وتنفيذ دراسة إعداد تشريعات تنظيم العمل التطوعي الكويتي، وتأسيس قاعدة معلومات، وتسويق مشروع وقف الوقت.

وكشف العثمان عن رغبة إدارة مشروع «وقف الوقت» بإيجاد مقر إداري متميز للمشروع موضحاً أنه بصدد مخاطبة جهات الاختصاص لتخصيص أرض له من قبل الدولة خلال شهر أبريل المقبل قبل البدء بإعداد التصميم الأولي في سبتمبر والإعداد للحملة التسويقية لتوفير التمويل اللازم لبناء هذا المقر المتوقع أن تبلغ تكلفته عشرة آلاف دينار.

من افرازات الغزو العراقي للكويت

أمتنا الإسلامية على مفترق الطرق

بقلم: مصطفى محمد طه

إن الذي فجر في نفسي مكامن هذا العنوان الاستفهامي المثير هو أنني قد شهدت تلك اللحظات الدقيقة التي مرَّت بها أمتنا، يضاف إلى ذلك أنه في وسط الأزمات الطاحنة التي تمر بها الأمم، وهي في ارتقائها وانتكاسها الدوري تاريخياً، تبرز على الساحة وتدور في أذهان مفكريها - وذلك باعتبارهم قلبها النابض - أسئلة حاسمة عن مستقبلها ومصيرها وخصوصاً بعد خمود العاصفة وانطفاء ألسنة اللهب اللافح الذي وجد بسببها.

وقد مرَّت أمتنا الإسلامية بهذه المرحلة الدقيقة في واقعها الراهن، بدءاً بغزو العراق للكويت في فجر يوم الخميس الثاني من أغسطس ١٩٩٠م، فأحدث بذلك تمزقاً وشرخاً عميقاً في جسد الأمة الإسلامية، مما ترتب عليه حاجة الأمة الماسّة إلى عقود من الزمان، حتى يتسنى لها القيام بلمّ حبات عقدها الذي انفرط، وكذلك رأب الصدع الذي انتاب بناءها الشامخ الذي تهاوى.

ثم ما كادت تنطفي نار هذه الحرب، حتى تعرضت لأزمة طاحنة تمثلت بحرب البوسنة والهرسك ومحاولة الصرب طمس معالم الهوية هنالك، وكذلك كان الحال في حرب الشيشان.

ولعل أبرز سؤال ظهر جلياً على الساحة ولا يزال يشغل بال مفكري هذه الأمة هو ذلك السؤال الحيوي، أمتنا الإسلامية... إلى أين المسير؟!. ولا سيما بعد أن وقفت على مفترق الطرق.

إن هذا السؤال الحيوي المثار على الساحة الآن هو الذي جعلني اختاره كموضوع للكتابة فيه، وتحليل أبعاده المتباينة، وذلك كي يتسنى لنا تبين معالم الطريق الذي ينتظر هذه الأمة في مستقبل أيامها على ظهر هذا الكوكب الأرضي بعدما تألب عليها الأعداء من كل حدب وصوب في أكثر من صقع من أصقاع الكون، ناهيك عن الحرب الحضارية، التي تعتبر هذه الصراعات تجسيداً حيالها، وقبل الإجابة على هذا التساؤل، لابد من تقديم رؤية تحليلية للأوضاع الراهنة التي أفرزته.

وبادئ ذي بدء يمكن القول : إن الإفرازات النكرة التي أفرزها الغزو العراقي للكويت متعددة ولعل أهمها الإفرازات الاقتصادية التي انعكست وستنعكس على مستقبل أمتنا الإسلامية كلها.

فهل هناك من أحد ينكر أن تلك الحرب العقيمة التي خاضها العراق ضد التحالف الدولي في ثوبه الجديد، كبَّدت الأمة الإسلامية كلها خسائر فادحة ؟ وذلك نتيجة تلك التكاليف الباهظة للحرب التي دارت رحاها على الأرض الإسلامية من أجل رد الحق إلى نصابه، كما هل يمكن لأحد أن ينكر فداحة الخسائر التي تكبَّدها العالم الإسلامي، من جرّاء الحروب في البوسنة والهرسك والشيشان ومن قبل في فلسطين؟.

ولعله غير خاف على أحد مدى حاجة العالم الإسلامي للتعاون والتكامل الاقتصادي، في دنيا التكتلات الاقتصادية العالمية التي أصبحت سمة بارزة لعصرنا.

وأمتنا الإسلامية التي قُدِّر لها أن تُنكب على يد أحد أبنائها - المحسوبين عليها للأسف - هي في أمسّ الحاجة لكل دولار أُنفق هباء في هذه الحرب الشعواء فما بالك والحرب الضروس هذه قد كبدت الأمة خسائر فادحة قُدِّرت بالمليارات - ٤٠٠ مليار دولار - أضف إلى ذلك تدمير البنية الأساسية والمنجزات الحضارية لهاتين الدولتين الباغية «العراق» والمبغي عليها «الكويت»، وهنالك تشريد الآلاف من الأيدي العاملة المسلمة التي طردت من العراق وفرت من الكويت، وقطعت أرزاقها نتيجة هذه الفعلة الشنعاء.

فهل الغرب مسؤول عما حدث؟ أم أن النظام العراقي الباغي هو الذي فجَّر هذه الأزمة الطاحنة التي أتت على الأخضر واليابس وأصابت عقولنا بالحيرة، وشلَّت تفكيرنا ونزعت من قلوبنا الهدوء وسلبت من نفوسنا راحة البال، وفجّرت فينا مكامن الحزن والأسى على مستقبل هذه الأمة المغلوبة على أمرها.

إزاء هذا تتساءل أمتنا الإسلامية... إلى أين سيصل اقتصادنا؟ فيا تُرى هل تستفيد الأمة من هذا الدرس أم أنها ستتراجع إلى الوراء، وتهمل استكمال أبعاد التكامل الاقتصادي - هناك بعض التكتلات الاقتصادية الإسلامية على درب التكامل الاقتصادي الكامل - الذي أصبح ضرورة ملحة، وليس ترفاً حياتياً؟ وذلك حتى يتاح لها وضعية لائقة بها في عالم اليوم، ويجب أن تقوم فعلاً لا قولاً السوق الإسلامية المشتركة التي أصبحت ضرورة اقتصادية ملحّة، ونأمل أن تكون الأزمة، رغم الأجواء القائمة المتبلدة بالغيوم التي تمخضت عنها مخرجاً من هذا المأزق الاقتصادي الخانق، الذي قُدر لأمتنا الإسلامية أن تمر به.

أما على المستوى الثقافي، فأول جانب سلبي لهذه الأزمة الفاجعة، هو ذلك الحاجز النفسي الذي انتاب العلاقات العربية - العربية على المستويين الرسمي بصفة خاصة والشعبي بصفة عامة.

ثم هناك الانفصام النكد الذي شاب مواقف كثير من المثقفين تجاه ما حدث، يضاف إلى ذلك اختلاط الأوراق لدى بعض المثقفين، ما ساعد على تولّد تصورات متهافتة، وانقلاب مروع للمعايير الثقافية الثابتة التي تعارف عليها مفكرو هذه الأمة. وصاحب ذلك سقوط

الأقنعة المزيفة التي ارتداها بعض السياسيين وشريحة من المثقفين الذين كنا نعتبرهم قبل الأزمة رموزاً فكرية، للحركة الإسلامية المعاصرة.

فأي نكبة حلت بأمتنا أشرس من هذه النكبة الحضارية التي تجسّدت في انقلاب المعايير،، فضلاً عن حال التفسخ الثقافي الذي حل بثقافتنا الإسلامية المعاصرة، من جراء غياب بعض اللمسات الثقافية الحيوية التي كانت تسهم إسهاماً بارزاً في تشكيل الملامح العامة والخاصة للعقل المسلم المعاصر، التي كانت الكويت ترفد بها هذا العقل.

وبعد أن هدأ غبار المعركة، وانقشعت غيوم الأزمة، عادت تلك اللمسات الثقافية التي غابت إلى سابق عهدها قبل الأزمة، وواصلت تأدية رسالتها الحضارية في تنوير العقل المسلم، وإحياء حضارته وترسيخ ثوابته، من أجل إقلاع أمتنا إقلاعاً حضارياً يعيد لها وضعيتها الحضارية المتميزة التي ضاعت بعض قسمات ملامحها في هذا العصر الذي يعتبر عصر التميز الحضاري.

ولربما يتساءل البعض : وما تلك اللمسات الثقافية التي ضاعت؟ وللإجابة يمكن القول: إن هذه اللمسات تتجسد خير تجسيد في ذلك العطاء الثقافي للكويت على مستوى عالمها العربي والإسلامي، ثم هناك المؤسسات الثقافية التي تأثرت بهذا الغزو الجائح سواء على المستوى العربي أو الإسلامي، وإن كان بعضها قد استرد عافيته بعد انتهاء الغزو وعودة الكويت إلى حضن أمتها الإسلامية الحاني عليها وذلك لوضعها المتميز على الساحة الإسلامية.

ولم يقف الانتكاس الثقافي الذي واكب الأزمة عند هذا الحد، بل حدث توقف ـ موقت ـ لذلك الدور الثقافي الرائد الذي كان للكويت قبل الغزو، وهذا الدور الثقافي الفذ حجب عنا سماء الثقافة الكويتية الصافية التي كانت ترسل شمسها الساطعة بأشعتها الذهبية التي كانت تضفي على وعينا الفكري طابعاً من الدينامكية، لحين من الوقت، وحُرمنا كمثقفين مع مطلع كل اسبوع وكل شهر وكل فصل من تلك البصمات الثقافية الفريدة كالمجتمع والخيرية والبلاغ والوعي الإسلامي والعربي وعالم المعرفة وعالم الفكر والمجلة العربية للعلوم الإنسانية ومجلة العلوم الاجتماعية ومجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ومجلة دراسات الخليج، والجزيرة العربية، وحولية كلية الآداب ـ جامعة الكويت ـ ... إلخ، التي سرعان ما عادت للصدور المنتظم ولا تزال.

وبعد الأزمة مباشرة كان سؤالنا الملحّ، تُرى ما مصير الثقافة العربية الإسلامية بعد الأزمة؟ فهل ستعود إلى سابق عهدها؟ وتستدرك ما فات أم إنها فعلاً دخلت في نفق مظلم لا مخرج لها منه، وكنا نأمل وقتها للثقافة العربية الإسلامية أن تقوم فعلاً برأب الصدع الذي انتاب كيانها وتعود إلى نشر صفحاتها المشرقة التي طويت قسراً بفعل العدوان الغاشم من العراق على الكويت.

ولكن الكويت الرائدة، وكما هو العهد دائماً بها استردت وضعيتها المتميزة على الساحة الثقافية، وعاودت فعلاً إصدار نتاجها الثقافي الحيوي تباعاً، لكي تواصل إن شاء الله تعالى إرسال إشعاعها الثقافي إلى كل مكان في أمتها العربية والإسلامية، بل العالم أجمع، وهكذا كانت الكويت وستظل واحة خضراء للأمان النفسي والثقافي.

وبناء على ما سبق نستطيع أن نؤكد أن ثقافتنا الإسلامية أصبحت إبان الأزمة وبعدها على مفترق الطرق، فإما أن ترتقي إلى مستوى المنطلقات التاريخية الدقيقة التي تمر بها الأمة وتحاول محاولات جادة من أجل نزوع الإنسان المسلم نحو الفعالية الحضارية وفهم أبعاد الموقف الراهن الذي تمر به الأمة، وإلا فإن مصيرها الذي ينتظرها هو التقوقع داخل تلك الشرنقة وتحجرها وتمحورها حول ذلك التنظير المرضي الذي صنعه لها بعض الطغاة.

إن الوصول إلى هذه الحال اليائسة لهو الموت الحضاري بعينه لأمتنا ذاتياً ووجودا ولإنسانها الذي نأمل له الوصول إلى ذلك الوضع الأمثل، الا وهو الارتقاء الحضاري الشامل، ولن يتم له هذا إلا من خلال جرعات ثقافية ذات دلالة حضارية.

أما على المستوى الاجتماعي، فلقد تمخض عن الأزمة إفرازات اجتماعية وخيمة العواقب، فمثلاً كم من الأسر انهارات دعائمها، وهتكت أستارها، وتعرى سياجها الآمن، وأصبحت الآن كيانات ممزقة ولا يعلم إلا الله عز وجل متى سيلتم شملها؟ فكم من الآباء ماتوا، وكم من النساء ترملن وكم من الأبناء ضاعوا بعد التشتت الأسري الذي حل بأسرهم نتيجة القتل والتشريد، وكم من البيوت التي كانت مفتوحة على دخل هاتين الدولتين ـ الكويت والعراق ـ أغلقت ولا يعلم متى ستفتح ثانية ـ كما كانت قبل الغزو ـ إلا الله، وأكبر دليل على ذلك قضية الأسرى، وهذا الأثر السيئ قد شمل جميع بقاع العالم الإسلامي، أضف إلى ذلك البعد النفسي الذي تولد عن ضياع الأحلام، وكذلك واكب الأزمة ولا يزال إبهام في معالم الأمن في ربوع تلك المنطقة الآمنة من العالم، واستفادت إسرائيل من ذلك أكبر استفادة، ولا يعلم إلا الله وحده متى ستزول تلك البصمات الخانقة التي تركتها الأزمة.

فهل يا تُرى تستطيع أمتنا أن تتجاوز هذه الأبعاد الخطيرة؟ وتستعلي عليها، وتعيد لهيكلها الاجتماعي المسلم الذي أصيب في صميمه، ما أبهم من ملامحه الناصعة قبل الأزمة، ونأمل أن تكون الأزمة بمثابة البوتقة التي انصهرت فيها الأمة، وذلك من أجل التخلص من الشوائب التي كانت عالقة بجسدها اجتماعياً قبل الأزمة.

أما على المستوى البيئي والصحي، فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر أن الأزمة كان لها أسوأ الآثار على الأوضاع البيئية في المنطقة، وذلك كنتيجة فعلية لذلك الجرم الفادح واللاإنساني الذي ارتكبه النظام العراقي في حق البيئة البحرية والأحياء المائية، عندما قام بتسريب الزيت من آبار البترول إلى مياه الخليج الهادئة، محدثاً بذلك خللاً فظيعاً في توازن البيئة سيمتد أثره المدمر إلى آفاق أوسع، ولم يكتف العراق الباغي بهذا الجرم الشنيع، بل قام بحرق وتفجير آبار البترول في الكويت، وهو بهذا العمل الشيطاني قد تسبب في حدوث أكبر كارثة بيئية شهدها التاريخ البشري منذ انبثاق فجره البازغ وحتى لحظتنا الراهنة هذه.

تُرى ماذا نسمي كل هذه الأفعال الخرقاء والرعناء؟ والتي ترتب عليها إهدار مئات المليارات من الدولارات، والأمة كل الأمة بلا استثناء في حاجة ماسّة إلى كل دولار منها لكي توظّفه توظيفاً رشيداً في خدمة قضاياها المصيرية، وأول هذه القضايا قضية الصراع الوجودي بيننا كمسلمين وبين الكيان الصهيوني «إسرائيل»، فهل يا تُرى ستستفيد أمتنا من هذا الدرس الدامي، وتعمل جاهدة على

التخلص من ربقة تلك البصمات الخبيثة بيئياً وصحياً، وتستأصل شأفتها من الوجود وتفيق من سباتها العميق، وتنهض نهوضاً حضارياً، يكون للبعد البيئي بمفهومه الصحي دور بارز أم أنها ستعتبر أن ما مر بها كان مجرد فصل في مسرحية، وسرعان ما انتهت ملامحه وملامح الأشخاص الذين أدوا أدوارهم فيه بمجرد إسدال الستار عليه، لكي تبدأ فصول مسرحية أخرى وهلم جرا...

ولكن الواقع التاريخي يقول: إن ما مر بالأمة هو بلا شك نقطة تحول مهمة في مسارها الحياتي، ما يحتم عليها الوقوف أمامه طويلاً، فضلاً عن أن تعيد حساباتها على هدي من كتاب الله وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - وإفراز حضارتها مستفيدة في ذلك بالسنن الكونية التي خلق الله عز وجل على نسقها الكون.

وذلك حتى يتسنى لها أن تعود كما كانت، ولا تضيع منها معالم الطريق، وتتفرق بها السبل، أما على المستوى السياسي: فلقد كشفت الأزمة عن ذلك الترهل والتمزق الذي انتاب القيادات السياسية إزاء ذلك الخرق الفادح للجسد العربي والمسلم، وذلك عندما تباينت مواقف هذه القيادات تجاه تلك الفعلة الرعناء من قبل النظام العراقي، وبالتالي سقطت كل الأقنعة المزيفة التي كان يلبسها هؤلاء السياسيون، كما سقطت من قبل أقنعة المثقفين، وعلاوة على ذلك، أصبح الوضع السياسي العربي والمسلم يبعث على الغثيان ويثير في النفس علامات التقزز خصوصاً إبان الأزمة، فكان هناك المؤيد والمعارض.

وكنا نأمل أن تتوحد كل جهود السياسيين من العرب والمسلمين، للوقوف صفاً واحداً في وجه المعتدي الآثم، حسب التصور القرآني لحل المشكلات والعلاقات الساخنة بين الإخوة المؤمنين، ولو حدث ذلك لكان قد حمى الأمة من مغبة الدخول في متاهات الحرب والاستعانة بالغير ولما حدث ما حدث لو لم يغزُ العراق الكويت، لكان وضع المسلمين تحسّن في حرب البوسنة والهرسك وحرب الشيشان، ومن قبل في حرب فلسطين، فيا ترى هل تعي الأمة حقيقة هذا الموقف؟ وتدرك تمام الإدراك أن الوحدة الإسلامية على المستوى السياسي والمستوى الشعبي، هي ركيزة حيوية من ركائز المستقبل الإسلامي الذي نريد له الازدهار والنماء بدلاً من التشرذم والضياع، وذلك حتى يتسنى لنا توجيه كل الإمكانات المتاحة إلى صد العدوان الحقيقي، وهنا التحدي هو الوجود الصهيوني الكريه، والذي تغذيه الصهيونية العالمية والغرب من أجل شل فاعلية المد الإسلامي الحضاري، ولعل الأمة تستوعب حجم هذا الدرس الحيوي، بعد أن هدأ غبار المعركة، وصمتت أصوات المدافع، التي قُدر لها أن تدوي بين الأخوة في العقيدة واللغة والتاريخ والثقافة، والمصير المشترك، بدلاً من أن تدوي وتقتلع الكيان الصهيوني - الجاثم على أرض فلسطين السليبة - من الجذور، وذلك حتى لا يعيث في ديار المسلمين فساداً وظلماً وعدواناً، ولم يكتف بذلك، بل هو يحاول - كما سبقت الإشارة - محاولات شتى لمحو كل بصمة حضارية تمت بصلة إلى الوجود الإسلامي في أرض فلسطين السليبة، ثم بعد ذلك يأتي الدور على البلاد العربية الواحدة تلو الأخرى طبقاً للتصور التوراتي، الذي رسم معالم التوسع اليهودي الشاسع على حساب الآخرين، وما الآخرون هنا إلا المسلمين.

كل ما سبق كان مجرد مؤشرات تحدد لنا معالم وملامح الطريق الذي يجب أن تسلكه أمتنا الإسلامية بعد هذه الأزمة الطاحنة، التي جعلت أمتنا، وكما سبق القول على مفترق الطرق، ومن هنا وجب أن تكون معالم هذا الطريق معبدة ومهيأة وواضحة وذلك حتى لا تذوب الأمة في الآخرين حضارياً، وتتجنب الارتطام الصارخ بصخور الواقع الصلد وتعود أدراجها.

ويمكن لنا أن نستشرف معالم الطريق الذي يجب أن تسير فيه أمتنا سيراً حثيثاً حسب التصور التالي:

١ - يجب على الأمة - فعلاً لا قولاً - أن تبلور ملامح المشروع الحضاري الإسلامي، وهذا من منطلق إبراز الهوية الحضارية الإسلامية في مواجهة الأعداء، وذلك من أجل الاستقلال الحقيقي لمسلمي اليوم والغد.

٢ - تكوين كيان اقتصادي إسلامي يحقق الاكتفاء الذاتي لمسلمي اليوم والغد، حتى لا نكون عالة على الآخرين غذائياً.

٣ - تكوين قاعدة راسخة للتكنولوجيا الإسلامية وذلك لكي يتسنى لنا كمسلمين أن ندخل القرن الحادي والعشرين، ونحن متناغمون مع روحه ونمطه ونسقه الحضاري.

٤ - تكوين قوة ردع إسلامية، وذلك حتى تتجنب الأمة وقوع ما حدث مرة أخرى.

٥ - تكوين كيان ثقافي إسلامي، يكون بإمكانه الحفاظ على الذاتية الإسلامية في مواجهة الآخرين.

٦ - تكوين الوحدة الإسلامية الحقيقية وعلى جميع المستويات حتى يتاح لنا فعلاً الارتقاء إلى مستوى اللحظات التاريخية الحاسمة التي تمر بها أمتنا، ويصبح بالتالي في إمكاننا مواجهة جميع التحديات الحضارية التي تواجه أمتنا الإسلامية في معركة البقاء.

وأخيراً وليس آخراً، نستطيع أن نقول: إن أمتنا الإسلامية، وهي الآن على مفترق الطرق، يتحتم عليها - لكي تجد لها مكاناً تحت الشمس - أن تعيد ترتيب أوراقها وتعود إلى منابعها الأصيلة، وتأخذ منها كل المقومات الصالحة لغرس نبت إسلامي جديد، سيؤتي أكله بإذن ربه، ويجب عليها كذلك أن تدرك تمام الإدراك أن مستقبلها ستحدد ملامحه وآفاقه بناء على الاستشراف الناضج، ومن هنا نستطيع أن نقول فعلاً: أمتنا الإسلامية ... إلى أين؟!، وهذا التساؤل المحير لاينطبق على الإسلام وذلك لأن ليس للإسلام قضية فيما حدث ويحدث، وإنما القضية الحقيقية هي قضية المسلمين على حد تعبير الأستاذ الدكتور رشدي فكار، والذي ينتظر في غرفة الإنعاش هم المسلمين، والإسلام ما زال وسيظل مشرقاً، وذلك لأنه منهج الله (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) البقرة:١٣٨.

إزاء هذا، نطرح ونحن في ختام محاولتنا هذه، هذا السؤال الحيوي ألا وهو: هل فعلاً استفادت أمتنا من هذا الدرس؟ وهل سنعيد فعلاً صياغة واقعها على ضوء تصورات جديدة تعيد لها إشراقها وتألقها الحضاري وحيويتها وديمومتها؟ أم أنها ضاعت منها معالم الطريق، ولم تعد قادرة على الاختيار، والتمييز بين ما هو حق وما هو باطل؟ نأمل لأمتنا ألا يكون حالها الراهن معوقاً لها عن استشراف ملامح الغد المشرق الذي سيعيد لها قسمات وجودها الحضاري الذي ضاعت بعض ملامحه نتيجة تلك النكبات التي حلت بها، ولهذا ما زال التساؤل قائماً... أمتنا الإسلامية... إلى أين؟! والله من وراء القصد. ■

حل المنازعات بالطرق السلمية في القرآن والسنة

بقلم: الدكتور ماجد أحمد المومني

أفردت موضوعاً خاصاً عن قواعد وثوابت القانون الدولي وبينت أنها بجذورها مستوحاة من القرآن والسنة، وتعرضت لعدد من القوانين الدولية المتعارف عليها في العُرف الدولي ومنها مبادئ عن الحرية والمساواة والعدل.

بما تفخر به الديموقراطية الحديثة وبينت في موضوع خاص أنها مبادئ لا ترقى إلى مبادئ الشورى الإسلامية، ثم تعرضت لحقوق الإنسان وبينت أنها في مضامينها وقواعدها وتطبيقاتها منهج نظر وعمل وسلوك الفضائل في القرآن والسنة، وما كانت يوماً في الشريعة الإسلامية فصلاً بين المبادئ والتطبيق أو بين النظر والعمل.

ثم توالت الأبحاث بما فتح الله على بصيرتي من فهم للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لأدافع عن الإسلام في وقت تقوم به الحملة الظالمة على الإسلام والمسلمين والنعوت الباطالة كالإرهاب، والقتل والدمار وحب الحرب... وبينت بما فتح الله عليَّ في دراسة الحقائق التالية:

١ ـ الإرهاب بأشكاله وألوانه ابتداء من الإرهاب الفكري، وانتهاء بالإرهاب التكنولوجي، قد جاء في البروتوكول السابع، من بروتوكولات حكماء صهيون ـ ترجمة محمد خليفة التونسي، طبعة دار التراث بمصر صفحة ١١٥ ما يلي:

«... إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي... الحرية والمساواة والإخاء، ولن نبدّل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبّرة ببساطة عن فكرة وسوف نقول حق الحرية... وواجب المساواة وفكرة الإخاء، وبها سنملك الثور من قرنيه، لا وهو أن لنا طموحاً لا يحدُّ، وشرهاً لا يشبع، ونقمة لا ترحم، وبغضاء لا تُحسُّ».

٢ ـ الحقيقة الثانية أن مبادئ حقوق الإنسان والتي أقحمها مفكرو اليهود في الثورة الفرنسية ابتداء وانتهاء بمبادئ حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، تفصل المبادئ عن التطبيق، وتجعل منها أوهاماً يتعلق بها الضعفاء من الأميين ويقصدون بهم العرب خاصة والمسلمين عامة.

فقد جاء في البروتوكول الثالث، المصدر السابق نفسه ما يلي:

«... لقد حرصنا على أن نُقْحِم حقوقاً للهيئات خيالية محضة فإن كل ما يسمى بحقوق البشر أو حقوق الإنسان لا وجود له إلا في المثل التي لا يمكن تطبيقها عملياً».

٣ ـ الحقيقة الثالثة: هي أن النظام الرأسمالي لايوصل إلى الحكم بسلطاته الثلاث... التشريعية والتنفيذية والقضائية، والسلطة الخفية الرابعة وسائل الإعلام بأساليبها المختلفة والمتنوعة... أقول إن هذا النظام لايوصل إلى هذه السلطات إلا الرويبضة... وهم كما وصفهم رسول الله ـ ﷺ ـ عامة الناس من الجهلة والذين يحكمون الأمة، فلا يستطيع حاكم أو نائب في البرلمان أو قاض أن يصل إلى كرسي الحكم إلا بأموال دهاقنة الربا والفواحش والنزيه الشريف العالم يشكو من فراغ معدته وطواء بطون أولاده ولا يملك حتى رسوم الترشيح ولا يعطي موطئ قدم شريف ليصل إلى منصب ينصفُ الأمة ويزيل الغمة.

فقد ورد هذا التخطيط الخبيث في البروتوكول الثاني لبروتوكولات حكماء صهيون الخبيثة المصدر السابق نفسه، وجاء به ما يلي:

«... سنختار من بين العامة رؤساء إداريين ولهم ميول العبيد، ولكن لن يكونوا مدربين على فن الحكم، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا في أيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم...».

٤ ـ الحقيقة الرابعة: هي ألا وجود للأخلاق والعهود والمواثيق الدولية في قاموس الصهاينة واليهود عامة تماماً كما وصفهم الله في قوله تعالى:

(... أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون...) البقرة: ١٠٠، وقد ورد ذلك في البروتوكول الأول ـ من بروتوكولات حكماء صهيون الإجرامية: «... إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيد بالإخلاص ليس سياسياً بارعاً، وهو لذلك غير راسخ على عرشه، لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء فإن الشمائل العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل في عالم السياسية...».

الإسلام دين السلام:

الإسلام في اللغة الإذعان والطاعة لله تعالى ورسوله... وهو

سلام ورحمة للعالمين مصداقاً لقوله تعالى: (... وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين...) الأنبياء:١٠٧.

وفي الشريعة... الإسلام دين الله للعالمين كافة مصداقاً لقوله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام...) آل عمران:١٩، (... ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين...) آل عمران:٨٥.

والسلام من أسماء الله الحسنى، والمسلمون أحفاد سيدنا إبراهيم... وإبراهيم هو أول المسلمين... والعرب هم أحفاد إبراهيم وهم به أولى من اليهود والنصارى، بل إن الله صراحة أعلمنا أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكنه كان حنيفاً مسلماً، مصداقاً لقوله تعالى: (... ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين. إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) آل عمران: ٦٧ ـ ٦٨.

وقد حذرنا الله من اليهود بخاصة والمشركين عامه... ألا نؤمن لهم بعهد ولا ميثاق وأن نحذرهم... فاليهود لا عهد لهم ولا ميثاق ولا يؤمنون بالسلام، وأمة الإسلام دُعاة سلام وأمن واطمئنان، والإرهاب ملّتهم وسلوكهم وطغيانهم، مصداقاً لقوله تعالى: (... لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) المائدة: ٧٨ ـ ٧٩.

واليهود أشد الناس عداوة للمسلمين مصداقاً لقوله تعالى: (... لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا...) المائدة:٨٢.

وقوله تعالى: (... الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون...) البقرة:٢٧.

(... لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم...) آل عمران: ٧٣.

(... لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) آل عمران:٢٨.

الإسلام دين التراحم بين الناس:

فمن مظاهر التراحم بين الناس والتي هي مبادئ إسلامية سامية وردت في القرآن والسنة ما يلي:

١ ـ الإسلام دين التوحيد:

فبعد أن كانت عبادة الأوثان والأصنام والأزلام متعددة... أصبح توحيد الله الواحد الأحد، الفرد الصمد... المتنزه عن كل نقص... الكامل الكمال المطلق الذي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر... وكل ذلك في قوله تعالى: (قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد). الإخلاص: ١ ـ ٤.

٢ ـ الإسلام دين وحدة الخلق:

لا اختلاف في الأصل واللون أو الجنس أو الحسب أو النسب أو العرق والتفاضل فيه للتقوى فقط، والتقوى مخافة الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، والإيمان بأركان الإيمان الستة تصديقاً بالقلب، وإقراراً باللسان... وعملاً بالجوارح مع عمل وأداء لأركان الإسلام الخمسة بأوقاتها وأحكامها ومقاديرها وأركانها... بسلوك إجرائي أدائي... منتظم، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (... يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء...) النساء:١، فوحدة الخلق أسقطت نظرية شعب الله المختار وجعلت المفاضلة بين الأفراد والشعوب هي في التقوى فقط، مصداقاً لقوله تعالى: (... إن أكرمكم عند الله أتقاكم...) الحجرات:١٣.

١٣ ـ المؤمنون إخوة:

الأخوة في الإسلام... إخوة الايمان والعقيدة والسلوك، إخوة التعاون والأمر بالمعروف، إخوة نصرة الحق وإنصاف المظلومين... إخوة تتكافأ بها دماء جميع المسلمين ويسعى بذمتهم وخدمتهم كل واحد فيهم، مصداقاً لقوله تعالى:

(إنما المؤمنون إخوة) الحجرات:١٠.

(وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون: ٥٢.

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة:٢.

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) آل عمران:١٠٣.

وفي الحديث الشريف قال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» رواه مسلم والترمذي.

وقوله عليه الصلاة والسلام:

«الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» رواه مسلم والترمذي. «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً» متفق عليه. و « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه

«المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم» أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم.

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» رواه مسلم والبخاري.

٤ ـ المؤمنون بعضهم أولياء بعض:

قال تعالى:

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله وأولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة:٧١.

الولاية في هذا المقام تعني التعاضد والمشاركة والمسؤولية في كل ما يهم المسلمين أفراداً وجماعات وهذا لا يكون إلا بإطاعة الله والرسول التي وضحتها الآية الكريمة التالية في قوله تعالى:

(.. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) النساء: ٦٥، وربما الآية الكريمة التالية تكمل معنى هذه الآية في قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) الأنفال:٢.

وهذا البند أعم وأشمل من البنود السابقة وشروطه الامتثال الكامل للسنّة النبوية الشريفة من قول أو عمل مع مخافة الله في السر والعلانية في كل الأحوال والأفعال.

حل المنازعات بالطرق السلمية:

وهذا هو بيت القصيد في هذا الموضوع.. فمسألة الخلافات بين الأفراد أو الجماعات أو الأمم أوتكتل في الدول مع ما يقابله من تكتل مضاد موجود منذ عهد آدم وحتى الآن.

ولكن القوانين الوضعية مهما بلغت من الدقة والكمال، فإنها لا ترقى إلى التشريعات الإلهية في هذا الموضوع وتنظيماً للبحث بصدق وثبات وموضوعية... أطرح هذه الخلافات بأشكالها التالية:

١ - الخلافات بين المسلمين أفراداً أو جماعات مع الحلول الإسلامية بتشريعاتها الإلهية في القرآن والسنة.

٢ - الخلافات بين المسلمين وغيرهم مع الحلول وفقاً للقرآن والسنة وهذا البند ينقسم إلى:

- الخلاف مع غير المسلمين على مسائل دون احتلال لأراضي المسلمين أو جزء منها.

- الخلاف مع غير المسلمين الذين يحتلون أراضي إسلامية.

٣ - معاملة المسلمين لغيرهم من الملل والمذاهب داخل ديار المسلمين أو ممن هم خارج ديار المسلمين جواراً كانوا أو متباعدين.

وسأحاول طرح هذه البنود ودعمها بما تيسر من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مع إفساح المجال للباحثين للاستزادة والإفادة في هذا الموضوع..

● **أولاً : الخلافات بين المسلمين**

ويمكن أن يكون هذا الاختلاف في الرأي أو المذهب أو الاجتهاد والقول الفصل للقرآن الكريم ومن ثمَّ السنة النبوية الشريفة، مصداقاً لقوله تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام: ١٥٣.

فكل شيء مفصل بالقرآن الكريم ابتداء من الحدود للزنى والسرقة والقذف والقتل العمد والقتل الخطأ إلى ما شابه ذلك، والجروح قصاص جميعها واضحة في القرآن الكريم، فإن اختلط على المسلمين شيء فالرجوع إلى السنة النبوية الشريفة قولاً أو عملاً أو إقراراً لتطبيق أمر الله في قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) النساء: ٦٥.

فإن اختلط الأمر على المسلمين، فلم يجدوا نصّاً صريحاً في القرآن أو السنة النبوية فالتحكيم لعلماء المسلمين ممن تنطبق عليهم شروط الإفتاء وأهمها العلم مع التقوى... إن العلم من دون تقوى قد يوقع في الزلل والخطأ في أساليب إبليس وجنوده... ولابد من التمثيل حتى يسهل الفهم.

إن مسألة خلق القرآن التي أثارت الاختلاف بين المسلمين في عهد المأمون نتيجة لاطلاع بعض الفرق الإسلامية على الفلسفات القديمة من إغريقية وزرادشتية جعلت بعض الزنادقة يقولون بخلق القرآن بحجة أن العقل البشري يدرك ذلك.

ولأن تخصصي دكتوراه في الفلسفة أقول لهم إن العقل لايدرك إلا ما كان في دائرتي الزمان والمكان، فلا يمكنني أن أتصور الأزل... الأبد... حرارة جهنم وكيف يحتملها أصحاب النار... كما ولا يمكنني بالمقابل تصور النعيم المقيم في الجنة، ولا أنهار العسل واللبن والقطوف الدانية، فهي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرت ببال بشر، حتى ولو وجد الاختلاف في هذه المسائل فالفتوى لعلماء المسلمين الأتقياء الذين يخافون الله، مصداقاً لقوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) الأنفال:٢.

فلا يجوز الإفتاء لعالم من دون تقوى لأنه قد يستخدم ذكاءه وعلمه في خدمة إبليس كما لايجوز لتقي دون علم الإفتاء بحجة الإلهام والكشف وهي أمور لا تستند إلى العقل، وفي هذه المسائل... الاستنساخ البشري... تحديد النسل... تنظيم الأسرة... إقامة السلام مع اليهود المطرودين من رحمة الله، والذين يحتلون أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين... وما شابه ذلك من مسائل... الفتوى بها لأهل العلم والتقوى معاً.

أما إن وصل الخلاف بين المسلمين أفراداً أو جماعات إلى حد الاقتتال فالحلول موجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نصاً وروحاً في قوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) الحجرات:١٠.

الخلاف ظاهرة طبيعية حتى بين الإخوة... ولكن بقية المسلمين... عليهم واجب الإصلاح بينهما وهذا الواجب أمانة في أعناقهم فلا

يبخل عنه قادر ولا يتفرج عليه متخاذل مصداقاً لقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) آل عمران:١٠٣، فإن احتدم الخلاف ولم يمنع من وقوعه الاحتكام إلى حبل الله ورسوله فلابد من مقاتلة الفئة الباغية بأمر من الله ورسوله مصداقاً لقوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات:٩.

ومن تدبر هذه الآيات القرآنية يجد أن حل المنازعات بالطرق السلمية ابتداء بالإصلاح وإنتهاء بمقاتلة الفئة الباغية لابد أيضاً من أن نختمها بعد القتال بإصلاح عادل... فالله يحب المقسطين... الإصلاح السلام هو الأساس ابتداء وآخرا... أي شريعة وأي قانون يرقى إلى مثل هذا الوضوح!.

● **ثانياً: الخلافات بين المسلمين وغيرهم:**

أ ـ الخلاف على مسائل دون احتلال أراض... مثل صلح الحديبية والمعاهدات مع اليهود والتي نقضوها مع الرسول ابتداء من تحالفهم مع أعداء المسلمين إلى خيانتهم في غزوة الإحزاب وانتهاء باحتلال فلسطين والضفة والقطاع وجنوب لبنان... والجولان، فالصلح معهم قبل الخيانة والاحتلال جائز، وغير جائز مع الخيانة والاحتلال.

أما الحكم الشرعي في المسائل دون احتلال أراض للمسلمين فالأحكام موجودة نصاً في القرآن الكريم بقوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) المتحنة:٨.

ب ـ أما إن كان الخلاف مع الغير مع وجود الاحتلال ـ كما هو واقع الآن ـ على أرض فلسطين والضفة والقطاع والجولان وجنوب لبنان.. فالجهاد فريضة على كل مسلم ومسلمة حتى تتحرر الأرض وننقذ الأهل... تخرج المرأة دون إذن زوجها، وإعلان الجهاد على أفراد الأمة الإسلامية شيباً وشباناً... ذكوراً وإناثاً فريضة...

وما يسمونه إرهاباً هو غير الدفاع عن النفس وإنقاذ الأرض وحماية العرض، وإسعاف الأهل مصداقاً لقوله تعالى: (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)، التوبة:٤١.

(فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) التوبة:٥.

(فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) التوبة:١٢.

(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) التوبة: ١٤.

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة:٢٩.

بل إن الله قد نص صراحة على قتال اليهود لكفرهم وطغيانهم وقتلهم الأنبياء وإشاعتهم الفساد... ومنع المسلمين من موالاتهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون... بمعنى لا يجوز لمسلم أن يسالمهم ماداموا يحتلون أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومهبط الإسراء والمعراج والأرض المباركة في فلسطين والجولان وجنوب لبنان والضفة والقطاع مصداقاً لقوله تعالى: (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) المتحنة: ٨ ـ ٩.

ثالثاً: معاملة المسلمين لغيرهم من الملل والمذاهب داخل ديار الإسلام... لهم ما لنا وعليهم ما علينا... شرط أن يدفعوا الجزية مقابل حمايتهم وأمانهم على أرواحهم وممتلكاتهم... مع إعفائهم من الزكاة المفروضة على المسلمين.

أما معاملة المسلمين لغيرهم خارج ديار المسلمين فتقوم على الاحترام المتبادل وعدم الاعتداء والالتزام بالعهود والمواثيق.

(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) المؤمنون : ٨

هذه شريعة الإسلام ... عقيدة ومنهج حياة وما الحملة الظالمة على الإسلام إلا لتغطية جرائم الاحتلال والمذابح التي ارتكبوها في دير ياسين الفلسطينية وبحر البقر المصرية وعناقيد الغضب في قانا اللبنانية... ومذابح صبرا وشاتيلا وما ارتكبوه من هدم للبيوت على رؤوس أصحابها... ومصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات والقرى المحصنة مصداقاً لقوله تعالى : (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألاإنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون. الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) البقرة: ١٠ ـ ١٦. ■

المراجع:

● أصول الدين الإسلامي ـ أ.د. قحطان الدوري ـ جامعة آل البيت.
● فلسفة الحضارة الإسلامية ـ أ.د. عفت الشرقاوي ـ جامعة الإسكندرية.
● بروتوكولات حكماء صهيون الإجرامية ـ ترجمة أ. محمد خليفة التونسي.
● المبادئ العامة في القانون ـ أ.د. عبدالمنعم الصدر ـ معهد الدراسات الإسلامية.
● التنظيم الدولي أ.د إبراهيم أحمد شلبي ـ جامعة الإسكندرية.

استرح وتذوق أجوائنا المتجددة



اسلوب جديد في السماء

عند إستقبال ضيوفك فإنك ترغب أن يكون كل شيء على ما يرام، وهذا ما فعلناه على متن طائراتنا. ولإكتساب المزيد من ثقتكم يوماً بعد يوم فقد صممنا ديكورات داخلية جديدة، ومقاعد مريحة وأواني خدمة جديدة على أرقى مستوى لنقدم لكم خدماتنا ووجباتنا المتميزة. كل هذا لأننا نسعى لراحتك والإستمتاع بصحبتك.

الخطوط الجوية الكويتية
ثقتكم غايتنا

ALSIHAM FP7

حضارة



هوية الإعلان في سياقه الحضاري

منذ سنوات عدة قرأنا في إحدى الصحف القاهرية، أن أحد الأشخاص قام بتحطيم جهاز التلفاز إثر إصابته بنوبة عصبية، من فرط تأثير بعض الفقرات الإعلانية عليه.

والحقيقة أن هذا الشخص لم يرد أن يصيب الجهاز بأدنى أذى، فهو سلوته، إنما أراد أن يحطم تلك المنظومة الدعائية، الاستهلاكية، اللاأخلاقية، والتي انبعثت من داخل هذا الصندوق ذي الواجهة الزجاجية، وقد جعل العالم من حوله يُباع ويُشترى، كما جعل منه رب أسرة عاجزاً أمام متطلبات لا تنتهي، وبغير ذات قيمة حقيقية من أجل العيش بكرامة.

بقلم: محمود العطار



ولا عجب أن تكون نواة الإعلام الحديث قد ظهرت من أجل خدمة الدبلوماسية والتجارة وأسواق المال، على هيئة وكالات للأنباء مع بداية القرن التاسع عشر، وهي الحقبة التي شهدت الثورة الصناعية في الغرب توازياً مع التغير الضخم في بنية الفكر الغربي، فظهرت على كوكب الأرض حضارة جديدة، تحمل سمات وخصائص نابعة من ذاتها، متخذة لصيرورتها ما يناسبها من قيم ومبادئ حفاظاً على استمرارها.

ولئن كانت الثورة الصناعية قد انتجت ضمن ما أنتجت وسائل الاتصال الجماهيري، فأهمية هذه الوسائل فضلاً عن خطورتها، أنها تستطيع أن تشكل وتصنع رأياً عاماً يكون في خدمة أهداف الحضارة المستخدمة، وتكمن الخطورة في سمات وخصائص وقيم ومبادئ تلك الحضارة التي وإن كانت تصلح لأهلها أو منطقتها، فليس بالضرورة أن يصلح بعضها أو كلها لباقي خلق الله، ولكن الواقع يفرض على سكان الأرض أن يتعرفوا عليها في أضعف الأحوال، إن لم يتشربوها، بفضل ما يمتلكه الغرب من أدوات وتقنيات فعالة وعابرة ومبهرة.

ومأساة الغرب أنه جعل المنفعة المطلقة في الحياة هي الغاية المثلى بصرف النظر عن أي اعتبارات إنسانية، وكان من نتيجة ذلك ظهور الجشع البشري في صورة رأسمالية بلا حدود، تطورت إلى إمبريالية شرسة تسمح للدول الصناعية أن تمتص دماء إخوانها من البشر، وتحولهم إلى عالم ثالث كما يطلق عليهم الإعلام الغربي!

والمأساة الأخرى في بنية الحضارة الغربية أنها اشترت العقل بالإيمان، معتقدة أنه الحقيقة المطلقة التي مكنتها من تلك الثورة والقفزة التاريخية، وهذا هو الغرور المفضي إلى خواء الروح.

في قلب هذا الخضم الحضاري يظهر الإعلام كخصيصة من خصائص العصر ومقوم من مقومات الحضارة، وفي قلب الإعلام يأتي الإعلان «التجاري» كأخص الخصائص وأدق المكونات، فإذا كان جوهر «المدنية» الغربية قائماً على عبادة المال وتأليه العقل، فالنتيجة تكون السعي وراء المال بأي وسيلة، والانسلاخ عن القيم الروحية والعقدية، والنفور من الثوابت الأخلاقية والإنسانية، بعد الالتجاء للعقل كمعيار وحيد ومطلق يستهدي به المجتمع في مسيرة حياته.

وهنا يتضح دور الإعلان المحوري في الحضارة الغربية الحديثة، باعتباره الركيزة التي ترتكن إليها الآلة الصناعية من

أجل التسويق والبيع والربح، فتتغذى الآلة وتنمو، وتدور الدورة دورتها. ولا يألوا القائمون على المؤسسات الرأسمالية جهداً لإيصال المنتج إلى المستهلك بأي وسيلة كانت، حتى رأينا بعض الإعلانات تساوي بين المنتَج وبين الحياة ذاتها، ولا أظن أن تلك الفتنة قد بعدت عن إثم الشرك كثيراً، ولأن الإعلان يقوم على الإبهام والاستهواء فلابد للصورة أن تبهر وللكلمة أن تسحر، حقاً أو باطلاً، لأن هدف جمع المال أسمى من أي شيء، والعقل وافقنا على ما نقترفه من أعمال أو «جرائم» من أجل تقدم حضارتنا وتضخمها وازدهارها.

بذلك نستطيع أن نتلمس طريقاً لاكتشاف أسباب التردي الأخلاقي فيما نرى ونسمع ونقرأ من إعلان مكتوب ومنطوق باللغة العربية، لسان حضارتنا وثقافتنا وديننا وقرآننا، ومع التطور التقني أصبحت الصورة كذلك لغة، وعليه فالأجدر بها أن تنبع من ثقافتنا وتعبر عن حضارتنا وتتفق وعقيدتنا.

والإسلام ضمن تيار تاريخي جعل الله للكون فيه من سنن بها تقوم الحياة وتأخذ الدنيا زخرفها، وتتشكل صورة كوكب الأرض بقدر طاقة الإنسان على التصور والعمل بما يعتقد.

والظرف التاريخي الذي يحياه المسلمون جُعلت كلمة الغرب هي العليا، لأن الله سبحانه (لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وأهل الإسلام لا يغيرون ما بأنفسهم من تبعية، تتمثل تلك التبعية في مجال طرحنا لموضوع الإعلان بما ننقله من مفاهيم وقيم، هي في الأصل غريبة بعيدة عن جذورنا وهويتنا.



والإعلان عصارة تجربة الغرب الحضارية، فهو يجسد المدنية الرأسمالية ممزوجة بفن روح الحضارة التي أوجدتها، والفجوة تأتي من الفرق بين النهضة وانعكاساتها.

فإذا كان الغرب شيد نهضته الحضارية مع بداية أفول شمس الحضارة الإسلامية وعلى أنقاضها، فالشكل المدني المعاصر الذي نراه اليوم في الغرب هو حاصل التجربة، وانعكاس لنتائجها. بينما الحال ليس كذلك في ديار المسلمين، إذ إنهم نقلوا الشكل بما يطرحه من معان وقيم دون المرور بالتجربة نفسها، والتي كان من المؤكد أن تُخاضَ بمفاهيم روح مختلفة، بسبب اختلاف المرجعيات لدى كل أمة.

ففي ظل مرجعية التوحيد قطعاً سنعثر بقليل من الكيد على ألفاظ غير أعجمية لأدوات أنشأتها حضارة الغرب وعقيدته، وأضفت عليها من روحها ورؤاها بدءاً من الاكتشاف وحتى الأسماء مثل «التليفون - التلفاز - الساندويتش - الكمبيوتر - الجاكيت... إلخ»

وعندئذ تضيق الفجوة ويكون العثور وعلى البدائل متاحاً في القاموس العربي، فالإبداع الإنساني لابد وأن تجمعه وحدة عضوية، تبدأ من المقدمات وتنتهي مع النتائج. والأب الذي ينجب والأم التي تلد أولى بتسمية الولد وأحق بتنشئته على منوالهما، فإذا انتقلنا بالذهن نفسه إلى ظاهرة الإعلان، وهو الابن الشرعي للغرب، سنكتشف أنه مشبع بمعان ومفاهيم وقيم نبتت من تربة ذات مرجعية علمية عقلية نفعية مطلقة، تتعارض وتصطدم بمرجعيتنا الإسلامية.

وإذا أردنا أن نصلح من حال الإعلان، أو بالأحرى الإعلام، بما يتفق وعقيدتنا، فلننهض أولاً كما أمرنا الله، ولنصبغ حياتنا بصبغة الإسلام، ونصوغ حضارتنا برباط التوحيد، متوجهين إلى الباري، خالق السنن بالميزان، وفي أحسن تقويم خلق الإنسان، نفخ فيه من روحه، ووهبه نعمة العقل، وعلّمه الحكمة والبيان ليكون خليفته في الأرض، صانعاً ومنشئاً ومبدعاً وعابداً، ومستغنياً عن زينة الدنيا، زاهداً في زخرفها. وحينئذ لن نجد صعوبة كبيرة في الوصول إلى إعلان مستخرج من معجمنا الحضاري، وإلى ذلك الحين فلنتق الله في أنفسنا وفي الحياة من حولنا. ■

أحكام

الميراث في الإسلام

هل يقوم على أساس الأقربية أم على أساس الأحقية؟

بقلم: د. رفيق يونس المصري

قال رسول الله - ﷺ -: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر»(١). هذا الحديث النبوي الشريف يبين أن الورثة صنفان:

أصحاب فروض «فرائض»، عَصَبات، ولفظ العصبات، وإن لم يرد في هذا الحديث، إلا أن العصبات عند علماء الميراث هم الذين يأخذون الباقي من التركة، بعد أصحاب الفروض، وهم عند هؤلاء ثلاثة أصناف: عصبة بالنفس، وعصبة بالغير، وعصبة مع الغير، وليس هنا مجال شرح هذه الأصناف.(٢)

وقد نقل العلماء معنيين للفظ: «أولى» الوارد في هذا الحديث: معنى اعتمدوه، وهو: أقرب، ومعنى رفضوه، وهو: أحق، فهناك نزعات قديمة، وأخرى معاصرة، تميل إلى تفسير أولى بمعنى أحق.

ومنهم من يريد هذا المعنى، ويحوم حوله، دون تصريح بلفظه، حتى لا يقع في صدام صريح مع العلماء، بل مع إجماع هؤلاء العلماء.

ومنهم من يعتمد على رأيه، دون البحث عن أقوال العلماء أولاً، فهؤلاء هم الذين قيل فيهم: «أعياهم البحث عن الآثار، فقالوا بآرائهم»، وهؤلاء هم الذين ينتمون إلى مدرسة الرأي «المذموم»، وليس من السهل على من يكتفي بالحفظ والترداد، ومجرد سرد الآثار والنصوص، أن يجاريهم في المناقشة والتحليل، وهؤلاء يقدمون آراءهم، أو ما يزعمونه من «المصالح»، على النصوص الشرعية، وربما استتروا ولم يصرحوا بذلك، وهم «طوفيون»، أي من أتباع الطوفي، ظاهراً أو باطناً.

إننا نستعرض أقوال العلماء في لفظ «أولى»، لنرى أخيراً أن الأقربية هي أساس الميراث، وأن الأحقية ليست هي الأساس، وأن القول بها يفتح باباً للهوى والتلاعب في الفتاوى والأقضية الإرثية.

قد يبدو لأول وهلة أن الأقربية والأحقية، الواردتين في عنوان مقالنا هذا، هما بمعنى واحد، سنبين في هذا المقال أن الأحقية لا تزيل الإبهام عن لفظ الأولية الوارد في الحديث، أما الأقربية «قرابة النسب» فإنها لا جرم تزيله.

أولى أقرب وليس أحق

قال ابن حجر: أولى: «افعل تفضيل، من الولي، بسكون اللام، وهو القرب، أي لمن يكون أقرب في النسب إلى الموروث، وليس المراد هنا الأحق، وقد حكى عياض أن في رواية ابن الحذاء، عن ابن ماهان، في مسلم: «فهو لأدنى» بدال ونون، وهي بمعنى الأقرب. «وهما (أولى، أدنى) متقاربان في الرسم».

قال الخطابي: المعنى: أقرب رجل من العَصَبَة، وقال ابن بطال: المراد بأولى رجل أن الرجال من العصبية، بعد أهل الفروض، إذا كان فيهم من هو أقرب إلى الميت، استحق دون من هو أبعد، فإن استووا اشتركوا...» اهـ كلام ابن حجر (٣) وقال النووي: «لأنه لو حمل هنا على أحق لخلا من الفائدة، لأنا لا ندري من هو الأحق»(٤). وقال الخطابي: «معنى أولى ههنا: أقرب، والوَلْيُ: القرب، يريد أقرب العصبية إلى الميت، كالأخ والعم، فإن الأخ أقرب من العم، وكالعم وابن العم، فالعم أقرب من ابن العم، وعلى هذا المعنى: لو كان قوله بمعنى أحق لبقي الكلام مبهماً، لا يستفاد منه بيان الحكم إذ كان لا يُدرى من الأحق ممن ليس بأحق، فعلم أن معناه: أقرب النسب، على ما فسرناه، والله أعلم»(٥).

ما يستفاد من كلام هؤلاء العلماء:

١ - إجماعهم «أولى»: أقرب، من الولي، وهو القرب، أي هو أول من يلي، ومنه قوله تعالى: (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) التوبة:١٢٣، وقوله تعالى أيضاً: (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون) النساء:٣٣، الموالي ههنا: العصبة، أو الورثة، على قولين(٦).

٢ - وعيهم بالمعنى الآخر، وهو «أحق»، وإجماعهم على رفضه، لأن الأحقية ستخضع عندئذ لأهوائنا، فكل من نراه أحق بميراث العصبات جعلناه داخلاً في هذا اللفظ، الذي صار بهذا المعنى فضفاضاً غير محدد.

المستند الشرعي لإرث العصبة:

لفظ «أولى»، في الحديث المتقدم، ورد في سياق إرث العصبة، ويحسب البعض أن المستند الشرعي في ميراث العصبة هو قول رسول الله - ﷺ - : «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر»، وقد تقدم ذكره.

والحقيقة أن هناك مستنداً شرعياً آخر من القرآن الكريم:

١ - قال تعالى: (فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث) النساء:١١، أي: ولأبيه الباقي: الثلثان، فإرث الأب هنا إرث تعصب «بالنفس».

٢ - وقال تعالى: (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) النساء:١١، أي ولأبيه الباقي: خمسة أسداس، فإرث الأب هنا إرث تعصيب «بالنفس».

٣ - وقال تعالى: (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) النساء:١١، أي: وللولد الباقي: أربعة أسداس: الثلثان. فإرث الولد هنا إرث تعصب «بالنفس»، إن كان هناك ابن أو أبناء فقط، وإرث تعصيب «بالغير»، إن كان هناك بنات مع الأبناء، يؤيد هذا قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) النساء:١١، فإرث الأولاد هنا إرث تعصيب «بالغير».

٤ - وقال تعالى: (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) النساء:١٧٦، أي الأخ «لأبوين، لأب»، فإرث الأخ هنا إرث تعصيب «بالنفس»، إذا لم يكن معه أخت، وإرث تعصيب «بالغير»، إذا كان معه أخت، يؤيد هذا قوله تعالى: (وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) النساء:١٧٦. فإرث الإخوة والأخوات «لأبوين، لأب» هنا إرث تعصيب «بالغير».

٥ - وقال تعالى: (فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) النساء:١٢، أي: إن كان للزوجات ولد فللزوج الربع، وللولد الباقي: ثلاثة أرباع، إذا لم يكن هناك أب ولا أم، فإرث الولد هنا إرث تعصيب.

وكذلك في قوله تعالى: (فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) النساء:١٢، أي: إن كان للزوج ولد فللزوجة الثمن، وللولد الباقي: سبعة أثمان، إذا لم يكن هناك أب ولا أم، فإرث الولد هنا إرث تعصب أيضاً.

ما يستفاد من المستند القرآني لإرث العصبة

١ - إن الأب، والابن، والأخ «لأبوين، لأب» هم عَصَبَة «بالنفس».

٢ - إن ترتيبهم في العُصوبة: الابن، فالأب، فالأخ، ذلك لأن الابن لا يكون إلا عاصباً، أما الأب فهو تارة عاصبٌ، وتارة صاحب فرض، ويكون صاحب فرض عندما يكون هناك ابن، فإذاً عصوبة الابن مقدمة على الأب، كما دلت على ذلك الآية ١١ من سورة النساء، عُدْ إليها وتأملها.

والابن والأب مقدمان في العصوبة على الأخ، لقوله تعالى: (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) النساء:١٧٦، وهو أي الأخ يرث أخته إن لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد، لم يرث الأخ، فالولد يحجب الأخ ولا يحجب الأب، بل الأب يرث مع الولد بالفرض، كما أن الأب يُدْلي إلى المورث مباشرة بلا وساطة، بخلاف الأخ، فإنه يدلي إليه بوساطة، والذي يدلي مباشرة مقدم على من يدلي بوساطة.

٣ - إن هذا الترتيب في العُصوبة مبني على القرب، فالابن أقربهم، ثم يليه الأب، ثم يليه الأخ، فصار الإرث بالعصوبة مبنياً على القرب، ولذلك اتفق العلماء على أن معنى: «أولى في الحديث هو أقرب، فضلاً عما ذكر في بعض الروايات بلفظ: «أدنى»، ومعناه لا يحتمل إلا أقرب.

٤ - وعلى هذا أن تفسير الفقهاء تفسير قوي مستند إلى نصوص القرآن، وليس كما يزعم بعضهم بأنه تفسير اجتهادي، أي يقبل النقض بسهولة.

٥ - بل إن نظام الميراث كله مؤسس على أساس القرابة، فلا يسمح لأحد بمحاولة هز هذا الأساس.

القرابة أساس الميراث:

يقوم الميراث على أساسين أسايين: القرابة، والتبعة، ويقصد بالتبعة مسؤولية الإنفاق العائلي، فالذكور يرثون عموماً أكثر من الإناث، لأن أعباءهم المالية أكبر، حسب نظام النفقات في الإسلام، فالذكر هو الذي يدفع المهر، وهو الذي ينفق على زوجته وأولاده، كذلك الأولاد هم أوفر حظاً من الآباء، لأن الأولاد يستقبلون الحياة وتكاليفها، والآباء يستدبرونها، هذا عن أساس التبعة.

أما أساس القرابة فإننا نجده قائماً في جميع أصناف الورثة: أصحاب الفروض، والعصبات، وذوي الأرحام، فذوو الأرحام قرابتهم بعيدة، وهم يأتون في آخر قائمة المرشحين للإرث، وهناك مذاهب لاتورثهم «المالكية، والشافعية، والظاهرية»، وأخرى تورثهم «الحنفية، والحنابلة»، إذا لم يوجد أصحاب فروض وعصبات.

أما العصبات فأساس القرابة فيهم واضح جداً، لقوله - ﷺ - في الحديث السابق ذكره، ولمناسبة إرث العصبات: «أولى رجل ذكر» فلفظ: «أولى» يعني أن القريب يحجب البعيد «حجب حرمان»، فالابن أقرب من ابن الابن، والأب أقرب من الأخ، والأخ أقرب من العم، وهكذا، وبرهانه في موضع آخر.

أما أصحاب الفروض، فالقريب منهم يحجب البعيد، فالبنات يحجبن بنات الابن، وإذا كان هناك بنتان أخذتا الثلثين بالتساوي، وإذا كان

هناك بنت وبنت ابن أخذت البنت النصف، وأخذت بنت الابن السدس، تكملة الثلثين، وهما فرض البنتين، أي القريب هنا يرث أكثر من البعيد، وقد يرث أصحاب الفروض معاً، فلا يحجب أحد منهم غيره، لقوة الجميع في القرابة، ولكن قد يتفاوتون في مقدار الإرث تبعاً لتفاوت قوتهم في القرابة، فهناك ستة من الورثة لايحجب بعضهم بعضاً، ويحجبهم غيرهم: الولدان «الابن، والبنت»، الوالدن «الأب، والأم»، الزوجان «الزوج، والزوجة»، وهؤلاء الستة يدلون إلى الميت مباشرة، أي بلا وساطة، وهم محيطون بالمتوفى، ويشكلون أسرته. وبهذا نرى أن القرابة أساس في مبدأ الإرث، وأساس الإرث، فهي أساس مهم من أسس الميراث.

خاتمة:

إن القرابة أساس الميراث:

١ ـ فإذا لم يكن قريباً لم يرث، اللهم إلا إذا انعدم القريب، فإن بيت المال يكون هو الوارث «بيت المال وراث من لا وارث له».

٢ ـ والقريب قد يحجب البعيد، كالابن يحجب الأخ.

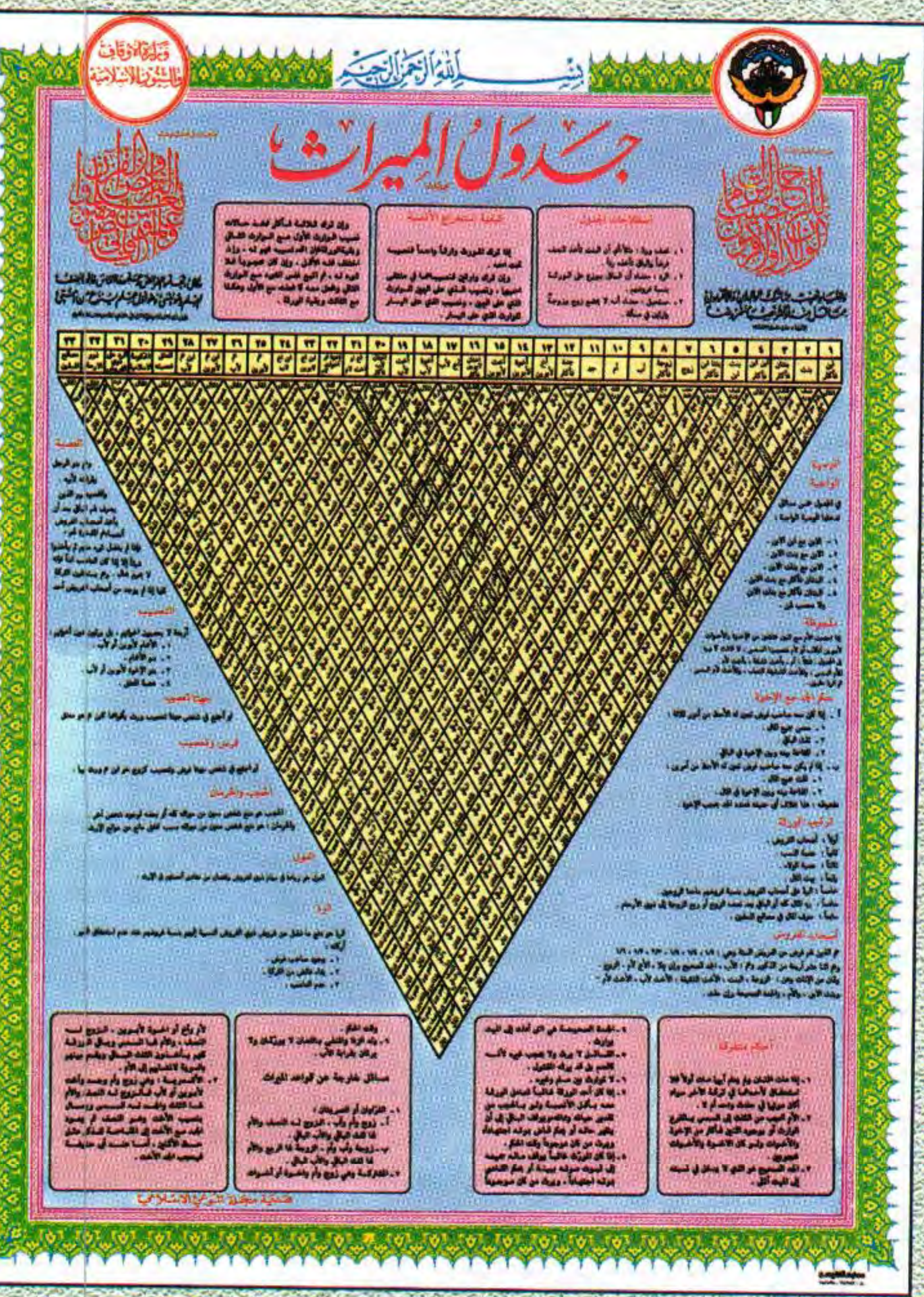
٣ ـ والقريب يرث أكثر من البعيد، كالبنت وبنت الابن، للبنت النصف، ولبنت الابن السدس، تكملة الثلثين، حصة البنتين.

٤ ـ فإذا تساووا في القرب تساووا في الحصص، كالأبناء، أو الإخوة، أو الزوجات.

٥ ـ وقد أجمع العلماء على أن لفظ «أولى» الوارد في الحديث، يعني: أقرب، وإجماعهم هذا مستند إلى القرآن الكريم، كما بينا.

٦ ـ إن «أولى» لا تعني: أحق، لأن هذا المعنى يجعل اللفظ باقياً على إبهامه، ويفتح الباب أمام كل معنى يريده الناظر، ولا يتسع المقام لبيان الآثار الخطيرة المترتبة على هذا المعنى «أحق».

٧ ـ القول إن أولى معناه أحق يخالف إجماع العلماء، ويهدم أساس ميراث العصبة خصوصاً، والميراث الإسلامي عموماً. وأخيراً فإن على المسلم أن يستفتي قلبه، وأن لا يركن إلى شهرة العالم، فكثيراً ما يستمد العالم شهرته من رخصته، لا من علمه، وكثيراً ما تحفره شهرته، أو تستغل، للمزيد من الاجتراء على النصوص، وقلما يسأل مترخص عن دليل، ويكأنهم يرون الرخصة هي الدليل! أنا مع الرخصة بالتأكيد، ولكني لست مع رخصة لايسندها دليل، فتحليل الحرام في الإسلام كتحريم الحلال، سواء بسواء، فعلى العلماء أن ييسروا ما يسر الله ورسوله، وعلى المسلمين الا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضى الله ورسوله، ويسلموا تسليماً، والله أعلم بالصواب. ■



الهوامش:

١ ـ صحيح البخاري ١٨٧/٨، وصحيح مسلم بشرح النووي ٥٢/١١.

٢ ـ انظر كتابي: «علم الفرائض والمواريث: مدخل تحليلي»، ص٣٧ فما بعدها، وكتابي: «مبادئ علم الميراث: عرض جديد مؤيد بالبراهين والأدلة والمصادر»، ص١٥، و٣٩ فما بعدها.

٣ ـ فتح الباري ١١/١٢.

٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ٥٣/١١.

٥ ـ معالم السنن ٩٧/٤، ومثل هذا المعنى في إرشاد الساري ٤٢٧/٩، وعمدة القاري ٢٣٧/٢٣، وتحفة الأحوذي ٢٧٥/٦، والفتح الرباني ١٩٤/١٥، وشرح السنة ٣٢٦/٨، وعون المعبود ١٠٤/٨، وسبل السلام ٩٥٣/٣ ـ ٩٥٤، ونيل الأوطار ٦٣/٦، وفتح العلام ٧٧/٢.

٦ ـ أحكام القرآن للجصاص ١٨٣/٢ ـ ١٨٤، وتفسير الطبري ٢٦٩/٨، والرازي ٨٤/١٠، والقرطبي ١٦٥/٥.



مذكرات ألماني مسلم

المسلمون في ألمانيا

صراع من أجل التكامل

بعد أن أشهرت إسلامي وصلتني رسائل تهديد بالقتل تصفني بالمسلم القذر

بقلم المهتدي : عبدالهادي هوفمان

ترجمة : منصور أبو العينين

متى بدأت هجرة المسلمين إلى ألمانيا ؟

عاش المسلمون في ألمانيا منذ قرون عدة مضت في شكل مجموعات صغيرة، كانت بدايتهم في العام ١٧٣١م، عندما قام الملك فريدريك ويلهام، ملك بروسيا الذي اعتنق الإسلام في ذلك الوقت بإلحاق عشرين جندياً مسلماً تركياً بجيشه.

لكن العمالة المسلمة الوافدة عرفت ألمانيا بشكل فعلي عندما بدأت هذه الدولة الأوروبية الغربية تستورد العمالة الأجنبية - والتي كان معظمها من المسلمين - في الستينات من هذا القرن، وبالتحديد العام ١٩٦١م، وكان ذلك بسبب نقص في العمالة الوطنية، قابله تطور ونهضة اقتصادية ألمانية، حيث كانت الوظائف المطلوبة في ذلك الوقت ٥٠٠ ألف وظيفة، في حين كان المتوافر من العمالة الوطنية لا يزيد عن ١٨٠ ألفا فقط.

بعد ذلك، وعلى اثر استكمال حاجة البلاد من العمالة الأجنبية، اضطرت الحكومة الألمانية إلى تنظيم عملية استيراد تلك العمالة، فوقعت اتفاقات عدة مع عدد من الدول مثل: إيطاليا واليونان وأسبانيا وتركيا والمغرب والبرتغال وتونس ويوغسلافيا.

وكان من المتوقع أن إقامة هذه العمالة في ألمانيا سيكون موقتاً، وأنهم قد وفدوا إليها لتحقيق وفر مالي يساعدهم عند عودتهم إلى أوطانهم، ولم يكن يخطر ببال أي إنسان في ذلك الوقت أن تلك الهجرة الموقتة كانت بمثابة البداية لاستقرار الجاليات الإسلامية في ألمانيا.

وقد بدأت - مع استقرارها - مشوار المتاعب عندما جلبت العمالة الوافدة – من تركيا والمغرب وتونس معها – إلى ألمانيا أساليب وعادات دينية وغذائية غريبة على المجتمع الألماني.

لم يكن الوجود الإسلامي في ألمانيا يسبب أي مشكلة حتى نهاية الستينات، وكان «الإرهاب الفلسطيني» وحده، دون غيره، هو الذي خطف الأضواء ولفت الأنظار، في حين أن عبارة «الإرهاب الإسلامي» لم تكن قد دخلت قاموس المفردات الألماني حتى ذلك الحين، ولهذا السبب لم يتعرض المسلمون الوافدون لأي مضايقات في ذلك الوقت.

وفي نوفمبر العام ١٩٧٣م، ومع بداية ارتفاع أسعار النفط المستورد، بدأت الصورة الاقتصادية في ألمانيا تتغير، وبدأت مخاوف الحكومة تتزايد من ركود اقتصادي يلوح في الأفق، فأصدرت تعليماتها بوقف استيراد العمالة الأجنبية من خارج الدول الأوروبية، حيث كان قد وصل عدد العمال الأتراك وحدهم في ألمانيا في ذلك الوقت إلى ٩٠٠ ألف عامل.

اعتنقت الإسلام عن اقتناع كامل لثلاثة أسباب ولم أبلغ أحدا بذلك إلا القليل من أصدقائي المقربين

إقفال باب التعيينات وفتح باب الالتحاق بعائل

بعد أن زدات العمالة الوافدة عن حاجة البلاد، قررت الحكومة الألمانية، ليس وقف تدفق هذه العمالة فقط، بل إعادة ما استقر منها في الدولة إلى أوطانها، غير أن النجاح لم يحالفها في تحقيق هذا التوجه، ولاسيما ما يتعلق بالمبدأ الثاني «الخاص بموضوع التسفير» وذلك بسبب معارضة رجال الأعمال وأصحاب المصانع في الاستغناء عن عمالتهم المدربة، علاوة على رفض العمال أنفسهم مغادرة ألمانيا لعدم ادخارهم الأموال التي تؤمِّن لهم الاستقلال أو الاستقرار الاقتصادي الذي ينشدونه في بلادهم حال عودتهم إليها.

في هذه الأثناء، بدأ العمال الوافدون يمارسون حقوقهم - التي سبق منحهم إياها بموجب اتفاقات دولية - ويقومون بجلب عائلاتهم لمرافقتهم في ألمانيا، موطنهم الجديد، وقد وصل تدفق أفراد تلك العائلات للإقامة أعلى كثافة في الفترة من العام ١٩٧٣م حتى العام ١٩٨٠م، حيث بلغ عددهم خلال العام ١٩٨٠م وحده ٢١٢ ألف شخص... في أكتوبر العام ١٩٨٢م، نجحت حكومة حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي في الوصول إلى الحكم، وفي محاولة منها لحل مشكلة تدفق الهجرة إلى ألمانيا، أصدرت قانوناً جعل من حق كل من يرغب من هؤلاء الأفراد في مغادرة ألمانيا والعودة نهائياً إلى وطنه الحصول على مكافأة مالية.

وبالرغم من انخفاض معدل الهجرة إلى ألمانيا على أثر المحاولات السابقة، فإن مجموع الوافدين الجدد قد بلغ عامي ١٩٨٣م و ١٩٨٤م ٤٢ ألف شخص، كما وصل عدد أفراد الجالية التركية وحدها في البلاد إلى مليون ونصف المليون شخص، وقد بلغ عددهم في السنوات الأخيرة ١,٩ مليون تركي.

أعداد المهاجرين المسلمين في ألمانيا

بالرغم من عدم توافر إحصاء دقيق لعدد المسلمين في ألمانيا، فإن عددهم يقدر حالياً بنحو ٢,٢ مليون مسلم، معظمهم من الأتراك، يليها المغرب، ثم يوغسلافيا، وأقلهم عدداً الذين وفدوا إلى ألمانيا بشكل رسمي للدراسة، علاوة على اللاجئين السياسيين المسلمين من العرب وغير العرب هذا بالإضافة إلى أعداد من اللاجئين المسلمين الجزائريين من أتباع جبهة الإنقاذ الإسلامية المحظورة الذين وفدوا أخيراً إلى ألمانيا طلباً للجوء السياسي، إضافة إلى ذلك، هناك الألمان الذين اعتنقوا الإسلام باختيارهم الحر، وهؤلاء أيضاً أعدادهم غير معروفة على وجه التحديد، حيث تتراوح أعدادهم بين

عندما نشرت كتابي « ألماني يعتنق الإسلام » هددني الحزب المسيحي بالفصل من العمل

مئة ألف ومئتي ألف مسلم، دخل معظمهم إلى حقل الإسلام عن طريق الزواج من مسلمين أو مسلمات.

تجربة الكاتب الشخصية

يقول الكاتب :

اعتنقت الإسلام بعد خدمة ١٦ عاماً كعضو في حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي، حيث تقلدت عدداً من المناصب بقيادة «هيلموت كول»، وقد كان دافعي للإقدام على هذه الخطوة ثلاثة أسباب:

● أنني أدركت أن الإسلام لا يعترف بمفهوم «الخطيئة الأزلية» التي جعلتني أتخلى عن ديانتي المسيحية البروتستانتية.

● أنني اقتنعت تماماً بديانة التوحيد «الإسلام» رافضاً بذلك مفهوم ديانة الثالوث والمسيح كابن لله.

● بدخولي إلى رحابة دار الإسلام أحببت في هذا الدين عدم اعترافه بالنظام المؤسسي الكنسي.

في بداية الأمر، لم أبلغ أحداً بعقيدتي الجديدة، باستثناء والديّ، ورئيسي المباشر في العمل، وسكرتيري الخاص، وقليل من أصدقائي المقربين، وبالرغم من ذلك، فقد وصلت خطابات سرية، مجهولة التوقيع، إلى بعض الصحف اليومية في العاصمة الألمانية بون بعد ثلاثة أيام من انتخابي العام ١٩٩٠م كمتحدث رسمي للحزب الديموقراطي المسيحي، تؤكد أن المتحدث الجديد باسم الحزب قد اعتنق الإسلام، وأنه قد قصد إخفاء ذلك على هيئة أعضاء الحزب متعمداً، وأنه وجب لذلك إبعاده عن هذا المنصب، وفصله من الحزب نهائياً، غير أن تلك الصحف - لحسن الحظ - رفضت نشر هذه الرسائل المجهولة.

في العام ١٩٩٢م، وبالتعاون مع هيئة الإغاثة الدولية الإسلامية في جدة بالسعودية، قمت بتنظيم عدد من الرحلات للصحافيين إلى زغرب لشرح ما كان يدور هناك في يوغسلافيا السابقة ضد المسلمين، وفي صيف العام ذاته، أعلنت إسلامي على الملأ للمرة الأولى، حيث أعقبت ذلك بالظهور على شاشة أهم محطة تلفازية لمدة ٢٠ دقيقة في برنامج مدته ساعة واحدة متحدثاً عن الإسلام وعن التغيرات التي طرأت على حياتي لذلك، ومنذ ذلك الحين لم تنقطع الرسائل المجهولة التي تصلني والتي تصفني بصفات «المسلم القذر النتن»، و«الأجنبي كريه الرائحة»، مما يعكس صورة الإسلام في أذهان العامة، ومازلت أتلقى الرسائل التي تعتبرني مارقاً مرتداً، وانني لذلك استحق القتل.

نائبة برلمانية تقول بعد إسلام السفير مراد هوفمان : «يجب ألا يمثل بلادها في الخارج مسلم متخلف من العصور الوسطى»

وقد تحدث البعض عن الذهاب إلى بيتي لإشباعي ضرباً، لكني لم أهتم ولم آبه بذلك، لأن هذا التهديد يُعدُّ شيئاً عادياً في ألمانيا.

في بداية إعلان إسلامي، لم يعترض الحزب المسيحي الذي كنت أنتمي إليه، وذلك في محاولة منه للتدليل والبرهنة على مبادئه التحررية الليبرالية، ولكن عندما تبدلت إدارة الحزب، ساء الموقف وتغير، وعندما نشرت كتابي «ألماني يعتنق الإسلام» في مدينة بون في ربيع ١٩٩٥م، هددني الحزب وأنذرني بأن نشْري أي شيء مماثل من دون تصريح مرة ثانية، سيفقدني وظيفتي على الفور، بعد ذلك طلبت إذناً لإلقاء محاضرتين عن الإسلام، لكنهم رفضوا، هنا قررت ترك العمل السياسي، والالتحاق بمؤسسة للعلاقات العامة والاستشارات بالقطاع الخاص.

لم أكن أنا - بطبيعة الحال - الألماني المسلم الوحيد الذي يعاني من هذه المشاكل، بل هناك غيري على سبيل المثال: مراد هوفمان السفير الألماني السابق في كل من الجزائر والمغرب الذي هاجمته وسائل الإعلام الألمانية بعنف عندما قرر نشر كتابه الثاني عن الشريعة الإسلامية في أثناء عمله بالمغرب، كما طلبت نائبة بالبرلمان الاتحادي من وزير الخارجية عزل هوفمان من منصبه، لأن ألمانيا لا يجب أن يمثلها - في رأي النائبة - «مسلم متخلف من العصور الوسطى»، المؤسف أنها اكتشفت فيما بعد أن الكتاب لم يكن قد نشر بعد، حيث

المسلمون في ألمانيا يتعرضون لحوادث ضرب وقتل آخرها إحراق أسرة تركية كاملة



اعترفت بأنها لم تكن قد رأت هذا الكتاب أو قرأته عندما أصدرت بيانها في البرلمان، وكان من الواضح أن رد فعل النائبة لم يكن على محتوى كتاب هوفمان، وإنما على مجرد أن ألمانياً يشترك ـ فكرياً ـ مع «الأجانب الحقيرين».

مسألة حياة أو موت

بالرغم من كل ذلك، فإن ما يتعرض له الألمان المسلمون «من أصول ألمانية» لا يمكن مقارنته بما يتعرض له المهاجرون المسلمون الجدد في ألمانيا، فقد تعرض هؤلاء المهاجرون المسلمون في مدن عدة للضرب والقتل، لأنهم جاؤوا يطلبون اللجوء السياسي، أو لأنهم يؤدون صلواتهم بشكل غير مألوف لدى الألمان المسيحيين.

لقد تم إحراق معظم أفراد عائلة تركية مسلمة حتى الموت، ما يذكرنا بأن المجتمع الألماني الذي اشتهر بالعنف في الماضي مازال يعيش الآن في ألمانيا، إن هذا العنف يمكن تفسيره من خلال إحساس الألمان بأن هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام ورفضوا تقاليدهم وتراثهم الديني الموروث إنما هم خونة بشكل أو بآخر، كذلك ـ وهو الأهم ـ فإن وجود مسلمين ضمن الألمان من أصول عرقية ألمانية يلغي حجة المعارضين للإسلام القائلة: إن الإسلام غريب في ألمانيا، إن الاختلاف في اللغة وفي عادات الطعام بين كل من الألمان العرقيين وبين المهاجرين المسلمين، يمثل حاجزاً نفسياً بينهما، الأمر الذي يحدو بالألمان إلى الاعتقاد بأن الإسلام أجنبي وغريب في بلادهم، ولكن الألمان المسلمين يعرفون حقوقهم كمواطنين، ويعرفون كيف يطالبون بهذه الحقوق، ومن المتوقع أن يكونوا أكثر تصميماً على النضال من أجل حقهم للدخول في ميدان العمل السياسي، وهو بالتحديد حلبة الصراع الجديدة التي بدءوا الدخول فيها.

تنظيم الصفوف

بعد وصول عائلات المقيمين إلى ألمانيا، أصبح من الواضح أن الاستقرار بات هو القصد، ومن هنا فقد أصبحت حاجتهم شديدة وملحّة إلى مساكن ومدارس لأطفالهم وقوانين تنظم طرق الذبح وتحضير اللحوم طبقاً للشريعة الإسلامية، علاوة على مساجد ومدافن لموتاهم، وبالرغم من أن أعداد المسلمين في ألمانيا قد بلغت ٢,٢ مليون نسمة، فإنه من السهل على الرأي العام والمسؤولين السياسيين أن يتجاهلوا طلباتهم لأن نسبتهم لا تزيد على ثلث عدد الأجانب البالغ عددهم نحو ستة ملايين أجنبي، علاوة على أنهم ـ كأجانب ـ لا يتمتعون بحق التصويت بالانتخابات العامة، ومع أن المسلمين ناجحون اقتصادياً كأصحاب أعمال أو عاملين، وبالرغم من أن أبناءهم يتخرجون في الجامعات بدرجات ممتازة، فإنهم يبقون منعزلين أكثر من غيرهم من الأجانب المسيحيين، فاختلاف ديانتهم تظل عنصراً كافياً لاستبعادهم والنظر إليهم نظرة مختلفة، أضف إلى ذلك، أنه بالرغم من تحيز وتحامل الألمان المسيحيين الواضح، فإن المسلمين هناك يفتقرون إلى التكتل ورص الصفوف والاتحاد، وهذا يعكس التنوع والاختلاف بين شعوب العالم الإسلامي بصفة عامة.

هناك ميل قوي في ألمانيا نحو اعتبار أن أعمال بعض المسلمين تمثل وجهة نظر جميع المسلمين في العالم كله

فإذا أردت اليوم على سبيل المثال أن تذهب إلى مسجد العاصمة الألمانية السابقة بون (٣٠٠ ألف نسمة) لكي تؤدي صلاتك، فإن عليك أن تختار بين الذهاب إلى «قاعة صلاة» المغاربة، أو مسجد الأتراك الذي كان من قبل ورشة أحد النجارين، أو مسجد الأفغان الذي كان سوقاً مركزياً، أو مسجد مغربيٍّ آخر كان ورشة إصلاح سيارات سابقاً، أو مسجد البوسنيين الجديد الذي كان مكتباً، وبعد أن تم إنشاء أكاديمية الملك فهد التي موّلت السعودية تكاليف إنشائها، فإنك تستطيع أن تؤدي صلاتك في مسجد هذه الأكاديمية.

وهكذا فإن تنظيم هذه الجاليات وتوحيدها بات صعباً طالما أن كل جالية منها تميل إلى التقوقع والالتفاف حول بعضها بعضاً، وهذا الوضع ليس قاصراً على مدينة بون وحدها، بل هو كذلك في جميع المدن الألمانية، حيث تجد أن كل جالية لها نواديها الخاصة، وأسلوب حياتها طبقاً لثقافات بلادها التي وفدت منها، بالرغم من أن هذا السلوك لا يعدُّ إسلامياً، غير أنه قد لوحظ تعاون تلك الجاليات حول القضايا السياسية فقط، كما حدث عندما بدؤوا إقامة اسبوع سنوي باسم «اسبوع الإسلام» في إحدى المدن الألمانية منذ ثلاث سنوات مضت حيث ألقيت فيه بعض المحاضرات المهمة والندوات الثقافية المختلفة في المساجد.

مؤشرات إيجابية وأخرى سلبية

يختلف حال المسلمين الألمان عن حال أقرانهم في إنكلترا وفرنسا، فهم على سبيل المثال لا يميلون لتكوين أحزاب إسلامية أو برلمانات كما هو الحال مع مسلمي بريطانيا، حيث نرى الجيل الثالث من المسلمين هناك يشارك في الأحزاب السياسية القائمة في بريطانيا، ولعل سبب موقف مسلمي ألمانيا يرجع إلى ما يدور بينهم من جدل حول ما إذا كانت الشريعة الإسلامية تبيح للمسلمين الانخراط في منظمات وهيئات غير المسلمين، وإن كانت الأغلبية منهم الآن يرون، فيما يبدو، ضرورة العمل والمشاركة السياسية مع غيرهم في المجتمع الألماني، ربما بسبب

«المسلم القذر النتن» و«الأجنبي كريه الرائحة» صفات تعكس صورة الإسلام في أذهان العامة الألمان



في العام ١٧٣١م قام الملك فريدريك ويلهام، ملك بروسيا الذي اعتنق الإسلام في ذلك الوقت بإلحاق عشرين جندياً مسلماً تركياً بجيشه

انتشار البطالة في ألمانيا حالياً، إن التوجهات الجديدة للمسلمين الألمان هي المؤشر الإيجابي، لكن ماذا عن المؤشرات السلبية؟

إن عزلة المسلمين في ألمانيا لها أسباب أخرى ليس للمسلمين يد فيها، ذلك أن هناك أسباباً تعوق اندماج الإسلام في المجتمع الألماني:

أول هذه الأسباب: أن القوى السياسية الأساسية في ألمانيا الآن تتمثل في حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي الذي وصل إلى سدة الحكم في البلاد منذ العام ١٩٨٢م، والذي يستمد برنامجه من جذور الأيديولوجية المسيحية، وبالرغم من الأيديولوجية العلمانية السائدة في البلاد إلا أن الحضور المسيحي أمر واضح لا يمكن إنكاره، ومن الإنصاف - في هذا المجال - القول: إن الكنيسة كانت أول من بادر بتشجيع الحوار الثقافي مع المسلمين، حيث قامت الطائفتان الدينيتان الرئيستان «المسلمون والمسيحيون» بتعيين ممثلين لكل منهما للتحضير لحوارات مهمة بينهما.

السبب الثاني لمعوقات اندماج المسلمين في المجتمع الألماني هو تأثر عقول الشعب الألماني بكتب التاريخ التي تعكس ١٤٠٠ عام من الكتابات المسيحية التي تعبّر عن الجهل بحقيقة الإسلام.

كما أنها في كثير من الأحيان تمثل تحيزاً ضد الإسلام وتحاملاً عليه، ولعل هذا ما دفع الكثير من الكتّاب والأكاديميين المسلمين إلى التصدي لهذه الظاهرة، منهم الأستاذ - الإيراني المولد - عبدالجواد فلاتوري من الأكاديمية الإسلامية في مدينة كولون «التي انتقلت إلى مدينة هامبورج العام ١٩٩٦م» والذي قضى سنوات عدة يحلل ويشرح المبادئ الإسلامية في كتب المقررات الدراسية الألمانية، حتى استطاع شيئاً فشيئاً تغيير بعض المفاهيم الخاطئة الآن بفضل جهود كريمة من آخرين أمثال الأستاذ سيجريد هانك.

أما السبب الثالث والأخير لمعوقات اندماج المسلمين الألمان في المجتمع الألماني فهو: أن المسلمين الألمان يواجهون التحدي نفسه الذي يواجه جميع المسلمين في جميع أنحاء العالم، وهو أن المسلمين كافة مسؤولون في نظر وسائل الإعلام المختلفة عن أي شيء غير مرغوب فيه يقوم به مسلم باسم الإسلام في أي مكان في العالم، وهذا بطبيعة الحال مفهوم خاطئ، فلا يمكن أن تكون أمة بكاملها مسؤولة عن سلوك أو تصرفات قلة من الناس تنتمي إليها.

ولذلك فإن هناك ميلاً قوياً في ألمانيا نحو اعتبار أن أعمال بعض المسلمين تمثل وجهة نظر جميع المسلمين في العالم كله، ولذا فقد أصبح من الصعب جداً إقناع الشعب الألماني بأن الإسلام دين سلام، ولاسيما بعد حرب الخليج، وللأسف الشديد، فإن هذا الموضوع هو أقسى ما يواجه المواطنين الغربيين الذين يعتنقون الإسلام، وأكثر ما لم يتوقعوه.

لقد نشأنا وتربينا على روح الانفتاح والتنوير، نمارس ما نعتقده حريتنا الدينية، ثم إذا بنا نجد أنفسنا فجأة في موقف يرفضنا فيه أصدقاؤنا القدامى، قائلين لنا: إننا - باعتناقنا للإسلام - قد أدرنا ظهورنا لمبادئ الثقافة والعقل والانفتاح والتنوير.

إنهم يعتقدون أننا نحن المسلمين الجدد قد انضممنا إلى تراث يتحامل على المرأة ويفرق بينها وبين أخيها الرجل، ويرفض القيم الديموقراطية، والغريب أن الكثيرين من الذين يرددون تلك الأقاويل يرفضون أي حوار في هذا الشأن، وعندما نقول لهم انظروا إلى تماثل القيم النبيلة وتشابه المبادئ والمثل العليا في كلتا الديانتين يقولون إن تلك دعاية فارغة.

يقدر عدد المسلمين في ألمانيا ٢,٢ مليون معظمهم من الأتراك يليها المغرب ثم يوغسلافيا وأقلهم الذين وفدوا للدراسة

إن أكثر ما يؤلمنا نحن المسلمين في ألمانيا هو هذا التعصب، وعندما مارست حريتي الدينية كنت أتوقع أن أقابل بالتسامح، فإذا بي أجد الحقد والعداوة والبغضاء من الجميع، حتى من هؤلاء الذين يعدون أنفسهم الأكثر استنارة وانفتاحاً. إن إنهاء هذا التحيز والتحامل وسوء الفهم هو أول متطلبات انتشار الإسلام في ألمانيا، والواقع أن المسلمين من أصول ألمانية يتعاونون بشكل مخلص في هذا الصدد. ■

الصحوة الإسلامية تفسير وتقويم

بقلم : غازي التوبة



ليس من شك أن التحليل العميق والدقيق لمختلف أوضاعنا التاريخية والاجتماعية والسياسية والحركية يساعدنا على التوجه السليم، ويساعدنا على تحقيق الأهداف المرجوة والمرسومة في مخطط العمل الإسلامي.

وفي اعتقادي أن الصحوة الإسلامية التي نعيش بين ظهرانيها لم تأخذ حقها في الدراسة والتفسير، وإنما مر الحديث عليها مرورا سريعا. وربما تناولها أعداء الإسلام بالتعليق أكثر من تناول أبناء الإسلام لها. لذلك سأحاول أن أبين في هذه الدراسة ماهية الصحوة، وأسبابها، وكيفية الاستفادة منها.

لقد شكل سقوط الخلافة العثمانية والغاؤها العام ١٩٢٦م حدثا كبيرا في تاريخ المسلمين، إذ حلت قيادة جديدة محل القيادة العثمانية التي استمرت أربعمئة عام تقود العالم الاسلامي، فماذا كان توجه القيادة الجديدة؟ وما الذي فعلته؟

لقد كانت القيادات التي قادت المنطقة العربية بعد سقوط الخلافة العثمانية قومية التوجه، تعد القومية العربية هي المرجعية التي يجب أن ترجع اليها وتستلهمها في بناء تفكير الناس، ومشاعرهم، وحياتهم، وشؤونهم التربوية والاقتصادية والسياسية والتشريعية والاجتماعية إلخ... فما أبرز الاعمال التي قامت بها القيادة القومية لتحقيق ذلك الهدف؟ أبرزها هي:

١ . إحلال القومية العربية محل العقيدة الدينية :

كان ساطع الحصري من أوائل المفكرين الذين ساهموا في تحقيق الدعوة إلى إحلال القومية العربية محل العقيدة الدينية كأساس لبناء

المجتمع العربي. ومما زاد في خطورة دعوته أنه احتل مركزا تربويا مرموقا في العراق بعد قيام الحكم القومي فيها العام ١٩٢٠م، مما أتاح له صياغة البرامج التعليمية والتربوية فيها. ثم انتقل إلى سوريا العام ١٩٤١م، وقام بالدور نفسه الذي قام به في العراق. ومن نافلة القول التذكير أن الحصري علماني التوجه ولا يرى الدين عاملا من عوامل القومية العربية.

٢ - إحلال الرابطة القومية محل الرابطة الدينية:

دعا الفكر القومي إلى أن تكون الرابطة القومية هي التي تربط بين أبناء المنطقة وليست الرابطة الدينية، بمعنى أن يكون ولاء الفرد لانتمائه القومي العربي، يعظم القومية العربية، ويوالي من يواليها، ويعادي من يعاديها، ويضحي في سبيلها، وتكون منزلته ارتفاعا وانخفاضا مرتبطة بمقدار ما يقدم لها من تضحيات.

٣ - نقل التشريعات الغربية:

نقلت القيادات القومية التشريعات الغربية وقوانينها في كل مجالات الحياة التجارية والزراعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية الخ... ولم تستثن من ذلك إلا قوانين محدودة تتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق.

٤ - نقل النموذج الرأسمالي ثم الاشتراكي:

نقلت القيادات القومية النموذج الرأسمالي الربوي بكل شروره وآثامه، وربطت اقتصاد بلادها بالسوق مما زاد في سوء الأوضاع الاقتصادية، ثم نقلت النموذج الاشتراكي في مرحلة تالية مما زاد في اضطراب الأوضاع الاقتصادية، ولم تراع التشريعات الاقتصادية تعاليم الإسلام التي تحرم الربا، ولم تستفد من قيم التعاون والرحمة والصدقة التي تدعو إليها.

٥ - نقل الفنون والآداب الغربية:

انتشرت الآداب والفنون الغربية من مسرح وسينما وتمثيل ورسم ونحت في المنطقة عن طريق الترجمة والمدارس الأجنبية والاحتكاك بالغرب، وأدى تقليد الفنون الغربية إلى امتلاء الساحة الاجتماعية بالعري والفجور، وتدني الأذواق، وتفسخ الأخلاق، وتحكم الأهواء الخ... وأدى تقليد الآداب الغربية إلى التنكر لكل تاريخنا الأدبي العريق، والانبهار بالأدب الغربي ونشوء مدارس مقلدة له مثل: مدرسة الديوان ومدرسة أبولو، وكانت ثمرة التقليد أيضا النظر إلى تاريخنا الأدبي من خلال مقارنته بالتاريخ الأدبي الأوروبي، فكما أن الأدب الأوروبي مر بمراحل هي: الكلاسيكية ثم الرومانسية ثم الرمزية ثم الواقعية ثم السريالية الخ... فيجب أن يمر أدبنا العربي بتلك المراحل.

ماذا كانت نتيجة عمل القيادات القومية؟

كانت نتيجة ذلك تغريب طائفة محدودة من المجتمع في عددها وحجمها وتأثيرها، لكن برزت إلى جانب ذلك في السبعينات والثمانينات دعوة قوية تنادي بالعودة إلى الإسلام وإلى تحكيمه، مناقضة لعمل القيادات القومية التغريبي، وتمثلت هذه الدعوة في مظاهر عدة منها: ارتداء المرأة المسلمة الحجاب، وإعمار الشباب للمساجد، وانتشار الكتاب الإسلامي، وظهور جمعيات خيرية إسلامية، والتصويت للنواب الإسلاميين في بعض البلدان، والاعتزاز بالقيم الإسلامية، والحنين إلى الماضي الإسلامي. وكان المفاجئ أن هذه المظاهر لم تحدث في بلد واحد وإنما حدثت في بلدان متعددة ذات ظروف تاريخية مختلفة تمتد من أقصى المشرق إلى المغرب، منها: تركيا، بلاد الشام، مصر، الجزائر، تونس، فلسطين، الخليج الخ... وقد حدثت في بلدان كانت أبعد ما تكون عن الانبعاث الإسلامي لابتعادها الطويل عن المحيط الإسلامي كالجزائر التي حكمها الاستعمار الفرنسي ما يقرب من ١٣٠ عاما، واستهدف محو الإسلام منها وجعلها قطعة من فرنسا، وكتونس التي خضعت لتغريب مبرمج لمدة قرن تقريبا، وكتركيا التي حاربت فيها الكمالية كل مظاهر الإسلام دون استثناء، ومع كل هذه المحاولات العنيفة لاقتلاع الإسلام نادت جماهير غفيرة من المسلمين في كل تلك الأماكن بالعودة إلى الإسلام، وسعت إلى تمكينه، وإلى إعادة تحكيمه في مختلف شؤون الحياة، فماذا كان تفسير هذه الظاهرة؟ وما أسبابها؟ أعاد بعض الدارسين هذه الظاهرة إلى أسباب عدة، منها:

١ - نكسة حزيران ١٩٦٧م:

ذكر بعض الدارسين أن الصحوة الإسلامية جاءت نتيجة هزيمة العرب في مواجهة اليهود سنة ١٩٦٧م، وعللوا ذلك بأن الشعوب تلجأ إلى القيم الغيبية لمواجهة الانتكاسات وللتهرب من الواقع المرير، ومن الذين روجوا لهذا التحليل حسين أحمد أمين في عدد من مقالاته، لكن هذا التعليل غير صحيح لأن هناك بلادا قد ظهرت فيها صحوة إسلامية ولا علاقة لها نهائيا بالنكسة مثل تركيا وتونس، ولكننا يمكن أن نقبل القول إن نكسة حزيران العام ١٩٦٧م كان لها دور في توقيت ظهور الصحوة وذلك لاضطرار الحكام إلى تخفيف قبضتهم عن الشعوب الإسلامية بسبب هزيمتهم أمام اليهود، واضطرارهم إلى السماح

بهامش من الحرية مما جعل الشعوب تستفيد من هذا الهامش وتعبر عن الحقيقة الكامنة في داخلها ووجدانها وواقعها الحياتي.

٢ . حاجة بعض الحكام لمواجهة التيارات اليسارية:

علل بعض الدارسين اليساريين وجود الصحوة الاسلامية بأنها ثمرة إطلاق الحكام ليد الاسلاميين في العمل السياسي من أجل مواجهة الحركات اليسارية. وأشاروا بهذا الصدد إلى إطلاق أنور السادات يد الحركة الطلابية في مصر لمواجهة الشيوعيين واليساريين من أتباع جمال عبدالناصر في الجامعات المصرية بعد العام ١٩٧٠م، وأشاروا كذلك الى سماح بورقيبة للاسلاميين بالعمل في تونس من أجل الحد من نفوذ التيار الشيوعي هناك.

إن هذا الكلام الذي يقوله اليساريون قابل للنقاش، ولا يسلم به على إطلاقه، ولكن لنفترض جدلا صحة ما يقوله اليساريون، فهذا يعني أن الحكام أرادوا الاستفادة من ظاهرة موجودة، ولم يوجدوا هذه الظاهرة، وهذا ما نريد أن نصل اليه وهو أن الصحوة الاسلامية حقيقة منبثقة عن واقع حياة المجتمع المسلم، ومرتبطة به، وذات جذور وأصول بعيدة وليست من صنع الحكام.

٣ . الظروف الاقتصادية السيئة:

أشار كثير من الدارسين وبالذات الغربيين إلى أن الصحوة الاسلامية ثمرة الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها بعض بلدان العالم الإسلامي، وأن القيادات الاسلامية تستغل الظروف الاقتصادية السيئة للزج بالشباب في «أتون الأصولية»، ومما ينفي زعم أولئك الدارسين أن الصحوة الاسلامية لم يقتصر انتشارها على البلدان التي تعاني أزمات اقتصادية، بل امتد انتشارها الى البلدان المستقرة والمزدهرة اقتصاديا مثل الخليج العربي بعامة والكويت بخاصة، وربما كان العامل الاقتصادي سببا في تسريع انتشارها لكنه لم يكن عاملا أساسيا في ايجادها بحال من الأحوال.

٤ . الثورة الايرانية:

عزا بعض الدارسين انبثاق الصحوة الإسلامية الى قيام الثورة الايرانية في طهران العام ١٩٧٩م، وتأثيرها الاعلامي في محيطها الاسلامي، لكن نسي أولئك الدارسون أن الثورة الايرانية شيعية المذهب، لذلك فمن الصعب أن يكون لهاتأثير في محيط سني المذهب وبخاصة إذا علمنا أن الصحوة الاسلامية قامت في بلاد سنية المذهب، واذا كان لابد لنا من الاقرار بالتأثر والتأثير فهو لايتعدى اذكاء الأمل، والاستبشار بتحقيق الأماني، والدفع الى حلبة التنافس، وحلقة التسابق.

والآن بعد أن فندنا الأسباب التي توهم بعض الدارسين أنها أسباب الصحوة الاسلامية، فما حقيقة الصحوة الإسلامية؟ وما هي ماهيتها؟

الصحوة تعبير عن الأمة التي بناها الرسول ﷺ خلال اقامته في المدينة، هذه الأمة التي وصفها الله بأنها خير أمة أخرجت للناس، فقد قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)، وقد استمرت هذه الأمة الاسلامية حقيقة فاعلة مؤثرة تبني وتشيد اكثر من ألف عام، وذلك لأنها تملك كل مقومات الأمة الحقيقية، فهي أمة ذات أرض واحدة تمتد من الصين شرقا الى الأطلسي غربا، يستطيع المسلم أن يتجول فيها ويعيش في أي جزء منها، وهي أمة ذات لغة واحدة هي اللغة العربية تقرأ بها القرآن الكريم وتؤدي بها صلاتها، وهي أمة ذات ثقافة واحدة تدور حول القرآن الكريم والسنة المشرفة، وهي أمة ذات عادات وتقاليد واحدة تنبثق من أخلاق الاسلام وتوجيهات رسوله ﷺ، وهي امة ذات تاريخ واحد يقوم على مجاهدة المشركين وموالاة الصالحين، وهي أمة ذات آمال واحدة تتطلع الى تمكين الاسلام ورفع رايته الخ... وقد أنشأت هذه الأمة حضارة متميزة تركت آثارا في مختلف مجالات العمران الزراعية والتجارية والاقتصادية الخ...

ومما امتازت به أمتنا وجود قيادتين لها على مدار التاريخ:

الأولى: قيادة الأمراء تقود الجيوش، وتدافع عن الأمة في وجه الغزاة المعتدين، وتوسع رقعة الأرض الإسلامية مما يتيح للدعوة الاسلامية أن تنتشر، ويفتح المجال أمام شعوب جديدة لتدخل في رحمة الاسلام وضيائه، وقد تجلت قيادة الأمراء في عدد من الدول منها:

دولة السلجوقيين، دولة الزنكيين، دولة الايوبيين، دولة المرابطين، دولة الموحدين، دولة المماليك الخ...

الثانية: قيادة العلماء: تقود جموع المسلمين، وتعلمهم أمور دينهم، وتنشر الفقه بينهم، وتزكي أخلاقهم، وتوجههم الى المعروف وتنهاهم عن المنكر، وقد تجلت هذه القيادة في عدد كبير من العلماء يعجز القلم عن حصرهم، منهم: مالك بن أنس، الشافعي، أحمد بن حنبل، عبدالله بن المبارك، سفيان الثوري، الحسن البصري، ابن تيمية، الشاطبي الخ...

لذلك عندما سقطت الخلافة العثمانية على يد كمال أتاتورك بعد الحرب العالمية الأولى، خسرت الأمة

قيادتها السياسية. لكن بقيت قيادة العلماء تقود الأمة. لذلك كان أثر القيادات القومية محدودا في كيان الأمة. وعندما ارتفع جانب من التضييق الذي كانت تمارسه القيادات القومية على أبناء الأمة، ظهرت الأمة على حقيقتها مرة ثانية وكانت الصحوة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

باختصار، يمكن أن نقول إن الصحوة الإسلامية هي تعبير صارخ عن الأمة الإسلامية والتي ظن بعضهم أنها انتهت بعض سقوط قيادتها السياسية، لكنها لم تنته ولن تنتهي لأنها عادت إلى البروز في ساحة الواقع بقيادتها الثانية وهي قيادة العلماء الذين رووها بدمائهم ومدادهم على مدى القرن الماضي، والذين نعجز عن حصرهم وعدهم، لكن نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: مصطفى صبري، حسن البنا، عبد العزيز البدري، عزالدين القسام، أبو الأعلى المودودي، عبد الحميد بن باديس الخ...

والآن ما الذي نستفيده من هذا التفسير؟

هناك عدة حقائق تفرض نفسها نتيجة هذا التفسير، هي:

١ - إن الحركة الإسلامية ليست هي الطارئة في المنطقة، وليست هي الشذوذ والاستثناء كما يحاول أن يصورها دعاة القومية ومعهم دعاة التحديث والتغريب، لكن الحركة الإسلامية هي الأصل في المنطقة لأنها تعبر عن الأمة الإسلامية التي هي حقيقة راسخة وقائمة بكل المقاييس الموضوعية التي تعرف الأمة والتي كانت الصحوة الإسلامية إحدى تجلياتها.

٢ - إن الهدف الأساسي لأعداء الأمة الإسلامية أمران:

الأول: توليد أمة مكان الأمة الإسلامية، وهذا ما استهدفه الفكر القومي العربي خلال القرن الماضي، لكنه فشل في ذلك، فمن هنا كانت أزمته وأزمة المنطقة معه.

الثاني: تفتيت كيان الأمة الإسلامية، وهذا ما يراهن عليه كل أعداء الأمة لذلك يجب على الحركة الإسلامية أن تُفشل مخططاتهم بأن تدعم كل ما يؤدي إلى تماسك الأمة.



٣ - يجب على العلماء الذين قدر الله أن يقودوا الأمة في هذه الفترة أن يكونوا حريصين على تدعيم ثوابت الأمة، وألا يفرطوا بأي حقائق تقوم عليها الأمة، لأنهم يقفون على أرض راسخة قوية أقوى مما يتصورون من جهة، ولأن هناك دوائر وأجهزة تسهر بصورة لم يشهدها التاريخ السابق تتلقف أي تفريط لتبني عليه من أجل الاستفادة منه في تفكيك الأمة من جهة ثانية. ■

خاطرة

عظات ودروس من الفطرة

تتبدل الأشياء وتتماهى الصور.

تتفتح الأزاهير، ثم تغمض جفنيها على يبس، تنتقل الطيور من برد إلى دفء، ويمتلئ الينبوع ويثمل، ثم يعود شحيحاً بطيء الحركة، يهمس في آذان الصخر كلمات العجز.

تتكامل الرجولة ثم تندثر، وتغيب خلف غياهب السنين، فترتطم بحقيقة التحول في كل الخلائق، إذ لا يبقى حال على حاله، ولا يبقى مكان على ما كان.

وتكون الغنيمة في الدرس والعبرة، قلباً يشتعل بالحضور الواعي، يرتفع مُوجّةً بفعل التأثر المتقد بجمر الموعظة، الذي لايخبو له أُوار، ولا يتعكر ماء النصيحة المتفلت من بين يديه أبداً، حاملاً لافتة باهرة تقول: «الدين النصيحة».

فتتفتح عندئذ كل الورود الندية، على شواطئ النفس المطمئنة، لترنو بعينين مخضلتين بدمعتين نادمتين، ونظرتين ضارعتين راجيتين، وتستنفر كل الأحاسيس الماجدة، لتغطي كل التضاريس التي توعرت جراء لحظة غفلة، ولتستريح الآهة على كتف ينبوع الحنين إلى الفطرة... فيتزاوج عندئذ قمر وليل، صحراء وجبهة عالية تبتغي حديقة غناء، تعبق فيها رياحين التوبة والعودة، التي هيجتها الأجوبة العامرة بصدى: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الزمر:٥٣.

إن من أنكروا كل هذه العظات، لابد أنهم فعلوها في غياب وفي يأس، كونهم جاؤوا: في عصر يورث الوجع المر، يفتح الأبواب مشرعة للمريبين، ويغلق كل المنافذ في وجه ذوي الصلّب الإيماني المتين، ويقتل كلمات الأنبياء، ويصلبها على بوابات المدن، واضعاً على شواهد قبورها: قتلت لأنها فلتات إرهاب!

ويجيء الدعي منفرداً عن السرب، منكراً كل المواعظ، تاركاً غبار الجمع خلف فرسه، عائذاً بالجلاد، مستقوياً به على الضحية، ابنة جلدته وصنو جذوره، فاشتعل الصبر شيباً، وأرسل المدعي «فاكساً» إلى كل مطارات الهزيمة: أن أفيضوا إليَّ بني العرب، فقد وضعت يدي على كنز من سلام!!

ولكن ها هي الدروس والمواعظ ترد فتقول:

لا شيء كالانفراد عن المجموع مهلكة للفرد!

ولا شيء كالهزيمة الداخلية مدعاة إلى الخنوع!

ولا شيء كإهمال المجموع للفرد، وعدم الاهتمام بمصيره وحاله مؤد إلى انفراط العقد، وتضعضع الصفوف وانهيارها!

خطرت هذه الكلمات بالبال، لحظة كنت أشاهد برنامجاً «تلفازياً» عن الطيور، إذ على الفور قفز إلى ذهني وضع أمتنا الحالي، وترددت في كياني هذه المعاني التي أوردتها مسبقاً.

بقلم: محمد السيد

والقصة التلفازية سنرويها لكم، لتحكموا هل صاحبنا الصواب عندما قفزت إلى الذهن تلك المعاني على خلفية المشهد، أم أن الأمر كان وهماً؟!

مجموعة كبيرة من الطيور أظن أنها «كراكي» ترعى في بحيرة كبيرة، كان واحداً منها منفرداً عن القطيع بعيداً، لعله ينفرد بصيد ثمين لا يشاركه فيه من القطيع طير صديق أو قريب.

كان القطيع الضخم بمجموعه لاهياً عن هذا المنفرد، منشغلاً عنه بشؤون الرزق ومتطلبات اللحظة، فلم يخطر ببال القطيع ولا ببال المنفرد، أن هذا الوضع لا يمكن أن يكون صحيحاً في لحظة الخوف والخطر.

وفجأة أحسَّ القطيع المجتمع بأجنحة ضخمة، يملأ حفيفها الأسماع بالرعب.

إنه نسر ضخم، أجنحته تصفق في الهواء بخيلاء، وعيناه ذات النظرات الحادة تحومان حول المكان، كان المجموع المتراص في متناول مخالبه، إلا أن الكثافة وتراص الأجسام جعلت من الصعب عليه أن ينقض ويقنص، لم يعط القطيع للمنفرد جهداً، ولم يهتم بمصيره وحركته.

وللحظات بدا للنسر أن جولته قد تكون خاسرة،. إلا أن حدقتاه أبصرتا ذلك المنفرد، الذي لم يحس بالخطر بعد، وعندها وجه دفته نحو ذلك الأناني...!

وعندما لاحت للكراكي صفقات الجناحين الضخمين، لم يبدِ حراكاً، بل حاول الانبطاح، لعل هذه الحركة ترقق قلب المنقض، فيغض الطرف عن التهامه...!

لكن ذلك لم يكن ممكناً، بل إن الحركة ذاتها زادت من شهية الوحش، الذي حط برجل مشرعة المخالب فوق الجسم الكبير «للكراكي»، ووقف لحظات رافع الرأس، فوق الجثة التي قتلها الخوف قبل المخالب، ثم حمل الوحش الفريسة وانطلق...

بينما كان القطيع قد ارتفع مبتعداً فرحاً بالنجاة!

إنها إشارات فطرية تقول: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»، وما أكثر المبتعدين المنفردين في هذه الأمة.

تضيف إن هذه الهزيمة الداخلية عون للعدو على النفس... وما أكثر الهزائم الداخلية في أمتنا اليوم!!

وفي النهاية لابد أن نؤكد أن المجموع يجب ألا يترك أفراده يبتعدون بحجة المصلحة الفردية، وإلا انفرط الاجتماع كله وسهل تناول الحزمة عوداً عوداً وهو ما يحصل في ساحاتنا..!! ■

حوار

أشاد رئيس مجلس إدارة المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا ـ الشيخ الطالب أخيار آل الشيخ ماء العينين ـ بالتجربة الوقفية في دولة الكويت

وقال آل الشيخ ماء العينين في مقابلة مع مجلة «الوعي الإسلامي» إن زيارته تندرج في إطار التعاون وتوثيق الصلاة مشيراً إلى أنه يحمل دراسات ومشاريع مهمة سيدرسها مع المسؤولين في الأمانة العامة للأوقاف. وهذا نص المقابلة:

رئيس المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا

التجربة الوقفية الكويتية أصبحت رائدة ومحط أنظار العالم الإسلامي للاستفادة منها

● ما أبرز أهداف الزيارة التي تقومون بها للكويت حالياً ؟

ـ جئنا بدعوة كريمة من الأمانة العامة للوقف في دولة الكويت الشقيقة، وذلك بهدف التواصل لتبادل الخبرات والاستفادة من تجربة الكويت الرائدة في مجال الوقف والتي أصبحت بجدارة محطة أنظار مؤسسات الأوقاف في العالم الإسلامي.

● ما مجالات التعاون المشترك التي تزمعون عرضها على الأمانة العامة للأوقاف ؟

ـ تفتح مؤسستنا «المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا» المجال أمام الأمانة العامة للأوقاف في الكويت في كل الميادين ونعتبر أن من المهم التعاون في مجال الاستثمار في العقارات كبناء المساكن الأهلية والمحال التجارية وبخاصة أن مدينة نواكشوط «العاصمة» التي يزيد سكانها على نحو ٩٠٠ ألف نسمة جعلت الاستثمار في المجال العقاري مضمون الربح والفائدة. وقد قمنا بإعداد عدد من الدراسات التي تبين بوضوح الجدوى الاقتصادية الواضحة التي تشجع على الاستثمار في هذا المجال.

● هل هناك اتفاقات ستوقع ؟

ـ نحن نطمح إلى أن نحقق ذلك من خلال المباحثات الجارية وأملنا كبير بأن تتوج هذه المباحثات واللقاءات بتوقيع بروتوكولات في مجالي المشاركة والدعم، وأريد هنا أن أشير إلى أن المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا هي مؤسسة ناشئة، حيث أنشئت في العام ١٩٩٧م ومنذ إنشائها وهي تهتم بقيادة نشاط وقفي متطور، كما تهتم بجميع الأنشطة الخيرية في البلاد، كمساعدة الأيتام والمعاقين والمحرومين كما تعمل على دعم المحاظر والمساجد مادياً ومعنوياً.

● على ذكر المحاظر ما تعني هذه التسمية ؟

ـ «المحاظر» تعني المدارس التقليدية «مجالس العلم والتعلّم»، وهي مختلفة المستويات، لكنها بشكل عام عبارة عن جامعات متنقلة تدرّس فيها جميع العلوم والفنون الإسلامية، ويرجع لها الفضل بعد الله في حفظ الإسلام وعقائده، حيث وقفت سداً منيعاً في وجه الغزو الثقافي الغربي ولا تزال هذه المحاظر قائمة حتى هذه الساعة تؤدي رسالتها الإسلامية، ويشرف عليها علماء أجلاء، ونظراً إلى أن المحظرة لا تعتمد على مداخيل ثابتة، فإن مؤسستنا تعني برعايتها ومساعدتها كي تتمكن من البقاء والاستمرار في أداء رسالتها العلميّة النبيلة

● بما أن في موريتانيا ثروة حيوانية هائلة، فهل تولت مؤسستكم جباية الزكاة من أصحاب المزارع الحيوانية؟

ـ تنوي المؤسسة إنشاء وحدة لهذا الغرض في العاصمة نواكشوط وستنشئ لها فروعاً في بعض الولايات الرعوية لجباية زكاة الأنعام، ونتوقع أن تكون عائداتها كبيرة بالنسبة للفقراء والمساكين، ونظراً إلى أن المؤسسة ليس لديها في الوقت الراهن ما يمكّنها من القيام بهذا المشروع، فقد قدمنا دراسة إلى الجهات الخيرية للإسهام في هذا المشروع، حيث إن المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا في وضعها الحالي لا تملك من الوسائل ما يمكّنها من القيام بهذه المهمة الكبرى التي لا شك في أنها ستعود بالنفع الوفير على المسلمين، وخصوصاً إذا علمنا أنه لدينا في موريتانيا مليون رأس من الإبل و٢ مليون رأس من الأبقار و ١٠ ملايين رأس من الغنم، وقد أعددنا دراسة مفصلة في هذا الميدان.



● الشيخ الطالب أخيار آل الشيخ ماء العينين

أجرى الحوار: محمد سالم الصوفي

● هل تقومون بأدوار اجتماعية وثقافية محددة؟

ـ المؤسسة لها دور كبير في هذا الشأن، حيث كلفت من طرف الدولة بأنشطة عدة في المجال الاجتماعي في مقدمها السهر على تهذيب ورعاية اليتامى، ومساعدة الفئات الفقيرة والمعاقين ومساعدة الهيئات الإسلامية، والمرافق الدينية، التي من شأنها حماية ونشر الدين الإسلامي، وكذلك رعاية أماكن العبادة وصيانتها وتجهيزها، وكذلك المحاظر والمقابر والإشراف على كل النشاطات المتعلقة بها.

● هل هناك نشاط كبير للهيئات والجمعيات الخيرية في موريتانيا ؟

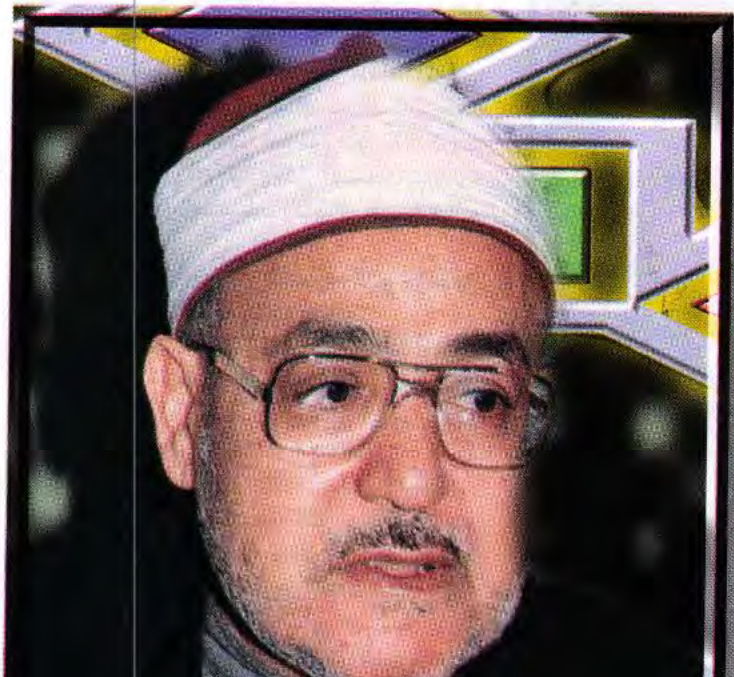
ـ تعتبر المؤسسة الوطنية للأوقاف في موريتانيا هي الجهة المعنية بتوجيه وتنظيم كل المساعدات الموجهة إلى الجهات المستحقة، وفي هذا الإطار، فإننا نتعاون مع المؤسسات الخيرية في الخارج لاستقبال دعمها وإسهاماتها في المشاريع الخيرية، وفي الوقت نفسه نتعاون مع المؤسسات الخيرية والجمعيات الأهلية على المستوى المحلي بغية تنفيذ برامج خيرية منظّمة ومنضبطة، تضمن النفع وتتحاشى العشوائية والارتجال. ■

دعوة

إن الدعوة إلى الله وصراطه المستقيم ومنهجه الحق... طريق أناطه الله الحكيم العليم بالممتازين من البشر والموهوبين من الخلق، ولا يقوى على تحمل تبعاته وتكاليفه ومقتضياته إلا عظماء النفوس ورجحاء العقول وأقوياء الهمم والعزائم... ومن ثمَّ فقد جعل الله الدعوة إلى سبيله مهمة الأنبياء والمرسلين وورثتهم الشرعيين والفطريين من أهل العلم والخير والفكر والرشاد ونحوهم من أصفياء الخلق... وبما أن وظيفة ورسالة الدعوة على هذا المبلغ من الخطورة والأهمية فقد كان من الحتم الذي لا مندوحة عنه مطلقاً أن يتصف الداعية إلى منهج الله تعالى بجملة خلال وشمائل تؤهله للقيام بدوره بنجاح والسير برسالته الشريفة نحو الأمام وجعل دعوته ملاذاً للمتعطشين للحق والباحثين عن الرشد ومواريث الأنبياء ورسالات السماء.

وهذا المقال يحاول تقديم مرئيات وتصورات الشيخ الغزالي لمواصفات الداعية الموفق ومسوغات إلزامية الداعية بالاتصاف والتحقق بالمنظومة النفسية والسلوكية والعقلية المستوعبة لهذه المواصفات.

أهم مواصفات الداعية الناجح عند الشيخ الغزالي



بقلم : إبراهيم نويري

أولاً : مبررات هذه المواصفات في رأي الغزالي

يرى الشيخ الغزالي أن الدعوة إلى الله تعني - وهذا من أجل الغايات التي ترومها هذه الدعوة - صياغة النفوس الفذة والقلوب التقية والعقول الكبيرة المتدبرة والأرواح الشفافة، والسير بالجماهير والأمم في آفاق الارتقاء والتغيير والاستنهاض، إذ من المؤكد الثابت أن «الأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموهوبين، فأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض الموات، وأثر الشعاع في المكان المتألق، وكم من شعوب رسفت دهراً في قيود الهوان حتى قيض الله لها القائد الذي نفخ فيها من روحه ريح الحرية، فتحولت بعد ركود إلى إعصار يجتاح الطغاة ويدك معاقلهم»(١).

ولا شك أن هذه الدوافع النبيلة تلزم الداعية منذ البدء أن يكون ذا نفس ممتلئة باليقين والحماس والفضل، وذا عقل ممتلئ بالرشد والوعي والاستبصار، أما إذا كان الداعية ضعيف الصلة بما يدعو إليه، أو صاحب كيان مهزوز ومزاج مضطرب، فإن ذلك بلا ريب يؤثر سلباً على دعوته، ويجعل منه عرضة للاستهزاء والتهكم وإلصاق النعوت المختلفة بشخصه ومنهجه، وتوجهه ودعوته...

ويذهب الشيخ الغزالي إلى أن الداعية لا يمكنه أن يواجه الواقع المحيط به والنوازل المتناقضة إلا إذا استجاب بحوافز ذاتية فيه وضمن عالمه الخاص إلى المقتضيات الموضوعية التي تحتمها طبيعة رسالته، ومن ذلك وفي المقدمة الارتباط المطرد بمظان التعبئة الروحية والفكرية المستمرة في حياته وبرنامج حركته بدعوته، فإن الإناء لكي «يرشح على ما حوله يجب أن يفيض، وأن يُنزل فيه ما يزيد على سعته وما ينسكب من جوانبه»(٢).

ومن جهة أخرى فإن المواصفات اللازمة لشخص الداعية - برأي الشيخ الغزالي - ليست مرتبطة فحسب بدواعي وأبعاد حركة

الداعية بدعوته أو بضرورات يتطلبها سعيه ببواعث حب الهداية بين الناس، وإنما هي أيضاً ذات صلة وثيقة بمحددات الوظيفة التي يُعرف بها ويعرف الناس الكثير من تفاصيلها من خلاله، أي أنه بشرف هذا الارتباط يصبح متمثلاً لحقائق النبع الخالد، ثم إن هذا الشعور الخامر للأنفاس المنساب بين الجوانح يجعل الداعية مع إلفه وتساوقه، وانسجامه العفوي مع مهمته يحس بأنه ملك دعوته لا ملك نفسه أو رغائبه الذاتية.

ومعنى ذلك كله أن هذه المواصفات من الثوابت في حياة الداعية، بل هي من اللوازم والقسمات التي لا تنفك أبداً ولا تنفصم عن شخصيته وسلوكه وعالمه الخاص، سواء وهو يتزوَّد من النبع الخالد ويعيش في رحاب الله، أو وهو يتحرك بدعوته بين الناس ويقدم القدوة والنموذج والمثال، ويرغب الآخرين في الخير الذي أدرك قيمته ولمس أثره في نفسه من خلال تجربته الذاتية وعالمه الخاص.

ثانياً: أهم مواصفات الداعية كما يراها الغزالي

عرفنا مما سبق أن الداعية لا يستطيع أن يستمر في طريقه مبلّغاً ومرشداً إلا إذا نجح في الارتقاء إلى مستوى دعوته، ولا يمكنه أن يبلغ مستواها إلا إذا تمثل جملة من المواصفات والتي تعتبر القاعدة المكينة التي يستند إليها، والشيخ الغزالي يرى أن أهم هذه المواصفات تتمثل فيما يأتي:

١ - الصلة بالله تعالى: إن معرفة الله تعالى وفق مراده ومبتغاه، أمر واجب على الدعاة، وليس المقصود من هذه المعرفة تلك المعرفة العامة المطلوبة من كل مسلم، وإنما هي معرفة خاصة أكثر عمقاً، وأكثر تأثيراً في الأنفس والقلوب... إنها معرفة تبني الضمائر والأرواح والأفئدة والسرائر على نحو عجيب تجعل صاحبها كياناً يدرّ على من حوله نفعاً وخيراً وفائدة وبركة.

والصلة بالله تعالى بمنظور الشيخ الغزالي هي الدعامة الأولى في أخلاق الدعاة، والمرتكز الركين الذي ينطلق منه الدعاة في الحركة بدعوتهم، ويرى الشيخ في هذا المقام أن هذه الصلة تعني بالأساس الأول معرفة حسنة به سبحانه وتعالى، إذ كيف يمكن أن ندعو الناس إلى سبيل لانعرف صاحبها، ومنهج نجهل سيده، أو أن صلتنا به واهية... إن الذين يدعون إلى مرشح من المرشحين في انتخابات عامة، أو إلى مبدأ من المبادئ في ساحات الصراع الفكري، لابد أن تكون أواصرهم بهذا الشخص أو بذاك المبدأ قائمة أو متينة، فكيف إذا كان من ندعو إليه هو الله سبحانه وتعالى ومنهجه الحق وصراطه المستقيم؟!

ويؤكد الشيخ الغزالي أن معرفة الله المعرفة الصحيحة هي أساس الدعوة، وهذا يعني بالضرورة أن الداعية الذي ضعف علمه بالله تعالى لا يمكنه بعد ذلك تحمل تكاليف الدعوة إليه، واستشهد الشيخ بقوله تعالى (الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً)(٣)، ويذهب الشيخ إلى أن هذه الصلة النبيلة بسبب الوجود وقيّوم الكون والحياة هي روح ينفث الحياة، وينبض بالحركة والقوة، ويشيع الضوء والدفء، ولما كان الناس يتفاوتون في مدى استيعابهم وفقههم لهذه المعاني، فإن الدعاة هم أكثر الناس - أو ينبغي أن يكونوا أكثر الجميع - حظاً ونصيباً منها.(٤)

وقد عرّف الله تعالى نفسه إلى خلقه في آيات بيّنات كثيرة استفاض بها الكتاب الكريم، وفي كلمات نفيسة زخر بها تراث النبوة ونضحت بها تجارب المرسلين وصفوة العابدين.... ومن غير شك فإن حياة القلب والضمير تنتعش بقدر الأخذ أو النأي والازورار عن تلك الصلة الكريمة، فما هو في حقيقة الأمر إلا موت وطمس للبصيرة، لذلك يأبى الإسلام بشدة وحسم أي تسوية أو موازنة بين المنْحيين في قوله تعالى: (وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور. وما يستوي الأحياء ولا الأموات)(٥)، وثمة أمر آخر يرد بهذا الخصوص وهو بالغ الأهمية يؤكده الشيخ الغزالي، وهو أن المعرفة بالله ليست كلها نتاج الجهد الفردي أو الذاتي وإنما هي (كما تكون عن جهد الإنسان في الفكر والذكر والتأمل والتنزيه، تكون فيما يكشفه الحق عن عظمة الذات وجمالها لبصائر المتعلقين به وعلى قدر هذا الانكشاف يكون الإعظام والحب والتفاني)(٦)

> **إذا كان الداعية ضعيف الصلة بما يدعو إليه أو صاحب كيان مهزوز ومزاج مضطرب، فإن ذلك بلا ريب يؤثر سلباً على دعوته**

وبلا أدنى ريب، فإن هذا التكريم الإلهي الجليل لا يحظى به إلا من قصد خالصاً نيته وجوراحه التقرب من الله تعالى والعيش في رحابه الكريمة، وانبجست من أعماقه رغبة صحيحة في تحصيل المعرفة الكاملة والشافية بأمجاد الألوهية الباهرة، وهذه القاعدة قمينة بجعل الصلة بالله تعالى المطلوبة للدعاة قائمة على نحو آخر غير تلك التي لأغلب الناس منها نصيب... يقول الشيخ الغزالي مؤكداً هذا المعنى «إن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله، ولدفع الناس إلى سبيله، لابد أن يكون شعورهم بالله أعمق وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدوم، ورقابتهم له أوضح، أي أنهم إن هبطوا من مجال الضوء المشرق... فإلى قريب منه... إلى منطقة الظل كما يُقال، أما إذا سقطوا في عتمة فإن ذلك أمر لا تتحمله وظيفتهم... وعرفانهم بالله يلزمهم شاطىء الأمان وإذا كان كثير من الناس يغرق في لجج هذه الدنيا أو تطويه في سبحها الشاق عواطف الرغبة والرهبة..»(٧).

ويذهب الشيخ الغزالي - وهذا له دلالته من واقع تجربته الخاصة كداعية - إلى أن من أجلّ معاني الصلة بالله الاستمرار في عقد مقارنات دائمة بين القيم والمثل التي يدعو القرآن الخلق والعالم

إليها، وبين الواقع الذي ثوى الناس فيه بفعل مناهج ودعوات وضلالات تضفي على نفسها بريقاً خادعاً مزيفاً، وتنسب نفسها زوراً إلى أعظم وأجلّ القيم الإنسانية(٨)، ولاشك أن هذه المقارنات المختلفة تسهم في دفع الناس لمعرفة الحق وتعينهم على الاهتداء إلى سبيل الرشاد، كما يرى الشيخ الغزالي كذلك أن من أقوى أسباب دعم الصلة بالله: التأمل في الكون وفيما خلق الله وأبدع، والداعية إذا جهل هذه الحقيقة الكبرى فهو قدح في مؤهلاته وخلل جسيم في منهجه، فإن القرآن الكريم كما طلب من المسلم - إلى جانب الرحلة في التاريخ الإنساني والتبصر بسنن الصعود والسقوط للمجتمع البشري - أن تكون له رحلة أخرى في الكون، ورؤية سنن الله في المجتمعات والأنفس، لأن العدول عن النظرة في الكون، ومعرفة سنن الله في الآفاق وحسن التعامل معها، موقعٌ في الرؤية النصفية التي لا تؤهل صاحبها للشهود الحضاري»(٩)، وصفوة القول هنا: إنه ينبغي على الداعية أن يجعل من صلته بالله ذخره وزاده الأول، ومن الاعتزاز بهذا النسب الكريم شارة شرف وعزّ ووقار دائم، فالحب الإلهي بالنسبة للداعية هو الطاقة الدافعة، ومنبع السعادة الغامرة والرخاء الذي لا ينقطع له مدد.

الصلة بالله تعالى هي الدعامة الأولى في أخلاق الدعاة، والمرتكز الركين الذي ينطلق منه الدعاة في الحركة بدعوتهم

٢ - إصلاح النفس: يعتقد الشيخ الغزالي بأن تزكية النفس وإصلاحها أمر مطلوب لكل مسلم، ولكن الداعية أولى بذلك من غيره، فإن نوازع هذه النفس ومآبها ليس لها نهاية، وكثيراً ما تنزع النفس البشرية بصاحبها باتجاه الشر واقتراف ما نهى الله عنه، ومن ثمَّ فإن الحاجة إلى تتبع النفس بالإصلاح والتزكية المستمرة وحملها بشتى الأساليب والمنازع على التزام الجادة ضرورة لا مندوحة عنها ولا سيما بالنسبة للداعية، ويرى الشيخ الغزالي أنه بقدر رغبة الداعية في ترشيد حياة الناس والتصدي لحل مشكلاتهم وتقريبهم من منهج الله، بقدر ما تزيد مسؤولية رعايته لنفسه وتزكيتها، والداعية في وظيفته النبيلة مع الناس إنما يفعل ذلك على ضوء من علاجه وإصلاحه لنفسه هو، فإذا أراد على سبيل المثال معالجة العامة فيما يتعلق برذيلة البخل، فإنه ينبغي عليه أن يعالج أولاً شح نفسه، وأن يتعرف إلى المراتب التي تدرج فيها الوسائل والأدوات التي استعان بها في تجربته الخاصة وهو يستأصل من نفسه هذا المنزع الذي لا يناسب الروح المؤمنة الشفافة، فإذا عرف الداعية عن دراية وخبرة ما صنعه بنفسه، فإنه لا محالة سيعرف المداخل الصحيحة لمعالجة نفوس وأرواح الآخرين والتمكن من مداواة العلل الكامنة فيها.(١٠)

ويذهب الشيخ الغزالي إلى أن التماطل في هذا الجانب والتقصير في متطلباته يسوق حتماً إلى انفصام خطير في شخصية الداعية، وهذا الانفصام له من الآثار والنتائج السلبية ما يكفي لتزهيد الناس في الدعوة والصبر على الاستقامة، لذلك فإن الغزالي يعتقد من منطلق الخبير بهذا الميدان أن «من أعجب النقائض في دين الله ودنيا الناس أن هناك نفراً ممن يتسمون بالدعاة ويحسبون أن ما يقولون لغيرهم من علم إنما هو أمر يخصّ المخاطبين فحسب، وقد يعني الناس أجمعين إلا إياهم!! إنهم نقلة فحسب، إنهم «أشرطة مسجلة» أو «أسطوانات معبأة» تدور بعض الوقت ليستمع الناس إليها وهي تهرف بما لا تعرف، ثم تودع أماكنها لتُدار مرة أخرى إذا احتيج إليها، إن هذا الجماد الذي أنطقه الذكاء الإنساني هو صورة للجماد الذي أنطقه الاحتراف... إن الدعاة الذين يحيون على ذلك النحو المتناقض هم آفة الإيمان، وسقام الحياة، وهم الثقل الذي يهوي بالمثل العليا ويمرغها في الوحل»(١١).

والحل العتيد لهذا الفصام - برأي الشيخ الغزالي - كي يتوقى الداعية بلوغ هذه الصورة القاتمة، أن يكون إصلاح النفس في مسار الداعية برنامجاً قاراً طوال أيام عمره، فإن الكثير من الطباع الكامنة والمستترة في النفس البشرية، تستدعي اليقظة الدائمة والوعي المتواصل... وبدهي أن هذه العناصر من اليقظة الوعي وغيرهما ينبغي أن تشمل من كيان الداعية نفسه وعقله وسلوكه، فمخالطة الناس لوقت طويل وفي ظروف وحالات متباينة ومتناقضة ليس بالأمر الهين ولا السهل، فإن تلك المخالطة والمعايشة إذا استطالت قد يتسرب منها لكيان الداعية بعض النقائص أو حتى الاهتزازات والعلل، فضلاً عن تسرب روح الملل والضعف والبرود أو عدم الفعالية، ومن ثمّ، فإن تعهد الداعية روحه وعقله وسلوكه بالرعاية الدائمة والإصلاح المستمر أمر في غاية الأهمية، بل شرط من شروط مواصلة الطريق وتحمل تكاليف وأعباء هذه الرسالة.

٣ - دقة الفهم للدين والفقه بالواقع: لا يعتبر الشيخ الغزالي الشخص الداعية صادقاً في دعواه إن لم يكن جاداً في بذل الجهد المطلوب والمثابرة الواجبة لفهم حقيقة الدين وجوهره واستيعاب نصوصه ومقاصده على الوجه المرتجى، ويرتبط بذلك أيضاً فهم المحيط والواقع وفقه أحوال المدعوين وأنماط المتغيرات والمستجدات في حياتهم وواقعهم، فإن المداخل الصحيحة للتغيير والتأثير لاتدرك إلا بدراسة مشكلات الناس والإسهام المخلص في حل بعض جوانبها، وإظهار الداعية همة مشاركة المدعوين همومهم وأعباء ما يعانون من ظروف الحياة وأثقالها، وذلك بقصد صادق وعزيمة قوية، كي لا يشعر هؤلاء المدعوون بتكلف أوبقلة صدق في سلوك الداعية.

ومن غير شك أن هذه الوظيفة الرسالية تتطلب مؤهلات عدة بعضها من صميم التركيب النفسي والذهني للداعية، وبعضها الآخر يكتسب بالمران والرغبة الصادقة في حب الهداية للناس وانتفاعهم بصراط الله المستقيم، ووفق هذه الرؤية، فإن الداعية النابه الحصيف - كما يرى الشيخ الغزالي - رجل يشخص الأدواء والعلل ثم يضع لها الدواء المناسب من المظان المعصومة «وبذلك

يجيء نصحه طباً للمريض، ورحمة تذهب عناءه ونوراً يهديه السبيل، والقدرة على هذا الأسلوب لا يلقاها إلا من استجمع ثروة طائلة من نصوص الكتاب والسنة تكون رصيداً عنده لأي داء وافد أو مرض عارض، وإحاطة تامة بطبيعة البيئة، وأحوالها الجلية والخفية وظروفها القريبة والبعيدة... فإن الداعية الحكيم هو الذي يبلغ رسالته بتلك الطريقة، فيسوق من الحق الإلهي ما يقوِّم العوج الإنساني بلباقة وفقه، ويرسل من العظات ما يكون دواء حاسماً لما يحسّه الناس في أنفسهم من حيرة واضطراب»(١٢).

ونرى الشيخ الغزالي يستخلص هذه الرؤية - فضلاً عن تجربته الخاصة - من سيرة سيدنا داود عليه السلام الذي جعل العبادة سبيلاً للعمل والإنتاج والإبداع، حتى لانت له صناعة الحديد، وعدّ الله ذلك من أنعمه وآلائه عليه، وقرن هذا الإلهام الفني الرائع بنعمة التوفيق إلى العبادة الخاصة... تلك العبادة التي أطلقت لسان داود بآيات التسبيح نغماً حلواً تردد صداه الجبال، وتشارك في ترجيعه الطير (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوِّبي معه والطير وألنَّا له الحديد. أن اعمل سابغات وقدِّرْ في السرد واعملوا صالحاً)(١٣)، في هذا الجو الطهور من الإخلاص لله وشكر آلائه كانت المطارق تدوي والمسابك تصوغ والأفران تصهر... أما اليوم فأمارات الصلاح المكذوب والتقوى المصطنعة أن ترى رجالاً يمشون رويداً ويكثرون لغواً ويأكلون سحتاً، ويعيشون في جو من الهمهمة والشعوذة لا عمل فيه ولا كفاح ولا تكسب!! وربما وقر في نفوس هؤلاء البطالين أن أعمال الحدادة والنجارة والبناء ورعاية الغنم وأمثالها، ليس مما يليق بالنبلاء وأشراف الناس أن يتكسبوا به، ولا غرو فمن أين لهؤلاء منطق النبوة العالية والرجولة الصحيحة وهم عاطلون قاعدون»؟(١٤).

الداعية لا يستطيع أن يستمر في طريقه مبلّغاً ومرشداً إلا إذا نجح في الارتقاء إلى مستوى دعوته

إن فهم الشيخ الغزالي يتجه إلى كون استيعاب الواقع وتكوين صورة صحيحة عن ظروف الناس وواقع الحياة هو الموقف الأدنى إلى الفطرة في التعامل وإلى مسالك الأنبياء والرسل إزاء البيئات والأحوال والوقائع التي عايشوها وسط الأقوام الذين بعثوا فيهم... ومن هذا المنطلق ذاته، فإن الغزالي يلحّ على الداعية أن يستشف ويتمثل هذا المسلك من واقع الاقتداء بتلك الكوكبة المصطفاة من عباد الله حتى يستطيع تحقيق نجاحات ومكاسب لدعوته... فمما لا شك فيه أن الداعية الناجح هو من يجمع في عبقريته بين معالجة أسقام الأرواح والنفوس والأفكار، وبين توجيه الناس إلى إعمار الأرض وصناعة الحياة الكريمة الصالحة، وفق مقتضيات وأبعاد رسالة الاستخلاف عن الله في أرضه وملكوته... ووفق هذا النسق البديع كما تمثله سيدنا داود وإخوانه الأنبياء ورسخه بقوة وحيوية أمير الأنبياء وخاتمهم محمد - ﷺ - في سيرته ومنهجه، واستوحى ذلك منه الرهط الأول من جيل الصحابة والتابعين والفاتحين، وفق ذلك وحده يتأسس المنهج الصحيح الواقعي لهذه الدعوة.

٤ - الإخلاص للفكرة والمبدأ: إن الإخلاص الكامل للمبدأ هو سر نجاح وتألق الدعوات والاتجاهات، لأن الكلمة الحية هي تلك التي اقتاتت قلب إنسان وانبعثت من صلة هذا القلب بالنبع الخالد، فتبناها الآخرون لنبضهابالحياة، والحركة والفعل، والإسلام يرقب بعناية هائلة ما يخالط أعمال الناس من مقاصد وما يشوبها من انفعالات ومنازع، وذلك لأن «صلاح النية وإخلاص الفؤاد لربِّ العالمين يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعلانه عبادة متقبلة، ولأن خبث الطوية يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصي شائنة فلا ينال المرء منها، بعد التعب في أدائها إلا الفشل والخسائر»(١٥).

ويذهب الشيخ الغزالي إلى أن الداعية بحكم وظيفته وطبيعة الرسالة التي يقوم عليها، مطلوب منه أكثر من غيره التجرد لله في مناشطه جميعاً، فإن اشتباكه المتواصل مع أحوال الناس ورضاهم وسخطهم وقوتهم وضعفهم يفرض عليه أن يكون أكثر حرصاً على استدامة ذكر الله ومطالعة وجهه ورعاية حقوقه، حتى لا يضل الغاية ولايحيد عن النهج في زحام الحياة... فإن التدين الذي تكتنفه الأهواء والمنازع المنحرفة ضرب من العوج النفسي والالتواء الخلقي والسلوكي يثير التقزز ويستدعي اللوعة، ويجعل صاحبه مظنة كل النقائص المحبطة للفضائل العليا، ففي هذا المجال لا يرتفع عمل أبداً ما لم تصحبه نية صالحة، وما لم يقترن بإرادة وجه الله تعالى وحده، ولابد أن يكون الداعية على بصيرة كاملة لا خلل فيها إزاء هذا الأمر(١٦).

كما يشدد الشيخ الغزالي على هذه الصفة وعلى ضرورتها الآكدة في حياة الداعية وهو ينجز أهداف وغايات الرسالة المنتسب إليها، ويرى الشيخ أن الداعية المرائي يقترف جريمة مزدوجة، فضلاً عن أنه في جبين الدين سبة متنقلة وآفة جائحة، وأن تقهقر الأديان في حلبة الحياة راجع بنسبة معتبرة إلى مسالك هؤلاء الأدعياء، ويستشهد الغزالي على ذلك بقصة إمام مسجد في إحدى القرى بالريف المصري، فقد كان من عادة هذا الإمام أن يصلي المغرب بآيتين من أواخر السور، فإذا حضر العمدة الصلاة، كان هذا الإمام يتحرى أن يصلي بسورتين كاملتين يجوّد قراءتهما في الركعتين الجهريتين!!(١٧).

إن دفع الرياء والتخلص من شوائبه في نفس الداعية والتجرد لله في شتى الأعمال هو - كما يلاحظ الشيخ الغزالي - مسلك دونه مجاهدات متواصلة وعزائم راسخة، وقد كان الرعيل الأول لهذه الأمة على هذا النحو من الأدب مع الله... فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر - رضي الله عنه - خرج إلى المسجد فوجد معاذاً عند قبر رسول الله - ﷺ - يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ قال معاذ: حديث سمعته من رسول الله - ﷺ - يقول فيه: «اليسير من الرياء شرك، ومن عادى

أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يُفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل مظلمة»(١٨)، وشيء آخر لابد من ذكره وهو أن الداعية بقدر ما يُخلص عمله وجهده لله بقدر ما يحقق لدعوته من نجاح وتألق وكسب، فضلاً عن السعادة التي يستشعرها بين جوانحه بإخلاصه لله وحبه ودعوته لعقيدته، وتطلعه المستديم لتحصيل الرضوان الأعلى في الدنيا والآخرة، إن نعمة الإخلاص في مجال التعامل مع الله ودينه الحق لا يصح مطلقاً أن تضاهى بنعمة أخرى، لذلك يجب على الداعية أن يرعى ربه أولاً، وأن يمحّص أعماله ويغلغل فكره في بواعثها الحقيقية، فإن هذه المراجعة بالغة الأهمية سواء على مستواه الخاص أو على مستوى تفعيل دعوته وإثمار مغارسها.

٥ ـ الشجاعة والثبات على الحق: إن التجربة العميقة في ميدان الدعوة دفعت الشيخ الغزالي إلى الاعتقاد بأن الإسلام يمقت الجبن والخوف والتردد ويمجد الشجاعة والعزم والإقدام، وعلة ذلك كما يرى أن الرسالات العظيمة والمبادئ المتألقة لا ينتصر لها ولا يزيدها وضوحاً وألقاً وإغراء باعتناقها، إلا ذوو الشجاعة والعزم من الناس، أما الجبن فهو مسلك يذوي بالمبادئ ويدفن الحق تحت الثرى، كما يمكّن للظلم وما يستتبعه من مآرب خسيسة ونزوات دنيا وهبوط إنساني، لذلك فإن الشيخ الغزالي يُلزم الداعية بالايمان الصحيح والتحصّن بأسبابه، لأنه أقوى عامل في بناء الكيان الشجاع والنفسية الواثقة المطمئنة.



الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله ولدفع الناس إلى سبيله لابد أن يكون شعورهم بالله أعمق وارتباطهم به أوثق

والشيخ الغزالي حين يركّز على عامل الإيمان الصحيح ودواعي الثبات على الحق والمبدأ بالنسبة لشخصية الداعية، فهو توجّه مبرّر بالنظر إلى طبيعة الصراع والتدافع التي تؤطر واقع الحياة، فتضحى «البواعث الضعيفة لليقين لا تجدي شيئاً أمام عصف النزوات المتاحة، وإذا لم يفلح الايمان في تكوين أسس للخير قوية التيار غلاّبة النفوذ شديدة النفاذ، فهو لن يكسب في ميدان الحياة معركة... وإذا لم يكن الصالحون من وضوح النية وروعة السلوك وتألق السيرة على النحو المعجب البارز فهيهات أن يفوز بهم مبدأ، أو تنجح بهم فضيلة أو تخذل أمامهم رذيلة، يجب ـ لكي ينتصر الطهر في هذه الحياة ـ أن يكون في نفس أصحابه أبرز من العهر في سيرة العاهرين، ولكي تسود العدالة في الأرض يجب أن يتعلق بها سدنتها تعليقاً أشد من اشتهاء الظلمة لظلمهم، وإذا كانت هناك نفوس ضَرِيَتْ على العسف، وتوحشت به في أعمالها حتى لكأنها سباع مفترسة، فما يغني في صدها أن تلقاها في زحام الحياة مقاومة مستأنسة أو براثن من حرير!! إن طبيعة الشر عنف المصدر وحدّة المسير... ومقتضى ذلك أن يكون الايمان قادراً على الظهور، قادراً على الحركة، قادراً على المقاومة، شجاعاً في تصرفاته جميعاً، ومن أجل ذلك كانت الشجاعة خلقاً أصيلاً في الداعية إلى الله، وشيمة لا تنفك عنه وهو يتقلب بين الناس(١٩).

ويذهب الشيخ الغزالي إلى ضرورة أن يتصف الداعية بسمة الشجاعة والعزم والثبات على ما يتمثل به من حق ومثل ومبادئ، وهو في ذلك يستمد قوته من الله ومن شدة إيمانية بعقيدته واتجاهه، فإن الداعية إذا لم يكن شجاعاً مطيقاً لأعباء رسالته فخير له ـ كما يرى الغزالي ـ أن ينسحب من هذا الميدان، والا يفضح الإسلام بتكلف ما لا يحسن من شؤونه ومقتضياته، والحقيقة أنه ليس أمام الداعية خيارات كثيرة، فهو إما ارتفع إلى مستوى مستلزمات إنجاح دعوته وإعزاز ما يدعو إليه من قيم ومبادئ، وإما حكم على نفسه بأنه لا يصلح لميدان الدعوة... لذلك فإننا نجد الشيخ الغزالي الذي يشبه الدعاة في دفاعهم عن الإيمان بالجيش الموكل بحراسة الأمن، ينتقد بشدة الدعاة المتخاذلين عن نصرة الحق والدفاع عن الثغور التي يقومون عليها، والعجب العاجب عنده «أن الجند المكلفين بحراسة الأمن قد يفقد بعضهم روحه وهو يطارد لصاً أو يُصاب بعاهة مؤلمة وهو يؤدي واجبه، ذاك فضلاً عن السهر المستديم والجهد الموصول، أما جند الدعوة من أئمة ووعاظ ومرشدين فكأنما أخذوا عهداً على الدهر ألا يمسهم سوء، فهم يسمنون والدين ينحف، ويُراحون والدين مكدود، ويعيشون متخاذلين على حين يتساند جيش الشيطان لبلوغ هدفه وإدراك أمله...»(٢٠)

٦ ـ الاستبحار العلمي والثقافي: يتسم واقع الحياة المعاصرة بتراكم المعرفة الإنسانية الموروثة عبر رحلة قرون طويلة مطبوعة بزخم هائل ومتنوع من التجارب والمسالك المختلفة، والتي هي في واقع الأمر تمثل جانباً رئيساً من حصيلة كدح البشرية في سبيل الترقية والتغيير والتنمية وبلوغ المستوى الفطري الطبيعي لإنسانية الإنسان... والشيخ الغزالي يعتقد بأن الواقع الإنساني المعاصر على صعيد الفكر والثقافة والفتوحات والكشوفات العلمية قد بلغ شأواً بعيداً، ونتج عن ذلك أمور كثيرة منها اقتراب منابع الثقافة والاتجاهات الفكرية من بعضها بعضاً، ومنها التعرف بدقة على أبرز معالم وقسمات ومقومات الهويات الحضارية والمذهبية للمجموعات والتكتلات البشرية... وكل هذه الحقائق والمسلمات تقتضي من الداعية أن يكون في مستوى العصر، كي يجعل دعوته ليست غريبة عن العصر ولا عن المنطق والمعايير السائدة بين الناس، وحتى يتوافر على المداخل المناسبة لشرح فكرته وتصوير الأهداف التي يروم تحقيقها.

وفي يقين الشيخ الغزالي أن الاستبحار العلمي والفكري والثقافي المطلوب بقوة وإلحاح للداعية يرتكز بشكل أساسي على القواعد المعرفية الآتية(٢١):

أ - المعرفة الحسنة بعلوم الكتاب والسنة.

ب - الاطلاع على التاريخ الإسلامي والإنساني.

ج - دراسة اتجاهات علم النفس وفروعه المتعددة.

د - الاطلاع على علوم الكون والجغرافيا والحياة.

هـ - التعرف الواعي على شتى المذاهب الفلسفية.

و - الإلمام بعلوم اللغة والأدب العربي.

إن الشيخ الغزالي كداعية خبير بالعصر وبطبيعة الصراع الدائر في مسرح الحياة والواقع الإنساني المعاصر، وبمتطلبات الدعوة في الوقت الراهن لا يبدي أي تساهل إزاء المكونات العلمية والثقافية للداعية، بل نراه ينتقد بعنف بعض المتصدين للدعوة والمتحدثين في شؤون الإسلام دون حصيلة علمية شرعية ومؤهلات معرفية مقبولة، ودون معرفة بالعصر أيضاً والاهتمامات الغالبة على الإنسانية فيقول: «إن ناساً يدّعون الجهاد والاجتهاد وعقولهم كليلة لا تكاد ترى شيئاً من آيات الله في الأنفس والآفاق ولا تحركها همّة عالية لإدراك ما بلغته الإنسانية من ارتقاء... وإذا كان السباق العسكري بين العمالقة يثير النزاع حول مشروعية حرب الكواكب، فإن هؤلاء الناس يسمعون تلك الأنباء وكأنما ينادون من مكان بعيد ولا تزال عقولهم منكرة لأوليات علم الجغرافيا ولبدهيات شتى في الفيزياء والكيمياء... الشي الذي يتحدثون فيه بحرارة هو الإسلام المظلوم من خلال أفهام لا يساندها وعي أو ذكاء أو تجربة، ألا فليفهم هؤلاء أنه إذا مات العقل مات الدين، وإذا اضمحلت المعرفة الإنسانية لم يغن عنها توسع في مرويات معطوبة وأفكار مقلوبة».(٢٣)

يعتقد الشيخ الغزالي بأن تزكية النفس وإصلاحها أمر مطلوب لكل مسلم، ولكن الداعية أولى بذلك من غيره

٧ - النقد الذاتي والمراجعة المستمرة: ومن أهم مواصفات الداعية الناجح في رأي الشيخ الغزالي ممارسة النقد الذاتي والمراجعة الدائمة للإنجازات والاجتهادات والأعمال التي يشرف عليها ويتابع نتائجها، وللتدليل على أهمية هذا الشأن بالنسبة للداعية ينعي الغزالي على بعض الدعاة الذين بدل أن يشتغلوا بإيجاد وتقديم حلول إسلامية للمشكلات والمعضلات الراهنة في المجالات المختلفة، أعلنوا الحرب على بعض الفرق الإسلامية القديمة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وهم بهذا السلوك - كما يرى الشيخ - قد يحرزون نصراً في ميدان لا عدو فيه أصلاً، إنه مثل النصر على الأشباح غنيمته الوساوس والأوهام(٢٣).

ومن ثم فإن الشيخ الغزالي يعتقد بأن الدعاة الذين لا يراجعون أطاريحهم ومعلوماتهم ولايمارسون النقد الذاتي بمنهجية واعية يقعون في أخطاء قاتلة، وانحرافات جسيمة على مستويين على الأقل:

أ - مستوى التنظير والتفكير: وعن هذا المستوى يقدم الشيخ الغزالي جملة ملاحظات ونماذج من الأخطاء التي وقع فيها بعض الدعاة ممن لم يعملوا بالنقد الذاتي والمراجعة الدائمة لحصائلهم المعرفية والعلمية، فيقول: «في تطوافي بالعالم الإسلامي رأيت ناساً يتحدثون عن الإسلام حديثاً تأباه الفطرة ويمجه العقل، إذا كان العقلاء يتعشقون الحرية فهم يتعشقون القيود، وإذا كان العقلاء يؤثرون السهولة والمياسرة فهم يؤثرون التعقيد والمعاسرة، ومهمتهم بعد هذا الطبع المريض أن يتأولوا النصوص أو يصطادوا من الشواهد النادرة ما يؤيد نظرتهم ويرجح كفتهم... قال أحدهم - وهو يشتغل بعلم الحديث - إن إلغاء الرق ليس من الإسلام، قلت له: آفتك أنك اشتغلت بالأحاديث قبل أن توثق صلتك بالقرآن الكريم، فلم تتكون لديك الحصيلة العلمية التي تعينك على ضبط الأحكام، واستتليت: إن تحرير العبيد لا تقوم به دولة واحدة مادام القتال يسود الأرض، ومادام الأسرى يُسترقون، فإذا اتفقت الدولة على ميثاق لتكريم الأسرى ومنع استرقاقهم فهل نحن المسلمين نرفض ذلك؟ وليس في كتابنا أمر باسترقاق، وإنما فيه أوامر بالإعتاق، هل إشاعة الاسترقاق هدف إسلامي؟ ما قال ذلك أحد».(٢٤)

ثم يواصل الغزالي عرض ملاحظاته المنهجية والنقدية في السياق نفسه قائلاً: «وقال أحدهم - وهو يشتغل بالفقه - يجوز للقرشي أن يتزوج من يشاء من العرب أو العجم، أما القرشية فلابد من مراعاة الكفاءة في النسب، قلت له: إن البيوت مغلقة على عوانس بائسات محرومات من الزواج فهل هذا الكلام يحل مشكلاتهن؟ إن هناك أقطاراً واسعة في العالم الإسلامي تشقى فيها النساء لأن التقاليد جعلت دماً دون دم وأباً دون أب أفهذا إسلام؟ ولا أريد المضي في سوق الأمثال، وإنما أذكر الشارة العامة عند هؤلاء المتحدثين الخطرين على الإسلام دعوته... إن العقل عند هؤلاء متهم حتى تثبت براءته، والقياس الصريح مؤخر عن الأثر الضعيف والمصالح المرسلة مذهب مردود على أصحابه والسيف لا الإقناع أساس نشر الدعوة! وملابس البادية أمارة على التقوى أما الأزياء الأخرى، فإن لم تدل على التحلل فهي موضع ريبة، وعدم البصر لا غض البصر أساس العلاقة بين الجنسين! وقلما يعرف هؤلاء شيئاً عن ضوابط الحكومة العادلة، ولو سألتهم لعادوا يبحثون في التاريخ عن أساليب الحكم في الكوفة أو بلخ ليعطوا صورة شرعية للحكم المطلوب!! إنني أصادف هذه المناظر المؤذية في طريق الدعوة فأشعر بالنكد، وآخر ما لقيت من هؤلاء شاب يقول لي: أليس في الالتحاق بالجيش شيء من الوثنية؟ قلت: ويحك كيف!! قال - فضّ الله فاه - إنهم يُحيّون العلم كل يوم وهذه وثنية!!».(٢٥)

ب - مستوى الممارسة والحركة: كما تنتج أخطاء فادحة لدى الدعاة الذين لا يمارسون النقد الذاتي والمراجعة الدائمة لأفكارهم

ومعارفهم، على صعيد التنظير والتفكير، فإن أخطاء جسيمة أخرى تنتج أيضاً بسبب ذلك على صعيد الممارسة والحركة والفعل، والشيخ الغزالي لا يفصل بين المستويين، فكلاهما وزر يبوء بحمله الدعاة المقصرون، وكلاهما عوائق وأقذاء تسهم في الصد عن الدعوة إلى الله.

وعن الأخطاء والانحرافات التي تظهر على مستوى الممارسة والحركة يقول الشيخ الغزالي تحت عنوان (الحطيئة حين يشتغل بالدعوة إلى الله) محذراً من مخاطر هذه السلوكيات المرضية: «الناس أنواع فيهم من يحمل بين جنبيه طبيعة الحمل الوادع أو الثعلب الماكر أو الأسد الهائج أو الجمل المنقاد، ولا حيلة لنا في تغيير الطبائع المركوزة، وما نحاول شيئاً يعزّ على أساطين المربين، إلا أننا نقترح أن تسند الأعمال إلى أصحابها في هذه الحياة على ما يلائم شتى الأمزجة، فلا تسند شؤون القتال إلا إلى الرجال الأسود... وربما صح أن يعمل في ميدان السياسة رجال لهم ختل الثعالب، أما الدين فأحق من يشتغل به رجال لهم صفاء الملا الأعلى وخلوصهم من الشوائب والدنايا، والداهية الدهياء أن يقف في محاريب الدين رجال من... من شكل الحطيئة وأن يتكلم بلسانه صنف من البشر إذا وقع الإنسان لسوء الحظ بينهم، فكما يقع الطارق الغريب أمام بيت لا أنيس فيه، ما أن يقرع الباب حتى يقضم رجله كلب عقور، رأيت طائفة من حزب الحطيئة هذا يزعمون أنهم دعاة إلى الله (لو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول)(٢٦) أولئك قوم يتمنون وقوع الخطأ من الناس حتى إذا زلت أقدامهم وثبوا على المخطئ، وظاهر أمرهم الغضب لحدود الله، أما باطنه فالتنفيس عن رغبات الوحش الكامن في دمائهم يريد أن ينبح المارة ويمزق أديمهم، علامة هؤلاء أن يضخموا التوافه ويتاجروا بالخلافات ويتلمسوا للأبرياء العيوب!».(٢٧)

يذهب الغزالي إلى أن الداعية بحكم وظيفته التي يقوم عليها مطلوب منه أكثر من غيره التجرد لله في مناشطه جميعاً

إن تركيز الشيخ الغزالي واحتفاءه بصفة النقد الذاتي والمراجعة الدائمة في حياة الداعية وتجربته الدعوية له مبرراته العلمية والمنطقية، كما يعكس في الوقت ذاته مدى أهمية ونجاعة فكر الغزالي بالنسبة للدعاة وحركات الإصلاح والتغيير في العالم الإسلامي، وعلة هذا الاستنتاج تكمن في كون «مشروعات النهوض الحضاري تستدعي إلى جانب مواصلة تنفيذ مراحل المشروع وتبصّر واقعه واستشراف مستقبله: مراجعات مستمرة وتقويمات متواصلة وتعديلات مطردة، على المستويين النظري والعملي، ذلك أن الإسقاط الفعلي للأفكار والنصوص على الأحداث والواقع غير منضبط بآلية واحدة من المعيارية، لاختلاف في حالات ونماذج وظروف التطبيق، وكذلك لتعدد الفهوم والرؤى للفكرة الواحدة وللنص الواحد، دون إغفال الأثر الذي يتركه تعاقب المراحل بالنسبة لمشروع نهوض حضاري ما، والمشروع الحضاري الإسلامي المعاصر بحاجة ماسة لمراجعات شاملة وعلى كل الجبهات والساحات الفكرية منها والثقافية والدعوية والاستراتيجية.... إلخ، إذ إن عملية إعادة النظر والمراجعة للقول والفعل، للنظري والتطبيقي تأكدت جدواها وأهميتها، بل ضرورتها لمشروعات النهوض والتغيير لدرجة لا ترقى لشك أو ظن وتخمين».(٢٨)

٨ ـ الاهتمام بأوضاع المسلمين: الذي يظهر جلياً أن الشيخ الغزالي من خلال مواقفه ونتاجه الفكري لا يستطيع هضم عدم اهتمام الداعية المسلم بشؤون المسلمين وأوضاعهم في كل مكان من المعمورة، وكثيراً ما سمعتُ الغزالي يذكر بتأثر موقف والدة الشيخ محمد رشيد رضا التي كانت تسأله حين يصبح عابساً أو شارد الذهن قائلة له: ماذا حدث لك هل أصيب مسلم في الصين؟! يقول الغزالي لأن الشيخ رشيداً كان معنياً بأوضاع المسلمين في أي مكان، فالداعية الحق في رأي الشيخ الغزالي يستحيل أن يعيش في غيبوبة عما يحدث للمسلمين... والفواصل الجغرافية وتنائي الديار لايجوز أن تكون له عذراً في تقصيره وتفريطه في هذا الواجب المقدس الثابت بأدلة قطعية(*).

وإذا كان الشيخ الغزالي يُلزم كلَّ داعية إلى الإسلام بأن يجعل الاهتمام بأوضاع وأحوال المسلمين في صميم برنامجه الثابت الذي لا يتأثر بالنوازل والمتغيرات، فأنا أعتقد بأن الغزالي نفسه يمثل خير نموذج في هذه الصفة المطلوبة للداعية، فإن عين الشيخ مفتوحة على كل شؤون المسلمين وعلى ما يعانون منه سواء في أوطانهم الأصلية أو كأقليات تعيش في أقطار أخرى، وقلبه الحي مَرْصدٌ دقيق لمراقبة ما يحدث في دنيا المسلمين... وفي بعض كتب الغزالي تقارير غزيرة المعلومات عن معاناة المسلمين في بعض الأقطار الضائقة بهم بفعل تحرشات حاقدة وتدابير ماكرة، ففي كتابه «كفاح دين» كتب الشيخ تقريراً عن المسلمين في الحبشة وتتبع بألم البواعث الصليبية المتربصة بالإسلام في هذه البلاد، وفي كتابه «قذائف الحق» نجد تقريراً آخر عن أوضاع المسلمين في كل من أندونيسيا وقبرص وكوريا، كما تحدث الشيخ عن حال المسلمين ومعاناتهم البائسة في الفلبين في مؤلفه «علل وأدوية»... وكذلك في كتابه «الاستعمار أحقاد وأطماع» أثبت الشيخ تقريراً آخر ميدانياً عن أوضاع الإسلام والمسلمين في مناطق عدة من شرق أفريقيا ووسطها، ولا يكاد مؤلف من مؤلفات الغزالي يخلو من حديث أو اهتمام بشكل ما بأوضاع المسلمين هنا أو هناك، ولم أر هذا المنهج أو الأسلوب عند غيره من كُتاب الدعوة والمفكرين الإسلاميين المعاصرين.

وقد بقي الشيخ الغزالي حتى السنوات الأخيرة من عمره يحمل هذه الروح المتقدة، كما سجل ذلك في كتاباته المتأخرة مصوراً همومه وأحزانه على أحوال المسلمين المستضعفين، وعن زيارته

للمسلمين في البوسنة والهرسك يقول معبراً عن بعض تلك المشاعر «كنت كسير النفس وأنا منطلق مع معجبي من «زغرب» إلى مخيمات اللاجئين من أهل البوسنة والهرسك، إنني أحمل مقداراً من الآلام لا أحتاج معه إلى مزيد!! ولكن لابدَّ من هذه الزيارة حتى نشعر المسلمين هنا بأن وراءهم إخوة يدعمون جانبهم ويأسون لقضيتهم... ومررنا في أول الطريق بميدان رحب يتوسطه مبنى فخم فقال السائق: هذا ميدان الجامع! قلت: فأين الجامع؟ قال: كان هنا فهدم «تيتو» مآذنه الأربع وحوّل صحن المسجد إلى متحف هو ما نراه الآن! وشعرت بضيق خانق وقلت وأنا أهمس: إن تيتو الذي منح نفسه لقب مارشال هو أحد زعماء عدم الانحياز بين القوى العظمى، ويظهر أن ضرب الإسلام من مظاهر عدم الانحياز، فإني ما استعرضت تاريخ أحد من قادة هذه الحركة إلا رأيت موقفه من الإسلام بالغ السوء....»(٢٩)، إن المهم هنا أن الشيخ الغزالي لا يتساهل ولا يتنازل للداعية عن صفة الاهتمام بأوضاع المسلمين وتتبع أفراحهم وأحزانهم وجعل ذلك جزءأمن التحرك بالدعوة.

ثالثاً : ملاحظات عامة

١ - إن هذه المواصفات لاتمثل الحصيلة النهائية من المواصفات التي يرى الغزالي ضرورتها لشخص الداعية، ولكنها أبرز وأهم ما وقفنا عليه في بعض كتابات الشيخ الغزالي، ولا شك أن هناك مواصفات أخرى يعتقد الشيخ بجدواها يتطلب استخلاصها إلى قراءات ضافية وصبر على البحث والتأمل والاستنتاج.

٢ - وردت تفصيلات عدة لبعض هذه المواصفات في كتابات وخطب ومحاضرات ومذكرات الشيخ الغزالي، وهو ما يعكس حرص الشيخ على صنع أجيال من الدعاة لها مؤهلات تشرّف وتدعم الدعوة الإسلامية، في وقت تبرجت فيه جميع الدعوات وتمكنت من استغلال الإمكانات والقدرات المتاحة لبلوغ أهدافها.(٣٠)

٣ - قوة إيمان الشيخ الغزالي وتعويله على الدعوة والدعاة لخروج الأمة الإسلامية مما هي فيه من هوان وضعف وتخلّف، وهو ما يفرض على مؤسسات الأمة إيجاد الداعية المتجرد لدعوته الغيور على أمته، الداعية الذي لا يقبل أي مساومة على دعوته، فهو يعيش لها أبداً ويحيا ويتحرك في سبيل نصرتها والتمكين لها.

٤ - إن المتأمل في المواصفات السابقة، والعارف بالشيخ الغزالي معرفة قرب، يتبدى له جلياً عمق تحقق الشيخ وتمثله لتلك المواصفات والخصائص، أي أن شخصية الغزالي ذاتها خير مثال لنموذج الداعية الناجح، والشواهد تتضافر وتتعاضد للدارس على أن الشيخ الغزالي كان داعية موفقاً بكل مقاييس التوفيق. ■

الهوامش :

١ - محمد الغزالي، مع الله (القاهرة: المكتبة الإسلامية، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ص٨.

٢ - المصدر نفسه، ص ١٨٧.

٣ - سورة الفرقان آية: ٥٩.

٤ - المصدر السابق نفسه، ص ١٨٨.

٥ - سورة فاطر: ١٩ - ٢٢.

٦ - محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام «باتنة/ الجزائر: دار الشهبات، د.ت»، ص ٣١٨.

٧ - محمد الغزالي، مع الله (مصدر سابق) ص ١٩٠.

٨ - المصدر نفسه، ص ١٩١.

٩ - محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن (الجزائر: دار الانتفاضة، د.ت) ص ٢١٤.

١٠ - محمد الغزالي، مع الله «مصدر سابق»، ص ١٩٢.

١١ - المصدر نفسه، ص ١٩٢ - ١٩٣.

١٢ - المصدر نفسه، ص ١٩٥.

١٣ - سورة سبأ آية: ١٠ - ١١.

١٤ - محمد الغزالي، الإسلام والمناهج الاشتراكية (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط٤، ١٩٦٠م)، ص ٨٨.

١٥ - محمد الغزالي، خُلق المسلم (الجزائر: مكتبة رحاب، ط١٥، ١٩٨٧م)، ص ٦٨.

١٦ - محمد الغزالي، مع الله (مصدر سابق) ص ٢٠١ - ٢٠٢.

١٧ - المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

١٨ - رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقي في كتاب الزهد، وقال الحاكم: صحيح لا علة فيه.

١٩ - المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

٢٠ - المصدر نفسه، ص ٢١١.

٢١ - المصدر نفسه من ص ٢١٩ إلى ص ٢٢٦.

٢٢ - محمد الغزالي «هل يرتفع المسلمون إلى مستوى دينهم» مجلة المنهل السعودية العدد: ٤٤٩ - الربيعان (١٤٠٧هـ) - نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م، ص ١٠٢.

٢٣ - محمد الغزالي، هموم داعية «باتنة / الجزائر: دار الشهاب، د.ت) ص ١٣٠.

٢٤ - المصدر نفسه، ص ١٣١ - ١٣٢.

٢٥ - المصدر نفسه، ص ١٣٢.

٢٦ - سورة محمد - آية: ٣٠.

٢٧ - محمد الغزالي، تأملات في الدين والحياة «الإسكندرية: دار الدعوة، ط٢، ١٩٩٢م»، ص ١٨٧ - ١٨٨.

٢٨ - إبراهيم نويري «ضرورة مراجعة مصطلحات الخطاب الإسلامي المعاصر» مجلة الحرس الوطني السعودية، العدد (١١٠) ربيع الآخر ١٤١٢هـ - أكتوبر ١٩٩١م، ص ٢٨ - الزيادة الفائدة يحسن هنا مراجعة فصل: لماذا النقد الذاتي من كتاب «في النقد الذاتي» (خالص جلبي، في النقد الذاتي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٨٧م) من ص ٤٥ إلى ص ١٥٢.

(*) فضلاً عن آيات المناصرة والولاء لأهل الإيمان فقد وردت في السنة المطهرة أحاديث شريفة عدة في الحث على اهتمام المسلم بإخوانه في كل مكان والاكتراث بقضاياهم العامة.

٢٩ - محمد الغزالي، الحق المر، ج٤ (القاهرة: دار نهضة مصر، ط٢، ١٩٩٧م)، ص ١٤ - في أجزاء كتاب الحق المر الستة يبدو اهتمام الغزالي بأوضاع المسلمين في كل مكان، خصوصاً الأقليات المستضعفة أو المهاجرة.

٣٠ - ومثال ذلك ما كتبه الشيخ في مقاله القصير (خصائص الداعية الناجح) في كتابه الحق المر (محمد الغزالي، الحق المر ج٣ «القاهرة : مركز الإعلام العربي، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م»، ص ١٣٥).

أخلاق

تتفاوت درجات البشر في الثبات أمام النوازل، منهم من يتلقاها - مهما تعاقبت - بطيب نفس ورباطة جاش، لا يبث كمده لمخلوق مثله، ولا يبدي ما الله مخفيه من أسقام - مهما عظمت - فلا تكاد تسمع له ركزاً، ومنهم من سجيته «البث المباشر» فتراه هلوعاً ولو مسّه طائف من البلاء يسير، لا يفتأ يذكر لهذا ويردده لذاك، حتى تصير الشوكة التي اشتاكها قصصاً تروى في الغداة والعشي وهو لايدري انه بذلك قد أتى شيئاً إدا.

والمسلم الفطن لا يعزب عنه حقيقتين مهمتين، أولهما أن نفسه وماله وولده وكل ما يملك في هذه الحياة لله وحده وقد جعل عنده عاريه، وثانيهما أن الدنيا التي يعيشها ليست دار قرار ولم يجعلها الله كذلك، بل هي دار تمحيص واختبار، مزرعة للنوائب، ومشرعة للمصائب، وأنه خلق فيها ليكد ويشقى ويبتلى حتى يصقل ليعد بذلك لحياة الخلود في الدار الباقية، وتلك أمور جوهرية يتجلى بوعيها ثبات الصنف الأول من البشر، فهم يتجرعون المرارة من تعبس، ويقفون مع البلاء بحسن الأدب.

وإذا ما وطّن الإنسان نفسه على تلك الطبيعة، فسيظل دوماً موفور الثقة، بادي الثبات لا يرتاع ولا يوجل من جُلّ الخطوب، حتى تنقشع غيومها وتنهمر عليه شآبيب الرحمة من عند الله وذلك هو وعد الله، بالسعة بعد الضيق، والعافية بعد البلاء، والرخاء بعد الشدة وباليسر بعد العسر (سيجعل الله بعد عسر يسراً) الطلاق:٧، (فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسرا) سورة الشرح: ٥ - ٦، «ولن يغلب عسر يسرين».

الإنسان بين صبر الاضطرار وصبر الاختيار

بقلم : محمود علي محمد عبدالله

الصبر فضيلة

هنا تتجلى فضيلة الصبر، فهو ركيزة أساسية، ودعامة مهمة، وسقف هائل لتلك النوازل فهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة أساسية عظيمة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها، وهو مقام من أرفع مقامات الدين، وخلق من أعظم أخلاق المؤمنين، ومنزلة من أجلّ منازل الصالحين، وشعبة من أبرز شعب الإيمان، وعروة من أوثق عرى الإسلام، لذا جعله القرآن مفتاح كل خير، وباب كل سعادة في الدنيا والآخرة وكفى أهله أنهم في معية الله ومحبته (إن الله مع الصابرين) البقرة:١٥٣، (والله مع الصابرين) الأنفال:٦٦، (والله يحب الصابرين) آل عمران:١٤٦، وفي الحديث: «إذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس وهم قليلون، فينطلقون سراعاً إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أسيئ لنا غفرنا، وإذا جُهل علينا حلمنا، فيُقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين».

والصبر من معالم العظمة وشارات الكمال، ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها وهو من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الفارعة، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل، والحياة لا ينهض برسالتها ولا ينقلها من طور إلا رجال عماليق وأبطال مغاوير، ومن ثم كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئاً لما أتوا من مواهب، ولما أدوا من أعمال، فاختلاف أنصبة الناس من الجهد والتبعة والهموم الكبيرة يعود إلى طاقتهم في التحمل والثبات، ومن هنا كرّم الإسلام المتنصبين لأعراض الدنيا وواسى المتعبين مواساة تطمئن بالهم وتخفف آلامهم(١)، وفي الحديث: «إن عظم الجزاء من عظم البلاء».

الصبر ضرورة حياتية

فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر ففي الدنيا لا تتحقق الآمال ولا تنجح المقاصد ولا يؤتى عمله أكله إلا بالصبر، فمن صبر ظفر ومن عدم الصبر لم يظفر بشيء، فالإنسان في هذه الدنيا لا يستغني عن الصبر في أي حال، ذلك أنه فيها بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه، ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه، وقدر يجري عليه اتفاقاً، ونعمة يجب عليه شكر المنعم عليها، فإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه فالصبر لازم له حتى الممات، وكل ما يلقى العبد في هذه

الدار لا يخلو من نوعين: أحدهما يوافق هواه ومراده، والآخر يخالفه، وهو يحتاج للصبر في كليهما، قال بعض السلف: «البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ولا يصبر على العافية إلا الصديقون».

ويذكر عن علي رضي الله عنه قوله: «الصبر ثلاثة: فصبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر على المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمئة درجة ومن صبر على الطاعة حتى يؤديها كما أمر الله كتب الله له ستمائة درجة، ومن صبر على المعصية خوفاً من الله ورجاء ما عنده كتب الله له تسعمائة درجة ولذا كان الصبر على المعاصي أصعب أنواع الصبر شدة، فقد تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار ويطلق لنظره العنان إلى ما حرم الله وللسانه الغيبة والنميمة والتفكه في أعراض الخلق، ومن هنا كان الصبر على معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواعه لشدة الداعي إليها، ولا سيما إذا صارت المعاصي اللسانية معتادة للعبد وألفها فإنه يعز عليه الصبر عنها وفي الحديث: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة».

يقول ميمون بن مهران: الصبر صبران: فالصبر على الطاعة حسن، وأفضل منه الصبر على المعصية، ويقول صاحب «قوت القلوب»: اعلم أن الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار، لأنه جاء في الحديث «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات فالمؤمن في حاجة ماسة إلى الصبر: على المكاره ليدخل الجنة وعن الشهوات لينجو من النار. ويقول: «اعلم أن كثرة معاصي العباد في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، وقلة الصبر عما يكرهون».

فالصبر إذاً ضرورة للناس عامة وللمؤمنين خاصة، والقرآن يشير إلى ضرورة الصبر وأهميته في الحياة حين يتحدث عن خلق الإنسان وما حف به من ابتلاء ومكابدة ومعاناة (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه) الإنسان:٢، وقال تعالى أيضاً: (لقد خلقنا الإنسان في كبد)البلد:٤، أي في شدة ومشقة، «لما يعانيه منذ مولده من شدائد الحياة الممزوجة اللذات بالآلام، وما يعانيه بعد بلوغه من الابتلاء بالمسؤولية وأمانة التكاليف التي تنوء بحملها السموات والأرض والجبال»(٢)، فهو يتقلب بين تلكم الابتلاءات المتعاقبة، من صرخة الوضع حتى أنة الموت.

ومن رحمة الخالق العليم بخلقه ولطفه بهم أن جعل البلاء في الدنيا بشيء قليل تخفيفاً عنهم وتقديراً لضعفهم (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) البقرة:١٥٥، وتنكير «شيء» في الآية، إن هي إلا دلالة على التقليل والتحقير لعلمه سبحانه أنهم لا يطيقون ما هو أكبر وأكثر، يقول ابن كثير: أخبرنا تعالى أنه يبتلي عباده أي يختبرهم ويمتحنهم كما قال: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) محمد:٣١، فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع كما قال تعالى: (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) النحل: ١١٢ فإن الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه، ولهذا قال لباس الجوع والخوف، وقال هنا: (بشيء من الخوف والجوع) أي بقليل من ذلك.(٣)

أنواع الصبر وأسماؤه

يقول ابن القيم: الصبر ضربان: ضرب بدني وضرب نفساني، وكل منهما نوعان: اختياري واضطراري، الأول: البدني الاختياري كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختياراً وإرادة، والثاني البدني الاضطراري كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد وغير ذلك والثالث: النفساني الاختياري، كصبر النفس على فعل مالا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً، والرابع النفساني الاضطراري، كصبر النفس عن محبوبها قهراً إذا حيل بينها وبينه.(٤)

قال قتادة: «خلق الله سبحانه الملائكة عقولاً بلا شهوات، وخلق البهائم شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان وجعل له عقلاً وشهوة، فمن غلب عقله شهوته فهو مع الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو مع البهائم».

ويقول الإمام الغزالي في الإحياء: (والصبر يكون محموداً إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر هو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى، ثم هذا الضرب إن كان صبراً عن شهوة البطن والفرج سمي «عفة» وضدها «الفجور» وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس بخلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر: فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم «الصبر» وتضاده حال تسمى «الجزع والهلع»، وإن كان في احتمال الغنى سمي «ضبط النفس» ويضاده «البطر»، وإن كان في حرب ومقاتلة سمي «شجاعة» ويضاده «الجبن»، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي «حلماً» ويضاده «التذمر»، وإن كان في نائبه من نوائب الزمان سمي «سعة الصدر» وضده «الضجر والتبرم»، وإن كان في إخفاء كلام سمي «كتمان السر» وسمي صاحبه «كتوماً»، وإن كان في فضول العيش سمي «زهداً» ويضاده «الحرص»، وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي «قناعة» ويضاده «الشره»، فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر).

ويقول ابن القيم: (فإن كان عن إجابة داعي العلجة سمي «وقاراً وثباتاً» وضده «بطشاً وخفة»، وإن كان عن إجابة داعي الانتقام سمي «عفواً» وضده «الانتقام»، وإن كان عن إجابة داعي الإمساك والبخل سمي «كيساً»، وإن كان عن إجابة داعي إلقاء الكل على الناس سمي «مروءة»، فله عند كل فعل وترك اسم يخفيه والاسم الجامع لذلك كله «الصبر» مما يدل على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر).

حكم الصبر

قد يثور تساؤل عن حكم الصبر وتعلقه بالأحكام الخمسة المعروفة، يقول الإمام الغزالي: «إعلم أن الصبر ينقسم باعتبار

حكمه إلى: فرض ونفل، ومكروه، ومحرّم. فالصبر عن المحظورات فرض، وعن المكاره، نفل، والصبر عن الأذى المحظور محظور، والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله لجهة مكروهة في الشرع، فليكن الشرع محك الصبر.

ويقول ابن القيم: «الصبر الواجب ثلاثة أنواع: «أحدها الصبر على المحرمات، والثاني الصبر على أداء الواجبات، والثالث: الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها، وأما الصبر المندوب فهو الصبر عن المكروهات والصبر على المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله، وأما المحظور فأنواع: أحدها الصبر على الطعام والشراب حتى الموت، وكذلك عن الميتة والدم عند المخمصة فحرام، إذا خاف بتركه الموت، ومنه صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حيه، أما الصبر المكروه: أحدها: أن يصبر على الطعام والشراب وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه، والثاني: صبره على جماع زوجته إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به، والثالث: صبره على المكروه، والرابع: صبره على فعل المستحب، أما الصبر المباح: فهو الصبر على كل فعل مستوي الطرفين، خير بين فعله وتركه والصبر عليه، وبالجملة فالصبر على الواجب واجب، وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام، والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه، والصبر عن المباح مباح».

ويقول الشيخ محمد الغزالي: (الصبر أنواع: صبر على الطاعة، وصبر على المعصية وصبر على النوازل، فأما الصبر على الطاعة فأساسه أن أركان الإسلام اللازمة تحتاج في القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة، فالصلاة مثلاً فريضة متكررة يقول الله فيها: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) طه:١٣٢، والصبر على المعاصي هو عنصر المقاومة للمغريات التي بثت في طريق الناس، وزينت لهم اقتراف المآثم المحظورة وفي الحديث: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» رواه مسلم، والإقبال على المكاره والإدبار عن الشهوات لا يتأتى إلا لصبور، وهناك الصبر على ما يصيب المؤمن في نفسه أو ماله، أو منزلته أو أهله، وتلك كلها أعراض متوقعة، وهيهات أن تخلو الحياة منها، وإذا لم يصب أحد بسيلها الطام ضربه رشاشها المتناثر).(٥)

الصبر في القرآن الكريم والهدي النبوي

ترجع عناية القرآن البالغة بالصبر، إلى ما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة، بل هو ضرورة لازمة للإنسان ليرقى مادياً ومعنوياً، وهو من أبرز الأخلاق القرآنية التي عني بها الكتاب العزيز في سوره المكية والمدنية، وهو أكثر خلق تكرر ذكره في القرآن، فهو نصف الإيمان وهو أبو الفضائل والمكارم كلها.

وينقل ابن القيم في «مدارج السالكين» عن الإمام أحمد قوله: ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً، وقال بعض العلماء: أي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعاً؟! ولا نذكر شيئاً ذكره الله في هذا العدد إلا الصبر، ونذكر بعض من المواضع التي ورد فيها الصبر: في القرآن:

١ ـ فقد أمر الله تعالى به (واصبر وما صبرك إلا بالله) النحل:١٢٧، (واصبر لحكم ربك) الطور:٤٨، وفي الحديث: «ومن يتصبّر يصبّره الله وما أخذ عطاء خيراً وأوسع من الصبر».

٢ ـ نهى عز وجل عما يضاده (ولا تستعجل لهم) الأحقاف:٣٥، (ولا تهنوا ولا تحزنوا) آل عمران:١٣٩، وفي الحديث: «إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»(٦).

٣ ـ علق سبحانه عليه الفلاح (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران:٢٠٠.

٤ ـ ضاعف سبحانه وتعالى أجر الصابرين (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) القصص: ٥٤، وجعل الأجر عنه بغير حساب (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الزمر:١٠، وفي جامع الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي، فيقولون: حمدك واسترجعك، فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»، وفي الحديث أيضاً: «قال الله عز وجل: إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً».

٥ ـ لاينال المرء درجة الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) السجدة:٢٤.

٦ ـ جعل الله النصر معلقاً بالصبر والتقوى: (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) آل عمران:١٢٥.

٧ ـ الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره: (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) آل عمران:١٢٠.

٨ ـ خص سبحانه أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة) البلد:١٧ ـ ١٨.

٩ ـ الصبر على المصائب من عز الأمور (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) الشورى:٤٣.

١٠ ـ كان ثناؤه سبحانه على عبده أيوب بأحسن الثناء على صبره: (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) ص:٤٤.

١١ ـ أخبر سبحانه أن الملائكة تسلّم على أهل الصبر في الجنة

وذلك بصبرهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) الرعد: ٢٣ ـ ٢٤.

١٢ ـ أن الحق قد جمع للصابرين ثلاثاً لم يجمعها لغيرهم، وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته لهم (وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إن لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.

ولكن هل إلى معين من سبيل؟

قد يجد الإنسان نفسه أبيَّة على الصبر، وتكاد في غالب الأحايين أن تنتصر عليه طبيعته الطينية محتمياً خلف قوله تعالى في الآية ٣٧ من سورة الأنبياء (خلق الإنسان من عجل) والأخرى به أن يلوذ دوماً بقوله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في كبد)البلد:٤، موقناً أن الله سيجعل بعد العسر يسراً، والحق يقول: (فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً) الشرح: ٥ ـ ٦، ومن حكمته تعالى أن جعل اليسر مع العسر لا بعده ولا عقبه.

وقد عدّد الدكتور القرضاوي أموراً عدة أشار إليها القرآن تعين على الصبر وتهوّنه على النفس هي:

١ ـ المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا.
٢ ـ معرفة الإنسان نفسه.
٣ ـ اليقين بحسن الجزاء عند الله.
٤ ـ اليقين بالفرج.
٥ ـ الاستعانة بالله.
٦ ـ الاقتداء بأهل الصبر والعزائم.
٧ ـ الإيمان بقدر الله وسنته.
٨ ـ الحذر من الآفات العائقة عن الصبر كالاستعجال والغضب واليأس.

ولله در الشافعي حين قال:

ولا حزن يدوم ولا سرور
ولا بؤس عليك ولا رخاء

إذا ما كنت ذا قلب قنوع
فأنت ومالك الدنيا سواء

ومن نزلت بساحته المنايا
فلا أرض تقيه ولا سماء

وأرض الله واسعة ولكن
إذا نزل القضا ضاق الفضاء

ويقول آخر:

ادفع بصبرك حادث الأيام
وترجّ لطف الواحد العلاّم

لا تيأسن وإن تضايق كربها
ورماك ريب صروفها بسهام

فله تعالى بين ذلك فرجة
تخفى على الأبصار والأوهام

كم من نجي بين أطراف القنا
وفريسة سلمت من الضرغام

إذاً مادام هناك حياة ومكابدة فلابد من الصبر والتصبر في كل الأحوال، يلزم ذلك في المنزل مع الأهل والأبناء، مع الجيران أياً كانت طباعهم مع الصديق وفي الطريق في العمل وفي السفر في كل وقت من أوقات العبادة ومع كل بلاء ينزل بالإنسان في هذه الدنيا نصبر رضاء واختياراً. وكما قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في وصفها: «دار أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء»، وكما قال ابن القيم: «إن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فرداً كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال تعالى: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) الحديد: ٢٢ ـ ٢٣، وعلى الإنسان التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر بمنة فهل يرى إلا محنة، ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة، وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وإن سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً وإن سرّت يوماً ساءت دهراً.(٧)

فأسمى وأعظم ما في هذه الحياة نفس راضية قانعة بقضاء الله لا يتسرب إليها اليأس أبداً مهما استحكمت حلقات الخطوب وأدلهمّ ليلها، وأرقى ما في النفس الإنسانية أن تسمو إلى النورانية وتنحاز إلى باعث الدين قهراً لباعث الهوى، فالسير على منهج السماء يقي المؤمن شروراً عظاماً ويفرج عنه ضوائق جساماً، ويكسبه لباس الطمأنينة والأمان. ■

الهوامش والمراجع:

ـ القرآن الكريم.
ـ إحياء علوم الدين ـ الإمام الغزالي.
ـ رياض الصالحين ـ الإمام النووي.
ـ مدارج السالكين ـ ابن قيم الجوزية.
١ ـ خلق المسلم ـ الشيخ محمد الغزالي ص ١٣٧.
٢ ـ الصبر في القرآن ـ الدكتور القرضاوي ص ١٤.
٣ ـ تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ج١ ص ١٩٧.
٤ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ـ ابن القيم. ص ٢٢.
٥ ـ خلق المسلم ـ الشيخ محمد الغزالي ص ١٤٢.
٦ ـ رواه الترمذي.
٧ ـ زاد المعاد ـ ابن القيم ـ ج٣ ـ ص١٢٦.

دراسات ميدانية

أهداف الدراسة في دور القرآن الكريم

بقلم : عبدالهادي دحاني

يأتي هذا العرض نتاجاً لدراسة ميدانية قمت بها بصحبة بعض الأساتذة الزملاء في شعبة الدراسات الإسلامية بالجديدة لمجموعة من الزوايا ودور القرآن في إقليم الجديدة، وقد أرشدني انتشارها الجغرافي المتميز بين المدينة والقرى المحيطة بها إلى مسألة مهمة، وهي أن القائمين عليها والمشرفين والمنظّرين والمؤسسين كانوا يعتبرونها منارات صممت بتخطيط محكم لخدمة العلم، وهي مبثوثة بشكل مركّز لاحتواء كل شرائح المجتمع، حتى تنتشلهم من براثن الجهل والأمية، وتكوّنهم بالعلم والمعرفة الأصيلة والعصرية، لمكافحة الاستعمار من زاوية، وللنهوض بالبلاد نهضة عاملة من زاوية أخرى.

إنها المعاقل التي أسسها أصحابها لإعداد أفراد الأمة إعداداً محكماً وشاملاً، يتجاوب ومتطلبات العصر، ولذلك كان من أهداف هذه المنارات العلمية التكوين الأصلي والعصري، يدل على ذلك دلالة واضحة حرص المشرفين عليها الذين كانوا لا يدعون علماً من العلوم الإنسانية والتجريبية إلا وبادروا إلى انتداب أو استدعاء من يلقنه ويدرسه، فأدخلوا - إلى جانب العلوم الشرعية واللغوية والآداب والفنون - علوم الجبر والحساب والفلك والمنطق والزراعة وغيرها، مما أتيح لهم تحقيقه، وهم يشرئبون دوماً إلى تحقيق ما لم يتوصلوا إليه.

فليست دور القرآن أو الزوايا مؤسسات قد عفّ عليها الزمان، فلم تعد تصلح لشيء في عصر الذرة والتكنولوجيا، وإنما هي مؤسسات أريد لها أن تتخلّف عن الركب الحضاري عندما رميت بثالثة الأثافي، ونسختها المدارس الحديثة والمعاهد والجامعات، وما هي إلا أوعية للعلم والمعرفة، تطويرها وعصرنتها يجعل منها معاهد وجامعات ومؤسسات تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

أهداف الدراسة في دور القرآن

لا أحد ينكر الدور الكبير والأساسي الذي تلعبه دور القرآن في مجال التربية والتعليم، لكن الناس بدؤوا يتخلون عن دور القرآن فبدأت هذه الدور تتخلى عن دورها، وذلك بحكم استبدالها بالمدارس العصرية، وإن كان الأولى أن يعاد النظر في هذه الدور من حيث توزيعها ومناهجها ومقرراتها وأهدافها، وشؤونها الإدارية والمادية، وكذلك من حيث أطرها الطبيعة ومن حيث روادها وكيفية استيعابهم، ومن حيث القائمين عليها من قريب أو من بعيد.

كان الأولى أن يعاد النظر في كل هذه الأمور مجتمعة، ثم يعاد ترتيبها ودراستها على ضوء عملية التطوير التي تخضع لها جميع المؤسسات التعليمية في مقرراتها، وبرامجها وشؤونها عامة، لقد كانت هذه المؤسسات في حاجة إلى توسيع في برامجها، وتطوير وتوسيع في رقعتها الجغرافية بين القرية والمدينة، حتى تستمر، ولكنها طمست وأهملت، وأقيم مقامها دور التعليم العصرية، ولا فرق بين هذه وتلك إلا في الأشكال، أما من حيث الجوهر والهدف فهما سيان، وهما سيان كذلك في إحقاق الرسالة التربوية والرسالة المعرفية. ويمكننا أن نتساءل: هل تعليم اللغات الأجنبية الذي يقتصر على المدارس العصرية وتعليم علوم الحساب والجبر وعلوم الفيزياء والرياضيات والطبيعيات، وعلوم المنطق والفلسفة، وغير ذلك من العلوم الإنسانية والتجريبية والرياضية لا تتناسب ودور القرآن؟ بل كيف نوسع المدارس العصرية بهذه العلوم مجتمعة ونحرم منها دور القرآن؟ ما الذي يبرر ذلك؟ قطعاً لا نجد هنالك تبريراً إلا إذا كان متعسفاً، إننا نعلم جميعاً أن القرآن الكريم مصدر العلم والمعرفة، بل إنه مصدر العقل المدبّر للعلم والمعرفة.

كيف نحرم دور القرآن من الاشتغال بهذه المعارف والعلوم، والقرآن يقول بوضوح: (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) الرحمن: ٣٣. صحيح أن طبيعة دور القرآن تجعل منها مؤسسات ذات أهداف خاصة، تركّز في برامجها كثيراً على علوم القرآن وعلوم الشريعة، وعلى علوم الآلة في درجة لاحقة، ولكن هذا لا يمنع من كونها تستوعب كل العلوم والمعارف، وصالحة لكل الدراسات، كيفما كانت وجهتها شرعية أو فكرية أو علمية أو رياضية. ولاشك أن نظام التخصصات صالح لكل مؤسسة تربوية وعلمية، وهو يصلح كثيراً وجيداً في دور القرآن، كما يصلح في المدارس الأخرى.

دور المدارس القرآنية تلقين المعرفة للصغار والكبار

لاينبغي أن تقتصر دور القرآن على تعليم الصغار فقط، بل من واجبها أن تفتح الأبواب أمام الكبار، للذين تلح عليهم الرغبة في حفظ كتاب الله تعالى، بعد أن فاتتهم الفرصة في الصغر، وللذين يرغبون في تعليم التجويد وقواعد الترتيل، والذين هم في حاجة إلى تفسير القرآن وتفهم معانيه... فينبغي لدور القرآن أن تعمل على تحقيق رغبات هؤلاء جميعاً وإمداد كل من يرد عليها بحاجته.

فلربما كان الكبار أحوج من الصغار إلى هذه الأمور، حتى يشملهم استغفار الحيتان في البحر، وجميع الكائنات في الوجود.

هذا، وإن كثيراً ممن يسمون في عرفنا بـ «الطلبة» و«الفقهة» هم أشد الناس حاجة إلى معرفة العلوم القرآنية والعلوم الشرعية، أضف إلى ذلك ما يحتاجه هؤلاء بالحاح من تطوير وعصرنة، وما يتطلبونه من تصحيح لمجموعة من المفاهيم البالية والخاطئة، بل كم من «فقيه»

لا يفقه ما يحمله بين جنبيه من قرآن، بل إن هناك مجرمين ـ كما قال تعالى ـ يعبثون به في مواطن السحر والشعوذة وإفساد ذات البين: (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين. لا يؤمنون به) الحجر: ١٢ ـ ١٣، وقال تعالى أيضاً: (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به) الشعراء/٢٠. فإذا كان حال هؤلاء الحملة لكتاب الله تعالى بهذا الشكل المقلوب، بدت الضرورة ملحة في الاهتمام بهم وبأمثالهم، والتركيز على إصلاح شأنهم، ولا شك أن إحياء دور القرآن كفيل بتوفير المنصب أو الوظيفة التي تعصمهم من السقوط في الزلل وفي الذل الذي ألحقوه بأنفسهم كما لحقهم من شح الوظيفة بالنسبة إليهم. لابد لمن يسمى بـ«الفقيه» أو «الطالب» أن يحظى باحترام الناس وتقديرهم، وقبل هذا وذاك لابد أن يحظى باحترام نفسه لنفسه وباحترام ما يحفظه من القرآن الكريم، وذلك لا يتأتى إلا إذا اعتقد أن كتاب الله لم يوضع للارتزاق، فشأن القرآن شأن عظيم يرقى ويسمو فوق كل هذا إلى الجمع بين خيري الدنيا والآخرة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفقيه مطالب بالسعي كي يحقق العيش الكريم الذي يليق به، شأنه في ذلك شأن كل فرد في المجتمع، لأنه ليس في المجتمع الإسلامي ما يسمى بالرهبان أو القسيسين الذين لا فعل لهم إلا التزلف في الأديرة والصوامع، ولنا أسوة حسنة في جميع أنبياء الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، فكلهم كان صاحب حرفة، وصاحب شغل، إضافة إلى الرسالة التي أناطه الله بها، وكان لسان حالهم يقول دائماً: «اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمّن سواك»، وهو الدعاء الذي تناوله خاتم الأنبياء والمرسلين ـ ﷺ ـ وعلّمه أصحابه وأمته من بعد.

ولذلك فـ«الفقيه» مطالب بتوفير العيش الذي يضمن له الكرامة والاحترام الذين يليقان بكلام الله تعالى وهو يحمله بين جنبيه، ومطالب أيضاً بتبليغ ما يحمله من قرآن ومن علم إلى الناس، لأن من المسائل الأربع التي يسأل عنها العبد يوم القيامة قبل أن تزول قدماه، هي علمه: ماذا عمل به؟ ولو عدنا للبحث كيف نشأ ذلك الصنف من «الطلبة» أو «الفقهة» الذين لا يرعون رسالتهم حق رعايتها، لوجدنا حصيلة من حصائل الدور التي تخرجوا فيها، فهي لم تكن تنهج النهج السليم في أداء مهمتها التربوية.

ولذلك مسّت الحاجة بإلحاح إلى تجديد هذه الدور القرآنية في طبيعتها وفي مناهجها، وفي برامجها حتى تخرج العلماء الأكفاء، فلا نحتاج إلى إعادة التنشئة أو إعادة التربية، إن ذلك يدل دلالة صريحة على أن الاهتمام بالدور القرآنية والكتاتيب بات أمراً لا مفر منه، إن رسالة هذه المؤسسات تكمن في تنشئة الصغار على حب كتاب الله تعالى، فإذا أحبوه نشأ معهم هذا الحب وترعرع في قلوبهم، وحب كتاب الله تعالى يورث حب الله، وحبه يتأتى بتفهم معاني كتابه، حيث تتفتح له القلوب وتسعد به النفوس، فتتلوه حق تلاوته التي تسحر الألباب وتخشع لها الجوارح، فتقف عند حدوده، وتعمل بمقتضاه، ولا شك أن هذه التنشئة على حب الله وكتابه ورسوله هي التي تمنع نشوء كبار حفظوا القرآن في صغرهم دون أن ينعموا بحلاوة معناه وحقيقة لفظه. فدور الكتاتيب والمدارس القرآنية يتجلى في القيام بمهمتها تجاه الصغار والكبار أيضاً على هذا الوجه الذي بيّناه، لا على تلقيه بطريقة لا تسمح بفهمه وإدراكه، أي دون تشويق القلوب وتقريب النفوس إليه، وهذه التنشئة بهذا الشكل هي التي تمنع من خريجي الكتاتيب ودور القرآن جيلاً من العاملين بكتاب الله والداعين إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وهل هناك حكمة أبلغ وموعظة أحسن مما يقدمه كتاب الله تعالى عند تفسير معانيه وتقريبها إلى النفوس والعقول لتجد حلاوتها في القلوب فتتجاوب معها سلوكاً وعملاً.

وهذا هو الجيل القرآني الذي ينشده الإسلام بتعاليمه السمحة، لأنه تم إعداده في هذه المؤسسات القرآنية إعداداً محكماً، ولأنه عاش في ظلال القرآن العلمية الوارفة، وهي نعمة لا يقدرها قدرها إلا من عاشها وعرف حقيقتها.

ويمكن القول إن للمدارس القرآنية والكتاتيب هدفين يجب وضعهما موضع الأوليات التي ينبغي العمل على تحقيقها بالأساس:

أولهما: إعداد هذا لجيل الذي تحدثنا عنه سابقاً إعداداً يمكنه من التكوين الشامل حتى إذا ما تحمل مسؤولية الدعوة تحملها برشد وكفاءة.

وثانيهما: تقوية الإيمان برسالة القرآن في نفوس المسلمين، وتوطيد العلاقة بينهم وبين هذا الكتاب، كتاب ربهم، وذلك من خلال حفظه وتدبره، ودراسة علومه.

ولا شك أن تحقيق هذين الهدفين هو قبلة التربية الإسلامية، وهو الكفيل بإنشاء جيل معتز بدينه ومخلص لمبادئه التي يحيا لها بوجدانه وعقله، وبهذا يكون قد جمع في تربيته وتنشئته بين الأصالة والمعاصرة.

ميادين دور القرآن

ارتبطت الدور القرآنية قديماً بمجموعة من الأماكن، كالمساجد والمكتبات والمؤسسات الخيرية والملاجئ والمؤسسات التربوية وما إلى ذلك، وخلت منها بعض الميادين، وإن كانت هي في أمسّ الحاجة إليها، كالسجون ودور الشباب والثكنات العسكرية وما شابهها.

١ ـ المسجد: علاقة دار القرآن بالمسجد علاقة حميمة، فهما يتبادلان الأدوار، لأن ما يقوم به المسجد، وهو المدرسة الأولى، يمكن لدار القرآن القيام به كذلك، بما في ذلك أداء الصلوات، وتلاوة الأوراد القرآنية، ولذلك وجدنا في تاريخ المغرب أن المسجد هو دار القرآن، ودار القرآن هي المسجد، رسالتهما واحدة ودورهما واحد.

وإذا كان هذا الأمر لم يعد اليوم يجد مكانته التي كان يحظى بها سابقاً في المجتمع، فإنه يحق على الأقل ـ أن يكون لكل مسجد مدرسة قرآنية، تعلم أبناء رواده وغيرهم القرآن وتدرّسهم مبادئ الإسلام، فإن ذلك سيعلّم في أضعف الإيمان هؤلاء الأبناء ارتياد المساجد، تشبّهاً بخلفهم من الآباء والأجداد والأقرباء.

والمسجد مؤسسة لها أدوار متعددة، منها الدور التعليمي الذي بدأ يضمر في نفوس الناس، وهو المتمثل في إحداث كتاب أو مدرسة قرآنية لتعليم الصغار، وكذلك الكبار وبخاصة الأميين منهم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وتعليم الفقه واللغة وغير ذلك.

٢ ـ المكتبة: أما المكتبة فوجود دار القرآن بها أو بجوارها يحقق تكاملاً في المعرفة، لأن أغلب ما تحمله المكتبات، مما يتصل بالإسلام عقيدة وشريعة، وبالفكر الإسلامي دراسة وتحقيقاً، سيجده رواد المكتبة ينحدر من المعين الأصلي، الذي هو القرآن الكريم، كتاب الله المفتوح على الكون والإنسان، والذي يحمل علم الأولين والآخرين،

وفيه أحوال الدنيا والدين... قال رسول الله ﷺ : «إن هذا القرآن حبل الله المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، أتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول «ألم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» أخرجه الحاكم.

٣ ـ أما المؤسسات الخيرية، فهي أحوج الميادين إلى دور القرآن، لأن روادها لا تقتصر حاجتهم على ما يقدم لهم من بر وإحسان، وخير مادي، ولاتقتصر حاجاتهم على مواساتهم ومناصرتهم لتحقيق التكافل الاجتماعي فيهم، فكل هذا وغيره من فعل الخير وصنع الجميل مطلوب لصالحهم، بل من الواجبات لهم في الحقوق المعلومة وغير المعلومة من الأموال التي تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء... ولكنهم في حاجة أخرى ماسة، بل هي ضرورية وملحة، وهي العناية الأدبية والدينية، ولذلك جعل الله تعالى فعل الخير عاماً يتسع لما يصلح الدين والدنيا معاً، وجعله فريضة فقال: (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) ولجلال قدره قرنه سبحانه وتعالى بعبادته التي من أجلها خلق الخلق، وذلك في سياق الآية (٧٧) من أواخر سورة الحج: (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون).

ومما يؤسف له أن الكثير من رواد الخيريات، تخرجوا فيها جفاة قساة، ومنهم البغاة، لأنهم تربوا في غير أحضان أسرهم الحقيقية، فحرموا رحمتها الفطرية، وحنانها الاجتماعي، ولم يجدوا لذلك عوضاً في هذه المؤسسات التي ترعرعوا فيها، سوى الحنان المادي، وإن كان منهم من لم يظفر لا بهذا ولا بذاك.

ولاشك أن وجود دور القرآن في مثل هذه المؤسسات الخيرية، سيعوض أبناءها فقدان الجو الأسري بالجو القرآني الذي يستمد سلوكه من كتاب الله تعالى، وهو المصدر في تشريع الأسرة وتشريع من لا أسرة له، بحيث يبصّره ويرشده، كما يشد من أزره في كل شيء ويؤنسه.

٤ ـ أما السجون فحاجتها إلى دور القرآن كحاجة الظمآن إلى الماء العذب، والسجين في خلوته ومحنته يود له أن يكون أنيسه القرآن، يفرج عنه كربته بتلاوته وتدبره، فهو بذلك يغتنم فرصة القدر الذي ساقه إلى السجن في حفظ القرآن وتعليمه... وقد رأينا أن أول شيء يطلبه السجين من أقاربه عند زيارته هو كتاب الله ليستأنس بتلاوته وذكره، بل إن سيد قطب ـ رحمه الله ـ قاده تدبره واشتغاله بكتاب الله تعالى في سجنه، إلى تخليد عمل من أجلّ ما كتب عن كتاب الله وهو تأملاته وخواطره الربانية التي جمعها في كتابه القيم «في ظلال القرآن»، ولقد بقيت ظلالها الوارفة تفيد كل قارئ يريد التأمل والتدبر في القرآن الكريم.

وقد وجدنا كثيراً من السجناء الذين كانوا عصاة ومجرمين، فلما مكنتهم فرص الخلوة إلى كتاب الله تعالى في سجونهم من قراءته ومطالعته وتدبّره، صلح حالهم، وتابوا إلى ربهم وأنابوا إليه، ومنهم من حفظ القرآن برمته لتفرغه إليه.

فلعل هذا الأمر يدل دلالة صريحة على أسلوب القرآن الذي يفيد أكثر من أي أسلوب آخر في تربية الجناة والمجرمين داخل السجون، ومن ثم باتت الحاجة ماسة إلى إحداث دور القرآن بين أقبية السجون لتحقق هدفاً آخر إلى جانب أهدافها التربوية والدينية، وهو محاربة الجريمة داخل المجتمع، وإعادة التربية داخل السجون.

٥ ـ أما الثكنات العسكرية، فاستفادتها من دور القرآن تكون أجلُّ وأعظم، إذْ تزكي نفوس أهلها وتربي أولادهم، وتنمي فيهم روح الفداء والتضحية والإخلاص، كما تقوِّي علاقتهم بربهم، لأنهم هم المجاهدون الذين يحتاجون دائماً إلى التذكير بالله وتفانيهم في خدمة الصالح العام من أمور البلاد والعباد، احتساباً لله وإيماناً به.

هذه بعض علاقات دور القرآن بغيرها من المؤسسات، ولو شئنا تقصي الدَّور الفعال لدور القرآن في المجتمع، سواء في الميادين الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية والاقتصادية، لوجدنا الحاجة إليها تلحّ في كل هذه الميادين وغيرها، لأن كتاب الله فيه ما يصلح أمور الدين والدنيا للفرد والمجتمع.

تطوير دور القرآن

لابد من تطوير طرق التدريس والتلقين والمناهج الدراسية داخل دور القرآن، ابتغاء الوصول إلى المستوى الأفضل لخدمة كتاب الله تعالى، والتطور سنة الله في الكون، وكل شيء لا يتطور، لا محالة يصيبه الإهمال والملل والترك. فلابد من تطوير الأساليب والمناهج، ولابد من تطوير وسائل التعليم والتلقين كإدخال المعلومات ووسائل الايضاح وما شابه ذلك من مستجدات التكنولوجيا المعاصرة.

ولابد أيضاً من الاهتمام باللغة العربية اهتماماً يليق بمكانتها، لأنها لغة العقيدة ومن دونها لا تجوز قراءة القرآن، فمن دونها لا يحق إلا الترجمة والتفسير.

واللغة العربية لغة البيان، وبالبيان تنكشف عجائب الرحمن وأسرار القرآن، هذه اللغة جزء من القرآن، وهي الوسيلة إليه، وفيها قال تعالى مادحاً إيَّاها: (وإنه لتنزيل ربِّ العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين) الشعراء:١٩٢ ـ ١٩٥، وقال تعالى أيضاً: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلِّمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) النحل:١٠٣.

ولابد أيضاً من الاهتمام بالتاريخ الإسلامي، وهو تاريخ ـ كما هو معلوم ـ حافل بالأحداث التي تركت بصماتها واضحة، تشهد بعظمة الجيل الذي تربى في أحضان القرآن الكريم، وتخرج في مدرسته، ثم تخرجت على يديه باقي الأجيال التي سارت سيره، ونهجت نهجه.

وأخيراً وليس آخراً، لابد من الاهتمام الكبير بالترجمة، فلا مناص من ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، ترجمة تراعي تبسيط هذه المعاني وتقريبها، بكل وسائل الايضاح والتفسير، حتى تفهم في سياقها الذي وضعت له، وتسلم من أي تحريف أو تغيير كلم عن مواضعه. وختاماً نقول: لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية التي تعيش على سطحها، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة، ولا تناسق مع سنة الله في الكون وفطرة الحياة، إلا بالرجوع إلى الله تعالى، والرجوع إلى الله لا طريق له إلا بالعودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم.

وإن دور القرآن لكفيلة بأن تنهض نهضة علمية شاملة لتحقيق هذه الآمال الإنسانية، وهي مؤهلة لبعث حضارة الأمة الإسلامية وإحلالها المكانة المرموقة التي تليق بها، شرط الاعتناء بها العناية اللازمة، وتطويرها، وإدخال كل أصناف التكنولوجيا التي تخدمها. ■

بعد أن فرض الإعلام نفسه كعلم من العلوم الحديثة، له نظرياته وخصائصه وأهدافه وغاياته، وصار يدرّس في الجامعات والمعاهد المختلفة في عدد كبير من الدول، تنادى عدد من المختصين العرب والمسلمين لإدخال هذا العلم إلى مناهج الدراسة في الجامعات العربية والإسلامية، كما أخذ بعضهم يدرس الآثار الكبيرة لهذا العلم على المجتمع، سواء من حيث تحقيق الفوائد وانتشار المعرفة، أو بث الأفكار المنحرفة وتغلغل الغزو الفكري الهدام إلى أفراد المجتمع. وسعى عدد من الباحثين إلى تأصيل الفنون الإعلامية تأصيلاً إسلامياً صحيحاً، يضعها في إطارها الإسلامي الصحيح، ويوضح قول الإسلام الفصل فيها بشكل لا لبس فيه ولا غموض.

التأصيل الإسلامي للإعلام

بقلم : عبدالله بدران

وثارت في بداية الأمر تساؤلات شتى عن الجدوى من وضع إطار عام للإعلام الإسلامي، فهل يعني ذلك الاستعاضة عن الفنون الإعلامية المعروفة كالخبر والتقرير والتحليل والتحقيق، التي وضعت لها قواعد وأسس عامة - بفنون إعلامية إسلامية تختلف في قواعدها وأسسها عنها، وتنفرد بخصائص غير متوافرة فيها؟ وهل الصحافة في بلد غربي تطبع وتخرج وتوضع لها العناوين بشكل يختلف عن ما هو معمول به في بلد مسلم؟ وهل يمكن الاستعاضة عن وسائل الإعلام الإلكترونية كالتلفاز والمذياع والمسجل بأخرى إسلامية تؤمن الميزات نفسها التي توفرها هذه الوسائل؟

إن هذه التساؤلات التي طرحت لم تكن محل بحث لدى خبراء الإعلام الذين حاولوا وضع اللبنات الأولى في بناء الإعلام الإسلامي، فهم أدركوا أن الغرب استطاع فرض وسائل إعلامه بقوة على بقية دول العالم، كما أدركوا أنه يحاول بأساليبه الإعلامية فرض هيمنته وأفكاره ومبادئه على الشعوب الأخرى، بما في ذلك بث الأفكار المنحرفة والتشكيك في عقائد الشعوب، ومحاولة فصل ارتباطها الوثيق بأفكارها ومعتقداتها الأصيلة.

وانطلق هؤلاء المؤصلون من أن الإعلام الإسلامي يجب ألا يعيش «عالة على الإعلام الغربي ينقل من فتات مائدته أخباراً ملوثة بالدعاية المسمومة، ومسرحيات متشائمة، وفنوناً منحرفة، وآداباً شاذة باسم التحضر، وليس في ذلك أدنى مستويات التقدم والرقي»(١)

كما انطلقوا من كون القرآن الكريم «ضرباً رائعاً من ضروب الإعلام على يد رسول الله الكريم، بما أتى من قيم ومفاهيم جديدة تختلف كل الاختلاف عن القيم والمفاهيم في عصر الجاهلية، بل كان من أنجح وسائل الإعلام في الإسلام على وجه الإطلاق»(٢).

وانطلق هؤلاء أيضاً من «الحياة الإعلامية الحافلة التي عاشها رسول الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ، وحقق في غضونها منجزات مذهلة في حقل الدعوة الإسلامية استجابة لنداء ربه وتحقيقاً للمهمة التي كلفه بها، وهي مهمة إعلامية بالدرجة الأولى»(٣).

وانطلق هؤلاء أيضاً من يقينهم بأنه ليس هناك إطار فلسفي أو فكري أو عقدي «أكثر وضوحاً وثباتاً من الإسلام، فعندما نقارن الإسلام بالفكر السلطوي، أو الحر، أو بفكر المسؤولية الاجتماعية، أو الشيوعي، نجد أنه لا وجه للمقارنة بينه وبين غيره في الوضوح والثبات»(٣) لأن هذه الأفكار انطلقت من أشخاص حاولوا معالجة مشكلات الحياة من منطلق تصوراتهم ومبادئهم، وقد تباينت هذه الأفكار من شخص إلى آخر تبايناً شديداً، في حين يعتمد الإسلام على دستور إلهي واضح، صالح لكل زمان ومكان، ولم تطله يد التحريف، أو التغيير، أو التبديل.

وأخذ هؤلاء الباحثون على عاتقهم أمانة إعداد مؤلفات ودراسات توضح خصائص الإعلام الإسلامي، وأهدافه، ومصادره، وأهميته، ووظائفه، وتبين أوجه الاختلاف بينه وبين النظريات الأخرى المبثوثة في كتب الإعلام، وأدرك هؤلاء أن التأصيل الإعلامي للإسلام لا يقتصر مثلاً «على استبدال مفردات ومصطلحات إعلامية بغيرها فقط، وحشو مؤلفات الدعوة والتفسير وشروحات الأحاديث والسيرة والتاريخ الإسلامي بمثل هذه المصطلحات الإعلامية بسبب مقبول وغير مقبول، فهذا النوع من التأصيل يعطي القارئ شعوراً بأنه يقرأ كتابات في التفسير والسيرة والدعوة بدلاً من الإعلام... وهذه العملية أشبه بعملية تغيير الأسماء مع بقاء المضمون كما هو تقريباً»(٤).

بل لا بد من التركيز على مضمون الخطاب الإعلامي، وما يحويه من فكر وقيم وأساليب، ومحاولة صبغ ذلك بالصبغة الإسلامية، ووضع الضوابط الشرعية لذلك المضمون، بما لا يخالف نصاً شرعياً صريحاً، إضافة إلى تصفية ذلك المضمون مما قد يحويه من أفكار ترسخ المفاسد، وتدعو إلى الإلحاد، وتساعد على التشكيك بالعقيدة ووأد الأخلاق الإسلامية الحميدة. ولابد من التركيز أيضاً على أن قدرة الإعلام

الإسلامي على معالجة مشكلات الحياة «تأتي من كونه إعلاماً عقدياً مسلكياً واقعياً يراعي طبيعة الإنسان والحياة وعلاقة الوجود بالله، وقيامه على الحق والصدق، وموضوعيته وعدله، ومن ثم فهو ضرورة عصرية ليكون بإطاره وفلسفته، بديلاً للنظام الإعلامي الدولي الحالي الذي أفلس في معالجة مشكلات الناس»(٦)

تعريف الإعلام الإسلامي

ويعرّف الإعلام الإسلامي تعريفات عدة منها أنه «استخدام منهج إسلامي، بأسلوب فني إعلامي يقوم به مسلمون عالمون عاملون بدينهم، متفهمون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة، وجماهيره المتباينة، مستخدمين تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المتحضرة والأخبار الحديثة، والقيم الأخلاقية والمبادئ والمثل، للمسلمين وغير المسلمين في كل زمان ومكان، وفي إطار الموضوعية التامة، بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد، ولإحداث التأثير المطلوب والتعرف على مدى التأثير أولاً بأول»(٨).

ويتضح من التعريف أن القائمين على العملية الإعلامية يجب أن يكونوا من العاملين العالمين بأمور دينهم، الملتزمين بأخلاقه وتعاليمه ومبادئه، إضافة إلى تفهمهم لطبيعة العملية الإعلامية ودورها وتأثيرها وأساليبها ووسائلها المتطورة.

ويتضح أيضاً أن هناك هدفاً سامياً من العملية الإعلامية الإسلامية، مفاده نشر التعاليم الإسلامية للبشر كافة، في إطار من الحيادية والموضوعية، ومعرفة تأثير ذلك لديهم.

ونرى أن التعريف يركز على ضرورة أن يتميز الإعلامي المسلم بصفات ثلاث، أولاها معرفة عميقة بأمور مهنته وتطورها، وثانيها اطلاع واسع على شؤون دينه، وثالثها تَحلٍّ بالأخلاق الحميدة التي نادى بها الإسلام والآداب الفاضلة التي حث على التمسك بها.

ويعرّف أحد الباحثين الإعلام الإسلامي بأنه «فن إيصال الحق للناس قصد اعتناقه والتزامه، وفن كشف الباطل ودحضه قصد اجتنابه، فهو بناء وتحصين»(٩).

أهداف الإعلام الإسلامي

ما من شك في أن أهداف الإعلام الإسلامي تنطلق من نظرة الإسلام الشمولية إلى نواحي الحياة كافة، باعتباره الدين السماوي الخالد، الذي جاء لهداية الناس جميعهم، مختتماً رسالة الأنبياء السابقين قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) التوبة:٣٣.

ومن هنا فإن أهداف الإعلام الإسلامي لابد أن تصب في خدمة الإسلام، ورفعة شأنه، وإعلاء كلمته، وإبلاغ رسالته، ونشر تعاليمه، وإيصال مبادئه، وربط الناس بأخلاقه وقيمه وآدابه.

ويمكن تحديد أهداف الإعلام الإسلامي بالنقاط التالية:(٣)

١ - تحقيق الصبغة الإسلامية للمجتمع.

٢ - مواكبة مرحلة الدعوة الإسلامية.

٣ - درء المفاسد من خلال منع أسبابها وأساليبها ووسائلها في الوصول إلى المجتمع، وتنبيه الناس إلى خطورتها، وتبيان آثارها.

٤ - تكوين رأي عام إسلامي له وزنه الدولي وتأثيره الفاعل في القضايا التي تهم الإنسانية عامة، والقضايا التي تهم الإسلام والشعوب المسلمة خاصة.

خصائص الإعلام الإسلامي

تندرج خصائص الإعلام الإسلامي ضمن إطار الخصائص العامة للإسلام، لكنها تتميز بخصوصية معينة تتلاءم مع اقتصار الإعلام الإسلامي على العمل ضمن طبيعة خاصة به.

الإعلام الإسلامي يجب ألا يعيش عالة على الإعلام الغربي ينقل من فتات مائدته أخباراً ملوثة ومسرحيات متشائمة

وتبرز هذه الخصائص مواطن القوة في الإعلام الإسلامي، وتميزه عن غيره من أنواع الإعلام، التي تحاول تلوينه وتوجيهه وصبغه وفقاً لمنطلقاتها ومبادئها، والتي لا تخلو من انحراف عن تعاليم الإسلام، وتشويه له، ودس على أفكاره ومبادئه.

ويجب التفرقة بين أمرين أساسيين هما «الإسلام» أو «المسلمون»، فالإسلام شريعة خالدة صالحة لكل مكان وزمان، نزلت تعاليمها من الباري سبحانه وتعالى هداية ورحمة للعالمين، أما المسلمون فهم يستحقون هذه التسمية عندما يكونون ملتزمين التزاماً كاملاً بما يفرضه عليهم دينهم وما يأمرهم به من واجبات وما ينهاهم عنه من منهيات، والربط بين الإسلام والواقع الحالي للمسلمين فيه تجن شديد على هذه الرسالة السمحة، فلا يجوز مطلقاً أن ننسب ضعف المسلمين وعجزهم وتخلفهم وتراجعهم إلى الإسلام، كما لا يجوز مطلقاً الركون إلى فكرة مفادها أنه مادام المسلمون متمسكين بإسلامهم فسيبقون في ركب الأمم المتخلفة، المسلوبة الإرادة والتفكير، المغيبة عن حقائق الكون والحياة. إن المسلمين سادوا الدنيا، وفتحوا البلاد شرقاً وغرباً، ونشروا دينهم، عندما كانوا متمسكين بتعاليمه، ملتزمين أحكامه، متعهدين العمل به في كل حال، واستطاعوا من خلال الخصائص العامة لدينهم، نشر العلم والهدى والخير والسلام، في فترة زمنية قياسية، كما فتحت بلاد بأسرها دون جيوش جرارة ولا أسلحة فتاكة، بل كان ذلك بفضل الدعاة المخلصين، والتجار الصالحين، والعلماء العاملين، الذين كانوا رسلاً للإسلام في كل بقعة يحلون فيها.

والإعلام الإسلامي قادر، بفضل الخصائص التي يتميز بها، على تحقيق إنجازات فذة في مجال الدعوة الإسلامية، وتطهير المجتمع من سموم الانحراف والضياع، وحماية أفراده من الانزلاق نحو المعاصي ومستنقعات الفساد.

ويمكن القول إن أهم خصائص الإعلام الإسلامي هي أنه:

١ - إعلام قاعدته الحرية وقمته المسؤولية.

٢ - إعلام حرمات وحقوق.

٣ - إعلام ملتزم بالإسلام وأخلاقه.

٤ - إعلام مستقل رافض للتبعية.

٥ - إعلام القدوة الحسنة والمثل الصالح.

٦ - إعلام موضوعي هادف.

٧ - إعلام قائم على الإقناع لا الإكراه.

٨ - إعلام يعتمد على الشمولية والعمومية.

٩ - إعلام مرن قادر على مواكبة الوقائع المتغيرة والأحداث المتجددة.

وظائف الإعلام الإسلامي

إن الناظر في أوضاع المسلمين حالياً، وما يعتريهم من نقص وعجز وتخلف في مجالات عدة، وابتعاد عن تعاليم دينهم، وانجرار وراء التقليد الأعمى للغرب، وانحراف عن الرؤية السديدة والمسار الواضح، وأخذهم إنجازات الغرب العلمية دون محاولة تقليده واللحاق به، واستشراء لأمراض نفسية وسلوكية فيهم، قد يصاب بالإحباط واليأس، وتتمكن منه فكرة أن الخلاص من هذا الواقع أمر شبه مستحيل.

لكن المسلم الحق، الذي آمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً ومنهاجاً وشريعة، وبالنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - هادياً وداعياً وقدوة وإماماً، لابد من أن يدرك أن هذا الأمر سيزول بزوال أسبابه، وسيتغير بتغير الأمور التي أدت إلى وجوده.

ولقد عبّر البيان الإلهي عن ذلك بالقول: (إن الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) الرعد:١١.

والمسلمون مدعوون اليوم إلى السير في الدرب الذي سلكه السلف الصالح في التمسك بدينهم وعقيدتهم، والتشبث بكتاب خالقهم عز وجل وسنة نبيهم - ﷺ - والسير وفق المنهج الرباني الذي اختطه الله لعباده، وعدم مخالفة ذلك الصراط مهما كانت الأحوال. وإذا كان الدعاة مطالبين بتأدية هذه الواجبات تجاه المسلمين، فإن الإعلام الإسلامي يجب أن يكون له دور فاعل ومؤثر يتواكب مع واجب الدعاة ويسانده، وتكون له إسهاماته الواضحة في الدعوة والتوجيه والإرشاد.

لا بد من التركيز على مضمون الخطاب الإعلامي وما يحويه من فكر وقيم وأساليب ومحاولة صبغ ذلك بالصبغة الإسلامية

ومن هنا فإن الإعلام الإسلامي مطالب بتفعيل وظائفه الأساسية، ووضعها موضع التنفيذ المناسب، لتحقيق مضمونها، وإنفاذ محتواها.

وأهم الوظائف التي يضطلع بها الإعلام الإسلامي هي:

١ - تبليغ الدعوة الإسلامية إلى البشرية كافة.

٢ - بيان الحق ودفع الباطل والفساد.

٣ - التربية.

٤ - دفع الناس إلى المثل الأعلى وإقناعهم بالعودة إلى الدين القويم.

٥ - تنظيم حياة البشر على أسس سليمة مستمدة من الإسلام.

٦ - تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧ - تحقيق التعارف والتعاون والتآلف بين المسلمين.

٨ - تحقيق التنمية في البلدان الإسلامية.

٩ - الترويج والترفيه ضمن ما هو مشروع.

١٠ - التعريف بالحياة الآخرة. ■

الهوامش:

١ - إبراهيم إمام: موقف الإعلام من التحدي القائم بين الحضارة الحديثة والشباب العربي، في «دور الإعلام في توجيه الشباب»، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ٥٩.

٢ - عبداللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م، ص٥٧.

٣ - محيي الدين عبدالحليم: الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠م، ص١٤٢.

٤ - سعيد إسماعيل صيني، مدخل إلى الإعلام الإسلامي، دار الحقيقة للإعلام الدولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٤٤.

٥ - المرجع نفسه، ص ٢١.

٦ - سيد محمد ساداتي الشنقيطي: مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٧م، ص١٢٦.

٧ - عبدالوهاب كحيل: الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، عالم الكتب، مكتبة القدسي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٢٩.

٨ - سيد محمد ساداتي الشنقيطي: الإعلام الإسلامي، المفهوم والخصائص، دار المسلم، الرياض، ١٩٩٦م، ص٧٦.

٩ - محمد منير سعد الدين: الإعلام، قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي، دار بيروت المحروسة، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٧.

دور اليهود في اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بقلم: سامي الجيتاوي

عمد عمر إلى سياسة الحد من وظائف أهل الكتاب في الدولة، فقد قيل له: «إن ههنا رجلاً من الأنبار له بصر بالديوان لو اتخذته كاتباً، فقال: لقد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين» (١).

ويروى أن أبا موسى الأشعري قدم على عمر، ومعه كاتب نصراني، فأعجب عمر بخطه وحسابه، فقال عمر: أحضر كاتبك ليقرأ؟!

فقال: أبو موسى: إنه نصراني، لا يدخل المسجد، فزجره عمر، وقال: (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) (المائدة /٥١).

فقال: يا أمير المؤمنين لي كتابته، وله دينه.

قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله) (٢).

«وطلب من عمرو بن العاص أن لا يستعمل في عمل المسلمين كافراً» (٣) وحد من وضع الأحاديث النبوية، والروايات الكاذبة، والتأويلات المنحرفة.

قال ابن قتيبة (كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية، أو أُتيَ بخبر لا شاهد عليه» (٤).

وروي أنه هدد كعب الأحبار، وطالبه بوجوب التوقف عن الروايات المدسوسة، والمزورة، فقال له: «لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة» (٥).

وعندما سمع بأن صبيغ بن عسل التميمي يطرح على الناس الغوامض من الأسئلة، ويسأل عن المتشابه من آيات القرآن، طلبه عمر - رضي الله عنه - وضربه بعراجين النخل.

(أخرجه الدارمي عن نافع أن صبيغا العراقي، جعل يسأل عن أشياء من القرآن، في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص - رضي الله عنه - إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فلما أتاه، أرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها، حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برئ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برئ، فدعا به ليعود له، فقال صبيغ: «إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين» (٦)، «وأخرج ابن عساكر عن محمد بن سيرين قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالس صبيغا، وأن يحرم عطاؤه ورزقه» (٧).

«وأخرج نصر في الحجة، وابن عساكر عن زرعة قال: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة، كأنه بعير أجرب، يجيء إلى الحلقة، ويجلس وهم لا يعرفونه، فتناديهم الحلقة الأخرى : عزم أمير المؤمنين عمر، فيقومون ويدعونه» (٨)، كما كان عمر - رضي الله عنه - متيقظاً لكل من يستعمل التأويل إرضاءً لميله الشخصي، أو إثارة للفتنة..

روي أنه استعمل قدامة بن مظعون على البحرين، فقدم الجارود على عمر، فقال :

إن قدامة شرب فسكر، فقال عمر: من يشهد على ما تقول؟ قال الجارود: أبو هريرة يشهد على ما أقوله، فقال عمر: يا قدامة إني جالدك، قال: والله لو شربت كما تقول، ما كان لك أن تجلدني، قال عمر: ولم؟ قال: لأن الله يقول: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا..) (المائدة /٩٣). فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والخندق، والمشاهد.

فقال عمر: ألا تردون عليه قوله؟

فقال ابن عباس: إن هذه الآيات أنزلت عذراً للماضين، وحجة

على الباقين، لأن الله يقولك (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان..) (المائدة / ٩٠) قال عمر: صدقت (٩).

وهذا يدل على مدى يقظة عمر - رضي الله عنه - للتأويلات المنحرفة، ومدى سرعته في الفهم والاستنباط.

عن قتادة أن امرأة تأولت قوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين) (المؤمنون / ٥ - ٦).

فتسرت غلاماً لها، فذكرت لعمر، فسألها، ما حملك على هذا؟

فقالت: كنت أرى أنه يحل لي ما يحل للرجل من ملك اليمين.

فاستشار عمر فيها أصحاب النبي ﷺ فقالوا: «تأولت كتاب الله على غير تأويله، فقال عمر: لا جرم، والله لا أحلك لحر بعده أبداً - كان عاقبها بذلك - ودرأعنها الحد، لما في أمرها من شبهة، وأمر العبد أن لا يقربها» (١٠).

فهذه الآثار وغيرها، تدل على شدة عمر ويقظته للتأويلات التي تشتت شمل الجماعة، وتهدم كيان الأمة، وتجعل المسلمين مشغولين بالجدل من أجلها تثبيتاً وتأييداً، أو دفعا وإزالة، في وقت هم في أشد الحاجة إلى قوتهم، ووحدة صفهم، في سبيل بناء الدولة الإسلامية، ونشر شريعة الإسلام وهديه، بين جميع الناس، في مشارق الأرض ومغاربها.

لذا كان السبئيون دعاة الفتنة، في عزلة عن الجماهير، فتوجهت همتهم - كما أسلفنا - إلى تدبير المؤامرات بأنفسهم، دون الاعتماد على الجماهير هذه المرة، فلجأوا إلى أسلوب الاغتيالات.. فبدؤوا يحكمون مخططاتهم في الخفاء، وكان استشهاد الخليفة عمر - رضي الله عنه - نتيجة لهذا التخطيط الماكر، الذي حبكه كعب الأحبار، فالصورة المفصّلة لوقائع حادث اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، كما روتها المصادر الإسلامية (١١)، تضع كعب الأحبار في موقع من كان على بينة من الأمر قبل الحادث لحظة بلحظة، ومع أن المصادر الإسلامية لم تتوجه بأصابعها إلى اتهامه بالتورط الشخصي في ذلك، إلا أن طريقتها في السرد، وتفصيلات الوقائع، وترديد اسم كعب الأحبار في ثناياها، لهي مؤشرات للذي يقرأ قرائن الأحوال، على أن كعباً شريك في مستوى معين في رسم الأحداث، وسير الأمور... يقول الطبري:

«خرج عمر بن الخطاب يطوف في السوق، فلقيه أبو لؤلؤة - غلام المغيرة بن شعبة - وكان المغيرة قد ضرب عليه أربعة دراهم كل يوم، فشكاه إلى عمر، فقال له عمر: لقد كلفك يسيراً، انطلق فأعط مولاك ما سألك، فلما ولى قال له عمر: ألا تجعل لنا رحىً؟

قال بل أجعل لك رحىً تتحدث بها الأمصار. ففزع عمر من كلمته وقال: - وعليٌّ معه -: ما تراه أراد؟

قال: أوعدك يا أمير المؤمنين. قال عمر: كفيناه الله» (١٢).

فاتخذ الموضوع في الشكل خلافا بين عمر والغلام الفارسي، لا دخل فيه لأحد، فاستطاع مدبر الفتنة أن يسدل الستار على اشتراكه في مؤامرة الاغتيال.

يقول الطبري: (ثم انصرف عمر إلى منزله، فلما كان من الغد، جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين ! إعهد، فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال : ما يدريك؟

قال: أجده في كتاب الله عز وجل، التوراة؟

قال عمر: آلله! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟

قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك، وأنه قد فني أجلك؟

قال: وعمر لا يحسُّ وجعا ولا ألماً؟!

فلما كان الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين! ذهب يوم وبقي يومان. قال: ثم جاءه من غد الغد فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة، وهي تلك إلى صبيحتها.

قال: فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة، وكان يوكّل بالصفوف رجالاً، فإذا استوت جاء هو فكبّر.

قال: «ودخل أبو لؤلؤة في الناس، في يده خنجر له رأسان، ومقبض في وسطه، فضرب عمر ست ضربات، إحداهن تحت سرته» (١٣).

إن طرائق هذا العرض التاريخي، والإكثار من ذكر كعب الأحبار، ونشاطه الملحوظ في رصد جريمة الاغتيال، والعد التنازلي لها، لهي أصابع اتهام واضحة، لهذا اليهودي الذي قد أسلم.

بل نكاد نجزم مع المحققين من الباحثين (١٤) أن قتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان عن تدبير سابق وائتمار مدبّر، اشترك فيه العجم كأداه، واليهود كتخطيط، وهم أشد الناس بغضاً لعمر، وحقداً على الإسلام والمسلمين في ذاته، لأنه قهر العجم، ودوخ بلادهم، وأجلى اليهود عن مهد الإسلام، وكشف عن دسائسهم.. ونرجح هذا الرأي لوجوه:

الأول: شهادة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فإنه قال غداة مقتل عمر: رأيت عشية أمس، الهرمزان وأبا لؤلؤة (الفارسيان) وجفنية (النصراني) وهم يتناجون، فلما ثاروا سقط منهم الخنجر الذي ضُرب به عمر، وله رأسان، ومقبضه في وسطه (١٥) فقتل عمر في صبيحة تلك الليلة، فلما بلغ عثمان - رضي الله عنه - قول عبد الرحمن، استدعاه وسأله، فقال عبد الرحمن: انظروا إلى السكين، فإن كانت ذات طرفين، فلا أرى القوم إلا قد اجتمعوا على قتله، فنظروا إليها فوجدوها كما وصفها عبد الرحمن (١٦).

الثاني: حديث كعب بن ماتع المعروف بكعب الأحبار اليهودي

مع عمر - رضي الله عنه - غداة توعده أبو لؤلؤة - وقد ذكرنا طرفاً منه - وهو صريح في أن كعباً كان يعرف ما يدور في الخفاء، ويدبّر من الكيد لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب. ولماذا لم يكن هذا التكهن قبل ذلك بشهر أو شهرين؟ أو أسبوع أو أسبوعين؟ ولماذا كان في الغد من وعيد أبي لؤلؤة لعمر؟ ولماذا اختص - كعب بن ماتع - بهذا التكهن عن التوراة، والتوراة ذائعة بين الناس، وفي المسلمين يهود وغيرهم من قرائها وحفاظها وعلمائها، ومنهم من هو أوثق وأعلم وأسبق إيماناً من كعب؟ ولو أنا أحسنا الظن بإسلام كعب المحدث، بعد تلبُّثه على يهوديته في حياة رسول الله ﷺ ، وخلافة أبي بكر، وبعض خلافة عمر، حتى دخل الإسلام على يديه، لقلنا إن كعباً كان على علم تام بالمؤامرة، فلم تؤته الشجاعة في أن يكون صريحا بأخباره، ولكن اراد ان ينبه أمير المؤمنين لما يراد به، في هذه الصورة الملفقة في أيجاد التكهن عن التوراة، وخشي على نفسه من التصريح أن يناله سوء المتامرين، أو من يتصل بهم. أما إن كانت يهودية كعب لا تزال تحيا في قلبه كما حييت في حامل راية التآمر من بعده - ابن السوداء - عبد الله بن سبأ - وتستر بالإسلام، فيكون إخباره عن المؤامرة بهذا الأسلوب الملتوي فرقاً من الأخذ والقتل إذا انكشف الأمر، وقد يكون ذلك إمعاناً في المكر وإحكام التدبير، لأنه ربما لا يغيب عن تدبيرهم الخبيث، أن عمر إذا عهد إلى شخص معين، كما كان يطلب إليه كعب، تختلف الأمة وتتفرق كلمتها، وهي في غمرة هذا الاختلاف والتفرق، يحدثون ما مكروا، فتصبح الأمة وهي أشغل بما هي فيه، عن النظر في الجناية والتحقيق فيها، وقد يتسلل المتآمرون أو بعضهم إلى إحدى الطائفتين، فيكونون معها، ويستوجبون حمايتها لهم، ويصيبون من المسلمين فوق ما كانوا يدبرون، وكان هذا الدور بأكمله هو مدار تكهن كعب، وبطولته، في هذه الرواية.

ثم ما هذا التحديد الدقيق، الذي ينص على زمن وفاة رجل من الناس، - مهما عظم شأنه - في كتاب منزل من عند الله هدى ونوراً؟ ولماذا خص بذلك عمر بن الخطاب دون سائر المؤمنين ممن مضى وممن لحق؟ ولماذا لم ينص في التوراة على وفاة الصديق، وهو أجلّ مكاناً في الإسلام من عمر؟ ولماذا لم يقل هذا في حق رسول الله ﷺ وقد ثبت أن التوراة بشّرت به نبياً ورسولاً؟ (١٧).

الثالث: روي أن أبا هريرة علم بهذا الائتمار والتدبير المبيّت، فأنذر به عمر، فلم يعبأ به، كما لم يعبأ من قبل بوعيد أبي لولؤة، لما يعلم من نفسه أنه قائم على الرعية بالعدل والحق، وكانت سنة الراشدين انهم لا يأخذون أحداً بشبهة أو ظن، خصوصا فيما يتعلق بأشخاصهم، فقد أبى عثمان - رضي الله عنه - قتل الثائرين عليه، وأبى علي - رضي الله عنه - قتل ابن ملجم، وقد قيل له من قبل أن يحدث ما حدث (١٨).

الرابع: روي أن عيينة بن حصن الفزاري - وكان من المؤلفة قلوبهم الذين اشتد عليهم عقب عمر في وطئه بعد أن ظهر الإسلام، وقويت شكوته - قال لعمر: احترس، أو أخرج العجم من المدينة، فإني لا آمن أن يطعنك رجل منهم في هذا الموضع، ووضع يده في الموضع الذي طعنه فيه اللعين أبو لؤلؤة، وهذا أسلوب من الانباء خرج في غير مخرج حديث كعب الأحبار، وكان وجه الفصل بين الحديثين، هو فرق ما بين الرجلين.

فأحدهما فيه دهاء قومه اليهود، ومكرهم، فزوى القضية عن أسلوب الصراحة إلى أسلوب الكهانة، أعتمادا على سابق عهده، ومشهور مكانه في قومه وأهل ملته، وأما الآخر فأعرابي فيه جفوة البادية وصراحتها، فألقى بالحديث في أسلوب الناصح المحذّر، وهو أعلم انه نُصح فات إبانه، وتحذير لا يفيد، وقد يكون للعصبية العربية أثر في تحريك عيينة، إلى الإدلاء بهذا التحذير (١٩).

هذه شواهد ودلائل تمسك بأصابع الهرمزان الفارسي، فجفينة النصراني، وسلائل من يهود، وآخرين الله يعلمهم، منغمسون مع الخبيث أبي لؤلؤة، في دم أمير المؤمنين فاروق الإسلام، عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وتنادي بأن الأمر كيد ماكر، دبّر للإسلام في أقوى ذات رجالاته، وأشدهم بطشاً بالمنافقين واليهود، وإلى هذا ذهب كثير من المحققين والمؤرخين، القدامى والمحدثين.. قال الأستاذ حسين والي رحمه الله:

«وفي كلام بعض المؤرخين أن قتل عمر لم يكن إلا عن ائتمار بين أولئك الدخلاء، كما شهد عبد الرحمن ابن أبي بكر، ووقف على هذا الائتمار أبو هريرة، وأنذر به عمر قبل مقتله بثلاثة أيام» (٢٠).

وقال الأستاذان الفاضلان صاحبا كتاب (سيرة عمر) في تعليقة فاحصة :

«أما التوراة فهي بين أيدي الناس اليوم معروفة مقروءة، وما فيها شيء مما قاله كعب، وليس يعقل أن يكون في التوراة تاريخ وفاة عمر - رضي الله عنه - وتحديدها، والتوراة كتاب أنزله الله على نبي من أنبيائه ليبين أحكام الدين، وأصل الشريعة، لا للإخبار عن وفاة رجل لم يكن قد خلق، فمن الصعب جداً قبول دعوى كعب أن هذا الخبر في التوراة، ولابد إذا من إدارة المسألة على وجه آخر، والسؤال عن كعب من اين علم أن عمر سيموت بعد ثلاثة أيام؟ وكيف عرف عيينة بن حصن موضع الطعنة، وكيف تجرأ أبو لؤلؤة وهو غريب لا قيمة له، على هذا الأمر الهائل، وهدد به أمير المؤمنين بقوله: «لأصنعن لم رحىً يتحدث بها العرب»؟ أكان ذلك لأنه لم ينصفه من المغيرة؟ كلا، وإنما هي جريمة سياسية ومؤامرة كبرى، لو جرى فيها تحقيق قضائي، لظهر في هذه الجريمة شركاءهم الهرمزان وجفينة، وأن فيها متهمين فرعيين، هما كعب الأحبار، وعيينة بن حصن» (٢١).

وكان هول فاجعة استشهاد عمر - رضي الله عنه - على المسلمين عظيماً، وصفها عمرو بن ميمون بقوله (وكان الناس لم تصب بمصيبة قبل يومئذ) (٢٢).

وقال سعيد بن زيد «إن موت عمر ثلم الإسلام ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة» (٢٣) ويمكن أن نتصور مقالة أبي طلحة - رضي الله عنه - لنعرف إلى أي مدى كان تأثير مقتل عمر على جميع المسلمين.. يقول «ما من أهل بيت من العرب حاضر ولا بادٍ، إلا قد دخل عليه بقتل عمر نقص» (٢٤).

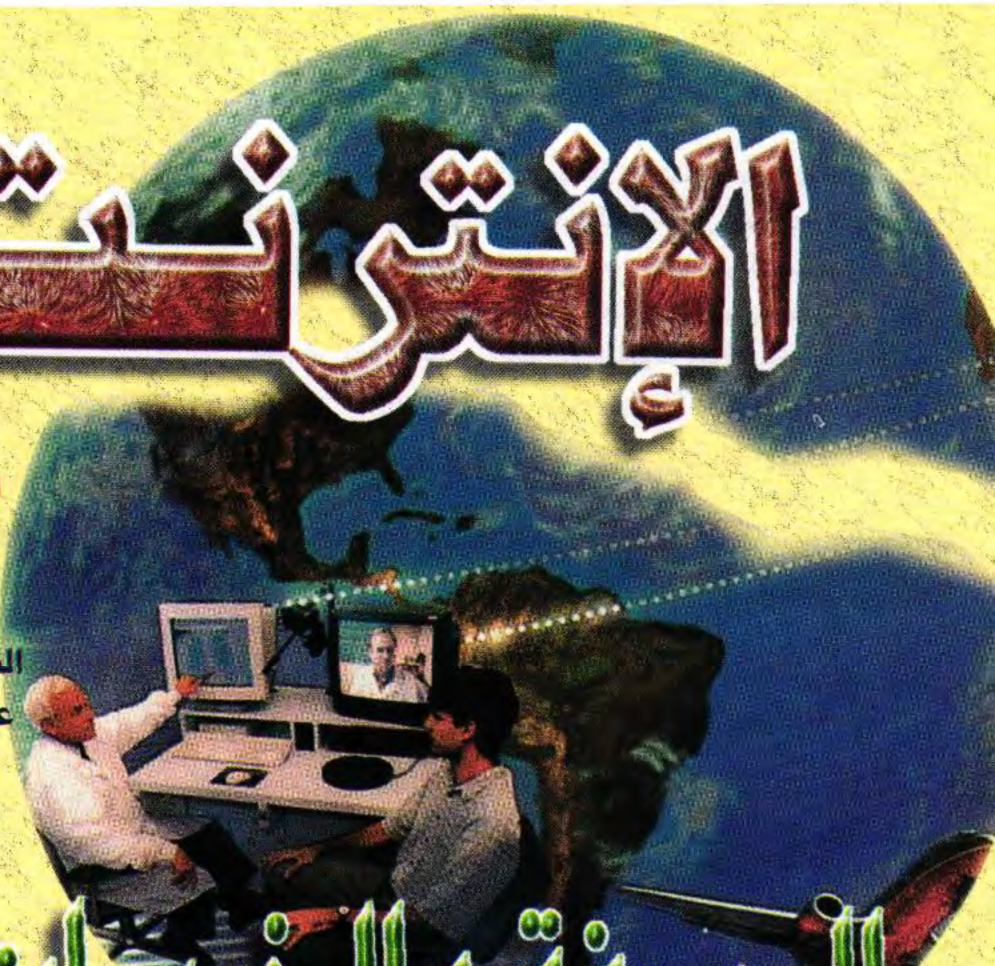
وهذا ما كان يستهدفه كعب، والقوى المتآمرة معه..

وأكمل ابن سبأ ما بدأ به كعب الأحبار، بعد أن فتل غزله فتلاً محكماً، وجمع حوله فئات مختلفة من شعوب متعددة، ألف بينها الإحساس بالقهر والعصبية، والحقد على الإسلام، وتمكن من رؤوس العامة والغوغاء في بعض الأمصار الإسلامية، التي أصبح له في كل منها، عصابة تتصل به، وتدين بمذهبه، وأشعل بهم نار فتنة انتهت باستشهاد الخليفة الثالث عثمان - رضي الله عنه -، وكانت فتنة هوجاء، فاقت في ضراوتها ما قبلها، فالخليفة لا يقتل في الغلس كما كان الأمر مع عمر .. وإنما يقتل الخليفة في وضح النهار. ■

الهوامش والمراجع:

(١) الكامل ٣/٢٤.
(٢) صبح الأعشى ١/٦٢.
(٣) صبح الأعشى ١/٦٢.
(٤) تأويل مختلف الحديث ص٤٨ - ٤٩.
(٥) أخرجه أبو زرعة في تاريخه ١/٥٤٤.
(٦) الدر المنثور ٢/٧.
(٧) الدر المنثور ٢/٧.
(٨) الدر المنثور ٢/١٧.
صدر عمر أوسع وعقله أذكى من أن يؤاخذ طالب علم لو أراد معرفة الحقيقة، لكن بصيرة عمر أدركت أنه عابث يريد العبث بحرمة كتاب الله، ليلبس على الناس دينهم ففعل به ما فعل، فعمر يفرق من غير شك بين السائل الذي لا ينتهر، وبين المشكك الخبيث الذي يجب أن يردع ويزجر.
(٩) التفسير والمفسرون ١/٦٠.
(١٠) الدر المنثور ٥/٥، تفسير ابن كثير ٥/٤٥٧.
(١١) انظر الطبقات الكبرى ٣/٣٧ - ٣٨، ٣٣١ - ٣٣٢، ٣٤٠ - ٣٤٢ انظر تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٥٩ - ٥٦٣، وانظر الكامل ٣/٢٦ - ٢٨ وغيرها.
(١٢) انظر الطبقات الكبرى ٣/٣٤٧.
(١٣) تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٥٩ - ٦٣٨.
(١٤) انظر - الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان ص١٠٦ - ١٠٨ لفضيلة الشيخ المرحوم محمد الصادق عرجون.
(١٥) تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٦٠ وقال «وفي يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه وقال في البدء والتاريخ ٥/١٨٨. (فاتخذ خنجراً له رأسان والمقبض بينهما) وفي تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٢ (وكان الذي طعنه أبو لؤلؤة - عبد المغيرة بن شعبة - وجاء بخنجر مسموم).
ويصعب أن يكون أبو لؤلؤة قد استطاع الحصول على الخنجر المسموم من المدينة، وأغلب الظن أن يكون زوده به اليهود الماكرون فهم المتخصصون بالسموم والسلاح والربا والخمر على مر العصور.
(١٦) على ضوء مسلك يهود في العصر الحديث. وبمقارنة مقتل رئيس الولايات المتحدة الأميركية - جون كندي بمقتل الخليفة عمر بن الخطاب - على فارق ما بين الرئيس والخليفة من فوارق الدين والتقوى والزكاة النفسية - يتبين أن اليهود هم وراء مقتل الخليفة كما كانوا وراء مقتل الرئيس.
لقد قتل الرئيس الأمريكي شخص من أصل روسي اسمه - أوزوالد - وذلك لإبعاد الشبهة عن اليهود، كما قتل الخليفة عمر - فيروز الفارسي - وقتل أوزوالد أمريكي، زعم أن لم يطق أن يرى الرئيس مقتولاً وقتل الأمريكي قاتل آخر، وهكذا ضاعت هوية القاتلين بين حلقات كثيرة مفقودة إلى الآن.
وما حدث في مقتل الخليفة عمر ليس ببعيد عن التخطيط ذاته، حتى لكأن الأفعى اليهودية قبل ألف وأربعمئة عام ونيف، هي الأفعى اليهودية في الولايات المتحدة في القرن العشرين. فالقاتل فيروز أبو لؤلؤة وهو فارسي، ألقى التهمة على الهرمزان، الذي قتل في ظروف لم يكن فيها تحقيق أو إدلاء باعترافات وشهادات، ولا يستبعد أنه أرسل لعبيد الله بن عمر من حرّضه على قتل أدوات الجريمة - الهرمزان وجفينه - لتختفي الجريمة، وليستمر في خطته في تقويض الدولة الإسلامية... وهذه أساليب معروفة استعملتها اليهودية للتخلص من أدوات الجريمة بعد تنفيذها، حتى يعجز التحقيق عن إثباتها.
(١٧) كان كعب يقول لعمر - رضي الله عنه - «يا أمير المؤمنين إعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام» انظر تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٥٩.
(١٨) انظر الخليفة المفترى عليه ص١٠٨.
(١٩) لا أستبعد اشتراك عيينة بن حصن الفزاري في تدبير عملية اغتيال عمر - رضي الله عنه -، فتاريخه حافل بمناوأة الإسلام والمسلمين.. فقد اشترك مع المشركين والمنافقين واليهود في غزوة الأحزاب (انظر الطبري ٢/٥٧٣) وأغار على لقاح الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، فاستنقذها المسلمون في ما يسمى بغزوة ذي قرد أو غزوة الغابة (الطبري ٢/٥٩٦ - ٦٠٤).
وكان يتجسس على المسلمين بعد قدومه إلى المدينة، وكان يحرض يهود خيبر على المسلمين، ويقول لهم «ما رأيت كاليوم أمراً، والله ما كنت أرى أحداً يصيب محمداً غيركم، قلت: أهل الحصون والعدة والثروة، أعطيتم بأيديكم وأنتم في هذه الحصون المنيعة، وهذا الطعام الكثير ما يوجد له آمل والماء الواتن» (انظر المغازي ٢/٦٧٦).
وفي حصار الطائف استأذن عيينة بن حصن الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتي حصن الطائف ليكلمهم فأذن له.. ودخل الحصن فقال: «فداكم أبي وأمي، والله لقد سرني ما رأيت منكم، والله لو أن في العرب أحداً غيركم، والله ما لاقى محمد مثلكم قط. ولقد حل المقام فاثبتوا في حصنكم، فإن حصنكم حصين، وسلاحكم كثير، وماءكم واتن لا تخافون قطعة» ولما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: «قلت: ادخلوا في الإسلام، وخذلتهم ما استطعت» فواجهه الرسول صلى الله عليه وسلم بالذي قاله لثقيف في حصن الطائف.. فأسقط في يده، فقال: استغفر الله، ولما طلب عمر أن يضرب عنقه قال عليه الصلاة والسلام - لا يتحدث الناس أني أقتل أصحابي» (انظر المغازي ٣/٩٢٧).
كما تابع عيينة بن حصن - المرتد طليحة الأسدي -، وقال لقومه (والله لئن نتبع نبيا من الحليفين أحب إلينا أن نتبع نبياً من قريش، وقد مات محمد وبقي طلحة) (انظر الطبري ٣/٢٦٢، وانظر الكامل ٢/٣٤٩ فكل هذه الوقائع تثبت ضلوعه بطريقة أو بأخرى في هذه المؤامرة..
(٢٠) انظر الخليفة المفترى عليه ص١٠٩.
(٢١) الخليفة المفترى عليه ص١٠٩ - ١١٠.
(٢٢) صحيح البخاري ٥/٢٠.
(٢٣) طبقات ابن سعد ٣/٣٧٢.
(٢٤) طبقات ابن سعد ٣/٣٧٤.
كانت قوة شخصية الخليفة عمر - رضي الله عنه - تحول بين مثيري الفتن وبين أهدافهم، بل كان باباً مغلقاً كما ورد في حديث حذيفة لعمر عن الفتن، وقد سأله عمر عن هذا الباب هل سيفتح؟ فقال: نعم. فقال عمر: إذاً لا يغلق أبداً. ووضح (مسروق) أن هذا الباب هو عمر. وكسر هذا الباب بعد أن أن طعن عمر في صلاته بتدبير اليهود، ففتح باب الفتن على مصراعيه، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/١٧ رقم (٢٨٩٢).

الإنترنت



المعرفة والخدمات الخطر الداهم!!

قضية تفوق «الإنترنت» وخطورتها وهيمنتها أصبحت مؤكدة وبسببها لم يعد العالم قرية صغيرة فحسب، بل صار نتيجة لقدراتها الهائلة في المعلومات والاتصال أصغر من ذلك.

فهي تستطيع أن تزود أي شخص في العالم متصل بكمبيوتره بهذه الشبكة، بأي معلومات يريد الحصول عليها وأي أخبار يود الوصول إليها أو أي صفقات أو حجوزات في شركات طيران أو سياحة أو فنادق.

يرغب في تحقيقها بسرعة الكمبيوتر الحالية أو بالسرعات المستقبلية العجيبة التي سيصل إليها.

هذه الحقيقة ملموسة مُسَلّم بها لا يختلف عليها عاقلان وأن انتفاع الأفراد أو الهيئات من ذلك كبير... هذا شيء من النفع.

بقلم : محمد عبدالله القولي

فأين الخطر ؟

أما القضية التي يجب أن يتنبه لها المسلمون ويحذروها جداً غير منبهرين أو مذهولين من غنى «الإنترنت» بالمعلومات وما تنجزه من اتصالات... القضية الخطيرة هي أن «شبكة الإنترنت» يستغلها بعض أعداء الإسلام لينفثوا من خلالها سمومهم ضد ديننا العظيم الكريم بهدف النيل منه أو السخرية أو الطعن... وخصوصاً بطرح بعض القضايا التي تستقطب شرائح كبيرة من المجتمعات بهدف التضليل والتشويه والإساءة.

فمن ذلك مهاجمة واحد من أعداء الإسلام لحديث رسول الله - ﷺ - الذي خاطب فيه مجموعة من النساء في معرض المباسطة وامتداحهن بما وهبهن الله تعالى من تأثير على قلوب الرجال وقوله لهن: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أخلب للب الرجل من إحداكن».

ولقد تناول هذا العدو الغربي هذا الحديث الشريف من خلال «الإنترنت»، وطرحه بسخرية وحقد دفين على مجموعة من الناس وأثار لديهم الشكوك والاتهامات والاستهزاء، فكيف - يزعم هذا العدو الخبيث - تكون النساء ناقصات عقل ودين وقد بلغن من الرقي والسبق والمناصب ما تفوّقن فيه على كثير من الرجال.



الوعي والحقيقة الساطعة

قبل التصدي للرد على هذا العدو الأفاك المهاجم المضلل وسواء أكان جاهلاً حقيقة بفهم حديث الرسول - ﷺ - المشار إليه أو كان عارفاً بمعناه ومدلوله الحقيقي، ولكنه يتعامى عن الحق ويكفر الحقائق ويتجاهلها، وكل غايته تشكيك ملايين المسلمين - والناشئة بخاصة - أو تضليل غير المسلمين ممن لديهم مفاهيم صحيحة عن الإسلام.

قبل التصدي لمناقشة هذا الاتهام بموضوعية وعقلانية لابد من الاقتناع التام بأن الإنترنت سلاح ذو حدين فقد تحوي الحق الصحيح من علوم ومعارف... وقد تحوي الباطل المزيّف من اتهامات وتشكيكات بحقائق راسخة وبخاصة في مجال العقيدة الإسلامية، إذاً فمن الواضح المؤكد انه ليس كل ما تحويه «الإنترنت» صحيحاً أو موثوقاً به - وبخاصة ما يتصل بحقائق الإسلام حين يتعمّد أعداؤنا إساءة فهمها وتضليل الآخرين حيالها.

لذلك لابد - عزيزي القارئ الكريم - من التأكد والتثبّت من صحته من صحة النص ودقة الفهم.

مرتكزات أساسية للرد على مثل هذه الاتهامات

أولاً: إن ديننا قرآننا وحديث رسولنا مادامت لغتهما هي اللغة العربية، فإن من المؤكد والمنطقي أن لا تفسر نصوصهما وتفهم إلا من خلال روح هذه اللغة، ومدلولاتها وطبيعة استخداماتها.

ثانياً: يتضح ذلك إن أدركنا كيف تلقاهما العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وخاطبهم النبي - ﷺ - بلسانهم العربي كذلك.

وهكذا فإن دلالات الألفاظ ضمن سياق النص يجب أن تفهم تماماً كما فهمها العربي الذي خاطبه كتاب الله تعالى وكلمه رسوله ﷺ.

وحسبنا أن نسوق بعض الأمثلة على ذلك: قوله تعالى - وهو يخاطب الكافرين ويجادلهم سائلاً آلهتهم خير أم الله خالق السموات والأرض - (أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) النحل: ٦٠.

فالمستشرق أو غير المدرك لمدلولات اللغة العربية عموماً ولمدلولات لغة القرآن خصوصاً حين يقرأ أو يسمع هذه الآية، فإنه سيفهم - حسب سطحية معرفته بالعربية - أن الذين يقولون بوجود إله آخر شريك مع الله هم قوم عادلون منصفون، وحاشا لله أن يكون المعنى كذلك، وإنما معنى «يعدلون» في هذا السياق القرآني هو: يميلون عن الحق، أي أن الذين يقولون بوجود إله شريك لله هم مائلون منحرفون عن الحق، متجهون إلى الباطل في قولهم واعتقادهم هذا.

قصور فهم السطحيين

وهناك أمثلة كثيرة على قصور فهم السطحيين لمدلولات ألفاظ القرآن الكريم في سياقها القرآني فما بالك بمعاني الآيات وأسباب نزولها وأحكامها.

وإليك عزيزي القارئ بعض هذه الأمثلة وذلك في قوله تعالى على لسان العبد الصالح الخضر - ؑ - في معرض تعليله لموسى ؑ رقه سفينة البحارة الفقراء: (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) الكهف: ٧٨، والشاهد هنا كلمة «وراءهم» فلو أن الكلمة هنا لها المدلول المعروف فما الحاجة لهؤلاء المساكين أن يخرق الخضر سفينتهم مادام الملك ورجاله خلفهم ولن يصلوا إليهم؟! ولكن معنى «وراءهم» في هذه الآية هو «أمامهم» أي أن الملك ورجاله ينتظرون مرور السفن أمامهم فما وجدوه صالحاً منها اغتصبوه دون رحمة أو شفقة.

ولهذا لا ينبغي أن يغيب عن أذهان المسلمين أنهم مأمورون من الله تعالى بالمرابطة في سبيل الله تعالى للتصدي في أي حين لأعدائنا الذين يتربصون بنا وذلك في قوله عز شأنه: (يأيها



الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران: ٢٠٠.

والمرابطة والرباط في معناهما الواسع هما إشعار العدو أنك مستعد دائماً للقائه، وكما يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله تعالى - في إحدى خواطره الإيمانية:

«وليس الرباط هو الاستعداد بالخيل أو بالسلاح المناسب لكل عصر فحسب، بل إن المرابطة معناها الإعداد لكل ما يمكن أن يردَّ عن الحق صيحة الباطل، وإن من المرابطة إعداد الناشئة الإسلامية للتصدي لوافدات الإلحاد قبل أن تأتي، لأن غزو الفكر قد يتسرب إلى النفوس من حيث لا تشعر».

الوعي المطلوب وواجب التصدي للرد

ومن هذا القبيل من الغزو الفكري المعادي للإسلام - ما أشار إليه فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - أطال الله في عمره - من خلال كلمة شارك بها في حفل عرس شاب من حفظة القرآن الكريم في دمشق أشار إلى غزو فكري جديد وهجوم ضار ضد الإسلام، سُجِّل في «شبكة الإنترنت»، وقد قيَّض الله تعالى للدكتور البوطي شاباً أطلعه على نثار مما هو مسجل فيها من الإساءة إلى القرآن الكريم وسنة رسول الله - ﷺ - والسخرية لمحاولة التهديم والتحطيم.

ومع أن د. البوطي رأى أن الاتهامات هي مجرد تفاهات يتشدق بها أولئك المسيئون وهي أباطيل لاتستند إلى واقع ولا ترتكز على حقيقة وعلى سبيل المثال اختار مما طرح في «الإنترنت» من إساءة وسخرية بحديث رسول الله - ﷺ - الذي يقول فيه: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أخلب للب الرجل من إحداكن».

ويعقل د. البوطي بأن ذلك ليس بمستغرب من عدو مجاهر بعداوته للإسلام، ودعا إلى أن يقوم المؤمنون الغيارى على دين الله المتناثرون في الغرب بشطريه الأوروبي والأمريكي بجمع شملهم وتوحيد صفهم وليجعلوا لهم صوتاً موحَّداً وموقعاً على منبر «الإنترنت» لتعريف العالم - المتصل بهذه الشبكة - بالإسلام وبالتالي للرد على افتراءات أعدائه... وهذا إن تحقق وصار لنا فيها صوت واحد هو بحد ذاته البطولة الحقيقية وذلك بالدفاع عن الحق وهدم الباطل بالمنطق والحجة.

كيف نتصدى؟

عزيزي القارئ الكريم:

ولتحقيق هذه البطولة وهذا الموقع على «الإنترنت» دعا الدكتور البوطي المسلمين إلى ترك التناحر بخصوص المذاهب الاجتهادية الخلافية والأمور الفرعية، وأن يتوقف كل واحد من هؤلاء المتناحرين عن محاولة الانتصار لنفسه أو فئته أو مذهبه وأن يعمل على توحيد الصف وتوحيد الصوت بينما عدونا يجتهد لأن يجتث شجرة الإسلام من جذعها. وفي معرض رد د. البوطي على ذلك العدو الساخر من حديث رسول الله - ﷺ - قال:

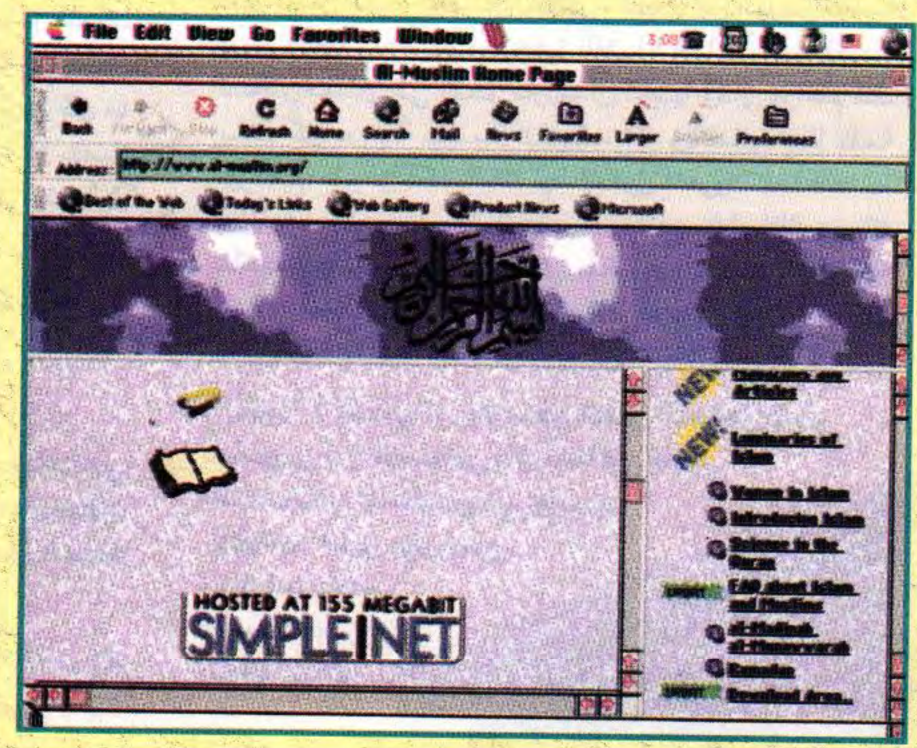
أولاً: إن رسول الله - ﷺ - قال هذا في سياق مباسطة وامتداح للنساء، وبخاصة إذا ما قارنا بين أول الحديث «ما رأيت من ناقصات عقل ودين» وآخره «أخلب للب الرجل من إحداكن».

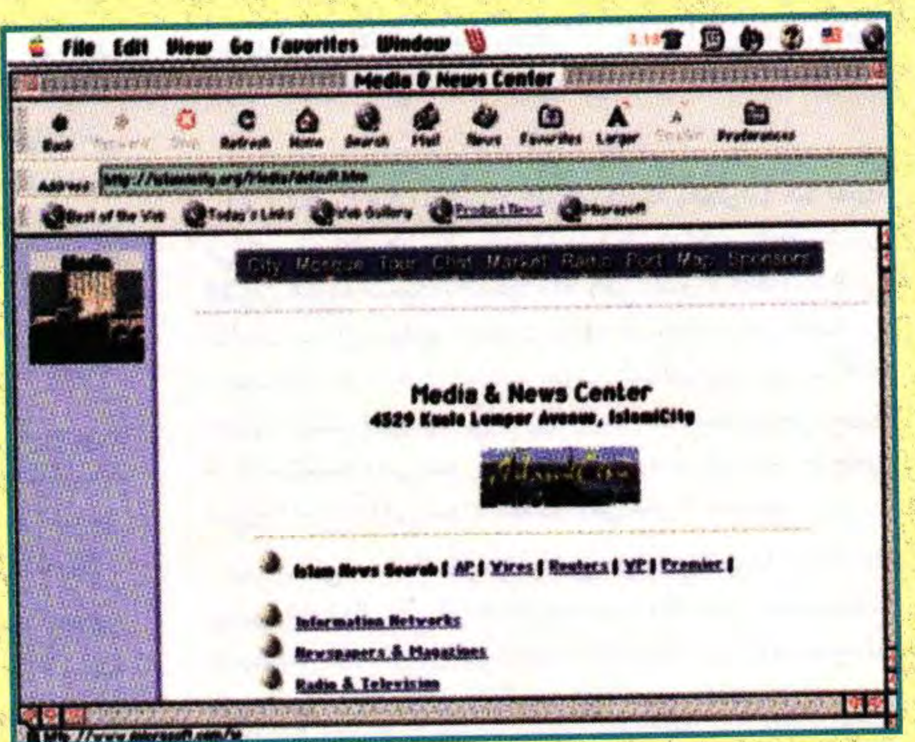
ثانياً: وإن الرجل أقل عاطفة من المرأة، وهل كان للتكامل الذي قضاه الله بين الرجل والمرأة أن يتحقق لو لم يقابل نقص المرأة هذا الكمال في الرجل ولو لم يقابل نقص الرجل هذا الكمال في المرأة؟ ومن هنا كان كل منهما السكن للآخر تماماً كما عبّر عن ذلك البيان القرآني في قوله تعالى: في سورة الروم آية ٢١: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

ثالثاً: ثبت من حقيقة سيكولوجية في المرأة، أنها لا يسعدها من الرجل إلا أن يكون أكثر عقلانية منها، ومن حقيقة سيكولوجية في الرجل أنه لا يسعده من المرأة إلا أن تكون أكثر عاطفة منه.

كاتبة ألمانية تؤيد هذه الحقيقة:

ويؤكد هذا بقول عالمات وباحثات غربيات يؤيدن هذه الحقيقة ومنهن الكاتبة الألمانية «استرشيلر» التي شرحت في كتابها شرحاً علمياً بأسهب





العبارات، وأكدت أن المرأة لا تسعد بالرجل إلا إذا شعرت أنها تعيش في كنف من عقلانيته وقوته المتغلبة.

رابعاً: إذاً فإن نقصان عقلانية المرأة بالإضافة إلى زيادة عاطفتها مظهر لكمالها ونقصان عاطفة الرجل بالإضافة إلى زخم عقلانيته مظهر لكماله، وهذان الكمالان لا يتراءيان إلا عندما يقترن الرجل بالمرأة.

فرجل وامرأتان

وأضيف إلى كلام الدكتور البوطي ما ألهمني الله تعالى به من تذكّر آية قرآنية كريمة يعلمنا الله تعالى بها هذه الحقيقة، وهي أن المرأة أقل ضبطاً وعقلانية من الرجل وأقل تذكراً منه للأمور وأن قوة عاطفتها تنسيها الأشياء، وذلك في قوله تعالى في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى...)، ومعلوم أن هذه الآية نزلت لتوثيق عملية التداين، وأن الله تعالى يأمرنا بأن يكتب هذا الدين كاتب بالعدل، ويشهد على هذه الكتابة والتوثيق شاهدان رجلان، فإن لم يتيسر فرجل وامرأتان، أي أن شهادة الرجل بشهادة امرأتين، وأوضح الله لنا السبب وهو أنه إذا نسيت المرأة الأولى ذكّرتها الثانية، وإن نسيت الثانية ذكرتها الأولى... والمفسرون قالوا: لما يلحقهما من ضعف النساء بخلاف الرجال.

حال المرأة خلال الدورة الشهرية

وإذا أردنا أن نتعرف على حقيقة نقص المرأة أكثر فلندع المرأة ذاتها تسأل نفسها عن التغييرات التي تحصل لديها أثناء تلقيها دورتها الشهرية، وكيف تكون حالها العصبية والمزاجية، وبالتالي العقلية من ضبط وتذكر ومحاكمة واستنتاج - علماً أن هذه الحال الانفعالية أثناء الدورة الشهرية تتفاوت في مدتها وآثارها ونتائجها بين امرأة وأخرى.

فإذا أضفنا إجابة المرأة الموضوعية بهذا الصدد إلى طبيعة تكوين المرأة السيكولوجي لاقتنعنا تماماً بالحقيقة التي أشار إليها الحديث النبوي الشريف.

المرأة تعفى من الصلاة أثناء دورتها ونفاسها

والمرأة المسلمة يعفيها الله تعالى من أداء الصلاة خلال فترة دورتها الشهرية، وأثناء حيض نفاسها، كما يبيح لها الإفطار في رمضان للسببين السابقين... ومن هنا كان نقص دينها أي نقص عبادتها عن عبادة الرجل.

إذاً صار واضحاً لدينا الآن أن معنى ناقصات عقل هو نقص في الضبط والتعقل بسبب غلبة العاطفة على العقل وما يتبع ذلك من ضعف ونسيان، ومعنى ناقصات دين أي نقص بسبب إعفائها من الصلاة فلا تؤديها أثناء دورتها الشهرية ونفاسها ولا تقضيها بعد ذلك، أما صيامها فيؤجل خلال ذلك، ثم تقضيه فيما بعد.

توضيح د. البوطي

عزيزي القارئ...

الدكتور البوطي يوضح هذه المسألة فيقول: يُقال عن فلان من الناس إن دينه ناقص ويُراد بذلك أحد معنيين :

المعنى الأول : أن التكاليف الإلهية لم تتجه إليه كما اتجهت إلى غيره، ومن ثمَّ يوصف بنقصان الدين، وليس معنى ذلك أنه يتحمل من ذلك أي مسؤولية تقصيرية، وهذا ما يُقال للطفل غير البالغ إنه ناقص في الدين لأن الله لم يخاطبه ولم يحمله التكاليف.

والمعنى الثاني لكلمة ناقص الدين: أي يُعرض عن كثير من أوامر الله تعالى سبحانه، فلا يلقي بالاً إليها، ويتساءل الدكتور البوطي: أيُّ المعنيين قصده رسول الله - ﷺ - والجواب بالاتفاق والتأكيد أن المعنى الأول هو المقصود.

وحين يقول الرسول - ﷺ - ناقصات عقل ودين، أي أن الله عز وجل كلّف الرجل بتكاليف أكثر مما يكلّف المرأة وهي لا



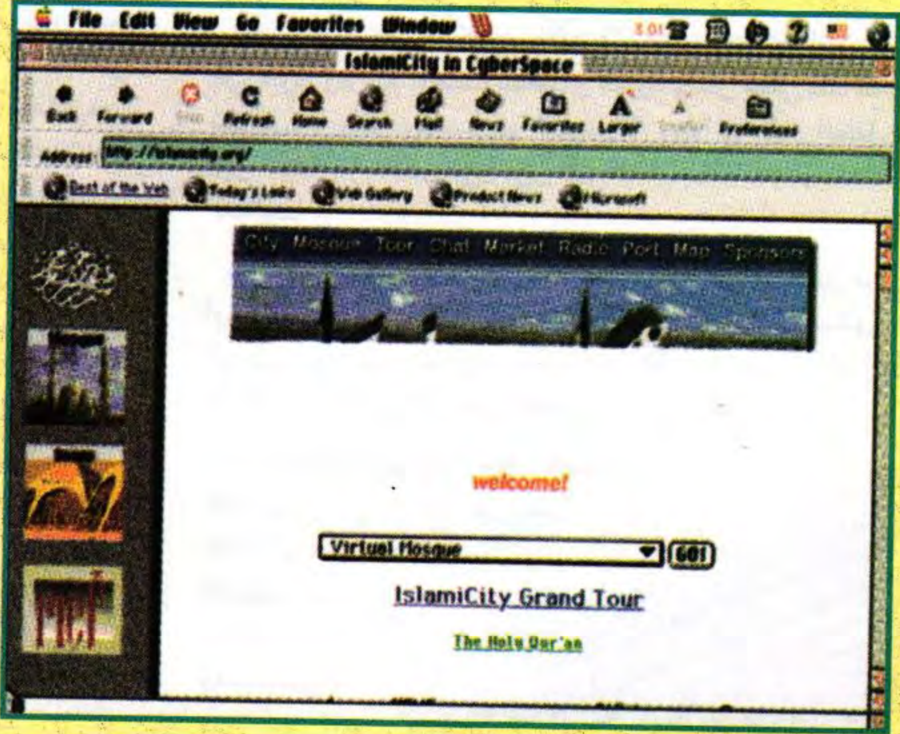
تتحمل بسبب هذا النقص في التكاليف أي وزر، بل يقول الفقهاء: إن الله لا ينقص من أجرها شيئاً مما يناله الرجل بصلاته التي لا تستطيع هي أن تؤديها، أو بقراءته القرآن التي يتلوها ولا تستطيع هي أن تتلوه أثناء دورتها ونفاسها، فقعودها عن الصلاة وعن قراءة القرآن عبادة لأنها امتثلت حكم الله في أخذها الرخصة الممنوحة، فأين نقصان الدين هنا بالمفهوم الخاطئ الذي يفهمه بعض الناس الجهلة.

أين الغيورون ليقوموا بالتصدي؟

وحث الدكتور البوطي على أن ينهض المسلمون الغيورون على دينهم فينقلوا هذا الرد المفصّل إلى «شبكة الإنترنت» ليطلع عليه من شاء من أصدقاء وأعداء، لكي يقطع هذا المنطق العلمي ألسنة المتخرصين المفتئتين على سيدنا رسول الله ﷺ.

ويقول قبل ذلك راح رجل في الغرب، اسمه «مايك»، يسخر خلال «الإنترنت» من رسول الله - ﷺ - لأنه تزوج من السيدة عائشة أم المؤمنين وعمرها لم يكن قد زاد على تسعة أعوام، وشاء الله تعالى أن يهيئ شاباً مسلماً ترجم كلام «مايك» هذا إلى اللغة العربية، وأتاني به، فشرّفني الله عز وجل أن أردّ على كلام «مايك» بتفصيل طويل، وقام ذلك الشاب المسلم الغيور بترجمة ردّي إلى الإنكليزية، وشاء الله أن يستقر هذا الكلام في مكان الرد في «الإنترنت» على هذا المفتئت على رسول الله - ﷺ : ويخلص د. البوطي النصح قائلاً:

وهذا الرد أنموذج بسيط ينبغي أن يتحول إلى رسالة تنهض بها هذه الأمة ينبغي للمسلمين جميعاً في أقطار العالم كله أن يجمعوا شملهم وأن ينهوا خلافاتهم وأن يقضوا على الصراعات فيما بينهم، وأن يسدوا الثغرات المتفتحة التي لا يتسرب منها إلا الشياطين وينبغي أن ينطلقوا من صوت واحد ليؤدوا الوظيفة التي شرّفنا الله تعالى بها.



من كرّم المرأة بحق؟

أخي القارئ الكريم: لم تلق المرأة تكريماً واحتراماً كما لقيت في شريعة الإسلام وحسبُها أن سورة من أكبر وأعظم سور القرآن الكريم سُمّيت باسمها، ألا وهي «سورة النساء»، التي تناولت أحوال حياتها وحدّدت مالها من حقوق وما عليها من واجبات، وكما يقول الشيخ متولي الشعراوي - رحمه الله تعالى - وليس تكريمها في سورة النساء فحسب، بل في سورة المائدة أيضاً وفي سورة الأحزاب وفي سورة الممتحنة وفي سورة المجادلة وفي سورة الطلاق وفي سورة التحريم.

وما وصّى أحد بالعناية بالمرأة ورعايتها وتقديرها أبداً، كما وصى الله تعالى في قرآنه الكريم، ومما قاله عز شأنه في ذلك: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير) لقمان:١٤.

وتلمح عزيزي القارئ هذه المكرمة للأم، حيث ذكر معاناتها في حمل جنينها وآلامها في وضعه... ولهفتها وجهدها في إرضاعه وفي فطامه وفي تربيته دون التعرض للرجل.

وما حضَّ أحد على الإحسان للمرأة والرفق بها والعطف عليها كما حض رسول الله محمد ﷺ في كثير من أحاديثه الشريفة وأفعاله العظيمة، فمن ذلك قوله مخاطباً جميع المسلمين على مر السنين: «خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي»، وقوله: «ما أكرمهن إلا كريم»، وحسب المرأة منزلة وكرامة وإعزازاً أن النبي - ﷺ - كان يُحتضر ويلفظ أنفاسه الشريفة وهو يوصي بها قائلاً: «استوصوا بالنساء خيراً».

وأخيراً ... الإنترنت !

أخي القارئ العزيز :

لا نجادل في أن «الإنترنت» لغة عصرنا الحالي العالمية، لذلك ينبغي أن نتعلمها وأن يتقنها أبناؤنا لنكون على اتصال بما يجري في عصرنا، ولكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن نأخذ من «الإنترنت» أحكام ديننا ومفاهيمه أو شرائع قرآننا، وهدي رسولنا محمد ﷺ، ولا يعني أيضاً أن نستقي من «الإنترنت» أخلاقنا وقيمنا ومثلنا.

فماذا نبغي من الإنترنت؟

نأخذ منه ما ينفعنا من علوم ومعارف ومهارات وخدمات واتصالات... لنستعين بذلك على بناء نهضتنا ومستقبل أبنائنا... وعلى الله تعالى قصد السبيل. ■

في صدر الإسلام رسائل غيَّرت وجه التاريخ

سيرة

الإنذار الأخير في رسالة : من أبي بكر إلى المرتدين ...

٢

بقلم : د. جابر قميحة

بوادر الردة

في عام الوفود، جاء إلى المدينة مسليمة بن حبيب «المعروف بمسيلمة الكذاب»، في عدد من قومه، وأخذ يردد أمام الناس «إنْ جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته» فأقبل إليه النبي - ﷺ - ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي - ﷺ - قطعة من جريدة حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقال له: «لو سألتني هذه القطعة ما أعْطيتُكها ولن أتعدى أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنَّك الله وإني لأراك الذي أريتُ فيك ما أريت...».

وتفسير الجملة الأخيرة فيما يرويه أبو هريرة قال: قال النبي - ﷺ - «بينا أنا نائم رأيت في يديَّ سُوَارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحيُ إليَّ في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطار، فأولتهما كذَّابين يخرجان من بعدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة» (رواه الشيخان). ولما عاد مسيلمة إلى بلده اليمامة أرسل مع رجال من قومه الكتاب التالي إلى رسول الله - ﷺ : «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلام عليك أما بعد فإني أُشْركتُ في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون». ورد عليه النبي - ﷺ - بالكتاب التالي :

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين». ولكن الردَّة الأشد والأعتى كانت ردة الأسود العنسي «عيهلة بن كعب» في اليمن، وهو يعتبر أول مرتد في الإسلام، وادعى النبوة وانتشر نفوذه وهيمن على نجران وصنعاء، وغلب على ما بين صحراء حضرموت إلى الطائف والبحرين والإحساء وعدن. وساعده على الانتشار والهيمنة قدرته على الشعوذة والسحر، وكان يلقب نفسه برحمن اليمن، وتمتع الأسود العنسي بملكه هذا العريض مدة أربعة أشهر فقط، إلى أن تم اغتياله قبل أن ينتقل النبي - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى بشهر واحد، وعادت الأمور كما كانت قبل ظهور الأسود العنسي وارتداده عن الإسلام وادعائه النبوة.

جدل حول محاربة المرتدين

قالت عائشة - رضي الله عنها - «لما توفي رسول الله - ﷺ - نجم النفاق، وارتدت العرب، واشرأبّت اليهودية والنصرانية، وصار المسلمون كالغنم في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم حتى جمعهم الله على أبي بكر، فقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها...».

والعبارة على إيجازها تصور فداحة المحنتين اللتين نزلتا بالمسلمين: المحنة بوفاة النبي - ﷺ - والمحنة بردة العرب عن الإسلام الذي لم يثبت عليه إلا أهل المدينة ومكة والطائف، وهذا يعني أن الغالبية العظمى مرقت من الإسلام بادعاء النبوة كما فعل مسيلمة بن حبيب الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح التميمية، أو بالردة الشاملة أي ترك الإسلام بالكلية والعودة إلى الكفر، وكان أخف أنواع الردة وأكثرها شيوعاً هو الامتناع عن أداء الزكاة مع المحافظة على بقية أركان الإسلام.

وحاول بعضهم استثمار هذه المحنة والتكسب من ورائها، ويحكي لنا التاريخ أنه قدم على أبي بكر عيينةُ بن حصن والأقرع بن حابس في رجال من المهاجرين فقالوا «إنه قد ارتد عامة من وراءنا عن الإسلام، وليس في أنفسهم أن يؤدوا إليكم من أموالهم ما كانوا يؤدون إلى رسول الله - ﷺ - فإن تجعلوا لنا جُعْلاً فنكفيكُم مَنْ وراءنا». فدخل المهاجرون والأنصار على أبي بكر، فعرضوا عليه الذي عرضوا عليهم، وقالوا له: «نرى أن تطعم الأقرع وعيينة طُعْمة يرضيان بها ويكفيانك مَنْ وراءهما، حتى يرجع إليك أسامة وجيشه، ويشتد أمرك، فإنَّا اليوم قليل في كثير!! ولا طاقة لنا بقتال العرب»، قال أبو بكر: «هل ترون غير ذلك؟» قالوا: «لا!!»، قال أبوبكر: «إنكم قد علمتم أنه كان من عهد رسول الله - ﷺ - المشورة إليكم فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم، ولا نزل به الكتاب عليكم، وإنَّ الله لن يجمعكم على ضلالة، وإني سأشير عليكم، فإنما أنا رجل منكم، تنظرون فيما أشير به عليكم، وفيما أشرتم به عليَّ، فتجتمعون على أرشد ذلك، فإن الله يوفقكم، وأما أنا فأرى أن ننبذ إلى عدونا «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» وألا تَرْشُوا على الإسلام أحداً، وأن نتأسَّى برسول

الله - ﷺ - فنجاهد عدوه كما جاهدهم، والله لو منعوني عقالاً لرأيت أن أجاهدهم عليه حتى آخذه، فائتمروا يرشدكم الله، فهذا رأيي، وأما قدوم عيينه وأصحابه إليكم فهذا أمر لم يغب عنه عيينة، هو راضه ثم جاء له، ولو رأوا ذباب السيف لعادوا إلى ما خرجوا منه، أو أفناهم السيف فإلى النار، قتلناهم على حق منعوه وكفر».

فبان للناس وجه أمرهم، وقالوا لأبي بكر لما سمعوا رأيه: «أنت أفضلنا رأياً، ورأينا لرأيك تبع».

فأمر أبو بكر الناس بالتجهز، وأجمع على المسير بنفسه لقتال أهل الردة.

وفي موقف آخرون قال المعارضون: أقبل منهم يا خليفة رسول الله «أي الصلاة دون أداء الزكاة، فإن العهد حديث، والعرب كثير ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب، مع أنا سمعنا رسول الله - ﷺ - يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالواها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» فقال أبو بكر «هذا حقها، لابد من القتال».

فقال الناس لعمر: أخْلُ به فكلّمه لعله يرجع عن رأيه هذا فيقبل منهم الصلاة، ويعفيهم من الزكاة، فخلا به عمر نهاره أجمع، فقال: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه، ولو لم أجد أحداً أقاتلهم به لقاتلتهم وحدي، حتى يحكم الله بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين، وقد سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «أُمِرْت أن أقاتل الناس على ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة» فوالله الذي لا إله إلا هو لا أقصر دونهن».

وفي رواية ثالثة أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أتى أبا بكر فقال له: يا خليفة رسول الله تألف الناس، وأرفق بهم فإنهم بمنزلة الوحش، فقال أبوبكر «رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك، جباراً في الجاهلية خواراً في الإسلام!! بماذا عسيت أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل؟ أم بسحر مفترى؟ هيهات هيهات، مضى النبي - ﷺ - وانقطع الوحي، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي، وإن منعوني عقالاً».

الأسود العنسي أول مرتد في الإسلام على عهد النبي وادعى النبوة وكان يلقب نفسه برحمن اليمن

دكتاتورية أبي بكر

ويكتب فحل من فحول التنويريين بالحرف الواحد: «... وبإصرار أبي بكر - مخالفاً الإجماع - على حروب الصدقة يكون قد جار على قاعدة الشورى، ودخل باختياره في دائرة حكام العصور الوسطى من الدكتاتوريين المستبدين برأيهم...».

وبصرف النظر عن عدم توفيق الكاتب في استبدال «حروب الصدقة» بحروب المرتدين أو الردة كما هو مشهور تاريخياً نجد لزاماً أن نستقرئ أسانيد أبي بكر وأسانيد معارضيه حتى نخلص إلى الحكم الحق في هذه المسألة فالمعارضون اعتمدوا على سندين :

السند الأول: الحديث الشريف، وقد فهموا منه أن الشخص إذا نطق بالشهادتين حرم قتله وقتاله.

والسند الثاني: واقع الحال: فالمرتدون كثرة، والمسلمون قلة، ومقاتلتهم في هذه الحال مخاطرة غير مأمونة العواقب.

ويفهم من بعض الروايات أن المسلمين لم يكونوا يعارضون مبدأ الحرب لذاته، بل لأن الوقت غير مناسب لقتال المرتدين، ولا مانع من شن الحرب عليهم إذا ما أفاق المسلمون من الآثار النفسية التي هزتهم بمصيبتهم في رسول الله - ﷺ - وإذا ما سنحت الفرص التي تمكنهم من هؤلاء، وقد يستأنس لهذا بما طلبه عمر بن الخطاب من أبي بكر من أن «يتألف الناس، ويرفق بهم، فإنهم بمنزلة الوحش» فالمطلوب إذاً فترة لالتقاط الأنفاس، وإعداد النفوس، واستخدام الرفق واللين، فقد تؤدي هذه السياسة إلى أن يثوب الناس إلى رشدهم ودينهم، وإلا جابههم المسلمون بالحرب وهم أحسن حالاً، وأشد قوة من ذي قبل.

أما أبو بكر - ﷺ - فقد استند إلى نص صريح وهو حديث النبي - ﷺ -: «أمرت أن أقاتل الناس على ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة».

كما قاده اجتهاده في الحديث الذي استشهد به عمر والمعارضون إلى أن عصمة الدماء والأموال، أي حرمة مقاتلة من نطق بالشهادتين رهينة بأداء حق المال الذي هو الزكاة، وأبو بكر كان خليفة مجتهداً فله الحق في أن يستنبط الأحكام الشرعية من مصادرها، ويطبقها على ما يجدُّ من القضايا، والمجتهد يجب عليه أن يعمل بما يهديه إليه اجتهاده، ولا يجوز له أن يقلد غيره في الرأي.

كان أخف أنواع الردة وأكثرها شيوعاً هو الامتناع عن أداء الزكاة مع المحافظة على بقية أركان الإسلام

ويرى العقاد أن أبا بكر - وهو الذي كان مثلاً في الاقتداء بالرسول - ﷺ - حيثما سبقت سابقة يقاس عليها - قاس الزكاة على الصلاة: فقد ذهب أناس من الثقفيين

يعرضون على النبي - ﷺ - إسلامهم على أن يعفيهم من الصلاة، فقال - عليه الصلاة والسلام - «لا خير في دين لا صلاة فيه»، وكذلك لا خير في دين لا زكاة فيه - كما يقول العقاد - فإذا جاء المرتدون ويزعمون أنهم مسلمون يقبلون فرائض الإسلام، ولا يقبلون الزكاة، فليس أبوبكر الذي يقبل منهم ما يزعمون.

كما أن إصرار أبي بكر على مقاتلة المرتدين ومعارضة المعارضين في ذلك لم يكن وراءهما إلا باعث واحد هو «الخوف على الإسلام»: فمنطق أبي بكر يعتمد على أن البدار بالقتال خير وسيلة للدفاع، وحماية الإسلام وحفظ ديار المسلمين، والمعارضون انطلاقاً من هذا الباعث أيضاً كانوا يرون أن «التأني وتأليف القلوب» هو الوسيلة المثلى لتحقيق هذا الهدف.

ثم كان المعارضون هم أسرع الناس للاشتراك في قتال المرتدين، لأنها معارضة لم يكن وراءها إلا الغاية النبيلة والباعث الشريف، فقصة أبي بكر مع المرتدين - كما يقول محمد الغزالي رحمه الله: «لاتعني إلا أنه عرف الحق قبل عمر، ثم ما لبث أن أقتنع به صاحبه فأيد وجهة نظره، وأتفقا جميعاً على تنفيذها، وخطأ عمر - ﷺ - ابتداء مع المرتدين كخطئه بعد وفاة الرسول - ﷺ - حين أنكر موته، وتوعد من يقول به، ثم ثاب إلى الحقيقة التي قررها أبو بكر في يقين وتؤدة».

وأثبتت الأحداث بعد نظر أبي بكر، وتحققت الانتصارات الباهرة، وعاد لواء الإسلام يرفرف من جديد على كل أنحاء الجزيرة العربية. قال أبو رجاء البصري: «دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلاً يقبّل رأس رجل، ويقول له: «إنا فداؤك، ولولا أنت لهلكنا»، قلت من المقبَّل؟ قالوا: هو عمر يقبل رأس أبي بكر في قتال أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين».

فأين الاستبداد؟ وأين الجور على الشورى؟ وأين الدكتاتورية التي اتهم بها «فحل التنوير» خليفة رسول الله أبا بكر الصديق ﷺ !!؟

أخذ القادة أنفسهم بما أمر به الخليفة الصديق وبالإيمان القوي وصدق العزيمة والإعداد الدقيق تحقق النصر المبين

الألوية والإنذار الأخير...

أعد أبو بكر ﷺ أحد عشر جيشاً، وجعل ألويتها - أي قيادتها - لأحد عشر قائداً من خيرة قواده وكلهم من المهاجرين مثل: خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة والمهاجر بن أبي أمية والعلاء بن الحضرمي... جهّز أبو بكر هذه الجيوش وسيرها لقتال المرتدين، ولكن قبل ذلك وجه رسالة إلى كل القبائل بعامة والمرتدين منهم بخاصة ونص هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر خليفة رسول الله - ﷺ - إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من أتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، نُقرُّ بماجاء به ونكفِّرُ من أبى ونُجاهده، أما بعد، فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حياً ويُحقَّ القولَ على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله - ﷺ - بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم توفَّى اللهُ رسولَه - ﷺ - وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته وقضى الذي عليه، وكان الله قد بيَّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، قال (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر:٣٠، وقال: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) الأنبياء:٣٤ وقال للمؤمنين: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) آل عمران: ١٤٤.

فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حيٌ قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه، يجزيه، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم - ﷺ - وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتدياً، ومن أضله كان ضالاً، قال الله تعالى: (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) الكهف:١٧.

الجيوش الموجهة لن تقاتل جماعة حتى تُدعى إلى الله فمن استجاب حقن دمه وحفظ حياته وماله ، ومن أبى قتل شر قتله

ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقر به، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، قال تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً)

الكهف:٥٠، وقال: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) فاطر:٦.

وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكفَّ وعمل صالحاً قَبِلَ منه وأعانه عليه، ومَنْ أبىٰ أمَرتُ أن يقاتله على ذلك، ثم لا يبقي على أحد منهم قَدرَ عليه، وأن يُحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قِتْلة، وأن يسبيَ النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمَنْ اتبعه فهو خير له، ومَنْ تركه فلن يعجز الله، وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذّن المسلمون فأذّنوا كُفُّوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم، وإن أذّنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبو عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم.

إصرار أبي بكر على مقاتلة المرتدين ومعارضة المعارضين في ذلك لم يكن وراءهما إلا باعث واحد هو «الخوف على الإسلام»

وأهم المضامين والتوجيهات التي ضمنها هذا الكتاب تتلخص فيما يأتي:

١ ـ توجيه الرسالة إلى كل الأفراد والقبائل الثابتين على الإسلام منهم، والمرتدين عنه.

٢ ـ من آثر الضلالة والعمى على الحق والهدى فهو كافر علينا أن نجاهده.

٣ ـ أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، ولم يتوفه الله إلا بعد أن كمل الإسلام.

٤ ـ الإيمان في بقائه يرتبط بالدعوة لا الداعي، فموت محمد ـ ﷺ ـ لا يعني موت الدعوة لأنها خالدة والله حي لا يموت.

٥ ـ ضرورة التحلي بالتقوى والاعتصام بدين الله، فلا ناصر إلا الله، ولا هادي إلا الله.

٦ ـ الارتداد عن الإسلام اغترار بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان وموالاة له.

٧ ـ الجيوش الموجهة لن تقاتل جماعة حتى تدعى إلى الله فمن استجاب حقن دمه وحفظ حياته وماله، ومن أبى قتل شر قتله، وعرض أهله وولده للسبي.

٨ ـ سيكون الأذان هو معيار الحكم بالبقاء على الإسلام أو العودة إليه، ثم بعد ذلك أداء فرائض الدين الأخرى.

وكتاباً موجهاً لقادة الجيوش

وضماناً لسير العمل في انضباط ونظام دون تفريط أو تجاوز وإفراط بدافع النقمة والحماسة الزائدة وجّه أبو بكر ـ ﷺ ـ كتاباً من صيغة واحدة إلى القادة الأحد عشر، ونص هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهدٌ من أبي بكر خليفة رسول الله ـ ﷺ ـ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال مَنْ رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان، بعد أن يُعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنّ غارته عليهم حتى يُقرُّوا له، ثم يُنبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم، ويعطيهم الذي لهم، لا يُنظرهم، ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عزَّ وجلَّ وأقرّ له قَبِل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه ..... بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية قُتِل وقوتل حيث كان، وحيث بلغ مُراغمه، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقرَّ قَبِل منه وعلمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسَّم ما أفاء الله عليه، إلا لخُمس فإنه يبلّغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يُدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيوناً، ولئلا يؤتى المسلمون من قِبَلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقّدهم، ولا يُعجِلَ بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حُسْن الصحبة ولين القول.

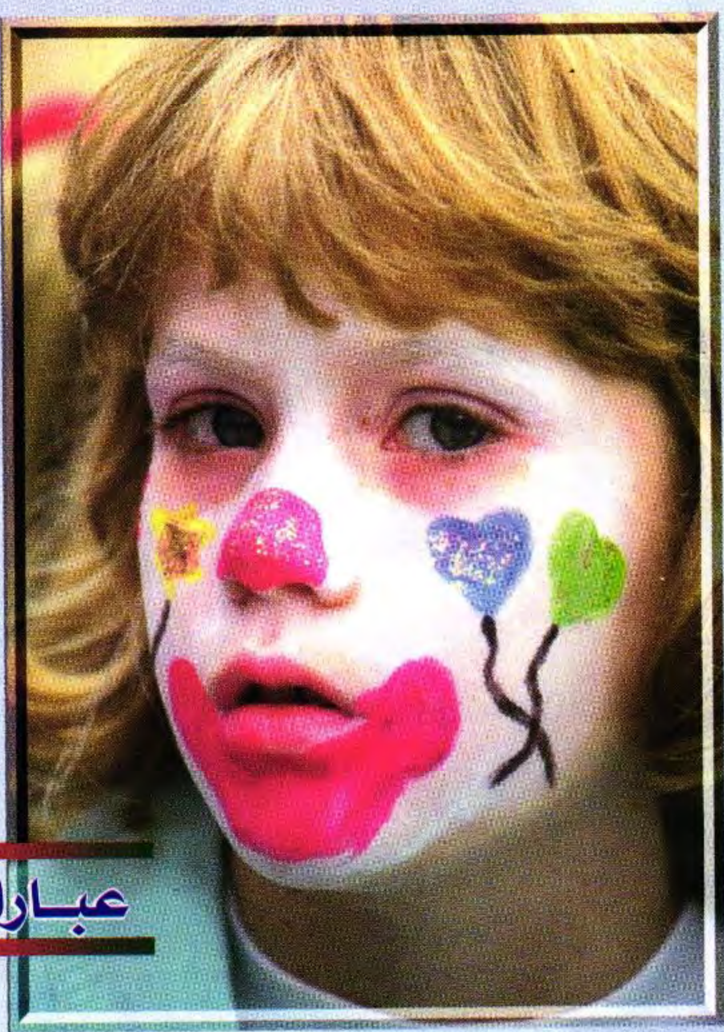
فعلى كل قائد أن يتقي الله في السر والعلن، في كل أموره حرباً وسلماً. وعليه ألا يقاتل المرتدين إلا بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا داعي الإسلام تركهم، وإن رفضوا قاتلهم، وعليه أن يستوفي منهم ما هو عليهم واجب لله والإسلام والدولة، ويؤدي إليهم ما لهم من حقوق، وعليه أن يراقب سلوك جنوده حتى لا يرتكبوا معصية أو فساداً، ولا يسمح بأن يختلط بالمسلمين ـ ممن عاد إلى الإسلام بعد ردة ـ إلا من تيقن بحسن دينه حتى لا يكون عيناً على المسلمين. وأخيراً عليه أن يعامل جنوده بالرفق والرحمة، ويتفقد أحوالهم، ويذلل صعابهم.

أثبتت الأحداث بُعد نظر أبي بكر وتحققت الانتصارات وعاد لواء الإسلام يرفرف من جديد على كل أنحاء الجزيرة العربية

وأخذ القادة أنفسهم بما أمر به الخليفة الصديق وبالإيمان القوي وصدق العزيمة والإعداد الدقيق تحقق النصر المبين، وصدق الله سبحانه وتعالى إذ قال: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين). ■

البيت المسلم

العدد ٣٩٩ ـ الوعي الإسلامي ـ ذو القعدة ١٤١٩ هـ ـ فبراير / مارس ١٩٩٩ م



عبارات خطيرة !

هذا الجيل متفرد بذكائه و ...

لماذا شرع الإسلام الحجاب ؟

الأثر الصحي لتنظيم الأسرة

- والوالدات يرضعن أولادهن
- زوجة حائرة
- العروسة
- اللعب وأهميته النفسية للأطفال
- اكتساب الطفل القيم الصحيحة

قصة قصيرة

المولود السادس

عبارات خطيرة (٥)

هذا الجيل متفرد بذكائه و ...

ثمة عبارات موروثة ترددها الأمهات أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن معاني غير محبذة، وتعطي آثاراً سلبية وربما مفعولاً معاكساً، وهي قد تؤثر على المفاهيم والقيم فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. فلننتبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

بقلم: عابدة المؤيد العظم





■ **عبارة ليس لها ما يساندها من دراسة أو استقراء**

■ **لماذا كانت هذه العبارة خطيرة ؟ وأي سوء جلبته إلينا ؟**

منذ سنوات قليلة انتشرت بعض الإشاعات التي تؤكد أننا أمام جيل رهيب متفرد، جيل خارق الذكاء ومتعدد القدرات والمواهب، وكم أتحفتني الأمهات في المجالس - وأمام أولادهن - بالكلام عن ذكاء هذا الجيل وعبقريته. وكم سردن عليّ من القصص والحوادث التي تؤكد هذا الزعم وتدلل على صحته، وكم كررن هذه العبارة خلال حديثهن : «هذا الجيل متفرد متميز، فهو ذكي قوي عنيد جريء...» وهن يحسبن أنهن على الحق، وأنهن بترديد هذه العبارة يدفعن أولادهن إلى المزيد من النجاح الباهر والتفوق الخارق.

أما أنا فكنت أخالفهن الرأي، فما لمست تفرد الجيل الذي تحدثن عنه ولا شعرت بتميزه، بل وجدته جيلاً عادياً شأنه شأن أي جيل سبقه، فيه النابغة والمتخلف والذكي والغبي والقوي والضعيف... ولذلك كنت لا أكترث. بما تذكره الأمهات عن عبقرية أولادهن، ولا

أصدق ما يقلنه عن ذكاء هذا الجيل وتفرده، إنما كنت أسرح بعيداً مشغولة بمضمون هذه العبارة، ومنزعجة من انتشارها بهذه السرعة بين الأمهات، ومتوجسة من تكرارها وكثرة الكلام فيها، وقلقة من آثارها السيئة ومن ضررها وخطرها علينا وعلى أبنائنا من بعدنا إن استمرت الأمهات في ترديدها، وإليكن الأسباب:

- إن عبارة «هذا الجيل متفرد» ليس لها ما يساندها من دراسة أو استقراء أو أي دليل آخر، وكل الآباء اليوم يزعمون أن أولادهم متفردون! ورغم ذلك لم نحظ - ومنذ مدة - بعالم أو بطالب متميز أو بمكتشف أو بمبدع في المجالات العلمية... فالخوف أن نكون - نحن الأمهات - قد افترضنا أمراً ثم صدقناه وعممناه دون دليل أوبرهان، وظن أولادنا - من بعدنا - أنه الحق بعد أن أوحينا إليهم به وبعد أن قطعنا أعناقهم بترديدنا هذه العبارة «هذا الجيل متفرد»، ففرحوا وقعدوا عن الجد والتشمير معتمدين على تميزهم هذا وعبقريتهم تلك، متناسين أن الظن لا يغني عن الحق شيئاً.

فلننس هذه العبارة إذن، ولنكف عن تكرارها ولنتوقف عن ترديدها أمام أبنائنا - إلى أن نتأكد من صحتها - حرصاً على مستقبلهم، واحتراماً لمشاعرهم فلا نصدمهم ولا نحبطهم عندما يكبرون ويكتشفون مبالغاتنا في تقدير قدراتهم ومواهبهم!

ولو افترضنا جدلاً أن هذه العبارة صحيحة، فإن الركون إليها والاعتماد على القدرات الموهوبة دون العمل الجاد المثمر يميت أي إبداع، ويقتل أدنى نبوغ، فالنبوغ والإبداع تلزمهما العناية والرعاية والدراسة والاطلاع حتى يؤتيا أكلهما، فإن كان الجيل متميزاً فعلاً فلنستفد من هذا التميز بهدوء وبتخطيط، وبترديد عبارات هادفة تثير الفاعلية والنشاط وتحث الأبناء على الاستفادة من هذا الذكاء في شتى الميادين.

- وهذه العبارة خطيرة لأنها جعلت الأمور تختلط على بعض الأمهات وتتشابه، إذ عجزت ثلة من الأمهات عن الفصل بين الصفات الجيدة المطلوبة وبين السلوك السيىء المذموم؛ فما عاد هؤلاء الأمهات يدركن الفرق بين الذكاء المحبب وبين التحايل والمكر المكروه شرعاً. وما عدن يميزن بين القوة التي امتدحها الإسلام وطالب المسلم بالتحلي بها وبين الظلم والتعسف والاعتداء على الغير. وما عدن يميزن بين ضرورة التمسك بالمبادئ والثبات عليها، وبين التمرد والعنت والإصرار على الرأي والسلوك ولو كان فاسداً. وما عدن يميزن بين الجرأة في قول الحق ولو أمام سلطان جائر، وبين وجوب البر والطاعة وخفض الجناح للوالدين... فبعض الأمهات تشجع كل سلوك تحسبه نبوغاً، وتمتدح كل فعل تراه مختلفاً، وهي فرحة مستبشرة بتميز ولدها وذكائه، ثم نقلت عدم التمييز هذا إلى الأبناء فصار الأولاد يتباهون بالمنكرات ويتفاخرون بإيذاء الناس و... وهم يحسبون أنهم يفعلون ذلك لا لأنهم جاهلون غافلون منحرفون إنما لأنهم متفردون! فهم أذكياء وأقوياء و ... وقد أساءت هذه الفئة التي تحسب نفسها متفردة إلى الناس وتسببت في انحراف المزيد من الشباب، فأي سوء جلبته إلينا هذه العبارة: «هذا الجيل متفرد».

- ولعل الصراع بين الأجيال موجود في كل المجتمعات، واعتراض الأبناء على قيم الآباء أمر معروف يشتكي منه المربون، ولذلك كانت لهذه العبارة خطورة تشبه سابقتها: إذ يعتقد المراهقون اليوم أنهم أولى بأنفسهم لأن آباءهم لا يفهمونهم، فهم خلقوا لزمن جديد وآباؤهم خلقوا لزمن مضى، ولهذا لا يدرك آباؤهم المستجدات ولا يفهمون الحاضر ويجهلون الكثير من التكنولوجيا، بل ما زالوا يحملون القيم القديمة والعادات والتقاليد البالية! ولا يعرفون أن الزمان قد تغير تغيراً يكاد يكون جذرياً ... فإن كررنا هذه العبارة «هذا الجيل متفرد» أمام الأبناء رسّخنا في نفوسهم هذه الأفكار المنحرفة فظنوا أنهم بتميزهم وذكائهم وقوتهم وعنادهم وجرأتهم... باتوا أقدر منا على تقدير العواقب، وأصبحوا أكثر منا قدرة على محاكمة الأمور، وأضحوا أسلم منا منهجاً وسلوكاً وعلماً في فقه الحياة... فإذ بهم يسألوننا الحرية الكاملة قبل أن يكونوا أهلاً لها، ويطالبوننا بالاستقلال الفكري والحق في تقرير المصير! ويتوقعون منا بعد هذه العبارة أن ننصاع إلى رغباتهم تلك راضين مختارين، لأنهم يظنون أن ذكاءهم يغلب خبرة وحكمة وتجارب والديهم، ويلغي القيم والأخلاق والأعراف التي يلقنونهم إياها، فيرفض الأبناء كل شيء، ويتمردون على القيم الرفيعة، ويستخفون بالأخلاق العالية، ويتطاولون على الأعراف والتقاليد المحمودة... وينادون بالتجديد والتحديث، جاهلين أن الدين والقيم والأخلاق ثوابت لا تتغير ولا تتبدل مهما تقلب الزمان وتطور وارتقى أفراده، وهذا سبب (من أسباب عدة) لما يحدث اليوم في مجتمعاتنا، من استخفاف بتوجيهات الوالدين، والتقليل من شأن القيم الدينية والخبرات الاجتماعية..



فلنحذر من هذه العبارة: «هذا الجيل متفرد» وأمثالها حفاظاً على أبنائنا، وحفاظاً على الدين والقيم والأخلاق. ■



اكتساب الطفل القيم الصحيحة

بقلم : عبدالرزاق زعال بن سمعو



إن القيم التي يكتسبها الطفل في أثناء سيره نحو النضج إنما هي نتيجة لمؤثرات عدة تتمثل في البيت والمدرسة والأصدقاء والمجتمع، وتأثير البيت هو أقوى هذه التأثيرات جميعاً، وحتى عندما يكبر وتنمو عنده القدرة على التفكير النقدي واتخاذ القرارات في كثير من الأمور، فإن بعض المبادئ التي سارت عليها تربيته الأولى ستؤثر في سلوكه.

ففي البيت وفوق كل شيء يتعلم الأطفال مستويات الصواب والخطأ وفكرتهم عن العدل والمساواة وطموحهم وتجهيزاتهم واتجاههم العام نحو الحياة.

الأطفال بوجه خاص معرضون لأن يقاسوا مما تمليه عليهم ضمائرهم ذلك لأنهم مازالوا في مرحلة التعلم وكيف يفرقون بين الخطأ والصواب ؟

صورة الطفل الأولى عن نفسه

في البيت يكوّن الطفل صورته الأولى عن نفسه وهو في الغالب يرى نفسه لما يراه أبواه.

فالطفل الذي يُعنّفُ دائماً ويُذكر بأنه طفل «شقي» سوف يرى نفسه شخصاً عاجزاً عن اكتساب رضا من حوله واستحسانهم، وسواء اتسمت استجاباته بالتحدي أو الخضوع فهو في كلتا الحالين يشعر في قرارة نفسه بالقلق لما يراه عجزاً عن مسايرة المجتمع كما يعرفه.

أما الطفل الذي يتمتع بحب والديه وتفهم حاجات النمو لديه، ويشجع بالثناء على ما يتقن أداءه من أعمال، ويشجع بالمعونة الإيجابية المثمرة على تصحيح ما يقع فيه من أخطاء هذا الطفل سوف يرى نفسه شخصاً يرضى عنه الناس.

الطفل المطمئن

هو الذي ينشأ على تشجيع والديه ومدرّسيه في المدرسة، بحيث تتكون عنده صورة الاستقلال والثقة بالنفس والاستعداد لمواجهة المواقف الجديدة، والقدرة على التعامل مع غيره من خارج محيط أسرته، وهو الذي يكتسب صفات الإحساس بالقدرة والتأكد من نفسه والثقة بمن حوله بما يساعد على التوافق الانفعالي والتغلب على كل ما يواجهه من المواقف الحرجة.

وعلى العكس من ذلك، يكون الطفل غير المطمئن معتمداً على غيره، متصفاً بالخجل والانقياد، ويشعر بعدم القدرة وعدم التأكد من نفسه عند مواجهة المواقف الجديدة، ويكون استعداده ضعيفاً لمواجهة الأزمات، بل إنه حتى في المواقف العادية والتغيرات الطبيعية التي يواجهها يشعر إزاءها بأنه أمام أزمات صعبة عليه.

خوف الطفل من أن يكون طفلاً سيئاً

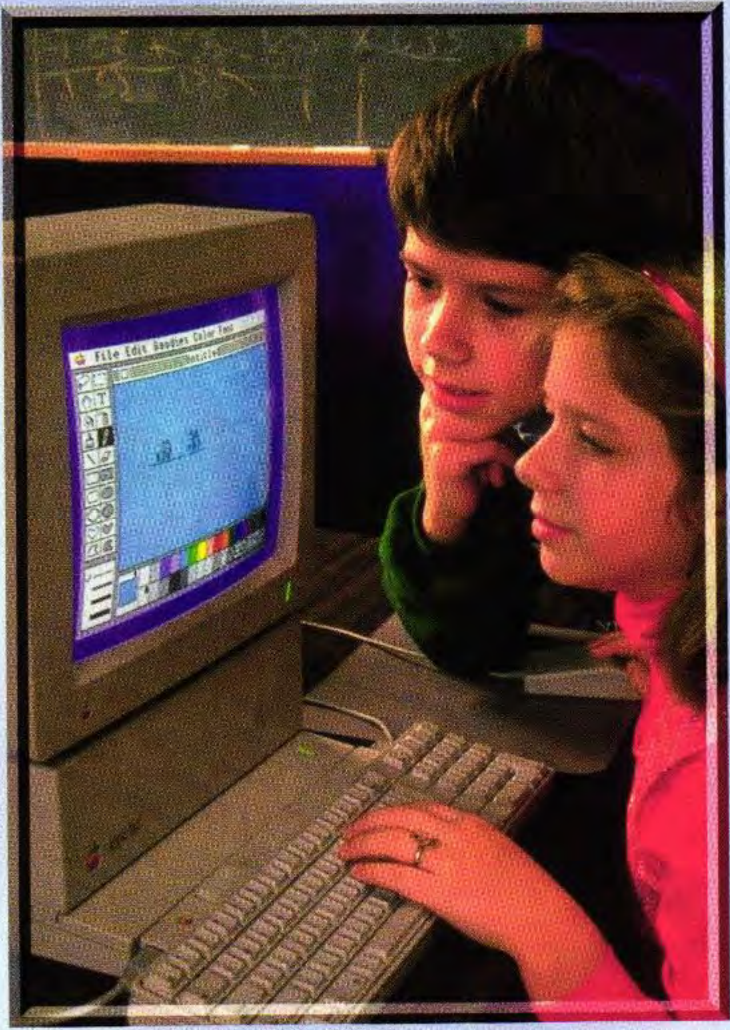
يعاني أشخاص كثيرون وخزاً وجدانياً بسبب هذه السلطة الكامنة في أنفسهم، هؤلاء قد يكون فيهم ضمير شديد يمنعهم من تذوق الملذات العادية في الحياة، وكثيراً ما يظل هؤلاء يحاسبون أنفسهم على تصرفات ومشاعر لا يعتبرها أغلب الناس خاطئة أو سيئة، وقد يدفعهم ضميرهم هذا إلى التردد فيصبحون غير قادرين دائماً على أن يحزموا أمرهم ويتخيروا لأنفسهم أي طريق يسلكون.

والأطفال بوجه خاص معرضون لأن يقاسوا مما تمليه عليهم ضمائرهم، وذلك لأنهم مازالوا في مرحلة التعلم، كيف يفرقون بين الخطأ والصواب؟ ونظراً لما يكون لديهم من خبرات محدودة فهم لا يكونون قد اكتسبوا بعض المعايير التي يحكمون بها على تصرفاتهم، وكثيراً ما يخشون من أن يتصرفوا التصرف الخاطئ فيوصفون بناء على تصرفاتهم هذه بالسوء.

وليس الضمير سمة موروثة، فهو ينمو في الطفل نتيجة لما يتلقاه من تدريب من والديه ومن الأشخاص الآخرين الذين يشرفون على حياته.

ما الذي يفسد الطفل ؟

ننظر عادة إلى الطفل المدلل على أنه الطفل الذي يحظى بقدر أكبر مما ينبغي من الرعاية. بينما هو في الحقيقة لا يكون حائزاً على قدر



كاف منها، أو على الأقل لا يكون حائزاً على القدر الكافي من الرعاية، وهو العطف الذي يُشعر الطفل بأن والديه في حاجة إليه، ويتقبلانه كما هو، فالطفل الذي نُخلص في حبه يختلف عادة عن ما نسميه الطفل المدلل، وذلك لأنه يكون واثقاً من حب والديه له، ولا يكون دائماً في حاجة إلى دليل يؤيد هذا الحب، وإذا كان يحظى دائماً باهتمامهما كلما احتاج إلى هذا الاهتمام، فإنه لا يصرّ على طلبه باستمرار. وفي أغلب الأحيان يكون من الصواب، بل من اللازم أن نعطي الطفل كل ما يحتاج إليه من بالغ الاهتمام إذا ما مرض، فليس هذا مما يفسد الطفل، إلا أننا لا ننكر أن الطفل قد ينشأ على هذه الرعاية الخاصة ويتمنى دائماً أن تستمر دون انقطاع.

وهذه قد تسبب مشكلة، وبخاصة في فترة المراهقة، إلا إذا تمكنّا من علاج الموقف بنجاح. ■

المراجع والمصادر:

١ - التربية الاجتماعية للأطفال - أليس وتيزمان - ترجمة فؤاد البهي السيد.

٢ - مواجهة الطفل للأزمات - تأليف جورج مهر - ترجمة محمد خليفة بركات.

٣ - مخاوف الأطفال - تأليف هيلن روس - ترجمة السيد محمد خيري.

٤ - المشكلات الانفعالية - تأليف إيرين م جوسلين - ترجمة السيد محمد خيري.

والوالدات يرضعن أولادهن

إعداد : معتز ياسين

في قوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ البقرة : ٢٣٣.

عرض لقضية كانت من أكثر القضايا جدلاً طوال عشرات السنين الماضية، وهي تقف في هذا الجدال إلى جانب حق المولود في الرضاع من ثديي أمه المعروف بـ «الإرضاع الطبيعي»، وترفض الاعتماد بشكل رئيسي على الحليب الحيواني أو الحليب المجفف، ويعرف هذان النوعان من الإرضاع بـ«الإرضاع الاصطناعي».

وقد تقرر اليوم بالدراسات العلمية أن فوائد الرضاعة الطبيعية لا تقتصر على الوليد فحسب، بل لأمه نصيب منها أيضاً، وإليك البيان :



فوائد الإرضاع الطبيعي للوليد

إن الثديين - في الأيام القليلة بُعَيْد الولادة - يدران اللبأ المهم للوليد برفع مقاومته تجاه الأمراض، وفضلاً عن ذلك، فاللبأ مليّن لطيف يخلص مِعَا(١) الطفل من جميع الفضلات التي تراكمت فيها خلال الحمل، علماً أن الفشل في التخلص من هذه الفضلات يسبب انسداداً معوياً خطراً.

كما يدعم حليب الثدي الجراثيم الموجود بشكل طبيعي في المِعَا التي لها دور فعّال في امتصاص الفيتامينات، في حين أن الإرضاع الاصطناعي يسبب اضطرابها.

ومن الناحية التركيبية يتطور حليب الأم يومياً مجارياً التطور اليومي في نمو أجهزة الطفل. وهذا الحليب معقم لا يحتاج إلى غلي، وإنما يجب فقط أن تحرص الأم على نظافة الثديين. وحرارته ملائمة لجوف الطفل دائماً.

وهو أسهل هضماً من جميع أنواع الحليب الاصطناعي، لاحتوائه على بعض الإنزيمات الهاضمة المساعدة.

كما أن ضم الأم لرضيعها في حنو وسماعه هو - في هذه اللحظات الدافئة - لأنغام قلبها يقوي الرابطة الروحية والعاطفية بينهما، وهذا له معنى كبير في صحة نفس الرضيع ونموها وسكينتها واتزانها، مبتعداً من ثمَّ عن العلل والاضطرابات النفسية.

فوائد الإرضاع الطبيعي للأم

ما يقوله الطبيب محمد وصفي: «إن المص المتكرر للثدي يسبب إفراز هرمون الاوكسيتوسين الذي يسرّع في انقباض الرحم ليعود إلى حجمه الطبيعي، وهذا يقلل كثيراً من النزف الحاصل بعد الولادة وانتانات الرحم وحمى النفاس».

وقد قيل إن نحو ثلاثة أرباع الإصابات بضخامة الرحم إنما يرجع إلى إهمال الوالدات إرضاع أطفالهن.

ويعد الإرضاع من ثديي الأم «مثاليا كماً وكيفاً» وهو أحد العوامل الطبيعية لمنع الحمل بنسبة لا بأس بها، وهذا يجنبهن أخطار موانع الحمل بكل أنواعها. كما أن النساء المرضعات أقل إصابة بسرطان الثدي.

ومن الناحية الاقتصادية لا يكلف شيئاً، وهو في متناول الفقراء على العكس من الحليب الاصطناعي.

محاذير الإرضاع الاصطناعي

كثرة الوفيات وبخاصة الوفيات الناجمة عن الإنتانات وسببها عدم التعقيم الجيد، ومنها أيضاً وفيات الفجأة غير معروفة السبب، وفي تقرير لمنظمة الصحة العالمية العام ١٩٩٠م، بلغ عدد هذه الوفيات أكثر من عشرة ملايين طفل، وقد اعتبرت هذه المنظمة أن الحليب المجفف هو القاتل رقم (١) لأطفال البلدان النامية.

وقد يسبب حليب البقر والغنم حالات من عدم التحمل والتحسس، لعدم قدرة معدة الطفل على هضم البروتينات الموجودة فيهما.

كما قد يُحدث سوء امتصاص، أو يؤدي للإسهال والإقياء.

وقد يُحدث الإرضاع بالزجاجة «القارورة» تشوهات: أنفية، فكية، حنكية، سنية. إنه لا حليب أنسب لفلذات أكبادنا من حليب أمهاتهم، لهذا كله نشهد اليوم ردة إلى الإرضاع من الثدي الذي أوصانا به القرآن العظيم قبل ألف وأربعمئة سنة.

وفصاله في عامين

يقول الطبيب عبدالعزيز إسماعيل : «... قد تغيرت النظريات الطبية في هذه الفترة، فقد كان أغلب الأطباء ينصحون بالرضاعة مدة تسعة أشهر فقط، ولكن آخر تقرير في سنة ١٩٩٠م عن فائدة الرضاعة الطبيعية للجسم والأسنان يذكر أن: مدة الرضاعة يجب أن تكون فوق السنة، ويستحسن مما لا شك فيه أن تكون سنتين كاملتين».

اقرأ على مهل قوله تعالى: (وفصاله في عامين) لقمان:١٤، وقوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة:٢٣٣، وهما آيتان كريمتان تشيران إلى أن المدة المثلى للرضاعة هي عامان، ثم أخبرني عن أي خلاف بين تقرير القرآن في القرن السابع الميلادي، وتقرير العلم في القرن العشرين!!

وحمله وفصاله ثلاثون شهراً

يقول تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الأحقاف:١٥، والفصال هو الفطام. وجاء في القرآن العظيم: (حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين) لقمان:١٤، وجاء أيضاً (الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة:٢٣٣.

فإذا ما أسقطنا ـ في عملية حسابية بسيطة ـ مدة الرضاعة الكاملة التي هي حولان (أي ٢٤ شهراً) من ٣٠ شهراً التي هي مدة الحمل والرضاعة الكاملة، فإنه يبقى للحمل ستة أشهر، وهي أقل مدة للحمل يمكن للجنين أن يبقى حياً إذا ولد بتمامها، وقد دخلت التجارب فعلاً على أن الجنين الذي يكون عمر إخصابه أقل من ٢٢ أسبوعاً نادراً ما يعيش.

وعلى هذا الفهم اعتمد الإمام علي والصحابي ابن عباس ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ في تقرير رجم من عدمه لحامل ولدت لستة أشهر، وهذا الفهم لتقدير أقل مدة للحمل تقرره كتب التوليد اليوم، وبه يأخذ القانون والقضاء. ■

الهوامش :

١ ـ مِعًا (أو معى)، وجمعها أمعاء ومعي.
ـ خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص ٤٦٩.
ـ كتاب العوبي «من أسرار الحياة»، د. عبدالمحسن صالح، ص١٩٥ ـ ٢٠٥.
ـ تفسير الجواهر، ج١، ص١١ و ٢١٣.
ـ صفوة التفاسير، د. محمد علي الصابوني، سورة الحج، ص٢٨٥.
ـ مع الطب في القرآن، د. أحمد قرقوز، د. عبدالحميد دياب، ص ٩٩.
ـ الإسلام والطب الحديث، د. عبدالعزيز إسماعيل.
ـ الطب النبوي والعلم الحديث، د. محمود ناظم النسيمي، ج٢، ص ٣٦٤.



بقلم : د. عبدالرزاق السباعي

اللعب وأهميته النفسية للأطفال

يعتبر اللعب أساس النمو العقلي والنفسي لدى الأطفال، وقال البعض «الطفل الذي لا يلعب فاقد للحياة» وقد لازمت اللعبة الإنسان منذ أقدم العصور، ووجد علماء الانثروبولوجيا في مصر أن الدمية «العروسة» قد وجدت حتى في العصر الفرعوني، ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقيم سباقاً للخيل وكان يسمح للأحباش أن يلعبوا بالحراب في مسجده ويشجعهم قائلاً «دونكم يا بني أرفده» صحيح مسلم، وكان الصحابة في عهد الرسول يتبارون برمي السهام بعد صلاة المغرب، وكانت هذه عادة لهم، وفي العصر الحاضر نجد أن اللعب هو الوسيلة الأكثر شيوعاً في الاستعمال اليومي للتنشئة الاجتماعية.

ويعتبر أفلاطون أول من اعترف بأن للعب قيمة علمية ويتضح ذلك من خلال مناداته في كتاب «القوانين» لتوزيع التفاحات على الصبية لمساعدتهم على تعلّم الحساب وبإعطائهم أدوات عمل مصغرة.

أهمية اللعب في مرحلة الحضانة

يسود اللعب في حياة أطفال الحضانة وعن طريق اللعب يمكن أن يتقدم نمو الطفل في جوانبه الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، ويحفل اللعب بالكثير من المواقف التي يمكن أن يتعود فيها الطفل على العلاقات ثنائية الاتجاه تلك التي تقوم على الأخذ والعطاء ويحكمها نظم وقواعد، واللعب له دور حيوي في الصحة النفسية للطفل، ويساعد اللعب في تجديد الطاقة والحيوية والشباب، وينفس الطاقة الزائد والانفعالات وبوساطة اللعب يختبر الطفل الحياة، ويتعرف على عالمه الخارجي لإثبات الذات.

الجانب النفسي للعب في مرحلة الطفولة

يعتبر اللعب هو مهنة الطفل، أنه في سياق اللعب تتشكل وتتضح السمات الأساسية للطابع الذي يميز الطفل.

ويرى علماء النفس أن اللعب قد يكون مخرجاً ومنفساً وعلاجاً لمواقف إحباطية في حياة الطفل في حين تنطلق الطاقة العصبية للطفل في أثناء لعبه فتبعده عن التوتر والتهيج، ويسهم اللعب في علاج حالات نفسية متنوعة، فالأطفال المنسحبون والمنعزلون عن طريق اللعب يمكن إشراكهم ودفعهم إلى إنجاز عمل ما من خلال اللعب وهنا يصبح اللعب من عوامل نموهم الاجتماعي.

ويقول المحللون النفسيون إن اللعب هو الطريق الأفضل للكشف عن مشكلات الطفل كما أنه وسيلة لفهم الطفل ودراسة سلوكه ومشكلاته وعلاجها.

الجانب التربوي للعب في مرحلة الطفولة

يتسنى للمربي في أثناء لعب الأطفال أن تكون لديه الفرصة لتوجيه اهتمام الأطفال إلى الظواهر التي لها قيمة تربوية.

وعن طريق اللعب يستطيع المربي أن يؤثر على كل جوانب شخصية الطفل فيستغل اللعب كوسيلة للتربية العقلية وتطوير الكلام لدى الطفل، وبذلك يصبح اللعب مدرسة يكتسب فيها قواعد وعادات وسلوك الأفراد.

الجانب الاجتماعي للعب في مرحلة الطفولة

تقول المربية السوفييتية «ن.ك. كروبسيكا» إن الطفل يكوِّن أصدقاء من خلال اللعب ويبدأ في تعلّم بعض العادات والقيم الاجتماعية في لعبه معهم، وتظهر روح التعاون بين أفراد اللعبة، بل يكوِّن صداقات جديدة من خلال لعبه ويكوّن علاقات اجتماعية مع رفاق اللعبة الواحدة.

الأسس العامة لصناعة اللعب والألعاب

أولاً : الأسس النفسية

يجب أن تراعي اللعبة ما يلي عند تصنيعها:

- إرضاء دوافع الطفل وحاجاته النفسية كالحرية والنظام والأمن، الحل والتركيب والقيادة والاجتماع.
- تهيئة الطفل لاكتساب القدرة على التلقي والتعلم وتنمية التركيز كاللغة والحركة.
- إتاحة الفرصة للطفل للتعبير عن حاجاته وميوله ورغباته.
- تمكن الطفل من التعرف على واقعه النفسي والتحكم فيه.

ثانياً : الأسس العقلية :

يجب أن تمكّن الطفل من تطور قدراته وطاقاته العقلية والإدراكية وتضمن ما يلي:

- تنمية القدرة على الفهم.
- تنمية الحواس وتدريبها على الإدراك والتعقل.
- توفير فرص الابتكار والإبداع.
- تنمية قدرة الطفل على التفكير المستقل.
- توفير فرص الانتقال من العمليات العقلية إلى نواحي النمو المختلفة.

ثالثاً : الأسس الاجتماعية

- تراعي الانتقال من الفردية إلى الجماعية.
- المشاركة الوجدانية والتضامن والمنافسة
- القيام ببعض الأدوار الاجتماعية
- الانتقال من الفردية ا لسلبية إلى الروح الجماعية الإيجابية.

كيف نستفيد من لعب الطفل ؟

١ ـ استخدام اللعب في التشخيص.

يستخدم اللعب كأداة لتشخيص الأطفال المصابين بالاضطرابات النفسية ولذلك تجهز حجرة اللعب عند الطبيب النفسي للطفل بألعاب متنوعة الشكل والحجم لتمثل الأشخاص والأشياء المهمة في حياة الطفل، ويستغل علماء النفس والمشتغلون بالصحة النفسية طريقة اللعب في التشخيص ثم يبدأون العلاج بملاحظة سلوك الطفل وانفعالاته وقدراته لتقويم سلوكه والكشف عن مشاكله من خلال ما يسجله في أثناء لعبه.

٢ ـ استخدام اللعب في العلاج.

الطفل في حاجة للتخلص من المخاوف والتوترات التي تخلقها الضغوط المفروضة عليه من بيئته ومن الطرق الفعّالة للعلاج النفسي ما يعرف بأسلوب العلاج باللعب وقد تحدث كثير من علماء النفس عن أهمية اللعب بالنسبة للطفل فيرى «غارى لاندرث» ١٩٨٣م أن اللعب بالنسبة للطفل هو كالتعبير اللفظي بالنسبة للبالغ وأنه وسيلة لاكتشاف العلاقات ووصف الخبرات والإفصاح عن الرغبات وتحقيق الذات تحقيقاً كاملاً.

وقيمة اللعب لا تكمن في نوعية المادة التي صنعت منها، بل تكمن في الأبعاد التربوية التي تهدف إليها، والقيم التي تحملها ومدى قدرتها على إشباع حاجات الطفل النفسية. ■

العروس

بقلم: منى السعيد مصطفى الشريف

قد كان مجلسنا مليئاً بالبهجة في ملتقانا الأسبوعي نتسامر فيه بعض الوقت ونناقش المشكلات التي قد تعرض هذه بعض منتقاتها من قراءات استرعت انتباهها، وتمزح أخرى بمزاح بريء نقي وكانت هي أصغر الحاضرات سناً، إنها فتاة رقيقة وديعة مرحة لا تفارق الابتسامة شفتيها، ولكنها كانت هذه المرة على غير عادتها شاردة مجهدة غير متجاوبة مع المجلس تجيب على كلمات الصديقات بردود مختصرة وبدت وقد تخلى عنها المرح.

وتعجبت من حالها وخشيت أن يكون قد أصابها مكروه فسألتها عن سر هذا التغيير فأجابت إحدى الحاضرات:

ألا تعلمين... إنها تستعد للزفاف خلال الأسابيع القليلة المقبلة.

- فقلت متعجبة... وهل هكذا يكون حال العروس؟ إنها لابد وأن تكون في أسعد حالاتها الآن.

- وسألت هل أنت غير راضية عن هذا الزواج؟

- فأجابت على العكس يا سيدتي، إنني موافقة وكنت سعيدة جداً بهذا الزواج، فزوجي رجل طيب بار عطوف، ولكن عندما اقترب الزفاف وتحدد الموعد وجدتني يستبد بي القلق والخوف وتحاصرني أفكار وتساؤلات كثيرة لا أجد لها إجابة.



- فقلت: قلق وخوف من ماذا؟

قالت: من زواجي وزوجي المنتظر... إنني مقبلة على حياة جديدة ورجل غريب لم أعتده حتى الآن، ولا أعرف كيف أتعامل معه وأخشى أن أسيء في نهجي معه.

لا أدري هل أكون طوع يده أطيعه في كل أمر كخادم مطيع وأغدق عليه من حناني، ورعايتي وأحيا في ظله راضية بما يجود به عليَّ من وقت ورعاية؟ وإن فعلت ذلك، ألا يمكن أن يكون هذا مدعاة لسيطرته عليَّ وتحكّمه في مصيري، أم أكون حذره في التعامل معه أعطيه الاهتمام والود بمقدار...

وأشفقت على الفتاة فقاطعتها قائلة: رفقاً بنفسك يا صغيرتي... إنك تتحدثين وكأنك تستعدين لحرب طاحنة لا للزواج برجل اخترتيه ورضيت به زوجاً وشريكاً لرحلة العمر.

- وتدخلت إحدى الحاضرات قائلة: معها حق يا أختاه فالرجال يتباينون في طباعهم وما يصلح به أحدهم يفسد الآخر فكم سمعنا ونسمع كل يوم عن أنواع من الرجال يسببون لزوجاتهم الشقاء رغم صلاح الزوجة ومع ذلك فإنني لا أنكر أبداً أنه يحدث أحيانا العكس.

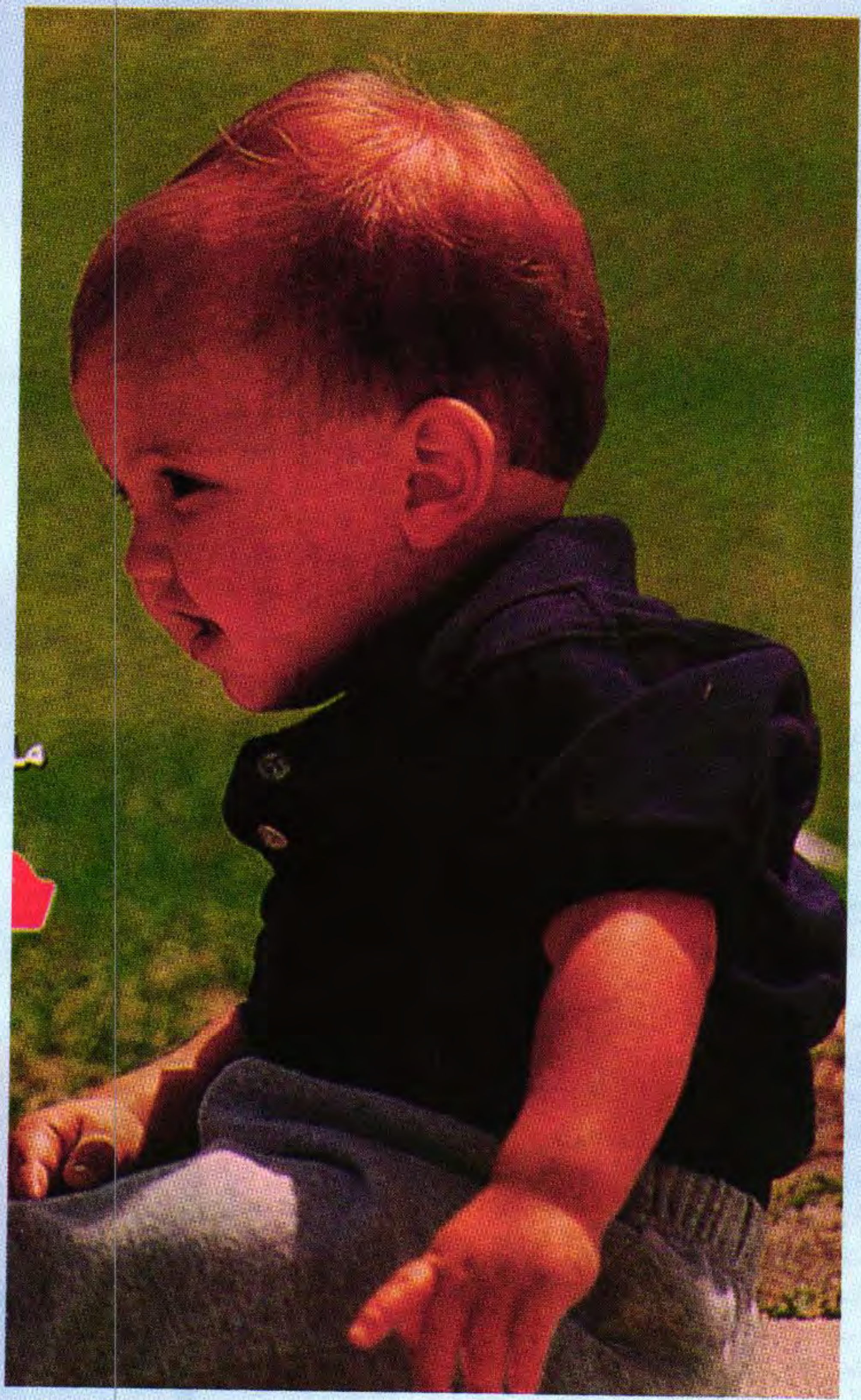
وأخذت كُلُّ من الحاضرات تدلي بدلوها في هذا الموضوع وكثيراً منهن كن متحاملات على الرجال أكثر مما ينبغي وتعجبت من أمرهن فإن كانت هذه هي نظرة خيرة النساء وأكثرهن ثقافة وإلماماً بأمور دينهم، ودنياهم فكيف حال من هن دون ذلك؟! وكيف يكون حال هذه الصغيرة التي تخطو أولى خطواتها مع الحياة الزوجية؟

ولكن لا عجب فمنذ فترة طويلة هاجمت مجتمعنا هذه العاصفة من الأفكار الغربية وحاول البعض إكساب العلاقة بين الرجل والمرأة صفة الندية والمنافسة والتصارع، بل العداء أحياناً، وقد أسهمت بعض وسائل الإعلام بشكل واضح في هذا المجال، والحق أنها أفكار شاذة وغريبة أدخلها علينا البعض لغرض في نفس يعقوب، وبدأت حديثي معهن برفق.

منذ متى يا أحباب كانت العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة الندية والعداء؟ وكيف يكون ذلك وقد وصفها الله في كتابه العزيز بالود والرحمة فقال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)، وقد قدم عز وجل المودة في السياق لأنها تخلق الرحمة في النفس، وكم أوصى الرسول - ﷺ - الرجال بالنساء في كثير من الأحاديث كقوله - ﷺ - «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» وقوله: «إني أحرج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة»، كما أوصى النساء بطاعة الزوج والمحافظة على راحته وقال للمرأة: «فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك»، وقال أيضاً: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه».

فكيف نتناسى كل ذلك ونبعد في تعاملنا عن منهج الله، وتوجهت بحديثي إلى العروس قائلة:

يا فتاتي إن العلاقة بين الزوجين ليست لغزاً كما تتصورين، إن مفتاح السعادة بينهما هو الالتزام بمنهج الله فلا تبخلي عليه بالمودة وإياك أن تتوقعي أنك ستتزوجين بملاك نُزعت أجنحته فهو لا يخطئ وليس به عيب ولكن تعلمي أن تتعاملي برفق مع عيوبه وتحتوي هفواته مادامت لا تمس حق الله تعالى، وكوني عوناً له على أمر دينه ودنياه ولا تجعلي التعود وطول العشرة يرفع بينكما الكلفة إلى حد فقد الاحترام، فإن هذا خطأ تقع فيه الكثيرات، ولكن احرصي على الاحتفاظ دائماً بقدر من الاحترام يمنع كل منكما أن يهين الآخر أو أن يجرح مشاعره ولو بالمزاح وتذكري قول المرأة العربية لابنتها عند زواجها: «كوني له أمة يكن لك عبداً»، ونظرت إلى الفتاة وقد برقت عيناها بطمأنينة ترجمتها إلى ابتسامة علت وجهها البريء وتركتها بعد أن دعوت لها بالحياة الطيبة الهادئة في زواجها المبارك. ■



بقلم: د. إبراهيم طالب عيسى

الساعة تقترب من الثانية بعد الظهر وبدأ الدكتور أحمد طبيب الوحدة الصحية الريفية في إحدى قرى «محافظة دمياط» والعاملون بالوحدة يستعدون لإنهاء عمل اليوم، حينما دخل عامل الوحدة حجرة الطبيب وأخبره بأن هناك سيدة ترجو استشارته في أمر مهم... سمح لها الطبيب بالدخول...

قصة قصيرة

المولود السادس

وإذا بسيدة في الثلاثينات من عمرها، متوسطة الطول، يبدو على وجهها القلق والاضطراب، ويبدو من مظهرها أنها ربة منزل متوسطة الحال، تصحبها إحدى جاراتها :

السلام عليكم يا دكتور

وعليكم السلام ... خيراً ؟!

أريد محادثتك في أمر مهم وأرجو أن تعينني عليه ما استطعت!

أي خدمة !

إن لي من الأبناء خمسة ... وأنا الآن حامل أعتقد أنني تخطيت الشهر الثالث ... وحالتنا المادية رقيقة ... وأنا أريد أن أتخلص من هذا الحمل بأي وسيلة حتى نستطيع الإنفاق على أبنائنا !!

إذا كنت لا ترغبين في الحمل واكتفيت بخمسة من الأبناء، فلماذا لم تستخدمي وسيلة من وسائل تنظيم الأسرة مسبقاً ؟!

جهل يا دكتور ... جهل، فزوجي الفلاح لم يبصّرني بذلك! وعمله اليومي لا يتعدى المسافة من الحقل إلى البيت... أرجوك يا دكتور... أنقذني!

إنني أسمع عن حقن وأدوية تؤدي إلى الإجهاض فصفها لي حتى أستعملها وأرتاح! لقد حاولت من تلقاء نفسي أن أتخلص منه بالعمل الشاق وحمل أشياء ثقيلة... ولكن دون جدوى!

الحمد لله أن الجنين لم يسقط ... واعلمي يا سيدتي أن إسقاط الحمل حرام طالما لا يوجد مبرر شرعي لإسقاطه، واحمد الله أن صحتك في الحدود الطبيعية... والله سبحانه وتعالى هو الذي تكفّل برزق عباده، فهو القائل: (وفي السماء رزقكم وما توعدون. فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون) الذاريات : ٢٢ ـ ٢٣، ولذلك لن أساعدك بأي حال من الأحوال على إسقاط الجنين لأن ذلك في مثل حالتك جريمة، وأكون مشتركاً معك فيه !!!

خرجت كريمة زوجة عبدالجواد سعيد بصحبة جارتها سميرة من الوحدة الصحية مهمومة وقد ألقى الاكتئاب بأثقاله على كاهلها، فقد استحوذت عليها فكرة التخلص من الجنين، وقد قطع الدكتور أحمد حبل الأمل في مساعدتها على ذلك، ولكن شبح الفقر جاثم على منزلها، لقد سئمت تكرار الحمل والإرضاع، ولم تعد تتحمل مجرد فكرة إنجاب طفل جديد لتربيته والإنفاق عليه، فالغلاء فاحش ومستقبل البلد لا يبشر بخير!!

وأثناء سيرها قطعت عليها جارتها سميرة صمتها الكئيب قائلة:

لا تحملي هماً يا كريمة... عندي فكرة للتخلص من الجنين ؟

وما هي ؟!

ألم تسمعي عن الدكتور مجدي ؟ إنه دكتور مشهور في «دمياط» يقوم بإجراء عمليات تفريغ «إجهاض» لمن ترغب في ذلك، كل ما في الأمر هو تدبير المبلغ المطلوب وتكتبين إقراراً أنت وزوجك بالموافقة على عملية الإجهاض، ويكون الموضوع سراً ... وينتهي الأمر!!

وكيف أقنع زوجي بالموافقة على ذلك؟ أو تدبير المبلغ المطلوب؟... على أي حال سأفكر في الأمر، وسأجاهد ما استطعت !

استطاعت كريمة أن تؤثّر على زوجها عبدالجواد سعيد وتقنعه بتدبير المبلغ المطلوب لتغطية نفقات العملية والعلاج، وقد حدد لها الدكتور مجدي ميعاد العملية!! كان اليوم يوم الخميس، السماء ملبدة بالغيوم، والبرد يلسع الوجوه فيجبرها على الانكماش، وكريمة تنظر إلى الأفق البعيد عبر زجاج النافذة، وارتعشت أصابعها وهي تضع يديها على صدرها وقالت: أشعر بأن هناك انقباضاً في صدري والكون ضيق أمامي... ونظرت إلى أهلها وزوجها نظرة غامضة، ولكنها دخلت حجرة العمليات وكأنها آثرت الصمت !!

زوجها ينتظر في صالة الانتظار مع قليل من أقاربها، الوقت يمضي ثقيلاً ساعة... اثنتان... طال الانتظار... قلق! فُتح باب العمليات بحذر، أسرع الأقارب لاستقبال كريمة، لكنهم فوجئوا بحكيمة العمليات وتقاسيم وجهها لم تمهلهم للاستفسار عن كريمة... فقد غطى البكاء والصراخ على كل شيء !

وفي مساء ذلك اليوم الحزين، وبينما كان الدكتور أحمد يؤدي واجب العزاء في فقيدة القرية، فقد أجهش بالبكاء حينما دوى في أذنيه صوت قارئ القرآن وهو يرتل: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) الطلاق : ٢ ـ ٣.

سحب الشتاء أشهره بلياليه الطويلة، وبردها القارس، وبدأت براعم الربيع في الظهور، والدكتور أحمد يقوم بعمله في الوحدة الصحية الريفية كالمعتاد... وفي صباح أحد الأيام دخلت عليه طبيبة رعاية الحوامل بالوحدة تخبره عن وجود سيدة حامل في الشهر الثاني، أتت لمتابعة حملها بالوحدة، وتوقيع الكشف الدوري عليها، فسمح لها الدكتور أحمد بالدخول... وأعدّ لها بطاقة المتابعة:

السلام عليكم يا دكتور

وعليكم السلام ... تفضلي واجلسي هنا أولاً حتى أسجل بياناتك في بطاقة المتابعة ... والآن ما أسمك ؟

شريفة عبدالرزاق ...

واسم زوجك ؟

عبدالجواد سعيد !

وبينما كانت يد الدكتور أحمد تكتب اسم الزوج حتى توقفت فجأة وارتجفت، ونهض ببطء من مقعده ... وأدار وجهه حتى يخفي شجا ارتسم عليه ...

وما هي إلا هنيهة قصيرة حتى رفع بصره إلى آية قرآنية معلقة على جدار الحجرة أخذ يتلوها بصوت مسموع، كله خشوع: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) الإسراء : ٣١. ■

الأثر الصحي لتنظيم الأسرة



قبل الحديث عن تنظيم الأسرة، نقول :

إن منظورنا للأسرة مهم، باعتبارها اللبنة الأولى في بناء المجتمع والنموذج العلائقي الأول للعلاقات التي تربط الإنسان بجنسه، وكلما كانت الأسرة في وضع مؤهل وقادر على العطاء، كلما كان النتاج أكبر في مسألة التكوين والبناء، ولاسيما بناء الشخصية الشابة وتوازنها النفسي باعتبارها محطة أمان وراحة واطمئنان للناشئ.

بقلم : ليلى محمد محمد

وتنظيم الأسرة، سلوك حضاري، يوفر للزوجين الخيار المناسب للتحكم بموعد البدء بإنجاب الأطفال، وعددهم والفترة الفاصلة بين أحدهم والآخر، ومتى يجب التوقف عن الإنجاب، وذلك حسب خصوصية حياة وإمكانات كل زوجين وبموافقتهما معاً، وضمن الإطار الصحي الذي يضمن أفضل مستوى لصحة الأم والطفل، وهو يختلف كلياً عن تحديد النسل.

الأثـر الصحي لتنظيـم الأسـرة



ثمة مبررات لتنظيم الأسرة، كالمبرر السكاني، المتمثل في خفض معدلات النمو السكاني بحيث تتناسب مع النمو الاقتصادي، وهو يتطلب سياسة سكانية خاصة، والمبرر الإنساني، بغية ممارسة المرأة حقوقها كاملة في المجتمع، والمبرر الصحي، لحماية صحة الأم والطفل - موضوع بحثنا - حيث يلعب تنظيم الأسرة دوراً مهماً في تخفيض وفيات الأمومة والطفل(١)، وذلك إنه خلال خفض نسب الحمول عالية الخطورة والتي تدخل المرأة ضمنها من خلال ٤ أنماط خاصة من الحمل :

١ ـ الحمول المبكرة أو الحمل عند صغيرات السن (دون ١٨ سنة).

٢ ـ الحمول المتأخرة (فوق ٣٥ سنة).

٣ ـ الحمول عند عديدات الولادة (أكثر من ٥ ولادات).

٤ ـ الحمول المتقاربة (أقل من سنتين بين حمل وآخر).

إن العمر وعدد الولادات والفترة الفاصلة بينها تؤثر على مقدرة الأم لحملها حملاً سليماً، ولتؤمن الشروط البيولوجية المناسبة لنمو وتطور جنينها... وكما تفيد نتائج الدراسات في هذا الصدد، أن خفض نسبة الحمول عالية الخطورة، قد لعب دوراً مهماً في خفض معدلات الوفيات في كثير من البلدان التي تنتشر فيها ممارسة تنظيم الأسرة بصورة إيجابية، وقد أظهرت النتائج - أيضاً - أنه يمكن خفض وفيات الأمومة في البلدان النامية بنسبة تصل إلى ٣٠٪ بالممارسة الإيجابية لتنظيم الأسرة، وكذلك يمكن خفض ٢٠٪ من وفيات الطفولة التي تكون أكثر وضوحاً في البلدان النامية.

فوائد تنظيم الأسرة على صحة الأم

تنحصر فوائد تنظيم الأسرة على صحة الأم بالنقاط التالية :

- إن الحمول عالية الخطورة التي يمكن تجنبها بممارسة تنظيم الأسرة، تنتهي بمجالات خطيرة، قد تهدد حياة الأم كالإنسجام الحملي والنزف.
- يساعد تنظيم الأسرة على تجنب الحمول عند السيدات المصابات بمجالات تزداد خطورتها على الحياة في حال حدوث الحمل، كارتفاع التوتر الشرياني والسكري والأمراض القلبية.
- يفيد تنظيم الأسرة في تأجيل الحمل عند الإصابة بأمراض، تستدعي إجراءات خاصة لتشخيصها أو علاجها.(٢)

تأثير العمر والإنجاب على وفيات الأمومة

إن الخطر الناجم عن الحمل والولادات على حياة الأم يزيادة عدد الأطفال الذين أنجبتهم، وكذلك بتقدم العمر... وتظهر الدراسات أن وفيات الأمومة تكون مرتفعة وبخاصة سن الثامنة عشرة، وتنخفض بين سن الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين، ولاسيما بين العشرين والتاسعة والعشرين، في حين لوحظ ارتفاع وفيات الأمومة بصورة ملحوظة بعد الخامسة والثلاثين، وكما تتأثر وفيات الأمومة بعدد الأطفال الذين تم إنجابهم، وتكون مرتفعة عند اللواتي لم ينجبن من قبل واللواتي أنجبن أكثر من ٥ أطفال.

تأثير المباعدة بين الحمول على وفيات الأمومة

تؤكد الدراسات المختلفة، أن وفيات الأمومة تكون مرتفعة عندما تقل الفترة بين ولادة والتي تليها عن سنتين وتزيد عن ٤ سنوات، وفي حين تكون أخفض مستوى عندما تتراوح فترة المباعدة بين ٢ ـ ٤ سنوات، وبممارسة تنظيم الأسرة يمكن الوقاية من كثير من الأمراض الخطرة المتعلقة بالأمومة مثل :

- **النزف** : الذي يحدث في نهاية الحمل والولادة، وتشير الدراسات العالمية، إلى أن الإصابة بالنزف تكون أعلى بثلاث مرات لدى اللواتي أنجبن أكثر من ٥ أطفال مقارنة بالأخريات.
- **الداء السكري** : وترتفع نسبة الإصابة به عند العديد من الحوامل مع قليلات منهن.
- **فرط التوتر الشرياني** : وتزداد الإصابة به عند الحمل الأول الباكر قبل ١٨ سنة وعند كثيرات الحمل ولا سيما في سن متقدمة.
- **سوء التغذية وفقر الدم** : إن الحمل والإرضاع يزيد من العبء الغذائي الذي يتحمله جسم الأم، متطلباً زيادة في الوارد الغذائي من الحريرات والبروتينات والفيتامينات المختلفة والمعادن... إلخ.

فوائد تنظيم الأسرة على صحة الطفل

إن الحمول المتقاربة والمتعددة والتي تحدث في سن الأم الباكر أو المتأخر تزيد حدوث وفيات الأجنة والإسقاط والوفاة في السنة الأولى من العمر.

وكذلك إن وفيات الأطفال في السنة الأولى من الحياة تتضاعف إذا تمت ولادتهم خلال فترات غير متباعدة تقل عن سنتين مقارنة مع أخرين تمت ولادتهم في فترات متباعدة بين ٢ ـ ٤ سنوات، كما تفيد نتائج الدراسات أن وفيات الأطفال تكون في أقل معدلاتها، عندما تكون الأم في العشرينات من العمر وترتيب الطفل هو الثاني أو الثالث، ثم تزداد هذه المعدلات تدريجياً مع كل ولادة إضافية. كما أن عدم اكتمال البلوغ والنضج الجسدي عند الأمهات الصغيرات السن ولاسيما في حال عدم اكتمال نمو عظام الحوض، هو أهم سبب لارتفاع الخطر على حياة الأطفال لدى الأمهات الصغيرات السن، ناهيك عن عدم اكتمال النضج العاطفي الذي يسمح للأم بتلبية الاحتياجات العاطفية والنفسية لطفلها.

إلا أن التساؤل : «ما أثر اختلاطات الحمول عالية الخطورة على صحة الطفل والتي يمكن تجنبها بتنظيم الأسرة؟» ويمكننا تلخيصها بالتالي:

نقص الوزن عند الولادة

وهي أن يكون وزن المولود ٢٥٠٠غ أو أقل، والتي تعتبر مسؤولة عن ٧٦ في المئة من وفيات الأطفال في الشهر الأول من العمر.

ويزداد معدل نقص وزن الولادة عند الحمل بأعمار تقل عن ١٨ سنة وعند عدم المباعدة بين الحمول.

سوء التغذية للطفل

وتفيد الإحصاءات بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة المتخصصة بالطفولة، أن الحمول المتقاربة تؤدي لسوء تغذية الطفل الأول، حيث ينقطع الإرضاع الطبيعي في مرحلة باكرة «وقد أكدت منظمة الصحة العالمية أهمية إرضاع الطفل من والدته حتى السنتين من العمر، مع إضافة الأغذية المكملة تدريجياً دون الانقطاع عن الإرضاع»(٣).

وكذلك، تسهم هذه الحمول المتقاربة في حدوث سوء التغذية عند الطفل الجديد لنقص المدخرات الغذائية وإرهاق جسم الأم بعد الحمل السابق القريب.

- **الأمراض الإنتانية** : إن أطفال الأسر الكبيرة أكثر عرضة للإصابة بالأمراض الإنتانية نتيجة لانتشار العدوى بين الأخوة في الأسرة الواحدة.
- **الأمراض الخلقية** : يزيد معدل خطر إصابة الطفل بالمنغولية (٦ ـ ٨) مرات عن المعدل العادي، عندما تحمل الأم ويزيد عمرها عن ٣٥ سنة.

درجة الذكاء والتحصيل الدراسي

أثبتت دراسات علمية عدة أن معدل درجة الذكاء والتحصيل الدراسي، يتناقص بزيادة حجم الأسرة، وتأخير ترتيب الولادة وقصر فترة المباعدة بين الحمول ويزداد ذلك وضوحاً باختلاف نضج الطبقة الاجتماعية والاقتصادية، ويعود ذلك لعوامل عدة تتعلق بشروط النمو والتطور في المرحلة الجنينية وتوافر الرعاية الوالدية وتوفر الإمكانات المادية الضرورية لتطور الملكات الحسية والعقلية عند الطفل. ■

الهوامش :

١ ـ تشير الدراسات إلى ارتفاع عدد وفيات الأمهات ـ لأسباب ذات علاقة بالحمل والولادة ـ والتي تقدر بـ ٥٠٠ ألف وفاة كل عام، وتقع ٩٩ في المئة منها في البلدان النامية.

٢ ـ مساعدة الأزواج الذين يرغبون بإنجاب الأطفال ـ الذين يعانون مشاكل معينة سببت عقمهم ـ على إنجاب الأطفال الذين يرغبون بإنجابهم.

٣ ـ تفيد دراسات منظمة الصحة العالمية، أن نصف النساء غير الحوامل وثلثي الحوامل في البلدان النامية مصابات بفقر الدم أي بعوز الحديد وتزيد سوء الحال الغذائية لدى هؤلاء النسوة تكرر الحمول لفترات متقاربة.

لماذا شرع الإسلام الحجاب؟

بقلم: محمد عودة السلمان

الحجاب من أهم القضايا الاجتماعية التي أكدها الإسلام وأصرّ على تطبيقها في كل المجالات، وقد وقف الإسلام من الحجاب أروع موقف عرفته البشرية في تاريخها الطويل خلال المراحل التي مرّ بها بمختلف الأشكال وشتى التطورات، فكانت الصيغة التي قدمها الإسلام في هذا المجال منسجمة مع واقع الحياة الإنسانية ومتطلباتها، وشأن الإسلام في كل قضية يطرحها ويحاول أن يطبقها على حياة الإنسان بالأسلوب الذي يتلاءم مع سائر الجوانب الحياتية، ويتفق معها في تسيير الموكب البشري نحو التكامل والرقي وتحقيق الأهداف العليا التي يرنو إليها الإسلام.

وليست مسألة الحجاب حديثة العهد ولا مما اخترعه الإسلام في تاريخ الإنسان كما يبدو للبعض، بل تمتد جذورها الاجتماعية والنفسية إلى أعماق التاريخ، فهي من أوليات القضايا التي أدركها الإنسان ومارسها في حياته، وإنما كانت الدوافع على ذلك تختلف من جيل إلى جيل، ومن أمة إلى أخرى، وكذلك الأساليب التي كانت تتبع في مجال التطبيق مختلفة حسب اختلاف الأعراف والتقاليد، إلا أن أصل القضية له واقع واحد مشترك في جميع المظاهر والحالات.



ومن الطبيعي أن تحدث هذه المسألة منذ أن عرف الإنسان نفسه وتطلع إلى ما حوله من الموجودات وعرفها، وبنى على تكوين صلة بينه وبين غيره.

غير أن الإسلام أعطى للمسلمين صورة أخرى وصاغها على أساس قويم يبقى مستمراً مع مختلف الأجيال والظروف حتى تتمكن المجتمعات البشرية كلها مهما ارتقت وتكاملت مادياً ومعنوياً من مسايرة رأي الإسلام في هذا الصدد.

وبالرغم من أن الموضوع يحتل مستوى عالياً من الأهمية في نظر الإسلام، فإنه لم يدرس كثيراً وبشكل واضح ومعمق دراسة مستوعبة من قبل الكتّاب والمفكرين الإسلاميين، ولم يبرز رأي الإسلام وفلسفته الخاصة في الحجاب، بصورة تجمع كل القضايا والجوانب المرتبطة بالموضوع، وبحيث يوازن بين النظرية الإسلامية وغيرها من النظريات بالنسبة إلى ستر المرأة وحجابها، ومن هنا أخذ أعداء الإسلام ومناوئوه من الذين يتربصون به الدوائر، يغتنمون أمثال هذه الفرص لشن الحملات العنيفة ضد الحجاب الإسلامي، ويطرحون الموضوع بالشكل الذي يحقق أهدافهم ويصور للقارئ أن الحق معهم تماماً، وأن الإسلام ظالم للمرأة في رأيه، مجحف في حقها، غاصب لحقوقها الإنسانية، مانع لها عن التقدم الاجتماعي، مع أن الإسلام على عكس ما يصورونه هؤلاء في جميع قوانينه وأنظمته.

وقد كان الحجاب موجوداً في بعض المجتمعات الجاهلية السابقة على الإسلام، كالمجتمع الفارسي القديم، والمجتمع اليهودي، وربما كان في المجتمع الهندي، وأما الجاهلية العربية، فلم تكن تعرف عن الحجاب شيئاً إلى أن بزغ فيها فجر الإسلام وتعرفت عليه للمرة الأولى في تاريخها.

ويذكر المؤرخون أن الحجاب السائد في تلك المجتمعات القديمة كان أصعب بكثير من الحجاب الذي فرضه الإسلام، يقول «وول ديورانت»: فلو أن امرأة نقضت القانون في المجتمع اليهودي، بأن خرجت إلى الرجال دون أن تغطي رأسها أو أنها اشتكت إلى رجل أو رفعت صوتها في دارها وسمعها جيرانها كان لزوجها الحق في أن يطلقها دون أن يدفع مهرها.

ولعل الأمر كان أشد من ذلك في المجتمع الفارسي القديم، فقد بلغ فيه الضيق بالمرأة ذات البعل إلى درجة بحيث يحرم عليها النظر إلى أبيها وأخوتها وكذلك يحرم عليهم النظر إليها.

وكذلك في المجتمع الهندي كان أمر الحجاب وحدوده عسيراً جداً بالنسبة إلى المرأة، إلا أن التاريخ لا يوضح لنا بداية نشوء الحجاب فيه، وهل أنه كان سابقاً على الإسلام أو أن الحجاب انتشر فيه بعدما جاء الإسلام؟ لكن الشيء الثابت هو أن الحجاب كان يتحكم فيه على المرأة بأشد مما يفرضه الإسلام ويحدده.

وهناك اتجاهات عدة في تفسير الحجاب والكشف عن السبب الباعث على حدوثه في المجتمعات الإنسانية، على العكس من

المجتمعات الحيوانية التي لا شعور فيها بضرورة وجود حائل بين ذكرها وأنثاها، وقد سعى أعداء الإسلام إلى استغلال هذه الاتجاهات لضرب الحجاب الإسلامي عن طريق نقدها، من دون أن يفترق لديهم رأي الإسلام عن غيره ومن دون أن يعيروا اهتماماً لما أوضحه الإسلام بروحه ونصوصه من المصالح الفردية والاجتماعية التي ابتنت عليها نظرية الحجاب الإسلامي، ولذا نرى أن أكثر هذه الاتجاهات تحاول أن تطبع الحجاب بطابع الظلم للمرأة والجهل لحقوقها، وسوف نرى أنها إما لا أثر لها أصلاً في سن الحجاب أو أنها غير ملحوظة في التشريع الإسلامي.

الاتجاه الفلسفي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الحجاب نابع من فكرة الرهبنة الفلسفية، انطلاقاً من أن المرأة أكبر أداة لالتذاذ الرجل في الحياة، فلو أتيحت له الإباحية المطلقة وارتفع الستر عن المرأة لتحول المجتمع إلى مجتمع فاسد منهمك في اللذات، وهذا ما يناقض فلسفة الرهبنة التي تؤكد رفض الاستمتاعات المادية بكل نواحيها في الحياة رفضاً باتاً.

ومن الواضح أن الإسلام لم يستند في أي تشريع من تشريعاته إلى هذه الفكرة، ولا هي تطابق روحه ونصوصه الشريفة، وليس من شك في أن الإسلام حارب الفكرة بشتى الوسائل، وما أكثر النصوص القرآنية والنبوية والمواقف المشرّفة التي كان يتخذها قادة الإسلام الحقيقيون لتأكيد النظافة وتقصير الشعر والتدهين واستعمال العطر، إلى غيرها من مظاهر الاستمتاع بلذائذ الحياة وزينتها التي أخرج الله لعباده والطيبات من الرزق.

هذا في مجال الحياة الاجتماعية، وأما في مجال الحياة الزوجية فلم يفسح المجال للزوجين لاستمتاع أحدهما بالآخر فحسب، وإنما أكد كثيراً على ذلك ورغّب فيه، واتخذ لذلك أنماطاً متعددة من السلوك يربي عليها الزوجين وينمي على أساسها علاقة أحدهما بالآخر.

الاتجاه الاجتماعي:

يفسر هذا الاتجاه مسألة الستر والحجاب بأن النهب والسلب والاعتداء على أموال الضعفاء من الناس وأعراضهم من قبل ذوي القدرات والإمكانات أمر شائع في المجتمعات البدائية، ولذا اضطرت الجماعات المستضعفة إلى إخفاء أموالها ودفنها في الأرض، وكذلك ستر نسائها وإخفائهن عن الأبصار خوفاً على عفافهن.

وهذا الجانب أيضاً غير ملحوظ في تشريع الإسلام للحجاب، فالنصوص الإسلامية الصادرة في هذا الصدد لا تتعرض له إطلاقاً لا تصريحاً ولا تلميحاً، أضف إلى ذلك أن التاريخ لا يحدثنا بأن الجاهلية العربية كانت تعيش أزمة نهب واعتداء على أموال الناس وأعراضهم، في الوقت نفسه الذي لم تكن تعرف شيئاً عن الحجاب.

الاتجاه الاقتصادي:

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن المبرر الرئيسي لنشوء مسألة الحجاب هي فكرة استثمار طاقات المرأة واستغلال قواها على أكبر قدر ممكن من منافعها الاقتصادية، ولذا كانوا يحبسونهن في البيوت.

و الفكرة خاطئة جداً، فعواطف الرجل تجاه زوجته والعلاقة الزوجية التي تشده إليها تمنعه من أن يفكر في استملاكها ولا تسمح له بالتغلب عليها بقصد الاستغلال اقتصادياً، ولا ننكر في الوقت نفسه ظلم الرجل للمرأة واستغلالها أحياناً عندما تضمر العاطفة، وتبرز العصبية والجهالة، إلا أن هذا لا يكون مبرراً لأن تتخذ هذه كظاهرة عامة، وأما الإسلام فبالإضافة إلى أنه لم يلاحظ هذا الجانب في تشريعه للحجاب، فقد حارب الفكرة من أساسها، وأعلن عن حرية المرأة واستغلالها اقتصادياً، ولم يعط للرجل أي حق في أجرة عملها، وحتى في القيام بمهام البيت تكون بالخيار بين أن تتطوع أو تطالب بأجرة إزاءها.

الاتجاه الأخلاقي:

ويرى أن الحجاب أمر خلقته غريزة الحسد الكامنة في طبيعة الرجل، فهو يحب ذاته ويحسد الآخرين، ولذا يسعى إلى إشباعها عن طريق حجب المرأة وسترها.

وقد أخطأ هذا الاتجاه أيضاً في فهم السبب الحقيقي للحجاب، ولم يميز بين غريزة «الحسد» المودعة في طبيعة المرأة، وغريزة «الغيرة» التي أودعها الله في طبيعة الرجل كي يحفظ بها النسل من الضياع، فهي غريزة نوعية اجتماعية وظيفتها حماية النسل البشري، وأما الحسد فهو غريزة شخصية، وحتى لو زال الحسد عن طريق تهذيب النفس، بقيت غريزة الغيرة تقوم بدورها الفعّال، وسنوضح فيما بعد أن الإسلام لاحظ هذا الجانب أيضاً في تشريعه للحجاب.

الاتجاه النفسي:

ويحاول تفسير الحجاب بدافع نفسي للمرأة، فهي تشعر دائماً - عندما تقارن نفسها بالرجل - بالصغار والحقارة، ذلك لنقصها العضوي أولاً، ولابتلائها بالحيض والنفاس ثانياً، ولذا كانت تعد أيام حيضها ونفاسها رجساً يجب التطهر منه، وهذا الشعور النفسي هو الذي جعلها تتستر وتختفي عن الرجال.

ولا شك في أن هذا لا يوافق رأي الإسلام، لأنه لا يعد المرأة إلا رجساً أيام عادتها الشهرية، ولم ينه عن معاشرتها، أضف إلى ذلك أن تشريع الحجاب لم يكن على أساس استحقارها أو التقليل من شأنها.

فلسفة الحجاب الإسلامي:

فتح الإسلام لكل من الرجل والمرأة باباً خاصاً يشبعان فيه غرائزهما كيف شاءا داخل الإطار المفروض عليهما، وهي الحياة الزوجية المشروعة، أما في مجال الحياة الاجتماعية فقد حرّم على الرجل حتى النظر إلى أي امرأة أجنبية عنه كما حرّم على المرأة كل الأساليب التي تلفت بها الأنظار إليها وتجذب القلوب

وأوضح ذلك بقوله تعالى: «ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن» النور:٣١، ويرى الإسلام في الحجاب الضمان الحقيقي للحصول على مكاسب كبيرة هي:

أولاً : المحافظة على الصحة النفسية للحياة الاجتماعية، ووقايتها من الأمراض الروحية النابعة من الخلاعة والتميع.

ثانياً : توثيق الصلات والروابط الزوجية، وتنشيط العلاقات بين أفراد الأسرة والمحافظة على حرارتها وصيانتها من التفكك والتجزئة، فالحياة الاجتماعية إذا كانت صفواً من أي استمتاع جنسي ولم يفسح المجال لأي من الرجل والمرأة في ممارسة الشهوات وإشباع الغرائز خارج نطاق الحياة الزوجية أصبحت الزوجية آنذاك عش المودة الحقيقي.

ثالثاً : حث الحياة الاجتماعية على التحرك والنشاط واستثمار الطاقات البشرية في إنتاج أكبر قدر ممكن من الخيرات واستخراج الثروات الطبيعية لصالح الإنسانية.

رابعاً : صيانة المرأة من اتخاذها أداة رخيصة ومبتذلة للاستمتاع والاحتفاظ بكرامتها وشرفها في المجتمع لكي لاتقع لعبة دعائية بيد الشركات التجارية التي تستنزف عزها وكيانها الذاتي استنزافاً شرهاً كما نلاحظ اليوم بوضوح.

هذه هي الجوانب التي لاحظها الإسلام في تشريعه للحجاب، علماً منه بأن الغريزة الجنسية عميقة في طبيعة الإنسان، فلو أسلس له القياد في إشباعها، لجرت الويلات على الإنسانية، ولتسربت آثارها السيئة إلى أجيال وأجيال، ولذا فرض على المرأة الحجاب باعتبارها بطبيعتها راغبة في التبرج واستعراض محاسنها أمام الرجال، كما فرض على الجنسين معاً غض الأبصار، وحفظ الفروج، تعديلاً لهذه الغريزة عن الشطط والانحراف، وكم كان الإسلام عميقاً في تصوراته وإدراكاته للطبيعة الإنسانية، حيث فطن إلى أن الغريزة الجنسية لا يمكن إشباعها عن طريق الإباحية المطلقة، بل يزداد بذلك لهيبها وتكثر متطلباتها ولا حد نهائياً لها أبداً، والطلب اللانهائي يواجه الفشل فتتعرض الغريزة للكبت الذي يؤدي للأمراض النفسية كما نشاهد ذلك بالفعل في المجتمعات الغربية.

فليست المسألة إذاً ضياع النسل واختلاطه فحسب كي يعالج ذلك باستعمال الأقراص المانعة عن الحمل - كما فعله الغرب - بل هناك جوانب أخرى وهي الجوانب المذكورة والتي لا تقل أهميتها عن تلك، وينبغي أن يحسب لها حسابها، وهذا ما صنعه الإسلام بتشريعه الفذ للحجاب. ■

زوجة حائرة

بقلم : منى السعيد مصطفى الشريف

جلست أمامي منكسرة زائغة العينين والفكر وذهبت في شرود بعيد وكأنها تلملم أشلاء ذكريات بعيدة تناثرت أمام العقل والقلب وأخيراً نطقت... كنت أشعر بمرارة الجرح في صوتها أكاد ألمسها وهي تقول «منذ أول عهد زواجنا تفانيت في إسعاده، ضحيت معه بالكثير ورضيت منه بالقليل ومرت حياتي معه كأنها الحلم، كنت أراعي الله فيه وأرجو رضاه بوده، وقد كان خير زوج نعم... لا أستطيع أبداً أن أنكر ذلك، ولا أستطيع أن أنسى أو أتناسى حنانه وعطفه عليّ وعلى أولادنا... كانت حياتي تسير في هدوء وسكينة وفجأة انقلب كل ذلك رأساً على عقب ودارت الأرض بي وشعرت أن الدنيا تضيق عليّ وتضيق حتى لا أكاد أجد فيها متنفساً، وشعرت بإهانة لم أشعر بمثلها في حياتي... ذلك عندما بدأت أشك في زوجي».

واستطردت قائلة «وكأنها تكلّم نفسها»: يا إلهي أشك في زوجي وكيف ذلك وهو الأخ والأب والولد؟! كيف ذلك وهو الصديق والمعلم؟!... إنني بقدر ما أحبه بقدر ما أحترمه فكيف يكون العمل يا أختاه؟!! لا أدري ماذا أفعل؟ أأهدم بيتي الذي هو كنزي في هذه الحياة؟، البيت الذي حافظت عليه طوال عمري أم أظل أتلظى في نار شكي وحيرتي لا أجد مخرجاً.

كان جرحها غائراً وكنت أعلم أن كلماتي لن تصل إليها، ولكنني لم أعدم المحاولة لأنني أعرفها جيداً وأعرف مدى طهارة قلبها وصدق مشاعرها، وبدأت في المحاولة «إنك يا صديقتي لم تؤكدي أي شيء، فأنت لست على يقين من صحة شكوكك في زوجك ولكن الأمر كله محض شك يدور في ذهنك، فلماذا لا تواجهين زوجك وتصارحينه برفق بما يدور في ذهنك؟ لعل الله يقطع بذلك حبل الشيطان الذي بدأ يلتف حول رقبتك، ولكن كوني حذرة جداً يا أختاه، فالتزمي الهدوء والكلمات اللينة ولا تنسي أبداً أنك قلت إنك تحترمين زوجك بقدر حبك له، واحذري أيضاً أن يلاحظ أبناؤك أي شيء».

كانت تستمع إليّ في صمت وكنت أشعر أن كلماتي محاولة يائسة لأن الشك قد تملك منها... ولكن على خلاف ظنوني جاءت النتيجة، وجاءتني صديقتي بوجه آخر، عادت إليها الحياة من جديد تتلألأ بابتسامة عهدتها عليه قبل ذلك الأمر، ولكن هذه المرة كانت أكثر إشراقاً وجمالاً، جاءتني تقول: «كنتِ على حق يا أختاه لقد كدتُ أهدم بيتي لمجرد ظنون، وشاية حاقدين استمعت إليهم من دون وعي ... كم كان عطوفاً عاقلاً كعادته قابل غضبي وثورة شكي برفق وأعاد لنفسي الهدوء والثقة لقد كانت أيام مريرة وأي مرارة، أن تفقد الزوجة ثقتها وأمانها بزوجها ولكنها انتهت والحمد لله».

استمعت إليها وأنا أتذكر قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم «الظن أكذب الحديث» ومر بخاطري قول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات:٦.

صدقت يا ربنا العظيم في كتابك الدواء وحديث رسولك النجاة والشفاء. لقد انتهى الأمر بين زوجين طاهرين طيبين بالهدوء والمصارحة وكان يمكن أن يتحول الأمر إلى مأساة تهدم بيتاً سعيداً. ■



ثمرات الفكر

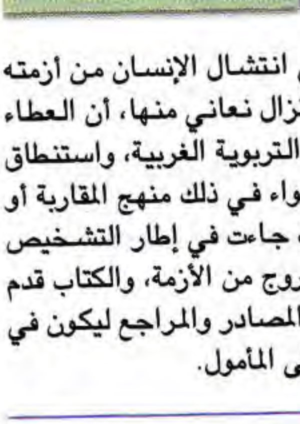
إعداد: محمد هاني

القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر



في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة السابع والستون تحت عنوان «القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر»، للأستاذ عبدالمجيد بن سعود، وهذا الكتاب يعتبر اجتهاداً مقدراً لإعادة النظر في أنساق القيم التربوية التي توجه السلوك واستلهام التراث للإجابة عن أسئلة الحاضر، والنظر في كيفية تنزيل القيم التربوية الإسلامية على الواقع، بحيث يستوعب الحاضر ويعين الموقع المناسب للإقلاع من جديد ضمن الإمكانات المتاحة، انطلاقاً من مرجعية معرفة الوحي، ذلك أن خلود القيم الإسلامية يعني القدرة على الإنتاج في كل زمان ومكان وتوليد رؤى قادرة على انتشال الإنسان من أزمته وتخليصه من الانشطار الثقافي، ولعل أهم المشكلات التي ما نزال نعاني منها، أن العطاء التربوي في الواقع الإسلامي إنما جاء في معظمه صدى للرؤى التربوية الغربية، واستنطاق القيم التربوية الإسلامية في المجالات التي طرحتها تلك الرؤى، سواء في ذلك منهج المقاربة أو المقارنة، بعيداً عن حاجات الأمة الحقيقية، كما أن معظم الكتابات جاءت في إطار التشخيص وبيان الأمراض والقليل جداً حاول وصف الدواء، وبناء سبيل الخروج من الأزمة، والكتاب قدم مسحاً يتيح للقارئ والباحث بعض النوافذ التي تمكنه من رؤية المصادر والمراجع ليكون في صورة الإنتاج التربوي وتحديد المواقع المطلوب ولوجها للوصول إلى المأمول.

هكذا رباني جدي علي الطنطاوي



عن دار المنارة في جدة، صدر حديثاً كتاب «هكذا رباني جدي على الطنطاوي» لمؤلفته «عابدة العظم»، وهو كتاب متميز في موضوعه، لأنه لايقدم نظريات في التربية أو يشرح مبادئ عنها، بل هو حافل بالتجارب العملية والتطبيقات التربوية التي يحتاج إليها المربي في كل يوم.

وهذه التجارب والتطبيقات تستمد قيمتها العالية من كون صاحبها ومبدعها واحداً من أعلام التربية الكبار في العصر الحاضر، فهو «علم من أعلام الأمة في هذا العصر وواحد من رجالاتها الكبار» (كما جاء في مقدمة الكتاب)، وهو مربٍّ متمرس مجرّب عمل على «تربية وتوجيه ثلاثة أجيال، فقد ربى إخوته وأخواته، ثم ربى بناته، ثم أسهم - بشكل فعّال - في تربية أحفاده وحفيداته، بل هو قد عمل على توجيه أجيال من تلاميذه وساعد كثيراً من الآباء بالنصائح التربوية المفيدة على مر السنين» (كما جاء في الفصل الأول من الكتاب).

وقد اكتسب الكتاب قيمة إضافية لأن كاتبته «عابدة العظم» هي حفيدة الشيخ الطنطاوي فهي تروي تلك التجارب وتتحدث عنها حديث العارف بها المعايش لها لا السامع عنها أو المطلع عليها من بعيد.

وقد جمع الكتاب ثلاثين حلقة كانت قد نُشرت قبل ذلك في مجلة المجتمع الكويتية على مدى عام وبعد العام تحت عنوان «لمسات في التربية من جدي الشيخ علي الطنطاوي».

العلاّمة الندوي يفوز بجائزة الشخصية الإسلامية

تبرع العلاّمة الإسلامي أبو الحسن الندوي الذي فاز بجائزة الشخصية الإسلامية للعام ١٩٩٨م التي تقدمها المسابقة الدولية للقرآن الكريم في دبي وقيمتها مليون درهم، تبرع بقيمة الجائزة لأوقاف التعليم الديني في الهند.

وكانت فعاليات مسابقة جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم قد اختتمت يوم ١٩٩٩/١/٧م، بحفل كبير شهده ولي عهد دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم وعدد كبير من الشيوخ والوزراء وكبار المسؤولين تجاوز الألفي شخص تم خلاله توزيع الجوائز وشهادات التقدير على المتسابقين الذين شاركوا في المسابقة.

ويذكر أن المغفور له الداعية الإسلامي محمد متولي الشعراوي حصل في العام الماضي على جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم وتم تكريمه في حفل كبير شارك فيه بنفسه على الرغم من مرضه وأعلن فور تسلمه الجائزة عن التبرع بقيمتها في أعمال البر والخير لأبناء مصر حيث كانت رحلته للإمارات آخر رحلات مشواره الديني الطويل.

التفـاؤل والتشـاؤم



صدر عن لجنة التأليف والتعريب والنشر التابعة لمجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كتاب جديد بعنوان «التفاؤل والتشاؤم - المفهوم والقياس والمتعلقات» تأليف الدكتور بدر الأنصاري من جامعة الكويت، وهذا الكتاب الذي يقع في ٨٣ صفحة يهدف إلى تقديم التفاؤل والتشاؤم بوصفهما سمتان في الشخصية وذلك من خلال ثلاثة فصول عالجت المفهوم والقياس والمتعلقات، وعرف الكاتب التفاؤل بأنه نظرة استبشار نحو المستقبل تجعل الفرد يتوقع الأفضل وينتظر حدوث الخير ويرنو إلى النجاح ويستبعد ما خلا ذلك على حين عرّف التشاؤم بأنه توقع سلبي للأحداث المقبلة يجعل الفرد ينتظر حدوث الأسوأ ويتوقع الشر والفشل وخيبة الأمل، ويستبعد ما عدا ذلك إلى حد بعيد.

وبعد تقديم نبذة عن عدد من مقاييس التفاؤل والتشاؤم في الفصل الثاني عرض الفصل الثالث لعدد من الدراسات التي هدفت إلى فحص الارتباطات المتبادلة بين كل من التفاؤل والتشاؤم في جانب وغيرهما من متغيرات الشخصية والاضطراب النفسي والمتغيرات الاجتماعية في الجانب الآخر.

«الحيـوان في القـرآن» باللغتـين العربيـة والإنكليزيـة على أقـراص ليـزر

صدر عن دار «سفير» للنشر في القاهرة بالاشتراك مع شركة البرمجيات RDI برنامج «قصص الحيوان في القرآن» على ٦ أقراص ليزر باللغتين العربية والإنكليزية.

يتناول البرنامج قصص الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، ودورها في خدمة الأنبياء والصالحين، ومنها: كلب أهل الكهف، ناقة صالح، حوت يونس عليه السلام، فيل أبرهة، ذئب يوسف، عصا موسى عليه السلام التي تحولت إلى حية تسعى.

ويتيح البرنامج للأطفال إمكان مشاهدة القصص بالرسوم المتحركة باللغتين العربية والإنكليزية، وذلك لتعظيم الفائدة من البرناج وإتاحة الفرصة لأطفال المسلمين غير الناطقين بالعربية للتعرف على قصص الحيوان في القرآن.

وحسب الناشر الدكتور محمد عبداللطيف، فإن برنامج «الحيوان في القرآن» ليس مجرد برنامج ديني وإنما يُعَدُّ موسوعة علمية ودينية وثقافية وترفيهية، فبالإضافة إلى سرد القصص بالرسوم المتحركة، يعرض البرنامج الآيات القرآنية التي تناولت القصة نصاً وصوتاً، بصوت القارئ الشيخ محمد صديق المنشاوي، ومن الناحية الثقافية، تم تزويد البرنامج بأفلام فيديو علمية عن الحيوان الذي تتناوله كل قصة باللغتين العربية والإنكليزية، كما تم إثراء المحتوى الثقافي للبرنامج من خلال تنشيط الإعلام التي وردت في نص القصة من خلال Hybertext ومن ثم يحصل الطفل على معلومات إضافية باللغتين العربية والإنكليزية.

أما من الناحية العلمية فيعرض البرنامج القصص بلغة عربية سهلة ومبسطة تهدف إلى تنمية التذوق اللغوي بالإضافة إلى عرض القصة باللغة الإنكليزية ومن خلال ذلك يستطيع الطفل أن يتابع القصة نصاً وصوتاً وصورة، إذ يوجد في أسفل شاشة عرض القصص شاشة صغيرة لعرض النص باللغتين العربية والإنكليزية، ومن ثم فالبرنامج يحقق مهارتين من مهارات تعلم اللغتين العربية والإنكليزية وهما السمع والقراءة.

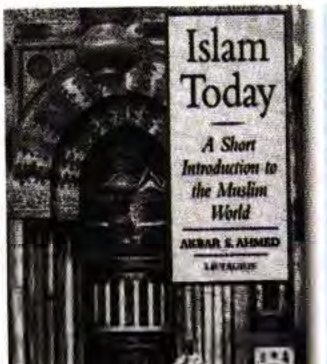
ومن الناحية الترفيهية سعى البرنامج إلى تحويل شعار «التعلم من خلال اللعب» إلى حقيقة، إذ تم تزويده بمجموعة كبيرة من المسابقات التي تحقق التسلية والترفيه والتعليم والتثقيف، بالإضافة إلى احتوائه على مجموعة كبيرة من الأغاني التي تتناسب والأطفال.

ويُعد هذا البرنامج باكورة التعاون المثمر بين شركات البرمجيات ودور النشر في مصر، فدور النشر بما لديها من خبرات كبيرة في مجال إعداد المادة والتصميمات، وشركات البرمجيات بما لديها أيضاً من خبرة في تطوير البرامج يمكنها التعاون في إنتاج برامج مصرية وعربية ذات جودة عالية، تعبّر عن ثقافتنا وحضارتنا وتدخل في سوق برامج الكومبيوتر العالمي.

أخبـار ثقافيـة

- ينظم معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج في جامعة أم القرى خلال الفترة من ٢١ - ٢٣ من شهر ذي القعدة العام ١٤١٩هـ ندوة علمية كبرى عن الحج في مئة عام ١٣١٩ - ١٤١٩هـ وستناقش الندوة عدداً من الموضوعات المهمة، وذلك من خلال ثلاثة محاور رئيسية وهي: عمارة الحرمين الشريفين والتطور العمراني للمدينتين المقدستين منذ العام ١٣١٩ - ١٤١٩هـ، والمحور الثاني: المرافق والخدمات في الحج، والمحور الثالث: التضامن الإسلامي في الحج.
- تعكف مشيخة الأزهر حالياً بالتعاون مع وزارة السياحة المصرية ومحافظة شمال سيناء على إعداد احتفال عالمي لمناسبة مرور ١٤٠٠ عام على الفتح الإسلامي لمصر الذي تم على يد القائد المسلم عمرو بن العاص في بداية القرن الأول الهجري.
- انتهى مجمع اللغة العربية في القاهرة من إعداد وإصدار معاجم اللغة «الوجيز والوسيط» وجزء من المعجم الكبير ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، كما قام بتحقيق ونشر الكثير من أمات التراث العربي ومن أهمها: عجالة المبتدى وفضالة المنتهى، والتكملة والذيل والصلة «ستة أجزاء» وكتاب الجيم «أربعة أجزاء» والتنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح «جزءان» وكتاب الإبدال وكتاب الشوارد.
- وقع وزير الرياضة والفنون والثقافة في جمهورية مالي مذكّرة إيذان بتأسيس مركز الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير للثقافة والبحث العلمي في «غاوة» عاصمة سنغاي التاريخية ، ويهدف المركز إلى حماية وحفظ المخطوطات القديمة التي كتبها الشيخ الكنتي، إضافة إلى مخطوطات وكتب أبنائه.
- بدأ العمل مطلع شهر شوال ١٤١٩هـ في بناء المقر الجديد للجامعة الإسلامية العالمية في باكستان وتبلغ تكلفة المشروع ٣٠٠ مليون دولار، وكانت الجامعة تتخذ من المباني الملحقة بمسجد الملك فيصل مقراً موقتاً للدراسة باعتباره المسجد المركزي في العاصمة الباكستانية.

الإسلام اليوم :
«السرد التاريخي لتعريف الغرب بالإسلام»



Islam Today :
Ashort Introduction to the muslim world
Bu :
Akbar s. ahmed
I.B. Tauris - London
1999
IsBn :
1 - 86064 - 257 - 8

حاول البروفيسور أكبر أحمد في كتابه الصادر أخيراً باللغة الإنكليزية بعنوان: «الإسلام اليوم - دراسة تمهيدية قصيرة للعالم الإسلامي» أن يضع أمام القارئ العربي حقائق تاريخية حول الإسلام بالدرجة الأولى سعى من خلالها إلى تبديد سوء الفهم لدى الكثيرين من الذين مازالوا يعتقدون بأن المجتمع الإسلامي هو مجتمع مغلق، وعمل المؤلف على أن يزيل الغموض عند البعض عن الإسلام من خلال صفحات هذا الكتاب.

والحقائق التاريخية التي وردت في كتاب البروفيسور أكبر هي حصيلة جهود ودراسات ورحلات وأبحاث للمؤلف شملت عدداً من الدول الإسلامية، إذ تنقل بين «طاجكستان» و«أوزبكستان» والتقى هناك عدداً من رجال الدين وزار مدينة قم الإيرانية برفقة فريق تلفازي لإنجاز مسلسل ليعرضه على شاشات التلفاز. احتوت فصول الكتاب الستة على موضوعات كرسها المؤلف لشرح نظرة الإسلام الموضوعية والمتأنية إلى المجتمعات الأخرى غير الإسلامية، وتوضيح الخلافات مع الغرب وتسجيل وقائع ومشاهد عن الإسلام في وقتنا الحاضر، أكد المؤلف من خلالها عدم اللجوء إلى الابتكار أو اختراع الأشياء والأفكار كبديل عن الحقائق في أثناء تناولها ولذلك فإن الحديث عن الإسلام في رأيه - وهذا ما حققه في كتابه - يتطلب العودة إلى مئات السنين، لذلك عاد إلى القرن السابع وإلى ما جاء في القرآن الكريم وتحدث عن غار حراء حين لجأ إليه الرسول - ﷺ - للتعبد والتفكر، ثم عن مكة باعتبارها قبلة المسلمين، وتحدث كيف حمل العرب رسالة الإسلام بعد أن نزل القرآن الكريم بلغتهم، وتناول المؤلف تأثير الإسلام والمسلمين في حضارة بلاد الأندلس بعد الفتح الإسلامي، كما تحدث عن إثراء الثقافة الإسلامية لآداب وثقافة إسبانيا وثقافات الأمم الأخرى، التي شملتها الفتوحات الإسلامية، وفي الفصل الرابع أشار المؤلف إلى تأثر بعض الحضارات الأوروبية والعالمية الأخرى بالحضارة الإسلامية، واستشهد بتركيا التي بقي فيها الإسلام مؤثراً في المجتمع التركي حتى اليوم، وقال إن المظاهر العامة تؤكد إسلام تركيا إلى جانب وجود واسع للتجمعات والتنظيمات الإسلامية على الرغم من تأكيد مؤسس تركيا كمال أتاتورك (١٨٨١ - ١٩٣٨م) للنهج العلماني للبلاد.

حاول البروفيسور أكبر أحمد خلال فصول الكتاب أن يبدد فكرة ومقولة أن المسلم يحمل القرآن الكريم في يد ويحمل في اليد الأخرى السيف، وهي الفكرة التي تطرحها وسائل الإعلام الغربية، قائلاً: إن الإسلام يعمل على وقف الارتياب الذي يعشش في ذهن الكثيرين ممن يحاولون أن يصوروا الدين الإسلامي على أنه دين متعصب يستهدف تدمير الكنائس والمعابد الهندية بأنواعها، وأفرد فصلاً لهذا الموضوع، مؤكداً وجود نغمة ترددها وسائل الإعلام الغربية تجاه الإسلام في محاولة لإبراز صور سلبية في بعض برامجها تروج لعادات وتقاليد تتنافى وقيم الدين الإسلامي الحنيف، خصوصاً ما يتعلق بمعاملة المرأة وطاعتها لزوجها وأورد أمثلة على هذه الحملات قائلاً إن بإمكان أي شخص ملاحظة ذلك في تعامل أجهزة التلفاز والصحف الغربية مع أزمات تنشب في دول منطقة الشرق الأوسط، حيث أغلب السكان من المسلمين إلى جانب مناطق أخرى في أفغانستان والجمهوريات الإسلامية التي كانت خاضعة للهيمنة السوفييتية، وتحاول إظهار المسلم وكأنه يفتقر إلى المعرفة والتعليم والعلم، وأنه جاهل بكل شيء خصوصاً عندما يبرز حاكم ديكتاتوري مستبد في تلك الدول، إذ تسلط عليه وسائل الإعلام الغربية الضوء، وتحاول أن تنسب كل خطوة يخطوها هذا الحاكم المستبد إلى الإسلام. وسجل الكتاب في بعض فصوله أمثلة عن التماسك الأسري في المجتمع المسلم، مؤكداً ترابط العائلة في المجتمعات الإسلامية وهو ما تفتقر إليه المجتمعات الغربية حيث تسود حالات الطلاق، والتي يشعر المسلم الذي يعيش في الغرب بالقلق إزاءها. وتوقع المؤلف أن يدرك الغرب هذا خلال الحقبة الزمنية المقبلة، وبفضل وجود ما يقرب من عشرة ملايين مسلم يعيشون في أوروبا والولايات المتحدة، أن الإسلام جاء لخدمة الإنسانية، وأن المبادئ التي نادى بها الرسول الكريم محمد بن عبدالله - ﷺ - تؤكد المحبة والاحترام والمساواة والعدل، وأنها مبادئ ثابتة تجسدت في دستور المسلمين الذي هو القرآن، كما أن تطور وسائل الإعلام والتقنية الحديثة في نقل المعلومات ستساعد في رأي المؤلف، في نقل الحقائق وإيصالها، وهو ما يسهم في تبديد الشكوك التي مازالت تعيش في عقلية البعض حول نظرتهم غير الموضوعية إلى الإسلام والمسلمين. ومع أن عنوان الكتاب «الإسلام اليوم» يوحي للقارئ للوهلة الأولى، بأنه يتحدث عن الإسلام في الوقت الحاضر إلا أن المضامين الأساسية للكتاب تقوم على السرد التاريخي لنشوء الإسلام والعقبات التي برزت من قبل المشركين للحيلولة دون انتشار الدعوة الإسلامية وما واجهه النبي الكريم والصحابة من صعوبات، بعضها استهدف حياة الرسول - ﷺ - وبعض الصحابة، لكنه استطاع نشر الإسلام في أرجاء المعمورة وأضحى قرابة بليون إنسان يدينون به، ولم يفت المؤلف أكبر أحمد الذي اشتهر بكتاباته عن العالم الإسلامي، وعمل وما يزال يعمل استاذاً زائراً في جامعة «هارفارد»، وعمل كمنتج تنفيذي في محطة «بي بي سي»، لإنتاج مسلسلات عن الإسلام، أن يجسد مشاعره نحو التاريخ الإسلامي والمجتمع الحديث، حين وصف «باكستان» التي أنهى فيها دراسته الأولية بأنها القوة الإسلامية النووية الأولى التي برزت في العالم صيف ١٩٩٨م، وتوقع مؤلف كتاب «الإسلام اليوم» أن توجه له بعض الاتهامات، بل أورد في كتابه بعض الصفات السلبية التي أطلقت عليه لنقله صوراً حية في برامجه عن حياة وطبيعة المجتمعات الإسلامية في بعض بقاع العالم... لكنه قال: إنه حرص على أن يتناول الحقائق من دون رتوش على الرغم من إدراكه بأنه ليس من السهل في وقتنا الراهن دخول هذا الموضوع ومعالجته بعمق.

قصة قصيرة

دعاء السحر..

بقلم: محمد مكين صافي

«... اسمع يا حاج... أنت وكل أعضاء الإدارة الموقرين عندك على رأسي... لكنّ كلامك لا يقنعني ولا يعنيني في شيء... لن نترك بيتنا ونبني بيوت الآخرين... أموالنا أولى بها عيالنا... وعجزنا لا ننتظر تغطيته من أعطيات الناس... وأولياتنا في التنمية والنهضة لا تتسع لما تقوله يا حاج... والمثل يقول: إبدأ بمن تعول... أو لعله حديث فأنت أدرى!... انتهينا... معذرة ولعلنا نلتقي في موضوع آخر واهتمامات أعمق... تحياتي لكل الأخوة الأعضاء...».

وبكل ما في نفسه من ضيق خبط الأستاذ «سليمان» سماعة الهاتف والتفت إلى روّاد ديوانيته وقال: «حكومة الدراويش!! أيحسبون البلد صندوقاً كبيراً لجمع الصدقات.. ويريدوننا بعدُ - أن ندعم مسيرتهم في الاستجداء... ياللطرافة... لم يبقَ إلا هموم الصومال أو صداع رواندي أو مجاري بنغلاديش!».

وحتى يغير الجو المشحون الذي أثارته المكالمة الهاتفية، انبرى أحد الجلساء وسأله:

«خلك منه إلى أين العزم إن يسر الله هذا الموسم؟!».

أجابه وهو يزفر: «والله ما أدري... العيال يبغون إيطاليا... أعجبتهم المهرجانات هناك... وخصوصاً عروض الأزياء.. تبغون الصدق... عروض أخاذة ورائعة... رغم أنها مكلفة جداً جداً».

غمز أحد الحاضرين بعينه وسأل: «وما يجبرك على الاستجابة لكل ما يطلبون... مرة نعم ومرة لا!»

هزَّ رأسه وقال: والله يا أخي مضطر... مضطر فوق طاقتي... لابد أن أشغلهم بشيء وإلا أفسدوا عليّ خططي وعدت من الموسم كأنني عائد من عمرة!!».

قهقه الجلساء لإيماءة الأستاذ سليمان طويلاً، ولم يقطع عليهم دعابتهم إلا رنين النقال في يده... ثم سمعوه يقول: «ماذا؟!... أين؟!... كيف؟... لا لا... قادم... انتظروني».

ثم هبَّ والتقط مفاتيح السيارة وأودع «النقال» في جيبه ومضى لا يرد على امتعاض الحاضرين أو عروضهم للمساعدة حتى...

كانت السيارة مهشمة لدرجة لا توصف، مناشير «الطوارئ» تعمل في الباب الخلفي تريد أن تنقذ أحداً ما، وسارية الكهرباء تنحني في انكسار بعدما انقطع عنها نورها... والضوء الأصفر والأحمر يدور ويدور مع إطلاق

فاضح لبوق السيارة الخضراء تزعق لإفساح الطريق... لكن هذا كله لم يوقف اندفاعة الأستاذ سليمان الذي أقدم بكل ما في مشاعره من هياج فُجِّر وسماعه للخبر المفجع حتى كاد أن يطيح بكل ما أمامه لولا أن السيارة الخضراء تجاوزته منطلقة إلى المشفى الكبير.

...«أين الطبيب المناوب... أين كادر التمريض... أين الإدارة هلموا هلموا...» صاح فور دخوله المشفى وهو يندفع نحو غرفة العمليات، لولا أن وجهاً هادئاً تؤطره تحية خفيفة استوقفه وسحبه بلطف إلى الخلف وقال في هدوء: «على مهلك... إنهم يعملون ما بوسعهم... أطمئن ودع جهودنا أن تأخذ مجراها في قضاء الله».

ضرب الهواء بيديه وصاح: «كيف ؟!... إنه ولدي أيها الطبيب... هل تدرك هذا، ولتعلم أنني أستطيع أن أنقله خلال ساعات إلى أفضل مشافي الدنيا!... وأن أي إهمال لن يمر بسلام..».

نظر إليه الطبيب بعمق وأبعده عن طريقه برفق وقال: «أرجوك... هنا مشفى لا سوق البورصة... ولست أنا الذي أوصلته إلى هذه الغرفة على أي حال فلا تكلمني بهذه اللهجة... وانقله الآن إلى حيث تشاء كما قلت فلن يؤدوا له أفضل مما أدينا...» ثم مضى وتركه يتلفت حوله في هياج... وما هي إلا لحظات حتى خرجت الممرضة وهي تستنجد «دم... دم... يلزمنا دم!».

بوغت الأستاذ كمن صفع... «دم؟!... ما معنى هذا... ولدي يستجدي دماً من الناس؟!... هل نحن في مشفى أم في جمعية خيرية..» وراح يتمتم ويهتاج ولا يدري ما يقول حتى رأى السائق يخرج من غرفة التبرع فما أن لمحه حتى خبط رأسه بيده ودار «ولدي أنا يختلط بدمه دم سائق؟!... ألهذه الدرجة وصل بك الهوان يا سليمان... هل هذا معقول؟!... لن يمر هذا بغير حساب... لن يمر هذا بغير حساب...» ثم استدار فرأى الطبيب عائداً إلى غرفة العمليات، بعد أن توضأ، فاتجه صوبه وسأله في تعب: «خبرني أرجوك... كيف الحال الآن؟!...».

أجاب الطبيب وهو يمضي إلى وجهته: «لو استطعنا أن نسيطر على الجرح الأعمق... ولو استجاب الصدغ الأيمن لخيوطنا الرابطة فسينجو...» فغر الأستاذ سليمان فاه وقد أُخذ... هل... هل يعني هذا أنه... أنه... إذا... إذا لم يتمّ ما قال فإن وحيدي سوف.... لا!....

ولأن الساعة قد تجاوزت الثانية ليلاً، فقد غلبه الإنهاك وتراخت منه العضلات والأعصاب... ولم يبق منه إلا شعور مهتاج متقد، ونفسٌ تريد أن تحطم أي شيء... وقبضة تفعل في الهواء هكذا... وهكذا.... ولكن دون جدوى - وبعض من الأهل أحاطوا به يهدئونه خشية أن يصيبه ما لا يشتهون له... وامرأة تقبع هناك في سكون، عيناها وادعتان مستسلمتان... وشفتاها لا تهدآن... حتى إذا سكن من الإعياء أطلقت أنّةً خافتة وهمست «يا رب...»!

لم يلتفت إليها... بل نكّس رأسه المؤّار بكل انفعالات جمعها خيال أو دماغ... وراح ينتظر والثواني كالجمر تحرقه بطيئاً بطيئاً وتكاد تصيبه بالشلل... حتى انفتح الباب مرة أخرى وخرج الطبيب يمسح عرقه وخرج معه مساعده بكمامته المدماة... أحب أن يقوم إليه فخانته عزيمته فاكتفى بأن أشار إليه بصوت واهن«... ماذا أيها الطبيب الطيّب... أرجو أن الحال تتحسن طمئني أرجوك!...».

هزَّ الطبيب رأسه في أسى وقال: «شيء لا يصدق... النزوف متدفقة، والجروح تتأبى على الخيوط المتقنة، كميات الدم بالكاد تكفي وربما يلزمنا زيادة... هناك سرٌّ أكيد سرا!...».

سأله الأب في التياع: «دم مرة أخرى... أنا جاهز... مستعد لأن أجمع الدم من كل أطراف البلد لو احتاج... فقط لو أعطيتني ضوءاً من أمل... هل سيشفى... ألن ينجو... ما فيه أمل؟!».

همس الطبيب بإشفاق: «أكيد فيه أمل ... ولكن ليس من حيلتنا ... الأمل فوق... هناك!...» ثم مضى متعباً يستعد لجولة جديدة.

هدَّه الإعياء... واستولت عليه الصدمة حتى أفقدته عزيمته وأقعدته مهدوداً لا يحسن التفكير ولا يقدر على أي شيء... «إذاً... فقد حُرمت من ولدي إلى الأبد... وفاتني وحيدي الحبيب دون وداع حتى... ياللحسرة... بل ياللخيبة... أي وضع مهين عاجز تركتك فيه السيارة وسارية الكهرباء المطفأة أيها «السليمان» المسكين... ماذا أملك لك يا ولدي... ما لي! حياتي... روحي... هل يجديك هذا في شيء؟! ياه... أكاد أتفطر حزناً عليك أيها الولد الشقي الحبيب...

نم ... نم يا حبيبي في أمان الله ... وأقسم لأجعلنَّ من ضريحك مزاراً أحج إليه، بل لا أفارقه حتى ألحق بك...»

وما درى إلا يد حانية تهبط على كتفه وفم يتمتم في حنان :

«أما سمعت... الأمل موجود... الأمل موجود... هناك... فوق... إنها ساعة السحر... فاتجه إلى مقدّر كل شيء... مقدّر الآجال... واسأله ولدك...».

رفع إلى أخته رأسه المهدود، ونظر إليها في ذهول ثم مشى قليلاً إلى فسحة في البناء مكشوفة ثم رنا بطرف بللته الدموع إلى الصندوق الزجاجي الذي كان يهمس له «داووا مرضاكم بالصدقة...»، فانفرجت يده عما احتوت وأودعها الصندوق ثم التفت صوب السماء وتمتم

« يا رب... ولدي يا رب ! ...» ■

حديقة

إعداد :
أحمد عبدالجبار



من هدي كتاب الله

قـال الله تعالـى :

﴿ يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ .

سورة الحج : آيـة ٥

من هدي رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ :

« من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ».

طلب حاجة

قال أحدهم لبعض السلاطين :

أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظر من برئي أحب إليه من سقمي.

شيطانه يتكلم بالهندية!

مرَّ أبو علقمة النحوي ببعض طرق البصرة، وهاجت عليه قبيلة مُرَّة فوثب عليه قوم منهم فاقبلوا يعضون إبهامه، ويؤذنون في أذنه، فأفلت منهم وقال :

مالكم تتكأكؤون عليَّ كتكأكئم على ذي جنة افرنقعوا عني.

قـالـوا : دعوه فـإن شـيطـانـه يتكلم بالهندية!!

الصبر

قال سعيد بن جبير :

الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه.

أهل الخير

للخير أهل ما تزا
ل وجوههم تدعو إليه
طوبى لمن جرت الأمو
ر الصالحات على يديه
ما لم يضق خلق الفتى
فالأرض واسعة عليه

بُشرى الصابرين

مات عبدالله بن مطرف، فخرج أبوه مطرف على قومه في ثياب حسنة، وقد أدهن فغضبوا وقالوا : يموت عبدالله وتخرج في مثل هذه مدهناً، قال: أفأستكين لها؟، وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها خصالاً كل خصلة منها أحب إليّ من الدنيا كلها، قال تعالى: (وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)

البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧.

الرجال أربعة

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة :

- رجل يدري، ويدري أنه يدري، فاسألوه.
- ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذاك ناسٍ فذكروه.
- ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري، فذاك مسترشد فعلّموه.
- ورجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فذاك جاهل، فارفضوه.

آداب اللغة

دخل الأصمعي يوماً على هارون الرشيد بعد غيبة طويلة فقال له: يا أصمعي: كيف كنت بعدي؟ فقال : ما لاقتني بعدك أرض، فتبسم الرشيد، فلما خرج الناس قال الرشيد للأصمعي: ما معنى قولك: ما لاقتني أرض؟ فقال الأصمعي: أي ما استقرت بي أرض، فقال الرشيد: هذا حسن، ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين الناس إلا بما أفهمه، فإذا خلوت فعلّمني، فإنه يقبح بالسلطان ألا يكون عالماً.

لا تصلح إلا بقرنائها

قال حكيم: كثير من الأمور لا تصلح إلا بقرنائها: لاينفع العلم بغير ورع، ولا الحفظ بغير عقل، ولا الجمال بغير حلاوة، ولا الحب بغير أدب، ولا السرور بغير أمن، ولا الغنى بغير كفاية، ولا الاجتهاد بغير توفيق.

من هم جلساء الرحمن يوم القيامة؟

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله جلساء الرحمن يوم القيامة من جمع فيهم خصال : الكرم والسخاء والحلم والرأفة والرحمة والشكر والبر والصبر.

قال مالك بن دينار ـ رحمه الله : مررت بالمقابر فأنشأت أقول :

أتيت القبور فناديتها

فأين المعظم والمحتقر

وأين المدلُّ بسلطانه

وأين المزكّى إذا ما افتخر

قال: فنوديت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول:

تفانوا جميعاً فلا مخبرٌ

وماتوا جميعاً ومات الخبر

تروح وتغدو بنات الثرى

فتمحو محاسن تلك الصور

فيا سائلي عن أناس مضوا

أما لك فيما ترى معتبر

قال ـ رحمه الله ـ فرجعت وأنا باكٍ.

مخافة الله

جاء في الحكم: رأس العلم مخافة الله، وجاء في العقد الفريد: قيل للشعبي: أفتني أيها العالم. فقال: إنما العالم من اتقى الله.

لغويات

من الجموع التي لا واحد لها كلمة : النَّعَم وهو المال الراعي، وأكثر ما يقع على الإبل وجمعه نُعمان كحملان وأنعام كأسباب، وجمع الجمع أناعيم.

ومن المفردات التي لا تجمع كلمة: اليمُّ، وهو البحر فلا يجمعُ جمع تكسير ولا جمعاً سالماً كما أنه لا يثنى.

منتهى البخل!

وصف ظريف بخيلاً فقال : مائدته فتر في فتر، وصحافها منقورة من خشب الخشخاش، بين الرغيف والرغيف مضرب كرة،

قيل له : أنت من أصدقائه وترى ثوبك ممزقاً.

فقال : والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءاً بالإبر، ثم جاءه يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء، والملائكة ضمناء، يسألونه إعارة إبرة وخيط يخيط بها قميص يوسف الذي قُدَّ من دبر ما فعل!!

الوعي

إعداد: تمام أحمد

١٢٥ بليون مجرة في أرجاء الكون



رفعت صورة حديثة للأعماق الفضائية التقطها التلسكوب الفضائي هابل، من ٨٠ إلى نحو ١٢٥ بليوناً، هو العدد المقدر للمجرات المنتشرة في أرجاء الكون.

وقد تحقق هذا الإحصاء الكوني الجديد بفضل العينة الجديدة للكون التي اقتطعتها في أكتوبر الماضي عين التلسكوب الفضائي، بينما كانت مصوبة في اتجاه مجموعة نجوم توكان التي يمكن رؤيتها من النصف الجنوبي لكوكب الأرض.

وأثناء تقديم هذه النتائج في مؤتمر الجمعية الأميركية لعلم الفلك المجتمعة في أوستن «ولاية تكساس» قال جوناثان غاردنر من مركز غوارد الفضائي المنبثق من وكالة الفضاء الأميركية «ناسا» في غرينبيلت «ولاية مريلاند» إن هذه الصورة: «تعتبر الأعمق والأكثر تفصيلاً التي تلتقط للجزء المنظور من الكون» أي الذي يمكن رؤيته من خلال الطيف الكهربائي المغناطيسي.

ويكشف هذا الرواق الطويل جداً والضيق الذي اقتطع في السماء وسمي «ديب فيلد ساوث» تفاصيل ١٢ بليون سنة تقريباً من تاريخ الكون، ومن شأنه أن يساعد في السنوات المقبلة، على إنجاز عمليات الرصد التي حققها هابل في العام ١٩٩٥م، على عينة مماثلة يمكن رؤيتها في سماء النصف الشمالي للكرة الأرضية من خلال النظر إلى مجموعة كواكب الدب الأكبر.

وقارن غاردنر بين هذين الإحصاءين للكون قائلاً: «لقد ضاعفنا مرتين عدد المجرات الضعيفة الإشعاع التي نستطيع رؤيتها»، وأضاف: «مكنتنا هذه العينة من أن نستنتج أن ١٢٥ بليون مجرة تقريباً تنتشر في كل أرجاء السماء».

وكانت عمليات الرصد التي تمت على عينة الكون المصورة في ١٩٩٥م أتاحت تحديد عدد المجرات الموجودة في الكون بنحو ٨٠ بليوناً، ما يفوق بكثير الإحصاءات الفلكية السابقة.

وتخليداً لهذا الجزء من الكون، صوب هابل جميع معداته على مجموعة كواكب توكان طوال عشرة أيام للكشف عن أبعد النجوم وأقدمها، وكان هابل سيحتاج إلى ٩٠٠ ألف سنة لو أراد أن يصور الكون برمته.

وكشف هنري فرغيسون من مؤسسة التلسكوب الفضائي في بالتيمور «مريلاند» أن هذا الاستكشاف لباطن الكون «يشكل في جوهره امتداداً طبيعياً لـ ديب فيلد نورث +٢».

وبفضل المعدات الجديدة التي زود بها هابل منذ «إعادة النظر» الأخيرة فيه العام ١٩٩٧م، حدد علماء الفلك في هذه العينة الجديدة مواقع مجرات بالكاد يمكن تمييزها، أبعد من المجرات التي اكتشفت في العام ١٩٩٥م.

وأشار فيرغسون إلى «أن بعضاً منها تشكل قبل ١٠ إلى ١٢ بليون سنة (....) أي بعد بليون سنة تقريباً من الانفجار الكبير»، الذي أدى إلى نشوء الكون، وأضاف أن «معظم هذه المجرات أصغر مما كنا نفترض، الأمر الذي يؤكد أن معظم النجوم تكوّن في وقت مبكر» من تاريخ الكون.

ويمكن أن يشكل بعض الأجرام المتناهية الصغر المتناثرة في الرواق الذي صوره هابل، بعضاً من أولى المجرات التي تشكلت بعد نشوء الكون، وأشار علماء الفلك إلى أن هذه «النافذة الجديدة التي فتحت في الكون» ستمكن من رفع جزء من الغموض الذي مازال يحيط بآليات تكون النجوم والمجرات وتطورها.

تقنية المورثات تسهم في حل مشكلة نقص مياه الري وتطوير الزراعة ومكافحة التصحر والجفاف

يعكف العلماء الألمان في الوقت الحاضر، على دراسة النتائج التي توصل إليها العلماء الأميركيون في مضمار الزراعة والري ومعالجة مشكلة نقص المياه في معظم دول العالم، وبخاصة في الأقطار النامية في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، والجهود التي تبذلها هيئات التنمية الدولية لمواجهة ازدياد ندرة المياه خلال القرن الحادي والعشرين المقبل.

ويدرس العلماء وخبراء الري والتنمية الزراعية في ألمانيا في الوقت الحاضر، التجارب التي يطبقها العلماء الأميركيون على زراعة مجموعات كبيرة من النباتات التي لا تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه، وتشجيع زراعتها في دول العالم الثالث، والعمل على تطبيق ما توصل إليه البحث العلمي في مضمار تقنية المورثات للتدخل في تحديد المياه الموجودة في هذه النباتات والتحكم فيها، وفي عملية استقلاب المواد الغذائية في النباتات هذه عبر ما يعرف باسم «فتحات الانشقاق» الموجودة في خلايا النباتات والأوراق.

ومن المعروف أن السنتيمتر الواحد من أوراق الشجر والنباتات يحتوي على آلاف عدة من هذه الفتحات التي تتحكم فيها عوامل عدة، أهمها كمية المياه الموجودة، وضوء الشمس، ونسبة غاز أوكسيد الكربون.

وتشكل هذه الفتحات الانشقاقية، أو ما يعرف باللاتينية باسم Stomata نحو ٥,٠ في المئة من السطح الخارجي لأوراق الشجر، وتسهم في عملية تنفس هذه الأوراق، ففي حال انفتاحها تقوم النباتات بتنفس بخار الماء، ولكنها تنغلق في حال الجفاف محتفظة بالماء الموجود بداخلها، في الوقت الذي تساعد فيه المادة الصمغية الموجودة على أوراق الشجر والنباتات على عدم تبخر المياه منها.

ويوضح العلماء الأميركيون والألمان أن الوظيفة التي تقوم بها الفتحات الانشقاقية هذه، ترتبط بعوامل عدة أبرزها هرمونات الأحماض النباتية باسم (ABA) التي تتأثر بالجفاف والحرارة والبرودة، وتؤثر بالتالي على حركة الانفتاحات الانشقاقية، ونسبة تبخر المياه، أو معدل الاحتفاظ به في الأوراق والنباتات نفسها، مشيرين في هذا الصدد إلى انعكاس ذلك على نسبة البروتينات النباتية.

ويضيف هؤلاء العلماء أن الفتحات الانشقاقية تخضع إلى حركة متبادلة دائمة من الانفتاح والانغلاق تلعب فيها المورثات دوراً كبيراً، وبالتالي فإنه بالإمكان تغييرها بحيث تستهلك كميات أقل من الماء، دون أن يؤثر ذلك على عملية الاستقلاب والتبادل داخل النباتات، وبخاصة تلك التي تفقد كميات أكبر من المياه عندما تنتج المواد البروتينية والنشوية والسكرية.

ويقدر خبراء الزراعة والري الألمان نسبة توفير المياه اللازمة لري النباتات في حال التأثير عليها وراثياً بنحو ٣٠ في المئة من معدل استهلاكها الحالي، دون أن يؤثر ذلك على المحصول الزراعي، أو القيمة الغذائية لهذه النباتات، إذ يمكن في المستقبل زراعة بذور نباتية أدخلت عليها تغييرات وتعديلات وراثية، مما يفتح أمام الزراعة في أقطار العالم الثالث التي يغلب عليها الجفاف آفاقاً جديدة واسعة تضاعف من المحاصيل الزراعية والغذائية وتسهم في توفير الغذاء ومكافحة الجوع في مناطق واسعة من العالم، إلى جانب توفير كميات كبيرة جداً من مياه الري، وأزمات المياه التي تزداد في العالم.

ويشير هؤلاء الخبراء إلى أن الطبيعة قد سبقت العلم والتقنية في مضمار توفير المياه في عالم النبات وقطاع الزراعة، من خلال تعديلها لكثير من النباتات الزراعية، كما هو الحال في نبات الصبّار الذي يروي نفسه بنفسه وبكميات ضئيلة جداً من الرطوبة والمياه، إذ تكفي نسبة قليلة جداً لا تتجاوز ١ في المئة موجودة في نسيج هذه النباتات الصحراوية لاستمرار حياتها سنوات طويلة، وذلك من خلال عمل المورثات الموجودة فيها.

ترى هل ستتحول الصحارى والمناطق الجافة والقاحلة إلى جنان خضراء يانعة بفضل تقنية المورثات وتطويرها في المستقبل؟

برهان جديد على أن «الزيجة الاغترابية» تقوّي النسل

أثبتت دراسة حول الحياة الجنسية للنحل قام بها عالمان سويسريان ونشرتها يوم ١٤/١/١٩٩٩م المجلة العلمية البريطانية «نيتشر» النظرية القائلة: إن الاغتراب في الزواج «الزواج من خارج حلقة الأقارب» مفيد لصحة الأطفال الذين يولدون نتيجة الزواج بغير الأقارب ويوقي نسلهم ويعزز مناعتهم ضد الأمراض، ولاحظ الخبيران بوريس باير وبول شميد - همبل أن النحل، المعروف بتعدد شركائه الجنسيين ذات مناعة ضد الطفيليات والأمراض، وبهذا الاستنتاج الجديد يثبت الباحثون النظريات المتداولة حول أهمية الابتعاد عن ذوي القربى عند اختيار شريك أو شريكة الحياة.

وشرح العالمان أنهما قاما بتلقيح اصطناعي لنحل «ملكة» بالحيوان المنوي لنحل عادي يتمتع بتنوع جيني ضعيف أو قوي، وتبين أن مناعة النحل الذي ولد من جراء هذه العملية كانت أقوى كلما كان التنوع الجيني كبيراً، وقال العالمان في المجلة إن «المجموعات المتحدة من الملكات الملقحة بحيوان منوي متنوع جينياً بدت أقل تعرضاً للالتهابات الطفيلية، وحتى وإن أصيبت بها فإن الالتهابات تكون أقل خطورة من تلك التي تصيب النحل الذي لا يتمتع بتنوع جيني»، وأضافا أن «عدد الطفيليات وفعالياتها بدت أيضاً أقل خطورة لدى المجموعات المتنوعة الجينات».

ترجمات

هل ينال إقليم كوسوفا الاستقلال الذاتي ؟

نشرت الايكونومست مقالاً حول مستقبل إقليم كوسوفا تناولت فيه بالتفصيل حقيقة الأوضاع في الإقليم بعد الاتفاق الذي وقعه ميلوسيفتيش والذي يقضي بعودة الإقليم للحكم الذاتي يقول المقال :

إعداد : عبدالمنعم أحمد

بعد يومين من قيام كريس هيل الوسيط الأميركي في كوسوفا بحضّ المقاتلين المحليين من أصل ألباني على ضبط النفس، تم مهاجمة مركز للشرطة في ماليسيفو، وأمسك الثوار برجلي شرطة من الصرب وأطلقوا عليهما النار، وفي التاسع من نوفمبر الماضي تعرف مراقبون أميركيون على جثتي رجلي الشرطة في أحد الشوارع القريبة من مقر إقامتهم.

ويبدو أن مقتل رجلي الشرطة الصربيين جاء كعملية انتقامية لمقتل خمسة من مقاتلي جيش تحرير كوسوفا وغير ذلك من الهجمات التي شنها رجال الشرطة الصرب ضد القرى الألبانية.

ومثلما كانت ماليسيفو موقعاً لاشتباك بين مقاتلي جيش تحرير كوسوفا والصرب، كذلك كان تعرض سوق تجاري صغير بمفترق طرق في وسط كوسوفا يستخدمه مقاتلو جيش التحرير كمركز إمداد واتصالات لهجوم من قبل القوات الصربية في أواخر شهر يوليو الماضي، لكن الآن تغير الوضع بعض الشيء.

فطبقاً للاتفاق الذي تمت الموافقة عليه منذ أكثر من شهر برعاية «ريتشارد هولبروك» ممثل أميركا والجنرال «ويسلي كلارك» قائد حلف الناتو في أوروبا، سمح لعدد من الشرطة الصربية بالاحتفاظ بمواقعها في مدن كوسوفا الرئيسية بما فيها ماليسيفو المنعزلة. وترتب على ذلك أن وجدت الشرطة الصربية نفسها محاطة بعداء مقاتلي جيش تحرير كوسوفا المسلحين جيداً والذين تصلهم الأسلحة على نحو متزايد عبر الحدود الجنوبية مع ألبانيا وحتى عن طريق مهربي الأسلحة الصرب في شمال كوسوفا.

صحيح إن التهديد بشن ضربات جوية من قبل الناتو ضد الصرب قد أدى إلى التوصل لصفقة سلام وربما ساعد هذا الاتفاق على تفادي حدوث موت جماعي نتيجة نقص الطعام لدى اللاجئين الذين يعيشون في العراء في وقت الشتاء، وربما أيضاً استطاع العاملون في حقل الإغاثة الدولية الوصول بالطعام والدواء إلى هؤلاء اللاجئين، لكن مع ذلك، فإن اللاجئين لايزالون يعيشون في العراء وفي الجبال حياة شديدة الصعوبة بالإضافة إلى أن الكثير من القرى لاتزال مهجورة، وجثث الماشية المتعفنة ملقاة في حقول القمح التي لن تجد من يحصدها.

وكان الرئيس اليوغسلافي «سلوبودان ميلوسيفيتش» قد سحب آلافاً عدة من قواته العسكرية ومن رجال شرطته، وكان هدفه من ذلك الاحتفاظ بنحو ٢٥ ألفاً من رجاله المسلحين في كوسوفا حتى إتمام التوصل إلى تسوية سياسية على أن يقوم بعد ذلك باستبدال معظمهم بآخرين من قوات الشرطة الألبانية يعملون تحت إدارة تتمتع بحكم ذاتي وليس تحت إدارة كوسوفا المستقلة.

وفي الوقت الحالي يقوم فقط نحو مئة مراقب غير مسلح، معظمهم من الأميركيين، برصد الوضع إلى أن يتم تعزيزهم في وقت لاحق بمجموعة مسلحة تسليحاً قوياً مكونة من نحو ألفي رجل تحت قيادة منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، مهمتها التحقق من التزام كل من الفريقين المتنازعين ببنود الاتفاق.

وإذا كان ميلوسيفيتش لا يضع أي عراقيل أمام هذه المجموعة المسلحة المنوط بها أعمال المراقبة والتحقق إلا أن منظمة



الأمن والتعاون الأوروبي تتسم في عملها بالبطء الشديد، وما يدل على ذلك هو أن «وليم ووكر» الدبلوماسي الأميركي ورئيس المنظمة لم يصل إلى المنطقة إلا في الحادي عشر من نوفمبر الماضي، إضافة إلى أن المجموعة المسلحة لم تبدأ عملها رسمياً حتى هذه اللحظة.

وربما ينجم عن هذا الإجراء منح مقاتلي جيش تحرير كوسوفا المزيد من الوقت الذي يمكنهم من إعادة تنظيم أنفسهم بعد الهجوم الصربي ضدهم في أشهر الصيف، وهذا بدوره أيضاً يمنح قوات الأمن الصربية ذريعة للانتقام.

وإذا كانت قوات حلف الناتو ملتزمة بمنع وجود نقاط تفتيش ثابتة، فإن رجال الشرطة الصرب يقومون عن طريق الهاتف النقال ووحدات متحركة بالتحرك إلى حيث يوجد المدنيون الألبان ويعملون على مضايقتهم.

والأسوأ من ذلك، أنه في أعقاب مقتل رجلي الشرطة الصربيين هدد ميلوسيفيتش بإعادة قوات ثابتة إلى المواقع التي كانت فيها، إذا فشل الغرب في السيطرة على مقاتلي جيش تحرير كوسوفا، وبالفعل عاد إلى كوسوفا منذ أيام عدة مئات من رجال الشرطة الصرب، وحتى مع استمرار وقف إطلاق النار بين الجانبين، فإن المفاوضات المقترحة حول مستقبل كوسوفا تبدو صعبة أكثر من أي وقت مضى، لقد اضطر «ميلوسيفيتش» للموافقة على اتفاق يعيد إلى كوسوفا الحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به منذ العام ١٩٧٤م، وحتى العام ١٩٨٩م، عندما قام هو شخصياً بإنهائه، وفي الوقت الحالي لاتبدو كوسوفا إلا كإقليم تابع لصربيا، بحيث يشكل هذا الإقليم إقليم الجبل الأسود جزءاً من يوغوسلافيا.

لكن «ميلوسيفيتش» يصرّ على أن يظل إقليم كوسوفا جزءاً من صربيا، وهو الأمر الذي يرفضه تماماً القادة السياسيون من أصل ألباني الذين لا يقبلون إلا بأن تصبح كوسوفا جزءاً منفصلاً عن يوغسلافيا إلى جانب صربيا والجبل الأسود. ومع ذلك، فليس في استطاعة أي من هؤلاء القادة السياسيين من أصل ألباني مثل «إبراهيم روغوفا» رئيس جمهورية كوسوفا المعلنة من جانب واحد والذي بلا صلاحيات تقريباً - التوقيع على أي اتفاق دون دعم الجماعات المسلحة من أصل ألباني.

ولهذا قام «كريس هيل» الوسيط الأميركي بتجديد اتصالاته بمقاتلي جيش تحرير كوسوفا في درينيشا وبالثوار المنفيين في سويسرا لكي يحضهم على قبول مسودة خطة وضعها أخيراً، تمنح كوسوفا قدراً لايستهان به من الاستقلالية، ومن الممكن وفقاً لهذه الخطة - بعيداً عن العملة الموحدة وموظفي الجمارك اليوغسلاف وقوات الحدود - أن تحكم كوسوفا نفسها تحت ضمانات دولية تكفل عدم تكرار ما حدث في العام ١٩٨٩م. ■



١٩٩٩م : العام الذي يصل فيه سكان العالم إلى ٦ مليارات نسمة

سيصل عدد سكان العالم إلى ٦ مليارات نسمة على أعتاب الألفية الثالثة للميلاد، فيما يتوقع أن يزداد إلى ٧,٩ مليار نسمة و ١١ مليار نسمة في العقدين الأوليْن من القرن المقبل.

وأكد الدكتور نفيس صادق المدير التنفيذي لصندوق السكان التابع للأمم المتحدة على ضرورة توجيه كل امرأة ورجل للتعرف على الأهداف الحقيقية لديمومتهم على سطح الكرة الأرضية وتجنيب العالم انفجاراً سكانياً هائلاً، وسيجتمع مندوبون في دول العالم لحضور مؤتمرات وندوات تعقد ضمن برنامج «القاهرة+٥» وهو برنامج لمناقشة التطورات التي جرت على مدى خمسة أعوام بعد انعقاد المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة.

وتعقد في لاهاي بهولندا خلال فبراير ١٩٩٩م مؤتمرات وندوات عدة تضم ممثلين عن ٨٠٠ منظمة غير حكومية ومندوبين عن ١٨٠ دولة حول العالم، وأكثر من ١٥٠ من أعضاء البرلمانات.

وتشمل المؤتمرات ندوة البرلمانيين، وندوة المنظمات غير الحكومية، والندوة الدولية التي ستناقش التطورات الحاصلة في ميدان النمو الديموغرافي في العالم.

مؤشرات النمو

وسيصل عدد سكان العالم إلى ٦ مليارات نسمة في ١٢ أكتوبر العام ١٩٩٩م حسب التقديرات، وسيدخل مليار منهم في أعمار البلوغ، ويبدؤون حياتهم التناسلية لإنتاج أجيال أخرى من البشر.

وحسب الإحصاءات الدولية منذ وصل عدد سكان العالم إلى مليار نسمة فقط العام ١٨٠٤م وبعد ١٢٣ سنة أخرى، أي في العام ١٩٢٧م وصل العدد إلى مليارين، ثم إلى ثلاثة مليارات العام ١٩٦٠م و ٤ مليارات العام ١٩٧٤م، و٥ مليارات العام ١٩٨٧م، ثم يصل إلى ٦ مليارات العام ١٩٩٩م.

وتعني المعدلات الأخيرة أن أعداد السكان تزداد بنحو ٧٨ مليون شخص سنوياً.

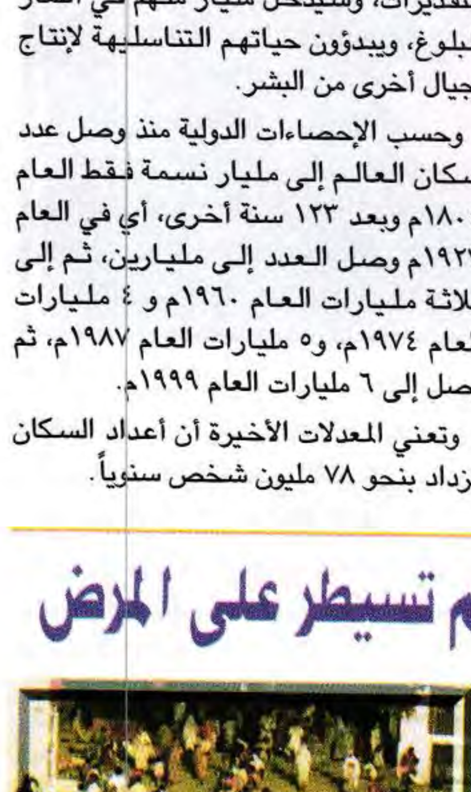
البنك الإسلامي للتنمية يخصص ١٤ مليون دولار إلى طاجيكستان

يمول البنك الإسلامي للتنمية مشروعات عدة في طاجيكستان في مجالات النقل والمواصلات والري وتطوير مصادر المياه والصحة وإعادة بناء بعض المدارس والمراكز الصحية حيث بلغت إجمالي التحويلات التي اعتمدها البنك لصالح جمهورية طاجيكستان ١٤ مليون دولار خلال العام الحالي، وتعد طاجيكستان من الدول التي انضمت حديثاً لعضوية البنك حيث انضمت إليه في العام ١٩٩٧م، وقد استقبل رئيس البنك الإسلامي للتنمية في جدة وفداً من جمهورية طاجيكستان برئاسة أوديلجون عبدالقهار جابروف نائب رئيس الإدارة الاقتصادية بمكاتب رئيس وزراء طاجيكستان، وضم الوفد تسعة أعضاء رفيعي المستوى يمثلون مختلف الوزارات الأساسية بالحكومة الطاجيكية وهي وزارات الصحة، والمالية والطاقة والموارد المالية، والتعليم، والنقل، وإدارة الطرق، ومركز المعونة الخارجية والبنك المركزي الطاجيكي.

الهند عاصمة الإيدز إذا لم تسيطر على المرض

تشير احصاءات حديثة لمنظمة الصحة العالمية أن هناك نحو أربعة ملايين شخص مصاب بالإيدز في الهند وأن أكثر من ١٦ ألف يلتقطون الفيروس الناقل للمرض يومياً، إما عن طريق الاتصال الجنسي أو عن طريق الحقن الملوثة أو عن طريق الأم الحامل المصابة به إلى طفلها.

وحذر الخبراء من مغبة عدم التحرك الحكومي السريع من أجل السيطرة على هذا المرض قائلين: إن الهند ستوصف بأنها عاصمة مرض الايدز في العالم إذا لم تتحرك الحكومة وبشكل سريع من أجل السيطرة على المرض.



سابقة هي الأولى من نوعها:

انتخاب هيئة تمثيلية كمتحدث رسمي للجالية المسلمة أمام الحكومة البلجيكية

انتخب مسلمو بلجيكا للمرة الأولى هيئة تمثيلية لتصبح المتحدث الرسمي باسمهم لدى السلطة البلجيكية، وهي سابقة في أوروبا على ما تفيد جمعيات بلجيكية عدة.

وتعترف بلجيكا بالدين الإسلامي منذ العام ١٩٧٤م، لكن بسبب غياب ممثلين منتخبين عن المسلمين في البلاد كانت الدولة تفرض أن يستفيد الإسلام من منافع هذا الاعتراف الرسمي التي تشمل خصوصاً تمويل أماكن العبادة، ولمعالجة هذا الوضع قررت بروكسل في ١٧ يونيو الماضي السماح للمسلمين بانتخاب ممثليهم، وتوضح فاطمة حنين من «مركز المساواة في الفرص ومكافحة العنصرية» الذي يشارك في تنظيم هذه الانتخابات، أن الطريقة الوحيدة التي لايتم الطعن بهيئة المسلمين من طرف أو من آخر، كانت عبر انتخاب أعضائها، وفي مهلة قصيرة امتدت من الأول من سبتمبر وحتى ٣١ أكتوبر تم تسجيل ٧٤ ألف شخص ثلثهم من النساء على اللوائح الانتخابية في حين يقدر عدد مسلمي بلجيكا بنحو ٣٥٠ ألفاً، وتوضح عالمة الاجتماع نورية والي من جامعة بروكسل الحرة أن الأشخاص الذين لا يترددون إلى المساجد أو الأحياء التي يسكنها عدد كبير من المهاجرين لم يبلغوا بنبأ الانتخابات لكنهم عرفوا من بعضهم البعض.

وتضيف فاطمة حنين: يجب الترحيب بمشاركة النساء.

وقد أشرفت لجنة مراقبة مؤلفة من ممثلين عن وزارتي العدل والداخلية على حسن سير الانتخابات.

وشارك في الانتخابات ٢٦٣ مرشحاً بينهم ١٤ امرأة، وفق اشتراط ألا يقل عمر المرشح عن ٢٥ عاماً، وأن يكون مقيماً في بلجيكا منذ خمسة أعوام ويتكلم إحدى لغات البلاد وألا يشغل منصباً سياسياً أو دبلوماسياً، كما اشترط بالنسبة للناخبين أن يكونوا فوق سن الثامنة عشرة والإقامة في بلجيكا منذ عام.

وقد أدت الانتخابات إلى تشكيل جمعية تضم ٥١ عضواً منتخباً بشكل مباشر، و ١٧ عضواً عينتهم الهيئة التنفيذية لمسلمي بلجيكا وقامت هذه الجمعية بدورها بتعيين ١٧ عضواً في الهيئة التمثيلية، والهيئة التمثيلية مؤلفة من سعبة أعضاء منتخبين من الجالية المغربية، وثلاثة مسلمين من الجالية التركية، وثلاثة مسلمين من جنسيات أخرى، وثلاثة بلجيكيين أو أوروبيين اعتنقوا الدين الإسلامي، وهذه الهيئة تقرر تخصيص التمويلات العامة إلى المساجد والأئمة، وتحتل الجالية المغربية ١٨٠ ألف نسمة المرتبة الأولى بين مسلمي بلجيكا تليها الجالية التركية ١٠٠ ألف نسمة.

شارون: إسرائيل ستحتفظ إلى الأبد بـ ٥٨٪ من الضفة الغربية

كشفت صحيفة «هآرتس» أن وزير الخارجية الإسرائيلي إرييل شارون يرغب في أن تحتفظ إسرائيل بصورة نهائية بـ ٥٨٪ من أراضي الضفة الغربية، واعتبر شارون أن ٥٨٪ من الضفة الغربية يجب أن تكون مناطق أمنية، بحيث لا تستطيع إسرائيل التخلي عنها في مفاوضات الوضع النهائي للأراضي الفلسطينية، وقالت «هآرتس»: إن شارون أدلى بهذه التصريحات أثناء اجتماعات تحضيرية لهذه المفاوضات التي يأمل ألا تؤدي إلى «تنازلات» جغرافية من جانب إسرائيل، وأن تنصب على مسائل اقتصادية وقضية توزيع المياه.



فتاوى

زكاة الديون ومكافآت الموظفين

تقدم إلى اللجنة كل من: عدنان، ممدوح، عبدالمجيد وقالوا :
إن شركتهم تتكون من أسهم وعليها ديون استغلت كلها في إنشاء مصانع لتصنيع أدوات البناء ويطلبون **بيان الحكم الشرعي في وجوب الزكاة على هذه الشركة.**

ـ أجابت اللجنة بما يلي:
إن الزكاة إنما تجب على النقد والبضائع المقصود منها التجارة لا التصنيع ويضم إليها الديون التي لها على الغير، ثم تخصم الديون المستحقة على الشركة، فإن بقي شيء يساوي نصاباً وحال عليه الحول تخرج زكاته بمعدل ربع العشر (٢,٥٪) بعد استئذان المساهمين، لأن الزكاة عبادة لا تؤدى إلا بالنية، ولا يقوم شخص بأداء الزكاة عن شخص إلا بالتوكيل أو الولاية.

وقد سألوا عن مكافآت الموظفين التي تصرف لهم عند انتهاء الخدمة وهي مدخرة عندهم.

ـ فأجابت اللجنة:
إن هذه المكافأة هي ـ في الحقيقة ـ ديون على الشركة مستحقة للموظفين والعمال، ولا يملكون إخراج الزكاة عليها، ولكن يخرجها العامل أو الموظف عن نفسه. والله أعلم

زكاة الأرض المستملكة

عرض على اللجنة السؤال المقدم من المدعو/ خالد ونصه كالتالي :

هل يجب إخراج الزكاة على الأرض المستملكة ليس لغرض التجارة، وكذلك إذا كانت لغرض التجارة، فهل يجب إخراج الزكاة عنها؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي :
لا يجب إخراج الزكاة على الأرض المستملكة التي ليست لغرض التجارة ما لم تزرع فيكون فيها زكاة الزروع. والله أعلم.

عقود الشركات الصورية

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من حسين ونصه كالتالي :

لو عملت عقد شراكة صوري بيني وبين شخص آخر لتيسير عمل تجاري معين ـ مسجل بالعقد للشريك ٥١ في المئة ولي ٤٩ في المئة مثلاً، وذلك لتقديم العقد لإحدى الدوائر الحكومية لتيسير عملي التجاري وذلك من دون مقابل من شريكي.

أ - هل يثاب أم يأثم على ذلك، وهل ذلك حلال أم حرام ؟ مع العلم أنه كتب ورقة أخرى أشهد عليها أهله بأنه ليس له بالشركة إلا اسمه وهذه خدمة لي.

ب - لو أخذ أجر ذلك هل يجوز أم حرام؟

ـ أجابت اللجنة على السؤال بما يلي :
الأصل في التصرفات أن يقصد بها حقيقتها ولا يعدل عن ذلك إلى «الصورية» إلا لداع مشروع، بشرط ألا يترتب على الصورية ضياع حق لذي حق، فإذا دعت الظروف لسلوك طريق الصورية دون مقابل مساعدة للطرف الآخر للعمل والكسب الحلال، فإن ذلك جائز ونرجو أن يثاب عليه فاعله وينبغي للطرفين اتخاذ الضمانات الكافية لحفظ الحقوق لأصحابها في حال الحياة وبعدها، أما أخذ أجر على ذلك، فبما أن التصرف في حقيقة الأمر هو كفالة تجاه الغير بنسبة ٥١ في المئة من التزامات الشركة، فإن الأصل في الكفالة أنها عقد تبرع ولذلك ترى اللجنة عدم جواز أخذ مقابل عليه.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.

والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عنها.

ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

ترك صلاة الجمعة لضرورات العمل

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من جمال ونصه كالتالي:
شباب أتراك مسلمون يعملون في أوروبا لدى شركات كبرى للسيارات والأغذية وغيرها، وطبيعة العمل ذي التقنية الحديثة أن يرتبط عمل كل عامل بالذي يليه مباشرة ... لذا يتعذر غياب العامل.... وإذا حصل فإن العمل يتوقف بالقسم أو الجناح حسب موقع العمل، وعدد العمال في هذه الشركات كبير، وعدد كبير آخر معهم من غير المسلمين، **فكيف يتصرفون حيال صلاة الجمعة؟**، وهم إذا أصروا على ترك العمل وقت الجمعة توقف العمل واستغنت الشركة عن خدماتهم، والظروف صعبة جداً في هذه الحالة أفيدونا جزاكم الله خيراً.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:
مراعاة للظروف المشار إليها في السؤال ـ وبما أن السائلين حنيفو المذهب ـ فإن اللجنة تفتيهم بمذهب أبي حنيفة بوجوب الجمعة عليهم، ويصلون بدلاً منها الظهر ولاداعي لتركهم عملهم والتعرض للمخاطر المشار إليها. والله أعلم

ضمان الخسارة في الشركة

حضر إلى اللجنة محمد، وطلب الاستفتاء بالتالي:

شخص لديه من المال مبلغ مئة ألف دينار (١٠٠,٠٠٠) وكذلك لديه أسهم في بنك من البنوك الربوية وعددها ١١٦٨١ سهماً (أحد عشر ألفاً وستمئة وواحد وثمانون سهماً» وكذلك لديه أسهم في شركة تجارية وعدد الأسهم في هذه الشركة ٤٩٩٩ سهماً (أربعة آلاف وتسعمئة وتسعة وتسعون سهماً.

والسؤال هو:

إذا كان هذا الشخص أي صاحب المال قد وكل أخاه في إدارة هذا المال وأقصد في ذلك المئة ألف دينار بحيث هذا الأخ قد وضع هذا المبلغ وهو المئة ألف دينار على شكل استثمار في عقار هذا العقار يدر على صاحب المال مبلغ سبعمئة وخمسين ديناراً شهرياً دون زيادة أو نقصان، **ما موقف الشرع من الإيراد الثابت الذي يحصل عليه صاحب المال شهرياً وهو مبلغ السبعمئة وخمسين ديناراً مع العلم أن الأخ الذي وكلّه صاحب المال يتعامل مع البنوك الربوية؟**

- أجابت اللجنة على السؤال بما يلي:

إن الاتفاق الذي تم بين صاحب السؤال وبين أخيه عبارة عن شركة في الملك الذي لأخيه بنسبة ثابتة من الإيراد منسوبة للمبلغ المدخل في الشركة لا للإيراد الفعلي وهو شركة فاسدة لضمان الخسارة وتثبيت الربح بمبلغ مقطوع لا بالنسبة المئوية لربح الملك، ولتصحيح هذه الشركة الفاسدة يعتبر الاتفاق على المبلغ المقطوع لاغياً ويطبق مبدأ المشاركة في الربح بقدر المشاركة في الملك «ويفضل كتابة هذا الاتفاق على الشكل الصحيح»، فيقوّم العقار في يوم المشاركة وتقدر نسبة المئة ألف إلى قيمة العقار ويستحق صاحبها من الربح بنسبة حصته إلى مجموع قيمة العقار، فإذا كان ما وصل إليه في السابق أكثر من حقه، فإنه يعيده إلى شريكه، فإن لم يمكن تصدق به لأنه كسب غير مشروع وإذا صحح وضع الشركة واستمرت فينبغي التحرز من خلط هذا النشاط الاستثماري الحلال مع الاستثمارات الربوية.

استثمار الزكاة في مصالح الدعوة

تقدم إلى اللجنة المدير العام للمؤسسة الإسلامية وطلب الاستفتاء بالتالي:

أرجو التكرم بإفادتنا عن الحكم الشرعي في صرف الزكاة الواجبة للأموال في شراء عمارة أو دكاكين أو بناء له ريع أو غلة، على أن تصرف هذه الغلة أو الدخل على المشاريع الإسلامية القائمة، مثل دور الأيتام والمدارس الدينية وغيرها، علماً بأن مكان هذه الأعمال دول أفريقيا المحتاجة. وسألته اللجنة بالتالي:

– هل تقوم المؤسسات التبشيرية بصرف الناس عن الإسلام؟

– قال: نعم.

– ما وضع المسلمين هناك؟

– قال: الجوع والجفاف بالنسبة للمسلمين، فيقوم النصارى باستغلال هذا الوضع للتنصير.

– من الذي يقوم ببناء المؤسسات الإسلامية هناك هل هي جهة موثوق بها؟

– قال: مؤسسة إسلامية اسمها المؤسسة العامة الإسلامية، وهي جهة موثوق بها ومعروفة.

- أجابت اللجنة:

انه يجوز صرف الزكاة لمثل هذه المشاريع الإسلامية التي تعمل في مواجهة التبشير والتنصير، وذلك عن طريق شراء عمارة أو دكاكين أو بناء له ريع أو غلة تصرف على الأيتام لتعليمهم وتطبيبهم حماية لهم من الوقوع في براثن المبشرين، على أن يكون هذا في مجالات يشيع فيها التنصير، لأن الصرف على هذه الأمور يعتبر من أحد مصارف الزكاة الثمانية، وهو سبيل الله، وعلى أن يكون من تعطى إليهم الأموال لهذا الغرض محل ثقة لصرفها في موطنها الصحيح دون غيره. والله سبحانه وتعالى أعلم.

العمل في السمسرة

حضر إلى اللجنة عبدالفتاح وطلب الاستفتاء بالتالي:

أعمال السمسرة لا شيء فيها حسب علمنا.

ولكن يحتاج السمسار أن يكتب صيغة العقد بين البائع والمشتري وفي ذلك العقد يتم كتابة صيغة أو طريقة دفع المبالغ للبائع في صيغة العقد.

والمشتري يأخذ المبلغ الذي يحتاجه من البنك بفائده ويتم تسجيل طريقة حصوله على المبلغ في صيغة العقد.

ومع العلم أن السمسار لا دخل له في طريقة حصول المشتري على المبلغ.

فما حكم دخولي في هذه المهنة وإجراء هذه العقود على الصفة المشار إليها مع ملاحظة أن حق البنك لا يتوقف على هذه العقود.

- أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز العمل في مهنة السمسرة وإجراء عقود المبايعات وكتابتها، ولا علاقة للسمسار بعملية الربا التي تم الحصول بها على الثمن بين المشتري وأحد البنوك، ولا ضير عليه من تدوين المعلومات المتصلة بطريقة الحصول على الثمن أو سداد الثمن ربوياً كان أو غير ربوي. والله أعلم.

زكاة الأرض

تقدم إلى اللجنة إسماعيل وأفاد بالتالي:

اشترى شخص أرضاً، وذلك من مدة ثلاث سنوات، وعندما اشتراها كانت قيمة الأرض أربعة آلاف دينار، وفي السنة الثانية بلغت الأرض عشرة آلاف دينار، وفي السنة الثالثة بلغت أربعين ألفاً من الدنانير.

فما مقدار الزكاة لهذه الأرض، علماً بأنه لم يخرج زكاتها منذ ثلاث سنوات من بداية شراء الأرض؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

انه إذا كان قد اشتراها بنية التجارة، فعليه أن يقومها في آخر كل عام، بقيمتها السوقية، ويخرج الزكاة بنسبة ٢,٥ في المئة.

أما إذا اشتراها ليس بنية التجارة فليس فيها زكاة إلا أن يتصدق. والله أعلم

المرسى

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع ...

الشرق، شرق ... والغرب، غرب

عبدالستار خليف

شتان، بين الشرق والغرب، بين السماء والأرض، البون شاسع جداً، والفارق كبير، كبير جداً، والمسافة بعيدة... بعد السماء عن الأرض!!. فهل يلتقي النقيضان: العالم الروحي والعالم المادي؟ هل تتلاشى المسافة بين العالمين، وينتهي البعد المكاني والزماني، وتزول الحواجز المادية والروحية ويلتقي الشرق مع الغرب!!

هناك فروق أساسية وجوهرية بين الشرق والغرب، فالغرب بكل ما به من عالم الماديات التي سيطرت على عقول البشر وطغت على الأخلاقيات والقيم العليا والمثل، واهتم الإنسان بتحقيق ذاته فقط، كفرد وأن يأكل البشر قبل أن يأكلوه، وأن يقتلهم قبل أن يقتلوه، وعليه أن يقلب الطاولة في وجوه الآخرين وأن يضربهم أسفل الحزام، والصراع على الحلبة من دون قواعد اللعبة، والبحث عن السعادة الشخصية وبلوغها على تعاسة الأخرين، لأن الحب هو المصلحة والذات والأنانية والمتعة واللذة الحسية فقط ... وأنا ومن بعدي الطوفان!!.

أي غرب هذا؟! وأي عالم هذا الذي نحاول التقرب منه، وننشده ونحاول الالتقاء معه في نقطة معينة؟! إنه عالم الخواء، والفراغ، والخراب، والأنا والذات الفاسدة، واستغلال الفقراء الضعفاء لصالح الأغنياء الأقوياء، والخروج علينا بالبدع واللامعقول واللا أخلاقيات باسم الموضة والتقدم والعصرنة.

والشرق، بما فيه من قيم روحية، وإنسانية، قيم الحب والخير والحق والجمال، أخلاقيات نابعة من ديننا الإسلامي الحنيف، وعادات وتقاليد الآباء والأجداد والسلف الصالح، وهي تختلف تمام الاختلاف عما يدور ويجري في الغرب ... ولا شيء يأتي من الغرب يسر القلب. عالمنا الشرقي، عالم الصفاء والنقاء والتعاطف بين البشر، والمحافظة على صلة الرحم والقربى، وتحقيق ذات الإنسان من خلال أهداف الأمة التي ينتمي إليها والتطور والتقدم على أساس روحي وأخلاقي، فلم نسمع عن «أم» ظلت ميتة في منزلها - بلندن - طوال سبع سنوات حتى تعفنت وتحللت و«ابنتها» تقيم في الجانب المقابل من الشارع، لم تدر عنها شيئاً!!. هذا أقل شيء يحدث في الغرب، لمن ينادون بقيم وأخلاقيات الغرب، فليس التقدم والتطور على حساب القيم والمثل والأخلاق والعادات والتقاليد.... لا.

إننا... نأخذ من الغرب ما يتلاءم ويتناسب معنا ونصهره في بوتقة الشرق، ونرفض ما يتعارض معنا وروحانيات الشرق، أما أن يمتزج الشرق والغرب معاً في بوتقة واحدة، فهذا محال ونرفضه، فالشرق، شرق، والغرب، غرب، ومحال أن يلتقيا. ■



دع فريق بيت الزكاة
يحتسب لك زكاة شركتك
يمتلك بيت الزكاة فريقاً مختصاً تم تأهيله وتدريبه
شرعياً ومحاسبياً لإحتساب زكاة شركتك.
توصيل الزكاة لمستحقيها أمــــانة فدعنا نحملها عنك
الخط الساخن 5000 574



الأمانة العامة للأوقاف
شارك معنا من خلال
السهم الوقفي
بقيمة ١٠ د.ك
• بـ١٠ د.ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
• احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
• بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له
رواه مسلم
السهم الوقفي
صدقة جارية... لخدمة الدين والمجتمع
للاستفسار :
رقم : (٨٠٠٨-٢٤١) صباحاً
ولخدمة التحصيل السريع
بيجر : (٩٢٥٠-٩٢٥)

فض الاشتباك بين الدين والسياسة

الوعي الإسلامي

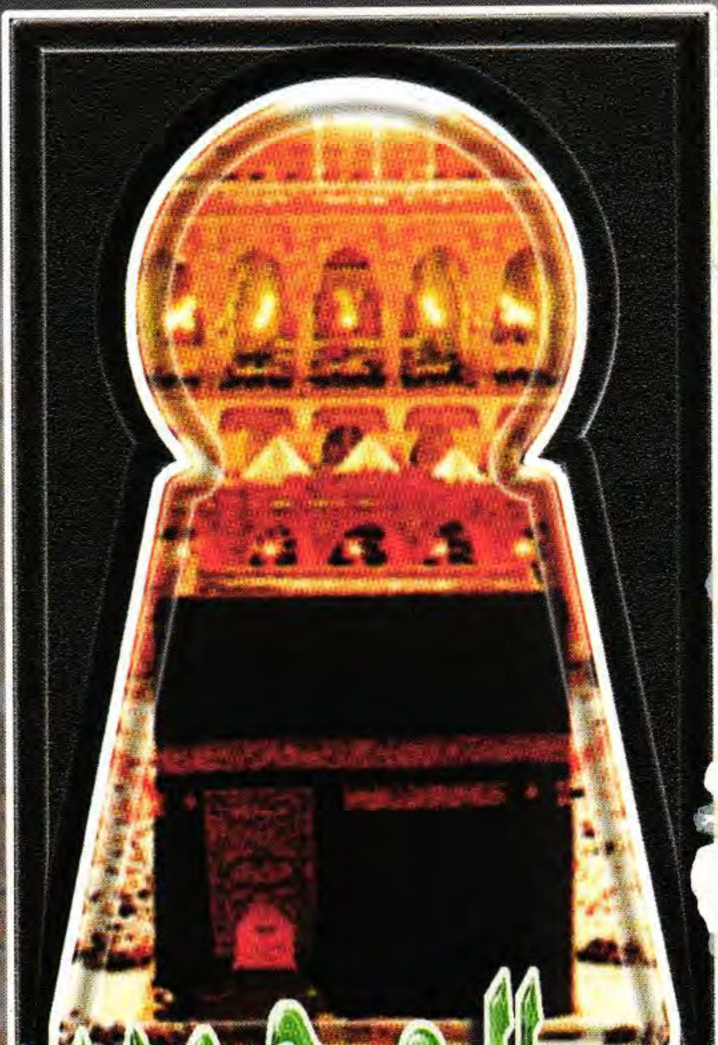
al-Waei al-Islami

إسلامية شهرية جامعة

العدد ٤٠٠ ـ السنة الخامسة والثلاثون ـ ذو الحجة ١٤١٩ هـ ـ مارس / أبريل ١٩٩٩ م



شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي: سلوك نظام العراق يتنافى والأخلاق الإسلامية



الحج مدرسة المسلمين

الآثار النفسية لأسلوب القرآن الكريم

من أجل تحرير حقيقي للمرأة

هديتك مع العدد براعم الايمان

كل عام وأنتم بخير

تتقـدم وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسلاميـة

وأسـرة تحريـر مجلـة الوعي الإسلامي مـن

صاحب السمو أمير البلاد

وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء

ورئيس وأعضاء مجلس الأمة

وأعضاء الحكومة الموقرة

بأطيب التهاني وأجمل الأماني
لمناسبة عيد الأضحى المبارك
وحج مبرور إن شاء الله
سائلين المولى سبحانه وتعالى
أن يعيده على المسلمين قاطبة
باليمن والخير والبركات
وأن يرحم الشهداء الأبرار
ويفك قيد الأسرى
ويعيدهم سالمين غانمين

عيدكم مبارك
وعساكم من عواده

كلمة العدد

الحج والتغيير الإيجابي

إخواننا القراء

نظراً لأهمية المناسبة التي يعيشها المسلمون هذه الأيام، حيث يتقاطر المسلمون من كل فج عميق على أرض الرسالة في مكة المكرمة لأداء مناسك الحج وحضور المؤتمر الكبير في عرفات، فقد خصصنا ملفاً لتغطية هذا الحديث تناولنا فيه النتائج التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للحج وتأثيراتها في واقع المسلمين المعاصر.

إن المسلمين اليوم في أمسّ الحاجة لتغيير واقعهم الذي لا يسر أبداً لرجحان كفة السلبيات على كفة الإيجابيات، والعبادات في الإسلام صلاة وصوم وزكاة وحج هي الوسيلة والمنطلق نحو التغيير وهي المهمة الرئيسة التي خلق الله عزّ وجلّ لأجلها الإنسان في هذا الكون. أياً كان هذا الإنسان. (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين).

إن الإنسان عقدياً هو سبيل العالم الإسلامي إلى العطاء واستعادة الريادة الحضارية والتأثير إيجابياً في المسيرة الإنسانية المعاصرة فهل يشهد حج هذا العام مثل هذا التغيير هذا ما نأمله والله الهادي إلى سواء السبيل.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا - السعودية : ٤ ريالات - البحرين : ٣٠٠ فلس قطر : ٤ ريالات - الامارات : ٤ دراهم - سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة الأردن : ٥٠٠ فلس - مصر : جنيه واحد - السودان : ٥ جنيهات موريتانيا : ١٢٠ أوقية - تونس : دينار واحد - الجزائر : ٥ دنانير اليمن : ٥ ريالات - لبنان : ١٠٠٠ ليرة - سوريا : ٢٠ ليرة - المغرب : ٦ دراهم ليبيا : ٥٠٠ مليم - اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزبيبر

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٤٠٠ . السنة الخامسة والثلاثون
ذو الحجة ١٤١٩ هـ . مارس / أبريل ١٩٩٩ م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

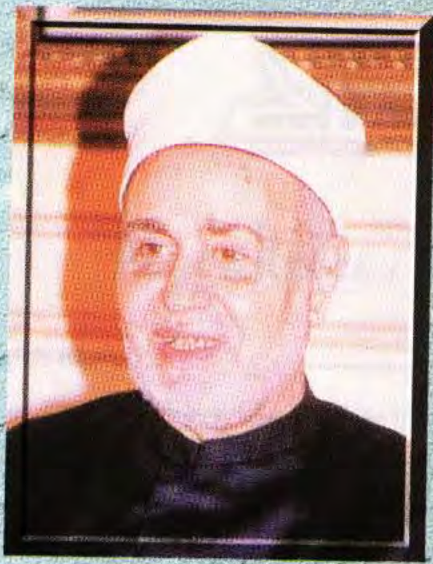
al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+)
فاكس : ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

مطابع السياسة - الكويت

في هذا العدد



حوار

حوار مع شيخ الأزهر

فضيلة شيخ الجامع الأزهر د. محمد سيد طنطاوي تناول في حواره مع مجلة الوعي الإسلامي جملة من القضايا العربية والإسلامية والعالمية وفي مقدمها قضية أسرى الكويت وحوار الحضارات والعولمة والإعلام والدور العالمي للأزهر في نشر رسالة الإسلام.

دراسات قرآنية

الآثار النفسية لأسلوب القرآن

الفنون البلاغية في القرآن الكريم كالتشبيه والاستعارة والايجاز وضرب الأمثال تترك آثاراً نفسية واضحة مؤثرة وهي من أفضل سبل الاقناع وتركيز الرأي والعقيدة في النفس البشرية.

فكر

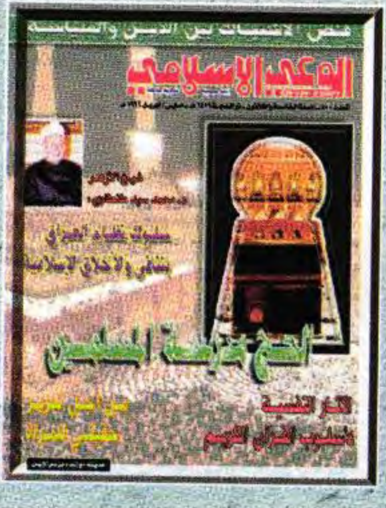
الخطوط العامة في ميدان الجانب الاجتماعي من الإسلام

المجتمع في الإسلام جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وهو يقوم على دعائم ثابتة وأسس مكينة من التقدير لمعنى الإنسانية.

قضايا

السلام في العالم أمن وأمان للفرد والمجتمع

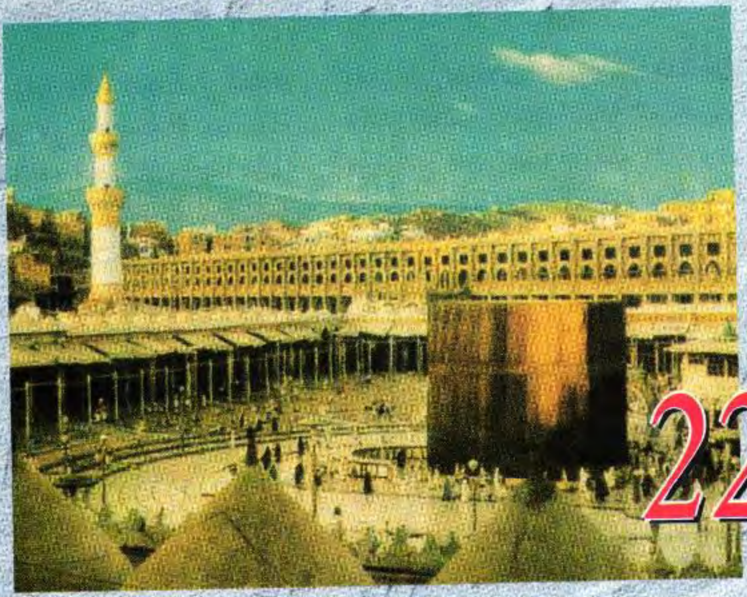
القلق الذي ينتاب العالم اليوم سببه البعد عن منهج السماء والإسلام بنصوصه وقواعده جاء ليحقق الأمن والطمأنينة والاستقرار لجميع شعوب الأرض باعتباره رسالة «عالمية».



في الأعداد المقبلة

- الظلم الاجتماعي مصطلح في حاجة إلى مراجعة. — د. مصطفى فوضيل
- دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية. — د. محمد الدسوقي
- الانهزام النفسي عند الشباب. — محمود حسن إسماعيل
- رؤية مستقبلية لنظام الوقف الإسلامي. — د. محمد الشحات الجندي
- الفقه المنشود من أجل فهم إسلامي راشد. — محمود السباعي محمود
- رد الشبهات عن الإرث في الإسلام. — د. محمد الزحيلي

ملف الحج

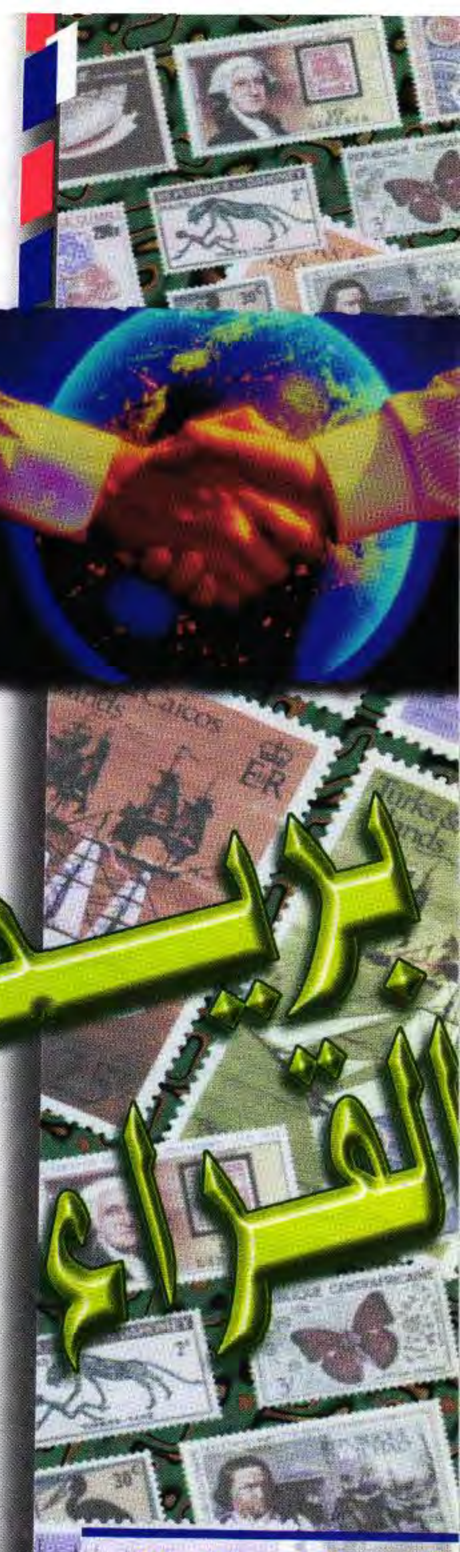


22

الحج ووحدة الصف والهدف

إذا كانت وحدة الصف والهدف تتجلى في أسمى معانيها في موسم الحج، فإن هذه الوحدة هي في تقدير الإسلام تعد قوة ردع تؤدي دورها في ردع الأعداء مع غيرها من مصادر القوى الأخرى.

الفهرس



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

التحديات منبهات حضارية

لا شك أن التحديات، والنكبات التي لحقت وتلحق بالأمة ما هي في الحقيقة إلا «منبهات حضارية» تحمل الأمم الحية للعكوف على ذاتها، والقيام بالمراجعة الشاملة لمواريثها الفكرية، ومواقفها العملية، بجرأة وشجاعة، فالأزمات هي التي توقظ الشعوب والأمم من سباتها. وأمامنا مثالان جديران بالدراسة والتأمل، المثال الأول والأكثر شهرة، اليابان التي خرجت من الحرب العالمية الثانية مشوهة وفقدت في لحظة أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة، ولكن سرعان ما لمت الشعث لتدخل عالم ما بعد هيروشيما، ويظل المؤشر البياني في صعود طيلة نصف قرن، وقد عقد رؤساء الدول في السوق الأوروبية المشتركة مؤتمراً خاصاً في صيف ١٩٨٥م لاتخاذ ما يلزم من قرارات حتى لا تتخلف دول غرب أوروبا عن اليابان في مجالات التكنولوجيا المتقدمة.

والمثال الآخر... عندما أطلق السوفييت القمر الصناعي «سبوتنيك» العام ١٩٥٧م، والذي اعتُبر - آنذاك - سبقاً تكنولوجياً، عبّرت الجهات المختلفة في الولايات المتحدة الأميركية عن سخطها على مناهج العلوم والرياضيات، وعبَّر العلماء أنفسهم وحتى خريجو الجامعات ورجال الصناعة أيضاً عن عدم الرضا، ودعوا إلى تكوين طالب متمرس فنياً لتدخل أميركا أيضاً على عالم ما بعد «سبوتنيك».

فهل نلحق - نحن المسلمين - بركب الأمم مع ما معنا من إرث حضاري يضرب في أعماق التاريخ، وتكون الإصابات والجراحات منبهات ومحرضات حضارية تحمل لنا بصائر الحاضر وبشائر المستقبل.

عبدالكريم أحمد عوض الله

الشريعة الإسلامية وشهادات الغرب

إن سماحة الإسلام ستظل معيناً واضحاً لكل ذي لب والإسلام غني كل الغنى عن أن يشهد له الغرب، ولكن إنما قصدت هنا إظهار كلمة حق هنا قالها الأعداء، «والحق ما شهدت به الأعداء»، ولنبدأ بحديث الدكتور بنوه الفرنسي حيث قال: «إن نصوص بعض آي الكتاب الموحى به إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً تتناسب وأحدث مبادئ العلوم العصرية، وكان من جراء هذه الملاحظات أن آمنت نهائياً»، إن هذه المقالة ترد وتثبت كذب من قال إن هذا العصر يحتاج إلى تشريع يتناسب والتقدم العلمي الملحوظ ينفي بذلك أحقية الكتاب الكريم بأنه لايصلح، فأي جهل هذا، وأيضاً مقالة أخرى تردُّ على جهل كل من يحقد على الإسلام ويتهمه بأنه يقف عقبة في سبيل التقدم والتفكير فيقول «أتين دينيه»: إن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير، وكما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع المدنيات، وها هو «جيبسوت» يقول معلنا للعالم: إن هذا الدين خال من الشك والظن فيقول: «إن دين محمد خال من الشكوك والظنون، والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله وهذا الدين أكبر من أن تدرك عقولنا الحالية أسراره ومعانيه غير المتناهية»، ويقول «تولستوي» في رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: «... ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ويكفيه فخراً أنه فتح طريق الرقي والتقدم ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال». واختم هذا المبحث بمقالة وزير مسيحي قال في حفل المولد النبوي «إن محمداً أعظم عظماء العالم، ولم يَجُدْ الدهر مثله بعد، والذي جاء به أو في الأديان وأتمها وأكملها إن محمداً الذي تحتفلون به وتكرمون ذكراه أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم وإنشاء أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ».

خالد محمد أمين

ملاحظات

مما لا شك فيه، أن مجلتنا العظيمة الوعي الإسلامي تعتبر موسوعة دينية وثقافية وعلمية لكل من يقرأها ونريد لمجلتنا العظيمة أن تكون في أبهى صورة لها ولكن لي بعض الملاحظات أرجو أن تتقبلوها بصدر رحب وهي:

١ ـ نلاحظ في بعض الأعداد مثل العدد (٣٩٦) زيادة المساحة المخصصة لأنشطة الوزارة (نحو ٢٠ صفحة)، وهذه المجلة يقرؤها المسلمون في معظم البلاد، وليس في الكويت فقط، أرجو أن تقل هذه المساحة ليحل محلها المقالات العظيمة لشيوخنا وأساتذتنا الكرام.

٢ ـ أرجو زيادة المساحة المخصصة لبريد القراء، لأنها تعبر عن آراء المسلمين الحرة في كل أنحاء العالم الإسلامي.

٣ ـ بالنسبة لمجلة براعم الإيمان أرجو أن تكون القصة المصورة مرقَّمة بحيث أن تحمل الصورة رقمها حتى يستطيع القارئ متابعة القصة بترتيب الصور.

أشرف محمد أحمد سكر ـ مصر

المحرر:

شكراً على ملاحظاتكم الطيبة، ونأمل أن نأخذ بها مستقبلاً، وأما بخصوص زيادة مساحة أنشطة الوزارة في العدد ٣٩٦، فهذا أمر استثنائي أملته ظروف معينة، والأنشطة عادة لا تأخذ كل هذه المساحة... بارك الله بكم وجزاكم الله خيراً.

ردود خاصة

الأخ عبدالناصر جناحي ـ دولة البحرين:
يمكنكم الحصول على المعلومات المطلوبة من كشاف الوعي الإسلامي في أجزائه الثلاثة، وجزاكم الله خيراً على ثقتكم بالمجلة.

الطلبة الماليزيون الدارسون في القاهرة:
وان روهيشام بن وان إبراهيم، عثامن بن صوفي، خيرالدين مختار بن يوسف، وان عبدالعزيز محمود، يمكنكم مخاطبة المؤسسات الخيرية لحل مشكلتكم المالية.

القارئ حسين أحمد عبداللطيف ـ مصر:
ليس لدينا فهرست لموضوعات البراعم حتى نعرف العدد الذي نشرت فيه القصة، يمكنكم موافتنا برقم العدد فقط حتى نقوم بإرساله إليكم.

القارئ عبدالله خالد حسن ـ الجزائر:
عنوان وكالة الأنباء الإسلامية «إينا» هو: جدة ـ شارع الأمير فهد ـ ص.ب: ٥٠٥٤ الرمز البريدي (٢١٤٢٢).

الطفرات التقنية وترويج السقوط

ربما كان هذا العصر الذي نعيشه أجدر بأن يسمى عصر الطفرات التقنية إذ إن منحنى التقدم التكنولوجي حقق وثبات عالية ومتتابعة وسريعة خلال حقبة زمنية صغيرة نسبياً وذلك على محاور متعددة.

ففي عالم الاتصالات مثلاً، صار الحديث عن ثورة الاتصالات وما حققته من إتاحة الاتصال السريع بين بقاع العالم المتباعدة حتى غدا العالم كله كقرية صغيرة، وصار متاحاً لأكثرية من الناس أن يعايشوا أحداثاً شاسعة البعد ساعة حدوثها، بل قد يرونها حية، وتمكنت وسائل التجسس من التقاط أخفى الأسرار وأدقها، وفي عالم الإنتاج الصناعي أدمجت شركات عملاقة لتكون اخطبوطاً صناعياً هائلاً لا يمكن أن تقف له منافسة وصارت أسماء هذه الشركات علماً على حاجات معينة، أو هي احتكرت ضرورات ملحّة، ولقد تضخم الإنتاج وتعملق إلى الحد الذي فاق معدلات الاستهلاك في كثير من السلع وجعل الخطر الماثل أمام الفقراء ليس هو ندرة السلعة، وإنما هو خطر الإغراق» «أي إغراق الأسواق بسلع رخيصة وافدة تفتك بالمنتج المحلي المشابه»، وعلى المسرح العسكري تبارت الشركات الكبرى في إنتاج وسائل التدمير المخيفة حتى ليعجب الإنسان من إنتاج كل هذه الكميات والنوعيات التي ربما تكفي لإبادة سكان الأرض عشرات المرات، قد يسأل سائل هل الإنسان هو المستهدف من كل ذلك أم أنه كائن آخر مجهول.

وإذا كان من الطبيعي أن يصب التقدم الصناعي في مصلحة هذه البشرية الضائعة ويسهل لها سبل العيش المترف، إلا أنه في الواقع حقق العكس، فالبشرية الآن تتخبط أكثر مما مضى في أوحال التخلف رغم كل ما تحقق من إنجازات لا تنكر في جميع المجالات.

إن هذا التقدم العلمي الصناعي قد وُظِّف لمحاربة الإنسان في أخص خصائصه وفي إنسانيته بالذات، إن تجار الجنس ومروجي المخدرات ومافيا الأسلحة لم يضيعوا فرصة واحدة من هذه الفرص لتصب في مصالحهم، فالفيديو واللواقط الهوائية وشبكة الأنترنت كلها وظفت جيداً لترويج السقوط والدعارة، بل للسرقة أحياناً، وأصبحت هنالك نوعيات من الناس تقتني هذه الأشياء ليس إلا للتمتع بالمشاهد الجنسية الساقطة، وإذا كان نقل الأفلام الجنسية عبر الحدود يشكل ـ فيما مضى ـ صعوبة على مروجيها، فالتقنية الصناعية تكفلت بحل هذه المشكلة، وبإمكان اللاقط الهوائي «الدش» أن يستقبل هذه المشاهد المبثوثة عبر الأثير، وإذا كان ذلك سيضيع على المتاجرين فرصة لتحقيق الكسب المادي من وراء ذلك، فالتقنية الصناعية أيضاً ستحل هذه المشكلة عن طريق تشفير هذه القنوات وتحصيل الاشتراكات من راغبي المشاهدة.

إن العنف والفسوق أصبح على قمة صادرات البلاد التي تسمى متقدمة، وإن بلادنا الإسلامية هي الأسواق المستهدفة، فما المخرج إذاً.

إن علينا كمسلمين أن نواجه هذه الحرب في جميع ميادينها بأسلحة مكافئة حتى لا يقذفنا السيل مع الزبد. علينا أن نبث ثقافتنا النظيفة عبر هذه الوسائل التقنية ذاتها وبأداء رفيع وبلورة حسنة وعرض ممتع علينا أن نمسك بزمام المبادرة، وأن نلفت ذوي الألباب إلى كنوزنا وجواهرنا المطمورة فنقدم مثلاً الثقافة الجنسية العلمية المحترمة كبديل لهذا العفن الأخلاقي الذي يزكم أنوفنا تحت مسمى الثقافة الجنسية، ونقدم الفهم الصحيح لعقائدنا بدلاً من التعارك الدفاعي حول تهم ألصقت بنا، ونقدم النموذج الحي للمارد الإسلامي القوي الذي لا يخيف الضعفاء، بل يأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة، فهل نحن فاعلون؟

محمد عبدالظاهر محمد ـ مصر

في ذمة الله

أمير البحرين
الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة



شيعت البحرين يوم السبت ١٨ ذو القعدة ١٤١٩هـ الموافق ٦ مارس ١٩٩٩م أميرها الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة الذي توفي في اليوم نفسه إثر نوبة قلبية حادة، وقد تركت وفاته أثراً بالغاً وحزناً شديدين داخل البحرين وفي دول مجلس التعاون الخليجي وفي جميع الأقطار العربية والإسلامية وباقي دول العالم نظراً لما كان يتمتع به الأمير الراحل من خصال حميدة ومكانة مرموقة طيلة أيام حكمة التي امتدت ٣٧ عاماً قاد خلالها البحرين نحو الاستقلال والرخاء الاقتصادي عبر أزمات محلية وإقليمية، وقد أعرب العديد من القادة العرب والأجانب عن عمق تأثرهم لوفاة الشيخ عيسى وأعلنت الحكومات في هذه البلدان الحداد الرسمي حيث نُكست الأعلام الوطنية لأيام عدة تضامناً مع العائلة الحاكمة والحكومة والشعب البحريني وقد أمر سمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح حفظه الله بإعلان الحداد لمدة ٤٠ يوماً وتنكيس الأعلام لمدة ٥ أيام حزناً على وفاة أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان.

وصدر بيان عن الديوان الأميري جاء فيه أن «الشعوب الخليجية والأمة العربية والإسلامية تلقت النبأ الذي فاجأ مشاعرها بوفاة علم من أعلام دول مجلس التعاون الخليجي. وأضاف أن الديوان الأميري، أعرب عن مشاعره ومشاعر الحكومة والشعب الكويتي جميعاً بالحزن والأسى، يشاطر الشعب البحريني الشقيق والأسرة الحاكمة الكريمة آلامها بهذا المصاب الجلل الذي فُقد به ركن من أركان الحكمة السياسية والحنكة الطويلة والتجربة العميقة والأخلاق الرفيعة». وأضاف البيان أن «الشيخ عيسى رحمه الله قاد دولته وشعبه، وسط كل المتغيرات التي شهدتها الحقبة المعاصرة، بنور البصيرة وأناة الخبرة وهداية التجربة، وشارك إخوانه قادة دول مجلس التعاون الخليجي حفظهم الله مسؤولياتهم الجسام مؤثراً دائماً المحبة والمودة والتفاهم والنفس الطويل».

وشدد البيان على أن «الكويت في اللحظات الحزينة، إذ تستودع الله تعالى رجلاً من رجالات العصر واثقة كل الثقة أن الشعب البحريني الشقيق والأسرة الحاكمة الكريمة جديرون، بالتغلب على الأحزان والتعالي على الأوجاع أن يواصلوا طريق الراحل العزيز في قيادة الدولة والمشاركة في مسيرة الخليج والأمة العربية والإسلامية لتقر عينه في مثواه الأخير وهو يرى غراسه تثمر وقواعد ما بناه تعلو». ولد الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين الراحل في الجسرة بالبحرين في ٣ يونيو العام ١٩٣٣ وهو اليوم الذي يصادف ذكرى فتح البحرين على يد الشيخ أحمد الفاتح قبل نحو قرنين.

تلقى الأمير تعليمه على أيدي معلمين خصوصيين وفي العام ١٩٥٣م عين في مجلس الوصاية في أثناء غياب والده في الخارج وحضر احتفال تتويج الملك فيصل الثاني ملك العراق في سنة ١٩٥٤ وظل إلى سنة ١٩٦١ حيث تولى الحكم كما كان رئيساً للهيئة الخليفية ورئيساً لمجلس الري ونائباً لرئيس المجلس الإداري.

أصبح ولياً للعهد في ٥ يوليو ١٩٥٧ وتبوأ حكم البلاد بعد وفاة والده لأنه نجله الأكبر وذلك في يوم الخميس ٢ نوفمبر ١٩٦١م.

اتصف الشيخ عيسى بالتواضع والبساطة وسمو الأخلاق والكرم فهو يتفقد أبناء وطنه ويرعاهم ويستجيب لسد حاجاتهم وهذا ما أدى إلى تفانيهم في الإخلاص والوفاء له.

وبدأت نهضة البحرين تحت قيادة الشيخ عيسى بن سلمان فقد حصلت البلاد على استقلالها في ١٥ أغسطس العام ١٩٧١م وصدر على الفور مرسوم بتغيير لقب حاكم البحرين إلى «أمير البحرين».

كما تألفت حكومة يرأسها رئيس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة ثم انضمت البحرين بعد الاستقلال إلى هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية.

وفي العام ١٩٧٣ صدر أول دستور في تاريخ البحرين وبدأت المسيرة لتتحول البحرين في سنوات قلائل إلى أحد المراكز المهمة في منطقة الخليج إدراكاً منها لأهمية موقعها الجغرافي إذ تحولت إلى مركز مهم في القطاع المصرفي والمواصلات بين الشرق والغرب.

وفي عهد الشيخ عيسى انطلقت البحرين لتحقق الكثير من المنجزات التنموية.

هذا وإعمالاً بأحكام الدستور البحريني والمرسوم الأميري لسنة ١٩٧٣م بنظام توارث الإمارة والأمر الأميري رقم ٤ لسنة ١٩٧٥م نادى مجلس الوزراء البحريني بخليفة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ولي عهده صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى بن سلمان آل خليفة أميراً للبحرين، والوعي الإسلامي تبتهل إلى الله العلي القدير أن يرحم الأمير الراحل الشيخ عيسى ويدخله فسيح جناته وأن يكلأ بحفظه ورعايته الأمير الجديد ويسدد خطاه ليكون سنداً وعوناً للأمة العربية والإسلامية إنه سميع مجيب.

الافتتاحية

الحج مدرسة المسلمين

الحج مدرسة المسلمين... تلك عبارة تحتاج منّا إلى تأمل عميق، لتدبّر مراميها وأبعادها وهذا يقتضي أن نتدبر قوله سبحانه وتعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين).

إذ إن الآية الكريمة تبيّن حكم الحج، وأنه ركن عظيم من أركان الإسلام واجب الأداء في العمر مرة واحدة وهذا من فضل الله سبحانه ورحمته، كما نفهم من الآية الكريمة أن هذا الأداء مقيد بالاستطاعة المادية والصحية من أمراض النفس والجسد، إضافة إلى أمن الطريق، وإذا ما نظرنا في آيات الحج التي تشرح لنا مناسك هذا الركن العظيم من أركانه الأساسية وهي الإحرام والطواف والوقوف بعرفة والسعي وواجباته كالحلق أو التقصير ورمي الجمرات، وغير ذلك، فإننا حال هذا التطواف وإجالة النظر نقف على منهج حياة طيبة طاهرة تؤدي بنا إلى رضوان الله وبلوغ جنته مصداقاً لحديث المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ «الحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة»، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

إننا من خلال بيان الله ـ سبحانه وتعالى ـ رب العالمين في كتابه الحكيم ومن تلقي توجيهات نبيه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ نكون أمام مدرسة تزخر بمناهج تهذيب النفس وبناء الحياة والتعايش السليم الرغد بين الأحياء، فهلاّ أدركنا هذه المعاني البعيدة، وعشنا ما تحمل من مرامٍ عميقة ومعانٍ سامية رفيعة.

إنه لحري بالمسلمين اليوم أن يذللوا ما أنعم الله به عليهم من علوم وتقنيات في الاستفادة من مناسك الحج باعتباره أكبر مؤتمر، يضم أكبر عدد من البشر بلون خاص وشكل خاص وأداء خاص، ويستفيدوا من نعم الله سبحانه وتعالى، كما جاء في الآيات عن الحج مثل قوله جل وعلا: (ليشهدوا منافع لهم...)، وحالتئذٍ تبدو لنا العبَر والحكم في شتى المجالات الفكرية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والتربوية والسياسية.

إنه لأمل عزيز أن يتدبّر المسلمون تلك المعاني فيكون الحج عامل تقدم عاماً بعد عام، وتربية في مدرسته ترقى بنا إلى نهج الأولين وإلى الحضارة التي تليق بالإنسان. اللهم آمين.

الوعي الإسلامي

أنشطة الوزارة

المهرجان الأول لتكريم الأئمة والخطباء

وزير الأوقاف وشيخ الأزهر كرّما ١٩٥ من العاملين في قطاع المساجد

الزير : الأئمة وهبوا أنفسهم لإعلاء راية الإسلام فاستحقوا التكريم



كتب : تمام أحمد

تولي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية رعايتها الكاملة لبيوت الله تعالى وللقائمين عليها والعاملين فيها إيماناً بما للمساجد من منزلة كريمة عند الله تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) الجن:١٨، وقد أثنى المولى جلت قدرته على الذين يعمرون بيوت الله ويقيمون شعائر الإسلام فيها: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) التوبة:١٨.

قطاع المساجد ورعاية بيوت الله

وحرصاً من قطاع المساجد على تعزيز الجهود الهادفة إلى جمع المسلمين في بيوت الله تعالى على كلمة سواء ورعاية القائمين عليها من الأئمة والخطباء والمؤذنين وغيرهم ممن وفقهم الله تعالى لحمل الرسالة وأداء الأمانة وإرشاداً للمسلمين وبياناً لمعالم الصراط المستقيم وهداية إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله.

اللقاء الجامع لكل العاملين في قطاع المساجد

بادر قطاع المساجد إلى تنظيم المهرجان الأول لتكريم العاملين في قطاع المساجد في لقاء دعي إليه جميع العاملين في القطاع، وذلك يوم الخميس ١٩٩٩/٢/١٨، وأختير لذلك اللقاء نادي بوبيان العائد

رئيس قطاع المساجد:

تكريم الأئمة يعد جزءاً صغيراً مقابل ما يقومون به من جهد في خدمة الإسلام والمسلمين



د. طنطاوي : في هذا التكريم تتجلى أسمى آيات الوفاء







لشركة صناعة البتروكيماويات والذي يتميز بتوافر القاعات والملاعب والساحات والمرافق التي تستوعب هذا العدد الكبير من المدعوين كما يتسع لنشاطات وفاعليات برنامج التكريم من التاسعة صباحاً حتى العاشرة مساء.

ودعي أبناء العاملين في قطاع المساجد لهذا المهرجان، فأضفى تجمعهم جواً من البهجة والمرح والألفة والمودة من خلال برنامج حافل بالأنشطة.

وعلى امتداد يوم المهرجان أمضى المدعوون ساعات طوال من التواصل والتعارف والنشاطات المنوعة من خلال فقرات المهرجان وفاعلياته الكثيرة والمتنوعة التي شارك فيها جميع المدعوين من الآباء والأبناء، والتي حفلت بتوزيع جوائز ممتازة على الفائزين في المسابقات الثقافية والرياضية إلى جانب الهدايا التي قدمتها الشركات المساهمة في رعاية المهرجان وعلى رأسها شركة اليسرة للمواد الغذائية «ساديا».

تتويج المهرجان بتكريم العاملين

وقد توج هذا المهرجان الحاشد بحفل التكريم الذي تم في القاعة الكبرى للنادي، وشرّفه معالي وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية راعي الحفل وضيفه الكريم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر، وجمهور غفير من الأئمة والعلماء.

وتم تكريم ١٩٥ من العاملين في قطاع المساجد ما بين إمام وخطيب ومؤذن وموظف بالقطاع إضافة إلى وكلاء الوزارة المساعدين ورؤساء القطاع السابقين والمديرين القدامى والمديرين الحاليين.

وقد تمثل التكريم في تلك الرعاية الكريمة لمعالي الوزير ومنح المكرّمين شهادات تقدير ودروعاً تذكارية لكل منهم وهدية رمزية تقديراً لهم.

وقال وكيل وزارة الأوقاف خالد الزير

في كلمة له خلال الاحتفال: إن تكريم الأئمة يأتي انطلاقاً من كونهم وهبوا أنفسهم من أجل إعلاء راية الإسلام وإظهار رسالته السامية وقال فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي إن هذا التكريم من أجل ديننا وأمتنا الإسلامية، ومن أجل أن نتعاون على البر والتقوى ففي هذا اللقاء تتجلى أسمى درجات الوفاء.

فعندما تكرم وزارة الأوقاف العاملين في قطاع المساجد، فهي تكرّم من هم أهل للتكريم لأن المساجد بيوت الله ولقد وصف القرآن الكريم من يعمر بيوت الله بأوصاف كريمة.

وقال مطلق راشد القراوي رئيس قطاع المساجد:

لقد كرّم الله المعلم ورفع من شأنه، لأن المعلم هو من يعلّم الناس أمور دينهم وهؤلاء أهل دعوة وخير وهم من نشر الدين، فهؤلاء الأئمة والخطباء أحق بهذا التكريم، وهذا التكريم لا يعد إلا جزءاً صغيراً لما يقومون به من جهد.

ثم ألقى علي سعود الكليب كلمة المحتفى بهم فقال: إن الإمام يعمل باستمرار قبل شروق الشمس وحتى بعد صلاة العشاء بكل جهد دون ملل، ولذلك كان من الواجب تكريمه لما يقدمه من علم ومعرفة لكل طالب علم فهو لا يبخل على أحد بعلمه ومعرفته.

والجدير بالذكر أن الكثير من المؤسسات التجارية قد تجاوبت مع هذا المهرجان، فأسهمت أربع عشرة شركة وجهة ومؤسسة في رعايته، بما قدمته من دعم مادي وعيني وأدبي كان له أثره الواضح في نجاح المهرجان فلهم من قطاع المساجد كل الشكر والتقدير، ولهم من الله تعالى الجزاء الأوفى في دنياهم وآخرتهم.

وعاد الجميع بعد انتهاء المهرجان ولسانهم يلهج بالثناء على أولئك الذين تبنوا هذه الفكرة وعملوا بكل طاقاتهم على إبرازها إلى حيز الوجود وتحقيق أهدافها الكريمة بعون الله تعالى وتوفيقه. ■

يكرمهم أمير البلاد في موعد مقبل

إعلان أسماء الفائزين في مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده

قال المنسق العام لمسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده الثالثة إبراهيم الإبراهيم: إن اللجنة الدائمة لمسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده شرفت بلقاء سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح راعي المسابقة يوم ٢٠ من ذي القعدة ١٤١٩هـ الموافق ٨ من مارس ١٩٩٩م، ورفعت إلى سموه أسماء الفائزين بالمسابقة للسنة الثالثة، حيث اعتمدت اللجنة الدائمة في وقت سابق نتائج الفائزين.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد جوائز المسابقة ١٣٢ جائزة بلغت قيمتها الإجمالية ٩٦ ألف دينار كويتي موزعة على فئات المسابقة وشرائحها.

وشارك في المسابقة ٢٣ جهة مثلت الجهات المعنية بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده أو تلك التي تعتني بتنظيم أنشطة الشباب الثقافية والرياضية وقد بلغ إجمالي عدد المشاركين في المسابقة الثالثة ٢٩٠٧ متسابقين وبلغ عدد الذكور منهم ١٣٠٧ متسابقين كما بلغ عدد الإناث ١٦٠٠ متسابقة وقد ترشح للتصفيات النهائية منهم عدد ١٤٠٧ متسابقين بلغ عدد الذكور منهم ٦٧٤ متسابقاً كما بلغ عدد الإناث ٧٣٣ متسابقة.

وبلغ عدد الفائزين في المسابقة لهذا العام ١٠٥ فائزين بلغ عدد الذكور منهم ٥٦ فائزاً، كما بلغ عدد الإناث ٤٩ فائزة، وقد تم حجب ٢٧ جائزة وذلك لعدم تحصيل درجات الحد الأدنى للفوز من قبل المتسابقين.

وسيتفضل سمو أمير البلاد بتكريم الفائزين في المسابقة العامة من المستويات المتقدمة في وقت سيحدد لاحقاً.

الأمانة العامة للأوقاف تنظم مسابقة سنوية دولية لأبحاث الوقف

تعتزم دولة الكويت تنظيم مسابقة سنوية دولية لأبحاث الوقف اعتباراً من العام الحالي ١٩٩٩م.

وقال الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت عبدالمحسن العثمان إن هذه المسابقة تهدف إلى شحذ همم الباحثين والعلماء من أبناء الأمة الإسلامية للكشف عن الدور الحضاري المهم للوقف، وتجديد العمل الوقفي وفق ضوابط علمية متخصصة تتناسب مع روح العصر وتلتزم بالأصول الشرعية.

وذكر أن اهتمام الكويت بالوقف الإسلامي يجسد حرصها على خدمة الإسلام والمسلمين بمنهج إسلامي إيجابي يراعي طبيعة هذا العمل.

وأوضح العثمان أن أهمية هذه المسابقة تنبع من حاجة الأمة الإسلامية الملحة إلى التنمية التي ترفع من شأن الإنسان وتقوم على خدمته مبيناً أن الوقف لعب دوراً كبيراً في بناء الحضارة الإسلامية عبر مراحل التاريخ الإسلامي الطويل.

وأشار العثمان إلى أن هذه المسابقة ستسهم في تشجيع عملية البحث العلمي بشكل عام من خلال إذكاء روح المنافسة العلمية وتسليط الضوء على نظام الوقف وجعله من أولويات الباحثين أفراداً ومؤسسات.

وذكر أن للمسابقة خمسة جوانب يبلغ مجموعها ٨٠ ألف دولار حيث خصص للجائزة الأولى ٣٠ ألف دولار وللجائزة الثانية ٢٠ ألف دولار وللثالثة ١٥ ألف دولار وللرابعة ١٠ آلاف دولار وللخامسة ٥ آلاف دولار.

ضمن استعدادات الأوقاف لحج هذا العام

أربع حلقات تلفازية وخمس عشرة حلقة إذاعية

حينما تهل أشهر الحج يشمر كل الناس عن ساعد الجد استعداداً لهذا الموسم الكريم خدمة لعباد الرحمن والمهتمين بهذا المنسك العظيم من صحافة وإذاعة ووسائل إعلام يعرفون بالحج ومناسكه ويجيبون على الأسئلة المتعلقة بأركانه وأعماله وما يصادف الناس في هذه الرحلة المباركة.

وإدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف واحدة من القنوات المهتمة بالتعريف بالحج ومناسكه وأعماله خدمة لعباد الرحمن سواء الذاهبون إلى الحج أو المتابعون من غير الحجاج، لذلك عملت كثير من البرامج الإذاعية والتلفازية التي تخدم هذا الجانب.

وعن هذه البرامج وفحواها، صرح مدير إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف الأستاذ خالد ساير العتيبي قائلاً:

منذ ثلاث سنوات ونحن في إدارة الإعلام الديني نعد برامج عن موسم الحج وفي هذا العام نعد برامج عن الحج على مستوى التلفاز والإذاعة ومن ثم وجدنا لزاماً على أنفسنا أن نطور هذه البرامج، ووصلنا إلى مراحل جيدة من التطوير وقد وصلنا إلى مرحلة متقدمة في الإنتاج التلفازي والإذاعي، وأعددنا خطة لهذا الموسم.

وبرامج الحج لهذه السنة عبارة عن أربع حلقات تلفازية تذاع على الهواء مباشرة، وكل يوم ثلاثاء من كل أسبوع وستكون أولى حلقات هذا البرنامج تحت عنوان الحج المبرور ضمن سلسلة الحج المبرور وتبدأ من تاريخ الثاني من مارس وهكذا في الوقت والتاريخ نفسه من كل أسبوع من الواحدة ظهراً وحتى الثالثة بعد الظهر ولمدة ساعتين، ولقد تم الاتفاق مع التلفاز على توسيع المساحة التي كانت مخصصة لنا.

وعن سلسلة الحج المبرور قال العتيبي :

الحلقة الأولى تتحدث عن استعدادات وزارة الأوقاف لضيافة ضيوف الرحمن سواء في الإعداد المبكر في الكويت أو الإعداد اللاحق في مكة، وسيستضيف البرنامج ويكون المتحدث فيه الوكيل المساعد لشؤون الحج الدكتور عادل الفلاح حيث يكون المتحدث فيه.

وأضاف العتيبي:

وما أحببنا أن نضيفه في هذه الحلقة ليس الحديث مباشرة مع ضيف البرنامج ولكن ستكون هناك استطلاعات حول استعدادات الحملات الكويتية لتقديم خدماتها للحجاج وكذلك حول استفسارات الناس عن الحج ...

وفي الحلقة الثانية كان من المفترض أن يكون الضيف الدكتور عجيل النشمي، لكنه اعتذر وسنستضيف أحد الأفاضل إن شاء الله، وسيكون البحث دراسة عن الحج وأحكامه.



والحلقة الثالثة ستكون عن باب التأكيد على المناسك والأحكام وعلى كثير من الأحكام المتعلقة بأعمال الحج.

وستكون في هاتين الحلقتين استطلاعات على الهواء، ومشاركات للجمهور ليكتسب معلومة تساعده على أداء مناسكه بالطريقة الصحيحة إن شاء الله، كما أنه ستكون هناك استطلاعات عن المناسك وستبث في أثناء الحلقات، ويمكننا أن نقول: إن هذه المناظر التي ستبث ستكون وسائل إيضاح عملية لخدمة الحجاج.

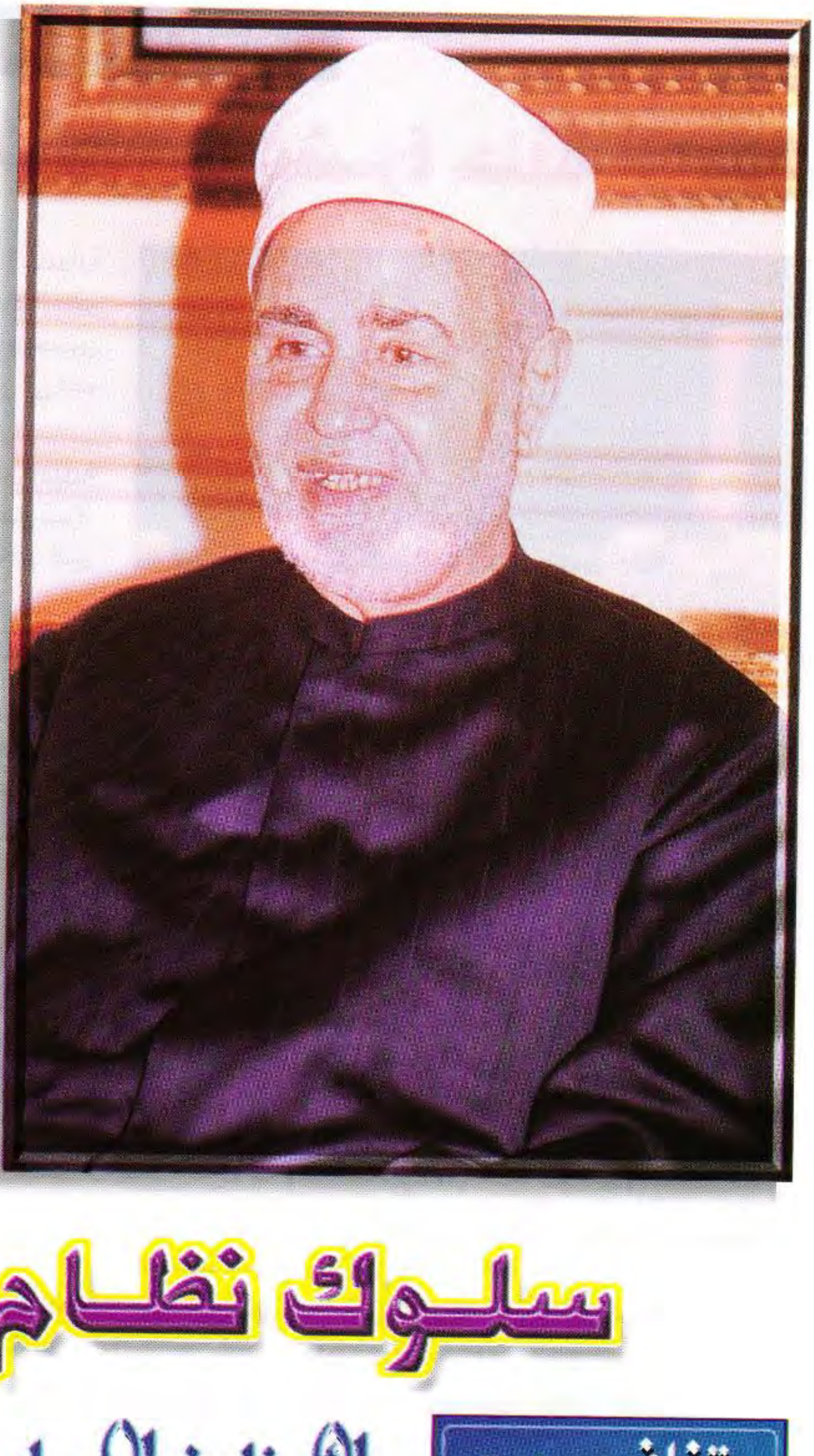
أما الحلقة الرابعة فقصدنا بها أن نخدم الحجاج والمقيمين كذلك وهي على الهواء، وكذلك ستكون عن فضل العشر من ذي الحجة وعن فضل الأضحية وأحكامها وعن فضل يوم عرفة.

وأضاف مدير إدارة الإعلام الديني في الأوقاف قائلاً: كما أننا أنتجنا خمس عشرة حلقة تلفازية على هيئة دراما تمثيلية تبدأ من استعداد الإنسان للمنسك وحتى عودته إلى ديار أهله وهي حلقات موضحة ومفيدة ولها هدفها.

وفي ختام حديثه قال العتيبي: أعددنا أيضاً خمس عشرة حلقة إذاعية دارمية تتناسب مع المستمعين لنعرّف الناس بأحكام ومناسك الحج بشكل مبسّط وميسّر إن شاء الله، كما نتمنى أن يكون ذلك إسهاماً منا في إرشاد وتوجيه حجاج بيت الله الحرام ونتمنى للجميع أن يكون حجهم مبرور وذنبهم مغفورا إن شاء الله. ■

التقت الوعي الإسلامي فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي خلال زيارته الأخيرة لدولة الكويت بدعوة من الأستاذ أحمد خالد الكليب وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، ودار حوار طويل شامل تناول الكثير من القضايا المهمة، والتي جاء في مقدمها قضية أسرى الكويت لدى النظام العراقي، وبيان الحكم الشرعي في حاكم العراق، وقضايا حوار الحضارات والعولمة والإعلام العالمي ودور الأزهر على مستوى العالم وغيرها من الموضوعات الأخرى التي نطرحها على صفحات هذا العدد.

وقد جاء الحوار على النحو التالي:



الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر:

سلوك نظام العراق

يتنافى مع

- الأخلاق الإسلامية
- قواعد الدين
- القيم الشريفة
- أحكام الإسلام

لا يلجأ إليه إلا كل ظالم مغرور

● فضيلة الإمام الأكبر... نرجو التكرم بإلقاء الضوء على أهداف زيارتكم وما فيها من خير إن شاء الله تعالى بين الكويت ومصر؟

ـ هذه الزيارة جاءت بدعوة من الأخ الفاضل معالي الوزير أحمد خالد الكليب وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت وكنا قد اتفقنا على هذه الزيارة منذ بضعة أسابيع، وكانت مقررة لها خلال شهر رمضان الماضي، ولكن الظروف لم تسمح لانشغالي في شهر رمضان، فاحببت أن ألبّي هذه الدعوة الكريمة، وأن التقي بإخواني وبأبنائي وبأصدقائي الذين أعرفهم معرفة قوية والتقيت بهم في مناسبات عدة، هذا من جانب.

ومن جانب آخر زيارتي لدولة الكويت الشقيقة، لأنها حبيبة إلى نفسي ولأن دولة الكويت من الدول التي بينها وبين مصر رابطة قوية من التعاون الصادق ومن الإخاء الخالص لوجه الله عز وجل وهذه الزيارة من شأنها أنها تقوي المحبة والمودة وتزيد في تبادل المنافع التي أحلها الله سبحانه وتعالى فيما بيننا، المنافع التي تعود لخدمة الدين، لأنني في هذه الزيارة سأتعرف على جوانب متعددة تتعلق بمناهج الدراسة في المعاهد الدينية هنا، وعلى ما يتعلق بالمساجد، وما يتعلق بعد ذلك في الشؤون الدينية، وأن أقدم كل خدمة ممكنة من الأزهر الشريف لإخواننا في دولة الكويت الشقيقة، لأن وظيفة الأزهر الشريف أن يتعاون مع كل الدول الإسلامية فيما يخدم القضايا الدينية والقضايا الشرعية والقضايا اللغوية أيضاً والتي تتعلق باللغة العربية.

● هناك جرس مؤلم في واقعنا الكويتي بشكل خاص والعربي والإسلامي بشكل عام، وهو ما



أجرى الحوار:

د. صالح أحمد الراشد

د. عماد الدين عثمان

حدث من آلام سابقة من قبل نظام بغداد، وبخاصة فيما يتصل بقضية «الأسرى»، وقد سمعنا تصريحات لفضيلتكم واهتمامكم بهذا الموضوع الإنساني... وانطلاقاً من ذلك نرجو أن تبدي لنا ما تراه مناسباً في هذا الموضوع؟

كما نرجو أن توضح لنا ـ وأنتم أهل لذلك ـ الحكم الشرعي بالنسبة لهذا الرجل الذي يقوم عليه النظام العراقي؟

ـ أولاً بالنسبة للأسرى من أبناء دولة الكويت الذين أسرهم النظام العراقي الظالم حين غدر بدولة الكويت، هؤلاء الأسرى يجب شرعاً أن يعودوا إلى أبنائهم وإلى بناتهم وإلى زوجاتهم، وإلى آبائهم في دولة الكويت، وهذه قضية لا يختلف في شأنها اثنان، لأن المسلم لا ينبغي له أن يأسر المسلم بحال من الأحوال، وإذا كان النظام العراقي يصرّ على حجز هؤلاء الأسرى وعلى عدم البتّ في شأنهم فهذا الإصرار هو لون من الظلم الواضح ولون من الجهل الفاضح، ولون من التعدي الأثيم ولون من ضعف الإيمان وعدم الفهم السليم للشريعة الإسلامية.

سلوك يتنافى مع أحكام الإسلام

أما ما يتعلق بالنظام الحاكم في العراق فنحن قد قلنا رأينا فيه منذ الساعة الأولى من غدره بدولة الكويت الشقيقة، وقلنا إن هذا السلوك يتنافى مع الأخلاق الإسلامية ويتنافى مع القيم الشريفة، ويتنافى مع قواعد الدين، ويتنافى مع أحكام الإسلام، ولا يلجأ إليه إلا كل ظالم مغرور فقد رشده، وفقد دينه، وفقد كرامته، وقد انتهى والحمد لله هذا اللون من البغي، وهذا اللون من الظلم بأن خرج النظام العراقي من دولة الكويت، خرج مذعوراً مدحوراً وهو الآن يعاني ما يعاني من كراهية له من كل عاقل، وعليه أن يعود إلى رشده، وأن يعود إلى صوابه، فإذا لم يفعل فالله سبحانه وتعالى للظالمين بالمرصاد، (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).

أشد من صائل

● **هل يمكن أن يكون الحكم الشرعي بالنسبة للنظام القائم في العراق هو حكم «الصيالة» فنستطيع أن نقول إنه «صائل»؟**

الحكم الشرعي في حاكم العراق: أكثر من صائل !!

أسرى الكويت يجب أن يعودوا شرعاً إلى أبنائهم وذويهم



ـ هو أشد من ذلك، هو ارتكب فعلاً هذا الفعل لا يصح أن ينسب إلى مسلم، لأن المسلم لا يكون غادراً، ولا يكون باغياً، ولا يكون مصراً على احتلال أرض غيره، وانتهاك عرضه.

● فضيلة الإمام الأكبر... كيف نستثمر هذه الأيام روحانية «مناسبة الحج» في توحيد كلمة المسلمين؟

ـ نستثمرها في أننا نكرر الدعوة للمسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن يقفوا دائماً إلى جانب الحق، وأن ينصروا المظلوم وأن يعملوا على إصلاح المنحرف عن الطريق المستقيم، وأن يواصلوا النصيحة له، سواء استمع إلى نصيحتهم أو لم يستمع، لكن وظيفتنا مواصلة النصيحة، ومواصلة الدعوة إلى الإخاء الإسلامي الخالص، من كل رياء أو غرور أو مباهاة، وإنما نحو أخوة نتعاون على طاعة الله ونتعاون من أجل أن ننهض بأمتنا الإسلامية نهوضاً يجعل كلمتنا في هذه الدنيا هي العليا، ويجعل كلمة أعدائنا هي السفلى.

أكثر من ١٥٠٠ مرة

● في هذه الأيام... ينادي البعض بحوار الحضارات، فماذا يقول فضيلة الإمام في هذا الأمر؟

ـ مرحباً بحوار الحضارات، وأي عاقل ينكر أو يمتنع عن حوار الحضارات؟! ـ الحوار بين الناس مرحباً به، ونحن نقرأ القرآن فنجد أن مادة القول وما اشتق منه كـ «قال»، ويقولون وتقولون، وقل نجد أن هذه المادة تكررت في القرآن الكريم في أكثر من ١٥٠٠ مرة... ففي سورة الأنعام وحدها، نجد أن لفظ «قل» والخطاب للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بفعل الأمر هذا تكرر عشرات المرات: (قل أي شيء أكبر شهادة...)، (قل الله شهيد بيني وبينكم...)، (وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وانني بريء مما تشركون)، آية واحدة اشتملت على لفظ «قل» أربع مرات، وهي تمثل أسمى وأعلى وأعظم أنواع الحوار... نرحب بكل حوار... نحن نتحاور مع المسلم ومع غير المسلم، نتحاور مع الأصدقاء، ونتحاور مع غير الأصدقاء، نتحاور مع الأصدقاء، لكي نزيد في المودة والمحبة والتعاون، ونتحاور مع غير الأصدقاء أيضاً لكي نقنعهم بحجتنا، وسلامة تفكيرنا، وأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده ديناً ـ كما قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)... فمرحباً بحوار الحضارات ونحن مع هذا الحوار... وأنا أؤيد أن يكون هذا الحوار على هذا المستوى العاقل الحكيم الايجابي الذي يعرف أدب الحوار... وأنكر ما يسمى بـ«صراع الحضارات» ـ لأن الحضارات لا تتصارع، وإنما الحضارات تتعاون وتتناسب وتتكاتف من أجل خدمة الحق والفضائل ومن أجل خدمة الإنسان، أما صراع الحضارات فهذا تعبير لا أساس له في العقل.

● ينادي البعض هذه الأيام بما أسموه «العولمة» وبأن العالم أصبح قرية صغيرة، فماذا يقول فضيلة الإمام في هذه القضية من منطلق شريعتنا الغراء... وكيف نتجاوب نحن المسلمين مع ما ينادون به؟

ـ أقول أنا شخصياً لم أفهم المقصود من لفظة العولمة حتى هذه اللحظة فهماً دقيقاً واضحاً... وفي الوقت نفسه، الحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقال... وأقول أيضاً إن كان المقصود بالعولمة، أن يتعاون العالم كله وينفتح العالم كله بعضه على بعض من أجل خدمة الحق وخدمة الفضائل والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان إذا كان هذا هو المقصود بالعولمة فمرحباً بهذه العولمة.

لكن إن كان المقصود بالعولمة «الهيمنة مثلاً» أو انجراف العالم كله إلى جهة معينة، وهذه الجهة المعينة لا تؤمن بالفضائل، ولا تؤمن بالأديان، ولا تؤمن بمكارم الأخلاق، وإنما تؤمن بالأطماع والأنانية، وما إلى ذلك... ففي هذه الحال سحقاً لهذه العولمة.

● فضيلة الإمام الأكبر... ونحن نعيش عصر الإعلام والاتصال... كيف نضع الضوابط والمحددات للإعلام في الدول المسلمة حتى

لا أوافق على ما يسمى بصراع الحضارات

صراع الحضارات تعبير لا أساس له من العقل

تسهم في المحافظة على هوية المجتمع المسلم، ويساعد على أن يعكس صورة موضوعية عن طبيعة الإسلام والمسلمين، وكيف نستطيع أن نؤثر بوساطة إعلامنا الخارجي في المستقبل الآخر لرسالتنا الإعلامية؟

ـ يحتل الإعلام الآن في أي دولة حجر الزاوية للتعريف بها لبيان ما هي عليه من قوة وجوانب إيجابية فاضلة لخدمة نفسها ولخدمة غيرها... ولكي يكون الإعلام سليماً يجب أن يكون ملتزماً بمكارم الأخلاق وعلى رأسها الصدق فيما يصدر عن هذه الوسائل، الأدب في الخطاب، التعريف بآداب الإسلام، وبأحكام الإسلام تعريفاً سليماً قوياً.

فضلاً عن ذلك، أن يكون المسلمون الذين يؤخذ عنهم هذا لإعلام أو يعبر عنهم، هم في ذاتهم قدوة طيبة لغيرهم في الوفاء بالعهود والصدق والكلمة والشرف في المقصد، والتعاون على طاعة الله وفي تبادل المنافع التي أحلها الله سبحانه وتعالى فيما بين الناس.

عندما يكون الإعلام كذلك يكون إعلاماً سليماً يؤدي وظيفته على أكمل وجه.



● **كيف ترى فضيلتكم دور الأزهر الشريف في نشر الدعوة الإسلامية على مستوى العالم؟**

ـ الأزهر له وظيفة واضحة وهي تعليم أبناء المسلمين ما يجب عليهم نحو دينهم ما يجب عليهم نحو أنفسهم، ما يجب عليهم نحو شريعتهم، ما يجب عليهم نحو أوطانهم، وما يجب عليهم نحو غيرهم من الناس، ووظيفة الأزهر أيضاً أن يرسل أبناءه الذين تخصصوا في العلوم الشرعية وفي العلوم اللغوية، بصفة خاصة إلى البلاد الأخرى ولاسيما في قارة أفريقيا، وفي قارة أسيا، لكي يتعاونوا مع أبناء تلك البلاد على توضيح مفاهيم الإسلام توضيحاً سليماً يمتاز بالموضوعية والوسطية والاعتدال، وظيفة الأزهر أن يبيِّن للناس الإسلام بوجهه السمح، بوجهه المشرق، بوجهه الصبوح الذي أمر الناس جميعاً أن يخلصوا العبادة لخالقهم، وأمر الناس جميعاً أن يقتدوا بالرسل عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم سيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر الناس جميعاً أن يحقّوا الحق وأن يبطلوا الباطل وأن يعتنقوا الفضائل وأن يجتنبوا الرذائل وأن يؤدوا وظيفتهم في هذه الحياة، ألا وهي عبادتهم لله عزَّ وجلَّ أداء سليماً خالصاً لوجه الله عزَّ وجلَّ ولا سيما أن كل قول يرضي الله فهو عبادة، وأن كل عمل يرضي الله عزَّ وجلَّ فهو عبادة.

● **ما الكلمة الأخيرة التي يود الشيخ الإمام أن يوجهها إلى المسلمين عبر مجلة الوعي الإسلامي؟**

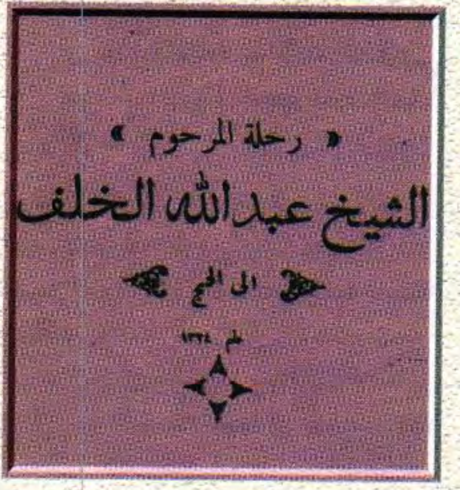
ـ الكلمة الأخيرة التي أنصح بها نفسي أولاً وأنصح بها غيري ثانياً، أنني أدعو الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا السداد في القول والعمل، وأن يوفقنا لخدمة دينه ولخدمة الأمة الإسلامية، وأن يجعل أقوالنا وأفعالنا وسلوكنا خالصاً لوجهه الكريم... إنه على ما يشاء قدير، وإنه نعم المولى ونعم النصير. ■



أنا شخصياً لم أفهم المقصود بلفظة العولمة فهماً دقيقاً

الالتزام بمكارم الأخلاق من أهم سمات الإعلام السليم

رحلة المرحوم الشيخ عبدالله الخلف إلى الحج عام ١٣٢٤هـ



في العام ١٣٢٤هـ قام عالم الكويت فضيلة الشيخ عبدالله الخلف ـ رحمه الله ـ برحلة إلى الديار المقدسة وتأريخاً لهذه الرحلة قام بنظم قصيدة مطولة وصف فيها مراحل هذه الرحلة الطيبة المباركة نقتطف منها هذه الأبيات:

لنيل العلا والمجد سير الرواحل
يحثحثها بالجد كل حلاحل

ويسعى يطوف البيد لا متوانياً
ويرمي حصى التسويف رمي التكاسل

ألذُّ وأشهى من مواصلة الدمى
لديه دوام السير فوق الذلائل

وللبعلمات اليوم يلتذ راكب
لقطع الفيافي غير وان وهازل

إذا زمزم الحادي ترامت إلى الحمى
ومدت لأعناق وراء الدلائل

عليها من الفتيان كل موحد
تخب به نحو العلا والفضائل

كرام مساع من بلاد شهيرة
كحكامها داموا صباح القبائل

كويت وقد كان الكويت مباركاً
مزاناً بأهليه الكرام الأماثل

فوفق ولاة الأمر ربي لطاعة
لدى الأمر والنهي الذي لم يجادل

ركبنا على أكوار نخب حرائر
وضمرٍ حسانٍ من عمان أصائل

وفي سادس شدة (١) من الشهر عيسنا
وراحت بنا تطوي فيافي المجاهل

فسارت وقد سار الدليل أمامها
تجوب النقا خبا وصم الجنادل

وفي سابع من بعد عشر وعشرة
رحلنا على أكوار تلك الرواحل

وسرنا وفي الأحشاء والله وحشة
لفرقة خير العالمين الأفاضل

ولو كان منا القلب تلفي حياته
لكان لنا بعداه أعظم قاتل

وإنا لنرجو الله يبدي إعادة
لزورة هادينا أجل الوسائل

ورحنا وقد سرنا خفافاً عشية
من التاسع الأيام لم يتكامل

نؤم بفتيان الهدى خير بقعة
سوابق تجري كالنعام الجوافل

إلى الكعبة العظمى إلى البيت والحمى
إلى المقصد الأسنى وأسنى المنازل

معاهد لا تنفك إلا مشاهداً (٢)
بها الخير مشهود لحافٍ وناعل

نؤم لبيت لا كبيت ومنزل
مناه بها نيل المنى خير حاصل

وكان وقوع الحج في أربعائنا
لدى موقف كم فيه باك وسائل

وقوفاً على الانضاء كنا حواسرا (٣)
وللدمع سفح من عيون هوامل

إلى أن توارت شمسنا في حجابها
فسرنا إلى جمع لجمع الفضائل

وفيها التقطنا للحصى من رحابها
جماراً لنرميها كمثل الأمائل

ومنها أفضنا الصبح قصد المشعر
به نرتجي غفر الذنوب النوافل

وقد ضربوا بعد الصباح خيامنا
بأعلى منى فيها المنى غير زائل

ومن مَنِّ مولانا على كل واقف
لقد مَنَّ في إتمام كل المسائل

ولما قضينا الحج جئنا بعمرة
بها تم مارمنا بشد الرواحل

لعل إله العرش يرضى بفعلنا
ويقبله ربي بأجر مقابل

ولما وقف عليها الفاضل الأديب، الشيخ عبدالله بن الحاج محمد بن خليل قرظها بهذه الأبيات مؤرخاً عام الحج ـ شكر الله سعيه ـ وهذا قوله زاد فضله:

يا إمام العصر يا من قد سمى (٤)
فوق هام المجد بالدر الأنيق

قد أضاء الكون لما أسفرت
رحلة الترحال منّا للعقيق

ودعانا الأنس لما أرخوا
حل عبدالله في البيت العتيق

---

١ ـ ٢ ـ ٣ ـ كذا وردت في الأصل.

وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ

- ذكريات الحج في الماضي
- الحج ووحدة الصف والهدف
- نداء الحق
- الظلال الإيمانية والاقتصادية للحج
- فاعلية الحج في إصلاح الجوانب النفسية والجسمية والروحية لدى المسلم



ذكريات الحج في الماضي

بقلم: صالح خالد المسباح

كان الحج قديماً أمراً ليس باليسير، وبخاصة إذا علمنا أن السفر كان على ظهور الجمال، وركوب الجمل ليس بالأمر اليسير، وبخاصة لأهل الحاضرة الذين لم يتعودوا ركوبها أبداً، فما أدراك إذا كانت الرحلة ستستمر شهرين ونصف الشهر أو ربما ثلاثة أشهر، والأغرب والأعجب من ذلك هو كيفية صعود النساء على ظهور الجمال، وبخاصة نساء الحضر، لأن نساء ورجال البدو قد اعتادوا على ركوب الجمال والتنقل على منتها، وهي طبيعة الحياة البدوية والترحال قديماً، وهذا أمر ليس بالسهل، لأن ركوب الجمل ليس كركوب السيارة، أو أي دابة أخرى، علماً أن آخر سنة تم التوقف فيها للحج بوساطة الجمال في العام ١٩٥٤م، وأخبرني الأستاذ الباحث أيوب حسين بأن كان كل امرأتين كانتا تركبان في الهودج على ظهر جمل واحد، وعلى أن يكونا بالوزن نفسه، وإلا وضع وزن آخر، في الجهة المقابلة ليعتدل الوزن، وهذه من العجائب، أما الرجال، فلكل رجل جمل، ويتم بعد ذلك الاتفاق مع صاحب الحملة «الحملدار» كما يطلق أحياناً هذا الاسم، على الناقة أو الجمل الجيد، ويجهز الهودج الذي ستجلس فيه المرأة، ويبدأ موسم الحج سابقاً بعد انتهاء اليوم الأول من عيد الفطر، وينتهي في آخر شهر المحرّم، فتبدأ الاستعدادات، من تجهيز ملابس الإحرام، وهي بيضاء للرجال، وخضراء للنساء، وكان الكفن يجهز مع كل شخص خشية الموت في أثناء الطريق، وأحياناً يسقط الحاج من على الذلول لشدة الإرهاق والتعب أو النعاس الشديد، فيموت ومن ثم يكون الكفن جاهزاً، وأحياناً حتى الإبل تموت في الطريق

ويأخذ الحجاج معهم مجموعة من الإبل للاحتياط وتسمى «عرو»، ولا يضعون على ظهورها شيئاً، وقد استفاض الباحث الكويتي محمد سليمان النفيسي في التبحر في شؤون الهوادج واختصاصاتها، ونشر هذا البحث القيم في



مجلة «الكويت» بتاريخ ١/١/١٩٩٧م، ونستخلص منه أهم ما يناسب بحثنا، بأنه كان هناك أربعة أصناف من الهوادج وهي: هودج «الظلة»، وهودج «الكواجة» أو «الشقدف» وهودج «العطفة» أو «المركب» وهودج المريكيب «التختروان»، ويضيف الباحث: أنه تبين له من خلال الدراسة أن تصميم الهوادج من قبل أهل البادية لم يأتِ عبثاً، وإنما جاء لاعتبارات عدة أهمها: تأمين راحة الراكب في المسير، وفي التظليل عليه من الشمس، وستر النسوة في أثناء المسير، بالإضافة إلى المحافظة على الدفء في الشتاء داخل الهودج وراحة «الذلول» البعير في أثناء مسيره، على الرغم من ثقل حمله، وقد روعي الاتزان بين الراكب والبعير، لأن سير الإبل يؤثر على راحة الراكب ويجلب له مشقة وآلاماً في الفخذين والظهر، ويتم بعد ذلك تجهيز زاد الراحلة، ويختلف من بيت لآخر، وربما يكون متشابهاً، وهو «الخبيص» الذي يتكون من التمر والسمسم، والحبة الحلوة «البطم»، ويتم شراء ما يلزم من أغراض، من لباس ثقيل كالفروة للدفء بها، وكان أهل الكويت سابقاً يشدون رحالهم إلى المدينة المنورة، ويتخذون من قصر نايف الانطلاقة ومنها إلى طريق الجهراء - ثم حفر الباطن - فالقسيم - فبريدة فعنيزة - ثم وادي الرمم - علماً بأن المسافة من منطقة الجهراء إلى حفر الباطن تقطع خلال «ستة أيام».

وهذه المعلومة ذكرها المرحوم عبدالله الثليث للباحث محمد النفيسي، وكذلك ذكر المعلومة الأخرى الحاج علي عبدالله سعد العبيد وعمره قد تجاوز ٨٦ عاماً، ويذكر المرحوم ابن الثليث أنهم كانوا يشترون الإبل عربيات من البادية من دلال الإبل «ابن عريمان الديحاني»، وأنه سابقاً لاتوجد جوازات سفر وإنما هناك ورقة يتم لهم السماح بها الدخول إلى المملكة العربية السعودية بموجب ختم من الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وفيها توقيعه «على أن الحاج من رعايا الكويت ومسموح له في السفر إلى السعودية»، ويتم المسير ليلاً ونهاراً والنوم يتراوح بين (٣ - ٤) ساعات، ويتم إنزال ما على الإبل من متاع في وقت الاستراحة «النوم».

وأحياناً يُلحق بالحملة كلب للحراسة في الطريق، وإذا دخلت القافلة مكة، هناك يُترك الكلب ويتيه مع الكلاب، وتسمى كلاب الحملات «كلاب المسعى»، ولا يرجع مع القافلة، ويتراوح عدد الإبل في القافلة بين (٧٠ - ٨٠) ذلولاً،

وبعض البدو يلحقون بالقافلة في الطريق، وذلك للحصول على الأكل، وفي حال نقص المياه تمشي الحملة ليلاً ونهاراً، وذلك لسرعة الوصول إلى مورد الماء، ومنها «الرصافة» وهي مورد للماء، والمياه فيها عميقة، وأحياناً من شدة العطش، تلقي الجمال بنفسها في البئر «الجليب» ويتسخ ماء البئر في هذه الحال.

أما عودة القافلة «الحملة» إلى الكويت، فتعتبر من المناسبات المهمة التي ينتظرها أهالي الحجاج، لقد كان الأهالي يخرجون لاستقبال الحجاج في مواكب حافلة، وعندما تكون الحملة في طريق العودة، وبالتحديد عندما تصل الحملة إلى منطقة «الحفر»، ترى شخصاً يسمى «بشير الحجاج» متوجهاً ومسرعاً إلى الكويت مشياً على الأقدام، أو راكباً جملاً، وما أن تصل قدماه أرض الكويت، حتى نراه يتوجه إلى أسر الحجاج ليبشرهم بقدوم أهليهم، فتراه يدخل الديوان ويُعطي البشارة، وتراه يلبس البشت فوق البشت «العباءة»، وهي تخص الرجال، وهي من الهدايا التي تعطى إليه من أهالي الحجاج، ومنهم من يعطيه المبالغ النقدية، وبعد ثلاثة أيام تصل حملة الحجاج، حيث يستقبلون بالدعاء والتهليل والصلوات، ويهنؤون الحاج بقولهم «حج مقبول وذنب مغفور»، ويرد الحاج عليهم «الله يتقبل منا ومنكم»، وتذهب الجمال إلى البيوت لتوصيل الحجاج، ويكون الأهل فرحين، وبخاصة الأطفال لتشوقهم لرؤية الصوغة «الهدايا»، وبسلامة العودة، ويبدأ الحجاج بتوزيع الهدايا على زوارهم وهي عبارة عن مجموعة من الحلي كالقلائد والخواتم للبنات، وهن مرتديات الثياب المطرزة «الثوب» والأولاد يلبسون البشوت والغتر والعقل، ويكون نصيبهم من الهدايا المسابح والطواقي، وللكبار الغتر والمساويك وغيرها من البخور والعطور.

أما النساء فيحرصن على الزمزمية وهي علبة صغيرة من التنك فيها قليل من ماء زمزم يشربن منه جرعة ويغسلن أجسادهن وشعورهن بها.

والبنات ينشدن ويكوِّن مجموعات منهن من درن على المنازل، ويذكرن الدعاء التالي بلحن منسق وجميل، وبذلك يحصلن على الهدايا:

اطريف اطريف
يا أهل البيت
عطونا الله يعطيكم
ببيت مكة يودِّيكم
يا مكة يالمعمورة
يا أم السلاسل والذهب يا نورة
واحج بج يا يُمّة
وودّيج قبر محمد
صلوا عليه وسلم
في قبته المرضية
فيها أحسن عطية
لوما بو فلان
ما جينا
يفك الكيس
ويعطينا

ثم تنادي صاحبة البيت «الأم» الأطفال وتوزع عليهم الهدايا.

حقاً إنه موسم البهجة والفرح والسرور يعم الجميع من أهل الكويت.

ونذكر لك - عزيزي القارئ - أن أشهر الحملات في ذلك الوقت، كانت من نصيب العوازم والرشايدة لخبرتهم في الجمال، ومعرفة الطرق وكذلك عثمان الراشد، يوسف العبدالهادي، عوض بن شنفة، عبدالله الزمامي، حمد الزمامي، محمد الشايجي، عبدالله الحبشي، حسين الحداد، بدر البدر.

أمير الحاج:

كان هذا المنصب موجوداً بصفة غير رسمية منذ زمان طويل، بحيث يرافق الحجاج ويكون من الخبراء في طريق الحج، أو يصحب معه بعض العارفين بمسالك الصحراء.

كتب عن الحج:

من الكتب التي أُلفت عن الحج ومناسكه ورحلاته كتاب:

١ - شهر في الحجاز: للمؤلف الشيخ عبدالله النوري - رحمه الله - وذلك في شهر يوليو ١٩٥٣م، بعد رحلته الثانية إلى الديار المقدسة، وبعد رحلته الأولى إلى الحج والتي كانت على ظهر الجمال في سنة ١٩٣١م، وهذه الرحلة لم تكن على ظهر الجمال، بل استخدمت السيارات فيها حيث استغني عن الجمال بالسيارات الكبيرة.

ثم يعود المؤلف بذاكرته إلى يوم وصول مكة، حيث تجمعت الحملات للكويتيين، وكان عدد حجاجها في ذلك العام قياسياً، فيقول: زاد عن ١٦٠٠ حاج وحاجة، وفي النهاية تجدر الإشارة إلى ما احتواه الكتاب من صور للأماكن المقدسة.

٢ - تعال معي إلى الحرمين الشريفين: لتأدية مناسك الحج، وسنن الزيارة جمعها ورتبها الحاج عبدالمنعم بن عيسى السالم العام ١٩٥٨م، وحيث يبدأ بذكر أهمية الحج، ونشرها الشيخ عبدالله النوري، وفيها المسافات ما بين كل مدينة وأخرى وهي كالتالي: من الكويت جرية إلى أم عقلة إلى رماح إلى الدهناء إلى نفود السر والرويكب ونفود الحمراوي إلى مرات والربيعية إلى عقلة الصقور إلى المدينة المنورة، وكذلك يذكر المسافات في طريق العودة، وهذه الرسالة تعد من الرسائل الصغيرة، وذات فائدة كبيرة وبخاصة لندرة المطبوعات الإرشادية في ذلك الوقت.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يتقبل حجنا ويسهل درب كل مسلم إنه سميع عليم والحمد لله رب العالمين. ■

المراجع:

١ - الموسوعة الكويتية المختصرة - حمد السعيدان.
٢ - مع الأطفال في الماضي - أيوب حسين.
٣ - أمسنا ويومنا وغدنا - حسن بذال.
٤ - الشيخ عبدالله النوري - حياته ومؤلفاته/ ٩٥.
٥ - تعال معي إلى الحرمين الشريفين: الحاج عبدالمنعم بن عيسى السالم.
٦ - مجلة الكويت ١/١/١٩٩٧م.
٧ - مقابلات أجراها الباحث محمد النفيسي.

الحج ووحدة الصف والهدف

يأتي شهر ذي الحجة، فيفد المسلمون من أنحاء الأرض إلى الأراضي المقدسة ليؤدوا فريضة الحج وليشهدوا منافع لهم، وتنطلق حناجرهم وقلوبهم بالتلبية «لبيك اللهم لبيك...» وهم مُحرمون في الأقمشة البيضاء غير المخيطة، ورؤوسهم عارية، ومتساوون في كل شيء، فيملؤهم شعور فياض بتحقيق أعظم معاني العزة للمسلمين، وهو «إسلام الوجه لله» والعبودية له، والإخلاص في طاعته والتوجه إليه وحده: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً) النساء: ١٢٥.

وقد فسر الله سبحانه وتعالى معنى التوحيد وإسلام الوجه لله حينما جعل ذروته في شخص الرسول - ﷺ - إذ يقول:

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣.

بقلم اللواء الركن
محمد جمال الدين محفوظ



روح المساواة

والحج يقوي روح المساواة التامة بين الناس، وهي التي حرص الإسلام منذ اللحظة الأولى على بثها بين الناس، فلا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، والكل تجمع بينهم روابط الأخوة الإسلامية، وتختفي بينهم عوامل الدم والعرق والنسب ودعوات العصبية والقبلية حيث يقول الله تعالى:

(يأيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات: ١٣.

وحدة الصف والهدف

ودعا الإسلام أبناءه إلى الاعتصام بحبل الله المتين، وعدم التفرق كما في قوله تعالى:

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) آل عمران: ١٠٣.

ولقد شاءت إرادة الله عز وجل أن تكون الأمة الإسلامية أمة قوية مرهوبة الجانب، فأمرها بإعداد القوة والمرابطة على النحو الذي «يوقع الرهبة» في قلوب الأعداء ويخيفهم من عاقبة عدوانهم، فقال جل شأنه:

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) الأنفال: ٦٠.

وقد جاء لفظ «قوة» مطلقاً بغير تحديد لكي يرشد إلى أن القوة التي يريدها الإسلام هي «القوة الشاملة» التي تضم كل مصادر القوة كالقوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعنوية إلى جانب القوة العسكرية.

هذه المصادر المتعددة للقوة لا يكون لها أثرها وفعاليتها «إلا إذا جمعتها لوحدة» في الهداف والخطط لتحقيق غاية واحدة، وذلك أول دعائم القوة.

ثم يمتد مفهوم القوة تحت ظل الوحدة ليشمل جوانب عدة من كيان الأمة الإسلامية:

- فوحدة الأمة الإسلامية كلها : قوة

- والوحدة والتعاون بين دول الإسلام: قوة.

- والوحدة والتلاحم بين أبناء الشعب الواحد في كل دولة: قوة.

- والجيوش المحاربة في ميدان القتال تستمد إرادتها القتالية وروحها المعنوية من وحدة شعوبها، ووقوفها وراءها صفاً واحداً.

- وهي لا تستطيع الانتصار إلا إذا أمدتها شعوبها برجال يريدون الانتصار.

القدرة على الردع

والحق أن وحدة الصف والهدف هي في تقدير الإسلام «قوة ردع» تؤدي دورها في ردع الأعداء مع غيرها من مصادر القوى الأخرى، وهو ما يعبر عنه لفظ «ترهبون» في الآية الكريمة من سورة الأنفال، ذلك أن العدو إذا وجد أنه إذا اعتدى على المسلمين، فسيواجه قوة عسكرية تقف وراءها أمة متحدة ومتضامنة، وقادرة على مساندتها بكل الوسائل المادية والمعنوية، وعلى تحمل أعباء المعركة مهما طال أمد الصراع، ومهما كانت التضحيات، فإنه سيتخلى عن فكرة العدوان أصلاً، أو عن الاستمرار في القتال.

قاعدة الإسلام بالمدينة

- وقد أكد الرسول القائد - ﷺ - فضل الوحدة في الصف والهدف ومكانتها الكبرى في تقدير الإسلام حين جعل الوحدة بين أبناء مجتمع المدينة عقب الهجرة أساساً لبناء ذلك المجتمع، وحجر الأساس في بناء الدولة الإسلامية :

- فوحد صف الأنصار من أوس وخزرج.

- وربط بين المهاجرين والأنصار برباط الإخاء.

- وربط بين المسلمين وبين المشركين واليهود من أهل المدينة بمعاهدة نظمت لهم حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وجعلتهم جميعاً - على اختلاف دينهم - يداً واحدة على أعدائهم.

- وقد شهد التاريخ بأن المدينة كانت «قاعدة وطيدة للإسلام، وجبهة صلبة»، استطاعت مواجهة أقوى التحديات من عدوان مباشر، ومؤامرات وغدر فقهرتها، كما حاربت «أكثر من عدو في أكثر من جبهة»، فواجهت المشركين واليهود والروم، وحارب المسلمون في أغلب معاركهم عدواً أكثر منهم عدداً وعدة، وحاربوا أحياناً وهم جرحى ومرضى، ولكنهم كانوا كما وصفهم ربهم :

(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) التوبة: ١٢٠ - ١٢١.

وحدة الصف والهدف في موازين القوى

وحدة الصف والهدف «تزيد» من وزن المسلمين في موازين القوى، فقد كان الرسول - ﷺ - في معاركه يحارب عرباً بعرب، بل قرشيين بقرشيين، فكان المسلمون ينتصرون بفضل الله على أعدائهم المتفوقين في العدد والعدة، ففي أول معركة وهي غزوة بدر العام ٢ هجرية، كانت وحدة الصف والهدف من أهم ما عوض النقص في موازين القوى بينهم وبين المشركين، انظر إلى قول المقداد بن عمرو عن المهاجرين: «يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون»، وإلى قول سعد بن معاذ عن الأنصار: «امض لما أردت فنحن معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدقٌ عند اللقاء، لعل الله يُريك منا ما تقرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله».

وفي هذه الغزوة أيضاً خرج المسلمون من المدينة وبعدوا عنها أكثر من ١٥٠ كيلو متراً دون أن يخشوا أن تأتيهم «ضربة من خلف» فقد كانوا مطمئنين إلى أن وراءهم جبهة صلبة وقاعدة وطيدة مؤمَّنة.

أما على الجانب الآخر فإننا نجد المشركين - في تلك الغزوة - جاؤوا إلى المعركة «يحملون عوامل هزيمتهم»، فقد «غابت عنهم» وحدة الصف والهدف من قبل المعركة، وحل محلها التردد وتضارب الآراء وطغيان الأنانية الفردية على المصلحة العامة، فقد كان منهم من أراد الرجوع إلى مكة ومن هؤلاء بنو زهرة الذين رجعوا فعلاً، ومنهم من أراد البقاء لقتال المسلمين ولأهداف «جاهلية» عبر عنها قول أبي جهل: «والله لا نرجع حتى نردَ بدراً، فنقيم عليه ثلاثاً، ننحر الجزور ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها»، ومنهم من أصابه التردد مثل عتبة ابن ربيعة، إذ إنه حال إلى الأخذ بما نصحه به قومه أن يرجع بالناس، فرماه أبو جهل بالجبن، فأخذته الحمية وقرر البقاء للقتال من قبيل التحدي.

مضامين الوحدة في الصف والهدف

والحق أن الإسلام لا يقرر مبدأ وحدة الأمة فحسب، بل إنه يوجه المسلمين إلى طريق تحقيقها على أكمل وجه بما جعله لها من مفاهيم ومضامين هي غاية في الدقة والإحكام:

يقول الله تعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) الصف:٤، وأصل لفظ مرصوص: المتماسك بعضه ببعض بالرصاص، والمراد: متقن كأنه قطعة واحدة».

ويقول الرسول ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) رواه البيهقي



إنه أبلغ تصوير لما يجب أن يكون بين أبناء الأمة الإسلامية من تلاحم وتعاون وترابط لكي يفوزوا «بحب الله» جل شأنه، وينطوي في الوقت نفسه على المضامين التالية:

١- التلاحم التام: لتحقيق غاية واحدة، ولا محل لخلاف أو تنازع.

٢- قوة الأساس: الذي يقوم عليه البناء، وهو الإيمان والعقيدة الراسخة التي هي أقوى دعائم بناء الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي، «وإذا قوي الأساس، قوي البناء».

٣ - الضبط والتنظيم الدقيق: فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة، ولكي يؤكد الرسول - ﷺ - هذا المعنى رأيناه في غزوة بدر حريصاً على أن ينظم جيشه في صفوف، ثم بلغ من حرصه على نظام الصف وروحه أيضاً، أنه حين رأى رجلاً خارجاً عن الصف، أصلح من وضعه في الحال، مما يوحي بأن الإسلام لا يسمح «بالخروج عن الصف» ولا يرضى عنه.



٤ - التخطيط المحكم: الذي يقوم عليه البناء ومعنى ذلك أن تكون وحدة الصف والهدف «على قمة الأهداف الاستراتيجية» للأمة الإسلامية.

٥ - التكافل: الذي يجمع طاقات الأمة وقدراتها في وعاء واحد، فكما أن البناء لا يقوم إلا على التكامل بين عناصره ومواده المختلفة من أحجار وأخشاب وحديد وغيرها، فلابد - لكي تكون الأمة كالبنيان - من أن تصب روافدها العلمية والاقتصادية والاجتماعية في مجرى واحد، وأن تسود بين أبنائها ودولها روح الجماعة والإيثار.

٦- حراسة الصف الإسلامي واليقظة لكل ما يهدده، وسرعة «إصلاح أي خلل» يصيبه: فإن حرص الرسول - ﷺ - على إعادة «فرد واحد» من جيش يزيد عن ثلاثمئة رجل إلى الصف، أمر له مغزاه، ويجسد لنا القرآن الكريم «خطر الغفلة» عن الصف في قوله تعالى: (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) النساء:١٠٢.

وتحت أعلام الوحدة في الصف والهدف سجل المسلمون على مدى التاريخ أعظم انتصاراتهم ضد الصليبيين، وضد المغول الذين امتد زحفهم الكاسح نصف قرن من أقصى الشرق إلى الشام، فكانت هزيمتهم على يد قوم عرفوا فضل الوحدة وقدرها وجاهدوا حق الجهاد لإعلاء كلمة الله. ■

نداء الحق

حجاج بيت الله يا خير الأُلى
وهبوا النفيس وزينة الأموالِ

تركوا الأحبةَ والأعزّة عندما
لبوا نداء الحق بالإقبال

بُشراكموا... يا من سعيتم نحوهُ
أنعم بهذا السعي من أعمال

فإلى «العتيق» تهون كل نفائس
وإلى العتيق يشدُّ خير رحال

فالبيت أول من أقيم لذكره
ولقد بناه خليله بنضال

من أجل أن يسعى إليه عباده
من كل فج في المدى ومجال

حجاج بيت الله طابت رحلة
أنتم عليها أنجم ولآلي

فهناك في عرفات أشرف وقفة
لله خالصة من الأرذال

وعلى منى تهمى جماركمو اللظى
فتصب بالشيطان صب وبال

يا أرض مكة والمدينة والصفا
هاج الفؤاد وأضرمت آمالي

وجهت نفسي للرحاب فسافرت
هل بعد نفسي من عزيز غال

وتجول أطياف الرسول بمهجتي
ويرف بالأذان صوت بلال

صلى عليك الله يا خير الورى
يا من مشيت محوّطاً بظلال

يا خير من وطئ الحصى أنا عاشق
شوقي إليك يهرزني بجلال

مهما استعرتُ من اللغات بلاغة
عجز البيان وقصَّرت أقوالي

يا رب نفسي كم تتوق لحجة
توق المحب لحضرة المتعال

ما للفؤاد الصب من أمل سوى
أمل القيام بحجة ووصال

فارفق بقلبي واحتسب لي حجة
يروى الفؤاد وتنتشي أوصالي

شعر: رفعت عبدالوهاب المرصفي



الظلال الإيمانية والاقتصادية للحج

بقلم: د. زيد بن محمد الرماني

العبادات في الإسلام ليست مجرد مظاهر وشعائر يؤديها المسلم لمجرد أنها مفروضة عليه من ربه فحسب، فليس عليه إلا الإذعان والخضوع والامتثال لأوامر الله وإظهار العبودية له، ولكن العبادات أيضاً - وهي جانب مهم من جوانب الإسلام - تحمل في حقيقتها معان كثيرة، وأخلاقيات حسنة، وفوائد اجتماعية كريمة ومتعددة، تعود على المسلم والمجتمع بالخير الكثير.

والحج موسم ومؤتمر، الحج موسم تجارة، وموسم عبادة، والحج مؤتمر اجتماع وتعرّف، ومؤتمر تنسيق وتعاون وهو الفريضة التي تلتقي فيها الدنيا والآخرة، كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة القريبة والبعيدة، أصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقاً رائجة، حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء من أطراف الأرض، ويقدم الحجيج من كل فج ومن كل قطر، ومعهم من خيرات بلادهم ما تفرق في أرجاء الأرض في شتى المواسم، يتجمع كله في البلد الحرام في موسم واحد، فهو موسم تجارة ومعرض نتاج، وسوق عالمية تقام في كل عام، وهو موسم عبادة تصفو فيه الأرواح، وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام.

والحج بعد ذلك كله، مؤتمر جامع للمسلمين قاطبة، مؤتمر يجدون فيه أصلهم العريق الضارب في أعماق الزمن منذ أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام.

وهو مؤتمر للتعاون والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد القوى، وتبادل السلع والمنافع والمعارف والتجارب.

الحج ليس مجرد رحلة عفوية يبدد فيها المسلم وقته وجهده وماله، ولكنه رحلة روحية إيمانية تتجلى فيها الفوائد والمنافع الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وللحج أهداف عظيمة، إذ هو امتثال لأمر الشرع، [و]هو شحنة روحية وعاطفية، وهو فرصة لتبادل [الم]نافع التجارية، وهو بعد ذلك سلام ومساواة [ج]زاؤه الجنة.

[وفـ]ي الحج، منافع اقتصادية واجتماعية وسياسية، وفيه التعاون والتكافل وشعور المسلم بأخيه المسلم، وفيه تصفو النفوس وتزكو وتتصل بخالقها أيما اتصال، وفيه تكثر أعمال البر والخير والإنفاق، والصدقة تزداد.

ولأهمية هذه الشعيرة، وهذا الموسم، فإنني أقدّم هذه الدراسة المتواضعة عن الحج، متناولاً ما يلي:

١ - حكمة مشروعية الحج.

٢ - في ظلال قوله تعالى: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى).

٣ - في ظلال قوله تعالى: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم).

٤ - في ظلال قوله تعالى: (ليشهدوا منافع لهم...).

٥ - المدلول الاقتصادي للحج.

٦ - الهدي مشكلة وحل.

٧ - فلنستعذ من هؤلاء.

١ - حكمة مشروعية الحج

لاشك في أن الله سبحانه بحكمته وعظمته، اختار منذ خلق الإنسان، هذا المكان الطيب الطاهر في مكة المكرمة، ليشرّفه بخصوصية لم يفز بشرفها أي مكان في العالم، حين اختصه بأن يكون مقراً لبيت الله الحرام، ومحلاً لالتقاء وتجمع المسلمين والمسلمات من كل بقاع الدنيا، من الذين منَّ الله عليهم فوهبهم الاستطاعة التي تؤهلهم لشرف تلبية نداء الله فيقصدون هذا البيت العتيق.

وفي قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخلهُ كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين) آل عمران:٩٦ - ٩٧.

ونحن إذ نبتدر هذا القول الحكيم في قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس) نطمئن معه إلى قول من قال إن أول من بنى هذا البيت هم ملائكة الرحمن، ذلك لأن لفظ «الناس» يطلق على آدم وذريته، ومعنى ذلك أن هذا البيت العتيق وضع قبل أو مع أول الناس في الأرض وهو آدم عليه السلام.

وقيل إن هذه الآية جاءت رداً من الله على اليهود، حين



قالوا إن بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة، لكونه في الأرض المقدسة ومهبط الأنبياء.

فبيَّن الله سبحانه، بهذه الآية، أن البيت الحرام بمكة المكرمة البيت العتيق منبهاً لهم وللناس جميعاً أن هذا أول بيت وضع للناس وأشرف بيت جعل للعبادة «هدى للعالمين».

٢ ـ في ظلال قوله تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب

يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ في كتابه «الجامع لأحكام القرآن»: «قوله سبحانه (وتزودوا) أمرٌ باتخاذ الزاد، قال ابن عمر وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد، نزلت الآية في طائفة من العرب كانت تجيء إلى الحج بلا زاد، ويقول بعضهم: كيف نحج بيت الله ولا يطعمنا؛ فكانوا يبقون عالة على الناس، فنهوا عن ذلك وأمروا بالزاد».

وقال ابن العربي: «أمر الله تعالى بالتزوّد لمن كان له مال ومن لم يكن له مال، فقد خاطب الله أهل الأموال الذين كانوا يتركون أموالهم ويخرجون بغير زاد ويقولون نحن المتوكلون. روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن هذه الآية نزلت في أناس من اليمن يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون بحج بيت الله، أفلا يطعمنا فيتوصلون بالناس وربما ظلموا وغصبوا فأمروا بالتزود وألا يظلموا، ويكونوا كلاً على الناس».

يقول أبو حيان في كتابه: «البحر المحيط»: «فعلى ما رُوي من سبب النزول لهذه الآية، يكون أمراً بالتزود في الأسفار الدنيوية، والذي يدل عليه سياق ما قبل هذا الأمر وما بعده، وقيل: إن الأمر بالتزود هنا هو بتحصيل الأعمال الصالحة التي تكون للحاج كالزاد إلى سفره للآخرة».

وقيل: «أُمر بالتزود لسفر العبادة والمعاش، وزاده الطعام والشراب والمركب والمال، وبالتزود لسفر المعاد، وزاده التقوى تقوى الله تعالى».

فنخلص من هذا كله إلى ثلاثة أقوال:

الأول: أنه أمرٌ بالتزود في أسفار الدنيا.

الثاني: إنه أمرٌ بالتزود لسفر الآخرة.

الثالث: أنه أمرٌ بالتزود في السفرين، وهو الذي نختاره.

قال أبو بكر الرازي ـ رحمه الله ـ: «احتمل قوله «وتزودوا»، الأمرين من زاد الطعام وزاد التقوى، فوجب الحمل عليهما إذا لم تقم دلالة على تخصيص أحد الأمرين».

ويستفاد من هذه الآية أمور، منها:

أ ـ أن يكون زادنا إلى الآخرة اتقاء القبائح، فإن ذلك خير الزاد، فليس السفر من الدنيا بأهون من السفر في الدنيا، وهذا لابد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد، وإذا كان زاد الدنيا يخلّص من عذاب متقطع موهوم، فإن زاد الآخرة ينجي من عذاب أبدي معلوم.

ب ـ أن في الآية ما يدل على أن القادر على استصحاب الزاد في السفر إذا لم يستصحب، عصى الله في ذلك، إذ فيه إبطال لحكمة الله تعالى، ودفع الوسائط والروابط التي عليها تدور المناجح، وبها تنتظم المصالح.

جـ ـ أن في الآية دعوة إلى التزود في رحلة الحج، زاد الجسد وزاد الروح، فقد جاء التوجيه إلى الزاد بنوعية، مع الإيحاء بالتقوى في تعبير عام دائم الإيحاء، والتقوى زاد القلوب والأرواح.

٣ ـ في ظلال قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم

سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان ذو المجاز وعكاظ متجرا الناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام، كأنهم كرهوا ذلك، حتى نزلت الآية».

قال أبو حيان ـ رحمه الله ـ : «سبب نزول هذه الآية، أن العرب تحرجوا لما جاء الإسلام أن يحضروا أسواق الجاهلية كـعكاظ وذي المجاز والمجنة»، فأباح الله لهم ذلك، قاله ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعطاء.

ولقد ذكر المسفرون في تفسير قوله سبحانه: (أن تبتغوا فضلاً من ربكم) وجهين:

الأول: المراد هو التجارة.

الثاني: المراد أن يبتغي الإنسان حال كونه حاجاً أعمالاً أخرى تكون موجبة لاستحقاق فضل الله ورحمته، مثل إعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع.

ويستفاد من هذه الآية أمور منها:

أ ـ أنه من الممكن أن تقاس التجارة على سائر المباحات، من الطيب والمباشرة والاصطياد، في كونها محظورة بالإحرام، فلدفع هذه الشبهة نزلت «ليس عليكم جناح أن تبتغوا» أي في أن تطلبوا «فضلاً من ربكم» عطاء منه وتفضلاً، أو زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها.

ب ـ أن في الآية إشارة إلى أن ما يبتغيه الحاج من فضل الله، مما يعينه على قضاء حقه، ويكون فيه نصيب للمسلمين أو قوة للدين، فهو مجهود، وما يطلبه لاستبقاء حظه أو لما فيه نصيب نفسه، فهو معلول.

جـ ـ أن الشبهة كانت حاصلة في حرمة التجارة في الحج من وجوه منها: أن الله سبحانه منع الجدال، وفي التجارة جدال، وأن التجارة كانت محرمة وقت الحج في دين أهل الجاهلية، يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ: «لما أمر الله سبحانه بتنزيه الحج عن الرفث والفسوق والجدال، رخص في التجارة، وهي من فضل الله المراد به في قوله: (أن تبتغوا فضلاً من ربكم).

د ـ نزلت إباحة البيع والشراء والكراء في الحج، وسماها الله سبحانه: ابتغاء من فضله، ليشعر من يزاولها أنه يبتغي من فضل الله، حين يتجر، وحين يعمل بأجر، وحين يطلب أسباب الرزق، أنه لا يرزق نفسه بعمله، وإنما يطلب من فضل الله فيعطيه اليه، فأحرى ألا ينسى هذه الحقيقة.

هـ - أنه متى ما استقر في قلب الحاج إحساس بأنه يبتغي من فضل الله، وأنه ينال من هذا الفضل حين يكسب، وحين يحصل على رزقه من وراء الأسباب التي يتخذها للارتزاق، فهو إذاً في حال عبادة لله، لا تتنافى مع عبادة الحج، في الاتجاه إلى الله.

٤ - في ظلال قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم

في هذه الآية مسائل، أهمها:

الأولى: أنه تعالى لما أمر بالحج في قوله: (وأذن في الناس بالحج) ذكر حكمة ذلك الأمر في قوله (ليشهدوا منافع لهم)، واختلفوا فيها، فبعضهم حملها على منافع الدنيا، وهي أن يتجر في أيام الحج وبعضهم حملها على منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة، وبعضهم حملها على الأمرين جميعاً، وهو الأولى.

الثانية: إنما نكَّر المنافع، لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة، دينية ودنيوية، لاتوجد في غيرها من العبادات.

يقول ابن الجوزي رحمه الله في كتابه «زاد المسير»: «والأصح، من حملها على منافع الدارين جميعاً، لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة، وإنما الأصل قصد الحج، والتجارة تبع».

يقول الخطيب في كتابه «التفسير القراني»: «والمنافع التي يشهدها الوافدون إلى بيت الله الحرام كثيرة متنوعة، تختلف حظوظ الناس منها، فهناك منافع روحية تفيض من جلال المكان وروعته وبركته، وذلك بما يغشى الروح من هذا الحشر العظيم، الذي حُشر فيه الناس على هيئة واحدة في ملابس الإحرام مجردين من متاع الدنيا، وما لبسوا فيها من جاه وسلطان، ولقد أحسن النسفي - رحمه الله - في تصوير هذه الفريضة، وفي عقد الشبه بينها وبين الحياة الآخرة، حيث يقول: «فالحاج إذا دخل البادية، لا يتكل فيها إلا على عتاده، ولا يأكل إلا من زاده، فكذا المرء إذا خرج من شاطئ الحياة، وركب بحر الوفاة، لا ينفع وحدته إلا ما سعى في معاشه لمعاده، ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده». وهناك منافع اقتصادية بجانب المنافع الروحية، ومن هذه المنافع:



● يعتبر الحج مؤتمراً إسلامياً لحل مشكلات المسلمين الاقتصادية، حين يفد إلى الأماكن المقدسة ملايين المسلمين من شتى بقاع العالم منهم العلماء المتخصصون في مجال الاقتصاد، فيكون ذلك فرصة طيبة لعقد المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية لمناقشة مشكلات المسلمين الاقتصادية، في سبيل الوصول إلى التكامل والتنسيق الاقتصادي بين الدول الإسلامية.

● في الحج رواج اقتصادي للمسلمين، إذ يتسم موسم الحج بالرواج الاقتصادي لما يتطلبه من سلع وخدمات لازمة لأداء مناسك الحج، فكم من ملايين الريالات تنفق على وسائل الانتقال وشراء المأكولات والمشروبات والملابس والإقامة والذبائح.

● في الحج دعوة إلى تطبيق الاقتصاد الإسلامي، إذ في الحج دعوة لتطهير المعاملات بين الناس من الخبائث والموبقات من ربا واحتكار وغش وتدليس وغرر وجهالة وأكل لأموال الناس بالباطل، كما أن الحاج عليه أن يتجنب الإسراف والتبذير والإنفاق الترفي، فالحج دعوة صادقة لتطبيق الاقتصاد الإسلامي على مستوى الدول الإسلامية.

* منافع البُدن والذبائح للفقراء والمساكين والمحتاجين في داخل الأماكن المقدسة وخارجها.

● منافع التجارات والعمل وكسب المعيشة في أيام الحج، كما أباح ذلك الله سبحانه وتعالى، بحيث لا يكون القصد الأساسي والمطلب الرئيسي هو التجارة.

٥ - المدلول الاقتصادي للحجّ

وفي الحج مدلول اقتصادي كبير، ذلكم أنه فرصة للكسب المادي الشرعي، والكسب الأخروي، فهو عبادة مالية وبدنية، وثوابهما جميعاً في الآخرة.

إن الحج مؤتمر إسلامي كبير تلتقي فيه الخبرات العالمية الإسلامية من صنّاعيين، وتجار، ومهنيين، وبجميع التخصصات، وبهذا تنتهز فرصة الحج، لا لهذا الغرض فحسب، بل تكون تابعة غير مقصودة، ولكنها في الواقع فرصة للدول الإسلامية ولأبنائها، حيث تنمو العلاقات الاقتصادية بين المسلمين، إذ يناقشون مشكلات الأمن الغذائي ومشكلات الاقتصاد بصفة عامة.

في الحج دورة تجارية جيدة، وموسم لازدهار الاقتصاد الإسلامي، من جديد.

وفي الحج انتعاش للمصانع، حيث يستهلك الحاج في كل ساعة من ساعات الموسم، فتدور المصانع، ويكثر الطلب، وبالتالي يزيد العرض فيصبح للتجارة معنى جديد في هذه المشاعر المقدسة.

وفي الحج لقاء بين رجال الأعمال، وتعرُّفٌ على منتجات كل البلاد الإسلامية، حيث تنقل هذه المنتجات من بلدة إلى مشاعر الحج، فيعرف الحاج والتاجر، ما تنتجه البلدان الإسلامية ويطلع التجار عن كثب على المنتجين أنفسهم، والمسؤولين، وتدور بينه وبينهم الأحاديث التي تنفع الاقتصاد بعد الحج، ويكون هذا سبباً في ازدهار التجارة ونشاطها.

إن على التاجر أن يلتزم بآداب التجارة في الإسلام، ولا سيما أن هذا فرض عين عليه في هذه المشاعر والمواقف، وليعلم أن الجالب مرزوق والمحتكر ملعون، وليعلم أن له الأجر من الله حيث قرّب للحجاج ما يحتاجون إليه وجعله تحت سمعهم وبصرهم، وأنه في هذا يسهم في قضاء حاجة

المسلمين فيقضي الله حاجته، فإن اصطحب الحاج هذه المعاني السامية في تجارته في الحج، فإنه ضمن إن شاء الله أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم.



٦ ـ الهدي ـ مشكلة وحلّ

الهدي: يطلق على الحيوان الذي يسوقه الحاج أو المعتمر هدية لأهل الحرم من غير سبب موجب، ويطلق على ما وجب على الحاج أو المعتمر بسبب موجب كترك واجب أو فعل شيء قال تعالى: (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير...) الحج: ٣٦، يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ: «وسميت هدياً، لأن منها ما يُهدى إلى بيت الله».

إن شراء الهدي والتقرب به إلى الله سبحانه، يعتبر من أوضح أدلة التضحية بالمال، وهو تعبير صادق على اقتران القيم التعبدية الروحية، بالقيم الاقتصادية المادية في شعيرة الحج.

ولكن تكدس لحوم الهدي في منى مثلاً أيام النحر الثلاثة، يعدُّ مشكلة، تحتاج إلى حلّ، حيث هي عرضة للتعفن والتلف، ومن ثم إلقاؤها إلى الحيوانات، أو التصرف غير الاقتصادي الذي لا يفيد المسلمين، ويضرّ بهم وبفقرائهم ومساكينهم، وبالمستحقين.

ولذلك، طرحت بعض الحلول، للخروج من هذه المشكلة، بحل سليم، يساعد في الإفادة من لحوم الهدي، وفي هذا الصدد يمكن أن تقدم بعض التوصيات والتوجيهات للإسهام في حل هذه المشكلة، ومن ذلك:

١ ـ تأسيس مؤسسة اقتصادية إسلامية تتولى هذه اللحوم وتصنيعها وحفظها في معلبات وإرسالها إلى مستحقيها من المسلمين في بلاد العالم الإسلامي.

٢ ـ تولي حكومة المملكة العربية السعودية، إنشاء ثلاجات كبيرة لحفظ هذه اللحوم بعد توضيبها ثم تصديرها إلى الفقراء والمساكين والمجاهدين والمستحقين.

٣ ـ تعليم الحجاج أحكام الهدي، والتي منها، أن الحاج المفرد لا ذبح عليه، بل القارن والمتمتع فقط، ومن ثم يجوز للمفرد أن يتصدق بقيمة الذبيحة، كما أنه يجوز أن يكون الذبح في منى ومكة أيضاً، وأصل ذلك حديث: «إن منى كلها منحر، وإن مكة وفجاجها منحر...».

٤ ـ تكوين جمعية خيرية إسلامية تتولى مهمة الإشراف على جمع وتوزيع وتصدير لحوم الهدي للمحتاجين والفقراء والمساكين.

وتجدر الإشارة إلى أن حكومة المملكة العربية السعودية، تسير بخطى متئدة، وخطوات ثابتة، وصولاً إلى أنجع الحلول وأفضل السبل، للإفادة من هذه اللحوم، وقد قامت بتوزيع وتصدير لحوم الهدي في السنوات الماضية، إلى البلاد الإسلامية المحتاجة، وإلى المجاهدين، والمستحقين في بقاع العالم الإسلامي.

٧ ـ فلنستفد من هؤلاء

يعيش العالم الإسلامي اليوم مرحلة مهمة من مراحل أيامه الفاضلة ألا وهو موسم الحج، والذي يعود كل عام على المسلمين، وفي كل عام يحج أناس جدد ومسلمون لم يسبق لهم الحج يحجون، وفي حجهم تعليم لهم وتربية، جاؤوا من بلاد بعيدة ومن كل فجّ عميق، ليشهدوا منافع لهم، جاؤوا ليكتسبوا رضى الله جل وعلا وهم في أمن وطمأنينة، هذه الفئة المؤمنة الصادقة، والتي منها شباب ذوو خبرة وثقافة علمية وتقنية، ولهم اطلاع واسع على بلادهم وما جاورها.

وإذن، لِمَ لا نستفيد من مقدم هؤلاء في مجال الإعلام الإسلامي، إن على صاحفتنا ـ وهي بحمد الله تشارك في الحج بكل ما تملك من إمكانات مادية وبشرية ـ أن تجعل من الحج فرصة طيبة لمعرفة العالم الإسلامي، والتعريف والإعلام به في صحافتنا وعلى صعيد واسع، وينبغي أن تكثف جهودها في الالتقاء بالشخصيات ذوي الثقافات المتعددة والمتخصصة، لأن في الحجاج أساتذة جامعات، ورؤوساء أكاديميات، وأمناء مكتبات، ومديرو معاهد متخصصون، ومسؤولون عن روافد الفكر في بلادهم، كل هؤلاء حري بنا أن نرى ما عندهم فننقله إلى العالم الإسلامي عبر إعلامنا وصحافتنا، فنضيف رصيداً جديداً للصحافة، ويجري الإعلام بماء جديد، تجمعهم كلمة واحدة هي: لا إله إلا الله. إن العالم الإسلامي وهو يشعر بالوحدة والعزلة، ليسره أن يسهم في كل مكان بالتعريف بأرضه، بجبله، وبسهله، بكل بقعة منه على هذه المعمورة.

ولعل هذه الفكرة أن تكون سهلة التنفيذ، أما مصادر المعرفة للصحافيين فإنها متوافرة، فمن الحجاج أنفسهم، ومن الأماكن التي تحتفظ بأسماء الحجاج، وبخاصة المطوفين، وجهات أخرى، كلها ـ أعتقد ـ أنها على استعداد، لأن تجعل من موسم الحج مائدة فكرية للقارئ المسلم في بلادنا. ■

فاعلية الحج في إصلاح الجوانب النفسية والجسمية والروحية لدى المسلم

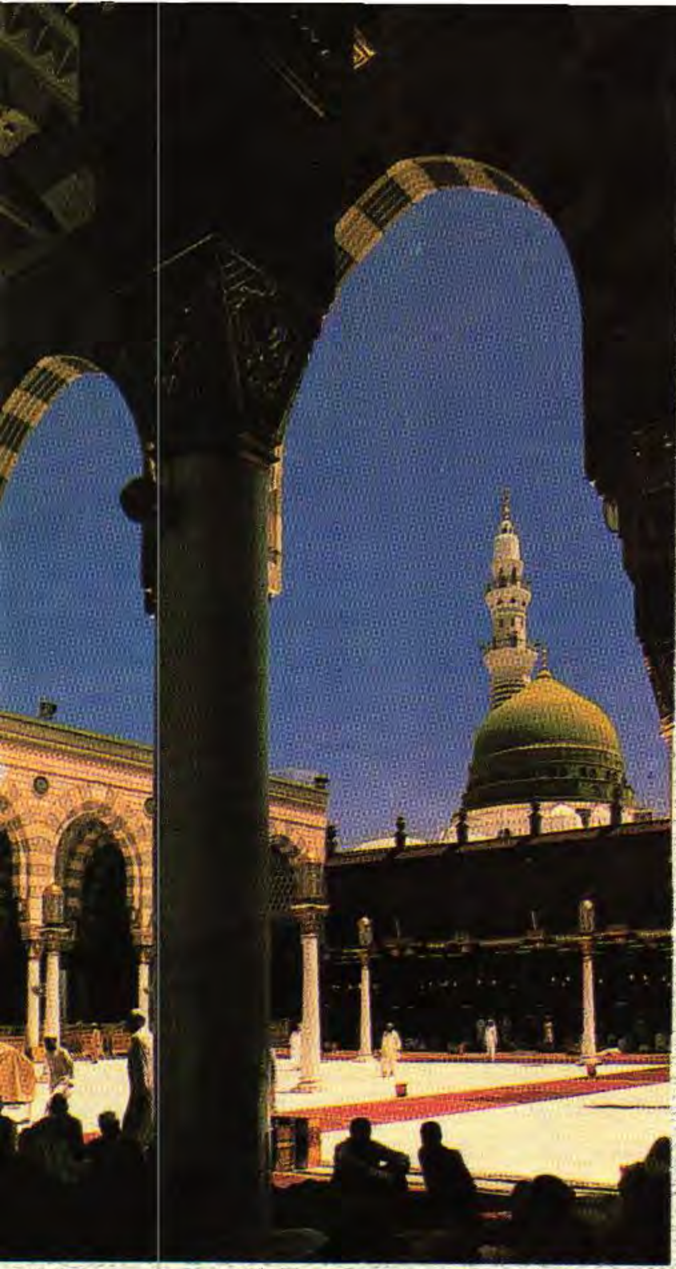
وليطوفوا بالبيت العتيق

بقلم: د. محمد محمد عيسوي الفيومي

في شتى بقاع الأرض الإسلامية يستعد في هذه الأيام وفود الرحمن ليتوجهوا إلى بيته المعظم ليحضروا مؤتمرهم الأكبر والفريد الذي دعا إليه رب العزة في قوله تعالى:

(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) «الحج: ٢٧» (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) الحج:٢٨، وليشهدوا منافع لهم في دينهم ودنياهم لأن الحج أعظم فرصة مباركة لتوحيد كلمة المسلمين وحل مشاكلهم وجمع صفوفهم، ولم شملهم وتحقيق أصدق معاني الوحدة في الاتجاه والهدف والمشاعر التي تزودهم بنفحة إيمانية تدفعهم إلى بذل كل جهد في سبيل أن يعودوا منه وهم أقوى ما يكونون صفا واحدا ويدا واحدة، وقد استفادوا من روحانية الحج وآدابه وأخذوا من أسرار شعائره العظات والعبر التي تدفعهم إلى الوحدة والقوة والقضاء على الخلافات والأهواء والتكالب على حطام الدنيا، وذلك ليكون الحج بداية للتغيير في السلوك والاتجاه لخير الإسلام والمسلمين وتحقيق التعاطف والتكافل والتواد والتراحم. فإن يوم عرفه من أعظم الأيام التي يتجمع فيها المسلمون في مكان واحد على كلمة واحدة ليس لهم إلا هدف واحد ألا وهو عبادة الله وتوحيد كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وشعورهم بإخوانهم المسلمين في شتى بقاع الأرض وبخاصة الذين اعتدي على حرياتهم.

ومن هنا كان الحج أعظم المؤتمرات التي لا يمكن أن يجتمع في غيرها هذا العدد العظيم من البشر ليشعر كل مسلم بواجبه تجاه أخيه المسلم لأننا في أمسّ الحاجة إلى القوة مصحوبة بروابط التعاون والوحدة. فإذا خاض المسلم هذه التجربة وتفاعل مع جموع المسلمين الهائلة أحس بالانتماء إلى أمة قوية ومتماسكة.. هي الأمة الإسلامية.





ففي هذا الوقت من كل عام تهفو القلوب وتتطلع الأفئدة وتفيض الجوارح شوقاً وحناناً إلى زيارة الأراضي المقدسة لتأدية أحد أركان الإسلام. تلك الأماكن التي دعا إليها أبو الأنبياء بقوله (ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) فالمسلمون جميعا في بقاع الأرض كافة يحدوهم الأمل في أن ينعموا بعضوية مؤتمر الحج العظيم فإذا تجولنا بأنظارنا عبر البقاع الإسلامية وجدنا حجيج الرحمن وضيوفه يتوافدون من كل فج عميق على بيت الله الحرام في مكة المكرمة، المكان الذي اختاره الله سبحانه وتعالى مقاما للحج قبل أن يخلق الإنسان الذي سيتعبد في هذا البيت الحرام. حيث قال تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) «آل عمران: ٩٦».

إنهم يجتمعون حول كعبة واحدة وبيت واحد ويهتفون بنداء واحد تذوب معه كل الفوارق والطبقات في وحدة لا مثيل لها في الدنيا «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك» وهكذا تظهر في الحج وحدة الأمة المسلمة بمعناها الرحب الواسع جلية واضحة مع أن كل ركن من أركان الإسلام الأخرى. بدءا بالشهادتين ومرورا بالصلاة والصوم والزكاة ينطلق أيضاً من مفهوم الوحدة وعقيدة التوحيد حتى أصبحت الوحدة سمة الإسلام البارزة تنطلق فيها كل المبادئ والغايات والأهداف.

وكلمة التوحيد في الإسلام تعني توحيد الكلمة ولم الشمل وتحقيق الألفة والمحبة وسيادة مبدأ التراحم والتكافل والقضاء على الفرقة والتمزق، وهذا هو سر بقاء هذه الأمة إذ يقول الله تعالى (أن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) «الأنبياء: ٩٢». كما قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) آل عمران ١٠٣.

إن نجاح الأمة وفرض سيادتها وتحقيق طموحاتها رهين بتحقيق الوحدة الإسلامية مسبقا، وفشل الأمة واستلاب سيادتها والحيلولة دون تحقيق تطلعاتها ومشاركتها العالمية مرتبط بتمزقها إلى شيع وأحزاب. كل حزب بما لديهم فرحون.

وقد حذرنا سبحانه وتعالى من عاقبة الفرقة فقال: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) الأنفال: ٤٦، وحذر المسلمين من التفرقة بعد نعمة الإسلام وتوعد دعاة الفرقة بالعذاب فقال: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) آل عمران: ١٠٥.

لقد أدرك أعداء الإسلام أثر وحدة المسلمين في انجاز مشروعهم الحضاري النهضوي لذا عملوا على ايقاد نار العداوة والبغضاء بين المسلمين في كل عصر وحين، كلما سنحت الفرصة لهم، حتى تبقى لهم السيادة وحتى يظل المسلمون في غيبوبة كاملة وشاملة عن ينابيع قوتهم وحقيقتها، الأمر الذي يشكل مأساة كبرى تواجه المسلمين في واقعهم المعاصر فينبغي على المسلمين أن يغتنموا ما حباهم الله من نعم أسبغها عليهم ظاهرة وباطنه وأن ينتهزوا هذه الفرص التي يجتمع فيها المسلمون بصورة فريدة لا مثيل لها في كل مؤتمرات العالم ليتدارسوا مشاكلهم ويضعوا الحلول لها وفق منهج الله.

ففي مشهد مهيب يجتمع في الحج جموع هائلة من كل أرجاء العالم الإسلامي على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ليقفوا على ساحة عرفات ضارعين خاشعين مؤدين للركن الأعظم من مناسك الحج متذكرين قول نبيهم عليه الصلاة والسلام «الحج عرفه».

في هذا اليوم الكريم تتجلى رحمة الله ويباهي ملائكته بحجاج بيته ويشهدهم أنه قد غفر لهؤلاء الذين تحملوا المشاق وتركوا الولد والمال والوطن ولبوا نداءه تعالى وأتو من كل فج عميق تائبين عابدين متجردين من زينة الحياة الدنيا.

وفي هذا اليوم المشهود أيضا تتجسد وحدة الأمة الإسلامية وترابطها، وبالرغم من اختلاف اللغات فإن الألسنة هنا تردد مع القلوب الخاشعة بلغة واحدة نداء الإسلام الخالد لا إله إلا الله لبيك لا شريك لك. الله أكبر نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ترتفع صيحات عباد الرحمن بهذا النداء ويدوي رجع صداها في الفضاء القريب والبعيد وكأن هذه الصيحات رسالة إنذار من الأرض المقدسة في مكة حيث الكعبة قبلة المسلمين إلى الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين محاولين النيل من الإسلام ولكنهم لن يفلحوا مهما حاولوا بإذن الله. مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى:

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) الصف: ٩.

وأن المسلمين لن يتقاعسوا في الجهاد وأعلاء راية التوحيد ومازال فيهم أمثال عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص الذين تخرجوا في مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام الذي صنع أمة وغرس فيها من القيم والمبادئ والمثل ما يقيم المجتمع الإنساني الآمن الذي يعيش في حب وعدل وسلام ما أن تمسكوا بمبادئ الإسلام السمحة واهتدوا بهدي رسول الله ﷺ إذ يقول:

«تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا... كتاب الله، وسنتي» رواه البخاري ومسلم.

وما من شك أن المسلم عندما يعيش تجربة الحج يعود وقد اكتسب الخبرة التي تعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع فيتهذّب سلوكه مع المحيطين به ويتمسك بالخلق القويم ويتعود على التعاون مع الناس ويحب لأخيه ما يحبه لنفسه ويتجنب الظلم لأنه عرف حقيقة الإسلام وتعمق لديه الإيمان وهو يدعوا الواحد الديان بهذا يكون الحج من أفضل الوسائل لتأصيل القيم وتعديل السلوك وتجربة تهفو إليها النفوس وتشتاق إليها القلوب كلما حان موعدها ويتمنى المسلم أن يكون له نصيب في خوض هذه الرحلة المباركة.

ثم ان الحج فرصة لأن يعود المسلم بذاكرته إلى الوراء ليتذكر الأحداث العظام التي غيّرت وجه التاريخ، ويتذكر نضال الرسول وصحابته الأبرار في سبيل نشر الدعوة الإسلامية واعلاء كلمة الحق وليشاهد مهبط الوحي وأرض الرسالات فيتعمق لديه الايمان فضلا عن اكتسابه عادة الصبر وقوة الإرادة والقدرة على التحمل.

كما يتعود على النظام من خلال تأديته لبعض الشعائر، وكلها من سمات الشخصية السوية التي تتمتع بالصحة النفسية، كما يتعود المسلم على التعاون عندما يساعد القوي الضعيف وعندما يأخذ الشاب القوي بيد الشيخ المسن فتسود الألفة والمحبة بين جموع المسلمين.

وسبحانك ربنا العظيم تمنح حجاج بيتك الحرام قدرة غير محدودة لأداء مناسك الحج التي تبدأ بها النفوس وتطمئن بها القلوب ويصدق في قوله الكريم:

(وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) ولك حكمتك يا رب أن جعلت الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام الحنيف وحبوت المسلمين برحمتك في أن تجعله لمن استطاع إليه سبيلا.

ولك الثناء أن يسرت لهذا العدد الهائل من المسلمين تأدية هذه الفريضة، وأني لأدعوك أخي المسلم أن تنظر متأملا في ساحة البيت الحرام وتملأ النفس والقلب والعين بهذه الصورة الرائعة لهذا الحشد من ضيوف الرحمن وهم يطوفون حول الكعبة المشرّفة أو يسعون بين الصفا والمروة ولا موضع لقدم إلا وهو مشغول بمن يصلي أو من يقرأ القرآن الكريم أو من يرفع يده بالضراعة والدعاء حتى إذا أخذت طريقك بصعوبة بالغة إلى الساحة الخارجية فستجدها أيضاً قد امتلأت عن آخرها وما حولها من طرقات حملت فوقها آلافا قادمين إلى البيت الحرام أو مغادرين.

وتتكرر صورة هذا الاحتشاد العظيم من ضيوف الرحمن لحظة واحدة عند عرفات الله وفي مناطق المشاعر المقدسة في المزدلفة ومنى استكمالاً لمناسك الحج التي تختتم بطواف الوداع حول الكعبة المشرفة.

.. نعم. كم هي شاقة وصعبة أداء مناسك الحج وسط هذا العدد الهائل من ضيوف الرحمن. تلك حقيقة ولكنها سرعان ما تذوب بقوة إيمانية خفية غير محدودة تملأ النفس والقلب والعقل فتسعدها جميعا. فضلا عن الجهود الخاصة التي تبذلها السلطات السعودية لتقديم كل عون لضيوف الرحمن.

هذه السلطات التي تنعم بلا شك بعناية عباد الرحمن، وسرعان ما تذوب الصعاب، ونعمة الله سبحانه وتعالى تشملك وأنت تستقبل الكعبة المشرّفة استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته في أداء أحد أركان الإسلام الخمسة، وصدق الله تعالى إذ يقول:

(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) آل عمران: ٩٧، وقوله سبحانه: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات).

وفي حديث رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» رواه البخاري ومسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن».

وقوله: «الحجاج والعمار وفد الله. إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم».

وقوله ﷺ: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله. الدرهم بسبعمئة ضعف».



نعم كيف لا تتحمل المشاق والمتاعب وأنت تؤدي مناسك الحج وجميع المتاعب والمشاق تختفي وأنت تنعم بنعمة الله بالشرب من ماء زمزم فماؤها لما شرب له كما جاء في الحديث الشريف، وأنت تسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط مبتدئا بالسعي بما بدأ به الله ورسوله (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم) البقرة:١٥٨.

نعم تذوب كل المشاق والمصاعب وأنت تنعم بالوقوف بعرفات الله، وما أدراك ما يوم عرفة.. كفاه يوما وموقفا تاريخيا ومكانا اختاره الله سبحانه ليخرج منه الحاج كمن ولدته أمه مغفور الذنوب، وكفاه أن الله سبحانه وتعالى يباهي فيه ملائكته بعباده الذين جاءوا خاشعين محرمين طامعين في مغفرة وعدهم بها سبحانه صادق الوعد حين قال:

«أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم». نعم تذوب كل المشاق والمصاعب وأنت تنعم بما فعل الرسول ﷺ بأن تفيض من عرفات إلى المزدلفة حيث ترجم رجمة ـ العقبة وتشعر أنك ترجم ذنوبا، وشيطانا وكل نفس أمارة بالسوء، فتبدو النفس مطمئنة راضية مرضية راجعة إلى ربها، حتى إذا ما أتم المسلم شعائر الحج كافة عاد إلى وطنه وقد اكتسب من ألوان السلوك النافع ما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع والخير.

وليكن الحج الأكبر مؤتمرا إسلاميا جامعا يتدارس فيه المسلمون على مستوى القادة، والمفكرين وسائل نهضتهم وتقدمهم حتى يرسموا لمستقبلهم مراقي العز والسؤدد ويعمقوا روح الأخوة التي تربط بينهم لأن الذي جمع هذا الحشد الهائل من البشر بأسودهم وأبيضهم هو الله تعالى، فقد جمعهم على طاعته ويتساوى فيهم الغني والفقير والسيد والمسود يلبسون زياً واحداً، ويؤدون شعائر واحدة ويهتفون بنداء واحد (لبيك اللهم لبيك).

ففي هذا المؤتمر الفريد لا حاجة لأعضائه بجمع الآراء لإصدار بيان مشترك وذلك لوحدة الهدف ووضوحه منذ أن يعقد المسلم العزم على الاشتراك في هذا المؤتمر.

فعليك أيها المسلم إذا أردت الحج وزيارة المصطفى ﷺ أن ـ تخلص عملك لله تعالى فلا تبغي من حجك إلا رضاه سبحانه وتعالى وذلك لأن أخلاص النية هو الأساس لقبول العمل. قال تعالى:

(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) البينة: ٥. وأن تجدد التوبة النصوح وتقوم برد الحقوق لأصحابها وأداء ما أنت مؤتمن عليه.

قال تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل أن الله نعمّا يعظكم به) النساء: ٥٨.



وسامح من أساء إليك وابدأه بالصلح لتنال الأجر العظيم. قال تعالى:

(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت: ٣٤.

واجتهد في تطهير القلب من الحقد والحسد وكل ما نهى الله تعالى عنه أن تكتسب وصيتك قبل سفرك. إن كان عليك شيء يجب أن توصي فيه أو لك شيء أيضاً، وكذلك يجب تحري النفقة الحلال لقوله ﷺ: «ان الله طيب لا يقبل إلا طيبا». رواه مسلم والترمذي.

وأن تسترضي والديك وتصل رحمك وتودع أخوانك ويستحب لك أن تختار رفيقا صالحا من أهل العلم ليعينك على طاعة الله تعالى ولتأنس به وتتعاون معه على مشاق السفر لما رواه ابن عمر «أن النبي ﷺ نهى عن الوحدة لا يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده» أخرجه أحمد، وينبغي لك أن توطّن نفسك على احتمال مشاق السفر وألا تضجر ولا تذكر ما تناله من تعب وأن تتعلم أحكام ما تقصد إليه في سفرك حجا كان أو عمرة.

ويستحب لين الكلام واطعام الطعام وخفض الجناح للمؤمنين وتحمل الأذى وترك المماراة (الجدال) والتعاون على طاعة الله والإقبال على كتاب الله تعالى والانشغال بتلاوته والإكثار من ذكر الله تعالى والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وأن تكثر من الدعاء لأن المسافر له دعوة مستجابة وبخاصة في هذه الأماكن والأيام المباركة.

قال ﷺ: (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن. دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده) رواه الترمذي.

ألا يكون هذا بحق مؤتمرا فريدا كرّم الله عز وجل به أمة الإسلام فعلى المسلم أن ينهل من فيض النعم التي يحتويها هذا المؤتمر ليخرج منه وقد غنم الكثير من الفوائد التي تعود عليه في شتى جوانبه الإيمانية والنفسية والخلقية والاجتماعية التي تؤثر في حياة المسلم تأثيرا كبيرا وتلهب فيه تيار الشوق لأن يخوض هذه التجربة وأن يكون أحد أعضاء هذا المؤتمر كلما حان موعده فإذا أنعم الله على المسلم بالاشتراك فعليه أن يدعو الله وهو يودع هذه الأماكن المقدسة أن يكون وداعا موقتاً إلى عودة مقبلة إن شاء الله.. ■

المراجع:

١ - القرآن الكريم.
٢ - رياض الصالحين.
٣ - محمد محمد عيسوى الفيومي: فاعلية العلاج المتمركز حول العميل في تحسن بعض حالات الاضطرابات السيكوسوماتية - رسالة دكتوراه صحة نفسية - كلية التربية - بنها ١٩٩٥.
٤ - أحمد عزت راجح: أصول علم النفس - المكتب المصري الحديث - اسكندرية ١٩٧٣.
٥ - عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية - دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٢.

بالرحمة تستمر الحياة

بقلم: د. حسن عبدالغني أبو غدة

الرحمة هي:

الرقة والتعطُّف على الغير، لإيصال الخير إليه، والرحمة صفة من صفات الله تعالى، يقول سبحانه: ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ الأنعام: ١٢.

والرحمن الرحيم اسمان كريمان من أسمائه الحسنى.

وقد وصف الله تعالى رسوله - ﷺ - بالرحيم، فقال سبحانه: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ التوبة: ١٢٨.

وقال النبي - ﷺ - عن نفسه: «إنما بعثت رحمة» أخرجه البخاري في «التاريخ».

حاجة الحياة إلى الرحمة

تُعدُّ الرحمة التي سبق وصفها، معلماً من معالم شريعة الإسلام ودعوته، يؤيد هذا قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١٠٧، والرحمة أساس العمران، وسبب لاستمرار الحياة وبقائها، وما نُزعت من قلب إنسان إلا صار خرباً، ولا من حياة قوم إلا كانوا وباء في الأرض، وكم حدثنا التاريخ عن أقوام نُزعت الرحمة من قلوبهم، فطغوا وبغوا، فذهبوا بأنفسهم وبغيرهم، وتركوا وراءهم آثاراً فظيعة مروعة من الخراب والدمار، لذلك تكررت دعوات الإسلام الناس إلى التراحم والتعاطف، وذلك في قول النبي - ﷺ -: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» رواه الترمذي.

للرحمة صور ودرجات

تتعدد وتتلون صور الرحمة ودرجاتها، ومن ذلك: رحمة الحاكم بالمحكومين، وشفقته عليهم، وإرادة الخير لهم، والرفق بهم، والبحث عن مصالحهم قبل مصالحه، يقول النبي - ﷺ -: «أفضل الناس عند الله منزلة يوم القيامة، إمام عادل رفيق» - رواه الطبراني في الأوسط -.

ومن صور الرحمة: ما دعا إليه الإسلام، من العطف على الصغار والضعفاء، والإحسان إليهم، والرفق بهم، وحسن رعايتهم، وتفقُّد أحوالهم، والقيام على شؤونهم، روى الطبراني أن رسول الله - ﷺ قال: «طوبى - أي الجزاء الحسن العظيم - لمن تواضع... ورحم أهل الذلة والمسكنة».

ولما قبَّل رسول الله - ﷺ - الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس، قال الأقرع: إنَّ لي عشرة من الأولاد ما قبَّلتُ منهم أحداً قط، فنظر إليه النبي - ﷺ - وقال: «أوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟ مَنْ لا يَرْحم لا يُرحم» رواه الشيخان.

ولقد شمل الإسلام برحمته الخدم ومن على شاكلتهم،

الذين لم يعهدوا أن يقف أحد إلى جانبهم - في ذلك الوقت - ويناصرهم، ويدعو إلى إعطائهم حقوقهم، والكف عن ظلمهم، ومعاملتهم بالرحمة والإنسانية، روى أبو داود أن رسول الله - ﷺ - قال: «من لاءمكم - أي وافقكم ورضيتم به - من مملوكيكم، فأطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ومن لم يلائكم منهم فبيعوه، ولا تعذِّبوا خلق الله».

في الرحمة صيانة لآدمية الإنسان

إن من المواقف الإنسانية المعبِّرة عن صفة الرحمة، التي وضعها الله تعالى في قلب نبيه محمد - ﷺ - ما تذكره كتب السيرة: إنه عقب معركة بدر، لم يترك القتلى من أعدائه المشركين في أرض عراء، لئلا تنوش جثثهم سباع الحيوان، أو تعبث بها أو تفترسها كواسر الطيور والغربان، بل عمد النبي - ﷺ - بالجثث إلى بئر جفٍّ ماؤها، فجعلها فيها، صيانة لإنسانيتهم، ومراعاة لذويهم، مع أنهم كانوا ألدَّ أعدائه إيذاء له وحرباً عليه، ومع هذا، فإن العداوة والغلبة والانتصار، لا ينبغي أن تخرج عن إطار الإنسانية والفضيلة والرحمة التي جاء بها الإسلام.

وللحيوان نصيب من الرحمة

هذه الرحمة التي جاء بها الإسلام، وأرسل الله بها محمداً للعالمين، ليست خاصة بالإنسان وحده، بل هي تشمل الحيوان أيضاً، رعاية للروح التي هي فيه.

روى البخاري، ومسلم أن رسول الله - ﷺ - قال: «بينما رجل يمشي بطريق، إذ اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش، مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفَّه - يعني حذاءه - ماء، ثم أمسكه بفمه، حتى خرج فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم أجراً؟ قال: في كل ذات كبد رطبة أجر».

وبالمقابل: فإن القسوة على الحيوان تُدخل النار، لأنها تنمُّ عن طبع قاس، ونفس عاتية ظالمة جهولة، كما في القصة التي فيها أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ومنعتها من الطعام حتى ماتت وأصل الحديث في صحيحي البخاري ومسلم.

بل إن الإسلام حرَّم رمي الطيور للتلهي أو التدرب على إصابة الهدف، كما حرم التحريش والتحريض بين الحيوانات، كما يفعل بعض الأقوام اليوم في مصارعة الثيران، أو إثارة الكلاب، أو الديوك، أو غيرها على بعضها بعضاً، حتى تسيل منها الدماء، والناس حولها جلوس ينظرون ويضحكون.

رحمة الحيوان العاجز والنفقة عليه

لقد بلغ من سمو تعاليم الإسلام وتألقها في جانب الرحمة بالحيوان، ما قرره فقهاء الشريعة من أن النفقة واجبة على مالك الحيوان، فإن امتنع أجبر على بيعه، رحمة بهذا المخلوق الأعجم، ومما قرروه كذلك: أن الهرة العمياء، إذا دخلت بيت إنسان وجبت نفقتها عليه، وذلك لعجزها عن السعي في الأرض طلباً للطعام.

كما قرّر الفقهاء منع تحميل الحيوان أكثر مما يطيق، ومنعوا ظلمه وضربه ضرباً مؤذياً، ويروى في هذا المعنى: أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مرَّ برجل يجرُّ شاة من رجلها ليذبحها، ورأسها تطرقه الأرض، فضرب عمر الرجل بالدرة، وقال له: قدها إلى الموت قوداً رفيقاً...

قد كان لهذه التعاليم أثر بالغ في حياة الشعوب التي خالطت المسلمين، حتى اشتهرت عنهم المقولة المعروفة المأثورة: «لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب».

بالرحمة يعامل الجاهل والمذنب والمبتلى

لقد أخرج الإسلام الأمم والشعوب من غيبوبتها وهمجيتها وقسوتها بتعاليمه الرحيمة الفطرية، فكان يعلم الجاهل، ويذكر الغافل، ويرشد الضال، ويغيث الملهوف، ويساعد العاجز، يُيسِّر على المعسر، بدافع الرحمة بهؤلاء والشفقة بحالهم.

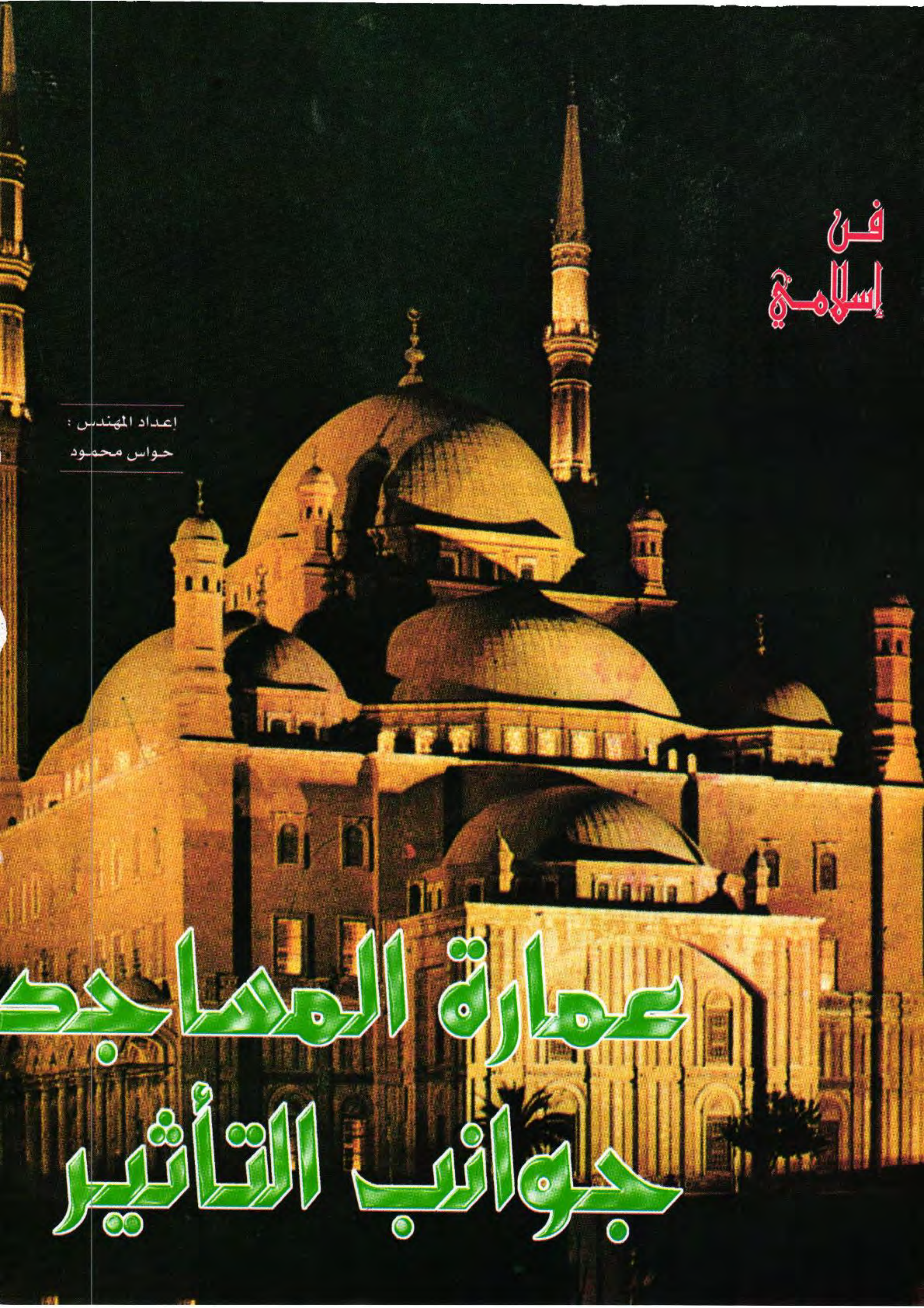
بل لقد ضرب الرسول - ﷺ - مثلاً أعلى في الرحمة، وذلك حين أرشد المسلمين إلى التعامل مع المذنبين والمسيئين بالرحمة والعطف والمواساة، بل بالدعاء لهم، والوقوف إلى جانبهم ينتهون عن غيِّهم، ويعودون إلى صوابهم، فيصبحون أعضاء نافعين لأمتهم ولمجتمعهم، روى البخاري أن النبي - ﷺ - أُتي بسكران، فأمر بضربه، فلما انصرف، سمع بعض القوم يقول: أخزاه الله، اللهم ألعنه، ما أكثر ما يؤتى به وهو سكران، فقال النبي - ﷺ - «لاتقولوا هكذا، ولا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه».

الخاتمة

وهكذا يتضح أن الناس إنما يتعايشون برحمة الله لهم، وينبغي أن يعيش بعضهم مع بعض بالتراحم والتعاطف، بل إن للمخلوقات الأخرى حظاً وافراً من الرحمة في هذا الدين.

وبهذه القيم الإنسانية الفطرية، تسمو النفوس، وتزكو القلوب، وتطيب الحياة، فهل من سبيل إلى مزيد من الرحمة والتراحم فيما بيننا؟! ■

فن إسلامي



عمارة المساجد جوانب التأثير

إعداد المهندس :
حواس محمود

إنّ من عمارة المساجد الذي هو جزء أساسي من فن العمارة الإسلامية، يتميز في كونه وحتى الآن أحد أكثر الفنون انتشاراً في العالم فضلاً عن مدن وحواضر العالم الإسلامي، ولقد أدّى هذا الانتشار إلى تفاعل عمارة المساجد وأساليبها وفنونها مع الطرق والأساليب الفنية والمعمارية المختلفة الأخرى إلى درجة أصبح من الطبيعي أن نتلمس تأثيراتها في شتى البيئات والطرز المحلية الأمر الذي أدّى إلى خلق ما يمكن تسميته بالسمات الفنية العامة المشتركة.



العمارة الإسلامية وجوانب التأثير

استقى الفن المعماري أصوله الأولى من أصول فنية سابقة على الإسلام شأنه في ذلك شأن معظم الفنون الأخرى التي تتكون نتيجة موروثات عقدية، وبيئية، إلى جانب عوامل أخرى كثيرة.

وقد اغترف الفن المعماري الإسلامي في مرحلته المبكرة من الفنون البيزنطية والساسانية بوصفهما من الفنون التي كانت منتشرة في المنطقة التي دخلها العرب الفاتحون إبان الفتح الإسلامي، وربما كانت السمة الواضحة في الفن المعماري الإسلامي هو ظهور التأثيرات البيزنطية والساسانية، الأمر الذي دفع معظم المستشرقين إلى نسبة الفن المعماري الإسلامي إلى أصول قديمة متجاهلين بذلك أن يكون لهذا الفن أي سمات خاصة أو خلفية عقائدية تتحكم في تحديد خصائصه وملامحه الفنية.

ولقد جانب المستشرقون الصواب عندما نسبوا كل ما في عمارة المسلمين وفنونهم إلى أصول فنية قديمة فحسب، فهذا يعد إجحافاً بحقوقهم وتراثهم التليد، وعقيدتهم الجديدة التي كانت مصدراً خصباً استلهموا منها واستندوا إليها في بناء أعمالهم.

ولكي تتضح طبيعة التأثيرات القديمة في الفن المعماري الإسلامي يجب أن نفرّق بين جوهر التخطيط المعماري المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوظيفة العقدية إذا كان المبنى ضمن المنشآت الدينية، وبين مفردات تنفيذ المخطط المعماري، والمثلة في عناصر البناء.

فليس معنى اقتباس قبّة أو قبو أو عقد أو طريقة بناء نقلت عن عمائر قديمة من أجل تشييد مسجد أو «خانقاه» أو مدرسة أو سبيل في العمائر الإسلامية يعطي الحق في نسبة المنشأة برمتها إلى أصول فنية قديمة.

فمن المتعارف عليه أنه يسبق عملية التنفيذ للبناء بالمواد والعناصر المعمارية عملية مهمة تتمثل في وضع التصميم المعماري وفقاً لمضمون الوظيفة.

فإذا كان المبنى المراد تخطيطه مسجداً أو مدرسة أو سبيلاً فسيتحتم على المعماري المخطط أن يفرّق بينها عند وضع التصميم إذ إن الوظيفة التي تؤديها كل منشأة تفرض على المعمار المخطط لها مراعاة الوحدات المعمارية التي تتلاءم مع التصميم إلى جانب وضع الملاحق التي تخدم كل وظيفة.

فتصميم المسجد يتطلب من المعمار المساحات الممتدة عرضاً بموازاة جدار القبلة لكي يصطف أكبر عدد من المصلين، بينما يتطلب بناء السبيل من المعمار المخطط فتح شبابيك التسبيل على الطرق الرئيسية أو الفرعية من أجل تسهيل عملية تسبيل الماء العذب للمارة من العامة، إلى جانب عمل خزّان «صهريج» كملحق معماري مهم يساعد على توافر ماء الشرب.

كذلك يتطلب تخطيط المدرسة من المصمم أو المخطط المعماري مراعاة قاعات التدريس بأن تكون منفصلة عن بعضها بعضاً وبعيدة عن مصادر الضوضاء مع توافر كمية الضوء الطبيعي والهواء إلى جانب وجود حجرات سكن الطلاب كملاحق أساسية لخدمة عملية التدريس.

وبالاستناد إلى ما سبق يمكننا القول : إن لكل مبنى مقوماته الخاصة التي تحكمها الوظيفة، بل تفرض على المعمار أيضاً أن يُيَسِّرَ كل الملاحق لخدمة الغرض الوظيفي، إن العقيدة هي التي تحدد جوهر التصميم في المباني الدينية بينما يقتصر دور التأثيرات الفنية القديمة في مفردات البناء أي وسائل تنفيذه.

وتجدر الإشارة إلى أن ليس كل ما ينقل من عناصر معمارية يعتبر اقتباساً من فنون سابقة، إذ هناك ما يسمى بالعناصر السائدة والمواد المتاحة التي تتحكم في استمرار العوامل المناخية والظروف البيئية، ولذلك تتوارثها الأجيال الفنية بوصفها إحدى التأثيرات المحلية.

فعلى سبيل المثال استخدام التغطيات القبيبة من قباب وأقبية كانت معروفة قبل الإسلام في الفنون الرومانية والبيزنطية والساسانية، واستمرار استخدامها في العمائر الإسلامية في بعض الأقطار كانت نتيجة طبيعية لملاءمة تلك العناصر للعوامل المناخية إذ يلائم هذا النوع من التغطيات الأقطار التي تكثر فيها الثلوج وتتساقط عليها الأمطار بغزارة طوال العام، حيث تساعد هذه الأنواع من التغطيات المقببة من قباب وأقبية و«جمالونات» على عدم تراكم مياه الأمطار أو الثلوج على أسطحتها، وبذلك

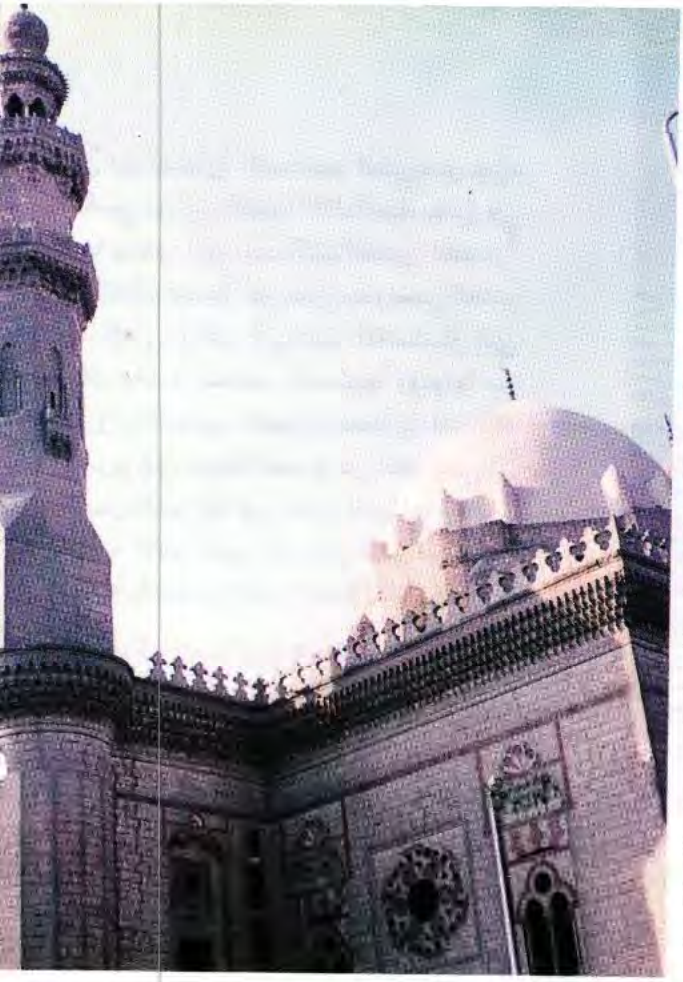
يكون المعمار المصمم قد اختار للمبنى أحد العناصر المعمارية التي تحفظه من التداعي عن طريق ملاءمة العنصر للعوامل المناخية، وهذا ما جعل تلك العناصر تتوارث بشكل تقليدي في جميع العصور، وليس بوصفها تأثيراً واحداً أو مقتبساً دون أن يكون لها مبرر منطقي، ولكن بوصفها أحد العناصر المحلية التي تشكل الخصائص المعمارية والفنية لكل قطر حسب ظروفه المناخية، وتلك العناصر التي تتحكم فيها العوامل الطبيعية هي التي تجعلنا نميز إقليماً عن آخر، وتساعد في التعرف على أصالة العنصر هنا أو هناك.

فإذا أردنا أن نتأكد من أصالة عنصر ما فعلينا أن نرجعه أولاً إلى العوامل البيئية لكي نتعرف على مدى تطابق وملاءمة هذا العنصر لتلك العوامل، فإذا كانت النتيجة عدم ملاءمة العنصر المعماري من حيث الشكل ومادة البناء للظروف البيئية كان معنى ذلك أن العنصر غير محلي، وأن استخدامه جاء من باب الشكل فقط، نتيجة لتأثير وافد، وزيادة في إضاءة هذه الفقرة نقول إن فترة الحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كانت أغنى فترات الاتصال والتلاقح بين العمارتين «المقصود الشرقية الإسلامية والغربية المسيحية»، مما حدا بالكثير من دارسي تاريخ العمارة الأوروبيين في القرن التاسع عشر إلى لفت النظر إلى العلاقة الوثيقة وشديدة الوضوح بين العمارات السلجوقية والأيوبية والمملوكية من جهة، والعمارة القوطية من جهة أخرى، ودفع ببعضهم كباسكال كوست ومارتين بريجنر إلى تأكيد انتماء الطراز القوطي إلى الأساليب المعمارية السائدة آنذاك في الشرق الأوسط الإسلامي.

إن وجود كثير من العناصر المعمارية المختلفة في الفن الإسلامي كانت نتيجة مؤثرات عدة بعضها ينسب لفنون سابقة والبعض الآخر نتيجة للعوامل البيئية، والبعض الآخر نتيجة لابتكارات إسلامية تتماشى مع المتطلبات العقائدية.

آثار العقيدة على عناصر بناء المساجد

لقد حددت العقيدة الإسلامية الخطوط الرئيسية للمعماري المسلم التي يجب مراعاتها في أثناء تصميم المساجد، وهذه الخطوط لم تقف عند تحديد الشكل العام لمخطط المسجد فحسب، وبيان أنسب المساقط المعمارية التي تتوافق والمطلب العقدي لها، بل أسهمت العقيدة في ابتكار بعض العناصر الجديدة التي تتواءم مع وظيفة المسجد، أو باركت وجود بعض العناصر التي كانت تعرف في العمائر القديمة وأوجدت لها المبررات العقدية التي تسمح لها بالاستمرار ضمن مقومات المسجد الأساسية، ومن أهم تلك العناصر التي توافقت مع الاتجاهات العقدية ضمن عمارة المسجد:



أولاً : إقبال المعمار المسلم على تخطيط المساجد الممتدة عرضاً وليس طولاً، وذلك من أجل إقبال المصلين على الصف الأول أو الصفوف الأولى بوصفها أفضل صفوف المصلين من الناحية العقدية، إلى جانب ابتكار المعمار المسلم لنماذج جديدة من مخططات المساجد في العصر العثماني رفعت أسقفها بأعداد قليلة من الركائز.

ثانياً : وجود كتلة المئذنة عنصر أساسي يتماشى والمطلب العقدي في إعلان الآذان وإعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة.

ثالثاً : توزيع فتحات المداخل في المساجد على الجناحين وفي آخر كل مسجد كي لا يقطع الداخل إليها صفوف المصلين أو المرور أمامهم.

رابعاً : تعميق المعمار المسلم لدخلة المحراب بحيث أصبحت في عمق الغرفة وذلك من أجل تخصيصها لصلاة الإمام وتوفير موضعه خارج المحراب لصف جديد من المصلين.

خامساً : اتساع «اسكوب» المحراب عن بقية «أساكيب» المسجد في مساجد كثيرة في المشرق والمغرب، وذلك من أجل استيعاب موضع وقوف الإمام أمام المحراب من الصف الأول مع المصلين إلى جانب ما يضمنه هذا «الأسكوب» من عناصر أساسية مثل المنبر والمحراب والمقصورة.

سادساً : اتساع بلاطة المحراب وارتفاعها عن بقية بلاطات المسجد، وذلك من أجل إضاءة ظلة القبلة بعد أن زاد عمقها وأصبحت تمتد طولاً أي أصبحت أكثر عمقاً.

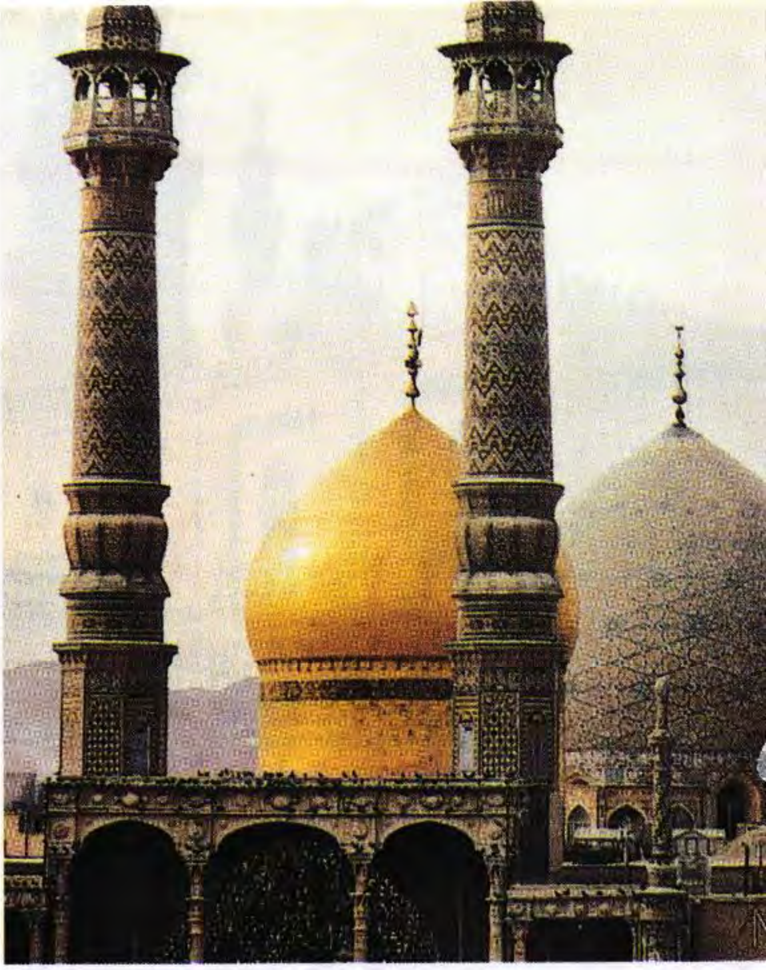
سابعاً : تغييب المنبر في صخرة خاصة تعرف باسم «بيت المنبر» وذلك بعد أن زاد حجمه وارتفاعه وأصبح عبارة عن كتلة ضخمة تقطع امتداد صفّ المصلين الواقفين خلف الإمام مباشرة.

ثامناً : بناء المعمار المسلم لمصلّى خاص بالجنائز كملحق يقع خلف جدار القبلة وذلك احترازاً من إدخال الجنائز في داخل المساجد وما يترتب على ذلك من أشياء تتنافى مع طهارة المسجد.

تاسعاً : مدّ المعمار المسلم العمائر الدينية وبخاصة المساجد بالملاحق المائية مثل البحرة الفوارة والسقاية والمطاهر والميضأة والمزملة والبئر والبرك و«الصهاريج» بوصفها ملاحق أساسية شرعتها العقيدة.

عاشراً : تشجير صحون المساجد من





أجل الاستظلال بها مع تحديد الفقهاء لأنواع ما يغرس من شجر في صحونها بحيث لا يكون من النوع المثمر حتى لا يتكالب المصلون على ثمره ويختلفون عليه.

نماذج من عمارة المساجد

سنكتفي لضيق المجال بإيراد لمحة موجزة عن بعض المساجد :

١ ـ المسجد الأموي ـ دمشق :

يتكوّن الجامع من صحن مستطيل يبلغ طوله ١٥٧متراً، وعرضه ٩٧ متراً، تحيط به سقيفة محمولة على أعمدة وأكتاف عالية، وإلى الجنوب من الصحن يقع الحرم الذي يبلغ طوله ١٣٩متراً، وعرضه ٣٧ متراً، ويتكوّن من ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة.

وتقوم وسط الحرم قبة كبيرة تدعى قبة النسر ترتفع قرابة ٣٦ متراً محمولة على أربعة أعمدة كبيرة فوقها، والقبة مزودة بالنوافذ، ويعلو الجامع «جمالون» مرتفع يمتد من الشرق إلى الغرب.

وأهم ما يلفت النظر داخل الحرم المحاريب الأربعة المالكي والحنفي والحنبلي والشافعي.

٢ ـ أولوجامع «الجامع الكبير» ملاطية ـ تركيا :

بني هذا الجامع في النصف الأول من القرن الثالث عشر، يعرف هذا الجامع كامتداد للمعمار الفارسي في الأناضول في تصميمه وبشكل خاص في الإيوان وما يقع خلف القسم المغطى بالقبة، يظهر الخزف الملون باللون البنفسجي والفيروزي والأبيض والأسود في الزوايا الداخلية للجامع والمقرنصات، وعناصر الانتقال المملوءة والزخرفات التي وضعت داخل القبة مع الكتابات، إن يداً ماهرة لصاحب ذوق سليم قد عملت فيه، ونفهم من الكتابة الموجودة أن البنّاء يعقوب بن أبي بكر من مالاطية هو الذي نفذ هذه الأعمال الدقيقة.

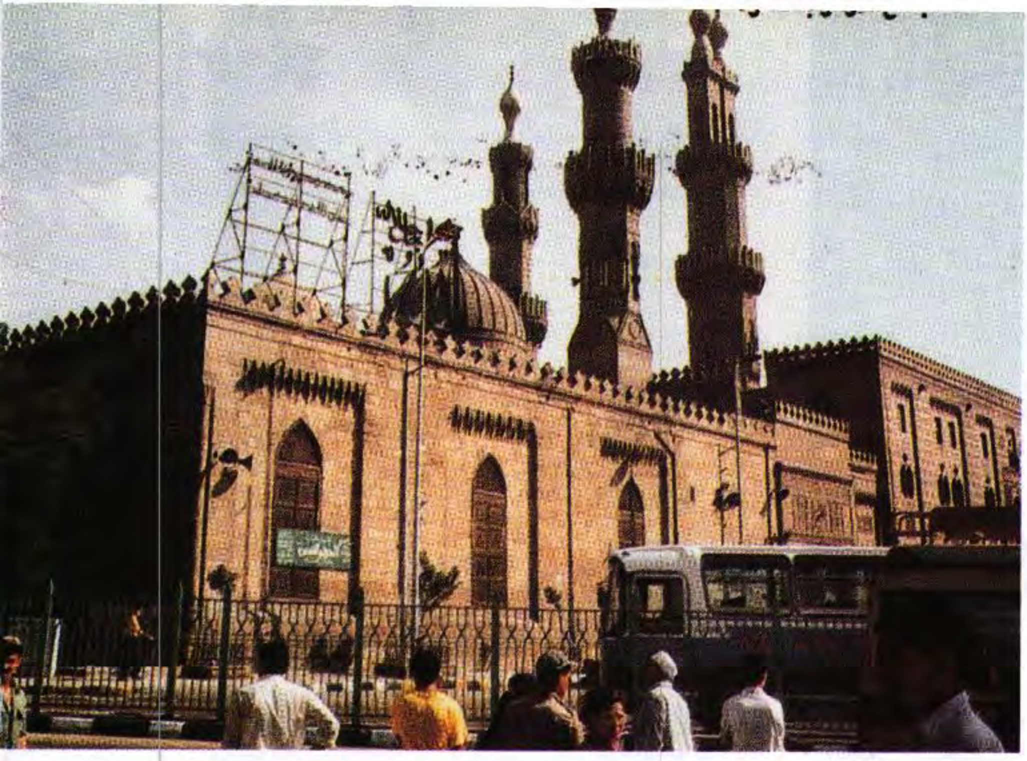
٣ ـ جامع الفاتح «استانبول» ـ تركيا :

تمَّ إنشاء هذا الجامع من قبل محمد الفاتح بين سنة ١٤٦٢ ـ ١٤٧٠ على أنقاض كنيسة الحواريين.

يرتفع الجامع في مركز منطقة معمارية بشكل جميل ومتناسق، ولهذا الجامع قبة كانت أكبر قبة بنيت في ذلك العصر، إذ بلغ قطرها ٢٦ م، أضيف إلى هذه القبة من جهة الجنوب نصف قبة، وبذلك مثّل هذا الجامع استمراراً في هندسة معمار الجوامع التركية، وأضحى نموذجاً للجوامع التي بنيت فيما بعد في نسبه ومقاييسه، تهدّم هذا الجامع الذي يعتبر من عمل المهندس المعماري التركي «سنان» في سنة ١٧٦٥م على أثر الزلزال الذي ضرب استنابول، وأعاد بناءه السلطان مصطفى الثالث بأربع أنصاف قبب، تحيط القبة المركزية في الجامع الذي نراه اليوم، لقد جدّد هذا الجامع في فترة بدا فيها تأثير الهندسة الغربية على الهندسة المعمارية التركية، حيث أضاف المعمار طاهر آغا إلى العناصر الكلاسيكية أسلوب الطراز الباروكي بشكل متوازن وناجح.

٤ ـ المسجد الأقصى :

يعتبر المؤرخون الوليد بن عبدالملك أول من أنشأ المسجد الأقصى في مكانه الحالي، وكان ذلك سنة ٧٢هـ ـ ٦٩٠م، ويبلغ طول المسجد الأقصى ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً، وقد جددت جميع أعمدته القديمة، وبذلك تم توحيد أشكالها وعددها ٥٣ عموداً، ومعها ٤٩ سارية مربعة بنيت من الحجارة، وارتفاع الأعمدة والسواري خمسة أمتار، قامت فوقها أقواس حجرية، اتساع كل منها ٩ أمتار، وتقوم شدادات من النحاس بالربط بين





الأعمدة، وفي الجانب الأيمن من الفناء على السور الغربي للقدس الشريف أبهاء بأعمدة من الرخام مستديرة ومربعة، ومن الخلف - أبهاء لها سقوف قبيصة بالحجارة، والجزء الأوسط من البناء الرئيسي «للمسجد الأقصى» مغطّى بسقف تعلوه قبة فخمة، وقد غطيت الأسقف في جميع الجوانب فيما عدا أبهاء العمد الخلفية بصفائح من رصاص.

وللمسجد مجموعة من المآذن والقبب أهمها القبة الوسطى وقبة السلسلة وقبة سليمان والقبة النحوية وقبة الشيخ الخليلي وقبة الخضر، وقبة المعراج، وقبة موسى وقبة يوسف وقبة محراب النبي، ومئذنة باب الأسباط، ومئذنة باب المغاربة أو مئذنة باب الغوانمة، ومئذنة باب السلسلة.

وختاماً يمكن القول: إن اعتزاز معظم المدن والحواضر الإسلامية بعمارة مساجدها القديمة واهتمامها بصيانتها وترميمها والحفاظ عليها باستمرار، إنما يعود لكونها جزءاً من تراثها الديني والحضاري، بيد أن افتقار بعض هذه المدن أو الحواضر للخبراء والمعماريين والفنيين للقيام بمثل هذه الأعمال أدّى بالإضافة لأسباب أخرى إلى اندثار الكثير من تلك المساجد التي تحدّث عنها بإعجاب المؤرخون المسلمون وغير المسلمين على حد سواء.

وتجدر الإشارة - هنا - إلى أن عمارة المساجد إذا استوحت روح الإسلام وتعاليمه واستلهمت قيمه ومثله العليا، فقد تحددت بذلك الأسس والتوجهات التي استندت إليها الفنون الأخرى للعمارة الإسلامية والتي استخدمت بدورها ما توصلت إليه من خبرة وابتكار وإبداع لتطوير عمارة المساجد تصميماً وزخرفة وفخامة. ■

الهوامش:

١ - د.محمد محمد الكحلاوي «أثر العقيدة الإسلامية على عمارة المساجد» مجلة المنهل عدد ٥١٩ مجلد ٥٦ أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٤م ص١٣٢ - ١٣٥ مصدر أساسي.

٢ - رؤوف الأنصاري - كتاب «عمارة المساجد» دار النبوغ - بيروت ١٩٩٦م نقلاً عن صحيفة الحياة ١٩٩٧/٣/١م ص ٢١.

٣ - ناصر الرباط - مجلة «الناقد» عدد ٦٨ شباط ١٩٩٤م ص ٣٢.

٤ - شيرين عزيز إبراهيم «الجامع الأموي من أشهر العمائر الإسلامية في العام» مجلة المنهل عدد ٥١٩ مجلد ٥٦ أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٤م ص ١٥٣ - ١٥٤.

٥ - دكتور حقي أونكال «الجوامع التركية من زاوية تطور الهندسة المعمارية» مجلة المنهل - عدد ٥١٩ - مجلد ٥٦ - أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٤م ص١٥٨.

٦ - «تطور الخريطة المعمارية للقدس في العصر الإسلامية» مجلة المنهل عدد ٥١٩ - مجلد ٥٦ أكتوبر - نوفمبر ص ١٨٥ - ١٨٦، والمقال في الأصل مأخوذ بتصرف من مقال الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر المنشور في مجلة «المنهل عدد ٥٠٨.

٧ - أحمد عيسى «الأصول الدينية للفنين الإسلامي والفارسي» مجلة «رسالة الإسلام» القاهرة ١٩٦٤م ص٤٤١.

٨ - فريد الشافعي «العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة» طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة ١٩٧٠م - ص١٨٣ - ٢٢٦.

المساواة في نظر الإسلام

بقلم : ماجد أحمد المومني

من عظمة الإسلام وحكيم شرائعه البالغة ان يجعل اساس التفاضل بين الناس لا على احسابهم وأنسابهم ولا على جاههم وجبروتهم، ولا علـى مواقـع بـلادهـم واتساع ممالكهم ولا لونهم وصفاء بشرتهم،وانما التقوى والعمل الصالح هو أساس التفاضل بينهم. فالتقوى هي جماع الخير كله مصداقا لقوله تعالى:(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات/١٣.

وفي الحديث الصحيح قال ﷺ «يأيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» متفق عليه.

وبذلك تحققت طريقة التقويم لأي عمل وتحدد الميزان فكل عمل اقترب من خشية الله وخوفه كان هو اساس التفاضل بين الناس وبطلت جميع الموازين الأخرى التي قامت على الأهواء والشهوات، أو خالطتها الانحرافات وبطلت خرافات الشعوب المختارة والأجناس الآرية والتأثيرات البيئية أو التاريخية مصداقا لقوله تعالى:(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء) النساء/١.

وقوله تعالى: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)المؤمنون/٧١.

هذه هي المساواة في وحدة الاصل والنشأة وهذا هو التفاضل في التقوى والأعمال الصالحة وسأتناول مفهوم المساواة في الإسلام من خلال جوانب ثلاثة:

- المساواة في التكاليف والواجبات
- المساواة أمام القانون
- المساواة بين الرجل والمرأة مع بيان أن للرجال عليهن درجه.

أولاً : المساواة في التكاليف والواجبات

جاء الاسلام والمجتمع الجاهلي ينوء بالفوارق وبالنظرات الطبقية واللونية والأحساب والأنساب فلم يهادنها وأعلن من أول يوم المساواة بين الناس عبيدهم واسيادهم، حتى مشى السادة للرسول عليه الصلاة والسلام يطلبون إليه تمييزهم، وخطرت في نفس النبي أن يسمع لهم حتى يستعين بهم على امر ربه ورسالته فجاء الوحي من عند الله تعالى ونزل بقوله تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)الحجرات/١٣.

وحتى هؤلاء الزعماء لايمنون عليك أيها النبي بإسلامهم وإنما يمن الله عليم باسلامهم بأن هداهم الى سواء السبيل مصداقا لقوله تعالى: (يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) الحجرات/١٧.

وتجادل مرة الصحابي المعروف «أبو ذر الغفاري» مع أحد السود واشتط به الغضب فقال له: يابن السوداء!!

وسمع الرسول عليه الصلاة والسلام تلك الكلمة النابية فأنكرها أشد الانكار وقال لأبي ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ومما قاله « طفّ الصاع .. ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » رواه مسلم.

وكانت مجالس الرسول وندواته الصورة الاولى والمثلى لهذه المساواة وتنزل التكاليف الالهية فيخاطبون بها جميعاً رجالهم ونساؤهم، صغارهم وكبارهم أسيادهم ورعاياهم. فلما فرضت الصلاة كان المسجد الصورة المثالية لهذه المساواة يقصدونه زرافات ووحدانا يلبون النداء الخالد الذي يذكرهم بالمساواة الحقة ألا كبير سوى الله وألا عظيم سوى الله.. وبمقدار سبق أحدهم إلى السعي الى الصلاة يكون مكانه في المسجد فيقفون صفوفاً متراصة كأنهم بنيان مرصوص، يقتدون بإمامهم المصطفى محمد وخلفائه من بعده تعنوا وجوههم لله وحده خالق الكون واللون والحسب والنسب ويبتغون مرضاته.. تحيتهم بينهم سلام.

وكانت فريضة الحج صورة عالمية رائعة لمعنى المساواة المثلى يقصد المسلمون البيت الحرام على اختلاف اماكنهم وبلدانهم وأجناسهم وألوانهم ولغاتهم بثياب ولباس موحد لافرق بين غني وفقير ولاراع أو سيد ويقفون بأماكن واحدة ويطوفون حول البيت العظيم بقلوب خاشعة وأعين دامعة مصداقاً لقوله تعالى:(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)الانفال/٢.

وهكذا مضت تكاليف الاسلام تخاطب الجميع فأي واحد اجتمعت فيه شروط نصاب الزكاة عليه أداء مافرض عليه من زكاة وان تطوع فهو خير. مصداقاً لقوله تعالى:(إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم)الحديد/١٨.

وقوله تعالى:(سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه

من يشاء والله ذو الفضل العظيم)الحديد/٢١ والذي اصبح قادراً على الصوم يصوم شهر رمضان بتمامه وكماله مصداقاً لقوله تعالى:(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياما معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) البقرة/١٨٣-١٨٥.

والصلاة فريضة يومية على الجميع أداؤها خمس مرات في اليوم مصداقا لقوله تعالى:(والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون) المعارج/٣٤و٣٥.

وقوله تعالى: (والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم) المعارج/٢٤و٢٥.

وقوله تعالى في وصف المؤمنين : (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) التوبة/١١٢.

وقوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة/٧١.

وهذه المساواة في التكاليف والواجبات الربانية بأركان الاسلام الخمس وأركان الايمان الست هي سواء للرجل والمرأة فلم يختص واحداً منهم دون الآخر وحتى في الجزاء ثوابا او عقابا مصداقا لقوله تعالى:(وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) التوبة/٧٢.

ثانيا : المساواة أمام القانون الرباني

لا تنضبط تلك المساواة العامة في التكاليف ولاتصبح حقيقة ملموسة وشريعة متبعة إلا اذا تساوى الناس امام القانون الإلهي والشريعة الاسلامية وإلا لزم من في قلوبهم حب التمييز ورغبة الاستعلاء مكانهم لايعدونه. وهذا مافعله الاسلام ونبى الاسلام وخلفاؤه وصحابته وأتباعه من بعده.

شرع الاسلام الحلال والحرام ووضع المعايير الصحيحة للعقود والمعاملات وبين الحدود والعقوبات وطالب المسلمين الاحتكام اليها وإقامتها بالعدل والقسطاس وألا يتوانوا ويماروا أو يحابوا في تنفيذها فهي أمانة في أعناقهم تضمن أمن الأمة وسلامتها ورخاءها وطمأنينتها وعدلها واستقرارها.

ومن هنا وجدنا النبي ﷺ والخلفاء من بعده والتابعين لدينه وملته الى يوم الدين يحرصون أشد الحرص على تنفيذ القانون الإلهي على الجميع سواء في ذلك السوقة أم السادة الاغنياء والفقراء.. الرجال والنساء.. ولعمري ماأختل بنيان أمة إلا من التفرقة أمام القانون حتى ولو كان هذا القانون وضعيا من صنع البشر فكيف أمام القانون الإلهي!! وماضاعت مهابة القانون واحترامه بين المسلمين إلا باستباحة حدوده واختراق تعاليمه باستثناءات يرضاها الحكام والقضاء.

سرقت امرأة من بني مخزوم في عهد الرسول وثبت عليها حد السرقة واهتمت قريش بالأمر، فرأوا أن يتشفعوا لها عند الرسول بأسامة بن زيد لمكانته عند رسول الله فقد كان له ولأبيه مكانة خاصة عند الرسول لاستشهاده في معركة مؤتة. فلما تحدث اسامه بهذا الموضوع غضب ﷺ غضباً شديداً وانتهره مستنكراً اتشفع في حد من حدود الله!! ثم قام في المسلمين خطيباً « ... إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد .. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » حديث صحيح متفق عليه.

وبهذا القول الحاسم ثبتت قاعدة المساواة العامة بين الناس «كلكم امام شريعة الله سواء» واليك حادثة اخرى تدل على عظمة هذه الشريعة وحرصها على المساواة :

كان جبلة بن الأيهم أميراً تتوافر له شارة السيادة في الجاهلية والاسلام وكان أول عمره نصرانيا ثم اسلم، عرض له يوما وهو يطوف بالكعبة أن زاحمه أعرابي من العامة وداس ثوبه غير قاصد فاستشاط الامير غيظاً ولطم الاعرابي على وجهه ورفعت الى عمر بن الخطاب ـ الخليفة العادل ـ القضية فحكم بالقصاص إلا أن يعفو الاعرابي فقال جبلة مستنكراً كيف وهو سوقة وأنا ملك ؟ فقال عمر بن الخطاب قولته الحاسمة « إن الاسلام سوى بينكما ».

وطلب الامير الغاضب مهلة يراجع فيها نفسه فر اثناءها إلى أرض الرومان راجعاً إلى النصرانية مرتداً عن الاسلام والمرتد عن الاسلام عقوبته الاعدام ترك أرض المساواة والايمان ليرجع الى كفره وجبروته وطغيانه.

قال تعالى : (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)النساء/٦٥.

والمجتمع الذي يربيه القرآن مجتمع قوي في جميع النواحي المعنوية منها والمادية فهو قوي بترابطه وتماسكه مصداقاً لقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) آل عمران/١٠٣.

وقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران/١٠٤.

وقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران/١١٠

وقوله تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) البقرة/٤٥.

والمساواة تعني تحقيق العدالة .. ومن أعدل من الله!! تبارك الله

العظيم بعد له ورحمته وقدرته مصداقاً لقوله تعالى: (إن الله لايظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)يونس/٤٤.

وقد طالب الله عباده بالعدل بقوله تعالى: (اعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة/٨

وقوله تعالى: (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) المائدة١٥/١٦.

هذه هي سماحة الإسلام وعدله ومساواته بين البشر جميعاً.

ثالثا: المساواة بين الرجل والمرأة

كرم الإسلام المرأة وجعلها مساوية للرجل في الحقوق والواجبات ولم يفرق بينهما إلا فيما تقتضيه طبيعة كل منهما ومهمة كل منهما في الحياة.

فقد خلصها من نظرة العار والمهانة التي كانت مصاحبة لها في الجاهلية وحرم وأدها حية مصداقا لقوله تعالى:(وإذا الموؤدة سئلت. بأي ذنب قتلت» التكوير/٨-٩ وخلصها من النظرة القاتمة واللعنة التي ألصقتها بها الكنيسة واعتبرتها شيطاناً من أراد الطهر فليتجنبها وخلصها ايضا من نقص في حق التملك والتصرف فيما تملك وحق الارث وجعلها شقيقة الرجل في وحدة الأصل مصداقا لقوله تعالى:(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) النساء/١.

وجعلها سكن الرجل وطمأنينته مصداقاً لقوله تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم/٢١.

وساوى بينها في الحقوق والواجبات وفي الجزاء ثواباً كان أو عقاباً وجعل نهاية كل منهما واحدة هي الموت ثم البعث والحساب والجزاء العادل إما الجنة أو النار مصداقاً لقوله تعالى: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) آل عمران/١٩٥.

وقرر الاسلام لها حقها في التعليم والعمل والسعي والكسب الحلال بقوله تعالى:(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما) النساء/٣٢.

وقرر لها حق الميراث بعد ان كانت محرومة من ذلك بقوله تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) النساء/٧ على حين لم تسمح لها حضارة الغرب بذلك إلا في أوائل القرن العشرين ولتنظيم هذا الباب من المساواة لابد من الحديث إلى العناوين التالية :

أ - الأسرة هي الأساس

ب - قمة المساواة تتجلى في الثواب والعقاب

جـ - ولهن مثل الذي عليهن

د - وللرجال عليهن درجة

أ- الأسرة هي الأساس

وتبقى الاسرة ـ التي قوامها المرأة ـ هي الأساس باعتبارها الأم المربية والمدبرة لبيتها وأبنائها وراعية لزوجها في ماله وأولاده وعرضه.

الاسرة هي إحدى الركائز الأساسية في النظام الاجتماعي والتربوي والتشريعي والاقتصادي والانساني والتاريخي في نظر الاسلام.

لكن الاسرة تعرضت في بعض حقب التاريخ المعاصر للنيل منها باسم المذاهب والافكار احياناً وتبني بعض الانظمة القديمة والجديدة الدخيلة على الاسلام بوجوه مختلفة تارة باسم الديموقراطية وأخرى باسم المشاركة وثالثة باسم حقوق المرأة ورابعة باسم مساواتها مع الرجل وخامسة باسم التعددية .. والحرية والإباحية ونصف المجتمع وتعابير ماأنزل الله بها من سلطان.

ومع ان الاسلام قد ضمن لها كل مايتناسب مع طبيعتها ووضعها كأنثى فتعرضت الاسرة والمرأة اليوم لبعض الثغرات والوهن في جوانبها المختلفة في ربوع بلادنا.. فبهرتها حضارة الغرب من انقياد الى التبرج والترهل والابتذال والجري وراء الموضة واللباس والتزين والتبرج مما خدش حياءها وأهان كرامتها فأصبحت سلعة لترويج سوق الغرب من مستهلكات وكماليات فلانكاد نرى إعلاناً أو دعاية إلا وقد حشروا فاتنة الجمال في ترويج كمالياتهم وسلعهم وأصبحت المرأة غرضاً لسهام الحاقدين والمخربين الذين يتحركون تحت مظلة الغزو الفكري الاجنبي المستورد مع ان الآيات الكريمة قد أوضحت مكانتها بتفكير منطقي يقبله العقل- ومن أحسن من الله قولا؟ تعالى الله عما يصفون وقاتلهم أنى يؤفكون ..

قال تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم.) النساء/٣٤.

وقوله تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) البقرة/٢٢٨. ومثل هذه المبادىء المستوردة بعيدة عن مبادىء الاسلام السمحة بنواياها الخبيثة وأهدافها الفاسدة والتي يحاول اصحابها نشرها عبر قنوات الفضاء الحديثة وسائر وسائل إعلامهم المسمومة.. حتى تجرأت نائبة أردنية على القناة الفضائية القطرية بأن تجاهر ان القرآن نزل في وقت الجاهلية ولم تعد أحكامه مناسبة لتطور العصر والتكنولوجيا مع ان اول آياته حثت على العلم والمعرفه مصداقاً لقوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم)العلق/١-٥.

وماجاء به يواكب أحدث النظريات العلمية الصادقة والثابتة والتي اجريت بأساليب موضوعية علمية منها تطور الجنين مصداقا لقوله تعالى: (يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين

لكم ونقر في الأرحام مانشاء إلى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) الحج/٥.

لذلك قصدت التنويه بمكانة الأسرة والتذكير بأهمية دور المرأة في أي أسرة ومسؤوليتها والتحذير مما يخدشها تحقيقا لقوله تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) الذاريات/٥٥.

ينطلق مفهوم الاسرة في الإسلام في تأسيس الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة ومايتفرع عنها من النسب والمصاهرة لتشمل الوالدين والأولاد والآباء والأمهات وقد تتوسع حلقتها لتتناول الاخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات وقد تطلق أحياناً على المجتمع بأكمله باعتباره أسرة واحدة كبيرة ولكن المراد في هذا البحث هو المفهوم الأول للأسرة مع مايتعلق به ويحوطه من آثار بالمعنى الواسع له.

إن الاسرة هي النظام الفطري للإنسان تلتقي مع طبعه الذي خلق فيه وجبلته التي فطر عليها لأن الانسان اجتماعي بطبعه والاسرة هي الخطوة الاولى والصورة المصغرة للمجتمع البشري وتعطي النموذج القويم للحياة الانسانية على وجه المعمورة.

وهذا ماأكده القرآن الكريم في قوله تعالى : (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) النساء/١

والمراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام وزوجه التي خلقت منه هي حواء خلقها الله من ضلعه الأيسر فلما رآها اعجبته فآنس اليها وآنست اليه وكان ذلك سنة الله تعالى فيما بين الرجل والمرأة إلى يوم القيامة.

لذلك تعتبر الاسرة النظام الانساني الأول في تقدير علماء الاجتماع والتاريخ ومن وظائفها استمرار النوع والمحافظة عليه، و الاسرة وجدت منذ وجد الانسان الاول والدليل عليه النص الصريح السابق في الآية الكريمة وأن القرآن الكريم ذكر المراحل الأولى لخلق آدم وحواء في الجنة ونزولهما إلى الأرض وبناء الاسرة الأولى فقال تعالى: (وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما) البقرة/٣٥.

وستبقى الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع والنواة المركزية للأمة والأساس الرصين واللبنة الاساسية لإقامة الدولة لأن مجموع الأسر يكون المجتمع والأمة والدولة، وكلما كانت الأسرة قوية وسليمة وصحيحة كانت الأمة والمجتمع والدولة قوية وسليمة وصحيحة.

والأسرة هي الدعامة لكل ذلك وتحتل مكان القلب في جسم الأمة فإذا صلحت وقويت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع وإذا ضاعت أو تفككت أو انهارت أدى ذلك إلى ضياع المجتمع وتفكك الأمة وانهيار الدولة.

والاسرة هي الحصن الذي يوفر الانسجام في حياة الافراد ويربط الأمة بماضيها ويحدد خط السير القويم المتواصل للمستقبل ويقيم السور المنيع للحفاظ على القيم والمبادىء وتترعرع فيه الاخلاق الفاضلة التي تنبت عند الافراد من صدور أمهاتهم وتنمو في محيط أسرهم وتزدهر في مجتمعاتهم. كما تزود الأسرة أعضاءها بالاشباع لعدد من الحاجات الإنسانية الجسمية والاجتماعية والعاطفية والروحية والأخلاقية والنفسية كالحنان والعطف والحب والألفة والرعاية والاستقرار والتكافل الاجتماعي وتحقيق الامن الداخلي وما إلى ذلك.

ويكفي ان نقول ان في الاسرة التي عمادها الأم يشرب الطفل مبادئه وأخلاقه وعقائده ولغته فمنها يكتسب اللغة والعقيدة والفضيلة هذا إن كانت الأم فاضلة أما إن كانت خلاف ذلك فإن الفساد يظهر في البر والبحر مبتدئاً بالأفراد ثم الاسرة ثم المجتمع ثم الدولة مصداقاً لقوله تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم/٤١.

ليتهم يرجعون للمرأة كرامتها ويحفظون لها عفتها وشرفها بعيداً عن الابتذال والترجل والترهل لتعود لها أنوثتها رحمة لنا لاسوطاً يثير جماح شهواتنا ويبعدنا عن ديننا وعقائدنا.

ب ـ قمة المساواة تتجلى في الثواب والعقاب

لقد ساوى الله بين المرأة والرجل في الجزاء ثواباً كان أو عقاباً مصداقاً لقوله تعالى:(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة/٧-٨

وقوله تعالى :(الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه). البينة/٧-٨.

هذا خطاب واضح من الله سبحانه وتعالى يشمل الرجل والمرأة ثواباً كان أو عقاباً.. بل إنهما شريكان في المسؤولية عندما أزلهما الشيطان واخرجهما من الجنات العلا مصداقا لقوله تعالى:(وياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماووري من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين.

وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الاعراف/١٩-٢٣.

الشراكة في المسؤولية واضحة تمام الوضوح في الخطاب الرباني في القرآن الكريم لآدم وحواء فلما أزلهما الشيطان طلبا الرحمة من الله تعالى فنزلت عقوبة الله عليهما معاً وسواء مصداقا لقوله تعالى: (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين) الأعراف/٢٤.

فكانت عقوبة الله بإنزالهما سواء آدم وحواء في الجنة إلى الأرض وألقو العدواة بين الإنسان والشيطان إلى يوم القيامة وكلمة الانسان تشمل الذكور الاناث مصداقاً لقوله تعالى : (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني

أعمى وقد كنت بصيراً .قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)طه/١٢٤-١٢٦.

وأحكام هذه الآيات مطلقة على الرجال والنساء سواء.

جـ - ولهن مثل الذي عليهن

وتتجلى عظمة الخالق وعدله المطلق الذي لايساويه عدل.. ولايناله في طلب وإن حرص فبين لنا الله تعالى قواعد المساواة بين الرجل والمرأة في حدود رسمها الخالق وهذه الحدود منطقية وعقلية مصداقاً لقوله تعالى:(وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) النساء.١٩.

وأكد ذلك رسول الله ﷺ فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع وإن اعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقومه كسرته وإن تركته لم يزل أعوجاً فاستوصوا بالنساء خيراً» رواه البخاري ومسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لايفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» رواه الترمذي أي لايبغضها بغضاً يؤدي إلى تركها لانه إن وجد فيها خلة وصفة يكرهها، وجد فيها سلوكا مرضيا وميزة مرغوبة وهو مايتفق مع الواقع الملموس. وقال عليه الصلاة والسلام «خياركم خياركم لنسائهم» رواه ابن ماجه.

وقرر القرآن الكريم أن العلاقة الفطرية بين الرجل والمرأة تقوم على التكامل والأنس والسكن فقال تعالى:(هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) الأعراف/١٨٩. أي ليألفها ويطمئن اليها ولايوجد ألفة بين زوجين اعظم مما بين الزوجين مصداقاً لقوله تعالى:(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم/٢١.

فكان من حكمة الله ورحمته أن خلق الزوجين من جنس واحد ليتم التآلف بينهما وفطر بينهما المودة والمحبة والرأفة والرحمة ليتعلق الرجل بالمرأة ويمسك بها وترتبط المرأة بزوجها وتحرص عليه مصداقاً لقوله تعالى:(هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) البقرة/١٨٧.

أي أن كلا من الزوجين يحتفظ صاحبه ويدفع عنه الأذى ويصونه ويحميه من المؤثرات والمضار ويمنحه السعادة ويتبادل معه المسرة والعيشة المشتركة وتحقيق الآمال الواحدة معه.

د - وللرجال عليهن درجة

وهذه الدرجة هي فقط في توزيع المسؤوليات ..أما الحقوق والواجبات فلكل على الآخر حقوق وواجبات بينتها الشريعة الاسلامية. ويقوم نظام الاسرة على توزيع الاختصاصات بين الرجل والمرأة بما يتفق مع الفطرة والطبائع الانسانية لكل منهما.

فالأب يتولى رئاسة الاسرة والاشراف العام ومسؤولية الانفاق المالي على افراد اسرته وتتولى المرأة رئاسة البيت ومسؤولية التربية والحفاظ على أموال الاسرة ونفقاتها.. الزوجة الصالحة هي التي تحفظ لزوجها ماله وعرضه وأبناءه. مصداقاً لقوله تعالى:(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) البقرة/٢٢٨ وهي درجة القوامة أي مسؤولية الإنفاق على الاسرة وقيادة الاسرة مصداقاً لقوله تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا في أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) النساء/٣٤. وذلك لتوافر الخبرة والمعرفة العامة بالحياة مع القدرة والكفاءة ولالتزام الرجل بالأعباء والكفاءة ولالتزامه بالأعباء المالية ابتداءً من دفع المهر ونفقات الزواج وانتهاءً بكلفة الإنفاق على جميع أفراد أسرته.

وقد قابل الله هذه الدرجة التي منحها للرجل بدرجة مقابلة منحها للأم في الاحترام والطاعة لما تعانيه من عناء الحمل وآلام الولادة والتجلد على الرضاعة والتربية قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرها ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الاحقاف/١٥. وقال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير)لقمان/١٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال ﷺ : «أمك قال : ثم من ؟قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك .. قال : ثم من ؟ قال أبوك » رواه البخاري ومسلم.

حتى في العلاقة الزوجية لمن كان في عصمته اكثر من زوجة بيّن لنا الله هذه العلاقة (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيما) النساء/١٢٩. ■

المراجع :

- أصول الدين الإسلامي، أ. د. قحطان الدوري جامعة ال البيت
- بنية التفكير الديني/ أ. د. عادل العوار جامعة دمشق
- العلم والثقافة الانسانية، أ. د. عبد الكريم اليامني/ جامعة دمشق.
- فقه السيرة، أ. د. محمد الغزالي / الجامعة الاسلامية / المدينة المنورة
- المرأة في القرآن الكريم، أ. عباس محمود العقاد
- الحضارة الإسلامية، أ. د. عفت الشرقاوي / جامعة الاسكندرية
- معالم الشريعة، فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري / معهد الدراسات الاسلامية
- المدخل في الفقه الاسلامي، أ. د. محمد مصطفى شلبي/ جامعة الاسكندرية.

المصادر :

- القرآن الكريم
- السنة النبوية الشريفة كما وردت بالصحيحين

قضايا

السلام في العالم
أمن وأمان للفرد والمجتمع

إعداد : د. أحمد محمود كريمة

من القضايا التي أولتها الشريعة الغراء عناية فائقة تشهد بسموها وريادتها «السلام العالمي» الذي هو عصمة للفرد والجماعة من الشحناء والبغضاء.

وقد توافرت النصوص الشرعية وتكاثرت القواعد الفقهية في بيان سمة الإسلام ومقاصده من تأصيل السلام والوئام للناس على السواء، فيكفي الإسلام فخراً وشرفاً أنه مشتق من هذه اللفظة الحانية «فأسلم» من معانيه: «دخل في دين الإسلام»، و«الإسلام: الخضوع لله على أي دين من الأديان»، «والدين الذي بعث الله به محمداً - ﷺ »، و«السلم: الإسلام والصلح، في الترتيل العزيز(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) الأنفال:٦١ راجع المصنفات اللغوية.

ونظرة منصفة واعية إلى أثر رسالة الإسلام في السلوك الفردي والتصرف الجماعي، إبان نزوله فقد نقل الناس من: السيف إلى المسالمة، ومن القوة إلى القانون، ومن النهب إلى الأمانة، ومن الثأر إلى القصاص، ومن التفرق إلى الجماعة، ومن الإباحية إلى الطهر، ومن العنصرية إلى المساواة.

إذا علم هذا، ففي عجالة ووجازة أذكر وأذكّر بنقاط عدة:

الأولى: منهجية الدعوة الإسلامية: إن التسامح والروح الإنسانية تكتنف الدعوة الإسلامية، وترتكز عليها، قال الله تعالى: (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً) المزمل :١٠ (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل:١٢٥، (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) البقرة:٦٢، وبطبيعة الحال، فإن نطاق العرض لايتسع للإتيان على ما في القرآن الكريم - كتاب الله المجيد، وتاريخ نبي الإسلام - من براهين ناصعة على سماحة الإسلام، وسعيه للوحدة، فيكتفى بالإشارة السالفة، أما من الوجهة النظرية، فقد سعى الإسلام لتأسيس روح المحبة والمودة والصفاء والنقاء على دعامتين:

أولاهما: من طريق توحيد الغاية، وذلك بدعوة الناس جميعاً إلى عبادة إله واحد، قال تعالى: (قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل) يونس:١٠٨.

ثانيهما: من طريق التوفيق بين وسائل هذه الغاية، وذلك ببيان أن الشرائع السماوية ترجع إلى أصل واحد، وكذلك دعوة معاصريه من أهل الشرائع السابقة إلى تكوين أسرة روحية واحدة تؤمن بجميع الأنبياء والكتب دون تفريق بين أحد (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) البقرة:١٣٦، (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)الشورى:١٣.

هذه النظرة السامية التي حددت مهمة رسول الله - ﷺ - بأنها ليست إكراه الناس على الإيمان، إنما هي للتعليم والإنذار، ثم تفويض الأمر في عقائدهم إلى الله - تعالى - الذي يفصل بينهم (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير) الشورى:١٥.

ومن الوجهة العملية فإن روح التسامح هي السائدة والسارية، وتاريخ الدعوة يشهد بجلاء على العفو العام والخاص عن المناوئين والمخالفين، فقد ذهب النبي محمد - ﷺ - إلى الطائف يدعو الناس للإسلام، فقابلوه بموكب صاخب من السفاهة والبذاءة والسب والضرب، حتى سال الدم من عقبيه، فجاءه ملك الجبال عارضاً من الله تعالى - عليه - الانتقام له والذود عنه بإطباق الجبلين على تلك الديار، وكان ذلك إثر التضرع والشكاية لله - سبحانه - «اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا رب المستضعفين أنت ربي، لا إله إلا أنت، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو قريب ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت منه الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا أن يحل بي سخطك أو ينزل بي عقابك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله»، بعد الدعاء والنداء والعرض، رد وأجاب رسول الإسلام بكلمات تقطر حباً، وتفيض براً «عسى أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون».

والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة عقب الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، كذلك إبرامه وثيقة موادعة جاء فيها: «... لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته، وعلى اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأن النصر للمظلوم... وأن الله جار لمن بر واتقى...».

وعقدهُ - ﷺ - صلح الحديبية مع المشركين مع ما في شروط الصلح من إجحاف بالمسلمين إلا أن حرصه على أن يسود السلام، ويعم الوئام جعله يجنح ويرضى بشروط موقتة عادت بالخير بعد ذلك على المسلمين، كذلك العفو العام عند فتح مكة «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ومكاتبته - ﷺ - إلى ملوك وأمراء العالم مثل كتابه إلى قيصر «هرقل الروم» - وكسرى «ملك الفرس»، والمقوقس «عظيم القبط في مصر»، والنجاشي «ملك الحبشة»، وجيفر وعبد ابني الجلندي «ملكي عُمان»، والمنذر بن ساوي «ملك البحرين» وغيرهم.

الثانية: طبيعة العلاقات الدولية من منظور إسلامي:

من المعروف والمألوف أن المقصود بالعلاقات الدولية: هو علاقة الدول ببعضها بعضاً مع النظر إلى التصرفات التي تفعلها، ومدى علاقة هذه التصرفات في مجال السلم والحرب والآثار المترتبة على ذلك، والذي يحكم هذه العلاقات والتصرفات إنما هو «القانون الدولي العام» حسب الاصطلاح الحديث، أو الجهاد حسب اصطلاح فقهاء الشريعة الإسلامية، وقد وضع الإسلام نظامه الدولي على أسس راسخة، وقواعد متينة، تكفل للناس على السواء حياة هادئة مستقرة، سواء في مجال السلم أو الحرب، لعالمية الرسالة وعالمية الرسول، وذاتية الدين من إقرار مبدأ السلام العالمي، ونظرة منصفة إلى تشريع الإسلام في جانب العلاقات الدولية، يتضح بيقين لا يخالطه شك أن الإسلام قرر وأرسى مبادئ منذ فجر تاريخه منها:

أ - الأمر بحسن الجوار بطريقة إيجابية مع المخالفين المسالمين بالبر إليهم والعدل بينهم، يقول الله تعالى: (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة:٨، والتطبيق العملي في صدر الدعوة يشهد ويؤكد ذلك، فقد آخى النبي - ﷺ - بين المهاجرين والأنصار، وحالف اليهود وبذلك نشأت في المدينة أمة واحدة من عناصر ثلاثة مختلفة في الدين والجنس، يستوي مسلمهم ومشركهم ويهوديهم في حقوق حسن الجوار والولاء والتناصر، كما كان من أواخر أعماله - ﷺ - مصالحته لنصارى نجران، وإقرارهم على دينهم في قلب الوطن العربي والإسلامي.

ب - اتقاء الحرب مع المناوئين بشتى الوسائل التي منها

- إبرام المعاهدات السلمية: ومن أمثلتها «صلح الحديبية» وهي عقود دينية يجب الوفاء بها، يقول - تعالى - (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين) التوبة:٤.

- ومبادئ الصلح والهدنة وقبول الجزية، حقنا للدماء، وصيانة للثروات، واتقاء لأوزار وأكدار الحرب.

- طبيعة الحرب في الإسلام أنها دفاعية أو وقائية: فقد شرع القتال في السنة الثانية للهجرة، دفاعاً عن النفس، وذوداً عن العرض والأرض، يقول الله تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الحج: ٣٩ - ٤٠، وقد شرع الإسلام إعلان الحرب والإنذار بها، وسنَّ قاعدة فقهية في هذا الصدد «وفاء بعهد من غير غدر خير من غدر بعذر»، وقد روى الجماعة - بسندهم - إلا البخاري عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: «كان رسول الله - ﷺ - إذا أمر رجلاً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله - تعالى - ومن معه من المسلمين خيراً... ثم قال: وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث (أي خصال أو خلال)، فأيتها أجابوك فاقبل منهم، وكفَّ عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكفَّ عنهم، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم»، «ومن حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوم خيبر: يا رسول الله نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا - أي مسلمين - فقال: على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فوالله لأن يهتدي بك رجل واحد خيرك من حمر النعم».

أما عن حسن معاملة الأسرى والقتلى والنهي الحاسم والجازم عن التشويه والتخريب، والإتلاف وقتل الصبيان، وتحريم وتجريم قتل المدنيين من الأطفال والنساء، وعلماء ورجال الأديان كالرهبان، فقد أفاضت المصنفات الفقهية في بيانها استنباطاً من كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - ﷺ - وهدي الخلفاء والأمراء على مدى التاريخ الإسلامي.

بهذا يظهر لكل ذي بصر وبصيرة أسبقية وريادة الإسلام في تأصيل المحبة وغرس المودة، ونشر الإخاء والنقاء والصفاء بين الناس، كذلك الريادة في حقوق الإنسان، واحترام الغير، والتعايش مع الغير، وعدم السعي لإلغاء الغير، بما يؤكد الأسبقية لتشريعات الإسلام قبل المواثيق والاتفاقات المعاصرة بالمنظمات والجمعيات والهيئات الدولية المعاصرة.

إن المحبة المتبادلة في مجتمع المؤمنين بخاصة من أجلّ النعم التي يمتنّ الله بها عليهم (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) آل عمران:١٠٣، والمحبة المتبادلة بين الناس أجمعين هي إحدى الأماني الغالية التي فتح القرآن بابها للمسلمين (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم) الممتحنة:٧.

إن دعوة الإسلام سلم وسلام، محبة ومودة، إخاء وصفاء، تعاون وتناصح لتصفو الحياة وتعمر الأرض، ويسعد الإنسان، تلك نظرة الإسلام، وهذه سمته، وتلك غايته، لمثل هذا فليعمل العاملون، والله من وراء القصد. ■

دراسات قرآنية

الآثار النفسية لأسلوب القرآن الكريم

إعداد / د. عبد الفتاح محمد العيسوي

لقد اختص القرآن الكريم بكثير من الفنون البلاغية كالتشبيه والاستعارة والإيجاز، وضرب الأمثال وغير ذلك مما يجعلك عند تلاوته متذوقاً سحر بيانه وروعة أسلوبه ويعرف فضل القرآن من إكثار النظر والإمعان فيه، ومن اتسع علمه وفهم مذاهب العرب وفنونهم في الأساليب وما امتازت به لغتنا العربية دون جميع اللغات (١).

وزن القرآن وإيقاعه الموسيقي:

يتميز أسلوب القرآن الكريم بالإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ العذبة المنظمة في نسق خاص بلغ من الفصاحة أرفع درجاتها. هذا الإيقاع الموسيقي يصل في بعض الأحيان إلى أن تتفق الآية مع وزن بحر من بحور الشعر، وليس ذلك معناه أن القرآن الكريم شعر إلا أنه جمع بين مزايا النثر والشعر فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أهدافه ومراميه وأخذ في الوقت نفسه من الشعر الموسيقا الداخلية والفواصل (٢) المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل والتقفيه المتقاربة التي تغني عن القوافي (٣).

كما أن هناك تشابهاً بين أسلوب القرآن والسجع الذي نبغ فيه العرب لوقعه في آذانهم من حيث جرس الألفاظ ورنين موسيقاها وتأثيرها في مشاعرهم وأحاسيسهم ووجدانهم فالوزن الذي اختص به القرآن. واطراد الفاصلة على نسق معين في كثير من الآيات أكسبه قوة في التعبير وتأثيراً في النفوس، فهو حلو النغم لا تمله الآذان لما ينساب في عباراته من الموسيقا الايقاعية الخافتة.

التشبيه في القرآن وأثره النفسي:

التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى يجمعهما والهدف منه الإيضاح والتأثير، وقد احتوى القرآن على أنواع من التشابيه البلاغية تكسب المعاني روعة وتجعلها أكثر تأثيراً في النفس، فمن تشابيه القرآن إيضاح الأمور المعنوية بالصور المرئية المحسوسة، قال تعالى: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) العنكبوت: ٤١. تشبه الآية ضعف ما اعتقد فيه المشركون في عباداتهم لغير الله بالعنكبوت، تلك الحشرة الضعيفة التي تجهد نفسها في البناء وهي لا تبني سوى أوهن البيوت، كما يشبه القرآن أعمال الذين كفروا بربهم بالرماد الذي هبت عليه الرياح الشديدة فنثرته ولم يبق له أثرٌ، قال تعالى: (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء) إبراهيم: ١٨. فكما لا يستطيع صاحب الرماد المتطاير أن يمسك بشيء منه فكذلك الكافر لا يستطيع الانتفاع بشيء من أعماله يوم القيامة إذ لا يرى لأعماله أثراً لأي من الثواب.

فتشبيهات القرآن الكريم تستمد عناصرها من الطبيعة فهي تؤثر في السامع لأنه يحس ويدرك عناصرها لأنها قريبة منه فقد شبه القرآن حال الدنيا والمغترين بقوتهم فيها ومآل حالهم بهذه الآية البليغة (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زُخْرُفَها وازَّيَّنَتْ وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) يونس ٢٤. ومعنى ذلك أن هذه الدنيا في روعتها وجمالها وبهجتها كحال الماء الذي ينزل من السماء فيختلط به نبات الأرض فيزدهر ويثمر فيأكل منه الناس والحيوان حتى إذا استكملت الأرض جمالها وظن الإنسان المغرور أنه بقوته وقدرته قد استطاع أن يسيطر على مقدراتها فبغى وأعرض عن هدي الله وإذ يُفاجئهُ الله بزوالها سواء بالزلازل أو الإغراق أو الإحراق أو بالحروب المدمرة فيجعلها كالأرض الحصيد التي استؤصل زرعها. وإذا تأملنا الجمل وجدنا أنها بلغت عشراً سرى بعضها في أثر بعض حتى كأنها جملة واحدة والتشبيه المراد منتزع من مجموعها مما يجعل لها أعظم الأثر في نفس من يتلوها.

الاستعارة في القرآن وأثرها النفسي:

إن الحكمة من الاستعارة إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس يجلي بصورة أجلى وأوضح وقد احتوى القرآن على صنوف من الاستعارة تظهر بلاغته وعلو منزلته في التعبير وهذه الاستعارة تؤدي بألفاظ قليلة ما تؤديه شروح كثيرة من ذلك قوله تعالى: (اشتعل الرأس شيبا) مريم: ٤. فاشتعل استعارة لأن الاشتعال للنار. ولما كان الشيب يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يشمله كان بمنزلة النار التي تدب في الفحم مبطئة في دأب واستمرار حتى تأتي عليه والعلاقة واضحة بين ضوء النار وبياض الشيب. كما يصف القرآن حشود الناس ترقباً للحساب يوم القيامة (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) الكهف: ٩٩. أصل الموج حركة الماء فكلمة «يموج» لا تقف عند حد استعارتها لمعنى الاضطراب بل إنها تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من البشر احتشاداً لا تدرك العين مداه حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر يموج ويضطرب كما توحي الآية على قوة الله تعالى وقدرته على جمع كل البشر وحسابهم في وقت واحد مما يشعرهم بالخوف

والخشوع من الله تعالى فيعمل كل منهم حسابه لهذا اليوم ويعد نفسه للقاء الله وهو محسن (٤).

الإيجاز في القرآن وأثره النفسي

الإيجاز هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ، فالعبارة الموجزة التي تعطي معاني كثيرة هي بليغة، وبقدر ما يقل اللفظ ويزداد المعنى ترتفع نسبة القول في مراتب البلاغة حتى تصل إلى درجة الإعجاز. فالقرآن الكريم يدل بالكلمة الواحدة وبالكلمات المختصرة على معان كثيرة وإذا أراد التكلم البليغ التعبير عن المعاني التي أرادها القرآن لم يصل إلى بغيته إلا بألفاظ أطول ودلالة أقل، قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء (٥) والمنكر (٦) والبغي (٧) يعظكم لعلكم تذكرون) النحل: ٩٠. أمر الله في هذه الآية بكل معروف ونهي بعد ذلك عن كل منكر وختم الآية بأبلغ موعظة لها أعظم الآثار الوجدانية كل ذلك بألفاظ قليلة. وكذلك الإيجاز البليغ الذي جاء في وصف طوفان نوح قال تعالى: (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر. ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر. وحملناه على ذات ألواح ودُسُر. تجري بأعيننا جزاءً لمن كان كُفِرَ) القمر: ٩ ـ ١٤. المتأمل لهذه الآياتً يجد جمال سبكها ووزنها وتصويرها المراد بأقل الألفاظ وأبلغ المعاني، ثم تأمل كيف وصف القرآن انتهاء الطوفان بهذا القول البليغ: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) هود: ٤٤.

هذه الآية تصف انتهاء الطوفان بأقصر عبارة كتحدر المياه بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ، فمعانيها تسابق ألفاظها وألفاظها تسابق معانيها، انظر إلى توالي جمل هذه الآيات معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة فقد بدأ القرآن بذكر الأهم وهو تخليص السفينة من الماء المحيط بها ولا يحصل إلا بانحسار الماء عن الأرض فلذلك بدأ الله بأمْرِ الأرض بابتلاع مائها ولكن إذا لم ينقطع المطر فلربما تأذى بذلك أهلَ السفينة عند خروجهم منها فأمر الله السماء بالكف عن المطر، ثم أخبر القرآن بغوران الماء عندما ذهب ماء الأرض وانقطع المطر [وقضي الأمر] أي هلك من قضى الله في علمه هلاكه ونجا من أراد نجاته، وكذلك استواء السفينة على جبل الجودي ثم الدعاء على الهالكين بعد أن وصفهم الله بالظلم ليبين أن الهلاك إنما شمل من يستحق العذاب. ولكن لما كان هذا الأمر الإلهي بإهلاك الظالمين قد صدر من غير أن يسمعه من في الكون بني الفعل للمجهول فابتدء الأمر بقوله [وقيل يا أرض] وانظر إلى التناسق والتناغم الموسيقي بين [ابلعي] و[اقلعي] وهما استعارتان لغويتان وجاءت كلمة [ابلعي] مصورة لما يراد أن تصنعه الأرض وهي أن تبتلعه في سرعة فهي هنا أفضل من امتصى مثلاً لأنها تدل على الإسراع في التشرب، وفي إضافة الماء إليها ما يوحي بأنها جديرة أن تمتص ماء هو ماؤها، وانظر إلى كلمة استوت للسفينة دون استقرت لما يتحمله الاستقرار من ذهاب الخوف والاضطراب وحصول الأمن النفسي. فاستواء السفينة حقيقتها أنها استقرت استقراراً لا ميل ولا حركة فيها وهذا مما يدخل السكينة والطمأنينة لأهل السفينة ويسهل خروجهم منها وجاءت كلمة [بعداً] دون [هلاكاً] إشارة إلى أن هلاك الظالمين إنما قصد به إبعادهم عن الفساد في الأرض.

الأمثال في القرآن وآثارها النفسية:

ومن خصائص أسلوب القرآن ضرب الأمثال قال تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) الزمر: ٢٧ وذلك للتذكير والوعظ والإرشاد والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل في تصويره بصورة المحسوس لأن ذلك أثبت في الأذهان وأسرع إلى إقناع الوجدان والتأثير فيه. وأمثال القرآن قسمان:

١ ـ قسم ظاهر، مصرح به بما مثل الله به حال المنافقين بقوله: (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) البقرة: ١٧ شبهت هذه الآية حيرة المنافقين واضطراب أحوالهم بالذي يسير في الليل وقد أوقد ناراً تضيء طريقه فعرف إلى أين يسير، ثم شمل المكان ظلام دامس فأصبح لا يدري فيه السائر أين يضع قدمه.

٢ ـ وقسم كامن: مثل قوله تعالى: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يونس: ٣٩ وهو كالمثل المتداول [من جهل شيئاً عاداه] وقوله تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) الفرقان: ٦٧ وهو كالمثل المعروف [خير الأمور أوسطها] وفي القرآن ألفاظ تجري مجرى المثل كقوله تعالى: (هل جزاءالإحسان إلا الإحسان) الرحمن: ٦٠ (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) الذاريات: ٥٥ (والطيبون للطيبات) النور: ٢٦.

تكرار معاني القرآن وأثرها النفسي:

ومن بين ما يختص به أسلوب القرآن التكرار بعبارات مختلفة ولكن أصل المعنى واحد كالذي يكرر في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة أو البرهان أو لبيان النعمة، وترديد المنة والتذكير بالمنع واقتضاء الشكر فترديد الكلام حول معنى واحد في آيات مختلفة تتشابه لفظاً ومعنى فصاحة وبلاغة، سر من أسرار القرآن، وضرب من ضروب القدرة الكلامية اختص بها القرآن حيث تنبل الأغراض وتبلغ المقاصد التي سيق لها الكلام قمم الرفعة والسمو، الأمر الذي لمثله يستطاب التكرار (٨).

وحكمة ذلك قوة التأثير في النفس لأن التكرار من أفضل سبل الإقناع وأقوى الوسائل لتركيز الرأي والعقيدة في النفس البشرية، ولهذا نرى في عصرنا الحالي أصحاب الدعايات يعمدون إلى التكرار في دعاياتهم مع التنوع في عباراتها للوصول إلى هدفهم.

الهوامش والمراجع:

(١) راشد عبد الله الفرحان ـ تفسير شكل القرآن ـ منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.

(٢) الفاصلة إصطلاح أطلق على الكلمة التي تختم بها الآية القرآنية فمكانتها في الاية مكانة القافية، لها قيمتها في إتمام المعنى وأثرها الموسيقي في نظم الكلام.

(٣) سيد قطب ـ التصوير الفني في القرآن ـ لجنة النشر للجامعيين ـ مصر.

(٤) عفيف عبد الفتاح طبارة ـ روح الدين الإسلامي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

(٥) الفحشاء ـ الزني وما اشتد قبحه من الذنوب.

(٦) المنكر: ما ليس فيه رضى الله من قول أو فعل.

(٧) البغي: الظلم والعدوان أو العصيان.

(٨) أحمد البدوي ـ من بلاغة القرآن ـ دار النهضة العربية ـ بيروت.

في صدر الإسلام رسائل غيّرت وجه التاريخ

برقيات الاستغاثة ٣ في عام الجوع والهلاك...

بقلم: د. جابر قميحة

في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان عام ١٨هـ هو عام المجاعة والقحط والبلاء في جزيرة العرب، وسمي عام المجاعة هذا بعام الرمادة، لأن «الرمادة لغة هي الهلاك»، وفي هذا العام هلك من الأموال والناس الكثير والكثير.

وفي لسان العرب يُقال: «رمده وأرمده إذا أهلكه وصيره كالرماد، ورمِد وأرمَد: إذا هلك، والمعنى الأصلي للرماد في اللغة هو «دُقاق الفحم من حُراقة النار وما هبا من الجمر فصار دقاقاً، والطائفة من رمادة».

من مظاهر المحنة

فإطلاق اسم «الرمادة» على عام النكبة سنة ١٨هـ إنما هو إطلاق يتفق مع الواقع:

- فهو عام الهلاك، حتى قيل هلك من الناس ثلثاهم ولم يبق منهم إلا الثلث.
- وهو عام انقطع فيه المطر تماماً، فاسودت الأرض وصارت في لون رماد الفحم من انعدام الماء وحرارة الشمس، فخلت تماماً من الشجر والعشب.
- وفيه هلكت الماشية، وجاع الناس، وبلغ بهم الجوع حتى استفوا الرمة «أي يحرقون جلد الحيوان وعظمه البالي ويدقونه ويستفونه» وحفروا أنفاق اليرابيع والفيران يخرجون ما فيها ويأكلونه.
- وفيه كلحت وجوه العرب واسودت فهي في لون الرماد من الجوع.
- وفيه كانت الريح تسفي بشدة تراباً أسود كالرماد.

وفي هذا العام - كما جاء في تاريخ الطبري - جعل الوحش يأوي إلى الإنس، وجعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وإنه لمقفر.

عمر في غمار النكبة

كتب العقاد في «عبقرية عمر»:

إن هذا الرجل لم تواجهه في ولاياته الواسعة صعوبة أكبر منه، وأحوج إلى قدرة أعلى من قدرته، أو هيبة ودراية أجلّ مما كان له من هيبة ودراية، فإذا عرضت الصعوبة الطارئة فهناك الحزم اللازم لمواجهتها، والحيلة الصالحة لتدبيرها كأنما كان لها على استعداد، وكأنما عاش حياته كلها يتمرس بهذه الأمور، وكأن اضطلاعه بتفريج الأزمات كاضطلاعه بتدبير الحاجات إلى التعمير والتنظيم».

وبهذه الآليات من حزم وعزم وقدرة على التدبير ومواجهة المشكلات والنوازل استطاع عمر أن يواجه نكبة الرمادة التي نزلت بالمسلمين في جزيرة العرب، ولم يكن لها من قبل شبيه.

برقيات الاستغاثة:

فبادر بإرسال كتب الاستغاثة والاستمداد إلى ولاته في الأمصار، وهي تشبه البرقيات في عصرنا لما تتسم به من طوابع السرعة والإيجاز و«المباشرية» زيادة على توهج الشعور، فالمجال ليس مجال شرح وتفصيل، ومقدمات طوال وعرض بلاغي لأن المجاعة المهلكة لا تسمح بالاتساع لمثل ذلك، والوقت في هذه الحال عزيز عزيز.

كتب إلى عمرو بن العاص والي مصر:

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي: سلام عليك، أما بعد: أفتراني هالكاً ومَنْ قِبَلي، وتعيش أنت ومن قِبَلَك؟ فيا غوثاه يا غوثاه يا غوثاه».

وهناك رواية أخرى لهذه «الرسالة البرقية» أوردها المقريزي في خططه، ونصها:

«من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص، سلام عليك، أما بعد: فلعمري يا عمرو ما تبالي إذا شبعت أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معي، فيا غوثاه ثم يا غوثاه».

وكتب إلى معاوية واليه على الشام:

«إذا جاءك كتابي هذا فابعث إلينا من الطعام بما يصلح مَنْ قِبَلنا فإنهم قد هلكوا إلا أن يرحمهم الله».

وبعث بمثل ذلك إلى سعد بن أبي وقاص في العراق كما يحكي ابن سعد في الطبقات الكبرى.

ونلاحظ أن رسالته الأولى إلى عمرو بن العاص تتسم بالشدة والعنف، فهو «العاصي بن العاصي»، وكذلك لأنها جاءت في صورة أسلوب إنشائي استفهامي غرضه البلاغي التوبيخ والتقريع، ومع أن عمرو بن العاص لم يرتكب ما يوبخ عليه ويقرع.

في عام المجاعة سنة ١٨هـ أكل الناس أي شيء... وكل شيء

وقد يفسر ذلك بأن عمر كتب هذه الرسالة تحت ضغط حزن ساحق وهو يرى المسلمين يتساقطون صرعى من شدة الجوع، وهو يعلم أن مصر من أخصب البلاد المفتوحة، إن لم تكن أخصبها وأكثرها خيراً على الإطلاق.

فقد وصفها له عمرو بن العاص في أحد كتبه التي بعث بها إليه بأنها: «... قرية غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر، وعرضها عشر، يكتنفها جبل أغبر، ورمل أعفر، ويخط وسطها نيل مبارك الغدوات، ميمون الروحات...».

وفي هذه الرسالة يقول: ... فبينما مصر - يا أمير المؤمنين - لؤلؤة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، فإذا هي زمردة خضراء، فإذا هي ديباجة رقشاء، فتبارك الخالق لما يشاء...».

وبلغ عمر أن عمرو بن العاص زادت بمصر ثروته، وفشت له فاشية «من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد»، ويسأله عمر - رضي الله عنه - عن أصل هذا المال ومصدر هذه الثروة فيجيبه عمرو: «... وإني أُعْلِم أمير المؤمنين أني ببلد السعر فيه رخيص، وإني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله...».

فبلد هذا شأنه: خصوبة في الأرض التي يرويها نيل «مبارك الغدوات، ميمون الروحات» ووفرة في الزرع والثمر، ورواج في التجارة، وسعة في العيش، ورخص في الأسعار، كل أولئك يجعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يتطلع أن يكون هو المصدر الرئيسي للطعام حتى تنفرج الأزمة، وتنكشف الغمة، ويرى في بطء الوالي عن إرسال الأمداد للمدينة - حتى لو لم يطلب منه - عصياناً وأي عصيان.

الجواب العملي السريع

وجاءت استجابة الولاة سريعة عملية، وكتب إليه عمرو بن العاص من مصر:

«بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدالله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: أتاك الغوث فلبِّثْ لبِّث «أي اصبر وانتظر» لأبعثن إليك بعير أولها عندك وآخرها عندي».

وكان أول من قَدِم عليه بمدد أبو عبيدة بن الجراح، فقد قدم عليه بأربعة آلاف راحلة «ناقة» محملة بالطعام، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة.

وبعث إليه عمرو بن العاص في البحر بعشرين سفينة تحمل الدقيق والودك «الدسم والسمن»، وبعث إليه في البر بألف بعير تحمل الدقيق، وبعث إليه كذلك بخمسة آلاف كساء.

وبعث إليه معاوية بن أبي سفيان بثلاثة آلاف بعير تحمل الدقيق، وبعث إليه بثلاثة آلاف عباءة.

وبعث إليه والي الكوفة بألفي بعير تحمل الدقيق.

المدينة تستقبل الضحايا

وكان أكثر الناس تضرراً بالمجاعة الأعراب سكان الصحراء الذين يعيشون على المطر، فقصد المدينة آلاف من الأعراب الذين يعانون القحط والجوع، فوكل عمر - رضي الله عنه - بعض الصحابة بالطبخ ومد الموائد لهم، واطعامهم، وصار العدد يزيد مع الأيام على مدى تسعة أشهر، وبلغ من تعشى عند عمر عشرة آلاف، أما العيالات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان «الذين يحمل إليهم الطعام في مقارهم» فبلغوا خمسين ألفاً.

ويذكر ابن سعد في الطبقات: أن عمر كان يصنع الطعام وينادي مناديه: من أراد أن يحضر طعاماً فيأكل فليفعل، ومن أحب أن يأخذ ما يكفيه وأهله فليأت فليأخذه».

وكان عمر يجتمع كل مساء مع القائمين على أمر إطعام أهل المدينة ومن نزل بها، ونزل بما حولها من الأعراب، فيخبرونه بكل ما كانوا فيه.

مراكز لتوزيع الطعام

وكانت وطأة المجاعة - كما ذكرنا - أشد وأنكى على الذين يعيشون في غير المدينة من مناطق الجزيرة العربية، وخصوصاً أطرافها، وكان عمر - كما ذكرنا - قد أرسل إلى ولاته يستمدهم الطعام، وكان يعلم أن توجه هذه الأمداد ونزولها بالمدينة ثم انطلاقها إلى الأطراف لتوزيعها سيحمّله من المشاق الكثير والكثير، لذلك وجه رسله لاستقبال مدد سعد بن أبي وقاص بأفواه العراق، فجعلوا ينحرون الجُزر «الإبل» ويطعمون الدقيق، ويكسون الناس في هذه المناطق العباء حتى رفع الله ذلك عن المسلمين.

بلغ من تعشى عند عمر ١٠ آلاف أما الذين يحمل إليهم الطعام فبلغ ٥٠ ألفاً

وأرسل رسله حيث التقت قوافل عمرو بن العاص البرية بأفواه الشام، فعدل بها رسله يميناً وشمالاً ينحرون الجزر، ويطعمون الدقيق، ويكسون العباء.

واتخذ من مدينة الجار «وهي مدينة تقع على ساحل البحر الأحمر بينها وبين المدينة يوم وليلة» مركزاً من مراكز التوزيع، حيث تولى

رسوله استقبال سفن عمرو بن العاص التي أرسلها محملة بالأقوات والمؤن من مصر... وأخذ يوزع الطعام من السفن على أهل تهامة، ومن ينزلون ما بين مكة والمدينة.

توصيات ومتابعة:

وكان عمر - رضي الله عنه - يوصي رسله وعماله بما يجب أن يفعلوه ويقولوه ويوجهوا إليه من أصابهم القحط والجوع، فيروى أنه عند قدوم أول الطعام وصّى رسوله بما يلي:

١ - أن يعترض للعير «قافلة الطعام» فيميلها إلى أهل البادية.

٢ - أن يتخذ أهل البادية من الظروف «أكياس الطعام بعد تفريغها» لُحفاً يلبسونها.

٣ - أن ينحر لهم الإبل فيأكلوا ما شاؤوا من لحومها، ويدخروا ما شاؤوا من دهونها.

٤ - أن يصنعوا من الدقيق ما شاؤوا، ويدخروا منه كذلك.

وكان عمر في هذا العام حريصاً على أن يعطي كل ذي حق حقه، ويمنح العاملين من بيت المال مقابل ما يقومون به من عمل دون نظر إلى مدى احتياجهم للمال، وذلك تأسياً برسول الله - ﷺ - ومن ذلك أن أبا عبيدة بن الجراح قدم على عمر - كما ذكرنا - في أربعة آلاف راحلة من طعام فولاه قسمتها فيمن حول المدينة، فلما فرغ ورجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم، فقال أبو عبيدة «لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين إنما أردت اللهَ وما قِبَله، فلا تُدخل عليَّ الدنيا»، فقال عمر - رضي الله عنه - «خذها فلا بأس بذلك إذ لم تطلبه»، فأبى، فقال عمر: «خذها فإني قد وليت لرسول الله - ﷺ - مثل هذا، فقال لي مثل ما قلت لك، فقلتُ له كما قلت لي فأعطاني»، فقبل أبو عبيدة، وانصرف إلى عمله.

تأخير الصدقة..

وفي عام الرمادة أخّر عمر الصدقة، أي لم يجمع الزكاة من الناس، فلما أمطرت السماء، وأذهب الله عن الأمة المَحْلَ والجدب أمر سعاته في العام التالي أن يأخذوا عقالين «أي زكاة عامين»، فيقسموا عقالاً بين المحتاجين من أهل الناحية، ويقدموا على عمر بعقال.

وبعد أن أتى الله بالفرج، وأمطرت السماء خشي عمر أن يستمرئ الأعراب الذين نزلوا بالمدينة وما حولها حياة المدر، ويركنوا إلى الدعة والاسترخاء فعمل على إخراجهم إلى منازلهم الأولى في البادية، وأعطاهم ما يكفيهم وما يحملون عليه، وكان يشرف على ذلك بنفسه.

أحزان الرجل العظيم

رجل من عامة الناس يترفع عن طعام عمر ويرفض أن ينزل إلى مستواه

وعاش عمر - رضي الله عنه - عام الرمادة حزيناً مهموماً، على قوة عزمه وحزمه وصبره، وقوة إرادته، حتى قال خادمه أسلم «كنا نقول لو لم يرفع الله سبحانه وتعالى المحل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همّاً بأمر المسلمين».

وكان عمر يعلم علم اليقين أهمية التقوى وشحْن المسلمين بالطاقة الروحية التي تستمد من الدعاء والاستغفار وطاعة الله (من يتق الله يجعل له مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب) الطلاق: ٢ - ٣ ، فكان دائم الدعاء، وتذكير الناس بالله.

ومن خطبه في هذا العام «أيها الناس استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، اللهم إني استغفرك وأتوب إليك، اللهم أنت الراعي، لا تهمل الضالة، ولا تدع الكسيرة بمضيعة، اللهم قد ضرع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون...».

ومن خطبه كذلك: «أيها الناس اتقوا الله في أنفسكم، وفيما غاب عن الناس من أمركم، فقد ابتليت بكم، وابتليتم بي، فما أدري: السُخْطة علي دونكم أو عليكم دوني، أو قد عممتني وعمتكم، فهلموا فلندعُ الله يصلح قلوبنا وأن يرحمنا، وأن يرفع عنا المحل.

أيها الناس إني أخشى أن تكون سخْطة عمتنا جميعاً، فاعتبروا ربكم، وانزعوا وتوبوا إليه، وأحدثوا خيراً.

القدوة الحسنة

ومن أهم عوامل التوفيق فى التصدي لهذه النكبة والتغلب عليها أن عمر - رضي الله عنه - كما ذكر الدكتور محمد حسين هيكل - رحمه الله - كان «القدوة المثلى» للناس في كل الأمور، فنزل بعيشه إلى مستوى حياة الفقراء الذين لم يكونوا يجدون إلا مائدته يجلسون إليها مع الألوف الجائعين لينالوا ما يُبقي عليهم الحياة، فكان يأكل معهم، ولا يرضى أن يتناول طعامه في بيته، حتى لا يظن أحد أنه يؤثر نفسه بشيء لا يناله ذو الفاقة من قومه، وقد حقق بتصرفه هذا غرضين جليلين:

أولهما: الشعور بألم الناس شعوراً يدفعه إلى مضاعفة الجهد في العناية بهم، والعمل لدفع الضر عنهم.

والثاني: طمأنينة السواد إلى أن أمير المؤمنين يشاركهم في بأسائهم وضرائهم، فلا تثور نفوسهم، بل يظلون راضين بكل ما يصيبهم، لأن أكبر رجل في الدولة يشاركهم فيه، وقد بلغ عمر من هذين الغرضين خير ما يبلغه حاكم في أي أمة من الأمم.

كان عمر يعلم أهمية شحْن المسلمين بالطاقة الروحية التي تستمد من الدعاء

وبهذه القدوة كان يُلزم أهله، فكان إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: «لا أعلمن أن أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة».

وفي عام الرمادة حرم على نفسه السمن واللحم، قال خادمه «أسلم».. كان يأكل الزيت، فقال: يا أسلم، اكسر عني حره بالنار، فكنت أطبخه له فيأكله فيتقرقر بطنه عنه، فيقول: تقرقر، لا والله لا تأكله «السمن» حتى يأكله الناس».

قال عياض بن خليفة: رأيت عمر عام الرمادة، وهو أسود اللون، ولقد كان ـ من قبل ـ أبيض، فيقال: مم ذا؟ فيقول: كان رجلاً عربياً، وكان يأكل السمن واللبن، فلما أمحل الناس حُرمهما، فأكل الزيت حتى غيّر لونه».

وبلغ من شدته على نفسه أن الرجل من عامة الناس كان يرفض دعوته لمشاركته في الطعام لخشونته، ومما يروى في هذا المقام أن حفص بن أبي العاص كان يحضر طعام عمر، فكان لايأكل، فقال له عمر: ما يمنعك من طعامنا؟ قال: إن طعامك جشب «خشن» غليظ، وإني راجع إلى طعام لين قد صُنع لي فأصيب منه.

قال عمر: أتراني أعجز أن آمر بشاة، فيلقى عنها شعرها، وآمر بدقيق فينخل في خرقة، ثم آمر به فيخبز خبزاً رقاقاً، وآمر بصاع من زبيب فيقذف في سُعْن «قربة أو إناء» ثم يصب عليه من الماء فيصبح كأنه دم غزال؟

فقال حفص: إني لأراك عالماً بطيب العيش؟

قال عمر: أجل، والذي نفسي بيده لولا أن تنتقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم».

ومن شدته على نفسه وشعوره الحاد بالحزن لما أصاب المسلمين في عهده ما ترويه بعض نسائه من أنه «ماقرب امرأة هذا العام حتى أحيا الناس» أي نزل عليهم الحيا وهو المطر، وبه انفرجت الأزمة.

وما يُقال عن طعامه يقال عن ملبسه : فعمر الذي كان يوزع الثياب والعباء على الناس أيام الرمادة كان ثوبه ـ كما يروي السائب بن يزيد ـ إزاراً فيه ست عشرة رقعة، ويقول عبدالله بن أبي طلحة: رأيته وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها فوق بعض.

الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعيش الجوع والحرمان ليطعم الآخرين

قيم تربوية وسياسية

وفي كتاب القيم عن «عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة»، يرى الدكتور سليمان الطماوي أن القدوة الطيبة إذا كانت لازمة في كل زمان، فإن عمر بفراسته قد أدرك أن الدولة الإسلامية الناشئة أحوج ما تكون إليها.

فالإسلام ـ وإن يكن عالمياً ـ إلا أنه نزل على أمة تمتاز بخصائص معينة أبرزها البساطة والتقشف والبعد عن الانغماس في الترف المادي، ولا يكاد أحد أفرادها يطلب إلا الكفاف.

هذه الأمة مكلفة بأن تحمل رسالة الإسلام إلى العالم أجمع، ومقدرتها على أداء الرسالة تتوقف أولاً وقبل كل شيء على المحافظة على خصائصها الذاتية وأهمها عدم الانغماس في شهوات الحياة المقبلة، فما العاصم من هذا الانحراف وكنوز كسرى وخزائن قيصر توشك أن تكون غنيمة خالصة لهؤلاء الحفاة العراة؟ هل يجدي في ذلك العظات؟ أم يكون المانع من الانحراف هو القدوة الحسنة؟ وأن يجعل عمر الخليفة ورأس الدولة الذي تتجه إليه الأبصار من نفسه علماً حياً على القيم الإسلامية الخالصة؟

الحق أن القدوة الحسنة لم يكن لها بديل في تلك الظروف، ومن هنا يشتد إيماننا كلما تعمقنا حياة عمر أن تقشفه ـ رضي الله عنه ـ وزهده في الدنيا لم يكن مجرد عبادة، ولكنه كان سياسة إدارية أدرك عمر بفراسته حاجة الدولة الوليدة إليها.

ويرى العقاد في «عبقرية عمر» أنَّ الخُـلُقَ الذي ألزم عمر حياة الشظف إنما هو خلق قوي يروض صاحبه على ما يريد، وليس بخلق ضعيف يجفل من التصرف والتكليف إجفال العجز والرهبة والوسواس.

ويعلل العقاد هذا الخلق بتعليلات متعددة :

أولها: طبيعة الجندي : وهي طبيعة عمر: فهو يعلم أن الله سريع الحساب، وأن الله رحيم، ولكن الجندي القوي إذا وقف بين يدي مولاه جعل تعويله على الوفاء بالأمر، وقضاء الواجب في أدق تفاصيله، ولم يجعل معوّله الوحيد على طلب الرحمة، والصفح عن الخطيئة، فإن جاءه الصفح من مولاه فليس هذا بمعفيه أمام نفسه من استقصاء الحساب ولو جاد عليها، فأكرم لطبيعته الجادة القوية أن يجور على نفسه من أن يترخص في إعطائها ثم يتعرض للصفح والغفران.

وكان وفاؤه لحق الصداقة كوفائه لحق الله سبباً من أسباب هذا الشظف الذي عاش عليه بعد النبي ـ ﷺ ـ وخليفته الأول، فقد أبى له وفاؤه أن يعيش خيراً مما عاشا، وأن يستبيح ـ وقد صار الأمر إليه حظاً لم يستبيحاه.

ثم كانت رغبته في إقامة الحجة على ولاته وعماله سبباً آخر من أسباب شظفه وقناعته بالقليل، فقد يستحي أحدهم أن يخون ليغنى، وخليفته قانع لا يطمع في أكثر من الكفاف.

بالبر والبحر انطلقت قوافل الاغاثة لإنقاذ المسلمين من الهلاك

وبذلك التقت ـ في عمر رضي الله عنه محاسن الذات ومكرماتها قولاً وفعلاً، بحسن التدبير والتخطيط، ووراء كل أولئك إيمان بالله لا يضعف، وثقة بالله لا حدود لها، ومعايشة حقيقية صادقة للأمة في آلامها وآمالها، وكل أولئك يثمر النجاح والفلاح والتوفيق والنصر الفائق المبين.■

فهرس

التجديد ... ضرورة إنسانية

بقلم : د. محمد السيد علي بلاسي

إن تحرير المستقبل من الماضي وتحرير الماضي من المستقبل ضرورة طبيعية، «ويعني بها أن طبيعة الحياة التجدد والتطور بالقدر الذي لايرحم من لا يستجيب لما في هذه الخصوصية، لكن عندنا - نحن المسلمين - ينبغي أن تكون هذه الاستجابة على نحو يحفظ للأمة ذاتيتها الثقافية والحضارية، فلا تقع في أسر التقليد للماضي حرفياً، ولا تتحول إلى تابع ذليل للحضارة الغالبة فتنطبق عليها مقولة ابن خلدون: «المغلوب مولع بتقليد الغالب»، مع ملاحظة كيف تنهض طبيعة الإسلام في أسسه ومناهجه التشريعية لتلائم هذه الضرورة»(١)

فمن المعلوم «أن الحياة متحركة ومتطورة، دائمة الشباب، مستمرة النمو، تنتقل من طور إلى طور، ومن لون إلى لون، لا تعرف الوقوف ولا الركود، ولا تصاب بالهرم والتعطل، فلا يسايرها في رحلتها الطويلة المتواصلة إلا دين حافل بالحركة والنشاط، لا يتخلف عن ركب الحياة، ولا يعجز عن مسايرته وزمالته، ولا تقصر عنه خطواته، ولا تنفد حيويته ونشاطه»(٢).

ومن المقرر أن التجديد «ليس مقصوراً على الدين، فكل مرفق من مرافق الحياة يتجدد، العادات، والتقاليد، والأدب، والنظرات السياسية، والعلم، وكل شيء في الحياة يتجدد، لأن هذه الأشياء كلها وليدة الزمان، والزمان في تجدد مستمر وحركة دائبة»(٣).

فالفنون الأدبية - على سبيل المثال - لا نستطيع أن ننكر التجديد المعتدل فيها، ولا يمكن أن نقف منها موقفاً متشدداً.

فالتجديد والتطور من طبيعة الكائنات، بل إن آدابنا العربية مذ كانت لم تقف عند حد المأثور من الآداب السلفية، وإنما طرأت عليها تجديدات في أشكالها ومضامينها في كل عصر من عصور الأدب، ولا سيما عصور الازدهار والقوة التي تلاقت فيها الأفكار العربية والأجنبية، وحدث بينهما امتزاج معتدل تمثل عند كثير من أعلام الشعر والأدب والفكر، وطُعّمت الآداب العربية بالآداب الأجنبية دون أن تمحو أصالتها أو تذوب شخصيتها في خضم هذه الآداب الجديدة التي نمَّتها ولقَّحتها دون أن تمسخها أو تشوهها.

أما التجديد الذي يقطع وشائج الصلة، ويوهن أواصر الرباط بين القديم والحديث فهذا ما ننكره ونرفضه من أساسه.(٤)

لذلك «كان من خصائص الدين الذي أُنْزِلَ ليتعامل مع بُعدي الزمان والمكان غير الثابتين ولا المستقرين، أن يكون مبنياً - ابتداء - على مبادئ تستجيب لهذه السنة من سنن الله في الحياة، وهي سنة التغير والتطور»(٥).

«ذلك شأن الإسلام، فإنه وإن كان مؤسساً على عقائد ثابتة وحقائق خالدة زاخرة بالحياة، فهو حافل بالنشاط، له من الحيوية معين لا ينضب، ومادة لا تنفد، صالح لكل زمان ومكان، وعنده لكل طور جديد من أطوار الحياة، ولكل جديد من أجيال البشرية، ولكل عهد مستأنف من عهود التاريخ، ولكل مجتمع عصري من مجتمعات البشر، مددٌ لا يقصُرُ عن الحاجة ولا يتأخر عن الأوان»(٦).

ولذا جاءت تشريعات الإسلام على نحو يلائم التنوع في المكان، والتغير في الزمان، «فحوادث الأيام خارجة عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد، ولم تفِ ظواهر النصوص ببيانها - كما هو معروف - بل لابد من طريق واف بشأنها»(٧)، مما دفع إلى «ظهور قوم من الأعلام في غُرة كل قرن ليقوموا بأعباء الحوادث»(٨).

التجديد... ضرورة نفسية

فإنه «إذا وقفت الأمة في وهدة الانحطاط والتخلف ردحاً من الزمان، وما ينشأ عنهما من رتابة تطبع الفكر والحياة، ثم ما قد يحدث من اتصال بحضارة ناهضة، فإنه يغمر بعض النفوس إحساس وشعور عارم بضرورة التجديد، فيكون السعي لتحقيقه بمنزلة إرضاء لتلك الضرورة في وجهيها النفسي والشعوري.

ومن هنا «تبدأ فكرة التجديد عند فرد أو أفراد قلائل تأتيهم هذه الفكرة من شدة شعورهم بسوء الحاضر، فيدعون إليها ويؤلفون الحجج العقلية والشعورية للبرهنة على صحتها»(٩)، فيكونون بذلك المعبرين فكرياً أو فكرياً وعملياً معاً عن تلك الضرورة»(١٠).

مما سبق يتضح: أن التجديد والتطور ضرورة إنسانية، وأن تحرير المستقبل من الماضي وتحرير الماضي من المستقبل واجب تحتمه الظروف وفق معايير تحددها الضرورة الطبيعية والنفسية بدافع المؤثرات الخارجية، ولكن كل هذا في إطار الأصالة والمعاصرة، بحيث يكون التمسك بالأصول القديمة في غير تجاهل للأغصان الحديثة. ■

الهوامش :

١ - محمد مراح: ضرورات تجديد الفكر الإسلامي، ص٧٤، مقال منشور في ملجة «الفيصل» السعودية: العدد ٢٦٠، صفر ١٤١٩هـ.
٢ - أبو الحسن علي الحسن الندوي: رجال الفكر والدعوة، ص١٣، ط٣، دار القلم، الكويت، سنة ١٣٨٩هـ.
٣ - أحمد أمين: فيض الخاطر، ١٢٤/٨، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
٤ - د. محروس الجالي: تطور الفنون الأدبية، ص ٨٤ - بتصرف - دراسة منشورة في مجلة كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - العدد الثاني سنة ١٤٠٣هـ.
٥ - محمد مراح: ضرورات تجديد الفكر الإسلامي، ص ٧٤.
٦ - أبو الحسن الندوي: رجال الفكر والدعوة، ص١٣.
٧ - ٨ - المناوي: فيض القدير، ص١٠، الطبعة الأولى - مصطفى الحلبي - مصر - سنة ١٣٥٦هـ
٩ - أحمد أمين: فيض الخاطر، ص ١٢٤.
١٠ - محمد مراح: ضرورات تجديد الفكر الإسلامي، ص ٧٤ - ٧٥.

أخلاق

ميراث آدم عليه السلام

يرث المرء عن والديه وجدوده صفات كثيرة، منها الخَلقي «الجسدي» ومنها الخُلقي «الطباع والسلوك»، أما الصفات الخَلقية فلا يد له فيها، وليس له صلة معها، أما الصفات الخُلقية فمنها الإيجابي الحسن الذي يمتدح عليها كالشجاعة والكرم والأناة، ومنها السلبي كالجبن والبخل والحمق.

والصفات الخُلقية قابلة للمعالجة والتطوير والتحسين بالفعل والدُّرْبة والممارسة، فالله تعالى يقول: (إن الإنسان خُلق هلوعاً. إذا مسَّه الشر جزوعا. وإذا مسَّه الخير منوعاً. إلا المصلين. الذين هم على صلاتهم دائمون. والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) المعارج: من ١٩ ـ ٢٥ إلى آخر الآيات، فالمداومة على الصلاة فعل، وإخراج الزكاة فعل، وكلاهما عالج صفات خُلقية منها الهلع والجزع والبخل.

بقلم: حيدر قفة

ويقول النبي ـ ﷺ ـ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسُن خُلقه»(١)، فترك الجدل عمل، وترك الكذب عمل، وتحسين الأخلاق عمل، والعمل فعل كبسي من المرء في سبيل تطوير أو تغيير صفات خُلقية فيه أو نهنهتها.

وقد ورد في الأثر: العلم بالتعلّم، والحلم بالتحلّم، ولولا قابلية الصفات الخُلقية للحيلة لما كان هناك أنبياء ولا رسل ولا وعظ ولا إرشاد ولما كانت هناك ضرورة للأديان ولا للكتب المقدسة.

ونحن توارثنا عن آدم ـ عليه السلام ـ صفات خَلْقية وصفات خُلقية، أما الخلقية «وهي السمت البشري» فلن نتكلم عنها لأنها لا صلة لنا فيها، بل الخروج عليها يعتبر تشويهاً مرفوضاً.

أما الصفات الخُلقية، فالإيجابي منها حسن ولا ضرر منه، لذا نضرب عنه الذكر صفحاً، ونقصر كلامنا على الصفات السلبية التي توارثناها من آدم أو بعضها في محاولة لتجليتها في الطريق لمعالجتها والتعامل معها على قاعدة تبديلها أو تطويرها إلى الأحسن أو التخفيف من غلوائها في أضعف درجات التعامل وهي جهد المقل.

وقبل الحديث عن بعض السلبيات الخُلقية التي توارثناها من آدم يحسن بنا أن نوجز قصته عليه السلام.

خلق الله الملائكة والجن، ثم خلق آدم من تراب، من طين لازب، من حمأ مسنون، فلما فرغ منه نفخ فيه من روحه، فدبت في الحياة، عندها أمر الله ملائكته بالسجود لآدم، وكان معهم إبليس ـ وهو ليس من الملائكة، بل من الجن بنص القرآن (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) الكهف: ٥٠، فسجد الملائكة أجمعون، وأبى إبليس كبراً وعنصرية، مدلاً بأصله، وغفل عن أن الأصل لا قيمة له أمام أمر الخالق الذي خلق الأصلين «النار والطين»، فطرده الله ـ لسوء أدبه وعصيانه ـ من رحمته، فتمادى في وقاحته، وطلب إمهاله إلى يوم الدين، وتوعد آدم وذريته بالغواية والإفساد والضلال، فأمهله الله. أسكن الله آدم الجنة، وخلق له حواء، وأباح لهما الجنة كلها ما خلا شجرة واحدة، وحذرهما من غواية إبليس، ونبههما إلى وعده الذي قطعه على نفسه بإغواء آدم وذريته.

مكث آدم وحواء في الجنة ما شاء الله لهما، ثم جاءهما إبليس متخفياً، وأخذ يوسوس لهما بالأكل من الشجرة المحرّمة، وآدم يتردد بين القبول والرفض وإبليس لا يني يعد ويذكر ويمني ويقسم لهما... حتى وقعا في حبائله، فأكلا من الشجرة المحرّمة، فبدت لهما سوءاتهما، وأحسّا بالخطأ، والعقوبة جاهزة وكانت النزول من الجنة إلى الأرض، وملابسة الشقاء إلى يوم القيامة، على أي حال كان عليها الآدمي.

هذه صورة موجزة عن قصة آدم ـ عليه السلام ـ كما وردت في أكثر من موضع في سور القرآن الكريم، وفي بعض هذه الآيات التي تحدثت عن قصة آدم تجلّت مجموعة من الصفات الخُلقية «السلوكية» التي طُبع بها آدم، ومن ثمَّ انتقلت وراثياً لأبنائه من بعده، ومن هذه الصفات التي سنقتصر عليها أربع هي: النسيان، وضعف العزم، والعصيان، والغواية.

السلبية الأولى: النسيان

قال تعالى: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) طه: ١١٥، فالنسيان سلبية من سلبيات آدم التي توارثها أبناؤه من بعده، لكن... ما معنى النسيان هنا؟ هل هي نسي بمعنى سها ولم يتذكر لذا وقع في الخطيئة؟! إن كان الأمر كذلك فهذا خارج عن

إرادته، كما أن النسيان بهذا المعنى رحمة من الله تعالى بعباده، وهي نعمة من نعمه الكثيرة، ولولا النسيان بهذه الصورة لتحولت حياة الناس إلى جحيم، ولتعطلت مصالحهم وتوقفت عجلة حياتهم ذلك أن العقل البشري محدود، ولو تذكّر كل شيء ما تفاضل الناس، لذا قالوا : آفة العلم النسيان، ولربما انفجر العقل لتجاوز قدرته على الاستيعاب.

ومن طرف آخر النسيان رحمة بالناس، لأنهم لو ظلوا يتذكرون عزيزاً مات لدام الحزن عليه ولأورثهم ذلك فتوراً وهبوطاً في الأداء وانصرافاً عن الحياة، ولو ظل الإنسان يتذكر مصائبه وفواجعه وتوارثه لتحولت حياته إلى جحيم يخلو من ضحكة أو بسمة، ولو ظل يتذكر مخاوفه التي تقلقه لتحولت حياته إلى كوابيس مفزعة... ولو... ولو... فالنسيان هنا رحمة الله بعباده...!!

نحن نتوارث سلبية معصية الله والوقوع في الخطأ حتى قال رسول ﷺ : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »

فكيف يتفق إذاً النسيان بأنه سلبية من سلبيات آدم التي توارثها أبناؤه من بعده، وهو في الوقت نفسه رحمة من الله بهم، هذا تناقض مرفوض، إلا إذا كان للنسيان معنى آخر غير السهو وعدم التذكر.

لو رجعنا لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن النسيان لوجدنا معنى آخر لهذه الكلمة، ففي قوله تعالى (نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) التوبة: ٦٧، وفي قوله تعالى: (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) الأعراف: ٥١، ففي كلمتي «فنسيهم» و «ننساهم» نسبة النسيان لله ـ عز وجل ـ والله تعالى لا ينسى بمعنى يسهو، فهو الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعزب عن علمه شيء، لذا فالمعنى الأقرب أن تكون احتقاراً لشأنهم، وإعراضاً عنهم وسخطاً عليهم، وهذا أول درجات العقاب الإلهي لهم.

ومما يؤيد هذا المعنى في قصة آدم أن مراودة إبليس لآدم كانت أمام الشجرة المحرّمة، وهذا ينفي النسيان بمعنى السهو، كما أن آدم كان متردداً في قبول كلام إبليس مما استدعى منه ـ أي إبليس ـ طول المحاورة وبث الأماني وتأكيد النصح بالأيمان المغلظة... وكل هذا ينفي النسيان بمعنى السهو، فيكون النسيان من آدم هنا بمعنى الترك عن علم وقصد لا عن سهو وعدم تذكر، وهذه سلبية توارثها بنو آدم عنه، فما من معصية كبيرة واضحة إلا وترتكب عن علم بحرمتها، فتارك الصيام في رمضان، وتارك الصلاة، والزاني وشارب الخمر وآكل الربا... كل هؤلاء لايجهلون حرمة ما يرتكبون وليسوا ساهين عن حقيقتها، لكنهم واقعون في المعصية عن علم، وهو إعراض منهم عن أمر الله.

السلبية الثانية: ضعف العزم

وهي قول الله تعالى: (فنسي ولم نجد له عزماً) طه: ١١٥، والعزم: الصبر، التصميم، قوة الإرادة، المثابرة.

والعزم أهم أركان النجاح والفلاح في كل شيء، وما نجد ناجحاً في أمر إلا وجدنا أهم مقومات نجاحه العزم، والعزم يحتاجه كل أمر في الحياة: العبادة، الدراسة، التجارة، الدعوة، البناء... كل شيء في الحياة يحتاج إلى عزم.

وكل إنسان طموح بطبعه، يتمنى الارتقاء، لكن الناس يتفاوتون في قوة العزم لذا تختلف أقدارهم في تحقيق طموحاتهم، يبدأ المرء في مشروعه ـ أياً كان ـ ثم لا يلبث أن يتراجع وتفتر همته، فيفشل ويموت الطموح... فالناجح من ثابر وواصل الجهد بتصميم وإصرار.

ولعل ظاهرة غريبة تلفت النظر، وذلك أن نسبة كبيرة من المسلمين تحفظ أوائل سورة البقرة وآيات منها... ما السر في ذلك؟ والأمر عندي أن نفحات الله تترى على عباده، فتصيب الواحد منهم نفحة إيمانية قوية تبعث فيه الرغبة في حفظ القرآن عن ظهر قلب، كما يحفظه فلان ... وفلان ... وفلان ... من مشاهير القراء أو الأئمة أو الحفاظ، فيبدأ بالبقرة، ويحفظ آيات أو صفحات ثم يفتر العزم، وفتور العزم يتفاوت من شخص لآخر، لذا تتفاوت أقدارهم في المحفوظ من القرآن الكريم ... وهكذا.

وقل مثل ذلك في الدراسة، والتجارة، والعبادات، والجهاد... وقد يظن ظان أن نجاح الناجحين تم لهم بيسر وسهولة، وهذا خطأ محض، إنما كان وراءه عزم وتصميم ومثابرة، ولو تتبعنا أسباب النجاح عند نفر من الناس في مجالاتهم لوجدنا أسس النجاح وأساسه العزم بعد توفيق الله.

قال عتبة الغلام ـ أحد العُبَّاد ـ: كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة (٢).

وقال البخاري ـ رحمه الله ـ: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين(٣).

في الدول المتقدمة يحاسب الشعب حكامه ويلاحقهم في المجالس النيابية بينما في العالم الثالث لا يحق لأحد أن ينتقد الزعماء

وقال أبو الحجاج الأقصري: لقد حصل عندي مرة فتور وكلال من طول مكابدة الليالي في الشتاء، فأعانني الله بأبي جعران(٤)، وذلك إنني نظرت إليه وهو يجهد أن يصعد منارة السراج، لأجل القرب من النار، فلم يزل يزلق ويقع إلى الصبح، لكونها ملساء، فعددت عليه تلك الليلة سبعمئة وقعة وهو لا يرجع، فقلت في نفسي: سبعمئة وقعة وهو لا يرجع عن مطلوبه، وأنت ترجع من دون ذلك، ثم خرجت إلى صلاة الصبح، ورجعت فوجدته جالساً فوق المنارة بجانب الفتيلة، فأخذت من ذلك ما أخذت(٥)، فكان ذلك من جنود الله لي، فالحمد لله على ذلك(٦).

السلبية الثالثة: العصيان

وقد وردت في قوله تعالى: (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى) طه: ١٢١، والعصيان خطيئة، ومنذ المعصية الأولى لآدم - الخطأ الأول - ونحن نتوارث هذه السلبية: معصية الله والوقوع في الخطأ، حتى قال رسول - ﷺ - : «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»(٧)

وهذا التعميم لا يستثني أحداً، فالذي لايخطئ هو الله جل جلاله، وأما سائر بني آدم فكلهم خطاء، منذ آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حتى الأنبياء يخطئون، فالعصمة لهم في مجال التبليغ عن الله فقط، وأما الحياة العادية فالخطأ وارد فيها، مع تنزيههم عن الأخطاء التي تثلب المروءة كالكذب والسرقة والزنا ... إلخ، أما التصرفات العادية فمجال الخطأ فيها وارد، ونسوق بعض النماذج:

في بعض الآيات التي تحدثت عن قصة آدم عليه السلام تجلّت مجموعة من الصفات الخُلقية «السلوكية» التي طُبع بها آدم عليه السلام

آدم - عليه السلام - أخطأ في الأكل من الشجرة المحرّمة، ومعه حواء.

نوح - عليه السلام - طلب النجاة لابنه (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) هود: ٤٥ - ٤٦، واللوم والعتاب والوعظ مظاهر متفاوتة تنم عن خطأ ما.

وإبراهيم - عليه السلام - لا يجرؤ على طلب الشفاعة للناس يوم الحشر فيقول لهم: «لست هناكم - ويذكر كذبات كذبهن - وهي في الحقيقة معاريض».(٨)

وموسى - عليه السلام - يقتل نفساً خطأ ويفر من القوم (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) القصص: ١٥.

وعيسى - عليه السلام - يسأله ربه سؤال عتاب: (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب) المائدة: ١١٦، فينفي هذه الشبهة التي دلست عليه، والعتاب واللوم مظهر من مظاهر التخطيء كما أسلفنا.

ومحمد - ﷺ - يعاتبه ربه - سبحانه وتعالى - ويخطّئ بعض تصرفاته في أكثر من حادثة وفي غير آية من القرآن الكريم، منها:

أ - آية التحريم: (يأيها النبي لم تحرّم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم) التحريم: ١.

ب - آية التوبة: (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) التوبة: ٤٣، وهي في شأن المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك.

ج - وآية الأنفال: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) الأنفال: ٦٧، وذلك لما أخذوا الفداء من أسرى بدر.

د. وآية عبس: (عبس وتولى. أن جاءه الأعمى) عبس: ١ - ٢.

لما انشغل بكبار الكفار - أملاً في قبولهم الدعوة - عن عبدالله بن أم مكتوم وقد كان كفيفاً فقيراً صالحاً.

ولعل في حادثة التأبير خير دليل على ما نقول، فعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - ﷺ - سمع أصواتاً فقال: ما هذه الأصوات؟ قالوا: النخل يؤبرونه(٩) يا رسول الله، فقال: لو لم يفعلوا لصح(١٠) فلم يؤبروا عامئذ فصار شيصاً(١١) فذكروا ذلك للنبي - ﷺ - فقال: إذا كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به(١٢)، وإذا كان شيئاً من أمر دينكم فإليّ.(١٣) فما يبلغهم إياه عن ربه عز وجل يتعلق بدينهم فلا مرية فيه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأما أمور معاشهم ودنياهم التي لا يدعمها نص قرآني أو توجيه مباشر يراح منه رائحة الأمر الرباني، فهذا راجع لخبرتهم في الحياة، تلك الخبرة المكتسبة في مع السنين. فإذا كان الأنبياء والرسل يخطئون في غير التبليغ عن الله تعالى، أو فيما يتعلق بالدين، فما دونهم من البشر يخطئون - مهما علت درجاتهم - ومن زعم أو زُعم له - أو رضي بأن يوصف بعدم الخطأ مطلقاً - فقد ارتكب حماقة كبرى، لأنه يضع نفسه في منزلة الذي لايخطئ، وهو الله تعالى، جل الإله عن الخطأ.

وللأسف الشديد البشرية مليئة بهؤلاء الحمقى، ودول العالم الثالث أشدها بلاء في هذا المضمار، وعالمنا العربي والإسلامي من العالم الثالث بمقاييس السياسيين والاقتصاديين والعسكريين في عالم اليوم. وإذا كان من دول العالم الثالث ما ليس لها دين أصلاً كوثنيي أفريقيا، أو لها دين أرضي - غير سماوي - وضعي، مما يخفف الجرم أو يسوّغ بدرجة ما هذا التألّيه الممارس من الحكام والقادة على شعوبهم، فالمفروض أن العالمين العربي والإسلامي يكون ان أبعد الخلق عن هذه الحماقة لوجود الدين الإسلامي بنصوصه الواضحة القاطعة في ذلك.

النسيان رحمة من الله تعالى بعباده وهي نعمة من نعمه الكثيرة ولولا النسيان لتحولت حياة الناس إلى جحيم

بيد أن الملاحظ أن الدول المتقدمة - التي يطلق عليها الدول العظمى أو العالم الأول حسب التقسيم الآنف الذكر - كأميركا وروسيا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا... وغيرها من الدول يحاسب الشعب حكامه ويخطّئهم، وربما يلاحقهم في الصحف والإذاعة والتلفاز والمجالس النيابية ولا يشكل ذلك عندهم جرماً، بل يعتبر حقاً من حقوق الشعب، ومظهراً من مظاهر الديموقراطية، بينما في العالم الثالث لا يحق لأحد أن ينتقد الزعماء، وإذا حدث هذا شكّل جريمة يعاقب عليها، ويعتبر فعله خرقاً للدساتير والقوانين التي تنص صراحة على عدم تخطيء الزعماء وإلا كان السجن والعقاب. وهذا الفعل الشائن تأليه للزعماء من جانب، وتكميم لأفواه الناس من جانب آخر، ومخالفة شرعية من جانب ثالث، وخيانة للوطن من جانب رابع.

لو تتبعنا أسباب النجاح عند نفر من الناس في مجالاتهم لوجدنا أسس النجاح وأساسه العزم بعد توفيق الله

فأما كونه تأليهاً للزعماء، فلأن الذي لا يخطئ هو الله جل جلاله، وما دونه من بني آدم يخطئون وراثة عن آدم وبشهادة رسول الله - ﷺ -، فهم بذلك ينزلون أنفسهم منزلة الله عز وجل.

وأما أنه تكميم لأفواه الناس، فهذا مناقض لدعوى الديموقراطية التي يزعمون أنهم حماتها، ومنحتهم لشعوبهم!!

وأما المخالفة الشرعية فلقول النبي - ﷺ - «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(١٤)، وقوله - ﷺ - «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان أو أمير جائر»(١٥)، وقوله - ﷺ - «سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»(١٦)، وقوله - ﷺ - «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم»(١٧)، وغيرها من الأحاديث النبوية، فضلاً عن آيات القرآن الكريم في الموضوع ذاته وهي أشهر من أن ينص عليها.

وأما أن السكوت على الخطأ خيانة للوطن، فلأنه يدفع الزعماء للتمادي في الباطل بما يزين لهم المحيطون بهم - بطانة السوء - أفعالهم، ويمدحونهم حقاً وباطلاً، فيمسي الزعيم لا يرى إلا رأيه، وما في ذلك من وبال على الناس والوطن، فالسكوت هنا قرين الخيانة.

الاستعداد للغواية سلبية قاتلة وفيها امتحان للإرادة ومقدار الاستعلاء على نوازع الشر والخطيئة في النفس البشرية

ومن العجب أن هذا الداء - وَهْمُ عدم الخطأ وفعل الصواب دائماً لدرجة العصمة مستشر عند الزعماء العرب والمسلمين، رغم كل دعواهم بالديموقراطية والحرية واحترام الشعب... إلخ هذه العبارات المحفوظة.

ولما رجعت بالذاكرة للوراء، وجدت أن الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - كانوا يقبلون التخطيء ولا يعاقبون عليه، بل يثيبون فاعله، بقبول رأيه أو الدعاء له، حتى في زمن معاوية - رضي الله عنه - وملكه العضوض لم يتخل عن هذه الخلة الطيبة، بل كانت له أقوال سارت مسار المثل، ومن ذلك قوله «لو كان بيني وبين الناس شعرة ما قطعت، لو شدوها أرخيتها، ولو أرخوها شددتها»، وقوله: «لا نحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا».

ثم بدأ الانحراف نحو الكبت وتكميم أفواه الناس بدرجات متفاوتة، حتى إذا كانت الدولة العباسية العظمى، بدأت تظهر للخلفاء ألقاب توحي لك بالعصمة والتأييد من الله مثل: المنصور، الهادي، المهدي، الرشيد، المعتصم، الموفق، المعتمد، المعتضد... إلخ، وبالتالي بدأت تغيب سمة النصح وتخطيء الحكام، حتى إذا آلت الدولة العربية في الأندلس إلى الضعف في أخريات أيامها، وتشرذمت المنطقة إلى دويلات ما يعرف بالطوائف، حيث على كل مدينة ملك: اشبيلية، قرطبة، غرناطة، بلنسية... وغيرها، رأيناهم يتشبهون بخلفاء بني العباس في دولتهم العظمى، بألقاب تسبق أسماءهم تشي بالعصمة والتأييد من الله، فأنى لهم الخطأ، وكيف يجرؤ أحد على تخطيء من هذا شأنه، حتى قال شاعر أندلسي في ذلك:

مما يُزهّدني في أرض أندلس

ألقاب معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها

كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وانتهت الأندلس إلى ما انتهت إليه.

والحقيقة أني لا أتصور أن هناك حاكماً أو زعيماً يقول للناس: ضعوا في الدستور أو القانون عقوبة لمن ينتقدني - والنقد تخطيء - لكن تطوعت بذلك حاشية النفاق من حوله، وبطانة السوء التي تتزلف حصداً لمنافع تعود عليها، فصادف ذلك هوى في نفس الزعماء، فاستقرت نصوص الدساتير وبقيت القوانين، ولو أنهم لا يرضون بذلك لعملوا على إلغائها، ويذكرني هذا الانحراف بما قاله شاعر أندلسي لأحد حكامها مادحاً مدحاً خرج عن الحدود إذ يقول:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ

فاحكمْ فأنت الواحدُ القهارُ

وهذا كفر صراح، ولو كان الشاعر يعلم أن الحاكم لن يرضى عن ذلك ما قاله، ولكنه قاله لعلمه أنه يصادف هوى عنده، ولم نسمع أن ذلك الحاكم عاقبه على كفره هذا، بل ربما كافأه، وهكذا يلتقي النفاق مع ضلالات

الهوى فينتج انحرافاً يؤدي إلى الخراب، وتحصد صابه وعلقمه الأمة كلها.

وما أتمناه في حياتي وقبل موتي أن تختفي هذه الظاهرة من أمة العرب وأمة الإسلام، بل أتمنى لو أن حاكماً وهو في أوج حكمه وسلطانه وهيلمانه، أقدم على خطوات جريئة فألغى هذه النصوص من الدستور والقانون التي تحول أو تعاقب من يجرؤ على نقده، ويبدأ بنفسه فيخرج للناس كتاباً يعترف فيه بأخطائه التي وقع فيها في حياته، أو على أقل تقدير في فترة حكمه إلى صدور الكتاب لأنه في النهاية ليس هو إلهاً، ولا نبياً، وإنما هو بشر يخطئ ويصيب كما قال النبي - ﷺ - : «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»(١٨)، ورحم الله الشاعر الذي يقول:

وما أبرئُ نفس إنني بشر
أسهو وأخطئ ما لم يحمني قدر
وما ترى عذراً أولى بذي زلل
من أن يقول مقراً إنني بشر

والاعتراف بالخطأ أولى خطوات الإصلاح، ومؤشر على حسن النية.

السلبية الرابعة : الاستعداد للغواية

وهذه سلبية قاتلة، وفيها امتحان للإرادة، ومقدار الاستعلاء على نوازع الشر، وإبليس يعلم هذا من آدم وذريته - أو هذا ما بنى عليه تهديده - إذ قال: (قال ربِّ بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين) الحجر: ٣٩ - ٤٠.

وكان أول إغواء له، ما وقع مع آدم لما وسوس إليه أن يأكل من الشجرة المحرّمة واعداً إياه بالخلد وملك لا يبلى (وعصى آدم ربه فغوى) طه: ١٢١، ثم توالت إغواءاته لبنيه من بعده، ولا ينجو من الإغواء إلا من عصم الله، وجاهد إبليس حق المجاهدة. والإغواء بمعنى الضلال والفساد والانحراف عن الحق، وكلها تعني - من طرف آخر - القابلية للتأثر.

وهذا يعني أن كل فرد من بني آدم عنده جزء في شخصيته قابل للتأثر بالآخرين شاء أم أبى، إلا أنهم يتفاضلون ويتفاوتون في سعة وضيق هذا الجزء فقط، ومن هنا ينشأ الاختلاف والتباين بين الأفراد، أما الأساس - وهو الاستعداد للغواية - فموجود ومستقر في الشخصية.

وعلى هذه الحقيقة تنبني تصرفات وسلوكيات كثيرة، فمحطات التلفاز الفضائية والعادية والإذاعات ووكالات الأنباء والصحف والجرائد والمجلات والإعلام عموماً إنما يقوم على مبدأ التأثير في الآخرين وتمييل رؤوسهم نحو الهدف الذي تخطط له هذه الجهات وترمي إلى تحقيقه.

الإعلانات بشتى أنواعها تجارية، وفنية، وثقافية... تعتمد على هذه الحقيقة وتعمل لاستغلالها أصدق استغلال، بل هناك تخصص جامعي معروف وهو «التسويق» في كلية العلوم الإدارية والاقتصاد مهمته إخراج طلاب يجيدون التخطيط لاستغلال هذه الخاصية عند الإنسان - القابلية للتأثر بالآخرين.

حتى في مجال النصب والاحتيال، وما يقوم بذلك إلا الأذكياء الذين وظفوا طاقاتهم في مجال الشر، معتمدين على هذه الخاصية المستكنة في الإنسان من حيث هو إنسان، ولذلك تتكرر حوادث النصب وتتنوع وتتطور، ولكنها لا تخرج عن المبدأ نفسه: طرف يملك قوة التأثير، وطرف قابل للتأثر، وهذه سلبية قاتلة كما قلت، ما لم يحتط لها المرء.

هذه بعض سلبيات أبينا آدم التي توارثناها عنه، وميراثنا منه في هذا الجانب قابل للتفاوت بمقدار تفاوت الأفراد في مجاهدة النفوس وقسرها على الاستقامة حتى تتعايش بأقل ضرر ممكن قد يتسرب عن هذه السلبيات. ■

الهوامش :

١ - حديث صحيح. رواه أبو داود، رياض الصالحين - باب حسن الخلق ص ٢٧٣.
٢ - صفة الصفوة ج٣ ٣٧٣.
٣ - صفة الصفوة ج٣ ص ١٧٠، وصحيح البخاري فيه ٩٠٨٢ حديثاً بالمكرر والموصول والمعلق، كما قال الحافظ في الفتح - انظر كتاب البخاري للندوي ص ١٠٦.
٤ - الجِعران: الجُعَل حشرة سوداء كالخنفساء تكثر في المواطن الندية.
٥ - أي من العبرة والدرس.
٦ - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية لعبدالوهاب الشعراني ج١ ص ١٤٥.
٧ - رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد، الترغيب والترهيب ج٤ ص ٩١ رقم١١.
٨ - الحديث متفق عليه من رواية أنس - رضي الله عنه - مشكاة المصابيح ج٣ ص ٦٩ رقم ٥٥٧٢.
٩ - التأبير: نثر حبوب اللقاح المذكرة على رؤوس النخل المؤنثة.
١٠ - لأن المشاهد المحسوس أن كثيراً من الأشجار والأزهار يتم فيها التلقيح من دون تدخل الإنسان، وذلك بفعل الرياح، والنحل، والنمل، والفراشات وغيرها من الحشرات والكائنات الصغيرة، وهذا اجتهاد شخصي منه - صلى الله عليه وسلم - وليس عن خبرة زراعية كالتي كانت متوافرة عند أهل المدينة وهم أصحاب نخل.
١١ - الشيص: تمر لم يتم نضجه لعدم - أو لسوء - تأبيره، أو لفساد آخر.
١٢ - لأنه راجع لخبرة طويلة وممارسة متكررة يظهر فيها الصواب من الخطأ.
١٣ - مسند الإمام أحمد ج٦ ص ١٢٣.
١٤ - رواه مسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي، الترغيب والترهيب ج٣ ص ٢٢٣ رقم ١.
١٥ - رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وابن ماجة، الترغيب والترهيب ج٣ ص ٢٢٥ رقم ٥.
١٦ - رواه الترمذي والحاكم، وقال الحاكم صحيح الإسناد، الترغيب والترهيب ج٣ ص ٢٢٥ رقم ٨.
١٧ - رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب. الترغيب والترهيب ج٣ ص ٢٢٧ رقم ١٣.
١٨ - رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد، الترغيب والترهيب ج٤ ص ٩١ رقم ١١.

حوار

حـوار مع الدكتور عبدالباسـط بدر:

الأدب الإسلامي يمكن أن يسهم في إضاءة القضايا الإسلامية

الدكتور عبدالباسط بدر «ناقد أدبي» وأستاذ في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية التقيناه وأجرينا معه هذا اللقاء:

● كيف يُفسر مفهوم الأدب الإسلامي؟

ـ الأدب الإسلامي: هو كل عمل أدبي يتضمن عاطفة إيمانية، أو يعالج قضية إسلامية معالجة إيجابية بشكل من الأشكال، فالذي يعالج مشكلة اجتماعية من منظور إسلامي، يدخل في نطاق الأدب الإسلامي، فالأدب الإسلامي: أدب واسع وشامل، فهو كل عمل أدبي يعرض موضوعاً ما من وجهة نظر إسلامية، وعليه: فكل نص أدبي يحمل قضية أو فكرة أو عاطفة إسلامية أو يهدف إلى تعزيز قيمة من القيم الإسلامية يعتبر أدباً إسلامياً، وهناك تعريف رابطة الأدب: هو التعبير الفني الجميل عن الإنسان، والحياة، والكون من زاوية التصور الإسلامي، وكل هذه التعريفات تلتقي في نقطة واحدة، كل عمل أدبي يحمل وجهة نظر إسلامية يعتبر عملاً إسلامياً.

الأدب الإسلامي يعالج القضايا الإنسانية جمعاء

● أرجو أن تذكر لنا بعض القضايا التي يعالجها الأدب الإسلامي؟

ـ الأدب الإسلامي يعالج قضايا الإنسان بأكملها، فهو يعالج معاناة الإنسان المسلم، ومعاناة المجتمع المسلم، ووضع المشكلات والسلبيات التي يعيشها بدءاً من قضايا الجراحات النازفة على أرض فلسطين وأفغانستان، والبوسنة والهرسك، وكوسوفا وكشمير، وفي كثير من أنحاء العالم إلى جانب القضايا الشخصية المسلمة المعاصرة، وقضايا مواجهة التغريب، وقضايا العائلة المسلمة، والإنسان المسلم الناجح، قضايا



● د. عبدالباسـط بـدر

حاوره: إسماعيل فتح الله سلامة

التعامل مع الحياة. فالأدب الإسلامي يعالج قضايا الحياة بكاملها.

الأدب الإسلامي «أدب شمولي».

● ما الموضوعات التي يمكن أن يسهم فيها الأدب الإسلامي؟

ـ كل موضوع من موضوعات الحياة يمكن أن يسهم فيها الأدب الإسلامي، لأن الإسلام شمولي وجاء إطاراً للحياة كلها فلا يوجد سلوك عند الإنسان إلا وللإسلام فيه حكم. والأدب الإسلامي عندما أضفناه للإسلام اكتسب منه الشمول فالموضوعات التي يعالجها الأدب الإسلامي هي موضوعات الحياة كلها بسلبياتها وإيجابياتها، موضوعات الرجل والمرأة موضوعات الشعوب بأكملها، والمجتمعات، والأمم، والحرية، والمسؤولية حتى الجنس ممكن أن يعالجه الأديب المسلم بنص أدبي جميل ونظيف، فيبين أثر الهبوط في الأخلاق على الفضيلة، ومكافحة الانحلال في مجتمع ما من خلال قصة أو مسرحية أو من خلال قصيدة شعرية، فيظهر سلبيات الهبوط من خلال العرض لأن الأدب الإسلامي له أسلوبه المميز في العرض.

● هل يوجد مسرح إسلامي؟

ـ نعم المسرح الإسلامي موجود في واجهتين ما الأولى: الواجهة التراثية التي تقدم لنا الأحداث التاريخية العظيمة بدءاً من أثر الأنبياء في الشعوب إلى المعارك الكبرى من غزوة بدر ـ تبوك ـ حطين، إلى الشخصيات الإسلامية مثل صلاح الدين الأيوبي، هذا جانب، أما الجانب الآخر المعاصر، كالذي يقدم في بعض المدارس، والذي ينضبط بقواعد المسرح الإسلامي الذي لا يجرح أي قاعدة إسلامية.

الشعر الحديث ليس بديلاً عن التراث

● ما رأي سعادتكم في الشعر الحديث؟

ـ الشعر الحديث أرضية واسعة: فيها كل شيء، فالتجارب الشعرية ليست محظورة على الأديب المسلم، وليس هذا بديلاً عن التراث. قد يكون عندي شاعرٌ يكتب قصيدة بالتفعيلة العروضية المعروفة، وقد يكتب قصيدة دون ذلك فلا بأس من ذلك إذا كان ناجحاً.

وعندنا شعراء إسلاميون كتبوا بالشكلين العمودي والتفعيلة، أمثال الحسناوي، والعشماوي ـ رحمه الله ـ ونجحوا فعندما يكون الشاعر عنده القدرة الشعرية والموهبة يستطيع أن يكتب بالشكلين، لكن الشاعر العاجز أو الشاعر الذي يريد أن يحطم التراث ويجعل شعره بديلاً عن التراث هذا نرفضه، ولا شك أن الشعر العامي يشكل خطورة على التراث، وقد يفيد فئة بسيطة من الناس، إلا أنه مع زحف الثقافة والعودة إلى الأصالة سينتهي.

من مهمات الأدب الإسلامي تبرير القيم الإسلامية

● **ما المهمة التي يمكن ان يؤديها الأدب الإسلامي؟**

- أجاب الدكتور عبدالباسط بدر: عضو رابطة الأدب الإسلامي: هناك مهمات كثيرة:

أولها: تعزيز القيم الإسلامية.

ثانيها: التربية: الأدب أصبح الآن جزءاً من المنهج التربوي حيث نجده في أناشيد الأطفال في مدارس «الحضانة»، وفي المدارس الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، فهو جزء من المنهج التربوي، فالأدب الإسلامي هو الذي يقدم لنا النصوص التربوية العظيمة، ثم هناك الوظيفة الجمالية له.

عندما يقدم لنا الأدب الإسلامي نصوصاً جميلة، فإنه يربي ذوق الفرد، وذوق المجتمع تربية إسلامية. إذا أنتج الأديب غير المسلم أدباً يوافق الأدب الإسلامي في مضمونه، نأخذه ونشجعه، ولكن لا نسميه أدباً إسلامياً.

● **هل هناك فرق بين الأدب الإسلامي والأدب المسلم؟**

- قال الرسول - ﷺ - «قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن» الإنسان المسلم قد يمر بفترة صفاء في العقيدة وقد يمر بفترة معصية، فإذا أنتج أدباً فيه معصية، فهذا أدب فاسد، أما إذا أنتج أدباً فيه صفاء في العقيدة، فهذا أدب إسلامي، هذا بالنسبة للمسلم، أما غير المسلم فإن ما ينتجه من أدب مثل الشاعر «طاغور» حين يتحدث عن محبة الله، وحسن التعامل بين الناس، فقد ينتج أدباً يوافق الأدب الإسلامي، لكن لا يمكن أن نعتبره أدباً إسلامياً، لأن طاغور مهما قدّم من إنتاج قريب من الرؤية الإسلامية لديه خصائص هندوسية في فهم الذات الإلهية، وفهم العلاقة البشرية، تختلف عنها عند المسلمين، فلا بد من أن يظهر أثر هذا الفهم في جزء من عمله الأدبي، ولذلك لانستطيع أن نسميه أدباً إسلامياً، لكن هناك جزء منه يوافق الإسلام، نأخذه ونشجعه، وما يخالف أقول هذا خارج عن الإسلام.

سمات الأديب المسلم «حسن الإيمان»

● **ما سمات الأديب المسلم؟**

أولاً: حُسن الخلق: لايكفي أن يكون الأديب مسلماً، ولكن لابد أن يكون مؤمناً: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) الحجرات:١٤، فيمكن أن يكون الإنسان مسلماً وتصدر عنه أفعال لا تليق بالمؤمن، لكن الأديب الإسلامي هو أديب مؤمن وملتزم، بمعنى أنَّ أدبه يهتم بقضايا الشخصية المسلمة، وقضايا المجتمع الإسلامي اهتماماً طوعياً اختيارياً كما تتجه إلى الصلاة بدافع من أعماقك دون أن يدفعك أحد كذلك الأديب المسلم عندما يسمع بحدث يتفاعل وجدانه، وينفجر النص الأدبي تلقائياً معالجاً، القضية الإسلامية بوجدانه، وليس بشيء مفروض عليه، إذاً يمتاز الأديب المسلم بالإيمان والواقعية الإيجابية، وهو يرى انتصار الحق دائماً هذه هي أهم صفات الأديب المسلم.

● **يقوم بعض الكتاب العلمانيين بالهجوم على الإسلام والمسلمين، فهل يوجد في رابطة الأدب الإسلامي من يرد على هؤلاء؟**

- لا يفل الحديد إلا الحديد - كما يقولون - الناقد لا يواجهه إلا ناقد أو أديب ، والمفكر لايواجهه إلا مفكراً والسياسي لا يواجهه إلا سياسي، فالتماثل هو أساس المواجهة.

فمواجهة هذه الثغرات في المجتمعات الإسلامية «العلمانية» تكون عبر الأدب، هؤلاء الكتاب العلمانيون يريدون ضرب المجتمع المسلم بالأدب، والرد عليهم أنه بعد أن هاجر الرسول - ﷺ - من مكة إلى المدينة المنورة، بدأت قريش المعركة ضد المسلمين، والرسول - ﷺ - لم يرد عليهم، ولكنه أمر حسان، وكعباً بالرد عليهم، فكانت المعركة الشعرية الأولى، كذلك الآن فتحت ثغرات في الأدب، وثغرات في النقد، لضرب المجتمع المسلم، وضرب الفكرة الإسلامية عبر الأدب، ولا نستطيع الرد عليها إلا عبر الأدب وعبر النقد.

الأدب الإسلامي يمكن أن يسهم في إضاءة القضايا الإسلامية

● **ما المجالات التي يمكن أن يسهم فيها الأدب الإسلامي ومن هم الأدباء الإسلاميون الذين يستطيعون أن يقوموا بخدمة القضايا الإسلامية؟**

- يمكن للأدب الإسلامي أن يسهم في إضاءة القضايا الإسلامية، فالأديب يملك قدرة على حشد المشاعر، فالشعراء عندما ينظمون القصائد، والكتاب عندما يكتبون القصص، والمسرحيات الإسلامية، تعتبر هذه قضية محورية من قضايا المجتمع الإسلامي، والفرد المسلم يضيء هذه القضية ويعالجها، فالأدب قادر على إثارة المشاعر، وتحريك جماهير القراء ووجدانهم نحو القضية الإسلامية التي يهدف إليها، وهذا ليس بقليل، واذكر في التاريخ الإسلامي قتيبة بن مسلم كان يصطحب معه في جيوش الفتح الإسلامي الشعراء والخطباء لكي يستثيروا مشاعر المجاهدين، ويرفعوا من معنوياتهم، فكذلك الأديب المسلم عليه أن يقوم بدوره الإسلامي الذي يخدم الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم.

● **هناك جهات كثيرة تقدم المساعدة للأدباء و«الكتّاب» العلمانيين فما الجهات التي تقدم المساعدة للأدباء الإسلاميين؟**

- الذي يساعد الإسلاميين هي الجهات الإسلامية الصادقة التي تتحرك لصالح الإسلام، وكل مسلم يتفهم القضية وجدنا عنده الحماس، والجهات التي تساعد هي التي لديها القدرة على المساعدة. «والحمد لله» هناك جهات إسلامية واعية تدرك أهمية الأدب الإسلامي، فهذه الجهات تفتح الأبواب، وتساعد في قضية الأدب الإسلامي. هناك دواوين شعرية في مأساة البوسنة والهرسك.

● **كيف كان تأثير أحداث البوسنة والهرسك في الأدب الإسلامي؟**

- الأدب بطبيعته حساس، فلقد ظهرت كتابات، وإسهامات تبين الجانب المأساوي في حياة المسلم المعاصر، فلقد أصدرت رابطة الأدب الإسلامي ديواناً جمعت فيه الشعر الذي قيل في البوسنة والهرسك، أو بعض ما قيل ومعظمه لأعضاء الرابطة، وهناك دواوين بأكملها مثل ديوان «الدكتور عدنان النحوي» والحقيقة أن الشعراء الإسلاميين ماتركوا هذه المأساة تمر دون أن يتأثروا بها.

ولذلك صدرت أعمال كثيرة في البوسنة والهرسك، وهناك أعمال ترجمت إلى العربية، حيث يوجد أعمال أدبية كثيرة في كثير من البلاد الإسلامية ففي أفغانستان وأفريقيا، تركيا، ومعظم الدول الإسلامية اهتدت لهذا الحدث ولهذه الأعمال البشعة.

لقد فرقتنا السياسة ويجمعنا الإسلام

● **هل يمكن ان يساعد الأدب الإسلامي في التضامن الإسلامي؟**

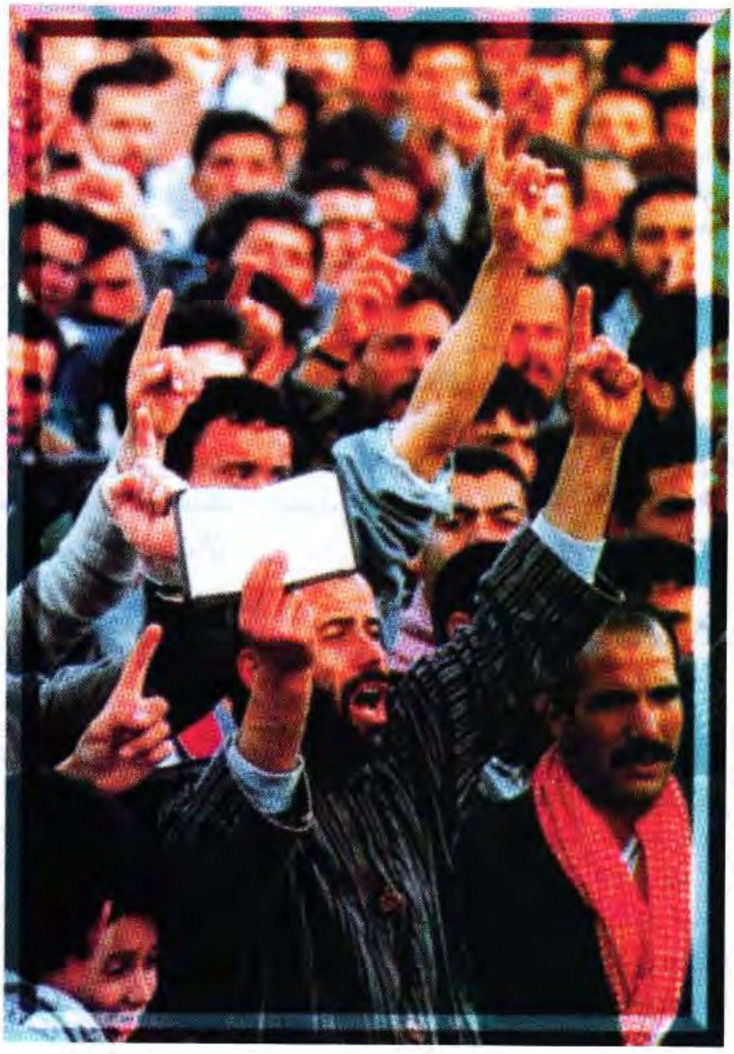
- لا شك أننا فرقتنا السياسة ويجمعنا الإسلام، وعندنا الأدب الذي ينتسب إلى الإسلام الذي يجمعنا ورابطة الأدب الإسلامي نموذج لهذا التجمع رئيسها الشيخ حسن الندوي، وهو من الدعاة إلى الله، هندي الجنسية، وتضم الرابطة أدباء من كل البلاد الإسلامية، ورابطة الأدب الإسلامي نموذج لهذا التوحد والتضامن وهي تصدر مجلة «الأدب الإسلامي». ■

قضايا

فض الاشتباك بين الدين والسياسة

كثيراً ما تثور الخلافات، بل التناقضات بين السياسيين وهؤلاء الذين يسعون إلى جعل الدين المظلة الواقية للمجتمع والمنطلق الذي ينطلق منه الأفراد والجماعات والمصدر الذي تؤخذ منه القوانين وتسن من خلاله اللوائح، أي هؤلاء الذين يريدون أن يكون الدين منهج حياة وبرنامج عمل، وفي الحقيقة أنه لايكاد يوجد نظام سياسي معاصر يتوافق مع هؤلاء الذين يريدون أن يكون للدين الكلمة العليا في مختلف مناحي الحياة، فأهل السياسة لايحبون رقابة على أعمالهم وقرارتهم، ويعتبرون التعاليم الدينية قيوداً تحد من حركتهم وتحول بينهم وبين تفردهم بالقرارات، ولاتمكن لهم من حرية التصرف.

بقلم : أ.د: محيي الدين عبدالحليم



كثيراً ما تثور الخلافات، بل التناقضات بين السياسيين وهؤلاء الذين يسعون إلى جعل الدين المظلة الواقية للمجتمع والمنطلق الذي ينطلق منه الأفراد والجماعات والمصدر الذي تؤخذ منه القوانين وتسن من خلاله اللوائح، أي هؤلاء الذين يريدون أن يكون الدين منهج حياة وبرنامج عمل، وفي الحقيقة أنه لايكاد يوجد نظام سياسي معاصر يتوافق مع هؤلاء الذين يريدون أن يكون للدين الكلمة العليا في مختلف مناحي الحياة، فأهل السياسة لايحبون رقابة على أعمالهم وقرارتهم، ويعتبرون التعاليم الدينية قيوداً تحد من حركتهم وتحول بينهم وبين تفردهم بالقرارات، ولاتمكن لهم من حرية التصرف.

ويتضح هذا جلياً في الدول الإسلامية بصفة خاصة، والأمثلة على ذلك كثيرة، وليس أدل على ذلك الأمر من الصراع الدائر الآن في تركيا والجزائر وأفغانستان والصومال وغيرها، حيث تحولت العلاقة بين السلطة الحاكمة في هذه الدول والجماعات التي ترفع شعار الإسلام إلى صراع دام راح ضحيته الآلاف من المواطنين، ويبدو أن هذا الصراع لن يقف عند حد، بل يزداد حدة حيث تتباعد شقه الخلاف بين الطرفين، على الرغم من بعض المظاهر التي يبدو فيها المناخ هادئاً، ولكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة، فلن يغفر هؤلاء للسلطة ما أقدمت عليه من اعتقال وتعذيب وإعدام لأفراد هذه الجماعات، وفي الجانب الآخر فإن السلطة تسمح لهؤلاء بالمشاركة في الحكم والتعبير عن آرائهم وترجمة أفكارهم إلى واقع عملي في مختلف مجالات الحياة، ولا يريد أي طرف أن يتنازل عن منهجه في الفكر والسلوك، فالسلطة لاتريد حواراً مع هؤلاء، ولا تسمح لهؤلاء بالجلوس معها للنقاش وتبادل الآراء، وعرض وجهات النظر، وتعتبر

نفسها على حق، وأن هؤلاء شرذمة من الخارجين على القانون، كما أن هؤلاء يعتبرون السلطة ظالمة كافرة ترفض شريعة الله ومنهجه في الحياة، ومن ثم وجب إسقاطها حتى تأخذ القوانين الإسلامية طريقها إلى التطبيق العملي حتى يلتزم الحاكم بما أمر الله، ويستند كل فريق إلى آيات قرآنية يؤكد بها وجهة نظره، فالسلطة ترى أن طاعة الحاكم واجبة مصداقاً لقوله تعالى في سورة النساء في الآية ٥٩: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، والجماعات الإسلامية تنطلق في منهجها من الآية الكريمة ٤٤ في سورة المائدة : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون).

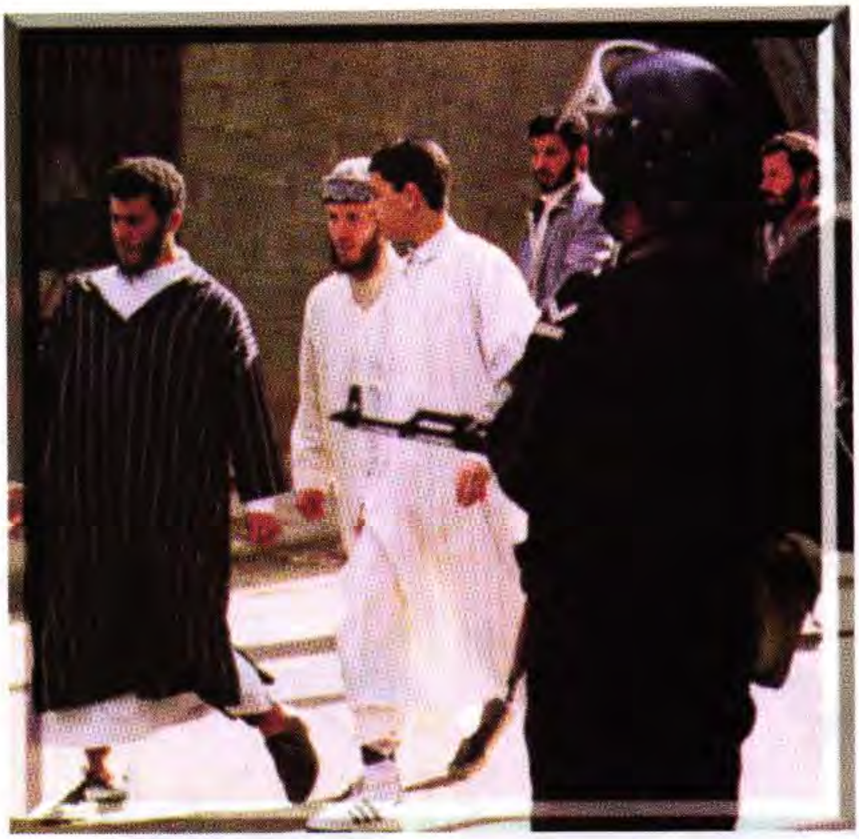
وهكذا يستمر الصراع ويحشد كل فريق ما لديه من قوة وإمكانات للانقضاض على الآخر بكل ما يستطيع من قوة.

وإذا كانت التجارب التاريخية في العالم قد شهدت الكثير من التناقضات والخلافات بين رجال السياسة وعلماء الدين وأتباعهم أدت إلى صراعات مريرة راح ضحيتها الآلاف من القتلى وسقطت بسببها أنظمة وضاعت على أثرها أوطان.

وفي الحقيقة أن سيطرة رجال الدين على السلطة في أوروبا والغرب فترات طويلة قد تركت ردود فعل عميقة لدى المجتمع الغربي بسبب القهر والتسلط والتخلف الحضاري في هذه الحقبة المظلمة من تاريخ أوروبا بسبب تسلط الكنيسة على مقدرات الحياة هناك وهو ما جعلهم يفصلون بين الدين والسياسة فتركوا رجال الدين في الكنائس والأديرة ودور العبادة يقيمون الشعائر ويؤدون العبادات بعيداً عن منهج الحياة السياسية في المجتمع، وترسخت لدى الرأي العام الغربي صورة ذهنية كئيبة عن هذه الفترة من تاريخ أوروبا التي مارس فيها رجال الدين المسيحي كل صنوف السحر والشعوذة والظلم والفساد بدعوى الالتزام بتعاليم العقيدة المسيحية.

وخرجت من بين المجتمع الأوروبي قيادات فكرية تنادي بالإلحاد وتدعو الناس إلى نبذ النظم الدينية، وأقاموا معاهد ومؤسسات لمحاربة الدين والمتدينين في أي موقع، وأسسوا نظماً وإمبراطوريات قامت على الإلحاد، ودامت أكثر من سبعين عاماً.

وانعكست هذه الأوضاع بصورة أو بأخرى على الشرق الإسلامي حيث استهوت هذه الأنظمة الملحدة بعض الزعماء والمسلمين فأقاموا أنظمة للحكم تقترب من هذه الأنظمة الشمولية، وراحوا يحاربون الدين وأهله بكل ما أوتوا من طاقة وجهد، إلا أن الشعوب المسلمة رفضت محاولات الاحتواء والالتفاف التي قادها هؤلاء الزعماء المغامرون، فقد رفضت الشعوب الإسلامية هذه الأوضاع وراحت تقاوم هذه المحاولات المحكوم عليها بالبوار.



التجارب التاريخية في العالم شهدت الكثير من التناقضات بين رجال السياسة وعلماء الدين وأتباعهم أدت إلى صراعات مريرة

واكتشف هؤلاء الزعماء أخيراً استحالة فرض النظام العلماني الغربي على الشعوب الإسلامية التي تتمسك بدينها، ولاترى أملاً في مستقبل لها دون الانطلاق من هذه الحقيقة، ويكفي أن نعرف أن ستاً من الجمهوريات الإسلامية التي وقعت في قبضة النظام الماركسي منذ العام ١٩١٤م، وعانت كل صنوف الاضطهاد، وتعرضت لهجمات قاسية ومحاولات مستميتة للقضاء على هويتها الدينية حتى ظن العالم أن الإسلام في هذه الدول قد انتهى إلى غير رجعة، ثم فجأة وبعد سقوط الاتحاد السوفييتي فوجئ العالم بهذه الشعوب تستيقظ من رقادها رافعة المصاحف معلنة الإسلام منهاجاً لحياتها، وقاتلت قتالاً مريراً لترسخ هويتها الدينية ولعل الشيشان تعد من أبرز النماذج التي تؤكد هذه الحقيقة.

ولقد رأيت في البوسنة هذا الواقع ماثلاً أمامي متجسداً في سلوكيات الناس وأفكارهم هناك بعد أن زال الكابوس الشيوعي الذي ظل جاثماً على أنفاسهم سنوات طويلة، وحين لاحت لهم الفرصة قاموا بتحطيم كل ما له علاقة بهذا النظام وحاربوا من أجل ذلك مضحين بالآلاف من أبنائهم وذويهم، وأصبح لعلماء الدين هناك اليد الطولى والكلمة العليا في مختلف مناحي الحياة.

إن الحل يكمن في ضرورة فض هذا الاشتباك بين الدين والسياسة، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال صياغة موضوعية متجردة يتم فيها تطبيق المنهج الديموقراطي في الحكم لكي يأخذ كل فريق فرصته في التعبير عن آرائه وعرض وجهة نظره دون قهر أو قمع أو استبداد. ■

فكر إسلامي

تميز المجتمع العربي قبل مشرق نور الدين الإسلامي، بتغلب النزعة الفردية فيه، إلا في داخل القبيلة الواحدة، فقد كانت تعد بمثابة البيئة السياسية داخل الحياة البدوية.

وكان من أبرز معالم ذلك المجتمع «قلة العلم»، وتفشي الأمية والجهل فيه، وإن كان هذا لايمنع وجود بعض رجال اتصفوا بالنضوج العقلي، والتفكير الممتاز، فكان الناس يلجؤون إليهم في كل ما يعترضهم من مشكلات، وما يواجههم من صعوبات، وما يقوم بينهم من منازعات، فكانوا يحكمون بينهم في حدود ما أوتوا من العلم، وما اتسعت له أذهانهم من المعرفة.

وعندما جاء الإسلام، وأشرق نوره بين ربوع ذلك المجتمع، انقشع ظلام الجهل، وانزاح ستار التأخر، وزالت سحب الجمود الفكري.

لقد جاء الإسلام بعقيدة ورسالة، جاء بعقيدة دينية كاملة، جامعة شاملة، تنظر في الإنسان، والكون والحياة، وبرسالة إنسانية تصدت لكل ما يصادف الإنسان، وكل ما يعترضه من مشكلات: خلقية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، رسالة تضع لكل مشكلة حلاً دقيقاً حكيماً يناسبها، ويعمل على تلافيها.

الخطوط العامة في ميدان الجانب الاجتماعي من الإسلام

رسالة الإسلام جامعة وشاملة

إن رسالة الإسلام رسالة جامعة وشاملة، تنظم شؤون الحياة بعدالة تامة، وتوجد توافقاً سليماً بين المطالب المادية والروحية، لأنها نظام كامل للحياة الإنسانية بكل ما تقوم عليه من مقومات: في مجال المادة والروح، وفي ضمير الفرد ومحيط الجماعة، وفي المشاعر الفردية، وفي العبادات والمعاملات، وفي نظام الدولة.

وبتعبير أدق: الإسلام نظام خلقي، واجتماعي، واقتصادي، وسياسي، تتحقق في ظله السعادة والاستقرار، ويستتب في ظله الأمن، وينتشر السلام.

ونظام الإسلام لا يضارعه فيه أي نظام آخر، لأن رسالة الإسلام عبارة عن مبادئ فكرية، وعملية، منزلة من عند الحق سبحانه عز وجل، لإرشاد الناس وهدايتهم، وليست من صنع البشر.

ومبادئ الإسلام مبادئ أساسية، ترسم الخطوط العامة للأعمال، والاتجاهات التفصيلية، التي ترتكز عليها هذه المبادئ، والتي تركها الإسلام لمقتضيات الظروف والأحوال المختلفة في كل زمان ومكان، وأتاح للعقل البشري حرية التفكير فيها، مادامت مستمدة من روح الشريعة الإسلامية، وذلك عن طريق الاجتهاد فيما لم يرد فيه نصّ شرعي.

وهذا دليل من أقوى الأدلة على مرونة الإسلام، واستعداده للوفاء بكل ما تتطلبه نواحي الحياة المختلفة حسب ما تقتضيه الظروف، وما يستدعيه التطور الإنساني من حل للمشكلات التي تواجه المسلمين مع مرور الزمان، وعلى مستوى عال، وبروح طيبة، ولم يكن الإسلام في يوم من الأيام عقبة في طريق التقدم الفني أو العلمي، كما يزعم خصومه وأعداؤه.

بقلم: محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

القيم الأساسية في المبادئ الاجتماعية

إن الأساس الذي تقوم عليه المبادئ الاجتماعية في الإسلام، هو: تهذيب النفس البشرية، وتنقيتها، للوصول بها إلى مرتبة الكمال، لكي تكون حياتها توفيقاً بين القلب والعقل، وهذه المرتبة هي التي تحتاج إليها البشرية أشد الاحتياج.

وتجد في القرآن الكريم آية تشتمل على ثلاث كلمات، تضمّنت ـ كما قال القرطبي ـ قواعد التشريع في المأمورات والمنهيات، وفيها كل أصول الأخلاق، وهي قول الحق سبحانه وتعالى: (خذو العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) الأعراف:١٩٩.

ولقد سأل رسول الله ـ ﷺ ـ جبريل ـ عليه السلام ـ عمَّا يراد من هذه الآية القرآنية الكريمة ـ وقد جمعت مكارم الأخلاق ـ، فقال له: «إن الله يأمرك أن تعفوا عمَّن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك»، فالعفو عن الظالم تسامح، وإعطاء المانع تأديب لنفسه، ووصل القاطع مفتاح لقلبه.

وقد جمع رسول الله ـ ﷺ ـ الأخلاق الواردة في هذه الآية القرآنية الكريمة لجابر بن سليم، عندما طلب منه أن يُعلّمه كلمات ينفعه الله سبحانه وتعالى بها، فقال له: «اتق الله، ولا تحقّرن من المعروف شيئاً وأن تلقى أخاك بوجه منبسط، وأن تفرغ دلوك في إناء المستقي، وإن امرؤ سابّك بما لا يعلم منك فلا تسبّه بما تعلم منه، فإن الله جاعل لك أجراً عليه وزراً، ولا تسبنَّ شيئاً مما خولك الله تعالى».

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات القرآنية الكريمة، تبين ما يجب على الإنسان أن يكون عليه، في سلوكه، وفي تصرفاته، وتلك هي

أخلاقه التي تخلّق بها رسول الله - ﷺ - ليعطينا قدوة عملية نحتذيها، ونقتدي بها في سلوكنا وفي تصرفاتنا.

وليس هناك طريق إلى تكامل النفس البشرية غير العمل بالقانون الإلهي، وضبط النفس، والقيام بالرسالة التي استخلف الحق سبحانه وتعالى الإنسان عليها على الأرض، سواء أكان ذلك في حياة الفرد، أم الأسرة، أم المجتمع.

في حياة الفرد

يعد الفرد لبنة في بناء المجتمع، فإن كانت هذه اللبنة قوية ومتماسكة قوي البناء وتماسك، بصلابة وشموخ، وإن كانت اللبنة هشّة وغير متماسكة انهار البناء من أساسه، ولن يجديه في هذه الحال أن تمسكه دعائم أو سنادات. من أجل هذا اعتنى الإسلام بالفرد، وتربيته مادياً ومعنوياً، على أساس من الأخلاق الفاضلة، والعزيمة القوية الصادقة، والهدف النبيل.

وإن نظرة واحدة إلى أهم مقاصد الشريعة الإسلامية من ناحية التشريع في الميدان الفردي الاجتماعي، لترينا مدى السمو الروحي، الذي يرتفع بالإنسان ليكون إنساناً، من جميع الجوانب، ويخدم نفسه، ويخدم المجتمع الذي يعيش فيه.

ففي الجانب النفسي حررت الشريعة الإسلامية الإنسان من الأوهام، والتعلق بالأباطيل، ومنحته قدراً كافياً من الحرية، يحقق به كيانه، ولا يطغى به على الآخرين، ومنحت المجتمع سلطة واسعة في تنظيم العلاقات الاجتماعية، كلما خرجت عن التوازن.

ومن جهة العلاقات بين الناس، فإن الإسلام يستهدف العدالة المطلقة، التي يجب أن تسود بين الناس، في علاقاتهم مع بعضهم بعضاً، حتى مع خصم لم يحدث معه اتفاق في مبدأ، أو تصرف، أو رأي، ما لم يكن قد قام بارتكاب شيء يوجب الدفاع ومحاربته.

ومن حيث التكافل الاجتماعي، فقد حث الإسلام على التكافل الاجتماعي، الذي هو مسؤولية كل فرد في المجتمع عن كل إخوانه.

وحث الإسلام على الدعوة العامة إلى الإصلاح، وتقويم المجتمع، وهو ما يعبر عنه بلسان الشرع بـ «الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر».

ومن ناحية العدالة الاجتماعية، فهي في الإسلام لاتقتصر على السلوك المادي فحسب، بل لها دعامة أخرى، وهي «الضمير الإنساني»، أي: سلوك الإنسان، وتخلقه بما يمليه عليه دينه.

ومن هنا تظهر بوضوح نقطة الفرق بين القانون الوضعي، وبين القانون السماوي، الذي يفترض حتمية شعور الفرد بالمراقبة الحقيقية، على أساس أن المولى سبحانه وتعالى يراقب تصرفات الأفراد، ولا يغيب عنه شيء منها.

ويدعو الإسلام الفرد إلى التحلي بمكارم الأخلاق، ويحضه على التمسك بها، ولقد قال رسول الله - ﷺ - في هذا الشأن: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

وقد وصلت عناية الإسلام إلى الحد الذي جعل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يصفها بأنها متعلق رسالته، وذلك في حديثه الشريف: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وأكثر الرسول - ﷺ - من توصياته في هذا الجانب، حتى قال: «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة: تقوى الله، وحسن الخلق».

ولقد كشف الإسلام عن مدى عنايته بالعلم، وحفاوته به، ودعوته إليه، مع جعله عبادة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، حينما أوجبه على المسلمين والمسلمات، يقول رسول الله - ﷺ -: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

دعوة الإسلام إلى الإيثار والأخوة الدينية:

ويدعو الإسلام إلى الإيثار، وتربية الشعور الذاتي، والأخوة الدينية، هذه الأخوة التي تربط بين المسلمين برباط قوي متين، ليكونوا أسرة واحدة، يفرح المسلم لفرح أخيه، ويحزن لحزنه، ويمد له يد المعونة عند الحاجة، ويهديه إلى سواء السبيل إذا ضلّ، ويرشده إذا غوى، ويرحمه إذا ضعف، ويعامله بما يحب أن يعامل به نفسه، ويحفظه في ماله وعرضه حاضراً وغائباً.

ويبين هذا كله قوله - ﷺ -: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلّمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة».

نظرة الإسلام إلى الفرد نظرة شاملة

إن الإسلام عندما يهتم بالفرد هذا الاهتمام، في نشأته المادية والمعنوية، إنما يريد أن يجعل هذا الفرد قادراً على تحمل مسؤوليته، في كل موضع يوضع فيه، فيؤدي واجبه نحو خالقه سبحانه وتعالى، ونحو نفسه، ونحو وطنه، ونحو مجتمعه الذي يعد جزءاً منه.

ومن هنا كان الفرد مسؤولاً عن أداء ما فرض عليه من عبادات ومعاملات، فيؤديها كما أمر الحق سبحانه وتعالى، لتكون الطاعة غريزة في نفسه، وليكون باطنه كظاهره، ويتحلى بكريم الأخلاق، ومحاسن الصفات.

والفرد مسؤول مسؤولية كاملة عما أوجبه الحق سبحانه وتعالى نحو نفسه، فلا يوردها موارد التهلكة، ولا يأتي بما يضر جسده وعقله، حفاظاً على ثروة القوة والفكر في الفرد المسلم، حتى يكون عضواً نافعاً في جماعة المسلمين، يقول الحق سبحانه وتعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) البقرة:١٩٥.

إن نظرة الإسلام إلى الفرد نظرة شاملة متكاملة، تتفق مع واقع الفطرة وحقيقة الخلق، وواقع الفطرة أنها: روح، وجسد... وحقيقة الخلق هي: الإنسان مخلوق، والحق سبحانه وتعالى خالق... فلابد من مراعاة الصلة بين الخالق والمخلوق في التربية، وخير التربية وأكملها وأسماها هي التي تتفق مع سماحة الفطرة، ومع حقيقة الخلق.

والتربية الصادقة هي التي تعني بالإنسان من جميع جوانبه، وتقيم العدل في داخله، وتعطي في اعتدال كل جانب حقه، فالاعتدال هو الذي يتيح للروح أن تظفر بفضائلها، وللجسد أن ينعم بمطالبه، وصدق رسول الله - ﷺ - حيث يقول: «لا رهبانية في الإسلام».

في حياة الأسرة

وأما في نطاق حياة الأسرة، فإن تقدير الإسلام لها، وعنايته بها، يفوق كل تقدير، ولقد حرص كل الحرص على أن يوفّر للزوجين وسائل المحبة والمودة، وهما جماع ما في الزواج من خير، يقول الحق سبحانه: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم:٢١.

وطريقه إلى تحقيق المودة والرحمة، أمران اثنان هما:

١ - غرس الأخلاق الكريمة، التي تفي بالحقوق في بر، وتحقق المودة في طهر.

٢ ـ تجنب كل ما من شأنه أن يكون سبباً في إيجاد الفرقة والشحناء والتنازع والبغضاء والمودة بين سائر الأقارب تقوم على المودة الواصلة، وقد أوجب الإسلام الصلة بين الأقارب، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من أراد أن ينسأ له في أثره، ويبارك له في رزقه، فليصل رحمه».

والأسرة في الإسلام واسعة المؤدى، فهي تشمل الزوجين، والآباء، والأبناء، والأخوة، وتمتد حتى تشمل عموم النسب وجوانبه.

ولقد قرر الإسلام أن يتحمل الرجل مسؤولية الهيمنة والقوامة، وجعله المكلف بحق المرأة، في كل ما يصل بها إلى الخير، ويبتعد بها عن الشر، فقال سبحانه وهو أصدق القائلين: (وللرجال عليهن درجة) البقرة: ٢٢٨.

وقال سبحانه وتعالى: في محكمة آياته: (الرجال قوامون على النساء) النساء:٣٤.

وهذه الدرجة ليست درجة السلطان والقهر، والأمر النافذ، وإنما هي درجة الرئاسة البيتية، الناشئة عن عهد الزوجية، وهي درجة تزيد من مسؤولية الرجل، فهي ميزة تكليف، لا ميزة تشريف، والغرض منها أن يسير البيت وفق نظام سائد ومحدد، لا وفق مآرب متدافعة، ورغبات متنازعة، فلا بد من هذه الدرجة، التي هي درجة إدارة، حتى تستقيم الشركة بينهما.

وقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقها في جميع جوانب الحياة، ولم يجعلها مهيضة الجانب، ومنحها الأهلية الكاملة في التصرفات المالية والقانوينة، باعتبارها مكلفة بإدارة البيت، وتربية الأبناء، والزوج هو الذي يتحمل هذه التكاليف.

ولم يوصد الإسلام في يوم من الأيام في وجه المرأة باباً من أبواب العلم أو العمل، وما هوّن من شأنها أو حط من قدرها في أي شأن من الشؤون، فمادامت هي والرجل من نفس واحدة، يحملان خصائصها الواحدة، فمجال الحياة مفتوح أمامهما على حد سواء.

إن الأسرة لبنة من لبنات المجتمع، الذي تكون من مجموعة أسر، ترتبط ببعضها بعضاً، ومن الطبيعي أن البناء المكون من لبنات، يأخذ ما لهذه اللبنات من قوة أو ضعف.

وتوزن كل أمة بما بلغته الأسرة فيها من ترابط وتماسك، وكل مجتمع إنما ينهض بقدر ما تزدهر فيه الأسرة وتستقر.

ومن هنا كانت العناية بتقوية الأسرة من أهم ما يجب على المصلحين رعايته، إذ إن الأسرة هي الملجأ الوحيد، والمأوى الطبيعي لكل من الرجل والمرأة، والمستقر المأمون لعلاقة الزوج بزوجته، وقد اعتبر الإسلام الزواج نصف الدين، فأمر به، وحضّ عليه.=

في جانب المجتمع:

وأما في نطاق المجتمع العام، فإن الإسلام يعتبره كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، فالمجتمع الإسلامي مجتمع معنوي، تبنى فيه العلاقات الاجتماعية على الروابط الأدبية، من: مودة، وتراحم، لا على أساس من العلاقات المادية فحسب.

ولا شك في أن العلاقات المعنوية التي تقوم على المودة والتراحم، هي التي يقوم عليها بنيان المجتمع الإسلامي، وهي الروابط التي تربط الأفراد ببعضهم بعضاً.

وهذه هي القاعدة التي تقرر مبدأ التكافل الاجتماعي، ذلك التكافل الذي لا يقف عند حدود الأمور المالية، أو الوسائل المعيشية، بل يتعدى كل ذلك إلى المعرفة بأسبابها المختلفة، والبر بمعناه الواسع العميق، وذلك لصيانة الحق، ورعاية الفضيلة، وتوفير الطمأنينة، أي: أنه يأخذ بجوانب النفس الإنسانية كلها، ويحيط بشؤون الإنسان إحاطة شاملة، ولا يخص الجانب المادي وحده.

إن التكافل الذي ينشده الإسلام لا يخص جانباً واحداً من جوانب الحياة دون جانب، بل يعم جميع أنواع النشاط البشري، في مجالاته المختلفة، وضروراته المتنوعة، فيجعل من الجنس البشري وحدة متشابكة مؤتلفة، كطبيعة الجسد الواحد، الذي يتأثر بماديات الحياة، ومعنوياتها.

وهو يقوم على دعائم ثابتة، وأسس مكينة، من التقدير لمعنى الإنسانية، ورعاية الإنسان، ويستمد ذخره من معين لاينضب، ويأخذ طابعه من طبيعة الإيمان بالمولى سبحانه وتعالى، والثقة فيه.

موقف الإسلام من الآفات الخلقية والاجتماعية

وإلى جانب ذلك فقد حرّم الإسلام الآفات الخلقية والاجتماعية، والتي تشكل ضرراً وخطورة على الأفراد وعلى المجتمع ومن بينها:

١ ـ تحريم الربا: بكل أشكاله القديمة والحديثة، إذ إنه نوع من الكسب غير المشروع، وهذا يعني من الناحية العملية جعل الصيرفة، بما فيها من سك النقود وخزنها، وخلق النقود الحسابية بيد الدولة وحدها، حيث جعل الاختصاص في مثل هذه الأمور لبيت المال، ودار الضرب والصيرفة، التي تخلق النقود الائتمانية.

يقول المولى سبحانه وتعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون) البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

ولقد لعنه رسول الله ـ ﷺ ـ وجاء ذلك في قول جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ لعن رسول الله ـ ﷺ ـ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سواء».

٢ ـ تحريم الاحتكار، والاستغلال، والتشديد في محاربة استغلال النفوذ، والحصول على مصالح مادية على حساب المجتمع، يقول الحق سبحانه: (ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) البقرة:١٨٨.

ومما يروى في هذا الشأن، أن رسول الله ـ ﷺ ـ استعمل على صدقات «بني سليم» رجلاً يسمى بـ «ابن اللتبية»، فلما جاء حاسبه، فقال: هذا مالكم، وهذا هدية أهديت لي.. فقال له المصطفى ـ ﷺ ـ رافضاً هذا المبدأ وهذا السلوك، الذي رأي فيه نوعاً من الرشوة المقنعة: «هلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً».

٣ ـ تحريم العدوان على أمن المجتمع وسلامته، يقول المولى عز وجل: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين) الأعراف:٥٦.

ويقول المصطفى ـ ﷺ ـ «إن الرجل لترفع له يوم القيامة صحيفته حتى يرى أنه ناج فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما يبقى له حسنة ويحمل عليه من سيئاتهم».

وبعد فهذه هي الخطوات العامة للإسلام، في ميدان الجانب الاجتماعي منه، والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الإسلام ليس عقيدة فقط، وليست مهمته تنظيم العلاقة بين الفرد وخالقه فقط، وإنما هو عقيدة ورسالة توجهان الإنسان إلى جميع نواحي الخير في الحياة، وتضمن له سعادته في أخراه. ■

البيت المسلم

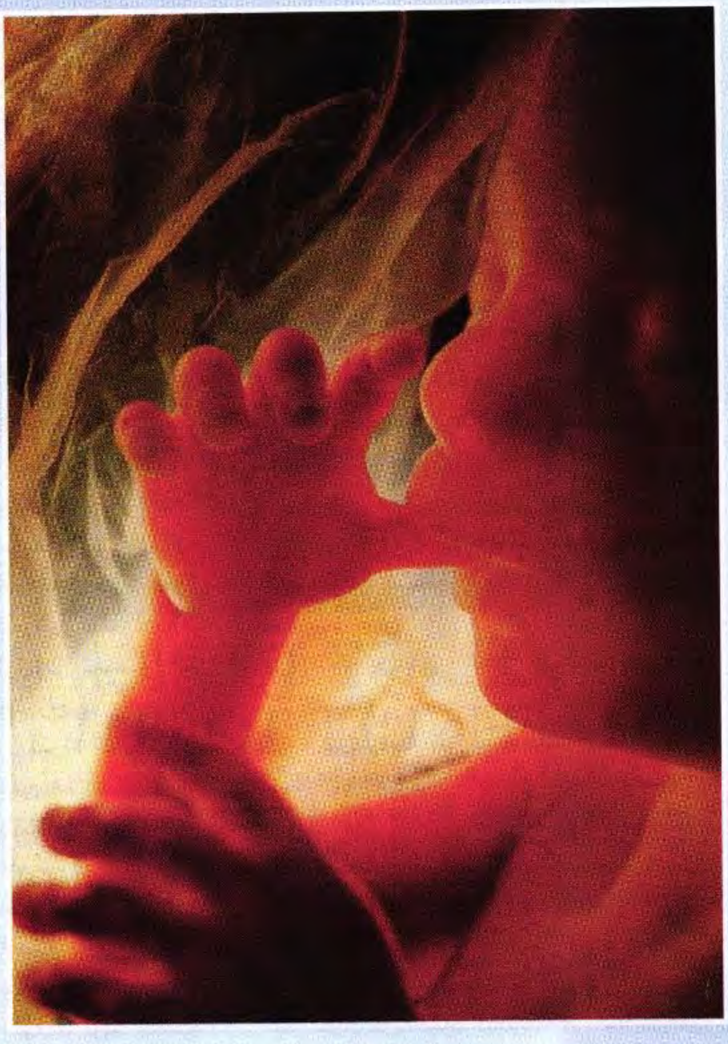
العدد ٤٠٠ - الوعي الإسلامي - ذو الحجة ١٤١٩ هـ - مارس / أبريل ١٩٩٩ م

قضايا في الصحافة

- في بيتنا طفلة من أهل الجنة
- النفقة على الأم الحامل
- حاجة الأبناء إلى الأب في البيت



ما تبتغي معرفته عن **لقاحات الأطفال**



وقد خلقكم أطوارا

فاطمة وذريتها رضي الله عنهم

حينما تقول المرأة لزوجها طلّقني!

حينما تقول المرأة لزوجها طلّقني!

طلب المرأة من زوجها الطلاق من غير بأس يعد نشوزا، والنشوز هو خروج عن الحياة الزوجية المستقيمة التي تطيع المرأة فيها زوجها، وتحفظ بيتها، وترعى أولادها.

والناظر في حياتنا الاجتماعي يجد أن المرأة تسارع إلى طلب الطلاق، وهذا الطلب يسمى في الشرع خلعا - أي أن تدفع المرأة شيئا مقابل تطليقها. وقد تتنازل المرأة عن بعض حقوقها أو عن حقوقها كلها، ويسمى طلاقا على الإبراء. وأحيانا ما تكون المرأة جادة في طلب الطلاق، وأحيانا أخرى هازلة، وقد تحتال المرأة في طلب الطلاق وتتهم الرجل بما ليس فيه، فتجعل الحياة الزوجية لا استقرار فيها ولا أمان، وربما تهدم أسرتها بكلمة واحدة تنطقها في لحظة طيش أو غضب. كما يظهر في السطور التالية.

بقلم: محمود النجيري

طلب الطلاق بين الجد والهزل

المرأة حين تطلب من زوجها الطلاق، إما أن تكون جادة أو هازلة، ويجب أن يفهم الرجال الفرق بين الحالين، فحين تقول المرأة لزوجها: «طلّقني». فمعنى ذلك في الغالب أنها تتدلل عليه، وتريد أن تختبر مكانتها عنده، وكأنها تقول له: فلننظر! هل أنت مازلت تحبني وتتمسك بي، أم تريد أن تتخلص مني، وتنتظر من يفتح لك الطريق بطلب الطلاق؟! ولذلك حين يتماسك الرجل ويضبط أعصابه، ولا ينطق بكلمة الطلاق البغيضة، فإن المرأة تُسَرّ جداً؛ إذ يتأكد لديها أن زوجها راغب فيها، ولا يستطيع أن يستغني عنها.

أما حين تقول المرأة لزوجها: «لو كنت رجلا طلقني!» - كما يشيع في بعض مجتمعاتنا في أفواه النساء - فمعنى هذا أنها تطلب الطلاق حقيقه، وجداً لا هزلاً. بل هي تريد أن تطعن الرجل بكلمة حادة تشكك في رجولته، وذلك لتدفعه دفعا لأن يثأر لكرامته وينطق بكلمة الطلاق البغيضة التي تريدها هي. وفي الغالب تكون المرأة قد ذاقت من زوجها الأمرين، ويئست من إصلاح حاله، بل سقط من نظرها، ولم تعد تراه رجلا يستحقها فعلا. وهنا لا تتورع عن أن تطعنه في كرامته بالكلمة القاسية: «لو كنت رجلا طلقني!» فالرجل إن لم يطلّقها يكون قد أقر بأنه ليس برجل، وهذه أكبر إهانة له، وإن طلّقها يكون قد أعطى للمرأة ما تريد، فهي في الحالين تهزم الرجل: إما بهزيمته في رجولته، أو بهدم بيته بيده.



ومن المؤسف أن المرأة تعلمت الإكثار من هاتين الكلمتين في مجتمعاتنا في كل خلاف بين الزوجين أو مشاجرة عارضة، حتى إن أحد أصدقائي أخبرني أن زوجته تطلب منه الطلاق بمعدل مرة كل يوم!! وهذه سوءة تعلمتها بعض النساء من أفلامنا السينمائية ذات القيم المريضة، حين تضع المرأة يديها على خصرها وتتنمر قائلة للرجل بأعلى صوتها: «طلّقني». ولم تكن هذه هي حال الصالحات من هذه الأمة اللائي كن يتجملن بالصبر من أجل حفظ بيوتهن من الانهيار وأولادهن من التشرد. وهذه الحياة الزوجية تحت سيف الطلاق المسلط، تصير لا أمان فيها ولا استقرار، وما جعل الله الزواج إلا مودة ورحمة، كما قال الله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) « الروم: ٢١ ».

والمرأة التي تطلب الطلاق من زوجها على هذه الصورة هي امرأة ضعيفة العقل لا تثق بنفسها؛ لأنها تريد أن تختبر تمسك زوجها بها بأخطر وسيلة وهي الطلاق، فلو تهور الزوج ونطق بكلمة الطلاق، تذهل المرأة وتنهار وتبكي، وتجعل اللوم كله على الرجل، وتقول إنها لم تكن تقصد الطلاق، وإنها ما عنت إلا اختبار عواطف زوجها نحوها، وإنه هو استغل الفرصة، وسارع في الاستجابة، وإنه لو كان يريد استمرار حياتهما الزوجية لما نطق كلمة الطلاق. وتنسى المرأة أن ليس كل رجل يفهم ما تريد بكلامها، وأن ليس كل رجل يضبط أعصابه في هذا الموطن.

احتيال المرأة للطلاق

قد تعدل المرأة عن طلب الطلاق من زوجها مباشرة، رغبة منها في الهروب من مخالعته أو إبرائه. والمخالعة تعني الطلاق على مال تدفعه المرأة للرجل. والإبراء يعني تنازل المرأة عن حقوقها في المتعة والنفقة ومؤخر الصداق أو بعض ذلك.

والمرأة هنا تطلب الطلاق من ولي الأمر، وتدّعي الضرر من المعاشرة الزوجية، وتجترئ على أن ترمي زوجها بما ليس فيه لتبرير طلبها الطلاق، وهذا كثير في أيامنا هذه التي يصبغها النهم المادي، وتغيب فيها القيم الإسلامية عند بعض النساء. وقد وقع في عهد النبي - ﷺ - أن صحابيا يدعى أبا رُكانة، نكح امرأة من مزينة، فجاءت إلى النبي - ﷺ - فقالت عن زوجها: «ما يغني عني إلا كما تغني عني هذه الشعرة (١) (لشعرة أخذتها

من رأسها)، ففرّق بيني وبينه». فأخذت النبي - ﷺ - حمية، فدعا بركانة وإخوته، ثم قال لجلسائه: «أترون فلانا (يعني ولداً له) يشبه منه كذا وكذا من عبد يزيد، وفلانا (لابنه الآخر) يشبه منه كذا وكذا؟ قالوا: نعم. قال النبي - ﷺ - لعبد يزيد (أي أبي رُكانة): طلّقها. ففعل. (٢) والظاهر في هذا الحديث أنه لم يثبت عند النبي - ﷺ - ما ادعته المرأة من العنّة لأنها خلاف الأصل، وهو سلامة الرجل من هذا العيب، ولأنه - ﷺ - تعرّف أولاد أبي ركانة بعلم القيافة (٣)، وسأل عنها أصحابه - ﷺ ، فثبت عند النبي - ﷺ - أنه ليس عنينا، فأمره بالطلاق، ليس إيجابا عليه، ولكن إرشادا إلى أنه ينبغي له فراقها حيث طلبت ذلك منه. (٤)

وأمام هذا الاحتيال نتعجب حين نسمع بعض الناس يريدون جعل الطلاق من حق المرأة كما هو من حق الرجل، فيخالفون شريعة الله المحكمة التي تجعل الطلاق بيد الرجل. وينسون أن كون الطلاق بيد الرجل يجعل المرأة عزيزة مكرّمة؛ لأن الرجل هو الذي يتمسك بها. كما يتغافلون عن أن المرأة مرهفة الحس، قوية العاطفة، يجرحها أقل شيء يصيب كرامتها الأنثوية، فلو كان الطلاق من حقها لسارعت إليه كلما رأت من زوجها عبوسا أو إعراضا، وكلما سمعت منه ما لا تحب ولا ترضى.

حرمة طلب الطلاق دون بأس

المتقرر عند الفقهاء أنه يحرم على المرأة أن تطلب الخلع (أي الطلاق أو الفسخ على خلاف في ذلك بين الفقهاء)، إلا أن تبلغ درجة من الضرر تخاف معها ألا تقيم حدود الله في نفسها أو في حقوق زوجها، كما قال الله تعالى: (فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليها فيما افتدت به) «البقرة: ٢٢٩». والخطاب في الآية متوجه إلى الحكام وولاة الأمور والوسطاء بين الزوجين للإصلاح. وحدود الله هي المعاشرة بالمعروف على ما يقتضيه الشرع. ويأتي الخوف من ألا يقيم الزوجان حدود الله هنا من أن تستخف الزوجة بحق زوجها وتعصيه. وربما قالت المرأة لزوجها: لا أطيع لك أمراً، ولا أغتسل لك من جنابة، ولا أبر لك قسما، فأنا أكرهك ولا أحبك، فطلقني. (٥)

وهذه المغاضبة من المرأة تدعو إلى ترك المعاشرة بالمعروف، واشتداد الشقاق بين الزوجين، وتعدي حدود الله تعالى. ويحذر النبي - ﷺ - المرأة أن تطلب الطلاق من زوجها دون ضرورة لذلك بقوله: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة». (٦) وهذا التحذير النبوي يعني حرمة طلب المرأة الطلاق من زوجها إن كان لا يقع عليها ضرر، أو أنه يقع عليها ضرر ولكنه أقل من ضرر الطلاق نفسه. ومن هنا ننصح المرأة ألا تطلب الطلاق من زوجها إلا أن يكون نهاية لحياة زوجية فاشلة تستحيل معها العشرة، وأن تبتعد المرأة تماما عن هذه المنطقة الخطرة، وألا تضع الرجل في معادلة قاسية طرفها الطلاق، والطرف الآخر كرامته، ومن الخير للمرأة ألا تتهور وتطلب من الرجل إثبات رجولته بتطليقها. ونقول للرجل: كن على حذر، ولا تتعجل في نطق كلمة الطلاق إن طلبت منك زوجتك ذلك، فهي في الغالب لا تريد إلا أن تشعر بحرصك عليها وحبك لها وتمسكك بها. ولو أشعرتها بذلك دائما لابتعدت عن هذه الكلمة الخطيرة التي تهدد البيوت بالانهيار. ■

الهوامش:

(١) هذا التعبير كناية عن العنة، أي برود زوجها، وعدم قدرته على الجماع.

(٢) أخرجه أبو داود عن ابن عباس.

(٣) القيافة: علم تتبع مشابهة الولد لأبيه عن طريق العلامات الخلقية الموروثة الظاهرة والخفية.

(٤) سبل السلام: محمد الأمير الصنعاني (١٠٢١/٣ - ١٠٢٢).

(٥) انظر تفسير ابن عطية (٢٨١/٢).

(٦) رواه أصحاب السنن، وهو صحيح.

رعاية الجنين في الإسلام

النفقة على الأمِ الحامل

من المعلوم أن الزوجة ما دامت في عصمة زوجها فإن نفقتها واجبة على زوجها بنص القرآن الكريم، قال الله تعالى: (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) «١٧»، والمولود له هو الزوج.

لكن قد تطرأ على الحياة الزوجية أوضاع يصعب معها الاستمرار في العيش بين الزوجين مما يؤدي إلى الطلاق، وقد تكون الزوجة حاملاً، فمن هو المكلف بالإنفاق على هذه المرأة المعدة إذا كانت حاملاً؟

يقول ابن العربي : روى ابن نافع قال: قال مالك: في قوله تعالى: (أسكنوهن من حيث سكنتم) (١٨)، يعني المطلّقات اللائي قد بِنَّ من أزواجهن، فلا رجعة لهم عليهن، وليست حاملاً فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة، لأنها بائن منه، لا يتوارثان ولا رجعة له عليها، وإن كانت حاملاً فلها النفقة والكسوة والمسكن، حتى تنقضي عدتها، وأما قوله سبحانه وتعالى : (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن)، فجعل عز وجل للحوامل اللائي قد بِنَّ من أزواجهن السكنى والنفقة (١٩).

ويقول الشيخ محمد علي السايس: «أجمعوا على أن للبائن الحامل السكنى والنفقة لقوله سبحانه وتعالى: (اسكنوهن) (٢٠)، وقول الله سبحانه وتعالى: (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن) (٢١) (٢٢).

ويتساءل الشيخ محمد علي الصابوني عن فائدة الشرط في قوله تعالى: (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن). مع العلم أن النفقة تجب لكل مطلقة.

ثم يجيب على ذلك بقوله : «فائدته أن مدة الحمل ربما طال وقتها بعد الطلاق، فيظن أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار من مدة الحمل، فنفى ذلك الظن بإثبات النفقة للحامل حتى تلد» (٢٣).

وقد نقل إجماع أهل العلم على وجوب النفقة على الحامل المبتوتة بطلاق بائن أو بخلع أو بانت من زوجها بفسخ صاحب المغني فقال: «وجملة الأمر أن الرجل إذا طلقّ امرأته طلاقاً بائناً فإما أن يكون ثلاثاً، أو بخلع، أو بانت بفسخ، وكانت حاملاً فلها النفقة والسكنى بإجماع أهل العلم لقول الله تعالى: (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) (٢٤) (٢٥).

وعلل وجوب النفقة على ذلك بقوله:

«ولأن الحمل ولده فيلزمه الإنفاق عليه، ولا يمكنه النفقة عليه إلا بالإنفاق عليها، فوجب كما وجبت أجرة الرضاع» (٢٦).

ورعاية للحمل، وصيانة له من الضياع، فقد أوجب الفقهاء النفقة على المرأة الحامل ولو كانت ناشزاً، ونقل الإجماع على ذلك صاحب التاج والإكليل (٢٧)، وأيده بذلك صاحب مواهب الجليل بقوله: «الناشز الحامل لها النفقة للحمل لا لأجلها» (٢٨).

وإذا ارتدت المرأة وكانت حاملاً فهل تجب لها النفقة؟، جاء في المجموع وهو يبحث هذه المسألة من أصحابنا من قال تسقط نفقتها قولاً واحداً لأنها تتعلق بمصلحتها، وهي المستحقة لها فسقطت بردتها.

ومنهم من خالفه فقال: «إذا قلنا إن النفقة للحامل سقطت بردتها، وإن قلنا أن النفقة للحمل، فلا تسقط بردتها، لأن الحمل محكوم بإسلامه فلا يسقط حقه بردتها» (٢٩).

أما الحامل المعتدة من وفاة

فقد ذهب المالكية (٣٠) والشافعية (٣١) والحنابلة (٣٢) في إحدى الروايتين وهي الراجحة في المذهب، وهو رأي ابن حزم (٣٣) والشيعة الإمامية (٣٤) والزيدية (٣٥).

إلى أن الحامل المعتدة من وفاة لا تجب لها النفقة، لأن النفقة سقطت بموت الزوج، وصار الحمل وارثاً ولقوله ﷺ: «ليس للحامل المتوفى عنها زوجها نفقة» (٣٦).

وذهب الشافعية في قوله لهم إلى أنه: «يجب لها النفقة بناء على أن النفقة للحمل» (٣٧) ووافق الحنابلة في رواية لهم رأي الشافعية هذا، بأن النفقة تجب لها، كما أورده صاحب المغني (٣٨).

واختلفت الرواية عند الشافعية في المرأة الحامل من نكاح فاسد على قولين الأول: أنها لا تجب لها النفقة، والثاني: وجوب النفقة، لأن الحمل في النكاح الفاسد كالحمل في النكاح الصحيح (٣٩).

وهكذا نجد أن الفقهاء قد أوجبوا الإنفاق على الحمل ولو كان من زنا، أو بسبب شبهة في النكاح، أو بسبب الطلاق أو الردة، وفي هذا تمام العناية والرعاية لهذا المخلوق الضعيف - الجنين - الذي هو أساس النسل ودعامته، حتى لو افتقرت أمه ولم يكن له من ورثته من ينفق عليه، فإنه يجب على المسلمين رعايته والعناية به، على حسب درجاتهم من باب التكافل الاجتماعي الذي يفرضه الإسلام بين المسلمين. ■

الهوامش:

(١٧) البقرة ٢٣٣.

(١٨) الطلاق ٦.

(١٩) أحكام القرآن - أبو بكر بن العربي - دار الفكر - بيروت ج٤ ص٢٧٦ ط١ سنة ١٩٨٨م، أنظر القرطبي ج١٨ ص١٦٦.

(٢٠) (٢١) سورة الطلاق آية ٦.

(٢٢) تفسير آيات الأحكام - الشيخ محمد علي السايس - مطبعة محمد علي صبيح ج٤ ص١٧٣.

(٢٣) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام - محمد علي الصابوني - مكتبة الغزالي ط٢ سنة ١٩٧٧ ج٢ ص٦١٢.

(٢٤) سورة الطلاق آية ٦.

(٢٥) المغني ج٧ ص٤٠٥.

(٢٦) المرجع السابق بالصفحة نفسها.

(٢٧) التاج والإكليل لمختصر خليل - أبو عبد الله العبدري - دار الفكر - بيروت -٣ سنة ١٩٩٢م ج٤ ص١٨٨.

(٢٨) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل - الحطاب - ج٤ ص١٨٧.

(٢٩) المجموع - شرح المهذب - الإمام النووي - مكتبة الإرشاد - جده ج٢٠ ص١٧٣.

(٣٠) التاج والإكليل - ج٤ ص١٨٨، الخرشي على مختصر خليل ج٤ ص١٩٢.

(٣١) مغني المحتاج ج٣ ص٤٤٠، المهذب في فقه الإمام الشافعي لأبي اسحاق بن علي الشيرازي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ط٢ ١٩٥٩ ج٢ ص١٦٥، نهاية المحتاج ج٧ ص٢١١، إعانة الطالبين في حل الفاظ المعين - لأبي بكر الشهير بالسيد البكري - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٤ ج٤ ص٦٠، المجموع ج٢٠ ص١٨٣.

(٣٢) المغني ج٧ ص٤٠٥، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ٣ المرداوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت ط١ ج٩ ص٣٦٠.

(٣٣) المحلى - ابن حزم - ج٧ ص٢٨٦.

(٣٤) الاستبصار فيما اختلف من الأخبار - أبو جعفر الطوسي - دار الأضواء - بيروت ط٣ سنة ١٩٨٥م ج٣ ص٣٤٤.

(٣٥) رأب الصدع - أمالي الإمام أحمد بن عيسى بن زيد بن الحسين بن علي - دار النفائس - بيروت ط١ سنة ١٩٩٠ ج٢ ص١١٣٤، الروضة الندية شرح الدرر البهية - أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي - دار الندوة الجديدة ط١ سنة ١٩٨٤ ج٢ ص٧٨.

(٣٦) سنن الدارقطني ج٤ ص٢١ بسند فيه مقال، انظر التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد ابادي مطبوع بحاشية الدار قطني ج٤ ص٢١ - دار احياء التراث العربي بيروت - طبعة سنة ١٩٩٣.

(٣٧) نهاية المحتاج ج٧ ص٢١١.

(٣٨) المغني ج٧ ص٤٠٥.

(٣٩) المهذب ج٢ ص١٦٦.

من أجل تحرير حقيقي للمرأة

تحريرها من التدخين

تشير الدراسة إلى أن سرطان الرئة الناتج عن التدخين هو السبب الأول لموت عدد كبير من النساء الأميركيات، حيث يقتل كل عام ١٣ مرة عدداً أكبر من النساء اللواتي لا يدخنَّ ويصبن بسرطان الرئة.



بقلم : محمد رشيد العويد

احتجاج نسائي

إن نتائج هذه الدراسة رهيبة، لأنها تضيف - علاوة على الحقائق المؤكدة لأضرار التدخين - أن التدخين قد يؤثر على مستوى الاستروجين في جسم المرأة، وأن هذا مرتبط بالسرطان، بالإضافة إلى ذلك يؤكد العلماء والأطباء أن التدخين يشكل خطراً جاداً على المرأة فهو مع كونه يسبب سرطان الرئة، يسبب أيضاً سرطان الدم والحلق والمريء والبنكرياس والمثانة، كما يسبب أمراض القلب والقروح المعدية والمعوية والتهاب الشعب وانفتاح الرئتين.

وأثبتت الدراسات والبحوث وجوب امتناع الحامل نهائياً عن التدخين في أثناء الحمل، لما له من آثار سيئة على جميع أجزاء جسمها، فهو يؤدي إلى نقص الغذاء والأكسجين الواصل إلى الجنين، مما يؤدي إلى صغر حجمه. ومن خلال دراسة أجريت في الدنمارك اتضح أن الطفل الذي يدخن والده عشرين «سيجارة» في اليوم، وتدخن أمه عشر «سجائر»، سينخفض وزنه نحو نصف رطل عند ميلاده عن الطفل الذي يولد لزوجين لا يدخنان.

بثت إذاعة صوت أميركا تقريراً عن حملة قامت بها الجمعيات النسائية الأميركية ضد شركات إنتاج التبغ وشركات الإعلان بسبب إعلانات نشرت عن «سجائر» جديدة قيل إنها خاصة بالمرأة. ووصفت الجمعيات في بيان لها إعلانات الشركات بأنها تنال من المرأة ومن صحتها ولا تهتم إلا بزيادة أرباحها المالية فقط.

وذكرت الإذاعة أن واحدة من كل أربع نساء أميركيات تدخن بصورة مستمرة.

إن التدخين قيد من قيود المدنية الحديثة، أصبحت المرأة المعاصرة محكومة له، بل تدفع مالاً كي تبقى مأسورة له، على الرغم من أنه يأخذ من صحتها وصحة أولادها.. نصيباً وافراً.

إنه قيد التدخين

قيد لم يترك آثاره على معصمي المرأة، بل على رئتيها وقلبها وأسنانها ورحمها وجنينها.

وهو قيد تحرر منه أكثر النساء المسلمات، الملتزمات، المؤمنات، وخضع له أكثر النساء المتفلتات، العاملات، المبهورات بالمدنية الحديثة.

من أخضع المرأة وقيدها بالتدخين ؟

لقد كان وراء خضوع المرأة لهذا القيد ووضع معصميها فيه، ثلاثة أمور رئيسة:

١ - الإعلانات التي تبثها بعض محطات الإذاعة و"التلفزيون"، وتنشرها معظم الصحف والمجلات، وتظهر فيها المرأة مدخنة مع الرجل، وكأن "السيجارة" مكملة لأناقتها ومظهرها، وتقحم "السجائر" كأداة من أدوات زينتها ومكياجها التي تحملها معها في حقيبة يدها.

٢ - العمل خارج البيت، وما يسبب للمرأة من توتر وإرهاق وضيق، يدفع المرأة العاملة إلى عادة التدخين. كما أن تدخين الرجال العاملين مع المرأة في الشركة أو المؤسسة، يجعل المرأة تتأثر بهم أو تقلدهم.

٣ - القلق النفسي الذي يصيب معظم النساء غير المصليات، وغير الملتزمات بمبادئ إسلامهن عامة، يوهمهن أن التدخين ينفس عنهن، ويخفف من الضغوط النفسية عليهن، فتجرب إحداهن «السيجارة» الأولى... فالثانية... فالثالثة... حتى يتحول التدخين إلى عادة... بل إلى قيد محكم.

ما الذي يجعل من التدخين قيداً ؟

ولكن لماذا يعتبر التدخين قيداً يجب على المرأة أن تتحرر منه؟

لقد ثبت أن أضرار التدخين على النساء

تفوق أمثالها على الرجال، وذلك لأن جسم المرأة اقل استعداداً لطرد المواد الغريبة عنه. كما أن طبيعة تكوين جسم المرأة البيولوجي والفسيولوجي وكونها امرأة تحمل وتلد، يزيد مخاطر التدخين عليها وعلى الجنين الذي ينمو في أحشائها، فقد دلت الدراسات على أن موت الجنين يصبح أكبر عند الأم المدخنة، وبخاصة إذا كانت تملأ رئتيها بالدخان.

«ولقد اتضح أن المرأة التي تمتنع عن التدخين عند بداية الحمل؛ تحمل أطفالاً أصحاء مقارنة بالمرأة التي لا تدخن أبداً. وتصبح صحة الجنين سلبية تجاه السموم التي تتعرض لها الأم نتيجة وجودها في بيئة مليئة بالدخان... حتى لو لم تكن هي نفسها تمارس عادة التدخين».

ومن هنا بدأت بعض الدول باتخاذ الخطوات اللازمة لحظر التدخين في أي مكان يمكن أن توجد فيه امرأة حامل.

مضاره على جمال المرأة وصحتها

للتدخين مضاره على جمال المرأة ونضارة وجهها وحيويته، كما يسبب تاكل الأسنان ولقد ظهر أنه بعد سن السادسة والثلاثين لا يسمح للمرأة أن تجمع بين التدخين وحبوب منع الحمل؛ لأن مخاطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية تصبح أقل في حال تناول المرأة حبوب منع الحمل وحدها، أي من غير تدخين.

ولقد قام الدكتور «وولترولیت» - الأستاذ في كلية الصحة العامة بجامعة هارفارد بدراسة عن أضرار التدخين على النساء أثبت فيها أن ٥٠٪ من حالات النوبات القلبية بين النساء سببها التدخين. وأن ٩٠٪ من هذه الحالات تدخن أكثر من ٤٥ «سيجارة» في اليوم.

وكتب الدكتور «جوناثان فيلدنغ» - الأستاذ في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجليس يقول: «إن هجرة النساء للتدخين تتم أبطأ من هجرة الرجال له». وأضاف: «إن النساء عادة يعمرن أطول من الرجال... لكن الثغرة بدأت تضيق، وقد تختفي تماماً لإقبال النساء على ممارسة عادة التدخين».

وأكدت دراسة جديدة أجريت في بوسطن أن النساء اللواتي هن في سن اليأس أو بعد هذا السن، ويدخن علبة من السجائر يومياً؛ يتعرضن للإصابة بسرطان بطانة الرحم تزيد بنسبة ٥٠٪ عن غير المدخنات. ■

حاجة الأبناء إلى الأب في البيت

بقلم : محمد الصالح عزيز

غالباً ما نحمّل الأم وحدها تربية الأطفال، لأنها هي الأقرب إلى حياة الطفل من غيرها، وهي التي ترسم في حياته - الطفل - بصمات شخصيته الأولى... فنصب جام غضبنا وانفعالاتنا على المرأة التي تهمل هذه المسؤولية لتكرس الجزء الأوفر من أوقاتها في صقل وجهها وترقيق حاجبيها وتلوين عينيها والتردد على الخياطات لمتابعة آخر تقليعات الموضة أو التسكع في الشوارع لاستعراض واجهات المحلات التجارية ووجوه المارة والمارات، ولا شيء تعطيه لأطفالها سوى المبالغة في العناية بأجسامهم وفرشهم وملابسهم،، قلت، غالبا ما نحمّل الأم وحدها هذه المسؤولية، ونهمل، أو نعفي الرجل الأب من واجبات الأبوة، إذ لا يرى نفسه ملزما بتخصيص جزء من وقته للعناية بأطفاله ودراسة أحوالهم ورعاية شؤونهم الفكرية والنفسية، متجاهلا أن حاجة الأطفال إلى عطفه ومجالسته والقراءة لهم والسماع منهم والنقاش معهم ومتابعة سلوكهم العام، أسمى وأهم وأشد من حاجتهم إلى الطعام والثياب التي يحرص على توفيرها لهم، وقد نشرت مجلة Lo Pure verite في أحد أعدادها مقالا عن حاجة الأطفال إلى وجود الأب بينهم، نورد منه ما يلي:

يتساءل الآباء أحيانا عن أحلى هدية يقدمونها لأبنائهم أو بناتهم، فيفكرون في اللعب إذا كان أبناؤهم أطفالا صغارا، أو في شراء ثوب جديد يتباهون به أمام أندادهم، أو في إعطائهم قليلا من المال لقضاء شؤونهم إذا كانوا على شيء من الرشد.. في الحقيقة، أحلى هدية يستطيع الأب أن يقدمها لأبنائه بالمجان، تتمثل في شخصه هو.. لقد أثبتت البحوث العميقة أهمية وجود الأب في حياة أطفاله وبخاصة في السنوات التي تسبق دخولهم إلى المدرسة، لأن في هذه الفترة يبدء في تكوين شخصيته وفي الخلق والإبداع.. فهل فكر الآباء في إعطاء القليل من أوقاتهم لأبنائهم؟.. قام بعض علماء النفس بدراسة عدد كبير من الأطفال، فلاحظوا أن الذين استطاعوا الاندماج مع المجموعة اندماجاً طبيعياً، هم الذين قضوا مع آبائهم أوقات فراغهم وأوقات لهوهم،، أما الآخرون الذين حرموا من الجلوس مع آبائهم، فقد تبين أنهم يشكون اختلالاً في توازنهم الجسمي والعقلي.. وقام آخرون بدراسة عدد آخر من الأطفال بهدف تحديد الدور الذي يلعبه وجود الأب في البيت، وقسموا الأطفال إلى أربع مجموعات.



الأولى تحوي الأطفال الذين يشكون من غياب آبائهم على أول عهدهم بالإدراك، وذلك قبل الخامسة من أعمارهم... المجموعة الثانية تحوي الأطفال الذين فارقوا آباءهم بعد الخامسة،، المجموعة الثالثة تحوي الأطفال الذين يجتمعون مع آبائهم، ولكن لمدة قصيرة، والمجموعة الرابعة تحوي الأطفال الذين يجتمعون مع آبائهم وقتاً طويلاً (من ساعتين إلى أكثر في اليوم).. تبين بعد الدراسة أن المجموعة الرابعة اندمج أطفالها بسرعة مع بقية أفراد المجتمع، وتحصّلوا على نتائج باهرة في تعليمهم بالمقارنة مع أطفال المجموعات الأخرى.. كل هذه النتائج التي أسفرت عنها الدراسات المختلفة تبين مدى الدور الذي يلعبه وجود الأب بين أبنائه لمدة معينة في اليوم ليعلمهم ويكونهم ويقودهم ويرشدهم بكل محبة وحنان لأن الأبناء في حاجة إلى أبيهم، وما يعطيه الأب لا يستطيع الأطفال شراءه بالمال... ليعلم الآباء أنهم إذا ضحوا بقليل من أوقاتهم لأولادهم على حساب انشغالاتهم الخاصة، فإن النتيجة التي سيجنونها تكون عظيمة: تكوين رجل سعيد... فرد متوازن يستطيع أن ينتج داخل المجموعة التي يعيش فيها... ■

فاطمة وذريتها رضي الله عنهم

استجاب الله دعاء نبيه حينما دعا لفاطمة وعلي ليلة الزفاف فقال : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما، وتقبل الله دعاءه حينما أعاذها وذريتها من الشيطان، وبارك عليها وعلى زوجها ورش عليهما الماء من فيه الطاهر، فرزقت البنين والبنات وشاء الله أن تنحصر ذرية نبيه الكريم - ﷺ - في ولد فاطمة وحفظ الله بها أشرف سلالة عرفتها البشرية، وكرَّم علياً فجعل في صلبه نسل خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، كان له بهذا عز الدهر ومجد الأبد، وفي السنة الثالثة من الهجرة ولدت فاطمة أول أولادها الحسن في نصف شهر رمضان وفرح النبي - ﷺ - بميلاده أشد الفرح وعق عنه يوم سابعه بكبش وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة وأتى منزل فاطمة لرؤية مولودها الجديد، فقال ﷺ : أروني ابني ما سميتموه ؟ فقال علي: سميته حرباً، قال عليه الصلاة والسلام : بل هو حسن، فلما ولد الحسين قال ﷺ : أروني ابني ما سميتموه ؟ قلت : سميته حرباً، قال ﷺ : بل هو حسين، فلما ولد الثالث جاء النبي - ﷺ - فقال: أروني ابني ما سميتموه ؟ قلت : حرباً، قال عليه الصلاة والسلام : بل هو محسن - وقد مات محسن هذا صغيراً - ثم قال ﷺ : إني سميتهم بأسماء ولد هارون شبرٌ وشبير ومشبر، وكان يقول - ﷺ عن الحسن أنه ريحانتي من الدنيا .

وفي السنة الرابعة من الهجرة وضعت فاطمة «الحسين» مولودها الثاني، وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان، ولم يكن بين الحسن والحسين إلا طهر واحد وعق عنه رسول الله - ﷺ - كما عق عن أخيه، وأذن في أذنه وكان النبي الكريم - ﷺ - يكرّم الحسن والحسين ويحبهما غاية الحب، يقول أنس رضي الله عنه : كان رسول الله - ﷺ - يقول لفاطمة - رضي الله عنها : «ادعي لي ابني فإذا ما جاءا إليه شمهما وضمهما»، رواه الترمذي.

وكان يحمل الحسن على عاتقه ويقول : «اللهم إني أحبه فأحبه» رواه البخاري ومسلم.

وقال عنهما ﷺ : «هما ريحانتاي من الدنيا» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدي رسول الله - ﷺ - فجعل يقول هيّ حسين - أي أسرع فيما أنت فيه - فقالت فاطمة : لم تقول هيّ حسين ؟ فقال ﷺ : إن جبريل يقول : هيّ حسين !.

وعن عقبة بن الحارث قال : رأيت أبا بكر - ﷺ - بعد وفاة رسول الله - ﷺ - بليال قد حمل الحسن وهو يقول : بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي، وعلي يضحك» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة - ﷺ - قال : أتى رسول الله - ﷺ - خباء - بيت - فاطمة، فقال : أثم لكع ؟ - المراد هنا الصغير - يعني حسناً، فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخاباً، قلادة للصبيان - فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه، فقال رسول الله - ﷺ - : «الله إني احبه، فأحبه واحبب من يحبه»، رواه مسلم.

وخرج رسول الله - ﷺ - في أحد الأيام وعليه كساء، فجاء الحسن فأدخله فيه، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله، ثم قال :

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) الأحزاب : ٣٣ رواه مسلم.

وقال - ﷺ - : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، وقال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط» رواه الترمذي.

هاني محمد - جريدة القبس



أختاه .. أما لهذا القلب من توبة ؟

أو يمكن أن تنسينا الأيام عهد الأخوة والسلام، سلام الأحبة والكرام ورسوله خير الأنام، عهداً تجاذبناه في حديثنا وشددنا الأيادي عليه بقوة واطمئنان، على صدق الوفاء، وكان الضمان، قلوب تنبض بالحب للواحد الرحمن، قبل الإنسان، لأن هذا يفنى والأول يبقى، لا يطويه الزمان، ولا يصبح عرضة للنسيان، آه يالظلم الإنسان! أو يقابل الجميل بالنكران؟ أهكذا الله يجزى أيها الإنسان لا للحيرة والبهتان، النجم والشجر يسجدان، فأين أنت أيها الإنسان؟ أو تثاقلت بضع ركعات للرحمن، ما بالك اليوم وأنت مطمئن غفلان عن ذكر الرحمن، ألم تعلم أن كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، ألم تعلم أيها الكسلان، ألم تعلم أيها الغفلان، علم القرآن، هو الذي خلق الإنسان والحب ذا العصف والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذلك في سورة الرحمن، أم هجرت القرآن، أو لم تعلم بما وعدنا الرحمن في أعلى الجنان، فلساني يعجز عن الوصف بإتقان، فهذا ما لم يخطر على قلب إنسان، حينما يسأل ألم تجدوا يا عبادي ما وعدتكم به في القرآن، يقولون بلى وأكثر من هذا يا رحمن. أو بعد هذا تنسى مبدع الأكوان، وتهجر دينه، يا للنكران، كم أنت تائه في زحمة الأزمان، واليوم يطوي أمسه والعمر ثوان.

أختاه أما لهذا القلب من توبة، أما من نهاية لهذه الأحزان، فالقلب كم أشقاه هذا الهجران، ترى هل سنكون ونبقى أخوات في الله، ويمتد شوقنا عند اللقاء في ظل عرش الرحمن؟

سمر زكريا الأنصاري - جريدة «الإيمان»

في بيتنا طفلة من أهل الجنة

حدثتني صديقتي ودموع الأسى تقطر من عينيها فتحرق قلبي، إذ قالت: كم ذهلت عندما أخبرني طبيب الأطفال الذي تولى علاج ابنتي أنها متخلفة عقلياً، فلم أصدق ما قاله، وأنكرت كلامه وعزمت على أخذ ابنتي إلى إحدى المصحات العالمية لعمل الفحوصات اللازمة، فصدمت عندما تأكد لي صدق ما قاله الطبيب أن ابنتي ستكون معاقة جسدياً ومتخلفة عقلياً، وأصبت بخيبة أمل شديدة واكتئاب حاد أدى إلى ضعف اهتمامي بكل أمور حياتي فصارت الحياة كلها في عيني لا تساوي شيئاً، أما زوجي، فقد أصيب بضغط نفسي شديد أدى إلى أمراض في جهازه الهضمي، وعشت ليالي عسيرة أتعذب فيها من الاضطرابات النفسية من فقدات للشهية وأرق وفقدان القدرة على التمتع بأي أمر من أمور الحياة، وكانت مشاعري مضطربة فتارة أشعر بالذنب، وأظن أن ما أصاب ابنتي كان عقوبة لي من الله لأنني لم أكن راضية بما قسم الله، فلقد تقليت خبر حملي بها بالتسخط والبكاء، وتارة أفكر في مستقبلها واسأل نفسي هل سيتحملها أحد إذا قدر الله أن توفاني قبلها؟

وأحياناً كنت أقضي وقتاً طويلاً في تدريبها على بعض المهارات الحياتية، ولكن الحقيقة المرة أن ابنتي تعاني من أشد أنواع الإعاقة الجسدية والعقلية، لذا لم تستفد من هذه التدريبات، وفي النهاية، قررت أن أترك الانفعال المفرط والحزن الشديد، وأحاول أن أرقى بنفسي عن الاستسلام للمشاعر السلبية لأنها أثرت في قدرتي على التكيف مع الحياة عموماً، ومشكلة ابنتي خصوصاً وأخذت أعمل جادة على الاهتمام ببيتي وأسرتي وبخاصة طفلتي المعاقة، وبعد فترة شعرت بحب الله يشع في قلبي، فيبدد مصيبتي وصارت معاني الايمان تتحول إلى تطبيق عملي في حياتي، فصرت أقضي وقتي بطلب العلم والعبادة واللجوء إلى الله، وهنا وجدت طعماً للحياة، رأيتها بعين الإيمان، فإذا بها حلوة يزينها الايمان والقرب من الله، وشعرت بلطف الله بي وبفضله عليَّ فتبدلت مشاعر الحزن والاكتئاب إلى راحة نفسية ورضا بقضاء الله، وأيقنت أن ما أصابني لم يكن ليخطئني وآمنت بحديث الرسول ـ ﷺ : «حلوة الدنيا مرة الآخرة، ومرة الدنيا حلوة الآخرة»، فهدأت نفسي ورضيت بما أصابني، وعلمت أن المصيبة لا تكون عقوبة من الله فحسب، إنما قد تكون تكفيراً عن السيئات أو رفعاً للدرجات، فهي رحمة من الله على كل حال.

والآن كلما رأيت أبنائي يتمتعون بالصحة شكرت الله على أنه أعطاني ثلاثة أطفال أصحاء، وواحدة فقط معاقة، وكلما انتابني الحزن من منظر ابنتي أذكر نفسي بصورتها المستقبلية «في الجنة» وهي ترفل بثوب الصحة والعافية والخلود في النعيم المقيم فأرتاح وتطمئن نفسي وأقول: الحمد لله في بيتنا طفلة من أهل الجنة.

باسمة الكوس جريدة الأنباء

الأجنة البريئة

بقلم: محمد سلامة جبر

كتب أحد المختصين في علم الأجنة مقالا بعنوان: (الأجنة البريئة لا روح فيها فكرة خاطئة). أثبت فيه أن الجنين حي منذ اللحظة الأولى، ورتب على ذلك حرمة الإسقاط إلا لضرورة ملجئة، فقال ...:

(يحمل عدد غير قليل من العامة وعدد لا بأس به من المثقفين فكرة لا أصل لها ولا يؤيدها منطق، وهي: أن الجنين لا روح له، ولا أهمية لحياته قبل ثلاثة أو أربعة أشهر من الحياة الرحمية، وقد يشتط البعض في فكرته إلى درجة الاعتقاد أن لا إثم ولا بأس من إسقاط الجنين خلال هذه الفترة أو قبلها!).

ثم قال: (وقد يُعزى رأي بعض الناس في ذلك إلى فهم خاطئ لحديث رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق فقال:

«إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون مثل ذلك علقة، ثم يكون مثل ذلك مضغة ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتْب أربع كلمات: رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد» رواه البخاري ومسلم ثم عقّب على ذلك بقوله:



(ونقول: إن هذا الفهم خاطئ لأسباب، منها: أن الروح التي هي أساس الحياة موجودة في هذا المخلوق منذ تكونت النطفة الأمشاج التي تنتج عن اتحاد نصفي الخلية المذكرة والمؤنثة، وعنصر الحياة الذي بدأ يمنع من إنهائها) اهـ كلامه بتصرف في اختيار الفقرات».

والسؤال: هل أصاب الباحث أم أخطأ؟!

حديث ابن مسعود متفق على صحته!

وصرفه عن ظاهره تعسف مردود!

قلت أولاً: بدعة رد حديث ابن مسعود بنفخ الروح في الجنين بعد ثلاثة أربعينات من تلقيح البييضة لا نعرفها ولم نسمع بها إلا من الأطباء المسلمين الذين برزوا في علوم الأجنة في النصف الثاني من القرن العشرين!!

ونلاحظ أن أولئك الأطباء ليس لهم باع في علوم الشريعة يؤهلهم للحكم على الأحاديث بالرد أو القبول، أو يمنحهم حق فهمها على مراد رسول الله ﷺ !

ثانياً: مع ما تقدم نؤمن شرعا وعقلا بحياة الجنين منذ لحظة التقاء الحيوان المنوي بالبييضة، بل نقول أكثر من

ذلك، فإن الحيوان المنوي والبييضة، كل منهما حي على حدته قبل الالتقاء، وإلا لما نشأ من التقائهما نماء!!

ثالثاً: إذا تبين ما تقدم، فالأطباء أولى من غيرهم بالإيمان بتنوع الحياة في الكائنات الحية، فحياة كل من الحيوان المنوي والبييضة قبل الالتقاء تختلف عن حياتهما بعده، وحياة النطفة الأمشاج والعلقة والمضغة، تختلف عن حياة الجنين إذا عبر تلك المراحل الثلاث، ونفخ الله فيه الروح بوساطة الملك الموكل بالأرحام، وقدر رزقه، وأجله، وعمله، وشقياً أو سعيداً!!

الإنسان الخليفة

رابعاً: من الواضح من سياق الحديث أن الجنين قد اكتملت فيه مقومات (الإنسان الخليفة) حين اكتمل نمو جهازه العصبي الذي يصل الروح الإنساني بالجسد، وبذلك يتم للروح الذي هو الذات الإنسانية على الحق والحقيقة، يتم له التمكن من امتطاء دابته التي هي البدن وتدبيره بأمر الله، ولهذا لم تظهر حركة الجنين في بطن أمه على جدار البطن إلا بعد مرور مئة وعشرين يوما جاء ذكرها في الحديث الذي يعد من آيات النبوة الباهرة!

الجهاز العصبي في الجنين

خامساً: احتار الأطباء في سبب إحساس الحوامل بحركة الجنين بعد الأشهر الأربعة الأولى، لأن الجنين يسبح في ماء الرحم منذ الشهر الأول، فلماذا لم تشعر الأم بحركته إلا بعد مئة وعشرين يوما؟! وقد أصاب الحق منهم من قال: إن الجهاز العصبي في الجنين يكتمل نموه في مئة وعشرين، وعندئذ يتمكن الجنين من تحريك مفاصله، ويضرب جدار البطن بأطرافه، فتحس الأم بحركته بوضوح، ولا ينكر هذا إلا مكابر!!

سادساً: إذا تبين أن الجهاز العصبي في الجنين يكتمل نموه بعد الزمن المحدد الذي جاء في الحديث، وأن الحركة المفصلية تحدث عقيب ذلك، تأكد لدينا استعداد الجنين لاستقبال الروح الإنسانية بوساطة الجهاز العصبي، وهذه الروح الإنسانية تختلف عن الروح الحيوانية التي كان بها الجنين حياً نامياً، وهي كالشرط الذي لابد من تحققه لتحقق المشروط، وهو هنا النفخة الإلهية بوساطة الملك!

وبوسعنا تقريب ذلك بمثال، فإن التيار الكهربي الساري في التلفاز مثلا، شرط لاستقبال التلفاز للموجات الكهرومغناطيسية التي تحمل الصورة، وإلا استحال الاستقبال وظهور الصورة، وهذا عين مسألتنا لمن فهم المثال، فإن الروح السارية في الجنين منذ اللحظة الأولى، شرط لاستعداده تقبل النفخة الربانية بالروح التي هي الحقيقة الإنسانية، وهي الجزء المدرك من الإنسان، وعليها يقع النعيم أو العذاب في عالم البرزخ بعد الموت!

لابد من حياة القلب ليتم زرعه

سابعاً: يؤكد ما تقدم ويوضحه أن الأجزاء التي تنقل من الإنسان فور تحقق موته بمفارقة الروح الإنسانية له إلى عالمها، هذه الأجزاء لابد أن تكون حية ليمكن زرعها في إنسان آخر هو في حاجة إليها كالقلب!! ولا يمكن القول إن الحياة السارية في القلب بعد وفاة صاحبه هي الروح الإنساني المنفوخ في الجنين بعد ثلاثة أربعينات، لأن تلك الروح قد فارقت بدنها إلى عالم البرزخ، ولهذا تتراءى في المنام لمن يشاء الله من الأحياء!!

ثامناً: إذا تبين لنا أن الجنين حي قبل نفخ الروح فيه على رأس مئة وعشرين يوما من بدء الحمل، علمنا بالقطع أن الروح التي أمر الله الملك بنفخها في الجنين ليست هي الروح التي يحيا بها الجنين قبل ذلك، فتعين القول: إن تلك النفخة هي الروح التي هي حقيقة الإنسان، ولها وجود حق، وكينونة واقعة، لا يماري فيها إلا من لا يؤمن بقول الصادق المصدوق ﷺ فيما رواه عنه ابن مسعود ﷺ، والمعروف أن ابن مسعود كان مقلاً في رواية الأحاديث، لأنه لم يكن يروي إلا ما تيقن من حفظه له حفظا تاما، ولهذا يقدم حديثه على سائر ما رواه غيره عند الاختلاف!

النفخة الربانية هي حقيقة الإنسان!!

تاسعاً: يؤكد كون الروح المنفوخة في الجنين بعد أربعة أشهر هي الروح التي هي حقيقة الإنسان، إجماع الفقهاء على حرمة إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه، بينما اختلفوا في الإسقاط قبل ذلك، وجعلوا الحرمة أقل قدرا قبل النفخ منها بعده!!

ويؤكد ذلك كذلك أن الجنين إذا سقط أو أُسقط بعد نفخ الروح فيه يبعث يوم القيامة، لأنه إنسان على الحقيقة، بينما لو سقط قبل ذلك أو أُسقط لا يبعث!!

(ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بِكَتْب أربعة: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد).

فهذا التقدير من الله سبحانه يثبت تحقق الإنسانية في الجنين، واعتباره فرداً ممن يبعثون، وهذا جلي واضح لا يماري فيه إلا مكابر!!

الروح الهوائية.. والروح الربانية!

عاشراً: تقدم أن بدعة رد حديث ابن مسعود، أو التعسف في تأويله أمر مبتدع في زمننا هذا ولم يكن معروفا عند أئمتنا الأعلام في العصور السابقة كافة، وسر ذلك ما كشفه علم الأجنة من حياة النطفة ودقات قلب الجنين بعد أسابيع قليلة من الحمل، ولم يستطيعوا التفرقة بين حياة وحياة، وروح وروح!

وفي تقرير تلك الحقيقة يقول الإمام الدهلوي رحمه الله:

(الجسد مطية للروح الهوائية والروح الهوائية مطية للروح الإلهية).

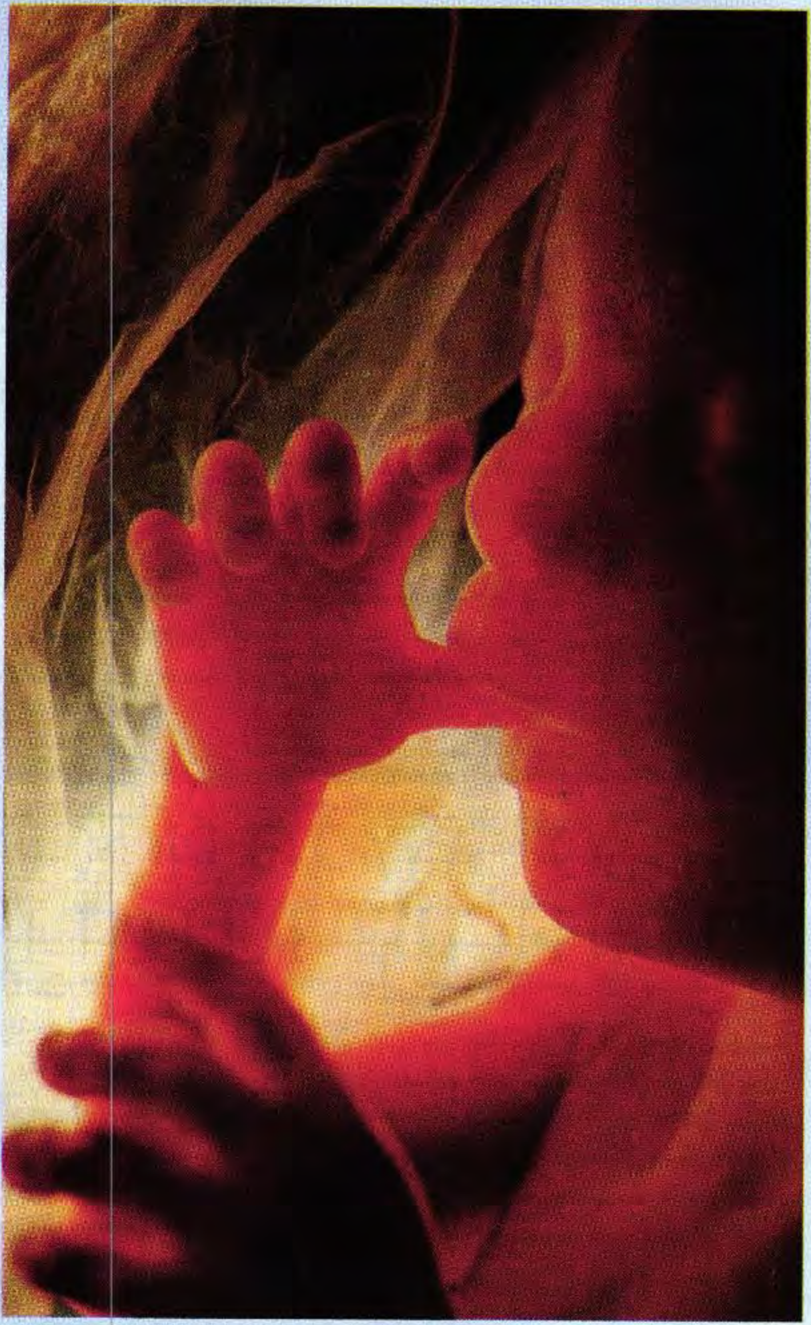
ويعني بالروح الهوائية: الروح التي يحيا بها الجسد ويسميها (النَّسمة) وكما أن سلامة الجسد شرط لقبوله الحياة، فكذلك حياته شرط لقبوله الروح الإلهية!

ثم يقول رحمه الله :

(قد تحقق عندنا بالوجدان الصحيح أن الموت انفكاك النسمة عن البدن لفقد استعداد البدن لتوليدها لا انفكاك الروح القدس عن النَّسمة) حجة الله البالغة ٣٩.

حادي عشر: لا يلزم مما تقدم إباحة الإجهاض قبل نفخ الروح دون سبب لأن الجنين حي حياة أولية تعده بإذن الله لتقبل الروح الإلهية وإسقاطه دون سبب جناية على حاصل، وإن كانت الجناية أشد شناعة بعد نفخ الروح في الجنين!!

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق. ■



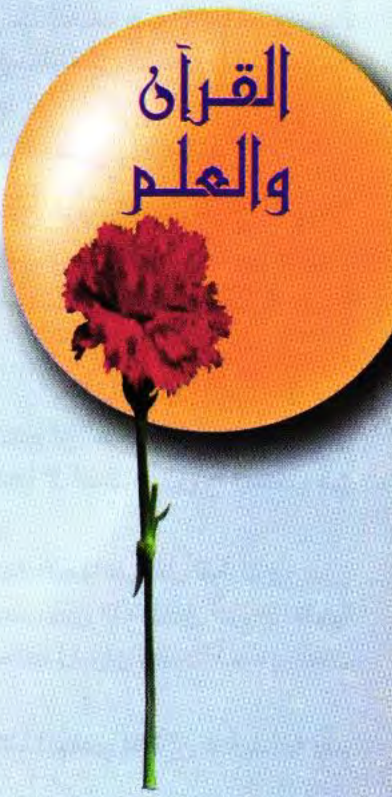
«كان الظن عند أهل العلم ـ منذ القرن الرابع قبل الميلاد ـ أن الجنين إنما هو إنسان مصغر جدا متوضع ضمن نطفة الرجل، أو متوضع في بويضة المرأة ويسقى ويتخمر بماء الرجل الذي يُصب في الرحم.. ثم ينمو في تربة الرحم حتى يبلغ حجمه المعروف، من دون أن يطرأ عليه أي تغيير في تركيبه أو شكله!

أما القرآن العظيم فقد نصت آياته في سورتي «الحج» و«المؤمنون» ـ منذ القرن السابع الميلادي وطوال ما يقرب من أربعة عشر قرنا ـ أن ما يطرأ على الجنين إنما هو تطور في أشكال الخلق وليس مجرد نمو في الحجم والوزن، وسمى أطواره المتنامية بأسمائها المتمايزة ورتبها.

ولم يهتد علماء الأجنة إلى أن خلق الجنين يكون في مثل هذه الأطوار المختلفة إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين».

بقلم: معتز ياسين

القرآن والعلم



وقد خلقكم أطوارا

نطفة من مني

باختراع المجهر وتطوير التقنيات المختبرية، تبين للمختصين في علم الأجنة أن حجم كل دفقة من دفقات المني تبلغ «٣ ـ ٥» سم٣، وكل «١» سم٣ من الدفقة يحوي «٦٠ ـ ١٨٠» مليون حيمن (٢)، أو (نطفة) حسب الاصطلاح القرآني. ولا تخرج النطفة عن كونها خلية واحدة تتشكل من خلايا القنيات المنوية للخصية.

وتتنافس هذه الملايين من النطف معا في سباق جبار داخل الرحم، ولكن لا يصل إلى البويضة «العروس» في قناة الرحم «أو قناة فالوب» سوى العشرات، ومن تلك العشرات تفلح نطفة واحدة في اختراق جدار البويضة

لتتشارك نواتاهما في عملية التحام مصيري. وبعدئذ يصبح الغلاف الخارجي للبويضة مقبرة أو سدا منيعا أمام سائر النطف. وقد تفلح نطفتان في تلقيح بويضتين وهذا ما يحدث في حالات التوائم الكاذبة (غير المثيلة).

ثم لنتمعن قوله تعالى: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى) «النجم: ٤٥ ـ ٤٦»، وقوله تعالى: (أيحسب الإنسان أن يترك سدى. ألم يك نطفة من مني يمنى) «القيامة: ٣٦ ـ ٣٧». فقد كان بعض المفسرين يشرحون لفظة النطفة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أنها ماء الرجل. ولكن آيتي النجم والقيامة تحددان أن خلق الإنسان لا يكون من جميع المني أو «السائل المنوي» بالاصطلاح الطبي، بل يكون من النطفة (الحيمن). أن النطفة إذاً بعض من كل، فالمني سائل لزج يتألف من مكونات عدة: النطف ـ سائل البروستاتة ـ سائل غدة كوبر (الحويصل المنوي) ـ إفراز مخاطي من غشاء المجرى البولي.

وهكذا نرى وجوب التفرقة بين النطفة (الحيمن) والمني (السائل المنوي) كما أشار القرآن قبل نحو ١٥ قرنا.

من نطفة أمشاج

في أواخر القرن التاسع عشر تمكن العالم هيرتويغ (العام ١٨٧٥) ومن بعده العالم فان بندن (العام ١٨٨٣) ـ بمساعدة المجهر الذي صنع العام ١٥٩٠ ـ من مشاهدة عملية اختلاط النطفة بالبويضة واندماجهما في خلية واحدة اصطلح على تسميتها علمياً (البويضة الملقحة) [وتسمى أيضاً (الزيجوت)] واصطلح على تسمية عملية الاختلاط والامتزاج بالإخصاب.

وإذا عدنا إلى القرن السابع الميلادي نجد أن القرآن أشار إلى أن الإنسان يخلق من نطفة أمشاج.. يقول تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) «الإنسان: ١ ـ ٢». والأمشاج لغة تعني الاخلاط (٣)، وعليه يكون هذا الاصطلاح القرآني (نطفة أمشاج) أشارة إلى الناتج من اختلاط محتوى النطفة الذكرية بمحتوى النطفة الأنثوية.

وهذه الإشارة إلى لفظة (نطفة المرأة) أوضح في الحديث النبوي، بل حتى انها لم ترد بشكل صريح إلا فيه، فعن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال: «مر يهودي برسول الله [وهو يحدث أصحابه فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي فقال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي، فجاء حتى جلس ثم قال، يا محمد، مم يخلق الإنسان؟ قال: يا يهودي من كل يخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم. فقام اليهودي فقال: هكذا كان يقول من قبلك». (٤)

فأي وصف أدق لهذه اللحظة من قوله تعالى (نطفة أمشاج)؟

خلق الإنسان من علق

وما أن يتم طور النطفة الأمشاج (أو البويضة الملقحة)، حتى تبادر بالانقسام إلى خليتين متلاصقتين، ومن ثم إلى أربع، فثمان، فست عشرة.. وهكذا، حتى تصبح في الأسبوع الأول من الحمل كرة تشبه في منظرها ثمرة التوت، لذا تسمى (الجسم التوتي)، الذي يرسل استطالات دقيقة تنغرز في جدار الرحم وتعلق (٥) به خلال ٢٤ ساعة من بدء هذا الطور وكأنها جذور النبات الضاربة في الأرض، ويدخل الجنين في طور العلقة، ويسمى علميا «طور التعشيش».

هذه الاستطالات ـ وتسمى علميا الخلايا القاضمة cytotrophoblast ـ تقضم جدار الرحم وعروقه فينسكب الدم الغزير بركا حول العلقة، وتنغمس الاستطالات في برك الدم لتؤمن غذاء الجنين، وبهذه الاستطالات يتثبت الجنين بالرحم ليكون مأوى له ومستقرا، وعندها يكون للجنين مظهر العلقة وتستمر هذه المرحلة ما بين ١٥ و٢١ يوماً. وتصير هذه الاستطالات ـ في الأطوار اللاحقة ـ إلى ما يسمى المعلاق Connecting Stalk، ثم يصير إلى ما يعرف بالحبل السري Umbilical Cord.

ويشير القرآن إلى هذا التعلق خمس مرات: في سورة الحج (من نطفة ثم من علقة) «الآية ٥»، والمؤمنون (ثم خلقنا النطفة علقة) «الآية ١٤»، وغافر (وهو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون) «الآية ٦٧»، والقيامة (ثم كان علقة فخلق فسوى) «الآية ٣٨»، والعلق (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق) «الآية ٢».

ولا شك أن أهم ما يميز فترة الأسبوع التالي لطور النطفة الأمشاج هو هذا العلوق. وقد لا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة بالعلقة إلا من شاهد تلك الكتلة وهي عالقة بجدار الرحم علوقا وليس التصاقا (٦). يقول موريس بوكاي: إن استخدام بعض علماء الأجنة لفظة الالتصاق Attachment عوضا عن العلوق Implantation لا يعطي الوصف الصحيح.

ألا ترى بعد هذا كله أن لفظة (العلق) (٧) التي سميت بها أول سورة نزلت من القرآن العظيم هي الوصف اللغوي الأدق علميا لهذه المرحلة الزمنية من تطور الجنين، وإن كان بعض علماء الأجنة لا يشيرون إليها في مؤلفاتهم!؟

فخلقنا العلقة مضغة

ثم يذكر علم الأجنة الحديث أنه في الأسبوع الثالث بعد تمام طور العلوق (التعشيش) يبدأ طور المضغة، يقول تعالى: (فخلقنا العلقة مضغة) «المؤمنون: ١٤».

ويكون الجنين عندها عبارة عن قرص مؤلف من وريقتين: خارجية Ectoderm وداخلية Endoderm، ثم تتشكل بينهما وريقة ثالثة هي الوريقة المتوسطة Mesoderm.

وحتى نهاية الأسبوع الرابع لا يكون هناك أي تمايز لأي عضو أو جهاز، وعليه يمكن أن نسمي هذه المرحلة ـ حسب المصطلح القرآني الكريم ـ بـ (المضغة غير المخلَّقة)، يقول تعالى: (ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلَّقة لنبين لكم) «الحج: ٥».

ثم «بين الأسبوعين الخامس والثامن» يمر الحمل في أدق مراحله وأعقدها، إذ يطرأ على الوريقات الثلاث جملة تغيرات نسيجية هادفة ومدهشة. فكل زمرة من خلايا هذه الوريقات تأخذ على عاتقها تشكيل واحد من

أجهزة الجسم وأعضائه، في إطار من التكامل والتنسيق بين هذه الأجهزة. فالوريقة الخارجية يتشكل منها: الدماغ، والأعصاب، وقسم من الجلد، والأشعار، والأظافر، والأغشية المخاطية، والحواس. والوريقة المتوسطة يتشكل منها: القلب، والأوعية، والدم، والعظام، والعضلات، والجهاز البولي التناسلي، وبقية الجلد، وقسم من الغدد الصم. أما الوريقة الداخلية فيتشكل منها: الجهاز التنفسي، والجهاز الهضمي، والدرق، وجارات الدرق parathyroid والكبد، والمعثكلة pancreas.

وتنتهي عملية التخلق هذه في نهاية الشهر الثالث، وقد سماها علماء الأجنة مرحلة (التمايز) Differentiation [أو مرحلة (تكون الأعضاء) Organogenesis]، ومن قبلهم سماها القرآن طور (المضغة المخلقة).

إذاً، فطور المضغة يمر بمرحلتين: المرحلة الأولى التي لا يتشكل فيها أي عضو أو جهاز وأسماها القرآن المضغة غير المخلّقة، والمرحلة الثانية التي يتم فيها تكون الأجهزة المختلفة وتمييزها وأسماها القرآن المضغة المخلّقة.

وهكذا يتضح جليا إعجاز القرآن الكريم في هذه الإشارة الجنينية وإلى أي مدى كان دقيقا من الوجهة العلمية.

وقد يتساءل أحدنا: هل ترتيب القرآن يخالف ترتيب العلم بذكره المخلّقة من قبل ؟ الجواب إن الواو لا تفيد الترتيب أو التعقيب، بل هذه للجمع فقط؛ فقد يكون الثاني ذكرا هو الأول ترتيبا.

وهناك تفسير آخر لهذه الآية الكريمة نستقيه من قول للدكتور ليزلي آري : إن معظم خلايا الجنين تتمايز إلى ما قدر لها من عظام أو عضلات أو احشاء، ويبقى قسم من خلايا الجنين إلى آخر عمر الإنسان متمايزة. وفي هذا حكمة الخالق وتقديره، فهي خلايا احتياطية لنجدة الجسم في الطوارئ؛ فإذا أصاب الإنسان فقر دم تحول بعضها إلى كريات دم حمراء وعند غزو الجراثيم تتمايز إلى عناصر مقاومة من كريات دم بيضاء، ولالتئام الجروح تصير خلايا جلدية، ولجبر كسر العظم تتشكل في هيئة خلايا عظمية (٨).

فالخلايا التي تمايزت إنسانا بأعضائه وأجهزته هي المضغة المخلّقة. والخلايا غير المتمايزة التي تتمايز حسب الحاجة وإلى آخر العمر هي القسم غير المخلّق من مضغة الجنين. وهذا وجه من التفاسير يتفق والحقيقة العلمية.

فكسونا العظام لحما

وعندما نتأمل قوله تعالى في سورة «المؤمنون» (فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما) «الآية ١٤»، نلمس اعجازاً في الإشارة إلى كون العظام أول الأنسجة والأعضاء والأجهزة ظهورا من المضغة «أو ما يسمى علميا القرص المضغي».

ثم عندنا نتأمل قوله تعالى في تتمة الآية السابقة (فكسونا العظام لحما) وقوله تعالى في سورة البقرة (وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما) «الآية ٢٥٩»، نلمس أيضا إشارة قرآنية إلى تخلق أصول العضلات «اللحم» وتمايزها بعد تخلّق أصول العظام (٩).

وهاتان الحقيقتان يؤكدهما علم الأجنة الحديث بما يمتلك من مجاهر وأشعة سينية وموجات فوق الصوتية Ultraaound وغيرها من التقنيات التصويرية.

فتأمل دقة القرآن هذه !

(ثم أنشأناه خلقاً آخر)

وعند اكتمال مرحلة كساء العظام باللحم في نهاية الأسبوع الثامن، تبدأ بعدها وحتى بدء آلام الطلق (المخاض) مرحلة النشأة في خلق آخر، يقول تعالى (ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) «المؤمنون: ١٤». والنشأة في خلق آخر تعني أموراً عدة في قوله تعالى (يأيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم. الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركّبك) «الإنفطار: ٦ـ ٨»:

١ ـ النمو النشيط الفعّال: فأبرز سمة في هذه المرحلة هي ظاهرة النمو المتصل السريع، ولا يكون في هذه المرحلة سوى اليسير من التخلق بهذا المعنى.

٢ ـ تمايز أعضاء الجنين: ففعل (نشأ) يحمل معنى بدء التنامي ومعنى التنامي نفسه.

٣ ـ التسوية والتعديل: فالفعل (سواك) يعني هنا جعل الشيء متكاملا ومتقنا، أما (عدلك) فتعني تعديلا في الشكل (المظهر والصورة) من أجل خلق شيء محدد.

٤ ـ التصوير: وأهمه تحديد ملامح الوجه وتكون الأعضاء التناسلية الخارجية.

والآيات القرآنية الدالة على التصوير كثيرة، منها قوله تعالى (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم) «آل عمران: ٦» وقوله تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) «الانفطار: ٨».

وتتم التسوية والتعديل مع التصوير.. وقبله.. وبعده؛ إذ لابد أن تمر أعضاء الجنين بنقلة من نقلات التسوية والتعديل مرورا مثيرا، وهذا هو أهم ما في خلق الجنين خلقا آخر، خلقا غير الذي بدأ به رحلته في عالم الأرحام!

٥ ـ نفخ الروح: لا يعرف العلم عن النفخ وعن الروح إلا آثارها، وتبقى الكيفية والزمان من الغيبيات، يقول تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) «الإسراء: ٨٥»، والمؤمن بذلك ما عليه إلا التسليم، يقول تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) «آل عمران: ٧».

ومثلما لم يركز تقسيم بعض علماء الأجنة على طور العلقة، فإنهم لم يركزوا أيضاً على طور النشأة الأخرى من حيث التصوير والتسوية والتعديل، وهذا يجعل التقسيم القرآني لأطوار (مراحل) نمو الجنين الإنساني أدق.

إن في ذلك لذكرى

بقدر ما في مسألة خلق الإنسان من أسرار تتطلب البحث وبقدر ما وقع عليه العلم في هذه المسألة الشيقة من روائع، تجد في كتاب الحق تبارك وتعالى اهتماما كبيرا بهذه المرحلة الشيقة المثيرة، وتذكيرا متكررا بتلك المشاهد المتتابعة من أطوار خلق الإنسان، التي تبتدئ بتلك النطفة المهينة إلى تمام خلقه وخروجه طفلا في أحسن تقويم.

والناظر في الآيات القرآنية التي تحكي قصة الأجنة في عالم الأرحام ـ وهو يضع في جعبته حقائق القرن عن علم الأجنة

embryology - يشعر بأن الله سبحانه يخاطب إنسان هذا العصر بلغة العلم نفسها التي يتباهى بها! وسيجد أن القرآن في ما تناوله من علم الأجنة بلغ غاية الخرق لحجب الغيب وكان في غاية الإعجاز مثل ما هي حاله في إشاراته العلمية جميعا.

أن آيات سورتي الحج والمؤمنون على ايجازهما تحويان أهم أطوار خلق الجنين. وإن إشارة القرآن إلى تخلق الجنين في أطوار هو إعجاز، وذكر اسماء هذه الأطوار في ألفاظ شابهت تلك التي استخدمها علم الأجنة الحديث هو إعجاز، وترتيبها بما يتوافق والحقائق العلمية هو إعجاز، والايجاز المبسّط في ألفاظه عند ذكر هذه الأمور إيجازاً غير مخل في علميته ودقته هو إعجاز.

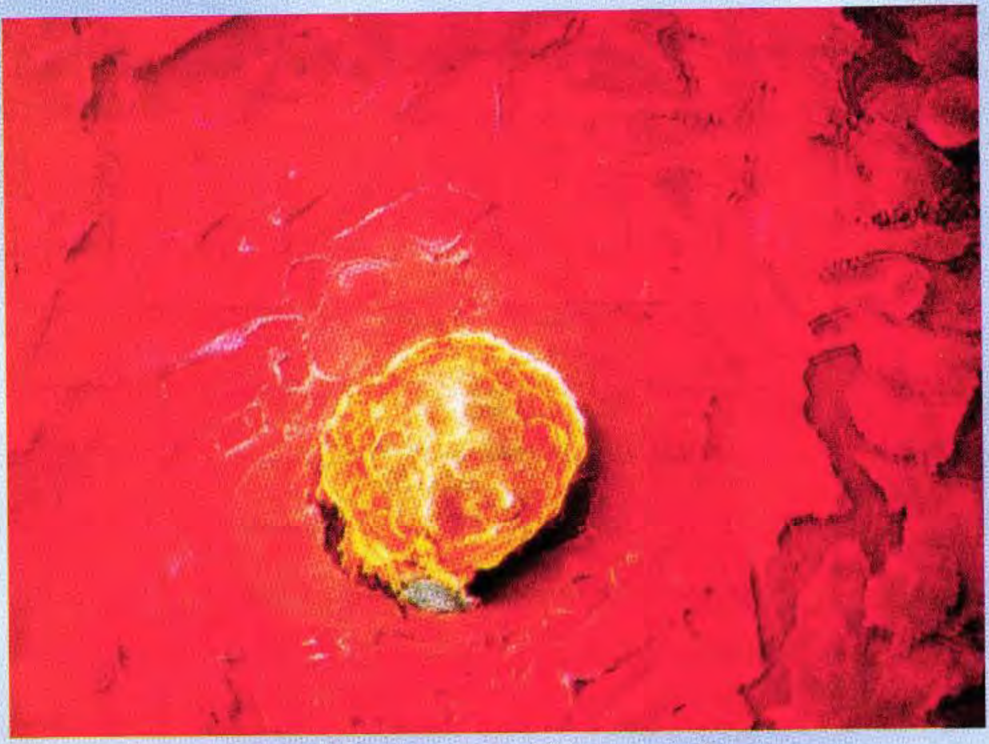
تلك هي قصة الجنين التي تناولها القرآن العظيم تناولا لم يسبقه إليه أحد، ولم يبق فيه لجيل من الأجيال إلا أن يضيف إلى هذه القصة شرحاً وتفصيلاً.

تلك هي قصة الجنين في القرآن التي لا يستطيع العلم أن ينقد أي جزئية منها.

أفبعد هذا يقولون القرآن هو من عند أمي ترعرع قبل أربعة عشر قرنا في واد غير ذي زرع، وسط صحراء لم تعرف أي لون من ألوان المدنية والحضارة؟!.. (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) «النساء: ٨٢».

معاني الآيات القرآنية عن أطوار تخلّق الإنسان المرتكزة على المعرفة العلمية الحديثة. ومن المتوقع مستقبلا أن يدهش الكثيرون، مثلما دهش من قبلهم الكثيرون. وستزداد دهشة هؤلاء وأولئك عندما يصبح معروفا لدى الجميع أن مراقبة تطور الجنين - تلك المراقبة التي جرت في الثمانينات - كشف عنها القرآن العظيم قبل أكثر من ١٤١٩ سنة» (١٠).

ونحن إذ نودع عالم الأجنة في رحلة أطوارها لنقرأ معا قوله تعالى في الآية ٥ من سورة الحج: (يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج). وقوله تعالى في سورة المؤمنون: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) «الآيات: ١٢ - ١٦». ■



● جنين عمره ٨ أيام وقد تشبث بجدار الرحم

الهوامش والمراجع:

(٢) الحيمن هو اختصار منحوت من (الحوين المنوي)، والحوين تصغير كلمة حيوان.

(٣) (المشج) هو كل لونين اختلطا أو كل شيئين مختلطين، انظر لسان العرب.

(٤) انفرد بهذا الحديث الإمام أحمد ابن حنبل في مسند المكثرين من الصحابة، ورقم الحديث ٤٢٠٦.

(٥) جاء في المصباح المنير: أعلقت ظفري بالشيء، أي أنشبته فيه.

(٦) انظر كتاب (الطفل عندما يولد child is born) الذي يضم صورا رائعة للنطفة والعلقة والمضغة، بل حتى صور ظهور علامات الذكورة أو الأنوثة وحركات الجنين وتقلباته.

(٧) ورد في الصفحة ١٤٢ من تفسير عفيف عبد الفتاح طبارة لجزء عم أن العلق جمع علقة.

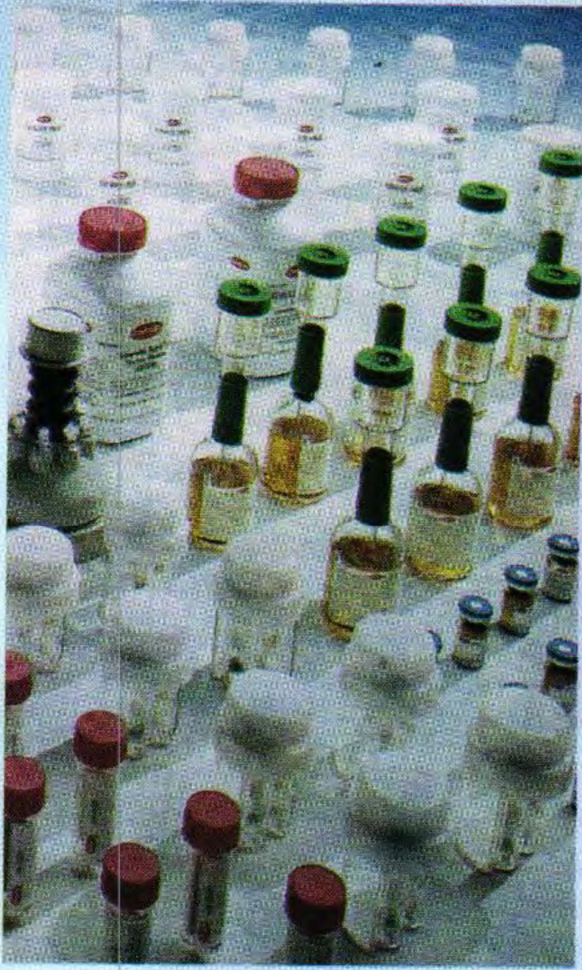
(٨) عن كتابه: (Developmental Anatomy).

(٩) يبدأ طور المضغة في الأسبوع الثالث، وخلال هذا الطور تتشكل العظام في الأسبوع السادس والعضلات في الأسبوع السابع عن جريدة اللواء الإسلامي اللبنانية.

(١٠) من كتابه (التطور الإنساني - تحليل إسلامي لعلم الأجنة).

* خلق الإنسان بين الطب والقرآن: د. محمد علي البار، الدار السعودية، جدة، ١٩٩١.
* القرآن والطب، د. محمد وصفي، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٥.
* مع الطب في القرآن الكريم: د. عبد الحميد دياب، د. أحمد قرقوز، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ.
* دراسة الكتب المقدسة - القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: د. موريس بوكاي، الفتح للإعلام العربي.
* الإنسان في الكون بين القرآن والعلم: د. عبد العليم خضر، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٣.

ما تنبغي معرفته عن لقاحات الأطفال



بقلم: د. رضوان أحمد بيطار

إن التعرض للعضويات الدقيقة المسببة للأمراض الإنتانية كالجراثيم والفيروسات يعتبر من التحديات الكبيرة التي تواجه المولود عندما يبدأ وجوده المستقل خارج رحم أمه، لذلك كانت الوقاية من بعض الأمراض الإنتانية - بوساطة التطعيم الذي يعطي خلال سني الطفولة والشباب وقد يبدأ منذ الأيام الأولى للولادة - ذات أهمية بالغة.

ولكي تدرك الأم أهمية إعطاء الطفل اللقاحات للوقاية من الأمراض الإنتانية لابد من ذكر بعض الحقائق «الأصحائية» المتعلقة بذلك.

□ الحصبة تقتل أكثر من مليون طفل كل عام



□ اللبأ الذي يفرز من ثديي الأم فيه مواد مضادة للسعال الديكي

□ ما الأمراض التي تمنع تلقيح الطفل أو تأجيله؟

- يموت أكثر من أحد عشر مليون طفل دون سن الخامسة من العمر في العالم النامي كل عام، تسعة ملايين منهم بسبب الأمراض الإنتانية التي تسببها الفيروسات والبكتريا علماً أنه بالإمكان الوقاية من ٢٥٪ من هذه الأمراض بوساطة التطعيم.

- تعتبر ستة أمراض من الأسباب الرئيسة لوفاة الأطفال وهي: الحصبة والسعال الديكي والكزاز والخناق والسل (الدرن) وشلل الأطفال، وكلها بالإمكان الوقاية منها بوساطة التطعيم.

- تقتل الحصبة نحو ١.٢ مليون طفل كل عام في أنحاء العالم.

- يموت أكثر من نصف مليون طفل كل عام نتيجة إصابة الأطفال حديثي الولادة بالكزاز (التيتانوس).

- لقد تم التعرف على أنواع عدة جديدة من الفيروسات التي تسبب التهاب الكبد في السنوات الأخيرة ولقد أصيب بالنوع B نحو ٢ بليون إنسان في العالم، ٣٥٠ مليون منهم يعانون من التهاب مزمن في الكبد، وهم لذلك معرضون لخطر الوفاة نتيجة لذلك.

- يقتل فيروس التهاب الكبد من نوع B نحو مليون إنسان كل عام بالرغم من أنه يمكن الوقاية منه بوساطة إعطاء اللقاحات.

- نحو ١٠٠ مليون شخص مصاب بالتهاب مزمن، وغير قابل للعلاج، في الكبد بفيروس من نوع C، كما يمكن لالتهاب الكبد من نوع E أن يسبب أوبئة في البلاد ذات المناخ الحار.

ولكي تتضح أكثر أهمية إعطاء اللقاحات للطفل ونحض الأم على ألا تتأخر في ذلك، ويجدر بنا هنا أن نذكر نبذاً عن أهم الأمراض

ومضاعفاتها والتي يمكن الوقاية منها بتطعيم الأطفال :

الكزاز (التيتانوس)

يدخل الميكروب المسبب لهذا المرض إلى جسم الطفل عادة عبر السرة نتيجة لقطع الحبل السري بأداة غير معقمة، أو بسبب تلوث الجروح وعدم العناية بها وعدم تضميدها بضماد نظيف، وتشكل الإصابة بهذا المرض خطراً على حياة الطفل وخصوصاً حديثي الولادة وتكون الوقاية منه بتطعيم الأم أثناء الحمل وبتطعيم الطفل فيما بعد.

شلل الأطفال

وهو مرض إنتاني حاد يسببه فيروس شلل الأطفال وهو من ثلاث فصائل، قد يترك الطفل المصاب مقعداً لإصابته بشلل في أطرافه مما يسبب معاناة مديدة له ولعائلته، كما قد يسبب الوفاة إذا أصاب الشلل العضلات التنفسية... ويمكن الوقاية منه بإعطاء لقاح شلل الأطفال ثلاثي الفصائل (OPV) والذي تنصح باستخدامه منظمة الصحة العالمية، لذلك فإن كل طفل يولد يجب أن يعطى ٣ ـ ٤ جرعات من الـ (OPV) في عامه الأول.

السعال الديكي

وهو من الأمراض الإنتانية المميتة ويسببه نوع من البكتريا، وتحدث ٤٠٪ من حالات الوفاة بسبب هذا المرض في أثناء الأشهر الأربعة الأولى من حياة الطفل، وذلك لأن الطفل لا يكتسب مناعة من هذا المرض من والدته، فالأجسام المضادة للمرض لا تنتقل عبر المشيمة أثناء الحمل، لكن اللبأ الذي يفرز من ثديي الأم في الأيام الأولى التي تلي الولادة يحوي هذه الأجسام المضادة للمرض وبذلك يمكن أن تنقل المناعة للطفل عن طريق إرضاعه من الثدي منذ الساعات الأولى لولادته. إن هذا المرض قد يسبب عدداً من المضاعفات المميتة مثل ذات الرئة والتهاب القصبات والتهاب الدماغ والتشنجات والغيبوبة والشلل كما قد يسبب التهاب الأذن الوسطى.

الخناق (الدفتريا)

وهو مرض ينجم عن نوع من البكتريا تفرز سموماً (ذيفانات) تسبب المرض، وأهم مضاعفاته التهاب عضلة القلب التي قد تؤدي إلى وفاة الطفل بعد الأسبوع الثاني أو الثالث للإصابة بالمرض.

الحصبة

وهو مرض إنتاني سريع الانتقال يسببه فيروس ويعتبر سبباً مهماً لوفاة الأطفال في المجتمعات الفقيرة، وأهم مضاعفاته ذات الرئة والتي تعتبر مسؤولة عن أغلب حالات الوفاة والتي يمكن أن تبلغ ٥٪ من الحالات المرضية في البلدان النامية. ومن مضاعفات الحصبة الخطيرة أيضاً التهاب الدماغ. كما تسبب الحصبة مضاعفات أخرى كالتهاب الأذن الوسطى والعمى وتوسع القصبات.

جدول التطعيمات في دولة الكويت قبل دخول المدرسة

العمر	نوع اللقاح	الجرعة
الأم الحامل	• تيتانوس توكسويد	جرعتان في الشهر ٥ و ٧ للحمل الأول ثم جرعة واحدة بعد الشهر السابع من كل حمل
اليوم الأول للولادة	• التهاب الكبد الوبائي B • شلل الأطفال «ثلاثي الفصائل»	الجرعة الأولى الجرعة الأولى
نهاية الشهر الثاني	• شلل الأطفال «ثلاثي الفصائل» • الطعم الثلاثي «دفتريا، سعال ديكي، تيتانوس» • التهاب الكبد الوبائي B • هيموفيلوس أنفلونزا B	الجرعة الثانية الجرعة الأولى الجرعة الثانية الجرعة الأولى
نهاية الشهر الرابع	• شلل الأطفال «ثلاثي الفصائل» • الطعم الثلاثي «دفتريا، سعال ديكي، تيتانوس» • هيموفيلوس انفلونزا B	الجرعة الثالثة الجرعة الثانية الجرعة الثانية
نهاية الشهر السادس	• شلل الأطفال «ثلاثي الفصائل» • الطعم الثلاثي «دفتريا، سعال ديكي، تيتانوس» • التهاب الكبد الوبائي B • هيموفيلوس أنفلونزا B	الجرعة الرابعة الجرعة الثالثة الجرعة الثالثة الجرعة الثالثة
عند تمام السنة الأولى	• الحصبة والحصبة الألمانية والنكاف (MMR)	الجرعة الأولى
نهاية الشهر الثامن عشر	• شلل الأطفال «ثلاثي الفصائل» • الطعم الثلاثي «دفتريا، سعال ديكي، تيتانوس» • هيموفيلوس أنفلونزا B	جرعة منشطة جرعة منشطة جرعة منشطة
عند تمام السنتين	• الحمى المخية الشوكية رباعي	
سنتان ونصف	• شلل الأطفال	جرعة منشطة
ثلاث سنوات ونصف	• شلل الأطفال «ثلاثي الفصائل» • الطعم الثلاثي «دفتريا سعال ديكي، تيتانوس» • شلل الأطفال	جرعة منشطة جرعة منشطة
أربع سنوات ونصف	• شلل الأطفال	جرعة منشطة

التهاب السحايا بالهيموفيلوس أنفلونزا نوع B

إن كل الأطفال تحت سن الخامسة عرضة للإصابة بالتهاب السحايا هذا ويمكن الوقاية من هذا المرض بإعطاء الطفل ٣ ـ ٤ جرعات من اللقاح المخصص بدءا من الشهر الثاني أو الثالث.

لقد أمكن أن تكسب الطفل المناعة الفاعلة ضد الأمراض باستخدام اللقاحات وهي إما أجزاء من البكتيريا أو الفيروسات المسببة للمرض أو بكتيريا وفيروسات حية ولكن موهنة أو ذيفانات (سميات) موهنة، حيث تدخل إلى الجسم إما عن طريق الحقن أو عن طريق الفم لتحرض على إنتاج مضادات الأجسام التي تلعب دورا كبيرا في الوقاية من الأمراض. كما أمكن الحصول على درجة عالية من المناعة بإعطاء اللقاحات مرات عدة في فترات زمنية محددة كما تبين أن درجة المناعة الناتجة عن كل لقاح يمكن أن تكون أكبر عندما يعطى أكثر من لقاح في آن واحد.

إن استخدام اللقاحات لإكساب الطفل مناعة ضد الأمراض يلقى استحساناً من الجهات الصحية فهي وسيلة نافعة لرفع المستوى الصحي للناس، تقي من الأمراض ومضاعفاتها وتقلل عدد الوفيات لدى الأطفال من خلال عدد محدود من الزيارات للمراكز الصحية، لذلك فهي وسيلة مجدية رغم قلة تكلفتها وأثرها مفيد وطويل الأمد.

قد ترتفع درجة حرارة الطفل أحياناً بعد إعطائه اللقاح وعندها تستطيع الأم استخدام دواء خافض للحرارة كالبراسيتامول (البنادول)، كما يسبب لقاح الخنّاق (الدفتيريا) والكزاز (التيتانوس) أحياناً انتفاخاً حول مكان الحقنة يزول خلال أيام.

وتضع الجهات الصحية في كل دولة جداول للتطعيم خاصة بها في محاولة لموازنة مخاطر الأمراض الإنتانية مع مقدرة الطفل على اكتساب مناعة جيدة.

برنامج تطعيمات الصحة المدرسية خلال سنوات التعليم في دولة الكويت

المرحلة	الصف والعمر	نوع اللقاح	الجرعة
رياض الأطفال	لجميع المستجدين على مراحل التعليم	● الدرن (بي. سي. جي) حصبة	جرعة أساسية لمن لم يطعم ولم يصب بالحصبة
	أولى روضة	● الطعم الثلاثي ● شلل أطفال	جرعة منشطة أو ٣ جرعات لمن لم يطعم أو أخذ تطعيماً غير كامل
	ثانية روضة	● شلل أطفال	جرعة منشطة
المرحلة الابتدائية	أولى ابتدائي نحو ٦ سنوات	● طعم ثنائي «دفتريا وتيتانوس»	جرعة منشطة أو ٣ جرعات لمن لم يطعم بالطعم الثلاثي من قبل
		● شلل أطفال	جرعة منشطة
المرحلة المتوسطة	الصف الأول ١١ سنة الصف الثاني ١٢ سنة	● طعم ثنائي «دفتريا وتيتانوس» ● الحصبة الألمانية	جرعة منشطة للبنات
	الصف الثالث	● الدرن «بي-سي- جي»	لمن مضى على تطعيمه أكثر من ٨ سنوات ونتيجة اختبار التيوبركلين عنده سلبية
المرحلة الثانوية	الصف الثالث	● الدرن «بي. سي. جي»	لمن لم يمر على تطعيمه أكثر من ٨ سنوات ونتيجة اختبار التيوبركلين عنده سلبية
	الصف الرابع ١٨ سنة	● تيتانوس	جرعة منشطة

موانع التطعيم (التلقيح)

● يجب أن تعطى اللقاحات عندما يكون الطفل بصحة جيدة، فلا تعطى إذا كان الطفل مصاباً بالتهاب حاد في المجاري التنفسية أو غيرها (لا يعتبر الرشح الأنفي مرضاً حاداً يمنع من التطعيم).

● يجب أن يمر ثلاثة أسابيع على الأقل بين كل تطعيمين.

● يجب أن لا يطعَّم الطفل بشكل تلقائي إذا كان يعاني من أذى في الدماغ أو كان عرضة لنوبات الصرع أو سبق أن أصيب بتشنج حراري، أو كان أحد أقاربه الأقربين مصاباً بالصرع. على الأم التي لديها طفل مصاب بما سبق ذكره أن تخبر الطبيب بكل ذلك أولاً وهو بدوره يستطيع أن يقرر ما إذا كان التطعيم آمناً.

● إذا كان لدى الطفل أي نوع من الحساسية، كالحساسية للبنسلين أو البيض، أو كان يعاني من مرض مثل ابيضاض الدم، أو داء هودجكن أو كان يتناول أي نوع من الدواء فلا تنسي أن تخبري الطبيب بذلك قبل تطعيم الطفل.

● إذا تحسس الطفل من أحد اللقاحات على نحو شديد فلا تعيدي تطعيمه به.

● يجب ألا يعطى الطفل لقاح السعال الديكي إذا بدا أنه لا ينمو بقدر مناسب أو كان لديه علامات تدل على إصابة دماغية عند الولادة.

● يجب أن لا تعطى اللقاحات الحية المضعفة وبالتحديد لقاح شلل الأطفال والحصبة والحصبة الألمانية واللقاح المضاد للدرن بي. سي. جي. للأطفال المصابين بحالات نقص المناعة بمن فيهم الأطفال الذين يتناولون دواء الكورتيزون والأدوية السامة للخلايا بسبب خطر الإصابة بمرض إنتاني شديد. وفي جميع الأحوال دعي الطبيب يرشدك في هذه الأمور. ■

قصة قصيرة

الهاتف

بقلم: ميسون صافي

وحيدة في غرفتها...

تدعو الله ألا يذرها فرداً وهو خير الوارثين

فقدت أمها الحبيبة... فدخل الخريف إلى بيتها بأوراقه الصفر... وغيومه الرمادية... فقدت الدفء والأنس والصدر المريح...

وعاشت مع دموعها وذكرياتها أياماً طويلة...

غرفتها جميلة... نافذتها العريضة تطل على شجرة الجيران... وعصافيرها تحدثها كل صباح قصة أمل جديدة... «لاتحزني ... دنيا فانية... لاتبكي عليها...»

قالت لأختها الكبرى : إن لي صداقات كثيرة والحمد لله... والصديقة المخلصة لن تتركني في محنتي هذه لن أشعر بمرارة الوحدة... وهذا الهاتف كعادته يرن كل يوم...

ونظرت إلى هاتفها الصديق... ابتسمت له كأنه يرى ابتسامتها... أحسّت بنعمة وجوده... إنه صلتها اللطيفة بالعالم الخارجي...

مضت أشهر... والهاتف صامت...!

من قبل كان يرن بكثرة... يرن معزوفة حلوة... يزف إلى قلبها صوت صديقة مشتاقة أو صوت صديقة تغرد بشعر هامس...

وأحياناً صوت صديقة تغني بفرح ونشوة قصيدة حب وود...

دور الهاتف مهم في حياتها... تشعر أنها تحبه بقوة... وأنه يحسّ حالها تماماً...

ما أن تشكو حيرة أو فراغاً حتى تنظر إليه باسمة فيهديها رنينه ولحنه الحاني...

وبعد رحيل أمها:

نسيها «الهاتف»... لم يعد يحكي... صار صمته موحشاً... ومنظره كئيباً...

في إحدى الأمسيات... جلست قرب هاتفها... حدثت نفسها:

أين صديقتي حياة؟! كم كانت تزورني عبر الهاتف... فأسمع صوتها الودود الشجي!

وصديقتي سناء؟ ماذا دهاها؟! كان صوتها عبر الهاتف يلمس أوتار قلبي فيكون اللحن الباسم السعيد!...

وصديقتي شادية؟! الم يكن صوتها عذباً فراتاً؟! وتحيتها المفعمة بعطر الوفاء:

«السلام عليكم... دقائق يا عائشة وأكون عندك نرشف القهوة معاً»...

ونرسم أحلامنا كالخميلة الضاحكة... وكابتهالات القمر...

تساؤلات تتكرر كل مساء... لا تجد لها رداً شافياً سوى: سامح الله الجميع...

اقتربت من الهاتف... صوّبت إليه نظرات حزينة... مدت يدها تمسح عليه برفق...

قالت له عاتبة: أهكذا تكون الصحبة؟! تتركني وحيدة وقت الشدة؟!...

أين رنينك الحبيب يهزني؟!... يحيي وجيب قلبي... يوصلني بالكون...

يطرب أذني بروائع التحيات والحكايات والأشعار...

رحلت أمي...

فكان صمتك أشد وقعاً على كياني...

رحلت أمي إلى رب كريم...

وأنت إلى جانبي تؤكد لي كل يوم: أن الصداقة في عصر المادة:

«نكتة» تعيسة... وسراباً «مضلاً»... صمتك الغدر والخيانة والنسيان...

يال صمتك أشبه بصمت الصحراء يتخلله صفير الرياح...

أو هو صمت البحر بعد رحيل السفن... يا لك من غادر عجيب...!

أبوها يناديها لمشاهدة «مسلسل التلفاز» اليومي... تقوم إليه مسرعة...

لتنسى حكاية الهاتف...

«إعلانات» التلفاز تحفظها وترددها بدقة...

في ساعة متأخرة من الليل... تقوم عائشة مذعورة... الهاتف يرن! اللهم اجعله خيراً...

بسرعة ترفع السماعة: الو... من...؟ ... لا أحد يجيب...

صوت موسيقا كأنها آتية من كهف أو من مكان سحيق...!

تعيد السؤال بقلق: من...؟ يخرج صوت شاب عابث يقول بلهجة غير مفهومة:

شيرين؟ ترد باستغراب: لا... عفواً «النمرة غلط»...

تعود إلى نومها لتفيق إلى صلاة الفجر... تلقي نظرة قَهْرٍ إلى الهاتف...

تكاد تسمع اعتذاره: إن الغلط لن يتكرر...

لا شيء سوى كتاب الله يجعلها تحيا في طمأنينة قلب وهدوء خاطر...

آيات القرآن الكريم تملؤها قوة وعزا ويقيناً... أن الله لا يدع عباده المؤمنين.

كتبت في مذكراتها:

«تعيس جداً» من ينتظر خير البشر»...

مشاعر السكينة تغمرها... أغصان قلبها تنتعش... ترف عليها أجنحة السعادة...

«ورتل القرآن ترتيلاً»... ارتاحت لسماع صوتها وهي ترتل القرآن...

وفتحت نافذة غرفتها لتستقبل العصافير وأعراسها...

لقد أشرق عليها نهار صيفي رائق...

تزورها أختها الكبرى مع أولادها... تلمح الفرحة في عيني والدها فتحمد الله...

الأطفال حركة الكون... بهم يقوى عودنا... ويحلو خطونا ... وتورق بسمتنا...

قالت أختها الكبرى بصوت الحنان:

غداً نسافر معاً إلى الجبل... هناك نعيش ذكريات أمنا الحبيبة... فقد كان لها مع الجبل أحاديث وآمال وخواطر...

وقبل أن تجيب عائشة فرحة باقتراح أختها الأم... يرن الهاتف بألق وبشر...

تسرع إليه...

يأتيها صوت عزيز قريب إلى روحها: الو... أين أنت يا عائشة؟!...

أين صوتك يا عزيزتي؟!...

أنتظر هاتفك كمن ينتظر البدر والغيث...

توقفت عن الحديث... إليك وزيارتك لتعيشي مع أبيك الشيخ الجليل...

فهو أحوج إلى كل ثانية من وقتك...

هيه ما أخبار مذكراتك... لا شك صارت «ديوان مذكرات»...

وتضحك الصديقة صاحبة الصوت العزيز...

«أخيراً» يا هاتفي ترن...

رنينك الحبيب...

يقول لي بإصرار:

إن الدنيا بخير... وأن أزهار الصداقة لا يفتر عبيرها...

وأن رنينك محال أن ينقطع.

ترجمات

هل حطمت أزمة جنوب شرق آسيا القيم الآسيوية الجديدة ؟!

نشرت «اللومند» الفرنسية مقالاً مطولاً بقلم «جان بومونتي» حللت فيه مظاهر الأزمة في جنوب شرق آسيا وإفرازاتها على شعوب المنطقة وباقي دول العالم وهل هذه الأزمة مدبرة من الخارج؟ أم أنها نتيجة حتمية لبنية النظام الاقتصادي القائم في تلك البلدان يقول المقال :

إعداد : عبدالمنعم أحمد

إن الطريقة الوحشية التي اتبعت في التخلص من أنور إبراهيم في ماليزيا تدل دلالة واضحة على الآثار السياسية للتدهور الاقتصادي في منطقة جنوب شرق آسيا، ومن المعروف أن أنور إبراهيم هو الوريث، بل الشخصية المعنية لخلافة رئيس النظام في بلاده وقد ظلت دول هذه المنطقة تنعم مدة طويلة بمعدلات نمو استثنائية، في ظل نظم ذات اتجاهات تعسفية وقومية فهل يمكن القول إنه حان الوقت الآن لكي تستبدل تلك النظم بأنظمة أكثر انفتاحاً وليبرالية على العالم، أم نقول إن الأزمة التي تشهدها دول جنوب شرق آسيا الآن قد تشكل الأساس الذي تستند إليه النزعة الشعوبية والإقليمية وكره الأجانب أو الانطواء على الذات.

لا شك أن القضية ذات أبعاد خطيرة ولا سيما أنها تمس إحدى المناطق الأكثر حيوية في العالم.

على كل حال يمكن القول إن المجتمعات الأكثر انفتاحاً الآن هي التي عرفت كيف تصمد للمتغيرات بالرغم من سلبياتها الكثيرة.

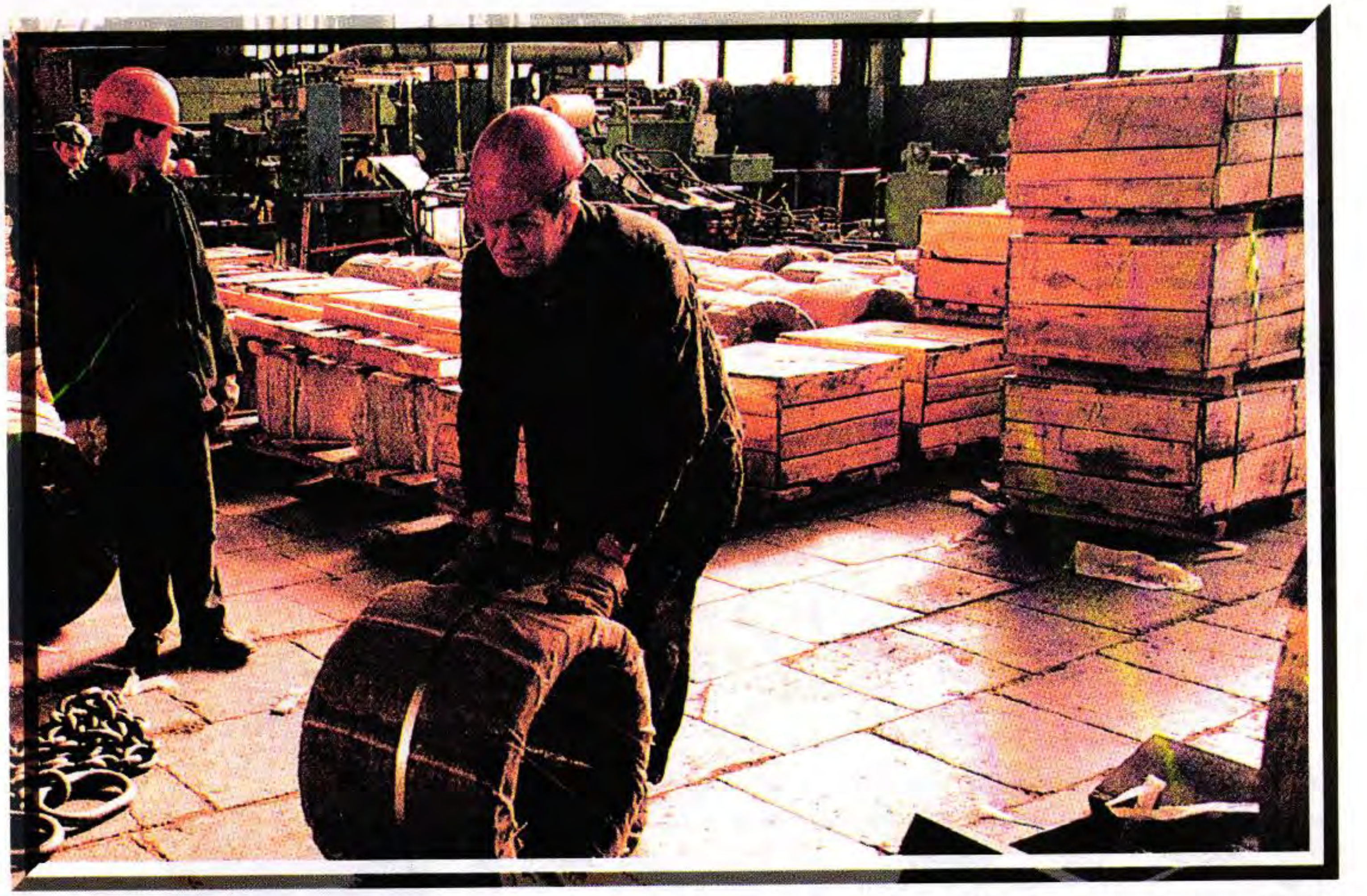
ففي تايلاند تم انتخاب حكومة من الإداريين لتتولى المجالات المتعلقة بالأعمال، وذلك منذ نوفمبر سنة ١٩٩٧م، وبالرغم من أن الانكماش الاقتصادي قدر بنسبة ٨ في المئة العام ١٩٩٨م، إلا أن الاضطرابات الاجتماعية لم تظهر واضحة بعد، وفي الفلبين لم تؤثر الأزمة كثيراً على الأوضاع فيها، بل إنه أمكن إجراء انتخابات رئاسية في ظروف مواتية في شهر مايو، ولم يحدث بعد أن رأينا في تلك الدولتين معارضة حتى الآن بين أنصار الحلول المسماة بـ «الوطنية» وبين أنصار الحلول المعروفة بـ «الأجنبية» أي الذين ينادون بإيجاد حلول من الخارج، وعامل القناعة والاعتدال هو المسيطر حتى الآن.

انقسامات جديدة

ولكن الأمر ليس كذلك في أندونيسيا، حيث تمكّن الإصلاحيون من إسقاط سوهارتو ويحاولون منذ رحيله عن السلطة العمل على تطبيق الديموقراطية بشكل ملموس في الحياة السياسية، غير أن القوى المؤثرة في مجال السياسة لا تتجه صوب اتجاه واحد، فنحن نعرف أن أندونيسيا تتألف من عدد كبير جداً من الجزر المتفاوتة في الحجم، ولذلك فهي تضم خمس سكان منطقة جنوب شرق آسيا كما أنها تسيطر على الطرق البحرية، ولكن العناصر المعتدلة والداعية إلى الاعتدال في هذه البلاد الشاسعة لا تجد الإمكانات الكافية التي تمكّنها من تهدئة الأوضاع، لأن رموز النظام السابق مازالوا في أماكنهم، أضف إلى ذلك أنه لم يظهر بعد في الأفق أي اتفاق على وضع قواعد سياسية جديدة.

وفضلاً عن ذلك كله، فإن المعارضة بين الإصلاحيين والمحافظين، تلك التي ظهرت في أندونيسيا في بداية هذا العام، من الممكن أن تخفي في طياتها قوى أخرى أكثر غموضاً وبحيث يصعب السيطرة عليها وكشف تحركاتها... وبالنسبة للعسكريين الذين كانت لهم الكلمة العليا دائماً، يعودون إلى ترديد الحجج نفسها التي كان يرددها قادة النظام السابق، وهي التي تفيد بأنه من الممكن للشيوعيين أن يستغلوا الاضطرابات لصالحهم، مع أنهم «أي الشيوعيين» قد سبق الضرب على أيديهم وقمعهم منذ العام ١٩٦٦م.

وليس بجديد علينا أن نعرف أن استغلال الحركات أو الجماهير استغلالاً مغرضاً هو من الممارسات العتيقة، كما أن المتظاهرين غالباً ما توجه إليهم التهم بأنهم مأجورون وتدفع لهم الرشا بطريقة أو بأخرى.



وكما حدث في أندونيسيا، فقد كشفت الأزمة التي اشتدت في ماليزيا عن محاولة انقسام وهي ظاهرة جديدة في المشهد السياسي لأنها تتمركز في الثقل والأهمية بين الإصلاحيين وخصومهم في السلطة، كما أنها ظاهرة تعلو فوق السلالات العرقية ونزعاتها فالإصلاحيون يؤيدون أنور إبراهيم ويطالبون بطرد رئيس الوزراء مهاتير محمد وقد تمكّنوا من تأسيس حركة تنادي بالإصلاح هي الأخرى وتلعب بذلك بعواطف الطبقة المتوسطة التي لم تعد تقبل الحقائق التي تفرضها عليها السلطات.

ولكن الخصومة في هذا الاتحاد الفيدرالي يمكن أن تحرر القادة الذين يتخذون موقفاً دفاعياً، أي تحررهم من النزعة الشعوبية القائمة على أساس النزعة القومية الاقتصادية وافتقاد الثقة في الأجنبي، وإذا ما استمرت الأزمة فمن الممكن أن يكون أول المستفيدين هم الراديكاليون المسلمون الذين استبعدتهم السلطة في ماليزيا حتى اليوم أو هؤلاء الذين ردعتهم وقهرتهم السلطة في أندونيسيا، وإذا ما تدهور الموقف في ماليزيا، قد لا نستبعد أن يكون الضحايا أيضاً من الصينيين «ثلث السكان»، وهو ما يجري في أندونيسيا نفسه، حيث من المعروف أن للجالية الصينية هناك تأثيراً كبيراً من الناحية الاقتصادية، غير أن عدد أفرادها لا يتجاوز ٧ في المئة من إجمالي عدد السكان، وكانت مقيدة الحركة في عهد سوهارتو، وتظاهرت بأنها كانت الضحية عندما نجح الانقلاب ضده.

الأولية للاستقرار

إن الأزمة الأخيرة التي شهدتها منطقة جنوب شرق آسيا قد حطمت القيم الآسيوية الجديدة المدعّمة وذلك في داخل اتحاد «الآسيان» (اتحاد دول جنوب شرق آسيا) غداة الحرب الباردة وهذه القيم هي الوفاق والسلطة وعدم التدخل، ولم تتمكن الأنظمة اليمينية أو اليسارية من أن تواجه هذه الأزمة وإفرازاتها، بل إن سقوط نظام سوهارتو قد جعل الأنظمة الأخرى ترتعد وترتعش، من لاوس وحتى بورما مروراً بفيتنام، وكذلك ابتداء من الجيش الأندونيسي حتى حاشية دكتور مهاتير، حاولت هذه النظم أن تتشبث بحجة «الاستقرار» السياسي وعدم التدخل في شؤون الدول المجاورة.

وما يهمنا الآن هو معرفة ما سيكون عليه مصير القوى التي تم التخلي عنها أو إبعادها أكثر من أن نعرف إذا ما كنا هنا بصدد معركة للتراجع إلى الخلف.

إن تيار الليبرالية الذي بدأ في أندونيسيا فيما يتعلق برحلة الانتقال قد حل بشكل تلقائي محل الإسلام على مقدم مسرح الأحداث، فإذا كانت أندونيسيا لم تجد توازنها وعافيتها، فلابد أنها ستكون فيما بعد لعبة في أيدي الأصوليين الإسلاميين وذلك تشكل نزعة قومية تنبذ الأجانب.

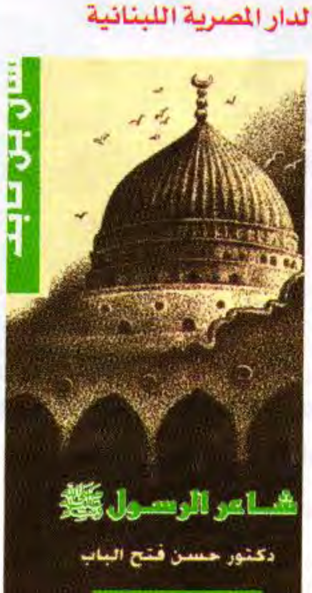
وعليه فإن المبرر الذي يضم في طياته مفهوم أن «المؤامرة مدبرة من الخارج»، وهو الحجة التي دفعت بها السلطة من قبل ماليزيا، سينتشر عاجلاً أو آجلاً، متجاوزاً بعض الحدود على حساب المحدثين الذين يريدون الوصول ببلادهم إلى القرن الواحد والعشرين. ■

ثمرات الفكر



شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت

المؤلف : د. حسن فتح الباب
الناشر: الدار المصرية اللبنانية



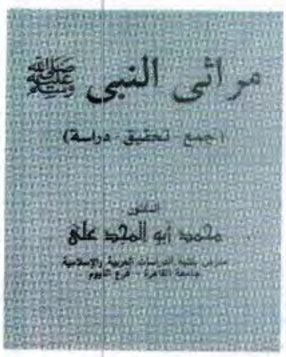
المضمون : بداية صفحة جديدة ومضيئة في حياة شاعرنا بعد أن دخل في الإسلام وقد استعمل سلاح الكلمة المؤثرة في نصرة العقيدة، مشهراً سيف الشعر في وجه المشركين من قريش وأحلافها، وذلك بأمر من رسول الله ﷺ.

الرسالة الشافية في الإعجاز

المؤلف: عبدالقاهر الجرجاني
شرح وتفسير: د. عبدالقادر حسين
الناشر: دار الفكر العربي

المضمون: معجزة القرآن أفضل المعجزات وأبعدها أثراً وأشدها تأييداً.
وهذا الكتاب كثير النفع لما فيه من تحليل شاف لإعجاز القرآن ومناقشات رائعة، وقد أوضح المحقق ألفاظه وفسّر معانيه كما مهّد لآراء عبدالقاهر في الإعجاز بذكر أقوال العلماء السابقين واللاحقين.

مراثي النبي ﷺ جمع، تحقيق، دراسة



المؤلف: د. محمد أبو المجد علي. الناشر: مكتبة الآداب

المضمون: مراثي النبي - ﷺ - وجمعها من بطون المصادر القديمة وتوثيق لنسبتها وتمييز للزائف منها والصحيح ودراستها من خلال منهج علمي دقيق يرصد اتجاهاتها ويستخلص قيمتها الموضوعية وظواهرها الأدبية وخصائصها الفنية وتتبع ما يتصل بها من قضايا.

التعددية وأزمة بناء الدولة في إفريقيا الإسلامية



المؤلف: د. حمدي عبدالرحمن حسن
الناشر: مركز دراسات المستقبل الإفريقي

المضمون: تطرح هذه الدراسة بعض القضايا المنهجية والنظرية المتعلقة بظاهرة التعددية المجتمعية في الدول الأفريقية الإسلامية، حيث إن نصف سكان القارة على الأقل يدينون بالإسلام.
كما تسعى الدراسة إلى وضع بعض القواعد العامة التي تساعد في حسم إشكاليات التجزئة والانقسام.

شيوخ العصر في الأندلس



المؤلف : د. حسين مؤنس - الناشر : دار الرشاد

المضمون : لقد كان الفتح الإسلامي للأندلس بداية عصر جديد للنهضة العلمية التي أضاءت جنبات أوروبا.
وكانت الدولة الإسلامية في الأندلس بحاجة إلى تثبيت أركانها وتدعيم بنيانها وليس أقدر على ذلك سوى علماء العصر من فقهاء ومحدّثين وعلماء سيرة وهذا ما يتناوله الكتاب.

العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين



المؤلف: د. علي السيد علي - الناشر: عين للدراسات والبحوث

المضمون : يتناول عرضاً للتجربة الحضارية التي عاشها المسلمون في مواجهة الحركة الاستعمارية الاستيطانية التي شنها الصليبيون على بلدان الشرق الإسلامي.
والتي استهدفت ضمن ما استهدفت طرد أهل البلاد المسلمين، وإنشاء الكثير من المستوطنات الصليبية والاستيلاء على مصادر الثروة والإنتاج.

إخمـاد عاصفـة القـرن

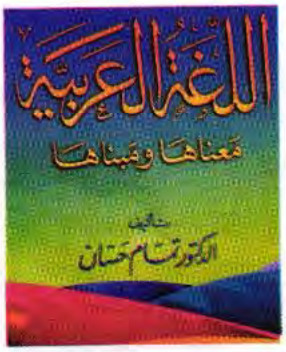


المؤلف: سامي شلبي - فكرة ومراجعة: نسيم الصمادي

الناشر: الشركة العربية للإعلام العلمي «شعاع».

المضمون : يعيش العالم اليوم على شفا كارثة تشير معظم مؤشراتها إلى إنها قد تعصف بالكثير من منجزات الإنسان وهي أزمة الصفرين إذ إن الكثير من برامج الكمبيوتر سوف تتوقف عند انتقالها من العام ١٩٩٩ إلى العام ٢٠٠٠ لأن منطق تشغيلها لن يتمكن من التعرف على انتقال التاريخ ... بالإضافة إلى أبعاد المشكلة وتحديدها وحلها.

اللغة العربية ـ معناها ومبناها



المؤلف : د. تمام حسان - الناشر : عالم الكتب

المضمون : سعى الكاتب إلى إلقاء ضوء جديد كاشف على التراث اللغوي العربي كله منبعث من المنهج الوصفي في دراسة اللغة كما تُعد هذه محاولة جريئة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية وفقاً للنظرة الوصفية في الكتاب وذلك بعد سيبوية وعبدالقاهرة الجرجاني.

إسرائيـل الآن

المؤلف : لورانس ماير - ترجمة : مصطفى الرز

الناشر : مكتبة مدبولي

المضمون: يلفت الانتباه إلى أن إسرائيل بلد مضطرب ـ نشأ نتيجة صراع ـ وهو يقاتل على نحو مستميت من أجل البقاء في أشد المناطق تفجراً في عالم اليوم، ويقدم المؤلف صورة واضحة المعالم عن إسرائيل الشعب والبلد ومؤسساته والأزمات داخلها وخارجها.

مصادر دراسة التاريخ الإسلامي



المؤلف: جان سوفاجيه، كلودكاين

ترجمة: د.عبدالستار الحلوجي. د. عبدالوهاب علوب

الناشر: المجلس الأعلى للثقافة. مصر

المضـمون: أشمل وثيقة في مجال دراسات الشرق الأدنى والدراسات العربية والإسلامية، كما يعد مفتاحاً لدراسة أي جانب من جوانب الحياة في هذه المنطقة من العالم مثل الأحوال الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان.

«رجال ومواقف» سلمان الفارسي



المؤلف: سمير عبداللطيف - الناشر: دار الفكر العربي

المضمون: نصوص مسرحية تروي مواقف وبطولات شوامخ رجال الإسلام ورحلتهم المظفرة وسعيهم في سبيل الله كشفاً للعقائد الزائفة وإيقاظاً للعقول من انحرافها، واليوم ما أحوج المسلمين إلى هذا النوع من الجهاد حتى يتم النصر على عدوّ الله والإسلام.

أخبـار ثقافيـة

● وافق مجلس الوزراء المصري على عقد المؤتمر السنوي الذي يقيمه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بعنوان «نمو مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي» تحت رعاية الرئيس حسني مبارك في الفترة من ٢٢ ـ ٢٥ يونيو المقبل، وسيتناول المؤتمر ثلاثة محاور رئيسية :

الأول : سيكون في المجال الثقافي، والثاني: سيدور حول المجال الاجتماعي، والثالث: سيكون حول المجال الاقتصادي.

● صدر عن المنظمة الإسلامة للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» طبعة جديدة من (دليل جامعات العالم الإسلامي) بالعربية والإنكليزية والفرنسية في ٥٤٧ صفحة من القطع الكبير.

ومن جانب آخر وقعت المنظمة على محضر برنامج للتعاون المشترك بين الايسيسكو والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي يوجد مقرها في الكويت، وذلك في إطار اتفاقية التعاون المبرمة بين المنظمتين في شهر نوفمبر سنة ١٩٩٦م.

● تعقد منظمة اليونسكو اجتماعاً ثانياً حول التدريب التقني في القرن المقبل وذلك في عاصمة الجمهورية الكورية «سيول» بين ٢٦ ـ ٣٠ أبريل القادم وسيشارك في الاجتماع أكثر من ١٠٠٠ شخصية من خبراء ومختصين.

والجدير بالذكر أن المؤتمر الأول عقد في برلين قبل ١٢ عاماً، لكن التطور المذهل لتكنولوجيا الإعلام والاتصال والنمو السريع للقوى العاملة أدت إلى تغير في عالم العمل وإلى ولادة أوضاع جديدة دفعت الهيئات المعنية إلى أن تتحرك بسرعة لعقد الاجتماع الثاني.

حديقة

إعداد :
أحمد عبدالجبار



من هدي كتاب الله

قـال الله تعالـى :

﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون. لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴾.

الأنبياء: ٢٢ ـ ٢٤

من هدي رسول الله ﷺ

روي عن أبي الدرداء أنه قال لرسول الله ـ ﷺ ـ أوصني: فقال له ـ ﷺ :

« اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم فيوم واعدد نفسك من الموتى »

وقال رجل لرسول الله ـ ﷺ ـ أوصني.

فقال له ﷺ :

« اتق الله حيثما كنت »

قال : زدني :

فقال ﷺ :

« أتبع السيئة الحسنة تمحها »

قال : زدني

فقال ﷺ :

« خالق الناس بخلق حسن »

جودة الخط

سئل بعض الكتَّاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة؟ قال: إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوره، وتفتحت عيونه ولم تشتبه راؤه ونونه، وأشرف قرطاسه، وأظلمت أنفاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون تصوره، وإلى العقول تثمره، وقدرت فصوله واندمجت أصوله وتناسب دقيقه وجليله، وخرج من نمط الوراقين وبعد عن تصنع المحدرين وقام لصاحبه مقام النسبة والحلية.

المجتمع الفاضل

أحب أن يعيش ولدي فرداً من أفراد هذا المجتمع الهائل، يصارع العيش ويغالبه، يزاحم العاملين بمنكبيه، ويفكر ويتروى ويجرب ويختبر، ويقارن الأمور بأشباهها ونظرائها، ويستنتج نتائج الأشياء من مقدمها، ويعثر مرة وينهض أخرى، ويخطئ حيناً ويصيب أحياناً، حتى تستقيم له شؤون حياته.

كراهية الباذنجان

كان أبو الحارث حمير يكره الباذنجان كراهية شديدة، ولما علم بذلك محمد بن يحيى بن خالد، دعاه وأمر الطباخ أن يجعل الباذنجان في جميع الطعام، وحضر أبو الحارث فكلما قدم لون من الطعام وهمّ بالأكل منعه ما يراه، إلى أن ضاق، فاقبل يأكل بدفة المائدة فعطس. فقال: اسقوني ماء لا باذنجان فيه !

باب التوفيق أغلق

قال شفيق بن إبراهيم :

اغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء: اشتغالهم بالنعمة عن شكرها، ورغبتهم في العلم وتركهم العمل، والمسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة، والاعتزاز بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها، وإقبال الآخرة عليهم وهم عنها معرضون.

مجابهة السفهاء

إذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من إجابته السكوت
فإن كلّمته فرّجت عنه
وإن خليته كمداً يموت

المكتوب على الحائط

قال الفضل بن الربيع: كنت مع المنصور في السفر الذي مات فيه، فنزل منزلاً من المنازل، فبعث إليَّ وهو في قبة، ووجهه إلى الحائط، فقال لي: ألم أنهك أن تدع العامة يدخلون هذه المنازل فيكتبون ما لا خير فيه؟ قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: أما ترى على الحائط مكتوباً:

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت
سنوك وأمر الله لابد نازل
أبا جعفر هل كاهن أو منجّم
يرد قضاء الله أم أنت جاهل!

قال: إنها والله إذاً نفسي نعت إليَّ الرحيل، بادر بي إلى حرم ربي لأهرب من ذنوبي، فرحلنا حتى إذا بلغنا بئر ميمون توفي بها.

قليلها كثير

قال جعفر بن محمد: أربعة أشياء القليل منها كثير: النار والعداوة والفقر والمرض.

العمل لله وحده

يقول ابن الجوزي: ينبغي أن يكون العمل كله لله ومعه ومن أجله، فإن قيل كيف يعيش معه؟

قلت: بامتثال أمره، واجتناب نهيه، ومراعاة حدوده، والرضى بقضائه، وحسن الأدب في الخلوة، وكثرة ذكره، وسلامة القلب من الاعتراض على أقداره.

أربع من خصال الجهل

قال علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه : أربع من خصال الجهل :

من غضب على من لا يرضيه.
وجلسٌ إلى من لا يدنيه
وتفاقر إلى من لا يغنيه،
وتكلم بما لا يعنيه.

من أخلاق السلف

قال الأعمش ـ رحمه الله ـ :

أدركنا الناس وأحدهم يمكث الأيام المتوالية لا يلقى أخاه، ثم إذا تلاقيا لا يزيد أحدهم الآخر على قوله كيف حالك، ولو أنه سأله شطر ماله لأعطاه إياه، ثم صار الناس اليوم لو لقي أحدهم أخاه كل يوم أو كل ساعة يقول له كيف حالك وكيف أنت ويسأله عن كل شيء، حتى عن الدجاجة في البيت، ولو أنه سأله درهماً لم يعطه!!

نصيحة

إذا ضاقت بك الأحوال يوماً
فثق بالواحد الأحد العلي
وكم أمر تُساء به صباحاً
وتأتيك المسرة في العشي

ألفاظ يجوز فيها التذكير والتأنيث

ـ الفلك: يذكر على معنى المركب، ويؤنث على معنى السفينة، أو على معنى الجمع، فمن التذكير قوله تعالى: (وفي الفلك المشحون)، ومن التأنيث قوله تعالى: (والفلك التي تجري في البحر) يحتمل فيها الإفراد والجمع.

ـ الريح : الهواء المسخّر بين السماء والأرض، وأصلها الواو بدليل تصغيرها على رويحة، لكن قلبت ياء لانكسار ما قبلها، والجمع أرواح، ورياح وبعضهم يقول: أرياح، على لفظ الواحد، وهي مؤنثة على الأكثر، فيقال: هي الريح، وقد يذكر على معنى الهواء، فيقال: هو الريح، وهبَّ الريح.

ثلاث منازل

قال بكر بن عبدالله لابنه :

أنزل الناس منك ثلاث منازل، فاجعل من هو أكبر منك سناً بمنزلة والدك، ومن هم قربك بمنزلة أخيك، ومن هم دونك بمنزلة ولدك، ثم انظر أي هؤلاء تحب أن تهتك له ستراً أو تبدي له عورة.

برنامج أميركي - روسي لتحويل الكبريت إلى مادة فائقة التوصيل

إعداد: تمام أحمد

اهتمت الأوساط العلمية في العالم بالإنجاز العلمي الذي توصل إليه باحثو معهد فيزياء الضغط العالي التابع لأكاديمية العلوم الروسية بالاشتراك مع زملائهم الأميركيين من مختبر الجيوفيزياء التابع لمعهد كارنيجي في ولاية واشنطن، وهو اكتشاف صفات التوصيل الفائق في عنصر الكبريت الاعتيادي.

والشيء المثير في هذا الاكتشاف يكمن في أن الكبريت بصورته الاعتيادية هو عازل كهربائي إلا أنه يتحول إلى فلز فائق التوصيل حين تعرضه إلى ضغط يساوي ١,٦ ميغابار «أي ١,٦ مليون ضغط جوي».

وقد تم إنجاز القسم التجريبي لهذه العملية بوساطة أجهزة ومعدات معهد فيزياء الضغط العالي، فيما كان الجانب الحسابي النظري من نصيب العلماء الأميركيين.

ويقول نائب عميد معهد فيزياء الضغط العالي للشؤون العلمية الدكتور في العلوم الفيزيائية والرياضية فاديم براشكين إنه أصبح بالإمكان خلق ظروف صناعية بظروف حرارية وضغطية مشابهة للظروف الموجودة في مركز الأرض.

وهذا يعني أنه أصبح بالإمكان استخدام الأجهزة العلمية المتوافرة حالياً، أي التوصل إلى ضغط يعادل ٤ ملايين ضغط جوي وحرارة تقدر بـ٥٠٠٠ درجة مئوية وتعتبر قيمة هذا الضغط الحد الأقصى للضغط الساكن «الاستاتي» الذي يمكن الحصول عليه في الوقت الحاضر.

وتعود أهمية التوصل لمقادير الضغط هذه إلى تسهيل فهم العمليات الطبيعية الجارية في الكون بوساطة خلق ظروف صناعية أومختبرية مشابهة.

وفي الغالبية العظمى من المادة الكونية المرصودة كالكواكب والنجوم، تجري العمليات الطبيعية تحت ضغوط جوية تصل في بعض المناطق إلى عشرات الآلاف الضغط الجوي الأرضي، وعلى هذا الأساس يعتبر في مثل هذه الظروف ذا أهمية بالغة لفهم العمليات الجيولوجية والطبيعية الأخرى الجارية على الأرض.

وقد أمكن خلال دراسة هذا الجانب العام من المسألة، أي دراسة قوانين سلوك المادة في حدودها الطبيعية القصوى، التوصل إلى اكتشاف ظاهرة التوصيل الفائق لعنصر الكبريت.

وقد أصبح معلوماً منذ فترة طويلة، أن أغلب عناصر الجدول الدوري للمندليف الموجودة في الطبيعة، تمر بتغيرات طورية، عند تعرضها إلى ضغط عال جداً تؤدي بالنتيجة إلى تحول نوعي في تركيبها، وكمثل عملي وواضح على ذلك هو تحول مادة الجرافيت إلى ماس.

وفي الواقع كانت مسألة تحويل الغرافيت إلى ماس صناعي هي إحدى المهمات الأساسية التي وضعت أمام معهد فيزياء الضغط العالي منذ تأسيسه في العام ١٩٥٨م وهي المهمة التي نفذها المعهد بنجاح منذ العام ١٩٦٠م.

وتشير الدراسات العلمية المعاصرة إلى أن تتابع التحولات التي تجري في المواد كافة بتأثير الضغط العالي تؤدي بالنتيجة إلى تحول هذه المواد «العناصر» إلى معادن تكون معظمها فائقة التوصيل بشرط أن يتم تبريد العينات الموضوعة تحت التجربة إلى حدود الصفر المطلق «أي الصفر بمقياس كلفن ويساوي ٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر».

ومن المفاجآت المحيرة التي واجهت العلماء والخاصة بالتجارب التي أجريت على عنصر الكبريت لغرض تحويله إلى معدن فائق التوصيل هي درجة الحرارة اللازمة لإنجاز التجربة إذ تبين أنها كانت ١٦ درجة بمقياس كلفن «أي ٢٥٧ درجة مئوية تحت الصفر» وهي تعتبر أخفض درجة حرارة ممكنة ومستخدمة في مثل هذه التجارب، ومن الجدير بالذكر أن درجة الحرارة هذه لم تكن نتيجة لحسابات نظرية، وإنما ظهرت في أثناء سياق التجربة عملياً على عنصر الكبريت، ومازال العلماء النظريون مستمرين في محاولاتهم لتفسير أسباب تأثير بلورات الكبريت الجزيئية عند تحولها إلى الطور المعدني في مثل درجة الحرارة هذه.

يؤكد الدكتور براشكين أن كشف أسباب وفهم هذه الظاهرة سيسهم في إجراء تجارب مماثلة على عناصر أخرى والحصول على أنواع جديدة من المعادن الفائقة التوصيل في ظروف الضغط الجوي الاعتيادي ودرجات الحرارة المرتفعة نسبياً.

وتمت عملية ضغط عينة الكبريت في المكبس الضخم التابع لمختبرات معهد فيزياء الضغط العالي، وهذا المكبس يعتبر الأقوى والأكبر في العالم، إذ تبلغ كفاءته ٥٠ ألف طن.

وجسم الجهاز عبارة عن كتلة فولاذية ضخمة يبلغ ارتفاعها ٣٠ متراً وعمق أسسها ١٥ متراً، ويبلغ وزن الجهاز ٥ آلاف طن وقد كلف إنشاؤه في فترة الاتحاد السوفييتي ١٠٠ مليون دولار.

وإلى جانب تأمين الضغط الهائل في هذه التجارب يتوجب حل مسألة ثانية لا تقل صعوبة عن الأولى وهي قياس وتعيين خصائص العينات التجريبية.

والصعوبة التي تواجه تنفيذ هذه العملية تكمن في أن الحجيرة التي يتم فيها وضع العينة وتوجيه الضغط عليها هي ذات أبعاد تقاس بالمكيرونات «الميكرون: جزء من ألف من المليلمتر»، وذلك يخلق صعوبات بالغة في قياس وتثبيت الموصلية الفائقة، وقد تم تلافي هذه الصعوبة بأن قام خبراء معهد الضغط العالي بتجهيز تقنية ملائمة للأجهزة المستخدمة تساعد على اختبار التوصل الفائق للعينات ذات الأبعاد الصغيرة جداً.

وعند إزالة الضغط عن العينة المصنوعة تحت التجريب يعود عنصر الكبريت إلى صفاته الأولية أي إلى كونه عازلاً كهربائياً، وهذا يعود بشكل عام إلى حركة الانتقالات الطورية، فمن الحقائق المعروفة من علم الديناميكية الحرارية يعتبر الماس أقرب إلى الجرافيت منه إلى الكربون النقي، وذلك بسبب عوامل الاستقرار لدى الجرافيت مقارنة مع الكربون ولهذا يتحول الماس الصناعي عند رفع الضغط عنه إلى جرافيت، ويمكن مختبرياً تنفيذ هذه العملية بتغيير المعاملات الحركية للماس وذلك بتسخينه إلى ١٠٠٠ درجة مئوية في حجرة فراغية يتم بعدها تحوله إلى جرافيت اعتيادي. ■

كمبيوتر يفهم لغة التخاطب لمساعدة الصم والبكم



توصلت مجموعة من العلماء في جامعة «إيست أنجليا» إلى اختراع نظام كومبيوتري جديد يستطيع قراءة لغة الشفاه، ومن شأن هذا الابتكار أن يساعد المرضى الصم والبكم في زيادة مهارتهم الفكرية وأن يسهل عليهم طرق الاتصال بالعالم التكنولوجي الحديث. وقد تمت تجربة هذا البرنامج الذي دعي Sievc بنجاح كبير في قراءة ألف باء اللغة الإنكليزية، ويتميز عن النظام الصوتي، بأنه لا يتأثر بالضوضاء والأصوات العالية الموجودة في الوسط المحيط بالشخص الذي يستخدم الكمبيوتر.

ويعمل هذا البرنامج عن طريق الجلوس أما الكومبيوتر فبشكل مناسب، يستطيع أخذ صورة واضحة للشفتين، وبذلك تحفظ الصورة الطبيعية في مركز المعلومات، بعدها يقوم الكمبيوتر بتقسيم الفم إلى مناطق متعددة بالاعتماد على التباينات اللونية لصورة الشفتين ويصنفها إلى مناطق غامقة، ومناطق منيرة، ومناطق شاحبة، وعند التحدث يستطيع الكمبيوتر أن يأخذ قياسات متعددة لمناطق الفم، ما يعادل ٥٠ قياساً للمربع الواحد، ويقوم الكمبيوتر بقراءة ٢٥ مربعاً في الثانية الواحدة، بعدها تتم مقارنة الحركات مع البرنامج الأصلي المحفوظ في ذاكرة الكمبيوتر حيث يستطيع تمييز الأحرف من خلال اختلاف حجم المقاطع، أو المربعات المأخوذة من الشفتين. ويعتمد البرنامج على صيغة رياضية دقيقة في تحليل الصور المأخوذة من المقاطع الصغيرة المختلفة الحجم، فعلى سبيل المثال، عندما يقوم الإنسان بنطق حرف C فسيرى الكمبيوتر منطقة مضيئة واسعة في وسط الفم، تعبر عن منطقة الأسنان، بينما عند لفظ الحرف O تختفي المنطقة المضيئة بسبب تغطية الشفاه للأسنان وبذلك تختلف القراءة... وهكذا. استخدم العلماء هذا البرنامج في الأساس لزيادة قدرة الكمبيوتر على التقاط الإشارات السمعية والبصرية في آن واحد، لكن النظام السمعي الذي يعتمد على المحادثة الصوتية يمكن أن يتأثر بالضوضاء المحيطة، ويمكن استخدام هذا البرنامج حالياً في الكومبيوترات الشخصية، وله تطبيقات متعددة خاصة للاتصال والمخاطبة من الأماكن التي تعلو فيها الأصوات المشوشة، ويقوم العلماء حالياً بتطوير هذا البرنامج لإدخاله إلى آليات سهلة الاستخدام سواء في البنوك أو المحلات التجارية وما شابه، لكن المشكلة حالياً هي اختلاف حركة الشفاه من لغة إلى أخرى وعدم استطاعة الكومبيوتر التعود على المحادثة إذا لم تتطابق الشفاه مع بعضها بعضاً. ■

سم العقرب لعلاج سرطان المخ وسم الأفعى لعلاج أمراض القلب

قال باحث في جامعة الاباما الأميركية إن السم الذي يستخدمه العقرب لشل فريسته ربما يوفر وسيلة لشل أورام المخ القاتلة في الإنسان والقضاء عليها. وأوضح هارلد سونثيمر أنه وفريق من الباحثين عزلوا مادة من سم العقرب يبدو أنها تعمل بشكل فريد ضد خلايا سرطان المخ.

الباحثون أعلنوا في الاجتماع السنوي للجمعية الأميركية لتطوير العلوم أنه إذا ترجمت هذه النتائج إلى البشر، وهو أمر ستدوم تجربته سنوات، فإن هذا السم يمكن أن يقدم أول علاج حقيقي لسرطان المخ القاتل المعروف باسم غليوما والذي يقتل ١٨ ألف أميركي سنوياً.

ولم يجر فريق سونثمير تجاربه إلا في أنابيب اختبار وعلى الفئران فقط، يحرص العلماء على ترجمة مثل هذه النتائج التجريبية إلى آمال لمعالجة الناس.

واكتشف العلماء في السنوات الأخيرة أن مكونات سموم الحيوانات قد تكون مفيدة في علاج أمراض البشر، وعلى سبيل المثال يمكن استخدام أحد المكونات التي وجدت في جلود ضفادع الأمازون السامة في معالجة الألم إذا أعطيت في جرعات بسيطة.

كما أن البروتين الذي وجد في سم الأفعى الذي يجعل الضحايا ينزفون حتى الموت يمكن من خلال جرعات أصغر منه منع تجلط الدم وفي علاج أمراض القلب والسكتة الدماغية. ■



دعوة لإنشاء قناة تلفازية لنشر الإسلام والرد على افتراءات الإعلام الغربي

دعا الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري رجال الدعوة والإعلام الإسلامي إلى الرد على الذين يسيئون للإسلام ويحاربون الدعوة الإسلامية بإظهار محاسن الدين الإسلامي وإيضاح منهجه الذي يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقال الدكتور زقزوق في كلمته أمام ندوة الإسلام والرد على افتراءات الإعلام الغربي التي عقدها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية أخيراً إن الإعلام بكل قطاعاته المختلفة قادر على تشكيل الرأي العام وصياغة وجدان الأمة وتوحيد الصفوف بالدعوة المخلصة إلى تضافر الجهود والبعد عن الفرقة وأسباب الخلافات والرد على الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام قديماً وحديثاً ونشر الوعي الإسلامي بحقائق الإسلام وتشريعاته.

وأشار وزير الأوقاف المصري إلى أهداف الإعلام الإسلامي في الدعوة إلى الإسلام ونشره في بقاع المعمورة وبخاصة الدول التي لم تصلها الدعوة الإسلامية والتي هي في حاجة لمعرفة الإسلام.

وقال الوزير المصري إن من أهم ما ينهض به الإعلام مسموعاً ومرئياً أن يدعو إلى الوحدة لأن الأمة الإسلامية تشهد تحديات متعددة في وقتنا الحاضر تتطلب الدعوة إلى توحيد موقف المسلمين تجاه التحديات المعاصرة، وأكد الدكتور جعفر عبدالسلام أمين رابطة الجامعات الإسلامية أهمية دور وسائل الإعلام في الرد على الافتراءات التي يثيرها الإعلام الغربي ويلصقها بالإسلام.

وقال الدكتور عبدالسلام إن من واجب الإعلام الإسلامي أن يوضح دعوة الشرائع السماوية للحفاظ على حقوق الإنسان والتحرر من امتهان كرامته وظلمه والتوعية بسائر النواحي الاقتصادية والاجتماعية والتربوية من منظور إسلامي.

وطالب أمين رابطة الجامعات الإسلامية رجال الإعلام الإسلامي بالاهتمام بأخبار المسلمين في العالم والتعرف على أحوال الأقليات الإسلامية والعمل على حل مشاكلها من أجل توحيد صفوف المسلمين.

وقال: لابد أن توحد الدول الإسلامية موقفها وتتعاون لإنقاذ الأقليات الإسلامية لمواجهة التحديات العالمية وعلى جميع الدول الإسلامية أن تمد يد العون لكل البلاد المحتاجة والفقيرة وتساعد الأقليات وتخلصها مما يدبره لها أعداء الإسلام.

وفي مجال التحديات المتعددة والمحيطة بالأمة الإسلامية من كل جانب، أكد الدكتور محيي الدين عبدالحليم أستاذ الصحافة والإعلام في جامعة الأزهر والمستشار الإعلامي لوزير الأوقاف المصري دور الإعلام الإسلامي في مناهضة الظواهر السلبية وإبراز منهج الإسلام السمح في الدعوة الإسلامية.

وقال الدكتور عبدالحليم يجب أن نقدم إعلامنا في صورة عالمية تخاطب المجتمع الدولي ونقنعه بوجهة نظرنا الإسلامية في حل المشكلات الراهنة، وأوضح أن الدعوة الإسلامية في العالم المعاصر تعيش عالماً تقاربت حدوده، ولابد أن تتواصل الجهود من أجل الفكر والعلم للنهوض بالدعوة الإسلامية على مستوى عالمي، مشيراً إلى ضرورة وجود قناة تلفازية إسلامية تعمل على نشر القرآن، وتعاليم الإسلام السمحة وبث البرامج الدينية التي تلاحق مستجدات الحياة التي لم تكن موجودة، بل تحتاج لبيان حكم الإسلام فيها وتوعية الناس بها إلى جانب توعيتهم بأمور الدين من عقيدة وشريعة.

قطر تخفض مدد سجن الذين يحفظون القرآن

ذكرت وكالة الأنباء القطرية في ١٩٩٩/٢/٢٣م أن أمير قطر الشيخ حمد ابن خليفة آل ثاني قرر تخفيض عقوبة السجناء الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب، ونقلت الوكالة عن عبدالله غراب المسؤول في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قوله إن السجناء الذين يحفظون القرآن ويجتازون اختباراً بنجاح ستخفض مدة عقوبتهم إلى النصف، وأضاف أنه بالنسبة للسجناء الذين يحفظون أجزاء من القرآن فإن لجنة مكلفة من وزارتي الشؤون الدينية والداخلية ستقرر مدة التخفيض التي سيستفيد منها السجين.

من جهته قال العقيد علي الكواري من وزارة الداخلية إن القرار سيطبق أيضاً على غير المسلمين لتشجيعهم على اعتناق الإسلام.

وأضاف أن وزارة الداخلية أرسلت وفداً في نهاية العام ١٩٩٧م إلى السعودية للاطلاع على التجارب في هذا المجال «حيث اتضح أن نسبة العائدين إلى السجون من حفظة كتاب الله بعد إطلاق سراحهم ضئيلة جداً بل تكاد تكون معدومة».

ارتفاع البطالة في العالم إلى ١٥٠ مليون شخص العام ١٩٩٨م

ارتفع عدد العاطلين عن العمل في العالم إلى ١٥٠ مليون شخص العام ١٩٩٨م رغم النمو الايجابي للاقتصاد العالمي.

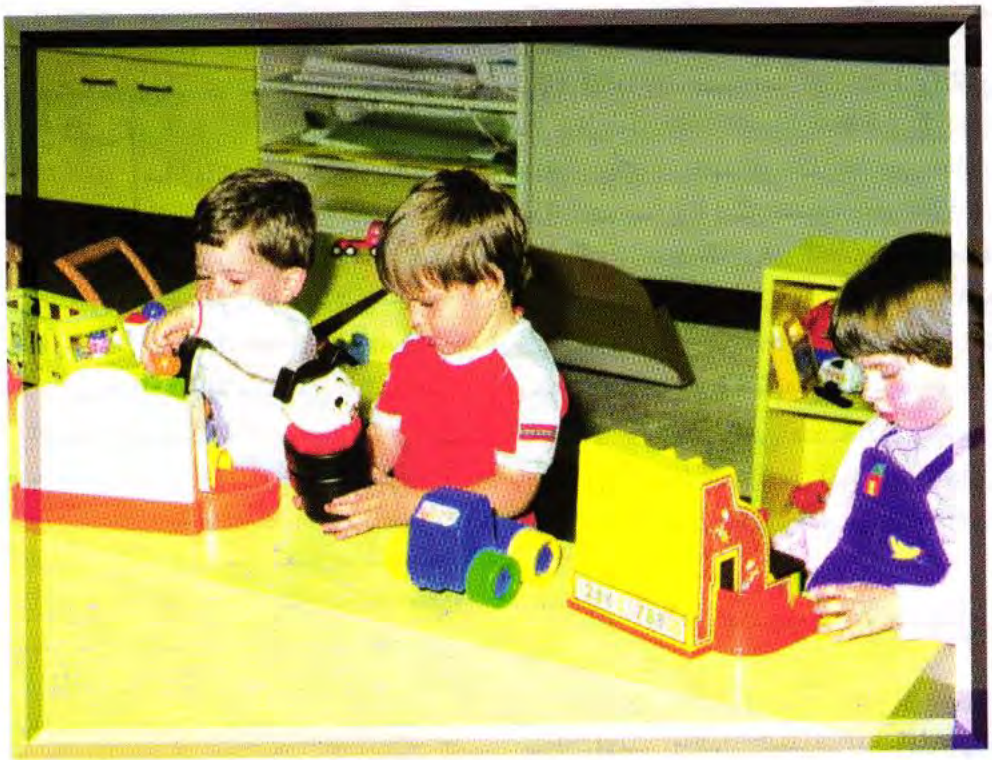
وأرجع تقرير صادر عن المؤسسة العربية لضمان الاستثمار التي تتخذ من الكويت مقراً لها سبب هذا الارتفاع في البطالة إلى التغيرات في أساليب وطرق أداء العمل وزيادة الطلب على العمالة الماهرة نتيجة العولمة، وإلى تسارع التطورات التكنولوجية حيث أصبح الأداء الاقتصادي لبلد معين يعتمد على سرعته وقدرته في استخدام التقنيات الحديثة ووجود العمالة الماهرة والفنية إضافة إلى قدرته على تكييف أنظمة التدريب لمواكبة هذه التطورات والتغيرات والانتقال إلى اقتصاد مفتوح.

وتناول التقرير عرضاً لأهم أنظمة التدريب المتبعة والدور الذي يلعبه التعليم والتدريب بما فيه تدريب النساء على مواجهة المشاكل التي تؤثر في أوضاع العمالة، واقترح بعض الوسائل لتطوير وزيادة إنتاجية اليد العاملة، كما اقترح إعداد برامج خاصة تعالج مشكلات المجموعات الأكثر تضرراً من البطالة الحالية كالشباب والمعاقين.

ويأتي هذا التقرير خلاصة عن تقرير منظمة العمل الدولية ضمن الخلاصات التي تصدرها المؤسسة العربية لضمان الاستثمار، وقد لاحظت المؤسسة خلو التقرير من مؤشرات العمالة في الدول العربية ما يؤكد ضرورة الشفافية بشأن البيانات المتعلقة بالعمالة والإنتاجية من قبل الأجهزة الوطنية المختصة والمؤسسات الإقليمية.

ويشير التقرير إلى أن معدلات البطالة في الدول المتقدمة قد شهدت تبايناً في الأداء فبينما انخفض معدل البطالة في الولايات المتحدة إلى أدنى مستوياته منذ السبعينات ليبلغ ٤,٧ في المئة، حافظ معدل البطالة في دول الاتحاد الأوروبي على ارتفاعه إذ يصل عدد العاطلين عن العمل في دول الاتحاد إلى ١٨ مليون عاطل بنسبة ١٠,٢ في المئة، وسجلت اليابان ارتفاعاً في معدل البطالة لديها حيث قفز من ٢,٥ إلى ٣,٤ في المئة منذ بداية الأزمة المالية الآسيوية.

١٣٠ مليون طفل خارج المدارس



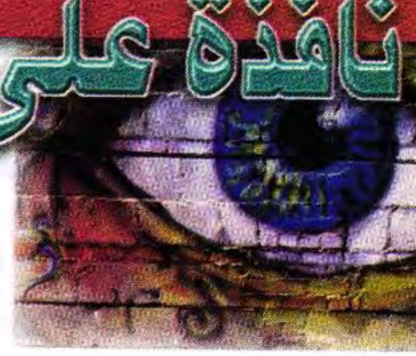
أعلنت هيئة اليونيسيف أن هناك نحو ١٣٠ مليون طفل في دول العالم لا يذهبون إلى المدارس للتعليم.

وقالت الهيئة في تقرير حول تعليم الأطفال إن هناك بليون فرد في العالم وأغلبهم من النساء لايستطيعون القراءة والكتابة وأن هذا يشكل خطورة على حقوق الإنسان في العالم.

وجدير بالذكر أن اليونيسيف تعمل حالياً على تنظيم برامج تعليمية لتشجيع التعليم في المدارس في عدد من دول العالم النامي.

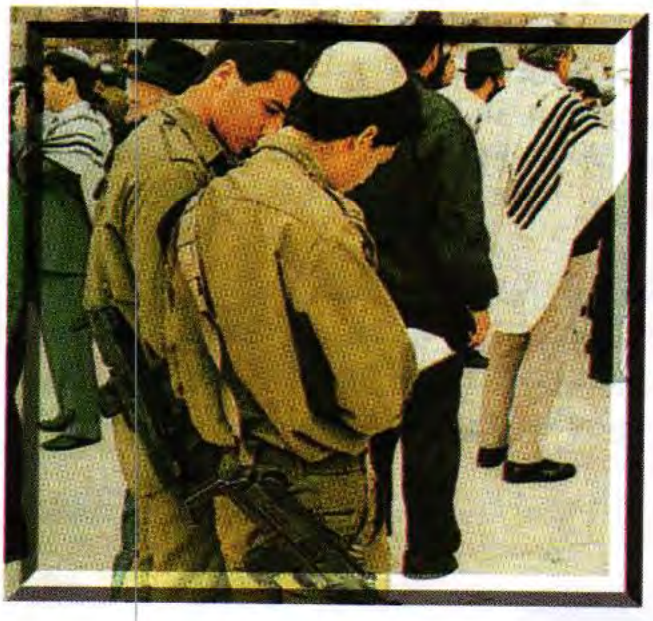
حملة إعلامية للتوعية بالقضايا التنموية للأطفال

شرعت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - في تنظيم حملة إعلامية في الدول الأعضاء للتوعية بالقضايا التنموية لأطفال العالم الإسلامي، وتوجيه الاهتمام للعناية بأوضاعهم وإرشاد المجتمع لتقديم الدعم لهم في مجالات التثقيف. وفي هذا الإطار، أعدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ملصقات إعلامية بالعربية والإنكليزية تحمل عنوان «الإيسيسكو ترعى الطفولة» وهي ذات أشكال ملائمة تعبّر عن الفنون الإسلامية، وتحمل الآية الكريمة التاسعة من صورة النساء: (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم). وتتضمن هذه الملصقات الإعلامية - التي بدأ توزيعها على الدول الأعضاء بكمية كبيرة قامت المنظمة الإسلامية بطبعها في أحجام متعددة، رموزاً لتعليم الأطفال، ورعايتهم تربوياً، ودعوتهم إلى الصلاة ووقايتهم من التشرد، ورعاية الأم للطفل.



ظاهرة تبحثها جامعة بار إيلان

مزيد من حالات الانتحار في الجيش الإسرائيلي



أفاد الدكتور موتي مارك رئيس قسم الصحة النفسية في الجيش الإسرائيلي لصحيفة «معاريف» أنه يجرى الآن وعلى عكس ما كان عليه الحال في السابق تجنيد شبان عانوا من أمراض نفسية في الجيش الإسرائيلي وأنهم انخرطوا في الخدمة بشكل إيجابي.

وذكر الدكتور مارك في مؤتمر عقدته جامعة بار إيلان حول «الانتحار في الجيش» إن معظم عمليات الانتحار يتم تنفيذها في أوقات الاجازات خصوصاً أيام الأحد والاثنين، وقال البروفسور إسرائيل أورباخ، من جامعة بار إيلان، إن قادة كثيرين يتطلعون إلى تسريح الجنود الذين يعانون من أمراض نفسية صعبة، ويتم إرسالهم إلى منازلهم دون أخذ أسلحتهم اعتقاداً منهم بأن الجنود لن يلجؤوا إلى إيذاء أنفسهم، ولا يمكن تحديد مدى تأثير هؤلاء القادة على جنودهم بحيث لا يقعون في فخ إيذاء النفس، ويتمكنون من التغلب على أزماتهم.

وتشير المعطيات الإحصائية إلى أن ١٦٧ جندياً من القوات النظامية أقدموا على الانتحار في النصف الأول من العام ١٩٩٨م، بينما انتحر ثلاثة وثلاثون جندياً العام ١٩٩٧م، وقد تبين وجود علاقة مباشرة للخدمة العسكرية في ثلث عمليات الانتحار.

وأكد د. مارك إنخفاض عدد حالات الانتحار خلال العام الأخير، إضافة إلى انخفاض العدد أيضاً في أوساط الجنود من المهاجرين الجدد، وكان آخر حادث في أوساط الجيش قد وقع في ١٩٩٩/٢/٢٨ حين أطلق جندي في قاعدة عسكرية في المنطقة الجنوبية النار على نفسه.

٢٠٠ ألف كيني يموتون بسبب الإيدز هذا العام

أكد المسؤول الطبي لمقاطعة نيانزا أن نحو ٢٠٠ ألف مواطن كيني سيموتون هذا العام بسبب مرض الإيدز. وأشار الطبيب المسؤول في تصريحات صحفية نشرتها صحيفة «ايست افريكان ستاندر» اليومية المستقلة أن نحو ١٠٠ ألف آخرين سيلقون حتفهم كل عام حتى سنة ٢٠٠٥ إن لم يتوخ الكينيون الحذر في سلوكهم الجنسي ويستخدمون الأساليب الطبية السليمة في أثناء الممارسات الجنسية.

وأوضح أن هناك الكثير من حالات الإصابة بالمرض لم يتم الكشف عنها حتى الآن وأن العدد الحقيقي للمصابين قد يفوق العدد المعلن بنحو خمسة أضعاف. وتشير الإحصاءات إلى أن نحو ٢٥٠ ألف مواطن ماتوا في كينيا بسبب وباء الايدز العام الماضي.

٣٥٠ ألف فلسطيني في لبنان

أوضحت المؤسسة الفلسطينية لحقوق الإنسان في تقرير عن الأوضاع الإنسانية للاجئين الفلسطينيين في لبنان أن «فيه نحو ٣٥٠ ألف لاجئ فلسطيني موزعين على النحو التالي: ٢٦ في المئة في المدن اللبنانية و ٥٤ في المئة في اثني عشر مخيماً مستأجراً بشكل رسمي تحظى بخدمات أونروا، و ٧٠ ألف نسمة يعيشون في أكثر من ١٣ تجمعاً غير رسمي ولا تحظى بخدمات صحية واجتماعية في شكل مباشر من أونروا».

وأضافت أن «اللاجئين في لبنان، على الرغم من وجودهم فيه منذ أكثر من خمسين عاماً، يعانون مشكلات صحية وتعليمية واجتماعية متعددة، وأوضاع المنازل والأزقة وأقنية الصرف الصحي المكشوفة تبعث على القلق، ولا يحظون بمستوى الاهتمام نفسه والرعاية التي يلقاها أقرباؤهم في سورية والأردن».

وأشارت المؤسسة في تقريرها إلى أن «اللاجئين باتوا اليوم أكثر ثقة بالعهد الجديد، وبرنامجه العام، إضافة إلى أنهم أكثر اطمئناناً إلى الإجراءات الإصلاحية التي تتخذها وكالة أونروا على مستوى الخدمات الصحية والتعليمية».

١٠,٠٠٠ طبيب وفني في خدمة ضيوف الرحمن



ذكرت وزارة الصحة السعودية أن ١٠,٠٠٠ بين طبيب وفني وممرض وإداري وسائق لخدمة حجاج سيتوافرون موسم العام ١٤١٩هـ وذكر مصدر مسؤول أن خدمات صحية متميزة لضيوف الرحمن ستتوافر أيضا، وأوضح الدكتور قاضي مقبول وكيل وزارة الصحة للشؤون التنفيذية إن اختيار هذه الأعداد تم وفق أسس ومعايير علمية مدروسة بهدف توفير الإمكانات البشرية الكمية والنوعية اللازمة وفي الوقت نفسه سيكون هناك تقنين في الانفاق مع الحفاظ على جودة الأداء الصحي.

وقال مقبول إن برنامج القوى العاملة لحج هذا العام يضم أطباء استشاريين في مختلف التخصصات الطبية إضافة إلى أطباء عموميين. وأشار إلى موافقة الهيئة السعودية للتخصصات الصحية - وللمرة الأولى - على مشاركة أطباء الدراسات العليا السعوديين الملتحقين ببرامج الزمالات السعودية في أعمال الحج وأداء الواجب بالمراكز الصحية في المشاعر المقدسة، بحيث يعتبر هذا التكليف جزءاً من تدريبهم العملي في برامج الزمالات التي يدرسون فيها.

وقال: إن ذلك سيعطي دعماً طبياً نوعياً للخدمات الطبية التي تقدمها المراكز الصحية للحجاج من المشاعر المقدسة.

الجاليات الإسلامية في بريطانيا ترحّب بقرار مجلس العموم

رحّبت المنظمات والجمعيات والمراكز الإسلامية في بريطانيا بقرار مجلس العموم البريطاني «البرلمان» بجعل الاحتفال بعيد الفطر المبارك في البرلمان البريطاني تقليداً سنوياً يدعى إليه ممثلو الجاليات الإسلامية في بريطانيا.

ويأتي الاحتفال الذي دعا إليه البرلمان البريطاني في فبراير ١٩٩٨م لتهنئة الجاليات الإسلامية في بريطانيا لمناسبة عيد الفطر، تنفيذاً للوعد الذي قطعته الحكومة البريطانية على نفسها في العام ذاته، بأن يصبح الاحتفال بعيد الفطر تقليداً سنوياً في مجلس العموم البريطاني يدعى إليه رؤساء وممثلو المنظمات والجاليات الإسلامية في بريطانيا وسفراء الدول الإسلامية المعتمدون لدى بريطانيا إلى جانب دعوة كبار المسؤولين في الحركة وبعض أعضاء مجلسي العموم واللوردات، إضافة إلى الصحافيين والإعلاميين.

وقال الدكتور حمد الماجد مدير المركز الثقافي الإسلامي في لندن إن الجاليات الإسلامية في بريطانيا تنظر بعين التقدير لمثل هذه اللفتات من قبل الحكومة البريطانية وأعضاء مجلس العموم البريطاني، وهذه اللفتة من حكومة العمال جاءت في سلسلة من الفتات سابقة، بدعم المدارس الإسلامية واللقاءات التي صارت تتوالى من قيادات عليا في الحكومة البريطانية مع قيادات الجاليات الإسلامية في بريطانيا، وكان آخرها لقاء جاك سترو وزير الداخلية البريطاني مع الجاليات الإسلامية في نوفمبر ١٩٩٨م.

وأضاف الدكتور الماجد: «إن الجاليات الإسلامية في بريطانيا بدأت تحس أن القيادات البريطانية بدأت تتعامل منذ الآن مع الجاليات الإسلامية كجزء لايتجزأ من المجتمع البريطاني، وعلينا أن نثبت للمجتمعات الغربية أن المسلم معطاء وسبّاق إلى كل خير بغض النظر عن الديانة أو الانتماء العرقي لهذه المجتمعات».

تقرير لمنظمة العفو الدولية يكشف الانتهاكات الصربية للمسلمات في كوسوفا

كشف تقرير صدر أخيراً لمنظمة العفو الدولية من مكتب المنظمة في القاهرة عن تزايد الانتهاكات التي ترتكبها القوات الصربية ضد المسلمات في إقليم كوسوفا رغم تهديدات حلف شمال الأطلسي «ناتو» باتخاذ إجراءات صارمة ضد القوات الصربية.

وأشار التقرير إلى أن المسلمات يتعرضن للتعذيب وسوء المعاملة بالإضافة للاعتداءات البدنية المتكررة على البنات والسيدات على حد سواء.

ورصد التقرير عشرات الحوادث لحالات الاغتصاب والجرائم اللاإنسانية التي ارتكبتها قوات الصرب ضد المسلمين.

فتاوى

حج المرأة الفريضة بلا محرم

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من أحمد، وهو التالي:

امرأة قد توافرت لديها جميع المقومات التي تسمح لها بالذهاب إلى أداء فريضة الحج للمرة الأولى «مال، ووسائل النقل»، وخلافه إلا أنها لا يوجد لديها محرم سواء من الأصول الأقارب أو فروعها، ومعنى أنه لا يوجد لديها محرم، ليس الآن فقط وإنما «دائماً» السؤال هل يجب عليها الحج ولو من غير محرم مع نساء ثقات؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إذا لم يتوافر للمرأة مرافقة زوج أو محرم، وكانت تريد أداء الحجة الأولى، فإنه لا يجب عليها الحج، ولكن يجوز لها السفر لذلك مع نسوة ثقات أو رفقة مأمونة، أما إذا كانت قد حجت حجة الفريضة، فلا يجوز لها السفر لأداء الحج إلا بصحبة زوج أومحرم. والله أعلم.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.

والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها.

ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

دخول مكة بلا إحرام وتكرار العمرة في أوقات متقاربة

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من/ إبراهيم ، وهو التالي:

السؤال الأول:

- من دخل مكة وأدى مناسك العمرة ثم خرج إلى منطقة الطائف «خارج المواقيت المكانية» ثم أراد أن يرجع إلى مكة لحاجة ضرورية ثم يخرج، فهل يجب عليه أن يحرم من الميقات ويؤدي مناسك العمرة؟ أو هل إذا لم يحرم ويؤدي مناسك العمرة يكره منه ذلك.

السؤال الثاني:

- من أدى مناسك العمرة فهل يكره له أن يكرر العمرة خلال أقل من يومين؟ وجزاكم الله كل خير

أ - أجابت اللجنة بالنسبة للسؤال الأول بما يلي:

من أراد دخول مكة لحاجة ولم يرد النسك فإنه يجوز له أن يدخل من غير إحرام مهما تكرر منه ذلك، أما من أراد دخول مكة للنسك فإنه يجب عليه أن يحرم من الميقات.

ب - بالنسبة للسؤال الثاني أجابت اللجنة بما يلي:

الأصل جواز تكرار العمرة لإطلاق النصوص المرغب فيها، ولكن لا يستحب الإكثار والتتابع بين العمرة والعمرة، وقدر بعض الفقهاء الفاصل المطلوب بين العمرتين بشهر، وقدره بعضهم بنبات شعر الرأس ليمكنه الحلق في العمرة الثانية، ويستعاض عن تكرار العمرة في أزمان متقاربة بالإكثار من الطواف. والله أعلم.

ذبح الأضاحي في الدول الفقيرة

حضر إلى اللجنة الأخ عبدالرحمن، وطلب الاستفتاء التالي:

أ - هل يجوز للجنة خيرية ذبح أضاحي المقيمين في الكويت في الدول الأفريقية الفقيرة؟

ب - هل يجوز أخذ قيمة الأضحية في الكويت، وذبح أضحية في أفريقيا، حيث القيمة أرخص، واستخدام الفرق بين الثمنين للإنفاق على طلبة العلم الفقراء والأيتام ولنشر الدعوة الإسلامية، علماً بأننا نبذل جهداً ومالاً في جمع الأضاحي وشرائها وذبحها... وهل يجوز لنا اعتبار الفرق هو بدل عن الجهد والمال الذي بذلناه على أن نتبرع به لما ذكر أعلاه؟

- أجابت اللجنة:

يجوز ذبح الأضاحي في المناطق التي تكثر فيها المجاعات لتوزيعها على المحتاجين من المسلمين هناك ولو كان المضحي مقيماً في بلد آخر وذلك بعد الحصول على توكيل منه، لأن قيام المضحي نفسه بذبح أضحيته أو شهودها إنما على سبيل الاستحباب، وفي هذه الحال المسؤول عنها ما يرجح ترك الاستحباب لأداء واجب التكافل بين المسلمين، خصوصاً إذا كان المنتفعون من الأضاحي في حال مجاعة وتعرض لأخطار شديدة.

- وأما بالنسبة للفقرة «ب» من السؤال: فإنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالحصول على تفويض من الموكل بالأضحية بأن يصرف الزائد عن ثمن الأضحية في وجوه البر والدعوة، ويعتبر الحصول على الإذن اللاحق من الموكل بمثابة التفويض السابق. والله أعلم.

دفع الزكاة في مرافق عامة وزكاة الجمعيات التعاونية

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من رئيس مجلس إدارة جمعية تعاونية ونصه التالي:

١ - تود جمعيتنا أخذ رأي مكتب الإفتاء بشأن ما تجب الزكاة عليه من أموال الجمعيات التعاونية الاستهلاكية، ونسبة هذه الأموال، وكيفية إخراجها.

٢ - وهل يجوز للجمعية أن تقوم بدفع زكاة المال لإتمام مشروع خيري مثل مشروع صالة الأفراح وديوانية للمتقاعدين؟ مع الأخذ في الاعتبار بأن المشروع مستقبلاً سينفصل عن الجمعية لأداء خدماته الخيرية لأبناء المنطقة؟

- وقد أجابت اللجنة بما يلي:

أ - لا زكاة في قيمة الأصول الثابتة «المواد غير المعدّة للبيع» كالمباني التي تمارس الشركة فيها أعمالها، والأثاث والرفوف والمكاتب المعدّة للعمل لا للبيع، وكذلك السيارات المعدّة للعمل.

ب - تزكّى الأصول المتداولة الموجودة يوم الجرد السنوي، وهي ثلاثة أصناف:

١ - النقود الورقية وسائر العملات والذهب والفضة.

٢ - الديون المستحقة للشركة قِبَل الآخرين أياً كانوا، إن كانت مرجوة السداد، أما غير المرجوة السداد فيجب تزكيتها عند قبضها وحولان الحول، وتزكي حينئذ لسنة واحدة، ولو أقامت عند المدين سنين، ولاديون غير المرجوة السداد هي ما كانت على معسر، أو على مليء منكر ولا بينة بها، ويلحق بها في الحكم تأمينات الكهرباء والماء والهاتف.

٣ - البضائع التي اشترتها الشركة بغرض المتاجرة بها، أي لبيعها واكتساب فرق الثمن من مواد غذائية أو مواد صناعية أو أدوية أو أراض أو عقارات أو أسهم أو أي مواد أخرى، وتقدر البضائع المذكورة بسعرها التجاري «أي السعر المتعارف عليه بين التجار» في مكانها يوم حولان الحول، سواء أكان أقل من سعر التكلفة أم أكثر، وإن كانت الشركة قد أدخلت بجهودها على المادة المشتراة صنعة ذات قيمة فالزكاة على المادة الخام فقط، أي على الحال التي اشتريت عليها.

ج - يخصم من مجموع الموجودات الزكوية المذكورة ما في ذمة الشركة من الحقوق كأثمان بضائع لم يتم دفعها وحقوق للموظفين أو أرباح مرصودة للمساهمين لم تسلم، أو أثمان كهرباء أو ماء أو خدمات بريدية أو هاتفية مستحقة أو أي ذمم دائنة أخرى.

د - تستحق الزكاة في الصافي من ذلك بنسبة ٢,٥ في المئة إن كانت الشركة تخرج الزكاة بحسب السنة القمرية، وهي السنة المعتبرة شرعاً للزكاة، فإن شق عمل جرد في نهاية كل سنة قمرية وكانت الشركة تمسك حساباتها على أساس السنة الشمسية يجوز تيسراً على الناس أن تكتفي بالجرد السنوي المعتاد وتضيف عليه نسبة الأيام التي تزيدها السنة الشمسية على السنة القمرية، فتكون النسبة هي ٢,٥٧٥ في المئة، بدلاً من ٢,٥ في المئة.

هـ - يجوز أن يتضمن عقد إنشاء الشركة بنداً ينص على أن الشركة تخرج الزكاة عما لديها من الأموال، وحينئذ يحق لإدارة الشركة إخراج الزكاة نيابة عن المساهمين، أما إذا لم ينص عقد إنشاء الشركة على ذلك فيجوز للشركاء أن يوكلوا إدارة الشركة في إخراج الزكاة، فإن لم يوكلوها لم يكن لها أن تخرج الزكاة عنهم، وهذا في ظل الأمر القائم من الدولة جعلت تحصيل بيت الزكاة للزكوات باختيار المزكين، أما لو أخذت الدولة بنظام التحصيل الإلزامي فيجوز حينئذ أخذ الزكاة من الشركة ككل، ويعتبر مالها مالاً واحداً قياساً على نظام الخلطة في زكاة الماشية، وأما في ظل الوضع الحاضر فإن كان مُزكٍ يخرج عن نفسه أو يوكل من يخرج عنه الزكاة، ويضم إلى حصته من الموجودات الزكوية من الشركة، ما سوى ذلك من أمواله الزكوية، ويسقط ما عليه من الديون ويزكي الباقي إن كان أكثر من نصاب، هذا وتأخذ اللجنة بما جاء في «توصيات مؤتمر بيت الزكاة الأول في الفتوى الأولى ونصها كما يلي: «تربط الزكاة على الشركات المساهمة نفسها لكونها شخصاً اعتبارياً وذلك في كل من الحالات التالية:

١ - صدور نص قانوني ملزم بتزكية أموالها.

٢ - أن يتضمن النظام الأساسي ذلك.

٣ - صدور قرار الجمعية العمومية للشركة بذلك.

٤ - (رضا المساهمين شخصياً)، وفي غير تلك الأحوال لا يجوز للجمعية أن تخرج الزكاة، بل يتولى كل مساهم إخراج ما يلزمه.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

وترى اللجنة أن ما جاء في هذه الفتوى ينطبق أيضاً على الجمعيات التعاونية الاستهلاكية وأن هذا يصلح جواباً للقسم الأول من السؤال.

وأما بالنسبة للقسم الثاني من السؤال فترى اللجنة أيضاً:

أنه لا يجوز للجمعية أن تقوم بدفع زكاة المال في مشروع صالة الأفراح ولا مشروع ديوانية للمتقاعدين، لأن الزكاة لها مصارف محددة شرعاً وليس هذان المشروعان منها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المرسى

هنا يرسو القلم،
ينفض عن كاهله وطأة الأيام
وازدحام الأعمال وهموم الواقع،
فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه..
وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين
للجميع ...

ومضى عام الطوفان

لم أكن أتوقع حدوث هذا الطوفان الهائل، في مختلف أنحاء العالم، فالمياه تنهمر من السماء بغزارة، تفيض وتتدفق من جوانب الكون بقوة جبارة، تكتسح كل السدود والحواجز التي تقف في طريقها، يخيل للرائي بأن الطوفان... قد جاء وعلى الأرض السلام!! وكل من عليها فان، ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام. عالم من المياه، مياه تمتد على مدى البصر، ليست محيطات شاسعة أو بحيرات عظمى، بل هي مياه الأمطار والفيضان، غطت هذا العالم وملأت مساحات كبيرة من السهول والوديان، وغيّرت ملامح عدة للمدن والقرى والأحياء والأنهار.

مشهد الطوفان هذا، جعل البشر يعيشون في حال من الخوف، الخوف من المياه التي دمرت المنازل، جعلتهم بلا مأوى، استقلوا القوارب للتواصل فيما بينهم، والطفل الصغير لم يجد وسيلة لتنجيه من هذا الطوفان والغرق سوى عاتقي شقيقه الأكبر منه سناً الذي حمله وخاض به الماء، والمياه ترتفع وتعلو وتكاد أن تغرق الكبير والصغير معاً، يا سبحان الله، أرحمنا برحمتك.

مشهد آخر من هذا الطوفان، أسرة بأكملها تحمل متاعها مما خف حمله وغلى ثمنه، تحاول الهروب من هذا الحصار المائي، هذا الطوفان الذي يعم جنبات الأرض، إلى مواقع أكثر أماناً، ولكن أين الأمان، أين الأرض المستوية الثابتة القوية، كل شيء أضحى هباء، طرقات بأكملها مغمورة بالفيضان، المياه تغسل المباني والبيوت والبشر مما علق بهم، في حياتهم اليومية، من الآثام والذنوب ... والعبرة لمن يعتبر، لأن الأرض الطيبة المطمئنة هربت من تحت الأقدام، فأين الخلاص والنجاة والمفر؟! لا شيء يجدي ولا خلاص أو نجاة، فاليوم قد جاءكم الطوفان، وحمل الزوج زوجته خلفه على ظهر جواده للفرار من هذا الطوفان، لكن لا شيء ينقذ الإنسان، أو الدواب، أو الطيور، الكل تحاصرهم السيول المدمرة، فكيف يتسنى لهم الطعام والشراب أو النوم والراحة؟

ويا حزني على المرأة المسنّة، تغادر منزلها الذي غمرته مياه الفيضان، حاملة في يدها دجاجة حية، لكن أين المفر؟ السيول اكتسحت كل شيء... وهذه الأم الحائرة، التي حملت طفلتها الصغيرة ووقفت وسط طوفان المياه، إلى أين تذهب؟ وماذا تفعل؟ وهل تستطيع أن توفر الأمان لطفلتها ولنفسها؟!

مشهد غريب، نوع من الطقوس لتفادي أضرار الطوفان، نسوة يسكبن اللبن «الحليب» بأحد الأنهار، اعتقاداً منهن أنها تنهي موجة الفيضانات التي أغرقت البلاد، لكن... هل يفلح سكب اللبن في الماء!! أم سيكون البكاء على البشر والبيوت والدواب والطيور وعلى اللبن المسكوب أيضاً، لأنه ضاع هباء مع الطوفان؟!

مشهد ختامي، من الخشوع والحزن وطلب الصفح والمغفرة، مجموعة من المصلين يتوجهون بالدعاء إلى الله وهم فوق قارب، لأن الأرض هربت من تحت أقدامهم، الكل يطلب النجاة، من هذا الطوفان، وعندما طلب نوح من ابنه أن يركب معه سفينة «النجاة»، قال: (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله ...).

بقلم: عبدالستار خليف

كشـــاف
مجلـة الوعـي الإسلامـي
لعـام
١٤١٩ هـ
١٩٩٨ - ١٩٩٩ م

إعداد : تمـام أحمـد

إلى الإخوة

القراء

الكتّاب

الباحثين والمتطلعين إلى ينابيع الفكر والمعرفة

مع نهاية عام هجري مضى، يسرّ مجلة الوعي الإسلامي أن تضع بين أيديكم حصادها الفكري من خلال كشافها العام لسنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨ ـ ١٩٩٩م، مبوباً حسب الموضوعات، تسهيلاً لمتابعاتكم الثقافية لموضوعات المجلة.

وكل عام وأنتم بخير

الوعي الإسلامي

أخـلاق وتربيـة ودعـوة

ترجمـات

أنشطة الوزارة

إعداد / التحرير

تابع / أنشطة الوزارة

شخصيات

إعلام

بريـد القـراء

العنـوان	الكاتـب	العـدد	صفحة
تعقيب وتوضيح	مسلم غيور	٣٨٩	٦
أخطاء مطبعية	محمود علي عبدالرحمن	٣٨٩	٦
مأثورات رائعة	مصطفى إبراهيم مرسي	٣٨٩	٧
علاج أزمة أمتنا	محمد عباس محمد عرابي	٣٨٩	٧
تكوين الأخلاق عند الطفل	حسين عبدالفتاح	٣٨٩	٧
الإيثار	حسين عبدالفتاح أحمد	٣٨٩	٧
براعة الإعداد والتخطيط في الهجرة	رضا إبراهيم محمد	٣٨٩	٨
مسؤولية الكلمة	إسماعيل الخطاري	٣٨٩	٨
هنات بسيطة	هاشم عويس	٣٨٩	٨
مجرد ملاحظة	محمد رمضان هاشم	٣٨٩	٨
ساعات نورانية	إيهاب أحمد زغلول	٣٩٠	٦
أسس العزة والسعادة للأمة المسلمة	وائل بن رفعت يوسف	٣٩٠	٦
الولاء للأسرة نظام رباني	عبدالفتاح علي محمد أحمد	٣٩٠	٧
فكرة للتأمل	علي مدني رضوان الخطيب	٣٩٠	٧
استرتش	فتحي عبدالفتاح	٣٩٠	٧
أخطاء شائعة	محمد نجيب لطفي	٣٩٠	٨
الحفاظ على الصحة	إسماعيل الخطابي	٣٩٠	٨
عذراً إخواننا القراء	الوعي الإسلامي	٣٩٠	٨
صناعة الفكر المستغرب	مصطفى إبراهيم مرسي	٣٩١	٦
من رأى منكم منكراً	مصطفى عثمان	٣٩١	٦
أين رجال الأزهر وأبناؤه	حمدي عبدالحكيم	٣٩١	٦
استفسار	عبدالحميد بو إبراهيم	٣٩١	٧
عودة إلى الحضارة	د. المصطفى لضميم	٣٩١	٧
اقتراح	د. محمد الدسوقي	٣٩١	٧
رد على موضوع: رؤية معاصرة في الطب النبوي	د. عبدالله الصالح	٣٩١	٨
عندما تصبح الدولة أباً للأطفال!	وحيد محمد أبو القاسم	٣٩٢	٦
أما آن الأوان لنستيقظ	محمود محمد فودة	٣٩٢	٦
الوعي الإسلامي في ثوبها الجديد	وحيد محمد أبو القاسم	٣٩٢	٧
وداعاً إمامنا الشيخ الشعراوي	إيهاب أحمد زغلول	٣٩٢	٧
قدرة اللغة العربية على تدريس الطب والعلوم	محمد عباس محمد عرابي	٣٩٢	٧
التقوى يا صديقي	محيي الدين عبدالفتاح	٣٩٢	٨
اقتراح	مصطفى لضميم	٣٩٢	٨
خواطر شعرية	خالد عبدالرحمن الشنو	٣٩٢	٨
ردود خاصة	—	٣٩٢	٨
خطأ وتصحيح	جابر أحمد يوسف	٣٩٢	٨
القدس والمسجد الأقصى	د. محمد الصغير	٣٩٣	٦
من شيم التقوى	إيهاب أحمد زغلول	٣٩٣	٦
اقتراحات	مصطفى إبراهيم موسى	٣٩٣	٧
ملاحظة	أشرف محمد سكر	٣٩٣	٧
الصحوة الإسلامية والقرن المقبل	عماد محمد مصطفى	٣٩٣	٧
ردود خاصة	التحرير	٣٩٣	٧
رد على مقالة: رؤية معاصرة في الطب النبوي	د. رضا عبدالحكيم إسماعيل	٣٩٣	٨

تابع / بريد القراء

العنوان	الكاتب	العدد	صفحة
أيها الأساتذة كفوا	أحمد محمد بكر موسى	٣٩٤	٦
جزاء عقوق الوالدين	مصطفى إبراهيم مرسي	٣٩٤	٧
ردود خاصة	التحرير	٣٩٤	٧
الحبة السوداء	د. خالد النجار	٣٩٤	٨
المنظمة الإسلامية لأميركا اللاتينية على الإنترنت	محمد يوسف هاجر	٣٩٤	٨
لكي نعود إلى جذورنا	محمد السيد عامر	٣٩٤	٨
تعقيب وتصحيح	أحمد مفضال مظهر	٣٩٥	٦
من هو المسلم؟	-	٣٩٥	٦
ردود خاصة	التحرير	٣٩٥	٧
حملة دعائية لإقامة جامعات إسلامية في أفريقيا	عادل محمود إبراهيم	٣٩٥	٧
السعادة بين الوهم والحقيقة	مصطفى إبراهيم مرسي	٣٩٥	٧
اقتراح	د. خالد سعد النجار	٣٩٥	٨
خاطرة	قارئ مصري	٣٩٥	٨
التخلف العقلي كيف نواجهه؟	نبيل حسن عبدالعزيز	٣٩٥	٨
من نتنياهو إلى أبناء الأمة العربية	قاسم القادري	٣٩٦	٦
ردود خاصة	التحرير	٣٩٦	٧
السياسة والدين	عمر نوح	٣٩٦	٧
انصروا كوسوفا	عماد محمود	٣٩٦	٧
التدخين والجهاز الهضمي	صلاح حسين	٣٩٦	٨
الأقصى يستغيث	عصام أبو الذهب	٣٩٦	٨
وقفة مع النفس	علي مدني رضوان	٣٩٦	٨
هل مازال البعض يعتقد في عهود اليهود؟	الخضري عبدالمنعم	٣٩٦	٨
شباب بلا سلاح	مخلص عبدالرحمن	٣٩٧	٦
تعقيب وتصحيح	محمد عبدالحميد	٣٩٧	٦
أسلمة المجتمع	مجدي السعدني	٣٩٧	٧
خواطر رمضانية	ميسون صافي	٣٩٧	٧
ردود خاصة	التحرير	٣٩٧	٧
مزيداً من الاهتمام بالمراهقين	علي أمين	٣٩٧	٨
ابن سناء الملك	محمد فؤاد محمد علي	٣٩٧	٨
التكنولوجيا الإسلامية ضرورة عصرية	عبدالكريم أحمد عوض الله	٣٩٧	٨
التدخين والاستعمار	ربيع عبدالعظيم الخياط	٣٩٧	٨
التحديات منبهات حضارية	عبدالكريم أحمد عوض الله	٣٩٨	٦
الشريعة الإسلامية وشهادات الغرب	خالد محمد أمين	٣٩٨	٦
ملاحظات	أشرف محمد أحمد سكر	٣٩٨	٧
ردود خاصة	التحرير	٣٩٨	٧
الطفرات التقنية وترويج السقوط	محمد عبدالظاهر محمد	٣٩٨	٧
إثبات وفرة الموارد	أشرف شعبان	٣٩٩	٦
أين العرب من هذا التنافس؟	فتحي بن حامد	٣٩٩	٦
ردود خاصة	التحرير	٣٩٩	٧
تنبيه	التحرير	٣٩٩	٧
سقط سهواً	التحرير	٣٩٩	٧
الإجماع من أصول التشريع	عبدالواحد استينو	٣٩٩	٧

تابع / بريد القراء

العنوان	الكاتب	العدد	صفحة
بدر القصار جهد مشكور	التحرير	٣٩٩	٨
التحديات منبهات حضارية	عبدالكريم أحمد	٤٠٠	٦
الشريعة الإسلامية وشهادات الغرب	خالد محمد أمين	٤٠٠	٦
ملاحظات	أشرف محمد أحمد سكر	٤٠٠	٧
الطفرات التقنية وترويج السقوط	محمد عبدالظاهر محمد	٤٠٠	٧
ردود خاصة	التحرير	٤٠٠	٧

أدب. شعر. لغة. تراث

العنوان	الكاتب	العدد	صفحة
الهجرة درس «قصيدة»	د. عبدالمنعم عبدالله حسن	٣٨٩	٣١
العنقاء «قصيدة»	محمد فهمي سند	٣٩٠	٢٥
هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً (١)	د. جابر قميحة	٣٩١	٣٠
التراث الإسلامي وأزمة القراءة	الراضي رشيد	٣٩١	٤٠
أسائل جدتي «قصيدة»	نجلاء الأسطل	٣٩١	٧١
الرسول السراج المنير «قصيدة»	محمد عبدالله القولي	٣٩١	٨٣
صرخة الأسير «شعر»	محمد عبدالله القولي	٣٩٢	٢٦
هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً؟(٢)	د. جابر قميحة	٣٩٢	٤٤
في رحاب المسجد «قصيدة»	د. رفيق حسن الحليمي	٣٩٢	٨٣
قصة مدمن« شعر»	رفعت محمد بروبي	٣٩٣	٥١
هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً (٣)	د. جابر قميحة	٣٩٣	٥٢
التعبير بالقصة من بين وجوه الإعجاز	ناصر مصطفى مرسي	٣٩٣	٦٠
إليك يا بني «شعر»	فكري عبدالسميع ناموس	٣٩٣	٧٥
حكاية زوجية «شعر»	محمود رمضان الأحمر	٣٩٣	٧٨
هل يشترط أن يكون المبدع مسلما (٤)	د. جابر قميحة	٣٩٤	٥٨
محمد متولي الشعراوي «شعر»	محمد عبدالله القولي	٣٩٤	٦٦
اللغة المعلم الوحيد في تحديد هوية الأدب	د. رفيق حسن الحليمي	٣٩٥	٤٦
ضيف السماء «شعر»	محمد عبدالله القولي	٣٩٥	٦٢
ابن صهيون «شعر»	د. رفيق حسن الحليمي	٣٩٦	٣١
لحن في الغربة «شعر»	محمد الحسناوي	٣٩٦	٧٥
أهلاً يا رمضان «شعر»	ميسون صافي	٣٩٧	٤١
رمضان «شعر»	يس الفيل	٣٩٧	٥٠
المكتبات الإسلامية بين كيد الأعداء وجهل العامة	محمد الفقيه	٣٩٨	٤٨
العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية	مصطفى دسوقي كسبة	٣٩٨	٥١
العلم بالعربية واجب ديني	د. محمد السيد علي بلاسي	٣٩٨	٦٢
الحداثيون والتركيب المنسق للكون	محمد السيد	٣٩٨	٦٤
خلجات شاعر ليلة العيد «شعر»	محمود محمد إبراهيم أحمد	٣٩٨	٨٦
نداء الحج «شعر»	رفعت عبدالوهاب المرصفي	٤٠٠	٢٥
رحلة المرحوم الشيخ عبدالله الخلف إلى الحج «شعر»	عبدالله الخلف	٤٠٠	١٨

تاريخ وحضارة وفكر

ثمـرات الفكـر

إعـداد / محمد هاني

تابع / ثمـرات الفكـر

إعـداد / محمد هاني

العنـوان	العـدد	صفحة
اسرائيل الآن	٤٠٠	٨٧
مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	٤٠٠	٨٧
رجال ومواقف سلمان الفارسي	٤٠٠	٨٧
أخبار ثقافية	٤٠٠	٨٧

قصـص

العنـوان	الكاتـب	العـدد	صفحة
الخافق المحلق	محمد مكين صافي	٣٩٢	٤٨
عيون خلف النقاب	محمد مكين صافي	٣٩٦	٨٤
اعتقال حمار	محمد السيد	٣٩٧	٨٤
المهرج والحكيم	عبدالله عيسى السلامة	٣٩٨	٧١
الصبر	زايد الزايد	٣٩٨	٧٢
المولود السادس	د. إبراهيم طالب عيسى	٣٩٩	٧٦
دعاء السحر	محمد مكين صافي	٣٩٩	٨٦
الهاتف	محمد مكين صافي	٤٠٠	٨٣

المرسـى

العنـوان	الكاتـب	العـدد	صفحة
الفتيا ومذاهب الهدى	علاء الدين رمضان السيد	٣٨٩	٩٨
أطفال للبيع	عبدالستار خليف	٣٩٠	–
كوسوفا والتعتيم الإعلامي	رفعت محمد بروبي	٣٩١	–
المسلمون في بلاد غير إسلامية	فيصل الزامل	٣٩٢	–
الانحراف إهدار للثروة البشرة	عبدالستار خليف	٣٩٣	–
سهام الأسحار	محمود علي عبدالرحمن	٣٩٤	–
الأهواء المجنحة	علي مدني رضوان الخطيب	٣٩٥	–
الوعي الإسلامي رسالة خير	بدر سليمان القصار	٣٩٦	–
مدرسة رمضان	يمن محمد المنلا	٣٩٧	–
عناقيد الشيطان	محمود علي عبدالرحمن	٣٩٨	–
الشرق شرق والغرب غرب	عبدالستار خليف	٣٩٩	–
ومضى عام الطوفان	عبدالستار خليف	٤٠٠	–

حـوارات ولقـاءات

دراسات قرآنية وفقهية وإسلامية

طب وعلوم

اقتصاد

تابع / الفتــاوى

إعـداد / إدارة الإفتـاء

قضايا إسلامية ـ عالمية ـ اجتماعية

فقه وتشريع ـ أحكام ـ عقيدة

قضايا المرأة ـ الطفل ـ الشباب

تابع / قضايا المرأة ـ الطفل ـ الشباب

العنوان	الكاتب	العدد	صفحة
أسوأ مكان على سطح الأرض	-	٣٩٢	٧٣
تعدد الزوجات في ظل التشريع الإسلامي	د. أحمد الحجي الكردي	٣٩٢	٧٤
دعوة إلى إبداء المشاعر والعواطف	سناء عبدالرحيم برعي	٣٩٢	٧٥
الإسلام وحرية المرأة في الاختيار	محمود النجيري	٣٩٢	٧٦
الزوجان المسلمان لا يسأمان	وكالة الأنباء الألمانية	٣٩٢	٧٩
أنماط الزواج التقليدية أكثر ميلاً للاستقرار	هدى سعيد السيد بهلول	٣٩٢	٨٢
نتائج مسابقة البيت المسلم	التحرير	٣٩٣	٦٨
عبارات خطيرة(١)	عابدة المؤيد العظم	٣٩٣	٦٩
حتى يسعد زواجكم	عبدالغني ناجي	٣٩٣	٧١
كيف ننمي المهارات الاجتماعية عند الأطفال	ليلى محمد محمد	٣٩٣	٧٢
زواج لم يتعد شهر العسل	-	٣٩٣	٧٩
أربع عقد	محمد رشيد العويد	٣٩٣	٨٠
تحريرها من أنصاف الرجال	محمد رشيد العويد	٣٩٤	٦٨
الأخت المخطوفة	محمد الحسناوي	٣٩٤	٦٩
أبناؤنا وآدابنا الاجتماعية	د. حسن أبو غدة	٣٩٤	٧٠
متى تبدئين بتقديم الوجبات الصلبة لطفلك	د. رضوان أحمد بيطار	٣٩٤	٧٢
حكم الزواج إن استكتم الشهود	محمود النجيري	٣٩٤	٧٤
عبارات خطيرة (٢)	عابدة المؤيد العظم	٣٩٤	٧٦
دور الأسرة في تنشئة الفرد وبناء المجتمع	محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي	٣٩٤	٧٨
اهتمام عالمي بالشيخوخة	حواس محمود	٣٩٤	٨١
عبارات خطيرة (٣)	عابدة المؤيد العظم	٣٩٥	٦٨
فتاة الغلاف ورسالة لم تنشر	حسن بن حسين المهنا	٣٩٥	٦٩
من حقوق الجنين في الإسلام(٤) اختيار الوالدين الصالحين	عمر محمد إبراهيم غانم	٣٩٥	٧٠
الطريق العصري ذو الاتجاهين	محمد منذر الشعار	٣٩٥	٧٣
لا ترددي ولا تتأخري في تلبية احتياجات طفلك	د. رضوان بيطار	٣٩٥	٧٤
العنوسة هل تعود أسبابها إلى المغالاة في المهور	د. حسن أبو غدة	٣٩٥	٧٧
رعاية الأمومة والطفولة في التراث الطبي الإسلامي	د. محمد علي البار	٣٩٥	٧٨
أطفال المشركين أفي الجنة هم أم في النار؟	محمد سلامة جبر	٣٩٥	٨٢
تأخر سن الزواج «المشكلة والحل»	حمدي عبدالعزيز السعداوي	٣٩٦	٦٨
التأخر الدراسي عند الأطفال وعلاجه	أشرف سعد	٣٩٦	٧٠
جناح الأحداث	عبدالرزاق زعال	٣٩٦	٧٢
عبارات خطيرة (٤)	عابدة المؤيد العظم	٣٩٦	٧٤
تطور طفلك خلال السنة الأولى	د. رضوان أحمد بيطار	٣٩٦	٧٦
صحة المرأة الحامل والمرضع في شهر رمضان	د. حسان شمسي باشا	٣٩٦	٧٨
الاهتمام بصحة الجنين وأمه	عمر محمد إبراهيم غانم	٣٩٦	٨٠
الأبناء والغذاء الآخر	د. حسن أبو غدة	٣٩٧	٦٨
التربية الأسرية بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية	د. محمد السيد علي بلاسي	٣٩٧	٧٠
كيف تعتنون بأسنان أطفالكم؟	د. رضوان أحمد بيطار	٣٩٧	٧٤
الرضاعة الطبيعية فوائد لا يمكن أن تصنع	د. عبدالرزاق السباعي	٣٩٧	٧٦
حقوق الزوجية	صالح بن سعيد بن حمد الصخبوري	٣٩٧	٨٢
من أجل تحرير حقيقي للمرأة	محمد رشيد العويد	٣٩٨	٦٨
بعد النظر في حياة المتزوجين حديثاً	خولة العتيقي	٣٩٨	٦٩

تابع / قضايا المرأة ـ الطفل ـ الشباب

أقليات وجاليات إسلامية

سيرة

مؤتمرات ـ ندوات ـ وتحقيقات

العنوان	الكاتب	العدد	صفحة
ندوة مجلة الوعي الإسلامي الثانية : الشباب بين الواقع والطموح	التحرير	٣٨٩	١٤
مؤتمر الكويت حول الطرق السريعة للمعلومات	د. عماد الدين عثمان	٣٨٩	١٩
المؤتمر العالمي الأول حول دور الدين والأسرة في وقاية الشباب من المخدرات	تمام أحمد	٣٨٩	٢٠
جمعية بيادر السلام عقدت مؤتمرها التربوي الأول	تمام أحمد	٣٩٠	١٢
المؤتمر الإقليمي الأول لمكافحة التدخين	تمام أحمد	٣٩٠	١٤
المؤتمر الدولي للمساهمات الحضارية للمرأة	ابتهال قدور	٣٩٠	١٦
ندوة بالأوقاف لمناسبة الهجرة النبوية	التحرير	٣٩٠	٢٣
معهد المخطوطات في أكاديمية العلوم الأذربيجانية	د. مقدس بن علي	٣٩٠	٦٢
كوسوفا... تاريخ طويل من الاستعمار والمذابح	شعبان عبدالرحمن	٣٩١	٢٠
السياحة العائلية هل تقوي الترابط الأسري	محمد سالم الصوفي	٣٩٣	١٦
إندونيسيا أكبر دولة إسلامية	شعبان عبدالرحمن	٣٩٣	١٨
بيت التمويل عقد الندوة الفقهية الخامسة	تمام أحمد	٣٩٦	١٧
بيت الزكاة عقد المؤتمر الخامس للزكاة	د. عماد الدين عثمان	٣٩٦	٢٠
ملف العمل الخيري في الكويت «بيت الزكاة الكويتي(١)»	أحمد عثمان	٣٩٦	٢٣
ندوة الوعي الإسلامي «الخطاب الإعلامي»(١)	د. عماد الدين عثمان ـ تمام أحمد	٣٩٧	١٤
ملف العمل الخيري في الكويت «الهيئة الخيرية(٢)».	أحمد عثمان	٣٩٧	٢١
منتدى واقع العمل التطوعي الكويتي	تمام أحمد	٣٩٨	١١
ندوة الوعي الإسلامي «الخطاب الإعلامي»(٢)	د. عماد الدين عثمان ـ تمام أحمد	٣٩٨	١٢
ملف العمل الخيري «لجنة مسلمي أفريقيا»(٣)	أحمد عثمان	٣٩٨	٢٠

كلمة العدد

العنوان	الإعداد	العدد	صفحة
سلسلة متصلة من الأفراح	التحرير	٣٨٩	٣
ظاهرة إيجابية	–	٣٩٠	–
ذكرى المولد ومنهج الوسطية	–	٣٩١	–
في الذكرى الثامنة للغزو العراقي الغاشم	–	٣٩٢	–
المسلمون والمتغيرات في عالم اليوم	–	٣٩٣	–
الفهم الشمولي للإسلام	–	٣٩٤	–
الإسراء والمعراج رباط السماء بالأرض	–	٣٩٥	–
الكويت والمسيرة الحضارية	–	٣٩٦	–
وكذلك جعلناكم أمة وسطاً	–	٣٩٧	–
أمتنا والعيد	–	٣٩٨	–
وسائل الإعلام الإسلامي أمانة ومسؤولية	–	٣٩٩	–
الحج والتغيير الإيجابي	–	٤٠٠	–

نافذة على العالم

الإعداد	العدد	صفحة
التحرير	٣٨٩	٩٢
–	٣٩٠	٨٨
–	٣٩١	٨٨
–	٣٩٢	٨٨
–	٣٩٣	٨٨
–	٣٩٤	٩٢
–	٣٩٥	٨٨
–	٣٩٦	٨٨
–	٣٩٧	٨٧
–	٣٩٨	٨٣
–	٣٩٩	٩٤
–	٤٠٠	٩٢

الوعي الإسلامي

على الانترنت On The Internet

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet



ص.ب. ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

محمد مؤذن ١٤١٦

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

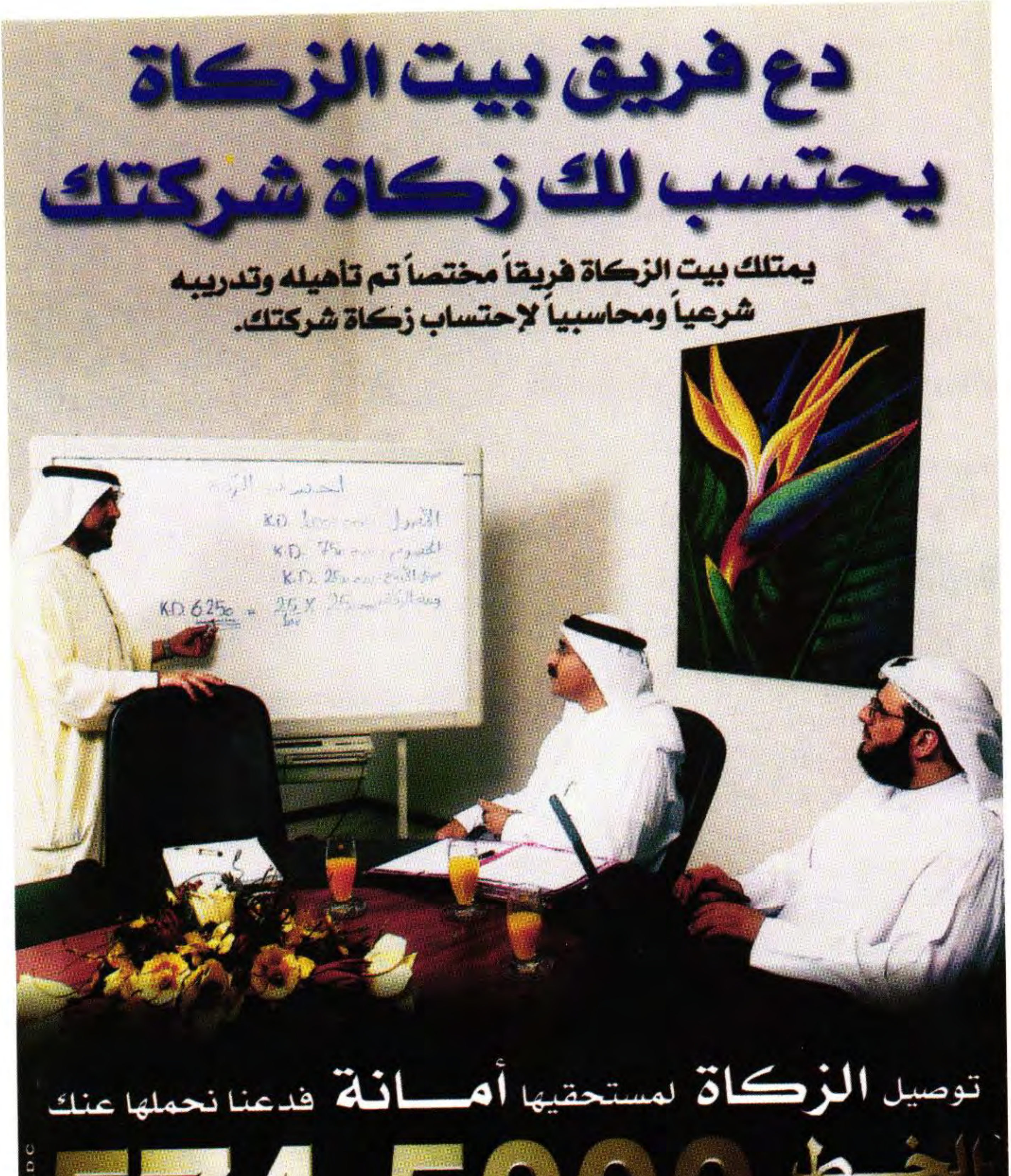
ص.ب : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (+٩٦٥)
فاكس : ٢٤٣١٧٤٠(+٩٦٥)


دع فريق بيت الزكاة
يحتسب لك زكاة شركتك
يمتلك بيت الزكاة فريقاً مختصاً تم تأهيله وتدريبه
شرعياً ومحاسبياً لاحتساب زكاة شركتك.
توصيل الزكاة لمستحقيها أمانة فدعنا نحملها عنك
الخط الساخن 574 5000